ـاير ١٩٨٧ ـ الثمن ٥٠ قرشا

الهلال

أهم ما قرأه المفكرون عام ١٩٨٦

البابا شنوده شاعرًا

مصر والمسيحية





من روائع الفن الإسلامي

مقطع من لوحة كبيرة من الفن الإسلامي الذى انتشر فى إيران ، تعبر عن الملاك الطيب ، الذى يقوم بحماية جويحار أول شاه يحكم إيران ، من شرور إبليس المعروف باسم أهريمان .

رسم اللوحة الفنان الإيرانى سلطان محمد ، الذى حرص على استخدام كل الألوان الفضفاضة التى تحيط بالملاك ، بينما يرتدى الملاك اللون الأبيض ، وفى الخلفية يبرز الأصفر الذهبى .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ أول يناير سنة ١٩٨٧ م - ١ جمادى الأول ١٤٠٧ هـ



الغلاف بريشة الفنان
حلمـــى التـــونـــى

هذا العدد

● فكـــــر وفــــــن ●

● قضايا ومواقف ●

● قصص ●

● فن تشكيلى ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

عزيزي القارئ

صباح الخير
أيها العام الجديد

نُقرئك السلام والتحية ياعزيزى القارىء ، ونقول لك : كل عام وانتم بخير !.. ثم نتحدث ببساطة فلا نقول للعام الجديد : ماذا وراءك أيهاالعام الوليد ؟!.. ولا نسأله : بأية حال عدت الينا ايها الوافد الطريف التليد ؟!..

بل نقول متفائلين : عام سعيد إن شاء الله .. لمصر والعرب والمسلمين والعالم الثالث ، والثانى ، والأول .. والأصدقاء ، والاعداء أيضا .. عسى أن تنقشع العداوة ، ويرفرف السلام والصداقة بين بنى آدم وحواء أجمعين ، فوق أديم هذه الكرة الأرضية الذى ارتوى من الدماء ، واختنق بالبغضاء !..

ونتقدم بين يدى عامنا الجديد وهو فى زهو ثوبه القشيب بأمنيات طيبة للثقافة العربية التى هى مرآة أمتنا فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ..

وعلى ضوء الشموع نَسْبحُ مع أول دقة تبعثها ساعة العام الجديد ، فى عالم الأحلام والمنى المعسولة ، فقديماً قال شاعرنا :

مُنًى إنْ تكن حقا تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

نتمنى أن يتغير الكثير فى صورة الأمة العربية خلال العام

الجديد السعيد فتختفي أو تخف الأزمة الاقتصادية التى تأخذ بخناق الوطن العربي كله من المحيط الى الخليج وتهدده بأن يصبح عاجزا حتى عن أن يكون ذيلا - مجر ذيل - للاقتصاد الرأسمالى العالمى !..

ونتمنى أن تنقشع الأزمة السياسية فى العالم العربى ، فتتفق عواصمنا على الحد الأدنى من التضامن حيال القضايا الجوهرية : قضية فلسطين ، وقضية لبنان ، وقضية حرب الخليج .. ثم القضايا الفرعية التى توشك أن تتحول الى جوهرية كقضايا جنوب السودان والبوليساريو وسبتة ومليلة .

وأخيرا وليس آخرا تجيء الأمنية الثالثة ، أمنية الديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية على الأرض العربية ..

إن أمنياتنا هذه ليست تبسيطا لأهداف الأمة العربية ، ولكنها "بساطة" فى عرضها لأن التهويل فى أهداف الأمة العربية صار بمرور الزمان من أسباب خيبتها وسقوطها !..

نحن نتمنى لأمتنا الحد الضرورى من الأهداف الحيوية الواجبة التحقيق ، لأنها بدون تحقيقها لا تستطيع أن تواجه عالما يتغير ويتطور بسرعة البرق ، ويتجه الى القرن الواحد والعشرين بأعمال وأفكار وخطط ومشروعات ، تتخلف الأمة العربية عنها مائة عام على الأقل !..

فالاستقلال الاقتصادى ، بمعنى عدم الذيلية المالية ، أو الطفيلية الاقتصادية للغرب أو الشرق ...

والاستقلال السياسى ، بمعنى استقلال القرار ، لمصلحة الأمة لا لمصلحة الأغيار ..

والبناء فى الداخل على أساس الديمقراطية والعدالة الاجتماعية لا على أساس الاستبداد والظلم الاجتماعى ...

تلك هى الأمنيات "البسيطة" التى إن تحققت بلغنا القرن الواحد والعشرين فى بدايته أو فى وسطه ، ولم نبلغه بعد أن يتجاوزه المتقدمون الى القرن الثالث والعشرين !..

عزيزي القارئ

وهي امنيات لا نستطيع بدون تحقيقها ان نتمنى شيئا للثقافة العربية ، فى العلم والأدب والفن ، وفى كل مايتصل بتقدم الانسان العربى فكريا ، وروحيا ..

إن المثقف العربى ـ فى مطلع العام الجديد ـ لا يتمنى لنفسه شيئا بمعزل عن التطور العلم لكل المجتمع ، لأن المثقف والثقافة لا ينهضان فى مجتمع تنخر فى أساسه عوامل الانهيار والتخلف !..

ولهذا يشعر المثقف العربى انه مسئول عن تقدم بلاده فى السياسة والاقتصاد والإجتماع مسئولية مباشرة ، وإن كان يعبر عنها بأدبه او فنه تعبيراً غير مباشر ، ولا يستطيع المثقف العربى ان يقف متفرجا على مجتمعه وبلاده ، يرسم او ينظم شعرا او يكتب قصصاً ومقالات بعيداً عن هموم امته ..

ويستقبل المثقفون العلم الجديد وهم ينظرون الى الصورة العربية على اتساعها لأن رسالتهم تشمل جميع أركان هذه الصورة ، وهم يعلمون أن السؤال الآن هو ـ على حد تعبير شيكسبير فى احدى مسرحياته : نكون او لا نكون !..

ولكن أزمات الأمة العربية فى جميع اطوارها منذ الحروب الصليبية والتتارية حتى اليوم كانت ومازالت تندرج تحت هذا السؤال الخطير . وقد خرجت أمتنا من كل ازمة وهي تجيب عن هذا السؤال قائلة : بل نكون دائما والى الابد ، وتنقضي جميع الازمات !..

فياعزيزى القارىء ، قل معنا : صباح الخير ايها العلم الجديد !..

المحرر

مصر والمسيحية
السيد المسيح فى مصر

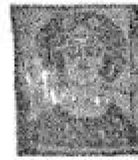
بقلم: توفيق حنا



من قديم الزمان كانت مصر هى الملجأ الأمين لكل من قصدها هربا من الظلم والطغيان ومن كل صور القهر والاستبداد ، كما كانت مركزا علميا وفنيا وحضاريا جاء إليها الحكماء والفلاسفة والفنانون للبحث والدراسة .. ومن هنا يمكننا ان نفهم سر هذه العبارة "مصر ام الدنيا" ..

استقبلت مصر من الانبياء ابراهيم ويعقوب ويوسف وغيرهم من انبياء العهد القديم ..

مصر والمسيحية



وكان موسى طفلا عندما عثرت عليه ابنة فرعون ـ او زوجته ـ فى السلة .. واسمه الفرعونى مشتق من الماء ، وذلك فى المكان الذى يقوم فيه الآن معبد بن عزراء فى مصر القديمة ، هذا المعبد اليهودى الذى يقع بالقرب من كنيسة أبى سرجه حيث اقامت العذراء مريم ومعها الطفل يسوع ويوسف النجار عدة ايام ، وفى هذا المكان كان يجرى نهر النيل الذى تحول مجراه بعد ذلك ، وبنى معبد ابن عزرا فى المكان الذى عثر فيه على موسى الطفل ، الذى نشأ وتربى على حكمة مصر .. وتأثر بعقيدة التوحيد التى بشر بها اخناتون (المخلص لآتون) قبل ظهور موسى .

ونحن نعرف ان افلاطون جاء الى مصر وتتلمذ على حكماء جامعة اون (عين شمس) ، وقرأ تاريخ هيرودوت ودرس نظم وقوانين مصر الفرعونية ، وتأثر بحكمة اخناتون وعقيدته ، واستفاد بكل هذا التراث المصرى فى ابداع جمهوريته وفى انشاء قوانينه .. وهنا أتساءل : **لماذا لا ندرس الآثار الاخناتونية فى المسيحية والاسلام بدلا من دراسة الآثار الافلاطونية ؟.. أليس من الغريب ان نتجاهل الاستاذ المصرى ونهتم بالتلميذ اليونانى ؟!** كما رحبت مصر بالسيد المسيح والعذراء مريم ويوسف النجار عندما رحلوا اليها هربا من تهديد هيرودس .. الحاكم الجبار الطاغية .. وذلك بعد ميلاد السيد المسيح بقليل ..

● ميلاد السيد المسيح ●

ولد السيد المسيح فى بيت لحم الذى يقع جنوب اورشليم ويبعد عنها ستة اميال . ولد فى مزود محاطا بالقش الذى تفترشه البهائم وتأكل منه . ولد بعد رحلة شاقة قامت بها العذراء مريم ومعها يوسف النجار ، بمناسبة الإحصاء الذى أمر به اغسطس قيصر . وكان الشتاء فى ذلك الوقت من السنة قاسيا وقارس البرودة .

وعندما أخبر المجوس هيرودس بميلاد طفل سيكون ملك اليهود ، خاف أشد الخوف وأصدر أمره أن يقتل كل أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون ، وذلك لأن الأمهات فى ذلك الوقت كن يرضعن اطفالهن لمدة سنتين . ولكن ..

نقرأ فى انجيل متى (أول اسفار "العهد الجديد" من "الكتاب المقدس") :

"وبعد ان انصرفوا (المجوس) إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا :

قم وخذ الصبى وامه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لان هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام واخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر . وكان هناك إلى وفاة هيرودس ، لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى"

(متى ٢ / ١٣ ـ ١٥)

ثم نقرأ بعد ذلك فى نهاية الاصحاح الثانى من انجيل متى : "فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا :

"قم وخذ الصبى وامه واذهب الى

ارض اسرائيل ، لانه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى . فقام واخذ الصبى وامه وجاء الى ارض اسرائيل .

ولكن لما سمع ان ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس ابيه خاف ان يذهب الى هناك . واذ اوصى اليه فى حلم انصرف الى نواحى الجليل . واتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ماقيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا"

(متى ٢ / ١٩ ـ ٢٣)

● عيد مجىء السيد المسيح الى مصر ●

يعتبر عيد مجىء السيد المسيح الى مصر (٢٤ بشنس / اول يونيو) من الأعياد السيديه (نسبة الى السيد المسيح) الصغرى السبعة وتحتفل به الكنيسة القبطية والكنيسة الاثيوبية فى ٢٤ بشنس القبطى ، ذكرى لوصول العائلة المقدسة الى ارض مصر ، وتحتفل به الكنيسة اليونانية فى ١٦ ديسمبر ويطلقون عليه عيد هروب العذراء الى مصر ، ويحتفل اللاتين بهذا العيد فى ١٧ فبراير ويسمونه عيد هرب سيدنا يسوع المسيح الى مصر FUGA IN AEGYPTUN .

ونحن نجد سجلا بهذه الاعياد القبطية فى كتاب "سير القديسين" المعروف بـ "السنكسار" الجامع لأخبار الانبياء والرسل والشهداء والقديسين ، المستعمل فى كنائس الكرازة المرقسية (نسبة للقديس مرقس الذى بشر بالمسيحية فى مصر والتى جاء اليها فى عام ٦١ ميلادية) فى ايام واحاد السنة التوتية (نسبة الى توت اول شهور السنة القبطية ، وتوت هو إله الحكمة فى مصر



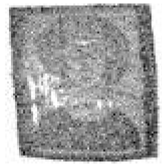
ايقونة للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح

القديمة وهو رب القلم ومخترع الكتابة ، وهو اله العلوم والفنون والاختراعات والإسرار الالهية ، ويرسم على الآثار بصورة طائر البجع ، أو بصورة انسان برأس بجع ..

ويقابل هرس عند اليونان وادريس عند العرب .. وفى هذا الشهر يقال : توت رى ولا فوت .. ذلك لأن هذا الشهر من شهور فصل الزراعة)

وعيد النيروز ـ رأس السنة القبطية ـ هو عيد وطنى زراعى بقدر ماهو عيد دينى ، ويقع فى منتصف شهر سبتمبر ، حيث تكون ليلة ارتفاع النيل (او ليلة النقطة .. اذ كان يظن ان فيضان النيل من دموع ايزيس على زوجها اوزيريس) ، ويقضى المصريون ـ فى العصور القديمة ـ هذه الليلة فى الصلاة والدعاء والشكر للاله العظيم حاكم النهر .. الرب اوزيريس . وكان المصريون القدماء يرون فى النيل الها هو حابى ، يدعونه

مصر والمسيحية



عند الحاجة ، ويقيمون له احتفالات دينية خاصة

والتقويم الزراعى ـ او القبطى (اى المصرى) او الشمسى ـ تتداخل فيه المواسم الزراعية والاعياد الدينية .

وعندما جاء العرب ، وجدوا هذا التقويم المبنى على خبرة طويلة متصلة بفيضان النيل ، ومواسم الزراعة وظواهر الطبيعة ، ووجدوا الاقباط (المصريين) يعتمدون عليه فساروا مثلهم ، ولهذا نجد عند المصريين المسلمين تقويمين :

١ ـ التقويم القمرى ـ الهجرى ـ للمناسبات الدينية .

٢ ـ التقويم الشمسى للزراعة ومواسمها وعاداتها وتقاليدها .

● رحلة السيد المسيح الى مصر ●

من بين اناجيل العهد الجديد من الكتاب المقدس الاربعة الاولى وهى اناجيل (جمع انجيل) متى ومرقس ولوقا ويوحنا ينفرد إنجيل متى بذكر وقائع رحلة السيد المسيح الى مصر ـ كما سبق أن ذكرت ـ ولا تذكر هذه الرواية تفاصيل هذه الرحلة .. الطريق الذى سارت فيه العائلة المقدسة ، والبلاد التى توقفت عندها أو مرت بها ، والمدة التى قضتها فى مصر ، ومتى بدأت الرحلة ومتى انتهت

ونحن نعتمد فى معرفة كل هذه التفاصيل على رؤيا البابا ثيئو فيلوس بابا الاسكندرية الثالث والعشرين (٣٨٥ ـ ٤١٢ م) التى رآها فى ليلة السادس من شهر هاتور (١٥ نوفمبر) (وهاتور هو الشهر الثالث من السنة القبطية وينسب إلى الالهة هاتور ـ حتحور ـ وهى الهة الحب والجمال ـ والمحبة والفرح عند قدماء المصريين ، وتصور على هيئة امرأة برأس بقرة ، وتقابل عند اليونان افروديت .. ويقال : هاتور ابو الدهب المنتور .. والذهب هنا هو القمح .. ويقال ايضا : إن فاتك زرع هاتور اصبر لما السنة تدور) .. وسجل "السنكسار" (سيد القديسين) هذه الرؤيا التى ظهرت فيها السيدة العذراء للبابا ثيئو فيلوس (باليونانية THEOPHILOS اى حبيب الله) وروت له ـ بناء على طلبه وصلاته ـ تفاصيل هذه الرحلة .

● الرحلــــة ●

كان لابد ان تسلك العائلة المقدسة ـ أثناء هروبها من مطاردة هيرودس ـ طريقا غير الطريق المعروف

خرجت العائلة المقدسة من بيت لحم ليلا ، ودخلت مصر عن طريق صحراء سيناء من جهة الفرما ـ بين العريش وبورسعيد .

وصلت أولا الى مدينة بسطه بالقرب من الزقازيق ، وكان الوقت ظهرا ، وارشدها رجل طيب من اهالى بسطه الى احدى ضواحى المدينة حيث وجدت شجرة عاشت فى ظلها عدة ايام ، وفى هذا المكان استحم السيد المسيح ، وسمى المكان المحمه ، ويطلق عليه الآن مسطرد ، ومن المحمه اتجهت الى بلبيس حيث وجدت شجرة استظلت بها ، ويطلق عليها الآن شجرة مريم ـ وترتبط هذه

الرحلة بالشجرة ارتباطا رمزيا عميق الدلالة .

وقد ذكرت الشجرة فى سورة مريم فى القرآن الكريم ـ ثم اتجهت العائلة المقدسة بعد ذلك الى " منية سمنود " ومنها ـ عن طريق النهر ـ الى سمنود .. ثم واصلت اسير الى البرلس ثم عبرت النهر عند " المطلع " غربا الى سخا ايوس .. ويقال ان السيد المسيح وضع قدمه على احد الاحجار فترك اثر قدمه عليه وسمى المكان " كعب يسوع " ـ سخا ـ ثم سارت العائلة المقدسة غربا مقابل وادى النطرون ، ثم اتجهت الى عين شمس ، حيث كانت تقوم مدينة اون (هليوبوليس) المعروفة فى " العهد القديم " ش " الكتاب المقدس "

وفى هذه المدينة كانت تقوم أشهر جامعة فى التاريخ القديم ، وهى جامعة اون (عين شمس) ، ويعرف هذا المكان الآن بالمطرية ، واستظلت تحت شجرة تعرف الآن بشجرة مريم ثم اتجهت جنوبا الى الفسطاط ـ بابليون ـ فى مصر القديمة (يقول ديودور الصقلى "ان الاسرى البابليين الذى اسرهم رمسيس الاكبر (الثانى) احتلوا قلعة على الشاطىء تجاه منف وبنوا هناك مدينة دعوها بابيلون وهى عاصمة بلادهم") ، وهناك سكنت العائلة المقدسة المغارة ، التى توجد الآن بكنيسة القديس سرجيوس المشهورة بأبى سرجه ، وبقيت بها اسبوعا ، ثم واصلت سيرها الى منف (التى ذكرت فى "الكتاب المقدس" باسم نوف واسمها بالهيروغليفية "من نفر" ومعناها الميناء الجميل .. وتسمى الآن "ميت رهينة") .

وفى مركب شراعى فى البقعة التى تقوم عليها الآن كنيسة العذراء مريم بالمعادى اتجهت العائلة المقدسة الى الصعيد ـ الوجه القبلى ـ حتى البهنسا فى مكان يدعى "اياى ايسوس" ـ "بيت يسوع" ـ حيث اقامت اربعة ايام . ثم اتجهت الى جبل الطير ـ شمال سمالوط ـ (ويقال إن صخرة كبيرة من الجبل كادت تسقط على العائلة المقدسة فمد يسوع يده ومنع الصخرة من السقوط ، وانطبعت كف يسوع على الصخرة ، وصار الجبل يعرف بجبل الكف ، والكنيسة التى اقامتها الملكة هيلانة باسم العذراء مريم تدعى "كنيسة سيدة الكفة") ، ومن هذا المكان سارت العائلة المقدسة حتى وصلت الى الاشمونين بمركز ملوى (خمنو بالمصرية القديمة تعنى ثمانية (٨) لأن عدد آلهة المدينة ثمانية ، ومعناها أشمون الثانية ، لأن الاولى كانت قد اندثرت) .. ثم اتجهت الى ديروط الشريف ، وبعد ايام واصلت السير الى القوصيه (كانت تدعى قسقام) ثم الى مير ثم الى جبل قسقام حيث يقوم الآن دير السيدة العذراء المعروف الآن بالدير المحرّق . (كتاب "الدير المحرّق" للأنبا غريغوريوس)

وفى جبل "قسقام بنى الشيخ البار يوسف النجار بيتا صغيرا من الطوب وغطاه باغصان النخيل . وفى هذا البيت عاشت العائلة المقدسة ستة شهور وعشرة ايام . وكان دير المحرّق او دير جبل قسقام او دير السيدة العذراء هو نهاية رحلة العائلة المقدسة ، ومن هذا الدير بدأت رحلة العودة عندما عرف يوسف من ملاك الرب بموت هيرودس .

وتذكر المصادر التاريخية الكنسية ان



يوم ٦ بابه هو اليوم الذى رحلت فيه العائلة المقدسة من جبل قسقام . وجاء فى ميمر (سيرة) البابا ثيئوفيلوس قول السيدة العذراء للبابا :

"... وبعد ذلك أقمنا مدة باتوفيلس الى تمام الستة شهور وعشرة أيام حيث كان دخولنا هذا الموضع المقدس فى السابع من شهر برموده (١٥/٤) وقيامنا منه فى السادس من شهر بابه (١٢ اكتوبر)" (وشهر "بابه" هو الشهر القبطى الثانى ، نسبة الى حابى او هابى – اله النيل – ويقال : بابه خش واقفل البوابه ، وذلك لشدة البرد)

ويقول شيخ المؤرخين المصريين (ت ١٤٤١ م) فى خططه : "تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام اقام فى موضعه (جبل قسقام) ستة اشهر واياما ، وله عيد عظيم يجتمع فيه عالم كثير"

● نهايــة الطاغية ●

ومات هيرودس بعد مذبحة الاطفال بقليل ، وقبل موته حاول الانتحار ، ومات أشنع ميتة بعد سبعين عاما قضاها فى الشر والظلم والاستبداد .

وكما اعتبر يوم ولى د قلديانوس الحكم بـداية التـاريـخ ألقبطى – المعـروف بالشهداء – فقد اعتبر يوم موته عيدا قوميا يحتفل به كل عام ، يوم نهاية سلطان الظلام .

● الرؤيــــا ●

كان الانبا ثيئو فيلوس قد صلى صلاة طويلة حارة عليه مستعينا بشفاعة أم النور مريم ، فظهرت له العذراء القديسة استجابة لصلواته ، وذكرت له انباء الرحلة المباركة التى قامت بها العائلة المقدسة من فلسطين ، وطلبت منه ان يسجل مارأى وما قالت فامتثل لطلبها وكتب هذه الرؤيا ، وأصبح كتاب البابا ثيئو فيلوس اهم وثيقة – أو هى فى الحقيقة الوثيقة الوحيدة – التى يعتمد عليها فى اخبار هذه الرحلة .

ويقول اميلينوAmeleneau ان ميمر الانبا ثيئو فيلوس لا يوجد منه الآن باللغة العربية الا ثلاثة مخطوطات ، احدها بمكتبة الفاتيكان والثانى بالمكتبة الاهلية بباريس والثالث بمكتبة الدير المحرق .

★ ★ ★

اختلف المؤرخون فى تقدير المدة التى اقامتها العائلة المقدسة فى مصر .

ويرى الانبا غريغوريوس ان « المدة تزيد قليلا على ثلاث سنوات ونصف وقد تبلغ نحو اربع سنوات »

اما المدة التى اقامتها العائلة المقدسة فى جبل قسقام حيث يقوم الآن الدير المحرق فقد ذكرت المصادر الكنسية انها ستة أشهر وعشرة ايام – كما جاء فى ميمر الانبا ثيئوفيلوس .

● الدير المحرق ●

يقع هذا الدير الذى بناه الأنبا باخوم ابو الشركة عام ٣٤٢ م – فى سفح الجبل الغربى المعروف بجبل قسقام [قوس (مدفن) قام (نبات الحلفا)] ، على بعد ١٢ كيلو مترا غرب القوصية (محافظة اسيوط) .

وفى الجهة الغربية من هذا الدير العتيق توجد كنيسة السيدة العذراء الاثرية ، هيكلها هو نفس المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة ، ومذبح الكنيسة هو الحجر الذى جلس عليه السيد المسيح . وهذه الكنيسة تعتبر أول كنيسة فى العالم كله .

على يمين الهيكل توجد ايقونة -صورة- للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح على يسراها ، وهى نسخة من أحدى الصور الثلاث الاصلية التى رسمها القديس لوقا .

وعند باب المدخل توجد ايقونة اخرى للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح بيسراها ايضا .

ويرجع تاريخ هذه الكنيسة الى القرن الأول الميلادى .

ولكن لماذا سمى هذا الدير بالدير المحرق ؟

هناك نظريات كثيرة ولكنى اكتفى بذكر هذه النظرية التى تقول ان الدير كان بعيدا عن ماء النيل فى معظم ايام السنة ، وكان الحوض القريب منه تنضب فيه مياه الفيضان وتحصل تحاريق ، فسمى بالحوض المحرق ، وسميت الأرض من حوله بالمحرقة ، وسمى الدير تبعا لذلك بالدير المحرق .. وهذا ماتؤكده الخرائط المساحية .

وقد اشتهر رهبان هذا الدير من قديم الزمان بالعلم والتقوى وامتد اثرهم الكرازى والعلمى خارج مصر ووصل بعض هؤلاء الرهبان الى جنوب أوربا ووسطها وشمالها حتى ايرلندا .

وكلمة راهب من الرهبة ، والكلمة القبطية التى تقابل راهب هى موناخوس ومنها اشتقت الكلمة اللاتينية Monachvs والانجليزية Monk والفرنسية Moine وتعنى جميعا المتوحد ، فالراهب هو المتوحد الذى اعتزل الناس ليحيا متفردا بعيدا عن المجتمع ليتهيأ له الوقت الكافى لينمو باطنيا وروحيا (كتاب "الدير المحرق" للانبا غريغوريوس)

● وختاما ●

لا أدرى لماذا لا تقوم لجنة من وزارات السياحة والثقافة والتعليم والهجرة لوضع خطة لتوفير الوسائل والامكانيات التى تسمح بقيام سياحة داخلية وخارجية لهذه الاماكن التى مرت بها العائلة واقامت فى بعضها فى رحلتها التاريخية من سيناء حتى الدير المحرق حيث تقوم كنيسة العذراء الاثرية التى تبعد ٤٨ كيلو مترا عن مدينة اسيوط . انها سياحة قومية ودينية وتاريخية وحضارية .

وأسجل هنا فى نهاية كلمتى ماكتبه الدكتور سليمان حزين فى ١٩٦٢/١١/٩ عندما كان مديرا لجامعة اسيوط بعد زيارته للدير المحرق :

" فى ارض وادى النيل بقاع جمعت بين القداسة والقيم الروحية الأصلية ، وهذا الدير العظيم واحد من تلك البقاع . وقد مرت امامى وانا ازور هذا الدير صفحات جيدة من الكفاح الروحى من اجل حرية الفرد والحفاظ على العقيدة ضد طغيان الرومان والغزاة . وانه لغذاء للروح ان تتاح الفرصة لزيارة هذا الدير العريق" .

غريب

شعر: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ريشة: عادل ثابت

غريبا عشتُ فى الدنيا نزيلا مثل ابائى*
غريبا فى اساليبى وافكارى واهوائى
غريبا لم اجد سمعا أُفرِّغ فيه آرائى
يحار الناس فى القى ولا يدرون ما بائى
يموج القومُ فى أرَقٍ وفى صخب وضوضاء
وأقبع صامتا وحدى لقلبِ الوادع النائى
غريبا لم أجد بيتا ولا ركنا لإيوائى

★ ★ ★

تركتُ مفاتن الدنيا ولم أحفل بناديها
ورحتُ أجرُّ ترحالى بعيدا عن ملاهيها
خَلىُّ القلب لا أهفو لشىء من أمانيها
نزيه السمع لا أصغى إلى ضوضاء أهليها
أطوفُ هاتفا وحدى سعيدا فى دياجيها
بقيثارى ومزمارى وألحان أغنيها
وساعات مقدسة خلوت لخالقى فيها

★ ★ ★

أسير كأننى شبح يموج لمقلة الرائى
غريبا عشت فى الدنيا نزيلا مثل آبائى



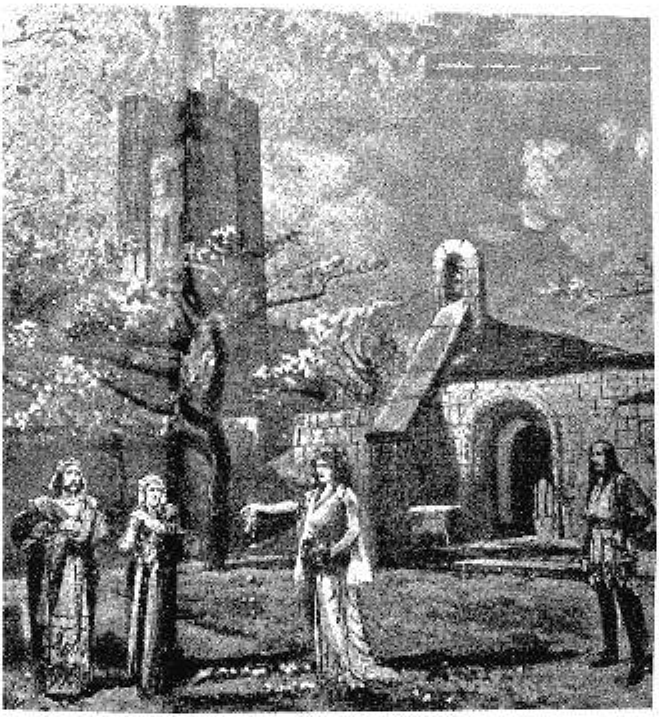
كسبت العمر لا جاه يشاغلنى ولا مال
ولا بيت يعطلنى ولا صحب ولا آل
هنا فى الدير آيات تعزينى وأمثال
هنا الإنجيل مصباح ولا يخفيه مكيال
هنا لا ترهب الرهبان قضبان وأغلال
ولا تلهو بنا الدنيا فإدبار وإقبال
أقول لكل شيطان يريد الآن إغرائى
حذار فإننى أحيا غريبا مثل آبائى

(*) الآباء هم رهبان الكنيسة المرقسية

كريم الراوى

كاتب مصرى فى المسرح الإنجليزى

بقلم : د. صبرى حافظ



لاشك أن ظهور كريم الراوى فى ساحة المسرح الانجليزى المعاصر ظاهرة جديرة بالاهتمام . فمع أن هذه ليست المرة الأولى التى يختار فيها كاتب مصرى أن يكتب أعماله باللغة الانجليزية ، أو بالأحرى تختار له الظروف أن يعبر عن طاقته الإبداعية بلغة غير لغته الطبيعية الأم ، فقد سبقه قبل سنوات وجيه غالى الذى نشر رواية جميلة (جعة فى نادى البلياردو) منذ أكثر من عشرين عاما ، ثم أعقبته أهداف سويف التى نشرت هى الأخرى رواية شائقة (عائشة) قبل سنوات قلائل . فإن هذه هى المرة الأولى التى يعرض فيها مسرح الرويال كورت الشهير عملا مسرحيا لكاتب مصرى . ولا يقل هذا الأمر أهمية بأى حال من الأحوال عن نشر البنجوين لرواية وجيه غالى فى الستينيات . وربما يتجاوزه من حيث الأهمية لأن مسرح الرويال كورت لا يراهن عادة إلا على الجياد المسرحية الواعدة بالعطاء الجاد .

كـريـم الـــراوى

ولايقدم الكتاب الجدد على خشبته الرئيسية ـ حيث إن له خشبة أخرى تجريبية هى « المسرح العلوى » يقدم عليها أعمال الكتاب الناشئين ـ إلا بعد أن تترسخ اقدامهم ، وتتوطد فى عالم المسرح الجاد مكانتهم . وعلاوة على هذا كله ثمة عامل يؤكد اهمية هذا الحدث الأدبى البارز . لأن من الجائز ان يزاحم كاتب أجنبى الانجليز فى مجال الرواية المكتوبة بالانجليزية . ولا غرو فقد أصبح جوزيف كونراد ـ وهو بولندى الأصل أوكرانى المولد ـ واحدا من أهم أعلام الرواية الانجليزية الحديثة ومن اكثرهم ثراء واهمية . كما ان احد ابرز كتاب الرواية الانجليزية المعاصرة ، وهو سلمان رشدى ، هندى الأصل والمولد . لكن من الصعب الذى يشارف حدود المستحيل أن يزاحم أجنبى الانجليز فى عالم المسرح : فنهم الأثير . وهناك استثناء فى هذا المجال ، هو الكاتب النيجيرى الكبير وول سوينكا ، الذى برع فى مجالى الرواية والمسرح على السواء . ولكن الأمر بالنسبة لهذا الاستثناء الوحيد مختلف كلية عن حالة كريم الراوى . فوول سوينكا ، برغم جمال مسرحه ، وعذوبة شاعريتـه الشفيفة ، لايكتب مسـرحا انجليزيا ، وإن كانت لغة هذا المسرح هى اللغة الانجليزية . لأن مسرح سوينكا مسرح افريقى حتى النخاع . يضرب بجذوره فى أرض الرؤى الأسطورية للقارة الافريقية العذراء . وينهض منطق البناء فيه على ميراث ثرى من الثقافة السوداء ذات التيارات التحتية العامرة بالرموز البكر ، والتصورات المثقلة بالشعـر والحكمة ، أما مسرح كريم الراوى فهو مسرح انجليزى خالص . لا يمكن بأى حال من الأحوال فصله عما يدور فى ساحة المسرح الانجليزى المعاصر . ولاتستطيع سبر اغواره ، وإدراك مغزاه وحقيقة مراميه ، دون وضعه فى مكانه المحدد من خـريطـة المسـرح الانجليـزى فى الثمانينيات . فمن هو كريم الراوى ؟ وماهى تفاصيل المشهد المسـرحى الانجليزى فى الثمانينيات ؟ وماهو موقعه على خريطته ؟

● واقع جديد ●

ولد كريم الراوى فى مدينة الاسكندرية فى الرابع من مارس عام ١٩٥٢ لأبوين مصريين من الطبقة الوسطى وأمضى كريم طفولته فى ربوع هذه المدينة الساحلية الجميلة التى أنجبت العديد من كتاب المسرح المصرى الموهوبين ، بدءا من عبد الله النديم حتى الفريد فرج . وتلقى تعليمه الابتدائى والاعدادى فى هذه المدينة المتوسطة التى لاتزال ذكرياتها عالقة فى وجدانه . ولكنه مالبث ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، أن انتزع من مدينته ذات التراب الزعفرانى . إذ جاء به أبوه الى لندن لأنه كان ـ كما روى لى كريم ـ موظفا فى إحدى الشـركات الأجنبية ونقلته الشركة للعمل بمقرها فى لندن . كان هذا عام ١٩٦٦ وكانت المدينة الضبابية قد تخلصت كلية من آزمة تمزقات عام ١٩٥٦ ، التى يعرفها الانجليز باسم حرب السويس . واستردت حكومة العمال الحكم ، بعد أن بقى لعشرة أعوام فى أيدى المحافظين . وأخذت فى تطبيق

برنامجها التعليمى الذى استهدف القضاء على طبقية التعليم ، وفتح الباب على مصراعيه امام القادرين علميا ، مهما كانت أصولهم الطبقية ، وكان من نتائج هذه الاصلاحات إنشاء ماعرف باسم « المدرسة الشاملة » التى ترمى الى القضاء على أرستقراطية التعليم ، وعلى اسلوب « العزل » غير الصحى السقيم الذى كان يؤدى الى فصل الطبقة المتعلمة عمن حكم عليهم النظام التعليمى بالبقاء فى أسر الطبقات العاملة منذ الحادية عشرة من العمر ، لايعرفون غيرها ولايخالطون إلا أترابهم من بنيها .

فى إحدى هذه المدارس الشاملة الجديدة ، مدرسة هاكنى الشاملة ، بشرق لندن أكمل كريم تعليمه الثانوى وتفتح وعيه على واقع جديد ، مغاير كلية للواقع السكندرى الذى خلفه - وراءه . واقع الجانب الشرقى الفقير من مدينة لندن ، حيث يتزاحم ضحايا الثورة الصناعية من العمال المطحونين ، مع ضحايا المرحلة الاستعمارية ، وما بعد المرحلة الاستعمارية ، من الذين سعوا الى انجلترا جريا وراء وهم الخلاص ، فرارا من ميراث الاستعمار الطاحن ، الذى تنوء بلادهم تحت كلاكله . ولم تتمكن بعد من التحرر من ربقة علاقاته الجائرة . كان هؤلاء هم أبناء البلاد التى استنزفها المستعمر قبل أن يجلو عنها . وترك فى معظمها حكومات لاتقل بطشا واستغلالا عن صنائعه القدامى ، الذين كانوا يديرون البلاد لحسابه وهو قريب ، فأصبحوا يديرونها فى الغالب لحسابه وهو غائب ، أو لحساب انفسهم ، على أحسن الاحوال . وقد هرب معظم هؤلاء المهاجرين من مواضعات القهر والتخلف فى بلادهم ، الى لندن علهم يستطيعون لانفسهم انقاذا . فواجهوا فيها واقعا جديدا لايقل قسوة وشراسة عن ذلك الذى خلفوه وراء ظهورهم بين ابناء العمال الفقراء ، وابناء المهاجرين من الملونين ، الذين وجدوا انفسهم هدفا سهل المنال لإحباطات العمال ، ومتنفسا لقهرهم ، وجد ابن الاسكندرية نفسه فى عالم جديد عليه كلية ، مغاير لعالم الطبقة الوسطى الهادىء الذى خلفه وراءه على شواطىء المتوسط الجميلة . عالم مليىء بالحدة والعنف والتوتر ، ولا يستطيع كريم الصبى إزاءه ، غير العمل المستمر على استيعاب كل مايدور حوله بعقل يقظ ، ولا يلتقط اللكنة والمفردات الأجنبية وحدها ، ولكن يستوعب ما وراءها من علاقات وظلال ، ويستكشف ماتخفيه التراكيب اللغوية ، من تركيبات اجتماعية وطبقية معقدة .

● مستودع زاخر ●

وكانت هذه الفترة - والتى امتدت لخمسة أعوام ، هى كما سيبدو فيما بعد من كتابات كريم - فترة تكوين الموقف النفسى والانفعالى من المجتمع الانجليزى . وهى كذلك فترة تشكيل التيارات التحتية لموقف الكاتب الفكرى والايديولوجى مما يدور فى هذا المجتمع من توترات وصراعات . لأن هذه الفترة ظلت هى المستودع الزاخر ، الذى يستمد منه كريم الكثير من الرؤى والشخصيات ، والذى يؤسس عالمه المسرحى فى قلب مواضعاته ، ويقيمه وفق قوانينه ومنطقه . مع أن كريم سرعان ما ابتعد عن هذا العالم قليلا ، وتعرف على عالم اكثر توازنا

فى تمثيله للمجتمع الانجليزى . عندما التحق عام ١٩٧٠ بقسم الهندسة المعمارية والانشائية فى « كلية الجامعة » التابعة لجامعة لندن ، وحصل منها فيما بعد على بكالوريوس الهندسة عام ١٩٧٣ . لأن تأثير هذا العالم المتوازن نسبيا ، والذى عرفه فى محيط الجامعة ، لم يظهر بعد فى عالمه المسرحى ، وإن ساهمت معرفته به فى تعميق فهمه للعالم الاول ، واحكام سيطرته على مفرداته ، ومواضعاته معا . وكانت فترة الدراسة الجامعية هى - كالعادة - مرحلة التفتح الادبى ، والمساهمة فى النشاط الجامعى والانفتاح على الابعاد الثقافية المختلفة فى المجتمع . ولذلك كان طبيعيا أن يجرب كريم ، فى هذه الأثناء قلمه فى كتابة الأقاصيص التى نشرها فى مجلات الجامعة .

وبعد أن تخرج كريم فى جامعة لندن ، ذهب الى مانشستر ، حيث واصل الدراسة بها وحصل منها على ماجستير فى الهندسة المعمارية عام ١٩٧٥ . ثم عمل بعدها مهندسا لمدة عامين ، اكتشف خلالهما أن عمل المهندس الناشيء لايختلف كثيرا عن عمل « ريس » العمال وإن تميز « ريس » العمال عليه بطول الخبرة ، والحنكة ، والقرب من العمال الذين طلع من بين صفوفهم . ولذلك سرعان ماسئم كريم وظيفته الجديدة ، وقرر العودة الى الدراسة من جديد . فالتحق بكليته القديمة فى جامعة لندن عام ١٩٧٧ للدراسة للدكتوراه فى الهندسة الانشائية وأمضى بالفعل عامين فى هذه الدراسة العليا ، يجهز الابحاث ويعد الرسوم . وبعد هذين العامين غيرت المقادير مجرى حياته . إذ وقع له حادث صغير ما لبث أن اكتشف معه أن الهندسة ليست طريقه ، برغم ماقطعه فيها من شوط صعب وطويل .

كان كريم الراوى قد كتب بعض الأقاصيص ، أثناء رحلة دراسته الجامعية الأولى ، كما ذكرت من قبل . ولكنه وبعد عامين من الدراسة للدكتوراه ، جرب قلمه فى الكتابة للمسرح . وكتب مسرحيته الاولى (شاى بارد) عام ١٩٧٩ ، وهى مسـرحية قصيـرة على عادة معظم المسرحيات الأولى . وأرسلهـا كريم بالبريد الى قسم الدراما بهيئة الاذاعة البريطانية ، فقبلتها الاذاعة وانتجتها لواحدة من أهم محطاتها وهى محطة « راديو ٤ » التى تعادل البرنامج العام فى إذاعة القاهرة مثلاً . وليس غريبا أن يقبل البرنامج هذه المسرحية الرقيقة المرهفة . لأنها عبارة عن منولوج طويل متقطع لامرأة اجنبية عجوز ، تزوجت انجليزيا وجاءت الى انجلترا للحياة معه فى بلده . تركت وطنها ، وجعلت الرجل محور حياتها ومدار كل شيء فيها . لكن هذا الرجل ما لبث أن مات ، وتركها وحدها تلف فى بيت خال ، لاتجد من تحادثه فيه غير الجدران وقطع الأثاث . وتقدمها لنا المسرحية وهى تدور فى البيت تنظف الغرف ، وتطعم القطة وتتكلم فى منولوجات متقطعة لا تلبث أن تتخلق منها صورة متكاملة لحياة تلك المرأة المستوحشة المغتربة ويتجسد عبرها عالمها المحدود ، الذى انهار عموده واختل نظامه ، وأخذت جدرانه تطبق عليها بلا أمل فى أى تغيير . وتنهض من بين

كلمات منولوج المسرحية المتقطع ـ صورة متكاملة لشخصية انسانية نابضة بالحياة ، مشحونة بالرؤى والمشاعر . وقادرة ، وهذا هو الأهم ، على تجسيد حالة عامة : حالة اليتم والقطيعة والعزلة التي يجد المهاجر نفسه فيها بالقرب من نهاية الرحلة ، وقد تكشفت أحلامها عن خواء ، وباخ مذاق الحياة في فمه ، وكأنه « شاي بارد » لم ينتبه الى أنه فاته أن يشربه في ريعان سخونته إلا بعد فوات الأوان .

● اهتمام نقدي ●

وفي العام التالي ، عام ١٩٨٠ كتب كريم الراوي مسرحية من فصل واحد بعنوان (قبل الفجر) قراها اولا في مسرح « المساحة الخالية » وكان من أهم المسارح التجريبية اللندنية في السبعينيات . ولكن واجهته مجموعة من الصعوبات المالية أدت إلى إغلاقه ، وكان هذا المسرح الطليعي قد اكتفى في أخريات أيامه بعقد امسيات لقراءة المسرحيات التي كان يود انتاجها لولا ضيق ذات اليد . وكانت مسرحية كريم تلك بين آخر المسرحيات التي قرأت في مسرح « المساحة الخالية » الذي أخذ اسمه من تبنيه لفكرة بيتر بروك الشهيرة عن جوهر الظاهرة المسرحية الذي يمكن أن يتحقق في أية مساحة خالية . والذي تقاسم مع « الرويال كورت » اكتشاف أبرز المواهب المسرحية في جيل السبعينيات . ثم عرضت هذه المسرحية بعد ذلك على خشبة مسرح « سوهو بولي ثياتر » وهو مسرح تجريبي صغير ، كان من أنشط المسارح الصغيرة في قلب لندن ، وفي حي « سوهو » المعروف في « الويست إند » منطقة المسارح التجارية الكبرى بالعاصمة الانجليزية وكان هذا المسرح واحدا من المسارح التجريبية العديدة ، التي تقدم عروضها ظهرا وأثناء فترة الغداء ولذلك فإن معظم عروضها كانت من مسرحيات الفصل الواحد التي ساهمت في خلق تيار متميز من المسرحيات عرف باسم زمن عرضه « مسرح فترة الغداء » وقد لفتت هذه المسرحية القصيرة نظر الناقد المسرحي لصحيفة (الجارديان) الذي كتب عنها بشكل إيجابي مشجع ، ضمن مراجعاته لهذا التيار الجديد من المسرحيات التجريبية التي تعرض ظهرا .

ولأن الظاهرة النقدية المسرحية في انجلترا ـ برغم ان بها شيئا من الشللية التي يعاني منها النقد المسرحي العربي ـ لاتزال ظاهرة جدية ولاتعاني من الابتسار والتسطح اللذين أودا بقيمة معظم النقد المسرحي العربي ، وكل مايرتبط بالصحافة منه ، فقد كان لكلمات ناقد (الجارديان) الايجابية دور ملموس في لفت الانظار الى جهود كريم الراوي المسرحية الشابة . إذ شجع هذا التقريظ النقدي لمسرحيته الاولى نفس المسرح على انتاج مسرحيته القصيرة التالية : (غرباء) بعد شهور . وقد حظيت تلك المسرحية أيضا بما حظيت به سابقتها من اهتمام . مما حدا بمجلس الفنون البريطاني الى الاستجابة لهذا التشجيع النقدي ، وترجمته الى حقيقة مادية ملموسة . فقدم له في عام ١٩٨١ إحدى منح التفرغ الأدبي التي يشجع بها الكتاب الشبان على التفرغ للكتابة الابداعية . وهي منح صغيرة في قيمتها المادية ، لكنها كبيرة في قيمتها الأدبية

تذكرنا بمنح التفرغ الأدبي والفني ، التي عرفتها الحركة الثقافية المصرية ، في سنوات الازدهار الثقافي في الستينيات ، عندما تولى الدكتور ثروت عكاشة زمام الثقافة في مصر ، فأحسن تسيير دفته .

● نجاح جماهيري ●

وكان لهذه المنحة الصغيرة أثرها الحاسم في حياة كريم الراوي . إذ قرر التخلي كلية عن دراسة الدكتوراه ، وكرس جهوده لكتابة المسرح . وكتب في هذا العلم بالفعل مسرحيته الطويلة الأولى (هجرات) التي تنهض على مسرحيته القصيرة (قبل الفجر) ، وتتناول موضوع مسرحيته الاذاعية الأولى (شاي بارد) والتي ستتريث عندها فيما بعد . وقد عرضت (هجرات) على « المسرح الملكي » بسترادفورد الشرقية في لندن ، وهي غير سميتها الواقعة في مقاطعة واريك ، والتي كانت مسقط رأس الشاعر الانجليزي العظيم وليام شكسبير . ومع أن هذه المسرحية تتميز بقليل من الحدة وكثير من الصراحة الصادمة ، فقد لقيت نجاحا نقديا وجماهيريا ملحوظا . وبلغ هذا النجاح ذروته عندما فازت المسرحية بجائزة « جون وايتنج » التي يقدمها مجلس الفنون البريطاني الى أفضل المسرحيات الجديدة الشابة كل عام . وكانت هذه الجائزة مفاجأة حقيقية لكريم . لأن من النادر أن يفوز بهذه الجائزة المرموقة كاتب مسرحي عن مسرحيته الأولى . فلم يفز بها توم ستوبارد إلا بعد مسرحيته الرابعة ، كما نالها دافيد إدجار عن مسرحيته الثالثة . وقد دفع نجاح هذه المسرحية الفني والنقدي معا « المسرح الملكي » بسترادفورد الشرقية الى تعيين كريم الراوي كاتبا مقيما به في عام ١٩٨٣ . وبدأ في هذه الفترة في كتابة مسرحيته الطويلة الثانية (مناخ أبرد) ولكن انباء الفوز بالجائزة ، والتي جاءته عقب البدء في كتابة مسرحيته الطويلة الثانية تلك ، مالبثت أن شلته ، لأكثر من عام ، عن مواصلة العمل فيها . لأنها ضاعفت إحساسه القوي بالمسئولية . وأدت الى تهيبه الكتابة بعدما أصبح مطالبا بالتفوق على نفسه مع كل عمل جديد ، وتأكيد جدارته بالتقدير الذي حظي به من النقد والدولة على السواء .

وكان اتصال فرقة « جوينت ستوك » به في عام ١٩٨٤ ، هو الامر الذي انتشله من حالة الجمود التي عاني منها لأكثر من عام . وفرقة « جوينت ستوك » وتعني « المخزون أو الحصاد المسرحي المشترك » هي فرقة مسرحية تجريبية تعتقد - كما يشير اسمها - أن التجربة المسرحية هي المخزون أو الحصاد الانساني المشترك لخلاصة الخبرات البشرية ، بالنسبة لموضوع ما . ولهذا يقوم عملها على مبدأ الابداع الجمعي ، والمعرفة الشخصية الحميمة بالواقع الذي ينبثق عنه الموضوع المسرحي ، وكان العمل في بوتقة الابداع الجمعي تلك بالنسبة لكاتبنا هو الخلاص من أزمة تهيب الكتابة ، ومطالبة الذات بما فوق طاقتها : الاقتراب من ألق الحلم دون الاجهاز عليه بتحقيقه . وكان الموضوع الذي أرادت

الفرقة اعداد عمل مسرحى عنه وعهدت الى كريم بدور كاتب النص فيه هو موضوع الخطر النووى . وهو موضوع ساخن بحق ، وقادر على إخراج أى كاتب من قوقعة التشكك فى الذات ومقارعة الحلم . وبدأ كريم فى العمل مع هذه الفرقة وفق برنامجها الذى يقوم على بحث الموضوع فى موقعه الطبيعى ، والحياة مع الناس فيه ، واجراء مقابلات مطولة معهم طوال ثلاثة أسابيع يتشبع فيها الكاتب والفرقة بالموضوع والمناخ معا . ثم إعطاء الكاتب بعد ذلك مدة عشرة أسابيع يكتب فيها مسودة النص الذى تقوم الفرقة أثناء التدريب على العرض بإدخال تعديلات عديدة عليه بالاشتراك مع الكاتب بالطبع .

واختارت الفرقة مع كاتبها منطقة ساليفيلد بشمال انجلترا . وهى منطقة تتجاور فيها المتناقضات المشحونة بالتوترات الدرامية . لأن ساليفيلد تقع فى منطقة البحيرات التى خلد جمالها الطبيعى الساحر شعراء الحركة الرومانسية الانجليزية ، وخاصة تلك المجموعة التى عرفت منهم باسم « شعراء البحيرة » وعلى رأسهم وليام وردزورث ، وصامويل كوليريدج ، وروبرت ساوثى . ولكنها مع ذلك المنطقة التى يقع فيها واحد من المفاعلات النووية الكبيرة ، والتى شهدت واحدة من أكبر حوادث تلك المفاعلات فى انجلترا ، حيث تطاير الوقود النووى ، وما ان لمس سطح البحيرة حتى اشتعل . فبدا الأمر وكأن البحيرة نفسها قد شبت فيها النيران . وهذه هى الصورة التى استعارها كريم عنوانا لمسرحيته الثانية (نار فى البحيرة) . وهى أيضا المنطقة التى تصل فيها نسبة لوكيميا « سرطان الدم » الأطفال الى أعلى نسبة لها فى بريطانيا ، وكأن هذا المرض الكريه يحصل من الأطفال ضريبة دخول ذويهم الى العصر النووى . وأصر كريم على أن يصطحب معه ، أثناء فترة الدراسة الميدانية لموضوعه ، محللا نفسيا يستطيع أن يحول به مراقبة الظاهرة من الخارج ، الى عملية غوص دقيقة فى قاع النفس البشرية ، التى تعيش التوتر المستمر بين الجمال الطبيعى المطلق ، والخطر النووى المرعب . وحتى يتمكن بمساعدته من الكشف عن تناقضات حياتهم الباطنية وتجاوز قشرة النفاق والمراءاة والأفكار والصياغات الجاهزة . وكتب كريم النص ، وعملت عليه الفرقة ثم عرضته فى مهرجان إدنبرة عام ١٩٨٥ ، ونالت به جائزة أهم مسرحيات « المعمل المسرحى » فى هذا المهرجان الذى يعد أهم مهرجانات المسرح التجريبى فى العالم .

بعد هذه التجربة استطاع كريم من جديد العودة الى كتابة المسرحية ، فأكمل مسرحيته المتروكة (مناخ أبرد) التى عرضها « الرويال كورت » هذا العام ، والتى أدى نجاحها النسبى ، الى تكليف مسرح « الرويال كورت » له بكتابة مسرحيته التالية له . وهى المسرحية التى سيمزج فيها كريم معرفته الحميمة بالواقع الانجليزى ، بحبه لوطنه الأم مصر ، إذ سيتناول فيها كما قال لى تجربة الانجليز فى مصر ، وخاصة بعدها السويسى .

هذا هو كريم ، وهذه هى قصته . ولكن ملاذا قدم مسرحه ؟ وماهو موقعه على خريطة المسرح الانجليزى المعاصر ؟ هذا ما سنجيب عنه فى المقال القادم .

الشتاء

مجلة تصدر شتاءً وتحتجب صيفاً

بقلم : أحمد حسين الطماوى

الشتاء اسم مجلة كانت تصدر في مصر شتاء وتحتجب صيفا والعلة في ذلك راجعة الى الطقس وطبيعته في الفصلين .

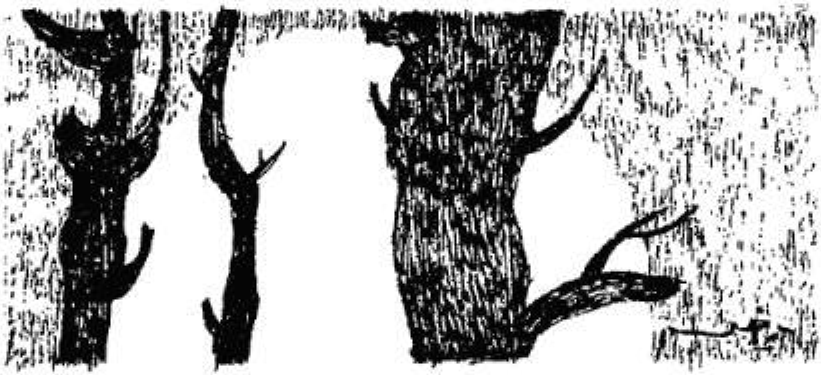
ففي الشتاء حيث البرودة والصقيع ، وسقوط الامطار واشتداد الرياح ، يلوذ الناس ببيوتهم ، ويشعلون مواقدهم ويستدفئون بفراشهم ، وتطول تبعا لذلك اوقات فراغهم ، فيتسلون بالقراءة والنظر في المجلات وتلاوة ماينور القلوب .

حديثنا هذا ينسحب على زمن مضى في مطالع القرن العشرين ، حيث لم يكن هناك جهاز المذياع . ولاجهاز المرناة ، فضلا عن ان الخيالة (أو السينما) كانت صامتة ، وغير منتشرة في القطر انتشارها اليوم . فلم تكن امام المرء تسلية او متعة سوى القراءة والمسارح ، واستطلاع اخبار الدنيا والناس والعلم والفكر الا من الكتب والدوريات .

وفي الصيف حيث الهجير والقيظ ، ولفح السموم ، وضيق النفوس ، وتصبب العرق ، يرحل الناس من بيوتهم الى حديقة غناء ، او يجلسون قرب جدول نمير او شاطىء بحر كبير والاغنياء منهم يذهبون الى اوربا او لبنان حيث الطقس المعتدل ، والجو اللطيف ، وفي هذه الاحوال تقل الكتب والصحف والمجلات .

لهذا رأى صاحب هذه المجلة ان تصدر شتاء ، وتتوقف صيفا ومسايرة لاحوال المعاش ، وموافقة امزجة الناس .

ولم تكن مجلة « الشتاء بدعا في هذا المجال وانما كانت تنهج طرائق مجلات أخرى تتوقف فترة الصيف ثم



تعود الى الظهور عند انقضائه فقد كانت مجلة « الهلال » - فى أهم مراحلها - تصدر عشرة شهور، وكان صاحبها جرجى زيدان يدفع الى قرائه برواية من رواياته التاريخية تعويضا لهم عن احتجاب الهلال مدة شهرين . وكانت مجلة « الضياء » لليازجي تتوقف ما بين يوليو وسبتمبر ، وجارتهما مجلة « انيس الجليس » التى كانت تصدرها الاميرة الكسندرا افرينوه وبخاصة فى سنواتها الاخيرة ، وكانت هذه السيدة تعمل على تعويض المشتركين فترة توقف مجلتها بزيادة عدد صفحات كل عدد بحيث يكون مجموع صفحات المجلة فى الاعداد العشرة مساويا لعدد صفحات المجلة حينما كانت تصدر شهرية .

وربما لا يلحظ القراء قلة اقبال الناس على القراءة صيفا ، ولكن ارباب الصحف ، يدركون ذلك من ارقام التوزيع ، على ان توقف ايه مجلة محددة فى العام من شانه ان يعطى هؤلاء الكتاب الذين اصيبوا بداء الفكر فرصة للاسترواح ،والتقاط الانفاس ، والتفكير فى تجديد المجلة بما يستحدث فيها من ابواب ، وما يعد لها من موضوعات تشحذ الاذهان وتفيد القراء .

● ربيع حافل بالورود ●

« الشتاء » مجلة اصدرها الاديب السورى سليم عنحورى (١٨٥٦ - ١٩٣٢) فى القاهرة فى اول يناير سنة ١٩٠٦ . وصاحبها جواب افاق، كثير الاسفار يقول عن نفسه : « انا الشامى صيفا - المصرى شتاء » . كان ياتى من وطنه سوريا الى مصر شتاء لان « شتاء مصر ربيع جوه بسام ، وروضه حافل بالورود والنرجس النمام » ولا ياتى الرجل ليستمتع بجو مصر فقط ، وانما ليحرر مجلة طيلة بقائه فيها ، فاذا حل شهر ابريل ونشطت الخماسين ، ولاحت فى الجو نذر الصيف ، اغلق الرجل مجلته ، ورحل الى بلاده ، او الى اى مكان اخر ينشد فيه الراحة، ويخلد الى اوراقه واشعاره .

لا يعجب القارىء من سهولة استصدار صحيفة او مجلة . فقد كان المرء فى ذلك الوقت اذا رغب فى اصدار دورية فما عليه الا ان يعد المادة العلمية ، ويحصل على الورق ويتفق مع المطابع لتكون هذه الاشياء

الشتاء

صحيفة او مجلة يطالعها القراء فى الصباح • لذلك كثرت الصحف والمجلات فى تلك الحقبة حتى ان القارىء يجد اكثر من خمسين دورية تظهر فى وقت واحد •

●●●

قدم سليم عنحورى مجلته الى القراء فى عدد يناير ١٩٠٦ بكلمة خفيفة لطيفة فيها دعابة وفكاهة لتكون مقبولة لديهم قال : « هذه مجلة شتائية او شتوية على هذا تريدون انتم واظن انه لا يغضب علينا سيبوية •• خفيفة المشرب •• ان شئتم تستعملتموها مروحة فى ايام الحراو احرقتموها فانفأتكم عنداشتداد القر ، او جلدتموها فكانت كتابا محفوظا فى خزائنكم ابد الدهر وهو الرأى الاصوب فيما ارى •• »

لم تكن مجلة الشتاء فى مستوى « الهلال » او « الضياء » او « الجامعة » مثلا ولكن الموضوعات التى عالجتها لم تقصر فيها • بل كانت تصحح ما كانت تخطىء فيه المجلات الشهيرة ، وسوف نعرض لجهود المجلة فى مجال الشعر والتمثيل والنقد الاجتماعى • وفى هذا النوع الاخير من ميادين الفكر كان عنحورى يكتبه باسلوب بسيط ساخر ، وعبارة موجزة معبرة فاذا تحدث عن الجنسين ــ الرجل والمرأة ــ لم يلجأ الى المقالات الطوال ، والتحليل الممل ، والسرد التاريخى المملوء بالاسماء والوقائع ، وانما يقول فى عبارة او عبارتين ما يقوله غيره فى صفحة او صفحتين مع الاجادة والافادة ، فمن ابواب المجلة « انت » بفتح التاء • « وانت » بكسرها ، وفيه ينتقد تصرفات الناس وعلى سبيل المثال يوجه النقد الى الرجل على هذا النحو :

ــ انت تنتاب التياترو العربى والافرنجى مرات • زر المكتبة ولو مرة •

ــ الاكل فى السوق عيب ما رأيك فى الشتائم •

ــ انت تنفق الالوف فى سبيل اسرافك وترفك ولا تبذل العشرات فى سبيل الخير او الصيانة •

ويوجه النقد الى الانثى فيقول :

ــ انت ذات بنان ناعم واكف رخصة لطيفة فلماذا تجهدينها بحمل الشنطة ولك جيوب تسع منديلك وزيادة •

ــ انت يا سمراء جذابة ولطيفة المعانى فلماذا تموهين سمرتك الصادقة ببياض كاذب •

ــ انت لسم الله عليك « حاجة فيتر توى » فلماذا تستحين ان تتكلمى ولا تستحين ان تتحمسرى وتتجمرى وتتشتمى وتتهاكمى ؟

ــ انت تجرحين السواعد وتظهرين الترائب فلا تعتبى اذا داعبك الشوق وتعدى الواجب بهذه الكلمة القارصة ، والعبارات الساخرة ، كان ينتقد تصرفات الخارجين على الاداب العامة من الجنسين •

واوسع عنحورى المرأة نقدا ، وافسح لها مطرحا فى مجلته ليصور حياتها فى تلك الفترة التى واكبت الدعوة الى تحريرها وسفورها • فقد وصل حال المرأة الى درجة كبيرة من الاستهتار وتقليد الاوربيات فى المظهر فقط ، فانصرف همها الى الجرى وراء الموضة واتلاف المال فى ادوات الزينة ، وراحت تنفق وقتها فى اللهو ، وتهمل لغتها القومية وتتعلم لغة اجنبية تتحدث بها فى المجالس ظنا منها ان هذا يرفع من قدرها ويزيدها

رفعة وفضلا · وكانت النتائج اهمال النشء ، وتبديد الكسب ، واهتزاز الفضيلة عند خروج الازياء عن اللائق المقبول · وقد ضجت الصحف من هول هذا بقصد التأثير على المرأة · ولكن هيهات · وفي هذا الجو غير الصحي نظم عنحوري قصيدته التي يقول فيها :

رايت الغيد تحفل بالعصائب
وتجعيد الغدائر والذوائب
وتجريد السواعد والترائب
وتنويع الملابس والمراكب
ورقص للعقائل غير واجب
ولهو يبد الوقت الثمينا
متى جمع الزمان بها رجالا
زهت تيها وعجبا واختيالا
وزادت في تصنعها الدلالا
وزايلت الرزانة والجلالا
وان حادثتها ابدت مللا
ومالت نحو صف اللاعبينا
يغادرن المنازل للوصائف
ولوعا بالملاعب والمعازف
يضيعن النهار على الزخارف
بايراد المثالب والسفاسف
ولا يقران معا في الصحائف
سوى انباء رهط العاشقينا

والقصيدة طويلة وهي في مجملها تعطي صورة سيئة عن المرأة في مطالع القرن العشرين ·

●●●

المادة الشعرية :

اكتظت « الشتاء » بقصائد الشعر وجميعها باستثناء واحدة من نظم صاحب المجلة · فقد كان عنحوري شاعرا مجيدا بمعنى الكلمة . وله عدة دواوين نذكر منها « سحر هاروت » و « بدائع هاروت » « السحر الحلال » ، « اية العصر » وغيرها ، ولعلنا نلمس تجديدا في عناوين الدواوين ، فقد كانت معظم دواوين الشعراء في تلك الفترة تسمى باسماء اصحابها · فهذا ديوان البارودي ، وذاك ديوان حافظ ·· وهكذا · فاذا تجاوزنا العنوان الى موضوعات الشعر الفينا الرجل ينأى عن المناسبات وبخاصة في مجلة « الشتاء » وكانت قصائده في مجلته تحمل عناوين عصرية او نفسية او غزلية او مستمدة من الحياة الاجتماعية او متعلقة بالفلسفة والطبيعة · ومن تلك العناوين : الورد العاشق ، المغالطة ، الخيال ، السديم ·

(السديم ضباب ابيض رقيق) مناغاة الى آخره · فاذا انتقلنا من العناوين الى المضامين وقفنا على شعر سلس جميل يثير الخيال ، ويحرك الشعور ، ويعلق منه شيء بالاذهان لحلاوته وطرافته ، ومن هذا مقطوعته « زيارة في الغيم » يقول :

اتتني والغيوم قد اكفهرت
فعاد البيت ممتلئا ضياء
وعندي انها سلبت شعاع الـ
ـشموس وفصلت منه رداء
والا ما لهذا الافق داج
ومال الشمس تحتجب اختفاء
ولولا انها سرقت كلص
لما وافتك مطرقة حياء

ففي هذه الابيات فكرة واحدة ، كل بيت يحمل جزءا منها ، وملخص الفكرة ان الزائرة سرقت النور من الشمس ، « ظلمت الدنيا » · وما حياؤها الا دليل على هذه الفعلة ، والشاعر هنا يرتب خواطره وينظمها في اطار الفكرة الواحدة التي انطلق منها ·

وفي قطعة اخرى يستخدم قوافي اجنبية في ابيات عربية يقول في قصيدته « مناغاة » :

وتلك الفتاة عذراء ناعسة
يا فرنسية والاصل عون
اقول لها فدتك اليوم روحي
وكل عشيرتي فتقول بوتي
اقول لك الجمال فتقول سي سي

الشتاء

اقول غواصلى نتقــــول توتو

والبيت الاخير يذكــرنا بما قاله الشيخ حسن العطـار فى فتى فرنسى اثناء حملة بونابرت على مصر :

اقول وصــــلا يقــــول توتو

اقول هجــرا يقــول مى مى

وابيات صاحب الشتاء تدل على سذاجة الرجال ، فالرجل يعتقد انه اذا اثنى على انثى وامتدح جمالهـا تقع فى شباك غرامه ، وقول شوقى « والغوانى يغرهن الثناء » صحيح ، ولكن المرأة ـ مع ذلك ـ لا تستجيب لثناء الرجـــل الا اذا أعجبت به وتوسمت فيه الصدق • ولو صح أن اطراء المرأة هو السبيل الى قلبها ، لعشقت الانثى كل يوم عشرات •

وقد جاءت المادة الشعرية غزيرة فى المجلة فهل اراد أن يحدث نهضة شعرية • فينأى بالشعر عن اغراضه التقليدية ؟ أو أن الامر له صلة بفصل الشتاء ؟ أى هل تولد قراءة الشعر شتاء الانفعالات ، وتبعث النفء فى الجسد المقرور ؟

• • •

التمثيل

اهتمت « الشتاء » بتصــــحيح ما اخطأت فيه المجلات الشهيرة حول الحركة التمثيلية فى مصر • فقــــد ذهبت مجلة الهلال الى أن ســـليم النقاش « هو أول من مثل الروايات العربية فى القطر المصرى » وهو أول من انتقل من اللبنـــانيين الى ارض الكنانة ليمثل على ملاعبها • ورددت مجلة المقتبس (التى كان يصــدرها كرد على)هذا الكلام نقلا عن الهلال•

أما « الشتاء » فقد صــــححت القول واثبتت بالدليـــــل ان يوسف خياط جاء الى مصر قبل ســــليم النقاش ومثل على مسارحها روايتى « البخيل » و « الغفل » وهمــا من تأليف مارون النقاش ، ولبث «خياط» يمثل الى مابعد انصراف سليم عن التمثيل الى الصحافة • وبين صاحب الشتاء ان ما قاله صاحب الهــلال مأخوذ من « السن اقــوام لم يكونوا شهود ذلك الزمان » وقد اوردنـــــا تصحيح عنحورى حتى لا يقع احــد من الباحثين فيما رواه جرجى زيدان ذلك ان الهلال اكثر شهرة ومقصــد الباحثين •

وفى الشتاء تجد مادة عن الممثل العربى « شكرى غانم » وكان شكرى قد الف رواية تمثيلية شـــعرية بالفرنسية اودع فيهـــــا جملة من اقاصيص عنترة ومثلهـــا فى باريس وبين للفرنسيين والاوربيين « أنفـــة العرب وشجاعتهم وذكاءهم ممزوجا برقة قلوبهم وحلاوة السنتهم وحسن وفائهم فى محبتهم » فلما جـــاء الى القاهرة اعاد تمثيل هذه الرواية فى دار الاوبرا بحضور الخـــديو وكان الالقاء بالفرنسية ، فاقيمت له حفلة تكريم فى يناير ١٩٠٦ حضرها علية القوم من امثال وزير المعارف ومعتمد فرنسا ومصطفى كامل •• وهنـــاك صفحات فى « الشتاء » عن اسكندر فرح وفرقته وتطور فنه •

وتعتبر هذه المادة التى دونهـــا عنحورى عن الفن التمثيلى فى مصر مصدرا هاما من مصادر البحث عن جذور الحركة التمثيلية فى مصـــــر والشام •

وتمضى « الشتاء » فى تنويـــــع موضوعاتها ، وتثقيف قرائهـــــا ، وتسليتهم • حتى اذا صدر عــــدد ابريل ، وهل مايو ، ولاح الصـــيف فى الافق ، توقفت « الشتاء » ورحـــل صاحبها الى بلاد الله الواسعة •



قنديليات

بقلم: يحيى حقى

غلطتان..

من الحكم المأثورة قولهم . من الف فقد استهدف ، واريد ان اضيف ايضا ومن ترجم فقد خرف .. ما اصعب الترجمة ، لا يقوم اللفظ الواحد بنفسه بل بعلاقته مع بقية الألفاظ ومن استمداده من التراث ، وقد تتشابه لغة واخرى فى الألفاظ ولابد ان تختلف فى عبقرية التعبير ،واللغة فى نهاية الأمر ما هى إلا رموز ، وقد يظن بعض الناس ان ترجمة المسرحية هى اسهل شىء ، لان الجمل قصيرة ، وتعبر عن الحياة اليومية بدون فلسفة ، فى حين انها من اشق الترجمات لان الحوار معتمد على حالة مجتمع ما فى زمن ما ..

ومن العسير أن ينطبق حال أهل اللغة المترجم عنها واهل اللغة المترجم إليها ..

وقد اشتغلت زمنا بالترجمة واعترف الآن اننى ارتكبت غلطتين جسيمتين .. الغلطة الأولى تحتاج الى تمهيد تاريخى ..

« سير برسى لورين » نعرفه فى مصر لأنه كان سفير بريطانيا لدينا ثم نقل إلى تركيا ، وهو رجل وسيم أنيق الملبس معتز بنفسه ، وقع ضحية كاتب اختص بمداعبة مشاهير الكتاب والسياسيين بتقليد أسلوبهم فى التعبير عن النفس ، واستعراض عضلاته بأسلوب نطلق عليه بالعامية لفظ « التريقة » . فنشر نص تقرير زعم ان « برسى لورين » أرسله لوزارة الخارجية البريطانية يصف فيه كيف قابل الغازى مصطفى كمال فى مرض موته ، فاختلى به وافضى إليه بمخاوفه

قنديليات

على تركيا بعد وفاته وطلب اليه أن يحكم تركيا بعده .

كانت تكفى هذه « النتشه » ليدرك القارىء مربط الفرس ، ولكنى وقعت بسذاجة فى حبائل هذا الكاتب ، وترجمت التقرير على أنه وثيقة تاريخية ، ونشرت ترجمتى فى إحدى الصحف التى كنت اراسلها حينئذ ، ثم سرعان ما تبينت حماقتى وكتبت انبه القارىء إلى الخطأ الذى وقعت فيه ، وقد نشر هذا التصحيح أيضا فى الصحيفة ..

وإذا بى اسمع هذه الايام وان كنت لم اقرأ ان هذا التقرير الوهمى كان من ضمن الحجج التى استند اليها بعض من يريدون التشكيك فى اخلاص تركيا للدين الاسلامى ..

واقول عن تركيا إننى شهدت وخبرت أثناء اقامتى بها مقدار تمسك الشعب بالدين الاسلامى ، ولهم الرسول عليه الصلاة والسلام إعزاز واجلال ومحبة قلما أحسست بها فى شعوب إسلامية أخرى ، ولكن تركيا إبان الحرب العالمية الأولى وجدت أن العالم الاسلامى حارب ضدها فى الحجاز ومصر ثم احتلتها دول غربية عديدة مثل انجلترا وفرنسا وايطاليا ، ثم انضمت اليونان إليها ووصل الجيش اليونانى الى أبواب أنقره .

لم ينقذ تركيا إلا بطل من أبنائها هو مصطفى كمال الذى حررها من الاحتلال ، فدان له الشعب التركى بالولاء والمحبة ، ولكنه فوجىء بأن هذا البطل يقول له لا علاقة لنا بالتراث العربى « ولا بالتراث الإسلامى » وان لم يقل ذلك صراحة ـ إنما قال : نحن أمة عريقة مكانتنا ينبغى الا يكون بين الدول الإسلامية المتخلفة فى الشرق الاوسط بل مع الدول الغربية رافعة لواء الحضارة الحديثة ، وطلب من الشعب أن يلبس القبعة بدلا من الطربوش ، وأن يكتب اللغة التركية بالاحرف اللاتينية لا بالعربية وان يترجم القرآن والآذان إلى التركية ، وأن يطبق القانون السويسرى المدنى بدلا من الشريعة الاسلامية .. والغى الخلافة ونفضت تركيا يدها من جميع مشاكل البلاد العربية بعد ان كانت عضوا فى لجنة توفيق دولية خاصة بالنزاع العربى ـ الاسرائيلى ، ولا ينقطع أملى فى ان تعود تركيا الى الاهتمام بمنطقتنا لا للجوار فحسب بل للاشتراك فى التقاليد الدينية ..

كنت اتمثل الشعب التركى كرجل قد عقد ذراعيه وأحنى رأسه امام هذا الزعيم ويقول له لا ننسى فضلك فافعل بنا ما تشاء سنعطيك ولكن سنتمسك فى قلوبنا بالدين الذى نؤمن به .

انحسرت موجة الغلو هذه بعد تلك حينما تولى « عدنان مندرس » حكم

تركيا ، ورغم تبدل الاحكام لايزال الجيش التركى هو صاحب السلطة احيانا أمام الستار ، وأحيانا وراء الستار ، والجيش من أنصار مصطفى كمال .

هل لقيت تركيا قبولا من دول الحضارة الحديثة ؟ ، كان لهذه الدول حاجة إلى تركيا ، لأن لديها جيشا يزيد على نصف مليون جندى له قدرة فى الصراع الذى بدأ ينشب بين المعسكر الشرقى والغربى ، لكى تضمن إرسال الامدادات الى تركيا فى حالة الأزمة ، كان لابد أن يكون لتركيا مرفأ هام على البحر الابيض المتوسط جنوب جبال الطورس فأهدته الاسكندرونه التى تنازلت فرنسا عنها ، وكانت منتدبة لحكمها من عصبة الامم القديمة ولا يدخل فى صك الانتداب أن تتنازل فرنسا عن أرض لا تملكها ، ولكن حين تم تأليف حلف الأطلسى أبت بلاد الحضارة الحديثة أول الأمر أن تضم تركيا اليها ثم جاء هذا الانضمام بعد ذلك فإذا بإحدى الصحف الانجليزية الكبرى تقول :

من اين لتركيا الشرقية ـ وهى تعنى ايضا الدول الاسلامية ـ أن تقفز لتركب معنا قاربا واحدا . وهذا القارب خاص بنا وحدنا .

ولم يتغير هذا الموقف اليوم كثيرا ، فالسعى الآن هو تكتل دول أوروبا الغربية بما يسمى بالسوق الأوروبية المشتركة ، تتمتع فيه بامتيازات مشتركة فى ميدان تبادل البضائع والاشخاص ، وتطالب تركيا عضو حلف الأطلسى أن يكون لها نفس هذه الامتيازات فإذا بها تجد ممانعة تذكرنى بممانعة حلف الاطلسى فى قبولها أول الامر بل زعمت إحدى الاذاعات الاجنبية أن من بعض الحجج التى تستند اليها تركيا أنها قالت :

ـ لسنا من العرب ، ولا اضمن صدق هذه الاذاعة فى هذا الزعم ، اليس هذا هو عين التعصب الذى نتهم به .

الغلطة الثانية :

كلنا نعرف فرقة « البيتلز للجاز باند » التى تشكلت من أربعة شبان بدأوا فى مدينة ليفربول ثم ذاع صيتهم ومنحتهم ملكة بريطانيا أرفع الاوسمة ، ثم تفرقوا ، واسم بيتلز هذا يكتب هكذا Beatles ولفظ بيت Beat يعنى دق الطبلة وكان يقال إن شهرتهم هو إبتكارهم لنوع جديد فى الضرب على الطبلة . فترجمت يوما مقالا عنه فإذا بى ربما بسبب خفوت الضوء أقرأ الاسم على انه Beetles فسميت هذه الفرقة باسم فرقة « الخنافس » وقد ذاعت هذه التسمية بعد ذلك عندنا ولست ازعم أننى أول من قال بها ، اتمنى ان يرصد باحث بدء استخدام كلمة الخنافس للتعبير لا عن هذه الفرقة **وحدها بل عن جيل من الشباب تحرر من عاداته وثيابه من كثير من القيود ، وهل هذا البدء نشأ من غلطتى ام هو مستقل عنها .**



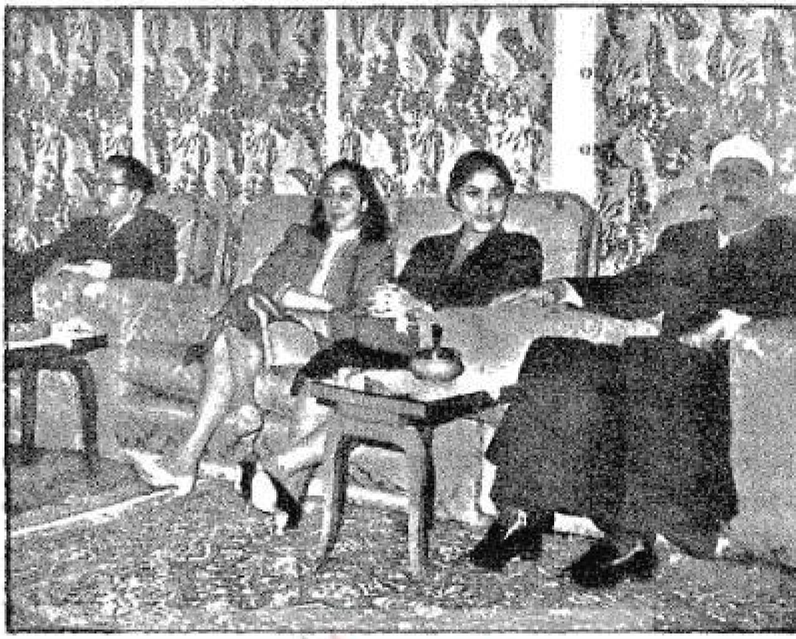
بنت الشاطئ

على الجسر

بقلم: صافي ناز كاظم

حاولت مقابلتها منذ عام ولكنها ردتني باكتئاب شديد . طلبت مني بجفاء ان نتركها في حالها لما يشغلها ، لانها لا وقت ولا طاقة لديها لحديث او مسامرة .

قلت لها بلطف شديد : انني أحبها واعرف قدرها ، وانني لن اضيع وقتها فمثلي لايعرف الثرثرة ولا يبدد طاقة الآخرين هباء ، ولكني أريد أن أرسم لها صورة من قريب أسجلها لقراء الهلال وهذا حق لنا عليها . فكادت تبكي ، او لعلها بكت فعلا وردت غاضبة إننا يجب ان نرحمها ثم رقت قليلا ووعدتني بموعد لو اتصلت بها يوم الاثنين .



بنت الشاطىء وزوجها الدكتور امين الخولى الذى تشوقت إلى تلمذته منذ سمعت بمنهجه

واتصلت بها فانكر المجيب وجودها وقال إنها سافرت البلد . وفى غضب شديد مقابل قلت له : إننى أعرف انها موجودة وهى تهرب منى وهذا لايليق وأسالك أن تقول لها شكرا لم نكن نبغى منك ولك سوى الخير . وصرفت النظر تماما عن الكتابة عن بنت الشاطىء الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، رغم جيشان المحبة والتقدير الذين كانا دافع توقى الى لقائها خاصة بعد مقالاتها الشجاعة « قراءة فى وثائق البهائية » . التى كانت تنشر تباعا بجريدة الاهرام فى كل رمضان .

كنت أمنى نفسى بكتابة دراسة عنها مثل تلك التى كتبتها مى زيادة عن باحثة البادية ملك حفنى ناصف عام ١٩١٨ ، وكانت قد قابلتها مرارا ودار بينهما أحاديث ونقاش ومراسلات . ولم أكن بحاجة الى مقابلة د . بنت الشاطىء مرارا ، فلقد قابلتها فى الخمسينيات كثيرا وزرتها وانا طالبة تدرس الصحافة فى مكتبتها بمنزلها وبهرت بالحشد الهائل من الكتب المكدسة . وكانت طيبة وذات اريحية . وقابلتها بعد ذلك وقد اشتهر اسمى قليلا فى الصحافة فى منتصف الستينيات فى مبنى جريدة الأهرام الجديد بعد مصابها فى استاذها وزوجها الاستاذ الدكتور أمين الخولى ، وكانت حزينة جدا وتشير الى واقعة وفاته

بنت الشاطئ

على الجسر

بـ « عندما أصابتني النكسة » ـ حتى انني في البداية اختلط عليّ الأمر وتصورت انها تقصد نكسة هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولكنني من مجرى الكلام عرفت انها تقصد نكسة شخصية وفهمت تماما ماتعني .

● تنشيط تداعي المعاني ●

بوجه عام هي تعرفني كإحدى بناتها في الصحافة والكتابة ، وأنا اعرفها استاذة وفلتة فذة في عالم الأدب والبحث والعلم ـ فلتة فذة بين الرجال والنساء ، لكنها إن تكررت بين الرجال فهي لم تتكرر بين النساء منذ قرون . ولذلك كانت محاولتي للقائها بعد كل تلك السنوات ليست الا محاولة لتنشيط تداعي المعاني ومحاولة لتذويب عالمها الفسيح من الكتب التي قرأتها لها في تواصل إنساني به وجه من لحم ودم . لكن يظل رد فعل الدكتورة بنت الشاطيء معي جانبا مرشدا إلى ملامح شخصيتها التي أفصحت عنها في كتابها « على الجسر » ـ الذي صدر ، جزءا ثالثا ، أخيرا ضمن مكتبة « الأعمال الكاملة ، بنت الشاطيء » التي تصدرها الهيئة المصرية للكتاب ـ وهو سيرة ذاتية مختصرة ضمنتها مرحلتين : مرحلة ماقبل « موعدي معه » ومرحلة مابعد « موعدي معه » ـ والهاء ضمير للغائب تعود بالطبع على استاذها وحبيبها وزوجها الاستاذ الدكتور امين الخولي .

● سيرة ذاتية ●

في هذه السيرة الذاتية التي لاتستغرق سوى ١٦٨ صفحة ـ هي في الواقع ١٣٦ صفحة اذا حذفنا الشعر والمناجاة المتعلقة بآلامها لرحيل زوجها ـ لانشهد فقط خطوات الدكتور عائشة عبد الرحمن على دروب قنوات التعليم المختلفة ، ولكنا نشهد في الواقع خطوات « مصر » وهي تؤخذ من الاسلام الى التغريب .

ولدت عائشة عبد الرحمن في ٦/١١/١٩١٣ في دمياط وقابلته في ٦/١١/١٩٣٦ ـ وكل هاء ضمير للغائب هنا تعود الى زوجها الأستاذ أمين الخولي ـ وهي تعتبر الموعدين يومي ميلادها الا اننا لو سألناها أيهما ميلادك الحق ؟ لأجابت بلا تردد ٦/١١/١٩٣٦ . تحبه كل الحب ، وتعزي إليه كل الجميل في وجودها ، ولكن بنظرة محايدة ومن واقع ماسردته من نشأتها الأولى نكتشف ان الرجل الذي حمل على عاتقه بإخلاص وصلابة مهمة تأسيس هذا الصرح الفخم من العلم والبلاغة والذكاء والعناد وقوة الاحتمال والدأب والصبر المذهل لبلوغ المراد الذي عرفناه باسم بنت الشاطيء د . عائشة عبد الرحمن ، هذا الرجل وحده هو والدها الذي لم تذكر اسمه كاملا . لكن لاشك ان اسمه الشيخ عبد الرحمن الذي تقول إن نسبه يمتد الى البيت الحسيني الشريف والذي ولد بقرية شبرا بخوم ، وأمضى طفولته يحفظ القرآن ويجوده ثم نزح الى القاهرة حيث الأزهر فتابع دراسته ونال





د . بنت الشاطىء .. لقطتان نادرتان فى صباها ، الأولى فى بداية دخولها الجامعة والثانية بين مروج ريف بلدها دمياط

شهادته التى عين بها مدرسا بمدرسة دمياط الابتدائية للبنين ، وهذا الذى ذهب به الى دمياط فتزوج منها والدتها حفيدة شيخ الجامع الأزهر الشيخ ابراهيم الدمهوجي .

وأصبحت دمياط مركز الأسرة ، وهى المدينة التى شهدت مولد عائشة الابنة الثانية التى سبقتها بنت أولى ثم لحقها شقيقات أربع وشقيقان لاتذكر فى سيرتها شيئا عنهم أجمعين . لكنها تذكر بوجد شديد علاقتها الحميمة بأمها وجد أمها ودادة حليمة والبيت الكبير فى دمياط ـ الذى هو بيت عائلة الأم ـ أما بيت عائلة الأب فى « شبرا بخوم » فيتم ذكره فى جفاء وكراهية دفينة لاتخفيها كلمات مخففة عن نزهة فى الحقول هنا وهناك !

● دراسة إسلامية بحتة ●

تعهدها الأب العظيم بتحفيظ القرآن على يد « سيدنا » فى الكتّاب ، فاكتسبت استقامة اللسان وحسن نطق العربية ، وأخذها الى مجالس الشيوخ والعلماء والفقهاء فقرأت ذخائر كتب السلف وأمهات المكتبة العربية الاسلامية . اختط لها دراسة إسلامية بحتة بعيدا عن أطر مناهج المدارس الحديثة القاصرة فرتعت فى بحبوحة من « تحويجة » العلم الأصيل واشتد عودها فى ظل تلك الفرصة النادرة وتفاعل ذكاؤها فواحا فوارا فى أرجاء هذه المدرسة التى شكلها لها والدها فى فهم وتقدير عميق لمواهبها واستعداداتها غير العادية . لكن « عائشة » مثل « مصر » ، فى تلك المرحلة ، كانت تتجاذبها إغراءات « الشهادات » « والمدرسة الحديثة » و « العصرية » و« الجامعة على النسق الغربى » إلى آخر تلك اللافتات البراقة : الكاذب منها والصحيح رغم جذورها الثابتة الممتدة فى عمق تربة الاسلام الخصبة .

بنت الشاطئ

على الجسر

لم تدخل برنامجا ينتهي بشهادة الا وتفوقت وكانت على الرأس في المقدمة . أخذت شهادة المعلمات الأولية ، وشهادة الكفاءة ، والشهادة الابتدائية والشهادة الثانوية حتى دخلت الجامعة ، وكلها طرقات كانت متوازية لاتؤدى الواحدة منها الى الأخرى ، فكان عليها كلما انتهت من شوط وطريق ان تبدأ الآخر من أوله حتى نهايته - ووراءها اب عظيم يرى انه لافائدة من جهودها مادامت قد ذاقت العلم الحق ، وكان يكفى به أن تقر فى بيتها وتطرح ثمارها من هناك . لكنها كانت مشدودة بجاذب الى خارج الاطار الذى أراده لها والدها . لم تكن فى البداية تعرف تماما ماذا تريد ، وعبر بحثها عما تريد مرت بتجارب عمل وخبرات متضاربة ومتنوعة من مدرسة الى اخرى ومن مدينة الى مدينة حتى وصلت العاصمة التى كرهتها وهاجمتها واتهمتها لكنها تمسكت بها الى النهاية .

من وظيفة معلمة بالمدرسة الأولية ، الى وظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة ثم بالزمالك حيث رأت شريحة اجتماعية لم تكن قد اختلطت بها من قبل : شريحة بنات الذوات المترعرعات تحت هيمنة الأجنبيات واللاتى يتم صبهن فى قوالب نموذج المرأة الغربية تمهيدا لطرحهن فى ارجاء المجتمع المصرى ليكن القدوة التى تحتذى والمثل الأعلى الواجب محاكاته هدما للنموذج الاسلامى العربى المصرى النقى

وامام هذا المجتمع ارتبكت عائشة النابعة من قلب مصر . اشارت الناظرة الأجنبية لمساعدة اخرى - ان لم يكن بالمولد فبالتجنس الحضارى - لكى « توضب » هذه التى جاءت بخيرها ولم تتقولب بعد فى قالب الغربة والاغتراب والتغريب . واستسلمت ابنة الشاطىء الطيب ، وغيرت عائشة عبد الرحمن من هيئتها وثوبها وتصفيف شعرها وسلوكها - على الأقل فى قاعة الطعام الأوروبية النظام المترفة الأدوات - ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى استسلمت له ، وبترحيب داخلى ينظر نظرة دونية لمجتمع ، « البكوات والبشوات » الذى تنتقل اليه من مجتمع « الشيوخ والعلماء » ، بل استسلمت لبعض الوقت للسيدة « الحاجة لبيبة أحمد » صاحبة مجلة « النهضة النسائية » .

● دور للنموذج الغربى ●

أرسلت اليها قصيدة الحنين الى دمياط « فنشرتها ثم طلبت السيدة الثرية من الشابة الموهوبة أن تعمل معها . ومرة أخرى كانت الشابة هى المليئة بالخير ، وبالعلم وبالفضل وهى التى - للعجب - تنظر نظرة دونية إلى : « هذه السيدة التى تنتمى الى الطبقة الراقية » ... وذلك لأن : « قصارى ماكنا نعتز به ، نسبنا من جهة أبى فى البيت الحسينى الشريف ، ونسب أمى فى سلالة الشيخ ابراهيم الدمهوجى ، شيخ الجامع الأزهر » - على الجسر/ص ٧٨ - الم تكن بنت الشاطىء تعرف أن هذا النسب بالاضافة الى نسبتها للعلم الاسلامى كافيا لأن يرفعها الى قمم الجبال ؟

بلى ، كانت بنت الشاطىء تعرف هذا من الناحيتين النظرية والفكرية ، لكنها ـ مثل مصر ـ كانت تخضع شعوريا للنموذج الغربي وتفسح له ـ طبقيا ـ مجال السيادة عليها .

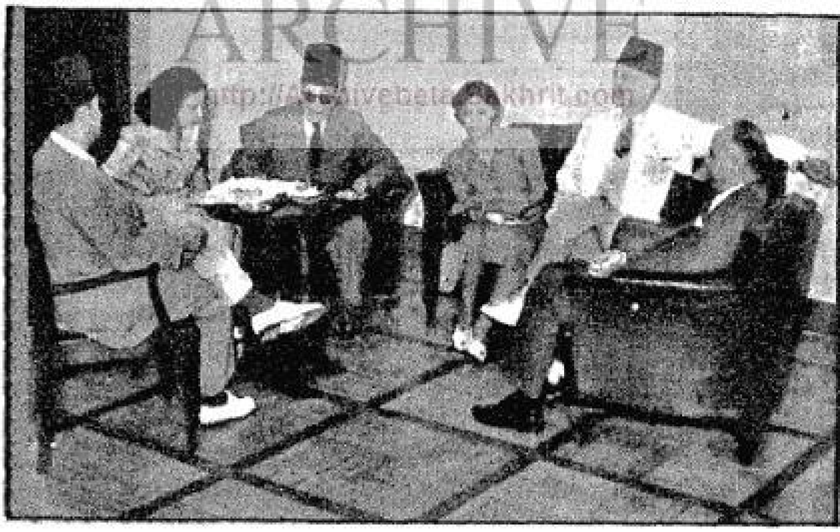
وكمثل القوى الغربية الاستعمارية المستغلة ، استغلت « الثرية المنتمية الى الطبقة الراقية » : السيدة لبيبة أحمد » ، عائشة عبد الرحمن ، « الشابة الموهوبة ابنة الشيوخ » أيما استغلال :

« ... نظير أربعة جنيهات فى الشهر ... كتابة بريد المجلة ، واعداد موادها للطبع ، وتصدير كل عدد منها بمقال افتتاحى أتفنن فى انشائه وأوقعه باسم السيدة الكبيرة صاحبة المجلة ! ثم أحمل المواد كل شهر الى مطبعة حجازى بالجمالية ، لأعود مرة فأصححها ، وأخرى لأتسلم أعدادها ـ نحو الفين ـ مطبوعة وانقلها فى عربة خيل الى مقر المجلة فى حى عابدين ، واكتب عناوين المشتركين على غلافها ، ثم احملها على دفعات الى صندوق بريد المطبوعات على ناصية شارعى خيرت والمبتديان ، واتابع حركة البريد وتسديد الاشتراكات ، واحتفظ بما يرد منها حتى تعود السيدة الحاجة من رحلتها السنوية الى الحجاز ، حيث اعتادت ان تقضى هناك نحو ستة أشهر ..... » ! ـ على الجسر ص ٧٩ ، ٨٠ ـ

● بنت الشاطىء .. علما !

لكن بنت الشاطىء كانت راضية تمام الرضا عن هذه التجربة التى اعطتها الثقة بقدراتها الأدبية والصحفية واغرتها بان ترسل قصصها الى مجلة الهلال وصحيفتى البلاغ وكوكب الشرق ، وخشية أن يعلم والدها بأمر ماتنشر تخفت خلف

الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » فى صورة فريدة مع الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد وأمينة السعيد واحمد قاسم جودة



بنت الشاطئ
على الجسر

الاسم المستعار « بنت الشاطىء » الذى صار علما اكثر شهرة من اسمها الحقيقى : « عائشة عبد الرحمن » . ودأبت على النشر حتى رسخت قدمها فى جريدة الأهرام منذ صيف ١٩٣٥ وكانت الأهرام تضع مقالاتها عن الريف المصرى وقضية الفلاح فى صفحاتها الأولى ، وقابلها « جبرائيل تكلا » صاحب الجريدة وضمها الى اسرة التحرير بتوصية من « انطون الجميل » .

• • •

فى ٦/١١/١٩٣٦ كان لقاؤها الأول المصيرى مع الأستاذ الدكتور امين الخولى . وكانت قد تشوقت الى تلمذته منذ ان سمعت طلابه يتحدثون عن « منهجه » ، وكانت قد لازمت الجامعة عاما بأكمله قبل لقائه فلم تجد فيها الا ماخيب املها وأشعرها انها تعطى من زادها القديم اكثر مما تأخذ من علم جديد . وفى الاحتكاك الأول باستاذها امين الخولى ، كانت تضمر رغبة الابهار فلم يعطها الفرصة !

كان يجمع فى ناظريها بين القديم والحديث فى مزج متماسك متوازن مولد للحيوية الفكرية التى افتقدتها فى دراستها القديمة على يد والدها وافتقدتها كذلك فى سطحية دراستها الجديدة الجامعية قبل ان تراه وتتلمذ على يديه لتندمج معه بعد ذلك كلية حتى لتعجب انهما فى عالم الناس ذاتين ونفسين مع



د . بنت الشاطىء .. وفاء نادر لزوجها الذى جمع فى ناظريها بين القديم والحديث فى مزج متماسك

انهما ذات واحدة ونفس واحدة كما تقول فى « على الجسر » ص ١٤٠ : « الدنيا لاتعرف الا اننا اثنان » !

والحياة تفرض علينا أن نعانيها بهذه الثنائية العددية ، ورغم هذا ، كنا النفس الواحدة .. »

• • •

لم تكف بنت الشاطىء عن العمل والابداع والبحث بعد رحيل من صعبت الدنيا والحياة عليها من بعده ، لكنها تجهمت جدا ، واكتأبت جدا ، وغضبت وزهدت فى البشر اجمعين . وفهمنا ذلك ، ووعيناه ، ولانملك الا ان ندعو ان يبارك لها الله سبحانه وتعالى وقفتها الوحيدة « على الجسر » تنتظر فى لهفة لاتمل : اللقاء .

أقوال معاصرة


ريجان


جورج بوش

● « ثمة غصة مريرة في حلقي هذه الايام » .
رونالد ريجان

● «اذا كانت الحقيقة مؤلمة ، فلتكن كذلك » .
جورج بوش ــ نائب رئيس الولايات المتحدة

● « الاصلاحات التعليمية لا تستحق حياة انسان » .
تعليق لوزير الصناعة الفرنسى على مقتل طالب جزائرى

● لا اظن ان السينما تستطيع ان تغير المجتمع، فلم اسمع عن فيلم شعل نار ثورة »
المخرج الهندى ساتيا جيت راى

● « لا امل فى نهضتنا الفكرى ، الا بالانفتاح على كل التيارات »
د. عاطف العراقى ــ استاذ بجامعة القاهرة

● « ارتكبت الخطأ الكبير ، لم اكن سعيدا »
الاديب الارجنتينى لويس بورجيس

● «التكنولوجيا يجب ان تتلاءم مع الثقافة والقيم والمهارات العمالية وطموحات الامة المتلقية للاختراع والابداع » .
توماس هيور المؤرخ الامريكى

● « انا اكتب لانى اجنح الى الظن بـأنى شخص ذو اهمية »
الاديب الامريكى أ.ل دكتوراو

الجماعات الإسلامية ونموذج الثورة الإيرانية

بقلم: د. محمد عمارة

في سنة ١٩٦٥ م ألقى القبض على المرحوم الأستاذ سيد قطب [١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م] وجماعته الجديدة .. وفي السنة التالية - سنة ١٩٦٦ م - أعدم سيد قطب مع اثنين من قادة الجماعة .. واستمر سجن أو اعتقال أغلب الأعضاء ..

وفي أواخر عقد الستينيات - وبعد هزيمة سنة ١٩٦٧ م - تخلق في صفوف هؤلاء « القطبيين » تنظيم تصاعد بـ « الرفض القطبي » من مستوى « التكفير » و« العزلة الجزئية » عن الواقع والأمة والمجتمع ، إلى « التكفير » و« العزلة الكاملة » عن الواقع والأمة والمجتمع .. فدعا أصحابه إلى هجران المجتمع ، والهجرة منه ، انتظارا لهلاكه ، ثم العودة إلى أرضه لإقامة دولة الإسلام ومجتمعه عليها ! .. وهذا التنظيم الجديد هو [جماعة المسلمين] - الذي اشتهر إعلاميا باسم [التكفير والهجرة] ..

. كذلك تخلقت في صفوف « جيل [معالم في الطريق] ؟ ! » ، تنظيمات لم تصل إلى الغلو الذي بلغته جماعة [التكفير والهجرة] .. فالبعض لم يحكم بـ « الكفر » على الأمة .. وإنما « توقف حتى يتبين » - فكان تنظيم آخر - ! .. والبعض قد رفض « العزلة الكاملة والمادية » عن المجتمع ، واكتفى بـ « العزلة النفسية والشعورية » - فكان تنظيم ثالث ! ... والبعض وقف بـ « التكفير » عند « المجتمع » و« الدولة » دون « الأمة » ، ورفض « العزلة » و« الهجرة » ، ونادى بـ [الجهاد] ... - فكان تنظيم [الجهاد] ؟ ! ..

ثم توالت الجماعات الغاضبة التي انبثقت - كما رأينا - من « التصور القطبي » ، الذي صاغه سيد قطب في [معالم في الطريق] .. ثم اختلفت بها

الستينيات - إبان ازدهار المشروع الناصرى ؟ !

٢ - وأن هزيمة سنة ١٩٦٧ م قد لعبت دورا هاما فى « انتشار » هذه الظاهرة .. عندما كثر الحديث عن دلالتها على فشل « الحل العلمانى » - قوميا كان أو طبقيا .

٣ - وأن هذه الظاهرة - إن فى النشأة أو فى الانتشار - هى سابقة على قيام الثورة الإيرانية فى سنة ١٩٧٩ م ..

● العلاقة والتميز ●

لكن .. ماهى حدود « العلاقة » و« التميز » بين هذه الظاهرة - فى الواقع العربى - وبين نموذج الثورة الإيرانية ، بعد أن قامت ونجحت فى إسقاط النظام الشاهنشاهى ، وفى حكم إيران ؟ ؟ ..

إننا نستطيع أن نوجز ملامح « العلاقة » و« التميز » بين الجماعات الإسلامية الجديدة ، فى واقعنا العربى ، وبين الثورة الإيرانية ونموذجها ، فى عدد من النقاط ... أهمها :

● أن تيار « الرفض الإسلامى » ، فى المجتمعات العربية ، هو تيار « سنى - سلفى » ، فى الجوهر ، والمنطق ، والأساس .. وفكر الإمام السلفى ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] ، له السلطان الغالب على كل فصائل هذا التيار ، وعلى قادته ، وعلى مفكريه .. فالمُنظر الأول لهذا التيار ، وهو الأستاذ المودودى [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] سلفى ، يضع ابن تيمية فى مقدمة المجددين الذين حاولوا تجديد الدين فى التاريخ الإسلامى[٢] .. وسيد قطب قد انطلق من المودودى وتصاعد بغلوه ، ثم وظف هذا الغلو فى البيئة المصرية والمناخ العربى المسلم ..



سيد قطب تأثرت به الجماعات الغاضبة



ابو الأعلى المودودى منظر تيار الرفض الاسلامى

سبل الغضب ومستوياته كل الاختلاف ! ...[١] .

وهذه الحقيقة التاريخية المعاشة تؤكد لنا عدة أمور ... منها :

١ - إن نشأة هذا التيار قد سبقت هزيمة سنة ١٩٦٧ م ... فلقد كتب سيد قطب كتابه [معالم فى الطريق] وكون جماعته فى النصف الأول من عقد

الجماعات الإسلامية
ونموذج الثورة الإيرانية

و[جماعة المسلمين] - [التكفير والهجرة] - قد انطلقت من سيد قطب، فتصاعدت بالغلو - استنادا إلى مأثورات سلفية - تلك التى تسمى أحاديث آخر الزمان - ووقفت، بسلفيتها النصوصية، عند ظواهر هذه النصوص .. اما تنظيم [الجهاد] - الذى استقطب جمهرة الشباب الإسلامى بمصر - والذى صنع حادث المنصة فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ م - فإن الكتاب الذى يمثل جُماع فكره - كتاب [الفريضة الغائبة] - شاهد على سلفيته، وعلى ما لابن تيمية من سلطان غالب على فكر هذا التنظيم ..

« فالسلفية - السنية » هى فكرية هذه الجماعات و« أيديولوجيتها » ...

● ولما كانت خصوصية الثورة الإيرانية، وإضافتها فى ذات الوقت، قد تمثلت فى مقولة الإمام الخمينى بـ « عموم ولاية الفقيه » - المستندة إلى نظرية الإمامة الشيعية .. والتى تعنى - ضمن ماتعنى : « عصمة الوالى »، وإعطاءه كل سلطات « الإمام » - فى الفكر السياسى الشيعى - التى هى كل سلطات النبى والرسول .. والتى هى كل سلطات الله سبحانه فى سياسة الدنيا وحفظ الدين ... والتى تعنى كذلك انفراد « المؤسسة الدينية » بالسلطة الحقيقية من دون الناس، الذين يقفون عند حدود « العمال » لدى « الفقيه - السلطان » - كما أوضح الخمينى فى كتابه [الحكومة الإسلامية](٢) ... لما كانت تلك هى « خصوصية » الثورة الإيرانية ... و« إضافة » قيادتها .. فواضح وجلى أن هذه « الخصوصية » مرفوضة تماما من كل المذاهب والمدارس والجماعات السنية - ومن القطاع السلفى منها خاصة - وهو منطلق الجماعات الإسلامية الجديدة ..

● وإذا كان لنموذج الثورة الإيرانية من تأثير على الجماعات الإسلامية الجديدة - وهو تأثير واقع بالفعل - فإنه « تأثير سياسى » .. وليس تأثيرا « فكريا - عقائديا » ... وهو لذلك « تأثير مرحلى » ...

هو « تأثير سياسى »، لأن الثورة الإيرانية قد مثلت، بالنسبة لهذه الجماعات، إمكانية الثورة بالإسلام .. وإمكانية أن تحرك شعارات الإسلام الأمة للثورة على نحو قد عجزت عنه سائر الأيديولوجيات العلمانية ... وإمكانية بناء النموذج الإسلامى الخالص من شوائب التغريب .

وهو « تأثير مرحلى »، لأن الخلاف الفكرى والمذهبى يحول دون تبنى هذه الجماعات السلفية للنموذج المذهبى للثورة الإيرانية ... إن « عموم ولاية الفقيه » لاتحظى بالقبول من كل الشيعة ... وهى غريبة عن الفكر السلفى والتراث السنى فى نظرية الخلافة والإمامة ... الأمر الذى يحول بين الجماعات الإسلامية الجديدة وتبنى « مذهبية » الثورة الإيرانية .

ولعل فى موقف هذه الجماعات الإسلامية الجديدة من الثورة الإيرانية مايشهد على صدق هذا التقويم ... فلقد اجتذبت هذه الثورة واكتسبت تأييد هذه الجماعات منذ قيامها - سنة ١٩٧٩ م - فلما صرح الإمام الخمينى بما صرح به



الخميني ..
انفراد المؤسسة الدينية بالسلطة

عن عقيدة الشيعة في « المهدى » ... وكيف أن له ، عند الله ، مقاما لايبلغه ملك ولا نبى ولا رسول ! ... ثم لما برز « الوجه الطائفى » لهذه الثورة ... انحسر التأييد لها في صفوف كثير من هذه الجماعات ... وتراوح الموقف منها مابين « النقد » أو « المعارضة » أو « الصمت » أو « فتور الحماس » ! ...

لكن قلة ضئيلة ـ لها نموذج في مصر وفي تونس ـ ظلت على حماسها للنموذج الإيراني في الثورة ... بل لقد دفعها الحماس ـ كي تتسق مع الذات ـ إلى تبنى المفهوم الشيعي في « الإمامة » و« ولاية الفقيه » ! ... لكنهم لايعدون ولايتعدون الأفراد ؟ ! ...

تلك هي حدود « العلاقة » و« التميز » بين الجماعات الإسلامية الجديدة وبين نموذج « الثورة الإيرانية » ...

أما العلاقة بين هذه الثورة والنظم العربية المؤيدة لها ، فهى علاقة « سياسية » محضة ـ كما هو حال علاقتها مع ليبيا واليمن الجنوبية ـ .. و« سياسية ـ طائفية » ـ كما هو حال علاقتها مع « النظام ـ النصيرى » ـ [العلوى] ـ في سوريا ... فالنصيرية ـ كما هو معروف ـ هم من غلاة الشيعة ... والاثنى عشرية لايأنسون لهم ، تاريخيا ، لكن السياسة والتناقضات السياسية قد دفعت الفريقين إلى هذا « اللقاء » ؟ ! ..

★ ★ ★

بقى أن نقول :

● إن « ترشيد » المد الإسلامي المعاصر بالاجتهاد الإسلامي المستنير ...

● وإبراز العلاقة العضوية بين « العروبة » و « الإسلام السياسي والحضاري » ..

وكذلك إبراز دور الأمة العربية في نشر الإسلام والحفاظ عليه ـ تاريخيا ـ ودورها الرائد في حركة الجامعة الإسلامية ـ حاضرا ومستقبلا ـ .... إن هذين العاملين يتصدران كل العوامل الضامنة أن يصبح المد الإسلامي والصحوة الإسلامية رصيدا للأمة العربية وليس سلاحا ضدها ، لقد كان الإسلام ـ ويجب أن يظل ـ أمضى أسلحة هذه الأمة في مواجهة التحديات التي فرضها ويفرضها عليها أعداؤها الكثيرون .

---

(١) انظر الفصل الذي كتبناه عن فكر سيد قطب بكتابنا [الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى] ص ١٤٣ ـ ١٧٢ . طبعة القاهرة ـ دار المستقبل العربي ـ سنة ١٩٨٥ م .

(٢) انظر كتاب المودودى [موجز تاريخ تجديد الدين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م .
(٣) انظر كتابنا [الفكر القائد للثورة الإيرانية] ص ٤٤ ـ ٥٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

دور مصر العربي والإسلامي

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

● كان لموقع مصر الجغرافي وتراثها العربي ـ الاسلامي دور أساسي في تحديد هويتها السياسية . فمنذ الفتوح الاسلامية الكبرى وانتشار الدين الاسلامي واللغة العربية كانت القاعدة الاساسية للفكر المصري عربية ـ إسلامية في جوهرها ، كما شكلت الشريعة الاسلامية الاطار العام لحياتها الروحية والمرجع الرئيسي لكيانها المادي ـ فمن الطبيعي أن تمس الشريعة الدولة التي لم تنفصل عنها في التاريخ الاسلامي وفقا لما أخذ به جمهرة الفقهاء من حيث إن الاسلام دين ودولة .

وما لبثت مصر أن اصبحت من المراكز الاسلامية الكبرى : فقد اصبح الجامع الأزهر الذي انشيء في القرن العاشر الميلادي مركزا لا يضاهى بالنسبة الى الدراسات الاسلامية وكان .. ولايزال ـ يؤمه طلاب العلم من شتى أنحاء العالم الاسلامي . كما لعبت مصر دورا حيويا في التصدي للأطماع الصليبية واستطاعت ضعضعة المستعمرات الصليبية في الشام ثم مالبثت أن قضت عليها ثم اوقفت المد المغولي وانتصرت عليه ودفعت خطره عن المشرق الاسلامي .. لما كان هولاكو المغولي قد قضى على الخلافة العباسية ودمر بغداد في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي ، فقد أحيا السلطان بيبرس المملوكي الخلافة وجعل القاهرة قاعدة لها مما زاد في أهمية مصر : فقد اصبحت القاهرة مركزا رئيسيا من مراكز العلوم الاسلامية إلى جانب كونها مركزا روحيا للعالم الاسلامي .

وكل هذه التطورات التاريخية قد جعلت من الشريعة الاسلامية المرجع



جمال عبد الناصر .. تنمية الشعور القومي العربي



سعد زغلول التآخي بين المسلمين والاقباط



لطفي السيد . عناية بتمصير القيم

الرئيسي لحياة البلاد . فمن الطبيعي أن توفر هذه الشريعة مجموعة من القوالب والنظم شملت كل جوانب الحياة الاسلامية : كالفروض الدينية والقوانين الخاصة بالأسرة والمواريث والهبة والعقود والالتزامات ، هذا بالاضافة الى القانون الجنائي والمالي والدستوري والدولي . وظل الحال على هذا المنوال إلى أن انفتحت مصر على الحضارة الغربية المتفوقة منذ أوائل القرن التاسع عشر وطفقت تقتبس عن الغرب في النواحي الادارية والثقافية ونظم الحكم . والى جانب انتشار الآداب والأفكار الغربية نما اتجاه الى الاهتمام بتاريخ مصر والعرب كان مرتبطا بظهور القومية الحديثة وازدياد الشعور بالحاجة الى إعادة تفسير الاسلام في ضوء الظروف المتغيرة . وفي نفس الوقت أدى تدفق النظم والأفكار الغربية إلى زعزعة الأسس التقليدية التي كان يقوم عليها المجتمع المصري مما أدى الى اضمحلال النظام السياسي القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية القديمة ، هذا برغم أن النظام القديم ظل يستند الى هيكل من الولاءات والمسئوليات التي كانت تربط مختلف الجماعات والطبقات الاجتماعية بعضها ببعض ، ومالبثت مصر ، شأنها في ذلك شأن مختلف البلاد الاسلامية ، أن واجهت ازمة ارتبطت بالمؤثرات الغربية التي كانت بعض جوانبها تتنافى مع الانظمة والمعتقدات الموروثة . ومما زاد من حدة هذه الأزمة أن أوروبا صاحبة هذه المؤثرات كانت تبدو وكأنها تهدف الى السيطرة على العالم القديم ومنه مصر التي تعرضت للتدخل الأوروبي ثم مالبثت أن وقعت تحت الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ .

● ثقافة علمانية ●

ونتيجة للغزوين الثقافي والسياسي اللذين تعرضت لهما البلاد فإنها مرت بفترة تحول : فثقافة البلاد الاسلامية الطابع ومعتقداتها النابعة من أصول دينية أخذت تتحول بالتدريج وبشغف ممزوج بالمقاومة الى ثقافة علمانية

دور مصر .... العربي والإسلامي

ذات اتجاه غربي ، ومجتمع ظل يعيش في حالة توازن في ظل العزلة اخذ يتعرض للمؤثرات الغربية ويسعى الى استعادة توازنه وإعادة تنظيم كيانه التقليدي .

والنتيجة هي أن اتجاهين رئيسيين قيض لهما ان تكون لهما اثار حاسمة في تطور البلاد : احدهما يهتم بالاصلاح الديني ، والآخر يستلهم مثلا وطنية ارتبطت بها اتجاهات فكرية ليبرالية عقلانية . وفي البداية بدا الاتجاهان كما لو كانا مرتبطين احدهما بالآخر ، ولو انهما لم يلبثا أن شكلا بديلين متعارضين . مرجع ذلك ان جمهرة المسلمين رأوا أن يقروا ويطوروا بعض المظاهر النافعة من الثقافة الغربية على أن يكون التطوير في إطار النظام القانوني والأخلاقي الذي تتضمنه الشريعة . وبدت صعوبة هذه المشكلة في انه لم يسهل تحديد ما يتمشى وما لا يتمشى مع الاطار القانوني الاسلامي .

وفي ثنايا كل ذلك شهدت مصر عاملا جديداً من عوامل تطورها الحديث . ذلك أن المؤثرات الثقافية الغربية قد جعلت المصريين يشعرون بالانتساب الى وطن له كيانه الخاص وتاريخه الخاص وإن ظلوا يعتبرون بلادهم جزءا من العالم الاسلامي ، ومما ساعد على نمو المشاعر الوطنية اشتداد التدخل الأجنبي في شئون البلاد خلال السبعينيات ثم وقوعها تحت الاحتلال البريطاني . وهكذا شهدت فترة نمو الاتجاهات الوطنية السيطرة الأجنبية التي لم تخل من الهجمات العنيفة على الاسلام مما جعل المحافظين ينزعون الى ربط الحركة الوطنية بحركة الجامعة الاسلامية التي عبر عنها جمال الدين الأفغاني ورحب بها السلطان العثماني عبدالحميد الثاني الذي حاول أن يحيي الخلافة الاسلامية في شخصه وان يوحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليستعين بهم في دفع الأطماع الأوروبية عن املاكه . وهكذا ظهرت في مصر حركة دفاع عن الاسلام ارتبطت بردود الفعل المباشرة لزحف المؤثرات الغربية والتهجم على الاسلام .

● كان اتجاه المحافظين التقليديين يختلف عن اتجاه محمد عبده الاصلاحي من حيث ارتباطه بقضية السياسة العملية الخاصة بمقارنة السيطرة الأجنبية . وما لبث هذا الاتجاه أن افسح المجال لاصطباغ الحركة الوطنية بقسط اوفر من العلمانية عند مصطفى كامل وحزبه الوطني والتنظيمات السياسية الأخرى التي ظهرت في مطلع القرن العشرين .

● مصطفى كامل والوعي الوطني ●

ومصطفى كامل بلا منازع أول مصري اكتمل لديه الوعي الوطني ، وهو اقرب إلى اتجاه مفكري مصر في القرن العشرين ، ولو انه جارى الفكر السياسي لدى الأفغاني فرأى في الاسلام الجذور التي يجب أن تحرك وتدعم القومية المصرية التي اخذت تصطبغ بالأيديولوجيات الغربية ، كما

رأى أن الاسلام يزودها بالدعامات التى تستند إليها . لهذا دعا الى التقارب الوثيق مع الدولة العثمانية ومال الى حركة الجامعة الاسلامية ونقد الاتجاهات العربية التى ظهرت فى المشرق العربى ودعت الى الانفصال عن الدولة العثمانية . فدعاة الاتجاه القومى العربى ، فى رأيه ، منافقون ودخلاؤهم أخطر على الاسلام من أعدائه الصريحين ، وبتأثير مصطفى كامل ظلت المشاعر القومية فى مصر منفصلة عن القومية العربية ، ولما كانت نزعته عثمانية إسلامية فقد لقيت دعوته استجابة كبيرة من الدول والشعوب الاسلامية ولقى الاعزاز والتكريم فى إستانبول حكومة وشعبا . إلا أن العامل الدينى الذى كان قويا خلال الثورة العرابية لم يكن بمثل هذه القوة فى حركة مصطفى كامل التى يمكن تفسير نجاحها على ضوء تمشيه مع الاتجاه الاسلامى العام ، وتعليل ذلك ان القوة المحركة للوطنية قد ازداد امتزاجها بالطابع الدينى بازدياد تغلغلها فى الجماهير : فحتى فى المجالات التى كان فيها القادة وشكل الحركة وافكارها قومية وفق نمط غربى من نوع او اخر فإن الاتباع والجوهر والعواطف كانت اسلامية بشكل ملحوظ .

وقد ادى انتشار المؤثرات الغربية إلى اضعاف الأفكار الدينية واهتزاز منزلة المشايخ وشغل المثقفين بثقافة غربية ووقوف رجال الدين موقفا سلبيا من المشاكل التى كانت تواجه البلاد . لهذا اخذ يتغلغل المفهوم العلمانى الخاص بالدولة القومية ويحل محل



مصطفى كامل .. أول مصرى اكتمل لديه الوعى



خليل مطران .. شكوك الوحدة العربية

النظرة الدينية الخاصة بالجماعة ـ او الامة فى الاسلام . وعبر عن الاتجاهات العلمانية فى أوائل القرن العشرين عدد لا بأس به من المفكرين المصريين الذين استهوتهم الثقافة الغربية وشكلوا الأساس الأيديولوجى المحدد للقومية المصرية المنطوية على نفسها وهى القومية التى حاولوا حفزها بأسلوبين : فهم من ناحية حاولوا إعادة تفسير التاريخ ليفصلوا ماضى مصر عن ماضى الجماعة الاسلامية : ومن ناحية أخرى حاولوا ان يزودوا مصر المنطوية على نفسها بشخصية ثقافية متميزة خاصة بها فادخلوا إليها اساطير

دور مصر .... العربى والإسلامى

قومية تستند الى أمجاد الحضارتين الفرعونية والعربية ـ وكان الهدف من ذلك الحفاظ على ولاء الفرد ضمن الحدود الاقليمية للدولة القومية . وابرز من عبر عن هذا الاتجاه المصرى الخالص احمد لطفى السيد الذى كانت مقالاته فى صحيفة «الجريدة» بداية للتبلور الكامل لفكرة القومية المصرية المستندة الى الفهم الصحيح للشعب ومقوماته كمجموع له مثله الخاصة واتجاهه النابع من اصوله الذاهبة أبعد مذهب فى التاريخ دون خلط بين هذه المقومات والدين . وقد عملت «الجريدة» على رفض الفكرة القائلة بأن مصر يمكنها أن تحصل على الاستقلال بمساعدة الدولة العثمانية أو فرنسا .. إذ لا سبيل إلى حرية المصريين إلا بجهودهم وحدهم ؛ ومن هنا سعيها الى إنماء الشخصية المصرية بقدر المستطاع ، والنظر الى الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها والرد على مزاعم الانجليز حول الدين الاسلامى والطبيعة المصرية والعمل على النهوض بالحركة العقلية وإفساح المجال للشعبية لكى تظهر مواهبها . وحتى يكتمل الاستقلال المصرى بمضى الزمن ولا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها الى بنيان الأمة سعت «الجريدة» إلى إزالة الفرقة فى الراى بين المصريين والتمهيد لظهور راى عام مصرى ،

وبالاضافة الى تزويد لطفى السيد للقومية المصرية بايديولوجية متميزة غرس فى السياسة روحا عملية لم تلبث أن اصبحت من مميزات مدرسة كاملة من الساسة العمليين ، كما جعل الفكر منسلخا من التقاليد التى أحل العقل محلها . وللطفى السيد الفضل الأول فى تحويل الحركة الوطنية المصرية نحو الوجهة الديمقراطية ذات الطابع العلمى المدروس ، فإلى جانب تعويده قراءه على تعابير الأمة والوطن المصريين وتعريفه بالشخصية المصرية عبر التاريخ عنى بتمصير القيم ، فجعل العادات والأخلاق والمناقب مصرية بعد أن كانت عربية أو إسلامية .

● تآخى المسلمين والاقباط ●

وبدت آثار أفكار لطفى السيد ومدرسته السياسية خلال ثورة ١٩١٩ التى تزعمها سعد زغلول الاقرب الى اتجاهات مدرسة «الجريدة» والذى قصر حركته الوطنية على مصر ونجح فى التوصل الى التآخى بين المسلمين والاقباط . وفى اعقاب الثورة احرز اللبراليون نجاحا سياسيا كان خلوا من المدلول السياسى الذى خلعوه عليه وإن يكن ذا دلالة بالنسبة الى تطور الفكر السياسى فى مصر . فلم يكن نجاحهم يعنى انتصارا للأيديولوجية القومية ـ اللبرالية وإن كان يعنى على الاقل وقوع السلطة فى أيدى مجموعة من الناس تستلهم هذه الفكرة ،

وبالتالى أمكن تسخير أهم أدوات الدولة : كالتشريع والتعليم وغير ذلك

لحفز توطيدها وقبولها العام لدى الجماهير . وبدا قصور هذه الفئة منذ قيام الحياة البرلمانية طبقا لدستور ١٩٢٣ حين خف بريق الحياة النيابية وأخذت تبرز المشاكل العملية المترتبة على عدم تمشى الأسلوب الجديد مع حاجيات البلاد . فنظام سياسى أخذ كما هو ليس فقط من بلد آخر ، بل من حضارة أخرى وفرضه حكام متشبعون بالأفكار الغربية من أعلى ومن الخارج لم يكن باستطاعته أن يتمشى بما فيه الكفاية مع أحوال واتجاهات المجتمع المصرى الذى كان لايزال محصورا فى إطار طبقى وإسلامى بوجه عام .

ومما أمعن فى ضعضعة هيبة النظام الدستورى الذى تمخضت عنه ثورة ١٩١٩ ما كان من تقليل شأن الاسلام ليس فقط باعتباره أساسا للمجتمع ومصدرا للتشريع بل ايضا باعتباره الفيصل بالنسبة الى الشعور والشخصية القوميين .

وقد اعتبر المحافظون كل الانجازات التى حققها الليبراليون « بدعا » جاءت فى ركاب الهجوم على الأفكار والنظم التقليدية واستعدوا لشن هجوم مضاد على الافكار والنظم المستوحاة من الغرب ـ فلم يلبث المد الليبرالى فى مصر أن مر بأزمة شديدة وهو بعد فى المهد . فقد اصطدمت المؤثرات الغربية التى أخذت تتغلغل فى المجتمع المصرى بالارتباط الغريزى بالتقاليد الدينية ، خاصة وقد تأكد المتدينون من استفحال الخطر الذى يتهدد المعتقدات والنظم التقليدية بعد أن اتضح لهم أن المفاهيم الحديثة مناقضة لروح الاسلام . وكانت النتيجة ان ازداد الهجوم على النظم والقيم الغربية مما أدى إلى زعزعة هيبة القيادة السياسية التى تسلمت الحكم فى ظل النظام الدستورى الجديد وظهور حركات راديكالية جديدة منها جماعة الاخوان المسلمين التى استلهمت التفسير الأصولى للاسلام فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية والسياسية ولم تتجه الى الأخذ بالأساليب الحديثة للتنظيم السياسى . وكانت غاية الجماعة القصوى هى إعادة بناء المجتمع فى صورة جامعة إسلامية عصرية تلعب دورها فى تحقيق سلام العالم وبناء الحضارة الانسانية على أساس جديد من التناسق بين المادة والروح بالتأكيد على المبادىء العالمية للاسلام التى تدعو إلى الاخاء وتدل العالم المتعطش الى القيم الروحية على الطريق الواجب سلوكه . وهكذا قدم الاخوان المسلمون أنفسهم باعتبارهم بديلا لحكم الساسة العلمانيين ، وبالتالى للنمط الأوروبى المستورد الخاص بالحكومة والمجتمع ، وهو النمط الذى رفضوه جملة وتفصيلا بما فى ذلك قيمه ونظمه .

● دور للقضية الفلسطينية ●

ورغم كل من الاتجاه المصرى الصرف والاتجاه الاسلامى اللذين لعبا دورهما فى مصر خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين إلا أن الاتجاه الى العروبة ظل كامنا برغم الانفصال السياسى بين مصر وبقية البلدان العربية التى ظل بعضها

دور مصر .... العربي والإسلامي

خاضعا للحكم العثماني المباشر والبعض الآخر خاضعا للاستعمار الغربي الى أن خضع معظم الوطن العربي – على أثر سقوط الدولة العثمانية – لسلطة هذه الدولة الاستعمارية أو تلك . وفي أواسط الثلاثينيات شهدت البلاد اهتماما متزايدا بالشئون العربية كان مرتبطا بالشعور بالتضامن الديني – ورغم أن عددا كبيرا من المصريين أبدوا حماسة لأن تلعب بلادهم دورا شرقيا اسلاميا ، فإن هذا الاتجاه ظل غامضا ومختلطا بعض الوقت . وبالتدريج نما اتجاه آخر يهدف الى إقامة اتحاد يضم المسلمين العرب وحدهم بشرط أن تتزعمه مصر ، هذا برغم أن البعض كان يرى أن العروبة مناقضة لروح الاسلام بحكم أنهم اعتبروا الوحدة الاسلامية – لا العربية – هي هدف المسلمين ، إلا أن القضية الفلسطينية ما لبثت أن لعبت دورها في جذب المصريين رويدا رويدا صوب العروبة – ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩) قد نبهت المصريين الى الخطر الصهيوني الماثل عبر حدودهم مما أدى الى تضامن كثير من الشخصيات المصرية العامة مع الشعب الفلسطيني وتوثيق علاقاتهم مع بعض زعمائهم وبخاصة مع الحاج أمين الحسيني مفتي القدس .

كما تجاوب بعض المصريين مع حركات النضال في المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي ، وكانت من وراء هذا التجاوب ، كما هو الحال بالنسبة الى فلسطين ، دوافع دينية لا شك فيها .

وفي الوقت الذي وقف فيه الاصوليون موقفا مناوئا للقومية العربية فان الرأي العام في مصر أصبح بالتدريج على استعداد لقبول الاتجاه العربي ، خاصة أن مدرسة «المنار» التي تزعمها رشيد رضا أحد تلامذة الشيخ محمد عبده حملت الشعوب غير العربية مسئولية تدهور المسلمين وأن رشيد رضا قدم الاسلام باعتباره نظاما عربيا بالضرورة وجسّم الدور الذي لعبه العرب في تاريخ الشرق وهكذا وجد المسلمون المحافظون في حركة الجامعة العربية بداية لابد منها لنهضة الاسلام مما بدد مخاوفهم من هذا الاتجاه في الوقت الذي أخذت فيه كبريات المنظمات الدينية تدعو الى توحيد القوى العربية . وهكذا شكل الاسلام القاعدة الصلبة للقومية المصرية التي لم تلبث أن أصبحت عربية ، ولم يبق على رفضه لهذا الاتجاه الجديد سوى دعاة القومية المصرية الضيقة – وحين استطلعت مجلة «الهلال» رأي ثلاثة من كبار المصريين – هم أحمد لطفي السيد وبهي الدين بركات وخليل مطران – في عام ١٩٣٨ بصدد الوحدة العربية ابدوا إزاءها بعض التشكك . ورد انصار العروبة على هذا الاتجاه الانعزالي بالقول بأن العربي هو كل من يتكلم العربية ويحس بإحساس العروبة

ومالبثوا أن قضوا على تردد مصر واخذوا بيدها الى مجال العروبة . ولقد شن المفكر العربى ساطع الحصرى حملة استهدفت إثبات أن مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية وهاجم طه حسين الذى ذهب الى أن مصر جزء من أوروبا من الناحية الثقافية وفرعونية من حيث تقاليدها وأن المصرى مصرى اولا وقبل كل شيء وقد جاء فى حملة الحصرى أن القومى العربى لا يسعى إلى حرمان المصريين من الشعور بمصريتهم ، إذ العروبة لا تحجب الولاء لمصر ، وإزاء ذلك اصبح على دعاة كل من الاتجاه الاسلامى الشرقى والاتجاه المصرى الصرف أن ينحنوا للاتجاه الجديد الذى سارت فيه مصر بعد أن أدى اشتداد ساعد القومية العربية فى المشرق العربى الى جذبها الى هذا المجال والقضاء على مخاوفها .

ولقد أرادت بريطانيا أن تساير هذا التيار القومى العربى وبخاصة حين أدركت مدى السخط الذى اثاره فى الوطن العربى قضاؤها على حركة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، فى الوقت الذى كانت فيه بحاجة الى مساندة العرب لها اثناء الحرب العالمية الثانية - وهكذا دعا وزير الخارجية البريطانية انطونى ايدن الى ان يوحد العرب صفوفهم فكانت الاجتماعات التى انعقدت فى مصر وتمخضت عن قيام جامعة الدول العربية التى تزعمتها مصر . وكانت بريطانيا تهدف من إقامة الجامعة العربية الى تكتيل المشرق العربى فى منظمة إقليمية تساعد على مقاومة التغلغل الروسى وتعزز الوجود البريطانى وتحافظ على سلامة مواصلات الامبراطورية البريطانية وعلى موارد النفط الوفيرة فى العراق ومنطقة الخليج العربى . ومالبثت الجامعة العربية أن تصدت لمساندة استغلال سوريا ولبنان وليبيا ، كما ساندت حركات المقاومة فى المغرب العربى وتصدت للأطماع الصهيونية فى فلسطين وأن لم تحرز فى هذا المجال نجاحا كبيرا .

وكان دخول مصر حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ تطورا حاسما فى اتجاهها العربى ، وبعد عام ١٩٥٢ لعبت - بزعامة جمال عبدالناصر - دورا هاما فى حقل السياسة العربية : فتبنت القضية الفلسطينية وناصرت حركة التحرر فى الوطن العربى ولعبت دورا أساسيا فى إنماء الشعور القومى العربى وقاومت السيطرة الأجنبية وخاضت المعارك ضد الاحلاف والصهيونية ، إلا أن هذا النشاط العربى سار موازيا للاتجاه الاسلامى الذى ورثته عن الماضى فلقد رسم عبدالناصر لنشاطات البلاد دوائر ثلاث هى على التوالى : الدائرة العربية - الدائرة الاسلامية - الدائرة الافريقية ، هذا فى الوقت الذى أخذت فيه البلاد باتجاه الحياد الايجابى وعدم الانحياز . وهكذا فإن موقع مصر الجغرافى وتراثها التاريخى قد رسما لها أكثر من منطلق لطاقاتها : فهى عربية اللسان اسلامية التراث إفريقية الموقع . وتاريخها يشهد بإسهاماتها فى كل هذه المجالات لمصلحتها ولمصلحة اخوتها العربيات والمسلمات والافريقيات ولمصلحة السلام العالمى .

لغويات

● للفعل « برع ـ يبرع » استعمالات .. فتقول : « محمد بَرَعَ أو يبرع فى عمله » .. أى يجيده .. وتقول : « محمدٌ بَرَعَ محموداً فى العمل » .. أى تفوق عليه فيه .. وتقول « محمد بَرَعَ على زملائه » ..

● **الملحن المعروف محمد الموجى ـ من وجهة النظر اللغوية ـ ليس منسوبا الى "المَوْج" الذى فى البحر بفتح الميم وسكون الواو ، بل إلى "المُوج" بضم الميم .. و"المُوج" هو المضطرب الذى لا يستقر ، وهذا فيما نظن شأن هذا الملحن الفنان ..**

● تقول العامة : « فلان كشح فلانا » .. أى طرده .. وفى اللغة : « فلان طوى كشحه عن فلان » أى أعرض عنه وقاطعه ! .. والكاشح هو العذول أو العدو ..

● **بعض الادباء يسمى شاشة السينما "اللوحة البيضاء" ولا يسميها "الشاشة البيضاء" .. مع ان "الشاش" لفظ فى اللغة ، وكذلك مايؤخذ منه وينسب اليه .. و"الشاشة" او "الشاشية" ضرب من الثياب الخفيفة ، فلا بأس باستعارتها لشاشة السينما ، قال البحترى يهجو احدهم :**

يَامَن رأى ، الدامر يختالُ فى
شاشِيَّة شوهاء مُغْبَرَّة

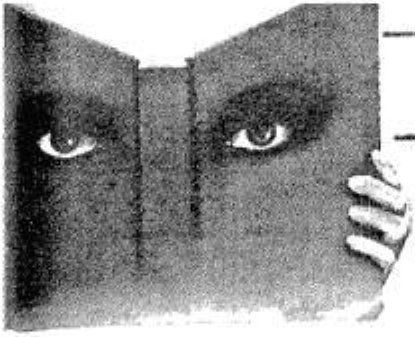
ولو كان البحترى فى مقام المدح لقال : شاشية بيضاء ، ولوجد كلمة اخرى بدلا من "مغبرة" !

● يتصور بعضنا أن كلمة "الاثير" حديثة الاستعمال ، لم نستعملها الا عند ظهور الراديو والموجات الاثيرية ، ولكنها كلمة قديمة كانت تستعمل فى هذا المعنى نفسه .. قال البحترى أيضا:

رأيتُ المرءَ أَلْفَ من ضروب
يؤثّر فى تزايدها الأثيرُ

فالأثير فى هذا البيت هو المادة الخفية التى تسرى فيها الأصوات من اقصى الأرض الى أقصاها فى أقل من الثانية !..

● **بعض المتادبين يخلط بين كلمة "الغرير" و"الغِرّ" .. اما الغرير فهو الصغير ذو الخلقة الحسنة مثل "الظبى" وقد كان الشعراء قديما يتغزلون بالظبى الغرير .. اما "الغِرُّ" فهو الأحمق غير ذى التجربة ..**



قبل المعرض ١٩ الدولى للكتاب

القراءة.. غريزة حضارية

هل هى أزمة كتاب..
أم أزمة قراءة .. ؟

بقلم : محمود قاسم

فى الاسبوع الاخير من هذا الشهر يبدأ المعرض الدولى للكتاب التاسع عشر . معنى التاسع عشر هنا ان الدولة ترعى الكتاب وتقدم له معرضا سنويا يؤمه الناس ويشترك فيه مئات الناشرين من كافة انحاء العالم .

ولو ذهبت الى معرض القاهرة الدولى للكتاب او الى اى معرض يقام فى اى عاصمة عربية من بغداد ودمشق والكويت والشارقة وغيرها فسوف يروعك ذلك الازدحام والاقبال الشديدان من قبل جمهور غفير جاء للشراء والفرجة وحضور الندوات . ولابد ان يتبادر الى ذهنك - على

الفور ـ انه لا توجد ازمة قـراءة ٠ وان الكتاب يجد رواجا فى كل مكان مهما ارتفعت اسعاره ٠

نفس الانطباع يمكن ان يلتصق بذهن المارة الذين يشاهدون كما هائلا من المطبوعات (الصحف والمجلات والكتب) لدى الباعة فى الميادين ٠ مئات المطبوعات الجديدة يوميا رغم ما قيل ان انخفاض اسعار البترول قد اثر على حركة طبع واصدار مجلات جديدة ٠ التى تشير الى ان كثافة صدور هذه المطبوعات يعكس حجم توزيعها الكبير وازدهار القراءة فى وطننا العربى ٠

لكن العارفين بحركة النشر وسوق الكتاب العربى ، ينبهوننا بان هذه الظواهر يجب الا تخدعنا عن الحقائق التى تتحكم اليوم فى انتشار الكتاب ، وبالتالى فى الاقبال على اشباع غريزة القراءة عند الاجيال الجديدة ، خاصة ان معارض خاصة لكتب الاطفال بدأت تشهد ازدهارها فى الاعوام الاخيرة ٠ يقول هؤلاء العارفون ان هذه ليست معارض كتب كمعارض الفنون التشكيلية ، بل هى « اسواق » يلتقى فيها البائع والمشترى مثل اى سوق يعرض مختلف السلع ٠ فيها يعرض البائع كتبه التى يتوقع ان يقبل المشترى ـ المفروض انه قارىء على شرائها ٠ فالكتب المعروضة فى تلك الاسواق هى مجرد « سلعة » ٠ ويختار المشترى منها او يقبل على ما يناسبه ٠ اى اننا امام قانون العرض والطلب فى سوق منافسة بين السلع ، ويسعى كل بائع ان يقدم سلعته التى تناسب اذواق المشترين ٠ غير ان هناك فرقا أساسيا هو انه فى سوق الكتاب تتغير القوانين ٠ فكلما زاد الطلب على سلعة ما ارتفع سعرها وارتفع المعروض منها ٠ وكلما قل الطلب على سلعة قل عرضها رغم ارتفاع سعرها ٠

● القراءة فى الزمن الضائع ●

لماذا يذهب الناس لشراء الكتب ؟ وهل يقرأون الكتب التى يشترونها ؟ لا يمكن ان نجزم بالرد على هذه





القراءة.. غريزة حضارية

الاسئلة لعدم توافر الاحصائيات الدقيقة حول مبيعات الكتب من النوعيات المختلفة • فالهيئات التى تنظم هذه الاسواق ، لا تصدر احصائيات حول مبيعاتها بصفة عامة او حول نوعيات الكتب الاكثر مبيعا• ويعود ذلك فى المقام الاول الى صعوبة السيطرة على دور النشر المشتركة فى السوق الواحدة ناهيك عن الاسواق التعددة وعن اسباب اخرى مثل التهرب الضريبى • وانتشار تزوير طبعات كتب معينة دون اذن مسبق من المؤلف او الناشر

تقول مجلة « رسالة اليونسكو » فى عددها رقم ١٦٨ حول القراءة فى العالم العربى ان الكتب الدينية تجىء فى مقدمة الكتب المباعة وتليها الكتب السياسية والكتب الجامعية • وكتب التراث •

اما الكتب الادبية ـ عدا الروايات والشعر ـ والكتب المتصلة بالعلوم الانسانية عامة ـ عدا الجامعى منها ـ فتجىء فى مكانة متاخرة فى اسواق المبيعات قياسا الى ما تحققه النوعيات الاخرى • ولذا فكثيرا ما تصادفك ـ فى هذه الاسواق ـ اجنحة باكملها خالية من اى كتب ثقافية او ادبية ••

يجب ان ننتبه اولا الى ان هناك فرقا بين ما يسمى بازمة الكتاب • وازمة القراءة • فمن المؤكد انه وسط هذه المبيعات الضخمة للمطبوعات فان الكتاب لا يواجه ازمة مهما ارتفع سعره • لكن الازمة تتعلق بالقراءة وبصفة خاصة مايسمى بالقراءة الحرة التى يقبل فيها المرء على اختيار كتاب وموضوع بعينه اشباعا لحب المعرفة • ولا يمكن ان نقول ان رواج الكتب الجامعية يدل على ازدهار القراءة • لذا فان المعارف الانسانية فى التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعلوم البحتة لا تلقى توزيعها مرموقا فى اسواق الكتب الا اذا كانت هناك علاقة بين تحصيل هذه العلوم والدراسات الجامعية •

المشكلة فى المقام الاول هى ازمة القراءة الحرة • ويجب التسليم بداية ان القارىء فى الوطن العربى ينظر الى هذه القراءة ـ فى اغلب الاحيان ـ على انها نوع من « اضاعة وقت الفراغ »• فالقارىء غير المحترف ـ وهو الذى يلعب دورا رئيسيا فى الكتاب ـ يردد دائما انه يقرأ « لقتل وقت الفراغ » • وبالتالى فانه لا يقرأ الا عندما يجد امامه بعض الوقت الذى عليه ان « يضيعه » حسبما يرى • أى ان وقت القراءة ضائع •

وعندما وجد هذا القارىء وسائل اخرى يمكن ان « يضيع » بها وقته فانه سرعان ما اتجه اليها • وبدأت قراءاته فى الانحسار بشكل ملحوظ• بدأ ذلك بظهور السينما ثم التلفاز واخيرا الفيديو ، واذا كان هناك

من يدعى ان هذا التحول ظاهرة عالمية ، فعلينا ان نؤكد ان التحول لم يحدث بنفس الحدة فى مناطق اخرى من العالم ، لان القراءة ترضى غريزة اشباع حب المعرفة التى لا تنتهى عند الانسان ٠

وقد ارتبطت القراءة الحرة فى ذهن القارىء العربى ـ خاصة الشباب ـ بأوقات الاجازات الصيفية، ومن هنا جاء التنافس غير المتكافئ. للقارىء الذى انسحب الى الرؤية وفقد سمة التمتع بالقراءة كى يكتسب لذة الفرجة ٠٠ وتحول الى المشاهدة الحرة مثلما كان قارئا حرا ٠٠ وتغيرت الاسماء تماما وبدأ المرء يشبع حب المعرفة من هذه الاجهزة ٠٠ رغم ان الكم المقدم فيها عن حدود المعرفة الانسانية قليل للغاية ٠

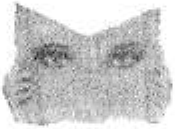
● الجوعى يقراون ببطونهم ●

فيما قبل ٠ التحم القارىء والكاتب فى سنوات لم تكن المنافسة مع وسائل الاعلام الاخرى على اشدها لذا عاش الكاتب عصره الذهبى من العطاء والشهرة ٠ وخاصة المبدعين من الروائيين والشعراء والمسرحيين، وعندما انتقلت الروايات الى شاشة السينما ثم التلفاز ، اتجه القارىء اليها مباشرة دون الرجوع الى المكتوب من الروايات ٠ اذن فالقارىء الحر الذى يحث عن تسلية وقتسه الضائع اشبه بامير شهريار الذى تمدد على اريكة مريحة يسمع حكايات شهر زاد الجذابة التى لا تنتهى ٠ فيطلق لخياله العنان٠ ويحلم حتى يطلع الفجر ويسمع صياح الديك معلنا انتهاء ليل الحواديت وعليه ان ينتظر ليلة اخرى وحدوتة اخرى ٠ ٠

ونحن نؤكد انه لمثل هذه الاسباب فان الاجهزة الاعلامية لم تؤثر على نسبة القراءة عند شعوب العالم الاكثر تحضرا ٠ والطريف ان برامج الفيديو والاذاعة والتليفزيون فى هذه البلاد اكثر جاذبية وتطورا من مثيلتها فى العالم العربى ٠ واذا كان الفيديو قد اثر على السينما فى ايطاليا وفرنسا مثلا فانه لم يؤثر على نسبة الانقرائية ٠ لان كل الفنون باقية متلازمة معا ٠ تخدم هدفا واحدا هو اشباع حب المعرفة الذى يمارس بالقراءة او الرؤية او الاستماع وتحولت الاجهزة السمعية والبصرية الى مادة دعائية بينما ظل الكتاب سيدا ٠ ولا ادل على ذلك من ضخامة حجم الكتب الادبية التى توزع فى الامريكتين واوروبا وارقام المبيعات التى توزعها دور النشر ٠ وهى عامة تحظى باحترام وسمعة طيبة ٠

ولو تحدثنا عن صحافة الخبر التى انتشرت فى عالمنا العربى ، لسوف نجد أنها ساعدت كثيرا فى قتل غريزة القراء لدى الانسان العربى فقد عودت هذه الصحف قارئها ان تحشر صفحاتها باخبار سريعة متنوعة لاهثة مما اثر على المدى الطويل فى امكانية متابعته للمقالات او الموضوعات الطويلة ٠ واذا كان هذا هو قارىء الصحف ٠ فما بال القارىء الحر ٠ خاصة فى وقت اصبحت فيه الصحف هى المصدر الاساسى للمعلومات لدى الملايين مما ساعد على تقليص القراءة الحرة الى اقصى حد ٠٠

وهناك اراء اخرى فى هذا الصدد ترى ان اللوم يقع ايضا على الطابع



القراءة.. غريزة حضارية

« الحضري » الذي اجتاح الحياة العربية دون تمهيد كاف وعلى نحو شبه فجائي ». الى درجة الهت الانسان العربي بمشاغل يومية كفيلة ان تبعده تماما عن القراءة .. لانه حسبه يقول الموسيقار بيتهوفن ان الجائع يسمع الموسيقى ببطنه فان المعاناة الاقتصادية التي يواجهها بعض ابناء الوطن العربي قد جعلت الجوعى يلتهمون الكتب .. ببطونهم بمعنى ان المرء اصبح يفكر في المقام الاول في اشباع مطالبه الاقتصادية قبل ان يشتري كتابا هو في الاصل مرتفع الثمن .

● نظرة برجماتية ●

لماذا يشتري الكتاب اذن ؟ هل هو حبا في المعرفة .. لا يلته اولا

من التفسيرات المطروحة ايضا في ازمة القراءة الحرة ان الانسان اصبح « برجماتي » النظرة والسلوك لا يحيا الا بما يعود عليه بالنفع المادي او الفائدة السريعة . وامام هذه النظرة المحدودة بدت له القراءة نشاطا زائدا لا يجد نفسه في حاجة اليه ، بل وربما تمادى البعض فاعتبرها شاغلا له عن العمل والانتاج الحقيقيين !

وقد ادى هذا الى ما يمكن تسميته ببرجماتية القراءة فالقارىء العربي في احيان كثيرة ـ يبحث عن الفائدة التي يمكن ان تعود عليه مباشرة من القراءة . واذا كان الجامعيون ـ من اساتذة وطلاب ـ يقرأون بدافع البحث في فرع من فروع المعرفة . فان بعض النظم الجامعية تشجع الاقبال على البحث العلمي من اجل الترقي الوظيفي للباحث الذي عليه الحصول على درجة علمية اعلى .

ويميل هؤلاء الباحثون في الاغلب الاعم ـ الى قراءة ما يفيدهم في بحثهم فليست القراءة هنا دافعا غريزيا نحو المعرفة ـ لاشباع غريزة انسانية . كما انها ليست بدافع حب المعرفة الخالصة مثلما يفعل القارىء الحر . ولكنها قراءة موجهة اما من الباحث او رؤسائه الى ذلك الهدف الذي يدفع الباحث للقراءة فيما يتعلق بالموضوع الذي يهمه هو في اغلب الاحيان مجال ضيق للغاية ويسعى الباحث لتعميقه ..

اذن ما هو مستقبل القراءة في العالم العربي

عندما نتكلم عن التوقعات المنتظرة لمستقبل القراءة في وطننا الكبير . فاننا نعني ـ بالطبع ـ القراءة الحرة غير المرتبطة بالدراسات او البحوث الجامعية او مثيلتها . ومن المؤسف ان نلاحظ ان الاسباب تتجمع يوما بعد يوم في غير صالح القراءة الحرة رغم عشرات المطبوعات المتناثرة في المكتبات ومع الباعة . وهي مشكلة تتطلب دراسة وعلاجا من قبل خبراء الاجتماع في العالم العربي . لان المشكلة السياسية التي يبحثها رجال السياسة حول مشاكل الكتاب تتعلق في المقام الاول بقدرة المرء على الاقبال للقراءة الحرة .. تتطلب حل مشكلات عديدة تتعلق بالاقتصاد والمسكن والتعليم ..

تدبير أمور الثقافة

بقلم: د. شكري محمد عياد

سعدت حين قرأت فى هلال الشهر الماضى (ديسمبر ١٩٨٦) حديثا مع الرجل الذى يتولى أهم وزارة فى مصر : أعنى وزارة الثقافة .

والرجل زميل وصديق ، فلن يدهش حين اصف وزارته بهذه الصفة ، ولن يفهم ذلك ـ بكل تاكيد ـ على انه مجاملة من زميل وصديق ، ولكن الكثيرين ربما فهموه على انه تعصب من أهل هذه الصناعة بعضهم لبعض ، ودعوى من دعاوى كثيرة يطلقونها ـ وهم أصحاب كلام ـ بينما يتعب غيرهم لتظل المصانع دائرة ، والحقول والبطون ملأى .

والويل للثقافة ، إن أصبحت مجرد كلام ، بل الويل للكلام إن اصبح مجرد كلام ، اى أصوات خارجة مع الزفير ، لا ترسم طريقا ، ولا تصنع واقعاً .

فالمشكلة الأولى للثقافة فى بلادنا ليست مشكلة بين أنصار الثقافة (ولعلهم لا يتجاوزون المشتغلين بها) والبعيدين عن أمور الثقافة (ولا أسميهم خصومها)

ليست مشكلة اعتمادات يجاهد وزير الثقافة لاستخلاصها من بين مطالب الزراعة والصناعة والدفاع والأمن الخ .

ولكنها قبل كل شيء مشكلة فى مفهوم الثقافة نفسها ، اى أنها مشكلة "داخلية" فيما بين المثقفين ، وليست مشكلة "خارجية" بينهم وبين غير المشتغلين بأمور الثقافة ، ولا أقول غير المثقفين ، لا خوفا منهم ، ولا رعاية لخواطرهم ، ولكن لأنه . فى حقيقة الأمر ، لا يوجد انسان بلا ثقافة !

تدبير أمور الثقافة

وهذا - بالتحديد - هو مايجعل وزارة الثقافة أهم الوزارات .

فإذا كان تقسيم الاختصاصات بين الوزارات قد اقتضى أن تختص وزارة الثقافة بأمور المسرح والسينما والآثار والكتاب فليس في البلد - ولا في أي بلد - وزارة واحدة تستغني عن هذه الجوانب كلها ، بل ولا عن أي واحد منها . ولا يرجع هذا فقط الى المبدأ العلم البسيط القائل بأن الحياة وحدة لا تتجزأ ، ولا ينفصل منها جانب عن جانب ، بل الى أمر يخص الثقافة بالذات ، لأن الثقافة ، في تعريفها الشامل ، هي كل ما يتعلق بتأثير الانسان في بيئته ، وإن كانت تنصرف أكثر ما تنصرف الى كيفيات هذا التأثير ، لا الى نتائجه . ففنون الزراعة والصناعة والتعليم والادارة والحرب والسلم كلها ثقافة ولذلك قلنا انه لا يوجد انسان بلا ثقافة . اما المسرح والسينما والآثار والكتب فإذا نسيت مايربطها بهذه الفنون فلابد أن تصبح - كما يراها بعض الناس - مضيعة للوقت والمال ، ومشاغل تافهة لا يقبل عليها الا الفارغون !

● وماذا عن استقلالية الأدب والفـــــن ؟ ●

إن الذين يتحدثون عن استقلالية الأدب والفن يقدمون مقدمة بديهية ولكنهم يخلصون منها الى نتيجة زائفة .

فمن البديهيات أن القصة ليست ريبورتاجا ، وأن القصيدة ليست خطبة بعبارة أخرى أن الفن لا يحكي الواقع ، ولكنه يفسره ويشكله ، تمام كما تفعل الفلسفة وكما يفعل العلم ، الا أن للفن طريقته الخاصة في تفسير الواقع وتشكيله . وبديهي ايضا اننا لا يمكننا أن نتكلم عن هذه الطريقة دون أن نتكلم عن الواقع نفسه ، وعن الاثر الذي يحدثه الفن في الواقع ، والذي يستلزم بالضرورة أن يأخذ الفن من الواقع لكي يعود فيعطيه . أما الذين يتحدثون عن استقلالية الأدب والفن فيخلصون الى أن كل ما يعنينا من الفن هو طريقته ، هو شكله ، وقليلون منهم فقط هم الذين يعرفون أن قيمة الشكل انما هي في الدلالة التي يحملها .

هذه هي المشكلة "الداخلية" بين المثقفين : خلاف حول مفهوم الثقافة ، ومكان الأدب والفن منها . **فالذين يتمسكون باستقلالية الأدب والفن قد اختاروا أن يعيشوا في عالم فكرى خاص بهم . وبذلك ابتعدوا عن هموم الناس** ، مع أنهم ناس من الناس ، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، أي أنهم يمارسون أمور الحياة اليومية كما يمارسها غيرهم ، فاذا أبو الا أن يكون دورهم في مجتمعاتهم منبت الصلة بهذه الأمور فلابد أن يرى فيهم غيرهم من الناس فئة متطفلة على المجتمع ، تعيش من خيره وهي تزدريه وتأنف من الانتساب اليه . وربما كان هؤلاء "الاستقلاليون" معذورين ، لأنهم يعتصمون بهذا الاستقلال المزعوم من سيطرة القوى التي تهيمن ماديا على المجتمع ! قوة الدولة أو قوة الحزب أو قوة الطبقة . **فالاذكياء منهم يخدعون هذه القوى بادعاء استقلالية الأدب والفن .**



د . أحمد هيكل دفاع
عن جهود وزارة الثقافة

لانهم لا يملكون الدفاع عن حريتهم بغير هذه الطريقة . اما الأغرار - وهم كثيرون - فيخدعون انفسهم ، ليعيشوا فى عالم لا سيد فيه ولا مسود .

والى أن يعرف المجتمع - ككل - أن الأدب والفن هما عيناه اللتان يبصر بهما حاضره وماضيه ومستقبله ، فسيظل الأدب والفن معتصمين فى برجهما العاجى ، وسيظل المجتمع مضطربا فى سيره العشوائى ، وسيظل "النجاح" الاجتماعى للأديب أو الفنان مغامرة أو مقامرة ، أو بيعاً للفن فى سوق الكساد !

● وفى بلادنا "النامية" مشكـــلات أخـــــرى ! ●

إن "اغتصاب" الأدب والفن ، ومحاولة الأدب والفن أن يحميا نفسيهما من هذا الاغتصاب ، مشكلة عالمية . ولكن بلادنا ، كغيرها من البلاد "النامية" لها قبل ذلك وفوق ذلك ودون ذلك مشكلات ثقافية أخرى ، ترجع فى مجملها الى التخلف الذى من أجله سميت بلاداً "نامية" . وأهم مظاهر التخلف هو الفقر : فقر الأفراد وفقر البيئة وقد احسن الوزير الأديب وصف الفقرين حين تحدث عن ثمن الكتاب وثمن رغيف العيش ، وعن صعوبة العثور على محل لوقف السيارة اذا قرر الواحد منا ان يذهب الى مسرح . ولا أدرى كيف يمكن أن تعالج وزارة الثقافة مشكلات بهذا الحجم . ولكننى أظن أن اتخاذ موقف واضح من المشكلة الأولى يمكن ان يهدينا الى بعض الحلول للمشكلات الأخرى التى تخرج عن قدرة وزارة الثقافة بما هى وزارة ثقافة ، أو المثقفين بما هم مثقفون . إن الوزير يصرح - وهو أولاً وقبل كل شىء الدكتور أحمد هيكل الاستاذ الجامعى والناقد والشاعر - باعتقاده أن الثقافة ضرورة وليست رفاهية . هو يتفق معنا اذاً حول مفهوم الثقافة (ولم نكن نتوقع غير ذلك) . ولكننا نحب أن نزيد قليلا على هذا المفهوم ، أو أن نوغل فيه ، فنقول إن الثقافة "شرط" للحياة ، وليست مجرد ضرورة . ثمة فرق بين الشرط والضرورة . فالضرورة اعتبارية ، بمعنى أن بعض الضروريات يمكن ، فى ظروف معينة ، أن تعد من الكماليات ، كما أن بعض الكماليات يمكن أن تعد ضروريات . أما الشرط فهو ما لا يتحقق الشىء بدونه . أى ما يوجد الشىء بوجوده وينعدم بعدمه . ومعنى ذلك اننا نزعم أنه لا توجد حياة (والمقصود بالطبع هو الحياة الانسانية) بغير ثقافة ، سواء وجدت وزارة للثقافة أم لم توجد ، بل سواء وجدت طوائف المسـرحيين ، والسينمائيين ، ومؤلفى الكتب وناشريها ، أى باختصار أهل صناعة الثقافة بفروعها المختلفة ، أم لا توجد ولا طائفة منهم . والدكتور احمد

تدبير أمور الثقافة

هيكل يعرف كما أعرف ، وأحسن مما أعرف ، أن العرب فى الجاهلية كانت لهم ثقافة ولم يكن لديهم مسرح أو سينما ، بل كانت الكتابة نفسها - بمعنى الخطّ على الأحجار أو نحوها - شيئا على هامش ثقافتهم . وسيجد الناس فى كل زمان ومكان وسيلة ما لتبادل المعلومات والأفكار والمشاعر ، ونقلها من جيل الى جيل ، وهذه هى الثقافة .

● إذن لماذا الانزعاج ؟ ●

إذا ارتفعت تكاليف الكتاب ، وبلغ الأمر ببعض القراء أن يختاروا بين شراء كتاب وشراء خبز للعيال (والواقع اننا مازلنا بعيدين عن ذلك جدا) فلا يجب أن ننزعج .

وإذا توقفت المسارح عن تقديم عـروضهـا ، وأغلقت دور السينمـا أبوابها واشتغل المؤلفون سمكـرية ، والممثلون صانعى أحذية ، والمصورون بائعى روبابيكيا فلا يجب أن ننزعج .

انا أعلم أن هذه كلها فروض مستحيلة ، عادة إن لم يكن عقلا ، ولكننى أقول : حتى لو فرض أن هذا كله قد حدث فلا يجب أن ننزعج .

إنما يجب أن ننزعج لشىء واحد : أن تتوقف إرادة الحياة .

فالذين تهمهم أمور الثقافة قبل أى شىء آخر ينبغى ألا ينسوا أن الحياة ، اى حياة ، تخلق ثقافتها ، لأن الحياة اى حياة لا يمكن أن تقوم بدون ثقافة . وحين توجد ارادة الحياة تخلق الثقافة وتخلق لها وسائلها المناسبة وحين توجد هذه الوسائل يبدأ الفن فى صياغة قوانينه المناسبة لها .

ولكن كلمة "الحياة" كلمة غامضة وأغمض منها "ارادة الحياة" . فأين تكمن هذه الارادة ؟ وكيف تشتعل وكيف تخبو ؟ وهل تبدأ قبل بداية الثقافة أو بعدها أو تبدأ معها ؟ ليس من الضرورى أن نحل اى واحد من هذه الالغاز لنعرف أن إيقاظ الاهتمام بالثقافة (بهذا المعنى الذى شرحناه) يوقظ إرادة الحياة ، مادمنا نسلم بأنهما متلازمان . وإيقاظ الاهتمام بالثقافة لايتحقق الا اذا وجدت ثقافة تتفق مع ظروف حياة الناس . اذا كان فى جسم المجتمع شىء من حياة ، شىء من إرادة الحياة ، ولو كان نبضا يختلج هنا او هناك ، فلابد أن يفرز الثقافة التى هى الصورة الملموسة لهذه الحياة . وربما كان الشعر هو البداية ، ولكنه بداية وحسب . والشعر - البداية ليس مجرد كلام منظوم ، ليس مجرد غناء ، ولكنه تعبير كامل عن شوق الكائن الحى لمقابلة العالم ، ففيه كل بذور الفكر والعمل ، كل بذور الفلسفة والعلم .

لندع هذه القضايا المجردة ولننظر الى الواقع . فى نفس العدد من الهلال مقـال لناقـد سينمـائى من خيـرة المشتغلين بالثقافة فى بلادنا (« اثر الفيديو على السينما » بقلم سمير فريد) يوضح بالوقائع كيف يعاد تشكيل الثقافة فى عصرنا . إن اختراع الفيديو كقناة جديدة بعد التليفزيون يخلق فى الوقت الحاضر فنا جديدا له تقنياته

المتميزة ، بينما تلجىء السينما - مثلما الجأت هي المسرح من قبل - الى تعديل يشمل تقنيات الفن كما يشمل نظام دور العرض كل هذه التعديلات لاتعدو ان تكون إعادة لترتيب البيت : بيت الثقافة الكبير . ولكن لهذا البيت عمادا :

● وعماد البيت هو الكلمة ! ●

بقدر ماجزعت وانتابني اليأس حين قرأت رأيا لمسئول إعلامي عن الفيديو : أن هذا الفيديو يغني عن تعلم القراءة والكتابة في شعب غالبيته من الأميين ! - كانت سعادتي حين قرأت ماكتبه هذا الناقد السينمائي البارز عن ثقافة الصورة وثقافة الكلمة : « سواء في الدول النامية أو الدول المتقدمة فإن تعاظم ثقافة الصورة لاينبغي ان يؤدي الى تدهور ثقافة الكلمات ... » - « إن كتب الديانات كلمات وليست صورا ، والقوانين كلمات وليست صورا وتراث الانسانية من العلوم والآداب كلمات وليس صورا ، حتى مفردات لغة الموسيقى حروف وعلامات مكتوبة وليست صورا » .

فليسمح لي الزميل الصديق الدكتور احمد هيكل أن اشير عليه ببعض مايمكن أن يعمله وهو في كرسي وزارة الثقافة نحو إيقاظ الاهتمام بالثقافة الحقيقية في نفوس الملايين من ابناء هذا الشعب :

أولا - ينسى قضية ثمن الكتاب ! فكثير ممن يحتاجون الى الكتاب ويودون فعلا ان يقرءوه ، سوف يصعب عليهم ان يدفعوا فيه ثمنا ما ، حتى الاثمان الرخيصة نسبيا التي تباع بها كتب الهيئة . إن وزارة الثقافة تستطيع ان توفر جزءا كبيرا مما تنفقه على دعم الكتاب اذا قدمت الكتاب الى طالبه بالمجان ! وليس في الأمر لغز ، **ولكن فيه مؤسسة صغيرة جدا ومهمة جدا ، نسيناها في غمرة التغيرات ، والتجـديـدات والشعـارات . اعني المكتبة العامة !**

المكتبة العامة في كل مدرسة ، وفي كل حي ، وفي كل قرية . وهذا كله لايكاد يكلف شيئا . فانا اعلم اننا بلد فقير ! في كل قرية الآن (والدكتور أحمد هيكل ريفي مثلي) دار للمناسبات ، أقامها أهل القرية وزودوها بالكراسي « بالجهود الذاتية » كما يقال الآن ، أو « بالعونة » كما كان فلاحونا يقولون . ولاتحتاج إلا إلى بضعة أصونة لحفظ الكتب يمكن الحصول عليها بالطريقة نفسها ، ومتطوع أو اكثر من أهل القرية لتنظيم الاستعارة الداخلية والخارجية .

وفي كل مدرسة فناء كبير أو صغير . ولكنه مهما يكن صغيرا ففيه متسع لصالة تبنى بتبرعات الافراد لتكون مكتبة لتلاميذ المدرسة ولسائر أهل الحي . ولا اقول ذلك عن جهل ، فقد مررت عدة مرات بجانب مجمع للمدارس في مدينة الصحفيين ، ورأيت الأطفال يقفزون من فوق السور ، بينما كنت أحدد في خيالي مكان المكتبة وأضع نظامها . وما يقال عن المدارس ينطبق من باب أولى على قصور الثقافة التي يبدو أن المكتبة العامة لاتحتل مكانا مُهمّا بين انشطتها .

ونواة مكتبة القرية او المدرسة أو الحي موجودة منذ الآن . في مخازن هيئة الكتاب . وينبغي ان يفكر احد في بعث هذه الكتب المخزونة ولاينتظر بها

تدبير أمور الثقافة

حتى يبعث من في القبور . ولا اظنني بحاجة الى الدخول في مزيد من التفاصيل لأثبت أن من السهل إنشاء شبكة من المكتبات العامة الصغيرة تغطي مختلف انحاء القطر ليتحول شعبنا إلى شعب قارىء .

أما المكتبة المركزية ، مكتبة البحث ، فلها حديث طويل !

● ولسنا نتعصب للكتاب ! ●

إن كل من يعتد برأيهم من اهل الثقافة والاعلام لاشك يوافقون على أن عماد الثقافة هو الكتاب . فإهمال القراءة الحرة هو المسئول عن « أمية المتعلمين » التي نعاني منها منذ زمن طويل واطفالنا وشبابنا يمرون بالمرحلة المدرسية والجامعية واكثرهم لا يعرف من الكتب سوى الكتاب المدرسي والكتاب « المقرر » والنتيجة سوقية في التفكير والتعبير تصلح للتندر بها (وقد سمعت ، قديما ، بعض هذه النوادر من الدكتور هيكل) . والقلة النادرة بيننا هي التي تعرف ان الثقافة عمل يمتد طول العمر ، ولاينتهي بانتهاء مرحلة التعليم . لهذا تحولت قنوات الاعلام الحديث عندنا الى وسائل للتسلية لاغير (فيما عدا نشرات الأخبار) . وقد أثبتت زيادة ساعات الارسال للبرامج الثقافية أنها علاج غير كاف . فأكثر الناس يغلقون الراديو او التليفزيون حين يصطدمون ببرنامج من هذه البرامج ، ويبحثون عن أغنية ولو سخيفة ، أو حلقة ولو تافهة .

على اننا لانتعصب للكتاب ، بل نقول ان حل مشكلات السينما والمسرح اسهل بكثير . في صغرنا ، عندما بدأت السينما تنتشر في مصر ، كانت ادارة الدعاية في وزارة الصحة تبعث افلاما وأجهزة عرض تطوف بالقرى . وقد شاهدنا وسمعنا ، صغارا وكبارا ، في مصر وفي خارج مصر ، حفلات تمثيلية وموسيقية تقام في الهواء الطلق . فماذا يمنع ان ترعى وزارة الثقافة نشاطا كهذا ؟

● و « الرعاية » هي الكلمة ! ●

لقد وضعت كلمة « الرعاية » هنا عن عمد .

فوزارة الثقافة ليست اهم الوزارات ـ على الأقل في الوقت الحاضر ـ لأنها فقط تهتم بأمر هو بطبيعته جامع لكل الوان النشاط البشري ، ولا لأنها فقط يجب أن تعمل لايقاظ إرادة الحياة ببعث الحياة في المناطق التي تخصها مباشرة من النظام الاجتماعي ، وبذلك تصبح الهاما وقدوة لسائر المناطق ولكن لسبب ثالث لايقل أهمية عن هذين : وهو أنها يمكن ان تكون رائدة في تشكيل علاقة الدولة بالمنتجين ، وهو ماعبرت عنه ، مؤقتا ، بكلمة « الرعاية » .

إن مصر ، مثل سائر بلاد العالم الثالث ـ ولعلها أيضا رائدة في هذا ـ

مازالت تبحث منذ أن استكملت استقلالها السياسى عن نظام للانتاج يناسب ظروفها . هذا البحث لم ينته بعد ، واغلب الظن انه سيستمر بعض الوقت . ولكنه يسمى فى معظم بلدان العالم الثالث « اشتراكية » ، ويتمثل فى « قطاع عام » مسيطر على معظم الأنشطة الإقتصادية المهمة . آفة هذا القطاع العام هى انه ملك للدولة ، والدولة فى هذه البلدان الحديثة الاستقلال ، كيان ناشىء وعتيق فى الوقت نفسه ، أى أنها تجمع بين ضعفين : ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة !

وبيان ذلك حسبما أرى أن الدولة فى هذه البلدان تحتفظ بآثار العشائرية من ناحية ، فى حين انها - من ناحية أخرى - لم تنجح بعد فى تأصيل نظم الادارة الحديثة . واجتماع هذين الأمرين له مردود سيىء على عملية الانتاج التى تقوم بها الدولة بصورة مباشرة . ويضاف اليهما ، فى مصر خاصة ، نظام بيروقراطى راسخ الجذور منذ عهد الكاتب القاعد القرفصاء .

لا اظن اننا يمكن ان نصل الى النظام الاقتصادى الأمثل فى وقت قريب . ولكننى اظن ان وزارة الثقافة يمكن ان تكون رائدة فى اكتشاف هذا النظام ، او على الأصح ابتكاره ، لانه ، على قدر علمى غير موجود الآن فى أى مكان

فوزارة الثقافة لديها كغيرها قطاع عام يتمثل فى هيئة الكتاب ومؤسستى المسرح والسينما وإذا كان المسرح الجاد بحاجة دائمة الى دعم من الدولة فإن صناعتى الكتاب والسينما صناعتان رابحتان فى معظم البلدان . وكانتا كذلك فى مصر - ولو فى حدود متواضعة - قبل ان تتولاهما الدولة . وقد عادت الدولة ففسحت المجال فيهما للقطاع الخاص ، ولكن مع قصر « الدعم » على القطاع العام ، وزيادة القيود على القطاع الخاص . وصناعة الكتاب وصناعة السينما أحوج من غيرهما الى الابتكار الذى يعنى حرية المبادأة الفردية . ولذلك يحسن ان يكون وضع الدولة بالنسبة اليهما هو وضع الرعاية للمنتجين ، لا وضع المنتج المباشر . وإذا نجحت وزارة الثقافة - ولو على المدى الطويل - فى تقرير النظم المناسبة لذلك فسوف تكون - كما قلت - رائدة فى النظام الاقتصادى أيضا ، لأن الابتكار والمبادأة الفردية لازمان لكل نشاط اقتصادى ، ولو انهما فى الانتاج الثقافى ألزم .

● والمهمة ثقيلة ●

إن مهمة الادارة الحكومية مهمة ثقيلة ، ولاسيما فى بلادنا ، ولاسيما فى هذه الايام بالذات ! ومهمة وزارة الثقافة - بالذات أيضا - ليست فرجة !

أعان الله وزيرها العالم الأديب . فقد مس قلبى دفاعه عن جهود وزارة الثقافة فى هذا الزمن الصعب . وتراءت امامى صورة الرجل الريفى المصرى الصميم ، حين ينصب قامته يبتسم فى هدوء ، قائلا : « مستورة والحمد لله ! » مع أن اهل القرية جميعا يعرفون أن « المُحضر » حجز على الزرع والبهائم هذا الصباح !
أعانه الله !

تعقيب

بقلم: د. محمود إسماعيل

الدروز مسلمون.. ولو كره السلفيون

افسحت « الهلال » في العدد السابق صدرها فنشرت مقالا للدكتور عبد الهادى القزوينى الاستاذ باحدى الجامعات السعودية بعنوان « الدرزية مستقلة » ردا على مقال لنا نشر في ذات المجلة تحت عنوان « الدروز عرب موحدون . أم عجم ملحدون » ؟ في عدد يونيو ١٩٨٦ .

وبرغم ما ينطوى عليه الـــرد من اتهـام « باللاعلمية والخلـط الايديولوجى وتوزيع مفاتيح الجنـة مزاجيا وعدم فطنة الكاتب للبديهيات الاولية سواء فى المنهج او فى فهم التراث واخيرا اتباعه الدعـــاية السياسية الرخيصة » !!

برغم ذلك كله يفسح البـــاحث صدره ايضا ولا يمانع فى الحــوار ايمانا بأن اجراءه فى النهـــاية انفع واجدى من اسلوب المصادرة على الرأى الآخر ..

ودون لجاج ينتهى الدكتـــور الناقد فى مقـــاله الى حقيقتين الاولى ان « الدرزية » ديانة مستقلة عن الحركة الاسماعيلية والثانية : ان هذه الديانة كافرة ..

وكانت عدة النـــاقد فى ذلك استشهادات ببعض المراجع الحديثة السنية التي تتحامل على الدروز بل والاسماعيلية ايضا ، فضـــلا عن كتابات احد الدروز الذى انشق على طائفته ، كذا الاستشـــهاد بنصوص درزية وردت فى كتـــاب مصطفى غالب «الحركات الباطنية فى الاسلام » وذلك بعد تحريفهـــا

وتصحيفها .. واخيرا ذكر بعض المصادر الاصلية السنية لابن حزم والشهرستانى والقلقشندى ، دون الرجوع الى اى منها ...!!

وفضلا عن هذه الاستشهادات اعتمد الناقد منهجا « غوغائيا » « تكفيريا » « مثيرا » ومقعقعا رغم تشدقه بالعلمية والموضوعية .. خاصة اذا ما تعلق الامر بتاريخ الفرق الاسلامية عموما والتى هى فى نظر السلفيين القدامى والمحدثين « كفروهرطقة والحاد » ...!!

لم يشر الناقد البتة الى جهد الباحث فى اثبات كون الدروز عربا وارجو ان يكون قد اقتنع بهذه النتيجة .

اما عن جزمه بان« الدرزيةحركة مستقلة » وليست فرقة اسماعيلية فحسبى اعترافه بانتمائهم الى الحاكم بامر الله « الخليفة ، المفترى عليه » كما ذهب المرحوم عبد الله عنان والدكتور عبد المنعم ماجد المتمرس فى التاريخ الفاطمى فى كتابين لهما يحملان نفس العنوان الذى يرجع نسبه الى على بن ابى طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) . والحاكم بامر الله حسب نص الانطاكى »« اظهر من العدل ما لم يسمع به ... وكان نصيرا للعلوم والاداب » . وحسب حكم عبد الله عنان ـ وهو مصرى سنى موحد وليس درزيا ـ«اشتهر بالزهد والورع والتقوى » .. وحسب راى مصطفى غالب ـ الذى استعان الناقد بكتابه . مؤسس بيت الحكم .. الذى وزع امواله الخاصة على المساجد والفقراء ودور العلم » .. وحسب نص درزى بعنوان « رسالة مباسم البشارات » للكرمانى « لم يكن الحاكم الها بل هو امام وقته ... وهو بشر خلق من الطين وعاش بين الناس » اما ما ورد فى النص من اصطلاحات اسبغت على الحاكم مثل « وجه الله و « يد الله » فتلك رموز اسماعيلية لا يمكن لسافى ان يفك طلاسمها ولا تفهم الا فى اطار المبدا الاسماعيلى الهام « التاويل الباطنى » .

ووفقا لنص اخر صنفه حمزة ابن على الاسماعيلى فى رسالة تحمل عنوان « كشف الحقائق ».. فان صورة الله عند الدروز هى نفس الصورة عند الاسماعيلية بل المسلمين عموما » فهو سبحانه الواحد الاحد الذى ليس كمثله شىء وليس له صاحبة ولا ولد وهو الاول والاخر » ... الخ

يكفر الدكتور القزوينى الدروز تاسيسا على تاثرهم بالغنوصية واعتقادهم بالحلول والتجسد وتناسخ الارواح .. وليعلم الدكتور ان الاسماعيلية عموما فضلا عن بعض الفلاسفةالمسلمين ـ ومن بينهم الغزالى ـ والمتصوفة تاثروا بالغنوصية بدرجة او باخرى .. وتلك حقيقة بديهية لدارس التراث الفكرى الاسلامى .. اتساءل هل كل هؤلاء فى نظر الناقد كفارا ؟؟ ... ليعلم القارىء ان السلفيين يكفرون المتصوفة جريا على مذهب محمد ابن عبد الوهاب .. !! اتساءل : من الذى يوزع مفاتيح الجنة والنار ؟ الكاتب ام الناقد ؟ وتنسحب ذات المقولة على مبدا الحلول والتناسخ الذى لن يفهمه الناقد واترابه بمعزل عن فهم مبدا « التسلسل الروحى للامامة» عند الشيعة كذا مبدا « التاويل الباطنى » الذى لا يستطيع الناقد

ان يتسامح فيه الا « بتكفير معظم فرق الشيعة » ايضا ..

فليعلم الدكتور الفقيه ان اولى تعاليم الاسلام هي عدم تكفير من نطق بالشهادتين ؟ انطلاقا من هذه الحقيقة نقول : « من كفر مسلما فهو كافر » .. « فما هو موقف الدكتور » ؟

وبخصوص النص الذي صحفه الدكتور كقرينة على تكفير الدروز والذي قاله الاخرم ابان صراعه مع بعض الدعاة الاسماعيليين لاسباب شخصية تتعلق بالتنافس على الزعامة حيث قال : « .. من عبد الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لا روح فيه » فقد اردف : « قد قامت قيامتكم وانقضى دور ستركم » .. بذلك يستقيم النص ويفهم في سياقه الصحيح وهو ما تغاضى عنه الناقد متبعا نهج من قال : « لا تقربوا الصلاة » وتوقف .. !! فهل هذه هي الامانة العلمية لنظرى السلفية ؟ !!

لم يكن الخلاف بين الدعاة – كما يذكر مصطفى غالب بحق – حول العقيدة بل حول زعامة المذهب . وهي آفة تنسحب على كافة الفرق المذهبية في الاسلام وغير الاسلام . وحسبنا ان الاخرم صاحب القول السابق قد قتل على يد خصومه .. واليك شهادة مؤرخ نصراني حيث قال : « لقد لعن الدعاة بعضهم بعضا وكفر كل فريق منهم الاخر » .. تماما مثل ما فعله الدكتور المسلم حين كفر الدروز المسلمين .. –!

اما قول الناقد بتكفير الدروز لعلي بن ابي طالب وذريته فهو لعمري فرية جديدة مضحكة لم ترد حتى عند خصوم الحركة المعاصرين من فقهاء السنة .. اذ كانت التهمة الشائعة التي توجه للاسماعيلية عموما هي « تقديس علي وآل بيته » فكيف بالله يؤله الدروز الحاكم بأمر الله ويكفرون جده علي بن ابي طالب ؟

نفس المفارقة نجدها في حكم الدكتور القزويني بأن عقيدة الدروز « لاعقلانية » في ذات الوقت الذي يلح فيه على ضرب وانتهاك العقلانية فكرا ومنهجا.. واذا سلمنا بحكمه اتساءل عن موقف مذهبه السلفي من العقلانية الم يقل فقيهكم ابن الصلاح « من تمنطق تزندق » ؟ فلم تتباكون الان على العقلانية ؟

وبنفس المنطق اللامنطقي يقولنا الدكتور عالم نقله حين اتهمنا بذكر ان « كل الشيعة يعتقدون بتجسيد الخالق في شخص الامام علي او سواه »..!

ويصل انتهاك المنهج ذروته فيتهم الناقد الكاتب « بالدعاية السياسية الرخيصة » من اجل الدروز الذين يتحاملعلى مواقفهم السياسية المعاصرة مستشهدا في ذلك بلقاءات وليد جنبلاط بشيمون بيريز ..

ان الانصاف العلمي الموضوعي يحفز الى التأكيد على ان الدروز « عرب موحدون » لا عجم مراهقة ولو كره السلفيون . .

حوار ٥ يونيو

بقلم : د. جلال أمين

هزيمة ١٩٦٧.. ومسئولية العوامل الخارجية

كان جمال عبد الناصر ، كما وصفه الشاعر العراقى الجواهرى « عظيم المجد والاخطاء » ولانه كان عظيم المجد والاخطاء فقد اغضب الكثيرين . اغضب اليمين بتأميماته وحراساته ، واغضب طائفة كبيرة من اليسار لانه لم يذهب بالاشتراكية الى نهايتها واغضب المتمسكين بتطبيق الشريعة الاسلامية لانه لم يطبقها ووضعهم في السجون واغضب المتحمسين للديمقراطية لانه لم يكن ديمقراطيا ولكنه اغضب ايضا الاستعمار لانه حاول ان يحقق نوعا من التنمية المستقلة ولانه اشعل الشعور القومي العربي ضد الاستعمار واسرائيل .

كان الوحيد من بين هذه القئات الخمس القادر على ضرب عبد الناصر وعقابه ووضع حد لتجربته هو الاستعمار ، وكان هو بالفعل الذى فعل ذلك بشن حرب ١٩٦٧ . ولكن ما ان تحققت الهزيمة وانكسر عبد الناصر حتى قام كل من الغاضبين الاربعة الآخرين بزعم أن انكسار عبد الناصر انما يرجع الى خصومته معه هو فاليمين زعم ان الانكسار كان نتيجة الاشتراكية وانشغال عبد الناصر بقضايا العرب دون قضايا مصر الداخلية ، واليسار الماركسي زعم ان انكسار عبد الناصر كان نتيجة انه حاول بناء اشتراكية بدون اشتراكيين وأصحاب الدعوة الاسلامية زعموا انه انكسر بسبب ابتعاده عن تعاليم الدين ، والمتحمسون للديمقراطية زعموا انه انكسر لانه فقد حريات الناس . وفرح المجرم الحقيقى فرحا عظيما بان الآخرين حاولوا اعفاءه من المسئولية وسايرهم فى دعواهم : فمن اكثر ما يبهج الاستعماريين القول بان الاشتراكية والديكتاتورية هما السبب فى الهزيمة ،



حوار ٥ يونيو

ومما يبهج اسرائيل القول بأن هزيمة عبد الناصر كانت بسبب انشغاله بقضيته القومية العربية ، وان متاعب مصر الاقتصادية كانت قد استفحلت حتى قبل حرب ١٩٦٧ .

وينتمي الدكتور فؤاد زكريا الى ذلك الفريق المتحمس للديمقراطية والذى يهمه أن يبين ان هزيمة ١٩٦٧ لم تحدث الا بسبب غياب المشاركة الشعبية (انظر الهلال أعداد أغسطس واكتوبر وديسمبر ١٩٨٦) ، بل ويذهب الى حد الزعم بأن عبد الناصر ، بتنكره للديمقراطية لم يترك لمصر شيئا يستحق الثناء من أجله . وكل ما حاولت أن انبه اليه في رد سابق على الدكتور فؤاد زكريا (الهلال : نوفمبر ١٩٨٦) هو أن حب الديمقراطية ليس من الضرورى أن يؤدى بالمرء الى رد كل الكوارث الى غيابها ، والى غض البصر عن كل الحسنات التى قد ينجح فى تحقيقها نظام غير ديمقراطى ، وأن عبد الناصر ، رغم ديكتاتوريته ، قد ترك لمصر الكثير مما يتعين الاعتراف له به ، ومما سيبقى على الزمن برغم كل المحاولات التى بذلت فى السبعينيات لتصفية تجربته ولكن الدكتور فؤاد زكريا مصر عـلـى أن فشل التجربة الناصرية كان كاملا ، بدليل ما حدث فى السبعينيات ، ولو كانت انجازات عبد الناصر حقيقية ومحمية بالمشاركة الشعبية ، ما كان من السهل ، فى رأيه ، الانقضاض عليها وضربها كما حدث بعد وفاة عبدالناصر .. وهو يذهب الى أن الزعم بأن المسئول هو الاستعمار هو موقف استسلامى يرد كل شىء الى القدر المحتوم ، كما لو كنا بصدد مأساة اغريقية .

وليس لدى ما أضيفه الى ما سبق لى قوله الا التأكيد على أن كثيرا من انجازات عبد الناصر لم ينجح أحد فى تصفيته ، (بل واكاد أقول . انه لن ينجح أحد فى تصفيته) رغم كل ما ارتكبته السبعينيات . وقد ضربت لذلك أمثلة من قبل كاطلاق شرائح واسعة من الطبقات المغبونة من عقالها ، والسماح لها بالتطلع الى مستقبل أفضل كان يعتبر قبله من قبيل المستحيل ، ووصل الصناعة المصرية بالصناعة الحديثة ، والتوسع فى التعليم واصلاح الاراضى ، الى غير ذلك مما لم يشأ د. فؤاد زكريا أن يرد عليه ولا أن يعترف به .

كما أن من المشكوك فيه جدا أنه حتى ما تم تصفيته من انجازات عبدالناصر ، كتجربة الاستقلال الاقتصادى ، واستقلال السياسة الخارجية وعدم الانحياز ، ورفض الصلح مع اسرائيل ، ودعم مصر لقوى التحرر فى العالم الثالث ، وقيادة مصر لحركة التوحيد العربى ، كان من الممكن حمايته الى الأبد لو كان نظام عبد الناصر ديمقراطيا ، فاستمرار النجاح فى كل هذه المجالات مرهون ليس فقط بظروف مصر الداخلية ونظام الحكم فيها ، بل مرهون أيضا ، وفى الأساس ، بالظروف الدولية التى تطبق هذه السياسات فى ظلها ، كالتغير الذى يطرأ على موازين القوى فى العالم ، وتغير المصالح الاقتصادية فى الدول الصناعية ، ودرجة الضغوط التى تمارسها الشركات الدولية .. الخ ومن

الصعب جدا الزعم بان ما طرا من تغيرات على العالم خلال السبعينيات، وادى الى تغير صورة العالم بأسره ، من شيلى الى الصين ، كان يمكن ان تتصدى له مصر لو انها فقط مارست اسلوبا ديمقراطيا فى الحكم ٠

ان ما يتسم به معظم الكتابات عن تجربة عبد الناصر ، من افراط فى الادانة او التمجيد على السواء ، يعود فى رأيى الى تجريد هذه التجربة عن الظروف الدولية التى احاطت بها ٠ فالافراط فى تمجيد عبد الناصر يتجاهل ان كثيرا من انتصاراته قد سهلته ظروف دولية مواتية (كتاميم قناة السويس فى ظل حرص الولايات المتحدة على وراثة الاستعمار البريطانى والفرنسى، وكقدرته على الحصول على المعونات الخارجية من كلا المعسكرين باقل قدر من الشروط والضغوط السياسية فى ظل اشتداد حدة الحرب الباردة بينهما ، وبخاصة فى اشعال الشعور القومى العربى فى فترة انهيار الاستعمار التقليدى ٠٠ الخ) ٠ كما أن الافراط فى الهجوم على عبد الناصر يتجاهل ما حدث من انحسار ، منذ منتصف الستينيات ، لكل هذه الظروف المواتية٠ ففى نفس الوقت الذى ترك الاتحاد السوفييتى فيه مصر تتعرض لحرب ١٩٦٧ ، لوأد تجربة عبد الناصر دون ان يستخدم ما بيده من وسائل لمنعها، تركت الولايات المتحدة تشيكوسلوفاكيا تتعرض لهجوم الدبابات السوفييتية لوأد تجربة دوبشيك دون ان تستخدم بدورها ما بيدها من وسائل لمنعه ٠ فتصوير عبد الناصر كما لو كان هو الذى جلب الانتصار ، هو تصوير خاطىء من اساسه ، لانه مصور الارادة المصرية وكانها تتحرك فى فراغ لاتخضع فيه لاى قيد من الظروف الخارجية ٠

من اين اذن يتاتى القول بأن عبد الناصر كان « عظيم المجد والاخطاء »؟ انما يأتى لعبد الناصر المجد لا لأنه خلق الظروف المواتية خلقا ، وانما لانه بسبب حسه الوطنى القوى ، وحبه الحقيقى لوطنه ، ولان طموحاته كانت طموحات قومية لا طموحات فردية ، حاول ان يستفيد باكبر قدر ممكن من هذه الظروف الدولية المواتية ٠ واما اخطاؤه فلعلها تكمن ، لا فى انه كان فى استطاعته تجنيب مصر الهزيمة فلم يفعل ، ولا فى أنه دخل معارك كان الاجدر به ان يتجنبها ، وانما فى انه لم يحاول الاستفادة باكبر قدر ممكن من تاييد شعبه له ، الامر الذى ما كان يكفى فى اعتقادى لتجنب الهزيمة وانما ربما كان من شانه تخفيض حجم الخسائر التى ارتبطت بها ٠

هل يمثل هذا الرأى بالضرورة موقفا استسلاميا ؟ ويحول القصة بالضرورة الى ماساة اغريقية ؟ لا اظن ذلك ٠ فالتاكيد على مسئولية العوامل الخارجية قد لا يعنى اكثر من محاولة لتوجيه النظر الى العدو الحقيقى ، الذى تستدعى مقابلته جهدا اكبر بكثير من الدعوة الى الديمقراطية ، وقد يستغرق زمنا اطول بكثير مما يتصور الدكتور فؤاد زكريا ، ويتطلب جهدا فى ميادين اخرى كثيرة (بالاضافة الى ميدان الديمقراطية) كالاقتصاد والثقافة والتعليم ٠٠ الخ ٠ قد تكون الديمقراطية شرطا للنجاح فى كل هذه الميادين ولكنها على الارجح ليست شرطا كافيا ٠ ومع ذلك ، فايا كان خلافنا مع د٠ فؤاد زكريا فان مما يجب ان تطيب به نفسه هو انه هو نفسه احد هؤلاء المناضلين الشرفاء فى اكثر من ميدان من هذه الميادين ٠

الملل والنحل

البحث عن الأباضية:
في الجزر والواحات
والأطراف البعيدة

سر الوحدة في عمان وزنجبار ووادي مزاب ونفوسة وسيوه

تقديم مصطفى نبيل

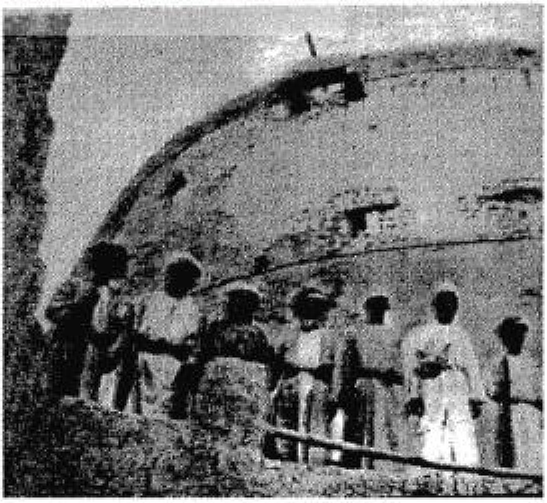
نسعى عند معالجتنا للفرق والمذاهب الاسلامية إلى اكتشاف آفاقها في عالمنا العربي والاسلامي ، باعتبارها دليلا على ثراء الفكر الاسلامي وقدرته على البقاء والتعايش ، مدركين أن المنطقة العربية تتجه ـ في زماننا الراهن ـ نحو التمزق والفرقة ..

وتستهدف محاولتنا إلى رأب الصدع ، وتضييق دائرة الخلاف ، وتقليل آثار هذا الانقسام ، الذي يعود أساسا إلى الجهل بهذه الفرق ، أكثر مما يعود إلى مواطن الفرقة والخلاف .

وفي محاولتنا التعرف على الأباضية ، تلك الدعوة التي ظلمها التاريخ ، فقد شاء قدر المذهب الأباضي أن يظل خارج دائرة الضوء ، بسبب كمونه في المناطق البعيدة ورحيله إلى الجزر والواحات وسط الصحراء ..



المتحف البشري او التاريخ الحي . فالبشر بلحاهم وملابسهم وعمائمهم صورة من الماضي .



الخناجر على الخصور والحصون فوق الجبال . تعبير صادق عن موقع عمان في الركن البعيد من الجزيرة العربية .

البحث عن الأباضية

ويبرز المذهب الاباضى عبر ١٤ قرنا باعتباره دعوة صريحة للمساواة ، فمن حق أى مسلم أن يتقدم الصفوف وأن يتولى القيادة ، ويدعو المذهب للخروج على الامام الجائر ، وهو بذلك فكر سياسى أكثر منه مذهب فقهى .

سنتنقل بين عمان وحضرموت وزنجبار ووادى مزاب فى الجزائر وجبل نفوسه فى ليبيا ، مستعرضين تاريخ أبناء المذهب راصدين حياتهم وفنونهم ، لا نقتصر على العودة إلى الكتب القديمة التى يمكن أن تحمل آثار معارك الماضى الدامية ، ولن نقتصر على مقولات فقهاء المذهب ، فكثيرا ما تجنح بعض المذاهب إلى الكتمان !

● صور تاريخية فذة ●

والبداية فى عمان ، ذلك المتحف البشرى الذى مازالت قلاعه وجباله وأزياء أهله كأنها قطعة من التاريخ ، ومازالت أبرز معالمها القلاع فوق الجبال وعمارتها المطرزة القديمة التى تغلب على كل محاولات التحديث التى تعيشها ، يجذبك اليها الدور العمانى فى حمل التراث الاسلامى إلى أقصى الأرض ، وتصادف أن كان مدخلى إليها زيارة لجزيرة زنجبار ، وشاهدت آثار الأباضية بعد إسدال الستار على المجد العربى الذى شهدته الجزيرة عندما وصل إليها العمانيون ، بعد أن حملوا الحضارة العربية إلى شواطىء وجزر آسيا وأفريقيا ، وجاب أسطولهم البحار والمحيطات ..

يستوقفنى فى مدن عمان شذرات من الفن العربى ، وعلامات التاريخ الباقية ويستهوينى البشر بلحاهم وملابسهم البيضاء ، وعمائمهم المميزة ، لقد نحتوا بأيديهم كل شىء ، الجبل وواجهات البيوت ، بل والأبواب والنوافذ ، حتى الخناجر والأساور والمكاحل .

وحيثما تجولت فى مسقط أو نزوى أو صحار ترى النقوش الأخاذة التى تصنع من الجبل والقلاع ومياه البحر صورا تاريخية فذة ، وتشعر أنك فى بلد له جذور ضاربة فى أعماق التاريخ ، وترى تأثير موقع عمان فى الركن الجنوبى الشرقى لجزيرة العرب ، فى تلك الحصون فوق الجبال ، وفى الخناجر العمانية التقليدية على الخصور ، وكأن طبيعة الصخور تسللت إلى شخصية كل منهم ، يواجه بها غزوات المعتدين ..

ومع ذلك عندما تتحدث إلى الأهالى ، فكأن الدنيا تعود بك إلى حياة البراءة والسماحة والسلام .

« إن الشخصية الأباضية هى مفتاح شخصية عمان » .. هذا ما ردده عدد من الباحثين ، فعمان تعتبر الوطن الأم للأباضية ، الذين احتموا فيها بمذهبهم ، يفصلهم عن بقية الجزيرة العربية ، الربع الخالى ، حد عمان الشمالى والغربى والذى يشكل حاجزا طبيعيا ، فهى مثل الجزيرة تتصل بالبحر من جانب وبالصحراء من بقية الجوانب ..

لذلك جاء تاريخها متفردا وبقت دائما بعيدة عن مركز الدولة الاسلامية ، وكثيرا ما انفصلت عن الخلافة الاسلامية ، هذا

ما وقع بعد خلافة « أبو بكر » وعمر وعثمان ، ولم تقف الدولة الأموية ومن بعدها الدولة العباسية مكتوفتي الأيدى ، فعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان استخدم الحجاج بن يوسف الثقفى واليا على العراق ، سعى الحجاج لاستعادة عمان ، ولم ينجح إلا بعد إرساله جيشا انتصر على سليمان وسعيد الجلندى ..

وبعد وفاة الوليد بن عبدالملك والحجاج ، عاد أهل عمان يمارسون استقلالهم من جديد .

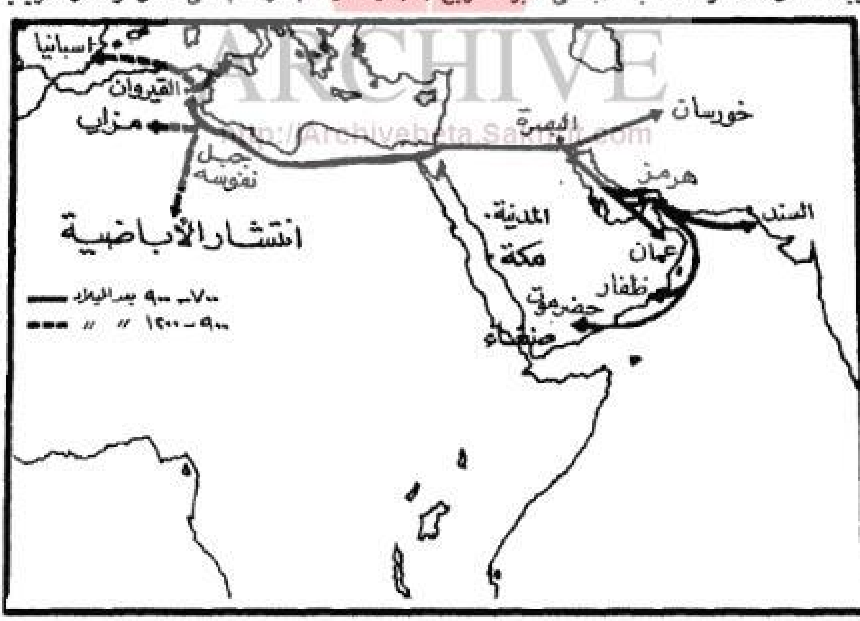
وظلت عمان بعيدة عن الحكم الأموى وبعد قيام الدولة العباسية تولى الجلندى ابن مسعود الامامة ، وجاهد العباسيون لفرض سلطانهم عليها ، وقامت حروب ضارية بين الجوش العباسية والجلندى بن سعود وجيشه ، انتهت باستشهاد الجلندى وأصحابه .

ويذكر المؤرخون العمانيون .. « ان عمان بقيت ، بعد استشهاده حوالى أربعه وأربعين عاما ، فى يد « الجبابرة » من بنى الجلندى ، منقادين لأمر بنى العباس إلى سنة ١٧٧ هـ ثم رجعت الدولة للمسلمين .. » !

كما يذكرون انه بعد سقوط الدولة الأموية فى سنة ٧٥٠م . انتخبوا أول إمام لهم عام ٧٥١ م ـ ١٧٧ هـ وظل العمانيون حوالى تسعمائة عام ينتخبون ائمتهم على أساس ما يتمتعون به من مزايا شخصية ، وينالونه من تقرير عام ، بصرف النظر عن أى إعتبار آخر ، ومنذ الجلندى بن مسعود عام ٧٥١م حتى ناصر بن مرشد اليعربى عام ١٦٢٠م ..

واستمر هذا الوضع المتفرد وعندما قامت الدولة العثمانية ، لم يمتد إليها الحكم العثمانى كما امتد إلى غيرها من الأقطار العربية الاسلامية .

خريطة تنقل انتشار المذهب الاباضى عبر التاريخ والبداية من البصرة ثم الى عمان وشمال افريقيا



البحث عن الأباضية

هذه هى الخطوط العريضة لمسار التاريخ العمانى ..

● متى ظهرت الأباضية ؟

وكما تلقى عمان الضوء على المذهب الاباضى ، يلقى المذهب الاباضى بدوره الضوء على مسارها التاريخى ، لقد ظهر المذهب الاباضى مع واقعة التحكيم بين على كرم الله وجهه ومعاوية . وإبتداء من واقعة التحكيم بدأ ظهور نظرية الشيعة فى الإمامة ، وقول الخوارج « لا حكم إلا الله » ..

ورفض الأباضية انقسام المسلمين حول الخلافة ، ونادوا بانتخاب خليفة عن طريق الشورى دون اعتبار للنسب او الأصل ، ورفضوا شرط القرشية كاحد شروط الخلافة ، وهو أول صراع سياسى يلبس ثوبا دينيا ..

وتقول الدكتورة سيدة الكاشف .. « يعتبر « جابر بن زيد أبو الشعثاء » مؤسس المذهب والفكر الأباضى ، والذى الف موسوعة « ديوان جابر » .. فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، ونفى الحجاج ابا الشعثاء إلى وطنه عمان ، وكان ذلك من أكبر العوامل التى ساعدت على انتشار علم ومبادىء جابر بن زيد بين العمانيين ، وعند وفاة جابر بن زيد كانت الدعوة الأباضية قد بدأت تزدهر وتجذب اليها العديد من القبائل ، ثم تمتد بعد ذلك إلى اليمن وحضرموت وشمال افريقيا ..

اما الدكتور خليفات فيقول فى كتابه الأصول التاريخية للفرق الأباضية . شهد أبوبلال زعيم هذه الجماعة المعلن ، معركة صفين مع على بن أبى طالب ، وأنكر التحكيم ، واشترك فى معركة النهروان ، وانسحب مع نفر من أصحابه ، واقام مع أبناء عمومته من قبيلة تميم الذين كانوا يشكلون جزءا هاما من سكان البصرة آنذاك .. »

ويكمل قصة « أبو بلال » ، المستشرق يوليوس فلهوزن فى كتابه الخوارج والشيعة ، يقول .. « خرج أبو بلال فى اربعين رجلا إلى الأهواز سنة ٦٠ هـ ، عندما رأى انه لا يحق له أن يعيش فى البصرة فى ظل سلطان جائر ، ولم يتعرض لاحد بسوء ، ولم يعتد ودافع عن نفسه ضد المعتدين ، ففى آسك موضع بين رامز وأرجان ، قاتل الاربعون رجلا الذين معه جيشا مؤلفا من ألفى رجل اضطروهم الى الفرار ، ولكن هزم بعد ذلك أمام جيش كبير بقيادة عبادة بن الأخضر ، حمل عليهم أبو بلال وأصحابه وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم .. وأثر مقتله أبلغ الأثر على أبناء هذا المذهب ..

● وكان عبدالله بن أباض ممن عاصروا الامام جابر بن زيد ، والذى استطاع أن يدافع عن اراء جماعته علنا ، وجاءت التسمية فى البداية من مخالفيهم ، ثم أخذت تظهر فى كتاباتهم بعد ذلك ..

وتعود الدكتور سيدة الكاشف وتكمل صفحات التاريخ .. « قام أبو عبيدة مسلم ابن كريمة التميمى ـ الذى كان زنجيا أسود اللون أعور ـ باعداد « الدعاة » الذين يقومون بالدعوة وخاصة فى البلاد البعيدة النائية ، الواقعة فى أطراف الدولة الاسلامية ، بعد أن أصبح مرجع الأباضية بعد جابر بن زيد » ..

وتمضى الحلقات ، وتقوم الأباضية فى

حضرموت واليمن على يد عبدالله بن يحيى الكندى المشهور بطالب الحق فى سنة ١٢٩هـ (٧٤٦م) ، بعد أن بذر أباضية البصرة بذورهم فى جنوب الجزيرة العربية ، وكان عبدالله بن يحيى فى حضرموت على صلة وثيقة بهم ، أراد أن ينتفض على جور الحكام وشجعه المقيمون فى البصرة على الخروج ، وأقبل إليه من هناك أعضاء بارزون ، وأظهر لين الجانب فاستطاع أن يمتلك قلوب أهل اليمن ، وأكد أنه لا اختلاف بين مذهبه ومذهب أهل السنة والجماعة فى الجوهر . وعند نهاية عام ١٢٩هـ بعث إلى مكه بجيش - يتكون من ألف رجل على رءوسهم عمائم سود وحمر ، فى موسم الحج ، ولم يشأ أن يبدأ القتال إلا بعد أن هوجم برمية على أحد رجاله .

وكانت معركة قديد ، مما جعل الطريق مفتوحا بغير قتال إلى المدينة ، وزحف إليه جيش أموى فى مستهل جمادى الأول سنة ١٣٠هـ يبلغ تعداده أربعة آلاف ، وانتظرهم الأباضية فى وادى القرى فهزموا وقتل معظمهم .. »

وقد قام باسم الأباضية عدد من الدول هى :

● عمان ، والتى حملت المذهب إلى زنجبار بشرق أفريقيا عندما كانت مسقط وزنجبار بلدا واحدا .

● دولة قامت فى ليبيا عام ١٤٠هـ ، ولم تعمر طويلا فانتهت بعد نحو ثلاث سنوات ، ومازالت ليبيا تضم عددا من الأباضية فى جبل نفوسه ..

● دولة قامت فى الجزائر سنة ١٦٠هـ ، وبقيت حتى حوالى ١٩٠هـ ، ومازال المذهب الأباضى قائما فى وادى مزاب وجزيرة جربه فى تونس .

● دولة قامت فى الأندلس ولاسيما فى جزيرتى ميورقة ومينورقة ، التى انتهت مع نهاية الأندلس .

● أقوال معاصرة ●

والآن .. كيف يرى المفكرون المعاصرون المذهب الأباضى ..

يقول أحمد أمين عن الأباضية فى كتابه ضحى الاسلام .. « لقد كان فيهم كل العناصر التى تكون عقيدة راسخة ، لا تزعزعها الأحداث ، وتحمس شديد لها تهون بها الأرواح والأموال ، وصراحة فى القول والعمل لا تخشى بأسا ، ولا ترهب أحدا ، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير ولا العظيم إلا خادمها ، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة لا ينحرفون عنها قيد شعرة .. »

ويقول فلهوزن .. « إن الأباضية الين عريكة ، لم يكن هدفهم مع طهارتهم وشدة تمسكهم بالدين ، أن ينتصروا على جماعة المسلمين بالقوة ، بل أن يكسبوهم لمذهبهم .. »

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه المذاهب السياسية ..

« الأباضية هم أتباع عبدالله بن أباض ، وهم أكثر الخوارج إعتدالا ، وأقربهم إلى الجماعة الاسلامية تفكيرا فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ، ولذلك بقوا ، ولهم فقه جيد ، وفيهم علماء ممتازون ، وتقيم طوائف منهم فى بعض واحات الصحراء الغربية

البحث عن الأباضية

وبعض آخر فى بلاد الزنجبار ، ولهم آراء فقهية ، وقد اقتبست القوانين المصرية فى المواريث بعض آرائهم ، ولهم فقه معروف ، ولهم جهود فى تحرير مذهبهم .

وجملة آراء الأباضية :

- إن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ، ويسمونهم كفارا ، ويقولون عنهم إنهم كفار نعمة لا كفار فى الاعتقاد ، وذلك لانهم لم يكفروا بالله ، ولكنهم فى جنب الله تعالى

- دماء مخالفيهم حرام ، ودارهم دار توحيد وإسلام ، إلا معسكر السلطان ، ولكنهم لا يعلنون هذا ، فهم يسرون فى أنفسهم أن دار المخالفين ودماءهم حرام .

- لا يحل من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل والسلاح وكل ما فيه من قوة فى الحروب ويردون الذهب والفضة ..

- تجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث معهم ، وفى هذا كله يتبين اعتدالهم وإنصافهم لمخالفيهم .. » .

ويلاحظ أن العديد من الكتب الحديثة التى تعالج الموضوع ويكتبها أصحاب المذهب الأباضى ، تستنكر نسبة أبناء المذهب الأباضى إلى الخوارج ، ولعل ذلك لدلالة اللفظ التى يمكن أن تعطى مدلول الخروج على الاسلام ، أو يفهم منها أنهم مثل الخوارج الأزارقة والصفرية الذين يكفرون غيرهم من أبناء المذاهب الأخرى ، والذين أحلوا دماء مخالفيهم ، والذين لا يجمعهم مع الأباضية سوى استنكار التحكيم ورفض شرط القرشية ..

● وادى مزاب ●

وننتقل فى قفزة واحدة من عمان فى المشرق إلى وادى مزاب فى المغرب ، نستكمل التعرف على أبناء المذهب الأباضى ، أولئك الذين فروا بعقيدتهم فى الصحراء ..

لم يكن الوصول إلى وادى مزاب سهلا فهو يبعد عن الجزائر العاصمة بحوالى ٦٠٠ كيلو متر فى قلب الصحراء ، وهناك يمتد امامك وادى مزاب ، وترى مدنه القائمة فوق التلال التى اقيمت بنظام دقيق ، فى أعلى قمة التل يقوم الجامع بصومعته المربعة بطرازها الخاص ، وهى على نفس طراز أقدم المساجد القائمة فى الجزيرة العربية ، وهو مسجد سيدنا عمر فى منطقة الجوف ، تتحلق حول الجامع بيوت الأهالى ، تهبط التل ، كل حلقة بارتفاع واحد. وطراز معمارى خاص ، والعمارة تشبه عمارة شيبان ، وسيئون فى حضرموت ، ويغلب على المدينة المزابية اللونان الأزرق والأبيض ، وعندما تصل المدينة إلى نهاية التل يحيطها سور من

حوله ابراج على مسافات متساوية .. ويحيط بها اللون الاخضر لأشجار النخيل فى خلفية المكان على امتداد الوادى .

وقد ساهم فى إقامة هذا الوادى ومدنه كل من العقيدة والبيئة والتاريخ .

ففى هذا المكان البعيد عن العمران وسط الصحراء وبين الجبال الجرداء الصخرية ، تكونت مع الأيام هذه المدن فى بطء وصبر ، وكأنها خلية نحل فى التنظيم والتنسيق والنظام .

وساهمت عزلته فى تكوين طابعه الخاص ، وقد ساهمت حالة التوجس التى عاشها هذا المجتمع فى دفعه للإيغال فى التمسك بالماضى .وأمده بطاقة تاريخية على الاستمرار ، وشحذ الذاكرة التاريخية لأهل مزاب وجعلها حادة واضحة ..

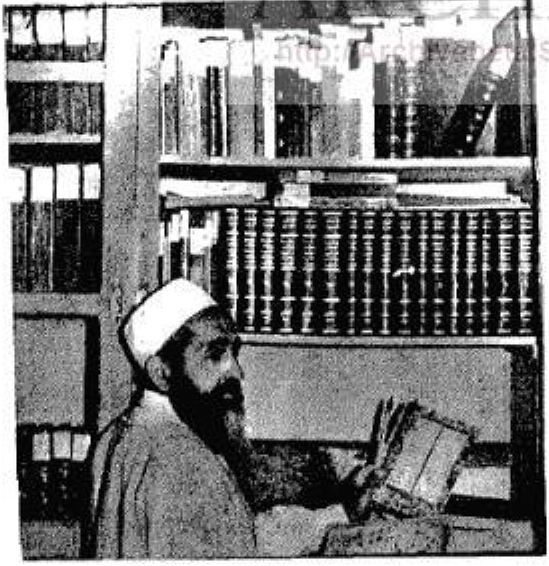
وفى هذا الركن المفقود من الصحراء تتوزع مدن مزاب الخمس وهى غرداية (غار ـ دايه) ومليكه اسم إبنة أحد الحكام ، والعطوف وبنى يزقن وبوتورة فى دائرة لايزيد نصف قطرها على سبعة أميال فوق خمسة تلال . وقد نشأت هذه المدن فى فترات زمنية متتالية .

إن قرى مزاب هى بقايا دولة بنى رستم الأباضية ، والتى تمثل قصة قيامها وانهيارها فى وجدان أبناء الوادى الحلم الضائع والجنة المفقودة .. ! وقد استمرت هذه الدولة حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، يوم كانت « تاهرت » هى عاصمة الدولة الرستمية ، وامتدت لتشمل كل المناطق الداخلية ، وحدودها الأراضى الوعرة والصحراء الشاسعة ، والتى وصلت حتى مشارف طرابلس الغرب .

ترى أمامك قرى بعمارتها ودروبها وأسوارها وأبراجها وعادات أهلها وتقاليدهم ولباسهم المميز ـ العمة والسروال ـ ولحاهم الطويلة ، وكأنهم استمروا هكذا لم يتغيروا منذ ما يقارب التسعمائة عام ، تكاد تختفى المرأة من أزقة هذه القرى ، ولا تجد فى هذا المجتمع أميا واحدا ، ويندر أن تجد فيه ، بخلاف مدن الساحل ، من لا يتحدث اللغة العربية بطلاقة إلى جانب اللغة البربرية المحلية ، مجتمع يأخذ نفسه بالشدة ويتمسك بتعاليم الدين الحنيف .

وساهم الماضى فى أن يتمسك أفراد هذا المجتمع بكل ما فروا من أجله الى الصحراء ، مما يؤكد أن الاضطهاد والملاحقة لم يقضيا يوما على فكرهم ، بل ساهما فى الحفاظ عليه والتمسك به ، وأكثر ما يلفت النظر بعد البشر ونظمهم طراز العمارة التى يؤكد المعماريون أن وادى مزاب يضم المجموعة الاسلامية الهندسية الرئيسية فى الصحراء وأقدمها جميعا ، والتى تتميز بدقة وجمال ، لا فى

مازالت للمخطوطات مكانة عالية عند أبناء المذهب الاباضى . الشيخ صالح برملال فى مكتبة الشيخ اطفيش .



المساكن وحدها بل فى أعمال الرى والدفاع

تبدو عمارتها وكأن المعمارى كان يطوع الحجر ويلاينه ويخرج منه العمل الفنى الذى جمع بين الابداع والبساطة . فالمبنى على ذات شكل الحجر ويتسق مع البيئة من حوله وترى هنا كيف تمثل الزخرفة الفطرية القديمة جمالا باقيا . لم تصل إليه بعد التشكيلية المصطنعة الجديدة . ولديهم تقليد فريد بالا يقوم فى المدينة سوى جامع واحد . يتسع مع اتساع المدينة . ويأخذون بفكرة القبلة المفتوحة التى تتجه إلى الفضاء الواسع .

ووحدة الجامع تعنى لديهم وحدة المجتمع والعقيدة .

نظام الرى : كان على بقايا الدولة الرستمية اللجوء إلى مكان يصعب على غيرهم الوصول إليه . ولا تغرى ندرة المياه سواهم من العابرين . واختاروا قلة المياه مع الشعور بالأمان . وسرعان ما تطور الأمر بالجهد فى توفير المياه وتخزينها . وأصبح لديهم نظام فريد لتخزين المياه وتوزيعها . والسدود القائمة يعود تاريخ بعضها إلى سبعمائة أو ثمانمائة عام . وتهدف إلى تخزين وتحويل مجرى المياه فى الوادى لرى كروم النخيل . واحتاج توزيع الكميات المحدودة من المياه الى معرفة جيدة بالأراضى وأساليب متطورة لريها . ووضع نظام صارم يحقق عدالة توزيعها . وقد تمكنوا من أن يحفروا فى الوادى ما يزيد على أربعة آلاف بئر .. يتراوح عمقها بين ٢٥و٦٠ مترا . وغرسوا ١٧٠ ألف نخلة .

وقال أحد أبناء الوادى وهو يقف أمام بئر عتيقة .. « هذه البئر حفرت على مدى ثلاثة قرون . بدأ العمل الجد وواصله الابن ثم الحفيد وابن الحفيد . وكانت الآلة المستعملة فى الحفر يومها لاتزيد على قرن غزال » ..

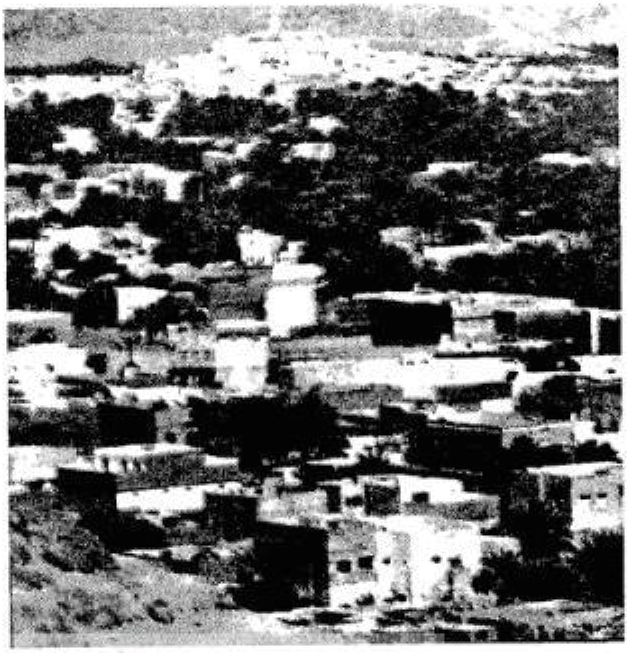
وهنا لا يمكن أن تلاحظ تشابه هذا النظام مع نظام الأفلاج المحكم فى عمان ..

● مدن للانتاج والدفاع ●

تدخل قرية بزقن عبر بوابة يقف أمامها حرس خاص . يصل ارتفاع السور نحو ثلاثة أمتار .. ويبلغ طول السور ألفين وخمسمائة متر . أقامته الحاجة الملحة للشعور بالأمن .. وتلحظ الاهتمام الكبير بالاستعدادات الدفاعية . ليس فى الأسوار والأبراج فحسب . بل فى تخطيط المدينة ذاتها فالأزقة ملتوية . والأبراج أقيمت من أربعة أو خمسة طوابق . أليست هذه مدنا للانتاج والدفاع على السواء ..؟

أول ما تشاهده عند الدخول لافتة تتضمن تحذيرات باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية تطلب الامتناع عن التدخين والامتناع عن تصوير المارة وعدم دخول منازلهم . وارتداء ملابس « الحياء » وعدم تقديم الحلويات للأطفال !

وسيلة المواصلات الوحيدة هى الحمير . التى يمكنها الانتقال فى هذه الأزقة الضيقة . وفى ساحة كبيرة وسط المدينة يجلس الشيوخ بلحاهم البيضاء



الجامع اعلى التل ومركزه البلدة ، تتحلق حوله بيوت الاهالى ، والسور يلتف حول البلدة

صناعة . الزرابى ، وسط الصحر..



البحث عن الأباضية

امام بيوتهم ، ولا يمكن للاجنبي البقاء في بني يزقن بعد الغروب ، وإذا صادف ولمحت أحد نساء مزاب فهن ملتفات بعباءات بيضاء لا يظهر منهن شيء ، والمرأة المزابية تتولى الاشراف على شئون الأسرة فأغلب الرجال يسافرون بعيدا للعمل والتجارة خارج الوادي ، وتكاد لا تخلو مدينة جزائرية من متجر لأحد المزابين ، وساهمت المراة إلى جانب الرجل في مواجهة الظروف التاريخية القاسية ، وهي وحدها التي تصنع تلك المنسوجات الصوفية وتحظر التقاليد على الرجل المشاركة في نسجها ، وتنتج مزاب أشكالا فنية بديعة ، كانت تشتريها في الماضي القوافل ويولع بها اليوم السياح ..

● الدولة الرستمية ●

وحان الوقت لنستعرض معا قصة الدولة الرستمية ..

قامت الدولة الرستمية بعد صراع طويل ، وهي إمتداد لمحاولات شهدها المشرق العربي ، فبعد زوال الدولة الأباضية في البحرين وحضرموت والطائف واليمن سنه ٧٢هـ ، وبعد أن لجأ أصحاب المذهب الأباضي إلى التنظيم والدعوة كبديل عن أعمال التمرد الفاشلة ، بعث الدعاة إلى المناطق البعيدة النائية عن حاضرة الدولة الاسلامية ، هذا بعد تجارب عديدة ، وبعد أن لجأ أباضية المشرق إلى أساليب الدعوة السرية والتنظيم السياسي بعد فشل حركة عبدالله بن اباض التميمي ، وأخذوا يبعثون من مركزهم في « البصرة » دعاتهم إلى الأمصار المتطرفة ، كما أشرنا من قبل ، ونجحت هذه الجهود في جنوب الجزيرة العربية وفي المغرب وهذا ما يفسر التشابه القائم بين عمارة مزاب وعمارة كل من سيئون وشيبان في حضرموت .

انتشر الدعاة في المغرب وأخذوا يدعون لمبادئهم التي تقوم على العدالة وواجهوا العسف والاضطهاد بعد أن قامت مبادئهم على التحريض على الخروج على الأمام الجائر ، والاجماع على جواز الأمامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة ..

« واستقبلت هذه المبادىء بالحفاوة لما تنطوي عليه من تمسك بالشريعة ، وثورية في قوامها السياسي ، وبساطة في جوانبها الفكرية ، كما لقيت مناخا مواتيا في ظروف المغرب الاسلامي وطبيعة سكانه » كما جاء في كتاب الدكتور محمود اسماعيل « الخوارج في المغرب »

وتذكر المصادر الاباضية في كتاب « سير الأئمة واخبارهم » لمؤلفه « ابو زكريا يحيى بن ابي بكر » والذي نشرته وحققته المكتبة الوطنية في الجزائر ..

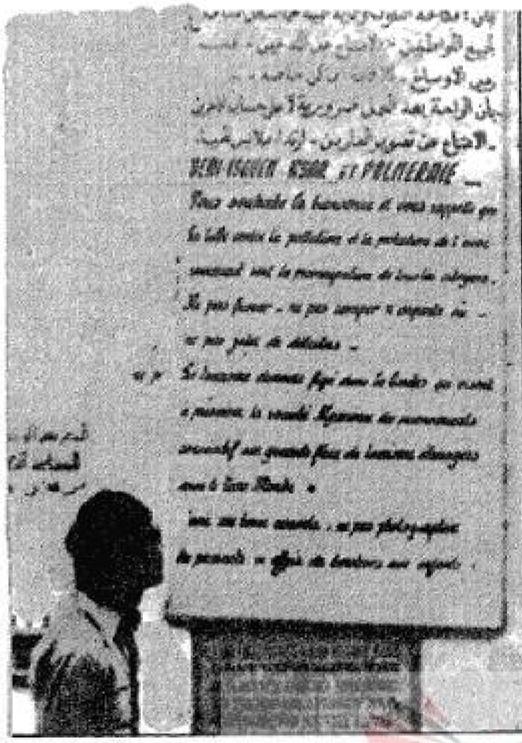
« إن اول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقيا سلمة بن سعيد . واضاف قدم علينا من ارض البصرة ومعه عكرمة بن عباس على بعير .. »

وبعد جهود مضنية نجح عبدالرحمن بن رستم في تاسيس دولة تاهرت سنة ١٦١هـ (٧٧٧ م) ، وامتد نفوذها لتضم اباضية المغرب ، والغريب انه في هذا

الماضى البعيد ومع غياب وسائل الاتصال الحديثة ، كان العالم الاسلامى مترابطا ، إذا انطلقت فكرة من البصرة سرعان ما تجد صداها فى اقصى المغرب ..

وتروى المصادر الاباضية عن تلك الدولة الحلم وتعدد مزاياها ، ويكفى انها كانت دولة ليس لديها جيش نظامى او شرطة يقول أبو زكريا كانت خيول الأباضيين من ممتلكاتهم الخاصة ، فبيت المال ليس تحت تصرفهم ، ويكسبون رزقهم من عملهم ، ولم يكن للامام حرس خاص ، والقاضى يتعرض للاهانة ـ أحيانا ـ من المتقاضين إذا لم يوجد فى القاعة من يتبرع بالدفاع عنه ، كما تروى هذه المصادر باستفاضة تتابع وصول وفود المشاركة من المشرق واعجابهم بحكم الامام عبدالرحمن وما كان عليه من زهو وعدل وورع ، وحرصه على استشارة أهل الرأى فى كيفية توزيع الأموال التى يحملونها له من الشرق ، والتى كانت تنفق فى ثلاثة أوجه ثلث فى الكراع (الخيل) وثلث فى السلاح ، وثلث توزع على فقراء المسلمين وضعفائهم » ..

ومرت تلك الدولة مثل سواها بدورتها الطبيعية ، تبدأ قوية متعافية ويتم التطبيق الكامل للدعوة التى حملها مؤسسوها ، وتنتقل بعد ذلك من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة ، ومع الزمن تدب فيها الخلافات ، وتتخلى بالتدريج عن قيمها الرئيسية ، وتحولت الامامة من الانتخاب الى الوراثة ، وفقدت سر قوتها وصلب دعوتها ، وعادت الأمور سيرتها الأولى ، إلى ذات النهج الذى سبق ودفعهم إلى الدعوة والحركة .. فاذا كان صلب الدعوة



المحظورات ، اول مايلحظه زائر بنى يزقن ، وعليك ان تتجنب دخـول بيوت البلدة ، وارتداء ملابس الحياء وعدم تقديم الحلويات للاطفال !•

أحقية المسلم الصالح للإمامة بصرف النظر عن أصله ..

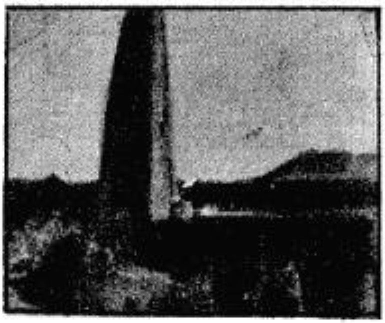
نجد فى المرحلة الأولى الأمام عبدالرحمن يوصى قبل وفاته بتعيين مجلس شورى يوكل إليه اختيار الامام الجديد من بين أعضائه ، ولم يمض الوقت حتى تغير الأمر ، ولم تنجح هذه الدولة سوى فترة قصيرة فى التوفيق بين مطالب الحكم وبين الأعـراف البدوية فى الصحراء فطمعت القبائل فى تولى السلطة ، ونجح محمد بن سالة الهوارى فى الاستيلاء على الحكم لمدة ثمانية أعوام ، واخيرا سقطت مملكة تاهرت على يد أبى عبدالله سنة ٢٩٧هـ (ـ ٩٠٩م) دون قتال بعد أن وصلت إلى ذروة ضعفها ،



البحث عن الأباضية







وكما جاء على لسان ابن الصغير : « .. وكان البلد قد فسد ، وفسد أهله واتخذوا للسكر اسواقا ، والغلمان أخدانا » .. « وكانت قد تعرضت لضربة قاصمة بسبب ما حل بأباضية جبل نفوسه سنه ٢٨٣هـ فى موقعة سانو (قلعة بين قابس تونس وطرابلس ليبيا) ، عندما أجهز الأغالبة على جيوش نفوسه ، وامر أبو عبدالله بإحراق المكتبة الرستمية ، المعصومة » بعد أن انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع ، وأخيرا أضرم النار فى تاهرت ، لذلك يلاحظ اليوم حرص أصحاب المذهب على المخطوطات والمكتبات التى لايرتادها أحد وتوجد فى مكان غير معلوم للكافة » ..

ورغم اختفاء تاهرت قوى المذهب فى صورة جماعات صغيرة مشردة فى الصحراء ، وانتقلت بعض هذه الجماعات إلى واحة وارجلان (الجزائر) ، وعندما هجم المرابطون على الواحة فروا فى منتصف القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى . إلى سدراته ، وعندما دمرت سدراته كانت صيحتهم **افترقوا ولا تتجمعوا ، فما أجتمع منكم ثلاثة إلا**

لـم يفت الرحالة ابن بطوطة ، منذ سبعة قـرون ، التشابه بين عمـان والمغرب ، وهذه ثلاثة جوامع ، الأول ، جامع عمر فى الجوف ، والثانى فى مزاب والثالث فى سيوه ، ويظهر التشابه فى المئذنة المربعة ..

البحث عن الأباضية

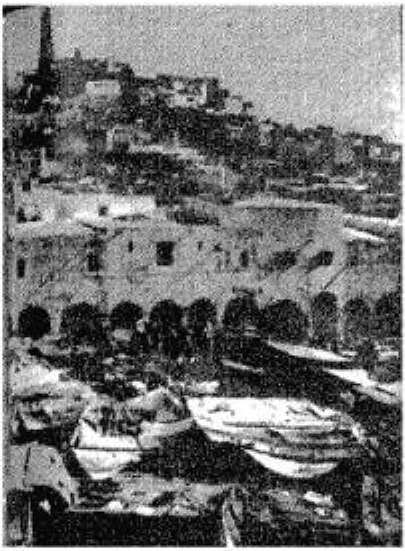
وطلبوا .. » وانتهى بهم الحال إلى وادى مزاب .. وبقيت منهم تجمعات فى كل من جزيرة جربة بتونس ، والساقية الحمراء وتفلالت بالمغرب ، وجبل نفوسه بليبيا » ..

● عرب وبربر ●

ويحلو للعديد من المؤرخين إضافة عامل آخر إلى اسباب الاعتزاز القائم بدولتهم القديمة ، هو انها كانت آخر عواصم البربر ، ومثلما يحاولون ربط المذهب الشيعى بالفرس ، يحاولون ربط المذهب الأباضى فى شمال افريقيا بالبربر ..

يقول الكاتب الفرنسى شارل جوليان فى كتابه تاريخ شمال أفريقيا .. « واجه الحكم العربى فى المغرب تحد من خلال الاسلام ، عندما انحاز البربر فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، إلى شقاق يهدف الى المساواة ، ويدعو إلى اختيار الخليفة من جموع المسلمين بصرف النظر عن اية ميزه عرقية ، ودامت الثورة مايزيد على قرنين ، ولم يتم التغلب عليها سوى بعد عام ٢٧٥هـ ، عندما تشتت البقية الباقية منهم فى صحراء الجزائر وتونس بعد انهيار مملكة تاهرت سنة ٩٠٩م ...

وهذا رغم أن عبدالرحمن بن رستم لم يكن من البربر وهو مؤسس الدولة ، ورغم أنه فى أوقات كثيرة طغت تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية ، حتى لقد أرجع البعض انهيار الدولة ، إلى أن



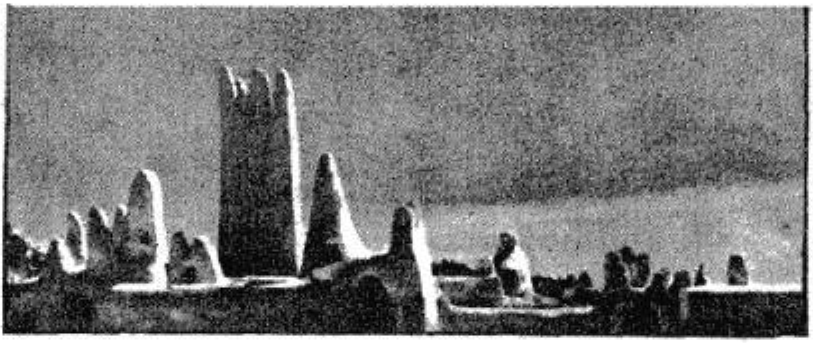
لقطة فريدة للسوق والجسع فى غرداية ، وتظهر خلفية المدينة

سياستهم غير سياسية » .. يجنحون إلى المواقف المثالية سواء عند خوض الحرب أو فى معاملة الخصوم ، فلا يشهرون الحرب إلا بعد اعلان الطرف الآخر وأخذ الحجة عليه ، ولا يتبعون المدبر ، ولا يجهزون على الجرحى ، ولم يخربوا الزرع ، ولم يهدموا سوى الحصون والأسوار ، وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد ، ولم يقتلوا الأطفال أو يسبوا الزرارى .

● سيوة ومزاب ●

والآن لننتقل بين المكان والزمان ..

ننتقل إلى واحة سيوة فى مصر ، نقف فوق قمة تل يتوسط واحة سيوه فى مدينة شالى القديمة ، والتى تعنى باللغة البربرية ـ البلدة ، وهى جزء من التاريخ تحولت مع الزمن إلى أطلال ، وأصبحت مدينة



لوحة من الفن التشكيلى ، مكوناتها شواهد القبور

أشباح ، وإن كانت لاتزال تعيش فى وجدان الأهالى وبعد أن تركها اهلها وهبطوا ، إلى السهل وأقاموا بيوتهم حول العيون ..

وفى الماضى اقام أبناء سيوة ديارهم أعلى التل فوق الهضبة ، حول الدور أقاموا سورا عاليا له باب ضخم من أعجاز النخيل مازال قائما ، يقود الباب الى أزقة ملتوية ضيقة لا تتسع لأكثر من اثنين لسهولة الدفاع عنها واصطياد المهاجمين ، يتوسط البلدة مسجد مازال قائما ، وحوله بقايا المنازل بنوافذها الضيقة ، الذى يختلط عليك هل هى نوافذ أو مزاغل للدفاع ، ولا يفوتك أن تلحظ طراز الجامع وتشابهه الشديد مع جوامع مزاب ومع جامع عمر فى الجوف .

أما لماذا تحولت هذه المدينة التاريخية إلى أطلال ؟ فمواد المبانى كانت من القورشيف ، وهو طين طفلى رملى صحراوى ، والسقوف والأبواب والنوافذ والأسوار والأثاث من جذوع وجريد النخيل .. ولكن القورشيف الذى يعزل الحرارة والبرودة ويطرد الحشرات والذباب ، يذوب تحت مياه المطر وهو النادر ، وإذا انهمر المطر طويلا تنهار المبانى وهو ما وقع ، أما جذوع النخيل فهى غنية بغذاء النمل الأبيض ، مما أدى إلى هجر بلدة شالى القديمة وتحولها الى أطلال ..

وتاريخ شالى محفوظ فى مخطوط هام ، كتبه أحد أبناء سيوه هو الطيب مسلم ، يتوارثه أحفاده ، ويرجع هذا المخطوط أصل سكان الواحة الى المصريين القدماء والبربر القادمين من الصحراء والأفريقيين النازحين من أعماق القارة ..

أما النظام الاجتماعى القديم للواحة فهو قريب من النظام الاجتماعى فى مزاب ، ويضيف الدكتور فخرى .. « إن قبائل البربر فى سيوه كانت من قبائل زناتة » ..

ويأتى صوت من مزاب عندما التقيت بالشيخ صالح بن مزلال فى مكتبة الشيخ الطفيش فى بنى يزقن ، قلت له : لقد لاحظت التشابه فى العديد من الجوانب بين واحة سيوه فى مصر ووادى مزاب ...

البحث عن الأباضية



ازقة قرى مزاب ، لوجه من القرون الوسطى

ولم أكمل ، وسارع إلى القول .. « لقد زرت واحة سيوه ، وأهلها يتحدثون لغتنا ، وهم على اتصال بأهالى جبل نفوسه ، وتعود علاقتهم التاريخية إلى ايام الدولة الرستمية .. والتى كانت تمتد فى الداخل من طنجة حتى الاسكندرية ، ومازال اهل سيوه متاثرين بالكثير من نظم وتقاليد هذه الدولة .. » .

ويضيق المقال ، ولا يكفى لنقل مشاهداتى فى جبل نفوسه وجزيرة جربة وزنجبار ، وحضرموت فالموضوع مازال يحتاج إلى الكثير من الجهد ، الذى لا يقتصر على المؤرخين وحدهم ، بل وأساتذة العمارة الذين يحددون معالم تلك العمارة التى احتضنتها الصحراء والجزر ، وأساتذة الاجتماع الذين يدرسون تلك النظم الاجتماعية الخاصة ، وإلى مهندسى الرى الذين يكشفون نظام الرى والأفلاج سواء فى عمان أو فى مزاب ..

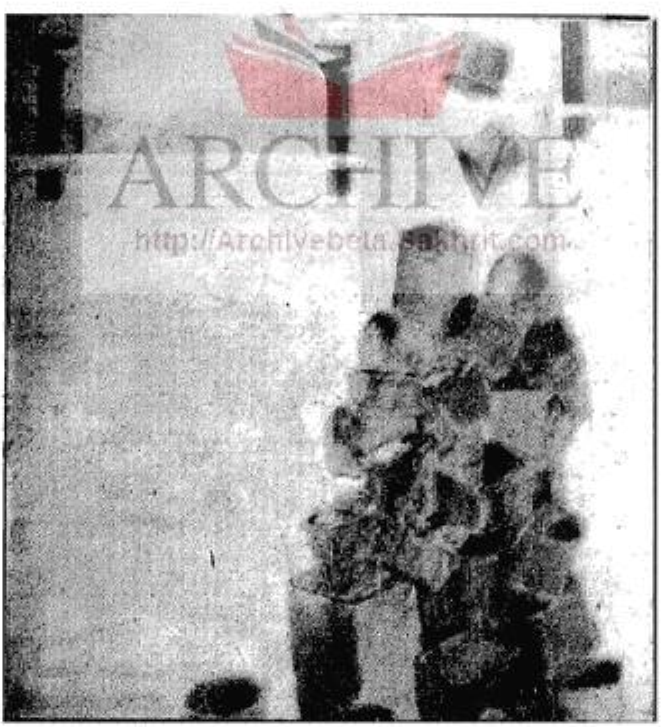
عندها تلقى هذه الدراسات الضوء ليس على المذهب الأباضى وحده ، بل وعلى كثير من معالم الحياة العربية .

بينالى القاهرة الدولى الثانى

أول الحوار العربى الأوربى

بقلم : محمود بقشيش

● إشفاقا على القارىء من تكرار الشكوى من الادارة المصرية التى تشرف على مثل هذه التظاهرات الثقافية ، والشكوى من ضآلة الميزانية ، والارتجال ، والتحكيم ذى الطابع العاطفى ، والاغماض عن مستوى لا يرقى إلى مستوى الفن ، والسماح له بالعرض لأسباب سياسية . اشفاقا على القارىء من التكرار الممل أفضّل أن أتحدث فى المفيد : أن أدخل مباشرة إلى رحاب المتاح من الأعمال الفنية التى أجازتها لجنة التحكيم ، والأعمال التى لم تجزها .



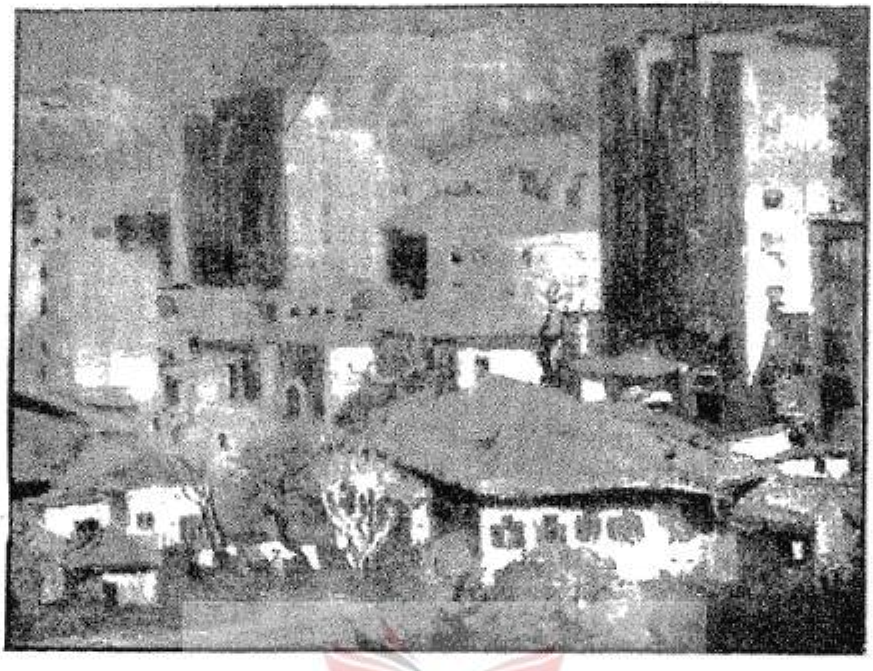
تنقلات ملونة للفنان التعبيرى زكريا الزينى

بينالى القاهرة الدولى الثانى

أو الحوار العربى الأوربى

لن أتحدث عن كل قسم باعتباره جزيرة مستقلة، ومهجورة، فكل العارضين - بغير سابق اتفاق - يتحدثون لغة معاصرة .. واحدة، فليس بين العارضين من يمثل نموذج عصر النهضة - مثلا - ولكنهم يمثلون بدرجات متفاوتة بعض المفاهيم الشائعة فى المنحوتة، والمصورة، والرسم المطبوع، وإن تداخلت - بطبيعة الحال - موروثات البيئة الثقافية فى الحصاد النهائى للمنتج الفنى، بصورة مباشرة أحيانا، وغير مباشرة معظم الأحيان. فالفنان النمساوى (ايرتش ستتنجر) - والذى لفتت أعماله انظار لجنة التحكيم، والنقاد، والجمهور العادى - تخرج أعماله من معطف التعبيرية الالمانية، ذات المذاق اللاذع والطابع الفضائحى الكاشف عن أغوار الذات، وهو يقدم مجموعة من المحفورات المطبوعة، ويتعامل مع وسيطه الخشبى تعاملا انفعاليا، تلمسه فى الآثار الحادة المرتجلة على المسطح الخشبى، مستخرجا مسوخا بشرية، أو، بمعنى أدق، دمىا خشبية تتحرك بمفصلات تديرها أيد خفية، وكأنه يقول : هذا هو إنسان القرن العشرين، الذى اغترب عن انسانيته، ولقد وفق الفنان كثيرا فى الاكتفاء باللون الأسود على المسطح الورقى الأبيض، حتى لا تتبدد الدراما بتشتيت الانتباه إلى عناصر أكثر من التى اكتفى بها، وعلى الرغم من أن إنسان (ايرتش) إنسان عام، وأن اغترابه نشأ فى ملابسات ثقافية، وبيئية متقدمة، فقد شعرنا به منتميا إلينا .. فى المذابح المنصوبة فى أرجاء الساحة العربية

على الجانب الآخر من المعرض توجد أعمال اثنين من كبار حفارينا هما : احمد نوار، وحسين الجبالى، يمثلان النقيض الكامل للفنان (إيرتش)، ففى الوقت الذى يعنى فيه الفنان النمساوى (بالتعبير) الانفعالى الصارخ، يتجه، نوار، والجبالى إلى (التجميل) والبناء الرياضى، الذهنى، الهمسى، وهى بعض ملامح المدرسة المصرية، وهى ملامح تضم معظم العارضين فى الجناح المصرى، حتى فى الأعمال التى يُفترض أن تكون ذات طابع احتجاجى كأعمال (زكريا الزينى) نراه قد جنح بها إلى تلطيف الشحنة الانفعالية، فصارت النفايات والصفائح، والعلب الفارغة الملقاة فى الطريق منتظمة فى سياق رياضى محسوب يمتعك ولا يستفزك، وربما دعاك إلى الابتسام. لقد لاذ كل من الفنانين (نوار) . و (الجبالى) بالتراكيب الهندسية، وبالذات المثلث، استخرج منها (الجبالى) شرائطه الخطية الموحية بالحروف العربية ولطّف أشكاله الهندسية



مشهد معمارى للفنان الرومانى ولسون كيليكو

بالأقواس وواجه (نوار) وحداته الهندسية بتراكيب عضوية غير أن صياغات (نوار) ذات الطابع الهندسى . الذهنى . تقربه أكثر من الجناح الاسبانى !

● الجائزة الأولى لأسبانيا ●

إذن لننتقل الى الجناح الأسبانى ضم هذا الجناح ثلاثة من المصورين فاز أحدهم وهو (البريتو سولسونا) بجائزة التصوير الأولى ، ونحات وهو (جورج أركس) وفاز بالجائزة الثالثة . اتفق الفنانون الأربعة على احترام البناء الهندسى ، واختلفوا فى المزاج الشخصى ، ففى حين تميزت هندسية (جيراردو رويدا) بالصراحة ، تميزت هندسية (سولسونا) بالارتجال ، فى حين وظفها (فيرناندو الميلا) فى تبنى أسس التصميم التقليدى للمنظر الطبيعى وتشابهت هندسية (أركس) بالمنحوتات الافريقية الطوطمية ، وإذا كان من الممكن ضم فنان من جناح الى جناح آخر ، بحكم دراسته فى وطن فنانيه ، فمن الممكن ايضا التعرف على المنابع الفطرية التى تأثر

بينالي القاهرة الدولي الثاني

أول الحوار العربي الأوربي

بها الفنان الأوربي ، فتأثر (أركس) الاسباني ، و (أندي آداموس) - الفائز بالجائزة الأولى في النحت - بالنحت الافريقي واضح أشد الوضوح ، وإن اختلف الاثنان ، ففي حين تعامل (أركس) مع الفن الافريقي تعاملا نظرياً درس (أداموس) الفن الافريقي دراسة مباشرة في الجامعة الوطنية بجنوب افريقيا ابتداء من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٣ ، وعمل بعد ذلك استاذا بنفس الجامعة ، ثم عمل في المتحف الأركيولوجي في أولمبيا في اليونان ، قبل أن يستقر أخيرا بقبرص ، والمنحوتة الفائزة تمثل جذعا

فينوس فطرية للفنان القبرصي اندي اداموس (جائزة اولى في النحت)



احلام تجريدية للفنان البحريني عبد اللطيف مفيز



أنثويا .. يذكرنا بتمثال (فينوس دى ميلو) .. لكنها - بالطبع فينوس جديدة ، تستعير ملامح المنحوتة الافريقية . فيها بساطة ، وانصراف عن التفاصيل ، واحتفال بالتنظيم الهندسى ، وترميز بأعضاء الخصوبة غير أنه لا يقف عند حدود التأمل الجمالى ، بل يشارك (ارتش) فى الإدلاء بآراء فى الانسان المعاصر ، كما يظهر فى منحوتة أخرى له تمثل إنسانا يسقط من فوق درجات سلم عمودى ، **والمدهش أن أكثر المشاركين من الفنانين العرب ينفلتون انفلاتا من تلك المواجهات ، ويتمددون فى شرائط الحروف العربية والزخارف ، والأحلام السريالية إن الانصراف عن ملامسة الواقع هو أحد الملامح الأساسية للفن العربى المعروض فى البينالى ، والذى تمثله ١١ دولة وإن كان هناك بعض الاستثناءات ، منها على سبيل المثال سباعية الفنان العراقى (مخلد المختار) حيث تعتمد كل لوحة من اللوحات السبع على نفس العناصر التى تمثل رموزا للطفولة ، والابداع ، كما تمثل فى الجانب الآخر قناعاً يرمز لاسرائيل ، ويتنامى التخريب ، والتشوه فى وجوه الأطفال ، ووجه بيكاسو ، فى الوقت الذى يزداد الوجه الاسرائيلى شراسة ، إلى أن يصل الدمار إلى منتهاه فى اللوحة الأخيرة**

يتحدث الفنان هنا بلغة واضحة شكلا ، ورمزا ، لكى يصل تحذيره إلى امته ، أو على الأقل .. إلى مرتادى المعرض القليلين !

وإذا كان (مخلد المختار) يحذر ، فمعظم الفنانين الفلسطينيين المشاركين لا يكتفون بالتحذير بل يصرخون بالمأساة !

● الفرح بالحياة ●

بين الفنانين المعبّرين عن أزمة الانسان المعاصر فى الغرب والمنفلتين منها إلى غنائيات الخط العربى ، وغيبوبة السريالية ، يوجد عشق للحياة فى الجناح الألبانى !.. يمثله ثلاثة مصورين : (سالى شيجاكو) وهو حاصل على لقب فنان الشعب ، و (ولسون كيليكو) ، و (باشكيم اهميتى) أكثرهم أهمية - من وجهة نظرى - لما يتمتع به من براعة وحساسية فائقة وقدرة على تحليل عناصر الشكل والضوء ، وعلى الرغم من الأسلوب التأثرى الذى ينتهجه الثلاثة فإنهم يقدمونه - وبشكل خاص - (أهميتى) بمذاق متميز ، يكشف عن استيعابه للأسلوب التجريدى ، ومن أجمل لوحاته ، لوحة تمثل أسطح منازل فى الشتاء تستوعب معظم مسطح اللوحة . متنوعة . حية .. عبر الأغصان الخالية من الأوراق والثمار .

إن تحليل تداخلات مستويات الأسطح الرمادية ، وتشابكها مع

الأغصان المتنوعة في الحركة ، وفي الدرجة اللونية تشكل في مجملها نسيجا تصويريا تجريديا وفي نفس الوقت يضعك أمام حالة شعورية خاصة . بالنسبة لي شعرت بشيء من الانتعاش !...

وهو يتعامل مع لمسات الفرشاة المحملة أحيانا بعجائن كثيفة ببراعة لافتة للنظر . إن مجموعة هذا الفنان ، وبالذات تلك اللوحة تفوق أضعاف المرات اللوحة الفائزة بالجائزة الأولى .

● أعمال متفرقة ●

إن أهم الأعمال النحتية في البينالي على الاطلاق – من وجهة نظري – هي منحوتة بعنوان (استشراف) للفنان عبد الهادي الوشاحي . يبهرك بكتلته الطائرة ، واندفاعها الديناميكي ، وهي تكشف عن وعي الفنان وخبرته بالأساليب المعاصرة ، وخاصة الاسلوب التكعيبي ، الذي وظفه في العمل الفني لاعطائه حيوية في الانتقال من وحدة معمارية إلى وحدة أخرى ، حيث تمنح الحدود الحادة تباينا في النور والظل . لقد اختار (الوشاحي) بكتلته الطائرة طريقا صعبا يستلزم براعة وخبرة لتحقيق التوازن ، وتمثل المنحوتة إمرأة تندفع إلى الأمام ، وتحمي عينيها من وهج الشمس بيديها لتتبين طريقها ، ومنحوتته بحيويتها ، واندفاعها تحرضنا على أن نزيل العوائق ونندفع مثلها إلى المستقبل .

من الأعمال التي تحبها دون أن تشغلك بالتفكير ، لوحة بالألوان المائية للفنان البحريني (عبد اللطيف مفيز) فعن طريق سيولة الألوان والقدرة على التحكم فيها ، واصطياد شكل ما ، أو طيف ما ، وإدارةالدرجات اللونية إدارة ذكية ، مرهفة .. يتخلق منتج فني جميل .. غير أنه للأسف لا يبقى في الذاكرة طويلا !

من اللوحات اللافتة للنظر لوحة الفنان الكويتي (عبد الله القصار) نال عنها الجائزة الثانية في التصوير .

فنان آخر من الكويت أعجبتني فيه المتابعة المرهفة للضوء ، ودرجات الألوان الرمادية ، وهو (عبد الرسول سلمان) ، وهو يشارك (القصّار) في الرؤية السريالية ، وإن اختلف معه في منهج تكوين الوحدة العضوية للوحة ، ففي حين يربط (القصّار) عناصره عن طريق تحالف خطوط الكتل ، أو تقابلها يقوم (عبد الرسول) بالربط بطريقة أفضل عن طريق الدرجات الضوئية ، واللونية .

إن تأمل بانوراما اللقاء العربي الأوربي يكشف عن حقائق جديرة بالتأمل ، لعل أخطرها هو أننا أخذنا من الفنان الغربي أساليبه ، وتقنياته ، وذهبنا بها إلى غيبوبة التزيين ، والتزويق ، أو غيبوبة الأحلام واسترخاء العقل ، أو على أحسن الفروض التوجه إلى فن خطابي .. لا جدوى منه .. وعند هذا الحد نكون ، على الأقل ، قد عرفنا محنتنا !

ش
شهريات

ماذا قرأوا عام ١٩٨٦



●● مذكرات محمود رياض ، تتمتع بصدق شديد ، ورؤية ثاقبة ، وتكاد تكون أخطر وثيقة عن المخطط الأمريكى فى المنطقة .

أحمد بهاء الدين



●● مذكرات حرب السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل يكتسب أهميته فى الدراسة السياسية والدبلوماسية التى تصاحب القسم التاريخى وتشرحه وتوضحه .

فتحى رضوان



●● النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية للدكتور فؤاد زكريا ، والكتاب محاولة لجعل تلقى الفن غير قائم على تذوق الشخص العادى .

د . عبدالقادر القط

ش
شهريات

● كلمة ●

ضمن مساهمتنا في تقييم الحياة الثقافية في مصر عام ١٩٨٦ ياتي الجزء الثاني من آراء النقاد والكتاب ليقوم كل في مجاله بابراز الملامح والسمات العامة لبعض أوجه الثقافة ومعطياتها •

وكان لابد للاقتراب من استكمال الصورة ، ونحن هنا لا نقدم الا محاولة متواضعة ، أن نتطرق علاوة على تقييم الانواع الادبية والفنية ، أو رصد ملامحها ، أن نعرف حركة النشر ، فهي المحرك الاول للثقافة ، كما كان لابد لنا من تقييم المنابر الثقافية ، وفي هذا الاطار استعنا برأى الدكتور محمود الشنيطي الذى استغرقت عملية النشر الجهد الاكبر من حياته ووقته ، كما استعنا برأى القاص سليمان فياض الذى عمل هو أيضا في مجلات وشارك في صحف سنوات طويلة بجوار ما أبدعه الاثنان من كتابات •

وضمن هذا التقييم ، ولان حصيلة الكتب عام ٨٦ كانت حصيلة كبيرة من جهة ، وبمناسبة معرض الكتاب الدولي الذى سيفتتح بالقاهرة نهاية هذا الشهر كانت هذه الآراء لعدد من الكتاب البارزين عن أهم الكتب التي قرءوها وملامح هذه الاهمية ، كذلك ياتي باب « مكتبة الهلال » الذى اختفى الشهر الماضي لياخذ مكانه بهذه المناسبة •

ولعلنا نكون بذلك قد ساهمنا بعض الشيء في تحريك حياتنا الثقافية التي تحتاج الى كثير من الجهد والعمل •

عبده جبير

● شعر ●

وعي جديد يفرض نفسه على شعراء الثمانينيات

د• عز الدين اسماعيل :

اعتقد ان الشعر ككل الفنون يتحرك نحو هدف يتعلق به ويتحقق من خلال كل الانجازات التي يؤديها الشعراء جيلا بعد جيل • فالشعر كالفن ليس له حد يتوقف عنده ، وليست له صورة مثالية ونهائية يمكن ان تعد آخر المطاف •

ولا أعتقد ان عاما واحدا يمكن ان يكون فارقا بالنسبة لنتاج شاعر ، او عدة شعراء ، ولكن كل شاعر في جيله يحاول أن يستوعب التجربة السابقة عليه كلها ، لكي يحدد لنفسه موقعها ،

ش
شهريات

وعند ذلك اما يجد لديه ما يستطيع أن يضيفه ، والا كان عليه أخلاقيا أن يسكت ، ومع ذلك فان كثيرا من الشعراء لا يدركون هذه الحقيقة ، ويكتبون شعرا لا يتحرك أدنى خطوة عن التجارب التى حققها السابقون من الشعراء ٠

من أجل ذلك تصبح مهمة الشاعر دائما اذا كان ملتزما مع نفسه أن يقدم لقارىء الشعر شيئا جديدا يثرى خبرته وتجربته ، على أن تكون هذه الجدة نابعة من وعى حقيقى بما سبق تحقيقه ، ورغبة واعية أيضا بما يبتغى عمله ، ومن هنا يظهر فى كل جيل قائمة من الشعراء يأخذون على عاتقهم ، مهمة أن يرتادوا الطريق لا ليأتوا بجديد كل الجدة ولكن على الأقل لكى يتحركوا حركة جديدة فى المد الشعرى الذى يدخلون فيه ٠

وهذا ما يحدث فى وقتنا الراهن بالنسبة لتجربة الشعر الجديد ٠٠ فقد فتح روادها الاوائل منذ أواخر الاربعينيات الباب لانطلاقة شعرية حاسمة فى تاريخ الشعر العربى ولعلهم لم يكونوا مدركين فى ذلك الوقت انهم قد بدأوا طريقا طويلا وقادرا على استيعاب تجارب أجيال وأجيال ، وهذا شىء طبيعى ، فمنذ تلك البداية حتى اليوم ظهر أكثر من جيل من الشعراء بعد جيل الرواد أفاد من تجربتهم ، ولكن كل جيل يتحرك حركة جديدة من أرض هذه التجربة الجديدة ، ومن خلال هذه الحركة تتكشف طرق جديدة ومجالات جديدة للقصيدة العربية ٠ ولا شك أن اختلاف الزمن وتغير الظروف قد أثر بشكل ملموس فى هذه الكشوف وهذه الاضافات ٠

فالجيل التالى لجيل الرواد عمق كثيرا من جوانب التجربة ووسع من أطرافها ، ولكنه كان لايزال مرتبطا بكثير من المضامين والهموم التى اشتغل بها الجيل الاول بصفة خاصة فى الحقبة التى سبقت ٦٧ ٠ ثم كان هذا التاريخ علامة واضحة فى تحول عالم الشعر ، ليس من حقنا الآن أن نحاكمه عندما نلاحظ أنه عبر عن انكفاء الشاعر على ذاته ، واجتراره لعالم باطنى من القلق غريب ووقوع فى جماليات الرمز، واتكاء على الصور السريالية ليعكس هذه الهموم الباطنية ، وفقدان الثقة فى الاشياء ، وكآبة الواقع ، لا نملك أن نحاكمه لان الواقع نفسه خرب هذه المشاعر على شعراء هذه الحقبة بخاصة الاجيال الجديدة ٠

وقد امتد أثر هذه المرحلة طوال السبعينيات تقريبا ، وفيما يتصل بهذه النزعة يمكننا أن نقول أن بعض الشعراء مازالوا واقعين فى أسرها ولكن المؤكد أيضا أن وعيا جديدا يفرض نفسه على شعراء الثمانينيات ، يعيدهم بشكل ما الى المسار الطبيعى الاول لهذه التجربة حيث يرتبط الشاعر مرة أخرى بواقعه الاجتماعى ، ويحاول أن يستشرف أبعاد هذا الواقع ، وأن يفهم أبعاد هذا الواقع ، وأن يستشرف المستقبل ٠

قد لا تبرز هذا الشعر نغمة متفائلة كالذى كان فى الستينيات مثلا ولكنها

على كل حال ليست فى كتابة ما حدث عقب ٦٧ •

وعلى مستوى القيم الفنية والجمالية استطاع الشعر عبر هذه الاجيال المتلاحقة أن يكشف على الدوام لغة طازجة وان يوظف هذه اللغة باقصى طاقاتها التعبيرية بحيث تصبح اللغة والشعر فيها من حيث هو فكر ومضمون شيئا واحدا متلاحما •

اصبح ابداع الشعر باللغة معلما جماليا أساسيا لدى شعراء الثمانينيات •• وهذه مغامرة تحسب لهذا الجيل ، ولكنها ايضا تحمله كثيرا من مسئولية الاغراب ، والبعد عن الصيغ المالوفة ، ولكنني اعتقد ان الزمن وحده كفيل بان يجعل غير المالوف فى هذا الشعر مالوفا مادام الشاعر نفسه ينطلق من رؤية ترى غير المالوف فى المالوف •

المجلات والصحافة الادبية

سليمان فياض

لا أعتقد ان ثمة جديدا قد حدث أو اضيف الى مجلاتنا وصحافتنا الادبية والثقافية ، على مستوى التطور فى التحرير ، سوى ثلاثة أمور :

الاول : تغيير مسئولية التحرير بمجلة « القاهرة » واعادة انشاء مجلة للمسرح ، فى هيئة الكتاب ، وثمة مفارقة قد حدثت فى رئاسة التحرير لكل من المجلتين ، فقد كان كل من رئيسى التحرير الجديدين لهاتين المجلتين ، أجدر برئاسة تحرير مجلة صاحبه من الاخر • ولا اشعر ان تحرير مجلة القاهرة كمادة ثقافية قد تغير تغيرا يذكر على مستوى الحداثة ، لا فتح الاوراق والموضوعات الادبية القديمة ، شرقية وغربية •

الثانى : أن تغيير مسئولية الاشراف على الصفحة الادبية بجريدة الاخبار ، كان له اثره وصداه فى الارتفاع بمستوى الصحافة الادبية بالاخبار ، والخروج بها من روح العداء والشللية الثقافية التى سادت وجه الحياة الثقافية ، اكثر من خمس عشرة سنة ،

وتقديم الصفحة اسبوعيا للقارىء بصورة تواكب الاحداث الادبية والثقافية الجارية ، اخبارا وموضوعات ، واثارة للقضايا الادبية العامة ، وتعريفا موجزا باهم الكتب التى صدرت على مستوى الابداع والنقد والدراسات الادبية •

لكن ينبغى التحفظ كثيرا وانصاف التحرير ، الى حد ما ، على الصفحة الثقافية الاسبوعية بالاهرام •

وكذلك الامر يقال عن صفحة الفكر الاسبوعية بالاهرام ، والتى يبدو انها اقتصرت على موضوعات الفلسفة والتاريخ والمصطلحات ، بصورة لا تتصل كثيرا بالقارىء العام ، ولا تفيد كثيرا القارىء المتخصص •• فموادها المحررة عنده من باب القول المعاد •

اما مجلة « فصول » المتخصصة فى نشر الدراسات الادبية ، وكذلك مجلة « ابداع » المتخصصة فى نشر الاعمال الابداعية شعرا ومسرحا وقصة ، فلنا معهما وقفة •

مجلة فصول آن لها ان تتحرر كثيرا من الاقتصار على الدراسات الادبية ، وبالمنهج البنيوى ، لتخرج بنا من

شهريات

دائرة التاريخ الادبى ، الى آفاق النظرات النقديه الاخرى المتكاملة ..

ومجلة ابداع ، وهى مجلة تنشر « تشجيعى » للاعمال الابداعية ، واكتشاف المواهب الجديدة ، بين المشجعين بالنشر لهم ، بدلا من صفحات الماستر المدفوعة ، والضائعة ، تفتقد بحدة هذه الدراسات النقدية التطبيقية ، لما يصدر من اعمال ابداعية فى مصر والوطن العربى .. وما ينشر منها قليل للغاية وحسب ما يحمله البريد ، واكثره له اغراض شللية ، وجدير بابداع ، أن تلجأ الى التكليف ، بعد أن مضى من عمرها أربع سنوات ، وأن تتسع نظرتها فى التكليف الى نقد الاعمال الابداعية الجيدة ، وان اختلفت وجهة النظر الى مدى اصالة تقليديتها أو حداثتها بين المسئولين عن التحرير .

ولعل هاتين المجلتين : فصول وابداع (مع سلسلة مختارات فصول) هما افضل ما تقدمه هيئة الكتاب للحركة الادبية والثقافية ، والقارىء الادبى .

مجلة « أدب ونقد » ، وقد جاوزت العامين من عمرها ، آن لها أن تكون اكثر جاذبية فى التحرير والاختيار وأن يشرف على تحريرها ، رئاسة وعضوية للتحرير ، ادباء ومثقفون متفرغون لهذه الغاية . ولحرصه على أدب ونقد ، واستمرارها ونجاحها أقول ذلك ، وربما كان مولد عام جديد فرصة لتحقيق هذه الغاية .

هل تسهم الازمة البترودولارية فى العالم العربى الآن ، وايقاف عدد من افضل المجلات والصحف فى قطر ومعهما ازمة البتروثقافة ، والبترودولار فى افاقة كتاب مصر ، ليكونوا اكثر اخلاصا لعملهم الادبى المتخصص المقدس ، كمناطق محرمة فى حياتهم لا يجوز العبث بها ، وفى عودة الكتاب المصريين الى جدية الفضل فى مستوى ما يكتبونه بالمجلات والصحافة الادبية ، فى مصر والوطن العربى ؟!.. ذلك ما اتوقعه وارجوه .

● مشكلات التوزيع ●

د . محمود الشنيطى

تعانى حركة النشر فى مصر عيبا اساسيا يتعلق بافتقادها للتصور الكامل لدور الناشر كموجه لحركة الثقافة ، كما افتقادها الى الرؤية العميقة بالمعرفة الانسانية .

بالاضافة الى أن اغلب المؤسسات الخاصة والعامة ، وباستثناءات قليلة لا تمتلك خطة واضحة ، بمعنى انها لا تعرف متى ولماذا وكيف تنتج، انما الامور تتم فى القالب حسب الظروف . وهذا ناتج من عدة أسباب .

أولها يتعلق بالاساليب الادارية المتخلفة التى تتسبب فى ضياع فاقد كبير ان يكن فى الطاقة البشرية المتوافرة .. أو فى استغلال الامكانيات المادية،

علاوة على تبديد الوقت الذى يحس المرء احيانا انه غير محسوب أصلا من قبل العاملين وادارتهم ·

تخلف وسائل العمل ، لأغلب المؤسسات تعتمد على ماكينات قديمة، أو أنها تستعمل أدوات حديثة لكن بقدرات بشرية قديمة ، وهذه تحاول تطوير الادوات الجديدة لما تعودته الامر الذى ينعكس على جودة الانتاج· هناك أيضا هجرة الكفاءات للبلدان العربية الامر الذى عنى استبقاء كفاءات لا تتمتع بالكفاءة ، وكان من الممكن أن نستعيض عن ذلك بانشاء مراكز تدريب تخرج أجيالا جديدة ·· لكن ما هو موجود غير كاف ، ولا يتبع الاساليب المتطورة ·

ان حركة النشر تتأثر بأمور أخرى فى صلبها ، مثل عملية التوزيع ، التى تعانى من عدم وجود مكتبات بالمعنى العصرى والحضارى ، واذا تجولنا فى مدينة القاهرة بأكملها لا نجد مكتبة بالمعنى الذى اقصده ، انما كلها دكاكين غير منظمة ، ولا تتابع الجديد، وتعتمد على بعض ما هو رائج من الكتب ، أو أنها تضع الكتب كركن تابع لسلع أخرى ·· والمؤسف أن القاهرة كانت تضج بمكتبات كانت تتابع كل جديد ، ليس فى مصر أو فى البلدان العربية ، بل فى أنحاء العالم، وقد تحولت كلها الى بوتيكات ·

كما تتأثر حركة النشر بالمكتبات العامة ، التى تساهم من جهة فى عملية توزيع المكتبات باقتنائه وتقديمه للجمهور ، كما تساهم باتاحتها لاكبر عدد من الناس للاطلاع على نشر الوعى الثقافى الذى يؤثر على الحركة الثقافية برمتها ويجعل القراءة ، وبالتالى الكتاب ، متداولا وأمرا طبيعيا ·

● ماذا قرأوا عام ١٩٨٦ ؟

أحمد بهاء الدين

اعتقد أن من أهم ما قرأت باللغة العربية عام ٨٦ من الكتب الجديدة الصادرة فى نفس العام ، الجزئين الثانى والثالث من مذكرات محمود رياض وزير خارجية مصر الاسبق ، حيث أحسست بالصدق الشديد فى رواية الاحداث ، والتجرد الا من قول الحقيقة ، علاوة على الرؤية الثاقبة والتحليل العميق للاحداث ، وهذه المذكرات تكاد تكون أخطر وثيقة عن المخطط الامريكى فى مصر والمنطقة العربية ·

واكثر اعجابى بكتاب ملفات السويس لمحمد حسنين هيكل الذى يعد عملا متكاملا يكاد يكون فريدا عن موضوع السويس ، لا فقط لانه حوى الوثائق الاهم فى الموضوع بل أيضا للرؤية الثاقبة التى تقف وراء عملية اختيارها ، وتحليلها وعرضها لدرجة انك تحس بأنها حية تنطق ·

كتاب اخر هو فى منتهى الاهمية وهو كتاب بنية العقل العربى للدكتور محمد عابد الجابرى ، وهو مفكر مغربى بارز وأعتقد انه بدأ يعرف فى مصر ، ولكننى أدعو الى قراءة هذا الكتاب وكتب المؤلف الاخرى فستجد مفكرا من نوع أصيل وكاتبا ذا أسلوب متميز ·

هناك كتب كثيرة أخرى لكننى اكتفى بهذا ·

ش
شهريات

تراث مصر سلسلة متكاملة من الحضارات

عبد الحميد يونس :

● ان ما تعودت أن أقرأه لا يساير التقويم اليومى أو الشهرى ذلك لاننى أبحث عن كتب نشرت من فترة قصيرة أو طويلة لانها تعد حلقة أساسية من حلقات الثقافة بصفة عامة ، والتخصص بصفة خاصة .

وأذكر اننى فى عام ٨٦ الححت على صديقى الدكتور مجدى وهبة أن يأتى لى بكتاب تراث مصر وهو من سلسلة الكتب التى عنيت بتراث الحضارات وقد سبق أن نشر كتاب تراث الاسلام كما ترجم كتاب تراث اليونان واستطاع الدكتور مجدى أن يقدم لى هذا الكتاب المهم فى نظرى لانه يبين مقومات الحضارة المصرية ولا أزال أعكف على ترجمة هذا الكتاب والتعليق عليه .. مع الموازنة بينه وبين الحلقات الاخرى .

وهناك كتاب اخر حصلت عليه فى الصيف الماضى وان كان قد نشر منذ سنوات وهو كتاب الفلكلور الامريكى، ويستوعب فصولا مختلفة عن نواحى الفلكلور فى الولايات المتحدة وهذا الكتاب قام بكتابته اساتذة متخصصون كل فى جانب من جوانب الفلكلور . ووجدت أن دراستنا لتراثنا الشعبى أيسر من دراسة الفلكلور الامريكى ذلك لان مسار الحياة الشعبية فى مصر عريق ومتواصل وظواهر التأثر والتأثير واضحة أما الفلكلور الامريكى فانه يتألف من شعوب مختلفة .. من أوربيين على اختلاف الربوع .. من الهنود الامريكيين كما يسمون .. ومن المهاجرين من افريقيا ومن آسيا ومن الزنوج .. هذه الملامح المختلفة عاونتنى على النظرة الواقعية لتراثنا .. ودعوتنا الى العمل الميدانى لجمع التراث الشعبى المصرى أيسر وهى غاية فى الاهمية . لان لها عراقة وتواصلا . ولذلك لنا أحاول أن اتخذ منهجا مقارنا فى الدراسة الى جانب المواجهة الواقعية للشعب المصرى فان شعبنا مع عراقته وتواصل حياته وتنوع بيئاته من البداوة والزراعة والمدنية فيه ايضا بصمات من تأثيرات متعددة لا يمكن ان نحددها بخطوط الطول أو العرض .

● قراءة جديدة فى بنية العقل العربى ●

السيد ياسين :

يكاد يكون أهم ما قرأت هذا العام باللغة العربية هو كتاب الدكتور محمد عابد الجابرى تكوين العقل العربى ، وأنا أعتبر هذا الكتاب من اهم الكتب التى تناولت بالبحث مسألة التراث العربى والاسلامى ان لم يكن اهمها على الاطلاق .

لقد تناول من قبل الطيب تيزينى الموضوع فى كتابه من منطلق ماركسى لكنه كان تناولا من الخارج ، وان كان الجهد فيه واضحا . كذلك تأتى محاولة حسين مروة فى كتابه النزعات

المانية بنفس المنهج وهي أيضا محاولة مشكورة ، وكذلك محاولات حسن حنفى التى تتبنى المنهج الفونومولوجى (الظاهراتى) لكننى أعتقد أن كتاب عابد الجابرى يتناول التراث من داخله بدراية عميقة واستيعاب كبير للمادة التى يتناولها .

لقد قدم عابد الجابرى قراءة جديدة غير مسبوقة فى بنيــة العقل العربى سبقتها محاولاته الاخرى التى تضمنت كتابه نحن والتراث الذى يترجم فيه ترجمة جديدة للمفكرين الاسلاميين ، وتاتى مقدمة هذا الكتاب النهجية لتبشر بهذا المنهج ، ثم ياتى كتابه عن الخطاب العربى المعاصر الذى وضع فيه تحليلا للخطـاب حسب منهج المفكر الفرنسى ميشـيل فوكو ، لكن لم يكن بهــذه المحاولات هذا النقل الفكرى الكامل ، او القراءة الشاملة للفكر العــربى الاسلامى ، حيث يكتشف فى كتـابه هذا ثلاثة انظمــة معرفية ، نظــام البيان ، ونظام البرهان ، ونظــام العرفان ، ومن هذه الانظمة استطاع تكوين منهج كامل عميق ينبع من داخل التراث .

لقد قدمت انا وعدد من المفـكرين ندوة خاصة عن هذا الكتاب نشرت فى مجلة المستقبل العربى ، ولكننى اعتقد انه لايزال فى حاجة الى تقديم ومناقشة اكثر استفاضة ومن ممثلين لتيارات مختلفة فاثره سيبقى على مدى أجيال قادمة .

● من اجل لغة معاصرة ●

د. رضوى عاشور :

اهم ما قرات باللغة العربية العام الماضى ، المعجم العربى الجديد للباحث العراقى الكبيـــر هاجي العــلوى ، وبالذات مقدمته المنهجية الرائعـــة ، ويطرح الكتاب التغيـــر اللغوى فى العربية المعـاصرة للنظـر الجـديد ، وقضايا اللغـة العربية المختلفة وعـلى راسها العلاقة بين المنطوق والمكتوب ، ويقترح معجما جديدا يقوم على عربية موسعة . كذلك قرات مجموعة شعرية بعنوان : هل ارى ما حولى هل أصف ما حدث ؟ وهى منشورة بالمنـامة للشاعرة البحرانية فوزة السندى .. واقول ان قصائد المجموعة مفاجاة فهنا شاعرة حقيقية قد تكون بعد سنوات قليلة (الاشعر) وليس فقط شاعرة من بين الشاعرات العربيات .

كتاب ثالث هام قراته هو « مدخل الى « لسيميوطيقا » وهو مجموعة مقالات مؤلفة ومترجمة فى أنظمة العلامات فى اللغة والادب والثقـــافة اشرف على ترجمته الدكتورة سيزا قاسم والدكتور نصر حامد أبو زيد ، والكتاب مفيــد ويملا مكانا شاغرا فى الكتبة العربية .

الكتاب الرابع الهـــام هو مرافعة احمد نبيل الهلالى ، ويضم نص مرافعة نبيل الهلالى أمام محكمة أمن الـدولة العليا فى مصر فى احــدى قضايا الراى ، وتمثل هذه المرافعة بالاضافة الى صفتها الوثائقية بعدا قيما لارساء تقاليد الديمقراطية فى مصر .

فتحى رضوان ـ حرب السويس ـ محمد حســـنين هيكل

واهمية الكتاب ، ليست فى الواقعة الاساسية فيه ، وانمـــا فى الدراسة السياسية والدبلوماسية التى تصاحب القسم التاريخى وتشرحه وتوضحه ، والاطلالة المؤثرة على كواليس السياسة الدولية والصور القلمية التى رسمت فى هذا الكتاب للشخصيات المصـرية والعربية .

شهريات

د. شكرى عياد :

اهم كتاب قرأته عام ١٩٨٦ هو أنظمة العلاقات فى اللغة والادب والثقافة ، لسيزا قاسم ونصر حامد ابو زيد وعدد اخر من الباحثين العرب . وهذا الكتاب هام جدا لانه تعريف جيد وشامل لاحدث الاتجاهات فى العلوم الانسانية .

الدكتور عبد القادر القط :

● النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية ●

للدكتور فؤاد زكريا

والكتاب محاولة لجعل تلقى الفن غير قائم على تذوق الشخص العادى وذلك على معايير فلسفية وجمالية بقدر الامكان ودون أن يلغى ذوق الشخص بالطبع ونحن فى حاجة الى مثل هذه الكتب الجادة .

نجيب محفوظ ـ النظم السياسية

الدكتور عبد الحميد متولى

عرض شائق للنظم السياسية الديمقراطية ، وقد ركز المؤلف فى كتابه على التجربة الديمقراطية فى مصر .

● مكتبة الهلال ●

الكتاب : صبرى السربونى سيرة تاريخية وصورة حياة

تاليف : أحمد حسين الطماوى

الناشر : الهيئة العامة للكتاب

٣٣٢ ص ، ٢٠٠ق.م

اخيرا تاتى هذه الدراسة لتنصف ولو قليلا هذا الكاتب الذى كان على درجة كبيرة



من الاحساس بالمسئولية تجاه الادب والتاريخ ، وتجاه قضايا وطنه .
هو من رجال عصر النهضة من أمثال العقاد وطه حسين وهيكل

والرافعى ونعيمة والمازنى وعبد الرحمن شكرى ، من رواد الادب ونقاده ، درس شوامخ الشعراء ويعرض فى ثنايا مؤلفاته الشعر الجميل ، كما ارخ لحقب فى الشرق والغرب صحح فى موسوعاته التاريخية مستندات مدخولة ، وأمورا مغلوطة ، واستظهر حقائق مطوية ، واستثمر وثائق كثيرة .
والكتاب يتبع منهج السيرة الذى يقدم

الشخصية شيئا فشيئا ، ليسهل على القارئ الاحاطة بمعالم حياته ، واطوار فكره ، كما استند على العرض والوصف ، والتحليل والتفسير .

وفى نهاية الكتاب نجد ثبتا باعمال السريونى ، تلك التى نشرت فى كتاب أو مقالات والاعمال التى تجمع بعد ، كما به ثبت بالمقابلات الادبية ، والحوارات التى اجريت معه علاوة على كشف بالمقالات التى كتبت عنه ضمن كتب أخرى أو مجلات وصحف متفرقة .

الكتاب : زكريات اقتصادية
تاليف : د . عبد الجليل
الناشر : دار الشروق

يضم هذا الكتاب خلاصة خبرة واحد من اقتصاديينا المخضرمين تولى وزارة التموين فى وزارة على ماهر عام ١٩٥٢ وكان اول وزير للمالية بعد قيام الثورة من ٥٢ الى ٥٤ حيث يذكر له انه قد حقق أول فائض فى ميزانية



الدولة المصرية ، وقاد وفد المفاوضات لتسوية تعويضات الممتلكات الاجنبية بعد تاميم قناة السويس ، وكان اول محافظ مصرى للبنك المركزى ، ثم عمل فى البنك الدولى وتدرج فى مناصبه حتى اصبح مستشارا لرئيسه لشئون الشرق الاوسط وافريقيا، كما عمل مستشارا لبعض دول ومؤسسات الخليج، واختير عام ١٩٨٢ لرئاسة المؤتمر الاقتصادى .

بالاضافة الى ذكرياته الخاصة التى تضمنت رايه فى كل الوقائع التى شاهدها ، يضم الكتاب وثيقة هامة هى الدراسة التى قدمها المؤلف مع الدكتور على الجريتلى للمؤتمر الاقتصادى (ديسمبر ١٩٨١) التى حملت عنوان تقرير عن المشاكل الاقتصادية الكبرى فى مصر .

الكتاب : عبد الناصر وثورة ليبيا
تاليف فتحى الديب
الناشر : المستقبل العربى



علاوة على كونه يسجل الاحداث التى صاحبت ثورة ليبيا منذ لحظة قيامها ، وحتى يونيو ١٩٧٢ ، فان هذا الكتاب يعد من قبيل المذكرات السياسية للرجل الذى اسند اليه جمال عبد الناصر مهمة ضابط الاتصال بينه وبين رجال الثورة الليبيين .. والمستشار لهم لينقل ما كانت قد حققته الثورة المصرية منذ قيامها وحتى عام ٦٩ من خبرات عملية ، ومساندة فعلية .

كما يضم الكتاب ملحقا وثائقيا هاما شمل واحدا وعشرين من المحاضر والبيانات والمستندات المتعلقة بعلاقة مصر بليبيا حتى عام ١٩٧٢ .

كيف نتحاور مع المستقبل ؟

بقلم : د . محمود عبد الفضيل



د . اسماعيل صبري عبدالله



د . اسامة الباز

شهدت القاهرة خلال الفترة من ٢٥ الى ٢٧ نوفمبر ندوة هامة نظمها منتدى العالم الثالث بالقاهرة بالاشتراك مع جامعة الأمم المتحدة بطوكيو لمناقشة مشروع المستقبلات العربية البديلة الذي أعده الدكتور اسماعيل صبري عبد الله (منسق المشروع) والدكتور ابراهيم سعد الدين عبد الله (المنسق المساعد للمشروع) ، وفيه حصاد وجهد بحثي وتاملي استمر في صمت على مدى خمسة اعوام .. وغطى موضوعات اهمها :

عملية صنع القرار في الوطن العربي ـ اليات التبعية ـ العلاقة بين البنى الاجتماعية والهياكل الطبقية وعملية التنمية ـ حركة الصحوة الاسلامية في الوطن العربي ـ الحركة التقدمية العربية ـ الآداب والفنون كعنصر وحدة وتنوع في الوطن العربي ـ التوجه القومي وقضايا الاقليات ـ الآثار غير المدروسة للثروة النفطية ، وغيرها من القضايا الحيوية .

وقد شارك في هذه الابحاث نخبة من المفكرين والباحثين وصانعي القرار على امتداد الوطن العربي ، وتم عقد نحو ١٤ ندوة وحلقة نقاشية خلال عمر المشروع ... وصدر حتى الآن ستة كتب وهناك ١٨ كتابا تحت الاعداد والطبع تشكل في مجموعها مكتبة المستقبلات العربية البديلة .

وعلى قدر اهمية المشروع واستنتاجاته جاءت مداولات ومداخلات الندوة غنية وثرية وحافلة بالمناقشات والتعقيبات القيمة . وكيف لا وقد ضمت في صفوفها نخبة من الوجوه الفكرية البارزة والشخصيات العامة نذكر من بينهم :

أ٠ محمد حسنين هيكل (مصر) ، د٠ محمد سعيد النابلسى (الأردن) ، أ٠ أحمد بهاء الدين (مصر) ، د٠ برهان غليون (سوريا) ، د٠ محمد محمود الامام (مصر) ، د٠ خير الدين حسيب (العراق) ، د٠ أسامة الباز (مصر) ، د٠ سعاد الصباح (الكويت) ، د٠ مصطفى الجبلى (مصر) ، د٠ منذر العنتباوى (فلسطين) ، أ٠ محمد فايق (مصر) ، د٠ على خليفة الكوارى (قطر) ، السفير عزت عبد اللطيف (مدير المعهد الدبلوماسى بمصر)، د٠ صلاح الشيخلى (العراق) ، د٠ مختار هلودة (رئيس الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ـ مصر) ، د٠ جمال الشاعر (الاردن) د٠ مهدى الحافظ (العراق) ، د٠ فوزى منصور (مصر) ، د٠ زكى شافعى (مصر) د٠ احمد كمال ابو المجد (مصر) ، د٠ احمد صدقى الدجانى (فلسطين) ، د٠ عبد العظيم انيس (مصر) ٠

وقد انصبت المناقشات فى البداية على تشخيص واقع الحال المتردى للوطن العربى بهدف توسيع رقعة المعرفة الواقعية بما يجرى فى المنطقة العربية من تفاعلات ٠٠ وأين تقع الروافد والمصبات للأفكار والقوى ، وعناصر السكون والحركة فى النظام القائم ٠

● ابداع وتحرر ●

يمكن تصنيف مجموعة القضايا التى دار حولها النقاش فى القسم الاول من مداولات الندوة على أنها قضايا ورؤى تتعلق بحاضر المستقبل العربى مما يقتضى طرح تساؤلات منهجية حول معنى وماهية التقدم ؟ ومعنى اليقظة او الصحوة ؟ ومعنى النهضة ؟٠

وعرف د٠ أحمد صدقى الدجانى (فلسطين) التقدم على انه « ابداع وتحرر » ٠

وانتقل النقاش فى محاولة للامساك بمفاتيح فهم وتحليل الواقع الراهن بما يزخر به من تيارات وقوى ٠ ومحاولة رصد ما أمكن من الاتجاهات ، والتغيرات ، والتحولات التى تعيشها المنطقة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا ٠٠ مع اهتمام خاص بما حدث خلال السنوات العشر الاخيرة التى تواضع الكتاب والباحثون على تسميتها « بالحقبة النفطية » ٠

ويمكن لنا الاشارة هنا الى أهم الاتجاهات والتغيرات والتحولات التى امكن رصدها من خلال النقاش ٠

١ ـ هناك اتجاه ملموس لعملية التراجع من مشروعات التوحيد القومى ، الى التفكك على الصعيد القطرى ، بل الى التشرذم على مستوى الدويلات الطائفية والعرقية

٢ ـ هناك ثمة اتجاه متزايد لتدويل الحياة الاقتصادية العربية ولدماجها فى اطار الشبكات الدولية لتدفقات التجارة والمال والتكنولوجيا والاتصالات والمعلومات ٠٠ مما رافقه فقدان متزايد للهوية الحضارية فى كافة مجالات الفكر والثقافة والتكنولوجيا والعمارة وانماط الاستهلاك ٠

٣ ـ ان التكنولوجيا « الوافدة من الخارج » ، بهدف تحديث المجتمع العربى ، ليست وسيطا محايدا ٠٠ بل هى حاملة ومحملة بانماط فكرية وايديولوجية واستهلاكية وتوزيعية صارخة ٠ واشار الدكتور حسام عيسى (مصر) فى هذا السياق الى اسطورة

كيف نتحاور مع المستقبل؟

ما سمي « بنقل التكنولوجيا للعالم العربي » .. وان المسألة لم تتعد في معظم الاحوال نقل للعلامات التجارية فقط لا غير .

٤ ـ ان هناك اتجاها متزايدا للاعتداء على البيئة وتخريبها ، ولم يعد المواطن العربي يعيش في حالة « سلام مع البيئة » .. فقد فقدت « الاتساق البيئية » مقومات توازنها في منطقتنا العربية ، من حيث ارتفاع معدلات التصحر والتلوث ، واهدار القيم والعلاقات الجمالية .

٥ ـ هناك تزايد لمفعول قانون النمو غير المتكافيء فيما بين البلدان العربية ، ليس فقط فيما بين البلدان النفطية وغير النفطية ، بل داخل كل مجموعة على حده .. وقد ادى هذا بدوره الى ازدياد درجة التفكك القومي (الداخلي) وارتفاع درجة التدويل والاندماج مع العالم الخارجي (الرأسمالي) ولعل اهم مؤشرات ذلك الارتفاع الهائل لدرجة تدويل العملية الانتاجية وقطاعات المال والتجارة خلال الحقبة النفطية ، وتقلص حجم تدفقات التجارة فيما بين البلدان العربية .

٦ ـ هشاشة البنيان الاقتصادي والاجتماعي الذي تمخضت عنه الحقبة النفطية ، نتيجة تراجع القطاعات السلعية الاساسية من زراعة وصناعة والاعتماد على قطاعات تضخمت بفعل هبوط الاموال النفطية بشكل استثنائي وهي قطاعات البناء والتشييد ، والتجارة والمال ، والخدمات . وقد نتج عن ذلك ان توجهات النمو والتراكم قد غدت محكومة . باعتبارات خارجية ـ وليست بمنطلقات داخلية » متمحورة حول الذات » مما ادى الى افتقاد كامل للسيطرة على توجهات عملية التراكم وشروط اعادة الانتاج في المجتمع العربي .

٧ ـ ان هناك حالة سيولة طبقية هائلة لم يسبق لها مثيل في المنطقة العربية ، بفعل هبوط المال النفطي واتساع عمليات هجرة العمالة للخارج ، مما ادى الى تبدلات هامة في الواقع الطبقية وتوسع مراتب « البورجوازية الصغيرة » في الريف والمدينة . وقد رافق ذلك انحسار رقعة ودائرة « الانشطة الانتاجية » ، وتوسع دائرة « الانشطة الطفيلية والريعية » ، حيث غدت توجد فئات عديدة تعيش على ريع التوظيفات المالية (البنوك وشركات توظيف الاموال) وريع الشقق المفروشة ، وعمليات العمولة والسمسرة وما شابه ذلك .. وما لذلك من اثار على اختلال موازين القيم وانماط السلوك .

وحول الفجوة بين صناع القرار و « صناع الفكر » او « الرأي » ، حذر الدكتور اسامة الباز من الموقف المثالي الحالم للمثقفين العرب ، واقتصارهم على مجرد « تسجيل موقف » .. والبعد عن التورط في « خطيئة » المشاركة في صنع وترشيد القرار السياسي . ولكن المشكلة تظل

من يد يده لن ؟ وهل توجد صيغة تساعد على تجسير تلك الفجوة ، دون ان يفقد صانع القرار المفضل انواع الرأى والمشوره .. ودون ان يفقد « صناع الفكر » « والرأى » استقلاليتهم وامانتهم الفكرية . وتظل الاشكالية مطروحة بلاشك ضمن اشكاليات المستقبل .

● استضافة المستقبل ●

انتقل القسم الثاني من المناقشات الى هموم وسيناريوهات المستقبل العربى ، واكد الدكتور اسماعيل صبرى منذ البداية على الاولية انه : واذا لم يصنع العرب مستقبلهم بانفسهم ، فان هناك قوى اخرى (خارجية) سوف تصنع للعرب مستقبلهم » . كذلك حذر الدكتور اسماعيل صبرى من استمرار « النظرة الماضاوية » لقضايا المستقبل ، و « الماضاويه » هنا ليست مرادفه « للسلفيه » ، وانما هى نهج سائد فى الفكر العربى قائم على النظر لقضايا المستقبل بروح مشبعة بالحنين للماضى ... مما يجعل النظره لقضايا المستقبل « غير متحرره » .. بل اسيره لقوالب وصيغ الماضى .. بينما المستقبل يحمل فى طياته وثناياه اشياء واشكال تبتدع وتتجسد لاول مرة .

وفى هذا السياق ، اكد الدكتور كمال ابو المجد (مصر) على ان من اهم اضافات الندوة أن يتعود الفكر العربى من الان فصاعدا على عملية « استضافة المستقبل » ... رغم أن المستقبل يبدو وكأنه ضيفا ثقيلا يقلق منام ويقض مضاجع العرب ، حكاما ومحكومين . ولعلنا نضيف هنا أن العرب ـ مثلهم مثل بقية بلاد العالم عليهم ان يتعلموا فن الحوار مع المستقبل ومع القضايا المستقبليه على حد التعبير الموفق للاقتصادى الباكستانى ذائع الصيت محبوب الحق .

ولذا فان علم أو منهج « المستقبليات البديله » هو منهج احتمالى بطبيعته، فليس هناك « مسار مستقبلى » وحيد، ميكانيكي أو الى ، بل هناك عدة مسارات حرجة مشروطة بظروف وقوى تاريخية محلية وعالمية . بل ان درجة اليقن والتأكد فيها لا ترقى حتى الى مستوى « نشرة الارصاد الجوية » ، حيث هناك درجة اكبر من الترجيح الاحتمالى لحالة معينة من حالات الطقس . ولذا عكف الباحثون فى قضايا الدراسات المستقبلية على تصميم وتركيب ما سمى «بسناريوهات المستقبل » وهى اشبه ما تكون « بالمشاهد المسرحية » التى يرفع عنها الستار .. وتحمل فى داخلها ديناميتها الذاتية ، ويكون هدفها استثارة الفكر واعمال الذهن حول قضايا وهموم المستقبل من خلال عدة مشاهد او مسارات احتمالية .

وفى اطار هذه الخلفيه ، تم طرح عدة قضايا تحتل حيزا هاما فى سيناريوهات المستقبل ، ونود ان ننتقى منها ما نعتقد أنها قضايا حاكمة ومؤثرة على مسارات المستقبل العربى . فهناك اولا ما اسماه البعض « بالبؤر والخمائر » السياسية ، وعلاقتها بصناعة المستقبل ، وعلى رأسها تيار المد الاسلامى . ولقد صار جدل طويل حول هل هذا التيار يمثل مجرد مظهر

كيف نتحاور مع المستقبل؟

للأزمة أم يطرح حلا ناجحا لأزمة المجتمع العربي . وهنا يثور الجدل فورا حول التعددية للرؤى في اطار التيار الاسلامي ، فهناك تيار اسلام النميري وضياء الحق ، وهناك تيار الحركة الاسلامية الخومينية وهناك تيار الاخوان المسلمين التقليدى ، وهناك الجماعات الاسلامية الجديدة أو ما يسمون « بالقطبيين » (نسبه الى الاستاذ سيد قطب) ، وهناك تيار التجديد والاصلاح الاسلامي على النهج الذى سار عليه جمال الدين الافغانى ومحمد عبده . فأى تيار اسلامى الآن سيكسب رهان المستقبل ؟ هناك من راهن فى الندوة على صيغة توفيقيه تطرح بوضوح المزيج الامثل بين احتياجات العصر ، من ناحية ، والدين من ناحية اخرى ، فى بناء المجتمع ... فهذا هو « تيار المستقبل »

كذلك من بين القضايا المستقبلية التى شغلت بال « الجميع » هى العلاقة الجدليه بين الديمقراطية وعملية التغيير الاجتماعى . تلك الاشكالية التى لم تجد حلا مرضيا خلال الخمسينات والستينات فى عالمنا العربي المعاصر ، وبالتالى ، فان احد القضايا الهامة المروحة على جدول اعمال المستقبل هى مستقبل « التعددية السياسية » .. وتلك قضية تطرح نفسها بشدة على الحركات والقوى التقدمية والحركات التى ينتظمها التيار الاسلامى سواء بسواء .

● انعكاسات على المستقبل ●

وقد حظى « المتغير النفطى » بنصيب وافر من المناقشات لما له من تاثيرات وانعكاسات على مسارات المستقبل العربى ، فكما عاشت المنطقة العربية على موجة من النفط تركت بصماتها الواضحة على كيمياء الاقتصاد والمجتمع . فقد كان هناك نوع من الاجماع فى الرأى على بداية انحسار مفعول المتغير (أو بالاحرى المخدر) النفطى وما يرتبط به من حركة للعمالة وللاموال ورواج لعالم التجارة والمال . بيد أن « الزائر النفطى » سيظل معنا حتى نهاية هذا القرن ، ولكن لن يكون له ذلك الاثر الطاغى على كافة مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على النحو الذى شهدناه خلال السنوات العشر الماضية . وعند نهاية هذا القرن ، قد تلفظ « الحقبة النفطية » ــ ولا نقول « النفط » ــ انفاسها الاخيرة بمعنى استعادة التوازن بين « ما هو نفطى » وما هو « غير نفطى » فى ميزان الحياة العربية ، وسوف تصبح براميل المياه اغلى واعلى قيمة من « براميل النفط » فى حساب الزمن المستقبلى .

وقد توقف الجميع عند رقم هام يتعلق بحجم السكان فى الوطن العربى عام ٢٠١٥ ، اذ قد يتراوح بين ٥٠٠ ــ ٧٠٠ مليون ، حسب الفروض المختلفة للاسقاطات الديموجرافية .

اى بعد ثلاثين عاما من الان . انه رغم قد يصيب الانسان بالدوار ، ولكن المستقبل يحمل فى طياته علاقة جدلية فريدة بين السكان كأفواه تأكل وبينها كأيد وسواعد تعمل وتنتج وذلك يتوقف بلا شك على مدى كفاءة النظام الاقتصادى - الاجتماعى القائم على تعبئة الموارد البشرية المتاحة .

ولهذا اتفق المجتمعون فى الجزء من الاخير من مداولاتهم لمناقشة سيناريوهين (أو تصورين) للمستقبل (ا) السيناريو الاتجاهى ، او التشاؤمى وهو سيناريو يركز على صورة المستقبل القائمة « المتوقعة » اذا استمرت الاوضاع فى التطور فى نفس الاتجاه الذى نعيشه ونشهده هذه الايام ان هذا السيناريو المفزع لن يكون امتدادا خطيا لما هو قائم بل هو يقود الى مزيد من التدهور والتردى للاوضاع البائسة القائمة .

(ب) السيناريو الاستهدافى (أو المعيارى) وهو يمثل نظره مستهدفة للمستقبل المأمول ، لا تخلو من مثالية وطوباوية ، بما يحمله ذلك من تأكيد على التنمية المستقلة ، والمشاركة الشعبية ، وحماية البيئة ، الانسلاخ والافلات التدريجى من اسار النظام العالمى ، التأكيد على الهوية الثقافية ، والاعتماد الجماعى على النفس فى اطار المنطقة العربية .

وليس هناك من شك فى ان هذا السيناريو لا يخلو من « نبرة تبشيريه » واضحه ، لانه لا يشير الى الاليات اللازمة والقوى الخاصة لمشروع التطور والنهضة الذى يقود لتلك الصورة المستهدفة .

وهذا التصور يشير الى تصور عام فى منهجية « بناء السيناريوهات » على النحو الشائع فى الدراسات المستقبلية ، اذ تمثل السيناريوهات مشاهد استاتيكية مقارنة ، تطرح قضايا واعتبارات مستقبلية أكثر من كونها تطرح اليات ومسارات ديناميكية للوصول للهدف المطلوب بدءا من نقطة الاساس و لانطلاق . وهذا يقتضى بدوره تطويرا دائما لمناهج وادوات التعامل مع المستقبل ، أو ما يمكن ان اطلق عليه الادوات الديناميكية « للاستدلال المستقبلى » وذلك سوف يساعد بدوره على طرح « المحتوى البرنامجي » المستقبل ، للشعارات والسيناريوهات الاستهدافية

بقيت نقطة اخيرة جديرة بالعناية ، فقد جاء فى الكلمة الختامية لمنسق المشروع ، انه قد ان الاوان لكسر ثلاثية : « الامير - ارباب السيف - ارباب العلم » ، وانه يجب ان يكون هناك مكان متميز فى دراسات وسيناريوهات المستقبل للجماهير الشعبية ولعمة الناس ، لانهم يضطلعون بدور كبير فى صناعة التاريخ والمستقبل .. ولا سيما فى لحظات التحول والفوران التاريخى .

ولعلى اضيف ختاما ، بان مبادرة التصميم واعادة البناء والتغيير وعلم صناعة المستقبل تعد قاصرة على هؤلاء الذين يجلسون فى المقصورة العلوية من البناء الاجتماعى والسياسى يلعبون النرد ويدخنون السيجار ويحيكون المؤامرات والدسائس . فهناك الجماهير وعامة الناس الذين يقتحمون بعفويه وحس تاريخى مرهف بوابات المستقبل .. مهما كانت موصدة

مهرجان القاهرة

عنف وحرية

ووعى بأهمية السينما

بقلم : مصطفى درويش

عنف على الطريقة الأمريكية



شاءت الأقدار لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى العاشر الذى جرى افتتاحه تحت شعار « الفن يحتاج إلى الحرية ، بقدر ماتحتاج الحرية إلى الفن » ، شاءت له ان تستهل عروضه بنسخة مستهلكة لفيلم قديم له من العمر ثمانية أعوام أو يزيد .

فما هو الفيلم الذى جرى اختياره بالخروج على اصول وتقاليد توجب افتتاح عروض اى مهرجان متصل بالفن السابع ، بفيلم جديد يكون له دوى شديد ؟

انه « صرخة النساء » احد افلام المخرج « جول داسين » زوج وزيرة الثقافة اليونانية فى حكومة باباندريو الحالية ، وضيفة شرف المهرجان « ميلينا ميركورى » ، وفوق هذا بطلة الفيلم حيث تلعب دور ممثلة « مايا » تعانى من العجز عن تقمص شخصية « ميديا » على خشبة المسرح ، تلك الشخصية التى ابدعها خيال الشاعر اليونانى التراجيدى « أوريبيديس » فى النصف الثانى من القرن الخامس السابق على الميلاد ، مستلهما مأساتها من خرافة « جاسون » و« ميديا » فى مسرحية هذا الشاعر الكبير تعيش مع طفليها فى بلاد الغربة « كورينث » مهجورة من زوجها « جاسون » ، هذا الزوج الذى ما ان رأته فى وطنها الموحش البعيد « كلوخيس » ، حتى غمرها إحساس ثائر ، استولت عليها عاطفة جارفة ، لم تستطع معها الا ان تخون اباها ملك « كلوخيس » ، وذلك بان هيأت لمن تسلل حبه الى اعمق اغوار قلبها سبل الاستيلاء على الفروة الذهبية التى ترجح الف كنز ، ثم الفرار بها مستصحبا اياها الى ارض اليونان فى « كوربث » حيث تجرى احداث المسرحية التى تبدأ بخبر ان « جاسون » قد خان العهد ، مقررا الزواج من ابنة ملك « كورينث » .

● غرام وانتقام ●

وما يكاد يعلن عن خطبته ، حتى يجن جنون « ميديا » التى اسودت الدنيا فى عينيها ، مالها نكرانه لجميلها .

وبعد طول معاناة وتفكير استقر قرارها على القتل ، فى البداية فكرت فى التخلص من اعدائها الثلاثة المتسببين فى محنتها ، "ثلاثة جثث فى يوم واحد .. الاب ، الخطيبة وزوجى" .

واشتعل الخيال ، رأت نفسها تحرق او تتسلل الى غرفة الزوجين رافعة الحسام .

ومع هذه الخيالات صاحت الجوقة « دقت ساعة انتصار النساء » !!

ولكنها بعد الالتقاء « بجاسون » تكشف لها انه لايؤمن بشىء ، يتكلم لغة

مهرجان القاهرة

السفسطائيين ، ينطق باكثر الكلمات قدسية الحب ، الوفاء ، العدالة بغير اكتراث ، وبوقاحة منقطعة النظير .

فهو يبرر زواجه الثانى بالحب الذى يكنه لطفليه منها بما سيجنيان من ثمار المصاهرة الملكية .. المال والتعليم الرفيع .

● عرقوب اخيل ●

والأهم تكشف لها موطن الضعف فيه ،

فهذا الرجل الانانى الذى لايحب الا نفسه ، قد زل لسانه بكلمة افصحت عن تعلقه بحب طفليه منها .

وفى هذا الافصاح غير المقصود كان هلاكه ، كان عرقوب أخيله الذى اتاح لميديا أن تطعنه فى مقتل ، أن تتحول بنصره عليها مؤقتا إلى هزيمة نكراء .

فقد عزمت على توجيه ضربة وحيدة فيها القضاء على « جاسون » كل القضاء فكان ان دست الى اميرة « كورنيث » السم الزعاف فى هدايا حمّلتها طفليها اليها ، وعقب ذلك شحذت سكينها ثم اجهزت بها على ولديها منه ، وهى تتوجع وتئن .

● صرخات وهمسات ●

وعلى كل فللخروج فى الفيلم من مأزق

رجل وامرأتان في فيلم اللون ارجواني



العجز عن تقمص شخصية هذه المرأة التى تغلب فيها شيطان الانتقام على الارادة ... على قلب الام ، ارتأت « مايا » ان من الواجب عليها ، ان تذهب الى السجن حيث توجد امرأة انجليزية « برندا » (ايلين بيرستين الحاصلة على اوسكار احسن ممثلة ١٩٧٤) وراء القضبان متهمة بقتل دفع صحف اليونان الى اطلاق لقب « ميديا جلانيادا » (مكان وقوع الجريمة) عليها ، فى محاولة منها للالتقاء بها كى تعرف منها لماذا ـ بعد ان غدر بها زوجها ـ قتلت اطفالها منه ، ثم حاولت الخلاص من هذا العار بالانتحار .

ولم ترفض « برندا القاتلة » الالتقاء بها ، لانها كانت ـ فى غربتها ـ وحيدة ، فى اشد الاحتياج للتعبير عما يجيش فى صدرها ، وبخاصة انها لاتجيد الحديث الا بالانجليزية فى بلد لايتكلم اهله سوى اليونانية .

وسرعان ما تولد بين المرأتين شىء اشبه بالصداقة « فمايا » قد انجذبت الى براءة هذه المرأة المتهمة ، والتى كان هدوءها الظاهر يخفى نارا حارقة ، تأتى عليها .

وطبعا ، كان لابد من كل فن « بيرستن » وماتتمتع به من قدرة مذهلة على اتقان الاداء ، كيما يستطيع المتلقى ان يتبين ان تلك الانجليزية المنتمية الى الطبقة الوسطى ليست ـ ورغم ملامحها العصرية المألوفة ـ الا « ميديا » بطلة المأساة اليونانية المعروفة .

وطبعا كان هذا الاكتشاف بالنسبة «لمايا» إلهاما ساعدها على تقمص

الحياة والموت فى مدينة الملائكة



شخصية « ميديا » على خشبة المسرح بنجاح فاق كل التوقعات .

فالتجربة الحية التي مرت بها - من خلال لقاءاتها المتكررة مع « برندا » ادت الى تفجير طاقات التعبير الكامنة فيها ، الى انماء ماتحمله بين جوانحها من رومانسية وذكاء ورقة شعور ، على وجه إرتفع بادائها الى مستوى رفيع فيه كثير من الفهم لماساة « ميديا »

ومهما يكن من امر هذا البناء الدرامى المعقد بعض الشيء ، فقد اتاح لمخرج الفيلم - الذى هو فى نفس الوقت كاتب السيناريو والحوار - فرصة العرض لبعض مايواجه المرأة المعاصرة من مشاكل ، من بينها حسب قول صاحب الفيلم « المخاطر التى تركبها المرأة عندما تبنى حياتها فى كل صغيرة وكبيرة حول الرجل ، والعنف الذى يمكن ان يتولد عندما تقع خيانة لتلك الثقة العمياء » .

● إغراء العنف ●

وفى الحق فهذا العنف العنيف الذى أحسسنا به صارخا فى « صرخة النساء » تراه متكررا فيما تلاه من عروض لأهم افلام المهرجان ، وبالذات ماكان منها متعلقا بالمرأة ومشاكلها ، وما اكثرها « فحدث فى أمريكا » لصاحبه المخرج الايطالى « سيرجى ليونى » يبدأ بمشهد لامرأة تعود الى شقتها حيث تواجه ميتة رهيبة تتحبس لها الأنفاس برصاصات غدارات ثلاثة من عتاة الاجرام .

« وموناليزا » للمخرج والاديب الانجليزى « نيل چوردان » ينتهى بمشهد « سيمون » (كاتى تيسون) الغانية السمراء ، وهي تطلق الرصاص على نفر من تجار المسحوق والرقيق الابيض ، فاذا بالدماء وأجزاء من اجسامهم متناثرة ، ملتصقة بالارض والجدران .

و« بتى بلو » ثالث افلام المخرج الفرنسى غير الواعد « چان چاك بينكس » تتناثر فيه مشاهد العنف بالجنس ، حتى اذا مااقترب من النهاية أثرت بطلته « بتى » (بياتريس دال): ان تقتلع بيدها احدى عينيها ، واثر بطله « ذورج » (چان هوج انجلاد) ان يخلصها من حياة كلها هم وغم ، بقتلها فى المستشفى خنقا بكتم انفاسها تحت الملاءة على طريقة فيلم « طار فوق عش المجانين » .

« والحياة والموت فى مدينة الملائكة » آخر افلام المخرج الامريكى « وليم فريد كين » يستهل بمشهد لارهابى ملغم الجسم ، معلق بحبل خارج الفندق الكبير حيث يقيم رئيس جمهورية الولايات المتحدة .

وفى لحظات تنطلق رصاصات من غدارة أحد حراس الرئيس ، فإذا بالارهابى المعلق منفجرا فى الهواء ، لم يبق منه شيء .

وبعد هذه اللقطات السريعة ، تظهر عناوين الفيلم ثم تعقبها أحداث عنف لاهث ، قاطع للانفاس ، يذهب ضحيته الرجال والنساء على حد سواء .

و« جونزا حامل الرمح » فيلم المخرج اليابانى « ماساهيرو شينودا » المستوحى من احدى مسرحيات « مونزايمون

شيكاماتزو » شكسبير بلاد الشمس المشرقة ـ وهو واحد من اجمل افلام المهرجان ، بل لعله اجملها ينتهي بمشهد على جسر حيث نرى بطلى الفاجعة الساموراى « جونزا ساسانو » والسيدة المتزوجة « اوزاء » المتهمين زورا وبهتانا بالزنا . وهما يذبحان ذبح الشاه عقابا وثأرا للشرف المهان .

وأجسام غريبة « للمخرج الأمريكى « جيمس كاميرون » بطلته رائدة فضاء الحسناء « سيجورنى ويفر » ، تقود الرجال والنساء الى كوكب مسكون بحثا عن كائنات مفترسة كانت سببا فى هلاك كل من كان معها من الزملاء اثناء رحلة سابقة فى الفضاء .

وهى فى رحلتها الثانية اميرة انتقام « رامبوليتا » تنتصر وحدها على الأعداء .

وبعد أهوال قضت على كل رفاقها ، تعود الى الارض مصطحبة طفلة عثرت عليها تائهة بين اطلال الفضاء .

وطبعا كل هذا مرصع بمشاهد عنف يخلع القلوب ، من بينها ذلك المشهد الغريب القريب من نهاية الفيلم حيث ينقسم جسم آخر الرجال الاحياء من طاقم سفينة الفضاء بفعل احدى الكائنات الغريبة التى لانعرف من اين تأتى ، والى اين تذهب ، فاذا به شطران أحدهما الحامل للراس والصدر والأمعاء يسعى فى أرض السفينة وكأن صاحبه من الاحياء .

ونسور القانون لصاحبه « ايفان ريتمان » المخرج المنحدر من اصل تشيكوسلوفاكى ، يبدأ الفيلم كوميديا اجتماعيا شبيها « بضلع آدم » ذلك الفيلم الراقى الذى مثلته « كاترين هيبورن » مع النجم الراحل « سبنسر تراس » قريبا من نهاية العقد الرابع من القرن العشرين .

وفجأة يتحول فيصبح فيلما زاخرا بمطاردات وانفجارات وحرائق تلتهم الاخضر واليابس ، تهدد تارة حياة بطليه « روبرت ردفورد » و« دبراونجر » وتارة حياة المتهمة الحسناء « داريل حنا » وتارة ثالثة لوحات زيتية تقدر قيمتها بالملايين .

● صقور الصحافة ●

وحتى فيلم جاد « كقلب يحترق » لمخرج المسرح والسينما « مايك نيكولس » صاحب « الخريج » و« من يخاف فيرجينيا وولف » و« سيلكورد » ـ حتى هذا الفيلم وموضوعه منقطع الصلة بالعنف قد جاء متضمنا مشهدا فيه شيء من العنف .. كيف ؟

من المعروف أن « قلب يحترق » مأخوذ عن قصة حكت فيها « نورا افرون » الصحفية وكاتبة سيناريو الفيلم ملابسات فشل حياتها الزوجية مع « كارل برنشتين » ، ذلك الصحفى الذى كانت تحقيقاته مع زميله « وود ورد » فى « الواشنطن بوست » حول جريمة التنصت على المعارضة بفندق « ووترجيت » سببا فى طرد « نيكسون » من البيت الأبيض بمصير اسود .

وهى فى القصة ، ومن بعدها الفيلم الذى تغير اسمها فيه من « نورا » الى « راشيل » (ميريل ستريب) ، تحكى كيف وقعت فى حب « كارل » الذى تغير اسمه الى « مارك » (جاك نيكولسن) ، كيف تزوجت ، حملت ثم انجبت منه طفلة .

وأخيرا عند اكتشاف خيانته لها ، كيف غضبت عادت ثم اختارت فى النهاية طريق القطيعة والانفصال ، فكان ان تركته مع طفليها منه غير آسفة على شيء .

واضح اذاً ان « قلب يحترق » فيلم ناعم ، يتناول باسلوب رومانسى قصة حب بين رجل وامرأة من صقور الصحافة ، انتهت بعد معاناة مرارة الغيرة والاصطلاء بنارها المحرقة ، فى هدوء وسلام ومن هنا استبعاد وجود عنف فى فيلم اجتماعى رقيق كهذا يعرض لعلاقات بين زوجين انتهت كما بدأت دون اية مفاجآت مثيرة تستوجب اللجوء الى الغدارات وماشابهها من ادوات الهلاك ومع ذلك لم يستطع صاحب « قلب يحترق » مقاومة اغراء العنف ، حشره حشراً فى مشهد للبطلة اثناء وجودها غاضبة فى نيويورك بعيدا عن عش الزوجية فى واشنطن .

فدون مقدمات يقتحم عليها الشقة وهى فى رفقة بعض الاقارب والاصدقاء ، لص شاهرا غدارته ، طالبا من الحاضرين ما قد يكون معهم من اشياء غلى ثمنها ، وخف حملها .

وعلى كل ، ورغم هذا المشهد الدخيل ، فانه مما يحسب « لينوكلس » ان فيلمه ـ وعلى عكس « بعد ساعات العمل » رائعة « مارتين سكورسيزى » التى عرضت فى المهرجان ـ قد جاء خاليا تماما من دماء حمراء تراق وجثث مبعثرة هنا وهناك ـ وهذا ولاشك امر محمود فى السينما المعاصرة التى ليس لها من غذاء سوى العنف المتصاعد .

والحديث عن نورا او سارة بطلة « قلب يحترق » وزواجها الذى انتهى نهاية غير سعيدة يسحبنا الى الوقوف قليلا عند فيلمين من افلام المهرجان يعرضان لشقاء المرأة ، ولكن من منطلقين مختلفين .

● غادة الكاميليا ●

اولهما « الترافياتا » أو « المرأة الضالة لمبدعهما الموسيقار الايطالى الشهير « جيسيبى فيردى » .

والفيلم المستوحى من هذه الاوبرا اخرجه « فرانكو زيفريللى » الذى استطاع ان ينجو به من عبودية المسرح ، فلم يجعله مجرد اوبرا مصورة ، وانما جعله فيلما اوبراليا متحررا من الجمود ، محلقا دون قيود .

فمنذ اللقطات الاولى المصاحبة للعناوين ، وهى لقطات صامتة صمت القبور ، ونحن مع كاميرا حزينة فى سماء رمادية كابية تطل على باريس عابسة غضوب ، تنساب بنا فوق كنيسة نوتردام ونهر السين ، تمر بشوارع وبيوت شبه مهجورة حتى تتوقف عند بيت كبير ندخله معها ، وفى رفقة نفر من عمال واشباح كالغربان .

رياش وتحف مبعثرة هنا وهناك فى الممرات والقاعات ، لوحات واشياء اخرى ثمينة يحملها عمال تراقبهم عيون محضرين لاتنام .

ومثلما دخلنا البيت تدخل مقدمة فيردى الموسيقية رقيقة متهادية كالحلم حتى تصل بنا الى غرفة حيث نرى « فيوليتا » مريضة مستلقية على اريكة تحارب وحدها الوجع ، تسمع الاصوات ، فتنتفض كمن افاق من كابوس ، تتدثر بثوب وتخرج الى الممر حيث العمال والغربان .

كل ماحولها اشياء جامدة ، بليدة .

مغلفة بظلال زرقة مجهدة تعكس نهاية رحلة عمر .

وماهى الا لحظات حتى تلتقى عيناها بعينى فتى جميل مفتون بها ، يقف امامها مبهوراً .

ويبدأ شريط الذكريات .

الآن ، والآن فقط تختفى من امامنا الزرقة الكئيبة ، لنبصر بدلا منها الالوان التى نشتهى . الوان الاحمر والأصفر والبنى تتزاحم من مزيجها خيالات جو اعياد واعراس ومهرجانات .

ثمة حفلة زمنها القرن الماضى فى عهد الامبراطورية الفرنسية ايام العز .

ومع ذلك فثمة لمسة حزن سرعان ماتتحول مع الاحداث الى غمامة تمطر هما .

وهكذا وبفضل لقطة سينمائية من اجمل لقطات استرجاع الماضى « فلاش باك » نرى « فيوليتا » (تي . . ستراتس) متوردة الوجنات ، فى حالة استنفار وتوقع .

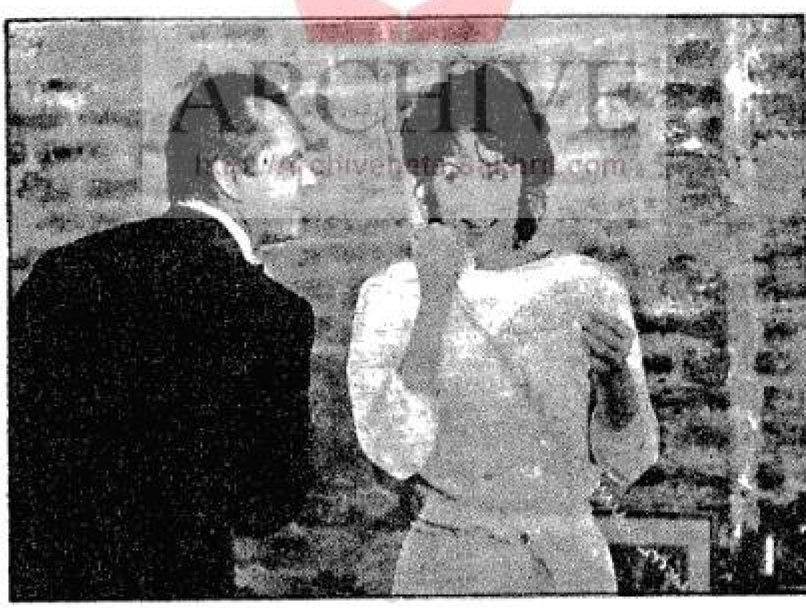
● نهـــايـــة ●

انها تحس داخلها باحساس غريب يهز كيانها ، يحدث خلخلة فى الاشياء من حولها ، هل هى حمى الحب ؟

انها فى حيرة من امرها ، هل تعيش امرأة وحيدة ضائعة فى تلك الصحراء المزدحمة المعروفة عند الرجال بمدينة النور ؟ ام تودع حياة اللهو واللعب من اجل الحب من أجل « الفريدو » (بلاشيد دومنجور) ؟ انها متوجسة خيفة ، وكيف لا والحب عند مثيلاتها انكسار وسقوط فى هاوية المجهول .

وطبعا ، وكما هو معروف ، تسمع نداء الحب ، تستسلم له وتضحى من اجل

« القلب يحترق ، وعش الزوجية ينهار



مهرجان القاهرة

« الفريدو » بكل شيء ، حتى بحبها له انقاذا منها لاسم اسرته وسمعته .

وغنى عن البيان أن تضحيتها هذه لايكتشفها الحبيب الا بعد فوات الاوان وها هى الزرقة الكئيبة تعود فتغطى المكان و « فيوليتا » ، كما فى البدء نسمع اصداء الموت فى صوتها ونراه على وجهها .

فاذا ما دخل عليها الحبيب ، نهضت ، حاولت الا تظهر له شيئا مما تعانى ، مرددة معه لحنا من نشيد السكينة الابدية ، حتى اذا ما اقترب الموت صحت مع صحوته ، كأنها الحياة تعود .

ومن بعد ان تنطق بالكلمات الاخيرة تتهاوى ، وقد انعتقت روحها من الارض ومتاعبها

● نكبة الفراق ●

أما الفيلم الثاني فهو « اللون ارجواني » للمخرج المعجزة « سيتفن سبيلبرج » صاحب « الفك المفترس » و « أى تى » و « انديانا جونز » وقد استوحاه من قصة المؤلفة السوداء « اليس ووكر » تلك القصة المتوجة باهم جائزتين للأدب فى الولايات المتحدة « بـوليتـزر » و« الكتـاب الامـريكى » (١٩٨٣) .

والفيلم الذى نحن بازائه يعتمد كما القصــة على شخصيتي الشقيقتيـن « سيلى » (ووبى جولد برج) و« نيتى » (اكوساوا بوزيا) .

وهو يبدأ بهما فى الشتاء (١٩٠٥) بين مروج بهية تغطيها زهور ارجوانية فى الجنوب الامريكى حيث يستعلى البيض على السود .

إنهما تلهيان ، تلعبان بين الزهور ، تضحكان ، تنشدان الحب الفريد الذى فى القلوب منذ الطفولة « انا انت .. لن نفترق ابدا ولكن سرعان مايفرق الزمان بينهما ... ولو إلى حين . « فسيلى » يبيعها زوج امها التى ماتت مجنونة الى ارمل غليظ القلب « السيد البرت » (دانى جلوفر) لتكون شريكة حياته بالاكراه بدلا من زوجته التى ماتت مقتولة ، تاركة وراءها اطفالا مشاغبين ..

اما نيتى الاخت الصغرى فهى الاخرى لم تتح لها فرصة الاستقرار طويلا مع زوج امها ، فالقلق والاضطراب ومخافة العار ، كل ذلك اضطرها فى ربيع (١٩٠٩) الى الفرار حيث تعيش اختها « سيلى » اسيرة حياة زوجية ما اكثر التعرض فيها للذلة والهوان وبحكم ان حظها من العلم والحكمة كان اكثر بكثير من حظ اختها الكبرى ، فقد عملت على تعليمها القراءة ، وتحريضها على الثبات لزوجها الفظ ومقاومة الاستبداد .

ورغم ان « سيلى » كانت مبغضة اشد البغض لهذا الزوج ، فـإنها كـانت مقصوصة الجناحين ، ضعيفة مذعنة لعبث اقدار لامرد لها ، ولامصرف عنها ..

وطبعا ما كان لنيتى ان تطيق هذه الحياة الممتلئة بالخطوب والاستسلام .

لقد صدت « السيد زوج اختها » صانت كرامتها واستمسكت بالاباء ، فكان ان طردها شر طردة ، محدثا بذلك فراقا بين الاختين دامت لوعته نحو عشرين عاما

وفى صيف ١٩١٦ ، ومن كينيا بافريقيا حيث سافرت « نيتى » بعثت برسائل الى اختها التى لم تعرف عنها شيئا لان « السيد » لجأ إلى وسيلة لاتخطر على بال ، احتجز الرسائل ، اخفى امرها عن زوجته .

وهكذا اصبحت « سيلى » ـ وقد انقطعت اخبار اختها تماما ـ مغتربة ، مثقلة القلب بالهموم ، تساورها خيالات موت الاخت ، تكابد الحياة والناس وحيدة ، تشكو ما كان من امرها فى هذه الدنيا الى السماء .

وسط هذا الجو الزاخر بصور رائعة من جمال الطبيعة (ولاية كارولينا الشمالية) ، ومظاهر مؤسية من فساد الازمنة والعلاقات ، انطوت تسعة اعوام من عمر « سيلى » تمثلها خلالها كل من حولها نقية شفافة . شفيقة ، صبورة على الآلام .

ومرت خلالها أحداث لكل منها تأثيره على نمو وعيها فيما هو آت من ايام ، كان من بينها الالتقاء « بشوج » (مارجريت اتيرى) تلك المغنية الشهيرة التى لم يكن يشغلها من شئون الحياة غير ارضاء نزعاتها الفنية .

ورغم ان الاختلاف بين هاتين المرأتين كان بعيدا الى اقصى غايات البعد ، فإنهما التقيتا فى شىء واحد .

فقد بات صوت شوج اعزب الاصوات عند « سيلى » قولـها لها فى عينى « شوج » الواسعتين حر بغير قرار من المحبة .

● الكيـد العظيـم ●

وفى ربيع ١٩٣٦ ، تشاء الصدف ان تعثر « شوج » على رسالة موجهة من « نيتى » المقيمـة فى افريقيـا الى « سيلى » فات على السيد زوجها اخفاؤها وهنا تشترك المرأتان فى تفتيش غرفة « السيد » اثناء غيابه بحثا عن رسائل اخرى .

وينتهى بهما البحث الى العثور على عشرات من الرسائل تحكى فيها « نيتى » اكتشاف القارة السوداء ، وحياتها مع آل « شامونيل » وطفليهما بالتبنى .

وبعد هذا كله ، فما اريد ان اكشف موقف « سيلى » من زوجها « السيد » اثر اكتشافها واقعة اخفائه رسائل شقيقتها زهاء عشرين عاما من عمر الزمن .

ومـا اريد ان الخص النهـايـات والمفاجآت السعيدة التى يزدحم بها الفيلم وهو يقترب من الختام .

كل ما اريد ان اقوله انه ما اسرع الانغماس مع « اللون ارجوانى » فى الحياة الامريكية كما تعيشها الطبقة المتوسطة السوداء ، حتى كأن المتفرج يحياها مع اصحابها ، لا انه يشاهد احداثها ، وصورها اطيافا على شاشة فضية .

وهذا وحده كاف للثناء على اول فيلم جماهيرى جاد « لسبيلبرج » وذلك رغم هنات النهايات السعيدة .

● المهرجان الوليمة ●

وبعد فالاكيد ان المهرجان قد ساهم بما عرض من افلام جاءت القاهرة من القارات الستة .. من الوطن العربى ، من السويد شمالا الى استراليا جنوبا ، من الارجنتين وكندا غربا الى الهند واليابان شرقا . ساهم فى النهوض بوعينا السينمائى والاكيد .. الاكيد انه دلنا الى اهمية الكلمة البلسم .. الكلمة الوحى والواحة فى الفن ... الحرية

شهريات

وجه الولايات المتحدة في الصحف.. أيام عبد الناصر والسادات!

عرض : هبه عادل عيد

ما هي صورة الولايات المتحدة في الصحافة المصرية خلال الستينيات والسبعينيات ؟ .. حول هذا الموضوع الهام قام الباحث حماد ابراهيم حامد بدراسة تغير الافكار السائدة في الصحافة المصرية ، راصدا ملامح وتصورات كتاب الصحافة حول الولايات المتحدة من جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية مبينا التصور الصحفي المطروح وعلاقته بصانع القرار المصري في فترتي عبد الناصر والسادات ، ومدى التقارب او التعارض بين راي الكتاب انفسهم وبين الموقف الرسمي بالنسبة للعلاقة بين مصر والولايات المتحدة الامريكية .

الدراسة تناقش هذا الموضوع الهام من خلال قراءتها المتأنية للصحف اليومية الثلاث : الاهرام ، الاخبار ، الجمهورية .. وقد أشرف عليها ـ كرسالة ماجستير ـ الدكتورة عواطف عبدالرحمن ، وشارك في مناقشتها الدكتور فؤاد زكريا والدكتور محمد سيد محمد رئيس قسم الصحافة بكلية الاعلام .

تبدأ الدراسة بصحيفة الاهرام ، وقد برر الباحث اختياره لذلك بعوامل تتعلق بالصحيفة نفسها ، وبعوامل اخرى تتعلق بشخصية رئيس تحريرها في ذلك الوقت محمد حسنين هيكل ، مؤكدا على خصوصية وضع الاهرام ، نظرا للعلاقة المتميزة بين رئيس تحريرها والرئيس جمال عبدالناصر الامر الذي جعل منها مركزا فكريا للاراء والاجتهادات المختلفة مما جعلها تصبح « حزبا آخر » يكاد يقف في مواجهة حزب الدولة المعروف بالاتحاد الاشتراكي .

ومن ناحية العلاقة بين الصحيفة وبين

المثقفين لميزت الاهرام بتوجهها للنخبة فاهتمت بتقديم خدمة صحفية تأخذ في الاعتبار البعدين المحلى والدولى ، الامر الذى جعل الولايات المتحدة موضوعا يحتل مساحة كبيرة من الكتابات ، ويبدو أن ذلك كان بسبب سياسة الجريدة التى رأت أهمية دور النخبة من المثقفين فى التأثير على الرأى العام المصرى فى المواقع المختلفة بالمجتمع .

اما بالنسبة للعوامل المتعلقة بشخصية محمد حسنين هيكل ومكانته المميزة فى صحافة الستينيات (من خلال مقاله بصراحة الذى اعتمد على الخبر الجديد وتحليله وتفسيره) فانه – اى هيكل – أصبح مصدرا يمكن الاعتماد عليه فى التعرف على مسار الاحداث الداخلية علاوة على علاقات مصر الدولية .

هذا بالاضافة الى أن تميز هيكل اعتمد على حرصه على تجاوز مكانته الصحفية « كتابع مباشر » لصانع القرار ، مع التزامه الدائم بأن يظل فى حوار مع السلطة ، دون أن يعنى ذلك اختلاقه مع صانع القرار فى الاستراتيجية .

ويؤكد **الباحث** فى رسالته على أن **عبد الناصر لم** يصادر رأيا **عمل من داخل النظام ، وان الحرية** التى **كانت لهيكل انما جاءت** بسبب استبعاده **من دائرة الخصوم الاساسيين** للنظام ، مستشهدا بما قاله لطفى الخولى من أن الاجراءات القمعية ايام عبد الناصر لم تكن موجهة للفكر او التعبير ، وانما كانت موجهة اساسا الى ما يعتقد أنه تنظيم سياسى مضاد للدولة .

وعندما جاءت فترة السبعينيات تعرض دور هيكل – وبالتالى الاهرام – الى هزات عنيفة ، ويرجع الباحث ذلك الى ملامح شخصية السادات ، ويستشهد بما قاله الصحفى اللبنانى سعيد فريحة : « **مع عبد الناصر كنا نستطيع أن نتناقش ، وهذا الرجل اقفل الباب على الفور** » .

مراحل العلاقة الامريكية المصرية

على اية حال فان الباحث خصص الجزء الاكبر من دراسته للعلاقات المصرية الامريكية التى تراوحت – عبر ما عبرت عنه الصحف المصرية نفسها – الى عدة مراحل فى فترة السبعينيات .

الرحلة الاولى كانت مرحلة الترويض ، منذ البدايات الاولى لقيام الثورة ، حيث ارادت الولايات المتحدة أن تخضع الثورة بالاسلوب الدبلوماسى لخططها فى المنطقة ، الامر الذى رفضته الثورة ، وكان ان عقدت صفقة الاسلحة الشهيرة مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٥ لتبدأ مرحلة جديدة اسماها الباحث مرحلة العقاب التى يحدد بدايتها بعام ١٩٥٦ بالحرب النفسية ضد مصر وعبد الناصر ، **وتجلت فى سحب عرض تمويل** مشروع السد **العالى ، ثم امتدت بعد** الحرب المسلحة **فى السويس** الى حرب **اقتصادية استمرت الى سنة** ١٩٥٨ . حيث بدأت الولايات المتحدة تحاول مرة أخرى احتواء مصر خاصة عام ١٩٥٩ مستغلة الخلاف الذى حدث بين مصر والاتحاد السوفيتى بسبب دور الحزب الشيوعى العراقى وأخطائه فى عهد


احمد بهاء الدين


محمد حسنين هيكل


مصطفى بهجت بدوى


لطفى الخولى

شهريات

عبد الكريم قاسم ، واستمرت هذه المرحلة حتى سنة ١٩٦٢ حين بدأ الصدام بين الثورة العربية وجيش مصر في اليمن من جهة ، وبين الرجعية العربية والاستعمار البريطاني في الجنوب اليمني المحتل من جهة أخرى .

ثم تأتي مرحلة رابعة في هذه العلاقة أسماها الباحث مرحلة محاولة العنف ويحدد بدايتها بعام ١٩٦٢ لتستمر وتبلغ أقصى درجات العداء بحرب يونيو ١٩٦٧ **التي جسدت التواطؤ الامريكي الاسرائيلي ليس فقط في المجال العسكري بل تجاوز هذا التواطؤ ليشمل الميادين التكنولوجية والدبلوماسية والاقتصادية .**

بعد ذلك تأتي الى المرحلة الخامسة التي أسماها الباحث بمحاولة فرض الاستسلام ، وذلك بعد حرب ١٩٦٧ استغلالا للهزيمة العسكرية ، وتوازنات القوى التي أدت اليها من أجل املاء سياسات امريكية واسرائيلية على عبد الناصر ، بقصد فرض الهدف الأساسي اى الاستسلام ، وقد امتدت هذه الفترة حتى ما بعد عبد الناصر الى سنة ١٩٧٣ التي توجت بحرب اكتوبر .

يقول الباحث في رسالته من هذه الفترة ان جذور التحول السياسي للنظام المصري تجاه الولايات المتحدة دلت عليها مجموعة شواهد مبكرة منها على سبيل المثال بداية الدعوة للتركيز على الحل السياسي لصراع الشرق الاوسط ، وبداية ظهور الدور السعودي بوضوح كمحدد لعلاقات مصر الدولية ، ثم قرار انهاء مهمة الخبراء السوفييت .

علاوة على ذلك لم تغفل الدراسة مبررات التحول في توجهات النظام السياسي المصري في هذه الفترة وأوضح دور العوامل الداخلية المتمثلة في المركزية الشديدة لاجهزة الدولة ، مما أدى وبالضرورة الى تضخم دور القائد السياسي في صنع السياسة الخارجية ، وتمركز العملية السياسية حول شخص الحاكم ، أيضا ظهر دور القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في التغيير ، مما أعطى السادات الركيزة الاساسية متمثلة في السند الاجتماعي للسياسات التي طبقها فيما بعد .

وطبقا لافكار وتصورات السادات من خلال تحليل خطبه المنشورة في الصحف المصرية ، والتحليلات التي انتهجتها هذه الصحف لها ، رأى الباحث أن السادات كان يأمل ان تغير الولايات المتحدة سياستها ، او حتى تعدلها على الاقل ، وعندما جاءت حرب اكتوبر ١٩٧٣ بدا أن السادات أصبح مقتنعا بأن هناك تغييرا طرا على السياسة الامريكية ، وأشار الباحث الى العوامل الشخصية التي جعلت السادات يزداد اقتناعا بهذا المنحى ، وحتى بها علاقاته بعدد من الشخصيات (النجوم) الامريكيين وعلى راسهم نيكسون وكيسنجر .

● متاعب الصحفيين ●

واستعرض الباحث ما تعرض له بعض الصحفيين خلال السبعينيات من تعسف ، فقد كان لابد لرموز التيار الذي أعلن من قبل التزامه بالخط الوطني لعبد الناصر من ان يعبروا من مواقفهم وآرائهم ، ولكن مع اطراد العلاقات المصرية الامريكية ، وتوقيع فصل الاشتباك الاول واتجاه السادات الى الاعتماد على الحل السياسي ، وطرح وتنحية فكرة البديل العسكري ، والاتجاه ناحية الحلول المنفردة ، واخراج الاتحاد السوفييتي من القضية والمنطقة ، بدا رموز هذا التيار يتعرضون لانواع متباينة من الضغوط ، مثل فرض الرقابة على كتاباتهم ، وتعمد ارهابهم فكريا عن طريق اتهامهم بالشيوعية والالحاد ، وافتعال مشكلات تتعلق بعملهم في المؤسسات الصحفية ، **ثم اتساح الفرصة لعناصر من اليمين لتدعو الى التخلص من احمد بهاء الدين (رئيس تحرير الاهرام) ومصطفى بهجت بدوى ، رئيس تحرير الجمهورية ، ونقل البعض** ، واضطر آخرون الى الهجرة ، أو الارتحال ، وهكذا تم التخلص من هذا التيار ، بدءا من

هيكل سنة ١٩٧٤ وحتى مصطفى بهجت بدوى وزملائه فى الجمهورية عام ١٩٧٥ ، التى تحولت من صحيفة تمثل الفكر الوطنى المصرى والعربى ، وتفسح المجال للنقاش بين تيارات الحركة الوطنية وخصائلها المختلفة ، الى صحيفة خدمات

● بديهيات لاتحتاج الى اثبات ●

اما المناقشة فقد بداها الدكتور فؤاد زكريا باعتراضه على عنوان الرسالة الذى وصفه بانه بديهى ومعروف ، وانه كان يتمنى لو ان الباحث قد قدم افتراضا جديدا ومعرفه اعمق وابعد مما ذهب اليه، وانتقد محاولة الباحث اثبات التناقض البديهى لصورة الولايات المتحدة فى صحافة الستينيات عنها فى السبعينيات، وأكد على ان هذه الحقيقة البسيطة يعرفها رجل الشارع ، ولم تكن بحاجة لكل هذا الجهد ، ثم شرع الدكتور زكريا فى مناقشة الباحث حول مسألة صورة الولايات المتحدة فى ذهن صانع القرار ، وصورتها كما قدمتها الصحافة ، وأيهما يسبق الاخر ، وكان المثال الذى قدمه الباحث هو مقالات لبيب شقير عن عدم ملاءمة النظام الامريكى لمصر ، وكان هذا عام ١٩٦١ الذى توج بصدور القرارات الاشتراكية . وقال الدكتور زكريا انه كان معروفا فى هذا الوقت ان عبد الناصر كان يريد تهيئة المناخ لاستقبال القرارات الاشتراكية ، اما عن علاقة الصحافة بصاحب القرار فقد أكد فؤاد زكريا على أن الصحافة كانت خاضعة للحاكم طوال الوقت ، وعاب على الباحث اضاعة جهده فى تحقيق مسألة أيهما كان يخضع للاخر.

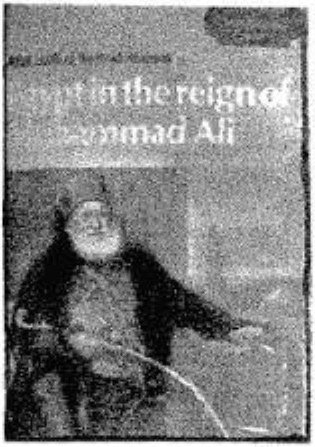
وكانت النقطة التالية التى اثارها د. فؤاد زكريا هى اعتماد الباحث على الخطابات السياسيه لكل من جمال عبد الناصر والسادات واعتبرها معبرة عن فكرهما السياسى ، وقال د. زكريا ان هذه الخطابات وجه اعلامى متعمد ، واحيانا تجىء منافية تماما للسياسات التى تجرى فى الخفاء ، وقال ان مذكرات احمد بهاء الدين التى ينشرها فى المصور، وكتاب هيكل ملفات السويس يؤكدان ذلك ، وكان على الباحث ان ياخذ فى الاعتبار مسألة التكتيك السياسى الذى يقتضى احيانا اخفاء بعض الجوانب التى بدون اظهارها لا تكتمل الصورة ، لم تطرق فؤاد زكريا الى مسألة حرية الصحافة ، واتهم الباحث بانه لم يتناولها بالشكل الواجب .

● من النقيض الى النقيض ●

وقال د. محمد سيد محمد من بين ما قال أن هذه الرسالة أوضحت كيف يتحول بعض الصحفيين من النقيض الى النقيض ، كما أوضحت الملامح الفكرية للكتاب غير الملتزمين ، والذين يعتمدون على الفهلوة ، وختم ملاحظاته بقوله : « اننا رفاق مسيرة عسيرة اذ اننا جميعا جئنا فى ظروف صعبة » . ثم وجه الشكر للفلاحين الذين زينوا القاعة بحضورهم.

ثم تحدثت د. عواطف عبد الرحمن المشرفة على الرسالة معقبه على ملاحظة د. فؤاد زكريا حول بديهيه موضوعها قائلة : ان الدراسات الاعلامية والصحفية فرع حديث بالنسبة لفروع العلم الاخرى، وكاى علم حديث يحتاج الى تاصيل الكثير من الامور التى قد تبدو مسلمات بالنسبة لفروع العلوم الاخرى ، وان هذا التاصيل يستوجب منا ان نبدا من البدايات الاولى للاشياء ، واكدت الدكتورة عواطف على الموقف الموضوعى للباحث من محمد حسنين هيكل ونفت شبهة التحيز له ، وأن من بين آراء الباحث ما يأتى مناقضا لاراء ومواقف هيكل ، واوضحت المشرفة على ان موقف الباحث من مسالة تبعية الصحافة للسلطة يلخصه تصريحه لها بانه لا يرى غضاضة فى ان تكون الصحافة تابعة للسلطة بشرط ان تكون هذه السلطة وطنية .

واعترضت المشرفة على هذا الرأى مؤكدة على ان خطورة هذا الراى فى انه يجعل من تبعية الصحافة للسلطة قاعدة وأساسا مبدئيا ، قائلة : ومن حسن الحظ ان السلطة كانت وطنية فى الستينيات ، ولكن هذه السلطة وضعت مبدا التبعية ، وعندما تغير الوضع ظلت الصحافة تابعة للسلطة، وكان ذلك كارثة، لذلك يجب الا نترك الامور للصدف ، ويجب ان نرفض مبدا تبعية الصحافة لاى سلطة كانت .



كتاب الشهر

مصر في عهد محمد على

تأليف: د. عفاف لطفى السيد ● عرض وتقديم: د. السيد أمين شلبي

هذا الكتاب مساهمة علمية هامة لكتابة تاريخ مصر من ١٨٠٥ - ١٨٤٨ حين كان محمد علي يحكم مصر. حقيقة أن عددا كبيرا من الكتب قد صدر عن هذه الفترة خلال القرنين ١٩ - ٢٠، إلا انه كما لاحظت الأستاذة المؤلفة، لم يظهر عمل كبير منذ عام ١٩٦١، الأمر الذى دفعها لأن تبذل هذا الجهد العلمى المخلص كى تفتح باب البحث من جديد فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر بل وتاريخ منطقتها.

والواقع انه مع وفرة ما صدر عن هذه الفترة الا أن القليل منها هو الذى عالجها بموضوعية وتوازن، فكثير منها كتب إما بدافع التأييد والدفاع عن الأسرة المالكة في مصر، أو بهدف الانتقاص منها، وهو ما حاولت الدكتورة عفاف لطفى السيد، بتوفيق يدعو للاعجاب، أن تتجنبه وتعرض لهذه الفترة بكل جوانبها الايجابية والسلبية.

كذلك مما ميز الكتابات السابقة عن هذه الفترة - فيما عدا قلة منها - عدم الرجوع والاستفادة من الوثائق المصرية التى اعتبرتها المؤلفة أنها مازالت «منجما لم ينقب عنه بعد»، ولذلك عمدت فى عملها الى استشارة هذه الوثائق الأمر الذى ضاعف من القيمة العلمية لكتابها.

ويجىء كتاب الدكتورة عفاف المصرية الأصل - فى وقت مناسب فيما يتعلق بتطور النظر فى مصر للتاريخ المصرى حيث انتهى الى موقف رشيد

يرى هذا التاريخ باعتباره كلا متصلا ومتتابع الحلقات

● مصر في عهد المماليك ●

كانت أحوال مصر فى عهد المماليك هى مدخل الكتاب ، وتلاحظ الكاتبة أن الكثير مما كتب عن تاريخ مصر فى القرن ١٩ يفترض أن محمد على قد ادخل شكلا جديدا من الحكم ، ونظاما اقتصاديا جديدا ، حوّل مصر الى دولة حديثة ولم تنسب الى محمد على أنه مؤسس ومجدد مصر الحديثة وبانفصال كامل عن الماضى المملوكى وتعتبر المؤلفة أنه وان كان هناك بعض الحقيقة فى ذلك ، فإن اقتناعها أن محمد على لم يدخل نظاما اقتصاديا كاملا فى مصر وإنما نقح ووسع النظام الاقتصادى القائم ، وأن الشكل الجديد نشأ من ضرورات هذا النظام وتستخلص أن كثيرا من «التجديدات» التى نسبت بعد هذا الى محمد على هى فى الحقيقة استمرار للنظم القديمة .

أما أصالة محمد على الحقيقية فهى تكمن فى أنه تعلم أخطاء أسلافه وجمع أفكارهم فى تطور الى برنامج متماسك وأصل تحويل الأساسين الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع المصرى وهو التحول الذى كان قد بدأ منذ فترة طويلة قبل وصول محمد على .

● محمد على الرجل ●

لم تكن حتى الأسرة المالكة فى مصر واثقة من تاريخ ميلاد محمد على ، وإن كانت الوثائق قد استقرت على أن التاريخ الصحيح لمولده هو عام ١٧٧٠م . وقد نشأ محمد على فى بيت أبيه إبراهيم أغا فى «قَوَله» ، رغم أنه ادعى فى سنوات لاحقة أنه نشأ يتيما فقيرا رباه عمه طوسون . وهذا ادعاء خالص . فقد مات أبوه ومحمد على فى العشرين من عمره رجل مكتمل ومتزوج . أما لماذا ادعى محمد على هذه القصة فان أبرز التفسيرات انه أراد أن يقدم نفسه على انه الرجل الذى بنى نفسه وصعد الى الشهرة فى مواجهة صعاب جمة ، وأنه قصد أن تقدم هذه الصورة بالذات الى ابنائه ليحثهم على العمل والكفاح .

وجميع من قابلوا محمد على سواء من الأهل أو الأجانب علقوا على جاذبيته وحسنه ، وإن كانت مراسلاته تكشف جانبا اخر تهكميا ولاذعا ، وصريحا للغاية وقد يصل الى حد الوقاحة ، إلا ان هذه المراسلات وجهت الى معاونيه المخطئين ، الذين يعود فيثنى عليهم اذا ادوا واجبهم . وعلى عكس إبنه ابراهيم "وقهقهته العالية ، كان محمد على ذا ضحكة قصيرة ، جافة ، يتحرك بهدوء ونعومة . ازاء هذا وصفهما رجل فرنسى بالثعلب والأسد . ولكن اذا كان للأب بعض صفات الثعلب . المكر ، والحذق فى تفادى المواقف الخطرة ، ويقظة العقل . فإنه أيضا يمتلك بعض صفات الأسد ، فلديه الشجاعة ويبدو اكبر من الحياة فى أعين مؤيديه ومعارضيه . كما كان يمتلك درجة من الانسانية لم تكن لدى ابراهيم ..

ولم يكن محمد على لينسى أفضال الناس عليه وكان يردها حين يكون قادرا على ذلك ، وفى أول فرصة ، كما كان يحب الأجانب والأقليات وكان يجدهم جديرين بالثقة . ومع أن هذا قد يكون محاولة متعمدة لتقليد السلاطين الأوائل الذين جمعوا فى بلاطهم مواهب من كل أصل

كتاب الشهر

وقومية ، فإننا يمكن أن نعزى هذا الى أن محمد على كان رجلا برجماتيا استخدم كل موهبة متاحة له ، وباعتباره رجلا راجح النظر فقد تحقق من أن المعاونين الذين يحتاجهم لايتوافرون بين شعبه ولذا شرع فى تعليمه وفى نفس الوقت استخدم قدرات الأجانب ، وربما كان حبه للموهبة الفرنسية يرجع للاعجاب الكبير الذى كان يحمله لنابليون .

وقد كان من الواضح أن محمد على يحمل علاقة حب وكراهية للعثمانيين وكان يخشى فقدانه لهويته ، الأمر الذى يفسر موقفه المزدوج منهم وتردده فى أن يحدث قطيعة حادة معهم ومع النظام العثمانى فى الحكم ، كما أن هذا يفسر محاولته لاحياء الثقافة العثمانية فى مصر ونشر كلاسيكيات العصر الذهبى للقرن ١٦ بحيث يمكن لمؤيديه وخلفائه أن يواصلوا هذه الثقافة دون شعور بالانفصال عن جذورهم العثمانية . غير انه بعد زمن طويل وخلال حكمه قرر القطيعة عن العثمانيين سياسيا ولم يكن لديه عندئذ خيار كبير فى ذلك .

وكانت رؤيته بالنسبة لمصر طليعية بالنسبة لزمنه ، الأمر الذى ميزه عن هؤلاء الذين سبقوه والذين جاءوا بعده وجعله واحدا من اكثر الحكام المرموقين الذين عرفتهم مصر .

وكان محمد على رجلا عسكريا ، وكان طبيعيا أن يدمر أعداءه بوسائل عسكرية ، كما فعل مع المماليك ولكنه كان أيضا سياسيا حذقا وماهرا حاول أولا شراء اعدائه ولم يستخدم القوة إلا كملجأ أخير . وبوجه عام لم يكن يستريح لاستخدام القوة لانه اعتقد انها تترك اثرا سيئا بينما كان الاقناع فى رأيه بديلا افضل .

وكان محمد على يدرك جيدا أنه ليس هناك حاكم يبقى فى الحكم إن لم يأخذ فى اعتباره التيارات الداخلية فى بلده ، وقد تعلم محمد على هذا الدرس جيدا خلال أيامه الأولى ، وابقى نفسه على علم بمزاج الجماهير خلال فترة حكمه فكانت الشائعات تصله فور ظهورها وكان قادرا على تهدئتها أو السيطرة عليها .

ويمكن وصف حكومة مصر فى هذه الأيام باعتبارها حصادا وصراعا بين قوتين غير متكافئتين ، فمن ناحية كان الحكام يصدرون اوامرهم أو يفرضونها من اعلى على الأهالى ، ومن ناحية أخرى كان الأهالى يضغطون من أسفل .

ورغم هذه الطبيعة غير المتكافئة والمتصارعة بين محمد على وشعبه ، فإن المؤلفة تنتهى إلى تحليل يشير الى التعامل بين الجانبين والى دور الشعب المصرى فى عملية البناء ، والتحديث التى باشرها محمد على فتقول : « إن القوة والمهارة العظيمة التي دفعت بلدا من حالة تقترب من الانهيار الاقتصادي الى أرض غنية ومزدهرة قد عزى الفضل فيها الى محمد على وبعد نظره ، إلا أن هذا لم يكن ليتحقق إلا بتعاون الشعب المصرى ووقفته الشجاعة فى وجه المحن . وكذلك قدرته على النقاهة من الجروح القديمة » وهكذا صنعت مصر محمد على بالقدر

الذى ساعدها هو على أن تستفيق من حالتها اليائسة فى القرن ١٨ .

● بلد بلا سيد ●

بعد نزول القوات البريطانية والعثمانية الى مصر فى ٨ مارس ١٨٠١ وسقوط القاهرة بعد ثلاثة شهور ورحيل القوات الفرنسية بعد ذلك بأسبوع ، تتالت الأحداث ، وان كانت الصراعات بين القوى المختلفة قد بدت على أنها صراع على التفوق ، فإنها كانت أيضا مدفوعة بالحاجات الاقتصادية . وبعد أزمة مالية وزراعية طويلة ، لم تكن مصر قادرة على تأييد كل من المماليك والعثمانيين معا ، فكان على واحدة من تلك القوى المتصارعة أن تذهب لكى تخلى السبيل لنخبة حاكمة واحدة ، وبالنسبة للنخبة المحلية كان من الواضح أن المماليك قد تجاوزوا جدواهم ، وأصبحوا عبئا وأن عليهم أن يذهبوا .

وحين اختار العلماء محمد على فى المواجهة مع خورشيد ، واستصدروا فرمانا من السلطان بتوليته واليا على مصر وفقا « لارادة الشعب » كان الفارق بين هذه الحالة من خلع حاكم غير شعبى وبين حالات سابقة ، وفى هذه الحالة كان العلماء والشعب هم الذين نفذوا هذا وليس المماليك او الجنود . وقد توقع العلماء أن يحكم الحاكم الجديد بالتشاور معهم وكما وعد محمد على السيد عمر مكرم « الا يفعل أمرا الا بمشورته ومشورة العلماء » وأن يخلع إذا حاد عن هذا الطريق ، وبهذا الشرط المسبق كان العلماء يجعلون من انفسهم سلطة فوق الحكومة ، ومنفذين للشريعة وكانوا فى هذا يعودون نظريا الى التطبيق الاسلامى الأول ، ولكنهم فى الواقع كانوا يحاولون الحد من سلطة الحاكم الجديد .

وعلى خلاف هذا الموقف الأول من العلماء فى الاختيار والمسئولية ، تقدم الكاتبة تحليلا لتطور مواقفهم حين رفض خورشيد فى البداية تسليم السلطة واستمرار القتال بين الجنود والجماهير وسيادة حالة من الفوضى ، فتقول إن العلماء تملكهم خوف من قوة الجماهير أكثر مما خشوا الجنود ، وأعلنوا أنهم لن يقوموا بأى نشاط سياسى وأبلغوا محمد على أنه مادام هو قد أصبح سيد البلاد فإن المواطنين لم يعد لهم دور سياسى يلعبونه وأنه متروك لمحمد على تطبيق تعاليم السلطان .

● سيد فى بيته ●

منذ الايام الاولى لوصوله الى مصر ، أخذ محمد على ، وهو القادم من أرض قوله القاحلة ، بالغنى الكامن فى أرض مصر ، فالبلد التى مرت بسلسلة من الاوبئة ، والمجاعات ، والمحاصيل السيئة والحروب التى استمرت سبع سنوات ، لابد أن تكون الآن مخربة تماما وفقيرة ومجردة من أى موارد ، ومع هذا استمرت تربة مصر فى تقديم الغلال وتبين عن وفرة كامنه . ومن هنا فتن الضابط الصغير بتربة مصر حيث كل شىء ينمو بوفرة وسهولة ، وكذلك وطن فى فكر حاكم مصر المقبل أن لديه إمكانيات مستقبل زاهر لهذا البلد قائم على الزراعة والتجارة .

ورغم أن تولية محمد على واليا على مصر عام ١٨٠٥ كان انتصارا عظيما ، فإنه كان انتصارا مزعزعا ، فليس لديه مال ، ولا جيش تربطه به روابط دائمة من الولاء نحوه ، حقيقة أنه يحوز فى الوقت

الحاضر على تأييد النخبة الوطنية ، من العلماء والتجار الذين قد يجمعون المال له ، ولكن الى متى يفعلون هذا قبل أن يتحولوا ضده . إن النخبة المحلية لا تستطيع أن تجعل منه حاكما دائما ، ولا يمكنهم أن يحاربوا له ضد المماليك والعثمانيين ، وهكذا واجه الوالى موقفا سياسيا صعبا استمر حتى عام ١٨١١ ، إلا أن هذه الفترة هى التى وضعت له الأساس لرؤيته للمستقبل ، وصاغت المخالفات التى حكمت مصر للحقب الأربع التالية .

كذلك أكدت له القوة البريطانية التى نزلت إلى الاسكندرية عام ١٨٠٧م واستمر احتلالها ٦شهور ، ضعف مركزه فى مصر ، وحاجته الى قوة دفاعية ذاتية ، ورغم ما أبدته البلاد من استعدادات للمقاومة ، فإنه ، شأنه شأن العلماء ، كان يخشى الحركات الشعبية ، ويعتقد مثلهم أن الحرب هى عمل الجنود وليس الجماهير .

وقد بدأ محمد على بإعادة تقييم تحالفاته بالمواجهة مع العلماء حين أصدر عام ١٨٠٩ أمرا بأن تخضع أراضى الوقف للضرائب ، وخرج الوالى منتصرا من هذه المواجهة التى انتهت بعزل عمر مكرم من منصب نقيب الأشراف وتعيين الشيخ السادات بدلا منه ، بل ونفيه الى دمياط . ومع تراجع قوة العلماء بعد هذه المواجهة ، فإن هذا لم يكن يعنى أن نفوذهم قد انتهى ، أما ما تأثر حقا فهو قوتهم كمصدر رئيد للمعارضة داخل البلاد ، وضياع فرصة ذهبية أتيحت لهم لفترة قصيرة وكان يمكن أن تؤذن ببداية عهد جديد من الحكم يجرى بالتشاور مع العلماء .

● العائلة والأصدقاء والعلاقات ●

تشير شخصية محمد على أنه رجل يخطط كل تحركاته بعد قدر كبير من التفكير ، ولذلك سوف نسىء الحكم عليه إذا ما افترضنا أنه كان يتصرف وفق هواه أو بالهام من طرف ثالث . فقد كان يستشير مستشاريه سواء القلة التى يحترمها منهم أو الكثرة التى يزدريها ، وكان ينتقد العمل بغير تفكير ناضج . وقد اتضح هذا من خطاباته الى أبنائه وخاصة الى اسماعيل الذى كان متهورا ومندفعا وإن مركز القائد الأعلى (سر عسكر) لايحافظ عليه من خلال البطولة التى نسميها البسالة ولكن من خلال حسن التدبير ، والتساؤل المستمر ، والتشاور مع جنوده فى كل الشئون ، لذلك وجه دائما الأسئلة حتى يمكن أن تتعلم كل شىء يقودك الى النصر » .

وكان محمد على يؤمن بقيمة المتخصصين ، وكان يبحث عنهم ويتعلم منهم ، ويستفيد من مقترحاتهم ، وحاول أن يعلم أبناءه قيمة الخبرة وأصحابها ، ولأنه يدرك أنه مر بدروس صعبة فقد تمنى أن يوفر على نفسه وعلى أبنائه أخطاء قد تكلفه عرشه أو حياة أحد أبنائه . إن أحد أبنائه (إسماعيل) لم يصغ الى نصحه فمات ، أما ابراهيم فقد استمع الى نصيحته فعاش لكى يصبح استراتيجيا بارزا وجنرالا عظيما .

كما كان يدرك أن أصدقاءه من الألبان والمحيطين به لديهم الكثير لكى يتعلموه

من الغرب ، لذلك فقد استأجر الخبراء ليعلموهم ، وكان معظم الزوار من اوربا يسمح لهم بمقابلة محمد على فورا ، وجميعهم يرون حرصه على التقاط أفكارهم وسؤاله عن الأحداث والاختراعات فى أوربا ، وإرساله ، وكذلك ابنه ابراهيم ، فى طلب آلة اخترعت حديثا فى أوربا وكيفية استخدامها .

وبخلاف أعضاء عائلته المباشرين ، فقد كان الألبان من موطنه قوله هم أكثر شركائه ، أما مناصب الجيش العليا فقد كان يحتلها المماليك ، اما كبار العلماء وخاصة شيخ الأزهر وزعماء الصوفية مثل الشيخ البكرى والسادات فقد كانوا بالضرورة رجاله مادام رضاؤه كان ضروريا لبقائهم فى مناصبهم ، كما كانوا هم ضرورة له لتهدئة الأهالى . ثم كان هناك الاقباط والمسلمون بشئون الادارة والذين علموا الوالى كل ما تعلموه عن الضرائب وجمعها .

● السياسات الداخلية ●

نظر محمد على الى مصر كملك كسبه بالسيف . ولم يكن محمد على ملكا شرعيا ، ولذلك لم يكن يشعر بالأمان ، وكانت لديه شكوك حول استمرارية حكمه مالم يتخذ خطوات ، وإقامة أسس متينة لحكومته يمكن أن تقاوم التغير والزمن . وكان حجر الزاوية فى سياسة محمد على الداخلية هو القانون والنظام ، وخاصة بعد هزيمته لخصومه ، والسماح للبلد بالعودة للحياة الطبيعية والشفاء من الجراح التى نزلت بها .

وقد ذهبت ادخالات محمد على الادارية الى انشاء الدواوين التى اصبحت تتولى الادارة اليومية للدولة ، وكان انشاء المجلس ، أو الجمعية ، يتفق مع ميل محمد على لاستخدام نظم حازمة للادارة واجراءاتها ، ثم أدمج ديوان الخديو وديوان الحرب فى المجلس الأعلى عامى ٢٤ ـ ١٨٢٥م . فى هذه الأثناء وحين اصبح المصريون يتولون وظائف فى الادارة ، بدأت لغة الادارة تنتقل تدريجيا من التركية الى العربية ، وهو ما كان خطوة أبعد نحو تمصير مصر ، وحين عمد الوالى الى استقلال مصر عن الدولة العثمانية أصبح التمصير امرا لابد منه حتى ولو ظلت النخبة عثمانية ، الامر الذى اثار مشكلة الهوية بين الحكام والصفوة .

اما التطور الادارى الأبعد فقد نشأ عن إدراك أنه الاشراف الأكفأ على الريف فإن هذا لا يمكن فرضة من الحضر بل يجب أن يشمل تعاون قادة الريف ايضا .

واذا كان الريف فى مصر قد شهد تحسنا من خلال الاصلاحات والتنظيمات الادارية ومشروعات الرى والزراعة ، فانه قد شهد ايضا الكوارث . فالتقدم الملحوظ فى نظم الرى زاد من مناطق المحاصيل وتنوعها وهى زيادة لم يجاريها أى نظام تال . الا ان القنوات التى انشئت تطلبت قوة عمل فرضت ضغطا على السكان وأربكت المواصلات ، كذلك شهدت البلاد عددا من الأوبئة مثل الكوليرا والطاعون ، كما شهدت مجاعات نتيجة لفيضان النيل سواء فى حالات ارتفاعه او انخفاضه

اما التطور الهام الذى حدث فى هذه الفترة المتصلة بتنظيم وطبيعة الجيش ، فقد حدث عام ١٨١٥ .

وقد راقب محمد على اقامة وتنظيم واداء الجيش بعين صارمة ولم يكن يسمح بأى اخلال بالاوامر ويعاقب من يرتكب ذلك من الضباط وفى الجيش كان المتعلمون

فقط هم الذين يرقون الى الرتب الأعلى، ولكن لم يكن المصريون يرقون الى اعلى من رتبة ملازم ثان او اول . وفى هذا كان محمد على يختلف عن ابراهيم الذى كان يرى ان الضباط والجنود الشجعان ليسوا بالضرورة من المتعلمين ، كما كان يعمل على إقناع والده بأن المصريين ليسوا فقط جنودا شجعان بل يمكن ان يكون من بينهم ضباط افضل من الأتراك ، وكان يضغط من اجل ترقيتهم الى رتب اعلى حتى وافق الوالى على ترقيتهم الى رتبة يوزباشى .

● التغيرات الزراعية ●

ارتبطت التغيرات التى جرت فى المجال الزراعى بتلك التى جرت فى الضرائب ونبعت من حاجة محمد على الملحة للمال . ومادامت الضرائب يجب ان تجمع ويتم الاشراف والتحكم فى الأراضى فقد تطلب هذا مساعدة الصفوة الريفية ، ومن هنا اعطى للمشايخ والعمد المهام التى كانت موكولة من قبل للملتزمين ، وهو ما ابتهج له الفلاح فى البداية ، والغيت مجموعة الضرائب التى كانت مفروضة من قبل على الأرض وجمعت فى ضريبة واحدة هى « الخراج » والتى كانت تجمع فى أوقات منتظمة .

وبعد اجراء مسح تفصيلى لمساحة الأرض القابلة للزراعة جزئت الى قطع بأحجام مختلفة ووزعت على الفلاحين لزراعتها ، ومن هذه التغيرات فى ملكية الأرض والضرائب جاء احتكار الانتاج الزراعى ، فقد منع الفلاح من بيع الحبوب للأفراد او التجار واجبر على بيعها للحكومة بأسعار حددتها ، ولذلك ضاعفت الحكومة ارباحها باستبعادها للوسطاء والتجار وهو ماجعل محمد على اغنى باشا فى الامبراطورية العثمانية .

اما الترع والقنوات والقناطر التى شقها وبناها محمد على وضاعفت وغيرت من التركيب المحصولى للزراعة فهى قصة معروفة ، اما ماتضيفه المؤلفة فهو ان هذه القنوات لم تبن بطريق السخرة وهو مايمثل مفهوما خاطئا عن هذا العصر .

وقد أدى اصلاح نظام الرى الى زيادة كبيرة فى الأرض الصالحة للزراعة ومن مقارنة الأرقام تتبين أن مساحة الأرض القابلة للزراعة التى أضيفت بلغت ١.١٧٦.٥٨٨ وصاحب هذه الزيادة ، ادخال محاصيل جديدة مثل القطن طويل التيلة الذى أدخل عام ١٨٢١ ، وقصب السكر الذى وسعت زراعته وتطور بأن أصبح صناعة كبيرة وكذلك زراعة الأرز والكتان وصاحب هذه التحسينات الزراعية احتكار الحكومة لكل السلع وخاصة التصديرية .

غير أن اهم النتائج التى ترتبت على سياسات محمد على الزراعية سواء المتصلة بالضرائب أو ملكية الأرض فى أنها شجعت الأفندية على النمو على حساب الفلاح .

● الصناعة والتجارة ●

أدرك محمد على أن الاعتماد على نهر النيل رغم ما تدره الأرض فى السنوات السمان هو اعتماد على طبيعة متقلبة ، وأن تنويع الاستثمار للتجارة والصناعة هو أمر ضرورى . وكانت المصانع الكبيرة

الأولى التي أنشئت تتصل بالحرب ، فالبواخر كانت مطلوبة كي تحمل الجنود الى مصر العليا لمحاربة المماليك ثم بعد ذلك كي تحمل الغلال الى البحر الأبيض وموانئه . وقد أظهر له الغزو البريطاني لمصر عام ١٨٠٧م تعرض الساحل المصري للخطر وقاد ذلك الى تطوير الأسطول ، كما دفعته حرب الحجاز الى تطويره أيضا ، كذلك تطلبت حملة الحجاز اقامة صناعات لأنتاج الذخيرة والأسلحة والمواد الحربية . وهكذا اقيمت مجموعة كاملة من الصناعات تتصل بالجيش مقدمة بذلك نموذجا لمجمع عسكري صناعي من الترسانة والسفن ، والمصانع ، والمستشفيات ، والمدارس .

وبخلاف الصناعات المتصلة بالحرب ، أنشئت صناعات صغيرة مثل صناعة الصابون عام ١٨١٥ ، وهو نفس العام الذي أنشئت فيه مصانع غزل القطن والحرير وبناء صنادل نهرية واستورد محمد على التكنولوجيا الجديدة المتصلة بالنسيج ، وفي عام ١٨٣٠ اقام مهندس بريطاني آلات تدار بالبخار لمؤسسة للنسيج في شبرا بها ٨٥٠ نولا وأخرى في قلعة الكبش ذات ٢٠٠ نول .

غير أن الجانب البارز في هذا الفصل والمتصل بالمطابع والمنهج العام للكتاب هو مناقشة المؤلفة للقلق الذي تملك بعض الأوربيين من الصناعات المصرية الناشئة وامكانيات منافستها للمنتجات الأوربية وقد أدى بهم هذا القلق الى التشكيك في قدرات الصناعات والمنتجات المصرية .

وتشير المؤلفة الى النظرة المتعلقة لمحمد على الى الصناعة والأخذ بها في مصر فتنقل عنه قوله لأحد الأجانب انه يقيم المصانع لكي يعود الشعب على الانتاج اكثر من سعيه الى الربح السريع .

وتستخلص الأستاذة عفاف أن هذه الأيديولوجية التي تطلبت التوسع في الأسواق والأستعمار غير الرسمي كانت وراء نهاية محمد على وصناعاته فلم تكن بريطانيا تريد دولة مستقلة جديدة في البحر المتوسط قوية عسكريا واقتصاديا وقادرة على أن توقف تقدمها في المنطقة وفي منطقة الخليج الفارسي .

● التوسع وأهدافه ●

وتعقد الكاتبة فصلا تناقش فيه سياسات محمد على في التوسع وأهدافها ، وتعتبر انه اذا كان محمد على قد قنع فقط بالتطلع نحو الأستقلال والاعتماد على الصناعة المصرية فقط فربما لم يكن سيثير العداء الأجنبي نحوه . غير أن محمد على بعد حصوله على زخارف الدولة ، « جيش وأسطول » لحماية اقليمه من الغزو ، وتوسيع الزراعة وبدأ التصنيع ، أراد أن يذهب الى أبعد من هذا ، واستخلص أن التوسع الاقتصادي يتطلب أسواقا خارجية رغم أن مصر ذاتها يمكن أن تكون سوقا محتملة

وتنتهي الكاتبة الى أن محمد على قد وضع مصر بشكل حتمي على طريق الدولة المستقلة والأعتراف الذاتي بأن لها كيانا مستقلا متميزا عن غيرها من المسلمين والعثمانيين . ولم يكن الأنفصال القانوني ليتحقق الا بعد قرابة قرن ، وأن يأخذ الأستقلال المطلق زمنا أطول ، الا أنه بدون جهود محمد على وأدارته فربما تطلب من المصريين وقتا أطول لكي يعتبروا أن مصر وطن خاص بهم .

قصة قصيرة

الكلّ أولادي

بقلم: نجيبة العسال

نعيمة .. انهضي يا نعيمة .. هئي .. هئي ..

وترفع نعيمة راسها قليلا ، وتاتي الصور الى عينيها ، اقدام كثيرة بعضها متراص حولها ، والبعض الاخر لا تراه ، لكنها تسمع دبيبه ، يلتصق بالرمال في خفوت مريع تارة وفي حفيف ملتاث تارة اخرى . واصوات ثانية تاتي الى اذنيها اصوات عربات وعجلات ومعها اصوات تلهث حزينة ملتاعة ترجو وتبتهل .. تلعن وتزار .. وقليلا .. قليلا تنظر نعيمة لصاحب الصوت خليل صديق عمرها الذي يحثها في رجاء باك ، انهضي يا نعيمة الوقت راح ، الكل مرق يا نعيمة ، هئي وحياة الغالي .. وتصرخ نعيمة وهي تترك جسدها يسقط دفعة واحدة على الرمال .

اى غالي منهم يا خليل ، الكل غالي الكل غالي وتمتد يد خليل بكلما اوتي من قوة رجل في الخمسين من عمره ، رجل عرف في شبابه بمرونة العضلات وقوتها ، ولكن قبل ان تصل اصابعه الى كتفي نعيمة تتحول هذه القوة الى ضغطة بالغة الحنو ويهمس :

ـ صلي على المختار يا نعيمة ، صلي على النبي .

وتدفن نعيمة وجهها في الرمال ، وتختلط الرمال بدموعها ، ولعابها وصور اخرى تتراءى في خيالها واصوات صاخبة مرحة تنادي :

ـ امه .. امه نعيمة .. باكو بسكويت والنبي .

ـ وانا ، انا علبة سجاير حالا

ـ وانا ، انا واصل البيت يامه !

وتغرس نعيمة اصابعها في الرمال وتتشنج يدها على حفنة كبيرة منها ثم ترفع راسها دفعة واحدة الى خليل ، وتهتف بصوت متهدج بدموع ملتاعة واللعاب الساخن يملا فمها .

ـ الكل غالي يا خليل ، ابراهيم



واحمد ومحمد وعلى وهريدى ، الكل هنا يا خليل ويرفع خليل راسه وهو ينظر ويتابع بعينيه الافواج المتلاحقة على الطريق العام ثم .. يجلس فى بطء بجانب نعيمة ، ويده تربت على ظهرها ، ودموعه تتساقط سارية على وجهه فى صمت ودون ان يحس بما حوله ، راح يستعيد فى خياله قصة نعيمة .

وكانت نعيمة شابة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها ، يوم مات زوجها تاركا لها ثلاثة اطفال صبية اكبرهم فى العاشرة من عمره واصغرهم رضيع ابن ايام ، وحزن مكان الاربعين بالسويس على مصاب نعيمة ، فهى لم تكن زوجة ككل الزوجات بل زوجة مشهورة فى الحى بحبها الخارق لزوجها وحب زوجها لها كانت قصة حبهما على كل لسان قبل الزواج ، وكانت مضرب الامثال بعد الزواج ، وقال الجميع مسكينة نعيمة انها لم تفقد جسدها فقط ، ولكنها ستواجه محنة قاسية ايضا فهى بلا اب ولا اخ ، ماذا ستفعل وزوجها كان اخا لاربع بنات متزوجات ، ولن تستطيع واحدة منهن ان تقدم يد العون لنعيمة ، ثم ان

الكل أولادي

نعيمة نفسها لا تتقن عملا تستطيع منه ان تعول اطفالها الثلاثة .

وتقدم لها كثيرون منهم شباب لم يتزوجوا بعد ، والكل يبدى كامل استعداده لاحتضان اطفالها ، ولكنها رفضتهم جميعا وهى تؤكد للجميع انها مازالت زوجة حبيبها ، انه لم يرحل ابدا من حياتها ، ولن تكون اما الا لاطفاله وحدهم .

اذن من اين ستعيش نعيمة ؟ وصمت نعيمة ، ولم تتكلم ، بل عملت فى الحال . باعت اثاث بيتها وافتتحت كشكا صغيرا فى مدخل الحى لتبيع فيه الثلجات والسجائر والحلوى للصغار واطلقوا عليها ام الصبيان .. فقد كان الكثيرون يتجمعون حول الكشك امامها من اجل صبيانها الثلاثة .

كانت نعيمة على قدر كبير من الجمال ، ضئيلة الجسم ، حلوة اللسان ، ابية النفس هادئة الطباع وان كانت صارمة فى تحديها للامور، لا تتراجع ابدا عن قرار تتخذه ، ولذلك فقد امن الجميع فعلا انها لن تكون الا لاولادها ، وكبر اولاد نعيمة واصدقاؤهم غدوا شبابا يملأون شوارع السويس حياة ومرحا ويملأون قلب نعيمة حبا وفرحا ، كانت تحبهم جميعا ، وكانهم قطعة من حياتها نفسها ، الم يشتد عودهم وتقوى سواعدهم واقدامهم ويتفتح شبابهم امام عينيها ، الم تراقبهم اكثر ساعات النهار وبعض ساعات الليل .ان اكثرهم كانوا امامها دائما كل هذا العمر الطويل ، كانوا يقضون اكثر وقتهم مع اولادها بل كانوا جميعا ينادونها كما يناديها اولادها يامى .. او يامه . وكان هذا النداء يهز اعماقها دائما ، لقد شاهد خليل اكثر من مرة بعينيه وسمع باذنيه مرارا عديدة .. احد شباب السويس يناديها .

– امه نعيمة علبة سجاير حالا .

وتجيبه نعيمة وهى تمد يدها اليه بما طلب .

– من عينى يا حبيبى ..

ثم يناديها اخر

– امه نعيمة باكو بسكويت لاخى الصغير ..

وتضحك نعيمة وهى تعطيه ما طلب .. قائلة

– الف هنا وشفا يا ابنى ..

ثم يحضر ابنها الاكبر ابراهيم ليقول :

– امى آنى ذاهب الى البيت ، اين



المفتاح وتعطيه نعيمة مفتاح البيت وهى تقول : بلهجة لا ارادية ٠٠

– من عيني والف هنا وشفا يا حبيبى ٠

ثم تلتفت الى خليل قائله وفى صوتها كل معانى النشوة ٠ والسعادة

– والله يا خليل اصبحت لا افرق بين اولادى واولاد السويس ، اشعر دائما وكانهم جميعا اولادى ، ويضحك خليل وفى همس يجيبها :

– انت اغلى بنت من بنات السويس يا نعيمة انت السويس يا نعيمة ، الكل يحبك من قلبه يا ام الصغار انت يا ام الكل ٠

وتمر الايام والسنون على اولادها واولاد السويس اصبح الشباب رجالا عملوا جميعا وتزوج بعضهم وغدوا اباء ، عندها لم ترض نعيمة ابدا ان يناديها احد من حى الاربعين بالسويس ، يا ام الصبيان او يا ام الصغار بل طلبت الى الجميع ان ينادوها يا ام الرجال لقد اصبح صبيانها رجالا فلن تكون الا ام الرجال ٠

وانتبه خليل ابن السويس والصديق الصدوق لنعيمة الذى عاش طوال عمره يكن لها حبا صادقا خالصا تحول على مر الايام الى عبادة صامتة تحترم كل تضحية وجهاد لام الرجال ، انتبه خليل على كلمات نعيمة تخرج محشرجة مغلفة فى حنان بالغ :

– خليل ٠٠ انا ام ٠ ام الجميع ، واولادى ، اولادى هنا يا خليل ،هنا فى الرمال دماء كل اولادى ٠

نعيمة ، محمد وعلى فى الميدان ، ابراهيم وحده شهيد ، حى ، يرزق عند الله ٠

– ابراهيم وحده شهيد واحد ٠٠ والباقى كل اولاد السويس ، حقا انهم عند ربهم يرزقون ولكنهم اولادى يا خليل كلهم شهدائى يا خليل ٠٠ اشعر بسخونة دمائهم فى الرمال يا خليل ، ولن اترك الرمال ابدا ، انهض يا خليل ، هاجر مع كل مهاجر

وتهز نعيمه راسها وهى تنظر الى السماء وتمسح بعينيها كل الرمال فى حب وحنان وتنتفض واقفة شامخة براسها الى الوراء ، ثم تغرس قدميها بقوة فى الرمال وتتحول سخونة الرمال الى دفء لزج يلصق قدميها اكثر واكثر بالرمال وتهتف بخليل مرة اخرى ٠

– انا ٠٠ انا هنا يا خليل ، انا هنا مع الرمال ، مع الدم ليوم الدم انا هنا يا خليل مع ٠٠ كل اولادى ٠

مرت الايام حتى اصبحت سنوات ستا وبدات الرمال الساخنة اللزجة تتحول تحت قدمى نعيمة الى رمال مضيئة بشمس ساطعة تزغرد بذرات مشرقة وعلى مشارف السويس فتحت نعيمة ذراعيها وكانهما بعرض الفضاء تحتضن اولادها وتعلو دقات قلبها مع العربات المتلاحقة على الطريق ولم تلبث السواعد القوية حتى القيمت لامها نعيمة كشكا صغيرا للمثلجات والحلوى ٠

– امه ٠٠ امه ٠٠ نعيمه ٠٠ باكو بسكويت والمنبى ٠

– من عيني والف هنا وشفا ٠٠ وصوت اخر يهيم فى الفضاء ٠٠

– وانا ٠٠ انا واصل البيت يا امه ٠٠ المفتاح ٠

وتتنهد نعيمة وابتسامة حانية ترف على وجهها ثم تنظر الى خليل الواقف بجانبها ٠٠

– المفتاح يا خليل المفتاح اولادى يا خليل اولادى ٠ والمفتاح ٠

نحو قصة عربية أصيلة

عبد السلام العجيلي

من القصة البدوية إلى القصة الأندلسية



بقلم : أحمد محمد عطية

إذا كانت القصة العربية القصيرة قد نشأت متأثرة بالقصة الأوروبية ترجمة واقتباسا واحتذاء ، فإنها لم تكن لتنمو وتزدهر إذا لم تجد تراثا قصصيا عربيا أصيلا راسخا في الوجدان العربي ومكتمل البناء الفني .

فقد عرف العرب الفن القصصي ، وقدموا إبداعات ثرية وأصيلة ومتميزة في هذا المجال سبقت الفنون القصصية الغربية وأثرت فيها . ويكفينا هنا ، حسبما يسمح المجال ، ذكر تأثير عمل قصصي واحد "كألف ليلة وليلة" في القصة الغربية ، وهو تأثير عميق وشامل تجاوز حد التأثير والنقل والاقتباس ، وامتد من البنية القصصية الى الجو العام ، والقيم والشخصيات والأساطير والرموز ، وهذا يدلنا على أصالة فن القصة العربية وصلاحيته للتطور والتقدم وتغذية الفن القصصي الحديث ، بالرغم من اختلاف الأشكال القصصية ، بين القديم والحديث ، وبين العربي والغربي .

ولا ترجع أصالة الفن القصصي العربي إلى «ألف ليلة وليلة» وحدها ، ولكنها تنهض على تراث قصصي عظيم ، بدءا من الأدب النثري والقصصي المعبر عن معارك «أيام العرب» في الجاهلية ، ومرورا بقصص الجاهلية

اليمنية . وقصص ملوك حمير التى جمعها وهب بن منبه في كتابه «التيجان في ملوك حمير» . والقصص القرانية والاسلامية . الى سير «عنترة بن شداد» و «سيف بن ذى يزن» و «بنى هلال» . ومقامات الهمذاني والحريرى ، والقصص الفلسفيــة فى «رســالــة الغفران» للمعرى . و «قصة حى بن يقظان» لابن طفيل (التى اقتبس منها الروائى الانجليزى دانيال ديفو روايته الشهيــرة «روبنسن كــروزو») ، وقصص التجار العرب وسواها من القصص العربية ، مع الكثير من كتب الادب والتاريخ العربية ذات الصياغة القصصية . رغم طابعها الشعرى أو الاخبارى او التاريخى . والتى تشكل جانبا كبيرا من التراث العربى . مثل أخبار ابن دريد والاغاني للاصفهاني ...

تحرير من التبعية

ومن اجل تاصيل ثقافتنا العربية المعاصرة . وتحريرها من التبعية للأشكال الغربية والمضامين الغربية . وفي سبيل ابداع قصة عربية اصيلة تنهل من تراثنا العربي ، الغنى بالأشكال والمفاهيم والقيم والحكم والتجــارب ، والصالــح للاستلهــام والاحيــاء والمزج بهمــوم العصــر والاضافة للثقافة الانسانية ، اتجه عدد من الادباء العرب إلى هذا التراث وانطلقوا يبدعون من وحيه وإلهامه قصة عربية أصيلة وحديثة ، تمزج بين الأصالة والعروبة والقيم الاسلامية وبين الحداثة وهموم العصر . وفى مقدمة هؤلاء الأدباء العرب الدكتور عبدالسلام العجيلى ، الذى يوافق هذا العام (١٩٨٦) الذكرى الخمسين لنشره اولى قصصه العربية الأصيلة بمجلة الرسالة المصرية (١٩٣٦) .

وعبدالسلام العجيلى ، أديب عربى سورى ، عاشق للاصالة والعروبة والتراث العربى واللغة العربية ولكل ماهو عربى ، مخلص لاصله العربى ولنسبه الشريف ، من سلالة الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهما ، ولنشاته العربية البدوية بين قبائل الرقة البدوية بالشمال السورى ، كما تدلنا آراؤه وكتاباته المبكرة والمؤخرة ، من قصته البدوية الأولى «نوما» ، ومسرحيته العربية الأولى «أبو العلاء المعرى» ، مرورا بثلاثيته الفريدة «أحاديث العشيات» ، «السيف والتابوت» و «سبعون دقيقة حكايات» ، حتى مقاماته الساخرة الطريفة . غير أن عالمه القصصى الكبير والأصيل والمتفرد هو أبرز معالم إبداعه في مجال تاصيل القصة العربية . ويتمثل هذا العالم فى مجموعات العجيلي القصصية التسع : «بنت الساحرة» ، «ساعة الملازم» ، «قناديل اشبيلية» ، «الحب والنفس» ، «الخائن» ، «الخيل والنساء» ، «فارس مدينة القنطرة» ، «حكاية مجانين» ، و «الحب الحزين» .

وتدل قصته البدوية الأولى «نوما» على تاثير البيئة البدوية والشخصيات البدوية فى تاسيس عالمه القصصى العربى الأصيل . وقد نما اتجاه التاصيل العربى فى اعماله التالية وتصاعد ليتبلور فى أهم قصصه

نحو قصة عربية أصيلة

عبدالسلام العجيلي

العربية الأصيلة والفريدة « قناديل اشبيلية » ، المكتوبة في اوائل الخمسينيات ، والتي جسدت خصائص عالم عبدالسلام العجيلي القصصي .

يتميز الشكل الفني ، العربي المتفرد ، الأصيل والحديث معا ، في عالم عبدالسلام العجيلي القصصي ، كما تمثله قصته الأندلسية « قناديل إشبيلية » ، وتكرره قصصه التالية ، بالشكل العربي للحكاية المتبع في « الف ليلة وليلة » ، القائم على حكاية رئيسية وحدث أصلي تتفرع منه حكايات فرعية واحداث ثانوية وتتراكم لتعود فتصب في مجرى الحكاية الرئيسية وتثريها وتحدث التشويق الذي يشد المتلقي ، وهو ما يحرص عليه العجيلي في فنه القصصي أشد الحرص . كما يمزج العجيلي ، في هذه القصة ، وفي قصصه الأخرى ، أساليب السرد لدى الرواة العرب وفي كتب الأخبار العربية بطرق الأداء الفني الحديثة ، مثل تعدد الأزمنة والأمكنة ، واستخدام تيار الوعي والارتداد للماضي (الفلاش باك) لتوسيع رقعة الزمن والمكان واستيعاب الشخصيات .. وهو شكل فني يجمع بين خصائص القصة القصيرة والرواية . بالمفهوم الغربي ، غير أن العجيلي الأديب العربي الأصيل يخرج عن هذه القولبة الغربية ، بحرصه على الجمع بين خصائص هذين الفنين القصصي والروائي في عمل قصصي واحد واعتبارهما قصة .

● قصة عربية فاتنة ●

« قناديل اشبيلية » هي أول قصة اندلسية كتبها عبدالسلام العجيلي ، من وحي زيارته الاولى لأسبانيا سنة ١٩٥١ ، وهي قصة قصيرة طويلة (٢٥ صفحة) كتبت ونشرت بمجلة « الاديب » اللبنانية (في عدد أغسطس ١٩٥٢) ، ثم منحت مجموعته القصصية الثالثة عنوانها ، وقد صدرت طبعتها الأولى عن دار الآداب ببيروت سنة ١٩٥٦ ، وتمثل قصة « قناديل اشبيلية » اهمية خاصة في أعمال العجيلي العربية الأصيلة ، لذا استأثرت باهتمام النقاد والقراء ، كما تحدث عنها أديبنا الكبير كثيرا في سيرته وأحاديثه ومحاضراته .

و« قناديل اشبيلية » قصة عربية فاتنة ، تجمع بين الأصالة والحداثة ، وبين الواقع والرمز والخيال . فهي عربية الشكل من حيث اتباعها أسلوب الراوي العربي القائم على السرد وتعدد الرواة ، ومن حيث اعتمادها على أعمدة القص العربي والحكاية العربية . وهي حديثة في مزجها بين الأمكنة والأزمنة ، وفي تعدد وجهات النظر للأحداث والشخصيات ، وفي اختلاط الحلم بالواقع والرمز بالخيال ، وهي عربية في الروح والمغزى والمضمون ، وهي تمثل أسلوب العجيلي العربي الجميل والفريد ، وهو

أسلوب شاعرى يعكس حبا غامرا لكل ماهو عربى ، ويربط بخيوط نسيجه الحريرية الناعمة بين الماضى العربى والحاضر العربى ، ويستعين على أدائه الفنى البديع بأدوات الفنان المبدع ، والرموز العربية الشفافة الواقعية والرومانسية معا ، وبالحرص على التشويق والغرابة .

فبطل القصة ، « البروفيسور السيدو » أو « السيد بوقلادة » ، عربى الأصل ، يحكى للراوى العربى قصة مجيئه من مدينة مكناس المغربية الى مدينة اشبيلية الاندلسية ، حنينا الى الماضى العربى المجيد ، بعد أن عاش فى دار أسرته العربية بالمغرب يرمق مفتاح دارهم الأولى فى اشبيلية ، ويحلم باستعادة أملاك الأجداد العرب وأمجادهم فى الأندلس ، التى أجبرهم الارهاب الغربى ومحاكم التفتيش على مفارقتها الى الصحارى الأفريقية .

وتصور القصة المعمار العربى القائم على الأعمدة والأبواب والقاعات المزخرفة والنوافذ المفتوحة على البساتين الداخلية والنوافير الصغيرة والقناديل المعلقة فى سقوفها ومداخلها بأنوارها الساحرة ، وتركز القصة على المفاتيح القديمة للدور كرموز لحلم العودة الى أمجاد الماضى العربى ، التى يشاهدها بطل القصة العربى ، الذى يحركه الحنين العارم للماضى العربى والمجد العربى والروح العربية المحبة للآثار العربية والرموز العربية ، التى تثير بدورها حسه العربى الأصيل ، إذ تسيطر على بطل القصة الرغبة فى استكمال الأجزاء المفقودة من نفسه بمدن الأندلس ، فيرحل إلى أسبانيا لاستعادة أملاك أجداده العرب ، ويطوف بأزقة المدن العربية حتى يصل إلى اشبيلية ، « المدينة المسحورة » ، ليجد دارا مشابهة لدار أسرته العربية فى مكناس ، ويلاحظ أن الأجداد بنوا فى مكناس دارا مماثلة هندسيا لدارهم القديمة فى اشبيلية ، وأنهم احتفظوا معهم بمفتاح الدار الأولى رمزا لأمل العودة ، أى أنهم تمسكوا بالماضى العربى التليد فى الأندلس حنينا وتمنيا لعودة أيام المجد العربية فى المستقبل ، الذى رمز له العجيلى بفتاة جميلة ساحرة همست فى أذن « السيدو » بكلمة اسبانية وحيدة هى : « مانيانا » ، أى غدا فى العربية .

● حلم العودة للاندلس ●

ويطل القصة العربى لاتحركه الرغبة فى السيلحة كقرنائه ، ولكن يسيطر عليه حلم العودة العربى الى أملاك الأجداد . وحين يعثر على آثارهم فى اشبيلية يصورها بأجمل العبارات وأعذبها ، ولكنه لاينسى آلام الخروج العربى تحت ضغط الارهاب الغربى ، هكذا تتمثل الخصائص العربية فى قصة « قناديل اشبيلية » : الروح العربية والايمان الاسلامى بالقدر ، والحنين الى الأصالة العربية والأمجاد العربية . فحين يعثر البطل على داره العربية الأصيلة ، وعلى مدينته العربية « اشبيلية » يسترد ثقته بنفسه وبوجوده ، إذ يبعث الماضى العربى الروح فى مشاعره ، ويشعل المجد العربى التالد الحماس فى قلوب قرنائه

عبدالسلام العجيلى

من شباب المغرب العربي ، عندما تصلهم رسائله مبلغة باكتشافه المثير .

وتتكرر القصة الرمزية ، حول الدور المتشابهة ، فى المشرق العربى والمغرب العربى ، مع الراوى ، لتؤكد وحدة المشاعر العربية والهموم العربية والأشواق والتطلعات العربية وبالرغم من مضى أكثر من ثلاثين عاما على كتابة أديبنا العربى الكبير عبدالسلام العجيلي لقصته الأندلسية العربية الأصيلة « قناديل إشبيلية » ، فإنها لاتزال تحتفظ بحيويتها وجمالها وقوة إيحائها ، لما تختزنه من أصالة وتفرد وشاعرية وحب عميق للعرب والعروبة ، ولعمق دلالتها وأهميتها كانموذج فذ للابداع والأصالة والفكر والفن فى عالم عبدالسلام العجيلى القصصى .

أما قصة « الخيل والنساء » البديعة والفريدة ، التى أعطت مجموعته القصصية السادسة عنوانها ، فهى قصة عربية اصيلة تتبلور فيها خبرات عبدالسلام العجيلى بنواحى الحياة فى البادية وقيم أهلها وتقاليدهم وأعرافهم

وتدور القصة حول مكانة الخيل الأصيلة فى البادية وموازاتها لقيمة الانسان العربى الأصيل ولكرائم النساء كما تبرز فى هذه القصة خصائص وأخلاق وقيم الشخصية العربية الأصيلة الايمان بسطوة القدر ، والكرم والكبرياء والعناد ، التى تتجلى فى شخصية « السارى » زعيم القبيلة البدوية الذى زف ابنته « نجود » الى «عثمان » وزودها « بخير ما فى مربطه من أصائل الخيل ، فرسه التى اسمها (الكحلاء) كهدية زفاف ، نظرا للصلة الوثيقة بين ابنته وبين هذه الفرس .

هكذا تعبر قصة « الخيل والنساء » عن مكانة الجياد الأصيلة فى البادية وتقرنها بمكانة كرائم النساء ، وتمضى القصة لتحكى عن إنجاب « نجود » و « الكحلاء » لعدد من الأبناء ، الذين يفرقهم الموت والهدايا حتى يتبقى للام فارسها الصغير « عزالدين » ، وللكحلاء فرسها « أكحل الأغر » . وارتبط الصغيران معا برباط صداقة وثيق مماثل لرباط أميهما . فكانا لايفترقان حتى فى نومهما . وقد تميز « عزالدين » منذ صباه بالفروسية ، كما تميز «أكحل الأغر» بالأصالة . غير أن القدر كان يتربص لعز الدين ، إذ لقى مصرعه فى سباق الخيل بمهرجان « الطراد » ، وبكاه فرسه « أكحل الأغر » بأنين « يقطع نياط القلوب » ، ووحدت الكارثة بين الأمين « نجود » و « الكحلاء » ، فعادت صداقتهما القديمة ليجمعهما النوم ثم الموت . إنها قصة عربية أصيلة الشكل والمضمون ، لايكتبها سوى أديب عربى بدوى كبير ، وخبير بحياة البدو البادية ، كعبدالسلام العجيلى .

● الهزيمة والضياع ●

وفى قصة « فارس مدينة القنطرة » ، يتواصل الشكل العربى المميز لقصص

عبدالسلام العجيلى ، من بناء قائم على أسلوب سرد الرواة العرب وطرق القص العربى والحكاية العربية وتوليد الحكايات الفرعية من الحكاية الرئيسية . ويضيف العجيلى فى هذه القصة الاندلسية ، أسلوب كتابة اليوميات . إذ ترد وقائعها وأحداثها فى شكل يوميات لمؤرخ وشاعر عربى من مدينة القنطرة ، كما تستخدم القصة الأندلسية الشعر العربى المتبع فى أساليب القص العربية . وهى قصة قصيرة طويلة (٣٥ صفحة) مؤرخة فى ديسمبر ١٩٦٧ ، اى بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، لذا فهى معنية بهزيمة العرب المماثلة فى الاندلس .

وفى هذه القصة يوظف عبدالسلام العجيلى التراث العربى فى خدمة الحاضر العربى ، ويحمله بهموم عصرية . فتومىء القصة من خلال وقائعها الماضية إلى الأحداث الحاضرة ، فى زمن كتابة القصة . ويبدو اختيار اسم مدينة القنطرة له مغزى ودلالة ، لتكرار وجود مدن عربية تحمل نفس الاسم ، وهو ما أعلنه أديبنا العجيلى صراحة ومباشرة ، فى ختام قصته الخطابى والتاريخى الصارخ ، حول هزيمة العرب وضياع الاندلس وضياع مدن كثيرة تحمل اسم القنطرة أيضا .

فى بداية القصة يسرد الراوى حكاية زيارته لاسبانيا ، وكيف وجد فيها كثيرا من أسماء الأمكنة والاعلام عربى الأصل ، ثم تلقى هدية من أسرة اسبانية هى مجلد من الكتابات العربية القديمة ، ووجد المجلد مكتوبا بخط عربى اندلسى لم يستطع قراءته ، فطلب الى صديق له خبير فى المخطوطات ان يفض المخطوطة ، و إذا به يكتشف فى كلماتها أحداثا تاريخية هامة ، وأسرته طريقة روايتها لما تحتويه من حكايات متعددة انتقى منها حكاية « فارس مدينة القنطرة » ، وفيها يحكى « النعمان » ، مؤرخ المخطوطة وكاتبها ، احداث سقوط الأندلس بأيدى الأسبان . أما النعمان ، فهو من أبناء مدينة القنطرة ، وهو فارس محارب وشاعر ومؤرخ وشاهد عيان للأحداث التى يمر بها ويدونها أولا بأول .

وتقع الأحداث بعد سقوط اشبيلية وغرناطة فى أيدى الاسبان ، وتراجع العرب الى مناطق السلحل الجنوبى «تراجعا مؤذنا بضياع ذلك الفردوس من أيديهم » . وهى مكتوبة فى شكل يوميات مؤرخة باليوم والشهر دون ذكر السنة ، للتعميم والرمز والايماء .

تبدأ يوميات القصة بتصوير الصراع بين « ابن سلام » و « ابن ساعر » ، كأنموذج للتناحر بين القادة العرب والمسلمين والقعود عن الجهاد فى مواجهة جيوش «تودر» التى تتجمع للاغارة على المسلمين .. ثم تسرد اليوميات تتابع أحداث الفتنة للدسيس والوقعية بين القادة والأمراء العرب ، حتى سيطرت الفرقة فى مجالس الحرب العربية ، بينما كان العدو يجمع حشوده ، وتتابع اليوميات سير المعارك والاغارات العربية ، و « كيف قضى المهلهل فارس مدينة القنطرة الذى لايشق له غبار . كيف خرجنا من القنطرة وعلمى بها أنها أمنع من عقاب الجو قلعة بين مضائق لا تسلك وحماتها فرسان مضر والكتائب العديدة من

عبدالسلام العجيلي

زنجالة . وكان ابن الفصيح يسألني هذا وكلامه متقطع بالنشيج ..» فيومىء العجيلي ، من خلال سرده القصصي لأحداث سقوط الأندلس في الماضي ، الى مأساة سقوط المدن العربية والمضائق العربية المنيعة بأيدي الأعداء الصهاينة في الزمن الحاضر المعاصر لكتابة القصة .

وتمضي القصة في تحليل أسباب الهزيمة وسقوط الأندلس في أيدي الأعداء بعد النصر الأول للعرب في الاندلس . فتحكي القصة من جهة أخرى حكاية لقاء تم بين « المهلهل » فارس مدينة القنطرة وسبيلية زوجة ابن عمرون وحديثها اليه ، الذي صور «بؤس هذه الأمة ويالعمها كيف أسلمت عنقها الى جازرها ووضعت في يده السيف الذي به ذبحها ... قالت سبيلية : الى أين يامهلهل في الغبش ، قال : الى القنطرة أما زعم قرينك انها سقطت في يد جند توذر على مشارف بنبسة . أرح نفسك وصاحبك وراحلتكما وأقم عندنا الليلة ..» هكذا حاولت «سبيلية» اغراء « المهلهل » وتحويله عن طريق القتال في القنطرة ، وحذرته من وجود جند ابن ساعر في الطريق الى القنطرة . فقرر المهلهل بن سلام ، فارس مدينة القنطرة ، ان يقاتل ابن ساعر في قلب جيشه حيث قضى الفارس نحبه مع تضليل اعلامي حول دور ابن ساعر وسقوط مدينة القنطرة ..

من هنا يمد عبدالسلام العجيلي جسور التراث ليصل الماضي العربي بالحاضر العربي ، ويوظف التراث ، في قصته الأندلسية « فارس مدينة القنطرة » ، ويشحنه بمضامين وهموم عصرية .

وفي مجموعته القصصية التاسعة « الحب الحزين » ، تنهض قصته « رصد مقبرة الرومي » على بناء الحكاية العربية المتبع في قصص العجيلي العربية الأصيلة ، فتحكي الحكاية الرئيسية عن بعثة غربية جاءت الى قرية بدوية للتنقيب عن الآثار ، ثم ابلغها وكيل الدرك بحكاية مقبرة الرومي . فنعرف أن القرية « ترصد » لصالح المقبرة ، وان الرصد يعني السحر ، وان أهل القرية يتحاشون مقبرة الرومي لخوفهم من سحرها أو رصدها .

هذه هي الحكاية الرئيسية التي تتفرع منها حكاية الرجل الذي اختفى أمام مقبرة الرومي ، لأنه حاول الحفر تحتها ، ثم اختفى تاركا ملابسه أمام المقبرة ، ولم يجدوه بداخلها ، وقال أهل القرية : « إن أصطيف الحاج قدور اختفى لأنه تجرأ على مقبرة الرومي .. » ولما ظل مختفيا طوال ثلاثة أشهر دون أن يعثروا عليه ، وكلف وكيل الدرك البعثة الغربية بالبحث عن المختفي بالمقبرة . وعندما فتحت البعثة الغربية المقبرة عثرت على جثة المختفي ، وعلى كنز الآثار الذهبية الذي ظلت البعثة تبحث عنه طوال عام في المنطقة دون جدوى . وهنا أدلى « البروفيسور مونك » ، رئيس البعثة ، بحديث هام لوكيل الدرك أشاد فيه

بالسحر الوارد في كتب الأقدمين . وقدم له تفسيرا علميا قائلا انه اختنق عندما انغلق الباب ، كما هو موضح بكتب الاقدمين ، مما تسبب في موته لفقد الأوكسوجين . واختتم حديثه مؤكدا علمية الأقدمين بقوله « انه رصد

بإحضرة الضابط ، هو سحر بالنسبة إلى الأولين الذين لم يكونوا يعرفون سر انغلاق الباب من نفسه على نفسه . نحن ، بعد أن كشفناه ، رأينا حيلة تكنيكية مبنية على أسس من الهندسة والميكانيكا . كان ساحرا فذا ذاك الذى صنع هذا الجهاز الميكانيكى لملكه ، أعنى انه كان فى تلك الأيام ، عالما كبيرا . » .

أما الوكيل العربي للدرك فقد علق على كلام الرجل الغربى قائلا إن أهل القرية ، سيعرفون بعد الآن ان ما قتل رجلهم ليس السحر ، بل هو العلم ، العلم الذى ذهب اصطيف لملاقاته أعزل ، دون ان يتسلح له بما يليق من معرفة واستعداد . » .

فتؤكد هذه القصة العربية الشكل والموضوع أهمية كتب الأقدمين العربية ، لما تحتويه من علم ومعلومات ، يمكن توظيفها في حل مشكلات الحاضر العربي ، وضرورة تناول تراثنا بأسلوب علمي . كما توضح القصة أيضا خطورة الغزو الثقافى الغربى .

ومن التراث العربى ينتقى عبدالسلام العجيلى قصة اسطورية رواها ياقوت الحموى وأبو الفرج الأصفهانى ، وينقل عنهما فقرتين يصدر بهما قصته القصيرة الطويلة

" النفق " (٤٥ صفحة) ، عن النفق الذى قيل ان « الزباء » ، ابنة جذيمة احد ملوك العرب بالعراق ، قد بنته تحت نهر الفرات لتربط بين مدينتها «حلبيا » على شاطىء الفرات السورى ، ومدينة « زلبيا » حيث تقيم أختها على الشاطىء العراقى للفرات ، وما تردد عن تحصن « الزباء » فى هذا النفق خوفا من انتقام أعداء أبيها .

وجاء الأديب العربى الأصيل عبدالسلام العجيلي بخياله المبدع ليستلهم هذه القصة العربية الأسطورية ويحيها فى قصة عربية . على نمط الحكايات العربية وأساليب الرواة العرب فى السرد والأخبار ، ويزودها بإضافات عصرية عن اشتراك الدليل العربى « ابى ضايع » مع فتاة من بعثة تنقيب المانية فى البحث عن الآثار ، وإذا بهما يعثران على النفق حسب رواية « ابى ضايع » . غير أن الراوى الأول يختتم هذه القصة الأسطورية الرمزية ، التى تومىء الى الوحدة العربية وترمز لها بالنفق الممتد ليصل بين الأختين السورية والعراقية تحت نهر الفرات ، فيذكر انه عندما عاود البحث عن النفق مع « ابى ضايع » لم يعثرا عليه .

فيؤكد عبدالسلام العجيلى بهذه القصة التراثية الحديثة ثراء التراث العربى بالقصص والحكايات والأساطير والرموز ، وصلاحيته للابداع والاستلهام والتأصيل والمعاصرة ، من أجل تأصيل القصة العربية الحديثة والثقافة العربية الحديثة .

مرض خطير
يغزو البحوث الفقهية المعاصرة

بقلم : د. محمد الدسوقي

يعد الفقه الاسلامي ثروة تشريعية لم تعرف البشرية نظيرا لها في تاريخها الطويل فهذا الفقه يمتاز بالسعة والغنى بالنظريات القانونية في تنظيم الحقوق والالتزامات بصورة شملت كل شعب القانون المعروفة الى اليوم ، ولكن الفقه الاسلامي يمتاز عن القانون بتنظيمه العلاقة بين الانسان وخالقه ، كما يمتاز ايضا بالموضوعية والتحرر من النزعات العنصرية او الطائفية ، وبناء احكامه على اسس من التوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة ، فضلا عن مرونة اصوله ومصادره سواء ما كان منها نصوصا كالقرآن الكريم والسنة النبوية، وما كان منها طرقا وقواعد ومقاصد كالقياس والاستحسان والاستصلاح

والفقه الاسلامي مع هذا أصيل في نشاته ومصدره ، وليس مستمدا من الفقه الروماني أو غيره كما يزعم جمهور المستشرقين ، ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

وهذه الخصائص التي امتاز بها الفقه الاسلامي ، وجعلت له تلك المنزلة التي اعترف بها احرار المفكرين في الشرق والغرب ، كان مصدرها ـ فضلا عن الوحي الالهي قرآنا أو سنة ـ اجتهاد العلماء والفقهاء الذين ضربوا أروع الشواهد في الرهبنة العلمية ، وتركوا لنا آثارا تنطق بعبقريتهم واستقلالهم الفكري .

هذه الآثار العلمية عكف عليها المحدثون من العلماء والباحثين فكشفوا عن طرف مما تزخر به من النظريات والافكار ، وعن صلاحية كثير منها للتعويل عليه في وضع تشريع جديد مستمد من الفقه يتخذ دستورا للتطبيق بدلا من تلك القوانين الوضعية التي باعدت بيننا وبين شريعة الله الخالدة .

وخلف ذلك الجيل من العلماء الذين اخلصوا للعلم كل الاخلاص من أمثال أحمد أبو الفتح وأبو زيد الامبابي وأحمد ابراهيم وعبد الوهاب خلاف وعلي الخفيف ومحمد أبو زهرة ومحمد يوسف موسى وغيرهم — خلف هذا الجيل من العلماء جيلا حاول أن يسير على نفس الدرب ، وأن يكون امتدادا طيبا لشيوخه وأساتذته . فقطع هذا الجيل شوطا لا بأس به ، وقدم بعضه دراسات فقهية وأصولية جادة . ولكن الذى يستلفت النظر ان هناك طائفة من هذا الجيل آثرت الا ترهق نفسها في البحث والدرس ، ورضيت ان تعيش كالنبتة الطفيلية عالة على سواها ، ومن ثم غلب على هذه الطائفة فيما صدر عنها من دراسات فقهية الاجترار والتكرار ، والنقل الحرفي عن الغير وفق اسلوب ينم عن اضطراب في الفهم وضحالة في التفكير .

ويزداد الامر سوءا اذا بلغ بعض افراد هذه الطائفة مراكز التوجيه الاكاديمي لطلاب الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية . لانهم لن يستطيعوا ان يوجهوا طلابهم الوجهة السديدة في البحث والتعمق فيه وتقديم الجديد المفيد منه . ففاقد الشيء لا يعطيه ، وتكون النتيجة ان الخط البياني للبحث الفقهي ينحدر ، وقد يصل الى درجة الصفر اذا ظل الامر على ما هو عليه الآن .

ومن اجل تعرية هذا الاتجاه الذى يدعي ما ليس له ، والذى يسهم في مزيد من التخلف والضعف للحياة الفكرية الفقهية المعاصرة ساعرض الوانا من الدراسات الفقهية مبينا بالدليل مدى ضحالتها او سرقتها ، او عدم ملاءمتها اسلوبا ومضمونا لواقعنا وليس لي هدف من وراء ذلك الا القيام بامانة النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

● مناقشة علمية جادة ●

ومادامت هذه هي الغاية من الكتابة فان باب المناقشة العلمية مفتوح ، المناقشة التي تمحص القضايا ، وتترفع عن الصغائر ، وتكون قبلتها نصرة الحق وهزيمة الباطل .

لقد وقع في يدى كتاب يحمل عنوانا يوحي بان هناك جهدا علميا قد بذل ، ودراسات جادة تخدم الحياة قد قدمت . هذا العنوان هو « بحوث في الفقه الإسلامي » للدكتور عبدالفتاح حسيني الشيخ . وذلك لان كلمة بحث في مدلولها العلمي تعني الفحص والتقصي المنظم لمادة اى موضوع من اجل اضافة المعلومات الناتجة الى المعرفة الانسانية او المعرفة الشخصية فالبحث طوعا لهذا دراسة علمية منظمة تقوم على الاستقراء الشامل ما امكن لمادة الموضوع . ثم صياغتها صياغة دقيقة . ومناقشتها مناقشة موضوعية وفق تخطيط علمي مترابط بحيث تمر القضايا والافكار عبر ذلك التخطيط في تسلسل منطقي وتلاحم عضوي وبذلك يصل الباحث الى نتيجة علمية تضيف جديدا مهما يكن قدره الى رصيد المعرفة الانسانية.

مرض خطير

يغزو البحوث الفقهية المعاصرة

لكن الذى يقرأ هذا الكتاب الذى حمل ذلك العنوان ، لا يجد للموضوعات التى اشتمل عليها خصيصة واحدة من خصائص البحث العلمى ، فليس هناك استقراء لمادة الموضوع ، وليس هناك تخطيط لعرض الجزئيات وليس هنك عزو للنصوص المنقولة وذكر المصادر التى اخذت منها .

● ايجاز مخل ●

واذا اغضينا الطرف عن قضية التنسيق المنهجى ، وان ذلك العنوان جاء ارتجالا ونظرنا فى المادة العلمية التى يتضمنها الكتاب ، فسان أول ما تتسم به الايجاز المخل ، فقد وردت فى عبارة اشبه ما تكون بعبارة المتون ، والمتون ظاهرة فى التأليف الفقهى شاعت فى عصور التقليد،كان يقصد بها حفظ الفروع على نحو لا ينمى تفكيرا ولا يثير ابداعا والغريب أن المؤلف ذكر فى مقدمته ان كتابه محاضرات أعدها لطلاب الكليات العملية بجامعة الازهر . وقد راعى فيها ان تكون فوق المتوسط دون المستوى العالى ولا أدرى هل العطف هنا عطف تفسير ، أو ان فى ذهن المؤلف مستوى لم يفصح عن تحديده .

ومادام الكتاب محاضرات لهؤلاء الطلاب فقد كان ينبغى ان تصاغ لهم المعلومات صياغة تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، أى يتوافر لها دقة المعلومات الفقهية مع العرض الميسر الصحيح الفصيح الذى يثير الرغبة فى القراءة ، ويدفع الى الحرص على طلب المزيد من هذه المعلومات .

بيد ان الدكتور الشيخ لم يأخذ نفسه بهذا ، وقدم معلومات جافة فى عبارة مختصرة لا تجعل الطالب متحمسا للقراءة ، وتحول بينه وبين التحصيل العلمى ، ومن ثم يلجأ الى الحفظ دون استيعاب وفهم لكى ينجح فى الامتحان .

يقع كتاب الدكتور الشيخ فى مائة وخمسين صفحة وتتناول بحوث نظرية العقد والبيع والربا والسلم والرهن والاجارة والمزارعة والايمان والاطعمة والاشربة وتحت كل عنوان من هذه العناوين تقسيمات وتفريعات مختلفة ، وقد كتب لهذه البحوث تمهيدا تحدث فيه عن المال واقسامه وكما اومات انفا -لا تحمل هذه البحوث سمة واحدة من سمات البحث العلمى وهى بالاضافة الى هذا منقولة نقلا حرفيا من كتب اخرى مع تغيير طفيف يتمثل فى حذف كلمة أو عبارة او سطر او كثر .

وسأورد بعض النماذج التى تدل على هذا النقل ، ثم اتبع هذا بالاشارة الى أن الشيخ فى نقله لم يكن امينا ، وكان يغير بعض المفردات تغييرا يفسد المعنى ، وانه فضلا عن ذلك لم يرتبط فيما قدم بالواقع المعاش ، واجتر افكارا عفى عليها الزمن ، واصبح الحديث عنها الان امرا سيئا .

ان نظرية العقد بكل مسائلها وهى تستغرق من الكتاب نحو ثلثه نقلت من كتاب للاستاذ محمد مصطفى شلبي عنوانه « المدخل فى التعريف بالفقه الاسلامي وقواعد الملكية

والعقود فيه » وكتاب الشيخ شلبى دراسة علمية اصيلة كسائر ما قدم هذا الشيخ من كتب ، مد الله فى عمره ونفع بعلمه ، لقد نقل الدكتور عبد الفتاح من هذا الكتاب نظرية العقد كلها نقلا حرفيا ، فالعناوين العامة والفرعية والتقسيمات والشروط وما يتصل بها واحدة ، ويمكن ان يقال ان هذه المسائل قاسم مشترك بين الدراسات الفقهية كلها فلايعني وحدتها فى كتابين ان اللاحق نقل عن السابق، وهذا صحيح لو لم يكن ما ورد تحت العناوين والتقسيمات متحدا نصا ومعنى ، فهذا يؤكد ان هناك اتباعا للشكل ونقلا للفكر فى صيغته الاصلية، اى ان هذا الدكتور وضع كتاب الشيخ شلبى امامه واخذ يقلب صفحاته وينقل منه ما يشاء وفق ترتيبه وتبويبه دون تغيير يذكر اللهم الا الاختصار المخل ووضع كلمة مكان إخرى او تقديم عبارة على غيرها ، او حذف جملة دون جملة .

فى الحديث عن صيغة العقد جاء فى كتاب الشيخ شلبى ص ٤٤ ط بيروت : « صيغة العقد هى صورته الحسية التى يوجد بوجودها فى الخارج ، او هى الدال على توجه ارادة العاقدين ، ذلك لان الاساس فى العقد هو توجه ارادة العاقدين لانشائه ، وهذه الارادة أمر باطنى لا يظهر الا بما يدل عليه من قول او فعل او اشارة وهذا الدال هو هو الذى سماه الفقهاء صيغة العقد ...

ثم يقول الشيخ : وقد اتفق الفقهاء على ان الكلام هو السبيل الاول للتعبير عن الارادة لذاك ينعقد به لكل عقد أيا كان نوعه متى كان العاقد قادرا عليه . وبأى لغة متى كان العاقدان يفهمانها.

وجاء فى كتاب الدكتور الشيخ عن صيغة العقد ..

صيغة العقد هى صورته الظاهرة التى يوجد بوجودها فى الخارج اذ كل عقد لابد فيه من توجه ارادة العاقدين لانشائه ، وهذه الارادة أمر باطني لا يظهر الا بما يدل عليه من قول أو فعل او كتابة او اشادة ، وهذا الدال هو المعبر عنه عند الفقهاء بصيغة العقد ، وقد اتفق الفقهاء على ان الكلام هو الطريق الاول المعبر عن الارادة ، ولذلك تنعقد به سائر العقود المختلفة متى كان العاقد قادرا عليه وبأى لغة متى كان العاقدان يفهمانها .

وفى الحديث عن تقسيمات العقد جاء فى كتاب الشيخ شلبى ص ٥٥٠ .

ينقسم العقد عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة واليك بعض هذه التقسيمات :

التقسيم الاول : باعتبار الشارع له وترتب اثاره عليه وعدم ذلك ينقسم العقد بهذا الاعتبار الى صحيح وغير صحيح .

وهذا التقسيم متفق عليه بين الفقهاء ، فقد اتفقت كلمتهم على ان من العقود عقودا يقرها الشارع ويرتب عليها اثارها ، وهى العقود التى سلمت اركانها واوصافها من الخلل ، ولم يرد من الشارع منع لها وتسمى صحيحة ، ومنها عقود اخرى تخالف سابقتها فى حكمها ، وهى العقود التى اصابها خلل فى ركن من اركانها أو وصف من اوصافها وورد من الشارع نهى عنها ، وهذه تسمى بالعقود غير الصحيحة بالاتفاق ..

وورد فى كتاب بحوث فى الفقه الاسلامى تحت ذلك العنوان :

مرض خطير يغزو البحوث الفقهية المعاصرة

ينقسم العقد عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة نذكر بعضا منها التقسيم الاول باعتبار اقرار الشارع له وترتب اثاره عليه وعدم ذلك فينقسم بهذا الاعتبار الى صحيح وغير صحيح .

تقسيمات العقد

وهذا التقسيم محل اتفاق بين الفقهاء ، فقد اتفقوا على ان من العقود عقودا اقرها الشارع ورتب عليها اثارها ، وهى العقود الخالية اركانها واوصافها من الخلل ولم يرد من الشارع منع لها وتسمى صحيحة .

وهناك عقود اخرى تخالف ماسبق فى الحكم ، وهى العقود التى اصابها خلل فى وصف من اوصافها او ركن من اركانها وورد من الشارع نهى عنها وتسمى هذه بالعقود غير الصحيحة .

ويتضح من هذين النموذجين مدى التطابق بينهما ، وان صاحب البحوث غير بعض المفردات ، وقدم بعض العبارات وحذف بعض الاسطر ، ولكنه فى كل هذا شوه المعنى ، ففى صيغة العقد وضع كلمة الظاهرة بدل الحسية ، وهذه ادق فى الدلالة من تلك ، فالصيغة الحسية هى التى تحس باحدى الحواس على حين ان الظاهرة ليست كذلك ، واحل كلمة سائر محل كلمة كل وهذا خطأ ، لان كلمة سائر لا تؤدى معنى كل ، فسائر العقود تعنى بقيتها لاكلها

وفى موضوع تقسيمات العقد اقحم بعض الكلمات التى لا ضرورة لها مثل كلمة اقرار ، وجعل الفعل الشارع ماضيا وقدم اسم الاشارة على الفعل . وهى تغييرات تفقد الصياغة الدقة الفقهية ، ولكن الدكتور الشيخ يريد ان يوهم القارىء او يوهم نفسه انه الف ولم ينقل ، فلجأ الى ما لجأ اليه من التغييرات الشكلية مما زاد الطين بله .. وهكذا لا يسلم نص نقله غالبا من الحذف والتعديل الذى يفسد المعنى ، او يزيده ابهاما وغموضا .

وقد اسلفت ان الدكتور عبد الفتاح لم يقتصر على النقل وانما اضاف اليه اجترار افكار عفى عليها الزمن ، وانه لم يرتبط بواقعة ، واتبع طريقة القدامى فى ذكر التعاريف والاخراج بالمحترزات ، ومن ذلك مثلا ما جاء فى موضوع الاجارة ، قال فى تعريفها ..

الاجارة شرعا : عقد على منفعة معلومة مقصودة قابلة للبذل والاباحة بعوض معلوم .

الاخراج بالمحترزات :

عقد : جنس فى التعريف يتناول كل عقد .

منفعة : قيد اول خرج به الاعيان كالبيع .

معلومة : قيد ثان خرج به الجعالة .

مقصودة : قيد ثالث خرج به المنفعة غير المقصودة فلا تؤجر كتفاحة لشمها .

قابلة للبذل : قيد رابع خرج به المنفعة الغير قابلة للبذل فلا تؤجر كالبضع .

والاباحة : قيد خامس خرج به المنفعة غير المباحة فلا تؤجر كجارية للوطء .

بعوض : قيد سادس خرج به العارية .

بمعلوم : قيد سابع خرج به المساقاة .

فالاخراج بالمحترزات على هذا النحو منهج قديم لا يلائم العصر الحاضر ، فكل قيد يحتاج الى توضيح حتى يمكن أن يفهم طالب لم يدرس شيئا ذا بال في الفقه ، فكلمات كالعارية والجعالة والمساقاة مصطلحات فقهية لم يتناولها الكتاب بالدرس ، وهذا يدل على أن الدكتور الشيخ كان ينقل نقلا اليا دون نظر الى طبيعة العصر ومستوى الفكر الذي يستقبل هذه البحوث •

فضلا عن أن في هذه المحترزات اشارات الى افكار لا ينبغي الآن الحديث عنها على ذلك النحو ، فقد جاء في القيد الخامس عدم صحة تأجير الجارية للوطء ، وفي هذا ما يوحي بأن الاسلام يقر بقاء الرق ، ولم يحرر الانسان من أخيه الانسان تحريرا كاملا ، ويكرر الدكتور الحديث عن الرق في موضوع الاجارة حين يتعرض لاستئجار المرأة لرضاع او غيره ، فقد اخذ يبين الفرق بين المرأة الحرة والأمة ، ثم عقب على ذلك بتنبيه ما كان ينبغي له ان يذكره لكنه وجده امامه فنقله ، قال في هذا التنبيه : ليس للمستأجر منع الزوج من وطء زوجته حرة كانت او امة ، وقال البعض : الا في وقت يعطل عليه المنفعة » •

فهل هذه هي الدراسة الفقهية المعاصرة التي نقدمها لأبنائنا ، اجترار صور بالية يأباها المنطق وينفر منها الذوق •

ومما يتصل باجترار الصور القديمة ما جاء في موضوع الايمان ، فقد سرد صورا من الحلف مبينا ما يقع منها وما لا يقع وهي منقولة من بعض الكتب القديمة ولا تعكس ما يجري في دنيا الناس اليوم ، وبعضها مسائل فرضية يمجها العقل ، ومن ذلك على سبيل المثال ، لو حلف لا تكتب بهذا القلم فجدد برايته بعد كسر الأولى لم يحنث ، لأن القلم اسم لها لا للقصبة ، فهذه الصورة تصدق على قلم البوص الذي كنا نستعمله في الكتاتيب منذ أكثر من اربعين عاما وقد انقرض منذ فترة ، فضلا عن ان موضوع الايمان يحكمه العرف ، غير أن المؤلف لا يدري عن العرف الحاضر شيئا ، فهو يأخذ من الماضي ولا يعنيه ان كان ملائما للحاضر أو غير ملائم •

ومما يتصل كذلك باجترار الماضي انه حين تحدث عن موضوع المزارعة حكم بعدم صحتها الا تبعا للمساقاة ، فهل هذا هو الرأي المتفق عليه في المزارعة ، وهل الأخذ به يناسب واقعنا •

وكنت قد ذكرت سابقا أن اختصار الدكتور اخل بالمعاني أو احاط الفكرة بضباب كثيف لا يمكن معه فهم المعنى الا بعد هذا الضباب شرح واف فهو يقول مثلا في باب الايمان : « لو حلف لا يتصدق لم يحنث بهبة في الاصح والثاني يحنث بها كعكسه ، ويرى الأول أن الصدقة أخص من الهبة فلا يحنث

فهل يتسنى لطالب مهما تكن ثقافته الفقهية أن يفهم هذا النص ، ويدرك معناه ، هل هذه هي البحوث التي قدمت لطلاب فوق المتوسط ودون المستوى العالي ••

وبعد فاتني لم اذكر كل شيء ، وما ذكرته يكفي دلالة على ان هذه البحوث لا تصدق عليها كلمة بحوث ، وان ظاهرة مرضية خطيرة بدأت تغزو ميدان البحث الفقهي ، ولا يجوز التغاضي عنها او الصمت ازاءها ، وان الدكتور عبدالفتاح ليس له في هذه البحوث الا المقدمة التي جاءت في نحو صفحة ان كان قد كتبها •

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل •

موسكو تبحث عن ماركسية جديدة !

● هل يشكل القطاع الخاص السوفييتي حزباً سياسياً ؟!

بقلم : عبد الرحمن شاكر

وقد اقترن القانون السوفييتي الجديد بالدعوة على صفحات « البرافدا » صحيفة الحزب الشيوعي السوفييتي بالحاجة الى إدخال تغييرات عميقة في النظرية الماركسية وخاصة فيما يتعلق بشأن الصراع الطبقي ، وضرورة الحلول السلمية تجنبا لوقوع كارثة نووية .

والواقع أن التغييرات العميقة التي تحتاجها النظرية الماركسية تشمل جانبا من هيكلها الأساسي من ناحية ، ومن ناحية أخرى الاضافات التي الحقها بها لينين مؤسس الدولة السوفييتية ، حتى أصبحت عقيدة الحزب الشيوعي السوفييتي ومختلف الأحزاب الشيوعية في العالم تعرف باسم الماركسية اللينينية .

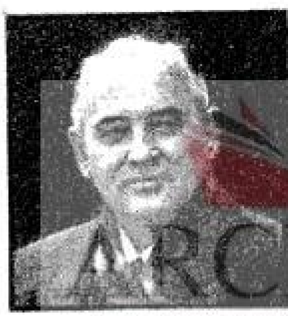
وجانب أساسي من التغييرات المذكورة إنما يكمن في تطبيق المنهج الماركسي ذاته في التحليل ، على المجتمعات التي شكلت طبقا للنظرية الماركسية في صورتها اللينينية ، فقد تولى ماركس تحليل المجتمع الرأسمالي الذي تشكل في الغرب تبعا للثورة الصناعية ، وتولى لينين تحليل المرحلة الامبريالية التي تطور إليها النظام الرأسمالي العالمي ، والتي سمحت بأن تكون روسيا البلد نصف المستعمر نصف الإقطاعي ، على حد تعبيره ، هي الدولة الاشتراكية الأولى في العالم .. منذ ذلك الحين والاشتراكية ، أو الثورة الاشتراكية العالمية ، أصبح لها تاريخ يستحق التحليل طبقا لذات المنهج الماركسي .

أي أن الماركسية أصبح عليها أن تعي دورها في التاريخ ، وأن تعي التغيرات التي الحقها تطبيقها ، أو محاولة تطبيقها على الواقع . طبقا

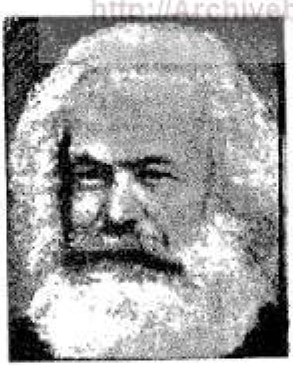
لم يكد مجلس السوفييت الأعلى يصدر التشريع الذى يسمح " للقطاع الخاص " بمزاولة العمل فى تسعة وعشرين فرعا من النشاط الاقتصادى ، وذلك فى نوفمبر الماضى ، حتى تقدم حوالى ثلاثة ملايين مواطن سوفييتى بطلبات السماح لهم بمزاولة تلك الأعمال ، على نحو يذكرنا بحكاية المليون مواطن إيطالى ، الذين تقدموا بطلبات الطلاق ، بمجرد صدور القانون الذى يسمح بذلك فى إيطاليا منذ عدة سنوات :

لمقولة ماركس الشهيرة فى « ان الفلسفة لم يعد عليها أن تفسر العالم فحسب ، بل أن تغيره أيضا » ، وقد أسهمت فلسفته هو فى تغيير العالم بالفعل ، ولكن الواقع ـ وذلك من جدلية التاريخ التى بشر بها ماركس أيضا ـ أن التغييرات التى حدثت فى العالم بمساهمة من فلسفته ، أصبحت ترتد بسهامها على تلك الفلسفة مطالبة إياها بتغيير كثير من مفاهيمها لكى تناسب الواقع الذى أسهمت فى إيجاده .

فإذا أخذنا أقرب الأمثلة ، وهو التشريع السوفييتى الجديد ، الذى يسمح بطائفة كبيرة من النشاط الخاص لوجدنا أن ذلك التشريع قد تأخر صدوره كثيرا ، وذلك بسبب الجمود العقائدى الذى ساد الحزب البلشفى الحاكم عند كلمات ماركس ولينين .. فأعمال الحرفيين عند كارل ماركس من طبيعتها أن تختفى تدريجيا بنشوء الصناعة الكبيرة الحديثة ، ذلك



جورباتشوف إطلاق حرية النقد والتعبير .



كارل ماركس فلسفة مطلوب تغييرها

موسكو
تبحث عن ماركسية جديدة!

مالاحظه ماركس من مراقبته للتطور الرأسمالي في بلدان الغرب الصناعية، كاختفاء الأنوال والمغازل اليدوية بقيام مصانع النسيج الآلية، والحدادين الفرديين بقيام صناعات الحديد والصلب الكبيرة وهلم جرا. ولكن طبقا لمقولة ماركس ذاتها عن «حلزونية التطور» لم يلاحظ الاقتصاديون السوفييت مالاحظه الاقتصاديون في الغرب منذ سنوات طويلة من ان الصناعة الكبيرة في تطورها قد خلقت بدورها حرفا جديدة لم تكن موجودة من قبل، من ذلك مثلا عمال إصلاح السيارات والثلاجات والتليفزيونات وهلم جرا ونتيجة لذلك تأخر السوفييت في إصدار التشريع المذكور، وجعلوا من تلك الأعمال جزءا من الخدمات التي تقدمها الدولة أو القطاع العام! فكانت النتيجة هي أن المقولة المشهورة عندنا وهي «أن يوم الحكومة بسنة» قد اصبحت تنطبق بالفعل على المجتمع السوفييتي في تلك الخدمات، واصبحت السيارة التي لاتحتاج في إصلاحها إلا الى بضع ساعات، تمكث في محطة «الإصلاح الحكومية» عاما أو اكثر ونشطت السوق السوداء في هذا المجال وأمثاله حيث يتعمد العامل الموظف في الحكومة عدم اصلاحها في قائمة الانتظار الطويلة حتى يتفق مع صاحبها على إصلاحها له سرا في الخارج بأجر سرى وفي غير أوقات العمل الرسمية حتى صدر القانون الأخير الذي يجعل من مزاولة تلك الاعمال كمشروع خاص، امرا مشروعا!

● نحو الشيوعية ●

لاشك في أن الحرفيين الجدد الذين سوف يسمح لهم بممارسة نشاطهم الاقتصادي المستقل، مثل «الميكانيكية» و«الترزية» و«سائقي التاكسي» وهلم جرا، سوف يشكلون في المجتمع السوفييتي طبقة جديدة.

■ بغض النظر عن استخدام هذا التعبير في وصف الطبقة البيروقراطية في الحزب والادارة ■

وهي طبقة بالمعنى الحرفي للكلمة، من حيث كونها تملك وسائل إنتاجها الخاصة طبقا للتعريف الماركسي للطبقة، وهي تختلف في ذلك عن طبقة البروليتاريا التي لاتملك إلا قوة عملها في المجتمعات الراسمالية، وتشارك «نظريا» في المجتمعات الاشتراكية في الملكية العامة لوسائل الانتاج المؤممة.

ومن شأن تلك الطبقة الجديدة المستقلة ان تكون لها مصالح مختلفة عن مصالح الطبقة العاملة التي يفترض ان الحزب الشيوعي يمثلها، ومن الطبيعي ان تطالب بحقها في التعبير السياسي حيث إن عددها لن يكون قليلا إذا ملحكمنا برقم من طلبوا السماح لهم بمزاولة تلك الأعمال، فهم حوالي ثلاثة ملايين كما تقدم اي انهم واسرهم يبلغ

تعدادهم حوالى عشرة ملايين ، بخلاف من يستجد منهم فى المستقبل

لقد كان جورباتشوف شجاعا بالقدر الكافى ، حين أعلن فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفى ، الذى عقد فى العام الماضى - أن حلم تطبيق الشيوعية لايزال بعيدا ، بالنظر الى المستوى الحالى لتطور الاقتصاد السوفييتى ، ولايزال بحاجة إلى استيعاب نتائج الثورة التكنولوجية التى تحققت فى الغرب الرأسمالى ، وهاهى ذى التطورات التاريخية تثبت أنه بدلا من الاستقطاب فى العالم الرأسمالى نتيجة للتقدم الصناعى ، بمعنى زيادة انقسام المجتمع الى اقلية مالكة وأغلبية من البروليتاريا التى لا تملك شيئا ، فإن التقدم الصناعى قد اتاح نشوء تلك الحرف الجديدة وأمثالها مما يعنى زيادة فى حجم الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة طبقا للتعبير الماركسى ، فضلا عن التكنوقراط .

وبالمثل فالمجتمع الاشتراكى القائم فى الاتحاد السوفييتى لم يعد يسير نحو مزيد من اختفاء الطبقات ، بل يؤدى التقدم الصناعى فيه كما بينا من قبل إلى نشوء تلك الطبقة الوسطى من المنتجين المستقلين أو الحرفيين .

ولقد كان مسوغ استئثار الحزب الشيوعى السوفييتى بالحكم باسم ديكتاتورية البروليتاريا هو التصور الماركسى التقليدى أن الاشتراكية ليست إلا المرحلة الأولى من الشيوعية ، أو فترة الانتقال اليها بحيث لايختفى التفاوت بسبب اختلاف الموقف من ملكية وسائل الانتاج فحسب ، بل يختفى أيضا التفاوت مابين مختلف الدخول الناتجة عن العمل وتزول الفروق بين العمل اليدوى والذهنى .

ولكن ، وبعد حوالى سبعين عاما من الاشتراكية يجد الاتحاد السوفييتى نفسه مضطرا الى الاعتراف بحاجته الى قيام طبقة جديدة من المنتجين المستقلين ، الذين يجمعون فى أدائهم لحرفهم مابين العمل الذهنى والعمل اليدوى معا ، على نحو يشير إلى كون المجتمع السوفييتى لا يسير بالفعل نحو اختفاء الطبقات وتحول الجميع الى طبقة واحدة تفتقر الى الاشتراك فى الملكية العامة لوسائل الانتاج ، بل يزداد التفاوت فيه طبقا لمعايير مختلفة تدخل فيها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، كواحد من أهم عناصرها .

كل ذلك يجعل من « ديكتاتورية البروليتاريا » وضعا متخلفا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، ولا يجدى فى ذلك تسميتها ديكتاتورية « جميع الشعب » أو قواه العاملة أو ما الى ذلك ، بل أن طبيعية التطور تقضى بأن يتحول الاتحاد السوفييتى سياسيا الى الديمقراطية الكاملة .

فإذا ما تشكل هذا الحزب ، فربما يكون من ضمن برنامجه المطالبة بتعديل الدستور للسماح للقطاع الخاص الوليد فى الاتحاد السوفييتى بأن يستأجر عمالا ، فالتشريع الجديد يمنع ذلك ، منعا لاستغلال الانسان لأخية الانسان ، ولكن ماذا يكون عليه الحال لو أن بعض العاملين فى القطاع العام ، على سبيل المثال فى ورشة

موسكو

تبحث عن ماركسية جديدة!

لاصلاح السيارات . وجدوا أن من الافضل لهم أن يعملوا عند بعض زملائهم ممن فتحوا « ورشا » مستقلة لهذا الغرض ، وانهم سوف يعطونهم أجورا أعلى من أجورهم فى القطاع العام ، وهم فى الوقت ذاته ليست لديهم الوسائل ليعملوا بدورهم مستقلين ؟ لاشك ان منعهم من العمل على هذا النحو لن يكون مجرد عصف بمادة دستورية بل بحقوق الانسان ذاتها فى أن يختار عملا انسب له ، حتى ولو كان ، طبقا لنصوص الماركسية ، خاضعا للاستغلال من جانب إنسان آخر !

على أن استغلال الإنسان لأخيه الانسان قائم بالفعل فى الاتحاد السوفييتى ، فى تعامل الدولة السوفييتية مع الشركات متعددة الجنسية ، مثل خط تجميع سيارات لادا الذى أنشأته شركة فيات فى الاتحاد السوفييتى ، بل أن بعض الكتاب الاشتراكيين الديمقراطيين فى الغرب مثل مؤلف كتاب فودكاكولا ، يتهم القيادة السوفييتية بأنها تسمح للامبريالية العالمية بالعمل فى الاتحاد السوفييتى ، وانتزاع فائض القيمة من الطبقة العاملة السوفييتية ، وإلا فلماذا ينشئون مشروعات لهم هناك من نوع خط « لادا » لانتاج السيارات . ومشروعات البترول والتعدين وخلافه ؟؟

الاشتراكية الديمقراطية إذن يمكن ان تحل باعتبارها هدفا للمجتمع السوفييتى ، اقرب من حلم تطبيق الشيوعية ، الذى اعترف القادة السوفييت اخيرا بانه بعيد بعيد . على ان المجتمع الشيوعى الذى كان يحلم به كارل ماركس وجيله فى القرن التاسع عشر قد اصبح صورة مبهمة يصعب تمثلها فى الذهن . فهى تقوم على مبدأ « كل حسب عمله ، ولكل حسب حاجته » . ولكن المشكلةهى فى عنصر « الحاجة الاقتصادية » .

● والصراع العالمى ●

إن الديمقراطية الاشتراكية لن تكون اطارا صالحا فحسب ، لحل مشاكل الصراع الطبقى فى الاتحاد السوفييتى بطريقة سلمية ، مابين الطبقات القديمة والجديدة والمستحدثة على ماوصفنا من قبل ، اكثر بكثير من ديكتاتورية البروليتاريا ، بل إن مردودها ايضا على الصراع العالمى سوف يكون فى صالح الاتحاد السوفييتى بطريقة حاسمة .

ذلك ان قيام الديمقراطية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، وما اطلقه جورباتشوف من حرية النقد والتعبير هو خطوة رئيسية نحوها ، اقول ذلك الوضع سوف يخلق تجانسا كبيرا مابين الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الديمقراطية فى الغرب من نوع السويد ، فضلا عن مختلف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى غرب اوربا والعالم عامة ، وكثير من تلك الاحزاب قد وصل الى الحكم عدة مرات ، وقد اختارت معظم الاحزاب

الشيوعية في غرب اوربا طريق الديمقراطية بدلا من ديكتاتورية البروليتاريا ، للوصول الى الاشتراكية ، ولاشك ان استقرار الديمقراطية واكتمالها في الاتحاد السوفييتي سوف يعزز مواقعها ويتيح فرصا كبيرة لاستعادة الوحدة الاشتراكية مابين الشيوعيين والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، ويزيد من فرص الفريقين في الوصول أو العودة إلى الحكم في كثير من بلدان غرب اوربا . بل إن من شان هذا التطور ان يعجل بزوال الانقسام الحالي في القارة الاوربية ، بما في ذلك تقسيم المانيا ، التي تمثل منطقة القلب في اوربا الى دولتين .

ومن شان هذا الوضع ان يقضي على كثير من اسباب التوتر الدولي ومن اهم عناصره التخويف من الشيوعية باعتبارها خطرا يهدد الديمقراطية في العالم المسمى بالحر ! وبالقضاء على اسباب التوتر الحالية تنتفي الحاجة الى ترسانة الأسلحة النووية التي يكدسها كلا المعسكرين حاليا ، ويقترب الاتحاد السوفييتي من تحقيق مطلبه في نزع الاسلحة النووية ، وتجنب الكارثة النووية على حد تعبير البرافدا كما تقدم في اول المقال ، وتحرير قواه الاقتصادية الجبارة التي حققت كثيرا من التطور في ظل الاشتراكية لتحقيق مزيد من التقدم والرفاهية للشعوب السوفييتية .

لقد كان من اهم اكتشافات ماركس النظرية ان قوى الانتاج ووسائل الانتاج هما فرسا رهان ، لايتحقق التقدم في احدهما إلا ليمهد الطريق لتقدم الآخر . ولقد انجزت الثورة الاشتراكية في روسيا تغيرا واسع النطاق في علاقات الانتاج ليس داخل هذا البلد الكبير وحده ، بل في انعكاساتها على سائر انحاء العالم سواء الدول التي اخذت ذات طريقها كالصين ودول شرق اوربا ، او الغرب الصناعي الذي تحاشى الثورة داخله بالطرق الاصلاحية ، او بلدان العالم الثالث ، التي تحرر كثير منها من الاستعمار بفضل المساندة السوفييتية لشعوبها ، وقد اصبح الدور الآن على قوى الانتاج لتواصل عملها في تطوير الحياة الانسانية ومواجهة مشكلاتها المعقدة .

وفي ظل عملية تغيير علاقات الانتاج كان اشعال نيران الصراع الطبقي على المستويين المحلي والعالمي هو الاداة الاستراتيجية في يد القوى الاشتراكية ، اما الان فربما كان العمل على تهدئة صراع الطبقات وتحقيق قدر من التعاون الطبقي على المستويات المحلية والعالمية هو الاقرب لاطلاق قوى الانتاج من عقالها ، وتقريب القوى الاشتراكية والتحررية والتقدمية عامة من اهدافها . وذلك هو عين مادعت اليه البرافدا في بحثها عن ماركسية جديدة . على ان الماركسية القديمة - اي في عهد ماركس وانجلز - قد لاحظت مثل ذلك فيما يتعلق بالانتقال من مرحلة الاقطاع الى الراسمالية ، ولايختلف الامر في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وذلك ماكنا نعنيه بان على الماركسية ان تعي دورها في تغيير العالم ، وان تدرك ان قوانين التطور الاجتماعي التي اكتشفت انطباقها على العالم فيما قبلها ، لاتزال سارية المفعول . عليها بدورها '

واشنطن

● رسائل هيمنجواى الخاصة ●

كثيرا ماتثار الاقاويل حول مايسمى بأدب الرسائل ، هل هو ذلك النوع من الادب الابداعي المصاغ فى صورة رسائل متبادلة بين بعض الاشخاص مثلما حدث فى آلام فرتر لجوته ، ام انها الرسائل الادبية او العاطفية التى يرسلها الكاتب لأحد الاشخاص القريبين الى عقله وقلبه .. أم انها اية رسائل كتبها الكاتب فى مرحلة من حياته وعبرت بصورة أو بأخرى عن جزء من فكر الكاتب .

يمكن أن نثير هذا السؤال بمناسبة صدور « رسائل مختارة » التى كتبها ارنست هيمنجواى بين عامي ١٩١٧ و ١٩٦١ الذى صدر احتفاء بمرور ربع قرن على وفاة الكاتب الكبير .. أول تعليق على هذه الرسائل انها يمكن أن تظهر هيمنجواى مرتديا بيجامة وهو الذى عرف دوما بزى المغامر فى الادغال والحروب الاهلية ، فقد شغف الرجل بثلاثة اشياء : صيد السمك . والصيد فى الادغار والأدب . ولذا فان رسائله خلال هذه السنوات تكتشف عن مدى قرب وابتعاد هذه الاهتمامات عن الكاتب . ويقول فى احدى رسائله انه لايمكن ان يفصل الادب عن الحياة ، لذا امتزجت هذه الاشياء جميعها فى حياته فأصبح فى الادب يكتب عن الصيادين ، وفى الحياة يتصرف كمثقف واديب معجب بالكاتب الفرنسى فلوبير بلا حدود .

والغريب ان رسائل الكاتب لم تجىء نافذة مفتوحة على العالم قدر ماهى طاقة نور على علاقته بادباء من طراز جرترود شتاين ووليام فوكنر « انه موهوب اكثر منى الا انه يتمتع بوجود الوعي الغائب » . كما دافع عن جون دوس باسوس وفيتزجيرالد الذى رأى فى أعماله موسيقى متناغمة تعزف لحن الخوف .. أو كما كتب اليه « تعرف انك مثل عالم رياضة لامع يحب الرياضيات كثيرا واستطاع ان يتوصل الى حل اعتى المسائل التى كانت عويصة بالنسبة للآخرين »

تميزت رسائل هيمنجواى ايضا بأنها تحدثت قليلا عن ادبه ، وكثيرا عن آداب الآخرين وهذا نوع جديد فى ادب الرسائل لم يعرفه الادب كثيرا .



عمان - لوكسمبرج

● معرض للحضارة الأردنية ●

تسعون قرنا من الفن فى المملكة الأردنية .

ذلك هو عنوان المعرض الكبير الذى أقيم فى لوكسمبرج فى الفترة من ٢٦ نوفمبر الماضي ويستمر حتى الخامس والعشرين من يناير الحالي . وافتتحته الملكة نور الدين .. فى إطار الدعوة للاتصال الثقافى بين حضارة الاردن القديمة والعالم الحديث .. سبق لهذا المعرض ان اقيم فى مدينة ليون عام ١٩٧٩ تحت اسم « معرض البتراء » وفى عام ١٩٨٣ فى مدينة نيويورك تحت نفس الاسم .

يتضمن المعرض مجموعة من التحف الفنية النادرة الشاهدة على حضارة الاردن على مدى تسعين قرنا ، وقد صنعت هذه المقتنيات من الابنوس والأحجار الكريمة . وقد برزت حقبات زمنية معينة ازدهرت فيها الفنون على فترات أخرى خاصة فى القرن الثانى قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي . ثم العصر الاموى . وفى القرن الثانى عشر إبان الغزو الصليبى للمنطقة العربية .





لنــــــدن

● هل للكفرة .. مملكة ؟

مدهش امر هذا الكاتب الانجليزى الذى طبقت شهرته الآفاق .. فبعد كتابه الضخم عن « يسوع الناصرة » عام ١٩٧٧ والذى أخرجته السينما فى مسلسل تليفزيونى ضخم هاهو يمجد « مملكة الكفرة » فى أحدث رواياته التى تحمل نفس العنوان .. لقد أراد الكاتب ان يصنع عملا روائيا ضخما على غرار « كوفاديس » مؤكدا انه كما توجد مملكة خاصة بالمؤمنين فان للكفرة مملكتهم وهى دائما مملكة الشياطين الذين وقفوا ضد انتشار المسيحية ويجب ان تدخل هذه المملكة لتعرف كيف تسير ومن هم ملوكها

فى حديثه إلى مجلة « جوردى فرانس » يقول « أنا نصف ايرلندى ، أحمل جواز سفر انجليزى يقول اننى كاثوليكى من يوركشاير . كان التعليم العالى ممنوعا عنا حتى عام ١٩٢٩ عمل أبى عازفا للبيانو ، ثم نادلا فى بار ، أما



أمي فقد كانت راقصة . اذن فمن اكون لست سوى مسلٍ »

ويقول في نفس الحديث غير مازح : « تحت شمس الشيطان ، يشعر الروائيون بأنهم في دارهم لذا لن يذهب الروائيون قط الى الفردوس . بل سوف يدخلون نار السعير لأنها بيتهم حيث النيران الابدية تجعل المرء اكثر إبداعا من الجنة الموعودة

بروكلين

● أزيموف .. عالما أم أديبا ؟ ●

إنه احد اذكى ادباء القرن العشرين ..

هذا ماذكرته صفحة المستقبليات في عددها الصادر في أول ديسمبر الماضي من مجلة لوبوان الفرنسية وهي تعرض كتاب « دنيا العلوم » للكاتب اسحاق أزيموف .. الذي يمثل ظاهرة فريدة بالفعل حيث جمع بين دراسة علوم الكيمياء الحيوية والابداع الادبي فنشر قرابة مائتي كتاب كان اخرها دنيا العلوم الذي يقع في ألف صفحة ويعتبر بمثابة موسوعة علمية عن أصل العالم من منظور القرن العشرين أي من منظور شخصيات روبوتية تمت برمجتها لتستطيع إدارة القرن القادم .

ولد أزيموف في مدينة بتروفيتش الروسية عام ١٩٢٠ ثم رحلت اسرته الى الولايات المتحدة في منتصف الثلاثينيات . واستطاع ان يحصل على شهادة الدكتوراه في علوم الكيمياء . ورغم إبداعاته المتعددة فإنه لايزال يعمل في الجامعة . وقد استفاد أزيموف من دراسته فكتب روايات من طراز « الرحلة العجيبة » و « الموت في مركز الكتاب الامريكي » و « انسان القرنين » و « مثلث التأسيس » فضلا عن عشرات الابحاث العلمية المنشورة في مجال الكيمياء الحيوية ..

باريس

● العيون الزرقاء .. مخلصة أبدا ●



هلل انصار الرواية التقليدية للروائية والمخرجة مرجريت دورا حين قدمت روايتها « العاشق » عام ١٩٨٤ ، بل ان اكاديمية جونكور منحتها جائزتها فى نفس العام وهى لاتمنح سوى للأدب التقليدى الذى يعتمد على حدوتة بسيطة مفهومة خالية من اى تجريب ، وتصور البعض ان مرجريت قد طلقت الرواية الجديدة التى تعد احد أعمدتها الكبرى

لكن هؤلاء التقليديين خاب املهم هذا الشهر مع الرواية الجديدة التى قدمتها السيدة دورا تحت عنوان « العيون زرقاء الشعر أسود » ومن تراكم عنوان الرواية يمكن ان نكتشف اى عودة رجعت بها الكاتبة . فهى لاتزال تؤمن بالرواية الجديدة . تستعمل العبارة الطويلة والرمز والاحداث المتداخلة زمانيا ومكانيا . وذلك من خلال حكاية رجل وامرأة يجلسان على شاطىء البحر . لايتحدثان . ولايفعلان شيئا سوى الانتظار كأنما اصابهما يأس مفاجىء مما يدور حولهم . يبدوان كأنهما أول عشاق فوق الأرض لايعرفان كيف يمارسان عشقهما .

جنيف

من . جميل عطية إبراهيم

معجم لمصطلحات الاتصالات

تحت اشراف جامعة الدول العربية وبالتعاون مع المنظمات الدولية والعربية تم اعداد اضخم معجم بالعربية لمصطلحات الاتصالات الدولية وتقنيات الفضاء • وهذا المشروع يعتبر احد دعائم نشر اللغة العربية وتعميم استخدامها فى المجالات الدولية التقنية • فقد انتهت فى سبتمبر الماضى اعمال المراجعة والتوثيق لآخر دفعة من المصطلحات وبذلك تنتهى أعمال اعداد اول معجم كامل فى هذا المجال بالانتهاء من ترجمة وتوثيق المجلدات الستة التابعة للاتحاد الدولى للاتصالات الدولية وتبلغ ٣٢ الف مصطلح او ما يقارب ١٤٠ الف مفردة علمية وكذلك ترجمة وتعريب مصطلحات الفضاء التى تبلغ ٦ الاف مصطلح او ما يعادل ٣٠ الف مفردة علمية •

وقد تم تنفيذ هذا المشروع الضخم الذى اشرفت عليه جامعة الدول العربية بالتعاون مع الاتحاد العربى للاتصالات السلكية واللاسلكية والاتحاد الدولى للاتصالات وبرنامج الامم المتحدة للانماء بتكلفة تقدرها مليونا دولار فى فترة زمنية تقل عن اربع سنوات •

وقد جاءت البداية عندما وجهت الامانة العامة للاتحاد الدولى للاتصالات ومقره جنيف والامانة العامة للاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية ومقره بغداد الدعوة لحضور اجتماع تمهيدى للمنظمات العربية والدول العربية الاعضاء •

واذا كان الانتهاء من اعداد هذا المعجم الضخم الذى يتضمن المرادفات بالعربية والمقابل لها بالانجليزية والفرنسية والاسبانية من اضخم اعمال الترجمة فى احد المجالات الخطيرة فى عالم اليوم فمن المشاهد ان اللجنة التى اسند اليها تنفيذ هذا المشروع الضخم قد عملت على توثيق خطوات اعمار الترجمة خطوة خطوة للاستفادة بها فى مشروعات الترجمة الاخرى مما يجعل وثائق ترجمة هذا المعجم مرجعا هاما لاعمال الترجمة

فيساريون بيلينسكى
ورسالته الشهيرة إلى جوجول

بقلم : حسين أحمد أمين

كان من الطبيعي أن يظهر تيار الانفتاح الفكرى على الحضارة الغربية في روسيا في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر . لا لأن الاستبداد القيصرى كان قد زاد وقتها زيادة ملموسة ، ولا لأن الفقر استفحل واتسع نطاقه ، وانما لازدياد الشعور بالاستبداد القائم ، وشروع الناس في التساؤل عن الأسباب الحقيقية للفقر . وإذا كان الاتصال بين روسيا والغرب قد بدأ يعظم خاصة بعد الحروب النابوليونية واشتراك روسيا الفعال في معترك السياسة الأوروبية ، فقد امتدت انظار المثقفين الروس للتطلع والمقارنة ، والاعجاب والتحسر ، والتحمس والسخط ، ألم يزعم بطرس الأكبر انه قد جعل من الروسيا دولة أوروبية ؟ فما بال نظمها السياسية إذن أقرب إلى نظم الشرق ؟ وما بال غالبية الشعب فيها لاتزال ترسف في أغلال الرق ، وترزح تحت أعباء الفقر والحاجة ؟ إن حلق اللحى ليس بالمظهر الوحيد من مظاهر إدخال المدنية الغربية فى البلاد . فلندخل المبادىء الاشتراكية ، ولنمد خطوط السكك الحديدية ، لنقض على سلطان الكنيسة في ميادين العلوم ، ولنلغ نظام الرق ، ثم لتطلقوا اللحى بعد ذلك إن شئتم إطلاقها !



تولستوى نمط متميز لروسيا



مكسيم جوركى اسهم فى الفكر

وقد كان الصراع بين زعماء هذا التيار (بيلينسكى ، هرتزن ، تورجنيف ، تشرنيشفسكى ، دوبروليوبوف) ، وبين المؤمنين بأن لروسيا رسالة خاصة ، ونمطا ثقافيا متميزا مناقضين للمدنية الغربية المادية الآخذة فى الأفول والانحلال (جوجول ، دوستويفسكى ، اكساكوف ، وإلى حد ما تولستوى) ، أشبه بالصراع بين عقليتى إيفان كارامازوف وأخيه اليوشا فى رواية "الأخوة كارامازوف" لدوستويفسكى ، فأما فى ميدان الأدب الروسى فى عصره الذهبى ، فقد انتصر اليوشا الروحانى المتدين ، وكان على إيفان المنطقى المادى أن ينتظر حتى الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ، حتى الغلبة له . والواقع أنه مهما اختلفت وجهات نظرنا حول مزاعم المذهبين ، فلاشك فى أن جانبا كبيرا من الفضل فى عظمة الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر راجع الى هزيمة مدرسة بيلينسكى . وأن انتصار أشياع الروسية فى ذلك الأدب ، هو الذى مكن روسيا من ان تقدم مساهمتها الفريدة فى الفكر الانسانى ، حيث إن المساهمة القومية ، متى اقترنت بطابع إنسانى ، هى وحدها القادرة على أن تجعل من أدب ما ادبا عالميا .

● السلافيون ودعاة التغريب ●

كانت الصحافة قد بدات تنتعش فى روسيا خلال العقدين الرابع والخامس من القرن الماضى ، رغم الرقابة الصارمة التى فرضتها حكومة القيصر نيقولا الأول ، ورغم الاضطهاد الفكرى الشائع فى ذلك العصر ، وسرعان ما أضحت الصحف والمجلات الروسية ، لأول مرة ، رائدة للرأى العام فى البلاد ، وذات تأثير قوى فيه ، واتخذت لنفسها شكلا وطابعا ظلا غالبين على الصحافة الروسية حتى عام ١٩١٧ .

فأما عن لواء الثقافة والفكر فقد انتقل بعد هزيمة الديسمبريين إلى الجامعات (خاصة جامعة موسكو) ، والحلقات الأدبية التى كانت غالبية أفرادها من غير المنتمين

فيساريون بيلينسكى
ورسالته الشهيرة إلى جوجول

فى فكرهم إلى طبقة اجتماعية معينة ، وبينما انتعشت الصحافة فى العاصمة بطرسبورج تحت رعاية القيصر ، وكسب رجالها المال الوفير مقابل إحنائهم الرأس للسلطات ، كان تاريخ الصحافة فى موسكو سلسلة طويلة من التضحيات والمآسى والمعاناة المرة من سطوة الرقابة والضائقة المالية .

وقد شهدت جامعة موسكو فى أوائل العقد الرابع جماعتين من الشباب المثقف الطموح ، اختلفت مطامحهما واتجاهاتهما الفكرية . كانت الجماعة الأولى التى تزعمها الكسندر هرتزن ، قد وجهت اهتمامها إلى المشاكل السياسية والاجتماعية متأثرة فى فكرها بالاشتراكية المثالية وتعاليم سان سيمون وفورييه وجورج صاند . أما الجماعة الثانية فقد حمل لواءها ستانكفيتش وبيلينسكى ، وعنيت بدراسة الفلسفة المثالية الألمانية ، وتحمس افرادها لمؤلفات شيلنج وفيخته وهيجل وفيورباخ تحمسا فاق تحمس الألمان انفسهم لها . غير أن ظهور جماعة ثالثة فى الميدان ، هى جماعة "السلافيين" وحد بين الجماعتين الاوليين ، ودفعهما إلى التحالف من اجل مقاومة تأثير هذه الجماعة الجديدة .

كان كل من السلافيين ودعاة التغريب متفقين على ضرورة القضاء على نظام الرق والحد من أوتوقراطية القيصر ، غير أنهم كانوا كالطبيبين لمريض واحد : قد اختلفا فى تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، ذهب السلافيون إلى أن لروسيا تاريخا فريدا فى تطورها لا تشاركها فيه غيرها من الدول . وهى قد تكون فى حاجة إلى اقتباس العلوم وبعض الأساليب الفنية من أوروبا . غير أن عليها قبل كل شىء أن تجاهد من اجل الحفاظ على شخصيتها ، حتى لا تفقد هذه الشخصية المتميزة بتقليدها الأعمى للغرب ، وبتهوينها من شأن نفسها ، وأما طريق الخلاص فيتمثل فى تمسكها بعقيدتها الأرثوذكسية ، وحماية تقاليدها الشعبية من الأندثار ، والعمل على اقامة علاقات شخصية بين مالك الأرض والفلاح يسودها شعور أبوى كفيل بضمان سعادة الكافة .

وقد سخر دعاة التغريب ، وجلهم من الاشتراكيين ، من هذه الآراء وكرهوا طابعها الدينى ، ورأوها سندا للأوتوقراطية القيصرية وذهب هؤلاء إلى أن حدود الدولة أمر عارض لاقيمة له ولا أهمية ، وأن الروس ينتمون الى الانسانية أولا وقبل كل شىء ، وأن طريق الخلاص ، على حد تعبير بيلينسكى يكمن فى تحسين الظروف المادية وأحوال المعيشة ، ولا يتأتى ذلك إلا بفتح الباب على مصراعيه لريح الآراء الحرة التى تهب من الغرب ، وتوثيق الصلات بين روسيا والبلدان الأوروبية .

● حياة بيلينسكى ●

ولد فيساريون بيلينسكى ، اعظم النقاد الروس وزعيم طائفة المفكرين من دعاة التغريب ، عام ١٨١١ ، وهو ابن لطبيب فقير يقيم ببلدة صغيرة إقليمية كانت تدعى شيمبار ثم غيرت الحكومة السوفييتية

اسمها فيما بعد فصارت تحمل اسم "بيلينسكي" وإذ بلغ الصبي الثامنة عشرة من العمر ، التحق بجامعة موسكو حيث جمعته الصداقة بطائفة من الشبان المثاليين المتحمسين لهيجل ، وعلى رأسهم ستانكفيتش . غير أنه بعد سنوات ثلاث من الدراسة بالجامعة ، كتب مسرحية طويلة بعنوان "دمترى كالينين" هاجم فيها نظام الرق ، فهددته السلطات بالنفي الى سيبيريا إن هو عاد إلى كتابة مثلها ، وسرعان ما فصل الشاب من الجامعة (عام ١٨٣٢) ، وبررت الادارة فصله بسوء صحته ، وقدراته الذهنية المحدودة ! . وبذا لم يتمكن بيلينسكي من نيل شهادة جامعية بيد أنه لم يهمل تعليمه بعد فصله ، فقد انكب على الكتب يقرأ فيها الساعات الطوال ، واتصل بزملائه السابقين فى الدراسة يناقشهم ويناقشونه فيما يقرأ ويقرأون ، ويغذى عقولهم ويغذون عقله بما اطلع واطلعوا عليه .

ومع ذلك فقد ظل بيلينسكي ضعيفا واضح الضعف فى اللغات الأجنبية فلم يتمكن طيلة عمره من قراءة الكتب الألمانية او الانجليزية التى تأثر بها إلا مترجمة .

ظل بيلينسكى قرابة عامين بعد فصله من الجامعة يعانى فقرا مدقعا . ثم تمكن من العثور على وظيفة فى مجلة "تيليسكوب" وبدأ ينشر فيها وهو فى الثالثة والعشرين مقالات فى النقد تحت عنوان "خواطر أدبية" تعرض فيها للرواية الروسية ومؤلفات جوجول بالأخص ، وقد اعتبرت هذه المقالات بداية النقد الأدبى فى روسيا ، بل بداية صحافة روسية راقية واعية ، وبداية عهد ظل بيلينسكى طواله وحتى وقت وفاته الحكم الفصل وصاحب الكلمة الأخيرة فى تقييم الأعمال الأدبية الروسية . وقد تميزت هذه المقالات بعدم احترام لكل ما هو قديم فى الأدب الروسى وكل ما ظل الناس أمدا طويلا يجلونه ويوقرونه . كما تميزت بالتحمس الشديد للأفكار المثالية الجديدة ولمستقبل الجيل الناشىء من بني وطنه . وقد جلب له تحمسه هذا لقب "فيساريون الغاضب" ، أطلقه عليه المعجبون به من الشباب الذين اعتبروه زعيمهم ورائدهم ، كما جلب عليه نقمة الرقابة ، وكراهية المحافظين ، وارتياب السلطة ، وحنق الكنيسة ورجال الدين .

وفى عام ١٨٣٦ ، صدر الأمر الحكومى بتعطيل مجلة "تيليسكوب" ، فعاد بيلينسكي الى فقره ، وبعد بحث مضن عن عمل يقتات منه ، اضطر الى قبول وظيفة مدرس للأطفال ، وتأليف كتاب مبسط فى قواعد اللغة ، غير أن صداقته بالفيلسوف الفوضوى باكونين صاحب إحدى المجلات الروسية ، مهدت له طريق العمل كصحفى فيها . فلما افلست المجلة واغلقت أبوابها ، انتقل بيلينسكي إلى مجلة أخرى أصبح الناقد الأول فيها مقابل مرتب ضئيل لم يكن ثمة مفر من قبوله .

● وصيته الأخيرة ●

واصبح بيلينسكي بفضل مقالاته منذ ذلك الحين روح التقدمية فى روسيا ، والمبشر بنوع جديد من الأدب . كان يرى أن الوقت قد حان كي يهجر الأدب الروسى اتجاهى الكلاسيكية والرومانسية ، وأن يصبح أدبا جديدا متصلا بالواقع الحاضر ، يعكس الحياة الواقعية فى صدق وأمانة ، ويستمد

فيساريون بيلينسكى

ورسالته الشهيرة إلى جوجول

أسسه من الأفكار الحديثة فى الفلسفة وعلم الاجتماع . وكان يرى فى الواقعية الاجتماعية فى مؤلفات جوجول تحقيقا لذلك الحلم الذى شغل مخيلته ، وتجسيدا لمثله العليا فى الأدب .

وفى عام ١٨٤٧ تفاقم عنده داء السل ، فاضطر إلى الرحيل عن روسيا يلتمس العلاج فى كل من فرنسا والمانيا . ومن المانيا ، بعيدا عن سلطان الرقابة ، كتب خطابه الشهير الى جوجول عقب صدور كتاب الأخير "مراسلات مع الاصدقاء" عبر فيه عن غضبه على خيانة جوجول للشعب والأدب الروسيين بتحوله المفاجىء الى مؤازرة حكم القيصر ، والولاء للكنيسة الأورثوذكسية ، وإعلانه الندم على كتابة مؤلفاته السابقة .

● تأثير هيجل ●

ظل بيلينسكى مدة طويلة (خاصة فى الفترة ما بين عامى ١٨٣٤ و ١٨٣٧) شديد التأثر بمؤلفات هيجل ، خاضعا فى تفكيره وكتابته للجانب المثالى من فلسفته ، فهو يؤمن مع هيجل بالفكرة المطلقة تصطنع تطور الحياة المادية والروحية فى سبيل تحقيق حريتها الكاملة . وهو يرى أن "هذا العالم الجميل الخالد ليس إلا نفحة من فكرة واحدة خالدة تكشف عن نفسها فى اشكال غير محدودة ، كأنها مشهد عظيم لوحدة مطلقة تظل تتنوع تنوعا لا يدركه حصر" حتى إذا ما تحول إلى النقد الأدبى رأى فى الفن "بعثا لفكرة روح الطبيعة بواسطة الألفاظ والأنغام والالوان ، وتعبيرا عن فكرة الوجود المتجلية فى مختلف الظواهر . وإنما يسمو الشاعر بفنه الى القمة حين ينجح فى تمكين قارئه من النظر إلى الوجود من زاوية تبدو له الطبيعة منها مصغرة كرسم الخريطة ، وحين ينجح كذلك فى إنعاش روح قارئه بنفحة الحياة التى تحرك الوجود ، وباللهب الذى يعطيه الدفء .

وكان فى البداية يؤمن بمبدأ هيجل الشهير "كل ما هو حقيقة واقعة معقول وكل ماهو معقول حقيقة واقعة" . ومعنى هذا أن بقاء أية حقيقة فى عالم الواقع دليل على أن تغلب نقيضها عليها لم يحن أوانه ، إذ لو أنها صارت غير ملائمة لزمنها لاكتسحها الجديد ، وهى فلسفة رجعية استندت إليها حكومات أوروبا الاستبدادية فى تعزيز طغيانها . ففى وجودها دليل على ملاءمتها لاحتياجات الزمن ، وتبرير لبقائها ، ولا معنى أو مبرر لمحاولة التخلص منها بالثورة عليها .

وعلى هذا أقر بيلينسكى فى أول عهده بقاء حكومة القيصر على أساس أنها مرحلة انتقال لم يحن بعد أوان تخطيها وتجاوزها بالنظر الى أن القوى التقدمية لم تبلغ بعد من النضج القدر الكافى الذى يمكنها من تحقيق رسالتها ، وكان مع عدائه لنظام الرق لا يرى مناصا من تقبله ريثما تنضج القوى التقدمية فتدمره وتطلع بالجديد الذى سيحل مكانه .

أثارت هذه الآراء الرجعية لبيلينسكى سخط الشباب الروسى الثائر وغضبه ، وقاد هرتزن حملة على اتجاهه المسالم للسلطة ، داعيا الى خوض ميدان الكفاح

وحض الفلاحين على الثورة على نظام الرق ، وقد قاوم بيلينسكي هذه الحملة في باديء الأمر ، ثم لم يلبث أن تحول عن موقفه ، وقابل هرتزن في بطرسبورج عام ١٨٤٠ ، وأقر له بخطئه ، وبتحوله الى الأعتقاد بأنه لا سبيل إلى الخلاص إلا بالثورة .

● أهم ناقد في تاريخ الأدب الروسي ●

وكانت توبته وتحوله عن فلسفة هيجل عميقين صادقين .

وبتغير معتقدات بيلينسكي الفلسفية تتغير مفاهيمه عن الأدب والفن . فهو يعرف الفن الآن بأنه «التأمل المباشر في الحقيقة ، وإعادة لخلق الكون دون تحوير» . ولايعني هذا أن الفن يعكس لنا الحياة والطبيعة كما تعكس ، المرآة الصورة ، غير أن عليه دائما أن يبرز للناس حقيقة أحوالهم وحقيقة أنفسهم ، وأن يتناول المشكلات التي تجثم على صدورهم فيستحثهم على التخلص منها ، واجتثاثها من جذورها» .

باتت لدى بيلينسكي نظرية نامية واضحة المعالم في الأدب ورسالته ، بل إنه يمكن القول (وهو قول لا ينطبق الا على عدد صغير من النقاد) إن كل ما أصدره من أحكام على ما ظهر من مؤلفات روسية بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٤٨ ، يمكن التسليم به دون اعتراض ، أما احكامه على أدب الأجيال السابقة على تلك الفترة ، فقد انتقص من قيمتها تعصبه المذهبي ، وإصراره الشبيه بإصرار الشيوعيين في قرننا هذا على تطبيق معايير صارمة محددة لاتلين ، وذوق أدبي واحد معين

وقد كان بيلينسكي اهم ناقد في تاريخ الأدب الروسي نادى بضرورة غلبة الافكار في الأدب على ما عداها ، وبذا بات مسئولا عما شاع بين الادباء في العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر من إهمال للحبكة الفنية والأسلوب الرصين واللغة القومية . فالمادة والموضوع هما الأهم . إما الشكل فمقترن عنده بضحالة المادة وفراغ جعبة الأديب .

●أعمق الصحفيين تأثيرا●

ومع ذلك . فالكل مجمع على انه كاتب هو اقرب منه الى الناقد ، وانه أعمق الصحفيين الروس تأثيرا في الرأى العام التقدمي ، وانه مهما بالغنا فلن يمكننا المبالغة في تقدير أهميته التاريخية . لقد كان ابا للانتليجنتزيا في بلاده ، وزعيما من الزعماء المثاليين الاشتراكيين ، لا هم له إلا صلاح أحوال بلادم دون أدنى احترام لما لايرضى ضميره عن احترامه ، وكان امينا نزيها إلى أبعد الحدود ، لم يكترث لترصد أعين الرقباء ولم يخن مبداه طمعا في حياة اكثر راحة ، أو تجنبا لفقر جلب عليه في النهاية المرض والموت ، ومن أبرز افضاله على الصحافة والنقد في زمنه إدراكه الدقيق لروح عصره ، وعلله وأمراضه ، ومحاولته تطوير المجتمع في الاتجاه الذي ارتآة سليما ولازما له ، وقد ظلت رسالته الى جوجول تشكل عقيدة المثقفين التقدميين مدة تزيد على نصف قرن ، ومنع الرقيب نشرها وتداولها حتى عام ١٩٠٥ بعد الثورة الروسية الاولى . وهي الرسالة التي حكمت السلطات على دوستويفسكي

فيساريون بيلينسكى

ورسالته الشهيرة إلى جوجول

بالاعدام بتهمة الاستماع اليها فى إحدى الحلقات وهزه لراسه إعجابا بها .

واختم مقالي بترجمتي لبعض فقرات من تلك الرسالة :

« لم تصب إلا جانبا من الحق إذ تبينت فى مقالى رجلا غاضبا . فهى صفة من الضعف بحيث تعجز عن التعبير عن الحالة التى سببتها لى قراءة كتابك . وقد كان بوسعى احتمال هجومك علىّ . غير انه ليس بوسعى احتمال إهانة وجهتها الى الحق وكرامة الانسان . او السكوت إذ اراك تدعو الى الغش وفساد الخلق تحت ستار من الدين ، وتحت حماية سياط السلطة ، ملبسا هذا الغش والفساد ثياب الحقيقة والفضيلة .

فإذا كان الجميع (عدا حفنة من الناس كان من الواجب أن تراهم قبل أن تسمح لنفسك بأن تُسَر لتأييدهم لك) ، أقول ، أنه إذا كان الجميع قد رأوا فى كتابك حيلة لئيمة (وإن كانت مألوفة) كى تحصل على مأرب دنيوية عن طريق الاتجار بالدين ، فعليك أنت تقع التبعة والذنب ، وقد شاع فى بطرسبورج أنك ألفت كتابك طمعا فى أن تعين مدرسا خاصا لولى العهد ، وأنك كتبت خطابا الى وزير المعارف تشكو فيه من أن كتبك السابقة قد أسيء تفسيرها ، وتذكر أنك غير راض عنها ، وأنك لن ترضى عن كتاب لك إلا متى رضى القيصر عنه . فهل من المستغرب إذن أن يحط كتابك الجديد من قدرك لدى الجمهور ؟ أن يحط من قدرك كاديب وكإنسان ؟ إنه ليس بالأمر الغريب ، وإنما الغريب حقا أن تراه أنت غريبا .

إن بلادنا ياسيدى ليست فى حاجة الى الوعظ ، فقد سمعت منه أكثر مما ينبغى ، وانما هى فى حاجة الى من يوقظ لدى شعبها شعور الكرامة الانسانية ، ومن يتيح بمؤلفاته الفرصة له حتى يرى نفسه كما يراها فى المرآة ثم إذا بكاتب عظيم ساهم بفضل أعماله الفنية الرائعة الصادقة فى مساعدة روسيا على تحقيق ذاتها ، يخرج بكتاب مشين باسم المسيح والكنيسة يتغنى فيه بمدح رجال الدين الروس وينعت الفلاحين بالغوغاء الأوساخ ، ويدعو المالك الزراعى إلى أن يبتز من أقنانه المزيد من المال وأن يضاعف من قسوته وبطشه ، وكان المفروض ألا أغضب من هذا !! أقسم أنك لو كنت حاولت اغتيالى لما كرهتك كراهيتى لك بسبب كتابك . ثم نراك تحاول بعد ذلك أن تقنع الناس بإخلاص نواياك ! لا . فلو أنك حقا كنت قد استوحيت المسيح وتشبعت بتعاليمه لا بتعاليم الشيطان لخرج من قلمك كتاب جد مختلف عن كتابك الأخير .

فهل من المعقول أن يكون مثل هذا الكتاب ثمرة تفكير عميق ، وبحث دقيق ، ونور هبط على القلب ؟ محال ! فإما أنك مريض يلزمك العلاج ، أو أنك ... إنه لمن الصعب علىّ أن اكمل الجملة . يكفى أن أسألك يامبشر الغوغاء ويارسول الجهل ودعامة الرجعية وفساد الخلق ، عما أراك تصنعه ، إلق بنظرة تحت قدميك فإنى لأراك مشرفا على هاوية سحيقة .

أهذا ممكن ؟ أيمكن ان تكون أنت ، مؤلف «المفتش العام» و«نفوس ميتة» قد أثنيت بإخلاص على رجال الدين الروس ؟ حقا انك لا تدرك مدى الاحتقار

الذى يكنه الشعب الروسى لهؤلاء القوم ؟ على من تتندر الجماهير ؟ عمن يروون ابشع القصص ؟ عن رجل الدين وزوجته وابنته وخادمته من يصفهم الشعب الروسى بأنهم قطيع من البله والمجانين ؟ القساوسة . أليس رجل الدين فى روسيا هو فى نظر الشعب ممثلا للشهوة والبخل والعبودية وانعدام الحياة ؟

ثم إنى لذاكر لك ايضا أنك تؤكد فى كتابك زعما تراه حقيقة لا يمكن نقضها ، وهو أن التعليم ليس عديم النفع للجماهير فحسب ، وأنما هو أيضا ضار بالغ الاضرار فكيف يمكن للانسان أن يجيبك على هذا ؟ آلا فليغفر لك الهك البيزنطى هذه الفكرة البيزنطية ، شريطة أن تكون وقت تسجيلك إياها على الورق غير مدرك لما تسجل ، وفى اعتقادى أنك لاتفهم الجماهير فى روسيا فهما سليما . إن شخصية شعبنا تكيفها ظروف المجتمع الروسى حيث تكافح قوى جديدة من احل الظهور فى حين يحاول الاستبداد قمعها ، وإذ تفشل فى الانبثاق تصيبها الكلالة والملل واليأس . فى الادب وحده (رغم الرقابة الوحشية) ظهرت حركة تقدمية نشطة . وهذا هو السبب فى توقير الناس لوصف «الاديب» عندنا ، وهو السبب فى سهولة إحراز النجاح فى الميدان الأدبى فى روسيا حتى لو كان الكاتب صاحب نبوغ ضئيل ، إن صفة « الشاعر» ورسالة الأدب قد سلبتا المجد من رجال الحرب والادارة . وهذه هى علة الاهتمام واسع النطاق الذى نوليه لاية ميول حرة حتى الضعيف منها

والجمهور مصيب دائما فى حكمه فهو لا يرى قادة له غير ادبائه . وادباؤه هم المدافعون عنه ضد الأوتوقراطية لهذا فهو على اتم استعداد لأن يغفر للأديب كتابا سيئا . غير انه غير مستعد لان يغفر له كتابا مسموما وهو دليل قاطع على صدق فراسة هذا الشعب . وعلى ما ينتظره من مستقبل عظيم فإن كنت تعشق روسيا فلتشاركنى فرحتى بفشل كتابك لقد ازعجنى احتمال ان تستغل الحكومة كتابك . اما عن تاثيره فى الجماهير فلم اقلق بصدده ، وقد اصاب أصحابى الحزن عندما سمعوا ان الحكومة تنوى طبع الآلاف المؤلفة من النسخ من كتابك وبيعها بسعر زهيد ، غير انى طمانت هؤلاء الأصدقاء على أن كتابك فاشل رغم كل شىء ، وان النسيان سرعان ما سيطويه . وإذا بكتابك فعلا لايذكره الناس الا بسبب المقالات التى كتبت عنه

ولو انى أطلقت العنان لنفسى لأضحت هذه الرسالة كتابا . غير اني اكتفي هنا بان اكرر القول لك إنك مخطىء إذ رايت فى مقالى رجلا غاضبا قد أحنقه ما كتبته عنى فلو كان ذلك وحده ما أغضبنى لكان ذلك وحده ما رددت عليه ، ولرددت على غير ذلك فى هدوء ودون حقد أو حنق . غير أن الأمر هنا لا يتعلق بشخصى أو بشخصك ، وإنما يتصل بموضوع اسمى منك ومنى . إنه يتعلق بالحق ، بالمجتمع الروسى ، وبروسيا بأسرها وهاك كلمتى الأخيرة .

إذا كان سوء الحظ وكبرياؤك قد دفعاك إلى التنكر لمؤلفاتك العظيمة ، فمن واجبك الآن ، وبكل إخلاص ، أن تتنكر لكتابك الأخير ، وأن تكفر عن خطيئتك الكبرى إذ أخرجته إلى النور ، بان تطلع علينا بمؤلفات جديدة تذكرنا بمؤلفاتك الاولى .



● الاسلام والتحكم فى جنس الجنـــين ●

يعقد فى القاهرة خلال الشهر القادم (فبراير) تحت رعاية الرئيس حسنى مبارك المؤتمر الطبى الاسلامى الدولى عن الشريعة الاسلامية والقضايا الطبية المعاصرة .

وقد شكلت لجان علمية متخصصة ، تحت اشراف الدكتور محمــد حسن الحفناوى أمين المؤتمــر ، لاعــداد الابحاث الخاصة بالقضايا الطبية التى ستعرض على اللجنــة الشرعية التى شكلها الازهر الشريف برئاسة الدكتور عبد الفتاح الشيخ عميد كلية الشريعة بجامعة الازهر .

وسوف يناقش المؤتمر بحوثا علمية تتوزع على جبهة واسعة فى مختلف المجالات الطبية مثل :

● قضايا التلقيح الصناعى وتأجير الرحم .

● التحكم فى جنس الجنين .

● نقل الاعضاء بالتبرع خـــلال الحياة وبعد الوفاة .

● قضايا الهندسة الوراثية وتغيير بعض الصفات الفردية .

وتكشف الامثـــلة الســابقة مدى الحساسية التى تنطـــوى عليهـــا المستحدثات الطبية ، وعلاقاتها بقضايا شرعية واجتماعية حيوية ، مما جعل الموقف منها يشغل بال المسلمين فى كل مكان ، سواء كانوا اطباء ام مرضى ام مشرعين ، الامر الذى يكشف اهميــة تحديد موقف الشريعة الاسلامية عامة من مختلف الممارسات المطـروحة على الساحة الطبية اليوم مراعاة لمصلحة المسلم دينا ودنيا .

هذا وسينظم المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث السكانية المؤتمر الاول للسكان فى العـالم الاســلامى بالقاهرة فى اوائل شهر مارس برئاسة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الازهر حيث تجــرى دراسة قضايا الاسرة المسلمة ومنهـــا على سبيل المثال قضايا صحة الطفل والام ، وقضايا التعليم والغذاء ، وقضـــايا الموارد البشرية والهجرة .





السد العالي بعد ٢٠ سنة

ناقش المجلس القومي للانتاج والشئون الاقتصادية ، وهو أحد المجالس القومية المتخصصة ، الاثار التى نتجت عن بناء السد العالى بعد مضى ٢٠ سنة على تشييده .

وأكد التقرير على القيمة الايجابية لهذا التاثير . فناهيك عن أن السد العالى انقذ مصر من الجفاف المتكرر الذى تتعرض له كثير من البلدان الافريقية بين التقرير :

● أن محطة كهرباء السد العالى ولدت طاقة كنا سنحتاج الى ٢٠ مليون طن من المازوت لتوليدها فى المحطات الحرارية .

● انه تم استصلاح ٩٠٠ الف فدان باستخدام مياه السد العالى .

ومن المنتظر ان يضاف اليها ٤٠٠ الف فدان أخرى قبل نهاية ١٩٨٧ . وذلك بالاضافة الى زيادة المساحة المحصولية وارتفاع مساحة محصول الارز الى مليون فدان (لم يكن لها بدون السد أن تتجاوز ٢٠٠ الف فدان) .

وبالنسبة للاثار الجانبية التى نتجت عن بناء السد ذكر التقرير انها كانت متوقعة ومعروفة وان السبب فى تفاقمها عدم الاهتمام بالمشروعات المكملة للسد العالي .

وجدير بالذكر أن جهودا ضخمة تبذل فى مناطق مختلفة فى أراضي مصر للاستفادة من المياه الجوفية التى ارتفع منسوبها بعد بناء السد ، ولاستخدام هذه المياه فى الرى مع ظروف الجفاف المتكررة . كما تجرى ابحاث اخرى للاستفادة من هذه المياه فى تقليل حاجة بعض النباتات الى مياه الرى وقد بينت التجارب التى تجرى على الفول والذرة الشامية بمزرعة ابيس التابعة لكلية الزراعة (جامعة الاسكندرية) أن مثل هذه النباتات تتمكن من خلال منتصف موسم نمو المحصول وآخره من الاعتماد ذاتيا على جذورها (بالخاصية الشعرية) فى رفع وامتصاص حاجتها من المياه الجوفية .

هذا كما بين تقرير المجلس القومى أن بحيرة السد بريئة من « الشائعات التى الصقت بها مما ظهر فى المنطقة من نشاط زلزالى .

علاقات غرامية بالكمبيوتر

انتشرت بين الامريكيين أخيرا ممارسة العلاقات العاطفية أو الغرامية مشافهة على البعد عبر الكمبيوتر !

ويستطيع المشاركة فى مثل هذه العلاقات أى من الراغبين الذين يمتلكون « جهاز كمبيوتر » شخصى ، ولا يحتاج الامر من الراغب الا أن يدق كلمة كودية على حاسبه الشخصى ليجد نفسه فى حضرة غيره من الراغبين فى ممارسة هذه العلاقات من الجنسين

وغالبا ما يتم ذلك فى اطار المشتركين فى اكبر شبكات الحاسبات الالكترونية « كومبيسيرفيس » .

وقد بدأ الامر كمجرد محاولات « للغزل البرىء » وتمضية الوقت بين قليل من الافراد الذين لا يعرفون بعضهم بعضا . لكنه سرعان ما تطور الى مداعبات فاحشة خشنة قد تضم عشرات من الجنسين فى وقت واحد وفى كثير من الاحيان يتزايد عدد المشاركين الى الحد الذى يتعذر معه متابعة ما يصدر منهم على شاشات الحاسب ..

وبالطبع لا تقف الامور عند حد الممارسات الشفاهية ، فكثيرا مايتطور الامر ويتبادل من يمارسون هذا النوع « الغريب » من الغزل ارقام التليفون والصور ، بل ويصل الامر فى عدد من الحالات الى حفلات الزفاف .

ويرى علماء النفس ان ما يشجع مثل هذه الممارسات امكانية الاقتراب من الاخر والانطلاق معه الى حدود بالغة القرب « والخصوصية » وربما الفحش برغم عدم معرفة أى من الطرفين لهوية الاخر ، وهو أمر يتعذر وجوده فى أى ظروف أخرى .

وقد أدمن بعض الامريكيين مثل هذه العلاقات حتى أن زوج احداهن (عمرها ٢٥ سنة) جار بالشكوى من أن زوجته تقضى مع رفاق الكمبيوتر وقتا اكثر من الوقت الذى تقضيه معه، ومن أن هذه اللعبة قد اغرقتهما فى المشاكل ، اذ اقامت الزوجة (عن طريق الكمبيوتر) سلسلة من العلاقات العاطفية التى انتهت كلها بخيبة الامل، سواء من جانبها أو من جانب الطرف الاخر ، عند اللقاء وجها لوجه .

وتشكو هذه السيدة فى غضب وحيرة من مرارة هذه العلاقات — وما ينتج عنها من احباط لحياتها — وتدعو الى تنظيم مجموعة دعم نفسى للنساء اللاتى يعانين من صعوبات شبيهة .

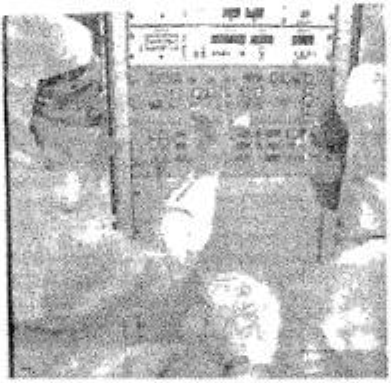
المستقبل فى امريكا

وعلى الرغم من نموذج الغرام بالكمبيوتر السابق توقعت دراسة مستقبلية نشرت فى الولايات المتحدة الامريكية أن يولى الامريكيون مزيدا من الاهتمام للحياة العائلية فى المستقبل وان تعود روابط الاسرة لتطغى على الحياة الإجتماعية الامريكية بصورة قريبة مما كانت عليه هذه الحياة خلال العصر الفكتورى خلال القرن الماضى .

هذا كما يتوقع خبراء الدراسات المستقبلية أن تطرأ تغيرات مثيرة على جوانب الحياة الاخرى خلال العقود



هموم الغراميات الكمبيوترية



تقنيات جديدة تبتلع ٥٠ مليون وظيفة

والقرون القادمة . ومن أطرف هذه التوقعات على سبيل المثال أن كبار المجرمين سيودعون في غضون ٥٠ سنة بسجون تشيد تحت الماء ويقوم على حراستها عدد من الحراس الآليين ، بينما سينفى الخطرون منهم في مرحلة لاحقة الى كواكب بعيدة .

ويتوقع المستقبليون أن تمثل الاعمال التي تنجز في البيوت مع نهاية القرن الحالي ثلث مجموع الاعمال التي تدفع عنها مرتبات في الولايات المتحدة .. وبحلول عام ٢٠١٠ سيؤدي استخدام الكمبيوتر والانسان الآلي ، على نطاق واسع ، الى نقص عدد الوظائف بمقدار ٥٠ مليون وظيفة ، ولن يجيء عام ١٩٩٠ الا وسيكون عدد الاطباء في الولايات المتحدة قد فاق الحاجة الحقيقية والعدد المطلوب بمقدار ١٠٠ الف وظيفة .

ويتنبأ المستقبليون بأن يزيد عدد سكان المدينة الواحدة عام ٢٠٠٠ على ١٠٠ مليون نسمة تلك بينما لا يزيد عدد سكان اكبر مدينة في العالم اليوم على ١٨ مليون نسمة ، كما يتوقعون أن يرتفع العمر المتوسط للسيارة عام ١٩٩٠ الى عشر سنوات ، وعام ٢٠٠٠ الى ٢٢ سنة ، وذلك في مقابل سبع سنوات في الوقت الراهن .

● الشطرنجيات السوفييتيات يفـــزن في الامـــارات ●

قالت مرجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية في الكلمة التي القتها عند افتتاح المباراة الثارية علىبطولة العالم للشطرنج انها لا تمارس الشطرنج .. ولكنها تنظر اليه بصفته لعبة رفيعة المستوى تتضمن عناصر من الرياضة والفن والعلم .. ونوهت بأن اللعبة تساعد على الجمع بين الشعوب وعلى اقامة علاقات صداقة بينها .

وقد أكد جاري كاسباروف من جديد خلال أدوار المباراة الثأرية التي جرت بين لندن وليننجراد انه اللاعب الاكثر جدارة بالجلوس على عرش الشطرنج .. وقد انتهز الاتحاد الدولي للشطرنج فرصة الاولمبياد الذي جرى أخيرا في الامارات العربيـــة ، وتوج البطلين السوفييتي جاري كاسباروف ومايا شيبور دانيدزه باكاليل الغار .

وتمكن الشطرنجيون السوفييت من الفوز ببطولة الاولمبياد الشطرنج العالمي الذي جرى في الامارات ..

جاري كاسباروف ومايا شيبور دانيدزه





العالم غدا

وان كانت اللاعبات قد فزن بالبطولة بسهولة بعد تفوقهن بفارق كبير من النقاط على فرق المجر والصين ورومانيا التى احتلت المراكز الثلاثة التالية ، فقد واجه الفريق السوفييتى للرجال ، الذى يضم جارى كاسباروف بطل العالم الحالى وأناتولى كاربوف بطل العالم السابق ، منافسة شديدة من الفريقين الامريكى والبريطانى ، وظلت نتيجة المنافسة معلقة حتى الدور الاخير من المباراة ، الذى تمكن الفريق السوفييتى بنتيجته من جمع ٤٠ نقطة ليتقدم الفريق البريطانى بنصف نقطة والفريق الامريكى بنقطة ونصف نقطة •

ومن الجدير بالذكر أن اللاعب السورى الاصل الذى لعب ضمن الفريق الامريكى قد فاز فى المباراة بين الفريقين السوفييتى والامريكى خلال الدورة على جارى كاسباروف بطل العالم ، وقال بعد المباراة ان فوزه لم يكن مفاجئا ، وانه قد فاز من قبل على اناتولى كاربوف بطل العالم السابق ، وانه يستعد لانتزاع عرش الشطرنج من اللاعبين السوفييت •

● حاملة قمامة حديثة لانتاج السماد والطاقة ●

نجحت شركة « فالورجا » الفرنسية فى تطوير نظام جديد عبارة عن حاملة نفايات لتجميع قمامة المنازل والرواسب الطينية لمحطات التنقية والمخلفات العضوية ومخلفات الاغذية الزراعية للاستفادة منها فى صناعة الاسمدة وازالة مصادر التلوث بدون امخنة او روائح كريهة • وتقوم الحاملة بطحن القمامة وفرز المعادن الحديدية ومعالجتها وكذلك المعادن الخاملة الثقيلة فى المرحلة الاولى • أما المرحلة الثانية فيتم فيها اجراء عملية التخمر اللاهوائى للمواد القابلة للتحلل ثم يتم كبس هذه المخلفات • وفى المرحلة الثالثة يتم فصل العناصر غير القابلة للتحلل البيولوجى مثل الوقود والمعادن الخاملة الثقيلة وفى المرحلة الاخيرة يتم حرق ما يتبقى من مخلفات داخل افران خاصة • ومن ابرز مزايا عمل الحاملة هو التشغيل المستمر للمادة المركزة بحيث لا تشغل حيزا كبيرا واضفاء قيمة للمخلفات الزراعية المهملة وتسخيرها لانتاج الطاقة النظيفة •

● جهاز جديد لتفتيت حصوات الكلى بدون مخاطر ●

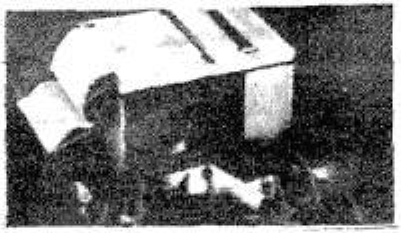
أحدث جهاز طبى لتفتيت الحصوات داخل جسم الانسان قامت بتطويره شركة فرنسية •• الجهاز الجديد يفتت حصوات الكلى بواسطة موجات تصطدم بالحصوات من مصدر به مادة كهرومغنطية • وبهذه الطريقة لن يحتاج الاطباء الى استخدام التخدير بكافة انواعه • ويتميز الجهاز بأن المريض يكون راقدا على السرير وليس فى حوض به ماء كما هو متبع

حاليا ، ويكتفى بوضع كيس من الماء على منطقة الكلية لتوصيل الموجات وسيكون متاحا الاطباء رصد اماكن الحصوات بواسطة رسام الصدى مما يلغى استخدام اشعة اكس · كما انه يتيح امكانية علاج حصوات المثانة وأسفل الحالب ·

والمعروف أن الاجهزة الطبية المستخدمة حاليا تستخدم مصدرا بالغ الدقة من النوع المتفجر يعمل بواسطة مؤثر حرارى موضعى يتطلب تركيزا هائلا للطاقة عند المنبع مما يؤدى الى عدة متاعب منها ضرورة توافق ايقاع انطلاق الموجات مع ضربات قلب المريض وضرورة التخلص من الغازات فى ماء القمر الذى يوضع به المريض بالاضافة الى المخاطر المحتملة لاصابات الانسجة الرئوية والمعوية ·

منضدة لعمليات العظام بالتوجيه الاليكترونى

توصلت شركة « مارتيز اوبرى » الفرنسية الى انتاج منضدة لعمليات جراحات العظام والتجبير ومعالجة اصابات الاطراف السفلى تعمل بالتوجيه الاليكترونى · تصميم المكونات المختلفة للمنضدة يتميز بخواص أساسية تتيح للطبيب تسهيلات كثيرة مثل وجود حامل الصدر والرأس فى جزئين مما يسمح بالحركة الطولية والعرضية ويمتاز حامل الحوض الذى يتحرك أفقيا بسهولة التعامل مع فخذ المريض وساقه ويتيح للفنيين اجراء عمليات التصوير بالاشعة طوال فترة العملية الجراحية باستخدام مكبرات الضوء ·



خريطة دقيقة لدراسة اضطرابات المخ

قامت شركة « القار اليكترونيك » العالمية بتطوير جهاز جديد يسمى « ريجا ٢٠٠٠ » الذى يتيح للاطباء الحصول على خريطة كاملة للمخ أثناء الفحص من خلال ميكروكمبيوتر موصل بجهاز رسم المخ حيث يتم توجيه الاشارات الكهربائية للمخ من خلال موصلات بسيطة مثبتة على سطح الرأس وبالتالى يمكن ترجمة الانشطة الذهنية للفحص كميا الى صورة موضحة ومعروضة بالالوان · ويختلف هذا التكنيك عن بقية أساليب الفحص المستخدمة فى الكشف عن المخ · الجهاز الجديد يمكنه دراسة ردود افعال المخ للتنشيط الحسى بالاضافة الى متابعة التطورات التى تحدث فى اختلال الوظائف والتأكد من مدى فاعلية العلاج الموصوف للمريض ·· ومن مزاياه أيضا انه يتيح للطبيب المعالج دراسة الاضطرابات ذات الطابع الوظيفى البحت مثل الصرع والامراض النفسية والمشاكل المصاحبة لشيخوخة المخ ويمكن للطبيب اكتشاف اية اختلالات فى وظائف المخ مبكرا حتى فى حالة عدم وضوح علامات على اصابة الانسجة · كما يمكن للطبيب تكرار الفحص فى اى وقت وبالتالى تنعدم الحاجة الى اجراء الفحوص المغناطيسية المكلفة الا فى حالة التعرف على مواقع الاصابات وظروفها التشريحية ·

دراسة الهلال

■ حرب المستقبل ■

حرب الكترونية.. آلية

بقلم : حمدى لطفى

تسيدت تطبيقات برامج الحرب الالكترونية ـ طوال السنوات العشر الاخيرة ـ المناورات الحربية التى تشترك فيها اكثر من دولة ، وتتضمن هذه المناورات الحربية هجمات وهجمات مضادة برية وجوية وبحرية تبرز فيها استخدامات الحرب الالكترونية كسمة متقدمة تلبى احتياجات المعركة المشتركة الحديثة ... بل ان هناك مناورات كبرى لا يستخدم بها غير عناصر الالكترونات من خلال ما يطلق عليه اسلوب « ميكنة القيادة » او القيادة الآلية ـ وتحمل فى طياتها حصيلة الدروس السابقة من الحروب الكبرى والصغرى .

● وفى هذه الصفحات نعيش قصة الحرب الالكترونية « وبدايتها » المثيرة ، فهى بداية تنتسب الى السنوات الاولى من القرن الحالى .

اختلف الباحثون العسكريون بانحاء العالم فى تحديد بداية الحرب الالكترونية بمستوياتها البسيطة الاولى ، فقالوا ايضا ظهرت ـ كمفاجأة ـ عام ١٩٠٤ وآخرون ذكروا عام ١٩١٤ ، واكد فريق ثالث امريكى انها استخدمت عام ١٩١٧ ، ويصبح من المهم ان نعرف ماذا حدث من مفاجآت حربية خلال الفترة ما بين ١٩٠٤ حتى ١٩١٧ ؟!

● انتشر جهاز اللاسلكى بعد اختراعه داخل السفن الحربية عام ١٩٠١ ، لتحقيق الاتصال بين سفينة واخرى ، وتحديد مكانيهما فوق سطح البحار والمحيطات ، ثم مضت اربع سنوات ، قام بعدها او اثناءها العالم الروسى «بوبوف» مخترع الراديو الروسى بالاشتراك مع « الاميرال البحرى ماكاروف » بتجربة مثيرة قاما

بهـــا عام « ١٩٠٤ » فى تحـديد اتجاه السفن اليابانية ، وذلك عـلى أساس تحريك السفن الروسية يمينـا ويسارا ، حتى يقل سماع صوت المحطة اللاسلكية على السفينةاليابانية المعادية، وفى هذه الحالة تكون السفينة الروسية فى اتجاه عمودى على السفينة اليابانية، ويعنى ذلك ـ التطبيق البدائى لنظـرية تحديد الاتجاه اللاسلكى ٠

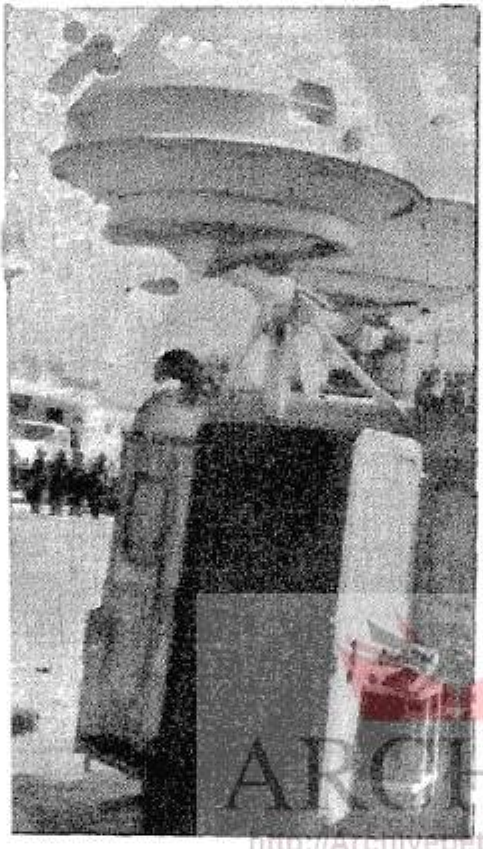
● ولقد صاحب التطور السريع فى معدات اللاسلكى قبل الحرب العـالمية الاولى تطور ممـاثل فى اسـتخدام اللاسلكى للتصنت وتحديد أماكنالمحطات اللاسلكية المعادية ، ويعتبر غرق الباخرة الالمانية « مجد برج » فى بحر البلطيق عام « ١٩١٤ » ، اول تطبيق عملى فى العالم لاستخدام اللاسلكى فى تحـديد مكان محطة معادية ٠

● الفرقة رقم ٤٠ ●

ثماستمر التطور فى مجالالاستطلاع الالكترونى من الحـرب الالكترونيـة خصوصا فى بريطانيا خلال الحـرب العالمية الاولى وذلك عندما انشأت أول وحدة استطلاع لاسلكى فى العـالم تحت الاسم الكودى « الفرقة رقم ٤٠ » والتى وضعت تبعيتها مباشرة لوزارة البحرية البريطانية ثم لرئاسة مجلس الوزراء البريطانى بعد ذلك حتى نهاية الحرب وقد امكن لهذه الوحدة ان تقوم بتحديد أماكن عدد كبير من الوحـدات البحرية الالمانية المعادية كما قامت أيضا بفك « كود » عدد كبير من الاشـارات العسكرية الملتقطة ٠

ورصدوا فى مراحل تلك الحـرب محاولات بدائية للاعاقة اللاسلكية على محطات الارسال اللاسلكية الموجـودة على السفن الحربية لكلا الطرفين ٠

● أما عام ١٩١٧ ، فقد كانللصحافة الانجليزية فضل الكشف عن « الادارة



اجهزة الحرب الالكترونية المخصصة للدفاع الجوى محمولة فوق عربات للتحرك بها إلى اية منطقة

رقم ٣٢ » للاسـتطلاع اللاسـلكى والتجسس وفروعها فى السـفارات الانجليزية بالمانيا وامريكا ٠

● كانت هناك مفاوضات سرية بين المكسيك التى أعلن رئيس امريكا الراحل « ويلسون » عـام ١٩١٧ ، انهـا العـدو الاول لبلاده ، وبين المانيا وطالبتالمكسيك المانيا فى ذلكالعام ان تقف الى جانبها فى نزاعها مع امن

■ حرب المستقبل ■

حتى تستعيد اراضيها التي اغتصبتها حكومة واشنطن .

● واخذت الكسيك تستعد لاعلان الحرب على امريكا وهى فى حاجة الى مساندة صديقتها المانيا التى مثلها فى هذه المفاوضات « زيمرمان » وزير خارجيتها الذى ايد مطالب المكسيك، ثم اتصل بسفيره فى واشنطن لاسلكيا لجس نبض الخارجية الامريكية .. ودار بينهما حديث طويل صريح حول هذه القضية ولذا بالصحف الانجليزية تنشر نص الحوار ثم يصرح « لويد جورج » رئيس الوزراء البريطاني للصحف الاوربية بأن الادارة السرية الانجليزية المعروفة « برقم ٢٣ » قد توصلت الى رصد هذا الاتصال !

● وقامت ضجة كبيرة فى الكونجرس الامريكى ، وتطوع « زيمرمان » وزير خارجية المانيا بتأييد القصة فى صحف بلاده ، ولم يجد « ويلسون » مفرا من اعلان الحرب !

● ولقد شرعت امريكا بعد ذلك فى انشاء مجموعة من الاقسام الحديثة للتصنت على سفارات العالم لديها وداخل سفاراتها فى كثير من الدول وبقيت هذه الاقسام تعمل بنشاط متزايد عاما بعد آخر حتى اعلنت امريكا حل هذه الاقسام عام ١٩٢٩ ، ومحاكمة بعض موظفيها « لاتجارهم » فى المعلومات التى وقفوا عليها خلال عمليات التصنت .. ثم عادت امريكا بعد فترة بسيطة الى انشاء ادارة مستقلة للتصنت على العالم ، بدأت صغيرة ، ثم نمت قبل بداية الحرب العالمية الثانية بتوسع هائل ، الى أن أصبح مبنى الأمن القومى الأمريكى ثالث مبنى فى العالم يتصنت على العالم !

● تطبيقات الاستطلاع والاعاقة ●

وفى الحرب العالمية الثانية كانت المانيا النازية هى الرائدة الاولى فى استخدام وحدات الحرب الالكترونية واقتصر هذا الاستخدام على مستوى التشكيلات حتى الفرقة المشاة والمدرعة وتبعتها الولايات المتحدة الامريكية التى طورت الحرب الالكترونية تطورا سريعا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كما رصد ايضا اهتمام الاتحاد السوفيتى الكبير بعناصر الاستطلاع والاعاقة الالكترونية خلال تلك الحرب .

وبنهاية عام ١٩٥٤ كان هناك من الخبرة العسكرية المتوفرة ما يؤهل للحرب الالكترونية ان تقف على ارض صلبة كسلاح جديد له اساليبه ومعداته ومزاياه العديدة فى معركة الاسلحة المشتركة الحديثة وظهرت طائرات ب ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٠ الامريكية المجهزة بمعدات اعاقة الكترونية كما ظهرت طائرات استطلاع الكترونى واستخدمت مستودعات الاعاقة الالكترونية التى تركب فى الطائرات .

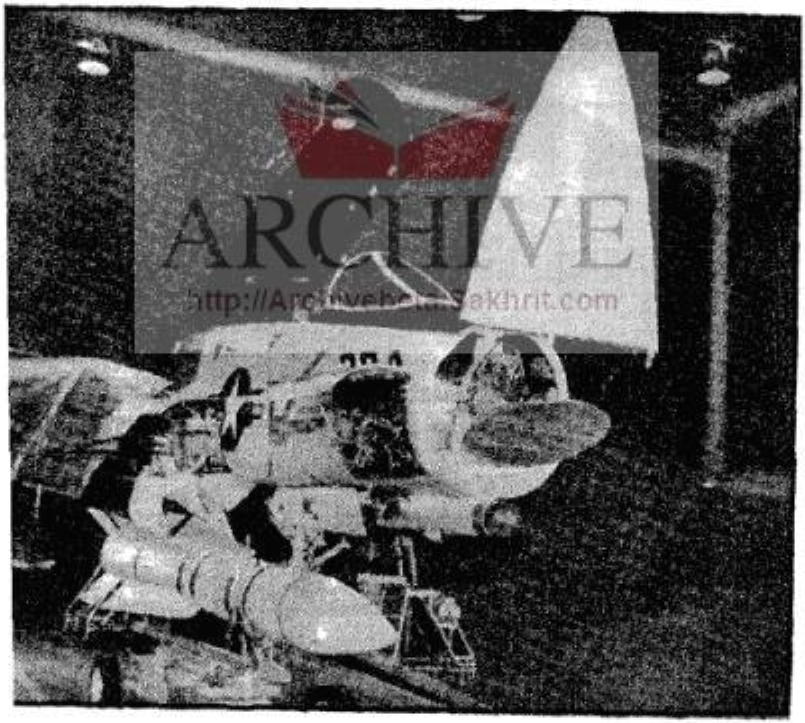
شهدت بداية الستينيات تطورا واضحا وسريعا فى الاستخدامات المتعددة للصواريخ ، ونتيجة لذلك فقد شهدت ايضا تطورا ملاحقا للحرب الالكترونية للتقليل من فاعلية هذه الصواريخ فتم تطوير معدات الحرب الالكترونية داخل الطائرة ب ٥٢ كما جهزت الطائرات التكتيكية وكذلك الفرقاطات بمعدات الحرب الالكترونية كما تم التوسع فى عمليات الاستطلاع الالكترونى باستخدام الطائرات الموجهة بدون طيار وكذلك باستخدام الاقمار الصناعية وبذلك عم

استخدام أساليب الحرب الالكترونية مجالات متعددة وكثيرة في اعمال القوات المسلحة للجيوش الحديثة بأفرعهـا المختلفة البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى ·

● ولقد تسابقت الكتلتان مع نمو حالة التوتر في الشرق الاوسط بعد حرب ١٩٦٧ بين مصر والدول العربية وبين اسرائيل لاختبار النماذج لمراحل السبعينيات في معدات ونظم الحرب الالكترونية وهو ما تأكد عمليا في حرب اكتوبر ١٩٧٣ لدى القوات المصرية ولدى القوات الاسرائيلية ، ثم حرب فوكلاند ـ الارجنتين وقد استخدم الطرفان معا أنظمة الكترونية غربية ـ انجليزية امريكية ـ فرنسية ، تم الغزو الاسرائيلى للبنان قرب نهاية ١٩٨٢ ، والمعارك الجوية بين اسرائيل وسوريا عام ١٩٨٣ وأخيرا عمليات جرينادا الامريكية عام ١٩٨٤ ، وما بعد ذلك في افغانستان ·

وفي المنطقة العربية كانت القوات المسلحة المصرية أول من استخدم الحرب الالكترونية في شكلها البسيط ما بعد منتصف الخمسينيات عبرقصة مثيرة أجنبي مدفوعا لروايتها ··· فقد اكتشف أحد جنود سلاح الاشارة

معدات واجهزة الحرب الالكترونية في احشاء واجنحة الطائرة الحربية التي تحمل اسم القط كات ·
او الفانتوم ١٤ ـ صاروخ هذه الطائرة يبلغ مداه ٢٠٠ ك م



■ حرب المستقبل ■

المصرى فى رفح عام ١٩٥٦ رسالة سرية اسرائيلية باللاسلكى ،كان لها رد فعل خطير ، لأن الرسالة تحدثت عن وقوع هجوم مسلح تقوم بـه تشكيلات اسرائيلية ضد وحدات مشاة مصرية ، وابلغ الجندى المصرى تلك الرسالة للعقيد - فريق فيما بعد - جعفر العبد وفشل الهجوم الاسرائيلى !

● وبعد عامين حين نزل الاسطول الامريكى السادس الى لبنان - استطاعت مجموعة خاصة من الضباط المصريين استخدام اجهزة لاسلكية شرقية وغربية للتصنت على ما يدور فوق البحر المتوسط ، وفى نهاية الستينيات قاموا بالمهمة نفسها على الحدود المصرية - الاسرائيلية .

● وفى نهاية عام ١٩٦٢ ، وبداية العمليات الحربية المصرية فى اليمن انشأت مصر قسما حديثا للاستطلاع اللاسلكى حمل اسم « صبر » ، وخدم به عدد ليس بقليل من الفتيين المتميزين، ثم انشأنا قسما ثالثا .

● وجاء عام ١٩٦٣ ، وثمة تلاحم ايجابى قائم فى تلك الفترة مع السوفييت الذين ارسلوا الى مصر أول كتيبة استطلاع الكترونى للخدمة فى اليمن كدليل على حسن النوايا وهذه الكتيبة لم تحقق الآمال المرجوة لدى القادة والخبراء العسكريين المصريين . وبينهم عدد كبير من مهندسى الاشارة وعدد قليل من ضباط مصر الذين حصلوا على الدكتوراه فى تخصصات الالكترونية غير أن القوات المصرية لم تكن تمتلك الكوادر الفنية الكافية لتشغيل هذه الكتيبة ، ولذلك بدت بعض الاجهزة الروسية كالغاز امام الخبراء المصريين، الذين استطاعوا استيعابها سريعا ، وتبين لهم بعد دراستها ان هذه المعدات صنعت طبقا للنظام الروسى فى نهاية الحرب العالمية الثانية ٤٤ - ١٩٤٥ ، وقد تولى قيادة الكتيبة ضابط اشارة مصرى برتبة رائد وعمل معه خبيران روسيان واستمرا مع مصر حتى نهاية عام ١٩٧٢ .

● ولم تذهب الكتيبة الى اليمن ، بقيت تعمل فى أنحاء مصر على البحر الابيض والبحر الاحمر وسيناء وغزة ، وبمرور الايام امتلكت مصر الخبرات البشرية العسكرية العلمية القادرة على استخدام معدات الحرب الالكترونية المتاحة لهم ، وتدريب الكوادر الفنية من المتطوعين ، حرصت القيادة على نمو قدراتهم عمليا باستمرار .

وفى عام ١٩٦٥ ، استطعنا انشاء كتيبة اعاقة لتتبع الاشارة الى جانب كتيبة الاستطلاع الالكترونى التى انضمت الى اجهزة المخابرات الحربية المصرية، وقامت بدورها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، حيث النكسة الكبرى فى تاريخنا .

●● قال لى أحد القادة العسكريين المصريين موضحا :

● تشكلت لجنة روسية مصرية لدراسة كيف نتجاوز الهزيمة وانتهت الى عدة اقتراحات منها انشاء ادارة الحرب الالكترونية ، وانشاء الجيش الثانى والجيش الثالث ، ايضا ، واقتراحات اخرى ..

● قلت لذلك القائد .. اسمع لى بسؤال اعتراضى : لقد تحدث بعض القادة ما بعد ١٩٦٧ عن الحرب الالكترونية وتخلفنا فيها ، كشماعة للأخطاء .. ما تعليقكم ؟



فتاة امريكية تعمل فى إدارة احد العقول الالكترونية ، داخل محطات استقبال معلومات وتوجيه الطائرات الحربية

●● نعم • استخدموها كشماعة للاخطاء كما تقول ، ولكن العجلة اخذت تسير ، وعمل السوفييت على تقديم اجهزة استطلاع واعاقة رادرية متقدمة لحساب الدفاع الجوى المصرى — فى مواجهة التفوق الاسرائيلى الجوى فى الطيران ، واقيم عام ١٩٦٩ فرع الحرب الالكترونية بقواتنا المسلحة ، تولى قيادته العميد متقاعد حاليا فوزى الوكيل ، وبدات مرحلة العبور الى تكنولوجيا العصر الحديث ، استنادا الى جهد مجاميع من رجال القوات المسلحة المصرية ، وخبراتهم المتطورة عملوا فى صمت بعيد عن كافة الاضواء، حتى تحول الفرع الى ادارة عسكرية تحمل اسم « ادارة الحرب الالكترونية » وتتبع رئاسة الاركان مباشرة ، وكان لهؤلاء الرجال دورهم فى حرب الاستنزاف حتى كثف الاسرائيليون غاراتهم الجوية اليومية على عمق البلاد المصرية وليس جبهة القناة غرب فحسب ، واضطر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن يطلب الى « موسكو الاشتراك بفعالية اكبر فى الدفاع الجوى عن مصر ، ووافق على دخول السوفيت الى بعض القواعد المصرية لحماية العمق وجاء الروس معهم بعناصر الحرب الالكترونية المتقدمة ومعدات الاعاقة ضد الطائرات المعادية ،وجعلوا من هذه القواعد مناطق محظور على المصريين اقتحامها ، وبقى هذا الوضع حتى خرج الخبراء السوفييت من البلاد قبل نهاية عام ١٩٧٢ بقرار من الرئيس الراحل انور السادات •

● هل حصلت الحرب الالكترونية المصرية على معدات واجهزة متقدمة من دول الغرب فى فترة وقف اطلاق النيران والاستعداد لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ؟

●● نعم حصلنا على بعض احتياجاتنا من اليابان وانجلترا والمانيا — واقول « بعض » احتياجاتنا وليس الكثير من احتياجاتنا التى تمثل نظم الحرب الالكترونية المتكاملة •

● قيل ان اسرائيل امتلكت الخبرة فى العمليات الجوية ولذلك تفوقت الكترونيا فى معارك الطيران ••• هل حدث ذلك فعلا ؟

●● ليس سرا أنها أمتلكت عنصر التفوق فى مجال الحرب الالكترونيـــة

عبر العمليات الجوية فى بعض الاحيان، وفقدت هذا العنصر فى احيان اخرى وهى تواجه الطياريين المصريين وعناصر الدفاع الجوى المصرى ·· كما انها – اى اسرائيل – تختلف كثير فى مجال الحرب الالكترونية على مستوى الاسلحة البرية والبحرية !

هناك قول قديم يقول : كل خطة فى العالم لها نقاط قوة ونقاط ضعف فى وقت واحد ، واستغلالك لنقاط الضعف لدى خصمك دليل نجاحك ، وهذه هى المعادلة التى يجب أن تتحقق مع استخدام احدث الاسلحة تعقيدا وتحديثا فى كل المعارك الحربية ·

● جناح للحرب الالكترونية ●

● كيف تحصل قواتنا على ضابط الحرب الالكترونية ؟ وما هى المؤهلات المطلوب توافرها فى مقاتل هذا القطاع من فنون وعلوم الحرب ؟

●● لقد أصبحت الكلية الحربية تضم بين اجنحتها الدراسية جناحا للحرب الالكترونية ، وكذلك الكلية الفنية العسكرية حيث يتخرج فى الكليتين الضابط المهندس ليلتحق بتشكيلات الحرب الالكترونية – بعدها يمكنه الالتحاق بمعهد الحرب الالكترونية، وهو احد الانجازات العملية العسكرية ما بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ – وهذا المعهد يتخرج فيه ضباط اركان حرب تخصصوا فى الحرب الالكترونية وليس سرا ان دول الغرب الكبرى ليس لديها هذا المؤهل العلمى العسكرى العالى – الذى يحصل عليه الضابط المصرى ، كما انه ليس بمنطقة الشرق الاوسط دولة عربية لديها حجم الحرب الالكترونية الموجود لدى القوات المسلحة المصرية، وبالتالى ليس لديها معاهد حرب الكترونية لتخريج الكوادر القيادية فى هذا التخصص من الحرب الحديثة ولذلك قال بعض الخبراء العالميين ان الحرب الالكترونية المصرية تمثل قوة ذات وزن كبير بمنطقة الشرق الاوسط ، استنادا الى نتائج حرب اكتوبر ·

● اريد ان اطرح سؤالا عن نسبة استخدامنا للحرب الالكترونية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ومستوى استخدامنا لمعداتنا ·· وكيف مارسناه عمليا ؟

●● لم تقل نسبة استخدامنا للحرب الالكترونية فى اكتوبر عن ٨٠٪، ودخلنا المعركة بكل الثقة الناتجة عن مستوى التدريب ، وواجهنا أحدث المعدات الامريكية التى امتلكتها اسرائيل واحرزنا التفوق بمستوى ساحق فى الحرب الالكترونية اللاسلكية ، وساسوق دليلا واحدا فقط ، وهو سلامة جميع المعابر المصرية ما بين غرب وشرق القناة عدا معبرا واحدا فقط طوال الحرب وهذا يعود الى يقظة الحرب الالكترونية المصرية وكشفها للطائرات المعادية التى حاولت تدمير المعابر على ضفتى القناة ، قبل ان تنجح فى تحقيق اهدافها ··

● واين بلغنا الآن ، بعد ما بلغناه من مستويات فى اكتوبر ١٩٧٣ ؟

●● بايجاز شديد ، اصبح حجم الحرب الالكترونية المصرية اليوم ، اكبر عشر مرات عما كان عليه عام ١٩٦٧ – ١٩٧٣ ، ولا تنس أن مهام هذه الحرب التى تمثل قمة الصراع العلمى بين الجيوش تستمر طوال النهار

والليل في السلم والحرب معا دون أدنى توقف ، فالحرب الالكترونية بلغة بسيطة تعنى التعامل مع كل معدة الكترونية سواء كانت هذه المعدة تعمل في استطلاع قواتنا او تعويقها ، وثمة اجراءات مضادة لابد من تطبيقها باستمرار في مواجهة الاستطلاع الالكتروني الموجه لنا من الدول الاخرى، وهى في بعض الاحيان دول مجاورة وغيره عدوة . وهذا يحدث في انحاء الكرة الارضية .

● يقال ان وكالة الامن القومي الامريكية ثم ادارة المخابرات الامريكية المركزية بلغتا اعلى مستويات استخدام الحرب الالكترونية في العالم .. كيف ترون هذين الجهازين ؟

●● وكالة الامن القومي الامريكية من بدايتها حتى نهايتها تقوم على الاستطلاع الالكتروني ، وهى تحصل على ٧٠ حتى ٧٥٪ من المعلومات الاستراتيجية ـ بينما ادارة المخابرات المركزية تحصل على معلوماتها بالوسائل التقليدية المختلفة وتحصل على ٢٥ حتى ٣٠ ٪ من المعلومات الاستراتيجية أيضا ـ وهذا لا يمنع أن بأمريكا وسائل أخرى للحصول على المعلومات ، وكلما ارتفعت أهمية هذه المعلومات زادت اهمية مصدرها ولذلك نجد الاستطلاع الالكتروني يزداد وزنا وخطورة عاما بعد عام ـ من أجل الحصول في الدرجة الاولى على المعلومات الاستراتيجية ، وقد أصبحت تتطلب الاعتماد بشكل كبير على المعدات الالكترونية .

● وما هى الدول التي تأتي بعد امريكا وروسيا في مقدمة الدول المالكة لعناصر الحرب الالكترونية المتقدمة ؟

●● انجلترا ثم فرنسا فاسرائيل .

● ماذا عن المحطة الالكترونية التي حصلنا عليها قبل سنوات من امريكا فيمنطقة « ممر الجدى » بسيناء ؟

●● لقد أهدت امريكا لنا معدات الاستطلاع الالكتروني داخل مركز الانذار المبكر التى اقامته بممر الجدى، في سيناء ـ وقام رجالنا بتطوير هذه المعدات وتزويدها بأجهزة أحدث ، وتستخدمها الآن كوادر مصرية .

● وماذا عن المستويات التي استخدمت في الحرب الالكترونية خلال معارك فوكلاند ـ ومعارك اسرائيل في لبنان ؟

●● انها التجارب الجديدة في تطبيق واختبار احدث اشكال عناصر الحرب الالكترونية ، ولقد ظهر انتطورا ضخما في هذه العناصر قد طبق بتوسع يفوق ما جرى استخدامه في حرب ١٩٧٣ ، مما سيجعل الجيوش الكبرى والحديثة تزداد اعتمادا على الحرب الالكترونية كعنصر رئيسي له كل الفعالية في تحقيق النصر .

يبقى بعد هذا الحوار عمل ضخم يتصاعد باستمرار مع تصاعد اجهزة الحرب الالكترونية في العمليات الجوية للطيران ، والدفاع الجوى مثلا ، حيث يرتفع حجم وخطورة مهام التعمية الالكترونية ذات الاشكال المتعددة وامتصاص شعاع الرادار، والتشويش الالكتروني ـ وهي مهام تتصارع فصائل معينة من الرجال حولها مع عنصر الوقت حيث التعامل بالدقائق والثواني لتمام الفاعلية وحتمية حرمان العدو من امتلاك المبادأة أو عامل تحقيق المفاجأة نتيجة التفوق الكترونيا !

أنت .. و الهلال

• السرقات الأدبية •

• كثرت السرقات الأدبية فى الأونة الأخيرة ، يرتكبها أناس مجهولو الأسماء ، وأمامنا الآن الوقائع الأربع التالية :

الأولى : قصيدة بعنوان (عند الرحيل) نشرت بمجلة الشباب وعلوم المستقبل فى ابريل ١٩٨٢ باسم (ايمان السيد يس) .. نفس القصيدة نشرت مرة أخرى بمجلة سمر اللبنانية فى باب (قارىء يكتب) بتاريخ ٢٢/ ابريل / ١٩٨٣ باسم (حسن غريب احمد)

الثانية : قصيدة بعنوان (غاب فجرى) نشرت بمجلة العربى الكويتية عدد نوفمبر ١٩٨٢ باسم (مصطفى عبد الرحمن) ثم نشرت نفس القصيدة ماعدا المقطع الثالث بمجلة الشباب وعلوم المستقبل عدد نوفمبر ١٩٨٣ باسم (صبرى توفيق أمين)

الثالثة : قصيدة بعنوان (اذا ذكر الحبيب) امامى الآن نسخة مكتوبة بخط يد باسم (السيد محمد حمص) وأمامى ايضا تسجيل صوتى لنفس القصيدة ملقاة باسم وبصوت المذكور فى احد المهرجانات الادبية وأمامى ايضا تسجيل صوتى آخر للشيخ (عبد الخالق حسين حسبو) يؤكد فيه أن هذه القصيدة ليست للمذكور وانها قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كتبت منذ حوالى خمسين سنة وانه كان معتادا أن يلقيها فى الاحتفالات الدينية وتحت يدى كتاب قديم لمؤلف مجهول به القصيدة المسروقة .

الرابعة : قصيدة بعنوان (رحيل) أمامى نسخة بخط يد باسم (مهندس / جمال ابراهيم بكر) نفس القصيدة يضمها (ديوان رحيل) للشاعر / عبد الجواد طايل .

انها ظاهرة خطيرة ووباء رهيب يستشرى فى جسد الثقافة العربية دون أن يتحرك أحد للتصدى له .

الأمير كمال فرج

• علم العروض •

• نرجو من الهلال تخصيص جزء كل شهر لشرح مبادىء علم العروض خدمة للشعراء الشبان الذين لا يعرفونه .. ونرجو تخصيص جائزة

لأحسن انتاج للادباء والشعراء الشبان ، ولتكن الجائزة ـ مثلا ـ كتابا من مطبوعات الهلال ..

ابراهيم خليل ابراهيم يوسف
شبرا الخيمة

ـ لن يستفيد الشعراء شيئا من شرح علم العروض اذا لم يكونوا مطبوعين على وزن الشعر ، وانما يكتسب الشاعر مقدرته على الوزن الصحيح من قراءته للشعر العربي ، بشرط أن يكون لديه استعداد لاستيعاب هذه الأوزان ، وبدون ذلك لن يقيم الأوزان مهما درس علم العروض .. على أن الكتب المؤلفة في علمي العروض والقافية كثيرة ويمكن لمن اراد أن يحصل عليها . أما فكرة الجائزة فهي فكرة طيبة نرجو أن يتاح لنا تنفيذها ..

● الهــــلال ●

عاد الهلال بلمعة الاشراق ★ نورا تلألأ في دجى الآفاق
للسـائلين وكـل لب ظامىء ★ يسخو بنبع عطائه الدفـاق
في قمة شماء يومىء واثقا ★ لمكانة للفارس السبـــاق
هذى النجوم الباهتات ضئيلة ★ لما بدا بضيائه الرقـراق

مصطفى الشوربجي

● الصحراء الحديثة ●

وأمّا اليوم ..
نحن نعيش في عصر العمارات التي تعلو .
وأما اليوم ..
نحن نموت في عصر العمارات التي تعلو ..
هي الصحراء في البنيان
هي الصحراء في الانسان
هي الصحراء مرهقة
هي الصحراء شامقة
هي الصحراء اذ تعلو ..
تحاول كتم أنفاس الأفق ..
تحاول حجب ألوان الشفق .



د . أحمد عامر

● كتابة على اروقة القلب ●

وردةٌ من هوى
وردة من ألق
هاهنا عشك الأزليّ ، هنا وجهك
الغجريُ ، هنا
ـ ياحبيبى
أطرّز أحلامك المورقات على اضلعى
بدم ...
وهتاف عَبِقْ
ايها الرائق ، المارق ، العاشق ، الواثق
الرائع ، الجائع
النائح ، المالح ، الجامحُ ، الجارحُ
الوارفُ ، النازفُ
المارِدُ ، الشاردُ
الصامتُ ، القانتُ
المتخمُ ، المتعبُ المتقلّب ، ذو المدِّ
والجذر ، أنت الجميلُ
الرقيقُ
الحزين الضحوك ، الحبيسُ الجسوُر ،
العجوزُ الطموحُ
الندىُ الفقيرُ
القريبُ البعيدُ البعيدُ ، البعيدُ ، البعيد
الذى لا يغيبُ ...
وصدرى أفق
وردة من هوى
وردة من ألق
علّق الآن فى عروة القلب
ـ ياوطنى ـ
قطرة من عَرَق .



على منصور
الكويت

● تحقيق سريع جدا ●

● أود أن ألفت النظر الى ان قصيدة "تحقيق سريع جدا" للشاعر/ عزت الطيرى والمنشورة فى "الهلال" عدد أكتوبر ١٩٨٦ ماهى الا المقطع السادس من قصيدة "مقاطع متناثرة من لحن مُنى" المنشورة بمجلة "ابداع" عدد أكتوبر ١٩٨٦ .

وقد يعذر الاديب اذا أرسل نفس العمل لأكثر من جهة للنشر نظراً للظروف الغريبة التى تُحيط بعملية النشر فى بلادنا والتى تجعل الأديب أشبه بالمقامر وهو يتقصى احتمالات نشر عمله الأدبى فى هذه المجلة أو تلك .

وعزت الطيرى شاعر نحبه ونحترمه ونتفاعل مع قصائده لما له من خصوصية وتميز . وقد نشر كثيراً فى الدوريات وغير الدوريات ، وطبعت له الهيئة العامة للكتاب ديوانا كما أصدر له المجلس الأعلى للفنون والآداب ديواناً آخر . وأعتقد أنه قد نشر ديوانين على الأقل ـ بطريقة طباعة الماستر ...

ولكنا لا نملك الا أن نقول له .. من زاوية حبنا لشعره وحرصنا عليه رفقا بنفسك وبأشعارك !

محمد أحمد عبد العال

٩٦ حارة سفيان ـ عزبة شاهين

المنيا

● المجلات العربية ●

● قرأت مقال الاستاذ عبد الرحمن شاكر فى عدد مايو ١٩٨٦ تحت عنوان "طاح النفط وبقيت الاحلام" ، وكذلك ماورد فى مقدمة عدد سبتمبر تحت عنوان "عزيزى القارىء" ، الذى اشرتم فيه الى فشل انشاء المجلات الأدبية فى الدول العربية البترولية .. وقد ذكر الاستاذ شاكر ضياع الفرص المحققة للعرب اثناء حقبة النفط فى بناء الاقتصاد العربى وتطوير الانتاج الزراعى والصناعى ، وترقية العلوم ، وانعاش الاقتصاد المصرى الذى أنهكته الحروب المتوالية دفاعا عن القضية العربية ، وقيام العرب بدلا من كل ذلك بأعمال مظهرية ، وبذخ جنونى ، وظهور انماط جديدة للاستهلاك تعتمد على السلع المستوردة من الغرب .

واود ان اقول إن عددا من دول البترول العربية قد استطاعت تحقيق قدر مهم فى مجال التنمية ، واخص بالذكر السعودية التى بدأت ، تنميتها بالانسان ، فأنشأت المدارس والجامعات ، فكان نصيب حقبة النفط ، انشاء ثلاث جامعات ، واكثر من عشرة آلاف مدرسة وثلاثة وثلاثين مركزا ومعهدا تقنيا ، ومرافق صحية بها مايقرب من عشرة آلاف سرير .

أما بالنسبة للزراعة فالمملكة حققت مايسمى بالأمن الغذائى ، بل وأصبحت تصدر الحبوب ، والمنتجات الزراعية الاخرى .

وبالنسبة للصناعة فتم تشييد مايزيد على الف مصنع . كما ساهمت فى تعمير مناطق الحرب وماذلك الا واجب ليس فيه فضل .

أما الرد على ما أشارت له صفحة "عزيزى القارىء" فاقول ان احتجاب الصحف والمجلات من الامور المعروفة فى كل دول العالم ، والكاتب نفسه يذكر اسماء المجلات والصحف التى احتجبت فى مصر نفسها . أما ما اشار له الكاتب من ان المجلات "البترولية" قائمة على الرمال ، فهذا غير صحيح ، فالقائمون عليها الآن من صفوة ابناء البلاد ، الذين تخرج معظمهم من الجامعات الشهيرة فى الغرب . ولذا فان هذه المجلات ستبقى ان كانت تستحق البقاء .

خميس أحمد الدوسرى
الرياض

● **تعليق**

ـ كلامنا كان عن مجلات معينة فى احدى دول الخليج وقد احتجبت فعلا ، ولم نذكر شيئا عن المجلات السعودية لأنها ـ بحمدلله ـ مازالت تواصل الصدور ونرجو لها دوام التوفيق .

● سهام الصمت ●



معذرة ياحبى الأوحد
فأنا لا أقصد أن افشى
من سرك شيئاً
لكنى أستلهم ذاتى
علّى أدرك أني صرت الآن
مراد القلب
آه يا للحب
يعرف كيف يباغت قلب العاشق
بسهام الصمت
لكنى .. ماكنت لأصمت عاشقتى
فى زمن البوح
فالآن ابوح بما اخفى
فى عمق القلب
الآن أبوح بما أخفى
الآن أبوح .

محمد ابراهيم المجريسى
أسيوط

● الأموات والأحياء ●

● لأول مرة أرانى أؤيد كل ماكتبه الأستاذ محمد سيد كيلانى - اقصد مقاله فى عدد نوفمبر - "ويألف الف ترزق الأموات" فقد مس بكلماته قضية بالغة الخطورة استفحل أمرها ، فليس الاسلام دين الشعوذة كما يتصور خصومه بسبب التصرفات التى اساءت الى العقل الاسلامى فلم يعرف الغرباء عنا - كما قال كيلانى - الا أننا شعوب المسابح واللحى والرقص فى حركات الذكر ، فتحية للأستاذ ورجاء له بمواصلة العزف على هذا الوتر الحساس قبل أن يأتى يوم نرى فيه واحداً من "اياهم" يجرى فى الشوارع عارياً ليقول :
« أنا ابن الفارض .. أنا ابن الفارض » !!

عمرو محمد عبد الحميد
ساقلته - سوهاج

أنت والهلال

كان يهل على قريتنا
فنغنى
أحيانا كان يهل بوجه نبى
بلورى الطلعة
فضى البسمة ، قزحى
كان يعانق كل الصفصافات
المرتخيات على شباكى !!
فيصحو الشعر الخابى تحت ردائى
يصلصل بالأركان
يدوم بالجدران
يكون لحنا فسفورى
وينقر فوق زجاج البيت
فيبدو الزغب
على ثمرات الخوخ ندى

(٢)

الليل الآن مدينة عشق
لكـن القمـر يغيـب
الليل الآن مدينة حب
لكـن القمـر عيـىّ

احمد جامع نجع حمادى

● القمــــر ●



● مع الأصدقاء ●

● عبد الله السمطى ـ آداب عين شمس :

ـ قصيدتك التى ارسلتها الينا أخيرا بعنوان « حبيبتى وكفى » أحسن من قصائدك السابقة .. ويبدو أنك عصبى بطبيعتك ، ولذلك نعتذر بالنيابة عنك الى أنفسنا والى القراء من رسالتك الغاضبة التى نشرناها لك فى العدد الماضى .. ونحن ننشر القصائد الناضجة بغض النظر عن سن صاحبها وشهرته ولو كنت تتتبع ما ننشره من الشعر لعرفت ذلك ، ولكنك مازلت تجادل .. نسأل الله لك العفو والعافية !.. نرجو أن تكون قصائدك التى تبعثها الينا قصيرة حتى يمكن نشرها ..

● صلاح شاهين ـ كلية التجارة ـ بنها :

ـ قصيدتك "آلامك لذة" .. بعضها موزون وبعضها الآخر مكسور ، ولكن لك شاعرية تبدو واضحة ، فإذا استقامت أوزانك كلها ظهرت شاعريتك فى الشكل المناسب ان شاء الله ..

● محمد محمود أحمد .. ومحمد بخيت ـ قوص

ـ احدكما أرسل الينا قصيدة ، والآخر ارسل الينا مقالا عن صاحب القصيدة ، ولا نرى هذا اسلوبا صحيحا ، لأنه نوع من تقارض الثناء ، ونقول للأخ محمد محمود أحمد إن صاحبك الشاعر "بخيت" قد يكون شاعرا تليفزيونيا على حد قولك ، ولكن هذا الشاعر التليفزيونى لم ينضج شعره بعد حتى ينتقل من ثرثرة الشاشة الصغيرة الى المجلات الأدبية .. ولابد قبل كل شىء من استقامة لغته نحوا وصرفاً .

● محمود أحمد حرب :

ـ لا نعرف عنوانك .. قصائدك التى ارسلتها الينا أكثرها ينقصه الوزن واللغة نحوا وصرفا .. حاول أن تجد هواية أخرى ، وليس هذا تثبيطا لهمتك فى الشعر ، ولكن مجرد نصيحة !..

● محمود على الأزهرى ـ نجع حمادى

ـ شعركم يدل على شاعريتكم ـ نرجو الاستمرار فى الكتابة الينا مع توضيح الخط ..

● خالد سعد الدين محمد الصغير .

ـ لا نعرف عنوانك .. اما قصيدتك "عشقت انتظارك" فلا يعيبها شىء الا بعض الاوزان المكسورة ، فلعلك تتدارك ذلك مستقبلا ..

● فرج مجاهد عبد الوهاب ـ شربين :

ـ الكتاب الذين كانوا يراسلون المجلات الخليجية التى احتجبت ، لا يحتاجون الى نداء أو دعوة للكتابة فى المجلات المصرية ..

● محمد عبد الملك محمد المتولى ـ الجيزة :

ـ قصيدتكم خليط مدهش من الاقتباسات ومن الشعر المكسور ، ففيه شطرات من شعر قديم وشطرات من عندك ، وكلمات من هنا وكلمات من هناك فى نسق من النظم عجيب .. فما هذا يابنى ؟!..

● كمال الدين محمود رامز ـ روما ـ ايطاليا :

ـ نحن نحاول دائما التعريف بالأدباء والشعراء الذين يكتبون فى الهلال ، وسنتوسع فى ذلك ان شاء الله .

● ونشكر ونعتذر الى السادة : اشرف محمد ابو العز .. رفعت محمد بروبى .. عبد الرحمن محمد أحمد عبد المولى .. أحمد مسعد المرسى .. محمد الحاج ابو ظاهر .. سمير ابو الحمد حافظ .. عاصم فريد البرقوقى .. اسماعيل احمد صالح .. كمال حامد مغيث ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			



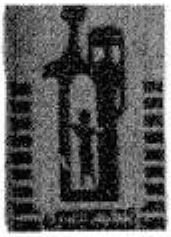
٢٠
رحلة أسبوعيا إلى
أفريقيا
٨٦
رحلة أسبوعيا إلى
٦٠
رحلة أسبوعيا إلى
أمريكا
وأوروبا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..

مِنْ أقوال
الرئيس مبارك

- إن الزيادة الرهيبة فى عدد السكان تهدد كل خطوة للأمام فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية

- إن المؤسسات والأجهزة الرسمية لا تستطيع أن تحقق تقدمًا ملموسًا إلا إذا كانت جهودها مدعومة بوعى الأفراد وإحساسهم بالمسئولية عن تقدم المجتمع ورخائه

- الدولة لا تفرض اختيارًا معينًا على أحد فى هذا الشأن لأنها مسألة ترجع إلى ضمير كل مواطن صالح.



عزيزتى الزوجة .. عزيزى الزوج

- إذا قررتما الإتفاق على تنظيم أسرتكما فيمكن لكما التوجه إلى أقرب مركز لرعاية الأمومة والطفولة أو مركز تنظيم الأسرة فى منطقتكم


الهلال
المسيحيون ... إلى أين
يذهبون بعد الحدود الأخيرة؟
حواء فى عقل الرجل المصرى



من روائع الفن الإسلامي

وجد الفنان فى الرسم على السجاد مجالا للتعبير بالألوان والمنمنمات عما يجول فى خياله ..

وهذه لوحة منمنمات بالغة الدقة تمثل حكاية من أحد الاساطير الهندية ، تحكى قصة البطل « بهرام » الذى يواجه الوحش ، ذلك الوحش الذى يهدد المدينة وابنة الملك - اللوحة من مقتنيات متحف المتروبوليتان .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ اول فبراير ١٩٨٧ م - ٣ جمادى الثانى ١٤٠٧ هـ .



لوحة الغلاف الأول
بريشة الفنان
حلمى التونى

هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● ملزمة الألوان ●

● رسالة أوربا

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

● شخصية العدد ●

● الأبواب الثابتة ●

● القفز على الأشواك :

عزيزى القارىء

قصة الهلال وكتاب الأيام

تعال بنا - عزيزى القارىء - نسبح قليلا فى الذكريات ، ونحاول ان نقوم بجولة خاطفة مع الدكتور طه حسين وكبار ادباء جيله .. وصولا الى جيلنا وادبائه وقرائه ..

منذ ستين عاما تقريبا كان الدكتور طه حسين قد بدأ يكتب مقالات الجزء الأول من كتابه « الأيام » فنصحه أحد أصدقائه الا ينشرها ، منعا للقيل والقال ، واستدامة للهدوء الذى أعقب انتهاء التحقيق معه حول كتابه « فى الشعر الجاهلي » .. وكان مجلس النواب قبل ذلك قد ناقش الكتاب وقدم احد النواب الاقتراحات التالية :

— إحالة طه حسين إلى النيابة العمومية ..
— إلغاء وظيفته فى الجامعة ..
— مصادرة الكتاب وإبادته ..

فاعترض النائب فكرى أباظة بان مصادرة الكتاب لاتجوز إلا بحكم قضائى ، فتولت النيابة العامة التحقيق مع طه حسين وعارضت وفندت آراءه خلال هذا التحقيق ، ثم قررت عدم تقديمه



د. طه حسين: تالق قلمه على صفحات الهلال

الى المحاكمة ، وحفظ التحقيق نهائيا .. وصودر الكتاب بطبيعة الحال .

وبعد انقشاع هذه السحابة ، اتم طه حسين تاليف الجزء الأول من كتاب « الأيام » بعد أن سافر الى فرنسا مع أسرته ، ليستجم قليلا ، ويستجمع أفكاره .

ولم يكن ممكنا أن يرى كتاب « الأيام » النور أو يسمع به أحد ، أو يقرأ منه قارىء سطرا واحدا ، لولا أن علمت به مجلة « الهلال » فسارع المرحوم إميل زيدان أحد صاحبى دار الهلال حينذاك الى طه حسين فى بيته وناشده الا يئد هذا العمل الأدبى ، وأن يسلمه مقالاته لنشرها فى « الهلال » مقالة بعد مقالة .

وندع طه حسين نفسه يقص عليك ـ عزيزى القارىء ـ هذه القصة ، وننقل اليك كلامه كما سجله فى حديث إذاعى نادر لم تمتد اليه يد « المسح » كما امتدت الى غيره من أحاديثه .. قال طه حسين :

« هذا كتاب لم أدبر تاليفه ولم أفكر فيه ، وإنما دفعت اليه دفعا دفعتنى اليه الظروف القاسية .. ضقت فيها بالحياة فى مصر وضاقت بى الحياة فى مصر .. كان ذلك حين صدر كتاب « فى الشعر الجاهلى » وآثار الازمة التى اثارها ، فتركتها لاقضى الصيف فى فرنسا .. ومع ذلك عندما وصلت الى فرنسا لم استطع ان افر من هذه الظروف ولامن الواقع الذى كان يحيط بى ، فقد كان الضيق بالناس وبالحياة التى يحيونها وبحياتى بينهم يلازمنى دائما ، فلم ار الا وسيلة واحدة للهرب من هذا الضيق ، وهى أن افر من الحاضر الى الماضى ، وللفرار من الحاضر الى الماضى املّيت

عزيزي القارئ

هذا الكتاب .. جعلت أمليه كل يوم ، وأمليه ، لاأملي كتابا ، ولكن لأفر من ظروف ضيقة ثقيلة مضنية . وقد اكتمل هذا الكتاب في اسبوع او اقل من اسبوع ، وجعلته عندى صحفا لاافكر في نشرها ، ولم يخطر ببالى انها يمكن ان تؤلف كتابا .. ولكن صاحب « الهلال » في تلك الايام جاءني في البيت ملحا عليّ في ان اكتب له طائفة من المقالات ، ففكرت في ان ادفع اليه هذه الصحف على انها لون من المذكرات ، واردت ان استشير احد اصدقائي ، فاستشرت صديقي المرحوم عبد الحميد العبادى ، فلما قرأها نصح لي الا انشر هذا الكلام لانه لاينبغى ان ينشر ولم يكتب ليكون منشورا ولكن الحاح صاحب « الهلال » والحاح بعض الاصدقاء في ان اكتب ، اضطرني ان ادفع الى « الهلال » هذه الصحف فنشرت متتابعة وقرأها الناس ورضى عنها بعضهم ، واذا بعض الناشرين قد اقبل يستأذنني ذات يوم في ان ينشر هذه الصفحات « نقلا عن الهلال » في كتاب !.. وابيت عليه هذا كل الاباء ، فلم يحفل بى ، ولم يلتفت الى إبائي وانما نشر هذه الصفحات في كتاب ، واصبحت ذات يوم واذا الكتاب بين يدى قد ارسل اليّ دون أن اكون قد قدرت لهذا الامر تقديرا .. ثم عندما نشر هذا الكتاب قرىء ورضى عنه الناس او كثير من الناس ، ولست ادرى : ماهذا الحظ الذى اتيح لهذه الصفحات حتى تنال من رضا الناس مانالت ، وحتى تتجاوز اللغة العربية الى عشر لغات اجنبية على الأقل ؟! .. » .

هكذا قدر لكتاب الايام ان يرى النور وكان مؤلفه يقدر له أن يبقى طى الكتمان او طى الظلام كأنه مذكرات شخصية او سرية !..

ولكن صاحب « الهلال » انتزعه من طه حسين بلباقة أبطلت نصيحة صديقه الدكتور عبد الحميد العبادى الاستاذ بكلية الآداب

فى ذلك الوقت . وكان الدكتور العبادى يخشى ان يثير كتاب « الايام » زوبعة جديدة تضاف الى زوبعة كتاب « فى الشعر الجاهلى » .. وكان طه حسين يرى هذا الراى ايضا ، ويخشى عواقب نشر « الايام » !..

ولكن الأيام نُشرت فى الهلال شهرا بعد شهر فاثارت اعجابا شديدا ، ثم جمعت فى كتاب قدر له ان يصبح أشهر كتب طه حسين ، ويطبع عشرات الطبعات فى العربية واللغات الاجنبية ، وانبثقت منه اعمال درامية فى السينما والتليفزيون والاذاعة ، ودارت حوله مئات المقالات والبحوث والرسائل والمناقشات ، وقلده الادباء ، عرفه حتى من لايقراون ولايكتبون فى مصر والبلاد العربية .

إن طه حسين ظل يكتب فى الهلال طويلا . وهو واحد من مئات الاعلام الذين تالقت اقلامهم وافكارهم على صفحات الهلال خلال بضعة وتسعين عاما ، وتتابعوا على صفحات الهلال جيلا بعد جيل ، من أدباء وشعراء ومفكرى مصر والبلاد العربية قاطبة ..

وهاهو ذا « الهلال » الان ، بعد شوط حافل طويل جدا ، يقارب قرنا من الزمان ، مازال على عهده الوثيق مع ادباء البلاد العربية ومفكريها وشعرائها وفنانيها ، يقدم ثمرات اعمالهم الناضجة شيوخا وشبابا ، رجالا ونساء ، من مختلف الاتجاهات ، بلا تفرقة ولاتغليب اتجاه على اتجاه . الا الاتجاه الوطنى والعروبى والاسلامى العام ، فى مناهضة لاعداء امتنا وعلى راسهم الصهيونية والاستعمار العالمى ..

إن الأجيال فى « الهلال » تتعاقب ، كل جيل يسلم الراية للجيل التالى .. والحياة تمضى ، ولاتتوقف ابدا ، والهلال يطلع فى الافق كل شهر ..

إن « الهلال » هو رسالة الاقطار العربية بعضها الى بعض ، وهو ايضا رسالة الاجيال العربية من جيل الى جيل !

المحرر

أوهام عربيّة حول جائزة نوبل

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

- كتب برنارد شو ، الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٢٥ يقول :
- « يمكن ان نغتفر لنوبيل انه اخترع الديناميت ، ولكن شيطانا فقط ، فى صورة انسان ، يمكن ان يخترع هذه الجائزة » ، فهى تثير كل عام عاصفة حادة من الحوار ، هجوما ودفاعا وتبريرا ، عن احقية الذى نالها او الذين لم يحصلوا عليها ، ومع ذلك فلا هجوم الكاتب الايرلندى الساخر ، ولا رفض الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر لها فيما بعد ، استطاع ان يمس هيبتها . انها — اردنا ام لم نرد — جائزة بالغة السمو فى تكريم العبقرية ، واوضح دليل على نبل الانسان حين يريد أن يكون نبيلا .

وموقف العرب من الجائزة يتراوح بين الحسرة والاحباط والاحساس بالمرارة ، وينتهى باتهام السويديين ، والقائمين على الجائزة ، بانهم يكرهون العرب سياسيا ، او عنصريا ، وكل ذلك بعيد عن الصحة ، وثمة خلط ينبغى أن نكون على بينة منه لنحسن تقييم المواقف على الاقل ، ومواجهتها على نحو صحيح .

أما ان السويديين يشعرون بعقدة العظمة فأمر لاشك فيه ، واما انهم يتعصبون ضد العرب وحدهم ففيه شك كبير ، ان لم يكن بعيدا عن الحقيقة تماما .

● بين التقدم والتخلف !

فالسويديون يواجهون واقعا مشكلات السعادة وما تحمله معها ، على حين يواجه غيرهم مشكلات



د. طه حسين . جمال النثر في طريقه الاداء الشفوى



صمويل بيكيت بالهي . اية مصيبة هذه



توفيق الحكيم لم يقم صلة كاديب في باريس

التخلف وما تأتى به ، وهم في ذلك يرون انفسهم اكثر تقدما من غيرهم ولكنه احساس بالعظمه لا يذهب بهم الى حد التعصب العرقى البغيض ، فيتخذون من قوم موقفا ما لمجرد أنهم بيض او صفر او سود ، او من اوربا أو افريقية أو آسيا أو أمريكا اللاتينية ، واتهامهم بهذا ، او ان الصهيونية وراء حجب الجائزة عن العرب ، وتوهم البعض انه يمكن ان ينالها بمساعدتهم، هروب من الواقع، واستكانة الى وهم مريح ، نعلق عليه نقائصنا وعيوبنا ، ثم نواصل الاسترخاء .

حتى الان ، فيما أرى ، لم يحاول أحد أن يدرس الامر موضوعيا ، او يلقى على القضية بصيصا من الضوء، بعيدا عن التشنج والانفعال او يوضح لنا بعضا من الحقائق التى تفسر لنا الواقع تفسيرا علميا ، بعيدا عن التبرير العاطفى ، وهو لا يثبت أمام اى تفكير سليم .

لم يسأل احد نفسه : من الذى يختار الفائز ، وكيف تتم عملية الاختيار ؟

تتولى الاكاديمية السويدية فى استوكهولم اختيار الفائز فى جائزة الادب ، وتتألف من ثمانية عشر عضوا لمدى الحياة ، اعمارهم وقورة. ويختارهم الاعضاء انفسهم من بين أبرز الادباء السويديين منهم فيلسوفان ، ومؤرخان ، وثلاثة مختصون بلغات الشمال ، وامرأة واحدة فقط ، وليس ذلك وحده الدليل على تقدم الرجل على المرأة فى هذا المجال ، فبين الذين نالوا الجائزة على امتداد تاريخها الذى تجاوز ثلاثة ارباع القرن لا يوجد غير ست سيدات فى مواجهة ثمانين رجلا .

● لا يعرفون العربية

بين هذا المجمع من اعضاء الاكاديمية السويدية من يجيد اللغة الاسبانية او الفرنسية او الايطالية او الانجليزية او الالمانية او البولونية او الروسية أو اللغات السلافية الاخرى ، (طبعا ليس بينهم من يعرف العربية) ، ومعنى هذا ان قراءتهم لكل هذه الاداب تتم مباشرة وليس عن طريق الترجمة ، ولم ينل احد بعد الجائزة خارج أداب هذه اللغات التى يعرفونها . وعادة يتلقى العضو المتمكن من لغة ما كل ما يصدر فيها، شراء او هدايا من المؤلفين انفسهم

أوهام عربية حول جائزة نوبل

وكثيرا ما تربطه بهم ، أو بعدد منهم لا بأس به صلات شخصية عن طريق التلاقى أو المراسلة ، وهو الذى يتقدم باقتراح من يراه أهلا فى اللغة التى يجيدها ، ويخوض المعركة دفاعا عن رأيه ، وقد يستعين فى اقناع رفاقه من بقية الاعضاء بترجمات لهذه الاعمال فى لغات أخرى .

يصف لنا جبرييل غرسية مركيث فى مقال كتبه عام ١٩٨٠ ، كيف زار قبل ذلك بسنوات الكاتب والشاعر السويدى آرتر لوند كفيست من أعضاء الاكاديمية ، والمتخصص فى الاداب الاسبانية ، فوجده عجوزا يفيض فكاهة وشبابا ويسكن بيتا بالغ التواضع ، محال ان يظن من يشاهده ، ومن يقتنع بالظاهر فحسب ، أن على ارادة ساكنه يمكن ان يتوقف أى قرار .

ويصف لنا الكاتب الكولومبى كيف تناول معه عشاء سويديا تقليديا ، يتكون من لحم بارد وبيرة ساخنة ، وكيف انتقل الى المكتبة ليتناولا فيها القهوة ، وهناك ظل مندهشا للحظات ، فمن المستحيل ان يوجد هذا القدر من الكتب الاسبانية ، بعضها رائع وبعضها جيد او سقيم ، خارج العالم الاسبانى ، وكلها تقريبا مهداة من مؤلفيها ، احياء يأملون فى الجائزة او ماتوا وهم ينتظرونها .

ثم أهداه كتبه ومضى .

وبعد اعوام خمسة من الزيارة والاهداء نال مركيث جائزة نوبل مع انه ينتمى الى بلد متخلف امامه مائة عام يقطعها لكى يبلغ حاضرنا الذى نمله ونشكو منه ! .

● سر غامض !

كيف يتداول اعضاء الاكاديمية ويتفقون او يختلفون ؟ . وما هى الاتجاهات الحقيقية التى تحدد اختياراتهم . ذلك احد الاسرار الاشد كتمانا وغموضا فى حياتهم وعصرنا ، ورأيهم لا يمكن توقعه دائما ، او حتى كثيرا . وقراراتهم سرية وبالاجماع ، واذا لم نقل جادة تماما ، وعادلة دائما ، فيمكن القول انها فى اسوأ الاحوال تتجاوز كل التنبؤات .

لا احد مثلها يشبه الموت ، كلاهما يأتى على غير توقع او ميعاد .

الشائع بين النقاد العالميين ان الاكاديميين السويديين يتفقون على المرشحين فى مايو ، ويدرسون اعمالهم فى الصيف ، حيث تذوب الثلوج ، ويعلنون قرارهم فى اكتوبر، وكثيرا ما يفاجأ بها المرشح نفسه وعندما منحت للكاتب الايرلندى صمويل بيكيت عام ١٩٦٩ ، وابلغوه القرار بالهاتف رد صائحا : « يا الهى ، اية مصيبة هذه ! » واما بابلو نيرودا ، ونالها عام ١٩٧٢ ، وكان يعمل سفيرا لوطنه فى باريس، فعرف بها من رسالة سرية تلقاها من الاكاديمية قبل اعلانها بثلاثة ايام .

واحيانا تأخذ الاكاديمية فى الاعتبار مواقف الكاتب السياسية . ففى عام ١٩٧٦ كان الكاتب الارجنتينى خورخى لويس بورخيس من ابرز المرشحين لها ، واستقر عليه الرأى تقريبا ، وقبل اعلان النتيجة بشهر واحد زار الكاتب فى احتفال كبير دكتاتور شيلى الجنرال

بينوشيت ، وخطب أمامه : « انه لشرف لا استحقه ان تستقبلني يا سيدي الرئيس » ، وتابع القول : « في الارجنتين وشيلي وأورجواي (والدول الثلاث تحت حكم عسكري طاغ) أنقذتم الحرية ، و « يحدث ذلك في قارة غارقة في الفوضى وتخنقها الشيوعية » ، ومن يومها اختفى اسمه من قائمة المرشحين نهائيا ولم ينلها الى ان توفي هذا العام ، ولم يجده نفعا دفاع محبيه وأصدقائه عنه . انه كان يسخر ، ولم يرد بالكلمات مضمونها الحقيقي ، واختير بدلا منه على عجل الكاتب الامريكي ساؤل بلو ، رغم انه دونها بكثير باتفاق كل النقاد .

واختلفت مواقفها من الاتحاد السوفييتي ، وأول جائزة نالها روسي كانت للشاعر ايفان بونين عام ١٩٣٣ ولم يثر الامر يومها اية مشكلة ، لانه حصل عليها مهاجرا يقيم في باريس وأما عندما منحتها للشاعر باسترناك عام ١٩٥٨ ، في أوج الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وأحاطتها أجهزة الاعلام لغربي بأنها جاءته تقديرا لموقفه من الحياة السياسية في وطنه ، ولم يكن الواقع كذلك ، وغاية ما في الامر انه ضمن بعض اعماله نقدا لما يجرى حوله ، ولم يمنعه أحد ، ونشرت أعماله هذه في الاتحاد السوفييتي نفسه ، ولكن الدولة ضاقت بالامر فعلا ، وانزعجت أن يتحول شاعر كبير في وطنه الى سلاح في يد الاعداء ، ولو على غير ارادته

واحس باسترناك انه اذا ذهب لاخذ الجائزة فقد لا يسمح له بالعودة الى وطنه ، وكان حريصا على ان يبقى فيه فاعتذر عن قبولها في شموخ وكبرياء

وفي عام ١٩٦٥ منحت الجائزة للكاتب الروسي ميخائيل شولوخوف صاحب رواية « نهر الدون الهادىء » وكان أديبا ملتزما رغم استقلالية تفكيره ، ومن هنا تلقت الدولة والحزب والشعب تكريمه العالمي في بهجة واعتزاز واعتبروا ذلك تقديرا دوليا للأدب السوفييتي .

وبعدها بأعوام خمسة منحت للروائي الروسي الكسندر سولجينيتشين ، ورغم انه بدأ حياته الادبية كاتبا مقتدرا ، وفي وطنه نفسه،لم يستطع ان يحمى مقدراته من الاعيب المخابرات الاجنبية ، وشمت فيه رائحة تطلعات برجوازية ، فسلطت عليه أجهزة الاعلام المختلفة تلاحقه من كل جانب : أعماله تترجم الى لغات أجنبية عديدة ، وتنشر على أوسع نطاق ، وتتحول الى أفلام سينمائية، وتليفزيونية، ويتناولها النقاد المشبوهون بالتحليل والتعظيم ، ويتدفق عليه مقابل ذلك كله سيل من الدولارات ، تصله في وطنه أو توضع سرا باسمه في بنوك الغرب وخلال ذلك كله تركز على ما في أعماله من نقد لوطنه ، تضخمه وتهوله ، وانتشى الكسندر بكل هذا، ونسى وطنه،وخيرته الدولة بين ان يكون وطنيا نيعرض عن هذا المجد المسموم ، ويبقى في بلده أو يذهب الى تسلمها ، وساعتها عليه أن يبقى هناك .

واختار الجائزة ، وذهب فعلا ، ولم يعد الى وطنه .

ويومها غرق في طوفان الاعلام والدولارات ، وأسكرته الشهرة والثروة فلم يتردد في ان يشتم وطنه ، وتصور أن هذا المجد دائم ، ولكن ما أن أدى دوره حتى بدأوا يبحثون عن غيره . واخذت أضواء الشهرة تنطفىء حوله ، وبعد عام واحد ذهب الى الولايات المتحدة فلم يعره أحد اهتماما

● حلم الكاتب

جائزة نوبل حلم كل كاتب يحب مهنته ويقدرها .

أوهام عربية حول جائزة نوبل

ولكن كثيرين من أعظم كتاب هذا العصر ماتوا دون ان يحصلوا عليها . مثلا : تولستوى الكاتب الروسى ، وروايته الحرب والسلام أعظم ما كتب فى نوعها ، توفى عام ١٩١٠ وله من العمر اثنان وثمانون عاما ، وروايته تحمل خمسة وأربعين عاما من المجد ، واعيد طبعها مئات المرات وترجمت الى كل اللغات ، ولا يشك ناقد فى انها كتبت لتقرأ الى الابد ، منحت فى حياته لاحد عشر اديبا وتجاوزته وواحد فقط من الذين منحوها اذ ذاك لا يزال الناس يذكرونه ، وهو الشاعر الانجليزى رديارد كبلنج ، اما اول اديب حصل عليها ، وهو الشاعر الفرنسى سيلى بروبلوم ، وكان مشهورا جدا فى زمنه ، فلم يعد يذكره الان احد ، ولا توجد كتبه الا فى المكتبات المتخصصة جدا ، وحتى الموسوعات الفرنسية لا تقدم له الا تعريفا موجزا ، فهى تقول عنه : « كان عضوا بالاكاديمية الفرنسية ، وتعالج قصائده مشكلات الضمير امام التطور الحديث ، وهو نموذج حديث للعبث السلمى المفيد ، وللابتذال المظيم » .

ومات كتاب عظام باعتراف الجميع ولم يحصلوا عليها ، وهم افضل بكثير ممن نالوها على ايامهم ، مثل كافكا وبروست ، ولو ان

● وماذا عن العرب ؟ .

فى ظنى انهم لن ينالوها ما دام اديبهم لا يبلغ اعضاء الاكاديمية نفسها ، ووصوله يمر عبر طريقين ، احدهما ثقافى والاخر اجتماعى .

اما الثقافى فاداته الترجمة ، ونحن فى « هيصة » النقد الصحفى نعيش وهما كبيرا : ان ادبنا مترجم ومعروف ، والحقيقة شىء مختلف تماما !

يمكن ان نقول عن « الف ليلة وليلة » انه مترجم فعلا ، لانك تلتقى بحكاياته فى كل الاداب العالمية ، وفى ترجمات عديدة فى اللغة الواحدة ومن مستويات متفاوتة ، للكبار والصغار ، وفى طبعات شعبية واخرى انيقة ، ومزينا بالرسوم واللوحات لكبار الفنانين احيانا ، ولا تكاد تخلو منه مكتبة مثقف اوربى ، واعضاء الاكاديمية السويدية من بينهم ، وبالمقابل اجزم انهم لا يعرفون شيئا عن الادب العربى المعاصر .

لكى تصبح الترجمة أداة توصيل فعالة ينبغى ان يقوم بها اديب فى لغته ، فالترجمات التى يقوم بها المستشرقون ، فى جملتهم ، واساتذة اللغات الاجنبية فى الجامعات العربية ليست لها قيمة ادبية ، ولا يتجاوز صداها عالم المؤلف والمترجم الضيق ، اذ ليس كل من يعرف لغة اديبا فيها ، ومثل هذا الجهد لا قيمة له ، والمال الذى ينفق فيها ضائع هدرا .

ان الذى ترجم شكسبير الى الاسبانية هو الشاعر الاسبانى الكبير خوان رامون خيمينيث ، وهو جائز على جائزة نوبل فى الادب ، والذى ترجم الف ليلة وليلة ، هو الروائى الاسبانى العالمى بلاسكو ايبانييث ، والذى ترجم ادجار الن بو الى الفرنسية هو الشاعر الشهير بودلير ،

ومن هنا تأخذ هذه التراجم طريقها الى الجمهور ، ويقبل عليها واثقا وراغبا .

أما ترجمات المستشرقين للادب العربي فتتم لاغراض تربوية ، أو سياسية ، او نفعية خالصة ، وتوزع هدايا ، ولا تتجاوز الغاية منها التعرف الى اخلاقنا وطباعنا ، وحركة الحياة في بلادنا . وبعض دور النشر الصغيرة ، والكبيرة احيانا ، تنشر تراجم لطغاة العالم الثالث ، مقابل اموال طائلة تدفع لهم ، ولكي تستر هذه العمالة بورقة توت ، تنشر ترجمة لهذه الرواية أو تلك ، وعادة تكون لكتاب الطبقة الثانية وما دونها ، لان الادب كلما سقط وغث وتفه كان اسهل في الترجمة ، ولن تعدم لها مشتريا في بلاد العالم الثالث نفسه ، واحيانا لا تستهدف بها القارىء الاوربي ، وانما غايتها القراء في البلاد العربية الذين يتكلمون اللغات الاجنبية ، او العرب الذين هاجروا الى البلاد الاوربية والافريقية .

وسوف اضرب لذلك مثلا واحدا يغني عن كثير .

لا يماري أحد في ان طه حسين اديب كبير بكل المقاييس ولا يشك احد ممن يعرف الاسبانية ان غرسية غومث مستشرق كبير ، واديب عظيم في لغته ايضا ، ومفكر من الصف الاول ، وكاتب صحفي مرموق ، وعضو عامل في كل المجامع الاسبانية وهو يجيد العربية ، ان لم يكن كلاما ففهما وتذوقا ، وقدرة على الترجمة ، ويعرف مصر جيدا ، وتتلمذ على طه حسين في الربع الاول من هذا القرن ، حين جاء القاهرة دارسا واقام فيها زمنا . وترجم العديد من التراث الاندلسي العربي الى اللغة الاسبانية ، الى جانب ابحاث اخرى كثيرة ، جادة وعميقة ومتنوعة .

وفي اواخر الاربعينيات كانت اسبانيا تحاول كسر حدة الحصار الذي ضربه الغرب حولها لتعاونها مع المحور فيما يدعون ، فبدأت تغازل الولايات المتحدة خفية ، وتدعم صلاتها بالدول العربية ، وجاء وزير خارجيتها مرقين ارتاخو الى القاهرة ليؤكد على الصداقة بين الدولتين ، ومعه غرسية غومث ، مدير المعهد الاسباني العربي ، واستاذ اللغة العربية في جامعة مدريد ومستشار الشئون العربية في وزارة الخارجية، وكان يجمع بين هذه المناصب

بابلو نيرودا عرف بالجائزة سرا



جان بول سارتر رفض الجائزة



وول سوينكا فاز بجائزة نوبل هذا العام



أوهام عربية حول جائزة نوبل

الرسمية الثلاثة ومناصب اخرى ، ولقى غومث استاذه طه حسين ، فجدد ذكرياته ، ودار بينهم اكثر من حديث وحوار ، وطافا معا الامكنة القديمة التى وردت فى كتاب الايام .

ثم اصبح طه حسين وزيرا للمعارف، ودعى الى اسبانيا ،ومنحته جامعة مدريد درجة الدكتوراه الفخرية ، ومبالغة فى التكريم قام غومث بترجمة كتاب الايام الى اللغة الاسبانية ، وصدرت الطبعة عام ٥٤ وبعدها بأعوام ثلاثة جئت الى مدريد طالب بعثة ، ويمزق سمعى صدى الزعيق الصارخ عن ابنا المترجم ، وان كتاب الايام مترجم الى كل اللغات بما فيها الاسبانية ، وليس افضل للتدريب على لغة اجنبية من ان تقرأ فى البداية كتابا مترجما اليها تعرفه ، وقراءته فى اللغة الاصلية .

ومضيت أبحث فى اصرار عن ترجمة الايام الى الاسبانية ، وكانت خيبة املى كبيرة ، ذلك ان ايا من المكتبات ودور النشر ، كبيرة او صغيرة ، لم تسمع بالكتاب او المؤلف ، فضلا عن أن تعرف له ترجمة .

واتصلت بالمترجم نفسه ، فابتسم ابتسامة صفراء ، لم أدرك بوجهها كنهها ، وخرج عن لا او نعم . تجاهل سؤالى ولم يجب .

ثم اهتديت اخيرا الى ان الكتاب لم ينشر فى مدريد العاصمة السياسية ولا فى برشلونة العاصمة الطباعية ، وانما نشرته دار مغمورة فى مدينة بلنسية ، ودفع نفقات طبعه معهد بلنسية دى خوان ، وسعيت الى المدينة ، وحصلت على نسخة من الكتاب مجانا ، لان المعهد لا يبيعه وانما يهديه .

جاء اخراج الكتاب بديعا ، فهو مطبوع على ورق صقيل ، ومجلد تجليدا فاخرا ، وعلى جلدته غلاف من ورق « الكوشيه » طبعت عليه صورة طه حسين ، والترجمة دقيقة واسلوب الكاتب ـ كالعادة ـ اكثر من رائع ، ولو ان الاسبان انفسهم يتهمونه بانه ترجمة عن الترجمة الفرنسية ، والترجمة عنها اسهل لان بناء الجملة واحد فيهما ، واظنه استعان فقط بالترجمة الفرنسية ، ولكن النص العربى كان امام ناظريه ايضا .

طبع من الكتاب فى ترجمته الف نسخة فحسب ، ورغم مضى اكثر من ثلاثين عاما عليها ، وشهرة غومث الواسعة كاتبا ، وان كل مؤلفاته ، حتى ما كان منها للمتخصصين فحسب كابحاثه عن الموشحات مثلا ، نشرت فى طبعات شعبية ، فانه لم يفكر ، ولم تفكر اى دار للنشر فى اعادة طبعه ، او ترجمته ثانية ، أو نشره فى تلك السلاسل التى تطبع الكتب فيها بعشرات الالاف .

واعتقد الان ان غومث ترجم الكتاب مجاملة شخصية لاستاذه ، ولم يكن مقتنعا به نصا ادبيا يجذب القارىء الاسبانى العادى ، وعبر عن ذلك فى المقدمة الاسبانية التى كتبها للكتاب ، فى ذكاء شديد وخبث اشد ، يقول :

« اذا كنت قد اقدمت على ترجمة « ايام » طه حسين ، فاننى لم افعل

ذلك استجابة لطلب احد الناشرين ، ولم افعله لان ضرورة عملي تقتضيه، او لاجرد القيام بعملية اليه لا روح فيها ، وانما حفزني الى ذلك السود الذي يجمعني وصاحبها ، فصلتي به ترجع الى اكثر من ربع قرن ، ما بين تلميذ له اولا ثم صديق بعد ذلك ، وحفزني عليه كذلك الحب الكبير لهذا الكتاب الذي يثير في خاطري ذكريات كثيرة ، (وقد ترجمت الكتاب كذلك لانني، اعتقد - لاسباب كثيرة - انه من الكتب التي ينبغي ان يعرفها الجمهور الاسباني ، ولكني اقول هذا بين قوسين ، لان احدا لن يشكرني عليه) .

وهو يرى ان جمال نثر طه حسين يرجع الى طريقة الاداء الشفوي العربي ، ولان طه حسين لايكتب ، وانما يتحدث ، تكررت بعض عباراته فاختصر هذا التكرار بعض الشيء في اللغة الاسبانية ، ومع ذلك فهو يرى القارىء الاسباني أعمى في هذا الكتاب ، كمؤلفه تماما ، لايتبين طريقه الى الفهم الا بعناء ، يقول :

« عندما يأخذ طه حسين بايدينا في كتاب الايام ليمضي بنا في طرقات مغاغة أو شوارع القاهرة ، وعندما يصعد بنا سلم الربع أو يسير بنا بين حلقات السماع في الازهر ، نجد انفسنا تسير على غير هدى من البصر مثله . فنحن لم نر قط ترعة الإبراهيمية ، ولاكتاب سيدنا ، ولاحارة الوطاويط ، بل اننا نتعرف اليها كما تعرف اليها الكاتب نفسه ، فنسير وايدينا ممدودة الى الامام نتحسس منعطفات الجدران ونتوءاتها لنعرف ماذا كنا ننحرف يمينا او شمالا ، ونمضي واقدامنا مرهفة الاعصاب متأهبة لاتباع مرتفعات الطريق ومنخفضاته ، بل اننا ندرك الموضع الذي تآكلت فيه حصيرة الجامع عن طريق الاحساس بنعومة الرخام وبرودته . وهذا ينطبق على الاشخاص ايضا : فنحن لم نر - وان نرى - سيدنا ، ولاطلاب الربع ، ولا شيوخ الازهر ، ونحن لانتعرف ملامحهم ولا الوان ثيابهم ، بل نحن ازاء هذا كله مثل طه حسين تماما .

ولا اظن شعور بقية القراء الاوربيين ، في الترجمات الاخرى ، بأفضل حالا من الاسبان ، ويساويهم في هذا المصريون من غير ابناء الريف ! .

واذا كان هذا هو حال طه حسين في أشهر كتاب له ، وفي ترجمة يقوم بها غرسية غومث ، فما بالك بأنصاف الادباء والمتشاعرين ، ومن يكتبون أدبا في طعم « المخللات » ، ومع ذلك يتحدثون عن عالمية ادبهم الذي ترجم الى العديد من اللغات .

ولكن ذلك لايعني أن الادب العربي المعاصر خال من شوامخ تعدل ، وحتى تفوق ، بعض من حصلوا على الجائزة ، فما يكتبه نجيب محفوظ في الطورين الثاني والثالث من ابداعه ، وشعر نزار قباني قبل ان يتحول الى خطيب سياسي صارخ وممل في شعره الحر ، وغادة السمان في الكثير من قصصها ، جدير بأن يترجم ، وسيجد القارىء والمعجب ، ولكن ليس بالطريقة التي تتم بها ترجمة ادبنا الان .

● أوروبا تعرفهم !

فاذا تجاوزنا الترجمة الى العامل الاجتماعي وجدنا ادباءنا جميعا محليين في حياتهم الاجتماعية ، ليست لهم صلة بأحد ، لا عن طريق السفر والتلاقي ، ولا عن طريق التراسل والحوار ، فاذا رحلوا

أوهام عربية حول جائزة نوبل

فسياحا يستمتعون بالجانب المادى من الحضارة الاوربية وهم فى جملتهم معتقلون فى اللغة العربية، قلة قليلة منهم تجيد لغة اخرى، أو متمكنة من التيارات الادبية العالمية عن طريق الترجمة.

واذا القينا نظرة عجلى على أولئكم الذين نالوا الجائزة من العالم الثالث، فسوف نجد اما انهم كتبوا ابداعهم اصلا فى لغة اوربية، كما فعل طاغور الهندى، او خرجوا الى اوربا فعرفهم العالم، فالشاعرة الشيلية جبرييلا مسترال امضت اعواما طويلة قنصلا لوطنها فى روما ومدريد، وانخل امستورياس كان سفيرا لوطنه جواتيمالا فى باريس، وكذلك كان نيرودا من بعده،وجبرييل مركيث يعيش متنقلا كاتبا وصحفيا بين اوربا والولايات المتحدة، والنيجيرى وول سوينكا يمضى حياته موزعا بين الجامعات الاوربية والامريكية، وتعرفه صحافتها مبدعا وناقدا.

ذات يوم ادرك توفيق الحكيم بحسه الذكى هذا الواقع، وعرض على الحكومة أن ترسله الى باريس ليقدم نفسه للعالم الادبى، وعين فى اليونسكو فعلا، ورغم انه كان يقبض راتبا ضخما لم يفارقه بخله لحظة، فما اقام صلة باديب ولا تعرف على احد، وعاد كما ذهب، وكان — والحق — اخر من يصلح سفيرا اجتماعيا او ثقافيا.

واخيرا، ثمة فكاهة يتداولها النقاد الاوربيون، فحواها ان جائزة نوبل تكريم لاديب يتأهب للرحيل، وبعضهم يذهبون فيها تشاؤما، ويقولون لا يوجد من عاش بعد نيلها اكثر من سبعة اعوام والاحصائيات لا تؤكد هذا، ولا تنفيه ايضا فقرابة به ثلاثين اديبا ممن نالوها ينطبق عليهم هذا المثل فعلا

وربما كان المثل الصارخ لهذه الشائعة هو الشاعر الانجليزى جوك جالسفورثى فقد تلقى الجائزة عام ١٩٣٢، ومات بعدها بستين يوما، والشاعر الايطالى جيوسوى كاردوتشى، فقد تلقاها فى نوفمبر عام ١٩٠٦، ومات فى فبراير من العام التالى. واما الذين تلقوها شبابا وامتدت بهم الحياة طويلة، وكان الشاعر الانجليزى رديارد كيبلنج الاكثر شبابا بينهم، فقد نالها وعمره ستة واربعون عاما ومات فى السادسة والسبعين، ومثله بيرل بيك فقد تلقتها وعمرها ست واربعون سنة وماتت فى الحادية والثمانين وكان البير كامى الفرنسى الاستثناء الوحيد بين الذين تلقوها شبابا، فقد حازها وله من العمر اربعة واربعون عاما، فى رهج المجد وقمة الشباب والعطاء، ومات بعدها بعامين فى حادث سيارة.

ولم يكن الفيلسوف الفرنسي سارتر يعتقد فى شيء من دلالات هذه الارقام، ولكنه عندما سأله صحفي بعد ان منح الجائزة فرفضها، هل انت نادم على ذلك؟ كان رده: «على النقيض، لقد انقذت حياتى»..

ولكن القدر سخر منه، اذ مات بعد ستة اشهر من هذه الكلمات!.

أقوال معاصرة



الرئيس حسنى مبارك



سيمون دى بوفوار



د . فؤاد زكريا

- فقدت الولايات المتحدة الامريكية مصداقيتها فى المنطقة العربية والعالم بعد صفقةالاسلحة لايران

الرئيس محمد حسنى مبارك

- « اومن دائما بالمحاولة » •

كورازون اكينو رئيسة جمهورية الفيلبين

- « لا اظن فى شان التوجه السياسى نحو امرائيل ، ان ثمة اى اختلاف فيما بين الامريكيين سواء اكانوا من المحافظين ام الاحرار ام الجمهوريين ام الديموقراطيين » •

بيتر جروس
رئيس التحرير الادارى لمجلة ((الشئون الخارجية))الامريكية

- « لا يوجد فى كل افلامى سوى ثلاث او اربع دقائق سينما حقيقية » •

المخرج اليابانى الكبير ((اكيرو كيروساوا))

- روسيا اكبر مما كان يتصور « كاردان » ومما كنت اتصور » •

مصمم الازياء الفرنسى ((ايف سان لوران))

- حين تصبح لغة القوة هى السائدة ، لا يعود من حق المغلوب ان يشكو من قسوة الغالب »•

((الدكتور فؤاد زكريا))

- « الشيخوخة ، لا الموت نقيض الحياة » •

الاديبة الفرنسية ((سيمون دى بوفوار))

- وجود النقاد ، الطيب منهم والخبيث وغير المكترث ، امر ضرورى فى العقد الاجتماعى الموقع فيما بين الحكام والمحكومين فى اية امة لا تدين بالديكتاتورية » •

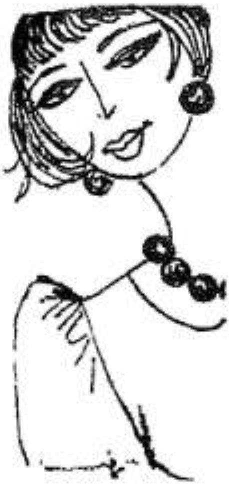
المفكر الانجليزى ((اليستير كوك))

- « موت اوروبا هو الحقيقة المحورية لزماننا »

الاديب الفرنسى اندريه مالرو

- « الاجابة الوحيدة لنداءات الحياة هى مسيرة التقدم » •

المفكر الفرنسى ((بيير تيلاردى شاردان))



آدم وحواء

المرأة.. في حياة الرجل المصري

بقلم: د. سيد عويس

الملاحظ أن الرجل المصري اذ يعامل المراه المصرية معاملة قد تبدو سيئة في ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة، وتراه في بعض الأحيان يتغنى بكيدها، فانه في الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلها عشقا وصبابة وهياما .

يتغنى في ذلك بالمواويل والازجال والاشعار، ويحكي القصص والروايات • ويظهر ذلك فعلا وعملا ، وتراه يستخدم اشارات اليد والأصابع والوجه للدلالة على ذلك أحيانا • أو يستخدم الكلمات وهو يعاكس أو في وقت الصفاء أو بعد ذلك أحيانا أخرى :

« كيد النسا كيد لو ابو زيد يميل منهم
لو عنتر بن شداد ليشوف العذاب منهم
لهم فعل بطال زالت الجبال منهم
الواحدة منهم في كل بلوة تلقاها
قاعدة تقلب فتن لاجل الخراب والشر
وتكره الطيبة وفي الربية تلقاها

ومطاوعة ابليس علي فعل النكد والشر
وكل يسيرة مع المخاليق تلقاها
هم النسا علي الدوام وجودهم اساس الشر
والعقل لو غاب يكون السبب منهم !! »
و « قاضي الغرام فوق جبل عالي يناديني
قال فين مفارق احبابه قلت انا وبيني
قال لي تعود للحبايب قلت وبيني
دول الحبايب العزاز ولا لهمش في الجمال وصفة
انا نفسي ازور النبي واقعد حداه واصفى
ان كان قلبي يبيح لغيركم ويصفى
اموت كافر ولا توفاني على ديني »

● الحب والهوى ●

وفي احدى الدراسات التي قمت باجرائها عن « ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات في المجتمع المصرى المعاصر » لاحظت كتابة العديد من عبارات الاغاني المصرية التي تتضمن معاني عديدة . ومن هذه المعاني ما يترنم بالحب والهوى : « الحب كده » و « الهوى هوايا » و « انت الحب » و « أهل الهوى مساكين » و « أهل الهوى ياليل » و « جددت حبك ليه بعد الفؤاد ما ارتاح » و « زى الهوى يا حبيبى وآه من الهوى » ومنها ما يترنم بالشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة وكيد العزال : « أروح لمين ؟ » و « بلاش أسية ارحم عنيه » و « اكتر من مرة عاتبتك وانتلك وقت تفكر » و « تفيد بايه يا ندم وتعمل ايه يا عتاب » و « كلمونى تانى عنك فكرونى » و « قابلته نسيت انى خاصمته » و « هجرتك يمكن انسى هواك ورجع قلبك القاسى » و « ياهاجرنى » و « لا نوم ولا دمع مخلاش الفراق فيه » (كان اصلها لانوم ولادمع فى عنيه) و « ما اطال النوم عمرا وما قصر عمرا » (كان اصلها فما اطال النوم عمرا ولا قصر فى الاعمار طول السهر) و « من فرحتى لا بنام ولا بصحى » و « سهران لوحدى » و « ودع هواك » و « كايدة العزال » و « كايدة العزال انا من يومى » و « كايدة العزال يا سكينة ! » . ومن معانى عبارات هذه الاغانى ، نجد ما يترنم بالامل والفرح والغزل والدعابة والتسامح والسلامة : « أمل حياتى يا حب غالى » و « من فرحتى تهت مع الفرحة » و « ابو سمرة السكرة » و « ادلع يا رشيدى على وش انيه » و « بتبص لى كده ليه ؟ » و « على عينى كرملة » و « ماخدش العجوز أنا » و « انساك ده كلام انساك ياسلام » و « ساعة يا سلامة » .

وقد كتب اخرون على هياكل مركباتهم تعبيرات شعبية تتضمن معانى الغزل المفتوح والغزل المستور : « آخر طريقك فين » و « النبى تبسم » و « بطل تقل بقى » و « قوللى آخر طريقك فين يا حلو ياللى ماشى » و « وكده شربات » و « منى عينى هو » و « صباح الفل ياعود الفل » و « اوعى الهوى ! » .

وقد لاحظت انه في ضوء الدراسة المشار اليها ، وفي ضوء دلالات هذه النتائج ان الكلمات والعبارات المكتوبة على هياكل المركبات موضوع

الدراسة ، على الرغم من ان بعضها مكرر ، وان معانى بعضها متشابهة ، وعلى الرغم من ان اشكالها متعددة ـ قد اختارها كاتبوها انفسهم بمحض ارادتهم واصروا على كتابتها على هياكل المركبات التى يستخدمونها على الرغم من عدم موافقة الدولة على هذه الكتابة · وانهم اذ يكتبون ما يكتبون بمحض ارادتهم ، فانهم فى حقيقة الامر يحاولون ان يسمعوا اصواتهم دون ان يراهم احد ، اى انهم فى حقيقة الامر يحاولون بمحض ارادتهم ان يهتفوا · ومعانى الحب والهوى والشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، فضلا عن معانى الامل والفرح والغزل والدعابة والتسامح ، كل هذه المعانى تعكس العديد من العناصر الثقافية غير المادية التى تملأ المناخ الاجتماعى لمجتمعنا المصرى المعاصر ··

وهم فى ضوء ظروفهم الثقافية الاجتماعية والاقتصادية قد اختاروا هذه المعانى من هذا المناخ لكى يسمعوا أصواتهم دون ان يراهم أحد ، أى لكى يهتفوا هتاف الصامتين ، واصطنعوا من أجل ذلك ، دون ما وعى ، جهازا أعلاميا شعبيا من أجهزة الاعلام فى مجتمعنا المصرى يتحرك على امتداد مدن هذا المجتمع وقراه ، وهو جهاز اعلامى يدعو فى ضوء طبيعته الى تثبيت العديد من المعانى السابق ذكرها والتى لاتزال تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ، ومنها الحب والهوى على الرغم من ان الحب ، كما يقول المثل الشعبى المصرى « عاوز كلفة علشان تدوم الالفة »

ومن ازجال « بيرم التونسى » التى شاعت وذاعت ، نجد :

في كل عام للورد أوان   الا النسوان
بقدرتك نابتين ألوان   ابيض واحمر
وانت اللي تعلم وانا اجهل   فيه ايه اجمل
من دى الخدود واللي لا تدبل   ولا تتغير
ودى العيون اللى اشهد لك   بها واسجد لك
دى خلت الطاغى القادلك   والمتكبر
والشفتين اللي فالقهم   كنت خالقهم
للابتسام ولا رازقهم   دانت تحير
العبد يعشق بالقوة   وعشق لجوه
كمان جهنم ؟ ايه هو   محناش معشر
. . . .
. . . .
يا مسلمين الله يا حريم   انا مالى غريم
غيركم اروح وياه فى جحيم   يوم المحشر
الدنيا والنسوان وخلاص   والراجل لاص
لا طبلة ينفع ولا بلاص   لو يتكسر

والرجل المصرى منذ الزمان القديم وحتى الآن تجده يفتتن بجسم المرأة أو بعض أجزائه · ففى مجموعة طيبة وهى مكتوبة على بردية هيراطيقية ويرجع اصلها الى مدينة طيبة عاصمة الدولة الحديثة التى أسستها الاسرة الثامنة عشرة فى عام ١٥٧٠ ق· م· يقول المحب عن

حبيبتـــه :

« فريـدة حبيبتى فى حســـنها
ما مثلهـــا احد
أجمـل من كـل النسـاء هى
مشـــرقة
انظـــر اليهـــا
كالنجمـة الإلهــة
فى مطـــلع العـــام السـعيد
ساطعة باهـرة وضـــاءة البشـــرة
جميـلة العينين حـين تنظـــر
عـذبة الشفة حـــين تتحـدث
كلمـة زائـدة لا تقولهـــا
طويـلة العنـق جميـلة الثـدى
شـعرها لا زورد أصـــيل
ذراعهـا يفـــوق الذهـب
أصـابعها ازهـــار اللوتس
مشـدودة الخصر عند انسياب الردف
تزيـد ساقاها مـن جمـــالها
تخطــو على الارض فى نبـــل
اسرت قلـبى بعنـــاقها
وادارت رقـــاب كـل العشـــاق
مشـــدوهين بجمـــالها »

وقد استمر الاهتمام بالجسم الانسانى أو بعض أجزائه وبخاصة جسم المرأة ، والاهتمام بالدور الذى يلعبه فى مجالى الحب والغزل حتى الآن نجـد ذلك فى المواويل الشعبية المصرية التى يتغنى بها الشبان فى القرية المصرية المعـــاصرة :

« قــلبى هــوى بنت يتبيـع ضـوخ فى سـبتها
اذا فــاتت عــلى القوم بتسبى القوم بثباتهـا
لهـا جـوز نهود يشبه كما الرمـان فى سبتها
انـا من حبى فى البنت فت الاهــل والبـلدى
انا لتى ماشى وراء البنـت لما خـار علينـا الليـل
انـــا قلـــت ماطيـــلا بابنـــت بنـا بـلدى
قـالت ماشـية العـــوازل وانـا يا جـدع بالليـل
البنـــت معهـــا لواحظ تشـــبه لسـلام بلدى
الشـــعر منثـــور يشـــبه لظــلام الليـــل
انا قلت يا بنت عندى جوز بنانى بيحووا الطيور بالليل
وقفـــت البنت يا نـاس وشـالت عينهـــا فى
الوجـــه كيـف القمـــر والجســـم كالليـــلة
حـــرة نقيـــة لـــكن الانـــدال ســـبتها »

إلى متى .. يتعثر مشروع دائرة المعارف العربية؟

بقلم: د. شكري محمد عياد

مسالة دائرة المعارف العربية مسالة مزمنة مثل الوحدة العربية ومثل المرض المزمن ، ومثل الوحدة العربية ، تعيش معنا فكرة دائرة المعارف العربية ، لاهى تتركنا ولا نحن نستطيع أن نقوم بعمل مجد حيالها .

● ومثل المرض المزمن ، تهيج الفكرة أحيانا فنتذكر تاريخها الماضي كله ، ونأسف لأننا أهملناها مدى السنين ، ونتخذ قرارا ما .. ثم تهدأ الفكرة وينسى القرار ، وكأنه الدواء المسكن لاعمل له إلا أنه يردها الى حالة الإزمان والكمون .

لاتقتصر العلاقة بين دائرة المعارف العربية والوحدة العربية على أن كلتيهما عربية ، ولا أن كلتيهما قضية مزمنة ، أو فكرة حائرة بين الوحدة والعدم . إن كلا منهما متوقفة ، الى حد ما ، على الأخرى ونقول إلى حد ما حذرا من المبالغة ، وإن لم يكن من المبالغة القول بان الجامعة العربية - مثلا - عاجزة في الوقت الحاضر عن إصدار دائرة معارف عربية لأنها عاجزة عن عقد قمة عربية ، والعكس بالعكس . صحيح ان قمما كثيرة سابقة عقدت بدون دائرة معارف ، ولكننا لو راجعنا تاريخ القمم السابقة لتبين لنا أن نجاحها كان دائما نسبيا ، وكانت نسبة النجاح راجعة في كل مرة الى مجموعة المنبهات والمعوقات الخارجية . لذلك كان رد الفعل يأتي مساويا لمحصلة المنبهات والمعوقات (التي يبدو أنها كانت محسوبة دائما بحيث لاتنتج قوة دفع مستمرة) . ولا نريد ان ندخل في ميكانيكا السياسة ، ولكننا نقول فقط إن قمة عربية ، بالمعنى الأمثل ، أو وحدة عربية من أى نوع كانت ، ولو كانت وحدة جزئية ، لايمكن ان تتحقق بدون وحدة فكر تجاه مشكلات الحاضر ، وهذه الوحدة الفكرية لاتتمثل

فى شىء كما تتمثل فى دائرة معارف عربية .

فدائرة المعارف ، أيا كانت لغتها ، ليست مجرد موسوعة مكتوبة بهذه اللغة . انها ، فى المقام الأول ، خلاصة لفكر أصحاب هذه اللغة ، لتراثهم ، لأسلوبهم فى الحياة ، لنظرتهم الى الكون . لايكفى أن يجمع انسان اطرافا من المعارف ويضع عليها كلمة موسوعة . إن المعرفة الشاملة تعنى ثقافة ، اى كمًا من المعلومات المنظمة ، أضع خطا تحت كلمة « المنظمة » لأن المعلومات غير المنظمة لا تكون ثقافة بل ركاما من المنتجات التى أخرجها عقل الانسان فى تعامله مع الظروف المحيطة به فى أزمنة مختلفة وأماكن مختلفة . فيها الحفريات وفيها العاديات وفيها التحف المغبرة والتماثيل المكسرة والجواهر المخبوءة فى الطين ، وفيها أحدث ما أنتجته المصانع الأوربية والامريكية ، مثل هذا الركام لايسمى ثقافة . فالثقافة وحدة ، والوحدة تعنى نظاما ، والنظام يعنى ان هناك مركزا أو نواة تلتقى عندها الأجهزة الفرعية ، تمدها وتستمد منها . هذا قانون لايتخلف من قوانين الحياة ، بل لعله اهم هذه القوانين ، ابتداء من الكائن ذى الخلية الواحدة الى أرقى انشطة الإنسان .

لو سألت عشرة من المثقفين العرب : ماهذه النواة ، أو ماهذا المركز الذى يقوم بدور المنظم لثقافتنا ؟ لحصلت بالتأكيد على عشرة أجوبة مختلفة بل متناقضة !

● فما السبيل إلى وحـــدة الفكـــر ؟

هناك دائما إغراء بفرض الوحدة من فوق .

ويجب التمييز بين وحدة طبيعية طوعية ، ووحدة مفتعلة مفروضة ، ففى جميع الأحوال يقتضى النظام وجود نواة أو مركز ، قادر على توجيه النظم الفرعية . ولكن الفرق بين النظام الطبيعى والنظام المفتعل هو ان الأجزاء فى الحالة الأولى تتقبل بصورة طوعية هيمنة النواة أو المركز ، أما فى الحالة الثانية فهى تنفذ توجيهات المركز ـ اذا نفذتها ـ مجبرة . فى الحالة الأولى تكون النظم الفرعية والنظام المركزى داخلة جميعها فى نظام واحد متكامل ، ومعنى ذلك ـ إنسانيا ـ أن الفروع تفهم توجيهات المركز وتقتنع بضرورتها وتحرص على تنفيذها بأقصى مايمكنها من كفاءة ، وفى مقابل ذلك تمد المركز بالمعلومات التى تمكنه من صياغة القرار السليم ، وتنبهه اذا اتخذ قرارا خاطئا . اما فى الحالة الثانية فإن قنوات التوصيل بين المركز والفروع تكون ذات اتجاه واحد ، ومعنى ذلك ـ إنسانيا أيضا ـ أن الفروع لاتفهم مغزى القرار ولا الهدف منه ، وأن القرار يتخذ فى المركز بدون مراعاة للظروف الخارجية ، وغالبا مايكون القرار فى هذه الحالة موروثا أو مستعارا فى نظام موروث أو مستعار .

هذا هو النموذج الذى يقوم عليه اى جهاز فكرى (تحصيل المعلومات ـ تفسير المعلومات ـ اتخاذ القرار ـ تنفيذ القرار) ابتداء من أبسط الأجهزة (ومنها الأجهزة ذاتية الحركة التى بنيت وفق نموذج الكائنات الحية) إلى أعقدها وهو جهاز الثقافة ، الذى يمثل خبرة مجتمع بأسره على مدى أجيال كثيرة وخلال عصور مختلفة ، ووحدة الثقافة ـ التى تترتب عليها وحدة الفكر ووحدة القرار ـ يمكن ان تتم بطريقة طبيعية طوعية ، كما يمكن ان تتم بطريقة مفتعلة مفروضة . ويصدق عليها بصورة مضاعفة ، الوصف الذى قدمناه لكلتا الحالتين . والأمثلة كثيرة من

ماضى الأمة العربية القريب ، وحاضرها المشاهد !

● المعارف طبقات وألوان !

رب معترض يقول : ماعلاقة الكيمياء ، أو الفيزياء ، أو الفلك بهذا الذى تزعمه عن الثقافة ؟ أترانا اذا قدمنا الفيزياء الحديثة بالعربية يكون مانقدمه مختلفا عن الفيزياء المنشورة بالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ؟ ولهذا المعترض نقول : اننا لانجادل فى أن العلم الطبيعى وطنى أو عالمى ، أو أن فيه قدرا وطنيا وقدرا عالميا (هذه مناقشة يمكن تأجيلها الى حين) ولكننا نقول فقط : إنك حين تقرر نقل الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك بنصها وفصها من دائرة معارف انجليزية أو فرنسية أو المانية أو روسية ، دون أن تضيف اليها أو تحذف منها ، تكون قد اتخذت قرارا ثقافيا ، لأن الحكم على ضرورة مادة علمية معينة ، أو مناسبتها ، يمكن ان يكون مبنيا على المعرفة بالعلم نفسه ككل ، أما حين تحكم على ضرورة علم معين ، أو مناسبته ، أو على صورة كاملة منه ، فلابد لك أن تنظر الى هذه الصورة ، أو هذا العلم فى عمومه ، من مستوى أعلى من العلم ذاته ، وهو فلسفة العلم ، التى هى جزء من الجهاز الثقافى .

وإذن فانت حين تقرر نقل مواد الفيزياء او الكيمياء الخ . من دائرة معارف إنجليزية أو فرنسية أو روسية تتخذ قرارا ثقافيا ، وحين تفضل دائرة معارف معينة على دائرة اخرى تتخذ قرارا ثقافيا .

ولعلك تعترض مرة أخرى قائلا اننا نستعير فلسفة العلم كما نستعير العلم ، فنحن فقراء اليهما معا . فأقول لك إنك حين تتخذ مثل هذا القرار تكون قد اتخذت قرارا ثقافيا اكثر اهمية ، لأن فلسفة العلم هى جزء من نظرية المعرفة ، ومدار نظرية المعرفة على تقدير العقل لقدراته وهى أساس المعارف كلها .

اى ان الاقتصار على نقل المواد العلمية من دائرة معارف أوربية او امريكية لن يظل محصورا ، كما قد نتوهم ، فى دائرة ضيقة ، بل سيمتد حتما الى النواة أو المركز ، بحكم وحدة الثقافة ، وارتباط النظم الثقافية الفرعية بنظام المركز ، فى اى ثقافة حية .

ولكن العلوم الطبيعية لاتشكل جهاز الثقافة بأكمله . فهناك مايسمى العلوم الانسانية . ولعل العلوم الطبيعية أصبحت تحتل مكان المركز أو النواة فى ثقافة العصر ، وتمد سلطانها على العلوم الإنسانية نفسها أو تحاول ذلك ، ولكن العلوم الإنسانية لاتزال محتفظة ـ على الأقل ـ بميدانها الخاص وهو النشاط غير المادى للإنسان . وفى هذا المجال يصعب النقل من ثقافة الى ثقافة . نعم ان هناك كلاما عن فلسفة عامة ، وأدب عام ، ونحو عام أيضا . ولكن العموم هنا إنما يدل على إسهامات متنوعة يمكن أن تصادف اهتماما او قبولا من الجميع ، ولاتدل على وحدة الخصائص والصفات . أى أن « العموم » فى باب الانسانيات ينصرف إلى المستهلكين لا إلى المبدعين . وقد يكون فى استطاعتنا أيضا أن نترجم مواد الانسانيات من دوائر معارف أجنبية ،

ولكننا فى هذه الحالة نميت قوة الابداع لدينا ، فى اخص ما يميز الثقافة القومية

وليست المشكلة هى أننا لن نجد مادة كافية فى دوائر المعارف الأجنبية تتعلق بثقافتنا الانسانية . فهناك دائرة معارف كاملة اسمها دائرة المعارف الاسلامية

ولكن المشكلة هى أن نتعلم النظر الى ثقافتنا بعيون المستهلك الأجنبى أو السائح الأجنبى وقد تكون مثل هذه النظرة مفيدة اذ لم نتكلفها بصورة مستمرة . فنكون كالريفى او البدوى الذى عاد الى أهله من بلاد المدنية ، فجعل يكلمهم بلسان معووج . ويسالهم عن أسماء المأكولات والمشروبات !

هذا أو الحل الآخر وهو ان نجعل الثقافة الإنسانية كلها أو بعضها جيوبا عربية فى ساحة تسيطر عليها ثقافة الغرب ، وهنا لابد ان يقوم إشكال جديد وهو بأى منظار ننظر الى ثقافتنا العربية ؟ هل نعرض ألوان التراث كما هى ، فتكون ثقافتنا الإنسانية العربية اشبه بكرنفال ، أم ننتخب منها ، فتكون الصورة العامة ناقصة الى جانب مافيها من اختلاط ؟ لابد لنا هنا ايضا من أن نستند الى « نواة » معرفية ، تسمح لنا بتفسير اكبر قدر من الظواهر الثقافية التى يمكننا جمعها .

● لسنا دعاة انغلاق !

لانريد بهذا ان ننفر من نقل الثقافات الغربية بكل الوانها ، سواء أتم ذلك بقرار مركزى « من فوق » أم تم بجهود متعددة ومتنوعة ومتكاملة . إننا ـ على العكس ـ نرى هذا ضرورة ملحة . ولكننا نميز بين هذا العمل ، الذى يمد الثقافة القومية بزاد غني وضرورى ، وبين الثقافة القومية نفسها ، التى يمكن أن توجد ـ بمعنى أن تكون لها هوية ـ إلا ببناء ذاتى .

ودائرة المعارف ، فى أى لغة قومية لا يمكن ان توجد ، بل لامعنى لوجودها إن لم تكن تعبيرا عن الثقافة القومية .

لسنا اكثر انغلاقا من الفرنسيين مثلا وقد قدمت دائرة المعارف الفرنسية إحدى طبعاتها بكلمة صرحت فيها بأن الفكر الذى تقدمه هو فكر فرنسى أولا ، وغربى ثانيا .

ولسنا دعاة يأس ايضا . فنحن نرى ان الظروف مهياة الآن بالفعل لظهور ثقافة عربية ودائرة معارف عربية . الا ان هذا العمل يحتاج الى تنظيم وصبر . ونحن نؤمن بالصبر والتنظيم اى اننا لانؤمن بالمؤسسات الرسمية .

لقد قامت جماعة من اربعة شبان ، منذ اكثر من خمسين سنة بمشروع مهم وهو ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ولم يكن العمل مجرد ترجمة ، بل كانت اللجنة المكونة من هؤلاء الشبان تدفع بكل مادة مترجمة إلى متخصص عربى فيكتب تعليقا عليها ، ربما زاد عليها فى الطول ، وربما استقل عنها تماما . بحيث غدت مادة قائمة برأسها . مضت هذه اللجنة فى عملها شوطا غير قليل ثم توقفت . يستطيع العضوان الباقيان من هذه اللجنة ، الدكتور عبد الحميد يونس والأستاذ محمد زكى خورشيد ، مد الله فى عمرهما ، أن يحدثانا لماذا توقفت .

ولكن المهم ، فى نظرى ، انه خلال هذه السنين الكثيرة التى مضت منذ توقف عمل اللجنة ، لم تحاول اية مؤسسة حكومية أو « إقليمية » ان تتم العمل الذى بدأته !

قنديليات



بقلم : يحيى حقى

انفجار الصوتيات

رغم مرور أكثر من نصف قرن وتبدل الاجواء التي عشت تحتها لا أزال اذكر بطرب وتحنان صوت فلاح صعيدى سمعته سنة ١٩٢٩ وهو ينادى مجلجلا على زميل له فى حقل بعيد « ياواد يامحا » اسمه محمد ، كان الصوت البشرى اذا انطلق يذوب ويضمحل بعد مسافة غير طويلة وكان التحدى امام هذا الفلاح أن يعبر صوته النيل ليكون له هو « المعدية » « والكبرى » ..

ما أكثر الاوصاف التي نطلقها على العصر الحديث وأفضل ان اسميه عصر انفجار الصوتيات ، فقد امتد فيه صوت الانسان الى مسافات بعيدة بفضل « جراهام بل » التليفون ، وبفضل « ماركونى » الذى اطلق اشارة من ساحل ايرلندا الغربى فعبرت المحيط وسمعها الناس على الشاطىء الشرقى لامريكا ، ثم جاء « اديسون » فاصبحنا نسمع ايضا صوت

اجدادنا مسجلا على اسطوانات واختلطت اصوات الاجيال ..

ثم انظرنى الآن وأنا راقد فى فراشى وفى يدى تحت الغطاء جهاز فى حجم الكف من فرط إلفى له أستهين به ، فإذا بى بفضله اسمع أصواتا تأتينى من كافة انحاء الأرض

بل أسمع صوت حديث يجرى على سطح القمر .. اصوات لم أقابل أصحابها واشتاق أن أراهم رأى العين وإن كنت تلقيت يوما درسا يحذرنى من هذه الحماقة .

فى سنة ١٩٣٩ م كنت أعيش فى روما إبان توالى النذر تؤكد نشوب حرب عالمية ، اذنى معلقة بجهاز الراديو استمع الى نشرات الاخبار لايجذبنى منها إلا صوت مذيع فرنسى أجش ، كأنه ينبعث من كهف عميق يناسب اللحظة الحرجة ، وتصورته

رجلا ممتلىء الجسم ، يرتدى بدلة الاحد له رأس ضخم وفك عريض وشعر ناعم ينسدل على جبهته أحيانا .

وفى سنة ١٩٤٩ كنت فى باريس فكان اول همى أن أسعى إلى لقاء هذا الرجل الذى هز أعصابى ليلة بعد أخرى .

قابلته وليتنى لم اقابله اذ وجدت امامى رجلا نحيفا يرتدى بدلة مهملة له رأس خروف وفك ضيق ويلبس نظارة طبية كأنها الملاحة ، وكل شعرة فى رأسه تصلح لنزع غطاء من الفلين فى رقبة زجاجة .. تمتمت فى سرى أهو أنت .. ؟

وكما يحدث فى كل تقدم علمى مثلما يأتينا بالنفع العميم قد يجر علينا مصائب غير قليلة إذ اصبحنا نعيش أيضا فى عصر المذياع الذى يضخم الصوت البشرى ربما أكثر من ألف ألف مرة .. عمت الضجة الأرض كلها

وأصبحت من أوائل قائمة اسباب التلوث .

حضرت اخيرا حفلين للزفاف ، اقسم لك ان الضجة التى تملأ المكان الذى نحن فيه حتى تكاد تخرق طبلة اذنى ، ومن المستحيل أن أتحدث مع جار لصيق ، أتأمل وجوه الحاضرين ولا أرى أثرا للتأفف وأسأل نفسى هل الشعب المصرى قوى الاعصاب الى هذا الحد أم ليس له أعصاب بتاتا !!

صيحة الديمقراطية في الميكروفون الصيني

من يبدأ الدعوة لعقد الدولية الخامسة ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

لو لم يكن للصين الشعبية الا ضخامتها ، وان ربع البشر يعيشون على ارضها ، لكان من الطبيعي ان يكون لكل ما يحدث فيها من ظواهر اصداء واسعة تتردد في انحاء العالم وتؤثر على اشكال متفاوتة .. ولكن الصين لها الى جانب ذلك وضعها الخاص جنوب الاتحاد السوفييتي وتجاورها معه عبر حدود واسعة ، مما ادى الى ان تكون ثورتها ـ التى اتمت انتصارها في منتصف القرن العشرين ـ امتدادا مباشرا للثورة الروسية التى انتصرت في الربع الاول من هذا القرن الذى اشرف على نهايته . وان تكون بين الثورتين ، وبين البلدين الكبيرين علاقة جدلية بالمعنى الحرفي للكلمة ، تتردد ما بين التعاون والتآلف الحميم الى الاختلاف الذي يتجاوز حد الحوار الى الصراع العنيف احيانا ، وبين هذين الحدين يقع نوع من التفاني ومحاولة السبق في احوال كثيرة ..

وفي ظل هذه العلاقة ، لعبت الثورة الصينية ، دون أن تشعر ، دور المبلغ ، أو الميكروفون بالنسبة لمختلف الاتجاهات أو التيارات التى بدأت مع ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، والتى ما تزال تستجد حتى الآن في المعسكر الاشتراكي .. فتحول الثورة الديموقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية قد تم في روسيا على نحو سريع لم يستغرق الا بضعة شهور ، بحيث لم يتح للعالم ادراك طبيعة هذا التحول ، وأنما اتا-



ماوتسى تونج
ديمقراطية تسمح بوجود احزاب



دينج سياوبنج
قائد الاصلاح الاقتصادى

لخصوم الثورة فى الخارج تصويره على انه مجرد مؤامرة بلشفية أما فى الصين فقد استغرق هذا التحول اكثر من ثلاثين عاما منذ ثورة صن يات صن الديموقراطية عام ١٩١١ ، الى انتصار ثورة ماوتسى تونج الاشتراكية عام ١٩٤٩ ، عبر فلسفته الخاصة عن الثورة الصينية التى اطلق عليها اسم « ديموقراطية جديدة » • وبذلك أعطى لثورة العصر ملامحها الكاملة ، انها لا تنطلق ، ومن المستحيل أن تنطلق ، مثل ثورات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من مجرد الحاجة الى تحقيق الحرية السياسية فحسب ، بل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية أيضا •

وبالنسبة لبناء الاشتراكية : كان من المفترض ان حاجة روسيا بعد ثورتها الى اعادة بناء اقتصادها على أسس اشتراكية ، هو مجرد مصادفة بحكم تخلفها عن سائر المجتمعات الصناعية فى غرب أوربا ، التى اتمت الراسمالية بناء اقتصادها الصناعى ، وأن هذه الاخيرة هى البيئة الطبيعية للثورة الاشتراكية التى ينبغى أن تقوم بها الطبقة العاملة الضخمة المنظمة والواعية سياسيا • فاذا بماوتسى تونج يعيد وضع الهرم الثورى على قاعدته بدلا من رأسه ، ويعلن أن القوة الاساسية فى ثورته هى الفلاحون ، وان دور البروليتاريا ، أو الطبقة العاملة الصناعية لا يتجاوز حد القيادة من خلال فكرها العالمى أى الماركسية ، ويكشف بذلك عن طبيعة الثورة الاشتراكية التى شهدها العالم خلال هذا القرن ، انها لم تكن ثورة الطبقة العاملة الصناعية فى البلدان المتقدمة كما توقع كارل ماركس فى القرن التاسع عشر ، ولكنها

صيحة الديمقراطية

ثورة المجتمعات المتخلفة التي عجزت عن اللحاق بركب التطور الصناعي على أيدي الرأسمالية ، فكان من الضروري أن تقود القوى الاشتراكية فيها تحقيق هذا التطور ، وأن يعاد بناء اقتصادها على أسس اشتراكية . الامر الذي فتح الباب أمام البلدان النامية الحديثة الاستقلال الى اتخاذ الطريق ذاته على نحو مختلف ، ودون أن يكون على رأس ثوراتها الجديدة ماركسيون او اشتراكيون ملتزمون ، وكانت مصر في الستينيات من أبرز رموز هذا الطريق الجديد .

● وفاء المبادىء ●

وقد شهدت الصين في حقبة الخمسينيات ، التالية مباشرة لانتصار ثورتها، تطورا كبيرا في بناء اقتصادها على أسس اشتراكية ، وفي ظل « ديموقراطية » ماوتسي تونج الجديدة ، التي كانت تسمح بوجود أحزاب ثورية صغيرة الى جانب الحزب الشيوعي ، وكانت ارملة صن يات صن - على سبيل المثال - تشغل منصب رئيس مجلس الشعب الصيني ، وهي لم تكن شيوعية، ولكنها كانت وفية لمبادىء زوجها الديمقراطية ذات الصبغة الاصلاحية . وسادت شعارات من نوع « دع مائة زهرة تتفتح في بستان الاشتراكية ! »، ولم يتردد ماوتسي تونج في الاشادة «بالرفاق الرأسماليين» الذين يساهمون في بناء اقتصاد الصين الحديثة ، وكثير من الصينيين الذين نجحوا في تكوين ثروات في الخارج ، أساسا في الولايات المتحدة الامريكية ، عادوا الى بلادهم للمساهمة في بناء اقتصادها الحديث ولم يكن التعاون الاقتصادي مقصورا على الاتحاد السوفييتي وحده ، الذي قدم مساهمات كبيرة في بناء الصناعة الصينية ، بل امتد الى دول غرب أوروبا الصناعية ، بل ان بعض المصانع قد نشأت في انجلترا من أجل هدف محدد ، هو امداد الصين بما تحتاج اليه من آلات لصناعتها الوليدة . ونجحت الصين خلال تلك الفترة في توطيد علاقتها مع سائر البلدان النامية حديثة الاستقلال، وتشكيل ما عرف باسم الكتلة الافروآسيوية ، وكانت بمثابة جسر قوى يصل ما بين تلك الدول والعالم الاشتراكي .

● الثورة الثقافية ●

غير أن فترة الستينيات شهدت تحولا كبيرا في السياسة الصينية ، بعد وقوع الخلاف بينها وبين الاتحاد السوفييتي الذي اتخذ مظهر صراع شخصي بين ماوتسي تونج وخروشوف . وقد أسرف هذا الاخير في الاساءة الى الصين بقراره سحب الخبراء السوفييت من الصناعة الصينية مما ادى الى توقف الكثير من مصانعها . واعتبر ان استمرار المعونة الاقتصادية للصين انما يتم على حساب مستوى المعيشة في الاتحاد السوفييتي نظرا لضخامة الصين وبالتالي ضخامة احتياجاتها . وأعلن أن كل بلد اشتراكي عليه ان يسعى للوصول الى الشيوعية في دوره وطبقا لمستواه . فقد كان في رأيه أن مستوى الاقتصاد السوفييتي قد أصبح يمكنه من تطبيق الشيوعية في وقت قريب بمعنى اختفاء كل صور التفاوت في الدخول ! وكان يتوقع أن لا تحل فترة الثمانينيات الا وقد أصبح الاقتصاد السوفييتي أقوى من نظيره الامريكي !

الى اخر تلك الاحلام الوهمية ، التى تخلى عنها جورباتشوف صراحة فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفى الذى عقد فى العام الماضى ٠

ازاء هذا الصلف الذى اظهره خروشوف ازاء الصين قرر ماوتسيتونج المضى وحده ببلاده فى طريق جديد ، بعيد تماما عما اسماه نفوذ «الامبريالية الاشتراكية السوفيتية ! قرر أن تعتمد الصين على نفسها فحسب ، وأن تعمق مفهوم العدالة الاجتماعية فيها الى اقصى حد ولو على حساب الديموقراطية ٠ بل املى عليها أن تتبع طريقا اشبه ما يكون « بالشيوعية الطوبارية » التى لا تحتاج الى اقتصاد متطور لتطبيقها ، بل الى ارادة جماهيرية حديدية ، تلك هى سياسة « الكوميونات الزراعية » ، التى صاحبها ما اسماه بالثورة الثقافية لاستئصال شأفة المؤثرات الاجنبية والقديمة فى الفكر الصينى ، سواء فى ذلك موروثات التقليد الصينى ، أو بقايا الفكر البرجوازى الغربى ، أو آثار التبعية للاتحاد السوفييتى والحزب البلشفى ذى النزعة الشوفينية المتغطرسة ! ومن موقعه القيادى الهائل كمؤسس للصين الحديثة ، راح يحض على قيام التظاهرات الصاخبة وكتابة مجلات الحائط التى تحرض على اسقاط كثير من رفاقه الذين لم يرضوا عن تلك السياسة الجديدة ، وعلى رأسهم « ليوتشاوتشى » الذى كان يشغل منصب رئيس جمهورية الصين الشعبية ، وكان من بين ماخذ ماو عليه انه برجوازى النزعة يميل الى الاستمتاع بالثقافة البرجوازية مثل سماع موسيقى الغرب الكلاسيكية ومطالعة روايات شكسبير ! وكان من بين من وقع بهم النكال فى تلك الفترة وابعدوا عن مواقعهم « دينج سياو بنج » الزعيم الحالى للصين الشعبية بعد وفاة ماوتسى تونج وقائد حركتها الجديدة للاصلاح الاقتصادى ٠

الاصلاح والديموقراطية

لقد عاد دينج سياو بنج الى شعارات ماو القديمة فى الخمسينيات ، بعد أن لمس هو ورفاقه فى الحزب مقدار التدهور الذى أصاب الاقتصاد الصينى خلال حقبة الثورة الثقافية ، بل أدى أيضا الى تدهور قوتها العسكرية ، بحيث لم تتعرض القوات الصينية لمجرد الهجوم السوفييتى عليها على الحدود فحسب بل تطاولت عليها القوات الفيتنامية أيضا ولاتزال تفعل حتى الآن ! وفى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى على العالم والتعاون مع جميع القوى التى تتيح انعاش الاقتصاد الصينى ، اعلن دينج سياو بنج أن الحقائق الاقتصادية اقوى وأولى بالاعتبار من كل نظريات ماركس ولينين ٠٠ ولم ير بأسا على الصين الاشتراكية فى تعاطى ما سماه « جرعة غير ضارة » من الرأسمالية ، اشارة الى السماح بصورة متفاوتة من النشاط الاقتصادى الخاص فى الزراعة والخدمات والصناعات الصغيرة ، فضلا عن المشاريع المشتركة مع المؤسسات الاقتصادية العملاقة فى الغرب الرأسمالى من الشركات متعددة الجنسية ٠

وكما كان ماوتسى تونج يقف وراء التظاهرات التى قامت فى الستينيات تحقيقا للثورة الثقافية ، ضد رفاقه المعارضين لسياسته كما تقدم ، فان مختلف التقارير الصحفية فى وصف التظاهرات التى قام بها طلبة الجامعات الصينية فى أواخر العام المنصرم مطالبة بالديموقراطية وتعدد الاحزاب وحرية

صيحة الديمقراطية

الصحافة ، انما تنصب التحريض على تلك التظاهرات الى دينج سياو بنج نفسه على أساس ان وجهة نظره في الاصلاح الاقتصادى تقتضى أن يصاحبها اصلاح سياسى جذرى ، يصل الى حد اسقاط استئثار الحزب الشيوعى بالعمل السياسى ، والسماح بقيام أحزاب أخرى الى جانبه كما كان عليه الحال فى السنوات الاولى للثورة . وأن الذين يعارضون تلك التظاهرات أو يقومون باعتقال من قام بها من الطلبة ، انما هم من الكوادر الحزبية الوسطى التى تخشى ان تفقد سلطتها المطلقة . والتسامح النسبي الذى أظهرته السلطات الصينية ازاء الطلبة المتظاهرين يدل على أن وراءهم سندا قويا فى السلطة ، أو احساسا بأنهم على حق فيما يفعلون !

ومن السخف بطبيعة الحال اتهامهم بأنهم يستجيبون لتحريضات اذاعة صوت أمريكا ، أو تايوان ، فهؤلاء الشباب الذين يناهز سنهم العشرين هم أبناء الثورة وجيلها الجديد ، ومن الطبيعى ان تكون دوافعهم مشابهة بنفس القدر الذى دفع كثيرا من عمال بولندا الاشتراكية الى انشاء نقابة تضامن المستقلة .

● الدولية الخامسة ●

ان صيحة الديموقراطية التى انتظمت فى العالم الاشتراكى خلال السنوات الاخيرة ، بدءا من حركة النقابات المستقلة فى بولندا ، الى حرية النقد التى اطلقها جورباتشوف فى الاتحاد السوفييتى مقترنة بالنشاط الخاص فى فروع اقتصادية كثيرة ، فضلا عن اطلاق سراح كثير من المنشقين وعلى رأسهم العالم الذرى « سخاروف » ، والزعيم المسلم الذى كان يحتج على ترحيل المسلمين من القرم فى أيام ستالين .. هذه الصيحة قد بلغت مداها فى « الميكروفون » الصينى بالتظاهرات التى قام بها الطلبة الصينيون فى اكثر من مائة جامعة تضمها خمس عشرة مدينة من تلك الدولة الاشتراكية الضخمة ! وربما تثبت الايام أن « دينج سياو بنج» سوف يدخل التاريخ باعتباره قائد عودة الشيوعيين الى حظيرة الاشتراكية الديموقراطية !

على انه بغض النظر عن الموقف الشخصى لهذا الفرد أو ذاك ـ فان الحركة فى مجموعها تشير الى اتجاه التطور التاريخى على نحو لا يجرؤ على انكاره الا مكابر أو مغرض . لقد أصبح الاستبداد باسم الاشتراكية أو تحقيق مكاسب اقتصادية للجماهير مرفوضا من الضمير الانسانى فى كل مكان ، وذلك منذ ادانة فظائع ستالين فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ . وقد ثبت ان الاستبداد ـ وقد قامت الاشتراكية أساسا فى بلدان متخلفة اقتصاديا ـ انما يؤدى فى الواقع الى نشوء طبقات جديدة ، تحاول الاستئثار بكل ثمار تطبيق الاشتراكية على حساب الجماهير الكادحة وقد عبرت الطبقة العاملة البولندية عن هذه الحقيقة بوضوح ، حينما التفت حول نقابة تضامن المستقلة ، رافضة السلطة المطلقة البيروقراطية للحزب الشيوعى البولندى .. وأذكر فى هذا الصدد حوارا دار بينى وبين بعض الماركسيين البولنديين الذى هجروا الحزب الشيوعى وانضموا

الى نقابة تضامن وذلك خلال زيارة قمت بهـا لبولنـدا عام ١٩٨٢ وكتبت عنها « للهلال » انذاك ·

(انظر الهلال عددى فبراير ومارس عام ١٩٨٣) · فى هذا الحوار ناقشنا فكرة عقد دولية اشتراكية جديدة تقوم على أساس الديموقراطية وترفض فكرة ديكتاتورية البروليتاريا أو اية صـيغة استبدادية تعتبر تحويرا لها،وفي الوقت ذاته ترفض التخـلى عـن المكاسـب الاشتراكية للجماهير سواء فى المعسكر الاشتراكي او الدول التي اخذت بهـذا القدر أو ذاك من التطبيق الاشتراكي · بل تعتبر أن التمسك بالديمقراطية انما يؤدى الى تعميق المكاسب الاشـتراكية للجماهير ، ويلغى استبداد الطبقـة الجديدة وفسـادها وشراهتها معـا واقترحنا ان تكون هذه الدولية الجديدة هى الدوليـة الاشـتراكية الخامسة ·· حيث كانت الدوليـة الاولى هى التى حضرها كارل ماركس واعلن فيهامنصبه للاشتراكية العـلمية ، فى مواجهـة التيارات الاشتراكية الطوباوية التيكانت قائمة فى عصره · أما الدولية الثـانية فكانت تتشكل من الاحزاب الاشـتراكية الديمقـراطية التى تأخـذ معظمـها بالماركسية ، ولكنها تدهورت فى فـترة الحرب العالمية الاولى حينما وافقـت معظم الاحزاب التابعة لها على الاشتراك فى تلك الحرب التى كانت تدور ما بـين الدول الامبريالية فى صراعها عـلى تقسيم المستعمرات · وقد دعـا لينين أنصاره الى الانشقاق عن تلك الدوليـة وتكوين الدولية الثالثة أو الكومنترن من الاحزاب الشيوعية ، التى تأخذ بنظريته عن ديكتاتورية البروليتاريا · وقد تولى ستالين حل هذه الدولية خلال الحـرب العالمية الثانية ترضية لحلفائه من الدول الغربية · أما الدولية الرابعة فهى التى شكلها تروتسكي بعد انشقاقه عـلى ستالين ، ولم يكتب لها قدر يذكر مـن الاهمية التاريخية ·

ولكن الدولية الخامسة الاشـتراكية الديموقراطية ، التي ندعو اليها الآن ، تتوافر عناصرها فى جميع انحاء العالم، فمعظم الاحـزاب الشيوعية فى غـرب أوربـا قد اختارت طريق الديموقراطيـة وأعلنت تخليها عن مبـدأ ديكتاتورية البروليتاريا ، وأن أن تعود الوحـدة بينها وبين الاحـزاب الاشـتراكية الديموقراطية فى بلادها · كذلك تنمـو وتتصاعد التيارات الديموقراطية داخـل المعسكر الاشـتراكى من بولنـدا الى الاتحاد السوفييتى الى الصين · عـلى أن الحاجة الاسـاسية الى عقد هـذه الدولية واعلان مبادئها الديموقراطيـة الاشتراكية فى وضوح وجسارة انما هو فى البلدان النامية فى آسيا وافريقيـا وأمريكا اللاتينية · فكثير مـن هـذه البلدان تقوم فيهـا نظم اسـتبدادية ترتدى مسوح الاشـتراكية والتقدم ، وبعضها يعـلن انتماءه للماركسـية اللينينية ، وبعضها يعرض عـن ذلك · ولكن واقع الامر ان الاستبداد فيهـا يطغى على كل ما حققتـه أو يمـكن أن تحققه من مكاسب اقتصادية للجماهير ·· وقد آن أن يقـال لها ولجماهير شعوبها من على منبر عالمي صريح : ان آخر صيحة اشتراكية حقة هى الصيحة الديمقراطية ، وان مصالح الطبقـات العاملة والجماهير الشعبية بعامة انما تكمـن فى الربط الوثيـق ما بين الديموقـراطية السياسية والعـدل الاجتمـاعى ، اى الديموقـراطيـة الاقتصـادية !·

كتاب الشهر



إلى أين يذهب الفلسطينيون بعد الحدود الأخيرة؟

تأليف: ادوار سعيد

كاميرا: جين موهر بقلم: تحسين بشير

من محمود درويش الذى طالما استعان بشعره يستمد ادوارد سعيد عنوان كتابه هذا .. الذى قد يبدو للوهلة الاولى من تلك الكتب المصورة التى يعمل الصحافيون على انشائها وليس كاتبا بحجم وثقل ادوارد سعيد ، المفكر الفلسطيني النابه ، وصاحب القلم المميز .

يقول درويش :

الى اين نذهب بعد الحدود الاخيرة

اين تطير العصافير بعد السماء الاخيرة

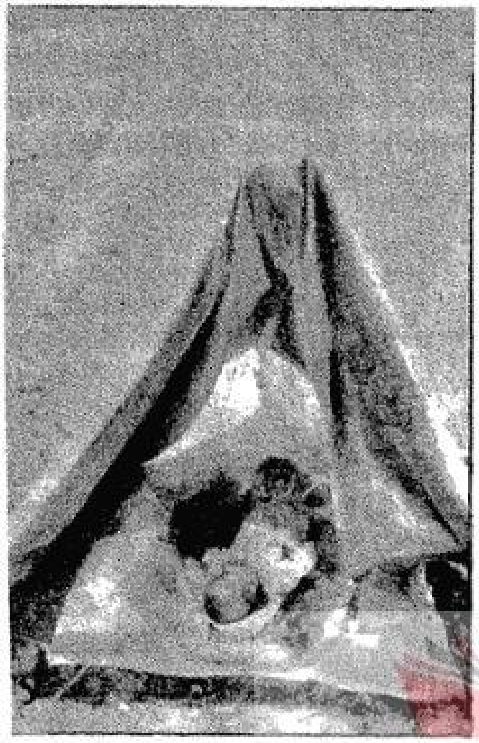
ومن هنا جاء النوان

لكن ما الذى دفع بادوارد سعيد الى ان يكتب مثل هذا الكتاب ؟

لقد نشأت فكرة هذا الكتاب المصور ـ كما يقول هو فى مقدمته ـ اثناء عمله مستشارا للاعداد لمؤتمر الامم المتحدة الذى اقيم فى جينيف عام ١٩٨٣ عن القضية الفلسطينية وكان قد سبق له ان تعرف على صور جين موهر ، المصور الذى تلتقط كاميراه روح الحياة قبل شكلها فاقترح ان توضع هذه المجموعة الحية من

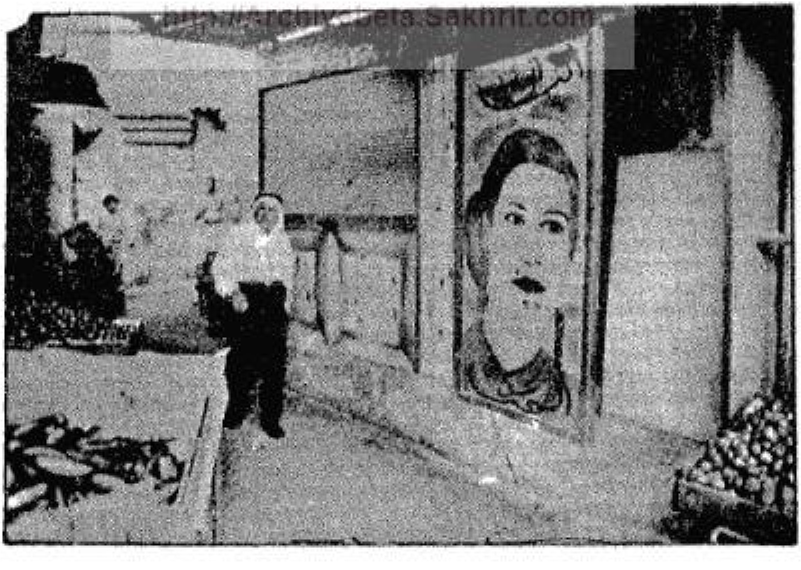


ضريح سيدنا ابراهيم فى الخليل . وتحول جزء من المسجد الى معبد يهودي ، يقوم بحمايته قوات جيش الاحتلال الاسرائيلى



مازال هذا الطفل ينام فى خيمة بالية فى صحراء النقب قرب بير سبع

صورة لأم كلثوم فى واحد من شوارع الناصرة



كتاب الشهر

الصور فى مدخل القاعة التى يقام بها المؤتمر .

وكان ادوارد سعيد قد وجد بهذه الطريقة حلا لمشكلة . التعبير عن الفلسطينيين كشعب حى ، ديناميكى وفعال له حياته الفنية الخاصة ، ورؤيته للعالم بكل ماتحتويه هذه الرؤية من تنوع وتضارب .. ومن امل والم ومايطرحه المنظور الانسانى من ثروة الابعاد الحية للشعب الفلسطينى تصعب صياغتها فى قوالب محددة او ادراجها فى تصنيفات سهلة .

● تعبير من منطلق جديد ●

واذا كانت « فلسطين » بالنسبة للانظمة قضية دائمة من الاعتداءات الاسرائيلية ومن التعاون بين الصهيونية والامبريالية لنزع حقوق الفلسطينيين ، واهدار كرامتهم وما الى ذلك من حجج ، ومناظرات سياسية اخلت بقدرة العالم على رؤية الفلسطينيين بعيدا عن جو الاتهام والهجوم والخلافات ، فان المؤلف والمصور هنا وضعا امام اعينهما هدفا واضحا هو التعبير عن الحياة الفلسطينية بما فيها من ثراء وخصب من منطلق جديد بعيدا عن التعميمات الفجة والصور السلبية التى تعمل الصهيونية على ترسيخها فى الوعى السياسى الغربى عن شعب فلسطين الذى جرد من ارضه ولايزال البعض يحاول تجريده من انسانيته بصك صورة له كإرهابى ملثم بالكوفية ومتمنطق بالكلاشينكاوف ، كما يحاول آخرون ان يعمم عن هذا الشعب صورة المنهزم والمنقسم المشتت الى غير ذلك من الصور التى تثير الأسى اكثر مما تدعو الى التفهم والتعاطف .

انه تحد صعب ، يساهم هذا العمل بجدارة فى الوصول اليه ، تحد يتطلب فك اسر الشعب الفلسطينى من الصورة السلبية التى طبعت عليه كجزء من الحرب النفسية والحرب السياسية التى اختزلت الحياة الفلسطينية الى مجرد دمية على لوح شطرنج وسلبته حق التعبير عن نفسه بحرية .

وهذه الصور تحكى ايضا خبرة الشعب الفلسطينى فى مواجهة الحياة تحت الاحتلال او تحت الحكم العربى او فى الشتات فى انحاء الكون .. خبرة فريدة تجمعها هذه الصور لانها بحكم واقعها الانسانى خبرة صعبة معقدة ومتغيرة لايمكن تجريدها بيسر ، والا اختلت ابعادها الغاربة فى ثنايا المأساة التى شكلت اغوار الخبرة الفلسطينية .

● التحدى الصعب ●

بالكلمة والصورة .. هذه تجربة الخوض فى اعماق المشكلة والتعبير عنها بما يطرحه من اجواء واساليب والوان ومشاعر للشعب الفلسطينى وهو يواجه بعملية



رغم حرب الابادة ، تمضي الحياة . واللقطة لعروسين في طريقهما إلى عش الزوجيه فى مخيم البداوى بطرابلس فى لبنان

تجريده من ارضه ومن تاريخه ومن ذاته وتشتيته فى اركان الارض .. ورغم كل ذلك نري هذا الشعب رؤى العين متماسكا فى مجتمع حى ، يؤكد شخصيته وترابطه رغم كل القيود والحدود .

التحدي صعب ومستمد والصورة معقدة ومتحركة والالام عميقة ، والافاق ضيقة قائمة ، ولكن الشعب يصر على الحياة ويتحدى اليأس والفشل ويواجه العنف والتشتت بتاكيد ذاته وبفرض ارادته .

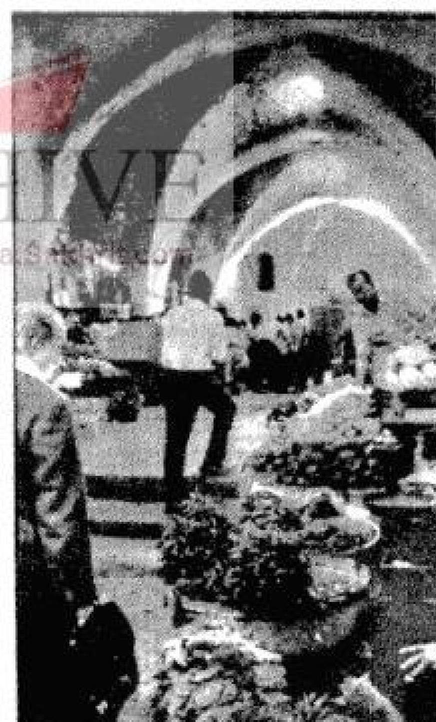
ان كلمات ادوارد سعيد ، وصور جين موهر تطرح صور الحياة الفلسطينية من معين حى يقول للعالم بأصوات مختلفة ان هنا مجتمع قومى فلسطيني يؤكد شخصيته وترابطه لأن الرابطة الانسانية العادة تفوق الزمان والمكان ، والشعب الحى يؤكد نفسه حتى ولو سلبت كل قطعة من ارضه .. انه يعيش تجربة شعب يبحث عن وطن ..

والسؤال هنا متى يتعلم الصهاينة الدرس ويدركوا ان الشعب الفلسطيني لابد من ان ينتصر لانه لابد من ان يكون له وطنه وهو موجود وهو لن يتخلى عن المطالبة به .

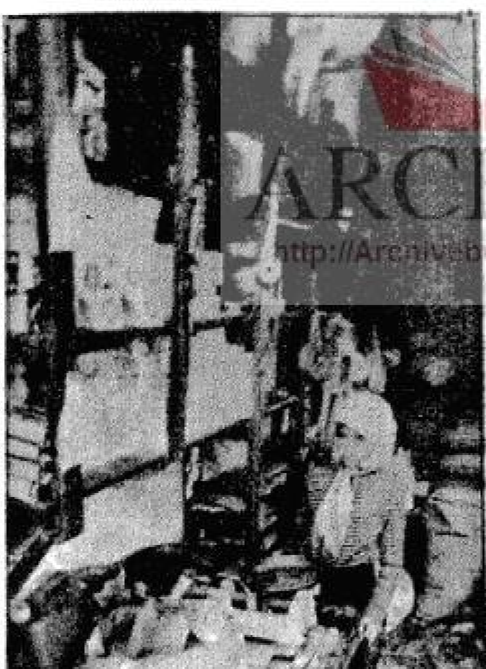
يبقى ان نعرف ان ادوارد سعيد هو استاذ الادب المقارن بجامعة كولومبيا فى الولايات المتحدة الامريكية ولد فى فلسطين ، ودرس حتى الثانوية فى مصر ثم تعلم فى جامعتى برنستن وهارفارد ، وحصل على اكبر مركز علمى فى الادب الانجليزى حققه عربى فى الولايات



السجادة تذكر أهل البيت بحياة الصحراء ، أم بدوية من بير سبع بعد استقرارهم في تل الشرقا ، ومازالت بقية القبائل تعيش في البادية



سوق الخضار داخل القدس العتيقة



محل بقالة في الخليل في قلب الحي القديم



حرصت الأم فى صورتها التذكارية مع ابنائها على ارتداء زيها التقليدى . والعائلة تعيش قرب مدينة الخليل



هكذا يدرس الكبار القرآن الكريم فى مدينة القدس . بجوار حائط مسجد سيدنا عمر بن الخطاب

بل على العكس حقق الكثير لشعبه بتفوقه العلمي واصراره على ان يتكلم بلا توقف عن قضية شعب ، كاشفا النظرة الخاطئة التى شوهت صورة العرب والمسلمين .
لقد كتب الكثير من الكتب وفيها تتجلى قدرته الفريدة على الصياغة وامتلاك ناحية ادواته ككاتب مهم ومن اهم هذه الكتب كتابه عن « الاستشراق » وكذلك كتابه عن « تغطية الاسلام » الذى يدرس كيف تقوم اجهزة الاعلام الامريكية بالتغطية الاعلامية للعالم الاسلامي ويجدها صورة مشوهة ومغرضة كذلك يأتى كتابه « المسألة الفلسطينية » على ناحية النقد العنيف للتناول الغربى للقضية الفلسطينية .

المتحدة . ولم يصل ادوارد سعيد الى هذا المركز المميز بالتنكر لشعبه وقوميته على الرغم من حصوله على الجنسية الامريكية

.. ان هذا العرض السريع ماهو الا دعوة حارة لقراءة الكتاب ، وتأمل صوره الحية الانسانية الملامح .

الاستيطان الإسرائيلى في الأراضي العربية المحتلة.. إلى أين؟

بقلم: د. على الدين هلال

الحديث عن الاستيطان الاسرائيلي هو حديث عن جوهر التجربة الاسرائيلية والايدولوجية الصهيونية، وهو يقودنا الى كل القضايا الثارة في اسرائيل فالاستيطان والهجرة مثلا هما وجهان لحقيقة واحدة، وسياسة اسرائيل في الاراضي المحتلة تجد تبريرها الايدولوجي من مفهوم ارض اسرائيل وحق اليهود في الاستيطان فيها . وقبل كل شيء وبعده فان اسرائيل تستند في وجودها الى مفهوم الاستيطان، وكان احد الاهداف الاساسية للحركة الصهيونية - ومازال - هو جمع يهود اتعالم وتهجيرهم الى فلسطين ..

وعلى المستوى الفكرى فان الاستيطان هو الاداة البشرية للحركة الصهيونية للسيطرة على الارض ، وارتبط ذلك بمفاهيم هامة مثل غزو الارض وغزو العمل . فالارض التى يشتريها الصندوق اليهودي تصبح نظريا ملكا « للشعب اليهودى » ولا يجوز ان يشتغل عليها عامل « غير يهودى » وعبر « يشاهو بن فورات » عضو الكنيست السابق عن اهمية موضوع الاستيطان بقوله :

« لا صهيونية بدون استيطان . ولا دولة يهودية بدون اخلاء العرب وبدون مصادرة اراض وتسييجها » .

● تدعيم الاستيطان ●

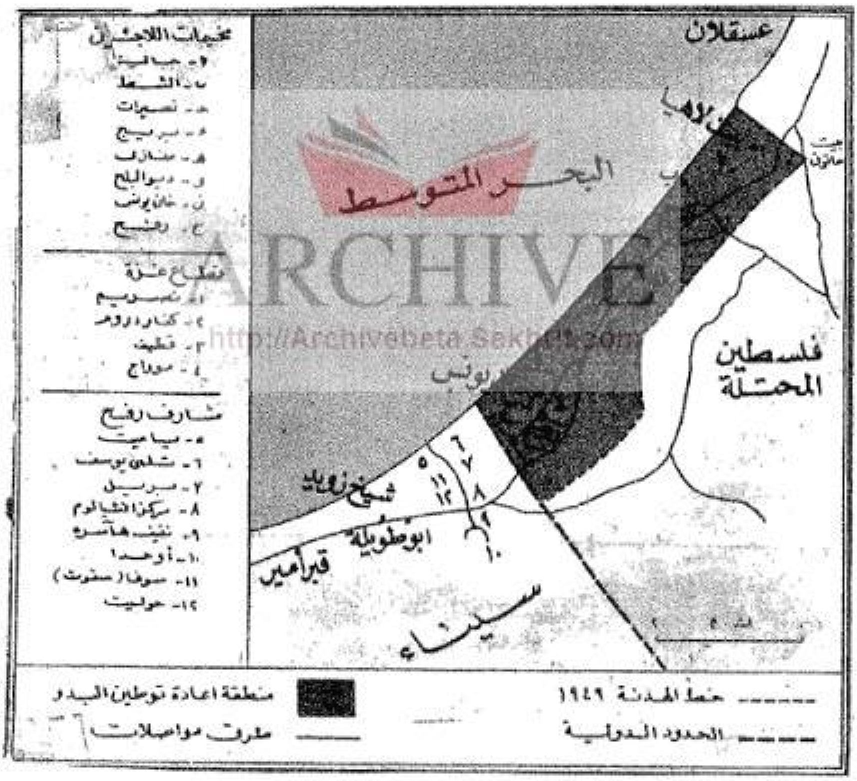
لذلك اقتنصت اسرائيل كل فرصة واستغلت كل مناسبة لتدعيم الاستيطان في الضفة الغربية وغزة . واتبعت مجموعة من السياسات للحصول على الارض بعد اخلائها من سكانها . ولتحقيق ذلك قامت بعدد من الممارسات بقصد خلق واقع جديد يكون من شانه تيئيس الفلسطينيين من امكانية تغيير هذا الوضع ، واجبارهم على مغادرة البلاد .

ويمكن تناول تلك الممارسات من زاويتين : الاستيلاء على الارض والاستيطان .

● اولا : الاستيلاء على الارض ●

قامت اسرائيل باستخدام كافة الالاعيب القانونية للاستيلاء على الارض ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى نهاية عام ١٩٨٥ استطاعت اسرائيل الاستيلاء على حوالى ٥٠٪ من اجمالى مساحة الضفة الغربية ولا يشمل ذلك الاراضى التى تم الاستيلاء عليها داخل المدن والقرى العربية ، كما استطاعت الاستيلاء على حوالى ثلث مساحة قطاع غزة . ويتم الاستيلاء على الارض بعدة طرق . اولها : مصادرة الاملاك الحكومية . فقد اعتبرت اسرائيل نفسها ممثلة للسلطة العامة فى البلاد وقامت بتعريف الاملاك الحكومية تعريفا واسعا تضمن « الاراضى المسجلة باسم الحكومة الاردنية ، والاراضى التى لا تجاوز المناطق السكنية » ، والاراضى التى لا يقيم عليها مالك ، والاراضى غير المستغلة خلال السنوات العشر الاخيرة !! واى اراض لا يستطيع مالكها اثبات ملكه لها تصبح تلقائيا من املاك الحكومة .

المستوطنات الاسرائيلية فى قطاع غزة



الاستيطان الإسرائيلى

وثانيها : الاستيلاء على املاك الغائبين وفقا للقانون الذى أصدرته اسرائيل عام ١٩٥٠ ٠

وثالثها : السيطرة على الارض بحجة المنفعة العامة وتمسكين المستوطنين من تلك الارض ٠

ورابعها : مصادرة الارض لاعتبارات الامن ، ويتم ذلك بمجرد اعلان الحاكم العسكرى اغلاق اى منطقة لاعتبارات امنية دون تحديد الاسباب التى دفعته الى اتخاذ هذا القرار ٠

وخامسها وسادسها: الشراء وخنق الزراعة العربية وحصارها ٠ وذلك باساليب شتى منها اعلان اسرائيل ملكيتها للمياه الجوفية فى الضفة الغربية ومنع العرب من حفر ابار ارتوازية جديدة الا بموافقة الحاكم العسكرى فى نفس الوقت الذى قامت فيه بحفر ابار عميقة للمستوطنات اثرت على كمية المياه الجوفية التى كان المزارعون الفلسطينيون يعتمدون عليها (ولتوضيح هذا الوضع نذكر ان سكان المستوطنات الذين يمثلون نسبة ٢ر٣٪ من مجموعة سكان الضفة الغربية يستخدمون ٣٠٪ من اجمالى استهلاك الماء فى المنطقة) ٠ ومنها عدم السماح للفلسطينيين بزراعة أو تجديد زراعة الحمضيات الا باذن الحاكم العسكرى ، وعدم امكانية التصدير للخارج الا من خلال الهيئات الاسرائيلية وعدم السماح ببيع انتاج غزة فى داخل اسرائيل ٠

● ثانيا : الاستيطان :

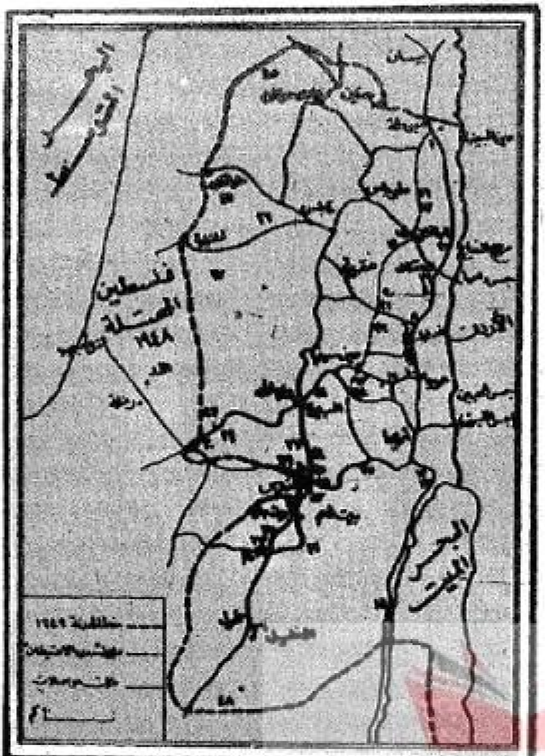
لا توجد ارقام دقيقة عن عدد المستوطنات ، والارقام التى ترد من كثير من المقالات تعوزها الدقة فهى تخلط احيانا بين الارقام التى تعبر عن مشاريع او خطط لبناء مستوطنات وتلك التى انشأت فعلا ، وكذلك تخلط احيانا أخرى بين تلك التى بدأ العمل منها ، وتلك التى تم اقامتها واستيطانها بالفعل ٠ لذلك نجد ان بعض المراجع العربية يرتفع برقم المستوطنات الى اكثر من ٢٠٠ وهو رقم مبالغ فيه فى تصورى ، والارجح ان عدد المستوطنات فى الضفة الغربية قد تجاوز المائة ، وانه فى قطاع غزه فى حدود خمس عشرة مستوطنة ٠

وتكشف متابعة النشاط الاستيطانى الاسرائيلى فى الارض المحتلة عن حقائق هامة تتعلق بالتصور الاسرائيلى لمستقبل الضفة الغربية وبالجهود المبذولة لتحقيق هذا التصور ٠

ويمكن القول ان وصول جبهة الليكود الى الحكم فى عام ١٩٧٧ قد اعطى دفعة كبيرة للحركة الاستيطانية ويتم الاستيطان وفقا لسياسة حكومية وبدعم من اجهزة الدولة ، ويقوم على انجازها عدد من الوزارات التى يتصل عملها مباشرة بالموضوع وهى الزراعة والاسكان والدفاع وكذا ادارة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبعض التنظيمات مثل جوش ايمونيم ٠ ويتم التنسيق بين هذه الانشطة بواسطة اللجنة الوزارية للاسكان ، التى تضم سبعة وزراء وسبعة ممثلين عن المنظمة الصهيونية العالمية ، ويقوم مجلس الوزراء فى النهاية باقرار السياسة ٠

ولتشجيع الاستيطان تقوم الحكومة الاسرائيلية بتقديم الحوافز اللازمة لذلك مثل اعطاء قروض لشراء مساكن وتسهيلات عند الدفع ويأخذ النشاط الاستيطانى عددا من الاشكال تتمثل فيما يلى :

● اقامة مستوطنات جديدة على اراض تم الاستيلاء عليها وعادة ما يبدأ النشاط بشق الطرق واقامة خزانات المياه ٠



المستوطنات الاسرائيلية فى
الضفة الغربية

١ ـ محولا .
٢ ـ ارجمون .
٣ ـ موقع مدنى تحت الانشاء .
٤ ـ مشواه .
٥ ـ موقع ريفى تحت الانشاء .
٦ ـ فصايل .
٧ ـ تومر .
٨ ـ جلجل .
٩ ـ نيتف هجدود
١٠ ـ نعران .
١١ ـ يطيف .
١٢ ـ الموج .
١٣ ـ كاليه .
١٤ ـ متسبى شاليم .
١٥ ـ ملكى يشوع .
١٦ ـ روعية « بكيموت سابقا »
١٧ ـ بكيموت .
١٨ ـ حمرة .
١٩ ـ مخورة .
٢٠ ـ جتيت .
٢١ ـ معالى افرايم .
٢٢ ـ ميثوشلواه
٢٣ ـ كوخاف هشاحر
٢٤ ـ راموتيم .
٢٥ ـ معالى ادوميم .

٢٦ ـ كفر اقدوم « الون مورى » .
٢٧ ـ مسحه « بيريم » .
٢٨ ـ عفره « بعل هاتزور » .
٢٩ ـ ميفوحورون « جمل » .
٣٠ ـ منتزه كندا .
٣١ ـ تكوع .
٣٢ ـ اليعزر .
٣٣ ـ روش صوريم .
٣٤ ـ الون شفوت .
٣٥ ـ كفار عصيون .
٣٦ ـ كريات اربع .
٣٧ ـ عطاروت .
٣٨ ـ نيفى يعقوب
٣٩ ـ راموت .
٤٠ أ ـ رامات اشكول .
٤٠ ب ـ منطقة سانهدرايا
٤٠ ج ـ نحلات دفنة .
٤٠ د ـ جفات هامفتار .
٤١ أ ـ التل الفرنسى .
٤١ ب ـ الجامعة العبرية «على جبل سكوبت »
٤٢ ـ جيلو .
٤٣ ـ طاليوت الشرقية .
٤٤ ـ الحى اليهودى .
٤٥ ـ ريحانيه .
٤٦ ـ زور ناتان « ب » .
٤٧ ـ ميفوحورون « ب » .
٤٨ ـ يتير « اوتنير » تحت الانشاء .

الاستيطان الإسرائيلى

● توسيع مستوطنات قائمة والاستيلاء على أراض جديدة مجاورة.

● اقامة احياء يهودية فى داخل المراكز الحضرية الفلسطينية الكثيفة بالسكان كما حدث فى مدينة الخليل.

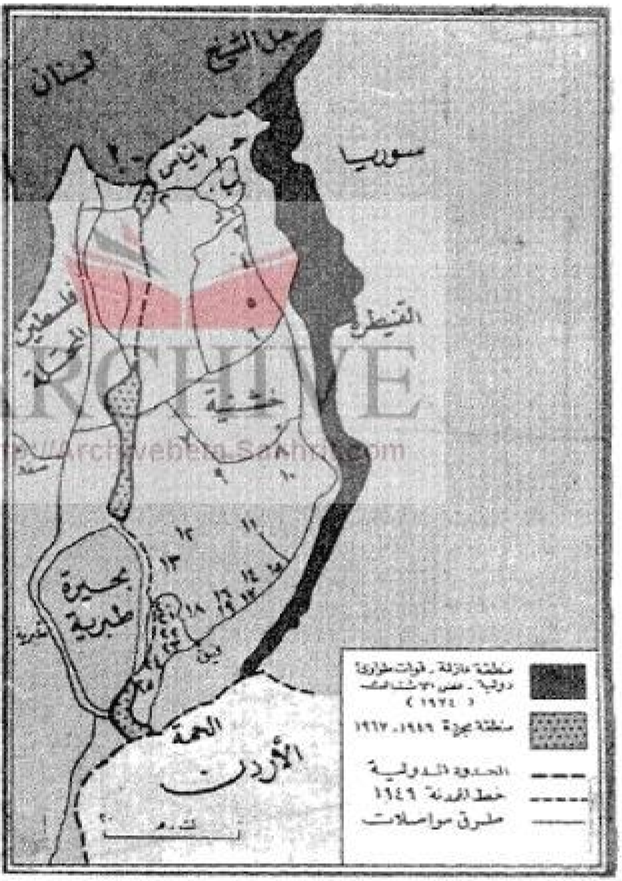
● محاصرة قرى ومراكز سكانية عربية بحزام من الاستيطان الصهيونى وتتم اقامة المستوطنات وفقا لتصور استراتيجى ، يهدف الى تقطيع أوصال الضفة الغربية . وفى دراسة للدكتور على جرباوى استاذ العلوم السياسية بجامعة بيرزيت ، عن الموضوع ، وصل الى القول بان الاستيطان الصهيونى يتركز فى قطاعين يمتدان عبر المنطقة من الشمال الى الجنوب. الاول فى الاغوار بموازاة نهر الاردن والثانى على الحافة الغربية لمرتفعات الضفة الغربية التى تطل على الساحل وينطلق من هذين القطاعين محاور استيطانية افقية تقطع الضفة الغربية عرضيا فى عدة اماكن ، وتقوم بربط

المستوطنات الاسرائيلية فى مرتفعات الجولان

١ ـ نيفى اتيف
٢ ـ شنير
٣ ـ هارادوم
٤ ـ الروم
٥ ـ مروم جولان
٦ ـ عين زيوان
٧ ـ قصرين
٨ ـ كيشيت
٩ ـ اينعام
١٠ ـ يوناتان
١٢ ـ جملا
١١ ـ نحل
١٣ ـ راموت
١٤ ـ مركز خسفين
١٥ ـ رامات مغشيميم
١٦ ـ افنى ايتان
١٧ ـ توف
١٨ ـ جشور
١٩ ـ أيلى عال
٢٠ ـ جيعات يؤاب
٢١ ـ مركز بنى يهودا
٢٢ ـ ناؤوت جولان
٢٣ ـ افيك
٢٤ ـ كفار حوريف
٢٥ ـ ميفوحمه

قرى عربية

أ ـ رجاز
ب ـ عين كينيا
ج ـ مجدل شمس
د ـ مسعدة



شبكة المستوطنات فيها بداخل الكيان الصهيوني • وبموجب هذه الخطة يتم تقطيع الضفة الغربية الى ثلاث شرائح طولية تحوى الوسطى منها حوالى ٦٥٪ من العرب وباستمرار تكثيف الاستيطان على جانبى تلك الشريحة يتم محاصرتها سكانيا وماديا وعسكريا •

● تأكيد الامر الواقع ●

ومن اهم الظواهر السياسية التى ارتبطت بعملية الاستيطان ، ظهور المستوطنين كقوة سياسية وعسكرية وتنظيم انفسهم فى مؤسسات وتنظيمات ادارية تنخرط كلها فيما يسمى«مجلس اليشوف اليهودى فى يهودا والسامرة وغزة » وتضم هيئات للتشريع والتنفيذ وتهدف تلك المؤسسات الى تأكيد الامر الواقع الجديد والحيلولة دون حدوث اية تسوية سياسية يكون من شأنها تغييره

ومن البرنامج الذى اصدره المجلس فى اغسطس ١٩٨٤ ورد فيه انه يعمل على تطبيق السيادة الاسرائيلية فى المناطق بكل السبل الممكنة • وعندما نتأمل من المجالس والهيئات المرتبطة بهذا المجلس فاننا نتذكر على الفور نفس المجالس والهيئات التى اقيمت فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وان ما نراه فى الضفة الغربية وغزة هو نواة •• « دولة فى الطريق » ليس دولة جديدة وانما استمرار وامتداد للدولة الاسرائيلة •

ويصدر المستوطنون صحيفة لهم (نكودا) وفى العدد ٧٥ منها كتب احد المتحدثين البارزين باسم المستوطنين (المحامى الميكسام هعتسانى) « ان دولة اسرائيل التى تتخلى عن السيادة الاسرائيلية فى يهودا والسامرة وغزه تفعل ذلك باسمها فقط • ان اليهود فى يهودا والسامرة وغزه لن يكونوا ملزمين بتصرف من هذا النوع • وفى ظروف كهذه ، هل يجوز لنا ان نتولى شئون القانون بانفسنا ؟ »

ولا يقتصر الامر على الدعوة والمطالبة بل قام المستوطنون بعمليات الهجوم على العرب وتخويفهم وارهابهم وفى العام الماضى قام حوالى ٦٠٠ من المستوطنين باظهار قوتهم التنظيمية والعسكرية عندما قاموا باغلاق ٣٠ مفرقا للطرق فى الضفة الغربية •• كما تم الكشف عن عدد من الجماعات الارهابية بين المستوطنين التى مارست عمليات عسكرية ضد العرب

● ضرورة التمسك بالارض ●

ان تحليل الاتجاهات المرتبطة بالاستيطان الصهيونى يشير اولا الى ما هو ابعد من الاستيلاء على الارض والاستيطان عليها بل نرى ظهور مؤسسات وهياكل اداريه وتطور قوة سياسية سوف تكون ذات تأثير على اى تسوية فى المستقبل •

ويشير ثانيا الى ان المعضلة الرئيسية التى تواجهها اسرائيل وسياسة الاستيطان فى الاراضى المحتلة هى استمرار بقاء الفلسطينيين عليها ، وان مجرد التمسك بالارض والاقامة عليها هى سلاح الدفاع الاخير ضد المخطط الصهيونى وكلما تزايد الفلسطينيون وتكاثروا فان المعضلة الاسرائيلية تحتدموتزداد حدة •

وثالثها ان واحدة من اهم المهام الملقاة على العرب اليوم هى دعم استمرار الفلسطينيين على اراضيهم وضمان استمرار فرص الكسب والعمل على الارض • فالارض هى سياج الحماية واذا ما فقدت فانه لا يمكن تعويضها باى مزايدات ثورية او خطابية • البقاء على الارض هو بداية الحكمة ومنها ينطلق كل شىء

●● فى الرواية العربية

فلسطينيون.. يعزفون لحن التخلّى

بقلم: فاروق عبدالقادر

● جبرا إبراهيم جبرا وجه متفرد فى الثقافة العربية المعاصرة: فلسطيني مقدسي، عاش طفولته وصباه وأول شبابه بين القدس وبيت لحم، وعرف أدب الغرب وثقافته فى «هارفارد» و«كيمبريدج»، وخرج من فلسطين فيمن خرج بعد ٤٨، ألقى مرساته على شط دجلة، وشارك فى الثقافة العراقية مبدعا وناقدا ومترجما (فى الأدب والتشكيل)، وعاملا بالتدريس والادارة، جوّاباً لعواصم العالم، متابعا للتجارب الجديدة فى آدابه وفنونه.

وحصاده اليوم من العمل الابداعي ليس بالقليل ولابالهين: مجموعتان شعريتان «تموز فى المدينة، ٥٩»، «والمدار المغلق، ٦٤» ومجموعة من القصص القصيرة «عرق وقصص أخرى، ٧٤» وثلاث روايات: «صراخ فى ليل طويل» و«السفينة، ٧٠»، ثم «البحث عن وليد مسعود، ٧٨»، بالاضافة لرواية رابعة هى «صيادون فى شارع ضيق»، كتبها ونشرها بالانجليزية فى ٦٠، وصدرت ترجمتها العربية، ولم يترجمها بنفسه، فى ٧٤، كما اشترك مع الدكتور عبد الرحمن منيف فى عمل روائى هو «عالم بلا خرائط، ٨٢».

وانني اعتقد أن ماأنجزه جبرا فى مجال الرواية اهم انجازاته، فهذا الشكل ـ بحرياته الواسعة فى اختيار الشخصيات والأحداث، وقدرته غير المحدودة على خلق العالم المتفرد الذى يعادل هذا العالم ويهدف إلى تخطيه ـ قد أتاح لجبرا أفضل عرض لتكوينه الفكرى والنفسى الفريد، وحصاده الثقافى الوفير، ويسّر له ـ إذا صدقنا مايقول به السيكولوجيون ـ أن «يفكك» De-Compose هذه الشخصية الواحدة ـ بتطور همومها المتفاعلة مع الواقع المتغير ـ فى عديد من الشخصيات.





ولاتخطىء العين عند جبرا ـ وأعنى فيمايلي عالمه الروائي فقط ـ هذا الهم الفلسطيني ، الذى هو جزء من ـ متلاحم مع ـ التخلف العربي الشامل ، بل إننا لو قرأنا أعماله الروائية فى تتابعها الزمنى لاستطعنا أن نرى هذا الهم فى تطوره ، وتفاعله مع أحداث الواقع من ناحية ، ومحاولة الارتقاء به من التعبير عن الخاص الى العام من الناحية الأخرى ، وقد حاول الروائي ـ في عمليه الأخيرين بوجه خاص ـ أن يقدم رؤية للانسان والحضارة ، والحب والحرية ، والفن والابداع . يقدمها على ألسنة أبطاله أكثر مما يقدمها فى أحداث أعماله ، فأبطاله جميعا يتعشقون الكلمات ويتلذذون بها . هل أسبق القول بأنها تكاد تكون عندهم بديلا للفعل لاتعبيرا عنه ؟ أن هذا قد يصدق على معرض أبطاله من أمين فى روايته الأولى حتى وليد مسعود فى الأخيرة (فرواية « عالم بلا خرائط » بحاجة لتناول خاص) ، مرورا بجميل فران وعدنان وتوفيق ووديع عساف ، ولأن أبطاله فلسطينيون أو عراقيون ، يسبغ المؤلف على كلا الشعبين صفات الشعر والشعراء : الفلسطينيون شعراء لأنهم عرفوا جمال الطبيعة والمأساة ، والعراقيون كذلك ، شعراء كانوا أو محاربين . وماأكثر جلسات النقاش ـ المغسولة دائما بصفاء الويسكي أو لذعة الكونياك أو حرارة العرق ، أو استكانات الشاى أن تعذر سواها ـ جلسات النقاش هذه امتياز وضعف معا : هي فى ذاتها متعة خاصة ، تدور بين نخبة خاصة من « المثقفين » الذين لايملون الحديث والعزف على الكلمات ، وهم مدعومون بزاد وافر من الذكاء واللماحية والقدرة على التعبير والاتيان بما يثير ويدهش ، وكلهم لهم تجارب حياة ثرية ، وكلهم على معرفة جيدة بتراث آداب الغرب وتاريخه ومعالم عواصمه وشيء من التراث العربى (لعله لايعدو بعض الطرائف والحكايات المدهشة) ، وهم جميعا مهتمون بالفن وقضايا التعبير الفنى ، مولعون بالمناقشة حتى وهم وقوف على قارعة طريق أو محترقون فى أتون لقاء جنسى عاصف ، وفى انثيال الكلمات متسع لكل شيء . لكن هذا نفسه مايكاد يطمس الخطوط القائمة بينهم ، ويجعل معظمهم صادرا عن

فلسطينيون.. يعزفون لحن التخلي

الحساب لاعن الحس ، والانفلات يأسر المؤلف أحيانا فتبقى أعماله مترددة بين التخطيط الصارم المعد سلفا وبين الاستسلام لتدفق الكلمات ، ولأنهم جميعا يصدرون عن فكر المؤلف وتجربة حياته ، فإنهم يكادون ينحلون الى نموذج نمطى واحد ، صحيح إنه فى تغير وتطور ، لكن النظرة المدققة الى هذا النموذج ستكشف عن « ثوابته » أكثر من « متغيراته » .

● لحن الخروج ●

خرج بطل « صراخ فى ليل طويل » بعد أن أحرق عالمه وراءه : هجرته امرأته فهجرها ، وضجر من المدينة التى عرفها من الداخل والخارج ، وهو لذلك يتركها غير آسف ، فقد قضى أكثر من عامين مربوطا بماضيه وماضيها ، هذا الرباط يتبدى فى صورتين : علاقة حسية بامرأته التى هجرته ، فهو يحلم بجسدها وبلحظات اشتعالهما معا فى كل حين ، ثم تلك الثرثرة الممتدة مع حفنة من المثقفين المحبطين الساخطين ، ومدينته تأخذ عنده وجها فى الماضى وآخر فى الحاضر : ماضيها يتمثل فى ذلك الكتاب الذى يكتبه عن واحدة من عائلاتها الغنية العريقة المنقرضة ، وحاضرها هو القبح والقمامة والفقر والدمامة والغوص فى البول والغائط حتى الركبتين ، وأهلها أسماك صغيرة ضائعة تتخبط فى حوض زجاجى آسن ومنتن ، وهو إذ يتخلى عن امرأته ـ مدينته فلكى يبدأ من جديد .. « ويظل يسير على مهل فى الطريق الخالى والنهار الجديد .. » غير أن الطريق لم تظل خالية طويلا ، ماهى إلا فترة قصيرة حتى كانت شوارع المدينة تمتد وتتشعب أمامى ، تملؤها جموع الناس ، ولم يكن من العسير على ـ حين حدقت فى عيونهم ـ أن أدرك أن الكثيرين منهم كانوا هائمين على وجوهم ، كما كنت هائما لسنتين مديدتين ، يبحثون عن نهار لليل طويل ، وبداية لحياة جديدة .. » « ص ٩٥ » .

إنها افتتاحية لحن خروج الفلسطينى بعد أن أحترقت مدينته ، فأحرق ماضيه وراءه .

« صيادون ... » هى الرواية التالية : انطلق جميل فران الى العمل بالتدريس فى بغداد ٤٩ ، والرواية تصور حياته فى المدينة آنذاك . وقبل أن نتابع بطلها وحياته يجدر أن نطرح سؤالا حول ضرورة كتابتها بالانجليزية ، إن هذا يعنى شيئا واحدا لاشك فيه ، هو أن الكاتب يحدد الجمهور الذى يصل اليه عمله ، وهو يعرف هذا الجمهور ويتوجه اليه ، كما سنرى .

وإذا نحن نظرنا لهؤلاء الصيادين ومايحاولون صيده فسنجد شيئا واحدا مؤكدا كذلك : إن كلا منهم لم يرجع إلا بالأصداف الفارغة وملح البحار ، كلهم ، كلهم ضائعون ، يمارسون أنشطة غير مجدية ، يستوى فى هذا داعية البداوة الذى يرى الضرر ، كل الضرر ، فى الحضارة الحديثة ، والخلاص ، كل الخلاص ، بالعودة الى البادية ، الفن عنده قيىء الحضارة لأن الحضارة مرض ، وركوب الحصان أجدى من السيارة وأكثر اصالة ، ورجال المدن ذوو طراوة يعجزون عن إشباع نسائهم ، لذا تجدهن متهتكات أو مساحقات . هذا البدوى داعية

الصحراء والبعير والمواشي الثاغية والغزوات وعين الله التي ترعى هذا كله . لايفعل في حقيقة الأمر سوى أن يثرثر طويلا بين جماعة من « المثقفين » ـ هو حاصل ، بالمناسبة ، على ليسانس في الحقوق ـ ثم يمضي يلتمس راقصة في أحد كباريهات المدينة ، لأنها تمثل عنده الحضارة ، فهي بيضاء ، تملك أجمل فخذين في بغداد . وفي مقابل توفيق تقف شخصية « الثوري » الذي يتحدث طويلا ، كالمعتاد ، عن الثورة والجماهير ، ويرى أن الفن يجب أن يستمد موضوعاته من حياة الفلاحين ، أو المعدمين والمتسولين والمجرمين ، أو كل من يحتقره المجتمع ويعتبره من حثالته . هذا « الثوري » ـ يعترف لنا جميل بأنه لايبالي به مقدار ذرة ـ حين يتكلم سرعان مايكشف عن يأس وانهيار : « هذا البلد لاخير فيه ياعدنان . أنا أعتزم السفر .. اسمع ، كفانا مشاكل ـ مانفع قراءة الكتب أو تعلم أي شيء في بلد مثل هذا ؟ .. » (ص ٢٢٧) ، هذا هو « النموذج الثوري » بين الصيادين ، يقدمه الكاتب موضوعا للاحتقار من جانبه وجانب أصدقائه على السواء . ثم هناك عدنان : ابن عائلة اقطاعية كبيرة يتكرها وتتنكره (لكن هذا بطبيعة الحال ، لايحول بينه وبين أن يعيش على دخل من ميراثه عنها) ، يقضي نهاره وليله في المقاهي والحانات ، يعتبر نفسه ثوريا في الفن (الشعر) والحياة ، وهو في حقيقته فوضوي صادر عن رغبة عاتية في أن يرى كل قائم ينقض ، ولابديل عنده يقدمه .

بقي أن نتعرف على جميل فران نفسه ، وننظر اليه عن قرب : هو الشخصية الرئيسة ، يشحنه الكاتب بطاقة (نرجسية) هائلة ، ويجهد في أن يجعلنا نرى بغداد وفلسطين والأحداث فيهما بعينيه فلسطيني خرج للتدريس في بغداد ٤٩ ، بعد أن سقطت القدس ، وترك تحت انقاضها حبه الأول ، ووراءه في بيت لحم عائلة تنتظر العون ، يأتي الى مدينة الرشيد غير مبتهج ، ويرى أولئك الصيادين لكنه مترفع عنهم ، متعال عليهم ، لاأصدقاء له بينهم ، وأن زعم غير ذلك ، لايجد نفسه إلا في حفلات الكوكتيل حيث يدور الحديث ـ بالانجليزية طبعا ـ حول سومر وأشور والفن والحضارة ، بين عدد من العاملين في السفارة البريطانية وغيرهم من المتسترين وراء دراسة الاركيولوجي أو العاملين بالمؤسسات البريطانية . إن ترك هذه الحفلات فليس ثم سوى الضجيج والتخلف والعفن في شوارع بغداد وأزقتها ، وهو يحتقر هؤلاء المثقفين المساكين ، وينبهر بداعية البداوة ويراه أصيلا ، وإن اختلف معه ألا يحق هذا للعائد من كيمبريدج ؟

● بطاقة بريد سياحية ●

كيف يرى هذا العائد من كيمبريدج ماحدث على أرض بلاده ، فلسطين ؟ إنه يرى ـ في نقاش مع عدنان ـ أن الاعتماد على الرعاع كان السبب الأساسي في ضياع ماضاع .. « فما لم ننتظم على نطاق واسع ، وكان لنا وكلاء في أوربا وأمريكا ، وحصلنا على تأييد حكومة أو حكومتين فمن السخف حتى أن نبحث الأمر ص ١٤٨ ، هذا هو الأمر إذن : مالم يحصل الفلسطينيون على تأييد حكومة أو حكومتين في أوربا وأمريكا (فقط) ، لما كان أمامهم أمل ، لا في استعادة ماضاع ، بل لمجرد الرد على العد

فلسطينيون.. يعزفون لحن التخلى

أرأيت لماذا كتب جبرا روايته بالانجليزية ولماذا لم يترجمها بنفسه ؟

وهذا ماراى جميل فران فى بغداد نهاية الأربعينيات : مدينة قذرة متخلفة ، تنضح شوارعها وأزقتها بالعفن والقمامة ، مثقفوها ضائعون ، تائهون متخبطون ، يهزمون أنفسهم قبل أن تهزمهم القوى المعادية ، الأصالة عندهم تحجر وجمود ورفض لكل تطور ، والمعاصرة عندهم انطلاق جامح لايبالى باحترام الجسد وكبرياء الانسان ، قوم لم يرثوا سوى مجد غابر انتهى لغير رجعة ، فى حاضر مضطرب يفوح بالتفسخ والتحلل ، وليس للناس الذين يحاولون الارتفاع فوق الفقر والعفن إلا الثرثرة حتى الاملال ، والسكر حتى القيىء ، مباتهم انتفاضات غوغائية ، بصفات عابرة ماأسرع ماتجف تحت شمس بغداد اللاهبة (لاحظ أن هذه الانتفاضات التى حدثت فى ٤٨ / ٤٩ ، والتى لعبت دورا فى تحول الأحداث وتصعيد العنف والعنف المضاد فى عراق الأربعينيات وماتلاها) .

« صيادون فى شارع ضيق » بطاقة بريد سياحية ، يرسلها فلسطينى مستغرب ، يخاطب فيها رفاق كيمبريدج ومن إليهم ، وهؤلاء ذوو ذوق رفيع وفهم متألق ، يستطيعون أن يفهموا رسالته حق ، وقد أسلفنا رأيه فى قضية فلسطين ورؤيته لما يحدث فى الواقع العربى ، بطاقة تقف عندما يروق لعين السائح العابر ، عين لاتود — ولايعنيها — أن تعى جوهر الحاضر ، فتكر راجعة الى أطلال بابل وسومر وآشور ، ولاتلتقط من الواقع المعيش إلا مايؤكد تفوقها ، وتفوق « النخبة » التى تنفصل عن تلك الكتلة الغوغائية ، فى الفكر والسلوك جميعا .

● نضج تكنيكى ●

على نحو من الأنحاء تبدو الرواية التالية « السفينة ، ٧٠ » ذات مستوى من النضج التكنيكى والأسلوبى يتجاوز العملين السابقين ، ويشير إلى درجة من التمرس تحققت لجبرا عبر سنوات طويلة من ممارسة التعبير بالعربية : شعرا ونثرا ، ابداعا ونقدا ، تأليفا وترجمة .

هى رواية مكثفة مركزة ، استطاع الكاتب فى صفحاتها — التى تقارب المائتين والخمسين — أن يقدم لنا عددا كبيرا من الشخصيات الرئيسة والتابعة ، فى ماضيها وحاضرها ، فى جدها وهذرها ، فى صحوها وسكرها ، فى تمردها على تكوينها النفسى واستسلامها له ، وأن يشد خيوطها معا بحيث يجعل « بؤرة أحداثه » فوق ظهر السفينة : هى احدى السفن الصغيرة التى تطوف بموانىء المتوسط ، حملت فى واحدة من رحلاتها تلك الشخصيات التى لايبدو اجتماعها محتملا إلا عبر سلسلة طويلة من المصادفات ، وزمن الرواية لايتجاوز الأيام القليلة التى تقضيها السفينة بين بيروت ونابولى ، أيام قليلة لكنها عاصفة ، تتفجر فيها الأحقاد والشهوات والعواطف ، وتنبثق الذكريات القديمة وتتدافع ، وكالمألوف فى عالم جبرا لايكف الأبطال عن النقاش والتفلسف حول كل شىء ، من تاريخ الانسان ، والحضارة ، والفن ، إلى

الواقع العربى وقضية فلسطين . وتتناثر حولهم أسماء دستويفسكى وتوماس الاكوينى وكامى وفيدياس ولوركا وفرانشيسكو سلمينا وبلزاك وكافكا وبوتشيلى ، وتتساقط كلمات الطغيان والحرية . والثورة والايديولوجيا . وهم جميعا مؤهلون لأن يطلقوا كل تلك الكلمات لمى : درست الفلسفة فى كيمبريدج ، وعصام درس الهندسة فى لندن ، ووديع : درس الفلسفة فى الجامعة الأمريكية ببيروت قبل أن ينغمس فى بغاء التجارة ، ويمارس الرسم للخلاص من كوابيسه الخاصة ، وفالح : درس الطب فى أدنبرة . حتى الشخصيات التابعة لديها المبررات لخوض النقاش دون كلل : محمود الراشد : مشتغل بالسياسة وتدريس العلوم السياسية ، يوسف حداد : يكتب الشعر الحديث ، فرناند جوميز : عازف جيتار من اسبانيا . هى مجموعة منتقاة إذن ، وبوسعها أن تطرح كل القضايا ، دون أن يبدو هذا بعيدا عن بنائها الفكرى والنفسى .. أو .. كما قال !.

لكننا نحس أن وديع عساف أهم هذه الشخصيات ، وأكثرها تكاملا واستواء كشخصية روائية ، هى الشخصية التى تحظى من المؤلف بالاهتمام الأوفى ، وهى الشخصية التى تكاد أن نعرف كل شىء عن ماضيها وحاضرها ، وأرائها فى كل تلك القضايا وبقية شخصيات السفينة . فلنكتف ، هنا ، بالنظر إلى وديع ، وأغلب الظن لن يترك لنا شيئا لنستنتجه ، فهو عاصفة من الكلمات ، أكثر شخصيات السفينة ولعا بها ولعبا على أوتارها : فلسطينى من القدس (ذلك ثابت آخر من ثوابت عالم جبرا ، كذلك كان جميل فران ، وكذلك سيكون وليد مسعود) ، نفى عن جذوره يوم أضاع أرضه ، وكوفىء عن ذلك بمكتب استيراد وتصدير ناجح فى الكويت ، أعزب فى الثالثة والأربعين ، يحب طبيبة فى بيروت ويلقاها كلما هرب من جحيم الكويت ، يقرأ ويطوف فى عواصم العالم يطارد اللذة والنساء ويحلم بالعودة الى القدس : « الأرض التى اشتريتها فى مرتفع وراء كروم حلحول أفضل من ألف امرأة ، سأزرعها بيدى ، سأهجر بغاء التجارة ، سأزرع الكروم وأشجار الصنوبر والبندورة والتفاح ، سأحفر آبارا ارتوازية ، هذه العشرون ألف دينار التى جمعتها ستكفى لأن أمد لى جذرا عميقا فى أرضى من جديد .. » (ص ٤٥) . ومرة أخرى ينهى الينا حلمه على نحو أكثر تفصيلا : « سأجمع قطرات المطر ، وسأتزوج حالما ارجع ، لكى أجمع بين المرأة والأرض ، فى العمر ، بعد ، شىء من متسع ، أريد أن أنجب عشرة أولاد قبل أن أبلغ الستين .. وسأرسم .. سأرسم صخورنا وأشجار الزيتون .. طبعا سأزود نفسى بألف اسطوانة موسيقية .. وكلما جن البشر من جديد زرعت مائة شجرة أخرى .. سيصطرعون فوق رأسى هذا لاشك فيه ، وسأختفى فى بيتى بندقيتين وبضع قنابل .. ومن هناك سأعمل على تقريب الساعة الحاسمة .. » (ص ٨٨ ـ ٨٩ » . هكذا يتصور وديع عساف أن يفى بالوعد الذى قطعه على نفسه حين ارتمى صديق صباه وأول شبابه بين يديه صريعا برصاصات اليهود (أيار ٤٨) وعيناه جمرتان متقدتان متجهتان نحو أسوار القدس : « مشيت بين الزيتون على الشوك ، بين الصخور ، والرشاش معلق

فلسطينيون.. يعزفون لحن التخلي

على كتفي تحت ذراع فايز المهدلة ، مجنونان فى برية من الموت ، وعندما وضعته عن ظهرى لأستريح أقسمت أننى سأعود ، بشكل ما ، غازيا أو متلصصا أو قاتلا ، سأعود حتى لو قتيلا على صخرة .. » (ص ٧) ، ولكن ، ماهى تلك « الساعة الحاسمة » التى يعمل وديع على تقريبها ؟ ، نحن لانجد جوابا واضحا ، لكنها تخايلنا ، مثل الرؤى التى تخايله هو نفسه ، مرة واحدة يتحدث الى الدكتور فالح حسيب على هذا النحو :

ـ « المهمة يادكتور .. لابد أن ننجزها .. هى كل شىء : فلسطين ، المستقبل ، الحرية .

ـ وهل ترى بين هذه صلة تستطيع تعيينها ؟

ـ هذا ماأراه ، ولاأرى غيره .. » (ص ١٢٢) .

غير أن عصام السلمان ـ المفتون بشخصية وديع « من النظرة الأولى » ـ يغامر ـ بعد ليلة عاصفة من الكلمات ـ بأن يرسم لنا شخصية وديع من حيث هو مشارك فى نشاط خاص يعمل على تحشيد فدائيين فلسطينيين وتدريبهم ، للتوغل داخل حدود الصهاينة ، وضربهم فى الأرض المحتلة ، ويعيد بناء شخصيته فى نفسه : « هو الآن ـ كمدينته ـ مشطور منفصم ، وعليه أن يعيد الى النفس وحدتها ، لابد من استعادة الثالوث بأكمله ـ بالدم ، من هنا كانت ضرورة التحشيد ، ضرورة الفداء .. » (ص ١٠٥) . لكن المشكلة الحقيقية هنا ـ وهى القضية الأساسية فى السفينة ـ أن وديع عساف لايستطيع أن يقنعنا بأنه ماض فى تحقيق حلم العودة ، الأمر أقرب لأن يكون كهفا من تلك الكهوف التى برع نموذج الفلسطينى المتخلى فى اعدادها ـ بديلا للأرض التى ضاعت والانسانية التى انتهكت ـ ليلوذ بها إن هجس بخاطره هاجس الوطن ، ولعلك تلاحظ انه كهف معد بأناقة وثراء وترف ! ، وهو يرى « للهرب اشكال لا تحصى ، ومأساتنا الحقيقية هى أننا ـ ذهبنا ـ هروبيون ، كلنا شعراء وان لم نقل الشعر ، تغرينا الأخيلة فنلحق بها حيثما تأخذنا ، وتبقى الحقائق الفعالة وراءنا .. » (ص ١٢٤) ، وهو « يسقط « هروب على رفاقه فى السفينة ، فكلهم هاربون : عصام هارب من حب لمى ومن أرض بغداد ، وفالح هارب من الشر فى العالم ، ومحمود هارب من ماضيه السياسى المثقل ، فالكل هاربون دون جدوى ، ثم إن آراءه فى الفن تعكس هذا التوجه : إنه « يهرب » إلى الفن ، يهرب من كوابيسه الخاصة ومن بشاعة العالم الى شىء من الوهم ، شىء من الجنون ، وهو لايستخدم الفن فقط فى هروبه ، بل يستخدم الآخرين كذلك . فهم ليسوا عنده سوى « أدوات » لتطهير روحه من خطيئتها ، والحق انها خطيئة مزدوجة ، فلنقل : خطيئة يحملها بين جنبيه من حيث هو مسيحى « لازالت عواطفه تتحرك بموسيقى الكنيسة .. » (ص ٢٣) ، وخطيئة أخرى طازجة من حيث هو فلسطينى هارب ، ولاتفلح كل الوسائل فى تحقيق أمنه الداخلى . إنه ـ على التحديد ـ يحاول الهرب من شعور طاغ بالذنب ، فيملأ لحظات حياته بالبحث عن المال





من اعمال الأديب
جبرا ابراهيم جبرا

واللذة وعشق النساء وصداقة الرجال والتلاعب بالعواطف والعزف على الكلمات .. أكوام الكلمات . ويقول عن نفسه بوضوح : « أنا مقامر عريق ، لايأخذني « البلف » بسهولة ولااقبل الخسارة بسهولة .. خسارات كثيرة قامرت واقامر دائما للتعويض عنها .. » (ص ٤٨) ، ولما كانت المقامرة ـ فى جوهرها ـ تعنى الرغبة فى الغاء العالم الواقعى ، ثم اعادة خلقه من جديد على نحو سحرى ، فان هذا نفس مايفعله وديع عساف : هرب من شعوره الطاغي بالذنب ـ كفلسطيني متخل ـ بأن وجد خلاصه الفردي : هذا الثراء والنجاح الذى حققه فى حياته العملية ، والطواف الحر بين مدن العالم ، مثرثرا ، لاهيا بالكلمات والعواطف ، وأن أمضته الذكرى أو أثقل ضميره هاجس الوطن ، فثمة هذا الكهف الذى أعده باناقة وثراء وترف لورد انجليزى قديم ، وسيصطرع العالم فوق رأسه ، لكنه يطمئننا : فلن ينسى أن يجعل تحت سقفه بندقيتين وبضع قنابل !

إن وديع عساف عاجز عن التماس السبيل الحقيقى للخلاص ، لانه ـ فى قوقعته المترفة تلك ـ لايرى جماهير الناس الساعية نحو الهدف نفسه ، لكنها لاتهرب الى الحلم أو الوهم أو الجنون .

وقال جبرا لقرائه فى ١٩٧٠ : هذا فلسطيني اليوم ، وتلك همومه وهواجسه . وتلك نقطة الضعف الأساسية فى « السفينة » . على أننى اميل للاعتقاد بأن « السفينة » مكتوبة قبل ٦٧ ، حين كانت القدس مدينة منشطرة بالفعل (وتلك فكرة هامة فى تكوين شخصية وديع عساف) .

وحين كانت الانطلاقة الفلسطينية المسلحة لازالت تعانى الام الميلاد ، لم يتضح لها طريقها بين نظم ورقبة تلوح بخوض حرب هى أعجز من أن تخوضها .

وجاءت السنوات العشر التالية على ٦٧ حاسمة بالنسبة لتطور هذه الانطلاقة : سقطت فلسطين من البحر الى النهر ، وتكشف عجز النظم وتواطؤها ، وقدر معرفة هذه الانطلاقة لسبيلها وسط التناقضات وآثار الدمار الذى احدثته ٦٧ ، قدر مايتزايد حولها الحصار ، وإسرائيل بالمرصاد ، تمد ذراعها ـ بين الخانعين

فلسطينيون..
يعزفون لحن التخلي

وللمتواطئين - فتصل ضربتها لحيث تريد ، ثم تمضي بمنجاة من العقاب ، ودماء الفلسطينيين لازالت - كما كانت - سلعة التجار والمزايدين وباعة الدم المسفوك .

وفي ٧٨ أصدر جبرا روايته الرابعة الهامة « البحث عن وليد مسعود » لتمثل انضج وأرقى مستوى بلغة جبرا من حيث المضمون والبناء واللغة جميعا ، وواحدة من النماذج ذات الاحكام النادر في الرواية العربية .

● مأساة شخصية ●

فمن هو - إذن - وليد مسعود ؟ وهل يمثل تجاوزا - من أى نوع - لنموذج الفلسطيني الذى قدمه جبرا في عمليه السابقين ؟ فيم يتفق .. وعلام يختلف ؟

أبادر الى القول بأنه - مثلهم - واحد من « النخبة » الفلسطينية التى خرجت الى العالم الواسع بعد ٤٩ ، ومثل جميل فران ألقى رحاله في بغداد ، ومثل وديع عساف عمل بدنيا المال (مصرفيا هذه المرة وليس تاجرا) ، ومثلهما تظل القدس هى الرؤية العالقة بين جفنيه (وهو هنا تتاح له فرصة لم تتح لجميل أو وديع : أن يعود ليرى القدس مع امرأة تعشقه) ، ومثلهما أيضا هو متوجه نحو الغرب (بعد أن درس اللاهوت في إيطاليا درس الاقتصاد في لندن) ، ومثلهما ايضا هو مسيحي الأعماق مهما بدا غير ذلك : تفتنه منذ الطفولة صورة النبى المنفى ، الصوت الصارخ في البرية ، وهو في قمة نشوته الجنسية يرتل مع جوقة المرتلين باللاتينية ويرقص على أنغامها ، ومثلهما هو ايضا مولع بالكلمات ، عازف ماهر على أوتارها في الحديث والكتابة ، يقول عن نفسه في التسجيل الأخير . « أنا الغنى وأموالى الكلمات .. » ، ومثلهما أيضا لابد من مأساة شخصية تفتح عينيه على بشاعة المأساة الشاملة : ترك جميل حبيبته الأولى تحت انقاض القدس ، وترك وديع صديق صباه وعيناه متجهتان نحو اسوارها .. وفقد وليد واحدا من اخوته ، ومثلهما أخيرا هو محط شبق النساء وعواطف الرجال ، بل لعل هذا الجانب من وليد يتجاوزه عند النموذجين السابقين عليه ، وأياما كانت الدوافع التى ألقت بمريم ووصال - اللتين عرفناهما اكثر من سواهما - إلى فراشه ، فكل التفاصيل في الرواية توحي بأن حياته كانت سلسلة متصلة الحلقات من الغزوات المعطرة ، وان كان في هذه العلاقات - مثل سابقيه - موضوع الطراد ، وليس المطارد ! .

الاختلاف الجديد والهام هنا هو أن المؤلف يحاول أن يدخل بطله الفلسطيني دائرة النار : فهذا رجل شارك في عمليات ٤٨ ، وانضم الى جيش الانقاذ ، وكان على علاقة « بفتح » لم تنقطع ، ويروى لنا عن الترتيب لضرب العدو المرة بعد المرة ، لهذا اعتقل وعُذب بعد ٦٧ ، وشارك في مذابح ايلول ٧٠ (ترد هذه المشاركة في جملة عابرة لايكاد القارىء ينتبه لها) ، وحبيبته وصال مؤمنة بأن اختفاءه يعنى تسلله للارض المحتلة ، كى يثأر لابنه مروان على طريقته ..

هل يبدو هذا مقنعا في شخصية وليد مسعود ؟ : هل نجح المؤلف في أن يزج ببطله الى دائرة النار ؟

إن التحول من صيغة اللاجىء إلى صيغة الفدائى هو مايفتقده النموذج الفلسطينى عند جبرا حتى فى عمله الأخير : إن العمل فى صفوف ثورة مسلحة ـ خاصة الفلسطينية بعد ٦٧ : ثورة بلا أرض ـ لايكاد يتسق والصورة التى يبدو عليها وليد مسعود : فثمة غياب كامل ـ على كثرة ماعرفنا عن وليد ، وتعدد الصور التى رأيناها له ـ لتلك الفترة الحاسمة فى تحول النموذج الفلسطينى من صيغة اللاجىء الى صيغة الفدائى ، من الشتات الى حتمية المواجهة . تلك السنوات التى انقضت ووليد مشغول بتكوين ثروته ، والتنقل وراء أعماله بين مدن الخليج وعواصم العالم . وللمرة الأولى يورد المؤلف دفاعا واضحا وصريحا عن تلك النخبة الفلسطينية المنفية : « أينما كان هناك بروز فى علم أو مال أو فكر أو أدب أو تجديد وجدت ذلك الفلسطينى المنفى ، تراه فاعلا محرضا منظرا محققا لكل ما هو مختلف .. » ، ويمضى ـ على لسان أحد أصدقاء وليد ـ فى تبرير الغياب فى تلك السنوات : « إنهم يتقولون : ماهذه الأموال التى تحققها أنت وزملاؤك ياوليد ؟ لماذا لاتبقوا لتتعفنوا فى المخيمات ، بل تسمحون لانفسكم أن تتمركزوا فى العواصم العربية ، وتمارسوا أعمالا كبيرة تثير حسد الناس ، وتنسيكم واجبكم الأوحد نحو بلدكم السليب ..

وواضح فى هذا المنطق من تهافت وامعان فى التبرير : فمن ناحية ، ليس كل من بقى فى المخيم قد تعفن ، لكن ابناء المخيمات هؤلاء لحمة الثورة وسداها ، هم المقاتلون والمقتولون فى الكرامة وعمان وجرش وعجلون والأحراش وبيروت وتل الزعتر والنبطية (لنقف عند تاريخ الرواية الأخيرة) ، هم العابرون ـ بالنار والتحدى ـ النهر والبحر والجبل ، هم الذين وصلوا لصيغة الفدائى فى مواجهة المعطيات الحقيقية لحياتهم اليومية ، لا فى جلسات الشراب المترفة تتطاير فى سمائها الكلمات كالبالونات الملونة . ومن ناحية ثانية : لاوجه للتسوية بين ثورة ودولة ، بين حركة تحرير مسلحة ونظم متواطئة أو متهادنة أو مزايدة ، ومن ناحية ثالثة لاتناقض بين جماهير الشعب الفلسطينى وجماهير الشعوب العربية ، لكن التناقض بين هذه الجماهير كلها وتلك النظم التى تعمل ـ دون هوادة ـ على سلب وعيها وامتصاص ثورتها واجهاض انتفاضاتها . والأمر هنا ليس سوى بقايا متلكئة لتلك النظرة « النخبوية » لحركة الجماهير ، والتى ترى فى هذه الكتلة الغوغائية خطرا قد يهدد مصالحها ورغبتها فى التسيد .

هذا إذن هو وليد مسعود . وجه جديد من تلك النخبة الفلسطينية . يشحنه المؤلف بطاقة (نرجسية) هائلة ، هو المحبوب دائما ، القادر دائما ، عاشق الحياة والنساء والأفكار ، المؤمن بالانسان على نحو مثالى ومرتبك وغامض ، الثرى الناجح ـ لحد التخمة فى حياته العملية والعاطفية ولأن هذا النموذج لم يعد يتلاءم مع الهاجس الفلسطينى بعد ٦٧ و٧٠ ، فقد حاول المؤلف ان يجعل له ماضيا نضاليا ، وحاضرا نضاليا ، ومستقبلا نضاليا محتملا كذلك .

تنافرت الالوان والعناصر فى هذا « الكولاج » الفلسطينى ، ثم تساقطت وبقى وجه « الفلسطينى المتخلى » أوضح الوجوه .

قصة قصيرة

بقلم : سليمان الشيخ

خيالات في عتمة

عض الجوع معدته وارهقته ساعات الدراسة ، فوجد نفسه عاجزا عن استيعاب اى حرف زائد ٠

وضع الكتب جانبا وارتدى ملابسه ، واستأذن والدته فى الخروج للترويح عن النفس وتناول العشاء خارج المنزل

طلبت منه والدته وشقيقته ان يحضر لهما بعض اقراص الفلافل « الطعمية »

تخطى بوابة البناية ٠٠ ووجه نظره نحو السماء ٠٠ فوجد افقا مضرجا بدم النهار ٠

استعاد بعض الكلمات الانجليزية التى بحث عن معانيها فى القاموس قبل ساعة ٠

الا ان الجوع عاود مناوشته لمعدته ، فاستحث خطاه نحو المطعم القريب ٠

بنات حمرة الشفق تخف تدريجيا ٠ وحلكة الظلام زادت من انتشارها وزحفها ٠ وصل المطعم فصافح المعلم حميد وطلب طبقا من الفلافل وغمز المعلم بان يتوصى جيدا ٠

وصعد الى الطابق العلوى بعد ان اوصاه بتحضير عشرين قرصا كى يأخذها معه بعد ان ينتهى من تناول طعامه ٠

وجد صديقيه حسان ورامى قد سبقاه الى الركن الذى يعتبره اثيرا لديه ٠٠

صاحا به ضاحكين :

ـ فأر الكتب لا يظهر الا فى الليل ٠٠ من المؤكد انك ابتلعت الكتب كلها ٠ وها انت مقبل على ابتلاع الاكل ايضا ٠

صاح منتشيا : لعلها الصدفة التى يقال عنها انها افضل من الف ميعاد

قال حسان : منذ زمن لم نلتق معا ، صحيح اننا لسنا فى مدرسة واحدة ، الا اننا اصدقاء منذ زمن ٠

اجاب عمر : لعلك لا تعرف يا رامى ان اهل حسان كانوا جيرانا لنا فى « البناية » التى كنا نقطن بها سابقا ٠

قال رامى : تماما كما نحن الان مع اهل حسان

ضحك عمر وعلق : اذن نحن جيران بالتبادل ٠

وانفجروا ضاحكين ٠٠ فلفت هرجهم وصياحهم سمع الزبائن فنظروا اليهم شزرا ٠

طلبا منه ان يشاركهما الاكل ، فتناول لقمة ، وصاح على المعلم حميد : عصافير البطن تزقزق يا معلم !

رد المعلم حميد منتشيا : غذوها على الطريق يا عمر ٠

انهوا طعامهم بهرج ومرج واسئلة عن

الدراسة وذكرياتالجديرة

قال حسان : دعونا نسير ولو لربع ساعة نستعيدنشاطنا وذكرياتنا

صاح عمر : لا مانع عندى ، ثم طلب من المعلم حميد تأجيل تحضير قرص الفلافل ونقد المحاسب المبلغ لثلاثتهم .

اقترب رامى وحاول الدفع فقال عمر : لافرق بيننا يا اخوان .

ساروا وهم متشابكو الايدى علق حسان : لقد تغيرت المناهج هذا العام واجد صعوبة فى المتابعة والتحصيل فعلق رامى : وانا اجد نفس الصعوبة

قال عمر : كان عليكما الانتباه منذ بداية العام .

***

تمعن بهم جيدا وسوى هندامه ، ثم تابع سيره . التفت اليهم ثانية واعاد التمعن حك رأسه وتمخط ولمعت فى ذهنه الفكرة !

توقف وبدأ يحاور نفسه : ارعبهم وارعب الناس معهم !

عاد السؤال يلح عليه والعاقبة ؟

صاح باعلى صوته : اية عاقبة هذه ؟

التفت عمر نحو صديقيه وهمس : انسيكم نفسه !

علق حسان : انه الحارس .. قد يكون متعبا .

قال رامى : ربما هو مريض .

ابتعدوا عن المكان واستمروا فى احاديثهم عن الدراسة ومتاعبها .

علق عمر : علينا مضاعفة ساعات الدراسة فلم تبق الا ايام معدودات على امتحانات اخر العام ، وما تشكوان منه يمكن ان اساعدكما فيه .

علق حسان : انت صديق وفى يا عمر .

اجاب عمر : لاخير فى انسان لايساعد غيره ، فكيف بالاصدقاء والاخوان ؟

قال رامى : شكرا لك ياعمر .. الف شكر .

اخجلته كلمات الاطراء التى سمعها من صديقيه .. فقال : لاداعى وامل ان تزورانى



خيالات في عتمة

غدا في بيتنا كي نراجع ما استعصى عليكما .

شكراه . ووعداه الاستجابة لدعوته .

لاحظوا أن المنطقة التي وصلوا اليها غير مضاءة فقتلوا عائدين .

قال حسان : هدوء الليل جميل ، واجمل منه ان يبسط القمر نوره فينير العتمة .

علق رامي: لكن لاقمر الليلة ، والعتمة كثيفة !

حثوا خطاهم وعجلوا بالعودة .

عند زاوية بشارة الاضواء الكهربائية التقوا به وجها لوجه .

صاح بهم . لا احد يتحرك ، والا اطلقت النار .. امامي الى المخفر !

تساءل عمر .. ورنة الخوف تكسو كلامه : ما الذي فعلناه ايها الحارس ؟

صاح : ستعرف كل شيء في المخفر !

سأل حسان : ما الذي فعلناه كي تأخذنا الى المخفر ؟

اجاب الحارس بفظاظة لا أريد مناقشة .. امامي .. والا

اقترب ثلاثتهم من بعضهم البعض وتلاصقوا وهم يرتجفون .. همهموا: والله العظيم لم نفعل شيئا .. نحن طلبة .. فحرام عليك .

صاح . اصمتوا وسيروا امامي .. وفي المخفر ستعرفون كل شيء .

قال عمر : والله لم نفعل شيئا .. الاتعرف الرحمة والشفقة ؟

صاح الحارس زاجرا: اصمت وابلع كلامك والا تناولك نصيبك .

بلعوا كلماتهم ونشفت السنتهم وهمهموا .. الدراسة الاهل لم نفعل شيئا !

اقترب منهم واخذ يدفعهم واحدا اثر الاخر وهو يدمدم : سترون .. سترون !

ازداد خوفهم ورعبهم .. وتسارعت دقات قلوبهم .

سمعوا « تمتمة » وصوت رجل يحدث الاخر صاحوا : يا عم .. ياعم انقذنا !

زجرهم الحارس وصاح اخرسوا وابلعوا السنتكم . ثم وجه كلامه للرجلين : لا تتدخلا فيما لا يعنيكما . واستمر يسوقهم كالنعاج امامه .

همس حسان : يظهر انها ليلة سوداء حقا !

اضواء المخفر كانت تشع بقوة .. ظهر المبنى واضحا كأنه الطود الشامخ . استمر الحارس في اطلاق شتى التهديدات

صاحوا مترجين : لاجل الله اطلق سراحنا ، فنحن لم نؤذ احدا .

صاح بهم: لقد وصلنا .. لقد وصلنا .

دخلوا والرعب يقطع قلوبهم .. والرجفة ترقص اطرافهم .

ادى التحية .. وصاح تمام سيدي !

وزع الضابط نظراته بين الحارس والشبان الثلاثة .

وسأل : مابهم ايها الحارس ؟

صاح ثلاثتهم : والله العظيم لم نفعل شيئا .. يا حضرة الضابط .

اشار اليهم الضابط .. وقال : صمتا .. انني اسأل الحارس ؟

تنحنح الحارس .. ولمعت في عينيه نظرات ثعلبية .

قال : انهم يتسكعون يا سيدي يملأون الطرقات ازعاجا خاصة في المنطقة ج .

علق عمر والرجفة تهز كلماته وبدنه : والله لم نزعج احدا يا حضرة الضابط .

– سأل الضابط : الا

يوجد سبب آخر ايها الحارس ؟

ـ اجاب بسرعة :ذ سيدى ·· نعم انهم يخالفون قانون التجمهر!

ـ تمعنه الضابط جيدا ـ·· قاسه من رأسه الى اخمص قدميه ·· وسأل؟ اتعرف نص القانون ايها الحارس ؟

وزع الشبان الثلاثة نظراتهم بين الضباط والحارس ، كان واضحا انهم لا يفقهون شيئا عما سمعوه ·

ـ صاح الحارس:نعم سيدى ·· فقد احضرت للضابط السابق غيرهم وانعم على باكرامية !

ـ زجره الضابط وعاق وهل تطمع فى أخرى ؟

ـ صاح الحارس بشراهة وعيناه تقدحان شرارا : نعم سيدى ·· نعم !

ـ لكن القانون حدد خمسة وليس ثلاثة اشخاص ايها الحارس !

صاح الشبان : والله العظيم لم نفعل شيئا يا حضرة الضابط ·· نحن طلاب ثانوية ·

ـ قطع الضابط استرسالهم فى الكلام·· وزجرهم قائلا : صمتا ايها الطلبة ·· ثم طلب من افراد شرطة المخفر نقلهم الى غرفة الحجز·

صاحوا·· وترجوا·· واقسموا انهم بريئون من اى ذنب !

الا ان احدا لم يابه لرجائهم ·· تحرك الحارس واراد الخروج

ـ ساله الضابط : الى اين ؟

ـ اجاب : اتابع عملى يا سيدى !

اشار الضابط الى افراد الشرطة المتواجدين فى الغرفة بالخروج ،ثم سأل الحارس :

ـ لم تجب على سؤالى ايها الحارس ؟

ـ اجاب : سيدى انا افهم القانون واعرفه حق المعرفة ·· انهم ستة وليسوا ثلاثة !

ـ استشاط الضابط غضبا وصاح:هل سكرت ام جننت ؟

ـ رد الحارس بهدوء ·· ضاحكا : لاهذا ولاذاك سيدى ؟

ـ سالحقك بهم ان لم تخبرنى كيف ايها المعتوه !

ـ رد الحارس واثقا: رويدك سيدى ·· فانا خادمك وخادم القانون والحكومة · هم ستة مع خيالاتهم !!

ـ انفجر الضابط مقهقها ··فابتسم الحارس وبقى واقفا وقفة الاستعداد ثم علق الم اقل لك سيدى باننى خادم هذه الدولة !

من جنس الابالسة !

ارتاحت ملامح الحارس بصورة واضحة ·· ثم علق ·· بل من جنس ملائكة الدولة سيدى ·

ـ اعادالضابط تفرسه بالحارس مرة ثانية ·· ثم صاح : فكرة جهنمية ·· هى ما تقول ·· نربيهم ونربى غيرهم معهم !

واضاف لكن قل لى·· الذى أعرفه ان منطقة (ج) مقطوعة عنها الكهرباء فكيف رايتهم هناك مع خيالاتهم ؟

ـ رد بهدوء الواثق من نفسه ·· وكانه تدبر وتفكر بالامر مليا من قبل: الحل بسيط يا سيدى ·· رايتهم بعين خيالى !

ـ صاح الضابط : داهية أنت ·· لك ترقية وليس اكرامية !

ـ انفرجت اسارير الحارس وعلق : الم اقل لك سيدى باننى خادم الدولة وامنها المطيع ·

ـ دق جرسا ··فدخل عليه احد افراد الشرطة ·· فقال له :

ـ اسمع ايها الشرطى احضر لى ارقام هواتف وعناوين اهل المقبوض عليهم واتصل بهم كى يحضروا ·· « انصراف»

ـ سأل الحارس: وانا ايضا سيدى ؟

قال الضابط مغتاظا : وانت ايضا أيها الداهية ·· وساضمن تقريرى اقتراحا بترقيتك · صاح الحارس : يحيا العدل·· يحيا العدل ·· وخرج !

الكيسانية

حركة اجتماعية مجهضة

بقلم: د. محمود إسماعيل

تنفرد فرقة الكيسانية - دون فرق الشيعة الأخرى - بخصائص مميزة سواء في المسائل الاعتقادية أو في الأمور السياسية: بل لا تزال قضية التسمية تشكل التباسا وخلطا عند المحدثين كما كان الحال عند القدامى: دون حسم أو قطع. وإعادة طرح هذه القضية أحسب أنه من الأهمية بمكان إذ أن حسمها يضع حلا لكثير من المعضلات التي تعتور تاريخ الفرقة مذهبيا وسياسيا واجتماعيا. هذا فضلا عما يبين من ظاهرة "التآمر" المعرفي على فرق المعارضة في الإسلام بقصد التشويه والتضبيب: كذا "تعرية" آفة "الاتباع" التي سيطرت على عقول المحدثين الذين "يقدسون" أقوال السلف لا لشيء إلا لكونها "متواترة" !!..

ومرجع الأهمية في تاريخ الكيسانية لايرد فقط إلى كونها اول فرقة شيعية تقيم بناءها النظرى منذ وقت مبكر. بل لكون الكيسانية تشكل على الصعيد السياسي - الاجتماعي نقلة معلمية انعكست آثارها على كل فرق المعارضة في الإسلام. اعنى تكريس التاطير النظرى للعمل السياسي الدعائي والثورى الاجتماعي في آن .. وفي هذا الصدد يلمس الباحث مدى ارتباط نشأة وتطور الفكر - حتى لو كان دينيا مذهبيا - بظروف ومتغيرات الواقع الاجتماعي الذى افرزه. بحيث يمكن التدليل على صحة المقولة - التي نحاول طرحها بالحاح - بان

الدين وظف لخدمة السياسة طوال عصور التاريخ الإسلامي العام . بدرجة كانت تلوع وتسخر فيها "المعتقدات" بما يجاري طبيعة الاهداف والمرامي السياسية المتغيرة وعلى صعيد العمل السياسي التشيعي انفردت الكيسانية بظاهرة "سلبية" الامامة وعزوفها عن الاضطلاع بدورها ليقوم به افراد طموحون يناطون بامور الدعوة والثورة . هذا فضلا عما تكتسبه ثورة الكيسانية من سمات اجتماعية واضحة .

لقد كانت نقلة من العمل الثوري العفوي المتشنج الى النضال المنظم دعائيا وعسكريا عبرت عن خفوت صوت العصبية القبلية والعنصرية امام بروز العلل الاجتماعي الواضح وحسبنا انها استقطبت القوى الاجتماعية المستضعفة من العرب والموالي على السواء في مواجهة الارستقراطية العربية والفارسية

لقد عبرت الثورة الكيسانية عن بواكير الدور السياسي للطبقات والشرائح المهنية حتى عرفت لذلك بانها ثورة "الخشبية" اى الحرفيين عموما و"النجارين" بوجه خاص . هذا بالاضافة إلى قدرتها على تاطير الفلاحين وصغار الملاك وتجنيدهم في سلك حركة اجتماعية كبرى بعد ان كان نشاطهم فيما مضى - يقتصر على "هبّات" عفوية غير منظمة اطلق عليها في الحوليات التاريخية ظاهرة "كسر الخراج" اى الامتناع عن دفع ضريبة الأرض التى ضاعفها النظام الاموى عدة مرات ومن السمات المميزة ايضا لتلك الثورة الاجتماعيه الكبرى نهايتها "التراجيدية" فبرغم حسن الإعداد والتنظيم وتوافر الاديولوجية الثورية والقيادة السياسية فضلا عن "عدالة القضية" أصلا أجهضت الثورة !! .

واخيرا تكشف ثورة الكيسانية المجهضة عن واد المذهب الشيعي الكيساني نفسه واختفاء هذه الفرقة من مسرح التاريخ على خلاف الفرق الشيعية الاخرى .

تلك دروس اثرنا التسبيق بها قبل ولوج الموضوع نظرا لخطورتها على صعيد نضال المعارضة في الاسلام وإليكم البرهان

إن فهما صحيحا للكيسانية فكرا وعملا لايتاتى إلا في إطار فهم اولى لطبيعة نمط الانتاج السائد في العصر الأموى ودون لجاج . انتهينا في دراسات سابقة الى اثبات سيادة نوع من "الإقطاعية" مع مابتيره هذا المصطلح من اعتراض . لقد تحولت معظم الأراضي الخصبة وخاصة سواد العراق - الى إقطاعات للخلفاء والولاة والعمال والقادة اما مابقى من "ارض خراجية" فقد اثقلت بالمغارم والجبايات بحيث جردت تماما من حقوق الملكية على الصعيد العملي .

في ظل الإقطاعية - وبواكيرها في خلافة عثمان - نشا الحزب الشيعي .. ولضراوة النظام الاقطاعي الاموى فشلت كل حركات المعارضة الشيعية ابتداء بعلى بن ابى طالب وانتهاء بحركة التوابين التى مهدت للثورة الكيسانية الكبرى . وامام هذا الاخفاق تمزق الحزب الشيعي الى "إمامية" و"زيدية" و"كيسانية" . وامتحن الشيعة جميعا اشق الامتحان واعسره وخاصة في العراق وفي الكوفة بالذات وليس ادل على ذلك من اساليب البطش من القتل والسمل وتقطيع الأطراف لكل من ثبت انتماؤه الى الشيعة .. وليس ادل على المحنة من عدم الاعتراف بشهادة الشيعة في دور القضاء .. والأخطر من ذلك حرمانهم من حقوقهم في العطاء .. فضلا عن إرهاق صغار الملاك بالمغارم والجبايات بحيث أصبح الفلاح "كالمتاع يوهب ويباع" وقد مست هذه الاجراءات والسياسات جماهير الموالي بشكل خاص .. وليس ادل على ذلك من نظرة الامويين إليهم باعتبارهم كما مهملا "يجب ان يقتل شطر منهم اما الشطر الآخر فيسخر لاقامة الأسواق وعمارة الطرق" هذا في الوقت

الكيسانية

الذى اشرف فيه ولاة العراق فى إرضاء الارستقراطية العربية والفارسية .. تلك باختصار الظروف الاجتماعية الاقتصادية التى شكلت حجر الزاوية فى صياغة عقائد الكيسانية .

وقبل الخوض فى هذه العقائد واصولها الاجتماعية واهدافها السياسية من المفيد ان نحسم الجدل الذى اثير حول قضية التسمية "بالكيسانية" .

● كيف بدأت ؟ ●

ثمة اتجاه يعزو التسمية الى شخص "كيسان" مولى على بن ابى طالب بينما ينسبها اتجاه آخر الى شخص "كيسان" ابى عمرة رئيس شرطة المختار زعيم الثورة .. ويصبح الجدل غير ذى موضوع اذا علمنا ان كيسان مولى على كان من قتلى معركة صفين .. بينما ثبت أن كيسان ابا عمرة هو الذى نظر للمذهب إبان حياة محمد بن الحنفية امام الكيسانية والمختار قائد الدعوة والثورة ، بل ظل يمارس هذا الدور حتى بعد موت الأول ومقتل الثانى .. لذلك كان حقيقا بنسبة المذهب إليه ، خاصة انه كان من اصحاب على ثم صار مولى للحسين فتلميذا لمحمد بن الحنفية بن على بن ابى طالب .. هذا فضلا عن كونه من الموالى الذين شكلوا اكثرية رجال المذهب . ولعل هذا كان من وراء عدم نسبة التسمية الى المختار الثقفى الذى كان من اشراف العرب . وكذا الى محمد بن الحنفية الامام الذى اتخذ موقفا سلبيا منذ البداية ثم تنازل عن حقه فى الامامة لما بايع عبدالملك بن مروان ، فى الوقت الذى ظل فيه كيسان ابو عمره مخلصا للمذهب ومنظرا له بدءا ومنتهى . مستعينا فى ذلك بجماهيرية تعضده من الموالى .. الذى مافتىء يتبنى طموحاتهم فى المساواة بالعرب .

اما عن عقائد الكيسانية فتستهدف إقامة نظام سياسى يحقق طموحات الكادحين فى أطار عدالة الاسلام .

ولاغرو . فقد حظى موضوع "الامامة" باهتمام خاص . لقد خص الكيسانية محمد بن الحنفية بالامامة لأنه يلى مكانة الحسن والحسين باعتباره ابن على بن أبى طالب واحيط ابن الحنفية بهالة من التكريم والتبجيل بحيث لفقت الأحاديث النبوية لتزكيته . واختص ابن الحنفية بلقب فريد هو "المهدى" ومن بعده اقترنت "المهدوية" بالكثير من دعوات الفرق الأخرى . أما عن رأى محمد بن الحنفية فى الامامة ، فيتسم بالسلبية والتقية .. اذ اشترط لتحقيقها امرين يستحيل توافرهما ، الاجماع ، وعدم اسالة الدماء !! لقد عبر بذلك عن عزوفه عن خوض معارك السياسة التى حلت لعناتها على أبيه على واخيه الحسين من قبل ، لذلك اثر السلامة فيما شجر بين الامويين والزبيريين من صراع حول الخلافة . وسيكون لذلك أثره فى اضطلاع المختار الثقفى بالأمر على أن تكون الدعوة لابن الحنفية .

ويرتبط بموضوع الامامة القول "بالوصية" واختصاص الامام "بالتاويل الباطنى" .. وتلك سمة اشتركت فيها كافة فرق الشيعة .. لكنها لم تصل الى الحد الذى صوره الشهرستانى . بان الكيسانية يعتقدون باحاطة ابن الحنفية بأسرار الغيب أو ان وعرف الامام فى عصره بطلت عنه جميع الفرائض . ولو صح ذلك ، فانه لم يجر القول به فى حياة

محمد بن الحنفية انما بعد موته واندثار مذهبه وتطرف بعض العوام الذين يروجون لمثل تلك الاعتقادات الاسطورية

إن منحنى التطرف فى عقائد الكيسانية يمكن تفسيره فيما جرى من محن وإحن ألمت بالكيسانية بعد فشل الثورة . وبالتالى يمكن تبرير وتفسير شيوع الآراء المتطرفة كالعصمة أو ادعاء النبوة ، كذا الأفكار "الطوبلوية" كالاختفاء بجبل رضوى حيث العسل والماء ، ثم الرجعة والعودة لإقامة إمامة العدل . بعد أن "يهدم دمشق حجراً حجراً" .

وشكلت تلك المعتقدات ايدلوجية ثورية تستهدف تحقيق أهداف اجتماعية .. ولم يكن ثم محيد عن الثورة التى تزعمها المختار الثقفى . ونوه بأن المصادر المعادية .. وبالتالى بعض المحدثين الذين انساقوا وراءها ـ حاولت تفريغ الثورة من مضمونها الاجتماعى وتصويرها على أنها انتفاضة عفوية تستهدف تحقيق طموحات المختار الشخصية . حجتها فى ذلك أن المختار نفسه كان ينتمى الى الارستقراطية العربية . دون لجاج نكتفى بالرد على هذه الفرية فى طبيعة الجماهير التى قادها المختار فقد كانوا كما أسلفنا من المستضعفين من العرب والموالى على السواء . وليس هناك مايحول دون انسلاخ القائد عن طبقته ليقود الثورة ، فظاهرة "الفتوة" ، فى الجاهلية والاسلام تقوم على أساس الانسلاخ . من الطبقات العليا لإنصاف المستضعفين . والتاريخ الاسلامى شهد الكثير من الامثلة على قيادة البورجوازية للطبقات الكادحة ، ضد الارستقراطية .

وأخيرا ليس ثمة مايمنع من التوفيق بين الطموحات الفردية وطموحات الجماهير فى العمل السياسى الثورى . لقد كان المختار نفسه يتبنى قضية العدل الاجتماعى منذ وقت مبكر فقد كان له موقف محمود حين رفض الشهادة ضد تمرد حجر بن عدى على الأمويين . وبالمثل ناصر مسلم بن عقيل واستجاش أهل الكوفة لنصرة الحسين بن على تلك المواقف التى بسببها سجن مرارا على يد الزبيريين والأمويين تلك المواقف التى أهلته لقيادة الكيسانية من العرب والموالى المستضعفين سواء بسواء . وإعلانه وتطبيقه شعارات المساواة بين العرب والموالى .

لم يكن هناك تناقض بين هذه الأهداف الاجتماعية وبين الايديولوجية المذهبية . ذلك أن كل الايديولوجيات الثورية انطلقت أصلا من الدين . والإلحاح على أن المختار دعا "لمعدن الفضل ووصى الوقت والإمام المهدى . والطلب بدماء أهل البيت" جاء فى دعوته مقرونا بالدفاع عن الضعفاء" .

● مسيرة نضال الشيعة ●

كانت الثورة التى قادها المختار ـ من ثم ـ حركة اجتماعية كبرى تشكل منعطفا فى مسيرة النضال الشيعى . فقد عبرت الحركة عن لفظ أسلوب الهبات العفوية العاطفية بعد استشهاد الحسين فى كربلاء وفشل حركة "التوابين" فى معركة عين الوردة ـ لتنتقل الى طور النضج الثورى الكامل من حيث وضوح الدعوة وتحديد أهدافها والاعداد التنظيمى والعسكرى لها . يضاف إلى ذلك نضج القيادة بعد تجارب سياسية معقدة كان آخرها الانضمام الى حركة عبدالله بن الزبير ثم انسلاخه عنها حين أسفر ابن الزبير عن طموحاته الشخصية . ولعل مما يزكى موقف المختار هذا ماحدث من انسلاخ الخوارج كذلك عن ذات الحركة لذات الأسباب .

الكيسانية

لقد اتضحت المواقف السياسية ـ الاجتماعية لكافة القوى فى الوقت الذى شهد اندلاع ثورة الكيسانية .. فاذا كان بنو امية يمثلون اليمين وحركة الزبيريين تمثل الوسط والخوارج يشكلون تيار اليسار المتطرف ، فإن الكيسانية عبروا عن موقف اليسار المعتدل ، ورب محتج يحتج بما جرى من احتواء الكيسانية لأشراف الكوفة .. وتفسير ذلك كائن فى امرين :

الاول : نظرا لميوعة نمط الإنتاج السائد لم يكن هناك حسم كامل فى تحديد المواقف الطبقية ، بله فى شرائح الطبقة الواحدة . وتلك ملاحظة هامة استخلصناها من تراث الثورات الاجتماعية فى الاسلام .

اما الأمر الثانى : فيمكن تفسيره على انه موقف "تكتيكى" مرحلى املاه تصدى حركة المختار لليمين الأموى والوسط الزبيرى فى وقت واحد ، وان افرز هذا التحالف المؤقت نتائجه الطبيعية فى مسئولية "الأشراف" ـ ضمن اسباب أخرى ـ عن فشل الثورة الكيسانية .

على كل حال ـ لن نخوض فى تفصيلات وقائع الثورة إلا بالقدر الذى يفرضه سياق العرض ـ لقد كان المختار قائدا حكيما حين هادن الزبيريين اولا فإذا كان قد طرد واليهم على الكوفة ـ مهد التشيع ـ فلم يشأ ان يستولى على البصرة ـ موطن الوسط ـ فى ذات الوقت الذى بث رجاله فى الحجاز سرا لاثارة الفرقة فى صفوف الزبيريين .. آثر المختار دعم نفوذ الثوار فى الكوفة ودعمها بالرجال والعتاد لتكون مركزا تنطلق منه الجيوش ضد الأمويين والزبيريين .

وفى هذا الصدد ظهر انحيازه الكامل للطبقات المستضعفة فقد قسم الفيىء على اساس المساواة واعلن ان الحكم شورى . وشرع بالفعل يقوض امتيازات الأشراف ومصالحهم وفى ذلك يقول الطبرى على لسان الأشراف الذين فزعوا من سياسة المختار .. عمدت الى موالينا وهم فيىء افاءه الله علينا ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا" .. وكان بوسع المختار محق تمرد الأشراف لولا قدوم جيش الشيعة بقيادة عبيد الله بن زياد فأنفذ معظم عسكره للقائه خارج الكوفة .. آنئذ تطاول الأشراف إلا ان جند المختار من الموالى ـ وبالذات الخشبية الذين كانوا يقاتلون بالعصى ـ كفوه مؤنتهم . فتوجه للقاء الأمويين ودحرهم بالفعل فى معركة "نهر الخازر" . ولمع نجم المختار خاصة بعد إعلان الامام محمد ابن الحنفية رضاءه عن الحركة .

لكن تحالف "الأشراف" المارقين مع الزبيريين اجهض الثورة وحرمها من جنى ثمار انتصارها . إذ ان عبدالله بن الزبير انتدب المهلب بن ابى صفرة ـ الذى كان يواقع الخوارج ـ لوقف خطر الكيسانية . وبالفعل تمكن من اقتحام الكوفة وهزم الكيسانية وقتل المختار .

واثبت هذا الحدث تواطؤ اليمين والوسط على إجهاض ثورة اليسار . تماما كما حدث

بالنسبة لعلى بن أبى طالب حين ووجه بالخطرين معا الأول فى معركة الجمل والثانى فى معركة صفين ..

● انهيار مفاجىء ●

والسؤال : ماهو مصير الكيسانية بعد إجهاض ثورتهم الاجتماعية ؟ يدهش الباحث من حقيقة انهيار الكيسانية بصورة فريدة تختلف عن سائر فرق الشيعة الأخرى التى رغم ما حل بها من نكبات ظلت تمارس دورا بارزا على مسرح التاريخ الإسلامى . ولانجد من إجابة شافية الا فى تشرذم الكيسانية بعد مقتل المختار ولجوء ابن الحنفية الى سياسة المهادنة حيث بايع لعبد الملك بن مروان إيثارا للعافية ، هذا فضلا عن مكانة اعقاب الحسن والحسين ابنى فاطمة بنت الرسول (ص) فى نظر الشيعة عموما . وهى مكانة تجب مكانة ابن الحنفية ونسله ، ثم كان ماكان من التئام الشيعة عموما فى دعوة سرية سرق العباسيون قيادتها عندما أوصى ابو هاشم بن محمد بن الحنفية بأن يخلفه محمد بن على ابن عبد الله بن العباس فى قيادة الدعوة السرية .

ولقد استقطبت تلك الدعوة العناصر المعتدلة من الكيسانية أما العناصر المتطرفة فقد تحول بعضها الى مذهب المرجئة الذى رفع راية النضال الثورى ضد بنى امية حين لجأ الشيعة للعمل فى الخفاء . أما البعض الآخر فقد امض فى التطرف واعتنق عقائد "الحلول والتناسخ وادعاء النبوة" . وقدر لهم القيام بهبّة انتحارية بقيادة مولى بربرى هو حمزة ابن عمارة . وبعد موت محمد ابن الحنفية سنة ٨١ هـ عول بعض الموالين له على الانتظار ريثما يعود من غيبته بجبل رضوى . وساد الغلو فلول بعض الكيسانية فتجمعوا حول زعامات كانت صيدا سهلا لجيوش بنى امية .

هكذا انخرط الكيسانية المعتدلون بعد الامام محمد بن الحنفية والمختار القائد وكيسان المنظر - فى صفوف احزاب الشيعة الأخرى واندمجوا فى الدعوة السرية التى صارت عباسية فآل إليها "ميراث الكيسانية" . اما التيار المتطرف فقد انقرض بسيوف الزبيريين والامويين . واختفت الكيسانية من مسرح الأحداث لتظهر فرق شيعية أخرى كالزيدية والامامية الأثنى عشرية والاسماعيلية

● ثلاث سياسات ●

قال أحد الحكماء : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات ، طبقة من خاصة الأحرار ، تسوسهم بالعطف واللين والاحسان ، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة ، لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين (يجعلهم يستهينون بالقانون).

لكنكم تستعجلون

شعر : محيي الدين عطيه

أطْفالُنا الأطْهارُ فى وَضَح الظَّهيرَةِ يَحْلُمونْ
يَبْنونَ أوْراقاً مِنَ المُدُنِ الّتى يَتَخَيَّلونْ
النّاسُ فيها صادِقونَ مُهَذَّبونَ ومُنْصِفونْ
يَسْعَوْنَ فى دَرْبِ الحَياةِ بلا هُمومٍ أوْ شُجونْ
يَتَسابَقونَ إلى العَطاءِ وكُلُّهُمْ مُتَطَوِّعونْ
يَمْشونَ فى طُرُقٍ نَظافَتُها تُسَرُّ بِها العُيونْ
العَدْلُ فيها والأمانُ بلا مَحاكِمَ أوْ سُجونْ

• • •

وَيَظَلُّ أبْناءُ البَراءَةِ يَحْلُمونَ وَيَكْبُرونْ
وَتَمُرُّ خِبْراتُ الحَياةِ بِهِمْ وَهُمْ لايُدْرِكونْ
مَضَغوا الشِّعاراتِ الّتى مَلَأَتْ حَلاوَتُها البُطونْ
لَهْفى عَلَيْهِمْ يَوْمَ صَدْمَتِهِمْ وَهُمْ يَسْتَيْقِظونْ
وَيَرَوْنَ أنَّ قَضِيَّةَ الحَقِّ الذى يَسْتَهْدِفونْ
لَيْسَتْ كَأَحْلامِ الطُّفولَةِ والصِّبا لَوْ يَعْلَمونْ
لَيْسَتْ قَضِيَّةَ سُلْطَةٍ تَطْغَى وأنْظِمَةٍ تَخونْ
فَلَكَمْ تَبَدَّلَ حاكِمٌ والنّاسُ لايَتَغَيَّرونْ



لَيْسَتْ نُصوصاً فى الدَّساتيرِ الَّتى يَتَرَسَّمونْ
لكنَّهُ التَّاريخُ قَدْ حَمَلَ التَّخَلُّفَ مِنْ قُرونْ
مِنْ بَعْدِ أندلس ، وأشجارُ الدِّيارِ بلاغُصونْ
فَالنَّهْرُ مَجْراهُ المُلَوَّثُ بالتَّفَسُّخِ وَالمُجونْ
بالحُمْقِ ، بالحَرْبِ المَرِيرَةِ بَيْنَ مَنْ يَتَجاوَرونْ
لَمْ يُعْطِ غَيْرَ القَحْطِ والإجْداب والدَّمْعِ الهَتونْ

• • •

فَإِذا أَرَدْتُمْ عَوْدَةَ النَّبْعِ النَّقِىِّ إلى العُيونْ
وَنَضارَةَ الأَوْراقِ لِلشَّجَرِ الَّذى ذاقَ المَنونْ
فَالفَأْسُ وَالمِحْراثُ وَالسَّعْىُ الحَثيثُ بلا رُكونْ
والنَّصْرُ مَعْقودٌ لَكُمْ ، لَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلونْ

السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

لابد لنا فى مستهل هذا المقال من أن نفرق بين الرابطة الاسلامية كمبدأ وكفكرة ، وبينها كسياسة معينة تتصل بحاكم معين ومدى إخلاصه وامانته فى تطبيقها ، ذلك أن كاتب هذه السطور لايخفى انحيازه إلى أصحاب الرأى القائل بأن الرابطة العقيدية أشد رسوخا واوثق من غيرها من الروابط خاصة ونحن نعلم أن مبدأ الاسلام الأساسى ، هو أنه لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . فمعيار التفاضل والتميز بين المسلمين .. هو مقدار اخلاصهم ووفائهم وعملهم بالشريعة عقيدة ومعاملات .

من أكثر الأفكار غرابة ومدعاة للدهشة، القول بأن الزعيم احمد عرابى كان بداية الانحراف فى التاريخ المصرى الحديث عندما تمرد على السلطان عبد الحميد .. ورغم أن ذلك معاكس للحقيقة التاريخية تماما. وأن الثورة العرابية كانت الخطوة الأولى فى الاتجاه الصحيح يناقش الدكتور سعيد إسماعيل على هذه الفكرة ويضعها فى سياقها الصحيح ..

● الهلال ●

ومن أشد الظواهر مدعاة للأسى حقا، أن يندفع بعض الباحثين الى الهجوم على الثورة العرابية لهجومها على نظام الحكم الذى كان قائما فى مصر استنادا الى الرابطة العثمانية، انهم ينتقدونها بدعوى انها قد أدت الى إخراج مصر من مظلة (الجامعة الاسلامية) التى دعا اليها السلطان العثمانى. ومن هنا فإن هدفنا من هذا المقال هو الكشف عن حقيقة سياسة السلطان عبد الحميد هذه حتى يتبين لنا إلى أى حد أخطأت ام أصابت الثورة العرابية فى هجومها على حكم الخديو توفيق وممارسات السلطان نحو مصر.

ويرتبط بهذا أيضا، الكشف عن ذلك الموقف المتخاذل للبعض من الثورة العرابية حيث أن هذا الموقف، اتخذ، ضمن الشواهد والمبررات التى سيقت تهوينا من شأن هذه الثورة ونقدا لها

وإذا كنا نؤكد على أولوية هذه الرابطة، فإنه لا يجب أن نلزم الجميع بشكل معين من الاشكال السياسية التى تعبر عن الوحدة الاسلامية .. صحيح أنه أمل كبير وغرض عظيم أن نرى العالم الاسلامى دولة واحدة، إلا أنه ـ فى ظل متغيرات العصر ـ يمكن الاستعاضة عن ذلك بالعديد من صور التعاون والترابط، والأهم من ذلك، أن حاكما ما لو رفع شعار (الجامعة الاسلامية) كسياسة له، فإن نقدنا له إنما ينصرف إلى (دوافعه) وإلى (ممارساته) لا إلى الرابطة نفسها كمبدأ وكفكرة ..

لو أننا وعينا هذه التفرقة جيدا فسوف نتجنب الكثير من المزالق ..

فالذين هاجموا وانتقدوا سياسة السلطان عبد الحميد، لم يقصدوا أن يهاجموا فكرة الرابطة الاسلامية .. وإنما كانوا يهاجمون اتخاذه لها ستارا يخفى بها أمورا اخرى غاية فى السوء .. والذين يدافعون فى الآونة الأخيرة .. عن هذا السلطان ويحاولون رد الاعتبار له وتصويره بأنه كان مظلوما إنما يفعلون ذلك بدافع الحرص على تلك الرابطة الدينية الشريفة التى دعا إليها

السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

ولعلنا بعد ذلك نستطيع ان نبدأ بعرض وجهة نظرنا فى حقيقة هذه السياسة التى رفع رايتها السلطان عبد الحميد ، أملين الا يخطىء القارىء فهم ما نقصد إليه . وهو . نقد الممارسات .. وتعرية الدوافع والغايات ..

● هل تخلف المسلمون فى العهد العثمانى

حرص الاسلام أشد الحرص على أن يبعد العصبيات الاقليمية والنعرات الجنسية عن البناء الاجتماعى والسياسى الذى أقامه .. ولذلك نجد أنه على الرغم من تولى حكام من جنسيات مختلفة قيادة الدولة أو الدول الاسلامية ، فإنهم جميعا ذابوا فى الثقافة الاسلامية .. فكانت اللغة العربية هى اللغة الاسلامية .. لكن هذا لم يحدث للدولة العثمانية . فالأتراك وإن كانوا مسلمين فإنهم لم يتعلموا اللغة العربية فبقوا بعيدين عن روح الثقافة الاسلامية لأنها كانت باللغة العربية . ولعل هذا يفسر بعض الشيء السبب الذى جعل هذه الثقافة تتخلف فى هذا العهد ، على عكس العادة التى جرت طوال العصور الاسلامية .. فكلما نهض حكم جديد قوى يلم اطراف العالم الاسلامى شهدت الثقافة الاسلامية ازدهارا وقوة .. إلا فى العهد العثمانى ..

أضف الى هذا ان سلاطين ال عثمان مافتئوا ينقلون العلماء ومهرة الصناع والفنانين الى قصبة ملكهم حتى افقروا العالم العربى من أفذاذ رجاله فى مختلف الميادين ، لذلك لا نعجب إذا سجل التاريخ هبوطا فى مستوى المدنية الاسلامية فى هذه الفترة حتى زحفت العجمة على اللغة ، واختفت البحوث العلمية والفلسفية ، وأغلق باب الاجتهاد فى الفقه ، وانعدم التأليف إلا من الملخصات والمختصرات للمؤلفات التى الفت فى العصر الذهبى السالف ، وانحط الفن الحربى وانحصر فى مجرد مهارات اللعب بالسيف والكر والفر على ظهور الخيل ، وانعزل العرب عن مجرى المدنية الانسانية فجهلوا حتى مجرد وجود أمم خطت فى مضمار المدنية خطوات فسيحة ، ولولا الأزهر الشريف لاصيبت اللغة العربية والعلوم الدينية باضرار ولغلبت عليها اللغة التركية (أبو الفتوح رضوان : القومية العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ – ص ٥١) .

وليس عجيبا ان تقوم دولة الاتراك على السيف ، ذلك لانه لم تكن بينهم وبين الشعوب التى حكموها وشائج من القربى أو صلات تجمعهم من حيث الجنس أو اللغة أو التاريخ . فقد كان الاتراك أقلية دينية بين الشعوب المسيحية التى أخضعوها فى البلقان وشرقى أوربا . وكانوا اقلية جنسية أمام الشعوب العربية التى أخضعوها فى الشرق ، فلم يكن عدد الاتراك فى القرن التاسع عشر ليزيد على سبعة ملايين ونصف مليون نفس على حين كان عدد العرب نحو عشرة ملايين ونصف مليون . يقول محمد رفعت المؤرخ .. الكبير : « وانك حين تقرأ انباء تلك العصور واحداثها ليهولنك مدى الركود



الخديو توفيق موقف متخاذل

والخمول الذى ران على بصائر الناس حتى لكأن الامبراطورية العثمانية حين كانت تنشر سلطانها على الناس فى الشرق والغرب ، إنما كانت تخدرهم بمخدرات فيستنيمون لها ويغشاهم الجهل والظلم والفقر وتتناوبهم الأمراض والمجاعات وهم لايكادون يتحركون » (تاريخ حوض البحر المتوسط القاهرة ، ١٩٥٩ ـ ص ٣٢٨) .

ثم اتخذ العثمانيون اسلوبا آخر لتاكيد نفوذهم فى الولايات العربية ظهر بشكل خاص فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ألا وهو تبنى هذا السلطان فكرة الجامعة الاسلامية لتحقيق عدة أهداف :

أولا باعتبارها أداة تضمن التفاف العالم العربى حول الخلافة العثمانية فتتأكد السيطرة العثمانية على الولايات العربية فى وقت كانت الدولة العثمانية تفقد أملاكها فى البلقان بسرعة .

ثانيا : إن السلطان عبد الحميد ـ وهو المعروف باستبداده ـ كان يبغى من تأييده لحركة الجامعة الاسلامية تأكيد هذا الاستبداد اعتقادا منه أن فكرة الجامعة الاسلامية تعنى الحكم الاستبدادى فيطارد بذلك الحركة الدستورية التى أخذت تلح فى الدولة العثمانية فى ذلك الوقت .

ثالثا : كما كان عبد الحميد يهدف من وراء الجامعة الاسلامية الى اتخاذها اداة للضغط على الدول الأوروبية إذ التفت حوله الشعوب الاسلامية وغير العربية ، الخارجة عن الامبراطورية العثمانية والتى كانت تسيطر عليها الدول الأوروبية ، وبالذات الشعوب العربية فى المغرب والمسلمون فى الهند والتتر فى روسيا القيصرية . (محمد انيس · الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة الانجلو المصرية ، ص ٢٤٠)

● فساد الحكم الحميدى :

لم يكن الاسلام ابدا فى يوم من الأيام مجرد كلمات أو شعارات أو لافتات ، وإنما هو سلوك وعمل وقدوة ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرف الدين بأنه (المعاملة) ، فان هذا إنما يعنى أن السلوك والعمل والقدوة بالنسبة للاسلام . تقع فى المكان الرئيسى ، وتشكل الأساس الضرورى ،

ومن هنا فأن الحاكم الذى يستظل براية الاسلام ويدعو الناس إلى أن يقفوا معه تحتها ، لابد له من أن يقيم حكمه على الشورى والعدل .. لابد أن يشيع الأمن والأمان بين الرعية .. لابد له أن يتخذ

اقصى الجهود وامضاها فى سبيل (التنمية) لانها هى السبيل الوحيد لكى تحصل البلاد على اسباب القوة الحقيقية الداخلية .

أما إذا اشاع الخوف والرعب بين العباد .. أما إذا ترك الرشوة والفساد يضربان فى أرض المجتمع .. أما إذا انصرف الى شانه الخاص هو وما يملك وترك البلاد واهنة تنخفض فيها مستويات المعيشة ويشيع فيها الجهل والمرض .. إما إذا استبد بالرأى واعتقد انه هو وحده دون خلق الله الملهم لاياتيه الشك من قريب أو من بعيد .. إذا كان كل هذا واكثر منه ثم راح يملأ الدنيا خطبا وخطابات ومقالات ومنشورات بانه حامى حمى الاسلام .. فلابد أن تحكم عليه بانه منافق ، وانه ليس صادق الوعد ، بل انه أشد خطرا من ذلك الذى يجهر بالعداء لان هذا الثانى صادق ، وينبهنا إلى ضرورة مقاومته والاستعداد له ، أما الآخر فهو يضحك على الجميع . يكذب على التاريخ .. غير ما يظهر ..

وإذا كانت حركة الاصلاح فى الدولة العثمانية قد استطاعت أن تفرض مبدأ التمثيل الشعبى سنة ١٩٧٦ ، فإن ذلك لم يستمر طويلا إذ ما لبث السلطان عبد الحميد أن حل مجلس "المبعوثان" وعلق العمل بالدستور فى ١٤ فبراير ١٨٧٨ ، وكانت النتيجة عودة الدولة العثمانية الى نظام (الحكم المطلق) والذى تحول فى اخر عهد عبد الحميد الى حكم استبدادى زاد فى حدته الشكوك التى ساورت عبد الحميد نتيجة تولية العرش إثر عمليتي خلع متعاقبتين حدثتا فى سنة واحدة كانت الاولى ضد عمه السلطان عبد العزيز الذى مات منتحرا بعد خلعه بأيام واثيرت بعض الشكوك حول انتحاره ، وكانت الثانية ضد اخيه السلطان مراد الذى خلع بسبب اختلال قواه العقلية ..

كان لهاتين الحادثتين بالغ الأثر فى مسلك السلطان عبد الحميد خلال سنين حكمه الطويل ، فأكثر من تعيين الجواسيس لرصد حركات الموظفين ومراقبتهم ، ولم يستثن من المراقبة احدا حتى الصدر الأعظم .. وكلف هؤلاء الجواسيس بكتابة التقارير ورفعها اليه وتشدد السلطان فى اضطهاد احرار الدولة فاضطر هؤلاء الى اتخاذ السفارات والقنصليات الأجنبية .. ملجأ لهم من استبداده .. كما اضطر بعضهم الى مغادرة البلاد متخفيا هربا من القهر والاضطهاد . (عبد العزيز محمد عوض الادارة العثمانية فى ولاية سورية القاهرة ١٩٦٩ ـ ص ٤٦) .

وهكذا نجد انه من أجل حماية العرش من احتمالات الخطر المتوقعة ، أحاط السلطان نفسه بشبكة من الجاسوسية المنظمة ، نوعا ضمت عددا ضخما من المرتزقة أغدق عليهم السلطان من أموال الدولة فتضخمت نفقات القصور والعاصمة على حساب الولايات ونتج عن سياسة الكبت والضغط على الحريات التى اتبعها السلطان رد فعل فى اوساط المثقفين ، فعمدوا الى تشكيل جمعيات سرية فى

داخل الامبراطورية واخرى علنية فى اوربا . وتضافرت هذه الجمعيات على مكافحة استبداد عبد الحميد ..

● ولاء للاتراك مع ظلمهم ●

ولعلنا بعد ذلك نقف لنتساءل : من هو المسئول عن ظهور دعوات (الانقلاب) ؟ هل هم الذين شعروا بالظلم والقهر فابوا ان يستسلموا وراحوا يطالبون بحقوق الانسان الاساسية ، أم هؤلاء الذين استبدوا فى الأرض وعاثوا فيها فسادا وظلما وبغيا ؟ وإذا خير الانسان بين (وحدة سياسية) تقوم على القهر والاستعباد والظلم ، وبين كيان اقليمى يشعر فيه بالعزة وان له رأيا يحترم ، افلا يختار البديل الثانى ؟ ومرة أخرى أكرر ان الأمل الاكبر هو تلك الوحدة الكبرى ، على ان تقوم على ما سبق ان اشرنا به .

ومن ثم لم يرتكب عرابى ورفاقه جرما بثورتهم ، فضلا عما أكدته الوقائع من انهم ظلوا على ولائهم لدولة الخلافة .. لقد اكد عرابى مرارا وتكرارا انه إذ يشكو من ظلم الاتراك سيظل على ولائه للسلطان مادام هو الخليفة ذلك أن الظلم مكروه ، فلو وقع من سلطة من أهل البلد نفسها فلابد من مواجهتها ، وبالتالى فاذا كان الظلم واقعا من الأتراك ، حيث تمثل بلدهم دولة الخلافة ، فإن هذا لا يعنى الرضوخ والاستسلام .

جاء فى تقرير هام لـ (كولفن) عن حديث بينه وبين عرابى :

« استهل عرابى حديثه بعرض تاريخى طويل للحكم التركى فى مصر ، فوصف حكومة المماليك وحكومة الأسرة الحالية (أسرة محمد على) بأنهما تتساويان فى استبدادهما بأهالى العرب ، وهو يريد أن يبرر أن المصريين لم يشعروا حتى الآن بالأمان على أرواحهم وممتلكاتهم ، فقد كانوا يسجنون او ينفقون أو يخنقون ويلقى بهم فى النيل ، او يتضورون جوعا او يسرقون حسب إرادة سادتهم ، فكان العبد المعتق اكثر تمتعا بالحرية من العربى الذى ولد حرا ، وكان اكثر الاتراك جهلا يفضل ويقدم على احسن المصريين .. واستطرد بعد ذلك فى شرح مقولة ان الناس الذين خلقوا من أصل واحد يجب ان يتساووا فى الحقوق الشخصية والأمن" (الكسندر شولش مصر للمصريين ، ترجمة رءوف عباس ، ص ٢٢٦) .

وفى حديث مع (بلنت) اكد عرابى انه لا يحب الأتراك ويرفض تدخلهم فى الشئون باعتباره (امير المؤمنين) . اضف إلى ذلك ان مصر تونس بين أن من الضرورى الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الخليفة

● التواطؤ ضد الشعب المصرى

على الرغم من أن النوايا المعلنة لبعثة (نظامى باشا) التى ارسلها السلطان الى مصر هى العمل على بث الأمن ، فإنها لم تقم بشىء يذكر فى هذا الشأن ، بل أن الرأى العام المصرى فى مجموعه كان يشك فى نوايا البعثة التى ادت اقامتها فى مصر الى اثارة القلق الشديد بسبب خشية الناس ان تتدخل تركيا فى شئون البلاد أو تعمد الى احتلالها ..

والى جانب ما اذيع عن اهداف البعثة ونشاطها ، هناك ما يدل على أنها اقامت

السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

اتصالات سرية بكل من توفيق والأعيان ويبدو أنها نصحت الخديو برفض الدستور الذى طالب به زعماء الثورة بحجة انه لا يمكن منح مصر دستورا يخالف النظم السارية فى باقى الأمبراطورية ، كما نصحته بأن يطلب ارسال قوة عسكرية عثمانية فى حالة تجدد القلاقل فى البلاد - وهنا سلم توفيق باستحالة تنفيذ ذلك وطلبت من الأعيان أن يعلنوا حماستهم لتقسيم مصر إلى ثلاث ولايات - أو مقاطعات - متميزة ، وهو المشروع الذى كان السلطان متحمسا له ، ويفكر فى تنفيذه على مسئوليته الخاصة حتى يؤدى هذا الى إضعاف الولايات الثلاث جميعا .. ويبدو أن الأعيان الذين احتكوا بالمندوبين العثمانيين قابلوا هذا الاقتراح ببرود ..

(أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، ص ١٥٨) .

وسندت انجلترا نشاطها العسكرى بمفاوضة الباب العالى حول توقيع اتفاق حربى بين البلدين .. فقد كانت دوائر لندن تعتقد ان التعاون مع الباب العالى - أو مجرد الظهور بمظهر التعاون معه - مما يخفف حدة التوتر فى العالم الاسلامى فى الهند ، ويقنع عرابى بالتسليم . ولما كانت بعض الدول الأوربية ، وبخاصة المانيا .. تميل الى توقيع الاتفاق ، فإن إنجلترا كانت على استعداد لابداء احترامها لسيادة السلطان على مصر . ومما يدل على مهارة دوفرين أنه طوال المفاوضات التى كان القصد الأساسى منها هو كسب الوقت حتى تتم هزيمة عرابى ، ظل يحتفظ لحكومته بحرية العمل ويتجنب اثارة اية دولة اخرى وأنه بحذره ومهارته استطاع ان يحول دون تملص الأتراك من الشروط والقيود التى رأت الحكومة الانجليزية ضرورة فرضها عليهم . (المرجع السابق ، ص ٣٨٥) .

وبالاضافة الى حرج موقف السلطان إزاء مصر ، انزعج حين تلقى تحذيرات من العلماء وانصار حركة الجامعة الاسلامية مفادها ان تعاونه مع انجلترا ضد حماة الاسلام سيثير الاستياء لدى عامة المصريين والسوريين والعرب .

وقد يمكن عرابى من الحصول على فتوى تنص على خلع الخليفة . وقد القيت الخطب الملتهبة ضد انجلترا فى مساجد الاستانة ودعا الخطباء الناس الى حمل السلاح دفاعا عن الاسلام .. وأرسل ثلاثون من مشايخ الأزهر تحذيرا الى السلطان الذى كان قد عبر لهم عن رغبته فى امتناع المصريين عن إرسال الأمدادات الى عرابى ، وطلب إليهم أن يقنعوا عرابى بالقاء السلاح بأسم الشريعة . ورد المشايخ بعد أن بحثوا الموقف مع الأعيان بأن عليهم طاعة أوامر السلطان والخليفة طالما تتمشى أعماله مع الشريعة ، وأن المصريين لن يلقوا السلاح الا اذا أخلى الانجليز الاسكندرية والأراضى الأخرى التى احتلوها على أن ترسل شروط الصلح مقدما إلى « العلماء » و « الأعيان » ثم طالبوا بالأجماع بخلع توفيق ، كما وجهوا التحذير الى السلطان وافهموه ان المصريين سيحتكمون إلى القرآن لو ارسل قواته الى مصر وأشاروا عليه بعدم ارسال درويش من جديد إلى

مصر لئلا يكرر اخطاءه السابقة ويعرض مصر للدمار وأنتهى خطاب المشايخ بالقول بأن المسألة لا تتعلق بشخص عرابى بقدر ما تتعلق بخلاص مصر (المرجع السابق ص - ٢٨٧) .

اما موقف الخديو توفيق الذى اتسم بالجبن والخيانة ، فتزخر به مئات من صفحات الكتب مما يصعب تلخيصه فى مثل هذا المقال ، ومن هنا فإننا نسوق مثالا أو اثنين لنتبين كيف كانت الثورة العرابية ضرورية لاقتلاع أمثاله .

فقبل ضرب الأسطول الانجليزى لمدينة الاسكندرية بساعات قال أحد الأميرالات الذين كانوا فى معية الخديو له : (محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ، ص ٢٥١ - ٢٥٢) .

- ما مصير الاسكندرية لو ضربها الانجليز؟ فأجابا الخديو :

- ستين سنة وهز كتفيه ، فقال الضابط .

لكن السكان سيحرقونها، فأرجو ان تتوسط لدى الأميرال سيمور والوقت لم يزل يسمح بذلك ، استدع « ذو الفقار » وامره ان يحافظ على المدينة فعنده من الرجال الكفاية . فأجاب الخديو .

- فلتحرق المدينة جميعها ولا يبقى منها طوبة على طوبة . حرب بحرب ، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى « رءوس » أولاد الكلب الفلاحين ، وسيذوق الأوربيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الارانب

وفى ١٤ اغسطس اصدر الخديو توفيق امرا يرخص للأنجليز احتلال القناة .

« ليكن معلوما عند السلطات الملكية والعسكرية فى منطقة قناة السويس . ان اميرال الاسطول الانجليزى وقائد الجيوش البريطانية العام ، انما اتيا الى مصر لاعادة الأمن والنظام اليها ومن ثم فقد سمحنا لهما باحتلال جميع الامكنة التى يريان فى احتلالها ما يساعد على قمع العصيان . وعلى هذه السلطات أن يبلغوا هذا الأمر الى كافة سكان منطقة قناة السويس وبخاصة الى موظفى وعمال القناة البحرية ، ومن يخالف أمرنا هذا يعد خارجا على إرادتنا وينزل به اشد العقاب » (وزارة الحربية الحملة الاستعمارية على مصر ، ١٩٥٦ - ص ٨٥)

وكان فى حوزة الأميرال الانجليزى اعتبارا من أول اغسطس ، التفويض التالى الذى يخوله الاستيلاء على جميع النقط الضرورية على طول القناة واحتلالها باسم الخديو .

« سيدى الكونتر ادميرال .

الاسكندرية فى أول اغسطس سنة ١٨٨٢ .

لكم السلطة التى تخولكم احتلال ماتجدونه مفيدا من نقط فى منطقة قناة السويس لتأمين حرية الملاحة فى القناة ، وحماية المدن والأهلين على طول مجرى القناة وطرد كل قوة لا تعترف بسلطتى ولكم ايضا ياسيدى الكونتر ادميرال سلطة اتخاذ الأجراءات اللازمة لانتزاع الخط الحديدى بين السويس والاسماعيلية من يد الثوار » (المرجع السابق ، ص ٨٦) .

● مواكب المتخاذلين

من الأمثال الشعبية المصرية المعروفة : « الثور لما يقع . تكثر عليه السكاكين » ، فعندما فشلت الثورة

العرابية ، بدات مواقف المتخاذلين تتقدم ، هذا بخطبة ، وهذا بمقال ، وهذا بقصيدة شعر هكذا ، نفاقا للسلطة الجديدة ، وتقديما لفروض الولاء للسادة الجدد . إنهم إذ يعلقون اسباب الفشل كلها فى رقبة هذا الجندى الفلاح ، يظنون انهم يعفون انفسهم من المشاركة فى المسئولية ويتغاضون عن الأسباب الحقيقية . إذ كيف بالله وهذا هو موقف (الخليفة الأعظم) ، وهذا هو موقف حاكم مصر ، ووراءهما قوات بريطانيا ، اقوى دول العالم فى ذلك الوقت ، ويقال ان عرابى هو الذى جلب الاحتلال الى مصر ؟ !

فهذا رجل من علماء الدين لم يفهم الرسالة الحقيقية للاسلام فى تحرير الانسان من كل صور الاستغلال والقهر البشرى ، يصور مقاومة الوطنيين بأسلحتهم البدائية للانجليز بأسلحتهم الحديثة ، بأنها تدخل فى باب معصية أوامر الله عز وجل .. « بلغ من تضلع البغاة الجهال من الفنون الحربية وخبرتهم بطرق النكاية للعدو ، أن يقابلوا الآلات الانكليزية الحديثة العهد المصنوعة منذ شهور أو أسابيع بآلات عتيقة مضى عليها من الأجيال ما اكلها به الصدأ ، فلو اننا فرضنا المستحيل من كون هذه الحرب دينية ، والحالة هذه وأنها بأمر الخليفة الأعظم أو نائبه الخديو الاكرم .. لوجب شرعا مخالفة اربابها لانها عندئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد ، وقد نهانا الله عن أن نلقى بأيدينا الى التهلكة وصاحب هذه الفتوى هو الشيخ حمزة فتح الله (سليم نقاش : مصر للمصريين ، جـ ٥ ـ ص ١٨٤) .

وكانت طلائع جيش عرابى مؤلفة من متطوعى العربان الذين لا يهمهم من الحرب إلا أن تتاح لهم فرصة النهب والسلب ، وكان منهم جماعة من المنتمين لسلطان باشا ، فاستمال افرادا منهم الى جانبه ، وعهد اليهم بتوزيع اعلان الباب العالى الخاص بعصيان عرابى مع المنشورات الخديوية ، والتجسس على العرابيين والحصول على اخبارهم وتعريف سلطان بها لارسالها بالبرق الى سراى راس التين ، فاندسوا بين الضباط العرابيين خفية وقاموا بمهمتهم مما أدى إلى أن يستولى الوهن على عزائم الكثيرين ، ويذكر البعض أن سلطان باشا عندما رقد على فراش الموت قال بأن المرض ليس هو الذى أرقده على فراش الموت ، وإنما اعتقاده بأنه باع بلاده للانجليز .. » .

ويروى عرابى لاعضاء القومسيون العسكرى اثناء سجنه انه فى « الساعة تسعة ونصف افرنكى (يوم الأحد ٥ ذو القعدة سنة ١٢٩٩ هـ) فتح باب الأوضة التى أنا فيها فكنت نائما وقتها ، وإذ دخل اناس كثيرون لا اعلم عددهم لكون الأوضة مظلمة وليس فيها نور ، ثم قال قائل منهم ' ياعرابى ' بصوت مزعج ، فقمت من نومى فزعان ، وقلت : ماذا تريد ؟ فقال لى : أما تدرى من أنا ؟ فقلت له : لا ، أعلمنى باسمك وماذا تريده منى فى هذا الوقت فقال : أنا إبراهيم اغا يابن الكلب

ياحبرير ، تم تفل عليّ ثلاث مرات بصورة قبيحة وكلام قبيح . (محاضر التحقيقات الطليعة - ص ١٦٠)

وتستعجل جريدة الأهرام الحكم على عرابى فتقول «يستلفت الراى العام مجلس التحقيق العسكرى والمجلس الحربى الى إصدار الحكم على العصاة بالوجه السريع لأن الوقت ثمين فلا يضاع باطالة التفحص فى ما هو واضح من جميع الوجوه . وهى تقول فى نفس المكان

« فما عرابى ورفاقه إلا عصاة كما تشهد اعمالهم ، وما عقاب العصاة فى جميع القوانين العسكرية إلا الاعدام .. (الأهرام فى ١٨٨٢/١٠/٩ ، العدد ١٤٦٦) .

اما الشيخ محمد عبده ، فقد كان لا يقر الثوار على خططهم ، واختلافه مع استاذه الأفغانى معروف لأن الثانى كان لا يرى علاجا لمشكلات الشرق إلا بالثورة ، اما هو فهو يرتضى منطق الاصلاح والتطور التدريجى ومن هنا فقد قال له الافغانى :

(أذهب انما انت مثبط) . ومن هنا أيضا فقد كان تعلقه على مظاهرة عابدين العسكرية يتمثل فى قوله اسفا على ما فعله الثوار

قامت عصابات جند فينا
لعزل خير رئيس كنت راجيه
ذاك الذى انعش الأمال غيرته
وخلص القطر فارتاحت أهاليه

والذى يقصده هنا هو (رياض باشا) .

ومن بعيد تاتى كلمات الافغانى تقطر منه الحسرة والألم فيعلق على ما صارت اليه الأمور فى مصر عقب الاحتلال ..

وا اسفا على حالة الأهالى بعد هذا ..

حكم من لادافع لحكمه بطرد آلاف من الـوطنيين المـوظفين فى دوائـر الحكومة ، وما منهم احد إلا ويتبعه عائلة واولاد .

ألم يمس الفقر هؤلاء ؟

الم يعضهم ناب الجوع ؟ الم يهتك مستورهم ؟

الم يصبحوا كساة بسرابيل الكابة عراة من اكسية المسرة ؟

افعمت السجون باعيان الرعية ، ورفعت أذناب الكرابيج لتشريـح ابدانهم ، واستعملت آلات التعذيب ..

هل نستطيع ان نعلق بعد كلمات هذا الثائر العظيم ؟ لا اظن ..

● اقصر كتاب ●

سأل جعفر بن يحيى البرمكى عن أوجز كلام فقال : قول سليمان عليه السلام الى ملكة سبا (بلقيس) (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علىّ واتونى مسلمين) :

تجمع فى ثلاثة احرف (اى ثلاث جمل) العنوان والكتاب والحاجة واظهار الدين وعرض الرشاد الى المكتوب اليهم

مصريون في بلاد العرب

بقلم : مصطفى نبيل

عزيز المصرى وحلم الثورة

عندما نتحدث عن دور المصريين في البلاد العربية ..

يقفز الى الصدارة عزيز المصرى ، الذى كافح مايزيد على نصف قرن من اجل الثورة العربية ، ويرى الدول العربية كوحدة واحدة ، قاوم الاتراك وحارب الاستعمار ، وتنقل بين اليمن وليبيا والعراق والحجاز مقاتلا ، وعكست قصة حياته هموم وحيرة جيل باكمله فى ظروف قاسية فى مطلع هذا القرن ..

عاش اكثر الاحداث العربية سخونة ، وحافظ على اهدافه التى لم تتغير رغم الفشل والاحباط ، وهو اول من لجأ الى التنظيمات السرية ، واستخدمها كاداة لتحقيق اهدافه ، واول عربي يشترك مع ضباط الاتحاد والترقى عام ١٩٠٩ فى انقلاب عسكرى ضد السلطان عبد الحميد ، ومن يومها وهو يبشر باستخدام القوات المسلحة كاداة للتغيير .

● كان بيته فى القاهرة ملتقى الثوار والساخطين ، يجذب اليه عشرات من الشباب من كل الانواع والاحزاب يعتبرونه رائدا ومعلما ، تربطه علاقات وثيقة بكل من حسن البنا واحمد حسين وجمال عبد الناصر وانور السادات

فهو شخصية تتفجر بالثورة .. يتحدى الانجليز وطغيان القصر ، حكم عليه بالاعدام فى أسطنبول ، ولايكاد يستقر فى بيته حتى يعود الى السجن من جديد ، واطلق عليه « اغرب باشا عرفته مصر » وتولى اعلى المناصب ، كان رائدا للملك

فاروق ولايكف عن مهاجمته ، وكان مديرا لكلية الشرطة ، ورئيسا لأركان حرب الجيش المصري وترك سمعة عطرة كرجل مستقل الرأى يعتز بأمته ..

كان دائما ضد المؤسسات الحاكمة والمتحكمة ، يعبر عن رأيه بوضوح بأنه لا يمكن تحقيق التقدم الا عن طريق اسقاط الانظمة التقليدية ، ينتقد الباشوات وهو واحد منهم ، له سجل حافل بالاحداث والمفاجآت ، ينقل مستمعيه الى عوالم النضال فى بطاح اليمن وصحراء ليبيا ، وجه يوما نداء باسم جمعيته العربية جاء فيه ..

« اعلموا انه تأسست جمعية فدائية تقتل كل من يقاتل العرب ، ويقاوم الاصلاح العربى ويقاوم مبدأ الاستقلال التام ، وتأليف دولة عربية تعيد سابق مجدنا الغابر وستبدأ عملها بإزالة وجود بعض الثعالب المتزلفين من العرب الذين كانوا ولايزالون سببا لدوس حقوق العرب تحت الاقدام »

ولد عزيز المصرى فى عام ١٨٧٩ ، فى عزبة النخل ، القريبة من القاهرة ايام الثورة العرابية وقبل الاحتلال البريطانى بعامين ، وكان منذ صباه يحلم بالعمل العسكرى الذى يمكنه من تحرير بلاده ، وعندما واتته الفرصة ترك مدرسة الحقوق ، والتحق بالمدرسة الحربية فى الاستانة ، وعمل ضابطا فى الجيش العثمانى ، ولعب أدوارا عسكرية هامة

عاد الى مصر بعد ثورة ١٩١٩ واصبح مديرا لكلية البوليس .

كان لحادثة محاولة هربه خلال الحرب العالمية الثانية دوى كبير ، عندما قاد طائرته حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرءوف فى طريقهم للالتحاق



عزيز المصرى عندما كان ضابطا بالجيش العثمانى

مصريون في بلاد العرب

بثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق .

ومن يقلب صفحات التاريخ يدهشه ان يقوم شخص واحد بكل هذه الادوار ويلمس تضارب ماكتب عنه ، وتتسم العديد من صفحاته بالغموض وتقدم الكثير منها التساؤلات اكثر من الاجابات ..

فهو يقوم بالاتصال بقوى عديدة تناقضه ، فهل عزيز المصرى « ثائر » لايكف عن الحركة ، ولاييأس من الفشل ؟ ام هو « مغامر » يحمل بين جوانحه اهداف امته وتعوزه وسائل تحقيق هذه الأهداف ..؟

ام هو « سياسى » يسعى الى الانجاز بأية وسيلة متاحة ؟ وكثيرا مابدت الوسائل التى كان عزيز المصرى يستطيع عن طريقها تحقيق اهدافه ، اهم من هذه الاهداف .. نجده يدافع عن الدولة العثمانية ويقاتل فى صفوف قواتها فى مقدونيا واليمن وليبيا ثم يتحول ضدها ، ويشترك فى الثورة العربية التى تقاتل هذه الدولة ..

رغم ادراكنا ان ماظهر من تناقض كان يعكس حيرة جيل باكمله ، وعجز عن الاختيار امام دروب خطرة ، وغياب الاتفاق العام الذى يقاس عليه ، ومايؤدى اليه ذلك بالضرورة من تعدد الاتجاهات وتضاربها فى بحر السياسة المتلاطم ..

عندما اقترح السنهورى باشا على النقراشى باشا الاستعانة بكفاءة عزيز المصرى فى اقامة جمعية وطنية تساهم فى حشد القوى ، اجابه النقراشى .. كن حذرا فهذا الرجل ليس اكثر من مغامر ...

ام هل يرجع مايبدو تضاربا فى مواقف عزيز المصرى الى التغيرات السياسية المتلاحقة وخاصة انه كان طرفا فى احداث اتصلت نصف قرن ، ويقترب اسعد داغر من ذلك فى مذكراته ، ويتساءل الكثيرون .. هل عزيز فى سن شيخوخته هو غيره فى سن الشباب ؟ نعم . لقد اصبح شخصا اخر مختلفا ، فما عرفناه من عزيز الشاب من الحكمة وسداد الرأى وبعد النظر وسعة الصدر وقوة الايمان وصدق العزيمة والصبر على المكاره ، امتزج فى سن الشيخوخة بشىء من العصبية وضيق الصدر والاكثار من الكلام ، والشك فى الناس جميعا ، والنقد الذى كثيرا مايكون مصدره العاطفة وحدها ، عندما تولى رئاسة اركان الجيش المصرى .. قلت له .. اليوم توليت اهم منصب فى اعظم جيش عربى ، فى وزارة تجلك وتقدرك ، وجميع اعضائها من اصدقائك وعارفى فضلك ، وفى بلد يحبك وخصوصا شبيبته المثقفة ، لافرق بين العسكريين والمدنيين ، وفى عهد ملك شاب هو تلميذك ، وقد اقترن بنسيبة لك هى كريمة ابن شقيقتك (يشير الى الملكة فريدة) وليس لك اى عذر بعد ان بلغت هذه المكانة .. فأجاب .. لايمكن العمل مع هذا الملك ولا أمل فى اصلاح مادام الانجليز فى البلاد ..

وهل يمكن تفسير ماغمض من حياة عزيز المصرى من كونه عسكريا وجد نفسه وسط المناورات السياسية التى تتطلب قدرا من المرونة التى لايستطيع

العسكريين القيام بها الا اذا تخلوا عن اسلوبهم العسكرى ؟

● الظاهر والباطن ●

ولعل العديد من الصفحات الغامضة فى حياة عزيز المصرى تعود الى انغماسه فى التنظيمات السرية ، ومن الطبيعى ان يكتنف العمل السرى هذا الغموض ، وان يكون الظاهر غير الباطن ، والذى تعود العمل السرى ، لايستطيع أن يتخلى عن عادة الكتمان حتى بعد زوال اسبابه

ومنذ انضم عزيز المصرى الى الجمعية القحطانية التى تأسست فى اسطنبول عام ١٩٠٩ مع صديقه سليم الجزائرى ، بدأت الاوراق تختلط فقد كان فى نفس الوقت عضوا نشطا فى الاتحاد والترقى ، والتى تهدف الى العمل على اصلاح الدولة العثمانية عن طريق الجيش ، وفجأة يصبح عضوا نشيطا فى جمعية العهد التى ضمت ٣١٥ ضابطا عربيا من ٤٩٠ ضابطا يعملون فى الاستانة ، وعندما تنبهت السلطات لخطورة هذه الجمعية نقلت معظم اعضائها الى مراكز بعيدة عن العاصمة ، ويذكر جورج أنطونيوس فى كتابه يقظة العرب « ان هدف عزيز المصرى من المشاركة فى اعمال الجمعية القحطانية وتأسيسه جمعية العهد ، هو العمل على ان يحصل العرب على قدر اكبر من سلطة تصريف امورهم ، عن طريق تعديل نظام الحكم فى الدولة العثمانية وتصبح ذات تاجين ، احدهما للعرب والاخر للترك ، كما كانت امبراطورية النمسا والمجر »

ثم ماتكشف بعد ذلك من انضمامه الى « تشكيلات مخصوصة » ، وهو تنظيم سرى اقامته وزارة الحربية التركية لمواجهة القوى الاستعمارية فى الدول الاسلامية ..

ولعل استعراض الدور العربى الذى قام به عزيز المصرى فى هذه المرحلة التاريخية يلقى الضوء على ماخفى من مواقفه ، ويكشف وعيه المبكر بالفكرة العربية .

● فى بطاح اليمن ●

لمع اسم عزيز المصرى بين صفوف الحركة العربية نتيجة وقف نزيف الدماء فى بطاح اليمن بعد نجاحه فى الوصول الى اتفاق بين الامام يحيى والدولة العثمانية يعطى للْيمن إحدى صور الاستقلال فى اطار الدولة العثمانية

فبعد زيادة اهمية اليمن الاستراتيجية بعد فتح قناة السويس ، تجدد النزاع بين العثمانيين والزيديين ، بعد اتهام الزيديين للدولة العثمانية فى ظل رجال الاتحاد والترقى بالتخلى عن الاسلام .

ويروى عزيز المصرى قصة هذه الحملة فى حديث لسعد زغلول فؤاد يقول « كانت حرب اليمن من اقسى الحروب التى مرت بالجيش العثمانى ، وقد استطعت التقدم معتمداً على تركيز الهجوم وعدم توقف القصف ، إلا أننى ادركت ان مواصلة عملياتنا ستستنزف دماء الطرفين ، فعرضت على القائد العام ، اقتراحا بأن نترك للامام ادارة البلاد ويحتفظ الخليفة بالسلطة الروحية ، وصادفتنا عقبة ، هل يحضر الينا الامام ام نبعث اليه رسولا ، وعارض عصمت اينونو ضابط الاركان ان اذهب اليه بحجة مافى ذلك من اهانة للشرف التركى ، وركبت جوادى وقررت ان اذهب اليه ، ولم تنته جلستى معه ، حتى

مصريون في بلاد العرب

تم توقيع رسالة الى السلطان تم بموجبها الصلح ..

ويحكى احمد حسين . ان التفاهم تم سريعا لمعرفة عزيز المصرى بالتقاليد العربية ، فخلع حذاءه قبل الدخول على الامام ، مما كان له ابلغ الاثر لإنصاته لكلمات عزيز المصرى الذى اقنعه ان الاتفاق اجدى من القتال ..

واحتفت الصحف العربية بهذا الصلح ، ونشرت تصريحات الاميرالاى احسان بك رئيس اركان الفيالق العثمانية الذى مر ببيروت فى طريقه الى اسطنبول .. قال ان عزيز بك بطل هذا الاتفاق ، وهو من اصدق الرجال الذين خدموا الدولة والامة معا ، وخوفه على دولته رغبة فى بقاء العرب زخرا للدولة مكنته طلاقة لسانه من اقناع الامام بأن القتال اذا استمر فان الاجانب المتربصين بالشرق سيستولون على هذه البلاد ..»

وكان لجمال باشا (السفاح) رأى آخر كتبه فى مذكراته .. « ان عزيز ذهب الى اليمن بناء على طلبه .. واكثر عزيز من « الثرثرة » حول الامانى العربية ، وكان سببا فى متاعب كثيرة لعزت باشا ..»

رفع هذا الاتفاق من شأن عزيز المصرى فى صفوف الحركة العربية ليس فقط لانه حقن الدماء وانهى الخلاف ، ولكن لان الاتفاق الذى تم التوصل اليه اعترف بنوع من الاستقلال للامام واثبت امكانية ان يتحقق ذلك فى اقطار عربية اخرى ..

ويبدو ان اليمن كانت تمتص القوات العثمانية ، وبعد الصلح بعث الامام برقية الى السلطان يعلن فيها استعداده لارسال مائة الف مقاتل الى طرابلس الغرب للدفاع عنها ضد الايطاليين .

● المصرى .. فى برقة ●

وما كاد عزيز المصرى ينتهى من مهمته فى اليمن ، حتى نشب صراع مسلح فى ليبيا ، وبدأت ايطاليا حملتها العسكرية على جزء من الدولة العثمانية .

فى هذه المرحلة التى وصلت فيها الدولة العثمانية الى ذرى الضعف والفساد واصبح فى مقدور اية دولة اوربية ان تستولى على ماتستطيع من اراضيها ، لايوقفها سوى منافسة الدولة الاخرى لها ، فعقدت ايطاليا سلسلة من الاتفاقيات السرية مع كل من بريطانيا واسبانيا وفرنسا والنمسا والمانيا وروسيا

فماذا يستطيع ان يفعل القادة الجدد من اعضاء الاتحاد والترقى ؟

قررت الدولة العثمانية مواجهة الموقف فى ليبيا ، عن طريق تكوين قوة محاربة من الاهالى ، بعد ارسال جماعات من الضباط العثمانيين الذين يتسللون الى ليبيا بصورة سرية وبملابسهم المدنية ، يدخلون غربا عن طريق تونس وشرقا عن طريق مصر ، ويتولون القيادة وتجهيز قوات من الاهالى .

ويذكر تحسين العسكرى فى مذكراته .. « ان جمعية العهد قامت بدورها بالدعوة الى التطوع من اجل قيام دولة عربية مستقلة » .

ودخل عزيز المصرى الى ليبيا متسللا من مصر ، وقام بدور بارز فى الدفاع عن برقه ، وانزل مع قواته خسائر كبيرة بالعدو ، وتسلم القيادة بعد ان تخلى عنها انور باشا وعاد الى تركيا . واشترك فى هذه الحرب مصطفى كمال (اتاتورك) ، وجعفر العسكرى .

وانتهى عمليا دور الجيش العثمانى عندما وقعت الدولة العثمانية مع ايطاليا اتفاقية اوشى / لوزان عام ١٩١٢ ، ومع بداية حرب القرم .

ويؤكد الدكتور محمد عبد الرحمن برج .. « ان دارس تاريخ الحرب الإيطالية التركية يلاحظ ان الموقف العسكرى تغير تماما فى برقة بعد وصول عزيز المصرى »

ووصلت الحرب الى مأزق فلا الجيش الايطالى قادر على التقدم داخل البلاد ولا الجيش الذى يقوده عزيز المصرى قادر على استرداد المدن الساحلية وطرد الايطاليين لعدم وجود مدافع قادرة على اصابة التحصينات والاساطيل ..

وبعد توقيع الصلح .. وماشعر به الضباط العرب الذين تطوعوا من احباط ، كتب عزيز المصرى الى سليمان البارونى أحد زعماء المجاهدين يحثه على الثبات ومواصلة الجهاد .. « إن تسليمنا للعدو حقارة عظمى للجنس العربى ، وسيقولون ان هذا الجنس لايصلح لكى يحكم نفسه ، ويخرج من سيد ويدخل تحت سيطرة سيد آخر .. وهمة الانسان ليس امامها محال .. »

ولايحسم الموقف الرغبة المتأججة ولا النوايا الطيبة ، وانما موازين القوى الصارمة ، وتصل برقية من الحكومة العثمانية تأمر عزيز المصرى بالانسحاب بقواته الى السلوم وسيجد باخرة تقل قواته الى تركيا ، وبدأ عزيز ينسحب



عزيز المصرى خال الملكة فريدة - "واغرب ناشا عرفته مصر" وعاش حياته يقاوم الملكية

مصريون في بلاد العرب

بقواته وعتاده نحو الحدود المصرية امام غضب المجاهدين ، وعندما طلبوا منه ان يترك عتاده وسلاحه رفض ، فنشبت معركة بين الفريقين ، سقط خلالها ستون قتيلا .

وهي واقعة مازال يكتنفها الغموض يقول عنها سليمان العسكري في كتابه عن الحركة العربية .. « إن سيرة عزيز المصري تبعث على الحيرة ، فعندما صدر اليه الامر بالانسحاب نفذ الامر ، ورفض ان يترك للمجاهدين شيئا من السلاح » .

ويذكر الزعيم الوطني محمد فريد في مذكراته ان ماجرى كان من تدبير الخديو عباس .. « إن الفرقة التي وقعت بين عزيز المصري وبين السنوسي نسج خيوطها الخديو عباس ، عندما نصح الايطاليين بالاتصال بكل من الفريقين على حده ، حتى يفقد كل منهما الثقة في الاخر واوفد الخديو احد رجاله « حسن بك حماده » الى عزيز المصري ومعه ستة آلاف جنيه ينصحه بترك برقه والانسحاب الى بيروت الخالية من الجند العثمانيين بسبب حرب البلقان ، ونجحت الوقيعة وطلب السنوسي من عزيز المصري الانسحاب وهاجمته قواته في الطريق .. وهذا من عمل وخيانه عباس حلمي ..

● ماتبقى طي الكتمان ●

ولعل تفسير تلك المواقف المتضاربة يعود الى ارتباط حركة الجهاد الليبي بمنظمة الضباط الفدائيين السرية ، التي خططت وادارت هذه الحرب ، وبقي الكثير من نشاطها وخططها طي الكتمان . وهي جزء من نشاط « تشكيلات مخصوصة » التي كان دورها الحفاظ على الامن الخارجي للدولة العثمانية ، ولم تعرف نشاطات هذه المنظمة الا في نوفمبر عام ١٩١٨ عند التحقيق الذي جرى في اسطنبول حول مخالفات جمعية الاتحاد والترقي مابين عامي ١٩١٣ و١٩١٨ وتبين ان المؤسسين لهذه المنظمة السرية هم انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا ، المتباينون والمتضاربون في مواقفهم الفكرية ، فطلعت باشا كان يعمل للحفاظ على الدولة العثمانية اما انور باشا فكان يعمل على الدفاع عن الدول الاسلامية ، اما جمال باشا فكان يدافع ويشجع الفكرة الطورانية (القومية التركية) .

وأمام المحقق قال وزير الخارجية خليل بك : « انها اقيمت في منطقة القوقاز كجماعة لحرب العصابات » وذكر الصدر الاعظم سعيد حليم ـ قريب خديو مصر ـ « انها جزء من الجيش العثماني ، وانه لم يوافق على وجودها وطلب من انور باشا ان يحل هذا التنظيم .. » وتبين في هذه التحقيقات ان انور باشا هو الذي اصدر قرارا سريا بتشكيلها واعطاها اسمها في الخامس من اغسطس سنة ١٩١٤

وقام الباحث الامريكي ستودارد بكشف بعض الخفايا المتصلة بهذا التنظيم ولقاء عدد من اعضائه بينهم عزيز المصري .. وذكر على لسان اشرف كوشجو باشا ، والذي التقى به في مارس عام ١٩٥٧ .. « ان ابرز اهداف هذا التنظيم هو زعزعة التسلط الاستعماري الروسي والفرنسي والبريطاني والايطالي في المناطق الاسلامية وارسال مجموعات

فدائية الى بلدان اسلامية للدعوة الى الجهاد و اشعال الثورة ضد المحتلين .. . ويذكر الباحث ان عددا من القادة العرب كان على صلة بها مثل عبد الكريم الخطابي وعلي بن عبد القادر الجزائري وعبد العزيز جاويش وسليمان الباروني .

وفى لقاء بين ستودارد وصالح حرب فى يونيو ١٩٦٢ .. ذكر : أن عزيز المصرى اخذ معه المال المودع فى خزائن الجيش ، والذى تركه انور لدفع مكافآت المتطوعين وعندما وصل الى الاسكندرية تركه امانه عند اخت له ..»

ويورد ستودارد انه عندما التقى بعزيز المصرى فى يوليو عام ١٩٦٢ رفض الحديث عن الاسباب التى دعته الى مغادرة برقة بكل عتاده .

وربما كان الصراع الخفى بين عزيز المصرى وهذا التنظيم احد اسباب انسحابه ، لعل الارتباطات التى كانت بين هذا التنظيم والمخابرات الالمانية كانت وراء هذا الانسحاب ومن المؤكد ان هناك اسبابا خفية ادت الى خلاف عنيف بين انور باشا وعزيز المصرى ، انتهت الى تقديم عزيز المصرى الى المحاكمة والحكم عليه بالاعدام ، وعمت المظاهرات مطالبة الحكومة بالافراج عنه ، وبالفعل تم الافراج عنه تحت ضغط الرأى العام العربى .

وأيا كان الامر فقد قدمت التجربة الليبية دليلا جديدا لهذا الجيل عن عجز الدولة العثمانية واصلاحاتها على حماية استقلال البلاد العربية ، مما دعم الاتجاهات المطالبة بالاستقلال عن هذه الدولة ..

كما زاد قدر عزيز المصرى بعد دوره فى الدفاع عن قطر عربى ضد الغزو الايطالى ووصفته الكتابات العربية بانه أشهر ضابط عربى .

● المصرى والثورة العربية ●

ولم تمض سنتان بعد الافراج عنه حتى قامت الثورة العربية وبدأ الشريف حسين تحركه من مكة عام ١٩١٦ ، واعتبرته الحركة العربية رمزا لها ، ونقطة بدء لتحقيق أهدافها فى الاستقلال ، ودعى عزيز المصرى للاشتراك فى هذه الحركة ولكنه تلكأ ونقل عنه قوله .. « انه لم يعرف على وجه التحديد ، ماأهدافها وما اذا كان الشريف قد اشعل الثورة لكى يمنع احتلال بلاده من قوة اجنبية ؟ ام لكى يدافع عن الخلافة ويحصل فى ظلها على الاستقلال ؟

وفى هذه المرحلة شهدت الحركة العربية انقساما حول الدولة العثمانية فكانت مصر تواجه الاحتلال البريطانى ، وتساندها الدولة العثمانية ، اما دول المشرق العربى ، فكانت تقاوم الهيمنة التركية وترى فى الانجليز سندا لهم

وبدأت الحركة العربية قانعة بالاصلاح ومتمسكه بالرباط العثمانى ، واخذت تطالب بالدستور واللامركزية وضرورة الحفاظ على اللغة العربية ، والدفاع عن الدول العربية فى مواجهة الاحتلال الاوربى .

ولكن التغيرات التى وقعت فى الدولة العثمانية دفعت الحركة الوطنية الى المطالبة بالاستقلال ، وتمكنت بريطانيا وفرنسا من استثمار هذا الوضع بدهاء .

ويعبر جمال باشا فى مذكراته عن تلك المشاعر العربية عند عزيز المصرى ، عندما شكا للمصرى من تصاعد المشاعر العربية المعادية فى عام ١٩١٠ ،

مصريون في بلاد العرب

رد عليه عزيز بكبرياء « ان العرب على حق فماذا صنعتم لهم ايها الاتراك ، سوى سعيكم لافنائنا واحتقارنا حتى تتوقعوا المعاملة الوردية من جانبنا ، هل نسيتم انكم في الاستانة اذا ناديتم كلبا ناديتموه بلفظ عربي ، وان اردتم ان تصفوا شيئا عويصا غامضا قلتم .. انه يشبه الشعر العربي ...»

وبدأت في هذه الفترة السلطات البريطانية تنشط مع بوادر الحرب العالمية الأولى ، واتصلت بعزيز المصرى ، وتنقل السجلات البريطانية ، انهم واجهوا رجلا قديرا يصعب التغرير به ، وقد ابدى استعداده للتعاون معهم والالتحاق بثورة الشريف حسين اذا اصدروا تصريحا واضحا يعترفون فيه باستقلال البلاد العربية بعد الحرب ، وطالب بعدم دخول اية قوات بريطانية الى العراق او سوريا ، وانه كفيل بأن يحرر العراق من الاتراك اذا أمده الانجليز بالعتاد العسكرى ولكن تحفظت بريطانيا على مطالبه .

واندلعت الحرب العالمية الاولى ودخلتها تركيا واصبحت الحركة العربية في امتحان دقيق ، هل تقف مع دولة الخلافة ؟ ام تستغل الفرصة وتحصل على استقلالها ؟ ولكنها مضت الى ابعد من ذلك ووقعت فريسة المخططات الاستعمارية .

● في السجلات البريطانية ●

ونعود الى سجلات الخارجية البريطانية والتى تروى جانبا من القصة والتى نقلها الدكتور برج ..

تم لقاء بين عزيز المصرى وراسل يوم ١٦ اغسطس ١٩١٤ ، قدم عزيز المصرى نفسه بوصفه منتدبا من لجنة مركزية مقرها بغداد يهدف الى معرفة موقف الحكومة البريطانية في اقامة دولة عربية متحدة مستقلة عن تركيا .. حدد بلاد العرب بالبلاد التى تتحدث اللسان العربى ، وتمتد حدودها الشمالية عند خط يمر بالاسكندرية والموصل حتى الحدود الايرانية وهى حركة لا ارتباط لها بالجامعة الاسلامية والخلافة العربية ، ولم يطلب القائمون بأمر الدعوة تأييد « المتعصبين » امثال الشيخ رشيد رضا ، ولكنهم يدركون اهمية تأييدهم ، ويعتقدون ان قوة الحركة تتركز في بغداد ونجد وسوريا .. ويضيف صراحة .. أن حسن نية انجلترا وحيادها لايكفيان ، بل لابد من عون فعال في صورة اموال واسلحة حديثة تسلم سرا في العراق او في اى مكان آخر ، وتضمن بريطانيا في مقابل ذلك ، عدم الاعتداء عليها في الهند عبر الاراضى الايرانية ، وتكون لها افضلية خاصة في المعاملات التجارية مع هذه الدولة العربية واجاب راسل .. ان انجلترا ترى ان الوقت غير مناسب لاثارة هذا المشروع ..

وتم لقاء آخر بين عزيز المصرى وكلايتون رئيس المخابرات البريطانية في القاهرة يوم ٣٠ اكتوبر ١٩١٤ .

سأل كلايتون عزيز المصرى عن موقف العرب ، وهم يكرهون الترك ويطمحون في التمرد والحكم الذاتى ، وهل يمكن انحيازهم للاتراك ؟ وماهى افضل الطرق لجعل زعماء العرب يشعرون بموقف بريطانيا المؤيد لهم ؟

واجاب المصرى إنى أمل ان يقوم العرب بمساعدة فعالة ، ولكنهم يفتقدون التنظيم والقيادة ولاشك انهم سينحازون للفريق الاقوى ، والفريق الاقوى هم الاتراك .

ولقد بذل الاتراك جهودا لكسب العرب وبذل الوعود لهم ، ولكن الاسلوب الوحيد لنجاح برامج القومية العربية للتحرر من السيطرة التركية هو ثورة شاملة لها تنظيمها قليلة العدد كثيرة العدة ، ويمكن تكوين قوة عسكرية من خمسة عشر الف مقاتل ، تجعل تقدم الاتراك بطيئا وعسيرا ، ويصبح نقطة الجذب لزعماء العرب ، ودور بريطانيا هو ضمان تجهيز هذه القوات بالمال والسلاح والمدفعية ..

واستنكر عزيز بشدة ارسال قوات من اى حلف لانها سوف تولد انطباعا بنية ضم هذه الاراضى ، واذا قدمت بريطانيا المعدات للقوة العربية النواة ، يمكن ان يقوم حلف قوى بين بريطانيا والقوة الاسلامية الجديدة لمصلحة الفريقين

وعادت السجلات البريطانية تذكر من جديد مشروع عزيز المصرى بعد اشتراك تركيا فى الحرب

● وصلت برقية الى الخارجية يوم ١٢ نوفمبر ١٩١٤ .. « عزيز المصرى عنصر هام خاصة فى مناطق العراق وبين الضباط العرب فى الجيش التركى ولكنه يفتقر الى المال لتنفيذ مشروعاته ورأيه ان تبدأ الثورة فى العراق ..»

وردت وزارة الخارجية البريطانية .. « يجب منح الحركة العربية كل تشجيع

استقلال العرب هدف عزيز المصرى منذ مطلع هذا القرن رياض الصلح يقلد عزيز المصرى وساما تقديرا لدوره العربى



مصريون في بلاد العرب

ممكن ، يمكنكم ارسال عزيز المصرى الى العراق للقيام بالتنظيم ، اذا رأيتم ان فى ذلك فائدة ، وان يعطى الفى جنيه او حوالى ذلك ، واذا تمكن من بدء اى حركة بين العرب فإن مزيدا من التعضيد يمكن ان يقدم له ..»

ولكن هذه الفكرة واجهت اعتراضا شديدا من حكومة الهند البريطانية لرفضها ادخال اى عناصر من الخارج فى المسألة العراقية .

● التقى مراسل التايمز بعزيز المصرى فى القاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩١٤ وادلى له بتصريحات جاء فيها .. إن ضميره لايسمح له بتأدية خدمات للسلطات العسكرية فى العراق اذا كانت نية بريطانيا ضم العراق لامبراطوريتها ، والعراق مرتبط بالحركة العربية التى تدعو لنيل حريتها من الاتراك ، اما اذا كانت النية اقامة دولة محايدة تمنع الصدام وتساعد سكانها العرب على خلق دولة ذات تنظيم حديث ومؤسسات عصرية فإنه يخدم ما استطاع الى ذلك سبيلا ..»

● استقلال العرب ●

وطلبت السلطات البريطانية من عزيز

بعد محاولة الهرب إلى العراق . عزيز المصرى يصافح حسين ذو الفقار صبرى



المصرى ان يساهم فى الثورة ، وفضل عزيز المصرى ان يستكشف الموقف من خلال نورى السعيد ، عضو جمعية العهد الذى اسره البريطانيون وذهب الى الحجاز وقابل الشريف حسين ليعرف بنفسه موقف الثورة ، ويتبين الاسباب التى ادت الى انفصاله عن الحكومة العثمانية ، والذى ابلغه انه لايطلب الانفصال عن الخلافة الاسلامية وتم التحاق عزيز المصرى بقوات الشريف ، ونصحه ان يكون الهدف المباشر للثورة هو وقف العداء بين بريطانيا وتركيا وعدم انتقاله الى الحجاز والحصول على الاستقلال ضمن الخلافة العثمانية .

وتم الاتفاق على ان يتولى عزيز المصرى قيادة جيش الشريف ، وان يتولى على احد ابناء الشريف حسين القيادة الاسمية للجيش النظامى ولكن سرعان ماوصلت العلاقات بين الشريف والمصرى الى نقطة حرجة ، حول مهاجمة قوات الثورة المدينة المنورة فقد انقسم الضباط العرب حولها ، فالبعض من الذين لايسعون الى الاستقلال عارضوا مهاجمة المدينة ، واقترحوا ان يتصل ثلاثة ضباط بفخرى باشا القائد التركى ويقترحون عليه السماح لقوة مشتركة من الاتراك والعرب التقدم نحو مكة تحت قيادته ، ويتولى السيطرة والقيادة العامة ، ويتم التفاوض من اجل اتفاقية مع الدولة العثمانية وتحصل خلالها الحجاز على الاستقلال ضمن الخلافة العثمانية وعندما عرف الشريف بهذه الخطط اصدر امره بوقف مهاجمة القوات العثمانية فى المدينة

وكشف هذه الواقعه فائز غصين فى كتابه

اما طاهر العمرى فيتناولها بقوله «لم ينل عزيز المصرى ثقة الحسين لاسباب عديدة اهمها عدم تعوده على الطاعة العمياء واصراره على تنفيذ خطته التى يراها ، ولما وشى به رشيد والسوريون بأنه اتصل بالاتراك ، ووعد بالالتحاق بهم اذا اعترفوا باستقلال البلاد العربية وعرف الحسين ذلك غضب عليه ، واصدر امرا بتنحيته عن الجيش ..»

وربما مثل امام الشريف ماقام به عزيز المصري ، عندما ساهم فى الانقلاب على السلطان عبد الحميد ، وانتهى الامر باعادة عزيز المصرى الى مصر على ظهر باخرة حربية بريطانية ، ومعه أمر من القيادة البريطانية بطرده من مصر .

هل القت هذه الأحداث مزيدا من الضوء على دور عزيز المصرى ؟ أم بقى الحديد من الاسئلة التى تبحث عن جهود المؤرخين ورأى المجتهدين ؟

ويكفى عزيز المصرى انه شاهد فى اخر حياته ، احلامه فى الثورة تتحقق ، واعتبره رجالها الاب الروحى لثورة يوليو ، وشاهد نهاية الملكية التى قاومها ، ورأى الاستعمار البريطانى يحمل عصاه ويرحل ، واصبح سفيرا لمصر الثورة فى الاتحاد السوفييتى وكان حظه كبيرا ان لقى ربه فى ١٥ يونية ١٩٦٥ ، ولم ير احلامه تهزم فى يونية ١٩٦٧ .

شخصية العدد

محمد حسنين هيكل

كاتب "الضربة القاضية"

بقلم : فيليب جلاب

محمد حسنين هيكل ليس مجرد كاتب من « الوزن الثقيل » . ولكنه من كتاب " الضربة القاضية "

في أحدث كتبه « ملفات السويس – حرب الثلاثين سنة » يحاصر خصومه وخصوم عبد الناصر . إن لم يكن من المناسب أن نقول خصوم الانتصار المصرى العربى على الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية . وبعد الضربة الأولى يعد الحكم حتى رقم عشرة فلا تقوم لأى من الخصوم قائمة .

ولكن من مقاعد « المتفرجين » يتصايح البعض أى انتصار هذا بعد أن دخلت قوات الغزو إلى مدينة بور سعيد ؟ ولأن الذين قاموا بالغزو اعترفوا أمام العالم كله بأن دخول بور سعيد لم ينقذهم من الهزيمة ، فإن أحداً لم يحاول الرد على هؤلاء المتصايحين ، خاصة أنه لم يحدث فى تاريخ ملاكم محترف أن نازل « متفرجاً » .

ويصيح آخر من خارج الحلبة أيضاً : أى انتصار هذا الذى حققته مصر فى بدايات ثورة يوليو وتحت زعامة جمال عبد الناصر ؟ ألم يكن عبد الناصر نفسه « مكلفاً » بالقيام بهذه الثورة تحت « رعاية » المخابرات المركزية الأمريكية ؟ لقد تولت الولايات المتحدة الامريكية لأسباب خاصة بها مطاردة بريطانيا



وفرنسا واسرائيل وهزيمتهم مختبئة وراء مصر وجمال عبد الناصر ! !

ولم يرد أحد طبعاً على هذا المتفرج الذى يحاول أن يقنعنا أن بريطانيا دولة وانجلترا دولة أخرى .. أو أن حرباً نشبت بينهما

بعض القضايا التاريخية يمكن أن تظل ملفاتها مفتوحة أمام المؤرخين والباحثين والكتاب إلى أن يظهر كاتب يملك من الموهبة بقدر ما يملك من المعرفة والجلد على البحث والتقصى مثل ما فعل محمد حسنين هيكل فى « ملفات السويس »

وكل الذين قرأوا الكتاب على تباين انتماءاتهم السياسية لم يترددوا فى إعلان هذه الحقيقة ، رغم تواضع المؤلف الذى يصف نفسه كمجرد قارىء للتاريخ

وليس « ذنب » المؤلف أن وقائع التاريخ ووثائق العدو والصديق تؤكد أن مصر فى عهد فاروق كانت تتلقى « التعليمات » من موظف بريطانى بدرجة سفير أو ضابط بريطانى برتبة « لواء » بينما تستطيع فى ظل قيادة وطنية أن تتحدى امبراطوريتين وتدق المسمار الأخير فى نعشيهما !

وفضل هيكل لم يكن مجرد كشف هذه الحقيقة وتوثيقها ، ولكن تنبيهنا إلى أنها مجرد حلقة واحدة ، فمازالت مصر والأمة العربية مستهدفة ومازالت هناك تحديات أخرى علينا أن نواجهها .

لغويات

● الاشتقاق في اللغة يبين اصل الكلمات ، فمن ذلك الفعل « عدن » .. « يعدن » اى اقام وثبت فى الارض .. ومن هذا الفعل جاء « المعدن » و « المعادن » التي تثبت في باطن الارض حتي يستخرجها الناس .. ومنه ايضا جاءت « جنة عدن » اى الجنة التي يقيم فيها المؤمنون اقامة ثابتة ، اى خالدة فى الآخرة .. وان كان بعضهم يقول ان « عدن » المقصود بها الجنه هي كلمة عبرية ، ونحن لا نعتد بهذا مادام اصل الكلمة عربيا .

● استعمل الشعراء كلمة « العميد » فى النسيب والغزل ، بمعنى « المتيم » الذى أضناه الحب .. و « العميد » هو ايضا السيد والرئيس وكان طه حسين يلقب « العميد » لأنه كان عميداً لكلية الآداب .. وقد جمع ابو تمام هذين المعنيين لكلمة « العميد » فى هذا البيت :

من كل سابغة الشباب اذا بدت
تركت عميد القريتين عميدا

فالعميد الاول هو « السيد » .. والثانى هو العاشق المتيم ، ويقول له « المعمود » فى مواضع اخرى ..

● « التنبل » فى كلامنا الدارج هو الشخص الكسول المعتمد فى عيشه على غيره ، واصل الكلمة « التنبال » وهو الرجل القصير القميء .. قال المتنبى :

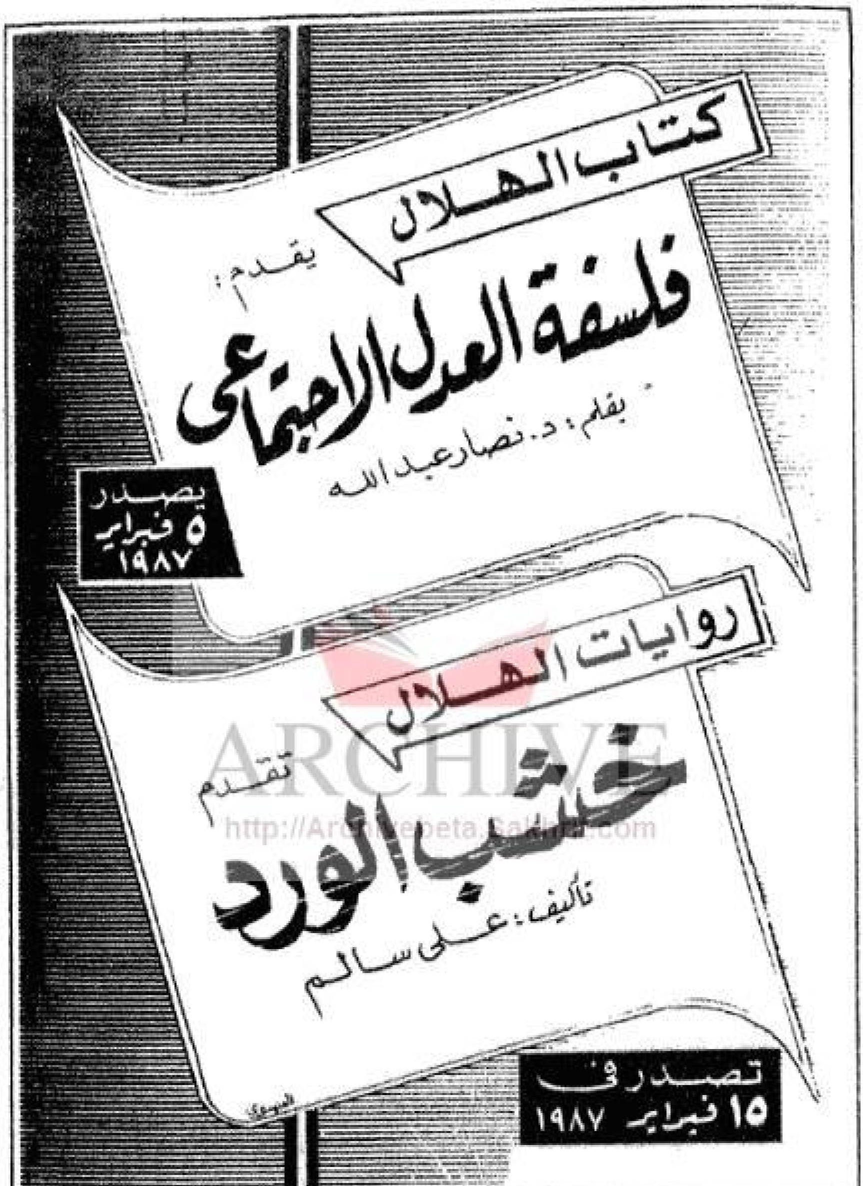
وقد اطال ثنائي طول لابسه
ان الثناء على التنبال .. تنبال

وتجمع « تنبال » على « تنابيل » .. قال كعب بن زهير فى مدحته النبوية الشهيرة « بانت سعاد » :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل

ويمكن ان يقال « تنابل » و « تنابلة » كما يقال فى الكلام الدارج ..

● كلمة « فقط » ظرف مختص بالزمان .. وهو يتألف من حرف « الفاء » و « قط » .. ومعنى فقط : « لا غير » .. وكلمة « قط » تستعمل لما مضى من الزمان ، فلا تستطيع ان تقول : « لن أفعل هذا الشيء قط » .. بل تقول « لم افعل هذا قط ، ولن افعله ابدا » .. فتجعل « قط » للماضى .. و « ابدا » للمستقبل .. ويخطيء من يضعون « قط » فى موضع « ابدا » او يضعون « ابدا » فى موضع « قط » .. وهو خطأ شائع جدا فى هذا الزمان ..!


كتاب الهلال
يقدم:
فلسفة العدل الاجتماعى
بقلم: د. نصار عبد الله
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
خشب الورد
تأليف: على سالم
تصدر فى
١٥ فبراير ١٩٨٧

مصر الحضارة
عادات وتقاليد وأسماء

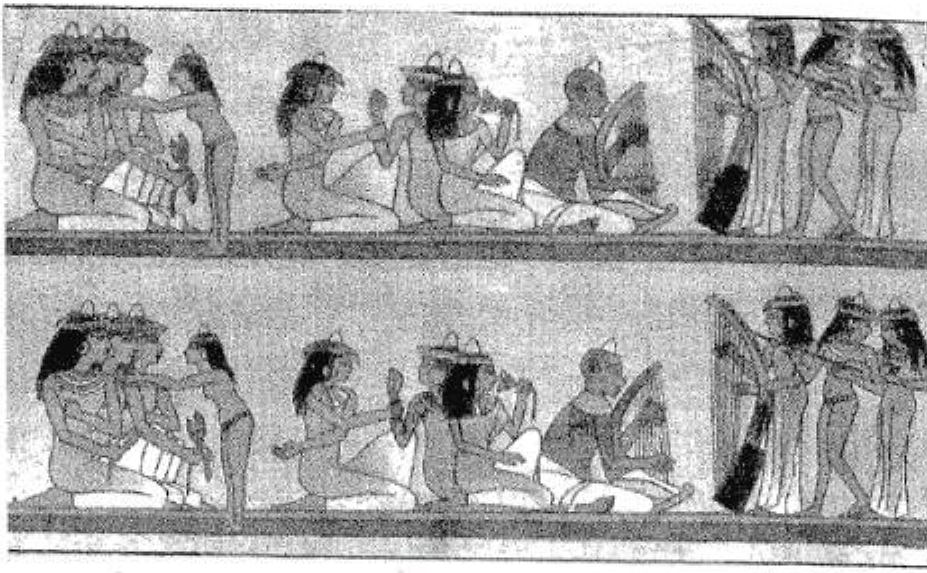
بقلم: د. سيد كريم

● حضارة مصر أشرق فجرها بالعقيدة. ومن خلال هذه العقيدة قاومت عناصر الانحلال والاضمحلال عبر فسحة من لزمان امتدت لأكثر من سبعة آلاف سنة من عمر الإنسانية.

● كان شعب مصر أول شعب آمن بالله، وأول من آمن بأن هناك إلها واحدا للجميع آمن بالبعث والحساب والخلود. آمن بهذه الحقيقة قبل مولد الرفاق وقبل إرسال الرسل والانبياء. فكان أول شعب وضعت تشريعات السماء دستور حياته ونظم مجتمعه. فتلك التشريعات التى نسبتها متون العقيدة إلى الإله الخالق كان لها دورها الراسخ فى بناء الإنسان المصرى وبناء حضارته وامتدت لتصبح نواة بناء المجتمعات الإنسانية التى تبنتها الرسالات السماوية ونادى بها الرسل والأنبياء عبر تاريخ الحضارات الإنسانية.

فمتون العقيدة المصرية القديمة وضعت لشعب مصر تشريعات أول رباط لكيان المجتمع الإنسانى عرفته البشرية، وهى التشريعات الكاملة للزواج والطلاق والميراث وجميع مايحدد إطار العلاقات الأسرية، فى علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقتهم بالمجتمع، وقد استمرت تلك التشريعات وما ارتبط بها من علاقات ومعاملات ثابتة، ومتماسكة، لآلاف السنين، لأنها استمدت قوتها من نسبتها إلى السماء. والإيمان بمرسلها ومانحها، وأن لاعلاقة لها بتشريعات الأرض .. أى البشر.

فتقاليد الزواج أو (الرباط المقدس) وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على الرابطة الزوجية لم تتغير ابتداء من الخطوبة ودبلة الخطوبة إلى إعلان الزواج، ودور المأذون



عادات وتقاليد اجدادنا الفراعنة توارثها المصريون حتى الآن

وهو كاهن خاص بالمعبد لإجراء الطقوس الدينية الخاصة بالزواج ، ثم طريقة كتابة عقود الزواج وتسجيلها أمام قاض خاص بالمحكمة ، وفى المناسبات العامة ، التى يطلق عليها أعياد الزواج ، تعقد المحكمة فى المعبد نفسه لتحمل وثيقة الزواج اختام المعبد للتبرك ، كما كانت وثائق الزواج تحمل أسماء الشهود واختامهم . وكثير من عقود الزواج تحدد قيمة ونوعية المهر الذى يقدمه كل من الطرفين للآخر ، كما ارتبطت بتلك الإجراءات والتقاليد قوانين الأحوال الشخصية التى ظهرت فى وثائق الدولة الحديثة .

● مراسم الزواج واحدة ●

إن مراسم الاحتفال بالزواج لم تكن تختلف كثيرا عما توارثناه وعما ظل يصاحبنا عبر هذه الأزمان من عادات وتقاليد وطبائع .

فمراسم الزواج وزفة العروسة بالراقصات والمغنيات والعازفين وتزيين قاعات الحفلات بالزهور وخاصة الياسمين (ياسمون) ليملأ الجو بعبيره والورد (ورتو) والسوسن (سوسن) والتى لازالت تحتفظ بأسمائها المصرية القديمة . وإقامة الولائم التى تتوسطها الذبائح وبعضها من القرابين المقدسة التى تذبح بالمعبد . وتورتة الفرح كانت تحشى بعسل النحل وتزين بتميمة (حتحور) معبودة الجمال والحنان تحيط بها حبات القمح التى ترمز إلى

الخصب والحياة المتجددة . وتقدم المشروبات فى الحفلات كما ان عادة رش العروسين بالملح (البدرة) كانت أيضا من بين طقوس الاحتفال بالزفة حيث يرش العروسان بحبات القمح الأخضر رمزا للخصب والحياة الخضراء .

كما شملت الأفراح الاحتفال بحمام العروس فى الماء المقدس الذى يحملونه إليها من المعبد . كذلك الاحتفال بالحنة أو الزينة وغيرها من التقاليد التى مازال بعضها يحتل مكانة فى افراح اليوم وخاصة الشعبية منها .

ومن التقاليد التى كانت تلى الاحتفال بالزفاف فى صباح اليوم التالى (الصباحية) وإرسال أطباق الحلوى والفطائر إلى منازل اقرباء وأصدقاء العروسين حتى لايحرم أهل البيت وأطفاله من حلوى الفرح .

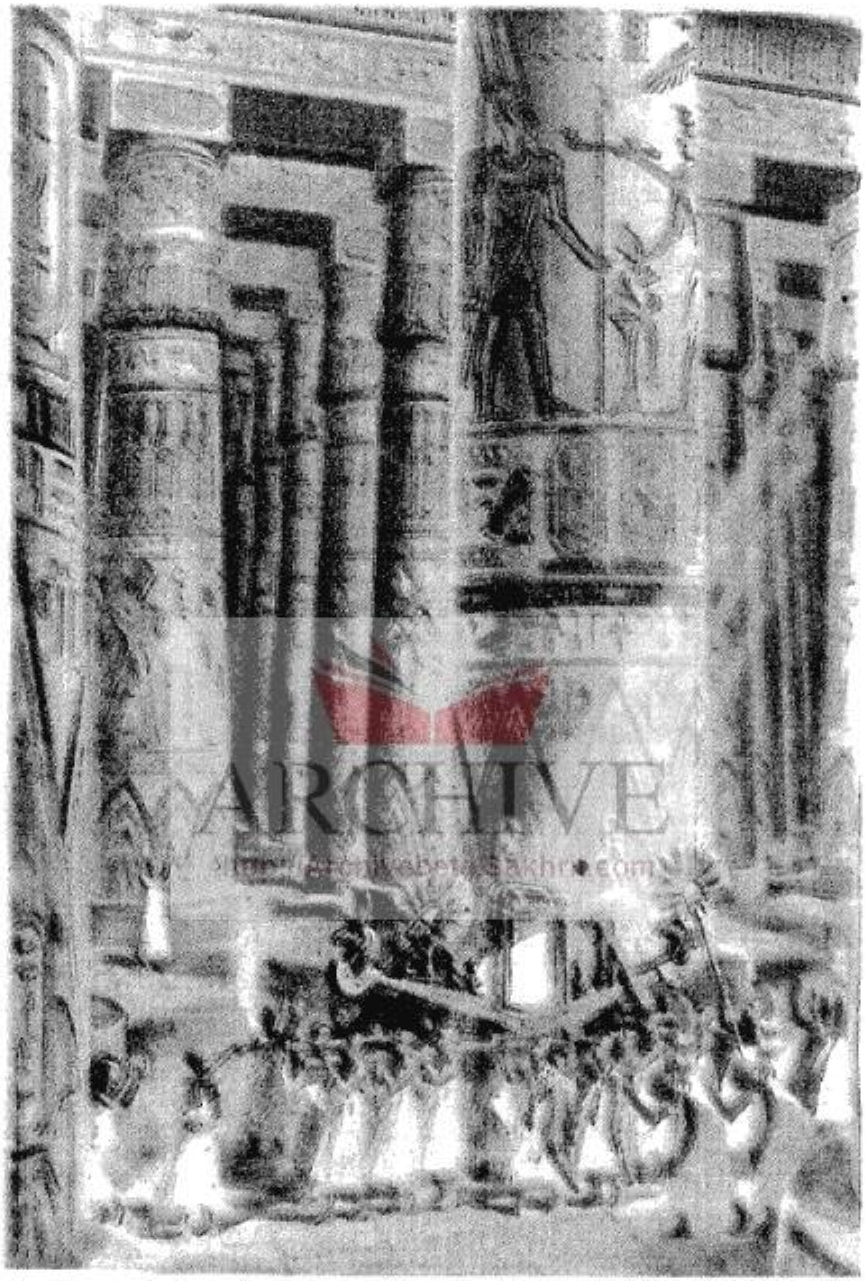
اما دبلة الزواج .. هدية مصر إلى شعوب العالم القديم والحديث فقد نشأت فى الدولة القديمة وكان يطلق عليها اسم (حلقة ايزيس المقدسة) ويرمز شكلها الحلقى أو الدائرى الى الخلود والأبدية أى انها ترمز الى أن الحياة الزوجية ليس لبدايتها نهاية وأن ايزيس تحمى حاملها من عناصر الشر والحسد . وساد العرف على وضعها فى الاصبع المعين من اليد اليسرى لاعتقادهم أن فى هذا الأصبع بالذات شريانا يجرى مباشرا من الدبلة إلى القلب .

● عادات متوارثة ●

أيضا الكلمات الأولى التى ينطق بها الطفل ومن مازال فى سن الحبو هى من النطق المصرى القديم المحرف وفى مقدمتها كلمة يحبو نفسها . ومن تلك الكلمات التى تعتبر أول ماينطق بها الطفل ولازلنا نلقنه اياها مثل امبو ـ مم ـ تاتا ـ نوتو ـ ننه ـ صفنن .

كذلك ما ارتبط بها من عادات موروثة كقولهم (تاتا خطى العتبة) كانت تقال للطفل عندما يبدأ فى تعلم المشى حيث تأخذه امه الى المعبد وتساعده لتكون أول خطواته فى الحياة فوق عتبة باب المعبد ليباركه الرب ، أو يبارك خطواته فى الحياة . وبالمثل كلمة برجالاتك (حلقة ذهب فى وداناتك) التى تقال فى السبوع حيث تعلق فى أذنه حلقة ايزيس التى يسمع عن طريقها صوت الرب وتعاليمه التى أولها طاعة الوالدين ـ لاعتقادهم أن حاسة السمع عند المولود تتفتح فى اليوم السابع وأول ماعليه أن يسمعه صوت الإله وهو يوصيه بطاعة الوالدين .

وترجع عادة الاحتفال « بالسبوع » أى عندما يبلغ الطفل اليوم السابع من خروجه الى حياة الدنيا حيث يعتبر الرقم ٧ رقما مقدسا يرمز إلى الخلق ، ففسرت متون العقيدة بأن الروح تدخل فى الجنين فى الشهر السابع . وقد ربط الفراعنة الكثير من عناصر الخلق بالرقم ٧ المقدس ، لخلق الأرض فى سبعة أيام وطبقات السماء السبع وأبواب الجنة والنجوم السيارة



التى تحرس الشمس وعددها سبعه . والوان الطيف وطبقات السلم الموسيقى وطبقات شبكة العين والعديد من الظواهر التى حوتها برديات متون العقيدة .

لقد لعب الرقم ٧ (المقدس) وما ارتبط به من عادات وتقاليد فى الطقوس الدينية من صلاة ودعاء وطواف وتراتيل ، وأيضا فى الحياة الاجتماعية . بدأ فى مصر القديمة وانتقل منها الى جميع الشعوب والأديان ـ كما تحول الى رمز للتفاؤل والخير ، وإشارة للسلام أهدتها مصر للعالم أجمع .

وصف مؤرخو الحضارات المصرى القديم بأنه أول من استأنس الأرض وعرف كيف يشقها ويهذبها ويرعاها ويحرثها ، ويبذر بذورها ، ويحفر الترع ليرويها . ويحصد محاصيلها ، فكان أول من صنع آلات الزراعة من فاس ومحراث ونورج وشادوف وطنبور وساقية وكل ما احتاج إليه لترويضها كما أن كثيرا من أسماء الآلات الزراعية والمعدات الصناعية والأدوات المنزلية ومصطلحاتها المتداولة إلى يومنا هذا ، هى نفس الأسماء المصرية القديمة من بينها على سبيل المثال ·

فاس ـ شادوف ـ شونة ـ جرن ـ زير ـ ماجور ـ مشنة ـ باقوتي ـ سلة ـ بشكير ـ فوطة ـ طريز ـ تخت ـ ششم ـ بتاو ـ مركبت ـ ختم ـ طوبة .

كما أن كلمة عيش التى تطلق على الخبز مصرية قديمة ومعناها (الخبز المقدس) الذى يقدم للقرابين .ولذا فقد تعود المصرى القديم تقبيل رغيف الخبز قبل أن يأكله .

إن الاصطلاحات التى تعود الفلاح أن ينادى بها دوابه ومواشيه وحيواناته ودواجنه التى تعيش معه فى القرية جميعها أسماء مصرية قديم صميمة ومتوارثة مثل :

حا . عا . شى . مس ـ بس ـ اجل ـ بس ـ هش ـ زرد

حفظها وتوارثها المنادى والمنادى عليه كلغة يتفاهمان بها .

كما ورثنا عن المصريين القدماء ألفاظا تنطق بها الألسنة وتجرى على الشفاة كل يوم ، وما ننطق به ولانعرف له من مدلول أو معنى دقيق . فما أكثر ما لهونه بالحديث فى (كانى ومانى) أى السمن والعسل فيصفون السعداء بأنه سمن وعسل والعكس (لاكانى ولا مانى ... ولا من يبيعهما لهم) ونداء (وحوى ياوحوى) هو نداء استقبال القمر الجديد (رؤيا الهلال) والتى يرددها أطفال اليوم عند رؤيا هلال رمضان .

(ياليل ياعين) التعبير الذى يبدأ به مطرب ومغن اغانيه ومواويله ، ماهو إلا تعبير مصرى صميم وكانت كلمة (ليل) معناها الفرح أى تهللى وأفرحى ياعين .

● الأمثال العامية .. مصرية قديمة ●

إن الكثير من الأمثال العامية المتداولة التى ترتبط بالعين كلها أمثلة مصرية قديمة طافت

مع الزمان وتورثتها الأجيال عبر الاف السنين كقولهم (العين عليها حارس) (وعين الحسود فيها عود) - العين صابتنى ورب العرش نجانى - وهى الأمثال التى كانت تكتب على تميمة العين الحارسة .

كما أن تعبير (عينى بترف) كرمز لتوقعات الغيب ، كذلك وصف العين بالخير أو الشر أو الحسد او الغدر ووصف كل منها بعلاقتها بالقلب احتل كل منها مكانة فى أدب العقيدة وأمثالها .

كما ورثنا عن المصريين القدماء الفاظا تنطق بها الألسنة وتجرى على الشفاه كل يوم وهى تعبيرات أصلها فرعونى منها على سبيل المثال .

شأشأ الفجر - شأشأ أصلها شاهشا (أى سطع أو أضاء)

الدنيا صهد - صهد كلمة فرعونية معناها لهيب .

العيش باش - باش بالفرعونية معناها طرئ أو ندئ .

كوش على الشىء - كوش معناها سرق الشىء جميعه

سك الباب - سك معناها اغلق .

أيضا القاب (سى وست) التى تطلق على السيد والسيدة هى أسماء مصرية صميمة ويطلق على المرأة أو الزوجة (مرت) وزوجتى (مرتى) أى « مراتى » فى العامية كما أن سيدة البيت أو ست الدار (ست ان بر) .

وقد نسمع ست الدار تنهى ابنتها فى الريف عن (لكلكة) العجين فى (الماجور) خوفا من (الكلكعة) وتأمرها أن (تبشبش) (فوطة) بالماء وتغطيه بها . فجميع تلك الأسماء والمسميات فى الحياة اليومية متوارثة ولم تتغير بمرور الزمن من الوف السنين .

وطرق إعداد الأطعمة والشعبية منها بصفة خاصة التى ابتكرها الفراعنة مازالت تحتل مكانها على موائد مجتمع اليوم . فالفول الذى يعتبر فى مقدمة الأطعمة الشعبية ويطلق عليه اسم (فور) لم تختلف وسائل وطرق إعداده وتحضير مشتقاته عما هو متداول ومعروف اليوم ابتداء من حفظ الفول او كمره و(مكمور) كلمة فرعونية معناها مخزون - الى تدميسه وكلمة (متمس) مصرية قديمة أيضا . كذلك صناعة البصارة من الفول واسمها القديم (بصار) كذلك صنع المصرى القديم من الفول - الطعمية التى أطلق عليها اسم (فطائر الفول) .

وما ينطبق على الفول ينطبق على العدس (أدس) بجميع طرق ومشتقات طهيه وإعداده المعروفة اليوم .

ان الكثير من الخضروات والبقول المعروفة اليوم كان المصرى القديم أول من استزرعها وقد احتفظت معظمها بأسمائها القديمة كما سجل فى بردياته الطبية خواص وفوائد كل منها وحدد مواسم زراعتها وحصادها ووسائل حفظها وطرق طهيها وتقاليد إعدادها .

● إن ما انتجته أرض مصر - هبة النيل - من خيرات زراعية من أشجار ونباتات وخضراوات وزهور أطلق عليها الفراعنة أسماءها - أو كما وصفوها فى متون العقيدة بأن الاله

است كلا منها بمناداة اسمه . فمازال الكثير منها يحتفظ بأسمائها القديمة إلى الآن منها كما هو مبين بالصفحة المقابلة

● أماكن وبلاد وأسماء ●

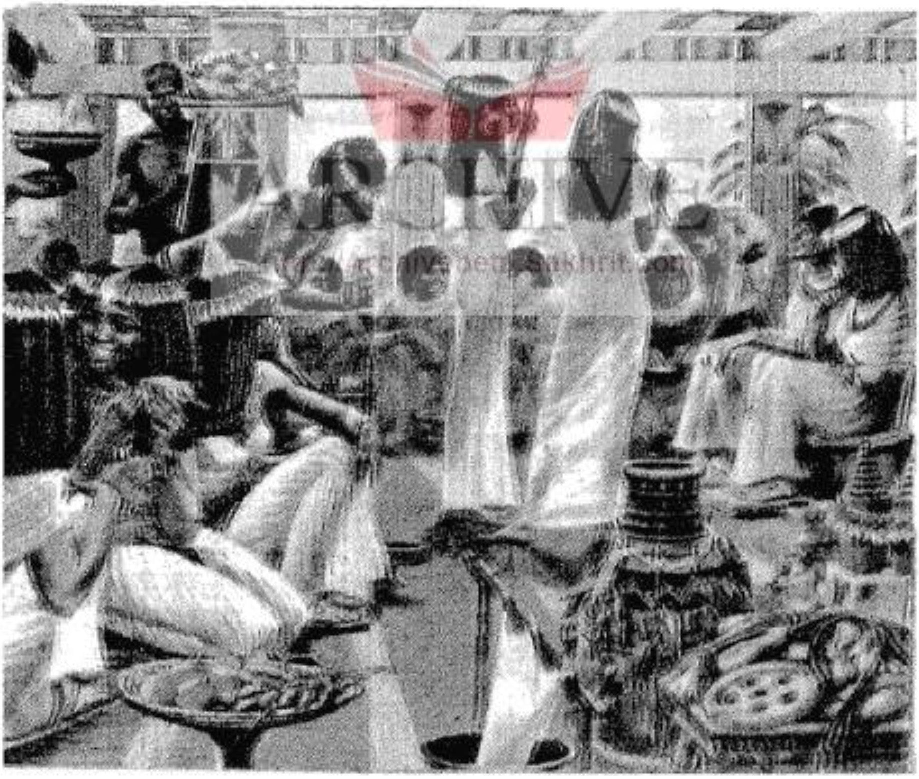
إن مما يلفت النظر على خريطة مصر غرابة أسماء بلادها العريقة التى يجهل مواطنوها سر تسميتها وماتعنيه اسماؤها . فإذا رجعنا إلى جذور نشأتها لوجدنا أنها تحمل أسماء مصرية وفرعونية قديمة ، يرجع بعضها إلى فجر الحضارة نفسها ، ويرتبط معنى كل اسم بموقعها

الزراعة التى حرص عليها الفراعنة . مازالت بعض اسماء ادواتها تتردد حتى الآن بين فلاحى مصر



الأشجار		الفاكهة		الخضروات		البقول	
عربي	فرعوني	عربي	فرعوني	عربي	فرعوني	عربي	فرعوني
شجر الحور	حور	الرمان	رمن	درة	درات	طماطم	طم طم
الاثل	اثل	التفاح	تباح	فول	فور	بطيخ	بتك
السنط	شندت	التين	تون	ثوم	فوم	القتة	قلتي
النبق	نبك	البلح	مهات	بصل	بصر	عدس	ادس
الابنوس	ابنو	اللوز	نوز	رسيم	برسم	لفت	الفت
الكروم	كرم	التوت	تنوت	كرات	كراهت	خبيزة	شبيزى
الزيتون	زتنو	الخروب	جروت	بنسون	بنكون	بسلة	بسم
				كمون	كمنين	سمسم	سسم
				جرجير	جرجر	ملوخية	منوخى

حفلات الزواج على الطريقة الفرعونية . استمرت طقوسها في ربوع مصر . وتشابهت في الكثير مما نشهده في افراحنا الحاليه



وطبيعة عملها وكيان نشأتها . وقد طرأ عليها بعض التغيير عبر مراحل تغيير اللغة المصرية القديمة ، خلال موجات الغزو الأجنبى ، وتأثر اللغة الأصلية بكل منها وبلهجاتها .

وقد أمكن التوصل إلى تحديد أصل أسماء مالا يقل عن مائة مدينة من مدن أقاليم الوجهين البحرى والقبلى منها على سبيل المثال لا الحصر

عربي	فرعوني	المعنى
القاهرة	كامى - رع	موطن الاله رع
منف	من نفر	الميناء الجميل
هيليوبوليس	هليواون	مدينة عين شمس
حلوان	حل اون	اون العليا
قليوب	كاليوبى	
بنها	برنها	بيت المعبود
طنطا	طاننت	طريق المعبد
ادفينا	دفنى	مخزن الغلال
منوف	منو فر	ارض المزارع
دمنهور	دمى ان جور	مدينة الاله حور
سنهور	سا ان حور	ابن الاله حور
سندهور	سندحور	معبد الاله حور
سنديون	سندابون	معبد الشمس
بولاق	بلاك	الجزيرة
بولاق الدكرور	بلاك دكرو	جزيرة السفن
سقارة	سقر	ارض المدافن
سمنود	سبتوتس	
شبرا	شبرو	الحدائق (كفر)
شبراخيت	شبرخت	حدائق الشمال
شبرامنت	شبرمنت	كفر الاله من
ارمنت	برمنت	قصر المعبود من
المنيا	من عيت	المراسى
جرجا	جرج	العزبة
اسيوط	سايوت	مكان الحراسة
الفيوم	بيوم	جمع يم (البركة)
اخميم	خم مين	وجه المعبود مين
ابوتيج	بوتيك	مخزن العطارة

عربى	فرعونى	المعنى
طهطا	طاهت	محراب الاله
دندرة	تانيترة	
ادفو	اتبو	
منقباد	منكابوتو	حصن بوتو
اسنا	سني ـ ايونس	
اسوان	سون	الأسواق
النوبة	نوبت	ارض الذهب
الغردقة	حورجيت	ارض الاله حور
ابوصير	بواوزير	بيت اوزير
طما	طامت	ارض الاله اتوم
سوهاج	ساهو	ابن المعبود
تل بسطة	بوباست	بيت المعبود بس
اثر النبى	هاتورنبت	ميناء الاله هاتور
الواحة	واح	جزيرة الصحراء
سينا	سين ان	وادى القمر
طورسينا	تور سين	جبل القمر
ميت	ممت	قرية
ميت بره	ميت بر	قصر القرية
روضة	رودت	مستعمرة

● مصر .. اسم قديم ●

● إن اسم « مصر » الذى ورد فى الكتب السماوية واختلف المؤرخون فى تفسير مصدره هو اسم مصرى قديم ورد فى متون العقيدة من عصر ماقبل الأسرات وصفت مصر باسم « ماسار » أى حصن ابن الاله عندما أطلق على أرض مصر اسم أرض الاله « جب بتاه » وهو الاسم الذى نسبه المؤرخون إلى الإغريق بالخطأ عندما اطلقوا على مصر اسم « جبتوس » وقد اتخذ ملوك الأسرة الأولى اسم جبتاه شعارا للتتويج فذكر عند تتويج ملوك العصر العتيق أول ملوك الفراعنة « أن الملك توج على عرش جبتاه » وذلك قبل أن تطأ أقدام مؤرخى الإغريق أرض مصر بأربعة آلاف سنة .

نفس الخطأ وقع فيه المؤرخون عندما نسبوا اسم نهر النيل الخالد إلى الإغريق ، عندما أطلق عليه هيرودوت اسم « نيلوس » مع جهله بالمعنى الذى يرمز إليه او اشتق منه الاسم

فاسم النيل اطلق عليه مع فجر الحضارة عندما نزح المصريون القدماء الى شواطئه فقدسوه ، عندما عرفوا أن « مصر هبة النيل » فأطلقوا على الدلتا حيث يتفرع النيل الى عدة

طريقة العجين عند الفراعنة . مازلنا نشاهدها في ريفنا المصري



انهار اسم نى ال و اى الانهار بينما اطلقوا على نهر الصعيد اسم ال نيل اى النهر الأزرق وال معناها النهر فاسم نهر النيل الذى أطلقه الفراعنة في الشمال نيلو وفى الجنوب النيل .

● إن لفظ الجلالة الذى يعيش فى قلوب المؤمنين فى العالم اجمع ، مع احتلاف اجناسهم ولغاتهم وادیانهم ، ويتردد على ألسنتهم فى بيوت الله ـ من مساجد ومعابد وكنائس وهو لفظ (امن) احد اسماء الاله الواحد عند قدماء المصريين ومعناه (الذى لاتدركه الأبصار) ، كان المصرى القديم ينادى به ربه ، ويختم به صلاته ودعاءه ـ انتقل من مصر إلى طقوس العبادة فى التوراة فردده اليهود بقولهم (امان) ومع ظهور المسيحية تردد فى الكنائس بقولهم (امن) وردده المسلمون في المساجد بقولهم (آمين) اى يارب . ومما يلفت النظر أن كلمة امن او امين لم يرد لها ذكر فى القرآن او التوراة او الانجيل .

●●●

رسالة أوربا

بقلم
محمد سعيد

ليالي الفن والفكر في ڤيينا

● في شهور البرودة التي تدور فيها درجات الحرارة صعودا وهبوطا اعلى وأسفل درجة الصفر يزدهر العطاء الثقافي في عاصمة النمسا ويصبح المجال متسعا امام هواة متابعة الجديد من اصدارات الكتب والدوريات وعروض المسرح والأوبرا والباليه والموسيقى ومعارض الفن التشكيلي ، ومنتديات الفكر ، في مختلف الوان التعبير ●



الليالي الفنية في فيينا تبعث البهجة وتجلب الدفء الإنساني

ليالى

الفن والفكر فى فيينا

ولأن الشتاء هو موسم الازدهار فى الفنون والثقافات النمساوية ، فقد جال بخاطرى تساؤل عن ليالى الأنس فى فيينا تلك الغنائية البديعة التى وضعها الشاعر العربى الراحل احمد رامى وكان التساؤل العابر عن زمن ليالى الأنس الفيناوية هل تكون فى شهور الشتاء كما تبدو هذه الايام ام تنتظر حتى يحل الصيف وتذهب برودة الطقس التى لاتمتد باى حال من الأحوال إلى حرارة ودفء اللقاء فى دنيا الفن والثقافة فى عروس الدانوب الأزرق فى رحلته النمساوية .

لقد وصلت إلى عاصمة النمسا فى ايام الشتاء منخفضة الحرارة وهى الأيام التى شهدت نهاية عام راحل بكل حسناته وسلبياته ومقدم عام آخر بكل ماننتظره منه من آمال وطموحات ، ووجدت فيينا (مايقرب من مليونى نسمة) وهى فى أزهى فصول العطاء الثقافى خلال شهور العام . ويستطيع ان يدرك هذا بسهولة من يتجول فى قلب العاصمة متأملا واجهات مسارحها ومكتباتها ومتاحفها ومقاهيها ومختلف ملتقيات الناس والحياة على أرضها

إن البهجة التى يشعر بها زائر فيينا ليست هى فقط نتاج معايشة ابداعات فنانيها ، وتلقى حصاد لياليها الفنية الرائعة لكنها أيضا فى هذا الشعور بالامتنان والرضا الذى يشعر به من يتأمل واجهات مكتباتها العامة وأماكن عرض وبيع الكتب والدوريات فيها .

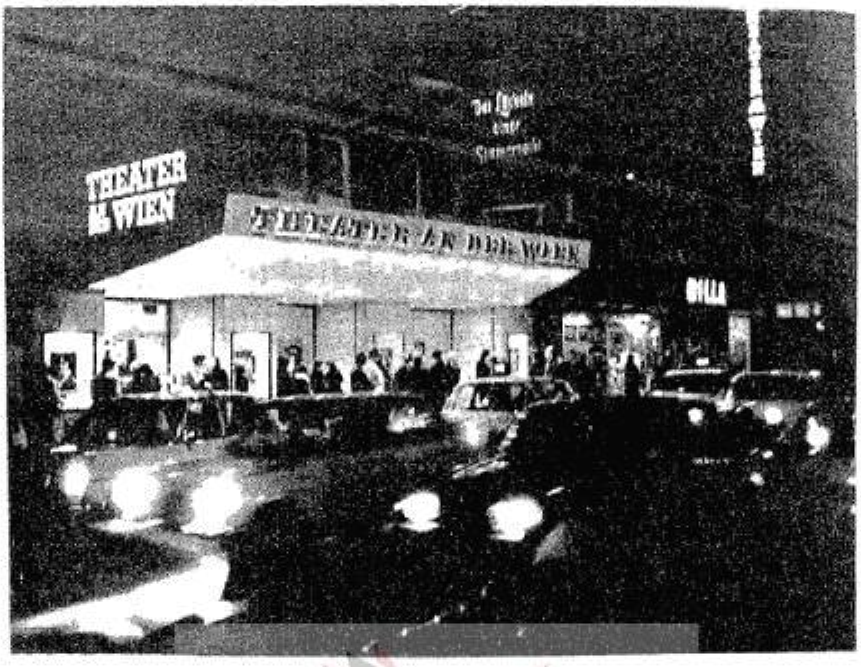
فى شارع « جرابن » وهو احد شوارع قلب فيينا القديمة تشعر بالبهجة تغمر المكان وانت لاتميز بين جمال عرض الكتب



غلاف كتاب « معتقدات البشر » وبه جزء كبير عن الاسلام

والدوريات والمجلات فى واجهة المكتبات . وعلى نحو لايختلف فى درجة الذوق ومستوى العرض ، وحفاوة من يعرض بالبضاعة التى يبيعها ، لا فارق فى هذه الحفاوة بين من يعرض الكتب العلمية والادبية ، وبين جاره الذى يعرض الشهى واللذيذ من تنويعات الشيكولاتة والحلوى

وعندما تأملت الجديد من اصدارات المكتبة « الفيناوية » عرفت أن الكتب العلمية فى الطب والتكنولوجيا والاقتصاد والفضاء ، هى فى مقدمة المطبوعات ، تليها الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات وأعمال النقد ، ثم الدراسات التاريخية وأدب الرحلات والكتب الدينية ، وعدد دور النشر فى النمسا نحو ٢٤٠ دارا منها مائة دار تخاطب الشعوب المتحدثة بالألمانية



واجهة ، مسرح فيينا ، حيث مركز الثقل المسرحي والفني

بجانب النمسا مثل الألمانيتين وسويسرا وبعض بلدان وسط أوربا بجانب ثلاثين دارا أخرى ، لها اهتمامات عالمية حيث تترجم أعمالها من اللغة الألمانية إلى لغات العالم الأخرى مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية والعربية والأسبانية والروسية والمجرية واليابانية وغيرها .

ولاتعدم المكتبات في فيينا الوسيلة لجذب اهتمامات القارىء الى الجديد من الكتب وقد لاحظت صدور كتاب جديد يبدو على غلافه الدكتور برونو كرايسكى مستشار النمسا الأسبق واحد أشهر نجوم الفكر السياسي المعاصر في أوربا والعالم . يبين كرايسكى في هيئته الحالية بعد اعتزال العمل السياسي برغبته ، والتفرغ لمجالات البحث والعطاء في مجال التحليل السياسي والاقتصادي . اما الهيئة الحالية للدكتور كرايسكى فهي في اطلاقه لحيته بصورة تختلف تماما عن الصورة التي كان يقدم بها نفسه للحياة العامة خلال السنوات السابقة

لقد حدثني عن كتاب الدكتور برونو كرايسكى وهو في مرحلة ماقبل الطبع المرحوم الدكتور منير زكى الذى توفى أخيرا عن عمر يناهز الخمسين ، وهو نمساوى من أصل مصري بدأ حياته صحفيا ثم هاجر إلى النمسا في منتصف الخمسينيات ليصبح من أكثر المقربين للدكتور كرايسكى عندما شغل موقع مستشار النمسا قرابة أربعة عشر عاما وكان آخر موقع شغله الدكتور منير زكى منصب المسئول الاعلامى المتخصص في المنطقة

الفن والفكر في فيينا

العربية بإدارة الاعلام الاتحادية بالمستشارية النمساوية .

ويلخص الدكتور برونو كرايسكي نظريته السياسية فى هذا الكتاب الذى يعد من اكثر الكتب مبيعا فى البلاد المتحدثة بالألمانية . وضمن حديثه عن تجربته السياسية يتعرض الدكتور كرايسكي للحوار العربى - الأوربى . والذى كان من رواد الدعاة له . ويتحدث ايضا عن تصوره للدولة الفلسطينية التى يرى ان الاعتراف بها وبحق الانسان الفلسطينى فى وطن يحفظ حقوقه الاساسية هى بداية الوصول الى الاستقرار وفض المنازعات فى منطقة الشرق الاوسط . وان تجاهل هذه المسلمات هو الذى يعرقل اى تطور لمجريات الامور فى تلك المنطقة الحيوية من العالم القديم والحديث

● موسى .. المنسى ●

والتعرض للحياة فى عالمنا العربى والاسلامى ظاهرة واضحة فى حركة النشر فى المكتبة النمساوية التى تخاطب من يتعامل باللغة الألمانية ايضا ومن بين تلك الكتب التى تلقى رواجا طيبا كتاب يحمل عنوان ، موزيل العرب - مجاهد العالم الاسلامى ، وضعه الدكتور اريك فايجل وهو يقدم شخصية قريبة الشبه من الشخصية البريطانية التى عرفت باسم ، لورانس العرب ، والتى قدمها بيتر اوتول فى عمل سينمائى بهذا الإسم اخرجه دافيد لين .

وموزيل العرب هو العالم النمساوى والباحث التاريخى لويس موزيل ، الذى عاش من ١٨٦٨ حتى ١٩٤٤ وتسمى باسم

مسجد المركز الاسلامى المطل على نهر الدانوب والمجاور للمركز الاوربى للامم المتحدة





يصبح العمل الفني ذا رؤية ثقافية لها خصوصية متميزة عندما يستمد مضمونه من التراث

الشيخ موسى وتبحر في رحلاته ودراساته العربية الى الحد الذي جعله يختار الانتماء الى القبيلة البدوية لأمير الصحراء النورى بن شعلان ، وكان ذلك في سنوات امبراطورية النمسا والمجر ، وحيث بدا الشيخ موسى أو موزيل العرب رحلاته الى الشرق الأوسط في عام ١٨٩٥ ، وحيث عرفته المنطقة العربية مستشرقا وباحثا في الفقه الاسلامي وحيث اتاح له التردد على البلدان العربية أن يتقن لهجات الجزيرة العربية والشام وفلسطين ومصر وليبيا والعراق والأردن وغيرها

ومن أهم دراسات موزيل المنشورة الدراسة الطبوغرافية عن حاضر العرب وموسوعة آثار العرب بجانب كتاباته عن اكتشافاته مثل كشفه للقصور الأموية الصحراوية في الأردن ومنها قصر العمرا الفريد بلوحاته الملونة المرسومة على الجدران وهي غير دراساته وتحقيقاته التاريخية عن مدينة ، بترا ، الصخرية في الأردن أيضا وغيرها من الكشوف الهامة في مختلف اقطار المشرق العربي .

ويوضح الدكتور أريك فايجل دور الشيخ موسى أو موزيل النمساوى في خلق مدرسة اسلامية في قلب أوربا عندما يشير الى مئات الشباب المسلم الذى أحضره موزيل من تركيا والشام وفلسطين وشرق الأردن ومصر للدراسة في معهده الذى ضم برنامجا تعليميا باللغة الألمانية وبرنامجا آخر باللغة العربية وكان ذلك في عام ١٩١٧ قبيل نهاية امبراطورية النمسا والمجر الذى كان موزيل أحد رعاياها غير أن هذا البرنامج التعليمي انتهى بانكماش دور المؤسسات الثقافية النمساوية والمجرية

ليالى

الفن والفكر فى فيينا

بعد نهاية امبراطورية النمسا والمجر عقب الحرب العالمية الأولى ، ويعتقد الكاتب الدكتور اريك فايجل ان اسم العالم والرحالة موزيل قد نسى فى وطنه النمسا حيث انتهى نشر أعماله والبحث عن تراثه قبل سنوات من رحيله عن الحياة فى عام ١٩٤٤ .

● الإسلام ومعتقدات البشر ●

ومن بين سبعة الاف مصنف منشور فى العام الأخير تبدو ملامح الاهتمام بالحضارة الإسلامية وبالثقافة العربية ومن بين أكثر الكتب التى تدور فى نطاق يمزج الدراسات التاريخية بدراسات الأديان المقارنة وهى الوان من الكتب التى يقبل عليها القراء ظهر كتاب ضخم يحمل اسم « معتقدات البشر » أصدره كاردينال النمسا فرانتس كوينج وفيه يتناول الكاردينال الشهير فى ٤٢٠ صفحة من القطع الكبير المعتقدات الدينية التى عرفتها البشرية منذ العصر الحجرى حتى العصر الحديث مرورا بالحضارات القديمة والوسيطة

والكاتب عندما يتناول الإسلام فهو يعتمد على منهاجية المؤرخ المعروف كريستوفر داوسون ، وهو يرى ان الصورة المثلى التى يمكن ان نقدمها للطاقة الاجتماعية والمشكّلة للحضارة فى الدين نجدها فى الإسلام الذى يوضح لنا التاريخ من خلاله كيف ، استطاعت حركة دينية نشات من خلية صغيرة ان تتطور الى حركة قوية خلال فترة قصيرة من الزمن ، لقد امتدت هذه العقيدة خلال عقود قليلة ، عبر قارات وازالت دولا وامبراطوريات وممالك وخلقت صورة جديدة للفكر والحضارة . ربطت بين الملايين من البشر عبر حواجز اللغات والعرق والأصول فإذا بالعرب والتتر والزنوج والفرس والأتراك والهنود والصرب والسلاف والأسبان يؤمنون بنفس المعتقدات ويتجهون الى التوحيد وإذا ببدو الصحراء وزنوج الغابات وفلاسفة إيران وجنود الاناضول الأتراك وتجار الهند وقراصنة أرخبيل الملايو والفلاحين فى اوربا فى البوسنة والهرسك والبسطاء فى شبه جزيرة ايبريا يتحدثون جميعا نفس اللغة الدينية ويؤمنون بنفس المفاهيم السماوية ويرتبطون بنفس المثل الأخلاقية ويعيشون فى إطار نفس العادات والتقاليد الاجتماعية . وبرغم تباين المعمار الاسلامى فى مختلف بقاع العالم ، فإنه ظل مع ذلك معمارا اسلاميا متميزا وواضح المعالم وهو ماظل كذلك ايضا فى مختلف نواحى التعبير وسبل وصور الحياة

إن الإسلام وبرغم انه أصغر الأديان العالمية سنا لكنه اليوم أكثرها تعدادا واتساعا فى الأرض مع المسيحية ، ولهذا فإن الكاردينال فرانتس كوينج يأسف لان الشعوب الأوربية والامريكية لم يشد اهتمامها بوجه عام تلك الروحانية المختلفة الصورة ، بقدر ما أثار حفيظتها تلك الموجات العمالية الأجنبية التى يعتنق اغلبها الإسلام ، الذى تمثل شعوبه قوة سياسية واقتصادية وثقافية فى حالة اتفاق الكلمة . ولكن المؤلف يأسف لأن معظم معلومات الغرب عن الإسلام لاتزال فى معظمها متأثرة بانطباعات متحيزة ومناهج مغرضة مستمدة من مصادر غير دقيقة وهى غير الصورة المبتورة والمضللة عن الحركات المنسوبة للإسلام والتى يسميها البعض التقليدية الإسلامية وحيث يشارك

دعاتها ايضا فى تقديم صورة غير حقيقية عن جوهر الإسلام تضاف إلى اباطيل خصومه .

إن الكاتب يتعرض للاسلام من خلال منهاجية تتفق مع منهاجية داوسون فى مرجعه الهام « الدين والحضارة » ، وحيث يتناول قصة الوحى وبداية نشر الدعوة الإسلامية والاضطهادات والاخفاقات فالهجرة والنجاحات وفتح مكة والنصر ، وانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية ، ومراحل الدولة الإسلامية وقصة الخلافة وتطورها الدينى والسياسى وعالمية العلاقات الإنسانية فى الإسلام ، وما إلى ذلك من افكار متعددة يتناولها الكاتب بالتقصى والتحليل والاستنتاج الذى يجعل الكاتب يتناول موضوع التحدى وحوار الاديان موضحا مايواجه الإيمان بوجه عام ، من تحديات متباينة من تيارات المادية والإلحاد ، والضغوط المختلفة من نظم الحكم ، وبعض الجماعات والفلسفات ، الامر الذى يبين من وجهة نظر المؤلف حاجة البشرية جمعاء وخاصة اولئك الذين يؤمنون بوحدانية الله الى الحوار لوضع اسس قوية لمزيد من التفاهم والتقارب ولبس التعارض والتناقض كما نلحظ حتى بين هؤلاء وهؤلاء ممن يعتنقون نفس التعاليم والمذاهب

ليـالـى مـوتسـارت وشتروس

ولان الشتاء فصل متعدد الوجوه فى النمسا فإن أحد ابهج وجوه الثقافه الشتوية فى النمسا هو ذلك الوجه الذى يميز ارض الموسيقى التى تجعل للمشاعر دفئا اخر يزيح عن النفس اى اثار جانبية يتركها تراكم الجليد ليس فقط فوق المرتفعات ، ولكن ايضا فى الطرقات والحدائق والشوارع وعلى اسطح وواجهات المنازل .

إن استمرار العروض الموسيقية المبهجة لفرقة أوبرا فيينا يحفظ لهذه المدينة شهرتها كعاصمة للموسيقى الكلاسيكية التى يختلف وجد الاستماع اليها عن حالة الاستماع الذى يحرك العضلات والاطراف فى سماعيات الجديد من موسيقى الديسكو والبوب وغيرهما من الالوان التى بدات تغزو مسارح المنوعات فى فيينا ولكنها وبرغم اقبال الشباب عليها لم تستطع ان تسلب فيينا ريادتها وتفوقها فى مجال الموسيقى الرصينة والاصيلة

لقد ظلت فيينا منذ القرن الثامن عشر وحتى اليوم مركزا لكبار مؤلفى الموسيقى ونشاطاتهم النغمية الكبيرة التى عرفت ابداعات جوزيف هايدن واماديوس موتسارت ولود فيج بيتهوفن وفرانس شوبيرت ويوهان برامس وحتى يوهان شتراوس ملك الفالس ومؤلف رائعة « الدانوب الازرق » .

وتنتشر قاعات الموسيقى فى كل بقاع النمسا غير ان اكثرها عظمة هى تلك القاعات « الفيناوية » وابرزها قاعة « ميوزيك فيرابنسال » وهى قاعة الاكاديمية الموسيقية المعروف عنها خاصية ترديد الأصوات وهى لهذا مركز الثقل فى الحفلات الموسيقية وتنقل منها شبكات الراديو والتليفزيون فى العالم حفلات بداية العام الميلادى الجديد

والمسرح وجه اخر من وجوه الشتاء البديعة فى النمسا حيث يبدا الفصل المسرحى مع بداية فصل الشتاء الذى يزدهر خلاله نشاط الموسم المسرحى

ليالى
الفن والفكر فى فيينا

وحيث يندر وجود هذا النشاط فى فصل الصيف وابرز نشاطات المسرح فى النمسا هى تلك التى يتابعها عشاق المسرح فى مسرح « الفينر » وهو مسرح خاص بفرقته التى تضم اشهر نجوم المسارح الناطقة

الواقعية الفنتازية فى لوحة « القبعة » من اعمال فولفجانج هيتر من اشهر فنانى النمسا



باللغة الألمانية وكان من بين نجومه النجم الممثل بيتر شتراوس نجم الحلقات الأمريكية التليفزيونية «رجل غنى . رجل فقير» ، والنجمة الراحلة رومى شنيدر والممثل ماكسيمليان شل والممثل الراحل كورت كيرنجز

وبجانب نشاطات مسرح «القينر بورج» المشهور بتقديم امهات الأعمال العالمية ، وكلاسيكيات المسرح الألمانى والنمساوى نجد نشاطات مسرح «يوسيف شتات» وهو مسرح عريق انشىء فى القرن الثامن عشر لتقديم اتجاهات مسرحية طليعية ، منسوبة للكاتب المسرحى ماكس راينهارت ، اما غير ذلك من المسارح التى تنعش ليالى فيينا فابرزها مسرح بورج والمسرح الأكاديمى ومسرح دريوسيف شتات ، ومسرح كامر شبيلر ومسرح كلاينس والمسرح الفلكلورى ومسارح الأعمال الشبابية والتجريبية والطليعية المعروفة باسم مسرح كيللر

وبجانب عروض الأوبرا هناك عروض الباليه .. ومن ابرز ماتشاهده فيينا من عروض للباليه رائعة تشايكوفسكى «بحيرة البجع» ورائعة شتراوس «سندريللا» . اما أهم نشاطات المسرح ، فهو هذا العرض المنسوب للكاتب المسرحى «أ. فايدا» والمأخوذ عن رائعة ديستوفسكى «الجريمة والعقاب» ، وهو العرض الفائز بجائزة اهم عروض مهرجان مدينة «كراكوف» البولندية ، والواضح من تأمل العروض ومسمياتها أن فيينا مدينة ذات عقل مفتوح لاتقتصر فى متابعاتها المسرحية على عروض المسرح النمساوى والألمانى والسويسرى الناطقة باللغة الألمانية فقط ولكنها أيضا تستقطب اهم أعمال المسرح العالمى لتعرض على جمهورها المتذوق لكل هذه الاتجاهات والتيارات المسرحية المختلفة .

وقد يتصور زائر فيينا ان الموسيقى والمسرح والأوبرا والباليه هى فقط محور اهتمام ليالى فيينا ونشاطاتها الفنية وهو أمر حقيقى غير أن هناك اهتماما آخر ، يضاف إلى هذه الاهتمامات ولا يلحظه الزائر ، ويتمثل فى نشاطات السينما النمساوية التى تعرض افلامها فى اكثر من ٦٠٠ دار للعرض منتشرة فى كل مقاطعات النمسا التى يصل عدد سكانها الى مايقرب من ثمانية ملايين نسمة منها نحو ربع هذا العدد تقريبا فى العاصمة فيينا .

والسينما النمساوية لها سوق محدودة فى المناطق الناطقة باللغة الألمانية ، ثم هذا السوق الآخر للأفلام المدبلجة للغات الأخرى غير ان كم الانتاج السينمائى محدود بسبب هجرة المواهب النمساوية الى الخارج ، خاصة إلى الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا ، وعن اشهر نجوم السينما النمساوية ممن حققوا شهرة عالمية نجد اسماء مثل النجم الاستعراضى فريد استير ، والممثلة الجميلة الراحلة رومى شنيدر والممثل ماكسيمليان شل وشقيقته ماريا شل ، والممثلة سينتا بيرجر .

وتغطية النشاطات الثقافية يحظى باهتمام كبير من أجهزة الاعلام فى النمسا سواء من خلال الصحف والمجلات والدوريات الثقافية او من خلال الراديو والتليفزيون وحيث تدعم الحكومة هذه النشاطات منذ عام ١٩٧٥ بتخصيص مبلغ ٧٠ مليون شلن سنويا من الموازنة العامة لتدعيم الدور الثقافى لهذه الصحف والمجلات ودون اى تدخل فى رسالتها الصحفية وهو غير تخصيص مبلغ ضخم آخر قدره ٣٠٠ مليون شلن سنويا لتدعيم دور التليفزيون والراديو فى مجال المتابعة والتغطية الثقافية فى مختلف فروع ومجالات الثقافة العامة والمتخصصة ودون أدنى تدخل من الدولة أيضا فى توجيه هذا

ليالى
الفن والفكر فى فيينا

الدور وحيث يضمن الدستور النمساوى عدم تحيز هذه المؤسسات الإعلامية للحكومة التى تظل هذه الأجهزة مستقلة عنها أو للأحزاب التى تظل هذه الأجهزة الاعلامية المرئية والمسموعة مستقلة عنها

المغنية دينا والغناء الناعم من ضفاف « السين » الى ضفاف « الدانوب »



ووجوه البهجة الثقافية التى تميز ليالى وايام فيينا لاتقتصر فقط على الفنون التعبيرية ولكنها تمتد ايضا إلى الفنون التشكيلية حيث يلحظ من يتجول فى معارض وجاليرات الفن الحديث كيف يبدو فن التصوير (الرسم) فى النمسا متطورا ومتميزا بعيدا عن تأثيرات الانطباعية وقريبا من اتجاهات التعبيرية والسوريالية التى كان من روادها فى النمسا الفنان اوسكار كوكوشكا والفنان الفروكوين وريجارد كيرستل وانتون كوليك وفرانتس فيكيله ثم جوستاف بيك وفريتس ريدل فى مجالات الفن التجريدى وجيتر سلوه وارنست فوكس فى مدرسة الواقعية الفيناوية والفنان كارل كوراب فى مجال الواقعية الجديدة ، وكورت مولد وفان فى مجال أعمال الجرافيك .

إن معارض الفن الحديث لاتغنى فى النمسا عن جولات متابعة الفنون الكلاسيكية الاخرى فى متاحف النمسا العريقة والعديدة التى تمتاز بروعة العرض ، والتى تضم الأعمال الأثرية التى تعود الى عصور الحضارات الهلشتاتية والكلتية وحضارات الفترة المباشرة للعصر الحجرى ، وهى غير مايعرض من آثار الفترة الرومانية الوثنية والمسيحية ، وأعمال فترة الطراز القوطى وأعمال عصر النهضة وأعمال عصر الباروك وازدهار الأعمال الفنية فى عصر امبراطوريات النمسا والمجر فى القرن التاسع عشر وحتى فن العصر الحديث .

إن التنوع فى مظاهر الفنون والثقافات لايظل فقط الباعث على البهجة التى تميز ليالى فيينا ، لكنه أيضا هو فى سر هذا الهدوء الخلاق المتوثب الذى يميز شخصية الانسان النمساوى ويعبر عن حركته واختياره لهذا الأسلوب فى الحياة .

زينات في جنازة الرئيس ... عبد الناصر

: د. سيد حامد النساج

الحديث عن أزمة الإبداع الفني في القصة القصيرة والرواية الطويلة، يبدو مفتعلا ومصطنعا. وقد حلا للبعض أن يثرثر حوله طويلا طويلا. بل إنه أصبح شعارا تطلقه جماعة كان من مصلحتها أن تبقى هي على السطح، وفي الصورة، دائما أبدا. تشغل المساحات الفارغة، بعد أن سعدت بشغل المساحات الأخرى المكتظة

وهي لا تملأ الساحة والمساحات، بحكم كونها موهوبة ومبدعة وتستطيع أن تأتي بما لم يأت به الأولون والمعاصرون، ولكن لكونها قادرة على سد الأبواب، وتشويه الأسماء الجادة. وصبغ الخلاقين من الأدباء بألوان لا علاقة لها بالفن والأدب والفكر والأخلاق وقد أفرزتها ظروف غير طبيعية فجاءت هذه الجماعة تدعي الخلق حينا، والنقد حينا، والخلق والنقد في غالب الأحيان.

لكنها - في ظل ظروف غير ديمقراطية - استطاعت إغلاق النوافذ في وجه المبدعين الجادين، ووأد كل محاولات مد يد العون إليهم بالتوهم أنها - وحدها - هي القادرة على الحركة، وتلبية المطالب. والاستجابة للرغبات، وكان اطلاق ذلك الشعار واحدا من أدواتها وأسلحتها، معتمدة على أن الكثرة الغالبة من القراء، لا تتابع باستمرار، ولا تحصي، ولا تصنف، ولا تدرس، ولا تنقد، ومن ثم فإنها استكانت لاطلاق نفس الشعار الذي وجد صدى في ظل الحديث عن أزمة الاسكان والمواصلات وغير ذلك

لكن المتابعة الدقيقة، والاحصاء المثالي، والتقييم الموضوعي، ترد - مجتمعة - على مثل هذا الادعاء، من خلال تلك الكتابات التي يفاجئنا بها أبناء مصر المبدعين في الشعر، والقصة القصيرة، والرواية الطويلة، والنقد، في كل الاقاليم المصرية

واظن أن القصة القصيرة تشهد - في

زينات

فى جنازة الرئيس... عبد الناصر!

ايامنا هذه منذ فترة ليست بالقصيرة - ازدهارا فنيا وانتاجا متطورا ، لم تشهده الا فى الربع الثانى من هذا القرن ، حين طغت على الابداع شعرا ونثرا . وكذلك طوال الستينيات التى اصبحت موضع اتهام من قبل بعض الذين فصلوا بينهم وبين الحركة الأدبية - انذاك - وعاشوا بعيدين عما كانت تفرزه من كتاب ونقاد ودارسين . والدليل على ذلك ، أن الذين يوجهون حركة الفكر والادب والثقافة والفن فى ايامنا هذه ، ممن تربوا فى احضان الستينيات ، وممن بدأ انتاجهم يظهر فى ظلها

أقول هذا بمناسبة صدور أول مجموعة قصصية للكاتبة سلوى بكر ، بعنوان « زينات فى جنازة الرئيس » إذ إنها تذكرنا بتلك البدايات الجادة المسئولة ، لكتاب بدأوا فى الستينيات ، ومما يلفت النظر ، أنه لم ينشر اى خبر عن صدور هذه المجموعة هنا أو هناك . فى حين أننا نقرأ عشرات الأخبار فى يوم واحد عن كتب أو روايات أو دواوين شعر ، لأناس محدودى الموهبة والثقافة ، يكتبون - فقط - لمجرد « الوجود » أو استكمال المظهر الاجتماعى . كما أن الاذاعة لم تسارع - بشكل أو بأخر - لمناقشة هذه المجموعة او الحديث عنها . بمثل ما نلاحظه فى أعمال متوسطة القيمة ، ما أن تظهر فى بداية الأسبوع حتى تكون - فى وسطه - قد نوقشت فى اكثر من برنامج إذاعى ، إسهاما فى الإخبار بها ، والاعلان عنها ، وليس لجودتها الفنية . ثم لا يلبث التليفزيون أن يقدمها بطريقة أو بأخرى .

● فكر ملتزم ●

يبدو أن المؤلفة لا تحظى بوجود شلة مصاحبة ، صحفية او نقدية أو اذاعية او تليفزيونية وهو أمر مؤسف شهدته السبعينيات ، وأصلت له تأصلا تجاريا مصلحيا ، تصبح معه مقولة « قل لى من نقادك أقل لك من أنت ؟ ! » أو « قل لى من انت أقل لك من هم نقادك ؟ ! » . والشىء اللافت للنظر ان الكاتبة تنتمى الى شىء واحد ، وتلتزم بفكر اساسى ، وتؤمن بموقف محدد .

اما هذا الذى تنتمى اليه ، فإنه قاع المجتمع ، بأناسه ومشكلاته وقضاياه وأحزانه وفئاته المطحونة جدا ، فعلا لا خيالا ، حقيقة لا تصورا . وأما هذا الذى تلتزم به فإنه الفكر التقدمى الثورى الذى يستهدف تغيير واقع الناس العاديين البسطاء ، إلى واقع أفضل ، لكى يحيوا حياة انسانية طبيعية عادية ، فيها امن وأمان غير زائفين من اجل مستقبل فيه مسكن مأمون ، ومأكل مضمون ، وثقافة دافعة ، وتعليم متقدم ، وماشابه ذلك من مطالب أساسية ، لا أنانية فيها ولا بورجوازية . ومن هنا ينبع موقفها المحدد الذى تؤمن به : مع التقدم والانسانية والثورة .

وهى وإن كانت تنطلق من هذه المنطلقات - التى توقع فى مزالق فنية - فإنها حرصت على أن تقترب من خصائص فن القصة القصيرة . وعلى أن توافق - فنيا - بين المضمون والشكل الفنى إلى حد كبير . وقد وفقت حينا ، ولم توفق فى بعض الأحيان .

كما أنها لم تنس حقيقة كونها امرأة ، فجاءت أغلب الشخصيات المحورية فى قصص المجموعة كلها ، شخصيات نسوية ، والتفتت الكاتبة إلى اشياء وجزئيات لا تثير الكاتب الرجل كثيرا ، لتجسد عالم شخصياتها ، ولتقنعنا بواقع هذه الشخصيات ، ثم لكى تمارس التعبير عن ذاتها ، ولكى تكون لها خصوصيتها فى الكتابة .

والمرأة التى نجدها فى قصص المجموعة ، ليست هى المرأة التى نجدها فى قصص الكاتبات المعاصرات ، لا فى النشأة ، ولا فى التطلع والحلم ، ولا فى القضايا التى تهمها ،



ولا فى المستوى الاجتماعى الذى تنتمى إليه أو الذى تستشرف الوصول إليه ـ إنها امرأة بعيدة عن أن تكون امرأة بورجوازية ، وهى لا تعمل فى الصحافة أو الاذاعة أو التليفزيون . كما أنها ليست زوجة تعيش حياة ناعمة . وتتفرد فى كونها لا تشبه « وصيفة » بطلة (الأرض) أو « عزيزة » بطلة (الحرام) وتختلف تماما عن بطلات إحسان عبد القدوس « والمرأة » فى كل قصة لها شخصيتها المستقلة ، وكيانها الخاص ، النابع من ظروف موضوعية ، فى قصص " (نونة الشعنونة) و (العاشقة) و (زينات فى جنازة الرئيس) و (أم شحته التى فجرت الموضوع) و (لوكيميا) و (امرأة على العشب) .

○ الارتباط بالزعيم ○

ويلتقى قارىء هذه المجموعة ، مع كاتبة تمثلت شخصية الزعيم الراحل جمال عبد الناصر . إذ استنبطت تأثيره فى قاع المجتمع المصرى ، من خلال شخصيات لم يلتفت إليها ، ولا يمكن الالتفات إليها ، مادامت قد استبعدت من تصور واضعى السياسة الاقتصادية ، والتخطيط الوطنى ، والتنظيم الاجتماعى ، حين كانت الكتابة عن مثل هذه الشخصيات تعد جريمة كبرى

لقد جعلتنا قصص هذه المجموعة نستشعر صدق ارتباط البسطاء بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وتعلقهم الشديد بأقواله ، وخطبه ، وصوره ، وقراراته . وكيف أنه كان واقعهم وحلمهم ومستقبلهم . وقد جسدت ذلك بفن قصة (زينات فى جنازة الرئيس) . وهى شخصيات إيجابية فاعلة لا تستسلم ولا تتقاعس ، وإنما تفعل وتؤثر . فزينات ـ بعد وفاة الرئيس ـ تتحول لتصبح زعيمة فى مرحلة تالية بل إنها تتحدى بوضوح فى قصة (أم شحته التى فجرت الموضوع) . وهى نفسها الفتاة التى تكتشف عن ثوريتها فى (لوكيميا) .. إنها الشخصية المصرية الواقعية فى (العاشقة) .

ولقد اطلعت على كثير من المؤلفات والمذكرات التى دارت حول الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وشخصه ، وفكره ، وسياسته ، ودوره . فإن هذه الكتابات كانت مباشرة للرد على دعاوى المغرضين من غير أنصار عبد الناصر . أو كانت تسجيلا تاريخيا لوقائع بعينها حدثت أيام عبد الناصر وكان له فيها دوره البارز ، أو قراره الايجابى ، أو تفكيره العميق . غير أننا لم نلتق بمجموعة قصصية أولى لكاتبة ، تهيمن عليها شخصية عبد الناصر ، مثل هذه المجموعة ، التى صدرت فى منتصف ١٩٨٦ . وهى صغيرة الحجم . تقع فى ١٢٥ صفحة من القطع الصغير . وتضم قصص « امرأة على العشب » ، « الزمن الجميل » ، « نونة الشعنونة » ، « الخصبة والجدبة » و « لوكيميا » و « العاشقة » و « ماجرى لبوسى » و « زينات فى جنازة الرئيس » ، و « أم شحته التى فجرت الموضوع » و « بسمة الموت » و « أصل الحكاية تمة

زينــات

في جنازة الرئيس... عبد الناصر!

وطبيعى الا تأتى كل قصص هذه المجموعة فى مستوى فنى واحد . كذلك فإن ظل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يهيمن على فكر الكاتبة فى بعضها ، فى حين نجده متخفيا وراء الدافع الى كتابة بعضها الآخر .

وإن كان هذا لا ينفى عنها ـ جميعا ـ انها تنطلق من منطلق واقعى اجتماعى ناقد . وينبغى ان نضع فى اعتبارنا الاساسى أنها مجموعة أولى ، لكاتبة تقدم انتاجها القصصى لاول مرة ومع ذلك فإنها تؤكد جدية المحاولة والتجربة . ولا تخلو من هنات فنية ، لا يلغيها شرف المحاولة ونضج التجربة والوعى الاجتماعى الواضح .

● نموذج حى ●

و « زينات محمد على » الشخصية المحورية فى قصة (زينات فى جنازة الرئيس) ستظل نموذجا حيا فى القصة القصيرة الصادرة عن كتاب الثمانينيات . وهى التى تبيع للتلاميذ العسلية والفشار والترمس . وتعيش وحيدة اللهم إلا صور الرئيس التى تؤنسها فى كوخها الصغير . وهى لم تلتق به أبدا ، رغم حبها الشديد له . والعلاقة بينهما تمر من خلال عبده المزين الذى يكتب رسائلها إليه ، لانها لاتعرف القراءة والكتابة . والمرة الوحيدة التى حاولت رؤيته وتسليمه ورقة بمطلبها ، ديست بالأقدام وحيل بينها وبينه ، ومع ذلك ظلت تحبه . وعمق هذا الحب حين حدد لها ثلاثة جنيهات إعانة شهرية ، فازداد عشمها فيه ، وارتباط مصيرها به ، بل إن رسائلها إليه لم تنقطع ، وظلت فى كل مرة تحكى له حكاية ، وتقص عليه قصتها .

وقد صاغت الكاتبة قصتها صياغة فنية لاتعقيد فيها وحاولت تقديم شخصيتها المحورية تقديما يتلائم وتكوينها النفسى والفكرى والاجتماعى ، بل إن السرد فى القصة جاء سردا أقرب الى الحكى العادى الذى توسلت اليه بلغة سهلة ، لدرجة أننا نشعر أن « زينات » هى التى نسجت خيوط القصة ، واختارت مفرداتها ، وشكلت هيكلها الفنى ، كما أن الكاتبة استطاعت أن تقتحم عالمها الداخلى ، ومشاعرها الذاتية ، واحلامها ، اذ أنها لم تفصلها عن كونها « انسانة » تعانى وتتألم وتشقى ، ثم تحلم ، لكن حلمها جاء نابعا من واقعها ، ومن ثقتها فى قدرة الرئيس على تحقيق هذا الحلم

ذلك أن « زينــات » (احبت رئيس الجمهورية جدا ، بعد رده عليها ، وبعد حكاية الثلاثة جنيهات ، وكانت تشعر أنه سندها الحقيقى فى الدنيا ، وداخلها احساس بأن صوره تأنس وحدتها ، وتزيل الوحشة عن نفسها ، عندما تكون وحيدة بالعشة ، كذلك قررت أن تكلمه بصراحة ، وتقول له كل ما عندها من كلام تحبسه فى نفسها) ص ٨١ . أنها تستشعر أن بينه وبينها (علاقة خاصة جدا ، ومع أنهما لم يلتقيا خلالها أبدا وجها لوجه ، فإنه ، ورغم كل شىء ، يصعب القول إنها علاقة من طرف واحد) ص ٧٥ . حتى عندما حدثت لها تلك الحادثة المؤسفة (وفظاعة الآلام التى عانت منها زينات بعد ذلك ، لم تحل دون استمرار علاقتها بالرئيس ، ولم تغير نفسها من ناحيته ، أبدا ، كما أن صوره فى عشتها بقيت فى مطرحها ، كما هى ، تلك الصور التى لم يكن أى شىء سواها يزين العشة ، التى بنتها زينات بنفسها ، من الحجر والطوب والصفيح) ص ٧٦ .

اما الحلم فإن الكاتبة جسدته بشكل لا افتعال فيه ولامبالغة ولاخطابية فيه ، رغم انحيازها الواضح لهذه الشخصيات المنتقاة من قاع المجتمع ، ومن بيئة دنيا لم يرد لها ذكر فى التصنيف الطبقى الاجتماعى والاقتصادى ولاهى بروليتارية ولاهى فلاحة ولاهى بورجوازية ؟ ولعلها البروليتاريا الرثة . هذا القطاع العريض الممتد فى أعناق الأرض



سلوى بكرى
عمل جاد لم يلتفت إليه النقاد

المصرية هو الذى أحب عبدالناصر بعمق وصدق وحق واخلاص . فى القرى والنجوع والكفور والأزقة والحوارى . وهؤلاء هم الذين بكوا عليه ، وتشبثوا به .

قبل أن تأتى زينات الجنيهات المعدودة ، وضعت لنفسها خطة تنمية صغيرة (رسمتها زينات لنفسها ، تتلخص خطوطها العريضة فى أن توسع على روحها فى الأكل بين الحين والحين ، وفى سبيل ذلك تشترى وابور جاز ، وحلة الومنيا لتطبخ فيها كلما هفت نفسها لأكلة لحم ، كما ستقوم بشراء جلابية نظيفة زبدة ، وقمطة بالخرز ، بدلا من جلابيتها المقطعة ، وقبل كل شىء ، وبإذن واحد أحد ، سوف تسدد ديونها المنظورة ، التى تتلخص فى جنيهين لعبده المزين ، آخر دفعة تبقت له من دين قديم استلفته منه ، لتشترى بضاعة جديدة تتاجر فيها ، وكذلك ديونها غير المنظورة ، والتى هى عبارة عن عدة دعوات من أخيها ، صاحب العيال ، لأكل اللحم ، وعدة خمسينات قروش ، كان يمدها بها عند أول كل شهر ، وقد عزمت زينات على زيارة أخيها ، باثنين كيلو لحم ، عندما تمسك الفلوس بيدها . وقبل كل شىء ، زوج فراخ محترم ، وزجاجة شربات ورد ، هدية خالصة لعبده المزين ، نظير عطفه عليها ، وخدماته لها فى كتابة الرسائل الى رئيس الجمهورية ، وهى الخدمات التى كللت أخيرا بالنجاح ، حيث تقرر صرف معاش استثنائى لها ، قدره ثلاثة جنيهات بالتمام والكمال) ص ٧٧

● خطاب مطول للرئيس ●

وزينات ليست عاطلة ، أو متسولة ، أو كسولة ، أو سلبية . ولكنها حاولت التغلب على ظروفها بشتى الطرق فلم توفق ، والكاتبة افصحت عن ذلك فى الخطاب المطول الذى بعثت به زينات إلى رئيس الجمهورية كى يزيد الاعانة حتى تتلاءم وظروف الحياة الصعبة ، بنفس الحرص على الجو العام للقصة ، والمناخ الذى تتنفس فيه الشخصية ، واللغة التى تجيدها ، وطريقة التعبير عن مشاعرها وافكارها . (حكت حكايتها من طقطق للسلام عليكم ، ومن لحظة موت أبيها ، وهى صغيرة ، حتى مابعد ترملها ، وهى لاتزال بنتا بنوتا لم يدخل عليها عريسها ، الذى مات مع صاحب الدكان الذى كان يعمل عنده فى حريق ، كما روت له كيف أنها ظلت بعد ذلك مع أخيها الوحيد ، لكنها بعد أن تزوج ، وبقى مربوطا من رقبته بكومة عيال تركته ، وتركت الخناق ، كل يوم والثانى ، مع أم العيال ، وراحت تعيش لوحدها فى العشة ، وحكت له أيضا أنها حاولت أن تشتغل أكثر من مرة ، دون جدوى ، وكان آخر هذه المحاولات ، التقدم لمسك شغلة عاملة نظافة فى المدرسة القريبة لسكنها ، لكنها رفضت لأنها لاتعرف القراءة والكتابة ، ثم بعد أن شكرته على الجنيهات الثلاث ، بكلمات كثيرة مؤثرة ، ودعت له من قلبها دعاء مناسبا له « ولا مؤاخذة وبلا صغرة الثلاثة جنيهات لاتكفى شيئا ، لأن كيلو اللحم دخل سعره على الجنيه وكيلو الترمس بقى بنصف الجنيه ، ثم فوق ذلك فهى تشترى علبة الدواء الذى نصحها الطبيب بالمداومة عليه ، بالشىء الفلانى ، وحكت له أيضا أنها وحيدة ، وأنها تستحى أن تمد يدها لمخلوق على الأرض مهما كانت الظروف ، لذلك فهى تطلب منه تحديدا ، طلب الأخت من أخيها ، والعيلة من أبيها ، وصاحب الحاجة من القادر المستطيع ، أن

فى جنازة الرئيس ... عبد الناصر!

يزيد معاشها قليلا . بحيث يكفى لسد مطالب الدنيا) .

هذه المرأة ـ الواقع ـ الجماهير ـ القاعدة ، لابد أنها ستنفجر عندما تحدث الفاجعة ، وتفاجأ بموت سندها الحقيقى وأملها ، فيكون الجنون الذى أفضى الى قسم الشرطة الذى دخلته متهمة فى يوم جنازة الرئيس ، لأنها عضت الرجل السمين ، فى يده ، وكان يرتدى القميص الأبيض ، لأنها شعرت أنه يبتسم فى الجنازة ، وأنها نظرت إلى وجهه عندما رمى بعصاه صورة الرئيس ، التى كانت تحملها ، فرأته ينظر ناحيتها ويبتسم .

وليس من شك فى أن الكاتبة وفقت ـ إلى حد ما ـ فى استبطان مشاعر «زينات» أثناء الجنازة ، الواقع ـ الرمز ، والرجل السمين ، الواقع ـ الرمز ، والقميص الأبيض ـ الواقع الرمز ، والابتسامة الواقع ـ الرمز . وإن لم تخرج عن جو القصة ، ولا عن أثرها العام ، وإن لم تجر وراء الأشكال الغريبة التى لا تنسجم والشخصية ، والحدث ، والموضوع والواقع . وكما بدأت الكاتبة قصتها حاولت وضع نهاية منطقية واقعية لها فلم تكتئب «زينات» ولم تنطو على نفسها ، ولم تصب بأمراض خبيثة ، ولم تمت ، بعد الفاجعة ، كعادة الرومانسيين ، ولكنها (مافتئت تردد بينها وبين نفسها ، دنيا غرورة وكذابة ، ويقال أنها بعد تحرير هذا المحضر بسنوات فى القسم ، احتجزت لأيام فى قسم آخر ، بسبب اشتراكها فى الهوجة ، التى جرت وقتما رفعت الحكومة ثمن العيش وأنها كانت تردد وقتها «ألف رحمة تروح للحبايبيب الناس كلها» بالاضافة إلى كلام كثير لاداعى له) ص ٨٥ ، وهذه اشارة زكية إلى القوة الكامنة فى أعماق «زينات» من البسطاء الذين نتوهم أنهم غير قادرين على فعل شىء ـ كما أنه تلميح إلى ماحدث فيما سمى بانتفاضة الحرامية فى يناير ١٩٧٧ . ولم يكونوا إلا الجياع .

● ضعف البناء الفنى ●

ام شحتة فى قصة (أم شحته التى فجرت الموضوع) امتدت لشخصية زينات . فهى ايجابية ثائرة تدفع الشباب إلى الثورة والفعل ، ورفض الغلاء وزيادة الأسعار ، وألاعيب موظفى وزارة التموين . وان كنت الاحظ على النبرة والخطابية ، والمباشرة . وهى مآخذ من شأنها أن تضعف البناء الفنى . وتجعل صوت الكاتبة هو الاعلى . فقد تحدثت عن وزير الداخلية أيام حكم الرئيس السادات ، ونقلت بعض هتاف الطلاب ضده ، وتناولت موقف الكسالى ممن لايثورون وغير ذلك . . (ناس هايصة وناس لايصة ، انظروا راكبى السيارات ، انظروا الذين يقيمون الأفراح ، والليالى الملاح ، ويعلقون الكهارب بألف لمبة وأكثر ، انظروا للذين يأكلون كل يوم فتاه محلولة ، ونحن ننام على الجوع ؟ انظروا نسوان السينما والتليفزيون ؟ ...) ص ٩٤ وغير ذلك كثير فى قصة واحدة تضرب على نفس الوتر ، والنغمة الناقمة الثائرة .

وإذا كانت «زينات» و «أم شحته» فى مرحلة متأخرة من العمر ، فإن «لوكيميا» طالبة فى الصف الثانى الثانوى . مما يشير إلى أن الكاتبة حريصة على انتخاب شخصيات سوية لها طابع خاص مميز ، يجعل لشخصياتها سمات دالة ملازمة ، لايمكن أن تنفصل عن الشخصية ، كما أن الكاتبة لاتختار نموذجها الفنى والانسانى لكى تبدى لنا قدرتها على الانتخاب والانتقاء فقط ، ولكن لكى تقتحم الأعماق وتستكنه السر ، ولتقول شيئا ذا خطر . ففتاة الفرقة الثانية الثانوية ذات ملامح خاصة وشخصية مستقلة ، تبدو شاذة لأول وهلة ، فتثار حولها الشبهات ، والشكوك والأقاويل ، لكنها ـ فى نهاية القصة ـ سرعان ماتنكشف عن شخصية يسعى الجميع

للاقتراب منها ، ومحاكتها ، والاختلاط بها ، والاستماع إليها اذ أنها تحمل بذرة الثورة والبطولة .

وثمة قصص قصيرة أخرى ضمتها هذه المجموعة القصصية . انفلتت من أسر الخطابية والمباشرة . ولم تثقل بالتعليقات الجانبية . وان ارتبطت بواقع الحياة الاجتماعية . وعبرت عن رؤية نقدية للجوانب السلبية في المجتمع . وحفلت بعناصر فن القصة القصيرة . دون أن تفقد خصائصها الفنية . يقف في مقدمة هذه المجموعة من القصص «امرأة على العشب» و «نونة الشعنونة» و «العاشقة» ثم «الزمن الجميل»

نموذج جيد

«وامرأة على العشب» قصة قصيرة جيدة في ست صفحات من القطع الصغير . تشكل نموذجا جيدا من النماذج التي حرصت الكاتبة على أن تجعلها في صدر المجموعة . وهي تنتقي ـ هذه المرة ـ امرأة من ساكنات القبور . حيث يسكن الأحياء فوق الموتى ، حولاء صفراء . أم الولد صاحب الكلب . وهذا هو عالمها . وهي تبيع حبات الترمس أحيانا ! وغالبا لاتبيعه وهنا يكون صراعها مع الخبز ومن أجله فهي ليست جميلة وليست مثقفة وتريد أن تعيش مع وحيدها سالمة ، لكن المخبر القديم المهموم بضرورة تلفيق خمس قضايا في ثلاثة أيام ارضاء للضابط الجالس إلى مكتبه ، لايتركها في حالها . يأتيها بين الحين والحين . ليلفق لها تهمة ما ، ابعد ماتكون عن الدعارة لقبحها ، حتى يثبت أنه يعمل . وأحيانا يتفق معها على أن يتهمها ، ليدون محضرا ما . تبيت على أثره في قسم الشرطة ليلة أو ليلتين ، مقابل أجر زهيد جدا يدفعه لها المخبر ، وهي ترضى بذلك حتى تعيش وتأكل هي وابنها والكلب .

إلى هذا الحد بلغت قسوة الواقع الظالم المتناقض ، فالمخبر يترك كبار المسئولين والشحاتين ويبتعد عن أصحاب دور اللهو والمجون ، ولايفكر في الاقتراب من تجار المخدرات . لأنهم يدفعون رشوة له ولغيره . لكن هذه المسكينة التي لاتجد عونا وعيشا وأمنا ، تكون الضحية ، مقابل أجر بسيط . ومن خلال موقف مكثف يدور فيه حوار حاد بين المرأة والمخبر ، تقول الكاتبة كلاما كثيرا ناقدا جادا ، وتختفي النبرة العالية ، والأحكام القاطعة وتحتفظ القصة القصيرة بوحدتها الموضوعية والفنية . دون انفصال عن الواقع الاجتماعي .

والكاتبة كالعادة ـ لاتنسى أن يكون لهذه المرأة حلمها المشروع (اه لو كان لى رجل مثل هذا الصول يعود بالراتب في طلعة كل شهر ، وأخلف له من العيال تسعة ، يطلع فيهم التاجر والسباك والنيشانجي وأظل معه مثلما النساء بالبيوت أحادث الجارات كل صباح ، وأصبح عند الظهر وأبيت على فراش مريح في المساء) ص ١٠ هذا . الا أن المخبر ـ الواقع ـ الجائر ، ينتزعها من هذا الحلم الطبيعي ليساومها هذه المرة ويعرض عليها خمسين قرشا ، كالمرة السابقة (أما هي فكانت قد حسبتها . فلن يضحك عليها هذه النوبة ابدا ، وهي لن تتنازل عن قطة حمراء «بالترتر» ورغيف لحم من «المسمط» وهذا يكلف جنيها وربعا ، وخمسين قرشا في يدها لعوادي الزمان لن تتنازل عن خمسين قرشا في يدها مهما حاول . حتى ولو أخذها بالقوة . هكذا كان كلامها مع نفسها . أما معه فكان الكلام صلى على النبي ياحضرة الصول . المرة الأولى ظلمتني . أي والله ظلمتني . وأنا لم أعد اطيق . والغلاء صار على الجميع ماينفع هذه النوبة الا جنيهان والربع . هذا بالعدل والحلال . اتصدق وتؤمن بالله . النوبة الماضية رجعت من التخشيبة وعظمي يكاد ينكسر من نوم البلاط . لن أستطيع هذه النوبة إلا بجنيهين وربع وغلاوة ابني) ص ١١ .

إنها تبيع أمنها . وراحتها ، وصحتها ، من أجل أن تقبض جنيهين إلا ربع الجنيه ، كي تطعم ابنها وتدخر خمسين قرشا للمستقبل .

زينات

فى جنازة الرئيس... عبد الناصر!

وهى لاتفرط فى شرفها وعرضها .. بمثل ماكان «عبده» فى قصة «شغلانه» ليوسف ادريس يبيع دمه ليعيش . والكاتبة استطاعت أن تقنعنا بهذا الواقع ، لتنكره ، ولترفضه ، ولتدفع إلى الثورة عليه . لكنها لم تنفخ فى صورة الشخصية لتجعل منها

ثائرة متمردة ؟ وإنما قدمتها إنسانة عادية تعانى مع طلوع كل شمس ، وتحلم بالزوج والبيت والأولاد لكن «نعيم» ابن الثلاثة عشر ربيعا فى قصة .

« نونة الشعنونة » تعمل خادمة ، وتتوق للتعلم ، وتتطلع الى المدرسة ، وتعرف الجذر التربيعى ، وتبحث فى البصل عن كبريتيت الأيدرجين ، وتحاول تفسير بيت من الشعر العربى القديم ، أستمعت إليه من المدرسة التى تعلم البنات فى المدرسة المقابلة لمسكن مخدومها . وأصبح هذا العالم هو عالمها المستقبلي الذى ترضى بسببه سخافات ابن الضابط وامه وأبيه بل أنها ترضى العمل خادمة ؟ لأن هذا العمل ، فى هذا البيت ، يربطها شعوريا وعقليا بالمدرسة المقابلة ، التى تسمع فيها صوت المدرسة والبنات والمعانى الحلوة والمعارف الجديدة التى لا توجد فى قريتها . وعندما يأتى والدها ليأخذها معه لكى تتزوج بمن اتى من بلد الرسول ومعه النقود .. يفاجىء الجميع بعدم وجودها . احتجاج ايجابى عملى صارخ ورفض للتخلف والرجوع للوراء . وهاهى الكاتبة تصور لنا شخصيتها فى نهاية القصة المحبوكة

(إن نونة باتت الليلة على فراشها ، فى المطبخ ، دون أن يغفل لها جفن ، تحدق بالسقف المظلم ، وتنظر حينا صوب الشباك ، حيث يقف مبنى المدرسة شامخا خلفه ، وتبدو فوقه قطعة سماوية صافية ، ترقص فيها النجمات ، كانت روحها تدق الهم وتطحنه ، لانها لا تريد العودة للبلد مرة أخرى ، ولا ترغب العيش وسط الوساخة والبراغيث والناموس مثلما لا ترغب في الزواج لتصبح ـ كاخواتها ـ مزروعة فى الغلب ـ وانسابت الدموع ، ليلتها ، من عينها بحورا ، وهى ساهرة حتى مطلع الفجر ، ورأت بعينها لون السماء الأبيض ، وحديد الشباك الأسود ، لكنها عندما نادتها السيدة ، لتنهض وتذهب الى السوق لابتياع الخبز ، كان النعاس قد غلبها ، وراحت تحلم بالمدرسة والبنات ، وابن الضابط الذى كانت تصفعه ـ فى حلمها ـ صفعات قوية ، لانه لا يعرف الجذر التربيعى للخمسة والعشرين ، كما رأت ايطلا ، وكان شيئا جميلا جدا ، لم تعرف أكان إنسيا أم جنيا ، فقد بدا ذا لون أبيض بياض القطن ، له جناحان بألوان قوس قزح الجميلة ، تعلقت بهما نونة فطار أيطلا بها بعيدا ، بعيدا ، عن المطبخ ، والبلد ، والناس حتى صارت فى السماء ، ورأت النجمات الذهبيات عن قرب ، بل وكادت تلامسها ، وتذكر الذين رأوا نونة فى صباح ذلك اليوم ، أن وجهها كان يحمل تعبيرا غريبا ، هكذا قال الضابط وزوجته ، اللذان اكدا أن نظراتها لم تكن طبيعية أبدا ، عندما ناولته علبة السجائر ، وهو يهم بالخروج ، وعندما طلبت منها السيدة أن تعدل منديل راسها قبل أن تذهب لابتياع الخبز) ص ٣٥ .

لقد حرصت أن انقل بعض الفقر المطولة عن الكاتبة ، كي لا أحول بينها وبين القارىء . فأترك أسلوبها وطريقة معالجتها ، ولغتها بين يدى القارىء ليقول كلمته ، اذ يصبح وجها لوجه أمام النص نفسه .

الطفلة هنا ثارت بشكل طبيعى يتلائم وتكوينها وطموحها ، والثورة نابعة من واقعها من أجل تحقيق حلم مشروع ، لتغير به واقعها القاسى . لقد ارتبطت بالتقدم ، ورفضت العودة الى البلدة دون ارتكاب إثم ما . حيث تمثلت اشياء معنوية فكرية ثقافية . لم تجذبها الماديات ، ولم تسع لاقتنائها . وانما هى تتطلع الى عالم فيه معرفة وتعليم وتربية من نوع

مختلف تحملت الكثير والكثير في سبيل البقاء امام نافذة المطبخ التى تطل على المدرسة وعندما وجدت أن القوى الخارجية جاءت لتنتزعها من هذا العالم ، هجرته وتمردت عليه ، وتركته الى الابد بمثل رفضها ان تناديها مخدومتها باسم « نونة » كانت تتمسك باسمها الحقيقى الذى يدل على شخصيتها الطبيعية ، وماضيها ، وكينونتها الخاصة .

هذا التحول فى حياة « نعيمة » الخادمة الصغيرة . كانت تنظر اليه الطبقة الاخرى المسيطرة على انه جنون فى جنون ، السعى نحو المعرفة الارتباط بالتقدم الفكرى ممارسة الرياضة البدنية ، معرفة الجذر التربيعى ، ومعلومات فى الفيزياء والطبيعة ، وأبيات من الشعر العربى ، جنون فى جنون رغم ماتحفل به قصص المجموعة من سلبيات . تنقدها الكاتبة ، وتشير اليها ، بهدف تغييرها ، فإنها فى قصة (العاشقة) تقدم نموذجا ايجابيا واقعيا لامرأة « فايزة » الممرضة ، فى الاربعينيات من عمرها ، مع الضغوط الجاثمة والمحيطة بها فى البيت والمستشفى ، والشارع ، ومع اختلاف القيم الاخلاقية ، وعفن العلاقات الاجتماعية ، وانتشار الرشاوى حولها ، وسوء سمعة زميلاتها . مع ذلك كله ، فإنها تؤدى واجبها بشكل جيد جدا ، وإن كانت تعانى صحيا من كثرة الحركة ، وطول الوقوف ، ومشاكسات المرضى ، وأعباء المنزل ، وجفاء الزوج . كل ما يدور حولها يدفعها الى أن تكون شخصية غير مبالية

وقد التقطت الكاتبة جزئيات صغيرة من حياة « فايزة » فى المستشفى ، وفى البيت ، وفى الشارع لتعيش واقع حياتها اليومية ، ولتشعر بمدى المعاناة الشاقة الحقيقية التى تعيشها كل لحظة ، وكل ثانية ، وكل يوم منذ طلوع الشمس وحتى أخر الليل نضال بطولى يستحق التقدير ، ومواجهة لكل العوامل المثبطة ، وسط واقع مؤنس ، يدفع الى عكس ما تفعله « فايزة » النموذج المشرف للمرأة المصرية الأصيلة الصادقة تعمل بشرف وامانة واخلاص ، وتتحمل ما لا طاقة لامرأة ان تتحمله ، وهو عذاب يومى قدر عليها ، ومع ذلك فإنها تنعم به ولا تكل . اللهم الا ذلك الحلم الجميل الذى ينبع من واقع حياتها ، وكأنه حلم مشروع . ذلك أن الكاتبة لم تحرمها من عنصر « الحلم » واستشراف المستقبل ، حيث تطير كالحمامة فى سماء زرقاء ، لتعيش حياة حافلة بالحب ، خالية من المشاكل . فى محاولة من الكاتبة لاقتناص « لحظة حلوة » تساعد على تحمل الواقع بكل ما يضطرب فيه ، إذ سرعان ماترد « فايزة » الى واقعها الذى اعتادت عليه . (لكن .. دون أن تدرى ، كيف يجرى لها ذلك على وجه التحديد ، ترتسم فجأة فى عينيها المغمضتين بقوة ، وعلى نحو بالغ الوضوح صورة ابنها الصغير ، يبتسم لها ببراءة ، قافزا ، ليطوق رقبتها ويمطرها قبلات كثيرة ، فتضيق قليلا وتشعر بقلق وتتقلب فى فراشها ، ثم تزيح زوجها لينام على جنبه الآخر ، ليكف عن الشخير ، قبل ان تستسلم لسبات عميق ، والقصة ذات وحدة فكر ، ووحدات شخصية ، ووحدة انطباع ، وإن خلت من الحوار ، فإن القارىء قادر على تحليل المواقف الحوارية التى يمكن أن تحدث ، من خلال اللقاءات التى التقطتها الكاتبة للشخصية « فايزة » فى المستشفى ، وفى البيت ، وفى الشارع .

وهكذا كانت « فايزة » كما كانت السيدة على العشب فى أول قصة امرأة تكافح وتدخل التخشيبة بإرادتها لتعيش و « لوكيميا » الفتاة التى تتحمل الوشايات والدعايات فى سبيل هدف أسمى ، و « نونة » الشعنونة تتخذ موقفاً ايجابيا ، فتترك خدمة الضابط ، وترفض الخضوع لارادة ابيها الذى يريد تزويجها ، لتتعلم ولتتحرر كما كانت « زينات » و « ام شحتة » و « نونة » فى « الزمن الجميل » وبذلك فى شكل قصصى اجتهد كثيرا فى محاولة الاقتراب من خصائص فن القصة القصيرة .

قضايا نقد الشعر في التراث العربي

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

تراثنا النقدى العربى ، تراث حافل وخالد وممتد على مرور الايام ..

من فحوله الشعراء للأصمعى وطبقات الشعراء لابن سلام ، والبيان والحيوان للجاحظ ، وقواعد الشعر لثعلب ، والبديع لابن المعتز . الى نقد الشعر لقدامة ، والموازنه للامدى ، والوساطة للجرجانى ، واعجاز القرآن للباقلانى ، والموشح للمرزبانى ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى والعمدة لابن رشيق ، والاسرار والدلائل لعبد القاهر والمثل السائر لابن الأثير .. وغيرها .. الى العصر الحديث .

أعمال نقدية كبيرة وكثيرة ومتصلة ، تدل على ثراء الفكر النقدى العربى وتعدد مذاهبه وتياراته ومدارسه ..

والدراسات التى صدرت عن هذا التراث كثيرة ، ومتتابعة ، ولكن هذا الكتاب الجديد « قضايا نقد الشعر فى التراث العربى » للدكتور محمد أحمد العزب بجزئيه الكبيرين اللذين يقعان فى تسعمائة صفحة ، قد شد نظرى ، وأثار اهتمامى الى حد كبير ، لموضوعه ، وجدية البحث فيه ، واجتهادات المؤلف الكثيرة المضيئة فى كل فصوله .

وفى مقدمة الكتاب يقول المؤلف ان الغرض من كتابه ، والهدف العلمى من ورائه ، اعادة تصنيف المقولات النقدية فى كتب التراث ، والنظر اليها من خلال كونها تعبيرا عن موقف نقدى محدد وليست سوانح هائمة فى فراغ المصادفات ويقول : انه حين ألحت عليه فكرة اعادة قراءة التراث النقدى ، ومن ثم اعادة تصنيف قضاياه ومقولاته الهامة ، كان من بين الدوافع الى هذا أن التراث غاص بالرؤى النقدية ، كذلك ، ولكنها قد يصعب أحيانا جمعها معا على صعيد واحد فى الكتاب الواحد ، فضلا عن تعدد الكتب لبعض هؤلاء المؤلفين من النقاد .

ويقول ، ولكننى أزعم أننى - لأول مرة ربما - درست قضايا النقد فى كتب التراث ، بعد تصنيفها من جديد ، دراسة نصيه متأنية .

والكتاب يبدأ - فى جزئه الاول - بمدخل عن طبيعة النقد ، من المنظور اليونانى ، والمنظور العربى القديم ، وفى هذا المدخل يعرض لقضايا كثيرة كقضية



نزوع النقد اليونانى القديم فى بداياته الى تأسيس نظرية فى الفن ، وكقضايا النقد التى اثيرت فى النقد العربى فى العصر العباسى : كقضية اللفظ والمعنى وقضية الطبع والصنعة ، والموازنات والسرقات الشعرية ، والطبقات وكقضية القدماء والمحدثين وغير ذلك ٠٠ ومن اهم القضايا التى اثيرت قضية عمود الشعر ، وقضية الانتحال ، وقد عرض المؤلف لذلك كله فى ايجاز شديد ، فى «المدخل» فى حرص كبير علىالموضوعية والمنطق ، والتدرج ٠

ويعرض المؤلف فى الفصل الاول لقضايا نقد الشعر فى كتاب فحولة الشعراء للاصمعى (ـ ٢١٦ هـ) كقضية فحولة الشاعر فى النقد ، اى الجودة الفنية ، وقضية القديم والمحدث، وقضية التأثير بالبيئة والجنس وقضية البناء الفنى للقصيدة الشعرية والانتحال والسرقة ٠

وفى الفصل الثانى يعرض لقضايا نقد الشعر فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام (ـ ٢٣١) ٠ ومن بين هذه القضايا : قضية الطبقات ، والانتحال وثقافة الناقد ، والموازنة والتيار اللغوى فى النقد ، والابداع متحررا أو ملتزما ٠

و « الحيوان » للجاحظ وقضايا النقد فيه هو موضوع الفصل الثالث ، من مثل قضية البناء الفنى للقصيدة ، وقضية التأثيرات المختلفة ، والقديم والمحدث، والانتحال ، والتجربة الشعرية والتحرر والالتزام ، والتمية القصيدة العربية وغيرها ٠

وكذلك كان كتاب « البيان والتبيين لابى عثمان الجاحظ (ـ ٢٥٥ هـ) وقضايا نقد الشعر فيه هو موضوع الفصل الرابع ، ومن بين هذه القضايا التى بحثها : الوحدة الفنية فى العمل الشعرى ، وعلاقة العمل الفنى بالصنعة والتجربة الشعرية ، ورسالة الشعر ، والارتجال فى الفن الشعرى ، وغير ذلك ٠

وابن قتيبة وكتابه «الشعر والشعراء» وقضايا نقد الشعر فى هذا الكتاب ، هو موضوع الفصل الخامس من الكتاب القيم الذى الفه الدكتور محمد العزب ، ومن بين القضايا التى اثارها ابن قتيبة

قضية المنهج ، والبناء الفنى ، والقديم والحديث ، والانتحال ، وثقافة الناقد والشاعر ، والموازنات ، وغيرها ٠

ويجيء المؤلف الى أمام اللغة ثعلب (ـ ٢٩١ هـ) وكتابه « قواعد الشعر » وقضايا نقد الشعر فى هذا الكتاب حيث يجعل ذلك كله موضوع الفصل السادس من كتابه القيم النفيس ، والقضايا التى يثيرها هذا الكتاب قد اتكأ ثعلب فيها ـ كما يقول الدكتور المؤلف ـ على الكثير مما افاده من علماء اللغة والنحو والعروض ، ولجأ ثعلب فيها الى التقسيمات العقلية المجردة بعيدا عن ثورة النقد والنقاد فى عصره ٠

وابن المعتز (ـ ٢٩٦ هـ) وكتابه « البديع » وقضايا نقد الشعر فيه هو موضوع الفصل السابع من الكتاب والبديع من اخطر قضايا النقد التى اثيرت فى القرن الثالث الهجرى بكل الوانه وتقاسيمه ٠٠ وكذلك كان كتاب ابن المعتز « طبقات الشعراء » ، وقضايا النقد فيه موضوعا للفصل الثامن من كتاب الدكتور العزب ، ومن بين هذه القضايا : قضية ثقافة الناقد والشاعر والقديم والحديث ، والارتجال وغيرها ٠٠ وبذلك ينتهى الجزء الاول من هذا السفر الكبير ، الذى يحمل مجهودا نبيلا وجليلا بحق ٠

ويبدأ المؤلف الجزء الثانى من كتابه بالفصل التاسع ، الذى عرض فيه بالتفصيل لقضايا نقد الشعر عند ابن طباطبا (ـ ٣٢٢ هـ) فى كتابه « عيار الشعر » ، كقضية البناء الفنى بين الطبع والصنعة ، واللفظ والمعنى والصدق الفنى ، والقدماء والمحدثين ٠

والصولى (ـ ٣٣٦ هـ) وكتابه أخبار ابى تمام وقضايا نقد الشعر فيه ، هو موضوع الفصل العاشر من الكتاب : كقضية القدماء والمحدثين ، والطبع والتكلف ، والتجربة الابداعية ، والتحرر والالتزام ٠٠ وكنت أظن أن المؤلف سيعرض لكتاب الصولى الاخر ولقضايا نقد الشعر فيه ، وهو كتاب أخبار البحترى للصولى ، ولكن الدكتور اعرض صفحا عن هذا الكتاب ، مع انه قرين للكتاب الذى عرض هو أخبار ابى تمام ٠

وماذا أقول فى بحوث هذا الجزء الكثيرة التى قد تكون الاطالة فى عرضها مملة للقارىء :

ـ نقد الشعر ، وقضايا النقد فيه والكتاب مشهور ، ومؤلفه قدامه مشهور الفصل الحادى عشر ٠

ـ الموازنة للأمدى (٣٧١ هـ) وقضايا نقد الشعر فيه ـ الفصل الثانى عشر ٠

ـ الموشح للمرزبانى وقضايا النقد فيه ، الفصل الثالث عشر ٠

ـ الوساطة للجرجانى (ـ ٣٩٢ هـ وقضايا النقد فيه ، الفصل الرابع عشر ٠

ـ جمهرة اشعار العرب للقرشى

وقضايا النقد فيه ، الفصل الخامس عشر .

ولنا ملاحظة على الحديث عن الجمهرة هنا ، وكان يجب أن يعرض لها الباحث فى الجزء الاول بعد الاصمعى وكتابه فحولة الشعراء لانهما أثران نقديان كتبا فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، أما وضع الجمهرة مع الوساطة فذلك ـ تاريخيا ـ غير منتظم مع التسلسل التاريخى للفكر النقدى العربى ، الذى حرص المؤلف الباحث على الالتزام به .

ـ العمدة لابن رشيق (ـ ٤٥٦ هـ وقضايا النقد فيه ـ الفصل السادس عشر .

وكم كنت أحب ان يكمل المؤلف عمله، فيحدثنا عن قضايا نقد الشعر ، فى سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى (ـ ٤٦٦ هـ) ، وفى أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى (ـ ٤٧١ هـ) ، وفى المثل السائر لابن الأثير (ـ ٦٣٧ هـ) على أن المجهود الكبير الذى بذله المؤلف الباحث لايمكن ان يتحمله باحث لطول الرحلة العلمية التى قام بها المؤلف من جانب ، ولكثرة التيارات والمذاهب والمدارس والنظريات التى عرض لها من جانب آخر ، ولتعدد الشخصيات والعصور التى وقف المؤلف امامها اخيرا .

وخطر هذا الكتاب يتمثل فى أن المؤلف قد استطاع فيه بمهارة وحذق وعمق وموضوعية أن يثبت لنا قضية خطيرة ، وعلى جانب كبير من الاهمية، وهى أن النقد العربى لم يتخلف عن نظيره ، وهو النقد اليونانى وأن هذا النقد العربى القديم قد استطاع أن يقدم لنا نظرية نقدية متناغمة ومتطورة معا ، وأن حس التنظير فى هذا النقد أبرز من ان يحتاج الى سواك وانه كان ينزع فى مجمله عن رؤية نقدية صوابية تضع شرط الفن فوق كل الشروط الطارئة التى يمكن أن تكون روافد أو مؤثرات ، كما يقول المؤلف فى خاتمة الكتاب ، الا ان نقدنا العربى القديم كان ينطلق فى رؤيته النقدية من منطلق علمى حقيقى .

ولاريب أن الكتاب يحمل صبغة الموضوعية والدقة والعمق والاستقصاء والموسوعية جميعا .. ولعل الجهد المبذول يحفزنا الى أن نؤكد أن المؤلف قد وفق فى هذه الرحلة العلمية الموضوعية توفيقا ملحوظا ، وأنه على طول الدراسة قد وصل الى نتائج كبيرة الاهمية وان كان ظنى قد اتجه بالبحث أن يكون الباحث قد أفرد القضايا النقدية بالبحث ، وعرض لكل قضية من خلال كتب التراث النقدى العربى .. ولعل تلك الجولة الجديدة أن تكون موضوعا للمؤلف لكتاب جديد، نفيد منه ثانيا ، كما أفدنا من هذا الكتاب أولا كل الفائدة وأجلها .

السينما العالمية بين أنياب الفك المفترس

بقلم: مصطفى درويش

لو اطلعنا على كل من «كتاب الفيلم السنوى - ١٩٨٧» و «دليل الفيلم العالمى - ١٩٨٧» لملئنا مما انطويا عليه من معلومات رعبا

فالاول تقتصر اخبار السينما فيه على الافلام التى جرى عرضها داخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. ومادار حولها من حواديت واخبار اما ماعدا ذلك من افلام فلا ذكر لها - حتى لو كانت من روائع السينما العالمية - سواء بالخير او بالشر. باختصار جعل اصحاب الكتاب منها نسيا منسيا

ونظرة طائرة على الافلام التى عرض الكتاب لها يتبين منها.

أولا : إن معظمها من انتاج او توزيع الشركات الامريكية السبعة الرئيسية، ومعها شركة ثامنة اسرائيلية الهوية، اطلقوا عليها اسم «كانون».

ثانيا : ان السينما التى ابدعها صانعو الاطياف فى الهند والصين الشعبية وجنوب شرق آسيا - وهى فى مجموعها يشكل سكانها اكثر من نصف تعداد سكان العالم - هذه السينما لم تحظ بنصيب - ولو ضئيل - من زمن العروض على

الشاشات الامريكية والانجليزية .

● السود واليهود ●

ثالثا : ان القارة السوداء لم يستطع المتفرج الامريكي او الانجليزى ان يراها بعيون افريقية ، فلم يعرض على الشاشات سوى فيلم واحد آت من « مالى » ، اسمه « الريح » بل إن أحدا من محررى الكتاب لم يتسع وقته لإلقاء نظرة سريعة عليه والكتابة عنه .

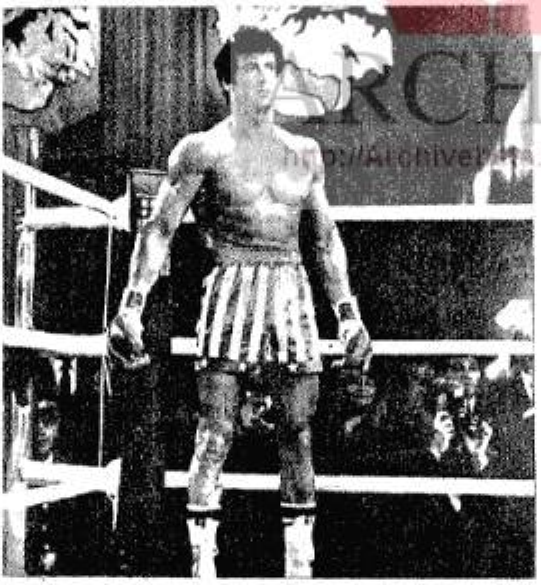
رابعا : ان الافلام المعبرة عن هذه القارة المبتلاة بثالوث الفقر والجهل والمرض ، انما عبرت عنها من خلال عيون يهودية امريكية « اللون القرمزى » لصاحبه « ستيفن سبيلبرج » ، « والخروج من افريقيا » لصاحبه « سيدنى بولاك » .

خامسا : إن سينما الوطن العربى وما حوله من شرق ادنى ممتد من تركيا الى باكستان مرورا بايران ، هذه السينما لم تتح لاى من افلامها فرصة الوصول الى قلوب وعقول الملايين من الامريكيين والبريطانيين .

سادسا : ان الفيلم الوحيد الذى نجح فى التسلل الى هذه القلوب والعقول بفضل شركة « اخوان وارنر » الامريكية ، فيلم اسمه « فيما وراء الجدران » لصاحبه المخرج الاسرائيلى « يورى بارباش » .

ومما قيل ، ولايزال يقال عنه فى مجال الاشادة به ، انه يعرض لمعاناة الفلسطينيين والاسرائيليين فى غيابات سجون ارض الميعاد .





سيلفستر ستالونى بطل « رامبو » و « روكى » مرتديا العلم الامريكى

السينما العالمية

سابعا : ان افلام اوروبا الشرقية التى جرى عرضها - وهى قليلة جدا - كان من بينها « عندما كان ابى غائبا فى رحلة عمل » لصاحبه المخرج الشاب « امير كوستوريكا » المنحدر من عائلة مسلمة - وهو اول فيلم يوغسلافى يخرج من مهرجان كان متوجا بجائزة السعفة الذهبية (١٩٨٥) .

ولعله من اللازم هنا أن نذكر ان هذا العرض العالمى قد أتيح له لالشىء سوى ان شركة « كانون » الاسرائيلية قد بادرت الى شراء حق توزيعه فور فوزه بالجائزة الثمينة المشتهاة .

● رامبو - ريجان ●

ثامنا : إن الجمهور الذى شاهد افلام « سيلفستر ستالونى » وحدها - وهى ثلاثة فقط لاغير - فاق بكثير الجمهور المشاهد لجميع الافلام التى لعب دور البطولة فيها نجوم هوليوود من الرجال « روبرت ردفورد » و« جاك نيكلسون » و« كلينت ايستوود » ، فضلا عن نجومها من النساء الفائزات بجائزة الاوسكار مجتمعات « فستالونى » عاريا الا من العرق المتصبب من اعلى الخصر فى « رامبو ٢ » و« روكى ٤ » ، مدججا بالسلاح من اخمص قدميه حتى قمة رأسه فى « كوبرا » ، متحديا الجاذبية والممكن كما « طرزان » ، هازما جميع جيوش الاعداء وحده ، « ستالونى » هذا هو الذى حدد معايير النجاح والفشل ، المكسب والخسارة ، تلك المعايير التى خضع لها شباك التذاكر ، والتزم بها بالنسبة لجميع الافلام على مدار العام ، مبرهنا بذلك ان احدا لايستطيع ان يقهر العضلات الهرقلية الجبارة اذا ما تحركت فى عام الغارة الامريكية على ليبيا .

تاسعا : إن الأفلام التى على شاكلة « رامبو » و« كوبرا » مثل « فقد فى المعركة » و« غزو الولايات المتحدة الامريكية » و« كوماندو » و« قوة دلتا » لم تر النور إلا لأنها حسب رأى الناقد « هارلان كينيدى » (ص ١٤٦) وليدة ذلك الشعور بالفشل الناجم عن الهوة المتزايدة بين المواقف السياسية المعلنة وبين الانجازات فى امريكا المعاصرة

فلو كان مذهب « ريجان » القائم على مواجهة امبراطورية الشر بالعنف ناجحا فى العمل كما فى القول ، لما كان ثمة حاجة لصناعة سوبر ابطال من بنات الخيال كما « رامبو » (ستالونى) ومغاوير (ارنولد شوارزنيجر) و(شك نوريس)

وهنا يحلو للناقد ان يذكرنا بدور المعوق المقطوع الرجلين فى فيلم « كنجزراو » الذى يعتبر فى نظر الكثير اشهر واحسن دور اسند لرونالد ريجان

طيلة الحقبة السينمائية من حياته الحافلة بالتناقضات .

● التمييز العنصري

عاشرا إن ماعرض من افلام بلاد الشمس المشرقة لايتجاوز فى العدد اصابع اليد الواحدة ، وذلك رغم أن السينما في تلك البلاد ولئن كانت قد ضلت طريقها فى السبعينيات وبدايات الثمانينيات ، فإنها سرعان مااستردت إنفاسها ، وسرعان ما احتلت مكان الصدارة فى ساحة الفن السابع منذ عامين او يزيد .

ولعل الفضل فى ذلك يعود الى شيخ مخرجيها « اكيرو كورا ساوا » مع كوكبة ملهمة من مبدعى الافلام امثال « ماساهير شينودا » صاحب « جونزا الرماح » الفيلم المتوج بجائزة مهرجان برلين الاولى (١٩٨٦) والذى عرض فى مهرجان القاهرة الاخير ، و« يوشيشيجى يوشيدا » صاحب « وعد » ، و« يوشيميتز موريتا » صاحب « بعد ذلك » و « الموت فى توكيميكى » و« يوجيرتاكيتا » صاحب « مجلة مزلية » و« كايزو هاياش » صاحب « النوم من اجل الحلم » .

وقد يكون من الخير هنا ان نلاحظ ان اصحاب الكتاب قد اعتبروا « فوضى » فيلم « كيروساوا » الأخير واحدا من اهم افلام العام ، ادخلوه ضمن احسن اربعة عشر عملا سينمائيا لاقت استحسان النقاد او الناس او الاثنين معا ، وهـ « حنا وشقيقاتها » (وودى آلن) ، « ا.. ب القرمزى » ، « قبلة المراة العنكبوت » (هيكتور بابنكو) ، « مبتدئون تماما » (جوليان تمبل) « فى قاع بيفرلى هيلز » (بول مازورسكى) ، « رامبو ٢ » (جيمس كاميرون) ، « روكى ٤ » (ستالونى)

السود بعيون اليهود



السينما العالمية

« شرف بريزي » (جون هوستون) ، « بعد ساعات العمل » (مارتين سكورسيزي) « العودة الى المستقبل » (رويرت زيمسكيس) ، « البرازيل » (تيرى جيليام) « حد خشن » (ريتشارد ماركان) ثم « الخروج من افريقيا » .

والفيلم الاخير كان مرشحا مع « فوضى » للعديد من جوائز اوسكار (١٩٨٦) .

ومن عجب انه هو الذى كتب له ان يخرج من مضمار اوسكار الدامي متوجا بسبع جوائز . من بينها جائزتا احسن **فيلم واحسن** اخراج .

فى حين ان فيلم « كيروساوا » لم يقدر له ان يفوز الا بجائزة واحدة يتيمة (الملابس) تفضل بها المسنون المتحكمون فى شئون اكاديمية السينما الامريكية تفضلوا بها على المخرج الياباني الكبير .

وهنا قد يكون من المفيد الوقوف قليلا عند هذين الفيلمين ، كيما نرى كيف تخطىء هوليوود الحساب .

انفقت عاصمة السينما على « الخروج من افريقيا » ستة وعشرين مليون دولار ، ومع ذلك جاء الفيلم خلوا من السحر والسر اللذين بدونهما لايمكث العمل الفنى فى الذاكرة ، خلوا من تصوير افريقيا ابان الربع الاول من القرن العشرين على الوجه الذى نحب .

اما « فوضى » فلم ينفق عليه سوى نصف هذا المبلغ من الدولارات او ربما اقل قليلا ، ومع ذلك فهو آية من آيات الفن السابع التى نتجمل بها ، نحيا بزادها طويلا

وعلى كل ففى فيلم « بولاك » تمثل النجمة اللامعة « ميريل ستريب » دور كاتبة القصة « ايزاك دينيسن » المنحدرة من اصل دانمركى ، والتي شدت الرحال الى كينيا قبيل اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى بأشهر معدودات ، لالشىء سوى ان تبدأ حياة جديدة مع زوجها البارون « براور بليسكن (كلاوس ماريا برانداور) فى ضيعة لزراعة البن اشترياها بغرض الاستقرار والاستعمار .

● أغنية البجعة ●

غير انه ما ان لمست قدما البارونة « كارين بليسكن » او « ايزاك دينسن » ارض الضيعة ، حتى انتصبت امام عينيها افريقيا شامخة فى كبرياء ، حتى سمعت تغاريد تخرج من فم القارة العذراء ، يرددها صوت رخيم انخطفت بحزنه ، شعرت به مجهدا ، مودعا الحياة ، فأحست بقلبها ينعصر ، وعينيها تغيمان .

وكان ان اسرعت بتدوين ماسمعت ، تحولت به فى نهاية المطاف الى انشودة تبكى مرارة الفراق والفقدان .

والفيلم مستوحى بتصرف من كتاب



الرجل الأبيض فى فردوس افريقيا . قبل الخروج .

« ايزاك دينيسن » الذى اعطته اسم « الخروج من افريقيا » وهو عبارة عن ذكريات وباقة من الحكايات ، ضغطت الزمن فيها واعادت تشكيله ، دمجت الوقائع بحيث لم تبح فيها الا بالنزر اليسير من الاسرار . لم تسجل منها الا مقاطع تصلح للدلالة فقط عن احاسيسها فى دورة حياتها التى قضتها فى ربوع افريقيا تسمع التغاريد الاخيرة .

ومهما يكن من شىء ، فبفضل « كورت لوتكيه » ، كاتب السيناريو والحاصل على الاوسكار عنه ، ملئت الفراغات فى هذه الذكريات والحكايات ، وبفضل « بولاك » صاحب « انهم يقتلون الجياد .. أليس كذلك » خرج الفيلم فى شكل قصة كاملة متكاملة ، وفى صورة مشاهد مرسومة رسما مدهشا ، تنهض على اقل القليل من الحوار .

● حلاوة زمان ●

وهو يبدأ بالبطلة وحيدة لاتغمض لها عين ، تستعيد حلما بعين المنال ، تتصور إفريقيا بمروجها وغاباتها ، بوديانها وجبالها تناطح بجلالها السحاب ، تتصور حبها الاول والاخير .

ثم يلتفت الفيلم الى الوراء ، الى ماضيها حيث نراها فى كينيا تستقبل حياتها الجديدة بوجهها الناعم الهادىء ، بعينيها الزرقاوين الواسعتين اللتين لم تفقدا بعد حلاوة الحياء .

ومع ذلك فثمة مسحة من الحزن والالم

المكبوت تطفو على سطح هذا الوجه الجميل .. لماذا ؟

لأن الاقدار قد جمعتها فى رباط يعز فكه مع رجل « براندلور » لايجمع بينها وبينه أى جامع ، لاالذوق ، ولا العقل ، ولا المزاج ولا العاطفة .

فما من لذة فى الكون تفوق فى اعتباره ، لذة الاستمتاع بالمال والنساء ، وهى من هذه السوقية فى جحيم .

ثم كان ماكان .. غيرت افريقيا مسار حياتها ، دفعت نفسها المتعطشة الى الهدوء والبساطة والصفاء ، دفعتها دفعا الى حب الارض والناس .

اعتمدت على إخلاص خادمها الصومالى الامين « فرح » ، وعلى صداقة رائدين لايستقران ، لايتقبلان الحياة كما هى ، يبحثان عن المجهول دوما .

وكان لأحدهما « فنسن هاتون » (روبرت ردفورد) منزلة خاصة ، كان ارستقراطى الطباع ، طيارا ، بطلا فى الحرب ، رياضيا ، مولعا بالصيد .

وكان كلما اقتربت منه زاد من الابتعاد .

ولكن لا دوام لنعيم مقيم على الارض .

فبعد اعوام من السعادة افلست المزرعة ، مات « هاتون » فارس الاحلام اصابها الزوج البارون بالزهرى ، تركت الفردوس مهزومة ، اقرب الى حطام .

واذا كان فيلم « بولاك » هكذا ، فهو لايعدو أن يكون فى جوهره حنينا واشتياقا الى أيام كانت فيها افريقيا فردوسا يسود فيه البيض السود .

● الاتحاد قوة ●

والآن الى « فوضى » الذى جاءت فكرته « كيروساوا » ، وهو يعيش فى كوخه المحبب الى نفسه ، والمطل على جبل « فوجى » بمنظره الخلاب بعد ان فقد شريكة حياته الممثلة « بركوياجوش » .. كيف ؟

منذ عشرة أعوام الا قليلا ، وأثناء شتاء برده قارص شديد ، أخذ « كيروساوا » يتذكر حكاية شهيرة من التاريخ اليابانى القديم ، بطلها لورد محارب اسمه « مورى موتوناوى » .

وما ان اكتملت فى ذهنه صورة هذا اللورد ، حتى بدا وكأنه من لحم ودم ، وحتى بات لايفارقه .

فما هى الحكاية ؟

كى يوضح لأبنائه الثلاثة مزايا ان يكونوا يدا واحدة ، وصوتا واحدا ، امسك اللورد « مورى » بسهم متفرد وشرع فى كسره فانكسر ، ثم امسك بثلاثة اسهم مجتمعة محاولا كسرها ، فلم يفلح .

وفهم الابناء المقصود بالرسالة ، عاشوا بحكمتها سعداء ولكن سؤالا ظل يطارد « كيروساوا » .

ماذا كان يمكن ان يحدث لأسرة اللورد « مورى » فيما لو لم يستمع الابناء للنداء ، فتفرقوا واصبحوا اعداء .

وهنا شرد به خياله الى العجوز « لير » وبناته « جونريل » و« ريجان » و« كورديليا » فى مسرحية شكسبير .

● ولادة رائعة

ومن داخل نفسه المولعة بالأديب الانجليزى الكبير من داخل ماترسب فيها على مدى الستين تذكر فيلمه « قلعة خيوط العنكبوت » او « عرش الدم » (١٩٥٧) المستوحى من مسرحية « ماكبث » .

تذكر كيف ازدادت « ليدى ماكبث » اندفاعا بجنون الطموح ، بقوة تداعى الاحداث ، ومنطقها الى مزيد من القتل والايغال فى الجريمة وأوحالها .

كيف اغتالت النوم بحيث لاتستطيع ان تفلت من حمى الارق الا الى كابوس دائم لايقتصر عذاب العيش فيه عليها وعلى زوجها بل يشمل الجميع مذنبين كانوا ام ابرياء .

وبفضل هذه الافكار والمؤثرات التى اتصلت بفكره ، وبفضل وشوشات لم يكن يحسب لها اى حساب ، تحولت بنات « لير » الثلاث إلى ابناء ثلاثة للورد « هيديتورا » وتحولت « ليدى ماكبث » الى زوجة الابن الاكبر « ليدى كايدى » .

وما ان اكتملت فى ذهن المخرج الكبير صورة هذا اللورد ، وهذه الليدى ، حتى بات من السهل عليه ان يخلق الظروف التى تمكن من كشف ما فى نفسيهما ، ومن فضح ما فى الحياة التى تكرّ حواليهما من بشاعة وغثيان .

وفى اقل من شهر انتهى مع معاونيه من كتابة سيناريو « فوضى » الذى ظل بأطيافه حبيس الأدراج ، أسير الظلام زهاء تسعة اعوام .

وبغتة جاءه الفرج فى صورة ممول يحمل فى حقيبته المال اللازم للابداع .

وما ان اكتمل الاعداد للتصوير ، واخذت الكاميرات فى الدوران حتى بدأت ملامح اللورد « هيد يتورا ـ لير » (تاتا سويا ناكا داى) و« الليدى كايدى (ميكوهارادا) تبرز كما من خلال الضباب ، ثم لم يلبث الضباب أن انقشع ، واذا امامنا فيلم يعكس كمرآة الفوضى التى تشوب العلاقات الاجتماعية .

● عالم يشتعل ●

فكل انواع الولاء التى يرتهن بها الاستقرار كولاء الرعية للحاكم ، والولد لابيه ، والزوجة لزوجها ، والخادم لسيده . ها هى ذا على الشاشة العريضة تتفكك ، تتهاوى حتى تذوب وتتلاشى .

فليدى « كايدى » وزوجها « چيرو » وشقيقه « تارو » ابنا اللورد العجوز ، انما هم من عالم بعيد انقطعت صلته بالانسان ، هم اقرب الى قوى فوضى اطلق لها العنان .

وعكس ذلك الابن الاصغر « سوبارو » والبهلول المتدثر بثياب النساء ، فالصلة لم تنقطع بينهما وبين قيم الولاء ولعل خير وصف لهذا الزمن الموغل فى القدم الذى ابدع تصويره « كيروساوا » فى كل لقطة كبرت ام صغرت من فيلمه الاخاّذ ! لعله

السينما العالمية

ذلك الوصف الذى جاء على لسان احد الابطال .

« واذا الحب يفتر ، والاصدقاء يتمردون ، والاخوة ينقسمون ، الشغب فى المدن ، والفتنة والخيانة فى القصور .

لقد انقضى افضل مافى زماننا ، وراحت المؤامرات والنفاق والغدر وضروب الشغب الهدّام تتعقبنا بضجيجها حتى القبر » .

● الفلك المترنح ●

وختاما فالأكيد ان « كيروساوا » قد اتخذ من « هيديتورا » ترجمانا لافكاره ، فصوّر ماكان من شأنه مع ابنائه الثلاثة وزوجة ابنه الاكبر « ليدى كايدى » خلال الايام العصيبة التالية لقيامه بتوزيع ما يملك من متاع الحياة الدنيا على الابناء الثلاثة ، جاعلا منه رجلا عجوزا بلغ من العمر « ثمانين وزيادة » ، رجلا مستبدا ، ولكن مستنير الفكر والقلب .

تبدأ مأساته حيث تنتهى عادة المآسى ... تبدأ وكأنه فى اللحظات الاخيرة من رحلة العمر ، فى حين ان تلك الرحلة لم تبدأ بعد ، وان امامه لياليا سودا طوالا ، كلها بؤس وعسر .

وجعل من ابنائه وزوجته الاكبر سنا نماذج لشتى النزعات البشرية من الشهوات الجامحة الى الطهارة المطمئنة .

ومع ذلك فلا احد منهم مطلق فى خيره او فى شره ، فحتى « ليدى كايدى » التى تجمع فى شخصيتها شر « جونريل » و« ريجان » و« ادمون » فى « الملك لير » مضافا اليها شر « ليدى ماكبث » و« ياجو » المتآمر الحسود فى « عطيل » حتى هذه المرأة المتحجرة والتى تعتبر فى الفيلم رمزا للشر ، او هكذا تبدو لنا ، نشعر نحوها ببعض التعاطف لاننا نحس أن مابها من تشويه يدفعها الى السعى لتدمير كل من كان منها قريب ، انما سببه فوضى اسلوب الحياة فى قصور ، هى فى حقيقة الامر قبور ، تلك الفوضى التى اطلقت ابشع غرائزها ، حطمتها جعلت كل ما حولها خرابا يبابا .

● لقـــاء ●

وبعد ، فاذا كان لكل ماتقدم مغزى ، فهو ان سينما عند مصنع الاحلام فى هوليوود موظفة فى خدمة السياسة .

ومن هنا غلو اصحابه فى تقدير « الخروج من افريقيا » وغلوهم فى عدم تقدير « فوضى » غلوا شديدا .

والآن ، وقد طال الكلام عن « الكتاب » الى حد الاملال ، فلا مفر من الاعتذار ، وتاجيل الكلام عن « الدليل » الى لقاء قريب .

●

ابتسامات

ام كلثوم والدعاية

● تحدثت كوكب الشرق ام كلثوم ذات يوم عن الطرائف التي مرت بها فقالت « كنت اغنى فى احدى الحفلات وكان المرحوم والدى يلازمنى ويجلس الى جانب التخت كأنه احد افراده ، وفى هذه المرة بالذات غلبه النعاس فراح فى سبات عميق وانا اغنى فى منتصف الوصلة .. فما كان من احد المستمعين الا ان صاح قائلا : الله يا ثومة .. كمان والنبى .. وحياة ابوك فى نومته !!

اللحم والسكين

● كان احد رجال المخابرات الامريكية يتناول غذاءه فى مطعم فى موسكو .. وعبثا حاول ان يقطع قطعة اللحم بالسكين : واخيرا استدعى الخادم وقال له:

– انبئنى هل قطعة اللحم شديدة الصلابة .. ام ان السكين شديدة التلامة ؟ فاجاب الخادم : لا ريب يا سيدى ان السكين اصابت الميكرفون !!

أول مرة

حضر الكاتب الفكاهى العالمى « مارك توين » احدى الحفلات وكان بين الحاضرين محام من اصدقائه وقف امامه وهو يضع يديه فى جيوبه وطلب اليه ان يروى لهم نكتة مضحكة ، وابى « توين » طلبه ، وروى نكتة اضحكت الحاضرين ، فقال المحامى هذه اول مرة اسمع فيها من كاتب فكاهى نكتة فكاهية حقا .

فقال « توين » ! وهذه اول مرة ارى فيها احد المحامين يضع يديه فى جيوبه وهو .. !

من نوادر جحا

المكان الامين فى الجنازة :

سئل جحا : « ايهما افضل ؟ السير خلف الجنازة ، او السير امامها ؟

فقال : لا تكن فى النعش وسر حيث تشاء !

ولقيه بعض معارفه فى الطريق فقال له : « انى رأيت الساعة رسولا يحمل مائدة حافلة بالطعام الفاخر » .

فقال جحا : « وماذا يعنينى قال صاحبه : انه يحملها الى بيتك ..

قال : وماذا يعنيك ؟ »

ش
شهريات

رأى .. حول معرض الكتاب

ويأتي معرض الكتاب الدولي مرة أخرى ، ونحن نرجو أن يكون ما أضافه إلى عطائه هذا العام سبيلا إلى تحوله إلى منتدى ثقافي هادف إلى رفع لواء الكلمة التى تعمل بها العوامل لتضعها فى مؤخرة إهتمام الإنسان المصرى .. وأن يكون قد تجاوز نفسه من مرحلة السوق إلى مرحلة الدليل الحسى الدافع للقراءة .

فلم يعد أمام القارىء المصرى من وسيلة للإطلاع على ماتنتجه دور النشر العربية والعالمية سوى فرصة المعرض ، بعد أن اختفت المكتبات التى كانت تعج بها القاهرة والإسكندرية والعديد من المدن العربية لتحل محلها البوتيكات ومحلات الملابس المستوردة .. وبعد أن تقلص وجود المكتبات العامة التى كانت محج القارىء المصرى ، ولنا فيما خلفه الكتاب من ذكرياتهم عن قراءاتهم فى المكتبات العامة الدليل على أن دورها كان هو الأكبر فى تحصيلهم للثقافة .

لذلك فان أى جهد تقوم به أى هيئة فى سبيل نشر الكتاب والدعوة للتعامل معه لابد أن يلقى كل التشجيع وكل الترحاب .

ويأتى معرض هذا العام وقد بزغت بعد سنوات من التقلص دور نشر جديدة لعل فى تنافسها على نشر المعرفة دليل صحة ، وخطوة إلى الأمام فى سبيل الثقافة ومرحبا بسوق الكتاب العربى فى القاهرة .

عبده جبير

لقاءات ثقافية :

● مهرجان الزقازيق :

شهدت مدينة الزقازيق مهرجانا مسرحيا بدأ فى ٢٥ ديسمبر الماضى واستمر لمدة اسبوعين واشتركت فيه سبع فرق بالمسرحيات التالية

- فرقة بورسعيد بمسرحية (على جناح التبريزى) تأليف الفريد فرج واخراج رشدى ابراهيم .
- فرقة شبرا الخيمة بمسرحية (المشخصاتية) تأليف عبدالله الطوخى واخراج سلامة حسن .
- فرقة المنصورة بمسرحية (سليمان الحلبى) تأليف الفريد فرج واخراج رءوف الاسيوطى
- فرقة الشرقية بمسرحية (السلطان الحائر) تأليف توفيق الحكيم واخراج صلاح مرعى .
- الفرقة النموذجية بمسرحية (الدخان) تأليف ميخائيل رومان واخراج عباس احمد ، وعرض (الليلة نلعب) عن مسرحيتين لعلى سالم ومحمد الشربينى واخراج ناصر عبدالمنعم
- فرقة البحيرة بمسرحية (الأرض) تأليف عبدالرحمن الشرقاوى واخراج فهمى الخولى
- فرقة الاسكندرية بمسرحية (السؤال) تأليف محيى الدين حميد واخراج محمد غنيم ، واقيمت فى ختام المؤتمر الندوة الفكرية عن (مستقبل مسرح الثقافة الجماهيرية)

ونوقشت الأبحاث الآتية :

- ماذا نريد من مسرح الثقافة الجماهيرية (الناقد فؤاد دواره)
- فرقة دائمة ولامفر (الناقد احمد عبدالحميد)
- احياء دراما الاراجوز (المخرج عادل العليمى)
- الممثل فى مسرح الاقاليم (المخرج صلاح مرعى)
- المسرح الشعبى (الناقد حسن عطية)
- النص المسرحى (الناقد امير سلامة)

● مؤتمر دمياط :

انعقد المؤتمر الأدبى الثانى بدمياط فى الفترة من ٢٢ ـ ٢٥ ديسمبر ٨٦ ، وقد شارك فيه عدد كبير من الكتاب والنقاد والمبدعين ، وكان المؤتمر تحت رعاية د . احمد جويلى محافظ دمياط وبمشاركة د . محمد حسن الزيات رئيس لجنة الثقافة بمجلس الشعب ، ود عبدالمعطى شعراوى رئيس قطاع الثقافة الجماهيرية ، وكان الموضوع الرئيسى الذى جرت مناقشته فى لقاء عام يجمع لجان المؤتمر هو (قضية التجمعات الأدبية فى اقاليم مصر) وأمكن استخلاص بعض التوجهات الرئيسية من المناقشات التى دارت ، منها اهمية وجود تجمعات ادبية بأشكالها المختلفة ، واهمية ممارسة دورها بحرية ، واهمية الدور الذى تقوم به جمعيات قصور وبيوت الثقافة فى تهيئة مناخ ثقافى يشجع حركة الثقافة خارج القاهرة بصفة خاصة ، واتفقت معظم الآراء على أن اتحاد الكتاب لم يستطع الى الآن ان يعبر عن الحركة الثقافية والابداعية المصرية بصورة صحيحة

وقد رأس المؤتمر محمد عبدالمنعم مدير الثقافة بدمياط ، وانقسم المؤتمر بعد ذلك الى ثلاث لجان ، ناقشت الموضوعات المطروحة على النحو التالى :

لجنة القصة .

خصصت أربع جلسات لمناقشة جدول أعمالها الذى يتضمن أوراقا مقدمة من د . لطيفة الزيات والناقد الحسينى عبدالعال حول موضوع (أزمة ابداع أم أزمة نقد) ثم ورقة عمل من الأديب سمير الفيل حول

شعريات

(القصة القصيرة فى أقاليم مصر) وعن (ملامح القصة فى دمياط) قدمت أوراق كل من الأديب انيس البياع والقاص جمال نجيب التلاوي

لجنة المسرح

خصصت ايضا أربع جلسات لمناقشة قضايا (مسرح التراث واستلهام قضايا الواقع المعاصر) و (المسرح التجريبي فى مصر ماله وماعليه) و (الحركة المسرحية فى الاقاليم وأزمة النص) و (مسرح الثمانينيات ، هل له ملامح خاصة) وقدمت أوراق من النقاد احمد عبدالحميد ، وحسن عطية ، أمير سلامة ، أحمد عبدالرازق ابوالعلا . وأشارت اللجنة فى تقريرها الختامى الى اهم السبل نحو تقدم وارتقاء المسرح وهى كالتالى

- عدم اخضاع النصوص المسرحية لرقابة المصنفات الفنية واطلاق حرية التعبير والابداع ..
- حماية حق المؤلف فى مجال الانتاج المسرحي وذلك بتغيير صيغة العقد المبرم بينه وبين الجهات المعنية بما يكفل للمؤلف كافة حقوقه المادية والأدبية .
- التمسك بنسبة ٥٠٪ على الأقل من العروض المسرحية المدرجة فى خطة دور العرض لمؤلفين جدد
- رفع اجر المؤلف المسرحي بما يتناسب مع التغيرات الاقتصادية المتصاعدة .
- اقامة مسارح صغيرة (قاعات - حجرات) فى التجمعات الثقافية وفى قصور الثقافة من أجل خلق كوادر فنية جديدة ورصد الميزانيات لتدعيمها
- اصدار مجلة متخصصة للمسرح بصفة دورية
- عدم تكرار عرض النص المسرحي فى اكثر من موقع فى الثقافة الجماهيرية ..
- اعادة النظر فى لجان قراءة النصوص بحيث تقتصر فى عضويتها على المتخصصين الموثوق فى موضوعيتهم

لجنة الشعر :

ناقشت اللجنة قضايا (الاتجاه العام فى الشعر المصرى المعاصر) و (مفهوم الالتزام فى إطار الثقافة الوطنية - تأصيل تاريخى) و (وضعية الشعر العامى فى مصر) وقد شارك فى حوار هذه القضايا العديد من الشعراء والأدباء منهم محمد عفيفى مطر ، حلمى سالم ، د . مدحت الجيار ، أحمد فضل شبلول ، انيس البياع ، احمد عقل ، السيد النماس ، محمد الزكى ، محمد القدوس ، د . حامد ابواحمد ، عزة بدر ، عزت الطيرى ، محمد النبوى سلامة ، د . يسرى العزب ، طاهر ابوفاشا ، وغيرهم .

وقد أقيمت على هامش المؤتمر امسيتان شعريتان شارك فيهما جميع الشعراء المشاركين فى المؤتمر وبلغ عدد الذين ساهموا بالحوار فى لجان المؤتمر الثلاث اكثر من ١٥٠ أديبا .

● مهرجان الرافعي في الغربيـــــة

منذ صباح يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٨٦ والعشرات من ادباء أقاليم مصر يتدفقون نحو مدينة طنطا تلبية للدعوة التي وجهها لهم مؤتمر الرافعى الأول ، ذلك المؤتمر الذى نظمته جامعة طنطا بالاشتراك مع مجلة الرافعى واستمر ثلاثة ايام كما شاركت الأجهزة المختلفة وعلى راسها المحافظة فى الاعداد لهذا المؤتمر ، وكان لثلاثة من ادباء الغربية فضل فى إدارة

المؤتمر والاشراف عليه هم : د . محمود الحسيني وفاروق خلف وأحمد عزت سليم

كانت أمانة المؤتمر قد وجهت خطابات لعدد كبير من الادباء والكتاب وأساتذة الجامعات من أجل تقديم معاونتهم العلمية والفكرية والمساهمة بدراسة موضوعات الفكر الادبي والاجتماعي عند المفكر مصطفى صادق الرافعي ومنزلته عند شعراء العصر الحديث ، وكذلك لمناقشة قضايا الشعر العربي المعاصر ، والقصة القصيرة من خلال نماذج تطبيقية .

وقد عقدت ست جلسات علمية قدم فيها أصحاب الدراسات عروضا مختصرة لدراساتهم في جلسات مفتوحة ، وقد ناقشها المؤتمرون من خلال اسئلة مباشرة تلى العروض .

وعقدت أمسية شعرية فى اليوم التالى شارك فيها عدد كبير من شعراء الاقاليم فى مصر .

بدأ المهرجان بجلسة افتتاح تحدث فيها المسئولون عن المؤتمر حضرها وتكلم فيها محافظ الغربية والدكتور احمد هيكل وزير الثقافة ، وأعقب ذلك تكريم مبدعي الغربية بمنحهم شهادات التقدير وكان على رأسهم عبدالحكيم قاسم وابراهيم أصلان وأحمد الشيخ ومحمد صالح ومحمد المنسى قنديل وغيرهم .

وقد ساهم عدد غير قليل من أساتذة الجامعات بتقديم دراسات وبحوث حول شخصية الرافعي وفكره ، ودوره ، إلا أن دراستى عبدالحكيم قاسم وحلمى سالم قدمتا بعدين حديثين ورؤيتين ترتبطان بواقع الأدب اليوم مما أعطاهما بروزا وصدارة ، وقد احتدم النقاش إثر تقديم عبدالحكيم قاسم لدراسته حول الفكر الجمالى الأدبى الجديد .

لقد أخذت الأبعاد الفكرية مسارات واضحة منذ البداية من خلال طبيعة الدراسات التى قدمت ، وطبيعة المناقشات التى تمت . فقد كان هناك منذ البداية اتجاهان فكريان سيطرا على المؤتمر .

الاتجاه الأول سلفى محافظ ، انتقل ماقدمه من أول التحفظ الشديد والاكتفاء بتتبع تفاصيل قليلة عن حياة الرافعي وعلاقته بالأديبة "مى" وقسر فكره على تصور مثالى يجعل من اللغة العربية فلكا ثابتا على مدى التاريخ والحياة ، بلا تطور أو تغيير ، ومرورا بمجرد القاء أضواء خافتة عن علاقته بالاتجاهات الفكرية الاخرى والتركيز على خصوماته الفكرية وانتهاء بمحاولات تحديد لطبيعة ابداعه ، ولكنه تحديد مليء بالخجل والتردد

أما الاتجاه الفكرى الثانى فقد تمثل فى الرؤية الفكرية والجمالية التى تنظر الى الأدب من خلال جدله الموضوعى مع كافة الظواهر الأخرى ثم صدوره فى مجموعة من القوانين الخصوصية التى تميزه

ولقد كان الصراع بين الاتجاهين طبيعيا لما بينهما من فروق جذرية ، وقد أخذ أشكالا خفية فى حين ، كما أخذ فى أحيان أخرى شكل الصراع المباشر الذى يصل الى حد « الخناقة » ورفع الأصوات و« الزعيق » عندما اضطر دارس الى أن يتعرض لقضايا رأى بعض الجالسين وقال انها تمس أشياء ينبغى الا تناقش فى رحاب الجامعة ، وكان الفكر لابد أن يظل محروما من مناقشة بعض قضاياه .

وقدمت القصائد بطريقة احتفالية على مسرح طنطا ، وقرأ الشعراء القصائد التى كانوا قد قرأوها لبعضهم فى اليوم السابق ، ولم تحضر إلى مقاعد المسرح جماهير الناس ، بل الشعراء هم الذين يقرأون فى كل مهرجان دون أن تمارس أية أساليب جديدة للاستفادة من وجود الشعراء مثل مناقشة أو درس عدد أقل من القصائد ، بدلا من هذا الكم الضخم من الشعراء ، فقد الجالسون القدرة على متابعة الشعر من بعد القصيدة الرابعة أو الخامسة .

ش
شهريات

لقد هرب ثلاثة ارباع المؤتمرين قبل بداية الأمسية الشعرية بحجة أنها ليلة راس السنة وقد احقوا السبب الحقيقى الذى عانى منه الباقون وهو التكرار الممل فى طريقة تقديم القصائد دون ان تخدم الشعر أو الشعراء أو السامعين .

لقد عانى المؤتمرون من عدم تخصيص فرص اكبر للاحتكاك بالبحوث ودرسها من خلال زيادة الفترة التى يسمح فيها بعرض البحث ، أو زيادة الفترة التى يتم فيها الحوار والمناقشة ، او بطباعة الدراسات وتوزيعها قبل بدء المناقشة بوقت كاف لقراءتها واعداد اسئلة حولها ، وكان ذلك مطلب الكثيرين ، وكذلك عدم تنظيم برنامج المؤتمر بالشكل الذى يتيح فرصة كافية لابداء الراى .

كما ان مأخذا آخر يمكن ان نستشعره فى عدم القدرة على الاستفادة من فرصة وجود ادباء وكتاب لهم اسهاماتهم الكبيرة فى مجال الفكر والأدب حضروا إلى المؤتمر وسافروا دون أن تستثمر جهودهم بشكل او بآخر فى اثراء المؤتمر .

إلا أنه على الوجه الآخر نستطيع ان نحسب الفوائد التى نالها المفكرون والأدباء اولها فرصة اللقاء الجماعى والمناقشات التى دارت وكذلك المناقشات الجانبية العديدة التى تمت فى القاعات وفى النزل ، كان منها ندوات الشعر والمناقشات التى انتشرت فى اكثر من طابق

كما ان الطرح الفكرى الذى قدم فى اثناء الجلسات العلمية قد حدد كثيرا من التصورات الدقيقة حول واقع الفكر المصرى الحديث بتوجهاته المختلفة وقد تم توزيع مطبوعات مجلة الرافعى الأدبية والتى ضمت ديوانا للشاعر محمد فريد أبوسعده وكتابا ضم شهادات أدباء الغربية وعلاقتهم بموطنهم وبالواقع الاجتماعى والثقافى الذى نشأوا فيه .

وقد انتهت الجلسة الختامية فى اليوم الثالث بتوزيع شهادات التقدير للمساهمين فى المؤتمر واعداد مجموعة من التوصيات كان اهمها الاتفاق على اللقاء السنوى واعداد كتاب يضم كافة الأبحاث والدراسات التى قدمت .

هذا وقد كان المؤتمر ـ على الرغم من كل شيء ـ صورة طيبة لما ينبغى ان يتكرر لأجل أدباء الأقاليم ومن خلال مشاركتهم الفعلية فى اعداده ..

أولئك الأدباء الذين لاتتبنى نشاطاتهم اية جهة من اى نوع ، ولايجدون سوى سبل الطباعة شديدة التواضع ، ويبذلون اعمارهم من اجل التمكن من طباعة كتب فقيرة ، ويعيشون واقعا ثقافيا أليما ، الغلبة فيه للشللية والمعارف ، وتنتفى فيه القدرة على التفرقة بين القيمة الحقيقية ، والقيمة المزيفة الهشة .

امجد ريان

مسرح

● سعد أردش وثلاث مسرحيات ! ●

فى وقت واحد تقريبا افتتحت ثلاثة عروض مسرحية من اخراج سعد اردش ، الأول لفرقة دمياط عن مسرحية « المخططين » التى كتبها د . يوسف ادريس عام ٦٨ ، والثانى لفرقة الحديث عن مسرحية « قاتل خارج السجن » التى كتبها محمد سلماوى ، والثالث لفرقة القومى عن مسرحية « رجل فى القلعة » التى كتبها ابوالعلا السلامونى .

ومسرحية « المخططين » سبق أن اخرجها اردش لمسرح الحكيم عام ٦٨ ، ولكنها اوقفت

فى ليلة الافتتاح ، ثم اخرجها احمد زكى للفرقة النموذجية بالثقافة الجماهيرية وعرضت على مسرح الطليعة عام ٨٢ ، ويلح علينا هنا ذلك السؤال الذى طرحه سعد اردش فى نشرة العرض عن المسرحية حيث قال « الى اى مدى تستطيع "المخططين" ٦٨ ان تعبر عن القضايا التى يموج بها الشارع المصرى بل والعربى عام ٨٦ » ؟

ويرى أن الاجابة العملية تكمن فى الجهد الابداعى الذى بذلته الفرقة وانه فى نفس الوقت هو الدليل على ماتتميز به هذه المسرحية من اطلاق يمنحها صفة الخلود ، وهى اجابة مراوغة لاتشفع له اختياره غير الموفق لهذا النص

، وأردش ليس غريبا عن دمياط بحكم المنبت والنشأة ، وهو ليس غريبا عن فرقتها التى اخرج لها عام ٦٦ مسرحية « عسكر وحرامية » لالفريد فرج قبل ان يعيد اخراجها فى القاهرة بعد هذا الوقت بقليل ، ولذا يصبح من الضرورى هنا أن نذكر اهمية وجود مخرج قدير فى احدى الفرق الاقليمية ، فهذا سعى جاد من قبل جهاز الثقافة الجماهيرية لاثراء حركة المسرح الاقليمى بفنانين مخضرمين وأصحاب تجربة ، لاشك فى الافادة منهم ، ولاشك فى نفعهم لاى فرقة مسرحية ، وتظل المشكلة هنا هى تقدير هؤلاء المخرجين لدورهم ، اذ يصبح الواحد منهم هو القدوة والمثل لذويه من المخرجين والفنانين الأقل خبرة وتجربة ، ويصير الواحد منهم معلما واستاذا يفهم مالا يفهمه الجميع ، إذ تحيطه هالات النجوم ، ويصبح بالتالى لأقل كلمة يقولها معنى وقيمة ، فما بالك بأهمية اختيار النص المسرحى وتفسيره وتدريب الممثلين والقيام بعملية الاخراج كاملة ، يصبح المخرج هنا مدرسة متحركة ومعهدا مسرحيا فى كل مكان يذهب اليه .

وهنا يصبح السؤال واجبا ، ماهذا الذى فعله اردش لفرقة دمياط ، انه يضع يديه على نص قديم يحمل نقدا موجها كتبه يوسف ادريس مهاجما عبدالناصر على طريقة مسرح الاسقاط السياسى ، وفى محاولات لادانة النظم الشمولية التى تؤله الزعماء وتضعهم فوق النقد ، ومن خلال بناء فنى مزيل وضعيف وشخصيات نمطية ومسطحة ، يضع المؤلف هجاء مباشرا لأسلوب وأوضاع مجتمعة فى تلك الفترة كما يراها هو ، وهو يختار لفظ (التخطيط) الذى لايمكن ان يرفض معناه العلمى أحد ، ويضعه فى فلسفة الزعيم الذى يحكم العالم من خلال تخطيطه بالابيض والاسود ، فيضفى على معنى الكلمة المزدوج اضطرابا وضبابا ، وعن طريق شخصيات غير متسقة وبلهاء ، يقول المؤلف من ورائها مايشاء من خطب سياسية مباشرة وفجة ومقالات طويلة لامعنى دراميا لها ، ويسوق كل ذلك قسرا على لسان ابطاله .

فما الذى فعله اردش بعد ان منح هذه المسرحية صفة الخلود ، انه يحاول عبثا أن يلوى الحقائق ، فيغطى أركان مسرحه بعلامات الابيض والاسود ، ومن فوق يعلق رسوما كبيرة لعملة الدولار الأمريكى (!!) وقد صمم له ديكوره وملابسه ببذخ زميله د أحمد ابراهيم ، ولايهتم المخرج مع ذلك بتداخل المستويات ولابأدوات التقنية ، ويركز على الحركات المائعة من أجل ارضاء جمهور لايعنيه ، ويضع على رءوس المخططين الطرابيش (!!) والطراطير (!!) وهو يفسر ذلك لجمهرة من الأدباء والنقاد فى ندوة اقيمت بعد العرض الأول ، أنه يقصد بذلك الرأسمالية الاحتكارية (!!) التى تحاول السيطرة على العالم ، وهو يغير من ملابس زعيمه ، فيجعله يرتدى فى النهاية الزى العسكرى لكى يطلق الرصاص عليه ، ويقول أردش إن هذا من أجل إدانة كل سلطة عسكرية فى دول العالم الثالث (!!)

واذا كان النقاد والأدباء يطلبون منه ، وهو الذى يظن أنهم الجمهور الحقيقى ، أن يقدم تفسيرا ، فإن جمهوره المسكين يطلب ترجمة

مفهومة لكل هذا اللغو والتخبط الفكرى والاختلال الفنى والرؤى غير الواضحة ، هذا الجمهور الذى سعى من اجل أن يرى مسرحا حقيقيا وجادا ، فوجد ابتذالا يقدم تحت لافتة الضرورة الفنية ، ووجد غموضا وتعمية لاغرض من ورائها الا استكمال لعبة يهبها أردش لفرقة بلدته ، متبرعا بأجره ، وليته تبرع بشيء له قيمة ..

ولكن ما الذى يستطيع الممثل ان يفعله فى نص كهذا وشخصيات كهذه ، إنه يتوه بين تفسير المخرج وكلمات النص التى تحمل نقيض هذا التفسير ، ويبقى رغم ذلك لفرقة دمياط مجموعة الممثلين الموهوبين رضا عثمان ، الحسينى مراد ، محمد الشريف ، رضا حسنى ، آمال عطية ، أحمد شبكة ، احمد ليلة ، رأفت سرحان ، حمدى تحف ، حلمى سراج ، نادية الشوبينى ، جونيا العربى ، محسن البرعى .

أما مسرحية « القاتل خارج السجن » فهى تدور داخل جدران أحد السجون المصرية ، وفيه يستعرض المؤلف مجموعة متنوعة من المساجين ، يختلط القاتل بالداعر بتاجر المخدرات بالمناضل السياسى بالأفاق الانتهازى ، ومن خلال تجربة جديدة لشاب ينضم الى هؤلاء ، ويكتشف مع معايشته هذا العالم وراء القضبان حقيقة انتماءه الطبقى ويتحول من شاب سلبى إلى شاب ثورى ، حيث تشكله وتصقله التجربة وتنمى وعيه ضد القتلة خارج السجن .

وبالرغم من ان المسرحية تحمل شخوصا درامية يمكن بتوظيفها داخل البناء أن تصنع صراعا حيا ، فإنها تغرق مثل (المخططين) فى مباشرة وخطابية ووعظ ، الفصل الأول لايتعدى تقديم الشخصيات ، والثانى محاكمة الشاب عن تهمة لم يرتكبها ، والثالث وهو من اقوى الفصول ، ينكشف الجميع ويدرك الكل حقيقته ، ويقول اردش عن المسرحية أن الكاتب يستفز المجتمع ضد نوع آخر من القتلة ، نوع لم يستطع مشرعو القوانين الجنائية ان يحددوه ويمسكوا بتلابيبه ، القاتل الهارب هو اذن قاتل المجتمع ، ولعلنا نعانى منه جميعا ونحمله مسئولية ما اصاب مجتمعنا من عوامل التفكك والظلم الاجتماعى والتسيب واللامسئولية ..

وبالرغم من أن شخصيات المسرحية تشكل فيما بينها مجموعات صغيرة تعيش عالمها ، فإن المخرج لم يهتم بتوظيف ديكوره الذى صممه مع الملابس محمد الصعيدى ، وهو يكتفى بأن يضع ممثليه فى أماكن متفرقة على خشبة المسرح ، ومن حولهم تتناثر تماثيل مشوهة عن عذابات الانسان ، فأضعف بهذا (المستوى الواحد) التداخلات والتقاطعات الحوارية التى يستهويها المؤلف - لاحظ نص « فوت علينا بكره » و « اللى بعده » وقد اخرجهما سعد اردش نفسه بمستوى فنى عال لمسرح الطليعة منذ عامين - فأنت تفاجأ بممثل يتكلم من عمق المسرح ، ليقطعه آخر فى المقدمة ، وهكذا دون فواصل اضاءة أو أماكن ، مما يوحى بأن الجميع يعيشون اللحظة والمكان وهذا غير وارد فى النص على الاطلاق ، ويكتفى المخرج بتغيير شكل المسرح ، فيظهر للجمهور ادوات الاضاءة الهابطة من السقف دون ضرورة فنية ، ويكثر من اصوات المؤثرات غير الواضحة ، فى محاولة لصنع فرقعة تدارى عجزا وقلة حيلة ، وينير المسرح كما لو كنا فى فرح للعمدة ..

برز من ممثليه محمد عبدالجواد وفتوح احمد ومحمد محمود واسامة عباس .

وتبقى المسرحية الثالثة « رجل فى القلعة »

علها تعيد للمخرج الكبير بعض مافقده في اخراجه المتعجل لمسرحيتي (المخططين) و (القاتل خارج السجن)

محمد الشربيني

• فن تشكيلي •

● معرضان لعدلي رزق الله ●

كذبة كبيرة هي القول بأن الفن للفن ، فالفن أساسا للجمهور وبه ، وتبادل مشاعر الفنان مع الجمهور لأطول فترة ممكنة ، هو الأساس في انتاج هذا الفنان وتفانيه في عطائه الفني المتدفق .

توجد فترة بعينها يشعر الفنان أن عليه أن يتصل بجمهوره وقد أقام عدلي رزق الله معرضه الفني في الأتيليه من ٢ ديسمبر الى ١٥ ديسمبر ، ثم أعقبه بمعرض أخر من ١٦ ديسمبر الى ٣٠ ديسمبر ١٩٨٦ ، وذلك في القاعة الجديدة بقصر ثقافة قصر النيل بجاردن سيتي التي أطلق عليها اسم السيدة « صفاء زيتون »

وقد خص الفنان عدلي رزق الله مجموعته (البيت ـ الأم) لعرضها في قاعة صفاء زيتون وفاء لذكراها ـ فهذه اللوحات ترمز الى الوطن الحلم البيت الأم .

إن مايلفت نظرنا في هذه المجموعة هو الواقعة التشكيلية الكامنة في كل أعمال الفنان ، ولكنها هنا تتحقق بوضوح وتوفيق لم يبلغ هذه الدرجة من قبل هذه الواقعة هي النور ـ الأبيض ـ عند الفنان آتيا من مصدر خارجي ، ليس نور الشمس أو ضوء النهار ، مثلا ، بل قيمة تشكيلية داخلية إذا صح القول . فهو اشعاع اللوحة من الداخل ، من القلب .

إن فن عدلي رزق الله يحتوي على كثير من الحب والايمان الأصيل بما يفعل ممتزجا بالخوف من الفشل ـ إن ذلك الفنان المصري الذي يرتزق من فنه فقط ـ يحقق تجربة تستحق التأمل ، وعند تجميع أبجديتها نجد أنها في كلمة واحدة « الاجتهاد » وهذا الاجتهاد يتطلب التجريب الدائم . والدائب حتى يجعل تلك الرقعة الصحراوية الصغيرة التي يقف عليها الفنان تخضر ليكملها من بعده فنان آخر ، وهكذا يأخذ الفن مساره الحقيقي بالتفاني .

وعندما قال عدلي رزق الله ، مرة ، انه بهر وصدم عندما اكتشف قوة بيكاسو ومقدرته الفنية الفائقة ـ وهي أساسا مستمدة من تمرين دائم مع موهبة فذة ـ فلعله كان يستشرف في نفسه طاقة مستعدة للتدفق ، بقوة ومقدرة ، وجدت سبيلها لهذا التدفق بتمكن وثقة

لا اقول إن التشبيه مع بيكاسو فيه ندية ، ولكن فيه مودة ومحبة ، كما أضاف الناقد ادوارد الخراط . « ومن لغو القول أن تثار مسألة التأثر والتأثير ، إن أصالة الفنان المتمكن هنا تفرض نفسها ، وتفرض النفي التام لهذه المسألة

نجوى صالح

عـدلى رزق اللـه
تجربة تستحق التأمل



شهريات

• مكتبة الهلال •

الكتاب : وصف مصر - الجزء الأول من لوحات الدولة الحديثة
رسوم : رسامى الحملة الفرنسية
الناشر : مكتبة مدبولى - ٣٠٠ ص ٢٠ ج م .

لم تحظ بلد فى الارض بمثل ماحظيت به مصر من تسجيل لحياتها وحياة شعبها فى أدق تفاصيلها حتى لم يترك المسجلون شاردة أو واردة إلا وتناولوها من كل الزوايا ومن جميع الاتجاهات ..

وكان « وصف مصر » او



مجموعة الملاحظات والبحوث التى اجريت فى مصر اثناء حملة الجيش الفرنسى عملا شاملا لم يسبقه ولم يلحقه مثيل .

وبصرف النظر عن النوايا التى دفعت الى بناء هذا العمل الكبير ، فإن النتيجة المؤكدة أنه حمل لنا مالا نجده الآن فى مرجع واحد غيره .

وكان القاضى المتميز الراحل « زهير الشايب » قد آلى على نفسه وبروح العاشق أن يقوم بترجمة هذا العمل الكبير ، محاولة نظر اليها فى حينها بعين الاستغراب والدهشة .. ولم يمهله القدر بالفعل لاتمام الترجمة .. فتوقف بها عند الجزء العاشر .

والكتاب الذى بين أيدينا هو الجزء الأول من لوحات الدولة الحديثة ، أو الحالة الحديثة لمصر ، يعقبه جزء ثان ، هذا مع العلم بأن رسوم وصف مصر تقع فى أحد عشر مجلدا ، واطلس جغرافى ، خمسة منها للوحات العصور القديمة ، ومجلدان فى ثلاثة أجزاء للتاريخ الطبيعى ، ومجلدان للحالة الحديثة بالإضافة إلى مجلد واحد يشتمل على مقدمة مع شرح للوحات ، ثم الأطلس الجغرافى الذى يشتمل على خرائط مفصلة لمدن وأقاليم مصر .

الكتاب : محاوراتى مع السادات
تأليف : أحمد بهاء الدين
الناشر : دار الهلال ٢٠٠ صفحة - الثمن ٤ جنيهات

توفرت للكاتب الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين ظروف جعلته قريبا من صانع القرار بحكم موقعه كصاحب قلم شارك بالرأى ، وتولى مناصب مختلفة فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة .

وعرف القارىء أحمد بهاء الدين كاتبا موضوعيا يحمل بإصرار مشعل الاستنارة والتقدم ، فمنذ أن ظهر اسمه ككاتب سياسى فى أوائل الخمسينيات فى مجلة روز اليوسف ، وتأسيسه مجلة صباح الخير ، ورئاسته لتحرير أخبار اليوم ومجلات دار الهلال والاهرام ومجلة العربى الكويتية ، وحتى تفرغه للكتابة فى جريدة الاهرام ، كانت كتاباته تعبيرا



صادقا عن توق حار للعدل والتطور.

وهذا الكتاب محاورات مباشرة مع الرئيس السادات تلقى الضوء على الكثير من الأحداث التاريخية الكبرى، والكاتب هنا يتجه مباشرة الى زاوية انتقاها بدقة ليوضح طريقة تفكير السادات الخاصة، ودوافعه ونظرته للأحداث والأشخاص منذ اللقاء الاول، وحتى اتخاذ كل منهما طريقا واتجاها.

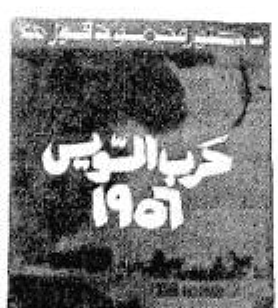
الكتاب · حرب السويس ١٩٥٦
تأليف : د . محمود فوزي
ترجمة . د . مختار الجمال
الناشر · دار الشروق
١٧٢ ص ، ٣ ج . م

تأتى قيمة هذا الكتاب من أنه الأثر الوحيد المكتوب لأبى الدبلوماسية المصرية الروحى الدكتور محمود فوزى، كما أن قيمته السياسية والتاريخية والاكاديمية تكمن فى انه الوثيقة المصرية الوحيدة التى كتبها مسئول مصرى كبير عاصر أحداث السويس وكان من صناع هذه الأحداث.

ويعد هذا الكتاب جزءا، قد يكون الجزء الكامل الوحيد، من بين الاوراق التى شملت مذكرات الدكتور فوزى التى لاتزال متناثرة والتى نعتقد بأهميتها الشديدة

يدلي الدكتور فوزى برأيه فى الكتابات والوثائق الانجليزية التى تناولت موضوع السويس، ثم يقدم شهادته الخاصة منذ أول مرة عبر فيها القناة عام ١٩٤٨، ثم لقائه الأول بعبد الناصر عام ١٩٥٢، وأيام باندونج وما بعدها، وعملية التمهيد لتأميم قناة السويس، واشتعال الموقف، وتحول الصراع بين مصر وبريطانيا من الحوار الى العدوان، ثم ذيول ما انتهت اليه الأزمة.

إنه كتاب وثيقة نرجو أن يتبعه نشر ماتبقى من أوراق الدكتور فوزى.





الكتاب . رأفت الهجان
تأليف : صالح مرسى
الناشر : أبوللو للنشر
ج ١ - ٣٦٠ ص
٢ ج . م

بسلسلة كتبه التى بدأها بمجموعة « الصعود الى الهاوية » عام ١٩٧٦، ثم روايتيه « الحفار » و « دموع فى عيون وقحة » يكون صالح مرسى قد أرسى فى مكتبتنا العربية نوعا خاصا من الأدب، هو أدب الجاسوسية الذى لم يسبقه اليه بهذا المعنى كاتب من قبله.

وبأسلوب غاية فى البساطة والسهولة يقدم صالح مرسى أحداث روايته، ممسكا بالخيط الرئيسى، لكنه يلجأ إلى حيل التشويق، فتراه يقطع اشتعال هذا الخيط، ليدخل فى خيط جديد، لكنك سرعان ماتجد نفسك متصلا بالخط الأول.

إن صالح مرسى بهذا الكتاب يكون قد أكد على أن أدب الجاسوسية قد أصبح جزءا من أدبنا العربى الحديث.

آكل لحوم البشر في القطار

تأليف : مارك توين

ترجمة : محمد المنسي قنديل

قمت أخيرا بزيارة" سانت لويس " وعندما كنت فى طريقى الى الغرب بعد أن غيرت القطار فى " تيرى هوت " صعد رجل حسن المنظر . سيد فى حوالى الخامسة والأربعين وربما فى الخمسين من احد المحطات الفرعية وجلس بجانبى . وقد تحدثنا معا فى مختلف الموضوعات لساعات طويلة . كان على درجة كبيرة من الذكاء وسعة الاطلاع وعندما علم انتى من واشنطن بدأ يسأل أسئلة عديدة عن مختلف الرجال المشهورين بها . بل وعن شئون مجلس النواب ايضا وأدركت بعد وقت قصير أننى أتحدث مع رجل يعرف كل مداخل ومخارج الحياة السياسية فى العاصمة كان يعرف جيدا لعبة الانتخابات ومناورات الشيوخ . وخفايا الغرف الداخليّ وبينما كان القطار متوقفا فى احد المحطات . توقف رجلان بجانب نافذتنا للحظة وجيزة وقال أحدهم للاخر .

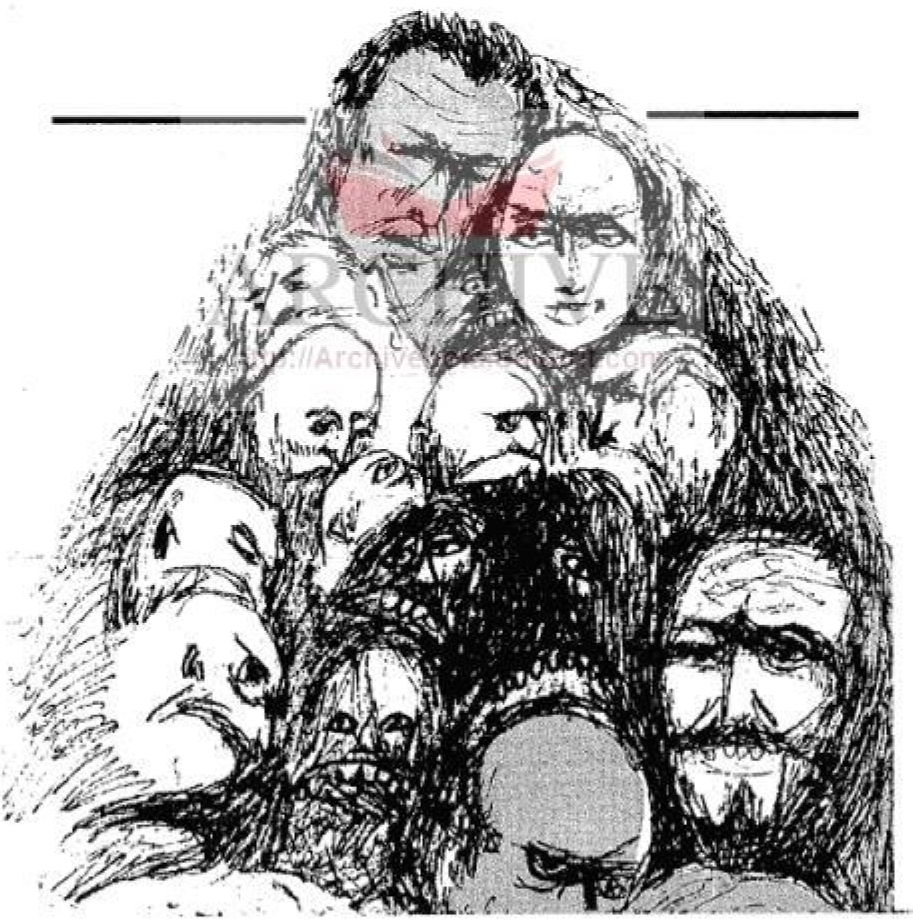
ـ هاريس .. لو فعلت هذا الامر من اجلى .. فلن أنسى لك هذا الامر ابدا ياولدى ..

وهنا برقت عينا محدثى .. لقد مست الكلمات ذكرى سعيدة فى داخله كما اعتقد واكتسى وجهه ببهجة حقيقية واستدار نحوى وهو يقول :

ـ دعنى أقص عليك قصة ، سوف أعرض عليك الجزء السرى فى حياتى الجزء الذى لم أقله لأحد منذ أن وقعت حوادثه .. ولكن انصت إلىّ بصبر وعدنى الا تقاطعنى أبدا ..

قلت له إننى لن أفعل . وبدأ يقص علىّ المغامرة التالية كأنه كان يتحدث إلى نفسه .. أحيانا بحب .. وأحيانا بجنون ..

معظم الناس يعرفون الجانب المرح من مارك توين الكاتب الامريكى الشهير وفى معظم كتاباته نشع روح التامل الساخر لكل مظاهر الحياة الامريكيه هناك الجانب المظلم من هذا الكاتب حيث تسود روح التشاؤم والاحباط فى كتاباته ولعلنا فى هذه القصة تلمح تلك الكوميديا السوداء ممتزجة بنوع من الانتقاد السياسى اللاذع للنظام الامريكى وربما كانت هذه القصة من اهم القصص السياسية المبكرة قبل ان يصبح هذا النوع بهذا الانتشار



أكل لحوم البشر في القطار

ولكنه كان دائما حاضر الوعي . تام اليقظة .

في التاسع عشر من سبتمبر عام ١٨٥٢ بدأت رحلتي من سانت لويس على قطار الليل المتجه الى شيكاغو . لم يكن في القطار إلا أربعة وعشرون راكبا فقط .. كلهم رجال .. لم يكن هناك نساء ولا أطفال .. كنا جميعا نتمتع بروح عالية ، وخلق هذا بيننا سريعا جوا من المرح والبهجة وبدا واضحا انها سوف تكون واحدة من أمتع الرحلات .. ولم يكن اي واحد من أعضاء هذا الحفل المتحرك يتوقع الرعب الذي ينتظرنا جميعا ..

في الحادية عشرة مساء بدأت الثلوج في التساقط بعد ان تركنا قرية " ولدن " بفترة قصيرة . كانت الريح العنيفة التي لاتجد أمامها أشجارا أو تلالا تصدها تصفر في صوت عال فوق الصحراء التي نعبرها .. وتدفع أمامها تدفقه الثلج المتساقطة نحو القطار في أمواج بيضاء متتابعة .. كانت الثلوج تتراكم بسرعة . وكنا نعلم ذلك من تناقص سرعة القاطرة وهي تحاول بشدة أن تشق طريقها الوعر . ثم صمتت تماما .. وتبددت أحاديث البهجة التي كنا نتبادلها . حل محلها قلق عميق . كان هناك احتمال أن ندفن جميعا تحت الثلج بعيدا عن اقرب البيوت بحوالي خمسين ميلا . فرضت هذه الحقيقة نفسها على كل ذهن . ونشرت جوا من الكآبة على كل روح ..

في الثانية صباحا بدأت الحركة تدب فينا من جديد .. وصرخ واحد منا :

ـ كل الايادي تهب للمساعدة ..

ونهض كل واحد منا طائعا . خرجنا الى ظلام البرية ، الى الثلج المتساقط والعاصفة الصاخبة . كل واحد منا كان يعرف أن أية لحظة تفقد الان قد تتسبب في دمارنا . عملنا جميعا .. بالمعاول والأيادي المجردة . بكل شيء .. وأي شيء يمكن أن يزيح الثلوج . وبدا منظر غريب لبعض الرجال المجانين وهم يحاربون الثلوج التي لاتكف عن التساقط ..

ومرت ساعة كانت كافية لكي ندرك عبث الجهد الذي نبذله . كانت العاصفة قد دفعت بالعديد من طبقات الثلج بينما نحن عاجزون عن إزالة طبقة واحدة . وكان أسوأ مافي الأمر هو اكتشافنا أن القاطرة التي حاربت الثلوج طويلا قد انكسرت وأن عجلاتها قد أصبحت مشلولة عاجزة عن الحركة .

عدنا الى داخل العربة متعبين من الجهد الضائع .. تجمعنا بجانب المدفأة الملجأ الأخير في هذه الكارثة . لم نتجمد لاننا كنا نملك كمية كبيرة من الأخشاب وكان هذا هو فقط ميزتنا الوحيدة وانتهت المناقشات الطويلة التي تبادلناها بأن الموت سوف يكون من نصيب أي شخص يحاول أن يسير خمسين ميلا على قدميه وسط عاصفة ثلجية مثل هذه . لم نكن نستطيع أن نبعث في طلب النجدة وحتى لو كان هذا في استطاعتنا لم نكن نستطيع المجيء .. لم يكن أمامنا إلا الانتظار والصبر ..

وخلال ساعة تحولت المناقشة الى همهمات متفرقة في أنحاء العربة . وعلت

المصباح العتامة وحاول البعض ان يتظاهر بالنوم لعله ينسى لحظات هذا الحاضر المؤلم .

ومضت ظلمة الليل المرعب وبدأ الفجر الرمادى البارد . مع انتشار الضوء بدأ الركاب يتحركون وظهرت عليهم معالم الحياة واحدا بعد آخر اخذوا يستيقظون .. يدفعون قبعاتهم الى مؤخرة الرءوس ثم يحاولون فرد أطرافهم المتيبسة من البرد والتعب . ومن النافذة كان المنظر مروعا .. لاشىء حى . لاأثر لبشر .. لاشىء الا الصحراء الواسعة البيضاء وندفات الثلوج التى تدفعها الريح موجة وراء موجة ..

طوال اليوم ونحن نتحرك فى العربة نتكلم قليلا ونفكر كثيرا .. وفى المساء ادركنا أننا جميعا جوعى .

فجر آخر . يوم آخر من الصمت والحزن والجوع واليأس وانتظار النجدة التى ربما لن تجىء .. ثم ليل من قلة الراحة .. واحلام مزعجة مليئة بآلام الجوع ..

وجاء اليوم الرابع ثم مر .. ثم جاء اليوم الخامس .. خمسة أيام من الحصار المروع .. وبدأ الجوع المتوحش يطل من كل عين .. شىء ما بدأ يتشكل فى قلب كل واحد منا .. شىء لايقدر اللسان على النطق به ..

مر اليوم السادس . وظهر فجر اليوم السابع على حفنة من الرجال اليائسين يعيشون لحظاتهم الأخيرة تحت ظلال الموت . لابد أن يخرج الان .. هذا الشىء الذى كبر داخل كل واحد منا وأن له أن يقفز فوق الشفاه .. بدأت الطبيعة تفرض سلطتها عليناجميعا .

نهض ريتشارد جاستين من ولاية مينوستا طويلا . ضخم الجثة . ولكنه بالغ الشحوب . كنا جميعا نعرف ماذا سيقوله .كنا مستعدين ـ كل عاطفة كل انفعال . كل إثارة قد خفتت ـ كنا هادئين عاقلين وهتف بنا

ـ سادتى . لايمكن ان نؤخر الامر اكثر من ذلك الوقت الان قد حان يجب ان نقرر من الذى منا سوف يموت حتى يوفر الطعام للاخرين .

ونهض مستر جون وليامز من الينوى وهو يقول :

ـ سادتى .. انى ارشح الأسقف جيمس سوير من تنيسى ..

وقال مستر م . آدم من انديانا .

ـ انا ارشح مستر دانيال سولت من نيويورك .

مستر شارلز لانجدون

ـ انا ارشح مستر صموئيل ا . باون من سانت لويس .

مستر سولت :

ـ سادتى ..اوجه نظركم الى مستر جون فان نوستراند من نيوجيرسى ..

مستر جاستون

ـ لو لم يكن هناك اعتراض . فإن رغبة بقية السادة توافق رغبتك . واعترض مستر فان نوستراند ورفضت استقالة مستر سولت وبدأت عملية الاقتراع من جديد .

مستر ل . باسكوم من اهايو .

ـ يجب أن يكون الترشيح قويا ومدعما .. لذلك اقترح إدخال نظام الاقتراع السرى ..

مستر سوير

ـ أنا اعترض على هذا النظام .. إنه غير عملى بالمرة ويسهل تزويره

أكل لحوم البشر في القطار

بالاضافة الى انه غير منظم .. يجب علينا ان ننتخب الان رئيسا لهذا الاجتماع وهيئة مكتب لمساعدته وهكذا نستطيع ان نمضي في اعمالنا على اسس مفهومة ..

مستر بل من ايوا

ـ انا اعترض .. ليس هذا وقت الاحتفالات الاستعراضية . منذ حوالي سبعة ايام ونحن بلا طعام كل دقيقة تمر في مثل هذه المناقشات سوف تضاعف من الكارثة .. انا مكتف بالترشيحات التي عرضت امامنا .. وعلينا ان نختار من بينها واحدا او اثنين ويكون هذا حلا للمشكلة ..

مستر جاستون :

ـ انا اعترض ايضا .. ولا اريد ان اكسر اية قواعد لذلك أصر على ترشيحي لهذا السيد من نيوجرسي ..

مستر فان نوستراند :

ـ سادتي .. انا غريب في وسطكم ..

ولا اعتقد ان مظهري يوحي بأن اكون شهيا .. واعتقد ان العكس هو الصحيح .. ؟ ..

مستر مورجان من الباما (مقاطعا)

ـ يجب سحب هذه الملاحظة .

وبدأت الحركة من جديد واستقر الراى اخيرا على انتخاب رئيس مكتب تنفيذي .واختير مستر جاستون رئيسا . ومستر بلاك سكرتيرا . وكلا من السادة هو لكومب وبلادون ودير اعضاء لجنة الترشيحات ومستر هولاند مساعدا للجنة في عملية الانتخاب .

واعطيت فترة نصف ساعة للراحة وبدا سيل من الاتهامات المتبادلة بين الاعضاء . وعلت أصوات اللجنة وهي تناقش ثم اعلنت انها تفضل كلا من السادة جورج فيرجسون من كنتاكي . لوسيان هرمان من لويزيانا وميسيك من كلورادو كمرشحين .. وتمت الموافقة على تقرير اللجنة .

مستر روجرز من ميسوري :

ـ سيدي الرئيس .. إن تقرير اللجنة مطروح أمامنا الان .. وانا أقترح ان نستبدل باسم مستر هرمان اسم مستر هاريس من سانت لويس الذي نتشرف جميعا بمعرفته . أنا لا أريد بهذا الاستبدال آن اغض من قيمة هذا السيد القادم من لويزيانا .. إنني احترمه كما يحترمه كل سيد هنا ولكن لاأحد يقدر على الاعتراض بأن هذا السيد قد فقد من اللحم خلال الأسبوع الذى قضيناه هنا اكثر من اى واحد منا .. إن اى واحد منا لايمكن أن يتعامى عن حقيقة أن اللجنة قد قصرت في دراسة هذا الأمر .. أن الدوافع التي تحكمنا يجب أن تكون مغذية بالدرجة الاولى ..

الرئيس

ـ فليتفضل السيد من ميسوري بالجلوس .. ماهو قرار الأعضاء إزاء اقتراح هذا السيد ؟ ..

مستر هالوداى من فرجينيا :

ـ سيدى الرئيس ..انا أزيد من اعتراضي على قرار اللجنة واقترح استبدال مستر هارفي ديفيز من أرجون بدلا من مستر ميسيك .. أنني أعرف ايها السادة أن شهرة مستر ميسيك كرجل من رجال الحدود عالية وقد أعطته نوعا من الصلابة والمتانة .. ولكن .. من قال إن

هذا وقت المتانة والصلابة كلا أيها السادة .. الضخامة هى ماتريد المادة .. الوزن . الضخامة . هذه هى احتياجاتنا الأساسية .. ليست الموهبة ولاالذكاء ولاالتعليم .. إننى أصر على اعتراضى .

مستر مورجان (متحفزا)

ـ سيدى الرئيس . أعلن اعتراضى بشدة على هذا الترشيح . فهذا السيد من أرجون عجوز جدا .. وهذه الضخامة التى تراها هى بسبب العظام وليست بسبب اللحم .. إننى أسأل السيد من فرجينيا هل ماتريده هو الحساء أم المادة الصلبة ؟ إننى أرى انه بهذا الاقتراح يسخر من المعاناة التى نحس بها وهو يعرض علينا هذا السيد من أرجون .. إننى اسأله إن كان ينظر الى الوجوه المتلهفة التى تحيط به .. إذا كان قد نظر إلى عيوننا الحزينة .. إذا كان قد أنصت إلى دقات التوقع فى قلوبنا .. إننى أسأله إذا كان قد نظر فى الوضع الحرج الذى نعيش فيه الان .. لا أعتقد ذلك (تصفيق)

ومرة أخرى وضعت الاقتراحات للتصويت . وقد جرى استبدال الاسم الأول ووضع اسم مستر هاريس من الجولة الاولى للاقتراع . ثم بدأت خمس جولات من الاقتراع لكى نعرف بمن نبدأ أولا .. خمس جولات لم نختر واحدا بعينه وفى الجولة السادسة أختير مستر هاريس بالإجماع .. حتى هو اختار نفسه . وقد أثار هذا حرجا من الجميع بوصفه شيئا غير معقول ولكن لم يكن ممكنا فى ظل هذه الظروف إعادة الاقتراع مرة أخرى ..

واعلن مستر راد واى أن المجلس عليه ان يواصل عملية الترشيح كي يختار من أجل وجبة الافطار ومنذ الجولة الأولى للاقتراع كانت هناك عقدة نصف الأعضاء كانوا يفضلون أحد المرشحين بسبب شبابه وحداثة سنه . والنصف الاخر كان يفضل مرشحا ثانيا نظرا لكبر حجمه وقد حسم الرئيس الموقف حين أعطى صوته فى صالح المرشح الثانى مستر ميسيك .. وقد خلق هذا القرار جوا من الامتعاض بين اصدقاء مستر فيرجسون وبدت هناك مناقشات جانبية من اجل القيام باقتراع اخر ولكن الوقت لم يكن يسمح وفضل الاعضاء فض الاجتماع للالتفات لما هو اهم.. وبدأ الاعداد للعشاء وقد حول هذا الاهتمام عن قضية مستر فيرجسون وعندما حاول البعض إثارتها من جديد اعلن السيد السعيد بأن المستر هاريس قد اعد لكى يدفع كل الافكار الاخرى فى مهب الريح .

أعددنا مائدة بواسطة مقاعد القطار بعد انتزاعها من أماكنها وجلسنا وقلوبنا ممتلئة بالامتنان لأشهى عشاء يمكن أن نراه خلال سبعة ايام من الرعب كيف كان التغيير الذى طرأ علينا بالنسبة للساعات الماضية .. اليأس والحزن والجوع والاحباط .. كلها تبددت الآن حل بدلامتها . الشكر . والبهجة والاحساس بالامتلاء اننى ادرك الان انها كانت اكثر ساعات حياتى بهجة ظلت الريح تزوم .. وتدفع بالثلوج إلى منزلنا المحاصر ..ولكنها كانت عاجزة عن دفع اليأس إلى قلوبنا اكثر من ذلك . لقد أحببت هاريس .. ربما كانت له اعماله الجيدة ولكننى أستطيع ان اقول إنه لم يوجد رجل توافق معى مثل هاريس أو وهب لى تلك الدرجة من الاكتفاء والشعور بالرضى مثله . لقد كان ميسيك جيدا

آكل لحوم البشر في القطار

كان مذاقه طيبا جدا .. ولكن من ناحية القيمة الغذائية وليونة الأنسجة وطراوتها فإنني أعطى صوتي لهاريس .. لقد كان لميسيك جوانبه الطيبة ولست هنا في معرض إنكارها ولا أريد أن افعل ذلك . ولكنه كان سمينا أكثر مما ينبغي بالنسبة لوجبة الافطار .. اعذرني ياسيدي .. كان جافا .. دهنيا هل تتصور هذا .. كلا كلا .. لايمكنك أن تتصور شيئا مثل هذا .

ـ هل تعني انك قد ..

ـ لاتقاطعني أرجوك .. بعد الافطار انتخبنا رجلا اسمه والكر .. من ويترويت .. وكان يستحق قيمته فعلا . سوف أتذكر والكر دائما .. كان ضئيلا قليلا ولكنه كان جيدا إلى حد كبير .. وفي صباح اليوم التالي اخترنا مورجاني من الاباما للافطار .. كان واحدا من الطف الرجال الذين جالستهم .. وسيما .. عالي التعليم .. يتحدث العديد من اللغات .. (جنتلمان) كاملا .. وكان طريا إلى حد كبير وأخيرا في العشاء اخترنا ذلك السيد من ارجون .. وقد كان مروعا .. ولايمكن أن أصف لك ماذا أحسست به .. كان عجوزا .. يابسا .. ولايمكن لأي إنسان أن يتخيله على حقيقته . وأخيرا وجدت نفسي أصيح قائلا :

ـ أيها السادة .. يمكنكم أن تقوموا بهذا وحدكم اما أنا فأفضل الانتظار حتى الاختيار الثاني ..

وقال جريمز من النيوى .

أيها السادة .. سوف أنتظر انا أيضا وعندما تختارون شخصا فيه شيء ما توصون به فسوف يسعدني ان الحق بكم ثانية ..

وبدا كأن هناك سخطا عاما على رجل أرجون وظهر واضحا أنه لايقارن بتلك البهجة التي شعرنا بها مع هاريس أول مرة . وعندما تم الاقتراع من جديد وقع الاختيار على فتى من جورجيا يدعى بيكر .. كان رائعا .. حسن .. حسن .. بعد ذلك اخترنا دوليتيل .. ثم هو كينز ثم ماك لوري .. (اعترض البعض على ماك لوري لأنه كان قصيرا ونحيفا) ثم بنرود والاخوة سميث ثم بيلي .. (بيلي كانت له ساق خشبية بسبب فقد ساقه الحقيقية ورغم ذلك كان شهيا) ثم اخترنا غلاما هنديا ثم سيدا يدعى باك منيستر ولم يكن رجلا جيد الصحبة ولاطيب المذاق في وجبة الافطار وكنا سعداء لأننا انتخبناه قبل ان تأتي النجدة ..

ـ اه .. أخيرا جاءت النجدة .. حمدا لله ..

اجل .. جاءت ذات صباح مشرق متألق ـ تماما بعد الاقتراع .. كنا قد اخترنا جون مورفي وكان افضل الموجودين . وكنت أتمنى أن أتذوقه وأعرف طعمه . ولكن جون مورفي عاد الى بيته معنا وعاش حتى تزوج من أرملة هاريس ..

ـ الذي كان ..

ـ اجل .. أول رجل اخترناه . لقد تزوجها وهو سعيد وكل منهما يحترم الاخر .. نهاية رومانسية وسعيدة مثل كل الروايات اليس كذلك ياسيدي ..

آه . هاهى محطة النزول . يجب أن اقول لك وداعا ياسيدى .. إذا مررت من هنا أرجو ان تأتى لقضاء يوم او يومين معى .. سوف يسعدنى أن استضيفك . لقد أحببتك ياسيدى . اجل .. احببتك كما احببت هاريس نفسه . يوما طيبا ورحلة سعيدة ياسيدى .. وذهب . لم اشعر بأننى قد صدمت وارتفعت فى داخلى كل عوامل الاشمئزاز والحسرة مثل هذه اللحظة . كنت سعيدا فى قرارة نفسى لأنه رحل بكل رقته وصوته الناعم المهذب . كنت أرتعش كلما حط علىّ بعينيه الجائعتين وكاد قلبى يتوقف عندما ادركت اننى اذكره بهاريس ظللت جالسا مذهولا حتى جاء المحصل هتفت به .

-من هذا الرجل ..؟

قال

-إنه أحد الاعضاء القدامى فى مجلس النواب . كان ناشا جيدا . ولكنه حوصر فى أحد القطارات بواسطة الثلوج وتعرض للموت جوعا وعندما انقذ كان متجمدا تقريبا ، وظل مريضا عاجزا عن تناول الطعام بعد ذلك لفترة طويلة لقد اصبح فى صحة جيدة الان ولكنه عندما يتذكر الحادثة لايكف عن القول بانه اكل كل ركاب العربة الذين كانوا معه . وقد كان يردد دائما .. لقد حانت الساعة التى يتم فيها الانتخاب من اجل وجبة الافطار وتم انتخابى .. ولم يصدر أى اعتراض ضدى لولا اننى قدمت استقالتى . لذلك انا هنا . " احسست ببعض الراحة عندما اقنعت نفسى ان ماالستمعت اليه هى احاديث رجل فاقد العقل بدلا من ان يكون رجلا متوحشا اكلا للحوم البشر .

● قطر على البذل ●

حكى أنه لما مات حاتم الطائى تشبه به اخوه ، فقالت له أمه « يابنى اتريد ان تحذو حذو أخيك ، فإنك لن تبلغ مابلغه ، فلا تتعبن فيما لاتناله » فقال : « ومايمنعنى ، وقد كان شقيقى وأخى من امى وابى ؟ .. فقالت : « إنى لما ولدته ، كنت كلما ارضعته ، ابى أن يرضع حتى أتيه بمن يشاركه فيرضع الثدى الآخر ، وكنت اذا ارضعتك ودخل صبى بكيت حتى يخرج !! »

العالم في سطور

واشنطن



غلاف تايم شخصية العام

● العالم فى عيون تايم ●

احتفلت مجلة تايم الامريكية مع نهاية عام ١٩٨٦ بصدور العدد رقم ٦٠ من سلسلة أعدادها الخاصة حول «شخصية العام» الذى يصدر عادة فى نهاية كل عام ·· وبذلك تكون المجلة قد اختارت من منظورها مجموعة من الشخصيات أثرت فى العالم خلال الستين عاما الماضية ·· وأغلب هذه الشخصيات ـ بما فيها الاعتبارية ـ تستحق التقدير ولعبت ـ حسب رأى تايم ـ دورا أهم من غيرها · لذا تم اختيارها ·

وبالنظر الى الاسماء التى اختيرت سنرى انها جاءت من منظور الغرب وتفكر فى المقام الاول بأسلوب مجلة تايم · وقد حقق بعض هذه الشخصيات أمجادا للغرب فى شتى الميادين · لذا فأغلب هذه الشخصيات سياسية · أو بالاحرى رؤساء دول ·· ولا يشترط ان يكون الرئيس امريكيا مثل فرانكلين روزفلت ـ اختير ثلاث مرات ـ أو هارى ترومان ـ وايزنهاور وجونسون وريجان ـ اختير كل منهم مرتين ـ بل تم اختيار رؤساء دول أخرى مثل دنج سياو بنج ـ مرتين ـ وأنور السادات وهيلاسيلاسى

أما أشهر الزعماء السياسيين الآخرين فهناك ونستون تشرشل وستالين . وهناك زعماء من الشرق تم اختيارهم على فترات متباعدة ولعب كل منهم دورا مؤثرا ليس فقط فى بلاده .. بل فى العالم أجمع مثل المهاتما غاندى ـ ١٩٣٠ وآية الله خمينى ـ ١٩٧٩ ـ ومحمد مصدق ـ ١٩٥١ ـ فضلا عن دنج سياوبنج . و"تجد ماوتسى تونج ولاتجد تيتو أو نهرو أو عبدالناصر الذين كانت حركتهم فى اطار عدم الانحياز

وبالنظر الى أغلفة المجلة فى الستين عاما الماضية سنجد ان السياسة لها المقام الاول · لذا لم يتم اختيار كاتب أو فنان · بينما تحولت العلوم الى شخصية اعتبارية فى عام ١٩٦٠ و١٩٨٢ المعروف تحت اسم عام الكومبيوتر ·

وقد اختيرت المرأة مرات قليلة جدا لتكون « سيدة العام » مثل السيدة سمبسون والملكة اليزابيث وكورازون

اكينو . فضلا عن عام ١٩٧٥ الذى سمى بعام المرأة .

ميلانو

● الكتاب على شريط فيديو ●

راحت على الكتب المطبوعة على شرائط كاسيت !.

ليس لان للكتاب الغلبة . ولكن لان اديبا ايطاليا شابا أراد أن يتجاوز حدود الزمن فطبع كتابه الاخير على شريط فيديو سينمائى ..

قد يكون الأمر طبيعيا لو حدث ذلك بالنسبة لمحاضرات علمية .. لكن أن يقوم روائى بقص روايته على شريط فيديو فذلك ظاهرة جديدة ، خاصة انه لم يستعن - مثلما حدث فى الشرائط المسموعة - بنجوم سينما كبار فى تسجيل هذه الشرائط . ولكنه قام بنفسه بقصها على الشريط .. مما يعكس مدى مهارة الكاتب فى جذب انتباه القارىء المتفرج طيلة ساعات .

الكاتب هو اندريا دوكارلو - من ميلانو - والرواية اسمها « ماكنو » وتدور احداثها حول صحفيين يقومان بالبحث عن مطرب روك سابق اختفى فى ظروف غامضة . ويكتشفان انه أصبح حاكما لدولة تشبه ايطاليا ، وتحول من فنان يهتز أمام المعجبين الى ديكتاتور لا يرد له امر ، وسعيا فى مسح عقول أبناء شعبه يأمر بزيادة عدد القنوات التليفزيونية واكتشاف المزيد من المطربين المهاويس امثاله .

وماكنو لا يكف عن القاء الخطب السياسية فى أجهزة الراديو والتلفاز وعلى الشعب أن يسمعها . لم يعد يخرج من بيته ، انه يحكم من غرفة صغيرة ويقضى جل اوقاته فى تسجيل شرائط جديدة ..

لاقت هذه التجربة الجديدة اقبالا لا بأس به .. خاصة أن دوكارلو طبع روايته فى كتاب يمكن للقارىء قراءته . وعندما يرغب فى رؤيته عليه شراء الشريط الخاص به .



اندريا دوكارلو
ظاهرة جديدة

جديد

● ألف ليلة وليلة
اكثر الكتب سحرا ●

قال الفيلسوف فولتير عن هذا الكتاب « ليتنى أصاب كل يوم بداء النسيان حتى يمكننى قراءته من جديد . بنفس المتعة » ..

انه « الف ليلة وليلة » اكثر الكتب سحرا فى العالم أجمع .. ولانه يتمتع بهذه المكانة . فإن دور النشر تعيد طباعته بين حين وآخر فى طبعات



فخمة .. أحدث هذه الطبعات أصدرتها دار نشر فايار .. ولان الناشر يعرف ان الكتاب سيحقق مبيعات كبيرة فقد أصدر مجموعة أخرى من الكتب حول شخصيات عربية من بينها كتاب « هارون الرشيد » من تأليف اندريه كولت . وكتب عن « نساء عربيات » .

الترجمة الجديدة أعدها رينيه الخيام .. ويقول الكاتب اللبنانى أمين معلوف فى مجلة الاكسبريس ـ ٢ يناير ١٩٨٧ ـ ان الترجمات القديمة تعرضت للرقابة اكثر من مرة . ومن اشهر هذه الترجمات الى اللغة الفرنسية تلك التى قدمها انطوان جالان فى القرن السابع عشر الذى ابتدع مجموعة من الحكايات كى تعجب القارىء الاوربى فى تلك الآونة ، وقد أصبحت هذه الترجمات بدائية لدرجة انها تثير سخرية القارىء الحديث ، لذا جاءت ترجمة الخيام كاملة وخاصة فيما يتعلق بالمشاهد الاباحية .

أما كتاب أندريه كولت عن هارون الرشيد ، فقد جاء وثيقة عن الخليفة العباسى الذى عرف بتفتحه وتسامحه وشخصيته القوية لدرجة ألهبت خيال الادباء قبل الباحثين .

باريس

● الكتب تعرى الادباء ●

مع أطيب ذكرياتى ..

عنوان أحدث كتاب صدر مع مطلع العام الجديد للأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان والكتاب هو الجزء الثانى من كتاب يحمل نفس الاسم صدر عام ١٩٨٤ تحكى فيه ذكريات الطفولة والشباب ، وقد كتب عنه ماتيو جالى آنذاك « تعرف فرانسواز ساجان كيف ترى وتقول بجملة واحدة ما يعبر عن سريان الزمن، والروح والوجود بالهروب من الاطناب» الجزء الاول عبارة عن كتاب منشور قدمته دار جاليمار ، أما الجزء الثانى فهو عبارة عن شريط كاسيت ..

وقد جاءت حكاية الجزء الثانى حين طلبت أنطوانيت فوك ـ أول من ابتدعت الكتاب الكاسيت ـ من فرانسواز ساجان ان تتكلم عن بعض الشخصيات المرموقة .. مثل تينسى ويليامز واورسون ويلز والراقص رودلف نورييف . ثم عن بعض رواياتها مثل « السحب الرائعة » و « صباح الخير ايتها الاحزان » .



فرانسوز ساجان

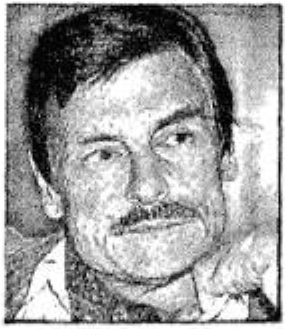
وقد سجلت ساجان ذكرياتها بصورتها مصحوبة ببعض الموسيقى مما أعطى التجربة رهبة وأهمية ، اذا عبر احد النقاد عن هذا بأن الكتاب جاء ليعري ساجان كاملة أمام قارئها .

موسكو

● تاركوفسكي يعود جثمانا ●

قال عنه انجمار برجمان انه اكبر مخرج سينمائي في العصر الحديث .. اندريه تاركوفسكي الذي نقلت وكالات الانباء خبر وفاته مع مطلع العام الجديد،

تاروكوفسكي . أعماله تشهد بعظمة فنه



لم يقدم طوال ربع قرن سوى ثمانية افلام عبر فيها عن حلمه الابدي بمتعة الحياة ، فالحياة حسب منظوره اغنية جميلة يتردد صداها دوما ، ورغم حبه الشديد للحياة فان السرطان ينتشر في جسده مثلما انتشرت انفاس الفنان في الهواء الطلق .. يتنسم منه .. فيقضي المرض على الفنان .. وتبقى أعماله شاهدة على عظمته .

ولد تاركوفسكي في عام ١٩٣٢ ، وأبوه شاعر معروف استفاد منه أندريه كثيرا ، كما حول الكثير من قصائده .. الى مشاهد فيلمية في أفلامه الاخيرة . اخرج « طفولة ايفان » عام ١٩٦٢ حول فتى صغير يفقد براءة الطفولة في المقاومة الشعبية أثناء سنوات الحرب ..

اما فيلمه الثاني « اندريه روبليوف » فقد أثار اعتراض السلطات السوفييتية ولم تسمح بعرضه الا بعد سنوات . وفي عام ١٩٦٩ اخرج فيلمه «سولاريس» الذي يناقش فيه جدوى سفر الانسان الى الفضاء .. وفي فيلم « المرآة » تحدث عن دور المرأة في حياة الفنان .

وهو اخر فيلم اخرجه تاركوفسكي في بلاده قبل ان يرحل الى ايطاليا ليقيم بها عام ١٩٧٩ .. وفي السنوات الست الاخيرة شهد تاركوفسكي نشاطا كبيرا مع افلام مثل « ستوكر » ، « وحنين » وأخيرا « القربان » اللذان فازا بالجائزة الكبرى في مهرجان كان عامي ١٩٨٣ و١٩٨٦ .

ورغم الاقاويل عن مدى معارضة تاركوفسكي لسياسة بلاده .. فانه كان ينوي العودة للاتحاد السوفييتي .. ولم يعد الرجل .. بل عاد جثمانه .. وسط الانباء التي تناقلتها وسائل الاعلام عن استعداد الاتحاد السوفييتي لتكريم تاركوفسكي بما يليق بمكانته ..

دروب العبقرية

العدوى الوجدانية والطريق الى النبوغ

بقلم : محمد فتحي

● ابدع الخالق القدير الانسان فى أحسن تقويم. ولم يحرم فردا سليما أيا كان من بذور النبوغ. لكن اثمار هذه البذور له شروط منها ادراك الانسان لعالمه الخاص ، وتوفيقه فى تحديد اتجاه الضربة الرئيسية لجهوده ، حتى لا تتبعثر هذه الجهود على جبهة واسعة من الانشطة، ويتهددها الضياع من كل صوب .

وعند البحث فى حياة اى نابغ أو عبقرى سنجد ان العدوى أو المس او الانجذاب الوجدانى كان نقطة الانطلاق فى تعرف النابغة على عالمه الخاص، وتحديد اتجاه الضربة الرئيسية لنشاطه ، وبالتالى نقطة الانطلاق على طريق النبوغ .. ●

لا باس من ان يكون مدخلنا لنقاش قضية العدوى او المس او الانجذاب الوجدانى ، فى علاقته باتجاه الضربة الرئيسية لنشاط الانسان ، وضرورتها لولوج دروب النبوغ ، هو طفولة مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد .

وماعلينا الا ان نتصور طفلا صغيرا، لم يصل الى الثامنة بعد ، يجلس بين امه وقريباته وجارات المنزل ، يستمتع بما فى حديثهن من سهولة وتشويق القيل والقال، فيصيح والده مستغضبا: « عباس ماذا تصنع هنا بين النساء ، تعال معى فاجلس بين امثالك »

« ومن هم امثالى ـ كتب العقاد ـ



عباس محمود العقاد .. الانتصارات على الخصم صفة لازمته دائما

شيوخ فيما بين الاربعين والسبعين كانوا يسمرون معه في « المندرة » ، ويقضون الوقت في أحاديث الشيوخ عن السياسة تارة ، وعن قضايا الاسر الكبيرة تارة أخرى ، وقلما يمزحون او يتفكهون الا ثابوا الى وقارهم كالمعتذرين » (★) .

كان الطفل يجلس مكتئبا ، على غير ارادته ، تغالبه باستمرار فكرة التنصل من هذا الوقار ، والعودة الى بساطة جلسة النساء وأريحيتها . لكن قبل ان يتملك النفور منه جذبه شيء شبيه بلعب الاطفال .. فهاهو أحد اعضاء الجلسة الشيخ الجداوى ، تلميذ جمال الدين الأفغاني وصديق محمد عبده لا يفتأ يناوش شيخا مغمرا جاوز الثمانين اسمه علوب . ومن دعاباته معه ـ كما كتب العقاد ـ انه كان يقسم له لئن وصل من مكانه اليه قبل ان يفرغ من عد « خمسة » ، ليعطينه قطعة بخمسة ! .

ويأخذ القاضي الجداوى في العد مطيلا نفسه « بالواحد » . والسلحفاة تطمع في الوصول من أول المجلس الى آخره ، اذا استمر العد على هذه النغمة .. فيتحرك الطمع في صدر علوب ويدس قدميه خفية في النعال ليفاجيء القاضي بالجرى .. لكن ما أن يخطو خطوتين ، وينطلق في جلاله ووقاره عاديا مهرولا ، حتى يسرع الجداوى ، اتيا على بقية الخمسة عدا في نفس واحد فيحوقل الشيخ ويصيح به « والله ما أحسبك تعلمت الفتاوى الشرعية الا لتأكل على علوب هذه الخمسة القروش .

وربما تمادى القاضي في اطماع علوب ، بالاستمرار في عده على النغمة الاولى ، حتى يصل اليه الشيخ ويكسب الرهان . ويطيل الجداوى البحث في جيوبه ، وعلوب ضاحك متهلل ، ضحك الشماتة والانتصار . لكن الجداوى يدس في يده ، بعد ان أطال لهفته وأثار طمعه ، خمسة مليمات . فيرتاع علوب ، ويأتي دور القاضي في الشماتة والنكاية ، ويعود الى فتاويه الشرعية : أتحلف بالطلاق أن القرش تعريفة لا يسمى قطعة بخمسة يا شيخ علوب ؟ أن حلفت فلك خمسة القروش التي تريدها . ولكن حاسب قبل اليمين .. كم مؤخر صداق « الولية » يا أبا العلاليب ؟

● دعابة العقاد الى النبوغ ●

ولا يكاد الطفل يفيق من انبهاره بمثل هذا اللعب حتى يجد الجداوى لا يكف عن ابتداع الملح والفكاهات ، بل ويفاجيء عباس يوما ، وهو مشدود

(★) هذه الفقرة ، والفقرات التالية ، المقتبسة عن العقاد من مقالي « أبي » و « أساتذتي » اللذين نشرهما العقاد في مجلة « الهلال » حول عام ١٩٤٧

الى العاب أحد الحواة ، بالشيخ نفسه يشمر عن اكمامه ليأخذ مكان الحاوى المسكين ، ويفحمه فى صميم فنه .

وعلى هذا النحو أخذ نفور الطفل من مجلس الشيوخ فى الزوال ، ونشأت علاقة وجدانية بين عباس والشيخ الجداوى ، القادر على كل شىء ، حتى العاب الحواة ، وما أن مضى الطفل فى متابعة الجداوى حتى وجد :

● انه واسع المحفوظ من المنظوم والمنثور ، وانه يطارح خمسة او ستة من الادباء فى وقت واحد فيسكتهم دائما ولا يسكتونه مرة واحدة ، بل ويراه يعمد الى تعجيزهم . فلا يكتفى برد الصاع صاعا ، بل يرده صاعين وثلا ...

● وانه يستظهر مقامات الحريرى وبديع الزمان ودواوين الشعراء الفحول، بل ويلقيها احيانا موقعة ..

● وانه عاد قدرة فائقة فى نظم الشعر وفك الحيل الحسابية والسينية (الجبر) ..

● كما يراه نهما بالمعرفة يطلب منها كل ما استطاع طلبه ولو لم يكن من سلكه ، ومن ذلك انه تعلم الانجليزية فى شيخوخته ، كما تعلم الشعوذة والعاب خيال الظل والحواة ، حتى برع فيها ..

. . . .

هل هناك بعد ذلك من يشك فى أن الجداوى كان « النداهة » التى شدت العقاد الى عالم الافغانى ومحمد عبده وسعد زغلول ، والعلم والفكاهة بل و « سوسة » القراءة جميعا ؟

وحتى لا يظن البعض ان الامر مجرد تخريج هاكم ما كتبه العقاد ذاته : « وقد حببت مجالس الجداوى الادب الى نفسى لاول مرة ورغبت أن اتخذه فنا اضرب فيه بسهم ، كما ضرب فيه الأستاذ . وصرت من ذلك الحين مهتما بحفظ الشعر ومطالعة كتب الأدب » . ولنسمع العقاد يقول عن محمد عبده بعد سطور : « وقد اعجبت به لاننى سمعت بذكره فى مجلس الاستاذ الجداوى مرات » . ثم يجمل القول فى مكان ثالث : « وهكذا ترتسم لنا فى بواكير الصبا مناهج السياسة التى نقاد بها ، ونقود بها غيرنا ، مدى الحياة ».

● كبد الذئب الذى صنع بطلا للملاكمة

وحتى ندرك مسألة الانجذاب الوجدانى من مختلف جوانبها نترك طفولة العقاد الى طفولة سعد عبد اللطيف ، وهو أحد أبطال مصر السابقين فى الملاكمة .

لقد ولع سعد أيام طفولته بما كان يروى فى القرية من سير أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة وأدهم الشرقاوى بدرجة جعلته لا ينام الليل يوما ، بعد معرفته أن صورة أبى زيد تباع بقرش فى المدينة .. لم يطلع الصبح الا وكان سعد قد دبر وسيلة للحصول على القرش وذلك بتوصيل عجل من سوق بلدته بطره الى طلخا ، على مبعدة ١٧ كم . وهذا عمل كان يحجم عنه ، لاستعصائه ، من هم فى ضعف سن سعد .

وبرغم أن العجل « الشرير » كـاد خلال الطريق الطويل ان يقتل الطفـل تارة، وأن يغوص به فى ترعةالخضراوية تارة أخرى ، الا ان سعد استمات فى اتمام المهمة حتى ان قيمة حياته ذاتهـا وقيمة العجل لم تكن تتعدى فى وجدانه آنئذ قيمة القرش ، الذى سيشترى بـه صورة أبى زيد ..

وبينما الطفل على هذه الحـال من الانجذاب الوجدانى وفقدان النسب فى النظر الى الواقع سمع فى مجـالس القرية عن أبى المعاطى ، الشهم الكريم الذى عاش طويلا يبادل أهل القـرية حبا بحب ، وظل على عهده معهم حتى بعد أن تحول الى شبه اسطورة حـين سلبه بعض ذوى السطوة خطيبته ، التى كان يحبها وتحبه .. كانت القرية تروى مغامراته ، وتصوره عملاقا فى طـول النخلة ، وقوة عشرات الرجال، وتخصه بركن عزيز بين ابطالها .

كان الطفل قد سمع أن ابـا المعـاطى مثله مثل أبى زيد وعنترة قد أكـل فى طفولته كبـد ذئب وأن هذا هو سر شجاعته ، فسعى الى لقائه ، وسـأله ان كان يستطيع اتيانه بكبد ذئب فهـو يود ان يصبح قويا شجاعا مثله ..

لم يكذب أبو المعاطى خبرا وخـلال لقاء تال قدم للطفل شريحة خبز بداخلها قطعة لحم مشوى : « بعد ان تأكل قلـب الذئب هذا لن يكون بمقدور أحد ان يهزمك » .

وما علينا الا ان نتخيل طفلا فى مثل هذه الحالة النفســية يمضى للتو فى ملابطة من يقابله من أطفال فى سنه لهم همومهم البعيدة تماما عما يفكر فيـه . فلا نجد غرابة فى ان يتغلب عـليهم جميعا . وهكذا يتمكن احساسه بـأن أحدا لا يستطيع هزيمتـه فيمضى فى « ملابطة » من هم أقـوى منه بعض الشيء ، لينتصر عليهم أيضا . واسمعه يقول هو نفسه : « كنت أحس أحيـانا أن خصمي قد تمكن مني ، ولكن ما إن كنت اتذكر قول ابى المعاطى حتى تبعث الكلمات فى عزيمة جديدة تساعدنى على هزيمته ، وكنت اتصورها قـادرة على تحقيق المعجزات » .

● ناموس عام ●

وما قلناه عن العقاد وعن سعد ـ وكون الس الوجـدانى هو « النداهة » التى قادت كـلا منهما الى طـريقه الخـاص ـ ناموس عام يمكـن أن نستشف أمثله عليه من :

● « دراما البوصلة » التى زلزلت عقل أنشتين الطفل ، لما أهداه أبوه اياها بما انطوت عليه هذه الدراما من قـوى خفية لا يراها المرء فيما يبدو حوله من فراغ ، كرس أنشتين نشـاطه للتفـكير فيها طوال عمره .

● « دراما نموذج الطلة » الصغير على صدر زينا الناهد ، والعالم الذى لخصه هذا النموذج : لقد ركبت زينـا الطائرة وقفزت منها بالمظلة مراتأهلتها لنيل « النيشان » المعلق على صدرها . وجمعت الحياة بين زينا وطفل قـردى يدعى ليونوف واختلطت مشاعر الامومة وطلائع النضج الحسى بالجو الاسطورى لهذا « النيشان » فتحول انتبـاه الطفل الذى لم ير طائرة من قبل الى آفـاق بعيدة دفعت به الى ان يكون اول انسان فى كوكبنا يخرج من مركبته الى الفضاء الكونى ..

ويمكن الاستطراد طويلا فى هـذا الصدد لكننا اخترنا قصتى العقـاد

دروب العبقرية

وسعد بالذات وقصدنا تفصيلهما والجمع بينهما ، حتى نكشف ظاهرة العدوى الروحية على نحو أعمق ·

● استعداد لكل اشكال النشاط الانسانى ●

لقد كان لدى كل من العقاد وسعد استعداد لان يكون اديبا وملاكما فى نفس الوقت ، بل واختلط الاستعدادان فى جرثوم العدوى الوجدانية ، الذى ادرك كلا منهما وهو يبحث عن تحقيق انساه فى هذه الدنيا والظروف والملابسات وحدها هى التى دفعت بالضربة الرئيسية لكل منهما الى اتجاه مختلف ·

فالطفل عباس لم يكن خلوا من روح الجندية والاقتتال، حتى انه كان مترددا بين الجندية ·· والادب ، الا انه وصل بعد العدوى الروحية وتحديد اتجاه الضربة الرئيسية (على اثر دراما الجداوى) الى ان ذلك كله كان التفاتا للادب من طريق آخر هو طريق الانشاد الحماسي قبل المبارزة ، ولعل الولع بالعراك ، والانتصار على الخصم سمة لازمت العقاد المفكر طوال حياته وفظاعته فى العراك الادبى لا تخفى على أحد ·

والحال على هذه الشاكلة بالنسبة لسعد · فقد اختلط الادب ممثلا فى سير الزناتي وابى زيد بالعراك والانتصار والفوز فى جرثوم عدواه الروحية · وقد دفعت الملابسات (دراما ابي المعاطى الى تحديد اتجاه ضربته ، فاندفع على طريق العراك والملاكمة الى منتهاه وصار التفرد فى القوى البدنية وبطولة الملاكمة العنوان الذى برز على اناه · لكن هذه الأنا انطوت أيضا على النحاقه بكلية الآداب ، لفوزه بالمركز الاول فى مسابقة « الأدب العربى » ، واتمامه لدراسته فيها بتفوق ملحوظ (الثانى على قسم اللغة العربية دفعة ١٩٤٩) ، كما انطوت على هوايته للادب وقرض الشعر ، مما يبين انه لم يكن خلوا من استعداد أدبى ·

ماذا نود أن نقول على وجه التحديد؟

ان كل انسان عادى يتمتع بعالم نفسي وفسيولوجي سليم لديه استعدادات لمختلف اشكال النشاط الانساني · وينبغى عدم الخلط بين ذلك وبين مسالة اخرى هى اختلاف التناسب الكمى داخل هذا الطاقم الكامل من الاستعدادات ، لدى مختلف الناس ، فهذا لديه استعدادات اكبر فى جانب وذاك فى جانب آخر ··

لكن هل يعنى ذلك أن استعدادات العقاد الفكرية الادبية كانت اقوى بينما كانت استعدادات سعد البدنية هى الاكثر ؟

على العكس يشي التدقيق بأن استعدادات العقاد للعراك الجسدى فى طفولته كانت اكثر · فقد كان اطول من اقرانه بكثير ، وكانت حالته البدنية ممتازة بدليل انه كان يعبر النيل سباحة ، رغم شلالاته عند أسوان ، وكما ذكرنا لم تكن تنقصه « الشراسة النضالية » التى تجلت فى عراكه الأدبى ·· وحصيلة ذلك كانت تجعله اقرب الى بطولة الملاكمة من الطفل سعد الذى كان قصيرا نحيف الجسد ·· وكان يكفى

سعدا أنتد من يضخم لكون «أبو المعاطي» ، طويلا كالنخـلة وفي قوة عشرات الرجال ، بالاضافة الى طفل مشاكس قوى البنيان لا يرضى بالهزيمة ـ كالعقـاد ـ يؤكد له ذلك عمليا لتختل النسب بـين جراثيم العدوى الوجدانيه فنجـد سعدا بعد ذلك طفلا منطويا على نفسه لايتجاوز مرحلة الحلم بعالم ابى زيد وربما خرج منه أنئذ أديبا كبيرا يواصل بث أشواقه بصورة ناجحة على الورق .. الخ . وكان بالامكان أيضا أن نفتقد مفكرنا الكبير لو تغير بعض الشيء اتجاه الطفل عباس الولوع بالجندية ..

● الاستعدادات الاقـل تحتاج الى عمل اكثر ●

ان الاسـتعدادات مجـرد امكانات عارية ، أى انها لاتتحول الى قدرات دون جهد (لم يصبح العقـاد ملاكما) . وياحبذا لو تفتقت فى الانسـان أكثر استعداداته بروزا ، وصاحب ذلك تربية الصفات الانسانية العامة ، والقـدرات الخاصة المناسبة للاستعدادات ، فهنـا يمكن الوصول الى افضل النتائج . ولكن الامر لا يستحق أن يلقى المرء التبعـة على القدر لانه لم يهبه هذا الاسـتعداد او ذاك فى أقصى درجات اكتماله . فلا جدال فى تمتعه باستعدادات أخـرى مكتملة ، أو أقرب الى الاكتمال . وحتى اذا اضطرته الظروف الى التعويل على استعداد غير مكتمل فالأمر لا يعنى أنـه فى حاجة الى عمل اكثر كلما قلت درجة الاستعداد (وصار سعد ملاكما) وغالبا ما يكون الانسان مفتقرا الى الارادة أو المعرفة ، وليس الى الاستعداد . وهـو غالبا ما يحاول تغطية عدم قدرته عـلى العمـل المثابر بالحـديث عن نقص الاستعدادات الطبيعية ، اذ أن هذا هو الموقف الاسهل امام النفس والاخـرين علاوة على ان نقصا من هذا النوع ـ وهذا هو المهم ـ لاينطوى على مايبعث على الخجل ، فالانسان المعنى متخـلف فى الرياضيات أو اللغات مثلا لا لعيـب ارادى ، وانمـا الى الاستعدادات التى التى تساعده على دراسة الرياضـيات أو اللغات ... الخ .

ان بمقدور أى انسان سوى اجـادة أى نشاط انسانى ، بل والنبوغ فى معظم الانشطة الانسانية ، ولا يختلف النـاس الا فى قدر الجهد الواجب أن يبذله كل منهم للوصول الى الاجادة والنبـوغ لو روعيت كل الملابسات الاخرى . وهذا الثراء سلاح ذو حدين لان الاستعدادات الكثيرة تغرى الانسان بالتشتت عـلى جبهة عريضة جدا فى كل مجال الانشطة الانسانية .. فتجد المرء نصف بهلوان ونصف ممثل ونصـف أديب ونصف مخترع ونصف مطرب ونصف لغوى .. الى ما لا نهاية من هذه الانصـاف . وتنقلب الآية حين يدرك جرثوم العـدوى الوجدانية المـرء فى الوقت المناسب فيساعده على تحـديد اتجاه ضربته الرئيسية ، ويستنقذه من بعثرة جهـوده على جبهة واسعة جدا ويجعله يـركز طاقاته فى وجهة معينة .

وهنا بالذات تكمـن أهمـية المس الوجـدانى وتحـديد اتجـاه الضربة الاساسية فى خلق النابهين . ولسـنا فى حاجة الى التنويه بأن هدف مثـل هذه الضربة يكون كسب « الحرب » كلها فى نهاية المطاف . وتطبيق ذلك عـلى موضوعنا يعنى أن يصبح المرء نابغـة فى مجال ما دون أن يفقد القـدرات النصف فى المجالات الاخرى ، بل أن هذه القدرات النصف ذاتها تعلو بهذا التطور الجديد قامة ، مع علو قامة صاحبها

العالم غدا



● ما لايتحدث عنه المتزوجون

يقوم « مجلس الارشاد القومى البريطانى فى قضايا الزواج والاسرة » بدراسة ما يقرب من خمسين الف حالة زواج سنويا . وقد صدرت عن المجلس اخيرا دراسة تتناول « مشكلة » العلاقة الجنسية فى الحياة الزوجية .

وقد اكتشف القائمون بالدراسة ان هذه العلاقة واحدة من اكثر مشاكل الاسرة البريطانية شيوعا ، وان كان الناس يتجنبون الحديث فيها صراحة ، بل وقد يضحكون اذا اثيرت امامهم ، دون الاعتراف بانهم يعانون منها ..

وجوهر المشكلة ان كثيرا من الازواج يمارسون حياة عاطفية نشطة جدا خلال السنوات الاولى من حياتهم الزوجية لكن سرعان ما يفتر نشاطهم وتتحول العلاقة شبه اليومية الى عادة اسبوعية ، فعادة شهرية.. الى ان تصبح شيئا عابرا ، او حتى ظاهرة لا وجود لها .. بل وربما تحولت الى منطقة خطرة مليئة بالمآسى .

ويرى اصحاب الدراسة ان اغلب المشكلات التي تعترض العلاقة العاطفية ما هى الا اعراض للصعوبات والتغيرات التى تواجه الحياة الزوجية فبينما تشكل العلاقة العاطفية حجر الاساس فى هذه الحياة حال بدايتها فانه مع مرور الزمن تتخذ الزوجة دور الام من الزوج حينا ، بينما يأخذ الزوج من زوجته دور الاب حينا اخر ، لتتحول طبيعة العلاقة العاطفية بينهما ، وتكون النتيجة انعدام رغبة الواحد منهما فى الاخر .

هذا وتنظر كثير من السيدات الى هذه العلاقة بصفتها طريقا الى الانجاب ويزهدن فيها مع تكراره . كما يضيق عدد منهن بالعلاقة بعد الوضع لارتباطها فى وجدانهن بكل ما تكبدنه خلال الوضع من الآم وما يعانينه بعده من تعب وارهاق ..

وفيما يخص الرجال فان الكثيرين منهم يزدادون اقبالا على ما يمارسونه من اعمال بحيث تصبح معشوقتهم الحقيقية ، ناهيك عمن يتزوجون بهدف الطمأنينة والهروب من الوحدة ، مما يؤثر على طبيعة العلاقة بين الزوجين

والطريف ان الدراسة لا تعتبر فتور العلاقة العاطفية او حتى العزوف

عنها مشكلة الا اذا سببت معاناة وتوترا لاحد طرفيها او كليهما ـ ذلك ان تغير مركز الثقل فى العلاقات بين الزوجين امر يتناسب مع التطور الوظيفى لدور الاسرة مع تقدم العمر.

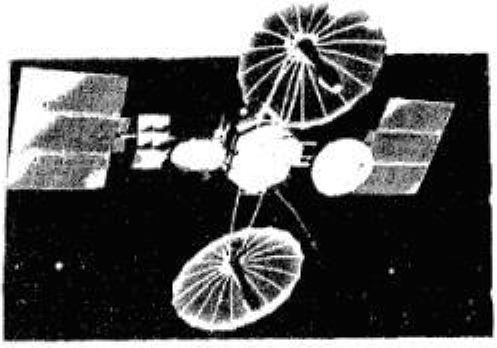
● استخدام الاقمار الصناعية فى مقاومة الملاريا ●

تجرى فى الولايات المتحدة الامريكية حاليا تجربة طريفة لاحصاء البعوض الموجود فى حقول الارز بولاية كاليفورنيا ، عن طريق الاقمار الصناعية .

وعلى الرغم من ان بعوض كاليفورنيا لا يحمل جرثومة مرض الملاريا فالمتوقع ان تؤدى التجربة الى التنبؤ بأماكن انتشار الملاريا فى انحاء العالم ، ذلك ان بعوض كاليفورنيا من نفس النوع الذى ينقل المرض ، ولن يكون سوى مثال نموذجى تعتمد عليه دراسة شاملة ، لمعرفة امكانية استخدام الاقمار الصناعية ، والطائرات التى تحلق على ارتفاعات شاهقة ، فى التنبؤ بالاماكن التى يمكن ان تنتشر فيها الملاريا ، على نحو وبائى ، كما يحدث عبر مناطق شاسعة حول خط الاستواء .

والاستشعار عن بعد عنصر اساسى من عناصر التجربة ذلك ان كثيرا من الاوضاع البيئية المقترنة بانتشار مسافات كبيرة على نحو افضل .. فانماط هطول المطر واماكن المياه الراكدة وطبيعة الرى والصرف وتغيرات درجات الحرارة كلها من العوامل التى يمكن قياسها بأجهزة تحملها الاقمار الصناعية ذلك بالاضافة الى ان المعلومات التى توفرها هذه الاقمار يتيسر الحصول عليها خلال يومين ، أى فى وقت يتيح البدء فورا فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمقاومة الملاريا مثل تصريف المياه او استخدام المبيدات الحشرية وسوف ترصد اجهزة الاستشعار عن بعد فى الاقمار الصناعية خلال التجربة التى تنفذ فى كاليفورنيا المتغيرات السابق الاشارة اليها .
وستساعد بيانات الاقمار الصناعية السلطات المسئولة عن الصحة العامة فى مراقبة مناطق تبلغ مساحتها عدة آلاف من الكيلو مترات المربعة كل اسبوع بحثا عن اى تغيير فى الاوضاع ، يمكن أن يؤدى الى تكاثر البعوض .

وبعد انتهاء التجارب فى كاليفورنيا سينتقل الباحثون العاملون فى وكالة الفضاء الامريكية الى المناطق الاستوائية لاختبار جدوى استخدام الاستشعار عن بعد فى السيطرة على الملاريا فى مناطق يشكل فيها المرض خطرا جديا على الصحة . ستؤخذ هذه المرحلة من التجربة بعين الاعتبار عوامل معينة كغطاء السحب ومقدار بخار الماء فى الجو ، وهما من العوامل التى يمكنها



العالم غداً

اعاقة عمليات الاستشعار عن بعد ·

وعند استكمال مشروع التجربة والتأكد من جدوى هذا الاسلوب فى مقاومة الملاريا ستحيل وكالة الفضاء الامريكية المشروع الى منظمة الصحة العالمية ، والحكومات المهتمة بـه لمواصلة مراقبة البعوض ·

وجدير بالذكر ان الملاريا وفقا لمعطيات منظمة الصحة العالمية - هى السبب الرئيسى فى العجز الجسدى والذهنى الذى يصيب اكثر من ٢٥٠ مليون نسمة فى كثير من المناطق الاستوائية ·

● جو مصر قبل ٤٦٠٠ سنة ●

عندما فتح علماء الآثار الحجرة التى اكتشفوا فيها أول قارب للشمس - القارب الذى كان ينقل جثمان المصرى القديم مع الشمس من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية من النيل حيث مثواه الأخيرة - عندما فتحت الحجرة فى منتصف الخمسينات انبعثت منها رائحة خشب الارز الذى صنع منه القارب !! الامر الذى استنتج العلماء منه ان الحجرة كانت محكمة الاغلاق ، وظل الجو داخلها على حاله طوال ٤٦٠٠ سنة ·

وكانت هذه الحجرة قد اكتشفت تحت كوم من الحجارة بالقرب من أهرامات الجيزة · وقد اكتشف العلماء أخيرا ، فى نفس المنطقة ، ما يدعو الى الاعتقاد بوجود حجرة أخرى مشابهة قد تحوى قاربا آخر ، وقد يكون القارب الخاص بنقل الملك بعد بعثه من الموت - من قبره الى الضفة الشرقية من النهر ليحيا من جديد ، حسب اعتقاد المصريين القدماء ، او القارب الخاص بنقل الملكة الى مدفنها فى الهرم ·

لم يزل الامر موضع حدس وتخمين، فمن الممكن الا يكون تحت كوم الحجارة ما يستأهل الذكر ، لكنه من الممكن ايضا ان يكون راقدا تحته من النفائس والكنوز مالايخطر على البال · وعلى الرغم من ذلك فقد استقر رأى العلماء على ان ينقبوا عن محتويات الحجرة المتوقعة بأساليب علمية حديثة ، كالتى استخدمت فى الرحلات الى القمر ، وليس بالطرق التقليدية (الفأس والجاروف) ·

وستمكن هذه الاساليب الحديثة العلماء من رؤية ما تخفيه الحجارة دون لمسه باليد أو بأى أداة · وسيقوم بهذه المهمة فريق من العلماء برأسه د· فاروق الباز ، الذى ابتكر

د· فاروق الباز



الوسائل التكنولوجية المتقدمة للاستشعار عن بعد ، التي استخدمت في برنامج « ابوللو » الخاص باستكشاف القمر .

والهدف الرئيسي من محاولة دراسة شكل الحجرة المتوقعة وما تحويه دون فتحها هو عدم المساس بهذه المحتويات ، والاحتفاظ بجو الحجرة على ما هو عليه ـ بعيدا عن الاختلاط بالجو الحالي ـ لاجراء الدراسات عليه بهدف اكتشاف الاختلاف الذي طرا على جو الارض ، خلال اكثر من اربعة آلاف عام .

لذلك ينوي العلماء انجاز ثلاث مهام ـ بعد اختراق الاحجار التي تغطي الحجرة ـ اولها أخذ عينة هواء من داخل الحجرة في انبوب معدني محكم الاقفال ، وبطريقة لا تسمح بتسرب الهواء من الحجرة او اليها . والثانية فحص جو الحجرة من حيث الحرارة والضغط والرطوبة حتى يتثنى اجراء التعديلات اللازمة على جو المتحف ، الذي يأوى قارب الشمس ليحافظوا عليه من التلف ، الذي بدأ يأتي عليه ، بعد خروجه من جوه الاصلي . أما المهمة الثالثة فهي ادخال اجهزة التصوير مع مصدر للنور الى الحجرة للتعرف على محتويات الحجرة دون لمسها ..

● الاطباء الكويتيون يكتشفون

نشرت مجلة « جورنال نيرو اميتولوجي » الطبية الدولية بحثا عن حمى البروسيلا اجراه عدد من كبار اخصائي كلية الطب في جامعة الكويت ، بدعم من وحدة البحوث في وزارة الصحة .

وحمى البروسيلا (التي تعرف ايضا باسماء اخرى منها الحمى المتقلبة وحمى مالطة وحمى البحر الابيض المتوسط) تعد من الامراض المتوطنة في المدن الساحلية وشواطيء الجزر ، سواء في البحر الابيض المتوسط أو في مناطق العالم الاخرى ومنها بريطانيا والولايات المتحدة . وكانت حالات الاصابة بها قد اخذت في التزايد بالكويت حتى صارت احد الاعباء المقلقة لوزارة الصحة ، بعد ان بلغت نسبة الاصابة بها اعلى نسب الامراض البكتيرية بعد مرض السالمونيلا .

ويصل جرثوم البروسيلا الانسان في كثير من الاحيان عن طريق الحيوان ، وبالتحديد من خلال حليب الماعز والابقار . وينتشر المرض على وجه خاص بين العاملين في المزارع وتربية المواشي ، ومن اعراض الاصابة بهذه الحمى العرق والارق وتضخم الكبد ، وتؤدي مضاعفاتها الى امراض العظام و المفاصل .. لذا فان اعراضها ودرجات الاصابة بها تتفاوت الى حد كبير ..

وقد ابتكر الفريق الطبي الكويتي اسلوبا جديدا لتشخيص امراض الجهاز العصبي الناجمة عن حمى البروسيلا ، وذلك بفحص سائل النخاع الشوكي وعينات الدم .. وامكن بهذا الاسلوب تشخيص ٤٥ حالة من الحالات العصبية الناتجة عن البروسيلا ، كان يصعب تشخيصها وفق ما قاله الباحثون الكويتيون ـ بالاساليب العادية .

● سموم في اللحوم

لا يعرف اكل اللحم هذه الايام الكم الهائل الذي يتناوله مع غذائه اللذيذ من الهورمونات والمضادات

العالم غداً

الحيوية ، بل والمبيدات الحشرية والاحبار (من الورق القديم الذى يضاف الى غذاء الحيوانات) .

وكل هذه المواد تتناولها الحيوانات مع غذائها الذى لا يتورع تجار اللحوم عن تهيئته باى سبيل يحث نمو الحيوانات ، مهما كانت الاضرار التى ينطوى عليها ، جريا وراء زيادة ارصدتهم فى البنوك ..

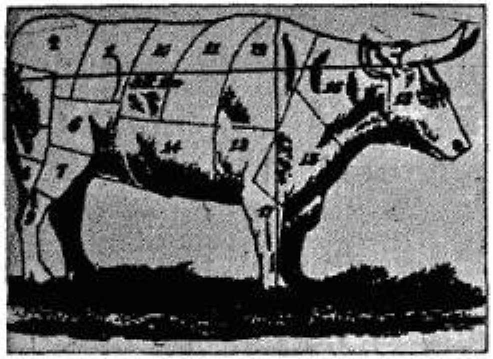
ولهذا تدرس منظمتان تابعتان للامم المتحدة ـ هما منظمة الصحة العالمية ومنظمة الاغذية والزراعة ـ امكانية فرض قيود جديدة على العقاقير الطبية التى تضاف الى غذاء الحيوانات ، وذلك خوفا من الاثار الجانبية التى يتعرض لها الناس بعد تناولهم هذه اللحوم ..

وجدير بالذكر ان الدراسات تبين ان نصف الابقار فى بريطانيا وحوالى ٩٠٪ منها فى الولايات المتحدة تسرف فى « تعاطى » العقاقير التى تحث النمو وتسرع من خطاه ولا يقف الامر عند ذلك بل يجرى تطرية او تليين لحم الحيوان قبل ذبحه وذلك بحقنه بالمواد الكيميائية .. كما تعالج اللحوم بعد الذبح باصباغ مختلفة تزيد من بهاء الوانها ، وبالمواد التى تكسبها نكهات ومذاقات متميزة .

ولا يقتصر الامر على ما يحث النمو اذ يسرف تجار اللحوم فى اعطاء حيواناتهم عقاقير الاخصاب بحيث يحصلون من النعاج مثلا على ٣ ـ ٥ حالات حمل بدلا من حالة او اثنتين .

وقد اكدت ابحاث منظمة الصحة العالمية ان هذا الافراط فى معالجة اللحوم بالعقارات قد ادى الى نجاح البكتيريا فى مقاومة المضادات الحيوية على مستوى العالم كله .

كما تبين ان الصبغة الحمراء التى يلون بها اللحم تؤدى الى قلق الاطفال وزيادة درجة انفعالهم كما تتسبب فى طفح الجلد وتؤدى الى اعراض شبيهة باعراض حمى الطلح .





● الايدز بين الفضاء والارض

لعل القاريء يذكر ما نشر في هذا الباب ـ عدد يونيه ٨٦ ـ حول الدراسات التي قام بها الفلكي البريطاني فريد هويل حول تأكيد افتراضه الخاص بصدد وجود بكتيريا وفيروسات في أجسام المذنبات ، ووصوله مع عالم متخصص في بحوث الاوبئة الى أن انتشار الامراض الفيروسية (مثل الانفلونزا) ، من منطقة الى أخرى ، يجري بسرعة لا يفسرها نمط انتقال العدوى من فرد الى اخر الامر الذي قادهم الى التأكيد على أن الفيروسات تحط على الارض من الفضاء .

وقد عاد فريد هويل ، مع تصاعد الاهتمام بمرض ضعف المناعة المكتسبة المعروف باسم الايدز ، عاد الى توقعاته السابقة وطرح نظرية جديدة حول أصل فيروس الايدز وقدومه من الفضاء الخارجي على متن الشهب المتساقطة على الكرة الارضية .

وحسب نظرية هويل فان الشهب التي حملت فيروسات الايدز نادرة الوجود ولكنها تنتقل الى جو الارض عند مرورها بالقرب من الغلاف الجوي ، وتحملها مياه الامطار بعد ذلك الى سطح الارض حيث تنتقل الى الانسان، وعلى ذلك يطالب العالم البريطاني باجراء فحوص بيولوجية دقيقة على مياه الامطار والمياه الجوفية في كل انحاء العالم ، لانه من المحتمل أن يتوقف مصير البشرية كلها على نتائج هذه الفحوص !

وبعيدا عن هذا التفكير الخيالي ـ وفق اراء العلماء الاخرين ـ يسعى علماء اخرون الى مواجهة الموقف القائم على الارض بصورة محددة .. ولما كان ما يقرب من ٥٠٠ امريكي قد اصيبوا بالمرض منذ عام ١٩٨١ نتيجة نقل دم ملوث اليهم خلال العمليات الجراحية فقد خلص اجتماع عقد أخيرا الى ضرورة تبرع المريض الذي سيجري جراحة بدمه مسبقا ، وتخزين كميات من هذا الدم لينقل اليه عند اجراء الجراحة . هذا بالاضافة الى اجراء الفحوص والاختبارات اجباريا على الدم المخصص للاغراض العلاجية بهدف التأكد من خلوها مما عرف من فيروسات الايدز ، حتى لا يصيب المرض ايا من الابرياء .

ممنوع اليأس أمام مرضى السكر!

بقلم: د. بول غليونجي

● لاتصدق وصفات الناس البسطاء فى علاج أمراض السكر!



د. بول عليونجى الذى فقدته مصر فى الشهر الماضى. رائد طب الغدد الصماء فى مصر حاز على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم. وله مقتنيات فى المتحف الاسلامى. كما الف اهم كتاب عن الطب عند الفراعنه

لاتصدق الذين قالوا لك ان عسل النحل يفيد مرضى السكر، ففى هذا القول غير المسئول تلاعب بالالفاظ تنتج عنه أخطر الاضرار.. ثم ان علينا الا نياس من المستقبل، لان ما حققه الماضى فى هذا المجال يعتبر تطورا ملحوظا فى عالم الطب .. ولكن من هو الانسان المعرض للاصابة بالبول السكرى؟.. وما هى اعراض ذلك المرض؟ .. وما هى وسائل علاجه؟ وكيف يمكننا تقسيم مرضاه؟.. كل ذلك وغيره يتطلب منا تلك الدراسة العلمية الدقيقة التى كتبها واحد من اهم علماء الطب فى مصر هو الدكتور بول غليونجى:

البول السكرى من الامراض القديمة التى عرفوها الاغريق وأسموها « ديابيطس » ، كما تعرف عليها الأطباء العرب ، أيضا وعلى رأسهم العالم العربى « ابن سينا » ، وشخصوه بأنه مرض يتميز بارتفاع غير طبيعى فى نسبة السكر بالدم وبظهور السكر فى البول .

وعندما نستخدم كلمة « سكر » فى هذا المقال انما نعنى بها « الجلوكوز » اذ ان المواد السكرية التى يستفيد منها الجسم كثيرة ، وهى على سبيل المثال سكر اللبن (لاكتوز) وسكر الفواكه (فركتوز) والسكر الناتج عن انحلال النشا فى الفم (مالتوز) وسكر القصب (سكروز)وهو السكر العادى .

ونسبة السكر فى الدم تتراوح بين ٨٠ و ١٢٠ مللى جراما فى المائة ، وتحكم هذه الحدود عوامل متشابكة ومتضافرة ، وهذا شأن كل نسبة محددة فى الجسم الحى ، الا أن العامل الذى يتحكم فى هذه النسب ويحقق توازنها موجود فى مركز عصبى قريب من الغدة النخامية ، ترد اليه المعلومات عن نسبة السكر فى الدم ، فاذا ارتفعت أمر بخفضها واذا انخفضت أمر برفعها وهذه الأوامر بالخفض تصل الى البنكرياس الذى يفرز الأنسولين فى الخلايا المسماة (ب) لكى ترفع الى الكبد لتحرير السكر المختزن به فى شكل نوع من النشا يسمى (جليكوجين) ويحدث ذلك عن طريق افراز عوامل تنبيه العصب (السمبثاوى) وافرازات الغدة الدرقية والغدة الكظرية - الموجودة فوق الكلية - والغدة النخامية وخلايا (ج) بالبنكرياس .

وقد تتجاوز نسبة السكر الحدود المرسومة لها فى الظروف التالية :

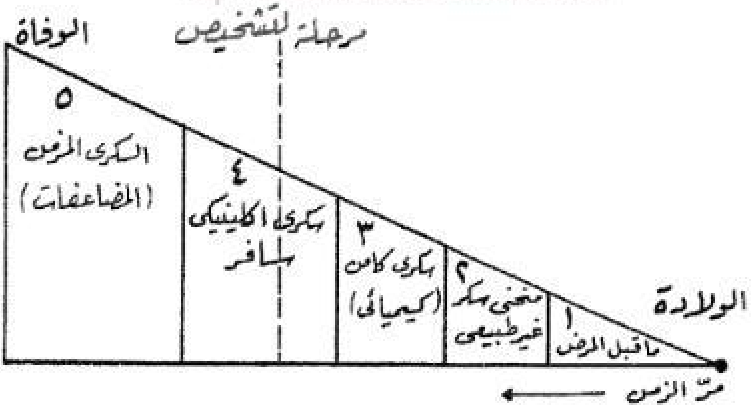
● حدوث خلل فى الجهاز المركزى نتيجة لنزف او التهاب أو أى آفة أخرى .

● تنبيه العصب السمبثاوى المركزى تحت تأثير عوامل مختلفة كالاضطرابات النفسية .

● زيادة فى احدى الهورمونات الرافعة للسكر وهى افرازات الدرقية والكظرية ، الخ .

● نقص فى الهورمون الخافض للسكر وهو الانسولين .

● عدم استجابة الانسجة المستهلكة للسكر او المختزنة له لفصل الانسولين وعلى كل فما يهمنا بالنسبة لمرضى



ممنوع اليأس
أمام مرضى السكر!

البول السكرى العادى هو نقص الانسولين فى الجسم ، غير ان من شأن اى عامل يرفع نسبة السكر – مهما كان – أن ينبه البنكرياس الى افراز كميات متزايدة من الانسولين للتغلب عليه ، وهذا ينهك البنكرياس فى نهاية الامر ، ويؤدى الى ضمور الخلايا (ب) ، وهذا هو البول السكرى الحقيقى·

● اسباب المرض ●

والواقع أن سبب هذا المرض يكمن فى ضعف نسبى أو مطلق فى وظيفة الخلايا (ب) ، اما الضعف النسبى فهو يحدث فى حالة البدانة الناتجة من الافراط فى الاكل ، حيث لا يكفى افراز الانسولين من جهة لاستيعاب كميات الطعام الضخمة التى يتناولها المريض وفى مثل هذا الحاليكفى لتخفيف الوزن والاقلال من الطعام ان يعالج هذا الخلل ، ولكن اذا استمرت البدانة والعادات الغذائية الخاطئة فهنا لابد من عودة البول السكرى بصفة مزمنة ·

وفى حالة الضعف المطلق الذى لا يكفى مع افراز الانسولين لاستيعاب الغذاء المعقول فان ذلك – بالطبع – يستوجب علاجا دوائيا ، بالاضافة الى الحكمة فى الطعام · وكما نعلم فان هذا الضعف ينتج عن تضافر عاملين هما : الاستعداد الوراثى ، والعدوى الفيروسية التى تصيب عادة الاطفال ·· وذلك اضافة الى العوامل الاخرى كالبدانة والنهم والانفعالات النفسية ·

ومن أهم اعراض هذا المرض التى تنبه المريض الى اصابته هو ادرار كميات متزايدة من البول ، وما يتبعه من عطش وشرب كميات غير عادية من السوائل الا ان اى عارض او اية مضاعفة الانسولين كعلاج ويستجيب له ، وكان مما سنذكره فيما بعد قد تكون اول ناقوس يحذر من خطر هذا المرض ·

ان زيادة افراز البول هى نتيجة طبيعية لارتفاع نسبة السكر فى الدم الى اعلى مما تستطيع الكلية احتجازه ، فاذا تسرب السكر فى البول جر معه كمية من الماء لاذابته ، وهذا يحدث عندما ترتفع نسبة السكر فى الدم الى اعلى من ١٦٠ الى ١٧٠ مللى جراماًفى المائة ، وهى النسبة التى تعد بوابة او « عتبة » السكر فى الكلية !

غير ان ادرار البول وزيادة السكر فى الدم آليا ليسا اهم حادثين فى هذا المرض ، انما الخطر ينتج عن توقف السكر الجلوكوز عن الدخول فى عمليات الايض والتخليق ، وبالتالى عن حدوث تغيرات فى تركيب الانسجة الكيماوية،ثم فى تركيبها الميكروسكوبى

● اهميته للاحتراق ●

والسكر ليس المصدر الوحيد للطاقة ، حيث أن المختزن منه فى الكبد والعضلات لا يتجاوز بضعة جرامات ، فالجسم يعتمد اعتمادا كبيرا على الدهنيات التى توفر ٩ سعرات للجرام بينما لا يوفر السكر سوى ٤ سعرات ولكن الدهنيات لا يكتمل احتراقها الا باحتراق السكر معها ، فاذا توقفت هذه المشاركة لم يكتمل أيض الدهنيات وتراكمت احماض خلونية تظهر فى شكل اسيتون او احماض قريبة منه ، وقد تسمم الجهاز العصبى وتودى بحياة المريض ·

وهذا ما يسمى بالكوما (او الغيبوبة الكاملة) اما من جهة الانسجة فانها تصاب كلها بانواع من التلف حيث ان جزئية الجلوكوز تدخل فى تركيب الجزئيات الاساسية المكونة للانسجة ·

ومن جهة اخرى ينتج عن توقف

الاحتراق تراكم المواد الدهنية فى الدم والانسجة وتغيرات فى تكوينها بحيث تؤدى الى تصلب شرايين القلب (ذبحة صدرية ، جلطة فى الشريان التاجى) وشرايين الأطراف (جلطة ، غرغرينا) وشرايين المخ وشرايين العينين وبصفة خاصة الشبكية (نزف ، انسداد ، انفصال ، فقدان البصر) والتهاب الاعصاب وضمورها (آلام مبرحة ، فقدان الحس ، ضعف ، شلل) ، التهابات جلدية (مكروبية ، قرح ، غرغرينا) ، التهابات كلوية وتسمم بولينا ، تخلخل فى العظام ، ضعف جنسى ، عقم ، سقط الاجنة ، زيادة حموضة الدم والتسمم بالاستون والكوما الدايابيطى ، وبالاختصار اصابة كل عضو من أعضاء الجسم وانسجته.

الا أن شدة الاصابة وسرعة تدهور المرض وظهور المضاعفات تختلف اختلافا كبيرا من شخص لاخر ، فهناك من يفتك به المرض فى أسابيع وهناك من يظل مصابا به الى فترة طويلة .

وهنا لنا وقفة فعلينا أن ندرك أن ظاهرة البول السكرى وهى مظهر من مظاهر امراض عدة تختلف صورها الاكلينيكية اختلافا شديدا وفقا لعوامل لا ندركها حق المعرفة الآن ، على اننا نعترف بأن هذه الصور المختلفة قد تكون صورا لمراحل مختلفة من المرض يمكن التدرج من افضلها الى أسوأها اذا تضافرت عوامل الاساءة وهى البدانة والافراط فى الاكل والالتهابات وتوتر الأنفاس ، كما يمكن الارتفاع من أسوأها الى افضلها اذا توافرت عوامل التحسين وهى تخفيض الوزن والحماس للطعام والعلاج وغير ذلك ؟

وقد قسم المرض الى أنواع ، ولعل أبسط تقسيم واكثره عملية هو التقسيم الى نوعين :

● أولا : النوع المعتمد على الأنسولين كعلاج ويستجيب له وكان يسمى ديابيطس الصغار .

● ثانيا : النوع الذى لا يحتاج للانسولين ولا يستجيب له استجابة كافية وكان يسمى ديابيطس المسنين .

والتسمية الجديدة ـ أى المبنية على الاستجابة الانسولينية ـ افضل ، لأن ارتباط كل نوع من النوعين بالسن غير وثيق .

وهناك فروق أخرى تميز بين النوعين :

لقد وجدت فى النوع الاول تغيرات كروموزومية يصطحبها تقصير فى الاستجابة المناعية للجسم بالنسبة للاثارات الخارجية ، كما وجدت فى أجسامهم مواد مضادة لجزر البنكرياس والعامل الرابط بين هاتين الظاهرتين

أما فى النوع الثانى ، فقد يكون شان الوراثة فيه أهم وان لم يكشف عنه بعد ، بدقة ، ولكن اهم عامل يرفع القناع عن المرض الكامن ليس الاصابة الفيروسية ولكن الافراط فى الطعام والبدانة .

ويتسم النوع الاول بالنحافة وانعدام ارتفاع الانسولين فى الدم عقب تناول السكر والاستعداد للحموضة وعدم الاستجابة للعقاقير التى تستخدم من الفم .

ويتسم النوع الثانى بالبدانة وضعف الاستجابة للانسولين ، والاستجابة للاقراص ، وقلة حدوث الحموضة الخلوتية واحتمال ارتفاع الانسولين فى الدم عقب تناول السكريات أو تناول أقراص السكر .

ويجوز تقسيم الديابيطس كذلك حسب مراحل تطوره وهى :

١ ـ الاستعداد الوراثى فحسب أى طور ما قبل الديابيطس .

ممنوع اليأس
أمام مرضى السكر!

٢ ــ مرحلة المنحنيات السكرية (بعد تعاطي الجلوكوز) غير الطبيعية التي لا تصل ــ مع ذلك الى الانحراف السكري السافر .

٣ ــ الديابيطس الكيميائي قبل الاكلينيكي .

٤ ــ الديابيطس الاكلينيكي .

٥ ــ مرحلة المضاعفات .

ولقد تغيرت المضاعفات وأسباب الوفاة على مر السنين مع تقدم وسائل العلاج الجديدة التي أدت الى اطالة حياة المصابين .

ان افضل علاج ــ شأنه شأن كل الامراض ــ هو العلاج الوقائي ، نظرا لسهولة العودة الى حالة طبيعية نسبية في حالات كثيرة ، ولخطورة ترك المرض يتقهقر من سيء الى أسوأ . وأهم عاملين نستطيع التحكم فيهما هما الوراثة والبدانة . فاذا حرم الزواج بين من ينتمون الى أسر مصابة بالسكر واذا احتفظ المريض بوزن أقل نسبيا من الوزن الطبيعي قلت فرص ظهور المرض .

أما العلاج فان الغرض منه :

١ ــ اعادة عمليات الأيض الى الطبيعة وهذا باجتناب ارتفاع السكر في الدم فوق المعدل ، ومنع ظهور الأحماض الخلونية واجتناب ارتفاع المواد الدهنية التي يرجح انها تسهم في ظهور المضاعفات في الشرايين والقلب والكلية .

٢ ــ توفير غذاء صالح يحوي عددا من السعرات كافيا للنشاط الطبيعي اذا كان وزن المريض طبيعيا ، وعددا ناقصا اذا كان المريض بدينا وعددا وافرا اذا كان المريض نحيفا .

٣ ــ توفير كمية من البروتين تكفل نمو الصغار وتكفي لتطلبات الأيض اليومي في مختلف مراحل الحياة مثل الحمل ونقص التغذية الخ .

وان ندخل في تفاصيل كل حالة على حدة ، بل يمكن وصف نظام عام ينطبق على شخص كامل النمو وزنه طبيعي على انه يمكن تغيير هذا النظام حسب المقتضيات الخاصة كالتالي :

وزن الشخص ٦٠ كيلو جراما × ٣٠ سعرة للكيلو جرام = ١٨٠٠ سعرة

٦٠ جم بروتين (جرام واحد لكل كيلو جرام) × ١٠ر٤ سعرة لكل جرام = ٢٤٦ سعرة .

١٢٠ جم هيدرات الكاربون و ١٠ر٤ للجرام = ٤٩٢ سعرة .

١١٥ جم دهن و ٣ر٩ سعرة للجرام = ١٠٦٢ سعرة .

المجموع ١٨٠٠ سعرة

ويمكن خفض الدهنيات وزيادة النشويات في حالات الحموضة أو تصلب الشرايين ، وتخفيض البروتينات اذا ارتفعت نسبة حمض البوليك أو البولينا ، الخ .

وهناك أسطورة خطيرة ، راجت في الاوساط غير المسئولة ، يجب أن نرخصها ، وهي أن عسل النحل يفيد السكر ، على أساس أنه يحوي نوعا من السكر هو الفركتوز الذي يعوض نقص الانسولين .

ان في هذا القول بعض التلاعب في الالفاظ .. لماذا ؟

١ ــ لأن الفركتوز لا يحتاج الى الانسولين ، وهذا يتحقق اذا حقن في الوريد . ولكنه اذا دخل الجسم عن طريق الفم والامعاء ، وصل أولا الى الكبد حيث يختزن في شكل جليكوجين

٠٠ فاذا احتاج الجسم الى شيء منه حوله الكبد الى جلوكوز وهو سكر يحتاج الى الانسولين .

٢ - ولان عسل النحل يحتوى على ما يقرب من ٤٨٪ من الفركتوز و ٤٠٪ من الجلوكوز ، وقد يمر بعض الفركتوز عبر الكبد الى الانسجة مباشرة بنسبة ضئيلة جدا ، ولكن اكبر كمية منه تدخل الى الكبد .

٣ - وقد ثبت أن كثرة الفركتوز تضر الكبد .

وعلى هذا فانه يجب اعتبار عسل النحل من السكريات العادية .

وبالنسبة للعلاج يمكن تقسيم مرضى السكر الى فئات :

● **الحالة الاولى :**

وهى مريض يشكو من البول السكرى ولا يفرز الاستون ، يوصف له نظام اكل مناسب ويحلل الدم بعد الغداء بساعتين .

١ - اذا كانت نسبة السكر طبيعية يستمر العلاج دون اى عقاقير . واذا كان المريض لا يستطيع الاكتفاء بهذا الكم من الغذاء اضيفت كميات نشويه مع استمرار التحليل حتى قناعة المريض أو ارتفاع نسبة السكر فى الدم .

٢ - اذا ارتفعت نسبة السكر فى الدم وجب الالتجاء الى أحد العقاقير التى تؤخذ من الفم على ان تراقب حالة الدم . فاذا مكثت فى حدود معقولة استمر العلاج . واذا ارتفعت وجب الالتجاء الى الانسولين .

٣ - الانسولين : يحلل البول بعد كل وجبة فاذا ظهر السكر فى عينة واحدة اعطيت جرعه انسولين قبل هذه الوجبة .

واذا ظهر السكر فى كل العينات وجب اللجوء الى اكثر من حقنة يوميا أو الى نوع من أنواع الانسولين طويلة الامد .

ويمكن تقسيم أنواع الانسولين حسب طول فاعليتها على الوجه التالى بالجدول .

وهناك أنواع كثيرة تختلف عن بعضها بعض الاختلاف لا داعى لذكر أى منها بالتفصيل ، سوى نوع استنبط حديثا بادخال الكروموزومات الخاصة بافراز الانسولين الادمى فى خلايا بعض البكتريا وبالتالى تدفع هذه البكتريا الى افراز انسولين مماثل للانسولين الادمى ، يغنى عن استعمال الانسولين الحيوانى الذى يؤدى اختلافه عن الهورمون الادمى الى ردود فعل غير مستحبة .

● **الحالة الثانية :**

فى حال المرضى النحاف المصابين بحموضة خلونية .

ففى هذه الحال يتحتم البدء بالانسولين فورا لأن الحموضة تدعو الى الفرض بان الجسم لا يفرز الانسولين حيث أن أقراص البول السكرى تعمل انما بحث البنكرياس على افراز أفضل من الانسولين اذا كانت قادرة بعد على هذا الافراز .

وتلك الحالات - أى حالات الحموضة - خطيرة وقد تستوجب العلاج باقسام خاصة بالمستشفيات حيث أنها تنبىء بحدوث الكوما الخلونى الذى قد يودى بحياة المريض

النوع	بدء الفاعلية	الاوج	الانتهاء
الانسولين العادى	٢٠ دقيقة	١ - ٣ ساعة	٦ ساعات
انسولين زنك بروتامين	٣ - ٦ ساعات	١٢ ساعة	٢٤ ساعة
انسولين بطىء جدا		٢٤ ساعة	٤٨ ساعة

دراسة الهلال

قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

محمد على أو التنمية بلا ديون

بقلم : د. جلال أمين

كلما امعن المرء فى قراءة احداث مصر الاقتصادية والسياسية خلال العشر سنوات او الخمس عشرة سنة الاخيرة ، وفى تامل محنة مصر الاقتصادية الراهنة ، كلما ازداد اقتناعا بانه ليس هناك ، من بين مشكلات مصر المتعددة ، ما يعادل مشكلة الديون الخارجية خطورة . مشاكلنا الاقتصادية كثيرة حقا ومتشعبة ، ولكن من اية زاوية نظرت وجدت أن مشكلة الدين تحتل مكان الصدارة فى خلق الاعباء وتعقيد الحل ، فمشكلاتنا الاساسية تتركز فى الأساس فى عجز كبير فى ميزان المدفوعات ، وفى موازنة الدولة ، وما يستتبعه هذا العجز الاخير من ارتفاع معدل التضخم ، ثم فى اختلال هيكل الانتاج وهيكل العمالة لصالح قطاعات الخدمات وعلى حساب قطاعى الزراعة والصناعة، واخيرا فى اختلال توزيع الدخل .

ولكن أعباء خدمة الديون الخارجية أصبحت اليوم تشكل هي نفسها عبئا كبيرا على ميزان المدفوعات وعلى موازنة الدولة ، وأصبح تصحيح هيكل الانتاج والعمالة يصطدم بعقبة أساسية هي ما تفرضه أعباء خدمة الديون من تخفيض معدل الاستثمار .. ثم أن تصحيح السياسة الاقتصادية ، بما في ذلك تصحيح الاختلال في توزيع الدخل ، أصبح يصطدم بما تفرضه الديون من قيود على حرية التصرف ، كما أن استعادة حرية التصرف في السياسة الخارجية أصبحت بدورها مرهونة بالتحرر من الديون .



محمد علي شهد عصره اندماجا في الاقتصاد العالمي

● بين الاحتلال العسكرى والتورط فى الديون :

حقا لم يعد الحديث عن «الاستقلالين السياسي والاقتصادى » يحمل نفس المعاني التى كان يحملها منذ اربعين أو خمسين عاما ، حينما كانت بلادنا تحت الاحتلال العسكرى ، ولم يعد سياسيونا يتعرضون لنفس المهانة التى كان يفرضها الاحتلال ولكن فقدان حرية التصرف له أشكال وألوان ، وقد تكون فاقدا لهذه الحرية وانت تتمتع بكامل الابهة والاحترام الظاهرى . والعبرة فى النهاية ليست بدرجة الادب والتهذيب اللذين يعاملك بهما صاحب الامر والنهى ، وانما بمدى قدرتك الحقيقية على التمرد والعصيان . فاذا تبينت أن الذى يقلل من قدرتك على العصيان وعلى ممارسة حريتك فى رسم سياستك الداخلية والخارجية هو تلك الديون المشئومة ، فانه لايبقى أمامك مجال للشك فى ان هذه الديون قد أصبحت فى الواقع هى البديل الحديث للاحتلال العسكرى ، وان قضية التحرر من الديون الخارجية قد أصبحت هى البديل المعاصر لقضية الجلاء ..



عبدالرحمن الرافعي إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث

لا غرابة اذن فى ان يحاول المرء اعادة قراءة التاريخ الاقتصادى المصرى من هذه



عبدالناصر فترة الازدهار

محمد علي

أزمة التنمية بالديون

الزاوية : زاوية الديون الخارجية .. لقد عكف عبد الرحمن الرافعي على قراءة واعادة كتابة تاريخ مصر الحديث من زاوية النزوع الى الاستقلال السياسي ، اذ كانت القضية الاساسية التى تواجه مصر وهو عاكف على كتابه ، هي قضية الاحتلال والجلاء . فما احرانا اليوم بأن نعيد قراءة تاريخنا وكتابته من زاوية النزوع الى الاستقلال الاقتصادى والتحرر من الديون الخارجية . لقد رويت القصة بالطبع مرارا وتكرارا ، ولكنى اعتقد أنه مازال هناك مجال واسع للمزيد . فالتاريخ كما نعرف ليس الا طريقة معينة للنظر الى الاحداث ، ورواية التاريخ الاقتصادى لمصر في ١٩٨٧ لابد أن تتاثر بظروف مصر الاقتصادية في الثمانينيات ، أو على الاقل برؤية الكاتب لهذه الظروف . ان الذى يكتب عن محمد على مثلا في أواخر عهد الملكية لايمكن أن يرى محمد على كما يراه كاتب عاصر الناصرية ورأى ازدهارها ثم انحسارها ، والذى يكتب عن ديون سعيد واسماعيل ، قبل أن يشهد ديون السادات ، ليس كمن يكتب عنها بعده ، وهكذا . كيف تبدو اذن قصة ديون مصر الخارجية منذ عهد محمد على منظورا اليها من عهد مبارك ؟

● ارتباط بالعالم مع استقلال في الادارة

منذ أن تبدأ كتاب التنمية ، منذ نحو عشرين عاما ، يشيرون الى « التبعية الاقتصادية » كسمة اساسية من سمات العالم الثالث ، ويدعون الى « فك الارتباط » بعجلة الاقتصاد العالمى ، والرأسمالى بوجه خاص ، والى تنمية اقتصادية « معتمدة على الذات » ، كثرت الاشارة لدى الاقتصاديين المصريين الى تجربة محمد على على انها مثال جيد لمحاولة بناء تنمية اقتصادية مستقلة ، نجحت الى حد كبير في تحقيق الاعتماد على الذات حتى تم ضربها من القوى العالمية المستفيدة من ربط مصر بالاقتصاد الراسمالى . هذا التشخيص لتجربة محمد على ، وان كان يحتوى على جزء كبير من الحقيقة ، فانه يشير فقط الى نصف الحقيقة .

فالواقع أن مصر تحت حكم محمد على قد شهدت اندماجا في الاقتصاد العالمى بدرجة لم تعرفها طوال قرون طويلة سابقة ، وكانت طبقا لعدة معايير اقل اعتمادا على النفس بكثير ، في عهد محمد على ، مما كانت طوال الحكم العثمانى على الاقل . فاذا نظرنا مثلا الى الدور الذى لعبته التجارة الخارجية في الاقتصاد المصرى تحت حكم محمد على ، نجد أن صادرات مصر من القطن قد أصبحت في ظله هي المصدر الاساسى للدخل القومى وايرادات الحكومة ، وأن الواردات المصرية قد زادت ايضا في عهده بسرعة مذهلة مع زيادة حصيلة الصادرات ، اما لتزويد جيشه الدائم النمو بما يحتاج اليه من معدات ، أو لتزويد صناعاته الجديدة بما تحتاج اليه من آلات ومواد أولية . كانت التجارة الخارجية لمصر في القرن الثامن عشر وخلال سنوات الحملة الفرنسية لا تلعب الا دورا هامشيا في الاقتصاد المصرى ، فاصبحت تحت حكم محمد على هي المحرك الاول لعجلة الاقتصاد . وكانت الاسعار المحلية السائدة في مصر قبله تكاد تكون منبتة الصلة بالاسعار العالمية ، فاقتربت بشدة في عهده من الاسعار السائدة في

اوربا ، مع زيادة حجم الواردات والصادرات ، ومع التقدم الذى تحقق فى عهده فى وسائل المواصلات . زاد بشدة أيضا فى عهد محمد على عدد الاجانب المقيمين بمصر ، فبينما لم يزد عددهم على نحو مائة شخص عند قدوم الحملة الفرنسية ، تزايد عددهم بسرعة فى عهده بسبب استقدامه لاعداد كبيرة من المهندسين والاطباء وغيرهم من الفنيين للخدمة فى مصانعه وجيشه واسطوله ، وبسبب ازدهار التجارة الخارجية ..بل انه حتى بمقياس التنوع فى مصادر الواردات المصرية وأسواق صادراتها ، نجد أن مصر فى عهد محمد على كانت معتمدة اعتمادا أساسيا على سوق واحدة هى السوق البريطانية التى كانت عند وفاة محمد على فى ١٨٢٩ تستوعب وحدها ما يقرب من نصف اجمالى الصادرات المصرية وتزود مصر بأقل قليلا من نصف اجمالى وارداتها ..

لم يكن الاقتصاد المصرى اذن «مستقلا» من الاقتصاد الراسمالى فى عهد محمد على ، لا بمقياس ضآلة دور التجارة الخارجية ، ولا بمقياس تنوع أسواق التصدير والاستيراد ، ولا بمقياس الاعتماد على الخبرة والمهارات المحلية .. من اين اذن يأتى الحديث عن «التنمية المستقلة» فى عهد محمد على ، ولماذا يصح وصف تجربته بأنها تجربة رائدة فى «الاعتماد على النفس» ؟ يصح ذلك فى رأيى من ثلاثة وجوه أساسية ، نفتقدها كلها اليوم :

أولها : يتعلق بما توافر لمصر فى عهده من اكتفاء ذاتى فى الغذاء . كانت واردات مصر تتكون أساسا من الآلات والسفن والمدافع والحديد والخشب ، ولكنها لم تكن تستورد الغذاء ، بل كان لدى مصر فائض من الارز تصدره لتستورد السفن ومن القمح والفول والذرة تصدره لسد حاجات المصانع والجيش .

وثانيها : ان مصر فى عهده كانت تتمتع بدرجة عالية للغاية من القدرة على المساومة مع المصدرين والمستوردين على السواء . حقا لم يكن امام مصر مفر من الاعتماد على تصدير القطن الى اوربا ولا من الاعتماد على استيراد الالات والخبرة منها ، ولكنها كانت ايضا فى وضع يسمح لها بالحصول على أفضل الشروط الممكنة لصادراتها ولوارداتها كان الذى سمح لمصر بذلك هو ما طبقه محمد على من نظام الاحتكار .. فكلنا يعرف انه طبقا لهذا النظام أصبح محمد على هو البائع الوحيد للصادرات المصرية ، ولم يكن باستطاعة التجار الاجانب الوصول الى المزارعين المصريين لشراء منتجاتهم بأبخس الاسعار ، بل كانوا يواجهون مزادا فى الاسكندرية يتنافسون فيه على الشراء من الوالى . كان مالايقل عن ٤٠٪ من واردات مصر يمر ايضا بيد الوالى ، وكان بيده ايضا من الوسائل ما يجبر بها غيره من المستوردين على خفض وارداتهم وعلى شراء المنتجات المصرية التى تنتجها مصانعه .

كان الوجه الثالث من وجوه الاعتماد على النفس فى عهد محمد على ، هو اهمها على الاطلاق ، وهو الذى يهمنا هنا بوجه خاص . لهذا الرجل الذى بنى المصانع ، واقام الخزانات والسدود واحدث ثورة فى التعليم ، وأرسل البعثات وانشأ اقوى جيش فى المنطقة ، لم يسمح لنفسه قط بالتورط فى الديون نعم ، كانت تمر بميزان المدفوعات فى عهده بعض سنوات العجز ، ولكنه كان سرعان ما يعقبه فائض ، فاذا بمصر تحقق اكتفاء ذاتيا كاملا فى رأس المال ، لايدخل اليها منه معونات أو قروض أو استثمار اجنبى ، ولا يخرج منه الا ما يفى بالتزاماتها من دفع الجزية لاستانبول أو بعض الهدايا للسلطان ..

محمد على

أو التنمية بلا ديون

كان فى السنوات الصعبة التى يحتاج فيها الى مزيد من المال لتمويل حملاته العسكرية يستغنى عن كل الواردات غير الضرورية ، ثم يرغم التجار الاجانب على دفع قيمة مشترياته منه مقدما .

يروى كراوتشلى أن محمد على احتاج فى ١٨٢٢ احتياجا شديدا الى مزيد من المال لتمويل حملته الى سوريا، وتدفقت عليه العروض بتقديم القروض ، ولكن المقرضين الاجانب طالبوا بتخصيص ايرادات بعض المديريات لضمان السداد الامر الذى رفضه محمد على رفضا باتا ولم يتم الصفقة . وكان محمد على يعجز احيانا عن دفع مرتبات موظفيه فيعطيهم بدلا منها سندات على الحكومة يقومون بخصمها لدى التجار أو بعض المقرضين المحليين بسعر فائدة قد يصل احيانا الى ١٥٪ أو ٢٠٪ . « كان الوالى يمر اذن من حين لاخر ، وخلال بعض الظروف الصعبة ، بفترات يكون فيها مدينا بمبالغ كبيرة ، للتجار مقابل ما دفعوه مقدما ، أو لموظفيه مقابل مرتباتهم المتاخرة ، ولكن كان بمجرد ان يحل السلام ويمر بفترة رخاء سرعان ما يقوم بسداد ديونه ، وسرعان ماتمتلىء خزانته من جديد خلال فترة لا تزيد عل سنة أو سنتين . فى أثناء ذلك . ورغم انه كان دائم التطلع الى مشروعات ضخمة للتنمية وتقدم البلاد ، كان يتجنب دائما التورط فى مشروعات تفوق اعبازها موارد البلاد المالية ، فاذا به يرحل من العالم فى ١٨٤٩ دون أن تكون مصر مدينة لاحد بقرش واحد »

من المفيد ان نتأمل ، من خلال تجربة محمد على ، ما يقال اليوم كثيرا عن « التبعية » وعن « الاعتماد المتبادل » بين الدول . فحينما تثار قضية الديون الخارجية كثيرا ما نسمع من يقول اننا نعيش اليوم فى عالم لامعنى فيه للشكوى من التبعية ، فالدول كلها ، الغنية منها والفقيرة ، تعيش على «الاعتماد المتبادل» ولايمكن لاى منها الاستغناء عن غيرها ، مهما يلغ رخاؤها وقوتها الاقتصادية. فاليابان مثلا ، بكل ثروتها ، تعتمد فى حياتها على استيراد النفط ، والولايات المتحدة ، مع رخائها ، لايمكن ان تعيش اذا أغلقت أسواق أوربا الغربية واليابان فى وجه منتجاتها ، والعكس بالعكس ..

وهذا بالطبع صحيح ولكنه ايضا يروى نصف الحقيقة وليس الحقيقة كلها .. فالعبرة فى درجة الاستقلال ، كما راينا من تجربة محمد على ، ليست بمدى استغناء الدولة عن التجارة الخارجية، او عن علاقاتها الاقتصادية بالعالم الخارجى ، وانما بمدى ما تتمتع به من قوة المساومة فى علاقاتها الخارجية .. **فخطر اغلاق السوق الاوربية امام المنتجات الامريكية يقابله خطر اغلاق السوق الامريكية أمام المنتجات الاوربية والخطر الذى تواجهه اليابان من احتمال قطع البترول عنها من دول تخضع بدرجة او باخرى لمقتضيات السياسة الامريكية، يقابله الخطر الذى تواجهه الولايات المتحدة من احتمال اتخاذ اجراءات لاتقل خطورة من جانب الحكومة اليابانية .. انما تأتى التبعية حينما تضعف قدرة الدولة على المساومة بحيث لايكون لديها اية وسيلة لدفع الخطر عنها اذا ارادت دولة اخرى اخضاعها والتحكم فى ارادتها وهذا هو بالضبط ما نجح محمد على فى تجنبه .**

● هل يخلق العرض الطلب ؟!

السؤال الان : من أين توفرت لمحمد على هذه الدرجة العالية من الاستقلال والاعتماد عل النفس ؟ من السهل ،

ومن الصحيح أيضا ، الحديث من قوة ارادة الرجل وفطنته وبعد نظره ، ولكن من السهل أيضا المبالغة في دوره الشخصي والافراط في الثناء عليه .. لقد كانت مصر في عهد محمد علي ، كما كانت في عهد عبد الناصر ، على ماسنرى فيما بعد ، تعيش وسط ظروف دولية ملائمة للغاية . وهنا نجد المفارقة بين النصف الاول من القرن التاسع عشر ونصفه الثاني ، شبيها أشد الشبه بالمقارنة بين فترة ازدهار الناصرية (٥٦ ـ ١٩٦٥) وفترة انحسارها منذ النصف الثاني من الستينيات .

ان الذي يتحكم في درجة اعتمادك على القروض ، ليس هو فقط مدى حاجتك الى الاقتراض ، أو مدى رعونتك أو حكمتك في ادارة شئونك ، وانما هو ايضا مدى استعداد غيرك لاقراضك ومدى تلهفه على توريطك في الديون .. وهنا نصادف الطباق القاعدة التي كثيرا ما نصادفها في عالم الاقتصاد : « العرض يخلق الطلب » . ومعنى ذلك فيما نحن بصدده الآن أن تورطك في الديون لايتوقف فقط على مدى حاجتك اليها ، وانما يتوقف ايضا على مدى حاجتك اليها، لاقراضك . وقد كان من حسن حظ محمد على أنه كان يعيش في عصر لم تكن قد بلغت فيه بعد حاجة المقرضين الاجانب للاقراض مابلغته في عهد سعيد او اسماعيل .

لقد تولى محمد على حكم مصر في ١٨٠٥ . ولكن اوروبا كانت للفترة السنوات العشر التالية منهوكة القوى في حروب نابليون . وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي أتمت ثورتها الصناعية وتراكم لديها فائض من راس المال البريطاني كانت مازال امامه فرص مغرية للاستثمار في أوروبا ، التي كانت تمر بفترة نمو سريع في أعقاب حروب نابليون ، وفي مزارع ومناجم الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية . ثم جاءت الاربعينيات لوجد فائض رأس المال فرصا اخرى مجزية للاستثمار في مد خطوط السكك الحديدية داخل بريطانيا نفسها حيث استوعبت السكك الحديدية في تلك الفترة الجزء الاكبر من هذا الفائض .. كان علينا اذن الانتظار حتى منتصف القرن قبل أن تبدأ استثمارات بريطانيا الخارجية في النمو بمعدل أكبر من معدل النمو في استثماراتها داخل حدودها ، وقبل أن تبدأ استثماراتها في أوروبا تتضاءل لحساب استثماراتها فيما وراء البحار ، ثم لحقت بها الاستثمارات الفرنسية والالمانية . أما الولايات المتحدة التي جاءت ثورتها الصناعية متأخرة بنحو نصف قرن عن بريطانيا ، ومرافقة بالتقريب للثورة الصناعية في فرنسا والمانيا ، فكانت لاتزال تستورد كميات كبيرة من فائض رأس المال الاوروبي التي أتت لتستغل فرص الاستثمار الهائلة التي أتاحها مد السكك الحديدية الى أطرافها المترامية في الجنوب والغرب

مع انتصاف القرن التاسع عشر ودع محمد على العالم وترك مصر لولاة ضعاف يحار المرء فيما اذا كان تورط مصر في الديون في عهدهم كان بسبب هذا الضعف ام كان هذا الضعف شرطا أساسيا يتعين تحقيقه من اجل توريط مصر في الديون. أيا كان الامر ، فان شخصيات الولاة في أعقاب محمد على جاءت منسجمة تمام الانسجام مع حاجة رأس المال الاوروبي ، واذا بالطلب يخلق العرض والعرض يخلق الطلب ، في دائرة جهنمية أودت باستقلال مصر الاقتصادي والسياسي معا.

أنت .. و الهلال

فقيد الرواية العربية

كتب نقيد الرواية العربية فتحي ابو الفضل سيرته الذاتية في كتاب صغير صدر عام ١٩٧٩ .. فتحدث كيف بدأبكتابة القصة القصيرة وعمره عشرون عاما وفاز بجـــائزة مجلة الجامعة عن قصة « نهـــاية غرام » ، وبالجائزة الاولى في مسابقة مجلة الكاتب عن قصة « شـــهر زاد » وفاز بالجائزة الاولى عن قصة « احدى اللواتي ينتظرن » .. وكتب للاذاعـة مسلسل « ليلة الورد » وتشجع لكتابة الرواية بعد مســـابقة أعلنت عنها الرسالة والرواية وكان قد قدم الاستاذ نجيب محفوظ « رادوبيس » والاستاذ علي احمد باكثير « سلامةالقس » وقد فاز بالجائزة فاحس فتحي ابو الفضل بخيبة امل وذهب وقابل الاستاذ احمد حسن الزيات وقال : انا قدمت رواية « امرأة احبت » وغير معترض على قرار الجائزة ، ووعده الاستاذ الزيات أن يقرأ الرواية ويرد عليه بعد أسبوعين وقابله وقال : هذه رواية جيدة واشار الى بعض الملاحظات ورد اليه الرواية ثم اخذ يراسل مجلة الرسالة والرواية بالقصص القصيرة وتنشرها له ، وروايته الاولى وضـعها في درج مكتبه واعاد كتابتها بعد اكثر من عشر سنوات وقد ازداد خبـــرة باللغة وكتب رواية « الثوب الضيق » وارسلها الى احدى دور النشر وقابله مستشارها وقال : يجب أن تحذف منها بعض ما يسمونه الأدب المكشوف .. ولم يقبل منه الرواية ، وانقضت عشرة اعوام حتى جاء عام ١٩٦٩ فنشرت له احدى دور النشر هذه الرواية .

وفتحي ابو الفضل ـ رحمه الله ـ كتب رواية « عبد الباقي وبناته » ثم رواية « لا تغسلوا الوحل » وصدرت له رواية « حافية على الشـــوك » ورواية « قلوب في الغربة » ورواية « دموع على الذكرى » .. ثم نشر مجموعة « لكن .. شيء ما يبقى » ومجموعة قصص « مفتاح في باب الجنة » ورواية « الهانم والكلب وانا » وفي عام ١٩٧٧ صدرت رواية « دقات على بابي » وظلت رواية « امرأة احبت » ٤٠ عاما في مكتبه منذ ١٩٣٨ حتى صـــدرت بعد كتابتها للمرة السادسة ١٩٧٧ وغير عنوانها الى « هذه .... واموت » وقد بكى عندما تسلم النسخة الاولى من هذه الرواية ١٩٧٨ وكانت رقم ١٢ في مجموعة رواياته ..

وللمرحوم فتحي ابو الفضل ٢٠ رواية و٢٠ مجموعة قصص قصيرة . وفاز بجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٩ .. ورحم الله كاتبنا الكبير .

رجب عبد الحكيم بيومي الخولي
كلية دار العلوم ـ القاهرة



لغة العيون

● تجمد الكلمات حين نقولها ..
وتقيم جدراننا من الألفاظ
هذى حروف الشوك ادمت عمرنا
واقامت القلبين فوق شواظ
يا انت لا تخف الهوى لغة العيون
تجيبنى يا ساحر الألحاظ
● الصمت بين العاشقين تواصل .
فدع الكلام لسائر الوعاظ

د . احمد عامر

● جيلنا الجديد ولغته ●

● انا شاب حاصل على دبلوم المدارس الثانوية التجارية وعندى « مواهيه » فى « كتبت » الشعر واصبح عندى الان حوالى ٢٨ قصيدة لا ترى النور وانى أريد ان تنشر فى كتاب صغير مثل بعض الادباء التى « اقراء » لهم .

وانا لم أرسل هذا الخطاب الا بعد ان اقتنعت بقصائدى بعد « قراة » اعمال « هؤلا » الادباء « فوجد » أن قصائدى لا « تقر » فى « شيا » عنهم بل ان هناك قصائد « قراته » على بعض الاساتذة فى « الغة العربية » فى المدرسة « فكانو » يتعجبون لما كتب و « عرضو » على اكثر من مرة لكى ارسل الى أى مكان للنشر ولكن لم أجد الفرصة المناسبة .

وأرجو من الله العالى القدير ان تكون فرصتى قد « لحت » حتى تظهر قصائدى فى النور ويتمتع بها الموتمرن بالشعر وحتى لا أصل الى حالة يأس وابتعد عن الكتابة .

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون كتبى مفاجآت عام ٨٧ .

الاسم : « عبيد » ديب خفة
منشاة فاضل — العياط — جيزة
تاريخ الميلاد : ٢١-٤-١٩٦٧

● تعليق ●

ننشر هذه الرسالة بحروفها كما جاءتنا . وصاحبها اسمه « عبيد » ولكن كتبه « عبيد » وربما كان اسمه « عبيد » فخطه لا يقرأ بسهولة وقد وضعنا أخطاءه الاملائية وغيرها بين اقواس ، فمن ذلك قوله : « عندى مواهبه فى كتبت الشعر » .. يقصد مواهب فى كتابة الشعر ، ويقول « اقراء » يقصد « اقرا » و « قراة » يقصد « قراءة » ولا « تقر » يقصد « لا « تقل » و « فكانو » يقصد « فكانوا » و « الغة » . يقصد « اللغة » و « عرضو » .. يقصد « عرضوا » .. و « لحت » ويقصد « لاحت » ... الخ .

ونحن نشرنا هذه الرسالة بحروفها اظهارا لحزننا العميق الى ما صار اليه الجيل الجديد من الجهل بلغته القومية ، ومن عجب أن ابننا هذا يعتقد ان كتبه ستكون مفاجأة سنة ١٩٨٧ ·· والحقيقة اننا فوجئنا بكتابه هذا - أو رسالته هذه - فى أول سنة ١٩٨٧ فكانت مفاجأة غير سارة ··

فيا بنى ·· انت لا تعرف لغتك التى تكتب بها وقد جنى عليك ذلك عدد كبير من المدرسين والصحفيين وبعض شعراء التفعيلة الجهلاء ونقاد آخر الزمن ، وظروف كثيرة معقدة ·

يا بنى ادرس لغتك من أول « ألف ·· باء » ثم فكر فى تأليف الكتب ومفاجأة القراء !

● الحشا .. ومعناها ●

نشرتم أبياتا للدكتور أحمد عامر عنوانها « ويبقى الله » شعرت أنها وليدة تجربة صادقة ، بيد انى توقفت عند البيت الذى يقول فيه : « ويبقى الله ·· أقرب من وريد فى حشايانا » فكلمة « الحشا » جمعها « الاحشاء » وهى ما فى جوف الانسان من معدة وأمعاء وغيرها ، ولا أدرى لماذا أتى الشاعر بكلمة « حشايانا » ؟! « هل خطرت له الآية الكريمة : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ·· أم اضطرته الى ذلك القافية ؟! ·· أنا أرى أنها كلمة غير مناسبة وتعترض بغلظتها بقية الأبيات ·· وقد ذكرنى ذلك بمأزق لرب السيف والقلم محمود سامى البارودى باشا اذ قال من قصيدة

لولا مكابدة الأشواق ما دمعت ·

عين ولابات قلب فى الحشا يجب

فقد أخذ عليه النقاد جعله مكان القلب فى الحشا أى فى البطن لا فى الصدر !

عمرو محمد عبد الحميد

١٦ شارع ناصر - ساقلته - سوهاج

● تعليق :

- نحن معكم فيما ترونه من عدم توفيق الشاعر فى قوله : « وريد فى حشايانا » ·

أما قول البارودى « قلب فى الحشا يجب » فلا غبار عليه ، وهو من صميم أساليب الشعر العربى ، ولم ينقده الا بعض مؤلفى الكتب المدرسية الذين لا شأن لهم بالشعر ، وقد يكون فيهم من لا شأن له باللغة العربية ذاتها !·· ولو طالع هؤلاء دواوين الشعراء ، من الجاهلية الى عهد البارودى

وشرقى لوجدوهم يستعملون كلمة « الحشا » في معنى القلب والكبد ومكامن الشعور .. وليست كلمة « الحشا » تعنى البطن والامعاء فى الشعر كما يتصورون فهؤلاء يخطئون مع الأسف فى شرح كثير من الشعر المقرر على التلاميذ ، ولو فتحوا دواوين البحترى وأبى تمام والمتنبي فقط لعرفوا كيف تجيء كلمة الحشا في الشعر العربي .. وقد كان البارودى رحمه الله أبصر بأساليب الشعر العربى من المدرسين الفضلاء ..

وكان الكاتب اللغوى المرحوم عبد العزيز البشرى يعجبه قوله : « لفظة العواطف تدل اكثر ما تدل على خوالج القلوب ولواعج الكبود ، من هوى وصبابة ، ووله لاحق ، وغمز على الحشا من عشق وتبريح غرام » ! .. فهل تظن أن البشرى ـ رحمه الله ـ كان يريد أن يقول ان العشق وتبريح الغرام يغمزان على الحشا ، أى على المعدة والامعاء ؟!

نحن لم نذكر كلام البشرى الا لأنه كان كثير الترديد لمثل هذا الكلام ! .. وافتح ديوان البحترى وحده فستندلق منه مجموعة من كلمة « الحشا » ملتهبة بالعشق والغرام ، وليس فيها اثر لمعنى البطن والامعاء والمعدة كما يظن مؤلفو الكتب المدرسية الذين يجهلون مع الاسف ما يؤلفون فيه ! .. واللغة العربية الآن منكوبة بأمثال هؤلاء المؤلفين الذين لا يعرفون أن كلمة الحشا فى الحب تعنى ما انضمت عليه الضلوع من تباريح الحب ، لا من الامعاء الغليظة والدقيقة ! ..

● قصائد قصيرة ●



(١)

لا تسألونى الآن يا أحبتى
عن قيمة الانسان فى زماننا
لأننى
لا أستطيع البوح بالجواب
مرتين
فالبوح فى زماننا
جريمة لا تغتفر

(٢)

لست أبالغ حين أقول بأن فؤادك
صار فؤادى
لكنى أختلف قليلا ..
فشتاء الغربة فى قلبى ..
يتلوه ربيع !

(٣)

مجنون من يفعل هذا ..
مجنون من يفعل ذاك ! ..

محمد ابراهيم المجريسى
شارع الحرية ـ أبو تيج

● طفولة ●

● اكتب اليكم هذه الرسالة وبين طياتها هذه الابيات :
فتنتك الصغيرة
والضفيرة
وعيناك الساحرتان الذكية
وحقيبة الكتب المدرسية
لماذا تخليت عن هذه الأشياء ·
أيتها الغبية

سمير أبو الحمد حافظ
عضو نادى أدباء الاسماعيلية

● تعليق ●

ـ يبدو انك من الظرفاء ، ولكن قولك « عيناك الساحرتان الذكية » يعيبه الخطأ فى قولك « الذكية » ·· فمادمت قلت « الساحرتان » فلابد أن تقول « الذكيتان » ·· ولا نوافقك على أن تقول لمن تحبها : « ايتها الغبية » ولو على سبيل المزاح ! ·· وكلامك خليط من الاوزان والكلام النثرى ·· الا انك تستطيع استيعاب الاوزان ونرجو لك التوفيق ··

● الى متى ؟! ●

فى طريقى سرت وحدى ··
تحت انقاض الحياة ··
سوف أحيا رغم قيدى ··
رغم أهوال الحياة
طال أسرى فى طريق
كل ما فيه ضباب ··
أين عمرى ؟!



اشرف محمد ابو العز
المعصرة ـ المثلية الجديدة

● السرقات الادبية أيضا ●

● طالعتنا الهلال في عددها السابق بكلمة عن السرقات الادبية وقد كان في هذه الكلمة ما اثير عن شخصنا اذ اتهمتنا الكلمة بالسرقة الأدبية ونحن نتعجب من ذلك اذ أنه قد نشرت بجريدة صوت الشباب بتاريخ مايو ١٩٨٤ وقد اضطرنا ما نشر أن نرد عليه لما فيه من اتهام لنا من شخص معروف عنه ارتكاب

السرقة الادبية من زملائه بكفر الزيات وشعراء آخرين الى وقتنا هذا ، فقد اتهم بالسرقة الادبية عن احدى قصائده المشبوهة ومرفق نسخة ونسخة أخرى من قصيدة الشاعر محمد الجندى المسروق منها ويملكه الشخصى بالرابطة العديد من هذه القصائد وقد وجهت اليه لجنة التقييم بالرابطة الاتهام بالسرقة الأدبية وثبت اتهامه فيها حسب ما جاء فى تقرير اللجنة ، والمرفق صورة منه وقام مجلس الرابطة بفصله من العضوية وبعد فترة عاود الالحاح فى طلب الرجوع الى الرابطة فقررت الرابطة تشكيل لجنة للبت فى أمر عودته وقدم أحد أعضائها تقريرا عن تصرفاته ، واجتمعت اللجنة ورفعت تقريرها الى مجلس ادارة الرابطة برفض عودة عضويته ومرفق صورة من تقرير اللجنة وبناء على ما تقدم قام هذا الشخص بمهاجمة أعضاء اللجنة التى أعدت التقرير برفض عضويته وبدأ فى مهاجمتهم وهدد بتشويه سمعتهم اعلاميا كما جاء فى احدى رسائله المرفقة طية تحت عنوان « سؤال الى من يهمه الامر » وقد قام رئيس الرابطة بتوضيح الأمر فى مقال له نشر بالهلال فى ابريل ١٩٨٥ وفى جريدة السياسى الاسبوعية تاريخ ١٩٨٥/٣/٢٤ وبعد أن نشرت هذه الكلمة بالهلال مرة أخرى ونحن نرسل هذا الرد لتوضيح الموقف .

صبرى عبد الله قنديل ـ السيد محمد حمص ـ جمال ابراهيم بكر

● تصويب ●

● ورد فى مقال د . جلال أمين فى العدد الماضى من الهلال (يناير ١٩٨٧) خطأ مطبعى يتعين تصويبه لما يؤدى إليه من تشويه المعنى المقصود ، إذ جاءت بصفحة ٧٢ عبارة "فتصوير عبد الناصر كما لو كان هو الذى جلب الانتصار هو تصوير خاطىء من أساسه" وصحتها "فتصوير عبد الناصر كما لو كان هو الذى جلب وحده الانتصار والهزيمة . هو تصوير خاطىء من أساسه"

● مع الاصدقاء ●

● رفعت محمد بروبي ـ سوهاج :

ـ انتاجكم في الشعر غزير ويتقدم باطراد ‥ نهنئكم وننتظر رسائلكم ‥

● أيمن فاروق ـ شارع ابو نجدى ـ بنى مزار :

ـ اذ كنت تطلب رأينا بصراحة ، فنصارحك بأن ما تكتبه من الشعر يفتقر الى الوزن ، كما أن لغتك نحوا وصرفا تحتاج الى مراجعة دقيقة ‥

● محمد محمد القاضي ـ مرص الليان :

ـ هناك فرق بين أن يقال ان العرب كانوا أجانب عن مصر ، وبين أن يقال ان الحكومات التى وضعت نفسها فى مصر تحت راية العروبة والاسلام كدولة الفاطميين كانت ظالمة للشعب ‥ ان ظلم الحكام للشعوب لم يكن فى مصر وحدها ، بل كان فى العالم كله وقد قامت ضدهم الثورات الجائحة ‥ اما الامة نفسها فلا يخرجها من جنسيتها ظلم الحكام الاجانب أو الحكام غير الاجانب ‥ وكل ما كتبتموه فى رسالتكم عن مظالم الحكام للشعب المصرى ، لا صلة له بعروبة الشعب المصرى ولا يطعن فيها ٠

● ناهد السيد طه :

ـ لا نعرف عنوانك ‥ وأنت تقولين فى قصيدتك : « ان خاننى فى العمر غفلتى ‥ سرعت الى أشواقى ‥ أنهل منها على سجيتى ‥ وأشبع رؤى أحداقى ‥ وان زادت فى الحب حيرتى ‥ ذرفت من دمعى غالية فى أعماقى ‥ أفديه ثمن غربتى ‥ بين أهلى وخيرة رفاقى » ٠

وهذا كله ليس شعرا موزونا ما عدا قولك : « أنهل منها على سجيتى فان لهذه الجملة وزنا ‥ وأنت تخطئين فى اللغة ‥ وليس من حقك أن تقولى « سرعت » فالصواب « أسرعت » ‥ ومع ذلك استمرى ٠

● ايمن الخراط ـ زفتى :

ـ انت تقول فى شعرك : « أيها السائر فى دمى توقف ‥ لا تبيع الزيف فى قلب تلهف ‥ لا تعيد النار فى شوق مزيف ‥ امض عنى أو أبعنى ‥ » ‥ الى آخر ما قلته فى شعرك ‥ والكلام موزون ، ولكن

الأخطاء النحوية ظاهرة فى قولك « لا تبيع » والصواب « لا تبع » لأنها فعل أمر ٠٠ كما أنك أخطأت فى قولك « لا تعيد » والصواب « لاتعد » وينكسر الوزن اذا قلت : لا تبع ولا تعد ٠٠ ولا صحة لقولك « أبعنى » وصحته « يعنى » ٠٠ ولكن لا تيأس من النظم ، فلعلك تتقدم مع الزمن ، والله المستعان !٠٠

● **محمود على الازهرى ــ نجع حمادى :**

ــ أنت معجب بأحاديث الشيخ الشعراوى ، ولا ننازعك فى هذا ، وأما كلمتنا عن الفرق بين « الريح » و « الرياح » فى لغة القرآن الكريم، فقد قلنا فيها ما يكفى ولا معنى للعودة اليها ٠٠ ونشكرك ٠٠

● **مهدى محمد هلقو ــ كسلا ــ السودان :**

ــ قصيدتكم ينقصها الوزن فى أبياتها كلها ٠٠ فحاول أن تقرأ الشعر الجيد لتتعرف الى الاوزان ان كان ذلك فى الامكان ! ٠٠

● **عبد الملك محمد المتولى ــ شارع عفيفى ــ الجيزة :**

ــ ان كان ما أرسلته الينا هو الشعر فى نظرك ، فانه فى نظرنا نثر، لأنه بلا أوزان ٠٠

● **حسن المنشاوى ــ السويس :**

ــ الهلال يرحب بمن يكتبون اليه ، ولكن لدينا الكثير من انتاج الأدباء الكبار والشبان ، وقد أعجبتنا محاولاتكم فى مقالاتكم وقصصكم ولكن المجال ــ كما ترون لا يتسع لكل ما يرد الينا ، مع أسفنا واعتذارنا ٠٠

● **حجاج حسن أدول ــ شارع الثريا ــ الاسكندرية :**

ــ أنت تبدأ قصتك بقولك : « بعد المغرب ٠٠ عيسوى ابن العبيطة يخترق أزقة القرية ٠٠ طويل عريض « ثمين » ــ تقصد سمين ــ يداعبه الجميع كى يلعنهم بأولاد البهائم فيضحكون ٠٠ شفتاه دائما مبللتان بلعابه » الخ ٠٠

وهذه القصة تحتاج الى تهذيب كثير فى لغتها ، أما فكرتها فعادية جداً ٠٠

● **الدكتور احمد عامر ــ شبين القناطر :**

ــ نأسف لما أخبرتمونا به من أن أحد الشعراء قد أخذ عنوان قصيدتكم « الحزن النبيل » ونشر قصيدة له بهذا العنوان فى مجلة قاهرية وأن كنا نظن أن كلمة « الحزن النبيل » هى من الكلام الشائع الذى لا يحتكره أحد لنفسه ، أما استعلاء هذا الشاعر على سطر من شعر أمل دنقل واستعارته بدون أن يضعه بين قوسين وينبه اليه فهذا هو العمل الذى لا يقره أحد ٠

● **ونشكر أصدقاءنا السادة : فكرى مبروك ادريس ٠٠ صابر محمود عبد العال ٠٠ سعيد بكر ٠٠ عاصم البرقوقى سامى محمد المصلى ٠٠ رضا ابراهيم عبد المعطى ٠٠**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

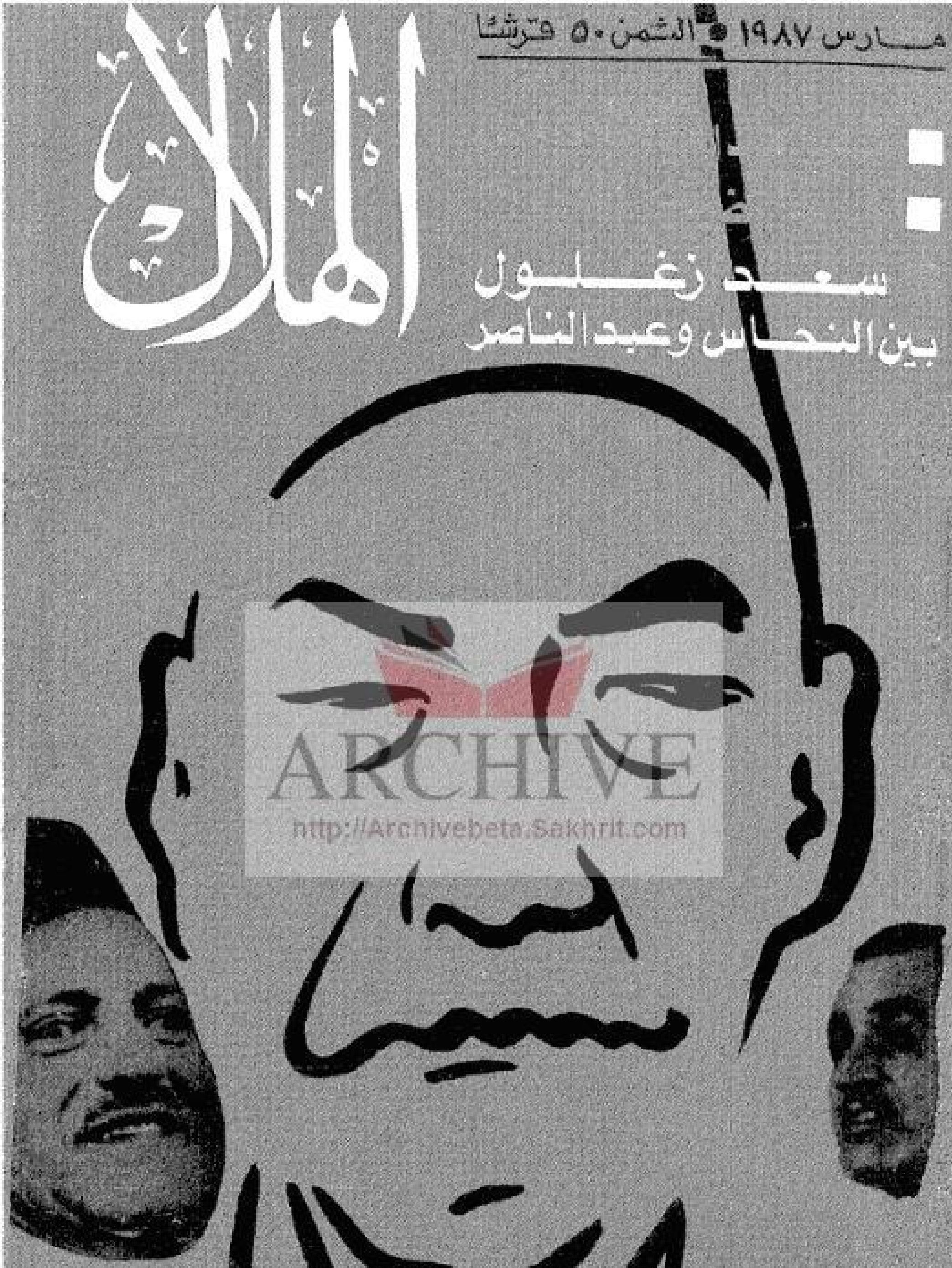
دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

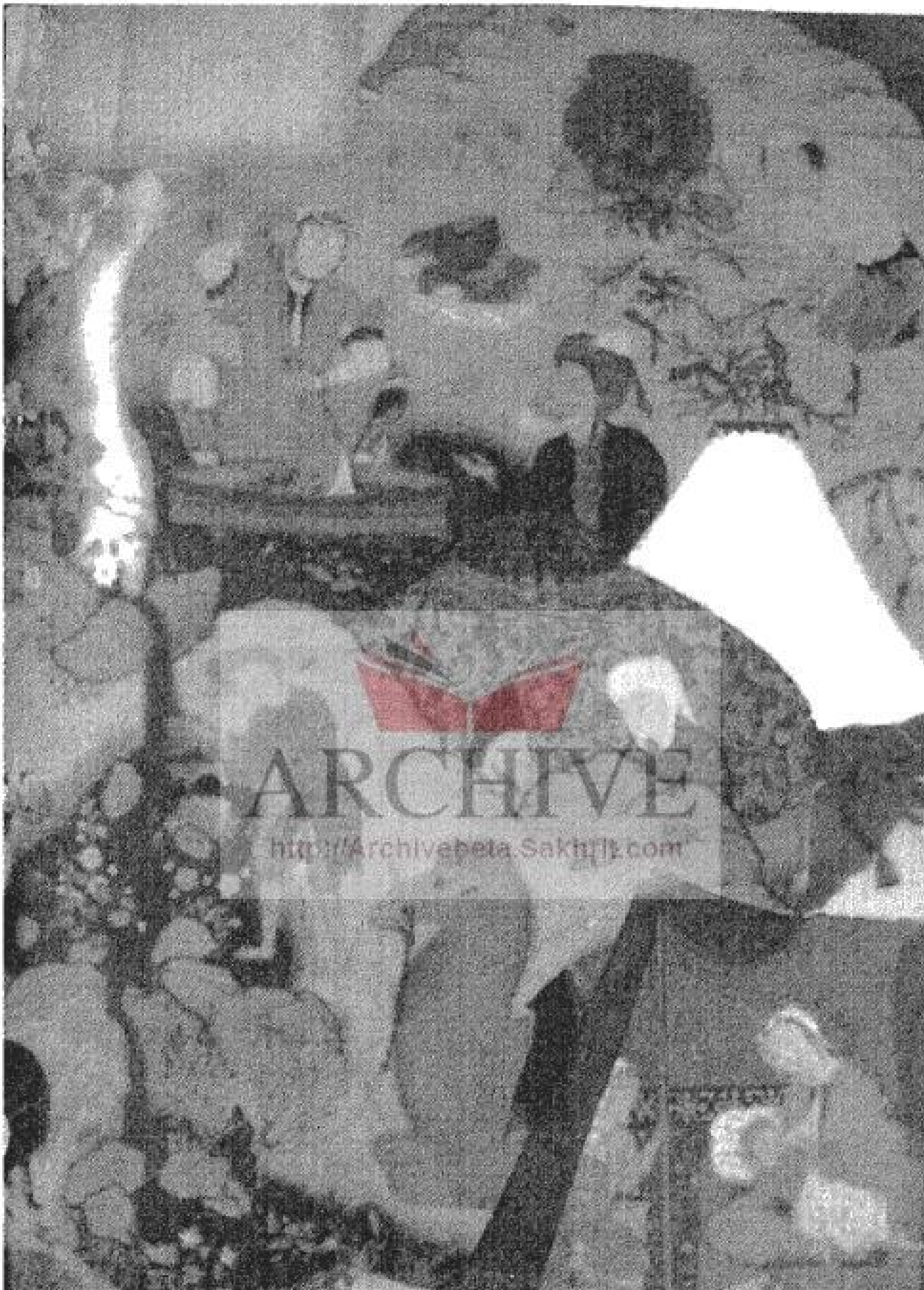
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


٣٠
رحلة أسبوعيا إلى
أفريقيا
٨٦
رحلة أسبوعيا إلى
٦٠
رحلة أسبوعيا إلى
أمريكا
أوروبا
لسيكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..


مارس ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشا
الهلال
سعد زغلول
بين النحاس وعبد الناصر



من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامى ، تحمل عنوان « معسكر بدوى » للفنان الايرانى سعيد على ، وهى احدى خماسيات الشاه « طاه سب » .

واللوحة عبارة عن منمنمات بالغة الدقة ، تميز بها الفنان فى كل لوحاته ، لتصوير دقائق مكوناتها من حيوانات وزهور وبشر ، فى تناسق لونى بديع .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - اول مارس ١٩٨٧ م - اول رجب ١٤٠٧ هـ



الغـــلاف بريشـــة
الفنان : حلمي التوني

في هذا العدد

فكر وثقافة

ص

قضايا ومواقف

من ذخائر الكتب العربية

كتاب الشهر

● العقاد فى ذكراه .. جزء خاص ●

● ملزمة الألوان ●

● شعر وقصة ●

● شخصية العدد ●

● رسائل صحفية ●

● دراسة الهلال ●

● قصة ديون مصر الخارجية "٢"

● الأبواب الثابتة ●

عزيزى القارئ

ثورة ١٩١٩

من سعد زغلول إلى عبد الناصر

شهر مارس هو شهر ذكريات الثورة الشعبية المصرية الثانية فى العصر الحديث .. ثورة سنة ١٩١٩ .

كانت الثورة العرابية هى الثورة الأولى ، اما الثورة الشعبية الثالثة فهى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وسعد زغلول ـ قائد ثورة ١٩١٩ ـ هو أحد أبناء الثورة العرابية .. شارك فيها كاتبا وخطيبا ، وفصل بسببها من وظيفته الحكومية ضمن الموظفين الذين فصلتهم السلطات بعد احتلال البريطانيين للقاهرة سنة ١٨٨٢ .

وخلال بضعة وثلاثين عاما بعد الثورة العرابية ، كانت الظروف السياسية والاجتماعية تعمل عملها الدائب فى إنضاج سعد زغلول لقيادة ثورة ١٩١٩ ، فلم يكن متطفلا عليها بزعامته ، ولم يجىء إليها خفية من « باطن » أشخاص غامضين أو جهات مجهولة .. ولم يكن وريث زعامة قديمة ! .. لقد ولدته الظروف التى





سـعد زغـلـول قائد ثـورة ١٩١٩ جمـال عبد الناصر أكمل رسـالة سـعد

ولدت ثورة ١٩١٩ فاندلع مع الثورة بنفس الطريقة التي اندلعت الثورة بها ! ..

كانت ثورته تطلب الاستقلال التام ، وإلا .. فالموت الزؤام ! ...
ولما عرض سعد وزملاؤه مطلبهم هذا على ممثل الاحتلال البريطاني ذكر لهم ساخرا مستهينا ، أن مصر لبثت ثلاثمائة سنة خاضعة للعثمانين ، فلا يضيرها أن تصبح خاضعة للانجليز الذين هم أكثر تمدنا وعدالة .

ولكن الظروف التاريخية التي أخضعت مصر مئات السنين للعثمانيين كانت قد انقضت ، ونضجت ظروف تاريخية جديدة لاتسمح للاحتلال البريطاني المسلح بالحضارة والتقدم ، أن يبقى في مصـر .. فكانت ثورة الشعب المصرى وطلبه الاستقلال التام ، ثورة جاءت في وقتها ، ومطلبا أعلن في إبانه ، ولم يكن يعيب المصريين أنهم لم يكونوا يعرفون طوال العهد العثماني كلمة « الاستقلال التام » .. لأن هذه الكلمة لم تكن قد دخلت في قاموس الشعوب الشرقية ، وكانت تنتظر عهد نهوض القوميات وانتفاضها على اعدائها ومستعبديها ..

عزيزي القارئ

وهكذا .. حينما جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم تكن طفل أنابيب ، بل كانت وليدا صحيحا نزل من رحم ثورة ١٩١٩ .. وقد لبث الهدف الأساسي لثورة ١٩١٩ ـ وهو الاستقلال التام ـ يرتقب يومه التاريخي ، فكان على ثورة يوليو أن تحقق هذا الهدف ، أو تنسحب من الميدان ، أو تتحول إلى ديكتاتورية عسكرية هزيلة عقيمة كديكتاتوريات أمريكا اللاتينية ! ...

ولكن عبد الناصر الذى كانت حركته العسكرية ثورة شعبية تمتد جذورها إلى ثورتي سعد وعرابي ، استطاع أن يتجنب مصير الانقلابات العسكرية التى يلهو بها تجار الموز والمخدرات فى أمريكا اللاتينية ، وأكمل رسالة سعد ، ثم سار الشوط الكبير بعدها ..

إلا أن ترزية التاريخ فى عهد عبد الناصر ـ وهم يشبهون ترزية القوانين فى عهد السادات ـ حاولوا أن يجعلوا من ثورة ٢٣ يوليو تاريخا قائما بذاته ، معلقا فى الفضاء ، فأزاحوا جميع التحولات التاريخية السابقة ، وفصلوا لثورة يوليو ثوبا فضفاضا تتدفق من جيوبه السحرية جميع حوادث التاريخ ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، كأنما كان هذا الثوب الفضفاض صورة مكبرة جدا لمعطف جوجول المشهور الذى خرج منه جميع كتاب القصة .. فيما يقال ! ..

كان سعد زعيم « الشرق » بالمعنى الذى كان يشمل العروبة والاسلام فى صورة غامضة فى الأذهان ، كأنها حلم رومانسى يفتقر إلى التأويل الواقعى يقول أمير الشعراء شوقى :

لم يَرد « الشرقُ » مثلَ سعدٍ زعيماً
هَزَّهُ مِنْ بِطَاحِهِ وَرِعَانِهْ

كان « الشرق »في عهد سعد رابطة عاطفية عامة بين مصر والعالم العربى ، والاسلامى ، والبلاد الشرقية بعامة . ولم تنضج معالم هذه الرابطة عمليا إلا فى عهد عبد الناصر بفعل عوامل التاريخ العميقة ، فظهر معنى العروبة والاسلام فى مواجهة الصهيونية الغازية والاستعمار الجديد المهيمن بحديده وناره .

حينئذ اندفعت مصر مع أشقائها العرب والمسلمين لمناضلة هذين الخطرين المتحالفين ! ..

ولوعاش سعد حتى واجه هذه الظروف ، لكان له منها نفس موقف عبد الناصر .

إن سعدا كان يطلب الاستقلال والتعامل مع الدولة العظمى الأولى فى زمانه تعاملا متكافئا لايضع كل الثمار فى سلة الدولة العظمى .. ثم جاء عبد الناصر فحقق هذه السياسة واستكملها فى الظروف الجديدة خلال معاملاته مع الدول العظمى فى الشرق والغرب .

إن الثورات المصرية الثلاث استكمل بعضها بعضا برغم الأوهام التى نجمت فى عهد عبد الناصر حول علاقة ثورته بالثورات التى سبقتها ..

فحتى الثورات الماركسية لاتجىء وحيدة من خارج التاريخ وثوراته المتعاقبة ، بل تمهد لها هذه الثورات تمهيدا طويلا على امتداد تاريخ لايمكن لأحد أن ينكره ..

وبين ثورة العبيد القدماء بقيادة سبارتاكوس فى العصر الرومانى ـ عصر الاستعباد والاستبداد ـ وكل ثورة شعبية فى عصرنا صلة رحم لايمكن جحدها ، فكيف يمكن إنكار صلة الرحم بين ثورتين مصريتين لاتوجد فجوة تاريخية بينهما ؟ ! ..

من هم..؟

حملة المباخر وصانعو الطغاة في السياسة وفي التاريخ!

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

صدر الجزء الأول من مذكرات الزعيم سعد زغلول بعد أن ظلت حبيسة حوالى نصف قرن من الزمان . وقد قام على نشر هذه المذكرات الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان وذلك بتكليف من الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وبعد أن زودته وزارة الثقافة المصرية بفريق عمل من الدارسين الذين أعانوه على قراءة المذكرات التى كتب بعضها بخط يصعب فك طلاسمه . والحق أن الجهد الذى بذل فى هذا المضمار جدير بالتقريظ ، خاصة وأن د . عبد العظيم رمضان قد زود النص المنشور بكثير من الشروح والتعليقات المفيدة . ونرجو أن يتوالى نشر ما تبقى من المذكرات لتكون فى تناول المؤرخين وغيرهم من المهتمين بالدراسات التاريخية والقومية .

وترجع أهمية مذكرات سعد زغلول إلى أن كتابة المذكرات السياسية وقت تفاعل الأحداث لم تتأصل بعد فى تراثنا الفكرى . وربما كان هذا مرتبطا بالتقلبات السياسية العاصفة التى لا ترحم والتى يخشى أن تتسبب فى متاعب لكاتب المذكرات فيما لو تسربت الى أيدى خصومه ، خاصة وأن كثيرا من الشخصيات العامة قد تعرضوا للقبض عليهم وسجنهم وتفتيش مساكنهم ، مما





جمـال عبد الناصر

ظلت المذكرات حبيسة فى خزانة بنك مصر باسم مصطفى النحاس ، ثم نقلت الى بهى الدين بركات ، وجاءت ثورة ٢٣ يوليو فأقامت مركز الدراسات التاريخية التى نشرت هذه المذكرات

دعا بعضهم إلى إعدام مذكراتهم وأوراقهم الخاصة حين لاح الخطر ، أو تخبئتها فى أماكن قد لا يهتدى إليها أحد فيما لو تعرض أصحاب هذه المذكرات والأوراق للموت المفاجىء . وقد ترتبط قلة ما وصل إلى أيدينا من مذكرات الساسة بأن الكثيرين منهم تستغرقهم النشاطات السياسية ولا تفسح لهم مجالات لتدوين خواطرهم ، خاصة وأن التقاعد السياسى أمر نادر الحدوث فى بلادنا وفى سائر بلدان العالم الثالث . هذا إلى ضعف الإحساس لدى كثير من هؤلاء الساسة بالمسئولية التاريخية . إذ أن مثل هذه المذكرات ، أيا كانت محترياتها ، توفر دروسا عملية للأجيال الصاعدة مهما كانت انتماءاتها السياسية . حقيقة لقد نشرت مذكرات سياسية جرت كتابتها بعد مرور بعض الوقت على الأحداث الواردة فيها إلا أنها افتقدت الدقة بحكم أن الذاكرة كثيرا ماتخون صاحبها ولأن تفسير الأحداث قد يتخذ أحيانا شكلا تبريريا على ضوء التطورات التى حدثت بالفعل . لهذا كله فإن من الأصوب أن يطلق على ما يكتبه الساسة عن الأحداث الماضية بعد مرور فترة طويلة على حدوثها اسم "الذكريات" لا المذكرات .

أما فى البلدان المتقدمة التى ينعم فيها الفرد بقسط أوفر من الحرية فإننا نجد أن كثيرا من المسئولين يدونون خواطرهم بانتظام ويحتفظون بأوراقهم الخاصة ، رسمية وغير رسمية ، حتى إذا ما وافاهم أجلهم تركوا للأجيال حصيلة من المادة التى من شأنها أن تلقى الضوء على كثير من الجوانب المرتبطة بحياتهم الشخصية أو بالتطورات العامة التى لعبوا أدوارهم فيها أو كانوا بالنسبة إليها شهود عيان ، وليس معنى هذا أن مثل هذه المذكرات والأوراق الخاصة هى المصدر الوحيد للمعلومات ، إذ أنها قد لا تخلو من الخطأ أو التحيز ، وبالتالى وجب الاعتماد على غيرها من المصادر حتى تكتمل الصورة ،

حملة المباخر وصانعو الطغاة في السياسة وفي التاريخ!

واضعين في عين الاعتبار ان الحكم التاريخي قابل باستمرار لإعادة التشكيل على ضوء ما يستجد من المادة ومن التفسيرات .

● دور هام على مسرح السياسة

ولا نعرف السبب الذي جعل سعد زغلول يهتم بكتابة مذكراته منذ أوائل القرن العشرين ، أي قبل أن يصبح شخصية عامة مرموقة ، فهل ياترى أنه تأثر في ذلك ببعض من اتصل بهم من المصريين والأجانب ؟ أم أنه كان على ثقة بأن الأيام تدخر له دورا هاما على مسرح السياسة المصرية ؟ أم أنه جعل منها متنفسا لانفعالاته وأفكاره التي لم يشأ أن يطلع عليها أحدا ؟ وأيا كان الدافع من وراء كتابة هذه المذكرات فإن سعدا كان أمينا مع نفسه وصريحا في إبداء آرائه وملحوظاته وحبه وكرهه وأمانيه

والجزء الذي نشره د . عبد العظيم رمضان من مذكرات سعد زغلول ، وهو الجزء الذي يغطي الفترة الممتدة مابين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٨ ، يتصل بتكوينه السياسي قبل أن يصبح زعيما للشعب المصري منذ ثورة ١٩١٩ . فهو وطني على طريقته الخاصة دون أن يلتحق بأحد الأحزاب السياسية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين ، كما كان على صلة بالدوائر الإنجليزية بحكم منصبه الوزاري ولكونه موضع إعجاب اللورد كرومر حاكم مصر الفعلي آنذاك ولمصاهرته لمصطفى فهمي باشا الذي تعاون مع دوائر الاحتلال أثناء ترؤسه لمجلس الوزراء لأكثر من عشر سنوات ، وبالإضافة إلى هذا فإنه كان أميل إلى المدرسة الفكرية التي ضمت المعتدلين من تلامذة الشيخ محمد عبده ولم تستنكف اقتباس بعض منجزات الحضارة العربية دون مساس بأسس الدين الإسلامي مما جعل منها مدرسة إصلاحية وليست ثورية ومن ثم ميل هذا الفريق من المصريين إلى مهادنة المحتل والتعاون معه بهدف إقناعه بالقيام بالإصلاحات المغضبة بالتدريج إلى الاستقلال إذ أن هذا ، في رأيهم ، أجدى من التطرف القائل بألا مفاوضة إلا بعد الجلاء ! وحكمنا هذا على سعد زغلول واتجاهاته قد جرى تسجيله منذ فترة طويلة ، وذلك عن قناعة مستندة الى الشواهد التاريخية المدونة سواء في مذكرات سعد زغلول أو في مختلف الدراسات التاريخية التي دونها معاصروه وغيرهم ، وهو حكم لا يشكل مطعنا في سعد ومن نحا نحوه من الساسة المصريين الذين ركزوا على الإصلاح باديء ذي بدء قبل الحصول على الاستقلال وأستندوا إلى سلطات الاحتلال للضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية في الوقت الذي لم يعد لمصر فيه سند في المجال الدولي نتيجة لضعف الدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية على البلاد وتخلي فرنسا عن مساندة



سعد زغلول ومصطفى النحاس ناضلا من أجل استقلال مصر ونيل حريتها

الحركة الوطنية المصرية فى أعقاب عقدها الوفاق الودى مع بريطانيا فى عام ١٩٠٤ .

● إسراف فى النرجسية

وبعد هذه العجالة أنتقل إلى المقدمة التى ضمنها الدكتور عبد العظيم رمضان تحقيقه للجزء الأول من مذكرات سعد زغلول ، ويلحظ قارىء هذه المقدمة بادىء ذى بدء أن كاتبها لم ينح منحى التواضع الذى لابد أن يتحلى به المتوفرون على البحث العلمى الذين لابد لهم أن يثمنوا الجهود التى بذلها سابقوهم حتى ولو اختلفوا مع الأحكام التى توصلوا إليها . وبدلا من ذلك تجده مسرفا فى النرجسية وكأنه قد أنجز مالم يستطعه الأوائل ! وربما يكون استعراض المحقق لعضلاته فى أكثر من فقرة وبين ثنايا السطور مرتبطا بانتظامه فى الكتابة المنتظمة فى عدد من المجلات مما لا يدع له مجالا لمراجعة ما يكون قد كتبه ؟ فهو ، مثلا ، يصف قيامه بتحقيق المذكرات بأنه "محنة حقيقية" .. و"متاعب مضاعفة" .. و "جهد هائل" ، معتمد الغمز واللمز والتعريض بمؤرخى مصر الحديثة باستثناء حفنة ممن وصفهم بالانتماء إلى "اليسار الوطنى" - بل إنه يكرر فى أكثر من مناسبة أنه "وطنى" مع أن هذا من نافلة القول . ولست أدرى سببا واضحا لتعريضه برسالتى الماجستير والدكتوراه اللتين تقدم بهما الدكتور عبد الخالق لاشين - تحت إشرافى - عن الدور الذى لعبه سعد زغلول فى السياسة المصرية . ولوضع النقاط على الحروف لابد أن أشير إلى أن لاشين والمشرف عليه لم يقوما بتدريس المواد التى فرضت فى فترة ما على الجامعات المصرية وأطلق عليها اسم المواد القومية ، كما لم يخطا سطرا فى هذا المجال أو يقوما بمدح أو هجاء هذا أو ذاك من الحكام سواء قبل قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ أو بعدها ، بل لم تكن لهما انتماءات سياسية حزبية ضيقة من شأنها

حملة المباخر وصانعو الطغاة في السياسة وفي التاريخ !

ان تفرض تفسيرا معينا للأحداث السياسية أو تقويما معينا لمن نشطوا على الساحة السياسية . لهذا كله فإن كتاباتهما التاريخية لم تتصف بالالتزام الضيق ، بل إنها لا تعدو كونها رؤية معينة قد تصيب وقد تخطىء .

وكنت قد لفت النظر في تقديمي لدراستي لاشين إلى "ضرورة احترام منجزات المنهج العلمي المستند الى تحرى الحقائق وضبطها والسيطرة على الانفعالات العاطفية الطارئة" و "ترسيخ النظرة العلمية وتعويد القراء عليها" . كما ركزت على مزالق عبادة البطولة أيا كان "البطل" أو المترجم له سواء أكان بطلا بالفعل أم لم يكن ، وناديت بضرورة إبراز الأحداث فى إطار الطبيعة البشرية بما فيها من نواحي القوة والضعف ، ورغم كل هذا ينبرى الدكتور عبد العظيم ، الذى بدل "أبطاله" بين وقت وآخر حسب مقتضى الحال ، ليسخر من منطلقاتنا العلمية ، ملمحا إلى أن لاشين والمشرف على بحثيه - مع تحميل هذا الأخير ضمنيا مسئولية فرض اتجاه ما على تلميذه - وهو مالم أوصف به على الإطلاق خلال حياتي العلمية - وقد انضما إلى جوقة مزيفى التاريخ تحت ستار مقاومة عبادة البطولة ، وهكذا نجده ينصب نفسه محاميا عن سعد زغلول لا مؤرخا نزيها - وبذلك انزلقت قدماه إلى ركب "حملة المباخر وصانعى الطغاة" الذين سبق لى أن أشرت إلى خطورة نشاطاتهم سواء فى مجال السياسة أو فى مجال التاريخ . وأحب أن أكرر أننى أقاوم القوالب المصبوبة فى الحكم على الشخصيات التاريخية وأومن بالاجتهاد الحر الذى قد يصيب وقد يخطىء دون أى التزام أو أى مصلحة إلا وجه الحقيقة وتحرير الدارسين من الأوهام الموروثة والمصالح الضيقة .

وليس من قبيل النقد العلمي فى شىء أن يذهب الدكتور عبد العظيم رمضان إلى أن لاشين "عرض موضوعيته العلمية للتساؤل" وأنه "استخدم النصوص فى توجيه الاتهامات لسعد زغلول وإدانته سياسيا ووطنيا" وجارى خصوم سعد السياسيين ، مفترضا أن مؤرخ سعد لابد أن يشيد "بزعامته المقدسة" وأن يصول ويجول فى دنيا "العبقريات" وأن يجسم الإيجابيات ويغض الطرف عن السلبيات . "فمن لم يرتكب منكم معصية فليرمها بحجر" !

واكتفي بهذا القدر في هذه المرحلة دون أن أناقش مقدمة الدكتور عبدالعظيم رمضان مناقشة تفصيلية أو أعمد إلى تضخيم بعض الهنات الهينات الواردة فيها ، وأخيرا لابد لى أن أعبر عن تقديرى لجهود المحقق السابقة فى حقل الدراسات المتعلقة بتاريخ مصر الحديث والمعاصر لا فى حقل الصحافة ! ولا أود له أن ينساق وراء انفعالات وتيارات قد تسىء إلى رصيده العلمى

الحقائق الغائبة في نشر مذكرات سعد زغلول

بقلم : د. عبد الخالق محمد لاشين

صدر الجزء الاول من مذكرات الزعيم سعد زغلول التي تعاقدت الهيئة العامة للكتاب على نشرها مع الدكتور عبد العظيم محمد ابراهيم .

وقد انتهز الدكتور « المحقق » هذه الفرصة ، فكتب تقديما لهذا الجزء الاول من المذكرات ، اقل ما يوصف به انه استغلال ضيق ، لعمل يفترض ان يتم بشكل علمي موضوعي . طبقا لقواعد علمية مستقرة ، وهو بعمله هذا وضع اموال الدولة ووزارة الثقافة في خدمة اهداف خاصة . .



الحقائق الغائبة في نشر مذكرات سعد زغلول

أود أولا أن أعبر عن سعادتي المغامرة ببداية نشر مذكرات الزعيم الراحل سعد زغلول عن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ضمن خطة المركز التي اختطها منذ فترة بعيدة لتحقيق ونشر مذكرات وأوراق القادة والساسة ورجال الحكم وغيرهم ، والتي قطع فيها المركز شوطا يتناسب مع ظروفه وامكانياته ، والتي كان من بينها أوراق ومراسلات ومذكرات كل من مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمد على علوبة وغيرهم ٠

وغنى عن البيان أن مذكرات سعد زغلول تعاصر فترة خصبة وهامة من تاريخنا القومي شهدت خلالها البلاد تطورات هامة تعاظمت معها الحركة الوطنية المصرية ودورها وأساليب نضالها والتى بلغت ذروتها باندلاع ثورة ١٩١٩ المجيدة وما كانت تهفو اليه جموع المصريين الذين وقع على أكتافهم عبء الثورة وتضحياتها ٠ ومن هنا فان هذه المذكرات تلقى أضواء هامة على الكثير من خفايا هذه الفترة خاصة أن كاتبها كان على ارتباط واسع بشتى القوى والتيارات الفاعلة فيها وتصدر خلال جزء منها قيادة الرأى العام وزعامة الثورة ٠

ومن المعروف فى الاوساط العلمية الاكاديمية أننى كنت أول باحث يطلع على هذه المذكرات اطلاعا متأنيا ودقيقا ويستفيد بها علميا وبذلك فتحت الباب لغيرى من الباحثين للاستفادة مما حوته من مادة تاريخية حيوية وهامة ، وبذلك أضيف مصدر تاريخي جديد فى حقل الدراسات التاريخية المصرية المعاصرة ٠

ومن هنا فان نشر هذه المذكرات يعد عملا علميا بالدرجة الاولى يذكر للمركز الذى تبنى ذلك المشروع ، كما يذكر للسادة الباحثين الذين تولوا هذه المهمة القومية أو أشرفوا عليها ٠ خاصة اذا ما أخذنا فى الاعتبار العديد من الصعوبات والمشكلات التى تكتنف نشر هذه المذكرات بصفة خاصة وتقف فى مقدمتها رداءة الخط الذى كتبت به معظم صفحاتها بحيث يصعب بل يستحيل على الكثيرين قراءتها ومتابعتها ٠

جهد بذله الغير !

لكل ذلك وغيره أجدنى أول من سعد ببداية خروج هذه المذكرات الهامة الى النور وأهنىء مصر والباحثين وكل المهتمين بذلك الحدث ٠ وآمل الا يتوقف العمل فيه بعد برود دفقة الحماس الاولى هذه كدأبنا فى معظم أعمالنا اكتفاء بتحقيق غاية قريبة أو مصلحة ذاتية أو غير ذلك ٠

ولقد كان من الممكن أن تسير عملية النشر هذه بشكل علمى دون أن تصاحبها ضجة اعلامية موجهة تورط فيها — من أسف — الدكتور عبدالعظيم محمد ابراهيم ٠ الذى انتهى به الامر الى أن وضع اسمه على الجهد المضنى

الذى بذله غيره من بعض باحثى مركز تاريخ ووثائق مصر المعاصر .
واغلب الظن أن دوره اقتصر على توجيههم نحو تحقيق واقعة أو جمع مادة أو ترجمة لشخصية أو تصحيح لقراءة كلمة أو عبارة وما الى ذلك ، فضلا عن انفراده بكتابة تقديم للمذكرات قسمه الى قسمين : الاول ويقع في تسع وثلاثين صفحة فقط يتناول دراسة المذكرات نفسها !!! - وهو الامر الذى كان يمثل صميم تكليفه ومهمته !! . أما القسم الثانى فيقع في تسعين صفحة خصصها جميعا للرد على كتابى عن سعد زغلول حتى ١٩١٤ وجعله تحت عنوان « سعد زغلول بين الحقيقة والافتراء » .

وقد راح صاحب المقدمة بتنقيها - دكتور عبد العظيم محمد - جريا على عادته فى سبل كتاباته الصحفية الذى لا يتوقف ، يشيد بجهده وذاته واعبائه وادواره الوطنية في نوع من التضخم الذاتى العجيب والاستعلاء غير المحمود وغير المعهود فى المشتغلين بالبحث العلمى ، كما انه راح يوزع التهم والتجريح على غيره من الباحثين والكتاب والمؤرخين دونما ادنى سند علمى أو موضوعى ، وكأنه يمسك بيديه مفاتيح العلم والوطنية !!

وقبل أن استرسل فى عرض بعض ملاحظات عامة وسريعة حول ما كتب أود أن أطرح عليه سؤالا محددا هو : « لماذا يا أخ عبد العظيم يا مؤرخ الحركة الوطنية المصرية لم تحاول - مجرد المحاولة - أن تطلع على هذه المذكرات التى تزعم الان بأنك وحدك « الامين » عليها دون غيرك ؟؟ أليس فى ذلك نقص معيب فى عملك وجهدك يحسب عليك ؟؟ وتركت لغيرك عبء ريادة الاطلاع عليها وفك طلاسمها وفتح مغاليقها » .

التهجم على عمل علمى

ودون أن أحاول التعرض لظروف عقدك « المشبوه » مع المركز بشروطه « غير المسبوقة » ومنها اشتراط باحثين معينين دون غيرهم . فتلك قصة أخرى جديرة بالتأمل والفحص والمساءلة .

وفيما يتعلق بتعريفه بالمذكرات - على ضآلته وضحالته - نسوق عدة ملاحظات أولية أهمها :

أولا : أنه استهل الكتاب بعبارة اقتبسها من المذكرات تقول « ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات » . بينما كانت الامانة تقتضى أن يورد الكاتب النص بكامله حيث ذكره سعد فى معرض تأنيبه لنفسه حين كتب « ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات ومن حكمهم على تمكين القمار من نفسى ورسوخ أصوله فى قلبى » المذكرات كراس ٢٨ فى ١٩١٨/٥/١٣ ص ١٥٨١ .

وقد حرصت - أسفا - على ايراد هذه العبارة كاملة كى يكتشف القارىء الاسلوب الذى اتبعه الدكتور عبد العظيم محمد فى اقتباس النصوص وكيف أنه - وهو الذى يهاجم غيره يتعامل مع نصوصه ، جريا على قاعدة « ولا تقربوا الصلاة » . وهو بأسلوبه هذا اندفع للتهجم على عمل علمى لى اشترك فى تقييمه والحكم عليه لجنة ضمت ثلاثة من اكبر مؤرخى مصر المعاصرة ندر أن اجتمعت فى تقويم عمل علمى واحد آخر .

(وهم المرحوم أ٠د٠ أحمد عزت عبد الكريم والمرحوم أ٠د٠ محمد أحمد أنيس وأ٠ د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى) ٠

ثانيا : أنه وهو المعنى بتحقيق المذكرات وضبط قراءتها والذى يزعم أنه أنفق مع لجنته ومعاونيه الكثير من الوقت والجهد ، أحصيت له فى مراجعه سريعة لبضع صفحات محدودة من صدور المذكرات التى نشرها ما لا يقل عن ستة وثلاثين خطأ فى القراءة لعدد احدى عشرة صفحة فقط جاءت فى الكراسة الرابعة المنشورة بين صفحات ١٥٩ ــ ١٧٠ من الكتاب ٠ وقد يدهش القارىء اذا عرف أنها تتناول فقط أرقام حسابات بناء بيته الجديد ومصاريف المنزل وتعليقا موجزا على تعيينات قضائية جديدة ٠ أى أن هذه الاخطاء جميعا جاءت لصفحات تضم أرقاما وحسابات فى مجملها ٠ فما بالنا بما يمكن ان يكون عليه حال الاخطاء فى المذكرات التاريخية مع ما تتناوله من قضايا ووقائع وشخصيات وأحداث وما الى ذلك ٠ وهل يسمى ذلك عملا علميا ؟٠ (الاخطاء تحت يدى لمن يود الرجوع اليها) ٠

ثالثا : ان الدكتور عبد العظيم محمد أجهد نفسه فى نقد الدراسة التى أوردناها فى نهاية كتابنا عن المذكرات والترتيب الزمنى الذى اقترحناه لها على حين اننا نجده قد استفاد الى أبعد حد بما أوردنا وبترتيبنا الزمنى المقترح وسلم فى نهاية مكابرته وجدله ، الديالكتيكى ، بالصعوبة البالغة لاى ترتيب زمنى دقيق للمذكرات ، نظرا لما قد يعرفه هو وغيره من الباحثين من صعوبة أو استحالة ايجاد ترتيب زمنى متتابع الا اذا جاء ذلك على حساب تفتيت وحدة الكراسات والكشاكيل ٠ وهو الامر الذى لم أكن أفكر فيه عند اعداد دراستى أو نشر كتابى لاننى لم أكن معنيا بنشر المذكرات ، ولكن كما ذكرت بالحرف الواحد فى كتابى ، نقترح أن تحفظ به حتى يسهل على الباحثين والمؤرخين متابعتها زمنيا ، (راجع كتابى ص ٢٧٧) ٠ وهو أمر يثبت أن هدفنا من وراء ذلك كان تسهيل مهمة الباحثين فى الرجوع الى المذكرات خلال حفظها وليس تحقيقها أو نشرها وهو الامر الذى لم يدركه الكاتب ٠ فماذا فعل هو الان وهو المكلف ــ بعقد ــ على مدى سنوات عديدة ــ كما ذكر ــ ومعه لجنة من الباحثين والمعاونين ، ويقدم له المركز كل التسهيلات اللازمة والممكنة ؟؟

رابعا : لعل كاتب التقديم دكتور عبد العظيم محمد يعلم ــ هو وغيره ــ اننى كنت ولم أزل أتمنى أن تنشر هذه المذكرات ــ ليس كسبا لشهرة أو مصلحة أو منفعة مادية ــ وهو أمر كان بمقدورى تماما لو شئت ذلك لانى عشت مع هذه المذكرات بكل عقلى وجوارحى سنوات طوال خلال فترة الاطلاع عليها ما بين عملى فى اعداد رسالة الماجستير أو الدكتوراه ومابعد ذلك وحتى الان وفككت معظم ــ ان لم يكن كل ــ طلاسمها وألغازها ٠ ومع ذلك حرصت على أن أحترم وصية سعد زغلول فى أسلوب نشرها ــ على

النحو الذى أورده الكاتب فى تقديمه ص ٢٦ ـ ٢٧ وبذلك كان هو وغيره اول من أساء الى هذه الوصية وما يترتب عليها من حقوق لورثته ، والتى كانت وربما لم تزل ـ حسب علمى محل خلاف قضائى · وربما يكمن السر وراء ذلك فى تحقيق أهداف قد لا تخفى على أحد ·

خامسا : أن كاتب التقديم دكتور عبد العظيم محمد ـ ومعه غيره ـ اعتبروا عزوف المركز والهيئة عن ارسال أجزاء المذكرات المصورة اليه فى لندن ـ عندما سافر اليها ـ بأن « المتاعب » التى توقعها قد تحققت ـ راجع ص ١٤ من المذكرات ـ فكيف سمح لنفسه بمثل هذا اللون من التفكير غير الواقعى وغير الموضوعى · ألم يسائل نفسه كيف يمكن أن يسمح بخروج مثل هذه الوثائق الهامة خارج حصنها الطبيعى ـ ونعنى به دار الوثائق القومية · فما بالنا بخروجها الى « لندن » خارج الديار المصرية برمتها !! ولا نود أن نتقدم أبعد من ذلك بأسئلة أخرى · ولكن يكفينا فقط الان مجرد طرح هذا التساؤل ·

سادسا : أن الدكتور عبد العظيم محمد سمح لنفسه على غير بينة أو يقين بأن يتهمنى بأننى حكمت فى نهاية دراستى عن سعد زغلول حتى عام ١٩١٤ ـ ومن قبل أن أبدأ الدراسة الثانية للدكتوراة عن الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩٢٧ ـ حكما مسبقا على سعد زغلول ككل · ولعله لا يعلم وبالقطع فانه لا يعلم لسبب بسيط سنوضحه هو أننى ما أصدرت هذا الحكم فى نهاية الدراسة الاولى الا بعد أن كنت قد اطلعت على كل ما كتب عن سعد وعن الفترة برمتها ، بل اننى رحت أتتبع كافة الكتابات والمصادر اللاحقة حتى نهاية الاربعينيات ـ كما هو ثابت فى مصادر الدراسة الاولى المنشورة ، وبذلك كانت الصورة الكلية قد وضحت واستبانت لى تماما ، وهو أمر لا يدركه دكتور عبد العظيم محمد الذى يصطنع لنفسه اسلوبا غريبا ـ كما هو شائع بيننا فى الاوساط الاكاديمية ـ بأن « يجتزىء » أى عمل يقوم به حيث لا يجمع مادة موضوعه ككل دفعة واحدة ، وانما يقوم بجمع مادة كل فصل او جزء فيه على حدة ـ كما لو كان موضوعا مستقلا ـ ليكتب ذلك الفصل أو الجزء وينتهى منه ليعود مرة أخرى لجمع مادة فصل جديد وهكذا ··· وهو أسلوب أقل ما يوصف به انه أشبه بتجارة التجزئة · وبذلك تخرج دراساته وأعماله فى مجملها أبعد ما تكون عن الرؤية العلمية الشمولية ·

سابعا : اننى لا أود أن أوسع دائرة نقدى للدكتور عبد العظيم محمد وأعماله حتى لا أخرج عن حيز ما مسنى بقلمه لان معظم أعماله وما أكثرها ـ فى تقديرى ـ لا ترقى الى مستوى النقد العلمى لانها تخرج عن نطاق الدراسات التاريخية لتقرب من التحقيقات الصحفية غير الجيدة ، لا يتحرى فيها أى دقة علمية أو موضوعية منهجية أو تعتمد على مصادر علمية موثوقة أو غير ذلك · وأخطر ما فيها أن البسطاء من الناس من شعبنا قد يحسبونها تاريخا لا لشىء الا لمجرد أنها تصدر عن واحد يذكر أنه يشتغل

بالدراسات التاريخية ، وتلك لعمرى مفسدة مرتين : مرة للتاريخ والمشتغلين به ، والاخرى للرأى العام المصرى ووعيه · ويكفينا فقط أن نذكره بالبيت القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليما

ثامنا : أن الدكتور عبد العظيم محمد تذكر بعد كل ما قدم وفعل واحدة من أهم قواعد البحث التاريخى العلمى نعلمها لطلابنا ـ طبقا لنص ما ذكر ص ٢٣ ـ حيث يكتب « وليس معنى ذلك قبول هذه المذكرات بوصفها تاريخا ، فالتاريخ يكتبه المؤرخون وفقا لقواعد منهج البحث العلمي التاريخي ، وانما معناه قبول الوقائع الواردة فيها بوصفها رؤية زغلولية لهذه الوقائع ! » هكذا تذكر ·

فكيف له وهو يعلم ذلك أن ينصب نفسه قيما ووصيا ليس على مذكرات سعد ـ التى رأينا طرفا مما فعل معها وبها ـ ولكن على تاريخ مصر القومى · وادهى من ذلك انه كان أبعد ما يكون عن الامانة والموضوعية العلمية فى كتابته عن القسم الثانى من تقديمه للمذكرات والذى يتعلق ١٠ بـ على دراستى المشار اليها ، والتى بلغت اكثر من ضعف حجم أ ف العلمى الموكول اليه ، فراح يجتزىء من غير فهم او دقـة بعض اد رات والنصوص التى قد تخدم هدفه وقضيته ، جريا على عادته التى اشرد الى طرف منها فى صدر ربما هذا كنموذج لما فعل · وذلك امر امسك قلمى عن الخوض فيه أو التعرض له ليس ترددا أو ضعفا · ولكنى احذره من أن يمس سمعة الشرفاء العلمية والوطنية وأعتقد أن أى منصف لقرا ا كتب وما كتبت يستطيع أن يتبين الغث من السمين وأينا كان القوم سـ · وأرد أن أذكره فقط بأن الزمن لا يتوقف وبأن القافلة تسير ·

وأخيرا فاننى أحتفظ لنفسى بكافة الحقوق تجـاه كـل ما مسنى من كتابته ، وهو الذى ربما أثر أن يستثمر رسالته العلمية بأسرع ما يمكن وبأى وسيلة تعويضا لظروف ادركته نقدرها تماما ، الا أنه بمسلك هذا شكل مع من هم على شاكلته نمطا فريدا ممن ادركوا الجامعة من أبوابها الخلفية فاتلفوا بذلك العلم والجامعة والمجتمع ، وراحوا ينسبون الفساد الى غيرهم ، واحالوا العلم والجامعة الى « بوتيكات » جديدة ·

تلك هى بعض الملاحظات السريعة ـ التى سمح بها المقام والمقال ـ لما قدم ونشر · ونستبقى لملاحظاتنا التفصيلية وتصريباتنا غير المتناهية مجالا آخر ·

وبالرغم من كل ذلك فانى مخلصا أدعو له بالصحة والعافية وطول البقاء ·

قضايا ومواقف

حول أزمة تعاملنا مع التراث العربي

بقلم : حسين أحمد أمين

●● أبدأ بملاحظة عامة : هي أن تكرر طرح الاشكاليات منذ عصر الطهطاوى إلى يومنا هذا من السمات المؤسفة لمجتمعنا الاسلامى : ففى المجتمع الغربى مثلا ، تطرح الاشكالية للمناقشة بين الخصوم ، ثم ينجم الحلّ إما بالوصول الى صيغة وسط ، او بتغلب مذهب هو أكثر مسايرة لاحتياجات العصر ، وينتقل المجتمع بعد ذلك إلى مجابهة اشكالية جديدة ، فلا يعود الى النظر فى اشكالية سبق طرحها إلا فيما ندر . اما فى مجتمعنا الاسلامى فإن المشكلة تُطرح وتُحل ، ثم تُطرح مرة أخرى بصياغتها العتيقة وتُحل ، ثم تطرح ثالثة ورابعة ، وكأنما نحن فى دائرة مغلقة لا نعرف كيف نتجاوزها الى غيرها . وعلى سبيل المثال : من ذا بوسعه أن يصدّق او يُسيغ العودة الى مناقشة قضية حجاب المرأة على نفس النحو الذى تصدّى له به قاسم امين وخصومه منذ أكثر من ثمانين عاما ، وبنفس الحجج والأسانيد القديمة ؟!

ومن تلك القضايا التى يتكرر طرحها فى مجتمعنا الاسلامى ، بصيغ مختلفة ، قضية الأصالة والمعاصرة ، وإن كان هذا التكرر ينطوى على بعض الاختلاف فى طبيعته عن الاشكاليات الأخرى . فهى قضية لم يصل بصددها اى جيل إلى حل مُرضٍ أو إلى اى تقدم ، عكس قضية تحرير المرأة مثلا . وتكرر الطرح كرّة بعد أخرى ، هو فى

كل مرة في صورة اشد عنفا وحدّة ، إنما يعني أن المشكلة تزداد تعقدا بمضى السنين ، وأن الوضع يزداد تأزّما . فالازدواجية وفصام الشخصية لدى أبناء مجتمعنا ينموان نموا ينذر بأن تضحى امتنا آمتين على نحو وصف كارل ماركس للمجتمع الانجليزي في زمنه . وقد اوضحت في كتابي "دليل المسلم الحزين" بدايات الأزمة وارجعتها الى طبيعة نظام التعليم المزدوج الذي فرضه محمد على وغيره من ولاة أقطار الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر . واضيف هنا انها أزمة ترتبط ارتباطا وثيقا بتزعزع الثقة بالنفس ازاء التفوق المادي والحضاري للفرنجة وبالتالي فإنه كلما ظهرت في مجتمعنا من الأسباب والدواعي مايعيد الى أبنائه بعض هذه الثقة المفقودة ، ويرد اليهم قدرا من الايمان بالمستقبل ، خفت حدّة الاشكالية وهو بالضبط ماحدث ويحدث في فترات المدّ في الحركة الوطنية

● أزمة تعاملنا مع التراث ●

إن هناك بالقطع أزمة في تعاملنا مع التراث وفي تحديد موقفنا من المعاصرة والسبب في رأيي يتصل بحدّة الازدواجية التي أشرت اليها ، وهي ازدواجية أساسها عجز المتفرنجين منّا عن استساغة التراث وَوَصْل مابينهم وبين ماضيهم ، وعجز السلفيين عن المعاصرة والاستفادة من حضارات الغير ، وعجز هؤلاء وأولئك عن تمثل مختلف الاتجاهات ، والخروج منها بناتج جديد متجانس ، له ما لتلك الاتجاهات من الاستقلال وقديما قالت العرب « إذا سمعت الرجل يقول : (ماعند الله خير وابقى) ، فاعلم أن في جواره وليمة لم يُدع اليها »! فالعنب إذن هو في العادة حصرم ثم اذا بهذا العجز من أولئك وهؤلاء يتبلور في عداء كلٍّ لموقف الطرف الآخر ، دون أن يحقق أي منهما الانسجام المنشود .

ولا اعتقد أن مجتمعات كثيرة غيرنا تعرف مثل هذه المشكلة العقيمة فالغربي مثلا إن قرأ فإنما يقرأ توما الاكويني اليوم ، وبرتراند راسل غدا ، ثم افلاطون بعد غد ، كتبهم جميعا ضمن سلسلة واحدة ، على رف واحد ، في مكتبة واحدة ، لا يقال عنه انه تراثي إن فضّل اسخيلوس ، أو انه عصري إن هو آثر ديرنيمات ؛ ويدخل كل هذا في تكوينه ليجعل منه الانسان الذي هو عليه لا مشكلة ولا حيرة ولا إحساس بالتمزق . مشكلة العربي المعاصر هي إذن كمشكلة امرىء يحاول تدارك صعوبة حمل العديد من صحون الطعام في يدين اثنتين ، بينما الغربيّ اشبه بمن أكل منها جميعا وتمثلها فسرت في بنيانه وصارت الى هيئة جدّ مخالفة . وعندي انه في مقدورنا تحقيق مثل هذا الانسجام متى اتخذنا من تراثنا ومن حضارات الغير موقفين مغايرين لموقفنا اليوم .

من تراثنا : بحيث لا يكون الهدف من الاقبال عليه الهروب من حاضر ثقيل الوطاة ، أو الترويح عن النفس ، أو التفرج على أطلال العصور الخوالي ، وإنما هو الاستفادة من حكمة الأقدمين وتجارب الأسلاف في أن نجعل من عالمنا المعاصر عالما أفضل ، وأن نهيىء لأنفسنا وأبنائنا مستقبلا ازهى ، لا نحترم الماضي لمجرد انه ماض ، ولا السلف لأنهم سلف ، ولا نقصر الحق في التفكير على الأموات

ومن حضارات الغير : بحيث لا يحكم موقفنا عقدة نقص أو استكبار أو فقدان الثقة بالنفس وبالدين والتقاليد ، مع الاقرار



محمد على



رفاعة الطهطاوى

بان الاستفادة من معاصرة غيرنا ممكنة على نحو استفادة أوربا من معاصرة العرب إبّان العصر الوسيط فى تجاوزها لواقعها الى عصر النهضة فعصر الاصلاح الدينى .

● مسئولية نظم التربية والتعليم ●

وتنبع المشكلة والحيرة عندنا فى رأيى من امور ثلاثة لا مناص من ان تتصدى لها نظم التربية والتعليم فى اقطارنا إن هى ارادت المساهمة فى ايجاد الحلول

الاول الفهم الخاطىء لدى جميع الأطراف لماهية التراث والمعاصرة

والثانى تخريج صنف من الناس لا يملكون ناصية لغات اجنبية تعينهم على تذوق ثمار حضارات غير حضارة اسلافهم

والثالث تخريج صنف أخر من المتفرنجين ، بالغوا فى النظرة الى الغربيين وكانهم انصاف آلهة . وبالغوا فى التحقير من شان تراث أمتهم الذى حسبوه خطأً المسئول عن التخلف الذى صرنا اليه ، قد حرمهم فساد منهج تعليم اللغة العربية فى مدارسنا من القدرة على النظر فى كتب الأقدمين . فإن نظروا فيها كان ذلك من قبيل الرغبة فى التندّر على سخافة نظرة الاسلاف

فاما عن التراث فإنه يمكن الحديث عنه بأحد معنيين انه مجموع ما خلفته قرائح الأقدمين وصفوة الأسلاف من فكر وفن وعلم ونمط عيش وفنون حضارة مما يمكن لجيلنا الحالى الافادة منه والاستعانة به على حلّ ما يواجهه من المشكلات والتحديات أو تعريفه بأنه كل ما أفرزه الماضى من إفرازات ، ضارة ونافعة ، سامة وسليمة . لا يزال لها أثرها الفعال فى مسلكنا ومعتقداتنا واسلوب معيشتنا ونظرتنا إلى الحياة ، منها مايجدر بنا التمسك به وتنميته ومنها ماينبغى علينا محاولة استئصاله أو الحد قدر الامكان من نطاق سلبياته .

وأما عن المعاصرة فتفترض موقفا ايجابيا نشطا من جانب مثقفين يستهدفون الإدراك الواعى لحقائق الزمن الذى يعيشون فيه ، وعناصره ، وموقعه من مجرى التاريخ ، وعلاقته بالمستقبل المرئى ، ثم تحملهم رؤيتهم على تقبل ماهو حتمى لا قبل للانسان بتغييره ، ومحاولة التغلب على الاتجاهات التى تسير ضد تيارات التاريخ ، وتقاوم حتميته ، وتعرقل وصوله الى هدفه كما يفهمه هؤلاء المثقفون

واستنادا الى هذه المفاهيم امضى فاقول : إن ماضىّ وتراثى وسلفى ، وماضى الحضارات الأخرى وتراثها واسلافها ، لا يعنينى منها الا الجانب الذى ثبت لدىّ انه حىّ ، وان بوسعه ان يُثرى حياتى وحاضرى ، ويزيد من قدرتى على مواجهة تحدّيات مستقبلى ، ومن قدرة امتى على مواجهة تحديات مستقبلها .

كذلك فإنه بوسعنا من نفس المنطلق ان نتخيل تغيّر تقويم اهل كل زمان لرجال تراثهم وثماره عن تقويم اهل الزمان الذى سبقه ، وان من حق كل جيل ، ومن واجبه ، أن يعيد تقويم عناصر تراث امته للتمييز بين مايمكن استخدامه منها فيُبقى عليه ، وبين ما لا يمكن استخدامه فيغضى عنه . فنحن إنما نعيش فى زماننا نحن لا زمان الاقدمين ، وما لا يساعدنا من تراث الاسلاف على حل مشكلات زماننا هو ميّت الى حين اكتشاف جيل تال لجيلنا ان فيه حلا لمشاكله فيُحييه . اما ماتجد فيه العون فهو حىّ الى حين اكتشاف جيل تال عدم جدواه له فيهجره .

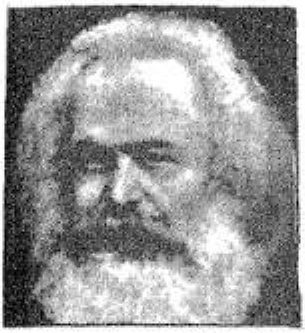
ونقاط البداية عندى تتلخص فيما يلى

□ تشخيص الأدواء التى تعانى امتنا منها ، والتعرف على حقيقة موقعنا من الخريطة الحضارية للعالم .

□ التعمق فى دراسة تراثنا للنظر فيما يمكن ان يقدمه من حلول لهذه الأدواء

□ دراسة تاريخ تطور امتنا ، وتاريخ تطور غيرها من الامم ، بغرض الاستدلال منهما على ملامح المستقبل

□ الاستفادة من تجارب الحضارات الاخرى والنظر فيما إذا كان لديها او فى تراثها



كـارل مـاركـس



بيرتراند رسل

مايمكنه مساعدتنا على مواجهة تحديات المستقبل ، من دون ان تخلّ هذه الاستفادة بتفرد شخصيتنا الحضارية

واقولها صراحة اننى لست كبير التفاؤل بصدد بعض هذه النقاط . فحصيلة شباب أمتنا من اللغة العربية فى تضاؤل مستمر رهيب ، ونفورهم من النظر فى امّهات كتب تراثهم الاسلامى فى ازدياد ، واتجاههم يقوى يوما بعد يوم الى تبنّى قيم الغرب وتقليد أهله فى أساليب عيشهم خاصة وقد ضاعت ثقتهم فى أمة لا يُبدى ابناؤها الحماس الا فى حرب بعضهم للبعض ، ولا يعرف ساداتها سبيلا الى انفاق الثروات افضل من انفاقها على إشباع شهواتهم الحسّية ، وتصرّ حكوماتها على عدم

المساس بسلطاتها المطلقة ، وعلى استئصال شأفة كل فكر حرّ

● اقتـــراح ●

فإن اتفقنا بعد هذا على أن من أهم الأهداف التي يجب أن تتوخاها أية محاولة لإصلاح نظم التربية والتعليم عندنا هو أن يسترد شباب أمتنا احترامهم لتراثهم الفكري ، والرغبة في الاستزادة منه ، والقدرة على النظر فيه ، فالأجدى أن نبدأ بالاعتراف بأن الحصيلة التي يخرج بها أبناؤنا من اللغة العربية بعد انقضاء سني دراستهم لا توفر لهم القدرة على فهم ماكتبه الأقدمون ، والنماذج التي تدرس لهم في المدارس لأدب هؤلاء كهجاء الفرزدق لجرير ، وفخر المتنبي بنفسه ، ومدح الأعشى لوالي الحيرة ، في كتب رديئة الورق ، سيئة الطباعة ، قبيحة الصور ، لا يمكن أن ينجم عنها احترام حقيقي لتراث العرب كذلك الاحترام الذي ينجم لديه لآداب الفرنجة حين يدرس في حصص أخرى مسرحية لشكسبير أو قصائد هيجو ، في كتب أنيقة الطباعة ، بهية الصور والاخراج .

وقد أقدم الغربيون منذ بضع سنوات ، من أجل تعزيز إلمام شباب الغرب بتراثه والجذور الفكرية لحضارته ، على إخراج مجموعة من الكتب تضم أربعة وخمسين مجلدا أصدرتها دائرة المعارف البريطانية ، وتحمل اسم « أعظم كتب العالم الغربي » ، من هوميروس الى فرويد . هذه المجموعة باتت تشكّل جزءا من أثاث معظم العائلات القادرة على اقتنائها في أوربا وأمريكا الشمالية .

فإن كان عالمنا العربي قد نُشر فيه بالفعل عشرات الآلاف من كتب التراث ، فإن شبابنا يضلّ في متاهاتها عاجزا عن اقتناء ولو اليسير منها ، مفتقرا الى من يهديه إلى القمم الشامخة فيها ويُثنيه عن النظر في تافه الشأن منها . فلو أن حكومة من حكومات دول النفط تبنّت مشروعا كمشروع دائرة المعارف البريطانية ، وشكّلت لجنة من عشرة أو عشرين من العلماء المتبحرين في التراث العربي ، المدركين مع ذلك لطبيعة ذوق شباب أمتنا المعاصر ، فانتقت بعد النقاش والفرز وتمحيص الآراء المختلفة أعظم مائة كتاب مثلا من المؤلفات العربية منذ امرىء القيس الى الجبرتي ، واستبعدت من هذه الكتب المائة الغث الكثير الذي تحفل به كتب عظيمة كأغاني أبي الفرج أو السلوك للمقريزي ، وأبقت على بعضها الآخر بصورته الكاملة كمقدمة ابن خلدون وحيّ بن يقظان لابن طفيل وفصل المقال لابن رشد ، ونشرتها في خمسين أو ستين مجلدا أنيقا بسعر في متناول العائلة متوسطة الحال ، بحيث تصبح جزءا من أثاث دارها ، وفي متناول أبنائها وتحت نظرهم في كل يوم ، لأسدت بهذا الصنع خدمة جليلة لأبناء جيلنا والأجيال التالية إذ تصل بينهم وبين ماضيهم

ويا حبذا لو تبع ذلك ترجمة كاملة لمجلدات مجموعة « أعظم كتب العالم الغربي » ، فيجمع شبابنا بين الحُسْنَيَيْن . وأذكر هنا أن اللجنة التي نهضت بالمشروع الغربي كانت تعتزم في البداية أن تضم المجموعة أعظم كتب العالم ، ثم عدلت عن ذلك واكتفت بكتب العالم الغربي ، على أساس أن أبناء الحضارات الأخرى أقدر على تقييم كتب حضاراتهم من غيرهم ، ووعدت في مقدمة المجموعة بأنه متى أخرجت الأمم الأخرى مجموعات مماثلة ، فقد تضمّها جميعا في مجموعة ضخمة واحدة ، هي تراث الانسانية ، لا شك أن من شأنها أن تسهم إسهاما عظيما في إقامة الجسور الفكرية بين الحضارات .

التقــز على

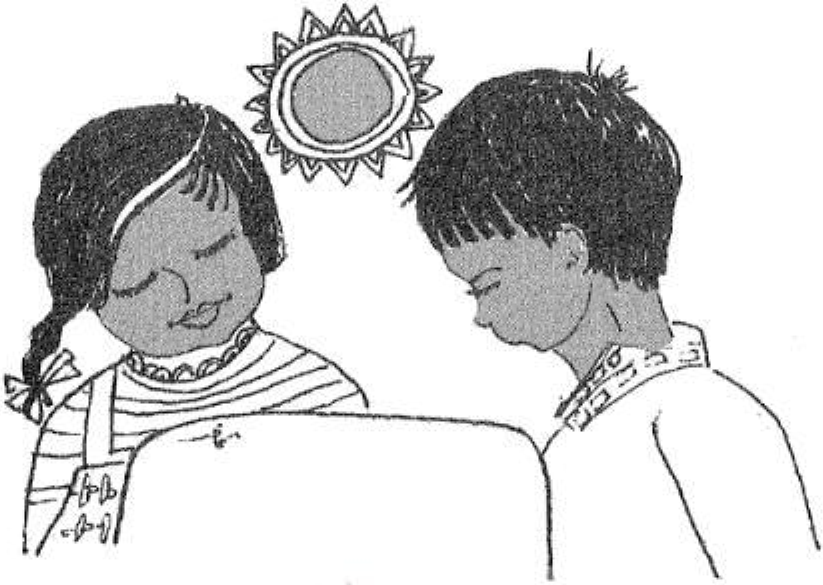
الأشواك

الــرأى العــلمى والقــرار السـيـاسى

بقلم : د. شكرى محمد عياد

جمعتنى المصادفة بعالمين فاضلين أثناء انعقاد مؤتمر عربى لبحث مستقبل الحاسبات الالكترونية فى العالم العربى (وقد شاركت مصر فى هذا المؤتمر) كان أول سؤال طرحته عليهما هو ذلك السؤال الذى يلح على غير المتخصصين امثالى وهو . إلى متى نظل مستوردين ومستهلكين للحاسبات الالكترونية ، نقتنيها فى البنوك والشركات وإدارات الحكومة ، ونستخدمها فى المطابع والغسالات ، ونطالب بتعميمها فى المدارس (وهو طلب معقول ، مادام الكثير من أولادنا يتبادلون العاب « الأتارى » ، وشرط أن تقوم المدارس بوظائفها الأساسية أولا) كنت اعلم انه سؤال جارح ، يقلب المواجع ، وربما دعا مخاطبك الى اتخاذ موقف الدفاع ، وربما اشعرك ، بطريقة مهذبة ، انك تعانى من قصور فى رؤيتك المستقبلية وهذه مشكلتنا مع التكنوقراطيين ولو كانوا اساتذة فى الجامعة فقليل منهم من يعرفون كيف يخاطبون العوام أمثالنا . فهم إما أن يفترضوا فينا الجهل المطبق ، فيشرحوا لنا البديهيات ، ويمدونا بالمعلومات التى يعرفها الجميع ، وإما ان يكلمونا باصطلاحاتهم ، فنستحى ان نسألهم بعض الشرح ، ونكتفى بالغمغمة أو هز الرءوس

واشهد إن محدثيّ كانا واسعى الصدر جدا ، وان حديثنا ، الذى استمر قرابة الساعة ، كان واضحا ولم تتخلله اية غمغمات . وفيما عدا أن رأسيهما ممتلئان بالبيانات العالمية التى تتعلق بتخصصهما ، وان عقلى وقلبى مشغولان بهموم بلدى وابناء بلدى ، فقد كنا نتكلم على نفس الخط كما يقال ، كنت وما زلت اعتقد ان العقل البشرى اعظم من اى جهاز الكترونى وأباهى ابنائى بانى استطيع أن أحسب فى ثوان عملية ضرب أو قسمة ، (رغم انى لم اكن يوما ما بارعا فى



الحساب) مع هامش خطأ صغير جدا ، قبل أن يتمكنوا من تمرير اصابعهم على حاسباتهم الالكترونية الصغيرة . وكنت ومازلت اعتقد ان الأعمال الروتينية (يدوية كانت أم عقلية) تبلد الفكر والاحساس وتمتهن إنسانية الانسان ، ولكنني اعتقد ايضا أن البطالة لاتفرخ الشرور والرذائل فحسب ، بل تجرد الانسان من صفة الانسانية اصلا . لهذين السببين مجتمعين (وانا من بلد لا تمثل العمالة الحقيقية فيه اكثر من ٣٠٪) أجدني دائما مترددا ومتشككا أمام الاستعمال الواسع للعقول الالكترونية .

● شاهد صغيـــر على سبيل الاستطراد

نظارتي لم تعد صالحة ، ولذلك فكرت ان اذهب الى طبيب عيون لعمل نظارة جديدة ، واشار عليّ ابني الأكبر أن ألجا الى طبيب يعرفه ، ذي خبرة في إجراء كشف النظارة (وهو يحتاج الى صبر فعلا كما يعرف اصحاب النظارات) موضع الشاهد أن هذا الطبيب - كما اخبرني ابني - عازم على شراء جهاز الكتروني للكشف يكلفه خمسة وثلاثين الف جنيه ، مع علمه بان هذا الجهاز يخطيء احيانا ، ولايغني - على كل حال - عن الكشف المعتاد . والسبب أن زبائن كثيرين يسالونه عن هذا الجهاز .

النتيجة التي خلصت اليها من هذا الشاهد وغيره ليست بالطبع الاستهانة بالهندسة الالكترونية او انكار قيمة كل جهاز الكتروني ، بل ان استعمال هذه الاجهزة اصبح عندنا ، مودة ، أو صرعة ، لا تدعو اليها حاجاتنا ولا تتحملها مواردنا . في كثير من الأحيان أو في معظم الأحيان وهو سلوك شائع لا ينحصر في اقتناء هذه الأجهزة ولا ينفرد الموسرون دون الفقراء ، ولا الأفراد دون الحكومات .

الأشواك

اسمه في القاموس الأخلاقي سفه أو إسراف وفي القاموس الاقتصادي سوء تخطيط أو سوء إدارة والقاموسان تمكن الترجمة من أحدهما إلى الآخر بسهولة تامة ، ولكنهما قلما يتفقان في الحكم سلبا أو إيجابا كما يتفقان في هذه الصفة التي نتحلى بها نحن العرب ، ولاسيما المصريون .

● المعادلة الصعبة

قلت لمحدثيّ المعادلة الصعبة في كل البلاد النامية ـ كما أفهم ـ هي تحديث وسائل الأنتاج بدون زيادة نسبة البطالة هذا هو مايسمونه تطبيق التكنولوجيا ، أو تطويع التكنولوجيا فهل ياترى يتفق ذلك مع التوسع في استخدام الحاسبات الإلكترونية ؟

قال أحدهما المعادلة الصعبة هي أن نلحق بالذين سبقونا ، مع انهم يتقدمون بسرعة مذهلة نحن سعداء الحظ هذه المرة لأنهم لم يسبقونا بمدة طويلة ، ثلاثون سنة هي كل عمر الحاسبات الالكترونية في مقابل ذلك تتطور هذه الصناعة بسرعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسان . أحيانا تنتج شركة ما جهازا معينا وقبل أن تبدأ في تسويقه تكون الشركة نفسها قد ابتكرت جهازا أحدث يؤدي الوظيفة نفسها بتكاليف أقل أو بكفاءة أكبر يمكنك أن تتصور سرعة هذا التطور ومداه إذا علمت أنهم يقارنون بين هذه الصناعة وصناعة السيارات مثلا ، فيقولون إن صناعة السيارات لو كانت قد تطورت بنفس السرعة لأمكنك أن تشتري السيارة الكبيرة في الوقت الحاضر ببضعة جنيهات . علينا أن نقرر الآن والقرار واحد لابديل له ، فليس هناك خيار بين الحياة والموت . لم يكن الغربيون أشجع منا ولا أقوى إيمانا حين غزوا بلادنا ولكنهم كانوا يملكون سلاحا أقوى

والالكترونيات هي سلاح المستقبل ، فكل صناعة جديدة تعني ، فيما تعني ، سلاحا جديدا .

وهجمت على خيالي صور كثيرة مدافع نابليون أمام سيوف المماليك . « وادي السليكون » مركز الصناعات الالكترونية في الولايات المتحدة وفي كثير من بلدان العالم المتطورة ، حيث لايكاد يمر يوم بدون اختراع جديد ، أو اختراعات عدة ، وحيث التوتر الدائم وانهيار الاعصاب تحت ضغط المنافسة التي لاترحم . وشوارعنا التي لاتصحو إلا في الساعة العاشرة لتتحول بعد قليل الى وديان تتقيأ البطالة والكسل ، وشبابنا الذي يخلف مقاعد الدراسة في الجامعات والمعاهد كل عام ، الوفا وراء الوف ، ليتبخر القليل الذي تعلموه بينما يجلسون وراء المكاتب أو يتسكعون في الطرقات . معادلة صعبة حقا ولكن ماعناصر هذه المعادلة ؟ الزمن أم البشر ؟

تذكرت أيضا عمال الطباعة في بريطانيا ، الذين أضربوا عن العمل حين عزمت الصحيفة التي تستخدمهم على إدخال الات الكترونية حديثة في مطابعها ، لأن هذا الأجراء كان يعني الاستغناء عن عدد كبير منهم . لم أتابع القضية ، ولكن حتى لو انتصر العمال هذه المرة فسوف ينتصر التحديث بعد قليل المسألة إذن هي تأجيل التحديث . هل هو من باب تأجيل المصيبة أم الاستعداد للتغيير ؟ تذكرت كذلك أشياء رأيتها في صباي وشبابي . نول يدوي أمامه عامل يبدو عليه المرض ، في غرفة مظلمة غير مبلطة منضدة كبيرة في

صالة حسنة الإضاءة هذه المرة . لأنها فى منزل بإحدى مدن الريف . يجلس على جانبيها عدد من العمال ربما كانوا اربعة أو ستة . وامامهم كومة من التبغ المفروم . وعلى يمين كل منهم لفائف فارغة يدخل فيها التبغ بواسطة خشبتين مدببتين فتصبح سجائر بإذن الله . ولم يكن ذلك فى القرن الماضى بل فى الثلاثينيات من هذا القرن وكان أصحاب هذه المصانع الصغيرة يعلنون عن سجائرهم بهذه العبارة . لف يد العامل المصرى . فقد كانت دعوة الاستقلال الاقتصادي على اشدها . بتاثير طلعت حرب في الداخل وغاندى فى الخارج . ثنائى غريب . ولكن هكذا كان . وهكذا كان يجب ان يكون ! فبينما كان طلعت حرب يقود معركة التحديث فى الصناعة والاقتصاد . كانت الغاندية تعلم الشعوب الاستغناء عن الكماليات . والاعتماد على النفس فتوفر عن طريق العمل اليدوى البسيط الوقت اللازم للصناعة الوطنية الناشئة كى تنمو ويشتد عودها .

وهكذا قطعت مصر . كما قطعت الهند وشعوب كثيرة اخرى . مرحلة غير هينة على طريق التطور . فهل تصلح معادلة كهذه للعصر الحاضر ؟

● الالكترونيات
صناعة المستقبل

قال محدثى : الالكترونيات لاتعنى البطالة . ولكنها تعنى نمطا جديدا من الانتاج . الأجهزة الالكترونية تخلق وظائف جديدة . وظائف للتشغيل والصيانة . فضلا عن الأعداد الكبيرة من العمال الذين يشتغلون فى مصانع الأجهزة الالكتروية نفسها . والاعداد الكبيرة من العلماء والفنيين الذين يعملون فى التصميم والبرمجة . التقديرات المتوقعة فى الولايات المتحدة الأمريكية تقول إن نسبة العاملين في الصناعات الالكترونية ستبلغ حوالى ١٥٪ فى سنة ١٩٩٠ . وسوف تتجاوز ٨٠٪ فى سنة ٢٠٠٠ ـ هذه النسبة من مجموعة القوة العاملة كلها !

إننا نعلم ان التصنيع قد خلق ـ على المدى الطويل ـ مزيدا من فرص العمل . الأرض إمكانياتها محدودة . مهما توسعنا فى الزراعة أفقيا وراسيا . ولكن الصناعة تكاد تكون بلا حدود . ولذلك فمجالها مفتوح امامنا لزيادة العمالة وزيادة الانتاج . ونحن نعيش الآن ثورة صناعية جديدة سوف تنسخ عهد الثورة الصناعية الأولى كما نسخت هذه عهد البغال والحمير . الصناعة الاكثر تقدما تقتل الصناعة الأقل تقدما . فإما ان تكون حديثا تماما أو لاتكون .

● انتم الناس ...
ايها العلماء !

تذكرت بيت شوقى :

جاذبتنى ثوبى العصىّ وقالت
انتم الناس ايها الشعراء !

رحم الله « شوقى » ! ورحم الشعراء كلهم ! فهم قوم نرجسيون . ابتداء من امرىء القيس وحتى يومنا هذا ! ولا تؤاخذنى إذا قسوت مرة على الشعر والشعراء . فإذا كانت اوربا فى نهضتها . بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر . قد احتاجت إلى « دفاع عن الشعر » فإن عالمنا العربى لم يكن قط فى حاجة الى مثل هذا الدفاع لا عن نهضته ولا عند انحداره . ولكن كان ولايزال . فى حاجة الى دفاع عن العلم والعلماء . لذلك هممت ان اقول لصاحبىّ ! « انتم الناس ايها العلماء ! » ولو على سبيل التشجيع والبسط . قبل ان اضعهما فى صميم المشكلة كما اتصورها :

بالأشواك

يكتبها: ...

« ماذا تتوقعون من مؤتمركم هذا ؟ لا اظنه أول مؤتمر عربى يعقد حول الحاسبات الالكترونية ، فما اكثر مؤتمراتنا واقل جدواها . هل نطمع فى عدد من « التوصيات » تضم الى اوراق المؤتمر ، وتوضع فى ملف ظريف لايهتم به احد ، حتى ولاعند الاعداد للمؤتمر التالى ؟

لعلى قلت كلاما اقل تشاؤما من هذا ، ولكن المعنى كان واضحا ، بدليل ان الخبير الذانى ، الذى لم يعلق إلا بكلمات قليلة على اسئلتى السابقة ، قال بدون مواربة

هذه مشكلة العالم الثالث . كل تغيير مهم لايمكن أن يتم إلا بقرار سياسى ، « من فوق » والتوصيات العلمية لا تؤثر فى القرار السياسى إلا تأثيرا محدودا . فهناك عوامل أخرى يمكن أن تكون أهم بكثير .

قلت إذن فكان الله فى عون أصحاب القرار السياسى ! إن كان هذا واقعا فنحن الذين صنعناه ، ولابد من تغييره .

وهنا انقطع الحوار ، او سكتت شهرزاد عن الكلام المباح . ولكن عبارة « القرار السياسى » تركت فى ذهنى اصداء غير مريحة ، آخرها خبران . الأول له صفة العموم وليس له مساس مباشر بالعالم العربى وإن كانت دلالته الشاملة جديرة بالاعتبار فى هذا العالم وغيره ، معلوم ان البلدين اللذين يتصدران أبحاث الحاسبات الالكترونية فى الوقت الحاضر هما الولايات المتحدة الأمريكية واليابان . ويقول الخبر إن حديثا جرى فى الولايات المتحدة بأن اليابان توشك أن تحقق تقدما تكنولوجيا مهما فى هذا الباب ، فصرح احد اعضاء مجلس الشيوخ بأنه يجب منع اليابان بالقوة ، إذا اقتضى الامر ، حتى لاتحرز سبقا على الولايات المتحدة ، يمكن أن يهدد مكانتها العالمية .

أما الخبر الثانى فخاص جدا ، كما انه يتعلق ببلد عربى لم يعينه لى راوى الخبر ، ويمكنك أن تكذبه ولكن دلالته لا تسقط بهذا التكذيب . وخلاصته أن مبعوثا عربيا عمل بعد تخرجه مساعدا لاستاذ كبير يعمل فى حقل الالكترونيات مع هيئات عالمية ، ويتلقى أبحاثا على جانب كبير من السرية ، فكان مساعده الشاب يصور هذه الابحاث حتى إذا اجتمع له قدر صالح منها حملها الى بلده وعرضها على كبار المسئولين هناك ، فاتهم بالتآمر ولقى جزاء المتآمرين وهو معروف .

حكاية أشبه بالخيال ، وقد لايكون لها ظل من الحقيقة ، ولكنك حين تسمعها من شخص مشتغل بالعلم ، شابا كان أو كهلا ، فلا بد أن تشعر باليأس ، لأن هذا الشاب أو هذا الكهل وأمثاله يؤمنون أن العمل فى حواشى العلم أسلم عاقبة من الغوص على أسراره .

إن العلم يعنى القوة ولا سيما فى هذا العصر .

والقرار السياسى هو ايضا تعبير عن القوة فى الداخل أو القوة فى الخارج ، ولكن العالم ليس سياسيا ، والسياسى ليس عالما . فهل يمكن أن تتحقق القوة لأحدهما ، أو لهما مجتمعين ؟

من يحل هذا اللغز ؟

أقوال معاصرة

- « قدمت مصر كل ما تستطيع فى الخمسينات والستينيات لمعركة استقلال افريقيا ، وتقدم فى والثمانينيات كـل ما تستطيع ، لمواجهة التخلف والفقر فى افريقيا » .

بطرس غالى — فى ندوة المعهد الدبلوماسى

- كلما اسمع التقارير عن نتائج الحرب الايرانية العراقية ، احك رأسى عن مدى مصداقيتهم ، لمعرفتى بالايرانيين .. يبحثون دائمـا عن صفقة ولا تنتهى عندهم الصفقات ، وعندما تعاملت معهم كرجل اعمال ، كنت دائما اشد بيدى على نقودى .

شولتز — وزير خارجية أمريكا

- « شرف لنا كبير الا تكون قطيعا » .

محمود درويش

- اكبر ارهابى هو نظام الحكم فى جنوب افريقيا

اوليفر تامبو رئيس المؤتمر الوطنى الافريقى

- افلام هوليود عن فيتنام عبارة عن اغتصاب للتاريخ .

دافيد هالبر ستام مراسل النيويورك تايمز

- حاولنا ان نساعد الفقراء ، فاذا بنا نزيدهم عددا ، حاولنا ازالة الحواجز للهروب من الفقر ، فاذا بنا نبنى مصيدة للفقراء .

شارلز موربى « باحث اجتماعى امريكى »

- حياتنا الموسيقية تقوم على السرقات .

كمال الطويل

- الستار الحديدى حطام ، ولكن قدرا كافيا من بقاياه يقف حائلا بيننا وبين الرؤية .

الشاعر الروسى بفجينى يفتشينكو



د. بطرس غالى



شولتز



محمود درويش

ديموقراطية جورباتشوف

"داخل الحزب"

أبعادها ونتائجها

بقلم : عبد الرحمن شاكر

مرة اخرى ، نجح جورباتشوف ، السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى، فى ان يشد انظار العالم اليه والى التغييرات الواسعة النطاق ، التى شرع فى ادخالها فى بلاده منذ ان وصل الى قمة المسئولية فى حكمها ، بدءا من اطلاق حرية النقد ، الى عقد المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفى ، الذى اعلن فيه ان المجتمع السوفييتى لايزال بعيدا عن تطبيق الشيوعية ، وهى الحلم الذى بدا التلويح به فى اواخر عهد ستالين ، وازدهر — اى الحلم — فى عهد خروشوف، حتى اعلن جورباتشوف انه من قبل ذلك لابد من استيعاب نتائج الثورة التكنولوجية ، التى تحققت فى الغرب الراسمالى ، ثم كانت الخطوة الاقتصادية الهامة التى اتخذها فى اواخر العام المنصرم ، باصدار تشريع يسمح للمشروع الفردى ، او القطاع الخاص ، بالعمل فى حوالى ثلاثين فرعا من النشاط الاقتصادى .. حتى كانت الخطوة الاخيرة التى اعلنها فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب البلشفى ، والتى تقضى بان يكون انتخاب القادة على مختلف مستويات الحزب ، عن طريق الاقتراع السرى ، من بين مختلف المرشحين ، بعد أن كان المتبع ، هو أن تتقدم القيادة القائمة على الامور ، بقائمة من عندها «للمرشحين»، بحيث لايكون امام « الناخبين » الا الموافقة عليها بالوقوف والتصفيق ، الذى لا ينكص عنه أحد المجتمعين ، حتى لا يوهم بالخروج على الاجماع الحزبى ، ومعاداة الحزب ، على نحو يفتح الطريق للاجهزة البوليسية للتعامل معه ، وتصفيته ، سياسيا على الاقل !

● المركزية الديمقراطية

لقد وصفت تلك الخطوة ، بانها اهم تطور يشهده الحزب البلشفى منذ ايام لنين ، مؤسس الحزب والدولة السوفييتية . لقد صاغ لنين مبدا للعلاقات الداخلية فى الحزب الشيوعى سماه « المركزية الديموقراطية » التى تنص على أن يكون اختيار قيادات الحزب من القاعدة الى القمة بالانتخاب ، وان السلطة العليا فى الحزب هى المؤتمر المنتخب الذى يدور داخله الحوار حول خط الحزب فى مرحلة معينة من نضاله ، وبعد اقرار خط معين بالاغلبية ، يجرى انتخاب اللجنة المركزية من أعضاء المؤتمر ويكون على راسها بطبيعة الحال



جورباتشوف
تغييرات واسعة النطاق



ستالين
اعدم ثلثي اعضاء الحزب



خروشوف
أعدم بريا وزير داخليته

الاعضاء الذين طرحوا الخط الذى تم اقراره ، وبعد ذلك يصبح على الاقلية أن تخضع لقرار الاغلبية فى تنفيذ الخط الذى ارتضته ، ويخضع المستوى الادنى للمستوى الاعلى الذى تم اختياره بالانتخاب .

ولكن أعمال هذا المبدأ قد شحب كثيرا بعد وفاة لنين ، الذى كان يضمن بشخصيته القوية وتأثيره الهائل ، الحرص على تنفيذه . فقد شحبت « الديمقراطية » كثيرا فى ايام ستالين وطغت عليها « المركزية » تماما ، ولم يعد احد يجرؤ على معارضته سواء داخل الحزب او خارجه ، كان يختار معاونيه فى المكتب السياسى للحزب أو « البوليتبيرو » ليصبحوا هم السلطة العليا - معه - فى الحزب ، بحيث لايكون أمام اللجنة المركزية ، أو المؤتمر الا التسليم بما يقولون . اما المعارضون فيختفون ، حتى لقد قيل ان ستالين قد اعدم اكثر من ثلثى اعضاء المؤتمر الذى انتخبه فى الثلاثينيات ، سكرتيرا عاما للحزب !

والواقع أن هذا التطور الدكتاتورى ، قد صح عليه ما قاله « ليوشاوتشى » رئيس جمهورية الصين الشعبية سابقا فى كتابه « المثقف » من الحزب » ، بأن اختفاء الديموقراطية داخل الحزب ، انما كانت انعكاسا لاختفائها فى المجتمع ! ذلك أن « ديكتاتورية البروليتاريا » قد شرع الحزب البلشفى فى استخدامها ، فى الثلاثينيات على أوسع نطاق ، فالمعركة فى ذلك الحين لم تكن موجهة ضد طبقات محدودة من المستغلين ، الرأسماليين أو الاقطاعيين ، بل كانت ضد ملايين الفلاحين الفرديين ، الذين سبق للثورة أن وزعت عليهم الارض ، ثم شرعت تحثهم على الدخول فى مزارع جماعية تطبيقا للخط الذى أقره الحزب فى هذا الصدد واعتقد أنه بذلك يقرب البلاد من الاشتراكية . وكان الهدف من تلك السياسة مزدوجا ، فقد كانت تهدف من ناحية الى سيطرة الدولة على الانتاج الزراعى ، من أجل ضمان توفير الغذاء الضرورى لعمال المدن الذين ينمو عددهم باطراد كبير بسبب سياسة التصنيع النشطة ، ومن ناحية اخرى كانت هذه السياسة ترمى الى استئصال شأفة الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، حيث نمت من بين الفلاحين طبقة تعرف باسم « الكولاك » أى المزارعين الكبار ، نجحت فى أن تكون « رأسمالية زراعية » ، تملك قسطا وفيرا من ثروة البلاد ، ومن النفوذ الاقتصادى .

ديموقراطية جورباتشوف

كان ستالين ومعاونوه يخشون ان تصبح هذه الطبقة ظهيرا ، أو طابورا خامسا ، يعمل فى خدمة « الامبريالية » وأهدافها فى تدمير الدولة السوفييتية الوليدة ، خاصة وأن هتلر كان قد وصل الى الحكم فى المانيا ، ولم يكن يخفى هدفه فى القضاء على الشيوعية فى العالم بأسره !

كانت محنة رهيبة المت بالمجتمع السوفييتى فى تلك الفترة ، فالفلاحون الروس ، كانوا يحرصون على بقاء ملكيتهم الخاصة للارض ، حتى ولو كانت صغيرة ، وكان كل منهم يمنى نفسه بأن يصبح من « الكولاك » ، وانضمت اعداد كبيرة منهم الى الكولاك فى مقاومة خطة الدولة السوفييتية لانشاء المزارع الجماعية ، ووصل بهم الامر الى حد قتل مواشيهم واحراق محصولاتهم الزراعية . ولاتزال الزراعة السوفييتية تعانى حتى الان من آثار تلك الفترة وذكرياتها الاليمة ، ولايزال قصور الانتاج الزراعى يمثل مشكلة كبرى فى الاتحاد السوفييتى ، قد يرجى حلها بالتشريع الجديد ، المشار اليه فيما تقدم والذى سمح بعودة النشاط الاقتصادى الخاص فى مجالات متعددة ، الزراعة وتسويق الحاصلات الزراعية من بينها .

مضاعفات القهر

لقد كان فرض سياسة المزارع الجماعية على الفلاحين الروس فى الثلاثينيات ، أمرا أملته الضرورات السياسية وحدها لأغراض التعبئة العسكرية والتصنيع اللازم للحرب المتوقعة ، بما فى ذلك صنع السلاح ، ولكنه كان اجراء مناقضا لكثير من المفاهيم النظرية بما فى ذلك التصور الماركسى ، الذى بنيت عليه الاشتراكية العلمية ، وهى أن الاشتراكية هى المآل الذى يؤول اليه المجتمع الصناعى بعد أن يستكمل تطوره وتصبح الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، فى تنافى مع العمل الجماعى فى مؤسسات صناعية ضخمة . وهذا الامر لا ينطبق على الملكية الفردية الصغيرة فى الزراعة ، والمفروض طبقا لهذه النظرية أن يكون اقبال الفلاحين على ادماج مزارعهم فى مزارع جماعية أو تعاونية أمرا اختياريا بعد أن يقتنعوا بأن ذلك فى مصلحتهم ، اذ يتيح لهم استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة فى زيادة انتاجهم ، وفى توفير جهودهم لفلاحة الارض وحصاد ثمارها .

ومن جانب اخر ، لقد كان القهر الذى اتبعته الدولة السوفييتية فى تلك الحقبة لفرض المزارع الجماعية على الفلاحين ، اهدارا لذات المبدأ الذى اقام عليه لنين نظريته عن ديكتاتورية البروليتاريا ، فهى من وجهة نظره كانت تعنى « تحالف العمال مع الفلاحين » ، « والتفاف الفلاحين حول البروليتاريا ممثلة فى حزبها الشيوعى » . ولكن تلك المعركة التى وصلت الى حد الحرب الأهلية ، كانت بمثابة فض لهذا التحالف ، ووجدت « البروليتاريا » ، أو الحزب الشيوعى الذى يمثلها ، والدولة التى تسيطر عليها ، انفسهم ، فى مواجهة صارمة مع ملايين المواطنين من الفلاحين !

وطبقا للملاحظة السياسية الذكية ، التى تقول ان قيام حزب سياسى واحد فى مجتمع معين ، ينفرد بالعمل السياسى ، يترتب عليه أن تتسلل الى داخله ، الاتجاهات المعارضة لسياسته المعلنة ، وتحاول أن تؤثر عليه من الداخل!

فان سياسة ستالين فى فرض المزارع الجماعية قد وجدت داخل الحزب البلشفى من يعارضها ، وكان راس المعارضين لها « بوخارين » الذى وصفه لنين بانه كان « قرة عين » الحزب البلشفى ! وقد تمت تصفيته على يد الاجهزة البوليسية هو ومئات او الوف من انصاره من اعضاء الحزب ، ولما كان يهوديا ، فقد زعم ناحم بيجن الذى التقى به فى سجنه قبل اعدامه ، أنه – اى بيجن – قد نجح فى اقناعه ، بانه كان مخطئا حينما اشترك فى النضال من اجل تطبيق الاشتراكية فى روسيا ، وانه كان عليه أن يعمل اولا على العودة الى أرض الميعاد !!

وبالمناسبة ، فمع ظهور الاتجاه الديموقراطى الجديد على يدى جورباتشوف فى المجتمع السوفييتى ، تواترت الانباء عن عودة كثير من اليهود السوفييت الى بلادهم – أى الاتحاد السوفييتى ، بعد أن كانوا قد نزحوا عنها الى الدولة الصهيونية أو الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الغربية . وربما كان الافراج عن العالم الذرى سخاروف أقوى مشجع لهم على ذلك . وذلك امر يهمنا نحن العرب الذين نعانى بلادنا وطائفة كبيرة من شعبنا العربى فى فلسطين من العسف الصهيونى ، واستيطان الارض العربية ، وربما كان من سوء حظ العرب ان الصهيونية ، كنظرية عنصرية ، قد ولدت فى روسيا تحت العسف القيصرى ، فى صفوف يهود الخزر ، الذين عانوا من هذا العسف ، فلم تكد الثورة البلشفية تنجح فى القضاء على الاستبداد القيصرى ، حتى تحولت الى الاستبداد الستالينى ، فى وقت مقارب مع صعود النازية ، التى اندحرت فى الحرب العالمية الثانية ، لكى ندفع نحن العرب ثمن ما أوقعه الفريقان من قهر شمل بعض عناصر شعوبهم !

الانفراج الديمقراطى

كما سقطت نظرية ديكتاتورية البروليتاريا عمليا بانفضاض الفلاحين عنها ، لتصبح ديكتاتورية الحزب البلشفى وحده ، سقطت الديموقراطية المركزية داخل هذا الحزب ذاته ، لتصبح ديكتاتورية المكتب السياسى ، وستالين على راسه ، وتحول المجتمع فى ظله الى مجتمع بوليسى تحكمه اجهزة القمع والتجسس والارهاب ، لمن يفكر فى معارضة زعيم الحزب او سياسته المعلنة ، أو « يتمتع » بغضب هذا الزعيم لاى سبب من الاسباب ، مهما يكن موقعه فى الحزب أو الدولة . بل لقد زعم خروشوف الذى بدأ على يده « الانفراج الديموقراطى » بادانة سياسة « عبادة الفرد » التى سادت فى عهد ستالين ، وذلك بتقريره المشهود فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ ، اقول : لقد زعم ان ستالين قد اسهم فى اضعاف القوة العسكرية للاتحاد السوفييتى ، بتقدو من اعدمهم من الجنرالات العظام للجيش السوفييتى ، الذين كانوا هم اقدر الناس على مقاومة الغزو النازى المرتقب ! وذلك لقلة ولائهم الحزبى وعدم استعدادهم للانصياع لاوامر « الزعيم الاوحد » ! وقد لايكون خروشوف على صواب فيما زعم ، ولكن هكذا يعانى الديكتاتور بعد موته من منتقديه ما يعانى ، طبقا لقول الشاعر :

ومن دعا الناس الى ذمه
ذموه بالحق وبالباطل !

على ان خروشوف الذى ادان ستالين ، والذى أعدم « بريا » وزير داخليته والراس الكبرى لادواته الباطشة ، لم يستطع ان يتقدم « نظريا » الى أبعد من ادانة عبادة الفرد ، لم يستطع حتى اعادة المركزية الديمقراطية التى دعا اليها لنين داخل الحزب البلشفى ، وتخبط بدوره فى سياسته ، واقدم على اقصاء

ديموقراطية جورباتشوف

شخصيات بارزة فى هذا الحزب توسم فيهم معارضة بعض سياسته على رأسهم مولوتوف ، وزير الخارجية السوفييتى الاشهر ، الذى توفى اخيرا عن اربعة وتسعين عاما ، والذى وصفه تشرشل بأنه أقوى مفاوض فى التاريخ ، وكذلك مالنكوف ، وبولجانين وغيرهم من القادة السوفييت وان كان لم يذهب الى حد اعدامهم كما كان يفعل ستالين ، انما اكتفى بابعادهم الى مناصب صغرى ، فعين مولوتوف سفيرا فى منغوليا ! ومالنكوف – باعتباره مهندسا قديما – مديرا لمحطة كهربائية بعد أن كان رئيسا للوزراء فى عهده ، وهلم جرا !

لم يستطع خروشوف أن يتقدم بالتالى الى الخطوة النظرية الحاسمة وهى اعلان أن تحول المجتمع السوفييتى الى دولة بوليسية تنعدم فيها الديموقراطية، كان هو النتيجة المنطقية التى ادى اليها اعمال نظرية ديكتاتورية البروليتاريا ، تطبيقا لكلام لنين ، ديكتاتورية البروليتاريا تعنى ديكتاتورية طليعتها ، أى الحزب الشيوعى ، فمن طليعة الحزب الشيوعى ، انه لجنته المركزية ، فمن طليعة اللجنة المركزية ؟ انه مكتبها السياسى . فمن طليعة المكتب السياسى ، انه السكرتير العام للحزب ! وهكذا تدور الدائرة على الجميع داخل الحزب وخارجه ، ويقعون ضحية للاستبداد الفردى !

فهل بعد أن خطا جورباتشوف خطواته الاخيرة وشرع فى اعادة الديموقراطية خارج الحزب بالسماح بحرية النقد ، وداخله باقرار مبدأ الديموقراطية فى انتخاب قيادته ، قد أصبح على وشك الاقرار بأن عهد الديكتاتورية بجميع اشكالها فى الاتحاد السوفييتى قد انتهى ، بما فى ذلك انفراد الحزب الشيوعى بالعمل السياسى !! وأن الاشتراكية الديموقراطية القائمة على تعدد الاحزاب هى المستقبل الذى ينتظر المجتمع السوفييتى !! أم أن عليه أن ينتظر حتى تولد مثل هذه التيارات داخل حزبه وتنمو حتى تتحول الى أحزاب ، على نحو ماحدث « لمنابر » الاتحاد الاشتراكى عندنا فى السبعينيات ؟ أم أن حاجة المجتمع السوفييتى الى احزاب جديدة قد انتفت بالفعل ، وأصبح قيام حزب واحد أمرا يرتضيه الجميع طواعية ولا يرضون به بديلا ؟

ذلك مايترقب العالم ان يشهد مايكون من امره . المهم فى الموضوع أن لايقع القهر على أحد فى الاتحاد السوفييتى لمجرد ابداء رأيه ، كما حدث فى الصين اخيرا حيث عزل سكرتير الحزب السابق « هاويوبانج » بدعوى تساهله مع مظاهرات الطلبة الداعية للديموقراطية ، وعزل معه نائب لرئيس احدى الجامعات وصف بأنه سخاروف الصين ، وحكم بسجن أحد الطلبة سبع سنوات باعتباره داعية لليبرالية الغربية ! كأن الليبرالية لم تكن هى التى أنجبت كارل ماركس ، الذى يحكم الشيوعيون باسمه ثلث الجنس البشرى ، وماركس نفسه مظلوم مع ممارساتهم الاستبدادية ، فقد كانت الجمهورية البرلمانية فى نظره هى الاداة المثلى للحكم الاشتراكى ، ولكنه على حد قول القائل :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيء فى يديه !
وبعبارتنا نحن : أو فى نظريته !!

لغويات

● كبير المنشدين الشيخ على محمود ـ رحمه الله ـ غنى قبل ستين عاما أبياتا أولها : «يانسيم الصبا تحمل سلامى» .. لحنها من مقام الحجاز ، وأداها اداء رائعا ، ولكنه فى البيت الذى يقول فى آخره : «يشفى فؤادى بذكرهم من سقام» .. نطق كلمة «سقام» بكسر السين ، وهو خطأ ، لأن كلمة السقام ـ بكسر السين ـ معناها «المرضى» ـ جمع مريض ـ وهى تماثل كلمة «سُقَمَاء» بضم السين وفتح القاف والميم ـ جمع سقيم ـ وإنما أراد الشيخ «السَّقَام» بفتح السين ، أى «السُّقْم» ـ بضم وتشديد السين وتسكين القاف ـ و «السَّقَم» أيضا .. بفتح وتشديد السين وفتح القاف ، ومعناهما : المرض ! والمقصود به فى هذا الغناء «مرض الحب» أو ما يجلبه الحب من أسقام وأوجاع ! ..

● يقول أبو الطيب المتنبى

يُرَادُ من القلب نسيانكم
ويأبى الطباعُ على الناقلِ

وأكثر الناس يقولون : «وتـأبى الطباع» .. بدلا من «يأبى الطباع» لظنهم أن «الطباع» جمع «طبع» .. ولكن اللغة تقول إن الطباع كلمة مفردة مثل الطبع والطبيعة .. إلا أن «الطبيعة» مؤنثة و «الطباع» مذكر مثل «الطبع» .. وجمع «الطبيعة» : طبائع .. أما «الطباع» فعلى وزن كلمة «الكتاب» وتجمع على «طُبُع» بضم الطاء والباء كما يجمع الكتاب على كُتُب .

● يشكو الرجل من اضطهاد أحد الناس فيقول : «فلان يَتقصدنى» بفتح اليـاء والتاء .. يعنى أن فـلانـا يضطهده .. وهذه كلمة فصيحة الأصل معناها يقصده ويتعمده ويتحراه .. قال المتنبى :

تَقَصَّدَهُ المقدارُ بين صحابه
على ثقةٍ من دهره وأمانِ

أى أهلكه القدر وكان يظن نفسه آمنا من الدهر ! ..

● بعض الأدباء يتجنب استعمال كلمة «يتلكع» ويظنها عامية ، ويستعمل بدلا منها كلمة «يتلكأ» .. ولكن «يتلكع» كلمة فصيحة معناها «يتسكع» ولها نفس معناها العامى .. وكل من يتلكع فهو «متلكع» .. أما الشخص الذى يتباطأ فى العمل فإنه «يتلكأ» وهو «متلكىء» .. فهناك فرق بين «يتلكع» و «يتلكأ» ! ..



المودودي بين التقليد والانطلاق

● لماذا حظرت الجامعة قراءة كتب المودودي ؟

بقلم : د . محمد عمارة

قد يدهش الكثيرون - بعد قراءة النقد « الحاد - والموضوعي » الذى كتبه الأستاذ المودودي [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] للحضارة الغربية - إذا هم علموا ان الرجل كان متهما بانه « متغرب » ، و« متاثر غاية التاثر بالغرب .. وكل شيء يصل إليه من الغرب يجذبه من حيث لايشعر » .. وستزداد دهشتهم إذا علموا أن الذين اتهموا المودودي هذا الاتهام ، قد عللوه ببعده عن الدين « فكل مايصل اليه عن طريق الدين تستغربه كتابته وخطابته ، على حين تجتذبه تاثيرات الغرب ، فيتاثر بها غاية التاثر ؟! »

لكن الدهشة ستزول إذا علمنا مصدر هذا الاتهام الغريب .. فالذين وجهوا الى الأستاذ المودودى هذه التهمة هم أركان المؤسسات الفكرية الاسلامية التقليدية ، من علماء الاسلام التقليديين ، الذين سماهم المودودى « أهل الجمود » ، ممن اتخذوا موقف الانكفاء على الذات - التى كانت تجسيدا لفكرية عصر التراجع والانحطاط الاسلامى - والذين عجزوا عن منافسة التغريب ، وصياغة البديل الاسلامى الذى يناطحه ، بل وكان عجزهم هذا ، والصورة الشوهاء التى قدموها للاسلام « الدافع » و« المبرر » لنشأة تيار التغريب واستشرائه فيما بين ظهرانينا !

ستزول الدهشة إذا علمنا مصدر هذه التهمة ، التى قالت عن المودودى إنه « متغرب » لأن الرجل قد ناصب أهل الجمود هؤلاء عداء شبيها بذلك العداء الذى ناصبه أهل التغريب .. فلقد رآهما معا جناحى التحدى الحضارى الذى يواجه الأمة ، ويحول بينها وبين الصحة الحضارية وعافية النهضة ، ووثبة التقدم والانعتاق بواسطة البعث الاسلامى الجديد ..

لقد تميز عن « أهل الجمود » من أساطين المؤسسات التقليدية ، تميزه عن « أهل التغريب » من أنصار « التبعية الحضارية » ورآهما معا شركاء فى « تركة التبعية والتقليد » البائسة .. منهم الذين يقلدون « سلفنا » ومنهم من يقلدون « سلف الغرب » .. أما هو فكان داعية للانطلاق من أصالة المنابع الجوهرية والنقية ، والاستئناس بإبداع عصر الازدهار ، وتخطى ركام عصر الانحطاط ، والنظر فى جميع ذلك بعقل ناقد يسلك الى أهدافه العصرية سبيل الاجتهاد والتجديد ، بمقاييسه ، وفى حدود الواقع الذى فكر له وفيه !

ونحن إذا شئنا أمثلة على تميز نهج المودودى عن نهج سدنة « التخلف الموروث » فسنجد فى كتاباته النقدية لهم وكتاباتهم النقدية له الكثير .. وعلى سبيل المثال :

● هم يعيبون على المودودى أنه يسعى لاعطاء العبادات والشعائر الاسلامية معانى ومضامين تجعل من أداء المسلم لها إسهاما فى صياغة الجانب النضالى لهذا المسلم تجاه التحديات التى تأخذ بخناقه فى كل اتجاه .. فهو يريد للمسلم عندما يشد رحاله لأداء فريضة الحج مثلا ، أن يبصر ما فى هذه الرحلة من صور الجهاد ومعانيه .. فهو « جندى » من جنود الله ، ينتقل بين مواطن المناسك - منى ، وعرفات ، ومزدلفة ، والكعبة - انتقال الجندى - فى صفوف جيش الحجيج - من معسكر إلى معسكر ! .. وهو يطلب من هذا « الجندى - الحاج » أن يسمع خطبة الخطيب فى عرفات سماع الجندى « أوامر القائد » ! وأن يستحضر عند رميه الجمرات ماترمز اليه هذه الشعيرة من رجم رمز الخيانة للأمة .. تلك الخيانة التى سهلت لأبرهة ، فى غزوة الفيل ، الوصول الى مشارف مكة .. وبذلك تتحول هذه المناسك الى وسائل تسهم فى إيقاظ وعى المسلم ، وتأهيله ليكون جندى البعث الاسلامى الجديد !

يعيب « أهل الجمود الموروث » على الأستاذ المودودى هذا النهج الجديد ، لأنهم يرون فى الحج ومناسكه « مظهر الحب المولى .. ونموذجا خالصا للهيام فى حبه



تعالى . ورباطا بين العبد وربه يقطع صلته عن غير الله . » ؟! .. ومن ثم يرون أن نهج المودودى ـ الذى يعطى الحج مضمونا نضاليا ـ قد حول هذا الذى رأوه مجرد « حب إلهى » إلى مجرد « تمثيلية عسكرية » .

فنحن أمام نهجين ، يعبر كل منهما عن تيار فكرى متميز فى المنطلقات ، والغايات ، والسبل والأدوات .

● وهم يعيبون على الأستاذ المودودى مايفخر به الرجل ويتيه ! يعيبون عليه اعماله عقله وحسه الاسلامى فى فهم القرآن وتفسيره .. أى « تفسيره بالرأى » .. لأنهم اهل نقل وتفسير بالمأثور ! كما يعيبون عليه « أنه خالف الجمهور فى تفسيره للقرآن في مواقع عديدة » ، وكأنما هذا الجمهور قد فسر القرآن « بالوحى » وليس بالرأى المتسق مع الزمان والمكان والقدرات ؟! » .

● وهم يعيبون عليه ـ ضمن مايعيبون ـ « إصراره على الاجتهاد » ؟! .. أى والله يعيبون هذا على الرجل ! .. فتيار الجمود هذا لايخجل من معارضة دعوة المودودى الى الاجتهاد .. بل يكتبون فيقولون « فنحن ، من حيث الجماعة ، نرى التقليد شيئا لازما فى هذا العصر ، ونرى ان شروط الاجتهاد التى اشترطها السلف مفقودة فى علماء هذا العصر » ؟!

● وهم يختلفون معه حول الموقف من التصوف ـ وبالأحرى « الطرق الصوفية » .. فهو يرى أن « تجديد الاسلام يستلزم تجنيب » جمهور المسلمين لغة الصوفية واصطلاحاتهم ورموزهم واشاراتهم ولباسهم وعاداتهم وسلسلة البيعة والاتباع المعمول بها عندهم .. » لأنها ملهاة تغيب العقل المسلم عن أن يعى المأساة التى يعيش فيها الاسلام والمسلمون .. أما هم فإنهم يرون فى موقف المودودى من التصوف .. وفى دعوته للاجتهاد وسلوكه سبيله فى فهم الاسلام أمرين « يعزلانه عن جماعة العلماء » ؟ !

● ولقد بلغ بهم هذا الخلاف المدى ، فأعلن « مشايخ جامعة (ديوبند) الاسلامية » إن دعوة المودودى وجماعته الاسلامية هى «فتنة » ، وسلوكها فى سلسلة الفتن التى نشأت فى شبه القارة الهندية .. مثل « فتنة انكار الحديث .. ونظرية وجود قرآنين .. والمتجددين أصحاب الفلسفة العقلية .. والقاديانية .. وأصحاب البدع والخرافات .. وفتنة الأستاذ المودودى » ؟! .. ومن ثم فلقد ألفوا الكتب والرسائل ضد نهجه ودعوته .. بل واجتمع مجلس شورى « جامعة مظاهر العلوم » وفيه المفتى وكبار الشيوخ والمحدثون ـ وقرر ـ فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ هـ ـ مارس سنة ١٩٥١ م « إن الجامعة ليس لها أية صلة بحركة الأستاذ المودودى ، ومحظور على طلابها مطالعة كتبها » ..

لقد اتخذت المؤسسات التقليدية من المودودى ودعوته وجماعته موقف الرفض .. وناصبته العداء .. ولم يكن ذلك غريبا ، فهما تياران مختلفان ، ومتناقضان .. ولقد اتخذ الرجل من فكرية هذه المؤسسات ومناهجها موقف الرفض والادانة ، وحملها قسطا كبيرا من المسئولية عما وصل اليه الاسلام والمسلمون من جمود وهزيمة وهوان ! ..

ففى رأى الأستاذ المودودى .. أن هذا البلاء الذى اصابنا به الغرب ، استعمارا وتغريبا ، لم يكن ليحدث لولا الفراغ الحضارى وضعف البنية وضمور القدرات ، التى تمثلت فى جناية أهل الجمود على الاسلام والمسلمين .. « فالاستعباد الذى ابتلينا به فى القرن التاسع عشر كان نتيجة محتومة لانحطاطنا الدينى والخلقى والفكرى ، الذى كنا متردين فيه من قرون عديدة » !

● الاستعمار شريك وعميل

ولقد خلق الاستعمار فى بلادنا ، نخبة متغربة ، صنعها على عينه فى جامعاته الغربية ، وفى مؤسسات التعليم التى اقامها فى بلادنا وفق مناهجه .. وهو يعتمد على هذه النخبة فى الادارة ، كشريك وعميل ، ويعد طائفة منها لخلافته ، لتستمر التبعية تحت رداء « الاستقلال » السياسى .. « أما نظام التعليم الدينى ، الذى يجرى اليوم تحت اشراف حملة الدين وارشادهم ، فى الناحية الأخرى ، فإنه لايزال مشتغلا ، فى القرن العشرين ، بإعداد رجال من القرن الثامن عشر ؟ ! فلا توجد فى المسلمين اليوم طائفة يرجى فيها أن تنحى تلاميذ الغرب وصنائعه وبطانته عن محل الصدارة ، وتقيم فى الدنيا دولة تناهز الدول العصرية ، وتدير شئونها كلها وفق دستور الاسلام وقانونه » ..

وهذا الجمود الذى أصاب فكرية المؤسسات التقليدية الموروثة ، يلعب « التقليد » دور الحارس له من الزوال ! .. وشيوخ التقليد هؤلاء ـ المعادون للاجتهاد والتجديد ـ قد رضوا ـ فى بلادة ـ ودون دراية ـ بوضع وصورة الأنعام ، والعجزة الذين لايعقلون ! ذلك « أن الذين لايستعملون عقولهم وافهامهم ، ولايميزون بأنفسهم بين الصحيح والزائف ، بل يقلدون غيرهم تقليدا اعمى ، يحكم عليهم القرآن الكريم بأنهم (صم بكم عمى فهم لايعقلون » ويشبههم بالأنعام ، بل يجعلهم أحط منها ، لأن الأنعام غير ذوات عقل ، وهؤلاء ذوو عقل ، لايستعملونه (أولئك كالأنعام بل أهم أضل ، أولئك هم الغافلون) (الأعراف ١٧٩) .. » ولذلك فلابد من تجديد الدين بالاجتهاد الاسلامى .. وهذا التجديد والاجتهاد ـ اللذان هما طوق نجاة الأمة من البؤس والضعف الذين نعيش فيهما ـ لن تستطيع النهوض بتبعاتهما هذه المؤسسات التى جمدت عند « التقليد » .. فلابد للمجتهد المجدد من قوة اجتهادية ، يعود بها إلى المنابع الأولى ، البكر والجوهرية والنقية ، دونما جمود عند مآثر أحد بعينه أو عصر بذاته .. « إن عمل التجديد فى هذا العصر الحديث ، يتطلب قوة اجتهادية جديدة .. ذلك ان كتاب الله وسنة النبى مرجعان وحيدان .. تلتمس منهما الهداية



لتجديد ملة الاسلام . ويعد الأخذ من الكتاب والسنة . تتطلب ـ لبسط محجة العمل والسعى بمقتضى هذا الزمن ـ قوة اجتهادية بنفسها ، لاتتقيد بمآثر أحد بعينه من المجتهدين الماضين ولاتنحصر فى طريقه ومنهاجه دون غيره ، وإن اقتبست من كلهم ولم تتحام أحدا منهم » .

● شروط الاجتهاد مفقودة !

فأين من هذه المهمة أولئك الذين قالوا : « إن إصرار الأستاذ المودودى على الاجتهاد أمر نعتبره معارضا لمسلك « جماعة العلماء » .. فنحن .. من حيث الجماعة ، نرى التقليد شيئا لازما فى هذا العصر ، ونرى أن شروط الاجتهاد التى اشترطها السلف مفقودة فى علماء هذا العصر .. » ؟ ! لقد حكموا بالعقم على الأمة .. ولاسبيل أمام العاقر إلا التبنى و« المتبنى » ـ فى مثل حالنا ـ هو « التغريب » !

وإذا كان « الجمود والتقليد » قد أعجزا أركان المؤسسات الفكرية التقليدية والموروثة عن امتلاك شروط الاجتهاد والنهوض بمهمة التجديد ، فإن « الجهل بالاسلام » و« التشوه المعرفى » بسبب « التغرب » يقومان حائلا بين المتغربين والنهوض بهذه المهام .. فالذين « لايستطيعون فهم القرآن إلا بواسطة التراجم » لجهلهم العربية .. ويرون فى السنة النبوية « مادة عديمة المنفعة » وليسوا على أدنى إلمام بما قام به فقهاء الاسلام فى القرون الثلاثة عشر الماضية من الجهود فى ميدان القانون الاسلامى ، بل ينبذونه نبذ النواة ، والذين ـ فوق هذا وذاك ـ قد اشربوا افكار الغرب وقيمه لحد أنهم يحاولون تفسير القرآن واحكامه وتعاليمه بما تقتضيه افكار الغرب وقيمه ! » هؤلاء هم أعجز من أهل التقليد والجمود عن الاجتهاد للاسلام والمسلمين .. فالاجتهاد ليس « تلفيقا » هدفه مسالمة حضارة الغرب المادية « والتجديد لايكون فى التماس الوسائل لمسالمة الجاهلية ، ولاهو اعمال خلط جديد من الاسلام والجاهلية ، بل التجديد ، فى حقيقته ، هو تنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ثم العمل على احيائه خالصا محضا على قدر الامكان .. ولعمل التجديد شعب منها :

● بعث العقلية الاسلامية الخالصة من جديد ..

● الاجتهاد فى الدين .. بأن يفهم المجتهد كليات الدين ، ويتبين اتجاه الأوضاع المدنية والرقى العمرانى فى عصره ، ويرسم طريقا لادخال التغيير والتعديل على صورة التمدن القديم المتوارثة ، يضمن للشريعة الاسلامية

روحها وتحقيق مقاصدها ، ويمكن الاسلام من الامامة العالمية في رقي المدنية الصحيح .

● السعي لاحداث الانقلاب العالمي .. فلا يكتفي باقامة النظام الاسلامي في قطر واحد أو في الاقطار التي يقطنها المسلمون فحسب ، بل تبعث حركة عالمية قوية تكفل انتشار الدعوة الاسلامية الاصلاحية والانقلابية في عامة سكان هذه الأرض ، فتكون حضارة الاسلام هي الحضارة العالية في الارض .. ويتولى الاسلام إمامة العالم ورئاسته في الأخلاق والأفكار والسياسة » ..

فموقع « الاجتهاد والتجديد » الذي حدده المودودي لنفسه وجماعته وتيار البعث الاسلامي الجديد ، لايمكن أن يكون - بطبيعة مهامه ومايلزم لها من إمكانات - في متناول أي من تياري « الجمود » و« التغريب » .

فأهل الجمود قد وقفوا ويقفون عند علوم الدين .. أما المودودي فإنه يرى أن ميدان التجديد ليس وقفا على علوم الدين وشريعته ، لأن التجديد الديني « لايكفي فيه احياء العلوم الدينية ، وبعث الولوع باتباع الشريعة فحسب ، بل يلزم إنشاء حركة شاملة جامعة تشمل بتأثيرها جميع العلوم والفنون والأفكار والصناعات ونواحي الحياة الانسانية جميعا ، وتستخدم ماأمكن من القوى لاحكام أمر الاسلام »

فالتجديد ، هنا : نهضة أمة وتطوير واقع ، وانقلاب اجتماعي وثورة ثقافية ، يكون فيها تجديد الدين المنطلق والسبيل والمحرك لتجديد الدنيا !

وهذا التجديد ، الكافل لهذه النهضة ، لابد أن يتخطى أعلامه ورواده ركام العصور المظلمة وتخلف حقبة الانحطاط ، فيعودون - بالسلفية - إلى المنابع الأولى ، يلتزمون الأصول ، ويستأنسون - مجرد استئناس ليس فيه التزام ولاإلزام - باجتهادات المجتهدين السالفين .. وتلك مهمة مستحيلة ، على أهل الجمود وسدنة التخلف الموروث من حملة الدين ورجال المؤسسات التقليدية .. « فلقد حرموا أنفسهم - إلا من شاء الله - من روح الاسلام الحقيقية ، ولم يكونوا اهلا للاجتهاد ، ولم تكن فيهم مقدرة التفقه وقد غلب عليهم مرض التقليد الجامد للأسلاف ، فكانوا يبحثون عن كل شيء في كتبهم ، ولم تكن هذه الكتب منزلة من السماء ، وكانوا يرجعون في كل أمورهم الى الرجال ، ولم يكونوا انبياء

● العودة للمنابع الأولى

بل أن المودودي ليذهب على درب خلافه مع هذه المؤسسات ومناهجها ، إلى حد ابعد من الدعوة للعودة للمنابع ، وتجاوز آثار التراجع والانحطاط .. يدعو الرجل ، في علم الحديث - وهو الميدان الأوسع في التشريع الاسلامي - الى عدم الركون الى ماركن اليه القدماء ، من اعتماد « الرواية » معيارا شبه وحيد في التحقق من صدق الأحاديث ، ويطلب الاحتكام إلى « الدراية » - النابعة من « الحس الاسلامي » - وتقديمها على « الرواية » في نقد المأثور عن الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. وهذا باب واسع من ابواب التجديد الاسلامي ، ومعلم بارز من معالم الخلاف بينه وبين نهج الجامدين المقلدين ..



وبعد ان عرض المودودى نهج القدماء من المحدثين فى نقد الحديث وتوثيقه ـ هذا النهج الذي لم يغادر عالم « الرواية » ـ استطرد ناقدا هذا النهج ، فقال : « .. ولكن ، هل يوجد فيها ـ [الرواية] . شيء لايحتمل الخطأ ؟ .. إنه من الصعب جدا الاطلاع الكامل على سيرة الرواة وحفظهم واوصافهم الباطنية ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ، فإن النقاد انفسهم لم يكونوا ابرياء من النقائص البشرية ، كل كانت معه النفس ! ومن الممكن جدا ان يكون عيله الشخصى دخل فيما يحكم به نحو اشخاص آخرين ، وليس هذا الامكان فى درجة الامكان العقلى ـ (اى النظرى) ـ بل هناك ادلة تثبت ان هذا وقع بالفعل .. واعجب من ذلك كله أن الصحابة ، رضى الله عنهم ، كثيرا ماكانت تغلبهم النقائص البشرية ، فيغمز بعضهم بعضا . وليس غرضنا من تقديم هذه الأمثلة تغليط علم اسماء الرجال ، وإنما قصدنا هو ان نثبت ان الذين قاموا بجرح الرجال وتعديلهم كانوا بشرا ، ولم يخلوا من النقائص البشرية ، فهل من الضرورى ان من وثقوه أن يكون ثقة ويعتمد عليه فى جميع الروايات ؟ وان من جرحوه أن يكون مجروحا حقيقة ؟ وان تكون مروياته كلها ساقطة فى الاعتبار ؟ ثم ، معرفة كل راو ، من حيث الحفظ والصلاح والضبط . معرفة صحيحة أمر جد مشكل ، واصعب من ذلك هو البحث عن أن الراوى هل لاحظ عند الرواية جميع الأمور المتعلقة بها ، التى لها أهمية من حيث وجهة نظر فقهية فى استنباط المسائل ؟ هذا مايتعلق بفن الرجال .

أما الأمر الثانى : فهو سلسلة الاسناد . إن المحدثين حاولوا البحث حول كل حديث ، بأن كل راو للحديث عندما يروى عن الآخر هل وجد فى عصره أم لا ؟ فإن وجد في عصره . فهل حصل له اللقاء معه أو لا ؟ فإن كان لقيه فهل سمع منه هذا الحديث الذى يرويه أم سمعه من غيره ، ثم لم يذكره ؟ فقد بحثوا هذه الأمور الى حد ما تتحمله الطاقة البشرية . ولكن ، لايلزم من ذلك انهم اصابوا فى فهم جميع الأمور فى بحث الرواية . فمن الممكن جدا أن الرواية التى حكموا عليها بالاتصال ان تكون منقطعة فى نفس الأمر ، ولم يعرفوا راويا مجهولا غير ثقة سقط من بين الاسناد .. فبناء على ذلك وعلى أمور اخرى مثله ، لايمكن الاعتراف بصحة علم الاسناد والجرح والتعديل كلية ، نعم ، إن هذه الذخيرة أحرى بالاعتماد الى حد ، بحيث تستخدم وتراعى فى تحقيق السنة النبوية وآثار الصحابة ، ولكنها لاتستحق بأن يعتمد عليها كلية » .

وعند هذا الحد من نقد مقومات فن « الرواية » والتحفظ على علم الاسناد والجرح

والتعديل ، أضاف المودودى مايقترحه ـ مع علم الاسناد ـ وفن « الرواية » لتوثيق السنة توثيقا تطمئن اليه العقول والقلوب . فتحدث عما نسميه فن « الدراية » الذى جعل معياره الأول « الذوق والحس الاسلامي » الخالص .. فقال : لقد « كان هناك معيار آخر ـ غير الاسناد ـ كانوا ينقدون به الأحاديث . ذلك أن الله تعالى عندما يكرم شخصا يكرم شخصا بنعمة التفقه ، فينشأ فيه ذوق خاص .

من مطالعة القرآن والسيرة بإمعان ، فيصبح فى بصيرته كالجوهرى الماهر الخبير الذى يعرف أدق خصائص الجواهر ، كذلك صاحب هذا الذوق ، هو ينظر دائما إلى النظم الكامل لهذه الشريعة ، ثم عندما ترد عليه الجزئيات يستدل بذوقه الخاص ، أية هذه الجزئيات تطابق طبيعة الإسلام ؟ وأيتها تخالف ؟ وعندما ينظر إلى الروايات يصبح هذا الذوق محكا لها للرد والقبول ، إن طبيعة الإسلام هى عين الطبيعة النبوية ، فالذى يعرف طبيعة الإسلام ، وقد أمعن النظر فى كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، يصبح عالما بطبيعة النبى ، فعندما ينظر إلى الرواية تهديه بصيرته إلى أن أى عمل أو أى قول يمكن أن يكون للنبى ؟ لأن روحه تتلاشى فى الروح المحمدية ، وبصيرته تتحد بالبصيرة النبوية .. فإذا وصل الإنسان إلى هذاالمقام لايحتاج كثيرا ، بعد ذلك ، إلى الإسناد ، فهو يستمد من الإسناد بالضرورة ، إلا أنه لايكون مدار حكمه ، فهو كثيرا ما يأخذ بالحديث الذى حكم عليه بالضعف والغرابة والانقطاع وقد طعن فيه ، لأن بصيرته تطلع على لمعان الجوهر فى ذلك الحجر المتروك ، كما أنه كثيرا مايعرض عن الحديث غير المعلل ، غير الشاذ ، متصل الإسناد ، المقبول ، لأنه يرى أن المعنى الذى امتلأ به هذا الإناء الذهبى لايظهر مناسبا لطبيعة الإسلام والطبيعة النبوية ، ولما كان هذا ذوقا محضا ، لايدخل تحت أى ضابط مازال ولايزال مجالا للاختلاف ! ... » .

هكذا باعد ويباعد هذا المنهج ـ فى النظر إلى « الرواية » ـ الشقة بين المودودى وفكرية المؤسسات التقليدية ، ويزيد الخلاف بينه وبين حملة الموروث الدينى ، بل ويتصاعد به إلى درجة الصراع !

على أن الميدان الأعظم من ميادين الخلاف بين المودودى والمؤسسات الفكرية التقليدية ـ صوفية وتعليمية ـ والذى يصل بالخلاف إلى عمق الجذور .. ذلك الذى تعلق بفهم كل من الفريقين لدور الإسلام فى الحياة ونطاقه فى المجتمع الإسلامى .. فالمودودى واحد من أعلام الصحوة الإسلامية الذين جاهدوا من أجل « شمولية » الإسلام لكل جوانب المعرفة والدولة والمجتمع ، لا فى النطاق الإسلامى فحسب ، بل لقد دعا إلى إمامة الإسلام للعالم بأسره ، بديلا لعالمية الحضارة الغربية المادية الإلحادية .. أما « أهل الدين » ـ كما كان يسميهم أحيانا ـ « فإن من أفدح المضار التى أصابتنا من جمودهم ... تنحيهم عن قيادة المسلمين وزعامتهم ، حتى لقد أصبح إرشاد المسلمين وزعامتهم فى جميع شئونهم ، من التعليم والإجتماع



والاقتصاد والسياسة ، من وظيفة الذين لايعرفون الدين ولايشعرون بحاجة إلى استرشاده في ناحية من نواحى حياتهم ، وهم المثقفون بثقافة الغرب ... أما أهل الدين فلا ناقة لهم بهذا الشأن ولاجمل ، وأصبح من أمرهم أن يقبعوا فى زواياهم ويشتغلوا بالدرس والتدريس والذكر والتسبيح ، أو يرفعوا أيديهم يدعون الله ويستنصرونه لمن بيده زمام القيادة القومية ... ويمنحون هذه الزعامات كل رخصة فى الدين ، حتى لو تزعزع على أيديهم بناء الدين من أساسه ! .. وذلك فى الوقت الذى ينسبون فيه الجماهير ، التى لاتملك سلطة ولانفوذا ، إلى الفسق ومخالفة الدين للمخالفة فى بعض المسائل الجزئية غير المنصوص عليها فى الكتاب والسنة ؟ ! ... وإن أرادوا ـ [أهل الدين] ـ أن يتدخلوا فى معترك السياسة ، فلا سبيل لهم إلى ذلك إلا التعلق بأهداب أحد الزعماء السياسيين ، يتبعون خطواتهم ويحذون حذوهم .. »

وعلى العكس من هذا النهج الذى عزل الإسلام عن عرش القيادة للدولة والمجتمع ، تركت مالقيصر لقيصر ، دون أن تجعل هذا الذى لقيصر جزءا لايتجزأ مما هو لله .. على العكس من هذا النهج ، الذى سار فيه « أهل الدين » ، كان نهج المودودى : يريد تجديد الدنيا بالدين ، ويعمل لبعث إسلامى ، يدفع بالإسلام إلى صدارة القيادة فى الدولة والمجتمع والعلاقات الدولية ، كما فى العقائد والتصورات الفلسفية والعبادات ..

ولقد تجلى هذا « النهج الشمولى ـ المتكامل » فى فهم دور الإسلام ونطاقه ، تجلى فى تقييم المودودى لحلقات التجديد وأعلام المجددين الذين تعاقبوا على تاريخ الإسلام .. فالإمام الغزالي ـ على عظمته التى اكسبته صفة « حجة الإسلام » ـ قد « تخللت عمله التجديدى نقائص من الجهة العلمية والفكرية تقسم على ثلاثة أنواع :

نوع منها كان مأتاه ضعف الإمام فى علم الحديث .
والنوع الثانى كان منشؤه إستيلاء العلوم العقلية على ذهنه ..
والنوع الثالث وقع فى أعماله لميلانه المتطرف إلى التصوف ... »
ولذلك فإن ابن تيمية ـ بنظر المودودى ـ يفضل الغزالى فى التجديد .. فلقد تجنب نقائصه ، « ووفق فى توسيع دائرة العمل الذى تركه الإمام الغزالي بوجه أحسن وأتم ... فهو

أولا : انتقد المنطق والفلسفة اليونانية انتقادا أشد وأدق مما فعله الإمام الغزالى .

وثانيا : أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه ماكان يفوق أدلة الإمام الغزالى سوغانا فى العقل وأحوى منها لروح الإسلام ..

وثالثا : لم يجتزىء برفع النكير على التقليد الجامد فحسب ، بل ضرب المثال بمزاولة الاجتهاد على طريقة المجتهدين من القرون الأولى ..

رابعا : جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادا قويا عنيفا ، ولاقى فى سبيل ذلك أعظم المصائب ..

ومضافا إلى هذا العمل التجديدى ، جاهد بالسيف همجية التتار ووحشيتهم ... »

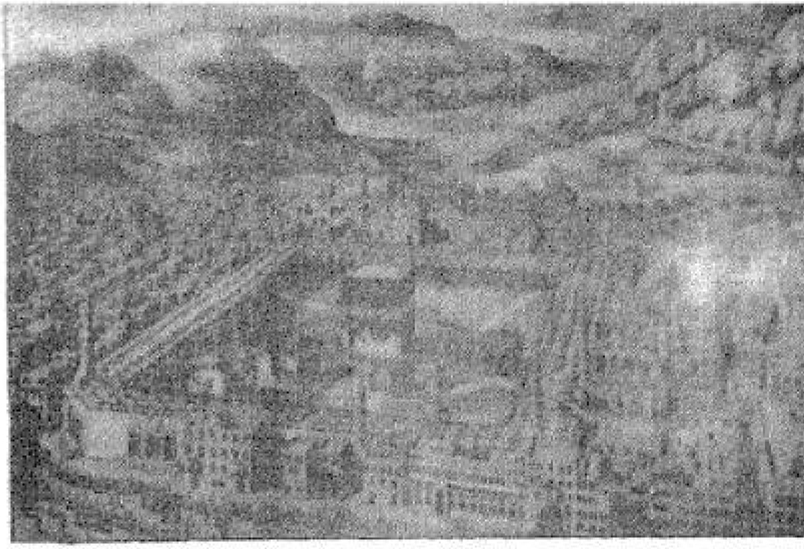
فابن تيمية ـ بنظر المودودى ـ يفوق الغزالى بالتصدى أكثر لفكر اليونان ، الذى كان يهدد الهوية الإسلامية لأمتنا وحضارتها ... وبكونه أكثر من « مفكر ومجتهد » ، فلقد كان « مناضلا » كذلك ! ..

وليس كذلك ، ولا فى شىء من ذلك « أهل الدين » ، الذين فتحوا ـ بعجزهم وجمودهم ـ الباب للتغريب والمتغربين ، فأصبحت لهم الهيمنة والقيادة فى مختلف شعب الفكر والحياة ! ...

والمودودى ، رغم إعجابه بابن تيمية ، فإنه لايرى فى إنجازه مايكفى للخروج من المأزق الذى يواجهه الإسلام والمسلمون ... فابن تيمية « لم يوفق لبعث حركة سياسية فى المسلمين ، يحدث بها الانقلاب فى نظام الحكم وتنتقل مقاليد الحكم والسلطة من أيدى الجاهلية إلى أيدى الإسلام » . وتلك هى مهمة البعث الإسلامى التى نذر المودودى نفسه فى سبيلها .. ولذلك ، فلقد وجدنا إعجابه يزداد بالإمام ولى الله الدهلوى [١١١٠ ـ ١١٧٦ هـ ١٦٩٩ ـ ١٧٦٢ م] حتى ليفوق إعجابه بابن تيمية .. فهذا المجدد الهندى قد سلط الأضواء ـ وخاصة فى كتابه [حجة الله البالغة] ـ على الإسلام دينا ودولة ونظاما شاملا للحياة ، فتفرد بذلك فى موكب المجددين الذين سبقوه ... لقد اجتهد أن يعرض النظام الإسلامى الكامل ، بجميع جوانبه الفكرية والخلقية والشرعية والعمرانية ، مرتبا ومنسقا ، وهو الفعل الذى فاق فيه كل من تقدمه ..

وهكذا نرى أن إعجاب المودودى ـ بصدد الحديث عن التجديد والمجددين ـ قد انصب على أولئك الذين سلطوا الأضواء على تميّز حضارتنا الإسلامية عن الحضارة الغربية ... وتميزُ الحكومة الإسلامية ونظامها عن الحكومة الجاهلية ونظامها ... ورأوا الإسلام نظاما شاملا لكل شعب المعرفة والحياة .. وسلكوا سبيل النضال العملى ـ علاوة على الاجتهاد الفكرى والنظرى ـ لتطبيق ثمرات هذا الاجتهاد ..

وفى هذا الميدان كان موقع المودودى ، فكرا ونضالا ، وبهذا الموقع اختلف وتناقض مع أساطين المؤسسات التقليدية الموروثة ، الذين رأى فيهم وفى تيار التغريب جُماع التحدى الحضارى الذى يعوق البعث الإسلامى الجديد ... فوجه نقده إليهم جميعا ! .



واستصرخت ربها في مكة الأمم

بقلم : محمد سيد كيلانى

كان ابن جبير الاندلسى يعمل كاتبا لاحد الحكام. وكان هذا الحاكم يعقد مجلس خمر من حين الى حين وذات ليلة بينما كان جالسا ودوارق الخمر امامه نادى ابن جبير ليملى عليه رسالة وقدم له كاسا من الخمر، فابى ان يشرب ، واظهر الامتعاض الشديد ، ولكن الحاكم الح عليه فشرب وهو كاره سبع كئوس ، فملا له الحاكم الكاس دنانير سبع مرات ، فاخذها وعاد الى منزله عاقدا العزم على انفاق هذا المال فى الرحلة الى بيت الله الحرام واداء فريضة الحج ليكفر عن ذنبه الذى اقترفه



ابراهيم المويلحي
وجه عريضة للسلطان



السلطان عبد الحميد
اسند شرافة مكة للشريف حسين

وسواء أصحت هذه القصة أم لم تصح فان ابن جبير قد ترك لنا آثرا قيما حين دون رحلته .

ومن هذه الرحلة نعلم ان حجاج بيت الله الحرام كانوا يعانون مشقات هائلة في الذهاب والاياب ، وكثيرا ما تعرضوا لقطاع الطرق يعتدون على اموالهم وارواحهم .

وكان المصريون وحجاج شمال افريقيا يسلكون الطريق البرى ، فلما نشبت الحروب الصليبية سلكوا طريق البحر الاحمر او بحر الحجاز كما كانوا يسمونه . فيركبون النيل الى قنا ،ومنها الى ثغر عيذاب ـ القصير، ثم يجرون الى جدة . وكان اصحاب السفن فى عيذاب يتحكمون فى الحجاج، لا يراعون فى ذلك ذمة ولا ضميرا . قال ابن جبير « ولاهل عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت ، وذلك انهم يشحنون بهم المراكب حتى يجلس بعضهم فوق بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة ، يحمل اهلها على ذلك الحرص والرغبة فى الكراء حتى يستوفي صاحب المركب ثمنها في رحلة واحدة »

وكان على كل حاج ان يدفع رسما نظير دخوله الحجاز قدره سبعة دنانير ومن عجز عن الدفع تعرض للتعذيب . فلما تولى صلاح الدين الغى هذه الضرائب التى كانت تجبى لصالح امير مكة ووقف أرض الزراعية على الحرمين الشريفين . ومن ذلك الوقت اخذت هذه الاوقاف تزداد يوما بعد يوم .

ويصف ابن جبير معاملة اهل الحجاز للحجاج فيقول :

« يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في اهل الذمة ، قد صيروهم من اعظم غلاتهم التى يستغلونها ، ينتهبونهم انتهابا . فالحاج معهم لا يزال في غرامة الى ان ييسر الله رجوعه الى وطنه . ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في امر لا ينادى وليده ، ولا يلين شديده ، فأحق بلاد الله ان يطهرها السيف ويغسل ارجاسها وادناسها بالدماء

واستصرخت ربها في مكة الأمم

المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية ، لما هم عليه من حل عرى الاسلام واستحلال اموال الحجاج ودمائهم • فمن يعتقد من فقهاء الاندلس اسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب ، فراكب هذا السبيل راكب خطر ، والله قد اوجب الرخصة فيه على غير هذه الحال ، فكيف وبيت الله الان بايدى اقوام قد اتخذوه معيشة حرام ،

صورة متخيلة للقطار الذى كان يربط المدينة بأراضي الحجاز في عام ١٩٠٨



وجعلوه سببا الى استلاب الاموال واستحقاقها من غير حل ومصادرة الحجاج عليها وضرب الذلة والمسكنة عليهم » •

وقد جاء ابن جبير الى الشرق مرة ثانية ، ولكنه توفى بالاسكندرية في ٢٧ شعبان سنة ٦١٣ ودفن بها ،

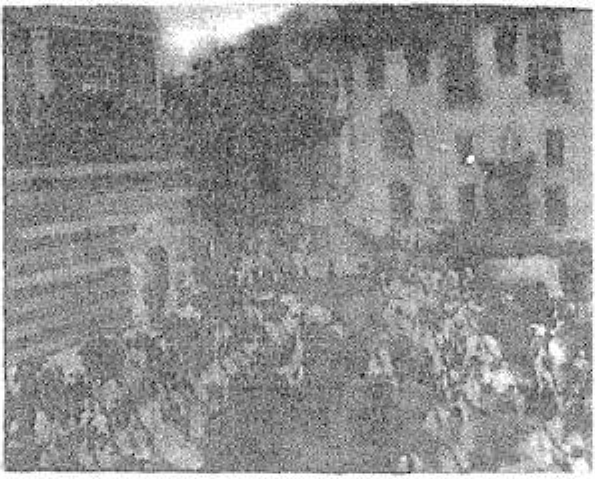
● ● ●

وفي سنة ١٩٠٤ في عهد الشريف عون الرفيق تعرض الحجاج المصريون لعدوان شنيع وقع عليهم من رجال الشريف ، وطولبوا بدفع رسوم باهظة وقتل بعضهم ونهبت اموالهم وامتعتهم قالت صحيفة المؤيد (١٤ ـ ٤ ـ ١٩٠٤) « علم القراء ما اصاب الحاج هذا العام من تطاول ايدى الاعراب اليهم بالاذى والسلب والنهب وغير ذلك مما تقشعر منه الجلود وتشمئز له النفوس » وكان الشريف قد طلب من كل حاج ان يدفع جنيهين انجليزيين اجرة للجمل ، فمن رفض كان عقابه الضرب والحبس بحيث لا يبرح السجن حتى يدفع الاجرة كاملة • وطلب المطوفون نصف جنيه انجليزى يدفعها كل حاج صغيرا كان او كبيرا وفي الطريق الى جدة هجم الاعراب على الحجاج وقتلوا منهم من قتلوا ، وسلبوا الاموال والامتعة •

وقد ثار الراى العام في مصر ثورة عارمة ونشرت صحيفة المؤيد مقالات وقصائد لكبار الكتاب والشعراء •وقد وجه ابراهيم المويلحى عريضة مفتوحة الى السلطان عبد الحميد جاء فيها •

« علا الضجيج يا امير المؤمنين فملأ الآفاق من حجاج بيت الله الحرام ، ومن الذين يتألمون لهم من المسلمين وغير المسلمين من اهل الشفقة والمرحمة » •

« يا امام الهدى وظهير الحق ، ان



حجاج يطوفون شوارع مكة حاملين كسوة الكعبة التي كانت ترسلها مصر في كل عام

الايدى الطاهرة التى بسطها الحجاج الى السماء فى بيت الله حول الكعبة للدعاء بنصرك قد قطعها الاعراب ورموا بها على الارض تقطر دما ، يقرأ منه الغادى والرائح حروف « واخليفتاه » بل قطعها يا امير المؤمنين عون الرفيق وانصاره طمعا فى المال » .

« يا امير المؤمنين قد حار الناس وجدير بانهم يحارون ، لانهم يعلمون ان كلمة ينطق بها جلالته تجعل الحجاج يسيرون ليلا آمنين . ولهذا قد زاغ بعض الجهال فقالوا ان هذا مقصود ليشتهر بين الناس عن المنتسبين الى بيت الرسالة ما نراه ونسمعه من هذه المخزيات لتشمئز منهم النفوس وتعتقد انهم لا يصلحون لشىء فيستريح خاطر جلالة سيدنا ومولانا من تلك الكلمة التى يكررونها انا فانا (الائمة من قريش) والله يعلم انهم لكاذبون » .

ولما ترجمت هذه العريضة الى اللغة التركية وقراها السلطان امر بعزل الرفيق عون من منصبه واسند شرافة مكة الى الشريف حسين ، وهو الذى اصبح ملكا على الحجاز فيما بعد . وفى هذه الحادثة يقول احمد شوقى فى قصيدة طويلة :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الامم
ادبه ادب امير المؤمنين فما
فى العفو فاسق فضل ولاكرم
ما كان طه لرهط الفاسقين ابا
ال النبى باعلام الهدى ختموا
امين فيها ضيوف الله واضطهدوا
ان انت لم تنتقم فالله منتقم

وقد اوردت صحيفة المؤيد وصفا طويلا لما تعرض له الحجاج من غارات الاعراب فى الطريق من مكة الى المدينة ، ومن المدينة الى ينبع .

وفى اوائل القرن العشرين ظهر مشروع سكة حديد الحجاز ، وجمعت له التبرعات من جميع انحاء العالم الاسلامى . وفى الدعوة للتبرع لهذا المشروع يقول احمد شوقى

يا امة المصطفى جلت حوائجكم
قدموا الخير على الله يقضيها
تكثروا ما استطعتم من ديونكم
عند النبى فان الله موفيها
تلك الاعانة لا من ولا كذب
اعانة المصطفى جبريل جابيها
فمن يضن على طه وفى يده
فضول مالى فللشيطان ما فيها

واصبحت الاذاعة المرئية تنقل صور الحجاج على جبل عرفات فيزداد شوق الناس الى اداء الفريضة

من ذخائر
الكتب العربية

المواقف.. والمخاطبات

بقلم: رشدى محمد ابراهيم

كان التصوف الإسلامى ، ولم يزل ، الواحة الوارفة الظلال ، التى تجد النفس المؤمنة فى افيائها الأمن والسكينة ، وتستنشق فى أرجائها عبق الطهر والقرب ، وتحتسى فى أضوائها رحيق الشوق والحب .

وكان الأدب الصوفى ، ولم يزل ، نهرا دافقا من الوجد الإيمانى والأشواق السامية ، والرؤية البعيدة ، والإبداع الذى تتألق فيه طاقة المواجيد وعطاء الصفاء الروحى .. وقد تجلى ذلك فى شعر الصوفية ونثرهم .. وليس خافيا عن دارسى الآداب مانظمه ابن عربى ، وابن الفارض ، وابن الكيزانى ، وعبد الرحيم البرعى .. وكذلك ليس خفيا ماخطه يراع ابن عطاء الله السكندرى فى "حكمه" ، ولا ماكتبه ابن عربى فى "فصوص الحكم" وغيرهما من أعلام المتصوفة ، المشهود لهم برسوخ القدم ، وبعد الهمم .

وإذا كان هناك من أعلام الصوفية من ذاع صيته ، فشرق وغرب ، وعرفه القاصى والدانى .. فإن منهم أيضا من كاد يطوى النسيان ذكره ، حتى أصبحت محاولة البحث عن ترجمة لحياته ضربا من ضروب الخوض فى المجهول ، فضاعت أسماء كثيرة ، وسقطت من ذاكرة التاريخ .

ومن بين هؤلاء الرجال الذين نسيت ذاكرة التاريخ أن تحفظ لنا شيئا من حياتهم ، الصوفى العارف بالله محمد بن عبد الجبار النفرى البصرى .. فكل ماحفظه التاريخ لنا من أمر هذا الرجل لا يكاد يكون شيئا مذكورا ، فهو فيما يراه نيكلسون "درويش آفاق مغامر فى أقطار الأرض توفى فى القاهرة مع مستهل

النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى" .

ويقرر المستشرق "أرثر أربرى" محقق الكتاب .. أنه شخصية غامضة فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وأن اسمه قد ظهر فى النصف الأول من القرن الرابع للهجرة ، وأنه توفى حقا سنة ٣٥٤ هـ ، حتى الشارح الوحيد لكتاب "المواقف والمخاطبات" ، وهو عفيف الدين التلمسانى المتوفى سنة ٦٩٠ هـ ، لا يقدم جديدا أو مفيدا عن حياة النفرى ، كما يقول الدكتور عبد القادر محمود ، الذى ذكر الآراء السابقة ثم لم يضف إليها مايروى غلة الباحث ، اللهم إلا قوله : "النفرى هو أحد أعلام مدرسة الحلاج الكبرى ، وإن لم يقل مثل الحلاج بحلول اللاهوت فى الناسوت ، ولم يقل أيضا بالاتحاد بالله كما قال البسطامى قبل الحلاج ، وإنما عاش وحدة الشهود فى كل خطراته وتأملاته الصوفية ، مع المواقف والمخاطبات" .

● مفهوم إشراقى

أما كتاب النفرى "المواقف والمخاطبات" فيتجلى فيه من غير ريب المفهوم الإشراقى الذى يمثل قمة الذوق الصوفى ، حيث عاش النفرى فى سياحته الرائعة مع المواقف والمخاطبات على حد قول مقدم الكتاب : "يرى الله مشهودا فى كل كائن ، مضيئا فى مرايا النفوس والأبصار ، وحركة الأرضين والسماوات ، وحياة الكائنات والمخلوقات" .

والكتاب حققه المستشرق "آرثر أربرى" ونشر سنة ١٩٣٤ م لأول مرة .. وأعيد نشره عن الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ بتحقيق "أرثر أربرى" وتقديم وتعليق الدكتور عبد القادر محمود أستاذ الفلسفة الإسلامية ، والتصوف الاسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة .. وقد جاء الكتاب مشتملا على تمهيد ونظرة تحقيق ودراسة .. ثم نصوص المواقف ، وهى تمثل القسم الأكبر من الكتاب حيث بلغت ثمانية وسبعين موقفا .. ثم نصوص المخاطبات التى بلغت سبعا وخمسين مخاطبة .

والمواقف هى وقفات أمام الله ، ثم هى موافقة الله له أو معه حسب



احواله ومقاماته ، او هى استجابة لخطاب الله له فى نفسه ، كما يقول مقدم الكتاب ، فالواقف فى فلسفة النفرى ، هو المنقطع عن الطلب لفنائه فى المطلوب .

والوقفة ، عند النفرى ، أعلى من المعـرفـة واسمى » فـهى ، "روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ، والعلم روح الحياة »

وقـد تنوعت مـواقف النفـرى ، وتعددت بتعدد مقاماته واحواله ، فتجلت فيها تلك الروح السامية ، فى محاورة من جانب واحد ، كانه يسمع فيها مايستشعره وجدانه ، من جلال وكمـال ، فيقول فى موقف العز :

« اوقفنى فى العز ، وقال لى : لا يستقل به من دونى شىء ، ولا يصلح من دونى لشىء ، وأنا العزيز الذى لا يستطاع مجاورته ، ولا ترام مداومته ، اظهرت الظاهر وانا اظهر منه ، فما يدركنى قربه ، ولا يهتدى الى وجوده ، واخفيت الباطن وانا اخفى منه ، فما يقوم علىّ دليله ، ولا يصح الىّ سبيله » .

وفى موقف الأمر يقول : « أوقفنى فى الأمر وقال لى : إذا أمرتك فامض لما أمرتك ، ولا تنتظر به علمك ، إنك إن تنتظر بأمرى ، علم أمرى ، تعص أمرى ، وقال لى : اذا لم تمض لامرى او يبدو لك علمه ، فلعلم الأمر . اطعت لا للامر » .

● منهج واحـد

اما المخاطبات .. فهى تمضى على نفس منهج المواقف ، وانما تفترق عنها بصيغة الخطاب (ياعبد) . التى هى الغاية ، والتى يلتذ بذكرها وتكرارها كل من يدرك سر جمالها ، فهى العبودية لله فى أسمى معانيها ، ومعايشة العبودية بهذا المعنى يتجلى فيها الاشراق الروحى ..

وهكذا كان النفرى فعايش وادرك ، وفاض ذلك على يراعه فى صورة مخاطبات ، فكانه يسمع الخطاب يوجه اليه قائلا : « .. ياعبد اشترنى بما سرك وساءك ، يفنى الثمن ويبقى المبتاع

ياعبد .. ابن لقلبك بيتا جدرانه مواقع نظرى فى كل مشهود ، وسقفه قوميتى بكل موجود ، وبابه وجهى الذى لا يغيب .

ياعبد .. أصل المعصية : لمَ ، وأصل الطاعة : سقوط لمَ .

ياعبد .. قطع مابينك وبين الاشياء رؤيتى ، ووصل مابينك وبين الاشياء غيبتى .

ياعبد .. رؤيتى كـالنهار تشـرق وتنير ، وغيبتى كالليل توحش وتجهل .

ياعبد .. سيماء كل وجه فيما اقبل عليه .

ياعبد .. رمزت الرموز فانتهت الى .. وافصحت الفواصح فانتهت الى

ياعبد .. إن احببت ان تكون عبدى لا

عبد سواي ، فاستعذ بى من سواى ، وإن أتاك برضاى .. »

● نظرة فنية

يعد كتاب « المواقف والمخاطبات » واحدا من كتب الفلسفة الصوفية .. من حيث المعالجة الموضوعية للمضامين التى تناولها النفرى فى شطرى كتابه ، كما يعد - أيضا - كتاب ادب ينضوى تحت مايعرف بالخواطر الادبية ، وهى هنا خواطر لا تخرج عن الاطار الفلسفي الصوفى ، وتسيطر عليها عاطفة ايمانية تسمو الى المستوى الوجدانى المعروف فى شعر الصوفية عموما .. وهذه العاطفة الدافقة المتقدة كان لها اثرها فى الصياغة والاسلوب . فالنفرى لا يستخدم غريب الألفاظ ولا حوشيها ، ولا يتدنى باللفظ الى الابتذال والركاكة ، وانما الفاظه تجمع بين الرقة والسلاسة والوضوح .. وقد يعترض على هذا القول بالغموض الذى يتشح به كثير من المواقف والمخاطبات ، ويدفع هذا الاعتراض ان الغموض هنا نشأ عن اطار المعالجة الموضوعية والرمزية التى تحلق فيها هذه المواقف والمخاطبات .. وماكان لها الا أن تكون هكذا والا فالتصريح مستهجن وزرىٌ فى هذا المقام .

● مهارة فنية

والنفرى - وهو ابن القرن الرابع - لم يعمد فى اسلوبه الى الزخرفة اللفظية الا أن تاتى عفو الخاطر ، وهى غالبا ماتاتى متمثلة فى الطباق والمقابلة ، حيث يؤديان الى ابراز التناقض بين ماهو كائن ومايجب ان يكون .. ولم تخل صياغته الفنية من صور بيانية فيها توظيف للتصوير البيانى ناطق بالمهارة الفنية والقدرة التعبيرية .. من ذلك قوله فى موقف العز .

« وقال لى لو ابديت لغة العز لخطفت الاتهام خطف المناجل ، ودرست المعارف درس الرمال عصفت عليها الرياح العواصف »

وقوله فى المخاطبة الأخيرة .

« ياعبد .. قف فى الناموس فقد اوقفتك ، وثب الى ثارهمتك وثب السبع الى فريسته على السغب » .

كما تلاحظ أن النفرى لم يركب متن المخالفة اللغوية أو النحوية حيث لا ضرورة توجب المخالفة ، كما انه كثيرا ما استخدم (أو) بمعنى حتى ، ولذلك ياتى بعدها المضارع منصوبا .. وهى تكاد تلتبس على القارئ العادى ، من ذلك قوله فى موقف الأمر .

« وقل لى : اذا لم تمض لأمرى أو يبدو - لك علمه ، فلعلم الأمر اطعت لا للأمر » فقوله : « أو يبدو لك » بمعنى « حتى يبدو لك » ..

★ ★ ★

وبعد .. فإن الكتاب وان تاثر به الشاعر المعاصر ادونيس والروائى جمال الغيطانى وغيرهما .. فهو لم يزل منبعا فياض العطاء للأدباء والشعراء ولم يزل يحتاج الى من يقوم بدرسه درسا شافيا كافيا ..

جندى الهجانة وصراع التطور..

بقلم: حمدى لطفى

في الماضي .. حتى الخمسينيات ، أيام نظام الملكية في مصر ، لم يكن التخلص من الضباط أصحاب النشاط الوطني ضد الاحتلال البريطاني يتم عن طريق الاعتقال أو الطرد من الخدمة ، كانوا يكتفون بنقلهم إلى سلاح الحدود ، حيث الخدمة بالمناطق النائية بعيدا عن سكان المدن وخلايا الثوار ، كمرحلة أولى من التأديب أو الانذار .. وكان "أبى" أحد هؤلاء المبعدين ، بعد أن عاد مرغما مع الجيش المصرى من السودان عام ١٩٢٥ ، على اثر اغتيال رئيس اركان الجيش المصرى أو "السردار" الضابط الانجليزى ميجور جنرال - سيرلى ستاك - فى نوفمبر ١٩٢٤ ، بالقاهرة .

بعض جنود حرس الحدود المصرية في العشرينيات



● أحب أبى سلاح الحدود ، وأخذ يحدثنى طفلا عنه كثيرا حتى وعيت وعملت صحفيا بالقطاع العسكرى ، فظللت أتردد على هذا السلاح منذ عام ١٩٥٢ حتى اليوم ، كما كانت لى علاقات صداقة متجددة بضباطه وقادته ، وبمعاونتهم ذهبت إلى قبائل "البشارية والعبابدة" فى الصحراء الشرقية ، وقبائل "أولاد على" بالصحراء الغربية ، وسيناء عدة مرات ، وفى الفترة الاخيرة ومن خلال هذه العلاقة الجيدة شهدت "كنزا" صحفيا ظل فى المخازن زمنا طويلا .. "كنزا" من الصور والوثائق التاريخية .. الصور تعود إلى عشرينيات القرن الحالى ، أما الوثائق فقد صدرت عام ١٨٧٧ .

● أكتب هذا المدخل ـ لاتحدث عن قبائل "البشارية والعبابدة" المصدر البشرى الذى يمد سلاح الحدود المصرى بجندى "الهجانة" أقدم الجنود وأعرقهم ، ليس فى مصر فحسب بل فى الوطن العربى كله ، وقد أصبح "جندى الهجانة" مشكلة قومية أخيرا ، يحاولون تجاوزها من خلال اتصالات تجريها مجموعة من ضباط سلاح الحدود ، مع رؤساء القبائل فى الصحراء الشرقية ، بعيدا عن اضواء الاعلام .. أروى تفاصيلها عبر هذه الرسالة الصحفية

● وفى ذات الوقت تعمل وزارة السياحة المصرية فى اعداد معرض مصرى مصور لهذه القبائل ، "البشارية ، والعبابدة ، وأولاد على" ، والأخيرة من أصول بدوية نازحة من الحجاز واليمن ، كما أن البشارية والعبابدة تنتميان بصلة النسب إلى أسرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المعرض سيذهب إلى أمريكا وفرنسا وبعض دول أوروبا الغربية ، وقد اكد سكانها كاوربيين طوال سنوات طويلة ماضية غرامهم بالاقتراب من حياة قبائل الصحراء المصرية التى تجمع بين الحياة البدائية والالوان القبلية من فنون الغناء

المفتش الانجليزى قائد قوات الحدود المصرية مع جنود الهجانة



جندى الهجانة

والرقص والموسيقى النابعة من بيئتهم .

●● تعال نقترب معا من هذه القبائل وقصتها مع سلاح الحدود ، ونشهد بعض لوحات المعرض المصرى الذى سيطير إلى انحاء العالم

● على مسافة ١٢٠٠ كيلو متر من القاهرة ، وبالقرب من الحدود الجنوبية ـ المصرية ـ السودانية ، تعيش قبيلتا البشارية والعبابدة ـ من اقدم قبائل العالم التى سكنت الصحراء الشرقية فى مصر ، وعاشتا بين وديانها وشعابها القليلة تناضلان تسرب مصادر الحياة من بين ايديهما عاما بعد عام ، ويعانيان فى عزلتيهما التى قبلا بها منذ آلاف السنين من ضعف الغذاء والماء والدواء ، ولكن اهلهما لا يتخلون عن اقامة حلقات الرقص والغناء ، ينشدون أغانى الامل والحب والرجاء فى غد اكثر طمانينة ، فتمنحهم الارض خضرتها للمراعى من أجل الماشية ، ويحمل الماء لهم ثروته من الاسماك الهاربة بعيداً عن شباكهم

● جبال نارية سوداء تحوط الطريق الاسفلتى الممتد من عاصمة البحر الاحمر حتى جبال « ابو مروات » حيث تتمركز الاكواخ الخشبية لجنود سلاح الحدود السودانية وخلف الجبال السوداء جبال بيضاء شاهقة ، وتضم الجبال البيضاء والسوداء ثروات استراتيجية هائلة من المعادن كالمنجنيز والفوسفات والفلوريد والاسبتوس وحولها رجال المسح الجيولوجى واساتذة المناجم المفتوحة فوق قمم الجبال والمغلقة فى باطن الارض وأكثر العمال من شباب البشارية والعبابدة جيل الخمسينيات والستينيات ، وقد اجادوا اللغة العربية واللهجة المصرية ، وبعضهم تزوج من بنات المدينة فى اسوان وقنا

● بالقرب من "برنيس ورأس بيناس" وبكل منهما ميناء بحرى وقاعدة جوية ، ترقد قرية "الشلاتين" فى صمت حزين .. انها عاصمة البشارية يخرجون منها كل فجر إلى المراعى الكثيرة التى اصابها القحط الآن كما اصاب الآباء بالجفاف ، فهجرت القبائل عاصمتهم الصغيرة إلى مناطق بعيدة تهطل عليها الامطار بين حين وآخر حتى لا تنفق اغنامهم وابلهم بسبب الجوع والعطش .

● معاناة مستمرة

● يقول بشارى كهل ممن يتكلمون العربية

● كان ابن القبيلة الفقير يملك فى الماضى ٣٠ راسا من الاغنام والماعز او اكثر ، الآن لا يزيد مايملكه البشارى فى كل الاحوال على خمس من الماعز الهزيل ـ كنا نتاجر فى الابل ـ ندفعها امامنا كل اسبوع إلى "مدينة دراو" حيث سوق الجمال ، الآن لا يدخل البشاريون "دراو" إلا مرة أو مرتين كل عام .

● ولقد ذهب خلال الاعوام الثلاثة الماضية رجال من الازهر الشريف ومن الحكم المحلى ومن كليات الطب بالجامعات المصرية ومن خبراء الزراعة والرى والاثار يبحثون ايجاد السبل لمصادر الحياة لأبناء "البشارية والعبابدة" الذين فقدوا كل شيء عدا القليل من الشجيرات الشوكية ، بعد أن فرقهم الجفاف والقحط

وعدم استغلال المناطق الصالحة للزراعة فى الصحراء الشرقية رغم التوصيات الرسمية التى صدرت تباعا منذ عام ١٩٥٥ - بضرورة استصلاح هذه الاراضى الصحراوية القابلة بنسبة ٧٠٪ للاستزراع وظلت مجرد توصيات على الورق طيلة ثلاثين سنة مضت !

● لقد اصيبت قبيلة البشارية بالامراض الجلدية والصدرية وامراض العيون وتساقط الاسنان كما تؤكد تقارير بعثات كليات طب الجامعات المصرية ومن بينها طب الازهر ، نتيجة انعدام الخدمات الطبية ، ورغم المستوى الصحى الهزيل الذى يسود حياتهم فإنهم يمارسون رياضة قطع الصحراء يوميا وربما طوال النهار وحتى تغيب الشمس ، بحثا عن غزال شارد أو ضبع مريض غير قادر على مهاجمة الانسان ، او شربة ماء لدى سائح مصرى أو اجنبى جاء يشهد الحياة البدائية داخل اكواخ الصفيح التى يعيشها البشاريون . وبعض العبابدة الذين يرفضون العمل بالمناجم والمحاجر ، وهم دائما من المسالمين المرحبين بالزوار القادمين من اسوان أو القاهرة ، سرعان مايطمئن السائح إلى مسلكهم الوديع رغم مظهرهم الوحشى ، شعر الرأس منكوش فى همجية منسقة ، وسيخ رفيع قصير من الخشب يتوسط الرأس ويطلقون عليه « السلاكة » ، ويستعملونه بدلا من المشط ، ويقولون إن اطالة شعر الرأس تقيهم حرارة الشمس وتحمى ابصارهم واسنانهم معا ، وسيف قديم من الصلب أو الخشب يتوسط خصورهم ، وملابس بيضاء متسخة بالضرورة ، وخنجر يعلو السيف ، وكيس كبير من القماش فوق الظهر بداخله كسرات من الخبز وقليل من الذرة والبلح او سمكة مشوية او زوج من الاستاكوزا الضخمة ، واحيانا علبة سجائر وكبريت حصل عليهما البشارى من أبناء القاهرة واوربا الذين يقتحمون عزلتهم طوال العام .

● لقد انخفض تعداد "البشارية والعبابدة" خلال ربع القرن الاخير بسبب تجمد الزواج ، وهجرة الشباب إلى المدن القريبة بحثا عن فرص افضل للحياة - بعد أن اجادوا قراءة وحفظ القرآن الكريم - وهو مانجحت فيه بعض بعثات الازهر إلى الصحراء الشرقية - وقد قال لى ازهرى يعيش فى وادى علبة عند الحدود الجنوبية المصرية السودانية انهم لم يجدوا صعوبة فى تلقينهم آيات القرآن .. بل وجدوا اقبالا شديدا على الحلقات الجبلية لتحفيظ القرآن من الصغار والكبار معا ، وغراما هائلا بالراديو وبالمجلات القليلة أو الصحف التى تصل إليهم عدة مرات كل عام .

● بين معاناة الحياة والرقص

● مهور الزواج مرتفعة بين قبائل البشارية والعبابدة اقل مهر ثلاث ناقات وعشرة أغنام ، ترعاها العروس ، بينما يجمع الذكور والعرسان الاعشاب الطبية المنتشرة هناك ويبيعونها لمندوبى هيئات الدواء والبحث العلمى والمنظمة الصحية العالمية الذين يطوفون هذه المناطق بحثا عن الثروات الطبيعية من هذه الاعشاب التى تسهم بقدر كبير فى صناعة عشرات الادوية العالمية .

● حلقات الرقص يعقدونها صباحا وظهرا ، فهم ينامون مع غروب الشمس ، وحين ذهب الرئيس الراحل انور السادات

إلى البحر الاحمر عام ١٩٧٦ ، جمعوا له عددا كبيرا من شباب البشارية والعبابدة ممن برعوا فى اداء الرقصات المختلفة والغناء باللغة العربية ، ارتدوا الملابس البيضاء الزاهية ، وقد ادوا امامه رقصة الحرب ، وقال احدهم للسادات "لقد رقصنا هذه الرقصة حين سمعنا فى الراديو أنباء العبور إلى سيناء نهار ٦ اكتوبر" .

● وفى رقصة أخرى سمعت بشاريا يغنى قائلا :

"ياأهل الجبل مالى بيكم شوق"
عيشتكم عزيزة وماؤكم معلق فوق"

● وشرح لى اغنيته وهى من الفلكور القبائلى فقال انه يخاطب حبيبته الساكنة فى اعلى الجبل فيحدثها عن شوقه إليها ، وعن مستواها الرفيع الذى لا يستطيع بلوغه كدلو الماء المعلق فى منطقة عالية فلا تطوله يد غريبة .

● وعزف بشارى آخر على آله موسيقية بدائية تشبه العود ثم غنى "ياالدنيا العبوس مالك معاى بتدورى"
"وفى سوق القطارف كم جدلت لى لولى"
"وركبتينى حماره وحتى الحمار ماهو لى"

● ولقد هتفوا للسادات حين التقى بهم فى اسوان باللغة البيجاوية :

"داب بياوه تك مصرى"
اى أهلا بالقائد المصرى

● وهتفوا له ايضا سادات سكراوه ، سادات براكسو كيوه ـ توبين توتريك كاك تورى فى الفنان" وتعنى الكلمات .. "السادات انت كالشمس والقمر ، نحن فداء الوطن ، وعلى استعداد للغناء والموت فدية لمصر" .

● إن قبيلتى البشارية والعبابدة تحرصان كل الحرص على كيان الاسرة بينهما ، فالطلاق يكون معدوما ولا يسمح بالطلاق إلا فى حالات الضعف الجنسى ، وعلى الزوج بعد ان يصدر شيخ القبيلة وزملاؤه من كبار السن حكمهم بفشل الزوج جنسيا أن يغادر بيته والأرض التى يعيش فوقها ويهاجر إلى منطقة أخرى من الصحراء ـ تاركا خلفه اطفاله لترعاهم الزوجة وله حق زيارتهم مرة كل عام .

● كرم حاتمى

● ولقد قضيت نهارا باكمله لدى احدى القبيلتين شربت البن الطازج مع شيخ القبيلة ـ يقومون بتحميص البن وطحنه امامك ، وذبحوا لى عنزة ، وقبل غروب الشمس قدموا لى كوبا من اللبن والكوب من الفخار طبعا ، ثم سمكة مشوية كبيرة ، وتحدث بعض شباب القبيلة عن الحرب الدائرة بين العراق وايران فى أسى شديد والتقيت بعدد قليل من الذكور عرفت انهم نزحوا إلى قنا والتحقوا بالمدارس هناك وحصل أكثرهم على الثانوية العامة ثم عادوا إلى الموطن الاصلى والزى التقليدى والسعى خلف الغزلان ورعى الاغنام ، وفى عشش صغيرة من الصفيح أو خشب الاشجار يقومون بتعليم الاطفال مبادىء الكتابة والقراءة وتحفظيهم لآيات القرآن الكريم ..

● إنها حتمية التطور على درب الحياة

رغم بدائية المجتمع الذى يعودون إليه ، وقد أدى هذا التطور إلى انقراض جندى الهجانة الشهير بعراقته فى مصر بين مقاتلى سلاح قوات حرس الحدود المصرية ـ اقدم الاسلحة العسكرية التى تأسست ليس فى مصر فحسب ، بل فى الدول العربية بأكملها ، فتاريخ انشائه يعود الى سبتمبر عام ١٨٧٧ ، تحت اسم "مصلحة فلايك النجاة" ثم تطور فاصبح "خفر السواحل" .

● وثيقة تاريخية

● وقبل أن نستطرد فى الحديث عن انقراض جندى الهجانة المصرى ، وقد أصبح انقراضه قضية أو مشكلة عقدوا لها عدة اجتماعات ، وأرسلوا من أجلها الوفود العسكرية إلى زعماء قبيلتى البشارية والعبابدة خلال العام الحالى ، ونتحدث قليلا عن وثيقة قديمة عثروا عليها فى مخازن سلاح الحدود ، وهى وثيقة تاريخية يعود تحريرها إلى يوم ١٥ يونيو عام ١٨٧٨ صادرة عن وزارة المالية .

● تقول سطورها المحررة بلغة عصرها

● "جناب ميكولوب باشا ـ رئيس الليمانات والفنارات المصرية .

"قدم إفادة فرنساوى رقم ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٧ نمرة ١٢٤٠ تشمل عليها توقيع فى مادة ترتيب الخفر بالسواحل والشواطىء المصرية ، الذى تعين من أنفار خيالى وفلايك ومراكب صغيرة ، لزوم خفر السواحل بالبحر ، وماصدرت به مكاتبات المالية والتجارة . بناء ذلك مما أجراه عموم الكمارك ـ أى "الجمارك" ـ فى هذا الصدد مما ترتب عليه من عدم اعتماد الضباط المعينين فى "الكموك"



احد شباب البشارية

لهذا الامر وتطلب ترتيب بوليس بحرى وتعيين جملة مراكب لخفر السواحل تحت تفتيش مأمورين بحيث يكونوا منوطين بمصلحة فلايك النجاة مدة موسم الشتاء وحيث تعلقت الارادة السنية باحالة ذلك لطرف دولتكم لزم ترقيمه ، وتلك المكاتبة مرسولة عليه حسب أوامر افندم"

وقد تمزق الجزء الاخير من الوثيقة الذى يحمل وظيفة وتوقيع كاتبها .

● وهكذا تشير هذه الوثيقة التاريخية إلى بداية إنشاء حرس السواحل أو خفر السواحل .

ومضت سنوات فقامت بعد عشرة اعوام اول بحرية لحراسة السواحل المصرية ثم "مصلحة فلايك النجاة" وقد ضموا إليها أول عائمة تدخل الخدمة الفعلية عام ١٨٨٨ ـ طواقة أطلقوا عليها

جندى الهجانة

"نور البحر" ، ثم لحقت بها السفينة "عباس" عام ١٨٩٢ ، و"ذئب البحر" ـ عام ١٩٠١ ، واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٦ ، حين حصلت مصر على سفينتين "فوزية وفاروق" فتاسس سلاح البحرية المصرية ، وامتلكت ثلاث قطع بحرية متواضعة أخرى حملت أسماء "السلوم ومناجم ومباحث" ، بينما استقل سلاح الحدود بمصلحة الموانىء والمنائر ، ومصلحة أقسام الحدود ، وفى عام ١٩٦٩ ، انتقلت مصلحة الموانىء إلى الشرطة المصرية .

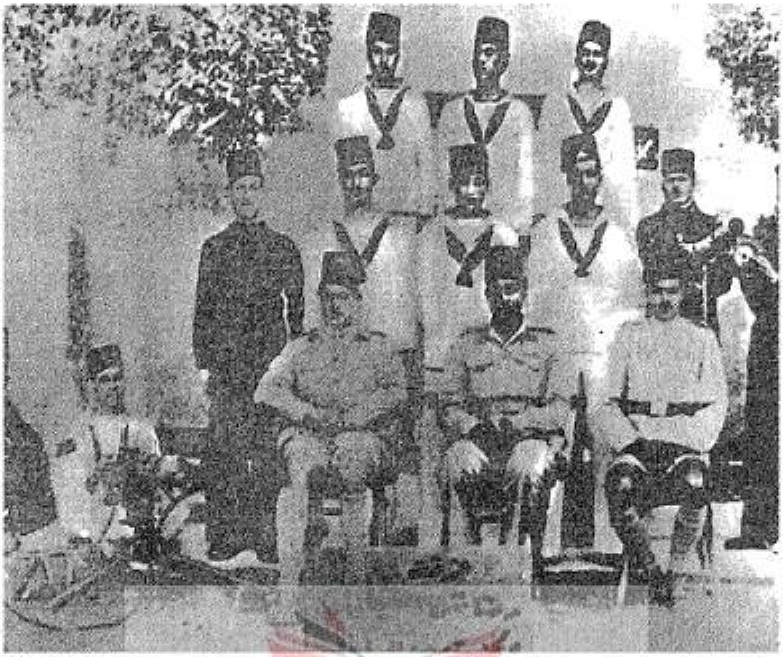
● ونعود بالحديث الى انقراض جندى الهجانة ـ أعرق واشهر جنود سلاح الحدود المصرى ، وقد اصبح انقراضه مشكلة تهدد نظام حراسة صحراء مصر ومداخلها ، ولم يكن يستطيع القيام باداء هذه المهام غير أبناء "البشارية والعبابدة" القادرين على ترويض الصحراء والبقاء بها عيونا يقظة عبر صحراء وسواحل مصر وحدودها المترامية التى تبلغ أكثر من ستة الاف كيلو متر !

● قال لى ضابط حدود من الجيل القديم .. وهو يروى عن الماضى :

ـ كنا نذهب إلى قبائل الصحراء الشرقية حول جبال علبة ، وأرض ولى الله الشيخ الشاذلى ، بين مناطق برنيس وراس بيناس بالبحر الاحمر ، فنلتقى برؤساء قبائل البشارية والعبابدة ، ونقضى فى ضيافتهم يوما أو يومين ، ونعود بابنائهم الذين يسعدهم ارتداء الزى العسكرى ، ولم تكن اعمارهم تزيد على ١٥ سنة ، يتمتعون بذكاء حاد ، وقدرات صحية جيدة ، وفى فترة وجيزة يتعلمون القراءة والكتابة ، ثم يعودون بعد مرحلة التدريب إلى قبائلهم للخدمة فى الصحراء ، وسرعان مايتزوجون وينجبون أطفالا فى أحضان سلاح الحدود ، يرضعون حب السلاح والارتباط به .

● ذات المهمة كنا نطبقها أيضا بين قبائل الصحراء الغربية ، وصحراء سيناء ، دون أدنى صعوبات ليخدم أبناء هذه القبائل مابين العامرية على الساحل الشمالى الغربى المصرى حتى السلوم ، والمجموعة الاخرى حول مداخل شمال وجنوب سيناء ، وهكذا تبقى صلابة ونقاء وشجاعة وأمانة جندى الحدود ، بعيدا عن تلوث المدن ، ومن خلال معايشة الصحراء ودروبها ووديانها ، يكتسبون الخبرات النامية بأسرار الصحراء والسواحل ، يشقون الطرق بين مسالكها ، ويحفرون الآبار بحثا عن الماء ، ويستصلحون الارض الرملية ثم يزرعونها بالخضراوات ، ويسهمون فى مقاومة اسراب الجراد ، ويطاردون المهربين والمتسللين ، ويقومون بنجدة التائهين ، ويعالجون الحمير والجمال التى يستخدمونها ، دون اللجوء إلى اطباء بيطريين ، اعتمادا على الاعشاب التى تنبت حولهم .. ثم جاءت الثمانينيات ، فإذا بهؤلاء العمالقة ينقرضون تدريجيا ، حتى اصبح انقراضهم مشكلة سيزداد حجمها عاما بعد عام لأنها وليدة التطور والعصر الحديث .

• « اللبمانات هنا ، جمع موانىء »



مجموعه من جنود حدود السواحل ما بعد معاهدة عام ١٩٣٦

● لقد تحول أبناء القبائل إلى المدارس الابتدائية فى المدن القريبة من مناطق تجمعاتهم مثل مدن اسوان وقنا والبحر الاحمر ، وتنقلوا فى مراحل الدراسة حتى الثانوية ، وبعضهم التحق بالجامعات أو رحل إلى مدن الصعيد والدلتا ، بل والوجه البحرى ، حيث يعمل اقاربهم ، بحثا عن فرص العمل والكسب بعيدا عن قيود الخدمة العسكرية ومرتباتها الضئيلة إلى حد ما ، وعدد ليس بقليل منهم يعمل الآن بين بعثات الجيولوجيين فى البحث عن معادن الصحراء ، أو تجدهم أطباء ومدرسين هنا وهناك ، كما أن اكثرهم هاجر للعمل فى الدول العربية طلبا للمال والسيارة والبيت الحديث ، الى جانب عدد آخر رحل إلى أوروبا ، وآثر البقاء بها !

● وفى العام الماضى وعام ١٩٨٥ من قبل ، ذهبت مجموعة جديدة من ضباط سلاح الحدود فى مهمة ودية بين قبيلتى البشارية والعبابدة ، تحدثهما عن التطور الذى لحق بالسلاح ، وعن البيت الذى يخصص لاعاشة جندى الحدود ، المزود بالثلاجة والبوتاجاز ، والأجر الكبير ، والرعاية الطبية التى سيحصلون عليها ، وفرص التعليم المتاحة للجنود ، مما يدفع بهم إلى الترقى حتى سلك الضباط وصولا إلى رتبة المقدم .

سينما الضياع
إلى أين تمضي بنا؟

بقلم: مصطفى درويش

كان في نيتي أن أدبر جانبا من حديث السينما في شهر مارس حول « دليل الفيلم العالمي ١٩٨٧ » لصاحبه الناقد الانجليزي « بيتر كووي » لما احتوى على معلومات عن السينما داخل بعض اقطار الوطن العربي واسرائيل . تقول فيما تقول إن الفن السابع عندنا في واد ، والحياة السياسية بنزفها الرتيب في واد ، أما عندهم ففن يحتج ، يصرخ ، يشهر الرايات .

كان هذا في نيتي لولا أنني وقبل أن أحمل القلم لأكتب ، شاهدت « الضائعة » و « سكة سفر » ، فكان أن قفزت إلى ذهني من ظلمات الماضي غير البعيد صور من أفلام أخرى ، لعل أهمها « عودة مواطن » و " وصمة عار » و « الصبر في الملاحات » وكان أن تركت جانبا خطأ أو صوابا ـ ماكنت قد هممت بكتابته مستوحى من ذلك الدليل وما سجل على صفحاته من معلومات لماذا ؟

لوجود ظاهرتين أولاهما : أن هذه الأفلام الخمسة تقوم على الميلودراما ، ذلك النوع من الفن الراسخ رسوخ الجبال في السينما منذ ولدت في الوطن العربي على أرض مصر قريبا من نهاية العشرينيات ، لم تتزحزح عنه أبدا طوال عمرها البالغ ستين عاما بعد أشهر معدودات .

فنظرة طائرة على « الضائعة » و « الصبر في الملاحات » و « وصمة عار » تؤكد أن الميلودراما في أبشع صورها ، لايزال لها التسلط على السينما عندنا ، ولاتزال من ثوابت الجبال .

وأن المعركة التى دارت حول

الميلودراما فى المسرح أواخر عام ١٩٢٦ ، أى قبل يوم ميلاد السينما بأشهر قلائل ، وكان فارسها « سعيد عبده » الذى اعمل قلمه الحاد فى جسم الميلودراما بقوله عن مسرحية « الصحراء » من تأليف « يوسف وهبى » وهو يخلط الجد بالفكاهة .

« غاب جحا عن اهله اعواما . ثم عاد وقد برح به الشوق اليهم . فسأل أول من طالعه على مدرجة الطريق ، قال : اهم جميعا بخير ؟

قال : نعم ، اللهم إلا كلبك الأمين .
قال : ماخطبه ؟ قال : أصابه سعر ، فعض اخاك ، فقتلوه . قال : وما فعل الله بأخى ؟
قال : هلك ، فماتت أمك حزنا عليه . قال . وارحمتاه لوالدى المسكين . قال : هون على نفسك ، فأبوك قد أراحه الله من زمن ، فقد قتله الحزن على اخيه الذى ذبحه اللصوص .

ولولا ان جحا المسكين أدرك غراب البين بضربة صرعته لزف له مصارع اهله اجمعين ! »

(مسرح الدم والدموع . دراسة فى الميلودراما المصرية والعالمية د . على الراعى (ص ٦) مطبوعات الجديد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣)

تلك المعركة لاتزال دائرة لم تحسم بعد لصالح اعداء ذلك الفرع من الميلودراما الذى يدور وجودا وعدما حول فواجع متراكمة ، متزاحمة فى غير صدق ، بل المحزن انها لاتزال دائرة ، وكأن احدا لم ينطق ضد الميلودراما المتردية فى العقد الثالث وما بعده بشىء .

● مذبحة الضائعة

آية ذلك أول الافلام الثلاثة « الضائعة » لصاحبه المخرج « عاطف سالم » فأبطاله وهم أربعة ، « زينب » (نادية الجندى) تنتهى بها الخطوب الى ادمان الهيروين ثم القتل بالجملة ، اما الباقون . مطلقها وابو عيالها (سعيد صالح) وزوجته الثانية وامها الشريرة (تحية كاريوكا) فجميعا يموتون برصاصات تنطلق من غدارة الضائعة فى لقطات النهايات .

وهكذا وبفضل هذه المذبحة تحققت عدالة السماء كما جاء على لسان ناقد انبهر بالضائعة وفيلمها ، فكال لهما المديح والثناء . وثانى الافلام « الصبر فى الملاحات » الذى الفه وانتجه « سمير عبد العظيم » واخرجه له « احمد يحيى » ـ هو الآخر اذا ما استبعدنا « فيفى عبده » و « هياتم » و « عزت العلايلى » و « احمد بدير » ـ ذو ابطال اربعة ، ضابطة متخرجة فى كلية الشرطة وتجيد الرقص (نبيلة عبيد) ، وام « مديحة يسرى » تتبرع لابنتها الضابطة باحدى كليتيها إنقاذا لحياتها ، ومجرم (سعيد صالح) سرعان ما نكتشف مع الضابطة التى كانت تجرى تحقيقا معه انه شقيقها وأن امها ليست امها الحقيقية ، وانما سيدة اخرى (تحية كاريوكا مرة ثانية) كان قد القى بها وراء القضبان بمكيدة دبرتها لها (مديحة يسرى) التى يتبين لنا من جريان الأحداث انها كانت فى سالف الزمان ـ قبل أن تتوب وتنوب ـ تاجرة مخدرات تنافس الرجال ، ولها شأن كبير فى دنيا الكيف والأعمال .

● الوفاء والامل

وأول ما يلفت النظر فى فيلم ميلودرامى

سينما الضياع
إلى أين تمضي بنا ؟

ساذج كهذا أنه ـ وعلى عكس الضائعة ـ افتعل نهايات توفيقية سعيدة ، فالضابطة يعقد قرانها على الجراح منقذها ، وشقيقها وامها الحقيقية تكتب لهما النجاة من تيه السجون ، وامها غير الحقيقية تبقى اما روحية لها من منطلق الوفاء لصنيعها . ولم لا ؟

الم تجدها لقيطة فآوتها واحسنت تربيتها ، ومنحتها كليتها ، وفوق هذا جعلت منها ضابطة شرطة وراقصة فى نفس واحد .

ولعل تلك النهايات السارة للناظرين ، والتى هى ادخل فى باب اللغو منها فى باب الفن الذى يحمل فى طيه معانى ، فيها بعض التفسير لظاهرة اقبال الجمهور العريض على مشاهدة « الصبر فى الملاحات » .

فإذا ما انتقلنا الى ثالثهم « وصمة عار » ـ وهو أحسنهم ـ لوجدنا انفسنا أمام فيلم مأخوذ عن « الطريق » للأديب « نجيب محفوظ » ، وهى قصة سبق التحول بها الى عمل سينمائى من اخراج « حسام الدين مصطفى » وبطولة « رشدى اباظة » و « شادية » و « سعاد حسنى » . وبطل الفيلم « مختار سيد الجميعى » (نور الشريف) رجل قد جاوز الشباب شيئا .

وهاهو ذا بعد وفاة أمه التى كانت تعوله ـ هاربا من حياة خاصة فى الاسكندرية كلها نكد وشر ، مستقلا القطار السريع الى القاهرة بحثا عن أبيه « السيد السيد الجميعى » الذى اختفى من ثلاثين عاما أو يزيد ، ولا دليل على سابقة وجوده على قيد الحياة سوى قسيمة زواجه من امه وصورة عائلية قديمة .

وسرعان ما يتبين لنا بعد وصول « مختار » إلى المدينة البدينة ، ونزوله فى لوكاندة « القاهرة » المتواضعة ، أن الشىء الاكيد بالنسبة له أنه حائر ، قلق ، مهموم .

والسبب أنه لايملك شهادة ، ولا مهنة .

ومن هنا سعيه إلى العثور على أبيه المختفى ابتغاء استرداد بعض ثقته بنفسه .

● ميته كلب

ولكن أحدا لايدله على مكان أبيه ، ولا يلمح له بطريقة ترشد إليه ، وانما هو امل يتبعه يأس ، ويأس يتبعه أمل ، وحيرة مهلكة لنفسه البائسة اليائسة ، حتى إذا ما انتهت به رحلة العذاب إلى قتل صاحب اللوكاندة « خليل ابو النجا » (محمد توفيق) بتحريض من زوجته الشابة « كريمة » (شهيرة) ، وإلى اتهامه بقتل هذه الزوجة والاستيلاء على مالها ثم إلى غرفة الاعدام حيث رأى « عشماوى » مقبلا نحوه ليحيط رقبته بحبل المشنقة ، فعرف أنه الموت ، قال هذه الكلمة التى ينتهى بها الفيلم « أبويا » .

● الرقص على السلالم

ولم أعرض شيئا من تفاصيل « وصمة عار » وانما عرضت خلاصته فى كثير جدا من الايجاز ، ولو قد عرضت تفاصيله لتنقلنا داخل عالم غريب ، لاهو بالواقعى ،



عبد السلام محمد « فرفورا » مرة أخرى فى سكة سفر

ولا هو بالوهمى . وإنما هو شىء بينهما ملىء بالرموز والغموض ، يفاجئنا قربه ، وتدهشنا غرابته.

وفي الحق فالفيلم ، كما القصة متأثر إلى حد كبير بأدب « فرانز كافكا » ذلك الأدب الذى أظهر ما يمتاز به من الخصائص أنه يصور القلق الذى يوشك أن يبلغ اليأس . ويصور الغموض الذى يضطر القارىء الى حيرة لاتنقضى .

ومن هنا سعى صاحب « وصمة عار » (أشرف فهمى) إلى استعمال لغة سينمائية غير مألوفة فى الأفلام عندنا للتعبير عن هذه المعانى .

وعندى أنه كان فى إمكان الفيلم أن يعلو شأنه سينمائيا لو أن صاحبه آثر أن يطوع مشاهده بحيث يرتفع بها إلى مستوى الرموز فى القصة ، وابتعد عن الجنوح الى جعله متجانسا مع نسيج الميلودراما السائدة ، ذلك النسيج المجدب الذى لايجدى شيئا .

والآن ، إلى الظاهرة الثانية ، وهى

سينما الضياع
إلى أين تمضي بنا ؟

وليدة خيط رفيع يربط بين بعض هذه الافلام . وهى بالتحديد «عودة مواطن» و «الضائعة» و «سكة سفر» .

ومما يحمل على التفكير العميق فى هذا الخيط ان الافلام الثلاثة قد جرى عرضها فى فترة زمنية متقاربة لاتزيد على اربعة شهور ، وان «بشير الديك» كاتب سيناريو وحوار «الضائعة» هو نفسه مخرج وكاتب سيناريو وحوار «سكة سفر»

فما هو هذا الخيط ؟

● عودة الابن الضال

قد يكون من المفيد هنا أن نبدأ « بعودة مواطن » بحكم انه بداية الخيط ، فنتوقف قليلا عند وقائعه ونماذجه متأملين .

المواطن فى هذا الفيلم هو « شاكر » (يحيى الفخرانى) العائد من مدينة عربية فى الخليج مع رصيد كبير من العملات الصعبة ، هو مفتاح السعادة فى الارض ، وسيارة فاخرة مكيفة الهواء محمولة اليه على ظهر عبارة جبارة ، وشقة فى عمارة شاهقة بحى راق بعيد عن بيت العائلة فى حلوان تتحقق به الاحلام . والجهة العائد إليها هى القاهرة التى كان يتوهم أنها القاهرة نفسها التى تركها هاربا من الايام منذ ثمانية اعوام . فإذا بها مدينة اخرى غيرها الانفتاح ، وغيرها السلام ، فهى تبدو لناظريه ارحب واكبر بكثير من القاهرة التى عرفها قبل السفر ، الا انها على الاجمال ازدادت مع كر الايام ابتعادا عن النظافة والجمال ، عن الهدوء والنظام .

يبدأ الفيلم بلقطات لاهثة مكثفة يتسم بها اسلوب المخرج « محمد خان » نتعرف بفضلها على الشخصيات الرئيسية من خلال رسم سريع لملامحها .

فما ان تلامس عجلات الطائرة ارض المطار حتى يتعرف على « شاكر » العائد الى ارض الآباء بملء إرادته ، حنينا الى المصدر ، وشوقا الى الأهل والمنبت .

إنه من المتفائلين ، الواثقين ، ولم لا ؟

والحقائب الكثيرة الكبيرة المنتفخة بالاشياء تحيط به فى جمرك المطار مفصحة عن واسع الثراء ، والدولارات هى العملة الوحيدة التى يتعامل بها مع مقتنصى الأرزاق من مقدمى الخدمات .

● الكل ساقط

ولا نكاد ننتهى من التعرف على « شاكر » حتى تسبقه الكاميرا الى بيته الكائن بضاحية حلوان ، حيث نكتشف المكان الذى كان مسرح الطفولة والصبا والفتوة ، فإذا به عبارة عن مبنى قديم من طابق واحد منعزل عن البيوت . مؤثث بأرائك واسرة ومرايا عتيقة تدل على ان عائلة العائد متوسطة الحال .

ثم نتعرف على البقية من أفراد العائلة بعد موت الوالدين اثناء غياب العائد ، فإذا بهم اربعة اخوة .

وأول ظهور لأى منهم كان فى المطبخ حيث نرى الأخت الكبرى « فوزية » (ميرفت امين) وقد اوشكت على الانتهاء من اعداد فطيرة شهية .

إنها ربة بيت بمعنى الكلمة ، تنهض على رعاية شئون اخوتها ، تتفانى فى

حبهم والسهر على راحتهم ، ليس لها من هواية فى الدنيا سوى التفنن فى صنع احلى الحلويات .
والفيلم يعتمد عليها فى مواجهة شقيقها العائد ، فهى وهو البطلان ، ومن حولهما خاص كثيرون لكل مكانه وأثره .

الأخت الصغرى « نجوى » (ماجدة زكى) تخرجت فى الجامعة ، تعمل مضيفة فى احد الفنادق الكبـرى ، اختارت بارادتها الحرة زميلا لها يعمل معها ليكون زوجها .
بل ذهبت فى شق عصا الطاعة الى حد الاشتراك معه فى شراء شقة دون علم احد من اهلها .
وأخ « ابراهيم » (أحمد عبد العزيز) هو الآخر تخرج فى الجامعة ، شارك فى شرف العبور ، ناله ما ناله بسبب ثغرة « الدفرسوار » ، ينتظر حاملا قرار الحكومة بتوزيع القوى العاملة على المصالح والمؤسسات .
واثناء الانتظار الطويل الممل يحاول قتل الوقت مع الشطرنج وحبوب مهدئة تأتى اليه بنوم عميق ، يتحول به إلى انسان غير حافل ولا مكترث .
وأخ أخير « مهدى » (شريف منير) لا يزال طالبا فى الجامعة يهوى الحمام الزاجل ، بنى له أبراجا صغيرة فوق سطح البيت ، يحنو عليه ، يرعاه ، يطير حاملا الرسائل إلى بيت خاله القريب ، هذا الخال (عبد المنعم ابراهيم) الذى هرم قبل الأوان ، والذى نكتشف أن بينه وبين « مهدى » محب الحمام تواصلا سياسيا سببه رحلة طويلة نحو آفاق بعيدة قام بها الخال ، وانتهت به نهبا لأقسام الشرطة والمحاكم والسجون .

هكذا كان حال كل فرد من افراد العائلة لحظة عودة عميدها الأخ الأكبر .
وسواء اكان هذا الحال طيبا أم خبيثا ، فسيظل كما هو لا يطرأ عليه تغيير أو تبديل ذو قيمة بالنسبة للجميع باستثناء الأخت الكبرى « فوزية » .

● لعنة الحلال

فقد كان سقوطها هى الأخرى مفاجئا ، لأن مجيئه كان بلا تمهيد من شخصيتها التى صيغت لنا فى أول المشاهد واللقطات صياغة جعلت منها ربة بيت مشغولة بأخواتها وما يختلف عليهم من أحداث ، مفتونة بشىء واحد يملك عليها حياتها هو صنع الحلويات .
ولو أن كاتب السيناريو « عاصم توفيق » مضى فى سائر الفيلم على النحو الذى مضى عليه فى أوله بالنسبة لهذه الأخت ، لأهدى إلينا شخصية رائعة تجاهد وتضحى ، ولاتشعر بأنها تجاهد وتضحى ، وإنما تشعر بأنها تؤدى واجبها نحو عائلتها ونحو نفسها فى أيسر اليسر .
ولكنه لم يلبث أن تعثر ، فمضى بها هى الأخرى ضحية أخيرة للفساد .
فلا يكاد أخوها العائد يهديها مبلغ عشرة آلاف جنيه كى تحقق به حلم أن يكون لها محل تبيع فيه ما تصنع من حلويات ، حتى تكشف أخلاقها عن مكنونها . فكانت الأثرة والانانية والجرى وراء المال والرجال .
وكأنه بذلك اراد أن يقول إن المال الناتج عن الجهاد والاجتهاد على امتداد الوطن العربى ليس مدخلا إلى حياة بسيطة هادئة فى أحضان مصر ، وإنما

سينما الضياع

إلى أين تمضي بنا ؟

إلى جحيم كل ما فيه نكر وشر .

و «زينب الضائعة» كما «شاكر» المواطن العائد تبتلى بالعمل في أبي ظبي بلاء شديدا .

● العقاب .. لماذا ؟

فهاهي وحيدة في مستشفى بهذا البلد البعيد محرومة من فلذتي كبدها وزوجها في مصر ، لالشيء سوى أن تجمع قدرا من المال تشترى به شقة تكون لها ولعائلتها الصغيرة ملاذا أخيرا .

ولكنها في خضم المهجر المتلاطم بشتى الأهواء والشهوات تتعرض لألوان من الشقاء تنتهي بها متهمة زورا وبهتانا بالشروع في إغراء طبيب كان قد سعى الى الاعتداء على شرفها فباء سعيه بالخسران المبين ، وثانيا بسرقة انابيب افيون مخصص لتسكين آلام المرضى ضبط بعضها مخبأ ضمن ما تملك من أشياء الحياة .

فوزية «ميرفت امين» مع شقيقها العائد «يحيى الفخراني» بعد السقوط



وطبعا تشتد بها وتمتد أمواج الاضطهاد ، فإذا بنا نراها مفصولة من خدمة المستشفى ، عائدة الى مصر لتجد نفسها فاقدة كل ما ادخرت من مال ، بل الادهى والأمر فاقدة الزوج والعيال ، ومن بعدهم العافية والعقل .

وكأن صاحب السيناريو والحوار أراد أن يتخذ من « الضائعة » منبرا يقول منه إن من يقدم على مغامرة السفر والعمل فى الوطن العربى ليأتى بمال قليل يكفل له حياة شريفة ، لن يظفر بشىء ، ولن يترصد له كل يوم سوى العار وسوء المصير .

● نقطة مضيئة

وهذا نفس ماتغياه بفيلمه « سكة سفر » فبطله « زغلول » (نور الشريف) يعود من بلد عربى بعد غياب دام خمسة أعوام قضاها بعيدا عن قريته الفقيرة المطلة على البحر ، والتى يكدّ ويكدح أهلها فى ملاحات وسط ظروف بالغة الصعوبة ، لعل خير مثل على قسوتها ومرارتها « مسعود » (عبد السلام محمد) ذلك الانسان الغلبان بجسمه النحيل المكدود بعمل يائس لاينتهى ، وتسول بائس لاينقطع ، والذى به يستهل الفيلم فى اولى لقطاته حيث نراه يتسلل الى عشة فراخ ظامئا الى بطة يتحقق له بسرقتها حلم التلذذ بالتهامها منفردا .

(هنا يلزم التنويه بدقة الرسم لشخصية مسعود وببراعة اداء القرفور عبد السلام محمد لها)

● واقعية أم عبثية

وعلى كل فإذا ما تركنا تلك الشخصية الفرعية الشهية جانبا ، وعدنا الى « زغلول » الشخصية الرئيسية فى الفيلم لوجدنا امامنا كائنا كاريكاتوريا ، بل قل مسخا شائنا رسم بطريقة تتسم بالفكاهة .

ولكنها فكاهة مرة تضحك من حماقة هذا المواطن العائد وسخفه وضعفه وتعلقه بالمنافع العاجلة وانقياده للوهم .

فهو ما أن استقر به المقام فى بيته عند أمّه الداية « رتيبة » (عايدة عبد العزيز) ، حتى خطط شيخ البلد « توفيق » (حسن مصطفى) للاستيلاء على ثروته التى كسبها بعرق الجبين فى الغربة ، مستغلا فى ذلك رغبته الجامحة فى الصعود والاثراء .

وبسذاجة منقطعة النظير ينساق « زغلول » الى مصيدة الاغراء ، فيسلم الشيخ ثروته ، ويخطب ابنته الدميمة متنكرا لابنة عمه « نعيمة » (نورا) التى بادلته حبا بحب ، وانتظرت عودته كما « بينيلوب » طويلا .

وعندما يفيق من كل هذا يكون قد فقد كل شىء فإذا بحياته تمضى على شر حال ، وإذا به يعد نفسه للسفر من جديد .

هذه هى الخلاصة الظاهرة للافلام الثلاثة ، وهى كما ترى يربط بينها خط فكرى واحد ، وهى كما ترى لاتدل على عمق الخيال ، ولا على براعة فى الابتكار ، لأنه ليس من العمق ، ولامن البراعة فى شىء ان يقال إن السعى الى تحسين الاحوال بالعمل الشريف فى ارجاء الوطن العربى ، هو السبب فيما فيه الناس الآن من اضطراب علم ادى الى انتشار وباء التنافس والتباغض والاحتيال ، وان المال ثمرة هذا العمل بعيدا عن ارض مصر إنما هو مال موصوم ملعون ماله الضياع

فى محافظة الأمل اكتشاف أعظم منجم للسياحة

تحقيق : عاطف مصطفى

عدسة : شوقى مصطفى



سياح ينعمون بدفء الشتاء فى الغردقة .. أتوا من ألمانيا وفرنسا وسويسرا .

●● محافظة البحر الأحمر على حدود مصر الشرقية . تشهد تجربة فريدة ، هى بمثابة خطوة جادة لخروج مصر من ازمتها الاقتصادية الحادة ، وفى مواجهة مايعانيه الوادى من ضيق بسكانه ، ومايستتبع ذلك من مشكلات معقدة ، وضرورة الاتجاه إلى الصحراء حلا لأزماتنا المتراكمة ●●

وتتمثل التجربة فى نهضة عمرانية ، ابرز مافيها تخطيط عمرانى مدروس ، ونظرة إلى المستقبل بعيون تمتلىء بالأمل ، وإصرار على النجاح برغم بعض العراقيل والمعوقات التى تواجه المشروعات الضخمة التى تتم الآن ، سواء فى الغردقة المدينة الساحرة بشواطئها الممتدة ، أو فى سفاجا التى تمتلك أحدث ميناء بحرى لاستقبال البواخر العملاقة ، حيث أنشئت به حديثا صوامع للغلال يمكن أن يختزن بها ١٠٠ ألف طن من القمح ، فضلا عن استقبال العبارات التى تأتى إليها من ميناء جده .

لم يعد طول المسافة بين القاهرة والغردقة هو المشكلة فى ظل توفير وسائل المواصلات المختلفة ، ومن بينها خط جوى منتظم يربط القاهرة بالغردقة .

وما أجمل أن تبدأ الرحيل إلى الغردقة مدينة الهدوء .. حيث دفء الشتاء ، وحياة الانطلاق ، بعيدا عن ضجيج العاصمة وزحامها الذى أصبح لا يطاق !

... خلال ساعة واحدة على متن طائرة من مطار القاهرة وصلت إلى ميناء الغردقة الجوى ، الذى يحتاج إلى كثير من الجهود ليكون لائقا بعاصمة البحر الأحمر . شاهدت طائرات رابضة على أرض المطار ، قد وصلت مباشرة من المانيا وفرنسا ، حاملة خليطا من هواة التمتع بشواطىء البحر الأحمر ، ومحبى الصيد وهواة الغطس فى مياه البحر الدافئة .. شاهدت فتيانا وفتيات فى عمر الزهور أتوا من بلاد أوروبا ومعهم معدات ضرورية للصيد ، وقليل من الأمتعة ، ورغبة صادقة فى المتعة فقط ، واكتشاف تلك الطبيعة الساحرة ، يمشون فى شوارع الغردقة يسألون عن متحفها البحرى ، ويتمتعون بشاطئها ، ويمرحون فى جو حالم ، وكأنهم عاشوا فى تلك المدينة منذ سنوات .. فهم باحثون عن جمال الطبيعة ، ولابد انهم قد أتوا إلى هنا عن قناعة ..

تلك الأفواج تتزايد أعدادها على مدار أيام الأسبوع منهم من أراد التمتع بالإقامة فى قرية مجاويش السياحية ، وقرية الجنتون ، أو فى شيراتون الغردقة ، أو فى العديد من القرى السياحية الأخرى الممتدة من الغردقة حتى سفاجا ..

تجدهم يسيرون فى شوارع الغردقة ، وفى أحيائها الجديدة والقديمة ، يحيون حياة المرح ، ويتناثرون ، بعضهم يجلس على المقاهى يدخن النارجيله ، والبعض الآخر يحاول التعرف على طبيعة أهل الغردقة ، هؤلاء السياح ، ليست مشكلتهم ماذا يأكلون ، أو هدفهم البحث عن المسكن الفاخر ، إنهم باحثون عن الدفء

في محافظة الأمل

والطبيعة الساحرة التي توفرت لهم بعيدا عن صخب الحياة ، وهدير الآلات ، وضجيج البلاد الآهلة بالسكان ..

إنهم يتنقلون مابين الشـواطىء ، يمارسون هواياتهم المفضلة ، أو القيام بزيارة المزارات الدينيـة في البحر الأحمر .

والمدينة استعدت لكل ذلك بحق ، بل إن الفنادق والقرى السياحية تحتاج إلى عشرات من شركـات صناعة السياحة ، لكى تظل مليئة بأفواج السياح ، وربما هذه مشكلة تحتاج إلى علاج سريع ! حيث افتتحت قرية شدوان السياحية وتعدادها أكثر من ١٦٠ سريرا وظلت لمدة أسبوع لا يزيد عدد نزلائها على ثلاثين فردا ، وهى المشكلة التى يُخشى منها مع الطفرة الكبيرة في الانتهاء من المشـروعات السياحية الكبرى بالغردقة .

لقد استعدت الغردقة لاستقبال أفواج السياح ، الذين يحتاجون إلى تسهيلات أكثر ، وتفهم كامل لنفوسهم ، والابتعاد عن الروتين ، الذى يعوق ممارستهم لهواياتهم ..

وتدرب أهل الغردقة على كيفية معاملة زوارها ، ولكن ذلك يتم بعفوية ، حتى انني قابلت بعض الأطفال في شوارع المدينة القديمة وكانت تحيتهم لى "هاللو" باعتبارى واحدا من السائحين !

● منجم جديد

إن السياحة هى المنجم الجديد الذى يضاف إلى مناجم البحر الأحمر ، التى تمثل ٨٥٪ من ثروات مصر كلها .. تفجر هذا المنجم أخيرا كما تفجر البترول من قبل في رأس غارب ، وكما بدأ البحث من جديد عن الذهب في مناجمه القديمة ، بالإضافة إلى البحث عن معدن النحاس واليورانيوم ، واستخراج بودرة التلك من

هـواية الغطس انتشرت على شـــاطىء البحر الأحمـــر



منجم ضخم ، ويعتبر من افضل المناجم في العالم .

والبحر الأحمر بعاصمته الغردقة يجعلنا نتوقف لكى نتأمل ماذا حدث فى السنوات الثلاث الأخيرة ..

كان لابد من التخطيط العلمى ، وكان لابد من تضافر الجهود ، فأهل المدينة بدأوا يستثمرون مدخراتهم فى المشروعات العديدة ، كذلك اتجهت بعض رءوس الأموال ، لعمل المشروعات السياحية ، وشجع الفريق يوسف عفيفى محافظ البحر الأحمر كل من أراد القيام بمشروع يخدم هذه المحافظة النامية .

واستعانت المحافظة بالكثير من

واحد من الأسواق الشعبية القديمة بمدينة الغردقة



فى محافظة الأمل

الخبراء فى مجال التخطيط العمرانى ..

وقد حدثنى الدكتور سيد كريم خبير التخطيط العالمى عن التخطيط السياحى فى البحر الأحمر ، فأشار إلى أنها المنطقة الوحيدة فى العالم التى تضم جميع أنواع العناصر السياحية ، بجانب أطول موسم سياحى على مدار العام ، ولا يتوفر ذلك فى أى بلد آخر فى العالم ..

فالبحر الأحمر يضم السياحة الترفيهية والرياضية والسياحة الدينية والثقافية .

والسياحة الدينية فى البحر الأحمر تشمل جميع مقومات السياحة الدينية فى العالم لجميع الأديان .

لقد شاهدت ميناء سفاجا ، ومدى الاستعدادات التى جهز بها ، خاصة بعد أن بدأت "عبارة" العمل بين جده وسفاجا لنقل العائدين من السعودية ، خاصة إلى بلاد الصعيد .

بدأ الشباب من أهل هذه المدينة يعملون على مساعدة الركاب فى نقل أمتعتهم ، وبدأت المدينة تنتعش ، لوصول أكثر من ٧٠٠ راكب فى المرة الواحدة ..

ورأيت بعض الشباب وهو يتحدث بحماس عما يمكن أن يحدث من انتعاش لهذه المدينة فى حالة ذهاب الحجاج والمعتمرين عن طريق سفاجا ، وما يمكن أن يوفره ذلك من وقت ومال ، وخاصة لسكان الصعيد ، فضلا عن أن ذلك سيحد من الزحام بميناء السويس البحرى ، ومشكلات التكدس فى موسم عودة المدرسين وسفر وعودة الحجاج .

وإذا كنت من عشاق السياحة الدينية ، فلن تفوتك زيارة ضريح "أبو الحسن الشاذلى" الذى يقع فى وادى حميزة على بعد ٢٥٠ كيلو مترا من الغردقة ..

تشهد حول ضريح الشاذلى رضى الله عنه أعدادا من مسلمى افريقيا والبلدان العربية ، يأتون لزيارته فى كل عام ، ويحرصون على البقاء لعدة أيام ، ومن أبرز ما تم هو العناية بالمسجد ، وإقامة قرية سياحية ليقيم فيها زوار ، أبو الحسن الشاذلى ، ، والاهتمام بتعبيد الطريق الموصل لهذه المنطقة ، سوف يزيد عدد السياح ،

وتوجد أيضا بمنطقة البحر الأحمر أقدم أديرة فى العالم ، ومنها ديرا "سان بول" و "القديس انطونيوس" ويأتى إليهما الزوار أيضا من جميع أنحاء العالم ويصل عدد السياح إلى أكثر من ٢٠٠ ألف فى العام وتشمل السياحة الثقافية زيارة قرى ومستعمرات المحاجر والمناجم والقلاع الرومانية والعثمانية والإسلامية ، بالإضافة إلى مختلف أنواع الموانىء التى تعود إلى مختلف العصور التى بدأت منذ فجر التاريخ .

إن أبرز ما نلاحظه خلال جولتنا فى هذه المناطق الأثرية أن هذه الكنوز الثقافية مهجورة ، ولا تحظى بأى نوع من الاهتمام ، مما يعرضها للضياع ، ونفقد بالتالى آثارا لا توجد فى العالم كله ، خاصة إذا عرفنا أن لصحراء البحر الأحمر تاريخا بعيدا ، يرجع إلى عصر ماقبل الأسرات ، حيث عاشت فيها جماعات بشرية ، بصماتهم ممثلة فى

أبرز ما يلفت النظر هو شارع المدينة ، التي تم تخطيطها بما يتلاءم ودورها في التعامل مع السياح فضلا عن تغير البيئة الذي صاحب خطط التعمير ، واستقبال أعداد كبيرة من سكان الوادي .. بدأوا حياتهم بالفعل في المحافظة التي تمثل مساحتها ٢٢٪ من مساحة مصر .

إن محافظة البحر الأحمر التي كانت طاردة لسكانها في الماضي ، بدأت من جديد تجتذب كل ابناء مصر ، للعمل بها في مشروعات التعمير ، وفي المشروعات الصناعية بالمناجم واستخراج البترول ، وفي المشروعات السياحية وتم التخطيط لتستوعب ١٠ ملايين نسمة حتى سنة ٢٠٠٠ ، وهو من افضل الحلول ، لو اتبعت الطرق الصحيحة ، لترغيب المواطنين في الذهاب إلى هذه المحافظة للعمل بها وللسكنى بها .

لقد تبدلت الحياة الآن في مدن وقرى البحر الأحمر .. فيحلو لك أن تتجول في مدينة هادئة من مدنه .. فالكل يعمل بهمة ونشاط ، من قنا ومن الأقصر .. من السويس والاسماعيلية والمنصورة .. يعيشون آمال وطموحات أهل البحر الأحمر .. وحتى صديق قديم كان يعمل بواحدة من دول الخليج ، حدثني بالمتعة الحقيقية ، وهو يعمل هنا .. يعطى لبلده ويعيش حياة الطمأنينة والأمان ..

الصورة تتكرر في كل مكان .. كل شيء جديد ..

مدينة الصيادين تم بناؤها على شاطىء البحر ، مكان مساكن الصيادين القديمة ، ليشعر الصياد برعاية الدولة له ، ويحيا في نفس الوقت حياة التطور ، وليعطى من



مجموعة من السياح في رحلة في عرض البحر الأحمر

بعض النقوش التي لا تزال قائمة عند "أم الفواخير" بوادي الحمامات .

ومما يميز البحر الأحمر أيضا مشاهداتي السياحة العلاجية ، حيث يضم منجمها مختلف العناصر .. أشعة الشمس ـ الجفاف ـ المياه التي تلعب دورا هاما في العلاج ، فضلا عن الأعشاب الطبية المنتشرة في الوديان والجبال ..

وبالانتهاء من إقامة القرى السياحية للعلاج الطبيعي والرياضة العلاجية ، يكون ذلك المشروع الأول من نوعه في مصر .

● تخطيط عصري

وإذا عدت من جديد الى الغردقة فإن

في محافظة الأمل

جهده بعد ان ضمن مسكنا له ولأولاده .

ميناء الغردقة أدخلت عليه بعض التطورات ، ومع هذا لا يتوقف بناء السفن الصغيرة والمتوسطة المستخدمة في الصيد ، وعلى طول الشاطىء لا يتوقف أيضا هدير "البلدوزرات" لبناء القرى السياحية ، وكان آخرها قرية شدوان التى تضاف إلى عشرات القرى السياحية التى بنيت أخيرا في الغردقة .

● عودة البشارية

توقفت لأسأل مواطنا من أهل الغردقة عن حياته في ظل مايحدث الآن في الغردقة .. وبطمأنينة قال : إننى أعمل حتى الثانية ظهرا . ثم أواصل عملى فى أحد الفنادق السياحية . ويصل دخلى إلى ٣٠٠ جنيه فى الشهر الواحد ، وليست هناك مشكلات تموينية حادة ، كما كان يحدث فى الماضى ، وذلك بفضل النظرة الجديدة لأهل البحر الأحمر .

وانتشر العبابدة والبشارية فى المدينة الوادعة .. اتوا إليها اخيرا بعد أن كانوا يعيشون هناك بعيدا على الحدود ، لا ينتمون إلى الوطن ، ولا يتحدثون لغته ، ولم يكن احد يهتم بهم ، أو يسالهم عن مشكلاتهم رايت البشارية يرقصون ويغنون فى عيد المحافظة القومى "فى ٢٢ يناير الموافق ذكرى معركة شدوان"

اتوا يغنون لمصر ، ويعاهدون على

رياضة الشراع يقبل عليها السياح من كل أنحاء العالم



بشارى يحمل ترسه وسيفه



مواصلة الجهد ، ويؤكدون على انتمائهم ..

ورأيت محافظ البحر الأحمر وهو يتعامل معهم بكل مودة وتعاطف ، ويؤكد لي في معرض الحديث عن البشارية والعبابدة بأنه حرص على إنشاء قرية نموذجية لإسكانهم ، وتوفير كل المرافق ومن بينها افتتاح عدة مدارس ووحدات صحية ، فضلا عن دراسة كل مشاكلهم بعناية ..

وعادوا إلى مصر ، ويقدم إليهم الآن كل ما يحتاجون إليه من دعم ، وتصلهم المؤن والأغذية .. وبدأوا ينتجون الفحم النباتي ، وزيدت أسعاره وتضاعفت وتضاعف إنتاجهم أيضا .

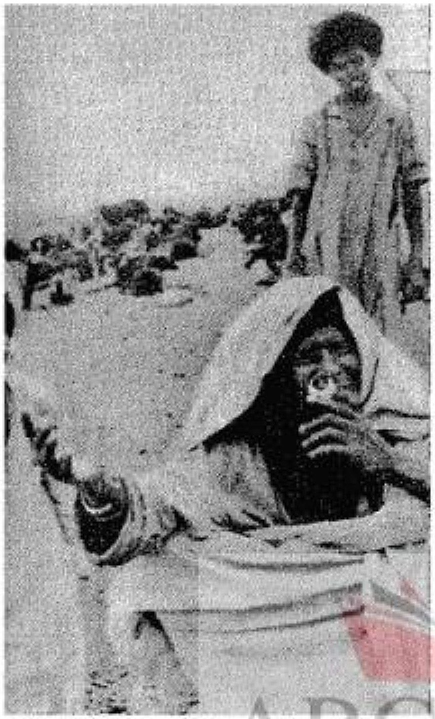
● دور في البناء منذ القدم

وإذا كنا نلقي الضوء على البحر الأحمر في هذا الوقت بالذات ، ليس لأن نهضة شاملة تدب في كل أرجائه ، نتمنى أن تتواصل لتحقق الطموحات ، ولكن لأن كثيرا من المؤرخين يعتبرونه مدخل حضارة مصر منذ قديم الزمان ، ويحاول الكثير منهم التأكد على أن المصريين القدماء ، جاءوا إلى مصر عن طريق البحر الأحمر ، ونزلوا على شواطيء البحر ، بالقرب من منطقة سفاجا ، أو بين الغردقة وسفاجا ، وعبروا الوادي الموجود حاليا بين سلسلة جبال الصحراء الشرقية ، وخلال هذه الجبال يوجد وادي مراونيه حتى وصلوا إلى النيل عند مدينة "قفط" بالصعيد ، ولهذا سموا هذا الطريق بطريق الآلهة ، لأن قدماء المصريين الذين أتوا كانت تقودهم آلهة أرشدتهم لهذه الأرض ، ولهذا سموها الأرض المقدسة "حورجت"

صياد من العبابدة يجلس على الشاطيء في انتظار عودة الصيادين



فى محافظة الأمل



أسرة من العبابدة .. أمل وتفاؤل المستقبل

التى أخذ منها اسم الغردقة .

وطريق الآلهة هذا توجد على جانبيه ، المناجم الأولى التى بنت حضارة مصر ، وهى مناجم الذهب والحديد والنحاس والصخور والأحجار والجرانيت والرخام .

كان الفراعنة يأخذون ثرواتهم من مناجم البحر الأحمر ، تلك الثروات التى بنت حضارة مصر ، بدءا بالذهب ، ثم بقية الخامات الموجودة فى مناجم البحر الأحمر ، وتوقف استغلالها .

والفرصة متاحة أمامنا لاستغلال هذه المناجم ، والاستفادة من الثروة الطائلة التى تضمها .

وبنظرة سريعة نجد أن السياحة بدأت تحقق دخلا متزايدا ، فقد وصل ١٠٥ آلاف سائح خلال عام واحد ، ومع تزايد العدد ، زادت أعداد الفنادق والمطاعم بالجهد الذاتى ، ودون أن تتحمل خزانة الدولة أعباء إضافية ، فتم بناء ١٢ فندقا و ١٤ مطعما ووصل عدد الأسرة إلى ٤٥٠٠ سرير فى الغردقة وسفاجا ، وتصل نسبة الإشغال طوال العام ٩٠٪ فى المتوسط ، ويزيد فى بعض الأحيان إلى ١٢٠٪ ، ويضطر المسئولون إلى تحويل أفواج السياح إلى الأقصر .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الأمل الذى ينتظر محافظة البحر الأحمر ، وهذا الحجم الهائل من العمل ربما فى صمت ، وبعيدا عن الأضواء .. وإذا كانت السياحة ستتيح دخلا كبيرا من العملات الصعبة ، وإذا كان استخراج البترول يتم بمعدله المطلوب ، وإذا كان قد بدىء فى استخراج النحاس واليورانيوم ، فاننا ننتظر على ضوء كل ذلك تصحيح خريطة السكان ، حيث ستتدفق العمالة ..

وكل ذلك يحتاج إلى الوفاء بميزانية تعمير الصحراء فعليا لهذه المحافظة بل تطالب بمضاعفاتها على ضوء كم العمل المبذول حتى الآن ، ولا يمكن أن تغفله عين ، أو تغض عنه الطرف ؟

سريع لمشكلة المياه . ولقد ذكر لى بعض المواطنين أن المياه تصل إلى المنازل أحيانا كل ١٥ يوما !

● المستشفى الموجود فى سفاجا ليس به "تليفون" . والروتين عطل تركيب هذا التليفون منذ عامين برغم حيويته الشديدة .

● الطرق تحتاج إلى تعبيد فى بعض الأماكن . والبيروقراطية تحول دون ذلك .

● **هناك أراض كثيرة تم الاستيلاء عليها من قبل بعض الوزارات بدون أدنى حق . وهذا يعطل المشروعات الحيوية . ويوقف مسيرتها**

● لابد من حسم سريع للمشكلات التى تواجه المستثمرين . وينبغى ألا يكون الروتين بالمرصاد . لكل مايفيد اقتصادنا .

● **هناك مشكلات تواجه هواة الصيد والغطس . خاصة فى الحصول على تصاريح من الجهات المعنية . وذلك يتطلب منهم وقتا طويلا . وقد لا ينتهى استخراج التصريح . حتى بعد عودتهم لبلادهم .**



رحلة فى مياه البحر الأحمر

ولأكون صادقا فأشير إلى حقيقة ذكرها الفريق يوسف عفيفى محافظ البحر الأحمر حيث قال : لقد وجهت الدعوة لكل الوزراء لحضور العيد القومى للمحافظة . ولم يحضر وزير واحد . ليشهد المشروعات التى تمت . وليكون معنا فى تذليل بعض المشكلات التى تواجه التقدم العمرانى السريع فى الغردقة ومدن المحافظة ..

● مشكلات تحتاج للحل

محافظة البحر الأحمر تحتاج إلى حل

وفى رأيى أن وزارة السياحة عليها دور كبير فى التنسيق مع محافظة البحر الأحمر . لكى تصل إليها أفواج سياحية بشكل منتظم . كذلك حل المشكلات التى توقف المشروعات الحيوية والتى تهم اقتصاديات مصر ..

وتدور عجلة الزمن . وبالجهد والإخلاص . يتحقق لمصر الكثير . من ذلك العمل الخلاق فى وسط الصحراء .. بسواعد الرجال وعزيمتهم وإخلاصهم ..

العقاد: جزء خاص

ذكـــــــــــــــرى عباس محمود العقاد





سعد زغلول
اعجاب بالعقاد بلا حدود



عباس العقاد
صاحب مبدأ لا يتغير



احمد شوقى
حملة ضارية

العقاد وسعد زغلول

بقلم: د. الطاهر أحمد مكي

يقول العقاد فى كتابه سعد زغلول :

"وصفوة القول أن سعد زغلول كان مثلا فى الصراحة والجراة وطبيعة الكفاح ، ولكن الذين يفهمون انه كان لذلك يحمل سلاح الصراحة ذات اليمين وذات الشمال يخطئون فى فهمه ولا ينصفونه . إنما كانت صراحته وسيلة لإبداء الحق ، والإعراب عن الراى ، وكشف رذيلة الرياء ، ودفع مذلة الخنوع" .

وكأنما العقاد يصف نفسه بهذه المقولة ، أو الجانب الأوفر مما كان عليه فى أقل الأحوال .

وكان إعجاب هذا الشاب الصعيدى الوافد على القاهرة ، فى خطاه الأولى ، صحفيا أو كاتبا أو كيفما كان ، برجل بارز فى مجتمع القاهرة ، وصاحب مواهب عالية ، لم يكن فى البدء وليد أشيا محسوسة تتجلى فى سعد ، فلاشك أن كثيرين كانوا مثله أو يفوقونه ، ثراء ونفوذا وشهرة ، ولمّا يكن سعد قد أصبح زعيما وطنيا ، ولكنه لون من الحدس ، تراه البصيرة ، وتستشعره النفس على البعد ، وتتوقع منه خيرا قادما ، قد لا تستطيع



تحديد مداه ، ولكنها تدرك بأوضح ما يكون الأمر طبيعته ومغزاه

ولا تتسع هذه العجالة عن كاتب خلاق فى صلته بزعيم فرد لحديث مفصل عن ظروف حياتهما ، وتطور فكرهما ، وما صحبهما من إرهاصات فى أيام الصبا الطرية ، أو الشباب الغض ، وما تعاور الأمة على أيامها من أطوار فى مجال الفكر والسياسة والدين ، وما كان من يقظة قومية عمت شتى طبقات الأمة ، يستوى فى ذلك الأمى فى مجاهل الريف ، والمثقف الذى تعلم فى أرقى جامعات أوربا ، ومن كان فقيرا يلتقط قوت يومه بالكاد ، أو ثريا يملك المال والعقار والضياع وينفق منها بغير حساب ، ومن كان مسلما تقيا أو قبطيا صالحا ، أو حتى بلا دين ، وتلك هى أعمق ألوان اليقظة وأسماها فى تجارب الأمم والجماعات .

وإنما بحسبنا أن نقف عند ما يهدى إليه العنوان ، نحاول أن نرى كيف كان كل واحد من الرجلين يرى صاحبه .

ولا يرد علينا أن الخلفيات توضح وتفسر ، وتعين على الفهم والإقناع ، لأنها تحتاج إلى صفحات طوال ، ويجدها القارىء مبسوطة فى أى كتاب يعرض لهذه الفترة مؤرخا ، أو لواحد من أعلامها مترجماً ، ونرضى منها بسطور موحية ، تكفى فى إلقاء الضوء على بعض ما كان يجرى فى القاهرة فى تلك الأيام

○ جوانب إيجابية

يصف العقاد القاهرة عندما جاءها شابا بأنها أشبه ما تكون ببرج بابل ، مركز لكل دعوة ، تعج بضوضاء وأفكار من كل لون وعلى كل صنف ، من كل دعوة "تهتم بها دول العالم ذوات المطامع فى الشرقين الأدنى والأقصى ، ومركزا لكل دعوة يديرها دعاة الجامعة الاسلامية ، ودعاة الوحدة العربية ، ودعاة تركيا الفتاة ، ودعاة الإصلاح فى إيران وأواسط آسيا ، ودعاة الحركة الوطنية فى مصر نفسها ، وفى سائر الأقطار الأفريقية ، من شمالها حتى بلاد السواحل وزنجبار"

ومع ذلك لم يرتبط العقاد شابا ووافدا على المدينة ، ونهما إلى المعرفة ، وراغبا فى العمل من أجل الحياة ، بأى من هذه التيارات العديدة ، لأنه رأى فى أى منها جوانب إيجابية واضحة ، دون أن تبرأ أية دعوة أيضا من ظلال سلبية تصد عنها من تملأ خطاه الأولى مثالية عالية ، لا يود معها أن يكون عمليا ، وأن يقيم ميزانا يراجع به الخطأ والصواب ، والربح والخسارة ، ويكون حيث يرجح الجانب الأول ، ولو خاض إليه الكثير مما لا يرضاه

أخذ من كل دعوة مارآه إيجابيا فيها ، فآمن به ، ودافع عنه ، واعتقده ، وأدار ظهره لما لايرتضيه ، ولم يقبل أن يأخذ أية دعوة على علاتها ، وأن يتلقاها بخيرها وشرها ، فظل بعيدا رأيا وفكرا عما لا يؤمن به ولايرتضيه .

كان صاحب مبدأ دائما ، إذا اقتنع

بشىء آمن به ، ودافع عنه ، ولم يخالفه ، لا فى أيام عسره ولا فى لحظات رخائه ، وهو شاب مندفع متهور أو رجل ناضج متئد ، أو شيخ متهالك يحمل على كتفيه أعباء أزيد من سبعين عاما من النضال المتواصل غير المريح .

وإذا اقتنع برأى لا يبالى أن يعارضه كل البشر .

ومحور إيمانه يدور حول الديمقراطية ، ويرى بيئتها "كالأرض الآمنة القريرة ، والبيئة الدكتاتورية كالمحجر الصحى ، وكالمخفر الذى لا يعاش فيه بغير رقابة أو تضييق" و "أن مصدر الجمال فى الأخلاق أن يتصرف الإنسان كما يليق بالكرامة الإنسانية ، وأن يكون سيد نفسه ، وأن يعلم أنه يريد فيعمل أو يمتنع عن العمل ، وليس قصاراه أن يساق إلى مايراد" .

ومن ثم فهو يحارب كل ما يتصوره طغيانا ، وتجىء الدكتاتورية فى كل أشكالها ، وأياً كان الذى ترتديه ، على أيامه وقبلها ، على رأس مايكره ويقاوم ، ومع ذلك يؤمن بدور الفرد البطل ورسالته ، ويجل العبقرية ويقدرها حق قدرها ، وجاءت مؤلفاته شاهد صدق وحق على ما تقول ، فقد كتب عن العبقرية فى كل مستوياتها ، وبين كل قوم وجيل ، يستوى فى ذلك النبى والمسيح والخليفة والقائد والسياسى والمصلح والمفكر والعالم والفيلسوف والشاعر ، وإلى أية ملة انتمى ، مسلما أو مسيحيا أو بوذيا أو بلا دين .

● طريق صعب

جوانب كثيرة فى سيرة العقاد تحتاج إلى أن نلح عليها ، لتكون قدوة لمن يبحث عن الهداية ، ومثالا للباحثين عن مكان فى عالم الفكر والإبداع والشهرة ، وهو أن طريق العقاد إلى ماحققه لم يكن مفروشا بالورود والرياحين ، وإنما ناضل وجاع ومرض وأفلس وتبطل وفكر فى الانتحار . وقضى أياما عديدة على وجبة واحدة من الخبز والجبن أو الخبز والفول ، **ومع ذلك لم يخن ضميره لحظة واحدة ، ولم يبع قلمه فى أحلك الساعات ، وارتفع بفكره دائما فوق البيع والمساومة ، جائعا يتصعلك فى الشارع ، أو عملاقا يتربع على عرش الفكر العربى على امتداد الأمة العربية** . وظل منذ أمسك بالقلم ، ومع أول مقال كتبه ، تنشر الصحف مقالاته دون أن يطلع عليها رئيس التحرير ، أو صاحب الصحيفة ، لأنه لا يملك ، إذا إراد أن يحتفظ بالعقاد معه ، أن يجرى عليها أى تعديل ، ولأن صاحبها لايقبل أى توجيه ، فهى من يده إلى المطبعة .

نكرر ذلك ونلح عليه ، لأن الوافدين على دنيا الفكر فى أيامنا هذه يضيق صدرهم بعد الكتاب الأول يقرءونه ، وينفد صبرهم بعد المقال الثانى لا ينشر لهم ، وعلى استعداد لأن يسخروا مواهبم مع رنين أول دولار ! .

ولم تكن الحياة أيام العقاد خالية من هؤلاء ، فهو نفسه خبرهم ، وحاصرته مغريات السقوط فى كل الحالات ، ولكنهم جميعا ذهبوا لايذكرهم أحد ، وبقى هو ملء السمع والبصر ، بلا حزب يفرضه ، ولا قوة خارجية تدعمه ، وإنما تتحرك الدنيا حوله هادرة صاخبة ، راضية وساخطة ، وهو حتى قبره يحركها كأنه لمّا يزل بعد فى مكتبه أو جلسته فى تلك



الحجرة المتواضعة من بيته فى ضاحية مصر الجديدة

بدأ إعجاب العقاد بسعد مبكرا ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، حين بدأ العمل فى جريدة الدستور التى كان يصدرها محمد فريد وجدى ، وهى أول صحيفة يومية يعمل فى تحريرها ، وواظب عليه ، وعمل بها منذ العدد الأول حتى الأخير ، على امتداد عامين كاملين تقريبا ، وصدر العدد الأول منها فى نوفمبر عام ١٩٠٧ تتوسطه مقالة العقاد ، وكان المحرر الوحيد مع صاحبها ، ويضطلع بنصف أعباء التحرير تقريبا ، من ترجمة وتصحيح وتهذيب الرسائل والأخبار ، وراتبه فيها ستة جنيهات شهريا .

كانت جريدة الدستور لسان الحزب الوطنى ، إلى جانب جريدة اللواء ، وكان موقف الحزب الوطنى من سعد زغلول معروفا ، ومع ذلك كان العقاد يؤيد سعدا ، ويرد على ناقديه فوق صفحات الدستور ، ولم يحاول رئيس تحريرها أن يمنع كلمة واحدة مما يكتبه العقاد فى هذا الموضوع .

ومع سعد ، ودفاعا عنه ، أدخل العقاد للمرة الأولى مادة الحديث الصحفى فى جرائد تلك الأيام .

فحين كان سعد زغلول وزيرا للمعارف أشيع عنه فى صحف خصومه أنه يحارب فكرة الجامعة والتعليم باللغة العربية وأنه مالأ الإنجليز على تقييد حرية التعليم ، فذهب إليه ولقيه للمرة الأولى فى صباح يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٨ ، بمكتبه فى وزارة المعارف العمومية فى ديوانها المعروف بدرب الجماميز . وكان فى التاسعة عشرة من عمره ، أى فى سن الجيل الناشىء الذى استولى عليه اللواء وجعله من قرائه وجنده ، ومصدق فى مدحه وهجائه ، ولكن العقاد كان معجبا بسعد ، ويرى لمصر الخير على يديه ، ولم يسع إلى أن يكون مثله ممن يخون عهده ، وينسى واجبه ، وينقاد على غير بصيرة لأمر الموظفين الإنجليز كما كان يقال عنه فى ذاك الحين . فرأى من الحق أن يدفع عنه هذه التهم ، وأن يظهر الحقيقة ما وسعه ، مدعومة بالوثائق والبراهين .

وقد عرض العقاد لهذا اللقاء الأول تفصيلا فى كتابه عن سعد زغلول ، وترك لنا صورة دقيقة للرجل كما رآه قبل أن يصبح زعيما يقود الحركة الوطنية ، وجده "رجلا مهيب الطلعة ، قوى العارضة ، فصيح العبارة ، يملأ الناظرين والسامعين ثقة وتوكيدا ، ويشعرهم بقدرته ، ويشعر هو بتلك القدرة ، ويعتد بها مفطورا على ذلك فى غير صلف ولا تكلف ، وتسمع حجته الدامغة فى صوته الشجى ، فتجد للمنطق عذوبة الفن وسلامة التلحين ، بل تسمع سليقة الرجل كلها تتحدث إليك عن يقين لا ينتهى عندك إلا إلى يقين" .

وبين عامى ١٩٠٨ و ١٩٢٤ لم يلق العقاد سعدا غير مرتين .

الأولى حين خطر له أن ينتظم فى بعثات الجامعة المصرية ، وأراد أن يكون الامتحان مباحا لجميع الطالبين ، ولكن طلبه رفض ، وأبى سعد إلا أن تكون لديه الشهادة المشروطة قبل الامتحان ، وقال له العقاد : ولو كانت هذه الشهادة غير ضرورية للنجاح ؟ .

ورد سعد : وماذا نصنع ، لتكن كفاءتك ما تكون ، فهل فى وسعنا أن نرشح للأستاذية فى الجامعة من ليست عنده الشهادات التى ينتظم بها الطلاب فى تلك الجامعة ؟ .

وكانت الثانية بعد ذلك بأعوام طويلة ، حين قدم إليه ديوانه الثالث "أشباح الأصيل" ، وأصدره عام ١٩٢١ .

ومنذ عام ١٩٢٤ اتصل بينهما اللقاء اتصالا لا تقطعه إلا فترات قليلة من سفر أو مرض أو نحو ذلك "فما تغيرت الصورة الأولى إلا بما أضاءها من وهج الحركة الوطنية ، وفخار الفداء ، وحماسة الإعجاب والإجماع من المعجبين" .

● إعجاب متبادل

وفى الجانب الآخر كان سعد معجبا بالعقاد ، ويحبه ، ويحترمه ، ويقدر رأيه على حداثة سنه فى ذلك العهد ، ويحرص على أن يقرأ كل ما يكتب ، ويتغنى باسمه ، ويردد فقرات من مقالاته ، وكان القاسم المشترك فى أى حلقة نقاش فكرى ، وإليه يعود الزعيم ، وبمقالاته يستشهد ، وبفضل هذه الصلة أصبح العقاد أقوى كاتب فى جرائد الوفد ، بل فى أية جريدة أخرى .

وصف سعد الزعيم الكاتب عباس العقاد فقال : إنه أديب فحل ، له قلم جبار ، ورجولة كاملة ، ووطنية صافية ، واطلاع واسع ، ماقرأت له بحثا فى جريدة أو مجلة إلا أعجبت به غاية الاعجاب ، وهو لا يعالج موضوعا إلا أحاط به جملة وتفصيلا ، إحاطة لا تترك بعدها زيادة لمستزيد ، وله أسلوب أدبى فريد ، جبار شديد الوطأة على خصومه ، وعنيد فى فكرته" .

وإلى هذا المعنى أشار العقاد فى قصيدته التى رثى بها سعدا فى حفل الأربعين لوفاته :

أنا جبارك لا تعهدنى
ذلك الجبار فى الدمع السخين

عن حب كان إعجاب العقاد بسعد ، وعن تقدير وإيمان كان ولاؤه له ، ولكن الحب والتقدير والولاء لم تذهب بشخصية العقاد أبدا . فخالف سعدا علانية حين لم يجده كما توقعه وكما يرجوه .

ففى سنة ١٩٢٤ تولى سعد زغلول وزارة الشعب الأولى ، وألقى أول خطبة للعرش ، وصدرت صحيفة الوفد يومها وليس فيها تعليق العقاد على الخطاب ، وكان الجميع يتوقعونه وينتظرونه ، فلما التقى العقاد بسعد عاتبه هذا ، فقال العقاد : إن كلمة "الأمانى القومية فى السودان" كما وردت فى خطبة العرش موجزة ، والكلام عن السودان كان يمكن أن يكون أكثر إيضاحا .

فرد سعد : وهل لا ينطبق هذا على كل كلام ؟



فقال العقاد إذا تساوى الوضوح وغيره فى جميع الاعتبارات فرأيى أن الوضوح أولى بالتفصيل .

وطال النقاش بين الرجلين ، وقال سعد : لو حاسبنى كل فرد فى الأمة حسابك لعجزت عن أعباء وكالتى عن الأمة .

ورد العقاد · وليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد

فتبسم سعد مؤمنا ، وهو يردد نعم ، ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد . صدقت"

إعجاب بشوقي

وكان سعد كخاصة المثقفين وعامتهم على أيامه معجبا بأحمد شوقى أمير الشعراء ، ولم يكن العقاد على رأيه ويعود إلى أيام خلت لم يكن فيها على صلة قوية بسعد ، ولم يكن هذا قد أصبح زعيما بعد .

ذلك أن رأى العقاد فى شوقى لم يبدأ بنشره هو وصديقه المازنى فى كتاب "الديوان فى النقد والأدب" عام ١٩٢١ ، وإنما يعود إلى عام ١٩١٢ ، ونلتقى به فى كتابه "خلاصة اليومية" وصدر عن دار الهلال عام ١٩١٢ ، وفيه يعلق على أبيات لشوقى وردت فى قصيدته التى رثى بها بطرس غالى حين اغتاله إبراهيم الوردانى ، ومطلعها ·

قبر الوزير تحية وسلاما
الحلم والمعروف فيك أقاما

فعاب عليه التقليد الأعمى ، وأنه لايصدر فى شعره عن شعور صادق ، وإنما يبكى القصر والأمير

ثم كان نقده لشوقى فى "الديوان" ، وجاء شديدا وقاسيا ومجحفا ، وتجاوز الموضوعية إلى السب والشتم ، وأحسّ العقاد بذلك ، وحاول أن يبرره فيما بعد فى أكثر من دراسة ومقال .

وما يعنينا هنا موقف العقاد من الاحتفال بتكريم شوقى عام ١٩٢٧ ، وكان مهيبا ضخما ، رأسه سعد زغلول بنفسه ، وشهده أدباء من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق والجزيرة العربية واليمن والبحرين والمغرب بأقطاره الأربعة ، تونس والمغرب والجزائر وليبيا ، فقد حمل عليه العقاد حملة ضارية فى مقال افتتاحى فى صحيفة البلاغ ، لسان حال الوفد المصرى ، ولم يرده عن النقد أو النشر أن الحفل كان برياسة سعد زغلول .

ولم يتردد العقاد فى الصدام مع مصطفى صادق الرافعى ، وكان سعد يجامله ، إن لم نقل يعجب به ، وصدّر الرافعى كتابه "إعجاز القرآن" بكلمة لسعد زغلول يطريه فيها مؤلفا ويقول عن الكتاب "كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم" ، ولا يقلل من هذا مايراه الدكتور محمد أبو الأنوار من أن العبارة تحمل طابع الرافعى نفسه ، فالمهم أنها قيلت على لسان سعد ، ونسبت إليه ، وطبعت على الصفحة الأولى من الكتاب وسعد على قيد الحياة .

والشيء نفسه يقال عن المنفلوطى ،

فقد تناقش سعد مع العقاد حول أدبه ، فقال العقاد : إنه ليس إلا منشئا . وقال سعد إن المنشىء يخلق ، فلماذا تعيب على المنفلوطى أن يكون منشئا . فقال العقاد : "إننى أعنى بالمنشىء من يكتب بأسلوب مواضيع الانشاء فى المدارس"

● وفاء دائم

ناضل العقاد عن سعد حياته كلها ، وأجهز على خصومه ، وظل وفيا لسعد حتى بعد أن رحل عن دنيانا ، وحين اتهم بالعيب فى الذات الملكية ، وقضت المحكمة ظهر يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٠ بحبسه تسعة شهور تلقاها ساخرا وهو يقول : ولو .. ! وحين خرج من سجن مصر العمومى فى ٨ يوليو ١٩٣١ كان أول مافعل أن توجه إلى ضريح سعد ، كما لو كان ذاهبا ليلقاه فى بيت الأمة ، وعلى ضريحه أنشده قصيدة ختمها ببيته الشهير :

عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما
سيعهدنى كل كما كان يعهد

وتبقى كلمة أخيرة

لا أومن بأن أيا من البشر فوق النقائص ومنزه عن الأخطاء ، فذلك شىء لا يستقيم مع طبيعة الأشياء ، ولا يعين على التقييم الصحيح ، وقد كان للعقاد وسعد كليهما حظ من الأخطاء ، ولكنها تجىء عن خطأ فى الحساب أو التقدير ، لا عن نية سيئة ، أو قصور فى المنهج ، أو نتيجة ضعف إنسانى مما يجوز على الأشرار والسيئين .

وبحسب الرجلين أن جانب الفضائل فى حياتهما مشع وعريض ، ويغطى مساحة ووهجا أى نقص يؤخذ عليهما ، ويأتى على كل سلبية تلحقهما بشرا ، والخطأ يدانان به ، ويحسب عليهما ، ولم يكن له فى حياتنا أى تأثير ، أوله تأثير ليس بالجليل ولا العميق ، وأما دورهما الايجابى فكان بليغ الأثر ، عظيم النتائج والخطر ، وكفى بهما كاتبا وزعيما ! .

العقاد وقضية فلسطين

كتب العقاد [illegible]

● «إن العرب لا يحتاجون إلى بحث طويل لإثبات حقهم القديم فى فلسطين ، وإقامة هذا الحق على أنهم أبناء البلاد الأصلاء من قبل عهد ابراهيم عليه السلام ، فإن كتب الصهيونية نفسها تروى عهد « يهوا » لابراهيم ، وتروى معه أن البلاد كانت يومئذ فى أيدى الكنعانيين .

وقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين أن ابراهيم اجتاز الأرض إلى مكان شكيم .. وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض وظهر الرب لابرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض .. »

وكنعان اسم عربى لا شك فيه ، وهو يدل على سكان البلاد الواطئة فى ساحل فلسطين ، وعلماء الأجناس الثقات متفقون على أن الكنعانيين ، والآراميين مهاجرون من جزيرة العرب ، نزلوا فى وادى الأردن ودخلوا منه إلى فلسطين ، وأطلقوا عليها اسم أرض كنعان ، ثم جاء اليونان فأطلقوا على الأرض اسم فلسطين » .



غراميات العقاد

العقاد جزء خاص

بقلم: كمال النجمى

كانت مغامرات العقاد العاطفية ـ منذ منتصف العشرينيات ـ تثير غمزات خفيفة أو ثقيلة فى الصحف المعادية للوفد المصرى ، وبخاصة المجلات الهزلية ، لأن العقاد كان من كبار الكتاب الصحفيين المدافعين عن السياسة الوطنية للوفد بزعامة سعد زغلول باشا ، فكان خصوم الوفد يتتبعون الحياة الخاصة لزعمائه وكتابه ، ابتداء بسعد زغلول ، وانتهاء بكل من يحمل قلما يؤيد به سياسة سعد ! ..

وكانت غراميات العقاد متواضعة ، لأنه كان فقيرا ، لم يقتن من وراء تاييده للوفد عمارة ولا ضيعة ولا حتى سيارة كما اقتنى غيره ممن جعلوا تاييدهم للأحزاب طريقا إلى الثراء ، فصار بعضهم أصحاب صحف يومية ، وملاك عقارات فى الريف والحضر .. ولبث العقاد بينهم يكتب كل يوم منافحا عن الوطنية والديمقراطية ولاتهفو نفسه إلى امتلاك شىء ، إلا امتلاك الكتب ! .. كانت غريزة التملك عنده لاتتعدى الرغبة فى تملك الكتب وإقامة مكتبة خاصة يناجى فيها عرائس احلامه

اما الغريزة التى تدفع الرجل دفعا إلى امتلاك المرأة ، فكانت عند العقاد فى شبابه لا تجد لها طريقا إلا الزواج على سنة الله ورسوله .. وكان العقاد مصروفا عن ذلك الطريق مكرهاً لابطلا ، لأن مرتبه لم يكن يفى بغير طعامه



الناصر العقاد
يوميات بجديد عن عمه



العقاد
موقف الضعف لمن احبهن

وملابسه ومسكنه وكتبه ، مع انه كان كاتب الوفد الأول ، وفي الطبقة العليا من أدباء عصره ..

وهكذا تخبط العقاد في طريق المراة ، أو تخبطت المراة في طريق العقاد .. اما هو فطريقه اليها تتحكم فيه المصادفات ، واما هي فقد تعشو الى الضوء الباهر المنبعث من اسمه الشهير فتجيء إليه يدفعها التطلع او الفضول او الظن الحسن بما في يده أو في جيبه من المال ! ..

وكثير من ابناء جيلي في الأدب والصحافة لبثوا يسمعون عن غراميات العقاد اربعين عاما أو اكثر ، ولو كانت الكتابة الآن في مثل هذه الأمور حرة طليقة كما كانت خلال العصور العربية الأولى ـ في عهد الجاحظ مثلا ، أو بعد ذلك في عهد ابى الفرج الاصبهاني ، الى آخر عهد الدولة العباسية ـ لسهل الأمر ، ولكتب كل اديب عاصر العقاد ماسمعه منه او من صديقاته أو من أصدقائه ، او ماشاهده بعينيه مما نسميه مغامرات العقاد العاطفية !

على أن الأمر هين ، فالعقاد الذى عاش كالنجم المتلالىء شهرةً ومكانة ، كان في الميدان العاطفي متواضعا ـ كما سلفت الاشارة ـ ولولا قيمته الادبية العظيمة لما كانتْ مغامراته هذه تستحق أن يبالي بها احد .. فاين هي من مغامرات الأديب فلان والشاعر علان والصحفي ترتان ؟ ! ..

واصدقاء العقاد وتلاميذه هم الذين جعلوا من الحبة قبة في «غراميات العقاد» . فلم يكد يلحق بالرفيق الأعلى حتى تنافسوا في تعريف القراء بما خفي عليهم من الحياة الخاصة للكاتب العملاق ، واوشكوا ان يزعموا انه كان على مذهب دون جوان او كازانوفا .



وكنا نقرأ ما يكتبون ونتساءل مابال اقرب الناس اليه ، وهو عامر العقاد ، لايكتب عن هذه الغراميات ؟ ! ..

● ناقل متواضع المعلومات

فلما كتب عامر العقاد ـ رحمه الله ـ كتابه «غراميات العقاد» بعد سنوات من الصمت لم يجيء بجديد ، ولم يضف شيئا إلى ما كتبه من قبل أصدقاء وتلاميذ العقاد عن غرامياته ، ولكن كتاب عامر العقاد كانت له أهمية خاصة ، فمؤلف هذا الكتاب هو ابن شقيق العقاد ومدير اعماله وكاتم سره في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته .. عاش بجواره يسمع ويرى مالا يتاح لغيره ان يسمعه او يراه .. واطلع على وثائقه الخاصة في حياته وبعد مماته ، واكتملت له بذلك صفة المصدر الموثوق فيما يتعلق بأسرار العقاد التى عرفها الناس ، واسراره التى لم يعرفها إلا قليل من «خاصكية» العقاد ـ على حد التعبير المملوكى عن خواص السلطان ، فقد كان العقاد سلطانا على اولئك الخاصكية ـ وبهذه الصفة الخاصة جدا ، نشر عامر العقاد ـ رحمه الله ـ كتابه الذى سماه «غراميات العقاد» فلم يضف شيئا مذكورا إلى ماروواه أصدقاء العقاد وتلاميذه وخواصه فى كتبهم ومقالاتهم وأحاديثهم وأسمارهم ، بل لعلهم زادوا عليه واستفاضوا فى كشف خبايا هذه «الغراميات» اكثر مما استفاض ، حتى اضطروه اضطرارا إلى أن يقتبس منهم فى كتابه ويستشهد بأقوالهم ، ويسند كلامه إلى كلامهم ، وكأنه ناقل متواضع المعلومات يأخذ من مصادر اصيلة غنية بالمعلومات ، مع أنه ـ فيما كنا نظن ـ كان المصدر الاصيل الذى يأخذ عنه الناقلون ! ..

وقد سألت عامر العقاد عند صدور كتابه ذاك : لماذا أصدره ؟ ! فقال : **اردت أن انفى غير الصحيح مما كتب اصدقاء العقاد فى هذه الأمور الدقيقة !** ..

كأنما ظن عامر ـ رحمه الله ـ فى لهفته على توضيح تاريخ عمه العظيم أن الناس لن يصدقوا ما قرأوا عن غرامياته إلا إذا أكدها عامر بنفسه وقال لهم إنه رأى هذه الغراميات بعينيه ، وسمعها اوسمع عنها بأذنيه ، وعرف اسماء بطلاتها الحقيقية غير المستعارة ، ولمس وثائقها الخطية والمادية بأصابع يديه ! .. عندئذ لايبقى فى نفس احد ادنى ريب فى ان العقاد هو صاحب تلك الغراميات المشهورة فى الكتب والصحف وشاشة التليفزيون !

إلا ان عامرا ـ رحمه الله ـ ادرك وهو يقلب فى صفحات غراميات عمه أنها صفحات قليلة ، بسيطة ، بل ساذجة لا تستحق ان يؤلف المؤلفون عنها كل هذه الأكداس وكأنها من كبريات قضايا عصر العقاد ، ومن مقومات ادب العقاد وفكره وشعره ونثره ! .

لكن عامراً اراد ان يثير اهتمام الجيل الجديد الذى لايمكن ان يهتم بسذاجات العقاد فى الحب ، فاضاف الى غراميات عمه ما تفتقر اليه من غرابة وحرارة ،

فروى فى كتابه ان العقاد كان يخلط بين قسوته فى مقالاته على أعدائه السياسيين وبين طلبه الشفقة والرحمة من حبيباته ، فيخوض فى وقت واحد معركة القسوة السياسية ، ومعركة طلب الرحمة الغرامية !

وقد اثارت هذه الحكاية انيس منصور فحمل فى إحدى مقالاته على صديقه عامر ونعى عليه انه قد ظلم عمه ظلم ذوى القربى الذى هو أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند .. كما قال الشاعر القديم ..



مى زيادة حب مشترك للأدب

● يد من حديد فى ذراع من جريد

وقال أنيس إن العقاد لو كان فى العشق والسياسة على ماوصفه ابن اخيه لما كان إلا مريضا عاديا من المرضى الذين يتلذذون بتعذيب انفسهم وتعذيب غيرهم ، ولكان مكانه الصحيح طوال حياته هو مستشفى الأمراض النفسية او العقلية ، لاقمة الحياة الأدبية ! ..

ويؤكد انيس ان اقصى ما كان يذهب اليه العقاد هو اللعب او التلاعب بعواطف من يحب ، وإن لم يكن العقاد لعوبا فى الحب أو فى غير الحب ! ..

ومهما يكن من شيء فإن العقاد كان فى الموقف الأضعف بالنسبة لمن احبهن .. ابتداء بالآنسة مى ، وانتهاء بالثلاث الأخريات اللاتى ذكرهن عامر العقاد فى كتبه ، إلى غيرهن من المجهولات والمتواضعات اللاتى سمعنا عنهن ورأينا بعضهن .. وهذا ماجعل العقاد دائما مفتقرا إلي عطفهن ، بالرغم مما كانت تصوره له كبرياؤه من انه قابض بيد من حديد على زمام كل منهن ، جالس اليهن جميعا فى مركز القوة الذى لا يتزعزع

غير أن العقاد العاشق كانت له ـ على حد تعبير سياسى من أشهر تعبيراته ـ «يد من حديد فى ذراع من جريد» .. وكان جمعه بين الحديد والجريد فى يده وذراعه يُورده موارد الفشل والحسرة فى كثير من الأحيان ، فهجرته «اليس» الشقراء التى سماها «سارة» الى كثير من الرجال المختلفى الطبائع والاشكال .. ثم هجرته «السمراء» الفارعة القوام إلى مثل هؤلاء الرجال ، وصارحته بأنها لاتريده إلا واحدا من هؤلاء ، فلما ابى ذلك باعدها مكرها مهزوما ، ثم بكى من هجرانها الذى لم يترك له بصيصا من الأمل فى الوصال ، ولم يُعقب فى قلبه الا عقابيل كالجمر يتقلب عليها !

أما الآنسة مى ، فزعموا فى المسلسل التليفزيونى انها بادلته الحب ، بل بادأته الحب ، وقد علم الله ان هذه الآنسة لم يكن



العقاد: جزء خاص

بينها وبين العقاد إلا الحب المشترك للادب ، وأنها لو فتحت باب الحب لرواد صالونها الأدبى ، لدخل منه عشرات الادباء وغير الادباء من كبراء زمانها المفتونين بها ..

لقد أحب العقاد «الآنسة مى» حبا شفويا فى صالونها الادبى المزدحم بالمعجبين والعاشقين وعلى رأسهم المجنون بها مصطفى صادق الرافعى الذى ردت على جنون حبه بالتفكير فى تقديم بلاغ الى «النيابة» تشكوه فيه .. ولو كتب العقاد عن حبه لها معشار ما كتبه الرافعى لساقته ايضا إلى النيابة العمومية بتهمة السب والقذف العلنى ! ..

إن حبائب العقاد كن محترفات حب ، على اختلافهن فى اساليب الاحتراف ولو تتبعنا واحدة منهن فقط لرأينا لها فى عشرين أو ثلاثين عاما بعد هجرها للعقاد ثلاثين قصة حب وزواج فى مصر وخارج مصر !

وهؤلاء الحبائب المتنقلات حيث شئن من الهوى ، أرغمن العقاد على طلب العطف والحنان من المرأة ، بعد الاكتواء بنيران الغيرة والشك ومحاولات التسامى الرومانتيكى الساذج الذى يلطمه الواقع بعنف وقسوة !

لقد جرت المقادير على العقاد بذلك النوع البدائى القاسى من الحب ، مرة بعد مرة ، فى عصر الحجاب والنقاب ، والرومانسية ، والحبيبات البائعات اللاتى كن فئة فى المجتمع قائمة بذاتها .

ومن هذا النوع الأخير عرف العقاد نساءً كثيرات ، وله مع بعضهن «مغامرات» لم يسلم من عواقبها القانونية والاجتماعية الخطيرة الا بحسن الحظ احيانا ، وبصعوبة وتضحية أحيانا أخرى ، وكان اساسها دائما قلة تجربته وعجزه عن فهم الفرق بين حبيبات القصائد الشعرية ، وحبيبات السويعات العابرة !

وليس من هؤلاء بعض الاديبات اللاتى كن يجتمعن حوله اجتماع الفراشات حول المصباح الوهاج ، فهؤلاء طبقة من حبائب الندوات والمجالس يذكرهن العقاد ساعة ثم ينساهن .

وليس منهن بعض الاوربيات اللاتى عرفهن معرفة عابرة جدا عن طريق صديقه الشاعر الفنان عبد الرحمن صدقى وبخاصة عندما كان سكرتيرا او مديرا لدار الاوبرا ..

وليس منهن تلك الأديبة التى تكتب القصص والروايات ، على كثرة ما يتناقله عنها وعنه الرواة !! ولا المطربة التى نظم لها بعض الأغانى .. وليته ما نظم لها ولاغنت له !

اما «زوجته» التى كانت تعمل بالتمريض ــ أو مايشبه هذا العمل ــ فقد تواترت الروايات عنها ، فلا شك فيها وإن لم يتزوجها بعقد رسمى ..

• حنان ابوى نادر

روى لى قريبه المرحوم الصحفى الأستاذ سيد العقاد ، وكنت عرفته عندما

كنت انشر مقالات فى جريدة المساء فى اوائل الستينيات ، أن العقاد احب تلك السيدة نوعا من الحب ، وأوجب على نفسه نفقتها ، ثم فوجىء بأنها حملت منه فلم يطلب منها اجهاض الحمل ، حتى ولدت بنتا جاءت صورة وجهها كصورة وجه العقاد تماما مع شىء من جمال انثوى ، وقد نشرت الصحف صورة هذه الفتاة بعد وفاته .

وتعهد العقاد البنت وامها بالنفقة والرعاية ، وكان من فرط شعوره بالحنان الابوى نحو بنته هذه ، يغسل ملابسها بيديه ، فلا يترك حتى ملابسها الداخلية ، وهى يومئذ طفلة تتسخ ملابسها بسرعة وتتلوث بالقاذورات .. فكان العقاد يغسل هذه القاذورات بيديه ، ثم «ينشر الغسيل» بيديه ايضا على الحبال فى شرفة الشقة التى تسكنها بنته وامها ومعهما شخص اضطر العقاد أن يكتب باسمه شهادة ميلاد هذه البنت ، فكان فى عمله هذا ناقص الشجاعة ، لايمكن التماس عذر له فى إنكاره ابنته وإضافة اسمها الى اسم شخص غريب .

ولكن العقاد فعل ذلك ولا يعلم سره احد ، غير انه كتب وصية للفتاة ، حرقها الاخرون ، وطردوها حين جاءت اليهم تبكى وفاته .. ثم دفعها اليأس الى الانتحار

روى لى المرحوم سيد العقاد هذه القصة ، مقسما على صحة كل حرف فيها ، وكان وثيق الصلة بالعقاد ، مطلعا على اسراره .. وكم كنت اود لو كان المرحوم سيد العقاد حيا الآن ، إذن لأدلى بشهادته بالتفاصيل الكثيرة التى لا اتذكرها .

وقال لى سيد العقاد ـ رحمه الله ـ إنه يقال إن للعقاد ابنا من إحدى حبائبه هاجر من مصر إلى بلاد الخليج . وهو شديد الشبه بالعقاد كأخته غير الشقيقة التى ذكرناها . ولا يعلم إلا الله حقيقة هذا الذى قيل ..

ولا اتعدى فى قصة هذا الابن ، هذه الكلمات وان كان عندى الكثير غيرها ، لأن سيد العقاد ـ مع شديد الأسف ـ لم يعد موجودا بيننا . وتقتضى الأمانة ان نقف عند هذه الحدود .. ويرحم الله العقاد لقد عذبه ابناؤه ايضا ، وأرغمته الدنيا على ان ينكرهم ، إن صحت رواية المرحوم سيد العقاد ، التى نعرضها ولا نقول فى صاحبها إلا خيرا . ولا نجد مصداقا لها إلا أن نؤكد ان هذا ما سمعناه منه حرفيا . ولعل فى الاحياء من قدامى أصدقاء العقاد وخلطائه من يشهد بذلك ، وفيهم من لا يستحمل الكذب ووضع الأخبار ، وفى مقدمتهم الأستاذ محمد خليفة التونسى نزيل الخليج الآن ..

على اننا فى كل الأحوال نكن للأديب الكبير الراحل ، كل احترام وتقدير ، ولا نقصد إلا إلقاء الضوء على جوانب من حياته ـ رحمه الله ـ كما جرت العادة عند الكتابة عن امثاله من عظماء الرجال ..

● حب نانس

ثم لابد لنا أن نعود إلى حكايته مع الآنسة مى ..

فلا عجب أن تكون له حكاية تدور حول اسم هذه الانسة الأديبة الشهيرة ، فإن جميع قصص الحب المأثورة عن أدباء عصرها ـ إلى أواخر العشرينيات ـ تبدأ دائما بقصة هذا الأديب أو ذاك معها هى



بالذات ، لأن عصرها كان خاليا من أديبه بَرْزَة جميلة إلا منها !

أما رسائل العقاد إلى مى ، فليس فيها سطر واحد يثبت أن حبا كان متبادلا بينهما ، أو كان بينهما شروع فى حب ، أو تفكير فى حب ، إلا ماتدل عليه بعض السطور من الحب اليائس الذى حمله العقاد من طرف واحد ، كما حمل مثله الرافعى واسماعيل صبرى باشا وولى الدين يكن وغيرهم .

إن العقاد لم يفز من مى ولا بإشارة واحدة تقول له ولو من بعيد جدا إنها فهمت أنه يحبها ، مع أنها بطبيعة الحال كانت تفهم ذلك كل الفهم ..

وعزاء العقاد فى ذلك أن جميع من أحبوا تلك الآنسة العنيدة التى بلغ عنادها حد الشذوذ ، ثم حد الجنون ، قد رجعوا من حبهم يجـرون أذيـال الخيبـة والخذلان !..

لقد كانت غراميات العقاد ومغامراته الساذجة التى يقوم بمثلها كل رجل عزب مثلـه ، زاده الوحيـد فى تطلعاتـه الرومانتيكية المحرومة ..

وحين تزوج ، لم يتزوج عن حب ، ولم يعترف بثمرة الزواج ، مع أن ثمرته ملأت قلبه وأحرقته خوفا عليها وقلقا على مستقبلها .

ولا أحد من العارفين بفن الشعر يقول بأن غراميات العقاد ألهمته أحسن الشعر ولا احسن القصص ، ولكنها على أية حال فتحت له بابا إلى الإلهام ، فقد كان يستشفى من داء الحب بداء الشعر والكتابة .. كقول المتنبى .

قد استشفيت من داء بداء
واقتل ماأعلك ماشفاكا

وبين المتنبى والعقاد مشابه فى هذا الباب ، فقد كان المتنبى يوصف بأنه رجل "عزهاة" أى ليس بصاحب غزل وصحبة للنساء ، لانشغاله بأحلامه فى المجد والعظمة ، وكذلك كان العقـاد ، فهو "عزهاة" كالمتنبى ، ولم تكن مغامراته هذه إلا على هامش حياته ، ولم تستغرق من عمره الذى بلغ خمسة وسبعين عاما ، إلا مدة يسيرة متقطعة الأيام والساعات بين السنين والشهور فلو أنصفه من كتبوا عن غرامياته لبينوا للناس هذه الحقيقة ، ليعرفوا أن المرأة دخلت حياة العقاد كما تدخل المرأة حياة كل رجل ، ولكنها لم تقتطع من حياته إلا هنيهات ، سعد ببعضها ، وشقى ببعضها الآخر ، ولكنه فى النهاية كان يعود إلى طبيعته كرجل عزهاة بين أمثاله من الرجال العزاهىّ الذين يطربون للجد والمجد اكثر مما يطربون للغزل واللهو ومحاورة النساء وانفاق العمر الطويل بين أيديهن ..

وقد اعانته طريقة حياته أو أرغمته على ان يأخذ من النساء نصيبا قليلا ، بل ضئيلا ، ولا يدرى أحد أى نصيب كان العقاد يأخذه من النساء لو لم يتحكم فيه ضيق ذات يده ، ثم ضيق ذات العصر الذى عاش فيه ثم إخلاصه الشديد لمجد الأدب والفكر !..



العقاد: جزء خاص

شيوخ الأزهر في مرآة العقاد

بقلم: د. محمد رجب البيومي

ذكر الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقاله (الأزهر حصن اللغة العربية) أن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد **قد تربى** على كتب الأزهر ، وهذا حق لا مرية فيه ، لأن كتب **العقاد** الإسلامية تدل على ثقافة عريقة كان الأزهر أحد **روافدها الدافقة بكتبه المتنوعة الشاملة لقضايا الفكر الاسلامي تفسيراً وحديثا وتشريعا وأصولاً ، ودع عنك علوم اللسان بنحوها وصرفها وبلاغتها ولغتها ، فتلك ظلال وارفة تفيأها المفكر الكبير ، ونضجت ثمارها اليانعة في دوحة فكره ، فإذا تحدث العقاد عن الأزهر وعن شيوخه ، فقد أتى الأمر من بابه ، إذ يعرف عن يقين الدور الخطير الذي قام به الأزهر على مسرح الحياة الاسلامية في مدى يزيد على ألف عام .**



العقاد : جزء خاص

والحديث عن الأزهر من قلم العقاد لابد أن يضيف الجديد الطريف لقارئه ، إذ أن خاصية العقاد الأولى فى نتاجه الفكرى أنه يسلط مجهره الدقيق على زوايا خافية تبدو جديدة غضة مهما كان الموضوع قديماً متداولا ، لأن المفكر الكبير يخترق السطح القريب إلى الغور البعيد ، وقد يجد من يخالفه فى بعض نتائجه ، ولكن هذا المخالف لا ينكر عمق النظر ، وسعة الأفق ، ودقة الاحتياط فيما يرفده به العقاد الكبير من هبات ، لقد كتب الكاتبون مئات الكتب عن محمد رسول الله ، والقليل مما كتب قد يغنى عن الكثير ، ولكن دارس السيرة المطهرة لايجد فى هذا التراث الزاخر مايغنى عما كتبه العقاد فى عبقرية محمد ، لتفرده بضرب من النظر لا يشتبه بسواه ، وهكذا العقاد .

● دفاع شريف عن الأزهر

تحدث العقاد عن الأزهر وعن شيوخه فى مناسبات شتى ، ودافع عن ثقافة الأزهر دفاعاً منطقيا سديدا تسنده الحجة البالغة حين تحرش به من فتنوا بثقافة أوربا وحدها ، وطالبوا أن تكون البديل المحتوم عما نتداول من تراث ، فإذا دافع الأزهريون عن علومهم وصموا بالجمود والتأخر ، ورموا بجهل ماخفى عنهم من أشعة تتألق فى كتب الغرب ، فلابد أن نكتب من الشمال إلى اليمين لنساير ركب الحضارة ، ولابد أن تنتقل إلينا مناهج أوربا بخيرها وشرها ، أجل بشرها المؤكد ، لأنه على خطره أهون من كل خير نظنه فى الكتب الصفراء ، وتسمَّع العقاد لما يقال ، فجهر بما يعتقد من صلاح الجامعة الأزهرية ، وخطر رسالتها العريقة ، فذكر أنها "معهد" يراد به البقاء لأنها مرجع العلوم الدينية والثقافة العربية ، وهى على هذا أقدم جامعة فى العالم باسره فالأمة التى تملكها قمينة أن تحافظ عليها ، وتستديم بقاءها وازدهارها ، ومن أول أسباب البقاء أن يتجدد التوفيق بينها وبين مطالب الزمن بغيرانقطاع ،

يقول الأستاذ العقاد . إن الموضوع الذى تتعين دراسته فى الجامع الأزهر ، ولا يعقل أن يستوفيه طلاب جامعة من جامعات الدنيا غير الجامعة الأزهرية هو موضوع المدارس الفكرية الاسلامية التى أنشأها المتكلمون والمعتزلة وأئمة التصوف والحكمة فى المشرق والمغرب من الصدر الأول إلى أواخر الدولة الفاطمية ، فإن هذا المحصول الهائل من التفكير الإنسانى أمانة لابد لها من حفيظ بين أمم الحضارة الإنسانية ، فمن عساه يكون أولى بحفظ هذه الأمانة من معاهد الأزهر وعلمائه ، ومن أين لهذه المذاهب ، وهذه الدراسات من يفهمها ويصبر على تمحيصها واستخلاص زبدتها فى غير مصر والبلاد العربية ، إن المستشرقين لا يفهمونها ولا يؤتمنون عليها ، ولا أعرف فيما اطلعت عليه من كتبهم كتاباً يدل على حسن فهم وحسن إنصاف مجتمعين ، وليس من المروءة أن نكل إلى غيرنا مانحن أحق به من واجباتنا وأعمالنا ، وليس فى

غير المعاهد الأزهرية مكان لاستيفاء هذه الواجبات والأعمال ، ثم مضى يتحدث عما يجب أن يدرس فى كليات الشريعة الاسلامية وأصول الدين واللغة حديث الدارس المتعمق الذى يقدر رسالة الأزهر فى المحافظة على التراث ، والتوثب للجديد معا ، لأن أبواب البحث فى الدين الإسلامى تستغرق السنوات بعد السنوات إذا لوحظ فيها أن تحيط بجوانب الفقه والتشريع والتاريخ والتطبيق ، على المذاهب الاجتماعية التى تتمخض عنها أطوار الامم جيلاً بعد جيل ، ومن القصور أن يفوت العالم المسلم تحصيل هذه المعلومات ، كما أن مايصدق على كلية الدين يصدق على كلية اللغة العربية ، لأن تعلم النحو والصرف والبلاغة لا يجدى بغير تعلم الادب وفروعه ، وتعلم الأدب وفروعه فى لغة واحدة لا يتم ثقافة الأديب المتخصص مع الاتساع فى آفاق الكتابة والتنوع فى قواعد النقد ومناهج التعبير .

● الشيوخ السابقون

هذا بعض ماقاله العقاد فى دفاعه عن رسالة الجامعة الازهرية ، وهو قول يزن الأشياء بميزانها الصحيح ، ويسلط الضوء الكاشف حين تتكاثف الظلمات على وجوه الحقائق ، ثم هو وليد نظر بعيد فى ثقافة الأزهر ، ومراجعة واعية فاحصة ، لتاريخ علمائه وشيوخه ، هؤلاء الذين درس الكاتب آثارهم القريبة والبعيدة فى مظانها المعتمدة ، وعرف من مواقفهم الصحيحة ما نجا على يده من ضباب الزيف ، وغشاوة الادعاء ، وإذا كان العقاد قد عاصر نفراً من شيوخ الأزهر الذين بلغوا الإمامة الكبرى حين تسنموا مشيخة الجامع العريق ، وكتب عنهم



الشيخ محمد عبده
مصلح وفيلسوف

بعض ماسنشير إليه فى هذا المقال ، فإنه قد امتد بنظره الثاقب إلى أسلافهم السابقين ممن تقدموا زمن العقاد ، فدرس الإصلاح الأزهرى المعاصر فى حلقاته المتصلة منذ بدأت أشعة النور تهدى الناس إلى الطريق القويم ، متتبعاً هذه الأشعة فى بصيصها المبكر ، وفى كتبه أحاديث مختلفة عن أعلام كبار شيوخ الجامع الأزهر أمثال عبد الله الشرقاوى وحسن العطار ومحمد المهدى العباسى ومحمد الإمبابى ، إذ أنه فى دراساته المتعددة للثقافة الاسلامية ، وللحركات التحررية بمصر ، لابد أن يسلط فكره على الجهود الجهيرة لهؤلاء الشيوخ ، فإذا كان عبد الله الشرقاوى قد قاد الشعب فى ثورة دستورية تطالب بحقه من أمراء المماليك حين اعتسفوا فى جباية الضرائب ، ومصادرة الأموال فأمر بالإضراب العام وواجه مراد بك وإبراهيم بك بما لم يسمعاه من قبل ، حتى أذعنا لأمر الشرع فى تحقيق العدالة ووقعا الحجة الشرعية التى تلزم أمراء المماليك



بطاعة القوانين ، وفرض الضرائب المعتدلة وفق التقدير العادل ، إذا كان عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر قد ألزم الحكام بهذه الحجة ، فإن الأستاذ العقاد يقول عنها فى إعجاب ، إنها لو كتبت فى بعض البلاد الأوربية لجاءنا خبرها مع كتب القوم فى علوم السياسة الحديثة بعنوان كبير مثل « حقوق الشعب » أو "الدستور الأكبر" وماإليهما ، ولكن علماء الأزهر حين دعوا أمراء العصر إلى توقيع ذلك العهد لم يحسبوا أنهم جاءوا إلى الناس بجديد غير التذكير بكتاب الله وسنة الرسول ، وهما ماهما فى بناء الإسلام .

فإذا انتقل العقاد إلى الحديث عن شيخ الأزهر حسن العطار فإنه ينقل من حواشيه العلمية ثورته على التعليم القاصر ، وتشوفه إلى دراسة علوم العصر الطبيعية والفلسفية ويقول عنه فى إعجاب إنه مثال العالم المثقف بثقافة العصر ، وقد شهد حملة نابليون ، وعاشر علماءها ، واستفاد من زيارة معاملها ، وتنقل فى العواصم المختلفة واجتهد لنفسه فى تحصيل المعارف الحديثة ، فدرس الطبيعة والفلك والهندسة وطرفاً من علم الميكانيكا وأدمن الاطلاع على كتب الأدب ونظم الشعر وكتابة الرسائل ، فكان ممهداً للحركة الاصلاحية بالازهر ، وإذا كان العقاد يميل إلى الإيجاز المحكم فى تناوله التاريخى فإنه بما أفصح به عن جهود سابقى عصره من أئمة الأزهر ، قد حفظ لكل شيخ دوره دون تفريط أو إفراط .

● الإمـام محمـد عبـده

لم يكن الأستاذ محمد عبده شيخاً للجامع الأزهر ، ولكن زعامته العلمية جعلته الشيخ الحقيقى للعلماء إذ جافاه المنصب الرسمى لظروف سياسية تحتسب للإمام ولا تحسب عليه ، وقد أتيح للعقاد أن يرى الشيخ وهو تلميذ صغير بمدرسة اسوان الابتدائية ، إذ زار فصول الدراسة ، وناقش التلميذ الناشىء وتنبأ له بمستقبل أدبى حرص العقاد على أن يزهو به متحدثاً وكاتباً ، وكانت شمائل الإمام الخلقية وزكانته العلمية مما بهر العقاد طيلة حياته ، فكتب عنه عدة مقالات تشرح منهجه الإصلاحى ثم خصه بكتاب رائع كان الأول فى سلسلة (أعلام العرب) وهى أولية فكرية أكثر منها أولية زمنية ، وحسبك أن يكون الكتاب عن محمد عبده وأن يكون كاتبه العقاد .

وضع العقاد صورة الإمام فى مكتبه ، فكانت فى ملتقى عينه حين يصعد بنظره إلى أعلى كاتباً ، أو مفكراً ، وكانه يستلهمه جلاء مايتصارع فى رأسه فى معان ، وقد قال العقاد مصوراً انطباعه عن الرجل العظيم :

"رأيته مرات معدودة ، ورأيته مرات لا تحصى فى صوره الشمسية ، التى لا تلتبس احداها بملامح صورة أخرى ، فكانت النظرة الأولى كالنظرة الأخيرة إلى تلك الملامح فيما تنم عليه ونشير إليه ، قوة وطيبة متفقتان لا يبين لك أنهما تنازعتا يوماً أو تتنازعان ، فهو قوى لا ينازع طيبته نية من نياتها ، وهو طيب لا ينازع قوته دافع من دوافعها ، وهو أقرب الناس سمة



الشيخ المراغي استحق لقب الأستاذ الإمام



الشيخ مصطفى عبد الرازق رزانة العقل وسماحة النفس

بما يرتسم في أحلادنا من سمات النبوة . وهي في طلعتها الانسانية بشر مثلنا . وان لم تكن بشراً مثلها فيما تتلقى من وحي الله .

ثم إن الإمام في رأى العقاد مصلح يتصل إصلاحه بالتفكير كما يتصل بالعمل . وهو فيلسوف حين تكون الفلسفة حكمة يروض بها الحكيم نفسه على المسلك الذي ينبغي له كما يراه والغاية التي يسعى إليها كما هداه الفكر إليها . وهو فيلسوف حين تكون الفلسفة بحثاً عن سر الوجود . ورأيا في كليات الحقائق . يحيط بأجزائها . ويستعان به على تفسير تلك الأجزاء

وللأستاذ تلاميذه الكبار الذين يؤمنون بالفكر والعقيدة . ويحاولون أن يقوموا بما قام به الإمام من جهود اصلاحية في كل وطن إسلامي . ومن هؤلاء نفر من خيرة من تولوا مشيخة الأزهر مستضيئين بروح أستاذهم الكبير . وفي طليعتهم محمد مصطفى المراغي ومصطفى عبد الرازق ومحمد الخضر حسين وابراهيم حمروش ومحمود شلتوت ، وقد تحدث عنهم العقاد حديثا يضعهم الموضع الصحيح في عالم الإصلاح الديني ، كما تحدث عن نفر من زملائهم بلغوا مرتبة النضج الفكري دون أن يصعدوا إلى قمة الرئاسة الأزهرية ، ويطول المدى بالقلم إذا حاول أن يكتب عن أولئك وهؤلاء . فلنكتف الآن بمن تولوا مشيخة الأزهر الشريف

● محمد مصطفى المراغي

كان الإمام المراغي أسطع من تولوا مشيخة الأزهر في عهودها الأخيرة . إذ كان له من الجلالة والهيبة ما ليس لملك ، دعا إلى حياد مصر إبان الحرب العالمية الثانية وأعلن على منبر الأزهر أن مصر تعاني حربا لا ناقة لنا فيها ولا جمل ، وثار اللورد كلين مندوب بريطانيا وهدد رئيس الوزراء ، وطالب بأن يبدل الإمام رأيه . فأصر المراغي وهدد بنوع آخر من تحريض المسلمين قاطبة . فاستكان النمر الهائج !

يقول الأستاذ العقاد عن المراغي "إذا وجد بعد الشيخ محمد عبده من استحق لقب "الاستاذ الامام" فهو الشيخ محمد مصطفى المراغي احسن الله إليه ، كان من أعلام هذه المدرسة الحرة ، وكانت له شجاعة الرأى فيما يخالف الرأى الشائع والعرف المصطلح عليه ، وكان من ذوى الحزم والاصالة في إدارة الجامع الأزهر يوم اشتجرت حوله منازع السياسة وتشعبت دسائس القصر ومراميه وكان



صفاً متقدما بين دعاة النهضة والتجديد .

وكعادة العقاد فى مناقشة من يعرض لهم من المفكرين . قال عن الشيخ الأكبر إنه يتجه إلى المحافظة فى بعض الآراء ، منها رأى بعض المفسرين فى مفردات القرآن التى يقولون إنها فارسية أو أعجمية ، فإنه لم يكن يسيغ هذا الرأى ويرى خلافاً له أن كل ماتحدث به العرب فهو عربى ولا عبرة بوجوده فى لغة أخرى .

والحق أن المراغى يفطن إلى استعارة اللفظ العجمى من موطنه ، ولكنه يرى أن العربية حين تتخذه فى قاموسها تصقله صقلاً ينفى عنه الغربة ويجعله بطابعه الجديد عربياً غير ذى عوج .

قال الإمام المراغى فى بحث شاف نشره بجريدة الأهرام ١٩٣٦/٧/١٠ "واللغة العربية من اللغات المتصرفة ومن أغناها تصويراً وافتنانا ، وفيها القياس يجرى مطردا فى التصاريف على أرجح الآراء ، وهى واسعة الصدر للدخيل ما إن تراه حتى تخلع عليه ثوباً من ثيابها ، وترده إلى أوزانها ، وتتخذه ولداً من أولادها تعامله معاملتهم فتشتق منه وتتصرف فيه ، وبذلك حملت حكمة اليونان وآداب فارس ، وتصوف الهند واستطاعت أن تؤدى أمانة الوحى الألهى ، على وجه الإعجاز وأن تؤدى حكمة الأنبياء وذوق الأولياء

وإذن فاللفظ العجمى الوارد فى كتاب الله قد صار عربيا بصقله الجديد ، وسياقه المطرد فى التعبير القرآنى ، وإن كان ذا أرومة قاصية تأتى به من بعيد .

وتعرض العقاد إلى موقف المراغى من اللغة العامية ، حيث يرى فى الاهتمام بها صرفاً عن اللغة العربية ، وتمكيناً للغة ليست ذات قواعد وأصول ، والإمام حريص على لغة القرآن فإذا اتجه هذا الاتجاه فله وجهة نظره الصائبة ، وبخاصة إذا كان كبار الدعاة للعامية من المبشرين وذوى الغرض من المستشرقين

⊛ مصطفى عبد الرازق

تحدث العقاد عن مصطفى عبد الرازق كثيراً ، وافرد له بحثاً طويلا مستقلا كشف فيه عن مزايا هذا المفكر السمح النبيل ، كما يراها العقاد ، ومصطفى عبد الرازق من سماحة النفس ، ورزانة العقل وسعة الأفق بحيث يضطر مخالفه العنيد إلى محبته ، وقد عرف العقاد معدنه الخلقى النفيس ، وأرجع مافى حياته من سلام غامر إلى ما سماه (كظم المواجد) وكظم المواجد ليست كلمة تقال وتترك ، ولكنها تمثل معركة نفسية تصطرع فيها العوامل المتقابلة فائرة بين مسارب الدم فى العروق حتى تتغلب ناحية الوئام . وتدفع بصاحبها إلى السلام ، وأذكى ما اتجه له العقاد فى تحليله للرجل العظيم ، أنه طبق هذه الصفة النبيلة على إنتاجه العلمى ، حين رأى الشيخ الأكبر يتجه فى بحوثه الفكرية إلى اختيار النصوص دون أن يعقب عليها بالشىء الكثير ، فيظن القارىء المتعجل أن الأستاذ البحاثة ينقل نصوصاً وكفى !

ولكنهُ في واقع أمره العلمي ، يطالع حشداً هائلا من النصوص في موضوع واحد ، ويخضع لعملية النقد العلمي في النفي والإثبات والترجيح والتجريح ، ثم يختار من هذه النصوص ماتثبت صحته لديه . وهو بذلك يكظم مواجده العلمية كما كظم مواجده الخلقية إذ لو شاء أن يتبجح بمحصوله العلمي لأتى بالنصوص المنقودة وعلق عليها بما يبين خبثها الفكرى ، ولكنه رحم القارىء من عناء لا داعى له ، كما رحم أصحاب هذه النصوص من التعليق الضار باتجاههم الفكرى ، وتلك تضحية علمية وخلقية معاً .

يقول الأستاذ العقاد "ومن هنا كان القارىء لا يحس شخصية المؤلف ـ مصطفى عبد الرازق ـ مقحمة بين السطور ، لأن المؤلف غلبت عليه خليقة الكظم والانطواء على السمت والوقار ، حتى سرت إلى عادات فكره ، كما سرت إلى عاداته الخاصة وعاداته الاجتماعية ، وأعانها على التمكن والثبوت أنها وافقت أنماط حياته كلها بعد ذلك ، لأنها أنماط تتوازن جميعاً ولا تندفع بصاحبها إلى ناحية دون ناحية ، فالرجل قد ثقف بثقافة الدين ، كما ثقف بثقافة الأدب والعلم الحديث وقد اشتغل بالتعليم كما اشتغل بالأعمال السياسية والإدارية ، وعاشر المصريين كما عاشر الأوربيين ، واعتدل مزاجه فلم يجنح إلى شطط أو إسراف ، فلا جرم كان تمالك النفس طبيعة فيه ، وكان إخفاء نفسه خصلة من خصال تفكيره وكتابته كما كان خصلة من خصال عمله ومعاملاته .

ويقول العقاد في مقال آخر "ومن لاحظه في لجنة من اللجان الأدبية بالمجمع لاحظ منه لباقة لطيفة في إدارة المناقشة ، وتخليصها من العثرات ، وكأنما يسوق الحديث إلى حيث ينبغى أن يساق ، ويوحى برأيه قبل أن ينتهى البحث إليه .

هذا وللعقاد رثاء شعرى صادق في مصطفى عبد الرازق قال فيه مخلصا :

بلغ المدى في الدين والدنيا معا
وعلا من الأحساب ذروة شاهق

● ابراهيم حمروش

الأستاذ ابراهيم حمروش فقيه لغوى مكين ، وهو متحدث دقيق الملاحظات في الندوات العلمية الخاصة ، إذ كانت له عقب صلاة الجمعة ندوة أسبوعية في منزله يؤمها زملاؤه وتلاميذه من نجباء الأزهريين ، ويدور الحديث بها حول دقائق في علوم الأصول والتوحيد والمنطق ، وهى علوم ذات غوص عميق ، وتتطلب استعداداً خاصا في الحوار والجدل ، وكان الشيخ حمروش قطب الحوار ، وموضع الترجيح في معضلات الخلاف .

والأستاذ العقاد لم يشهد ندوات الشيخ في منزله بحي الرفاعى ولكنه شهد مجالسه في حلقات مجمع اللغة العربية وقال عنه في صدق :

كان الشيخ حمروش بقية صالحة من بقايا المدرسة الإمامية التى استفادت من قدوة أستاذها الإمام محمد عبده في العناية بعلوم اللغة والأدب والحكمة ، إلى جانب العناية بعلوم الفقه والشريعة ، وكان عجباً في سرعة الشاهد من الشعر والنثر على خاطره وعلى لسانه ، وكنا نسمع منه الشواهد الحاضرة حين يستشهد بها في موضعها ،

والملاحظة الدقيقة التى سجلها العقاد عن الشيخ حمروش انه كان



يتوسع في الاستشهاد الشعري بحيث لا يقتصر فيه على عهود الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أمية بل يتعداه إلى شعر بني العباس من امثال بشار وأبي نواس ، ولعله حينئذ يستأنس ولا يستدل ، وفرق بين الاثنين .

يقول الأستاذ العقاد "ولم يكن ـ الشيخ حمروش ـ من المتشددين ـ في استناده إلى أقوال الشعراء والرواة ، فإنه كان على خلاف علماء اللغة الذين يقفون بالحجة عند أقوال المخضرمين ، إذ يتوسع فيستشهد أحيانا بأقوال العباسيين ، بل يستشهد أحياناً بأقوال المولدين والمتأخرين إذا درجت في مدارج الاستعمال الشائع" .

وهذا حق ، لأن الأستاذ في ندوته بمنزله كان يستشهد بأشعار للبارودي وشوقي وحافظ ، وقد حدثني أستاذي الكبير الشيخ أحمد شفيع السيد رحمه الله أن الشيخ الأكبر كان يرى أن الاستشهاد البلاغي ممتد إلى حيث يوجد البلغاء في كل عصر ، أما الاستشهاد اللغوي فله مداه ! ولكن العقاد في مجالس المجمع ـ وهي لغوية أولا ـ ينقل عن الشيخ استشهاده بما بعد العصر الأموي ، في المجال اللغوي ، أيكون قد بدا له الجديد من الرأي ؟

وقد ختم العقاد حديثه عنه بقوله إنه كان يعزز حجة النحوي ، بحجة الفقيه المنطيق ، وكثيراً ماكان يسأل عن مقابل الكلمة باللغات الأجنبية ليضعها في موضعها من المعنى والتركيب ، ولا نذكر انه حصر رأيه في أفق ضيق من التقليد والتقييد ، ولكنه كان مثال العالم السلفي الذي يرعى حق القديم ، ولا ينسى في غيرته عليه ، حق الجديد .

● محمد الخضر حسين

لم يخص العقاد الشيخ محمد الخضر حسين بموضوع مستقل ، ولكنه قرأ كتاب (الاسلام في التاريخ الحديث) لمؤلفه الأستاذ ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال فوجده يعقد مقارنة بين الأستاذ محمد الخضر حسين والأستاذ محمد فريد وجدي في اتجاهيهما الفكري البارز في آثارهما العلمية ، حيث يرى ولفريد كانتويل أن الأستاذ محمد الخضر حسين يعتبر الإسلام وحياً تاما قد نزل على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية ، فلا إضافة إليه ولا زيادة عليه ، ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذي يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه" .

والعقاد يخالف المؤلف حيث يقرر رداً عليه أن الأستاذ الخضر حسين ليس كما يرى كانتويل من أنصار الحنين إلى الماضي ، بل هو من أنصار الدعوة التي لازمان لها لأنها صالحة لكل زمان ، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية ، بالدرس أو بالإلهام"

وكلام العقاد تصحيح لخطأ صريح ، لأن الأستاذ الخضر لا يريد بدعوته إلى الحياة الإسلامية الصحيحة أن تكون صورة من حياة المدينة فى عهد الرسول فحسب ، بل يرى أن الذى أنزل الشريعة فى كتابه المبين قد جعلها صالحة للتطبيق العلمى فى كل عصر ، إذ تتسع لما يستجد من الفتوحات العلمية والحضارية لترجع بها إلى مقاييس قانونية محددة تراعى فيها قواعد الحرية والإخاء والمساواة وكان على المؤلف أن يراجع آثار الأستاذ الخضر قبل أن يحدد منحاه الإصلاحى على غير وجهه السديد .

محمود شلتوت

كبرى مميزات الإمام الأكبر محمود شلتوت هى فهم الروح العامة للتشريع الاسلامى ، حيث درس أصول المذاهب الفقهية المختلفة دراسة من استوعب القواعد الجامعة ، والروح الشامل لأسرار التشريع ، وبذلك استطاع أن يوفق بينها فى مجال المقارنة توفيق من يعلم دقائق الأحكام ، ومنازع التأويل ، وقد قدر له أن يكون داعية التوفيق التشريعى فى عصر تتعدد فيه المنازع ، وتتشاجر به الأهواء فكان له من سعة الصدر وبعد النظر ماجعل صوته مستجاباً لدى المتنازعين ، يقبلون عليه فى غير حرج ، لانهم يثقون فى دقة فهمه ، وسلامة استنباطه وخلوص نيته فيما يقول .

يقول الأستاذ العقاد عن شلتوت "لا جرم كان من بشائر الأمل أن ينهض بمشيخة الأزهر فى الزمن الذى تفتحت فيه الطرق بين البلاد الإسلامية بعد أن تحررت من الطغيان الأجنبى ، وبين هذا المعهد الذى لا معهد فى العالم



الشيخ محمود شلتوت
شجاعة صادقة

الإسلامى أولى منه بضم الشمل وتقريب مسافة الخلف بين المسلم والمسلم .

ومن عرف الإمام الفقيه عرف أنه تزود لهذه الرسالة بزاد غير علمه العربى وشجاعته الصادقة . وهو زاد القلب الطيب والسجية الكريمة تجمع الخصوم على الألفة والثقافة ، كما تجمع الأصحاب والأنصار ، ولعله بانطلاق فكره من قيود التقليد قد نفذ ببصيرته إلى أسرار البلاغة فى القرآن الكريم فكان هذا النفاذ المستقيم إلى ينبوع الفرائض والأحكام قد ترفع عن حواجز الخلاف إلى الآفق الذى تزول فيه هذه الحواجز العارضة بين ذوى العقول وبين العدول ، وهى بطبيعتها ألصق بالارض من أن تصعد إلى آفاق الوحى السماوى" .

ذلك تلخيص لرسالة الشيخ ، أو لبعض رسالته لأنها اتسعت إلى ميادين أخرى يعرفها الذين درسوا تاريخ الأزهر بين القديم والجديد ، ولعل بحديثه عن رسالة الأزهر ومكانة شيوخه فى دنيا الإصلاح الدينى قد كتب صفحات صادقة من هذا التاريخ الرحيب .



العقاد : جزء خاص

بقلم : د. سعيد إسماعيل علي

العقاد بين شباب الأمس وشباب اليوم

● سنة الله التي لن تجد لها تبديلا ، هي ذلك التغير الدائم في كل جانب من جوانب هذا الكون الذي نعيش فيه ، حتى أصبح من العبارات الشائعة القول بأن (دوام الحال من المحال) . ومن هنا فلابد ليومك أن يجيء ـ من بعض الوجوه ـ مختلفا عما كان عليه أمسك ، وليس لك إلا أن تتوقع كذلك أن يحمل غدك بعضا مما لم يكن قائما في يومك أو امسك ●

وإذا كان التغير « حركة » فإن للحركة اتجاهات ، اذ قد تكون الى يمين وقد تكون الى يسار (بالمعنى الجغرافي) ، كما قد تكون الى امام ، وقد تكون الى خلف . وكاتب هذه السطور ممن يؤمنون بان اتجاه حركة التغير في مسارها التاريخي العام ، لابد أن يكون الى امام .. الى تقدم . صحيح انك قد تجد (وقوفا) في لحظة من لحظات الزمان ، وقد تجد (تقهقرا) الى خلف . لكن هذا وذاك لا ينفي القاعدة الرئيسية .

انظر الى هذا المجرى العام للنهر الكبير ، فسوف تجده سائرا الى امام ، فإذا ما قام انسان ما باحاطة بقعة صغيرة من الماء بحاجز لتوقفت حركة السير فيها ، وإذا قام آخر بوسيلة ما بتحريك بعض ماء النهر الى خلف ، فإن هذا وذاك لايلغي الحركة العامة للنهر التي تكون الى امام . ومن هنا فقد تجد هذا المجتمع أو ذاك قد

صار الى جمود ، أو أن هذا المجتمع او ذاك قد سار الى تقهقر وتخلف ، لكنك اذا ابصرت المسار التاريخي العام للمجتمع البشرى بغض النظر عن هذه البقعة او تلك ، وبغض النظر عن هذه اللحظة من الزمان او تلك ، فلن تخطيء عينك هذا القانون العام الذى هو قانون التطور والتقدم .

واذا كان بمقدور هذا الشخص او ذاك ان يوقف (جزءا من النهر) اقصد هنا نهر الحياة البشرية الكلي ، فإن حركة التطور والتقدم العام ليس بمقدور احد أن يوقفها ، الا من كانت له القدرة على ايجاد مثلها ، وهو الأمر الذى نؤمن اشد الايمان بأنه فعل مقصور على القدرة الالهية وحدها « ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد » .

نقول كل هذا ونؤكده ، حتى لايقع فى وهم قاريء مقالنا اننا نريد به أن نؤكد انه ليس فى الامكان ابدع مما كان ، ذلك ان (حكاية) المقال تتجه الى تقديم ايات التقدير الى شباب الامس وتكاد ترفع العصى والكرابيج على شباب اليوم !

إننا نؤكد انها مسالة (ظروف) سيئة طاحنة تحيط بشباب اليوم ، وان تغيير هذه الظروف أمر ليس مستحيلا ، لكى ينزع شبابنا هذا الغطاء المتهريء الذى يكسوه ، ويمزق تلك القيود التي تغل حركته الى امام . ليست المسالة (طبيعة) خاصة كان عليها شباب الأمس جعلتهم ينشطون ويجاهدون ويبنون ويعمرون ويبتكرون ، وليست (طبيعة) خاصة اصبح عليها شباب اليوم جعلتهم يتقاعسون ويتمردون من يمين او من يسار (بالمعنى الفكرى) .. انها (اوضاع) تسرى عليها هى نفسها سنة التغير ، اى قابليتها للمحو والاختفاء بكل ما يتعلق بها من تخريب لضحاياها من مواطنى هذا البلد الذين اصبح عليهم أن يواجهوا هذا (الزمن الرديء) .



اعضاء ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عند تاسيسها عام ١٩٣٣



العقاد : جزء خاص

لكن ماهى الحكاية بالضبط ؟

فى صيف عام ١٩٣٣ ، كانت دار الهلال تصدر مجلة باسم (كل شىء والدنيا) ، وقد تلقى رئيس تحريرها الاستاذ اميل زيدان الرسالة التالية من صاحب التوقيع :

حضرة الاستاذ الكبير/ اميل زيدان
بعد الاحترام ،

تعلمون ان هيئة من كبار المستشرقين تقوم منذ ربع قرن بتاليف دائرة معارف اسلامية كبيرة تجمع خلاصة بحوثهم فى مختلف الشئون الاسلامية من تاريخ وادب وفلسفة وتشريع ودين ... الخ ، وكتبت هذه الدائرة بامهات اللغات الاوربية « الانجليزية ـ الفرنسية ـ الالمانية » .

ولقد تكونت اخيرا لجنة من متخرجى الجامعة المصرية لترجمة هذه الدائرة الكبرى واخراجها فى اجزاء دورية ، وبدات هذه اللجنة عملها منذ شهر يناير عام ١٩٣٣ ، وسيظهر العدد الاول فى شهر اكتوبر القادم ، لذلك يسر اللجنة كثيرا ان تعلم رأى عزتكم فى اهمية نقل هذه الدائرة الى اللغة العربية ، فنرجو أن تتكرموا بموافاتنا برأيكم السديد فى هذا الموضوع .

وتفضلوا ......
سكرتير اللجنة : أحمد الشنتناوى

واعطى اميل زيدان الخطاب الى عباس محمود العقاد الذى قرأه فاكبر هذا العمل خصوصا وهو يحتاج الى جهود علمية ومالية كبيرة . لقد كانت المشكلة التى لمسها العقاد ان الجهود العلمية لهذا النفر من شباب المتخرجين اذا سهلت ما لهم من نشاط وكفاءة ، فكيف يستطيعون تذليل الصعوبات المالية فى بلد مثل مصر لم تكن فيه جمعيات لمساعدة المترجمين والمؤلفين ، كما كان جمهور القراء فى ذلك الوقت ليس من الكثرة التى تشجع على الترجمة والتاليف . ولم يكن هناك تشجيع واسع النطاق من جانب الحكومة ؟

قال العقاد هذا عن مجتمع (١٩٣٣) ، ولعمرى : ماذا كان يقول لو انه عاش (١٩٨٧) ليلمس (درجة) اقبال القراء على مثل هذه الأعمال وتشجيع الدولة لاصحابها ؟ لعله كان سيردد قول القائل :

رب يوم بكيت منه
فلما انقضى بكيت عليه !

وعندما خالجت العقاد الافكار السابقة ، تحفز الى زيارة اللجنة فى مركزها الذى اتخذته لنفسها بشارع قصر النيل رقم ٣٣ ، وفى السادسة مساء ، كان امام هذا الرقم ، وقال قائل : " هم فى غرفة رقم (٥) من هذه العمارة " واقتاده صاعدا حتى انتهيا الى هذه الغرفة ، فاذا بالعقاد امام اربعة من الشباب قد انعطفوا على منضدة يبحثون ويدرسون فى ضوء مصباح كهربائى يعلو رءوسهم . وبعد ان سلم عليهم اخذوا يحدثونه عن مشروعهم ، ووجد من حماسهم ما سهل امامه كل صعوبة ، وما جعله يوقن أن هؤلاء الشبان الأربعة ، على قلة عددهم والصعوبات المالية التى تعترضهم ، لابد انهم سيصلون الى بغيتهم وسيحققون فكرتهم التى هى بالقطع فكرة حميدة تخدم امتهم ، بل والأمة العربية كلها وسائر الشعوب الاسلامية ، خدمة تتناسب وسمعة الجامعة المصرية التى انبتتهم والتى هيأتهم ليقوموا بواجبهم من نشر الثقافة وتغذية حركة

النهضة الفكرية التى كانت مصر تشهدها فى ذلك الحين بمواهبهم وجهودهم .

وكان مما جعلهم يشعرون بمقدار ما عليهم من واجب ، انهم من متخرجى كلية الاداب ، وانهم بهذه الصفة مكلفون ان يرفعوا من سمعة الجامعة عامة بما يقدمونه من خدمات للثقافة الحديثة ، وقد راوا ان المستشرقين قاموا بخدمات للغة العربية والحضارة الاسلامية فى نواح كثيرة ، ولخذ بعضهم منذ ربع قرن يؤلف دائرة معارف لهذه الحضارة ، فاختاروا ان تكون باكورة خدماتهم ان يقوموا بترجمة هذه الدائرة .

وبعد ذلك ، اجتمع الاساتذة : احمد الشنتناوى ومحمد ثابت وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس ، وهم الشبان الاربعة الذين كانوا يؤلفون هذه اللجنة ، وتوالت اجتماعاتهم عدة مرات ، وقامت فى بادىء الأمر امامهم بعض الصعوبات ، منها شراء الدائرة باللغتين الانجليزية والفرنسية على الاقل ، وكان ثمن النسخة الواحدة الانجليزية او الفرنسية فى ذلك الوقت خمسة وعشرين جنيها وهو مبلغ ، بمقاييس ذلك الزمن كبير للغاية ، فماذا فعلوا ؟

خاطبوا الأمير عمر طوسون فى الموضوع ، وبعد مناقشة ، اقتنع بان هؤلاء الشبان قد صحت عزيمتهم على القيام بهذا العمل الجليل ، وفى ضوء هذا الاقتناع ، اهدى اليهم النسختين الانجليزية والفرنسية اللتين كانتا عنده .

وبغض النظر عن الموقع الطبقى لعمر طوسون ، وبغض النظر عما يمكن قوله بانه كان جزءا من راسمالية تقوم على الاستغلال ، وبان ما كانت تتمتع به من ثروة ، لم تكن لها ، فإن لنا ان نقارن بين سلوكه وسلوك اترابه من راسماليّ اليوم ، وهم ايضا يمارسون الاستغلال الراسمالى ويحصلون على اجزاء ضخمة من ثرواتهم بغير طريق الانتاج وانما عن طريق العمولات غير المشروعة والنهب او السرقة والمضاربات احيانا على قوت الناس وحياتهم ، فعمر طوسون كان مثقفا يقتنى ويقرا دوائر المعارف وغيرها من امهات المصادر ، ويمارس الكتابة والبحث والتاليف ، ويقف مساندا للجهود العملية للشباب ، فمن من اغنياء اليوم يفعل ذلك ؟

وبدا شبابنا الاربعة يعملون من اول يناير (فيشا) لهذه الدائرة ، واخذوا يستعينون بارشادات بعض الاساتذة والفنيين حتى تمكنوا من ان يعملوا للجزئين الأول والثانى سبعة عشر الف (فيش) ، وقدروا للجزء الثالث ثمانية آلاف (فيش) فيكون مجموع (الفيش) خمسة وعشرين الفا ، ثم شرعوا ابتداء من اول مايو يترجمون واعتزموا ان يصدروا هذه الترجمة فى اجزاء دورية يظهر كل شهرين جزء ، وقد ساهم كل منهم فى طبع الجزء الأول من هذه الترجمة بعشرة جنيهات ، وجعلوا اشتراك الجزء الواحد ثمانية قروش ، وعندما انتهوا من ترجمة الجزء الأول ارسلوا بروفاته الى الامير عمر طوسون ، فاطلع عليه واعجب به ، وتقدهم مبلغا من المال اعانة لهم على المضى قدما فى هذا المشروع الجليل .

وبعد ان ينتهى العقاد من روايته هذه عن جهد مجموعة من شباب الجامعة فى اوائل الثلاثينيات يعقب على ذلك ويقول :

« ولاشك ان نشاط الشباب وحماسه واقدامه سيتغلب على كل صعوبة وسيصل بهم الى الفوز والنجاح مهما طال الزمن ، وسيسجلون لانفسهم بذلك خدمة جليلة للنهضة العربية يذكرها لهم المثقفون بالثناء والاعجاب ما رجونا من الغرب مساعدة ولا راينا فيه خيرا ، وما من مصرى لابس الالمان او الفرنسيين او غير هؤلاء وهؤلاء لم يعرف اهل الغرب على حقيقتهم ولم يستشف ما وراء تصنعهم من راى فى



الشرق لا يتغير وعنجهية غريبة تنطوى على كل الوان المطامع والتعصب والاستهتار » .

واذا كان هذا هو راى العقاد فى شباب الأمس كما قرانا فى العدد / ٤٠٥ من مجلة (كل شيء والدنيا) الصادر فى الأربعاء ٩ اغسطس عام ١٩٣٣ ، فماذا يمكن ان نقول نحن فى شبابنا اليوم ومدى ما يبذله من جهد على الطريق الحضارى ؟

نحن لن نذهب بعيدا ، فمن حسن الحظ ان زميلنا الدكتور محمد وجيه الصاوى بتربية الأزهر معنى بجمع تراث العقاد فى الصحف والمجلات القديمة ولم يسبق نشره ، فلما اعطانا المقال الذى اشرنا اليه ، وجدنا ملحقا به (تعليق) لاحد طلاب السنة النهائية بنفس الكلية ضمن مشروع زميلنا حيث كان قد طلب ذلك من مجموعة من طلابه ، ويجيء فى التعليق :

« .. فعندما كتبت هذا الموضوع وقرائه شعرت فعلا من العزم والعزيمة والمصابرة (هكذا فى الاصل) من الطلاب الاربع الذين يحاولون ترجمه الدائره من المعارف الاسلامية المكتوبة باللغة الانجليزيه والفرنسيه والالمانيه وهذه الدائرة من المعارف لايستفيدوا (هكذا بالاصل) بها بلد تتكلم العربيه كمصر فارادوا (!) هؤلاء الطلاب بترجمه هذه الدائره الى العربية ونشرها فى اجزاء دوريه اى كل شهر ولكن تواجه هؤلاء الطلاب والمجاهدين فى نشر الثقافة لبلدهم عده صعوبات حاولوا التغلب عليها بتفكيرهم »

وعلى هذا النحو تسير سطور التعليق ، ودائما التاء المربوطة بلا نقط !

بطبيعة الحال ، فإن الاخطاء اللغوية بالنسبة لمتخرجى الجامعات اليوم ، قد اصبحت مشهورة الى الدرجة التى جعلتنا (نتعود) عليها ، والى الدرجة التى تجعلنا ربما (نمل) الحديث عنها والاشارة اليها ، فما الذى يستوقفنا اذن فى حالة اليوم ؟ الذى يستوقفنا انها خاصة بمتخرجى (الازهر) ، وعندما نقول الازهر ، تقفز الى اذهاننا على الفور وظيفته الاساسية فى الحفاظ على (الثقافة الاسلامية) ، هذه الثقافة التى يتعذر الوعى بها وتطويرها بدون وسيلة التعبير عنها وهى اللغة العربية ، وعندما نجد ان (المعقل) الرئيسى هذا حاله ، فبماذا يمكن للانسان ان يعلق على هذا ؟

ومن ناحية اخرى ، فهؤلاء الطلاب ليسوا مجرد طلاب ازهر وانما هم الذين سيتولون مهمة (تعليم) و (تربية) اجيالنا الجديدة ، وهو الأمر الأخطر ، والادهى والأمر ، فاى مستقبل اذن ينتظره حقا ابناؤنا وبناتنا على يد هؤلاء (المربين) .

ومن الغريب انك فى الوقت الذى كنت تلمس فيه حرصا شديدا من شباب الامس على اتقان لغة اجنبية تمكنهم من أن يعبوا بقدر ما يستطيعون من ثقافة الغرب حيث كانت هى المصدر الرئيسى لحركة الانتاج الحضارى فى العصر الحديث ، كان هؤلاء فى الآن نفسه لايتوقفون عن التزود باساليب الثقافة العربية الى درجة الاتقان ، ومن هنا فقد برعوا فى الترجمة الى حد كبير لان الترجمة لاتعنى مجرد اتقان لغة اجنبية ، بل من الضرورى اتقان اللغة التى ستترجم اليها ، اذ لكل لغة (منطقها) و (سيكلوجيتها) و (اجتماعيتها) ، وكان القارىء للعمل المترجم ـ من اجل هذا ـ

لايشعر بصعوبة فهم أو استيعاب . وكان . الكاتب (مؤلف) وليس مترجما .

وكم كان الأمر يبعث على التقدير والاعجاب أن تجد بعض متخرجي الجامعات وهم مازالوا طلاب بعثة يترجمون اعمالا كبيرة وخطيرة . مثلما فعل (محمود الخضيرى) فى ترجمته لكتاب ديكارت الخطير (مقال فى المنهج) . ومثلما فعل (محمد عبد الهادى ابو ريدة) فى كتاب (آدم ميتز) الضخم عن (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) . ولم تكن روعة هذه المترجمات تكمن فقط فى سلاسة عباراتها وسلامة لغتها ودقة تعبيرها عن الأفكار الاجنبية التي تترجمها ، بل ان هؤلاء (الشباب) من المترجمين لم يقفوا امام النصوص مجرد رواة ونقلة ، وانما اضافوا وعلقوا وناقشوا وفندوا .

ونعود الى التساؤل عما فعله شباب جامعاتنا اليوم من جهود كهذه ؟

ومرة اخرى . لسنا ممن يريدون القول بأن « ليس فى الأمكان ابدع مما كان » كما شرحنا فى مستهل المقال ، وانما نؤكد انه اذا كان من (الممكن) ان يكون يومنا اقل مستوى من امسنا ، فان غدنا (لابد) ان يجيء افضل من كل من امسنا ويومنا . وأول خطوة الى ذلك ان نعكف على تشريح واقع اليوم لتعرية ما به من اوجه قصور والكشف عن القوى المسئولة والوقوف لها بالمرصاد ليعود منطق التاريخ الذى يحتم المضى نحو التقدم .



من أبيات للعقاد فى ذكرى سيد درويش

إنما الفن فى الشعوب شباب له الفدى
فيض مازاد من شعور وما هام مبعدا
رحم الله سيدا كان للفن سؤددا
ليت أحياءنا الألى سبقوا الموت موعدا
لحقو - وهو فى الثرى منه روحا غردا
أكبر الظن انه جاور البحر فاهتدى
مفلح من يكون أستا ذ البحر مزبدا
إنما اللحن ترجما ن عن النفس ماعدا
واصف لن ترى له عازلا أو مفندا
هكذا كان سيد صادق الوصف مرشدا

قنديليات



بقلم : يحيى حقي

نحن نتصور أن رواية زينب قد لقيت عند صدورها من الرواج ما يؤهلها لتلك المكانة التاريخية الكبيرة التى نضفيها عليها ، ونحن الى الآن ندرس هذه الرواية باعتبارها مرجعا تاريخيا لا باعتبارها عملا فنيا وليس فى ذاكرتى ما يؤكد انها حظيت بمثل هذا الرواج ، ولم يجر اسمها على السنة كثيرة من المثقفين ولا سأل كثيرون من هو هذا الفلاح المصرى الذى كتب هذه الرواية ؟

وحتى الذين قرأوها لم تهز مشاعرهم تلك الهزة التى لقوها عند قراءة روايتين مترجمتين ، الاولى من تأليف « الفونس كار » باسم مجدولين أو تحت ظلال الزيزفون ، وقد أعمل مصطفى لطفى المنفلوطى قلمه فى ترجمة لها من صنع أحد أصدقائه فصاغها فى اسلوب شعرى رقيق ..

والرواية الثانية هى غادة الكاميليا من تأليف « الكسندر دوماس » لقد كانت لهفتنا نحن الشباب فى ذلك



د. محمد حسين هيكل



مجيد طوبيا



محمد روميش

الوقت على قراءة ما يسمى بالروايات الغرامية التى تسيل الدمـــوع من مآقينـا ..

اما فى رواية زينب فقد شعرنا بأن المؤلف قد خلا بنا ، فان مـوت زينب هو صورة فاترة من مـــوت غادة الكاميليا وهى بنت الفلاحين اما الفتى العاشق ابن الطبقة المتوسطة فقـد خلا بنا ايضا لانه اختفى وســـط الرواية ، ولم ندر اين ذهب . واحب ان اعود والاحظ اننا لن ندرس بعـد رواية زينب الدراسة الفنية سواء من حيث قاموس الفاظها ودلالتهـا على تطور اللغة العربية ، او وسيلتها فى تناول وصف الطبيعة مع احـــداث الرواية ..

واذا كان قيل لنا حينئذ ان هــذه رواية تصــف الحب بين الفلاحـين فاننا لم نصدق هذا القول لان صورة الفلاح فى ذهننا نحن ابناء المدارس والمدينة صورة انسان مسحوق فى يد الطاعية او مرابية او قاطع طـــريق تنشد باسمه المواويل ، وظللنا نتلمس ظهور القصص الغرامية المصرية التى تعبر بصدق عن الواقع ، فانتظـرنا حتى فتحت الجامعة ابوابها للفتيات فدارت اغلب روايات الحب فى حـرم الجامعة ..

ولم ينقطـع سؤالى عن القصص التى تصف لنا الحب بين الفلاحين . رفض الاعتقاد بأن حياتهم خلو منه ، وبدت لى بشائر بعض هذا الاتجـاه فى احدى قصص مجيـد طوبيا وفى اغلب قصص محمد روميش .

رحلة ريفية



ومضيت نحو الحقل هائمة
والطير يشدو فى الربى نغمه
إذ كان فجر منى وعاطفة
ورؤى ربيع جد مبتسمه
وبدا لعينى جدول عبق
فجلست أستوحيه منسجمه
ودفنت كفى فى جدائله
وهتفت « ربّ التيه والعظمه ! »
افترّ ثغر الماء فى دعة
ومضى يخطّ على يدى لثمه
فطفقت بالقدمين أبعده
وشفاهه تجتاحنى نهمه

● ● ●

ووقفت إذ بالنمل فى ذعر
صفٌ بسير بمأتم الخير
وبدت لى الأبقار سارحة
سبقت خطى الجاموس فى السير
ومضت تحس العشب فى نهم
وتمر بين الشاة والثور
وتحكّ فى الأشجار منخرها
وتخور فى جذل وفى بشر
وترقرقت عيناى إذ رأتا
قديس هذا الحقل فى الصبر
ومضى الحمار وفوقه جبل
متخطّيا حفرا إلى حفر

شعر: جليله رضا

ومشيت فى طرق معرجة
وازقة ضاقت بمن فيها
رقصت دواجنها منقرة
والديك قائدها وشاديها
وكلابها تغفو على كسل
وبلاهة وتريق من فيها
وتصيد أسراب الذباب وقد
حامت حواليها تناغيها
ونساؤها راحت تحدق بى
وكأننى ملك يدانيها
إن السذاجة ماهنا نبتت
وسط القرى فى ظل اهليها

•••

ياريف مصر وياسنى وطنى
يامنبع الاحلام والنشوه
ياملتقى الأبناء من بشر
يامومة ارضية حلوه
ودجاجة كبرى باذرعها
محمى الجمال الغض والقوة
يا ايها الماضى الملىء أسى
ورؤى غد بالبشر مجلوه
يامسقطا لرءوس من فتحوا
فى كل عقل مظلم كوه
لتعش هنى البال مغتبطا
بين السنا والطير والربوه



لطيفة الزيات :

ضوء "الشيخوخة" يسقط على أرض الماضى

بقلم : فاروق عبد القادر

● اود من البداية ان افرغ من تقرير حقيقة اراها ضرورية وهامة : اننا امام لحظة من اللحظات النادرة فى ادبنا العربى بوجه عام ، وادب الكاتبات فيه بوجه خاص ، نواجه هذا المستوى الرفيع من التجرد وفحص الذات فحصا لا يقنع الا بان يسقط كل اقنعة الخداع ، قناعا بعد قناع ، وبان يبلغ اعمق الاعماق ، هناك بعيدا حيث تبدو الذات موضوع الفحص ، للذات الفاحصة ، فى تالق عريها الكامل ..

لهذا التجرد وظيفة اخرى ، غير وظيفته السيكوـثرابية ان الكاتبة قد نضت عنها صراعاتها وعذاباتها وارتاحت ، تتمثل فى الدرس الثمين الذى تقدمه الكاتبة لنا جميعا ، ونحن نضرب فى سكك الحياة ، نعانى زيف العلاقات وتقنعها .. ورغبات التسيد والتملك تتخفى وراء ستر الحب . تقول لنا الكاتبة ـ فى حكمة الستين ـ قولا هو جوهر الدرس وفحواه : فى اطار الرغبة فى الموت تنضوى الكثير من صور الحب ، او ما تسميه حبا ، بين الرجل والمراة ، ونحن نسمى هذه الصور من الحب توحدا ، والمحبان يستحيلان واحدا ، ما من توحد يواتى نثين من بنى الانسان ، التوحد يعنى واد الذات لحساب الاخر ، او واد الاخر لحساب الذات .

وقد لا تستطيع الكلمات وحدها أن



لطيفة الزيات
متألقة بالفرح والتحقق

تنقل سخونة هذا الدرس وصميميته ، هو عند الكاتبه تقطير وتكثيف لخبرة السنين ، لكنه لا يصدر عن تأمل هادىء ، فهى الذات الفاحصة وهى موضوع الفحص ، هى الجرح والسكين ، هى القضيه والبرهان ·

اجتازت لطيفة الزيات السراط الصعب ، وبعد أن اجتازته وقفت ، منهكة لكنها متألقة بالفرح والتحقق ، كمن اهدت الحياة طفلا مكتمل الخلقة موفور البدن ، وكتابها بيمينها : « هاكم اقرأوا كتابيه ·· » !

الزمن ·· البطل

وتعلنيا من مجموعه « الشيخوخة وقصص أخرى » ــ هنا والان ــ ثلاث قصص : « بدايات » و « الشيخوخة » وقبلهما تلك القصة الفذة ــ والتي ينصرف اليها وحدها كثير مما سبق قوله ــ « على ضوء الشموع » ·· فى هذه القصص تمزج الكاتبة مزجا رائعا بين سيرتها الشخصية وسير بطلاتها ، بين تفاصيل الواقع الاجتماعى ، القليله ، الداله ، المعتنى باختيارها وتوظيفها ، والغوص فى تحليل الذات والاخر ، بين المشاهد التى تقع عليها العين فى الخارج ، ودفق الاحاسيس وفيض الذكريات فى الداخل · لا ينفصم او ينفصل او يتمايز اى من هذه الجوانب عن بقيتها ، لكنها تنصهر جميعا فى سبيكه فنية واحدة ، متماسكه ومتألقه ·

والزمن ــ بحضوره واندفاعه الدائم للامام ــ هو البطل ، ونحن نعيش اربعه عقود متتاليه ، فى منتصف كل عقد تقف الراوية ــ البطله عند منعطف « البدايات » فى منتصف الاربعينيات ، كانت تقف اذ ذاك ــ هى والملايين ــ فى نهايه الحرب العالمية الثانيه ، على مشارف عالم جديد ، تتفتح فيه آمال التحرر ، ويتساوى فيه التشوق الى المعرفة مع التشوق الى الحب ، ثم كان سامى وحب الصبا الذى اجتاح كيان فتاة الثامنة عشرة ، فى السنه الاولى من دراستها الجامعيه ، تقرا رابعه العدوية وبودلير ، البيان الشيوعى والانجيل ، ولما جاء سامى توهجت الدنيا ، فهى لا تعود تعرف ان كانت تضحك ام تبكى ، والدموع تلون عينيها بالوان قوس قزح ، وكل شىء رائع وجميل ، والهواء انقى ، وخضرة الشجر أعمق ·· وهى لا تريد أن تنفرد بسامى عن صديقتيها ، يكفى أن تستمع اليه يتكلم ، يكفى أن ترى السيجارة تهتز فى فمه وهو يضحك ·

هذا هو نمط العلاقه بالاخر كما ارسته التجربه العاصفه الاولى ليتردد بعد ذلك : نمط يذوب فيه أحد الطرفين فى الاخر ، فلا يقف ندا له ، يأخذ منه ويعطيه ، انما يعلق وجوده على وجود الاخر ، وبدونه تتفقد تحت قدميه هوة العدم · لذلك لم تجد انفذة

لطيفة الزيات: ضوء "الشيخوخة"

غير فكرة واحدة تدور برأسها حين أنبأها سامي أنه مسافر : الانتحار ·

في منتصف الخمسينيات تزوجت ، وحين التقت بسامي وعاد لذكر الحب القديم ، انزلقت كلماته كما تنزلق قطرات الماء عن معطف المطر ، وتكرر اللقاء في منتصف الستينيات ، وقد انفصلت عن زوجها ، ولم تجد دافعا يدفعها للتخفف من هذه التجربة المعذبه بالحديث عنها ، ولا اهتز كيانها لكلمات الحب الجديدة - القديمه ، وودت أن تقول له ان المرأة التى يحبها قد ماتت ، وتحجرت الدموع فى عينيها « ومرآة العربة تصفعها بوجه مليح قد من صخر الكبرياء المر ، من الالم وحتمية تجاوز الالم ، من رفض مراهق للحياة ونسبية الاشياء ، من تعلق مغترب بكمال دنيا غير الدنيا ، ومن تشبث مجنون بالسبل المسدودة حتى الاختناق ، ومن عمى عن الباب المفتوح » ·

انما بعد عشر سنوات أخرى ، حين اكتهلت المرأة ووقفت على أعتاب الخمسين ، استطاعت - فى لقائها الاخير بسامي - أن تطلق سراح الصبيه التى كانتها فى البدايات ، وحين أطلقت سراحها توهج كيانها ، وتفتحت مسام جسدها الخامدة ، وتواصلت فى اللحظه الراهنة · بعبارة أخرى : حين امتلكت ماضيها وأحكمت قبضتها عليه استطاعت أن تتجاوزه ، وانفتح الباب أمام اهتمامات الحاضر ومشروعات المستقبل ·

نمط العلاقة ذاته : الاتكال الذى يجرد أحد الطرفين من جوهره الانسانى الفاعل ، هو ما يتبدى فى القصه التالية « الشيخوخه » : مذكرات مكتوبه فى ٧٤ (بداخلها مذكرات أخرى مكتوبه فى ٦٥) ، أى قبل عشر سنوات ، وامرأة الستين تنظر فيما كتبته وهى فى الخمسين : مات زوجها قبل عشر سنوات (نفس تاريخ انفصالها فى القصه السابقة ، والتاليه أيضا) ، وعادت ابنتها من الخارج بعدغيبة عامين ، وبعد زواجها بأربعة أعوام ، وأثناء فترة غيابها لم تتوقف المرأة عن كتابة رسائل لا ترسلها ، بل تصنفها فى ملفات ثلاثه : رسائل أقسى من أن ترسل ، ورسائل كى لا ترسل (لانها لحظات التعاسه مثبته على الورق) ثم رسائل غير موجهة لاحد (لانها لحظات التعريه الكامله للذات) · والقصة - بعد - هى العلاقه بينها وبين ابنتها حنان وزوجها هشام ، أو هى « الوضع الكلاسيكى للثالوث » ، انما لهذا شخص الطبيب اختلال علاقة حنان بزوجها - بعد عام ونصف من زواجهما - بأنه « التصاق جنينى بالام ترتب عليه انعدام فى النضج العاطفى » ، وهذا يعنى تماما هزيمتها الكامله كأم حاولت دائما أن يكون لابنتها كيانها المستقل ، وعملت حنان جاهدة حتى استطاعت أن تسافر فى منحة دراسية مع زوجها ، وحين عادت بدا واضحا أن الصراع فى هذا المثلث قد حسم لصالح هشام ، فلماذا تغضب المرأة وهى التى كانت تدفع ابنتها دفعا لهذا الحسم ؟ ، انها تجيب بصدق جارح : « لان هذا الحسم يسلبنى الدور الذى اتخذته ذريعة لوجودى ، أو بالاحرى لانعدام وجودى فى هذه السنوات الاخيرة » ،

وحين اختنقت برغبتها فى التواصل مع ابنتها قذفتها بالملفات الثلاث التى تحوى كل الرسائل . قسوة هى أم صرخة استغاثة ؟

جوهر القصة هو جوهر العلاقة ، وهى تتبين - ونحن معها - حين ترجع ليومياتها التى كتبتها فى ٦٥ - بعد موت زوجها بعام واحد - هذا الجوهر : انه الاعتماد المطلق على الاخر ، انه انتفاء الندية فى العلاقة الانسانية التى لا تنمو رابية صحيحة الا بين ندين حرين يتبادلان الاخذ والعطاء ، فلا يذوب واحدهما فى الاخر أو يفنى فيه . وكانت خلاصة ما وعته بعد أن فقدت زوجها مرتين : الاولى حين انسلخ عاطفيا عنها ، والثانية حين مات أنه « تأتى على أن ابنى من جديد .. نظام قيم الانسان التى لم تكن قيمى ، وأنا ، بلا وعى ، أفنى وجود الاخر فى وجودى ، وأنا بلا وعى ، أفنى وجودى فى وجوده الاخر ، وأسمى الفناء توحدا ومطلقا وسعادة » ..



وها هى تعيد نمط العلاقة ذاته : تعتمد على حنان اعتمادا مطلقا ، وحنان تضيق بهذا الاعتماد . وزوجها يطاردها فى حلم كثير التفاصيل ، بين تفاصيله رزم من الاوراق : ان كانت مكتوبة فهى تعنى الوقوع فى اسر ماض مثقل ، وان كانت بيضاء فهى تعنى شارة التطلع نحو الخلاص فى المستقبل . وحين وعت المرأة انها تكرر النمط الذى دمر علاقتها بزوجها من قبل ، مالت لان ترى الاوراق بيضاء تنتظر الكتابة .. « ويخطر ببالى فى ذات الوقت انه يتعين على كى املأ الاوراق البيضاء أن استعيد مفردات لغتى .. » .

واذا كانت امرأة الثامنة والثلاثين لم تستطع البوح والتخلف ، فقد استطاعت امرأة الثامنة والخمسين ، وها هى تبوح لنا - نحن قاريها - بتلك الخبرة المعذبة ، خبرة زواجها التى دامت من منتصف الخمسينيات لمنتصف الستينيات ، فى قصتها « جارحة الصدق » على ضوء الشموع » : والقصة تبدأ وصاحبتها فى ذروة من ذرى أزمتها ، فالرغبة القديمة تلح عليهما فى الافلات من الشقة العالية المطلة على النيل ، ومن زوجها ودائرة نفوذه ، وهى تنطلق فى رحلة مع بعض اصدقائها الى بيت ريفى فى احدى قرى الفيوم . وهى مرتاحة للجماعة التى تصحبها ، لانها مختلفة عن تلك التى تتحرك فى اطارها خلف زوجها ، التى تسهر فى كافيتريا « سميراميس » ، وتحضر حفلات الافتتاح فى المسارح والمعارض .. وتتناول العشاء على ضوء الشموع فى المطاعم الانيقة ، ثم انها تقاربها فى افكارها السياسية ، وان لم تماثلها ، فهى مستبقى البطة

لطيفة الزيات : ضوء "الشيخوخة"

السوداء – يقول البعض الحمراء – في السرب الابيض · عين الى الخارج والثانية الى الداخل ، وهما تعملان معا في اتساق وتناغم · ولان ما في الداخل هو ما يعنينا الان ، فان الكاتبه تقطع رحلة أخرى ، تستدعي خلالها صورا وأحداثا وتفاصيل وذكريات ومشاعر ·

معها حملت مشروع روايتها الثانية ·· في دفتر بلون الرمل ، تنقض في صفحات الشمال ما تكتب في اليمين ·· وهي تلخص فكرتها الرئيسية : ان المهم هو الرحله لا ما تتمخض عنه الرحلة ، مواصله الانسان للسعي وليس ما يتمخض عنه السعي، فقال لها الصديق أستاذ علم النفس : ان مشروع الروايه يفلسف الفشل ، ويعمم ما لا يجوز تعميمه ، ثم أضاف موجها لها السؤال : هل تحاولين تبرير وضع لا تطيقينه ؟ » وتأملت لاول مرة صدق تدقيقه ·· » ، وتذكرت أحد زملاء زوجها – وهو يقف منه على النقيض السياسي – وهو يقول لها ان الناس مندهشه لانها كتبت رواية ممتازة » رغم كل شيء »

ولكن ·· لماذا نسيت العهد الذي قطعته على نفسها بانها لو ملكت القدرة على اكمال روايتها تلك لواتتها القدرة على التحرر من زوجها ومن هذا البيت ومن هذا الاسلوب في الحياة ؟ ، الذي حدث أنها أتمت الروايه ، وفي حومه نجاحها نسيت العهد ، وبدل ان تشارك – بقدر ما تستطيع – في تغيير الاوضاع أدمنت البكاء في ظلمه المسرح والسينما والسرير · دموع التكفير أم دموع التطهير ؟ وظلت تلعب دور الكاتب الذي بزغ فجاة من المجهول الى المعلوم وهو يملك مفاتيح الحرفة ، أي مفاتيح ؟ ها هي تعترف الان ان مفاتيح الحرفه ومعرفه أسرار اللعبة لا تملك ان تصنع هذا الوله الخاص بالحياة ، الذي هو مادة الفن ، بدونه يتحول الى مادة للتسليه او لعبة زخرفيه فارغه · واعترفت لنفسها ايضا انها – في روايتها تلك – مارست شيئا من الغش كي تصل الى قلوب الناس ، ثم اعترفت أخيرا بأن حبل خداع الذات طويل ، وان التف – مهما طال – حول عنق الانسان ·

وهي تتدحرج في الحقل الاجرد تذكرت انها كانت تحلم – وهي صبية – بأن تجري حافيه القدمين في حقل فول أخضر ، وأن تتمدد هي وحبيبها تضمهما الخضرة ورائحه المخصب ، وان تأكل هي وحبيبها « الفول بشوكة مع الجبنه القريش » ، وانتهت هي وزوجها لتناول العشاء على ضوء الشموع كالعاشقين ، وما من عشق تبقى ، بينهما تفصل الشموع وانصاف الحقائق ومرارة الحقيقه وقسوة الخديعه والرفض المتبادل لماهية الآخر والخوف من الاصطدام والحرص على الصورة الاجتماعيه والتظاهر بنجاح مشروع الفشل منذ زمن طويل » ·· وبدل ان تصرخ فيه : كاذبة هذه الشموع ، كاذبه هذه الزيجه ، كاذبة كل الدوائر التي ندور فيها ، عاشت الكاذبة · بدل أن تصرخ فيه قرأت له ذات صباح قصيدة لصلاح عبدالصبور لا تذكر منها الان سوى بيت واحد ·· المرأة تقول للرجل الذي يسهر معها في الكافيتريا : قم بنا يا حبيبي قبل أن يطلع الصبح وتزول مساحيقي ·· » ·

(يا للذاكرة المراوغه ! هذه سطور

عبد الصبور التى اسقطتها الذاكرة ، وستعرف — على الفور — لم اسقطتها ·· تقول المرأة لرفيقها :

يا عاهرى ، يا خدعتى ، يا قدرى
فى الساعه الليله الاخيرة
خذنى الى البيت ، فاننى اخاف
أن يبللنى الندى
ثوب صباحى
ويبدو قبح وجهى ·
(اغنية لليل ، احلام الفارس القديم ١٩٦٤)

● خداع العقل

وليس العشاء على ضوء الشموع غير طقس واحد من مجموعة الطقوس التى تشكل حياتهما معا · طقس الطقوس حديث الليل : ان كانت نائمة ايقظتها ، يجلس على طرف سريرها ويحكى عن نجاحاته اليوميه التى لا نهاية لها ، وعند النجاحات الغرامية ترد فى الحكايه انصاف الحقائق ، من سنين صاحت فيه أن يكف عن الكذب ، عن الاهانه المجانيه لكذبهما ، لكنه لم يتوقف ، استحال عليه أن يعيش دون مستمع ليلى لنجاحاته اليوميه ·· ولمراراته اليوميـة من جحود الناس والدنيا ·· وعلى مر الايام تحولت الى أذن تستمع رغم معقود اللسان بعد أن اكتشفت الا ارضية بينهما للقاء ··· » ·

ليس هذا فقط ، فى الفراش ايضا حولها لاداة اشباع ، يوم لم يكن لقاؤهما فى السرير طقسا صرخ فيها : أنت تحتقريننى ·· جسدك يرفضنى ، يحتقرنى ·· » ، لم تكن تعرف أن خداع العقل لا يجوز على الجسد ، وأنه احيانا يكون اذكى من العقل وافصح تعبيرا ، وتوقعت أن يكف عن العمليه الجنسيه ، لكنه لم يتوقف ، وتحولت العمليه لطقس مدمر ، وتحولت هى كلها لاداة اشباع ·

لم هذا كله ؟·· وكيف بلغت قرار الهوة ؟ ، ها هى تعترف وهى تتمدد وسط خضرة لا تعرف لها اسما أن سفح الجبل هو نفس السفح ، وانه لا قرار للتنازل ، وتنازل صغير يسلم لتنازل اكبر ، ويفيق الانسان يوما ليجد نفسه فى هوة بلا قرار !

شىء ما حدث فى مغرب ذلك اليوم انهى هذا العالم بغير رجعه : هل انتهى وهى تمر بمسالك القرية الطينية تقاوم رغبتها فى الاغماء وتنتصر عليها ·· أم انتهى حين صرخت فى بيت الخولى : اخرجونى من هنا ؟

شىء ما زائف ومصنوع فى بيت الخولى ، أراد الانتقال من بيت الطين لبيت من الطوب الاحمر ، ولم تسعفه قدراته ، فبقى بيته حجرة واحدة معلقه فى الهواء ، الى هذه الحجرة جىء بامرأته كى تفحصها الطبيبة الصديقة ، توحدت الزاوية بالمرأة المريضه ، التى تبدو غريبة منبتة وهى ممددة على سرير معدنى أسود فى حجرة معلقه ، وتساءلت : هل يتأتى للمرأة المريضه أن تعود لحيث تنتمى ، وقد انتهت اللعبه ؟ « عرت الطبيبه المرأة من ملابسها ، وما كانت تميل تضع السماعه على قلبها حتى انهار السرير بالمرأة عاريه ، وخرجت هى من الغرفه مختنقة بخزيها ·· وفى الهواء الطلق خارج منزل الخولى وقفت ترتجف بخزيها ·· وتتحسس جسدها ، تستشعر عمق الجراح التى اصابتها لحظه انهار بها السرير عاريه ·· »

تلك اللحظه المستعادة بكل ضراوتها ، وبقدر الخزى والمهانة فيها : أن ينهار السرير بها عارية ، وهى اداة اشباع : تمتع ولا تستمتع ·· ينتهكها رجل كريه ، يرفضه الجسد ، يراوغ العقل فى قبوله ،

لطيفة الزيات : « ضوء الشيخوخة »

كانت النهايه : اجتازت المرأة السراط الوعد : « رعت غضبها كما ترعى الحامل الجنين .. » .. « يتأتى على المرأة ، وقد انتبت اللعبة ، أن تقف على قدميها ، أن تؤوب الى نفسها ، الى اهلها وناسها ، الى بيتها بعد غيبة عشر سنين .. » .

ان الرواية الاولى للكاتبة ـ الراوية ترد فى هذه القصه اكثر من مرة ، منظورا اليها بعد صدورها بربع قرن (٦٠ ـ ٨٥) ، وقد فات عليك كيف تراها صاحبتها ، فكيف نراها نحن فى الضوء الجديد الذى تسقطه « الشيخوخه » ؟

اكتفى هنا بالوقوف عند نقطتين : الاولى هى ان الزوج الذى لا تسميه الكاتبه فى هذه القصه ، هو الدكتور فؤاد رمزى فى « الباب المفتوح » ، واكتفى ايضا بنقطتى تطابق : من حيث موضوع الحديث الليلى ، نقرأ من « الباب المفتوح » : « كان لرمزى قدرة على تركيز الحديث حول نفسه ، حول المؤامرات التى دبرت ضده واحبطها ، والخطط التى رسمها ونجحت ، والكتب التى كتبها والتى ينوى كتابتها ، والانتصارات التى احرزها والتى سيحرزها ، وكان لرمزى ايضا القدرة على احاطة حديثه باهميه تبلغ مستوى القداسة ، وكان مصير العالم كله يتوقف على .. الخطوة التاليه التى سيتخذها يسحق اعداءه سحقا نهائيا .. » (ص ٢٩٩) ، وعن انصاف الحقائق والاكاذيب حول نجاحاته الغراميه يكفى ان نقرا وصف ليلى للدكتور رمزى ، وهو ينظر لبنت خالتها ليله اعلان خطوبتهما بالذات « .. وطافت عينا الدكتور رمزى بالجسم الفائر الناضج تزنه فى لهفة وفى ظمأ .. ورأت ليلى عينى رمزى تستقران فى نهم على الخط الذى يفصل بين نهدى جميله ، وشفتاه تتكوران فى ابتسامه كريهة ، اشبه بتكشيرة حيوان مفترس .. » ، ثم وصفته جميله فاوجزت : « .. ده زى الكلب .. ريقه يجرى على كل عظمة .. » ! (اقرأ المشهد كاملا من ص ٢٦٣) .

ان الشخصيتين تتطابقان كاليد والقفاز ، وقراءتهما معا ، واحدة فى ضوء الاخرى ، انما تغنى فهمنا لهما معا ، وهذا يقودنا للنقطه الثانية حول الوظيفه الحقيقيه التى ادتها الرواية الاولى لصاحبتها : لقد قدمت اليها التسويه المرغوبه : ان تهرب من الزيف والامتهان وان تبقى فيه ، ان تفعل والا تفعل ، ان تقدم وان تحجم ، فى الوقت ذاته .

وتمثلت التسويه فى معادلة واضحه الحدود : ليلى عبد السلام تخلع خاتم الدكتور فؤاد رمزى ، ولطيفه عبد السلام تهدى روايتها للدكتور رشاد رشدى !

وليس بعد هذا كلمه تقال .

قد لا اكون غير واحد من غمار الناس الذين اغتربت عنهم الدكتورة لطيفه الزيات حينا ثم ابت اليهم ، لكننى املك ان اقول لها بكل الصدق انها قد عادت منذ زمن بعيد ، منذ رعت غضبها كما ترعى الجنين ، ومنذ مزقت اخر ستر من ستر الوهم والخديعة ، عادت نقية مطهرة ، وها هى بعد ان اجتازت السراط تلتقى بربيعها الدائم : ان تبقى حقيقتها ، وقد امتلكت الماضى من اجل الحاضر والمستقبل .

لب الحب

شعر: فريد قرنى



لب حبى اذا سئلت اجيب
اشتياق له مذاق عجيب
وحنين يلذ لى .. فماذا بى
وكانى من الحبيب قريب
وشعور ينساب فى جنباتى
ذو خطى وقعها مهيب رهيب
وله كل ذرة فى كيانى
وجنانى .. من فورها تستجيب
وانسجام يختال عبر خيالى
مائس شارد .. ضحوك لعوب
لب حبى تدله يملك اللب
فيفنى من الورى ويغيب
يحتوينى مشاعرا وسلوكا
ويصيب الدموع منه نصيب
هزة منه للجوانح تهفو
لمسة منه للجروح تطيب
لب حبى لون من الجذب يعروه
فيفنى الحبيب فيه الحبيب
وخيوط من الغموض يشد القلب
ب قيد منها .. كثيف غريب
واندفاع بكل ما امسك لا احسب
بس شيئا .. لاننى مغلوب
ليس يثرى سعادتى غير ان
يحتضن العمر .. وده المخطوب
لست ارضى به بديلا بتاتا
لا .. ولا غير عيشة استطيب
لب حبى حب تمكن منى
كيف بالله منه .. يوما اتوب

● مسرح ●

الجريمة في: "هلافيت" محمود دياب

عرض وتحليل:
عبد المنعم الجداوي

●● للمرة الثانية اكتب عن الجريمة في مسرح محمود دياب، وقد كانت المرة الأولى عن روايته (الزوبعة)، وهاهي دار الهلال تطرح تحفته « الهلافيت » وهي مسرحية من فصل واحد .. تبرز في غير افتعال ماكان يملك هذا الفنان .. من قدرة على الوصول الى هدفه .. من خلال مسيرة كوميدية تضحك « طوب الارض »، ولكنه كالبكاء ثم يفجر في النهاية الحدث الذى رواه في ضحكات متتابعة متوالية . مايجمد البسمة ويحرك الدمعة .. إذ تنكشف الجرائم . جريمة بعد أخرى .. وإذا بالذين يضحكون .. يبكون وهم في ذهول .. !! ●●

● والستار .. يرفع عن ساحة في قرية .. تجرى فيها الاستعدادات لحفل سوف يحييه شاعر الربابة .. ويهيىء المكان .. شابان من « هلافيت » القرية وهما يصفان المقاعد على مقربة من المصطبة التى سوف يعتليها الشاعر، ونفهم من المقاعد القليلة أنها للصفوة .. اما بقية النظارة من أهل القرية . فسوف يجلسون على الأرض، ومن حوارهما نفهم أن الليلة هى من جيب (منصور أبو سعد) سيد القرية سرا وعلانية .. الكل مدين له، والكل يخدمونه، ويسبحون بحمده، فهم بلا استثناء عرائس خشبية .. يحركهم بخيوط في اصابعه .. يحققون له اغراضه، ويساعدونه على إمتصاص الدماء، ونهش الأعراض .. ويجىء الى الساحة مبكرا .. افندى القرية .. « محمود أبو عامر » الذى يطلق علي نفسه لقب « أمين قضائى »



محمود ذياب
واقعية شديدة

● السادة كتشنر يريدونها مغمورة ضاحكة...

● الفلاح اللحوح، وخادم السيد العنكبوت...

ومعه حقيبة كالتي يحملها المحصل أو المحضر .. يجلس على « الدكة » ويطمئن على أن الشاعر لم يصل بعد ، وخلفه (هلال) الفلاح يرتعد وينكمش ويتضاءل .. متوسلا إلى (محمود) أن يجيبه عن سؤاله ، وهل قدم الأيصال إلى المحامي أم لا ..؟ و (محمود) يشخط فيه وينهره ، ويزجره ، لأنه ساقل . منحط لص ، يريد أن يأكل نقود الرجل الطيب



الشهم .. (منصور ابو سعد) .. بصوت مبلل بالذل والمسكنة يقول (هلال) انه لم يفكر ابدا في ذلك .. لكن البقرة ماتت ، وقد بكى فوقها وهى تموت ، وقال لها لاتموتي حتى لايروح فى داهية ، ولكنها ماتت .. وتمنى ومازال يتمنى لو ان الموت يصيبه .. لكن لا أمل فى تحقيق هذه الأمنية العزيزة .. ويجيبه (محمود) فى صلف وكبرياء .. إنه لايفهم ولايريد أن يفهم فقلب (منصور ابو سعد) رحيم ، لايحب الأذى .. وهو يعرض عليه الا يسلم الايصال للمحامي .. إذا ماقبل أن تذهب عائشة ابنته الشابة الى سراية (منصور) لتخدمه شهرا واحدا بالمبلغ .. ماذا فى هذا .. الا يشكر الرجل ..؟ ويتذلل (هلال) . وهو يقول إن (عائشة) لاتعرف الخدمة ، ولم يسبق لها .. و (عائشة) تقف على مقربة من والدها ، و (شحاته) يرنو اليها بنظرات يزدحم بها الاعجاب بالاشفاق بالغيظ المكتوم ويجيب (محمود) منهيا الحديث .. أنه مادام لايقبل هذا الحل الرحيم .. فليتهيأ للسجن

الجريمة في :
هلافيت محمود دياب

.. لأنه لم يجد المحامى اليوم ، وسوف يجده غدا ، وهو سوف يمضى إلى النيابة ، والوصل أمانة ولن يفلت من السجن ، يحاول (شحاته) أن يتدخل لدى (محمود) الذى يثيره ذلك ويعلن لهذا « الهلفوت » الذى يريد أن يتدخل فى عمل (الامين القضائى) ويتهمه بأنه يحاول (رشوته) ويطلق لسانه فيه ، ويحرض (شحاته) (هلال) على الا يوافق على الحل ويحذره لكن (هلال) يطلب منه فى ضيق أن يتركه فى حاله .. ويخرج (محمود) هاربا من إلحاح (هلال) ويمضى بعده (هلال) وابنته (عائشة) ويجلس (شحاته) على الدكة منجعصا ، وإذا (بناصح) يقول له إن (منصور ابو سعد) لو رآه هكذا يجلس على دكة الاعيان (لملص ودانه) ويرد (شحاته) بأن يتربع على الدكة إمعانا فى غيظ الهلفوت (ناصح) .

● السادة يستهدفون الضحك والمتعة .. !! ●

ويدخل الساحة (منصور ابو سعد) وبطانته « الحاج مبارك» ، «وشيخ الخفراء » و « خفير » و « محمود عامر » الأمين القضائى ويتكهرب الجو ، وينكمش (شحاته) ، (ناصح) ، والهلافيت لمجىء السادة الذين يحيطون (بمنصور ابو سعد) ويمتدحونه . لأنه يعمل لصالح القرية . وهو يريد أن يزيد من سعادتها وأنه استدعى (الشاعر حسان) وأعطاه مقدما العربون .. لكى يغنى لهم على الربابة الليلة قصة (أبو زيد الهلالى) ولكن الجلسة تطول ، ولايصل (الشاعر) وحتى لايتسلل الملل الى الحاشية .. قال (منصور) أنه سوف يجعلهم يغرقون فى الضحك بطريقته الخاصة ونادى على (شحاته) الذى أقبل اليه وهو يرتجف ، موقنا أنه سوف يصفعه على قفاه او يشد أذنيه ، ولكن (منصور) هش فى وجهه وابتسم وطلب منه ان يقترب اكثر .. ففزع الذين حوله اكثر مما فزع (شحاته) الذى صاح يعلن أنه يعرف ماذا يراد به ، وهاهو قفاه ، وضحك القوم ، وهو يمط عنقه ويخفض رأسه أمام (منصور) لكن (منصور) قال له على مسمع من الجميع .. أن يذهب الى مصطبة الشاعر ، يفعل اى شىء يضحكهم به .. وإن يقلد مايشاء من أهل القرية ، وإن يتكلم على (مزاجه) وحتى لو قلد (منصور) نفسه .. ولم يصدق أول الأمر .. لكن (منصور) اكد له .. فلما اتجه الى المصطبة عاد مرة أخرى .. يسأل ويتأكد انه فى أمان .

ولاعقاب عليه .. واقسم له (منصور) .. ثم دفعه لالحاحه وهو يكرر أنه سيغضب منه اذا لم ينفذ أمره ، ويضحكهم ، واذا نجح فسوف تكون له جائزة .. فذهب الى المصطبة ، وهو لايصدق .. ولكنه قال فلنجرب .. وجلس على المصطبة ، وقال يسأل ، ويستأذن (منصور) :

– أعمل عمدة ، وأتكلم كلامه ، وأعمل عمايله .. ؟

وتروق الفكرة فيضحك القوم ، ويخلع عليه احدهم (بلغته) لأن العمدة لايجب

ان يكون حافيا ، ويخلع عليه (منصور) نفسه عباءته .. فيدخل (شحاته) فيها وتبدأ الرواية وينادى (شحاته) على « هلفوت » اخر يدعى « الجحش » ويعينه « شيخ بلد » .. وينبعث الضحك من الجميع .. ويرسل العمدة « شيخ البلد » ليجيء بأم (شحاته) لكى تراه وهو عمدة وتجيء امه واخته (زينب) ثم يرسل فى طلب (هلال) ويسأله عن قضيته ، وتتكهرب الجلسة ، ويصر (شحاته) على ان يمثل (منصور) بين يديه ، وان يقول لماذا يريد (عائشة) ان تخدمه شهرا ؟ وماذا فعل بأخته (زينب) عندما كانت تخدمه ؟ ويطلب من أخته أن تعترف ، ويطلب من كل من قدم ابنته او اخته ان يعرض امامه اتهام (منصور) الذى لم يترك بيتا فى القرية الا واخذ منه جارية لعدة ايام بالحيلة أو بالقوة ، وأن يجيب لماذا لم يتزوج حتى الآن ؟ ويغضب (منصور) ويريد ان يأخذ البندقية من الخفير .. لكنهم يجتمعون حوله ، وهم يقولون له .. إن (شحاته) فقد عقله .. كان يمثل ثم (اخذ المسألة جد) .. ويخرجون به من الساحة ، ولايبقى إلا « الهلافيت » وتقول له أمه .. انه فضح اخته من أجل (عائشة) بنت (هلال) فيقول لها انه لا من اجل (زينب) ولا من اجل (عائشة) ، لكن من اجل كل بنات البلد ، واهلها فعل ذلك .. ! وينزل الستار .. !

● الزمانية ونوعية الأحــــــــداث .. ! ●

هذا هو ملخص شديد الاختصار (للهلافيت) ، ولأول مرة فى ادب الجريمة

● آفة النضــال شعــار (مفيش فــايدة) ...

● فى كل مكان (شحاته) و (زينب) حتى بين القراء

يضع كاتب المجرم ، والجريمة ، والمجنى عليه فى مواجهة شديدة الصخب ، ولعل القالب المسرحى .. يسر له هذه المواجهة . التى تناولها فى براعة ، وعفوية ، وسيولة وأن كانت حرمته من تأصيل الشخصيات . الذى جاء فجأة كشلال أنهمر فى المساحة الضيقة الزمانية والمكانية على المسرح ، وفى الدقائق الأخيرة للرواية .. !

(فمنصور ابوسعد) كان فى حاجة شديدة الى البحث فى اعماقه ، وأن كان قد فسر لنا شخصيته . على لسان (محمود أبو عامر) نيابة عنه ، وكذلك الشخصية الثانية فى الرواية (محمود أبو عامر) هذه الشخصية التى هى ضمير (منصور) وارادته الفاعلة .. ورأسه المدبر ، وهذه من الشخصيات المركبة التى كان يجب الا تمر هكذا . فالقارىء أو المتفرج يشعر أن (محمود ا و عامر) هو المجرم الحقيقى ، وأن (منصـور) واجهة للشر فقط .. أما الشر بعينه فهو هذا (الأمين القضائى) الذى يقوم بدور

القواد لـ (منصور) وهو يسهل له انتهاك اعراض القرية ويعظم دوره . ويتفاقم وهو يبسط المسائل أمام الذين يقعون فى حبائله التى يحبكها فى اتقان يجعل الضحية كالذبابة فى خيوط العنكبوت .. مستغلا القانون فى اغراضه التى يعاقب عليها القانون .. !

● الذين فقدوا الايمان ●

والضحية المترددة المتهافتة التى تقف على شفا الهاوية (هلال) كان مرسوما باتقان . وهو يجر ابنته خلفه . وهو يلين ، ويتهاوى تحت مطارق (محمود ابو عامر) ويوشك على الانهيار ، وفى انهياره يرفض يد المعونة التى تمتد اليه .. (شحاته) يرفضها .. لأن اليأس الذى يطبق عليه .. ينتزع من اعماقه كل امل فى النجاة .. فلا يرفض فقط اليد الممتدة اليه .. بل قد يؤذيها ايضا .. وهى حالة من اليأس تصيب الأفراد كما تصيب الشعوب فتتخلى عن زعمائها وترفض المقاومة .. رافعة شعار (مافيش فايدة) .. ! والكاتب هنا .. يضعنا امام لحظة اضاءة عقلية .. ليحرك اعماقنا فى حركة عنيفة .. رغم البسمة التى يتركها على الشفاه .. فإذا بنا نرنوا ى اتراكم فى داخلنا باحتقار مزد .. وكلنا بـ كل أو بأخر صورة من (هلال) .. يغلبنا القهر ، ويطحننا الذل .. وتضيع اعمارنا فى محاولات مذلة للتعايش مع الرعب .. دون أن نتجه بمحاولاتنا الى الخروج منه أو الثورة عليه . !

○ زينب وعائشة .. فى كل مكان ○

وقد بذل البعض المساعى الحميدة .. ومنها كتابة المؤلف الراحل لمثل هذه الرواية .. الا أن امثال (الامين القضائى) « محمود أبو عامر » وهم شريحة عريضة .. أفرزتها تركيبة المجتمع الشاذة ، لأن السادة من أمثال (منصور ابو سعد) فى مسيس الحاجة الى وجودها .. هؤلاء الامناء .. لاعمل لهم الا إحباط المساعى الحميدة للتحرير أو التغيير ، والايقاع بكل من تسول له نفسه أن يخرج على تقاليد القرى ، وقيم العبودية .. فإذا عجزوا عن ذلك سخفوا محاولاته ، واعلنوا فى الناس .. انه مخرب يريد أن يدمر حياتهم . ويخرجهم عما وجدوا عليه اجدادهم .. وكيف لايصدقهم الناس ، وينفضون من حوله . يسحبون اسمالهم على جراحهم .. ويسترون بها عوراتهم .. كما فعل كل اهل القرية .. الذين وقفوا خلف (شحاته) فلما أعلن (منصور) بجرائمه واعتدائه على الفتيات ، وفى مقدمتهن شقيقته (زينب) .. هربوا جميعا ، وتركوه وحده بعد ان ثار عليه السادة ، وكاد (أبو سعد) يطلق عليه النار من بندقية الخفير .. ! ولكن يظل (شحاته) ومعه بقية الهلافيت غير نادم ، ولاحزين .. ثم يهبط الستار .. لترفع الغشاوة عن بصيرة المتفرجين .. !!

وهذا النوع النادر من البشر .. يفقد فى سبيل كلمة الحق كل شىء وينطبق عليه المثل العربى (كلمة الحق لم تبق لى عدوا ولا حبيبا) وذلك لأن هؤلاء القوم اذا

جاز لنا أن نسميهم (ثوار) ينطلقون فى قسوتهم على اعدائهم وفى سبيل كشفهم ، وتقديمهم بجرائمهم .. لايبالون بما قد يصيب جماعات من اقوامهم .. بنفس القدر الذى يصاب به أعداؤهم . لاذنب لهم الا انهم كانوا مناط الممارسة الاثمة .. وقد كانت (زينب) ، ومثيلاتها من بنات القرية .. هن التطبيق العملى لما يصيب المجنى عليهن .. من المتصدى للدفاع عنهن والمطالبة بإنصافهن .. ! وهذا هو الشرخ الذى يسقط فيه الكثير من الزعماء المخلصين جدا من قادة العالم الثالث .. !

وكان يجب حينما ترفع الغشاوة عن بصيرة الناس .. أن ينقضوا على (محمود أبو عامر) ولست ادرى لماذا (تركه محمود دياب) يمضى بلاعقاب من الفلاح (هلال) ، وكان فى ذلك اشارة . إلى أن الانسانية مهما طال عليها الظلم ، لاتتحول إلى شىء جامد .. بل انها تتحرك مصهورة فى حرارة المقاومة .. متجهة نحو اسباب ظلمها .. لتزيلها عن طريق القادمين .. حتى لايشربوا من نفس الكأس .. لأن استئصال (منصور أبو سعد) ، وبقاء (أبو عامر) ، يجعله يمضى متجنيا الفرص .. باحثا عن (منصور) جديد يعمل فى خدمته ، ليحوله الى طاغية .. وذلك لأن شريحة (أبو عامر) شريحة لاتستطيع أن تعيش بدون سادة طغاة ، ولعل المتفرجين الذين انصرفوا بعد العرض الوحيد اليتيم الذى عرضت فيه الرواية .. حز فى صدورهم أن يظل (أبو عامر) بلا عقاب ، وأن كان قطعا سوف يتهاوى تبعا لسقوط (منصور) لكن كان يجب ان ينفس المؤلف عن المتفرجين .. بعد أن ملأهم غيظا منه . وهو يستذل (هلال) ويسخر منه .. !! .. أن العقاب الذى كان يجب أن يناله (ابو عامر) .. هو جزء هام من ابعاد الجريمة ، وحتى تكتمل القوامه الوجدانية للمشاهد او القارىء ويتخفف من الاحقاد التى رسبها فيه المؤلف .

فبعد هذا الشحن المستمر طوال العرض ، وادخار الحقد ضد (ابو عامر) (منصور) الذى لايوجه اليه حقد مدخر .. بل الغيظ ضده ينبت وينمو ، ويكبر فجأة .. حينما يبدأ (شحاته) فى لعبته .. ومن هنا يجد الباحث أن رصيد الكراهية فى قلوب النظارة (لمنصور) ليس بحجم ماحصل عليه (أبو عامر) الذى يشمئز المتفرج منه منذ اول العرض .. للاذلال الذى يعامل به (هلال) الفلاح .. !

وقد حاول المؤلف ان يكون شديد الواقعية ، وقدم لنا (الفلاح هلال) بصورة الرجل الذبابة اللحوح الذى يهينه (ابو عامر) بشتى الاهانات .. لكنه لايثور .. والواقع قد يكون أمرّ من ذلك ، واوجع ، وانكى . لكن هذه الصورة جعلتنا نشمئز أيضا منه .. فلا يفوز بحبنا او عطفنا كما فاز به (شحاته) مع أن (هلال) كان يجب أن يقدم لنا بشكل لايخل بمعدلات العرض الدرامية . وفى ذات الوقت يجعلنا نتعاطف معه ، ونحبه اكثر مما نحب (شحاته) ولا اعتقد أن ذلك حدث عند قارىء الرواية .. أو من قدر له أن يراها فى العرض اليتيم .

واعود من جديد لاقول مرة اخرى .. ان الستار لايكاد ينزل حتى ترفع الغشاوة من على بصيرة المتفرجين .. فيشعرون أن مدى الرؤية لديهم أصبح ابعد مما كان . وانهم يرون فى كتلة الظلمة المتراكمة .. اضواء فجر قادم تبدو من بعيد .. !!

قصة قصيرة

الخوف والتردي

بقلم : محمد جابر غريب

لم تكن الامور في وعاء الرأس ، مرتبة ، ولا متسقة ، ولا منتظمة ، كانت خليطا مشوشا . المرابية العجوز ، والبلطة تهبط .ترتفع وتهبط تهشم تفلق . يندفع الى الصناديق والمصاغ والجوهرات طائشا ومتلفتا .. لم يكن يذكر على وجه التحديد اين ولا متى قرأ هذا العمل الفني المؤثر .

فذا ، بالغ الروعة ، كل الذي يذكره انه لكاتب روسي شهير . وظلالا تروح وتجيء من داخل وعاء الرأس، تختلط مع باقي الاصوات . الابن الاصغر ، والاكبر والابنة . الطفلان . امهما .. وما قاله الطبيب وهو لا ينظر اليه . فقط نزع من « البلوك نوت » ورقة . السماعة كانت معلقة في صدره . يضغط سوارها بالعنق . جادا . صارما . في صوته نبرة حزن لن اكتمك الحقيقة ، واكون آثما ، لو لم اقل ان الابطاء في اجراء العملية يعني فقد الامل .

يأتي صوت الزوجة خافتا يشوبه الضعف والوهن متقطعا . فيه نبرة اسى وشفقة ـ لاتحمل هما . احتفظ بنقودك للاولاد . اعتقد أني ساحيا . وان عمري سيطول مائة عام اخرى .

يأتي صوت الابنة الكبرى ، وهي تصف ما ينتابها من خجل ، وسط زميلاتها الطالبات يأتين راكبات المرسيدس ، والفولكس ، بينما هي تنزل من « الاتوبيس » قبل الجامعة بمحطتين . كي لا يراها احد ، او يكتشف المهانة التي تتعرض لها وسط الزحام . يشكو الابن الاصغر من « بناطيله » المهترئة ، وأمصانه الكالحة ، وحقيبته التي فقدت .

ويجيء صوت « عباس محجوب » زميل العمل ، صاحب الدرج المفتوح ، واللسان المغموس في العسل .

يأتي صوته قويا محددا قسماته .

ـ أنت مهزوز . حنبلي . « وش فقر » اب لخمسة من الاولاد . قلت أساعدك عملت عفيف ، والحقيقة

انها عفة مصـــــطنعه ، لا تظن ان محاولتك ايهامنا بالخوف من ربنا ، يمكن ان يقنعنا بنزاهتك . فقط انـت لا تستطيع مواجهة الناس ، ولا حتى مواجهة نفسك .

ضممت اصابع يدى، وهممت بالطرق على الباب ، ومـــا ان ترامت الى كلمات العجوز من الداخـــل ، حتى توقفت اليد ، وظلت مرفوعة فى الهواء دون ان تجرؤ على الطرق « خبطـــة واحدة » .

أعطيت اذنى للباب ، فسمعت : ـ لا احد يضمن العمر يا ولدى .

قال الابن :ـ حماك الله يا أبى من الايدى العابثة ، لكنى أنصح بحفظها فى البوستة ، او فرع لبنك يــكون قريبا من البيت

وضعت عينى على ثقب المفتـــاح فرأيت ، البخار يتصاعد من « بزبوز» البراد والابن يصب الشـــاى . راح العجوز يستمد من الكوب الدفء بين كفيه ..

قال الابن :ـ ان لى تجربة مـــع المدخرات سيئة .

قال العجوز :ـ امـــــا انا فعلى العكس منك ، وافضل الاحتفاظ بهـــا تحت يدى . كل شىء جاء مرتبـــا ، ومنسقا ، ومحكما عن غير قصد . لم اكن ميالا بطبعى للتجسس انما كل ما حدث حدث بمجرد أن هممت بضم أصابع يدى متهيئا للطرق . فوجئـــت بالكلمات تقفز ، وتدخل وتقتحم اذنى، ولم استطع منـــع نفسى مـــن الانتبـــاه اكثر ، واختراق المـــكان بعينى من دائرة « الكالون » الصغيرة .

اصبحت رغبتى لما يدور بالداخـــل



قصة قصيرة

قوية ، وفى نفس اللحظة كان الخوف من التورط ، فى هتك الستر ذنبا يشل اطرافى ، ويدفعنى للتراجع •

●

قالت الابنة الكبرى :ـ أريد مصروفا أكبر • فأنا لا استطيع دخول « الكافتيريا » • لطلب مشروب بارد •

وقال أصغر اطفالى :ـ وعدتنى بشراء حذاء ، لكنك لم تأت به حتى الان ••

وقال الطبيب :ـ اكون اثما لو لم اقل ان الابطاء فى اجراء العملية يعنى فقد الامل •

●

كنت قد قررت أن احفر ثقبا فى الحائط • الملاصق لحجرة العجوز مباشرة ، يسمح لى بمتابعة نشاطه • وكان باستطاعتى عبر الثقب ، بصورة كبيرة ، اتجمع بينى وبين أولادى الخمسة وبينهم •

علمت ان احدا لم يكن يزوره ، وانه كان يعتمد على نفسه فى طهو طعامه ، وغسل ثيابه وتنظيف الحجرات ، سألت كيف يتسنى لعجوز مثله ، فعل كل هذه الاشياء ••

قال احد الجيران :ـ ان زوجته ماتت قبل سكنك •

واضاف :ـ ان اولاده هجروه بمجرد زواجهم •

قلت :ـ اذن فقد كان قاسيا معهم

قال : ـ نعم بالضبط كان قاسيا معهم •

قلت :ـ لهذا السبب هجروه ••؟

قال :ـ نعم لهذا السبب هجروه •

قلت :ـ اليس له ولد واحد بار به؟

قال :ـ بالضبط فان له واحدا بارا به •

قلت :ـ متى يزوره ••؟

قال :ـ مرتين فى الشهر •

قلت فى نفسى وانا ابتلع ريقى ، انا اخشى ان اعامل من اولادى مثلما فعل اولاده معه •

●

كانت الفكرة تلح ، تلح ، مثل اخطبوط كانت ، يمتد لها مائة ذراع وذراع وذراع • لم انم ، كنت مضطربا •• متوترا • أسمع وجيب قلبى • كان صوت اشبه ، بنقرات المطر فوق زجاج نافذة فى ليلة مطرة • من تحت الوسادة تناولت علبة سجائرى • اصابعى ترتعش ورأسى يضج بالاصوات • يضج •

ـ انت وش فقر • حنبلى • مهزوز •• قلت اساعدك •• عملت عقيف •

(ـ اكون اثما لو لم اقل ان الابطاء فى اجراء العملية • يعنى فقد الامل) •

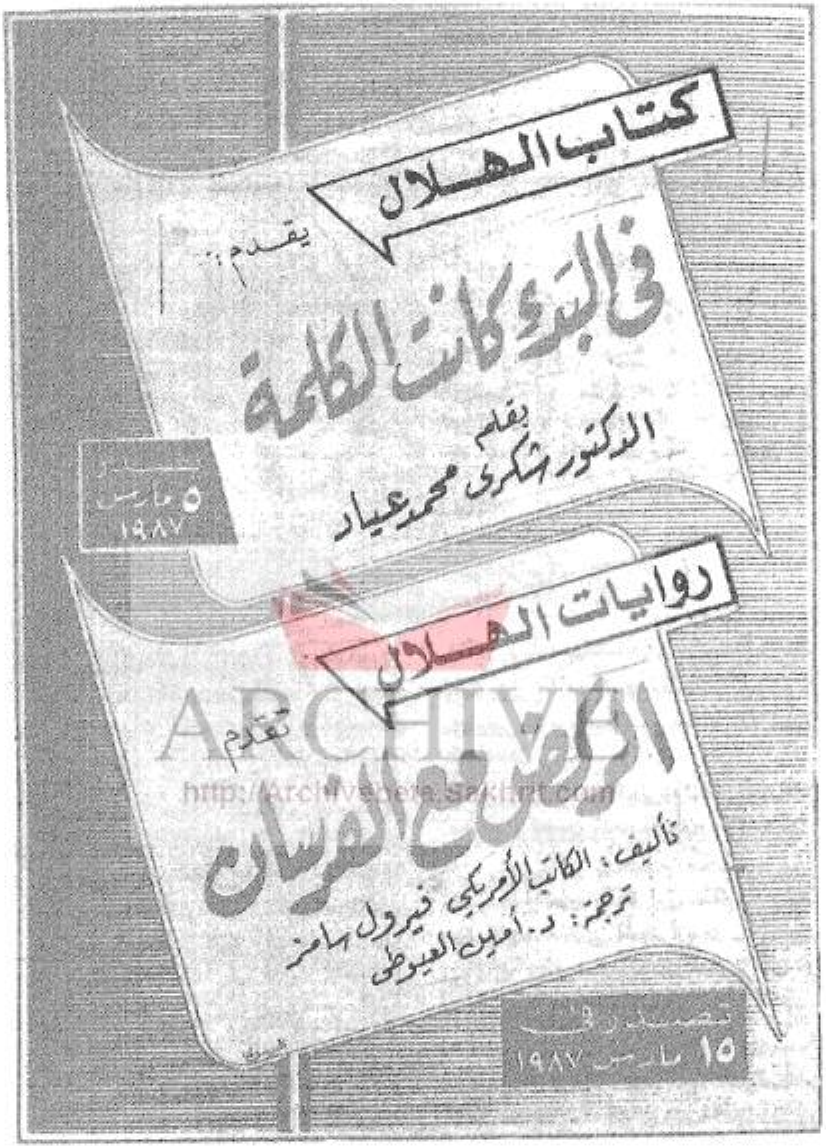
(ـ انا لا استطيع دخول الكافتيريا لطلب مشروب بارد) •

(ـ لا تظن أن محاولتك ايهامنا بالظرف من ربنا يمكن أن يقنعنا بنزاهتك ، فقط أنت لا تستطيع مواجهة نفسك • انت مهزوز • مهزوز • مهزوز)

●

بعد ايام كنت أتقدم فى خطوات متعثرة • خائفة الى الحجرة الملاصقة لحجرة العجوز كنت أرتعش • وانا أرفع الصورة من فوق الثقب •• ضربات قلبى تضطرب • انفاسى لاهثه •• لاهثه ••

وحينما انغرست عينى فوق فراش العجوز ، كان مستغرقا تماما • تلفه غلالة من الصمت المطبق ، والعميق •


كتاب الهلال
يقدم:
في البدء كانت الكلمة
بقلم
الدكتور شكري محمد عياد
٥ مارس
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
الرقص مع الفرسان
تأليف: الكاتب الأمريكي
ترجمة: د. أمين العيوطي
تصدر في
١٥ مارس ١٩٨٧

شخصية العدد

سلطان برج البراجنة!

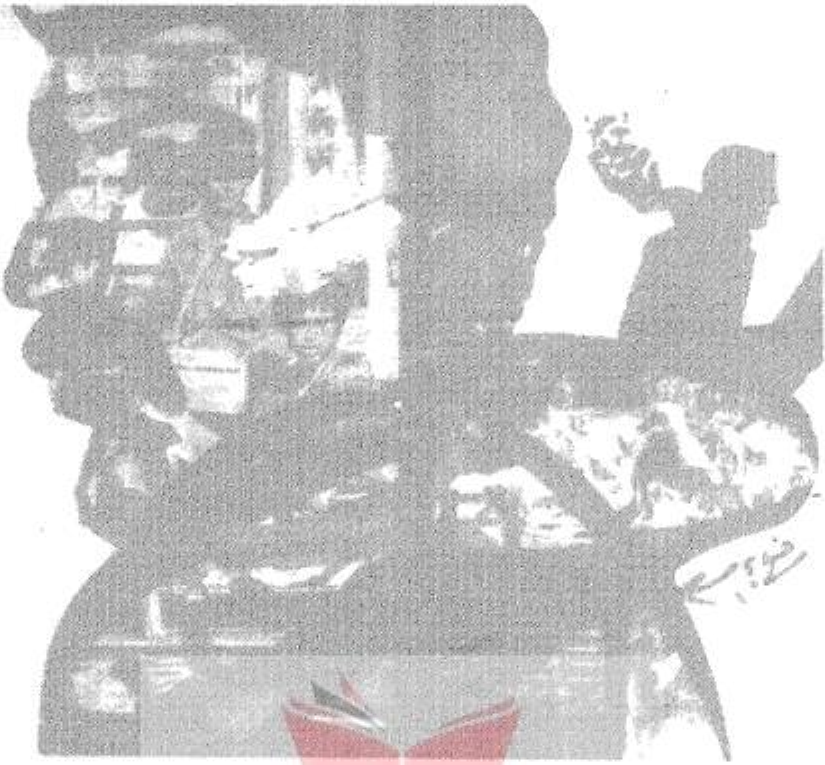
بقلم: فيليب جلاب

ليس كل الجنرالات « العظام » في العالم من متخرجي كليات الحرب والاكاديميات العسكرية . وليس كل متخرجي هذه الكليات والاكاديميات من « الجنرالات » العظام .

لكن الذين تخرجوا في «اكاديمية » مخيم برج البراجنة هم الطراز الجديد الفريد من الجنرالات ، الذين لم يرتدوا بزة عسكرية من قبل ولم يقرأوا على معلم كتابا واحدا في فنون القتال وعلوم التكتيك والاستراتيجية ومبادىء الامداد والتموين والكر والفر !

احد هؤلاء الجنرالات أو ابرزهم شاب لم يكمل تعليمه حولته محنة شعبه العربي الفلسطيني وسنوات القهر والحصار ومشاهد الفتك بالشيوخ والنساء والاطفال الى جنرال حقيقي لا يعرف احد الا اسمه الاول : « سلطان » !

بحسابات العلوم العسكرية التي يجيدها بعض العسكريين التقليديين ، كان يجب أن يستسلم مخيم برج البراجنة لدى وفاة اول طفل لم يجد ما يأكله . لكن الجنرال سلطان ورفاقه نظموا المقاومة العسكرية في مواجهة قوى غاشمة تتستر وراء شعارات كاذبة عن العروبة والاسلام وعجزت قوات الحصار التي تستخدم افتك الاسلحة طوال ثلاثة شهور عن اختراق المخيم أو ارغام قوات



« الجنرال » سلطان على الاستسلام وعندما استخدمت اخس وادنا انواع السلاح وهو منع دخول الغذاء والدواء الى السكان المدنيين والمدافعين عنهم ، اقتات هؤلاء بالاعشاب البرية وبالكلاب والقطط والميتة .

وافتى زعيم « حزب الله » بانه من الجائز شرعا ان ياكل المحاصرون جثث القتلى . لكنه تردد في اعلان رأى الشرع في اولئك الذين ياكلون لحم الفلسطينيين المسلحين والعزل احياء بدعوى ان الفلسطينيين يهددون « سيادة » و « استقرار » لبنان وقد يعقدون الأمور مع « جيرانه » !

لقد كتب القتال على الفلسطينيين . ومن جحيم المعارك غير المتكافئة والحصار الهمجى للاطفال والنساء والرجال يخرج جيل جديد من المقاتلين « والجنرالات » واساتذة فنون الحرب والمقاومة .

والذين يراهنون على « شيخوخة » جيل سابق وتشريده فى أربعة أركان المعمورة يجدون امامهم فجأة « الجنرال » سلطان ومئات غيره من متخرجى أرقى الاكاديميات العسكرية التى تسمى احيانا بالمخيمات !

حوار حول .. الشخصية الأندلسية

طلعت شاهين

حول « الشخصية الاندليسية » عقدت مائدة مستديرة ومناقشة عامة بالمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد حيث تحدث كل من الدكتور حسين مؤنس والدكتور محمود على مكى والمستشرق الاسبانى خواكيه بالبيه ، وقد ادار الحوار الدكتور سيد حنفى مدير المعهد المصرى للدراسات الاسلامية والمستشار الثقافى بالسفارة المصرية بمدريد ، وقد حضر المناقشة جمهور كبير من المستشرقين وطلاب اقسام اللغة العربية بالجامعات الاسبانية وعدد كبير من المصريين الدارسين باسبانيا وفى مقدمة هؤلاء كان السيد محمود ابو النصر سفير مصر بمدريد والاستاذ فؤاد ياسين ممثل منظمة التحرير الفلسطينية والسيد مدير مكتب جامعة الدول العربية باسبانيا .

وقد بدأ الدكتور حسين مؤنس الحديث عن الشخصية الاندلسية فأشار الى أن ما يقال فى هذا الصدد انما هو حصيلة دراسات وقراءات للتاريخ من خلال مؤلفات متعددة ، ولكن الاهم هو الحديث عن هذه الشخصية من خلال الاحتكاك الحياتى اليومى والتعامل مع أحفاد الاندلسيين والذين تتجسد روحهم فى ابناء اسبانيا المعاصرة ، ثم قدم الدكتور محمود على مكى ليتحدث عن الشخصية الاندلسية من خلال نتاجاتها الادبية والعلمية والفنية .

وتحدث الدكتور مكى فقال :

كنت أود أن يكون الحديث متبادلا بينى وبين الحاضرين ، وخاصة أن بين الحاضرين من هم من العلماء فى هذا الشأن .. ولا شك أن انشاء المعهد



الدكتور حسين مؤنس يتوسط د. محمود مكي ود. سيد حنفي

المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد عام ١٩٥٠ كان له الفضل فى هذا العـــدد الضخم من المستشرقين ، واتجاه العديد من الشـباب الاسبانى نحو دراســـات خاصة بالاندلس او اسبانيا الاسـلامية كما يسمونها ٠

فالاندلس تاريخها حقل واسع وكبير واتجاهاته متعددة الى جانب التفرد فى هذه المجالات ، ويحتاج الى عدة قرون اخرى للوصول الى نتائج حقيقية حـول هذه الحقبة الزمنية التى عاشها العرب فى الانــدلس ٠ فالتســـامح الدينى والسياسى الذى حكم الاندلس اعطـــانا هذه الابداعات المتعـــددة الاتجـاهات ومازال يعطينا كل يوم مفاجآت جديدة، والاندلس بتاريخـه الاسـلامى أعطى حضارة ذات مذاق خاص ، واتسعت لتشمل كافة مظـاهر الحضــــارة ، فالاندلس معروف بانه المكان الوحيد فى العالم الاسلامى الذى كان يتحدث بلغتين مختلفتين (العربية والاسبانية) الا انه ترك لنا ثروة من المؤلفات فى علم اللغة العربية ، ولا تزال هذه المؤلفات تـدرس فى الجامعات المصرية كمؤلفات ابـــن الزبيدى وابن سيدة المـرس وكتـــاب « القواعد » لابن مالك الذى لا غنى عنــه الى جوار كتاب سيبويه ٠ ولو بحثنـــا فى الدراســـــات التاريخية لوجدنا ان ابن حيان القرطبى اعظم من كتب فى هذا المجال ، وهكذا فاننا نرى ان للاندلس بصمات واضحة فى كل فروع المعـرفة عندما لا ينكر ابن حزم وابن العـــربى الاشبيلى ، ومحيى الدين بن عربى المرسى الذى لا مثيل لمؤلفاته فى الشرق ٠ ثم هناك هذا النوع من الشعر المتفــرد الذى نراه فى الموشحات والازجـــال ، والذى يعد ابداعا اندلسيا خالصــــا ، ولذلك اكرر واقول ان الاندلس مـــازال موجـــــودا ولم يفقد ابدا ٠٠ ومـــازال الاندلس فى قلوبنا وعقولنا ولم يفقـــد سواء بالنسبة لنا او بالنسبة لابنــــائه من الاسبان الذين مازالوا يعمرون هذه الارض بعد هذا التاريخ العريق ٠٠

ثم تحدث الدكتور حسين مؤنس عـن كيف يرى المؤرخون التاريخ فقال :

لا شىء يموت فى التاريخ ، المؤرخون يرون ان الزمن لا ماض فيه ولا حـــاضر ولا مستقبل ، فالتاريخ نهر كبير يجرى وماؤه متغير دائما ولكن هذا الماء لايذهب

هباء ولا يضيع .. بل يذهب ليحل محله ماء آخر فلا تستطيع ان تفرق بين الماء الذى مضى والذى أتى أو سيأتى ، لانه كل متماسك لا يمكن تحديده .. والتاريخ هو النهر والحضارة ماؤه .. الحضارة ترتفع احيانا وتنخفض احيانا اخرى .. الحضارة كالانسان يشب صغيرا ثم شابا فأبا ومن بعده ابناء واجيال اخرى . ويظل الانسان دائما هو الانسان ، والصبا لا يموت ليحل محله الشباب وانما يتحول ويستمر .. هذا ما يمكن قوله عن اسبانيا الاسلامية أو الاندلس كما نسميها نحن ، فالاندلس عاش هنا فى اسبانيا كشىء مادى ، ومازالت آثاره باقية .. فلا غزو ولا غزاة ، انها الحرب ومن ينتصر يخلق حضارته فى المكان الذى يسكن فيه ، ثم يذهب ليأتى من بعده آخر ..

تفرد حضارة الاندلس

ثم تحدث الدكتور سيد حنفى وطرح استفسارا هاما فقال:

هناك نظريتان حول تفرد الحضارة الاندلسية ، النظرية الاولى تقول ان العالم الاسلامى حضارته واحدة ولها مظهر عام واحد ولا توجد مناطق لها حضارة خاصة متفردة ، اذن الاندلس لم يكن حضارة متفردة ، اما النظرية الاخرى تقول : ان لكل منطقة شخصيتها الخاصة فى نطاق الحضارة الاسلامية كشكل عام يجمع مختلف هذه المناطق ، ولذلك فقد تفردت الاندلس كما تفردت مصر فى الحقبة الاسلامية ، وأنا أرى - كمعارضة منى لاستاذى الدكتور مؤنس - ان الاندلس كان خاضعا لتاثير كبير من الشرق الاسلامى ، وأرى ان الموشحات والزجل كانا نتاجا شرقيا اسلاميا ولا فضل للاندلس فيه .. لكن أين الحقيقة فى كل هذا ؟

وتولى الدكتور محمود مكى الاجابة عن هذا التساؤل فقال :

ما طرحه الدكتور سيد حنفى شىء طيب ، فكلنا يعرف أن العالم الاسلامى فى ذلك الوقت كانت تجمعه راية واحدة هى الاسلام الى جوار اللغة العربية وأرض لها وحدة تاريخية تكاد تكون واحدة أيضا ، فالتعريب والاسلام سارا معا ليجمعا هذه البلاد من المحيط الى حدود الصين . ولكن رغم هذه الوحدة السياسية ، فان الامر بالنسبة للحضارة كان مختلفا ، فالثقافة كانت واحدة ، ولكن لكل بلد اسلامى فى ذلك الوقت كانت له شخصية متفردة وخصوصية فى طريقة صنع حضارته ، فتميز الاندلس بلقاء حضارات متعددة ، ولعل الاشارة هنا الى كتاب الثعالبى حول الشعر العربى يقدم لنا هذا التميز بين مكان وآخر ، فهو يشير فى مقدمة كتابه الى انه رغم ان الثقافة العربية الاسلامية كانت تجمع هذا الشمل كله ، الا انه كان هناك تميز وخصوصية لبعض البلدان فى هذا الكل الواحد ، وخصص لكل منطقة جزءا خاصا حتى يؤكد على هذه الخصوصية . وان كانت دراسته لم تكن بالعمق الذى يبحث فى أصول هذه الخصوصية .. اما ابن بسام ابن هذه الحضارة الاندلسية فقد الف كتابا مشابها خص به الاندلس فقط وهو يشمل كل مناطق أسبانيا والبرتغال فى ذلك الوقت ، وذلك يؤكد انه رغم اتحاد الجذور فى اللغة والثقافة والدين فان الخصوصية لكل جزء وحده كانت موجودة ولا تزال . ويجب الاعتراف بذلك .

أن الكتاب الاسلاميين القدامى لم يقولوا ذلك ، ولا توجد أية اشارة لأى من كتاب الشرق الاسلامى حول الاصول الشرقية للموشحات والزجل وأرى أنهما ابداع اندلسى خالص .. فرغم وجود ابداعات شبيهة للزجل فى بلدان المشرق الاسلامى فانه من المعروف ان الاندلس كان له السبق فى استخدام اللغة العامية فى الخلق والابداع الادبى والفنى ولا يوجد بلد واحد يجرؤ على استخدام العامية كما استخدمها الاندلسى ، وما ظهر بعد ذلك فى العاميات فى البلدان الشرقية كان تقليدا للزجل الاندلسى .

● **مصر وحضارة الاندلس**

● وتحدث المستشرق خواكيه بالبيه الاستاذ بجامعة مدريد فقال :

أريد أن أسأل الاستاذين مؤنس ومكى حول الدراسات الاندلسية فى مصر وما مدى الاهتمام بها ؟ لاننى أرى أن مصر هى حجر الزاوية فى فهم الحضارة الاندلسية ، ومصر هى التى يمكن أن توضح الكثير من الغموض الذى يلف هذه الحضارة فى الاندلس وشمال افريقيا ايضا . وهناك أمر آخر تبينته وذكرته فى دراساتى حول كلمة « الاندلس » واعتقد ان الكشف حول هذا الاسم يمكن ان يكون مصريا ، فهناك فى مصر كانت « جزيرة الاندلس » و « محلة الاندلس » ثم هناك علاقة بين كلمة الاندلس ومدينة « اتلانتا » المفقودة واعتقد انه شىء جاء عبر الحضارة الفرعونية فى مصر والاغريق قالوا بهذا . وقد ذكر « ابن الحكم » اسم « محلة الاندلس » وقال انها فى « الفسطاط » اين الحقيقة ؟

ومازلت اكرر أن مصر هى حجر الزاوية فى فهم جذور الحضارة الاندلسية ، لانها لعبت دورا كبيرا فى ابداع وخلق هذه الحضارة .

وتولى الدكتور محمود مكى الاجابة عما طرح المستشرق الاسبانى خواكيه بالبيه ، فقال :

اولا اقول للصديق خواكيه بالبيه ان مصر بها العديد من الباحثين الشبان الذى يبحثون فى حقل الحضارة الاندلسية ، ومصر وجامعتها يوليا الاندلس اهتماما خاصا ورغم المشاكل والعقبات التى تواجهنا فان النتائج طيبة . واعتقد أن ما قيل حول دور مصر فى انتقال الحضارة الاسلامية من المشرق الى شمال افريقيا واسبانيا ، فان مصر كانت هى الطريق والمعبر ، ولم يكن ذلك مقصورا على الجيش فحسب ، بل ان مصر كانت معبرا لكل القيادات الثقافية التى جاءت من شرق العالم الاسلامى واتجهت الى غربه .

اما عن اسم « الاندلس » فحقيقة أن « ابن الحكم » ذكر اسم « محلة الاندلس » الا أننى اعترف بعدم خبرتى فى هذا المجال وان كنت اعتقد ان اسم « الاندلس جاء من تسمية قبائل « الوندلس » الذين سكنوا شبه الجزيرة الايبرية ثم رحلوا باتجاه تونس ، وعندما جاء العرب الى اسبانيا سموها باسم هذه القبائل التى كانت تسكنها . أما مسألة مدينة « اتلانتا » المفقودة فهذا الموضوعجديد تماما ، وقد ارتبط الاندلسيون بمصر اكثر من ارتباطهم بسوريا رغم أن الشام كانت موطن مؤسس الاندلس الحقيقى عبد الرحمن الداخل ، وهذه الروابط لا تزال تربط اهل مصر بالاندلس حتى الآن ، وفى قلب كل مصرى حب خاص يتجه صوب الاندلس .

التليفزيون والطفل

افتح ياسمسم ... نحن الأطفال

لطيفه سيد

اذا كان للتليفزيون اثره الخطير على الكبار .. فهل يمكن ان تتصور مدى خطورته على الصغار .. ذهبت الهلال الى الولايات المتحدة تستطلع احدث الابحاث على اثر التليفزيون على الاطفال من خلال احدث مسلسل يحمل عنوان « افتح يا سمسم »

عندما سألوا مجموعة من أطفال أمريكا فى سن الرابعة فى دراسة علمية ، ما الذى تحبونه أكثر: التليفزيون أم اباؤكم ؟ أجاب ٤٦ ٪ منهم بأنهم يحبون التليفزيون أكثر من ابائهم ·

لم تعد المسألة متعلقة بتأثير التليفزيون أو سرقته للوقت ، حيث يجلس الطفل الامريكى ما بين أربع وخمس ساعات يوميا فى مشاهدة التليفزيون ، ولم يعد الامر أمر قضاء وقت فى المشاهدة التليفزيونية أكثر من الوقت الذى يقضيه الطفل فى الدراسة وانما أصبحت فى الاولوية التى يعطيها الطفل للتليفزيون والذى يفضله عن أهله ·

وواكب هذه الظروف أن الرأى العام الامريكى ثار على التليفزيون فى أواخر الستينيات لما أحدثه من دمار فى عقول ونفوس الشباب ، بما يقدمه من موجات العنف والجريمة والجنس ، والاعلانات التجارية التى تداعب غرائز الجماهير·

وهكذا دق ناقوس الخطر ، وأدركوا عمق تأثير التليفزيون على الاطفال والمراهقين ، وبدأوا البحث حتى لا تكون مشاهدة الاطفال للتليفزيون وقتا ضائعا،







مشاهد من النسخة العربية الخليجية من إنتاج التليفزيون الامريكي للاطفال « افتح يا سمسم »

وخصصوا الاموال حتى لا يكون الانتاج هزيلا · فأصبحت ساعة الانتاج التليفزيوني للاطفال تتكلف خمسين الف دولار في المتوسط ·

وخصصت الولايات المتحدة الامريكية في سنة ١٩٧٠ (مليون دولار) لمشروع ينمي رؤية الاطفال والمراهقين النقدية لما يشاهدونه ـ وشمل المشروع كل فروع الانتاج : حيل الانتاج التكنولوجي ـ الكتابة · الاضاءة · الموسيقى ·· الخ·

وكانت بين الاشياء الجديدة التي ظهرت « ورشة الاطفال » وهي ورشة تعنى بكل ما يخص الاطفال ، وتجري ابحاثا علمية بحيث لا تخرج برامج الاطفال من فراغ ، وتقدم برامج نموذجية حتى لا تظل ابحاثها حبيسة الاوراق · وتجرى التجارب الجديدة من اجل الاطفال ·

● افتح يا سمسم والشهرة ●

اشهر أعمال هذه الورشة هو البرنامج التليفزيوني : شارع سمسم ، الذي ترجمته دول الخليج العربي الى « افتح يا سمسم » · ولأن الامور لاتنبت من فراغ فقبل ان يخرج هذا البرنامج للوجود تم اجراء استفتاء للاطفال كان الهدف منه معرفة ما الذي يريده الاطفال ·

التليفزيون والطفل

ولم يكتف الباحثون بهذا الاستفتاء وانما تحدثوا للأطفال · سألوهم عما يرغبون فى مشاهدته فى برامجهم فجاءت اجابات البنات تفضل مشاهدة الحيوانات ·· وجاءت اجابات الاولاد أنهم يحبون عالم الفضاء واتفق الاولاد والبنات على أنهم لا يحبون الحشرات ·

ويحرص خبراء ورشة الاطفال على أن يؤكدوا انهم لم يخضعوا لهذه المعلومات ، فذلك تربويا غير معقول ، ولكنهم يضعون هذه المعلومات فى الاعتبار ·

وقد حرص البحث على اعطاء عناية كبيرة للعلم · فسألوا الاطفال عن صورة العلم فى خيالهم : هل تحب أيها الطفل ان تكون عالما أم لا تحب ، وطلبوا من مائتى طفل ان يكتبوا مقالا عن يوم نموذجى فى حياة عالم · ومن المطمئن ان الاطفال ليسوا غارقين فى عالم « سندريللا » و « حلاق الصباح » ، وانهم مهتمون بالعالم الذى يعيشون فيه · فكثير منهم أولى اهتماما للاخطار المادية الناتجة من العلم · وقال البعض ان مهنة العالم مهنة منعزلة ويشعر من يمارسها بالوحدة ·

ولم يهتم فقط بغالبية الاطفال سليمى البنية وانما اهتم أيضا بأصحاب المشاكل الخاصة وتضمن فريق البحث مستشارين فى مشاكل هؤلاء ·

على هذا الاساس المتين ظهرت درة انتاج ورشة الاطفال الامريكية « افتح يا سمسم » سنة ١٩٦٩ · من النسخة الامريكية شاهدت أغنية عن الرقم « ٨ » وعلى المثال نفسه أغنيات أخرى عن الارقام ·

من نسخة الخليج العربى شاهدت حلقة كاملة تبدأ بأغنية تقول :

افتح يا سمسم أبوابك ·· نحن الاطفال
افتح واستقبل أصحابك ·· نحن الاطفال

تبدأ الحلقة بتمثيلية عن مخاطر الخيلاء عن طفل لا ينتظر دوره فتكون النتيجة انزلاقه على قشرة موز رماها شخص يعترف بخطئه وتستمر التمثيلية مستعينة بالممثلين والعرائس ، ثم شرح للأشكال الهندسية ، الدائرة ـ المثلث ـ الخط المستقيم مع تدعيم الشرح بأشكال مختلفة من الحياة ، وهناك أغنية تصعد بالارقام من واحد الى عشرة ثم تهبط بهم من عشرة الى واحد ·

من النسخة المكسيكية المنتجة لكل أمريكا اللاتينية ، شاهدت يوما فى حياة طفل مكسيكى يعمل فى المزرعة ثم مواجهة بين طفل فشل فى الحصول على درجات طيبة فى المدرسة وبين والده ، فى البداية يضيق الطفل بأبيه ولكنه فى النهاية يدرك أن كل هذا من أجل مصلحته تسألنى دليلتى : هل استمتعتى بهذا؟ والحقيقة اننى استمتعت فما بالكم بالاطفال · وتشرح كيف أن البرنامج العالمى · تقول : بعد انتاج البرنامج بدأنا فى تلقى الطلبات من دول مختلفة تسألنا عما اذا كان من الممكن نقل نسخة لهم ، وكانت ألمانيا هى أول دولة تطلب منا ذلك ·

ترجم البرنامج كما هو للالمانية وعلى الرغم من نجاحه فى ألمانيا فاننا وهم بعد سنة ادركنا ان البرنامج صمم للمشاهد الامريكى ، وعلى هذا فانه فى تجاربنا مع دول أخرى فرقنا بين الفقرات التى يمكن تقديمها للمشاهد أينما كان مثل فقرة الاعداد والاشكال الهندسية والفقرات المرتبطة بأرضها مثل العادات والتقاليد وهذه يعاد تصميمها فى كل مجتمع طبقا لظروفه ·

وهكذا نجد السلحفاة والقرد فى نسخة الفيلبين بينما لا نجدهما فى نسخ أخرى » .

أكثر من نسخة

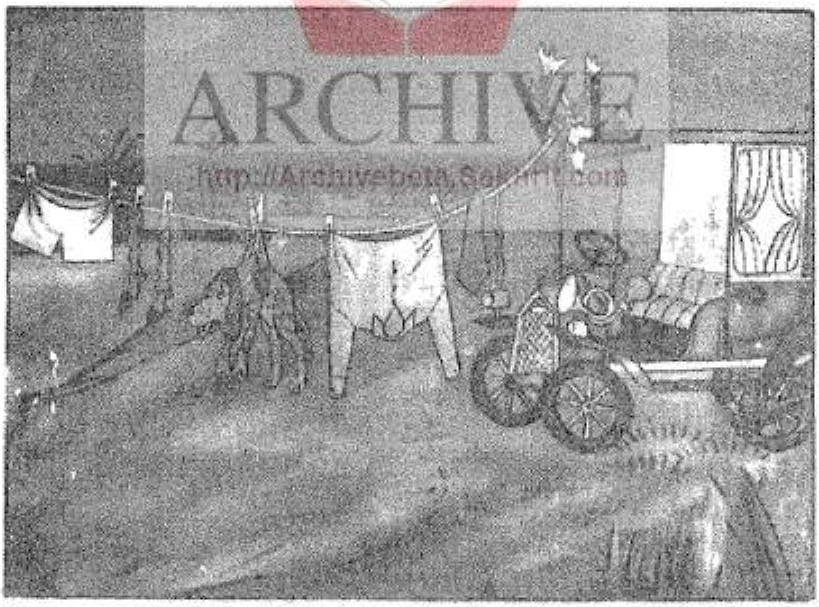
وتضيف محدثتى : « عموما تشكل المادة المأخوذة من البرنامج الاصلى خمسين فى المائة من أى نسخة جديدة بينما النصف الثانى ينتج طبقا لظروف البيئة المحلية » .

وهكذا أصبح لبرنامج الاطفال المشهور « افتح يا سمسم » أكثر من نسخة : نسخة الخليج العربى - نسخة المكسيك التى تعرض فى أمريكا اللاتينية - نسخة الفيلبين ونسخة لكل من المانيا - هولندا .. ووصل عدد حلقات البرنامج حتى الآن الى مائة وعشرين حلقة وهناك مائة وعشرون حلقة جديدة فى الطريق .

وعندما ترغب دولة فى انتاج نسخة جديدة من برنامج « افتح يا سمسم » فانها ترسل خبراءها ليتحدثوا الى خبراء ورشة الاطفال ويتعرفوا على فلسفة الورشة وارتباط أبحاثهم العلمية بانتاج البرنامج ويحددوا المواد المناسبة لمجتمعهم .

واذا سألت الدليلة : اذا حدث خلاف فى الانتاج المشترك مع دولة فالكلمة النهائية لمن ؟ فانها ستجيبك : الكلمة النهائية لرئيس الخبراء فى ورشة الاطفال ولكننا نحاول أن نتجنب ذلك . فنحن نشير عليهم وندرك انه من الخطأ أن نجبرهم على شىء .

وصلت تكلفة ساعة الانتاج التليفزيونى الأمريكى للأطفال الى ٥٠ الف دولار فى المتوسط



التليفزيون والطفل

أصبح هذا البرنامج الذى لف العالم موضعا للدراسة وهناك العديد من الشهادات العلمية فى حقه :

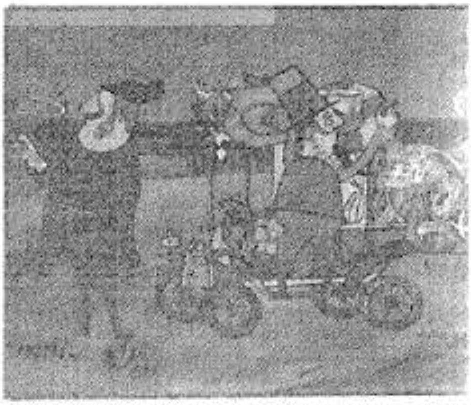
تقول احدى الشهادات :

« الشخصيات التى ظهرت فى البرنامج ساعدت الاطفال على القراءة، فالاطفال يقرأون بسهوله بعد أن يشاهدوا شخصيات البرنامج » .

شهادة اخرى تقول :

« برنامج يدعو للخلق القويم والسلوك الاجتماعى السليم ، وثبت بالتجربه الميدانيه أن الاطفال الذين شاهدوا هذا البرنامج بصورة منتظمة قد تغير سلوكهم وتصرفاتهم الى الافضل » .

أعمال الكارتون جعلت ٤٦٪ من أطفال الولايات المتحدة يفضلون صحبة التليفزيون على صحبة أولياء أمورهم



وشهادة ثالثة :

« هذا البرنامج يعد من البرامج التعليمية والتوجيهية النموذجية للاطفال وخاصه لمن هم دون سن المدرسة اذ ان البرنامج يعلم الاطفال الحروف والارقام والكلمات واستخداماتها » .

وانتاج البرامج ليس العمل الوحيد لورشةالاطفال بل تعتبر نفسها مسئولة عن كل ما يهم الاطفال وحتى اثارة اهتمام المجتمع بالاطفال هو أحد اهتماماتهم، وأحدبرامجهم ، يهتمبتقديم معلومات عن الاطفال للمجتمع ، كيف يتقبل الطفل المدرسة ، أمراض الاطفال ويقدمون معلومات فى التليفزيون حولها ويرسلون خطابات حول الموضوع الى المنازل والاسر .

وغالبا ما يصحب الاباء أطفالهم الى الورشة ليستمعوا الى المحاضرات وتنظم الورشه للاطباء والمرضات تجمعات مختلفه ليحدثوا أولياء الامور عن الاطفال واحتياجاتهم .

واهبط من قمه الجبل الى سفح البئر . من الاهتمام بالطفل الى حد تعليمه الحروف والارقام على نغمات الموسيقى خوفا عليه من الجمود والقلقه الى مشاكل أطفال العالم الثالث الذين يعانون من مشاكل البعوض وعدم اقتناع الاهل بضرورة التطعيم والذين يعانون من مرض الجفاف وغيره من أمراض الجوع والعوز وقلة الرعاية والعناية .

يحدث لى الدوار عندما انتقل من مبنى ورشه الاطفال الامريكية الى مبنى « اليونيسيف » التى تعنى بأطفال العالم الثالث والتى تجاهد فى سبيل توصيل المياه النظيفه للاهالى . ان الاطفال هم ابرز شاهد يبين الفارق بين العالم المتقدم والعالم المتخلف .. لكم الله يا أطفال العالم الثالث ...

كتاب الشهر



العلاقات المصرية الأمريكية

تأليف: چيفري أرونسون

تقديم وعرض: د. السيد أمين شلبي

كانت هذه الدراسة فى الأصل رسالة جامعية تقدم بها صاحبها الصحفى الأمريكى چيفرى أرونسون الى جامعة **اكسفورد فى إنجلترا ، ثم ظهرت أخيرا فى هذا الكتاب فى الولايات المتحدة .**

وحين قرأت هذه الدراسة فى البداية جذبتنى إليها ثلاثة اعتبارات ، الاعتبار الأول هو أهمية الحقبة التى تستعرضها وأثرها الحاسم ليس فقط فى الشكل الذى أخذته العلاقات الأمريكية المصرية لقرابة حقبتين تاليتين ، وإنما أيضا لامتداد هذا التأثير على الوضع الاقليمى والدولى .. بل إنه يمكن القول بأن تطور مواقف الولايات المتحدة والغرب من الحكم الجديد فى مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو كان له تأثيره فى توجهات الحكم الداخلية ، وطبيعة نظام الحكم والسياسات الاقتصادية والاجتماعية التى تبناها .

أما الاعتبار الثانى ، فهو الموضوعية والانصاف اللتان عالج بهما الكاتب احداث هذه الحقبة ومنهجه فى دراستها وذلك فى سياق الظروف التاريخية المحددة التى كانت تمر بها مصر ، ومنطقة الشرق الأوسط ، وبلدان العالم الثالث المستقلة حديثا ، ثم السياق الدولى الأشمل وبروز الحرب الباردة حيث يقدم الكاتب رؤية نقدية لكيفية سيطرة اعتبارات وافتراضات

هذه الحرب على سياسات بلاده وبشكل شوه تقييمها لدوافع رجاء الحكم الثورى الجديد في مصـــر .

اما الاعتبار الثالث فهو وفرة الوثائق التى اعتمد عليها الكاتب فى تحليله لأحداث هذه الفترة سواء كانت وثائق رسمية او مذكرات وبيانات للشخصيات التى شاركت فى احداثها .

الاطـار العـام للدراسـة

وتبدأ الحقبة التى يستعرضها الكتاب بخروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية وبدء تزايد الاهتمام الأمريكى بمصر ومنطقة الشرق الأوسط ، خاصة بعد نشوب الحرب الباردة والرؤية الأمريكية لتطورات هذه المنطقة فقط من منظار مايخدم المصالح الأمريكية فى هذه الحرب . وبفعل هذا بدأ يتلاشى ماكان بعض الساسة الأمريكيين يتطلعون اليه من ان تنفصل بلادهم فى علاقاتها المقبلة مع هذه المنطقة ودولها عن الميراث الاستعمارى للدول الغربية فيها .

ولكن بفضل الحرب الباردة البازغة انتفى فى النظر الأمريكى الجديد وجود أى تناقض بين مايخدم صالح الولايات المتحدة بشكل عريض وما يخدم مصالح امم أخرى فى « العالم الحر » ، وانطبق هذا المفهوم على الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس وهو ما كانت مصر تكافح للتخلص منه ، وإن كانت السياسة الأمريكية بدأت تتحرك من وضع يرى مركز بريطانيا العسكرى فى مصر كمصدر قوة الى رؤيته كعنصر عدم استقرار ومعيق لخلق نظام اقليمي مستقر لحماية مصالح الولايات المتحدة .

وكان من معانى تزايد الاهتمـام الأمريكى بمصر ومنطقة الشرق الأوسط ، ازدياد مراقبـة واشنطون للتطـورات الداخلية فى مصر ومحاولة توجيهها ، وفى هذا بدات تنظر بالشك الى النظام الملكى والى النظام السياسى القائم باكمله ورجاله وقدرته على البقاء او احتواء عناصر السخط السياسى والاجتماعى التى كانت تتفاعل بوضوح فى مصر . لذلك بدأت الولايات المتحدة تتطلع الى حكم يستوعب هذه التفاعلات ويوجهها وجهة تخدم المصالح الأمريكية العريضة فى مصر والمنطقة . من هنا كان تعاطف الولايات المتحدة فى البداية مع ثورة يوليو ورجالها حيث رأت فى منطلقاتها ومبادئها الأولى مايتفق مع آمال الولايات المتحدة فى الاصلاح ، ورأت فى رجالها ابناء المنطقة المتوسطة المؤهلين لذلك .

التجـاوب مـع الامانى الوطنيـة

وكما كانت واشنطون تتوقع هذا من رجال الحكم الجديد وكانوا هم أيضا

يتوقعون ان تقدم الولايات المتحدة تأييدها ومساعدتها لأهدافهم السياسية والاجتماعية فقد واصلوا سياسات رجال الحكم القديم فى الاعتماد على السياسة الأمريكية لحث حليفتها بريطانيا على تحقيق تسوية فى منطقة القناة تتجاوب مع الامانى الوطنية المصرية ، واكثر من هذا كانت توجهات رجال الثورة الى الولايات المتحدة للمساعدة فى تحقيق هدفين رئيسيين من أهدافهم : بناء القدرة الدفاعية للجيش المصرى واعادة تسليحه ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ورفع مستوى معيشة الشعب المصرى .

حول هاتين المسالتين الحيويتين ، النظام الجديد ومستقبله ومكانته ، دارت اتصالات رجاله مع الولايات المتحدة ، واكتسب هدف تسليح الجيش المصرى أولوية والحاحا مع تزايد الشكوى داخل صفوف الجيش من مستويات تسليحه ، وحيث كانت تجربة حرب فلسطين مازالت ماثلة ، وزاد من ضغط هذا الهدف تزايد التوتر العسكرى على خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية .

غير ان طلبات مصر المتكررة والبعثات العسكرية التى توجهت الى واشنطون حاملة هذه الطلبات قوبلت بالتسويف ووضع العقبات ، حتى بلغ هذا برجال الثورة مبلغ اليأس خاصة بعد الغارة الاسرائيلية على غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ ، والتى كان أثرها كبيرا وأوضحت مدى تعرض الجيش المصرى للخطر كما أحرجت النظام الجديد وزعماءه شعبيا بل وبين صفوف القوات المسلحة .

أما هدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقد تبلور حول مشروع السد العالى فى أسوان . وفى هذا ايضا كان اختيار النظام الجديد للولايات المتحدة والغرب والمؤسسات الدولية لتكون مصادر تمويل بناء السد . غير أنه فى ١٩ يوليو ١٩٥٥ وهو اليوم الذى توجه فيه الدكتور أحمد حسين السفير المصرى فى واشنطون لابلاغ وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس قبول مصر لشروط الولايات المتحدة والبنك الدولى فيما يتعلق بتمويلهم للمشروع ، أبلغ وزير الخارجية الامريكى السفير المصرى سحب الولايات المتحدة عرضها للمشاركة فى تمويل السد .

سيطرة اعتبارات الحرب الباردة على السياسة الأمريكية

فلماذا عجزت الولايات المتحدة عن الاستجابة لهذه المطالب والضرورات الاساسية والحيوية للحكم الجديد فى مصر ؟

يقدم الكتاب تفسيرا لذلك الاطار الذى حكم - ومازال يحكم - السياسة الأمريكية ، وتمثل فى اعتبارات الحرب الباردة والتى جعلت الولايات المتحدة ترى التطورات المحلية والاقليمية ، وتحدد مواقفها واستجابتها فيها من خلال تصورات وفروض هذه الحرب . كما ضاعف من هذا العنصر اليهودى والصهيونى داخل الولايات المتحدة وهو ما ستلمس تاثيره عند كل منعطف فى العلاقات المصرية الامريكية .

رفض الارتباط بالاحلاف

كانت هذه الاعتبارات هى التى حالت بين رجال الولايات المتحدة وبين أن ترى منطق رجال الثورة فى رفض الارتباط بالأحلاف والمنظمات العربية فى المنطقة مثل حلف بغداد ومنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، وان هذا الرفض صدر عن منطق واضح وهو ان مصر التى كانت توشك على التخلص من وجود عسكرى أجنبى طويل كان يصعب على أى حكم وطنى أن يربطها بمثل هذه التنظيمات والتى كانت ترى وكأنها امتداد لهذا الوجود الأجنبى بصورة أخرى .

وفى اطار تمهيد المسرح الاقليمى حتى يتواءم مع ترتيبات مقاومة نوايا القوة الخصم لها وكما صورتها السياسة الأمريكية فى هذا الوقت ـ بالاضافة إلى الرغبة فى تأمين الوضع الاسرائيلى فى المنطقة ، كانت السياسة الامريكية تتوقع وتعمل على أن ينفض رجال الحكم الجديد يدهم من الشئون العربية ومن الصراع العربى الاسرائيلى ، الا انه موضوعيا وفى ظل الظروف التاريخية التى ظهرت وعمل فيها قادة الثورة ، وبعد تجربة حرب فلسطين ، كان يصعب عليهم وهم الذين ظهروا من صفوف الجيش ، قبول ما كانت تتوقعه الولايات المتحدة وتطالب به .

اما فى الاطار الدولى ، فقد تصورت السياسة الأمريكية مصر بداءة كجزء من التحالف الغربى فى صراعه مع الكتلة السوفييتية . وامتدادا لرفض رجال الثورة لسياسة الأحلاف والمنظمات العسكرية .

كان منطقهم أن مصر والمنطقة التى تنتمى اليها لديها أولويات للأفكار التى تهددها ، لم يكن التهديد السوفييتى فى مقدمتها . بالاضافة الى ذلك فان المرحلة التاريخية التى ظهر فيها الحكم الجديد فى مصر جعلت منها جزءا من تيار تاريخى يضم مجموعة عريضة من الدول التى استقلت حديثا وقدرت أنه ليس لها دور أو مصلحة فى الصراع بين الكتلتين ، فاختارت طريق الحياد وعدم الانحياز وكان تجمعها فى باندونج فى ابريل عام ١٩٥٥ رمزا على ذلك . اما السياسة الامريكية وقتئذ فقد دمغت هذا التيار باللاخلاقية بل وحثت رجال الثورة على الا يرتبطوا به .

تصاعد التيار القومى

هذه الاختيارات الاساسية للحكم الثورى فى مصر من رفض للأحلاف والمنظمات العسكرية ، وتاكيده لانتمائه العربى ، وارتباطه بتجمع دول العالم الثالث الناهضة ، وماصاحب هذا من مواقف مثل الاعتراف بجمهورية اليمن الشعبية التى كانت وقتئذ جزءا من

التحالف السوفييتى ، وتعاديها الولايات المتحدة وتعمل على استبعادها عن المجتمع الدولى . هذه الاختيارات لم يتفهمها صناع السياسة الأمريكية على انها نتاج موضوعى بخصائص محددة للتطور فى مصر وفى ظل ثورة وطنية ، وظروف اقليمية يتصاعد فيها تيار قومى ، وسياق تاريخى يضم نطاقا عريضا من الدول ذات التجارب المشتركة على السيطرة الأجنبية ، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتشابهة ، ولكنهم رأوها فقط على انها تتصادم مع الأهداف الأمريكية فى مسرح الحرب البادرة التى تباشرها الولايات المتحدة على نطاق عالمى . وكانت هذه النظرة بالتحديد وراء الموقف السلبى من الاحتياجات الحيوية للحكم فى مصر : الأسلحة اللازمة لبناء القدرة الدفاعية بالجيش المصرى ، ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتى اعتبر مشروع السد العالى أحد مفاتيحها الرئيسية .

ويستخلص الكتاب أنه كان منطقيا إزاء الضغوط الداخلية ، والواقع الاقليمى ، وازاء فشل جهود رجال الحكم الجديد فى توفير هذه المتطلبات من الولايات المتحدة والغرب ، ان يتجهوا الى توفيره من مصادر اخرى لم تكن هى اختياراتهم الأولى . ومن هنا كانت صفقة الأسلحة السوفييتية التى احدثت هزة فى الولايات المتحدة والغرب ، واعتبرت اخطر تطور فى الحرب البادرة منذ الحرب الكورية ، وفتحا بجبهة جديدة لها فى الشرق الأوسط . كما أدى هذا التطور الى مضاعفات أخطر حيث سحبت الولايات المتحدة عرضها لتمويل مشروع السد العالى ، وردت مصر بممارسة حقها الشرعى والطبيعى فى تأميم الشركة العالمية لقناة السويس وهو الحدث الذى فتح فصلاً جديدا فى تاريخ مصر ، وتاريخ منطقتها ، بل وفى أوضاع ومركز قوى عالمية جديدة وقديمة .

دروس التاريخ

يقرأ التاريخ لا من أجل ذاته ، أو لمجرد المتعة الذهنية ، وانما كأداة لفهم الحاضر ، وانارة المستقبل والحقبة التى يستعرضها الكتاب فى العلاقات المصرية الأمريكية بل وفى تاريخ منطقة الشرق الأوسط ، مليئة بالدروس وخاصة بالنسبة للسياسة الامريكية . وابلغ دروسها ان كل التوترات التى تلت هذه الفترة فى علاقات البلدين ، وانعكست على أوضاع المنطقة بمزيد من الحروب واستمرار التوتر ، وزادت من تعقيد العلاقات الدولية ، كانت نتيجة تجاهل السياسة الأمريكية للظروف الذاتية لمصر ومنطقتها فى هذه الفترة والتى كان يعمل فيها نظام ثورة يوليو بل والذى جاء تعبيرا عنها . وبدلا من تفهم هذه الظروف وتشجيع الاتجاه الوطنى المستقل البناء ، اخضعتها السياسة الامريكية لاعتبارات الحرب الباردة وفروضها والتى لم تكن تمثل بوضوح اولويات الشعب المصرى او شعوب المنطقة .

شهريات

رأى فى الثقافة

ضرورة أن نعرف

فى البحرين حركة ثقافية حية منذ أواخر السبعينيات ، وفى العراق كانت الحركة الشعرية دائما فى الطليعة ، وهناك الآن فى الخليج واليمن والأردن والسعودية عدد كبير من المبدعين الشبان الذين يساهمون بأعمال تستحق المعرفة .. وفى المغرب الآن أكثر الحركات الثقافية حيوية وأشدها أهمية ، لكننا هنا فى مصر لانكاد نعرف عنها شيئا .

عدد محدود حتى من مثقفينا يعرف جيدا عبد الله العروى ، والطاهر بن جلون ومحمد عابد الجابرى ومحمد براده ومحمد بنيس وغيرهم من المبدعين الأكثر شبابا من هذا الجيل .

وحتى تعرف حيوية هذه الحياة الثقافية فى المغرب ، وأهميتها عليك أن تطالع المجلات المغربية التى يتزايد عددها يوما عن الآخر : بيت الحكمة ، دراسات سينمائية ، دراسات أدبية ولسانية ، آفاق ، الثقافة الجديدة ، عيون المقالات ، الجدل ، بين المدرسين ، الدراسات النفسية والتربوية ، ومجلة دار النيابة ، كل هذه مجلات ، المدهش أو المفرح أنها تنفد فى أسواق المغرب بمجرد صدورها ، والعدد المطبوع منها لايقل عن ثلاثة أو أربعة أضعاف مايطبع من مجلاتنا الثقافية ، بل إن بعضها يعاد طبعه ، وهذا غريب بالنسبة لمجلة ، نكاد لانرى له مثيلا سوى فى المغرب .

فى المغرب يطبعون من أقل الكتب توزيعا فى العادة (مجموعات القصص والشعر) ضعف المعدل الذى تطبعه دور النشر المصرية أو اللبنانية ، والفترة التى تنفد فيها الطبعة لأكثر الكتب كسلا ، لاتزيد بحال على ستة أشهر ، لذا فإن شبان المبدعين أصبح من الممكن لهم الاعتماد على دخل كتبهم لتساعدهم كثيرا فى حياتهم ، أما المخضرمون فحالهم أفضل كثيرا من أشهر كتابنا .

الناشرون اللبنانيون ، كالعادة ، انتبهوا لسوق المغرب فاقتحموها ، أما نحن فلا نظن أحدا منا قد فكر فى المغرب لا كسوق لمطبوعاتنا وكتبنا ، ولاكحركة ثقافية لابد لنا أن نعرف ماجديدها ، وإلا فإننا سنجد أنفسنا بعيدين حتى عن بلاد عزيزة علينا كنا نحن الذين نمدها بالثقافة فترة طويلة مضت .. من زمان .

عبده جبير

لقاءات ثقافية

نـدوات معـرض الكتاب

● الحضور الذى شهدته مجموعة الندوات المفتوحة التى تخللت معرض الكتاب هذا العام دليل قاطع على تعطش الناس للحوار، ورغبتهم فى لقاء شعرائهم وكتابهم ومفكريهم .

● كان العدد يتزايد أحيانا وينقص أخرى ، ليس فقط من ندوة لأخرى ، بل أيضا من متكلم لآخر وهنا لابد من قول حقيقة أن الناس تزايدوا بشكل لافت فى لقاءات ثلاثة مع محمود درويش وأحمد عبد المعطى حجازى ، ونزار قبانى ، كما كان جمهور الأخير مميزا من الشباب الأكثر رفاهية عن جمهور درويش وحجازى الذى كان من بين المثقفين الأكثر قربا من الشعر الجاد .

● كما كانت ندوة الدكتور زكى نجيب محمود تضج بحشد متعطش للجراة التى تحلى بها مفكرنا عندما يتعرض للقضايا العامة ، فقدم تصوره عن الصورة الصحيحة التى ينبغى أن تكون عليها حياتنا الثقافية حين تصح وتجيد وقد كانت ثقافتنا هكذا فى عصر من العصور - والكلام له - بعكس ماهى عليه الآن ، وأكثر على بديهية أن مجال العقل ومجال الوجدان يلتقيان فى بوتقة الإنسان وطالب بأن تتقدم حياتنا الثقافية فى إتجاه مزدوج يعتمد على العلم والأدب ، لا على واحد منهما فقط



الشاعر نزار قبانى يلقى قصيدته

وبكلماته الهادئة الناعمة خاطب يحيى حقى جمهوره فلقى تجاوبا من الجمهور الذى اثار مناقشات جادة معه حول العامية والفصحى ، وحول قضايا الثقافة عامة .

وكان اللقاء يفيض عذوبة ودفئا تعودناه من أديبنا الكبير فى كل لقاءاتنا معه .

● وإذا كان لابد لنا من أن نقول إن الندوة الجماعية التى حضرها كل من الدكاترة أحمد هيكل ولويس عوض وعبد الحميد يونس وعبد القادر القط وعلى الراعى وشكرى عياد بما أثارته من قضايا حول مستقبل الأدب فى مصر كانت تحتاج إلى أسبوع كامل لوحدها . فإننا لابد من أن نلحظ ، وهؤلاء أساتذة أجلاء بلاشك ، أن ممثلا واحدا للأجيال الجديدة من الكتاب لم يكن موجودا فى ندوة عن مستقبل الأدب فى مصر الأمر الذى هو من الصعوبة بمكان الحديث عنه . كما عبر بحق الدكتور شكرى عياد فى عبارة سريعة تقترب من هذا المعنى . لقد سئل هيمنجواى يوما عن رأيه فى مستقبل الأدب فقال إنه لايعرف فى الحقيقة أكثر مما يود أن يكتبه فى اليوم التالى .

● وتبقى ندوة أدب الفكاهة فى مصر فى

شهريات

قائمة الندوات الأكثر حيوية ، اضفى عليها محمود السعدنى بخفة ظله وعاميته جوا خاصا ، كما كان عمق التحليل الاجتماعى والتاريخى الذى قدمه فيليب جلاب إضافة حقيقية للمستمعين ، فضلا عما أسهم به مامون الشناوى واحمد بهجت ومصطفى حسين من آراء وذكريات جعلت هذه الندوة فريدة وشائقة .

● كما كانت لمحة ذكية منصفة من القائمين على أمر تنظيم المهرجان ان خصصوا أمسية خاصة لشعر العامية المصرية الذى كان دائما مضطهدا خاصة من قبل الأجهزة الثقافية الرسمية . ولعل تجاوب الناس مع شعراء العامية وعلى رأسهم عبد الرحمن الأبنودى وسيد حجاب دليل قوى على أن لهذا الشعر جمهوره وانه فرض نفسه واصبح له مكان لايستطيع أحد نكرانه .

● أما يوسف إدريس فكان كعادته فياض بالمشاعر ، قادرا على أن يشد الناس لقضايا قد تبدو عادية ، لكنها فى منتهى الأهمية وهو قد امتلك ناصية اللغة مع الجمهور العريض الذى أصغى له بشغف .

● لقد كان حضور الدكتور أحمد هيكل اليومى للندوات دليلا على إصراره على دفع الملتقى إلى النجاح ودليل على تجاوبه مع رد الفعل الايجابى الذى ابداه الحضور ، كل مانود أن نقوله أن الاقتراح الذى صرح به عقب المعرض بإقامة ندوة أسبوعية مفتوحة فى هيئة الكتاب ، موضوع لابد من دراسته ، فقد يتجاوب الناس مع مهرجان كبير من هذا النوع ، أما الندوة الاسبوعية فهى أمر آخر وقد يكون من الافضل لو تم الامر فى موسم ثقافى له طابع المهرجان وليكن شهراً او اكثر فى العام .. وعلى اية حال تبقى المحاولة مشروعة لكن لابد من درسها بشكل متقن .

● ولايستطيع عارض هذه الندوات من ناحيته إلا أن يعتذر للذين لم يتمكنوا من حضور جلساته . فقد كان الجهد بين أروقة معرض الكتاب وماتمكن من حضوره من ندوات فوق طاقته فمعذرة .

سينما

مهرجان أسوان الأكاديمى للأفلام القصيرة

اقامت اكاديمية الفنون فى الفترة بين ٢٦ يناير والأول من فبراير الماضى الاسبوع الاكاديمى لافلام متخرجى المعهد العالى للسينما بمدينة أسوان ، وقد تنافست افلام عديدة لأجيال مختلفة ، ومستويات مختلفة ، وشملت قائمة العروض ، لعدم كفاية الأدلة لأشرف فهمى ، عصر الذئاب لسمير سيف ، دقة زار لأحمد ياسين ، موعد مع القدر لمحمد راضى ، إمرأتان ورجل لعبد اللطيف زكى ، الطوق والأسورة لخيرى بشارة ، الجوع لعلى بدرخان ، قبل الوداع لحسين الوكيل ، الوحل لعلى عبد الخالق ، العصابة لهشام أبو النصر ، حارة الجوهرى لمدحت السباعى ، دموع الشيطان لعادل الأعصر ، التراب الأحمر لعبد الحميد الشاذلى ، الأقزام قادمون وهو العمل الأول لمخرجه شريف عرفه . وقد استحق عليه جائزة شادى عبد السلام للفيلم الروائى الأول .

كما عرضت أفلام تسجيلية من إنتاج المركز القومى وإن لم ينل أحدها جائزة العمل

الأول . ونال مدحت قاسم جائزة الإخراج عن فيلمه العفاريت .

أما أفلام الرسوم المتحركة فقد حجبت جوائزها بحجة انها مشروعات تخرج تخضع لتحكيم آخر .. وفى بانوراما الافلام المتميزة عرضت الأفلام التالية البداية لصلاح ابو سيف ، اليوم السادس ليوسف شاهين ، سكة سفر لبشير الديك ، آه يابلد لحسين كمال ، جذور فى الهواء ليحيى العلمى ، القطار لأحمد فؤاد ، عودة مواطن لمحمد خان .

وخلال المهرجان أقيمت ثلاث ندوات اعلن عنها مسبقا تحت عناوين الحلم والواقع فى السينما المصرية ، المشاهدون والتذوق السينمائى ، الكوميديا فى السينما المصرية ، كما اقيمت ندوة رابعة ناقش فيها السينمائيون الوضع الحالى المتأزم فى صناعة السينما .

الندوة الأولى التى أدارها توفيق صالح افتقدت الوضوح الكافى حول المفاهيم ، وكان الافضل أن تتم على هيئة مائدة مستديرة تضم أساتذة معهد السينما والنقاد والمخرجين وكتاب السيناريو ، واثيرت فيها افكار حول الحلم الفردى والحلم الجماعى ، والسينما وصناعة الوهم والحلم الجميل ، والصدام بين الواقع وطموحات الانسان حتى المتواضع منها ، ثم يتحدث صلاح ابو سيف عن تجربته فى فيلم "البداية" ومختار عبد الجواد فى تجربة ديكور "قاهر الزمن" ومحمد فاضل عن تجربته فى "حب فى الزنزانة" وعن فيلم رامبو يتحدث السيناريست أحمد عبد الوهاب فيما يتعلق بأحلام الجمهور نحو تحقيق القوة .

وناقشت ندوة المشاهد والمتذوق السينمائى التى قادها الدكتور فاروق الرشيدى أسباب هبوط الفيلم المصرى ، ولماذا اصبح الجمهور يقبل على الفيلم الهابط ويترك الفيلم الجيد .. ويتدخل أحد المستمعين قائلا إنه لم يعد يستطيع أن يصحب أسرته إلى فيلم لايخدش الحياء ، ويشكو مواطن أسوانى من أن فيلم الطوق والأسورة لم يبق فى أسوان سوى ثلاثة أيام ، وأنه بمجرد أن سمع به وذهب ليراه وجده قد رفع . وفى نهاية الندوة وزع على الحاضرين إستمارة استطلاع لمعرفة مايريدونه من افلام وهل يفضل رؤيتها فى التليفزيون أو الفيديو او دور العرض . وستتم دراسة نتائج الاستطلاع ونشرها فى القريب

ولعل ندوة الكوميديا فى السينما التى أدارتها درية شرف الدين كانت اقرب إلى الجمهور ، وحفلت بمناقشات طيبة حول أهمية الكوميديا الاجتماعية وبدت معارضة الجميع للاتجاه الذى يدفع الكوميديا لأن تكون ضحكا ساذجا وتهريجا سخيفا ، وقال سامى السلامونى إن الضحك كظاهرة مصرية قد اختفى نتيجة للاكتئاب القومى ، وإنتقد مواطنو أسوان تلك الأعمال التى تسخر من شخصية الصعيدى ، كما قال فوزى فهمى نائب رئيس الاكاديمية إن أهم عيوب الكتابة الكوميدية هو التنميط الذى يقدم كل الفلاحين كأغبياء وكل العساكر مرتشين .

أما الندوة الداخلية فقد ناقشت مشاكل الانتاج والتوزيع والفيديو ودور العرض والأجهزة وانتهت باقتراحات لحماية الفيلم والبحث عن مصادر تمويل ، وكل هذه الاقتراحات كانت قد طرحت من قبل .. ونرجو أن يطبق ولو جزء منها بعد هذه الندوة

وكانت الندوات الصحفية لمناقشة الأفلام المعروضة على مستوى طيب كما أن نشرة دراسات سينمائية أضافت إيجابية على المهرجان ونرجو أن يتحقق حلم المهرجان الدولى لأفلام متخرجى معهد السينما الذى أعلن عنه حسين فهمى . كما نرجو أن يتحقق مشروع إنشاء معهد للسينما فى أسوان .

فوزى سليمان

ش
شهريات

مسرح

"رجل في القلعة" وآخرون خارجها !

يثير عرض مسرحية « رجل فى القلعة » التى قدمها المسرح القومى فى نهاية موسمه الشتوى العديد من الأسئلة والقضايا ، فمؤلفها (ابو العلا السلامونى) واحد من ابرز كتاب هذا الجيل ، ومخرجها (سعد اردش) من ابرز مخرجى المسرح فى مصر ، وتقديم اى عمل يجمعهما معا بعد عرضهما الناجح « ماذون المحروسة » الذى قدماه فى ساحة وكالة الغورى عام ١٩٨٣ يدعونا إلى التريث فى الحكم على هذا العرض الجديد

ويختلف رجال المسرح حول قضية المسرح التراثى ـ إذا صحت هذه التسمية ـ واهميته وضرورته ، إذ يرى بعضهم أن اصحاب هذا المسرح يخشون الصدام مع الواقع فيلجاون إلى التراث مؤثرين التلفع بعباءات الماضى خوفا من مواجهة قضايا حيوية وتحصنا من مشكلات رقابية ، ويرى آخرون ان القضية اكبر واعمق من هذا لان دور الكاتب هنا يختلف وتزداد همومه العامة من جراء الاستعانة بمادة تراثية ، إذ يرون انهم يحققون ويؤصلون بها الوجود والماهية بعد ان تردى الواقع وتفاقمت مشكلاته ، فاصبح المطلب الملح والضرورى فى نظرهم هو تاكيد الهوية القومية من خلال موقفهم النقدى تجاه هذا التراث الذى يتعاملون معه ..

ايا كان الأمر فالذى يعنى الناس من كل هذا ان يكون التراث المستلهم من اجل التبصير بالحاضر لا الهروب إلى الماضى والكاتب إن لم تؤرق فكره وتثقل وجدانه مشكلات واقعة فإن عمله لايمكن أن يطلق عليه مسرحا لان المسرح الحقيقى هو الذى يهتم بانسان الحاضر فلا يغيب به بعيدا دون تشوق إلى رؤية مستقبل افضل وغد اجمل ..

اما مسرحية « رجل فى القلعة » فان مؤلفها يطرح سؤالاً هاما يمكن أن تكون له دلالات متعددة فهو يسال فى نشرة العرض (لماذا احتفظ الانجليز بنتائج ثورتهم وتجربتها الديمقراطية والتزموا بها إلى وقتنا هذا بينما نحن لم نلتزم بتجربتنا رغم عبقريتها سوى بضع سنوات ..) وهو يعنى بتجربتنا هنا تلك الفترة الهامة من تاريخ الشعب المصرى فى القرن التاسع عشر ، حين نصب وكلاء الأمة عن طريق مجلسهم (دار المحكمة الكبرى) القائد الالبانى محمد على واليا على مصر ، والسلامونى إذ يقف عند هذه الفترة يتجاوزها خلال رحلة بحثه الفنية عن اجابة شافية فيعيد صياغة أحداثها فى قالب كلاسيكى يلتزم بالحوار الشعرى رغم البناء المتداخل والمتعدد المشاهد ..

تبدا المسرحية بمحمد على فى نهاية ايامه منكسرا يهذى عن أمجاده القديمة وأحلامه التى ضاعت والطموحات التى آلت إلى اوهام وترهات وطيف عمر مكرم يلاحقه باقواله التى اراد أن يحقق بها مثالية الحكم ، وخذله محمد على الذى حقق ما لم يحققه غيره ، فغرته الانتصارات وزادت من اطماعه ، ولكن اوربا تتحالف مع السلطان العثمانى ضد محمد على فيرتد منهزما وهو

يشعر بخطئه . ويحاول اتباعه إخراجه من هذه الحالة التى وصل إليها وبدلاً من إقامة حفلة زار ارادتها زوجته لكى تخلصه من الأرواح الشريرة يعيدون تجسيد المراحل المتوالية ـ كطريقة الطب النفسى فى العلاج ـ منذ ان نصبه عمر مكرم (مندوبا عن المحكمة الكبرى) واليا على مصر بعد عزل الوالى العثمانى الظالم خورشيد باشا ..

هكذا تتم اللعبة المسرحية . يتنامى الصراع ويحتدم بين بطلين تراجيديين . يحمل كل منهما بذرة سقوطه . محمد على الذى زينت له زوجته طريق الترقى إلى قمة السلطة فانساق سعياً وراءها بعد أن داس على شروط تنصيبه فتصرف بمعزل عن (المحكمة الكبرى) ثم استمال شيوخها لكى يسقط فى النهاية أسير صعوده (ابواب العالم صارت موصدة فى وجهى .. والجوع الراقد فى صدرى ينهشنى بلا رحمة ... ما قيمة أن اصنع تلك الأمجاد وقلبى ينزف حتى الموت) اما عمر مكرم فقد رفض المنصب من اجل الشعب . وظل على مثاليته المؤمنة بالمطلقات العليا التى يستحيل تحقيقها كاملة (أن يبقى الانسان وحيدا دون رفاق يعنى إما أن يصبح ملكا او شيطاناً ... من يضمن لى أن أصبح ملكاً) فيرفض مواجهة محمد على فى (المحكمة الكبرى) بعد أن دخل بالعدل وبالشروط وينفيه محمد على فيموت وهو أسير هذه النظرة الاحادية ويتسائل محمد على فى نهاية تلخص مغزى المسرحية (او لم ياخذ منى السيد مكرم عهداً أن يجعلنى الوالى بشروط الشعب وان يلزمنى بوثيقة شرع المحكمة الكبرى .. فلماذا لم يلزمنى بالتنفيذ) ويضيف العرض بعض التساؤلات على لسان محمد على فيدين (!!) كل الذين لايقفون فى وجه اى حاكم يبطش بالرعية واى شعب لايصد الفرعون عن جبروته ..

وهذه الأقوال المباشرة تأتى وفقاً للأسلوب الذى انتهجه سعد أردش فى إخراجه للمسرحية . التى كان يلزمها أن تعالج من خلال رؤية فنية لاتغفل مايمكن أن نسميه بروح العصر . فقد تعمد المخرج فى البداية أن يلغى اللعبة رغم استهلال العرض بها فى مقدمة طويلة . ونجده قد أعاد محمد على العجوز إلى شبابه . فيحول اللعبة تلقائياً إلى ارتداد حقيقى إلى الماضى . ويشطب دور الجوقة التى تروى بدايات الأحداث ويكتفى بعبارات يرددها بنفسه من وراء الستار مع رجع صدى لصوته الرخيم المتهدج . ويرسم حركة ممثليه دون عناية ويكتفى بأن يضع الممثل فى مواجهة مباشرة مع الجمهور عند المنطقة المتقدمة من خشبة المسرح . مما أثر على اداء معظم الممثلين . فاغرق نبيل الحلفاوى ـ وهو ممثل جاد ـ فى الوعظ والاداء المباشر واضاع ادوارا هامة بين مواهب محدودة وتوزيعات ملفقة . ونجحت سميرة عبد العزيز التى ادت دورا صغيرا برقة ورسوخ ودفع المخرج ببطله يوسف شعبان إلى المقدمة دون ضرورة ليواجه الجمهور ـ هكذا ـ فيكاد يودى بالدور لولا موهبته ومقدرته . وبرز رغم ذلك منهم رشدى المهدى . مدحت مرسى . سلوى محمود وفريدة مرسى كالعهد بهم دائما

محمد الشربينى

مجلات

٣ مجلات ثقافية جديدة فى مصر

علاوة على مجلة علم النفس التى صدرت فى الشهر الماضى عن هيئة الكتاب صدر عن هيئة الكتاب ايضا مجلتان جديدتان . احداهما

شهريات

عن المسرح والثانية عن الفنون الشعبية .. ويمكن القول انهما اصدار جديد لمجلتين كانتا تصدران من قبل عن الهيئة ، وبذلك تكتمل اصدارات الهيئة من المجلات سبعا ، فصول وابداع والقاهرة وعالم الكتاب وهذه الثلاث .

بالاضافة الى ذلك اصدرت اكاديمية الفنون مجلة الفن المعاصر وهي مجلة فنية متخصصة .

يرأس تحرير مجلة المسرح الجديدة الدكتور محمد عناني وفيها قسم للدراسات بأقلام فردوس عبد الحميد ومحمد السلاموني ونهاد صليحة واحمد زكي واحمد عطية ، ومدحت الجعار وامير سلامة وانتصار عبد الفتاح ونبيل راغب وجمال عبد المقصود . ثم قسم لنقد العروض التي جرت خلال الشهور الثلاثة قبل واثناء صدور المجلة ، ثم متابعتين لمهرجان دمشق والمسرح خارج الحدود ، بالاضافة الى ثلاث مسرحيات مترجمة هي بعيدا عن هاجو لدنيز لفنزل ترجمة سامية اسعد ، والتعرى قطعة قطعة لميروجيك ترجمة ابراهيم حمادة وكاسكاندو لصامويل بكيت ترجمة ماهر فريد ، ثم قسم للحوارات حوار من طرف واحد لسمير العصفوري واخر لفوزي فهمي وبورتيريه للممثلة عايدة عبد العزيز ثم وثيقة بعنوان اللهم فاشهد كتبها عبد الغفار عودة .

اما مجلة الفنون الشعبية فيرأس تحريرها الدكتور احمد مرسي وبصمات عبد الحميد يونس مستشار التحرير لاتزال مؤثرة في الصياغة النهائية للهموم التي تعكسها ، وفي هذا العدد مقدمة للدكتور سمير سرحان رئيس مجلس الادارة الذي صدرت المجلة وسابقتها في ظله ، وقد اراد ان يربط بين صدور العدد في يناير ٨٧ بالعدد الاول الذي صدر منها في اصدراها الاول قبل توقفها في ٦٥ هو حنين الى الستينيات فترة الازدهار الثقافي الأولى ، بالاضافة لذلك أصدرت أكاديمية الفنون مجلة الفن المعاصر ، وهي مجلة فصلية فنية متخصصة ، ويرأس تحريرها الدكتور عز الدين اسماعيل الذي يبدو وأنه ما أن يضع قدمه في مكان حتى أصدر فن مجلة ، وأول مالاحظه هو الاخراج الفني الجميل الذي صاغته يدا الفنان القدير سعد عبد الوهاب الذي أخرج ايضا مجلة المسرح .

فنون تشكيلية

سيد البيباني
في خاطره القديم والطفل



سيد البيباني .. فنان يخاطب ماضيه .. فرشاته تتلمس بشكل دائم عبر التاريخ العتيق .. المساجد .. الابنية .. الحواري الضيقة والبوابات القديمة .. باب زويلة ، باب النصر ، ثم وكالة الغوري والسافرخانة .. كلها اسماء تحمل عبق التاريخ وتحمل بصمة القاهرة .

مشى هذا الفنان على درب كثير من الفنانين الذين سبقوه فى رسم القاهرة القديمة والتأثر بها • وقد ذكرتنى لوحات الفنان سيد البيانى ؛ بالرسامين الاجانب الذين تفرحهم هذه الاماكن الاثرية بجمالها .. فلا يلبثون ان يتمسكوا بالفرشاة ويعبروا رغما عنهم .

وقد جرت العادة ان ترى هذه الابنية الاثرية على « كارت بوستال » ولوحة هذا الفنان هي « الكارت بوستال » او « هذه الطبعة » التى يمكن ان تمثلنا سياحيا .

ان احساس هذا الفنان يتضمن كثيرا من البراءة والمباشرة ؛ فهو لا يتقعر فى الفن ؛ بل يقدم مايرى ويتأثر به فى اخلاص ومودة يدركها المشاهد .

وقد تكون الرسالة التى حملها سيد البيانى على عاتقه رسالة توضح ميوله واحساسه الفنى بلا ضجة اعلامية ولا عصبية الانا العالية لدى كثير من الفنانين .

فهو منذ تخرجه فى كلية الفنون الجميلة ؛ وهو يعمل على اعادة رسم مجموعة كتب « كامل الكيلانى » هذه الكتب التى عاشت فى وجدان طفل الاربعينيات والخمسينيات . والبيانى يعيد احياءها حتى تواكب جيل الثمانينيات والتسعينيات ؛ وهكذا يضىء شمعة على درب الفن التربوى .

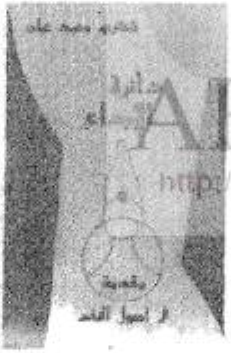
وقد قدم اخيرا معرضه الثالث فى اتليه القاهرة وعرض فيه ٦٨ لوحة زيتية .

نجوى صالح

مكتبة الهلال

الكتاب : دائرة الابداع
تاليف : د . شكرى عياد
الناشر : دار الياس العصرية
١٧٦ ص ، ٣ ج م

بقدرة العالم الجليل يخط الدكتور شكرى عياد هذه المقدمة النظرية لثلاثية بشرنا بها ، ولابد انها ستسد نقصا فى مكتبتنا العربية بالنسبة لما كتب عن منهج الدرس الادبى ، فى محاولة لصياغة عربية جديدة ، تستفيد من تلك التى سبقتها فى كتابات النقاد العرب والاجانب .



فمنذ كتاب امين الخولى فى الادب المصرى الذى يصفه الدكتور عياد بانه كتاب فى المنهج والمحاولات تترى فى سبيل صيغة لمنهج عربى جديد فى الدرس الادبى ، فكانت محاولة طه حسين فى مقدمته كتابه فى الادب الجاهلى حديثا عن المناهج العلمية فى دراسة الادب (سنت بيف وتين وبرنتتير) وانحاز الى صيغة ان النقد ادب وصفى ولكنه ترك العلاقة بين النقد وتاريخ الادب .. ثم جاءت محاولات اخرى منقولة ايضا فى منهج البحث فى تاريخ الادب الذى ترجمه مندور عن لانسون وكتاب لانسون عن مدارس النقد الحديثة الذى ترجمه احسان عباس ومحمد يوسف نجم ، ثم

محاولات اخرى وصولا الى البنيوية ومابعدها ممن يصفهم كاتبنا مدارس النقد الجديد .. ومن عناوين العقول والخطة التى استقر عليها كاتبنا يتضح ان هذا الكتاب هو المدخل الاول لثلاثية لعلها علامة فى مجال ارساء منهج فى النقد العربى الحديث .



الكتاب : اليهود والماسون فى مصر
تاليف : د . على شلش
الناشر : كتاب الزهراء
٣٤٤ ص ، ٣ ج م

يقدم هذا الكتاب عرضا تاريخيا لموضوعين ، وان كان المؤلف يربط بينهما فى سياق تحليله العام ، احدهما يتناول التجربة اليهودية فى مصر الحديثة . والآخر يتناول التجمعات الماسونية فى مصر الحديثة ايضا : اى ابتداء من الحملة الفرنسية .

والنتيجة التى يخرج بها المؤلف ان اليهود لم يكونوا مضطهدين فى مصر كما يشيع البعض بل انهم ازدهروا فى ذلك التاريخ وحتى سنة ١٩٤٨ على نحو لم يحدث الا فى المانيا قبل هتلر والولايات المتحدة منذ تاسيسها وحتى الان .

كان موقف الدولة متسامحا معهم ، عاملهم كمواطنين ، احتل بعضهم اعلى المناصب وكان موقف الشعب متسامحا معهم حتى ان نشاطهم انتشر بشكل استغله الصهاينة فى الدعاية لهجرة اليهود الى فلسطين .

اما الموضوع الثانى فى الكتاب فيتناول تجربة الماسونية فى مصر ، التى بدأت مع بداية الغزو الاوربى لمصر الحديثة ، ويكشف ان الاوربيين هم الذين جاءوا بالماسونية الى مصر .

وفى هذا الجزء معلومات جديدة على القارىء المعاصر إذ شملت المحافل قوائم طويلة من الكتاب والمفكرين والفنانين والقادة ، ووقائع كثيرة لعل اهمها واقعة البيان الذى صدر عن طريق احمد زكى باشا مدير دار الكتب (شيخ العروبة فيما بعد) باسم رئاسة الماسونية فى مصر ومحفلها الوطنى الاكبر ، مؤيدا لاقامة دولة اسرائيل فى فلسطين مقابل الف جنيه .

وإذا كان البعض قد انتسب الى المحافل الماسونية بحسن نية ، او دون معرفة بمراميها فان المرء لابد ان يقف طويلا عند اسم وزير الداخلية ان ذاك ١٩٥٠ فؤاد سراج الدين باشا سكرتير حزب الوفد الذى قبل قيادة المحفل الماسونى ليكون استاذا اعظم للمحفل الاكبر الوطنى المصرى .

فؤاد سراج الدين



الكتاب : حسن فؤاد نهر الفن والحياة
إعداد واخراج : محيى اللباد
الناشر : روزاليوسف
١٩٢ ص ، ٥ ج م

هذا كتاب فريد من نوعه ، فيه الوفاء لرائد من روادنا



الكبار ، يعترف كاتبوه بانه استاذ لجيل منهم ، فنانين وصحفيين عمل في الحياة الثقافية والصحفية المصرية عمله حتى انطلق الجامد ، هو الفنان الكبير الراحل حسن فؤاد .

والصانع الماهر للكتاب الفنان محيي اللباد هو الذي يقف وراء هذا العمل الفذ بقدرته الفائقة ، مؤكدا على حقائق سبق ان وضع بذورها الاولى ، موضوع الكتاب حسن فؤاد .

ويكتب صلاح حافظ لايكاد يوجد ركن في الضمير المصري المعاصر لم يشارك في صياغته هذا الرجل .. فكل اداة تشكل الرأى العام ، والذوق العام ، كان له دور في تطويرها ، وتوجيهها ، وتربية الذين يستخدمونها وهو قد بدأ حياته فنانا تشكيليا يخاطب الناس بالريشة والالوان لكنه لم يلبث ان اقتحم عالم الصحافة ، والقلم والسينما والاذاعة وانجب في كل من هذه العوالم زحاما من التلاميذ .. ومعظم هؤلاء التلاميذ هم الذين يقودون الآن عقل الامة المصرية او على الاقل يشاركون في قيادته ..

ويكتب محيي اللباد : مبكرا اختار الفنان القاهري الشاب الذي درس الفن الاكاديمي على الطريقة الغربية ، وابن طبقة موظفي الحكومة المتطلعة ، واختار الا يجعل مرجعه - في مشروعه الفني - اوربا ولا امريكا ، ولا الرسوم والكتب والمطبوعات الاجنبية بل اكتشف وطنه وواقعه اليومي ووجدانه الشخصي ، وجعل من كل ذلك مرجعه الاساسي .. ودهشنا لعناوين على اغلفة الكتب وصفحات المجلات ، وقد خطت بطريقة الكتابة التي اعتدناها على صناديق الشحن وعلى حيطان الحواري في الشعارات السياسية وتخطيطات الاطفال والمتسكعين . وعلى ظهور كراسي المقاهي الشعبية وعلى اختام الفلاحين .. وافرحتنا في الكتب والمجلات مساحات ونقوش بالوان لم نتعودها مطبوعة من قبل : الوان الطلاء الجيري التي بهتت بتاثير شمس مصر ، والوان حلوى الفقراء ، وزهرة الغسيل ، والكمون ، والطوب الاحمر ، واصباغ عربات الكارو ، والفول والكشري ومراجيح المولد ، وصناديق العرائس الريفيات .

وهذا العمل الاحتفالي الجميل يضم ايضا مختارات من اعمال حسن فؤاد الفنية سواء لوحاته او رسوماته في صباح الخير منذ اول عدد اصدره مع احمد بهاء الدين وصلاح جاهين بالاضافة الى رسومه لاغلفة الكتب ، كما يضم اغلب ماكتبه عنه اصدقاؤه وزملاؤه وتلاميذه بعد رحيله .. لذا فانه يعد عملا وثائقياً نادراً في مكتبتنا العربية .

الكتاب : احمد عرابي قصة ثورة

تأليف : محمد عودة

الناشر : المكتبة الاكاديمية ١٥٩ ص ..

بانه ليس كتابا في التاريخ بقدر ماهو سرد لوقائع قصة الثورة العرابية كتبها محمد عودة بحماسه المعروف عنه خاصة عندما يكون الموضوع ثورة عرابي . هو هنا يتابع الحدث منذ



اليوم الاول ٩ سبتمبر ١٨٨١ حيث بدأت فرق الجيش المصرى تتوافد منذ الصباح على ميدان عابدين وعلى راسها الميرالاى احمد عرابى الذى تقدم بطلبات الامة التى كانت قد التفت حوله هو ورفاقه، ويجد فى البداية معارضة القصر والخديو والمندوب السامى البريطانى لكنهم يخضعون جميعا لمطالبه، التى هى مطالب الشعب، ثم يسرد وقائع ماجرى بعد ذلك من قيام الحزب الوطنى الاول من جهة، والخيانات الوطنية التى ادت بالثورة الى الهزيمة، والى عرابى بالنفى مع رفاقه.

انها قصة يستعيد بها محمد عودة ذاكرة الحقيقة من بين ركام الاكاذيب التى ارادت ان تصور الشعب المصرى بلا تاريخ، كما ارادت ان تردم التراب على الثورة العرابية التى كانت كما يقول اشد احداث القرن الماضى اثارة واستفزازا لاوربا الاستعمارية ولبريطانيا خاصة.

الكتاب : الضحك لم يعد ممكنا
تاليف : يوسف القعيد
الناشر : الهيئة العامة
٨٨ ص، ٥٠ ق م

هذه مجموعة جديدة للقاص والروائى يوسف القعيد، بها تكتمل حصيلة انتاجه ستة عشر كتابا، وهى السادسة فى قائمة مجموعاته القصصية، وفيها تتجلى خصائص رؤيته وكتابته انها تكوين فورى من الاحساس بالحقيقة التى تبدو كانها تدث الان، وشعور بالايحاء الفانتازى الذى يبدو مستحيلا او استثناء.

الحدث فيها يروى رواية تسجيلية كانه فعل واقع،



ولكنها ايضا تنحو الى الاستبطان الخيالى وفى التو لاتبدو هناك حدود بين الشعورين .. فالواقع وما وراءه كلاهما ممكن ينبع دائما من نقطة التقاء الانسان فى الحياة الاجتماعية مع « الانسان فى ذاته »، وهما مفرد لايزدوج ولاينقسم وليس فيه من الاصل امتزاج. والقعيد الواقعى الى حد التقرير المباشر والغنائى ايضا الى حد التحليق العاطفى فالماساة ليست استثناء فى حياة جميلة انها قاعدة والكتابة الفنية ليست وسيلة لاثبات الذات، وليست بديلا منتظما منمقا لعالم الحقيقة العشوائى المحكوم مع هذا بقانون خفى وقاهر، وانما هى تماثل ظاهرة المنظور المبسط على سطوح الاشياء والوجوه والعلاقات.

مازال العلماء عاجزون عن حل هذا اللغز المثير

حقيقة هؤلاء الناس وأعمالهم التي فاقت حدود العقل !!

إعداد : هشام كمال

ما هي حقيقة هؤلاء الناس الذين يدعون أن لديهم قدرات حسية خارقة تخرج عن حدود المنطق والعقل ؟ .. وهل تلك القدرات مجرد درب من دروب الدجل والشعوذة ، أم أنها بريق مثير لجانب غامض في النفس البشرية عجزنا عن فهمه أو فك رموزه ؟ .. إننا نحاول أن نناقش هذا اللغز المثير والجهود المضنية التي يبذلها العلماء في هذا المجال المجهول عن النفس البشرية !

ولعلنا نتذكر انه في أواخر الخمسينيات أصبح الممثل الشهير يوسف وهبي يعاني من متاعب صحية خاصة بالمرارة ، وعندما اشتدت آلامه من تلك المتاعب ، أمر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بسفر الممثل الكبير على نفقة الدولة الى لندن في عام ١٩٦١ ، وذلك لاجراء عملية جراحية تستأصل فيها مرارته بمستشفى لندن كلينك ، وبعد أن تمت العملية ، تدهورت صحة الممثل الكبير اثر تلوث جرحه ببؤرات صديدية ، هددته بالتسمم الدموي .. وقد حاول أطباء المستشفى انقاذه ، فقاموا بحقنه بالمضادات الحيوية ، ولكن تلك المحاولات ذهبت سدى ، وتدهورت صحته بصورة مؤلمة ، الى أن تم استدعاء احد تلاميذ العالم الروحاني البريطاني « هاري ادواردز »

●● وعلى طريقة التشبث بقشة وسط المحيط ، طلب يوسف وهبي من الطبيب الروحاني معالجته وسط ذهول الحاضرين ، فقام الطبيب باجراء عملية بسيطة لم تستغرق أكثر من عدة دقائق ، وسط حالة تركيز تام وصفها الممثل الشهير بقوله « شعرت وقتها بتيار كهربي ضعيف كأنه يسري في انحاء جسدي مع شعوري برجفة أو رعشة خفيفة » !

في نفس هذا اليوم وتقريبا في المساء ، جلس يوسف وهبي معافا تماما ، بعد أن جف ما في جسده من صديد وقروح ، وشفي من مرضه الخطير وسط ذهوله وذهول أطباء المستشفى انفسهم !!

حقيقة هؤلاء الناس وأعمالهم التي فاقت حدود العقل !!

وهناك حكاية غريبة رواها الشاعر صالح جودت بقلمه فى أحد أعداد الهلال المصرية ، قال : « كنت قد ذهبت مع ثلاثين من كتاب العالم للاعداد لدرجة علمية فى دراسة منظمات الامم المتحدة

بأمريكا عام ١٩٥٦ ، وفى أول يوم ذهبت مع صديقى الكاتب السودانى محجوب صالح الى بنك الامم المتحدة لنصرف رواتبنا ، ووقفنا فى الطابور أمام الشباك ، وفجأة وقعت عيناى على مدير البنك الذى

يجلس وحده عند مكتب فى ركن بعيد من القاعة ، فاذا عيناى تلتقيان بعينيه صدفة ، واذا بالرجل يقف ويحملق فى من بعيد ، ثم يقبل نحوى وئيد الخطا ، جامد الوجه . كأنه يمشى وهو منوم مغناطيسيا ، الى أن يدركنى فيصافحنى ويشد على يدى بحرارة ، ويسحبنى من الطابور ، ويأخذنى الى مكتبه ، ويقدم لى مقعدا ويسألنى :

— ألا تعرفنى ؟

قلت : من موقعك .. أتصور انك مدير هذا البنك .

قال : — نعم .. انا المستر كول .. انا مدير هذا البنك وانت صديقى .. صديقى الحميم .. اننى اعرفك منذ مئات السنين ..!!

وبينى وبين نفسى ، بدأت أشك فى الرجل ، وأعتقد أنه مجنون ، ولكنه عندما استطرد فى الحديث ، جعلنى أشعر برهبة عجيبة .. قال : اننى اعرفك من مئات السنين .. ياما تلاقينا وتحادثنا سهرنا .. ألست شاعرا ؟
قلت : نعم !

قال : ألست مصريا من القاهرة ؟
قلت : نعم !

ومضى يذكر لى أشياء عجيبة عنى وعن حياتى الخاصة ، مع انه لم يزر مصر فى حياته، ومع أننى لم اكن قد زرت امريكا فى حياتى قبل هذا اليوم ..!! »

● جمرات النار الملتهبة

على كل نتنقل الان من الحكاية الغريبة التى رواها الشاعر صالح جودت الى اقصى الشرق ، حيث تقع جزيرة هونج كونج ، وهى جزيرة صينية واقعة تحت الاحتلال البريطانى منذ فترة طويلة ، تجرى بهذه الجزيرة سنويا ، مهرجانات مثيرة تحوى الكثير من الفكاهة والاستعراض الذى أكثره اثارة « استعراض القدرة على تحمل الالم !! »

ولكن كيف يتم هذا الاستعراض ؟..

يقوم بعض الافراد بفرش مساحة محددة من الارض بجمرات نارية ملتهبة ثم يقوم الافراد المشاركون — وسط ذهول المشاهدين — بالسير على هذه الجمرات وسط حالة عظيمة من التركيز الفكرى ، دون أى احساس بالالم أو حتى حدوث حروق بسيطة لاقدامهم !

والغريب أن هذا الامر لايحتمل اية خدعة ، فقد ذكر شهود عيان ان بعض المشاهدين حاولوا التقليد ، فساروا على تلك الجمرات الملتهبة ، ولم يكن نصيبهم الا الحروق الشديدة والمؤلمة !

اذن كيف نفسر ذلك ؟.. هل التركيز الفكرى على شىء معين قد يجعلنا لانشعر بالالم .. اعتقد ان هذا جائز ، بدليل أنه كثيرا مايصاب جندى فى معركة برصاصة ولا يشعر بها نهائيا الا عندما ينبهه أحد أصدقائه .. ولكن الامر الذى يثير الدهشة أن هؤلاء الرجال لم تصب أقدامهم بأية حروق رغم ان مكونات الجسد البشرى قابلة للاحتراق .. ومعنى ذلك ان مانراه امامنا يخرج من نطاق العقل وليس لدينا اى قانون علمى يبرره !

ولكن مهلا .. نقبل أن نصدر هذا الحكم العشوائى ، علينا أن نقرأ ما كتبه « كولن ويلسون » فى كتابه الشهير « الانسان وقواه الخفية » .. لقد تحدث عن عجائب المخ البشرى وألغازه المذهلة ، وقال ان المخ ليس مجرد عضو له اهميته فى الجسد البشرى ، بل هو لغز هائل لم يصل الطب الى أكثر من دراسته وظيفيا وتشريحيا فقط .. وفى كتابه روى تلك القصة المذهلة والتى حدثت فى عام ١٩٤٢ :

قال ان « بيتر هيركوس » شاب هولندى ، كان يعمل نقاشا فى فترة شبابه ، وفى احدى المرات ، أثناء قيامه بطلاء أسقف أحد المنازل ، سقط من فوق السلم سقطة عنيفة تحطمت على اثرها بعض عظام جمجمته وأصيب بارتجاج شديد فى المخ نقل بعده الى المستشفى ، وتم انقاذ حياته بعد جهود مضنية من الاطباء ، وعندما فتح عينيه عقب الاصابة ، هيمنت عليه الدهشة وملامح الخوف ، فقد شعر شعورا غريبا بأنه يمتلك احساسا كبيرا من رؤية الاحداث والاشياء الخفية بصورة رهيبة ومزعجة ، وصدق حدسه ، فعندما هم أحد زملائه المرضى بالخروج من المستشفى ، عرف باحساسه الغريب أن هذا الزميل عميل بريطانى وان منظمات الجستابو ستغتاله فى هولندا ، فأخذ يحكى تلك القصة لاشخاص عديدين وسط ازدرائهم واستنكارهم لهذا التوقع الخيالى والمتطرف ، بعد يومين بالضبط اغتيل الزميل البريطانى من قبل منظمات الجستابو وسط حادث بشع ، أما « بيتر هيركوس » فقد وصل أمره الى المخابرات الهولندية التى أمرت بالقبض عليه ووجهت له تهمة التجسس نظرا لعلمه بحادث مقتل البريطانى قبل وقوعه ، وكاد هيركوس ان يواجه تهمة الاعدام رميا بالرصاص عقوبة على هذه التهمة ، الا انه استطاع ان يقنع المخابرات الهولندية بقدراته الخارقة على اكتشاف الاشياء



يوسف وهبى
معجزة فى علاجه

الغامضة والحوادث المجهولة بأدلة دامغة ومقنعة أجبرتهم على اخلاء سبيله :.

● فكرة اليوجا ●

أما فى الهند .. بلاد الخيال والسحر الغموض ، فتنتشر رياضة « اليوجا » هى رياضة محبوبة ومقبولة ، انتقلت الى معظم أنحاء العالم فى العصر الحديث ، وتعتمد اساسا فى فكرتها على السيطرة على النفس وعلى الطاقة الجسدية من خلال تمارين رياضية معينة ، تتراوح بين البساطة والصعوبة ، والغاية فى النهاية من هذه التمارين أن يحيا الانسان حياة سعيدة وطبيعية ويضمن لنفسه الصحة الممتازة والعمر المديد ، ولكن الغريب فى هذا الامر هو تلك الروايات التى تحدث عنها الكثير ممن زاروا الهند ، حيث يؤكد بعضهم انهم رأوا أعمالا مذهلة يقوم بها رجال اليوجا فى الهند ، منها النوم بأجسادهم شبه العارية على مسامير حادة تكاد تمزق جسد الشخص العادى تمزيقا ، ونزول بعضهم الى بئر مائى عميق يغوصون فى أعماقه دون أى تنفس خارجى لفترة تتعدى الساعات وفجأة يخرجون أحياء ، وكأنهم لم يتأثروا

بانعدام الاوكسيجين في وقت يؤدي بالانسان العادي الى أن يلقى حتفه .

وهناك مشهد الدفن حيا أسفل الرمال، حيث يقوم بعضهم بدفن نفسه تحت الرمال اما بمساعدة نفسه او بمساعدة الاخرين، ويظل على هذا الوضع لوقت طويل قد يستغرق اياما معدودة دون أن تنتهي حياته ، أما أشهر تلك الاعمال المثيرة والتي اقترنت باليوجي الهندي فهي طريقة الحبل القائم ، حيث يقوم اليوجي برفع حبل في الهواء دون أن يلمسه ثم يأمر طفلا صغيرا بتسلقه حتى يختفي عن الانظار تماما هو والحبل ، وبعد لحظات يعود الاثنان لما كانا عليه من قبل وسط دهشة الحاضرين وذهولهم ، وكثيرا ما رأى بعض السائحين الاجانب في الهند هذا المشهد العجيب الذي يثير العجب والخوف بداخل النفس !.

العين الشريرة

وفي ٢٢ يناير ١٩٣٤ نشرت جريدة « الدايلي اكسبريس » الانجليزية خبرا مثيرا عن رجل من قرية « دورسيت » يموت تدريجيا بالرغم من انه لا يشكو من أي مرض أو ألم ، وقام الكثير من الاطباء بفحصه فحصا طبيا شاملا ، وكانت النتيجة الدائمة والمعتادة « لا يشكو من اى مرض » فجسمه قوى البنية ولا يوجد به أي أنواع من جراثيم او ميكروبات أمراض فتاكة ، ولكنه بالرغم من الفحوص الطبية فهو مشرف على الهلاك دون اي سبب واضح ، ومضى المسكين طريح الفراش لمدة عامين ونصف ينتظر أجله المحتوم وسط دهشة الناس والاطباء ، وكانت المفاجأة عندما جاءت الى القرية سيدة عجوز من احدى قبائل الغجر ، وزارت هذا المريض وسرعان ما أعلنت لأهل القرية أن هذا الرجل يعود مرضه لنظرة من امرأة ذات عين شريرة ، ثم قامت باعداد وصفة معينة يدخل في تركيبها الماء وبعض النباتات البرية ، فغلتها جميعا بجانب المريض ، وأعطتها له ، وادت فعلا الى شفائه !.

ولعل هذا يدفعنا الى تساؤل محدد : هل الحسد قوة شريرة تنطلق من النفس او العين فتلحق بالمحسود اصابة خطرة !.

يقول الله سبحانه وتعالى : « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد » .. فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالاحتياط من الحسد ، في هذه السورة ، وهي دليل قاطع على وجود الحسد في بعض الاشخاص أصحاب النفوس المريضة !.

هذا العلم الحديث

ولعل كل ذلك وغيره ، يدفعنا الى ضرورة التعرف على ذلك العلم الحديث الذي يطلق عليه «الباراسيكولوجي» .. فهذا يحاول أن يجند كافة أبحاثه في البحث فيما وراء الطبيعة من مجالات غامضة من بينها قدرات الادراك الحسية غير العادية في الانسان ، التي تختلف تماما عن الحواس الطبيعية التي تتمتع بها ، وبالطبع فان المقصود بتلك القدرات الغريبة هو القدرة على ادراك بعض الامور الغامضة او رؤية حوادث او مناظر في أماكن بعيدة تماما عن المدى العادي لحواس الانسان !.

وهناك مجالات اخرى لهذا العلم ، منها مجال الجلاء السمعي ويعرف بأنه القدرة على سماع أصوات مختلفة لا تلتقطها الاذن العادية أو مجال الجلاء الشمي والذوقي والالهام

ورغم كل ذلك فما زالت تلك القصص محيرة ، وما زالت الاذهان والعقول الناضجة تضع امامها مليون علامة استفهام ..

العالم في سطور

واشنطن

عندما ماتت لوليتا

تحتفل الاوساط الادبية في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة الكاتب المعروف فلاديمير نابوكوف • صاحب رواية « لوليتا » نابوكوف احد الكتاب القلائل الذين تعمقوا في الشخصية الانسانية ليكشف في داخلها عن شخصيتين • احداهما ظاهرة واضحة لها • مسموعة الصوت • ظاهرة الحركة • اما الثانية فانها تتوارى خلف الاولى • تتحدث فلا تسمع لها صوتا لكنها هى التى تتحكم في الحدث وتوجهه حسبما تشاء •

نابوكوف



ولد نابوكوف : فى بطرسبورج عام ١٨٩٩ فى اسرة روسية عريقة • ثم رحلت اسرته الى اوروبا حيث اتم تعليمه فى جامعة كمبردج ببريطانيا • وفى عام ١٩٤٠ رحل الى الولايات المتحدة واتخذ البلاد موطنا حيث عمل استاذا للادب الروسى فى جامعة ستانفورد •

وقد ظل نابوكوف الى اخر حياته يكتب رواياته ـ شأن الكثير من المهاجرين ـ باللغتين الروسية والانجليزية من اشهر هذه الروايات على الاطلاق «لوليتا» وتدور حول رجل فى الاربعين يرتبط عاطفيا بابنة زوجته ويرتكب جريمة قتل من اجلها• لكن لوليتا التى تعشقه لفترة لا تلبث ان تهجره الى رجل اخر فى مثل سنها بعد ان تعمل على اذلاله •• فيقتله ويدخل السجن •• بينما لوليتا طليقة حرة •

اما رواياته الاخرى فهناك •• ضحكات فى الظلام ، « اليأس » وهما روايتان قدمتهما السينما • وهناك رواية اخرى تحمل عنوان « شفافية الاشياء » وكتاب عن « الادب الروسى » •• وقد قال عنه احد النقاد : « يعبر نابوكوف عن مجتمعه المليء بالتناقضات • فقضيته هى الحب الفاشل • او الطموح الفكرى فى عالم يطمح الى المادة •• لذا احتل نابوكوف هذه المكانة فى خريطة الادب الحديث » •

باريس

عصر الجوائز البديلة

اذا كنت متتبعا للنموذج الثقافي الفرنسي - خاصة في السنوات الاخيرة - فلا شك أنك سوف تعجب به .. والثقافة الفرنسية وجدت نفسها اسيرة للنموذج الامريكي فارادت ان تستقل عنه . وبدا هذا واضحا في اشياء عديدة على رأسها حكاية الجوائز .

ففي الادب صنع الفرنسيون لانفسهم جائزة ادبية لها نفس اهمية اى جائزة عالمية اما جائزتهم الهامة التي تمنح هذه الايام فهي جائزة سيزار .. التي تمنح للسينمائيين في مختلف فروع الفن السابع للافلام التي ظهرت خلال العام الماضي ..

ومن الواضح أن جائزة سيزار قد صنعت منذ أحد عشر عاما كي تنافس جائزة اوسكار الهوليودية .. وقد اختار الفرنسيون ان تمنح هذه الجوائز قبل الاعلان عن الاوسكار باسابيع .. كما ان وسائل الاعلام الفرنسية تكرس نفسها للحديث عن هذه الجوائز . والمرشحين لها . واهمية الاعمال المرشحة ..

ففي عدد شهر فبراير من مجلة بروميير - احدى اشهر المجلات السينمائية المصورة واوسعها انتشارا - تم تخصيص تسع صفحات عن اهم ترشيحات هذا العام لنيل الجائزة .. وهذه الترشيحات لابد ان تكشف ان السينما الفرنسية تقدم اعمالا على مستوى فني جيد تستحق الجوائز . وعكس ما تصور البعض عن احوال هذه السينما . وتمنح الجائزة - مثل الاوسكار - لاحسن فيلم واحسن مخرج واحسن ممثلة واحسن ممثل ثم احسن ممثل مساعد واحسن ممثلة مساعدة واحسن فيلم اجنبي . واحسن ممثل يعمل لاول مرة وكذلك احسن ممثلة - تعمل لاول مرة واحسن عمل اول لمخرج ثم جوائز اخرى في المجالات التقنية كالموسيقى والمونتاج والصوت والملابس والديكور والتصوير .. واحسن افيش سينمائي

ابرز الافلام المرشحة للجائزة هذا العام من فرنسا هي : « ميلو لالان رينيه و«ملابس السهرة» لبرتران بلييه و « تيريز لالان كافالييه . اما جولييت بينوش فمن المحتمل ان تنال جائزة احسن ممثلة عن « دماء فاترة » كما يتوقع ان يفوز فيلم « بعيدا عن افريقيا » بجائزة احسن فيلم اجنبي عن عام ١٩٨٦ ..

سابين إزيمانالت سيرار



نـــابـــولـــي

● الامتحانات لا تنتهى ابدا



ادواردو فيليبو

ولاتزال مسرحية ادواردو معروضة على المسرح الصغير بميلانو .. المسرحية هى « الساحر الصغير » . اما ادواردو فهو الاسم الشعبى الذى ينادى به الكاتب المسرحى المعروف ادواردو فيلبو فى ميلانو بصفة خاصة ..

وبمناسبة مرور عامين على عرض المسرحية – وعلى وفاة الكاتب أيضا – اقيم احتفال ضخم فى المدينة . ففتح المسرح الصغير ابوابه مجانا لجمهور فيللبو .. وضحك الناس من جديد فى مدينة صغيرة لا يمكن ان تستوعب احدى المسرحيات عامين من العرض الا اذا كان سكان المدينة قد جاءوا للمشاهدة اكثر من مرة ..

كان فيللبو كاتبا وممثلا ومخرجا عشق المسرح وجدرانه وكواليسه ، دخل تاريخ المسرح الايطالى بعد مرحلة طويلة من الكفاح حافلة بالاعمال المسرحية الكبرى والتى أستهلها بمسرحية « عيد الميلاد فى بيت كوبيللو . واتبعها بمسرحياته الشهيرة مثل : « نابولى مليونيرة » ١٩٤٥ . و « الاشباح » ١٩٤٦ و « فلومينا مارتوراتو » ١٩٤٦ « السبت الاحد الاثنين » ١٩٥٩ و « عمدة حى سانيتا » ١٩٦٠ ، « الامتحانات لاتنتهى ابدا » ١٩٧٣

وقد اقتبست السينما الايطالية عديدا من مسرحيات الكاتب مما ساعد على ذيوع اسمه . كما انه احد المعروفين للجمهور العربى حيث ترجمت اغلب مسرحياته الى اللغة العربية وقام السينمائيون المصريون باقتباس بعض هذه المسرحيات فى افلام مثل « ٤ : ٢ : ٤ » ، « تزوير فى اوراق رسمية » .

يقال ان اهمية فيللبو تجىء ايضا من خلال لجوئه الى لهجة مدينة نابولى معزوجة بلهجة ادبية . فجعل من لغته الجديدة اداة لتلافى مثالب الواقعية الايطالية « الفيريزمو » وضيق افقها لتشمل افاق التراجيديا العالمية ، وقد نجح من خلالها فى الوصول الى قلوب وعقول الناس فى مختلف بقاع البسيطة . لذا فانه رغم الروح الساخرة فى الادب الايطالى بصفة عامة . فحتى الان – وبعد رحيل الكاتب – لم يتمكن احد من بلوغ نفس المرتبة التى تميز بها .

بـــروكــســـل

● عودة تان تان

لا.لم يمضيكى ماوس..ولا تان تان فبعد عشرين عاما من رحيل والت ديزنى . لا تزال شخصياته

التي ابتدعها موجودة تتحرك فوق شاشات السينما • وتنبض حياة في مجلات الرسوم المتحركة ••

واذا كان ديزني قد اتاح الفرصة للاخرين ليرسموا ميكي ماوس والعم بطوط وعم دهب واخرين • فان الفنان البلجيكي هرجيه ـ مات عام ١٩٨٣ ـ لم يسمح لاحد قط بالاقتراب من شخصية تان تان •• التي اثير حولها تساؤل بعد وفاة مبدعها ••

ومحاولة لبعث الصحفي المغامر تان تان من موات مؤقت • اقيم معرض كبير لرسومات هرجيه ومجلدات تان تان في بروكسل تحت عنوان « المغامرون » اعلن فيه ان مدرسة هرجيه سوف تعيد شخصية المغامر تان تان مرة اخرى الى الحياة

وبمناسبة هذا المعرض صدرت مجموعة من الكتب منها « تحول تان تان » لجان ماري ابو ستليد مدرس الادب والحضارة الفرنسية • و « عالم هرجيه » لبينوا بيترز • كما تم تاسيس جماعة هيرجيه « التي تحمل على عاتقها حفظ تراث هرجيه الذي قيل انه باع مائة مليون نسخة من اليومياته عن تان تان مترجمة الى ٣٣ لغة •



تحدث هرجيه قبل وفاته الى مجلة الرسوم المتحركة قائلا عن اسلوب عمله « في البداية تكون الفكرة بالغة البساطة • هناك دائما نوع من المباراة المستمرة مثلما يفعل الفرسان الثلاثة او ميشيل سترو جوف • وبدءا من هذه الفكرة • اؤلف السيناريو واجربه حولي • واشعر انني مدان بالاتصالات مع من حولي لان السيناريو ينبثق دائما من خلال العمل • وعندما تنتهي الخطوط العامة على ان اصنع الهزليات • والمؤثرات فمثلا عندما اصل الى نصف السيناريو اجد انني يجب ان اعدل من فكرة جاءت في احدى الصفحات الاولى • لذا فانني اعد السيناريو على وريقات صغيرة وارسم هياكل الاشخاص اوضح فيها الحوارات والاشارات • ثم ارسمها بعد ذلك على لوحات كبيرة » •



ستيفان زفايج

فيينا

● يوميات كاتب من جيل القهر

تجيء اهمية السيرة الذاتية للكاتب فى انها تكشف ـ غالبا ـ جوانب كثيرة فى حياة الكاتب لعبت دورها المؤثر فى ابداعاته واختياراته اللغوية والدرامية .. لذا فان المؤرخين والباحثين يبحثون دائما عن الاوراق الخاصة لكاتب بعد وفاته . سواء كانت هذه الاوراق رسائل خاصة او ادبيه او يوميات كتبها الكاتب .

اخر هذه اليوميات التى تم العثور عليها تخص الكاتب المعروف ستيفان زفايج احد اعمدة الادب فى النصف الاول من القرن العشرين .. وقد قام الباحثون الذين عثروا عليها بتأريخها فوجودها مكتوبة بين عامي ١٩١٢ و ١٩٤٠ وجاءت اهمية هذه اليوميات فى أنها لم تعكس فقط خلجات الكاتب الخاصة . بل خلجات أوروبا فى سنوات القلاقل الشديدة ..

يعد ستيفان زفايج (١٨٨١ ـ ١٩٤١) أحد اربعة أدباء ألمان عظام وضعوا بصماتهم فوق الادب العالمى وهم : هيرمان هيسه وتوماس من وارثر شنتزلر . من أشهر اعماله « رسالة من مجهولة » و « ٢٤ ساعة من حياة امرأة » و « حذار من الشفقة » و « الخوف » .

يقول اندريه باى ان زفايج اديب خادته الحرية وان ابطاله هم بشر يجب ان يجلسوا على اريكة المحلل النفسى كى نسمع منهم الحقائق يدلونها بالسنتهم مثلما فعلوا على صفحات الروايات

ويقول زفايج : « من عاش وعمل يشعر بالتحرر من كل الاختناقات واسباب القلق » . وقد شغف بالعلامة فرويد وكتب عنه كتابا يقول فيه « لقد نفث فينا روحا جديدة »

فى عام ١٩٤٢ انتحر زفايج مع زوجته احتجاجا على ما يدور فى المانيا بعد أن ترك رسالة طويلة ـ مثلما يفعل ابطال روايه ـ يتحدث فيها عن الموت والحياة . وقد جاء فى نهاية الرسالة : « اعتقد انه من الافضل أن نضع نهاية للزمن ورأسنا مرفوعة عاليا . سواء بالوجود . او العمل الذهنى الذى يسبب بهجة اكثر نقاء وحرية شخصية اكثر سموا من كل هذا العالم » .

كانت حياته اشبه بحلم طويل . صعب أن يمسكه بين يديه . أو لعله مثل احدى لعبات النرد الصعبة الامساك بها . ليس عليه سوى الخسارة . او ان يغلق مائدة النرد .. ويذهب ..

• ثمانون عامًا على ميلاد اينو

بطل الجودو الذى أصبح أديبًا

بقلم : محمود قاسم

مشكلتي الاساسية وانا في هذه السن هو ان ارقب الزمن الذي بقي لي كي احياه " تلك هي العبارة التي رددها الكاتب الياباني الكبير ياسو شي اينو بعد أن تجاوزته جائزة نوبل في الأدب من جديد ، واذا كان اينو قد وجد نفسه منفيا داخل وطنه فليس عليه أن يتباكى كثيرا على جائزة نوبل . ففي هذا الشهر يحتفل الكاتب بهدوء شديد بعيد ميلاده الثمانين .. دون أي ضجة تذكر .. ولعلنا نذكر الاحتفالات الضخمة التي اقيمت للكاتب صموئيل بيكيت في العام الماضي بمناسبة بلوغه نفس السن . قاموا بطبع رواياته . واصدار كتب عن حياته واعادة تمثيل مسرحياته . وعقد لقاءات صحفية عديدة معه . لكن هذا لا يحدث في اليابان .. رغم أن اديبها الكبير رجل فلسفة وروائي وشاعر وعضو في الاكاديمية اليابانية .. والطريف انه نال جائزة الحزام الأسود في بطولة الجودو ..

السيد، اينو في انتظار الجائزة



ولعل إينو يردد الآن نفس العبارة التى قالها الممثل الامريكى كيرك دوجلاس للتليفزيون المصرى منذ شهرين ، إن ترشيح الفنان لنيل جائزة شرف كبير حتى وإن لم ينلها ، وقد تردد هذا العام مثلا أن الأديب النيجيرى سوينكا كاد يحصل على الجائزة عام ١٩٨٣ إلا أن صوتا واحدا لم يكن فى صالحه فمنحت لويليام جولدنج .. وقيل نفس الكلام هذا العام عن إينو .. قالوا أن فرق صوت واحد فقط هو الذى باعد بين إينو وسوينكا .. وإذا كان هذا الأخير فى مقتبل حياته نسبيا قياسا الى إينو ، فأن الكاتب ينتظر هذا العام على أمل أن تجىء الجائزة من إفريقيا الى آسيا فى طائرة تقطع شوطا بعيدا ويصبح إينو ثانى اديب يابانى يحصل عليها بعد ياسونارى كاواباتا .

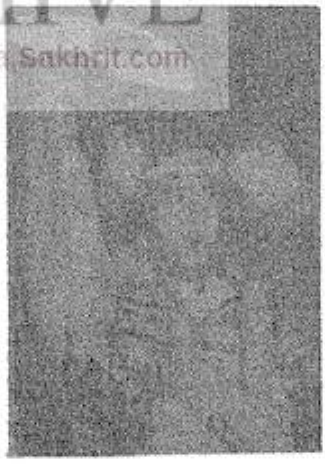
● الثقافة .. على الطراز الأمريكى

السؤال الذى يدور الآن فى جميع عواصم العالم : اليابان الى أين ؟

ليس السؤال سياسيا هذه المرة ، وليس حول مستقبل تطور التقنيات اليابانية ، ولكنه حول الوضعية الثقافية والفكرية المعاصرة فى اليابان . فاذا كان النموذج الصناعى اليابانى قد غزا كل البيوت فى كافة أنحاء العالم ، فان النموذج الثقافى الامريكى هو الذى يسيطر الآن على العقلية العالمية . والغريب أن شركات الانتاج اليابانية انتجت كما هائلا من افلام الرسوم المتحركة فى السنوات الأخيرة ، مصنوعة على غرار النموذج الامريكى . وفيما قبل تركت اليابان للغرب فرصة اكتشاف وصناعة الفنان اليابانى ، حيث قامت دول عديدة فى السنوات الاخيرة بتحويل أفلام أخرجها اليابانيون كيروساوا وشينووا وأوشيما . من هذه الدول : الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا ..

اما عن الأدب فقد تركت اليابان لدور النشر الاوربية والامريكية الفرصة لتلميع بعض كتاب اليابان . كل بمنظور الغرب ، كان يمنح كاواباتا ـ وهو ليس افضل الكتاب ـ جائزة نوبل . وان يصنع من ميشيما نموذج الأديب المهرج ، لانه وقف ضد سياسة الغرب فى

يوكيو ميشيما



تانيزاكى



بلاد الجوورو
الذي أصبح ذهبا

بلاده . ومن تانيزاكى انموذجا مكررا لأنه اقرب الى الغرب فى فكره وتفتحه .

حول هذا الموضوع خصصت مجلة الاكسبريس - ١٩ يوليو ١٩٨٥ - وجريدة لوموند - ٨ يوليو ١٩٨٥ - ملفات طويلة لحديث عما سمي ب "العام صفر" في اليابان ومن أهم ما جاء فى هذه الملفات مايقوله أحد الناشرين اليابانيين "اذا كان هناك شيء مقنع . فهو أن مجتمعنا ليس مجتمع ثقافة وأدب فالأدب اليوم عبارة عن معنى جامد خاو من المعانى وليست هذه الظاهرة فقط فى اليابان ولكن اليابان تمثلها بشكل واضح" .

إذن . أصبح اليابانيون ينظرون إلى الثقافة على أنها سلعة اذا لم تأت بعائد مادى ملموس فلا جدوى منها

العزلة .. مرض العصر

هذا هو الجو الثقافى الذى يعيش فيه شيخ الأدب اليابانى وهو يستقبل عامه الثمانين .. واذا كان هذا هو حال الشيخ ، فليس الأمر افضل بالنسبة للشباب الذين يتدفقون حيوية وعطاء وقد صدر فى شهر اكتوبر الماضى كتاب جديد يحمل عنوان "مختارات من القصة القصيرة اليابانية" كتب له اينو مقدمة طويلة تحدث فيها عن الصلات الحضارية التى تربط اليابان بالعالم من حولها ، وخاصة الفكر الصينى الكونفوشيوسى .. وضم الكتاب مجموعة من مختارات قصصية كتبها عمالقة الأدب اليابانى مثل تانيزاكى واكوتاجوا وكاواباتا وميشيما . وجاء فى المقدمة . "لا تنتمى اليابان الى عالم كونفوشيوس فقط . ولكنها تسبح دائما فى ضياه . ونحن اليابانيين نعمل على هديه . لقد أخذتنى أفكار عميقة حول العالم المعاصر . بينما علمنا كونفوشيوس الا نصلى للسماء . ولكن ان ننادى العقل كى نحل مشاكل البشر ، لم يسمح الحكيم للتطاول على القيم المجردة ، ولكن على مبادىء الحياة التى تستند على العظمة" .

واكد إينو فى مقدمته ان اكثر ادباء اليابان المعاصرين يضعون عينا على بلادهم واخرى على الغرب ، حين يقومون بنسج التاريخ اليابانى فوق مغازل من صنع أمريكى بصفة خاصة .

وإينو أحد الكتاب الكثيرين الذين يهيمون عشقا بتاريخ بلاده .. واذا كان يوكيو ميشيما قد حول هذا التاريخ إلى قصص حب ناعمة ، فإن إينو حاول أن يفلسف هذا التاريخ من خلال شخصيات بسيطة عاشت فيه ، تحاول البحث عن معانى الأشياء الحقيقية .. هم ظلال من شخصيات أسيوية مؤثرة مثل كونفوشيوس وبوذا . يؤمنون بما يقولون ، ويروجون للبحث عن الحقيقة حتى لو جلس أحدهم تحت شجرة ثلاثة أيام فى جو عاصف يحاول أن يستلهم معالم النرفانا ..

نشر إينو - المولود عام ١٩٠٧ - روايته الاولى "بندقية الصيد" وهو فى الثانية والأربعين من عمره .. وقد حصلت هذه الرواية على جائزة أكتوجادا الادبية فى العام التالى . وهى أرقى جائزة أدبية فى اليابان ، وتروى حكاية رجل غارق فى حب ثلاث نساء : عشيقته سايكو . وابنته تالى . وزوجته ميدورى . فرغم أن عينى كل منهن تعكسان مشاعر حب له معنى خاص ، فإن هناك عزلة قوية تربط فيما بينه وبينهن . ورغم انه رجل ناجح على المستوى الاجتماعى . استطاع ان يتقلد المناصب ويكسب الأموال . فانه يعانى من قلاقل شديدة فى حياته الخاصة .

وهذه الرواية هى احد النصوص القليلة

التى تروى أحداثا عصرية للكاتب الذى يؤكد العزلة التى يعيشها أبطاله لم تكن موجودة عند الشخصيات التى عاشت فى القرون السابقة . فالعزلة مرض العصر ، وقد قتلت العشيقة سايكو وأبعدت عنه الزوجة .. ولم يعد يبقى من الثلاث نساء سوى قصاصات رسائل عبرت يوما ما عن مشاعر متدفقة متباينة .

● الناس يكذبون .. حين يموتون

يقول إينو : "هناك فجوة كبيرة ـ على المستوى النفسى ـ بين العصر الذى نعيشه وتلك العصور التى عاشتها الشخصيات التاريخية . لذا لم أعد أستمد من العالم الذى يحوطنى أى مادة أدبية ، سوى ما يتعلق بما دار أثناء الحروب ، وأذا شئنا الدقة فأدباؤنا يغامرون بتعتيم التاريخ . أما بالمدح الزائد وهذه ظاهرة عامة فى الأدب اليابانى ـ أو بالتعتيم الشديد . لذا فأغلب أبطال الأدب اليابانى "أنانيين" يتحدثون عن أنفسهم فى المقام الأول . ولم تكن الرواية أبدا مقالا ، ولكنها فى المقام الأول نص ابداعى" .

ويقول فى حديث آخر : "يتكلمون الآن عن أزمة الابداع . وعن نهاية عصر الأدب . وقد ترددت مثل هذه الاقاويل دائما فى كل العصور . لكن الأدب أشبه بثمار الكراز يمكن اقتطافها فى جميع مواسم العام" .

من أهم رواياته الأخرى "البحر الجليدى" ، و"حكاية أمى" و"صوت فى الليل" وفيها يتحدث عن مغامرة مدرس عجوز يقضى أوقات فراغه فى دراسة المانيو شعر (مختارات من الشعر اليابانى فى القرن السابع الميلادى) ، وعثر فى هذه القصائد على مفاتيح الاتصال مع الشياطين ، فأصبح صديقا لبعضهم وأستطاع أن يقهر البعض الآخر بفصاحة هذه الأبيات .

ومن رواياته التاريخية أيضا "حركة ساندا" التى تصور حروب الإقطاع فى اليابان إبان القرن السادس الميلادى ، وهى حروب ضروس لم يغلب فيها أحد رغم سنواتها الطويلة . كذلك هناك رواية "سقف العالم عند تمبيو" وهى بمثابة أوديسا يابانية تدور فى القرن الثامن الميلادى ، إبان حكم الامبراطور تانج الذى شن حروبا طويلة على الامبراطوريات المجاورة ، وبعد أن تنتهى الحرب يسافر أحد أبطالها الى جبال التبت عبر رحلة شاقة ـ أشبه برحلة بوذا ـ ساعيا لاكتشاف المعنى الروحى فى تعاليم بوذا التى تتناقض تماما مع ما شهده من حروب طويلة سكبت فيها الدماء أنهارا ..

وفى روايته "دروب الصحراء" يعود الى القرن الحادى عشر من خلال شاب صينى يتم تجنيده فى جيش الأعداء لمحاربة وطنه ، ويقول إينو أنه استعان بعشرين الف وثيقة قديمة تتعلق بهذه الحقبة الزمنية كى يكتب هذه الرواية .. لذا فأن أعماله تجمع بين الابداع الفنى .. والتوثيق التاريخى ..

ورغم أن إينو بوذى الديانة ، فإنه ـ كما أشرنا ـ معجب كثيرا بالحكيم كونفوشيوس . وقد انعكس هذا الاعجاب على سلوك أبطال رواياته .. وفى عام ١٩٧٥ قدم إينو آخر رواية منشورة له تحت عنوان "كوشى" ، اسم الحكيم فى صباه ـ حيث تحدث عن حياة كونفوشيوس وعلاقته بالمرأة . والطبيعة والفلسفة والوظيفة والتلاميذ . ويكشف الكاتب كيف تحول كوشى الإنسان الى روح حية لا تفنى أبدا مهما فنيت الاجساد ، ويردد الكاتب : "يكذب الانسان عادة فى لحظة الموت . لأنه لايستطيع ابدا أن يصف مايحس به وصفا دقيقا . اكثر الناس يبالغون فيما يتعلق بالموت . لأنه يجعلهم اكثر زهوا وحساسية مما تتطلبه الموضوعية . بسبب ما يجتاحهم من يأس ، لذا فلا يوجد من يستطيع التعبير عن حقيقة مشاعره . أو ما يحس به فى لحظته الأخيرة .. لحظة النهاية ..

العالم غدا

• تصنيع الخلايا الكهرضوئية فى مصر •

تحظى مصر ـ وغالبية الاراضى العربية ـ باكثر من ٣٠٠ يوم مشرق كل عام مما يجعلها من اكثر المناطق تمتعا بإمكانية الاستفادة من الطاقة الشمسية .

وبعد الخطوات التى اتخذت للاستفادة من هذه الطاقة فى تسخين المياه للاغراض المعيشية يقوم فريق من الباحثين بمعمل الخلايا الشمسية بالمركز القومى للبحوث ، بالأشتراك مع جامعتى الاسكندرية وايندهوفن الهولندية ، بإجراء تجارب لتصنيع وتجميع الخلايا الكهرضوئية على الواح لاول مرة فى مصر ، وذلك للاستفادة منها فى التطبيقات البحثية والصناعية المختلفة .

وقد أسفرت التجارب الاستطلاعية عن إمكانية استخدام شرائح السليكون المحلية فى تصنيع الخلايا الشمسية ، كما امكن تجميع هذه الخلايا على هيئة الواح باستخدام المواد المنتجة محليا مثل الزجاج والمواد اللاصقة .

واستخدام الخلايا الكهرضوئية أحد الحلول التكنولوجية الحديثة لمشكلة الامداد بالطاقة ، خاصة فى الأماكن النائية التى تتوافر فيها أشعة الشمس على مدار النهار ، وتخلو من مصادر الطاقة التقليدية وأمثلة ذلك توليد الطاقة للإنارة أو لوحدات الإتصال أو لتشغيل الطلمبات وسط الصحراء . وجدير بالذكر أن مثل هذه التطبيقات وجدت طريقها إلى خدمة بعض المجتمعات العربية كما هو الحال فى المملكة العربية السعودية منذ سنوات .

والفكرة فى هذه التطبيقات هى استخدام الالواح الكهرضوئية فى التقاط أشعة الشمس وتحويلها إلى طاقة كهربائية يجرى تخزينها فى مركم يمد بها الوحدات المراد تشغيلها (مصباح أو تليفون أو طلمبة) عبر محول خاص . وعلى هذا النحو تتمتع كل وحدة باستقلال ذاتى إذ تخزن الطاقة ثم تستخدمها عند الحاجة دون ارتباط باجهزة أخرى . ومن هنا النفع الكبير من وراء استخدام مثل هذه الوحدات فى المناطق النائية التى يتطلب توصيل الكهرباء إليها أموالا باهظة ..

هذا وقد نجحت إحدى المؤسسات الصناعية والهولندية اخيرا فى إنتاج وحدات متنقلة لانتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية . وهى تتكون من خلايا كهرضوئية ومنظم لشحن البطاريات

تستخدم الطاقة الشمسية الآن فى العوينات



الموجودة بها . ويمكن استخدام هذه الوحدات فى اى مكان لتزويد الاجهزة الكهربائية بالتيار اللازم لتشغيلها سواء كانت اجهزة تليفزيون او راديو او تكييف . هذا كما يمكن شحن بطاريات الوحدة من بطارية السيارة فى حالة غياب اشعة الشمس .

● إيجار الرحم ٣٠٠ دولار اسبوعيـــا ●

لم يستقر الرأى على اسم للطفلة بعد ، رغم اقتراب عمرها من العام .. فمن ولدتها تطلق عليها سارة ، بينما تصر العائلة التى زرعتها فى رحم الوالدة على تسميتها ميليسيا ، وتكتفى أوراق المحكمة التى تنظر النزاع بين الطرفين بالاشارة إليها على انها الطفلة "إم" .

وقد بدأت القصة حين تقدمت مارى بيث وايتهد (٣٠ سنة) ، وهى ربة بيت ، إلى مركز العقم فى نيويورك ـ وكالة تتكسب من تأجير الأرحام ـ مبدية رغبتها فى التطوع لمساعدة اى زوجين يعجزان عن الانجاب ، إذ أن لديها طفلين ولا ترغب فى المزيد ..

وبعـد إجـراء الاختبـارات النفسيـة والايضاحات القانونية ، وبعد لقاء فى أحد مطاعم نيوجيرسى نظمته الوكالة بين مارى وعائلة ستيرن ... وافقت مارى على أن يجرى إخصابها صناعيا من وليم ستيرن (٤٠ سنة) ، الذى عجزت زوجته اليزابيث (٤٠ سنة) عن الانجاب . وفى المقابل وعدت أسرة ستيرن مارى بعشرة آلاف دولار بالاضافة إلى مبلغ مشابه للمركز ، مع تحمل خمسة آلاف دولار أخرى كتكاليف للعملية ..

لكن الهواجس لعبت بفؤاد مارى بعد أن وضعت الطفلة ، ورفضت تسلم المبلغ المنصوص عليه فى العقد ، وسعت إلى استعادة الطفلة وبلغ الأمر بها إلى رفض طلب البوليس تسليم الطفلة الى اسرة ستيرن ، بل وقامت بتهريب الطفلة بعيدا ، حتى تمكن مخبر خاص استأجرته عائلة ستيرن من ضبطها ، وعرض النزاع على المحكمة التى قضت مؤقتا بحضانة آل ستيرن للطفلة ، على أن يسمحوا لمارى بزيارتها مرتين فى الاسبوع ، لساعتين فى كل مرة

لكنه مازال على القاضى أن يتخذ قراره النهائى فى النزاع ، بل وعليه أن يحدد طبيعة القضية المطروحة .. هل هى مجرد إخلال بتعاقد اتفق عليه ، يستوجب إبقاء الطفلة لدى عائلة ستيرن ، بعيدا عمن ولدتها . أم هى قضية حضانة عادية ، وبالتالى يكون الفيصل فيها لصالح الطفلة بصرف النظر عن التعاقد السابق !!

ومما يصعب مهمة القاضى انه لا توجد فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن تشريعات تنظم عملية الأمومة بالنيابة او تأجير الأرحام ، على الرغم من أن مايقرب

مارى وايتهد وزوجها امام مهد الطفلة الخالى فى انتظار حكم القاضى .



من مائة طفل يولدون بهذه الطريقة سنويا منذ عام ١٩٧٩ .

ويعقد القضية الراهنة ما تثيره مارى من أن الطفل ربما كان من زوجها هى - رغم تعهده بعدم إتيانها خلال فترة الإخصاب - وذلك ناهيك عن إثارة دفاعها لمسالة كون مارى ربة اسرة ، اى ام طوال الوقت ، بمقدورها ان توفر للطفلة ظروف تنشئة افضل من امراة عاملة .. بينما يثير دفاع اسرة ستيرن مسالة عدم جدارة اسرة مارى برعاية الطفلة ، إذ انها هددت خلال حديث تليفونى معها ، خلال تعقب اسرة ستيرن لها ، هددت بقتل الطفلة إذا لم يكفوا عن متابعتها .

وتقول مارى إن تجربة الإنجاب جعلتها تدرك انها اخطات حين وقعت عقدها مع اسرة ستيرن وتبدى دهشتها من معالجة الناس للامر وكانه مشاحنة على ملكية سيارة ..

وتتفاوت وجهات نظر الناس فى القضية وفقا لمواقعهم فيرى البعض ان الامر برمته ممارسة شاذة يجب الا تحدث على الاطلاق ، لانها تحول شيئا خاصا جدا إلى تجارة . بينما يذهب البعض إلى ضرورة دراسة الآثار النفسية لمسالة الأمومة بالنيابة على نحو اكثر إسهابا ، إذ لاينبغى سد طاقة الامل التى انفتحت امام ١٥٪ من الامريكيين الذين يعانون من مشاكل فى الأنجاب ..

● الرضاعة الطبيعية افضل وقاية من امراض التلوث ●



لماذا تحرمينى من كل مزايا الرضاعة الطبيعية ؟

اكدت الندوة الدراسية التى اقامتها الهيئة العلمية للدراسات الحضرية بالمركز القومى للبحوث ماتوصلت اليه الدراسات العلمية حول كون الرضاعة الطبيعية افضل وقاية للطفل .

وكانت الابحاث العلمية قد أكدت ضرورة لبن الام - الجاهز الدافىء المعقم - للطفل وكشفت عن المميزات التى يعجز اى لبن اخر عن مجاراته فيها .. فلبن الام يختلف يوما بعد يوم خلال شهور الرضاعة بل ويختلف بين رضعة وأخرى .. ففى الايام الثلاثة الاولى من عمر الرضيع يضم لبن "السرسوب" كمية مرتفعة من السوائل ، تتضمن قليلا من المواد الكاربوهيدراتية والبروتينية ، وبعد ثلاثة أيام أخرى تنقلب الآية وتتغير نسبة السكريات والنشويات مع البروتينات بين فترة وأخرى مواكبة للنمو . بل ان تكوين لبن الام يختلف على مدار اليوم فيكون خفيفا ساعة الافطار فى رضعة الصباح ثم تزداد كثافة المواد الكاربوهيدراتية والبروتينية مع منتصف النهار ..

هذا كما بينت الأبحاث ان إصابة بعض الاطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الطبيعية بسوء التغذية يرجع الى رضاعة هؤلاء الاطفال لفترات قصيرة ثم تركهم الثدى مما يقصر غذاء الطفل على اللبن الخفيف الذى ينساب فى بداية الرضعات .

وقد اكدت الاحصائيات التى اجرتها جهات علمية عديدة أن الاطفال الذين يتوقفون عن الرضاعة الطبيعية قبل مرور ستة شهور على ولادتهم يتعرضون للوفاة خلال الأشهر الستة التالية بنسبة تتراوح بين خمس وعشرة أضعاف مقارنة بالاطفال الذين يواصلون الرضاعة إلى عمر ستة شهور واكثر . والسبب فى ذلك هو المناعة التى يكتسبها الطفل من لبن الأم . هذا كما أكدت الدراسات أن الرضاعة الطبيعية تحمى الطفل الوليد من الاصابة بامراض الحساسية . ذلك كله إضافة بالطبع إلى حرمان الطفل الذى لا يعتمد على الرضاعة الطبيعية من العواطف الرقيقة وحالة الاطمئنان التى ترافقها ..

ومن الجدير بالذكر هنا ان الابحاث العلمية قد اكدت ان الرضاعة الطبيعية تحمى الثدى من الأورام الخبيثة . كما تساعد جهاز المراة التناسلي فى العودة إلى حجمه ووضعه الطبيعيين . هذا كما أن استمرار الرضاعة الطبيعية يمنع الحمل بدون عقاقير لمدة ستة شهور كما يساعد على عودة التوازن الهورمونى إلى جسم المراة .

● ٥٪ سكان العالم بلا مأوى ●

تبين احصاءات الامم المتحدة أن خمس سكان الارض - حوالى الف مليون نسمة - لا يعانون من مشكلة سكنية فقط ، بل يعيشون فيما يشبه العراء . وأن خمسين الفا من هؤلاء - أغلبهم من الاطفال - يموتون سنويا بفعل ظروف التشرد القاسية . وأن المستقبل سيكون أشد قتامة إذ أن عدد من لا مأوى لهم سوف يتضاعف ، إذا ماتطور الأمر على النحو الراهن ، ليصل قبل عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ مليون شخص ..

لهذا كله اختارت الأمم المتحدة عام ١٩٨٧ عاما دوليا لمواجهة مشكلة توفير المأوى للمحتاجين الذين يفترشون الارصفة ويلتحفون السماء حين يحل الظلام ، ويقضون عمرهم دون ان يعرفوا معنى السكن فى بيت ، لاستحالة ذلك فيما يخصهم ، مما يحصر فرص ترقيهم السكنى فى هياكل السيارات القديمة وبيوت الصفيح وصناديق الكرتون . التى تقام على حافة المدن - الهامش الذى يستوعب الفقراء - لتضيف مشكلة أخرى عند تحولها إلى جزء من المدينة مع حركة التوسع المطردة .

والمشكلة ذات أبعاد متشابكة فمعظم هؤلاء قدموا من القرى الصغيرة فى بلدان العالم "النامى" إلى المدن الكبرى بحثا عن العمل ، دون ان يجدوا لأنفسهم موطىء قدم إلا فى شوارعها . ولقلة فرص العمل التى تنحصر فى المهن الدنيا - مسح الاحذية وبيع الحلوى - سرعان مايتحولون إلى التسول والسرقة ..

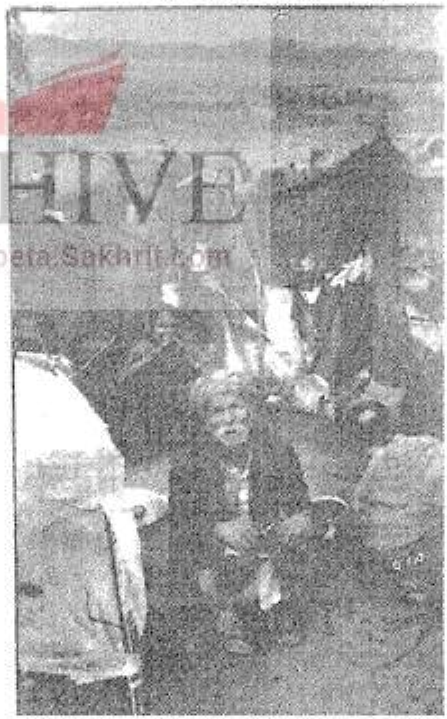
وتقول إنريد مونرو مديرة مشروع الأمم المتحدة الاسكانى إن المشكلة على هذا النحو اكبر حجما من ان تعالج خلال عام واحد ، بل واكبر من الـ ٢٥٠ الف مشروع التى يجرى التفكير فى تنفيذها حاليا ، والتى سيمتد العمل فيها غالبا إلى مابعد عام ٢٠٠٠ ومن هنا فالمشروع لا يلتزم بفترة زمنية محددة وإن كان يحدد عام ١٩٨٧ كنقطة تحول . وهو برنامج حيوى طموح لمعالجة الظروف السيئة التى يعانيها الناس فى أماكن تفتقر الى التهوية الصحية والمياه الجارية والاضاءة والصرف الصحى ، وذلك بهدف توفير المسكن المناسب للمحتاجين .

وللتغلب على مشكلة الاسكان وما تحتاجه من اعتمادات هناك اقتراحات محددة تتصل

العالم غدا

بتوفير الاراضي وتخطيطها ومد المرافق اليها ، منها على سبيل المثال .

- ان تقدم الهيئات المعنية - الحكومات والبلديات وهيئات الاوقاف - المساحات التي تملكها للناس . او حتى تشترى الاراضي لتبيعها بالتقسيط للمحتاجين ، مع مساعدتهم على بناء هذه الأراضي بشروط معقولة ، ومراعاة التوسع الافقي في المدن بالامتداد إلى المناطق المجاورة والصحراوية منها بالذات .



- ان تقدم الحكومات مواد البناء والأموال للناس ، وتترك لهم فرصة البناء حتى تزيد من ارتباطهم بالارض ، مع العمل على توفير مواد بناء رخيصة نسبيا وتصنيعها من المواد المحلية .

- تقديم الارشاد والنصح علاوة على توفير المجالات التي تتيح جمع قدر من المدخرات يساعد الناس على البناء بانفسهم .

ويحتاج الأمر على هذا النحو إلى جهود ضخمة مكثفة وإلى تضافر جهود العديد من المنظمات والهيئات وتعاون الحكومات مع القطاعين العام والخاص . والطريف ان التجارب التي اخذت بهذه المعايير وشجعت الناس على البناء بانفسهم كشفت عن تفننهم في البناء على افضل نمط صحي وفي إكساب مساكنهم لمسات خاصة ، وفي بناء وحدات اضافية لتاجيرها . بل ان كثيرين منهم عمل على بناء مخازن او مصانع صغيرة ملحقة بالمسكن ..

ومن المشكوك فيه ان تنجح جهود عام ١٩٨٧ في حل المشكلة ، وقد تنجح في الابقاء عليها في دائرة الضوء ، لكن المؤكد انها ستتيح الفرصة امام كل شعب للاستفادة من تجارب الشعوب الاخرى ناهيك عن إدراك موقعه على الخارطة العامة للمشكلة .

● إجتياز حاجز البكيني في الصين ! .

قبل أسابيع تمت عملية شراء غريبة في أحد متاجر هونج كونج ولم تكن الغرابة تخص السلعة المشتراة (١٠٠ مايوه بكيني) بل هوية المشترى الذي كان مندوبا من جمهورية الصين الشعبية . وفحوى الواقعة أن صراع

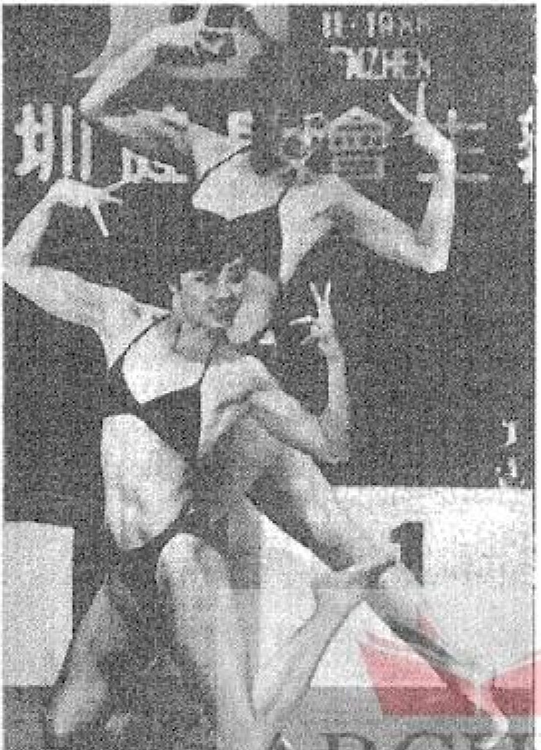
"التجديد" كان قد حسم فى الصين ، وتقرر ان ترتدى لاعبات كمال الاجسام الصينيات المايوه البكينى ، خلال البطولة الخامسة للعبة ، التى ستجرى فى مدينة سينجين .

ورغم ارتفاع اسعار التذاكر فى السوق السوداء لتبلغ ٤ امثال قيمتها الحقيقية (٢ر٢ دولار امريكى) فقد تجمع مايزيد على خمسة آلاف متفرج لمشاهدة ٤٦ لاعبة يتنافس على اللقب على انغام موسيقى الديسكو . وكان الصفير والتصفيق يرتفع من الحضور لا كرد فعل على ما تفعله المتنافسات وإنما على ماترتدينه ..

وبطولة سينجين كانت البداية التى اعتمد فيها البكينى رسميا كرداء للمتسابقات لكن الاقتحامات الأولى "لحاجز البكينى" سبقت ذلك . فخلال مباراة جرت فى دويخ جوان ذهل ٥٠٠ متفرج حين ظهرت المتسابقات يرتدين مايوه القطعتين . لكن الذهول لم يستمر سوى لحظة التهيب بعدها الأكف بالتصفيق ، والحناجر بالصيحات ، وحنت الفتيات رءوسهن حتى مرت الموجة ثم بدأن فى استعراض حركاتهن وسط تصفيق عاصف

ولما راحت موجة البكينى تتسلل إلى المسابقات الأخرى ارتفعت أصوات السلطات التقليدية مطالبة بوقف هذه "الموجة المريضة" لكن المباريات راحت تحظى باقبال متزايد كانت قد افتقدته ، مع الحظر الذى فرض عليها قبل عشر سنوات خلال الثورة الثقافية ، وأجبر كل المتباريات الصينيات على أن يظهرن خلال المسابقة فى مايوهات من قطعة واحدة ، مصنوعة من الصوف .

وكتبت "أخبار الرياضة" الصينية فى مقال افتتاحى تعليقا على الحدث : "إذا أردنا للاعبات كمال الأجسام الصينيات سيادة أسيوية ، فمنافسة على المستوى العالمى ، ينبغى علينا ناهيك عن التدريب الشاق تجاوز الأفكار التقليدية .. " .



لاعبتا كمال أجسام .. من أجل منافسة آسيوية

لكن بعض بطلات كمال الأجسام الصينيات اعترفن بأنهن لايجرؤن على مصارحة ذويهن بنية ارتداء البكينى خلال المسابقات . وبررت السلطات الرياضية فى سينجين قرارها بإستخدام البكينى بضرورة جريان المسابقة فى إطار الاجراءات التى يفرضها إتحاد كمال الاجسام الدولى ، الذى انضمت إليه الصين اخيرا .

ومن الجدير بالذكر أن مسابقة كمال الاجسام للرجال التى اقيمت بعد ظهر نفس اليوم مرت دون أثر يذكر ، بينما كانت السلطات قد إتخذت إجراءات أمنية خاصة خلال مسابقة النساء فى الصباح ..

دراسة الهلال

٢ قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم

سعيد باشا
أو ديون بلا تنمية

بقلم: د. جلال أمين

لا يقف المؤرخون الاقتصاديون عادة وقفة طويلة عند عباس الأول الذي انتقل بمصر من النصف الأول الى النصف الثاني من القرن الماضي (١٨٤٨ - ١٨٥٤) . إذ لم تشهد مصر في عهده من الأحداث الاقتصادية كثيرا مما يستحق الذكر ، فهم لا يكادون يذكرون له إلا إدخال اول خط للسكك الحديدية في مصر ، وصل الأسكندرية بكفر الزيات . وقد تكون ضآلة أثره وقلة الأحداث في عصره راجعين إلى غرابة أطواره وانطوائه وقلة طموحه ، فضلا عن كراهيته للحضارة الأوربية وللأوربيين جملة . فلجأ إلى حماية نفسه من تملق قناصل أوربا وتهديداتهم على السواء ، على حد تعبير مؤرخ بريطاني "باتباع سياسة محسوبة ومتعمدة هي أن يبتعد تماما عن أنظارهم"(١) . وقد يكون الأمر على العكس راجعا إلى أن الأوربيين لم يكونوا مستعدين للانقضاض على مصر بعد ، فلما تهيأوا لهذا الانقضاض لم يعد الأمر يتحمل واليا بهذا الانطواء ولم تعد تفلح سياسة "الابتعاد تماما عن أنظارهم" ، وأصبح المطلوب واليا "منفتحا" يحسن الفرنسية ويجيد الانفاق والاقتراض كسعيد أو اسماعيل .



سعيد باشا
تورط في الديون الخارجية



الخديو اسماعيل
عزله الأوربيون

هل لهذا التفسير علاقة بالفارق بين الطريقة التى انتهت بها حياة عباس ، وتلك التى انتهت بها حياة سعيد ؟ وهل له علاقة بالطريقة التى بدأت بها ولاية اسماعيل والطريقة التى انتهت بها ؟ إذ بينما انتهت حياة عباس بجريمة قتل غامضة لا تعرف على وجه اليقين دوافعها(٢) ، ترك سعيد ليموت ميتة طبيعية . وبينما تولى اسماعيل العرش بدلا من أخيه الذى كان صاحب الحق فى العرش ومات بدوره فى ظروف لا تقل غموضا عن ظروف مقتل عباس(٣) ، واستقبله الأوربيون بالثناء واستمروا يمجدونه طالما ظل قادرا على الاقتراض وتسديد ديونه ، انهالوا عليه بالنقد والتجريح حتى نجحوا فى عزله بمجرد أن توقف عن الدفع .

تقاعس وحب للأجانب

لم يكن عباس الأول على دراية بلغة أوربية واحدة ، ولم ير أوربا قط فى حياته ، وطرد الموظفين الأوربيين من خدمته ، ورفض أن يستمع الى ديليسبس وهو يعرض عليه مشروع حفر قناة السويس ، بل حاول محاولة يائسة أن يعيد إلى مصر صورة من صور نظام الاحتكار الذى فرضه محمد على وأجبره الأوربيون على التخلى عنه . تأمل الفارق بين عباس الأول وهذه الصورة التى يرسمها مارلو لخليفته سعيد باشا :

"كان فى أحواله العادية رجلا طيب المعشر متساهلا ، وإن كان يتعرض أحيانا لنوبات من العنف والغضب التى تستحيل تهدئتها . كان يكره الرذالة ، سواء صدرت من أحد أقربائه أو من بعض القناصل أو من الباب العالى أو من قناصى الفرص الباحثين عن الامتيازات ، ولكنه كان أيضا على استعداد دائما لانفاق المال كوسيلة للخروج من مأزق .. لم يكن لديه لا الصبر ولا القدرة على أن يعكف على تفاصيل الإدارة والحكم .. كما أنه ازال كل حاجز يقوم بينه وبين أفواج

..ربيين المتدفقين على بابه . ..ن ..صى الفرص والامتيازات والطفيليين ..ذين سرعان ما اكتظ بهم قصره .. لم ..كن سعيد يفتقر إلى الذكاء ، فقد كان فى ..عظم الأوقات واعيا لأغراض هؤلاء الذين حاطوا به والتفوا من حوله ، ولكنه كان ..كثر جبنا من أن يحاول التصدى لضغوط ..تناصل عليه ، واشد كسلا وتقاعسا من .. يرفض طلباتهم التى لا تستند إلى أى ..ساس معقول ، كما كان له من طيب ..معشر ومن التساهل ما يمنعه من ..عضاب هؤلاء الذين تخصصوا فى التودد اليه"[4] بينما يروى مؤرخ آخر عن سعيد ..نه كثيرا ماكان يوقع مايقدم إليه من وثائق ..ون أن يقرأه ، بما فى ذلك اتفاقية قناة ..سويس ، التى قدمها إليه ديليسيبس ، بل حتى دون أن يستشير مستشاريه القانونيين أو الماليين ، مرتكنا إلى أن ديليسبس صديقه ولا يمكن أن يخدعه[5] .

● بداية التورط فى الديون

لم يمض وقت طويل على اعتلاء سعيد ..عرش (١٨٥٤) حتى بدأ يتورط فى الديون . فبعد أقل من ثلاث سنوات من بداية حكمه بدأ يتأخر عن دفع مرتبات موظفيه وعن دفع الجزية للسلطان . لجأ سعيد فى البداية إلى الاقتراض من بعض البنوك الأوروبية التى كانت قد أنشئت حديثا فى الاسكندرية ، ثم استجاب لنصيحة ديليسبس بأن يصدر أذونات على الخزانة ، تتراوح مددها بين ستة أشهر وثلاث سنوات ، ويتراوح سعر فائدتها بين ١٥٪ و ١٨٪ بينما كان السعر السائد على القروض التجارية لا يزيد على ٧٪ . كان سعيد أحيانا يستخدم هذه الأذونات فى دفع مرتبات الموظفين ، ومن ثم كان يحدث أن يتجمع على ابواب وزارة المالية دائنو الموظفين من الخبازين والجزارين ومن إليهم ليطالبوا بقيمة الأذونات التى فى أيديهم[6] .

وإذ لم تكفه القروض المحلية وأذونات الخزانة لجأ سعيد فى ١٨٦٠ لعقد أول قرض خارجى مع أحد المصارف الفرنسية ، ولكنه كان قرضا باسمه لا باسم الحكومة المصرية[7] ، قيمته الاسمية ٢ر١ مليون جنيه استرلينى وبسعر فائدة ٦٪ ولكن سعيد لم يتسلم من قيمة القرض ، بعد خصم العمولات والأتعاب والمصروفات إلا أقل من ثلاثة أرباعه ، وخصصت لضمانه حصيلة جمارك ميناء الأسكندرية . ومع هذا فلم يمض أكثر من عام حتى أصبحت خزانته خاوية من جديد ، فلجأ فى ١٨٦٢ الى عقد أول قرض خارجى تعقده الدولة المصرية فى تاريخها الحديث ، قدمه لها مصرف أوبنهايم الالمانى بمبلغ ٥ر٢ مليون جنيه استرلينى بسعر فائدة ١١٪ ، ومضمونا بحصيلة ضريبة الأطيان على أراضى الدلتا . من هذا القرض أيضا لم يحصل سعيد ، بعد خصم العمولات والمصاريف إلا على ٨٤٪ من القيمة الاسمية ، وكان عليه أن يدفع لسداده ، عبر ثلاثين عاما ، بعد إضافة الفوائد والرسوم السنوية ، ٢ر٨ مليون جنيه ، أى نحو ثمانية أمثال المبلغ الذى تسلمه بالفعل[8] .

عندما مات سعيد فى ١٨٦٣ ، كانت مصر إذن مدينة بنحو ٨ ملايين جنيه

استرلينى مستحقة السداد عبر ثلاثين عاما ، بالاضافة إلى مليون آخر واجب الدفع عبر ثلاث سنوات ، وديون قصيرة الأجل تبلغ نحو ٩ ملايين جنيه . كان اجمالى حجم الدين المصرى إذن ، عائما وثابتا (أو قصير الأجل وطويله) نحو ١٨ مليون جنيه عند وفاة سعيد ، أو مايعادل نحو خمسة أمثال إيرادات الحكومة المصرية فى السنة السابقة على وفاته .

● العصر الذهبى للفلاح

من أين جاء هذا التورط المفاجيء فى الديون ؟ من المؤكد أنه لا يمكن تفسيره بجهود سعيد فى التنمية . فباستثناء بدء العمل فى قناة السويس ، وقيامه بتطهير ترعة المحمودية ، واستكمال خط السكك الحديدية من كفر الزيات الى القاهرة ، ومد خط حديدى آخر بين القاهرة والسويس ، وكلها مشروعات تخدم التجارة الدولية اكثر مما تزيد القدرة الانتاجية لبلده ، لا يجد المرء فى سجل سعيد فى تنمية الاقتصاد المصرى مايستحق الذكر . ففى الصناعة لم يضف سعيد مصنعا واحدا ، وكانت مصر عندما تسلم حكمها تصدر ٢٩ ألف قنطار من السكر فتركها وهى تصدر اقل من نصف هذا القدر . وفى الزراعة لم يبذل أى جهد لتطوير نظام الرى ، وكانت مساحة الأرض المزروعة عند وفاته أقل مما كانت قبل بداية حكمه[٩] . أما إطلاق وصف "العصر الذهبى للفلاح" على عهده ، فلم يكن بسبب زيادة الانتاج الزراعى او انتاجية الفدان ، وإنما بسبب تخفيض عبء الضريبة على الفلاح ، على حساب اهمال مشروعات الرى ، وبسبب إعطائه الفلاح حق التصرف فى الأرض التى يزرعها بالبيع والرهن والتوريث ، الامر الذى فتح الباب أمام نمو الملكيات الزراعية الكبيرة على حساب الفلاح الصغير الذى كثيرا ما اضطر إلى التنازل عن ملكيته لصالح المرابين من المصريين والأجانب .

وليس بالإمكان أيضا تفسير مديونية سعيد بزيادة الانفاق على الحرب والجيش . فلم يعرف عصره حروبا طويلة ولا توسيعا لرقعة بلاده ، بل خفض سعيد حجم جيشه وخفض مدة الخدمة العسكرية ليوجه المجندين لحفر قناة السويس ، وأصدر اوامره بالكف عن إصلاح سفن الأسطول وتكسير بعضها وبيع أخشابها . ولم يشترك سعيد إلا فى حربين ، لا ناقة لمصر فى أى منهما ولا جمل ، حرب القرم لمناصرة السلطان ، والتى انتهت على أى حال بعد استلامه الحكم بعامين ، وحرب المكسيك لمناصرة صديقه نابليون الثالث ، التى أرسل إليها كتيبة صغيرة من السودانيين لقى معظمهم حتفه .

كانت جل مشروعات سعيد فى التنمية ، إن لم تكن كلها ، بنصيحة الأجانب ولخدمتهم ، من حفر قناة السويس التى نعرف قصتها ، والتى أدى فتحها إلى فقدان مصر لما كان يعود عليها من عوائد من مرور التجارة فى وسط الدلتا ، إلى مد الخط الحديدى من القاهرة إلى السويس ، الذى تم بإلحاح الحكومة الانجليزية لتسهيل نقل جنودها إلى الهند ولصالح الشركة البريطانية التى تبيعه المعدات ، والذى سرعان ما أصبح عديم النفع بمجرد فتح قناة السويس وتم هجره نهائيا . وكذلك كان موقفه من التعليم : فبينما كان يغدق الاعانات على مدارس الراهبات

الفرنسية وعلى مدرسة إيطالية بالإسكندرية . كان يغلق مدرسة المهندسخانة ببولاق ثم يحولها الى مدرسة حربية ، ويغلق مدرسة الطب بقصرالعيني فترة ويفتحها فترة ، ويلغى ديوان المدارس (وزارة المعارف)[10] .

● سعيد ومسئولية الديون

إن معظم مؤرخي عصر سعيد يميلون إلى إلقاء المسئولية عن توريط مصر في الديون في عهده إلى "ماجبل عليه من سخاء وعدم التدقيق في حسابه" وإلى كونه "متلافا للنقود" ، على حد قول الرافعي "وكثرة نفقاته على قصوره ومعيشته الخاصة[11] . والكتب حافلة بذكر تبديده للنقود على أسرة فضية كهربائية بمناسبة زواج ابنه ، وعلى أواني للشرب يصفها أحد الكتاب بانها لابد أن كانت ، من فرط ارتفاع سعرها ، أواني سحرية تظل مملوءة على الدوام[12] ، وعلى استيراده نظارات معظمة باحجام هائلة من باريس ، وتزيين أكتاف ضباطه بالفضة الخالصة ، ومده لخط حديدي بين الاسكندرية ومريوط لنزهاته الخاصة .. الخ على اننا نلاحظ أن هذا الميل إلى إلقاء اللوم على الوالي نفسه كان أشد وضوحا لدى من كانوا أقرب عهداً به ، وأنه كلما مر الزمن وبعد عهدنا بهذه الحقبة كلما زاد الميل لدى المؤرخين إلى رؤية مصر كجزء صغير من العالم ، بعلاقاته الاقتصادية والمالية المتشابكة ، وإذا بهم يميلون أكثر فاكثر إلى إهمال دور النزعات الشخصية والنفسية ، ويبدون اهتماماً اكبر باتجاهات رأس المال الدولى والتطورات الاقتصادية فى العالم ، الابعد غوراً والأطول مدى . هكذا نجد مؤرخين اقتصاديين مثل كراوشلي ، الذى كان يكتب فى الثلاثينيات من هذا القرن ، ولهيطة ، الذى كان يكتب فى الاربعينيات ، لا يكادون يذكرون شيئا عن مسئولية العوامل الخارجية في توريط مصر في الديون فى عهد سعيد .

● تضاعف الديون

أهم بكثير من شخصية سعيد وكونه "متلافا للنقود" حقيقة كالحقيقة الآتية : وهي أن الفائض السنوى فى ميزان المدفوعات البريطانى ظل يتراوح بين ٥ و ٦ ملايين جنيه خلال الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم قفز الى ٦ر٧ مليون جنيه خلال السنوات الخمس السابقة على اعتلاء سعيد العرش ، ثم تضاعف إلى اكثر من ثلاثة أمثاله خلال السنوات الخمس التالية (١٨٥٥ ـ ١٨٦٠)[13] . هذه الزيادة الكبيرة فى الفائض الباحث عن فرص للاستثمار بالخارج يؤيدها مابدأ يظهر من إعلانات فى الجرائد البريطانية لإغراء أصحاب الأموال بفرص الربح المجزية المتاحة أمام الاقراض فى بلاد كمصر ، فنشرت إحدى الشركات البريطانية إعلانا فى بريطانيا مؤداه "أن ميدان العمليات المالية ليس له حدود" وأن "المزارعين والتجار فى مصر العليا والسودان يستطيعون أن يقترضوا بسعر ٤٪ و ٥٪ فى الشهر"[13] .

كانت الفرصة التى تتيحها مصر لرأس المال الأوربى والتجارة الأوربية فى عهد سعيد تتمثل فى انفتاح مصر

على العالم بعد زوال نظام الاحتكار الذى فرضه محمد على ، ونمو الاقتصاد النقدى ، وما أصبح متاحا لهم من الاتصال مباشرة بالفلاحين دون وساطة الوالى . وسرعان مابدأت البنوك الأوربية تفتح لها فروعا فى مصر ، خاصة فى الاسكندرية ، لتمويل التجارة الخارجية ورهونات الأراضى ولتقديم القروض للوالى الجديد . كان المرابون والأفاقون من الصيارفة والتجار قد بدأ يسيل لعابهم حتى قبل مقتل عباس الاول ، فاذا بهم بمجرد سماع خبر مقتله يتدفقون على مصر بأعداد هائلة كما لو كانت مصر كاليفورنيا جديدة ، فدخل مصر فيما بين عامى ١٨٥٧ و ١٩٦١ مايقرب من ٣٠ الف أجنبى سنويا(١٤) .

يصف لاندز الإسكندرية فى عهد سعيد بانها كانت "مدينة قبيحة مليئة بالعشش والمساكن الحقيرة .. وفى كل مكان توجد الرائحة الكريهة للقاذورات ومخلفات الإنسان التى تكون أمام المنازل حتى تملأ الطريق .. إن الاسكندرية لم تكن بالمكان الذى يجذب الزائر الحساس القادم من دولة أكثر تحضرا ، ولكن الإسكندرية هى البلد الذى فيه المال ، وقليلون هم الذين

ديليسبس
نصائحه أوقعت سعيد فى الهاوية



يرغبون فى التضحية بجيوبهم بسبب ماتشمه أنوفهم"(١٥) . لم يكن النجاح فى الحصول على امتياز من الحكومة المصرية أو فى عقد صفقة ما "من نصيب الأرخص أو الاسرع فى الانجاز أو الأنسب فى شروطه ، وإنما كان من نصيب من يعرف الوالى منذ الطفولة ، أو من نصيب التاجر الذى يتناول الطعام مع وزير الأشغال العمومية ، أو المقاول الذى ينام مع عشيقة الوزير .. أما بالنسبة للموظفين الصغار ، فقد كانت الرشا المكشوفة تؤدى نفس المهمة"(١٦) .

● إغراء ونهب

فى مناخ كهذا يكاد يستحيل على المرء أن يتصور واليا ، مهما أوتى من بعد النظر وقوة الإرادة ، يستطيع الصمود أمام مختلف أساليب الضغط والإغراء والتهديد ، سواء كان تهديدا بسحب التمثيل القنصلى ، أو بإثارة المتاعب للوالى لدى السلطان أو حتى بالتلويح بالهجوم العسكرى ، اللهم إلا إذا دفع الوالى حياته ثمنا لهذا الصمود . لم يكن سعيد فى الواقع يشترى مايحتاج إليه أو حتى مايرغب فيه ، بل ماكان يفرض عليه شراؤه ، وكان يقترض لا لتمويل مشروع اقتنع بفائدته ، بل لشراء مايحتاج البائع إلى تصريفه ، أو لملء جيوب المرابين بالفوائد ، أو لتمويل مشروع يعود على الأجانب بالربح . كان بدء إصدار سعيد لأذونات الخزانة بناء على نصيحة ديليسبس لكى يمكن سعيدا من الحصول على الأموال اللازمة للانفاق على قناة السويس ، وكان عقده لأول قرض خارجى مع مصرف فرنسى بتأييد بل وتشجيع وزير الخارجية الفرنسية(١٧) . ثم تأتى

بالطبع عمليات النهب من جانب قناصل الدول الأوربية . فإذا بقنصل بلجيكا يضطر سعيد لدفع ٣ ملايين فرنك تعويضا له عن امتياز زعم أن محمد على أعطاه له بكلمة شفوية منذ عشر سنوات لنقل البضائع إلى خليج السويس . وإذا بقنصل هولندا يضغط عليه ليحصل منه على امتياز بتشغيل قاطرات لجر حاملات البضائع في النيل ، على أن يكون لهذه الشركة احتكار هذا الحق . فاذا ما احتج قناصل الدول الأخرى على حرمان رعاياهم من هذا الحق ، وجد سعيد نفسه مضطرا لدفع تعويض إما لرعايا هذه الدول المحتجة ، إذا أصر على اعطاء الامتياز للهولنديين ، أو للهولنديين إذا سحب منهم الامتياز . فإذا به يلجأ الى حل ثالث لا يقل سوءا ، وهو قيامه بشراء كافة أسهم الشركة الهولندية بسعر باهظ ثم يهجر المشروع بأكمله(١٨) .

★ ★ ★

لم يكن وضع مصر الاقتصادى خلال عهد سعيد ليضطرها إلى الاستدانة ، بل كان لديها من فائض الايرادات ما يكفي ، على حد تعبير القنصل الانجليزى في ذلك الوقت . "لتوظيف كل ما تحوزه من أيد عاملة . ولو كانت هذه الإيرادات قد وجهت إلى مشروعات مختارة لاستطاعت مصر أن تلبى كل احتياجاتها"(١٩) . ولكن هذا الوالى الذى اعتلى عرش مصر في عصر الأفاقين لم يكن في وضع يسمح له بتوجيه إيرادات مصر إلى "مشروعات مختارة بحكمة" . بل كان المقصود هو العكس بالضبط .

هوامش الدراسة

(1) Marlowe, J : Spoiling the Egyptians, Andre Deutsch, London, 1974, P. 86.

(٢) انظر عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٣٢) ، ١٩٤٨ ، ص ١٩ ـ ٢٢ .

(٣) الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٧٠

(٤) مارلو ، المرجع السابق ، ٨٧ .

(5) Kirk, G : A short History of the Middle East, Mothuen, london, P. 82

(٦) محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى في العصور الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ٢٤٠

(7) Owen,r : the middle east in the world economy 1800 - 1914, methuen, london, 1981, P. 125

(٨) مارلو ، ص ٩٦

(9) Crouchley,A : the Economic Development of Modern Egypt, longmans, london, 1938, p. 25

(١٠) الرافعى ، ص ٤٢

(١١) الرافعى ، ص ٦٦

(١٢) دافيد لاندز "بنوك وباشوات" ترجمة د . عبد العظيم انيس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩

(١٣) لاندز ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(١٤) لاندز ، ص ٨٠ .

(١٥) لاندز ، ص ٨١ .

(١٦) لاندز ، ص ٨٨ .

(١٧) مارلو ، ص ٩٤ .

(١٨) مارلو ، ص ٨٨ .

(١٩) مارلو ، ص ٨٩ .

أنت .. والهلال

● ذكرى استاذ الجيل ●

● في ٥ مارس منذ اربعة وعشرين عاما رحل استاذ الجيل احمد لطفى السيد ·

وتتعدد الاتهامات الظالمة فتارة يوصف بانه داعية الاحتلال والتهاون في اللغة . وتارة يوصف بأنه أكذوبة الجيل ، ومن هنا وجب علينا في ذكراه ان نفتح ملفه لتقرير الحقيقة ، ولتبرئة ساحته من اتهامات لاحقته في قبره ·

كانت دعوة أستاذ الجيل امتدادا وتعميقا لمدرسة الامام محمد عبده فى التجديد الدينى ، وكانت رسالته تنوير الاذهان لتزويد الامة بأدوات الاستقلال الصحيح القائم على العلم والثقافة ، وتزكية الوعى الانسانى والثقة بالذات والاعتماد على النفس والتشبث بطلب الحرية والشعور بالكرامة الانسانية ·

وفى صحيفة « الجريدة » التى أصدرها أستاذ الجيل بوحى من الأستاذ الامام عرض لطفى السيد أفكاره فى الاجتماع والسياسة والأدب والاقتصاد والثقافة وتبلورت فلسفته فى الاصلاح العام والترشيد الفكرى والوطنية المصرية بوضوح ، ورفع عاليا شعار « مصر للمصريين » · ودعا الى سيادة العقل والواقعية فى الحياة الاجتماعية ، وتقرير الديمقراطية الليبرالية أساسا للنظام السياسى والاجتماعى ، ودعا الى تحرير المرأة وتمكينها من حقها فى التعليم والمساهمة فى الحياة العامة ، ومن يقرأ تراث استاذ الجيل فى الجريدة أو محاضراته أو مقالاته قراءة بعيدة عن الهوى لا يمكن ان ينتهى الى وصفه بأنه خصم للوحدة الاسلامية أو العروبة ·

علت صيحة لطفى السيد في أوائل هذا القرن تطالب بالتعليم وتوسيع مداه ، وكان رأيه ان اصلاح الكتاتيب والمدارس الاولية لا يقف حائلا دون انشاء الجامعة المصرية ، وحمل على من ينادون بحرمان الشعب من حقه فى التعليم بحجة ان الارض لن تجد من يزرعها ، وليس على الذوات ان يخشوا أو يكبر على نفوسهم أن يساويهم فلاحوهم فى هذا الامتياز ، وان انشاء الجامعة لا يتعارض مع اصلاح الكتاتيب ، ولم يكن أستاذ الجيل يدعو الى قصر التعليم على ابناء الاعيان كما زعم البعض عندما كتب عن أستاذ الجيل ووصفه بأنه أكذوبة الجيل ·

وقد نسب الى أستاذ الجيل القول بالدعوة الى العامية ، وتمصير العربية

بإحياء العامية ، والحقيقة في ذلك انه سعى منذ أوائل هذا القرن لاصلاح اللغة العربية لتجارى عصرنا فيما استجد من ابتكار وتجديد مع المحافظة على أسلوبها الفصيح ·

واذا كانت مصر مدينة لجمال الدين الافغاني ومحمد عبده بأنهما اقاما مدرسة دينية جديدة تقوم على التجديد والاجتهاد والنظر الفقهي بما يجاري روح العصر ، فانها مدينة لاحمد لطفي السيد ومدرسته الفكرية في التجديد العصري ، هذه المدرسة التي تستمد روح وجودها من الحرية الحقيقية التي تحتمل ابداء كل رأى ونشر كل مذهب وترويج كل حقيقة · ولم تنقطع علاقة لطفي السيد بمدرسة الاستاذ الامام الى آخر يوم في حياته ، ونراه في ابريل سنة ١٩٤٥ في أروقة الازهر الشريف مجددا في التفكير الديني حين تراس أول لجنة مناقشة لرسالة دكتوراه في الفلسفة في الازهر عن الآله عند أرسطو، ويدعو الى التجديد والنظر بما يلائم روح العصر ·

وبعد ، فان أحمد لطفي السيد كان رائدا من رواد الوعي الانساني في الصحافة والجامعة والمجمع اللغوى · وكان من الشخصيات المؤسسة في عالم المعرفة والفكر ، وهو في دعوته الى التجديد يتخذ من مبدأه الديمقراطي سبيلا الى الحرية الفكرية ممثلا في قوله : « ان الخلاف في الرأى لا يفسد للود قضية » ·· وهذا المبدأ الذى أورثنا اياه أستاذ الجيل ينبغي ان يكون رائدا لنا فيما يعن لنا من قضايا ومواقف ·

عمرو عبد المنعم حمودة

● في ذكرى ام كلثوم ●



أيا طب القلوب اذا تعانى
وزاد قد احبته العقول
حباك الله صوتا ·· عبقريا
ولم يوجد له ـ ابدا ـ مثيل
هلمى واطربى الأفلاك شدوا
اغنيتيها ، وانجمها افول
تزول خوالد الدهر الموافى
وفنك رغم موتك ·· لا يزول
فلو ادركت « خوفو » من قديم
بنى هرما ·· وقبرا لا يحول

ايمن دسوقى
مصر القديمة ـ القاهرة

● مدير في المعاش ●

● نشرتم لى من قبل أبيـاتا بعنوان « مدير يتحدث عن نفسه » تحدث فيها المدير عن « هيلمانه » وسطوته وسلطانه والآن صار المدير الى « المعاش » فماذا يقول ؟

اقــرءوا :



ها قــد وصلت الى المعــاش
بؤسى لمن بلــغ « المعــاش »
اين المكــاتب يــا « احبـــ
ــمد » و « الهواتف » والرياش ؟!
اين « الســعاة » اذا دعــو
ت توافـدوا مثـل الفراش ؟!
اين المــواكب والركـــا
ئب من ذوات « الدبرياش » ؟!
ما شان ذا القلم المقصــو
ر ؟.. لقد تبدى فى انكمــاش
قد كان فى نفــع العبـــا
د وللهــدى والحق عــاش
ما حــاد قط عن الصــوا
ب ولا عن الاحســان طــاش
اين « الحــوافز » و « اللجـا
ن » واجرها سبب انتعــاش ؟!
طارت وضــاعت كلهــا
فلقــد احلت الى المعاش ..
قد جئت يا سن « المعــاش »
لا كنــت يا سن « المعاش »

احمد قاسم احمــد
مدير تعليم بالمعاش - قنا

● تعــليق :

● ترتفع سن المعاش فى البلاد المتطورة ، ويمكن ان يحال الى المعاش أن يعمل حفاظا على الكفايات ، ولكنا فى مصر لم نعرف بعـد هذا الاســلوب الحضارى ، فانخفضت مع انخفاض مستوى التعليم جميع المستويات تقريبـا فى جميع الوظائف ، وبخاصة وظيفة أساتذة اللغــة العربية ، والاستاذ أحمد قاسم أحمد من نوابغ هذه اللغــة ، ويؤسفنا أن تكون سن الستين سببا فى حــرمان التعليم من علمه وكفايته واخلاصه .. نتمنى له عمرا مديدا سعيدا ..

● لن انسى ●



برغم البعد والحرمان
لن انسى اغانينا
لن انسى ابتسام الصبح
يا عمرى بوادينا
لن انسى « زمان » كان
يجمعنا يداعبنا يحاكينا
ولن انساك يا عمرى
ولن انسى اغانينا
ومهما الهجر يقتلنى يمزقنى
سأذكر كل ماضينا

سمير ابو الحمد حافظ محمود
عضو نادى ادباء الاسماعيلية

● تعليق :

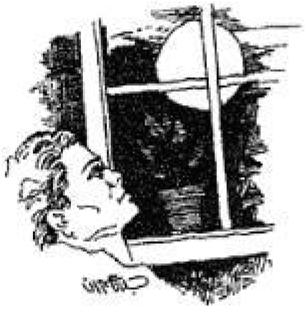
ـــ لكى تصبح كل هذه الأبيات موزونة ، ينبغى ان تقول : « ولن انسى ابتسام الصبح » .. اى تضيف حرف الواو الى « لن » فى اول البيت الثانى ، كما يجب ان تسبق الواو « لن » فى البيت الثالث ، وان تكون كلمة « زمان » منصوبة فى هذا البيت ، وان تحذف من الشطر الثانى منه كلمة « يداعبنا » لا نها زائدة على الوزن ، اما البيت الخامس فتحذف كلمة « يمزقنى » ليستقيم وزن الشطر الاول ، الا ان كلمة « يقتلنى » مجزومة بعد مهما ، فالافضل ان يكون الشطر هكذا : « ومهما الهجر مزقنى » وتقبل تحياتنا ..

● نزيف الحب ●

احبك ثم يبتدأ النزيف
فتقتلنى وتبعثنى الحروف
فاستدعيك فى الأوراق شعرا
وفى وطنى تناوشنى السيوف
شتاء الجرح فى عينى صيف
وعند ربيعى الدنيا خريف
أصوغك فوق اوراقى شطوطا
واشرعة .. ليحلم بى المصيف
برغم النار تبدأ من فؤادى
انا عند الهوى دوما ضعيف

فضميني اليـــك وقبليني
فبالقبلات قد نظـــر الكفيف
عبــد الله الســمطي
قسم اللغة العربية بآداب عين شمس

● ياليل ! ●



يا ليــل لو تدرى بآلامي
لمضيت لا تبـدو بأيامي
قلبي يحب الصــدق مجلوا
يبـدو بلا زيف وابهــام
يهفــو الى الآفاق في ظمأ
رفقا بهذا الواله الظــامي
يا ليــل لو تـدرى بآلامي
انى وأدت اليـوم احــلامي
وسبحت في الأوهام احيـاها
حتى غدت دنيــاى أوهامي
حسن على محمد جابر
شارع هبيوقراط بالازاريطة ـ اسكندرية

● غريب انا ●



غريب انا ...
ينشر البدر حولى سناه
ويتسع الحلم ..
تحملني نسمات العبير
احلق في راحتي المدى .. اطير .. اطير!
اغرد حتى يراني
يحن ويبسم لى مقلتاه
ونخطو المينـا
تساقط عنـا المسافات ..
والعمر يتبعها قبلنـا
ويختلس الليل وجه الطريق !!
الملم ذاتي بذاتي واجعل من اغنياتي
لقلبي المعنى .. رفيق !!
عبد الرحيم الماســخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

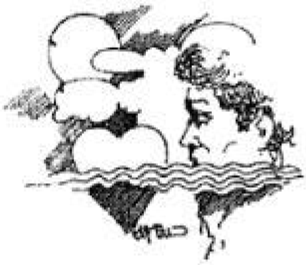
● دوامة الايام ●

● أرسلت ثلاث قصائد ، منهم ، تلك القصيدة ولم ، يأتى ، لى حتى تعليق
لذا فأعيد المراسلة مع الرجاء الاهتمام بها لتوجيه مصيرى فى عالم الشعر :

انت .. و الهلال

اليوم .. الغد .. ذانهما
أمواج البحر الغضبان !..
مالى لا ادرى لى معنى
او حتى أسير على الشطآن
والحب الأحمر يغرقنى
فى بحر الوهم الحيران
والشوق الدافق يغمرنى
فيذوب الحس مع الطوفان
فاذوب انا الأخرى معه
واذوب لأخترق القضبان
فاسائل نفسى : يا نفسى
أيكون الحب بلا اطمئنان

رضا ابراهيم عبد المعطى
ميت الحلوج ـ دكرنس
ليسانس اداب لغة عربية بالزقازيق



● تعليق :

ـــ كيف تكونين فى قسم اللغة العربية ، أو حاصلة على شهادته وتقولين « منهم » التى وضعناها بين قوسين فى الكلمات التى جعلتها مقدمة لقصيدتك ؟! ان الصواب ان تقولى « منها » لان « منهم » للعاقل لا للقصائد التى هى غير عاقلة فى رأى النحو !.. وتقولين « لم يأتى » فلماذا لم تجزم « لم » هنا الفعل المضارع « يأتى » فيكون القول الصواب : « لم يأت » ؟! .. أن هذه مبادىء بسيطة يدرسها التلاميذ فى التعليم الابتدائى !

أما قصيدتك فحذفنا منها بعض الاسطر التى يشوبها خلل فى الوزن او اللغة وتركنا لك هذه الابيات التى لا بأس بها .. ولكن كلمة « الغد » فى الشطر الاول من البيت الاول لا تسلس قيادها لوزن بحر المتدارك الا اذا وضعت على دال « الغد » شدة ، وهى ضرورة قبيحة ، والافضل أن تستبدلى بها كلمة « الأمس » فلا فرق بين الغد والامس فى هذا القول ! .. ولابد ان تخطئى « حتى » خطئا فى نطقك للبيت الثانى ليستقيم الوزن ، وهى ضرورة قبيحة أيضا ..

● حوار مع الاصدقاء ●

● ابراهيم محمد الجمال ـ كفر أبو زهرة ـ بنها :

ـــ قصيدتاك : « دعينى أغنى » و « زمان الهوى » تختلفان .. فالاولى تكثر فيها الابيات ذات الوزن الصحيح من بحر « المتقارب » .. والثانية يندر فيها الوزن الصحيح وتختلط فيها البحور بلا وزن ظاهر .

● عبد المحسن معوض شاور ـ رشيد :

ـ أنت تريد منتجا ومخرجا لقصتك ، ولسنا المرجع المختص بذلك فنرجو أن ترسل قصصك مباشرة الى المنتجين والمخرجين ..

● احمد عثمان ـ السيدة زينب بالقاهرة :

ـ نأسف لعدم نشر زجلك ، فان الهلال رسالة الاقطار العربية بعضها الى بعض ، ولهذا لا تنشر الا ما يكتب باللغة الفصيحة التى هى اللغة القومية المفهومة فى جميع الاقطار العربية .

● طارق صلاح الدين بنداري ـ مساكن الاميرية القديمة ـ القاهرة :

ـ أوزانك صحيحة فى قصيدتك التى تقول فى أولها :

رأيت هـــواك يرغمنى بأن ابقى كفنـــان

ولكنك تقول فى آخرها :

على نبراتك العـذبة تنـــاديني وتلقـانى

وكلمة « العذبة » الساكنة ، تخل بوزن هذا الشطر فابحث عن كلمة أخرى لتصح لك جميع أوزان هذه القصيدة ..

● الامير كمال فرج :

ـ نرجو ان تناقشوا أموركم أيها الاصدقاء بينكم وبين أنفسكم ، وقد نشرنا عن صراعاتكم ما يكفى !.

● عاصم فريد البرقوقى ـ الإسكندرية :

ـ نشكركم على قصتكم ، غير أنها ـ مع الأسف ـ لا تصلح لنا ، وربما كانت تصلح لغيرنا فلكل مجلة أسلوب خاص .

● على شبيب ـ الإسكندرية :

ـ قصيدتكم ذات أوزان صحيحة ولكنـــك لا تلتزم بالنحو فى بعض سطورها ، كقولك :

أرانى بعيد .. بعيد .. بعيد وتسحقنى الآه يوما فيـوم

فماذا يمنع أن تقول : بعيدا .. بعيدا .. وماذا يمنع أن تقول : يـوما فيوما ؟!.. لا الوزن يمنع أن تقول ذلك ، ولا أى شىء آخر !..

● رضا ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج ـ دكرنس :

ـ شعركم جيد ، ولكنه مكتوب على وجهى الورق مما يجعل جمعه متعذرا فى ماكنـات جمع الحروف .. اكتـب الينـا على وجـه واحد من كل ورقة .. ونرحب به ..

● ونشكر السادة : هبة الله عبد المجيد محمد بالطويلة شرقية .. وعبد الحميد حنفى أحمد .. وأحمد فهد المزيد بالسعودية .. وسامى محمد المصلى بكفر الشيخ .. وابو الهيثم المجدلى .. ونقول له اننا لم نفهم بالضبط ماذا يريد ان يقول وعلى اى شىء يحتج ؟! .. ونعمات البحيرى .. واحمد نسيم البحراوى ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

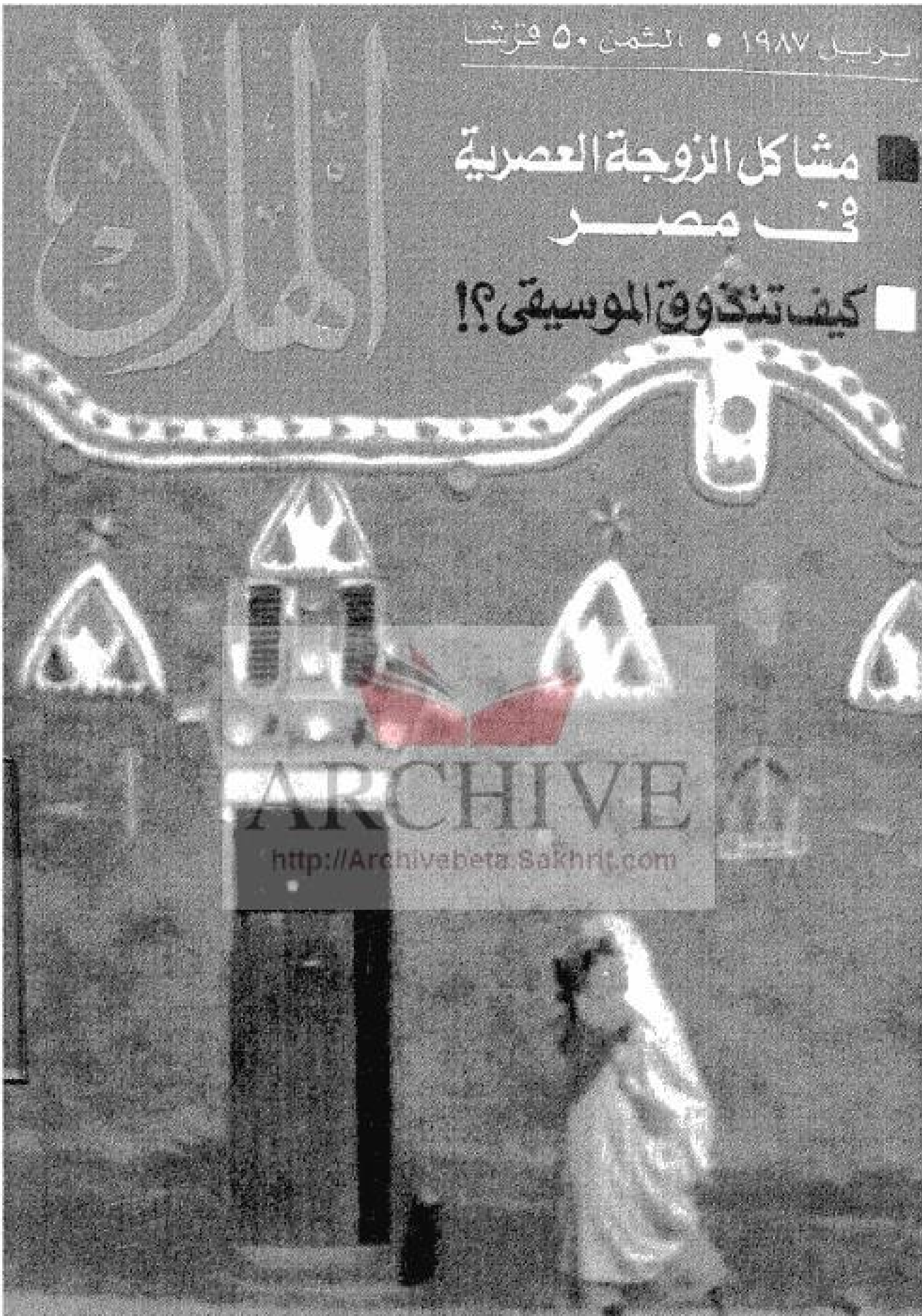
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

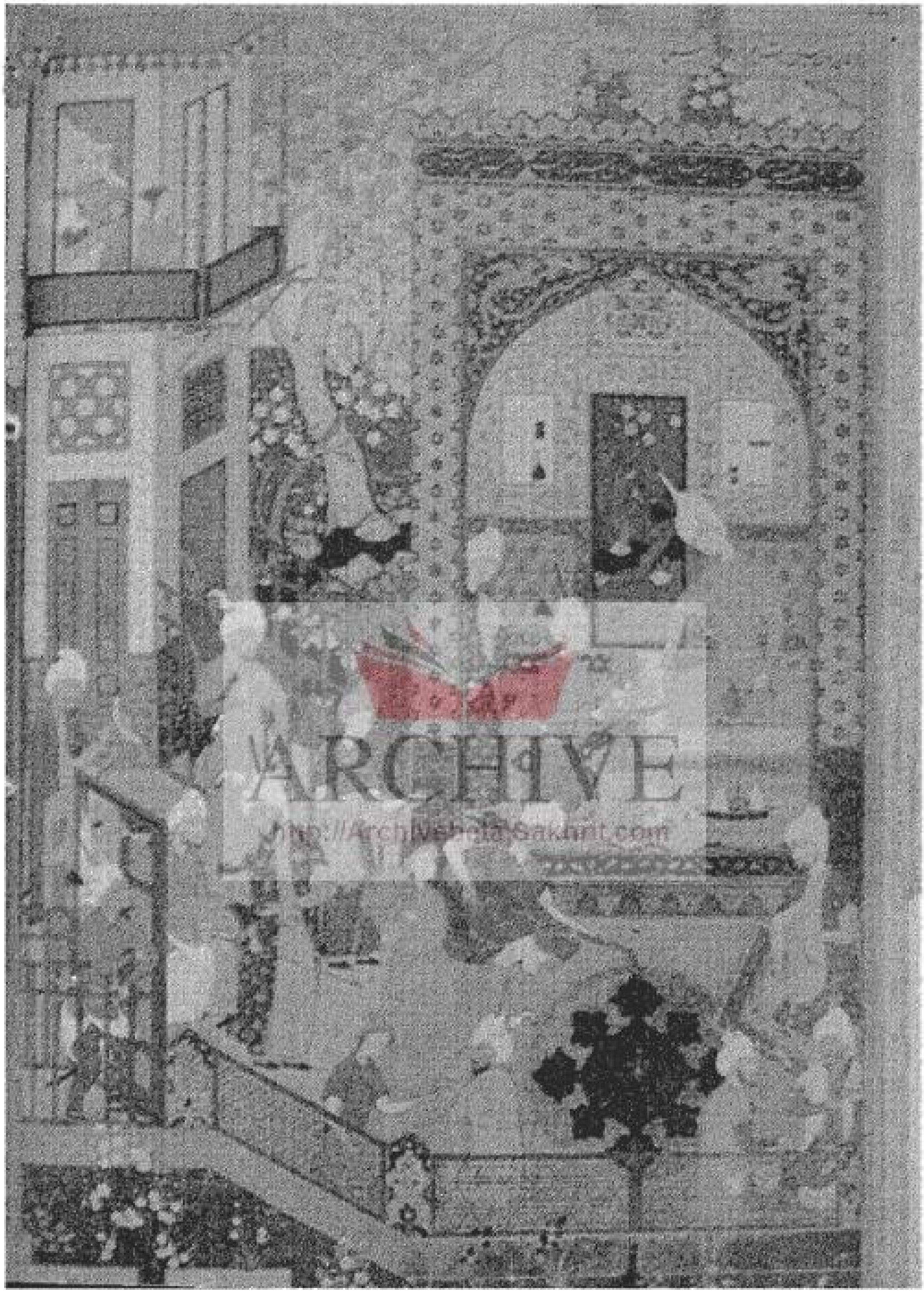
اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


٢٠
رحلة أسبوعيا إلى
أفريقيا
٨٦
رحلة أسبوعيا إلى
٦٠
رحلة أسبوعيا إلى
أمريكا
وأوروبا
ليكن اختيارك الأول..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..


محافظه الامل
اكتشاف أعظم منجم للسياحة
إقرأ تحقيقا مصورا ص ٧٢


الهلال
ابريل ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشا
مشاكل الزوجة العصرية في مصر
كيف تتذوق الموسيقى؟!



من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن الإسلامى منسوجة فوق السجاد استوحاها الفنان من خماسية للشاعر الإيرانى نظيمى الذى استوحاها بدوره من الشانما وتبين اللوحة تفاصيل يوم ممطر فى حديقة الشاه والاستعدادات التى يقوم بها رجال الشاه من أجل إحدى ليالى الأنس ..

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان ١٨٩٢ أول ابريل ١٩٨٧ م - ٣ شعبان ١٤٠٧ هـ.

عزيزى القارئ

الربيع واحة الشعر والموسيقى

هذا العدد من « الهلال » يصدر فى الأيام الأولى من فصل الربيع بعد شتاء دافىء فى مصر والبلاد العربية ، عاصف ثلجى مدمر فى أوربا وأمريكا ، كأنما تحاول الطبيعة التى تعوضنا نحن وبلدان العالم الثالث خيرا ، وتقول لنا : انظروا كيف أعصف بالمتقدمين وأسخر من تقدمهم ، وأثبت لهم عجزهم ، وأنهم مهما تفوقوا وتجبروا فإنهم مخلوقات ضعيفة بإزاء جبروتى ! ..

كان الشتاء شديد الرفق بنا هذا العام إلا فى أسبوعه الأخير ، فقد أبى « أمشير » إلا أن يحقق الكلمة الحكيمة التى قالها أجدادنا قدماء المصريين ومازلنا نقولها : « القول لطوبة ، والفعل لأمشير » ! ..

فقديما تغنى بنتاءور شاعر مصر الفرعونية بشمس أمشير الدافئة ولكنه لم ينس برده القارس ، وقديما تغنى بنتاءور أيضا بشهر « برمهات » شهر الربيع ، وقال فلاحو مصر منذ عهد بناة الأهرام : « فى برمهات .. إنزل الغيط وهات » .. ففى ربيع برمهات تزدهر حقول مصر ، وتمتد الأيدى لتأخذ منها كفايتها من الثمرات ! ..

و « الهلال » كان دائما يستقبل الربيع استقبالا خاصا ، فيخصص له عددا كاملا أحيانا ، ويفرد له جزءا من صفحاته أحيانا أخرى .. ونتابع نحن فى هذا العدد هذه الطريقة فى استقبال الربيع ، فنفرد له مقالات وكلمات وصورا ، وننشر بين يديه الناضرتين مجموعة من القصائد اذا لم يكن فيها الربيع باسمه الصريح فإن فيها روائحه العبقة ، لأن أبياتها تتغنى بوجدان قائليها وتخاطب وجدان القارىء كما تخاطبه حدائق الربيع ومروجه الخضراء وسماؤه الصافية ! ..

وإنما أردنا من ذلك كله أن يكون هذا العدد من « الهلال » راحة لك أو واحة تقضى فى ظلالها لحظات مع الربيع أو مع مايثيره الربيع من معانى الجمال والخير والأمل

ومايبعثه فى القلب من الموسيقى الظاهرة والخفية ، والاشواق الدفينة والثائرة ..
وقبل الف سنة نظر الشاعر البحترى الى مروج العراق وحدائقه وانهاره وقد دبت فيها روح الربيع ، وارتسمت عليها طلاقته وابتسامته ، فقال بيته الشهير :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

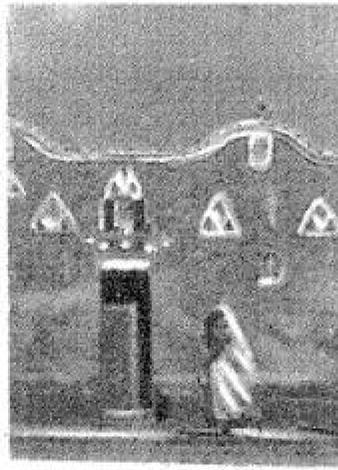
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

فالربيع عند الشاعر هو الطلاقة والحرية والتبختر فى الحسن والشباب ، والضحك من فرط السعادة ، والربيع هو الكلمات السحرية غير المسموعة ، تنطق بها الأزهار والأثمار والأنهار ..
وشاعرنا أحمد شوقى هو الذى وصف الربيع بأنه « حديقة الأرواح » .. أما شاعرنا أحمد محرم فله فى الربيع القصيدة التى مطلعها :

دنياكَ تضحكُ عن ودادٍ صافى

وتُريكَ طيبَ العيشِ كيف يُوافِى

ولو لم يكن لمحرم الا قصيدته هذه فى الربيع لكان بها وحدها من كبار الشعراء ، فقد هز الربيع اعماق وجدانه ، فانطلقه بسحر بيانه ! ..
وهل نحدثك عن شعراء الاندلس وغيرهم من شعراء الأمة العربية على امتداد اقطارها وتاريخها ؟! .. إذن يطول حديثنا ولاينتهى ، وانما اردنا ان نقدم اليك هذا العدد من « الهلال » بأوجز كلام ، وأخصر إشارة ، تاركين لك « السياحة » فى صفحات العدد ، تأخذ ماشئت ، وتتوقف حيث تختار ..
لقد تراكمت الهموم على الانسان العربى : هموم أمته وهموم ذاته ، ومن حقه أن يرفه عن نفسه ولو بكلمات يقرؤها أو يسمعها من حين الى حين ..
عزيزي القارىء
إن « الهلال » يحاول فى كل عدد ان يضيف جديدا الى اعداده التى سلفت ، ولعلك تجد فى هذا العدد مايلفتك الى معنى التجديد الذى نقصده ، مستمتعا بالربيع والموسيقى والشعر والوان شتى من المقالات والفقرات والصور والأبواب ، تجددت هى ايضا فى هذا العدد ، كانما مستها روائح نيسان ، واتاها الربيع الطلق يختال ضاحكا جميل الطلعة ، عذب الكلمات والنغمات ..



النوبيون فى مصر
تحقيق مصور بالألوان
ص ٩٦

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

ص

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

تعددت الأذواق.. والموسيقى واحدة

بقلم : كمال النجمى

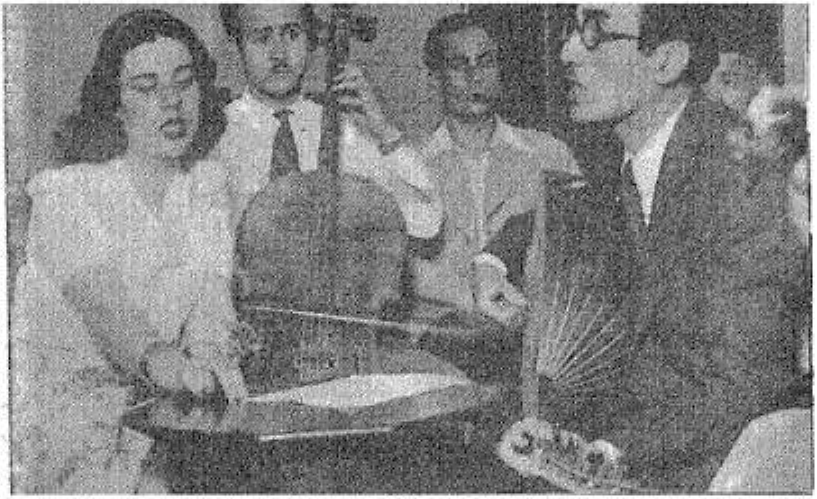
●● كيف تتذوق الغناء العربى بوجه عام ، والغناء المصرى بوجه خاص ؟! ..

جوابى عن هذا السؤال : ان الذوق فى الفنون والآداب كلها ، هو فى الأصل ملكة او طبع ، ويمكن صقل هذه الملكة او هذا الطبع بالدربة وإدمان السماع ، فإذا لم يكن ثمة ملكة ولاطبع ، فلا ذوق ولاتذوق إلا فى أضيق نطاق ، وهذه هى القاعدة فى الغناء والموسيقى والشعر والتصوير وكل قديم او جديد فى الفنون والآداب .. ●●

وقد صنع بعض الأمريكيين والاوربيين مايسمونه الموسيقى الاليكترونية ، لفرط افتتانهم بهذه الآلات الحديثة ، وتصورهم أن الكمبيوتر الذى صنعه الانسان ، سوف يحل محل الانسان حتى فيما هو نتاج وجدانى محض لايمكن أن تُغنِى فيه عن الانسان آلة من الآلات ! ..

ولكن لهؤلاء المفتونين بالموسيقى الاليكترونية فى اوربا وامريكا عذرهم بطبيعة الحال ، فقد وصلت الموسيقى الأوربية الى طريق مسدود .. وكذلك الغناء الاوربى ، بعد أن انطوى عصر التأليف الموسيقى الباذخ بشطريه الكلاسيكى والرومانسى ، وصار انسداد طريق الموسيقى الأوربية فى الزمن الاخير هو الصدى لانسداد طريق الاستعماريين القديم والجديد وتحولهما الى قوة نووية تهدد العالم بالفناء بعد أن كانت أوربا وأمريكا تضجان بالموسيقى والغناء ! ..

أما الموسيقى العربية فقد رقدت فى الكهف مئات السنين منذ سقوط بغداد فى يد هولاكو ، ثم أخذت تنبعث فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم اشتد عودها ، وتعددت أساليبها ، واتسع ثراؤها بالانغام والإيقاعات ، حتى إن اغانى ام كلثوم وحدها تحتوى من النغمات والضروب



محمد القصبجي أحد عمالقة الملحنين الذين قدموا الكثير للموسيقى العربية

مالايقع تحت حصر . فلو جردنا الأوبرات الأوربية من تعددها الصوتي ، واستعرضنا ماتحويه من الألحان فى شكلها الميلودى الأساسى وحده ، لكان الأصل الميلودى لألحانها جميعا لايساوى مافى ثلاث أغنيات أو أربع من أغانى أم كلثوم ! ..

لانلقى هذا الكلام على عواهنه ، فها هى ذى الأوبرات بقضها وقضيضها ، فليسجل المختصون أصلها الميلودى فى « نوتة » موسيقية ، وليقارنوا بعد ذلك كيفما شاءوا ..

وقد لفت الثراء النغمى العظيم الذى تراكم فى أرصدة الغناء المصرى ومايصاحبه من الألحان الوترية ، أنظار بعض الأوربيين والأمريكيين ، ولا انسى لقاء أجراه تليفزيون القاهرة مع احد الموسيقيين الأوربيين منذ سنوات . فقد سمعته يقول : لو أن باخ وهايدن وفاجنر وبيتهوفن وغيرهم كانوا فى أيامهم يملكون جزءا من الثروة اللحنية الميلودية التى يملكها الموسيقيون والملحنون المصريون الآن ، لصنع أولئك الموسيقيون الأوربيون الكلاسيكيون والرومانسيون العظماء ، أعاجيب ومعجزات ! ..

ولا نستطرد وراء هذا المعنى فإنه قضية كثيرة الأضابير ! ..

نحن المستمعين المصريين والعرب لانضع الأصوات الغنائية الجميلة فى « كمبيوتر » جامد لايعرف إلا الأرقام ، لأننا وجدنا أصحاب الكلمة فى قبول هذا الصوت والانصراف عن ذاك ، وربما فشل عندنا صوت من الأصوات فشلا ذريعا بينما « الأرقام » تؤكد أنه قد أوفى على الغاية .. لأننا حين نسمع الصوت نتذوقه ، وحين نتذوقه لانحسب مانتذوقه منه بالأرقام ، بل بما يشعر به الوجدان ! ..

ومع ذلك لانأبى أن نترك للأرقام مجالا تتحرك فيه ، بشرط أن يكون الحكم النهائى لأذواقنا ومشاعرنا التى أرهفها السماع ، وهذه هى الطريقة المثلى للنظر بعين العدالة الفنية إلى الأصوات والألحان ! ..

إن الآلات الحاسبة تبين لنا التكوين الفنى والعلمى لأصوات المغنين والآلات الموسيقية ، ولكن ذوق

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

الإنسان ـ ذوق المستمع المدرب ـ هو المختص بقبول او رفض التكوين الفني والعلمي للصوت .. وهذه هي القاعدة التي يأخذ بها نقاد الفنون ذوو الملكات والطبائع السليمة ، برغم اختلاف الأذواق ، وتشعب الآراء ، ووجود قواعد جمالية عامة يتفق عليها الأكثرون ، وإن تباينت اجتهاداتهم فيما اتفقت عليه أذواقهم ! ..

إن قواعد علم الجمال فى الغناء تتواثب من أوربا الى آسيا الى افريقيا ، فتختلف « الموسيقى الشرقية » عن الموسيقى الأوربية ، ثم تتشعب الموسيقى الشرقية فتختلف أسسها وألوانها من الصين الى الهند الى البلاد العربية ، بحيث لايمكن أن نسمى الموسيقى العربية بالموسيقى الشرقية كما اعتاد بعض الناس أن يسموها ، فلابد من تمييز الموسيقى العربية وتسميتها باسمها العربي وحده ، لأن أسسها الفنية تختلف عن اسس الموسيقى الهندية والصينية وبقية الوان الموسيقى الشرقية ..

بل أن الموسيقى المصرية التي تشغل الآن الحيز الاكبر والأشمل من ساحة الموسيقى العربية ، تختلف لهجتها عن لهجة الموسيقى فى الجزيرة العربية ـ مثلا ـ لأن مطربى الجزيرة العربية تأثروا فى لهجتهم الغنائية بالسلم الخماسى الافريقى ، وهو لايحتوى على الأرباع الصوتية التى هى من جوهر الموسيقى العربية كما تمثلها الموسيقى المصرية الآن خير تمثيل ..

وقد تأملت غناء مطربين ومطربات مشهورين من بلدان الخليج والجزيرة ، فى الحان وضعها ملحنون مصريون ، تتضمن أرباعا صوتية ، فإذا بهم يؤدونها اداء من لايعرفها .. أو أداء من يعجز عن أدائها لأن طول تأثرهم بلهجة السلم الخماسى جعلهم يرتضخون فى غنائهم لهجة موسيقية إفريقية ..

إلا أنهم فى الزمن الأخير أخذوا يدربون أذواقهم على الغناء المصرى ، وهو الغناء العربى الحقيقى ، فلعل خطواتهم الغنائية تمضى فى هذا الطريق ، فتأخذ منه « ماتحصل به لهم الملكة فى هذا الفن » .. على حد تعبير ابن خلدون ! ..

إن التقسيم الأوربى العام للأصوات يجعل الأصوات الغنائية النسائية ثلاثة هى : السوبرانـو ، والميتزو سوبرانو ، والالتو ..

وقد عربها مجمع اللغة العربية فسماها : النـدى الأول ، والنـدى الثانى ، والرنان ..

أما أصوات المغنين فـاقسامها الثلاثة هى : التينور ، والباريتون ، والباصى ..

وتعريبها المجمعي : الصـادح ، والجهير الأول ، والجهير الثانى ..

إلا انه لايمكن إغفال التنوع الذى لا حد له في الأصوات البشرية ، ولايمكن ـ مثلا ـ إلغاء الفرق بين الصوت المدرب على الغناء الأوبرالى الأوربى ، وبين الصوت الطبيعى فى الغناء العربى ..



ام كلثوم وعبد الوهاب قدما للاغنية العربية مالم تشهده من غيرهما من قبل

ومع ذلك فإن المغنى العربى فى أيامنا الحاضرة أوشك أن يفقد خصائصه الفنية ، فلم يعد يغنى الا والميكروفون فى فمه كأنه مبسم الشيشة أو النارجيلة ـ على حد تعبير للمطربة القديمة المرحومة منيرة المهدية ـ على أن هذا ايضا صار كثيرا وثقيلا على المغنين الاكثر حداثة ، فقد سقطوا الى الحضيض ، وصاروا المثل الحى لقول ابن خلدون : « أول ماينقطع ـ أو يسقط ـ عند انقطاع عمران الدول ، فن الغناء » ! .. هذا معنى قوله بالضبط ، وإن كنا لانتذكر الفاظه بنصها ..

لقد وصل الغناء والموسيقى فى أوربا وأمريكا الى طريق مسدود للاسباب التى ذكرناها ، ووصل هذا الفن عندنا الى عنق زجاجة واحتبس هناك ، حتى يأذن الله بالخروج من هذه المحنة التاريخية للغناء العربى الذى كنا نظن قبل عشرين عاما انه قد بلغ منعطفا تاريخيا ينطلق بعده الى سماء الفن العالية ! ..

مع ذلك أوثر ان اتكلم عن الغناء العربى متجاوزا أو متجاهلا محنته الراهنة ، لانها مؤقتة فيما نرجو ، ولم ينته بعد فى

رابى عصر أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم حافظ والملحنين الفحول : السنباطى وزكريا والقصبجى وغيرهم

ففى الغناء العربى الكلاسيكى يخرج الصوت من الحنجرة محدثا طنينا موسيقيا فى الرأس ، أما فى الغناء الأوبرالى الأوربى فيخرج الصوت بطريقة التثاؤب الشديد ، وأول كلمة يقولها المدرس للتلميذ فى الكونسرفاتوار عند بدء دراسة هذا الغناء : افتح فمك كأنك تتثاءب ! ..

ومن هنا يجىء مايسمونه الصوت المستعار ، ولايمكن أن يجمع مغن اوبرالى حقيقى بين هذا الصوت ، والصوت العربى الطبيعى ! ..

كذلك يعجز المغنى العربى الذى لم يتدرب قط على الأوبرا ، عن الغناء بالطريقة الأوبرالية .. وقد كانت أم كلثوم وهى صاحبة اقوى الاصوات ، لاتستطيع ولاتعرف أداء « مازورة » واحدة بالطريقة الأوبرالية ! ..

فهناك فروق فنية وعلمية بين هذين اللونين من الغناء تتصل بوظائف أعضاء الصوت والتنفس والبلع وغيرها ، ولانطيل فى هذا الاتجاه فانه بغير نهاية ! ..

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

المهم ان الصوت العربى الحقيقى - وليس مطربو ايامنا هذه بأصحاب أصوات عربية ولا إفرنجية - المهم ان الصوت العربى يصح وضعه فى إحدى « خانات » السوبرانو والتينور الخ .. مع أن المطربين العرب لايغنون الأوبرا الأوربية بقواعدها الصوتية وأوامرها « العسكرية » التى تجعل المطرب الأوبرالى كأنه يخوض حربا غنائية ! ..

ولكن قياس أصوات مطربينا ومطرباتنا لايكون قياسا دقيقا الا بحساب السلم الموسيقى العربى ومقاماته ..

ويتصور بعض الموسيقيين الذين درسوا الغناء الأوربى الكلاسيكى ولم يدرسوا الغناء العربى الكلاسيكى ، أن غناءنا هذا يخلو مما يسمونه « تركيز الصوت » .. وهذا غير صحيح ، فإن تركيز الصوت فى الغناء الأوبرالى مأخوذ من تركيز الصوت فى الموشحات العربية التى انتقلت قديما من الأندلس الى أوربا ، ولم يكن الأوربيون يعرفون غير الغناء الشعبى الشديد السذاجة قبل أن ينقلوا الغناء

عبد الحليم حافظ نالت الاغنية بصوته شهرة عريضة .



الأندلسى الذى أبصروا شمسه فلم ينكروها بل استضاءوا بها ..

وقد أنصف الموسيقيون الأوربيون الأوائل والأواخر أنفسهم حين استغنوا عن غنائهم الشعبى السطحى ، وأقاموا صرح موسيقاهم على مانقلوه من عرب الأندلس ، بعد تجريده من الأرباع الصوتية وكل « المتعلقات » الأخرى للغناء العربى ، ولاشك أننا نحن أيضا ننصف أنفسنا حين نتمسك بطريقتنا فى الغناء ، ونحافظ على استقلالها الى جانب الطريقة الأوربية والطرق الأخرى فى الغناء ، وما اكثرها فى قارات الدنيا ، وما أجدرها بأن تتعايش وتتبادل الثمرات ، لا أن يخنق بعضها بعضا ..

إن الموسيقى العربية مازالت حتى اليوم غناء ، ومازال المغنون هم فرسان الموسيقى العربية كما يفهمها ويتذوقها المستمع العربى ، وبدون هؤلاء الفرسان - ولانقصد أحدا ممن يغنون فى هذه الأيام - يتقلص ظل الموسيقى العربية الممدود ، ولايدرى الانسان العربى يومئذ أين يذهب بسمعه ووجدانه ! ..

وثمة عوامل تاريخية وفنية عميقة متنوعة اقتضت أن يكون الغناء غالبا على الأسماع العربية ، وأن تتواضع الموسيقى البحتة التى تعزفها الآلات مستقلة عن الأصوات الغنائية .. والمأمول أن تتطور الموسيقى العربية تطورا شاملا بحيث لايكون للغناء فيها هذه السطوة الفردية الهائلة ، مع اعترافنا بأن انحياز الذوق العربى قديما وحتى الآن ، الى الغناء ، لم يكن فى الماضى عيبا فى طبيعة الشعب العربى ووجدانه ، ولايمكن اعتباره اليوم عيبا فى طبيعته ووجدانه ، لأن لكل شعب طبيعة ووجدانا لايمكن الغاؤهما طفرة ، ولاتعديلهما بمرسوم ، ولايمكن تزييفهما بكلمات على الورق ، ولا التخليط فيهما بآراء لايدرى أحد أى أطرافها أقرب الى السخف والمحال ..

وتطوير الموسيقى العربية عمل فنى متشعب لاينهض به إلا أولو العزم من الفنانين الموهوبين الأذكياء المثابرين المخلصين للفن وللشعب معا ، ولكن هؤلاء الفنانين لايمكن ان يوجدوا فى فراغ ، ومادامت الأسباب لوجودهم غير متوافرة فكيف يمكن ان يوجدوا ؟! ..

علينا أن نعترف بأن تطوير موسيقانا فى طريقها المستقل ، مازال يدور فى مجال الأمانى والكلمات ، ويتناول العموميات ، ويكاد يكتفى بترديد مجموعة من الألفاظ الرنانة مثل « الموسيقى العالمية » و« العلوم الموسيقية » و« الدراسات » و« الدارسين » الخ ..

والمواطن العربى يتلقى هذه الكلمات الطنانة ولايبالى ، لأنه يشعر ان أصحابها لم يصنعوا شيئا يستحق المبالاة ، ولأن الموسيقى لغة يتكلمها الشعب مع لغة الكلام ، ويتمثل فى لغتيه هاتين تاريخه الطويل ووجدانه وأشواقه الخاصة ، والأشياء الكثيرة الصغيرة الدقيقة التى لاتحصى عددا ، والتى يعتز بها الشعب ويحسها إحساسا عميقا ، وقد لايشعر به الآخرون خارج حدود وطنه ولايفهمونها ! ..

والذى نراه عندنا الآن ان كثيرين ممن يتعاطون الدعوة الى تطوير الموسيقى العربية ، لايريدون فى الحقيقة تطويرها

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

بل يريدون الغاءها وقذفها فى قمامة الماضى ، ولايوافقون حتى على وضعها فى متحف متواضع يراه العرب من بعيد ! ..

ومن المدهش أن يقع ذلك فى الوقت الذى أخذ فيه الأجانب يتطلعون الى الغناء العربى ولوازمه الموسيقية ، ويدرسون المقامات العربية ، ويستمعون الى الثروة اللحنية والايقاعية الطائلة فى غناء ام كلثوم وعبدالوهاب والأصوات التى غنت من العشرينيات الى أوائل السبعينيات .

إن الموسيقى الأوربية التى تدور حول نفسها فى طريقها المسدود سوف تجد نفسها ذات يوم مدفوعة الى استلهام الألحان العربية التى تسد عين الشمس بكثرتها .. ولاشك انهم سوف ياخذون مايجدد موسيقاهم ويبعث فيها حياة طريفة . ولكنهم لن يتخلوا عن موسيقاهم كما يدعونا بعض اخواننا الى التخلى عن موسيقانا وغنائنا ، وأن نستبدل بهما الموسيقى الأوربية والغناء الأوربى جملة وتفصيلا وبغير تحفظ ! ..

لقد لفق الصهيونيون لأنفسهم مايسمونه « الموسيقى اليهودية » بينما يحاول بعض « المطورين » العرب الغاء الموسيقى العربية والغناء العربى ، وينظرون اليهما بحقد وزراية كأنهم ورثوا التعاليم والأفكار من المبشرين الأجانب ! ..

إن تطوير الغناء العربى والموسيقى العربية يشمل مجموعة من القضايا المتشابكة المعقدة التى درسها أول مؤتمر للموسيقى العربية عقد فى القاهرة سنة ١٩٣٢ ثم درستها مؤتمرات تالية .. وقد ساهمنا فى الكتابة خلال ثلاثين عاما عن هذه الأمور ولانريد أن نثقل عليك فيها بكلام قلناه مرارا وتكرارا حتى أصبح يشبه بعضه بعضا ..

إلا أننا نقول باختصار : إنه لابد من سلوك طريق مستقل فى تطوير موسيقانا .. هذا الطريق المستقل يمنع أن تكون الموسيقى البحتة معولا يهدم الغناء العربى العريق المتجدد ، وينبغى الا نجزع أو نخجل من تغلب الغناء فى وجداننا على ماعداه من ضروب النغم ! ..

إن الموسيقى الأوربية يسمونها « الموسيقى العالمية » لأن أوربا وأمريكا تسيطران على العالم ، فموسيقى الأوربيين والأمريكيين « عالمية » بمعنى من معانى السياسة الاستعمارية لابمعنى من المعانى الفنية .. وهم يديرون ظهورهم الآن للموسيقى « العالمية » ويجارون باغانى « البوب » .. الأغانى البدائية النغم والايقاع ، والتى تعتبر أغانى « الزار » بالنسبة اليها اغانى متطورة رفيعة المستوى ! ..

ومن عجب أن اغانى « البوب » البدائية الوحشية قد صارت هى أيضا « أغانى عالمية » فأصحابها هم أنفسهم أصحاب « الموسيقى العالمية » وأصحاب كل شىء « عالمى » فى عالمنا المعاصر ! ..

ولكن الموسيقى ـ ككل شىء آخر ـ لايصح فيها الا الصحيح مهما تخبطت واختلت موازينها ، وذلك مايملؤنا أملا فى

ان الطريق المستقل لتطوير موسيقانا ، سيتيح لها أن تحل مشكلات التطور المتعلقة بالتوزيع الأوركسترالى وعلاقته بالآلات الموسيقية العربية التى لاينبغى أن نتخلى عنها ، وتطبيق مايناسب طريقتنا من قواعد الهارمونى والكونتر بوينت فى المؤلفات الغنائية والموسيقية البحتة العربية ، وبناء شخصية خاصة للمسرح الغنائى العربى حتى لايكون امتدادا ساذجا فاشلا للمسرح الغنائى الأوربى ..

رياض السنباطى



زكريا احمد



وعشرات من القضايا الفنية الأخرى تضيق عنها كلمتنا هذه ، وكنا نرجو ألا تضيق عنها جهود الموسيقيين العاملين ، لولا أن هؤلاء مضيق عليهم فى الرزق ، فهم مدرسون أو موظفون أو عازفون ، ولاتتسع جهودهم لطلب الرزق والمغامرة بتضييع الوقت فى خدمة الموسيقى العربية وتطويرها بلا عائد ولا حتى كلمة شكر وعرفان ! .. وقد يستغرق حل هذه المشكلة مرحلة تاريخية أخرى أو مرحلتين ، أعنى خمسين عاما أو مائة عام ! ..

ولايبقى إلا أن نقول لأنفسنا : ينبغى الا نهدم غناءنا وموسيقانا بأيدينا ، ثم لانبنى شيئا ، ونترك غيرنا ينهب انقاض ماهدمناه ، ثم نتطفل على « نوتة » الموسيقى الأوربية ، نغترف منها مانشاء ! ..

وقد بدأنا مقالنا هذا متسائلين : كيف نتذوق الغناء العربى ؟!

والمهم الآن الا نكتفى بتذوق الغناء العربى والأنغام العربية ونهز رءوسنا طربا ونشوة ، فقد حان الوقت للاجابة عن سؤال آخر عظيم الأهمية :

- كيف نحمى الموسيقى العربية ونحفظها من الضياع ، فى هذا العصر الذى تضيع فيه مقومات الأمة العربية شيئا بعد شىء ؟ ! ..

لقد اوردنا فيما تقدم قول ابن خلدون : « أول ماينقطع عند انقطاع العمران فن الغناء » ! ..

فلننظر الى فن الغناء العربى ، فإنه يوشك أن ينقطع ، لولا الخيط الذى يربطنا حتى الآن بتراث أم كلثوم وجيلها ! ..

مشاكل الزوجة العصرية فى مصر

بقلم : أمينة السعيد

● فى هذا المقال الهام تطالب الكاتبة الكبيرة أمينة السعيد الدولة بأن تضع خطة فى كل المدارس لبث روح التعاون بين الجنسين ، وأن تكون هناك مادة رئيسية من مواد التعليم تهدف إلى غرس فضيلة المعاملة فى نفوس الصبيان وتعريفهم بمعنى الحياة المشتركة فى الاسرة ، بعد أن تحررت المراة من رق العبودية ولم تعد جارية تتبع سيدها - أو رجلها - فى اى مكان دون أبسط حقوق الاعتراض !

إنها تناقش - فى جرأة بالغة - أهم مشكلات الزواج فى مصر ، من خلال كافة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى طفت على سطح المجتمع فى السنوات الأخيرة ، وجعلت الحياة الزوجية تحت سقفه شيئا آخر ، غير ماتعودناه فى عش الزوجية أيام زمان !

مشكلة الزواج فى مصر ، لم تكن فى الماضى بالشكل الذى نراه اليوم فى الحياة الاجتماعية ، وذلك لأن المرأة فيما مضى لم تكن متعلمة ، ولا مشتغلة ، ولذلك كان الزواج هو لقمة العيش بالنسبة لها ، وكانت معتمدة كليا على زوجها فى حياتها ونفقاتها وفى وجودها !

وكانت تربية الفتاة فى الماضى توحى اليها بالخضوع والخنوع وتقبل الأمر الواقع ، وكان المثل الشعبى (ضل راجل

ولا ضل حيط) تعبيرا عن المنطق التربوى القديم الذى كانت تنشأ عليه المرأة فيما مضى .

كانت نوعية الحياة مختلفة عنها اليوم ولم يكن أمام المرأة سوى أن تتقبل الاجحاف والظلم والقسوة ، وتعدد الزوجات لأنه سبيلها الى العيش ، والى الاحتفاظ بمكانها فى الأسرة .

ولكن الحياة تغيرت كثيرا الآن ، حيث تفتحت أبواب المدارس والجامعات للفتيات ، وأصبح التعليم يكاد يكون سنة حتى للفقير أو الفلاح الذى يريد ويطمع فى أن تنشأ ابنته فى جو أكثر حضارة ورقيا مما كانت عليه وهى فى الحقل تقف وراء زوجها ، تساعده وتكافح معه من أجل لقمة العيش .

وتجربة التعليم مع تيارات التقدم النسائى فى العالم ، الواردة إلينا ، أصبحت تعطينا مثلا لمكانة المرأة ، وكيف أنها تستطيع من خلال استفادتها بتعليمها ، أن تكون ذات شخصية قائمة بذاتها ، وذات قوة اجتماعية مستقلة ولها قيمتها .

ولذلك فان الزوجة اليوم تطلب مالم تكن تطلبه فى الماضى ، اعتمادا على انها المساهمة بمرتبها ورزقها فى سد نفقات الأسرة ومتطلباتها ... وهى - بالطبع - تطالب اليوم زوجها بمعاملة مختلفة ، واظهار نوع من الاحترام لم يكن ضروريا فى الماضى ، مع معاملة مختلفة فى



مشـاكـل
الزوجة المصرية في مصر

الأسلوب الذى سبق أن عامل به الرجل المرأة .

● سيطرة مرفوضة :

ولكن اشتغال المرأة وإسهامها فى نفقات المنزل ، أوجد نوعا من الأزواج الذين يريدون أن يسيطروا تماما على مواردها ، ولا يتركون لها شيئا ، وهذا أدى الى خلافات عائلية ، كما أوجد نوعا من النساء يتصورن أنهن بعملهن لسن مسئولات عن نفقات الأسرة ، ومتطلبات الأبناء ، ولذلك يعارضن فى المساهمة المادية ، وهو أمر غير معقول ، لان الزوج الذى يختار زوجته عاملة يضحى فى سبيل ذلك بجزء كبير من راحته واستقراره ، ولذلك فمن حقه أن ينال من دخلها جانبا يعينه على مواجهة أسباب الحياة . وهذا الأسلوب النسائى أيضا يثير خلافات بين الزوجين !

ولو نظرنا الى بقية اسباب مشاكل الزواج فى مصر ، لوجدنا أن التطور الاجتماعى الذى واكب التعليم بصفة عامة ، وأشرك المرأة فى الحياة العملية ، وفى الحياة الاقتصادية ، ووضع عليها أعباء لم تكن مفروضة ، عليها من قبل ، فقد كان هذا التطور سطحيا أكثر منه جوهريا ، ولم يمض عليه الوقت الكافى لنضوجه فى نفوس الجنسين ، ولذلك افرز رجلا لم يزل يتمسك بالسيادة غير المقبولة ، فى منزله وفى أسرته ، رغم أن زوجته أصبح لها الحق فى كثير من التنازلات من قبل زوجها ، ومن أبسط تلك التنازلات أن يقنع نفسه بالتخلص من بعض العنجهية ، التى توحى اليه بانه سيد المرأة ، وأن مجرد محاولته للاشتراك فى أعمال البيت ، تخفيفا لعبء زوجته ، يعتبر عارا مابعده عار لايليق بالرجال !

ومن ذلك وغيره نجد فى الأسرة عدم توازن بين الطرفين ، فطرف منهما وهو المرأة تقوم بأكثر من عمل رغم انها صاحبة وظيفة مثلها مثل الرجل تماما ، فهى مكلفة بأن تقوم بدور ربة البيت كاملا ، وهو الدور الذى تقوم به الزوجة المنقطعة للأسرة ، وهذا يجعلها مكبلة بأعباء أكثر من قدرتها على الاحتمال ، فى حين أن زوجها لايقوم الا بعمل الرجل فقط ، وهو التكسب ، وعندما يعود الى المنزل عند انتهاء عمله ، لايقبل أن يشارك زوجته المتعبة فى أداء بعض الواجبات الشخصية ، حتى أبسطها مثل عمل الشاى لنفسه ، أو القهوة ، وغسل الصحن الذى أكل فيه !

إن العنجهية توحى للرجل بأن يتمسك بدوره القديم فقط ، والذى يتلخص فى عدم تقديم المعاونة لشريكة حياته بأى حال من الأحوال ، ومن هنا تبدأ سلسلة الخلافات الشديدة التى تكون نذيرا بتعكير

صفوة الحياة بين الزوجين ، وربما حدوث مالا يحمد عقباه !

● التعليم اولا ●

ومن التغيرات الأخرى التى حدثت فى مجتمعنا ـ بالطبع ـ سن الزواج .. وقد حدث ذلك بسبب التعليم الذى لاينتهى قبل الثانية والعشرين أو الخامسة والعشرين ، وهو سن أنضج للزواج ، والمفروض أن يأتى بنتائج افضل ، فالزواج المبكر الذى كان طابع العهد القديم ، ربما يجعل من الزوجة البسيطة الطفلة ، غير المتعلمة قادرة على التأقلم بسهولة ... وأضرب لذلك مثلا بأمى ، فقد تزوجت فى الثالثة عشرة من عمرها ، وكانت من السذاجة والبساطة ، بحيث أنه حين أرادوا أن يزوجوها من أبى الذى يكبرها بخمسة وعشرين عاما ، قالوا لها إن لديه « بكرج شاى يضرب مزيكة ! » ففرحت بذلك فرحا شديدا ، وألقت بنفسها فى أحضانه !

وقد اختلف الوضع الآن ، فالفتاة تنتظر حتى سن أكثر نضجا من سن الأجيال الماضية ، وحتى إذا أرادت هى أو أهلها أن تتعجل فى زواجها فانها تستمر فى التعليم وهى متزوجة الى سن النضج ، ولذلك تنضج تدريجيا ، ومتطلباتها من الزواج تنمو أيضا بمرور هذه السنين درجة درجة ، ولا تقف عند حد البداءة مثلما كان فى الماضى ، عندما كانت الفتاة تتزوج فى سن الثانية عشرة ، والثالثة عشرة ، ولا تنال من التعليم الا هذا القدر الضئيل الذى يناسب سنها .

● أسباب للطلاق !

ولقد جدت مشكلة جديدة فى مصر فوق مشكلة غلاء المعيشة التى تعكر صفو الحياة الزوجية بين الزوجين ، وهى صعوبة الحصول على مسكن يناسب الأسرة ، مما يضطر كثيرا من المتزوجين إلى المعيشة فى غرفة من بيت الأسرة ، عند الزوج أو الزوجة ، وما يترتب على ذلك من خلافات عائلية نتيجة هذا التكدس ، واختلاف الآراء ، كذلك صعوبة الحصول على الخدمة المنزلية ، التى تقوم بها « شغالة » أو « شغال » لمعونة الزوجة العاملة ، للتخفيف على نفسها ، والانصراف لعملها والى زوجها بروح أكثر استعدادا وسماحة .

ولعل أعباء الخدمة مع ضيق المنزل ، قد تقضى على استقلال الأسرة وحلمها بمكان لها وحدها ، حتى لو كان بسيطا متواضعا .

وهذه المشكلة فى حد ذاتها تؤدى الى مشكلات متشعبة ، وتسبب خلافات لا أول لها ولا آخر ، ولايتغلب عليها الا بعض الاقوياء ، بينما تنتهى مع الضعفاء الى مأساة الطلاق التى نشهدها الآن فى مصر بشكل واضح !

وقد تنبهت الدول الأوربية المتقدمة الى مثل تلك المشكلات التى تواجه الأسر الحديثة ، ولذلك وضعت فى مدارس

البنين ، برامج ادارة منزلية وتدبير منزلى ، وجعلت الصبى يتعلم منذ صغره ـ تماما ـ كما تتعلم الفتاة كيف يقوم بغسل ملابسه ، وكيف يطهو طعامه ، وكيف يكنس غرفته . وبذا يصبح الاثنان على مستوى من المعرفة العائلية ، تسهل عليهما التعاون فى الكبر !

وفى السويد أصبح الزوج والزوجة حينما تضيق بهما الظروف الاقتصادية ، يقارنان بين مرتبيهما ، وصاحب المرتب الاصغر سواء كانت المرأة أو الرجل ، يبقى فى المنزل ، حتى يصل الطفل الأول او الثانى الى سن الحضانة ، ومدارس التعليم الاساسى . والآخر يخرج للعمل ويتولى مسئوليات الانفاق بكاملها ، وليس من رجل يثور على هذا النظام مطلقا .. لاهو ولا المرأة !

● مسئولية الدولة
وللحد من مشاكل الزواج فى مصر



يجب أن تتغير التربية المنزلية للأطفال منذ الصغر ، بحيث أن الولد والبنت ينشئان ، على أنهما متساويان تماما فى الحقوق والواجبات ، ومطلوب من الدولة أن تحقق ما وعدت به فى الدستور من ضرورة التسهيل أمام المرأة فى مهمة الجمع مابين العملين المنزلى والعمل خارج البيت . وذلك عن طريق خفض اسعار الأدوات الكهربائية المنزلية ، تخفيضا كبيرا ، يجعل من السهل على أية أسرة متوسطة الحال أن تحصل عليها . وبذلك لاتضطر الأم المتعلمة أو غير المتعلمة ، أن تقضى ساعات عديدة يوميا أمام « طشت » الغسيل ، أو أمام أوانى الطهو ، أو أمام « الكنس » « بالمقشة » البدائية ، فهذا كله يتم بالآلات الكهربائية فى دقائق معدودات ، ودون جهد يذكر .

وينبغى أن نرى تصنيعا شاملا للأطعمة ، بدءا من ذبح الدجاج وتنظيفه ، وانتهاء بتجهيز الخضار ، ووضعه فى اكياس ، ليكون معدا للطهو فى دقائق !

ويجب أن تقوم المدرسة بجانب الاسرة ، ببث روح التعاون بين الجنسين ، وتضع هذا التعاون مادة رئيسية من مواد التعليم .

ويجب أن يركز فى حياة الصبى على أن الحياة الزوجية ، لم تعد مجرد صورة ممقوتة وكريهة لسيد وجارية ، بل هى حياة مشتركة ، تقوم على دعامتين متساويتين فى الحقوق والواجبات .

أقوال معاصرة

● « ان جنبلاط يقترب من ســــوريا خطوة ، ومن عرفات كيلومترا » .

عبد الحليم خدام

نائب رئيس الجمهورية السورية

● « من الافضل تجربة جورباتشــوف بدلا من القنبلة الذرية » .

ايجون باهر

الزعيم الاشتراكى ـ المانيا الغربية

● « الغاء صنع الطائرة الحــربية لاقى كارثة ، وعدم الغائها قد يكون كارثة » .

هيرش جودمان

مراسل الجيروسالم بوست الحربى

● « اذا كان لابد من الوقوف ضد شركة « بوينج » فعلى اوروبا ان تحارب كتفا لكتف » .

جاك شيراك

رئيس وزراء فرنسا

● « ليس امامنا سوى الخيــار بين المزيد من الديمقراطية او الخمول الاجتماعى »

جورباتشوف

امين عام الحزب الشيوعى السوفييتى

● « معادلتنا الصعبة هى كيف نتدبر معضـــلة الخيار البشع بين الموت صمتا او الموت صخبا »

سميح القاسم

الشاعر الفلسطينى

● « على النساء أن يتحررن من مازق الاختيار بين الامومة والعمل »

ليليان جارلند

العاملة الامريكية

● « فى المستقبل ، كل انسان سيكون له نصيب من الشهرة خمس عشرة دقيقة

اندريه دارهول

الفنان التشكيلى والمخرج الامريكى



عبدالحليم خدام



جاك شيراك



سميح القاسم

مسرحية رجل فى القلعة

فى دائرة الاشتباه

بقلم: فوزية مهران

يقول محمد على باشا ـ مؤسس دولة مصر الحديثة ـ أحيانا أسأل نفسى سؤالا يقلقنى.

أيليق بأمى مثلى أن يطمح فى أن يصبح أكثر من جندى!

لكنى أحيانا أشعر أن الدنيا أجمعها تملأ رأسى .. ومعارف كل بنى الانسان تعيش داخل قلبى ..

ومع ذلك اعشق مصر أكثر ..

أهوى الرؤية من شاهق .. شرفات القلعة ـ البعض يصاب هنا بدوار ـ لايعرف قدر بلاد يجرى فيها نهر النيل .. لايعرف قدر العظمة فى هذا الوادى الاخضر ـ تلفظه مصر كالفضلات ـ يخرج منها مدحورا ـ

مصر المعشوقة أكبر ..

مع ذلك الى قلب القلعة أصعد .. أنا واليها .. أحكمها كما أشاء وحدى.

هذا القصيد كتبه «محمد أبوالعلا السلامونى» على لسان محمد على الكبير .. نفذ به الى عمق الشخصية التاريخية المتأججة ..

حلل نفسية ذلك المغامر الألبانى عظيم الذكاء والدهاء .. أسباب قوته وتناقضه. طموحه وسطوته ..

يعشق مصر .. يحبها .. يريد ليبنيها ـ صرحا عاليا ـ لكن بطريقته الخاصة فى الحب والحكم ـ يديرها ـ وتبقى القلعة رمزا له .. مؤشرا لحركته الداخلية شراع كولومبس فى الاكتشاف والصعود .. وقمة انحداره وعزلته.

الكاتب المسرحى أبوالعلا السلامونى عاشق لمصر وإنسانها يحمل رموزه الفنية وهو يتجول بين حنايا التاريخ وفى أزقتها المضيئة ومآذنها الشامخة.

ينسج خيوطه بصبر وأناة ويجمعها ليجذب اهتمامنا .. ويكثف لدينا الرؤية. ويركز اهتمامنا على الفكرة الملهمة التى توصل اليها .. أو الكشف التاريخى الذى يمكن أن يصبح نقطة تحول فى حياتنا .. أو الحدث الماضى .. لننظر اليه «بعيون جديدة» معاصرة ويظل فى دائرة انتباهنا.



سميرة عبد العزيز



سلوى محمود

لعلنا نتوقف لحظات أمام السؤال :
« لماذا يلجأ كتاب المسرح الى التاريخ ؟ »
(لاحظ أرسطو أن الأحداث الدرامية أكثر فلسفة من التاريخ ـ قد يبدو التاريخ مشوشا وبلا معنى لكن الدراما لايمكن أن تكون كذلك ـ

الحقيقة يمكن أن تفوق التأليف أو الخيال وهو أكثر غرابة ولكنها ليست منظمة أو منطقية أكثر) والنظرة الفاحصة تدلنا على أن الشخصيات المتميزة فقط هى التى تصلح مادة للمسرح .

ولأن البطل التاريخى معروف لدى الناس .. وحوادث التاريخ تؤكد صدق وقوعها فى هذه الحالة تكون الجماهير لديها الاستعداد لتصديق أن مايجرى على خشبة المسرح هو الحقيقة بعينها بل والواقع أيضا .

(حتى لقد أعلن تشرشل نفسه أنه تعلم تاريخ انجلترا جيدا من مسرحيات شكسبير) .

ـ كتاب المسرح قد يبتعدون عن الحقيقة التاريخية لكنهم يبرزون القوى الكامنة لأحداثه . وتكون بذلك الرؤية ضرورية .. والتحليل لازمنا فى الواقع وفى الزمن الحديث .

ماذا يجد الكاتب المسرحى فى حادثة مضت .. سبق وقوعها .. ربما مشهدا .. أو صورة ومضت أعادت احياء حادثة قديمة .. والتحول الذى يمكن أن يصنعه بها .. البطل الذى يمكن ان يقول من خلاله موضوعا معاصرا .. حتى ليبعث ذلك الدهشة ومتعة الكشف والإدراك بيننا كيف لم نلحظ التوافق أو نعقد مقارنة .

إذن لابد من وجود موقف ما « حالة » حادثة يعتقد المؤلف انها تضفى المزيد من الضوء والإدراك على مايجرى بيننا .

وهو ما حدث تماما لكاتبنا المتميز ..

وهو يهتم بقضية بلده والعالم من حوله ينقب ويدرس فى كتب التاريخ وفى سير الحكام والنابهين من أعلامها .

ولم يكن بحاجة الى أن يبتكر كثيرا أو يؤلف بين تفاصيل مبعثرة .. بل وجد الموقف مكتملا مدونا وموثقا ..

في دائرة الانتباه

لم تكن المسألة ضربة حظ أو مصادفة حسنة .. ولقاء ميسرا فى نزهة بين أحشاء التاريخ ووثائقه .. لكنه هدف كان يبحث عنه .. ويجاهد .. ويدرس متأنيا ومجاهدا ..

كنز مخبوء .. راح يخطط للوصول اليه ويعد لرحلته .

وتكمن براعته فى التصميم .. والاكتشاف .. والبناء الذى أقامه من حوله وأبرزه لنا ..

لم تكن شخصية محمد على كمغامر محترف .. أو عاشق لمصر .. ورافع قواعد دولتها الحديثة .. ولا الصراع فقط بينه وبين عمر مكرم .. والمأساة التى انتهت بنفى المناضل الشعبى .. وتدخل الدول الأوربية وخسران الفتوحات لمحمد على .

لكنها وثيقة مجلس شرع المحكمة العليا ..

ذلك البرلمان الذى تكون من وكلاء الشعب المصرى من العلماء ونقباء الصناع حيث قرروا عزل الوالى العثمانى الظالم - خورشيد باشا - وتنصيب محمد على بدلا منه واليا على مصر المحروسة بإرادة وشروط الشعب .

المؤلف يرى فى هذا الحدث أعظم ثورة ديمقراطية فى تاريخنا الحديث - وأن مفكرى أوربا وعلماءها ومؤرخيها سجلوا الأمر على أنه « وثيقة الحقوق » كتلك التى أقرها البرلمان الانجليزى عقب الثورة الشعبية والتى تقرر فيها أن حق الملك ينبثق من إرادة الشعب التى يمثلها البرلمان .

● رمز الصراع

تلك هى الفكرة الأساسية .. والنغمة الرئيسية لمسرحية « رجل فى القلعة » وحولها يدور الصراع .. وتحتدم الظروف .. ويثبت المناضلون .. ويسقط الطموح الشرير وشهوة التسلط والاستبداد .

هى محور الارتكاز الذى تدور عليه أعمدة البناء المسرحى وتطور الأحداث .. والنهاية المأساوية وامتدادها حتى الحاضر .. « والقلعة » هى الرمز فى الصراع ..

« الوثيقة » يحملها عمر مكرم من العلماء مفوضا عن الأمة ..

« الليلة تغلق بك يامحمد على باشا صفحات كانت أحلك ما مر بمصر .. كى نبدأ بك صفحات نحو النور ونحو الحريات ..

المصريون يريدون الوالى العادل .. فهل ترى فى نفسك هذا الانسان ؟

أصعب من اختيار الوالى أن نلزمه بالعدل فهل تختار ؟

وترجع للعلماء ونقباء الصناع ورأى الأمة فيما تصدره من قرارات ومن أحكام ويناور محمد على هكذا من اللحظة الأولى - مع أنه يقبل -

- العبء عليكم أكثر منى



سعد أردش

يوسف شعبان



جملته التى صاغها المؤلف تحتمل أكثر من معنى .. وتكشف عن .(حذر ومكر وسعة حيلة وبعد نظر .. ورؤية شريرة وترقب عما تسفر عنه الأحداث) .

معناها أنه بهذا فهم أن المجلس ـ يحكم ـ « العبء عليكم أكثر منى » .

وهو يضمر أن يحكم .. ينفرد بالحكم .. وحسب مايشاء .

معناها أنه لو ظل تماسككم والتزامكم بالمسئولية .. واستمرت القوة فى جبهتكم الداخلية .. ليس أمامه إلا أن يظل ملتزما بالقرار ـ والعبء هنا عليهم أكبر .

ومعنى العبارة .. إنه إذا تهاونوا .. ضعفوا .. تفرقوا .. فالمسئولية تقع عليهم أيضا إذ يمهدوا له الانفراد بالسلطة حسب هواه .

وقالها فى النهاية أيضا : « الرفقاء هم نقضوا العهد والميثاق » .. سنوات أربع ملتزما لا عن إيمان ولكن لقوة المجلس ووحدته (قوة أكبر من نزعات القوة فى النفس وشهوة الطغيان) وهكذا يدور الحوار فى المسرحية موحيا .. ذكيا .. لماحا .. عميق المغزى .. ساطع الاشارة يخفق فى العقل ويستولى على الوجدان .

« القلعة » واقع أيضا ورمز .. يتداخل الرمز مع الحقيقة وهى دورة النغم فى كل حركات العزف .. ويلتمع رمز القلعة بين الأحداث والأقوال ويعمق المعنى .. ويشير إلى الهدف ويرين على النفوس والمكان .

منذ البداية محمد على يطمح الى القلعة .. يطل من شرفاتها كالصقر ـ يحلم بملك مصر ـ جنات وأنهار ـ يعشقها .. ويود أن يبنيها (ومن ادعى منهم يوما بعدم حبها أو الاستعلاء بها ـ الغزاة أو الطغاة ـ لكنهم يحسبون انها ملك لهم وأهلها مجرد تابعين ـ هذا ظنهم) .

لكنه فى اللحظة الأولى من توليه الامر .. يتودد إلى زوجته : « ستكون القلعة ملكك ياحرم الباشا .. وسيجرى النيل الخالد بين يديك .. وستصبح مصر المحروسة رهنا بإشارة زوجك » .

(تلك أمانيهم .. وفيها هلاكهم)

يطلب من السيد عمر مكرم بعد تسلمه وثيقة اختيار الشعب له وشروط توليه الا يذهب إلى القلعة ..

ـ أن تحكم من بيتك هذا الكائن فى قلب مدينتنا .. لا من فوق القلعة .. كى تبقى قرب الناس فتسمع ماقد ينبض فى الأفئدة

في دائرة الانتباه

من الاحلام .. أو مايصدر عنها من أنات الآلام ..

زوجته تستفزه .. إنه يخشى عمر مكرم .. يتركه يحكم .. ولايصعد للقلعة .. ديوان الوالي أيضا من رأى الزوجة .. يتملقها ويشير إنه بدون القلعة لن يحكم أبدا رمز القلعة يتوافق بحركة الصعود والهبوط في الصراع .. والحركة الداخلية لنفسية الوالي والشعب .

وتتبع الأسلوب التكتيكي لمراحل القضية .

عندما ينقم الوالي على المصريين أنهم نجحوا في هزيمة الانجليز .. وعدوها معركتهم .. وانسحب الجند البريطان بسرعة .. ولم يتركوا له مايعمله .. يقوم بمناورة لئيمة ويقرر نقل مقر الحكم الى القلعة .. وفرض ضرائب جديدة .

يتبجح أمام السيد عمر مكرم : « القلعة كانت تستهويني منذ توليت السلطة .. لكني كنت أراكم أقوى من اغرام القلعة في نفسي » .

يعمل على تفريق الكلمة .. ويستميل ضعاف النفوس في المجلس ـ يواجهه « كنت أراك أقوى من أعظم قلعة »

المفارقة الدرامية حقا أنه لم يدرك (أنه يغدو وحيدا من لايصعد بين الناس .. يصعد منفردا .. منعزلا .. يطلق الطاغوت الكامن في الأعماق .. يتصوره صعودا فوق الأعناق .. لكنه يشكو الوحدة .. يرتجف من الخوف والرعدة .. يتمزق .. يبور .. ثم ينحدر ليسقط)

« محمد أبو العلا السلاموني » يضعنا في مواجهة سؤال حارق .. ومحرج .. مادمنا قد توصلنا إلى التجربة النضرة .. فماذا حدث لنا ..

لم لا ندرس التاريخ .. نتعلم .. نكتسب خبرة ودراية ..

وكيف تضيع التجربة الثورية الرائدة .. وتتبدد ؟

دعونا ننظر إلى وثيقة مجلس شرع المحكمة العليا « بعيون معاصرة » ونستلهم حركتها على أرض الواقع .. أو منصة المسرح .

● معايشة صادقة للتجربة

سعد أردش المخرج كان هنا مثال رجل المسرح الواعي بقضيته .. والذى يدير مسرحه كبرلمان صغير ؛ يدور حوار وجدال ، وتعتمل الأفكار ونصل الى تشريع وقرار يحمى وحدتنا .. ويدفع عملية التقدم والتطوير .

لقد افتتح أبواب معمله الفني للجماهير ..

اختار كتيبة الممثلين ـ كانوا بالفعل كتيبة ـ لم يرد الأداء الباهر ولا التجسيد المدوى للشخصية .. قادهم في حركة تمشيط للمنطقة واكتشاف هضابها وسفوحها .. مع مراعاة الحركة الداخلية لكل منهم ورد فعلهم على مايكتشفوه أثناء العمل وقدرتهم على المواجهة .

كانوا لايمثلون .. بل يعيشون التجربة كاناس حقيقيين ويعطونها لنا .

اختار فريقه المسرحي بعناية حتى

ملامحهم الخارجية .. معظمهم ممن لايثير فى ذاكرة المتفرج أدوارا بعينها .. ولكنه استطاع - بحسن أدائهم - أن يحفر « الموقف » داخلنا .. ويخلق لدينا « حالة » .

يوسف شعبان فى شخصية محمد على - فى عنفوانه وتهدمه جعل الدور يتخلله .. يتنفس حقيقة الشخصية ويتملك عالمها الداخلى .. أيقظ روحها وجعلها تنبض بيننا بقوة مقنعة .. وذكاء فطرى .. وجاذبية مؤثرة .

الخطير حقا أنه - جعلنا نحب محمد على .. ونرثى لخطيئته .. ونشفق على سقطته - لكنه لم يخرج عن مضمون شخصيته لحظة واحدة .

نبيل الحلفاوى فى دور السيد عمر مكرم وحفيده .. كان يجنح فى أسلوبه للخطابة (وبعض العذر له - فالخطابة جزء أساسى من مكونات الشخصية - هكذا أرادها أو فعلها المؤلف - لشرح فلسفته وتوضيح فكره)

بوسعه أن يجعل ايقاع الكلمات دافئا .. ومشحونا بالعاطفة ، خصوصا وهى تتعلق بأنبل العبارات والقيم .

سلوى محمود - زوجة محمد على - كانت مثال الزوجة التى تهتم بزينتها .. وتحرص على الاستفادة من وضعها .. وتهتم بما يعود بالنفع عليها مباشرة دون تعمق فى معنى الأحداث أو تطورها وأن تحافظ على البث والأداء على هذه النغمة الرتيبة طوال الوقت .. وتشيع هذا الانطباع - لهو فى حد ذاته مقدرة

سميرة عبدالعزيز « زينب » حفيدة عمر مكرم .. هى اكتشاف العرض حقا . فلقد كانت مجرد وقفتها على المسرح - صامتة - وقبل أن تتكلم .. ترسل شحنة الإحساس بالعزة والاباء .. حفيدة العلماء وامتداد رسالتهم .. وكان صوتها الخفيض يؤكد جرحها الخاص والعام .

وهى لاترضى - بابراهيم - قائد الانتصارات - زوجا لها .. حتى لاتحرج جدها (قضية جدى هى اقرار الحكم العادل)

كان صوتها يقطر بالتسليم من اجل قضية عالية .

حسن العدل المهرج داخل القصر وثائر شعبى خارجه ملأ المسرح بالحركة والحيوية - وكان مقنعا فى الدورين معا .

مدحت مرسى ايضا - ديوان الوالى - لايكاد يغيب عن المسرح لحظات طوال العرض كان متميزا يدخل ويخرج من أى موقف بسهولة ويسر وحسب مقتضيات المناسبة .. وكان يعزف بصوته تبعا للظروف يلين ويخضع ويتصنع الموافقة .. وينطق بالحكمة .. ويحتد امام الضعفاء ..

برأيى أن لديه امكانيات بعيدة المدى وقد عمل بهذا الدور على تفجيرها .

كان مشهدا مثيرا حقا وهو يستبقى الشيخين المهدى والدواخلى بعد جلسة الاعتراض على قرارات الوالى دون الرجوع الى وكلاء الأمة . فتت الجبهة بهم .. منّاهم بالخروج عن القرار بعدم الصعود الى القلعة .. دعاهم لهبات ولى النعم وتقبل ارشاداته - ضمهم اليه يشى

فى دائرة الانتباه

بالمؤامرة .. كاد يعتصرهم عصرا - أطلقهم .. وبدأت المكيدة والخيانة .

هذا الشيخ المهدى : رشدى المهدى .. كان رائعا بجسده الصغير النحيل .. كان يضفى على الأداء جوا من الصدق الخاص .. ووصل بالجمهور الى اقصى آيات الانفعال وهو ينغم صوته ليجعله خفيضا بطيئا مرطبا بالوشاية وتصنع الاخلاص والصدق .. وهو يحاول أن يقنع العلماء والنقباء بأن عملهم هو تطويق الفتنة ..

ثم وهو يزأر بصوت لايتناسب مع حجمه وهو يزيف الحقائق ويتهم عمر مكرم بإهانة المحكمة . ويسعى لعزله .

كذلك يفعل بالشيخ الطهطاوى (فايق عزب) الذى احتفظ بنفسه مشحونا طوال الوقت بالاهتمام والغضب ورفض اساليب الزيف أو الصمت على الخطأ .. وأطلق أحد أعمدة الحكمة من المسرحية فى النهاية بذلك الصوت المتوتر المشبع بالأسى :

« أنت قتلت روح الثورة .. وافقدت العلماء والنقباء قدرتهم على التأثير فى الشعب .. وبذلك واجهت المأساة وحيدا »

ديكور سامية خفاجى كان يجمع بين البساطة والأبهة .. كانت تستعمل الستائر ، تنزلها حيث تعبر عن المشهد ويسهل رفعها .. موسيقى على سعد تزعق بنغمات راقصة وفجه ..

بقى شىء يقال :

أين وزارة التربية والتعليم من هذا الحدث المسرحى التاريخى الفنى ؟

من المفارقات المضحكة أن تاريخ مصر الحديثة مقرر على الشهادات جميعا .. الابتدائية والاعدادية والثانوية .. والمفروض فى شباب الجامعة والمعاهد انهم درسوه فى هذه المرحلة ..

نريد الا نكتفى بقراءة التاريخ .. لماذا لانضعهم فى هذا المعمل العلمى وفى قلب التجربة .. هم والأساتذة ..

عملية تحويل الشباب للنضج والفهم والمحاورة والمشاركة .

إنها بمثابة ادخال لفيف من شباب العمال والصبية والمهندسين الى المعمل فى المصنع .. أو أجهزة التشغيل فى مؤسسة ..

وتركهم ممارسة التجربة .. عملية الانصهار والتطويع وإدارة العمليات والأجهزة - الأغلبية ستستوعب فن الادارة وجهد العمل وتحسين الأداء .. ومراحل التدريب والمبادرة .. وتقييم أسلوب مدربيهم ..

ينمو لديهم الشعور بالمسئولية وواجب المشاركة .. واكتساب القدرة على ايجاد الحلول .. يخلق انطباعا .. تأثيرا .. تحولا ما فى طريقة التفكير ووجهة النظر ..

لماذا لا نرتب رحلات تثقيفية - إلى مسرحنا القومى -

ستجدون تاريخنا « حاضرا » وقضيتنا قائمة .

لغويات

● لما صدرت رواية « النداهة » ليوسف ادريس ، قال بعضهم ان كلمة « النداهة » عامية يتداولها الريفيون .. والحقيقة انها ليست عامية وان تداولتها السنة العامة .. فالنداهة هى المرأة التى ترفع صوتها بالصياح .. والفعل « نده » .. « ينده » فى العامية هو نفسه فى العربية الفصيحة

● يقول بعض المذيعين فى النشرات : « عجزت قوة جيش الدولة الفلانية عن كذا وكذا » .. بفتح الاحرف الثلاثة الاولى من الفعل الماضى « عجز » .. والصواب فتح الحرفين الاول والثالث وكسر الثانى « الجيم » .. وهذا الفعل حين تقع حروفه الثلاثة مفتوحة - كما يفعل بعض المذيعين - يعنى ان المرأة صارت عجوزا ! ..

● بعض الناس يذهبون الى العراف ليفتح لهم « المندل » .. اى ليحرق بخورا فى اناء ويقرأ لهم ما يزعمه من الغيب ! .. والمندل كلمة هندية معربة ، وهى اجود انواع البخور التى كانت قديما تستورد من بلد هندى اسمه « مندل » .. والنسبة اليه « مندلى » .. قال المتنبى :

ولكنهما والمندلى وقرنفل
مدامة صهباء فى الريح والطعم

ويقال « المندل » بحذف ياء النسبة كقول كثير عزة :

بأطيب من اردان عزة موهنا
وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

● سمعت متأدبا يقول : « شذاة الورد » .. يقصد « شذا الورد » .. وكلمة « الشذاة » معناها « الشر » .. اما الشذا فالرائحة .. قال البحترى فى معنى الشذاة أى الشر

ترد شذاة الدهر منه بمسرع
الى المجد لا الوانى ولا المتقاعس

يريد بشذاة الدهر : الشر الذى يأتى به الزمان !

● الصلصال هو الطين اليابس .. واصل هذه الكلمة من الفعل « تصلصل - يتصلصل » .. اى صار له صوت وحفيف .. «أى» رغم ان الطين اليابس او الصلصال له صوت يرن رنينا .. ومن هنا جاء اسمه ! ..

همسة حب

شعر: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية
ريشة: عادل ثابت

قلبى الخفّاق أضحى مضجعكْ
في حنايا الصدر أخفى موضعكْ
قد تركتُ الكونَ فى ضوضائِه
واعتزلتُ الكل كى أحيا معك
ليس لى فكرٌ ولا رأىٌ ولا
شهوة أخرى سوى أن أتبعك
وأبى يعقوب أدرى سرَّه
قد عرفتُ الآن كيف صارعك
يا أليف القلب ما أحلاك بل
أنت عالٍ مرهب ما أروعك
يا قويا ممسكاً بالسوط فى
كفه والحب يدمى مدمعك
لم يسعك الكونُ ما أضيقهُ
كيف للقلب أذن أن يسعك

★ ★ ★

قد تركتُ الكل ربى ما عداك
ليس لى فى غربة العمر سواك
ومنعت الفكر عن تجواله
حيثما أنت فأفكارى هناك
قد نسيتُ الأهل والأصحاب بل
قد نسيتُ النفس أيضا فى هواك
قد نسيتُ الكل فى حبك يا
متعة القلب فلا تنس فتاك



ما بعيدٌ انت عن روحى التى
في سكون الصمت تستوحى نداك
فى سماءٍ انت حقاً انما
كلّ قلبٍ عاش فى الحب سماك
عرشك الأقدَس قلبٌ قد خلا
من هوى الكل فلا يحوى سواك
هى ذى العين وقد اغمضتها
عن رؤى الأشياء علىّ أن اراك
وكذا الأذن لقد اخليتها
من حديث الناس حتي أسمعك
قلبى الخفّاق اضحى مضجعك
فى حنايا الصدر أخفى موضعك

حول ترجمة الشعر الأجنبى إلى اللغة العربية

بقلم : عبد الرحيم أبو ذكرى

ظل العرب لوقت طويل يتجاهلون ترجمة الشعر الاجنبى كلية اكتفاء منهم بان الشعر «ديوان العرب» وهو سجل حياتهم النفسية والعاطفية والعقلية والاجتماعية . ومن بين ما يذكر النقاد من اسباب هذا الاحجام ان كثيرا من المترجمين العرب كانوا ممن يمارسون الفلسفة ويترجمونها وذلك لوضع الاسس الفلسفية والفكرية للدفاع عن الاسلام وقيمة ضد الوثنية واظهار فروقه عن الديانات السماوية الاخرى ، كما ان هؤلاء المترجمين لم يكونوا من الذين تعتبر اللغة العربية لغتهم الام بل انهم كانوا من غير العرب فلم يستطيعوا ان ينفذوا الى روح اللغة العربية بل والشعر العربي ليصنعوا «معادلا موضوعيا» او لنقل ، ترجمة متكاملة تراعى قواعد الاشعار العربية دون ان تنسى خصوصيات الاشعار الاجنبية .

ثم كان رفضهم لترجمة الشعر اليونانى – كما يشير آخرون – نابعا من اسباب دينية وذلك ان هذه الاشعار تغص بالالهة وانصاف الالهة الشيء الذى يتنافى مع النظرة التوحيدية الاسلامية للكون . كل هذا معروف موجود فى كتب مختلفة .

ثم كانت هناك صعوبات اخرى عروضية وهى ان هذه الاشعار كانت مكتوبة على غير نظام العروض العربى الذى يتكون من مصراعين وقافية واحدة تتكرر على امتداد القصيدة من اول ابياتها الى خاتمتها . هذه الاشعار كان من الصعب ان تنصب فى القالب الصعب الجامد ذى المصراعين

والقافية ولهذا فقد تجنبها المترجمون طلبا للسلامة .

ولم يتقارب الشعر الاجنبى مع الشعر العربى الا بعد ظهور شعر التفعيلة الحديث وسيادة ونظام تنوع القوافى العربية . الشيء الذى جعل الشعر العربى بايقاعاته قريبا من نظيره الاجنبى .

وقد ظلت حركة عدم الترجمة للاشعار غير العربية سائدة لاكثر من احد عشر قرنا حتى بدأت محاولات متفرقة للترجمة الشعرية تظهر وذلك فقط فى القرن التاسع عشر فقد ترجم محمد عثمان جلال لافونتين ونقل سليمان البستانى الياذة هوميروس شعرا وزودها بالمتن والشرح وقد ترجم العرب رباعيات الخيام التى قام بترجمتها عدة شعراء وادباء منهم احمد الصافى النجفى واحمد رامى ووديع البستانى واحمد حامد الصراف .

على ان ترجمة الشعر كانت اقل من ترجمة الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات فى تلك الفترة وذلك لصعوبة الترجمة الشعرية ولتعذر النفاذ الى روح الشاعر الذى يترجم له . فالنثر اسهل فى ترجمته من الشعر فتم التركيز على القصص والروايات والمسرحيات والنقد .

ثم ان العرب رفضوا الترجمة النثرية وذلك كما يعلل الاستاذ محمد عبد الغنى حسن فى كتابه « فن الترجمة فى الادب العربى » ان الشعر « اذا ترجم نثرا ذهب بهاؤه وضاع رواؤه وبهت رونقه حتى ولو كان شعرا منثورا » واظن ان هذه الكلمات ما زالت قائمة فعالة وما زال الشعر الاجنبى ينتظر مترجميه الحقيقيين رغم صدور بعض الترجمات الشعرية والنثرية الجيدة .

ان الشعر المترجم نثرا فنيا ظل بعد ذلك سائدا كما فى ترجمات على احمد سعيد وسلمى الخضراء الجيوسى وفؤاد رفقة وغيرهم .

لكن كل هذا الشعر ما زال يحتاج فى اللغة العربية الى استكمال ادواته واكتساب ثوبه الشعرى . فهو لايزال فى مستوى النثر الجيد لا الشعر الجيد وهو مضمون جميل يدل على القوة الهائلة للشعراء الاجانب !

اما رباعيات الخيام فترجمت شعرا ونثرا وحدث فيها تصرف وحذف واسقاط وزيادات عند الترجمة، وذلك لا يهمل ايقاع الشعر فالشعر ليس صورا واخيلة ومعان فقط بل هو ايقاع واضح يعبر عن مخيلة الشاعر فى لغته الام . فالايقاع شيء عضوى لا يتجزأ ولا ينفصل من مخيلة القصيدة المترجمة . فالايقاع والجرس هى جزء من ادوات الشاعر حديثه وقديمه وكذلك القافية وان كانت تختلف فى كل قصيدة عن غيرها كما ان تكرار كلمات او تعابير بعينها يهيىء القارىء لتلقى « جمرة الشعر الحية » .

● روح القصيدة

ورباعيات الخيام تكشف لنا الكثير عما يمكن ان يفعله المترجم بالقصيدة الاجنبية فهو اما ان يكون فى مستواها وقد يكون افضل واما فى مثيلها ودونها من حيث نقل المعانى وظلالها وقدرة القصيدة على الوصول الى مكان خاص يعجز النثر العادى عن الوصول اليه فالايقاع ليس شيئا زائدا عن القصيدة بل هو جزء من روح وكيان للقصيدة عن سرها الخاص الذى لا يتكرر فى قصيدة اخرى وعن حميميتها .

واليك مثالا من الادب العربى تصعب بل قد تستحيل ترجمته الى اية لغة اجنبية مهما حاولنا اذا لم نجد

ايقاعه السريع وهى قصيدة يزيد بن الوليد :

خبــــرونى ان ســـلمى ..
خــرجت يــوم المصـــلى
فاذا طيـــر مليـــح
فـــوق غصـــن يتفـــلى
قلت : من يعــرف ســلمى
قــال : هــا .. ثم تعــلى
قلت : يــا طيـــر ادن منى !
قال : هــا .. ثم تـــدلى
قلت : هـــل ابصــرت سلمى
قال : هـــا . ثم تــولى .

فقصيدة الامير يزيد بن الوليـــد هذه مليئة بالحـــركة وهى لا تكتفى بتصوير الطير المليح كما فى صورة معلقة على حائط ، بل هى تجعله حيا ضاجا وفى حركة دائمة : (قال :ها .. ثم تعلى . قال : ها ثم تـدلى قال : ها ثم تولى .) ان هـــذه الطريقة البصرية الصوتية الحركية تجعلنا نرى هـــذا الطائر رأى العين وهو يتقافز نازلا وصاعدا ثم متوليا فى ايقاع سريع ملىء بالحـــركة والنشاط زد على ذلك حوار الشاعر معه . كما ان الابيات مليئة بافعـــال الحركة التى تكاد تتحرك هى نفســها لتجعل هذه القصيدة قصيدة تتوثب ولا تقف فى مكان واحد كطائرهـــا نفسه . فهى لا تصف حركة من الخارج بل تجسدها وتنفخ فيها حياة فنيـــة تكاد تقارب الحياة نفسها :(خبرونى ، خرجت . طير يتفلى . ادن ، تعـــلى تدلى ، تولى) فالقصيدة النثـــرية ليست لها هذه القدرة الفذة على ان تتحرك وتحرك معها مخيلة القارىء وروحه وبصره وبصيرته حتى ليكاد يبصر الشجرة والطائر وانتقاله من غصن لغصن، كل هذا فى ايقاع شعرى خفيف لذيذ بسيط كطفل يعكس خفـة الموقف وظرفه .

ومن يقارن ترجمات وديع البستانى وعبد الحق فاضل واحمد رامى يجد ان الترجمة ممكنة ويجد فيهـــــا اختلافات تعتمد على قدرة الشـــاعر وموهبته وتمكنه من اللغة الاخـــرى الاجنبية وقدرته على الخيـــال وقـــوة احتماله وطول بحثـــــه عن مختلف الصيغ لابعاد غير الملائم منها لمــــا يترجم . وعندى مثلان لترجمـــــة رباعية من رباعيات الخيام هى :

تلك القصور الشاهقات البنـــاء
منازل العز ومجلى الســـناء
قد نعب البـــوم على رســـمها
يصيح : اين المجد ، اين الثراء ؟

هذه القصيدة ترجمها نثرا احمـــد الصراف كالاتى : ان القصر الذى كان يتسامى مع الفلك كتفا الى كتف والذى كان الملوك يضعون على اعتابه الجباه . قد رأينا الفاختة تســـجع على شرفاته تقول : كو ، كو ، كو ، كو . اين ، اين ، اين ، اين ، ؟انظر فن الترجمة لحمد عبد الغنى حسن القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٢٢ .

فما ابعد الفرق بين هذه الترجمة وتلك فان احمد رامى قد حـــــول الرباعية الى شعر عربى اصـــبح جزءا من التراث بينما قتلهـــــا الصراف بترجمته النثرية .

وهناك مثال ثالث من قصـــيدة غرناطة لميخائيل سفيتلوف يمـــكن ترجمته كالاتى شعرا . والقصـــيدة فى اصلها تمثل مجموعة من الفرسان على خيولهم ويسمع فيها صـــوت الحوافر : كربت ـ كربت ـ طربط ـ طربط . والترجمة الشعرية تحـــاول ان تحافظ على هذا الايقاع وقـــد كتبت فى عشرينيات هذا القرن .

خرجت للكفاح
والارض فى غرناطة
أولى بها الفلاح
ننهض فى البكور
نركض طول اليوم
وتعب الجواد
انهكه المسير
لكننا التفاحة
تفاحة الغناء
يحفظها اللواء
ويعزف النشيد
للزمن الجديد ·

فهنا تجد جوادا يخب او يركض والقصيدة مليئة بالانفعال التى تجعل الحركة ايضا مرئية على فترات طويلة وليس على نقلات سريعة كما فى حال الطائر فكيف نبعد الايقاع والموسيقى ثم نقول عن ترجمة نثرية أنها ترجمة أمينة تنقل النص الاجنبى بروحه ومعانيه وظلال معانيه وخصوصياته من سرعة وبطء او جلال حروف او همس الخ · وهذه الترجمة من الرجز ·

ثم أن هذا الوزن نفسه موجود باللغة الروسية : ويوجد غيره كما سنبين فى دراسة أخرى ان شاء الله · وهناك قصيدة للشاعرة مارينا تسفيتايفا تصف حركة قطار وحركة الركاب فى داخله وقد ساعدها الوزن فى ذلك كثيرا فكأنك تسمع الرجرجة والاهتزاز وتمايل الركاب وهى قصيدة « قراء الصحف » فكيف يصل النثر الى هذا المكان الممنوع الا على الشعر :

فالشعر مغامرة خاصة والشاعر بالكاد يمسكها وكذلك القارىء حتى لو استعانا بكل ما عندهما من قدرات موسيقية وحياتية وعقلية وايقاعية وحدس وتوفيق · وقد لا ينجح حتى أخلص الناس لالهة الشعر فى ان يضمن نفسه خلود الاسم · فالهة الشعر قاسية جدا · وها نحن نرى معارك الخمسينيات واوائل الستينيات وقد انجلت لا عن كل من خاضها فقد تساقط عشاقها ونسيهم التاريخ ولم تبق منهم الا قلة كالسياب ودرويش وخليل حاوى وصلاح عبد الصبور والفيتورى وقلة غيرهم ولم يدخل من كتاب قصيدة النثر الا محمد الماغوط فقد فتحت الربة محرابها له وحده بين كتاب قصيدة النثر وبقى غيره يبحث فى ظلام النثر عن اليد الالهية الحبيبة دون أن يحظى بلمسها ·

● مخاطر الترجمة النثرية

الترجمة النثرية سادت منذ وقت طويل اى منذ الستينيات · وفى هذا الامر مخاطر نوردها فيما يلى :

● تؤدى الى تشابه الشعراء من حيث مستوى المفردات والمستوى اللغوى عامة فيصبح نيرودا وناظم حكمت وايلوار وجاك بريفير · اما ايليوت وماياكوفسكي فيصبحان متنوين لا فى المضامين طبعا بل فى صياغة المترجم لهما · فالصياغة تجىء متشابهة تدل على تمكن المترجم (وليس الشاعر) من لغته وفهمه لها وفنه بينما يبقى الشاعر بعيدا فى المؤخرة يتشابى للظهور فى قصيدته العربية المترجمة :

● أن الترجمة قد صاغها وقام بها أساسا ناثرون · وقام بعضهم بها فى سرعة وعجلة لحاقا بالطبعة وقد كانت المطبعة نفسها تستعجل هؤلاء المترجمين فتخرج الكتب بالعشرات شعرا ونثرا طلبا للربح دون العناية بالمستوى · كما أن الحاجة كانت ماسة للتعرف على الشعر الاجنبى سواء كان شعرا رجعيا يرفض الحضارة المادية

الحديثة كما عند اليوت او شعرا يساريا يدعو الى عالم جديد كشعر ناظم وايلوا ر ونيرودا ومايكوفسكى ولهذا فقد اهتم الكل بمضامين هؤلاء الكتاب كأنما الغرض السياسى وحده كان دافعهم ، فأصبح الشعر الاجنبى المترجم فى الستينيات يقاس بأغراضه دون التعمق مثلا فى الوسيلة التى اشتهر بها مايكوفسكى دون غيره من السوفييت ممن كانوا يكتبون مدافعين عن العالم الجديد ودون الغوص الى معرفة ، لماذا كانت بعض القصائد اكثر نجاحا من غيرها واكثر تأثيرا على الجمهور الاصلى عند كل شاعر على حدة . والشيء نفسه ينطبق على ناظم حكمت ونيرودا فكلهم تقدميون وكفى . اما الفروقات الدقيقة بينهم فتختفى بل انهم يذكرون مع بعضهم فى اغلب الدراسات والترجمات : وكأنما التقدم يعنى التشابه الشعرى الكامل .

● يثير الاستغراب موقف بعض الشعراء الذين مارسوا الترجمة فهم فى اشعارهم الخاصة شعراء وفى ترجماتهم ناثرون مما يعطى الانطباع بأنهم افضل كثيرا ممن يترجمون لهم . ويظهر الانطباع التلقائى وهو انهم يعطون لشعرهم الخاص افضل ما فى ذاتهم ويتركون للشعر الاجنبى ما تبقى من طاقتهم فكأنهم يطبقون المثل : ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع ، فهذا الخطر اى ضعف كبار شعراء الاجانب امام مترجميهم من الشعراء العرب شيء لا ينبغى ان يمر دون نقاش وتمحيص .

● هذه الترجمات ليست دليل نهوض فأنا ارى انها تأتى من مناطق درس اهلها علومهم وادابهم باللغة العربية (وهو حق) لكن هذا جعلهم يسيرون على رجل شعرية ولغوية واحدة فلم يتغلغلوا فى الثقافات الاخرى وحين جاءهم شعراء الغرب والشرق العظام مترجمين نثرا ظن معظم القراء الشباب ان المضمون هو الشعر وان الترجمة النثرية هى الاصل وكل ما عدا ذلك نشاز . فحرموا انفسهم بذلك او حرمهم المترجمون او الناشرون ـ من فكر العصر ونبض العصر الشعرى .

● ثم ادى هذا بالتالى الى ان الجيل الحديث اصبح اضعف معرفة بالشعر العالمى،واخذ يظن ان مايفرقه عنه اكثر مما يجمعه به ما عدا ما يخص الصور والمضامين ووسط الموات العربى العام والاقتتال وتدنى مستوى التعليم وغلاء اسعار الكتب والجرى وراء لقمة العيش استسهل بعض شعراء الشباب كتابة قصيدة النثر . وانا مع التجريب ، على اننى احب ان انبه الى مخاطر التقليد لان قصيدة النثر فى احسن احوالها لن تقضى على الشعر الموزون لانه اوسع منها ولانه يستطيع ان يحل مهام ويصل الى مناطق لا تستطيع هى ـ لا فى حالات محدودة ـ ان تصلها . فالتقاليد ليست شيئا من السهل مسحه ولا هو هازم ولا مهزوم وستتعايش الاشكال الثلاثة القصيدة الخليلة وقصيدة التفعيلة الحديثة وقصيدة النثر الى وقت لا ندريه ولنترك الكلمة الختامية للمستقبل .

● هذه الترجمات النثرية التى تقل فى مستواها عن الشعر العالمى بمثابة اتهام بعدم قدرة اللغة العربية وعدم تمكن الشعراء العرب او عدم قدرتهم او رغبتهم او فهمهم للعصر

ويعنى هذا ان الوسائل تعوزهم للمس نبض العصر الحديث • لقد شعر المترجمون والقراء العرب بالحاجة للشعر الاجنبى كرافد جديد يغذى الثقافة الشعرية العربية وان لهم ان ينظروا الان ويلتفتوا الى الوراء ليحاسبوا انفسهم •

● بدلا من ان يترجم الشعراء العرب ما يستحسنونه من الشعر الاجنبى شعرا وما يجدون له صدى فى نفوسهم ويعبر عما يحسونه ويعتقدونه كانوا يتركون الكلمة النهاية للجمهور من ناحية وللناشر من ناحية اخرى فتشابهت الكتب كما اسلفنا وبدلا من ان يعطى ناظم حكمت مثلا لعدة شعراء ليختاروا من اشعاره ما يناسب اذواقهم الشعرية وتبيان طريقته الشعرية وتميزه عن غيره من « شعراء المستقبل » بدلا من هذا كان الناشر يعطيه لشاعر او لناثر واحد (وهذا هو الاغلب) ـ ويعطيه مهلة قصيرة والنتيجة تجدونها فى دواوين هؤلاء الشعراء العظام المنشورة باللغة العربية • فالناس يتكلمون عنها اكثر مما يقرأونها ويعيدون قراءتها ويصعب حفظها •

● **وحدة الشعر العالمى**

لقد ظل الادب العالمى اقصد الشعر العالمى يحتفظ بالقوافى والايقاع والوزن والجرس • هذا نعرفه من قراءتنا الشخصية للعربية والانجليزية والروسية وكل شاعر يمكن معرفته فقط من مقطع واحد حتى لو لم يكن الاسم مكتوبا على القصيدة فكل له طابعه الخاص • وقد سمعت قصائد بالصينية والاسبانية والفرنسية والرومانية والالمانية وكان الوزن والجرس والايقاع والقوافى تحتل مكانها المرموق فيه • ولكن تنظيم هذه الاشعار قد يختلف من عصر لاخر ، ففى العربية نجد الشعر العمودى الذى يعتمد على وزن واحد وقافية واحدة متكررة ثم نجد بعدها تغير المعانى فى عصور النهضة مع الاحتفاظ بالقافية الموحدة ،ثم نجد الموشحات الاندلسية وفى العصر الحديث نجد شعر التفعيلة الذى يختلف نوعيا عما قبله ،وظهر بعدها الشعر المنثور او قصيدة النثر • وتنظيم الشعر الاجنبى يضم الرباعيات والسونيتات والهايكو اليابانى وتنويعات عدة اخرى مثل قصيدة النثر ولكن اساس الاساس ظل هو شعر التفعيلية • المعتمد على الوزن والايقاع والجرس •

التشابه اذن كبير وكل ما يترجم نثرا يعتبر نتيجة للفهم الخاطىء والذى يعتقده الكثيرون ، اى ان الاشعار الاجنبية تختلف كلية عن الشعر العربى فى الوزن والموسيقى والايقاع والجرس • وليس هذا صحيحا كله فانا اغامر واقول ان الشعر العالمى متشابه كله لحد كبير وانطلق من ان اجهزة النطق عند جميع البشر متشابهة ومخارج الحروف متماثلة فى معظمها ، فهى الحلق واللسان واللهاة والاسنان الخ • مع بعض التركيز على بعض المخارج •

مثل الحروف الحلقية عند العرب والحروف اللينة عند الروس فهناك حروف كثيرة ثنائية فى الروسية يحمل بعضها علامة التخفيف ، وغير ذلك • كما ان طول الكلمات عند الجميع متقارب لحد كبير ، ثم ان طول الجمل يحكمه تنفس الانسان فلن تجد جملة طولها ثلاثة اسطر الا فيما ندر ، وحتى عندها فانت لا شك تجد دائما مناطق للوقف منطقية

لكي يأخذ الانسان انفاسه ليكمل الجملة حتى نهايتها .

كما ان الشعر الشعبي في العالم بما في ذلك العربي هو شعر منظوم مقفى ويعتمد احيانا على تكرار لوازم معينة . وقد وجد الدكتور لويس عوض في مرثية صلاح جاهين عن بيرم التونسي وزن الكامل الفصيح الحديث ، وتوجد دلائل كثيرة تربط الادب الشعبي بالفصيح ولكن هذا له مكان اخر . اما اشعار روبرت برنز الشعبية فدليل اخر . واذا اخذنا ترجمات فيتزجيرالد الرائعة لرباعيات الخيام وقرأناها بلغتها الانجليزية لسقطت ثنائية الشعرة : شرق والغرب غرب وان يلتقيا فوحدة الحضارة الانسانية ووحدة ادواتها الشعبية هي رابط قوي بين العالمين . ورباعيات الخيام ترجمت بجدارة وروعة للانجليزية . وقد ترجمت شاعرة فاضلة سوناتة لشكسبير هكذا من ذا يقارن حسنك القرى بصيف قد تجلى وفتون حسنك قد بدت في ناظرى احلى واحلى تجني الرياح على البراعم وهي جذلى البيم

وتجيء انباء جميلة من روسيا ففيها ظل الشعر الاجنبي يترجم شعرا لاكثر من قرنين ونصف منذ عهد جوكوفسكي وقد ذكر الكثيرون بجو الشرق كـ « النخلات الثلاث » لليرمنتوف وقصيدتي « النبي » لكل من بوشكين وليرمنتوف . كما ظهرت ١٩٨٣ ترجمات المعلقات وشعر الخنساء قامت بها المستشرقة داليتينا وقد راعت فيها وحدة القافية في كل المعلقات واختارت اوزانا مطابقة او مقاربة للاوزان العربية التي وجدت لها ١٢ معادلا وزنيا من الشعر الروسي . أي ان الوزن العربي والروسي قد اصبحا اخوين في السلاح يشقان الطريق لشعوبهما ويقربان الحضارة العالمية .

ان الترجمات النثرية بدأت تأخذ مداها الكامل بعد الحرب العالمية الثانية وازدهرت في الخمسينيات والستينيات وقد بدأت بداية نظرية خاطئة غير صحيحة لان منطلقها هو الانغلاق والزعم ان كل شعب له شعره الخاص الذي لا يشبه شعر غيره .

ان انصار القصيدة النثرية يدافعون عنها ويصفونها بانها قصيدة مفتوحة ويطالبون بهدم اللغة وبالحرية المطلقة في التعامل مع التراث وان تخلق كل قصيدة قيمها بنفسها فكانها تصلح لجميع العصور والبلدان فهل سنجد شيئا نقيمها به سوى القول بان هذه القصيدة « تعجبني » او « لا تعجبني » او انها « رائعة » او انها « عادية » .

انني ادعو الشعراء العرب ان يمعنوا التفكير في هذه المسألة الهامة وان يقوموا هم انفسهم بترجمة ما احبوه من الشعر العالمي وان يترجموه شعرا وان يعتبروا ما ترجم حتى الان في معظمه غير مرض . وان المترجمين الحقيقيين ما زالوا ينتظرون دورهم الشعري وهو يتلخص كما قلنا في اغناء الشعر العربي الاجنبي واحترام الشعراء الاجانب واكتشاف طرقهم في التعبير حتى يجدوا نظيرها في الشعر العربي وذلك لكي تصبح القصيدة الاجنبية عضوا حيا في نسيج الشعر العربي المعاصر ، وتزوده بدم جديد في كل المجالات الخاصة بالشعر .

دعوة إلى

هذه الندوة الشعرية



على الصفحات التالية سبع قصائد [illegible] الموزون المقفى والشعر التفعيلى ، تتجاور بلا تنازع ولا تضارب بين مذاهب [illegible] ات تلك الضجة الشكلية التى فرقت منذ من بين المبدعين من الشعرا [illegible] والتليد ، وصارت القاعدة فى النظر إلى الشعر هى الأثر الفنى والوجدانى الذى [illegible] فى الشعر حين يقرؤه أو يسمعه ، مصداقا قول أحمد شوقى أمير الشعراء:

الشعر فى حيث النفوس تلذه
لا فى الجديد ولا القديم العادى

يقصد شوقى بالشعر "العادى" الشعر الذى يضرب فى الزمن القديم إلى عهد "عاد وثمود" .. لو عثرنا الآن على شعر من ذلك الزمن وتذوقناه وأحببناه لكان بمثابة الجديد الذى لم يعتوره لبلى ، لأن الجديد فى الشعر والفن هو ماتستطيع الأجيال المتعاقبة أن تحبه وتتذوقه ..

وهذه القصائد السبع ليست معلقات كالقصائد السبع القديمة "المعلقات" .. وإنما هى نشورة هنا كما ينشر الشعر فى زماننا الذى لا يعرف تعليق الشعر على الأستار .. وقد اجتمعت ذه القصائد فى هذه المناسبة بغير اتفاق ، ولكن بهدف مقصود ، هو مخاطبة قارىء الشعر لمصرى والعربى فى زماننا ، ومحاولة التأثير فى وجدانه أجمل الأثر كما كان شأن الشعر دائما ع قارئه وسامعه منذ عرفت مصر الشاعرة أبناءها الشعراء المجيدين ..

والشعراء السبعة الذين اجتمعوا بشعرهم هنا يدعونك ـ عزيزى القارىء ـ إلى هذه الندوة تى يقدمها إليك الهلال :

دعوة إلى هذه الندوة الشعرية

عاشق الأرض

شعر: محيي الديـن عطية



تُـرى هـل لآمـال الجـدود بـواعـثُ
وهـل عنـدنـا مـازال حـرثٌ وحـارثُ
وهـل عـاشق النُّوار مـا انفكَّ قـائمـاً
على عهـده، يـرعـاه أم هـو نـاكثُ
وهـل خضـرة الـعينين مـرآة زرعنـا
أم الـزرع مهجـورٌ، وحـاميـه عـابثُ
لَـكِ اللـه يـاأمَّـاه كـم من طحـالـب
إذا مـا ارتوت تـأتيكِ منهـا الخُبـائثُ

لَـكِ اللـه يـاأمَّـاه كـم عـاقٍ مضيِّـع
يجـوب الفيـافي سـائـلاً وهـو لاهثُ
ألـم يـكُ يـدرى أن حضـنـك واسـعٌ
لمن ضـاق عنـه الـرزق أيـان يبحثُ
وأنَّ جنـاك الحلـو يـدنـو لطـالـب
سعى سـعيـه، لكـن رمتـه الحـوادثُ
وأنَّ بسـاط التـرب يـؤوى رفيقـهُ
شهيـداً، ومن يكتـب لـه العيش وارثُ
وأنَّ ضيـاع الـرُّشـد مـذ راح أهلـهُ
ضحـايا لـوهمٍ بـات فى العقـل ينفثُ
وأنَّ غثـاء السَّيـلِ مـهمـا عـلا بـه
هبـاء، لأنَّ الخيـر فـى الأرض يمكـثُ

النهر

شعر: ماجده بركه

النهـر
هذا المخلوق الخالـق
هذا المعشوق العاشـق
كون مغلق ، لكن معطاء ..
فيض بالمـاء
فيض بالبوح بمغزى التاريخ المطوىّ
فيض اللألاء الحى

النهـر
هـذا الصدر الواسـع
يحمل فى حدبٍ قلب الأرض
يهدهده بحنانٍ
يلقى [illegible] وادعة
[illegible] فى [illegible] عذب
تتراقص بالألوان

النهر
يسبح فى [illegible]ذات الكون
[illegible]

هذا الحمأ المسنون
أصل الإنسـان
تربة هذا الكون المحموم
بجموع الأبنية وطوفان الناس
تربة هذا القفر المهجور
إلا من بعض فلول الرهبان

النهر
صخب الواقع وخفوت السحر



دعوة إلى هذه الندوة الشعرية

ينساب بخضرة عين الجنيه
بزهرة لوتس منسيه
نائمةٍ فى طرف الضفة
ويوجه سير الدفة
تحمل اوزوريس بخفة
ليعلم مصر الزرع ، القلع ، ويُعلى فى البنيان
ويعلمها حصد الخير
وغرس الحكمة
ويعلمها أن الصبر المحسوب
إلف الثورة
فيقول :
"وكما يعتنق النهر الوادى فليعتنق **الفعل الكلمة**"
ويظل النهر على الأزمان
يسرى فى الكون ، وفى الإنسان
ينبع من كلمة كن . ليصب بكلمة كان ،

هل تعلمين ياحبيبتى

شعر : مهل أحمد الغرباوى

هل تعلمين ياهديل
أنَّ الفراق مستحيل
دربٌ من الجنون أن أغيب عنك ثانيه
أرجوك ياحبيبتى أن تغفرى حماقتى
فلن أعود للرحيل
قلبان مرهفان مولعان باللقاء ياأميرتى

تعانقا تحت النسيم فى مسائه العليل
وأرْخت العيون سدْلها
وصفَّــق النخيــلَ
وجئت ياأميرتــى
عيناك شاطئان موغلان فى بحر الجمال والهوى
وجفنك المتوَّج الكحيل
محاربٌ أصيلٌ
"فينوس" ياحبيبتى قد احتوت منابع الجمال منذ
ألف ألف عام
وحين جئت ياأميرتى أهدتْ إلى عيونك الزمام
خدَّاك أحمران ياحبيبتى
تفاحتان جاءتا من بابل المعلّقة
هل تسمحين لى بزنبقة
أنا أسير ساعديك ياصغيرتى
فأنت راحتى ،
وأنت فرحتى
وأمِّى التى مضت أنت امتدادها ،
أرى فى وجهك الرقيق طُهْر وجهها
وفى شفاهك ابتسام ثغرها
وفى عيونك المدلَّلة
أشمُّ عطرها
«هذيلُ» ياحبيبتى
يفوح من عيونك الربيع
وفوق نهرك الرقيق ياصغيرتى
يطفو شراع رحلتى
فأنت ياأميرتى
ملاكنا الوديع



دعوة إلى هذه الندوة الشعرية

إلى غاضبة

شعر: عبد المنعم الأنصاري



مابالُكِ ثغرك .. لا يفتر
للقائى ياحبى الأكبرْ
أو حقا أنك غاضبة
منى وذنوبى لن تغفرْ
وأشعتِ بانك لا تنوين
العودة للعش الأخضر
الا لو جئتك .. ثم ركعت
وصلى دمعى .. واستغفرْ
وانا اخفيت دموع الشعر
فهل غاضبتِ لكى تظهر ؟
من أخفى الحقد ومن أظهر
من غيرك لى منهم يثأرْ
بوقوفكِ فى وجه الأعدا
ء بقربك من قلبى اكثرْ
بالعودة للعش الخالى
للروض الموشك أن يصفرّ
فبربك كيف تحوم الطير
عليه وتشدو لو اقفرْ
أو ران الصمت على الآفاق
وذاك هو الاثم الاكبرْ

لقاء..

شعر: فولاذ عبد الله الأنور



قلتُ لها ،
والشمس توهن الخيوط فى أريكة المقابلة
ـ مابيننا ، أنا وأنت ، خَرِبٌ ،
وحبنا ، من قبل أن نولد ، سىءٌ ،
ورحلتى ـ للرافدين ـ مثل رحلتى إليك قاتله
ينغلق البرُّ ،
وتنفق النياق فى الرمال ،
تجفل القوافل المحمَّلة
دون ملاقاة الرشيدْ .
فهذه الأرض التى كانت حدودها
من مفرق الهند إلى رأس طُلَيْطِلَهْ
تمزَّقتْ ، وسقطتْ دويلةٌ دويله
وبعضها ـ كحبنا ـ يأكله البعض ،
وكلما تقاربت تنهض بينها السدود
كحبنا من قبل أن نولد ماتْ
تقطعتْ مابيننا وشائج الصله
فاتهمتنى بالمناورات والمداورات والمماطله
وأرجعت حديثها عن عودتى بالأمنيات
وخاتم الخطبة والزيارة المؤجله
والسكن السعيدْ
فارتفعت فى رئتىَّ المقصله
وجلجلت فى أذنى قهقهةُ الحدود
وانتهت المقابله

دعوة إلى
هذه الندوة الشعرية

تجوال في المدينة

شعر
علي منصور



فى المقهى ..
جلس يحدق فى كوب الماء ،
وفى أبخرة الشايْ .
هل كان الحزن أناساً ،
والقبح شوارع
والوطن رسوماً وأغانى
حطت عيناه على نهد امرأة عارية فوق الجدران
والبائع حط على المائدة صحيفة ،
ماسح أحذية أخذ القدم اليمنى فوق الصندوقْ
والنادل أطلق صوتا مشروخاً ..
واصطفقت كفانْ
والعينان على نهد امرأة عارية فوق الجدران
دق الماسح ، لم تتبدل
فوق الصندوق القدمانْ
كانت واجهة (السينما) تلهث شبقا ،
والمطعم مكتظا بالأيدى
الممدودة كالديدان
دق الماسح ثانية ..
لف الأشياء ،
وقام يفتش فوق الحائط لافتة الإعلان !!

● ● ●

فى الطرقات توقف ،
بعثر بعض الوقت أمام "الڤاترينات" وغمغم
- ياقحط الألوان
برزت من بين أصابعه وردة

دخلت فى الظل ،
اختبأت
خرجت للضوء ، اشتعلت ، وانشق الميدان
ولدٌ برئٌ يعدو ، يدخل فى حقل الوجع
ويخرج من حقل الحنطة .
امسكه العسس
وقالوا : هذا الولد يكلم حارات وأزقة
ينطقها ، قد كانت لا تنطق
ويعبئها بأغانى الغضب المنشقة
هذا الولد يجىء بهلوسة وقصائد
من قول الأشجار المهمومة
فى جعبته كتب مسمومة
ويردد أشعار الليل الغجرية ،
يزعجنا
ويهز البيت ونحن نيامْ
هذا الولد رأيناه يخط بحذر فوق الجدران
يرسم وقتا ،
وهلالاً ،
وبيانْ .
وسمعناه يقول : الوقت صديقى
والأشياء تصافحنى
وتسر إلىّ بأسرار الغليانْ
هذا الولد المسرف فى الهذيان
إما أن يصمت أو ...
كان المخبر - بائع لب وسجائر - يتمشى ..
يتصاعد من بين أصابعه ..
خيط دخان !!



دعوة إلى
هذه الندوة الشعرية

السيد

شعر: أحمد فضل شبلول

قبَّانيا كان
يعشق أمواج البركان
فى قلب عروق يديه تعيش "الوطنيه"
ويغنى التاريخ
قام "الأنفوشى" من رقدته
يستقبل هذا اليتم القادم
قضبان "ترام البلدة" تسترجع خطوته اليومية
والموجة فوق شواطىء مرسيليا
ونوافذ قصر "الإليزيه"

يمشى فوق النيران
ويصاحب نجماً لم يتساقط حتى الآن
قبانيا كان
يزن "الحملة" ،
وضمير الحكام
يزن الشمس بداخل قلعة قايتباى
يبنى من صدر الحرية
قلعة أحلام للمصريين
ينسج من أسوار مدينتنا

ثوبا للثوار

وأبناء البحر

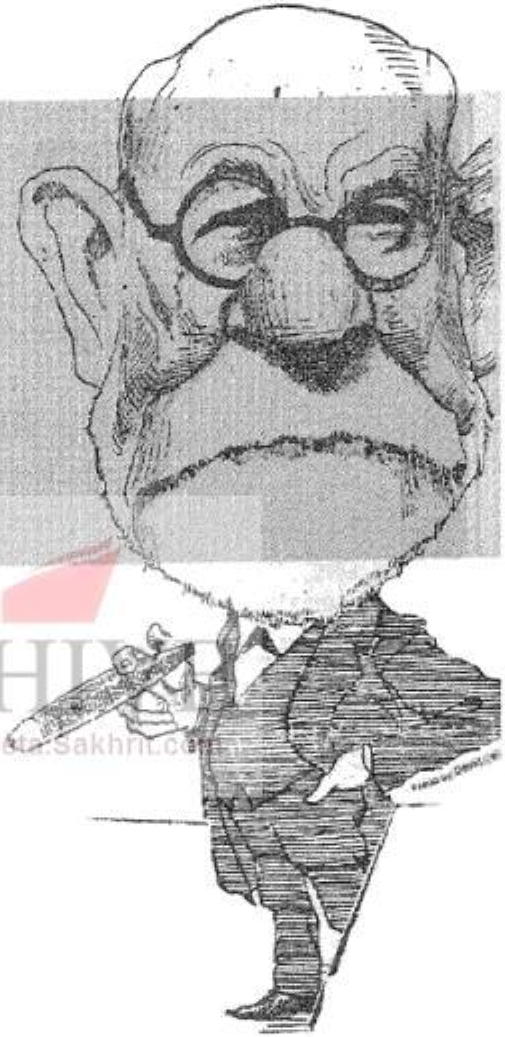
●

فى ليلة أحزان أبى قير
فتحتْ "أوريان"
أقفاص المنفى
فاشتعلت أمواج الشطآن
أعتقلوا أشجار الكافور
وأحجار "الكورنيش"
وزهرة عباد الشمس
وحبات الرمل الباكية
أقاموا الحد على كل مسافة عشقٍ
بين قلوب الشعب
وبين "السيد"
بين عيون العاصفة
وعينِ "محمد"
نسفوا كلَّ تراب
يخطو فوق خريطته
قالوا : "الفدْيه" ...
لم نَفْدِ الخطوات القادمة الى الإعدام
لكن أطلقنا الأسماء على الشارع ،
والمسجد ،
والمدرسة ،
وهذا التمثال
وجلسنا نبكى بعض الوقت
ثم ..
نسينا .



بقلم : د. أحمد أبو زيد

زيجموند فرويد اليهودى



ويرى بعض المؤلفين او سماع هذه القصة ، التى تكشف عن عجز الأب ، أنها كانت البداية التى أدت الى تخلص زيجموند فرويد مما يعرف باسم (وهم الأب) فقد اهتزت صورة ياكوب فرويد فى نظر ابنه منذ ذلك الحين . وبدأت تراوده بعض الأخيلة والتصورات حول (بديل للأب) يكون أقل عجزا وأكثر قدرة وايجابية على العمل لدفع الأذى ورد الإهانة .

كذلك كانت هذه القصة هى البداية لانشغال فكر فرويد بمشكلات اليهود وما يعانونه من مذلة واضطهاد وتفرقة وتمييز ، والتفكير بالتالى فى السبيل الى خلاصهم من ذلك الوضع المزرى بدلا من الاستسلام أو الإذعان الذى تمثل بأجلى

حين كان فى الثانية عشرة من عمره ، خرج زيجموند فرويد ذات يوم للتنزه مع أبيه ياكوب فرويد فى شوارع فيينا ، وأراد الأب أن يبين لابنه كيف تحسنت أحوال اليهود فى النمسا وأصبحت أوضاعهم أفضل مما كانت عليه

منذ وقت غير بعيد ، فذكر له أنه حين كان يعمل منذ سنوات قليلة بائعا متجولا فى تجارة الصوف كان يرتدى (قفطانا) كغيره من اليهود حينذاك . وحدث ذات مرة بينما كان يسير فى أحد شوارع المدينة التى كان يعيش فيها . وقد وضع فوق رأسه قلنسوة جديدة من الفراء ، أن تقدم منه رجل مسيحى فأطاح بالقلنسوة من فوق رأسه وألقى بها فى البالوعة على جانب الطريق وهو يصيح به : انزل من على الرصيف ، يا يهودى .

وصعق الابن لسماعه هذه القصة وسأل أباه فى استنكار عما فعل إزاء هذه الإهانة .

أجاب الأب ببساطة : لقد نزلت إلى البالوعة والتقطت القلنسوة ...

صورة فى سلوك الأب . بل أن هذه الحكاية كانت ـ مع بعض الظروف والأحداث الأخرى ـ وراء احساس فرويد طيلة الوقت بيهوديته وإدراكه الأبعاد الحقيقية لهذه (اليهودية) رغم كل ماكان يتظاهر به عكس ذلك ، ورغم إنكاره لوجود الله وعدم إيمانه باليوم الآخر ، كما تدخلت كل هذه العوامل فى تحديد موقفه من الحياة ورؤيته نفسه كيهودى فى مجتمع يجاهر بالعداء للسامية ، بل أنها أثرت فى تشكيل نظرته أيضا إلى التحليل النفسى ، كما كانت تكمن وراء تحليله لذاته هو نفسه .

ولم يكن وضع اليهود فى فيينا فى القرن التاسع عشر وضعا مريحا على الإطلاق ، فقد كان هناك شعور عام قوى وجارف بالعداء لليهود يسود كل أنحاء النمسا والمجر ، وكثيرا ماكانت تقوم تظاهرات عنيفة ضدهم كما هو الحال مثلا فى تظاهرات براج الشهيرة عام ١٨٩٧ ، وقد أدى ذلك الشعور العدائى الى تراجع وانحسار الاتجاهات الليبرالية التى كانت تدعو الى ضرورة تمثيل اليهود وامتصاصهم واندماجهم فى المجتمع . وكان كثير من المثقفين اليهود أنفسهم فى فيينا وغيرها يؤيدون ذلك الاتجاه على اعتبار أنه خير وسيلة لحل مشكلتهم والقضاء على النزعات المضادة للسامية .

ومن ناحية أخرى ، كانت مجالات العمل المتاح لليهود فى فيينا مقصورة



سيجموند فرويد اليهودي

على أربعة فقط هي القانون والطب والصناعة والتجارة . ولم تكن هذه المجالات تخلو مع ذلك من التمييز والتفرقة والمضايقات ضد اليهود ، وإن كان ذلك لم يمنعهم من أن يحققوا فيها كلها كثيرا من النجاح . ولم يكن فرويد يميل الى اى من هذه المجالات الأربعة لأنها لاتتفق مع قدراته وملكاته . ولكنه اختار الطب ليس حبا فيه ، أو لانه وسيلة للتخفيف عن آلام الآخرين وانما لانه مدخل جيد لاكتشاف الطبيعة الانسانية . وقد دفعته رغبته في هذه المعرفة الى الاهتمام أثناء الدراسة في الجامعة ببعض العلوم والدراسات والتخصصات الأخرى مثل الفلسفة والفسيولوجيا .

ولقد كان من الطبيعي أن يشعر فرويد تحت هذه الظروف والأوضاع بالقلق والتوتر والشك . وتكشف بعض خطاباته الى صديقه الحميم « فيلهلم فليس Fliess عن ذلك . إذ كثيرا ماكان يتساءل في تلك الخطابات عما سيكون عليه أمره ومستقبل أولاده الذين لايستطيع ان يوفر لهم وطنا يشعرون بالانتماء الحقيقي له

بل انه عبر عن هذه الشكوك صراحة لاحد الأساتذة الفرنسيين حين ذهب الى باريس عام ١٨٨٥ وهو في التاسعة والعشرين من عمره للدراسة على عالم الاعصاب الفرنسي الشهير ، جان مارتان شاركوه » Charcot . فقد قال لذلك الاستاذ انه من حيث هو يهودي فانه لايعتبر نفسا نمساويا ولا المانيا .

وقد دفعه ذلك القلق والتوتر والشعور بعدم الأمان وادراكه لحقيقة معنى (اليهودية) واحساسه بعداء العالم الخارجي لليهود ومضايقات زملاء المهنة الى الانضمام الى جماعة بناى بريث (المأوى اليهودي) التي تطالب بحقوق اليهود ، وذلك على امل أن يجد فيها شيئا من الاطمئنان الذي يفتقده في المجتمع من حوله . وقد انعكس ذلك كله في كتاباته واثر في تحديد مواقفه من بعض القضايا الهامة .

إنما كانت هناك الى جانب ذلك بعض الامور الأخرى التي مر بها في طفولته وتركت اثرها القوي في شخصيته وتفكيره . كما وجهت بعض نظرياته ولو بشكل جزئي .

كانت هناك اولا علاقته القوية الحميمة بامه منذ الطفولة . وقد انفرد فرويد بحب امه قبل مجيىء اخيه الصغير يوليوس . وفرويد يعترف بانه بعد مولد اخيه كانت تراوده بعض الافكار والخواطر والرغبات الشريرة نحوه . وقد مات يوليوس بعد ثمانية اشهر فقط من ولادته . وتصور فرويد أن هذه الوفاة جاءت نتيجة لتلك الرغبات والأفكار والخواطر مما جعله يشعر بعذاب الضمير طيلة حياته . وهذا الحادث يمثل بشكل واضح الصراع المبكر داخل العائلة بين الوالدين والأطفال ، وهو احد الموضوعات المهمة التي اعطاها فرويد كثيرا من العناية فيما بعد .

وكانت هناك ثانيا احساسات فرويد الجنسية نحو أمه أيضا ، وقد تيقظت هذه الاحساسات فيه منذ الطفولة ، إذ لم تكن أمه تجد حرجا في أن تتعرى تماما أمامه

من حين لآخر . وقد انعكس ذلك فى نظريته الشهيرة عن عقدة أوديب . وزاد من قوة هذه الاحساسات الجنسية المبكرة وعمقها ماكان يلحظه احيانا من تبادل المغازلات الخفية الخاطفة بين أمه وأخيه من أبيه ، والظاهر أن الأب لم يكن غافلا تماما عما يحدث وأنه كان يشعر لذلك بالغيرة من ابنه (من زوجته الأولى) . كذلك اكتسب فرويد بعض الخبرات الجنسية الأخرى فى تلك السن المبكرة من احدى مربياته ثم من خلواته ومداعباته مع ابنة أخيه .

ولكن ذكرى تلك الحادثة التى حكاها له أبوه ظلت فيما يبدو عالقة فى ذهنه ومتسلطة على تفكيره وتثير فى نفسه كثيرا من التخيلات والأفكار عن البديل عن الأب بحيث يكون أقل استخذاء من أبيه الحقيقى وأكثر منه قوة حتى يستطيع فرويد أن يتوحد معه ويندمج فى شخصيته . وكانت له بعض مآخذ أخرى على تصرفات أبيه وسلوكه مثل زيجاته المتكررة فقد هجر الأب زوجته الأولى ـ أم ابنه الأكبر فيليب ـ واتخذ لنفسه زوجة ثانية اسمها « ربيكا » قبل أن يتزوج من أماليا أم زيجموند . كذلك كان هناك فشل الأب واخفاقه فى تجارته وعدم قدرته على الصمود أمام هذه الأزمة مما دفعه الى أن يترك فرايبرج التى كان يعمل بها اصلا والتى ولد فيها زيجموند نفسه ويتجه الى فيينا . وكان عمر زيجموند ثلاث سنوات فى ذلك الحين . وعاشت العائلة فى فيينا عيشة الفقر والعوز ولاقت كثيرا من المتاعب والحرمان ، وقد حملته تخيلاته فى محاولة العثور على الأب البديل الى أن يتوحد مع الملك القائد السامى الشهير هانيبال الذى حارب الرومان وانتقم منهم لاضطهادهم اليهود وإساءة معاملتهم .

بيد أن الأوضاع الواقعية فى النمسا وضعف اليهود أمام الحركات المعادية للسامية كانت تكشف عن مدى تهافت هذا التخيل والتوحد مع هانيبال وعدم جدواه ، فلم يكن باستطاعة اليهود أن يتخلصوا من هذا الواقع المزرى المهين بأن يثأروا لأنفسهم عن طريق الحرب . وهذا ينطبق من باب أولى على زيجموند فرويد نفسه ، خاصة أن موقف أبيه المتخاذل كان لايزال ماثلا أمامه كنموذج حى له مغزاه ودلالته ويتصل به هو شخصيا اتصالا مباشرا . وكان لابد له من أن يتزل عن هذا التخيل وأن يتراجع عن فكرة خلاص اليهود عن طريق العنف . وانضمام فرويد لجماعة بناى بريث رمز على ذلك التراجع والانكماش .. فقد كانت الجمعية بالنسبة له نوعا من الملجأ أو المهرب الرمزى الذى يمكنه أن يأوى اليه ويحتمى به من اضطهاد العالم المسيحى من حوله وازدرائه لبنى جنسه ، وهكذا تقبل زيجموند فرويد الواقع مثلما فعل ابوه « ياكوب » من قبل . وكان مظهر هذا التقبل هو الصمت والتماشى ، ولكن كان تقبلا ظاهـريا يخفى تحتـه الرفض والانكار .

ومن طريف مايحكى فى هذا الصدد ـ على ما يقول الأستاذ ميكائيل ايجناتييف ـ أن فرويد رأى نفسه فى أحد أحلامه « فى نوفمبر عام ١٨٩٦ فى صالون حلاقة يوم تشييع جنازة أبيه ، وأنه رأى فى الصالون لافتة كتب عليها (الرجا اغلاق عينيك) ولكنه حين تذكر هذا الحلم فى كتابه الشهير « تفسير الأحلام » الذى ظهر عام ١٩٠٠ قال : ان العبارة على اللافتة كانت



تقول (نرجو أن تغمض عينك) اى عينا واحدة فقط وليس كلتا العينين ، ويذهب بعض الدارسين الى أن ذكر العبارة على هذا النحو فيه اشارة واضحة من « ياكوب » يطلب فيها من ابنه ان (يتغاضى) عن كثير مما قد يحدث له هو شخصيا وأن ينسى موقف أبيه من ذلك النمساوى المسيحى الذى كان قد القى بغطاء رأسه فى البالوعة ، وأن يتغافل أيضا عن كل المآخذ الأخرى التى يأخذها عليه بما فيها تأثيره الجنسى عليه وتعدد زيجاته . بل ان هناك من العلماء من يرى أن نظرية عقدة اوديب كانت مجرد ستار يستطيع فرويد أن يستخدمه كأداة يمنع بها نفسه من ان يتذكر أى شىء يتعلق باتجاهات أبيه الجنسية ، وهذا كله يرمز فى آخر الأمر الى تراجع فرويد عن شخصية هانيبال القوى المنتقم ، واستسلامه للأمر الواقع وتسليمه به .

ولكن اذا كان الخلاص عن طريق القوة والعنف أمرا غير ميسور فان فى الامكان دائما الالتفاف حول الأوضاع والظروف المعادية والمناوئة ، واتخاذ أساليب ووسائل أخرى تحقق الغاية ذاتها والأسلوب الامثل لذلك هو الاندماج عن طريق اقناع المجتمع بأهمية الدور الذى يلعبه اليهود فى الحياة ، وبالتالى ضرورة تقبلهم باعتبارهم عنصرا اساسيا وهاما فى تكوين ذلك المجتمع . والمثال الذى يمكن احتذاؤه فى ذلك هو يوسف عليه السلام . فقد كانت شخصيته مخالفة بل ومناقضة تماما لشخصية هانيبال . كما ان استجابته اليهودية الرمزية ازاء العداء للسامية كانت مختلفة كل الاختلاف عن استجابة هانيبال وقد أمكن ليوسف أن يحتل مكانة عالية فى بلاط فرعون مصر وأن يسيطر على أقدار المجتمع المصرى القديم اقتصاديا بما امتاز به من علم وحكمة استطاع بهما انقاذ شعب مصر من المجاعة فى السنوات السبع العجاف .

ولقد سيطرت قصة يوسف عليه السلام وتفسيره حلم فرعون على فكر فرويد وظهر ذلك فى اهتمامه هو نفسه بتفسير الاحلام كأداة فعالة فى التحليل النفسى وعلاج مرضاه من خلال أحلامهم ، وليس من قبيل المصادفة إذن أن يكون كتاب « تفسير الأحلام » هو العمل الرئيسى الذى ارتبط به اسم فرويد أكثر من كتبه وأعماله الأخرى ، وأن يجلب له ذلك الكتاب بالذات شهرة واسعة ليس فى النمسا أو أوربا فحسب وانما فى العالم أجمع ، وقد ظهر الكتاب عام ١٩٠٠ ، أى بعد ثلاث سنوات فقط من تظاهرات براج المعادية للسامية وتولى كارل لويجر الذى اشتهر بعدائه الشديد لليهود ومناهضته لهم منصب عمودية فيينا .

ولكن على الرغم من كل ماحققه فرويد من شهرة واسعة ومكانة عالية عن طريق العلم وتفسير الأحلام ، فان ازدياد الاضطهاد لليهود واتساع نطاق الحركات المناوئة للسامية ، وبخاصة بعد مجيىء النازى الى النمسا ، أطاحا بكل امل فى امكان تحقيق ذلك الاندماج المنشود . وهكذا فشل (مشروع) فرويد فى التوحد مع يوسف ، مثلما فشل مشروعه للتوحد مع هانيبال . وبدا أن الطريق الثالث والأخير ـ بل والوحيد ـ أمامه وأمام اليهود

هو الهروب أو الخروج ، وهو طريق موسى عليه السلام . وبذلك فرضت شخصية موسى نفسها على فرويد كبديل يمكن عن طريقه انقاذ اليهود وتخليصهم من تلك الأوضاع الشائنة المزرية التى كانت تحيط بهم فى دول وسط أوربا .

وربما كان فرويد يأمل فى ان يتحقق ذات يوم حلم هرتسل والصهيونية وذلك رغم أنه كان يدرك ماينطوى عليه ذلك الحلم من مخاطر . ولكن الملاحظ أنه هو نفسه لم يترك فيينا نهائيا ويذهب الى انجلترا الا حين لم يكن ثمة مفر من ذلك ، كما أنه لم يعش حتى يرى قيام دولة اسرائيل على أرض فلسطين العربية وعلى أشلاء الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين . وقد شهدت هذه الفترة الأخيرة من حياته انشغاله بتأليف كتابه عن « موسى والتوحيد » الذى ظهر بعد وفاته ، وهو كتاب يميل معظم الدارسين اليهود الى اغفاله حين يكتبون عن فرويد ، ربما لأنه حاول أن يبرهن فيه على أن موسى عليه السلام كان مصريا ولم يكن يهوديا . وقد أثارت هذه المحاولة كثيرا من الدهشة والاستغراب بل والاستنكار لأنها تحمل بين ثناياها . ادانة لليهود وشهادة ضدهم وضد نفسه رغم يهوديته . ولكن يجب ألا ننسى أنه كتب ذلك الكتاب عام ١٩٣٨ فى وقت كانت ابنته « أنا فرويد » ـ التى أصبحت فيما بعد من أشهر علماء النفس والتحليل النفسى ـ مضطرة الى ان تمضى من حين لآخر ـ على الرغم منها ـ بعض الوقت فى (ضيافة) الجستابو . مما كان يشعره بالذلة والهوان . وعلى أى حال فان كتاب « موسى والتوحيد » يكشف عن مدى الأضطراب والقلق والتوتر والتمزق الداخلى الذى كان يعانى منه فرويد رغم مظهره الخارجى المتماسك .

وحين مات زيجموند فرويد فى الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٢٩ لم يجد الشاعر البريطانى الأمريكى الشهير أودن Auden ابلغ من أن يقول فيه وهو يرثيه .

« لقد مات فى المنفى يهودى كبير
ولم يعد بالنسبة لنا مجرد شخص كغيره من الناس
وانما أصبح الآن عالماً كاملا من الآراء والأفكار »

وقد انتشرت هذه الآراء والأفكار انتشارا واسعا منذ وفاته فى المحافل والأوساط العلمية ، كما أصبح كثير من المصطلحات العلمية التى استخدمها فى كتاباته تتردد الآن بكثرة فى الحياة اليومية العادية .

ولكن كثيرا من هذه الآراء والأفكار ذاتها يتعرض الآن للنقد والهجوم والتشكيك كما تتعرض حياة فرويد الخاصة وشخصيته للسخرية والتجريح وبخاصة بعد أن تكشفت بعض الأسرار التى كان يحتفظ بها لنفسه ويخفيها عن الآخرين مثل علاقته بأخت زوجته ... ولكن الذى يهمنا هنا هو أن دراسة تفاصيل حياة العلماء والمفكرين وتتبع الأحداث التى مرت بهم والتى تبدو لأول وهلة احداثا صغيرة وعابرة وتافهة وكذلك التغلغل فى خبايا نفوسهم خليقة كلها بأن تلقى أضواء جديدة على تلك الآراء والأفكار وأن تبين لنا الى أى حد تتأثر نظرياتهم بحياتهم الخاصة ، وأن دعوى الموضوعية فى العلوم الانسانية والاجتماعية تحتاج الى المراجعة واعادة النظر .

الديمقراطية والهرم المنقوص!

بقلم: مصطفى نبيل

عندما كنت طالبا ادرس العلوم السياسية منذ مايزيد على ربع قرن .. القى الدكتور حامد ربيع محاضرة موضوعها الديمقراطية ، مازلت أذكر بعض ماجاء فيها ، وخاصة الجانب الذى يقول فيه ... « ان الديمقراطية مثل الهرم تقف على قمته السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ، ثم تاتى بعد القمة الأحزاب السياسية والنقابات والمؤسسات المختلفة . اما قاعدة الهرم فهى المحليات والتعاونيات والجمعيات » ..

ومن يومها ، تدور البحوث والدراسات حول قمة الهرم ، وتتجاهل قاعدته ، وهو نوع من الهروب الى الأمام !

قفزت الى ذهنى هذه القضية ، عندما أخذت أتابع المناقشات التى تدور هذه الأيام ، حول النقد والتشخيص ، وتتحسر على صخور اليأس ، وتتجنب الحلول ، ومايجب أن يقوم به صاحب الرأى فى ظل الديمقراطية .

فالديمقراطية تهدف الى انهاء الخصومة بين القول والفعل .. ففى ظلها يصبح العمل مسئولية الجميع ، والدولة لاتهيمن على جميع الأنشطة

الاجتماعية ، مما يتيح الفرصة لصاحب الرأى أن يحقق مايؤمن به ، بما توفره من تعدد الأطر والأبنية التنظيمية .

والديمقراطية ليست وصفة سحرية ، تحل المشكلات ، وتتخطى العقبات تلقائيا ، بل هى رحلة طويلة شاقة .

فلا ديمقراطية مع الأمية ، ولا ديمقراطية بدون مؤسسات مستقلة ، ولا ديمقراطية بدون نظام تعليمى يسلح أبناء المجتمع بالقدرة على اقتسام الثروة والسلطة ، ويجعل المنافسة عادلة بين أبناء المجتمع الواحد .

وما قيمة الديمقراطية التى لاتزود الشعب بقسط وافر من الثقافة العامة ، ولا تسلحه بالوعى والقدرة على التمييز فى شئون بلاده !

وما معنى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، إذا لم يقدر على إقامة تنظيماته فى أبسط صورها ؟ ..

فالديمقراطية مظلة نظام يقوم على رأى عام يقظ ، وعلى مؤسسات مستقلة وعلى الشرعية القانونية .

وأهم ماتقدمه الديمقراطية ، امكان اعادة بناء المجتمع على أساس المساواة والفرص المتكافئة ، وعلى أساس الحوار الحر ، فحرية الرأى وفتح الباب لتعدد الفكر هو المخرج ، وهو صمام الأمان .

فالفكر الحر هو القادر على تفسير وتخطى الفجوة الكبيرة بين مانرغب فيه ومانقدر عليه .

فإذا كان البناء الديمقراطى يشبه الهرم ، تقوم قاعدته على المحليات والتعاونيات وجمعيات المنفعة العامة ..

وإذا كانت الأحزاب السياسية هى الصورة المعروفة للنظام الديمقراطى ، إلا أنها لاتحول دون قيام بؤر مشعة أو غدد منشطة . أو مدارس فكرية ، تبعث الحياة فى خلايا المجتمع كله ، وفى النظام الحزبى ذاته .

وكلامنا هنا ... عن تلك المساحة الواسعة المتاحة لكل صاحب رأى ، ولكل من لديه القدرة على العطاء لمجتمعه ، من أجل إعادة صياغة حياة أبنائه ، وتنشيط خلاياه ، وجعل مستقبل الوطن مرهونا بإرادة وقدرة أبنائه ، وهذه المساحة هى جوهر النظام الديمقراطى ، بما يتيحه لأى فرد أو مجموعة أفراد ، لديهم الإيمان العميق بفكره ، ولديهم الاصرار على تحقيقها . ويملكون الخيال والقدرة على الابداع والابتكار ، ولا تنقصهم روح الريادة ، وتقدم الديمقراطية لهؤلاء فرصة التبشير بفكرتهم ، يكسبون لها المؤيدين والمساندين ، ويسعون بعدها لامتلاك وسائل تحقيقها ، دون انتظار لأحد أو

الديمقراطية والهرم المنتوص!

لجهة ، وأن يشغلهم لا الفكرة وحدها ، بل طرق تنفيذها ، وأى من الأطر والهياكل تصلح لها .

فما الذى يمنع – فى ظل النظام الديمقراطى – من إقامة تجمع حول أهداف اجتماعية أو ثقافية أو فنية ، سواء فى أطر قائمة أو فى أبنية تنظيمية جديدة .

لقد حان الوقت لكى تجد الأفكار والمبادرات طريقها الى أرض الواقع ، ولم يعد يكفى أصحاب الأفكار ، الاكتفاء بالثرثرة بكلمات النقد أو التشخيص ، والاكتفاء بالجلوس في مقاعد المتفرجين ، وكأنهم يشاهدون مسرحية لاتعنيهم ، إذا كانت الفرصة متاحة لربط الأفكار بوسائل تحقيقها ، فتكتمل الفكرة بطريقة تنفيذها ، وبالهياكل التى يمكن ابتكارها .

فما الذى يحول دون إقامة تجمع لحماية المستهلك مثلا ، كتلك الجمعية التى اقامها رالف نادر فى الولايات المتحدة لمواجهة الاحتكارات الكبرى ، وما الذى يمنع من اقامة جمعية لريادة الصحراء والخروج من الوادى الضيق ؟ .. وما الذى يمنع أولياء الأمور من اقامة جمعية تساهم فى تطوير التعليم الذى يقدم لأبنائهم ؟ وأيضا ... أولئك الذين يعانون من استخدام المواصلات العامة ، ألم يحن الوقت لأن تسمع كلمتهم فى ادارة هذا المرفق وتحديد أسعاره ، وأيضا ما الذى يمنع من اقامة جمعية لاحياء ذكرى الشهداء لكى تبقى حية ، وليعيش فى وجدان أبناء الوطن أعداؤه الحقيقيون الذين أطفئوا الحياة ، أو جمعيات تقدم بحوثا علمية ودراسات حيوية للمجتمع ، مثل الجمعية الفابية التى قامت بدور رائد فى المجتمع البريطانى ، والتى تحولت بعد ذلك الى حزب العمال البريطانى .

فمع الديمقراطية تنشأ الأطر والأبنية المتعددة ، ولا تعرف هيمنة الدولة كجهاز وحيد على جميع الأنشطة الاجتماعية ، وتقوم هذه الأطر باختزان أهداف المجتمع القريبة والبعيدة ، وتسعى الى التمهيد لها وتحقيقها ، فاذا كانت السياسات الواقعية واليومية هى انعكاس لموازين القوى الآنية ، وإذا كانت هذه الموازين قيدا على المؤسسات الرسمية ، فهى ليست كذلك بالنسبة للمجتمع وأطره غير الرسمية .

والدعوة لاقامة الأطر التنظيمية من أجل اهداف محددة ليست جديدة ، فقد اطلقها عبدالله النديم منذ مائة عام ، قبل قيام الثورة العرابية ، وأطلق صيحة « **اشدد يدك بين أخيك ، تنجح** »

عندما أدرك في هذا الوقت المبكر ، أن الخطوة الأولى لنهوض الشعب وتقدمه ، لابد أن تتجه للمواطن حيثما كان تعبئه وتنظمه ، فسعى النديم الى تكوين عصبة من أصحاب المصالح ، وتكوين رأى عام يقف في وجه الظلم والاستبداد .. « **لم أجد طريقا لتنبيه الوجهاء والأمراء ، الا بعصبية أكونها من الفقراء** » . وأخذ النديم يدعو الى فكرته فى انشاء الجمعيات على طول البلاد وعرضها .... « **تسعى فيما يعود على الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية** » ..

وأقام أول جمعية فى الاسكندرية فى ١٨ ابريل عام ١٨٧٩ ، وتحددت أهدافها فى التعاون على فتح مدارس للبنين والبنات لجميع ابناء الشعب ، ونشر المعارف ليتزود الناس بما يبعث الغيرة الوطنية فى قلوبهم ، ويحببهم فى جنسيتهم المصرية ، وتنبيه الرأى العام ، وايقاظ الأفكار الخامدة « ... على أن تكون مطبوعة بدم الغيرة الوطنية ، تمحو فتور الانسانية .

وأقام فى القاهرة « جمعية المقاصد الخيرية » ... فى سبتمبر عام ١٨٨٠ ، ثم اتجه الى القرى والمدن يدعو اصحاب الرأى الى انشاء الجمعيات ، وتألفت على يديه جمعيات بدمنهور وميت غمر ودمياط والمنصورة وشبراخيت « ... وانفتح باب الجمعيات ودخلها الناس افواجا وترافات » ..

وكان عبدالله النديم يهدف الى اقامة جمعيات للحرفيين النجارين والصيادين ، وتعاونيات للمزارعين لانقاذهم من المرابين ، ولم يتمكن من تحقيق أحلامه ، عندما انغمس بكل كيانه فى الثورة العرابية ، وكان لسانها وخطيبها ، ولم يقدر لمشروعه النجاح عندما احتلت القوات البريطانية مصر فى يوليو عام ١٨٨٢ ، واختفى النديم وسط بحر البشر الذى آمن بهم وسعى لتنظيمهم ، وإذا قدر لمشروعه النجاح ، لاقيمت فى مصر منذ مائة عام قاعدة الهرم الناقص ..

ولم تتوقف المحاولات ، التى تدرك اهمية الخطوة الأولى فى النهوض الوطنى ، فأقام الشيخ محمد عبده « الجمعية الخيرية الاسلامية » التى قامت بانشاء المدارس والمستشفيات وأهتمت بوعى المواطن واشراكه فى العمل العام .

الديمقراطية والهرم المنقوص!

وقام الزعيم الوطنى محمد فريد بانشاء « جمعية المقاصد » .. وهكذا استمرت المحاولات ..

ولا يسع المتأمل سوى أن يلاحظ ، أن هذه الخطوات الهامة ، كانت تجهض دائما ، اما بالمتعجلين واما بتغييرات لا تدرك طبيعة المسيرة الطويلة وشروطها .

وجاء الوقت المناسب ، فى هذه المرحلة ، التى صعبت وتعددت فيها الحاجات ، واختلفت فيها الرؤى ، وتحول العالم الى قرية صغيرة ، وزادت الحاجة الى غدد منشطة ودراسات عملية ، تساهم فى صنع التيار العام الذى يصب فى القضايا العامة ، ويهدف الى النهوض الوطنى فى بحر العالم المتلاطم الأمواج ..

وعلى النظام القانونى أن يتسع ، وعلى المجتمع أن يقدم كل ماتحتاج إليه هذه الجمعيات من المساندة والتأييد ..

حتى لاتظل العقبات ذريعة للقاعدين والمتقاعسين .

الديمقراطية والاستقلال

إن قضية الديمقراطية فى التاريخ المصرى الحديث كانت موجهة دائما إلى خدمة الحركة الوطنية وقضية الاستقلال ولم يكن الدفاع عن الديمقراطية لدى الرأى العام المصرى منفصلا عن قضية الدفاع عن الوطن .

طارق البشرى



كتاب الهلال
يقدم :
جبرتي
الطفلة المجنونة الرائعة
بقلم : ماري ماك كراكن • ترجمة : أمينة السعيد
٥ فبراير ١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم :
الركض مع الفرسان
الجزء الثاني
تأليف : الكاتب الأمريكي فيردل هامز
ترجمة : د. أمين العيوطي
١٥ فبراير ١٩٨٧

رسالة إلى ناخب

بقلم: د. شكري محمد عياد

بعد ايام ، صديقي القاريء ، ستكون صناديق الانتخاب فى انتظارك لتختار من ينوبون عنا فى تدبير مصالحنا المشتركة . أرجوك ألا تتردد . أعلم أن معظمنا فقدوا عادة الذهاب إلى صناديق الانتخاب . اكثرنا لايعرفون أصلاً معنى أن يذهبوا إلى مراكز الانتخاب لينيبوا عنهم من يتفرغ لإدارة الشئون العامة . وكثيرون سلموا الأمر لصاحب الأمر ، ولمن أنابوا أنفسهم عنا فى تحرير بطاقات الانتخاب ، التى بهرت العالم بإجماعنا المنقطع النظير على كل ما فيه خراب البلاد .

انفض عنك هذه التجارب الأليمة ، واذهب هذه المرة إلى مركزك الانتخابى ، مؤمناً بنفسك ثانيا ، ومؤمناً بالله اولاً وأخيراً .

لا أكذبك ، صديقى القاريء ، كنت أتمنى أن أسبقك إلى أداء هذا الواجب الوطنى ، ولكننى أتمثل بقول أبى نواس :

فكأنى وما أحسِّن منها
قعدىّ يحسِّن التحكيما
كلّ عن حمله السلاح إلى الحر
ب فأوصى المطيق ألا يقيما

وفى معناه ، وأقل منه خبثا ، قول الآخر :

دع عنك فعلى وخذ قولاً نصحت به
ينفعك نصحى ولا يضررك تقصيرى

واعلم علم اليقين أن الناس جميعا لو عملوا بهذا المثل السائر لما بقى أحد يقوم بواجب . وما أدرى ماذا أقول فى هذه الحكم السائرة : فالشأن فى الحكم والأمثال أن تكون نبراساً للعمل . أتريد حكمة أخرى ؟ إذن فاسمع :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى
بناة العلى من أين تؤتى المكارمُ

ويمكننى أن أسترسل معك هكذا فى التمثيل بالأشعار حتى ننسى الموضوع الذى كنا نتحدث فيه ، لأن الأشعار والأمثال عندنا لا تهدى إلى طريق العمل ، بل تقدم تبريراً مناسباً لكل أنواع التواكل والكسل . ولا أدرى أهو تطور حدث فى الأمثال أم فى طريقة استخدامنا إياها ،

إذ يبدو من كلام هذا الشاعر الأخير أن الأمر لم يكن كذلك قديماً . ولعل الشعر فى عهده لم يكن مطية لكل من استطاع أن يبعثر حروفاً سوداء على ورقة بيضاء ، بل كان الشعراء شعراء ، والشعراء الشعراء قلة فى أى مجتمع قديم أو حديث ، فلم يكن ثمة ضرر فى أن ينهض الشعراء بمهمة سن خلال الشهامة والشجاعة والمروءة والكرم ، فتسير هذه الأشعار مسير الشمس ، وتتمثل واقعاً فى أناس شعرهم أفعال ، وأفعالهم أمجاد .

موضوعنا هو موضوع الانتخابات هأنذا أذكرك بنفسى ، لئلا تتهمنى بأنى ضحكت عليك بالأشعار وحديث الأشعار . ولقد كنت أتمنى ، حقاً وصدقاً ، أن أسبقك إلى صناديق الانتخاب ، غير أنى تنبهت بعد فوات الأوان إلى أنى نسيت أن أسجل اسمى فى دائرتى الانتخابية .. فأنا لا أملك بطاقة انتخاب . وإن لم يسمح لى بالإدلاء بصوتى بشهادة بطاقتى العائلية التى تتضمن محل إقامتى ، فسأكون كذلك القعدى الذى ذكره أبو نواس .

إن مهمتنا ، أخى الناخب ، فى ذلك اليوم المشهود هى أخطر مهمة فى مصر . أخطر من مهمة أى مرشح ، بل أى رئيس حزب .

فالناخب هو حكم هذا اليوم . ومع أن صوت أى ناخب بمفرده قد يبدو شيئاً لا قيمة له ، قد يبدو كذلك له هو شخصياً ، وقد يعطيه لأى مرشح يتوسم فيه أنه سيدخل ابنه المدرسة ، أو سيساعده فى الحصول على وظيفة ، أو سينصره فى منازعة ، فإن هذا الصوت فيه سر عجيب ، وهو أن قيمته لا تعرف إلا بعد أن تعرف نتيجة الانتخاب .

فغالباً ما تتأرجح نتيجة الانتخاب بين اثنين أو أكثر . ومعنى ذلك أنك تراهن بصوتك على نجاح واحد دون آخر . ولكنه ليس رهاناً عادياً ، فأنت تراهن على رجل ، تراهن على قائد ، أو تراهن ـ وهذا هو الأفضل ـ على فكرة .

تراهن بفكرك أنت على مستقبلك ومستقبل أبنائك .

وإذا ربحت الرهان فمعنى ذلك أنك سترى فكرتك توضع على المحك طوال السنوات الخمس القادمة . وإذا خسرت الرهان عرفت أين تقف أنت وفكرتك من جمهرة قومك ، وفى أى شىء يمكنك أن تخالف ، وفى أى شىء ينبغى لك أن تسايره فأنت الرابح على الحالين .

الانتخاب ليس مجرد منافسة بين حزبين أو أحزاب . الانتخاب فرصة للناخب ، للشعب ، كى يصدر حكمه فى شئون بلاده ، وفرصة لكل ناخب كى يعرف دوره فى شئون بلاده .

وموقف الحكم موقف صعب ، فلكى يصدر حكمه يجب أن يتقدم إليه أصحاب الدعاوى بحججهم وأسانيدهم . والقضية المعروضة هنا ليست قضية واحدة بل قضايا كثيرة ، كلها مختلطة متشعبة .

ترى ماذا سيعرض علينا أصحاب الدعاوى ؟ فأنا أكتب إليك هذه الرسالة والمحكمة لم تنعقد بعد . لايزال أمامنا خمسة وعشرون يوماً من المرافعات . وُعدنا أن تكون المنابر كلها مفتوحة للجميع على السواء ، ولكن الله وحده هو القادر على أن يلهم الجميع السداد ، فلا يُعطى وعد إلا بضمان ، ولا تلقى تهمة إلا ببرهان ، ولا يؤخذ الحاضر بذنوب الماضى ، ولا يرتهن المستقبل بقيود الحاضر .

الله وحده القادر على أن يلهمنا الشجاعة لننظر إلى مشاكلنا الجاثمة بعيون مفتوحة . والحكمة لنفكر فيها بعقول هادئة . والخيال المقترن بالبصيرة لنرى المخرج منها إلى طريق الأمن والسلامة طريق الحياة الكريمة لنا ولأبنائنا من بعدنا .

ثلاثة أسابيع أو تزيد قليلاً . هل نطمع ، صديقى الناخب ، أن نلمح فيها بعض الأضواء التى تنير لنا سبيل الحكم ، أكثر مما رأينا فى السنوات الماضية ؟

لا أكتمك أنى ضعيف الأمل فى ذلك .

فأنا أكتب إليك هذه الرسالة والقضية التى لا تزال تشغل أذهان الناس منذ أسابيع هى قضية صفقة اللبن الملوث بالإشعاع الذرى . وقد راجعت اليوم قسماً كبيراً مما كتبته الصحف حول هذا الموضوع . الذى فجر القضية أو الفضيحة وزير المانى ، ولكن الانفجار وقع فى مصر . فإذا كانت القضية بالنسبة لبعض الألمان قضية ذمة وضمير ، فهى بالنسبة لنا قضية حياة أو موت .

ولكن تعال نقلب ملف هذه القضية . وسأكتفى ببعض الأمثلة ، لا لأنها مجهولة لديك ، ولكن لتكون المقارنة واضحة بين دعاوى الطرفين . سنترك أيضا عشرات النكت ، ومنها تلك الرسالة التى بعث بها قارىء ظريف إلى بريد الأهرام . معلنا أنه سينتخب وزير البيئة الألمانى . أكثر من ذلك . سنترك بعض الأخبار التى نشرت فى بعض الصحف القومية ، حديثا جدا ، عن إغلاق مصنع كبير للمكرونة ثبت أن منتجاته ملوثة بالأشعاع الذرى ، وتقديم مستورد الدقيق إلى المحاكمة لأنه تصرف فى الدقيق الذى فى حوزته بالبيع قبل أن يثبت فحص العينة سلامتها من الأشعاع . سنكتفى بمعاينة الصحافة لأنها جاءت بهذه الأخبار مبتسرة جدا ، ولم تحاول أن تقوم بتحقيق دقيق فى ملابسات هاتين الواقعتين ، باعتبارها مسئولة أمام قرائها عن كشف الحقائق التى تهم الجمهور .

سننظر فى وثيقتين فقط : إحداهما تمثل الحكومة ، والأخرى تمثل المعارضة .

وثيقة الحكومة عبارة عن موضوع إخبارى نشر فى الصفحة الأولى بجريدة الأهرام يوم الثلاثاء ١٧ فبراير ١٩٨٧ . ونصه (بعد حذف العناوين) :

أكد الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء فى إجتماع عقده أمس وشهده ٦ وزراء أن مصر لم تدخلها أية أغذية ملوثة بالاشعاع بعد حادث المفاعل النووى فى تشيرنوبيل منذ مايو من العام الماضى ، إذ كان يتم فحص الشحنات الواردة من الخارج بأجهزة الاشعاع التابعة لمعامل هيئة الطاقة النووية بكل من مدينتى نصر وأنشاص ، وأن الحكومة حريصة كل الحرص على صحة المواطنين ، ولا تتستر على أى انحراف فى أى موقع .

وتلى ذلك تفصيلات مطمئنة عن نظام الفحص الاشعاعى المذكور . وقد نشر الموضوع نفسه ، بالبيانات نفسها ، وفى الموضع نفسه من جريدة الأهرام بعد

أسبوعين بالضبط ، أي في عددها الصادر يوم الثلاثاء ٣ مارس ١٩٨٧ ، مع اختلاف يسير في العناوين وبعض العبارات .

وثيقة المعارضة : خبر منشور على الصفحة الأولى بجريدة الأهالي ، تحت عنوان بعرض الصفحة يقول : (نجل مسئول تنفيذي كبير وراء صفقة الألبان الملوثة) . أما الخبر نفسه فيقول « كشفت دوائر وثيقة الاطلاع أن مستورد صفقة اللبن الملوثة بالاشعاع الذرى والذى حرصت كل الجهات المسئولة على إخفاء أسمه هو نجل مسئول حكومى كبير وقد تمكن من استيراد ٨٠٠ طن من الألبان المجففة الملوثة بالإشعاع من المانيا الغربية ودخلت إلى البلاد عبر ميناء الاسكندرية دون فحص ، حيث تصادف أن انقطع التيار الكهربى فى اليوم المحدد للإفراج عنها فى الأسبوع الأخير من اغسطس الماضى وتعذر تشغيل وحدات الفحص الإشعاعى فأعطيت شهادة بخلوها من الإشعاع وتم سحبها من الميناء فى اليوم التالى .

وطرحت للبيع عبر منافذ التعاون الاستهلاكى ومحال البقالة الخاصة خلال الفترة من أول سبتمبر إلى منتصف نوفمبر الماضى ، حيث كان نجل المسئول الكبير وشريكه قد تعاقدا مع هذه المنافذ التعاونية وتجار الجملة على تصريف صفقة اللبن .

من عوامل نفوذ هذه الشركة أن شخصية قيادية كبيرة بالحزب الحاكم يتولى مكتبه الخاص للاستشارات القانونية العمل كمستشار ووكيل قانونى عن الشركة المستوردة التى يساهم فيها نجل المسئول الكبير الحكومى كشريك موصى . »

بربك ، أخى الناخب ، كيف نحكم فى هذه القضية ؟ دعوى الحكومة عبارة عن خبر فى صحيفة ، لابيان ولاتقرير لجنة تحقيق ، الخبر نفسه يكرر بعد أسبوعين بلا زيادة ولا نقصان . أهم مافيه كلمة « أكد » وخبر الصحيفة المعارضة ملىء بالأسماء المنكرة ، والتواريخ غير المحددة . لم تحاول أن تثبت التفاصيل ، وأن تجلو الحقيقة بالبرهان الدامغ . أهذا ذنب الصحيفة وحدها ، أم تشاركها فيه تلك « الدوائر الوثيقة الاطلاع » وهى الفكرة الأولى فى الخبر؟

ولكن هل رأينا طوال السنوات القليلة الماضية ، منذ بدأت الصحف تنقد وتعارض ، كثيرا من القضايا التى ترتفع فوق هذا المستوى ، المسائل الكبيرة كالمسائل الصغيرة ، مناقشات خطابية بلا نتيجة ، ومع ذلك يا صديقى فكلنا مسئولون ! وليس من حقنا أن نستهزىء ونولى ظهورنا لهذا العراك غير المفيد ، قائلين إننا سننتخب وزير البيئة الألمانى ! لعلنا لم نذنب فى الماضى إلا بغيابنا ، ولكنه ذنب كبير ، وهذه فرصتنا اليوم لنثبت أننا موجودون ، وقد تكون الفرصة الأخيرة . .

البشر.. وسطوة التكنولوجيا

دور ألمانيا واليابان في مستقبل العالم؟!

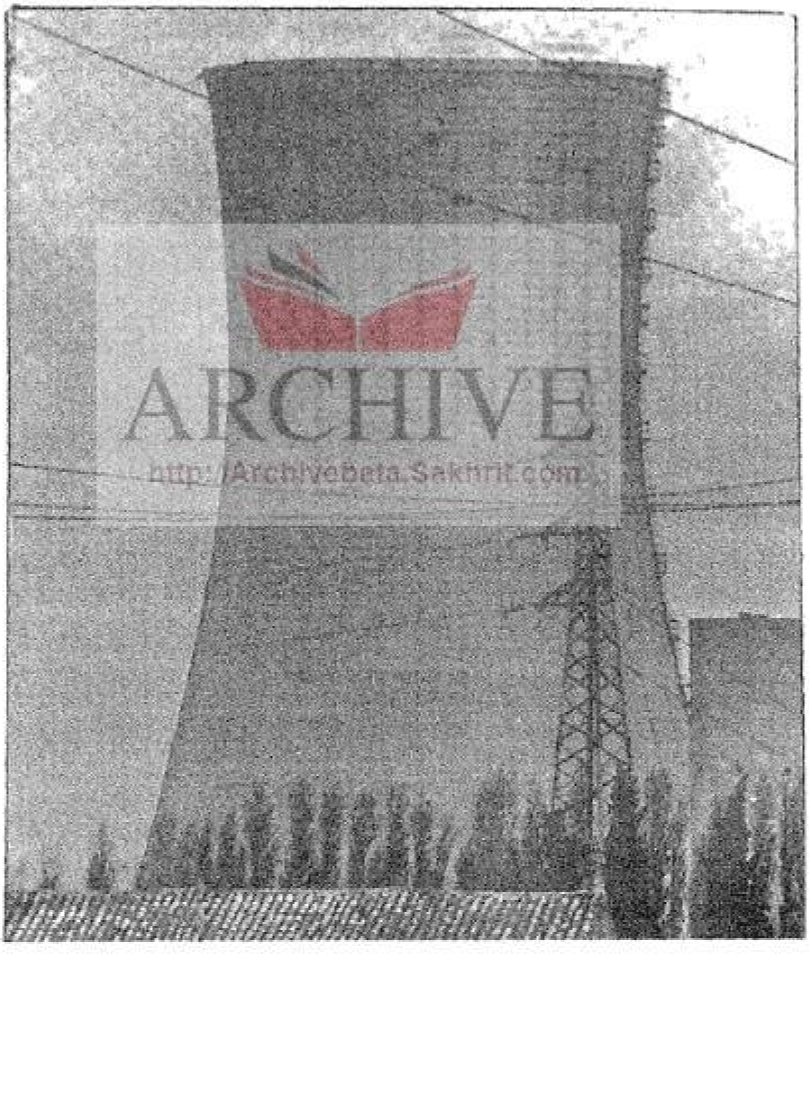
بقلم: عبد الرحمن شاكر

إذا كان إلقاء القنبلة الذرية، على هيروشيما ونجازاكي في اليابان، في أواخر الحرب العالمية الثانية، قد أرق ضمير العالم، بأثره على سكان تلك المناطق، ولا يزال يؤرقه حتى الآن بعد مضي أكثر من أربعين عاما، فقد كان «الشر» مقصوداً وقت ذاك باعتباره جزءاً من الحرب! ولكن انفجار المفاعل النووي السوفييتي في «تشيرنوبيل» في العام الماضي، كان فجيعة ممضة، أول مافجعت الداعين للتوسع في استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، والمتغنين بعصرها المزدهر! كان «الشر» الناجم عن هذا الدمار غير المقصود بطبيعة الحال، لايقل وطأة عن القنبلة، ويكفي مقدار الرعب الذي عشناه نحن في مصر، وربما لانزال نعيشه، من احتمال تسرب مواد غذائية أصابها التلوث بالإشعاع من بعض الدول الأوربية، نتيجة لتلوث السحب بالإشعاع الناتج عن انفجار المفاعل النووى، ثم سقوطه أمطارا على تلك الدول، يصيب مزروعاتها وما يعيش عليها من إنسان أو حيوان.

كان من حقنا أن نصاب بالرعب من انتقال بعض تلك المواد إلينا ، رغم ان الاصابة في هذه الحالة تعد من « الدرجة الثالثة » ، حيث ان " الأولى " كانت من نصيب البلاد التي وقع فيها دمار المفاعل ، « والثانية » من انتقل اليها الاشعاع مباشرة ، في تسلسل مفزع ثقيل الوطأة على النفس البشرية ، يجعل المرء يتساءل : هل أصبح علم الانسان الذي فلق نواة الذرة شرا عليه من جهله السابق بها ؟

علما بأن الانسان لم يقصّر - والحق يقال - خلال الحربين العالميتين اللتين شهدهما هذا القرن ، ومابعدهما ، في

المفاعل النووي تشيرنوبيل .. طرح من جديد تساؤلات حول التوسع في استخدام الطاقة النووية :



البشر..

وسطوة التكنولوجيا

التفنن في اختراع أسباب الدمار . والفتك الشامل المقصود '

لقد كان ماكان على كل حال .. ولم يعد هناك أحد أو مكان بمأمن من احتمال وصول الآثار المدمرة لتلك الكارثة وامثالها .. ولم يعد هناك أمل في احتواء تلك الآثار إلا من خلال العلم والتكنولوجيا ذاتها التي أبدعتها علاجا ، أو تطهيرا لمناطق التلوث ، أو محاصرة لها ، أو دفنا للنفايات النووية ، والغذاء الملوث قد صار جزءا منها ، أو أجهزة قياس تلك الاشعاعات ، وفحص المواد المصابة بها ..إلخ وفي هذا الصدد لم يتردد السوفييت في الاستعانة بخبراء من الدول الأخرى منها ألمانيا على سبيل المثال ، وضمن حملة جورباتشوف من أجل العلنية وحرية النقد ومقاومة الفساد ، كانت «تشيرنوبيل» والتعمية التي أحيطت بها عندما وقعت ، هي المثال البارز الذي ضربه لقصور « المعالجة الاجتماعية » لحادث من هذا النوع ! وطبقا لما يقوله المراقبون المختصون ، فإن البلدان النامية ، التي هي أقل إنتاجا لأمثال تلك الأخطار هي الاشد تعرضا لمضاعفات آثارها المدمرة ، التي قد تصل إليها بطريق أو آخر ، بسبب قصور التنظيم الاجتماعي بها من ناحية ، ولقلة مافي أيديها من علم ومالديها من علماء ، ومايلزم من أجهزة ووسائل لاحتواء أمثال تلك الآثار لقد ذعرنا لاحتمال تسرب مواد غذائية ملوثة بالاشعاع من غرب أوربا المتقدم إلينا ، وذعرنا أكثر من مجرد احتمال وصول مواد مشابهة من تركيا التي هي مثلنا من دول العالم الثالث ، وجزء من عالمنا الاسلامي . وقد قيل إن إصابتها بالاشعاع - زروعها وضروعها - بسبب الأمطار المشعة ، كانت أشد من بعض مناطق جارتها الكبرى التي وقع فيها الانفجار ، أي الاتحاد السوفييتي ، ولا شك أن قدرتها على احتواء آثاره أو علاجها أقل من قدرته هو والدول الأوربية الأخرى .

أما نحن فلا نملك لها سوى أن نقول : لك الله ياتركيا ! إننا لم نعد نجسر على أن نشتري من هذا البلد الشقيق شيئا ، ولكن من الذي يستطيع أن يضمن أن لايتسرب منه شيء إلى البلدان العربية والاسلامية الأخرى ، وهي جارات لها وذات علاقات وطيدة معها ؟ وهل تملك تركيا أن تتخلص من كل ماتلوث بها وهو كثير قد يكون جل إنتاجها ، ومن الذي سوف يعطيها بدلا منه - وهي على حالتها لاتستطيع أن تبادله ... بل من الذي سوف يعوضها عما أصابها ويحمل معها أو عنها مسئوليتها ان لم تكن الجماعة الانسانية في مجموعها ؟

نعم .. لقد أصبحنا في زمن ، لا مفر فيه من إعادة التنظيم الاجتماعي على مستوى العالم والجماعة الإنسانية : إن الثورة التكنولوجية التي شهدها العالم ولايزال يشهد تطورها ، تطالب بثورة في العلاقات الانسانية على مستواها ، والا لو بقيت الفجوة مابين

مستوى التطور الاجتماعي للإنسان ، وتطوره العلمي على حالها ، فمعنى ذلك ان يبقى البشر تحت سطوة التكنولوجيا التى ابدعها بجميع اخطارها المهلكة ، بدلا من ان تكون تلك التكنولوجيا تحت سيطرته وفى خدمته .

على أن دول العالم الثالث لها ـ قبل حكاية الاشعاع وبعده ـ متاعب اخرى تقعد بقدرتها على مقاومته .

الديون والرفاهية :

فمنذ أسابيع قليلة اعلنت البرازيل توقفها عن سداد أقساط ديونها وفوائدها ، وتبلغ جملة ديونها حوالى مائة مليار دولار ، رغم كونها من أغنى بلدان العالم الثالث واكثرها وفرة فى مواردها الطبيعية ، وتقوم بها كثير من الصناعات المتقدمة ، وليست مسالة ديون العالم الثالث بعيدة عن موضوع « التكنولوجيا » وأخطارها فقبل أن تكون هناك « واردات » مفروضة من الدول المتقدمة تكنولوجيا مثل المطر الملوث بالاشعاع ، أو « مهربة » مثل مانخشى دخوله من مواد غذائية أصابها هذا التلوث ، فان وراء ارقام الديون الفلكية المثقل بها العالم الثالث واردات « تكنولوجية » اخرى ، كثير منها مفروض ومهرب أيضا ! تلك هى واردات الرفاهية التى أبدعتها التكنولوجيا الحديثة من مختلف الأشكال والألوان ، كان منتجوها فى الدول المتقدمة ، يحرصون على تصديرها الى بلدان العالم الثالث بكل ماتحت أيديهم من وسائل سياسية واقتصادية ودعائية وعلاقات عامة ! لم يكونوا يبالون على الاطلاق بحقيقة كون ان معظم مجتمعات العالم الثالث لا يرتفع مستوى اقتصادها الى الحد الذى يسمح باستخدام تلك السلع على نطاق واسع ، وكثير من تلك البلدان تحتاج الى القوت الضرورى ، ولكن وفرة المواد الغذائية وانتاجها فى ذات الدول الصناعية المتقدمة فى غرب أوربا وشمال امريكا جعلها تهون من أمر تلك المشكلة امام دول العالم الثالث ، وتغريها بان تعتمد عليها فى شأنها ، بدلا من الاهتمام بالتوسع فى إنتاجها الزراعى ، مثلا ، وأحيانا مجرد المحافظة عليه ، بينما يزداد عدد سكانها !
كان كل هم العالم المتقدم أن يصدر للعالم الثالث كل شىء لو استطاع ، ويحتسب عليه ديونا أصبحت فى النهاية تجارة رابحة ، حيث يفوق مايتعين أن تدفعه بلدان العالم الثالث من أقساط الديون وفوائدها كل عام ، مجموع ماتحصل عليه من ديون جديدة فى العام ذاته ! فالى متى ؟... وها هى البرازيل ـ كما تقدم ـ راضية عن توقفها عن الدفع !

إن هذا الوضع يمثل ضربا من « التلوث » التكنولوجى ، لايقل خطورة عن التلوث الاشعاعى ، لو ترتب عليه أن يمتنع « الدائنون » عن تصدير ما اعتاد المدينون أن يستوردوه منهم ، وخاصة فى الضروريات مثل الأغذية والأدوية وقطع غيار ما بنيت عليه حياتهم الجديدة المعاصرة من منشآت أصبحت فى مستوى الضروريات ! وهذا التمزق أو التلوث المرتقب فى « العلاقات الخارجية » لبلدان العالم الثالث ، يقابله ويفعل فعله تلوث آخر فى علاقاتها الداخلية ، حيث ازدادت

البشر..

وسطوة التكنولوجيا

وتزداد كل يوم الهوة مابين « القادرين » من ابناء تلك البلدان ، بمعنى القادرين على شراء كل شيء من سلع الترف التي ابدعها العالم المتقدم . وغير القادرين الذين ينحدرون الى العوز لكل شيء في الوقت الضروري . ولم يكن ذلك ببعيد عن تاثير العالم الصناعي المسمى بالمتقدم في تشجيعه ، لزبائنه ، من القادرين على الاستمرار في غيهم ، وفي استنزاف مجتمعاتهم لحسابه وحاسبهم ! ..

حتى اذا ما جاء « الطوفان » ـ وهو عرضة ان يجيء في اي بلد « مضروب » على هذا النحو ـ فر القادرون بما يستطيعون حمله من ثرواتهم ، او لجأوا الى ما سبق لهم ان اودعوه في الخارج من ارصدة يسمونها مدخراتهم !!

لم نذكر ، ولايتسع المقام لأن نذكر ـ كل ماقيل ويمكن أن يقال عن تلوث البيئة في كل مكان في العالم ، بغض النظر عن التلوث النووي !

التقارب الصحي :

غير أن العالم يشهد حاليا ـ في ظل تلك الصورة القاتمة ـ بريقا من امل يلوح في ان تصل الجماعة الانسانية في مجموعها ، الى مستوى من التنظيم الاجتماعي « العاقل » على نطاق العالم ، قبل ان « يتسع الخرق على الراقع » كما يقال ، وتتسلسل مضاعفات الكوارث المحيطة بالجنس الانساني ، بسبب حالات التخلف والفقر والعجز .. مضافا اليها الاشعاع . حينما لايجد الفقراء او ناقصو المعلومات والوسائل مفرا من تناول اغذية مشعة ، فضلا عن المنحطين عقلا وخلقا ممن يتجاسرون على المتاجرة فيها وهم يعلمون ما بها !

اقول ان هذا البريق الذي يلوح من بعيد ، انما هو في الاتجاهات السياسية الجديدة التي بدأت في ذات المجتمع الذي وقع فيه انفجار المفاعل النووي وهو الاتحاد السوفييتي ، لقد حرص القادة السوفييت في سعيهم لتوسيع نطاق الديمقراطية في بلادهم ، الى نقل رسالة الى « الغرب » تفيد ان من اغراض تلك السياسة الوصول الى قدر من التوافق مع بلدانه التي تقف معظمها تحت راية الديمقراطية ، وتظهر الخوف عليها من الاستبداد الشمولي الذي توصف به الشيوعية . من أجل هذه الغاية ذهبت وفود منهم الى امريكا لشرح ابعاد سياستهم الجديدة ، واستقدموا وفودا منها ومن دول الغرب الأخرى لتشهد تجربتهم في التطور الديمقراطي وكفالة حقوق الانسان ، فضلا عن الاصلاحات الاقتصادية التي سمحت بالمشروع الفردي في بعض جوانب النشاط الاقتصادي ، واقامة شركات مشتركة مع المؤسسات الاقتصادية الغربية ، وذلك للاستفادة القصوى مما لديها من تكنولوجيا متقدمة ، وبالمناسبة فلا اظن ان اليهود السوفييت الذين قرروا العودة

الى بلادهم الاصلية ، قد شجعهم على ذلك « الجو » الديمقراطى السائد فحسب ، بل أيضا ليبادروا الى اتخاذ مواقع لهم فى تلك السياسة الاقتصادية « الانفتاحية » ، تتيح لهم زيادة مكاسبهم ، وبالأخص أن يكون لهم قدم فى الشرق واخرى فى الغرب من خلال الشركات المشتركة !

ماعلينا ، على ان السوفييت قد توجوا جهودهم فى التقارب مع الغرب ، باقتراح جوربا تشوف الأخير الذى لاقى ترحيبا كبيرا ، بنزع الصواريخ النووية فى شطرى أوربا على السواء ، والتنازل عن شرط توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن برنامج حرب الكواكب للمضى فى تحقيق هذا الغرض . ولاتزال المفاوضات دائرة حول هذا الموضوع ومع ترقب نجاحها . غير أن الذروة التى تحلم بها البشرية هى التوصل إلى اتفاق كامل حول نزع السلاح النووى نهائيا . وتكفى أخطار مايسمى بالاستخدام السلمى للطاقة النووية وهى ما تحتاج إلى تنظيم دولى شامل لاحتوائها .

على أن هذا التنظيم لو تحقق ، فلابد ان يأخذ فى اعتباره اوضاع العالم الثالث ، الاقتصادية والعلمية والبيئية .. الخ ، وان تكف بلدان الجزء المتقدم من هذا العالم ، عن اعتبار البلدان المتخلفة ، مجرد « خرابة » تقضى فيها حاجاتها الدنيئة ! وتعتبر ذلك جزءا من حقها « التكنولوجى » بعد ان انهكتها استغلالا لمواردها .

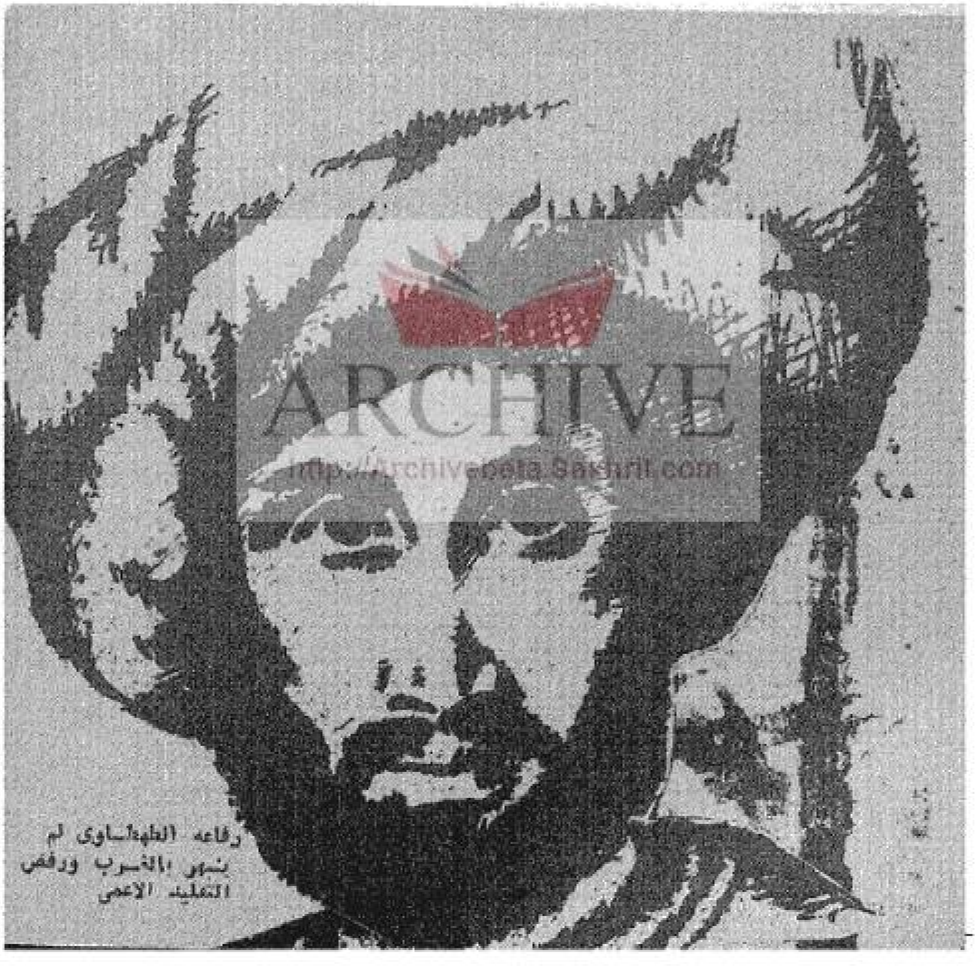
مثل دفن المواد المشعة بها ، أو تصدير الأغذية الملوثة بالاشعاع اليها ، بدعوى أن حكوماتها ليس لديها مانع من ذلك ! فالذى يتفنن فى تلويث « الخرابة » المجاورة لمسكنه الفاخر ، سوف يأتى يوم تفوح عليه عفونتها حتى تخنقه !

وفى إطار إعادة التنظيم الشامل للجماعة الإنسانية فى عصر السطوة التكنولوجية ، فربما تكون البلدان التى هزمت فى الحرب العالمية الثانية ، والتى فرض عليها ان تمتنع عن إنتاج السلاح ، مثل ألمانيا واليابان ، وكل منهما قد اصابه التلوث بالإشعاع الذرى ، المانيا حاليا بعد انفجار مفاعل تشيرنوبيل ، واليابان خلال الحرب العالمية الثانية .. اقول ربما يكون لهذين البلدين شان اكبر فى المستقبل حينما تسترد الجماعة الإنسانية عقلها وتبحث عن مصير اخر افضل من الدمار النووى حربا او سلما . فالمانيا بها اكبر احزاب الخضر ، التى تناضل من أجل وقف تلوث البيئة ، واليابان تقف على قمة التطور التكنولوجى السلمى فى العالم ، نتيجة لاستغراق الولايات المتحدة فى إنتاج الأسلحة ، واقتصادها هو الأكثر متانة بين مختلف الدول . كما أن خبرتها فى أحتواء آثار قنبلة هيروشيما ونجازاكى لايمكن تجاهلها .. وأخيرا وليس آخرا فإن مفكريها وساستها يتحدثون عن توحيد العالم فى القرن الحادى والعشرين ... فهل يستمع إليهم الجبابرة ، الذين شغلوا انفسهم طويلا بإبداع وسائل تدميره ؟ !

مرت مائة وستون عاما على رحلة الشيخ رفاعة الطهطاوى الى باريس ونشر كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » .

الشيخ فى باريس

بقلم : علـى الشوباشى



رفاعه الطهطاوى لم ينبهر بالغرب ورفض التقليد الاعمى

منذ أكثر من مائة وستين عاما، وبالتحديد فى عام ١٨٢٦، وصل إلى مدينة باريس رجل من مصر، يرتدى الجبة والقفطان، ويغطى رأسه بالعمامة وينتعل خفا. كان هذا الشاب قد اختير ليكون إماما وواعظا لأعضاء أول بعثة من طلاب العلم أرسلها محمد على باشا والى مصر إلى فرنسا للتخصص فى فروع العلم المختلفة ليكونوا نواة لجيشه وإدارته.

وكان هذا الشيخ النابغ يدعى رفاعة رافع الطهطاوى.

والغريب أن أحدا الآن - باستثناء المتخصصين - لم يعد يعرف أى اسم من أسماء أعضاء البعثة الأصليين بينما أصبح اسم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى - الذى لم يكن فى الأصل عضوا أصيلا فى البعثة - ملء الآفاق ليس فى مصر وحدها وانما فى العالم العربى كله. لقد أصبح هذا الشاب الأزهرى، الذى ولد فى مدينة طهطا فى صعيد مصر عام ١٨٠١ وقضى طفولته وصباه فى هذه المدينة، علما من أعلام الثقافة ورائدا من أهم روادها فى مصر الحديثة. فهو مؤسس مدرسة الألسن، ومنشىء حركة الترجمة عن اللغات الأوروبية فى العالم العربى، ومؤلف العديد من الكتب فى التاريخ وعلم الاجتماع وعلم التربية بالاضافة الى ما ترجمه من الكتب الفرنسية، وخاصة فى علوم الجغرافيا والتعدين... الخ.

لكن عظمة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى لا ترجع الى مجرد إنجازاته [illegible] التى لا تزال تقف شامخة بعد مائة وستين عاما، وانما إشعاعه الحقيقى يرجع الى أنه على الرغم من انبهاره بالحضارة وبالتقدم العلمى الأوروبى، وعلى الرغم من مطالبته شعبه بالأخذ بأسباب هذه الحضارة وهذا التقدم، لم يفقد فى أية لحظة أصالة ابن صعيد مصر، ولم يتراخ تمسكه بأفضل ما فى قيم بلاده وتراثها العربى.

وهكذا نجح هذا الشيخ العظيم الى حد بعيد فى حل المعادلة الصعبة التى تتلخص فى وضع حد فاصل واضح - بالنسبة له - بين فضائل حضارة الغرب وتقدمه العلمى وبين عيوب تلك الحضارة الحديثة وهذا التقدم العلمى

الشيخ في باريس

ومثالبهما . كما نجح بشجاعة منقطعة النظير في عصره . في التمييز بين الغث والثمين في تقاليدنا وعاداتنا بعد ما شاهده في أوربا .

● التأثر بالحضارات

لم ينجرف « الشيخ » الشاب في أحد التيارين الخاطئين الانبهار بالغرب انبهارا يدفع صاحبه الى التقليد الأعمى والى فقدان كل أصالة . والى جعل معيار الصواب والخطا هو الاقتراب أو الابتعاد عن الحضارة الغربية او رفض الغرب جملة وتفصيلا وعد كل ماهو أوربي او شبيهٌ له رجسا من عمل الشيطان . والانغلاق داخل اطر بالية بدعوى التمسك بالاصالة .

لقد أدرك الشيخ رفاعة الطهطاوى عندما وصل الى فرنسا وعاش فيها ، ينهل من معارفها ويعايش عاداتها وتقاليدها وممارساتها السياسية ، أن حضارة الغرب الحديثة ، التى انارت أضواؤها العالم باسره ، لم تكن حضارة منغلقة على نفسها ، رفضت التأثر بالحضارات التى سبقتها ، وانما هى حضارة منفتحة ، تنهل من كل ما هو ثمين من الحضارات السابقة عليها وترفض الغث ، وتحاور الحضارات السابقة عليها وتحاول أن تتعمق فى دراستها اكثر واكثر .. كذلك ادرك شيخنا أن الحضارة العربية الغابرة ما كانت تبلغ الشاو الذى بلغته لو لم تحاور الحضارات السابقة عليها والمعاصرة لها ، تتأثر بها وتؤثر فيها ، تتبنى ما يلائمها فى تلك الحضارات وتلفظ مالا يناسبها .

ولعل أخطر ما تعرض له الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى فى كل ما كتبه هو موضوع العلاقة بين الحاكم والمحكوم . لقد أدرك أهمية أن يكون للدولة الحديثة دستور يحدد حقوق كل من الحاكم والمحكوم وواجباتهما ، فى وقت كانت الدولة الاسلامية فيه ـ اى الخلافة العثمانية ـ تجعل من الحاكم مصدرا لكل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، كل الحقوق له وما على الرعية إلا الطاعة . وإذا ما تنازل الخليفة العثمانى فى القسطنطينية او نائبة فى البلاد التابعة ـ مثلما كان الحال فى ذلك الوقت مع محمد على باشا فى مصر ـ وسمح برخصة للرعية . فإن هذه الرخصة لاتعد حقا مكتسبا باية حال وإنما هى منة وإحسان ، للخليفة أو لنائبه أن يسحبها عندما يعن له الأمر . وكان كل ذلك يحدث باسم الاسلام ـ كما هو الحال الآن فى إيران ـ وإذا ما عرفنا أن محمد على باشا هو الذى كان قد أرسل رفاعة الطهطاوى كواعظ للبعثة ، وانه هو الذى وافق ، عندما طلب رئيس البعثة بعد وصولها الى باريس ان ينضم الطهطاوى الى البعثة التعليمية كعضو أصيل وليس مجرد واعظ ، لقدرنا للشيخ شجاعته حق قدرها .

لقد حرص شيخنا فى اكثر من مكان من مؤلفه الهام « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » على أن يلفت النظر إلى أن الحاكم فى الحضارة الغربية له

حقوق واضحة محددة مدونة في الشرطة (الدستور La Charte) . لا يستطيع أن يمارس حقوقا غير ما يسمح له به هذا الدستور ، كما أن عليه في الوقت ذاته واجبات عليه أن يؤديها بأمانة وإلا ثار عليه شعبه مثلما ثار الشعب الفرنسي على الملك شارل العاشر عام ١٨٣٠ عندما كان الشيخ رفاعة في باريس ، كذلك حرص شيخنا على أن يشير الى ان الملك يقسم بمين احترام الدستور .

وإذا كانت هذه المبادىء تعد اليوم ـ على الاقل نظريا ـ مسلما بها في جميع إنحاء العالم ، فانها كانت ايام الشيخ الطهطاوى ، وأيام الخليفة العثماني ونوابه ، تعد تطاولا مابعده تطاول على من كان يدعى انه هو المرجع الأول والأخير في أمور الاسلام .

● حرية الصحافة

ولقد أكد الشيخ رفاعة الطهطاوى في أكثر من مكان من نفس الكتاب انه اهتم بعلم « البوليتيقا » ـ اى السياسة . ولاشك أن البعثة لم تكن لها علاقة بعلم السياسة ، فقد كان هدف محمد على باشا من ارسال البعثة هو تكوين بعض الكوادر الفنية للجيش والادارة . كما أكد الشيخ رفاعة في اماكن اخرى أنه كان حريصا على قراءة « الكازتات » Gazet اى الصحف لكي يعرف أحوال البلاد . ويلاحظ شيخنا أن هذه الكازتات تتمتع بحرية تامة ، يكتب فيها محرروها ما يشاءون ماداموا لم يخرجوا على حدود القانون . وهو يؤكد أن ثورة يوليو ١٨٣٠ ضد الملك شارل العاشر بدأت يوم قرر الملك فرض الرقابة على الصحف بدون الرجوع الى مجلسي البرلمان (الجمعية الوطنية التي كان الشيخ يطلق عليها اسم «ديوان رسل العمالات » ومجلس الشيوخ الذى اطلق عليه اسم « ديوان اهل المشورة الأولى ») ، وذلك على الرغم من أن أسباب السخط بدأت قبل ذلك بشهور .

وهكذا جرؤ كاتب عربي لأول مرة في التاريخ وقال إن ثورة شعبية قامت ضد ملك لأنه فرض الرقابة على الصحف بدون الرجوع الى البرلمان .. والآن وبعد مرور اكثر من مائة وستين عاما على ما كتبه الشيخ رفاعة الطهطاوى يعد الكاتب العربي الذى يكرر مثل هذا القول في الأغلبية الساحقة للدول العربية كاتبا جريئا جدا ، هذا اذا سمحت السلطات بنشره .

لكن كاتبنا ذهب إلى أبعد من ذلك واخذ يبرر ثورة الشعب ومعركته المسلحة ضد الحرس الوطنى والجيش ، بل ورفض هذا الشعب للحل الوسط الذى عرضه الملك عندما شعر بأنه خسر المعركة (الا وهو تعيين ابنه ملكا بعد تنازله عن العرش) . وأيد اختيار الشعب للدوق دورليان ملكا جديدا باسم لويس فيكيب ، وتعهد هذا الأخير في أول خطبة له أمام البرلمان باحترام الدستور ورأى مجلسي البرلمان

كذلك تحدث الشيخ رفاعة الطهطاوى في كتبه عن تعدد الأحزاب ـ وان لم يستخدم هذا التعبير ـ فقال ان الفرنسيين ينقسمون الى انصار الملكية المطلقة وأنصار الملكية الدستورية وانصار الجمهورية . وقال إن الخلاف

بينهم يتم حله من خلال الحوار بين مجلسى البرلمان والاخذ برأى الأغلبية مع احتفاظ كل طرف برأيه .

وبادر الشيخ بترجمة « الشرطة » أى الدستور الفرنسى ترجمة كاملة وإن كانت هذه الترجمة غير دقيقة ، فان ذلك يرجع إلى ان التعبيرات السياسية لم تكن معروفة فى اللغة العربية آنذاك . لذلك فقد اضطر الشيخ إلى تقريبها إلى اذهان القراء العرب بعبارات يمكنهم فهم معانيها . وإذا كانت التعبيرات السياسية قد اتخذت الآن فى اللغة العربية مدلولات محددة ، فلاشك أن مدرسة الترجمة التى أسسها رفاعة الطهطاوى لها فضل كبير فى ذلك .

● العدل هو الأساس

وعلى الرغم من أن هدف الشيخ رفاعة الطهطاوى واضح من ترجمة الدستور الفرنسى والحديث بالتفصيل عن النظام السياسى ، ثم فى وصف الثورة على الملك وخلعه ، فإنه اراد ان يضع النقط فوق الحروف حتى لا يخطىء احد فهمه فقال إنه « يكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ويستوفى غالب أحكامهم ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن يعتبر » ...

هذا بالاضافة الى عبارات الاستحسان التى نجدها فى أكثر من مكان فى الفصل الذى يلخص فيه الدستور الفرنسى مثل « وأما المادة التاسعة فهى عين العدل والانصاف ، وهى واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعفاء ... »

لكن أغرب مافى الأمر ان الشيخ رفاعة الطهطاوى لم يكن غافلا عن نقطة هامة جدا . الا وهى ان « غالب مافيه (أى الدستور الفرنسى) ليس فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . اذكره لك لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقاد الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم فلا نسمع فيهم من يشكو ظلما ابدا . والعدل أساس العمران »(1)

وهكذا يبدو أن هذا العالم الجليل يرى أن معيار قبول الأحكام الدستورية والقانونية فى العصر الحديث هو عدم تناقضها مع أى حكم جاء فى كتاب الله تعالى او فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . فهو ينظر الى جوهر الاسلام ولا يرفض مالا يتناقض مع هذا الجوهر ، لمجرد أنه لم يرد فى القرآن الكريم أو فى السنة . إن تنظيم أحوال العباد قد يتطلب أحكاما تختلف باختلاف الزمان والمكان فى تفاصيلها ، لا فى جوهرها . ألم يكن الامام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه عندما سئل لماذا ادلى فى نفس المسائل بأحكام فى مصر تختلف عن تلك التى قضى بها فى العراق ، هو الذى قال : تلكم كانت العراق وهذه هى مصر ؟!!

على أية حال فإن الشيخ رفاعة الطهطاوى يركز كثيرا على فكرة هامة فى اكثر من مكان فى كتابه ، ألا وهى أن الفلسفة الفرنسية ـ والأوروبية بصفة

عامة - فى الفترة التى زار فيها فرنسا كانت تقوم على أن عقل الانسان هو الذى يفرق بين الحسن والقبيح ، بين ماهو صواب وماهو خطأ . وهذا يدل على أن شيخنا قد أدرك تماما جوهر الفكر الأوربى فى تلك المرحلة ، ذلك الفكر الذى بدأ جنينا فى عصر النهضة وبلغ ذروته مع مفكرى القرن الثامن عشر ، وخاصة فولتير وروسو ومونتسكيو (الذين قرأ الشيخ رفاعة بعض أعمالهم) .

وقد أكد الطهطاوى هذا المعنى - أى معنى عدم تناقض الأنظمة السياسية الأوربية الحديثة مع الفكر الاسلامى - فى كتاب آخر هو « المرشد الأمين للبنات والبنين »

عندما قال : « من زوال علم أصول الفقه .. جزم بان جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول باقى أهالى الأمم المتمدنة اليها وجعلوها أساسا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم قلَّ أن تخرج عن تلك الأصول التى بنيت عليها الفروع الفقهية . فما يسمى عندنا بعلم أصول الفقه يسمى ما يشبهه عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهى عبارة عن قواعد عقلية تحسينا وتقبيحا يؤسسون عليها أحكامهم المدنية . وما نسميه بفروع الفقه (يسمى) عندهم بالحقوق أو الأحكام المدنية . وما نسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية (أى المساواة) .» (٢)

الاعجاب بأوروبا

كان الشيخ رفاعة الطهطاوى اذن هو أول عربى تحدث عن الدستور ، وعن الفصل بين السلطات وعن الحقوق المدنية . وهو فى هذا المجال يبدى اعجابا بغير تحفظ بالنظام السياسى الأوروبى الحديث . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان الشرق يعيش فى ظل خليفة لاتحد سلطته أى حدود . بل لقد ذهب الشيخ رفاعة لأبعد من ذلك عندما دعا الى ضرورة تدريس علم السياسة فى المدارس ...

لكن الشيخ رفاعة الطهطاوى لم ينبهر بكل مظاهر الحياة الفرنسية بلا إعمال فكره ومن الصعب فى هذا المجال سرد كل انتقاداته عن المجتمع الفرنسى وانما سنكتفى بأبسطها فقد انتقد مثلا سلوك بعض النساء الأوروبيات عندما قال إن « الافرنج يظنون بنسائهم ظنا حسنا أصلا ، مع أن هفواتهن كثيرة معهم (٣) .

كما قال إن « الرجال عندهم عبيد النساء وتحت أمرهن ، سواء كن جميلات أم لا » (٤) . لكن على الرغم من هذه الانتقادات للمرأة الأوربية ، فان هذا الشيخ الذى كان عالما من علماء الأزهر ، استحسن وحبذ مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، وارتيادها للأماكن العامة مثل المقاهى والمتنزهات ، بل ومجال الرقص . ولكنه يستدرك قائلا إن المقاهى « ليست مجمعا للحرافيش ، بل هى مجمع لأرباب الحشمة .»(٥)

كذلك دافع الشيخ رفاعة عن الرقص والموسيقى فقال إنهما « يؤديان وظيفة الامتاع الفنى » فى المجتمعات الأوربية « ولايعدان فيها من الملذات المبتذلة أو الممارسات غير المقبولة» ويضيف قائلا : « الرقص عندهم فن من الفنون .

الشيخ في باريس

وقد اشار اليه المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب فهو تغلير المصارعة في موازنة الاعضاء ودفع قوى بعضها الى بعض فليس كل قوى يعرف المصارعة بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم . وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الاعضاء . وظهر ان الرقص والمصارعة مرجعهما شيء يعرف بالتامل . ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس . وكانه نوع من العياقة والشلبنة لامن الفسق (٦) .

لكن الشيخ الطهطاوى عرض بالتفصيل اراءه عن الدور الذى يتعين على المرأة العربية ان تلعبه في مجتمعها في كتابه . المرشد الامين للبنات والبنين . كما تحدث عن الميزات التى تتصف بها المرأة عن الرجل وعن الميزات التى يتصف بها الرجل وعن المرأة بعقل متفتح لماح . متأثرا بالتأكيد بما رآه في فرنسا . لكنه لم يأخذه على علاته . وقد دافع عن تعليم المرأة العربية واضطلاعها بالأعمال التى يضطلع بها الرجال . عند اقتضاء الحاجة . .

● إعجاب بحرية العقيدة

كذلك اعرب الشيخ رفاعة عن اعجابه بحرية العقيدة الدينية في فرنسا . وقال إن الاسلام يحمى حرية كل فرد في ممارسة عقائده الدينية كما يشاء : وان اختلاف العقيدة لايرتب لمسلم حقوقا مدنية او سياسية اكثر من غيره . فاخوة الوطن لها حقوق . .

وعلى الرغم من إعجاب الشيخ رفاعة بدقة الفرنسيين ونظافتهم وصدقهم في المعاملات . فقد انتقد بشدة تقلب مزاجهم وقال إن الانسان في فرنسا لايامن تغير الوقت . فمزاجها كمزاج اهلها . كما وصفهم بانهم . اقرب الى البخل من الكرم. كذلك قارن بين نهر السين ونهر النيل . وماء النهرين فقال إن ماء النيل وماء نهر الجانج في الهند . من الأمور المناسبة لصحة الأبدان في فن الطب . بخلاف انهار الدنيا الأخرى . بما في ذلك نهر السين . وقارن مثلا بين جزيرة . السيتية بباريس وجزيرة الروضة فقال . وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والمقياس . فان نزهة الانسان في الروضة والمقياس لاتضاهي . . والمقارنات بين باريس والقاهرة كثيرة في كتاب . تخليص الابريز . وكلها بالطبع في صالح القاهرة باستثناء النظافة . ويؤكد الطهطاوى في اكثر من مكان اننا لو اعتنينا بمصر كما يعتنى الفرنسيون ببلادهم لكانت مصر احسن من فرنسا ..

ويبدو ان الشيخ رفاعة قد اعجب بالخوخ في فرنسا اعجابا شديدا . فقد وصف طعام الفرنسيين مرتين قائلا إنه . على الاطلاق عديم اللذة ولا حلاوة صادقة في فواكه هذه المدينة إلا في الخوخ . .

واعرب الشيخ رفاعة عن اعجابه بتشجيع الدولة الفرنسية للعلماء والباحثين . وحثهم على التخصص . ويقول في ذلك : « إن العلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم . فهي دائمة في

الزيادة . فلا تمضي سنة إلا ويكتشفون شيئا جديدا »(٨) . واهتم اهتماما خاصا بالحديث عن المؤسسة العلمية التي اطلق عليها اسم « مجامع العلماء » وعن المكتبات والمتاحف . وقد ابدى اهتماما خاصا بالمكتبات العامة في باريس ، فعددها واحدة واحدة . ووضع احصاءات عن مختلف انواع الكتب التي تحتويها ، وطريقة القراءة فيها والاستعارة منها .

كذلك تحدث عن الجامعات المختلفة والعلوم التي تدرس فيها ، لكنه انبهر بالمستشرقين ومدرسة الاستشراق الفرنسية . وإن لم يمنعه ذلك - على الرغم من أن اساتذة هذه المدرسة كانوا هم أساتذته من أن ينتقدهم ويختلف معهم ، وخاصة البارون سيلفستر دى ساسى

ولا يمكن بالطبع في مقال صغير إيفاء الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى حقه . فيما كتبه عن باريس ، لكن لعل اهم ما يمكن أن يقال في هذا المجال أن الشيخ الأزهرى الصعيدى المولد لم يكتف بالمشاهدة والاعجاب والنظرة النقدية : كما لم يكتف بالكتب الهامة التي كتبها لا لتلخيص باريس ، وانما لتلخيص عصارة ما ادركه عند احتكاكه بالحضارة الاوروبية : لكنه عمل باقصى طاقة على أن يضع ما أعجبه موضع التطبيق في مصر .

ان مدرسة الألسن التي اسسها الطهطاوى بعد عودته من فرنسا ، لم تكن - كما تصور البعض - مجرد مدرسة لتخريج المترجمين من اللغات المختلفة الى العربية . لكنها كانت مدرسة لدراسة أداب الدول الأخرى وعلومها وهضمها ونقلها الى العربية : لقد كانت مدرسة تستهدف نقل مصر من تخلف استمر عدة قرون - وبصفة خاصة تحت حكم المماليك ثم العثمانيين - إلى القرن التاسع عشر - كانت مدرسة انفتاح صحي على آخر ما وصلت اليه العلوم والفنون والآداب في بلاد سمحت لها ظروف يطول شرحها أن تتفوق علينا في عديد من المجالات .

واذا كان الكثير من المثقفين المصريين منذ القرن التاسع عشر قد انفتحت امامهم افاق جديدة تماما ، واذا كانوا بالرغم من ذلك لم ينزلقوا الى التخلي عن تراثهم القديم ، فإن الفضل في ذلك يرجع الى حد بعيد لرفاعة رافع الطهطاوى وتلاميذه .

هامش

(١) كتاب اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى مع النص الكامل لكتابه : « تخليص الابريز » دراسة وتعليق د . محمود فهمي حجازى ص ٢٢٩ - الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة عام ١٩٧٤

(٢) نفس المرجع صفحة ٤١ (٣) نفس المرجع صفحة ٨٦

(٤) نفس المرجع صفحة ٨٥ (٥) نفس المرجع صفحة ٨٤

(٦) نفس المرجع صفحة ٢٥٩ (٧) نفس المرجع صفحة ٢٠٠

(٨) نفس المرجع صفحة ٢٢٩


عمل جمالي

●● المنديل بأويه ، غطاء الرأس التقليدى للمرأة الشعبية ، أين ذهب ، وهل هو فى طريقه إلى الاندثار النهائى مع المد الهائل للباس الغربى ؟

أم هناك ـ كما يبدو من بعض المظاهر ـ محاولة لإحيائه مرة أخرى ؟

هذا المنديل الذى تغنى به الشعراء والمغنون ، ماهى قصته من أين جاء وإلى أين هو ذاهب ؟ ●●



الباحثة بثينة عبد الجواد

باحثة مصرية هى السيدة بثينة عبد الجواد الاستاذة بالمعهد العالى للتربية الفنية بالزمالك ، بعد تنقيب فى المراجع ، وعبر استقصاء ميدانى دءوب حكت الحكاية من أولها إلى آخرها فى بحث شائق .

تقول الباحثة إن فن الأويه هو جزء أساسى من « أشغال الإبرة » التى هى واحدة من الفنون التى استعان بها الانسان منذ القدم للتعبير عن أحاسيسه الجمالية .

وإذا كان الفن هو اللغة الثانية للمجتمع ، فإن الاهتمام بفن "الأويه" كغيره من الفنون ، يكشف النقاب عن جوانب اجتماعية هامة ، وعن احتكاكات ثقافية واسعة النطاق حدثت بيننا وبين شعوب أخرى مجاورة .

● من الفراعنة وإلى الآن ●

وقد وجدنا عند قدماء المصريين مايشبه أشغال الإبرة ، فقد كان النساجون يقومون بصنع أنسجة موشاة بصور ملونة ، ووجدت اقمشة كتانية موشاة بأسلاك الذهب فى مقبرة تحتمس بطيبة ، وهناك بعض من القطع المشغولة بالإبرة ، فى مقبرة توت عنخ آمون كانت تعلق على جدران القصور فى منازل الأشراف . (أنظر لوحة رقم ١) .

كما وجدت فى الدير البحرى بطيبة عينات من المنسوجات الكتانية تشبه الحرير . وفى أحد قبور سقارة من العصر اليونانى الرومانى عثر على رداء من الكتان المذهب محلى بمناظر من الأساطير الدينية .

وفى العصر القبطى استمرت مزاولة غزل الكتان ، وكانت زخارف المنسوجات منقوشة بطريقة التابسترى ، وقد ورثها الأقباط عن الفراعنة وحافظوا عليها ، وهذه الطريقة هى التى سماها العرب (القباطى) .

● لكن ماهى « الأويه » ؟ ●

تعتبر الأويه ـ كما تقول الباحثة ـ نوعا من الدنتلة الرقيقة التى تستعمل كتكلفة لأطراف الاشغال المصنوعة من النسيج

فن الأوية

كالفساتين والقمصان الداخلية ، والمناديل ، والإيشاربات .

وهذا ينسب بالدرجة الأولى إلى الأتراك . ففى الاناضول نجد صنعة اختصت بها هذه البلاد . وهى ما يسمى فى اللغة التركية ، أويا ، . وذلك أن تأخذ المرأة التركية خيطا دقيقا جدا من الحرير بألوان مختلفة بحسب الأزهار التى تريد تطريزها بإبرة دقيقة . وتجعل منها شريطا طويلا تزين به عنقها ، وهذه الأويه صغيرة جدا ، وحجم كل زهرة فى الشريط بقدر حجم حبة البسلة على الأكثر ، ونرى فيه من الورد والقلفل الأحمر بأزهاره وثمره والليلك والبنفسج وما خلق الله من الأزهار ، وتحفظها يد المرأة التركية الماهرة فى شريط حريرى لاتفنى ازهاره إذا هبت الريح الشديدة ، فى برد الشتاء فى الأناضول . (لوحة رقم ١)

● مع التوسع إلى مصر ●

ويبدو أن فن الأويه ـ بحسب ما انتهت إليه السيدة بثينة عبد الجواد ـ قد انتشر من تركيا إلى الأقطار التى فتحها العثمانيون بعد سقوط السلاجقة فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وآل الحكم فى آسيا الصغرى إلى آل عثمان الذين استطاعوا الاستيلاء على القسطنطينية حتى بلغ ملكهم وادى الدانوب فى الشمال والجزيرة العربية والعراق فى الشرق ، وإلى الشام ومصر والحجاز وساحل البحر الأحمر اليمنى والافريقى فى الجنوب ، وبذلك اتصلوا بالعالم العربى اتصالا وثيقا ونشأ على يدهم الطراز التركى الإسلامى



● فتاة من دمياط
ترتدى أوية المقصقص

الذى امتاز بتأثير الأساليب الفنية البيزنطية المتأخرة من ناحية والطراز الفارسى والأساليب السلجوقية من ناحية أخرى .

● تاريخ منديل الراس ●

ولعلنا نتساءل الآن عن تاريخ منديل الراس ، وذلك لأنه كما تؤكد الباحثة ، قد استحوذ على فن الأويه فى مصر ، أو بتعبير آخر ، لأن فن الأويه المعاصر فى مصر قد تقلص فى نطاق منديل الرأس ، الذى يطلق عليه اسم « القرطة » بمحافظة دمياط واسم « الحردة » فى الصعيد ، وفى القاهرة وبعض المحافظات يطلقون عليه اسمه الذى اشتهر به « المنديل أبو أويه » .

وتستخرج الباحثة دلالات ثلاث لاستعماله :

دلالة دينية ، وثانية اجتماعية ، وثالثة دلالة جمالية . فقد التزمت المرأة فى

العصر الاسلامى بتغطية رأسها عملا بتعاليم الدين على أساس أن شعر المرأة عورة فحرصت النساء على تغطية رءوسهن .

أما بالنسبة للدلالة الاجتماعية فإن الزى القومى ، وحتى فى نطاق الشعب الواحد ، وفى العصر الواحد ، لايكون بنفس المستوى من حيث الخامات المستخدمة فى تنفيذه ، ولا من حيث مستوى الجودة فى التنفيذ ، ولا من حيث خط « الموضة » الذى يتطلب فيه ذلك الزى .

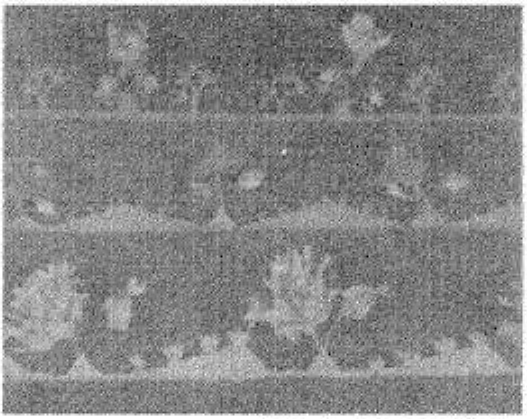
وهذا الكلام ينطبق أكثر ماينطبق على منديل الرأس سواء فى الماضى أو فى الحاضر .

لقد استخدمت المرأة الشرقية بوجه عام ، والمصرية بشكل خاص منديل الرأس ولكن المنديل اتخذ أحجاما متباينة من مستوى اجتماعى إلى آخر .

ولقد عمدت الطبقة الارستقراطية عبر العصور إلى استخدام الأويه فى المنديل بمستويات فنية متباينة .

ونجد الطبقات الفقيرة والمتوسطة قد مالت دائما إلى البساطة ورخص الثمن ، بينما عمدت الطبقات الأرستقراطية الى الانتقاء وإلى تكلفة المنديل بالخامات التى تصل فى بعض الحالات الى استخدام الأحجار الكريمة وبشغل الابرة الذى يحتاج الى جلد ووقت طويل ودقة متناهية .

أما الألوان فقد مالت الطبقة الفقيرة الى الألوان الزاهية ، أما الطبقات الاكثر يسرا فإنها تميل إلى الألوان الهادئة ، وقد استمدت الأويه أشكالها وألوانها من الزهور الطبيعية .



● أوية من تركيا على إيشارب منفذة بغرزة الزرافة .

وحيث إن الطبقات الشعبية تتمسك بالتقاليد لمدة أطول .. فاننا نجد أن المنديل الأويه يكاد ينحصر استخدامه بين نساء الطبقات الفقيرة والمتوسطة .

● أسماء الأويه المختلفة ●

أطلق على الأويه عدة أسماء حتى يميزوا فى مصر الغرزة عن الأخرى . فمثلا توجد غرزة الزرافة وهذه الغرزة استخدمها الأتراك واليونانيون ، ثم الطبقة المصرية الراقية . ثم غرزة المكوك ، ويستخدم عدد « ٢ » مكوك من العظم أو الخشب ، وهو مايستخدم فى أوروبا وإيطاليا فى عمل قماش الدانتيل اليدوى وهذا النوع يستخدم فى مصر حتى الآن ولكن بطريقة مبسطة .

« المقصقص » : وهذه أشهر طريقة فى مصر ومعظم الفتيات الدمياطيات يفضلن هذه الطريقة وهى اكثر البلاد حفاظا على شغل الأويه فيستخدمن هذه الطريقة .. وتندرج تحتها عدة أسماء تصنع بأشكال مختلفة مثل : الفل ، اثنين

فن الأوية

بترتر . مقمع . حزمة الحطاب . الشيخ على . الشيخ على ثلاثة . مقصقص على عريجة . مقصقص مروحة على خمسة . ثم اويه الدبوس وهى نوع من الاوية تستخدم فيها الأسلاك اللينة .

تم توجد أنواع من الأويه تنفذ بإبرة الكروشيه

لقد استهوى المنديل وما كان له من تأثير جمالى . كثيرا من الزجالين والشعراء والمغنين والرسامين . ذلك لأن المرأة المصرية تفننت فى ربط المنديل بحيث يتناسب مع شكل وجهها ، ولون شعرها . فلم يكن المنديل فى جميع الحالات يغطى الشعر كله . بل إن بعض النساء كن يغطين بالمنديل جزءا من الشعر مع الإبانة عن خصلة منه ، مما كان يضفى جمالا على وجه المرأة .

ولقد كانت الفتيات يتباهين بما لديهن من مناديل وبما فيها من « اويه » وكانت البنت قبل الزواج تبدأ فى الجهاز وتضمنه مناديل الراس ، وكان له فى نظرها مكانة هامة من بين ما كانت تجهزه لزواجها من ملابس متباينة . ولاتزال هذه التقاليد مرعية فى ريفنا المصرى .

● من أجل الحفاظ على فن أصيل ●

إننا لكى نضطلع بتطوير فن الأويه ، لابد لنا من الوصول الى العاملين فى هذا المجال ، والاتصال بهم اتصالا مباشرا ، والوقوف على أحوالهم ومعرفة الظروف التى تحيط بهم .

وحيث إن محافظة دمياط قد استحوذت على هذا الفن دون باقى المحافظات تقريبا فقد توجهت الاستاذة بثينة عبد الجواد إلى مدينة دمياط وما يحيط بها من عزب وقرى من أهمها عزبة اللحم وقرية الشعراء ، وعزبة الصعيدى ، وقرية الشهابية ومشط جريبه ، والشيخ درغام والسنانية وعزبة البرج والبلد الجديدة .

وكانت نقطة البداية هى عمل بحث ميدانى بتوزيع استفتاء مكون من ثلاثة عشر سؤالا . وبالاطلاع على الإجابات المرافقة نلاحظ الآتى :

- معظم المشتغلات بالاويه بدأن فى تعلمها منذ الطفولة وقليل منهن تعلمتها وهن كبيرات .

ويلاحظ أيضا ان تعلم هذه الصناعة يتم فى نطاق الاسرة عن طريق الأم او الاخوات الكبيرات أو من الجارات . ثم أن هذه الصناعة تقوم حول مدينة دمياط لوجود مصنع غزل ونسيج فى المدينة يستوعب معظم فتياتها .

اهل المدينة أكثر طموحا وتعلقا بالتعليم ، ولكن بالمقابل يوجد بالقاهرة من يقمن بهذا العمل فى الأحياء الشعبية كالإمام الشافعى ودرب البرابرة ، ومصر القديمة .

والآن أليس من المفيد أن ندعو إلى ماتقترحه باحثتنا بعمل مدرسة مثل مدرسة زغرب بيوغسلافيا ، فيها اجتمعت أنواع الفن الشعبى ، وقامت الدولة برعايتها والحفاظ عليها حتى أصبحت من أهم المدارس التى تحافظ على الفن الشعبى .

إننا نضم صوتنا إلى صوت الباحثة فهذه المدارس والمعاهد الحرفية هى وحدها القادرة على حماية فنوننا الشعبية من الاندثار .

دقت الساعة دقتين..

بقلم : محمد سيد كيلانى

كان الناس فى مصر يؤقتون الزمن ابتداء من آذان الفجر ، ففى هذه اللحظة يبدأ اليوم ، وهو ما كان يعرف بالتوقيت العربى . وكان التوقيت أمرا احتهاديا يحدده رجل يعرف بالميقاتى وكان لكل مدينة توقيتها الخاص بها. وكان الميقاتى يعتمد على المزاولة ان كان الجو صحوا ، او على ساعة رملية . وقد برع بعض المصريين فى صناعة المزاول وكانت توضع مزولة فى كل مسجد . ولما وردت الساعات ظل التوقيت امرا اجتهاديا كذلك .



وفى ايام الخديو اسماعيل انشىء اول مرصد فى مصر بناحية العباسية وكان العامة يطلقون عليه اسم الرصد خانة . والذى اشرف على انشائه وتولى ادارته هو اسماعيل باشا الفلكى (ت ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٠١) عن ٨٨ عاما قضاها فى خدمة العلم فنفع وطنه وامته نفعا جزيلا بمؤلفاته وتعاليمه المفيدة . وكان فى جملة من ارسلتهم الحكومة لتلقى العلم فى اوربا فنبغ

دقت الساعة دقتين..

فى الهندسة وعلم الفلك . فلما عاد الى مصر انشأ المرصد الخديوى وعين ناظرا له ولمدرسة المهندسخانه. ومع ذلك فقد ظل التوقيت مختلفا بين مدينة واخرى حتى انشىء مرصد حلوان جاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٩٠٠ ما نصه « أصلح مرصد العباسية اصلاحا عاما فى السنة الماضية - ١٨٩٩ - وجعل الوقت المدنى للقطر المصرى كله الدرجة ٣٠ شرقى غرينوتش بدلا من استعمال اوقات مختلفة فى اماكن مختلفة . وتؤخذ الارصاد الجوية الان فى ثمانية مراكز بين الاسكندرية وام درمان وترسل اخبارها بالتلغراف الى القاهرة الساعة الثامنة صباحا لتطبع وتنشر وقد دبر المال اللازم لنقل مرصد العباسية الى حلوان » .

وفى نوفمبر ١٩١١ ظهرت فكرة وضع ساعات فى بعض ميادين القاهرة والاسكندرية وكانت الساعة التى يقتنيها الانسان هى ساعة الجيب ذات سلسلة توضع فى جيب الصدار او فى جيب السترة الذى يلى الجانب الايسر ، وتثبت السلسلة فى عروة تصنع خصيصا لهذا الغرض . ومع ان ساعات الجيب قد اختفت فالجيب مازال باقيا . اما ساعة اليد فلا يتخذها الا المخنثون لان لها اسورة كأساور النساء . واذا كانت الساعة من الذهب الخالص فهى دليل على الثراء .



ساعة ميدان التحرير

والعقرب فى اللغة اسم لتلك الحشرة السامة ولا ندرى من الذى اطلقه على ذلك المؤشر الذى يدل على الساعات والدقائق والثوانى ، اذ لا يوجد شبه بين الاثنين .

والدقيقة - كما جاء فى القاموس المحيط - انها فى حساب النجومى جزء من ثلاثين جزءا من الدرجة . فالقدماء اذن كانوا يقسمون الساعة الى ثلاثين دقيقة . اما الثانية فهى ترجمة للكلمة الافرنجية ، ولم تعرف

عند القدماء بالمعنى الذى نعرفه اليوم . ومن الشعراء الذين استخدموا الدقائق والثوانى فى شعرهم احمد شوقى وذلك فى قوله :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثانى

ثم صنعوا المنبه واطلقوا عليه هذا الاسم لان به جرسا يوقظ النائم وينبه الغافل . ثم رأينا ساعة خاصة بالمكفوفين فيستطيع الكفيف ان يعرف الوقت عن طريق اللمس ، وساعات تحمل اسماء الايام والشهور وتواريخها ، واخرى لا تتأثر بالماء .

وفى اللغات الاجنبية نجد كلمة تدل على الالة هى كلمة (Watch) واخرى على المسافة التى يقطعها العقرب (O'cloch) وكلمة تدل على الزمن (hour) اما فى اللغة العربية فلا تجد سوى كلمة واحدة تدل على الالة والزمن معا .

وقد دخلت الساعة فى علم النحو باب المفعول المطلق فيقال دقت الساعة دقتين كما دخلت فى علم البيان فيقال دقت ساعة الخطر ، او دقت ساعة العمل . كما دخلت الساعة فى الاداب الاجتماعية ، فاذا زارك صديق واردت ان تنهى الزيارة نظرت فى ساعتك او حركت اسورتها فيفهم الجالس ان الزيارة يجب ان تنتهى .

وبعد انشاء مرصد حلوان وتوحيد الوقت فى جميع انحاء القطر كان سكان المدن والقرى يضبطون ساعاتهم على ساعات مكاتب البرق .

وفى اواخر الثلاثينيات اتخذت ساعة جامعة فؤاد الاول (القاهرة) اساسا للتوقيت وبدات الاذاعة تبث التوقيت بانتظام فيقال دقت ساعة جامعة فؤاد الاول التاسعة فيسرع الناس الى ضبط ساعاتهم حسبما يسمعون .

والساعة ـ علاوة على ما تقدم ـ اسم من اسماء القيامة ـ ففى سورة الروم مثلا ـ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون .

ومنذ سنة ١٩٥٧ بدأ العمل بالتوقيت الصيفى وذلك بتقديم الزمن ساعة ، وقيل تبريرا لذلك انه يوفر الطاقة والانتفاع بضوء النهار . ثم الغى اخيرا بحجة انه يحدث ارتباكا فى مواعيد قيام الطائرات او وصولها من الخارج .

● فائدة تاريخية

وهناك قصة حول وضع ساعة لاول مرة بمحطات السكك الحديدية فقد كان فى مدينة القاهرة محطتان للسكك الحديدية . احداهما فى السبتية للوجه القبلى والاخرى بجوار محطة كبرى الليمون للوجه البحرى وفى ١٤ مايو ١٨٩٢ وضع الخديو عباس حلمى الحجر الاساسى لمحطة العاصمة التى نشاهدها اليوم . وقد وضعت اصناف النقود مع سجل البناء ونسخ من جميع الصحف العربية والافرنجية التى تصدر فى القاهرة فى علبة كبيرة وختم عليها بالرصاص .

وكانت ترعة الاسماعيلية تخرج من مكان قريب من ميدان التحرير وتسير مارة بباب الحديد الى غمرة فالاميرية . وكانت شواطىء الترعة عند باب الحديد تتخذ كمراحيض حتى اصبحت قذارة اوضار تنبعث منها الروائح الكريهة ، وبعد ردم هذه الترعة اتخذ ميدان باب الحديد شكله الحالى سنة ١٩١٣ ووضعت ساعة كبيرة فى أعلى مبنى محطة العاصمة .

الحب له قصة أخرى في السينما العربية

بقلم : مصطفى درويش

● في الحب « كتاب ألفه الأديب الفرنسي « ستندال » منذ مائة وخمسة وستين عاما أو يزيد . وقال على صفحاته ضمن ما قال إن هناك أنواعا أربعة من الحب أولها الحب الجامح الذي يملك على النفس أهواءها وعواطفها وحسّها وشعورها . والذي يندفع كالسيل لايلوى على شيء ولايترك حظا من أناة أو رويّة أو تفكير ●

فهل ثمة وجود لهذا الحب الذي تفنى فيه النفس فيما نرى من أفلام عربية وبخاصة ما كان منها مصنوعا على أرض مصر ؟

اجاب عن هذا السؤال المخرج « عمر اميرالاى » (سوريا) بفيلمه التسجيلى « تابوت الحب » او في تسميته العربية « الحب الموءود » . وكانت اجابته بلا .

وقد اعتمد للوصول الى هذه النتيجة على عدد غير قليل من نماذج لنساء ورجال . اختارها بعناية من بين اناس ، البعض منهم كتبت له شهرة واسعة . والبعض الآخر لم يكتب له منها شيء .

كما اعتمد على تقطيع باتر ، وتوليف ماكر بين المشاهد التي ظهر فيها من وقع عليهم الاختيار

وهو في فيلمه يبدأ – وقبل ظهور العناوين – بفرح في سرادق .. عروس وعريس يرتديان ثياب الزفاف البيضاء ، مطربة تتلوى وهي تغنى « ياقمر » . منادى يصيح باحلى السلام للضيوف الكرام .

وصوت من خارج اطار الفيلم يقول ان البيت هو الاستقرار والراحة الكاملة . وان المراة اليابانية تمثل المراة كما انزلت . أما المراة المصرية فمتخلفة « خالص » . لان الانسان المصرى يحمل فى اعماقه تخلفا دام اربعة الاف عام .



حب مستورد على الطريقة الامريكية " يسرا وحسين فهمي في قبل الوداع

وبعد انتهاء هذا الكلام ، تبدا عناوين الفيلم التي ما تكاد تنتهي ، حتى تظهر امرأة مثقفة تقدمت بها السن قليلا ، قليلا حتى بلغت الأربعين دون ان تورط نفسها في زواج .. لماذا ؟

لأن شخصيتها قوية ، والرجال في مصر لايشغفهم حب النساء الجريئات ، المقدامات .

حديث الجوزة

وفجأة نلتقي بشاب مضت به الايام ، حتى أصبحت خمسة وثلاثين عاما .

ولقد فاته القطار ، فلم يستطع الزواج حتى الآن ، وهاهو ذا يتعاطى الحشيش متصاعدا دخانه من جوزة ، وهاهو ذا مثقل بقيود التقاليد والعادات ، مقصوص الجناح ، ليس في وسعه ان يمارس الحب ، ان يبادل من يحب هياما بهيام .

فاذا ما انتهى حديث هذا الشاب الضائع في الأوهام خرج بنا صاحب الفيلم الى شوارع القاهرة ، كي يطوف بنا من حي الموسكي الشعبي الى فوضى ميدان رمسيس المعروف بباب الحديد ، واخيرا الى عمارة غير شعبية تطل على النيل شاهقة ، شامخة ، ليصعد بنا من داخلها الى نجمة الجماهير « نادية الجندى » .

وها هي « الفنانة التي حققت جزءا من

الحب لم يعد قصة أخرى في السينما العربية

ذاتها . ولايزال امامها طريق طويلة لتحقيق احلامها . هاهى تتحدث عن الاغراء وماهيته شارحة بعينيها وبشفتيها ثم بفخذيها مالم تستطع شرحه بالكلمات « مفهومى للاغراء يختلف تماما .. مش لازم الاغراء انى اعرى رجلى . ممكن اعمل الاغراء بنظرة تدى تاثير اكثر من لو لبست مثلا مايوه .

ممكن اعمل منظر بشفايفى يبقى يوحى بانوثة اكثر واخطر من لو لبست فستان مفتوح .

مفهومى للانوثة يختلف تماما عن مفهوم الانوثة فى السينما الامريكية .. يعجب كافة الاذواق والطبقات »

جبروت خادمة

وما ان انتهت النجمة « الاعظم » من هذا العرض لوسائلها فى الاغراء المحتشم ـ وفيما هى تتحدث عن فيلمها « الخادمة » وموضوعه الذى « يمس البيئة المصرية » لأن بطلته خادمة تسلقت ، فسيطرت على مصائر اسرة ثرية من خلال اغراء ولدها الوحيد . والتحريض له بالتمرد على امه سيدة الاعمال ، مما مهد لها طريق الاستيلاء على بيت العائلة وشركتها وحلى الام . وغير ذلك من عزيز الاشياء ـ فيما هى منهمكة فى هذا الحديث عن خادمتها او شيطانتها ـ تركتها الكاميرا منتقلة بنا خلسة الى خادمة حقيقية شقية (أم حماد) ، نراها صاعدة ، وهى تحمل ابنها درجات سلم عمارة سكنية ـ ومعها صوت ملكة او خادمة الاغراء . مصاحبا ـ الى حيث تسكن اسرة من تلك الاسر التى تنتسب الى الشرائح العليا من الطبقة المتوسطة .

وهنا نكتشف بعيدا عن خيالات وخادمات السينما ـ أن « أم حماد » قد عقد قرانها على رجل مسن ، وهى صبية ، بل قل طفلة لم تتهيأ بعد للزواج لاجسديا ، ولانفسيا ، وبالتالى لم تكن تعرف من اسرار الرباط المقدس شيئا .

وان حياتها كانت جحيما ذاقت فيه مرارة الحرمان من القروش القليلة التى كانت تكسبها بكدها وكدحها : فقد كان زوجها ، بل ـ قل ـ أبوها ، دائم الاستيلاء عليها ليصرفها على هواه .

فلما ما ثابت الى الرشد والحزم . والتمست الطلاق ، عذبها فى المحاكم ، لم يرد اليها حريتها الا بعد ان حصل منها على تنازل عن كل مستحق لها .

على انها ـ بعد الطلاق ـ لم تلبث ان تزوجت مرة ثانية .. لماذا ؟

خوفا من كلام الناس . وفى بعض حديثها عن زيجتها الثانية قالت ما مفاده انه لافائدة ، وانها لن تنعم بحياة هادئة سواء اكانت داخل جنة الزواج ام خارجها .

الفن والإيمان

وبعد هذه الكلمات التى تقطر بؤسا

ويأسا تعود بنا الكاميرا الى ملكة الاغراء أو خادمة السينما بين فساتينها الفاخرة لنسمعها تقول ان « الفن فيه كثير من الانانية .. عشان اوصل للنجاح لازم اتنازل عن نادية الجندى كامرأة لاحتفظ بنادية الجندى الفنانة » .

ومع لقطة من فيلمها « وكالة البلح » في احضان « محمود ياسين » متعريا من أعلى حتى خصره ، مغريا لها بالقبلات الحارة تواصل النجمة المعبودة حديثها قائلة « حياتى الخاصة بامارسها بطريقة تختلف تماما .. يعني يمكن ان أقول لك ، أني أكثر من متدينة ، متطرفة فى الدين » .

فإذا ما قاطعها صاحب الفيلم متسائلا « الا يعتبر هذا انفصاما فى الشخصية ؟ » .

ردت بالايجاب دون تردد مرددة مؤكدة كلماته « ده انفصام فى الشخصية مائة فى المائة .. بس اتعودت على كده » !!

وطبعا لاتقتصر نماذج «الحب الموعود » على ما تقدم ثمة نماذج أخرى شقية وشائقة بثها « أمير الأى » فى كل مشهد من مشاهد فيلمه .

الذبح العظيم

ومع ذلك فليس من المفيد الوقوف حاليا عند اى منها ، فيما عدا نموذج مستثنى وحيد .. فما هو ؟

قريبا من منتصف الفيلم ـ وبعد مشهد مع رب اسرة لم يتزوج عن حب ، وانما عن طريق امه ـ فلما سئل عن شريكة حياته وحاله معها ، اجاب بانها كانت وديعة ، مطيعة ، الا انها مع مر الزمن اخذت فى التمرد ، حتى خيل اليه انها غير صالحة ، وانه لم يبق له فيما لو خير بينها وبين امه ، الا أن يذبحها هى واولاده منها ـ بعد هذا المشهد الغريب حقا ـ تتسلل بنا الكاميرا الى صحن جامع حيث نرى فتى نقيا وسط دائرة من المصلين .

فاذا ما تكلم سمعناه يقول ان الضائقة الاقتصادية تحول دون اشباع الاشتهاء للأنثى بالطريق الحلال ، وان الشاب فى هذه المحنة ليس امامه من سبيل سوى الرحيل الى الخارج لجمع المال اللازم للزواج ، أو الامتثال الى الصبر والصوم الذى هو خير علاج للشهوة .

وما يكاد الفتى ينتهى من قولته الأخيرة « معك قرش تساوى قرشا . ليس معك شيء لاتساوى شيئا » ! حتى تنطلق الكاميرا بنا الى موكب مهيب لمشايخ واتباع الطرق الصوفية ـ ومنه ، وبفضل قطع سريع ، الى حلقات ذكر يشارك فيها فتيان بنشوة فوارة ، جذوتها لاسبيل الى اطفائها .

ثم تستأنف الكاميرا مسيرتها الاستطلاعية ، حتى اذا ما اقتربت من نهاية المشوار : عادت الى الشاب الضائع فى دخان الاوهام ، لنسمعه يقول ، والجوزة لاتزال فى قبضة يده ، انه غيور جدا ، ولن يسمح لخطيبته بالعمل ، وانه سيعقد قرانه عليها بعد العيد الكبير .. لماذا ؟

يجيب عن هذا السؤال بهذه الكلمات التى جرت على لسانه ـ وكانت آخر كلمات الفيلم ـ « اذبح واذبح .. الخروف واذبح »

الحب لـه قصة أخرى في السينما العربية

تتبعها ضحكة فيها من الخداع والانخداع الشيء الكثير

هذا هو حال الحب في الاصل والصورة حسب رؤية « عمر اميرآلاي » في فيلمه « الحب الموءود ».

وعلى ما يبدو من معظم الافلام العربية الهازل منها والجاد على حد سواء ، ان الحب فيها كما في « الحب الموءود » مختنق ، او ليس له وجود .

الرجولة ابر

فالبطل في « عمر قتلته الرجولة » لصاحبه « مرزاق علواش » (الجزائر) ـ وهو أحد افضل عشرة افلام في تاريخ السينما العربية وفقا لاستفتاء اجرته مجلة « اليوم السابع » في عدد ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٧ ـ هذا البطل موظف صغير مقهور ، يعيش على الهامش خارج الحياة كما يعيشها الناس ، يحاول أن يملأها بنفر من الزملاء ، كلهم وبلا استثناء من صنف الرجال .

والغريب في أمره ان الصلة بينه وبين المجتمع منقطعة ، وانه يسعى الى اعادتها فلا يجد سبيلا الى ذلك الا في كرة القدم والسينما الهندية واقتناء جهاز تسجيل يعيش من خلاله مع الوهم محذرا تارة باغان هندية ، وتارة اخرى بأغان شبه شعبية لعبد القادر الشاوي أحد مشاهير مطربي الجزائر .

وبينما هو في طريقه الى منزله عبر حي القصبة ، عائدا من عرس سجل فيه لهذا المطرب ، اذا بعصابة تنقض عليه ، تسلبه جهاز التسجيل .

ولاتطول المأساة الصغيرة ، فسرعان ما وفر له صديق مسجلا جديدا بالتقسيط المريح .

وفوق هذا اهداه شريطا فارغا .

وما يكاد يجرب الشريط ، حتى يفاجأ بسماع صوت نسائي مسجل يتحدث في عذوبة ورقة عن الام الوحدة ومرارة الفراق والحرمان .

فاذا ما استفسر من صديقه عن صاحبة هذا الصوت ، والح في الاستفسار حتى اخبره بان اسمها « سلمى » واعطاه رقم هاتفها في المصلحة التي تعمل بها .

ويسرع « عمر » بالاتصال بها هاتفيا .

وأثناء الحديث معها ، يعبر لها عن حبه لصوتها ، ويتفق معها على موعد للالتقاء ، حتى اذا ما حل الموعد ، ورآها من بعيد تنتظره قريبا من مدخل المصلحة خانته شجاعته ، فظل متسمرا في مكانه لايتحرك ، معلقا بين اليأس والرجاء .

وكأن ثمة قوة خفية تقطع كل سبب بينه وبين صاحبة الصوت الساحر ، حتى انصرفت يائسة .

وغني عن البيان ان هذا التهرب من التعارف مع الجنس الآخر ، انما هو وليد العجز عن التحاب والمؤانسة ، هذا العجز الذي نراه متجليا في شخصيات « وللحب



عمر قلته الرجولة . شباب بلا حب

قصة اخيرة ، لصاحبه واقف الميهى والذى يعتبر واحدا من أهم افلام منتصف الثمانينيات .

ففى جزيرة « الوراق » حيث تدور احداث الفيلم يعيش الطبيب الشاب « حسين » (عبدالعزيز مخيون) خاملا ، هاجرا زوجته واولاده ، لانه اسير الوفاء لأم فى غيبوبة ، لاتعى من أمر نفسها شيئا منذ خمسة عشر عاما .

وهو لايتحرر من هذا الوفاء الزائف الذى هو أقرب الى الكابوس ، الا بالفسق مع بغى .

أما « رفعت » (يحيى الفخرانى) بطل الفيلم الآخر فهو عاجز لانه صاحب قلب عليل ، يحاول اخفاء علته عن زوجته التى احتملت من مرارة الحرمان الجنسى اهوالا ثقالا ، بأن يوهمها بالتواطؤ مع الدكتور حسين بانه ليس مشرفا على النهاية ، بل على العكس فى كامل الصحة والعافية

الحب الغائب

وختاما فلو القينا نظرة طائرة على الأفلام المتقدمة لجائزة الدعم السينمائية للافلام المتميزة ، أنتاج عام ١٩٨٦ ـ وعددها اثنان وثلاثون فيلما ـ ثم تأملناها

الحب لعبة قصة أخرى في السينما العربية

قليلا ، لوجدنا انها فى معظمها افلام بلا حب ، كالبداية ، لصلاح ابو سيف ، و ، الضائعة ، لعاطف سالم ، و ، قاهر الزمن ، لكمال الشيخ . وإما بحب هش غير قادر على الصمود للنوائب او لأغراء الاشياء ، كجذور فى الهواء ، ليحيى العلمى ، و ، الدويشة ، ، لاحمد السبعاوى ، و ، وصمة عار ، ، لاشرف فهمى ، و ، انتحار صاحب الشقة ، لاحمد يحيى ؛ وإما الحب فيها مستورد فى شخوصه واحداثه . لان قصته مستوحاة من فيلم اجنبى لعب دورا هاما فى تاريخ السينما العالمية ، كما قبل الوداع ، لحسين الوكيل ، والماخوذ جملة وتفصيلا من فيلم ، انتصار الظلام ، الذى مثلته ، بت ديفيز ، مع ، رونالد ريجان ، (رئيس الجمهورية) منذ خمسين عاما الا قليلا ؛ واخيرا إما الحب وقصته فيها من ذلك النوع المشوه العاجز الذى يدخل بمن اصيب به فى مسالك الريبة والعبث لينتهى به الى مصير بشع بغيض .

الرحيق والحريق

ولعل ، بلاغ ضد امرأة ، بموضوعه الذى استوحاه كاتب السيناريو ، أحمد صالح ، من حادثة وقعت بالفعل ، خير مثل على هذا النوع الآثم من الحب . أو بمعنى أصح هذا النوع من العلاقات التى تقوم على الشهوات النارية العاجـزة عن الارتفاع الى مستوى الحب الذى قال به ، ستنـدال ، : ، فرضـوان ، (محمود ياسين) بطل هذا الفيلم الذى اخرجه ، احمد السبعاوى ، زوج مخـدوع . اكتشف مسالك الريبة والعبث التى تسلكها زوجته ، كريمة ، (بوسى) ، تركها وقتا ما حتى ظنت انه لايعلم من امر خيانتها شيئا .

فاذا ما اطمانت تماما الى جهله بما تقترف ، دبر لها مكيدة تدل على الحزم والعزم وشدة الدهاء .

طلقها مرتين لأسباب تافهة ، ثم ردها الى عصمته بعد ان كان يبدى لها فى كل مرة الندم على فعلته . ويجزل لها العطاء هدايا سخية : حتى اذا ما طلقها مرة ثالثة ، وبات مستحيلا ان يعيدها شريكة لحياته دون زواجها من آخر ، تقدم اليها متضائلا ، متهالكا ، مقترحا ان تتزوج لليلة واحدة من عشيقها ، مجدى ، (محمد صبحى) .

ومع اشراق شمس الصباح التالى لتلك الليلة ، كشف لها ولزوجها انه كان على علم بما كانا مندفعين فيه ، وكشف لهما كذلك عما دبره لهما كيدا فى الخفاء .

فهى بموجب الزواج الذى اصطنعه لهـا ، قد فقـدت حقها فى النفقـة والحضانة .

وهى لن تملك من حطام الدنيا شيئا ، فالعربة المرسيدس الفارهة ، والمجوهرات الثمينة ، والفيللا الفخمة التى تحيط بها طبيعة رائعة نسقتها يد الفن احسن تنسيق : كل ذلك قد ضاع عليها لانه لم يكتبه باسمها كما أوهمها .



الضائعة .. نادية الجندي .. امراة بلا حب

ولنا أن نتصور تأثير لحظة الحقيقة هذه على عريس الليلة الواحدة .

فقد كشف عن ان ما كان بينه وبين معشوقته ليس حبا وانما مجرد نزوة عابرة .

وقد كان يمكن « لبلاغ ضد امرأة » ـ وهو يعرض لعلاقات خطيرة كهذه ان يرتفع الى مستوى مأساة بطلته ، تلك المرأة التى قاومت السقوط ، فلم تستطع ثم خادعت نفسها فصورته حبا ، فلم يغن الخداع عنها شيئا .

واخيرا ، وقفت حائرة ممزقة بعد ضياع كل شيء ، واكتشفت ان ما قدم لها فى الكأس التى شربت منها لم يكن رحيقا بل حريقا .

الا ان شيئا من هذا لم يعرض له الفيلم ، وهذا امر ولاشك ليس بغريب فى سينما تجهل ان الحب امر خطير .

كتاب الشهر المصور

النوبيون في مصر

تأليف: روبرت أ. فرنيه • تصوير: چورچ جيرستر

عرض وتعليق: سيد جاد

منذ بداية إقامة السد العالي ١٩٦٠، ومع تنبه مصر والعالم للتراث الحضاري الذي كان موشكا على الغرق، سارع كثير من الباحثين إلى أرض النوبة للبحث والتسجيل والتوثيق لإنقاذ آثار النوبة وإعادة توطين النوبيين.

وكما تقول ليلى الحمامصي، مدير مركز الدراسات الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وقتئذ، في تقديمها لهذا الكتاب: "إنه لمن دواعي الحزن والسخرية معا أن ضياع النوبة القديمة الذي كان موشكا على الحدوث كان هو الفرصة التي أتاحت للكثيرين التعرف على الحضارة النوبية التي وهبت أبناءها كل هذا الثراء الداخلي الذي جعل في مقدورهم الاحتفاظ بالانسجام الروحي وخلق الجمال من حولهم بأقل موارد مادية».

في هذا الإطار قامت بعثة من مركز الدراسات الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بعملية مسح انثولوجي شامل لمناطق النوبة الثلاث: الكنوز في الشمال والعرب في الوسط والفاريجا في الجنوب، وللنوبيين المقيمين بالمدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية، وكذلك للنوبيين الذين سبق أن هاجروا بعد بناء خزان اسوان وبعد تعلياته المتعاقبة خاصة أولئك الذين توطنوا في قرية دار السلام شمال أسوان. وقد اشترك في هذه الدراسات الاجتماعية عدد من الأساتذة



● فى حفل الزفاف يهدى المأذون للعروسين طاقية مزركشة معطرة



● امرأة نوبية تصنع السلال من سعف النخيل

المصريين والأجانب تحت اشراف الانثروبولوجى الامريكى د . روبرت فرنيه (خلال الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٦٥) مؤلف هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم .

أصدر روبرت ا . فرنيه هذا الكتاب عن "مطبعة جامعة تكساس (أوستن - لندن)" بعنوان : "النوبيون فى مصر" وتحته عنوان فرعى "قوم محبون للسلام" . والحق أن هذا الكتاب يعد سجلا فريدا لأسلوب حياة النوبيين فى موطنهم وصورة حية متكاملة للحضارة النوبية .. ويتميز هذا الكتاب **بالوحدة الموضوعية التى ارتكزت على رؤية المؤلف لطبيعة الحضارة النوبية بما تحمله من قيم وأساليب فنية مكنت النوبيين من استخلاص قوت الحياة من بيئة محدودة الموارد الطبيعه كما مكنتهم من التعايش السلمى على مر التاريخ بالتكيف فى مواجهة التغير مع الاحتفاظ فى الوقت نفسه بأصالتهم وهويتهم .**

● الماضى والحاضر

من هذه النظرة لأهمية النوبيين باعتبارهم نموذجا ناضجا للتكيف السلمى فى مواجهة

النوبيون في مصر

التغير ينطلق للبحث فى مقومات هذه الحضارة ويربطها بالماضى والجذور واللغة والبيئة ونظام الحكم بالمعنى الشامل فيركز فى كل منطقة على الظاهرة التى تبلور أسلوب حياة النوبيين فيها من جميع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والدينية - احتفال الزواج عند الفاديجا ، وموالد المشايخ والاولياء عند الكنوز - كما افرد فصلا كاملا لتجربة الهجرة الى المدن الكبرى وحياة النوبيين فيها . وفى نهاية دراسته يتحدث عن مستقبل النوبيين من وجهة نظره .

يتميز هذا الكتاب ايضا بتزويده بمجموعة كبيرة نادرة من الصور الدالة (حوالى ٩٠ صـورة) التقطها المصـور الفوتـوغرافى السويسرى جورج جيرستر الذى شارك روبرت فرنيه الاقامة والترحال فى النوبة القديمة لمدة اربع سنوات . كما زار معه النوبة الجديدة بعد التهجير . ومن الجدير بالذكر أن الكتاب تضمن ايضا دراسة قيمة عن العمارة النوبية قام بها المهندس العمارى السويسرى هـوريست جاريتز قام بها على حدة ضمن بعثة المعهد السويسرى للآثار بالقاهرة لتصوير وتسجيل اثار النوبة اعوام ٦٣ - ٦٤ - ٦٥

● أهمية النوبيين

تعتبر التجربة النوبية نموذجا فريدا جديرا بالاهتمام فى ضوء مايحدث فى بعض انحاء العالم من اقتلاع الناس من جذورهم ، وكيفية مواجهتهم الحضارية وتكيفهم مع المجتمعات الجديدة .

إن العصر الحديث بما حمله من وسائل اتصال جماعية قد قضى تقريبا على كثير من مظاهر حضارات الجماعات الصغيرة وعلى ما كانت تتميز به من ابداعات وتفرد وانجازات تطورت خلال العزلة على مر الزمن ، إنجازات تتعلق بالقيم وبتقنية استخلاص مقومات الحياة من البيئات المختلفة . وتتعلق ايضا بطرق التعبير فى الفن التشكيلى ، فى الكلمات ، فى بناء المساكن ، وحتى فى تشكيل الأشيـاء المستخدمة فى الحياة اليومية . هذه المظاهر الفريدة للقدرات البشرية لن تتكشف مرة أخرى بعد اندماج هذه الجماعات فى المجرى الرئيسى لحياة المجتمعات الجديدة . من هنا تأتى أهمية هذا الكتاب بما فيه من تسجيل لبعض انجازات أهل النوبة المصرية واساليب حياتهم وقيمهم التى تصور طبيعة مجتمعهم وحضارتهم التى استطاعوا بها الاستمرار والابقاء على نقائهم على مر الزمان فى مواجهة الأزمات والمتغيرات .

وإذا كان المجال لا يسمح هنا بالتجول فى جميع أنحاء ذلك العالم السحرى للنوبة القديمة والتعرف على كل جوانب الدراسة الانثروبولوجية التى قدمها روبرت فرنيه ، فإنه يمكننا التوقف عند بعض ملامح الصورة الحية التى عرضها للمجتمع النوبى .

● الزواج فى منطقة الفاديجا

عندما يشرح النوبيون طبيعة مجتمعهم المبارك للغرباء يبدأون بوصف احتفال الزواج .. ولا تكاد تنقض إجراءات الزواج حتى تبدأ شبكة أخرى من العلاقات فى اطار المجتمع تعبر عنها بطريقة تختلف عن طريقة التحليل الاقتصادى الرسمى .. ومع تركيز المؤلف على منطقة الفاديجا التى أقام فيها جنوب النوبة وعلى عاداتها وتقاليدها .. يتوقف طويلا عند احتفال الزواج باعتباره الظاهرة الرئيسية هناك والتى تتكشف من خلالها شبكة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتى تنتقل من خلالها الثروة والعادات والتقاليد إلى الأجيال الجديدة .

يتحدث روبرت فرنيه عن تفاصيل تقاليد اعلان الخطبة وتبادل الزيارات والهدايا والولائم بين الاسرتين ، وعن ليلة الحنة وليلة عقد الزواج ويذكر ارتباط احتفال الزواج بنهر

ـ نقوش ورسوم عربية على بوابات المنازل النوبية



النيل وتزين العريس عند النهر ليلة الحنة ثم يركز اهتمامه على عادة تقديم النقوط والهدايا ودورها الهام فى النوبة حيث يتلقى العريس وكذلك العروس نصيبهما من الأرض وآلات الرى ونخيل البلح والبقر وحتى نصيبهما من البيوت فضلا عن الهدايا الصغيرة . ومجموع هذه الأنصبة من الثروة والهدايا هو الذى يحدد ما اذا كان العريس ستكون لديه المقدرة للإقامة وفتح بيت في النوبة أم أن الأفضل له الرحيل للعمل بعيداً عن النوبة .

كما يصور الزواج النوبى بعدا آخر للعلاقات الاجتماعية بين أفراد من نفس المجتمع ـ وهى علاقات التبادل عن طريق "النقوط" أى تبادل الهدايا والمساعدات المادية والمجاملات ، فمن خلال هذا التبادل يمكن أن تمتد موارد المجتمع للاستعانة بها فى الأزمات والكوارث المفاجئة التى قد تحل بأفراد المجتمع . ومن خلاله يتم ترميم البيوت وحصاد الحقول وتقديم موائد الطعام لعدد كبير من الضيوف ، ولا شك أن هذه الرغبة الواعية فى تبادل المنافع والالتزامات المنظمة عامل قوى يساعد على الترابط والوحدة .

● المولد فى منطقة الكنوز

أما الكنوز الذين يقطنون الجزء الشمالى من النوبة فقد كيفوا حياتهم مع ظروف الندرة التامة لموارد القرية . وفى نفس الوقت احتفظوا بصورة من صور التنظيم الاجتماعى لم تعد لها الوظيفة الاقتصادية الهامة التى كانت لها يوما ما باعتبارها مسألة حياة ووجود .

يعتمد روبرت فرنيه فى حديثه عن الكنوز على دراسة الانثروبولوجى شارلز جلندر ومساعديه الذين أقاموا فى هذه المنطقة مدة عام تقريبا .

•الكنوز منتظمون فى قبائل تشبه إلى حد كبير قبائل العرب البدو .

من الناحية النظرية القبيلة الكنزية فرع أبوى منحدر من جد واحد .. ولكن مع وجود الكثرة من الفروع الدائرية للقبيلة لا يخلو الأمر من وجود أفراد وأحيانا فروع بأكملها تتداخل مع فروع أخرى بالتزاوج والاقامة المشتركة . أى أن القبيلة يمكن أن ينفذ إليها أفراد غير منتمين لنفس الجد وسوف يتم فى النهاية قبول تسلهم باعتبارهم من قرابة الدم . فى الاساس يختلف الكنوز عن الفاديجا فى الاهتمام الشديد بالمظاهر الإيديولوجية للتسلسل الأبوى أكثر من اهتمامهم بالناحية الاجتماعية لتنظيم صلة القرابة .

وتتبلور قوة التنظيم القبلى عند الكنوز فى انشطة الاحتفال بالمولد والذى يهتم به الكنوز بينما الفاديجا يفتقرون الى هذه الانشطة الخاصة باحتفالات الموالد الى حد كبير . واذا كانت هذه الاحتفالات تحقق اهدافا دينية وشخصية فانها ايضا ترمز الى الاهتمام بالتنظيم القبلى والأجزاء والفروع التى تشملها .

كان يوجد فى المنطقة الكنزية فى قرية دهميت وحدها ١٥٠ ضريحا لمشايخ متفاوتى الأهمية ومن سكان لا يتجاوز عددهم ١٥٠٠ شخص . بعض هذه الأضرحة لم يكن يزيد على كومة حجارة تكون موضع اهتمام عائلة أو امرأة أو حتى أطفال يقلدون الكبار بممارسة أنشطة الاحتفال كشكل من اشكال اللعب . والضريح الأهم هو الذى تهتم بمولده القبيلة بأكملها .

من أهم الأضرحة بقرية الماهناب الحسن والحسين باعتبارهما الأصل المنحدر عنه القبيلة حتى لو كانوا متحدرين فقط من نسل الحسين ، والضريح عبارة عن مبنى صغير من قبتين على أطراف قرية بجوار أرض تستخدم فى الرقص والغناء متصلة بمدافن القرية . إن الارتباط بين الجبانة والضريح يقوى دافع

الانتساب الى الجدود الواضح فى شعائر احتفال القبيلة وكانت بعض مظاهر الاحتفال بمولد الحسن والحسين تستمر طوال العام . تقوم النساء بأداء النذور إذا تحققت طلباتهم . ويزور العرسان الضريح أثناء موكب الزفاف . كما يقوم الأشخاص المسافرون الى القاهرة وغيرها بزيارة الضريح قبل الرحيل ، وتكون قمة الاحتفال يوم المولد فى ١٥ شعبان . ومن الغريب أن تختلط هذه الاحتفالات الدينية بالنشاطات الدنيوية فى جوهرها كالرقص والغناء ، مع احلال الكسوة الجديدة للضريح محل القديمة فى موكب يطوف عبر قرى الماهناب منذ غسيل الكسوة فى ماء النيل .

وهذا المولد يعتبر أكبر نشاط للقبيلة . بالاضافة الى النذور التى يمكن تقديمها فى اى وقت ، تقوم العروس بزيارة الضريح صبيحة يوم الزواج ، وغالبا ما تقدم الضريح بعض الهبات . كما يتوقف موكب العرس عند الضريح لتقديم هدية للنقيبة التى تقوم على خدمة الضريح كما تقدم الأعلام البيضاء المخضبة بالحنة شبيهة بالاعلام التى غالبا ما توضع على مدخل باب غرفة نوم العرسان .

إن الاحتفال بالمولد هو احتفال فى نفس الوقت بالجد الأول ، مما يعطى اهمية لفكرة القبيلة ويدعم وحدة القبيلة من خلال التركيز على العادات والتقاليد والشعائر المشتركة .

● ياطالع الشجرة هات لى معاك تمرة



النوبيون في مصر

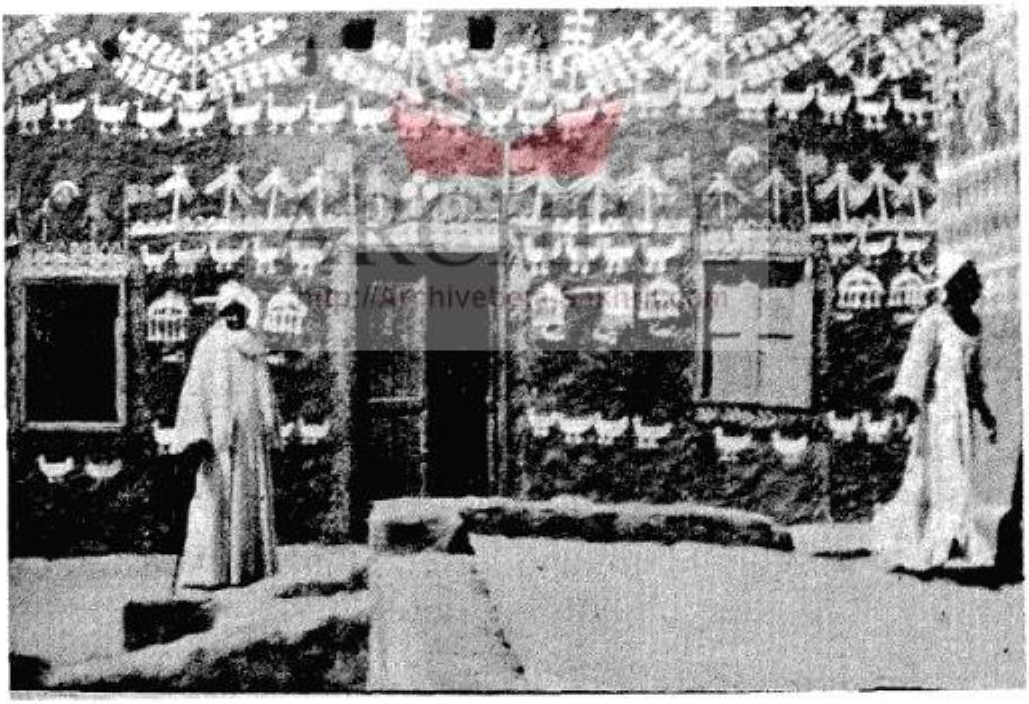
عضوية القبيلة بين الكنوز تستخدم أيضا كأساس لتكوين نواد مدنية ذات اهمية بالغة في مساعدة النوبيين المهاجرين في التكيف مع حياة المدن .

● المستقبــل

يرى روبرت فرنيه أن استمرار الحضارة النوبية يتوقف على ما إذا كانت قرى النوبة الجديدة في كوم أمبو قادرة على القيام بالوظائف الاجتماعية للنوبة القديمة . ففي الموقع الجديد تغيرت كثير من ظروف حياة القرية التقليدية تغيرا تاما .

ان منطقة التهجير بكوم امبو تبعد عدة أميال عن النيل . وبذلك لم تعد هناك حاجة

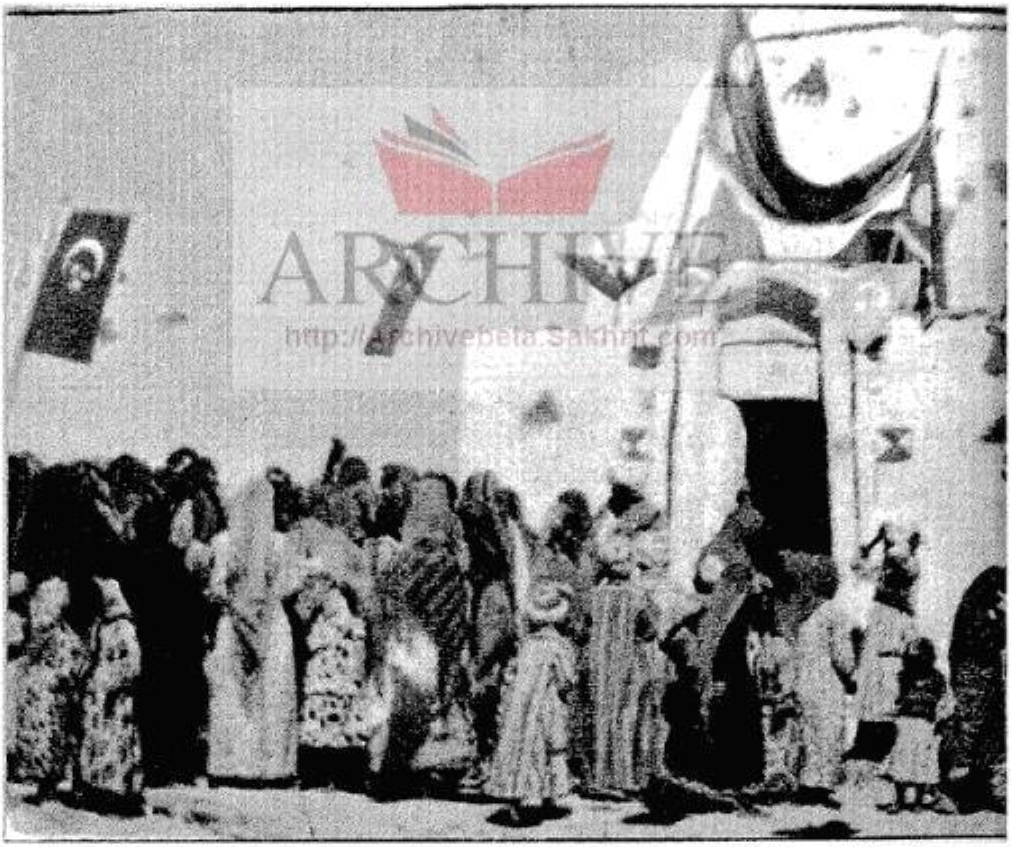
تمتلىء الجدران برسومات تعكس طبيعة البيئة





- في مراسيم الهبات يتم
تبادل النقود او الدواب

الموالد فرصة طيبة لزيارة
الاضرحة واقامة شعائر الدين



النوبيون في مصر

للتنقل بالقوارب ولم تعد تمارس العادات والطقوس المرتبطة بالنيل . كما انتهت عزلة الجماعات القديمة . فالنوبة الجديدة لا تبعد سوى دقائق بالسيارة عن مدن كوم امبو واسوان . وقد انشئت القرى النوبية الجديدة على سهل واسع بلا أشجار في منطقة تلائم زراعة قصب السكر . وكان المتوقع أن يزرع النوبيون قصب السكر باعتباره مصدرهم الرئيسي للعائد النقدي بدلا من محاصيلهم التقليدية من الذرة والحبوب مع قيام الحكومة بشق الترع وتقديم الاسمدة الكيماوية . وبالطبع لا مكان هنا للسواقي والأبقار وبالرغم من زراعة اشجار النخيل في كوم امبو فإنها تتطلب سنوات طويلة حتى تعطي ثمارها . والذي كان يشكل موردا تقليديا للثروة النوبية .

وهكذا تختفي بعض مظاهر الحياة النوبية التقليدية .

وهناك ماهو اكثر مغزى من ذلك وهو الاتصال المتزايد بين النوبيين القرويين من الإداريين في المؤسسات المصرية : عيادات طبية ، ومكاتب الزراعة ، ومجموعة التسهيلات الاخرى باعتبارها جزءا من مظاهر الحياة اليومية . وأصبحت جميع مستويات التعليم متوافرة . ومعظم النوبيين يدرسون العربية ويتحدثون بها ، من سن الخامسة أو السادسة . وهذه العوامل مجتمعة ، سوف تعمل في النهاية على قلة استخدام اللغة النوبية .

ومن جهة أخرى فإن من الممكن لقرى النوبة الجديدة مع تحسن خواص الأرض ، أن تدر عائدا اقتصاديا افضل من النوبة القديمة ، وبالتالي تقل الضغوط على الرجال للهجرة للعمل بالمدن ، خاصة لو أمكن بقاء الرجال لزراعة الأرض بأنفسهم كما تنص على ذلك عقود الانتفاع بهذه الأرض بأن يقوموا بزراعتها بأنفسهم .

وإن كان من الملاحظ ميل كثير من النوبيين للسفر للعمل بالمدن وترك زراعة الارض ليقوم بها آخرون بالمشاركة او بالأجر .

وربما يكون اكثر العوامل ايجابية بالنسبة لمستقبل حضارة نوبية متميزة يكمن في المدى الجديد للتفاعل الممكن الآن بين النوبيين القرويين . ان هذه الجماعات التي كانت يوما ما منعزلة في مواقع على امتداد مائتي ميل على ضفاف النيل تعيش اليوم في عشر هذه المساحة . والعائلات التي كانت منفصلة لسنوات اجتمعت مع بعضها الآن والاقارب الذين كانوا يقومون - بصعوبة بالغة - بزيارة بعضهم البعض في المناسبات الخاصة يقومون بذلك الآن ربما بمجرد المشي حتى نهاية الشارع . والشباب الذين كانوا في الماضي لا يحظون بالالتقاء بعدد كبير من اقرانهم إلا اذا ارتحلوا الى القاهرة . يجدون الآن أصدقاء كثيرين في نفس أعمارهم في مساكن قريتهم نفسها .

على أن من المشاكل التي تواجه النوبيين في ظروف سهولة المواصلات عدم كفاية الطعام مع كثرة الحاضرين في احتفالات المناسبات كالزواج والموت والموالد التي استؤنفت في الموقع الجديد ! إن سهولة المواصلات كان لها تأثير سحري على الشباب مما ساعد إلى حد ما في مواجهتهم لصدمة التهجير ، التي أثرت بالطبع على النوبيين كبار السن بوجه خاص ، ونظرتهم تختلف عن كثير من الشباب الذين ينظرون الى اعادة التوطين باعتباره خطوة ايجابية . ورغم كل الصعوبات لا يشعر النوبيون كلهم بالتشاؤم بالنسبة للحياة الجديدة التي عليهم أن يتطوروا بها من أجل انفسهم

إن النوبيين جزء من شعب واحد من نواح كثيرة ويشتركون في العقيدة الدينية . ولعله

من الأفضل الكف عن الاستغراق فى الحنين الرومانسى لما قد ذهب والنظر إلى تجربة اعادة توطينهم باعتبارها تحصينا مقويا لهم وظروفا تجعل من التكيف ضرورة لاستمرارهم . ولعل الأمل يكون فى ارتباطهم بما هو فريد حضاريا فى ميراثهم .. وان يجد هذا الارتباط تعبيرا له بين الأجيال القادمة من النوبيين .

● طموحات العودة

إلى أى حد تتفق صورة النوبيين التى قدمها روبرت فرنيه فى كتابه بما فيها من تنبؤات مع واقع النوبيين اليوم (عام ١٩٨٧) ومع طموحاتهم ؟

الحق أنه رغم اندماج النوبيين فى المجرى الرئيسى للحياة المصرية وانتشار التعليم بينهم ومشاركتهم فى جميع نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتقلدهم مناصب مرموقة فى أسوان وفى غيرها من المدن .. فإننا من جهة أخرى نجد الواقع وابحاث دراسة التغير الحضارى فى منطقة النوبة الجديدة عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ يشيران إلى ظواهر تفكك حضارى والى انحسار اللغة النوبية وان التطورات فى المستقبل فى منطقة الاستيطان فى النوبة الجديدة لا تنبىء عن الامكانات الكافية .

وكما يقول د . أرنولد سبليت Dr. Arnold Splett فى دراسته "مشروع إعادة توطين النوبيين" التى ترجمها عن الألمانية فوزى محمد صالح فى ملحق العدد الثالث من مجلة "أضواء أرمنا" : إن النوبيين وخاصة الجيل القديم يعترف بهذه العوامل المؤدية إلى التحلل والاضمحلال الحضارى والعرفى - الاجتماعى بصورة أو بأخرى .. وانهم يطلقون كل الصفات الحسنة على النوبة القديمة كمؤشر اعتراض على ماهم فيه ، بينما نعتوا ظروف المعيشة فى النوبة الجديدة بعكس ذلك بل وبكل ماهو سلبى حقا ، لذلك ما ان كشفت الحكومة المصرية عام ١٩٧٦ عن مشاريع لاستغلال بحيرة ناصر ومنطقة شواطئها ، حتى نشطت القيادات النوبيه للتعبير عن رغبتها فى إعادة تهجيرهم وتوطينهم ثانية على شواطىء البحيرة . وبالفعل قامت مجموعة من النوبيين عام ١٩٧٨ من قريتى أدندان وقسطل بمبادرة ذاتية بالسفر إلى «أبوسمبل» بغرض البدء فى تنفيذ عملية إعادة التهجير والتوطين وعبروا بحيرة ناصر واسسوا على الشاطىء الشرقى معسكرا مؤقتا ، واطلق على منطقة الاستيطان القادمة لكلتا القريتين اسم "التكامل" .. وكانت الحكومة قد بدات فى مشروع إعادة تهجير وتوطين بعض أهالى النوبة فى منطقة بحيرة ناصر ، غير أن المشروع قد عانى فى السنوات الأخيرة من الاحباط النفسى بسبب تذبذب مستوى منسوب المياه والتخطيط غير الكافى عند تنفيذ المشروع وبالذات فيما يتعلق بآلات الرى .

لقد أتيح لنا فى العام الماضى ١٩٨٦ زيارة قرية السلام بجوار مدينة «أبوسمبل» كما عبرنا البحيرة .. ووصلنا عبر طرق غير ممهدة ، حتى قسطل وادندان قرب وادى حلفا ، شاهدنا على ضفاف البحيرة من أسوان حتى أدندان مساحات شاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة ، ربما أكبر بكثير من الحال فى النوبة القديمة إلا أن مصادر المياه فى البحيرة تبقى على درجة كبيرة من الأهمية ، وإذا كنا قد لمسنا نظرة الحزن فى عيون هؤلاء الرواد لإعادة التعمير بسبب احتراق ماقاموا به من زراعات وخاصة الفواكه فى منطقة قسطل وادندان ، نتيجة لانحسار مياه البحيرة كيلو مترات ، فإننا قد لمحنا فى عيونهم أيضا بوادر أمل وإرادة حياة واستمرار باصطناع وسائل جديدة للتكيف مع الطبيعة المتغيرة للأرض ومياه البحيرة بحفر آبار وإقامة طلمبات عائمة بمساعدة الحكومة .. وبالفعل قامت وزارة التعمير بافتتاح عدد من مشروعات الرى وحفر الآبار عام ١٩٨٦ فى عيد أسوان القومى خلال يناير الماضى فى اطار استصلاح الصحراء وخلق مجتمعات عمرانية جديدة .

النساء والأطفال يرتدون أجمل الملابس استعداداً للمولد



النسوة يحملن مياه الشرب من النيل .. انه منظر مألوف تشهده في الصباح الباكر وفي المساء



- أمام الفرن . تجلس النوبية لصناعة خبزها المميز فوق الرحاية



جولة المعارض

فنانون ومجدّدون بين تجليات الروح وشطحات العقل

بقلم: عز الدين نجيب

كما هو معتاد منذ بداية الموسم ، اكتظت قاعات الفن خلال الشهر الماضي بالمعارض الجديدة المتلاحقة ، فردية وجماعية ، بشكل لا يتوفر فى مجالات الفن الأخرى ، بالرغم من أن هذه الغزارة تتم بلا دعم أو مساندة من أية جهة للفنان ، وعائده غالبا لا يزيد على كلمات المجاملة من أصدقائه فى ندوة أو تعليق ، وتجاوب قليل من جمهور متعجل يعد على الأصابع ، ومرارة كبيرة لأهمال أجهزة الإعلام لهذا الجهد الفدائى ، وللغياب التام للنقد فى الصحف والمجلات .

وسأتناول هنا بعض هذه المعارض بالقدر الذى تسمح به المساحة المتاحة .

● فنانون سكندريون :

بأتيليه القاهرة كان معرض الفنانين السكندريين : النحات أحمد عبدالوهاب ، والحفارة مريم عبدالعليم ، والمصور احمد شيحا . وبالرغم من اختلاف وسائط التعبير واستقلال كل منهم بأسلوبه وعالمه الخاص ، فهناك ما أعطى للمعرض وحدة جمالية ، فالفنانون الثلاثة تجمعهم النزعة التعبيرية ، إذ يسعى كل منهم الى التعبير عن شحنة درامية او فكرة فلسفية أو رؤية ذاتية ، كما يجمعهم الاقتراب من لغة التيارات المعاصرة فى الغرب ، ممتزجة برحيق البيئة والتراث الحضارى المصرى .

● يقدم أحمد عبدالوهاب تماثيله البرونزية متخذة لون الفخار الأسود فى الريف المصرى ، استمرارا لبحثه الجاد فى جذور الفن الشعبى والمصرى القديم ، خاصة الحقبة الاخناتونية ، وفيها نستشعر مسحة من الصفاء العميق والسلام الاقرب الى السكون والتأمل . وقد حاول الفنان تحريك هذا السكون بإضافة خطوط مرسومة باللون الفضى فوق التماثيل على شكل مثلثات . والمثلث هو الشكل الأساسى الذى تقدم عليه تماثيل

عبدالوهاب ، وهو قاعدة ارتكازه الفلسفية ، إذ يستهدى فيه أولا فلسفة الخلود فى الفن المصرى القديم ، ويحقق به ثانيا الرسوخ والتوازن فى كتله النحتية ويرتفع الفنان بوجوهه وأجسامه النحيلة الى درجة عالية من الرهافة والنبل ، عن طريق « ترقيق « الكتلة ، فكأننا نراها من خلال مرآة محدبة ، ويسعى عبدالوهاب الى الاقتراب بتماثيله من العمارة ، حتى ليبدو لنا بعضها أقرب الى الأبراج الأسطورية أو المعابد ، إنه ينقلنا من خلال ذلك كله الى نوع من الاغتراب والخشوع معا ، وكأنها كائنات وحيدة تأتى الينا من عالم سحيق ، تفيض بالروحانية .

● **والفنانة مريم عبد العليم** ، تعطينا من خلال لوحاتها المطبوعة (الجرافيكية) نموذجا مختلفا لهذه « الروحانية » إذ تتخذ من حوار السطوح المتباينة المجردة أسلوبا لها ، وهى سطوح تقترب فى درجاتها اللونية وملامسها الخشنة من تأثير الجدران القديمة أو مخطوطات البردى المتآكلة التى تأتينا من جوف التاريخ ، وقد تتخذ لحوارياتها عناصر من الحروف العربية فيما يقترب من المناجاة الدينية . ويصل الحس الشفيف بالألم فى إحدى لوحاتها المجردة إلى حد المرثية الحزينة ، كما يصل الحس العميق بالوحدة فى لوحة أخرى (ليس بها غير كرسى خال من الخيزران والقش) الى حد يذكرنا بلوحة فان جوخ الشهيرة لكرسيه الخالى ، وهى فى كل ذلك تهمس همسا لا تكاد تريد أن يسمعه أحد غيرها . لكن شحنة الصدق فيه تنفذ إلى وجدانك مفعمة بالشجن . وقد تملكت مريم بأستاذية ناحية التقنية الجرافيكية ، مما جعلها صوتا متميزا وسط فنانى الجرافيك المصريين .

● وعلى عكس ذلك الهمس فى أعمال مريم ، تضج أعمال **أحمد شيحا** بالصراخ وان كانت أقرب الى التجريد ، وساعد على ذلك استخدامه للمواد المجسمة فوق سطح اللوحة ، مما جعلها أقرب الى النحت البارز ، وإن كان لا يقدم لنا الانسان بشكل مباشر فإنه يوحى إلينا بوجوده المأساوى متشنجا من الألم أو متصارعا من قوى خفية ، ساعد على تأكيد ذلك : تقلصات الملابس وتجاعيد الصخور واقتصاره على اللونين الرمادى والأسود وهو بكائناته الغامضة المتزاحمة يستثير فينا القلق والتوتر . وإن كنا لا نستطيع اليوم أن نحكم على مدى أصالة هذه التجربة نظرا لاختلافها التام عن أعماله الماضية ، وأيضا لقلة عدد الأعمال المعروضة منها وتشتتها بين أساليب مختلفة .

انه باختصار معرض يفيض بالجوهر الإنسانى ، بتجليات تتفاوت بين السلام والشجن والصراع فى وقت تكاد تخلو فيه معارض الفن من الانسان ، مظهرا أو جوهرا .

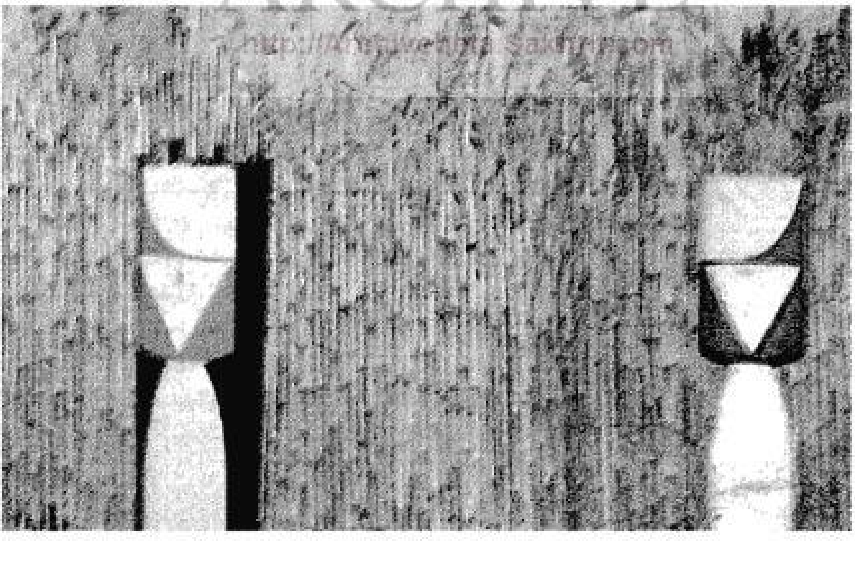
● **البطل .. عود الذرة !**

وينقلنا الفنان فرغلى عبدالحفيظ بمعرضه بقاعة إخناتون الى أقصى الطرف الآخر ، أعنى الى عالم المادة الخام كما هى فى الطبيعة ، يأتى بها إلى قاعة العرض ويعيد تأليفها وتنسيقها مع عناصر مادية أخرى من إنشائه ، حيث يتسيد

عربة الخيول ـ للمثال احمد عبد الوهاب
روح التاريـــخ ممـــزوجة بالفانـــتازيا



العروس واعواد الذرة للفنان فرغلي عبد الحفيظ ـ عناصر من البيئة المصرية مع العقلانية الهندسية في تشكيل العروس



العقل الموقف تماما ، ليرسى بهذا التأليف نظاما هندسيا متوازنا .

وحتى لا نتوه في المجردات ، دعونا نلق نظرة على أحد هذه الأعمال .

مجموعة من أعواد حطب الذرة الجافة متساوية الطول مرصوصة وقوفا في نظام كالطابور ، وقد شبكت الى بعضها البعض كالحصير ، وتدلت من شواشيها الأغلفة الجافة لكيزان الذرة بعد انتزاعها منها ، وهى ما يميز هذه الأعواد عن غيرها من النباتات (مثل القصب أو البوص أو الغاب) . وأمام هذه الحصيرة من حطب الذرة وضعت عروسة مجسمة من القماش الأبيض وقد قسمت أنصاف دوائر ومثلثات

تكوين من الحروف ـ للفنانة مريم عبد العليم ـ الحس الروحانى من خلال رؤية تجريدية



فوق شكل مخروطى ، وخلف الحصيرة او بجوارها علق الفنان لوحة ضخمة رسمت على قماشها الأزرق شرائح افقية قزحية الألوان ، استوحاها من طبيعة الصحراء وامتداد الحقول

وفى عمل اخر اقام الفنان من (حصير الذرة) اسوارا لكوخ على شكل مستطيل ، وعلى مدخله وضع عروسه المعهودة ، وفى داخل هذا الحيز المسور وضعت لوحة ضخمة بألوان فسفورية لصحراء ممتدة ... وهكذا

إنه معرض يحدث لك صدمة مدهشة

إنه يجعلك أولا فى حيرة : ماذا تسمى هذا اللون من الفن ؟ .. هل هو تصوير ؟ .. أم نحت ؟ .. أم عمارة ؟ ... أم تصميم داخلى (ديكور) ؟ .. أم أنه اقرب الى الديكور المسرحى ؟ .. إنه فى الحقيقة يجمع بين كل تلك الأنواع ، وإن كان ليس واحدا منها على وجه التحديد

وهو يجعلك ثانيا تسأل : ماذا يهدف الفنان من وراء كل ذلك ؟ .. هل هو اجتهاد لعقد زواج بين الطبيعة الخام وبين الشكل الهندسى النابع من العقل والذات ؟ .. أو بكلمة أخرى : بين المادة والفكر ؟ ..

وهو يجعلك ثالثا تسأل : من أى نبع يستقى الفنان هذه التجربة ؟ .. هل من خصوصية البيئة وجذور الفكر المصرى ؟ .. أم من بعض « الموضات » الشائعة فى الغرب ؟ . إننا نعرف كثيرا من هذه التجارب الفنية التى انتشرت بأوروبا منذ ربع قرن وحتى اليوم ، وسميت بأسماء

مختلفة : مثل فن المادة ، وفن المدركات الحسية ، وفن الحدث ، والفن الفقير ، والفن الحى ... إلخ .. ورأينا نماذج مختلفة لهذه التيارات تعتمد على احضار عناصر من المواد الطبيعية الخام (مثل الأخشاب والأعشاب والنباتات والفحم والحصى والــزلط والخيـوط والخيش والمواسير ... الخ) وتنسيقها بنظام معين ، وغالبا ما ينتهى عمرها كعمل فنى بعد انتهاء المعرض ، لصعوبة الاحتفاظ بها أو توفير مكان يستوعبها .

لكن إذا كان معرض فرغلى يشترك فى جانب من عناصره الفنية مع تلك الحركات العارضة ، وهو استخدام أعواد الحطب فى حيز مكانى ذى ثلاثة ابعاد ، فإن العناصر الاخرى التى استخدمها الى جانبها تكسبها بعدا فكريا ، لكنه لم ينضج بالدرجة الكافية . لإكساب التجربة أصالة تنأى بها عن مسايرة الحركات التى ذكرتها ، ذلك أن عنصرى المادة الطبيعية والشكل المبتكر وفق نظام عقلى وجمالى فى أعماله ظلا متجاورين ومغتربين ، دون أن يحدث بينهما الحوار أو التفاعل أو التكامل الذى يجعل منهما عملا واحدا متجانسا ، وإن كان ثمة تطوير لهذه التجربة ، ففى ظنى أنها ينبغى أن ترتبط بوظيفة نفعية ، مثل المسرح أو التصميم الداخلى أو العمارة ، وهى تملك الكثير من المقومات لتحقيق هذه الوظيفة .

ويبقى أن نحيى جرأة الفنان فرغلى على ارتياده آفاقا جديدة تثير حول تجاربه

الجدل والحيوية ، وتكسر أيضا جمود قوالبه سعيا الى إضافة حقيقية .

● من التجريد إلى الطبيعة :

وفى إحدى قاعات أتيليه القاهرة ، أقام الفنان الأسيوطى « سعد زغلول » معرضا آخر ، وقد شاهد جمهور القاهرة له من قبل معرضا يقوم على استخدام الحروف العربية فى نسق تجريدى يميل الى البناء المعمارى . لكنه فى معرضه الجديد أعطى ظهره للحروف وللتجريد ، واتجه نحو الطبيعة يستوحى منها مناظر واقعية تعكس طابع القرية فى الصعيد . ولعل ما بقى من تجربته السابقة هو ألوانه القوية الدافئة ، وعمارية الأشكال . وفى عدد قليل من اللوحات الصغيرة بقى حس من تجريد الطبيعة الى أشكالها الهندسية الأساسية ، وهى ما لم يحاول أن يستفيد منها مع الأسف فى لوحاته الكبيرة ، حيث اكتظت بالتفاصيل التسجيلية والثرثرة الخطية واللونية ، والظلال الزرقاء والبنفسجية الأقرب الى المدرسة الانطباعية .

وأعتقد أن طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه الفنان فى أسيوط هى التى فرضت عليه هذا التحول ، وبالرغم من إمكانياته الجيدة ، ربما لأن أسلوبه التجريدى لا يجد اعترافا من ذلك المجتمع المحافظ الذى تستهويه محاكاة الطبيعة ، فاختار الفنان الطريق السهل

لكن الفن – باعتباره أقرب أنشطة الانسان الى الصدق مع ذاته – لا يقبل مثل هذه المساومة أو الحلول الوسط .

وإذا كان الفنان قد اختار الطبيعة مجالا لفنه ، فلا عيب فى ذلك ، لكن العيب هو الاقتصار على محاكاتها دون جهد فى تحليلها وإعادة صياغتها برؤية مبتكرة ... واعتقد أن الفنان سعد زغول قادر على ذلك .

● النفايات .. رؤية للمجهول :

ويبدو أن هذا كان شهر فنانى الاسكندرية بالقاهرة .. فقد افتتح قبل هذا المقال بيوم واحد ـ بقاعة السلام ـ معرض للفنان السكندرى المجدد عبدالسلام عيد ، وكعادتنا معه دائما يدهشنا « عيد » بمجسماته التصويرية على سطح اللوحة ، وبالثراء اللمسى المشكل من نفايات صناعية أو منزلية لا تثير الاهتمام ،

فتحولت على يده الى ما يشبه الحروف فى لغة تشكيلية شديدة الرهافة والثراء . إنها للوهلة الأولى توحى بتضاريس لأرض مجهولة وبحار لم يعرفها الإنسان ، لكنها عن قرب تعطيك إيحاءات لانهاية لها لأجواء أسطورية أو إشارات رمزية ، إنها تسوّق الانسان لاكتشاف المجهول ، وخوضه المستحيل للسيطرة على الكون وفض أسراره ، فى سباق عصر العلم المجموم

وبقدر الخشونة الصخرية فى بعض هذه المجسمات . تدهشنا الرقة العذبة فى اللوحات التى استخدم فيها الفنان شرائط الدانتلا القديمة .. هنا لا نتطلع إلى الأمام بل نعود الى ذكرياتنا المنزلية الأليفة وندندن بأغنية الأسرة والحنان ..

جولة المعارض

إن « عيد » يقدم نموذج الفنان الذى استوعب لغة التكنولوجيا فى الإبداع

الفنى ، وهو ما كان الفنان الأوروبى رائدا فيه . وقد تفيد هنا المقارنة بين تجربته وبين تجربة زميله السكندرى « أحمد شيحا » ، حيث نرى كيف استطاع - بلا افتعال - إقامة عالم خاص به وحده ، بجهد وصبر السنوات الطويلة .

طبيعة صامتة - للفنان سعد زغلول عناصر الطبيعة باسلوب يميل إلى التاثيرية



الحوار الناقص وأزمة تعاملنا مع التراث

متى تظهر أمهات الكتب العربية .. ؟

بقلم: زهير علي شاكر

● هزني المقال القيّم الذي كتبه الأستاذ «حسين أحمد أمين» في الهلال (عدد مارس ١٩٨٧) حول أزمة تعاملنا مع التراث العربي ، والذي يعتبر حلقة من دراسات الكاتب عن هموم القارىء والمثقف العربي والمسلم في هذا العصر الذي تسيطر عليه الثقافة الغربية - بخيرها الكثير وشرها الكثير أيضا - سيطرة شبه كاملة على الفكر العالمي ●

أشير بصفة خاصة إلى القسم الأخير من المقال ، الذي عرض فيه الكاتب إلى مجموعة أمهات كتب التراث الغربي المسماة «أعظم كتب العالم الغربي» وأبادر فأسجّل موافقتي واحترامي الكامل لكل ما ذكره كاتبنا الكريم في هذا الموضوع .. فكأنه يعبّر أدقّ تعبير وأصدقه عما في نفسي ، وعما أظنه في نفس كل مثقف عربي اطّلع على هذه المجموعة أو على غيرها من كتب التراث الغربي ، وإن كان فيما يبدو - لم تتح له المساحة المحدودة للمقال عرض كل ملامح هذه المجموعة من الكتب ، وماتثيره من شجون واهتمامات - ولا أقول من هموم وحسرات - في نفس القارىء العربي المسلم .

فهذه المجموعة قد صدرت أوّل مرة في سنة ١٩٥٢ ، ثم أعيد طبعها كل عام أو أكثر قليلا ، حتى صدرت طبعتها الثامنة والعشرون في عام ١٩٨٦ ، مشفوعة - فيما

قضايا ومواقف

يبدو ـ بحملة دعائية لنشرها على أوسع نطاق . وهي تتكون ـ كما ذكر الأستاذ الكاتب ـ من ٥٤ مجلداً ، واحد منها للمقدمة ، واثنان خصصا لفهرست فريد في نوعه ، مرتب على الموضوعات والقضايا

التي ورد ذكرها في المجموعة ـ يتضمن ١٠٢ من الموضوعات الرئيسية . أسماها محررها «الأفكار العظمى» ـ مقسمة الى ما يقارب ثلاثة آلاف موضوع فرعي او قضية جزئية . والمواضع التي ورد فيها ذكر كل واحدة من هذه القضايا .

أما المجلدات الباقية ـ وعددها واحد وخمسون ـ فهي تحتوي على أعظم ما كتبه اثنان وسبعون مفكرا من كبار مفكري أوربا وامريكا خلال الخمسة والعشرين قرنا الماضية .. في المجالات الأربعة الرئيسية

للفكر وهي الأدب والشعر المسرحي ، والتاريخ والأخلاق والسياسة ، والعلوم الطبيعية ، والفلسفة والإلهيات وقد اعتبر المحرر «الكتاب المقدس» واحدا من هذه الكتب العظمى ـ بل على رأسها في الحقيقة ـ وإن كان لم يطبعه ضمن المجموعة ـ اعتمادا على وجود نسخة منه او اكثر في كل بيت في الغرب .

وأهم ملامح هذه المجموعة والفلسفة التي قامت عليها هي كما يلي ـ وهي كلها من هموم المثقفين الغربي والعربي على السواء ، وإن كانت ـ للعجب ـ تعكس هموم أزمتنا الثقافية في العالمين العربي والاسلامي ، ربما اكثر مما تعبر عن هموم المثقف الغربي .

الاعتماد على اصول الكتب

خلت المجموعة خلوّا تاما من اى شرح او تعليق او اختصار او مقدمة ، تعرض الكتاب كما كتبه مؤلفه فقط دون زيادة أو نقصان ـ إلا من تفسير مختصر لكلمة غريبة او إحالة مقتضبة إلى مرجع ـ وهو بالضبط ما يحتاج إليه المثقف العربي سواء في ثقافته العربية أو في الثقافة الغربية ـ على الاقل كنقطة بداية وقاعدة راسخة ينطلق منها ، فالمهم أوّلا أن يعرف الأصول ويستقي المعرفة من منابعها الأصلية ، فإن شاء بعد ذلك فليطّلع على ما سواها من شروح او نقد او تعليق .

فإن من اهم جوانب أزمتنا الثقافية أن اغلب المهتمين بمعرفة تراثهم ودينهم ولغتهم يفضلون قراءة المختصرات المخلّة ، والآراء الشخصية للكتاب المعاصرين ـ بكل ما يداخلها من الهوى من جانب والخطا من جانب آخر ـ على الاطلاع المباشر على الأصول التي استمدّ منها هؤلاء الكتّاب معلوماتهم وبنوا عليها آراءهم .

إن الفرق بين من يقتصر على المختصرات والمهضومات ، وبين من يقرأ الكتاب الأصلي ـ كالفرق بين من يقف في سفح الجبل يسأل الواقفين عما يرونه ، وبين من يصعد إلى القمة مع الواقفين ، ويرى لنفسه وبنفسه مايرونه .

فكرة الحوار العظيم

عبّر محرر المجموعة عن أن احد الأسس التي قام عليها اختيار الكتب والمؤلفين هو فكرة الحوار ، حيث يعتبر الفكر العالمي منذ عهد هوميروس إلى فلاسفة اليونان ،

إلى علمائهم ، إلى مفكرى المسيحية ، إلى سياسيى عصر النهضة ، إلى علماء الكيمياء والطبيعة ، إلى مفكرى العصر الحديث وعلمائه حتى ماركس وداروين وفرويد . يراهم جميعا وكأنهم جلوس حول مائدة مستديرة هائلة يتناقشون ويتحاورون «ويتكلمون بالفعل المضارع» ويرد بعضهم على بعض ، كتابا فوق كتاب ، وفكرة فوق فكرة ، يعلو بها الهرم الثقافى والثروة الفكرية للانسانية - مطروحة كلها أمام القارىء يختار منها لنفسه ما يشاء .

حتى أنه عندما أراد أن يقترح على القارىء برنامجا لقراءة هذه المجموعة ، قسمه إلى عشر مجموعات تقرأ خلال عشر سنوات ، كل مجموعة منها تتضمن حواراً بين كثير من الأضداد . فمثلا ، يبدأها بمرافعة سقراط دفاعا عن نفسه أمام المحكمة التى حكمت بإعدامه ، ثم يتبعها بمسرحية لأرسطوفان يهزأ فيها بسقراط وفلسفته - ثم سيرة مؤسس الدولة العسكرية فى أسبرطة تليها قصة مؤسس الدولة الأخلاقية فى أثينا - وأخلاق أرسطو ونصوص من الكتاب المقدس ، تتبعها أفكار ميكافيللى الانتهازية - والدستور الأمريكى تتبعه آراء آدم سميث وكارل ماركس .. وهكذا .

والفكرة فى ذاتها - لاشك صحيحة وعظيمة ، ولولا أن محرر المجموعة لم يلتزم بها - فى الحقيقة - إلا فى حدود معينة ، مثل التزامه بحدود ما أسماه الفكر الغربى عامة ، دون ذكر للفكر «الشرقى» . ثم التزامه فى مجال الفكر المسيحى بالكاثوليكية دون غيرها من المذاهب القديمة كالأرثوذكسية ، ولا بمذاهب الاصلاح مثل أعمال مارتن لوثر ولا نستطيع - بالطبع - أن نلوم المحرر على هذا التحيز ، فالانسان - شاء أم أبى - لايستطيع أن يكون محايدا مائة فى المائة ، ولا أن يخرج من إهابه ليلبس إهاب غيره .

ونعود إلى همومنا الثقافية ، فنقول إن هذا الذى اعتبره المحرر «حوارا عظيما» هو - من وجهة نظرنا - حوار ناقص مبتور ، يحمل فى طياته فجوات هائلة لم يملأها إلا الفكر العربى الاسلامى . فأنت تسمع توما الاكوينى ولا تسمع القرآن الكريم والفكر الأسلامى الدينى الذى قام توما ليدافع عن المسيحية ضدهما ، وترى أرسطو ولكن لاترى نقد الفلاسفة المسلمين له ، «وأبو قراط» وجالينوس دون ابن سينا والرازى ، تقرأ نيوتن ولاتقرأ الخوارزمى الذى ابتدع علم الجبر الذى قام على أساسه البناء الشامخ للرياضيات على يدى نيوتن ، دانتى دون المعرّى ، والدستور الأمريكى دون حقوق الانسان التى رسخها التشريع الاسلامى ، وماركس دون ابن خلدون .. وهكذا ، حوار ناقص مثل الحوار الذى تسمعه من فم ممثل فى مسرح يتحدث فى الهاتف فتسمع منه الكلمة ولا تسمع ردّها إجابة السؤال دون السؤال نفسه .

فهو - بالطبع - قد أسقط من حسابه كل الفكر الذى قام فى العالم الاسلامى منذ ظهور الاسلام وحتى عصر النهضة ومابعد عصر النهضة وهى الفترة التى يعتبرها مفكرو الغرب «عصورا مظلمة وسطى» والتى نعتبرها أزهى فترات الفكر الانسانى - أو على الأقل واحدة من أزهى فتراته .

ولا أريد أن أنساق إلى فكرة «أن العرب عرفوا كل شىء واكتشفوا كل شىء» ، ولكن أنبه إلى الخطر الكامن فى إهمالنا لتراثنا اتكالاً على نفس هذه الفكرة من ناحية ، وإلى التكبّر على التراث الغربى الأوربى من ناحية أخرى والاقتصار على ثقافتنا العربية الاسلامية باعتبارها ثقافة «منفصلة» أو «معادية» للتراث الانسانى

قضايا ومواقف

الشامل . هذا الخطر الذى يتمثل فى أن نترك المجال خاليا أمام الفكر الغربى يوهم أبناءنا أن الفكر مقصور على أوربا وأن «الحوار العظيم» هو حوار أوربى محض ، رغم أن أسلافنا لم يقصّروا لحظة فى أن يؤثروا فى هذا الحوار ويتأثروا به . فنكون كالدّبة التى قتلت صاحبها فى المثل المشهور

يقول محرر المجموعة مبرّرا عدم قيام الغربيين - فى الوقت الراهن على الأقل - بضم كتب من التراث الشرقى إلى مجموعة أعظم الكتب «إن الوقت لمثل هذا العمل لن يحين إلا بعد أن نفهم نحن أنفسنا تراثنا فهماً جيدا يمكننا من فهم تراث غيرنا» .. وكأنه بذلك يعبر عن موقفنا نحن من فهم الثقافة الغربية ، مع فارق كبير هو أننا ملزمون بأن نقوم بجهد مضاعف فى نفس الوقت بأن نحسن فهم تراثنا وفهم تراث الغرب ، ولاسبيل لنا . إلا أن نقوم بالعملين معا .

تراث اليونان والكتاب المقدس

اعتبر محرر المجموعة وكاتب مقدمتها (روبرت ماينارد هتشينز) تراث اليونان والرومان القدماء قسما أساسيا من التراث الغربى ، فافرد له وحده ١٣ مجلداً تحتوى الكتب العظمى لأربعة وعشرين مؤلفاً - كما اعتبر الكتاب المقدس جزءاً آخر - بل على رأس - هذا التراث كما ذكرنا وهو أمر إن صحّ جغرافيا بالنسبة لليونان والرومان ، فهو بنفس هذا المقياس لايمكن أن ينطبق على الكتاب المقدس الذى يحتوى عقيدة ديانتين سماويتين نشأتا فى الشرق ، ولا تقتصران اعتقادا وانتشارا على أوربا وامريكا .

صحيح أن أعمال اليونان والرومان نشأت فى أوربا ، ولكن الأوربيين أنفسهم نسوا هذا التراث وتخلوا عنه بل اتخذوا منه موقف العداء باعتباره تراث ديانات وثنية سابقة على المسيحية ، وحمله العرب المسلمون عشرة قرون كاملة - لاحمل النقل كما يزعم المستشرقون - بل تناولوه بالترجمة والتمحيص والمراجعة والنقد والاضافة . ولم تعرف أوربا فضله إلا فى عصر نهضتها حين استندت إلى ترجمات العرب لهذه الأعمال فاعادت ترجمتها إلى لغاتها ، ولولا ذلك لاندثر كما اندثرت من قبله حضارة المصريين القدماء .

وصحيح أيضا أن أوربا وامريكا قد «تبنتا» الكتاب المقدس بحيث صار أغلب الأوربيين مسيحيين وأغلب المسيحيين أوربيين ، ولكن نفس هذا الكتاب ظل هو محور ديانة هذا الشرق قبل أوربا ، ومع أوربا ، وأحيانا رغم أنف الطغيان الأوربى قبل أن تدين الامبراطورية الرومانية بالمسيحية . حتى جاء الاسلام بأبلغ كلمة فى هذا «الحوار العظيم» ، فتحولت غالبية أهل هذا الشرق أنفسهم من المسيحية واليهودية الى الاسلام ، سواء منهم أقباط مصر ، ونصارى الشام ، والقبائل الكتابية فى الجزيرة العربية ، ثم أبناء الاناضول والقسطنطينية فيما بعد . بينما ظل العلماء والفقهاء المسلمون يرجعون إلى نفس هذا الكتاب المقدس فى فهم تاريخ أنبيائهم وفى فهم بعض آيات القرآن الكريم حيث يتعذر عليهم فهم تفاصيلها من الكتاب والسنة .

فالكتاب المقدس إذن هو جزء من تراثنا الدينى ، كما أن تراث اليونان هو جزء من تراثنا الفكرى والعلمى - بل لا أغالى إذا

قلت اننا أولى بهما من الاوربيين . ويجب ان ننظر إليهما هذه النظرة ، لانظرة الرفض والاستبعاد باعتبارهما مخالفين لما استقرت عليه عقيدتنا الاسلامية إننا بهذه النظرة الضيقة نقع في نفس الخطا الذي وقعت فيه الحضارة الأوربية المسيحية الأولى عندما الغت تراث اليونان والرومان والفراعنة واعتبرته رجسا من عمل الشيطان .

الترجمة واللغة

مع أن هذه الكتب مطبوعة كلها فى اللغة الانجليزية ، فهى فى غالبيتها مترجمة إلى تلك اللغة من لغات أخرى ثلاثة أرباع هذه المجلدات الواحدة والخمسين منقولة عن اللاتينية واليونانية والفرنسية وعديد من اللغات الأوربية الأخرى ، والربع الباقى - او اقل قليلا (١٢ مجلداً) كتبه مؤلفوه فى اللغة الانجليزية . فهى فى الواقع مجموعة مترجمة فى مجملها - إلا انها فى صورتها الحالية قد دخلت فى تراث اللغة الانجليزية ، وإن كان الأرجح انها قد ترجمت فى عهود سابقة على طبع هذه المجموعة . فليس لمحررى المجموعة فى ذلك سوى فضل الاختيار والجمع والفهرسة والنشر - وهو فضل كبير على كل حال

ويعيدنا هذا إلى قضية الترجمة إلى العربية . واشير فى هذا الصدد إلى ماذكره الأستاذ حسين احمد امين من جناية «محمد على» على الثقافة العربية . إن اكبر جناية له هو انه اهمل ترجمة التراث الغربى إلى اللغة العربية ، واستعاض عنها بإرسال البعوث إلى اوربا - بناء على مشورة اهل مشورته من الأوربيين - فحرم اللغة العربية واهلها من ثمار الفكر الغربى ، واقتصرت الفائدة على بضعة افراد يذهبون إلى اوربا فيتعلمون علومها النافعة - نعم - ولكنهم يعودون مبهورين بعاداتها وانتماءاتها وحضارتها المادية ، فيفيدون قليلا ويضرون كثيرا ثم استمرت هذه السياسة ومازالت مستمرة حتى عهدنا الحاضر

مع انه من البديهى انك اذا ارسلت مبعوثا فقد علّمت فردا واحدا - أما إذا ترجمت كتابا إلى لغتك فقد علّمت به افرادا من أبناء بلدك بعدد نسخ ذلك الكتاب ، واضفت فوق ذلك ثراء جديدا إلى لغتك وتراثك

ان الدعوة التى اسماها الاستاذ حسين احمد امين «اقتراحا» بترجمة كتب التراث الغربى إلى العربية ، ينبغى ان يكون دعوة صارخة مستمرة لكل عالم ومثقف عربى ليعرف لغة اجنبية ان يقوم بترجمة ولو كتاب واحد من هذه الكتب العظمى او غيرها من امهات الكتب ، ولو لم تتح له الامكانيات طباعته او نشره او الاستفادة المادية منه فتكون - على الاقل - زكاة عن علمه يقدمها لأهل لسانه .

واعود الى اللغة التى كتبت بها المجموعة . فالملاحظ ان اغلب هذه الكتب المترجمة مكتوبة بلغة انجليزية قديمة فى الفاظها وصياغتها - اقرب إلى لغة شكسبير منها إلى اللغة التى يكتب بها الانجليز المعاصرون ، إما لأن اغلب هذه الترجمات قديمة نسبيا .. حيث يصل عمر بعضها الى مائتى عام او اكثر ، او لأن المترجم اراد ان تكتسب لغة الكتاب رصانة وجلالا تناسب موضوع الكتاب الأصلى ومؤلفه والعصر الذى كتب فيه .

المهم ان محرر المجموعة لم يحاول «تبسيط او تحديث» اللغة التى كتبت بها هذه الترجمات ولاغيرها من الكتب الانجليزية اصلا ككتب تشوسر وشكسبير وإعلان الاستقلال الأمريكى إلخ مع ان الفرق بين لغة ذلك العصر وبين اللغة الانجليزية الجارية الآن .لا يقل عن الفرق بين لغة غالبية التراث العربى وبين لغة

الكتابة العربية المعاصرة .. فالدعوة إذن إلى «النزول» إلى القارىء . والتي يتخذها بعض المثقفين العرب ذريعة لاهمال التراث العربي اصلا او مبررا للاستعاضة عنه بالمختصرات والمهضومات . مازالت تطرح سؤالا قديما رغم وضوح الاجابة عنه هل «ننزل» إلى مستوى القارىء العادى ام «نرفعه» إلى مستوى الثقافة الراقية فكرا وفهما ولغة ؟ إن فى لغة هذه المجموعة وفى المقدمة التى قدمها بها محررها الاجابة بليغة عن هذا السؤال القديم .

العلوم الطبيعيه وعلاقتها بالثقافه

تتضمن المجموعة عشرة مجلدات تحتوى اعمال واحد وعشرين عالما من علماء الطب والكيمياء والفلك والرياضيات إلخ .. مما اسماه محرر المجموعة «العلوم التجريبية» ـ ابتداء بـ «ابو قراط» وجالينوس .. وانتهاء الى داروين وفرويد . ويشير المحرر فى المقدمة إلى ذلك مؤكدا أن هذه العلوم جزء لا يتجزأ من «الحوار العظيم» بما تثيره من قضايا تتعلق بالمعرفة والحقيقة ، وبما تحمله من تصور للعالم المحيط بنا ، وبما تتميز به من دقة وتمحيص للحقائق ـ مما يجعل الاطلاع عليها جزءاً ضروريا من تكوين المثقف الذى يستحق هذه الصفة .

فمن الأوهام الشائعة فى اوساطنا الثقافية المعاصرة ان هذه العلوم يجب ان تترك قراءتها والاطلاع عليها للمتخصصين فيها ـ مرة بحجة انها لا تهم المثقف العادى ، ومرة بأن جفافها وصرامتها يقفان حائلا دون اطلاع غير المتخصص عليها ، وثالثة بان العلم الحديث قد تخطاها وتركها وراءه ، مما يجعل الاطلاع على ماكتبه القدماء فيها عبثا لا طائل تحته .

وهذه الأقوال كلها مردودة ، اولا بانه مهما كان اطلاع المثقف وإلمامه ـ بل ودراسته ـ للعلوم «الانسانية» كاملة ، فإن معرفته الناقصة بالعالم المحيط به والتصور الذى توصل اليه علماء الانسانية من دراساتهم الطويلة وابحاثهم العميقة لهذا العالم .. ستظل ركنا متهدما من اركان إدراكه لحقائق الوجود ، تماما كما تظل ثقافة الدارس للعلوم الطبيعة ـ دون إلمام بالعلوم الانسانية ـ ناقصة محدودة .

وثانيا لأن الانسان عدو ما يجهل فلو صبر القارىء قليلا على قراءة بعض هذه العلوم الطبيعية ، لتكسرت امامه القشرة الجافة التى تغلفها ، ولتفتحت امامه منها عوالم جديدة من معانى الجمال والعدل والحب .

وثالثا لأن تيار الفكر الانسانى فى جميع مجالاته لا يتوقف . فلو اقتصرت معارفنا منها على اخر كلمة دون الرجوع الى الأصول التى استمدت منها هذه الكلمة ، تكون كالشجرة المقتلعة من جذورها ـ لا علاقة لها بالماضى ولا امل لها فى المستقبل . وينطبق هذا على العلوم الانسانية كما ينطبق على العلوم الطبيعية سواء بسواء .

ولو اقتصرت معرفة كل مثقف على المجال الذى يتخصص فيه او يعرفه او يستسيغه فحسب ـ لتحول المجتمع الانسانى ـ بل هو مهدد فعلا بان يتحول ـ الى مجموعة من الجزر المنفصلة المتنافرة ، ينكب كل واحد منها على مجال ضيق يهتم به او يتعيش منه : مهندس لايعرف اللغة ، وطبيب لايهضم التاريخ ، واديب لا يسيغ الرياضيات ، واقتصادى لايحب الفلسفة وهلم جرا ولا ننفى المعنى

الاجتماعي للثقافة باعتبارها رابطة تجمع بين الناس فكريا ونفسيا وروحيا .

وليست هذه الفكرة ابتداعا من عندنا ولا من عند محرر المجموعة ، فقد كان العلم عند اسلافنا المفكرين العرب والمسلمين بحراً محيطاً لاينفصل جزء منه عن جزء ، واقرب مثال هو الأزهر الشريف في عصره الذهبي ، حيث كان الطلبة يجلسون الى اساتذة يعلمونهم الفلك والرياضيات والطب ، جنبا الى جنب مع اساتذة الفقة واللغة والأدب .

لذلك فإن من واجب من يتصدى لنشر مجموعة امهات الكتب العربية ، الذى اقترحه الأستاذ حسين احمد امين ، ان ينشر امهات الكتب العربية في العلوم الطبيعية ، وهو جانب قد اهمله دارسو التراث العربى حتى الآن إهمالا كبيرا لا اعرف في نطاق معرفتى المتواضعة ـ من هذه المؤلفات كتبا منشورة بين ايدى القراء سوى القانون لابن سينا ونصف كتاب المناظر للحسن بن الهيثم ، وعسى ان يدلنى اهل الخير على غيرهما إن كنت مخطئا .

اما الخوارزمى وجابر بن حيان والأدريسى وغيرهم ـ فمازالت مؤلفاتهم مجهولة لدى القارىء العربى ـ اسماء نسمع بها ولاثراها ، نعرف عنها ولا نعرفها . ويقال إن اصول هذه الكتب مازالت اسيرة عند المستشرقين في دهاليز مكتبات اوربا وامريكا ، هي وترجمات العرب لاثار اليونان من بين ما نهبته الغزوة الأوربية من تراث الشرق ـ الى جانب ما نهبته من ثرواته المادية والبشرية ، تنتظر من يهتم بها من اهلها وينقب عنها ويستخرجها .

دعوة إلى العمل

وحتى لا تتحول الدعوة التى سمّاها الأستاذ حسين «اقتراحا» إلى صرخة في واد او اذان في مالطة ، ارى ان تتشكل لجنة اهلية من العلماء والمثقفين المتطوعين ذوى الانتماءات الفكرية المختلفة ، تحمل امانة هذه الدعوة بجناحيها معا اختيار ونشر امهات الكتب العربية ، وترجمة ونشر امهات الكتب الغربية .

على ان تكون اللجنة اهلية لاصلة لها بالحكومة (اى حكومة) حتى لاتقع في براثن البيروقراطية الثقافية الكفيلة وحدها بقتل اى مشروع ثقافى جاد (سؤال اين مشروع طه حسين للالف كتاب ، وكم كتابا من امهات الكتب نشر ، بل كم كتابا نشر اصلا من الألف المزعومة ؟)

وان يقوم عمل اللجنة على التطوع ، حتى لايضيع جهدها في البحث عن المكافأة والاستمارة وبدل حضور الجلسات إلخ .. بل تتفرغ للجهد المخلص ابتغاء وجه الله والعلم والثقافة . (سؤال آخر اين خدمات جمعية الهلال الأحمر الأهلية القديمة القائمة على المتطوعين ـ مقارنة بخدماتها الحالية بعد ان تحولت الى مصلحة حكومية تعج بالمحترفين »

ان عبء العمل الاساسي في مجموعة الكتب العظمى التى نتحدث عنها قد قام على اكتاف جماعة بدات صغيرة من العلماء ، دعمتها بعد ذلك اشتراكات من الافراد والهيئات لا علاقة لها بالحكومة او الهيئات الثقافية الرسمية وليس عيبا ان نتعلم من غيرنا ـ بل العيب الا نتعلم .

هناك نظرية تقول ان النوع الانسانى في سبيله الى الانقسام الى فصيلتين فصيلة من يقراون وفصيلة من لا يقراون . اما نحن ، فإن ابناءنا مهددون بان ينقسم جيلهم والأجيال التالية له إلى قلة قليلة يقرأون الثقافة الغربية وحدها ـ في لغتها الاجنبية وحدها ـ وكثرة كاثرة من الذين لايقرأون شيئا على الاطلاق وهو مصير مظلم وخطر داهم يوشك ان يلتهم ابناءنا وأبناءهم من بعدهم . إلا ان تتداركهم رحمة من الله وجهد مخلص من آبائهم .

مذكرات سعد زغلول ومدرسة الافتراء

بقلم: د. عبد العظيم رمضان

فكرت طويلا في عدم الرد على المقال الذي نشر بالهلال في عدد مارس ١٩٨٧ لاحد الباحثين تحت عنوان « الحقائق الغائبة في نشر مذكرات سعد زغلول » لسببين: الاول، هبوط مستوى المقال الى ما دون مستوى المناقشة، والثاني انعدام الندية والكفاءة - كما سوف اوضح - ثم فكرت مرة اخرى في ان احترامي لقراء « الهلال » الذين يمثلون - بفضل المستوى الرفيع الذي عرفت به المجلة - صفوة اهل العلم والفكر، يتطلب مني الا ادعهم في موضع الحيرة بالنسبة لما اثاره الكاتب في مقاله، فليس على ان افترض اقتناءهم لنسخة من مذكرات سعد زغلول، التي كان لي شرف تحقيقها لمعرفة الحقيقة من الافتراء. ومن هنا فان ما اكتبه في هذا التوضيح ليس موجها بحال للكاتب المذكور، وانما هو موجه اولا واخيرا لقراء «الهلال»

وفي الحقيقة انه منذ أسندت الى هيئة الكتاب، في عهد رئيسها المرحوم الشاعر صلاح عبد الصبور، مهمة تحقيق مذكرات سعد زغلول،

ومنذ أن اخذت في فحص الاتهامات والافتراءات الموجهة ضده، سواء من قبل الكاتب المذكور في رسالته للماجستير، او من قبل مدرسة

الحزب الوطنى التى كانت تناصب سعد زغلول العداء ـ كنت على يقين من اننى سوف أنال نصيبى من الافتراء كما نال سعد زغلول على أنى لم أتصور أبدا ان يتجاوز هذا الافتراء مداه الى حد الطعن والتجريح الشخصى !. فقد تعودنا فى حياتنا العلمية الجامعية على الخلاف فى الرأى والنقد العلمى ، الذى قد يختلف لينا أو شدة ، ولكننا لم نتعود أبدا على النزول الى مستوى التجريح الشخصى ولم يقبل احدنا لكرامته ان يمس كرامة زميله بأى نوع من المساس ، ناهيك عن التطاول على من هو اعلى درجة ووظيفة علمية.

وعندما اختلفت مع الكاتب فى تقييم مسلك سعد زغلول فى اثناء توليه نظارة المعارف ، ورأيت أن هذا المسلك كان مسلكا وطنيا اصيلا ، فى الوقت الذى رآه الكاتب غير ذلك ، بل وكتب بالحرف الواحد يصفه بأنه « لم يكن الطريق الذى يسلكه ناظر وطنى يريد ان يعمل وفقا لمصالح مواطنيه » ـ كان هذا الاختلاف فى الرأى يدخل فى اطار المشروع من الاختلاف فى الرأى ، بل يدخل فى اطار المشروع من الخلاف ولذلك لم استخدم غير الدليل والوثيقة لتفنيد رأيه ، واثبات رأيى ، دون أن استخدم أى لفظ جارح لشخصه ، او افتريت عليه بما لم يقله . ومن ثم فقد التزمت بالمنهج العلمى السليم فى الجدل العلمى ، ليس فقط احتراما لشخصه ، وانما احتراما لنفسى أيضا . وانا اتحدى من يبرز لى اى لفظ ناب وجهته



سعد زغلول
مذكراته اثارت جدلا كبيرا

اليه فى تقديمى للمذكرات !

وحتى عندما وضعت الدراسة التى نال بها الكاتب درجة الماجستير، فى اطارها التاريخى ـ وهو اطار الخصومة الشديدة التى نشبت بين الثورة والوفد ، وتحدثت عن سلسلة الكتب الجامعية عن ثورة ٢٣ يوليو، التى زيفت تاريخ مصر فى فترة ماقبل الثورة ، وشوهت صورة الوفد وزعمائه ـ لم اذكر ابدا ان الكاتب او استاذه الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى قد قاما بتدريس هذه المواد، أو خطا حرفا فى هذا المجال ، وانما فندت الاساس الذى قام عليه تشويه تاريخ الزعيم سعد زغلول فى رسالة الماجستير المذكورة ـ وهو « مقاومة عبادة البطولة » ـ على اساس ان مقاومة عبادة البطولة لا تكون بالافتراء على الزعماء على حساب الحقائق التاريخية ، وانما تكون

بالحقائق التاريخية ـ وهذا أمر بديهى كما هو واضح ـ ومن ثم فاذا جاء من يشوه صورة الزعماء بطريق الافتراء فانه يكون قد اقام هذا التشويه على اساس غير علمى ، ويكون ـ فى هذه الحالة ـ قد انساق وراء الدراسات التاريخية التى شوهت تاريخ زعماء الحقبة السابقة على ثورة يوليو

على انى لم اكتف بكلام يساق فى الهواء ، وانما تتبعت الافتراءات التى ساقها الكاتب فى رسالته للماجستير ضد سعد زغلول ، وبينت وجه الحقيقة فيها بكل ما وسعني من التزام بقواعد المناقشة العلمية السليمة ، دون اى طعن فى الكاتب او تجريح له من اى نوع وكان سلاحى الوثيقة وحدها .

ولعلى فيما تحدثت به عن خصومة ثورة يوليو للوفد ، لم اتجاوز الحقيقة التاريخية التى هى معروفة لا تحتاج الى تدليل . على ان البعض ـ فيما يبدو ـ فهم أننى ذكرت ان ثورة يوليو قد حاربت مذكرات سعد زغلول . ولم يكن لمثلى ان يقول هذا القول ، لان ثورة يوليو هى ـ فى الحقيقة ـ صاحبة الفضل فى صون مذكرات سعد زغلول ، وحمايتها ، ونقلها من الملكية الخاصة الى الملكية العامة ، واتاحة الفرصة للباحثين للاطلاع عليها ، واتاحة الفرصة لى فيما بعد لتحقيق هذه المذكرات . وهذا ما اثبته فى تقديمى للمذكرات فى الصفحات من ٣٦ الى ٣٩ .

على انه لما كان كل بحث يشكل مراجعة على ما سبقه من بحوث فقد كان على ان افحص نتيجة دراسة الكاتب لمذكرات سعد زغلول. ولم يكن بد من ان اكتشف خطاه فى بدايات ونهايات الفترة التاريخية التى أوردها فى كتابه عن الكراسات ، لاعتماده على البطاقات الملصقة بالكراسات دون الفحص الفعلى ، وهذا الخطأ يشمل نحو نصف الكراسات تقريبا ، اذ يشمل ٢٥ كراسة من ٥٣ كراسة ، وقد اوردت ارقام هذه الكراسات فى تقديمى للمذكرات (ص ٣٦)، ويمكن للقارىء المقارنة بين الجدول الذى قدمه الكاتب والجدول الذى الحقته بالجزء الاول من مذكرات سعد زغلول.

ولكننى لم اوجه اليه نقدا أو لوما أو تجريحا ، ذلك اننى اعلم أن عمله لم يكن تحقيق مذكرات سعد زغلول، وانما تقديم دراسة عن سعد زغلول يستخدم فيها مذكرات سعد زغلول كاحد مصادر دراسته وليست كل المصادر وبطبيعة الحال فلم يكن لى اخفاء هذه الاخطاء التى ارتكبها لان هذا يناقى المنهج العلمى ، ولان كل باحث عليه ان يعلم تمام العلم ان عمله العلمى ليس منزها عن الخطأ ، ومن الضرورى أن يرحب بكل نقد يوجه اليه . باعتباره استكمالا لعمله العلمى .

ولعلى كنت اول باحث نقد بنفسه عملا علميا له ، واثبت ذلك فى دراسة لاحقة !. فحين تبينت ان طلعت حرب لم يكن صاحب فكرة انشاء بنك مصر ـ كما اثبت فى دراستى عن « تطور الحركة الوطنية ١٩١٨ ـ

١٩٣٦ » ـ كتبت دراسة اخرى فى مجلة «الكاتب » اعترفت فيها بخطئى ! ، تحت عنوان : « نصف قرن من كفاح البورجوازية المصرية لانشاء « بنك مصر » . بل اننى حين اعدت طبع كتابى « تطور الحركة الوطنية » السالف الذكر ، وقمت بتصحيح هذا الخطأ فى الطبعة الثانية ، اصررت على الاعتراف بخطئى الاول فى تقديمى للطبعة الثانية !، رغم عدم الحاجة الى ذلك.

لكل ذلك كان اولى بالكاتب اتباع التقاليد الجامعية،واللجوء الى المناقشة العلمية ، ومقارعة الوثيقة بالوثيقة والحجة بالحجة، على نحو ما يفعل العلماءالذين يحترمون علميتهم،بدلا من كمية الافتراءات والسباب التى ساقها فى مقاله ، والتى من شانها أن تسىء الى صورته الجامعية التى يجب ان يتوفر لها الوقار والاحترام.

فمما يثير الحزن ان يعتمد الكاتب على الظن ـ لا اليقين ـ فى توجيه اتهامه لى ، فيقول بالحرف الواحد : « واغلب الظن » ان دورى (فى تحقيق المذكرات) اقتصر على توجيههم « يقصد باحثى مركز تاريخ ووثائق مصر المعاصر » نحو تحقيق واقعة او جمع مادة أو ترجمة لشخصية او تصحيح لقراءة كلمة أو عبارة وما الى ذلك » ، واننى بذلك « وضعت اسمى على الجهد المضنى الذى بذله غيرى » .

وقد كان فى وسع الكاتب ـ بدلا من الاعتماد على هذا الظن ـ ان يقرأ تقديمى للمذكرات فى هذا الصدد ليعرف دور كل باحث كما سجلته فى علمهم ووجودهم ، فاذا شاء التأكد ، كان له ان يتحقق عن طريق سؤال هؤلاء الباحثين ، وهم احياء يرزقون ! . وهذا هو المنهج العلمى.

ترى لو انى رفعت هذا القذف الى القضاء ، وشهد الباحثون بما يخالف « ظنه » هل يقلع عن الافتراء على الاحياء ، ويحترم المنهج العلمى فى الحوار ؟ . ولكن ليطمئن ، لانى لن اقدم على ذلك ، فحتى الحوار امام محاكم القذف يتطلب حدا ادنى من الندية والكفاءة ، وهذا القدر غير موجود فى حالتنا هذه كما سوف اوضح !.

على ان الكاتب يفترى على الاموات ايضا ، فيتهم العقد ، الذى ابرم بينى وبين الشاعر صلاح عبد الصبور كرئيس لهيئة الكتاب ، بتحقيق مذكرات سعد زغلول بانه عقد « مشبوه » (هكذا !) . اما السبب الذى يسوقه الكاتب لوصف العقد بانه عقد « مشبوه » ، فهو اشتراطى اختيار باحثين معينين دون غيرهم !، ويقول ان « تلك قصة اخرى جديرة بالتأمل والفحص والمساءلة » ! ..

وينسى الكاتب ان مثل هذا الشرط غير موجود فى العقد ، ولم اكن فى حاجة لاثبات مثل هذه البديهية فى العقد ، لسبب بسيط هو انه من حق أى مشرف أن ينتخب مجموعة البحث التى تعمل تحت اشرافه ممن يثق فى كفاءتهم وجديتهم ، فلا يفرض عليه أى باحث لا يثق فيه تحت أى سبب. فاشتراطى انتخاب مجموعة البحث هو تأكيد لحق ، وليس حصولا على ميزة لا يتمتع بها مشرف اخر . ولكن

الكاتب هنا يسعى أيضا الى القاء الشبهات على مجموعة الباحثين الذى عملوا فى قراءة مذكرات سعد زغلول بادخالهم فى العقد «المشبوه»!.

ومن الغريب ـ الذى يصور الحالة العلمية للكاتب ! ـ انه كان يتصور اننى لكى أصدر المذكرات بعبارة سعد زغلول التى يقول فيها : « ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات» ، « يجب ان اكملها بعبارة» « ومن حكمهم على تمكين القمار من نفسى ورسو أصوله فى قلبى » ! ـ كان الغرض من الاستشهاد هو اثبات لعب سعد زغلول القمار ؟ وليس اثبات ان ما سجله فى مذكراته يتيح لخصومه طعنه والتشهير به ، وانه كان من الشجاعة ـ مع ذلك ـ بحيث ابقى المذكرات على حالها ولم يحذف منها حرفا ؟ . فهل هناك تناقض بين الشيئين كما هو الحال فى التناقض بين اقتراب المسلم من الصلاة وهو فى حالة سكر ؟ ـ وهو المثل الذى ضربه ـ وليس لعب القمار مجرد انموذج لوقائع اوردها سعد زغلول فى مذكراته تدينه فى نظر كثيرين ؟ . فلا يستطيع الكاتب أن يفهم هذه البديهيات ؟ .

ولكن الكاتب يسوق وابلا من السباب الذى يسىء اليه اكثر مما يسىء الى ، فبدلا من استخدام الوثيقة فى الدفاع عن نفسه ، يكتفى بالقول باننى كنت « ابعد ما اكون عن الامانة والموضوعية العلمية » ! واننى رحت « اجتزىء من غير فهم »! ويبلغ به الغضب حد القول باننى « بمسلكى هذا شكلت مع من هم على شاكلتى نمطا فريدا ممن ادركوا الجامعة من بوابها الخلفية فاتلفوا بذلك العلم والجامعة والمجتمع وراحوا ينسبون الفساد الى غيرهم . واحالوا العلم والجامعة الى «بوتيكات» جديدة ! (هكذا !) . بل يرى الكاتب ان « معظم اعمالى العلمية لا ترقى الى مستوى النقد العلمى ، لانها تخرج فى نظره عن نطاق الدراسات التاريخية لتقرب من التحقيقات الصحفية غير الجيدة ! ، لا أتحرى فيها اية دقة علمية او موضوعية منهجية أو اعتمد على مصادر علمية موثوقة أو غير ذلك (هكذا !) .

وهكذا يصل الكاتب الى قمة الجرأة ، لان نقده اعمالى العلمية على هذا النحو يوحى «للقارىء» بأن له انتاجا علميا أكثر جودة ، ولكن «القارىء» سوف يدهش اذا عرف ان الكاتب أراح نفسه كلية من متاعب البحث العلمى ! ، بمعنى انه ليس له كتب معروفة سوى رسالتيه للماجستير والدكتوراه ، وكتيب صغير عن «الصحافة القطرية» ألفه مع زميل له !، وهو كتيب مجهول ، وقد ترجم ثلاثة كتب مما لا يدخل فى اطار الانتاج العلمى الذى يبيح لصاحبه التقدم للترقية ، لان العبرة فى الترقية فى الجامعة هى المؤلفات العلمية التى تقدم العلم الى الامام ، وليس ترجمة اعمال الغير !.

بل يدهش «القارىء» اذا عرف ان الكاتب قد عجز ـ حتى هذه اللحظة ـ عن التقدم لجامعته بانتاج علمى يتيح له الترقية الى وظيفة استاذ ، رغم مرور تسع سنوات على شغله وظيفة

« استاذ مساعد » ، التى شغلها منذ عام ١٩٧٨ ، مما لم يسبق له مثيل ولكنه – مع ذلك – يتجرأ فيتطاول على استاذ ورئيس سابق لقسم التاريخ ، وعميد سابق لكلية التربية فينقد انتاجه العلمى ، ويقلب الامور رأسا على عقب ، لان الاستاذ هو الذى ينقد انتاج الاستاذ المساعد ولا يحدث العكس ! •

وهنا من حق القارىء – الذى اوجه له هذا الكلام احتراما – ان يعرف لماذا ناقشت ما كتبه الكاتب فى رسالته عن سعد زغلول ، التى نال بها درجة الماجستير ؟ لقد كان هذا النقاش احتراما لكلية الاداب التى نوقشت فيها هذه الرسالة ولجامعة عين شمس ، ولم يكن لاهمية الرسالة التى غمرها النسيان لقد تعلمنا فى البحث العلمى – كما ذكرت – ان اى بحث يمثل مراجعة على ما سبقه من بحوث ، فاما ان يختلف معها ، ويناقشها علميا بالتالى ، واما ان يقبل ما فيها ، وفى هذه الحالة لا يتعرض لها • ومن هنا فلو اننى تجاوزت تلك الرسالة ، حتى ولو كان قد طواها النسيان ، لكان معنى ذلك اننى اقبل ما فيها من احكام ضد سعد زغلول لا يوجد ما يسندها من حقيقة •

ولان اهتمامى كان منصبا على الرسالة دون الكاتب ، ولانه كان على – فى الوقت نفسه – ان اشير الى اسمه ولاننى اشفقت عليه مما قد يتعرض له من سقوط هيبة فى نظر تلاميذه ، حين يقرأون ما وقع فيه من اخطاء ، ولانه لم ينتج انتاجا علميا يضفى شهرة ما على اسمه – فلذلك تجاوزت عن لقبه اكتفاء باسميه الاولين ، وفى اقتناعى ان ذلك لن يؤثر فى قليل او كثير على القارىء اذ يتساوى لديه اسم الكاتب باللقب او بدونه ! وكان املى ان يكون هذا محل تقدير الكاتب ، ويفهم رغبتى فى حمايته ، ولكنى فوجئت بأنه يشير الى باسمى الاولين ! وهو امر يثير السخرية والضحك حقا ! ، اذ ليس له ما يبرره الا التقليد الاعمى ! •
فليس فى اعمالى العلمية ما اخجل منه ، وعلى العكس من ذلك فهى مما يشرفنى كل الشرف ، وهى اعمال تزيد على ثمانية عشر كتابا علميا ، فضلا عن عشرات البحوث والدراسات وهى معروفة فى جامعات اوربا وامريكا ، ويعقد حولها الندوات ، كما ان اسمى مدون فى بعض الموسوعات العالمية التى تعرف بابرز الشخصيات فى العالم العربى •
ومن هنا فسواء اشار الى الكاتب باسمى الاولين او باسمى الاخير ، او بجميع ما املك من اسماء ، فكلها تشرفت باعمالى العلمية ، التى امل ان يصل الكاتب الى درجة النضج العلمى التى تتيح له قراءتها قراءة متانية ، والاستفادة مما بها ، مما قد يساعده – فى المستقبل القريب أو البعيد – على التقدم للجامعة بانتاج علمى يبيح له الترقية الى وظيفة « استاذ » ، وقد يكون لى حظ الاشتراك فى فحص هذا الانتاج ! •

جائزة سيئة السمعة

جائزة .. أم فضيحة عالمية ؟!

بقلم : عبدالله هاشم

معروف عن جائزة نوبل للاداب انها جائزة ليست فوق مستوى الشبهات وهذا ليس رأينا بل رأى كثيرين من الكتاب الاوربيين الذين رفضوها وادانوها ، ولا اقول ان جميع من حصلوا عليها غير جديرين بالتقدير ولكن القليل جدا منهم هو الجدير بالتقدير وهذا ذكاء من الاكاديمية السويدية بأنها فى فترات متباعدة تحاول ان ترضى او بالاحرى ان تبعد عن نفسها التمييز العنصرى والجغرافى والحضارى وترضى بعضا من المغضوب عليهم او قليلى الحضارة او المتخلفين وتعطى لبعض من ادبائهم الجائزة ، وحتى فى هذا تقع فى المحظور ولا تبعد عن نفسها الشبهات .

ولعل اكبر دليل على ذلك منحها هذا العام لـ « وول سوينكا » الاديب النيجيرى الذى تعلم وعاش اغلب حياته فى انجلترا ويحتقر كل ما هو افريقى والذى كافح وأيد انفصال اقليم بيافرا عن نيجيريا الوطن الام ، لان الذى حضرته وربته الثقافة الاوربية هو الجدير بهذه الجائزة .. ان تجاهل جميع الادباء العرب الذين يعيشون فى افريقيا واعطاءها لاديب لا يرقى مستوى انتاجه وابداعه الادبى الى أى أديب عربى أمر له دلالته بل استطيع ان اقول ان اعمال نجيب محفوظ الروائية وتوفيق الحكيم المسرحية ويوسف ادريس القصصية تفوق أعمال هذا الاديب بمراحل كبيرة واحيل القارىء كنموذج لاعماله مسرحيته « الطريق » والتى صدرت عن وزارة الاعلام الكويتية وروايته « المفسرون » التى صدرت عن روايات الهلال « فبراير ١٩٨٧ » لاقدر على الاجابة .. بل ان رواية « المفسرون » تم وتشهير بالنيجيريين من مثقفين وافراد شعب وحكام بل بنيجيريا ذاتها وتخلفها ولن يخرجها من هذا التخلف سوى اتباعها طريق الاوربيين



تشيكوف



توفيق الحكيم



ليوتولستوى

فى حياتها بتركها تراثها ومعتقداتها بل ودينها الذى تدين به الاغلبيـــة الكبيرة من شعبها والدليل على هذا هو رواية « الجائزة » (١) ·· التى كتبها الكاتب الامريكى ارفنج والاس» وفضح بها المحكمين الذين يمنحونها·

● تصرفات صبيانية ●

وعن الرواية يقول التقديم الذى قدمت به للترجمة العربية لجنة كتب جوائز عالمية ·· (٢) « وكل المعلومات والاوصاف والاحـــداث التى وقعت للفائزين الحقيقيين بجوائز نوبل فى الخمسين سنة الماضية صحيحة مائة فى المائة ، وقد رجـــع المؤلف الى عشرات الكتب ، ومئات الوثـــائق وتحقق منها بنفسه ·· وقد قـــابل المؤلف عددا كبيرا من الفـــائزين بجوائز نوبل وسألهم عن حـــوادث معينة وعن تفصيلات عامة قـــابل اينشتين وميليكان وبيرل بك واندست وغيـــــرهم ··· ووقف على ادق التفاصيل بنفســـه ·· ثم وصف كل التصرفات الصبيانية التى يقوم بها اعضاء لجان التحـــكيم ·· ووصف التيارات السياسية والعنصرية وراء هذا كله ، وانتهى الى ان جائزة نوبل هذه فضيحة عالمية ·· هل تتصور ان دول اسكندناوة التى هى الســـويد والنرويج والدنمارك تفوز باحـــدى وثلاثين جائزة ، مع اننا لا نعـــرف احدا من كل هـــؤلاء الفائزين ··

هل تتصور ان جائزة نوبل لا يعطونها للـــروس (٣) ·· لا تولســـتوى ولا تشيخوف ·· حتى العالم الـــكبير بافلوف قد ترددوا فى اعطائها له الا بعد اربع سنوات ·· والرجل الروسى الذى اخترع اللاسلكى قبل ماركونى لم يمنحوه هذه الجائزة وتولســتوى لم يفز بالجائزة مع ان اســمه ظل معروفا لسنوات طويلة ، وربمـا كان

---

(١) الجائزة ـ ارفنـــج والاس ـ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥

(٢) ص ١٢ ، ١٣

(٣) الرواية كتبت قبل أن يأخذها شولوخوف عن نهر الدون الهـادىء وبعض الكتاب المنشـــقين بوريس باسترناك وغيرهم ·

جائزة .. أم فضيحة عالمية ؟!

السبب هو انه مشهور اكثر مما يجب ..

● دفاع عن الجائزه ●

والذى اثار هذا الانفعال بالنسبة لى هو ما كتبه الدكتور الطاهر احمد مكى فى مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٨٧ تحت عنوان « أوهام عربية حول جائزة نوبل » فهو يدافع عن هذه الجائزة وعن الاكاديمية السويديه وعن المحكمين دفاعا غريبا . فلجنة نوبل لا يأتيها الباطل من فوقها او تحتها فى لجنة مثقفة متحضرة لشعب متحضر مثقف لايهمها سوى العمل المجيد ولا يهمها جنسية الكاتب فهى مع الديمقراطية ضد الدكتاتورية وتحت بند ان كلمته هى الفيصل وان من يخالفه غير موضوعى يقول حتى الان فيما ارى لم يحاول احد أن يدرس الامر موضوعيا او يلقى على القضية بصيصا من الضوء بعيدا عن التشنج والانفعال او يوضح لنا بعضا من الاراء التى تفسر لنا الواقع علميا بعيدا عن التبرير العاطفى وهو لا يثبت أمام أى تفكير سليم » أى ان الرأى المعارض للدكتور سيفسر على أنه رأى انفعالى وغير موضوعى .. والمقال طويل نوعا ما - ويستطيع المتابع للقضية أن يقرأه فى مجلة الهلال .. (٤) . ولكنى سأختار نقطتين من مقال الدكتور واناقشهما . الاولى عن تحليله الموضوعى عن عدم فوز أى كاتب عربى بجائزة نوبل . سأنقل كلامه الموضوعى بالحرف الواحد يقول (٥) « ذات يوم ادرك توفيق الحكيم بحسه الذكى هذا الواقع وعرض على الحكومة أن ترسله الى باريس ليقدم نفسه للعالم الادبى وعين فى اليونسكو فعلا ، ورغم انه كان يقبض راتبا ضخما لم يفارقه بخله لحظة فما اقام صلة بأديب ولا تعرف على احد وعاد كما ذهب وكان والحق - اخر من يصلح سفيرا اجتماعيا او ثقافيا ». يا للحسرة لقد ضيع توفيق الحكيم ببخله على نفسه وعلى العرب جائزة نوبل للادب ..

ووجهة نظر الدكتور فى هذا ان الاديب الذى يريد أن يحصل على الجائزة عليه بالاتصالات واقامة حفلات التعارف والاتصال بالمحكمين وعرض واهداء أعماله لهم .. النقطة الثانية هى أن نترجم ادبنا العربى فى طبعات شعبية للدول الاوربية لان ترجمات المستشرقين مغرضة وتطبع فى طبعات خاصة وضرب مثلا بترجمة « الايام » لطه حسين التى ترجمها المستشرق الاسبانى غرسيه غومث مدير المعهد الاسبانى العربى واستاذ اللغة العربية فى جامعة مدريد ومستشار الشئون العربية فى وزارة الخارجية طبع الكتاب فى ترجمته الف نسخة فقط هل لم تصل نسخة الى لجنة تدعى انها تحكم وتعطى جائزة للاداب العالمية أو تطلع على ترجمات توفيق الحكيم للفرنسية والانجليزية .. أو ماذا يقول الدكتور عن وصول اعمال يوسف ادريس الى اللجنة بل أن يوسف ادريس قد وصل اسمه فى السنوات الاخيرة الى ان يكون من عشرة اشخاص رشحوا لهذه الجائزة واعطوها لكاتب - وول

---

(٤) الهلال فبراير ١٩٨٧ من صفحة ١٠ الى صفحة ١٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .

سوينكا ــ أقل منه موهبة وتجاهلوا الادب العربى كله ــ لغرض لا يخفى على احد ــ **كاتب مشكوك فى انتمائه لبلده وافريقيته .. ثم تقول موضوعية وشهرة وطباعة شعبية وترجمة وعدم معرفة بالادب العربى ..**

الموضوع اكبر من هذا ولا يبرره رأيك الذى تقول فيه « (٦) واذا كان هذا هو حال طه حسين فى اشهر كتاب له وفى ترجمة يقوم بها غرسيه غومث فما بالك بأنصاف الادباء والمتشاعرين ومن يكتبون أدبا فى طعم « الخللات » ومع ذلك يتحدثون عن عالمية أدبهم الذى ترجم الى العديد من اللغات ، ولكن ذلك لا يعنى أن الادب العربى المعاصر خال من شوامخ تعدل وحتى تفوق بعض من حصلوا على الجائزة ، فما يكتبه نجيب محفوظ فى الطورين الثانى والثالث من ابداعه وشعر نزار قبانى قبل أن يتحول الى خطيب سياسى صارخ وممل فى شعره الحر ، وغادة السمان فى الكثير من قصصها جدير بأن يترجم ، وسيجد القارىء والعجيب وليس بالطريقة التى تتم بها ترجمة ادبنا الان » .. ولم يدلنا الدكتور على الطريقة التى يجب أن يترجم بها ادبنا الان .. كما انه تجاهل كتابا جيدين ترجمت أعمالهم فعلا الى اللغات الاجنبية كيوسف ادريس ، جمال الغيطانى فى الزينى بركات التى ترجمت الى الفرنسية « طبعة شعبية » عن دار لوسوى اكبر دار نشر أوربية أو اعمال مجيد طوبيا ويوسف القعيد ... وغيرهم كثير ، ومن الجزائر ، المغرب ، سوريا ، العراق، .. الا اذا اعتبرهم بموضوعيته ــ بأن ادبهم فى طعم « الخللات » .

ربما اكون قد انفعلت فى كلمتى هذه امام موضوعية الدكتور ، ولكن علينا ان نتجاهل هذه الجائزة ولا نحتفى كما نفعل الان بمن فاز بها او لم يفز فانها فى النهاية لا تستحق كل هذا لان الادباء العظماء الذين لم يحصلوا عليها ما قللت من قيمة ابداعهم وشموخهم الادبى ومن حصلوا عليها من يذكر منهم يعد على اصابع اليد الواحدة .. وخير دليل على كلامى هذا المقدمة التى قدمتها لجنة كتب جوائز عالمية عن رواية « الجائزة » لارفنج والاس«(٧) فقد شاء المؤلف ان يكون فاضحا لما يجرى امام ووراء الابواب النحاسية لهذه الاكاديمية التى لها كل صفات المعابد ولكل هيئة التحكيم فيها صفات الكهنوت فوراء هذه الابواب العالمية روائح البخور وطقوس الزار ، وصليل السلاسل ودوى الاجراس ومسوح الكرادلة ، والحقيقة شىء اخر ، فلا ايديهم ثابتة ولا مقاييسهم متزنة ، ولا عيونهم ستة على ستة ،ولا الفائزون من اعظم الادباء واعمق المفكرين .. فهذا غارق فى الخمر ، وهذا غارق فى الخيانة الزوجية ، وهذا يتجسس على ذاك .. والذين يحكمون على الاديب الفلانى بأنه اعظم المفكرين لا يعرفون شيئا من الفكر العالمى . ولا يعرفون لماذا لم يفز تولستوى ولماذا لم يفز فرويد . فهم لا يعرفون ولا يعنيهم أن يعرفوا . فلا هى جائزة ما بعدها جائزة .. ولا شرف ما بعده ولا قبله شرف .. فالذين لم يفوزوا بها يجب أن يهنئوا انفسهم والذين فازوا بها كثير ما اعتذروا امام لجنة التحكيم وامام ملك السويد عن انهم فازوا ..

---

(٦) المرجع نفسه صفحة ١٧

(٧) الجائزة ــ الدار القومية للطباعة للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، صفحة ٧٥ .

قصة قصيرة

مانوق.. فى الحىّ الشرقى

بقلم : فتحى رزق

- ١ -

فى أيام الحرب القاسية .. تعودت الخروج مبكرا من المخبأ ، لأذهب لبائع الشاى فى الحى الشرقى من الاسماعيلية وهو رجل كان يقضى الليل فى ضواحى المدينة ويعود فى ساعات الصباح الأولى ليصنع الشاى للعدد القليل الباقى من سكان الحى ، وعمال الحدائق الذين كانوا لا يزالون يؤدون عملهم فى حدائق المدينة

أشعر بالأسف عندما لا أجده .. لأنه يوفر على مشقة البحث عن طعام الافطار .. فهو يقدم لنا الشاى والخبز الافرنجى ، ولم يكن العجوز يتخلف عن الحضور مهما كانت الظروف ، خشيت أن يكون قد أصيب خلال المعارك الليلية ، فقد قامت قواتنا فى منتصف الليل بعملية عبور الى الضفة الشرقية ودمرت موقع العدو الكبير الذى اقامه على لسان بحيرة التمساح ، وكانت مهمة هذا الموقع مع الدشم الأخرى المساعدة له توجيه نيران المدافع والصواريخ الى الشوارع والمنازل الآمنة فى مدينة الاسماعيلية ، وقضينا طوال ساعات الليل ونحن نتابع عملية العبور .

كنت أعيش فى أحداث معارك الليل عندما ذهبت الى شارع نيجريللى القديم أبحث

هذه القصة آخر ماأبدعه الأديب الراحل فتحى رزق تلقتها الهلال لنشرها قبل وفاته مباشرة. وفتحى رزق له عديد من المؤلفات من بينها « رباعية سيناء ، جسر على القناة . ثلاثية الحب والحرب وتحت الطبع » طيور على بحيرة التمساح» مجموعة قصصية



عن بائع الطعام الوحيد في هذا الشارع وفي الحي كله ، وهو رجل غريب .. تخصص في صناعة اكثر الطعام رداءة ، وفرضه على المقيمين في الحي ، وكانوا يضطرون للذهاب اليه دائما ، فالمسافة بين الحي ووسط المدينة طويلة ، والقتال ينشب في اى لحظة ، وكان هو يعرف هذه الحقيقة ويستفيد منها باستمرار ..

لم اجد بائع الطعام. لم يحضر هو الآخر .. ومع انني تعودت رؤية الشوارع خالية من السكان ، والمنازل صامتة صمت القبور.. فقد شعرت بجيوش الهموم تهاجم نفسي المتوترة المكدورة .. لم يعن الطعام بالنسبة لي الشيء الكثير ، ولكنني تعودت على تناول الشاى وقليل من الطعام حتى امارس هوايتي السيئة في تدخين السجائر بشراهة ..

- ٢ -

تتجول عيناى بنظرات مرهقة على اللافتات الباهتة فوق المحلات والدكاكين المغلقة التي يعلوها غبار داكن وتنتشر عليها خيوط العنكبوت الكثيفة .. وقفت على كلمات مكتوبة باللون الاحمر فوق مدخل منزل يقع بين عدة دكاكين .. خيل الى انني لم ار هذه اللافتة من قبل ..

عدت انظر مرة

حانوتي.. في الحي الشرقي

اخرى لتلك الكلمات الحمراء اللون ، ثم اخذت طريقى عائدا الى المخبا ، وبدت لى الكلمات غير مفهومة ، وانها مكتوبة حديثا لكن من صاحبها ؟ .. كنت اعرف كل السكان الذين يقيمون فى الحى بعد تهجير المدينة ، وسبق أن قرأت لافتات هذا الشارع مرات كثيرة ..

مشيت خطوات قليلة ثم عدت الى المنزل ، وقفت امام اللافتة ، لا ادرى الى اى مدى بقيت فى هذا المكان ، وتسمرت قدماى ، وتعلقت عيناى باللافتة .. وقرات المكتوب عليها عدة مرات .

مستعدون لصناعة صناديق نقل الموتى من كل الاحجام والانواع .

العمل ليلا ونهارا .. (ادارة ادم عزرائيل)

عدت اقرا هذه اللافتة ، ووجدت نفسى اردد كلماتها بصوت مسموع حاولت ان اكذب عيني ، احسست برجفة اهتزت لها اعماق نفسى .. صناديق من كل الاحجام .. العمل ليلا ونهارا ..والمسئول عن ذلك ادم عزرائيل .. اى عزرائيل هذا .. ربما اكون واقعا تحت تاثير احلام الحرب ..

فجاة اهتزت الارض حولي، وانسدت اصوات المدافع اللعينة من الغرب والشرق فى وقت واحد .. انهالت قذائف الموت فى اماكن كثيرة متفرقة من الحي الهادىء .. سقطت عدة قنابل فى الشارع الاخضر المجاور لشارع نيجربللي اسرعت الى المخبا وانا اشعر بتعاسة هائلة ..

قضيت ساعات كثيبة داخل المخبا قبل ان اخرج مرة اخرى الى شوارع المدينة .. لم استطع خلالها التخلص من تاثير الكلمات المكتوبة باللون الاحمر فوق منزل «ادم عزرائيل » اخذت طريقى سريعا الى مبنى المقاومة الشعبية فى الحى ، وقبل أن يبدا قائد المقاومة المحلى حديثه معى .. قلت .. أريد مقابلة عزرائيل !

عزرائيل ؟ !

ادم عزرائيل ..

رد. ببساطة وفي هدوء : لن تجده الآن، لابد انه مشغول داخل المدينة، او فى الضواحى القريبة .. فهو يعمل « حانوتيا » .

انه موجود .. كائن حقيقى .. لست احلم .. وليست احلام الحرب .. كلمات اللافتة حقيقية .. وادم عزرائيل هذا يعيش معنا فى نفس الحى ..

منذ متى يعمل هذا الـ « عزرائيل » ؟ ابتسم قائد المقاومة قائلا : انه احترف مهنة الحانوتيه منذ فترة .. خاصة بعد ان بدا العدو يضرب المدينة ، وبعد سقوط الكثير من الضحايا .. واللافتة الحمراء المعلقة فوق حانوته ؟

لم ارها ، ولااستبعد ان يكون عزرائيل قام بكتابتها . انه رجل غريب الاطوار ..احترف عدة مهن منذ بداية الحرب .. عمل بائع روبابيكيا ، بائع حنظل بائعا للاعشاب البرية .. موزعا للكتب الصفراء

كيف يتصادف ان يكون اسم هذا الرجل « آدم » واسم ابيه « عزرائيل » .. ولماذا صناعة صناديق الموتى بالذات ؟ اعرف ان الحانوتيه فى المدينة

يعملون من داخل المقابر .. لم يكن هناك في طول المدينة وعرضها محل واحد تخصص في هذه المهنة قبل أن تندلع الحرب ..

- ٣ -

اختفت الشمس في قلب الافق الغربي ، الهدوء يلف كل شيء في الشارع ، وللصمت في شوارع هذا الحي ايقاع سيء على الاعماق ، لم يكن في الشارع كله من بشر سوى عم حسان هدهد ، وهو بواب عجوز احيل للمعاش في بداية الحرب لكنه رفض مغادرة المدينة ، وعمل بوابا لحراسة مبنى احدى الشركات . واصبح جزءا من صورة الحياة اليومية في الشارع وقد نشأت بيني وبينه علاقة حميمة لكثرة ما تقابلنا داخل المخبأ .

رأيت العجوز يتحرك نحوي ، راسما على شفتيه ابتسامة ، سألني عمن ابحث في هذه الساعة ، وعرض - كعادته دائما - مساعدتي

يا عم هدهد .. ابحث عن .. آدم عزرائيل .

رد العجوز بسرعة وبنبرات خائفة : هذا الرجل السمين الكريه الوجه ، الذي لا عمل له سوى صناديق الموتى .

لم أره من قبل .

الآن سيحضر .. فهو يختفي كثيرا بالنهار . وربما يكون الآن في المقابر ، ولكنه يعود مع قدوم الليل .. ليبدأ عمله في صناعة هذه الصناديق اللعينة .

يا عم هدهد .. نحن نحتاج على كل حال الى من يصنع لنا صناديق للموتى .

رد العجوز : أعرف ذلك ، ولكنني لا أحب « آدم عزرائيل » . بل أصبحت لا اطيق رؤية وجهه .. قلبي يحدثني انه سعيد بصناعة هذه الصناديق ، وتزداد سعادته كلما ازداد عدد الموتى في المدينة . ورأيت هذه السعادة المجنونة مرات كثيرة على وجهه .. وبصوت مرتعش النبرات .. لقد حضر «عزرائيل» .

وبحركة سريعة .. بدأت النظر في اتجاه غرب الشارع ، رأيت رجلا غريبا يقترب منا تركزت عيناي عليه حتى اصبح امامنا ، تأكدت في تلك اللحظة انني بالفعل لم اره من قبل .. ربما يكون من ابناء المدينة .. او من الذين وفدوا للعمل فيها في السنوات السابقة على الحرب ، ولكنني لا أعرفه .. لا اذكر انني رأيت رجلا له مثل هذا الوجه وهذه الملامح .

يبدو في نهاية الحلقة الخامسة ، برميلي الجسد ، كبير الرأس ، طويل الذراعين ، قصير القدمين ، كثيف الشعر ، ويختلط شعر الذقن بالشارب ، يرتدي جلبابا مفتوحا فوق صدر غليظ ، يبرز وراءه شعر متسخ ملطخ بالرمال ، وقف امامنا .. وتبادلنا نظرات سريعة .. ووجه التحية لعم هدهد في همهمات غريبة .

رأيت عينيه في لحظات اختفاء آخر ضوء في السماء .. عينين واسعتين عميقتين يعلوهما حاجبان يختلط فيهما الشعر الاسود بالابيض .. وتبرز من الجانب الايسر شعيرات كثيرة .. عينين قلقتين .. لا تستقران على شيء ، نظرات فيها شرود عميق ، واعياء شديد وخوف الى حد الذعر ، نظرات غريبة رافضة ، تتحدث اكثر من لغة ، وتعكس صراعا هائلا احسست أن الرجل يبذل كل طاقته لاخفائه ، كانت عيناه مثل عيني تائه في صحراء مجهولة قضى سنين يبحث عن طريق او نبع ماء .

اخرجني العجوز هدهد من شرودي وهو يمسك

بيدي ، حاولت ان اتحدث ، لكنه .. عزرائيل .. كان اسرع مني .. قال . هل تريد شيئا ؟ اشعر انك كنت في انتظاري .

قلت : نحن نحتاج الى صناديق لنقل الموتى داخل المدينة .

رد بسرعة كأنه يصفعني : انا خدام .

بدأت انظر من جديد الى الكلمات المكتوبة على مدخل المنزل ، وانتقل الى وجه الرجل والشارع الخالي ، وهدهد العجوز الذى كان الغيظ قد تملك كل شيء فيه : اسرعت عيناى في حركة آلية بين وجه عزرائيل وحائط مدخل منزله ، والكلمات المكتوبة « العمل ليلا ونهارا » .. « صناديق من كل الاحجام » .

وتوقفت بعد أن وقعت عيناى على وجه « آدم عزرائيل » ، ووجدته ينظر الى وجهي بثبات شديد ، نظرات غريبة ، عميقة ، باردة كالثلج .

تحرك « آدم عزرائيل » سريعا الى داخل المنزل ، وبدأت تصل الى اسماعنا حركة الرجل سريعة من الداخل

هدهد (بقرف) شديد : آدم بدأ يصنع المزيد من الصناديق .

لم ارد ، تركت المكان سريعا ، بينما كان هدهد يتجشأ بصوت مرتفع وخرجت من الشوارع الجانبية مجموعات القطط الضالة .. وهي ترسل صراخها الليلي مبكرا .. تعزف سيمفونية كل ليلة .. تبحث عن الطعام وسط اماكن غابت عنها الحياة ! .

— ٤ —

ظلت شخصية آدم عزرائيل تلاحقني وسط أيام الحرب الثقيلة ، فشلت في التخلص منها .. في طردها ، توقفت عن السير من امام المنزل الذى تعلوه تلك الكلمات التي تحمل دعوة غريبة لمغادرة الحياة .. من خلال تسهيلات خاصة ..

ازدادت ضراوة حرب الاستنزاف اليومية ، وكنت اعرف من خلال عملي عدد ضحايا الحرب عقب كل معركة ، وكلما سقطت ضحية جديدة ، قفزت امامي صورة « آدم عزرائيل » وصناديقه التي هي من كل الاحجام واتذكر تلك النظرات الباردة كالثلج .. والعيون الشاردة .

ذهبت ظهر احد الايام من صيف عام ٧٠ الى مقابر مدينة الاسماعيلية اشارك في تشييع جثمان صديق كان يعمل مديرا لاحد المصارف ، ووقفت في ظل شجرة كافور عجوز ورأيت « آدم عزرائيل » على رأس القبر ، وأمامه الصندوق الذى يحمل جثمان صديقي الذى مات ، وبدأ عقلي يدور بسرعة ، وخيالي يقفز من صورة الى اخرى . « آدم عزرائيل » .

استدار فجأة .. التقت عيوننا .. خيل الي أن على وجهه ترتسم ابتسامة غريبة .. ميتة .. وسرعان ما انقلبت سحنته .. في عينيه تلك النظرة الباردة .. ظل واقفا مكانه بلا حراك ، ثم استدار ، ولم ينظر نحوي مرة اخرى ، حتى تم دفن الجثمان.

في طريق العودة من المقابر ، التقيت بالعجوز « حسان هدهد » كان حريصا على ان يشارك في جنازات الموتى منذ بداية الحرب ، ضاعف من احزاني انني عرفت من « هدهد » ان « آدم عزرائيل » صنع خلال الصباح الباكر عدة صناديق لدفن الموتى من رجال المقاومة الشعبية الذين سقطوا فجر اليوم خلال غارة شنتها طائرات العدو على احد الجسور !

قلت للعجوز «هدهد» وانا احاول التخلص من تاثير ما سمعت : وماذا في ذلك ؟ ان « آدم » يقوم بدور كبير في دفن ضحايا الحرب .. وهي حرفته !

رد « حسان هدهد » .. ليس هذا سبب حزني .. انني اسكن بالقرب من منزله ، ولا انام الا ساعات قليلة خلال الليل ، وسمعت هذا المجنون في الصباح الباكر جدا وهو يغني لحنا سيئا ، بينما كان يصنع الصناديق في سرعة غريبة امام المنزل ، صدقني .. انا لاأحب هذا الا عزرائيل.

— ٥ —

لم التق مع « آدم عزرائيل » بعد ذلك كان لقاء المقابر هو الاخير ، ذهبت اكثر من مرة الى المنزل ، لم اعثر عليه .. اختفى فجاة ، كأنه لم يكن موجودا على الاطلاق .. ربما انتقل من الحي الشرقي الى الحي الشعبي ، حيث عدد السكان اكثر ، ليمارس عمله في صناعة صناديق الموتى .. رأيت اللافتة الحمراء شحب لون كلماتها .. المنزل مغلق .. يعلوه الغبار .. نسج العنكبوت خيوطه على المدخل مثل باقي المنازل الاخرى التي تركها سكانها منذ سنين .. « حسان هدهد » اكد لي في المرات القليلة التي التقينا فيها داخل المخبأ انه هو الآخر لم يعد يلتقي مع « آدم عزرائيل »

لم استطع في ايام الحرب ولياليها الطويلة ان انسى « آدم عزرائيل » الوجه الكئيب .. الابتسامة الميتة .. النظرات الباردة .. العيون التي لا وطن لها .. وعندما كانت المدافع تعزف سيمفونية الموت فوق رءوسنا ، وتطلق « مارشاتها » الجنائزية خلال التراشقات ثم وهي تعوي فوق بحيرة التمساح الهادئة كانت صورة آدم عزرائيل ترتسم امامي على ضوء الفانوس الشاحب داخل المخبأ ، وعلى ضوء المصباح الكهربائي في المكتب ، وفوق الاوراق الصامتة وانا اكتب .. كثيرا ما خيل الى انه ينظر الى بتهكم مجنون .. وتتحول الابتسامة الى قهقهات عالية صارخة كأنها صرخات « عزرائيل » على الارض !

وذات يوم .. كنت اجلس مع صديق يعمل مصورا متخصصا في تصوير المعارك ، ولم يترك المدينة منذ بداية الحرب ، كان يقوم بتصوير المعارك اليومية ويصور جثث الضحايا، وقدم لي مجموعة الصور التي التقطها عقب معركة الليلة السابقة ، بدات اقلب الصور ، تسمرت عيناي على صورة لجثة .. رجل اصيب اصابات بشعة .. مات مفتوح العينين .. كان آدم .. آدم .. عز .. رائيل .. لم اصدق لحظات .. اطلت النظر في الصورة .. انها الحقيقة .. آدم عزرائيل مات .. قتل في الحرب على مدخل المقابر .. ولم يعثر في ملابسه على ما يدل على شخصيته او اسمه الحقيقي !!

عذراء الغروب ومحاولة التخلى عن النزعة الطبيعية

بقلم :
د. أحمد كمال زكى

●● فى الستينيات وصفوا أنفسهم بأنهم جيل بلا أساتذة ، وكانوا اذ ذاك فى عمر الزهور . يرفضون بجرأة أية مصالحة ظاهرية مع الواقع ـ بل ربما رفضوه ـ ويعملون فى الوقت نفسه وباستهداء بعض كبار روائيى العصر على الافادة من حركة التحولات الاقتصادية ، والفكرية لتشكيل البنى الفنية التى تستوعب معاناتهم ●●

●●●

ومجيد طوبيا الذى اقدم له روايته « عذراء الغروب » من هذا الجيل . بدا كاتب قصة قصيرة برغم صعوبة تشكيلها ، وصعد منها الى الرواية حاملا همومه وهموم مجتمعه ، ومحاولا تغيير شيء ما او أشياء مما يراه مضطربا حوله وفاقدا قيمته ، وكذلك ايجاد البديل لما تحطم من مثل ومبادىء فى ظل التحولات التى فرضت نفسها على واقعنا منذ الخمسينيات .

وقد كان لرجوعه ـ ورجوع زملائه ـ الى القرية واعتماده الصدق الرافض لاى تزييف مع ملاحقة الواقع المتغير والاصرار على الا ينفصم عن تراثه ، اثر فعال فى تحقيق امرين :

ولاننى كنت اتابع بعض روائيى العراق واعجب بتوظيفهم التراث على اساس

ارساء قاعدة التوازى بين الاسطورة والواقع ، واللغة رموزا واسلوبا ، رأيت ان اوازن بين صنيع اولئك وهؤلاء ، بل بين من ظهر فى مصر من الروائيين الشبان ومن يعاصرهم من الروائيين العرب .

وقد استطاع طوبيا تفجير المشرق من جوانب خبرته وقد التحم بثقافة الجماعة وبالناسب من انجازات الفن العالمى — نافذا ومتذوقا — وذلك لتأكيد نموه الشخصى ، ولتخليق اطر او حتى اطار واحد فى الرواية يتوازى مع ما استحدث فى عالم الشعر .

● مرحلة التجريب ●

لم كانت نقلة فنية أخرى فى الرواية عند مجيد طوبيا .. لنسمها — مرحليا — عملية تجريب بعد ان تبين قيمة التخلى عن محاكاة الحياة الطبيعية . طالما كانت المرحلة بجوهر تلك الحياة تفضى الى جوهرها ، وكان التخلص من قيود التقليديين احد الوسائل المهمة لتقديم حبكة تقوم على احتمال الرفض الواعى للشخصية التى اعتادوا ان يواجهونا بها .

ولعلنا من هنا ندرك لماذا نجح جيل مجيد طوبيا فى الاستغناء عن كثير من قيم التكنيك الموروث . وعلى الرغم من اننا — كنقاد — لا نزال بحاجة الى الوقت لتقييم الشكل الجديد على نحو قاطع ، فليس من شك فى أن رواية «عذراء الغروب» التى مثلت النقلة الفنية الاخرى عند مجيد طوبيا تصلح — فى نطاق التجريب المتواصل — لايجاد ضرب من التوازن بين ما هو تقليدى وما هو مستحدث .

وتصبح نافلة الحكم — بعد ذلك — بانه أقدم على تعديلات دقيقة فى هيكل الرواية . وعلى الرغم من انه ساق «عذراء الغروب » فى ثمانية لا يمكن وضعها فى سلسلة الثلاثيات والخماسيات التى عرفت فى أدبنا اخيرا — وهى على غير مسمياتها حقيقة — فانه لم يكتف بهذه الخطوة . بل عمد الى احداث عدة تغييرات على المستويين الاسلوبى والعمارى بدت بها أفكاره العامة — وهى وثيقة الصلة بجغرافية معينة وبناس مغمورين — فى تفاعل من أجل تقديم « عالم متميز » لا يمكن الفصل فيه بين الحدث والشخصية . ومن لم يصبح من العبث ان تدرج «عذراء الغروب » تحت نوع أدبى دأبنا على تسميته برواية الشخصيات ، أو نوع آخر يعرف عندنا برواية الحدث .

وما دام الامر كذلك فان قضية الوحدة العضوية تبدو مهيأة للمناقشة ، ولا سيما أن أحداث الرواية موزعة على ثمانية فصول تعقدها وجهات نظر متخالفة . ففى كل فصل من تلك الفصول أجزاء تتنامى ويكمل بعضها بعضا ، مما يدل على ان الشكل يثرى المضمون ، وأن القول : ان الشكل هو المضمون الى الحد الذى اذا انتفى شق منهما انتفى الشق الاخر صحيح أيضا .

ومن أهم النقاط التى تلفت الى الرواية — بشحنة سلامة التكنيك ودقته — عمليات التصوير للمكان والانسان التى أشرنا اليها قبل ونعود اليها لنزيد ، أن قبولنا للفصل الثامن — مع انه كما يقول المؤلف بعض الارتام الصماء والاراء الخالصة لرئيس مشروع الترعة — يتمشى مع مبدأ الوحدة المطروحة ، حتى باعتباره نوعا من التقرير . والتقرير على أية حال أحد أنواع الوصف او الاخبار ، لكنه اذا لم يحسن استغلاله صار عبئا على التصوير الذى قد يخفى دور الراوى . والمعروف ان اختفاء شخصية الراوى ، من القيم التى طمح الى تحقيقها التقليديون ، ويريد المحدثون اثباتها على طول الخط .

وكحكم عام نرى ان «عذراء الغروب» تنم عن روائى واع بأساليب الحرفة ، ومقدر اهمية الاتقان الفنى . وقد استعاض فيها — قياسا الى الدوائر مثلا

عذراء الغروب

ـ عن البساطة والغنائية بالعمق وبفهم أوسع لتجارب الناس ومشكلاتهم .

والرواية تبدأ زمانيا فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وتنتهى فجر اليوم التالى، وسردا بالمهندس الزراعى سامى الذى كان عليه ان يتحمل مهمته فى حفر ترعة باشراف الالفى الذى قارب الخمسين ، ومشـــل بالادوات التى أعدت لتنفيذ المشروع ـ وكان من بينها حفار هادر ابدا ـ وجه الحضارة ومحصلة ربح الفلاح الذى يداب على المعارضة اول الامر لسبب او لآخر .

ومأخذ الترعة بحر يوسف ، وتتحرك هذه متجهة الى قرية « نجع الغروب » فى شريط ارضى ينهض كالسد فرقه قبر، وورى فيه جثمان سيد القرية ، وقامت على حراسته فى وجه الحفار امرأته ببندقية وخادمه الضرير باذنيه وبحبه الغريب لهذه المرأة ولابنتها الشابة خمرية .

اى أن الرواية تشكل واقعة تحد تبدو عادية جدا ، وان تكن تحمل فى ثناياها ايمانا بالموروث وتوجسا من اى جديد .

ومنذ البداية تجابه بهذا التحدى ، وقد وصل الحفار فعلا الى القرية القابعة فى حضن الجبل الغربى حيث تتناثر شراذم البدو . وهؤلاء وضعهم المؤلف فى مجموعة واحدة مع الفلاحين المغمورين بظروف متواضعة للغاية ، متحدين بالرمل والطين ومنفعلين ـ حتى فى صمتهم ـ بالطبيعة الموحشة .

وظهر أن البدو بزعيمهم الشابورى والفلاحين بعمدتهم الفاجر غرباوى فى صف المرأة العجوز ، والحفار بسائقه حسن السبع ينتظر الاشارة الاخيرة من مدير المشروع ليجرف القبر كاجراء اخير يجرى بعده ماء الترعة لتدخل القرية الى مرحلة جديدة ومتقدمة من حياتها .

وحتى هنا يكون كل شىء معدا للتقديم . فالعجوز التى اتخذت موضع المقاومة وابنتها خمرية مع سامى وغرباوى وسوسن الطبيبة والالفى المدير وغيرهم ، يتعاونون على تحريك الاحداث وقد توافرت لديهم ـ بفضل احساس المؤلف بالحقيقة ـ القدرة على استقطاب اقل نبضات الحياة خفوتا واكثرها دلالة .

ووراء ذلك كله اكثر من مأساة ، او فلنقل من جريمة : جريمة غرباوى المتكررة مع نسوة أتقن مضاجعتهن خارج فراش الزوجية . وقد بلغت هذه الجريمة حدا لم يحتمله حسن السبع ـ وقد حمل لقب العبيط ـ بعد أن زفت اليه زكية وقالت له بعد أن تعرت له « ينوبك ثواب لا تفضحنى » .

وأما الجريمة الكبرى وعليها قامت حبكة الرواية ـ اذا تأملنا هيكلها العام ـ فهى واقعة العجوز أيام زلت فى شبابها مع على الخادم الضرير .

لم تكن هناك خيانة زوجية ـ فى رأيها ـ ولماذا تخونه وهى لا تشتهى غيره، وهو رجل القرية الاول وفارسها المهاب ؟. غير انه لم يكن يستطيع الانجاب ، وجهلا او تبجحا ألقى بتهمة العقم فى وجه زوجته ـ ثم قرر ان يستبدل بها أخرى.
وبقدر ما راحت ـ وهى عجوز ـ تتشبث بفكرة الابقاء على قبره فى مجرى الترعة ، كانت مدفوعة فى شبابها الى التمسك به مهما يكن الثمن . والفكرتان قائمتان ـ فيما ترى ـ على الاخلاص او فلنقل على وفاء لم يكن مبررا على طول الخط .

على أنها وقد زلت مع الضرير قبل أن يكتهل بقصد الانجاب لبعلها العظيم ، لم تكن في جملتها رذيلة، هكذا قدمها المؤلف، بل كانت أسيرة الفكرة الاولى التى تفرضها الطبيعة على المرأة فى ساعات الاحباط .

● ايقاع الحياة ●

بل لعلها كانت غبية ، والدليل على غبائها مقاومتها للحفار حتى آخر مدى، والى أن تساقطت الاتربة والحجارة على رأسها فى ساعة الصفر ، ويبدو أنها لم تسمع صراخ ابنتها للمهندس سامى الذى نجع فى خطبته : يقتلون أمى يا سامى !. ص ٨٨ .

ويسلط المؤلف الضوء بشدة عليها حتى بعد ان نقلت الى سريرها متداعية، وهنا نرى أن قرارها الاخير بحبس نفسها عن الناس انما كان عملية تكفير واضحة.

ولقد أنجبت خمرية ـ التى مالت الى سامى ـ ولم يكن احد سواها ومن زلت معه يعلم بواقعة الليلة المحرمة . وصارت خمرية لدى امها العنة ، وتذكرة مؤلمة بالخطيئة ، او اداة للتعذيب موحش لها فراحت تسيء معاملتها .

غير أننا اذا قدرنا أن على تلك السيدة واجب الحمل لتكتمل السعادة العائلية بانجاب الولد ، واذا ادركنا انها اختارت لتحقيقها اصعب وسيلة واحطها ؛ فلابد ان نستشعر نحوها ضربا من التعاطف او قدرا من الرثاء ، ثم لا نجد مفرا من الاعتراف بأن اصرارها على حماية القبر، لم يكن الا الوجه الاول للتفكير الذى لوحنا به .

كان مجيد طوبيا ـ فى عذراء الغروب ـ روائيا بادىء ذى بدء ، وكان يقول أكثر مما قاله السابقون بطريقة غير مألوفة ، واذا كان قد بعثر شيبة الزوجة الخاطئة فى مواقف متباعدة ثم حكم عليها بالهزيمة ، فقد زاد

واستثمر هذه الهزيمة فى دحر قوى التخلف ووضع اللبنات الاساسية ـ الماء العذب ـ للتحضر . ومن ناحية اخرى كان يقصد بمجاوزة الزوجة الى غيرها كسوسن الطبيبة او الشابورى سيد البدو ، كان يقصد الابتعاد وسعه عن الخط التقليدى ـ فى الرواية ـ وكان غالبا ينوء بثقل الاحداث . ومع ذلك نفذ دائما الى داخل موضوعه المتشعب الاطراف ؛ وجمع فى الوقت نفسه منعرجاته وممراته التى كانت تمتد وتتشعب .

واذا نحن فى نهاية الامر نتبين انه كان يعفينا من معرفة كل شيء عن اية شخصية، فقط كان يقدم الشخصيات بطريقة تعنى انها نماذج تصلح لان تؤدى طقوسا روائية خصبة ودالة .

ونحن عندما نتأمل تلك الشخصيات فى نظرة اخيرة لا نرى اننا قادرون على اسقاط شيء عنها مما كفاناه به ، ولا على حذف جزء او اجزاء مما شيد ، فمن الواضح انهم « خلقوا » لابراز الفكرة العامة التى أراد أن يؤكدها .

هنا نراه يتخيل الماضى ـ وقد بدا مشوها ـ ثم يأخذ فى تجميله واتاحة الفرصة للعلم أن ينتصر . جعل لشخصيات عصر ما قبل الترعة جوانب ضعف لابد ان تخذله فى النهاية ، واذ يتحقق ذلك يطل المستقبل من خلال عبارة صماء يدونها مدير المشروع فى تقريره « يربح الفلاح دائما . الحياة جميلة والمستقبل باسم ، ومهمتنا ادخال السرور الى قلوب اخواننا الفلاحين » ص ١٠٦ .

وبعد ، فقد وجدت من الضرورى وانا اقرأ فى ادب مجيد طوبيا ان اضحى ـ لضيق الوقت ـ بدراسة شاملة لفنه الروائى ، وآوثر هذه القراءة العابرة . لا انشد من ورائها الا ان تكون مجرد بداية لدراسة اكبر ، اقوم بها جيلا زعم انه كان بلا اساتذة !.

شهريات

رأى فى الثقافة

خراب السينما وأهل السينما

لم يات خراب السينما ، الذى يطرح هذه الايام كماتم جماعى فى تقديرنا، من خارجها ، فصناعة السينما معطلة وشبه عاجزة ، حتى أن ١٧ الف أسرة تعمل فيها ، وتعيش منها ، تعانى الامرين، وفقراء العاملين فيها يبيعون اثاث منازلهم لكى يستمروا فى الحياة ، هكذا قال يوسف شاهين ، وفريد شوقى ، ويقوله كل من تلتاى به ، وتشاهده بنفسك اذا كان لك أدنى اختلاط بالعاملين فيها ٠

فى يوم قريب من الايام كانت صناعة السينما تدر على الخزانة العامة ، ما يجعلها فى المقام الخامس ، أو الرابع فى بعض الاقوال ، من الدخل القومى للدولة المصرية ٠

واذا حسبنا المسألة من زاوية ثقافية فقد كانت لغة السينما المصرية ، هى اللغة الام ، فى كل البلدان العربيـــة ، وعن طريقها كان الوجود المصرى هو الاهم ، والاكثر تاثيرا على خريطة الوطن العربى من الماء الى الماء ٠

وعندما نقول ان أهل السينما هم السبب فى انتكاستها ، نقول ذلك لاننا وجدنا انهم لم يقدروا المسئولية ، فى وقت كان يوجب عليهم أن يقدروها ، وانساقوا فى موجة الابتذال ، حتى غدت مقولاتهم مرتبطة بأحط أنواع الحياة ، ولم يعوا ارتباطهم بدورهم الثقافى المؤثر والفعال ، فى مجتمعات كانت ترى فيهم المثال ، والنموذج ، فغدا أكثرهم ابتذالا ، هو أكثرهم شهرة ، وأكثرهم تهربا من الضرائب ، هو الفهلوى مثار الاعجاب بين أوساطهم ٠ لقد تخاذلوا على طول الخط ، عندما فرضت عليهم رقابة خسيسة ، استجابوا لها ، وعندما صودرت كلمتهم تفرقوا ولم يتضامنوا ، ولم يحموا الكلمة الشريفة لحظة تدل على اخلاصهم للهدف العام ، وعندما دخل عليهم كل جزار ، او أمى برزم

النقود ، استجابوا له ــ دون وازع من ضمير أو احساس بالمسئولية ــ فاستجابوا للابتذال ، وانساقوا للتيار ، وعندما كان عليهم أن يكونوا قدوة للآخرين ، وسط الظلام الدامس ، كانوا أسوا نموذج ، وأحط قدوة ·

فى ليلة كان أحد المثقفين موجودا فى جمع من السينمائيين ، وأخطأ بطرح قضية جادة ، فاذا بالنجم السينمائى الاشهر ، يتحول الى التريقة ، والسخرية من « كلام المثقفين » تحت دعاوى كلها مفتعل وينم عن جهل عظيم ، وبدلا من أن يستمع الجالسون للمثقف جعلوه أضحوكة ، لا لذنب ، الا لانه طرح قضية جادة ، وكانت للمفارقة الصارخة ، قضية فى صلب عملهم الجماهيرى ·

المشكلة الآن وصلت الى حد أنها أصابتهم فى رزقهم ، ووضعهم ، ومصداقيتهم ، فهل سيستيقظون قبل غيرهم ، أم سيتحون باللائمة على الاخرين ·· هل سيضعون بنفسهم القواعد التى تعيد لهم مصداقيتهم أمام الاخرين ، هل سيعملون على أن يصبح تأثيرهم قوة من أجل الهدف العام ، أم سيستسلمون لهذا الخراب الشامل الذى هم على أبوابه وسيتطلع كل منهم الى قدميه ·

عبده جبير

لقاءات ثقافية

ندوة حول مجموعة « الليل الرحم »

عقد باتيليه القاهرة يوم الثلاثاء ٢٤ فبراير الماضى ندوة أدبية كان موضوعها مجموعة « الليل الرحم » للقاص محمد روميش ، وهى المجموعة التى صدرت أخيرا عن روايات الهلال ·

تحدث فى الندوة كل من د· عبد المنعم تليمة ، وابراهيم فتحى ، وعبد الحكيم قاسم ·

وفى البداية قرأ روميش احدى قصص المجموعة أعقبها عرض نقدى للدكتور تليمة الذى اكد على معرفته الحميمة بالقاص منذ أمد وأنه قدم له من قبل بدراسة نقدية ثم قال انه حتى بمرور عقد من الزمان ، وبتطور المبدع ، وتطور النظر النقدى فى العمل فانه مازالت هناك أشياء كثيرة ينبغى أن تطرح للمناقشة وان يعاد النظر فيها ، ويرى د· تليمة أن المبدع الحقيقى هو الذى يعبر عن منطق شعبه وعن أشواقه وأحلامه فى صياغة فنية راقية ، ورأى أن محمد روميش لم ينجح فقط فى التعبير عن ذلك المنطق ، بل انه قدم أيضا منطوق الناس وملامح حياتهم اليومية ·

كما قدم الناقد ابراهيم فتحى مجموعة ملاحظات هامة حول رؤيا القاهرة ، وقدم بعض الاختلافات مع الدرس النظرى الذى طرحه الدكتور تليمة أهمها ذلك الخلاف مع توصيف تليمة للغة القص فى المجموعة بانها أقرب الى لغة الرواية من حيث افتقادها للتكثيف الذى يميز

فن القصة القصيرة بالذات ، مقدما تصورا حول امكانية لغة القصة القصيرة في استيعاب اشكال لغوية متنوعة حسبما يفرضه السياق الفني للتجربة .

وعلق أحد الحاضرين بأن اشارة الدكتور نليمة وان كانت قد انصبت على لغة القصة القصيرة فقد كان من الواضح أنها تشير الى البناء الكلي والى معطيات ذلك الفن وخصوصيته الفارقة .

كما تحدث عبد الحكيم قاسم عن اهمية المجموعة في حراسة القصة القصيرة الجديدة ، ومدى استفادته الشخصية منها ، ومدى استمتاعه العميق بهذا العمل الذي استطاع أن يغوص في أعماق الواقع ، وأن يلمس أدق ملامحه ، وتفاصيله الحميمة ، وأنه يستخدم لغة فنية محسوبة ودقيقة وقادرة على توصيل الشحنة الفنية

وحيا قاسم ست ابوها بطلة القصة الاولى في المجموعة . تلك التي مات زوجها في الغربة بعد ان اخذه الانجليز الى السخرة ليموت بعيدا عن الوطن فما كان من المرأة التي أحبته الا أن عزفت عن الزواج على الرغم من الاغراءات لتعيد نصبا شامخا يعبر عن صمود الانسان المصري في مواجهة أعتى القوى الاجنبية ، وجاء روميش ليخلد تلك المرأة في نصب آخر هو عمله الفني .

هذا وقد اتفق الحاضرون على أهمية المجموعة ضمن النتاج الابداعي للأدباء الشبان على الرغم من أدواتها التقليدية ومنحاها الذي يخلو من أي ميل لتغير الاشكال الادبية المطروحة .

سينما

ملتقى السينما الشابة : المهرجان الموازي في برلين وقضايا الحرب والسلام

ضمن بين برامج مهرجان برلين السينمائي الدولي السابع والثلاثين (٢٠ فبراير ـ ٣ مارس ٨٧) هذا البرنامج الذي يتخذ اسم « ملتقى السينما الشابة » الذي يعد في الحقيقة مهرجانا موازيا للمهرجان الرئيسي ، قائما بذاته ،له مديرة ولجنة تنظيمية خاصة ، وهو بالمناسبة يقام للمرة السابعة عشرة .

واذا كان المهرجان الرئيسي يضم المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة والقصيرة التي تتنافس على الدبين الذهبي والفضي ، وبانوراما متنوعة

(٥٨ فيلما طويلا و ٣٦ فيلما قصيرا وكذا مهرجانا دوليلالافلام الاطفال احتفل بعيده العاشر ، اضافة الى تكريم خاص للمخـــرج الامريكى روبين ماموليان ، وبرنامج خاص للافلام الالمانية الجديدة) ـ نقول : ان المهرجان الموازى تمـــيز بتقديمه لسينما مختلفة ، سينما لا تقوم على الاسماء الكبيرةوالنجوم بلتسعى نحو الجديد شكلا وموضوعا ، مثلا ، قدم نماذج للسينما الامريكية المستقلة عن الشركات العملاقة ، يسعى وراء المخرجين الشبان فى أفريقيا ، والهند ، والشرق الاقصى ، وأمريكا اللاتينية ، هو مهموم باكتشاف المناطق المجهـــولة فى السينما الجديدة ، وكان جديده هـــذا العام اكتشافه لسينما فنزويلا اضافة الى سينما البرازيل والارجنتين ٠

هذا المهرجان الشاب اذن لـــه مذاقه الخاص ، وجوه المميز ، مناقشات دافئة بين المخرجين والنقاد فى قاعة العـــرض بعد نهاية الفيلم مباشرة ، تلحظ انطلاقة الشباب الآتى بأفلام ٨ ملم ، وفيـــديو ، وتجارب ومغامرات جريئة ، لا يتطلعـــون الى جوائز ، فليس هناك الا شـــرف الاشتراك ٠

الرحلة :

كان هناك شبه اجماع عـــلى أن اهم ما عرض فى هذا المهرجان هو الفيـــلم التسجيلى الطويل « الرحلة » (طوله اربع ساعات و ٢٣ دقيقة بالتمام) قدم عـــلى ثلاث حلقات وهو من اخراج بيتر واتكنز ومن انتاج انجـــليزى وان كـــان لقى مساندة من جماعات كثيرة فى الـــ ١٢ دولة التى صور فيها ، هيئة السينما القومية فى كندا ، منظمات الحفاظ على البيئة ، منظمات ولجان السلام العـــالمية تحت مختلف المسمّيات ، معاهد أبحاث السلام، لجان مناهضة الحرب، وجامعات ومراكز علمية كلهـــا ساهمت امـــا بالمعلومات أو المال أو الخدمات ٠

هو فيلم عن رحـــلة الى ضـــمير العالم الذى يصرف الملايين على أسلحة الدمار والعالم ملىء بالمجاعات ، يكفى جزء من هذه الملايين لانقاذه منهـــا ، والفيلم يفجر بجرأة قضية ســـباق التسلح ويضع نصب عينيه هدف تنوير الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقيـــة فى الاستقرار ، فهى الضحية التى تعـــانى والفيلم يفضح وسائل الاعلام الجماهيرية الصحافة والاذاعة والتليفزيون التى تقدم للمواطنين معلومات مضللة عن أسلحة الفضاء ، ونراه يسجل خطاب الرئيس ريجان فى أغسطس ١٩٨٤ الذى يبشر فيه المواطنين « اننى سعيد أن أنهى اليكم أننى وقعت لتوى قانونا بمقتضـــاه يمكن اقتلاع الاتحـــاد السوفييتى مـــن الوجود » ٠

كما يســـجل الفيـــلم ذكريات اهـــل هيروشيما الاليمة ، ونتائج الحـــرب العالمية الثانية ، ويعايش الواقع الراهن، فيقتحم مناطق مراكز الابحاث قـــرب سياتل ٠٠ وترى قطارا طويلا يحمـــل اليورانيوم والمواد المشعة والشـــبان يتظاهرون منددين بالابحاث لخـــدمة أهداف الحرب ، وتنتقل مجموعة تصوير الى «سيودال» بالنرويج لتخترق الاسوار حول قاعدة للناتو ونلتـــقى بأســـرة فيلكانالمكونة من رجل وزوجته واطفالهما

الاربعة وهم يرفضون الجلاء عن مسكنهم القريب من القاعدة ، ويقول رب العائلة لن نذهب فليس هناك أى مأوى يحمينا فى حالة اندلاع الجحيم النووى ، ان الخطر المحيق بالأسرة عمق وعيها ، يقول لنا رب الاسرة لقد أصبحنا نقرأ أكثر ونفكر أكثر ، كما يكشف الفيلم أسرار تجار السلاح الذين يدعمون صناعة الحرب لمزيد من الربح ، كما يثير المشاهد ضد اللامبالاة التى تغذيها وسائل الاعلام التى تصور الحرب وكأنها من قوانين الطبيعة الحتمية ٠

عن شيلى :

هناك من الافلام اللافتة للنظر أيضا « تقرير عن شيلى » ، وهو فيلم طويل أيضا يبلغ أربع ساعات ، يعود مخرجه ميجويل لينين الى وطنه شيلى بعد سنوات من الانقلاب العسكرى على حكومة الليندى ، يتسلل تحت اسم مستعار مع مجموعة أجنبية ، يصور ما حدث من قهر وضرب للحريات ، كما يصور ما خلفه الليندى ونيرودا فى نفوس الشباب من روح المقاومة الباقية ٠

وكان من مدعاة الفخر أن يفتتح المهرجان بالفيلم الافريقى الوحيد فى المهرجان « ساروانيا » للمخرج الموريتانى محمد عبيد بن هندو الذى يطمح الى تحقيق سينما افريقية وطنية لها أسلوبها الخاص ، والفيلم يصور مرحلة من تاريخ القارة الافريقية فى القرن التاسع عشر حينما تعرضت للاستعمار الاوربى ، وجند الغزاة الافارقة فى جيوشهم ، واستغلوا أسباب الفرقة بين القبائل ، ولكن الملكة ساروانيا تستطيع توحيد القبائل رغم الخلافات اللغوية والثقافية ورغم كونها امرأة فانها استطاعت التغلب على الاستعمار الفرنسى الذى لم يترك عامل اغراء الا وقدمه ، حتى النساء ، من أجل السيطرة ، وللأسف فان الفيلم لم يجد ما يدعمه لا جهات أوربية ٠

هناك أيضا فيلم « هل انتصرنا فى الحرب يا ماما » للمخرجة الامريكية الشجاعة باربارا مار جوليث ، نقول شجاعة لانها تدين بشكل مباشر الاتجاه الامريكى الداعى للحرب والصراع بين القوتين العظميين ، كما تدين وسائل الاعلام الامريكية خاصة مسلسلات التليفزيون التى تصور غزو الاتحاد السوفييتى لامريكا ، تلجأ الى لقاءات مع رجال كان لهم دور فى سياسة الحرب الباردة ، كما تلتقى بمواطنين عاديين وكتاب وصحفيين ، وفى النهاية تحذر من سياسة الذراع الطويلة واستعراض القوة ٠

وفى النهاية لابد أن يأسف المرء لعدم وصول فيلم عاطف الطيب «البرىء» الذى وصلت أوراقه ، وتكلمت عنه الاوراق ولكنه لم يصل ٠٠ فأى خسارة ٠٠!!

فوزى سليمان

رسائل جامعية

التحليل البنائى للقصيدة الجاهلية

واحدة من الرسائل الجامعية الهامة التى نوقشت فى الشهر الماضى بكلية آداب عين شمس ، تقدم بها ناقد وباحث شاب هو حسن البنا للحصول على درجة الدكتوراة فى الآداب ٠

أشرف على الرسالة الدكتور عزالدين اسماعيل ، واشترك فى مناقشتها الدكتور عبد المنعم تليمة والدكتور صلاح فضل

● يرى الباحث أن المنهج البنائى قد أثبت كفاءته فى الكشف عن المكونات الجوهرية للنص الادبى ، والنظام أو النظم التى تحكم تكوينه وتضبط مكوناته واستخدام هذا المنهج فى تحليل القصيدة الجاهلية ، والكشف عن قوانينها الباطنية والشكلية على السواء ، يضيف الى خبرتنا السابقة بهذه القصيدة رؤية جديدة اكثر عمقا وأدق فهما ٠٠ لكن هذا البحث يحرص على عدم التسليم المطلق بمعطيات المنهج البنائى ، بل يقيم جدلا معها ، ويأخذ منها ما يصلح لمادة البحث ، ويطور بعضها فى ضوء المناهج النقدية المعاصرة الاخرى ٠

● يهدف البحث الى اعادة طرح للمشكلات التقليدية التى اثيرت حول القصيدة الجاهلية فى النقد العربى القديم والدراسات المعاصرة على حد سواء ، وفى عبارة أخرى فان الجدل الذى يقوم مع هذه القراءات داخل البحث يؤدى الى قراءة مختلفة ، ولكنها ليست منفصلة انفصالا تاما عن القراءات السابقة ٠



المناقشون : د عزالدين اسماعيل ، د ٠ عبد المنعم تليمة ، د صلاح فضل

● وفي سبيل هذا الهدف فقد بـدأ البحث بطرح اشكالية تتلخص فى ان القصيدة الجاهلية ـ ممثلة فى قصيدة الاطلال ـ تجسد مثالا عميق الدلالة على أن المجتمع الذى انتجها كان يمر بمرحلة انتقال جوهرية مما يسـمى المـرحلة الشفاهية الى ما يسمى بالمرحلة الكتابية، وان الفرق بين المرحلتين لا يعنى عـدم وجود كتابة فى المرحلة الاولى ووجـود كتابة فى المرحلة الثانية ، بـل يعـنى أن الكتابة فى المرحلة الثانية تمثـل محورا أساسيا فى تكوين عقلية أفـراد المجتمـع وطبيعة تفكـيرهم ومظـاهره المختلفة ، بحيث يبدو هذا المجتمع فى النهاية مجتمعا متمـيزا عن المجتمع الشفاهى تميزا واضـحا ، ينعكس فى أفضل صورة فى الفنون التى يمارسـها المجتمع بشكل أصيل .. وقد حـاول الباحث الكشف عن مظاهر هذا الانتقال من خلال فحص قصيدة الاطلال ، عـلاوة على فحص ما يقرب من مائة وثمانين قصيدة ، بالاضافة الى ما يقرب مـن أربعين مطلعا طلليا .

يقول الباحث :

حاولت فى المدخل النظرى للبحث أن أنظر الى مشكلة وجود القصـيدة الجاهلية فى ضوء الدرس النقدى المعاصر وفى ضوء الدراسات التى قامت حـول القصيدة الجاهلية قديما وحديثا ، أما فى الفصل الاول فقد عالجت قضية « وصف القصيدة » فى النظرية النقدية المعاصرة من ناحية ، ثم فى النقد العربى القـديم والدراسات الحديثة حول الشعر الجاهلى من ناحية أخرى .

● اما الفصل الثانى فقد قصـرته على « المقدمة الطللية » وقد انتهيت الى تحليل بنيتها تحليلا يكشف عن تآزر صورها المختلفة فيما يتصل بفكرة العبور من محور الشفاهة الى محور الكتـابة داخل المجتمع الجاهلى ، أما الفصـل الثالث فقد فحصت فيه نماذج للقصيدة الطللية ، وقد عالجت ثلاث قضـايا ، علاقة القصيدة الطللية بالرثاء ، وعـلاقة الشاعر بالناقة ، وأخيرا القصـيدة الثلاثية أى التى تتكون من مقدمة طللية وجزء خاص بالناقة ثم ثالث يحتـوى فخرا أو مدحا أو رثاء » .

وقد بدأ الدكتور تليمة المناقشـة فقال :

« أريد أن يكون حوارى مع الطـالب ليس فى تفصيلات وليس فى اجراءات جزئية ها هنا وها هناك فى ثنايا البحث وانما أريد مادام ارتضى لنفسـه أن يبلغ طموحه هذا الشأو البعيد أن تكون المناقشة على مثل هذا المستوى الرفيع من الطموح .

● وتساءل المناقش عن المادة العلمية للبحث ، هل هى القصـيدة الجاهلية باطلاق ؟ أم الشعر الجاهلى باطلاق ؟ . وقال ان رد الباحث بانه يريد أن يمتحن قدرة المنهج البنيوى فى تفسير الشـعر

بعامة ، وفى تفسير شعرنا العربى بخاصة والجاهلى بوجه أخص .. فساقول ان هذا ليس من شأن البحث العلمى، فى العلم لابد لصاحب الاطروحة ان يحدد مادة علمية وأن يحدد مرجعا لها وان ينتهى فى كل ذلك الى لون من الوان التقويم الخاص فى منتهى بحثه، .. ولكن الطالب سارع بذكاء شديد وقيدنا وقيد نفسه بأنها دراسة تطبيقية، وفى هذا المجال سأمضى واياه فى بعض الملاحظات .. ، سالاحظ أولا من جهة الشكل أن الطالب شغل نفسه فيمايقرب من ثلاثة أرباع الرسالة بالنقد وليس بالشعر .

الغرض الاساسى عند الباحث هو اعتقاده بوجود مرحلتين كبيرتين هما الشفاهية والكتابية فى تاريخ المجتمعات والصحيح أن حساب مراحل الانتقال فى المجتمعات ليس فى هاتين المرحلتين، ولكن من خلال النظر فى كيفية ادارة البشر لحياتهم ، وكيفية تنظيمهم لهذه الحياة .

● ثم تكلم الدكتور صلاح فضل فقال انه يعد هذا البحث نموذجا للطموح العلمى ولمحاولة الاستيعاب والاحاطة والتجديد ومحاولة التحدث بلغة العصر فى قضايانا الحيوية ، قراءة مثل هذا البحث تتيح أن نتبين أن مدرسة الحداثة فى الدراسات النقدية الحديثة تنمو وتتصاعد ، وأنها تضيف بالفعل الى الصرح العلمى للثقافة العربيةصروحا تعد مفخرة لها .

● أما عن ملاحظاتى فهى تتشابك مع الملاحظات القيمة التى سبقنى بها الدكتور عبد المنعم تليمة .

● ثم عقب الدكتور عز الدين اسماعيل معلقا على صمت الباحث تجاه ملاحظات المناقشين خاصة وأنه كان اثناء مناقشته له قبل كتابة البحث كان يجد لديه حججا كثيرة ، واعتبر هذا الصمت حيلة ذكية ، وقال انه يتفق مع الباحث حول ما أثاره الباحثان كاعتراض أساسى ، اذ أنه يرى أنه من الوجهة العلمية تستطيع أن تبدأ بفرض وتكون الدراسة هى امتحانا لهذا الفرض وتحقيق ما اذا كان فرضا صحيحا أم غير صحيح ، هذا منهج علمى بالتاكيد ، بل يوشك أن يكون أصلا هو المنهج العلمى حتى على مستوى العلوم البحتة ، التجربة ليست سابقة بالضرورة على الفرض ، التجربة تأتى كثيرا لكى تمتحن الفرض وتقول انه بعد ذلك صحيح أو غير صحيح ، وبهذه الطريقة تنمو المعرفة وفقا للنتيجة التى تتحقق من خلال التجربة .

● وفيما يتصل بنفس الاشكالية فان التورط فى أن المرحلة الشفاهية مرحلة بدائية ، والمرحلة الكتابية مرحلة حضارية فهذا أصلا ليس هو التصور الذى ينطوى عليه الفرض ، لان المرحلة غير الكتابية ـ كما نعرف أو المرحلة الشفاهية ، مرحلة حضارية أيضا وليست مرحلة بدائية متخلفة ، ليس هناك هذا المعنى ، لكن هناك فارقا نوعيا بالتاكيد بين حضارة وحضارة

● وفى نهاية المناقشة نال الطالب درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى.

شهريات

مكتبة الهلال



الكتاب: الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو
تاليف : طارق البشرى
الناشر : مؤسسة الابحاث بيروت - مكتبة البيادر القاهرة
٥جم - ٢١٦ ص

من موقعه كأحد مؤرخينا الموضوعيين سبق لطارق البشرى أن تناول موضوع الديمقراطية وثورة ٢٣ يوليو فى اكثر من بحث واكثر من مقال ولكن يأتى هذا العمل كطرح شامل لوجهة نظره التى استقامت بقياس اجتماعى يقيس الديمقراطية من زاوية مصالح الجماهير العريضة ، ثم يضعها كقياس بين المضامين السياسية والاجتماعية للنظام المصرى ، قبل الثورة ، وبعدها حتى نهاية الفترة التى تتناولها الدراسة (عام ١٩٧٠)

وهو يرى أن بين المضامين السياسية والاجتماعية لاى نظام ، وبين الاوضاع والابنية التنظيمية التى تتواءم مع تلك المضامين أصرة تؤدى الى تبادل التاثر والتأثير ، بل انهما يتبادلان التشكل ، ويفرع البعض على هذا الاصل الذى يسلم به بأن معارك الاستقلال التى خاضتها البلاد والمعارك التى طرحت عامة فى الخمسينيات والستينيات تحقيقا ودفاعا عن مشروع التحرر السياسى والاجتماعى قد ارتبطت بهذا التشكل التنظيمى الذى أوضحته الدراسة ، وقد تكشف هذه الدراسة نفسها وخاصة فى فصولها الاولى عن بعض ما أملته الضرورات فى تشكل النظام على الوجه الموصوف ، ولكن مع مراعاة كل ذلك يتعين الا يغيب عن البال أن هذا التشكل نفسه يحمل قدرا كبيرا من المسئولية ان لم تكن المسئولية كلها ، فى الانتكاس بالمشروع الذى أريد بهذا التنظيم تحقيقه والدفاع عنه ٠

ومن الناحية النظرية يؤكد المؤلف انه مع التسليم بالاواصر بين المضامين السياسية والاجتماعية والابنية التنظيمية ، فان هناك قدرا من التمييز بينها ، وهو تمييز قد تختلف فى حجمه ولكنه موجود وبه يصعب القول بأن ثمة تلازما غير منفك بين صيغة اجتماعية سياسية معينة ، وبين بناء تنظيمى حتمى معين ، تلك نزعة قالبية الية لا يرى المؤلف انها صائبة ٠

هو يرى ذلك كما يرى أن هناك ثلاثة أسس تنظيمية للنظام السياسى٠ هى التعدد التنظيمى ، والجماعية فى اتخاذ القرار ، وفى توزيع السلطة ، وهذه الخصائص الثلاث ، يقول المؤلف ، أن علينا فى كل حالة تاريخية عينية ، وفى

كل مجتمع بعينــــه ، أن تبحث عن الاشـــكال والقنوات والابنيــة التى تمكن من توافرها · وكل ذلك فى اطار من تحقيـق وجوه الاتصال بالمشـاركة الشعبية من خلال المساهمة فى اختيار الرجال ورقابة الاعمال ·

الكتاب: الحب فى زمن الكوليرا
تأليف : جابرييـل جارسيا ماركيز
ترجمة : صـالح علماني
الناشر : منـارات الاردن
٣٠٦ ص - ٧٠٠ر٢ د.ا

بعد رواياتــه التى قرأناها بالعربية ، مائة عام من العزلة ، وخريف البطـــريرك وليـس للكولونيل من يكاتبـه ووقـائع موت معلـن وحكاية بحار غريق تأتى اخر روايــات جابرييـل جارسيا ماركيز المترجمة للعربية الحب فى زمـن الكوليرا ، مفاجأة جديدة، أو نقول نقلة جديدة فى عالم هذا الـــروائى الجــاد ، الـــذى



اختط الطـريق الصعب ليس طريق الدعــاية الفجة لقضايا واقعـه المركب بالخرافة والسحر والبؤس ، بل بتوخيه طريق الفنان صاحب الـرؤية الخاصة للعالم ، تــلك الرؤية المعتمـدة علـى امكانيات كبيرة ، وقدرة فائقة علـى النظـر والتشوف لما هو من جوهر الاشياء لا من قشورهـا ومظاهرهـا الزائلـة وهذه المرة يكون العمل قصة حب من نوع خاص يلقى بك فى أتونـه فى لحظة موت ، على مشهد من حقــائق الحيـاة الاساسية يتركك تستوفى منه كيف أحب هذا الميت ، وزائره الذى جاء ، وهـو من قبل طبيب وصـديق ، ليحكى عبره حكاية الحب الممزوج بمعترك الحياة ، ونضج العلاقة بعـد أن اختمرت العاطفة ، وعرف الانسان الانسان علـى حقيقته ، ليؤكد أن رؤياه لم تقف عند حدود المشاهد الغرامية المبتذلة ، بل انه يخوض فى أعماق الحياة مستخرجا منها جوهـرها المحمل بكل النقــائض ، الفرح والسخرية ، الموت والحياة ، الالوان والظلال وطعم الدنيا وهى تبتعـد عنك ، أو تقترب بك مـن لحظة الشـهوة الحقيقية بفرحها الغامر ·

ولابد أن نشيد بجهـد المترجم هنا ، فهى ترجمة شــائقة ، وأصـيلة ، استطاعت أن تقدم حلولا فنية لمشاكل كان من الممكن ان تكون عصيبة ·

الكتاب : فى العتمة أصوات، نص الطريق
شعر: سيد حجاب
مع دراسة لابراهيم فتحى
الناشر : دار فكر
- ١٩٦ ص خ ج ٠ م

منذ نشر سيد حجاب ديوانه الاول « صـياد وجنيــة » عن دار ابن عروس التى اسسها فى الستينيات مع صـلاح جاهين ، والابنــودى وغيرهم من شــعراء مدرسة العامية المصرية حسب الشـائع الذى

ارادوه هم تسمية ارتضوها لم ينشرحجاب شعرا ، بل كدنا نظن انه ترك الشعر الى الغناء ، يأتيه فى الاغانى الفردية ، او المسلسلات والبرامج التليفزيونية والاذاعية كما المسرحيات ،ولكننا نفاجأ هنا بعودة سيد حجاب الشاعر ، فى ثلاثة دواوين دفعة واحدة ضمنها الجزء الاول من أعماله الكاملة المصنف رقم ١ ونعرف ان فى الطريق اليك ثلاث مجموعات اخرى منتهية اى تصبح عما قريب حصيلته سبعة دواوين

عودة راسخة وقوية فى قصائد من الشعر الخالص ، لعل نقادنا سيتوفرون على دراستها بجدية ، فهو بحق يعد « مع قلة متوهجة الموهبة والوعى – كما تقول الدراسة – من الشعراء المصريين (فؤاد حداد وصلاح جاهين على سبيل المثال لحسب) قدموا اسهاما مصريا متميزا فى تطوير القصيدة العربية، وكلمة العامية عنده وعندهم تعنى الطابع الشعبى بحيويته ومرونته واثراء القاموس العربى الشعرى بمفردات وايقاعات الكلام وتراكيبه الحية فى الوجدان وعلى الالسنة ٠

الكتاب : حوار حول العلمانية

تاليف : د٠ فرج فودة

الناشر : المحروسة للنشر

١٤٤ صفحة ، ٢ ج٠م

يذكرنا هذا الكتاب بالمعارك الفكرية والاجتماعية التى انتشرت على صفحات الصحف المصرية فى الثلاثينيات والاربعينيات بين العقاد وهيكل ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم الا ان الخصم الذى يتصدى لتفنيد آراء ومواقف فرج فودة ليس دائما من هذا الصنف من المفكرين والنقاد ، وانما هو خصم احيانا يلجأ الى احط الاساليب التى تمس شرفه السياسى ، وشرفه العلمى ٠٠لكنه مع ذلك ، وبشجاعة نادرة فى زمن يطلب الناس فيه السلامة يتكلم بوضوح



يضم الكتاب بين دفتيه بابين أحدهما عن الردة الحضارية ، والاخر يجمع فيه نصوص المقالات المقاتلة التى نشر بعض منها ومنع الاخر من النشر ، فى سبيل هذه المعركة بالاضافة الى مقدمة مستفيضة يبين فيها اعتزازه بالكتاب ولانه ينقل للقارىء ملامح معارك فكرية استمرت عامين ، ربما تفسر للقارىء كثيرا من القضايا ، ثم تدخل الى فصول الكتاب حوار حول العلمانية ،ومشكلة التطرف الدينى فى مصر ، تعريفهاوطبيعتها ثم مجموعة المقالات التى هى ردود اوهجوم فى معركة العلمانية ،او نقول الدفاع عن الوحدة الوطنية التى يخوضها د٠ فرج فوده بشجاعة ونبل الفارس العربى الاصيل ٠

الأدب المكشوف.. يرتدي ثوبا وقورا!

بقلم : محمود قاسم

سيظل السؤال حول الحدود التي يقف عندها الفنان في التعبير عن موضوعات المحرمات ـ التابو ـ المتعددة مثارا مادام هناك إنسان ... ومادام هناك إبداع . ولأن مثل هذه القضايا لايمكن حسمها بقوانين وضعية فان الكاتب سيظل يبحث دوما عن وسائل لتحطيم هذه الآلات من التابو مادام استطاع أن يدمرها .

وإذا كان الجنس يمارس في كافة بقاع الدنيا فإن الكاتب ـ والفنان ـ هو الشخص الذي يمكنه اخراج الجنس إلى ضوء الشمس فيكسبه بعض الشرعية على صفحات كتبه ويقلل من أبعاد حرمته إلى أقصى حد ممكن .

وقد امتلأ تاريخ الأدب بمحاولات تحطيم الكاتب لتابو الجنس وإن اختلفت مستويات المحاولات من كاتب لآخر ومن عصر لآخر . . وإذا كان القرن العشرين قد شهد تفاعلا واضحا مع الأدب المكشوف . فان أكثر الذين كتبوا هذا النوع من الأدب اتسموا بأنهم أدباء جادون مما أكسب هذا الأدب نوعا من الوقار . فاثبتوا أن مايقدمونه ليس محاولة لإثارة الغرائز الحسية قدر ماهو كشف عن بواطن خفية في الانسان فيسمو في حسيته . وإذا كان لورانس قد تنبأ بظهور الحاسة السابعة من خلال بعض رواياته المشهورة . فان مايهمنا هو أن نذكر اسماء بعض كتاب هذا الأدب لنعرف مدى مايتمتع به الأدب المكشوف من أهمية . فهناك الفرنسيتان أنابيس نين وريجين ديفورج ـ سبق أن قدمناهما على صفحات

عالم اريكايونج

الهلال ـ وكتاب امريكيون مثل هنرى ميللر وهارولدروبنز وأسماء أخرى سنذكرها فى المقال .

يرى هنرى ميللر مثلا انه نتيجة لعصر الآليات ، لايوجد فى الولايات المتحدة ما يستحق أن يعاش من أجله ، الفردية والضياع . ويردد فى أحد أقواله . « اعطني قليلا من الأمل . واعطني قليلا من بركة السماء . لكن هبنى الكثير من الحب » ... أما جان جاك بوفير فيقول فى كتابه « انطولوجيا تاريخية للأدب المكشوف » المنشور عام ١٩٨٠ فى فرنسا إن الأدب المكشوف ظهر منذ بدء الخليقة .. عندما أكلت حواء من الشجرة المقدسة . وان الخوف من الفساد قد صنع رقيبا يقف لهذا الأدب بالمرصاد ، لكنه استطاع دوما الافلات من سطوة الرقيب . وبقى بينما راح كل الرقباء .. وقال ان افضل الأعمال الأدبية المكشوفة هى تلك التى قام فيها الكتاب بوضع رقابة محدودة على كتاباتهم . وانه ليس صحيحا أن القرن العشرين ماجن اكثر من القرون السابقة التى افرزت دى ساد وكازانوفا ودون جوان وميرابو الذين أصبحوا رمزا للإباحية الدائمة .. فأدب القرن العشرين مكشوف ... لكنه ليس أدبا اباحيا ..

● حرية المرأة .. تفقدها أنوثتها

أما نحن فنقول إن مايميز الأدب المكشوف في هذا القرن انه شهد مجموعة كبيرة من الكاتبات يبدعن فيه ويكتسبن شهرة أكثر من الرجال ... مثل ايمانويل أرسان التى سكبت تجاربها الحسية فى خمس روايات انتقلت الى السينما فيما بعد ... ومثل بولين ريادج صاحبة « قصة أو » فضلا عن انابيس نين وريجين ديفورج واريكايونج .



ــ غلاف «سقطة ايكاروس»

اريكايونج هى إحدى أشهر الكاتبات الأمريكيات المعاصرات ... تكتب القصيدة والدراسة النقدية ... ولدت عام ١٩٣٩ . وهى كاتبة قليلة الانتاج ... يطلقون عليها « هنرى ميللر مرتديا تنورة » من أهم رواياتها « الخوف من الطيران » عام ١٩٧٤ والتى سميت فى ترجمتها الفرنسية بـ « تعقيد ايكاروس » ثم « لوح



ـ اريكايونج



ـ جراهام جرين

التحيات » ١٩٧٥ . و « فانى » أو قصة ومغامرات فانى الخليعة » ١٩٧٩ . و « مظلات ايكاروس » ١٩٨٤ . وعن الأدب المكشوف تقول : « يجب أن تكون هناك امرأة شجاعة . تتكلم عن الجنس دون مواراة ... لقد هوجم هنرى ميللر كرجل يكتب أدبا مكشوفا ... ويمكنك أن تتخيل ماذا ينتظر هذا النوع الادبى » .

ولا شك أن هناك علاقة بين الحياة التى عاشتها اريكا وحياة بطلات رواياتها خاصة رواية « تعقيد ايكاروس ـ بيع منها ستة ملايين نسخة ـ فايزدورا ـ وايضا اريكا ـ بطلة هذه الرواية من مدينة نيويورك . تزوجت وهى فى العشرين من عمرها من طالب أصابه الجنون . مما حال دون استمرار الزواج الذى لم يدم أكثر من عام .. فتزوجت من محلل نفسى صينى مالبثت أن هجرته ... نشرت ديوانا شعريا عام ١٩٧١ تحت عنوان « فاكهة وخضرة » ... تخاف من ركوب الطائرات . ومن الاقتراب من أية مغامرة لكنها فجأة تقرر أن « تحيا » حياتها ... فتتعرف على محلل نفسى آخر انجليزى يدعى أوريان . يأخذ على عاتقه ان يعلمها كيف تعيش التجربة التى تمر بها مثلما حدث مع ايمانويل ارسان فى شرق أسيا . لكن الجنس الذى تتعلمه منه ممزوج دائما بالأحزان والخوف ... فهى تخاف من اشياء عديدة ... النحافة و البدانة ... ومن أن يجيىء يوم تصبح فيه غير مرغوبة من أحد ... تخاف من انجاب الأطفال . أو من العقم وكأنها ايكاروس . يريد أن يحلق فى السماء ... لكنه فى أعلى يصاب بالخوف ... فيهوى وهو فى أول محاولة للطيران ، لذا فان ايزادورا تترك طبيبها الانجليزى وتقرر العودة مرة أخرى الى زوجها الصينى جوش . ذى العينين الضيقتين والشفتين الرقيقتين .

عالم أريكا يونج

ولأن اريكا هى ايزادورا . فقد تركت الكاتبة بالفعل زوجها الثانى بعد أن ذاقت طعما غير متوقع للنجاح بعد نشر هذه الرواية . وتقرر أن تعود الى زوجها الأول جوناثان قاست . تردد : « كيف يمكن أن تتحرر المرأة دون أن تفقد أنوثتها ؟ ... كيف تعطى ونحن نحتفظ لأنفسنا بأشياء . اذا لم تكن هناك حرية بدون وحدة أو حب او انتماء . طالما أن قيود الزواج بالغة الثقل ونحن نمارسها خلف الأبواب » .

● شىء يمس الرجال

ولأن الكاتبة مرت بالعديد من التجارب منذ عام ١٩٧٤ . فإنها تسجل هذه المرحلة فى « مظلات ايكاروس » وتكشف ان الانجليز لايفهمون ممارسة أمورهم الحسية لأنهم يفعلونها باشمئزاز وقذارة ... ويكتبون عن الجنس بحقارة ، وفى هذه الرواية ترى ايزادورا وقد أصبحت امرأة وحيدة لا يؤنسها أحد سوى ابنتها الصغيرة التى لم تتجاوز الثالثة . هناك العديد من الرجال عبروا فى حياتها كخيالات يصعب عليها أن تتذكر وجه أحد منهم . فالرجال كلهم متشابهون عند نفس المرأة التى تعرف الكثيرين . ينظرون اليها على انها سلعة ... لكن هذه المرأة لاتنسى أبدا الرجل الذى عاملها برقة ... مثل « بين » الرجل اللطيف الرومانسى ولأنها جربت الزواج وفشلت . ولأنها اخفقت فى تجاربها العديدة . فإن المرأة المطلقة مدانة فى المجتمع ... تنظر اليها العيون فى طمع ... لكن هذا الأمر يختلف عند الرجل ... فهو قد عرف العديدات ... وإذا طلق .. فإنه لاشىء يمسه مثلما يمس المرأة ... وها هى ايزادورا قد تركت زوجها الصينى مرة أخرى لسبب فى غاية الغرابة ... وهو أن الرجل أحس ان زوجته كاتبة ناجحة وأكثر شهرة منه .

● كل شىء ينتهى بالطلاق

قد لاتختلف ايزادورا كثيرا عن « فانى » ... بطلة رواية اريكايونج . فهى أيضا امرأة قوية الحس عاشت فى القرن الثامن عشر .. وأثارت مشاعر الشباب الانجليز فى زمانها ... وقد أثارت حياة هذه المرأة الكاتب والمؤرخ جون كليلاند فكتب عنها كتابا ضخما يحمل عنوان « مذكرات فانى هيل . امرأة متعة » ... وهو بحث عن الحياة الداعرة التى عاشها الانجليز فى القرن الثامن عشر . وقد أثار هذا الكتاب مخيلة اريكايونج فذهبت الى المكتبات تدرس هذا العصر الذى انتمت اليه فانى . واسلوب حياتها والملابس التى كانت ترتديها ... وعاداتها ، والمواخير التى انتقلت بينها ... فقد ضمت مواخير لندن فى تلك الآونة اكثر من أربعين الف عاهرة .

كانت فانى نموذجا لامرأة وعصر ... احتوت بين ذراعيها اشهر رجال تلك الحقبة مثل جون كليلاند وجوناثان سويفت ـ صاحب روايات جاليفر ـ لدرجة جعلت منها امرأة تقف فى نفس الصف مع

شخصيات روائية معروفة مثل « توم جونز » ليفيلدنج و« بارى ليندون » لثاكراى ... والرحالة جاليفر ... ففانى فتاة لقيطة تبناها اللورد بلار احد الاقطاعيين الانجليز ... هربت من منزله وهى فى السابعة عشرة مع احد الشباب بعد أن تعرض اللورد لخسائر مالية . فأوت الى بيوت الساحرات فى لندن ... وتعلمت أول مراسيم الخروج عن المألوف بشتى أشكاله . قيل إنها ارتدت فى منازل السحرة ملابس الرجال ، حتى قابلت يوما فى احد الفنادق وصيفة أحبتها فكشفت عن شخصيتها الحقيقية ... فأخذتها الوصيفة لتعرفها على نساء عديدات فى مواخير لندن ... وكان أول رجل أحبته ضابطا اسود البشرة فى ماخور معروف فى تلك السنوات تديره امرأة تعرف فى التاريخ باسم السيدة فوكس .. وفى هذا البيت عرفت رجال الأدب والسياسة وعظماء المجتمع الذين جاءوا لزيارة مخدعها .

وقد جاء كتاب كليلاند عن فانى بمثابة تاريخ لعصر من خلال البيوت السرية ... والغريب أن كتابه اقل شهرة من « غادة الكاميليا » الذى يحكى نفس الحكايات ... وذلك لأن الكسندر ديماس الصغير قد أحب عاهرة أطلق عليها اسم مارى جوتييه وصاغ روايته فى قالب رومانسى ... ألهبت خيال السينمائيين والقراء فى كل أنحاء العالم . وقد استطاعت كل من غادة الكاميليا وفانى هيل ان تنتقل من خلال قدرتها على بيع جسدها للاثرياء الى أعلى طبقات المجتمع وتغدو مجالا خطرا للمنافسة بين العشاق ... خاصة الأثرياء .

وقد كتب الآن فرديمان فى جريدة نيويورك تايمز ان اريكايونج كاتبة مميزة ... تفجر الكلمات بين أصابعها ... ورواياتها هى فى المقام الأول روايات افكار . وهى على غير ما يعتقد البعض . فهى روايات ضد الأدب المكشوف رغم مايظهر منها . ومن هنا يأتى نجاحها .

وتقول أريكا فى مجلة لوبوان ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧ ـ انه اذا كان الشعر عملا فنيا خاصا . فإن الرواية مخاطرة غريبة وعلينا ان نقدمها بوجهها المكشوف ... وحول أهمية مواجهة هذه الأمور فى عصرنا تقول : « ان كل شىء كان ينتهى بالزواج فى القرن التاسع عشر . أما فى القرن العشرين فان كل شىء ينتهى . وغدا سوف ينتهى كل شىء فى العيادة النفسية » .

وعند سؤالها فى مجلة بانوراما الايطالية ـ ١٥ ديسمبر ١٩٨٠ ـ عن الكتاب الذين تأثرت بهم جاءت الإجابة غريبة . فهى لم تذكر أحدا من كتاب الأدب المكشوف ... بل جاء على رأس هؤلاء الكتاب الروائى الانجليزى جراهام جرين ـ احترمه جدا لأن لديه قدرة على الاستمرارية والمثالية فى الكتابة ، ثم دوريس ليسنج وفرجينيا وولف .

الجدير بالذكر ان السيدة يونج هى احدى زعيمات الحركات النسوية فى الولايات المتحدة . هذه الحركة التى جاءت بعد ترجمة كتاب « الجنس الثانى » لسيمون دى بوفوار الى الانجليزية وقد جاءت رواياتها بمثابة احتجاج ان تصبح المرأة سلعة جنسية ـ عكس مافعلته ايمانويل ـ فى كل العصور ، لذا تنادى دوما بحق المرأة فى ممارسة حياتها بعيدا عن سطوة الرجل .. وعن شهوة الجنس .

العالم في سطور

نيويورك

● الستار الحديدى .. امريكى

رغم الجاذبية الشـــــديدة التى تحدثها الشهرة للكثير من الناس أن يصبحوا معروفين فان هنـــاك بعض الانباء فرضوا على أنفسهم ســـتارا حديديا فلم يسعوا للاتصال بوســـائل الاعلام وظلوا شبه مجهولين رغـــم انهم لا يزالون يعيشون بيننا . ورغم ان ابداعاتهم تتواصل كاشـــفة عن ابناء جادين اكثر أهمية من عشرات تنشر اسماؤهم وصورهم فى وســـائل الاعلام يوميا .

الكاتب الامريكى توماس بينشـــون هو أحد هؤلاء الانباء .. فقد رفض دوما ان يجرى أى اتصال مع وسائل الاعلام . ولم تعرف له سوى صورة فوتوغرافية واحدة اخذت من أحـــد ملفاته الوظيفية وتعود الى عام ١٩٥٥

وقد صدرت فى باريس هذا الشهر ترجمة روايته « بيع بالمزاد للمجموعة ٤٩ » وهى روايته الثانية ـ نشرهـــا عام ١٩٦٦ ـ واقصر رواياته . وتدور حول امرأة تدعى اوديبا تعمل طبيبـــة نفسية تستقبل يوميا عددا من المرضى الا أنها تفاجأ ذات يوم بزيــــــارة يقوم بها توماس حبيبها القـــــــديم ساعيا للعلاج فى عيادتها من مرض العظمة الذى يعانى منه منذ سنوات

ولد بينشون فى ٨ مايو ١٩٣٧ فى احدى ضواحى نيـــويورك . التحق بجامعة كورنيل وتتلمـــذ فيها على يدى الاديب فلاديميرنابوكـــوف الذى عمل مدرسا بنفس الجامعة وفى عام ١٩٦٣ التحق بالبحرية الامريـــكية ونشر روايته الاولى « ف » التى حققت له شهرة كبيرة والتى اعتبرها النقاد اهم رواية امريكية فى الســـــتينيات وتدور احداثها بين مدينتى القـــاهرة ونيويورك . ثم جاءت روايته « بيـــع فى المزاد » .. اما روايته الثالثـــة فهى « نقوش قوس قزح » عام ١٩٧٣ .. ومنذ تلك الاونة انقطع بينشـــون عن كتابة الرواية الا انه عاد عام ١٩٨٤ ونشر خمس قصص قصـــيرة تحت عنوان « الرجل الذى يتعلم ببطء » . وكتب فى المقدمة انه يعنى نفســـــه بهذا العنوان .

ـ توماس بينشون



القدس

● سنوات الحب .. المستحيل

لن تكف المطابع عن اصدار روايات جديدة تتناول ما يمكن ان يقوم من مشاعر المودة بين اليهود والفلسطينيين رغم الصراعات الاجتماعية والسياسية التى تشهدها فلسطين المحتلة منذ اكثر من اربعين عاما . فأى حب يمكن ان يقوم بين فلسطينى وامرأة يهودية هو حب مستحيل فى المقام الاول . مثل ذلك الحب الذى أحسه كل من روميو وجولييت . كما انه محاولة هروبية من كلا الطرفين مما يحدث بين ابناء العشيرتين المتصارعتين دوما .

هذا الشهر صدرت رواية جديدة ـ باللغة الفرنسية ـ من هذا النوع تحمل عنوان « بعيداً عن القدس » للكاتب الفلسطينى ابراهيم الصوص يروى فيها قصة حب بين نبيل الشاب الفلسطينى الذى يقيم بمدينة القدس وبين جارته اليهودية الجميلة جابريللا التى جاءت مع اسرتها الى فلسطين هربا من المانيا النازية .. وتدور



ابراهيم الصوص

احداث الرواية فى الاربعينيات قبل ان تقوم اسرائيل . وان تندلع الحرب بين العرب واليهود .. أو حسبما يقول الكاتب « حينما كان يعيش الفلسطينيون واليهود فى جيرة طيبة وقبل ان يكون هناك رجال مسلحون فى بلادهم يسعون للاستقرار فى فلسطين ويحولونها الى مستعمرة متعجرفة .. »

يعمل ابراهيم الصوص منذ تسع سنوات ممثلا اعلاميا لمنظمة التحرير الفلسطينية فى باريس . وهو من مواليد مدينة القدس . وقد اختار ان يخاطب الغرب بعقليته من خلال قصة حب شفافة تكسوها احداث سياسية دامية ..

باريس

● المواطن بلموندو

هل صعد النجم المعروف جان بول بلموندو خشبة المسرح اخيرا اعلانا عن تنازله عن ادوار الحركة فى السينما ..؟ ذلك هو السؤال المثار الان فى العاصمة الفرنسية بعد افتتاح مسرحية « كين » فى الثامن عشر من مارس الماضى والتى يعود فيها بلموندو الى المسرح بعد غيبة طالت لاكثر من ربع قرن ادى خلالها كل حركات الاكروبات ومشاهد العنف والحب فى عشرات الافلام الفرنسية ..

لم يختر بلموندو نصا مسرحيا سطحيا او قائما على الحركة مثلما فعل فى اغلب افلامه السينمائية الاخيرة .. انما اراد ان تكون

عبقريته مع النص الذى كتبه جان بول سارتر .. ومن المعروف ان سارتر قد قام بمسرحة هذا النص عن رواية معروفة بنفس الاسم للكاتب الكسندر ديماس . كما ان ديماس نفسه استقى وقائع هذه الرواية من حياة الممثل ادمون كين اشهر ممثلى المسرح فى عصره .. وقد ترجمت مسرحية سارتر الى اللغة العربية فى الستينيات وهى ليست بافضل اعمال الكاتب .

اما المخرج الذى اختار لبلموندو العودة الى المسرح فهو الممثل والمخرج والكاتب روبرت حسين ـ ذو اصل جزائرى ـ والذى سبق ان اخرج للسينما والمسرح رواية « البؤساء » لهيجو .. وعن تجربته المسرحية يقول « كنت سعيد الحظ ان اتعرف على سارتر فقد دفعنى للعمل فى مسرحيته « الابواب المغلقة » و « المومس الفاضلة » وانا فى مقتبل حياتى الفنية ، اردت ان اصعد معه. ان استغل الفرصة المتاحة لى .. وهكذا او بعد سنوات طويلة عدت مرة اخرى اليه .. مستعينا بنجم يحبه كثيرا .. بلموندو » .

من المعروف ان حسين يحب كثيرا اجواء القرن التاسع عشر .. وقد جعل اكثر اعماله المسرحية تدور فى تلك الاونة .. السؤال الان .. هل ينجح بلموندو على المسرح مثلما نجح على الشاشة .. وهل يمكن ان يجعل زملاءه يفكرون فى الصعود على خشبة المسرح مثل الان ديلون وايف مونتان .. وهل تتكرر نفس تجربة القاهرة الى باريس بعد ان صعد على خشبة المسرح اخيرا كل نجوم السينما الذين اكتسبوا شهرتهم من الشاشة الفضية اولا ؟

بلموندو الممثل الكبير



● سترندبرج .. عدو المرأة

عرفنا الكاتب السويدى أوجست سترندبرج مسرحيا في المقام الاول .. لكننا لم نقرأ له اى ابداع قصصى اخر .. هناك نقاد لهم رأى اخر فى هذه المسألة . فسترندبرج القصصى لا يقل عبقرية عنه ككاتب مسرحى .. وذلك من خلال مجموعته القصصية الوحيدة « ازواج ! » التى صدرت اخيرا فى طبعة منقحة كاملة . ويقول الكاتب فى مقدمتها : « ان بيت المرء لبيع يوما عدا ما يحدث فى الروايات » .

تضم المجموعة ثلاثين اقصوصة كتبها سترندبرج على مراحل مختلفة من حياته .. الا ان اغلبها يدور حول دور المرأة فى تغيير حياة الرجل وهى نفس « التيمات » التى يركز عليها الكاتب فى مسرحياته العديدة مثل « الاب » ، « الانسة جوليا » ، « الطريق الى دمشق » . فالمرأة التى ارتبطت بحياة الكاتب كأم وزوجة وابنة لم تكف عن ملاحقته بتعذيبه وتسليط السوط على ظهره تلهبه بعذابات لا تنتهى ..

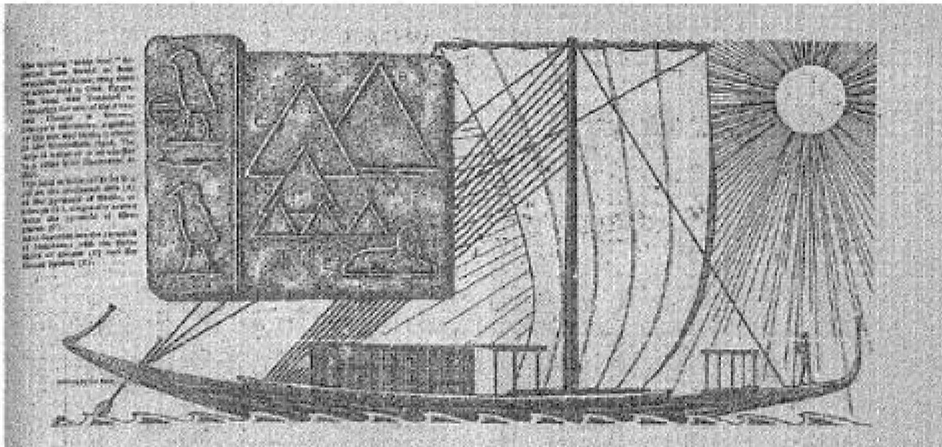
وتقول مجلة الاكسبريس فى ٢٧ فبراير الماضى أن مسرحيات سترندبرج العديدة قد تكاثفت فى هذه الروايات من خلال مرارتها . فهى تعكس الام الحياة وسعادتها مثل شخصية فريتوف فى اقصوصة « الطفل » اللقيط الذى تولت تربيته مجموعة كبيرة من نساء عائلة واحدة فانتقل بين أيديهن . وشكل لبعضهن عقبة فى استمرار حياة كل منهن .. فأخذن يلقنه لبعضهن . وعندما كبر أحب ابنة الجناينى . ولكنه يتزوج امرأة اخرى ليست على هواه .. فيضطر الى معاقرة الخمر حتى يتمكن من ان ينسى ..

من المعروف أيضا أن النقاد يضعون سترندبرج فى قمة الكتاب الذين يناهضون الحركة النسوية التى انتشرت فى القرنين التاسع عشر والعشرين وقد شن حملة لا هوادة فيها ضد زميله الكاتب النرويجى هنريك ابسن حين ناصر المرأة فى « بيت الدمية » وعلى عكس مسرحياته التى عرضت فى حياته . فان كتابه « ازواج ! » قد منع من النشر لسنوات عديدة قبل أن يسمح له بالنشر داخل السويد وخارجها .

■ ■ ■



سترندبرج وابنتاه عام ١٨٨٦



الامريكيون يتصورون ان فى الحفرة الثانية مركبا لخوفو .. واعترضت هيئة الآثار على ذلك .. لأن التحديد غير علمي

الهرم وأبو الهول الصامت أمام حشود أحدث أجهزة علماء العالم

بقلم : أحمد أبو كف

فى الخامس والعشرين من ابريل الحالى تجتمع بالقاهرة اللجنة العلمية للبحث عن مقتنيات ودراسة أوضاع الحفرة الثانية جنوب الهرم الاكبر ، لتقييم الدراسات والأعمال وتطوير الأجهزة من أجل أخذ عينة من الهواء القديم .. ومناقشة جدول زمنى للبحث عن مقتنيات الحفرة .. بعد دراسة لتاريخ القياسات والصور التى قامت بأخذها البعثة اليابانية فى شهر فبراير الماضى بالاضافة إلى تلك الدراسات التى أجراها الفرنسيون .

الواقع أن الهرم خضع خلال العام الماضى وحتى الآن .. إلى محاولات جريئة لفك ألغازه ، سواء من داخله ، أو حوله .. وكذلك تمثال أبوالهول وماتحته من فجوات .

ولقد حاول فك هذه الألغاز كل من الأمريكيين ، ثم الفرنسيين ، وبعدهما اليابانيون على التوالى ، ولقد تراوحت البحوث والأجهزة بين الأمل واليأس .. وحتى الآن مازال

● ● رغم أجهزة الفضاء .. وعلماء وكالتى «ناسا» و«نووا» الامريكيتين ، ورغم العلم الفرنسى الذى تبلور فى جهاز الميكروجرافوميترى وهو سر حربى ، ورغم جهود علماء جامعة واسيدا اليابانية .. رغم كل هذا فإن الهرم الأكبر مازال صامدا وصامتا .. وكذلك ابوالهول . إن هذه الآثار الهامة لم تبح بأسرارها .. ومازالت محتفظة بألغازها .

ما الذى حدث خلال أعوام طويلة من محاولات الكشف عن الهرم .. هذا ماتجيب عنه هذه السطور ● ●

محاولات لفك الألغاز ومعرفة تكوين الغلاف الجوى منذ ٤٦٠٠ عام

الهرم وابوالهول صامتين . كل منهما لايريد أن يبوح بشىء رغم كل الإجهزة العلمية المتقدمة .. ولكن .. إلى متى يستمر هذا الصمت ؟!

فالفرنسيون الذين تحول عملهم من فحص الشقوق ودراسة عمارة الهرم .. إلى البحث عن الفراغات خلف الممر المؤدى الى غرفة الملكة .. هؤلاء تطور الأمر بهم وأعدوا عدتهم لكى يسحبوا قبضة من الهواء من داخل هذه الفراغات التى تأكد ان أحدا لم يفتحها منذ ٤٦٠٠ عام ، أى منذ أن بنى الهرم الأكبر .

لقد جاء الفرنسيون الى الهرم ، وطلبوا نصب سقالات فى الغرفة التى تسمى تجاوزا غرفة الملكة .. ونصبوا فيها أحدث وأدق جهاز لهم وهو جهاز الميكروجرافوميترى وهو سر حربى .. وظلوا يدرسون الصخور ونوعياتها . كما ظلوا يرصدون عمارة البناء فى الداخل ونوع الأحجار .

ثم طلبوا عمل ثقوب لكى يدخلوا من خلالها الكاميرات التى تصور مابداخل الفراغات من أشياء .. لكن آمالهم وحفاراتهم اصطدمت مرة بالطين ، وأخرى بالرمال ، أى انها غاصت فى محيط رمال داخل الهرم ، وعاد الفرنسيون أكثر من مرة الى بلادهم ليعيدوا قراءات قياساتهم وليستخدموا أجهزتهم الحديثة فى تحليلها .. لكنهم منذ نهاية العام الماضى توقفوا عن العمل .. وإن كانوا قد حققوا انجازات لا بأس بها تتلخص فى الآتى

أولا أن الرمال داخل الهرم ليست من منطقة الأهرامات . وإنما هي من منطقة أخرى تبعد نحو ٦ كيلومترات في طريق الفيوم ـ القاهرة .

ثانيا معلومات جديدة عن الأساليب الهندسية والانشائية في العمارة الهرمية ، والمواد المستخدمة ودرجة التقدم التي حققها المصرى القديم

ثالثا اتضح أن الرمال التي خرجت أثناء الثقب والشفط من عصر الأوليجسين ، وأن هذه الرمال فرزت ونخلت ووضعت في الهرم . واتضح أيضا بعد وضع حبيبات الرمال تحت المجهر ، احتوائها على عناصر معدنية ثقيلة .

رابعا . تم تحديد قيمة متوسط كثافة مادة الهرم بمقدار طنين لكل متر مكعب

خامسا اتضح أيضا أن الحديث عن الفراغات صحيح

سادسا ان الأجهزة المتقدمة التي جاء بها اليابانيون من جامعة واسيدا ، أثبتت صدق نتائج أجهزة الفرنسيين ، كما أثبتت وجود الفراغات داخل الهرم كما قال بها الفرنسيون

● ● ●

أما الأمريكان فقد بدأ اهتمامهم بالهرم من الستينيات ، حيث جرت عدة محاولات لتطبيق بعض معطيات التكنولوجيا الحديثة على البحوث والتنقيبات الأثرية في باطن الأرض ، وعلى اكتشاف أي فراغات أو حجرات داخل الأهرامات . وذلك من خلال جامعتي بيركلي عام ١٩٦٧ وستانفورد في الفترة بين ١٩٧٥ و١٩٧٧ .

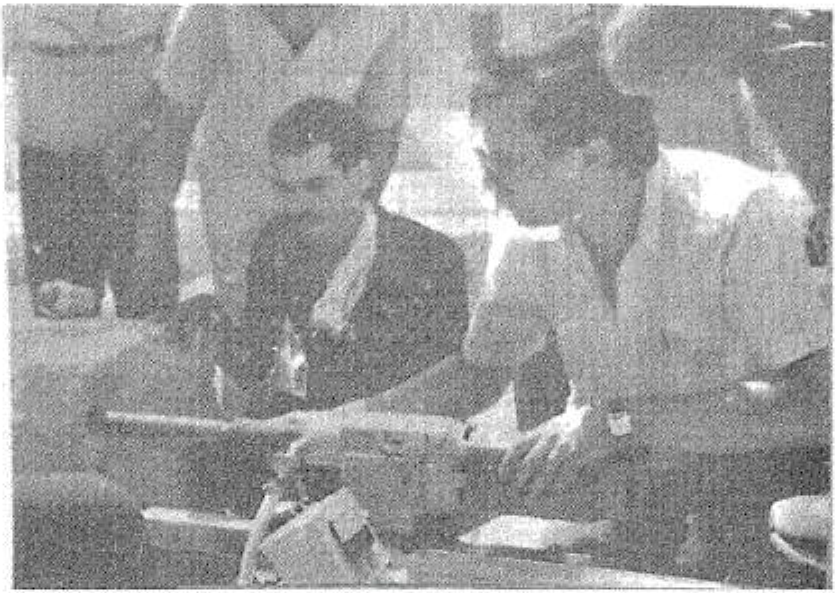
وتركز مشروع جامعة بيركلي بكاليفورنيا في هرم خفرع هذا المشروع استهدف محاولة الكشف عن أي فراغات أو ممرات لم تعرف من قبل داخل الهرم .

ولقد تم استخدام الاشعة الكونية للكشف عن الفراغات داخل الهرم . وكان من المنتظر أن يتم عمل ثقوب في هذا الهرم إذا ماكانت النتائج ايجابية ، لكن النتائج التي ظهرت جاءت سلبية .

أما مشروع جامعة ستانفورد فقد كان مشروعا جديدا يعتمد على استخدام تكنولوجيا دراسة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية في الأحجار والصخور ، ومدى امتصاصها لهذه الموجات للكشف عن أي فراغات . وكذلك استخدام أسلوب التصوير الجوى ، وقياس مجالات المغناطيسية والمقاومة الكهربائية والموجات الضوئية ، في محاولة للتعرف على هذه الفراغات ، لكن هذه المحاولات لم تسفر عن نتائج إيجابية .

وهناك مشروع حديث بدأ منذ العام الماضي ، ووضع فيه الأمريكيون علمهم وبحوثهم من أجل الهواء القديم . وقد تركز مشروع الأمريكيين هذه المرة جنوبي الهرم الأكبر ، وفي حفرة ثانية بجانب الحفرة الأولى التي استخرج منها مركب خوفو .

وهذا العمل بعد دراسات مستفيضة .. سيجرى تنفيذه في الخريف القادم .. وسيستخدم فيه أجهزة متقدمة جدا أغلبها أجهزة تتصل بالأجهزة التي استخدمت في جلب عينات من القمر مثل جهاز الحفر ، وجهاز البريسكوب ، بالاضافة الى الكاميرات المتقدمة التي صنعتها خصيصا مؤسسة المجلة الجغرافية الدولية الامريكية ، فهذه



تجارب على التثقيب قبل قيام الفرنسيين باستخدام المثاقيب

المؤسسة تشترك فى العمل ، وفى كتابة التحقيقات عن هذا المشروع الكبير .

وهذا العمل تشترك فيه أيضا وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » ، حيث أن مدير مركز « جودر » لأبحاث الفضاء بواشنطن عضو فى المجموعة العلمية التى تخطط للمشروع ، كما أنه يمثل وكالة ناسا فى اللجنة العلمية .

والأجهزة العلمية التى ستستخدم فى العمل ، نتجا معظمها من بحوث وكالة الفضاء الأمريكية خلال السنوات العشرين الماضية أثناء الاستعداد لرحلات الفضاء ، وخصوصا وصول الانسان الى سطح القمر ، فمثلا شركة « بلاك أنديكر » هى الشركة التى كانت قد صنعت وابتكرت الخرامة التى استخدمها رواد الفضاء فى أخذ عينات من سطح القمر . وهذه الشركة نفسها هى التى تقوم بصنع الخرامة التى ستستخدم فى الخطوة الثانية جنوب الهرم الأكبر فى ثقب البلاطات فوق الحفرة .

أيضا تعمل مع المجموعة وكالة أخرى اسمها « نووا » وهى الوكالة الأمريكية الوطنية لبحوث الفضاء والبحار . وهذه الوكالة ستكون مسئولة عن أخذ عينات من الهواء المختزن فى الحفرة ، ثم تقوم هى نفسها ومن خلال علمائها المتخصصين بتحليل هذه العينات فى أهم معامل الولايات المتحدة الأمريكية ، للتعرف على التغييرات التى حدثت للغلاف الجوى للأرض منذ أيام القدماء وحتى الآن .. وهذا مهم بالطبع من الناحية العلمية .. فالتعرف الكامل على بيئة الهواء القديم داخل الحفرة ، أى دراسة الحرارة والرطوبة والضغط الجوى الجزئى ، يمكن أن يفيد فى حماية الآثار ، خاصة الاخشاب والنحاس من التلف .

أيضا فإن التعرف على عناصر الهواء القديم (٤٦٠٠) وقياس نسبة ثاني أوكسيد الكربون فيه ، مهم جدا للبشرية التي تعرضت في العصر الحديث لاحتراق الوقود والتلوث والتفجيرات النووية ، مما زاد في نسبة ثاني أوكسيد الكربون .. وهذا له تأثير في ذوبان جليد القطبين ، وما ينتج عن ذلك من أغراق وطوفانات . تهدد الانسان

ومن أجل ذلك فقد تمت دراسة عينات من الصخور المشابهة والتي كانت تغطي حفرة مركب خوفو ، والتي تعرف خطأ بمركب الشمس . وهذه الصخور جرى تحليلها لمعرفة صلابتها وكيف سيمكن تخريمها والتعامل معها أثناء الحفر . كما جرت دراسة اختراق الغازات لها .. حتى لايتسرب الهواء من داخل الحفرة أو من خارجها أثناء الحفر

ثم جرت الدراسات أيضا بأجهزة الرادارات المتقدمة لمعرفة عمق الغرفة وحجمها أو شكلها ، ومن أي مكان يمكن ولوج البريسكوب اي المنظار فيها ، وهو المنظار الذي سيحمل في طرفه كاميرا دقيقة تدور ٣٦٠ درجة لتصوير مابداخل الحفرة من جميع الجهات وقد تمت عدة تجارب على بيئات مماثلة في الولايات المتحدة الامريكية

وعلم أن الحفار لن يستخدم أثناء الحفر ، الزيت أو المياه حتى لايحدث التلوث ، وإنما سيجري استخدام غاز النتروجين الخامل . كما أن الأجهزة التي ستستخدم لن تؤثر على درجة حرارة الحفرة .. ولذلك ستستخدم أجهزة تعمل بالألياف الضوئية

• • •

في الفترة التي توقف فيها الأمريكيون ... لتطوير أجهزتهم من أجل الحفرة جنوبي الهرم الأكبر وفي نفس الفترة التي توقف فيها الفرنسيون لاجراء مزيد من القياسات التي سجلها جهاز الميكروجرافوميتري . ظهر اليابانيون في يناير الماضي

فقد تقدمت جامعة واسيدا اليابانية بطلب الى هيئة الآثار للعمل والبحث داخل الهرم وخارجه وفي أبوالهول .. من أجل إزالة الغموض وكشف الأسرار . وأكدت أن لديها أجهزة دقيقة وحساسة يمكن أن تضيف للأجهزة التي استخدمها الفرنسيون والامريكيون .

وبالفعل وافقت هيئة الآثار على عمل جامعة واسيدا الذي استغرق الفترة من منتصف يناير الى منتصف فبراير هذا العام !

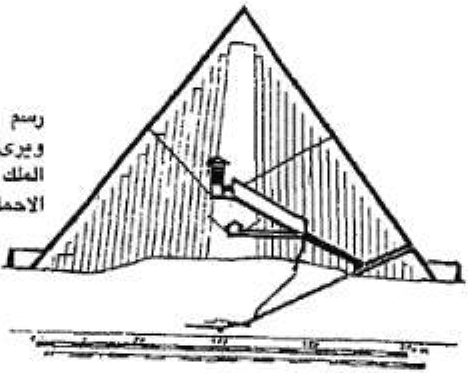
استخدم اليابانيون جهاز تصوير مقطعي كهرومغناطيسي تبلغ قدرته ٢٥٠ وات عند تردد ١٩٨ ميجاسيكل ، ويصل مداه الى عشرة أمتار تحت سطح الأرض .

ويعطي هذا الجهاز صورا فورية على شاشة تليفزيونية مفصلة لمقطع طبقات الأرض وتظهر المواد داخل هذه الطبقات مصنفة طبقا لنوعية المادة . والصور يمكن تخزينها واجراء عمليات ترشيح وتنقية الكترونية لها ، وتحليلها في الحاسب الالكتروني لتقديم تفاصيل دقيقة لنوعية هذه المواد .

وقد كانت نتائج عمل البعثة اليابانية هي الآتي :

● وجود تجويف في غرب الممر المؤدي لغرفة الملكة ، وتجويف آخر خلف الحائط الشمالي الغربي لغرفة الملكة .

رسم تخطيطي للهرم ويرى الممر الفردي لغرفة الملك وفوقه غرف تخفيف الاحمال



● وفي جنوب الهرم يوجد تجويف غربي الحفرة التي أخرجت منها مركب خوفو ، تغطيها بلاطات ذات سمك نحو مترين ، وداخلها تشكيلات لمواد ذات انعكاسات مختلفة .

● وعلى بعد ٤٢ مترا جنوب الهرم ، ومن بداية طرفه الغربي الجنوبي يوجد تجويف هندسي ، يمتد أسفل الهرم لمسافة غير معروفة مملوءة بالرمال .

● ويوجد تجويفان على جانبي تمثال ابوالهول في الشمال والجنوب .

● يوجد أيضا تجويف هندسي شمال التمثال وبجوار مرفقه الأيسر .

● أمام صدر التمثال في الجانب الشرقي يوجد تجويف هندسي ، وتجويف آخر الى الغرب من مائدة القرابين الجرانيتية بين مخالب التمثال الأمامية

وبالطبع فان عمل البعثة اليابانية يعتبر عملا هاما ، فكما أنه يؤكد بحوث الفرنسيين داخل الهرم ، فهو أيضا يؤكد بحوث الامريكيين خارجه ، وخاصة الى الجنوب منه ، وهو كذلك هام لأن الاجهزة اليابانية تستطيع الكشف عن المواد التي بداخل هذه الفراغات ، وهذه سيكشف عنها النقاب بعد تحليلها بأضخم كومبيوتر في طوكيو من الجيل الثالث ، ولهذا فإن بعض الأسرار سيجرى الكشف عنها ، خاصة مابداخل هذه الفراغات من اشياء سواء أكانت أثاثا جنائزيا أم مراكب جنائزية وغيرها

د . أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار يرى أن التنافس العلمي حول آثارنا المصرية ، خاصة الأهرامات ، مطلوب في هذه المرحلة ، خاصة داخل الهرم الأكبر وماحوله . ويرى أن الكشف عما بداخل الحفرة الثانية جنوبي الهرم سيكون كشفا علميا كبيرا من كل النواحي . فبالاضافة الى معرفة طبيعة الغلاف الجوى منذ ٤٦٠٠ عام ... فان الكشف سيحقق بعض الخطوات في مجال الحفاظ على الآثار ، إذ انه يمكن بعد ذلك عمل بيئات في المعامل ... مشابهة لتلك البيئة القديمة التي حفظت هذه الآثار على مدى السنين الطويلة ..

أيضا فإنه في داخل الهرم كانت البعثة الفرنسية تبحث عن الحقيقة العلمية ، باعتبارها مايهم العالم المتمدين والمثقفين وعلماء المصريات . . سواء أكانت هذه الحقيقة ترتبط بالآثار الجنائزى للفرعون خوفو .. أو أن هذه الفراغات هي فراغات معمارية فقط .

أيضا فان اليابانيين حينما جاءوا وجدوا - بعد دراسة مشروعهم - قلوبا مفتوحة والقلوب مفتوحة دائما لكل علم جاد وبناء من أجل الكشف عن حقيقة ألغاز الهرم وأسراره .

العالم غدا

● تواضع مارادونا العظيم ●

في حديث صحفي كانه الذواية لبراعم النرجسية بالتجلي جاءت ردود مارادونا - العظيم حقا - المتواضعة لتكشف بجلاء بعض اسرار العظمة :



مارادونا .. شهرة وتواضع معـا

● كثير من الخبـراء يرون ان منتخب الارجنتين ليس منتخبا قويا ، ويؤكدون انه يتكون من مارادونا وعشرة لاعبين عاديين ..

●● تعنى انهم لم يلاحظوا نقط القوة في منتخب الارجنتين : التكتيك الذي اختاره بيلاردو ، واصراره على ان يكون التدريب الشاق والانضباط نمط حياة لكل لاعب من لاعبي الفريق .. لقد نجح الرجل فيما اخفق من سبقوه في تحقيقه .. في الوصول الى فريق - واؤكد على فريق - يجمع الى المهـارات الامريكيه الجنوبية السجايا الاوربيه ، من قبيل الاصرار والانضباط التكتيكي .

● لم تقتصر على تسجيل الاهداف في مكسيكو فقد كنت ترسم طريق اللعب ايضا ..

●● الامر في غاية البساطة اذ كنت كابتن الفـريق . وقـد علمنى الزمن كثيـرا .. حقيقه حتى وقت قريب لم اكن لامرر كرتي الحاسمة في المبـاراة النهـائيه الى بورتشاجا ولعملت على تسجيلها بنفسى ، لكن الاعوام تكسب المرء خبرة ، والخبرة تساعد على اختيار افضل القرارات الممكنه ..

● لماذا تركت المدرسة الامريكية في الكرة بعد كاس ١٩٨٢ ؟

●● انا مدين لاوربا بتقدم مستوى لعبي . واعتقد ان كل ما يقال حول تمتع كرة القدم في امريكا الجنوبية بالتفوق مجـرد تبجح . ان من يرددون هـذا الهـراء لا يفهمون اساسيات كرة القدم .

● لكن فريقا من امريكا اللاتينية هو الذي فاز بكاس العالم .

●● بين لاعبي هذا الفـريق بورتشاجا وفالدانو وهما يلعبان معي لفرق اندية اوربية . وقد سـاعدنا ذلك كثيرا فبدونه لم يكن لنا التفكير

فى التصدى لفرق بريطانيا وألمانيا وبلجيكا .. ان التجربة الاوربيــة علمتنا أن نفكر فى اللعب وأن نقاتل حتى اللحظه الاخيرة كما علمتنا أن مكان الشعوذة هو السيرك وليس الاستاد .

● ماذا تعنى كرة القدم بالنسبة لك ؟

●● انها عملى وهدية الخالق لى ورسالتى وقوام حياتى .

● المرأة ومضايقات وسائل منع الحمل ●

عديدة هى أساليب منع الحمل التى وضعت نفسها تحت طلب المرأة غيـر الراغبه فى الانجاب ، خلال السنوات الاخيرة . لكن لكل من هذه الاساليب عيبه . فهـذا غير مأمون ، وذاك يتسبب فى أعراض جانبيه مضجرة ، وغيرهما يجلب الضيق ويقيد الحرية ... الخ ، ومن هنا لا تكف الـدوائر العلمية عن بذل جهودها لابتكـار أساليب جديدة دوما .

وقد توصل العالم الامريكى د . كايل أخيرا الى أسلوب جديد لمنع الحمل يعتمد على بطـارية صغيرة توضع فى مهبل المرأة تكبح حـركة الحيوانات المنوية ، وتفشل بالتالى فى الوصول الى البويضة لتلقيحها .

وتوضع البطارية (٢سم × ٥ر٠سم) داخل عنق الرحم بحيث يتجه قطبهـا الموجب الى داخل الرحم وقطبهـا السالب نحو المهبل ، فيتولد عنهـا مجال كهربى لا تزيد قوته على نصف ميللى أمبير . وعلى الرغم من أن الجسم يعجز عن الاحساس بمثل هذا التيار فبوسعه أن يشـل الحيوانات المنـوية لانه يؤثر على القطبيـة الكهربية فى ذيل الحيوان وهى التى تسـاعده على الابحـار صوب البويضة .

وحيث أن البطارية يمكن أن تفقد مفعولها تماما اذا ما تغير وضعهـا فقد اخترع د. كايل نوعا خاصا من المشابك لتثبيتها فى عنق الرحم على نحـو آمن ولا يسبب أية مضـايقات للمرأة ..

وقد نجح هذا الاسلوب عند تجربته على اناث القردة ، ويؤكد الخبراء أنه سينجح مع اناث البشر . وتتجه النيه الى استخدام بطاريات معمرة مثل البطاريات التى تستخدم فى تنظيم دقات القلب وتقوم بوظيفتهـا لعشر سنين أو أكثر ..

واستخدام مثل هذا القرص أسهل كثيرا من حبوب منع الحمل المتداولة حاليا ، التى يتم تعاطيها خلال فترة طويلة كل شهر . لكن المشكلة التى تواجه استخدامه وتجعل الافضلية من نصيب أسلوب البطارية (سـابق الذكر) هى أن القرص يقوم فعـلا بعملية اجهاض سريعة وبدون ألم .. وبالتالى فلن يسمح باستخدامه الا فى البلدان التى لا تحظر قوانينها عملية الاجهاض .

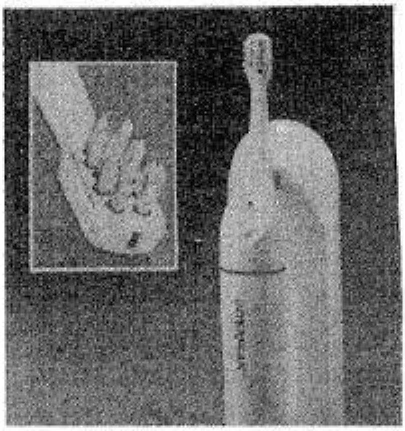
● اللبان أم الفرشاة فى تنظيف الاسنان ●

المعروف أن الاغذية العادية تحتوى على مواد سكرية ، أو نشوية تتحول فى الفم الى مواد سكرية تستخدمها البكتيريا الموجودة فى الفم كمصـدر طاقه يساعدها على انتاج الاحماض التى تهاجم الاسنان محدثة ما يعرف بالتسوس ، وما يعقبـه من أمراض فى اللثة والفم ، التى يعانى منهـا الناس فى كثير من مناطق عالمنا . وقـد جعل ذلك صـناعة الفرش

العالم غداً

والمعاجين ـ التي تساعد في التخلص من بقايا الطعام العالق بالفم ـ تجارة رائجه تطلع على النـــاس كل يوم بمستحدثات جديدة ·

وقد ظهر في الاسواق أخيــرا فرشاة تعمل بالبطاريه يدعي صانعوها انها صممت خصيصا لازاله بقـــايا الطعام والبكتيريا التي تتجمع ما بين الاسنان واللثـــة وما بين الاسنان ذاتها ،وذلك عن طريق حركة شعيرات الفرشاة حركة ترديديه (دورة ونصف الى اليسار ، ثم دورة ونصف الى اليمين ···) وبالرغم من ان بعض اطباء الاســنان صاروا يوصــون



مرضاهم باســتخدام هذه الفرشاة الغــاليه الثمن (٩٩ دولارا) يرى آخرون ضرورة متابعـــه نتــائج استخدامها ، على نطـــاق اوسع ، بهدف معرفه مدى فعاليتها على المدى الطويل ، قبل التوصيه باستخدامها ·

وكان هناك اتجـــاه ينصح بمضغ العلك للمساعدة على تنظيف الاسنان وحمايتها من المرض فنده الباحثون· بعد أن بينوا مســـاهمة سكريات العلكه نفسها فى امراض الاسنان · لكن البـــاحثين في جامعـــه ايوا الامريكيـــة عـادوا الى التوصـية باســتخدام نوع من العلك وربما الاكتفاء به بدلا من الفرشاة والمعجون

● طلمبة المريخ لمرضى السكر ●

من الاساليب التي شاعت خلال السنوات الاخيرة محـاولة السيطرة على مستوى السكر في الدمباستخدام مضخات الانسولين · وتوفر هــذه المضخات التي تزرع داخل الجسم او توصـــل به من الخـــارج جرعات محسوبه من هرمون الانسولينللمريض ويعتبرها الكثيرون افضل من الحقن وبالذات ذلك النوع الذكى منها الذى يقدم للجسم احتياجاته ، دون الحاجة الى طبيب يشرف على العملية او الى ممرضه لاعطاء الحقن ·

ويرجع ذكاء هذا النوع المطور من المضخات الى تحكم كمبيوتر صغير فى تشـــغيلها ، يقرر مقدار جـــرعة الانسولين بمنتهى الدقه ، تبعا لحاجة الجسم ومستوى السكر فى الدم ·

والطريف ان هذه المضخه كانت قد ابتكرت اصـــلا لتستخدم فى محطة فايكنج الفضائيه الاوتوماتيكيه ، التي

أرسلها الامريكيون الى المريخ عام ١٩٧٦ . وقد قامت هذه المضخةالذكية بخلط سوائل بعينات مختلفة من تربة المريخ بحثا عن اثر لوجود الحياة هناك ، لكن التجارب التى اجريت لم تمكن من العثور على هذا الاثر .

وقد طورت احدى الجامعات الامريكيه هذه المضخة بحيث تصلح للاستخدامات الطبية وجرت زراعتها بالفعل للعديد من المرضى فى تجربة قوامها ٤٠ من مرضى السكر ، تسبق الموافقة على تسويق هذه المضخة تجاريا .

وجدير بالذكر ان هذه المضخة الذكية ليست أول جهاز يصمم للعمل فى الفضاء

● بوردا بالروسية فى عيد المرأة العالمى ●

خلال الشهور الاخيرة وانعكاسا لسياسة الانفتاح شهد الجمهور السوفييتى عروض ازياء لكبريات البيوت العالمية ، خلال زيارات قام بها مصممو هذه البيوت للاتحاد السوفييتى ، وبعضهم بدعوة من رئيسه جورباتشوف - بهدف دراسة امكانيات التعاون ، وامكانيات السوق السوفييتية .

وعلى صعيد آخر فى نفس الاتجاه ظهرت طبعة روسية من مجلة الازياء الالمانية الغربية الواسعة الانتشار « بوردا » ، وان كان العدد الاول (مارس ١٩٨٨) قد ظهر فى مائة الف نسخة فالمخطط ان يصل عدد النسخ الروسية ١٫٥ الى ٢ مليون نسخة شهريا ، وهو عدد لا تصدر به المجله فى اى لغة اخرى .



وكان الجانب السوفييتى ، الذى سيحصل على ٥١٪ من أسهم المجلة ، هو صاحب المبادرة فى طلب الطبعة الروسيه . والهدف من اصدار المجلة هو اتاحة الفرصة أمام السوفييتيات لرفع مستوى اناقتهن . وقد اختيرت مجلة « بوردا » بالذات لانها تهدف الى اتاحة الفرصة لاكبر عدد من النساء على خلاف انشطة بيوت الازياء الفرنسيه التى لا تهتم الا بالصفوة . هذا كما أن « بوردا » تسعى الى جذب المرأة الى التنفيذ بيدها ، بقدر ما تسعى الى ان تتسم خطوط الموضة بالجمال .

وقد عقب مانفريد ماور مدير دار نشر « بوردا » على الحديث عن العبء الذى ستشكله المجلة على جيوب الرجال السوفييت قائلا : « ان المرأة التى ترتدى زيا جميلا هدية للرجل يهون معها اى عبء .. » .

الطريف أن احتفال الموسكوفيتيات (والموسكوفيين طبعا) بعيد - نضال - المرأة العالمى يوم ٨ مارس الماضى شهد لمسة جديدة تماما ، فقد نظم فيه عرض ازياء يحتوى على تصميمات ونماذج عدد « بوردا » الاول .

رسالة جنيف من
جميل عطيه ابراهيم

طبيب مصرى يؤلف كتابا بالفرنسية
عن المخترعات الحديثة

الدكتور فرج موسى ((٥٨ عاما)) مصرى من قرية ((القشيش)) وهى قرية صغيرة بالدلتا وتبعد عن القاهرة ٤٠ كيلو مترا ، وقد قادته رحلة الحياة ليقيم فى سويسرا منذ عشرين عاما، واصدر كتابه ((المخترعات موجودات)) بالفرنسية فى نهاية العام الماضى .

وقبل ان نتطرق للكتاب الذى رحبت به وسائل الاعلام فى سويسرا نسوق الاشارة الى ان الدكتور فرج موسى عمل فى بداية حياته بالسلك الدبلوماسى وجامعة الدول العربية واصدر العديد من الكتب باللغة الفرنسية عن الدبلوماسية والعمل الدبلوماسى وذلك قبل ان يترك العمل الدبلوماسى ويلتحق بالعمل بمنظمة الملكية الفكرية ومقرها جنيف منذ ١٨ عاما .

وعند التحاق الدكتور فرج موسى للعمل بمنظمة الملكية الفكرية «الويبو» لم تكن وكالة متخصصة من وكالات الامم المتحدة فى ذلك الحين، بل كانت منظمة مستقلة لهذا تولى مسئولية التعريف بعمل المنظمة على المستوى الدولى ، وحرس لهذا الغرض كل ما يتعلق بالملكية الصناعية وبراءات الاختراع وحقوق المؤلف . ويقول الدكتور فرج موسى انه قد لمس خلال عمله بمنظمة الملكية الفكرية «الويبو» انها لا تهتم اهتماما كافيا بالمخترع كفرد او شخص وينصب اهتمامها بالدرجة الاولى على حماية الاختراع او المصنف الادبى على المستوى الدولى بغض النظر عن المشاكل التى تقابل المخترع او المؤلف .

ومن هذا المنطلق اخذ الدكتور فرج موسى يهتم بموضوع المخترع كفرد ثم بدات المنظمة تقتنع رويدا رويدا بصحة هذا المنحى وكلفته بتنظيم اول مؤتمر للمخترعين على مستوى العالم وعقد فى جنيف سنة ١٩٨٤ وهو اول مؤتمر من نوعه تعقده المنظمة لمناقشة مشاكل المخترعين كافراد وكيفية تيسير السبل امامهم . وعقد

المؤتمر واقيم معرض لصور المخترعين ونماذج لاختراعاتهم وكان ناجحا جدا مما شجع الدكتور فرج موسى على متابعة عمله ، ولكنه منذ هذا التاريخ اخذ يهتم بالمخترعات فى عالمنا المعاصر كهواية شخصية الى جوار عمله فى المنظمة · كظاهرة اجتماعية

وكتاب « المخترعات موجودات » يضم ٤٨ فصلا تتناول المخترعات وقصة حياتهن ونبذة وافية عن الاختراع فى ٣٦ دولة ، والفصل الاول من الكتاب خصصه لمخترعات تتراوح اعمارهن من ثماني سنوات حتى العشرين عاما وهو من اهم فصول الكتاب لانه يروى قصة مخترعات صغيرات دفعهن الطموح والرغبة فى الابتكار الى تحقيق احلامهن وتسجيل اختراعاتهن · ومصادر الكتاب حية فقد سعى المؤلف لمقابلة المخترعات سواء فى الصين او الاتحاد السوفييتي او اليابان وتعرف اليهن معرفة شخصية ورأى بنفسه البيئات التى نشأن فيها فهو وثيقة صادقة تسجل حياتهن وتسجل عناوينهن وصورهن فى طفولتهن وشهادات براءة الاختراع وغير ذلك من البيانات التى تهم الباحث ·

● مخترعات مصريات

ويقول الدكتور فرج موسى : ان كتابه ليس سجلا او حصرا لكافة المخترعات فلا فائدة ترجى من القيام بمثل هذا الحصر الا اذا كان الغرض هو تكريم المخترعات فى دولة معينة ، ولكنه يقدم مجموعة من الحالات فى كافة المجالات توصلت فيها المرأة سواء كانت صبية او شابة او ناضجة لاختراع له قيمة علمية او تجارية من ٣٦ دولة مختلفة من بينها مصر حيث اخترعت السيدة فريال طيرة جهازا للكشف عن مدى تثبيت الالوان فى



د . فرج موسى مع مدير جمعية المخترعين فى بكين ..

صناعة النسيج وهو اختراع وفر على مصر مئات الالاف من العملات الصعبة كما يروى الكتاب قصة فيفيان بلدى « ٢٢ عاما » وهى سويسرية الجنسية وتعيش حاليا فى جنيف « لاب مصرى » وقد اخترعت فى سن السابعة عشرة جهازا معقدا للغاية من الناحية العلمية للربط بين اجهزة متباينة ومختلفة البرامج من اجهزة الكمبيوتر وهذا الاختراع له قيمة كبرى من الناحية العلمية لانه يفك اسرار الاجهزة المعقدة التى تنتجها الشركات الجبارة ويمكن من اقتحامها وتبادل المعلومات معها غير انه من الناحية العملية يصادف رفضا لان هذه الشركات ترفض اقتحام منتجاتها وتفضل الاحتفاظ باسرارها لاسباب اقتصادية ·

● اختلاف النسب

وفى مكتبه بمنظمة الملكية الفكرية فى جنيف دار هذا الحوار حول المخترعات ومشاكلهن ، ففى سؤال حول نسبة المخترعات الى المخترعين

طبيب مصري يؤلف كتابا بالفرنسية

عن المخترعات الحديثة

فى العالم وعلاقة ذلك بالبيئة الثقافية والاقتصادية ، اجاب الدكتور فرج موسى قائلا :

— لم اتوصل الى ربط بين البيئة الثقافية فى كل بلد على حدة ونسبة المخترعات فيها وذلك على الرغم من ان الاحصائيات الخاصة بالمخترعات فى كل بلد على حدة متوفرة وذلك لاختلاف النسبة من بلد الى بلد . وعلى سبيل المثال تصل نسبة المخترعات الى المخترعين فى بلد متقدم مثل السويد الى حوالى ١٪ فقط بينما تصل نسبة المخترعات الى المخترعين فى فرنسا الى ٢ر١٪ وترتفع نسبتهن فى الولايات المتحدة الامريكية الى ٣٪ فاذا انتقلنا الى بلد مثل مصر وجدنا نسبتهن تقفز فجأة الى ٦٪ من المخترعين ، وهذه ظاهرة فى حاجة الى دراسة اخرى لتحرى الاسباب التى تحدد نسبة المخترعات الى المخترعين فى كل بلد بعيدا عن الافكار المسبقة عن التقدم أو الرقى او التخلف .

وفى سؤال حول الثروة التى تحلم بها المخترعة او المخترع بعد تسجيل الاختراع ، يجيب الدكتور فرج موسى من واقع خبرته الطويلة فى منظمة الملكية الفكرية قائلا :

— للأسف المخترع وضعه مثل المؤلف عائده المادى غير مشجع ، فعدد المخترعين والمخترعات يتجاوز مئات الالاف كل عام ولكن نسبة الذين يكسبون من مخترعاتهم لا تتجاوز ١٪ وذلك لان عدد الاختراعات الناجحة تجاريا يقل كثيرا عن الاختراعات التى يتم تسجيلها كل عام واذا كان المؤلف فى مقدوره طبع كتابه على نفقته الخاصة فان المخترع ليس بمقدوره تصنيع اختراعه وتسويقه وعلى سبيل المثال اختراع فيفيان بلدى فالشركات تحجم عن تصنيع اختراع يفقدها السيطرة على اسرار برامجها .

وفى سؤال حول تشجيع المخترعين والمخترعات فى الوطن العربى ، اجاب الدكتور فرج موسى قائلا :

— يوجد اتجاه حديث للغاية حاليا فى جميع انحاء العالم لتشجيع المخترعين رجالا ونساء ، وفى مصر تكونت جمعية حديثة منذ عدة أعوام لحماية المخترعين ويرأسها السيد احمد محمد الشايب وهو مواطن مصرى سجل العديد من الاختراعات باسمه وهو حاصل على اول براءة اختراع مصرية سنة ١٩٥١ وقد حضرت الاجتماع التاسيسى لهذه الجمعية وكذلك توجد جمعيات مشابهة فى السودان والمغرب وكذلك اتحاد لجمعيات المخترعين الافارقة ويترأسه مغربى .

وعن سؤال حول المخترعات فى مصر والعالم العربى ، يقول الدكتور فرج موسى :

— المخترعات فى مصر والعالم العربى موجودات وكما ذكرت فى مصر تتجاوز نسبتهن ٦٪ وعددهن فى الثلاثين سنة الاخيرة بلغ ٢٩ مخترعة وعدد اختراعاتهن المسجلة ٣٧ اختراعا ، وكذلك فى العراق وسوريا والمغرب وعلى سبيل المثال كرم الرئيس صدام حسين احدى المخترعات منذ عامين ، فالمخترعات ظاهرة عامة فى العالم نلخصها فيما يلى المخترع قد يكون رجلا او امرأة . وهذه الظاهرة التى دفعتنى لنشر كتابى الذى من المنتظر ترجمته قريبا الى العربية .

دراسة الهلال

٣ قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

عصر اسماعيل

أو الاستدانة فى عصر الرخاء

بقلم : د. جلال أمين

لايمكن لأحد يعيش في الثمانينيات من هذا القرن ، وقد شرع في قراءة تجربة مصر في التورط في الديون في عهد الخديو اسماعيل ، الا يصاب بالدهشة إذ يرى أوجه الشبه الصارخة بين تجربة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ، وتجربة السبعينيات من القرن الحالي . إن التاريخ بالطبع لايمكن أن يعيد نفسه بالضبط ، وهناك بالطبع من أوجه الاختلاف ما لايمكن انكاره أو التغاضي عنه ، ولكن مامعنى الكلام عن « دروس التاريخ » و« إفادة من تجارب الماضي » ، بل مافائدة قراءة التاريخ أصلا إن لم يكن هناك بعض الصدق في القول بأن التاريخ يعيد نفسه ؟

انظر أولا إلى تغير لهجة المعلقين الغربيين والصحافة الأوربية والامريكية فى الحديث عن السادات ، أثناء حياته وبعد مقتله ، واستعدادهم المدهش للتغاضى عن أخطائه ونقائصه طالما كان يمشى فى ركاب الغرب ويحقق مأربه ، ثم

استعدادهم المدهش أيضا للحديث عن نقائصه بعد ان بدا وكأنه قد حقق المطلوب منه وأدى مهمته هكذا كان التغير في موقف الأوربيين من اسماعيل . فقد كالوا له الثناء طالما كان قادرا على الاستدانة والشراء وتسديد القروض ، ووصفوه بالحاكم العظيم البالغ الاستنارة والنشاط حتى وهو يطبق نظام السخرة لتنفيذ مشروعاته ، أو وهو يعرض الفلاحين للموت جوعا تحت وطأة ضرائبه ، بل عمل القناصل الأوربيون على الحصول له على قسط اكبر من الاستقلال عن السلطان العثماني في ادارة مصر ، كانوا قد بخلوا به على محمد على نفسه ، على انه ما أن فرغت جعبته وظهر عجزه عن سداد ديونه وأبدى مقاومة لما أرادوا فرضه من مشروعات التسوية حتى بداوا يوجهون اليه سهام النقد والسباب واذا بالجرائد الأوربية تتحدث فجأة عن استبداده وظلمه ، ووحشيته في معاملة عشيقاته ، ويتهمونه بترتيب موت أخيه غرقا ليستولى على العرش

أو فلتنظر الى تورط مصر في الاستدانة في السبعينيات من القرن الحالي ، في وقت لم تعرف مصر مثله ، قبله أو بعده ، من حيث تدفق العملات الاجنبية عليها من مختلف المصادر ، ومن حيث ارتفاع معدل نمو الدخل ، ومن حيث القدرة على الاستغناء عن القروض بل وتسديد ماسبق اقتراضه ، على النحو الذي سنتناوله تفصيلا فيما بعد ، وقارن ذلك ببداية تورط اسماعيل في الديون ، في ظل رخاء لم تكن مصر قد عرفت مثله لعشرات من السنين ، وفي ظروف هي أبعد ماتكون عن ظروف العوز والحاجة الى الاستدانة

● رخاء واستدانة

كانت الحرب الأهلية الأمريكية (٦١ ـ ١٨٦٤) قد بدأت قبل تولى اسماعيل العرش بنحو عامين ، وترتب عليها انخفاض شديد في المعروض من القطن الأمريكي ، ومن ثم زيادة الطلب بشدة على القطن المصري ، فارتفع سعر القطن المصري بنحو ١٠٠٪ في السنتين الأولبين من حكمه (٦٣ ـ ١٨٦٥) ، وزاد حجم الصادرات بنفس النسبة ، ومن ثم زادات قيمة صادرات القطن المصري خلال هاتين السنتين إلى اكثر من ثلاثة أمثالها (من ٢٧ مليون ريال الى ٩٠ مليونا)[١] ، ومع ذلك لجأ اسماعيل الى الاستدانة حتى خلال هذين العامين ، فعقد قرضا خارجيا بمبلغ ٥,٧ مليون جنيه في ١٨٦٤ وآخر بمبلغ ٣,٤ مليون جنيه في السنة التالية

● تركة سعيد من الديون

كان اسماعيل قد ورث بالطبع تركة سعيد من الديون ، كما ورث عنه أخطاء أخرى لم يكن من الممكن التخلص منها إلا بالمزيد من الانفاق ، كما ورث السادات من عبدالناصر بعض الديون وبعض الأخطاء التي احتاج تصحيحها الى تحمل اعباء مالية ، كما سيأتي بيانه في حينه ، ولكن الأمر في الحالتين لم يكن قط مما

يستعصى على الخزانة المصرية مواجهته ، ولم يكن قط مما يفرض على مصر التورط فى مزيد من الديون لو وجهت الأمور بحكمة ، بل وأهم من ذلك ، لو لم يتعرض الحاكم الجديد لاغراء الأجانب له بالاستدانة .

كان سعيد قد ترك لمصر ديونا قدرها كما رأينا نحو ١٨ مليونا من الجنيهات ، كما أنه كان قد ورط مصر فى شرطين بالغى القسوة وردا فى امتياز شركة قناة السويس وأراد اسماعيل التخلص منهما . احدهما : توفير عمال السخرة فى حفر القناة وفى حفر ترعة تزود منطقة القناة بالمياه العذبة ، الأمر الذى كان من شأنه سحب نحو ٦٠ ألف عامل من الزراعة ، والثانى : هو التنازل لشركة القناة عن الأراضى المتاخمة لقناة المياه العذبة وتستخدم هذه القناة فى ريها . وكان على اسماعيل تعويض الشركة عن الغاء هذين الشرطين بمبلغ ٤ ملايين من الجنيهات ، طبقا لقرار التحكيم الذى قضى به الامبراطور نابليون الثالث . ولكن علينا ان نلاحظ ان الجزء الأكبر من الديون التى تركها سعيد ، والتعويضات التى تحمل بها اسماعيل ، كان مستحق الدفع عبر فترة ممتدة من الزمن ، فكان نحو نصف ديون سعيد مستحق الدفع عبر ثلاثين عاما ، والتعويضات المستحقة لشركة القناة كانت مستحقة الدفع بأقساط سنوية عبر ستة عشر عاما . كان القسط السنوى الواجب الدفع من هذين الدينين لايزيد على نحو نصف مليون من الجنيهات ، أى ما لايزيد على ٩٪ من ايرادات الحكومة السنوية فى السنوات الأربع الأولى من عهد اسماعيل ، وأقل من



اسماعيل باشا
ورث تركة سعيد من الديون

٧٪ من متوسط ايراداتها السنوية حتى نهاية عهده . أما الجزء الباقى من الديون ، وقدره نحو عشرة ملايين من الجنيهات ، ويشمل ديون سعيد قصيرة الأجل ، فقد كان يكفى لسدادها كلها تخفيض الانفاق الحكومى بأقل من ٢٠٪ خلال السنوات الخمس الأولى من حكم اسماعيل[٢] .

ولكن اسماعيل ، كما يعرف الجميع ، لم يفعل هذا ، كما لم يفعل السادات ذلك فيما بعد ، بل زاد الانفاق بدلا من ان يضغطه ، واذا بنا نجد ، بعد ثلاثة عشر عاما من حكمه ، أى ١٨٧٦ وهى السنة التى خرجت ادارة المالية المصرية عن سيطرته واصبحت فى يد المراقبين الماليين من الاجانب ، أن ديون مصر الخارجية (بما فى ذلك ديون الخديو الخاصة) قد بلغت نحو ٩١ مليون جنيه[٣] ، يبلغ حجم خدمتها السنوية (أى حجم الاقساط السنوية والفوائد)

اكثر من ستة ملايين جنيه ، أو مايمثل نحو ٨٠٪ من اجمالى ايرادات الدولة فى تلك السنة[٤] ، وذلك بالمقارنة بعبء خدمة الديون فى آخر عهد سعيد الذى لم يزد على ٢٦٠ الف جنيه أو مايمثل اقل من ٥٪ من اجمالى ايرادات الدولة فى ١٨٦٣[٥]

● نمط التنمية فى عهد اسماعيل

مما يلفت النظر بشدة أيضا ، أوجه الشبه بين نمط التنمية فى عهد اسماعيل ونمطها فى عهد السادات . ففى كلا الحالين كان جل الاهتمام منصبا على مشروعات البنية الاساسية دون احداث اى تغيير يذكر فى هيكل الاقتصاد المصرى لصالح التصنيع . ومع ذلك فمن الخطأ التقليل من شأن ماتم فى عصر اسماعيل من تنمية لهذه البنية الاساسية ، ولاشك عندى فى أن المقارنة بين ماأضافه اسماعيل وماأضافه السادات فى هذا المجال ، بالنسبة لما ورثه كل منهما عن سلفه ، هى فى صالح اسماعيل .

إن مايذكر به عهد اسماعيل عادة من بناء القصور الشامخة واقامة دار فخمة للأوبرا وتوسيع الشوارع والميادين وتجميل القاهرة ، ليس فى الحقيقة اهم ماأضافه الرجل من عمران . فقد اضاف اسماعيل الى شبكة الرى ما لايقل عن ٨٤٠٠ ميل من الترع وقنوات الرى الجديدة ، فزادت المساحة الزراعية فى عهده بنحو ٧٥٠ ألف فدان بعد أن ظلت ثابتة تقريبا فى السنوات العشر السابقة على حكمه . كذلك اضاف اسماعيل ٩١٠ أميال من السكك الحديدية ربطت بين كافة مدن الدلتا الاساسية ووصلت الى اسيوط والفيوم ، وبنى ٤٣٠ جسرا ومد ٥٢٠٠ ميل من خطوط التلغراف . واصلح ووسع ميناء الاسكندرية واضاف ١٥ فنارا على البحرين المتوسط والاحمر . كان اسماعيل قد ورث عن سعيد ١٨٥ مدرسة من المدارس الحديثة فأصبح عددها عندما ترك الحكم ٤٨١٧ مدرسة . أما فى مجال التصنيع فتكاد تقتصر مساهمة عصر اسماعيل على التوسع الكبير فى مصانع السكر ، وفيما عدا ذلك لانكاد نجد مايذكر لاسماعيل الا انه اعاد فتح مصانع النسيج والطرابيش والأسلحة التى كان قد انشأها محمد على واغلقت فى عهد عباس .

● أنماط استهلاكية جديدة

فلنلاحظ ايضا ماشهده عصر اسماعيل ، مثلما شهد عصر السادات ، من تغير واضح فى انماط الاستهلاك والزيادة الواضحة فى الاعتماد على الاستيراد لتلبية حاجات هذه الأنماط الاستهلاكية الجديدة .

كانت القوة المحركة لهذا التغير هى فى الأساس تزايد عدد الأجانب المقيمين فى مصر ، الذى بلغ فى نهاية عهد اسماعيل نحو ستة أمثال عددهم فى ١٨٣٦ ، وتزايد عدد حديثى الثراء من المصريين الذين بدأوا يقطنون الأحياء الاوربية فى القاهرة والاسكندرية ويقلدون الاجانب فى نمط معيشتهم ونوع مساكنهم ، ويستوردون

منهم معظم حاجياتهم من الخارج ، بما في ذلك مواد البناء ، بل وأحيانا قطع الحجارة التي ترصف بها شوارعهم[٦]

لايمكن مع هذا ، تفسير تورط مصر في الديون في عصر اسماعيل بما انفق على مشروعات البنية الاساسية او مشروعات التنمية عموما ، وسوف نرى نفس الملاحظة فيما يتعلق بعصر السادات ايضا . إن كراوشلي يقدر ماانفق في عصر اسماعيل على المشروعات العامة ، من قنوات الري والجسور والسكك الحديدية وخطوط التلغراف الى توسيع الموانىء وانشاء مصانع السكر ، بنحو ٣٩ مليونا من الجنيهات[٧] ، أو نحو ٥١ مليونا اذا اضفنا ما كان على اسماعيل دفعه لمواجهة التزامات مصر قبل شركة قناة السويس ، ولكن بعد أن تخصم من قيمة هذه الالتزامات ماحصل عليه اسماعيل من قيمة بيع اسهم مصر في شركة القناة . من الممكن إذن ان تعتبر هذا المبلغ (٥١ مليون جنيه) هو بالتقريب قيمة ماانفق في عصر اسماعيل على مشروعات التنمية ولكن ديون مصر الخارجية زادت في عهده ، كما رأينا بنحو ٧٣ مليونا . هناك إذن ما لايقل عن ٢٢ مليونا من الجنيهات ، أو نحو ٣٠٪ مما اضافه اسماعيل الى ديون مصر الخارجية ، مما لم تستفد منه التنمية في مصر ، حتى بفرض أن كل ما انفق بالفعل على مشروعات التنمية كان يمثل قيمة الزيادة الحقيقية في رأس المال القومي ، وهو فرض بعيد عن الحقيقة بسبب خضوع اسماعيل لمختلف انواع الغش والتدليس فيما عقده من صفقات لاستيراد المعدات والتجهيزات يضاف الى ذلك بالطبع ماتحقق من زيادة في ايرادات مصر الذاتية خلال حكم اسماعيل ولم يوجه الى مشروعات التنمية . لقد كان المتوسط السنوي لايرادات الدولة في عصر اسماعيل نحو ٦،٧ مليون جنيه . أو مايمثل نحو ٢٩٠٪ من المتوسط السنوي لايراداتها في عصر سعيد (٢،٣ مليون جنيه) . هذ الزيادة في الايرادات الذاتية للدولة يجب ان تضاف الى مايمكن اعتباره تبديدا في غير اغراض التنمية .

● خطيئة اسماعيل الحقيقية :

من السهل ان تفسر هذا التبديد للموارد ، الذاتية والخارجية ، بصفات اسماعيل الشخصية ، من ميل طبيعي الى البذخ ، سواء في انفاقه على نفسه وحاشيته أو في ضيافته للاجانب ، ومن رغبة لاتقاوم في كسب رضا ومودة الأوروبيين ، وفي تحويل مصر إلى « قطعة من أوربا » ، ولكن الأقرب الى الحقيقة هو أن الجزء الأكبر من ذلك الفارق بين ماانفقه اسماعيل على مشروعات التنمية وبين قيمة الزيادة في ديون مصر الخارجية في عهده ، لم يتسلمه اسماعيل في الواقع اصلا . **بعبارة أخرى ، إن حجم التبديد الاستهلاكي الذي يرتبط عادة باسم اسماعيل ، إنما يبدو ضخما حقا اذا قارنا بين ماانفقه على التنمية وماأضافه من ديون . ولكنه يظهر لنا في الحقيقة أقل من ذلك بكثير اذا قارنا بين ماانفقه على التنمية وماستلمه بالفعل من المقرضين ، بعد خصم مختلف انواع السمسرة والعمولات**

والمصاريف التى كان المقرضون الأجانب يقتطعونها ابتداء من القيمة الاسمية للقرض . فطبقا للأرقام التى يوردها اوين ، كانت القيمة الاسمية للقروض الخارجية التى عقدت فى الفترة الممتدة بين ١٨٦٢ (وهى آخر سنة من حكم سعيد) و١٨٧٣ ، هى ٦٨,٥ مليون من الجنيهات ، لم يتسلم منها سعيد واسماعيل الا ٤٦,٦ مليون ، أى مايقل بنحو ٢٢ مليونا عن القيمة الاسمية[٨] كذلك فإنه طبقا للأرقام التى يوردها مارلو عن قروض اسماعيل وحده فيما بين سنة اعتلائه للعرش (١٨٦٣) وسنة ١٨٧٦ ، كانت القيمة الاسمية للقروض الخارجية طويلة الأجل التى عقدها اسماعيل هى ٥٣ مليون لم يتسلم منها بالفعل إلا ٣٢ مليونا ، أى ما يقل عن القيمة الاسمية بمقدار ٢١ مليون جنيه[٩] ، وهو مايكاد يعادل بالضبط مااعتبرناه المبلغ « المبدد » من قروض اسماعيل الخارجية . لم تكن خطيئة اسماعيل الاساسية اذن هى « التبديد » بقدر ما كانت هى محض اللجوء الى الاستدانة فى ظل الشروط القاسية التى كانت تقدم بها القروض . ولكن هذه الخطيئة من السهل أيضا تفسيرها بما سبق أن ذكرناه من قبل من أنه فيما يتعلق بالاقراض والاقتراض ، يبدو أن مايحدث هو أن « العرض يخلق الطلب » اكثر مما يحدث العكس ، اى ان تورط المدين فى الاستدانة قد لايرجع الى حاجته الى الاقتراض بقدر مايرجع الى حاجة الدائن الى الاقراض .

● حاجة أوربا إلى التجارة والاستثمار الخارجى

لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون تورط مصر فى الديون مصاحبا لتورط الدولة العثمانية فيها (كما سوف نرى فى السبعينيات من القرن العشرين حيث كان تورط مصر فى الديون جزءا من مظاهرة دولية عامة) أو أن يأتى افلاس اسماعيل فى ١٨٧٦ بعد سنة واحدة من افلاس الباب العالى . وإنما جاء تورط الاثنين وافلاسهما استجابة فى الأساس ، لالميل كل منهما الى التبذير وتبديد الأموال ، وإنما لشدة حاجة أوربا إلى الاقراض .

كان هناك أولا تزايد أهمية التجارة الخارجية بصفة عامة بالنسبة للاقتصاد الأوربى منذ منتصف القرن ، وتزايد اهمية منطقة الشرق الأوسط فى هذه التجارة ومن ثم تزايد الحاجة الى دفع المزيد من رءوس الأموال الأوربية لتمويل هذه التجارة من ناحية ، ولتمويل مشروعات البنية الأساسية التى تخدمها ، من مد السكك الحديدية الى توسيع الموانى الى إنشاء خطوط التلغراف .. الخ ..

يذكر أوين أن العقدين السادس والسابع من القرن الماضى شهدا معدلا للنمو الاقتصادى فى بريطانيا وفرنسا غير معهود فى تاريخ الدولتين ، مما انعكس فى حجم تجارتهما الخارجية . ففى

بريطانيا تضاعف حجم الصادرات فيما بين ١٨٤٨ ، و١٨٥٧ ثم تضاعف مرة اخرى خلال الاثنتى عشرة سنة التالية ، كما زادت الواردات والصادرات الفرنسية بما يقرب من ١٠٠٪ فيما بين ١٨٥٢ ، ١٨٦٠ ، وصاحب ذلك زيادة كبيرة أيضا فى حجم التجارة بين كلا الدولتين وبين مصر وتركيا(١٠) .

كانت هناك أيضا الزيادة الكبيرة فى حجم رءوس الأموال الجاهزة للاستثمار الخارجى ، وصاحب ذلك من نمو المؤسسات المصرفية الأوربية التى قامت لتعبئة هذه المدخرات وتوجيهها الى الخارج ، وفى وقت كانت قد انتهت فيه فرص الاستثمار فى مد السكك الحديدية فى داخل بريطانيا وفرنسا وبدات تنضب فرص الاستثمار المجزى الأخرى فى كلا الدولتين .

وأخيرا كان هناك محض التنافس بين الدول الأوربية على كسب موطأ قدم لها فيما وراء البحار وتدعيم وجودها الاقتصادى والسياسى ، وخشية كل منها أن تسبقها غيرها فى توسيع دائرة نفوذها .

كان الشكل المفضل من أشكال الاستثمار الخارجى فى ذلك الوقت هو تقديم القروض للحكومات .. ففضلا عن امكانية الحصول من الوالى على عائد مجز ، ومايمكن الحصول عليه من ضمانات وعمولات ، كانت قدرة الوالى على استيعاب القروض كالبالوعة التى تتسرب منها المياه بلا نهاية ، وكان من أسهل الأمور اخضاعه لمختلف انواع الاغراء أو التهديد ، واذا لزم الأمر استبدال غيره به .

● صناديق وخبراء

لاأعتقد أن من المفيد الاطالة هنا فى تتبع الخطوات التى أدت بها الديون الى فقدان مصر لاستقلاليها الاقتصادى والسياسى فى أواخر عهد اسماعيل ، فالقصة معروفة ومشهورة ، وإنما يكفى فقط أن نروى بسرعة الملامح الرئيسية للتطورات التى صاحبت أزمة الديون فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى ؛ لكى نلفت النظر الى أوجه الشبه بينها وبين التطورات التى حدثت فى أواخر السبعينيات ، وأوائل الثمانينيات من القرن الحالى .

لقد بدأ التدخل الأجنبى بقبول الخديو اسماعيل ، تحت وطأة الديون ، أن يضع تحت تصرف « الخبير » البريطانى كيف فى ١٨٧٥ ، مايريد جمعه من معلومات عن ايرادات مصر ومصروفاتها ، بشرط الا يعنى ذلك ، على حد تعبير المذكرات الرسمية المتبادلة حينئذ « أى تدخل أو عدوان على السيادة المصرية » ! ثم اضطر اسماعيل فى السنة التالية (١٨٧٦) إلى قبول إنشاء صندوق الدين المكون من مراقبين أوربيين يمثلون أهم الدول الدائنة تكون مهمتهم تسلم وتوزيع ماتضعه الحكومة تحت تصرفهم من ايرادات بغرض تسديد الديون ، والى أن يقبل فى نفس السنة شروط التسوية التى فرضها ممثلا الدائنين (جوشن الانجليزى وجوبير الفرنسى) بإعادة جدولة الديون ، على نحو يشبه مايجرى فيما نسميه الآن نادى باريس .

على أن كل هذا ، ما كان يكفى لطمأنة الدائنين ، ما لم يصحبه الاطمئنان على تنظيم ايرادات ونفقات الحكومة المصرية ، بما يوفر فائضا كافيا لخدمة الديون ، مما ادى الى تكوين لجنة التحقيق فى ١٨٧٨ ، التى تذكر توصياتها ، بما يطلبه صندوق النقد الدولى فى وقتنا الراهن ، تحت مسميات مختلفة ، كاصلاح المسار الاقتصادى ، أو إجراءات التصحيح والتكيف أو ترشيد السياسة الاقتصادية .. الخ .

يقول مارلو فى وصف هذه الفترة التى انقضت بين قبول اسماعيل لشروط التسوية ، أو إعادة الجدولة ، فى نوفمبر ١٨٧٦ ، وبين تشكيل لجنة التحقيق فى مارس ١٨٧٨ :

« كان هناك ميل متزايد لدى دائنى مصر الى الاعتقاد بأن شيئا ما ، يتعين عمله لضمان السيطرة على تصرفات الخديو . وحاول اسماعيل ان يستخدم فى المعركة الدائرة بينه وبين الدائنين كل وسيلة كان بإمكانه استخدامها ، مهما كانت المحاولة يائسة ، كالاعتماد مثلا على أن الحكومة البريطانية ، قد لاتهمها مصلحة الدائنين بقدر ماتهمها مصلحتها الاستراتيجية فى مصر باعتبارها واقعة على طريق انجلترا الى الهند .. او مسايرته وانصياعه لرغبات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بمصالحها فى البحر الأحمر وافريقيا الوسطى .. أو محاولته الحصول على مساعدة بعض الشخصيات الأوربية البارزة التى كانت تبدى تعاطفا معه .. بل وحاول أن يستغل عاطفته الوطنية المصرية الوليدة والشعور الدينى لاثارة غضب المصريين على طريقة الأوربيين فى ابتزازه .. ولكن اضطر اسماعيل للخضوع التام والاستسلام فى النهاية . كما حدث بالضبط فى قبوله لتسوية جوشن وجوبير ، نتيجة لاتفاق الحكومتين البريطانية والفرنسية على اتخاذ مسلك واحد ازاءه[11] .

اما محاولة اسماعيل الأخيرة لاستعادة سيطرته ، فقد كلفته عرشه . فإذ تجرأ اسماعيل على عزل مجلس الوزراء الذى فرضه عليه الأوربيون واستدعى شريف باشا لتشكيل وزارة مصرية خالصة ، وإذ حاول أن يطبق مشروعه الخاص للاصلاح المالى وتجاهل المشروع الذى اعدته لجنة التحقيق ، أرسلت الحكومتان البريطانية والفرنسية مذكرتين متطابقتين تحملان الخديو مسئولية ماصنع ، وتعتبر محاولته « التصرف فى شئون الدين المصرى وفق تصوره الخاص » من قبيل « الاعتداء المباشر والصريح على الاتفاقات الدولية[12] . وسرعان ماسعت الحكومتان لدى الباب العالى لعزله وهو ماتم بالفعل فى ٢٦ يونيه ١٨٧٩ ، ولم يكن قد انقضت بعد عشرة اسابيع على قيام اسماعيل بطرد الوزارة الأوربية .

● قصة إسماعيل المفتش :

لايجوز مع ذلك ان نروى قصة الديون

فى عهد اسماعيل دون أن نأتى على ذكر قصة اسماعيل المفتش ، ذلك اللغز الذى يكتنفه الغموض ويختلف حوله الرأى . كان اسماعيل صديق ، الذى اشتهر باسماعيل المفتش ، صديقا لاسماعيل منذ الطفولة وأخاه فى الرضاعة ، ومديرا لمزارعه ، قبل أن يعينه اسماعيل وزيرا للمالية فى ١٨٦٨ .

ولكنه قتل فى ظروف غريبة فى ١٨٧٦ ، وهى نفس السنة التى انشىء فيها صندوق الدين ، والتى جاء فيها جوشن وجوبير الى مصر كممثلين للدائنين الأوربيين ، وأجبرا الخديو على وضع ايرادات مصر من السكك الحديدية وميناء الاسكندرية تحت السيطرة الأجنبية كضمان لتسديد ديونه . فى نفس هذه السنة كان اسماعيل المفتش قد اجبر أيضا على الاستقالة كوزير للمالية بناء على الحاح جوشن الذى يصفه الرافعى بأنه كان « وزيرا سابقا فى الوزارة الانجليزية ، ثم عاد الى الوزارة فى سنة ١٨٨٧ ، وهو ابن المالى جوشن أحد اصحاب بنك فرهلنج وجوشن بانجلترا ، وهو البنك الذى أقرض مصر قروضها الأولى »[١٣] . ثم أعلن رسميا عن وفاة اسماعيل المفتش بعد استقالته ببضعة أسابيع .

هناك ثلاثة مواقف مختلفة على الأقل فى تقييم اسماعيل المفتش وتفسير مقتله . هناك أولا رواية الرافعى البالغة القسوة والتى يصب فيها جام غضبه على اسماعيل المفتش ويصفه بأنه كان هو نفسه « من الكوارث التى حلت بمصر فى عهد اسماعيل » وأن سنوات توليه لوزارة المالية « هى التى جرت الخراب المالى على البلاد (وانها) اتعس فترة فى تاريخ مصر الحالى » ويقول إنه « أثرى ثراء فاحشا ، وقلد مولاه فى عيشة البذخ والاسراف والاستكثار من القصور والأملاك والجوارى والحظايا ، واليه يرجع السبب فى استدانة الحكومة نحو ثمانية ملايين جنيه ضاع معظمها سدى » ويميل الرافعى الى أن الخديو اسماعيل هو الذى أمر بقتله خوفا من ان يكشف اسرار الخديو وبذخه وأسرافه ومن أن يشرك الخديو معه فى المسئولية عن تبديد أموال الدولة . « فعهد الخديو الى اتباعه بقتله فقتلوه والقوا جثته فى النيل »[١٤] .

ولاتختلف رواية الرافعى كثيرا سواء فى تفاصيل مقتل المفتش ، أو فى القاء المسئولية فى قتله على الخديو اسماعيل ، عن رواية ويلفرد بلنت فى كتابه الشهير « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر »[١٥] . ولكننا نجد موقفا مختلفا بعض الشيء عند مارلو الذى يصف اسماعيل المفتش بالكفاءة والاخلاص التام للخديو ، وإن كان قد « كرس هذه الصفات الشخصية لامتصاص اكبر قدر ممكن من المال من الشعب المصرى ، ونجح فى ذلك اكثر من اللازم .. وأثرى هو نفسه ثراء كبيرا » .

ويذكر مارلو أيضا ان اسماعيل المفتش هو الذى كان يحرض اسماعيل على رفض اقتراحات جوشن وجوبير الخاصة بتسوية الديون وتخصيص ايرادات السكك الحديدية لخدمتها ،

ويرجح مارلو وجود اتفاق ضمنى بين الخديو وبين جوشن وجوبير للتخلص من اسماعيل المفتش كطريقة للوصول الى تسوية مع الدائنين الأوربيين وكسب رضا الحكومتين البريطانية والفرنسية[١٦] .

على اننا نجد موقفا ثالثا ومختلفا الى حد كبير عن الموقفين المتقدمين لدى رودشتين مؤلف كتاب « خراب مصر » حيث يبدو الكاتب شديد التعاطف مع اسماعيل المفتش بحيث يكاد يجعله بطلا قوميا ، فيصوره فى صورة الرجل الوطنى الذى رفض التدخل الأوربى فى شئون مصر وحاول مقاومته ، ويصور مقتله على انه الثمن الذى دفعه الرجل لهذه المقاومة ، ويجعل الدائنين الأوربيين المسئولين الأساسيين ، إن لم يكونوا المسئولين الوحيدين عن قتله . يرفض رودشتين الصورة التى رسمها المعلقون الأوربيون لاسماعيل المفتش على أساس انهم كلهم « من اصدقاء المستر جوشن وحملة السندات » حيث صوروا المفتش « كمثال للباشا الشرقى ، فقالوا إنه كان رجلا فاقد الضمير ، غليظ القلب ، خائنا ومتعصبا » لمجرد أنه كان « يقف بينهم وبين تحقيق اغـراضهم الحقيرة » ، والحقيقة فى نظر رودشتين أن موقف المفتش « كان هو الموقف الصائب من جميع الوجوه ، كان يقول انه اذا وصل الأمر الى اتفاق مع الدائنين ، فإن منتهى السفاهة أن يكون اساس الاتفاق تحميل مصر بسعر فائدة قدره ٧٪ ، فى حين ان ٥٪ هو اقصى سعر تستطيع مصر دفعه دون ان تجر على نفسها الخراب وأما الرضا بوضع رقابة على المالية المصرية ، التى ليست فى الواقع إلا رقابة على الادارة المصرية كلها ، فقد كان فى رأيه لايعني ألا تسلم البلد للأجانب ، وهو امر لا يختلف عن الخيانة العظمى فى شىء»[١٧] أما مقتل اسماعيل المفتش فيرى رودشتين انه « إذا لم يكن قد تم بناء على التحريض المباشر من جانب الدائنين الأوربيين وممثليهم فى مصر ، فهو قد تم على الأقل نتيجة قسوتهم المفرطة فى الضغط على الخديو الى حد اضطراره لقتله » ويستند رودشتين فى ذلك الى مقاومة المفتش للتسوية التى كان الدائنون يريدون فرضها على الخديو ، واعتبارهم التخلص منه « مسألة حياة أو موت » ، والى ماكانت تنشره جريدة التايمز البريطانية من اعتبار المفتش « العدو الأول للاصلاح » وابتهاجها الشديد بسقوطه ، والرواج المفاجىء الذى أصاب بورصة الاسكندرية بمجرد أن ترددت شائعة سقوطه ، والى خطاب القنصل الانجليزى لحكومته بمجرد حدوث مقتله حيث قال انه « قد قوى الأمل كثيرا فى نجاح بعثة جوشن وجوبير عقب سقوط ناظر المالية السابق » والى انه لم يمض اسبوع واحد على مقتله حتى أعلن اسماعيل قبوله لمشروع جوشن وجوبير للتسوية . ويرفض رودشتين رواية بلنت عن مقتل اسماعيل المفتش على أساس ان بلنت قد استقاها مباشرة من السير ريفرز ويلسن ، وهو البريطانى الذى تولى وزارة المالية فى مصر بعد سقوط المفتش ،

والذى رأس لجنة التحقيق التى جاءت الى مصر لفرض إرادة الدائنين ، ومن ثم فلديه مصلحة أكيدة فى اخفاء الحقيقة . واخيرا يذكر رودشتين ان قنصل انجلترا العام فى مصر فى ذلك الوقت (اللورد فيفيان) نسب جريمة قتل المفتش الى شخص حدث فيما بعد أن انعمت عليه الحكومة البريطانية بلقب « سير »[١٨] .

هوامش الدراسة :

(1) Crouchley, A:The Economic Development Of Modern Egypt, Longmans, London, 1938, p.134.

(٢) اعتمدت فى الوصول الى هذه النتائج الى ارقام الايرادات والنفقات الحكومية الواردة فى كراوشلى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(3) Marlowe,J: Spoiling The Egyptians, Andre Deutsch, London, 1974,pp.224-6.

وادفيد لاندز ، بنوك وباشوات ، ترجمة د . عبد العظيم انيس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١١٥ .

(٤) حسبت بالاعتماد على أرقام كراوشلى ، ص ٢٧٦ ، ومارلو ص ٢٢٤ .

(٥) حسبت من الأرقام الواردة فى :

Owen, R: The Middle East in The World Economy, 1800-1800 1914 - ,Methuen, London, 1981, P. 124.

(٦) انظر اوين ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ، وص ٣٢١ .

(٧) كراوشلى ، ص ١١٧ ، ومارلو ، ص ١١٢ .

(٨) اوين ، ص ١٢٧ .

(٩) مارلو ، ص ١١٢ .

(١٠) اوين ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(١١) مارلو ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(١٢) مارلو ، ص ٢٥٠ .

(١٣) عبد الرحمن الرافعى . عصر اسماعيل ، الجزء الثانى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٦٢ .

(١٤) .الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٦٢

(15) BLUNT,S: Secret History Of The English Occupation Of Egypt, Unwin, London, 1907, pp. 34-41.

وقد اعاد نشره فى مصر المركز العربى للبحث والنشر فى ١٩٨٠ .

((١٦) مارلو ، ص ٢٢٣ .

(17) Rothstein, T: Egypt's Ruin, London, 1910.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية للمرحومين العبادى وبدران ، بعنوان « تاريخ المسألة المصرية » دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٤٠ ، مع تعديلات لفظية طفيفة

(١٨) رودشتين ، ص ٤١ .

أنت .. والهلال

● مختصر تاريخ مصر ●

● قرات عرضا لكتابى « مختصر تاريخ مصر » فى عدد ديسمبر الماضى من الهلال ، كتبته هبه عادل عيد · وانني لفخورة أن تعرض مجلة الهلال كتابى على المجتمع العربى المثقف واشكركم على هذا ولكننى أبدى بعض الاعتراضات على نقد الاستاذة هبة ·

١ ــ تزعم الاستاذة هبة أننى « معتقدة بوجهة نظر غربية » واننى « اصر بعناد غريب » على أن العرب حينما فتحوا مصر كانوا فى نظر المصريين شعبا أجنبيا يختلف عن المصريين فى اللغة والدين · وهذا واقع تاريخى لا نقاش فيه ولا عناد أيضا ·

٢ ــ تدعى الاستاذة هبة اننى وصفت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالطفولة « غفلة طفولية » وهذا ادعاء خاطىء يجوز انه ناتج عن سوء فهم الاصطلاح الانجليزى ، فكلمة PETALIATION التى استعملتها معناها « مقابل بالمثل » وليس فيها معنى الطفولية ·· ويبدو لى أن الاستاذة هبة خلطت بين هذه الكلمة واصطلاح آخر هو BRAIN CHILS وصفت به مشروع السد العالى وهو بمعنى « بنت فكر » الرئيس ، وهو أيضا لا يحتوى معنى الطفولية ·

٣ ــ واخطات الاستاذة هبة أيضا فى المقارنة بين جمال عبد الناصر وأنور السادات ، وانا لم ادهش من ان الشعب المصرى قد احب جمال عبد الناصر ولكننى اشرت الى دهشة الشعب الامريكى الذى لم يستطع ان يفهم حب الشعب المصرى لجمال ، وعدم حبه للسادات !··

عفاف لطفى السيد
استاذة تاريخ الشرق الاوسط

● ناصر ·· لا ناهد ●

● نشر لى ببابكم المفضل لدى بضع كلمات أرسلتها الى مجلتكم عبر الخطوط البريدية واشكر لسيادتك الانتقاد الموجه الى ·· ولكن الذى أدهشنى أن أبياتى جاءت تحت اسم ناهد السيد طه وليس ناصر السيد طه فهل هذا معقول ؟! ·· أرجوا الا اكون قد اخطات فى اسمى لهذه الدرجة ؟!

ناصر السيد طه ــ السويس

● تعليق ●

ـ نأسف لهذا اللبس فى اسمك ، ولكن خطك هو السبب ، فقد قرأنا اسمك كما كتبتم حروفه ، ونرجو أن تتنبه الى توضيح حروف اسمك لانها مازالت تحتمل اللبس ، فحرف الصاد فى خطك يشبه حرف الهاء ، والراء تشبه الدال ، ولعلك ضحية طريقة « شرشر» المشئومة المشبوهة ، كغيرك من ابناء جيلك الذى علموه اللغة العربية بالامريكانى !

● مصرية ●



اضاعوا الغناء ·· وسدوا السماء
باصواتهم ·· انها منكرة
وها نحن جئنا فداء اليك
لنوقظ امجادك الغابرة
ونكتب عنك اغاريد حب
نعيد طيور الهوى الهاجرة
ونرجع للشعر ايامه ··
قواف شواف بنا زاهره
ونكتب عنك فهل تقرأين
ضياء كتاباتنا النادره ؟!
اذا ما كتبنا فكل الوجود
عيون بشوق الهوى ناظره
وانت التى غضت الطرف عنا
لتصلى لظى الجفوة الساعره

د · احمد عامر
شبين القناطر

● اعتذار الى القارىء ●

● يعتذر تحرير الهلال الى القارىء الكريم من اخطاء مطبعية وقعت فى بعض مقالات العدد الماضي ، ففى مقالة «عزيزى القارىء » ورد بيت شوقى :

لم يـر الشرق مثل سعد زعيما ... هـزه من بطاحه ورعانه

وقد تبدلت فيه كلمة « ير » وهى فعل مضارع مجزوم بحرف « لم » ·· الى كلمة « يره » ·· وهذه غلطة تخل بوزن الشطرة الاولى من البيت ولا معنى لهذه الكلمة هنا ! ··

وفى مقالة « الحقائق الغائبة » وردفى صفحة ٢٠ البيت القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

وجاءت كلمة « التعليم » منصوبة « التعليما » .. وهذا خطأ فى النحو يؤسف له ، فضلا عن انه يغير شكل القافية فى القصيدة كلها : ..
وفى مقالة « غراميات العقاد » وردت فى صفحة ٩٥ هذه العبارة : « وفيهم من لا يستحل الكذب ووضع الاخبار » .. وقد استبدل لفظ « يستحل » - وهو الصحيح - بلفظ « يستحمل » الذى لا وجود له فى أصل المقال ..
ونترك لفطنة القارىء ما قد يعثر به من أخطاء مطبعية اخرى ! .. وقد صارت الاغلاط المطبعية مرض الصحافة العربية بعد ما تدهور تعليم اللغة العربية .

● الوردة المفقودة ●

مكتوب فى دفتر اشعارك :
الفكر جنون ..
والعقل سجون
والشعر يقود الرحلة للمجهول
لا يا ذات العينين النجلاوين
فبحق الموج الهادر فى عينيك الدافئتين .
وبحق السحر الكامن فى شفتيك الهامستين
كلماتك تنقر نافذتى
كطيور النورس حين تلوذ بنافذة العشاق
فتبعثر فى كفى الكلمات
ورنين اللفظ الحالم فى اشعارك
يتحدى افكارى
ويقطع أوتارى الخرساء
وانا .. مملوء بالدهشة .. بالبهجة
.. بالتذكار
اتطلع من خلف الليل المرهق
ارنو لسماء مشروخة
لكنى حين يقهقه خلفك ماء النهر
اعدو .. أسرع .. مذعورا امضى
التقط الاحلام الوردية !



محمد بخيت - اسوان

● اعتذار الى بعض الادباء ●

● انهالت علينا مقالات يرد بعضها على بعض ·· فهـــذا اديب يتهم ذاك الاديب بالسرقة من انتاجه أو من انتاج غيره ·· والاديب الآخر يتبرى لتكذيب ذلك جملة وتفصيلا ، حتى صرنا حائرين لا ندرى الحقيقة ، وفى الوقت نفسه بلغت لغة الاتهامات حدا غير مقبول من تبادل الالفاظ الجارحة ·· ونحن لا ناقة لنا ولا جمل فى هذه القضية ، وقد صـارت حياة الادباء الشـبان ـ مع الأسف ـ احقادا متبادلة لا تخبو نارها ، ولـذلك نعتذر من عدم نشر شىء على الاطلاق فى هذه الامور العجيبة ، ونرجو أن يحاول السادة المعنيون بهـذه الكلمة حـل مشكلاتهم بالحســـنى ، ونذكر منهم : صبرى قنـديل والامير كمـــال فـرج وعشرات التوقيعات التى جاءتنا باسماء ادباء كفر الزيات وغيرهم ·

● الادباء الشبان مرة اخرى ●

● الى متى نظل حائرين فى نشـــر انتاجنا الادبى ؟!

هل اصبح الشعر مقتصرا على بعض الادباء الكبار أصحاب الفنادق الادبية · والاعتذار والشــــكر يصبح من نصيب لادباء الشبان « الذى » انتمى اليهم

سيدى · لا ادعى اننى « شاعرا فذا » ولكنى امتلك ادواتى الفنية ولم تعــد قصائدى تحتاج الى جبائر اومروساء فى اللغة ·

سيدى اننى لا املك القابا اتجمـــل بها ولكنى اعتز دائما باننى « ممرضا بمستشفى ١٥ مايو « بحلوان » وهذا اكبر وسام لى لقد اهتزت صورة الهلال فى نظرى بعد ان اصبحت حكرا للعســل والطحينة وتلك المباترات الادبية بين رافض ومعارض فلقد ارسلت لكم اكثر من ثلاث قصائد · لقد ضاق صـــدرى من تلك المعـــاملة السيئة للأدباء التى تقطع عروق الابداع الادبى

وارســل اليكم « بعقدى » لقصيدة الدكتور احمد عامر علما بانها نشرت فى هـــلال يناير ص ١٨٧ بعنـــوان (الصحراء الحبيبة)

ان القصيدة ليس بها اى شىء مـــن الشاعرية بل هى مجرد رصد لجزء من الاشياء الحسية التى يراها اى انســـان عادى ·

فايـــن اذن الشـــاعرية اذا كنتم « حريصون » على « ذالك »

لقد كرر الشاعر كلمة هى الصـــحراء خمس مرات وكلمــــة أما اليوم مرتين واعاد كتابة السطر الثانى الذى يقـول فيه نحن نعيش فى عصر العمارات التى تعلو وجاء أيضا فى السطر الرابع بهذا السطر مع تغير كلمة نعيش التى فى السطر الثانى بكلمة نحن نموت وايضـا ما الفرق بين تعلو وكلمة شاهقة التى جاء « بهم » فى القصيدة وتكرار تعـلو ثلاث مرات وكذلك كلمة تحاول ·· ايضا وهذا بالطبع يرهق الاذن لتذوق الشعر ·

اشرف محمد ابو العز حلوان

● تعليق :

● لا يعيبك ان تكون معرضا ، ولا تمنعك اية مهنة من ان تكون من اكبر الشعراء ، ولكنك يا بنى ناشىء لا تعرف اللغة التى تكتب بها وقد وضعنا بعض الغلطات .. فى النحو والصرف والاملاء بين اقواس ، لتعرف انك لا تستطيع حتى كتابة خطاب صحيح اللغة ، فكيف تكتب مقالا او تنظم قصيدة ؟!

انك لا تملك انتاجا ادبيا لتقول : الى متى نظل حائرين فى نشر انتاجنا الادبى ؟ !

قد سبق ان فندنا اسطورة « الادباء الشبان » الذين يضطهدهم الشيوخ ، وقلنا اننا ننشر لشاعر فى العشرين من عمره اذا كان ناضج الشعر ولا ننشر لاخر فى التسعين من عمره اذا كان شعره رديئا ، وقد تضخمت اكذوبة الاجيال والادعاء بدن بعض الفاشلين من الادباء لتستروا بها عجزهم ورداءة انتاجهم ، ولا نريد لك ولا لغيرك ان تكون من هؤلاء العاجزين المتسترين وراء اكذوبة صراع الاجيال ، واضطهاد الشيوخ للشبان، والمشهورين للمغمورين !

● طه حسين والهلال ●

● كم انا معجب بالجولة الخاطفة مع الدكتور طه حسين وكبار ادباء جيله ، وصولا الى جيلنا وادبائه وقرائه فى بابنا العزيز « عزيزى القارىء » تحت عنوان : « قصة الهلال وكتاب الايام » فما اقرب اليوم من البارحة .. فهل التاريخ يعيد نفسه ، فالمطالبة بمصادرة كتاب : « الشعر الجاهلى » ، وابادته .. لا تختلف عن المطالبة بمصادرة « كتاب : الف ليلة وليلة » ،وحرقه لقد ساعدت مجلتنا المحبوبة الهلال الغراء الدكتور طه حسين على نشر كتابه : « الايام » .. وقدمت لمصر والعالم ، عملاقا عظيما .. نعم ما احوجنا اليوم الى طه حسين جديد فهل يعيد التاريخ نفسه ؟!

عاصم فريد البرقوقى الاسكندرية

● الحديث الممتع ●

● لكى نحسن الحديث ، يجب الا ننسى ان الحديث فى المجتمعات والندوات ، أشبه بقطعة موسيقية تعزفها فرقة كبيرة فى هذه الفرقة الموسيقية تقوم كل الة من الآلات العازفة بدورها ، دون أن يفكر احد العازفين فى التعدى على

عمل غيره ، أو ارسال نغمات شاذة تفسد نغمات الآلات الاخرى ، بل عليه ان يتذكر دائما أنه واحد من فرقة كبيرة ، وزعت أدوارها ٠
قد يدعي أحد كبار العازفين بين فترة وأخرى الى العزف وحده ، ولكن هذا يجب الا يطول ، ليحتفظ بأعجاب الحاضرين ، ولا يثير حقد الحاسدين ٠
هكذا الحال عند الحديث في المجتمعات ، يجب أن يشترك فيه جميع الحاضرين ، كل في حدوده ، بغير اطالة أو انانية ، فالحديث ليس درسا أو محاضرة يلقيها طرف واحد ، بل هو شيء عام ، أشبه ما يكون بلعب كرة القدم ٠٠
أحمد يعطي الكرة لابراهيم ، وابراهيم يعطيها لمحمد ، ومحمد يدفعها الى الامام ٠٠ وسرعان ما يصدها منير ، فيعيدها سليمان اليه ٠٠ وهكذا ٠٠ حركة دائمة فيها لذة ومتعة ٠
ومثل المحدث الذي يستأثر بالحديث وقتا طويلا كمثل لاعب كرة القدم الذي يستحوذ على الكرة أغلب الوقت ، ينقلها من ركن الى ركن ، ومن أول الملعب الى نهايته ، دون أن يتيح لفريقه فرصة اللعب والاسهام فيه ٠٠ لاشك ان النظارة عندئذ تشعر بملل وضيق شديد ، وكثيرا ما ترتفع أصواتهم بالسخط عليه ، وعدم الرضا عنه ، لأن في انتقال الكرة من قدم الى قدم ، ومن موضع الى آخر ، ومن فريق الى فريق ، ومن لاعب الى لاعب ، باعثا على الرضا ومبددا للسأم في أمثال هذه المباريات ٠
هكذا الحال في الحديث ، يجب أن يكون عاما شاملا كل الحاضرين ، فوردة من محمد وزنبقة من ثريا وريحانة من ابراهيم اذا اجتمعت كل في اجتماعها طاقة فكرية ممتعة ، ولهذا وجب أن يكون الحديث قصيرا يتبعه فترات اصغاء لتشجيع الغير على المساهمة فيه من جهة ، ولتعينه هو على ترتيب أفكاره التي سيدلي بها فيما بعد من جهة أخرى، ومثل فترات الاصغاء التي تتخلل الأحاديث كمثل فترات الصمت في القطعة الموسيقية ، لولاها لفقدت القطعة بعض سحرها وروعتها ٠

د ٠ عز الدين فراج

● عبد اللطيف النشار ●

● الشاعر الراحل عبد اللطيف النشار شخصية أدبية جديرة بالتنويه ، فهو شاعر وناقد فني ، ومترجم له بصمات خاصة في الترجمة ، ولد بدمياط عام ١٨٩٥ وورث الشعر عن أبيه الشاعر محمد حمدى النشار وجده الكبير ، وتوفي عام ١٩٧٢ ٠
وتعلم في الكتاب كسائر أبناء جيله وحفظ القرآن الكريم ثم دخل المدرسة الابتدائية وكانت دراسة العلوم كلها وقت ذلك باللغة الانجليزية ومن هنا كان مجيدا في الانجليزية قراءة وترجمة وكتابته لها بطلاقة ، وعمل بالصحافة

والترجمة فى سن مبكرة جدا وقد اشتغل بالصحافة ما يقرب من ستين عاما وكان زميلا للمرحوم محمد الببلاوى ومحمود عزمى وعبد الحميد سالم ومحمود ابو الفتح وغيرهم ممن تخرجوا فى جريدة « وادى النيل » وصدر له ديوانان صغيران باللغة العربية عام ١٩٢٠ هما «جنة فرعون» و«نار موسى» وترجم ديوان الاميرة الفارسية « زيب النساء » الى الانجليزية وترجم رباعيات الخيام قبل أحمد رامى بالعربية شعرا ، وله أكثر من خمسين رواية بين مؤلفة ومترجمة . كان الشاعر عبد اللطيف النشار صديقا وفيا لابناء جيله مثل العقاد وطه حسين وزكى مبارك وأحمد زكى باشا وعزيز أباظة ويحيى حقى وفكرى أباظة نشرت قصائد المرحوم عبد اللطيف النشار فى مجلة الهلال والرسالة ورعمسيس والجهاد والثقافة والمجلة الجديدة وأخبار دمياط والسفير وصوت الشرق والملاجىء العباسية وديوان الاسكندرية والعصور ودنيا الفن والمقتطف والعزيمة .

وقد رثى كثيرين منهم شوقى وحافظ وعثمان حلمى والعقاد وعابل خيرى وفى قصيدته عن العقاد :

ترك العقاد دنيانا وقد ... زادها حسنا لمن عاشوا وحكمه
علم العقاد من خاطبهم ... أنما الدنيا لذى داب وهمه
واحتفاظ بمعان ساميات ... مثل حظ الفرد فيها حظ امه

وتحدث عن زيارة السيدة ام كلثوم لمدرسة الخطوط بالاسكندرية فى قصيدة « سلوا قلبى » :-

سلوا قلبى واحسبه اجابا ... فقد ترك الملامة والعتابا
تغنت « ام كلثوم » فكانت ... روائع لحنها قلبا مذابا

ويبلغ عدد أبيات ديوانه الضخم عشرة آلاف بيت .

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم

● مع الاصدقاء ●

● **عبده محمد سلطان ـ الجيزة :**

ـ قصيدتكم التى عنوانها « ايمانى واحزانى » مليئة بالحزن فعلا ، نرجو ان تكون أمورك قد صارت الى انفراج ان شاء الله .. واكتب الينا ..

● **محمد عبد الله الهادى ـ فاقوس :**

ـ قصتكم بعنوان « الكلب » .. هى مجرد خواطر قصيرة لا يمكن تسميتها « قصة » ..

● **السيد ابراهيم عطية ـ كفرصقر:**

ـ لا نجد متسعا لنشر ما يرد الينا من الشعر الاجنبى المترجم ، ولدينا منه كمية كبيرة نحاول نشر شيء منها .. أما المدح او القدح فلا اهمية له عندنا . وقد ذهبتم بعيدا فى سوء الظن ،سامحكم الله ، وقد أغنانا الله عن مدحكم ولسنا ممن يتيه عجبا بالمدح ، أو يتأثر بالهجاء والقدح !..

● **محمود على الازهرى ـ نجع حمادى :**

ـ نرجو أن ترسل الينا قصائد أجود .. ونرجو ان يكون الخط اكثر ظهورا حتى نستطيع قراءته بسهولة !..

● **عبد المجيد محمد عبد المجيد الاسداوى ـ فاقوس :**

ـ نرجو ان تكتبوا رسائلكم على وجه واحد من الورقة ليسهل جمع الكلام اذا تقرر نشره .. واكتبوا الينا ..

● **محمد داود (مستشار) ـ الاسماعيلية :**

ـ بعثتم الينا بصورة من مقالة سبق نشرها ، ونأسف لاننا لا ننشر المقالات التى نشرت فى مجلات أخرى حرفيا ..

● **فؤاد سليم مقلم ـ منيا القمح :**

ـ لا بأس بقصيدتك التى عنوانها « اغنيات الرماد » ولكن تعبيراتك مباشرة وجارحة ، كقولك : « والشعر حين تقيم بين تجاعيد صوتى » .. وفى القصيدة خطأ نحوى كقولك : « كى تقرأين » والصواب : « كى تقرأى » .. الا أن شعرك فى مجموعه جيد ونرجو ان تستمر فى الكتابة الينا ..

● **حجاج حسن دالى :**

ـ قصتكم القصيرة « الهرم المقلوب » تدل على ان اتجاهكم الى كتابة هذا اللون سوف يثمر ذات يوم ثمرته . ونأسف لعدم نشر قصتكم هذه ، فليس المهم النشر العاجل ، بل النضج قبل النشر ..

● **رضا ابراهيم عبد المعطى ـ دكرنس :**

ـ قصيدتكم التى مطلعها :

(تجتاز عبر الفضاء الحر سابحة عينى الى مدلهم الافق والسحب)

تنم عن شاعرية ، الا أن فيها بعض الاخطاء اللغوية ، كقولك « اظلالها السمحاء » والصواب « السمحة » .. وجمع « غيب » : « غيوب » وانت جعلته « غيب » بضم الغين والياء .. ثم نعود لنقول ان شعركم جيد فنرجو عدم الانقطاع عن الكتابة الينا .

● **السادة الأعزاء : منير ابراهيم عبد الحميد ، فرج مجاهد عبد الوهاب ، محمد ابراهيم الفرحاتى ، عيد على امين حميدة ، طارق صلاح الدين بدارى محمد جمال شحاته ، عمرو محمد عبد الحميد ، نشكركم على حسن ظنكم بنا ، ونتمنى لكم التقدم فى فن الشعر ، أوزانا ولغة ومضمونا .. ونعتذر اليكم لضيق المجال ، ونرجو الاستمرار فى الكتابة الينا ، او الكتابة لانفسكم على الاقل ، فلكل منكم موهبة تنتظر الزمن .**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


٦٠
رحلة أسبوعيا إلى
أمريكا
وأوروبا
٨٦
رحلة أسبوعيا إلى
الشرق الأوسط
٣٠
رحلة أسبوعيا إلى
أفريقيا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..

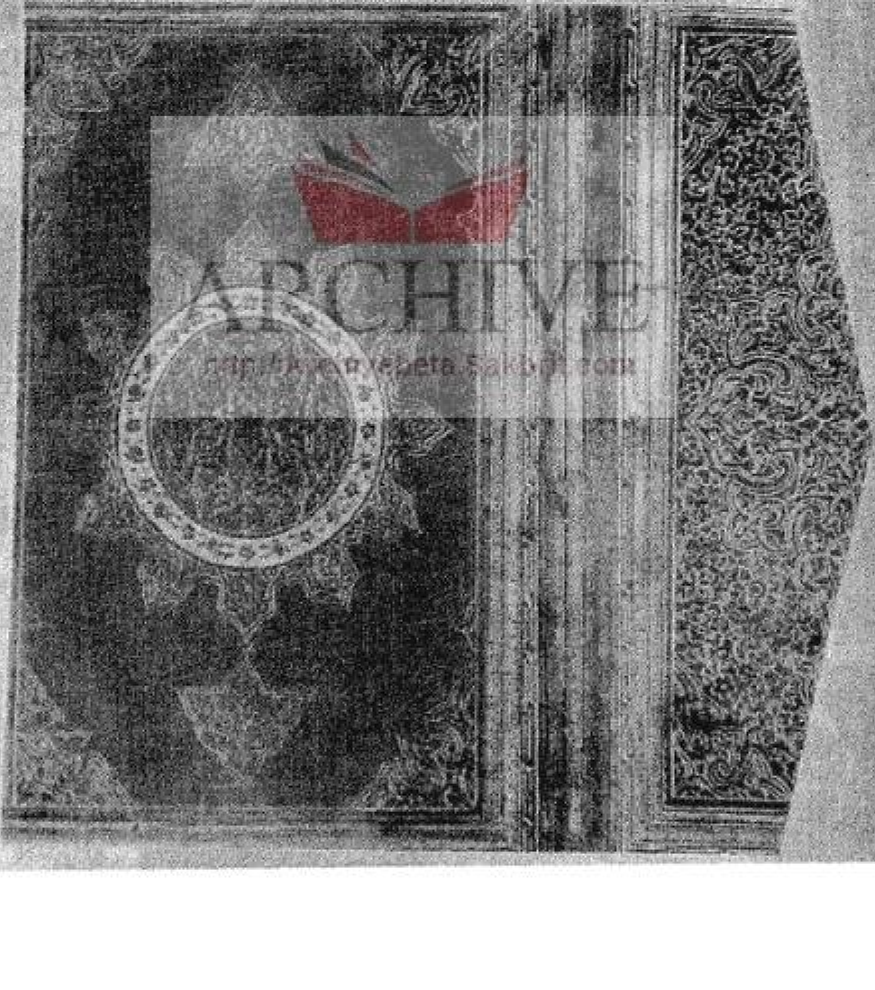
الهلال

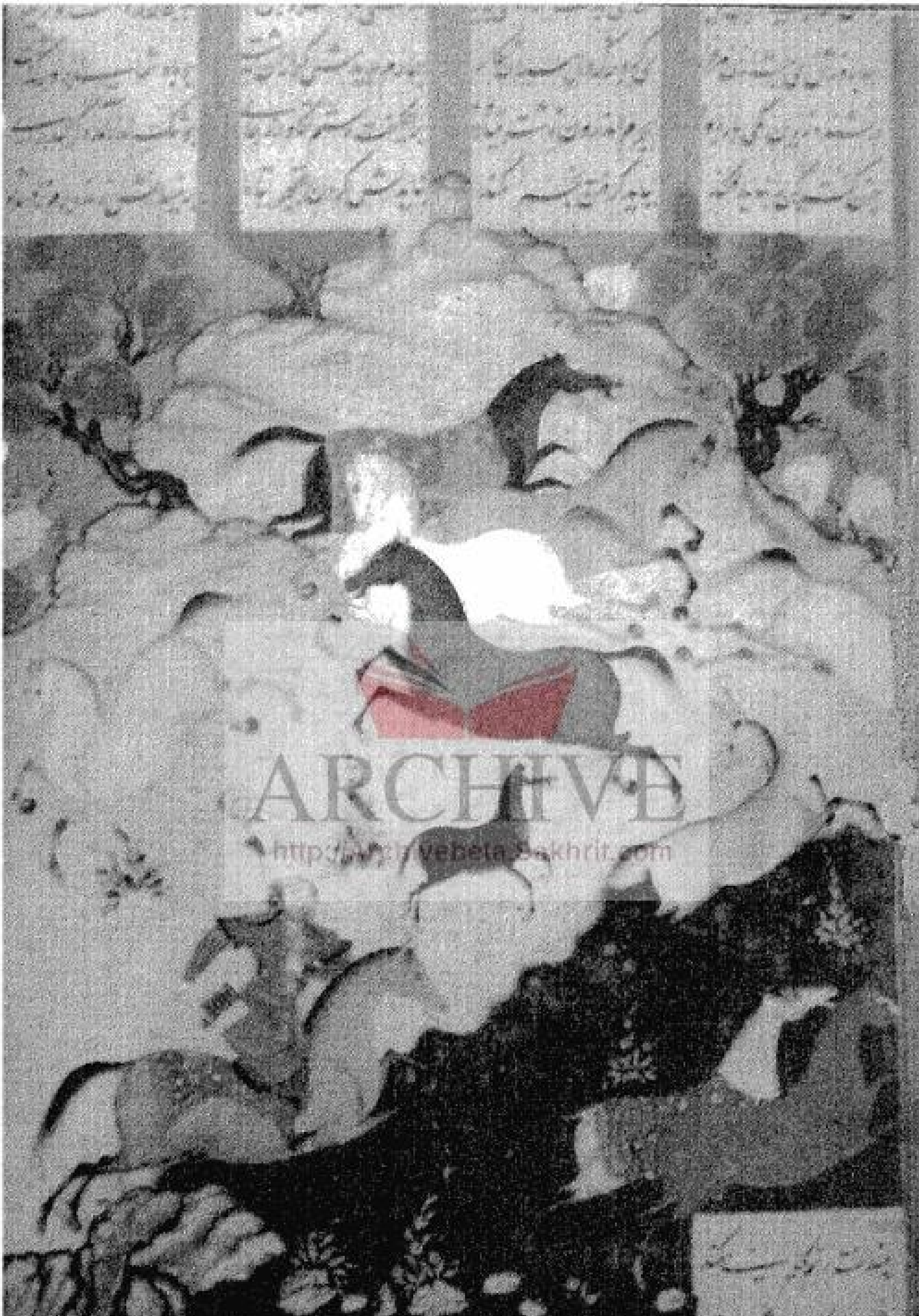
مايو ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشا

■ الربا حرام.. ولكن ما هو؟

■ الدين والسينما

القرآن الكريم وفن تجليد الكتاب





من روائع الفن الإسلامى

إحدى لوحـات الفن الإسلامى المستوحاة من الشاهنامة رسمها الفنان الإيرانى مظفر على عام ١٥٧٦م . وجاءت اللوحة تأكيدا على اهتمام الفنان بالمساحة الخضراء . التى تجوب فيها انواع مختلفة من الجياد فى أحجام متباينة تكشف كيف غير الفنان من المفاهيم التقليدية فى الفن .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان ١٨٩٢ أول ابريل ١٩٨٧ م - ٣٠ شعبان ١٤٠٧ هـ .

عزيزى القارئ

شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن ، هو شهر للقراءة والعلم والفكر ، فضلا عن كونه شهرا للجهاد ، وشهرا للصوم والعبادة .. فإن أول آية قرآنية نزلت فى رمضان هى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .. وبهذه الآية صار شهر رمضان موسما للقراءة والتفكير وتدبير حياة المجتمع ، واندفعت الأمة العربية قديما الى التقدم والسبق فى العلم والأدب والصناعة والفن والزراعة .. ثم أدى اهمال القراءة والفكر الى تقهقر العرب والمسلمين ، ثم انهيارهم وتفوق اعدائهم عليهم ، ثم وقوع الأمة العربية والاسلامية كلها ـ من المحيط الاطلسى الى المحيط الهادى ـ فى قبضة هؤلاء الأعداء ! ..

وكان تفوقنا قديما راجعا الى اننا قد صرنا بالاسلام أمة واحدة بعد ان كُنا قبائل متفرقة ، وتركنا الجاهلية البدائية العاجزة عن التنظيم الاجتماعى والسياسى ، الى الحياة المتطورة المتحضرة سياسيا واجتماعيا ، أى أن « الجاهلية » كانت هى فترة ما قبل التنظيم الاجتماعى والسياسى للدولة الموحَّدة ، وليس للجاهلية معنى « لاهوتى » ساذج كالمعنى الذى حاول ترويجه بعض ذوى التفكير غير الواقعى وغير العلمى فى عصرنا .

وقول القرآن للنبى العربى « اقرأ » .. قول لا غرابة فيه ، لأن العرب أصحاب مدنية قديمة جدا .. وفيهم نشأت الكتابة والقراءة قبل ثلاثة آلاف سنة من نزول القرآن الكريم .. يقول الأمير شكيب ارسلان فى كتابه : « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » إن الكتابة ـ على الأرجح ـ قد بدأت عند العرب .. « ولو فرض » أن الفينيقيون هم الذين اخترعوا الكتابة فى العالم ، فالفينيقيون فى الحقيقة أمة سامية عربية ، وكانت دائرة المدنية محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها » ..

وهكذا يجدد حلول شهر رمضان ذكريات هذه الأمة العربية التى كانت أول أمة قارئة كاتبة فى العالم ، فجاءت أول كلمة فى كتابها المقدس : « اقرأ » ..

وكلمة « اقرأ » هى « فعل أمر » كما يقول النحاة ، والأمر هنا واجب التنفيذ ، وقد نفذه العرب والمسلمون فى زمانهم الأول ، ثم تراخوا فى تنفيذه فتفوقت عليهم

الأمم الأوربية حتى صَحَّت كلمة الشيخ محمد عبده . « فى أوروبا مسلمون بغير اسلام ، وفى بلادنا اسلام بغير مسلمين » !

ذلك لأن الأوروبيين قد أدركوا المعنى العظيم لكلمة « اقرأ » وجعلوه مدار عملهم فى حياتهم ، أما نحن فقد نسيناه وأخرجناه من حياتنا ، الا مايتعلق منه بالشكل دون الجوهر ، وبالثرثرة دون العمل ، فلا عجب أن تحوّل رمضان من شهر نراجع فيه أنفسنا فى معنى الأمر السماوى : « اقرأ » الى شهر للطعام والشراب والسهر والسمر .. وفى الزمن الأخير استجدّ للمسلمين طرائف أخرى كالنكت المصورة بالألوان والفوازير الراقصة والتمثيليات التى تصور الخرافات والأساطير وتحاول أن تلصقها بالدين ، أو تجعلها هامشا للدين على الأقل ، مُسْدِلةً على عقول الناس غشاوة من الغفلة والبلاهة !

إن الاسلام ليس دين آخرة فقط .. وكلمة « اقرأ » تشمل الآداب والفنون وعلوم الفضاء وكل ما أثمرته قرائح البشر بلا قيد على شىء من العلم والفكر ! .. ومن قال بغير ذلك ـ جاهلا أو غير جاهل ـ فقد جر على أمته مصيبة الجهالة بالعلوم الكونية التى هى فى عصرنا قوام الأمم ، وسوف تنقرض الأمم التى يطول جهلها بهذه العلوم ، ولن تستطيع الأمم الجاهلة أن تبقى ولو عيالا على الأمم التى سارت فى طريق العلم الذى لا أول له ولا آخر فى هذه الدنيا التى جعل الله قوامها كلمة : « اقرأ » ..

وإننا لنعترف ـ بكل أسف ـ أن شهر رمضان الذى كان فى الزمن البعيد شهر قراءة وفكر ، قد اقتسمه فى عصرنا تجار الفوازير والتمثيليات الخرافية ـ وتجار الدروشة والصيحات العصبية الهيستيرية فى حلقات الأذكار ! ..

وقد ضاعت أو توشك أن تضيع تلك المعانى العظيمة التى حملها الى العرب والمسلمين فعل الأمر « اقرأ » .. مع أنهم الأمة الوحيدة التى نزل عليها هذا الأمر من السماء ! ..

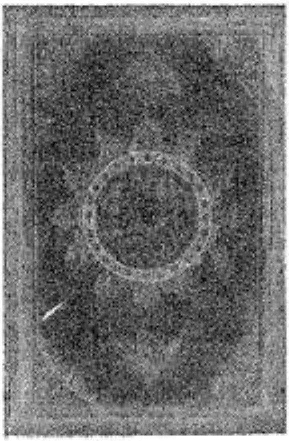
وإن الانصراف عن معنى « اقرأ » لأعظم خذلان تصاب به أمة من الأمم ، فكيف إذا كانت هى الأمة التى نزل عليها ؟!

عزيزى القارىء

لانملك رغم كل شىء إلا أن نقول لك كالعادة : رمضان كريم ، وأبقاك الله إلى أمثاله ..

وآخر كلامنا ، هو أول آيات شهر رمضان . « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .. صدق الله العظيم »

في هذا العدد



القـران الكريم وفن تجليد الكتاب ص ١١٤

● فكر وثقافة ●

● قضايا ومواقف

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



محمد عبد الوهاب



أم كلثوم



محمد الكحلاوى

الغناء الديني والدنيوي

بقلم : كمال النجمي

فى شهر رمضان يكثر مايسمى بالغناء الدينى أو الإنشاد الديني أو الأدعية الدينية وأناشيد السحور ، وتظهر المطربات فى التليفزيون بملابس خاصة لا تبدى منهن إلا الوجه والكفين ، يؤدين أغانيهن الدينية وهن يرفعن أكف الضراعة ، فيذكرننا بشهداء الديانات الذين كانوا قديما يستقبلون ساعاتهم الأخيرة فى الحياة بترتيل الأغانى الدينية ، تحمل دموعهم وأدعياتهم إلى السماء المفتوحة لدعائهم المستجاب ..

ولعلك ـ مثلى ـ تابعت الأفلام الضخمة التى أخرجتها هوليود عن شهداء المسيحية الأوائل الذين ألقت بهم الدولة الرومانية طعاما للسباع المتوحشة ، أو وقودا للنيران ، فكانوا يستقبلون الموت الكالح ، بأغانى الفرح ، ويجعلون آخر دعواهم أناشيد يرفعونها إلى الرب ! ..

لم يكن المسيحيون أول من غنى وأنشد من أصحاب الديانات ، فإن الغناء الدينى هو توأم الغناء الدنيوى منذ بدء الخليقة ..

وقد غنى الإنسان غناءه الدنيوى الأول للربيع والصيف ليأتيا بالدفء والضوء بعد الشتاء المكفهر القارس .. وغنى للمطر الذى يحيى النبات ، وللهواء والماء والطيور .. ثم غنى للنار حين عرف كيف يستوقدها .. وكان هذا بعض غناء الإنسان الأول ـ أو البدائى ـ لدنياه العجيبة وهو يتحسسها بيديه ، متعرفا على مجاهلها ، محاولا تثبيت قدميه على أديمها .. ولم ينقطع عن غنائه الدنيوى منذ مليون عام أو أكثر ..

كذلك غنى الإنسان الأول للدين ، ولم يكن بعد يعرف من الدين إلا الخوف من البرق والرعد وعصف الرياح وزئير الوحوش ، فرفع ابتهالاته وأدعياته وضراعاته ، قرعاً على الطبول ، وغناء على الدفوف ، ورقصاً على رنين الآلات البدائية ..

ثم تحضر الإنسان وتمدن فى مصر وبابل وآشور والهند والصين .. ثم فى اليونان والرومان .. وغنى فى حضاراته القديمة هذه للدنيا كما غنى للدين .. فالمصريون القدماء اخترعوا الآلات الموسيقية ، وجعلوا الغناء والعزف الموسيقى علما مقدسا من علومهم .. وكانوا أول من عرف الابعاد الصوتية والموسيقية وانسجامها وتنافرها .. يقول صديقنا الدكتور فتحى الصنفاوى ـ أحد أساتذة التأليف الموسيقى ـ فى كتابه "موسيقى الحضارات القديمة" .. إن المصريين القدماء "كانوا يجدون شبها كبيرا بين الأجرام السماوية فى انتظام حركتها وانضباطها وبين النغمات الموسيقية ، لما بينها من نظام ثابت ، وكانت الكواكب الأساسية المعروفة خمسة ، فكان السلم الموسيقى عندهم خماسيا ، فلما زاد عدد الكواكب المعروفة لهم إلى سبعة أصبح السلم سباعيا ، وكانوا يرمزون لكل نغمة بالرمز الهيروغليفى الذى يرمزون به لمثيله من الكواكب" .

وكان هذا ـ فيما نظن ـ هو الأساس الذى بنى عليه إخوان الصفاء فى بغداد خلال القرن الرابع ، بعض كلامهم وأوهامهم عن موسيقى الأفلاك ، وتخصيصهم نغمة لكل وقت من الليل والنهار ، كما كان يفعل قدماء المصريين فى صلواتهم الغنائية الموسيقية برعاية أوزوريس ـ إله الموسيقى عندهم ـ الذى كانت تحف به ربات الفنون أو "الميوز" .. وهى الكلمة التى دخلت فى اللغة اليونانية القديمة ، وانبثق منها لفظ "ميوزيك" .. أى "الموسيقى" ..

ولم يكن "فلاسفة" إخوان الصفاء المسلمين أول من بهرته موسيقى المصريين القدماء فقد سبقهم المؤرخ الإغريقى الشهير هيرودوت إذ قال "سمعت من الأغانى المصرية ماصار بعد حين الحانا يرددها اليونانيون فى كل مكان" ..

الغناء الديني والدنيوي

وقال أفلاطون : "على اليونانيين أن يقتبسوا من موسيقى مصر وحدها ، دون موسيقى الشعوب الأخرى ، لما فيها من عناصر فنية وأخلاقية" .

وجمعت الموسيقى فى الحضارات القديمة كلها بين الدين والدنيا ، لأن ظروف الإنسان كانت متشابهة فى مصر والصين والهند واليونان وغيرها .. واقتبس اليونانيون آلهة لفنونهم من آلهة مصر الفرعونية ، ووضع إقليدس قانون الأصوات والدرجات الموسيقية ، وهو القانون الذى ترجمه وشرحه ابن الهيثم فى الحضارة الإسلامية ، وإن كان المطربون والموسيقيون المسلمون لم يأخذوا به ، فقد نشأ الغناء والعزف المتقن فى الدولة الأموية ، وازدهر فى الدولة العباسية ، ثم أخذ يندثر ، فلم تكن ترجمة قانون إقليدس بعد ذلك إلا عملا نظريا يدخل فى باب النظريات الرياضية ، وقد جاءت ترجمته بعد فوات الأوان .

وقد اندثر الغناء الدينى الفرعونى فى مصر فى عهد الاحتلال الرومانى الذى امتد سبعمائة عام ، واختفى السلم الخماسى الفرعونى وظهر بدله السلم السباعى القبطى المسيحى ، فكان خطوة فنية متطورة لأنه حمل أرباعا صوتية كان السلم الخماسى – كجميع السلالم الموسيقية البدائية – خاليا منها .. ثم اعتمدت الكنيسة المصرية على أسس الغناء العربى فى تراتيلها بعد دخول العرب مصر وانتشار اللغة العربية والغناء العربى .. وكانت الكنيسة المصرية قد ابتعدت قبل ذلك عن "الاصلاح الموسيقى" الذى أجراه البابا الرومانى جريجور الأكبر فى القرن السادس الميلادى ..

وموسيقى الكنيسة الرومانية لبثت تعتمد على الموسيقى الإغريقية القديمة التى هى مأخوذة من الموسيقى الفرعونية ، حتى جاء الأسقف الإيطالى امبروز فى القرن الرابع الميلادى فاختار أربعة مقامات خاصة للغناء الكنائسى ، ثم جاء البابا جريجور فأتم بناء هذا الغناء ، حتى سمى باسمه ، وتحول الغناء فى أوربا كلها إلى فن كنائسى ، وحرم كل غناء سواه ، حتى القرن الثانى عشر ، إذ ظهرت موسيقى أوربية دنيوية خارج الكنيسة على أيدى "التروبادور" وهم مغنون أوربيون شعبيون تعلموا شيئا من الغناء الأندلسى العربى وأقاموا عليه طريقتهم فى الغناء .. ولكن الجانب الأكبر من الغناء والموسيقى فى أوربا ظل فى يد الكنيسة ، وتكاثر رجال الدين المشتغلون بالغناء والموسيقى حتى القرن الرابع عشر ، ثم بدأ هذا الفن يفلت من قبضة الكنيسة ويغنى للدنيا ، ويواكب طبقة الفرسان التى ملأت أوربا .. وظهرت اللغات القومية الأوربية ، أى اللهجات العامية المنبثقة من اللغة اللاتينية ، ثم نهض مارتن لوثر بدعوته فى الاصلاح الدينى ضد الكنيسة البابوية فى روما ، وصار لكنيسة البروتستانت تراتيل جديدة ، وظهر المغنون والموسيقيون اللوثريون فى كل مكان " .

إلا أن الغناء الأوربي الدنيوي والموسيقى الأوربية بجميع ألوانها ظلت بعد ذلك تحمل طابع الكنيسة . فالغناء الأوربي - حتى اليوم - هو في جوهره الفنى ترتيل كنائسى ، والموسيقى الأوربية هى موسيقى كنائسية ، ولم يخرج عن ذلك - حتى الآن - شيء من أعمال المغنين والموسيقيين الأوربيين ، لا فى غرب أوربا ولا فى شرقها ، بل إن الطابع الكنسى للغناء والموسيقى يبدو فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية أشد منه فى أوربا الغربية التى انهمكت - مع أمريكا - فى أغانى الروك والديسكو والبوب والجاز وغيرها من أغانى التشنج العصبى .. وثار الأوربيون والامريكيون على الغناء الأوبرالى وانصرفوا عنه ، بينما هو الآن مزدهر فى الاتحاد السوفييتى ، بل وفى الصين أيضا التى ليس لها صلة بالموسيقى الأوربية ، وأعظم مؤلفى الموسيقى الكلاسيكية الحديثة والرومانسية وموسيقى الباليه فى هذه الأيام ، هم الموسيقيون السوفيت ورفاقهم فى أوربا الاشتراكية ، ذلك أن السوفيت والاشتراكيين الآخرين يرون أنهم ورثة التراث الموسيقى الأوربى ، وأن هذا التراث وإن كان ذا أصل دينى كنائسى ، لكنه أصبح فى عصرنا فنا دنيويا يخدم الناس ، ولم يتعد هؤلاء الاشتراكيون بعد مرحلة التشبث بالموسيقى الأوربية الموروثة ، وإن كانت بعض جمهوريات آسيا الاشتراكية تحاول تطوير موسيقاها الخاصة التى هى فى الأصل موسيقى هندية أو صينية أو فارسية ..

إن هذا كله يدل على أن الموسيقى الأوربية قد صارت تراثا انسانيا عاما ، وأن هذا التراث يفتح أبوابه للانسانية جمعاء لتأخذ منه ما يصلح لها ، وتدع مالا يصلح .. وما أجدرنا نحن العرب أن نخطو فى هذا الاتجاه ، فإننا وإن كنا نعتز بموسيقانا ، لا يعيبنا أن نضيف إليها ما ينقصها من أسباب النماء والازدهار .

فالموسيقى الأوربية التى كانت ربيبة الكنيسة والبابا ، تحمل الآن - بعد تطورها الطويل - سمات ومزايا يمكن أن تستفيد منها الموسيقى العربية التى كانت فى نشأتها منذ عهد عثمان بن عفان فى الربع الأول من القرن الأول الهجرى ، طريدة الخلفاء والولاة ودعاة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

نشأت الموسيقى العربية دنيوية ، ونعنى بالموسيقى هنا الغناء ، لأنه كان ومازال هو الغالب على الأسماع العربية . وقد نشأ فى المدينة المنورة وأحبه أهل السماحة والاعتدال من المسلمين أمثال عبدالله بن جعفر الهاشمى ، ولكن الرأى الرسمى فى الغناء كان سيئا ، فالخليفة ينهى عنه ، ويعاقب المغنين وينفيهم من بلادهم ، والمتشددون يطلقون على المغنين لقب "المخنثين" .. وبعض الولاة يحول المغنين الفحول إلى خصيان بعمليات جراحية ، عبرة لكل من تسول له نفسه أن يغنى .

واضطر المغنون أحيانا إلى نقل نشاطهم تحت الأرض كما تفعل الجماعات والأحزاب السرية المحظورة ، حتى تراخت قبضة التشدد شيئا بعد شيء فظهر المغنون وانهمكوا فى تطوير الغناء

الغناء الديني والدنيوي

المتقن . واخترعوا فنا غنائيا عربيا جديدا ، أعادوا به ذكرى الغناء العربى القديم الذى كان للعرب قبل ذلك بألف عام أو أكثر عندما كانت لهم حضارة ودولة أو عدة دول ذات شأن فى زمانها كما يقول المؤرخون المنصفون للعرب ..

لقد بدأ الغناء العربى المتقن طريقه الجديد فى صدر الاسلام ، معتمدا على مابقى من الغناء القديم فى فن الحداء وفن النياحة ، فترك الحداة والناحة عملهم وصاروا مغنين ، واقتبسوا من الفرس والروم ما يوافق الوجدان العربى والذوق العربى واللغة العربية ، وجددوا به الغناء العربى ، وضربوا ألحانهم على العيدان الفارسية والرومية بعد ضبطها بما يوافق هذا المنحى الفنى الجديد .. حتى اكتمل هذا الفن فى بداية العصر العباسى ، واتسق الغناء مع قواعد النطق العربى والقراءات القرآنية السبع أو العشر ، فكان الغناء المتقن من أسباب حماية اللغة من التشويه فى النطق ، ولعب دورا فى حماية اللغة إلى جانب الدور الذى لعبه علم النحو وعلم الصرف ثم علما العروض والقافية ..
وقد يبدو هذا كلاما جديدا يقال لأول مرة ، ولا يقدح فيه أن يكون كذلك . وليراجع من شاء تاريخ الأدب واللغة ليعرف مصداق هذا الكلام ..
إن الغناء العربى المتقن ـ وهذا كلام جديد أيضا ـ هو كالشعر العربى فى العصر الاسلامى ، يمكن أن يسمى "الغناء الاسلامى" كما يسمى الشعر العربى "الشعر الاسلامى" ..
فالغناء المتقن هو ثمرة الحضارة الاسلامية وهو منسوب إليها كما ينسب اليها الشعر .. وقد كان من الشعر الاسلامى ، شعر الأخطل ـ مثلا ـ وهو شاعر مسيحى ، ولكن شعره إسلامى بانتسابه إلى الحضارة التى عاش فيها .. فلا عجب أن ينسب الغناء العربى المتقن إلى حضارته الاسلامية التى لم يكن ليوجد إلا بوجودها ..

وهذا النسب يجعل الغناء العربى المتقن فنا دينيا كما هو فن دنيوى ، فقد خدم الغناء المتقن المروءة ومكارم الأخلاق كما خدمهما الشعر .. أما دوره فى خدمة الحياة ، فهو أبلغ من كل بيان ..

بعض الناس يقولون ـ حتى الآن ـ إن صوت المرأة عورة ، فلا يصح لها أن تغنى ، ولكن المسلمين فى حضارتهم سمعوا الألوف من الجوارى والقيان فى بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة ، ولم يشذ عن حب السماع إلا أناس يشذ مثلهم فى كل عصر وفى كل مكان ..

قال اسحاق الموصلى ـ فيما روى أبوحيان التوحيدى فى كتاب الامتاع والمؤانسة ـ إن شخصا قال له إنه لايجد شيئا يحبه فى الغناء ، فقال له الموصلى كالمستهزىء به : "جعلت فداك . قصدت إلى أرق شىء خلقه الله ، وألينه على الأذن والقلب ، وأظهره للسرور والفرح ، وأنفاه للهم والحزن ، وما ليس للجوارح منه مؤونة غليظة ، وإنما يقرع السمع وهو

منه على مسافة ، فتطرب له النفس فذممته" ¹ . قال الرجل . "أما انا فالطعام الرقيق أعجب إليّ من الغناء .. والغناء مختلف فيه وقد كرهه قوم" .. قال اسحاق "فالمختلف فيه أطلقه لنا حتى تجمعوا على تحريمه ¹ . أعلمت ـ جعلت فداك ـ أن الأوائل كانت تقول من سمع الغناء على حقيقته مات ـ أى مات من الطرب ـ فقال الرجل اللهم لا تسمعناه على الحقيقة إذن فنموت" ! ..

فاستظرفه اسحاق ومن معه فى مجلس الغناء وقدموا اليه الطعام فانشغل به عن ذم الغناء ¹ ..

هكذا لبث الغناء العربى أو الاسلامى يصطدم حتى فى العصر العباسى بمن يكرهه أو يذم سامعيه ، من جهة الدين ـ فى رأيه ـ ولكن الغالبية من الناس ، وحتى من الصوفيين وغلاة المتدينين ، كانوا يجدون فى الغناء راحة أرواحهم ، ونشأ فى الغناء من يومئذ المقام الذى يسمى حتى الآن "راحة الارواح" وهو مستعمل فى غنائنا المعاصر ..

قالوا : كان ابن فهم الصوفى إذا سمع إحدى الجوارى تغنى

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فى بغدادَ لى قمراً
بالكرخ مِنْ فَلَكِ الأزرارِ مطْلَعُهُ
وَدَّعْتُه وَبِوِدِّى لَوْ يُوَدِّعُنِى
صَفْوُ الحياةِ وَأَنِّى لا أُوَدِّعُهُ

ضرب بنفسه الأرض ، وتمرغ فى التراب ، وهاج وأزبد ، وتعفر شعره ، ومن يجسر على الدنو منه فإنه يعضه بنابه ، ويخمشه بأظافره ! ..

وهذه الحالة إنما اعترته من جهة الوجد الصوفى ، أى الدينى ، إذ هاج له هذا الشعر الوجدانى الرائع أطرابه وأشواقه الروحية ، وكذلك كان يفعل الغناء بأمثال هذا الصوفى . قال الإمام أبو حامد الغزالى فى مقدمة كتاب "آداب السماع والوجد" وهو جزء من كتابه الكبير "إحياء علوم الدين"

"اعلم أن قول القائل السماع حرام ، معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع ، ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص" "ولا يدل على تحريم السماع نَصٌّ ولا قياس .. وقول الله تعالى إن انكر الأصوات لصوت الحمير ، يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز أن يقال : إنما ابيح ذلك بشرط أن يكون فى القرآن ، للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن ، وإذا جاز سماع صوت غُفْلٍ لا معنى له كصوت العندليب فلِمَ لا يجوز سماعُ صوت تُفْهَمُ منه الحكمة والمعانى الصحيحة ؟"

ثم يقول الغزالى بعد كلام طويل فى هذا الاتجاه : " .. فإذن تأثير السماع فى القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجِمَالِ والطيور ، بل على جميع البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة " ..

هكذا قال الغزالى .. وقد رأينا نحن فى عصرنا من يرى سماع ام كلثوم ـ مثلا ـ مضيعة للوقت ، ولكن الغزالى ـ حجة

الغناء الديني والدنيوي

الاسلام ـ يقول "السماع فى أوقات السرور ، تأكيدا للسرور وتهييجا له ، مباح .. إن كان ذلك السرور مباحا ، كالغناء فى أيام العيد وفى العرس وفى وقت الوليمة الخ .. ووجه جوازه أن من الألحان مايثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ماجاز السرور به جاز إثارة السرور فيه" ..

وينكر بعض الناس فى عصرنا سماع الغناء فى الحب أو فى الغزل ، ويرد الإمام الغزالى على ذلك بقوله : "سماع العشاق تحريكا للشوق ، وتهييجا للعشق ، وتسلية للنفس ، إن كان فى مشاهدة المعشوق ، فالغرض تأكيد اللذة بمشاهدته ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق ، وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف اليه رجاء الوصال ، فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، ففى السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الاطناب فى وصف حُسْنِ المحبوب .. وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُبَاحُ وصالُه" .

ذلك عن الغناء الدنيوى فى رأى الإمام الغزالى ، وقد وفاه حقه ولم نستطع أن ننقل من كلامه ـ وهو بحر لا ساحل له ـ إلا هذه القطرات التى نراها تفى بالغرض ..

أما الغناء الدينى فإن الإمام يقول فيه "سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شىء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع الاسمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا ، مأخوذا من الوجد ، والمصادفة ، أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الاحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب وتنقيه من الكدرات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، وهى غاية مطالب المحبين ، ونهاية ثمرة القربات كلها .. وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا . والبليد الجامد القاسى القلب ، المحروم من لذة السماع ، يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه ، تعجب البهيمة من لذة اللوزينج" ! ..

كان موقف الغزالى من الغناء فرعا من موقفه الفلسفى الكلى من الحياة والمجتمع والكون ، وهو الذى قال : "ليس فى الإمكان أبدع مما كان" .. وعاشت كلمته هذه وفسرها الناس ألوف التفاسير ، ولكن صوتا جميلا يتغنى فيطربنا ويثير وجدنا ، ويرفعنا فوق دنيانا ، ويسكب دموعنا على ثراها ، هو فى بساطته ودقته وروعته أعظم من كل تلك التفاسير ، بل هو تفسير لكل تفسير ..

لقد رأى الغزالى وسط المشكلات الدينية ، والتعقيدات الفقهية ، منفذا لفن

الغناء الجميل ، وللطاقة الفنية الإنسانية التي لن تموت إلا إذا انحط النوع الانساني كله أو أصيب بالبلاهة

ومحصل كلامه أنه ليس حتما اضمحلال التعبير الفني في المجتمعات التي تستظل براية الدين ، بل إن اضمحلاله ليس ممكنا مادام الدين نفسه قد اسهم من قديم في تطوير علاقات الانتاج ، وتعديل المسافات بين الطبقات والأفراد ، ونهض بقيمة العمل الفكري

ولقد تخلى المسلمون عن أشكال من التعبير الفني في بداية الاسلام كالتصوير والنحت لأسباب تاريخية مؤقتة ، ولكن الغناء سرعان ما اثبت انه تعبير فني يلائم الحقائق الموضوعية في حياة الناس الذين استظلوا براية الامبراطورية الاسلامية

ولهذا عاش الغناء العربي هذه الحقب الطوال ، ولما اضمحل في عهود التدهور القومي والاجتماعي والسياسي بقيت تحت رماده جذوة انبعثت في عصرنا عندما أحيت الأمة العربية تراثها في القرن التاسع عشر ، فنهضت بنهضة العرب أمة المسلمين في المشرق والمغرب ، لأن العرب هم مادة الاسلام قديما وحديثا

وترددت من جديد ألحان الغناء الدنيوي وألحان الغناء الديني . وغنت أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم حافظ وغيرهم اغاني الحب ، وسمعنا من أم كلثوم روائع اغانيها الدينية : "سلوا قلبي" .. "ولد الهدى" .. "ريم على القاع" .. "إلى عرفات الله" .. "القلب يعشق كل جميل" .. وروائعها الدينية في البرنامج الغنائي المشهور عن "رابعة العدوية" الذي تحول بعد ذلك إلى أفلام سينمائية "دينية" ايضا ..

وصار الغناء الديني عماد الأفلام السينمائية الدينية ، كما رأينا في فيلم "الشيماء" الذي غنت فيه سعاد محمد عددا كبيرا من الأغاني الدينية ..

وكثرت أغاني الأعياد الدينية وأغاني الحج واغاني شهر رمضان ، وتألفت للانشاد الديني فرقة رسمية تنفق عليها الدولة ، بعد ان كان الانشاد الديني جهدا فرديا ينهض به أمثال الشيخ اسماعيل سكر والشيخ علي محمود وغيرهما من نوابغ المشايخ الذين سبقوهما او جاءوا بعدهما .

واشتهر في عصرنا مطربون دينيون أمثال محمد الكحلاوي ، ولا توجد مطربة مصرية لم تغن للحج ، من أسمهان إلى نجاة علي إلى ليلى مراد إلى شادية إلى غيرهن من عشرات المطربات

ولا نستطرد وراء أسماء المغنين والمغنيات في هذا المجال ، ولكن نقول : إن الغناء العربي دينيا كان أو دنيويا ، قد عاد من جديد إلى أزمته القديمة قبل عصر الإحياء في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وأخذت تنحسر عنه الظلال الوارفة التي تفيأها مائة سنة تقريبا . وتتركه فريسة لأشعة الزمن الحارقة ..

ولن يتقدم الغناء الذي هو ثمرة وجدان الأمة ، إلا إذا تقدمت الأمة ذاتها .. فهل نأمل في وثبة جديدة للأمة العربية يكون من ثمراتها ازدهار بستان الغناء العربي الذي أوشك ان يأتي عليه انقطاع الغيث ، وتشقق الأرض ، وزحف الصحراء ؟! .

رمضان زمان

بقلم : محمد سيد كيلانى

كان الناس يستقبلون شهر رمضان بترديد الوشحات الدينية ويحتفلون برؤية الهلال فى جميع انحاء البلاد . ففى صحيفة الفلاح منذ اكثر من مائة سنة نرى الوصف الآتى « ٢ - ٦ - ١٨٨٦ » .

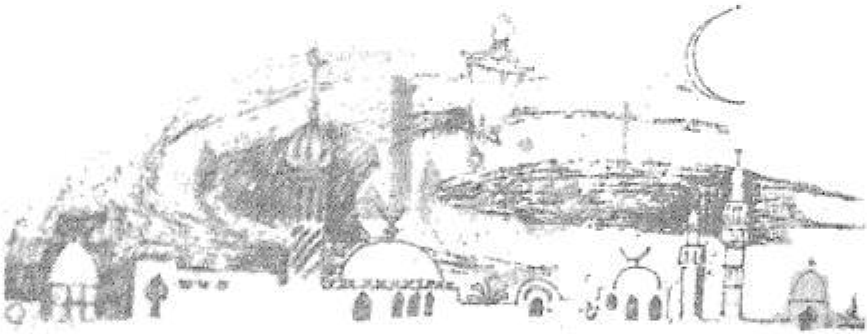
« اجتمع خلق كثير فى جهات المحافظة واخذ بعض ارباب الحرف يفدون اليها طائفة بعد اخرى وأمامها الموسيقات الوطنية تصدح بانغامها المطربة . فلما اكتمل الجمع توجهوا بنظام واحتفال عظيمين يحتاطهم فوارس البوليس ومشاتهم ويتخللهم بعض العساكر ويصحبهم الالاى المختص لاحتفال الرؤية مارين بشارع محمد على فالحلمية فسوق السروجية فالغورية حتى وصلوا ميدان المحكمة الشرعية لانتظار اثبات رؤية الهلال . وكان حاضرا شيخ الاسلام وقاضى أفندى وكثير من مستخدمى المحكمة ، فتقدم الى حضرة شيخ الاسلام تسعة اشخاص لتادية الشهادة امامه فردهم ولم يقبل الا بشهادة اثنين : احدهما الميقاتى بالجامع الحسينى والثانى احد كتبة المحكمة . فقال الاول انه رآه بعد الغروب ، والاخر رآه من شباك المحكمة .

عندئذ حكم حضرة الشيخ المومأ اليه بثبوت غرة رمضان المبارك ، وأرسل الخبر الى المعية السنية ، ومنها الى القلعة ، ثم اطلقت المدافع عند الساعة الثالثة « عربيا » ايذانا ببدء شهر الصيام ، وصليت التراويح وازدانت المساجد بالمصابيح وتكللت المآذن بالانوار وضجت الاهالى بالسرور . وهرع كبار مأمورى الحكومة والذوات والاعيان الى سراى عابدين العامرة لتادية رسوم التهنئة لجناب ولى النعم » .

● الازهر ورمضان

ويبدو ان مثل هذا التقليد نشأ منذ عصر الدولة الفاطمية واستمر حتى يومنا هذا . وكانت روائع رمضان تتجلى بأعظم مظاهرها فى حى الازهر بعد أن قامت القاهرة المعزية وأصبحت عاصمة للدولة . وكان الجامع الازهر يظل مفتوحا ليل نهار طوال هذا الشهر . قال ابوبكر العياشى المغربى الذى وفد الى القاهرة سنة ١٠٢٧ هـ « .. وبتنا تلك الليلة بالجامع الازهر لانها ليلة سبع وعشرين من رمضان وفى الحقيقة كل الليالى بذلك المسجد كليلة القدر ، لانه معمور بالذكر والتلاوة والتعليم آناء الليل وأطراف النهار ، لا تنقطع منه العبادة ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء ، فهو عديم النظير فى مساجد الدنيا بأجمعها »

وفى نهاية شهر رمضان تجرى احتفالات عظيمة فى الجامع الازهر . وقد وصف العياشى بعض هذه الاحتفالات فقال « .. ولما كان فى يوم تسعة وعشرين من الشهر ، - يعنى رمضان - ختم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقانى بعد



صلاة الصبح ، وعادتهم في الختم أن يحضر يوم الختم أنجب تلامذة المدرس ونبراء أحوانه فاذا فرغ المدرس قرأ القارىء آيات من القرآن بقراءة مطربة ، ومنهم من يقرؤها بالقراءات السبع . وبعد فراغه ينشد منشد بصوت رخيم قصيدة من انشاد بعض التلاميذ فيها مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم باحسان ، ثم يترضى عن المشايخ أرباب المراتب . كل ذلك بنثر بديع ولفظ نصيح . ثم يقرأ الفاتحة ويهدى ثوابها الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم والى من ذكر بعده ويبالغ في الثناء عليهم الى أن يصل الى الشيخ المدرس فيدعو له وللحاضرين بأبلغ دعاء بقلب حاضر وصوت خاشع ، ويؤمن الحاضرون على دعائه ثم يختم . وبعد هذا يقوم أهل المجلس كلهم ويصافحون الشيخ ويدعون له ويدعو لهم . ويحضر الختم جمع عظيم من الناس وأهل الفضل والمجاذيب » .

ولم يكن أهل الارياف يعرفون شيئا عما يجرى في العاصمة . فكانت كل مدينة تعتمد على نفسها في رؤية هلال رمضان ، وتحديد بدء الصيام وأيام الاعياد .

كان سكان حي الازهر ينامون الى وقت الظهر ، وينهضون حين يسمعون الاذان لاداء الفريضة ثم ينصرفون الى أعمالهم . فيفتح التجار حوانيتهم وتبدأ المقاهى أعمال النظافة واعداد الفحم والتنباك والعسل والبن والشاى والنعناع والاراجيل والشيش . وحين يقترب موعد الافطار يتزاحم الناس على المطاعم . ويقبل كثيرون على التهام الكنافة والقطايف والفطائر ، وكانت البلاد تستورد الياميش وهى كلمة تركية معناها الفواكه المجففة من الشام وتركيا ، فتصادف رواجا كبيرا بين طبقات الشعب لرخص أثمانها اذ كانت أقة الزبيب البناتى الفاخر بستة قروش ولفة قمر الدين بثمانية قروش ، وكذلك أقة المشمش والتين . وكانت اقة الكنافة بقرشين . ورطل السمن البلدى بأربعة قروش . فلم يكن الفقير ـ والحالة هذه ـ محروما . ولم تكن الهوة واسعة بين الاغنياء والفقراء كما هى في هذه الايام ، اذ كان الفقير لا يجد صعوبة في الحصول على مسكن بأجر زهيد . أما في الوقت الحاضر فحصول الفقير على سكن هو في حكم المستحيل .

وكان وجود المسحراتى ضرورة في تلك الايام التى لم تكن وسائل معرفة الوقت منتشرة كما هى في أيامنا هذه . وكان هؤلاء « المسحراتية » يطوفون في شوارع المدينة او القرية يرددون الاناشيد الدينية وينادون الناس ليستيقظوا طالبين منهم ان يوحدوا الله ، ويضربون على طار ضربات متوالية حتى يسمعهم النائمون فيهبوا من نومهم لتناول الطعام.

وكان الاغنياء يعقدون سهرات رمضان في منازلهم فتؤمها الطبقات المتوسطة

والفقيرة لتسمع آى الذكر الحكيم من القراء الذين وهبهم الله أصواتا مطربة. وكان الناس فى المناظر يجلسون بعد الافطار فى دعة واسترخاء فلا تسمع الا كركرة الشيشة ولا ترى الا دخانا ممتزجا بالعنبر يعقد جوا سحريا .

وقد اشتهرت مصر من قديم الزمن بتخريج طائفة من القراء المطربين، وأخذت منذ أواخر الخمسينيات تبعث بهم الى مختلف البلاد العربية والاسلامية فيحوزون أعجاب السامعين . وقبيل شهر رمضان تروج تجارة المسابح والسواك والبخور وبعض الكتب الدينية . ومنذ مطلع القرن العشرين اخذ كثيرون يقتنون ساعات الجيب ؛ كما أخذت المطابع تطبع امساكيات رمضان حتى يعرف الانسان اوقات الافطار والامساك عن تناول الطعام والشراب .

ورأى الخديو عباس أن يعقد فى قصر القبة درسا فى التفسير قبيل المغرب . روى أحمد شفيق باشا فى مذكراته (حـ ٢ ص ٢٨) ما نصه « .. وفى ذات يوم تحدث ـ يعنى الشيخ احمد الرفاعى ـ عن ارم ذات العماد نهالنا ما أورده عنها من الروايات الغريبة ولا سيما القول بانها مدينة شيدت طوبة من الذهب واخرى من الفضة ، وانها معلقة بين الارض والسماء . ثم أخذ يتوسع فى ذلك وعرض الى علم الفلك باسلوب يثير الاشفاق والضحك لكنا نحن والخديو لزم شفاهنا حتى يغلبنا الضحك الرنان . ولما انتهى الدرس وافطرنا اجتمعنا مع الخديو وتحادثنا فيما سمعناه من الشيخ فأبدى سموه دهشته وانكاره لطريقته ، وتقرر أن يرسل لشيخ الازهر باستبداله فانتدب مكانه الشيخ الشربينى » .

وأيام الملك فاروق كان يقام سرادق واسع فى ميدان عابدين فيؤمه من يشاء لسماع القرآن الكريم . ولما جاء نظام يوليو أبطل هذا التقليد كما الغى وظيفة الامام الخاص للملك .

والآن قد اختفت مظاهر كثيرة كانت تلازم شهر رمضان . فقد اتسعت مدينة القاهرة وترامت اطرافها وليس من السهل ان يحضر الناس من الجهات النائية لقضاء بعض الوقت فى مقاهى حى الازهر. كما اختفى المسحراتى لوجود الاذاعة المسموعة والمرئية . واصبح الياميش والمكسرات وهى الجوز واللوز والبندق وعين الجمل والصنوبر من نصيب الاغنياء فقط ، كما أن الكنافة والقطايف مما لا يقدر الفقير على شرائها .

ولم يبق من مظاهر القديم الا تلك المصابيح التى يلهو بها الاطفال . وهى فى الاصل كان يحملها الرجال حين يخرجون لتبادل الزيارات اذ كانت الشوارع مظلمة . فلما عمت الاضاءة استغنى الناس عن حملها فتركت ليفرح بها الاطفال وبرع بعض المصريين فى صناعتها ووضعوا لها الزجاج الملون . على ان ارتفاع اسعار الشمع قد يحد من استخدامها . وظهرت مصابيح أخرى تعمل بالكهرباء .

ويعتقد بعض المسلمين أن الاطالة فى صلاة التراويح مما يضمن للانسان حسن الجزاء وعظيم الثواب فيقراون القرآن كله على مدار الشهر فى هذه الصلاة بحيث يختمون القرآن مع آخر يوم . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التطويل بعد أن شكا له احد الصحابة. قال ابن مسعود رضى الله عنه فيما أورده البخارى : « ما رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى موعظة اشد غضبا من يومئذ . فقال : يا ايها الناس ، انكم منفردون ، فمن صلى بالناس فليخفف فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة. صدق رسول الله ..

وحينما كان الفرنسيون يحتلون مصر ظهر تقليد اطلاق المدافع ايذانا بانتهاء شهر الصوم . جاء فى صحيفة « كوريه دى ليجيبت عدد ١٠٣ » مانصه : « عند غروب شمس يوم ٢٥ بلوفيوز اعلنت مدفعية القلعة نهاية شهر رمضان المبارك بطلقات متتالية رددتها جميع الحصون الاخرى ».

أقوال معاصرة


فيلى براندت

● « الزعيم السياسى الذى لا يحمى نفسه فى الوقت المناسب ، لابد أن يدوس عليه الاخرون »

ويلى براندت

رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى سابقا « المانيا الغربية » .

● « الرخاء جلب الى ايطاليا المادية وسهـــــا السـونيبتية »

الاديب « البرتو مورافيا »

● « لا يكفى ان تكون سعداء ، بل يجب أن يكون الاخرون تعساء »

وودى اكن

المخرج والممثل الامريكى الساخر

اوليفستون



● « المهم فى الاحداث عندما تصبح فى ذمة التاريخ، هو نتائجها ، وليس دوافعها »

المفكر محمد عابد الجابرى

● امريكا لم تتعلم شيئاً من حربها فى فيتنام »

اوليفرستون

مخرج وكاتب سيناريو « فصيلة »
الفيلم حاصل على اوسكار « ١٩٨٧ »

● « ليس أمام كل دول أمريكا اللاتينية المستدينة، سوى سبيل واحد ، يكمن فى اتفاقها على عدم دفع اى ديون »

الروائي الكولومبى جبرئيل جارسيا ماركيز

الحاصل على جائزة نوبل


محمود درويش

● « ماهو جديد الان سيصير قديماً غداً ، عندما يخرج منه جديد .. جديد »

الشاعر محمود درويش

● لا ليس من مصلحة الولايات المتحدة ان تعتمد عليها مصر بالكامل »

مارفين • ج رفانيم

استاذ اقتصاد امريكى

الأزهر والوحدة الوطنية

بقلم : الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

إن التعبير عما حدث في بعض مدن مصر في الآونة الأخيرة . ووصف بالفتنة الطائفية . أعتقد أن فيه تجاوزا للحقيقة .

فواقع الأمر أن مصر منذ دخلت الإسلام . وهي لا تعرف هذا المسمى من الحوادث ولقد عاش المصريون هذه الحقبة الطويلة . المسلمون والمسيحيون إخوة في الوطن يتعاملون سويا في كل أمورهم . يجامل بعضهم البعض في المسرات وغيرها .

لم تثر بينهم خلافات بسبب الدين . ذلك لأن من أحكام الإسلام . الإحسان الى الناس جميعا . بوصفهم أناسا ، وبالوصف الذي قال عنه القرآن . يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ولأن الاسلام إنما انتشر وينتشر ، ويعتنقه الناس دون إكراه ، فالقرآن يقول « لا إكراه في الدين » .
بهذا الاعتبار لم تكن هناك فتنة طائفية في مصر ، وما حدث كما قلت وأقول أنها أمر وافد على هذه البيئة . إما بسبب الأمور الجارية ، والتحركات الحزبية التي كانت سائدة ، استعدادا لانتخابات مجلس الشعب ، وإما بأسباب وعوامل موفدة ، من أعداء البلاد · الذين لايريدون لمصر استقرارا ، ولا استمرارا في أخوتها ،

أخوة الشعب التي تحدثت عنها ، وهذا أمر يتضح مما تنشره وتذيعه الاذاعات والصحف الخارجية ، من تكبير الصورة لما حدث ، وتضخيم آثار لم تحدث .

ونحن نذكر أن الاستعمار دائما كان يبدأ بافتعال الحوادث ، ويربطها بالدين ، ولعلنا نذكر تلك القصة التى حدثت فى الاسكندرية ، وأراد الانجليز التدخل بسببها ، وكانت بين مالطى ومصرى

إن هذا الذى حدث فى بعض مدن الصعيد والوجه البحرى ، لا يمثل فتنة طائفية ، وإنما كما قلت قد يكون خلافا شخصيا ، والخلاف الشخصى قد يقع بين مسلمين ، أو بين مسيحيين ، أو بين مسلم ومسيحى ، دون أن يكون ذلك بسبب الدين ، وإنما بسبب العوامل الشخصية ، كاختلاف المصالح الذاتية ، أو اختلاف الاتجاهات الحزبية ، وليس بسبب الدين اطلاقا .

إننى أؤكد من واقع التجربة والمعرفة بهذا الشعب ، أنه لا توجد فتنة طائفية فى مصر بإذن الله أو خلافات بين المصريين قد حدثت بسبب الدين فلقد ظل المصريون ، دائما ، متعاونين فى كل الأزمات السياسية والعسكرية التى تعرضت لها مصر فى ثورة ١٩١٩ ، وفى ثورات الاستقلال ومحاربة الانجليز سواء فى القرن الماضى ، أو فى هذا القرن حتى أخرجوهم من مصر ، وأيضا فى الحروب التى تعرضت لها مصر فى أعوام ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣ ، فالمسلم والمسيحى كانا معا فى الميدان وفى الشارع وفى المصنع ، لم يقل أحد إن هذا مسلم وذاك مسيحى ، وإنما كان الكل يعمل ، بوصفه مصريا يؤدى واجبه نحو وطنه ، ولم يحفظ التاريخ إطلاقا أن صراعا نشب بين مصريين ، أو أن ثورة اشتعلت فى بقعة ما من مصر بسبب اختلاف الدين .

● دور بارز للأزهر

إن الأزهر وعلى امتداد تاريخه الذى زاد على ألف عام ، كان دائما واجهة مصر فى سيادتها وفى سياستها ، وفى استقلالها ، وفى توجيه الشعب ومعاونته فى أفراحه وأتراحه .

وعلماء الأزهر فى مصر يعملون بجد وجدية على إيضاح الأمور ، والعمل على استقرار هذا الشعب وتآلفه وتعاونه ، لا يفرقون فى نصحهم بين المسلم والمسيحى ، ولا يثيرون فى أحاديثهم ما يؤدى إلى اشتعال الخلاف الدينى ، لأن الاسلام يحض على تآلف الناس ، وعلى أن يترك غير المسلم وشأنه فيما يعبد ، كما قال الله « لكم دينكم ولى دين » فلا إكراه فى الدين فى الاسلام ، ومن أجل هذا لا يحمل أحد من علماء الأزهر على إثارة إلى حقد أو فتنة ، ضد غير المسلمين ، سواء فى مصر أو خارج مصر ، عملا بالمبدأ الذى قرره القرآن « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

هذا المبدأ هو الذى يتبعه علماء الأزهر فى كل مشوراتهم ، ونصحهم للأمة ، سواء فى معاهدهم أو فى كليات الجامعة ، أو حيث يعملون فى التعليم العام ، أو حيث

الأزهر والوحدة الوطنية

يلتقون بالجماهير ، أو حيث يعملون فى مصالح الدولة المختلفة

كما أن للأزهر فئة متخصصة ومخصصة للدعوة التى يطلق عليها الوعاظ ، وهم مقيمون فى أنحاء الجمهورية ، ففى كل محافظة إدارة للوعظ ورجالها يعملون متنقلين بين القرى والمدن ، يؤدون واجبهم فى كل مكان ، بالإضافة إلى علماء المعاهد الذين يعملون بالتدريس ، والذين ينتشرون الآن على مستوى القرى .

وهؤلاء جميعا مكلفون بحكم تخصصهم بأن يؤدوا هذا الواجب الدينى ، فلا يسمحون لفتنة أن تنبت ، فضلا عن أن تكون لها قائمة فى مكانها ، لأنهم كما قلت يؤمنون بتعاليم الله ، فى الدعوة وفى القول الحسن ، كما قال القرآن وقولوا للناس حسنا فلم يقل وقولوا للمسلمين فقط ، بل قولوا للناس حسنا ، وهذه هى أوامر الله فى القرآن

وعلماء الأزهر فى كل مكان يتبعونها ويعملون بمقتضاها ، ويسارعون إلى إنهاء أى خلاف قد يحدث ، ولو لم يكن بسبب الدين ، لأن من مهمتهم الصلح بين الناس ، والدعوة الى التعاون وإلى العمل الصالح فى الدين والدنيا .

وقد يقول قائل إن بعض الجماعات الدينية التى ظهرت فى الآونة الأخيرة قد يكون لها دور فيما يحدث .

وهنا أود أن أوضح أن الجماعات الدينية ، قد لحق بها الكثير من الصفات التى قد تنفر منها ، حيث وصفت فى بعض الأحيان بالارهاب أو بالتطرف ، وتنقل الأخبار الينا دائما أن كل الشعوب الآن وكل الدول ، فيها أمثال هذه الجماعات ، وهذه الجماعات ليست ظاهرة على السطح ، بحيث يمكن الحوار معها ، أو تصحيح فكرها إذا كان منحرفا ، ولست فى حل من اتهامها ، لأنها مجرد جماعات إسلامية بإثارة الفتن أو بإثارة ما سمى بالفتنة الطائفية على وجه الخصوص ، وإنما أقول إنه قد تختلف طرائق بعض أفرادها فى التصدى للدعوة ، بأسلوب قد يكون فيه بعض التجاوز فى القول ، أو فى الفهم . ولاشك أنه إذا حدث هذا ، كان من يفعل ذلك خارجا على منهج الإسلام الصحيح فى الدعوة إلى الله ، وربما فى الانتساب إلى الإسلام والمسلمين .

وما أقوله لأبنائى أعضاء هذه الجماعات ، أيا كانت مواقعهم ، إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه إذا كانت هناك أمور لايقرها الإسلام تجرى فى مجتمعنا ، فإنه ليس من الحكمة التصدى لها بالعنف والقسوة ، وإنما تقتضى الحكمة اسداء النصح وتكراره مرة بالاقناع بالحجة وأخرى بالموعظة الحسنة ، أقول النصح بالاقناع لا بالاقتلاع .

التفسير الصوفي للقرآن

بقلم : د . محمد رجب البيومي

كان من الأوفق أن يكون العنوان هل من تفسير صوفي
لأن إطلاق لفظ التفسير على ما يتوهمه أنصار هذا اللون من الشرح الشخصي لكلمات الله بعيد بعيد . ولكن مؤرخي التفسير دأبوا على أن يكتبوا هذا العنوان ، وفيهم من يؤيده ، وكأنه أمر مقبول . والحق أن الذين يعارضونه هم أصحاب الدليل الملزم القاطع . ولكن كتبا ذهبت هذا المذهب في فهم كلام الله ، فلابد من الحديث عنها

وحين نقارن التفسير الصوفي أو بعبارة أدق ما يسمى بالتفسير الصوفي بما يعرف من أنواع التفاسير الأخرى نجد الفرق واضحا . فالتفسير النحوي مثلا يتجه وجهة الإعراب ، والاعراب فرع للمعنى الذي لايحيد عنه النحوي . فهو مقيد بمدلول اللفظ لغويا كان أو مجازيا ، والتفسير البياني يشرح ما تضمن التركيب العربي من أسرار بلاغية توضح المعنى المقصود من كلام الله . والتفسير التاريخي ، يشرح الوقائع والأحداث كما جاءت في كتاب الله فإن زاد الشارح شيئا مما يعلم من كتب التاريخ ، فهذه الزيادة لا تمت إلى القرآن في أصله . ولكنها إضافات تقبل الصواب والخطأ بحيث تسند الى مصدر بشري غير كتاب الله وهكذا نجد ألوان التفسير المختلفة تنتهي الى المدلول من النص القرآني ، بحيث يكون هو المتبادر لما يفهمه العربي العارف بمعاني لغته ؟ فهل يكون ما يسمى بالتفسير الصوفي منتحيا هذا المنحى أو أنه إخضاع قسري للآيات الكريمة لتسير مسارا غير مقصود .

والذين يتحدثون عن التفسير الصوفي يجعلونه قسمين . قسما يسمى بالتفسير النظري ، وقسما يسمى بالتفسير الاشاري ويفرقون بينهما بأن التفسير النظري ينبني على أصول في التصوف قررها فلاسفة هذا الفن تقريرا

فلسفيا بحيث تكون هذه الأصول النظرية مقررة عند المفسر . فاذا تناول الآية الكريمة لا يتجه إلى المفهوم المتبادر من المنطوق ، ولكنه يجعل النص القرانى خاضعا لهذه الأصول ، بحيث يقسره قسرا على الاتيان بما تعززه هذه الأصول . واعجب شىء ان صاحب التفسير النظرى يراه وحده المراد من قول الله ، ولا شىء سواه

اما التفسير الإشارى ، فليس لصاحبه مقررات فلسفية يرتكز عليها فى فهم النص . ولكنه يذهب مذهبا ذوقيا فى الاهتداء الى بعض المعانى الخافية ، مع اعترافه بان مذهبه ليس هو كل ما تنطق به الآية الكريمة . ولكنه بعض ما تشير اليه . اما المعنى الظاهر المتعارف فمما لا يطعن فيه ، بل يكون وجها عاما يخفى بعض الوجوه

● من التفسير النظرى

يقول الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان (١) . والمعنى المتبادر ان الماء العذب يتجاور مع الماء الملح بحيث يلتقيان فى المحيط . أو حين يصب احدهما فى الآخر . ومع هذا التجاور لا يؤثر الملح فى العذب . بل يشرب الناس ماء النهر عذبا زلالا إذ ان بينهما حاجزا يمنع الامتزاج . وهذا بعض دلائل القدرة الالهية

يقول البيضاوى ـ وهو من التفاسير الموجزة ـ (ـ مرج البحرين) ، ارسلهما ، من مرجت الدابة اذا ارسلتها ، والمعنى ارسل البحر المالح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران وتتماس سطوحهما ، او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى او من الارض (لايبغيان) لايبغى احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية ، او لا يتجاوزان حدهما باغراق ما بينهما » .. اهـ

فاذا نظرت الى اصحاب التفسير النظرى فانك تجد محيى الدين بن عربى يقول : (مرج البحرين) « بحر الهيولى الجسمية الذى هو الملح الأجاج ، وبحر الروح المجرد الذى هو العذب الفرات ، (يلتقيان) فى الوجود الانسانى ، بينهما برزخ هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الروح المجردة ولطافتها ، ولا فى كثرة الاجساد الهيولانية وكثافتها ، (لايبغيان) لايتجاوز احدهما حده ، فيغلب على الاخر بخاصية ، فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله من جنسه ، ولا البدن مجسد الروح ويجعله ماديا » وهذا من اهون مايمكن الاستشهاد به ، فلهؤلاء شطط يستغرب العاقل كيف وقع فيه علماء ذوو فهم للحقائق وبصر بمعادن الكلام ، بل يتعجب كيف يجعلون الكافر مؤمنا صادق الايمان ، ويقلبون النص من الضد الى الضد على منحى يجعل كتاب الله متناقضا يضرب بعضه بعضا ، دون التزام ، وافجا مايدهشك

ان المفسر من هذا الطراز يقول في اية كريمة عكس ماقاله في نظيرتها . فلا يدري القارىء اي الوجهين اصوب من وجهة نظر المفسر وحده . والا فالوجهان باطلان باتفاق

يقول الله عز وجل (ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون خَتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . وعلى ابصارهم غشاوة . ولهم عذاب عظيم) (٢)

فيقول ابن عربي (ان الذين كفروا) ستروا محبتهم فيّ دعهم فسواء انذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك لانهم لايعقلون غيري ، وانت تنذرهم بخلقي وهم ماعقلوه ولاشاهدوه . وكيف يؤمنون بك ، وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيري وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما في العالم الا مني ، وعلى ابصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي ، فلا يبصرون سواي ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السني الى إنذارك واحجبهم عني » .

ولا تعليق على هذا الشطح غير ان نتلو قول الله عز وجل (ولولا اذ سمعتوه ، قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)(٣)

من التفسير الإشاري

اما التفسير الاشاري فيقول عنه استاذنا الجليل الدكتور محمد حسين الذهبي(٤) : ببعض التلخيص .. لم يكن التفسير الاشاري بالأمر الجديد في ابراز معاني القرآن بل هو امر معروف من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشار اليه القرآن ، ونبه عليه الرسول وعرفه الصحابة .

اما إشارة القرآن ففي قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا(٥) .. وفي قوله ، افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا(٦) . وفي قوله ، افلا يتدبرون القرآن ام على قلوبهم اقفالها(٧) . فهذه الآيات تشير الى أن للقرآن ظهرا وبطنا وكذلك ورد في رواية عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله انه قال القرآن تحت عرش الرحمن له ظهر وبطن يحاج العباد .. اما الصحابة فقد عرفوه ، ثم استشهد الدكتور الذهبي ببعض مافسر به ابن عباس .

والذي اراه أن الباحث الفاضل قد استنتج من الآيات مالا تدل عليه ، لان تدبر القرآن وفقهه لا يصرفانه عن المدلول الواضح الذي يتفق والأسلوب العربي ، فقد يفهم العربي معنى حقيقيا ، وللنص معنى مجازي ، كما سنرى عند فهم ابن عباس ، فلا يكون ذلك من التفسير الصوفي الاشاري ، لأن التفسير الاشاري يترك الحقيقة والمجاز معا الى مايبتعد عنهما ، وهو غير المراد من فقه القرآن وتدبره .

ونضرب مثلا بما استشهد به الأستاذ الذهبي لابن عباس ، فقد عد من التفسير الاشاري رأي ابن عباس في معنى قوله تعالى : "اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره (٨) انه علامة لأجل رسول الله ، فكأنه بالتعبير البلاغي كناية ، عن قرب

التفسير الصوفي للقرآن

الموت . وهذا ليس من قبيل التفسير الاشارى الذى نراه لدى المفسرين ، وكذلك ما انتحاه عمر رضى الله عنه فى فهم قوله تعالى " اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا (٩) " فقد فهم انه بعد إتمام الدين وكمال الرسالة يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدى دوره وحان رحيله . وهذا ما يؤخذ من طريق الكناية ايضا . ولو كان التفسير الاشارى من هذا القبيل ما كان موضع النزاع ، ولكنه يتعداه الى ذوق شخصى يتصل بالمفسر ذاته دون ان تقوم الصلة الواضحة بين المشار اليه والاشارة من النص الكريم

وقد اشترط الشاطبى فى الموافقات شرطين (١٠) لصحة هذا التفسير هما

أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب بحيث يجرى على المقاصد العربية

أن يجد شاهدا من نص آخر يشهد الصحة دون تعارض

وما اشترطه الشاطبى موضع اتفاق . ولكننا نعقب عليه فنقول اذا جرى الكلام على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب ، وجاء شاهد آخر يؤيده فأين تكون الإشارة اذن ، انه التفسير البيانى الجارى على السنن الصحيح

ونقول المرفوض ، لأنه شبيه بالتفسير الفلسفي النظرى الذى ذهب اليه ابن عربي وأضرابه ، حيث لم يجر على المقاصد العربية ولم يات له شاهد من نص آخر .

يقول الله تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالا فخورا(١١) »

(١) ذكر التسترى المعنى الطبيعى للآية ثم قال . وباطنها الجار ذو القربى هو القلب والجار الجنب . هو الطبيعة ، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة ، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله "

(٢) قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام " الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين(١٢) .

فقال شاه الكرمانى الذى خلقنى فهو يهدينى اليه لا غيره ، وهو الذى يطعمنى الرضا ويسقينى المحبة ، واذا مرضت بمشاهدة نفسى فهو يشفينى بمشاهدته ، والذى يميتنى عن نفسى ، ويحيينى به ، فاقوم به لابنفسى ، والذى أطمع الا يخجلنى يوم القاه بنظرى الى طاعتى واعمالى ، ثم افتقر اليه بكليتى »

(٣) نقل الدكتور الشرباصى هذا النص من قبيل التفسير الاشارى لقول الله عز وجل :

(انزل من السماء ماء فسالت أودية

بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا)(١٣) .

يقول صاحب هذا التفسير . انزل من السماء ماء يعنى القرآن ، فسالت اودية بقدرها اى حفظتها القلوب بمقاديرها الكثيرة ، فاحتمل السيل زبدا رابيا اى ما يحمل الفاظه ومظاهره من معانى متشابهاتها حفظتها قلوب المنافقين الزائفين .

والأمثلة أكثر من أن تحصر ، والذى يقطع بشطط هذا الاتجاه أن كل مفسر من هذا الوادى ياتى بفهمه الشخصى ، وقد يعارضه فهم آخر لزميل لم يتجه متجهه الإشارى ، فتكثر الأقوال ، فى النص الواحد ، ولا مرجح من المدلول الصحيح ، وتتكاثر النقول الباطلة ، وكتاب الله أحق بالصون والبعد عن التنازع فيما لم ينطق به صريحا ، وإذا كان شرط الشاطبى لم يتحقق فى هذه الأمثلة ونظائرها الكثيرة فهى ظاهرة الاعتساف

الاستشفاف لا التفسير

لدينا نوع من الاستشفاف تلهمه الآية الكريمة للواعظ الداعية ذى الاحساس الرقيق ، فيجود خاطره بمعان تدور حول النص ولكنها لا تتجه اليه فى صميمه ، ومثل هذا الاستشفاف لايعد تفسيرا ، ولكنه انفعال باثر حى صادف روحا صافية فانطلقت تعبر عن مشاعرها ، لتحيى موات القلوب . ونعتبر ذلك فيضا دافقا من روح حساسة اطمانت لمعانى الذكر فتفتقت عن اطايب العظات .

فقد قال الله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)(١٤)

وهو نص مؤثر استلهمه ابن عطاء الله السكندرى فقال

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى اظهر كل شىء ؟ كيف يتصور ان يحجبه شىء ، وهو الذى ظهر بكل شىء ! كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء ؟ كيف يتصور ان يحجبه شىء وهو الذى ظهر لكل شىء ؟ كيف يتصور ان يحجبه شىء وهو الواحد ليس معه شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو أقرب اليك من كل شىء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ما كان وجود كل شىء ؟

فتلك معان جميلة استشفها ابن عطاء مستلهما قول الله (فاينما تولوا فثم وجه الله)(١٥) ولكنها شىء وتفسير الآية شىء آخر بلا جدال .

هامش

(١) سورة الرحمن ١٨ ، ١٩ . (٢) البقرة . ٦ ، ٧ (٣) سورة النور ١٦ . (٤) التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٣٥٣ . (٥) النساء . ٧٨ . (٦) النساء ٨٢ . (٧) محمد ٢٤ (٨) سورة النصر : ١ ، ٢ ، ٣ . (٩) المائدة : ٣ . (١٠) الموافقات جـ٣ ص ٣٤٩ . (١١) النساء ٣٦ . (١٢) الشعراء : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ . (١٣) الرعد ١٧ . (١٤ ، ١٥) البقرة ١١٥

الإسلاميون والثورة

بقلم: د. محمد عمارة

على امتداد الساحة الإسلامية فى وطن العروبة وعالم الإسلام - تتمايز الدعوات والحركات العاملة فى ميدان " البعث الإسلامى الجديد " تتمايز فى المناهج والأهداف وتتمايز كذلك فى السبل والادوات التى تتخذها لتحقيق الاهداف والغايات

ومن بين هذه الدعوات والحركات يمثل العلامة ابو الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) و (الجماعة الإسلامية) التى اسسها سنة ١٩٤١ م واستمر " اميرا " لها حتى قبيل وفاته . يمثل المودودى وجماعته واحدا من اكثر نماذج البعث الإسلامى الجديد جاذبية لجماهير الشباب الإسلاميين

وحول " مقولات المودودى " يثور الجدل فى صفوف الإسلاميين . ويشتد الخلاف بين انصاره والخصوم وكذلك الحال فيما يتعلق بالاداة التى رشحها المودودى سبيلا لهذا البعث الإسلامى الجديد ، الذى وهب له حياته مفكرا ومناضلا

لقد اراد المودودى ، بما ابدع على درب الصحوة الاسلامية المعاصرة

● تجديدا ، يتجاوز " الفكر " الى " النضال " ، لوضع هذا " الفكر " فى " التطبيق "

● تجديدا لايهادن " الجاهلية " ولا يسالمها .. و يأتى بخلط جديد بين الاسلام والجاهلية الغربية الحديثة .. بل يسعى الى " تنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية .. والى العمل على احيائه خالصا محضا على قدر الامكان ...

● تجديدا يحيى ويبعث " العقلية الاسلامية " .. كنمط فى التفكير والنظر لنكون والمجتمع - من جديد ..

● تجديدا يتجاوز علوم الدين الى شئون الدنيا وعلومها وفنونها .. وذلك باستخلاص كليات الدين ، والنظر الى مستحدثات العصر فى اطارها وضوئها .. واعادة النظر فى ملامح التمدن الاسلامى القديم ، لتكتمل للمجتمع المسلم ادوات الرقى ، بالشريعة المتطورة الراقية .. « فالاجتهاد فى الدين يعنى : ان يفهم المجدد كليات الدين ، ويتبين اتجاه الاوضاع المدنية والرقى العمرانى فى عصره ، ويرسم طريقا لادخال التغيير والتعديل على صورة التمدن القديم المتوارثة ، يضمن للشريعة روحها وتحقيق مقاصدها ، ويمكن الاسلام من الإمامة العالمية فى رقى المدنية الصحيح .. »

● ثم الانطلاق بهذه " الثورة الثقافية الاسلامية " بواسطة " الجهاد الاسلامى " ، من " القطر الواحد " .. الى " الاقطار الاسلامية " .. ثم الى " العالم " كله .. « ليتولى الاسلام امامة العالم ورئاسته فى الاخلاق والافكار والسياسة .. » (١) ،

وتلك مهام لايستطيع النهوض بها والوفاء بمتطلباتها مجتهد تقف جهوده عند حلقة علمية . او كاتب يقف اجتهاده عند التأليف والنشر لاجتهاداته على الناس . فالمطلوب هو : تجديد يخلص الاسلام من الجاهلية القديمة .. واجتهاد يبدع للحاضر والمستقبل ، على هدى من الكتاب والسنة ، دون تقيد بمآثر احد بعينه من المجتهدين الماضين ، او انحصار فى طريقه ومنهاجه دون غيره « ، ودون رفض لكل مآثر الماضين ومناهجهم (٢) ثم تجسيد هذا الاسلام الخالص فى " تنظيم " ، ليتحول " بنضال " هذا " التنظيم " الى مجتمع اسلامى جديد ، نبنيه على انقاض المجتمعات " الجاهلية " - المرتدة " المعاصرة ! ثم نحمل هذا النموذج فى " الحاكمية الاسلامية " ، بـ " الجهاد الاسلامى " ، الذى يقوض كل النظم والحكومات على امتداد ارض الله ، فنقيم هذه الحاكمية الالهية مكان حاكمية الانسان ؟ ! ..

هكذا فكر وقدر . وحلم وتخيل العلامة المودودى .. عليه رحمة الله .

فـ (الجماعة الاسلامية) - وليس المجتهد الفرد .. ولا الافراد الذين يقصهم التنظيم - هى السبيل الوحيد لحمل هذه الامانة الكبرى والمهمة العظمى ... بل لقد رآها المودودى


ابو الاعلى المودودى

السبيل لتحقيق فكرة خلافة الانسان عن الله فى الارض ؟ .. لان نظام الاستخلاف فى الارض لايمكن ان يتغير ويتبدل بمجرد وجود فرد صالح او افراد صالحين مشتتين فى الدنيا . ولو كانوا فى ذات انفسهم من اولياء الله تعالى ، بل ومن انبيائه ورسله . ان الله لم يقطع ما قطع من المواعيد لافراد متفرقين مشتتين ، وانما قطعها لجماعة منسقة متمتعة بحسن الادارة والنظام ، قد اثبتت نفسها - فعلا - امة وسطا ، او خير أمة فى الارض .. ان نظام الامامة لن يحدث فيه اى تغير ولا انقلاب . الا بكفاح ونضال هذه الفئة المؤلفة - وتضحياتها - ضد كل قوى الكفر والفسق .. فى كل حلبة من حلبات الحياة . نضالا يثبت جدارتها بالاضطلاع باعباء الامامة فى الارض .. ذلك شرط لم يستثن منه حتى الانبياء والرسل ، عليهم الصلاة والسلام . فانى لاجد اليوم ان يتمنى على ربه ان " يستثنيه منه ؟ ! .. " (٣)

الإصلاح أم التغيير

واذا كانت هذه الاداة . اداة " البعث

الاسلاميون والثورة

الاسلامي الجديد " الفئة المنتقاة المتخلقة بخلق . " الاسلام المناضل " . والمنتظمة في (الجماعة الاسلامية) ، تحت قيادة اميرها المطاع ـ طاعة شبه كاملة فى كل ماهو مشروع ؟ ـ .. فماذا عن " اسلوب " عمل هذه الجماعة لتحقيق هذا " البعث الاسلامي الجديد " ؟

هل هو " الثورة " و " الانقلاب " ؟ .. ام " الاصلاح " و " التغيير الاصلاحى " ؟ ..

ان بعضا من دارسى دعوة المودودى يرون ان حديثه عن ، الانقلاب الاسلامي ، ـ وله كتاب عنوانه (منهاج الانقلاب الاسلامى) ـ لايعنى انه كان " ثوريا " ، ولا حتى " انقلابيا " " بالمعنى الشائع ، اى الهيمنة على السلطة والعمل بوسائلها . فاستخدامه ـ فى رايهم ـ لتعبير " الانقلاب " لم يكن موفقا ، والاجدر بالتعبير عن وسيلته مصطلح " التحول " .. فتركيزه انما كان على التعليم والدعوة .. " (٥) وليس على وسائل " الثورة وادوات " الانقلاب " ..

وبعض من رفاق المودودى ، الذين عملوا معه ، يذهبون نحو هذا المذهب ، ويرون انه كان " يرفض ما يسمى بالاساليب الثورية ، ويؤكد انه من الممكن تحقيق البعث الاسلامي من خلال تكتيك اخر . اكثر تعقلا واكثر ترويا ، تتم فيه دراسة النظام السائد بهدف استكشاف ما هو بعيض فيه ، ومن ثم فهو يستحق التغيير وما هو صحى ، ومن ثم فهو يستحق الحفاظ عليه " (٦)

ورغم تقديرنا لوجهة النظر هذه ، فاننا نعتقد بان المهمة التى نهض بها الاستاذ المودودى ، ما كان يمكن لواع بخطرها وخطر اعدائها ـ ولقد كان الرجل واعيا بذلك كل الوعى ـ ان يظن او يتوهم امكانية انجازها بدون التغيير الجذرى والشامل ، اى الانقلاب العميق .. وذلك بصرف النظر عن التسميات .. انقلابا .. او ثورة .. او تغييرا جذريا وشاملا من الاعماق ! .

ثم ، اننا نميل الى التمييز ، فى مراحل دعوة الاستاذ المودودى ، بين المرحلة المبكرة ـ والتى نعتقد انه كان فيها داعيا للثورة ـ وبين المرحلة المتاخرة ، بعد قيام باكستان ، وهى التى مال فيها الى الطريق الاصلاحى ، سبيلا للتغيير الشامل والجذرى الذى لم يتخل عنه ابدا . .

لقد كان الهدف واضحا ، لا مجال فيه لخلاف .. التغيير الجذرى والعميق والشامل .. ولم يتغير هذا الهدف طوال حياة المودودى النضالية ... كما كان مفهومه للانقلاب والثورة متميزا عن مفهوم الحركات الثورية الاخرى لهذه المصطلحات .. فهو يريده تغييرا جذريا عميقا وشاملا ، لكن فى تدرج واناة تتيح لبذور التجديد ان تنمو نموا طبيعيا فتؤتى انضج الثمار .. فعنده " ان كل انقلاب سياسى لاترسخ اصوله فى العقلية الاجتماعية والاخلاق والتمدن ، يكون كالنقش على سطح الماء ، ولئن قدر لمثل هذا الانقلاب ان يتحقق ويتم باسباب مؤقتة وقوة عارضة ، فلا يمكن ان يبقى الى بعيد ، بل يمحى عن قليل ويزول ،

واذا زال لم يخلّف وراءه من اثر يذكر "[٦].

والاصطلاحات الجزئية لن تقود الى الهدف العظيم المنشود : تجديد الواقع الاسلامي بالاسلام .. ذلك " ان مشروعا من مشاريع الاصلاح الجزئي لايكاد يجدي شيئا في هذا الشأن وقصارى ما يمكنكم بانشاء المدارس الدينية وتلقين الناس الشهادتين والصلاة ووعظهم بالاقلاع عن الفسق والعصيان ومحاربة الفرق الضالة ان تحولوا بعض الحيلولة دون مصير الدين الى الهلاك ، وتمسكوا بعنانه حتى ينشأ في عمره قليلا ، وتحظى الحياة الدينية العامة بأنفس قليلة اخرى ولكن ، كيف يرجى من مثل هذه التدابير ان تعلو كلمة الله وتذل بإزائها كلمات الجاهلية ؟ وذلك ان الاسباب والعلل التي ما زالت الى اليوم تعمل على قهر كلمة الله واعلاء كلمات الجاهلية ، تبقى قائمة حية في هذه الحال . وكذلك اذا اردتم ان يبقى النظام الحاضر قائما على اسسه وقواعده الحاضرة ، ثم تصلحون مفسدة من المفاسد الموجودة اليوم في اخلاقكم واجتماعكم او عشيرتكم او ادارتكم او سياستكم ، فان ذلك لن يتحقق بحيلة من الحيل ابدا ، لان كل شيء منها قد تولد من المفاسد الاساسية لنظام الحياة الحاضر ورضع بلبنها ، وتربى في أحضانها ، وكل مفسدة منها مستندة الى مفاسد كثيرة أخرى . فلابد لازالة فساد شامل للحياة كلها من برنامج جامع يقوم بعمل الاصلاح من الجذر الى الفروع بغاية من الاتزان والتناسب . "[٧]

وهذا الاصلاح الجذري والعميق والشامل ، ليس بالضرورة أن يكون « مسلحا . وعنيفا » . بل لقد مال المودودي الى الطريق « السلمي » لتحقيق هذا التغيير . وضرب المثل بما احدثه الاسلام الاول في المجتمع العربي من تغيير عميق ، بالاسلوب السلمي فعنده ان المؤرخين قد غابت عنهم حقيقة الطبيعة السلمية للانقلاب الاسلامي في عصر النبوة ، فظنوه ، بسبب الغزوات ، « قد حدث بالحروب والمعارك الدامية » . لكن هذه الحروب التي لم تستمر الا بضع سنين . والمعارك التي لم يقتل فيها الا الف وبضع مائة رجل من كلا الجانبين ، ماكان باستطاعتها أن تحدث « هذا الانقلاب العظيم .. واذا كان لك علم بتاريخ الثورات في العالم ، لما وسعك الا الاعتراف بأن هذا الانقلاب ، الذي ما اريق فيه الدم الا تحلة للقسم ، جدير بأن يسمى انقلابا سلميا[٨]

هذا عن أهداف الانقلاب الاسلامي .. واسلوبه ..

● إيمان المودودي بالديمقراطية

اما قضية « الثورة » في فكر المودودي ، المتعلق بأداة البعث الاسلامي ، فليست خاصة بعمق التغيير وشموله فموقفه من هذا الامر لم يتغير ولم يطرأ عليه تبديل .. لكن الذي طرا عليه التعديل هو إيمانه بالديمقراطية وادواتها سبيلا لهذا الانقلاب

ففي المرحلة الاولى . مرحلة المواجهة مع الانجليز والهنادكة . وعندما كانت الأغلبية هندوكية ، لم يكن المودودي من أنصار الانتخابات ، سبيلا للتغيير ، لانها ثمرتها ، وهي سلطة الأغلبية . كانت

مرفوضة منه ، لأنها ذات « الحاكمية الجاهلية » .. فكانت نبرة الثورة ملحوظة فى ادبياته بذلك التاريخ . فهو يدعو الى « خلق العقلية الثورية والفكر الثورى » وان يكن بالتدريج . ويقول « إنه من الواجب مراعاة التدرج من اجل خلق العقلية الثورية والفكر الثورى ان تقديم الغذاء الزائد عن الحد يحمل الضرر للناس ، كما ان اعطاء غذاء اقل من حاجتهم يحمل ايضا نتائج سيئة .. »[٩] .

وفى تلك المرحلة لم يكن المودودى يخفى عدم جدوى « التدابير القانونية » فى الاصلاح . إذ لابد من « الاسلوب الثورى » ... « إنه لاوسيلة أمامنا سوى اتباع الاسلوب الثورى . وذلك نتيجة لما وصلت اليه الظروف . ولامجال الآن لنجاح التدابير القانونية .. فليس أمامنا الآن سوى التضحية بالروح والمال لتغيير مسار الأحداث .. وطالما لايمكن أن نوضح بسلوكنا وعملنا أن المسلمين لديهم القوة والشجاعة لان يموتوا من أجل حياتهم القومية ، فلن تتغير أية كلمة فى الدستور عن مكانها ، ولن تتراجع سيطرة الدولة القومية الجمهورية ـ [الديمقراطية ذات الأغلبية الهندوكية] ـ العلمانية علينا .. فلو أراد المسلمون الحياة ، فيجب أن يكونوا ـ خاصة الشباب منهم ـ على استعداد لتقديم دمائهم الزكية رخيصة فى سبيل الحياة »[١٠] .

وعندما عرض المودودى ، فى تلك الفترة ، لموقف الاسلام من « مشروعية الثورة » على أولى الأمر من الحكام الجائرين ، نهج « نهجا ثوريا » فى تفسيره للأحاديث النبوية التى رويت فى هذا الموضوع .

ففى [صحيح مسلم] ، عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « يكون عليكم امراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع ؟! »

فقالوا ـ [اى الصحابة] « افلا نقاتلهم ؟! »

فقال صلى الله عليه وسلم : « لا . ما صلوا » !

وفى [صحيح مسلم] ، أيضا ، قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « شرار ائمتكم : الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » .. قلنا ـ [اى الصحابة] ـ « يارسول الله ، افلا ننابذهم عند ذلك ؟! » قال : « لا ، ما أقاموا الصلاة ..لا ، ما أقاموا الصلاة !! » .

فلما عرض الاستاذ المودودى لتفسير هذين الحديثين الشريفين ، قال : ... وقد يظن من الحديث الأخير ! أو ماقبله أن ولى الأمر اذا أدى الصلاة فى حياته الفردية الخاصة فلا تجوز الثورة عليه ، لكن المراد باقامة الصلاة ، فى الحقيقة ، هو اقامة نظام الصلاة فى حياة المسلمين الجماعية ، فلا يكفى اولى الأمر أن يكونوا مصلين ، وإنما يتحتم عليهم ، الى جانب هذا ، ان ينظموا اقامة الصلاة ، ويجعلونها قاعدة فى نظام حكمهم ، لأنها الدليل على أن حكومتهم حكومة اسلامية ، والا فقد انحرفت عن قالب الحكومة الاسلامية . وهذا ما يتضح من رواية

اخرى تقول " إن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، قد عاهدنا من جملة ماعهدنا عليه - ان الا ننازع الأمر أهله ،إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان [١١] .. [١٢] .

ثم .. هل يتصور لفكر مفكر كالمودودى ، حكم على المجتمعات الاسلامية بأنها قد ارتدت عن الاسلام الحقيقى ، وعادت - منذ قرون - الى الجاهلية ، التى زادت طامتها بجاهلية الغرب الحديثة ... وهو يسعى لمجابهة الفكر والردة والجاهلية .. هل يتصور منه - فى مرحلة انعدام ايمانه بسبل الديمقراطية وأدواتها - الا أن يكون ثوريا ؟! .. وهل بالاستطاعة تخيل اعتقاد المودودى بامكانية اقتلاع الجاهلية التى تعيش فى المجتمع منذ عهد عثمان بن عفان ، والتى زادتها جاهلية الغرب الحديثة دعما وخطرا .. امكانية اقتلاعها « من خلال تكتيك غير ثورى »[١٤] ..

صحيح أن المودودى قد تحدث فى كتابات كثيرة عن أن « التغيير ليس له من سبيل ، فى نظام ديمقراطى ، الا الخوض فى معارك الانتخابات ، وذلك بأن نربى الرأى العام فى البلاد ونغير مقياس الناس فى انتخابهم لممثليهم ، ونصلح طرق الانتخاب ونطهرها من اللصوصية والغش والتزوير ، ثم نسلم مقاليد الحكم والسلطة الى رجال صالحين يحبون ان ينهضوا بنظام البلاد على أسس الاسلام الخالص .. [١٣] .

رسالة من السجن

لكن هذه الكتابات هى فكر المودودى فى مرحلة ما بعد قيام باكستان .. المرحلة التى استقلت فيها القومية الاسلامية ، ولم يعد المسلمون فيها اقلية تخشى السيطرة الساحقة للأغلبية الهندوكية . اما فى المرحلة الأولى ، فلم يكن الانتخاب ولا السبيل الديمقراطى هو طريق المودودى للتغيير ، لأنه كان رافضا للديمقراطية ، بسبب من خطر تكريسها سيطرة الهندوك المهددة لقومية المسلمين بالتشوه والذبول والزوال .. فعندما لم تعد الديمقراطية خطرا على المقومات القومية للمسلمين نهج المودودى نهجا ديمقراطيا الى التغيير .. اما فى المرحلة الأولى فلقد كان ثوريا ! ..

ومن الكتابات التى تعكس النهج الاصلاحى ، الذى تحول اليه المودودى ، فى مرحلته الأخيرة ، وتصور هذا « المزاج غير الثورى » ، تلك الرسالة التى كتبها اثناء سجنه بالسجن المركزى الجديد بملتان ، الى السيد تشود هرى غلام - [فى رجب سنة ١٣٦٩ هـ - ٦ ابريل سنة ١٩٥٠] - والتى يقول فيها .

« إن « مزاج » الاسلام يختلف عن أمزجة الحركات الثورية فى العصر الحاضر . فالاسلام حين يصل الى مرحلة النجاح (أى الحكم) فانه يتبع سياسة العفو بدلا من الانتقام والعنف والشدة والقهر والعذر التى تتبعها الحركات الثورية المعاصرة .. وسياسة الاسلام فى سبيل تغيير النظام الفاسد السابق ، واحلال برنامج اصلاحى بدلا منه ، هى سياسة تتصف بالليونة والهدوء والتدرج وعدم العنف .

لقد كان قيام الوطن المستقل لمسلمى الهند - باكستان - حدثا جللا فى حياة

المودودى تخيل به أن « الحلم » قد أصبح « واقعا فبدأ مرحلة الحنو على هذا « الحلم ـ الوليد » . ولقد كان يسميها « بيت الاسلام » .. وكتب عنها يقول « اننى لا اعتبر هذه البلاد بلادنا ، بل هى بيت الاسلام . لقد واتتنا الفرصة لأول مرة . بعد قرون لنقيم دين الله فى صورته الحقيقية ، ونقدم للعالم اجمع المثال العملى لفلاح هذا الدين ونجاحه . انها نعمة كبيرة أنعم الله بها علينا ، ويجب علينا أن نصونها ونحافظ عليها بشتى الطرق وبأى ثمن . إننى اتمنى أن يشعر كل باكستانى بعاطفة تجاه هذه النعمة ، وأن يقدرها حق قدرها ، وأن يحفظها فى قلبه وروحه . وأن يشعر أنه لاتوجد اية تضحية أعظم وأغلى من الحفاظ على هذه النعمة .

وعليك ان تتذكر دائما أن تقديم الروح رخيصة من أجل الحفاظ على دين الله اعلى مرتبة وأعظم من تقديم الروح من اجل الحفاظ على الثروة أو العزة أو الكرامة . وأن الاستشهاد تحت هذه العاطفة استشهاد له اعظم الدرجات عند رب العالمين »(١٤)

هذا عن اداة البعث الاسلامى الجديد فى الدائرة الأولى ، المحلية والقومية : « تنظيم » مناضل ، ينهض بالتغيير الجذرى والشامل لواقع الأمة ، فيجدد حياتها بالاسلام ، ويقيم الدولة الاسلامية التى تجسد هذا البعث الاسلامى الجديد ..

لكن المهمة لاتنتهى عند هذه الحدود .. فالاسلام ـ عند المودودى ـ فكرة انقلابية ومنهاج انقلابى ، لا للوطن فقط ، ولا للقومية وحدها ، ولاللأمة فحسب .. وإنما للعالم بأسره .. و« الجهاد الاسلامى » هو الأداة التى تحمل « الحاكمية الالهية » و « البعث الاسلامى » الى كل أرض الله وسائر أرجاء الكوكب الذى يعيش عليه الانسان

الهوامش

(١) موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه ـ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٢١

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٢٢

(٣) الاسس الاخلاقية للحركة الإسلامية ـ ص ٤٠

(٤) الدعوات الاسلامية المعاصرة ص ـ ١٦٠

(٥) د/ خورشيد احمد (نموذج المودودى للبعث الاسلامى) دراسة بمجلة المسلم المعاصر ص ١٢ عدد ٣١ ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان سنة ١٤٠٢ هـ .

(٦) موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه ـ ص ١١٥

(٧) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ـ ص ١١٦

(٨) منهاج الانقلاب الاسلامى ـ ص ١٢٠ ، ١٢١

(٩) الامة الاسلامية وقضية القومية ـ ص ١٤

(١٠) المسلمون والصراع السياسى الراهن ـ ص ١٢٤ ، ١٢٥

(١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) الحكومة الاسلامية ـ ص ٧٠ ، ٧٦

(١٣) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٨٨

(١٤) المرجع السابق ـ ص ١٤٩ ، ١٥٠

الربا حرام .. وأنواع
ولكن ما هو الربا؟

بقلم : د. عبد المنعم النمر

حرم الله الربا بنص القرآن الكريم حينما قال سبحانه ردا على العرب الذين قالوا « انما البيع مثل الربا » (واحل الله البيع وحرم الربا) البقرة — ٢٧٥

وأمر بترك التعامل به فقال : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » وهدد كل من لم يمتثل ذلك فقال : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » وفتح الباب للذين يتركونه « فان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

وهذه تشعر بأن الربا هو كل مازاد من المبلغ المقترض ، حين سداده للدائن .. وتضع مع ذلك قاعدة فى المعاملة الحلال « لاتظلمون ولاتظلمون » . وتشعر ايضا بأن الزيادة المشترطة من المبلغ المقترض ظلم من الدائن للمدين . وان سداده بالنقص ظلم للدائن ، وكلاهما غير مقبول ..

واشعرنا فى الاية التالية ان الزيادة التى تفرض عن المدين هى من اجل مد المدة ، مدة بقاء المبلغ المقترض فى يد المدين ينتفع به ، اى تأخير وقت السداد . بعد حلوله حيث يقول الله تعالى « **وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة** » اى ان وجد ذو عسرة ، ولم يقدر على السداد حين حلول الاجل ، فلتؤجلوا وقت السداد ، وانتظروه حين ميسرته ، دون ان تفرضوا مقابل للتاجيل والانتظار بل تعاونا طيبا منكم معه ، وتقديرا كريما لظروفه ، ومعروفا تسدونه لاخيكم .

وان شئتم ما هو افضل واحسن عند الله ، فتصدقوا بالمبلغ كله

الربا حرام .. وأنواع ولكن ما هو الربا ؟

على المدين المعسر « وان تصدقوا خير لكم » « ١ » ويفهم من هذا ان قيمة الدين فى حدود وامكان التصدق به من الدائن على المدين .

وهذه الايات هى اخر الايات نزولا من القرآن الكريم ، نزلت بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة من حجة الوداع التى نزلت اثنائها والرسول فى عرفة عصر يوم الوقوف ايه « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » من الاية الثالثة من سورة المائدة :

وقبل آيات الربا هذه ، نزلت اية اخرى فيه هى قوله تعالى « **يا أيها الذين امنوا لاتاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون** » وهى الاية ١٣٠ من سورة ال عمران .

وكانت المرحلة قبل الاخيرة فى النهى من الربا ، ثم نزلت الايات المتقدمة من سورة البقرة تقول « **فان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » تحرم المضاعف وغير المضاعف .

لعنة آكل الربا

وقد جاءت السنة تبين القرآن ، وتعلن أكل هذا الربا ، وموكله .. وشاهده وكاتبه ، وكل من يعين عليه ، ومن هنا يكفر كل من عرف ان هذا ربا وحلله .. لانه يكون قد عارض القرآن فى قوله « وحرم الربا » لكن اذا رأى ان معاملة لايتوفر فيها معنى الربا فقال بجوازها فلا يمكن ان نقول عنه : انه أحل الربا والا كنا مفترين عليه، مادامت له ادلته على ما يقول ..

فما هو هذا الربا الملعون ؟

لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه بيانات تفصيلية وتطبيقية له ، ويظهر لى ان هذا راجع ـ اولا ـ الى ان مفهوم الربا كان واضحا حين نزول الايات فى الاذهان .. وثانيا ـ لان كانت اخر مانزل من القران ، قبيل وفاة الرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتسع ليال .

ولذلك روى ـ كما جاء فى المحلى لابن حزم حـ ٨ .. ان عمر ـ رضى الله عنه ـ قام خطيبا فقال : انه كان من اخر مانزل من القرآن ايات الربا ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قبل ان يبينه لنا ، فدعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم » وروى عنه ايضا « تركنا تسعة اعشار الحلال مخافة الربا » .

ولا شك ان عمر رضى الله عنه كان يعرف مفهوم الربا عند العرب حين نزول الايات ، لكنه راى ان ذلك لايكفى عنده وتمنى أن لو بينه الرسول بيانا تفصيليا ، يوضح وجهة نظر الاسلام فى الامور التفصيلية ، ولذلك حين التطبيق كان يحتاط ، ويقول : دعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم ، وتركنا تسعة أعشار الحلال . الخ »

والقران نزل يقول « لاتاكلوا الربا » ويقول « وحرم الربا » « وذروا مابقى من الربا » ومعنى ذلك ان الربا كان

« ١ » يرجع الى النص الكامل بهذه الايات من الاية ٢٧٥ الى ٢٨٠ من سورة البقره . وهى اخر الايات نزولا.

مفهوما باسمه ، ويتداول العمل به حينذاك ، ولذلك اكتفت الايات بذكره، دون اى تعريف وتفصيل له ، وتركت ذلك لمفاهيمهم وما اصطلحوا على تسميته بالربا ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ « أول ربا اضعه ربا العباس » فكان الرسول والعباس والناس يعرفون المراد من الربا ..

ولذا قال المفسرون : ان « ال » فى الربا للعهد ، أى الربا المعروف المعهود الذى تفعلونه ، فقد ذهبوا فى بيانه الى أقوال مختلفة لكن يجمعها فى الحقيقة ان يفرض على المدين أو يطلب هو زيادة على الدين ، نظير مد المدة وتأخير وقت السداد، لعدم القدرة على السداد بدفعها فى الوقت المتفق عليه .. فهو زيادة على الدين نظير المدة .. يدفعها المدين للدائن . ويمكن ان تستمر لاستمرار عجز المدين فعلا أو تقديرا كما اذا كان الاجل لعدة سنين . وكل سنة فيها زيادة عن سابقتها ومن الاصل.. حتى يتضاعف الدين ، ويستغرق ما يملكه المدين فينزع ملكه لمصلحة الدائن ..

هذا هو الاصل واللب فى ربا الجاهلية وإن كانوا قد اخرجوه فى صور متعددة وقد جمعها ابن القيم فى قوله « ربا النسيئة هو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية ، مثل ان يؤخر دينه « اى سداد دينه » ويزيده فى المال ، وكلما أخره زاد فى المال حتى تصير المائة آلافا مؤلفة » ثم يقول :

« وفى الغالب لايفعل ذلك الا معدم محتاج .. الخ « ١ » » ومن هنا سيكون لنا كلام فيما بعد .

ولعل من أجل هذه الحالة ـ معدم محتاج ـ وجه الله الدائنين الى التصدق على المدين « وأن تصدقوا خير لكم » فحالة المدين تستحق التصدق عليه بالدين فعلا وهذا يعنى أن الدائن أيضا فى قدرته التصدق ، وهو يملكه ، وان الدين مما يمكن التصدق به عادة ..

● الربا نوعان :

النوع الاول هو هذا الربا الذى تحدثنا عنه ويسمى : « ربا النسيئة » أى الزيادة الناشئة عن تأخير وقت السداد .. من : نسأ « اذا أخر ، فالنسيئة : التأخير ، ومنه قولنا « عرق النسا » أى العرق الذى يؤلم فى المؤخرة الممتد فى الفخذ .. وإن كان الناس ينطقونه بكسر النون « النسا » خطأ ..

ويسميه ابن القيم وغيره بالربا الجلى وقال عنه الامام أحمد « هو الربا الذى لاشك فيه » .. وبعضهم يسميه ربا القرآن .. لان القرآن هو الذى حرمه .. وهو مقابل لربا آخر حرمته السنة ولم يأت به نص فى القرآن .. وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم « ربا » أيضا ..

وهو « ربا الفضل » أى الزيادة ، وهو لايأتى فى القروض وليس نظير مدة وانما يأتى فى البيع والتبادل فى السلع المتعامل بها بين الناس . بزيادة فى احدى السلع ، أو بعدم التقابض فى مجلس البيع كما سيأتى .. وقد حدد

الرسول كيفية التعامل الصحيح فى بعض السلع . ومنها تأخذ غير الصحيح الذى سمى « بربا الفضل » . وخلاصة التبادل الصحيح الجائز فى بعض السلع أن تكون متساوية متماثلة كيلا او وزنا

«(١)» انظر تفسير المنار جـ ٤ ص١٢٣ وما بعدها ، وكتابى « الاجتهاد » موضوع ما هو الربا ص ٣٧٥ وما بعدها الطبعة الاولى ١٩٨٦

الربا حرام.. وأنواع ولكن ما هو الربا؟

وان يتم التبادل ناجزا وقبضا دون تاخير عن مجلس العقد ..

وقد صورته أحاديث مروية صحيحة منها ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الذهب بالذهب « أى يباع» والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد » وفي بعض الاحاديث الصحيحة زيادة هي قوله « فاذا اختلفت الاصناف كأن كانت ذهبا بفضة او فضه بقمح مثلا تبيعه كيف شئتم « أى دون اشتراك المثلية والاستواء لانهما غير متصورين » اذا كان يدا بيد » «١» أى بشرط ان يتم التبادل في الحال كأن تعطيه الذهب وتأخذ منه الفضة او القمح « فربا الفضل المتصور هنا هو مثلا : أن تبيع درهمين من الذهب بثلاثة منه ، يعني يكون هناك تفاوت في الصنف الواحد وزنا أو كيلا : مثل كيلة من القمح بكيلة وربع مثلا ، وفي هذا جاء حديث « فمن زاد او استزاد فقد اربى (٢)» اى فعل زيادة ، وهي غير جائزة ..

ويأتي ربا الفضل أيضا في عدم التقابض عند العقد كأن يبيع ذهبا موجودا بذهب مثله يسدده بعد مدة.. أو يبيع قمحا ناجزا بذهب يسدده بعد مدة ..

هذا التعامل سمي « ربا » وربا الفضل .. في مقابل ربا النسيئة .. وسمي « الربا الخفي » لأن صورة الضرر فيه غير بارزة أو واضحة . ولذا قال البعض : ان حرمته تعبدية ، اى غير مفهومة العلة والسبب . ولكن الكثيرين قالوا انالرسول — صلى الله عليه وسلم — بين سبب منعه ، حين قال : لاتبيعوا الدرهم بدرهمين فاني أخاف عليكم الرما أي الربا .. فمنعهم من لبيع بهذه الزيادة خوفا من أن يستمرئوا الزيادة فيجعلوها في القروض أيضا . ويقولوا ما دمنا قد بعنا الدرهم بدرهمين فلا مانع من ان نقرض الدرهم ونأخذ درهمين او أن يتخذوا هذا البيع « درهما بدرهمين » مؤجلين بابا للربا الحقيقي وحيلة له لو اجزنا هذا البيع . فمنعهم من ذلك سدا الباب اخر من الفساد .. يعني ان المنع ليس لسبب وضرر كامن في البيع نفسه ولكن الامر خارج عنه هو الخوف من ان يؤدي التعامل بهذا الى الزيادة عند القروض ، وهو ربا بالنسيئه .. هذا هو معنى تحريمه أو منعه « سدا للذريعة » وهي مستعملة بين الفقهاء يريدون بها سدا لباب من الفساد يترتب على جوازه ، كما منعوا من النظرة لاجنبيه بشهوة سدا لفساد اكبر عبر عنه شاعرنا بقوله ..

نظرة فابتسامة فسلام

فكلام فموعد فلقاء

وان كان هذا سببا من اسباب منع النظر بشهوة ، لان هناك سببا اخر يحصل في الناظر نفسه من اثارةشهوته وانشغاله بهذه الناحية الجنسية عن الجاد المطلوب من اموره ..

والشارع الحكيم يحتاط بمنع كل ما يؤدي الى ضرر ، فلا يقتصر على تحريم الضرر فحسب ، ولكن يحرم أيضا الوسائل المؤدية اليه « ولا يترك الفاس تقع على الرأس » ..

ونحن نباشر مثل هذا مع أولادنا ، فنقول لهم ناصحين : « امشوا على جانب الشارع ولا تمشوا في وسطه ، خوفا عليهم من السيارات. او «سوقوا على مهل » .. خوفا من الحوادث.وهكذا فنحذر من الوسائل والتصرفات التي تؤدي الى خطر .. فالمشى في وسط الشارع جائز ، لكن لما قد يترتب عليه من خطر قلنا « لاتمشوا » احتياطا .. وقد قال الائمة جميعا في نظرتهم الى

«١» رواه احمد ومسلم ، وعند البخاري الذي .. «٢» رواه مسلم

« ربا الفضل » ان تسميته بالربا ، تجاوز (١) ومبالغة ، للتخويف منه ومن الوقوع فيه.. والرسول – صلى الله عليه وسلم نفسه – قال فى سبب منعه كما سبق انى اخاف عليكم من الربا أى الاصلى .. فربا النسيئة او القروض حرام درجة أولى مثلا وربا الفضل فى التبادل والبيع لسلع مخصوصة حرام درجة ثانية او ثالثة .. لانه حرام ومنع لسد حرام اكبر واضخم .. فيكون قطعا اقل منه فى الحرمة والمنع .. وهو لا يمثل امرا حيويا واقعيا فى حياة الناس لربا القروض ، وانما يمثل جانبا ضيقا فيها .. فهو يتمثل مثلا بين الفلاحين حين يحتاج الواحد منهم الى « تقاوى » نظيفة وجيدة ليست عنده فيذهب لمن عنده ويقول له : اريد منك نصف اردب ارزا من ارزك الجيد لان الذى عندى غير جيد فالشريعة تحتم عليه ان تعطيه نصف اردب من ارزك نظير نصف الاردب الجيد من ارزه !! وهذا غير متصور الا أن يكون كريما متساهلا .. فما الطريقة اذن ؟ هل تعطيه زيادة من غير الجيد لا تعادل جودة ارزه ؟

الطريقة بينها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهى ان تبيع ارزك بسعر وتشترى ارزه بسعره وذلك حين استعمل رجلا على خيبر – أى ولاه عليها – فجاءهم بتمر جنيب « اى طيب » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اكل تمر خيبر هكذا ؟ قال الرجل : انا لنأخذ الصاع من هذا الصاعين بالثلاثة – من طريق التبادل – فقال له : لا تفعل . بع الجمع « أى الذى عندك » بالدراهم ، ثم ابتع بهذه الدراهم جنيبا ، وقال له فى الميزان – اى فيما يوزن – مثل ذلك » رواه البخارى عن ابى هريرة ..

ومع أن السعر لابد أن يكون مراعى من الجانبين دائما .. ويكون الفرق بين الصنفين فى الكيل أو الوزن مغطيا لهذا الفرق ، ولا يوجد ظلم لاحد الجانبين ، لان التبادل تم عن رضا واختيار وسعر السوق هو الحكم بينهما ، مما يحصل حتى الان عند تبادل الحبوب فى الريف الا ان الرسول – صلى الله عليه وسلم – اشار بهذه الطريقة لانها تقطع كل الظنون وكل الوساوس عند أحد الطرفين .. بانه مغلوب فى المبادلة للطرف الاخر .. وهذا احتياط بالغ فى طريقة التعامل ، أو المثل الاعلى فى التعامل يرشدنا اليه الرسول عليه الصلاة والسلام .. مع ان مراعاة الطرفين كل لسعر سلعته فى السوق ، وقيام التبادل على هذا الاساس الان يحقق العدل ويمنع التظالم .. لاسيما والتراضى متوفر بين الجانبين والاقتناع .. وكل واحد من الطرفين متنبه للسعر ، وليس مغفلا أو غافلا ، فصاحب القمح الجيد يعرف هو والاخر ان الاردب من قمحه يساوى ١٨ جنيها مثلا ، ويعرفا أن الاردب من الصنف الاقل يساوى ١٢ جنيها فى السوق .. ويتبادلان على هذا الاساس المعروف : الاردب من القمح الجيد باردب ونصف من القمح الاخر .. فلا جهالة ولا تظالم . والهدف الذى اراده الرسول متحقق وان لم يكن على المستوى الذى اراده بالضبط ليقطع الظنون والوساوس .. وحتى لايتخذ وسيلة ومبررا للزيادة فى القروض كما قلنا من قبل .. ويتحقق ربا الفضل بناء على ماورد فى الحديث فى أن تنزل الى السوق وتشترى قمحا أو مصاغا بسعر محدد ، وتؤجلان وقت

---

(١) ولذا يقول شاه ولى الله الدهولى فى كتابه « حجة الله البالغة » عن تسميته بالربا انه كما نقول « المنجم كاهن » ويقول الدكتور عبد الله دراز فى بحثه عن الربا « وواضح ان تسميته الربح المجتلب من طريق هذا التبادل باسم « الربا » انما هى تسمية مجازية قصدبها الى ابراز ما فيه من مخالفة للقانون الاخلاقى ، وذلك بتشبيهه بالربا الحقيقى

الربا حرام .. وأنواع

ولكن ما هو الربا ؟

الدفع .. ويقبل التاجر والصائغ هذا .. تخفيفا على المشترى ، وتكرمه له ، وتقديرا لحاله .. لكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بنظره البعيد ، وحرصه على الا يحصل شيء ولو صغيرا يعكر الصفو ، ويزرع الوساوس والتنازع ، قدر ان السلعه ربما يرتفع ثمنها او ينخفض من وقت الشراء فربما يحدث شيء بين المتبايعين ، فأمر بالتقابض خوفا من حدوث هذا الشيء ، لان كلا منهما يكون قد تسلم حقه ، وانتهى الامر .. فلا وجه ولا فرصة للمماحكة ، والقال والقيل ، انتهى الامر .. وربنا يبارك .. وهذا لاشك افضل ..

لكن اذا كان سير الحياة والتسهيل على الناس فى التعامل ، وعدم التعسير عليهم ، قد أوجد عرفا جديدا استراح المجتمع له ، وتعامل على اساسه لتحقيق مصالحه وتوفير حاجاته ، فانى ارى جواز ذلك نزولا على حكم الحاجة والمصلحة للناس ..

لماذا ؟

وهنا قد يسأل سائل : كيف نترك ارشاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى هذا لحاجة الناس ومصلحتهم ؟..

واقول له .. يجوز تقديرا لحاجة الناس ، فى مثل هذا الموضوع .. لان الفقهاء قرروا ان ما منع او حرم سدا للذريعة والفساد – اى ليس محرما لذاته كربا النسيئة – يجوز عند الحاجة .. ومثلوا لذلك بالنظرة للاجنبية فهى ممنوعة خوفا من ان تؤدى لفساد اكبر – كما قدمنا – لكن اذا كانت هناك حاجة – وهى اقل من الضرورة – للنظر جاز مثل ان ينظر الشاب لمخطوبته ، ويدقق النظر فيها ، وقد امر به الرسول – صلى الله عليه وسلم واحدا من اصحابه خطب انصارية ، وقال له . انظر اليها – اى فاحصا – فان فى اعين الانصار حولا .. واكتشاف الحول لايكون بالنظرة العابرة العامة ولكن بالنظرة الفاحصة .. وهى حينئذ جائزة للحاجة اليها ، لانه زواج . والمريضة حين تدعو حاجتها لكشف طبيب على جسمها للتعرف على مرضها يجوز النظر مع انه فى الاصل ممنوع – للحاجة اليه .. وهكذا ..

وقد قال الفقهاء والمفسرون .. ان حرمة ربا الفضل هذا بالنسبة لحرمة ربا النسيئة فى القروض كنسبة حرمة النظرة واللمس بشهوة والخلوة الى حرمة الزنى .. والفرق بين الحرمتين شاسع .. ولذلك تنتفي وتزول حرمة ربا الفضل عند الحاجة الى التعامل به ..

وقد أباح الرسول بعض ما ينطبق عليه ربا الفضل لحاجة أصحابه للتفكه بأكل الرطب من النخل ، فأجاز بيع التمر بالرطب على النخل وهو اصلا ممنوع لانه لا يتحقق فيه التماثل المشروط فى مثله وذلك لما قال له اصحابه بعد ان منعه : انا نحتاج عادة لمثل هذه المعاملة ، حين يكون عندنا تمر ، وليس عندنا نخل فيه رطب نتفكه به نحن واولادنا ، فأجازه لهم ، على ان يخرصوا ويقدروا الرطب بما يصير اليه من تمر حين يجف بحيث يكون متماثلا او قريبا من التماثل لان خرصهم لن يكون دقيقا جدا مهما يكونوا ، وسمى هذا فى كتب الفقه « لبيع العرايا » جمع عرية ، وهى النخلة يباع ما عليها من رطب بتمره فاذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد اباح لهم ما تنطبق عليه حرمة « ربا الفضل » من اجل حاجتهم للتفكه اى اكلهم ما يعتبرونه فاكهة ، فهنا عندنا حاجات اشد من هذه لابد من مراعاتها . والا اسأنا الى الشريعة وعرضناها معارضة لمصالح الناس .

فواحد يحتاج الى قمح ليزرعه ، او

ليطحنه ويأكل منه ، وليس معه الثمن الان ، ورضى البائع أن يبيع له ويعطيه القمح على ان يأخذ الثمن بعد ذلك فى موعد يتفقان عليه . هل نتمسك بأن هذا ممنوع وحرام لان التقابض لم يتم ، كما شرط الحديث ، أم نجوزه للحاجة الظاهرة .. هل يترك الارض دون زرع؟ والبيت دون خبز ؟ . اذا كان الرسول « ص» قد أجازه من أجل التفكة ، أفلا نجيز من أجل هذه الحاجات ؟ ولا نكون مخطئين ولا مبتدعين ، بل متبعين. ومعروض امامى الان حالة تتصل بهذا وملخصها :

ان مؤسسة ارادت اقامة مشروع لاستخراج الذهب ، ورأت انها ستضطر للاقتراض من البنوك بربا ، وهى اسلامية لا تريد التعامل بالربا .. ففكرت فى أن تعرض صكوكا لبيع الدينار الذهبى الذى تسكه مما تخرجه من الذهب ، وتبيع هذا الدينار بوزن وعيار محدد، بمبلغ يقل عن سعر الذهب الحالى ، تشجيعا للاقبال على شرائه ، وحددت مواعيد استلام الدنانير الذهبية ، وضمن احد البنوك المعتمدين العالميين هذه العملية .. قال بعض العلماء ان هذه العملية فيها ربا فضل وغير جائزة شرعا؛ وحجتهم : أن الاوراق النقدية الان كالذهب تأخذ حكمه ، فتكون العملية شراء ذهب بذهب ، فلابد فيها من التقابض ولا يجوز التأجيل ، وهنا فيه تأجيل تسليم الذهب . فيكون فيها ربا الفضل ، وهو غير جائز ..

هذه حجتهم ، وتؤدى الى ايقاف المشروع ، او الى الاقتراض بالربا لاقامته ، وكلا الامرين مر .. وضرر على النشاط العربى الاسلامى ، لان هذه اول مرة يدخل مسلمون عرب هذه الميادين التى كانت موقوفة على الاجانب.

وكان رأيى أن هذه الاوراق النقدية كالدولار أو الجنيه لا تمثل النقد الذهبى الان .. بعد أن زال غطاؤها الذهبى ، فليس فيها تبادل ذهب بذهب ، وبالتالى ليس فيها ربا الفضل ..

وحتى لو اعتبرناها كالذهب واخذت حكمه مجاراة لكم، فليس فيها ربا فضل لان ربا الفضل فى النقود علته واساسه الموزونات اى ما يجرى بين الموزونات، وهو مذهب أبى حنيفة ورواية عن الامام أحمد ، والاوراق النقدية ليست من الموزونات ، فتكون هذه المعاملة جائزة عندهما . ولان نجيزها على مذهب، وتمضى الامور ، وتتحقق المصالح خير ألف مرة من منعها على مذاهب أخرى .. وايقاف المشروع .

وأيضا لو اعتبرناها ـ جدلا ـ كالذهب وفيها ربا فضل وسلمنا بهذا للمانعين، فاننا نقول لهم : ان فيه حاجة ماسة لهذا المشروع الذى يقتحمه المسلمون والعرب ويوظفون ويستثمرون فيه اموالهم لاول مرة لهم ، وحاجة أخرى تتمثل فى تفادى الربا من القرض لو لجأوا الى البنك ، وهذا وذاك يمثلان مصلحة ويمثلان حاجة شديدة لاجراء معاملة بيع الذهب بدون تقابض . وقد قدمنا أن الربا الفضل يصبح جائزا نزولا عند حكم الحاجة مما قدمنا له امثلة سابقة . ومن القواعد الشرعية ايضا ان المفسدة اذا عارضتها مصلحة راجحة ، غلبنا جانب المصلحة على المفسدة .. وعلى هذا تصبح هذه المعاملة جائزة من طريقين :

الاول : على مذهب ابى حنيفة واحمد.
والثانى : نزولا على حكم الحاجة . وعلى قاعدة المصلحة الراجحة .

وبمثل هذا يمكن لنا أن نتصرف فى المعاملات الحديثة على ضوء الشريعة فيما يتصل بربا الفضل ، أما ربا النسيئة ، ربا القرض ، فله حديث طويل اخر .

العبث بالتاريخ الإسلامي

بقلم : عبد الرحمن شاكر

عز على "الهلال" . ان يتورط أحد كتابها فى الكتابة عن كتاب لم يره ولم يطلع على مايحتويه . وكنت انا هذا الكاتب ، وكان الكتاب هو الذى يحمل عنوان "مقدمة فى التاريخ الآخر . نحو قراءة جديدة للرواية الاسلامية" من تاليف الدكتور سليمان بشير . وقد قدمت عذرى فى الاقدام على الكتابة عن هذا الكتاب قبل ان أطلع عليه ، لمن احتج علىّ بذلك ، بمقدار الحفاوة التى قابلت بها صحيفة "جيرو شاليم پوست" الاسرائيلية صدور هذا الكتاب ، لمؤلف وصفته بانه درزى يحمل الجنسية الاسرائيلية ، ومصدر حفاوتها كان فيما زعمت ، انه ينسف الشق الثانى من صيغة العقيدة الاسلامية ، وهى شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله ! حيث يدور الكتاب حول الشك فى الحقيقة التاريخية للنبى العربى ، وان الاسلام قد "تطور" فى منتصف عهد الدولة الأموية فى الشام وخاصة فى ايام عبد الملك بن مروان ، كتعبير عن نزعة الاستقلال عند نصارى الشام عن الدولة البيزنطية ، وان تاريخ الاسلام الذى نعرفه إنما كتب فى العصر العباسى ، واخترعت فيه شخصية الرسول ، لسلب الشرعية من بنى امية عن طريق إخفاء "الرواية الشامية" لهذا التاريخ !!

وكان أن سعت "الهلال" فى توفير نسخة من الكتاب المذكور كى أطلع عليها بنصها ، وعدم الاكتفاء بما نشرته عنه "جيروشاليم پوست" ، أو الكاتب من الأرض المحتلة ، نبيه القاسم ، الذى أرسل مقالة ضافية يلخص فيها هذا الكتاب وكان أن وجدت نفسى فى ورطة أشد وانكى من الأولى ! وهى أن كان علىّ أن أقضى أياما أقرأ فيها - من أجل أمانة "الهلال" العلمية أكثر من خمسمائة صفحة من الكلام الغث ، الذى يخلو حتى من طرافة الهذيان قرأت النص كله باحثا عن منطق ، أو ظلا من منطق يقيم عليه الكاتب ، الباحث ، الذى يحمل لقبا علميا فخما ، ما ذهب إليه فى كتابه "تاريخه الآخر" فلم أجد .. ولا حتى اثر لما زعمت جيروشاليم پوست أنه "كنز" كان مخبوءاً للرواية الشامية

المزعومة ، تحتويه مخطوطات المسجد الأموى الكبير في دمشق ، وأمدته بنسخة منها جامعة دمشق عن طريق عمان

وكذبت فيما كتبت سابقا عن هذا الكتاب ، قد دفعت حكاية " الرواية الشامية " المعيبة هذه ، بأن الدولة الاموية ، قد استمرت بعد ست سنوات فقط من سقوطها في الشام ـ في الدولة التي أسسها عبد الرحمن الداخل في الاندلس ، وهو من نسل عبد الملك بن مروان ، وكان في استطاعته هو او احد من ابنائه وخلفائه ، إعلان هذه الرواية ، التي غيبها العباسيون ، على حد ما زعم مؤلف الكتاب المذكور ولكن التاريخ لم يترك لنا فيما كتبه الاندلسيون ما يخالف مجمل مارواه كتاب التاريخ المشارقة ، عن نشأة الاسلام في جزيرة العرب ، طبقا "للرواية العراقية" ، كما يسميها المؤلف ، ويزعم انها قد كتبت نفاقا للعباسيين

كان ذلك كافيا ، ولايزال ، في اسقاط نظرية هذا "الرقيع" الذي يؤلف كتابا كاملا ضخما في تاريخ الاسلام ، ثم ـ بعد ان قرات كل كلمة فيه ـ اشهد انه لم ترد فيه كلمة "الأندلس" ولا مرة واحدة ، رغم الكمية الهائلة من المراجع التي اوردها في كتابه على سبيل التظاهر بالعلم لا أكثر ولا اقل ـ ربما هي كل ماتحتويه مكتبة المسجد الأقصى في القدس ، التي كان يعمل فيها فضلا عن مجاميع علم الحديث بالمكتبة الظاهرية في دمشق ، والتي امدته بها جامعتها ، والذي نبهه إلى أهميتها أستاذه اليهودي م . ى كستر ، الذي أشرف على "تعليمه" في الجامعة العبرية في القدس

علام إذن يبني "نظريته" في تاريخ الاسلام وهاهو منطقه فيها ـ الذي هو بلا منطق على الاطلاق ؟! يقول في الفصل الاول (ص ٨) "والواقع انه لا يوجد أي دليل تاريخي أو أثرى ملموس على وجود الاسلام قبل فترة عبد الملك بن مروان . فأقدم المساجد والنقوش والآثار النقدية والاشارات المتفرقة في أوراق البردي تعود إلى تلك الفترة" . وفي موضع اخر ـ من بين مواضع كثيرة يقول في ص ٢١ : "تشير الدراسات "العلمية" الحديثة (يعني بها اساسا دراسات المستشرقين !) إلى الأدلة المتزايدة على نشوء الاسلام (!) على النحو الذي وصل إلينا زمن عبد الملك بن مروان والفترة التي تلت ذلك مباشرة ومن تلك الأدلة جمع القرآن والشعر الجاهلي ونقط اللغة وتعريب الادارة وضرب النقود الاسلامية وتشييد المساجد الضخمة وافتتاح البلدان ..الخ" .

أما عن جمع القرآن فهو يردد كثيرا الحديث المروى عن عبد الملك بن مروان وهو قوله : "أخاف أن أموت في شهر رمضان ، فيه ولدت وفيه بويعت وفيه جمعت القرآن" وللعلم ، فهذا الأثر عن عبد الملك لم يكن من مكتشفات "كنز الرواية الشامية" ، وإنما رواه المؤرخون "العباسيون" أصحاب الرواية العراقية أيضا ، ولم يكن يداخلهم أي شك هم وكل من يحسن قراءة العربية ، أو يقرؤها دون هوى أو حقد في قلبه . ان عبد الملك كان يقصد بها أنه جمع القرآن في صدره بمعنى حفظه كله ، وليس جمعه بين دفتين ، كما تواضع علماء الاسلام على معنى جمع

القرآن فى مصحف ، وهو ماتم فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه بشهادة عبد الملك نفسه فى اثر آخر ، يورده مؤلف الكتاب ذاته فى موضع آخر ، وهو قوله لأهل المدينة عام ٧٥ هجرية "يا أهل المدينة . الزموا مافى مصحفكم الذى جمعكم عليه إمامكم المظلوم رحمه الله (يعنى عثمان بن عفان) وعليكم بالفرائض التى جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله الخ" ، ليخرج بعد ذلك إلى معنى ثالث من عند نفسه هو أن عبد الملك قد جمع القرآن ، بمعنى ألفه من القصص الدينى المنتشر آنذاك فى ربوع الشام

أما بقية الأعمال التى تمت فى عهد عبد الملك بن مروان ، فهى منطقية تماما مع وضعه التاريخى بعد نيف وستين عاما من هجرة الرسول ، فهى ليست أعمال من يبدأ الدين به ، بل من تستوى على عهده الحضارة التى انشأها هذا الدين ، مثل جمع الشعر الجاهلى ، ونقط حروف اللغة العربية (الذى ابتكره الخليل بن احمد لتسهيل قراءة العربية على من تعلموها حديثا من الموالى) ، وكذلك تعريب الادارة ، وضرب النقود الاسلامية وتشييد المساجد الضخمة ... إلخ أما حكاية افتتاح البلدان ، فقد خرج كثير من الأنصار من حكم بنى امية بعد موت معاوية وابنه يزيد مثل العراق الذى ثار فيه المختار مطالبا بثأر الحسين ، والحجاز الذى بويع فيه بالخلافة لعبد الله بن الزبير ، ومصر التى ولى عليها ابن الزبير عبد الرحمن بن جحدم ، ثم أعاد عبد الملك إخضاع جميع هذه الانصار لحكم بنى امية ، وخاصة بعد وقوع النزاع بين عبد الله بن الزبير فى الحجاز ، والمختار الثقفى فى العراق ، الذى كان يريد البيعة لآل البيت ، وبالتحديد لمحمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب ، ثم قتله على يد مصعب بن الزبير ، الذى قتله بدوره رجال عبد الملك ، حتى دانت له سائر الاقطار الاسلامية من جديد ، ولم يكن فتحه لتلك البلدان إلا لتثبيت حكمه ، وليس لنشر الاسلام بها ، وهو الأمر الذى تم قبل عهد عبد الملك بنيف وثلاثين عاما فى عهد عمر بن الخطاب .

ولكن "المؤلف" بدلا من أن يستوعب وقائع التاريخ ويحاول دراستها بعقل سليم يحاول استغلال كل لبس ممكن ، بما فيه التشابه بين الاسماء أو الوقائع ، من أجل وضع "تاريخ" من عنده ، شأنه فى ذلك شأن المستشرقين ، الذين اعترف عليهم بقوله فى ص ٢٤ و"لا أنوى هنا تبرئة ساحة الاستشراق الذى كان بالفعل ظاهرة ارتبطت بشكل وثيق بنشوء مفاهيم السيطرة الاستعمارية وادارتها . كما ميزت المواقف "الأخلاقية" المعادية للاسلام الكثير من المؤلفات التى شاعت فى أوربا المسيحية منذ الفترة البيزنطية . تلك المؤلفات التى شكلت نواة لبعض التوجهات غير العلمية فى الفترة المبكرة من الاستشراق" لكى يضيف بعد ذلك قوله "غير أن ذلك لا يبرر بحال إنكار المنجزات التى حققها الاستشراق الحديث"

ويبدو أن الاستشراق الحديث الذى يعجبه هو استشراق اليهود ، بمن فيهم مرجليوث ، الذى يقول عنه فى ص ٨ إنه هو "والباحث المصرى د .

طه حسين اللذين توصلا إلى الاعتقاد بأن الشعر الجاهلي بمجموعه هو نتاج نشاط ادبى متأخر" .. رغم أن المرحوم الدكتور طه حسين ، قد رجع عن هذا الطريق بشروحه بعد ذلك للشعر الجاهلي باعتباره شعرا جاهليا ، حتى ولو كان بعض الرواة المتأخرين قد وضعوا اشعارا ونسبوها إلى الجاهليين . ولكن مؤلف الكتاب اراد الاستناد إلى قصة الشعر الجاهلي هذه لكي يمهد لبسط نظريته فى ان تاريخ نشأة الاسلام ايضا قد وضع بمجموعه فى عهد متأخر ، هو عهد العباسيين كجزء من "أدب النفاق" كما يسميه !!

وفى سبيل ذلك يستخدم كل عناصر اللبس كما قدمنا ، فيقول في مواضع كثيرة منها ص ٢٢ : "ولعل الأهم من ذلك هو ما يلاحظ عادة عن ان أكثر تواريخ نصف القرن الأول مضطربة إلى درجة لا تكاد تجد معها تاريخا واحداً تتفق عليه جميع الروايات . ثم هناك ظاهرة الخلط والازدواج في أدوار واقوال الشخصيات (التى) عايشت ما يعرف عن حياة الرسول من ناحية وتلك التى جاءت بعد ذلك بجيل أو أكثر ويقف على رأس ذلك الخلط بين الرسول ومحمد بن الحنفية (') وبين عمر بن الخطاب وكل من عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وحتى عمر بن عبد العزيز أيضا . كما تخلط الروايات بين معارك الخندق والحرة ، والحديبية وصفين ، والجمل وبعض حروب الزبيريين فى البصرة الخ"

فلمجرد أن أهل المدينة قد حفروا خندقا يحتمون به في واقعة الحرة ايام يزيد ابن معاوية يقول المؤلف . "يجب التنبيه إلى وجود تداخل في أصداء الروايات عن كل من معركة الخندق ووقعة الحرة ، تلك الأصداء التى تختلط وتتداخل بشكل غامض ولكنه لافت للانتباه . فالرواية السائدة تجعل اهل المدينة يدافعون عنها في يوم الحرة فى خندق الرسول" . (ص ٢٩٩)

ويبدو أن حكاية وقعة الحرة هذه كانت مدخل المؤلف الى تأليف نظريته كلها ، فقد الف عنها أستاذه اليهودى فى الجامعة العبرية ـ م . ى . كيستر كتابا بذاته ، ولكنه ترك للتلميذ "العربى" "بقية المهمة فى العبث بالتاريخ كله ، من نوع قوله فى ذات الموضوع (نفس الصفحة)

"ونحن لا نستبعد أن تلك الرواية قد خلطت في هذا الخضم بين الدور الذى خصصته لعثمان بن عفان كخليفة "راشدى" ولعثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد بن معاوية على المدينة . فأهل المدينة قد وثبوا على هذا الأخير وأخرجوه هو وبنى أمية (ومنهم مروان وابنه عبد الملك) عنها الأمر الذى شكل مقدمة للحملة الاموية التى انتهت بمعركة الحرة واحتلالهم المدينة"

والخلط كما هو ظاهر هو من عند المؤلف ومستشرقه الذى علمه وظل يناقشه عقدين من الزمان كما قال فى مقدمته . أما كل قارىء غير مغرض للتاريخ الاسلامى فيرى الفروق واضحة بين غزوة الخندق ووقعة الحرة ، وثورة اهل الامصار على عثمان ابن عفان فى المدينة ، وانتفاض أهل المدينة على عثمان ابن محمد بن ابى سفيان وهلم جراً . ولكن ماذا نقول فيمن يخلط بين محمد بن

عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن الحنفية ابن على بن أبى طالب ، بمجرد تشابه الاسم ، ولأن الرسول قد سمح لأبيه بأن يكنيه مثله ابا القاسم دون سائر المسلمين ! ويخلط بين بنى حنيفة الذين منهم أم محمد بن الحنفية ، وسمى منسوبا إليها لتمييزه ، وبين الدين الحنيف ، وبين مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة ، وكان يدعو نفسه ، "رحمن اليمامة" ، وبين دعوة الاسلام إلى عبادة "الرحمن" باعتباره الاسم الثانى من أسماء الله الحسنى .. وهكذا ؟!! أما عن الخلفاء الراشدين الأربعة فيقول إنهم قد تم "حشرهم (!) بشكل قسرى بين الأمويين ومحمد" (ص ٣٢٨) ، ويرى أنهم ربما يكونون "قد عاشوا فى المدينة بعد النبى (الذى هو عنده محمد بن الحنفية) ومارسوا بعض الصلاحيات الدينية والقضائية هناك" ! ويتكلم فى مواضع أخرى عن تضخيم دورهم فى "الرواية العراقية" !

إننى أعترف لقارىء "الهلال" اننى لا استطيع فى مقال واحد أن أذكر له كل ركام السخف الذى يضمه هذا الكتاب ، لكى يدلل به المؤلف على نظريته عن نشأة الاسلام التى يلخصها قوله فى صفحة ٣٥٢ :

"ومهما حاولت الرواية الاسلامية طمس العلاقة بين محمد وبنى حنيفة وبالتالى جذور الاسلام الحنيفية (!) فإن آثاراً واضحة تكمن فى المقاطع فوق الصوتية (!!) التى وصلت إلينا عن شخصية محمد بن الحنيفة والفترة التى عاش فيها وقد أشرنا سابقا إلى الروايات التى تقول إنه تسمى باسم الرسول وتكنى بكنيته "أبو القاسم" ، وأن ذلك كان بترخيص من الرسول لعلى قبل أن يولد ابن الحنفية . وهنالك رواية أخرى تقول إنه قد كانت لمحمد بن الحنفية ابنة اسمها فاطمة وكنيتها "أم أبيها" وهى الكنية نفسها التى عرفت بها فاطمة بنت الرسول" . ويضيف بعدها :

"وفى مراحل سابقة من هذا الكتاب أيضا وقفنا على جوانب من علاقة محمد ابن الحنفية بعبد الملك بن مروان . لذلك فإن الحديث عن بروز الاسلام بصيغته العربية الحنفية زمن عبد الملك بن مروان (كذا !!) من الممكن أن يكشف الاطار التاريخى الصحيح (!!) ليس لعلاقة محمد بن الحنفية ببنى حنيفة فحسب ، بل بالموقف السلبى والمعارض الذى اتخذته الكنيسة البيزنطية من انحراف ـ حنث عبد الملك باتجاه الدين العربى الجديد . الأمر الذى يفسر المعنى السلبى الذى اكتسبه تعبير الحنفاء بالآرامية للموقف من ربوبية المسيح واعلان استقلال العرب بالاعتراف بمحمد بن الحنفية كرسول عربى واتخاذ مكة قبلة العرب مركزا روحيا للاسلام" .

وطبقا لذات النظرية فإن فتح مكة عنده ليس هو فتح الرسول لها ولكن فتحها واعادة بناء الكعبة على يد الحجاج الذى سبق له أن هدمها فى عهد عبد الملك بن مروان ، الذى اعترف بمحمد بن الحنفية نبيا لأنه كان حليفه ضد الجاهلى "عبد الله بن الزبير" !!

لقد سبق أن كتبت أن هذه "النظرية" ، التى كتبها هذا المؤلف الذى يحمل اسما عربيا ، إنما يراد بها تهويد بعض ضعاف النفوس فى الأراضى المحتلة فى فلسطين ، بانكار الشخصية التاريخية للنبى العربى ، استنتاجا من حفاوة صحيفة "جيروشاليم بوست" الاسرائيلية لها ، ولكن يبدو من مطالعة نصها أن الهدف أبعد من ذلك بكثير

إن المؤلف يكشف عن خبيئة نفسه هو والقوى الصهيونية المحركة له بقوله فى صفحة ٢٦٨ · "وعلى الرغم من أن الرواية السائدة (أى التاريخ الاسلامى كما وصلنا) ، حاولت طمس هذا الجانب وربط محمد بالأمويين وقريش ، وبغض النظر عن الطابع الاسطورى للرواية الاسلامية بشأن قصى من قبله ، فإن كون هذه الرواية عرضا معكوسا للنموذج الذى سار عليه يكسبها قيمتها التاريخية . **ذلك أن دين التوحيد لم يخرج فى نظرنا ولم يسبق أن خرج من الصحراء إلى الهلال الخصيب** (!!) ، ومع أن عناصر اعتقاد وممارسات حنفية وحجازية شمالية قد دخلت عليه ، فمن الواضح انه نتج كحركة وقوة سياسية عن توسع سلطان الأمويين وإعلان استقلالهم . فى فترة اضطراب وضعف البيزنطيين وانحلال الساسانيين ، وتوحيدهم للجزيرة العربية مع الهلال الخصيب

وبغض النظر عن أن جزيرة العرب لم تكن كلها صحراء كما يبدو من ظاهر هذا القول ، وأنها كانت على صلة دائمة بالحواضر حولها سواء فى اليمن ، او مصر ، أو فارس أو ما يسمونه الهلال الخصيب ، فإن الغرض من هذا "المنشور السياسى" الذى تضمنه الكتاب واضح وضوح الشمس فالدولة الصهيونية تضع "الهلال الخصيب" ، أى الشام والعراق ضمن طريقها ، وسيطرتها الحالية على فلسطين وعربدتها فى لبنان ، واحتلال اجزاء من سوريا ، وهى مقدمة عندها للسيطرة على سائر الشام ، كما أن ضربها للمفاعل النووى العراقى ، وتحالفها مع نظام الخومينى فى إيران عن طريق امداده بالأسلحة التى تصنعها أو توسطها لصفقات تسليمه من أمريكا ، المساعدته على ضرب العراق ، كل هذه حلقات متشابكة فى سعيها لفصل الهلال الخصيب من "الصحراء" أى سائر المشرق العربى ، وخاصة جزيرة العرب . ويحاول عميل تافه من عملائها أن يضع لهذا الفصل "نظرية" تحاول إثارة حمية "الهلال الخصيب" لرفض فكرة أن دين التوحيد قدم إليه من الصحراء علّ ذلك يساعده على العودة إلى "العالم" الذى كان يسيطر عليه لقرون مضت

إنه ليس إلا الحقد الذى تكنه الصهيونية لهذا الدين ولهذه البلاد . حيث يحمل قضيتها دخلاء عليها هم الخرز الأشكناز القادمون من القوقاز الروسى وشرق أوربا والذين يسيطرون حاليا على فلسطين . كما سيطر الصليبيون عليها فى الماضى ، ويستعينون بكافة أشكال الفتن والدسائس لاستدامة سيطرتهم عليها وتوسيعها ، ولكن نقطة البدء فى استعادة هذه المنطقة حريتها ، هى فى جو التنبه لألاعيبها ، ورفض الهذيان الذى يبشر به مستشرقوها وصنائعهم باسم البحث العلمى

التفرغ على الأشغال

بقلم: د. شكري محمد عياد

زمن القرارات الصعبة

منذ اجلسنى الهلال ـ مشكورا ـ فى هذا الركن (اربع سنوات الان بالتمام والكمال) وسمح لى ان اقول فيه ما اشاء ، وانا الف وادور حول موضوع « الاقتصاد » ، وحصيلتى فى « علم الاقتصاد » متواضعة جدا كما اوضحت للقراء فى مقال سابق ، ولكن العصر الذى عشته جعلنى اقتصاديا من نوع ما . لقد كنت اسمع فى طفولتى عن قريبنا فلان الذى قال له الخمار اليونانى مرة : « اتفضل يا خبيبى » ، فاعجبته الكلمة ودعاه حب الاستطلاع الى الدخول ، ومع ان ابتسامته استحالت الى تكشيرة عندما ذاق الكاس الاولى فقد اتبعها بثانية وثالثة حتى « يصل الى قرارها » كما زعم فيما بعد : فلما وصل الى ذلك القرار استمراه ولم يزل فيه الى ان باع الفدان الوحيد الذى كان يملكه . وعندما ذهبت الى المدرسة قرات فى كتب التاريخ ان ديون اسماعيل جلبت الدمار والاستعمار لمصر . وكنت فى مطلع شبابى شديد الاعجاب بغاندى وعنزته ومغزله ، سلاحيه اللذين هزم بهما بريطانيا العظمى .

كان الاقتصاد عندى يتمثل فى مبدأ اساسى : « اذا لم تملك فاستغن » .

وبما ان الفقر الناس لابد له ان يقتنى بعض الاشياء ، فقد كان ثمة مبدأ ثان : « قبل ان تقتنى انظر ماذا تقتنى ، ولاى غرض » . وبما اننى كنت احب ان اقضى كل ما يمكننى من وقت مع الكتاب ، فقد قاومت بعنف جميع وسائل الاتصال الاخرى . كان كل صالون حلاقة وكل كشك سجائر فيه جهاز راديو عندما اقنعنى صديق بان الراديو فى البيت يمكن ان ينفع لتسلية امى العجوز على الاقل . وتحديت التليفزيون الذى دخل مصر بضجة كبيرة (لعل ذلك كان سنة ٦٠) الى ان جاء اخ لى بجهاز ووضعه فى البيت فغلبت على امرى . ويعلم بعض الاصدقاء انى عملت فى السلك السياسى مدة يسيرة وكانت لدى سيارة كبيرة مثل رجال السلك السياسى ولكنى كنت تعيسا جدا فى داخلها .

هكذا ترون انى امثل مدرسة وحدى فى علم الاقتصاد . ومدرستى مكتوب على بابها : « احترس من البياعين » . واول درس فيها كما يلى :

عندما يوجد بائع ومشتر ، يظل البائع فى موقف اضعف ، والمشترى فى موقف

الاقوى ، الى ان تتم عملية البيع والشراء فيصبح المشترى هو الطـــرف المهزوم . فالبائع رابح لا محالة ، أما المشترى فهو بين الكسب والخســــارة ، وهو الى الخسارة أقرب ، لانه ، فى أغلب الاحيان، يشترى حين يعجبه المنظر ، أو يفرجه البائع على لعبة ما ، فلا يفكر فى مقدار حاجته الى الشىء الذى يشتريه ، ولكنه يفرح بالمنظر او اللعبة ، كما فرح قريبى الفلاح العبيط بكاس الخمر .

ماذا اشترينا ؟

حدثونى يا شطار : ماذا اشترينا من الغرب ؟

اشترينا كل ما قدموه لنا : سجاير ، روايح ، مناديل ، شرابات ، حلويات .

اشترينا أيضا قليلا من الجـــرارات ومكنات الرى ، وملايين التليفـــزيونات والفيديوهات .

واشترينا قليلا من الباصـــات التى ينحشر فيها النساء والرجال والاطفال ، وكثيرا جدا من السيارات الخاصة التى تزحم شوارعنا الضيقة .

وقالوا لنا : ننشىء فى بلادكم مصنعا، لتصبحوا ماهرين مثلنـــــا . فاخرجنا سياراتهم وقد وضعنا عليهـــا اسما من عندنا . ثم بعد ربع قرن من التلهفة قال قائلنا ــ ولم يستح ــ اننا أصبحنا نصنع عشرين فى المائة أو ثلاثين فى المائة من السيارة !

والذى يبيعك صناعته لا يعطيك سر الصنعة . لذلك لم نفلح فى أن نشترى علمهم ، أو لعلنا لم نعرف اين يمكن أن نشتريه . والذى استطاع من أبنائنـــا ــ بوسائله الخاصة ــ أن يصل الى أسرار علومهم سرقوه وضموه الى أبنائهم ، أو قتلوه قبل أن يرجع الينا .

(هامش : بعض الناس يشككون فى هذا ، مع أن الامثلة كثيرة ومعروفة ، ويقولون أننا لا نتقن علومهم كما يتقنونها بسبب كسلنا ونشاطهم ، ويستشهدون بخبر ورد فى الصحف عن طالب فى احدى جامعاتهم اســـتطاع أن يهتدى الى سر صناعة القنبلة الذرية من دراسة المراجع المتيسرة فى المكتبات العامة . أنا بدورى اشك فى هـــذا الخبر ، بل أراه غير معقول ، وأعـــده من أخبار الاثارة . والدليل : تجسس الدول الكبرى على بعضهـــــا البعض فى مجال العـــلوم والتكنولوجيا) .

والمشترى الجاهل هو الزبون الطيب الذى لا شارى ولا يمارى . لهذا اشترينا واشترينا . لم نســـال ماذا نشترى ، ولا ما فائدته . اشترينا بكل ما معنا . ولما نفدت نقـــودنا قـــال لنـــا الخواجة « اتفضل يا حبيبى » . وفتح الدفتر .

نسيت أن أقول : اشترينا أيضـــا أسلحة ، يقتل بها بعضنا بعضا .

مثال صغير

دعنا من الكوارث الكبرى ، وتعال ننظر الى هذا المثال الصغير ، فهو نموذج مما ظل يجرى كل يوم ، عشرات الســنين ، حتى امتلا الدفتر ، ووصل الدين الى الرقم الرهيب الذى تعرفونه (على وجه التقريب) :

حدثنى صديقى المهندس ابوزيد راجح، مدير مركز بحوث الاسكان سابقا « وهو معنا فاسالوه » انه عندما تولى ادارة هذا المركز وجد فى ركن من اركانه آلة ضخمة، فسأل عن قصتها ، فلم يجد بين الحاضرين من يدله . ثم بحثـــوا فى الاوراق ، فوجدوا انها اشتريت من شركة المانية قبل عشرين سنة تقريبا . قال : عال ! تاهت ولقيناها . ثم بدات المراســـلات مع الشركة الالمانية . تبين ان الشركة حلت وانتقل امتياز هذه الالة الى شركة اخرى. أخيرا عرف كل شىء عن الالة (وكانت آلة كبيرة لاختبار متانة الانشاءات) ولـكن هل استخدمت بعد ذلك ؟ لم يلبث المدير المتعب فى مكانه الا قليـــلا ، ولابد أن الامور عادت بعده الى ما كانت عليــــه قبله .

كم من اشياء اشـــتريت بدون حاجة حقيقية اليها ، لمجرد أن دولة ما منحت قرضا ، أو قدمت « تسهيلات ائتمانية »!

والمضحك المبكى أن صحفنا ما زالت تنشر اخبار القروض الجديدة وكأنها «انجازات» مهمة . وما لنا لا نكون صرحاء ونقول ان سر الاهتمام الرسمى الكبير بمشكله الديون فى الوقت الحاضر لا يرجع الى الخوف على مستقبل البلاد ، بقدر ما يرجع الى تلكؤ الدول والبنوك الاجنبية فى تقديم المزيد من القروض ؟ هذه هى الترجمة البسيطة لمفاوضاتنا الطويلة مع صندوق النقد الدولى ، فهو الذى يعطى اشارة الامان للمقرضين !

والمضحك المبكى ، اكثر من هذا ، ان بلادنا لم يكن فيها من علماء الاقتصاد ، يوما من الايام ، مثل هذا العدد الكبير الذى برز على الساحة فى السنين الاخيرة ! اساتذة فى الاقتصاد السياسى ، والاقتصاد المالى ، والتكاليف ، والمحاسبات ، ولا ادرى ماذا من التخصصات !.

وعندما بدأت اكتب عن الانتاج ، والاستهلاك ، والعمل ، والمدخرات ، والبنوك ، والاثمان ، والاسكان ، من واقع تجارب انسان مصرى شهد عهدين : عهد استعمار عسكرى وسياسى ذاهب ، وعهد استعمار عسكرى ومالى يحكم قبضته على شعوبنا فى الوقت الحاضر ، كنت اطمع ان يتحرك اساتذة الاقتصاد ويكلمونا بكلام نفهمه عن حقيقة اوضاعنا .

ولكننا تعودنا ، منذ اكثر من ثلاثين سنة ، ان نكتب عن اى شىء الا اوضاعنا الحقيقية ، لان هذه الاوضاع كانت تعالج دائما وراء ابواب مغلقة ، هذا اذا عولجت على الاطلاق ، فقد كان اصحاب القرار مشغولين بمسائل تتجاهل واقعنا ، وتتجاوز قدراتنا .

لهذا ضعفت موهبة « الكتابة » عندنا ، وشدتنا الى عصر يشبه عصر « ديوان الرسائل » أو الكتاب الرسميين . فالكتابة الحقيقية لا تعيش الا فى جو ديموقراطى حيث يتوجه كل صاحب فكر الى الشعب ، لان الشعب هو الحاكم (ولا سيما اذا كان هذا الشعب قارئا) . ويبدو اننا فى اتجاهنا الحالى نحو الديموقراطية ما زلنا نعيش باسلوب الابواب المغلقة ، ولهذا لا نضع كثيرا من الثقة فى الكتابة ، فالذين يعلمون لا يكتبون ، والذين يكتبون لا يعلمون . وقد افرز عهد الابواب المغلقة عندنا طائفة من « الفنيين » او التكنوقراطيين ، الذين لا يشغلون انفسهم بالمسائل الاساسية ولكنهم يهتمون فقط « بالفن » المالى ، او « الفن » الاقتصادى وكأنهم زوار فى معرض يقفون مبهورين امام لوحة جميلة .

وما زلت منذ شغلتنى امور الاقتصاد والمال ابحث فى صحافتنا ـ حتى تلك التى تسمى نفسها « اقتصادية » ـ عن مقالات لعلماء فى الاقتصاد تعالج مشكلاتنا الحقيقية بصراحة ووضوح ، فلا اجد الا تصريحات عائمة لمسئولين ، او استطلاعا لآراء مجموعة من الاساتذة ، سوى على عجل وتحت ضغط موضوع من موضوعات الساعة . ولكننى عثرت اخيرا على مقال مهم .

مقال للدكتور عبدالمنعم القيسونى (الاهرام ١٢ ـ ٣ ـ ١٩٨٧)

نعم ، مقال ، وليس حديثا ولا حوارا ، وعنوانه « الحجم الحقيقى للمديونية وكيف نبدأ المواجهة » . وهو مقال خطير حقا ، على الرغم من اللغة الهادئة التى كتب بها . ولذلك يبدو من الغريب الا يثير نقاشا طويلا وجادا « بالجيم ! » بين زملاء الدكتور القيسونى وتلاميذه ، وخصوصا بالنسبة الى الحل الذى يقترحه . فحجم المديونية لا يحتمل نقاشا ، لانها مسالة ارقام . ويقدرها الدكتور القيسونى فى الوقت الحاضر ـ تبعا للتقديرات الرسمية ـ بسبعة وثلاثين الف مليون دولار . ويقارنها بنظيرتها قبل عشر سنوات ، اى فى آخر سنة ١٩٧٧ ،

وكانت اثني عشر ألف مليون دولار . وبمقارنة أخرى بين قيمة الجنيه المصرى بالنسبة الى الدولار فى السنتين المذكورتين يظهر أن حجم المديونية قد تضاعف عشر مرات – لا ثلاثا فقط – خلال عشر سنوات. واذا لوحظ ان الدين كان يمثل بالفعل مشكلة قومية كبيرة قبل أن ينمو هذا النمو الرهيب فمعنى ذلك ببساطة تامة اننا نغرق فى بحر من الرمال .

ويتحدث الدكتور القيسونى باختصار ولكن بصراحة عن أسباب هذه الزيادة المستمرة. فيذكر «السياسات التي نتبعها للقضاء على بعض انتاجنا المحلى كما نفعل الآن مثلا بالنسبة لانتاج البيض والدواجن فى القطاع الخاص وبالنسبة للسمك فى البحيرات وبالنسبة للاراضى المستصلحة التى نبيعها للرواد من الشباب بعد ان ننفق الملايين على استصلاحها ثم نتركهم دون حماية او رعاية » ، ويذكر الانفتاح الاستهلاكى و « الاستيراد بدون تحويل عملة » ، ويذكر تهريب الاموال الى الخارج « أى ان الذين يحصلون على العمولات والرشاوى والسرقات « من الدول النامية عموما » ويزيدون من مديونيتها دون مقابل لا يكتفون بتحصيل المال الحرام وانما يقومون أيضا بتهريبه الى الخارج » . ولا يكتفى بالاشارة الى خطأ السياسات وفساد الادارة بل ينبه قبل ذلك كله الى مسئولية الشعب نفسه فى مسائل مثل الزيادة الرهيبة فى عدد السكان وعاداتنا القبيحة فى التباهى بزيادة الاستهلاك .

اى ان الدكتور القيسونى لا يفسر الارقام بالارقام ، كعادة الاقتصاديين «الفنيين» بل يفسر الارقام بالسلوك أو الاخلاق، على المستويين القومى والفردى ، وهذه هى اللغة التى نفهمها ويفهمها كل الناس ، ليس فقط لانها لغة بسيطة وبعيدة عن التعقيدات الاصطلاحية ، بل لان الاقتصاد هو نشاط انسانى قبل ان يكون علما .

والدين العام هو فى نهاية الامر وسيلة تلجأ اليها الدولة حين تعجز عن موازنة ايراداتها ومصروفاتها . ويشير الدكتور القيسونى بلباقة وادب الى عملية الخداع التى ارتكبها وزير مالية « فنى » حين ادخل القروض الجديدة فى الايرادات (على طريقة الموظف المرتشى او المختلس الذى يعتبر المبالغ التى يحصل عليها بهذه الطريقة جزءا من دخله الشهرى) . وبداية المواجهة فى نظره هى وقفة جادة وحازمة أمام الميزانية . وهنا تعلو نبرة الرجل الرقيق المهذب الدكتور عبد المنعم القيسونى وهو يقول :

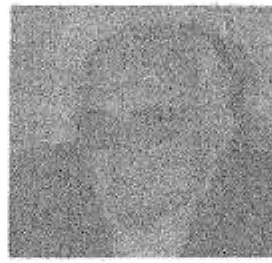
« وقد دعوت الى توازن الميزانية العامة فى سنة ١٩٧٧ ثم كررت هذه الدعوة مرارا وتكرارا بعد ذلك ولكننى أصبحت اشعر كما شعر سيدنا نوح عندما ابتهل الى ربه قائلا : رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائى الا فرارا . وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . « نوح الايات ٥–٧»

لقد كتب كاتب فى الاهرام « ٢١–٢–١٩٨٧ » – وهو التعليق الوحيد الذى قرأته على مقال الدكتور القيسونى – ينتقد فكرة موازنة الميزانية على أساس انها تعنى خفض الانفاق على الخدمات والاستثمارات . وأنا شخصيا لم افهمها على هذا النحو . بل أرى انه تفسير يتجاهل حقيقة الفاقد المرعب فى تلك الخدمات والاستثمارات ، وهى ظاهرة مصاحبة للحكم الفردى . وقد اتهم باننى رجل عتيق وفلاح من الجيل الماضى « بناء على المعلومات التى قدمتها فى صدر هذا المقال » . ولكننى أعتقد ان معظم المصريين الكبار فى السن هم على شاكلتى ، وأن الاغلبية العظمى من الشباب لم يعد عليها التوسع غير المحسوب فى الاقتراض بأية ارباح أو عمولات . وما دامت هذه الاغلبية هى التى تحكم الآن « هى وحدها الملومة ان لم تحكم » فسوف تصغى لدعاء نوح، وهى تنتظر حتى يغرقها الطوفان .

ان زمن الديموقراطية هو زمن القرارات الصعبة ، والقائد الديموقراطى هو الذى يستطيع أن يقول لشعبه عند الضرورة : « انا لا أعدكم بغير العرق والدموع » .

قنديليات

بقلم: يحيى حقي



الربيع هنا وهناك

احتم حتى حين نتحدث عن الربيع لابد أن تقب سيرة السد العالي من تحت الارض موقفنا منه يسا للعجب يشبه موقفنا من الزعيم ،فحين حلت الساعة وعد المسرح لولد الزعيم جاءنا رجل نابغ اصابنا بحيرة تكاد تبلغ حد التمزق ، له افضال جهة لا ينكرها احد فانت تحبه اعمق الحب ، وانحرف انحرافات شديدة فانت تلومه كل اللوم، كذلك السد نعمة لمصر من جهة ولكنها لا تخلو من جوانب سلبية كثيرة .

واقول انه جاء في موعده ايضا ، وقت انفجار عصر العلم ، اتى تحديا صريحا ناطقا بأن مصر يجب ان تدخل هذا العصر ، لان جميع الجوانب السلبية يمكن حلها بالوسائل العلمية فقط .. السماد بدل الطمى ايضا

اكل البحر للشاطىء حيث نجد في هولاندا ان الارض هي التي تأكل البحر ، وبالاجمال فهناك حلول علمية لمشاكل اختفاء الطوب الاحمر وظهور نباتات عائقة في المجرى واحتمال التلوث وارتفاع سطح المياه في باطن المزارع .. الخ .. الخ ..

ولكن هذا السد له جانب سلبي اخر لعلي اتحدث عنه لاول مرة وهو محوه لتفسير معنى الربيع عندنا ، وبالاخص في صعيد مصر الذي اسميه العمود الفقرى لهذا البلد .. فقبل السد كان النيل طفلا يمص ثدى امه وبعد السد يبلع من بزازة .. كان نظام الرى في الصعيد هو رى الحياض ..

نحن نقترب من أواخر الصيف ، رأيت الارض بعينى جفت ، امتلأت بالشقوق اطل عليها وأرى السواد واشم رائحة العطن بل النتن ، سطح الارض طبقة من التراب الخفيف قد تحركه أقل نسمة ، وآت رهيب ان لم يأت النيل فعلى الدنيا العفاء ، ثم ها هو ذا يفى بوعده ويأتى بكل قوته وعنفوانه فيغطى الارض جميعا بطبقة كثيفة من الماء ، وتصبح القرى جزائر لا وصول لها الا بالقارب ..

اختفت الارض تحت الماء ، هل ستموت غرقا ، احتمال الموت وبرودة الماء تصيبنى بقشعريرة ولكن بعد قليل ينحسر هذا الماء تاركا على الارض هديته الغالية طبقة من الطمى الخصيب ، كان ايضا قد غسل الجسور من جحور الفئران حينئذ يخرج الفلاح وينثر الحب ، قد لا يعمل الا يوما او يومين ، وعما قليل تغطى الارض كلها خضرة ما اجمل لونها ورائحتها ..

هذا هو فصل الربيع فى مصر مع انه يسمى حسب التقويم فصل الخريف بعد القيظ الطويل اصبح الجو لطيفا والسحاب الان رقيق رشيق .الجاموسة رأيتها وهى تلوك البرسيم تنطق عيناها بلذة كبيرة بعد العليقة الجافة فى عينيها سعادة لاحد لها ، تلف الارض كلها ابتسامة حلوه..البرسيم هو الربيع بهذا الاسم ينادى عليه فى شوارع القاهرة وحواريها « ربيع غزالك » ـ بتشديد الباء ـ بهذا يكنى ابن البلد الخفيف الصدم عن الحمير التى كان يملكها كثير من الناس كوسيلة للانتقال ..

معنى الربيع اذن هو البعث بعد الموت ، كان يتمثل كما رأيت فى الجفاف ثم الفيضان ، وقد اختفى هذا المعنى الان عن ارض الصعيد بفضل السد العالى .

ما كان يجرى فى مصر يجرى شىء مثله فى اوروبا ، ولكن مع اختلاف الزمن .. هناك الفروق بين الفصول بينة ، وان كان تطور فصل الى فصل يسير ببطء ها نحن فى فصل الخريف، اصفرت اوراق الشجر تساقطت هذه المخلوقات الجميلة اصبحت قمامة تزاح بالمكنسة ولكن ما الذ السير أعليها وسماع خشخشتها ، الاشجار عارية ثم اذا بالثلج يهبط وتغطى الارض عند حلول الشتاء بطبقة كثيفة من الثلج ، صقيع وممات وقشعريرة ثم بعد شهور قليلة يزاح الثلج وتنبت الاوراق الخضر على الاشجار وتتزين الارض بأجمل الزهور ، وبهذا تصدق تسمية هذا الفصل بالربيع كان الارض كلها فى حفل عرس ويزعمون ان هذا الانبعاث يحس به الانسان فى بدنه ، وخاصة النساء ومن أجمل ما كتب عن تأثير الربيع على الارض وعلى الانسان رواية البجعة السوداء « لتوماس مان »

ينطبق اذن فى أوروبا اسم الربيع على حقيقته اما عندنا فقد كذبنا وتغنى شعراؤنا وادباؤنا بالربيع فى شهر ابريل الذى تهب فيه رياح الخماسين وتدخل ما بين الجفون وتسبب العمى كما كذبوا حين اشادوا بالبلبل ولم يسمعوه وكان من حقهم ان يذكروا الكروان .

ولست فيما اقول الا ناقلا عن المرحوم عباس محمود العقاد ..

نعمان عاشور همزة وصل..!

بقلم: د. على الراعى

مات مارون النقاش كسير الفؤاد ، بعد أن قرَّ في نفسه ان المسرح الذى اجتلبه من اوروبا لن يقدر له البقاء بعد وفاته . وفرَّ أبو خليل القبانى بفنه المسرحى الى القاهرة ، هربا من الاضطهاد وربما الموت . وأغلق يعقوب صنوع مسرحه بعد عامين ، أو أغلقه غيره - لافرق - فكف عن النشاط المسرحى من بعد . ولم يجد محمد عثمان جلال فى نفسه موهبة للتأليف فمصَّر مسرحيات موليير ، مقتربا بها من حدود التأليف ، بدرجة ملحوظة . وكتب فرح انطون ومحمد تيمور وعباس علام مسرحيات جيدة التمصير ، أخذوا موضوعاتها أو هياكلها من المسرح الفرنسى .

كل هذا كان تقليبا للأرض المسرحية وحرثا لها ، تمهيدا للزرع المنتظر . وكان أول زارع هو ابراهيم رمزى ، بما كتب من مسرحيات تاريخية وعصرية لم تعرف الاقتباس بل كانت نتاجا مصريا خالصا . ثم تقدم الفاتح الكبير ' توفيق الحكيم . فى روحه يتصارع فنانان

أحدهما ضحوك وافر المرح والآخر يملك عليه الجد لبه . تارة يكتب لهذا ، واخرى ينجذب لذاك .. وبين الجذب والارخاء ظل مسرح توفيق الحكيم قابعا ، ينتظر من يوصله للناس .

يقول مؤلفه ، مواسيا نفسه ، أن مسرحى ذهنى ، لايفهمه الا الخاصة بينما يوجعه فى الصميم انه لم يستطع ان يصل بفنه الى الجمهور العريض .

حسب توفيق الحكيم مجدا أنه قدم فن المسرح - فى تنوعاته المختلفة - الى الخشبة والكتاب معا . ولا عليه ان لم يكن النجاح الواسع من نصيبه . فما يفعل رجل

واحد كل شيء . وهو ـ مع ذلك ـ قد فعل الكثير . بفضله أصبح الفن المسرحي لونا هاما ومعترفا به بين الفنون والآداب وفي ظل هذا الانجاز كانت الظروف المحيطة تتهيأ لميلاد المسرح القادر على الوصول .

انفجرت ثورة يوليو المجيدة بفضل طاقات الشعب وأحلامه وطموحاته وتضحياته الغالية ووقفت مصر غداة ٢٣ يوليو عند مفترق كبير من الطرق كلها يدفع الى التساؤل والفحص والتوق . وانفتح امام المسرح باب كبير ولج منه رهط هام من شباب المسرح كلهم قرا لتوفيق الحكيم ، وأغترف من فنه فلما جعل يكتب للمسرح وجد الأرض محروثه ، مستعدة أوفى استعداد للبذار . ومن ثم توالت مسرحيات كثيرة هامة في خمسينيات وستينيات هذا القرن .

كان قائد الرهط شابا واسع الأفق ، خفيف الظل كبير القلب ذا طبيعة تشخيصية واضحة وكان قد عالج الكتابة في فني القصة والمقالة في الصحف الوطنية والتقدمية التي كانت تصدر قبل الثورة وتمهد لها . فلما اضاءت خشبة المسرح في عهد الثورة أخذ يكتب مسرحيات كانت تتقلب موضوعاتها في نفسه من زمن مسرحيات عن شعب هذا



نعمان عاشور سبيقى لمرجه فقسل الرباده

نعمان عاشور
همزة وصل..!

البلد ومايلقى من عنت ، وما يبتكر من طرق للوصول الى شيء يشبه العيش الكريم

كان هذا الشاب هو نعمان عاشور القادم من ريف مصر الطيب يحمل فى قلبه كل طيبة هذا الريف وحبه للحياة والأحياء . فنذر فكره وفنه لتصوير حياة الشعب ، والتعبير عن أماله وعرض وجهة نظره فى الحياة ، غير مهمل جوانب القصور والسلب فى حياة هذا الشعب ، كتب هذا فى قالب الكوميديا الاجتماعية الناقدة ، وأصبح منذ أخرج : « الناس اللى تحت » علمها الكبير .

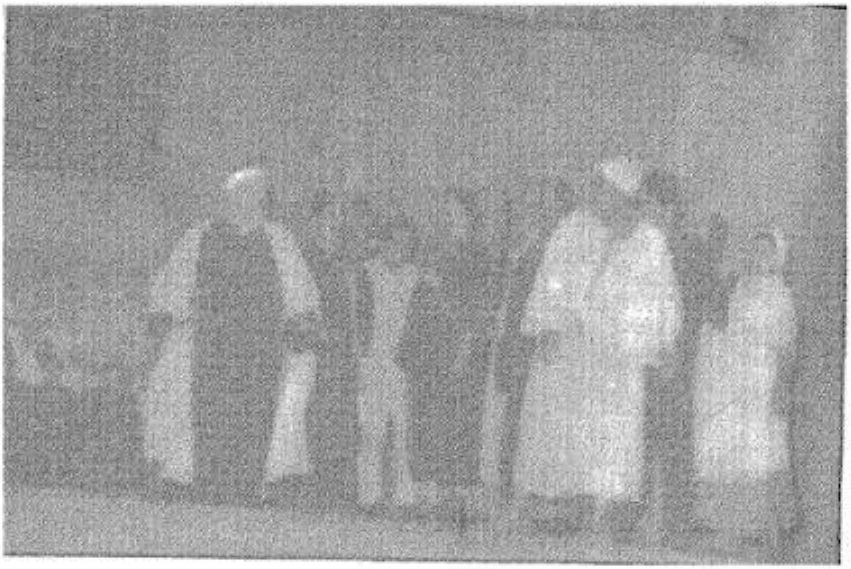
خرج نعمان عاشور من الموقف الصعب الذى وصل اليه توفيق الحكيم بأن اختار من دنيا الفاتح الكبير شريحة واحدة فقط ، هى شريحة المسرحية الاجتماعية واعانه هذا الاختيار ـ الواعى والتلقائى معا ـ على أن يصل إلى جمهور المتفرجين بدرجة اكبر مما وصل اليه الاستاذ الكبير .

وبهذا قدم نعمان عاشور للمسرح العربى خدمة كبرى جعله ممكنا ، قابلا للتجسيد ومن ثم للوصول الى الناس . لم يعد النقاش يدور حول كتب فيها مسرحيات وانما دار الكلام عن خشبة فيها اناس من لحم ودم يتحاورون ويتصارعون حول موضوع حى ، التقطه الكاتب من صميم الحياة والبسه رداء المسرح الفاتن ودفع به الى عيون الناس وارواحهم وعقولهم .

كان حل العقدة التى لازمت مسرح الحكيم يكمن فى اختيار اللون الاجتماعى الذى ـ وحده ـ كان يهم الناس فى تلك الأيام المجيدة من اوائل الخمسينيات وهو اختيار لم يكن غريبا على توفيق الحكيم نفسه ـ بشهادة « مسرح المجتمع » ومسرحيات مثل :

« الصفقة » و « السلطان الحائر » و « الايدى الناعمة » وفى هذا المضمار أصبح نعمان عاشور همزة الوصل بين فن توفيق الحكيم المسرحى الاجتماعى ، وبين جماهير الناس . لاشك ان نجاح المسرحية الاجتماعية على يدى نعمان عاشور قد حث توفيق الحكيم على الافادة من هذا النبع القوى فى نفسه ـ نبع الفن الاجتماعى ـ فما ينبغى ان ننسى أن الذى كتب مسرحيات الافكار هو نفسه الذى كتب « عودة الروح » و « يوميات نائب » و « رصاصة فى القلب » وبهذا تبادل الاستاذ وتلميذه التاثير وتحقق انتماء التلميذ للاستاذ .

غير ان اللون الواقعى الذى اختار نعمان عاشور أن يكتب فيه يحمل فى طياته ـ الى جوار مزايا الالتصاق الحار بالناس ـ بعض النواقص . هذا كان شأنه دائما مع الكتاب الواقعيين فى الفنون المختلفة من تشكيل وموسيقى وقصة ورواية ومسرحية . بعد ان يمضى الكاتب فى اخراج اعمال متوالية فى اللون الواقعى ليبدأ الشعور بدرجات متزايدة من الوضوح ان الواقعية وحدها لاتكفى وانها محتاجة الى دعم من الوان أخرى من الكتابة . ليس لمجرد اثراء محتوى العمل ، وانما ـ أيضا ـ للدفاع عن



شخصيات نعمان عاشور تمتلىء بالحياة على خشبة المسرح

المضمون الواقعى ذاته ، وزيادة قدرته على الوصول الى الناس .

ومن ثم جرب ابسن الفن التجريدى شبه الرمزى فى مسرحياته الأخيرة - خاصة « حينما نبعث نحن الموتى » وجرب من قبل المسرحية الفولكلورية فى « بير جينت » . وأقبل تشيخوف على الرمز فى مسرحياته الأربع وخاصة « بستان الكرز » وكتب برنارد شو : « بيت القلوب الكسيرة » محاولا الاقتراب من اسلوب تشيخوف فنجح الجميع بدرجات متفاوتة فى تعويض القصور الذى يبديه الفن الواقعى ، اذا لم يدعم بألوان أخرى .

وأحسب ان نعمان عاشور قد حاول شيئا من هذا حينما كتب : « لعبة الزمن » متخيلا فيها شهرزاد تعيش فى القرن العشرين وتصارع تيارات العودة الى الماضى الذى انبثقت منه . غير أن تجربة هذه المسرحية قد اثبتت ان الأرض الصلبة الوحيدة التى يستطيع نعمان ان يقف عليها بوثوق هى المسرح الاجتماعى الانتقادى ، ومن ثم كانت مسرحيته قبل الأخيرة : « مولد وصاحبه غايب » تاكيدا لهذه الحقيقة ، فهى نص جيد من نصوص المسرح الواقعى وان لم يلق الاقبال الذى يستحقه . فمرد ذلك إلى انه ولد فى ظروف تختلف كثيرا عن الظروف التى نشأ فيها مسرح نعمان فى اوائل الخمسينيات . غير ان هذه قصة أخرى .

سيبقى لنعمان دائما فضل الريادة . وذلك الانجاز الكبير . كتابة المسرحية القابلة للتجسيد ، ويحسب له أيضا انه قد مهد الطريق لعدد كبير من كتاب المسرح الشباب ، كلهم اهتدوا بوقع خطواته ، واستندوا الى فنه ليبدعوا مسرحيات تشبه مسرحياته حينا وتختلف عنها حينا آخر

سعد وهبه . ولطفى الخولى . ويوسف ادريس والفريد فرج ومحمود دياب وميخائيل رومان . وغيرهم ، فى مصر ، وباقى اقطار الوطن العربى ».

ثقافة البيع

بقلم: فتحى رضوان

جاء فى الانباء أن مناقشة طويلة دارت فى المجلس التشريعى الفرنسى حول بيع احدى القنوات فى التليفزيون الفرنسى لاحدى كبريات الشركات

وكان فريقا المتناظرين فى المجالس يترافعان عن وجهتى نظر متباينتين ·

الاولى ترى ان القناة المراد بيعها يجب أن تبقى حكومية لان هذا ضمان لها بالوقار والاستقرار والازدهار ، فى حين يقول الاخرون بل تباع فان القطاع الخاص اكثر حيوية واشد حيدة واحرص على امتاع المشاهد ونفعه · وانتهت المناظرة بغلبة القطاع الخاص، فقد قرر مجلس الامة الفرنسى بيع القناة الى شركة بويك وهى ليست شركة بويك للسيارات ، بل شركة فرنسية بحتة تقوم بتشييد العمائر وتتخصص فى اعمال البناء فى حين ان الشركة المنافسة كانت شركة نشر وطباعة وعلى الرغم من ان هذه الشركة اقرب الى موضوع الاذاعة المسموعة والمرئية ، فان العطاء رسا على شركة بناء لا تمت الى الثقافة والاذاعة لا من قريب ولا من بعيد ·

وهذا كله يكون واقعة حال شديدة الارادة تتصل اتصالا صحيحا بالثقافة وهى تدعونا الى طرح السؤال التالى وهو سؤال قديم خلاصته أى الجهتين اكثر احتفالا بالثقافة واقدر على توفير اسباب النجاح والتقدم لها أهو القطاع العام أم القطاع الخاص ولقد ثار نقاش من هذا الطراز فى مصر فبعض كبار الكتاب ذهبوا الى ان سوق الثقافة بارت وعالمها كسد حينما انشئت فى مصر وزارة للثقافة وحينما خصصت الثقافة والهيمنة الحكومية : فقد افل نجم الادباء والشعراء ، وقل ظهور المواهب الجديدة ، وانصرفت الجماهير عن الكتب واقفلت المجلات الادبية أبوابها ، وقل عدد رواد الجمعيات الادبية والندوات الثقافية

لقد راجعت تراجم بعض عباقرة

فاين الحقيقة فى كل هذا ؟

الموسيقى فى اوائل القرن الثامن عشر ، فرأيت كيف أن هذه الشخصيات



بيتهوفن ‏ موزار ‏ هايدن

الفذة الموهوبة ، قد لقيت فى البيت الذى نشأت فيه ومن الاهل الذين يتسببون اليهم القهر وسوء المعاملة • وكيف عوضهم الله عن هذا الخط السىء برعاية بعض الامراء والملوك، هيأوا لهم سبل الدرس واتقان الفن والتقدم الذى أينعت معه مواهبهم وصقلت صفاتهم وقدراتهم • فكان الثقافة كانت مدينة لذوى السلطة الرسمية التى تقوم مقام القطاع العام الآن •

كان هايدن استاذ (بتهوفن) ابنا لنجار ، وكان النجار محبا للموسيقى وكانت زوجته حسنة الصوت ، فورث الطفل عن ابويه حبه لهذا الفن الرفيع ولكن والده أصيب بعسر مالى اضطر الاسرة كلها الى التجوال فى البلاد بحثا عن الرزق ، حتى زاره ابن عمه وكان ناظرا لمدرسة ابتدائية فلما شاهد الطفل (جوزيف) ترسم فيه النبوغ ، فطلب من أبيه ان يسمح له باصطحابه ولما كان الوالد قد رزق بعشرين طفلا فقد رحب بهذا الطلب ليتخفف من نفقات أحد ابنائه •

ولكن هذا العم كان قاسيا ، حتى كان نصيبه من العصا اكثر من نصيبه من الطعام ، ولكن مواهبه الموسيقية رغم تعاسة عيشه وما يعانيه من قسوة عمه ، واصل تقدمه فى الموسيقى عزفا وتلحينا حتى دفعه وهو فى الثالثة عشرة من عمره الى تلحين أولى اوبريتاته المسماة الشيطان الاجنب التى ما كانت تمثل حتى اقبل مديرو المسرح يظهرون له أعظم الاعجاب وترامى صيته حتى سمع به الامير باول استرهازى وكان احد ابرز امراء النمسا وكان شديد الاعزاز لهذا الفن فضلا عن اتقانه العزف على الكمان فاستدعى اليه هايدن عام ١٧٥١ وجعله رئيسا لفرقة الموسيقى فى قصره وقد أجرى على هايدن رزقا استمر يتقاضاه من أولاد هذا الامير ومن احفاده • وتجاوزت شهرة هايدن بلاده ووصلت الى اوربا ، فدعى الى بريطانيا حيث

ثقافة للبيع

اقام نحو عشرين حفلة ، والف اثنتى عشرة سيمفونية ، وهى التى تسمى بالسيمفونيات الانجليزية ، وكان الاشراف يحيطونه أينما ذهب بالرعاية والاجلال وارسلوا اليه ابناءهم ليتدربوا على يديه ، مما اتاح فراغا يجود فيه فنه حتى نظم النشيد الوطنى الالمانى فى ١٢ من فبراير سنة ١٧٩٧ المعروف بـ (المانيا فوق الجميع) وقد وقع فى عيد ميلاد القيصر فى تلك السنة فى جميع مسارح النمسا وفى ربيع سنة ١٨٠٨ أقيمت حفلة فى مبنى جامعة فيينا دعى اليها الامراء والوزراء واعيان المدينة وقد وضع مقعدها • بين هؤلاء القوم ، وكانوا طوال الوقت يحتفلون به ، وقد توج هذا المجد كله باطلاق لقب « ابو الموسيقى الحديثة » ، ولم يلفظ انفاسه الا فى ١٦ من مايو سنة ١٨٠٩ حتى كان قد وصل الى غاية الشهرة وذيوع الصيت واحترام الشعب والخاصة وقد عبر عن ذلك كله باقامة اول تمثال له بفينا •

• موتسارت • • المعجزة

اما موتسارت الذى يعرف بالطفل المعجزة فقد ظهرت مخائل نبوغه وهو بعد صبي صغير وقبل ان يصل الى الخامسة عشرة من عمره حتى اطلق عليه لقب (اما دوس) يعنى المحبوب ويقول مؤرخوه مع ذلك • موتسارت هذا ظل طوال حياته فى ضيق من العيش لا ينفعه رائع فنه ولا عظمة انتاجه ، وكان لا يجد قوت يومه الا بشق النفس فكان يقول الموسيقى من لاخير فيه •

وقالوا ايضا موتسارت هذا مات فقيرا محروما حتى من تشييع جنازته فلم يصحب جثمانه الى مقره الاخير غير خمسة من خاصة اصدقائه وحتى هؤلاء حال بينهم وبين ملاحقة جثمانه بعد الطريق فاضطروا للعودة تاركين الجثة لسائق العربة •

وقد ولد فى ٢٧ يناير سنة ١٧٥٦ ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى حاول ان يوقع الحانا على آلة البيانو محاكيا شقيقه فلما بلغ الخامسة وقع على تلك الالة بضعة الحان من تاليفه وفى السادسة وقع الحانا اخرى على الكمان وقد اراد ابوه ـ والطفل فى هذه السن المبكرة ـ ان يشهد العالم بنبوغ ولد فسافر معه الى ميونيخ ومنها الى فيينا وماكادا يصلان اليها حتى استدعته الاسرة المالكة فاستحوذ الطفل على حب القيصرة واغدقت عليه الهدايا وقد شجع هذا النجاح الوالد على ان يجوب بابنه كثيرا من المدن الالمانية ثم رحل الى باريس ولندن فلحن موتسارت وهو فى الثامنة لملكة انجلترا عدة مقطوعات للبيانو المنفرد وللكمان المنفرد كما الف فى لندن اول سيمفونية للفرقة الكاملة وهو اعجاز بشرى لم يظفر به سوى موتسارت • وبعد ان طاف بهولندا وسويسرا عاد الى وطنه سالسبورج عام ١٧٦٦ وفى سنة ١٧٦٧ لحن موتسارت الصغير بأمر قيصر النمسا جوزيف الثانى اول اوبرا له غير انها لم تظهر على المسرح لصعوبة الحانها •

وفى سنة ١٧٨٥ طلب منه قيصر النمسا تلحين اوبرا زواج فيجارو • وفى سنة ١٧٨٦ زار النمسا شاب صغير من بلاد الراين كان يشتغل بدراسة الموسيقى فاتصل الى موتسارت لشهرته ، فطلب من موتسارت ان يؤلف

لحنا موضوعا اختاره له موتسارت فلما فرغ من تلحينه وادائه قال موتسارت عليكم أن تهتموا بهذا الشاب فسيكون حديث العالم » ولم يكن هذا الشاب سوى (بيتهوفن) اعظم الموسيقيين طرا . فماذا كان يعزف بيتهوفن ؟ .

ولد بيتهوفن فى ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠ بمنزل متواضع فى مدينة بون وكانت عائلته كالعادة رقيقة الحال كان ربها موسيقيا حسن الاستعداد وانما كان لفقره مدمنا الخمر كى ينسى متاعب حياته ولكنه استطاع مع هذا الادمان ان يلحظ بواكير عظمة بيتهوفن الفنية ، فبدأ يلقنه اول درس فى آلة البيانو ، ولما ضاقت به سبل العيش لم ير متنفسا لضيقه الا ان يصبح ابنه موسيقيا يدر على اسرته اخلاف الرزق قبل الاوان فأخذه بالشدة وقسا عليه قسوة بثت فى نفس الطفل الحزن فاكتأب ومال الى الصمت وآثر العزلة . والزم ابنه بموالاة التدريب على آلة البيانو بالسوط والعصا ، وعلى الرغم من ان هذا العنف كان جديرا بأنه يقهر الموهبة فى نفس الطفل الا انها كانت اكبر من ان تقتل فنضجت حتى تفوق الطفل على ابيه فلم يبلغ التاسعة حتى كان نابغة عهده فى العزف والتاليف الموسيقى .

عبقرية مبكرة

ولما كان اهل بون يعرفون الطفل ونبوغه فقد كان سهلا يلحقه امير (بون) بفرقة بلاط الامير ، ولما بهرت الامير موهبة الطفل بعث به الى فينا عاصمة الموسيقى والموسيقيين ، وكان يقيم فيها آنذاك (هايدن) وموتسارت . وكان اول من قصده بيتهوفن فى فينا هو (موتسارت) الذى لم يجد ادنى صعوبة فى تبين هذه العبقرية المبكرة .

وكانت والدة بيتهوفن قد مرضت ، فترك الدرس والعزف ولازم فراشها حتى ماتت ولحق بها زوجها ، وفيما كان بيتهوفن حزينا معزولا فى بون مر بالمدينة (هايدن) الذى ذكر امير بون بيتهوفن ، فبادر الامير بارسال بيتهوفن الى فينا . ولما كان امير بون الذى بعث بيتهوفن الى فينا هو شقيق القيصر . فتفتحت له القصور الملكية وقصور الامراء وهم رعاة الموسيقى فى ذلك الحين ، فتألقت موهبة بيتهوفن واخذت تلهب الامراء والاميرات واعيان القصر الملكى واساتذة الموسيقى .

الا انه اصيب بالصمم فكانت الكارثة التى سودت عيشته وافسدت حياته ، ولكن لم يكف قط عن التاليف ، والناس مبهورة بروائع فنه الا ان اوبراه المعروفة (بفيديلو) لقيت فشلا عظيما اذ اجتمع عليها النقاد ، واتخذوها جراحا الا ان بيتهوفن بقى

د . طه حسين



ثقافة للبيع

يصلح عيبها ، ويعالج نقصها الشائن ، وكان اصراره هذا رمزا على الصمود وعنف المقاومة ٠

الثقافة والتحرر

لم ارد من ذلك ان اضع المثقافة في كنف الامراء والملوك وأهل السلطة وانما اردت أن اقدم صورة من واقع تاريخ الثقافة الحديث يكشف عن حقيقة لا يجوز لنا ان نتجاهلها والا اسأنا الى الثقافة ،فالثقافة،يجب ان تتحرر ما استطاعت من هيمنة التجارة عليها ، وتسلط اعتبارات السوق والثقافة مع شدة حاجتها الى الحرية ، فى اشد الحاجة الى الانفاق الذى لا يبغي ربحا، ومن هنا كانت الثقافة فى حاجة الى وزارة يمولها ، الشعب، ويغذيها بموارده ٠

ولقد كان القول بأن الثقافة قبل الثورة ازدهرت فلما جاءت الثورة أجدبت اذ ان الثابت ان الفترة ما بين ثورتي سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٥٢ شهدت انحسارا ثقافيا تؤيده الوقائع ، فلقد توالىسقوط المؤسسات الثقافية الواحدة فى اثر الاخرى .. فقد اغلقتالسياسة الاسبوعيةابوابها، وطوت جريدة البلاغ صحائفها ٠وعجز سلامه موسى عن مواصلة اصدار مجلاته الشهرية ـ وهىالمجلة الجديدة والاسبوعيه التىهى(المصرى) واختفت مجلة الشباب لمحمود عزمى، والجديد ، وهى مجلة كان يصدرها، المرصفى ومن حوله طه حسين وهيكل ومصطفى عبد الرازق كما سقطت مجلة (الضمير) التي كان يصدرها عبد الحميد حمدى ، ومعه عدد غيرقليل من الكتاب المجددين ٠

واذا كانت (الرسالة) و (الثقافة) ، قد عاشتا فترة غير قصيرة ، ولكن قبل ان تتفجر ثورة سنة ١٩٥٢ كانت هاتان المجلتان مريحتين للاقول٠ وقارىء الاعداد الاخيرة منها يجدها خاوا من الفكره والنبض ولونا من الكتابه المدرسية ، فقد هجرتها الاقلام التي نهضت باعبائها ، ومضت سنوات بلا صحافة فكر أو فن او ثقافه وكانت جمعيات وروابط الادب والشعر ، قاعات لا يرتادها الا عدد قليل ينقصون ولا يزيدون ، وشجبت محاولات مثل الرابطه الشرقية ، وعجزت الجامعة ان تفتح للشباب ناديا يؤمه المحاضرون ومستمعو المحاضرات ومحبو المناظرات اذ انفردت بعض محاضرات الجامعة الامريكية بشىء منالاقبال اما عواصم الاقاليم بما فيها الاسكندرية فقد كان افقارها وجدبها باعثين على الالم والحزن ٠ ولم يبذل جهد يستحق الاحترام لانشاء صحافة يومية أو اسبوعية او شهرية جديرة بالاحترام مع ان اكثر بلاد العالم تعرف صحافة الاقاليم التي تنافس صحافة العاصمة ولم تستطع الاقاليم ان تغرى الكتاب الكبار بالسفر الى الريف والمحاضرة فيه ٠

وقد انقلب الحال بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ونشأت المؤسسات الثقافية التي لم يكن لها وجود ووضعت ثقافية لا ازعم انها نجحت ولكنها كانت تعويضا عن الجدب الذى منينا به فى الفترة ما بين الثورتين وللحديث بقية ..

لغويات

● يقال : فلان لاصق بالدقعاء ، اى بالارض التى لا نبات فيهـــا .. وقد ادقع فلان : اى التصـــق بالارض المقفرة ، فهو مدقع ، اى شديد الفقر لان الارض التى التصق بها لا نبات فيها يأكل منه !..

● العامة تقول عن الشيء الكريه أو الخبيث انه « مقرف » .. اى تعافه النفس ! .. والمقرف فى الفصـــحى هو الرجل الذى يختلط فيـــه الدم العربى والدم العجمى ، فيكون غير خالص النسب .. وهكذا يكون معنى كلمة « المقرف » فى العامية غيـــر بعيد عن معناها فى الفصحى ، ويمكن استعمالها على سبيل الاتساع .

وفى الفصحى « القارف » هـــو الكاذب الظالم ، ويستعمل اهــــل الصعيد هذا اللفظ فى وصف الطعـام الذى يطبخ بالماء وحده بدون لحم ، فكانه فى رأيهم طعام كاذب ! ..

● يقول العامة : اوهبت لك كـذا فيخطئهم بعض لغويى زماننا ويقولون ان الصواب هـــو : وهبت لك .. والعامة لم تخطىء فانه يقـــال : اوهبت له الشىء اذا اعـــدته له . اما وهب له ، فمعناها : رزقـــه واعطاه ، وما اشبه الكلمتين احداهما بالاخرى .

● يرى بعض المشـــرفين على التصحيح فى الصحف « اســم ابى الفرج الاصبهانى » فيضــــعون « الاصفهانى » بدلا من « الاصبهانى » وهذا تعنت ، لان ابا الفرج منسوب الى اصبهان ، واسمه مكتوب علـى كتاب الاغانى بالباء لا بالفاء ، وكان اساتذتنا قديما يتشددون فى نســـبة ابى الفرج الى اصبهــــان ، فمن قال او كتب « الاصـــــفهانى » نقص فى درجته عمن يقول « الاصبهانى » .. وان كانت الاصفهانى ايضا صحيحـة ولكنها ليست الاصح ..

● يقال : قبض الموظف مرتبه ، فيقول المتحذلقون : الصواب ان يقال قبض راتبه ، والحقيقة ان الـكلمتين صحيحتان .. يقال : رتب الاميـــر لفلان مبلغ كذا ، يقبضه كل شهر ، فهذا المبلغ الذى رتبه الامير هـــو « المرتب » .. ويقـــال : يجىء الى فلان رزق راتب من الجهة الفلانية ، فهذا هو « الراتب » ... وكان يقـال قديما : وظيفة فلان كذا دينارا ، اى مرتبه او راتبه مبلغ كذا من الدنانير ، ثم تطورت كلمة « وظيفة » فصـــار معناها العمل نفسه ، وفلان ذو وظيفة اى ذو عمل ! .. فما اجدر ذوى العلم القليل باللغة ان يتواضعوا ويكفوا عن تخطئة من هم اعلم منهم باللغـة والادب ! ..

مارجريت ميد
نهاية أسطورة

بقلم : د . أحمد أبوزيد

علماء الانثربولوجيا (علم الانسان) فى كل مكان فى العالم لهم غرام عجيب بمهاجمة بعضهم بعضا والسخرية من أعمال زملائهم والتشكيك فى نتائج بحوثهم وتسفيه آرائهم . وهم فى ذلك أسوأ بكثير جدا من نقاد الأدب .



مارجريت ميد .. الفضيحه علمية أم اخلاقية

ولكن رغم هذه الهجمات المتبادلة فإنهم يؤلفون جبهة واحدة متماسكة فى مواجهة غيرهم من المتخصصين فى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى ويشعرون إزاءهم بشىء غير قليل من الاستعلاء . فهم ينتمون فى آخر الأمر الى (قبيلة) واحدة متماسكة ومتمايزة ويفخرون بذلك التمايز مثلما يفخرون بفرع تخصصهم الفذ الفريد وهو - فى الأصل - دراسة المجتمعات (البدائية) التى تعيش بعيداً عن تأثير المدنية الحديثة وسط الغابات والأدغال الكثيفة المظلمة أو فى باطن الصحارى القاحلة أو على قمم الجبال المرتفعة العالية او فى أصقاع المناطق الجليدية القارسة مثل جماعات الاسكيمو ، ويقتضى ذلك منهم الانتقال الى هذه المناطق النائية البعيدة حيث يعيشون مع تلك الجماعات التى يدرسونها لمدة سنة كاملة على الأقل حتى يستطيعوا عن طريق المعايشة والملاحظة المباشرة أن يتعرفوا عن قرب أسلوب حياتهم وطرائق معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وقيمهم الاجتماعية والدينية ونظمهم وثقافتهم . بل انهم فى كثير جدا من الأحيان يشاركون مشاركة فعلية فى مختلف أوجه النشاط اليومى مما يخلق نوعا من التعاطف بينهم وبين أفراد تلك الجماعات ، كما ان فترة اقامتهم كثيرا ماتطول عن سنة وتصل الى ثلاثة أعوام أو أربعة حيث تاتى كتاباتهم عن الجماعات التى درسوها سجلا وثائقيا دقيقا يقوم على الفهم العميق الذى لا يخلو من تقدير واحترام . وهذا اسلوب من البحث يختلف اختلافا كبيرا عن الاسلوب المألوف فى العلوم الاجتماعية الأخرى التى لا تتطلب هذه الاقامة الطويلة بكل مافيها من عناء ومشقة ولا تعتمد على المعايشة والمشاركة وتكتفى بالزيارات السريعة الخاطفة وملء الاستمارات أو توجيه بعض الاسئلة أثناء مقابلات عاجلة تعطى معلومات مبتسرة وسطحية الى حد كبير

وواضح من ذلك أن الباحث الذى يعيش طول هذه الفترة فى أحد المجتمعات أو احدى القبائل النائية يصبح هو الحجة أو المرجع الرئيسى عند ذلك المجتمع إن لم يكن هو المرجع الوحيد . إذ نادراً ماتتاح فرصة لباحث آخر أن يقوم بدراسة جديدة لأحد تلك المجتمعات البعيدة يكون قد سبق دراستها من قبل ، وإن كانت هناك حالات محدودة اعيد فيها دراسة مثل هذه المجتمعات من قبل باحثين جدد لمعرفة ماقد يكون قد طرأ عليها من تغيرات بعد الدراسة السابقة . وفى كل الأحوال ، لابد من أن تتوافر فى الباحث الميدانى درجة عالية جدا من الأمانة العلمية والالتزام بالمعايير الأكاديمية الصارمة والقدرة على الملاحظة والتسجيل والفهم والتحليل والتفسير حتى يمكن الاطمئنان الى صحة معلوماته ، مادام من الصعب العسير التأكد من صدقه عن طريق الرجوع الى المجتمع النائى البعيد المنعزل الذى قام هو بدراسته والكتابة عنه . وعلماء الانثربولوجيا يعتزون بهذه التقاليد والقيم

مارجريت ميد .. نهاية اسطورة

ويفخرون بها ولا يتهاونون ازاء الخروج عليها ولا يترددون ابدا فى أن يطردوا من (قبيلتهم) كل من تسول له نفسه تزييف الحقائق أو اختلاق وقائع وأحداث وعادات لا وجود لها فى الحقيقة والواقع وتصل بهم الخصومة في هذه الحالة الى حد التشهير واهدار السمعة العلمية بل والكرامة الشخصية ومع أن هذا أمر نادر الحدوث فإنه يحدث على اية حال ، اعتقاداً من الباحث أن تزييفه للأمور لن ينكشف نظراً لقلة احتمال اجراء دراسة أخرى فى نفس المجتمع .

وتاريخ الانثربولوجيا - ومثله فى ذلك مثل تاريخ العلوم الانسانية الأخرى - يسجل بعض حالات الزيف والتزييف والخداع والكذب . وربما كان آخر هذه الحالات وأشدها وقعا على المتخصصين وإيلاما لنفوسهم وإثارة للجدل والخصومة بينهم هى حالة عالمة الأنثربولوجيا الأمريكية مارجريت ميد ودراستها الشهيرة عن البلوغ والمراهقة فى جزر ساموا . وهذه دراسة رائدة جذبت إليها الأنظار منذ البداية سواء من حيث الموضوع الحساس الطريف الذى تناولته أو الطريقة التى عولج بها الموضوع أو المعلومات الشائقة التى تضمنتها وتوصلت إليها الباحثة لأول مرة ، أو التأويل والتفسير الذى تقدمه أو النتائج التى ترتبت على هذه الدراسة وتأثيرها فى اسلوب التربية والنظر ، إلى المرأة فى المجتمع الأمريكى ذاته

● دراسة رائدة

ولقد كانت حياة مارجريت ميد نفسها (١٩٠١ - ١٩٧٨) مليئة بالأحداث والمغامرات .

فتاريخ الأنثربولوجيا يسجل لها أنها كانت واحدة من أوائل النساء القليلات اللاتى بلغت بهن الجراة والاقدام وحب المغامرة إلى حد قبول القيام بدراسات ميدانية فى مجتمعات (بدائية) نائية ، فى وقت كانت هذه الدراسات والبحوث لا تزال فى مهدها ، وكان الذين يقبلون عليها من الرجال محل اكبار وإعجاب .

ولقد ذهبت مارجريت ميد بمفردها عام ١٩٢٥ وهى لا تزال فى الثالثة والعشرين من عمرها وبدون خبرة تقريبا الى جزر ساموا فى المحيط الهادى وعلى بعد حوالى الفين وخمسمائة كيلومتر من نيوزيلندة للقيام بدراستها الرائدة . وكان الموضوع الذى اختارته لهذه الدراسة ، أو الذى اختاره لها أستاذها العظيم فرانز بواس عميد الأنثربولوجيين الأمريكيين فى ذلك الحين هو حياة الفتيات المراهقات فى ذلك المجتمع البدائى الذى لم يكد يتأثر بالمدنية الغربية بكل ما تحمله من تعقيدات وتوترات ، وتعرف نظرة المجتمع الساموى الى الفتيات فى هذه المرحلة الحرجة من حياتهن وطريقة معاملته لهن وسلوك هؤلاء الفتيات بوجه عام وحياتهن الجنسية بوجه خاص . وظهرت نتيجة الدراسة فى كتابها الطريف الذى أشرنا

إليه والذى يصفه أحد كبار علماء الأنتربولوچيا بأنه كتاب (أنثوى)

والنتائج التى توصلت إليها مارجريت ميد من هذه الدراسة الميدانية نتائج هامة بقدر مافيها من طرافة لأنها ألقت كثيرا من الضوء على أسلوب التربية فى جزر ساموا واختلافه عن الأسلوب المتبع فى معاملة الفتيات المراهقات فى امريكا ، وكيف ان هذه الاختلافات فى أسلوب التربية والتنشئة ادت إلى ظهور كثير من المشاكل الاجتماعية والسيكولوجية لدى الفتاة الأمريكية دون الفتاة الساموية . فالمشكلات السيكولوجية التى تعانى منها الفتاة المراهقة فى امريكا ليس لها مثيل فى ساموا وأن ظهور هذه المشكلات يرتبط بنوع معين من البيئة والظروف والأوضاع الاجتماعية ولا ترتبط بالطبيعة البشرية من حيث هى كذلك ، أى انه لا يمكن ردها إلى عوامل بيولوجية ، وإنما هى تنجم عن القيود التى تفرضها المدنية الحديثة كما تتمثل فى المجتمع الأمريكى المعاصر فليست هناك أية فوارق فى عملية البلوغ ذاتها بين الفتاة الأمريكية والفتاة الساموية ولكن الفوارق والاختلافات تكمن فى الاستجابة لهذه العملية . وإذا كانت الفتاة الساموية المراهقة لا تعانى من أية مشكلات او متاعب سيكولوجية فإن ذلك يرجع فى المحل الأول إلى أسلوب التربية ونمط الثقافة السائد فى جزر ساموا ذاتها وهو اسلوب يقوم على التحرر الجنسى إلى حد كبير . فشعب ساموا شعب هادىء رقيق مهذب مسالم ومتحرر من الصراعات الدينية ولا يعرف الغيرة ولا التنافس ولا يفرض أى قيود على الحياة الجنسية قبل الزواج ، وبذلك فإن الفتاة المراهقة تتجنب كثيرا من التوترات والإرهاصات والأزمات التى تظهر لدى الفتاة المراهقة فى المجتمع الأمريكى . وباختصار ، فإن الفتاة المراهقة فى ساموا تحيا حياة استرخاء وراحة وتحرر جنسى . وكل ما تهتم به هو أن تتصل قبل الزواج بأكبر عدد ممكن من الشبان دون أن ترتبط بأى واحد منهم برابطة دائمة .

وكانت النتيجة التى يمكن الوصول إليها من دراسة مارجريت ميد هى ان معظم ما تعانيه الفتاة الأمريكية من مشكلات المراهقة راجع الى القيود المفروضة على سلوكها وعلاقاتها وبخاصة السلوك الجنسى وانه فى الإمكان التغلب على هذه المشكلات وما يترتب عليها من نتائج اجتماعية لو أن الفتاة الأمريكية عاشت تلك الحياة المتحررة الخالية من القيود والضوابط والكبت الجنسى التى تحياها زميلتها الساموية . وهكذا كانت هذه الدراسة التى أجريت فى العشرينيات من هذا القرن مبشرا بالثورة الجنسية وحركة التحرر النسائى التى ظهرت فى أمريكا فى الستينيات . كما بدأ كثير من التربويين يراجعون فلسفتهم وسياساتهم التربوية وبخاصة فيما يتعلق بتنشئة الفتاة والعلاقات بين الجنسين .

والمهم هو أن مارجريت ميد كانت ترى سواء فى هذا الكتاب أو فى كل كتاباتها فيما بعد أن الطبيعة البشرية طبيعة مرنة ويمكن تشكيلها بسهولة وأن الظروف

مارجريت ميد: نهاية أسطورة

والأوضاع الثقافية والاجتماعية هى عوامل اكثر اهمية وفاعلية وتأثيرا من العوامل البيولوجية فى تحديد السلوك الاجتماعى . وانه ليس هناك شيء يمكن اعتباره امراً طبيعيا او عاما فيما يختص بالأدوار التى يمكن توقعها من الجنسين الذكر والانثى وقد حمل الكتاب اسم مارجريت ميد الى آفاق واسعة من الشهرة وذيوع الصيت وهى لا تزال دون الثلاثين من عمرها . وترجم الكتاب إلى ست عشرة لغة وبيعت منه ملايين النسخ واصبح لايعتبر فقط من الأعمال الكلاسيكية فى الانثربولوجيا وإنما يعتبر ايضا من اهم الكتب العامة التى يقبل على قراءتها المثقف العام غير المتخصص .

وبلغ من ذيوع صيت مارجريت ميد وارتفاع مكانتها فى الأوساط العلمية أن استعانت بها الحكومة الامريكية اثناء الحرب العالمية الثانية لدراسة الطابع القومى للحلفاء والاعداء على السواء واستفادت من هذه الدراسات والمعلومات فى حرب الدعاية . ثم بدأت بعد الحرب توجه مزيدا من عنايتها واهتمامها للمشكلات العامة والقضايا الاجتماعية الكبرى إلى ان تربعت على عرش الأنثربولوجيا وأصبحت تعتبر من أشهر واهم الشخصيات فى هذا الميدان فى امريكا بل وفى العالم أجمع .

وحين ماتت مارجريت ميد عام ١٩٧٨ شعرت (القبيلة) الأنثربولوجية فى العالم كله بفداحة الخسارة لفقدها ، وشعرت امريكا بأنها فقدت شخصية قومية أو بطلا قوميا له وزنه وثقله

ثم وقعت الواقعة

● سقوط الأسطورة

فى عام ١٩٨٢ ، أى بعد موت مارجريت ميد بأربع سنوات وبعد صدور دراستها عن البلوغ والمراهقة فى جزر ساموا بأكثر من نصف قرن (ظهرت الدراسة عام ١٩٢٨) أصدر دريك فريمان ـ وهو استاذ نيوزيلندى الأصل تلقى تعليمه فى جامعة كيمبردج بانجلترا ويشغل الآن منصب أستاذ متفرغ بإحدى جامعات استراليا ـ كتابا يحمل عنوانا مثيرا للغاية هو "مارجريت ميد وجزر ساموا قيام وسقوط اسطورة أنثربولوجية" ..

الكتاب فى ظاهره تحليل نقدى ممتاز وعميق لكتاب مارجريت ميد ، ولكنه فى باطنه هجوم عنيف وقاس وتشكيك قاتل فى المعلومات التى يتضمنها ذلك الكتاب بل وأيضا ـ وهذا هو المهم ـ فى أمانة الأستاذة فى تسجيل الوقائع ، ويكاد يكون اتهاما صريحا ومباشرا لها بتزييف المعلومات وتقديم صورة عن المجتمع الساموى مختلفة كل الاختلاف عن الحقيقة والواقع . بل إن الكتاب يقرر بوضوح لا لبس فيه أنها لم تذهب إلى جزر ساموا لكي تبحث وتلاحظ وتسجل وتحلل ما تراه أمامها وما يفعله الناس فى حياتهم اليومية وإنما ذهبت وفى ذهنها فكرة

مسبقة ومحددة أرادت أن تبرهن على صحتها بأن تجمع المعلومات والبيانات التى تؤكدها وتعززها ولذا لم تكن تتورع عن أن ترى أشياء لا وجود لها وأن تختلق أمورا أو أحداثا لم ترها وأن تفتعل قيام علاقات وممارسات وتصرفات لم تحدث وإنما هى من نسج خيالها وهذا بطبيعة الحال هو أقسى وأعنف اتهام يمكن توجيهه إلى عالم أو باحث . أما الفكرة التى كانت تؤمن بها قبل أن تذهب إلى مجتمع الدراسة فهى السلوك الانسانى يخضع للعوامل الاجتماعية والثقافية ويتشكل بها أكثر مما يخضع للعوامل البيولوجية أو يتأثر بها

وديريك فريمان ليس أستاذا عاديا على الأقل فيما يتصل بمعرفته بمجتمع ساموا . فاذا كانت مارجريت ميد قد عاشت فى ذلك المجتمع بضعة شهور فإنه عرف المجتمع منذ عام ١٩٤٠ وظل يتردد عليه ويعيش فيه فترات متفاوتة بلغت فى مجموعها مايزيد على ست سنوات . ثم إن تدريبه الأنثربولوجى أقوى وأعمق بكثير جدا من التدريب الذى تلقته مارجريت ميد . فهو يتبع المدرسة البريطانية التى تهتم بالدراسة الميدانية المركزة التى تستمر لفترة طويلة من الزمن لا تقل بأى حال من الأحوال عن سنة كاملة وبحيث يقوم الباحث بنفسه بجمع المعلومات عن طريق المعايشة والمشاركة مع ضرورة إتقان لغة الأهالى إتقانا تاما حتى يمكنه التفاهم معهم مباشرة دون وسيط يتولى الترجمة وهذه كلها أمور لم تكن لتتوفر لمارجريت ميد التى تربعت على عرش الانثربولوجيا .

ويعتبر غياب هذه العناصر والمبادىء المنهجية عيبا كبيرا فى الإعداد العلمى

فقد ذهبت مارجريت ميد إلى جزر ساموا ولم تكن لها فكرة وافية عن أصول البحث الميدانى وهى نفسها تعترف بأن كل ما أخذته من توجيهات من أستاذها العظيم لم يزد عن نصف ساعة فقط وان النصيحة الوحيدة الثمينة التى قدمها لها هى ان تتحلى بالصبر والتأنى جمع المعلومات والا تظن أن الوقت الذى تنفقه فى مقابلة الأهالى واستجوابهم وقت ضائع . ثم كانت هذه الرحلة إلى ساموا بالنسبة لها أول مرة تخرج فيها من حدود أمريكا لتعيش مع أقوام غرباء عنها . ولم تكن لها دراية او معرفة بأية لغة أخرى فضلا عن جهلها بلغة الأهالى مما كان يمنعها من أن تستخدم تلك اللغة فى التخاطب معهم مباشرة . وبدلا من أن تعيش مع الأهالى أنفسهم وتختلط بهم فى حياتهم اليومية وتشاركهم فى مختلف أوجه نشاطهم اليومى فضلت الإقامة مع بنى جنسها من الأمريكيين الذين يعيشون ويعملون هناك . وبذلك لم تنشأ بينها وبين الأهالى تلك العلاقة الحميمة التى يحرص الأنثربولوجيون على إقامتها والتى تكسر كل الحواجز وتفتح أمامهم كل الأبواب وبدلا من هذا كله وقعت مارجريت ميد فى حبائل الفتيات الساموويات اللاتى يتمتعن بقدرة كبيرة على العبث بالأغراب والتغرير بهم وخداعهم . فاتخذن منها ألعوبة يلهون بها ويقدمن لها (معلومات) كاذبة وخادعة عن مغامراتهن الجنسية وغزواتهم الغرامية مع الشبان وعن تحررهن الجنسى ووقعت مارجريت ميد فى

المصيدة لأنها كانت تريد أن تقع وصادفت تلك المعلومات الزائفة هوى فى نفسها لأنها تتفق على ما كانت تريد أن تصل إليه وما كان استاذها أيضا يريد منها أن تحققه . وبذلك خدعت نفسها مثلما خدعتها فتيات ساموا المراهقات . فالكتاب كله إذن خدعة وأكذوبة من تلك الأكاذيب التى نصادفها من حين لآخر فى تاريخ العلم .

وكانت نتيجة ذلك كله :

بينما وصفت مارجريت ميد سكان جزر ساموا بالرقة والعذوبة والمسالمة والتحرر الجنسى ووصفت الفتيات المراهقات هناك بالاسترخاء والخلو من التوترات والأزمات السيكولوجية والعصبية التى تعانى منها المراهقات فى الولايات المتحدة يؤكد فريمان أن الأمر على العكس من ذلك تماما وان أهالى جزر ساموا شعب مشاغب تسيطر عليه الغيرة العنيفة والتنافس الحاد والميل الى العنف والجريمة وبخاصة الجرائم الجنسية بحيث إن جرائم اغتصاب الفتيات تعتبر من أعلى المعدلات فى العالم مما يدل على انه مجتمع لا يعرف التحرر الجنسى الذى تزعمه مارجريت ميد ، وأن التربية هناك تخضع لكثير من القيود وان عفة المراة وبكارتها وعذريتها من أهم القيم التى يحرص عليها المجتمع ، وأن التنشئة القاسية الصارمة ينجم عنها هناك كثير جدا من المتاعب والاضطرابات السيكولوجية التى تتراوح بين السلوك العصابى والأمراض الهستيرية التى كثيرا ما تنتهى بالانتحار .

● محاولة إتقاء الفضيحة

وكان من الطبيعى أن تهتز الأوساط العلمية إزاء هذا الاتهام .

وكان من الطبيعي أيضا أن يهب الكثير من الأمريكيين بالذات للدفاع عنها وإنقاذ اسمها وسمعتها من الفضيحة بعد أن كانت هى قد ماتت قبل ظهور الكتاب بأربع سنوات

وجانب كبير من الدفاع عنها صادر عن الاشفاق من أن ينهار صرح ضخم من صروح العلم الانسانى كان له دائما احترامه ومكانته فى العالم كله . فهو دفاع عاطفى أو حتى انفعالى يصل بأصحابه إلى حد اتهام فريمان بالتهور والقسوة وعدم احترام جيل الرواد الذين وضعوا أسس العلم . ولكن ذلك لم يمنع هؤلاء المدافعين من الاعتراف فى الوقت ذاته بأن كل ماجاء به فريمان صحيح وأن مارجريت ميد لم تكن على كل تلك الدقة والأمانة العلمية التى كان الناس يعتقدون فيها .

وذهب بعض المدافعين إلى أبعد من ذلك ، واتهموا فريمان نفسه بالخروج على كل القيم العلمية . فقد انتظر طويلا جدا قبل أن يكشف عن ارائه ولم يجد فى نفسه الجرأة والشجاعة على أن يصدر كتابه أثناء حياتها حتى تستطيع الدفاع عن نفسها . فالموتى لا يتكلمون ، وليس من

المروعة في شيء مهاجمة الأموات . ولكن أسقط في أيدي هذا الفريق حين عرفوا أن فريمان كان قد أخبرها بالفعل منذ سنوات بنتائج بحوثه وأنه اقترح عليها بعد أن أتم كتابه أن يرسل إليها الأصول لقراءتها قبل أن يدفع بها إلى المطبعة ولكنه لم يتلق منها جوابا ثم ماتت بعد ذلك بشهور قليلة ، وأنه إنما انتظر طويلا إلى أن سمحت حكومة ساموا بالافراج عن الوثائق القديمة التي تضم المعلومات والاحصائيات عن الجريمة وبالذات عن جرائم الاغتصاب والجرائم الجنسية الأخرى وبخاصة في الفترة التي كانت مارجريت ميد تقوم أثناءها بدراستها الميدانية ، وأن الأرقام تؤكد ما توصل إليه عن طريق الملاحظة والمعايشة والاتصال الشخصي المباشر .

ثم إذا به يلقي قنبلة أخيرة لم تصب هذه المرة مارجريت ميد وإنما أصابت الأوساط الأكاديمية كلها التي تطرق إليها الزيف والخداع والنفاق والمجاملة على حساب القيم العلمية . وهو يروي في ذلك أنه في احدى مراحل البحث الميداني طلب من الجامعة تمويل رحلته الى جزر ساموا فرفض رئيس القسم ذلك واستكثر عليه أن يقوم بعمل من شأنه التعريض بسمعة أستاذة لها مكانتها وسمعتها أو أن يكشف اللثام عن حقيقة باحثة لها حجم مارجريت ميد ووزنها وثقلها في الأوساط والدوائر العلمية والحكومية والدولية .

بل الأدهى من ذلك أن عددا من العلماء والباحثين الآخرين الذين أتيحت لهم معرفة مجتمع ساموا عن قرب كانوا قد اكتشفوا الأخطاء التي وقعت فيها وأدركوا مدى الزيف في كتاباتها ولكنهم لم تكن لديهم الجرأة الكافية لإعلان ذلك أثناء حياتها ، ثم لم يلبثوا أن كشفوا عن هذا كله في المقالات الكثيرة التي ظهرت بعد أن نشر فريمان نتائج دراسته . فقد آثر هؤلاء (العلماء) السلامة وتجنبوا الخوض في أعمالها أثناء حياتها حتى لا يتعرضوا لبطشها فقد كانت تتمتع بسلطات واسعة جدا في كل الأوساط والدوائر .

● ● ●

وعلى أية حال فإن تاريخ العلم بوجه عام مليء بحالات الزيف والتزييف . وعدد كبير من العلماء الذين ذاع صيتهم واحتلوا مناصب عالية وحساسة لم يكونوا في قرارة أنفسهم أمناء بالقدر الكافي وبذلك لم تتنزه أعمالهم عن التزييف المتعمد والخداع والتضليل .

ولقد كانت مارجريت ميد أسطورة أنثربولوجية في حياتها الخاصة والعامة وفي إنجازاتها على كل المستويات . فقد جمعت بين الذكاء والقدرة على الحركة وخلق العلاقات وتركيز السلطة في يديها ، وكان صوتها عاليا ومسموعا ومؤثرا في المحافل العلمية والدولية . ولم يكن يخطر ببالها قط أن أمرها سوف ينكشف في يوم من الايام . ولكن بمجرد أن انكشفت الحقيقة انهارت الأسطورة ، فأصبحت مارجريت ميد وأعمالها وكتاباتها وانجازاتها جزءا من الماضي رغم كل ما يحاوله أصدقاؤها لإنقاذ ما يمكن انقاذه .

وقد يكون في ذلك عظة للبعض ..

ولكن بعض (العلماء) لا يتعظون ..

مصريون
في بلاد العرب

مكرم عبيد وعروبة مصر

بقلم : مصطفى نبيل

مكرم عبيد .. أحد أبرز الزعماء المصريين الذين لعبوا دورا هاما في الحياة السياسية المصرية ، ما بين ثورتي ١٩١٩ و١٩٥٢ .

طلع نجمه مع ثورة ١٩١٩ ، وتنامى هذا الدور مع نمو الحركة الوطنية ، وفى ظلال ما طرحته من قيم ومبادىء وأفكار .

اطلق عليه المصريون بحق « المجاهد الكبير » ، بعد أن تابعوه سياسيا داعية ومنظما قديرا ومحاميا مدافعا عن قضايا الوطن ، وقاده نضاله الى النفى والسجن .

فاحتل مكانة فى قلوب الجماهير ، وملامحه المصرية لها جاذبية خاصة وتشبه ملامح وجهه إلى حد بعيد « المصرى أفندى » الذى ابتكره رسامو الكاريكاتير تعبيرا عن المصرى الطيب .

فقد جاء من أعماق صعيد مصر ، يحمل معه تحديا وجلد أبناء الصعيد .

وتميز بحس تاريخى عميق ، فكان من أوائل الزعماء الذين أدركوا أبعاد انتماء مصر العربى .

ولم يكن مكرم عبيد مثل صالح حرب أو عزيز المصرى أو عبدالرحمن عزام ، فلم يقاتل معارك العرب ويشترك فى ثوراتهم ، ولكنه كان مبشرا وداعيا الى الفكرة العربية ، ومدركا بعدها التاريخى ، وطبيعة موقع مصر ، والحاجة الى ترجمة ذلك سياسيا فى مواجهة الأخطار التى تهدد الشرق .

ونادى برابطة عربية جامعة قبل قيام جامعة الدول العربية بخمس سنوات . واصبح أحد رموز هذا الاتجاه ، ومعبرا عنه ، يحضر المؤتمرات العربية ، ويقوم بجولات فى البلاد العربية ، وتربطه بالقادة العرب علاقات وثيقة .

ومن أوائل المؤتمرات التى حضرها ، المؤتمر الاسلامى فى لندن فى أغسطس عام ١٩٣٠ ، الذى عقد من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، وحضره مندوبون من الهند والشام ومصر ، وأكد فى كلمة

" إن المؤتمر لا يرمز الى الوطنية وحدها ، ولكنه تعبير صادق عن المعاناة الطويلة للأمم والشعوب الشرقية ، فالشرق هو الشرق والغرب هو الغرب ، وكلاهما يناضل ضد الحواجز التي تفرق بينهما ويعملان على صيغة جديدة للتعايش بينهما . »

وتكررت بعد ذلك رحلاته لكل من فلسطين وسوريا ولبنان ، وأدرك طبيعة الخطر الصهيونى ، عندما التقى بأهل هذه البلاد ، يلقى الخطب ويدلى بالأحاديث فى بيروت ودمشق وشتورة والقدس وعكا وحيفا .

ويحكى عن هذه الرحلات قائلا : « سافرت في رحلة الى سورية ، وتفضل إخوانى السوريون فى الشام ولبنان وفلسطين ، فشملونى بترحيبهم وتكريمهم ، ووقفت بينهم مناديا بالوحدة العربية .. »

كما أشار الى هذه الجولات ، العديد من الكتاب العرب مثل أنيس صايغ فى كتابه « الفكرة العربية فى مصر » ، وأحمد الشقيرى فى مذكراته السياسية .

● المصريون عرب

وكتب مكرم عبيد مقالا هاما تحت عنوان « المصريون عرب » فى عدد خاص فى مجلة الهلال فى إبريل عام ١٩٣٩ ، عندما كان سكرتيرا عاما للوفد والرجل الثانى فى الحزب ، ويعبر هذا المقال عن الأفكار الجديدة فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وما اقامته الحركة الوطنية من مؤسسات جديدة ، ويقدم هذا المقال تصورا واضحا لمفهوم العروبة ، ومناقشة هامة للأفكار العربية المطروحة ، ومما ذكره المقال « إن تاريخ العرب سلسلة متصلة


مكرم عبيد

الحلقات ، لا بل شبكة محكمة العقد

وإذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة العربية فى هذه الأفكار ، أوثق منها فى اى مكان على الأرض ، وأن التسامح الدينى نشأ وترعرع فيها ، ومازال قائما بين أصحاب الأديان جميعا ، لأيقنت أن المقصود بقول « المصريون عرب » هو هذه الوشائج ، وتلك الصلات التى لم تضمها الحدود الجغرافية ، ولم تنل منها الأطماع السياسية .

نحن عرب ، ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما أننا عرب ، وحدت بيننا الآلام والآمال ، ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان ، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان » .

ودافع عن عروبة مصر التى تجد أساسا لها فى الجهاد من أجل الحرية ، وفيما يجمع بينها وبين البلاد العربية من روابط اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية السياسية . وتحدث عن جهاد الأقطار العربية ، وذكر - منذ ما يزيد على نصف قرن - أن الأطماع السياسية تحاول قطع العلاقات بين الأفكار العربية ، والعمل على قتل الروح العربية بين أبنائها ، والسعى للتفرقة ، واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التى لاريب فى أنها من أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة ، فالشرق العربى وشعوبه فى حاجة الى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر استطاعت أن تبنى حضارة زاهرة .

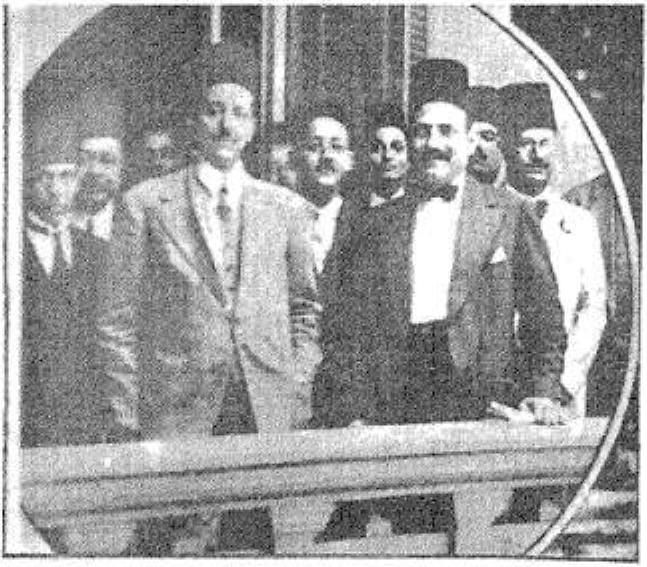
واكد ان الوحدة قائمة ولكنها تحتاج الى تنظيم .. « لايجاد جبهة تناهض الاستعمار وتحفظ القوميات ، وتوفر الرخاء ، وتنمى المنافع وتنسق المعاملات .. »

وطالب ببصيرة نفاذة ، ان تصبح البلدان العربية .. « جامعة وطنية واحدة ، أو وطنا كبيرا تتفرع منه عدة أوطان لكل منها شخصيتها ، لكنها فى خصائصها القوية العامة متعددة متصلة اتصالا قويا بالوطن الأكبر .. »

ويعتبر هذا المقال بحق ، من أهم ما كتب - من مدرسة الوفد - تعبيرا عن التيارات الجديدة فى الثلاثينيات ، فاذا كان من غير الممكن ، أن تنسق الثورة المصرية سنة ١٩١٩ مع الثورة العربية ، فالأولى تناهض الانجليز والثانية قامت فى رعايتهم ، فقد اختلفت الظروف ، واتضحت المسالك ، وقامت الدعوة لانتماء عربى فى جامعة أشمل ، تكون خلالها الوطنية والعروبة دوائر متداخلة وليست متعارضة ، كما أولت هذه الاتجاهات مسالة فلسطين ما تستحق فى إطار الانتماء السياسى الأشمل ، ويكشف المقال بداية استجابة حزب الوفد لأفكار العروبة بعد تبين خطر المشروع الصهيونى على مصر .

فكان مكرم عبيد هو أبرز من بلور هذا الموقف الفكرى ، وهو هنا يلتقى مع الحزب الوطنى الذى دافع دائما عن الاتجاه المؤيد للجامعة الأشمل .

فلم يكن غريبا أن يصبح مكرم عبيد



ملتقى الساسة والقادة العرب ، الذين يفدون إلى مصر . ويروى أحمد الشقيرى فى مذكراته . « أربعون عاما فى الحياة العربية » أنه عندما جاء الى مصر لاجئا فى أواسط شتاء عام ١٩٤٠ ، حرص على لقاء مكرم عبيد ، الذى تحدث اليه عن الوحدة العربية ، تاريخها ومقوماتها ، ودور مصر فيها عبر التاريخ ، وأن الأفكار العربية تكمل بعضها بعضا .. »

● فى طريق الجهاد

ولعل أهم ما يميز سيرة حياة مكرم عبيد ، انه نموذج لما أحدثته ثورة ١٩١٩ من تغييرات فى أفراد الشعب ، فبعثت روحا جديدة فى الأمة كلها ، وأعادت تكوينها من جديد ، وربطت الجميع بالمثل العليا الوطنية ، فى لحظة تاريخية نادرة .

فمكرم عبيد ابن أحد الأسر المتوسطة من أعيان الريف ، الذى ولد فى مدينة قنا فى أكتوبر عام ١٨٨٩ . واقصى أحلام أسرته ، أن تعلمه تعليما يؤهله للوصول إلى أحد المناصب العالية ، وكان فتى لماحا ذكيا ونال الشهادة الابتدائية ولم يتجاوز عمره أحد عشر ربيعا ، دخل بعدها الى المدرسة الامريكية باسيوط والمدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة ، ومثل الأسر المصرية الموسرة أوفده والده ليدرس فى جامعة اكسفورد ، عندما كان التعلم فى الجامعات الأجنبية محل المباهاة والمنافسة

ونال الفتى الحاد الذكاء درجة فى القانون من اكسفورد ، ولم يشف ذلك ولعه بالمعرفة ، فالتحق فى طريق عودته بجامعة ليون بفرنسا لاستكمال دراسته القانونية باللغة الفرنسية التى كانت سائدة بين القانونيين فى مصر .

وعندما عاد إلى أرض الوطن ، بدأ عمله محررا ثم سكرتيرا للوقائع المصرية عام ١٩١٣ ، ولم يجد

غضاضة في الانتقال بعدها سكرتيرا للمستشار القانوني البريطاني عام ١٩١٥ ، والذي يكاد يمارس عمل وزير العدل ، وبقي في هذا العمل حتى بدأت إرهاصات ثورة ١٩١٩ ، واضرب الموظفون . فوضع مذكرة تكشف مدى تعاطفه مع الثورة ، واستقال من عمله ، واعتبر خطاب استقالته - الذي نشر في الصحف - أحد المقالات الوطنية الهامة .

ثم انتقل للعمل استاذا في مدرسة الحقوق الملكية ، وبعد عامين احيل الى مجلس تاديب لاشتراكه في مادبة اعدت للزعيم سعد زغلول ، ووقعت عليه عقوبة خصم شهرين من مرتبه ، فترك عمله .

ويتناول الدكتور محمد أنيس في كتابه مذكرات عبدالرحمن فهمي ، بداية العلاقة بين مكرم عبيد والوفد ، والتي بدأت في صيف عام ١٩١٩ ، عندما كان الوفد في حاجة ماسة إلى رجل مقتدر يجيد اللغات الأجنبية لتوفده الى الولايات المتحدة ، خلال مناقشة الكونجرس الأمريكي لمعاهدة فرساي . بعد تصور الوفد لإمكانية إحراز النجاح ، وبعد أن قرر الوفد أن يسافر زعيمه ومعه محمد محمود باشا ، لم تسمح صحة سعد بالقيام بهذه الرحلة ، ووضعت السلطات البريطانية العراقيل أمام سفر محمد محمود ، فطرحت فكرة إيفاد مبعوث من مصر يشرح المسألة المصرية ، واقترح سعد زغلول اسم مكرم عبيد في أحد رسائله إلى عبدالرحمن فهمي ، واتصل عبدالرحمن فهمي بوليم مكرم عبيد وعرض عليه الاقتراح ، وطلب مكرم أن يدفع له مرتب ثابت لمدة عامين على الاقل ، ولا يطلب أزيد من مصروفه الذي قدره بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه تشمل مصاريف السفر والاقامة .

وتروي رسائل عبدالرحمن فهمي موافقة الوفد على أن يتقاضى مائة جنيه شهريا ، ويحصل على مكافاة خمسمائة جنيه إذا استغنى عن خدماته قبل عامين !

ولكن يبدو أن هذه الرحلة لم تتم ، ووقعت في نفس الفتى تغييرات هامة ، وأخذ يتحول تدريجيا من مجرد موظف كفء الى مناضل على استعداد للتضحية من أجل قضية الوطن ، وفي خطاب عام القاه في سبتمبر ١٩٢١ ، أعلن انه لن يحتفظ باسم وليم لانه اسم أجنبي ، وأصبح في مصاف أولي العزم الذين يتملكهم شعور عميق بأنهم ليسوا ملكا لذواتهم .

وإذا كان لم يسافر الى الولايات المتحدة ، فقد تكرر سفره الى الخارج ، مبعوثا للوفد وكاتبا ومتحدثا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ولدى عودته من أحد جولاته وزياراته للندن ذهب سعد زغلول لاستقباله وتحيته إعزازا لما قام به من جهد .

ولم تمض ثلاثة ايام على هذا

الاستقبال ، حتى أصدرت سلطات الاحتلال البريطاني قرارا بنفي سعد وصحبه الى جزيرة سيشيل وكان مكرم عبيد واحدا منهم وكانت فترة المنفى فرصة لكي تتوثق العلاقات بين مكرم والنحاس ، كما كان المنفى فرصة لاستكمال مكرم ثقافته ، ودراسة التراث العربي واللغة العربية ، وكان من بين المنفيين عاطف بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعي وابن أخت سعد زغلول ، وأخذ في مساعدته خلال العامين ، وبعد أن كانت ثقافته ذات جانب واحد يغلب عليها الثقافة الغربية ، تمكن من استكمال ثقافته ، وأصبح مزيجا بين علوم الغرب وتراث الشرق ، مما لم يتوافر لكثير من السياسيين .

وبعد عودة سعد ومعه مكرم من المنفى عام ١٩٢٣ ، قامت أول انتخابات لمجلس النواب بعد دستور ١٩٢٣ ، وانتخب مكرم عن دائرة قنا . وأصبح مكرم رفيقا لسعد في المنفى وفي الجهاد ، وأحبه سعد وقدر مواهبه وقربه اليه ، وكثيرا ماردد سعد أن مكرم ابنه البكر .

ومنذ هذا الوقت ، لم يدخر مكرم وسعا وهو السياسي القبطي ، في الحفاظ على نسيج الأمة موحدا متماسكا ، وتسجل مواقفه إيمانا عميقا بوحدة أبناء الوطن ، مع تجاوب عميق مع حقائق العصر ومتغيراته ، وهو صاحب تلك الكلمة الجامعة .. « وما المسيحي دينا ، إلا مسلم وطنا .. » .

ووقف مرة خطيبا فقال .. « هناك دسيسة منكرة يقوم بها المستعمرون للتفريق بين المسلمين والأقباط ، يقولون أقباط ومسلمون ، كلا ، بل قولوا لهم ، مصريون ومصريون . آباء وأمهات وبنون ، أخوة بدين مصر يؤمنون ، أشقاء أمهم مصر ، وأبوهم سعد زغلول .. » .

وقد أدرك بحسه العميق أن مصر دائما مطمع لقوى دولية تريد قهر شعبها ، وتولى دور من يحرك أبناء الوطن ، ويستنهض هممهم لمواجهة هذه الأطماع . وكان يردد أن مصر علمت العالم ، المعنى العميق والأصيل لوحدة أبناء الوطن الواحد . وقدمت دائما نموذج شعب ينسجم كل أبنائه ..

ولم يتهم مكرم قط بالعمل على أرضية مصالح الأقلية الضيقة ، بل كان زعيما مصريا للجميع يقتبس من القرآن الكريم في خطبه مثل سعد والنحاس

● مكرم سكرتيرا للوفد

وبعد فقدان الأمة لسعد زغلول في ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ، تم اختيار النحاس رئيسا لحزب الوفد ومكرم عبيد سكرتيرا عاما للحزب . وكان ذلك تعبيرا عن فكرة الوحدة الوطنية التي مثلها حزب الوفد منذ تشكيله .

وأصبح مكرم الرجل الثاني في الحزب ، وتولى وزارة المواصلات لأول مرة في مارس ١٩٢٨ ، ثم أصبح وزيرا للمالية في يناير ١٩٣٠ ، وأصبح أبرز أعضاء الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٥ ، واشترك في المفاوضات التي انتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، واستمر يقوم بدور رئيسي في حزب الوفد حتى الانقسام الشهير وإصدار الكتاب الأسود .

وقد قال عنه الدكتور محمد حسين

مصريون في بلاد العرب

هيكل في مذكراته السياسية .. « لقد الف الناس أن يحسبوا مكرم عبيد ، وزير المالية وسكرتير الوفد ، محرك الوفد ، ومركز نشاطه وحركته الدائمة والقوة الدافعة له في الانتخابات وفي غير الانتخابات من مظاهر النشاط الشعبي .. وكان النحاس يزيد اعتقاد الناس في سلطان مكرم قوة بما يسبغه عليه من اوصاف ، وما يظهره من ثقة به ثقة لاحد لها .. »

ويصوره الدكتور مصطفى الفقي بقوله : « كان القوة الحقيقية خلف زعامة حزب الأغلبية ، كما كان سحر شخصيته وجاذبيتها مصدر قوته في نشاطه السياسي ، إذ كانت لديه القدرة على الوصول الى الجماهير والتأثير فيها ، ولانه كان متحدثا ممتازا يتمتع بالقدرة على اختيار الكلمات المناسبة ، وبايقاع متواتر متزن ، وجه أحاديثه الى قلب أمة عاطفية بدلا من أن يوجهه إلى عقل مفكريها ، وكان لسحر الشخصية وجاذبيتها دائما اثره ، فإذا كان ذلك هو سحر الشخصية وجاذبيتها « الكاريزما » ، فيمكن اعتبار مكرم ذا شخصية تتصف بالحيوية ، إلى جانب ثقافته المزدوجة العربية ، والأجنبية ، واتصاله السهل والمؤثر بجماهير الشعب ، كما يمكن أن نصنفه « ديماجوجيا » سياسيا إلى حد كبير ممن يقدرون على جذب الجماهير ، والحصول على الشعبية ، وإذا ما قارنا عبيد بغيره من السياسيين مثل اسماعيل صدقي لرأينا أن الأخير كان يفتقد وسيلة الاتصال السهل والعلاقات الحميمة بالشعب والتي كان يمتلكها عبيد ، مما جعله أشهر خطيب في التاريخ السياسي المصري الحديث » .

ويصفه عباس العقاد بقوله .. « إنه مزيج اهتمامات متنوعة ونشاطات مختلفة ، مع موهبة في الأدب والسياسة .. »

ووصفه الدكتور محجوب ثابت بقوله .. « إنه خطيب يؤثر بالعاطفة كالموسيقي صديق مخلص ، عدو جبار ، إنه ملاك في صداقته ، شيطان في خصومته » .

دراما التاريخ

وكانت أحد الأحداث الهامة في تاريخه السياسي ، انشقاقه عن الوفد عام ١٩٤٢ ، وما اعقبه من اصداره الكتاب الأسود ، فبعد حادث ٤ فبراير سعى القصر الى الانتقام ، عن طريق ضرب إسفين في علاقة الصداقة الحميمة التي كانت تربط النحاس بمكرم ، وقام بهذا الدور أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي

وهو أخطر انشقاق على شعبية الوفد ، رغم أنه الانشقاق الرابع ، فكان الأول انشقاق الاحرار الدستوريين عام ١٩٢٢ ، وأعقبه ما عرف باسم « السبعة ونصف » عام ١٩٣٢ ، ثم أحمد ماهر والنقراشي عام ١٩٣٧ .

وقد وصل الانشقاق الى الرأى العام

مكتوما مشوها ، فقد وقع فى ظل الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ، ومع هيمنة حكومة الوفد على الحياة السياسية ، ونظر الرأى العام إلى وقائعه بعين الدهشة ، وكأنه يشاهد أحد صور الصراع الاغريقى الذى يدور بين العمالقة ، وأحد مشاهد دراما التاريخ ، عندما تصادمت العاطفة المشبوبة مع الطموح الجارف ، وتداخل العام والخاص فى الحياة السياسية .

ولعل السياق الذى تم فيه الصدام يلقى بعض الضوء على ملابساته ، لقد وقع الانشقاق فى أحد مراحل الجزر العامة ، ومع تزايد قبضة جيش الاحتلال البريطانى خلال الحرب الثانية ، وخلال أحد مراحل الجزر الوطنية ، ومن طبيعة هذه المرحلة ، أن تبرز العيوب وتتضاعف ، وتتقلص الايجابيات وتكاد تتلاشى . فهل كان اقتراب مكرم من نبض الشارع المصرى جعله يلمس خفوت بريق الوفد .

فبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، التى قننت الاحتلال البريطانى ، والتى أعقبتها عودة الوفد إلى الحكم مؤيدا ـ السلطات البريطانية بعد حادث ٤ فبراير ، واعتباره تطبيقا لنصوص المعاهدة ، وسقطت فى العديد من دوائر الرأى العام ورقة التوت عن معاهدة الشرف والاستقلال .

ثم ما ظهر من سيطرة طبقة كبار ملاك الأرض على الزعيم الجليل بعد زواجه من سيدة شابة وطموحه للثراء بعد السلطة ، مما جعل الفروق بين حزب الوفد وغيره من الأحزاب فروقا فى الدرجة وليست فروقا جوهرية كما كان عليه الأمر . فلم يعد وعاء للأمة جميعها .

واصبح خروج مكرم من الوفد اختبارا للوفد ومدى كونه حزبا جامعا ويؤكد طارق البشرى فى كتابه القيم .. المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية .. . أن الباحث لا يجد سببا دينيا لهذا الانشقاق ، لا من

مصطفى النحاس .. فى أحد اللقاءات الوفدية



جهة مكرم ولا من جهة الوفد ، فارجع مكرم السبب فى الكتاب الأسود ، الى معارضته خطة الوزارة فى استثناءات الموظفين فى التعيين والترقية ، وإلى وقوفه ضد صفقات التموين التى أراد أصهار النحاس الجدد ، واقارب زوجته الشابة أن يثروا عن طريقها ، وأرجعه الوفديون بدورهم الى سعى مكرم الى الانفراد بالنفوذ فى الوفد على حساب القيادات الأخرى ، مما سبق .

وادى الى خروج احمد ماهر والنقراشى ، واستمرار هذا النفور فى التصاعد بعد خروجهما ، وعلله الدكتور هيكل بطموح مكرم الى منصب الرجل الاول ورئاسة الحكومة ..

ويؤكد تتابع الأحداث أن مكرم لم يكن ممثلا للقبط ، ولا كان زعيما لهم ، بل كان زعيما مصريا منهم ، سواء عندما كان فى الوفد او بعد خروجه منه وتاسيسه حزب الكتلة .

ونرى من متابعة دوره السياسى اسهاما واعيا ومشاركة فعالة فى تعميق الوحدة الوطنية .

وإذا كان عنف الانشقاق ووسائله وتحالفه مع القصر ، يؤخذ على مكرم عبيد ، فيبدو أنه ادرك ذلك ، وعند لقائه بالنحاس في سرادق العزاء عند وفاة صبرى أبو علم ، أخذ يعانق النحاس ويقبله ، آسفا على ضياع تلك العلاقة الحميمة ، كما انقلب مكرم على القصر ، واخذ ينشر مقالاته فى صحيفة الكتلة ، بتوقيع « حكيم » ، ويتناول خلالها القصر وسياساته بالهجوم .

وعندما اغتيل حسن البنا كان مكرم عبيد هو السياسي الوحيد الذى تحدى القصر والحكومة ، واخترق صفوف الشرطة ، وقدم العزاء ، وصحب أفراد أسرته الى مثواه الأخير ..

ولعل مشاعره عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كانت مزيجا من الفرحة والاسى ، فرحة وهو يرى الملك يخلع والجمهورية تقوم ، ويحمل الاستعمار عصاه ويرحل ، وهى الأهداف التى عمل على إنجازها ، والاسى على جيل باكمله انتهى دوره ، وعليه ان يفسح الطريق لجيل جديد ..

واسدل الستار على حياة غنية بالجهاد فى ٥ يونيو ١٩٦١ ، وودعه شعب مصر بالاعزاز والتقدير .

المصادر :

- المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ـ طارق البشرى .
- الأقباط فى السياسة المصرية ـ د . مصطفى الفقى .
- الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ـ د . سميرة بحر .
- الوفد والكتاب الأسود ـ د . يونان لبيب رزق .

شعر

عبدالوهاب البياتي

نهر المجرة

فى نهر مجرة هذا الكون الشعرى
المسكون بروح الاسلاف
كنا / مثل فراخ لم تنبت ، بعد ، قوادمها
نسبح ضد التيار
ونحاول ليل نهار
ان نصطاد الثور الاسطورى
لنذبحه ، قربانا ، لاله الشعر المتجلى
فى غبش الاسحار
كنا نتحدى
ازمنة شاخت وعصورا تنهار
بصواعق من نار
كنا أطفالا
لكنا فى الحب كبار



النقاد الأدعياء

جرذان حقول الكلمات
دفنوا رأس الشاعر فى حقل رماد
لكن الشاعر فوق صليب المنفى
حمل الشمس وطار

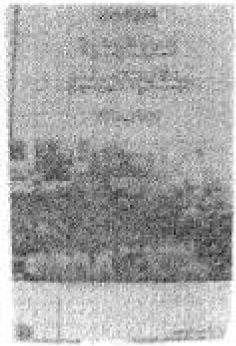
إنصاف الناصرية
ظالمة ومظلومة

بقلم : مصطفى الحسيني

طارق البشرى كاتب متين البنيان محكم النسيج . درج القراء والنقاد على اعتباره « مؤرخا » ، بينما الأرجح انه غير ذلك ، إنه أخطر من ذلك ، اذا حاولنا ان ندرجه تحت وصف أو تصنيف ، فهو « مفكر تاريخي » . قصارى مهمة المؤرخ ان يجلو الوقائع ما أمكن بالتحقيق والترتيب ، أما المفكر التاريخي فقد يفعل هذا ، لكنه يفعله من قبيل تهيئة أدوات عمله . ثم يبدأ عمله بعد هذا ، فيستجلى من أحداث التاريخ بعد أن اصطفت أمامه أوضح ما تكون وأقرب ما تكون الى الصحة ، ليستجلى فيها منابتها ويستجلى فيها مآلاتها . المفكر التاريخي كاتب يقع التاريخ محققا ومرجحا في مقدمة أدواته . لكن التاريخ يبقى هو بعض الأدوات . وهذا بالضبط ما يفعله طارق البشرى في كتابه الأخير عن ثورة ١٩٥٢ ، وبالطبع مستعينا بأدوات أخرى ، لعل أبرزها معرفته الوثيقة بالقانون ونظمه وكيفية اعمالها ، وكيفية انتهاكها ، ومن اين تدهم الشرعية الأخطار ، كما أن من أبرزها ذلك التمثل العميق للحركة الوطنية الديمقراطية المصرية واتساع مضامينها الاجتماعية وتعمقها . لذلك ولغيره ، جاء هذا الكتاب رسالة جديرة بان تصل الى عنوانها المقصود ، الذى هو الشعب المصرى في ما يعانيه من محنة تحذره من أن تتداوله المحن ، وتضيء له شيئا من طريقه . وتأتى الرسالة في وقت تتهيأ فيه « الناصرية » للعودة الى مجال الفعل السياسي . وهو تهيؤ يفرض عليها وعلى حامليها قدرا غير قليل من إعادة النظر .



جمال عبد الناصر



- ١ -

يجوز القول بقدر كبير من الطمأنينة أن كتابا عن ثورة ٢٣ يوليو أو عن النظام الذى أقامته لم ينصفها قدر ما أنصفها كتاب طارق البشرى « الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ - ١٩٧٠ » . أنصفها لأنه انتصف لها من بعض خصومها ، وأنصف بعض الخصوم عليها . وهو لذلك كتاب يقع فى مواقع التقدير لهذه الثورة وما أقامته من نظام .. « أنصف أخاك ظالما أو مظلوما » تنصفه ظالما بأن تبصره وتبصر الناس بما ظلم ، وتنصفه مظلوما بأن ترد عنه ما قد يتعرض له من الغى . وكلاهما حق .

ولقد أنصف طارق البشرى ٢٣ يوليو ، فأهدافها هى أهداف الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية منذ أن تشكلت فى التاريخ معلنة عن نفسها فى برنامج الحزب الوطنى (العرابى) فى ١٨٧٩ وفى وقفة أحمد عرابى فى ميدان عابدين . وليست الاهداف ساكنة فهى تعبر عن نفسها وتعيد تشكيل مكوناتها مضروبة فى الزمان وفى حادثات كل عصر ومستجداته ، لكن جوهرها الصافى يبقى على صفاته « مصر للمصريين » ، وأمر المصريين شورى بينهم يقيمونها فى نظام مؤسسات تمثلهم وتعبر عن مصالحهم التى هى - بالتعريف - مصالح الغالبية الغالبة فيهم ، وجيشها مؤتمن على الوطن والشعب ، وهو لهما حارس أمين وكان نظام ٢٣ يوليو أمينا على هذه الأهداف مخلصا لجوهرها ، وقد أنجز هذا النظام فى وجهة هذه الأهداف مالاينكر ولايجوز عليه النكران .

كما انتصف الكاتب والكتاب لهذه الثورة من نفسها أولا ، فهى قد هزمت نفسها وقوّضت مشروعها بما اعتمدته من وسائل وأدوات ، وأنتصف لها من بعض خصومها ، عندما ضربت فيما ضربت من أعدائها ، خصوما لم يكونوا بمنطق أهدافها فى موقع الخصوم إنما هى بادرتهم بالخصام فأذت نفسها وقضيتها وأهدافها ، ولم يكن هؤلاء فى موقع الخصوم منها لأنها فى الحقيقة تكونت فى حضن أفكار هؤلاء الذين خاصمتهم ،

إنصاف الناصرية
ظالمة ومظلومة

وكانت تسعى الى تحقيق ما كانوا يسعون الى تحقيقه ويقصد الكاتب والكتاب بهؤلاء من يسميهم القوى السياسية الشعبية الجديدة التى كانت تنمو قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . متمايزة عن القوى السياسية الاخرى التى كانت تتداول الحكم والمعارضة ضمن مؤسسة النظام الذى قام بدستور ١٩٢٣ ، فهم عنده ـ بالتعريف ـ الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة) والحزب الوطنى الجديد والاخوان المسلمون والشيوعيون ، وهو تعريف لايجرح السلامة .

ـ ٢ ـ

ولعل عنوان الكتاب « الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ » هو الغز ما فيه واحفله بالمعانى المطوية فالكتاب من حيث المضمون لايقف عند حدود ما يوحى به ظاهر عبارة العنوان ، فهو ليس مجرد كتاب عن موقف « نظام » ٢٣ يوليو من الديمقراطية مفهوما وممارسة ومؤسسات انه بالاحرى بل وبالحق كتاب عن هذه الثورة وما اقامته من نظام ، فهو قراءة شاملة مكثفة لتلك الثورة وذاك النظام نشوءا وارتقاءً وتقهقرا وتدهورا بما اشتمله هذا كله من كر وفر . وهى قراءة ابرز ما يميزها الحصافة ، والقراءة الحصيفة هى التى توغل فى الحدث الى ما سبقه مادى اليه ، وتزيد على نفسها ايغالا متجد وشائجه وتكتشف عن حبله السرى الذى يصله بالرحم الذى احتضنه ، وهى القراءة التى ترى الحدث فى ظاهره وفى باطنه وترصد كيف تخلقت اعضاؤه وتشكلت مفاصله ، ثم نتابعها بدقة وهى تؤدى مالها ـ حكما ـ من وظائف ، وهى القراءة التى تشهد الحدث وتشهد عليه . وله ، ومعه ، فى بيئته وفى سياقه من الزمان والمكان والناس ، وهى القراءة التى ترى الحدث ممتدا فى المستقبل او قابلا للامتداد فيه ، ولذلك فقراءة طارق البشرى لثورة ٢٣ يوليو وما اقامته من نظام ، هى رسالة الى المستقبل او تحذير له وهما الشىء ذاته .

ومع ذلك فالعنوان ـ على نحو ما ـ لايظلم الموضوع لأن وجهة هذه القراءة ان العبرة التى يجب ان تعتبر من ذلك الحدث ، هى أن موقفه من الديمقراطية كان مقتله مقتل الثورة ومقتل أهدافها ، ومقتل نظامها الذى تقوّض ، ومقتل آمال الناس الذين علقوا عليها احلامهم والآمال أو ـ نأيا عن المبالغة ـ كان هذا الموقف من الديمقراطية هو الطعنة النجلاء التى اصابت ذلك كله .

والعنوان ، ايضا ، يتحدث عن « نظام » ٢٣ يوليو ، مع أن المتن يتبادل وصف ما حدث فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بأنه « ثورة » وأنه « نظام » .. لكن القارىء المدقق للمتن ـ اذا دقق ـ لايلبث أن يرى أن تبادل الوصفين أو تداولهما ، ليس من قبيل إنكار الثورة على النظام ولاهو من قبيل عطالة الكلام واستخدامه فى غير موضعه فالمتن يعتمد تمييزا بين « الثورة » و « النظام » الذى أقامت . وهو ما تتطرح عليه مسألة الديمقراطية والموقف منها ، فموقف « النظام » من

الديمقراطية هو الذى جلب على « الثورة » ما نعرف من مصاب .

والعنوان ، ثالثا ، يضع عمر النظام ما بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠ . والبداية ليست موضع خلاف ففى ذلك التاريخ قامت الثورة وولد النظام لكن النهاية يجوز فيها الجدال وهو جدال جائز وفقا للكتاب نفسه . ووجه الجدال أنه اذا كان النظام هو الذى ضرب الثورة وضرب نفسه بما اعتمده من وسائل وأدوات **فإن ماهو سائد وحاكم منذ ١٩٧٠ ليس نظاما جديدا ، انما هو امتداد للنظام ذاته واستمرار له** . أليس النظام الذى أقامته قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هو الذى أنتج ما حدث بعد سبتمبر ١٩٧٠ ؟ لكن المسألة ليست بهذه البساطة ، **فما يقصده الكتاب هو أن المضمون قد انقلب الى النقيض بعد سبتمبر ١٩٧٠** وليس هذا محلا للجدال . انما لايجوز القول إن هذا المضمون قد انتقض فى نطاق النظام ذاته ، وخصوصا أن الكتاب يقول إنه دراسة «عن» «النظام» وأنه دراسة فى علاقة النظام ـ الوسائل والأدوات بالمضمون؟

-٣-

ولعل مما يجلو هذه النقطة أويزيدها تعقيدا ، أنه وفقا لخلاصة الكتاب ـ وهذا استنتاج كاتب هذه السطور ومسئوليته ـ فإن النظام كان قد انتهى الى ان مابقى للمضمون من ضمانات فى النظام هو وجهة القائد الفرد الزعيم ـ فلما رحل هذا انهار الضمان ، رحل معه ، وأصبح المضمون معرضا للطعان . هذا الاستنتاج يجلو هذه النقطة لصالح الكتاب . ولكنه لايجلوها لصالح المنهج الذى اعتمده ، اذ تحمل شبهة ازدواج فى المنهج .

إذ أن المنهج السائد فى الكتاب هو انه دراسة فى النظام ، أى فى مكنات تحقيق المضمون ، بينما الكتاب ذاته يحكم بأن النظام لقى نهايته عندما بدأ تحول المضمون ، مع أن هذا التحول استخدم المكنات ذاتها واستبقاها ، وان طرأت عليها فى ١٩٧٦ ، ونهاية ١٩٨١ وما بعدها تغيرات لاتوصف بأكثر من أنها « تجميلية » لاتغير من جوهر النظام ، الذى يلخص نفسه فى فرد على قمة هرم . وفى حركة سياسية ـ تقريرا وتشريعا وتنفيذا ، تجرى من قمة الهرم الى قاعدته ، ومن سيادة أجهزة الادارة والأمن فى أمور السياسة ، والذي تغير لم يلحق سوى مؤهلات الفرد فى قمة الهرم وكفاءاته ، ما بين « الزعيم » و « الاداريين الأول » ولم يلحق سوى اختلاف فى التسميات ، اتيحت مظهر الحوار بين مكونات الجماعة السياسية ، دون أن يكون حوارا اذ أن ما يجرى منذ ١٩٧٦ (نشأة المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى) هو اختلاط أصوات تتقاطع ولا تتسامع ، لأن القابض على ناصية التقرير فى السياسة والادارة هو أعلاها صوتا وبه صمم .

جلاء هذه النقطة مهم ، لأنه ودون حاجة الى افاضة ، يجلو الوهم من الأمل فيما يداعب بعض الأحلام ـ أو يؤرق احلاما أخرى ـ بأن « النظام » الذى تحول الى النقيض فى ١٩٧٠ ، يمكن أن يتحول مرة أخرى ويقدر إذا تهيأت الظروف أو اذا تغيرت أثقال الضغوط

كما أن جلاءها مهم ، لأنه ـ من الناحية

إنصاف الناصرية ظالمة ومظلومة

الشكلية على الأقل ـ تقوم شرعية النظام كما هو الآن ، على ما أكتسبته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من شرعية ، سواء بالقضاء على النظام الذى كان قائما قبلها ، وسواء بما انجزت . فلا جدال فى أنه من الناحية القانونية حكم أنور السادات بوصفه خلفا شرعيا لجمال عبد الناصر ، ويحكم حسنى مبارك بوصفه خلفا شرعيا للأثنين .

ومناط الشرعية لأى نظام ـ حتى فى الشكل ـ أمر بالغ الأهمية ، ويداعب امالا متفاوتة ومتعارضة . يداعب امال الذين يخافون تأسيس شرعية ماهو قائم على انجازات نظام ٢٣ يوليو ، خشية عودته الى مضمون أهداف الثورة التى قامت فى ذلك التاريخ . كما يداعب امال المتعلقين بالعودة الى هذا المضمون .

ـ ٤ ـ

ويخلو هذا الكتاب لطارق البشرى من المقدمة ، ولايعنى هذا أن المقدمة لزوم لكل كتاب ، ففى بعض الكتب لاتعدو المقدمة أن تكون قبضة ريح من بطالة الكلام ، لاتقدم ولاتضيف ، إنما الظن أن هذا الكتاب بالذات ولطارق البشرى بالذات ، اى تعرض طارق البشرى لهذا الموضوع ، جدير بمقدمة من إنشاء الكاتب ، وعلة هذا أن للمؤلف كتابات سابقة فى الموضوع ذاته أو ما يقترب منه ، وهى كتابات فى جوهر ما تحمله من رأى وتقييم تقترب مما يحمله هذا الكتاب أحيانا وتبتعد عنه أحيانا ، تتفق معه وتختلف ، كانت المقدمة ضرورة نقدا لما سبق أن كتب ، نقدا ولبس نقضا ولاانتقادا .

نقدا يقول لنا طارق البشرى فيه رواية اختلافه مع نفسه واتفاقه مع نفسه فيما أختلف فيه وفيما اتفق ، وهو نقد لايطلب منه كدليل براءة أو كشهادة على سلامة القصد ، فسجل المؤلف برىء من الأثنين ، إنما هو نقد يطلب منه لاتصاله بالموضوع الذى يعالج . لأنه هو الذى يجيب عن السؤال عما استجد من احداث وتطورات ، وما أضاف من معرفة ، فادى الى ما يفرق بين ما سبق أن كتب وبين ما نقرأ الآن من وجهة الرأى والنظر

فى هذا الكتاب أنصف طارق البشرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والنظام الذى أقامته **وانتصف لمن وما يستحق عليها انتصافا** . فالتقط الكتاب منذ بدايته خيطين فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية الحديثة ، أو فى حركة التاريخ المصرى الحديث الى المعاصر ، يبلوران الانصاف والانتصاف فقد شهد هذا التاريخ أربعة انعطافات تاريخية رئيسية هى وصول محمد على الى السلطة فى بداية القرن التاسع عشر ، والحركة أو الثورة العرابية فى مطالع الثلث الأخير من ذلك القرن ، وثورة ١٩١٩ وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

والخيط الذى التقطه الكتاب هنا ، ان ثلاثة من هذه الانعطافات قام بها الجيش ، والاستثناء هو ثورة ١٩١٩ ، ويعلل الكتاب غياب الجيش عن تلك الثورة بوجود جسمه الرئيسى فى

السودان ، وهو بلاشك تعليل جدير بالاعتبار ، ويعني أنه لو لم يكن ذاك هو الحال في حينها للعب الجيش الدور الذي لعبه في الانعطافات الثلاثة الأخرى . واذا كان من الدارج أن يقال إنه لاافتراض ولاتمنيات في التاريخ ، فإن للافتراض المتصل بموضع الجيش - غيابا - عن ثورة ١٩١٩ ، ما يعطيه من القيمة والتماسك ماهو اكثر من الافتراض ، ذلك ان الجيش المصري منذ أن تكون أو منذ أن أخذ في « التمصر » كان دائما شريحة من المجتمع ترتدي الزي العسكري وتحمل السلاح ، دون أن تنبت صلتها بمنبعها بأكثر مما تضفيه المهنة على من يزاولونها ، وهو غير قليل ، الا انه يمس الأسلوب دون أن يخل بجوهر الانتماء وفي السياق ذاته وجد الكتاب في غياب الجيش عن البلد في ظروف ثورة ١٩١٩ ، تأصيلا لاعتناق تلك الثورة وسيلة الكفاح السلمي المشروع منهجا له وما قام بعدها من نظام سياسي

- ٥ -

غير أن مايريد الكتاب أن يقوله من خلال التقاطه هذا الخيط هو أن قيام المؤسسة العسكرية بإنجاز التغيير الثوري ليس استثناء على حركة هذا التاريخ ، إنما هو القاعدة فيه ، بل ان الاستثناء الذي حدث في ١٩١٩ ، في الحقيقة ليس استثناء وإنما هو شذوذ عن القاعدة فرضته القوة القاهرة . ومايرتبه الكتاب على هذا انه ليس ماخذا على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ان قام بها العسكريون . وفي هذا إنصاف اساسي لمنشأ ثورة ١٩٥٢ والنظام الذي اقامته .

غير أن الخيط الثاني الذي يلتقطه الكتاب ، هو تلازم القضية الوطنية وقضية الديمقراطية في هذا التاريخ ، فالديمقراطية فيه أداة النضال في سبيل المطلب الوطني والطريق الى انجازه ، ولاتعوز الكتاب الشواهد على هذه المقولة . فالانقضاض على المؤسسة الديمقراطية ارتبط دوما بانتكاس القضية الوطنية ، كما ان انتعاش القضية الوطنية لم يقع الا في مناخ انتعشت فيه الديمقراطية . وصلة هذه النقطة أو هذا الخيط بموضوع الكتاب لاتحتاج الى جلاء فالنظام الذي اقامته ثورة ٢٣ يوليو خلا من الديمقراطية أو تخلى عنها ، بينما كان يسعى في السبيل الوطني . فكان المال هو الانتكاس ، رغم سلامة الهدف والاخلاص له ، بل ورغم ما تحقق على طريقه من انجاز كبير . وهكذا فالانتقاص من النظام يلازم الكتاب من صفحاته الأولى

ويلاحظ الكتاب ، اولا يفوته أنه مع تقدم الزمن وتطور العصر ، تحولت ثنائية القضية الوطنية الديمقراطية ، الى ثلاثية وطنية - ديمقراطية - اجتماعية ، غير أن نظام ٢٣ يوليو ، عاد - قسرا ؟ - الى ثنائية باسقاط الديمقراطية ، حيث كانت هذه الأخيرة لزوما لوصل طرفي ثنائية القضية الوطنية والقضية الاجتماعية .

وفي هذا السياق فان قارىء الكتاب يوشك أن يتوقع منه اكثر مما أورد ، ففي الانعطافات الثلاثة التي قام بها الجيش ، يتوقع القارىء مزيدا من التمييز ، ففي اثنين منها كان ثمة نسيج متصل بين العسكر والمدنيين ، نجد هذا في أحداث صعود محمد على الى السلطة في دور

إنصاف الناصرية ظالمة ومظلومة

الأزهر والأعيان المصريين ، ونجده فى حركة الحزب الوطنى والعرابيين ، مطالبة بمجلس شورى النواب ... الخ . هذا النسيج المتصل بين العسكر والمدنيين هو ما غاب فى الانعطاف الثالث منها ، انعطاف ١٩٥٢ ، كانت صلة العسكر بالمدنيين صلة « مناخ » لاصلة « تناسج » أن جاز التعبيران

ولعل هذا الفرق يفسر قسطا من منحى نظام ٢٣ يوليو النائى بنفسه عن الديمقراطية ، يضيف ولو خيطا الى التفسير الغنى والدقيق الذى يقدمه الكتاب عن طريق متابعة نشوء النظام ومؤسساته ونموها .

— ٦ —

وفى المتابعة الفاحصة المكثفة التى يقدمها الكتاب فى فصله الاول عن « الأوضاع السابقة على ٢٣ يوليو » نجد رصدا دقيقا لما اعترى بنيان الحركة الوطنية المصرية من تغير مع الزمن وتطور الأوضاع ، فنرى دخول المسألة الاجتماعية لتصبح الركن الثالث للثنائية الوطنية الديمقراطية التى حكمت تلك الحركة منذ بدايتها ، ونرى دخول المسألة الفلسطينية الى حلبة الصراع السياسى المصرى ، ويرتب عليها الكتاب تراجع « الوسائل السلمية المشروعة » كوسيلة وحيدة لتحقيق الاهداف فى فكر الحركة الوطنية المصرية ، حيث كشفت القضية الفلسطينية عن الحاجة الى السلاح كوسيلة وعن ممكناته ، **كما يرتب عليها بروز دور الجيش كقوة ضمن قوى الحركة الوطنية والصراع السياسى**

لكن أثر القضية الفلسطينية على الحركة الوطنية المصرية — عند هذا الكتاب — يقف عند هذا الحد ، حد اعادة النظر فى الوسائل . ويجوز لقارىء الكتاب ان يسأل عما إذا كانت هذه القضية قد أثرت أيضا على محتوى برنامج الحركة الوطنية المصرية أو لم يكن دخول هذه القضية الى حلبة الصراع السياسى المصرى ، هو بداية تشقق « حاجز الرمال » الذى اقامته قيادة ثورة ١٩١٩ بين مصر وبيئتها العربية ؟ الم يكن هذا الدخول هو ركن أدراك مستجد على الحركة الوطنية المصرية بأنها لاتستطيع أنجاز أهدافها مع الانحصار داخل حدود مصر السياسية ، أو بالأحرى أنه أدراك مستعاد ، فوفقا للكتاب ذاته نجد أن التطور الفكرى للحركة الوطنية المصرية تميز بالاسلامية حتى ١٩١٩ ، وبالمصرية منذ ١٩١٩ ، لكن الا يمكن القول إن **دخول القضية الفلسطينية الى فكر هذه الحركة ، هو بداية عودة الاسلامية السياسية الى فكر الحركة الوطنية المصرية ، وبداية وجهة العروبية فى فكر هذه الحركة ، مع ما بين الاسلامية السياسية والعروبية من وشائج متقاطعة وأحيانا متعارضة** . خصوصا وأن هذا النظر ليس بعيدا عن بعض ما يعالجه الكتاب ، اذ كانت العروبية السياسية ثم الاسلامية السياسية (فى السياسة الخارجية على الأقل) من بين المدخلات البارزة لنظام ٢٣ يوليو . ونرى فى المتابعة الفاحصة المكثفة ذاتها ، اثر ابرام معاهدة ١٩٣٦

(على يد حكومة جبهة وطنية يقودها الوفد ويبقى خارجها الحزب الوطنى) على الحياة السياسية المصرية فهذه المعاهدة التى اقرت علاقات مساواة ـ قانونية ـ بين مصر وبريطانيا ، أضفت الشرعية على الاحتلال البريطانى لمصر ، لأول مرة منذ أن دخل اليها هذا الاحتلال (الا تفتح هذه النقطة المهمة نقاشا حول ثورية ثورة ١٩١٩ ، ومجمل الحركة الليبرالية المصرية ، خصوصا اذا أجملت مع ظاهرة قبول هذه الثورة حصر القضية المصرية داخل مصر؟ لكن هذا خارج على موضوع الكتاب وعلى موضوع هذا المقال معا) . والكتاب يرجع الى إضفاء معاهدة ١٩٣٦ الشرعية على الاحتلال البريطانى لمصر ، ظهور أحزاب مصرية جديدة خارج اللعبة السياسية ، أى خارج اللعبة التى كان طرفاها الدستوريان هما القصر الملكى والأحزاب الأخرى باستثناء الحزب الوطنى . وهى ذاتها الأحزاب الجديدة ـ التى أمدت الضباط المتخرجين فى أواخر الثلاثينيات بوعيهم وبفكرهم الذى قادهم الى القيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

فى هذا التأصيل وجه آخر من أوجه انصاف الكتاب لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فهى لم تكن نتاج شبق العسكريين الى السلطة ، ولم تكن استبدالا بمنظومة امتيازات اقليمية منظومة أخرى من الامتيازات لأقلية أخرى ، فالأحزاب المصرية الجديدة التى نشأت ردا على معاهدة ١٩٣٦ (وغيرها من العوامل بلاشك) كانت هى الاحزاب الأصدق تعبيرا عن مطالب الحركة الوطنية المصرية بأبعادها الاجتماعية ، وهى التى أمدت هؤلاء الضباط بفكرهم وحددت لهم أهدافهم .

ويمتد سياق الانصاف مما ليس هنا مجال التفصيل فيه ، فالكتاب يقر بما أنجزه النظام فى القضيتين الوطنية والاجتماعية ويقدره ، ولايحاول الانتقاص منه مثقال ذرة .

ـ ٧ ـ

لكن وجها آخر من الانصاف هو تأصيل المآخذ أو المثالب ، تأصيلها بالتدليل على أنها لم تكن اختيارا ولم تكن طمعا ، وفى هذا السياق ترد عزلة تنظيم الضباط الأحرار عن مجمل الحركة السياسية الوطنية بل وعن الأحزاب التى وفرت لها الأمن ومهدت لها الأرض وهيأت الناس . وفى هذا السياق تأتى لزومية أن يعتمد التنظيم العسكرى قليل العدد على جهاز الدولة الذى انقلب عليها لينفذ ما انقلب من أجله ، وفى السياق ذاته تبدو حتمية شبه مؤكدة لأن يؤدى هذا الى قيادة الفرد ومركز السلطة فى يده ، وكلها تأصيلات تؤدى الى تأصيل أشمل لظاهرتين كان لهما أخطر الآثار على مسيرة النظام ومصيره ، هما أولا ، استيعاب الأجهزة الادارية للوظيفة السياسية ، أى لوظائف تقرير السياسات والتشريع لها وتنفيذها ، ثم استيعاب أجهزة الأمن للأجهزة الادارية بما تحملت به من وظائف تحمل فى وظيفة كبرى هى توجيه حركة المجتمع وضبطها . أما ثانية الظاهرتين فهى سعى بعض العسكريين فى بداية تشكل النظام الى تحويل الجيش الى مؤسسة حكم ، وهو السعى الذى صفى فى حينه ـ بوسائل ادارية ـ لذلك عاد الى الظهور

إنصاف الناصرية ظالمة ومظلومة

حتى حقق قدرا غير قليل مما يريد ، بخروج الجيش من ولاية القيادة السياسية . ثم بانتشاره الى الأجهزة والمؤسسات المدنية : الحكومة والقطاع العام ووزارة الخارجية والاتحاد الاشتراكي . وهي الظاهرة التي استقرت انقساما في السلطة ظهرت أخطر نتائجها في حرب ١٩٦٧ .

هذا وجه من الانصاف لأنه تأصيل ، والتأصيل ليس تبريرا ، بل هو - غالبا - نقيضه . فالتأصيل ليس محاكمة تدين أو تبرىء ، لكنه الميزان الدقيق لفهم الظواهر ، فيحبذ صحيحها ويحذر أعطابها وينذر بويلات التكرار ، فالكتاب لايحبذ شيئا مما يرصد في هذا المجال . إنما يقول قولا من قبيل هذا هو ما حدث وهكذا حدث ولهذا حدث ، ولم يكن ثمة خيار كبير في أن يحدث على هذا النحو .

واذا كان هذا التأصيل - على هذا النحو - انصافا ، فإنه أيضا انتصاف ، لأنه لايغفل عن هامش البدائل ، فيرصد تعدد أجهزة الأمن وتراكمها وتراكبها ، حتى تتحول من عدسة هدفها تدقيق الرؤية الى عدسات بعضها مصفوف فوق بعض مع تفاوت مواضع بؤراتها ، فتنظر خلالها فلا ترى ، فتضيف فوقها عدسة أخرى بؤرتها في غير موضع ، فيزداد نظرك إعتاما ، ولايغفل عن رصد معرفة النظام أو بعض قيادته وبالذات قائده لمواضع الخلل الخطير فيما أقيم من بنيان النظام ، ثم القصور عن تداركها مراعاة لتوازنات ثانوية وحساسيات جزئية وشخصية ، ولايغفل عما أدى اليه ضرب الحلفاء الطبيعيين من القوى السياسية الشعبية الجديدة التي كانت قائمة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وما أدى اليه هذا من انسحاب المواطن المصري من المشاركة العامة خوفا أو وجلا .

وخطورة هذه النقطة الأخيرة أنها تضع المبضع على أصل الاستبداد الذي ساد مسيرة النظام وجلب عليه - وعلينا - مصيره ، فالاستبداد كما يقول الكتاب بكلمات أخرى ، ليس مجرد تفرد فرد بعينه بسلطات مطلقة ومركزة ، كما لايخفف من أو يقلل انفتاح هذا الفرد على الاستماع لآراء العارفين من الفنيين أو قراءة تقاريرهم . إنما أصله هو المسلك الذي يؤدي الى انسحاب المواطن من المشاركة في الشئون العامة ، التي هي جوهر شئونه الخاصة .

وفي هذا يقول الكتاب الكثير في صفحاته القليلة المركزة ، ويقوله بالرصد الموثق ، مما لامجال لسرده هنا ، لأن هذا المقال لايقصد أن يكون بديلا عن الكتاب .

وخلاصة الكتاب أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كانت استمرارا في العصر لأهداف الحركة الوطنية المصرية وأنها كانت مخلصة لها أمينة عليها ، إلا أنها - وبحكم نشأتها وتطورها - استنت لتحقيقها من الوسائل ما أوردها مورد الهزيمة .

الخلاصة أن ثورة ٢٣ يوليو أسرفت على نفسها فأتاها العذاب بغتة في حرب ١٩٦٧ ، وأتانا العذاب لأنها سحبت مقدراتنا من أيدينا .

لعلنا لانعود الى السرف على أنفسنا فيحق علينا العذاب .

قصة قصيرة



أهمية أن تتنفس مديحة بعمق

بقلم: حسين عبد العليم

بمجرد خروجها ـ سارعت باشعال سيجارة ، كان قد اصابها القلق والتوتر ، كلها يؤيد الرفض ، جزء صغير منها يوافق نهرت طفلتها لانها سكبت المياه فوق السرير، عادت فضمتها بعصبية الى صدرها وقبلتها ، كانت كانها تلصقها بروحها •

ـ طب نعيش ازاى من غيـره •• انت تعيشي ازاى ؟! انكمشت الطفلة وقد شعرت بأن هناك شيئا غير طبيعي

ـ بس برضـه انتى عاوزه فلوس علشان تعيشى ، هتتربى ازاى فى الزمـان ده •• والديون والعيشـة الهم دى •

استلقت الطفلة على بطنها فوق السرير ، وقد ثنت رجلها اليمنى حتى لامست ذراعها، وظلت صامتة تتابع باذنها اعلانات التليفزيـون ، بعد قليل نامت • ظلت تعانى من القلق،اوعزت الى نفسـها بان المسالة تحتاج لتفكيـر موضوعى ثم قامت الى المكتبة المكتظة وتخيرت ديوانا من الشعر لتتلهى عن القلق،خاب تدبيرها وفرض التوتر نفسـه عليهـا فشردت عن القراءة •

بدأ الفيلم الفرنسى على القناة الثانيـة ، واستمر دون ان تتابعه ولم تتوقف عن التدخن بعد ساعتين افـاقت على صوت القـداحة تصعـد السلم ، انفتح الباب وهل باسـما يحمل كيسا به خبـز وبطاطس وبرتقـال • طالعته باستفهام كبير مرسوم على وجهها ، اخذ يمزح معها ، ايقظ ابنته واخذ يقبلها بحنان زائد ، هـلا حجرها بالصاصـة والفول السـودانى وقلد لها القرد فضحكت بشدة •

ـ محمـود •• انت هتسافر عمان مـع خالك ؟ شرد ، ثم قهقه

ـ يا شيخه •• مصر بردك احسن •

تنفست مديحة بعمق، وكان الهواء الداخـل الى صدرها باردا •

غربة .. صلاح عبد السيد

بقلم : د. سيد حامد النساج

صلاح عبد السيد واحد من الكتاب الذين عاشوا ازمة مصر فى ١٩٦٧، بعد ان تشربوا قيم المجتمع وثقافته وتمثلوا خطواته الايجابية ، وانحازوا لانتصاراته الوطنية والاجتماعية والقومية طوال الخمسينيات والستينيات فقد تخرج فى الجامعة عام ١٩٦٦ . وما لبث ان صدمته نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ . ولم يكد يتبين معالمها الحقيقيه وابعادها واسبابها ، حتى فاجأته صور اجتماعية واقتصادية واخلاقية شاذة وغريبة ، لم يجد لها جذورا فى اعماق التربة المصرية ، ولا فى فترة الازدهار الوطنى ، والعدل الاجتماعى والاستقلال الاقتصادى، اذ انها وفدت مع قوانين الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات

وباعتباره واحدا من ابناء لقراء المجتمع ، فانه توجه بكليته الى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، يبحث فيها عن الدوافع والاسباب التى تكمن وراء التفسخ الاجتماعى ، والانهيار الاخلاقى ، والتفتت فى العلاقات والقيم ، وما صحب ذلك من ظهور فئات طفيلية ، تملك الثروة ولا تملك القيم والثقافة والتقاليد ، ولا الجذور الممتدة المتأصلة . وقد نجح فى تصوير ذلك بشكل فنى فى مجموعته القصصية الاولى « الجنة » الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ . بعد مشوار طويل امتد عشر سنوات من النثر المتناثر والتواصل هنا وهناك بدءا من ١٩٦٩ حين نشرت له اول قصة قصيرة فى مجلة « صباح الخير » .

لقد كشفت مجموعته القصصية الاولى عن كاتب ذى موهبة قصصية جادة ، بدأت تشق طريقها الصحيح لتأخذ مكانها وسط كتاب القصة القصيرة المعاصرين . وكان قد جمع فيها كثيرا مما سبق نشره فى الصحف والمجلات . فضمت اثنتى عشرة قصة قصيرة . حرص الكاتب من خلالها على ان يجسد بعض المشكلات الاجتماعية



صلاح عبد السيد

والاخلاقية التى يعانى منها الانسان العادى فى المجتمع المصرى «الارشيف» و «خضر» ، وما جد على المجتمع من تغير فى السلوك والعادات والقيم ، نتيجة اهتزاز البناء الاقتصادى ، واتاحة الفرصة للغرباء كى يملكوا ويتحكموا « الرجل الغريب » . بل انه عرى أخلاقيات الفئات الجديدة التى لاتستند الى تقاليد وتراث ، والتى تنتهك ابسط القيم « الدم » . كما صور معاناة شباب اليوم ازاء قضاياه الحياتية المصيرية « الحصار » كما أن من بين قصص مجموعته الاولى لقصة قصيرة مبتكرة وجيدة جدا ، لم نقرأ لها مثيلا فى قصص جيله هى « الرجل الذى نبت له لدى » . وهى قصة من الممكن ترشيحها لتتبوأ مكانها اللائق بين القصص العالمى الجيد .

وكان الكاتب قد تناول الموضوعات الاجتماعية والانسانية تناولا فنيا ، يدل على فهمه لقواعد فن القصة القصيرة ، وعلى معرفته التامة باصولها . وقد حاول ان يصوغ قصصه فى أسلوب سهل ، وفى لغة مقبولة ، وفى حوار صادق فى التعبير عن الشخصية والموقف والفكرة فى آن معا . مع ملاحظة ان عددا كبيرا من قصص المجموعة الاولى ١٩٨١ تدفقت بالاحساس بالغربة : غربة الانسان عن موقعه الطبيعى ومكانه العادى ، ووظيفته اللائقة ، بل غربته عن اسمه ، وارضه ، واهله .

● تصوير الواقع

ويستمر برؤيته الى الحياة والناس فى المجتمع المصرى المعاصر ، فى قصص المجموعة الثانية «غربة» ديسمبر ١٩٨٦ . مع التركيز الشديد على غربة الانسان المصرى العادى ، والغربة التى تطبع العلاقات : علاقة الابن بابيه وامه . وعلاقة الأخ بأخيه . وعلاقة الجار بالجار . وهو يرد ذلك الى أسباب اجتماعية واقتصادية فى المرتبة الاولى . ولو اننا لاحظنا أن معظم القصص نشر فى ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، وأن قصة او اثنتين فقط هما اللتان كتبتا ونشرتا فى ١٩٨١ لعرفنا الى اى حد أراد الكاتب ان تجيء قصصه تصويرا حيا للواقع المعاصر الذى يعيشه الانسان المصرى . وغربة انسان صلاح عبد السيد ، ليست غربة فلسفية او وجودية ، ولكنها غربة انسانية ذات ابعاد اجتماعية واقتصادية واخلاقية ـ ان صح التعبير ـ دفعت اليها دوافع بعيدة عن الفلسفة والوجودية واللامعقول والعبث وما الى ذلك من مذاهب أوربية . انه لاينطلق من فكرة مسبقة ، ولا من نظرية مجردة ، ولا من عالم ميتافيزيقى ، ولكنه يستند الى ارضية من الواقع ، ويشكل عالمه من تناقضات هذا الواقع ، واضعا فى اعتباره ضرورة الرجوع الى هذا الواقع بالشكل الفنى الذى يجيده ، ويريد أن يقول كلمته من طريقه .

يدل على هذا انه يقف من ظاهرة الغربة موقف الرافض لكل صورها واشكالها . كما انه رافض لكل الاسباب التى ادت وتؤدى اليها . ولا يدخل فى حسابه ـ ابدا ـ أولئك الذين يفتعلون الاغتراب او يتشدقون به .

ولا يعنى هذا انه يتفلسف ، او انه

غربة .. صلاح عبد السيد

يقف من هذه الظاهرة موقف الواعظ ، الناصح ، الخطيب ، الذى يتوعد ويتهدد ، ولكنه يقف موقف الفنان الواعى ، الذى يلتقط بحسه الاجتماعى - باعتباره كائنا اجتماعيا حيا يعيش واقعا بعينه - تلك الظواهر اللافتة للنظر ، والمستحدثة على التركيبة الاجتماعية ، كما ينتخب بحساسيته الفنية - بحكم كونه فنانا يدرك اصول فنه وابعاد دوره الانسانى - تلك المواقف ، والشخصيات ، والكلمات التى تصلح لكى تكون لبنة فى بناء فنى ينتسب الى شكل القصة القصيرة ، ويحدث جدلا بينه وبين الواقع الذى نبع منه ، ثم يتقدم اليه .

كما انه لا يفتعل الثورية ، ولكنه يستهدف تغيير القيم ، والعلاقات ، والافكار ، والمفاهيم ، التى طرات عليها ظروف حولت مسارها والبستها ثيابا غير ثيابها الوطنية القومية التاريخية الموروثة !

وجدير بالملاحظة أن موضوع « الغربة » و « الاغتراب » معا قد شغلا الكتاب الذين بداوا يكتبون فى اعقاب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ثم مالبث أن سيطر على نتاج عدد من كتاب السبعينيات . لكن عددا منهم كان متأثرا فى ذلك بالاشكال الاوربية ، والمضامين التى اغرقت تلك الاشكال ، فى حين أن عددا اخر صدمته النكسة ، فاهتزت ثقته فى كثير من الفكر والنظم والعلاقات والقيم ، فراح يعبر من ذلك بشىء من الغموض والرمز والالغاز والتضمين . لكنهم جميعا توسلوا فى كتابتهم بادوات ووسائل معقدة ، وفى اشكال فنية ملتوية غامضة . أما صلاح عبدالسيد فانه - فى مجموعتيه الاولى والثانية - صور هذا « المعنى » وتلك « الفكرة » فى شكل فنى مقبول ، ومن خلال مواقف انسانية محتملة الوقوع ، وباختيار اناس من بيئات عادية .

وهذا يدعونا الى ان نقترب من قصص مجموعته « الغربة » . وهى اثنتا عشرة قصة قصيرة : غربة - القهر - القضبان - الشركاء - الشيخة صابرين - قطعة من العملة القديمة - الارجوحة - تصفيق حاد - زيدان يخلع جلبابه - الجدار البارد - مطلوب شخص لوظيفة - احلام عم سيد .

● تجسيد الاحساس بالزمن

وليس هذا هو ترتيب القصص كما وردت فى المجموعة ، ولكنه ترتيب اصطنعته لها بحكم جودتها الفنية من وجهة نظرى الخاصة . ومن حيث الجو العام الذى يهيمن على بعضها . فالقصص الست الاولى « غربة - القضبان - القهر - الشيخة صابرين - الشركاء - قطعة من العملة القديمة » تقف فى المرتبة الاولى ، وتتمثل فيها فكرة الغربة ، التى يعالجها الكاتب بشكل فنى تتوفر فيه خصائص مشتركة . فى حين أن قصص « تصفيق حاد - الارجوحة - زيدان يخلع جلبابه » تنحو منحى النقد الاجتماعى الساخر اللاذع . وان كانت قصة « الارجوحة » هى الاخرى تعالج موضوع الغربة من زاوية جد مختلفة . أما القصص الثلاث الاخيرة « الجدار البارد - مطلوب شخص لوظيفة - احلام عم سيد » فانها تأتى فى المرتبة الثالثة من الناحية الفنية .

بداية قصة « غربة » تجسد الاحساس الحاد بالزمن الفاصل بين ماض وحاضر ، عزلت بينهما عوازل صلدة كثيرة ، قطعت الصلة بين الزمنين تماما : «منذ البعيد» ، « منذ متى !! » ، « منذ البعيد البعيد » ، « يااه » ، وكأنه يستخرج من اعماق الشخصية كل ادوات التعجب ، والاستفهام ، والدهشة ، مستعينا بتحديد الحركة ، وضبط الانفاس ، وتعيين مرتبة الصوت ، لينقل الينا هذا الانطباع الذى تخلفه سنوات العزلة الطويلة .. والغربة العميقة الممتدة « فبدا الزحام لعينيه بحرا هادرا يكاد يأخذه فى تياره . قاوم بحر الزحام وخرج » . انه فوجىء مع أول خطوة له على أرض المطار ، لانه غاب ، ولان كل شىء فيه قد تغير : القهر

الخارجي » معطف . نظارة . قبعة ، والعلاقات بالاشياء : النهر التاريخي الذى لعب فيه واستحم وكاد يغرق . والاشجار، واعمدة التليفونات . وقضبان السكك الحديدية . واحساسه بالتراث او بما يشكل الماضي : القرية ، المدينة ، البيت القديم الذى تعرف عليه بصعوبة بالغة . زوجة اخيه . الارض . الطين . الناس . الاطفال .

والاخطر من ذلك كله ، علاقته باخيه الاكبر ، الذى رباه فاحسن تربيته ، وتحمل الصعاب من أجله هو أولا ، ومن اجل تربية أخواته البنات بعدئذ ، والذى هده المرض والفقر ، فاصبح قعيد الفراش فى المستشفى القذر ، حيث الشفاء ميئوس منه .

كل شىء فيه قد تغير ، ويلمح الكاتب الى ذلك فى تقر البداية : « ماله لايبكى ! ماله لايرتمى على الارض ويقبل التراب ! ما الذى اصابه ؟ جزء منه يتمنى ان يبكى، وجزء لا يطاوعه على البكاء . وفى الفندق ألقى بحقيبته وتمدد على السرير . عيناه على السقف . لماذا لم يرسل الى أخيه الكبير ليحضر ؟ لماذا لم يخبر احدا بقدومه ؟ ما الذى دفعه الى أن يفعل ذلك ؟ هل هو الخجل ؟ هل هو تأنيب الضمير ؟ »

هذه الفقرة تشير الى احساسه الآنى الذى أصبح احساسا عاديا لا شذوذ فيه ولا غرابة . الاحساس الطبيعى لانسان لا يستشعر الغربة من شىء ، ويدرك ماهو كائن فعلا فى اعماقه ، من رفض لكل الانفعالات والاحاسيس والمشاعر التى قد تؤكد ارتباطه بهذه الارض . حتى ابلاغ الاخ الاكبر ، وهو امر طبيعى ومفروض ، يحوله الواقع الآنى لهذا الانسان الغريب الى شىء شاذ مرفوض ! لقد جاء ليلقى محاضرة فى احدى الجمعيات ثم يعود الى حيث جاء ، بعيدا عن القرية والاهل والناس الذين لم يسأل فيهم او عنهم ، ولم يرسل لهم طوال تلك « السنين السنين » « كلمتين اثنتين للاطمئنان » . وقد نزل بفندق كبير ، ولولا أن المحاضرة التى جاء لالقائها قد تأجلت يومين مافكر فى زيارة اخيه واخواته البنات بالقرية .

ويجيد الكاتب تصوير الغربة الحقيقية فى ذلك اللقاء القصير اليتيم الذى حدث بين البطل واخيه الاكبر فى المستشفى . الاخ يرحب به « أهلا وسهلا » لكنه فى عالم آخر لايدور فيه الا حول نفسه ، ومشاغله ، والمرض الذى سوف يصيبه ، والشاى الذى يخشى من شربه ، والقاذورات المحيطة به . لا شىء يصله باخيه الان : لا الزى ولا الدم ولا الصحة ولا الثقافة ولا اللغة ولا الواقع ولا المكان ولا الزمان . فيقرر فورا مغادرة المكان ، والاخ ، والقرية ، والذكريات ، والماضى ، والواقع ، وما ينبغى ان يكون . ويكتفى بدس بعض النقود تحت وسادة أخيه الذى لا يحتاج اليها وحدها ، ولكنه يحتاج اليه هو . فعلا ، وحاضرا ، ودورا ، وعلما ، وتقدما ، وتغييرا لواقع حاله هو واهله وقريته .

وينبغى الاشارة الى مفارقة مقصودة : هذا الغريب جاء ليحاضر « كأكبر خبير فى شئون تربية طيور الزينة » ، بينما واقع حياة أخيه واهله وقريته ووطنه ، فى حاجة الى تغيير جذرى . لكنه لم يفعل شيئا على أى مستوى من المستويات التى هى فى حاجة اليه . ونهاية القصة تؤكد أن العلاقة بينه وبين بنى وطنه مبتورة ، وان أى أمل فى العودة الى هذه الارض مفقود مفقود : « واستقل عربة أجرة . متجها الى المطار . جلس فى المقعد الامامى . وفى المقعد الخلفى كان هناك طفل يجلس مع رجل ريفى . خربشت يد الطفل على كتفه . التفت الى الطفل . كان الطفل يحملق فيه . التفت الى الرجل . وكان الرجل يبدو ممصوصا . وعيناه مصفرتان ، حاول أن يضحك للطفل . لكن الطفل كان متجهما . وكان كأنه سيبكى . فاستدار موليا له ظهره . قبل أن يهم بالنزول من العربة . كانت يد الطفل قد تسلقت قفاه . وفرقعت عليه . و . . لم يلتفت للطفل . لكنه اندس داخلا من بوابة المطار » ص ٢٦ .

تجسيد الفكرة

لاحظ الانتقاء فى هذه الصورة : هو فى المقعد الامامى . وفى المقعد الخلفى جلس

غربة .. صلاح عبد السيد

رجل ريفي وطفل « الاصل ـ الماضي ـ التراث ـ الارض ـ الحاضر » والمستقبل المرتبط بذلك الماضي » الرجل « ممصوص، مصفر العينين » هذا هو الحاضر المريض الذي يحتاج الى علاج متقدم ، يمثل ماكان اخوه في القرية مريضا يموت ، في حاجة الى علاج متقدم يتمثل فيه هو : المنقذ ـ المتعلم ـ الصحيح ـ الطبيب . والطفل متجهم وكأنه سيبكي « المستقبل غير واضح ، عابس ، ولا يقبل الضحك والزيف والخداع » فاستدار موليا ظهره « رفض نهائي للماضي وللمستقبل المرتبطين بهذه الارض ، لانه يتجه كليا الى أوربا » وكمحاولة أخيرة قبل أن يهم بالنزول من العربة كانت يد الطفل قد تسلقت قفاه وارتفعت عليه « موقف نهائي من الطفل كأنه يوقظه وينبهه في اللحظة الاخيرة » تابله موقف أخير صارم من هذا الغريب ، فلم يلتفت للطفل ، واندس داخلا من بوابة المطار .

هذا الموقف الاخير ، أو تلك اللقطة المكثفة ، استطاعت أن تجسد فكرة « الغربة » وان تكثف الشعور بها ، وان توصل الى القارىء « الانطباع » الذي أراد الكاتب ان يطبعه في نفوسنا ، وكان قد هيأ له منذ اللحظة الاولى التي دخل فيها بطله المطار ووطئت قدماه أرض مصر . بمعنى ارتباط البداية بالنهاية ارتباطا فنيا وفكريا وموضوعيا !

واذا كان هذا الاخ الغريب مقيما اقامة دائمة في أوربا ، فان بطل قصة «القضبان» يوجد في القاهرة ـ العاصمة ، ويعمل أستاذا في الجامعة ، لكنه يمثل «الغربة» في الداخل . اخوه مريض بالبلهارسيا . يتقيأ دما . يكاد المرض يفتك به ويودي بحياته . هو في شغل شاغل من أخيه الاكبر الذي علمه ورباه وانفق عليه حتى وصل الى درجة الاستاذية . ولولا أن ابنة أخيه المريض ارسلت اليه خطابا « ان أبي يموت فانقذه ياعمي » ما سأل فيه ، ولا في اولاده وزوجه .. وكل الذي اقدم عليه من فعل ايجابي في اللحظات الاخيرة ـ بعد غيبة طويلة عميقة تركت جراحا ثاخنة في نفوس أهله ـ هربا من الموقف ، فانه يجري باحثا عن طبيب في مكان لايعرف عنه شيئا ، وفي ظلمة الليل التي لاتكشف عن شيء . حيث تبدو الاشياء التاريخية التراثية التي تشكل ماضيه كله وكأنها أشباح : مقام الشيخ مرزوق ، السبيل ، وابور الطحين ، الجميزة ، الساقية .

كما ان واقع أخيه يبدو عليه غريبا هو الآخر : الزوجة معصوبة الراس . العيال كالجرذان البائسة . على الارض تراب معجون بالدم . في الوجوه صفرة ، وخوف . نباح الكلاب . الضفادع .

وتحدث المواجهة التي لايحتملها لدقائق ، والتي تعريه وتكشف غربته الغريبة . وانقاذا لنفسه هو فكر في أن يفعل شيئا أي شيء : « كدت اصرخ . اخي . لكني وجدت الا لزوم لذلك . لكني كنت اريد أن افعل شيئا . فعلت . فرفع رأسه ينظر في اتجاهي . فرأيت عينيه الميتتين وبياضهما الشاحب . ورأيت العروق فيهما . ورقبته المكرمشة . وتفاحة آدم تتلعثم فيها . ورأيت زوجته تنظر لي . زوجته والعيال . لخفت من عيونهم . و . تراجعت . انصدع قلبي فقلت زاعقا . سأحضر الطبيب . واندفعت خارجا . وصوت أخي سمعته يتقيأ دما . وتمتمة زوجته ـ المرأة ـ يارب . وعيون العيال حاصرتني . كجرذان بائسة . فانطلقت. انطلقت خارجا . سأحضر الطبيب . وارتطمت بالباب . بالباب في جبهتي . ووجدتني أجري » ص ٧٦ . انه يحاول انقاذ نفسه هو بادعاء البطولة والفعل . وبتعويض الغربة الطويلة ، والانفصال الدائم عن اهله وقريته وواقعه . لقد كان يهرب من نفسه هو اولا ، ومن عيونهم التي حاصرته وادانته في صمت ثانيا والكاتب يجعله يصف نفسه بالخنزير ، دلالة على رفض هذه الصورة الادمية وهذا السلوك اللااخلاقي اللااجتماعي . وبطبيعة الحال يجعله يفشل في العثور على طبيب الوحدة الصحية ، لاسباب

موضوعية : فهو لا يعرف شيئا من الطبيب ، والمكان ، والزمان ، والناس ، والعلاقات . انه يريد أن يهرب ، وهرب . والهرب يقوده الى الهرب الأكبر . نتيجة للفشل الكبير .. ادار الكاتب حوارنفسيا داخليا جيدا، أجراه على لسانه، يسأل نفسه ثم يجيب ، بما يؤكد فشله «الطبيب غالب ! غالب مثلك . لا . هاأنذا قد عدت. بعد كم من السنين عدت .. أيها الهارب » ص ٨٤ .

وفى طريق العودة يكون الموقف قد بلور ، وتكون النهاية التى أرادها الكاتب « .. والقضبان تحيط بى . والظلمة تتكاثف ، داخلى . والقاطرة تلك التى كنت اركبها . أكاد أسمعها بصوتها الثقيل : واسمع دبيب عجلاتها على القضبان . فأوقن أنها قادمة . وأنها ستفنينى . فأسرع . على أن اسرع . لكن القاطرة يتزايد صوتها الثقيل فى سمعى . واسمع رجة الارض تحت قدمى . وأراها . أكاد اراها . تتجه الى . وتكاد تدهسنى » ص ٨٥ .

هذه هى النهاية . والقصة منذ أول كلمة فيها حتى الكلمات التى اختارها الكاتب لتشكيل نهاية الموقف ، لم تفقد خصائصها الفنية ، ولا وحدة الموقف ، والانطباع . انها ترفض هذه الصورة . وتستنكر هذا السلوك . وتلمح الى ضرورة الارتباط بالارض والاهل والتاريخ .

والحاح الكاتب على قضية الاغتراب بعيدا عن الفلسفة والجرى وراء المذاهب الحديثة فى الكتابة ، يجعلنا نعتقد فى انها قضية تلح عليه الحاحا ، وفى انه ينظر اليها من زاوية اجتماعية ، وبدافع وطنى ، نستشعر منه ارتباطا أصيلا بالارض المصرية ، واحساسا حادا بخطورة انفصال المثقف المصرى عن واقعه ، ومن أصله، ومن دوره ، ومسئولية واضحة فى التنبيه الى هذا الدور ، وتعرية ذلك الخطأ ، انه مع الدور الايجابى الاجتماعى للمثقف . ومع فعالية البقاء فى الواقع التى تحتاج اليه . ومع حاجة الريف الى أبنائه الذين تعلموا وتثقفوا . فمن الضرورى أن يعودوا اليه ليغيروه وفقا لثقافتهم الجديدة ، ولرؤيتهم المتطورة . انه ليس مع الاغتراب والانفصال والبعد والانحصار فى بوتقة خاصة ، من اجل المصلحة الخاصة الذاتية .

● طريقة معينة للحكى

تؤكد ذلك من بعض الوجوه قصته « الارجوحة » . اذ فيها تتكشف أبعاد هذه الرؤية ، وتتجسد ملامحه الخاصة فى كتابة القصة القصيرة ، وفى تمثل طريقة للحكى معينة . والاغتراب فى هذه القصة ابتعاد عن القرية بالدفء فى حضن المدينة، والكسل باللاعمل ، والاثراء على حساب الاخرين . نوع آخر من الغربة والانفصال عن الارض . الدفء بلا عمل . الراحة بلا جهد . الطموح الى الاسترخاء أصاب الناس جميعا ، حتى اولئك الشيوخ من الفلاحين الذين يرتبطون بالارض ارتباط مصير . ينتهى بهم الامر الى الاسترخاء الناعم الهادىء الدافىء ، فى ظل زوج البنت الذى ليس مصريا . فالولد فى القرية حول البيت الى بوتيك . واستبدل بالدراجة « موتوسيكل » يزعج به أهل القرية طول الليل . والبنت بعد ما صدمت فى حبها مرة نتيجة موت حبيبها ، ثم مرة بعد خدعة واحد من ابناء القرية تتزوج شخصا عربيا لا يعرفه أهلها ولا أبوها العجوز ، وتعيش فى فيلا .

وبدلا من أن ينتقم الشيخ الغنام القروى العجوز لشرفه من ابنته التى هربت ، نام على سرير ناعم . وغاص . غاص فيه . واحس بالراحة . منذ متى لم يرتح ! منذ جاء الى الدنيا . وهو يكدح بلا توقف . يزرع نصف الفدان . ويكد ويشقى ويقوم مبكرا ويدور حوله وآخر العام تأكل الدودة جهده والجمعية والباشكاتب والمنفذ والتسويق . ماذا جنى بعد كل هذه السنوات ! وشد الغطاء عليه ودخل فى السرير . المخدة ناعمة . والمرتبة واللحاف . للدفء هنا معنى آخر غير الدفء الذى اعرفه . وللاكل هنا طعم آخر غير الاكل الذى اعرفه » ص ٧٢ .

والكاتب هنا لا يلتمس العذر للشيخ الغنام ـ القروى الفلاح ـ ولكنه يدينه من طرف خفى . بمثل مايدين الشرف

غربة .. صلاح عبد السيد

المادية التي ضغطت عليه وجعلته يتحول بهذه الطريقة ، بل دفعته الى الانفصال من ارضه التي أمضى عمره فيها . لكنه بدلا من الثأر لشرفه من ابنته ، ارتاح الى النعيم الذى اغرقته فيه ، ونسى ثأره وبيته وأهله وارضه وقريته وتاريخه وكفاحه . وثمة موسيقى داخلية تسرى في ثنايا القصة . والوسيلة التى توسل بها الكاتب في السرد والوصف والحكى ، ملائمة للموضوع ، وللحدث ، وللشخصية المحورية في القصة .

ويظل الكاتب يضرب على هذا الوتر الحساس بنفس الاسلوب ، واللغة ، والطريقة ، في « الشركاء » المكتوبة ١٩٨٦ وكأنه يرى في السلب اغترابا ، وفي البعد عن اتخاذ موقف جماعي نوعا من الغربة المميتة المخربة للنفوس . فالصمت الجماعي الاخرس ، والخوف من المواجهة ، يجعلان الناس شركاء في المسئولية وفي أسباب الانهيار الذى يحدث للجماعة وللمجتمع كله ، مادامت الجماعة قد تخلت عن دورها ، فانها بذلك تكون قد اختارت الاغتراب عن مشاكله ، وقضاياه ، بالتزام الصمت والهروب من الواقع .

ونحن لن نستطيع الوقوف عند كل قصة بطبيعة الحال ، لكنا نريد أن نشير الى ان الجماعة هنا قد تواطأت بالصمت او بالخوف او بالسلب ، ضد هذا النموذج الايجابى الثورى ، فقهرت نفسها من قبل ان تقهره هو . والقهر في اية صورة من صوره مرفوض من قبل الكاتب . وهو حين يصوره فانما ليدعو الى الحرية والانطلاق . دعوة فنية لا صراخ فيها ولا خطابية ولا زعيق . لكنه مع ذلك غير متفائل . فهو يرى ان القهر موجود وان خيل الينا انه اختفى او توارى او اندثر . القهر ملازم لنا . يقبض بيد من حديد على اعناقنا ورقابنا وقلوبنا من الداخل ، ويحبس انفاسنا بقوة وعنف .

وقد جسد الكاتب ذلك في قصته « القهر » . انسان يستشعر القهر من الاخر — الاقوى — الاكبر . فللاخر كل شيء متميز . وله الكوم الاكبر . في حين أن الشخصية المحورية تقف في الموقف الاضعف — الاقل — الذى يقع عليه كل الظلم والقهر والعنف . وفي لحظة ما يتصور انه أصبح وحده : مالكا ، ساكنا ، آكلا ، متحكما . ويخيل اليه انه يفعل ما كان يتمناه . لكن عند لحظة معينة يفاجئه الاخر بالظهور ، فينطوى على نفسه ، ويعود الى حيث مكانه وموقعه المقهور « وبلا كلمة . بلا كلمة واحدة . وجد نفسه يقوم من أمام كوم اللحم الكبير ليجلس — خاشعا — أمام كوم الجلد والعظم والشغت » ص ٣٠ . الموقف مكثف . الكلمات مدببة . لا جزئيات ولا تفاصيل جانبية . انطباع موحد . حركة داخلية تسرى في القصة كلها .

كذلك نشير الى قصة « قطعة من العملة القديمة » . وهى من القصص الجيدة جدا في هذه المجموعة . ولا تخرج من تجسيد « الغربة » الانسانية والاجتماعية . غربة الابن من الام ومن الاب . وضياعه بسبب اغترابهما عنه . كل يبحث عن ذاته بعيدا عن الابن . ومعظم القصص التى كتبها ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ تحمل هذه الرؤية الاجتماعية للاغتراب .

ومما يسم القصص بسمة أساسية طريقة الحكى والسرد . وهى وسيلة اصطنعها الكاتب صلاح عبد السيد اصطناعا . وقد استمدها من الطريقة التى يتوسل بها الرجل العادى في قص قصة أو سرد حادثة او وصف شخص . مستعينا في ذلك بتمثيل الموقف ، ومحاكاة الشخصية ، وتقليد الحركة ، والصوت ، والاشارة ، وما الى ذلك من وسائل يستعين بها القروى العادى لكى ينقل صورة كاملة الحركة ، شديدة الدقة

والاحكام ، دون أن تفقد صدقها وواقعيتها . ودون أن تنسى دورها في التعليق ، او الغمز ، أو الاشارة ، أو السخرية . هو في كل لايخرج على قواعد اللغة ، ولا على الانتخاب منها ، وان استخدم كلمات عامية موحية دالة ، ومنسجمة مع الموقف ، والشخصية ، وتدفق اللغة الخاصة بالقصة . وربما يبدو ان الكاتب حريص على أن تكون هذه هي طريقته . اذ انه يؤكدها من خلال قصص هذه المجموعة . وكانت قد برزت بوضوح في قصص مجموعته الاولى « الجثة » ١٩٨١ .

والكاتب يهتم اهتماما ملحوظا بالدراما . بالفعل . بالحركة . ومن ثم كان حرصه على ان يضبط كل حركة . ويقدم شخصياته وهي تفعل ، وهي تتحرك ، وهي تعمل . ولو أننا عرفنا أن صلاح عبد السيد ممن يمارسون كتابة المسرح ، فانا سوف نجد « الحركة » و « الصراع » عاملين بارزين في قصصه القصيرة ، جاءا متأثرين بتقنيات الكتابة للمسرح . فهو يتتبع الحركة ، والنأمة ، والاشارة ، ونبرة الصوت . ويتقمص شخصياته بشكل كامل . فقد حول واحدة من قصص مجموعته الاولى ، وهي قصة « الارشيف » الى مسرحية قصيرة هي « الارشيفجي » التي قدمها مسرح الطليعة ١٩٨٣ . وكانت الثقافة الجماهيرية قد قدمت له مسرحية « قول يارب » ١٩٧٢ . كما قدم له المسرح الحديث في ١٩٨٥ مسرحية « هنا مقص وهنا مقص » .

في صفحة ٤٣ يصف حركة الشخصية على هذا النحو : « مد رقبته ناحيتي يفتش بعينيه عني . يعرف صوتي . ويحبني . كان يبتسم لي حين يراني ويقول : « اجلس ياابراهيم . لكنه سحب رأسه ، ولم جسده ، ومضى . مضى يدب في الحارة » . لاحظ استخدام الافعال . مرة يستخدم الفعل الماضي « مد » للانتباه من حركة . ثم يستخدم الافعال المضارعة للدلالة على الحركة الآنية : « يفتش » بعينيه . « يحبني » . « يعرف » صوتي . وكذلك قوله : « سحب رأسه ، ولم جسده ، ومضى » كلها أفعال تدل على حدوث الفعل في زمن مضى . ثم يحدد نوع الحركة بفعل مضارع « يدب » في الحارة ، لتثبيت معنى القوة . كل ذلك على اثر فعل الامر « اجلس » ، سحب رأسه أولا ، ولم جسده بعدئذ ، واخيرا « مضى » ، وهو « يدب » في الحارة .

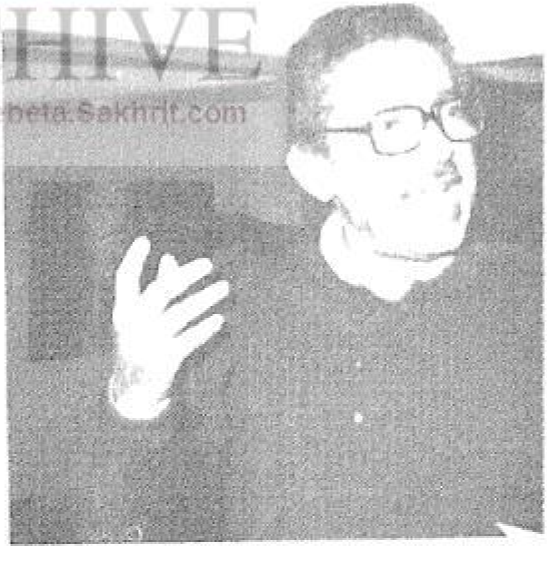
ثم انظر معي الى هذه الحركة الكاملة التي يحتاج تجسيدها وتصويرها الى صفحات وصفحات ، في صفحة ٦٤ يريد أن يصور تواطؤ شيخ الخفراء مع اللص الكبير « أبو الحجاج » : « لحظتها كنت واقفا . ورأيت عيني أبي حجاج تتسلقان وجه شيخ الخفراء . ورأيت عيني شيخ الخفراء تطمئنانه . بعدها انحنى شيخ الخفراء يفك رباطه ، فالفعلان المضارعان : « تتسلقان » ، « تطمئنانه » يشمان حركة ودلالة . حوار صامت حافل بالحركة والحيوية . ثم بعد « انحنى يفك » حركتان مترابطتان متتابعتان . جاءت الثانية نتيجة للاولى . والحركتان جاءتا نتيجة وخاتمة لحركة سابقة « تطمئنانه » .

ومن تشبيهاته أيضا ص ٣٦ : « تقلب على فراشه واعتدل ألف مرة . وبسمل . واستغفر . وقرأ الصمدية . ولكن بلا فائدة . وصدره يحتل كأنه وابور طحين خرب . يلفظ انفاسه قبل أن يتوقف » ووصفه النهار بأنه « شاحب وراكد ولونه أصفر » ٣١ والصوت « قد بلله العرق فاصبح واهنا » . « صوت مبلول بالعرق » . اما طريقته في الحكي والقص والسرد فانا اشرنا اليها . وقلما تخلو قصة من هذه السمة المميزة « انظر ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ » . وهكذا اختار الكاتب صلاح عبد السيد موضوعه ، وشخوصه ، ومواقفه ، كما شكل لنفسه بناء فنيا واقعيا ، وانتقى أسلوبا بسيطا ولغة غير معقدة ، احتفظ فيها بتشبيهاته الخاصة ، وصفاته ، ونعوته ، وادرك أن العنصر الدرامي في القصة القصيرة أساسي وضروري . وارتبط بواقعه ، بل انتقد هذا الواقع . ورفض الاغتراب وغمز ولمز التهريج السياسي . وكان في كل حريصا على شكل القصة القصيرة الدرامية .

معرض آدم حنين في قاعة مشربية
آدم يعود إلى القاهرة!

بقلم : فتحي غانم

عندما سافر الفنان آدم حنين إلى باريس ليقيم فيها منذ عام ١٩٧١ ، كان عبد الناصر قد لاقى ربه ، وكل شيء في مصر يوشك ان يتغير ، وكثير من القيم قد اهتز وكثير من المؤسسات والمناصب قد اعتراه ذبول النكسة .



آدم حنين .. الهدوء والعزلة

وكان آدم معروفا بأنه نحات اشتهر بتماثيله التي كان يعرضها بين وقت وآخر فتلاقى اهتماما خاصا من الفنانين ونقاد الفن في مصر ، وكان محمد حسنين هيكل قد طلب منه اقامة تمثال في مدخل مبنى الاهرام الجديد ، وكان يستعد لاقامة تمثال في دار التحرير التي تصدر جريدة الجمهورية ، وكان مجتمع الفنانين مازال يذكر معرضه الذي اقامه لتماثيله في بيت السناري بحي السيدة زينب ، وكان تظاهرة فنية جديرة بهذا الفنان المعروف بتواضعه إلى حد الغرور ، وابتعاده عن أساليب الدعاية وعزوفه عن الحياة الاجتماعية رغم قوة صلاته الشخصية بمجتمع الفنانين والادباء والكتاب . وكذلك

كان مجتمع الفن العالمي يعترف بأعمال آدم حنين فقد شهدت الستينيات معرضا له فى ميونيخ ، واحتل تمثاله حامل القدور مكانة فى حديقة عامة مشهورة بمدينة دالاس بالولايات المتحدة ضمن أربعين تمثالا عالميا من أربعين دولة فى العالم وكان تمثاله صبى الفلاح الذى يركب الجاموسة قد دخل متحف الفن الحديث بلندن واحتل مكانه هناك . وكان تمثالان خشبيان لتمساح وصقر قد برزا فى معرض للفن الافريقى فى دكار وقد ذهب أندريه مالرو الكاتب الفرنسى الكبير ووزير الثقافة فى عهد شارل ديجول ليفتتح المعرض وأعلن أنه بعد مشاهدته للتماثيل الأفريقية وجد فيها أخطر عمل تم انجازه ـ حتى اليوم ـ ويكشف عن مستقبل القارة الافريقية !

كان آدم حنين مثالا له وضعه المتميز لاتخلو فى الغالب دراسة عن النحت فى العالم من اسمه وكان وجوده فى القاهرة مصدر اشعاع فنى هادىء وعميق وكانت صداقاته حميمة وتماثيله وصوره فى بيوت اصدقائه عبد الحليم حافظ وجمال كامل واحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين وأحمد حمروش وراجى عنايت وبهجت عثمان . وإذا كان هناك مثال حى على ان الفنون تتأثر ببعضها فى جيل واحد ، فهذه العلاقة الصامتة وغير المعروفة اعلاميا بين آدم حنين ومجتمع الفنانين ، والتى كانت بعيدة تماما عن أضواء الشهرة والدعاية اكدت أن هناك وجودا فنيا له مذاق خاص وحساسية من نوع خاص يشترك فيها الفنانون من كل جيل ويتعاملون بها على نحو او آخر سواء فيما بينهم أو مع جماهير المستمعين الى الغناء والموسيقى او القراء أو المشاهدين للوحات الرسم أو التماثيل او المتلقين لأبيات الشعر .



عبقرية الشموخ وتماثيل آدم حنين

● بيت السنارى والاكتشاف

ولقد كان آدم حنين فى طرف من عالم الفن ، غارقا فى الهدوء والتأمل والعزلة ، بينما فى الطرف الآخر عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وصلاح جاهين ، ولكنهم كانوا أصدقاء وصلاتهم حميمة على

المستوى الشخصى لانهم كانوا ابناء جيل واحد بهمومه وأفراحه وأحزانه .

وكان هناك معرض لتماثيل آدم حنين ـ فى الستينيات ـ أقامه فى بيت السنارى بالسيدة زينب ، من أسباب الكشف عن بعض اعماق هذا الفنان الكبير . فقد كانت وزارة الثقافة تستعد لاقامة معرض يجمع اعمال المثالين المتفرغين ومن بينهم آدم حنين ثم تعطل مشروع الوزارة بعد أن استعد المثالون فقد تبين أن الوزارة . كالعادة ! ـ تعانى من عجز مالى فى آخر السنة المالية .

ولقد فاجأنا آدم بتصميمه رغم عجزه الشخصى المالى على ان يمضى فى تنفيذ المعرض لتماثيله . وقرر ان يتحمل نفقات طبع كتالوج وبطاقات دعوة . وكان اهم سبب لرغبته فى إقامة المعرض اعجابه ببيت السنارى بالسيدة زينب . أعجبه البيت لأنك حين تدخله من حارة « مونج » يخيل إليك أن البيت عادى مثل أى بيت آخر . ولكن جدران البيت تخفى وراءها الجمال المستور ، شأن كل البيوت فى العمارة العربية ، التى تهتم بأن يظل الداخل مستورا بكل أسراره وبكل جماله الفناء والنافورة والقاعات والدهاليز متصلة متشابكة فى لحن أشبه بالوحدات الزخرفية تحيط به مشربيات وأعمدة وبواكى وأقواس . وكانت تماثيل آدم ، الطيور والقطط والحمار والعنزة وحامل القدور والرجل والسمكة والمقاتل الذى يحمل الدرع تقف جميعا فى رحاب هذه العمارة والزخرفة العربية .

قلت لآدم فى ذلك الوقت .

تماثيلك فى هذا البيت تقول نحن السر تحت القبة ، نحن الحقيقة الصوفية نحن الباطن الذى يخفيه الظاهر نحن نهاية المطاف بعد مغامرة البحث عبر ميدان السيدة زينب والحوارى المتفرعة منه حتى نصل إلى هذا البيت بجدرانه وأبوابه وسلالمه ودهاليزه .

وفى ذلك الوقت ـ منذ اكثر من عشرين عاما ـ كنت أرى فى فن آدم محاولة خلق وجود ، وجود من خشب أو حجر أو برنز ، او وجود بالألوان والخطوط والمسطحات على لوحة من قماش ولكنه وجود حقيقى ، بمعنى أنه ليس مجرد مادة خام ، وأهم وسيلة للتفرقة بين الوجود الحقيقى ووجود المادة الخام . هو أنك أمام الوجود الحقيقى تشعر فى نفس الوقت بوجودك أنت . أما المادة الخام فتشعر بأنك تريد أن تحصل عليها وتستغلها ولكنها لا تشعرك بوجودك الحقيقى . إنها قد تشعرك بحاجاتك أو اطماعك ، ولكنها لاتشعرك بحقيقة نفسك .

وكتبت عن هذا المعنى اقول .. تماثيل آدم هى بطبيعتها بناء وهى موجودة لها كيانها ولها شخصيتها لاتستطيع أن تتجاهلها ، بل تدعوك لأن تكون على صلة بها ، وهى تشعرك بوجودك أنت فى اللحظة التى تشعر فيها بوجودها ، تماما مثلما تمتلىء نفسك بالمشاعر عندما تواجه البحر أو غروب الشمس أو الطير الأبيض فى السماء أو شراع مركب أو لفتة امرأة جميلة أو وردة أو وجه طفل أو صوتا جميلا يردد أغنية أو كلمة صدق ، أو عملا يتحقق

او لقاء مع صديق إنها اللحظة التى تمتلىء فيها نفسك بالوجود أو بالثقة وهى اللحظة نفسها التى ترتبط فيها بعلاقة أو معاملة تؤكد فيها ذاتك ووجودك فى مواجهة وجود آخر حقيقى لاريب فيه ولا زيف فيه

ولقد كان سفر آدم إلى باريس بعد حوار عنيف صاخب مع نفسه ، قبل ان يكون مع الآخرين ، وكنت واحدا من هؤلاء الذين ناقشوه فقد كان يستعد لاقامة تمثال لدار التحرير التى كنت رئيسا لمجلس ادارتها وكانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ قد عصفت بكثير من المسلمات وفقد آدم قدرته على التعبير كما يريد لأنه لايعبر بخطاب أو منشور سياسى وهو بعيد عن عالم المناورات السياسية والضجيج والصخب إنه يتعامل مع الجرانيت الصلد ويتعامل مع أشكال وكيانات قيمتها فى وجودها الحقيقى ، الذى لايتعرض لاهتزاز أو شكوك فى شرعيته ، أو ريبة فى جدواه أو خيبة أمل فى سقوطه وهزيمته .

قال آدم إن الفرصة متاحة له للتفرغ فى باريس فهل يكون هذا تخليا عن بلده .

قلت له على الفور :

ـ التخلص الوحيد عن بلدك هو ان تتخلى عن فنك .. والا تكون صادقا مع نفسك ثم أضفت قائلا :

ـ ولعل البعد يمنحك رؤية أشمل وأصدق نحن فى حاجة إليها اليوم لان ماحدث لنا يواجهنا بأن رؤيتنا للواقع ليست صحيحة وفى اعتقادى الذى لا أتخلى عنه أن الفنون الصادقة هى الطليعة الكاشفة عن الواقع اكثر من غيرها وهناك قول معروف لانجلز أنه عرف الثورة الفرنسية من رواية شارلز ديكنز « قصة مدينتين » أكثر مما عرفه عنها من كل ماكتبه المؤرخون والسياسيون .

ولا أستطيع ان أحدد مدى تأثير كلماتى فى قرار آدم حنين كل ماأعرفه أنه عانى من صراع نفسى حاد قبل أن يسافر عام ١٩٧١ ، ومنذ ذلك الوقت افتقدت رؤية أعماله حتى زرته فى باريس فى خريف عام ١٩٧٦ وشاهدت مجموعة تماثيله الجديدة فوجدتها تتحدث بنفس اللغة التى كانت تتحدث بها فى مصر . كان أهم مافيها هو وجودها فى حد ذاته . كانت تؤكد وجودها وانها تحتل مكانها وتتعامل بمنطق الخلود فى المكان والاستمرار الى الأبد فى الزمان . وانها لاتتحدث عن شعارات ولا تخطب ، تدعو إلى قوة أو تطالب بحرية انها تتعامل مع الوجود كما لو كانت جبلا قائما بذاته أو طلسما لايعرف أحد سره ، ولكنه طلسم يرمز إلى مجهول مستور

قلت لآدم

ـ ينقص هذه الأعمال شىء هام .

قبل أن يسألنى كان يجيب معى ان الذى ينقصه هو أن نرى هذه الكتل من الوجود التى تقف أمامنا فى استديو فى باريس وهى غارقة فى شمس مصر ، وضوء نهار مصر وظلال مصر .

وحدثنى آدم عن احلامه ، وكانت مرتبطة بصحراء واشكال من الكتل الحجرية متناثرة هنا وهناك تراها العين على امتداد الافق وهى مقبلة عليها ، وهى

معرض آدم حنين في قاعة مشربية

مديرة عنها كان في باريس وعيناه في الصحراء

وكنا نناقش صلته بالتراث الفرعوني والعربي ولاشك انه قد تأثر بهما . ولقد رأيت معه أن مايسمى بالحداثة ليس معناه تقليد المدارس الأوربية وهناك فرق كبير بين مايسمى بالمعاصرة . ومايسمى بالحداثة . فالفن الحديث هو الذي يعتمد على اصول من التراث يراها من جديد بمنظوره الخاص ويتعامل معها بحريته الكاملة اما المعاصرة بمعنى التأثر بالمدارس الأوربية العصرية فقد كان هذا مثار سخرية أدم ، ورفضه التام له وهو لايعترف بما تلقاه في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة والتي تخرج فيها عام ١٩٥٣ ويرى أن ماتعلمه هناك لايعبر عنه بقدر مافيه من تقليد أعمى للمدارس الأوربية وكان يردد . ما الذي أستطيع ان اصل إليه بتقليد هنري مور ، أو موندريان ، أو شاجال .

ولكن ظروفه في باريس فرضت عليه ان يقلل من انتاجه في النحت فالتكاليف باهظة وشمس مصر غير موجودة ولاتوجد في باريس ميان عامة مثل مبنى الاهرام ، تطالب بتماثيله وهكذا كان تركيزه يزداد على أعمال التصوير . وهي في جوهرها تنبع من نفس المصادر الفنية التي يتعامل بها . إنه يقيم مسطحات وظلالا وخطوطا بالألوان تشعر بوجودها في ذاتها وليس من السهل أن تعبر عنها بدقة بالكلمات تماما كما تقابل إنسانا ممتلئا بالحيوية وتشعر بوجوده معك ثم تحاول أن تحدد وجود هذا الكائن الحي بكلمات فتجد أن هذا شبه مستحيل وكل ما في وسعك هو أن تطلق الكلمات تحوم حول الرجل كفراشات تلمسه اذا اقتربت منه ، وتشعر به ، ولكنها لاتملك ان تحدده بكلمات حاسمة قاطعة ويكفيها أن تحوم حوله !

● لحظات التجلي الصوفي

ولقد استطاع أدم حنين أن يطلق وجود لحظات في حياته من خلال لوحاته فإذا ما تأملت هذه اللوحات التي عرضها خلال الشهر الماضي في القاهرة بقاعة مشربية . فسوف تجد ما استوعبه من وجود للطبيعة المصرية والحياة في أرضها ، عندما هاجر إلى النوبة وظل مقيما فيها حتى اغرقتها مياه السد العالي ، ثم تأملاته للنهر والصخور والنباتات في أسوان وقد عاش بها سنوات يرقب طيورا وحميرا وماعزا وصقورا وتماسيح محنطة أو وهو يزور أديرة قديمة أو يتجول بين جبال سيناء ، ولقد تشكل مزاجه في اللون والتكوين بكل هذا بالاضافة إلى التراث وهو لايدري ما الذي يحدث من تفاعل داخله ، ولايعرف على وجه الدقة ، ماذا كانت نتيجة هذا التفاعل حتى يجلس أمام لوحة بيضاء فإذا اقترب منها بأصابعه فهو لايرسم بل يشق البياض لتخرج منه الاشكال التي نضجت في ضميره على مر السنوات تتجلى له في لحظة من لحظات التجلي الصوفي التي ينتمي فيها الانسان إلى ماهو أكمل وأشمل وإلى الوجود في ذاته خارج المكان



والزمان واللذين يتعامل معهم فى اطار الخلود أو الأبدية .

والذى يتابع لوحات آد. الجديدة يستطيع ان يتابع فى نفس الرتت . كل ماتعنيه الحداثة فى الموسيقى او الشعر أو الأدب الروائى والقصص

ولست أجد أفضل من تلك الكلمات التى كتبتها عندما طلب منى أدم حنين أن اكتب تقدمة لمعرضه الأخير فى الكتالوج الخاص به .

هناك فى عالمنا اليوم فنانون كبار لهم القدرة على ان يقدموا رموزهم وطلاسمهم ومن بينهم آدم حنين وهو يختلف عنهم فى مكونات رموزه لأن اللقاءات السعيدة لمسطحات واضواء وظلال عالم أدم حنين لها علاقة خاصة وحميمة بصخور ورمال حرقتها شمس مصر ونسيج وسجاد صنعتها أيدٍ مصرية ولحظات تأمل فى فناء دير أو شاطىء ترعة أو دكة فى الريف من النوبة حتى سيناء تم مشاعر غربة ووحدة أمام مساحة جرداء من القماش فى انتظار أن يتجلى فى فراغها اللقاء السعيد .

ولسوف ترى العيون هدوءا وصخبا وسماحة وعنفا وسلاما ورعبا لأننا امام الرموز الأصيلة نستطيع ان نرى انفسنا كما لم نرها من قبل .

الدين

بقلم : مصطفى درويش

يكفى القاء نظرة طائرة على الواقع الفعلى فى حياتنا الثقافية السينمائية ، لنلحظ ندرة البحوث القائمة على اساس استطلاع اراء الجمهور فى مصر فيما يشاهد من افلام وعلى كل ، فرغم هذا الاهمال ، ثمة بحث فى العوامل التى تجذب هذا الجمهور الى الافلام . او تصرفه عنها نشرته المجلة الاجتماعية القومية فى عددها الصادر فى مايو ١٩٧٤ .

وانواع الافلام المصرية التى يرتادها المشاهدون وفقا لما جاء فى هذا البحث : قد جرى ترتيبها على النحو التالى :

(ا) الافلام المؤثرة (بنسبة ٦٠٪)

(ب) افلام المشكلات الاجتماعية (بنسبة ٩ر٥٠٪)

(ج) الافلام الفكاهية (بنسبة ٣ر٥٠٪)

(د) الافلام التاريخية والدينية (بنسبة ٥ر٢٨٪) .

ومن الحق علينا ان نستخلص من هذه النتيجة ان الحاجة الى الافلام الدينية كبيرة ، لا تنقضى ، فاكثر من ربع المشاهدين يميل اليها ، يقبل عليها ، ويقول هل من مزيد .

ومما يدخل فى باب العجب العجاب ، انه ، ورغم هذا الاحتياج الشديد ، فحتى بداية السبعينيات ،كان عدد ما اخرج للناس على ارض مصر من افلام عن الاسلام ستة افلام لا تزيد .

والاعجب ان الاسلام لم يدخل السينما عندنا الا بفضل فيلم «ظهور الاسلام » (١٩٥١) الماخوذ عن قصة الوعد الحق للاديب « طه حسين » ، اى بعد ان انقضى على صنع اول فيلم روائى طويل فى مصر (ليلى، ١٩٢٧) خمسة وعشرون عاما الا قليلا

والاعجب من هذا العجب ايضا انه ولئن كان ظهور الاسلام قد حقق لمخرجه ومنتجه « ابراهيم عز الدين » من النجاح والارباح ما كان سببا فى





استغنائه نهائيا عن السينما وسيرتها - لئن كان ذلك كذلك - الا ان احداً من صانعي الافلام عندنا لم ير في احداث التاريخ العربي الاسلامي ما يستطيع ان يلهمه حين يكتب بلغة السينما .

حقا نظر نفر منهم بين حين وحين الى هذه الاحداث ، واستخرج منها افلاما « كبلال مؤذن الرســـول » لاحمد الطوخي (١٩٥٣) : و« السيد احمد البدوى » لبهاء شرف الدين (١٩٥٤) و « خـــالد بن الوليـد » لحسين صدقي (١٩٥٨) و « شـهيدة الحب الالهي لعباس كامل (١٩٦٢) و « رابعة العدوية » لنيازى مصطفى (١٩٦٣) و « هجرة الرســـول » لابراهيم عمارة (١٩٦٤) و « فجر الاسلام » لصلاح ابوسيف (١٩٧١) و « الشيماء اخت الرسول » لحسام الدين مصطفى (١٩٧٢) .

ولكن نظرتهم هذه كانت نظـــرة سطحية اضاعت ما لتلك الاحداث من جلال وتاثير .

والغريب هنا ان منذ عـام ١٩٧٢ وحتى يومنا هذا ، قد توقف انتاج اى افلام مستوحاة من احداث الاسلام ، وذلك رغم كثرة الكلام عن الاصـالة والعلم والايمان .

والاكثر غرابة هو جنوح رقابتنا في ظل هذه الازدواجية الخبيثة الى منع فيلم « الرسالة » لصاحبـــه « مصطفى العقاد » ، وجنوح احـــد وزراء الثقافة والاعلام الى تقاليـــد السلف ايام الملكية بكل قلبه ..كيف؟ بأن قام باصدار قـرار وزارى تحت رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦ بشأن القواعد

الدين في دنيا السينما

الاساسية للرقابة على المصنفات ، حدد فيه المشروع والممنوع .

وكان من بين الممنوع بطبيعة الحال اظهار صورة الرسول صلى الله عليه وسلم صراحة أو رمزا او صور احد من الخلفاء الراشدين واهل البيت او سماع صوت اى منهم .

ولم يقتصر الممنوع على ما سلف بل انصرف كذلك الى العشرة المبشرين بالجنة ، حاظرا اظهار صورة او سماع صوت اى واحد منهم

عهد وميثاق

وهنا ، قد يكون من اللازم والمفيد من باب المقارنة لا غير ، ان نقف عند السينما فى الغرب وتناولها للدين ، متى بدأ، وكيف ؟

لو رجعنا الى كتابى « الدين السينما » للناقد « ايفان بتلر » و « فيما وراء الصورة .. اجتهادات حول البعد الديني فى السينما » للناقد « رونالد هولوني » لوجدنا ان الدين عند السينما فى الغرب ، وعند المتكلمين عنها هو اما العهد القديم او العهد الجديد ، ولا شيء آخر .

وان عمر الدين فى الفن السابع مواكب لعمر السينما ، فما ان تحركت الصورة بفضل الاخوة « لوميير » على شاشة بيضاء باحد مقاهى مدينة النور فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٩٥ ، حتى بدأ تهافت صانعى الافلام على القصص الديني، بحيث اتسعت بحور السينما لكل ما هو مستوحى من التوراة ، ومن عذابات السيد المسيح ، ومن المعجزات واساطير الاولين ، الى سير الوعاظ والمبشرين والرهبان والقديسين والقديسات الاحياء منهم والاموات

عذراء الشاشة

وقصة الدين فى السينما بدأت عام ١٨٩٧ بالسيد المسيح وسيرته مستوحاة من مسرحية عن عذاباته ، صورها « ماركو كلو » و « ابراهام ايرلانجر » .

ثم « بجان دارك » فى العام التالى يخرجها « جورج هاتو » ومن ملاحظات صاحب «الدين فى السينما» ان خط « عذراء اللورين » من الافلام يفوق خط اى شخصية تاريخية اخرى .

فلا احد من مشاهير التاريخ ينافسها فى عالم الاطياف سوى نابليون وراسبوتين الملعون .

وقد يكون من المناسب هنا ان اسوق سردا تفصيليا مستمدا من هذا الكتاب لافلام القديسة الفرنسية ، وافلام الراهب الروسى ، لعله يوضح مدى استغلال السير الدينية سينمائيا وحكمته سياسيا .

فمع بداية القرن العشرين (١٩٠٠) اخرج « جورج ميلييس » فيلما عن « جان دارك » عبارة عن « استعراض ضخم من اثنتى عشرة لوحة وخمسمائة ممثل يرتدون ملابس رائعة » .

وبعد ثمانية اعوام انتجت كل من شركة « باتى » الفرنسية وشركة « شينى » الايطالية فيلما عن العذراء البتول .

وفى عام ١٩١٣ اعادت ايطاليا التجربة بفيلم من اخراج « نينو او كسيليا » ادت فيه « ماريا جاكو بيتى » دور عذراء اللورين

ثم تتقدم الاعوام قليلا ، وها هى الولايات المتحدة تعد شعبها لصدمة

الزج به في أتون الحرب العالمية الاولى الى جانب فرنسا ، فتنتج هوليوود فيلما عن العذراء المحاربة اخرجه « سيسيل • ب • دى ميل »

ومن بعد هذا الفيلم الذى انتجه مصنع الاحلام في عاصمة السينما ، مكثت العذراء بعيدة عن الشاشة البيضاء زهاء احد عشر عاما • وذلك الى ان كتب لها خلال عام ١٩٢٨ ان تعود في واحد من اجمل افلام الفن السابع بفضل « كارل دراير » المخرج الدنمركى الكبير ووجه « فالكونيتى » الممثلة الايطالية التى ابدعت فخلدت طيفا •

وما كاد يمر عامان على رائعة « دراير — فالكونيتى » حتى ظهرت العذراء من جديد في فيلم تحت اسم « القديسة جوان العذراء » •

ثم جاء دور الالمان ، فانتجوا حول سيرتها فيلما اسموه « جوان العذراء » (١٩٣٥) •

وتعيد هوليوود الكرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فتنتج هذه المرة فيلما ملونا فاشلا عنهما من اخراج « فيكتور فليمنج » وتمثيل انجريد برجمان » التى قامت باداء الدور في فيلم ثان من اخراج عشيقها رائد الواقعية الجديدة « روبرتو روسولينى » (١٩٥٤)

وقبل ذلك بعام كان الفرنسى « جان ديلنوا » قد اخرج فيلما من اجزاء ثلاثة ظهرت العذراء في الجزء الاول منها تمثلها نجمة فرنسا الاولى « ميشيل مورجان »

فاذا مــا مرت على عذراء « روسيلينى — برجمان » ثلاثة اعوام • اختار المخرج الامريكى « اوتو برمنجر » الممثلة الناشئة « جان سيبرج والتى جاءها الموت (١٩٧٩) بالانتحار ، اختارها لتؤدى دور « القديسة جوان » عن سيناريو



داود ..
في نظر هوليوود

كتبه الاديب الانجليزى الشهير « جراهام جرين » مأخوذا عن مسرحية الاديب الايرلندى الساخر « جورج برنارد شو » التى بنفس الاسم

ثم جاء عام ١٩٦٢ ليخرج « روبير بريسون » — وهو واحد من عمالقة الابداع السينمائى في العالم — الفيلم الرابع عشر عن العذراء الشهيدة « محاكمة جان دارك » •

وكان خروج الفيلم الاخير الى الناس ايذانا باختفاء العذراء •

فمن بعده لم تظهر على الشاشات البيضاء

اما « راسبوتين » جنسروبين فقد بدأ ظهوره في السينما متأخرا عن « جان دارك » لان العالم لم ينتبه الى الراهب الفاسد الا عام ١٩١٧ ، عام

سقوط امبراطورية آل رومانوف ، وافتضاح الدور الذى لعبه راسبوتين بمجونه ، وباسم الدين فى هذا السقوط المدوى

ففى عام السقوط هذا اخرج فيلم عنه تحت اسم « راسبوتين الراهب الاسود » .

وظل نسيا منسيا الى ان تذكرته السينما السوفييتية عام ١٩٢٩ ، فاخرجت عنه فيلما صامتا ... من بعده تصدى الالمان لسيرته فتناولوها فى فيلمين خلال عام واحد (١٩٣٠)

ثم جاء دور هوليوود التى انتجت فيلما « راسبوتين والقيصره » مثله الاخوة « باريمور » (١٩٣٣)

وغاب الراهب المفسد فى الارض عن الشاشات الى ان اخرج عنه فيلم فرنسى مثله « بيير براسور » (١٩٥٤)

وبعد ستة اعوام عاد الى جمهوره فى فيلم ايطالى « ليالى راسبوتين » ثم فى فيلم امريكى « راسبوتين الراهب المجنون » (١٩٦٥) ليعقبه بعد عامين فيلمه التاسع « قاتل راسبوتين » الذى افتتح به مهرجان كان ١٩٦٧

ومرة ثانية ظل غائبا زهاء تسعة اعوام الى ان عاد مع « نيقولا والكسندرا » ومع فيلم للمخرج السوفيتى « اليم كليموف » اسمه « اوجاع » ظل ممنوعا من العرض داخل الاتحاد السوفييتى وخارجه لسنوات طوال .

مكتابا الناقدين كلامها حافل بالمعلومات عن الافلام المستوحاة من العهدين القديم والجديد .

وهى معلومات يتضح منها ان اهتمام السينما الامريكية بالعهد الاول يفوق اهتمامها باى عهد .

وان هذا الاهتمام زاد قبيل اعلان وعد بلفور وبعده .. وتفاقم بعد اعلان قيام دولة اسرائيل .

فقبيل الوعد بقليل انتجت شركة فيتاجراف الامريكية « ابنة يفتاح » و « سالوم » و « قضاء سليمان » و « شاءول وداود » و « حياة موسى » واخرج « دافيد جريفيث » فيلمه « جوديث » الذى يعتبر باكورة الافلام الضخمة المستوحاة من التوراة .

كما انتجت شركتا « تنهاوزر » و « يونيفرسال » ، فيلمي « يوسف فى ارض مصر » و « شمشون »

وبعد الوعد انتجت السينما الامريكية « سالوم » مرتين وفيلم الوصايا العشر من اخراج « دى ميل » (١٩٢٣) و « سفينة نوح » (١٩٣٠) والمراعى الخضر (١٩٣٦)

وما ان ظهرت دولة اسرائيل الى الوجود حتى اسرعت هوليوود الى انتاج فيلم « شمشون ودليلة » للمخرج « دى ميل » (١٩٤٩) وفيلم « داود وبتشبيا » (١٩٥١) وخطايا جيزابيل » (١٩٥٣) ومرة ثانية « الوصايا العشر » (١٩٥٦) لنفس مخرجها ايام السينما الصامته وفيلم « سليمان وملكة سبا » للمخرج كنج فيدور » وفيلم « استر والملك » للمخرج راءول والش (١٩٦٠) « وسدوم وعامورة » للمخرج روبرت الدرش (١٩٦١) و « التوراة فى البداية لمخرج « جون هوستون » (١٩٦٦) و « الملك داود » (١٩٨٥) ولعل اخطر هذه الافلام المستوحاة من العهد القديم هما « التوراة ..

فى البداية » و « الوصايا العشر »

فالاول فيلم طموح يبدأ بالتكوين ، ويطرد ادم وحواء من الجنة ، ثم يمر مرورا عابرا على قتل « قابيل » لاخيه « هابيل » وعلى نمرود وهو يبنى برج بابل متحديا به السماء .. ثم على سفينة نوح ، وهى تحمل من كل زوجين اثنين ليقف عقب انتهاء الطوفان وظهور حمامة السلام وقفة طويلة نهائية عند ابراهيم .. وقفة مليئة بالايماءات الى أن أرض اسرائيل تمتد وعدا الى النيل .. بالتصريح والتلميح الى أن هاجر ام اسماعيل أمة .. وان سارة ام اسحق اميرة .. وهذا كله ابتغاء ان يترسب فى عقل المتفرج ان العرب عبيد بلا اصل .. وان اليهود اسياد اختارهم الله لتكون لهم الارض ومن عليها .

اما الفيلم الثانى فيعتبر مكملا لفيلم « التوراة » رغم انه سابق عليه فى تاريخ الانتاج بحوالى عشرين عاما .

و « دى ميل » مخرج « الوصايا العشر » صامتا ثم متكلما ملونا ، قد تناول قصة موسى وبنى اسرائيل اثناء وجودهم على أرض مصر ، ثم اثناء خروجهم منها ـ تناوله على وجه مشوه يراد به باطل ، هو تصوير اهل مصر وكانهم شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش فى اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين الى يوم الدين

وهذا السبيل الذى سلكه «دى ميل» لا يثير دهشة احد ، فالتاريخ ليس من الامور التى يهتم بها ويهتز لها ، آية ذلك انه لما اعترض النقاد على استعمال اسم الاميرة «نفرتيرى» او « نفرتيتى » فى « الوصايا العشر» رغم ان التاريخ يقول ان هذه الاميرة عاشت فى غير عصر « موسى » ، لم يعر اعتراضهم التفاتا .

وزاد من حيرة نقاده حين قال فى استهتار فاضح ان ثمة اميرتين بهذين الاسمين ، يفصل بينهما قرن ونصف من عمر مصر القديمة ، وان الاميرة العاشقة « ان باكستر » لنبى فيلمه « شارلتون هستون » هى نفرتيرى ونفرتيتى فى ان واحد .

وهذا التحريف والتشويه ليس بغريب على صاحب الوصايا العشر

فان من يقرأ سيرته ليدهش لغروره وجرأته على الحق ونفاقه الظاهر

فهو دائم الزهو والتباهى بالحيل السينمائية التى استعملها مرة أيام السينما الصامتة فى جواد لوب ، ومرة ثانية ايام السينما المتكلمة من « ابى رواش » بالبحر الاحمر لتصوير هذا البحر ، وهو ينفلق كالطود العظيم لينجو موسى ومن معه اجمعين ثم يغرق الله الاخرين اى فرعون ومن معه من الجنود المصريين ، ممتنع عن افشاء سر هذه الحيل ، وكانها سر الهى اوحى به اليه ، ولن يوحى به الى احد سواه

مجمع الاديان

وهو ممتنع كذلك عن ذكر اسم الممثل الذى نطق كلمات الرب الى موسى بالوصايا العشر فى سيناء ، لا لشىء الا لاحساسه بما يجب لهذه الكلمات من توقير وتبجيل .

وهذا النفاق له اصول تاريخية تبين من قراءة الباب الذى خصصه صاحب « الدين فى السينما » للمسيح فى دنيا الاطياف .

« فدى ميل » يقوم خلال عام ١٩٢٧ باخراج فيلمه عن المسيح « ملك الملوك »

الدين في دنيا السينما

وهو كعادته ينظم حملة دعائية يزعم فيها ضمن ما يزعم ان اليوم الاول للتصوير بدأ بصلوات اداها ممثلون المسيحية واليهودية والاسلام والبوذية !!

وان الفيلم يجرى تصويره فى حضور رجال من « الجيزويت » واتحاد مجلس الكنائس لاخذ رأيهم فى كل صغيرة وكبيرة .

وان مسئولية موت المسيح قد القيت على « كايفاس » بدلا من « يهوذا » مراعاة لشعور اليهود .

فضلا عن ان « وارنر » ممثل دور المسيح لا يكلم - وهو مرتديا ثوب المسيح - احدا سوى المخرج ولا يتناول وجباته فى حضور احد

هذا الى ان صلوات اقيمت امام مشهد الصلب الذى روعى أن يكون تصويره ليلة عيد الميلاد

وردا على هذا النفاق الامريكى الزائد - وبعد حوالى اربعين عاما - اخرج الفنان الايطالى « بيير باولو بازوليني الذى مات مقتولا (١٩٧٥) فيلما روائيا قصيرا اسمه « جبنة بيضاء » (١٩٦٣) عرض فيه لحقيقة تصوير مشهد الصلب فى السينما ... وهى حقيقة بعيدة كل البعد عن ادعاءات صاحب « ملك الملوك » .

فادوار القديسين والقديسات يقوم باداتها ناس من الناس ياكلون ويشربون .. يلهون ويهرجون اثناء التصوير

ودور اللص التائب المصلوب الى جوار المسيح « اذكرني يارب اذا جئت فى ملكوتك » يقوم بادائه فى « جبنه بيضاء » ممثل « كومبارس » عاطل جائع يداعبه زملاؤه المشتركون معه فى تمثيل المشهد الحزين مداعبات غليظة .

وهو من فقره وجوعه يلتهم خلسة كميات هائلة من الجبن تؤدى الى تخمة ، تنتهى به الى الموت على الصليب امام المخرج « أورسون ويلز » داخل الفيلم .. وبجوار المسيح الذى لا يموت .

ولما فى هذا الفيلم من قسوة كاشفة منع عرضه فى ايطاليا ، وهدد مخرجه بالسجن . واخيرا عوقب باربعة شهور حبس مع وقف التنفيذ

وهذه العقوبة ثم مصرع «بازوليني» بعدها باحد عشر عاما دليل ما بعده دليل على ان الدين فى السينما باق كما هو .. باق كما يريده مصنع الاحلام .. ولاجل طويل .. طويل .

جان دارك
أكثر القديسات انتشارا



ابتسامات

أسباب الارق

في غرف احد الفنادق الكبرى التي يؤمها في الغالب رجال الاعمال العاملون ، علقت الملاحظة الاتية : « اذا لم تتمكنوا من النوم فلا تبدأوا بالقاء اللوم على السرير ، بل حاسبوا ضمائركم اولا » .

غرور

كان المدير يجادل زميله حول شخص ثالث ، فقال : « الواقع انى لن اصفه بالغرور . لكنه مقتنع تماما بانه لو لم يولد لتساءل الناس عن السبب ! »

صندوق الاعانة الدائمة

سمع رجل يقول لصديقه :
« قبل ان اتزوجها كانت سكرتيرتي اما الان فهي امينة الصندوق ! »

فن السياسة

مرة سئل السيد ونستون تشرشل عن المؤهلات التي يظنها ضرورية لسياسي ناشىء . فزم شفتيه بطريقته المعهوده ودمدم بعد تفكير : « انها القدرة على التنبؤ بما سيحدث غدا او بعد اسبوع او شهر او سنة » . وبعد هنيهة اضاف : « ومن ثم القدرة على ان تفسر اسباب عدم تحقق التنبؤات ! » .

آدم وحواء

قال بائع الفساتين المتعب لزبونته : « هل تساءلت يوما كم ورقة توت جربت حواء قبل ان يستقر رأيها على واحدة ؟! »

سبب وجيه

سأل المدير سكرتيرته الشابة الجذابة : « هل لديك ارتباطات خاصة خلال عطلة نهاية الاسبوع؟» فاجابت الفتاة في خجل : « لا »
ـ حسنا « اذن ارجو الا تتأخري عن موعد العمل صباح الاثنين ! »

الفن والتجارة

اراد فنان معاصر ان يبيع احدى لوحاته فعرضها على تاجر لوحات اخذ ينظر اليها بسخرية، ثم وافق على دفع جنيه واحد ثمنا لها . فهب الفنان ساخطا وقال :« لكن قماش اللوحة وحده كلفني اكثر من ذلك » .
وهنا جاء جواب التاجر : « اعرف ذلك . لكنه لم يكن ملطخا بهذه الاصباغ حين اشتريته ! »

القرآن الكريم وفن تجليد الكتاب

بقلم : حـلمى التـونى

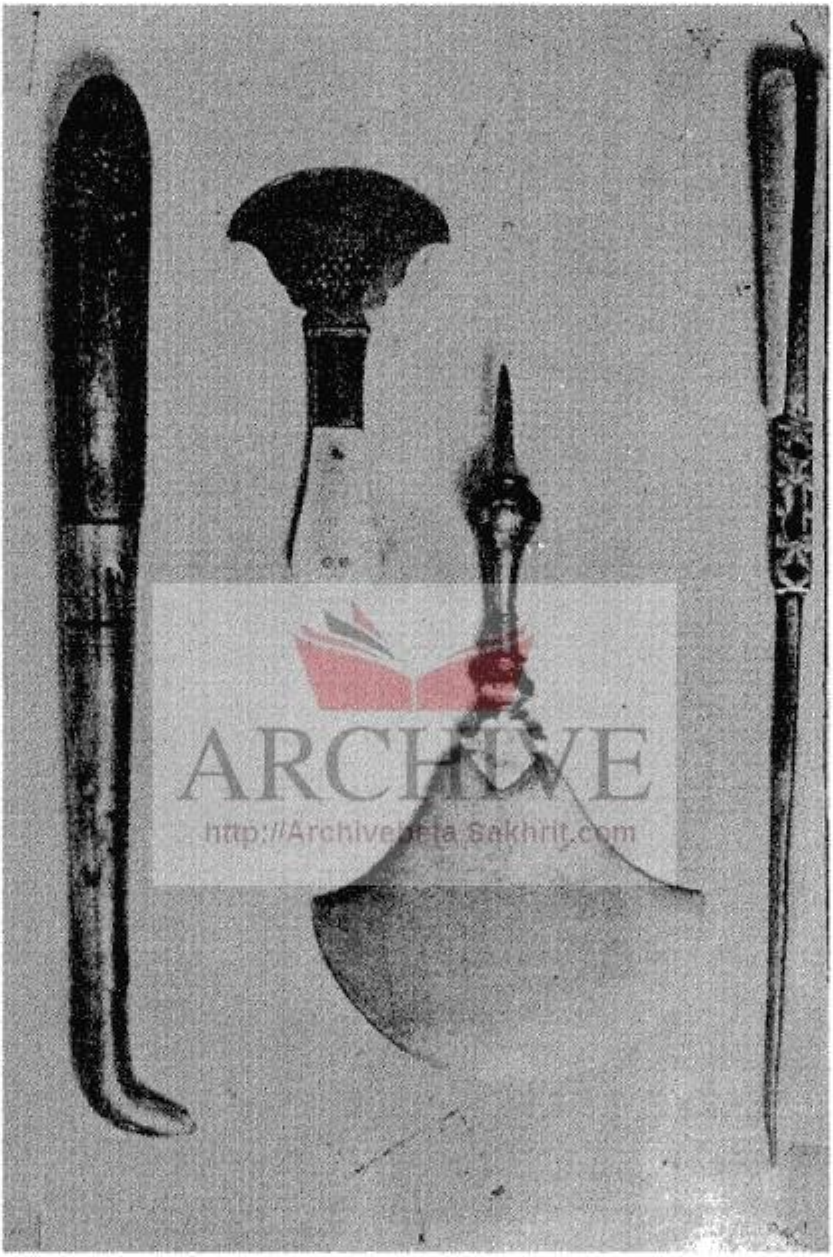
فن تجليد او حماية المخطوطات هو فن قديم قدم الكتابة ذاتها . فبعد الكتابة على الواح الطين انتقل الانسان إلى الكتابة على اللفافات ، وكانت قراءة هذه اللفافات غير مريحة خاصة أن بعض لفافات البردى المصرية القديمة كان طولها يصل الى اكثر من ستة امتار ولم يكن الرجوع إلى فقرة مطلوبة في تلك النصوص عملية سهلة .

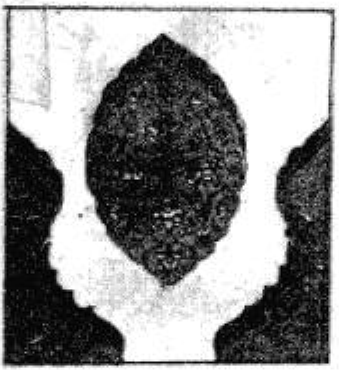
وكان الصينيون هم أول من لجأ الى طى اللفافات بشكل متعرج (زجزاج) فكان لهم فضل أكتشاف عملية التصحيف اى تحويل النص المكتوب الى صفحات ، وكم للصينيين القدامى من أفضال فى عالم الكتابة والكتب

وكان أول شكل للكتاب كما نعرفه حاليا هو الأناجيل القبطية المصرية القديمة وقد تم خطها أثناء القرون الستة الأولى بعد الميلاد ، على صفحات من ورق البردى وصنع لها غلاف مكون من طبقات عديدة من ورق البردى مغطاة بالجلد .

وقد عرف الكتاب منذ بداية الاسلام ، ومن المتفق عليه أن المصاحف عرفت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وكانت الصفحات القليلة المخطوطة تحفظ بين لوحين من الخشب . الى أن قام زيد بن ثابت فى أواخر القرن السابع الميلادى







● على الصفحة المقابلة أدوات فن التجليد في القرن التاسع عشر مصنوعة من النحاس والصلب ولها مقابض من العظم والصدف مزخرفة بالذهب ●

● ثم قوالب للبصم مصنوعة من النحاس من ايران القرن الثاني عشر

بنسخ القرآن الكريم كاملا على شكل الكتاب الذى نعرفه اليوم .

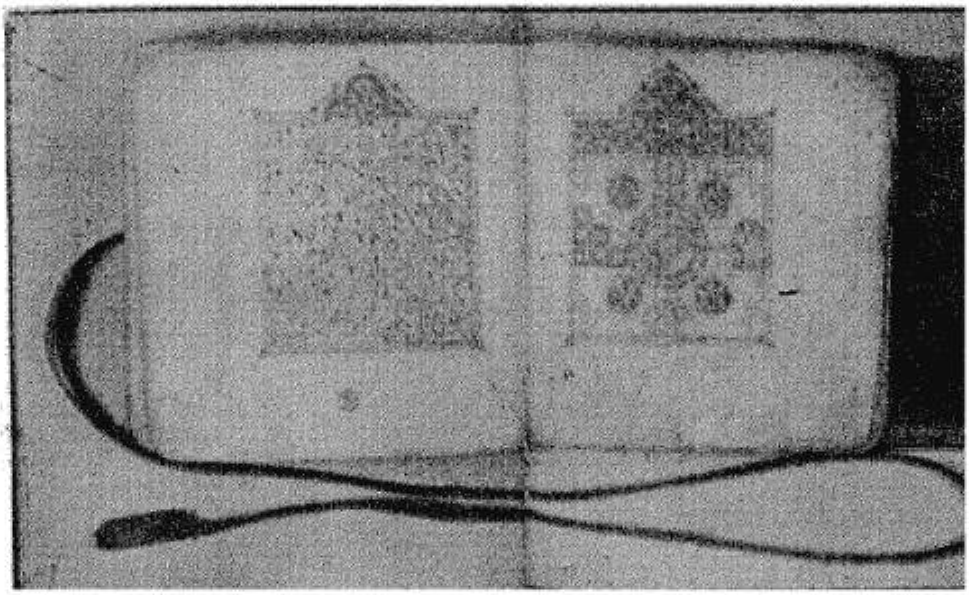
● العناية بفن التجليد

برع المسلمون الأوائل فى فن تجليد الكتاب وأولوه عناية فائقة لارتباطه بالقرآن فمنذ أنتشار الاسلام واستقراره فى مراكز الحضارة المدنية ، بعد خروجه من الصحراء ، نشأت مراكز متنافسة فى هذا الفن خاصة بالمدن ذات الحضارة العريقة السابقة مثل القاهرة والاسكندرية والقيروان فى تونس . وقد وضعت وألفت الكتب المتخصصة فى هذا الفن ومن أشهرها كتاب « نفائس الفنون » الذى الفه محمد بن محمود عام ١٣٤٢ ميلادية ، وكتاب « عدة الكاتب » لمحمد بن حسن الدمغاني ، وكتاب « مطلع العلوم ومجمع الفنون » الذى يحصى أساليب الخط العربى والزخرفة والتلوين وصناعة الأحبار ، ويعتبر كتاب « عمدة الكتاب وعدة ذوى الالباب » لصاحبه المعز بن باديس المولود فى المنصورية بالقرب من القيروان عام ١٠٠٧ ميلادية ، يعتبر هذا الكتاب موسوعة كاملة لهذا الفن .

واستخدم المسلمون أدوات مختلفة فى فن التجليد ، فاستخدم العرب منهم الفرجار والمسطرة لوضع التخطيطات الأولية على الجلد المبلل قليلا بالماء ويقترح ابن باديس فى كتابه تسخين الأدوات المستخدمة للحصول على تخطيط أوضح ، أما الاختام أو « الكليشيهات » التى ينتج عن استخدامها وحدة زخرفية كاملة فقد كان أول من استخدمها المسلمون في ايران وان كان المماليك قد عرفوا شكلا مبسطا منها ، استخدم لعمل البراويز الزخرفية والأركان .

ويرجع الفضل الى المسلمين فى اختراع الجزء المعروف باللسان وهو قطعة مثلثة فى حافة الغلاف الأخير للكتاب تدخل ، عند غلق الكتاب ، تحت غلافه الأول لتحميه من دخول الغبار بين صفحاته وتستخدم أيضا كعلامة للصفحة المقروءة .

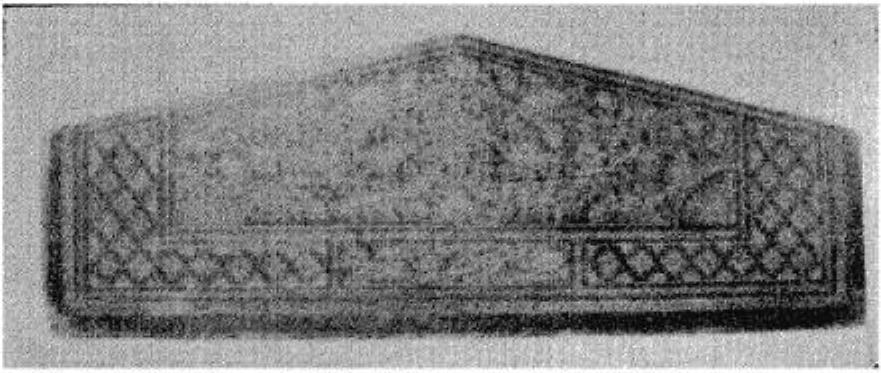
كان جلد الماعز هو المادة الأكثر

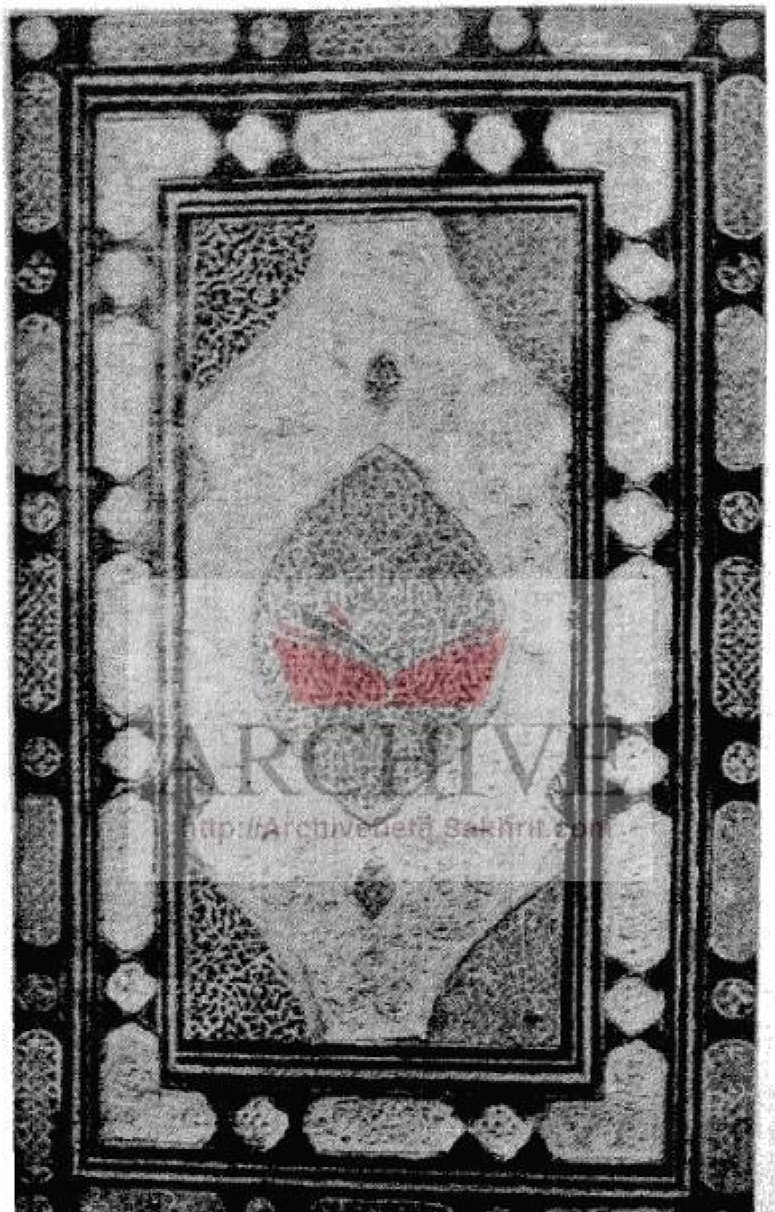


● كتاب «دلائل الخيرات» في شمال افريقيا مخطوط بالخط المغربي وغلافه من الورق المغطى بجلد مبصوم بالذهب ●

● نموذج في فن التجليد في ايران القرن الثاني عشر تتوسطه وحدة على شكل لوزة زخارفه نباتية ومستخدم فيه ثلاثة الوان بالاضافة الى اللون الذهبي ●

● «اللسان» اختراع اسلامي نموذج للطراز العربي في فن التجليد لون واحد ذهبي على ارضية من الجلد ●





استخداما عند المسلمين لوفرة حيوان الماعز في البلاد الاسلامية وقد تلاه في كثرة الاستخدام جلد الخراف .

★ ★ ★

يمكن تقسيم مدارس أو طرز فن التجليد الاسلامي الى ثلاثة طرز : الطراز المصري والسوري ، والطراز المغربي ، وطراز ، اليمن وجنوب الجزيرة العربية .

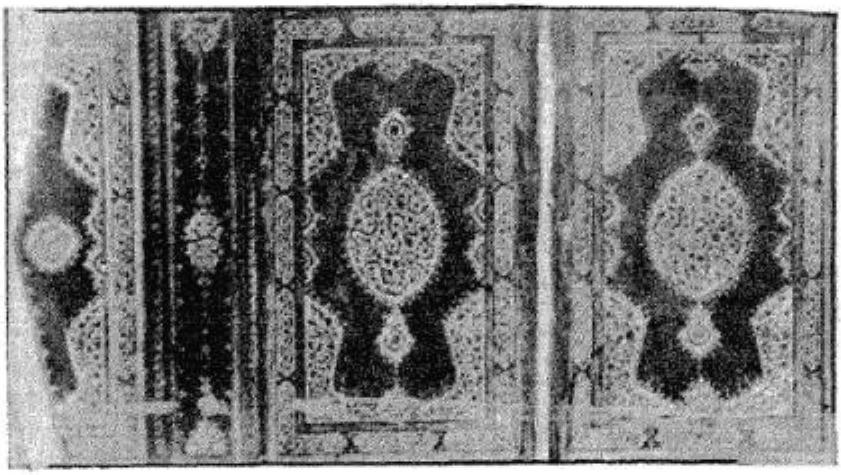
وعموما فالتجليد العربي يتميز بأنه أكثر بساطة في التصميم والزخارف والالوان عن فن التجليد الفارسي والتركي ، ونادرا ما كان يشتمل على أكثر من اللون الذهبي مستخدما في زخارف هندية أو مضفرة ومتداخلة ذات جمال خاص وقد أختلف الأمر بعد ذلك عند انتقال هذه الأشكال الى ايران وتركيا فصبغتها حياة الترف والقصور بطابع بالغ الغنى والتعقيد .

وبقى تجليد الكتب في ايران متأثرا وتابعا للمدرسة العربية حتى أوائل القرن الخامس عشر عندما انتقل مركز الثقل الحضاري والفني شرقا من مصر وسوريا الى ايران وبدأت مرحلة جديدة في التطوير والتحسين في فن التجليد ، فاستبدل بالأسلوب العربي ذي الزخارف المصبوبة بدون تلوين أساليب أكثر غنى ورقة ، وأصبحت « هراة » عاصمة التيموريين وقبلها (سمرقند) عاصمتين للفن الايراني .

وقد كان (الأمير الوزير باى سنقر ميرزا) ابن (شاه رخ ميرزا) محبا وهاويا للكتب وفن الكتاب فأنشأ مكتبة وأكاديمية كانت بداية مرحلة هامة وطفرة كبرى في هذا الفن وقد دامت هذه الأكاديمية أكثر من مائة عام واخرجت فنانين كبارا حملوا أسس هذا الفن الى البلاط الصفوى في « أصفهان » و« تبريز » ثم إلى الامبراطورية الاسلامية المغولية في الهند والامبراطورية العثمانية في القسطنطينية ، وقد قلد حكام الأقاليم « الأمير باى سنقر » فلعبت مدن أخرى مثل « ميرف » و «سمرقند » « وبلخ » و « مشهد » ونيسابور دورا في تطوير فن التجليد الاسلامي الفارسي ، وكان هناك تبادل للمعلومات والخبرات بين عواصم العالم الاسلامي المختلفة ، فكان المشرف على اكاديمية هرات ، الخطاط جعفر التبريزي يعد التقارير الفنية ويقدمها الى « باى سنقر » لارسالها الى المدارس الفنية الاخرى .

وقد بلغ فن التجليد في هذه الفترة درجة مذهلة من الغنى والتقدم والدقة حتى أن احد الأغلفة المحفوظ حاليا بمجموعة تشستر بيتي في مدينة دبلن ، قد استلزم اخراجه وزخرفته استخدام نصف مليون بصمة بدون ذهب وثلاثة وأربعين الف بصمة مذهبة ولابد ان صنعه قد استغرق حوالي العامين .

تأثر فن التجليد العثماني بالمدارس الايرانية حتى حلول القرن السابع عشر الميلادى فتميز الفن العثماني وتقدم وبدأ بدوره يؤثر على الفن الايراني وإن كانت المدرسة الايرانية قد اتصفت بالتنوع نظرا لتعدد مراكز فن التجليد ، فان الفن العثماني تميز بطراز واحد متشابه تقريبا بسبب ثبات السلطة . وتمركزها في استانبول منذ عام ١٤٥٢ ولمدة اربعمائة





● غلاف من تركيا ، بصم ذهبي على جلد أسود وتظهر فيه الأجزاء الكاملة للغلاف الإسلامي الغلاف الأول والكعب والغلاف الأخير ثم الصدر واللسان ●

● ثم قالب نحاسي للبصم على شكل مروحة ●

وخمسين عاما وحتى نهاية الأمبراطورية عند الحرب العالمية الأولى ، يحدثنا الرحالة التركى افليا تشليى (١٦١١ - ١٦٨٠) أنه كان فى « استانبول » وحدها ثلاثة الاف دباغ للجلود وسبعمائة ورشة دباغة .

كانت هذه ابرز مدارس فن التجليد فى العالم الاسلامى وقد وجد غيرها كثير فى الهند وجنوب الجزيرة العربية واقطار المغرب العربى وإن كانت اقل اثرا ودورا فى تطوير هذا الفن وقد تاثر معظمها بمدارس أخرى مجاورة



سيناء

وقوف في حضرة الجبال الصامتة

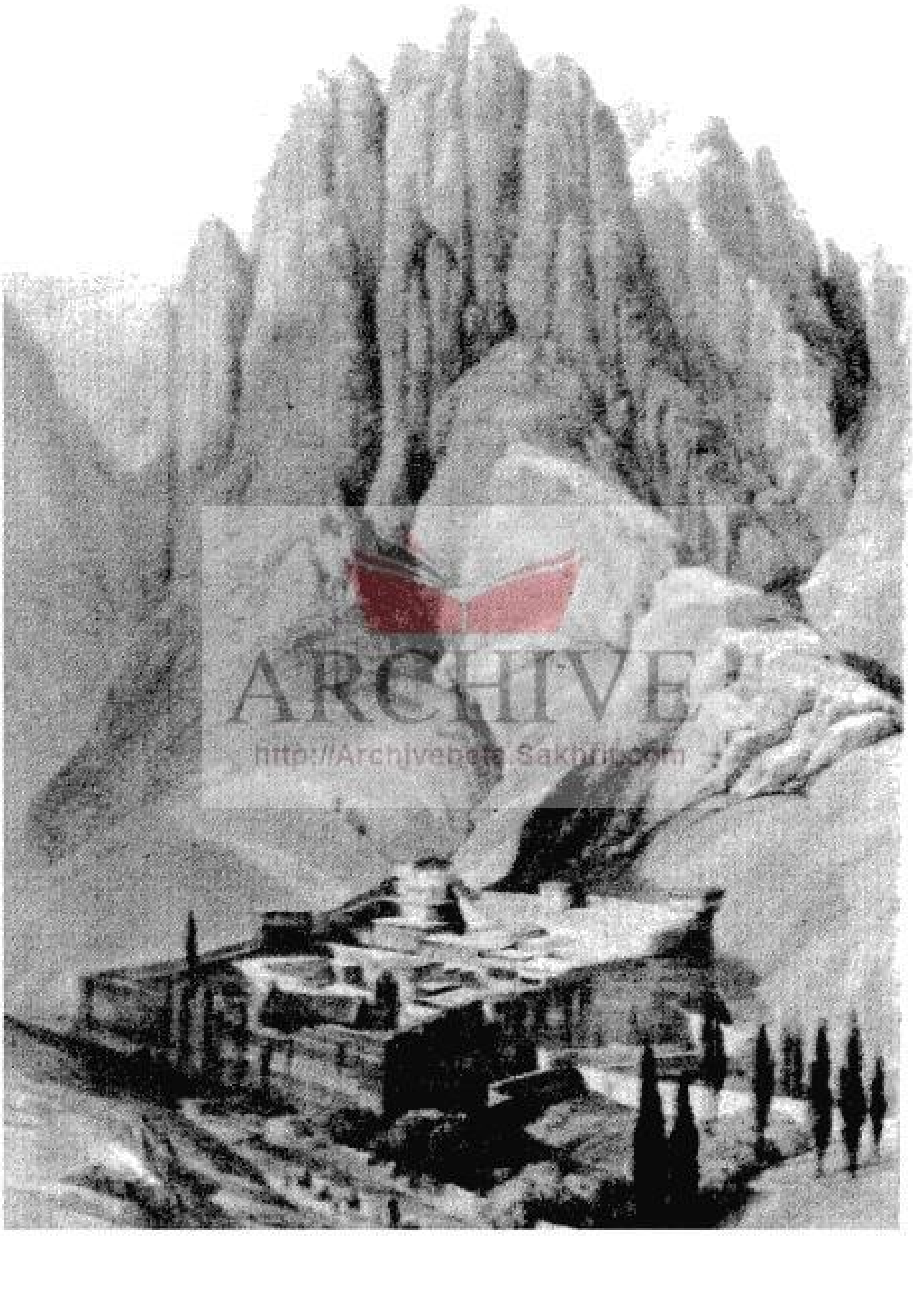
بقلم: د. محمد المنسى قنديل

خففت السيارة من سرعتها . وتوقف الغناء . سمعنا وجيب باطن الأرض . همس السائق كانما يفضى إلينا سراً .. نحن الآن تحت مياه القناة ، كان مثلنا غير مصدق رغم أنه عبر هذا الطريق عشرات المرات . أنبوبة النفق تمتد منحنية بحيث لا نرى نهايتها ، نغوص فى الضوء الأصفر الشاحب ، كاننا نعيش فى اليقظة ذكريات ذلك الحلم الذى يعاودنا جميعا . عندما نسقط فى قاع مظلم بلا قرار ، ونصرخ دون صوت ولا نتشبث سوى بالفراغ . حلم مقتطع من ذكريات لحظة الولادة كما يقول علماء النفس . ولكن هذه لحظة ميلاد بالغة الخصوصية . نعبر فى زمنها الوجيز من قارة إلى قارة ، خطا وهميا على جسد الوطن ، ولكنه شديد التباعد يصل الوادى القديم بالأرض التى اكتشفنا فجاة مدى جدتها ..

ثم بدت سيناء فجاة . وهجاً من الرمل الأبيض الناعم .. وسماء لا تكف عن الاقتراب من الأرض . وجبالا بالغة الصرامة من فرط الصمت الذى يحيط بها ..

إيه يارمل سيناء .. كيف تبدو بعد مرور كل هذه السنوات ؟..

دير سانت كاترين رابض وسط الجبال .. فيه صلابة الصخور ولانهائية الزمن



سيناء

مازلت أذكر المرة الأولى التى رأيت فيها حفنة من رمل سيناء . مازالت الرعدة تهز كل خلية من خلايا جسدى . كنت طالب طب ضئيل الشأن .. أرتدى البالطو الأبيض خلسة . وأضع السماعة على أذنى فلا أسمع إلا "وشيشاً" غامضاً . ثم دوت حفارات الحرب عند الظهيرة . وبدأت على الفور عملية إخلاء المستشفى من المرضى التقليديين الذين كانوا يظلون تحت رحمتنا ـ نحن الطلبة ـ طوال العام ، حتى إذا جاءت لحظة الامتحان أصبحنا نحن تحت رحمتهم . ذهبوا جميعا وفرشت الأسرة بملاءات نظيفة . وجهزت غرفة العمليات . وبقينا ننتظر ضحايا دوى المدافع . ولم يأت الجرحى إلا فى اليوم التالى . ولم يكونوا جرحى بالمعنى الحقيقى . كانوا فى معظمهم يعانون من حالات الهستريا من جراء صدمة الحرب الأولى . صدمة العبور ..

وكان الجندى الذى استلقى على السرير امامى أصغر منى سنا ، أسمر اللون تلك السمرة المصرية المميزة . جسده كله ينتفض ، لم يكن مصابا إلا ببعض السجاجات البسيطة . ولكن رعدته أصابتنا جميعا بالقشعريرة . كان يضم أصابعه الى بعضها ، ويضم ذراعه الى صدره ويبكى فى رعب ، وهو يضم أسنانه الى بعضها محاولا التماسك . كانت هناك حالة من الفوضى والهلع قد أصابت عالمه الهش . ولعل منظر الدمار المفاجىء قد أحدث شرخاً فى أعماقه . حاولنا أن نفرد ذراعه أو نفك أصابعه دون جدوى . وكان لابد من استعمال المخدر لعل جسده يسترخى ويحصل على شىء من الراحة . وعندما سرى المخدر فى عروقه أخيراً بدا أقل سمره وأصغر سنا . واستطعنا أن نفك أصابعه ..

لم يكن بها إلا حفنة من الرمال ، رمال بيضاء .. ناصعة البياض ، فيها قليل من ذر البارود الرفيع . استكان فى شقوق يديه وتعرج معها وبدا كأنه طبقة باهتة من الخلايا فوق خلاياها .. كانت هذه هى الذرات الأولى من رمل سيناء . مددت أصابعى الى كفه وتناولت بعضاً منها وتحسستها بهوادة . رأيته وهو يثب فوق هذه الارض المحرمة عبر فوهات النار ، وهو ينحنى ويحاول التشبث بهذا الرمل المنسرب . كان الجندى قد ظفر بابتسامة مريحة أخيراً وكف جسده عن الارتعاد ، وبكت الممرضة الواقفة بجوارى فى صوت خافت وواصلت تحسس الرمل وقد بدا الموقف كله غير واقعى .. تماما كتلك اللحظة الذى تعبر فيها السيارة أرض سيناء والتى تقف فى حضرة رمالها للمرة الثانية . تلك المثلث المقلوب الذى لم يخفت ذكره ابداً ..

ليست أرضنا جبلية كما تبدو .. ولكنها منبسط من الأرض تنبثق منه الجبال . تحاصرك بذلك الجمال البدائى الخشن ويبدو الزمان من خلالها موحشا وبلا نهاية .. ولا تكف الصخور عن التلون .. ولا عن التشكل ، تقيم عالمها الخاص من الصخر .. أناسا وحيوانات واشجاراً صخرية صامتة وأبدية ميثولوجيا العالم القديم تربض وسط هذه الوديان .. كلها آهلة بالقصص والحكايات رغم خلوها من

البشر . والرمال التى تطمس كل شىء لم تستطع ان تطمس معالم التاريخ ، إنها ليست صحراء عادية بكل المقاييس ، فالكتب المقدسة وهدير آلات الحرب الحديثة زادت من رهبة هذه البرية الموحشة .

قديما قال عنها أحد الحجاج المسيحيين . كل يوم .. وربما كل ساعة تقودك سيناء إلى أرض جديدة لها طبيعة مختلفة وتربة مختلفة وحالة مختلفة من حالات الطقس ، ومع مرور الجبال والتلال واختلاف الشكل واللون تجد نفسك فى حالة دائمة من الدهشة عما تتوقع ان يكون فى الخطوة القادمة ..

وقال عنها الكسندر ديماس الابن فى كتابه انطباعات من مصر والصحراء العربية . "إنها منطقة مليئة بالشعر والسحر والوحشة .. ولا يوجد مكان يترافق فيه الجمال بالخوف مثل هذه المنطقة .."

● الوقوف فى حضرة الماضى البعيد

الصخور الصامتة هى شواهد لكل الأقدام التى عبرت هذه الأرض .. كل الغزاة الذين جاءوا إلينا مروا من هنا واصبحت صخور سيناء شاهدة على انكسار الموجة إثر الموجة ، هنا اختلطت الاسطورة بالحقيقة . وشربت الرمال العطشى من الدم أكثر مما شربت من الماء . ولم تكف الشهب عن التساقط فوق قمم الجبال . وربما كان علينا ونحن نعبر سيناء أن نتعقب آثار هؤلاء الغزاة .. ففى هذه الرحلة الغريبة تتخلى الصحراء عن صمتها وتبوح بشهادتها الصخرية

منذ بداية التاريخ وهذه الأرض تتعرض لموجات لا تهمد من الغزاة .. مر على ترابها حوالى خمسة عشر جيشا من شتى أمم الأرض .. تركوا آثارهم فوق كل صخرة ، وربما كان الدم هو التاريخ المشترك فى كل هذه الغزوات ، إنه موقع متميز وتعيس بين الشرق والغرب . خلف رماله ترقد الجائزة الكبرى وحلم كل غاز . يرقد الوادى . ومن المؤكد أن الفترة الوحيدة التى لم تعرف غزاة لهذه الأرض هى فترة ماقبل التاريخ .

ولكن الغزاة لم يكفوا من أول الهكسوس حتى الإسرائيليين عن تدوين تاريخهم الدموى ، ولا يوجد فرق كبير بين أول الغزاة وآخرهم .. فعندما قام الهكسوس بغزو مصر وجدوا أعوانهم الطبيعيين من اليهود الذين كانوا يسكنون شمال سيناء فى ذلك الحين .. بل وتقول بعض الأبحاث التاريخية إن الهكسوس هم بعض فصائل العبرانيين .. وكأن مؤامرة تقسيم الغنائم مازالت مستمرة عبر كل هذه القرون السحيقة . على مدى قرن من الزمن حكم الهكسوس مصر ثم طردوا على يد أحمس من نفس الطريق الذى جاءوا منه .. تركوا اثراً وحيداً فى سيناء هو معبد للاله هاتور إله الفيروز ومازالت اثاره باقية فى سرابيت الخادم .. اسم سيناء نفسه اسم آشورى .. وهو مشتق من اسم الاله "ش" اله القمر عند الاشوريين . كانوا هم ايضا إحدى موجات الغزاة التى لم تنقطع .. جاء الحيثيون والبابليون والفرس واليونان .. موجات متعاقبة كأنها ضربات معاول لا تنتهى .. تهوى على جدران الفراعنة الصلدة حتى تصيبها بالوهن والتحلل . كان هذه الحضارة

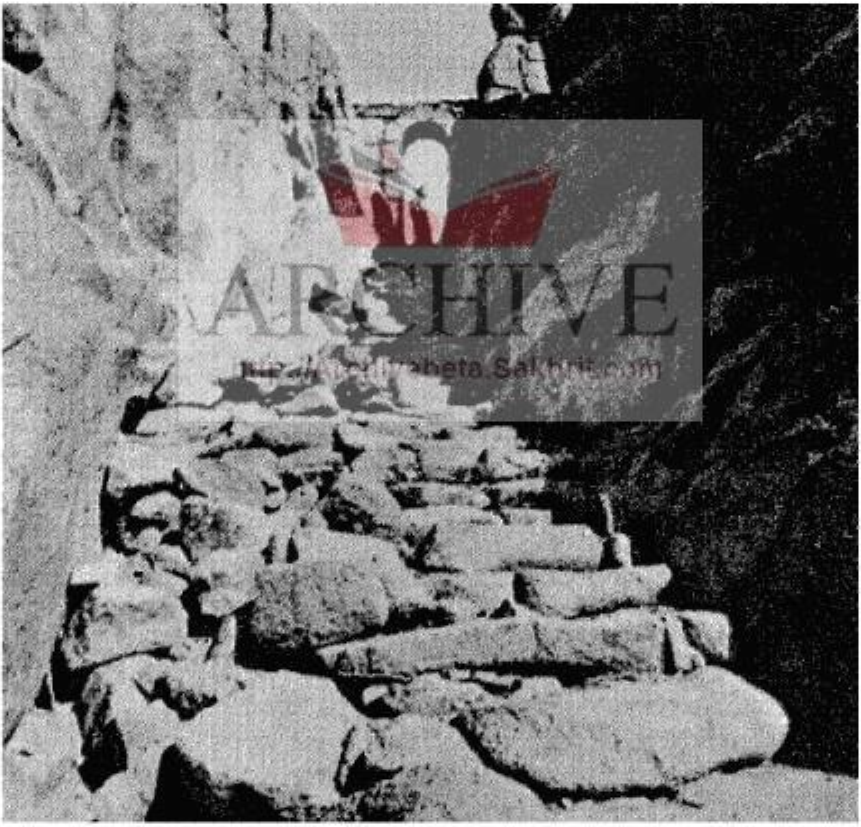
سيناء

رهبان وجبالية جمعتهم
الوحدة والعزلة رغم اختلاف
الدين

الغربية التى نشأت على ضفاف النيل لم تدع لها البشرية اى فرصة حتى تقول كلمتها الاخيرة ..

لا احد يعرف على وجه الدقة اسم الفرعون الذى طارد موسى وقومه حتى ارض سيناء . ولكن من المؤكد انه

السلم الحجرية المؤدية الى القمة المقدس ..





الفرعون الذى حظى بأكبر قدر من اللعنات فى كل الكتب السماوية .. ولكننى أشعر - بعد مرور كل هذه الأحداث المحاصرة - بالرثاء له . كم كان محقاً ، ومهما كانت نوعية العقاب الذى تلقاه فإنه لم يكن أمامه سوى أن يفعل مافعله بالضبط .. لقد استوطن اليهود الأرض التى استضافتهم فى سنوات المجاعة . ثم تحكموا فى تجارتها مع الشمال . وسلبوا أموال أهلها بالربا ، وتعاونوا مع أعدائها القادمين عبر الحدود .. ثم سرقوا ذهب جيرانهم وهم يستعدون للهرب خلف موسى .. ماذا كان عليه أن يفعل ..؟!.. لم يكن أمامه إلا أن يطاردهم .. وسواء كان هذا الفرعون هو رمسيس الثانى الذى أطبقت عليه مياه البحر أو أنه لم يمت ولكن الصدمة زلزلته ثم طهرته وعاد ليبشر بدين التوحيد وسمى نفسه إخناتون .. سواء كان هذا أم ذاك فإننى أرثى لهذا المصرى الوحيد الذى نجح فيما فشلنا فيه من أجله لخلصنا من الورطة المعاصرة التى نجد فيها أنفسنا الآن ..

ثم جاء الرومان وادركوا بحسهم العسكرى أهمية هذه الرقعة من الأرض وانشاوا فيها سلسلة من الحاميات الصغيرة بين كل واحدة والأخرى اربعة عشر ميلا هى مسيرة اليوم الواحد للجيش الرومانى .

ثم جاء العرب أخيراً .. كانت الحضارة الفرعونية قد ماتت .. والبطلمية شائخة .. والرمال من كثرة الأقدام التى وطئتها لم تعد تحس بالألفة حتى جاء العرب يحملون اليها دفئا روحيا جديداً وكان بنو سيناء - الذين عبروا اليها من خليج العقبة - سعداء باستقبال ابناء عمومتهم فاعتنقوا الاسلام على الفور ، بما فيهم قبائل الجبالية ذات

الاصول الرومانية والتى كانت قائمة على خدمة دير سانت كاترين ..

الصليبيون جاءوا ايضا . ومنذ ان استولوا على بيت المقدس وهم يحاولون عبور صحراء سيناء إلى مصر .. واحد منهم هو "الماريك" ملك بيت المقدس حاول ان يغزو مصر اربع مرات .. وقطع طريق الحج حوالى تسع مرات .. وعندما تولى صلاح الدين حكم مصر بنى قلعة شهيرة فوق جزيرة فرعون بالقرب من خليج العقبة لعله يحمى هذا الطريق النازف وتعرضت القلعة فى فترة من فتراتها الى حصار صليبي قاس .. وقد مهد وجود هذه القلعة لصلاح الدين أن يعبر سيناء ويهاجم ملوك الصليب فى عقر ملكهم ..

ولم ينته موكب الغزاة .. جاء العثمانيون فى القرن السادس عشر . اطول كابوس استعمارى عاشته مصر .

فى العريش بقايا القلعة العثمانية التى استطاعوا منها ان يقفزوا على العقبة ومنها الى الحجاز . ومن الاتجاه المضاد عبر نابليون سيناء ذاهبا الى عكا . ثم عاد منها كسير الفؤاد . ولم يجل الترك عن سيناء إلا بعد أن اكتسحهم ابراهيم باشا وظل يواصل مطاردتهم حتى الحدود التركية .

ولم يغب الضوء عن سيناء .. شقت فى رمالها قناة السويس عام ١٦٩ وجاء الاستعمار البريطاني وداعبت سيناء احلام تيودور هيرتزل فى نهاية القرن التاسع عشر عندما أراد أن يكون هناك وطن قومى لليهود . ولكن المشكلة كانت اين يمكن ان يكون هذا الوطن ؟.. واختار شمال سيناء بما فيه مدينة العريش والساحل الممتد على البحر المتوسط حتى بحيرة البردويل

وافق الانجليز بل و ارسلوا بعثة مكون اليهود والبريطانيين للمنطقة فى عام واكتشفوا انه من الصعب توفير لإقامة مثل هذه الدولة .. وقفزت الاحد الصهيونية إلى فلسطين على الفور

● الوقوف فى حضرة الجـــرح القريـــب

"كان خطأ اسرائيل بترك شيئا يعوض .. لقد فقدت عمقها الاستراتيجي . وفقدت مصدرها المجانى من البترول والمعادن . وفقدت الأرض التى تحمل لها إمكانية التوسع وبناء مجتمعات صهيونية جديدة . وفقدت الأرض التى تفصل بين الشرق والغرب . واعطت الفرصة لمصر لكى تطل لما هو ابعد من وادى النيل ..

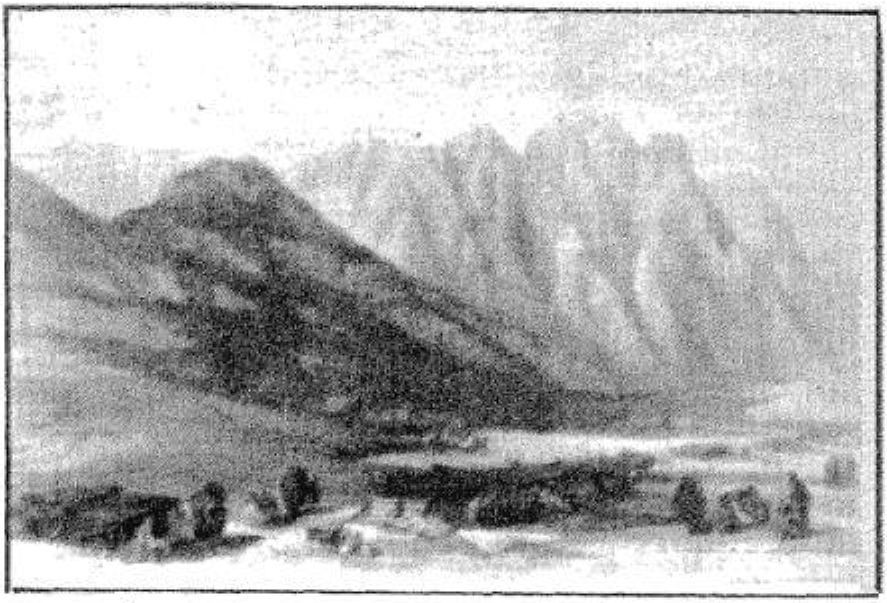
لامست السيارة الرمال فبدت اثار المعدات المحطمة وبقايا آخر التحصينات .. تذكرت هذه الكلمات التى نشرت فى أحد التقارير عن استراتيجية اسرائيل .. ادركت فجأة وبحدة أن الحرب قد توقفت مؤقتا فقط .. فى أماكن متفرقة شاهدنا العلم البرتقالى للقوات المتعددة الجنسيات .. وبقايا آخر البصمات الاسرائيلية .. الطرق . القرى السياحية .. النصب التذكارى .. كان الأسف الاسرائيلى باقيا . حتى على أطلال ياميت .. وبدا كأن هذا العلم البرتقالى .. والبراميل البرتقالية .. وكل شىء يحمل هذا اللون ، مهمته أن يبقى سيناء مرهونة حتى تتخلى اسرائيل عن اسفها وتقرر اقتطاع رطل اللحم الذى أحلت قطعه مؤقتا . كان الطريق الأسفلتى الأسود الذى يقود الى كل مدن سيناء

الرئيسية قد قام الاسرائيليون برصفه

بصمات أخر الغزاة تبدو أوضح ماتكون شرم الشيخ . المباني .. الفنادق يم الشوارع والأراضي التي لم تعمر بعد .. قبل حرب ٦٧ لم تكن شرم الشيخ كثر من قرية صيادين على حافة الخليج ، كنها الآن نواة مدينة يمكن أن تكون حدة من أجمل وأهدأ مدن الأرض . ولا عزف الى اى شيخ من شيوخ البدو ينتسب الأسم .. ولكنها اكتسبت أهميتها الدراماتيكية من كونها أحد أسباب حرب ٦٧ ، ومازالت هناك منطقة بالقرب منها تدعى مدافع عبد الناصر وهى المنطقة التى نصبت فيها المدافع التى كان من المفروض أن تسد خليج العقبة . وقد احسن الاسرائيليون بيعها للسائحين كما احسنوا بيع قطعة مشوهة من الصخر ادعوا أنها تشبه رأس "كيندى" ..

المنطقة هادئة الآن .. والشاطىء ناعم على حافة الخليج يشكو قلة الرواد .. والسائحون غريبو الهيئة .. "المتسخون منهم من اليهود بالتأكيد .." أكد لى ذلك أحد البدو .. ولقد وجدت اعداد هؤلاء السياح المتسخين اكثر فى دهب . الصوره مختلفة الآن طبعا عما كانت هذه المنطقة عندما كانت تحت الاحتلال الاسرائيلى ..

انحسرت شواطىء العـراة الآن وأخذت لها اماكن مختبئة فى حضن الجبل .. واختبأ السياح المتسخون فى عشش القش واكواخ الصفيح وظهر نمط من رجال البدو يستغل الشواطىء بطريقته الخاصة .. يؤجر العشش ويقبض بالدولار والشيكل ، ويجهز الشاى للمصريين ويعزف لهم على ربابته المكونة من عصا وعلبة صفيح ويقبض بالجنيه المصرى ويبيع الأصداف البحرية ويهرب المخدرات ويؤمن أن للصحراء قانونها الخاص الذى لا يتبع اى قانون .. التواجد الاسرائيلى فى سيناء محسوس فى مثل هذه المناطق .. بعد الجلاء مباشرة حدثت أول جريمة قتل ولا تزال سيناء كلها تتحدث عنها .. اختفت فتاة اسرائيلية بعد أن عبرت منفذ الحدود الضيق عند طابا . وعلى الفور سارعت إسرائيل بإتهام السلطات المصرية بأنها اختطفت الفتاة . كـانت العلاقـات مازالت هشـة بين الجانبين .. وعندما بحثت مصر عن الفتاة الضائعة دون أن تجدها تصاعدت حدة الاتهامات .. كان حل اللغز موجوداً فى تلأفيف تل ابيب وليس فى رمال سيناء فقط .. فقد أرسلت اسرائيل تسأل بعد ذلك عن شخصين إسرائيليين قد دخلا سيناء فى نفس الفترة التى دخلت فيها الفتاة وغادروا البلاد بعد ذلك ، وكان هذا ثابتا فى السجلات المصرية .. وطلبت اسرائيل الإذن بالدخول الى سيناء لمعاينة مسرح الجريمة كان الشخصان مقيدين بالسلاسل .. وكانت هناك جريمة حاولا أن تكون كاملة .. فالفتاة كانت الشاهد الوحيد لجريمة قتل .. أو ربما جريمةً تهريب .. قامت بها جماعات الجريمة المنظمة داخل اسرائيل ، وكان القرار هو التخلص من الفتاة ولكن ليس داخل حدود اسرائيل الضيقة حيث يفتح البوليس الاسرائيلى عينيه جيداً ، وهكذا تم استدراج الفتاة بواسطة الشابين بدعوة قضاء ايام جنسية حافلة على رمال نويبع الدافئة .. وبدلا من المتعة كان الموت فى انتظارها .. وعندما



جبـل سيناء   هنا اقتربت الارض من السماء الى حد لم يحدث فى اى مكان اخر

القوافل خارجة من مدينة العريش والمجهول ينتظرنا فى الصحراء



اخرجت الجثة كان هناك ثلاث طعنات واضحة فى صدرها وانتهى لغز الفتاة المختفية وادركت اسرائيل ان قاتليها قد حافظا على التقاليد وهى ارتكاب الجريمة الاسرائيلية خارج ارض اسرائيل ـ هذا إذا كان لها ارض اصلا ـ ولست ادرى هل يمكن ان ياتى يوم تطالب فيه اسرائيل بإقامة نصب تذكارى للفتاة اسوة ببقية جنودها الذين قتلوا فى سيناء » ..

● الوقوف فى حضرة السكينة

ولكن ألغاز سيناء لا تنتهى تقودنا إليها الطبيعة الزلقة احيانا ونحن ننحدر إلى وادى التيه الرهيب هنا حيث ضاع اليهود لمدة أربعين عاما كما تروى الميثولوجيا الدينية من أجل لحظة من الشك ولكن . كيف تم العبور . هل حدثت المعجزة فعلا وانشق البحر أم أن هناك سببا منطقياً اعطته الطبيعة المراوغة التى لا تبوح بأسرارها .

على أية حال هناك طريقان لهذا العبور الطريق التقليدى الذى ذكرته التـوراة والكتب المقدسـة . الطريق الجنوبى ، لقد عبر موسى وقومه من مكان ما على البحر الأحمر يرجح أنه عند نقطة "ضيقة" فى البحيرات المرة بالقرب من مدينة الاسماعيلية حاليا ثم ساروا جنوبا مع ساحل البحر الأحمر الى وادى فيران وهو أشبه بواحة مليئة بالخضرة والنخيل .. ثم استمر سيرهم إلى طور سيناء المكان الذى تحدث فيه موسى مع ربه وشاهد شجرة العليق ، ثم واصلوا السير إلى واحة قاديس وهناك حدثت لحظة الشك المؤلمة سأل الله ان يفجر له الارض بالماء وعندما تأخرت الاستجابة ضرب موسى الصخرة بعصاه فى نفاد صبر . وقد كلفته هذه الضربة اربعين عاما من التجوال فى وادى التيه .. لقد طمرت عين الماء المتدفقة فى واحة قاديس .. ثم اكتشفت من جديد عندما كان احد البدو يستريح فى ظل صخرة فإذا الماء يتدفق منها معيداً ذكرى موسى ورحلة التيه .

هذه هى الخطوط العامة للنظرية التقليدية للعبور . ولكن علماء الأديان ظلوا يبحثون دائما عن سند من الواقعية لهذه الرحلة عبر البحر .. لم يصدق بعض العلماء المعاصرين ـ وهم بالمناسبة يهود ايضا ـ حكاية شق البحر بواسطة العصا ، لذلك ظهرت النظرية الاكاديمية التى تؤكد أن اليهود لم يعبروا البحر الأحمر على الإطلاق . لقد صعدوا شمالا حتى بحيرة البردويل على ساحل البحر المتوسط وهناك ساروا على شريط رملى ضيق ، يفصـل بين البحر والبحيـرة وأثناء العواصف تعلو الأمواج وتصبح مياه البحر كتلة واحدة تختفى تحتها ذلك الشريط الرملى ، لقد عبر اليهود اولا .. وعندما حاول فرعون ان يتبعهم انهارت الرمال تحت ثقل المركبات الحربية .. واستطاع موسى ان يواصل سيره شمالا الى جبل هلال ثم الى واحة قاديس .. ويؤكد العلماء ان نظرية العبور من الشمال هى الأكثر منطقية فبقايا المن والسلوى لا تزال فى المنطقة .. المن هى درنات مسكرة فى باطن الأرض .. والسلوى هى طيور السمان التى لم تنقطع هجراتها الى المنطقة ..

سيناء

وسيناء تقودك بطبيعتها التى لا تعرف العشوائية الى آخر وديانها .. وادى الراحة . الراحة من المتاهات ومن القيظ ومن التجوال الصحراوى الخشن .. قلب العالم .. وحافة السماء .. هنا صعد موسى وهبط حاملا الألواح .. وهنا آثار اقدامه . وعلى صخور الجبل رسم غريب للثور الذى اثار فتنة بنى اسرائيل وما اكثر فتنهم .. وهنا ايضا يقال إن محمداً (ص) قد مر فى سنوات القوافل الاولى . وهنا يرقد قبر نبى صحراوى غريب يدعى النبى صالح . وهنا وجدت رفات القديسة كاترينا وامتدت الكاتدرائية بل مافيها من رهبان متوحدين يتحدثون العربية بلكنة غريبة وتغلب عليها النبرات اليونانية .. هنا تركت الاديان السماوية الثلاثة بصماتها فى تلك البقعة النادرة من الارض . هنا اراد الرئيس السادات ان يبدأ مشروعه ببناء مجمع الأديان ولم يبق من ذلك الحلم إلا البيت الضيق المصنوع من الالمونيوم والمفروش بالسجاد المتسخ ولا يحتوى من الأثاث إلا على الشيشة الزجاجية التى كان يسرى بها عن نفسه فى اوقات الاعتكاف

عمر الدير الآن يبلغ أربعة عشر قرنا من الزمن الطويل . قاوم قسوة الطبيعة والعزلة وحفر الرهبان الآبار وجمعوا مياه المطر وفرضوا وجود الكنيسة وسط البرية الشاسعة ولم ينقطع رنين اجراسهم منذ ذلك الزمن الامبراطورة هيلانه زارت المنطقة بنفسها وصعدت الجبل العالى ووضع الامبراطور الاسوار العالية حول الدير لحمايته وأوفد بضع عائلات من بنطس والاسكندرية كى يقيموا بجوار الدير ويقوموا على خدمته .. كان هؤلاء هم بذور قبيلة "الجبالية" التى يتميز أفرادها عن بقية البدو بعيونهم الملونة واطوالهم الفارعة ..

الدير حاضر فى المكان والاسلام حاضر أيضا وسط الدير . على هيئة مسجد صغير بناه عمرو بن العاص يقال إنه فى نفس المكان الذى مر به النبى محمد (ص) فى طريقه مع قوافل مكة . الكتاب الذى يحكى تاريخ الدير يقول إن هذا المسجد قد بنى فى فترة عصيبة مر بها الدير .. ربما كان الامر كذلك .. وربما كان الاسلام هو الذى حمى هذا الدير وأعطاه حياة جديدة فى وجه البربرية القادمة من جوف الصحراء .. لقد توافدت صنوف الغزاة عليه . وكتاب الدير يصفهم وصفا محايدا إلا انه يذكر العرب بـ "الاحتلال العربى" واللفظة تبدو غريبة فى سمعنا نحن العرب الذين اعتدنا أن الدير وبقية الاديرة جزء من رحلة الإيمان التى قطعها شعبنا . وعلى مايبدو فالدير ليس حزينا لدرجة كبيرة على هذا الاحتلال . فهو اكثر حزنا على سقوط القسطنطينية على يد الاتراك (المسلمين ١١٣) ومازالت هناك شمعتان ملونتان بالغتا الضخامة اهداهما قيصر روسيا للدير ولكنهما لم توقدا حتى الآن فى انتظار تحرير القسطنطينية .

والدير احتل مكانة في معتقدات البدو الذين يحيطون به يؤمن البدو ان لدى الرهبان كتابا إذا فتحوه هطل المطر .. وإذا اغلقوه توقف المطر أما إذا انحدرت السيول من أعلى الجبال فهذا يعنى ان الرهبان قد تركوا الكتاب مفتوحا .. وفى احد هذه السيول فقد احد البدو منزله واثاثه . فما كان منه إلا ان اخذ بندقيته واطلق النار على الدير لعل الراهب يستيقظ ويغلق "كتاب"

وفوق الدير يرتفع شامخاً طور سيناء الشهير .. ومن فوق قمته يبدو المنظر نادراً وغريبا . ففى لمحة واحدة ترى خليج العقبة وخليج السويس . وتنساب الريح كانها لكمات غامضة قيلت ذات لحظة فى الزمان ولم تتبدد أصداؤها .. وسواء اكان المرء مؤمنا ام لا فإن الوقوف على هذه القمة التى اقتربت فيها الأرض من السماء إلى حد لم يحدث فى اى مكان اخر فى العالم يبعث بالرعدة وبمفعول السحر فى النفوس .. قمة الجبل مزدحمة بالمزارات والتذكارات الغريبة هناك كنيسة صغيرة تسمى كنيسة البراغيث . وهى تحكى عن فترة من حياة الدير امتلأ فجاة بالبراغيث وهرب الرهبان إلى القمة وبنوا هذه الكنيسة وظلوا بها إلى ان جاء لهم الهاتف ان الدير قد اصبح نظيفا فعادوا اليه . هناك أيضا الكهف الذى كان يتعبد فيه النبى إيليا قبل ان يعود الى فلسطين ويجتاز نهر الأردن ويدفع حياته ثمنا لكلمته هناك اثار اقدام يقال إنها اقدام النبى موسى او اقدام النبى صالح أو اقدام النبى محمد فى بقعة مثل هذه يمكن ان يمر العديد من الانبياء أغرب الموجودات على الاطلاق هى بقايا قصر الخديو عباس كان الخديو معتل الصحة يعانى من الخوف والتردد وعندما نصحه الأطباء بالبحث عن مكان يستنشق فيه الهواء النقى فكر فى سيناء . وكما تقول الروايات وضع الخديو قطعا من اللحم فى اماكن متفرقة من سيناء ليرى اى قطع اللحم سوف تصمد حتى النهاية دون ان تفسد وفسدت كل قطع اللحم إلا الواحدة التى كانت فوق قمة طور سيناء . وبنى الخديو القصر فى هذا المكان وفى نيته ان يعتزل الحكم ثم مالبث كعادة معظم الحكام المصريين ان تراجع فى كلامه بعد ان وجد ان نشوة الحكم المطلق اشد إثارة من الصحة الجيدة ترك القصر دون ان يكتمل وعاد للعرش وقتل فى الحريم على يد غلمانه الذين كان يفضلهم على حريمه وكانوا هم يفضلون حريمه عليه ..

إلى متى يمكن أن تتواصل حكايات الصخر والرمل ؟!

الطبيعة ليست صماء .. والجبال ليست صامتة .. وسيناء تصرخ فينا حتى نستعيدها بالفعل وليست على الخارطة . ربما كان علينا ان نفكر فى معجزة ما .. حتى يذهب الفلاحون الى سهولها ويزرعوا القمح .. وربما كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لاستعادة سيناء

قضايا ومواقف

مذكرات سعد زغلول وأزمة الحوار

بقلم : عبد الله خيرت

يتوقع قارىء « الهلال » ان يجد نفسه دائما احد المشاركين فى مناقشة القضايا المهمة التى تطرح على صفحاته ، ذلك ان تلك القضايا فى الغالب ترتبط بهموم الوطن واحلامه ، وتطمح الى تصحيح المفاهيم الزائفة ، وتحاول تشخيص المشكلات التى اخذت تلتف حول رقابنا .

هكذا حدث لى منذ شهور وانا اتابع من خلال «الهلال» قضية ٥ يونية ، التى بدا الدكتور فؤاد زكريا الحوار حولها ، بعد ان اصبحنا على بعد كاف ، من احداثها المزيفة والحقيقية ، يتيح لنا الرؤية الصحيحة والمناقشة الموضوعية الهادئة . ولم اكن اترك حلبة النقاش المثمر هذه ، او على الاقل اسد اذنى ، الا حين كان الاستاذ محمد عوده يتحدث - متصورا اننا لا نزال نخوض فى الدماء وان المعركة مستعرة .

ورغم ذلك كنت ارى ان هذا من طبيعة الامور فى زمن اختلط فيه الحق والباطل ، زمن « لا يعرف فيه مقتول من قاتله ومتى قتله » كما يقول صلاح عبد الصبور فى الستينيات ، فما بالك لو كان معنا الان ؟ وكنت اقول لنفسى انه لابد ان نجد وسط المناقشة الجادة التى تستهدف خير الوطن بعض الضجيج ، ولابد ان يكون بين من يطالبون بحق الكلام معترفين بانهم قد يخطئون ، بعض الذين يحرمون الكلام تحريما مطلقا سواء كان خطأ او صوابا . والمهم فى النهاية ان تستمر المناقشة ، لانها اذا استمرت ستصل الى نتيجة هى بالتأكيد لصالح هذا الوطن الذى نحبه جميعا ونسعى لخيره .

الاستاذ عبد الله خيرت يعمل مديرا لتحرير مجلة ابداع

ولكنني فوجئت وانا اتابع في العدد الماضي مسالة مذكرات سعد زغلول ، اذ ادركت أن الحوار اصبح مستحيلا ، وان الازمة اكبر بكثير من ان يتصدى لحلها اساتذة جادون مدركون لمسئوليتهم محبون لبلادها ومشفقون عليها مثل : زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا وشكرى عياد واحمد عبد الرحيم مصطفى ، فكيف تسمع اصواتهم الوهنة ، التي تعتمد على قوة الحجة وحدها ، وسط هذا الصخب الاجوف ؟ وكيف تثمر دعوتهم الى التجرد والموضوعية ونشدان الحقيقة اذا كانت تضيع هباء حين يطغى عليها صراخ من يعشقون ذواتهم ويتعالون على الاخرين ويستهينون بعقل القارىء ؟

هذه فقرات من « الحوار » او ما بعته الهلال تحت عنوان قضايا قف بالعدد الماضي ، ان الكاتب على مقال سابق في عدد مارس ل انه لم يكن ليرد على ذلك المقال بين :

« الاول : هبوط مستوى المقال السابق ـ الى ما دون مستوى المناقشة والثاني : انعدام الندية والكفاءة »!

« .. كنت على يقين من انني سوف انال نصيبي من الافتراء كما نال سعد زغلول » !!

« .. ناهيك عن التطاول على من هو اعلى درجة ووظيفة علمية ولكن ليطمئن ـ انه لن يرفع على صاحبه قضية قذف ـ فحتى الحوار امام محاكم القذف يتطلب حدا ادنى من الندية والكفاءة ـ مرة ثانية !! وهذا القدر غير موجود في حالتنا هذه .. » !!

« ولكنه رغم ذلك يتجرا فيتطاول على استاذ ورئيس سابق لقسم التاريخ وعميد سابق لكلية التربية » !!

وكل هذه « السوابق لم تخفف من حدة الاستاذ وانفعاله كما هو متوقع ، ولم تسلمه الى هذا الهدوء الذي يتحلى به شيوخ العلماء بعد ان خبروا الحياة والناس ، ولم تقنعه وهو الذي يقرأ التاريخ ان « الكل باطل وقبض الريح » ، وان الحياة كلها حكاية تافهة ، وهذه الحقيقة على بساطتها لا ندركها ـ للاسف ـ الا في النهاية ، فلو كنا نملك حكمة الشيوخ وهدوءهم وتجردهم ، لاستطعنا ان نبني حياتنا بطريقة افضل .

ولكن الدكتور عبد العظيم رمضان ـ على عكس ما هو متوقع من امثاله من الشيوخ ذوى الخبرة يفاجئنا بهذه الحدة التي تضيع الحقيقة في صخبها وبهذا التعالى الذي لامبرر له ، فيرى ان الدكتور عبد الخالق لاشين ليس ندا له ، ولماذا ملأ حوالى مائة صفحة في مقدمته عن مذكرات سعد زغلول ليرد عليه ويفجر بذلك هذه المشكلة ؟ واذا كان هذا الرجل ـ وهو دكتور مثله ، وكل الفرق بينهما ان الدكتور لاشين استاذ مساعد اما الدكتور رمضان فهو استاذ سابق ـ اذا كان ليس ندا وليس كفئا ويهبط مستوى كلامه الى ما دون مستوى المناقشة ـ انها ازمة لغة عربية ايضا وليست ازمة حوار فحسب ـ فماذا يقول الدكتور عن صلاح عبد الصبور الذي لم يكن استاذا سابقا ولا مساعدا ولا مدرسا ولا معيدا ؟ وما رأيه في امثالنا من القراء المساكين وبعضنا لم يكمل تعليمه المتوسط ؟

وهل يليق باستاذ سابق او حال للتاريخ او لاى مادة اخرى أن يعزى نفسه بقوله انه ليس اول من تعرض للاذى واول من افترى عليه ، فقد حدث هذا لسعد زغلول من قبل ؟ سعد زغلول يا دكتور عبد العظيم محمد

رمضان ؟ كأنك تريد ان تقول لنا ان قراءة التاريخ عبث ، واننا لا يمكن ان نتعلم ، وان امثال قطز واحمد عرابى وسعد زغلول وغيرهم من الذين حملوا رءوسهم على اكفهم وتقدموا الصفوف بثبات كلفهم حياتهم يشبهون اولئك الذين يغيرون مواقفهم وآراءهم ويميلون مثل عباد الشمس – مع كل اتجاه ، وان دراما التاريخ الدامية يتساوى ابطالها وصانعو احداثها مع الكومبارس والمتفرجين القابعين فى الظل .

● اين التطاول

ومع ذلك ، فاين « التطاول على من هو اعلى درجة ووظيفة علمية » ؟ رجل يناقشك هو « واستاذه » – الذى كان استاذك ايضا كما قلت فى كتابك الحركة الوطنية – فى انك تركت الحديث عن المذكرات وهى صلب الكتاب واخذت تنقد ما وصل اليه من نتائج وتتهمه فى امانته العلمية وكأنه هو الوحيد الذى كتب عن سعد زغلول، ثم يدفع عن نفسه وعن استاذه واستاذك السابق تهمة انهما كانا من حملة المباخر لثورة يوليو التى استشفها من خلال كلامك . فاين التطاول هنا ؟ وهل يستحق كل من يناقشك ان تكيل له التهم وتذكره بانك « وطنى » ؟ وكيف يحس الدكتور لاشين انك اخفيت – وانت تناقشه – اسمه الذى يعرف به خوفا عليه من طلبته وسقوط هيبته فى جامعة عين شمس ؟ كيف يرجم بالغيب فيعلم نيتك الطيبة وانت تجرحه وتسخر منه ومن عمله ؟ وما هذا الخوف من او على جامعة عين شمس ؟ الم تقرأ وانت المؤرخ الذى يطالع الوثائق عن قضية السرقة التى حدثت فى العام الماضى ووصلت الى المحاكم بل وصلت الى حد التحفظ على الكتاب موضوع السرقة ؟ ومع ذلك فلا الجامعة ولا اساتذتها ولا طلابها تعرضوا للاستاذ المتهم او وجهوا له اتهاما فاذا فعل الدكتور لاشين فعلك واكتفى بذكر اسميك الاولين قلت عن ذلك « .. وهو امر يثير السخرية والضحك حقا » حقا !! الم اقل انها ازمة لغة كذلك ؟ .

● الحب فى قلوب الناس !

ثم يأخذ عليك الاستاذ – مع تقديره لعملك فى المذكرات – انك اوردت جملة ناقصة من كلام سعد صدرت بها المذكرات على طريقة « لا تقربوا الصلاة » وهو يصيب تماما او حقا كما تقول فى ملاحظته هذه ، لان سعد زغلول – وهو الذى درس فى الازهر – كان يعنى هذه الجملة تامة ويقصدها كلها ، الا اذا اخذنا باجتهادك المبنى على الظن فكيف نجادلك وسعد زغلول ليس معنا لنسأله عما كان يقصده من هذه الجملة؟ لقد قلت فى المقدمة ان سعد زغلول كان يتردد فى شبابه على صالون الاميرة نازلى كاظم فلعله انساق فترة الى فعل ما كانت تفعله هذه الاميرة وضيوفها ، وامثال سعد زغلول لا يعيبهم ان يخطئوا فى شبابهم ، والذى يبقى لهم فى قلوب الناس حب عميق صاف،لانهم يدركون الزيف من الحقيقة ، ولانهم يصدقون ان هذا الرجل الصامت عرض نفسه للموت – او ما نسميه باللغة العامية الموحية « للبهدلة » – من اجلهم .وقد حدثنى الاستاذ يحيى حقى همسا – حين كان الجهر غير مسموح به ونحن نرى جنازة عبد الناصر ، انه شهد جنازة سعد زغلول ورأى هذا الصمت البليغ لالاف الناس تقابله فى النوافذ والشرفات دموع صادقة تلمع فى عيون السيدات و الفتيات الصغيرات . بل لا ازال اتذكر اننى كنت اجلس

طفلا مع الناس فى قريتنــــا امام الراديو حين سمعنا مصطفى النحاس يصيح « طلعوا الجسدع ده بره .. طلعوه بره » ولم يفكر واحد منهـم للحظة واحدة ان هذا الرجل العجوز الذى كان يتحدث بعد الغاء معاهدة ٣٦ يتعالى او يتسلط وفـرق كبير بين هذا الموقف ومواقف السادات حين كان يضغط على حـروف الكلمات الجارحة وهو يرد بالصوت والصورة على من يجرؤ على مراجعته فيقـول يا ابنى .. انـا .. انـا .. انا علمتكم الصراحة .. مش الوقاحة.»

● الخطأ والصواب

ولذلك كان على الدكتور رمضان ـ وهو الذى يحب سعد زغلول كمـا يحبه الناس ـ ان يطمئن ويورد نص كلامه كاملا ، فقد سـئم الناس حتى الموت من هؤلاء الزعماء المعصومين الملهمين الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا النقص ، بل سئم الناس من هؤلاء الاساتذة المتعالين المغرمين بذواتهم الكاملة . ان الناس يحبون ان يروا بشرا مثلهم يخطئون ويصيبون .

وماذا سـيقول الدكتور يا ترى ـ وعنـده لكل اعتـراض رد مفحـم وتعبير وتذكير لـمن يتعرض عليـه بضالته ـ اى هذا المعترض ـ امام شموخه ، وقلة انتاجه وعدم جـدواه امام ابحاثه الضافية ، وماضـيه المتقلب امام ثباته وصـلابته ـ ماذا سيقول اذا اكملنا ملاحظات الدكتـور لاشين فقلنا انه ترك الكلام ناقصـا وهو يشكر الذين ساعدوه فى اخراج هذه المذكرات ، فهو يقول « كما اشكر الباحثة هويدا عبد العظيم رمضان ـ لعله تشابه اسماء ـ المعيدة بكليـة البنات بجامعة عين شمس ، والسيدة نعمات البربرى ، فقد »... اليس هذا كلاما ناقصا ؟ الا يمكن ان تغضـب السيدة نعمات البربرى من المحقق الذى لم يعطها ما اعطى زميلتها من تعريف وتحديد ؟ هل هى معيدة كذلك أو أستاذة سابقة ، أو ربة بيت ؟

كذلك الا يمكن ان يغضب الدكتور محمد انيس رحمه الله ـ وقـد كان وفديا وانضم الى حزب الوفد الجديد فترة ـ او على الاقـل يعتب على الباحث حين يقارن بين كـلام تلميذه عنه فى كتاب تطور الحركة الوطنيـة حيث يقول :

« .. لم يكن الدكتور محمد انيس استاذا ومعلما فحسب ، بل كان هاديا مرشدا ورفيقا كبيرا ..

ولم يكن صاحب هذه الرسـالة للدكتور محمد انيس تلميذا فحسـب بل كان متأثرا مؤتمنـا .. بل كان مريدا .. »

وبين كلامه فى مقدمته لمذكرات سعد زغلول حيث يقول : « .. معتـرفا باننى لم اكن فى حاجة الى توجيـه فى هذا الاتجاه او تأثير من الاستاذ المشرف ـ يقصد الدكتور انيس ـ بل لعل التأثير من جانبى كان اقوى بحكم امتلاكى الادلة التاريخيـة المستندة الى الوثائق الدامغة » .

فكيف ـ هكذا سيعاتبه الدكتـور انيس ـ لم تكن بحاجة الى توجيـه وانت الذى تقول اننى كنت لك مرشدا.. وانك كنت متأثرا ومؤتمنا..بل ومريدا؟

نحمد الله ان سـعد زغلول ليس بيننا الان ، والا زاد عذابه وتضاعف حزنه حين يجد ابناءه واحفـاده يتنابذون بالالقاب ويفتعلون المعارك الوهمية وينشغلون بذواتهم غافلين عن هموم الوطن العزيز المقدس الذى احبه هو وظن انه اورثهم هذا الحب

تصحيح الأخطاء التي وردت فيما نشر من مذكرات سعد زغلول

احتراما للقارىء ، والتزاما بادب الحوار العلمي الـــذى يهدف بالضرورة الى السعي نحو الكشف عن الحقيقـة ، وليس الانتصار على خصم لا وجود له . يسعدني أن اقدم للقارىء العربي ((عينة)) من الاخطاء التي وقع فيها الدكتور عبد العظيم رمضان في احدى عشرة صفحة فقط من الجزء المنشور من المذكرات تقع بين صـــفحات ١٥٩ ـ ١٧٠ ، وليست كل ما ورد فيما نشر من اخطاء لان ذلك امر آخر .

وتاكيدا مني واســتجابة لحصر الخلاف والنأى به عن دائرة التقاذف والتهاتر الذي لا يخدم احدا او تعنية علمية او فكرية

اربا بنفسي عن الانسيـاق وراء الوقوع في هذه الحلقة المفرغة . واترك للقارىء الكريم حق الحكم على اى منا كان اقوم سبيلا ، وانيا كان اكثر التزاما بالحقيقة او الابتعـاد عنها ..

د . عبد الخالق لاشين

صفحة المذكرات الخطية	صفحة الكتاب المنشور	الخطـــأ	التصويب
١٩٧	١٥٩	لمن	
١٩٧	١٥٩	فيه	—
١٠٧	١٥٩	أحمد عزى	احمد عزمى
		مليما قرشا	مليما قرشا
١٩٨	١٦٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
١٩٨	١٦٠	٣٣١	٢٣١
١٩٨	١٦٠	٢ ٢٩٢	٢٠ ٢٩٢
١٩٨	١٦٠	كمريرة	كورة
١٩٨	١٦٠	٥	سعر قزاز
١٩٨	١٦١	٤٨٦١	٤٨٩٠
١٩٨	١٦٢	وانهم	مع انهم

صفحة المذكرات الخطية	صفحة الكتاب المنشور	الخطا	التصويب
٢٠١	١٦٢	" "	لا وجود لهذه الاقواس في النص
٢٠١	١٦٤	ويظهر	يظهر
٢٠١	١٦٤	يقبل	تعين
٢٠١	١٦٤	الاشهر	أشهر
٢٠١	١٦٤	ابتدىء	ابتدأت
٢٠١	١٦٤	تشكلت	شكلت
٢٠١	١٦٤	" .... "	موسيو دولبرغلو
٢٠٢	١٦٥	حققت	خففت
٢٠٤	١٦٥	مطلوبات العمارة	
		أحمد بيك عزمي المقاول	
٢٠٥	١٦٦	احمد بيك عزى المقاول	
٢٠٥	١٦٧	٣١	٣٠
٢٠٥	١٦٧	ثمن " ... "	ثمن خشب مفروز
٢٠٦	١٦٧	الخشاب	اخشاب
٢٠٦	١٦٩	ثمن أجرة	أجرة
٢٠٦	١٦٧	مناولة محمود احمد! عماله	
٢٠٦	١٦٧	الرخامين من اصس ثمن الرخام	الزجاجين من اصل ثمن الزجاج
٢٠٦	١٦٨	الخواجة ماركو بلو	الخواجة ماركونن
٢٠٦	١٦٨	وبنتالى الرخامين	ثمن الزجاج
٢٠٦	١٦٨	الى الثانى فى اول يناير	الى النجار على دفعات
٢٠٦	١٦٨	موضح بيانها المشار لها فى	موضح بيانها ومصارفها فى
٢٠٦		الكشف المقدم منه بتاريخ	الكشف المقدم فى مايو ٩٠٢
٢٠٦	١٦٨	الغاز	النور
٢٠٧	١٦٨	لوجى	لو تجى
٢٠٧	١٦٨	الى " ... "	الى مرسى
٢٠٧	١٦٨	" .... "	لجدد لون الررابر
٢٠٩	١٦٩	٢ ٢٩٢	٢٠ ٢٩٢
٢٠٩	١٦٩	النجار العلم	النجار المصلح
٢٠٩	١٦٩	مشترواته من عند " ... "	مشتروات من عند دكر
٢٠٩	١٦٩	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٦٩	من بيان	من حساب
٢١٠	١٦٩	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٧٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٧٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٧٠	فى ٨ منه مساء	فى ١١ منه مساء
٢١٠	١٧٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١١	١٧٠	تواريخ اسمنت فى	تواريخ استحقاقات
٢١١	١٧٠	تحسين أودة	تخشيب أودة
٢١١	١٧٠	تقديم مقايسة	تقدير مباشرة

قضايا ومواقف

رد على مقال السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

ما هكذا ينقد التاريخ العثماني!

بقلم: د. محمد حرب

مقال الدكتور سعيد اسماعيل علي ، المنشور في عدد فبراير ١٩٨٥ من الهلال ، بعنوان السلطان عبد الحميد والثورة العرابية ، مقال طويل ، احتوى على عدة قضايا ، تحتاج كل منها لمقال كامل للرد، وزاد الامر طولا، قضية اخرى هي ما قدمت به الهلال المقال. ورغم انى لا استطيع - وأنا خارج مصر - تتبع النشرات المصرية ، فانى فهمت من تقديم الهلال بان مقالا او ربما كتابا صدر في مصر ، في اتهام الحركة العرابية.

وفي البدء أقول ، انني اتردد في قبول مقولة الهلال : « من اكثر الافكار غرابة ومدعاة للدهشة ، القول بان الزعيم أحمد عرابي كان بداية الانحراف في التاريخ المصري الحديث عندما تمرد على السلطان عبد الحميد » .

والذي قال ببداية الانحراف ، مقولته صحيحة ، الا أن الكتاب في مصر ، وخاصة الذين يدينون بالقومية منهم ، يتصدون للدفاع عن قضاياهم ، دون ترو ، لفرط حساسيتهم القومية . وأرجو الا يفهم من كلامي هذا أنني ضدهم ، فلا أحد بامكانه الغاء انتمائه لقومه الذي هو منهم ، ولا ابطال أحاسيسه الجميلة تجاههم

ان حركة عرابي باشا ، كانت أول حركة قومية عربية في مصر ، ولعلها كانت الاولى في العالم العربي ، ولاتجاهها القومي العربي تكون بالفعل قد انحرفت من المفهوم السائد في القرن التاسع عشر الميلادي في منطقة البلدان الاسلامية ، وهو مفهوم الولاء للسلطة الدينية ، واقصد بالسلطة : الانتماء . ولعل المثال الاتي يوضح المسالة بعض الشيء : في ايران اليوم دولة دينية بمفهومها الخاص ، وايران دولة تضم عدة أجناس : عرب ، فرس ، اكراد ، تركمان .. فلو قام

الأكراد الان بالمناداة بالقومية الكردية ويطالبون بدولة مستقلة ، سيقوم الحكم في ايران باعتبار الاتجاه القومي الكردي انحرافا ، لكن هذا الاتجاه قد يكون بالنسبة للاكراد ، أمرا طبيعيا ، وفطريا ، وحتمية تاريخية ، بالنسبة للمفهوم القومي لكنه أيضا يكون الاتجاه الصحيح لدى الاكراد ، في تفكيرهم .

لماذا يعترض « الهلال » ان الاتجاه الصحيح هو ما خطته حركة عرابي باشا ، وهو شخصية تاريخية تقدر ويقدر دورها ، واسهامها التاريخي . لكن الاتجاه الصحيح كمعيار أيضا لا يمكن فرضه على كل الناس ، وهو يختلف من مجموعة فكرية الى مجموعة فكرية أخرى .

● حماس التيار الدينى

ان انتصار الفكرة القوميه فى العالم الاسلامى ، على الفكرة الدينية ، منذ القرن الماضي هو الذى جعل البعض يعتبر ان الاتجاه الصحيح هو الفكر القومى ، ولكن السؤال الان : ترى هل كان يمكن ان يلتزم هذا لو كان الفكر القومى فى العالم الاسلامى ، قد انهزم أمام الفكر الاسلامى - سياسيا - وارجو الا يفهم من هذا انى أؤيد صاحب المقولة الاولى اذا كان تصويرى عنه صحيحا ، وأكاد أحس انه ينتمى الى التيار الدينى ، وهذا التيار قد يكون فيه حماس يبدو معقولا حينا ، ويبدو زائدا عن حده أحيانا . على كل حال ، ليس للاتجاهات الفكرية محل فى ردى هذا . وفى مقالى الثانى المكمل لهذا ، سأنشر فيه وثائق جديدة وهامة من حركة أحمد عرابى باشا ، وستتضح رؤيتى لها .

لكنى عندما نظرت فى مقال الدكتور سعيد اسماعيل على ، نظرت فيها بوصفى باحثا فى التاريخ . تساءلت اولا فى نفسى : ربما الدكتور صاحب المقال ، باحث فى التاريخ ، لكنه قد يكون دكتورا فى الدراسات الانسانية عامة ، أو لعله محب فقط لدراسة التاريخ ، ودراسة التاريخ عند أصحابها ، معاناة . لانها تفرض عليهم أمورا كثيرة أبسطها متابعة الجديد من النشريات ، فى ميدانهم . لكن صاحب المقال - وبكل احترام لشخصه - أراه « يغامر » بوضع آرائه فى المقال ، وباحث التاريخ ليس كذلك ، فمهمته ان يبحث فى التاريخ ليخرجه لنا نتعلم منه ، ثم اذا أردنا أن نكون فكرة أو أردنا تأويلا لاحداثه ، أمكننا ذلك ، لكن تعال الى مسألة عبد الحميد بمفردها : وثائقنا عنها نادرة . ولم نعرف بعد وامعها الا فى ضوء ما معنا . فاذا جئنا الى قضية أحمد عرابى باشا ، فأين نحن من موادها التاريخية بعد !!

يعتمد الدكتور سعيد اسماعيل على على مراجع ، فى مقاله هذا ، تقدمت مع تطور أبحاث التاريخ ، كما اعتمد على مصادر ليست من أصل الموضوع ، ان نظرة الى مصادر سيادته لتؤكد لنا هذا ، كتاب القومية العربية لابى الفتوح رضوان ، القاهرة ١٩٦٨ (نحن الان فى عام ١٩٨٧ ، والكتاب وصفى تنظيرى) معلوماته اولية ، ان كنا صدقناها قبل عشرين سنة قبل الان ، فاننا نقابلها اليوم بدهشة وفقرة هذا الكتاب التى استشهد واسترشد بها كاتب المقال المذكور تقول : (ولولا الازهر الشريف لاصيبت اللغة العربية ، والعلوم الدينية ، بأضرار ، ولغلبت عليها اللغة التركية) .

هذه مقولة مجافية تماما لتاريخ التربية والتعليم « يا دكتور اسماعيل » .
من قال ان العثمانيين تدخلوا فى مقررات الازهر ، ولا فى دراساته ؟! ومن قال انهم وقفوا ضد اللغة العربية ؟! بل من يستطيع منا أن يقول ذلك ونحن نشتغل بالتاريخ ؟! من يستطيع ان يقول ذلك فى الدولة العثمانية التى حمت اللغة العربية ودافعت عنها . وكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى مؤسسات التعليم العثمانية كلها ، فى أوروبا الشرقية (بلاد الروملي) وفى الاناضول وفى بلاد الاكراد (التابعة للدولة) وفى بلاد العرب : فى بلغراد وبودابست وبوخارست وصوفيا واستانبول وقونية وحلب وبغداد وصنعاء والقاهرة والحجاز والقائمة طويلة

ثم ان انتاج العثمانيين باللغة العربية ، انتاج هائل وعميق وقائمة الامثلة طويلة أيضا . حاجي خليفة صاحب كشف الظنون ، ومنجم باشي صاحب جامع الدول، وجنابي صاحب العيلم الزاخر وخليل فوزى صاحب السيوف القواطع ، ومعلم جودت صاحب ذيل على ابن بطوطة والشيخ ابو السعود وتفسيره ، والبيضاوى وتفسيره ، ومصطفى صبرى وكتابه موقف العقل .

واشير هنا اشارة الى جهود العثمانيين فى التاليف فى نحو وصرف اللغة العربية والى ابن كمال باشا ، الذى وصفه صاحب الفوائد البهية بقوله (واقر له علماء القاهرة بالفضل) و (يكاد يكون ابن كمال باشا ، والسيوطى ، نجمى عصرهما) و (ان كمال باشا ادق نظرا من السيوطى واحسن فهما) . لابن كمال باشا ، هذا ، رسائل لغوية عربية كثيرة منها (رسالة فى تحقيق معنى كاد) و (رسالة فى رفع ما يتعلق بالضمائر من الاوهام) و (دقائق الحقائق فى اللغة) و (رسالة الكلمات العربية) .

ونظرة الى المقررات الدراسية فى مساجد ومدارس وكليات الدولة العثمانية على كل مراحل تطورها تشهد بالاهتمام البالغ الرفيع المستوى ، ليس باللغة العربية فقط بل وبآداب العربية أيضا . ثم أوجه لكم هذا السؤال : متى فرض العثمانيون اللغة التركية كلغة علم أو حتى تحدث فى مدارس مصر ؟!

ومن مصادر الدكتور صاحب المقال المذكور أيضا كتاب الدكتور محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، وان لم يذكر الكاتب سنة طبع الكتاب لكننا كنا نقراه فى أوائل الستينيات ، ومعروفة مصادر الدكتور محمد أنيس فى هذا الكتاب لدى المتخصصين ، والكتاب يحتاج الى نقد مصادره .

فكرة الجامعة الاسلامية

من قضايا مقال السلطان عبد الحميد والثورة العرابية ، قضية السلطان عبد الحميد نفسه . والحديث عن عبد الحميد طويل ،وليس هنا محله ، لكنى ساستخدم من الاشارات بعضها ، يقول كاتب المقال المذكور (.. فالذين هاجموا وانتقدوا سياسة السلطان عبد الحميد ، لم يقصدوا أن يهاجموا فكرة الرابطة الاسلامية ، وانما كانوا يهاجمون اتخاذه لها ستارا يخفى أمورا أخرى غاية فى السوء) .. أى سوء يا دكتور ؟! فكرة الجامعة الاسلامية كانت لمقاومة الاستعمار الغربى واعادة ثقة العالم الاسلامى بنفسه ، وعبد الحميد بشر قد يخطىء وقد يصيب لكنه كان حريصا على وحدة العالم الاسلامى الشعورية وليست السياسية كما تصورت سيادتك فى مقالك . ولم يكن للجامعة الاسلامية مطامع شخصية للسلطان ، لكنها مصلحة عامة للمسلمين . من الجامعة الاسلامية التمسك بالقدس وتمسك بها ، وقاومه اليهود وقاومهم مع معرفته بان المقاومة ــ ان كانت مطمعا ــ ستؤدى الى عزله عن العرش ، ومع معرفته بهذا فقد قاوم رافعا لواء هذه الجامعة ، التى لم تدر عليه الا تكاتف اعدائه عليه هو شخصيا . فاى مطامع واى سوء يا دكتور سعيد ؟! وتعبير من هذا : (جاء نيولنسكى وقال لى انه تحدث مع السلطان عبد الحميد ، وان السلطان قال انه لن يتخلى (!) أبدا عن القدس ، ويجب ان يبقى جامع عمر (= المسجد الاقصى) بيد المسلمين دائما) و (لا يجرؤ أى رئيس للحكومة البريطانية ان يساند السلطان ، ذلك لانه يثير بذلك الرأى العام ضده) ولان السلطان عبد الحميد ماكر جدا ، خبيث جدا ، ولا يثق بأحد) . ان قائل كل هذا الذى بين قوسين انما هو هرتزل يا دكتور ، وبالطبع معروف من هو هرتزل !

اما عن أعداء عبد الحميد ، فكانوا : كل المخالفين للوحدة الاسلامية ،الدوميون،

الذين راوا أن الجامعة الاسلامية ضد المصالح القومية ، وهؤلاء لم يكونوا فى البلاد العربية فقط ، بل كان الاكراد والالبانيون والعرب والترك واليهود والارمن والشركس وغيرهم ، فالثورة الفرنسية - كما تعلم - كانت كالطوفان العظيم ، اجتاح الافكار وأثر على الشخصيات واطلق الامال الكبار فى ان تفتيت الدولة العثمانية يعنى تحرر الشعوب الى قوميات ، والقومية الحادة والاسلام ، لا يتفقان وكان راى عبد الحميد أن وحدة الدولة فى ظل الاسلام أفضل من تفتيتها الى دول قومية صغيرة . لذلك تجد يا دكتور أن صورة عبد الحميد عند القوميين - ليس العرب فقط - بل كل القوميين صورة مشوهة مبالغ فيها . تقول مخابرات عبد الحميد وأين هى فى دولة ضمت أغلب منطقة الشرق الاوسط وغيرها ، من مخابرات دولة واحدة من دول الشرق الاوسط ، عقب سقوط الجامعة الاسلامية وقيام الجامعة القومية ودولها ، صورة عبد الحميد اليوم ، فى الكتب الدراسية فى تركيا - على سبيل المثال - انه السلطان المزعج الذى تعقب القوميين وشل حركتهم ، وهو - فى تركيا - السلطان الذى ظهرت على يده وبنشاطه فكرة الجامعة الاسلامية ، وهو - فى تركيا أيضا - الحاكم الذى اهتم بالعرب ، اكثر من اهتمامه بالاتراك ، والذى عمر بلاد العرب ، واهمل الاناضول ، وهو عند القوميين الاكراد السلطان الفظ الذى افشل اول محاولة للتجمع القومى الكردى المتمثل فى محاولة توحيد ثلاثين عشيرة كردية متنافرة .

وعبد الحميد ، فى الكتب الدراسية فى اسرائيل هو السلطان الذى وقف بقوة وغطرسة أمام محاولة اليهود تحقيق احلامهم فى اقامة دولة قومية لهم فى فلسطين، صورته سيئة كذلك فى مناهج الدراسة فى العالم العربى ، ولا أدرى ماذا يقول الفلسطينيون ويكتبون عنه عندما تقوم لهم دولتهم . ولو لم يكن عبد الحميد صاحبا حقيقيا لوحدة العالم الاسلامى ما هاجمه أحد : لا اليهود ، ولا القوميون، ولا الاوربيون .

● ميزان الحقيقة

اذا كان أنصار الوحدة الاسلاميه يحاولون رد الاعتبار للسلطان عبد الحميد وتصويره - كما تقول - بانه كان مظلوما ، فكذلك يفعل الفلسطينيون . ويفعلون ما يتصورونه لكننا نحن اصحاب الدراسات التاريخية ينبغى ان نكون منصفين للحقيقة بقدر ما تسعفنا به أدواتنا من وثائق وغيرها ، فاذا مال ميزان الحقيقة لانصاف مظلوم ، مادامت الحيثيات صحيحة وموجودة أمامنا ومع ذلك فانى من مدرسة تقول ان على باحث التاريخ ، أن يكتب التاريخ كما يجده فى مادته الاصلية والمؤرخ عليه أن يبحث عن الحقيقة وليس عليه أن ينصب نفسه قاضيا ، ولعل الذى يقرأ تقديمى لمذكرات السلطان عبد الحميد (كتاب الهلال العدد ١٨) فى اكتوبر ١٩٨٥) يجد اننى أقول : (أريد ان اقدم شخصية السلطان عبد الحميد الثانى الى المثقف العربى العام ، والى المتخصص الباحث العربى فى التاريخ، تقديما يعتمد على المصادر العثمانية والتركية ، وهى مصادر ناقصة فى ذاكرة العرب غالبا ولعل هذا راجع الى أن المثقف عندنا قد استقى معلوماته - حتى الان - من المصادر الاوربية ، ومن الكتب التى صدرت بهذه اللغات) .

وعبد الحميد كان حاكما واقعيا ، يعترف بانه صاحب بلاد ضعيفة ، تتحين أوربا الفرصة لالتهامها ، ولابد للضعيف من عمل شىء حكيم تجاه القوى المقابلة له ولم يكن أمامه المال ولا السلاح ، وانما اسلام ودولة اسلامية ، ووجد أن سياسة من سبقه من حكام الدولة العثمانية ، قد اتجهوا لتجديد دولتهم واصلاح ضعفها ، اتجهوا الى الاخذ عن الغرب أى الى العدو المتربص ببلادهم . وكانت النتيجة كما رآها هو : الارتماء فى أحضان الغرب ، ولم يجر هذا على بلاده الخير ، لكنه جر عليها الفساد الاخلاقى العام ، وكثرة الديون ، فعمل هو على سياسة (الاتجاه الى الذات) للاصلاح وتقوية دولته ، ووجد ان هذا لا يكون الا بربط المسلمين الآن

بحكمهم بالسلمين خارجهم بحيث ينضم الضعيف الى الضعيف فيقوى الاثنان وهو الجامعة الاسلامية . أما الذى خلف هذه الجامعة من سوء - كما يقول الدكتور صحاب مقال السلطان عبد الحميد والجامعة الاسلامية ، فليس فى التاريخ الذى درسناه من مصادره الاولى شاهد واحد حتى الآن على اساءة عبد الحميد لاستخدام ما أسماه هو (سلاح الخلافة) فى مآرب شخصى له . وحسب علمى انه نجح فى ابراز هذه الوحدة الدينية ، وحسب علمى أيضا نال السلطان عبد الحميد احترام المسلمين فى كل بقاع العالم .

اذكر جيدا أن زارنى فى بيتى فى استانبول فى نهاية الستينيات،زائر من جنوب افريقيا ، كان قد قصد زيارة جار لى فلم يجده ، فاستضفته بعض ساعات حتى عصر جارى ، واثناء تأمله فى مكتبتى وجد كتابا عن عبد الحميد فقال لى : اننا نذكر بكل الخير خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد ، فى مساجدنا فى جنوب افريقيا ، فى خطبة الجمعة ! وقال لى الاستاذ يوسف قراجا وهو تركى تلقى دراسته بالهند ، وهو زميل فاضل ، قال لى ان خطبة الجمعة فى بعض مناطق الهند النائية مازالت ، باسم خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثانى ! .

هذا ما اعلمه ، أما اذا كان الدكتور سعيد يعلم شاهدا واحدا على سوء استخدام عبد الحميد لسلاح الجامعة الاسلامية ، أو مثالا واحدا على استغلاله لحركة هذه الجامعة ، لصالحه الشخصى ، فليعمل لنا لنتعلم منه بل وانى بالتأكيد ساكون له من الشاكرين ان استطاع ، ان يدلنى على شيء ثابت يوافق العلم والتاريخ ، يعنى وثيقة او مصدرا أصليا موثقا . وبالطبع يا دكتور لابد أن اسبقه - من الآن - بتقديم سيادتك - الوثائق اليهودية أو ، بيانات جمعية الاتحاد والترقى وكذا بيانات الجمعيات الماسونيه فى عهده واجنحتها العسكرية .

عدم تجانس الأمة

يقول مؤلف كتاب (حقائق الاخبار) فى مسالة الحكم الدستورى فى عهد عبد الحميد (ولما كان بعض دول أوروبا لا تحب أن ترى اتفاق الامة العثمانية وان يكون لها مجالس نيابية شورويه أحدث دس الدسائس من يوم ظهور هذا المجلس الى عالم الوجود ، ولما خافت الدولة من رواج الدسائس الاجنبية بين بعض الاعضاء يؤدى بلا شك الى المشاكل والاختلالات التى أرادت الدولة التخلص منها بتشكيل هذا المجلس فتكون جلبت على نفسها الضرر من حيث أرادت المنفعة صدر أمر سلطانى بعد اتفاق وزراء الدولة وأعيانها بارجاء اجتماعه الى أجل غير محدد (١٠ صفر ١٢٩٥) وقد قال كثير من عقلاء الامة الذين خبروا أحوال الدولة العثمانية وأحوال شعوبها ، ووافقهم على قولهم هذا من تنزهوا عن الاغراض من رجال سياسة الدول الاجنبية بعدم امكان تأليف مجلس كهذا للامة العثمانية فى ذلك الوقت لاسباب عديدة أهمها عدم تجانس الامة العثمانية وميل جميع الطوائف الغير مسلمة بها الى ترويج مصلحة الدولة الاوروبية التى تستند عليها تلك الطائفة لانه من المصائب التى ابتليت بها هذه الدولة ان مالت كل طائفة غير مسلمة الى دولة اوروباوية . ومنها عدم بلوغ الامم العثمانية درجة التعليم التى تؤهلها الى تفضيل مصلحة الوطن على غيرها ، ومنها سعى كثير من دول أوروبا فى تفريق الجامعة العثمانية لينالوا بذلك مآربهم الخصوصية) .

اوقف عبد الحميد العمل بالمجلس النيابى المتعدد الولاءات للدول الاجنبية للاغراض التى ذكرها اسماعيل سرهنك . وثار عليه ضباط الاتحاد والترقى ، ومن اهم اسباب ثورتهم - أقصد الاسباب المعلنة ، ضرورة اعادة المجلس النيابى ، وبالفعل اعدوه ، فماذا كانت النتيجة : حركات انفصالية عن الدولة ، غداها أعضاء

هذا المجلس النيابي ، كل واحد سائد عرقه وساندته دولة أوربية . ثم انقضت الدول الغربية على الدولة العثمانية ، في هجمة انهت بها الوجود العثماني من التاريخ وباسم الحياة الدستورية ، تم تطبيق سياسة الطورانية ؛ وباسم المجلس النيابي دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى وهى حرب لم تكن لها فيها ناقة ولا جمل أدت الى انهيارها ، وهروب ثلاثى الاتحاد والترقى من البلاد : انور وطلعت وجمال .

من غذى هذه الحركة الدستورية يا دكتور ؟! اليهود العثمانيون ويهود الخارج بكتابات موئيز كوهين ، ودراسات المستشرقين اليهود في اوربا . غذاها ايضا أقطاب الفكر القومي المتطرف من الكتاب الاتراك الذين درسوا على أساتذة وكتاب وفلاسفة يهود .

وبالطبع ، لا يقف كاتب هذا المقال ، في رده هذا ضد الديمقراطية ، لكنى احاول ان أضع المحاولة الدستورية التي وقف ضدها عبد الحميد فكرا وعملا ، في مكانها حسب وقتها ، ذاكرا دوافعها وظروفها . وعبد الحميد يقول انه يحاول النظر للمسائل السياسية نظرة تعقل وليس نظرة اندفاع .

وفيما كتبه الدكتور صاحب مقال عبد الحميد والثورة العرابية تحت عنوانه الفرعي (هل تخلف المسلمون في العهد العثماني) اقول له : من اين أتيت سيادتك بالادعاء الذى تقوله : (نجد انه على الرغم من تولى حكام من جنسيات مختلفة قيادة الدولة أو الدولة الاسلامية فانهم جميعا ذابوا في الثقافة الاسلامية .. فكانت اللغة العربية هي اللغة الاسلامية .. لكن هذا لم يحدث للدولة العثمانية ، فالاتراك وان كانوا مسلمين فانهم لم يتعلموا اللغة العربية ، فبقوا بعيدين عن روح الثقافة الاسلامية ، لانها كانت باللغة العربية ، ولعل هذا يفسر بعض الشيء السبب الذى جعل هذه الثقافة تتخلف في هذا العهد ، على عكس العادة التي جرت طوال العصور الاسلامية .. فكلما نهض حكم جديد قوى يلم اطراف العالم الاسلامي شهدت الثقافة الاسلامية ازدهارا وقوة .. الا في العهد العثماني ..) ويمضى الدكتور سعيد اسماعيل فيقول (ان سلاطين آل عثمان ما فتئوا ينقلون من العلماء ومهرة الصناع والفنانين الى قصبة ملكهم حتى أفقروا العالم العربي من أفذاذ رجاله في مختلف الميادين ، لذلك لا نعجب اذا اسجل التاريخ هبوطا في مستوى المدنية الاسلامية في هذه الفترة حتى زحفت العجمة على اللغة ، وانحطت البحوث العلمية والفلسفية ، وأغلق باب الاجتهاد في الفقه ، وانعدم التأليف الا من الملخصات والمختصرات للمؤلفات التي ألفت في العصر الذهبي السالف ، وانحط الفن الحربي .. وانعزل العرب عن مجرى المدنية الانسانية ..)

ما كل هذا التحامل يا دكتور ؟ لنأخذ اقوال سيادتك من البداية فنقول ان المدنية الاسلامية قد بلغت أوجها في عهد العثمانيين ، فالحضارة العثمانية ـ المتجاهلة عن عمد في أوربا والعالم العربي ـ هى الحلقة الاخيرة من حلقات تطور هذه الحضارة ، وجمع العثمانيون في عهدهم كل مكاسب حلقات الحضارة الاسلامية السابقة عليهم وأضافوا اليها العديد مما جلبوه معهم من اسيا الوسطى ، ومن البلاد المفتوحة في أوربا ، وحققت الدراسات العربية دراسات متقدمة في مختلف فروعها في العهد العثماني ، ولم تختنق البحوث العلمية بل ان للعثمانيين مكانة في العلوم بلغت اوجا كبيرا ، وباب الاجتهاد في الفقه لم يغلقه العثمانيون ، وانما حدث هذا قبلهم بكثير . ولم ينعدم التأليف ، لكن هذا لم يمنع من استمرار تدريس الحواشى لاهميتها ، مع العلم بأن جامعات العالم الاسلامي حتى اليوم تدرس الحواشى لانها غير مرفوضة ، بل أن الدراسات الاسلامية مازالت في حاجة اليها ، ومن ذا الذى يقول بانعدام التأليف ؟! ومن ذا الذى يقول بانحطاط الفن الحربي عند العثمانيين ؟! ان هذا كلام لا أجد له سندا واحدا من الحقيقة المدروسة . ومن ذا الذى يقول بأن العرب في مصر أو سوريا أو المغرب قد انعزلوا عن مجرى المدنية

الانسانية بفعل العثمانيين ؟ ومن قال ان العثمانيين منعوا اتصال العرب باوربا ؟ من يقول كل هذا لم يفهم بعد طبيعة الحكم العثماني . ومن هم - يادكتـور - علماء العالم العربي الافذاذ الذين آخذهم العثمانيون الى بلادهم . اذا كنت تقصد ما قاله ابن اياس من أن سليم الاول أخذ بعض أصحاب الفنون من مصر ، فهؤلاء عادوا بعد موت سليم الاول وهو موت مبكر ، عادوا مباشرة ، بل ان بعضهم رفض العودة . وغير هذا المثال الجزئي الذي أورده ابن اياس .

اعطنا يا دكتور ما يؤيد قولتك من التاريخ وبالمناسبة ، لم يظهر لمن اخذهم سليم من الفنانين ،اى أثر في الحضـــارة والمدنية العثمانية ، ولم يمكثوا فى استانبول اكثر من ثلاث سنوات ، ثم عادوا .

ارجو أن يلاحظ القارىء هنا ، والدكتور سعيد على خاصة ، أنه كان للعثمانيين سياسة تسمى التهجير وذلك بانهم كانوا عندما يفتحون بلدا ما يهجـرون بعض قطاعات من الناس من اماكنهم الاصلية الى المناطق المفتوحة وبالعكس أحيانا ، نوعا من الوحدة. والاختلاط ولم يطبق العثمانيون - فيما أعلم حتى الان - نظـام التهجير على البلدان العربية .

ثم قال ان دولة العثمانيين قامت على السيف ؟ مثلما يرد فى مقالتك يا دكتور سعيد ؟ هل من المعقول أن هذه الدولة الحضارية ذات الستمائة سنة وأكثر فى التاريخ تقوم على السيف ؟ ان أصحاب الدراسات التاريخية يعرفون أن طول عهد دولة ما فى التاريخ انما يعتمد على حضارتها ، والعكس صحيح . فالدولة الرومانية ذات الاربعة قرون ونيف فى التاريخ طالت لحضارتها القوية ، والدولة العثمانية استمرت أكثر منها ، والسيف ان اقام دولة فانه لا يقيم حضارة ولا تستمر الدولة طويلا .

وتعبير دولة الاتراك الذى يرد فى مقال «السلطان عبدالحميد والثورة العرابية» تعبير ، أرجو أن تراجعه ، فالمعروف أنك تقصد العثمانيين ، لكن التعبير الذى استخدم فى المقال ، لا يقصد به تاريخيا ، الا دولة المماليك فى مصر ، فهى الدولة التركية واذا لم تصدقني فيمكن الرجوع الى المصادر المملوكية نفسها وابن اياس وغيره حتى يمكن الاطمئنان الى صحة قولى .

واذكر على سبيل المثال على عدم التروى الذى يصاحب المساجلة السياسية أن صاحب المقال الذى نرد عليه هنا أصابته حساسيته القومية فأطلق تعبير دولة الاتراك على العثمانيين ، المثال الذى اورده ان كاتبا اسلاميا أيضـا طغت عليه حساسيته الاسلامية فأطلق على كتاب ألفه لنصرة العثمانيين، أطلق عليه اسم أو عنوان « صفحات مضيئة من تاريخ الاتراك العثمانيين » ، وهو زياد أبو غنيمة ، والدولة العثمانية لم تكن أبدا تركية ، فهى دولة لم تعتمـد على الايديولوجية التركية ولا على الشرائع التركية السابقة للاسلام ولم تكن ثقافتها تركية ، بل انها لم تستخدم اللغة التركية وكانت لغتها تسمى اللغة العثمانية ، وهى لغة مشتركة بين شعوب العالم الاسلامي أكثر من ٨٠٪ من كلماتها لم تكن تركية وأدواتهـا التركية قليلة ونحوها يغلب عليه النحو العربى والفارسى ، وللسلطة فيها لم يكن للترك فيها الا منصب السلطان لكن الذى يهيمن على الدولة جناحان الاول مشيخة الاسلام والاخر الصدارة العظمى .

الاولى تشريعية والاخرى تنفيذية ملتزمة بالشرع الذى تتمسك به الدولة وليس للترك فضل فى الدولة العثمانية الا فضل تكوين الدولة على نهج اسـلامى ملتزم بالشريعة الاسلامية بعيدا عن التأثير التركى . ومشيخة الاسلام والصدارة كانتا دولة بين كل شعوب الدولة .

بهذه المناسبة اقول أن نظام الحكم العثمانى لم يكن استبدادا كما هو شـائع فى المصادر الاوربية التى تنقل عنها ، والفقرة السابقة ، لعلها أعطت الضوء على

هذا ، الا أن السلطان العثماني يرأس جناحي الحكم في الدولة ، وهو مقيد بالشرع ، وهو نفسه أجبر منذ أن كان أميرا ، على دراسة الفقه الاسلامي ودراسة اللغة العربية دراسة متخصصة بالاضافة الى العلوم العربية الاخرى التفسير والحديث مثلا ، وكل سلطان عثماني مر بمرحلة الدراسة الاجبارية هذه .

احياء فكرة مواجهة الغرب

تبني السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الاسلامية ـ يا دكتور سعيد ـ لم يكن كما تفضلت (لتحقيق اهداف هي : ضمان التفاف العالم العربي ، وتأكيد استبداده اعتقادا منه ان فكرة الجامعة الاسلامية تعني الحكم الاستبدادي ، وثالثا : اتخاذها اداة للضغط على الدول الاوربية)!

ليس الامر كذلك يادكتور ، فلقد التف العالم العربي حول الحكم العثماني منذ قرون قبل ظهور عبد الحميد ، ولم يكن عبد الحميد مستبدا ، بل كان حكما شوريا ، نموذجا رائعا لاحترام كلمة القضاء اثناء حكمه . يعيبه انه كان يرفض العمل بالفكرة العربية في الديمقراطية . لم تكن الجامعة الاسلامية عنده أداة ضغط فقط ، بل احياء لفكرة لمواجهة الغرب بها ، ولم يكن العالم العربي يشكل الا جزءا من عالم اسلامي واسع الارجاء .

اشتكى عبد الحميد من أن قصره وحكومته يسيطر عليهما اليهود والدونمة والماسونية ، وان ذلك يعرقل سعيه الى الجامعة الاسلامية . كما اشتكى من أن السفارات الاجنبية ـ بحكم امتيازات سابقة ـ كانت مأوى للمناهضين له ، وبلغت به الشكوى الى تصريحه بأن صدره الاعظم مدحت باشا وقائد جيشه حسين عوني باشا ، يخونانه بالتعامل مع بريطانيا ، من خلف ظهره أي ظهر السلطان .

ان تعبير عمد(المثقفين الى تشكيل جمعيات سرية في داخل الامبراطورية واخرى علنية في أوربا) نتيجة لسياسة عبد الحميد ، تعبير غير صحيح .

ان تشكيل جمعيات سرية داخل الدولة العثمانية لم يكن في عهد عبد الحميد ولا من جراء سياسته ، وانما هي جمعيات تشكلت قبله بزمن ، منذ بدأ الصراع بين الفكرتين الاسلامية والقومية في السيطرة على الدولة العثمانية ، منذ أن قام المثقفون بمحاولة احلال الفكر الغربي محل الشريعة الاسلامية في حكم الدولة ، ايمانا من هؤلاء الشوان ان الانقاذ الوحيد لبلادهم يكمن في التغريب ، وهي قصة طويلة ، بدأت منذ عهد عبدالمجيد ووالده محمود وانتهت بقيام الحركة الكمالية والجمهورية التركية محل دولة آل عثمان ، وهذه الجمعيات نجحت واتسعت في عهد عبد الحميد نتيجة لحماية الغرب واليهود لها ، لاختلاف عبد الحميد مع الحركة اليهودية العالمية وقتها ، وقام اليهود بعمل الدعاية اللازمة لصالح هذه الجمعيات في أوربا بحيث كونت لها رأيا عاما عالميا ، لصالحها ، بالاضافة الى تقديم المعونات المختلفة للحركات السرية عند عبد الحميد ، وهذا أمر أصبح معلوما اليوم ومشاعا . ومذكرات هرتزل ما زالت موجودة ويمكن الرجوع اليها .

ان تعبير الوحدة السياسية للعالم الاسلامي الذي استخدمه الدكتور سعيد يكاد يكون في غير محله ، لان عبد الحميد لم تكن له مناداة بوحدة سياسية شاملة للعالم الاسلامي ـ فيما أعلم ـ وليس بين أيدينا ما يفيد بأنه يؤيدها أو يرفضها لكننا لانجد ما يثبت انه نادى بها ، وأغلب الظن أنها كانت بعيدة عن ذهنه ونظرته العاقلة لمجريات الامور في العالم وقتها .

أعود فأقول ان مقال الدكتور سعيد طويل جدا ، واشتمل على عدة نقاط ، كلها تحتاج للمناقشة وكل نقطة تحتاج في ردها الى مقال ، وهذا أمر يحتاج الى وقت ومساحة ، لذلك رددت المقال في اشارات ، كما انني لم استطع الرد الا على الشطر الاول من المقال وهو الشطر الخاص بالدولة العثمانية والعثمانيين وعبد الحميد . أما كلام الدكتور في الثورة العرابية ، فله وقفة اخرى ، خاصة فبين يدي وثائق لم تنشر بعد عن حركة أحمد عرابي باشا .

قصة قصيرة



القرار

بقلم : محمد الكاشف

الليلة يعاني سهادا لم يعرفه من قبل ٠

ـ والله ياوله السعر يغرى ٠٠ مين يصدق ان المتر بـ ٣٠٠ جنيه مرة واحدة ابيع النص فدان واشترى تلفزيون ملون ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ مئات الافكار تطارده كاشباح الليل ٠٠ لكنه من جديد صار يفكر :

« ـ صحيح يا واد يا عبد الموجود دى فرصة العمر ٠٠ تاخد

الفلوس وحطها في البنك زى ما الناس ما بيعملوا » .
حاول ان يحسبها . لا يستطيع ان يتخيل كم الف من الجنيهات ستدخل جيبه .. فقط لو انه اتخذ قرارا في كلمة واحدة : موافق .

همس لنفسه : (وتقف في طابور ثم تمضي ورقة .. مجرد تحط عليها اسمك وبعدين ينادون عليك .. فتتسلم الفلوس التي يسمونها عائد الارباح في البنك)
« ده انت ياوله عندك تلات اولاد في المدارس غير اللي طلعوا عشان يساعدوك في زراعة الارض .. اه لو قلبي يطاوعني كنت ابيع .. لكن مش قادر .

المشكلة ان عبد الموجود فلاح عنيد كان زمان اصغر اخوته ابوه يقول عنه « لو كل الابناء زى الواد المفعوص ده ما كنتش اخاف غدر الايام ..

ـ « انا معاك يابا » تارة يحمل له الطعام . وتارة يركب المحراث . اخرى يسقى البهائم حتى اشتد عوده وامسك الفاس .. يضرب الارض فتمنحه الخير . شرب حب الارض منذ زمن طويل طويل .

مات ابوه منذ زمن تفرق الابناء . كل له حياته . قطعة الارض قسمت بينهم .

كل مسئول عما يملك . الذين توظفوا ومن سافروا باعوا ارضهم او شيدوا عليها المساكن .. الا هو .. ظل في بيت العائلة الكبير يحدل في داخله روح اجداده .. ويشم في ثنايا البيت القديم رائحة تاريخ هؤلاء الاجداد وماضيهم .

ـ الان جاء دورك . هكذا قال لنفسه . مشكلته ان النار وصلت الى بيته . زوجته قالت له :
ـ والنبي ياعبدالموجود نفسي في عقد ذهب زى كل الستات الهوانم .

قال اصغر ابنائه :ـ وانا يابا نفسي في عجلة اروح بيها المدرسة زى اصحابي . قالت كبرى بناته :ـ يابا هي الارض بيجي منها الا الشقا .. عايزين نعيش زى كل الناس . لكن عبد الموجود كل شيء . قال لنفسه :ـ جيل لا يعرف سوى مصلحته ..
لم تكن القضية منتهية بالنسبة له تماما في قرار البيع .. فالسعر حقا يغرى بالموافقة وكل جيرانه باعوا من قبل بسعر ارخص من هذا السعر المعروض .. لكن ثمة سؤالا واحدا يشغله :ـ ماذا سيفعل لو باع الارض وهو قد جاوز الستين من عمره ؟ .. ان هذا الفدان بالنسبة له ليس مجرد مصدر رزق لكنه عمر كامل .. لكم يفرح لحظة ان ترتوي الارض من مياه النيل الذي لا يبعد عنه سوى امتار قليلة .. ولكم يشعر ان قلبه يوشك ان يقفز من بين جنبيه كلما اعطته الارض ..
« مرة برسيما تاكل منه اغنامه وماشيته » .. ومرة خضروات يبيعها في سوق المدينة » .. والخير دايما على اد الشقا » .. وهو لم تعد صحته تتحمل التعب ..

الكل يضغطون عليه ليوافق .. تجار .. اصحاب بوتيكات .. وحتى زوجته واولاده ولعدة ليال طويلة كابد فيها السهاد . عرف لوعة الضني حين يوشك

القرار

الانسان ان يفقد شيئا عزيزا ابنا او حبيبا يتمنى الف مرة لو أن الذى حدث لم يحدث · يكز على اسنانه ويقول اه لو أن اللى راح يرجع· تمتلكه لوعة واسى تفقده صوابه ·· لكن الذى يذهب ابدا لايعود ·· وهو قد يفرح بالمال الوفير الذى سيجرى بين يديه ·· سيشترى كل ما يريد وكل ما يطلبه أولاده وزوجته

·· لكن سوف يأتى ذات صباح ليجد نفسه غريبا عن هذه الارض ·· وقد يأتى احدهم لينشىء عليها عمارة وبوتيكات ومحلات ·· حتى لو باع قطعة صغيرة منها قد يزحفون عليها بجدران الأسمنت المسلح ويطردونه او يرغمونه على بيع الباقى منها ·· من يدرى ؟ ··

ظل عبد الموجود وحيدا حزينا · يكابد فى صمت ويعاند الشىء الذى لم يعرفه ابدا فى حياته · احس الجميع بما يكابده الرجل وأنتظروا بصبر وشوق قراره ·· الكل يحلم بالمكسب ·

لكن شيئا ما ذات صباح جعل عبد الموجود يستيقظ من نومه جذلا فرحا · كأنه عاد فتيا من جديد · شىء لم يفهمه عبد الموجود ولا حاول ان يفهمه وبالطبع لم يفهمه احد حوله · شىء جعله يقسم يمينا بالله العظيم « لو كان السعر بمليون جنيه مش هابيع » ثم خرج الى حقله · امسك الفأس نظر الى حبات التراب السوداء احس برائحتها تملأ صدره · ضرب الارض بالفأس ·

كانت ذرات التراب تتصاعد · ورغم كل شىء كان صدره يمتلىء بهواء الزفير والشهيق ·· يضرب بسرعة تماما كما لو انه شاب فى العشرين من عمره ·

احس بعد ذلك آخر النهار براحة شديدة لقد انزاح من فوق صدره هم ثقيل ·



شهريات

• رأى فى الثقافة •

النادى الثقافى مهمة عاجلة

هذه الاعداد الهائلة من الشبان الموهوبين هم الذين سيشكلون وجه مستقبلنا الثقافى فى المستقبل ، وهم الآن بالمئات، تراهم فى المنتديات الثقافية التى ضاقت بهم حتى أصبحت المطالبة بانشاء النوادى الثقافية ضرورة يجب ان يضعها من فى يدهم مقادير الامور نصب اعينهم كمهمة ملحة من مهمات العمل الثقافى العام

فالنوادى الثقافية هى البديل الاساسى لانتشال هذه المواهب من الغرق فى بحر اليأس الواسع ، ودوامة الحياة الطاحنة التى تؤدى الى ما نعرف جميعا من طرق ، ماهى ذى تدفع الدفة الى هوة سحيقة لا يعرف لها أحد قرارا .

ان محاولات عديدة تبذل لنشر انتاج هؤلاء الشبان الموهوبين ان يكن من جانب دور النشر الخاصة، او من بعض دور النشر العامة لابد من دفعها والاخذ بيدها ، وفى هذا السبيل لابد من القضاء على اى عقبة قد تكون لا تزال تقف فى سبيل العودة بسعر الكتاب والمجلة ، الى القوة الشرائية لهؤلاء ، فهم الاساس الذى يتشكل منه هيكل الحياة الثقافية العريض .

لكن هذا لا يكفى .

فهؤلاء ايضا يحتاجون الى التفاعل فيما بينهم ، كما يحتاجون الى التقييم، وهو دور أن يكن النقد المكتوب يقوم بجانب منه الا ان النوادى الثقافية هى التى تقوم بصقله وتقويمه ، وخلق روح المنافسة البناءة ، بالاضافة الى الاحتكاك المباشر الذى يولد القدرة على الحوار الخلاق .

المثقفون كما الاحزاب بالاضافة الى المؤسسات الثقافية مطالبون اليوم بهذه المهمة .. وبامكان العديد من مثقفينا أن يكرسوا هذه المهمة للوجود .. فظاهرة المؤتمرات التى تنفق الالوف تطغى الآن على محاولات انشاء النوادى والجمعيات الثقافية ، وقد يكون انشاء ناد او جمعية تبقى وتستمر افضل بما لا يقاس من اقامة مؤتمر تنفق الاموال الطائلة عليه ثم ينفض وينتهى اثره .. علينا ان نقيم الباقى قبل أن تدهمنا الموجة لان المستقبل مكتظ بالمخاوف والخطر والاباد .

عبده جبير

ش
شهريات

ذكرى

عبد الرحمن الخميسي وداعا :

● لانه كان ظاهرة كاملة ، ظل تأثيره باقيا على الرغم من البعاد ، ولانه كان فنانا شاملا اتسعت دائرة هذا التأثير في جميع الاوساط .

فانتاجه الشعرى ، وتجاربه العديدة فيه ، ووجهة نظره التى رأت أن الشعر سلاح في معركة التغيير ، وقد يكون في هذا تضحية بالفن في هذا الشعر ، لكنه كان مسموعا بين الشعراء وبين محبى الشعر .

ولانه تجول مع الفرق الشعبية المسرحية ، وأنشأ واحدة ، وساهم في انشاء الكثير منها فان أثره المسرحى يذكره له المسرحيون في كل مكان حل ، داخل مصر ، في القاهرة والاقاليم ، أو في بيروت أو في موسكو .

ولانه انتج في القصة الكثير من الاعمال، فان القصاصين وعشاق القصة ونقادها اعتبروه واحدا من رواد القصة الواقعية المصرية ، فامتد تأثيره الى هذه الناحية .

ولانه اكتشف أهمية فن السينما كفن جماهيرى ذى تأثير خطير على أعرض شريحة من متلقى الفن ، فانه قدم أفلاما بارزة ، ممثلا ومخرجا وكاتبا للسيناريو وكان مؤثرا .

ثم انه كان موهوبا لايخاف الموهوبين كما يفعل أصحاب العقول البيضاء ، انصاف المثقفين ، عديمو المواهب ، دفع بكل موهبة التقى بها الى الامام وفتح لها الابواب على مصاريعها .

يكفى انه نشر اول قصة ليوسف ادريس وقدم سعاد حسنى لفن السينما .. فكان بذلك معلما من هؤلاء المعلمين اللذين يمدون أثرهم خارج ذواتهم . كان نعم الراعى العالم .. لذا لا نقول له وداعا ، الا لنقول : نعم المثل .


الخميسى على المسرح في مسرحية عزبة بنايوتى

عبد الرحمن الخميسى



مهرجان طه حسين الثالث عشر

● في المنيا وفي الفترة من ٢٨ الى ٣٠ مارس الماضي عقدت كلية الدراسات العربية المهرجان الثالث عشر الذى حمل منذ انشائه اسم عميد الادب العربي طه حسين الذى اعتادت جامعة المنيا أن تحتفل بذكراه ، لا تعلقا بالاوصاف التي اغدقت عليه ، وانما عملت على أن تتخذ من هذه الذكرى نقطة انطلاق لتكريم واحد من ابناء مصر ممن يعدون امتدادا لمدرسة طه حسين ، وأن تطرح موضوعا ثقافيا رئيسيا يدور حوله الحوار والنقاش طوال فترة انعقاد المهرجان .

وقد رأت الجامعة في هذه المناسبة أن تكرم الدكتور سليمان حزين نظرا لدوره الرائد في انشاء الجامعات الاقليمية ، واخلاصه الثقافي في خدمة قضايا الفكر والثقافة ، سواء أكان ذلك من طريق التاليف النظرى أو من طريق الممارسات العملية .

وقد تقدم كثير من المفكرين واساتذة الجامعات والباحثين هذا العام بدراسات تقلب كل وجهات النظر والزوايا المختلفة للفكر العربي ، ومن هنا رأت أمانة المؤتمر ان تصنفها الى ثلاث لجان رئيسية .

اللجنة الاولى وكانت تدور حول مساهمات طه حسين في الفكر العربي ، قديمه وحديثه ، وقدمت في هذه اللجنة دراسات كثيرة حول فكر طه حسين ، ولم تقف هذه الدراسات عند حد الثناء على طه حسين ، بل رأت ان خير تكريم لهذا الرجل هو ان تكتشف خطا تطوريا لمن بعده ، وان تجد امتدادا لاجيال اخرى تحمل الشعلة من طه حسين ولكنها تمدها لتكشف الطريق بصورة أوضح ، ومن هنا نظرت نظرة نقدية الى موقف طه حسين من التراث ، والى موقفه من الشك الديكارتي الذى طبق بطريقة متطرفة ، ووقفت موقفا ناقدا للعملية التوفيقية التي نادى بها طه حسين للتوفيق بين القديم والجديد ، أو بين الشرق والغرب ، ورأت انها عملية انتقائية تقوم على جمع الافكار من هنا وهناك ، وان الافضل من ذلك خطوة تالية تمزج القديم والجديد في بيئة واحدة ، تضيع فيها خصائص القديم والجديد ، وتظهر صورة أخرى تنطلق من الاثنين كرافدين ، ولكنها تقدم في النهاية وجهة نظر مختلفة عن الاثنين .

اما اللجنة الثانية فكانت تدور حول الفكر العربي وعلاقته بالتيارات الاجنبية ، وقد برزت في دراسات هذه اللجنة ظاهرة جديرة بالتأمل ، وهي اننا لم نعد نقف عند حد العلاقة بين الفكر العربي والفكر الاوربي ، بل اتسعت النظرة فشملت العلاقة بين الفكر العربي والفكر الافريقي مثلا ، من خلال دراسات حول الثقافة العربية في قارة افريقيا ، وهي ظاهرة جديرة بالتأمل لان الوقوف عند العلاقة بين الفكر العربي والفكر الاوربي يجعلنا نحس بالهوان والتبعية .

أما دراسة العلاقة بين الفكر العربي وأفكار المنطقة المجاورة فتجعلنا نحس بقيمة هذا الفكر العربي وقدرته على الانتشار واحتوائه لكثير من التيارات الاخرى .

اما اللجنة الثالثة فكانت تدور حول الفكر العربي بين الاصالة والمعاصرة ، وقد كانت الدراسات في هذه اللجنة كثيرة للغاية ، ومن متخصصين ومفكرين مديرين لدرجة أن الامانة رأت أن تمد أعمال هذه اللجنة الى يوم ثالث حتى تستوفى كافة الزوايا والنقاط والحوار .

وقد أكد الحاضرون في هذه اللجنة على ضرورة الاهتمام بالافكار الثورية التي تغير الانسان العربي من داخله وتجعله يحاول أن يحدد موقفه وعلاقته بالغير ، وبالكون ، وبالطبيعة ، وان يتخلص من عملية التخاذل واجترار الهموم الذاتية والجرى وراء الهامشيات التي تعد ترفا في ظرفنا الراهن .

شهريات

وظاهرة جديدة تلفت النظر هذا العام هي ظهور فكرة جائزة طه حسين ، التي ساهمت المحافظة مع الجامعة في تقديمها ، وقد تقرر أن تكون جائزة سنوية تمنح لكتاب مطبوع يدور حول المحور الرئيسي للمهرجان في نفس العام ، وقد نال الشهادة التقديرية هذا العام الدكتور سليمان حزين والدكتور زكي نجيب محمود ، أما الجوائز فكانت من نصيب الدكتور احمد طاهر حسين ورشحت كتابه الجامعة الامريكية بالقاهرة ، والاستاذ مصطفى عبد الغني ورشحت كتابه مؤسسة الاهرام ..

ندوات

ندوة العرب في افريقيا :

ضمن اتجاه نرى بسود كثيرا من الاوساط العلمية والسياسية في مصر والعالم العربي جاء السمنار الثاني الذي اقامه قسم التاريخ بكلية اداب القاهرة الذي يشرف عليه الدكتور رءوف عباس خطوة في هذا الاتجاه الساعي الى تأكيد اهمية العلاقات العربية الافريقية تاريخيا وسياسيا وحضاريا واقتصاديا .

ويمكن القول بشكل عام ان القضايا التي طرحها السمنار كانت متنوعة ، أن يكن في الابحاث التي قدمت اليه ونوقشت في جلسات ست خصصت لاستعراضها ، او في حلقات النقاش الثلاث التي جاءت خلال ثلاثة ايام متتالية كختام ليوم عمل كامل .

واذا كان من المستحيل من الناحية العملية أن نعرض لما تم في جلسات المؤتمر كلها ، فانه يمكن القول بشكل عام أن الابحاث وحلقات النقاش تفرعت الى عدة محاور بارزة .

فمن الناحية التاريخية كان هناك اهتمام ملحوظ بتتبع العلاقات المصرية والعربية والتاريخية بافريقيا ، وفي هذا الاطار جاء بحث الدكتور عطية القوصي محاولة العرب المسلمين كشف منابع النيل في القرون الاولى للاسلام ، كما جاء بحث الدكتور سليمان عبد الغني المالكي « اثر العرب على الحياة الاجتماعية في شرق افريقيا » وكذلك بحث الدكتور ايمن فؤاد السيد وصف افريقيا في المصادر الاسلامية ، بالاضافة الى بحث الدكتور جمال ابوالنصر المعنون« موقف الافارقة السود من ارتباط الاسلام بالثقافة العربية » ، وكذلك بحث الدكتور قاسم عبده قاسم عن علاقة مصر بالحبشة في عصر سلاطين المماليك .

المحور العام الثاني الذي يمكن ان تنضوي تحت لوائه كثير من ابحاث هذه الندوة هو المحور السياسي ، وان كان التاريخ هنا يمكن أن يمتد بالعلاقات العربية الافريقية من الناحية السياسية الى اتجاهين : الماضي والمستقبل بالاضافة طبعا الى الحاضر ، وتحت هذا المحور يمكن أن تدرج ندوة النقاش الاولى التي جاءت تحت عنوان «حركة التحرر الافريقية الى اين» ، وقد شارك فيها كل من الدكتور عبد الملك عودة والسفير فؤاد البيومي وحلمي شعراوي واسامة الغزالي ، بالاضافة الى بحث الدكتور يونان لبيب رزق « دور مصر في اوغندا في القرن التاسع عشر » ، وبحث الدكتور عبدالقادر زبادية الزعماء « المتطورون » في حزب التجمع الافريقي ، وبحث الدكتورة سلوى لبيب «العرب وقضية التفرقة العنصرية» وابحاث اخرى عديدة منها بحث الدكتور حسن نافعة «الحوار العربي الافريقي» .

المحور الثالث يمكن تصنيفه تحت لواء الاقتصاد ، وان كانت الابحاث في هذا المحور قليلة ، لكنها هامة على اية حال ، وفي هذا المجال يأتي بحث الدكتور على السيد على التبادل التجاري بين مصر وبلاد التكرور وانعكاساته على احوال مصر الاقتصادية ، وبحث الدكتور محيى الدين مصيلحي دور العرب في النشاط التجاري في شرق افريقيا .

المحور الرابع والاخير الذى يمكن ان تنضوى تحت لوائه عدة أبحاث هو فى تقديرنا اخطر المحاور ، ويمكن وصفه بمحور الامن القومى العربى ببعده الاستراتيجى الافريقى ، وهنا جاءت حلقة النقاش الثانية لتؤكد هذا مباشرة عبر العنوان الذى جرى حوله النقاش وهو قضايا الامن والاستراتيجية فى افريقيا ، وكذلك كانت حلقة النقاش الثانية التى جاءت تحت عنوان العرب وافريقيا فى مواجهة المستقبل ، والى هذا المحور أيضا يمكننا ان نضيف بحث الدكتور ابراهيم نصر الدين التعاون العربى الافريقى رؤية مستقبلية ، بالاضافة الى بحث اللواء محمد رضا فوه باب المندب والامن العربى الافريقى .

وكان للمرأة نصيب فى بحث الدكتورة عواطف عبدالرحمن المعنون ، المرأة العربية والافريقية فى اطار حركات التحرر الوطنى .

رسائل جامعية

حرية الصحافة فى لبنان

● فى التاسع والعشرين من مارس الماضى نوقشت بكلية اعلام القاهرة رسالة الدكتوراة المقدمة من حازم عبد الحميد غالب ..

وفى البداية افتتح الدكتور مختار التهامى عميد كلية الاعلام ورئيس لجنة المناقشة والمشرف على الرسالة المناقشة بان طلب من الباحث تقديم عرض ملخص من الرسالة ، ثم قام بتقديم المناقش الزائر من خارج الجامعة « كما تقضى التقاليد الاكاديمية » وهو الكاتب الصحافى كامل زهيرى .

وتركزت ملاحظات الاستاذ زهيرى على الفصل الاول من الرسالة الخاص بعرض ملخص لتطور حرية الفكر وحرية الصحافة فى تاريخ المجتمعات المختلفة منذ العصور القديمة ، ولاحظ المناقش ان الاختصار والعجالة فى هذا الفصل أدت الى وجود اضطراب وعدم اتساق فيه بعكس ماهو عليه الحال فى باقى الفصول المتضمنة لموضوع الرسالة .

وقد رد الباحث على الملاحظات الموجهة اليه بانه قد عرف الفصل الاول فى عنوانه بانه «مدخل عام» ولخص فيه مواضيع عديدة وفترات تاريخية طويلة فى صفحات معدودة ، وهذا ما أدى الى وجود مايشبه الضغط لبعض التجارب والمراحل ، ولكنه فى الوقت نفسه لايستطيع ذكر كل التجارب والمراحل لان ذلك يعنى توسعا كبيرا فى المدخل مما سيجعله يطغى على موضوع الرسالة ، واشار الباحث الى انه يعتقد بضرورة هذا المدخل الملخص لكى يمكنه ايضاح الارضية التى ينطلق منها لمفهومه حول حرية الراى والصحافة .

وعلق الدكتور التهامى فى مناقشته حول الموضوع ذاته ، بأن هذا الفصل او المدخل ينبه الى عدم وجود بحوث نظرية حول التطور التاريخى لحرية الصحافة والمراحل التى مرت بها فى تجارب الدول المختلفة ، مما يستدعى من كلية الاعلام تكليف بعض طلبتها فى الدراسات العليا لاعداد رسائلهم حول هذه المواضيع .

واعترض كامل زهيرى على التعريف الذى أعطاه الباحث لحرية الصحافة ، حين اشترط فيه ان تكون هذه الحرية خارج الضغوط الحكومية والسياسية والادارية والاجتماعية والتمويلية ، اذ يرى ان هذا تصور مثالى لا يمكن حدوثه فى الواقع .

وقد أجاب الباحث عن ذلك بانه قد شرح تعريفه الوارد فى بضعة اسطر عبر ثلاث صفحات احتوت على تسع نقاط تفصيلية ، وانه قصد ان تكون حرية الصحافة بعيدا عن الضغوط السلبية المختلفة الاشكال والمصادر الهادفة الى صرف الصحافة عن اداء دورها ورسالتها تجاه القارىء والمجتمع .

وبعد أن شكر رئيس اللجنة المناقش الاول تقدم الثانى الدكتور فاروق أبوزيد استاذ الصحافة بجامعة القاهرة .. وقد ركز الدكتور أبو زيد – بعد مقدمة اثنى

شهريات

فيها على الرسالة والبحث ـ على النواحى المنهجية فى البحث . اذ ذكر أنه يعتقد أن الباحث تداخلت لديه طبيعة النظام الصحاف اللبنانى وقضية حرية الصحافة فيه .

وقد رد الباحث على ذلك بأنه يتفق مع الدكتور «أبو زيد» فى أن موضوع البحث بشكل دقيق هو « النظـــام الصحاف اللبنانى » وأنه لم يستطع تغيير العنوان، بعد فترة من البحث اعتقد خلالها أن عنوان النظام أصح وذلك بسبب الشروط الاكاديمية التى تعتبر تغيير العنوان تسجيلا جديداً للرسالة بينما تمكن الباحث من تغيير جميع محتويات الرسالة الاخرى ..

وطرح الدكتور أبوزيد ملاحظة أخرى حول ماذكره الباحث من ان الرسالة تسعى لدراسة العلاقة بين متغير النظام الصحاف أو حرية الصحافة فى لبنان من جهـــة وبين متغيراته الاخرى كالنظام الســياسى والاقتصادى والاجتماعى والقـــانونى وما اليها .

وقال المناقش ان الأصح أن اعتبـــار النظام الصحاف وحرية الصحافه ظاهرة ودراسة تأثيرات المتغيرات الاخرى عليها .

وقد رد الباحث بأن مسألة « الظاهرة » تعنى تثبيتا تجريديا لمتغير وهو ما لايمكن حدوثه فى الواقع والمجتمع ، وحـرية الصحافة ليست عنصراً من عناصر العلوم الطبيعية ليمكن تثبيتـــــه وقياس تأثير المتغيرات الاخرى عليه ، اذ أنها تدرس ضمن العلوم الاجتمـــاعية ، ولو اعتبرنا النظام الاجتماعى أو حرية الصـــحافة ثابتة لاستدعى ذلك استبعاد تأثيرها فى النظام الســياسى ، وكمثـــال على ذلك مساهمة الصحافة اللبنانية فى اسقاط الرئيس الخورى عام ١٩٥٢ .

وأبدى الدكتور أبوزيد اختلافه حول تحديد طبيعة النظام السياسى اللبنانى ، اذ يرى أنه نظـــام اقطاعى متخلف وليس نظاما ليبراليا . وقد رد الباحث بأن رسالته تبين أن النظام الســياسى اللبنانى هو نظام يدعى أنه ليبرالى ، ولكنه يمتلك عدة سمات وخصائص مختلطة من اشكال أنظمة مختلفة مما يصــــعب تصنيفه ، ولكن ذلك لا ينفى قيـــامه على أسس ليبرالية ســياسيا ورأســمالية اقتصاديا .

وبين الدكتور أبوزيد تفضيله لاتباع أداة تحليل المضمون الظاهرى الاحصائى فى بحوث الاعلام ، وأنه كان يرى أفضلية اتباع هذا المنهج فى اعداد الرسالة على منهج التحليل الوصفى .

واختتم الدكتور مختار التهـــامى المناقشة ، بأن أشاد بجهـــد الباحث وثقافته ، وجرأته فى التصدى لموضـــوع شائك كهذا ، ولاحظ أن المدخل الذى تعرض لتطور حرية الفكر والصـــحافة وان كان يعانى من بعض الهفوات فانه وضع الباحث لعرض وجهة نظره حول هذا التطور وبيان الارضـــية التى يقف عليها فى موضوع بحثه تغفر له هـــذه العجالة والاختصار الشديد .

وقد اصـــدرت اللجنة بعد المداولة قرارها بمنح الباحث درجة الدكتوراه فى الاعلام بمرتبة الشرف الاولى مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الاخرى .

الدكتور مختار التهامى والدكتور فاروق ابو زيد والاستاذ كامل زهيرى



كتب جديدة

المرأة فى عهد الفراعنة

كتاب ممتع أنيق ظهر عن دار ستوك لورنس بيرنو بباريس لعالمة الآثار المصرية الجليلة كريستيان ديروش نوبلكور رئيسة قسم العاديات المصرية سابقا بمتحف اللوفر واستاذة الآثار المصرية بمدرسة اللوفر للفنون، ومستشارة اليونسكو بمركز تسجيل الآثار المصرية بالقاهرة واحد اقطاب مشروع انقاذ آثار النوبة، وصاحبة عدد ضخم من المؤلفات ذات الشان فى مجال تخصصها . وقد وجه لها الدكتور ثروت عكاشة رئيس جمعية الصداقة المصرية الفرنسية الدعوة لالقاء محاضرة عن هذا الكتاب فى ٧ ابريل ١٩٨٦ بمقر الجمعية ، ولبت السيدة قرينة رئيس الجمهورية الدعوة للاستماع لهذه المحاضرة مع لفيف من كبار المثقفين والفنانين، والكتاب يتحدث عن مصر التى فتنت العالم بفراعينتها وتوابيتها الذهبية .. وأهراماتها الغامضة وهل كان للمرأة نصيب فى هذا كله ام كانت بعيدة عنه كل البعد ؟. فلقد احتلت المرأة فى المجتمع المصرى مكانة مساوية للرجل حتى باتت تتلقى العلم مثله ، وكذا ترث وتوصى وتورث. اما فى الاسرة الملكية فالعروس الكبرى هى مانحة الدماء الملكية والولاية الفرعونية، وهى التى تلى الفرعون شأنا ، وتقدم له النصح والمشورة . وثمة غيرها أيضا ممن يشاركن فى السلطة مثل نساء حريم فرعون اللائى يمارسن حبك الدسائس والإمرات، وعذراوات الاسرة المالكة عرائس الاله اللائى يتخلصن من كبار الكهنة كى يحتلن مكانهم فى ممارسة السلطة الدينية التى ينافسن بها السلطة الملكية . كذلك خضع العالم الدينى المسيطر على حياة الناس اليومية .

لايزيس مثال الزوجة الوفية والام الرءوم التى قال فيها الشاعر المصرى: « أى ايزيس .. سيدة العالم الارضى . يا من جعلت المرأة كفئا للرجل».

والكتاب زاخر بالقصص الشائق والنوادر الفكهة والمؤامرات المحبوكة والاحداث الطريفة، ومزود باربع وعشرين صفحة محتشدة بالصور . هذا الى الرسوم الايضاحية المصاحبة للمتن والحق انه كتاب يلقى ضوءا جديدا اليفا على عصر كان الى وقت جد قريب مقصورا على سيرة الملكات دون العامة. فتحدث المؤلفة . اول ما تتحدث عن الانوثة فى عالم الألوهية ثم الانوثة فى عالم الملكية ، وعن زوجات الالهة ، كما تبين لنا بوضوح ما كانت تتمتع به المرأة المصرية من حرية ، ومكانتها فى المجتمع . وتسهب فى الحديث عن زيها واناقتها ، وعن الطفولة والتعليم والحب والخطوبة والزواج والطلاق وعن الحياة فى البيت المصرى ، وعن مسئوليات ربة المنزل وعن الحظيات، وعن الحداد والختان والتحنيط والدفن والولائم الجنائزية ، وعن الارامل وحماية المطلقات وتعليم الابناء والبنات وبيوت الجعة والمتعة ..



كرستيان دى روش فوبلكور

مكتبة الهلال

الكتاب : الدليل اللغوى
تأليف : سليمان فياض
الناشر : دار المريخ
١٥٢ ص ، ٣ ج م



هل تكتب الهمزة على الالف ام على الواو ام على النبرة ام على السطر ؟. هذا السؤال اصبحنا نسمعه كثيرا هذه الايام ، فى بيوتنا ، وفى مصالح اعمالنا ، بعد تراجع الاهتمام باللغة العربية وقواعد الاملاء لتحل مكانه اهتمامات اخرى ، تقتضيها ظروف حياتنا .

من هنا تأتى اهمية هذا الكتاب الذى هو دليل جيب لغوى يمكن ان يحمله المرء فى كل مكان حتى يستعين به متى شاء وهو دليل عام ، موجز ، شامل بقدر المستطاع ، عن الالفاظ والادوات والمشكلات فى اللغة العربية ، التى يعنى متعلم العربية - اذا لم يكن من المتخصصين الضليعين فيها - معانيها، وكيفية استخدامها اللغوى فى شتى التراكيب الاسلوبية واحوالها مع المعانى ، ومع اوجه البناء والاعراب ، وكيفية الاستخدام لها فى سياقاتها المناسبة الصحيحة نحويا وصرفيا ، واملائيا.



الكتاب : رؤية اسلامية
تأليف : د. زكى نجيب محمود
الناشر: دار الشروق
٤١٢ ص ، ٥ ج

ضمن سلسلة المقالات التى نشرها الدكتور زكى نجيب محمود فى السنوات الاخيرة ، والتى تعبر عن مشاركته الايجابية فى القضايا المطروحة على الساحة ، تأتى هذه المجموعات الاربع التى تضمها دفة هذا الكتاب الجديد الصادر اخيرا للكاتب ، سبع مقالات تأتى تحت العنوان الاول « مع العلم بعمق الايمان » تأتى لتجيب عن السؤال :

ما الذى اصاب العالم الاسلامى فتخلف حتى اصبح فى مؤخرة الركب الحضارى فى عصرنا هذا ، بعد ان كانت له ، يوما ما ، قيادة وريادة ؟ وهو السؤال الذى يطرحه المؤلف نفسه وهو يفسر مساهمته فى المسألة الاسلامية فيقول : فى القسم الاول حاولت ان ابين كيف يعود العالم الاسلامى الى قوته ، اذ هو جعل العبادة تتسع فى معناها ، حتى تشمل بكل جدية واهتمام محاولات الكشف العلمى عن اسرار الكون ، اما القسم الثانى فيؤكد على عناصر القوة فى حياتنا الفكرية كما هى دافعة الان وانى تحتاج الى تقوية وتنمية ، ثم يأتى القسم الثالث ليبرز جوانب الضعف والياس والخمول وضيق الافق فى حياتنا الثقافية الراهنة ، ويقول المفكر : وعقيدتى هى ان ادراك مواضع العلة هو اول خطوة على طريق العلاج الصحيح واما القسم الرابع والاخير فيبين دوائر الانتماء للمصرى اولا فى دائرته المحلية ثم فى الدائرة العربية ثم ثالثا الدائرة الاسلامية الاكثر اتساعا ، وهو تبيان معمق يستحق النظر .

الكتاب : مرايا النهار البعيد
شعر : محمد ابراهيم أبو سنة
الناشر : الهيئة العامة للكتاب
١٢٠ ص ، ١٢٥ ق



هذا هو الديوان السابع للشاعر الرومانسي الرقيق محمد ابراهيم أبو سنة بعد دواوينه « قلبي وغازلة الثوب الازرق ، حديقة الشتاء ، الصراخ في الآبار القديمة . اجراس المساء ، تأملات في المدن الحجرية ، والبحر موعدنا .. وهو الكتاب الرابع عشر في سلسلة اعماله الاخرى التي ضمت مسرحيتين شعريتين وعددا من الدراسات الاخرى المتنوعة .

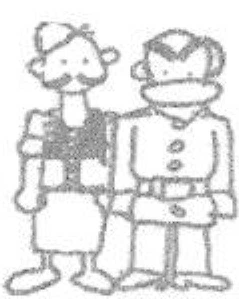
في هذا الديوان تتجلى خصائص الشاعر التي رأيناها في دواوينه الاخرى ، تلك النغمة الحزينة التي تسري في مفاصل الابيات ، وحتى في المفردات والتراكيب والجمل ، فهو ينشد الظلال والسنديان ، كما ينشد صوت اليمام - كان صوت اليمام نابضا في السهول - والنسيم الملول - يتحلق حول رءوس النخيل - كنت اعشق هذا اليمام اليتيم - كان يحمل حزني - وكان يأسره - في الظلام البهيم - آه كنت ارافقه في الظلال - وكانت ترافقنا في السماء الغيوم .

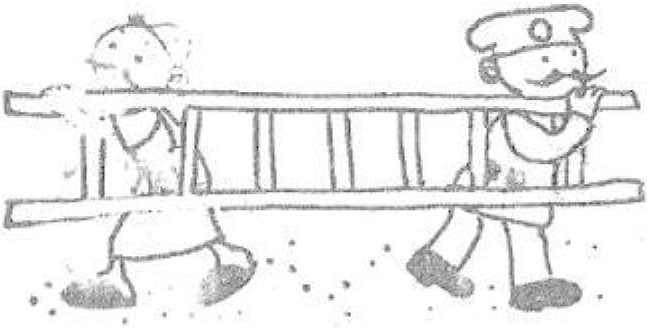
في هذا الديوان قصيدة ينشرها الشاعر في فبراير عام ١٩٥٩ في الملحق الادبي لجريدة المساء وهي بعنوان « القارة الغاضبة » وكما هو واضح من العنوان هي تدور حول « افريقيا اثناء انتفاضة اقطارها ضد الاستعمار وضد التمييز العنصري » وهي على ما بها من ضعف تعكس الروح الثائرة التي كانت سائدة في تلك الايام .

الكتاب : حكومة واهالي
رسوم : بهجت عثمان
الناشر كتاب الاهالي
١٦٠ ص ، ٣٥٠ ق

نوعية جديدة من الكتب بدأت تثرى في حياتنا الثقافية ، كتب تعتمد على الرسم والصورة واللوحة اكثر من اهتمامها بالكلام ، من هذه النوعية يأتي هذا الكتاب الذي جمع فيه بهجت عثمان لاول مرة مجموعة من رسومه الهامة التي تدور حول شخصيتين اصبحتا شهيرتين ، شخصية العسكري وشخصية ابن البلد البسيط الذي يحمل همومنا ويعبر عنها ببساطة وقوة في نفس الوقت . هنا مختارات من هذه الرسوم نقدمها بدلا عن أي كلام يمكن ان يقال :

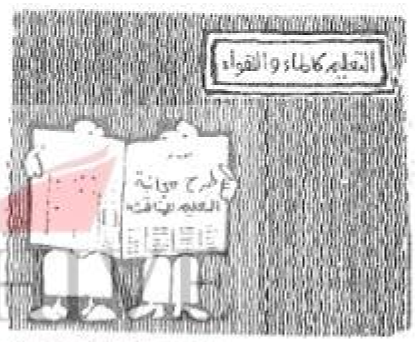




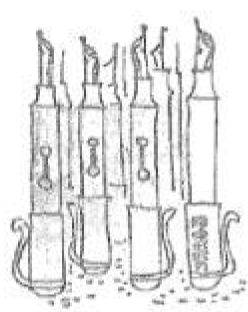




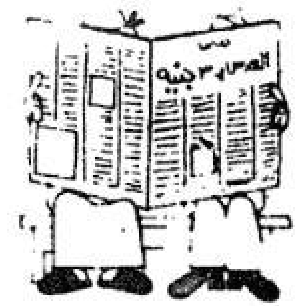
لا ده « مجلس » الشعب ، انا بسألك على « موقف » الشعب !



دول قطعوا المية .. وقطعوا الهوا — علشان يلغوا مجانية التعليم



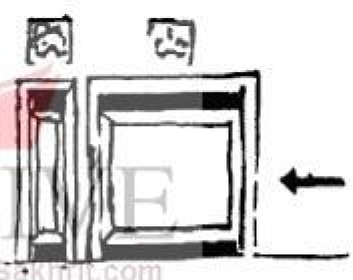
صواريخ غربية الصنع طراز «الشجب» و «الاستنكار» التي استخدمت في صد العدوان الإسرائيلي ..



اصله من السلع المعمرة .. لانه
بيصمد فى البطن مده طويلة..



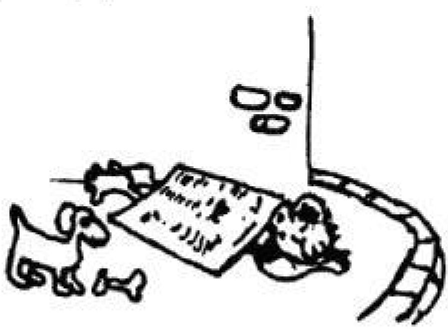
همه لو فاهمين كانوا كتبوه
بالعافيه فى المعده ..





ده يبقى مساس بمحدود
الدخل والصحه والعمر .

الصحافة تغطى
الاحـــــداث



الأدب العربى المكتوب بلغة أجنبية

آسيا جبار

بقلم : محمود قاسم

آية حيرة يمكن للكاتب المهاجر ان يقع فيها . تلك التى تهتف فى اعماقه تجذبه الى هويته القومية التى جاء منها . وبين ثقافة البلد الذى هاجر اليه . يجد مثل هذا الكاتب نفسه اشبه بطائر فقد جناحيه فلا هو انتمى الى سكان الارض ولا الى طيور السماء .

هذا الكاتب الذى تعلم منذ نعومة اظفاره لغة قوم استعمروا بلاده لاكثر من مائة عام وحاولوا طمس هويته الثقافية والتاريخية يشعر - عادة - انه يسبح فى تيار يمكن مقاومته فيتعلم السباحة لكن ذراعيه اضعف من التيار .

فرغم ان الادب العربى المكتوب بلغة فرنسية قد اتسم بسمات خاصة أكثر تمردا من الادب المكتوب باللغة العربية نفسها . لكن هذا الادب مهاجر الى لغة اخرى . يقرأه قوم غرباء عنه اما اصحابه العرب فلا يعرفون عنه شيئا . ولا يعرفون الكثير عن هؤلاء الادباء الذين يحترقون «عروبة» فى عواصم اوربا ومن امثلة الغربة التى يعانى منها هؤلاء الادباء ان احدى المؤسسات الثقافية فى مصر تعد الان موسوعة للادباء المصريين الذين عاشوا فى القرن العشرين . وعندما طرحت عليهم اسماء ادباء مصريين يعيشون فى الخارج مثل البير قصيرى وجويس منصور كان السؤال هو : ومن هم اصحاب هذه الاسماء ، وما هى حدود اهميتهم ؟

الرصيف .. لا يمنح جنسية

الكاتبة الجزائرية اسيا جبار هى احد اشهر النماذج الادبية التى تعيش بادبها ولغتها فى بحر متلاطم من الحيرة . فهى كاتبة مجهولة تماما لقراء اللغة العربية رغم اهميتها وعندما قررت الكتابة باللغة العربية عجزت تماما عن الاستهلال الادبى بهذه اللغة مثلما اعتادت ان تفعل باللغة الفرنسية . فهربت الى الاخراج السينمائى لان مفردات التعبير هنا تختلف تماما . ولم تنجز اسيا جبار الكثير فى مجال الاخراج



آسيا جبار

فقد دب حنين الكتابة فى وجدانها يدفعها الى ان تكتب من جديد لدرجة انها نشرت اخيرا روايتين بعد انقطاع طويل عن الكتابة • الاولى هى « الحب والفنتازيا » عام ١٩٨٥ ثم « ظل سلطانة » عام ١٩٨٧ •

تقول الناقدة لالا خناجة فى احدى المجلات العربية انه « اذا عاش المرء فى قلب العملية الحضسارية وعلى تخومها • فانه ليس موقفا محايدا بين التلوث واللاتلوث • لكنه ممارسة للحالتين معا • حاولت الكاتبة الجزائرية ان تفعل هذا عندما تكون امرأة من العالم الثالث على رصيف باريس • فان الرصيف لا يعطيها جنسية اخرى سوف يظل انتماؤها للايدى الخشنة لاناس يريدون ان يصنعوا شكلا مختلفا للحياة » •

وآسيا جبار المولودة فى الجزائر عام ١٩٣٦ هى نموذج لنساء عديدات تائهات بين حضارتين متباينتين • وقد قيل انها حاربت الفرنسية بالفرنسية • وذلك حسبما يقول الكاتب المعروف الان بوكيه ان الكتابات التى وضعها كتاب شمال افريقيا العرب قد احدثت الزلزال • مؤكدا انه كان من المفروض ان تترهل الثقافة الفرنسسية من السياسة الفرنسية •

الفجر الدامى فى الجزائر

نشرت آسيا اولى رواياتهـا « العطش » عام ١٩٥٦ اى وهى فى العشرين من عمرها • ويؤكد مراد بوربون فى مجلة جون افريك – ديسمبر ١٩٨٤ – انها رواية تحمل روح الشباب وتؤكد موهبة الكاتبة • ومدى ما تتمتع به من سحر وذكاء مما مكنها من الاسترخاء فى مخدع الادب وقيل ان اسيا جبار هى فرانسواز ساجان الجزائر تمتلك قلما خاطفا من سرد بعض الوقائع الباريسية •

وعلى مدى ثلاثين عاما لم تنشر آسيا جبار سوى خمس روايات بحثت فيها جميعا عن الجذور الاجتماعية والتاريخية لابناء شعبها • فعندما حصلت الجزائر على استقلالها عام ١٩٦٢ • عادت الى بلادها للتهنئة وهى تحمل بين ذراعيها مسودة روايتها الثانية « اطفال العالم الجديد » • وقد فتحت لها جامعة الجزائر ذراعيها • فقامت بتدريس التاريخ • ولكن الابداع يطارد الكاتبة فلم تهتم كثيرا بالاستقرار فى التدريس • وعادت عام ١٩٦٧ الى فرنسا لتنشر روايتها الثالثة « القبرات الساذجة » حول وضعية المرأة المسلمة فى الوطن وفى المهجر ومنذ ذلك الحين تزعمت اسيا جبار الحركة النسائية العربية فى شمال افريقيا • ففى عام ١٩٦٨ رأست مهرجان الثقافة الافريقية المنعقد فى الجزائر وقدمت مسرحية مكتوبة بالفرنسية تحمل عنوان « الفجر الدامى » حول سنوات الاحتلال الفرنسى للجزائر وعند ترجمة النص المسرحى الى اللغة العربية بدا اكاديميا خاويا من الحياة وعبثا حاولت اعطاء النص روحها بالعربية

آسيا جبار

لكن بلا جدوى . وكأنه من الصعب عليها ان تعود من منفاها داخل لغة اوربية الى موطنها اللغوى الذى سرعان ما انتبذها .

اما علاقتها بالسينما الجزائرية فقد جاءت اولا حسبما يقول مراد بوربون - من ان السينما القومية قد بعث لها اكاديمية للغاية . وعندما عهد اليها التليفزيون الجزائرى باخراج فيلم تسجيلى اقلت سيارة صغيرة وحملت الة التصوير ورحلت الى القرى لتصور البسطاء من الناس وجاء فيلمها تعبيرا عن دور المراة العربية الريفية ابان حرب التحرير . وقد حصل هذا الفيلم على جائزة النقاد فى مهرجان فينسيا عام ١٩٧٩ . مما دفعها الى اخراج فيلم ثان يحمل اسم « زردة » » .

● المراة .. والحجاب

يقول طاهر بن جولون فى مجلة اليوم السابع - ١٢ يناير ١٩٨٧ - : « ولاننا لم نكن قادرين على الكتابة مباشرة بالعربية ، فاننا بذلنا جهدنا لكى يصار الى ترجمة اعمالنا سريعا الى هذه اللغة واسفر الامر عن ظاهرة غريبة : اذا تحول ادبنا الى اللغة العربية . لم يحقق النجاح المرتجى . والذنب هو ذنب عملية العبور هذه . اكثر مما هو ذنب نوعية الترجمة . فالجمهور لا يحب هذا النوع من التكيف الجمهور الذى يقرا ابدى الكثير من الحذر . لانه يفضل ان يكشف الكتاب المغاربة عبر نصوصهم مباشرة » .

وايمانا بهذا الراى عادت اسيا جبار عام ١٩٨٥ لتكتب مرة اخرى باللغة الفرنسية روايتها « الحب والفنتازيا » وهى عبارة عن قصيدة سيمفونى فى خمس حركات - حسب لوموند فى ١٠ مايو ١٩٨٥ - تصاحبها اصوات غنائية حول امراة تتحدث عن تاريخ بلادها بدءا من حرب الجزائر الاولى (١٨٣٠-١٨٧١) حتى قيام ثورة المقاومة الثانية التى قام بها الفلاحون الجزائريون . واشتركت فيها النسوة خاصة الارامل .. لم يمارس هؤلاء السيدات الادب فى حياتهن . بل عانين من الحرب . كانت كلماتهن خناجر . سمعت حكاياتهن ترددها الالسنة واردت ان اترجمها كى انقل القرن التاسع عشر داخل صوتى من خلالهن » .

لقد اكتشفت الكاتبة وهى تبحث فى التاريخ ان اللغة الفرنسية التى تكتب بها ملطخة بالدم وهى تقرا عن العلاقات التى ربطت الضباط الفرنسيين باثرياء الجزائر " رات ان العنف هو الشاهد الذى كتب التاريخ : « انا وريثة هؤلاء القتلى . حاولت من خلال هذا الكتاب ان أوكد ان هناك دماء فى ميراث اللغة » . ففى احدى الحركات الدامية التى تتغنى بها تتحدث عن وقائع حرق خمسمائة جزائرى فى عام ١٨٤٥ على ايدى الجنود الفرنسيين بعد تعذيبهم .

يقول ابن جولون ان هذه الرؤية حول الحب الذى تعانيه اسيا تجاه اللغة العربية انه حب لم تتحدد تسميته بعد ففى المجتمع المغربى التقليدى لا يسمى الرجل زوجته ابدا . بل انه يطلق دائما على اسرته اسم « البيت » اما والد آسيا فقد حطم هذا التقليد حين ارسل بناته الى المدرسة الفرنسية متمنيا ان يكن فى طليعة المجتمع . وكان ينادى زوجته دائما بلفظ « سيدتى » . اما الكاتبة فتقول : « درست الفرنسية واصبح جسدى منسقا على الطراز الاوربى »

وعندما كان يسأل ابوها : لماذا لاتضع بناتك الحجاب • فيرد لانهن يذاكرن وبفضل المدرسة الفرنسية استطاعت البنات الهرب من الحبس كي يعبرن عن رغباتهن • واصبحت الفرنسية لغة كتابة عند آسيا جبار التي تقول انها سرقت اللغة الفرنسية من عدو الامس •

● وخرجت بدون اذن زوجها

وفي الاغنية الاخيرة المسماة الناى ، روت الكاتبة انه في زمن النخيل قصت لها احدى النساء يسدا مطروحة عثر عليها في احدى المستعمرات الفرنسية • وقد الهبت هذه اليد للكاتبة حكايات عن فتاة عربية تاخذ قلمها من ابيها وتذهب الى المدرسة كي تتعلم الكتابة عن طفولتها التي نلت بنفسها فيها -

وقد كتب المستشرق جاك بيرك عن هذه الرواية في مجلة اورنوفيل او بسرفاتور انها « مشعلة رومانسية وفكر اجتماعي وسيرة ذاتية حقيقية من خلال شخصيات خيالية • وقصائد شعرية مدونة في كتاب لا يخلو من تعقيد • كما انها نص يعبر عن اجواء البحر المتوسط اكثر من ادب البيركامي » •

اما روايتها الاخيرة « ظل سلطانة » فهي بمثابة تكملة للرواية السابقة وهي كما تقول الكاتبة « قسم من الرباعي بالمعنى الموسيقي تمثل الحركة الاولى منها آلة الكمان لان صوتها جهوري يعكس حركة التاريخ • اما ظل سلطانة فتمثل نايا يصدر انغاما رقيقة » • وبطلة الرواية تدعى هجيلة • امرأة عربية تقيم في احد الاحياء الشعبية بالجزائر • تزوجت من رجل شرقي طموح • يؤمن بالتحفظ او الانغلاق • قليلا ما يبتسم لغة التخاطب بينه وبين امرأته هي الاشارات • يأمر وينهى فقط يتلذذ بأن يطلب منها احضار منفضة السجائر • انه انسان بلا اسم • اما هي - فكما يقول خميس خياطي في اليوم السابع (٣٠ مارس ١٩٨٧) - فامرأة طيبة • رقيقة : تتأثر بسهولة وبدون عنف • من هنا يأتي اختيار اسم هجيلة • وهو اسم طائر رقيق • فهي في بداية الطريق بعيدة عن التمرد والثورة عاشت مع امها واختبا كنزة حياة الفقراء • ولقد ودت هجيلة ان تتمرد لمرة على هذا الزوج الطاغية فتقرر الخروج من الدار دون اذن وبلا حجاب يستر وجهها فتشعر لاول مرة وكانها تفقد جسدها وكيانها وحريتها و « تصبح مجرد عيون ترى ولا ترى ، تنمو لديها رغبة الرؤية خلسة » ••

والرجل دائما عند آسيا جبار اشبه بضمير الغائب • بلا هوية محدودة مجرد شبح كبير يتحرك هنا وهناك وعندما يعرف الرجل ان امرأته خرجت من الدار كاشفة وجهها يدخل عليها المطبخ وينهال ضربا •

وعن هذه الرواية تحدثت آسيا جبار - في اليوم السابع نفس العدد المشار اليه - قائلة : « تمثل الحب والفنتازيا ، علاقتي بأبي ، اما ظل سلطانة فهي تصور علاقتي بامي • والقسم الثاني من الرواية هو تعبير عن علاقة فتاة بابيها وبالتالي باللغة فاللغة الفرنسية هي لغة الغير ، لغة المستعمر كانت بالنسبة لي لغة الاب وهذه اللغة فتحت لي ابواب العالم • واصبحت علاوة على كونها لغة الاخر ، لغة الحرب ، حينما أحاول تحليل ذاتي ، اجد ان اللغة الفرنسية مكنتني من الهروب من سجن المنزل • لقد حاولت في هذه الرواية الاخيرة التقريب من اللغة المحلية الجزائرية • وان استعمل لغة النساء اللواتي حافظن على هويتهن » •

العالم في سطور

زيـــــورخ

زهرة .. وأذن .. ب ٣٦ مليـــون دولار

منطق عجيب ان يكون الانسان رخيصا .. بينما تباع اعماله بملايين الدولارات .. حدث هذا اخيرا لاحدى لوحات الفنان فان جوخ حيث بيعت « زهور عبـــاد الشمس » فى احد المزادات بزيورخ بمبلغ ٣٦ مليون دولار .. انها نفس اللوحـــة التى تمنى صاحبها ان يبيعها فى عـــام ١٨٨٩ بمبلغ ٥٠٠ فرنك فرنسى لا اكثر وذلك قبل ان ينتحر بعام واحد ..

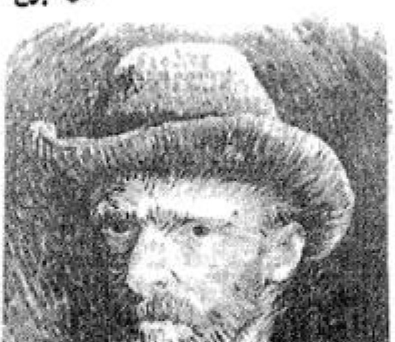
فان جوخ هو صاحب احدى اغلى اثنتى عشرة لوحة فى العالم مثل « منظر فى شمس مشرقة » و « زهرة الخشخاش » ولوحات اخرى عديدة . عاش فى الفترة بين عامى ١٨٥٣ و١٨٩٠ . وهو أحد التأثيريين الذين لعبوا دورا فى تغـــيير الصورة الحديثة . رسم اولى لوحاته وهو فى الســـابعة والثلاثين من عمره .. اتســـمت اعماله الاولى بالقتامة الســـوداوية لكنه عندما رحل الى باريس ؛ اتصـــل بالفنانين بيسارو وديجا وجوجان الذى أصبح صديقه الحميم . وانعكست هذه الفترة على فنه فتميزت لوحاته بالالوان البراقة والحركات الديناميـة . وقــد اتضح ذلك الى حد بعيد فى لوحتـــــه « عباد الشمس »

اهتم فان جوخ بتصوير بورتريهات للعديد من الاشخاص منهم صورته كفنان . كما اهتم بتصوير بعض من حياته اليومية وهو ذاهب الى الحقول ليرســم حاملا أدوات الرسم ومرتديا قبعـة من القش ، كما شغف بالطبيعة خاصة فى مواسم الحصاد . لذا غلب اللـــونين الاخضر والاصفر على أعماله .

انتابت الفنان فى أواخر حياته نوبة جنون كانت تلازمه على فترات . وقــد دفعته احدى هذه النوبات الى ان يقوم بقطع اذنه ويرسلها الى امراة أحبها من طرف واحد دليلا على حبه الشديد لها وارسلها مع خطاب غرامى .. وبعدها بأيام مات وحيدا بعد أن عانى الأمرين ..

اهتم الفنانون فى مختلف الميادين بحياة فان جوخ . فانتجت الســينما فيلما عن حياته تحت اسم « شهوة الحياة » قام ببطولته كيرك دوجلاس عام ١٩٥٧ أمـــا الشاعر الفرنسى رينيه شار فقد قدم منذ عامين كتابا يحمل اسم « جيرة فان جوخ » قال فيه أن هناك علاقة حميمة بين ألوان الفنان وخطوطه الخاطفة . وبين الاشـــعار التى كتبها شار فكلاهما لاهث حائر مثل الحياة نفسها .

فان جوخ



بوسطن

● عندما يصبح الاديب .. مخرجا



نورماند مايلر

هل يمكن أن نتصور أن يقوم الكاتب الكبير نجيب محفوظ فجأة باخراج رواياته بدلا من ان يترك الاخرين يقدمونهــا بمناظيرهم المتباينة .. ؟ قد يكون من الصعب أن نتخيل هذا ليس بالنسبة لنجيب محفوظ فقط، بل بالنسبة لاغلب ادبائنا .. لكنه لم يكن غريبا على الكاتب الامريكى نورمان مايلر الــذى انتهى اخيرا من اخراج فيلمه الاول. « الالام الحقيقية لا ترقص » بطولة ريان اونيل وايزابيلا روسيلليني .. وحول هذه التجربة يقول « كتبت هــذه الرواية دون أن أفكر فى أننى أنا الذى ساحولها الى فيلم لقد كتبتها فى شهرين .. اما السيناريو فقد استغرق اعداده ستة اشهر . أنا كاتب منذ اربعين عاما. اما الاخراج فلم يكن بالنسبة لى سوى اجازة من الكتابة ... فالكتابة - بالمقارنة - مثل العمل فى منجم . حيث تحس ان راسك فى واد بعيد عن جسدك »

اما ريان اونيل - بطل فيلم قصة حب - فيقول : « اكن احتراما كبيرا لادبه .. واشعر بالاسف اننى لم تعرف عليه منذ فترة . قرات له « أغنية الجلاد » .. وعندما اقترح على بطولة فيلمه .. لم املك سوى القبول .

ويدور الفيلم حول حكاية ملاكم قديم يصبح كاتبا . ويستيقظ ذات صباح بعد ليله تجرع فيها الكثير من الكحول .. تنتابه حاله جنونيه تدفعه لقتل زوجته .

من الجدير بالذكر أن ظاهرة الاديب الذى يتحول الى الاخــراج السينمائى ليست جديدة فى السينما العالمية خاصة انها انتشرت لدى كتاب الرواية الجديدة فى فرنسا . مثــل الان روب جريــيه ومرجريت دورا وجورج .. وكــان السبب فى ذلك أن ايا من المخرجين التقليــديين لا يمكنه أن يخرج هــذه الروايات التجريبية ولا ان يفهمها بنفس مفهوم الكاتب .

السؤال الان .. هل يمكن ان تجر هذه التجربة كتابا آخرين يتحولون الى الكتابة بالصورة بدلا من الكلمة .. وهل يمكن ان تشهد السنوات المقبلة اقبالا من الكتاب المعروفين لخوض هذا المجــال .. من الجدير بالذكر ان الكاتبة سيمون دى بوفوار تمنت ان تفعل ذلك كى يمكنها كسب جمهور آخر يختلف عن الجمهــور الذى يقرا لها .

مــــدريـــــد

● خوان .. والمدينة الاندلسية

هو احــد الكتــاب الاندلسيين الشغوفين كثيرا بالثقافه العربية .. اسمه « خوان جوتيسولو » ٥٦ عاما - روائى اسبانى معروف على مستوى واسع فى اوروبا ومقروء بكل اللغات الحيــة

العالم فى سطور

.. نشر روايته الاولى عام ١٩٥٤ . احب دون كيشوت ومالرو وجوستاف فلوبير. جابه ديكتاتوريه فرانكو . فعاش فى المنفى سنوات طويله ، عاش فى المغرب سنوات طويله . ووقف الى جانب الجزائر فى حربها التحريرية .. وعشق الخط العربى بلا حدود .. نال جائزة فيمينا فى فرنسا عام ١٩٦٩ عن احدى رواياته . كاتب غزير الانتاج . من اهم رواياته « لعبة الايدى » ، « صراع فى الفردوس » و « رقصات الصيف » و « خوان بلا ارض » .. اما آخر رواية صدرت له فى الشهر الماضى فهى « الحظيرة المحجوزة » وبمناسبة صدور هذه الرواية قامت مدينة « المرية » الاندلسية بتكريمه فى مهرجان كبير دعت اليه عددا من النقاد العالميين والاسبان .. هذه المدينة التى خصص عنها الكاتب رواية فى العصر الفرانكى يبين اثر الديكتاتورية على انتشار الفقر والاهمال والقاذورات فى أروقتها .

قال الروائى البرازيلى فونتس عن هذه الرواية ان « جويتسولو قد خرج بها من دائرة النار .. فوجد لغته .. فى بداية رحلة طويله من الصراعات واللعنات .. والغياب . والنضال . والعزلة . والوحدة . »

والكتاب الجديد للكاتب عبارة عن اول جزء من سيرته الذاتية يروى فيها سنوات الطفولة والشباب . او كما يقول انها سنوات البحث عن هوية . وسوف يتناول الجزء الثانى من المذكرات ما اسماها بسنوات المنفى حيث رحل الى باريس عام ١٩٥٧ ، وظل يناهض حكم فرانكو حتى مات فآثر العودة مرة أخرى الى بلاده . ثم وجد الفرصة سانحة كى يدون مذكراته بتفاصيل بالغة الدقة ودون مواربة حتى فيما يختص بعلاقاته الحسية المشبوهة .

خوان جويتسولو



الاقصر

عايدة .. وملوك القرن العشرين

يبدا فى الثانى من مايو الحالى بمدينة الاقصر بالعرض العالمى الاول لاوبرا عايدة وسط احضان معابد المدينة التى تخيل فيردى احداثها تدور بين رحابها .. تقول مجلة لوبوان الفرنسية أن وراء العرض احد الكشافة القدامى المصريين ويدعى فوزى متولى — ٥٤ عاما — يعيش فى النمسا منذ عدة سنوات واصبحت له شهرة المواطن كين فى فيينا . وانه حلم دوما بتقديم أوبرا عايدة فى بلاده .. هذا الحلم الذى تمنى المخرج المعروف



بلاثيدو دومينجو

فرانكو زيفيرلي بتقديمه تحت سفح الهرم منذ سنوات . وهذا العرض الجديد هو بداية لعشرة عروض للاوبرا ستتم في اوروبا وبعض العواصم العالمية . يقوم بدور الملك رمسيس الثاني المطرب الاوبرالي المعروف بلاثيدو دومينجو الذي قام اخيرا بدور « عطيل » في الفيلم الذي عرض في مهرجان كان في العام الماضي . وقد تكلف العرض عشرة ملايين دولار ويشترك فيه ٥٠٠ فنانا وتقنيا .

تقول المجلة ان فوزي متولي قد واجه عدة مشاكل لانتاج اوبرا عايدة منها انه عندما عرضها على المسئولين في مصر اكتشف انهم يودون التاج « عايدة » اخرى بجوار الاهرام باللغة العربية . اما المشكلة الثانية فهي توفير كم كبير من الفنانين ليؤدوا ادوار النوبيين في العرض . ثم حجز الفي غرفة في مدينة الاقصر .. « لا يمكن ان نبيع التذاكر دون ان نبيع الاسرة » .. كما ان العرض سيبدأ في ساعة متاخرة بدلا من الساعة السابعة والنصف وذلك بسبب حلول شهر رمضان المعظم . وتقول لوبوان ان المشرفين على العرض يتمنون ان تكون ايام العرض صحوة خالية من رياح الخماسين المتربة التي تهب في مثل تلك الايام من العام .

وتقول المجلة ايضا انه حتى اول ابريل الماضي . تم حجز اكثر من ٧٠٪ من الاماكن . وان من بين الذين سيشاهدون العرض ملك اسبانيا .. والملك حسين . والملك الحسن الثاني والامير شارلز وزوجته ديانا . . وقد خصص مقعد خال كل ليلة من اجل الموسيقار الكبير فيردي .

فيينا

القيثار الحزينة

اجتمعت فيه صفات متناقضة ، سحر الشخصية وعذوبة النفس ، مع الضيق بالناس والميل الى الاعتزال .

جمال يشيع فتنة تستحيل الحانا تملأ السهل والجبل ، مع قلب لا يتقد اشتهاء ، لا يرتعش لناعم همسات الحب .

حقا ، كان ثمة زواج في حياته ، ولكنه زواج ما كاد يمتد حتى انقطع ، منتهيا به الى كارثة اوشكت ان تعصف بكل ما في حياته من عزيز .

قال الناس عنه انه يخاف الحب ، يخاف الصداقة ، يخاف اى وصال انساني حميم .

غير انه ، وعلى عكس ذلك ، اتصلت نفسه بارملة راجحة العقل ، عاشقة للموسيقى ، زمنا طويلا ، تزيدت من لهمها وثرائها ما وجدت الى ذلك سبيلا .

ولكنه كان اتصالا غريبا لم يتزل ابدا من مكان الحب النقي البرىء .

لقد ابا الاثنان ان يتلاقيا ، اكتفيا وبا للعجب ، بالتراسل .

ومع ذلك ترك فيه هذا الاتصال بغير التصاق جذوة لا تعرف تصدا ، ولا اعتدالا .

هذا هو بيتر اليتش تشايكوفسكي الذي ولد منذ مائة وخمسين عاما الا قليلا « ٧ - ٥ - ١٨٤٠ » .

العالم في سطور

وسيرته ، كما هي مدونة في الموسوعات والدراسات ، لم تكن هذه الارملة المثقفة تعرف من أمرها سوى ما تسلل بين حين وحين فيما كتبه هو عن وقائع حياته في رسائله اليها .

لقد كان ابنا لمهندس ، طالبا لعلم القانون ، أعدته عائلته اعدادا يؤهله لشغل احدى الوظائف الحكومية ، لولا انه لم يلبث أن تعلق بحب الموسيقى ، بل — قل جن بها جنونا — فكان ان درسها بكونسرفاتوار موسكو على يد « روبنشتين » عازف البيانو الشهير .

وها هو ذا الان في السادسة والثلاثين من العمر « تائها في بحر الصوت ، بغير مرفأ آمن على مدى البصر » .

وما أن سمعت الارملة الخيرة موسيقاه النبيلة (افتتاحية « العاصفة » معدلة للعب على البيانو) ، حتى وجتـه في رسائلها الاولى أن يستمر في الابداع ، وفرت له بمالها القدر اللازم لذلك من الامن والامان .

وتمر الايام والسنون تحت رعايتها حافلة بجلائل الاعمال الموسيقية ، تأتي لصاحبها بالشهرة والمال .

فمن بعد اتصال المعرفة بينهما ابدع سيمفونيته الرابعة (١٨٧٧) التي اقامها كما سيمفونية « بيتهوفن » الخامسة على موسيقى ذات قصة تحكي مأساه الانسان، عجزه في مواجهة القدر العاتي الذي يقف لاستمرار سعادته بالمرصاد .

وقريبا من بداية الثمانينيات فاجا تشايكوفسكي «فيينا» ومن بعدها «لندن» بكونشرتو الكمان الذي اشتد الناقد النمساوي « ادوارد هانسليك »في هجائه له بفاحش القول « موسيقاه تبعث برائحة نتن الى الاذن » ، وذلك بسبب انحيازه



تشايكوفسكي

بغير عقل لكل ما هو الماني « براهمز » ، ضد كل ما هو سلافي .

والان ، وبا لسخرية الاقدار من النقاد، فما ان يعزف هذا الكونشرتو دو الرنين والالين ، حتى يتزود المنصت المتسد لرحلته المرهقة مع الايام ، فاذا بالتوازن المفقود يعود ، واذا بالحياة حلوة مشرقة من جديد .

ورغم اشتطاط البعض في كراهية تشايكوفسكي والاساءة الى أعماله ، ظل يبدع من روائع النغم ما لا سبيل لذكره الا على سبيل المثال كالسيمفونية الخامسة، وأوبرا « ملكة البستوني » وافتتاحية « هاملت » فضلا عن الباليهات الثلاثة الشهيرة « بحيرة البجع » و « الحسناء النائمة » و « كسارة البندق » .

وفجأة ، ومن حيث لا ينتظر جاءته ضربة قاتلة ، رسالة من صديقة العمر الارملة « فون مك » تنهي فيها لاسباب، أوهى من خيط العنكبوت ، ما كان بينهما من وصال دام اربعة عشر عاما أو يزيد.

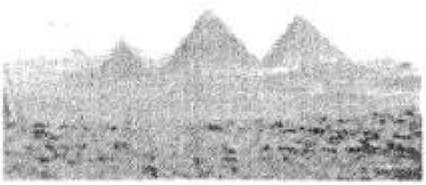
ومع هذه الرسالة الاخيرة ، هاجت شجون « تشايكوفسكي » ، طفق يتغنى قصته الشجية ، يرسلها خلال انغام سيمفونيته السادسة والاخيرة المعروفة بالحزينة ، وملأ الحانهـا اليتيمـة ، حتى الفها قبل ايام من موته بالكوليرا

منتحرا فى بعض الروايات (١٨٩٢/١١/٦) وما أن انقضى عام او بعض عام على سكوت القيثار الحزينة ، الا وكان الموت قد خلب ملهمتها الارملة « نون مك » .

وهنا ، قد يكون من المفيد ترديد ما قاله الشاعر « جوته » فى بعض كتبه: « ان القلب الانسانى كبير يسع كل شىء ، وضعيف يحطمه أيسر شىء » .



لنــــــدن



بناة الاهرام : معلومات جديدة تؤكد انهم لم يكونوا عبيــــدا

● كان من الشائع المتواتر حتى وقت قريب أن الاهرامات الفرعونية قد بنيت بأيدى آلاف مؤلفة من العبيد المسخرين الذين أرغموا قسرا على حمل وجر كتل الحجارة الضخمة التى بنيت بها تلك المقابر الكبيرة ، وهم يئنون ويتحركون فى طوابير طويلة تحت لهيب السياط .

لكن جاءت الآن عالمة الآثار الانجليزية « روزالى ديفيد » لتقول ان الامر لم يكن بالضرورة هكذا ، فهى تعتقد ان القوى العاملة التى بنت الاهرام كانت تتكون من حرفيين مستقلين ينتمون ، كما تؤكد ، للطبقة المتوسطة .

لقد قامت روزالى ديفيد وهى عالمة آثار فى متحف مانشستر فى بريطانيـا باعادة تحليل المصنفات الفنية التى عثر عليها عالم الآثار البريطانى فلندرز بترى فى مدينة « كاهون » المصرية عام ١٨٨٧ .

وكاهون هذه مدينة ملكية مسورة تضم آلاف الحرفيين الذين كانوا يسهمون فى بناء مقبرة الفرعون « سيزوســــتريس » واشتملت الآثار التى جمعها بترى منها على وثائق قانونية وعقود توريث تثبت كلها أن السكان الذين عاشوا فى هذه المدينة لم يكونوا عبيدا بالمرة ، ولكنهم كانوا يعيشون فى مجموعات أسرية كبيرة مترابطة .

وتذكر روزالى ديفيد أن احدى البرديات التى عثر عليها بترى فى منطقة الاهـرام هذه يوجد بينها ما يدل على انه كانت هناك صراعات حول العمل ، وأن احد هؤلاء الحرفيين كان يخطط للقيام باضراب ، هذا بالاضافة الى أن روزالى تؤكد على أن مجموعة كبيرة من جثث الاطفال التى وجدت مدفونة فى تلك المدينة فيما بين الاسوار والقصر الملكى قد تفرقت فى متاحف العالم منذ اكتشافها فى القرن الماضى .

وتحاول روزالى ديفيد الان أن تعثر على جثث هؤلاء الاطفال لتقوم بفحصهم فحصا طبيا حديثا لعلها تتوصل الى معلومات جديدة عن غذاء المصريين القدماء وامراضهم .. وتقول فى هذا الصدد أن هذا العمل يتطلب جهدا أشبه بذلك الذى يقوم به رجال المباحث وهم يحققون الحوادث ، وعليها أن تحقق تلك الادلة القــديمة المتنــاثرة باستخـدام التقنيات العلمية المتقدمة للوصول الى حقائق جديدة .

بمناسبة ذكراه الرابعة

جدل الماضي والحاضر في تجربة الشاعر

أمل دنقل

بقلم : أمجد ريان

تجربة الشاعر أمل دنقل « ١٩٤٠ – ١٩٨٥ » هي واحدة من أكثر التجارب الشعرية التي نجحت في تحقيق نمائية وانتشار بقطاعات عريضة من الناس في مصر والوطن العربي .. لقد قدر لهذه التجربة أن تجيء في مرحلة اجتماعية خاصة تأزم فيها الواقع العربي بعد النكاسة ١٩٦٧ الأليمة وماجرته من أهوال على حياتنا ، كان لنا أن نعيد النظر في بحثنا عن معنى وجودنا ، عن هويتنا وبدأنا نطرح أسئلة جذرية تمس حياتنا وفكرنا ومعنى المستقبل في مصيرنا العقلية والحضارية

جاءت تجربة الشاعر أمل دنقل لتكون تعبيرا فنيا صادقا عن رد الفعل الاجتماعي والفكري ازاء الهزيمة ، ومن هنا كان انتشارها الواسع لما تنبض به من قالبية متمردة مليئة بالنقاء وحرارة المشاعر .

ان أهم واخطر قضية يمكن ان تطرحها تجربة الشاعر امل دنقل هي قضية العلاقة بين الايديولوجيا والفن ، العلاقة بين الالتزام الفكري والسياسي من جهة والتعبير الابداعي عن ذلك الالتزام من جهة أخرى . جاءت قصيدة امل دنقل في لحظة تجسد مفترقا شعريا اهلها لان تتقدم الى الصفوف الاولى شهرة وترديدا بين الناس .

وكانت تلك اللحظة ايضا هي التي استقرت فيها ملامح قصيدة الشعر الحر الى الدرجة التي أصبحت تجتر فيها نفسها ، وتكرر معطياتها ، غير قادرة على التعبير عن ظروف واقع اجتماعي ينمو ، واصبح طقس قصائد السياب – عبد الصبور – حجازي هو النموذج او المثال الذي يحتذيه الشعراء ليعيدوا انتاجه بلا قدرة على الاضافة او التطوير مما يتنافى أصلا مع روح الابداع الشعري التي ينبغي ان تظل خلاقة ، وأن تتجاوز نفسها يوما بعد يوم ، حتى سقطت حركة الشعر الحر في النمطية من جديد ولم تعد قادرة على أن تقدم سوى القرابين لتماثيلها المقدسة كل يوم ، حتى أن مجلة « الشعر » في الستينيات لم تقدم في معظم مانشرت تقريبا سوى تنويعات باهتة على النماذج الاولى لقصيدة الشعر الحر في الخمسينيات.

لم تأت تجربة الشاعر امل دنقل الى جوار تجارب اخرى لشعراء من مثل محمد عفيفي مطر وسعدي يوسف ومحمود



امل دنقل

درويش وغيرهم ، تأتي في تلك اللحظة الشعرية بعينها لكي تلقي بحجر في ذلك السكون الذي يعوي – كما عبر احد النقاد وكتند – جاءت تجربة دنقل لتبلور فكرة الرفض من خلال روح شعرية جديدة ، لتتحرر من كلاسيكية الشعر الحر التي اصبحت صارمة ومقننة بشكل نهائي ، وتمثل بذلك التحرر لحظة مضيئة في تاريخ الشعر المصري والعربي ، بامتداد عقدين من الزمان حيث انفتح مجال جديد للتجريب في حدود الظروف الفكرية والجمالية حينذاك .

● جهد ابداعي مميز

ولقد اعطت تجربة امل دنقل في مرحلتها الاخيرة مذاقا مختلفا عما قدمته تجربته في المرحلة الاولى ، وعبرت القصائد عن جهد ابداعي بذل من داخل تصور اكثر خبرة ونضجا وايمانا باهمية العمل المدروس المنظم الذي يشارك في صنع القصيدة الى جوار المعطيات الانفعالية واللاواعية الاخرى . بحيث يشكل العمل في النهاية كلا متجادلا بين معطياته جميعا .

كما نستطيع ان نتابع الطرح النظري الراقي الذي قدمه الشاعر امل دنقل من خلال الحوارات النقدية والفكرية التي اجريت معه في نفس الفترة لكي نعرف الى اي حد قد اختلفت عما كانت تقدمه الحوارات السابقة معه والتي كانت قد تناولت الرؤية الشعرية من خلال منظورات اقل عمقا واقل قدرة على تصور كيفيات تكون العلاقة بين الفكرة الملتزمة ، ومعطيات صياغتها الجمالية

ومن النقلات التي قدمتها تجربة دنقل الشعرية ، الانتقال الجري الذكي من الغنائية الى الدرامية او من التعبير ومن السرد البسيط الذي لا يشي الا بانفعال الشاعر بما يجيش بصدره من احاسيس الى البناء الذي يتصف بكثرة البنائية وتضافر مستوياتها المتباينة .

ولقد كانت التجربة الشعرية عند دنقل من افضل التجارب الشعرية العربية التي عبرت بشكل مباشر وحميم عن النكسة والهزيمة المرة التي مني بها الانسان العربي على كافة المستويات، من حيث ان التجارب الشعرية الاخرى قد ارتمت في الاحزان والضياع والتشتت وعبرت عن موقفها من خلال اداة فنية لا تقل ارتدادا ، او ارتمت في التقليد المباشر والفج للانجاز الاوربي المعاصر في اشكاله المغتربة والعبثية التي لا علاقة لها بواقعنا كنوع من الهروب او اقتناص الحلول السريعة المتهالكة ، غير المجدية ..

جاءت تجربة امل لتعطي ذلك الوهج الفني الخاص الممتليء بشموخ الانسان وصلابته وقدرته على الصمود التحقق والاضافة .

ولعل ذلك الهم الكبير الذي عكفت قصيدة امل دنقل على بلورته ، وهو هم التعبير عن صمود الانسان العربي في مواجهة محنته التاريخية ، ذلك الهم هو الذي دفع بالتجربة الى ان تكون اكثر ميلا الى المباشرة والى تسييد المضمون

أمل دنقل

فى احيان كثيرة على حساب التشكيل الجمالى ، كما دفع الهم الكبير للتجربة بالقصيدة الدنقلية فى أحايين كثيرة الى ان تصبح ذات ملامح ثابتة داخل مجموعة من الخبرات الجمالية التى لا تتغير .

لقد عرفت تجربة الشاعر أمل دنقل بعدة ملامح وطرائق فنية تكاد تعبر بشكل قاطع وتميز اضافته الفنية ، وتصبح مثل البصمة التى يتركها الفنان الصادق دائما ، ولعل ابرز هذه الملامح بشكل عام محاولته الدؤوب فى أن ينتقل بالقصيدة العربية من طور الغنائية البسيطة الى ما شبه البناء الدرامى وتداخل الاصوات المتعددة من خلال حوار يحيل بعض القصائد الى مايشبه مسرحية قصيرة ، وكان لهذا الشكل فائدته التى تجسدت فى امكانية توسعة الفضاء الشعرى وتقديم المزيد من الاضافات البنائية الكلية والتفصيلية .. وقصيدة ايلول فى ديوانه الاول « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » توضح تلك المسألة حيث نتعرف على صوتين فى نفس السطر الشعرى .

والتركيبة اللغوية فى شعر امل دنقل وطبيعة الجملة الشعرية ستفضيان دائما الى مايشبه تركيز الحكمة وكثافتها ، بالمعنى الذى قد نجده عند المتنبى فى معظم أبيات شعره ، وهنا سيختلف الامر من معنى الحكمة التى قد نجدها فى نهاية القصيدة الجاهلية على سبيل المثال ، والتى ينبغى أن تنتهى اليها القصيدة كمحصلة لرحلتها بين الاطلال فمثال المتنبى اقرب من حيث انه يخص ذلك الشوق الى المجد الذى مضى ، واعتزاز بالنفس ، والتزام بالجرس العربى الفخم الرصين واللفظ الجزل القوى ولكنه لا يخلو من ملامح الذات الشاعرة بكل مالديها من احساس بالتفوق والطموح ، وتمضى تجربة الشاعر امل دنقل داخل هذا الاطار على رصد التناقض فى الكون والانسان والتاريخ وتأخذ من احداث الواقع السياسى مجالا مباشرا للعمل الشعرى مما يعطى القصائد حيوية المتابعة الانية ومن هنا جاءت خصوصية التجربة

● تجربة شعرية فريدة

نستطيع ان نتلمس اجواء النكسة الكئيبة فى قصيدة « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » فى ديوانه الاول كذلك يتضح موقفه السياسى من كافة الشئون والاحداث الجارية ، ببساطة شديدة بين ثنايا سطور القصيدة فى معظم النتاج الشعرى .

هذا ونستطيع ان نتابع حدين كبيرين فى تجربة الشاعر : — روح الواقع السياسى من جهة ، وتراث الامة العريق من جهة اخرى وهما حدان متفاعلان يسمان التجربة بمذاق امل الخاص ، انه التوازن بين حاضر يعانى ، وماض تليد وبالتالى فقد اعتمدت التجربة لغة شعرية مستفيدة من التراث العربى والاسلامى من ناحية وتجسد الهم الاجتماعى والفكرى والسياسى من ناحية اخرى ، ذلك هو نهجها الذى انتهجه بامتداد رحلتها .

واذا كان الافق التراثى قد اعطى رموزه الفنية : قطر الندى — زرقاء اليمامة — المتنبى — حرب البسوس — صلاح الدين الايوبى .. الخ ، فان الافق المعاصر سيطرح الهموم اليومية للانسان العادى سيطرح معطيات واقعنا المعاشة ، ولنتابع ذلك المقطع الذى هو لوحة للحظة قد يعيشها اى انسان بسيط تدق فوق الالة الكاتبة القديمة وعندما وعندما ترفع راسها الجميل فى افتراق الصفحتين

تراه في مسكانه المختار .. في نهاية الغرفة
يرشف من فنجانه رشفة
يريح عينيه على المنحدر الثلجي ، في الزقاق الناهدين
« .. عينيه هاتين اللتين
تفسل آثارهما عن جسمها - قبيل ان تنام - مرتين !! »
وعندما ترشقه بنظرة كظيمة
فيسترد لحظة عينيه : يبتسم في نعومة .
وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين .

* * * *

في آخر الاسبوع
كان يعد ضاحكا - اسنانها - في كتفيه
فرضت آلية ..
وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع
ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة
قصيدة : يوميات كهل صغير السن
وهكذا تعمق التجربة التفاصيل العادية للحياة وحتى لغة الحديث اليومي العادية ومن ثم سيتضح بالتدريج ذلك البناء المتناقض للانسان وللاشياء
وكما التقطت اللغة نكهة التراث ووظفتها في صياغة التجربة فانها ستعتمد البعد الموسيقى لنفس الروح التراثية تلك ، فبحر الرجز بكل تفريعاته وتجسيداته سينتشر ليملأ معظم التجربة ، واذا كان بعض النقاد قد اعتبروا ان ذلك البحر من اكثر البحور الشعرية اقترابا من لغة النثر في قوتها وفي المامها بالعيني من اشياء الحياة واكثر البحور قدرة على نقل مشاعر الوجدان بشكل مباشر وممتلىء بالقدرة على التفريغ السريع للشحنة الانفعالية ، فهو الذي يعطي خطوات الركب العسكري الرتيبة في العصر القديم وكذلك يعطي موسيقى النشيد أو المارش في العصر الحديث، فسوف يكون اكثر البحور قدرة على التعبير عن تجربة أمل دنقل .

ان الطبيعة الخاصة لموسيقى شعر دنقل هي أحد الملامح الرئيسية لتجربته ايضا ومن أكثر العلامات الفاصلة فيها ، فهو يستخدم معطيات موسيقية متميزة ، كالتقطيع الموسيقى المفاجيء من خلال حركة السكون « ه » او في التقابل الموسيقى الهندسي الذي تتساوى فيه القيم الموسيقية من حيث الطول بين جملتين متتاليتين ، وهذان الاسلوبان يشكلان وسيلتين يعتمدهما الشاعر ضمن الوسائل التي يحاول بها الشاعر ان يحافظ على بعض القيم الموسيقية المتخلصة من عمود الشعر العربي التقليدي بحيث تثرى طعم حداثته وتفجره الشعري في نفس الوقت :
دقت الساعة المتعبة
رفعت امه الطيبة
عينها
« دفعته كعوب البنادق في المركبة ! »

* * * *

دقت الساعة المتعبة
نهضت ، نسقت مكتبة
صفعته يد ..
- ادخلته يد الله في التجربة »
الكعكة الحجرية : ديوان العهد الآتي
وكذلك نظام القافية الخاص جدا في جميع شعر امل دنقل ، والقافية عنده تجسد الجانب الروحي العميق الذي يتجزر في التجربة آتيا من اعماق التاريخ الشعري العربي ، وهي تنتشر بشكل زوج أو زوجين من القوافي تتتالى بشكل مخفف بامتداد القصيدة وتتبدل بتنوعها او تجانسها وبانها مختومة ومسكنة وفي النموذجين السابقين تعرفنا على القافية « الهاء » الساكنة بامتداد المقطع وفي النموذج التالي سنتعرف على ازواج القوافي المتنوعة : « المحاذرة - بالمغادرة » « الشطرين - الافريز » .
اسمع تمتماتها المحاذرة
حتى حفيف ثوبها ، وهي تدور في مكانها
.. تهم بالمغادرة !

أمل دنقل

ديومان ، وهى آن دخلت
تشاءلت بقطعة التطريز ..
بالنظر للعابر من شباكها الى الافريز
« يوميات : ديوان البكاء بـين يدى زرقاء »

وبناء القصيدة يمتلك طبيعته الخاصة فالقصيدة بشكل عام متوسطة الطـول وهذا الحجم الثابت للمعالجة الشعرية يتسق تماما مع تجربة دنقل ، لان القصيدة القـصيرة لن تسعف رؤياه الممتلئة المشحونة بمعطياتها الكثيرة ، كمـا ان القصيدة الطويلة ، المفرطة فى طولهـا تتطلب احتشادا فنيـا مخصصـا تدخل الجـانب الذهنى التخطيطى الشمولى لعناصر البنـاء المختلفة والمسـتويات الكبرى مما لاتجد تجربة أمل له صبر لذات السبب ؛ فالتجربة الدنقلية تريد ان تقول بسرعة ، وأن تفرغ شـحنتها مباشرة . واستخدام الحوار عند أمل يعطى دفعة درامية قوية أيضا . ويتبدى تلك الدرامية استخدامه للحكايات وتجسيد جزئيات الاساطير والحكايات العربية القديمة .

ومن اهم العناصر البنائية التفصيلية التى يستخدمها الشاعر هو القنـاع التراثى ، وفائدة القناع فى الشـعر بشكل عام انه يزيل او يخفف من حـدة الذات وتجردها ، فيأتى القناع ليخفف من سطوة استيلائها على جسد القصيدة ولكن القناع لا يلغى الذات نهائيـا ، فهو مجرد وسيط ذكى ، وبخاصـة عندما يكون الطرف المستدعى شخصية من تراثنا وتعبر عن خصائص وظـروف واقعنا المعاصرة وتوجهاته الفكـرية والعقلية ، نستطيع ان نتابع فى قصيدة الشاعر احداثا وشخصـيات من تاريخنا الادبى والسياسى والتاريخى : عنترة ـ ابو نواس ـ قطر النـدى ـ زرقاء اليمامة ـ صلاح الدين : ـ

ماتزال مواعظ الخصيان باسـم
الجالسين على الحراب
وأراك .. و « ابن سلول » بين المؤمنين
بوجهه القزحى
يسرى بالوقيعة فيك
والانصار واجمة
وكل قريش واجمة
فمن يهديه للرأى الصواب
مثلما يخطو .
قد شوهته النار !
هل يصلح العطار
ما افسد النفط
لم يبق من شيء يقال
يا أرض :
هل بلد الرجال

قصيدة الارض والجرح الذى لا ينفتح ـ البكاء بين يدى زرقاء اليمامة »

الشاعر

١ ـ البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ١٩٦٩
٢ ـ تعليق على ما حدث ١٩٧١
٣ ـ مقتل القمر ١٩٧٤
٤ ـ العهد الآتى ١٩٧٥
٥ ـ مقتل كليب ـ الوصـايا العشر ١٩٧٦
٦ ـ احـاديث فى غـرفة مغلقة ١٩٧٩
٧ ـ اوراق الغرفة «٨» ١٩٨٣
٨ ـ الاعمال الكاملة ـ دار روزاليوسف ١٩٨٥

العالم غدا

● مجلس عربي للطفولة والتنمية

شهدت عمان عاصمة الاردن الاجتماع التاسيسي لـ « المجلس العربي للطفولة والتنمية » ، الذى ترأسه الامير طلال ابن عبد العزيز رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية والامير الحسن ولى عهد الاردن وحضرته سوزان مبارك والملكة نور وحرم الصادق المهدى ،واختار الاجتماع القاهرة مقرا للمجلس والامير طلال رئيسا له .

والمجلس مؤسسة طوعية استشارية مستقلة تهدف الى تطوير أوضاع الطفل العربي وبناء شخصيته وتأكيد هويته واصالته العربية الاسلامية وتنمية حسه الروحية وقدراته العلمية وملكاته الابداعية . وتهيئته للمشاركة الفعالة في صياغة مستقبل مجتمعه وفي المشروع الحضارى لامته

ويجيء المجلس كمحاولة لبلورة الانشطة العربية في ميدان الطفولة بعد ان خرج بعضها الى الافاق الدولية ، مثل برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية ، الذى يقوم بنشاط دولى ويقدم منحا لاترد الى ١٤ منظمة دولية ترعى الطفولة والامومة .

وتنطلق هذه المحاولة من اعتبار تنمية الطفولة ورعاية الامومة في الدول العربية من اهم البرامج الاستراتيجية وبالذات في البلدان التى تواجه اشكالية تحويل الثروة البشرية من عبء ينهك القوى الى سلاح استراتيجي للتقدم .



السيدة سوزان مبارك

وسيقوم المجلس بدراسة احوال الطفل العربي من خلال رؤية تنموية متكاملة يجرى على اساسها تحديد الحاجات الاساسية ووضع اولويات العمل . هذا كما سيهتم المجلس بمواجهة الظروف الطارئة والاستثنائية التى يمكن ان يتعرض لها الاطفال العرب ، وبالذات مع وجود مليون طفل عربي في لبنان والمخيمات والعراق والسودان يعانون من المجاعة والامراض ؟؟

● سموم في صبغة الشعر والحناء

صباغة الشعر من العادات المنتشرة في جميع انحاء العالم ، التى ظلت قرونا طويلة بين العادات البريئة ، المحببة الى قلوب النساء . لكن سيدتين توفيتا اخيرا في احدى مستشفيات بلفاست وضعتا علامات استفهام كبيرة حول براءة هذه العادة ..

ومع ان السيدتين توفيتا نتيجة لتلف أعصاب الكلى فان دراسة حالتيهما بينت انهما كانتا من المغرمات بصبغ شعرهما ، بصبغة تحتوى على مركب

العالم غدا

بارافينيلين دايامين . ولما كانت دراسة سابقة قد أكدت أن محاولات الانتحار التى تتم بموادتحوى مركبى بارافينيلين دايامين يصحبها نوع من التلف الخلوى الذى يصيب الكلى ، فقد مال الاطباء فى بلفاست الى الظن بأن التعرض الطويل الامد لهذا المركب فى صبغه الشعر هو الذى تسبب فى تلف كلى السيدتين المتوفيتين ..

وعلى الرغم من ان العلاقه بين المركب المذكور « الذى يستخدم بهـدف تثبيت معظم صبغات الشعر» وبين تلف الكلى لم تتاكد بشكل نهائى بعد ، وعلى الرغم من أن التلف الذى تعرضت له كليتا السيدتين المتوفيتين قد يكونا ناجما عن حساسيه خاصة لايمكن القياس عليها لندرتها ، وعلى الرغم من ان دائرة معارف السموم البريطانية لاتتطرق الى اى اثر سام لاستخدام المركب المذكور استخداما ظاهريا .. على الرغم من كل ذلك فان التقرير الطبى حول التاثير السام للمادة الموجودة فى صبغة الشعر ، الذى نشرته المجلة الطبيه البريطانيـة سوف يساعد على التنبيه لاى حوادث تسمم بالصبغه قد تعرض للاطباء ، مما يساهم فى حسم الجدل القائم فى هذا الصدد ..

ومن الجدير بالذكر أن عام ١٩٨٢ شـهد تسمم ٢٠ امراة افريقيه « من السـودان » نتيجة استخدامهن مركب بارافينيلين دايامين مضافا الى الحناء ، لتثبيت لونها على الجلد .. وخلال ساعات قليلة اصيبت النسوة باعراض استسقاء شـديد فى الوجه والعنق والشعب الهوائيه . وامكن علاج بعضهن عن طريق الاستعاضة بالكلى الصناعية بدلا من كلاهن المعطبة بينما فشل الاطباء فى انقـاذ من اصيبت كلاهن بالتلف التام ...

وفى مواجهة التسـاؤلات الكثيرة المثارة ينصح صناع صبغات الشعـر الزبائن الذين يستخدمون صبغاتهم للمرة الاولى بتجـربة الصـبغة على مساحة صغيرة من البشرة للتاكد من عدم تسببها فى الحساسية ، هذا كما ينصح الاطباء بعدم المبالغه فى استخدام هذه الصبغات وتجنبها قدر الامكان ..

● النساء ورائحة الرجال

المعروف أن الحشرات وبعض الثدييات تتفاهم بروائح بعض الكيماويات الطيارة « الفيرومونات » ، اذ يتعرف افرادها على ذويهم واصدقائهم واحبائهم ، لما يتبادلون رسائل الحب والضيق ، بل والانذار تحذيرا من المخاطر ، من خلال هذه الروائح ...

ومنذ القدم توجد دلائل تشـير الى انبعاث مثل هذه الروائح من الانسـان « مايمكن الكلب من اقتفاء اثره مثلا » لكن الدور الذى قد تلعبه ـ الروائح ـ





في التفاهم بين البشر ظل منطقة مجهولة حتى وقت قريب ..

وفي عدد من الدراسات التي أجريت بهدف الكشف عن التأثير الفسيولوجي للعلاقة الزوجية على وظائف المرأة الاخصابية تأكد أن من يمارس هذه العلاقة بانتظام يخاصمن مشاكل الاخصاب ، كما يتمتعن بانتظام الدورة الشهريه ، ويجتزن مرحلة توقفها بيسر . ولكن واحدة من نتائج هذه الدراسات وضعت امام العلماء علامة استفهام كبيرة ، اذتبين أن مجرد وجود الزوجين معا ، حتى دون ممارسة العلاقة الزوجية ، له نفس التأثير على انتظام الوظائف الاخصابيه .

ودفع ذلك عددا من الباحثين الامريكيين في مجال سيكولوجيات الغدد الصماء والكيمياء العضوية الى التفكير في دراسة تأثير خلاصات روائح الرجال عن النساء وخلصوا الى أهمية رائحة الرجل لعمل الوظائف الاخصابية في المرأة على نحو طبيعي ..

المهم أن المهتمين بالتجارة سرعان ماالتقطوا الفكرة وسعوا الى صنع روائح وكريمات « وسبراى » تحتوى على روائح الرجال بدعوى تأثيرها على احوال النساء ودرجة انتعاشهن . وبالفعل سجلت بعض المؤسسات الامريكية براءات اختراع حول عدد من الفيرومونات واشترى اليابانيون حقوق البحث والتسويق الخاصه بالمنتجات المصنعة من « الفيرومونات » .

ويرى الخبراء أن التجار سيكونون على انتاج سلعهم بالرغم من أن «روائح» الرجال والنساء تحوى مايقرب من ٢٠٠ مركب كيماوى لم يجر تصنيفها بعد ، مما يجعل مثل هذه السلع غير ذات موضوع لخمس سنوات مقبلة على الاقل ..

● هل ينقل البعوض الايدز ؟

منذ تأكد ان الاصابه بمرض الايدز تتم عن طريق وصول فيروسه الى دم الانسان ، باى سبيل من السبل أقلق العلماء « والمطلعين بوجه عام » اسئلة تدور حول امكانية انتقال الفيروس عن طريق لسعات البعوض .

لكن الابحاث التى اجريت تشير الى ان البعوض لاينقل فيروس المرض . وقد تأكد ذلك عند دراسة الفئات العمرية التى ينتشر بينها المرض فى أفريقيا ، اذ ثبت أنه يسود بين الفئات من ١٥ الى ٦٠ سنة، وهى مرحلة النشاط الجنسى للانسان . ولو كان البعوض ينقل المرض لانتشر بين جميع الفئات العمرية ..

وبصدد البحث عن الاسباب التى تفسر انتقال فيروس الايدز بإبرة الحقن وعدم انتقاله بلسعات البعوض رجح الدارسون ان تكون ميكانيكية اللسعات هى السبب ذلك ان البعوضة تمتص جزءا من دم المريض ينتقل مباشرة الى جهازها الهضمى وحين تعود البعوضه للسع انسان اخر لاتبث اى جزء من الدم السابق . هذا كما وجدوا ان كثافة الفيروس فى دم المريض ضئيلة جدا « مقارنة بفيروس الالتهاب الكبدي مثلا »

ولاتقتصر نتائج نقل فيروس الايدز السلبيه على البعوض وحده اذ ثبت ان الحشرات الاخرى « كالبق مثلا » لاتساعد على نقل الفيروس ..

دراسة الهلال

٤ قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

عصر الاحتلال

أو الاقتصاد المصري في خدمة الدائنين

بقلم : د. جلال أمين

اذا كنا قد وصفنا عهد محمد على بانه كان عهد التنمية بلا ديون ، فان من الممكن وصف عهد سعيد واسماعيل بانه كان عصر الديون بلا تنمية . حقا لقد شهد الاقتصاد المصرى نموا لايستهان به فى عصر اسماعيل ، ولكننا اذا اعتبرنا التغير فى بنيان الاقتصاد وفى هيكل الجهاز الانتاجى شرطا « للتنمية » ، تمييزا لها عن مجرد النمو ، فاننا لا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان عصر اسماعيل كان بالفعل ، كما كان عصر سعيد ، عصرا تورطت فيه مصر فى الديون دون تنمية . وقد ذكرنا ان شيئا شبيها جدا بذلك قد عاينته مصر بعد مائة عام من عصر اسماعيل ، حيث اقترنت السبعينيات من القرن الحالى بالتورط فى الديون ، مع النمو السريع فى الدخل ، دون ان يحدث اى تقدم يذكر فى هيكل الجهاز الانتاجى بل مع تدهور ملحوظ فيه ، كما سنبين تفصيلا فيما بعد .

وقد تركنا عصر اسماعيل ومصر على اعتاب الاحتلال ، ودخلت مصر مع قدوم الاحتلال فى ١٨٨٢ عهدا تختلف سماته الاقتصاديه اختلافا بينا عن عصر سعيد واسماعيل . فخلال العقود الثلاثة الاولى للاحتلال البريطانى « ١٨٨٢ - ١٩٣٤ » كانت السمه الاساسية للاقتصاد المصرى هى النمو السريع الموجه لخدمة الدائنين ، اذ تحولت مصر الى دولة مصدرة لراس المال بدلا من أن تكون مستوردة له ، واصبح من بين الاهداف الاساسيه للادارة الاقتصاديه فى ظل الاحتلال توليد الدخل الكافى لخدمة الديون التى تورطت فيها مصر فى العقدين السابقين . وهو أمر لابد أن يثير التساؤل عما اذا كانت مصر اليوم تدخل مرحلة مشابهة ، وعما اذا كان ما تحاول الدول الدائنه والمؤسسات المالية الدولية الخادمة لها فرضه على مصر اليوم يستهدف فى الاساس توليد الدخل الكافى لخدمة ديون السبعينيات .

شايلوك يطالب برطل اللحم :

كانت اول حجة قدمتها الحكومة البريطانية لتبرير احتلالها لمصر هى حماية حقوق الدائنين الاوربيين وبصرف النظر عن الاهمية النسبية لهذا الدافع بالمقارنة بسائر دوافع بريطانيا لاحتلال مصر فمن المؤكد انه كان من بين المحددات الاساسيه للادارة البريطانية للاقتصاد المصرى خلال العقود الثلاثة الاولى للاحتلال . يصف الدكتور على الجريتلى اهداف هذه الادارة بقوله :

« كان الهدف الوحيد للادارة البريطانية فى السنوات التالية لـ ١٨٨٢ ، هو زيادة مساحة الاراضى المروية ريا دائما والمساحة المزروعة بالقطن بدافع توليد ايرادات كافية من النقد الاجنبى لخدمة الدين الخارجى الضخم ، وكان من المهم ان يتغاضى عن اية اعتبارات او اهداف اخرى والتركيز على اعادة ترتيب المالية المصرية من اجل تمكين اصحاب السندات من الحصول على « رطل اللحم » من جسم الاقتصاد المصرى » . مشيرا بالطبع الى مطالبة شايلوك برطل اللحم من جسم انطونيو فى المسرحية الشهيرة . كما تقتطف وثائق الحكومة البريطانية الرسمية الصادرة فى ١٨٩٨ قولا للورد كرومر يبرر فيه بناء خزان اسوان بنفس الاعتبار ، وهو توليد الايرادات الكافية لخدمة الديون .

ان من الخطأ الظن بان مصر لم تشهد خلال الثلاثين عاما الاولى للاحتلال البريطانى نموا اقتصاديا يستحق الذكر ، فالعكس بالضبط هو الصحيح . لا تتوافر لدينا بالطبع احصاءات عن نمو الدخل القومى او الناتج القومى الاجمالى خلال هذه الفترة ، ولكن عددا من المؤشرات الاخرى يدل على نمو الاقتصاد بمعدلات لم تعرف مصر مثلها منذ عصر محمد على ولم تعرف مثلها منذ ذلك الحين وحتى اليوم . كان محور الاقتصاد المصرى بالطبع هو الزراعة ، واذا كانت المساحة المنزرعة لم تزد باكثر من نحو ١٠٪ طوال تلك العقود الثلاثة ، فان المساحة المحصولية زادت خلالها بنحو ٦٠٪ (١٨٧٧ - ١٩١٣) ، وزاد انتاج القطن بنحو ثلاثة امثال وقيمة صادرات القطن بنحو اربعة امثال نتيجة زيادة انتاجه وارتفاع اسعاره معا . ولكن هذه الزيادة الكبيرة فى الدخل لم تقترن باى تغيير يذكر فى بنيان الاقتصاد المصرى ، او بزيادة درجة التنوع والتوازن بين مختلف عناصر الدخل . ذلك انه لم يكن يتصور فى ادارة اقتصادية تستهدف بدرجة اساسية توليد مصادر للنقد الاجنبى تكفى لخدمة الديون أن تعطى الاولوية للانتاج للسوق المحلية بالمقارنة بالانتاج للتصدير ، او ان تسمح « بتبديد » النقد الاجنبى فى تنمية صناعات جديدة لا تجلب موارد جديدة للدولة الا فى المدى الطويل . وهكذا انحصرت الاستثمارات الموجهة الى قطاعى الزراعة والبنية الاساسية فيما يخدم صادرات القطن ، وانحصر النمو الصناعى فى تلك الصناعات التى تتمتع بحماية طبيعية ، مثل حلج وكبس القطن وصناعات الزيوت والاسمنت والبيرة ، بالاضافة الى صناعة السجائر التى كانت تعتمد على استيراد الدخان من تركيا ، المعفى من الضرائب الجمركية بمقتضى خضوع مصر اسميا للدولة العثمانية . ولم تسمح سياسة كرومر ، كما هو معروف ، باى تحول فى هيكل الصناعة ، كاقامة صناعة حديثة للمنسوجات تنافس المنسوجات

البريطانية المستوردة ، متعللا بانه لو سمح بذلك ، لقامت لانكشير بحمل السلاح ضده » . وهكذا نجد ان الاستثمار في الصناعة لم يستوعب خلال هذه الفترة الا نسبة ضئيلة للغاية من حصيلة الصادرات ، لا تزيد على ٩٪ ، بالمقارنة بنسبة تزيد على الثلث في عهد محمد علي ، اما نصيب الاسد في حصيلة الصادرات فقد ذهب لخدمة الديون .

لقد سبق ان راينا ان اجمالي ديون مصر الخارجية « بما في ذلك ديون الخديو الخاصة » قدر بمبلغ ٩١ مليون جنيه في ١٨٧٦ ، وهي السنة التي خرجت فيها ادارة المالية المصرية عن سيطرة الخديو واصبحت في يد المراقبين الماليين الاجانب . على انه طبقا لتقرير لجنة التصفية الذي صدر بمقتضاه قانون التصفية في ١٨٨٠ قدرت ديون مصر الخارجية ، بما في ذلك ديون الدائرة السنية والقرض الاضافي الذي عقد مع روتشايلد في ١٨٧٨ ، بمبلغ ٩٨٫٤ مليون جنيه . ثم زادت الديون خلال العشرين سنة التالية بما عقدته ادارة الاحتلال من قروض حتى بلغت ١١٦ مليون جنيه في ١٩٠٠ خلال هذه الفترة خصصت ادارة الاحتلال نسبة تتراوح بين ٢٤٪ و ٤٠٪ من اجمالي حصيلة الصادرات لخدمة الدين ، او ما يعادل ما بين ٣٥٪ و ٤٦٪ من اجمالي الايرادات الحكومية . واستمرت مصر تدفع لخدمة ديونها « بالاضافة الى الجزية التي كان عليها دفعها للباب العالي » حتى بداية الحرب العالمية الاولى ، ما بين ٤٫٥ و ٥ ملايين من الجنيهات سنويا في المتوسط (١) معنى ذلك ان مصر دفعت لخدمة ديونها خلال الثلاثين عاما الاولى من الاحتلال لنحو ١٤٥ مليون جنيه ، ومع ذلك كانت مازالت مدينة في ١٩٦٤ بمبلغ ٨٦ مليونا . اى ان مصر دفعت ١٤٥ مليون جنيه لانقاص مديونيتها بمبلغ ٣٠ مليون جنيه فقط ، وذهب الباقي « ١١٥ مليونا » في صورة فوائد !

يجب الا يستهين القارىء ، الذي تعود في ايامنا هذه على سماع ارقام خدمة الديون الحالية التي تقدر بمئات الملايين ، بمبلغ اربعة او خمسة ملايين كانت تدفع سنويا لخدمة الدين في اوائل القرن . ذلك ان حجم الدخل القومي في ذلك الوقت لم يكن يتعدى نحو مائة مليون جنيه ، ومعنى ذلك ان خدمة الدين كانت تستوعب ٤ او ٥٪ من الدخل القومي ، وهو ما يكاد يمثل اقصى قدرة الاقتصاد المصري على الادخار في ذلك الوقت ، ولا يكاد يترك لمصر شيئا يمكن ان تنفقه على النهوض بالتعليم او الصحة او التنمية الصناعية . او فلنقارن هذا المبلغ « ٤ ــ ٥ ملايين » بكل ماتكلفه بناء خزان اسوان في ١٩٠٢، وهو اهم مشروع استثماري قامت به الحكومة في تلك الفترة ، اذ لم تزد نفقاته ، بما في ذلك ما دفع كتعويض لاصحاب الاراضي ، على ثلاثة ملايين من الجنيهات (٢) .

الاستثمارات الاجنبيه الخاصة :

اقترن هذا التدفق للموارد الى خارج مصر ، بورود بعض الاستثمارات والقروض الاجنبية الخاصة اليها . ولكن هذه كان يقابلها بدورها تحويلات لارباح وفوائد على هذه الاستثمارات والقروض الخاصة ، بحيث لم يتعد صافي تدفق راس المال الخاص الى مصر خلال الفترة « ١٨٨٤ ــ ١٩١٤ » مبلغ ٣٣ مليونا من الجنيهات (٣) بالمقارنة بنحو ١٤٥ مليونا خرجت من مصر لخدمة الديون . معنى ذلك ان مصر كانت خلال هذه العقود الثلاثة مصدرا صافيا لراس المال بنحو ٣٫٤ مليون جنيه سنويا .

من المفيد ان نلاحظ ايضا ما طرا من تغير على معدل تدفق رؤوس الاموال الاجنبية الخاصة الى مصر في هذه الفترة ، اذ قد لا يخلو هذا من مغزى بالنسبة لظروف مصر الراهنة ، لما يفصح عنه من تاثر هذا التدفق بالظروف السياسية الداخلية وبتغير الظروف السياسية والاقتصادية خارج مصر . فطوال السنوات العشر التالية لبدء الاحتلال « ٨٣ ــ ١٨٩٢ » لم تطرأ اية زيادة تذكر على حجم

الاستثمارات الاجنبية الخاصة في مصر ، اذ بقي هذا الحجم ثابتا تقريبا عند ٦ ملايين جنيه . والراجح ان الاستثمار الاجنبي الخاص كان ينتظر تحقق الاستقرار السياسي في مصر بعد ثورة عرابي وعزل الخديو ، كما كان ينتظر اصلاح المالية المصرية ، والاطمئنان على قدرة الاقتصاد المصري على توليد فائض من العملات الاجنبية يكفي لخدمة الديون وتحويل الارباح . فما ان تحقق هذا الاستقرار واطمأن المستثمرون على استمرار الاحتلال وزاد تفاؤلهم بامكانيات زيادة الدخل حتى قفزت الاستثمارات الاجنبية الخاصة في السنوات الخمس التالية بنحو الضعف (من نحو ٦ ملايين جنيه في ١٨٩٢ الى ١١ر٤ مليون في ١٨٩٧) ، ثم تضاعفت مرة اخرى في السنوات الخمس التالية (الى ٢٢ر١ مليون في ١٩٠٢) . ثم قفز الاستثمار الاجنبي مرة أخرى الى ما يقرب من ثلاثة امثاله خلال السنوات الخمس التالية (الى ٦٠ مليونا في ١٩٠٧) بعد أن تم الاتفاق الشهير بين بريطانيا وفرنسا في ١٩٠٤ ، الذي اطلقت بمقتضاه يد السياسة البريطانية في مصر مقابل ان تطلق يد فرنسا في المغرب العربي . تلت ذلك فترة تراخي فيها معدل الاستثمار الاجنبي فلم يزد الا بنسبة ٢٥٪ خلال السنوات السبع التالية بسبب الازمة العالمية في ١٩٠٧ ، وما ترتب عليها من تضييق سوق الائتمان .

من الحرب العالمية الاولى الى الكساد العظيم :

استمرت مصر بعد نشوب الحرب العالمية الاولى في تحقيق فائض في ميزانها التجاري ، بل زاد هذا الفائض بشدة بسبب الارتفاع الكبير في اسعار القطن وصعوبات الاستيراد بسبب ظروف الحرب فاذا اضفنا الى ذلك ما انفقته بريطانيا على قواتها المرابطة في مصر نجد أن مصر استطاعت خلال سنوات الحرب والسنوات التالية مباشرة لها ان تحقق فائضا متراكما في ميزان مدفوعاتها يبلغ ١٣٩ مليونا من الجنيهات ولكن استمرت خدمة الديون تستأثر بنصيب الاسد في استخدامات هذا الفائض ، واذا بهذا الفائض الذي كان يمكن ، على حد تعبير مابرو « ان يحمي مصر من وطأة الكساد العالمي المقبل ، وان يمدها لتحقيق نفع بعيد المدى في جهازها الانتاجي ، تلتهمه اقساط الديون » . (٤) وهكذا انخفضت مديونية مصر الخارجية في السنوات العشرين التالية للحرب الاولى (١٩١٤ - ١٩٣٤) من ٨٦ مليون جنيه الى ٣٩ مليونا ، أو ما يمثل ٢٠٪ من الدخل القومي ، بالمقارنة بأكثر من ١٠٠٪ عند بداية الاحتلال الانجليزي اى ان مصر دفعت للدائنين الخارجيين خلال هذين العقدين نحو ٤٧ مليونا من الجنيهات عدا الفوائد .

من دولة مدينة الى دولة دائنة :

جاءت نقطة التحول الاساسية التالية في قصة ديون مصر الخارجية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، اذ استطاعت مصر خلالها ليس فقط ان تسدد بقية ديونها بل وأن تتحول من دولة مدينة الى دولة دائنة ذلك انه على الرغم من العجز في الميزان التجاري المتولد خلال سنوات الحرب ، بسبب انخفاض صادرات القطن ، جاء الانفاق العسكري لقوات الحلفاء في مصر فعوض هذا العجز وزاد عليه ، واذا بمصر تتمكن في ١٩٤٣ من تحويل ما بقي من ديونها الخارجية الى دين محلي ، الدائنون فيه هم المصريون او اجانب مقيمون بمصر . كانت مصر عندما قامت بتسديد مابقي من ديونها الخارجية مازالت ترزح تحت الاحتلال ، كما كانت بقيامها بذلك تسدي خدمة أخرى لسلطات الاحتلال التي كانت قد تحولت من دولة تبحث عن مجال لاستثمار فوائض راس مالها الى دولة تحتاج الى استرداد مستحقاتها بل والى الاقتراض ، فاذا بمصر تنهض بعبء المهمة الثانية كما نهضت بالاولى . كانت بريطانيا قد انهكتها نفقات الحرب ، وبلغت نفقاتها العسكرية في مصر وحدها في سنوات الحرب ٣١٤ مليون جنيه ، أي نحو ثمانية أمثال اجمالي ديون مصر الخارجية عند بداية الحرب . كان مما يلائم سلطات الاحتلال الآن أن تسرع مصر بسداد مابقي من ديونها ، التي كان

لبريطانيا أكبر نصيب فيها .. ووقع عبء هذه المهمة على أمين عثمان وزير المالية فى ذلك الوقت ، والذى اشتهر باخلاصه لبريطانيا أكثر مما اشتهر بالوطنية ، فقدم مذكرة الى مجلس الوزراء فى سبتمبر ١٩٤٣ صور فيها « تمصير الدين » على أنه عمل من أعمال الكرامة الوطنية اذ قال :

« كان أول ما عنيت به منذ تقلدت وزارة المالية أن أبحث مع الاخصائيين عن خير طريقة لتحويل دين مصر من دين دولى الى دين داخلى بحت ، وبذلك نعدم الدين القديم وتنعدم معه ذكرياته السيئة التى جرت على البلاد فى الماضى ويلات الاحتلال ، وساعدت على تدخل الدول الاجنبية فى أخص شئون مصر الداخلية ، وفضلا عما فى تحقيق هذا الهدف من ارضاء الكرامة الوطنية فانه يرمى الى تخفيف عبء الدين الى حد بعيد » (٥) .

وعندما عرض الامر على مجلس النواب اشتم بعض الاعضاء أن المقصود بقانون التمصير خدمة المصالح البريطانية ، وأنه لن يؤدى الى « تمصير » الدين بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة . ذلك أن القانون المقدم من الحكومة يطرح السندات الجديدة لا على المصريين فقط بل وعلى الاجانب المقيمين بمصر ، ومن ثم « فلن تنتج عملية التحويل الا انتقال هذا الدين من أيدى الاجانب المقيمين فى انجلترا وفرنسا وغيرهما الى أيدى اجانب مقيمين فى مصر ، أو أجانب أيضا مقيمين فى الخارج يشترون بواسطة ممثلين فى مصر ما يريدونه من سندات هذا القرض عندما يعرض على الاكتتاب العام » .. ورد أمين عثمان على هذا بقوله :

« اننا لم نلجأ الى القرض الا لتتمكن الحكومة من تحويل الدين من قرض دولى الى قرض مصرى ، أعنى قرضا بالعملة المصرية يدفع فى مصر لا قرضا لايكتتب فيه غير المصريين . وانى لارحب بكل مكتتب فى القرض سواء أكان مصريا أم أجنبيا لأنى أعتبر الاجنبى مصريا ما دام يعيش بيننا ويتمتع بخيرات بلادنا ، فنحن فى هذا السبيل سواء » (٦) .. ووفق على القانون ، وعرضت القروض التى سميت بالقروض الوطنية على الاكتتاب فى نوفمبر ١٩٤٣ وغطيت بكامل قيمتها .

وهكذا اسدلت سنوات الحرب العالمية الثانية الستار على مرحلة طويلة كئيبة من تاريخ المديونية المصرية ، استغرقت من تاريخ مصر الاقتصادى نحو ثمانين عاما . فلم يتم سداد الديون الخارجية التى بدأها سعيد باشا فى ١٨٦٢ الا بقانون تمصير الدين فى ١٩٤٣ وصندوق الدين الذى فرض الرقابة الاوربية على المالية المصرية فى ١٨٧٦ ، لم يتم الغاؤه الا فى ١٩٤٠ . وخرجت مصر من الحرب العالمية الثانية دائنة لبريطانيا بمبلغ قدره ٤٣٠ مليونا من الجنيهات ، وعانت مصر الامرين فى استيفاء حقوقها مثلما عانت من قبل فى تسديد ديونها .

نقترض فى الرخاء ونسدد الديون فى زمن الركود :

مرة أخرى نلاحظ أن تحول مصر من دولة مكتفية بمواردها الى دولة مدينة ، ومن دولة مدينة الى دولة دائنة لم تحكمه حاجة مصر الى الاقتراض أو قدرتها على السداد بقدر ما حكمته تقلبات ظروف الاقتصاد الدولى . ففى عصر من الرخاء لم تكن لدى مصر فيه أدنى حاجة الى الاستدانة لتنمية اقتصادها ، أقدمت مصر على التورط فى الديون ، وفى فترة انكماش وكساد شديد الوطأة وفى ظل ركود شبه تام فى متوسط الدخل ، كالذى ساد مصر فيما بين ١٩١٣ و ١٩٥٦ قامت مصر بسداد جزء كبير مما سبق لها اقتراضه .

لقد بين هانسن بدراسته لاحصاءات الدخل القومى المصرى خلال الفترة ١٣ ـ ١٩٥٦ ، أن متوسط الدخل القومى عند قيام حرب السويس كان تقريبا عند

نفس مستواه عند قيام الحرب العالمية الاولى . فالتقدم الضعيف الذى احرزته الزراعة المصرية بالاضافة الى نمو الناتج الصناعى ضاع اغلبه بسبب اتجاه معدل التبادل الدولى لغير صالح مصر (بانخفاض اسعار القطن بالمقارنة باسعار الواردات) والتهمت الباقى الزيادة فى السكان (٧) فاذا كانت مصر فى حاجة ماسة الى الافتراض فى أية فترة فى تاريخها الحديث فقد كانت هى هذه الفترة . ولكن هذه هى بالضبط الفترة التى قامت فيها مصر بسداد ديونها وتحولت فيها الى دولة دائنة ! ذلك ان هذه الفترة كانت هى ايضا الفترة التى انكمشت فيها بشدة حاجة الاقتصاديات المتقدمة الى ولوج ابواب الاستثمار الخارجى . فاوربا كانت مشغولة بالاستعداد او الانفاق على الحربين العالميتين ، او باعادة ما دمرته الحربان او بدفع التعويضات المفروضة على من انهزم فى الحرب الاولى ، او بالكساد العالمى الذى حل بها جميعا فى الثلاثينيات والولايات المتحدة كانت منشغلة باستغلال مواردها الاقتصادية الهائلة وسوقها الواسعة . أدى كل ذلك الى ان تباطات حركة الاستثمارات الدولية تباطؤا مذهلا ، فلم يعد لبريطانيا فائض من راس المال لتصديره ، وانتهى تاريخها الطويل كمصدر صاف لراس المال ، وانخفض معدل الادخار فيها من ١٧٪ فى ستينيات القرن الماضى الى ١٢٪ فى ١٩٠٧ الى ٧ ٪ فى ١٩٢٩ . واتجه الجزء الاكبر من المدخرات الامريكية الى الاستثمار فى الداخل بحيث قدر البعض ان حجم الاستثمارات الخاصة للولايات المتحده فى الخارج كان فى نهاية الحرب العالمية الثانية اقل مما كان فى ١٩٢٩ . وعلى الجملة فاق حجم سداد الديون الدولية القديمة خلال الثلاثينيات ، وتصفية الاستثمارات الخارجية التى كانت الدول الصناعية قد قامت بها فى فترة سابقة ، فاق ذلك حجم القروض والاستثمارات الجديدة ومن ثم انخفض الاستثمار الدولى الصافى الى ما يقرب من الصفر

نبيذ قديم فى أوانى جديدة :

فى منتصف الخمسينيات من القرن الحالى ، عندما رحل آخر جندى من جنود الاحتلال من أرض مصر ، كان وضع مصر من حيث المديونية الخارجية لا يختلف كثيرا عما كان عليه قبل ذلك بمائة عام . ففى ١٩٥٦ كانت مصر ، كما كانت فى منتصف القرن التاسع عشر غير مدينة للخارج بشىء ولكن كان على مصر فى ذلك الوقت الشروع فى برنامج طموح للتنمية تدشن به عهد الاستقلال الحقيقى فى نفس الوقت كان العالم الصناعى يدخل بدوره عهدا جديدا ، اهم ما يميزه ان استقطابا دوليا جديدا ، يتمثل فى التنافس على مناطق النفوذ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قد حل محل النظام الاستعمارى القديم الذى تزعمته بريطانيا وفرنسا . فاذا بقصة مديونية مصر الخارجية ابتداء من ذلك الوقت تعكس ما طرا على النظام الاقتصادى والسياسى العالمى من تغيرات ، واذا بنا نقرا قصة جديدة تمتد من منتصف الخمسينيات الى منتصف الثمانينيات ، لها بالطبع ملامحها الخاصة التى اكتسبتها فى الاساس من الملامح الجديدة للنظام العالمى ، ولكن لها ايضا اوجه شبه مذهلة بقصة القرن التاسع عشر .

(١) مابرو ، المرجع السابق ، ص ١٩

(٢) مابرو ص ٢٠ ، ٢٣٦

(٣) حسبت من مابرو ، ص ٢١

(٤) مابرو ، ص ٢١

(٥) نبيل عبد الحميد سيد احمد النشاط الاقتصادى للاجانب وأثره فى المجتمع المصرى . ١٩٢٢ - ١٩٥٢ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ١١٠ .

(٦) نبيل سيد احمد ، المرجع السابق ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٧) جلال امين : المشرق العربى والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص ٣٦-٣٧ .

● عزيز المصرى وحلم الثورة ●

● كتب الدكتور محمد حرب تعليقا على مقال مصطفى نبيل « عزيز المصرى وحلم الثورة » والذى نشر فى عدد فبراير الماضى يقول :

احرص كل الحرص فى كتابة هذه الحاشية على الا اتعرض باى شكل لعاطفة قارئها ، سواء كانت هذه العاطفة ، دينية او قومية او سياسية كما احرص ايضا على ان انبه هنا ، اننى لا اقف موقف المؤرخ او الباحث فى التاريخ ، بل انى ناقل احيانا ممن نسميهم بالتاريخ الحى ، و معلق احيانا ، فى حدود معرفتى ، وفى احيان اخرى اقف موقف المستفسر .

اقول ان عزيز باشا المصرى عاش فى عهد بلغ فيه الصراع اشده بين اصحاب الفكر الدينى واصحاب الفكر القومى ، الذى كانت نتيجته نجاح الفكر القومى فى بلاد المسلمين متمثلا فى تسلم حزب الاتحاد والترقى الحكم وعزل السلطان عبد الحميد . ويكاد يكون معروفا ان الجيش الموالى لحزب الاتحاد والترقى هذا ويسمى جيش الحركة ، خرج من مدينة سلانيك وتحرك الى استانبول ليجبر عبد الحميد على اعادة العمل بالدستور ، ثم عزلوه بعد حين ، وكان هذا الجيش الثورى جيشا عثمانيا جديد الفكر يراسه القائد محمود شوكت باشا العربى العراقى، وكان له ضابطان شابان هما « اركان حرب » واحد منهم مصطفى كمال والذى عرف بعد ذلك باتاتورك ، والاخر عزيز افندى والذى عرف بعد ذلك بالمصرى . وكان هذان الضابطان الشابان ينتميان الى نفس الفكر ، وكانا صديقين واذكر ان مصر قد طلبت من حكومة الجمهورية التركية ضباطا اتراكا للاسهام فى تدريب الجيش المصرى . فكان رد اتاتورك : « يكفيهم عزيز باشا » ويقصد بذلك ان مادام عزيز باشا موجودا فى مصر ، فلا حاجة بمصر الى خبرة عسكرية اجنبية .

والواقع اننى اضع كلمة(المصرى) لقب عزيز باشا ، دائما ، بين قوسين. لانه لم يكن مصرى الاصل بل كان جركسيا (وتكتب احيانا شركسيا) ويتمتع عزيز باشا بكل صفات الشركس : القوة والصلابة والانضباط وسرعة الغضب وكان مع شركسيته وتحدثه بلغته هذه ـ فقد كان كل متخرج من استانبول يتحدث التركية بطلاقة ، ويتحدث بها فى مصر دائما يذكر استاذنا الاديب والشاعر التركى نهاد يازار ـ وكان استاذا للغة التركية فى جامعة عين شمس بالقاهرة وكان من قبل ذلك مقيما فى مصر ومن خواص عزيز باشا وجلسائه يذكر نهاد يازار ، انه لم يكن يجد

فى عزيز باشا تمسكا بمصـــــرية ولا اعتدادا بالتحدث بالعربية ٠
وقد عين عزيز باشا فى اوائـــل عهد الجمهورية فى مصر ، ســـفيرا لمصر فى الاتحاد السوفييتى ٠ وفى موسكو ، حن الى قوميته ، والقومية مسالة غريزية فى الانســـان ، فطلب من السلطات السوفييتية الســـماح له بزيارة اقاربه فى بلاد الشـــركس الخاضعة للاتحاد السوفييتى ٠ وسمح السوفييت لعزيز باشـــــا فى ذلك ، لاعتبارات كثيرة منهـــــا انه الاب الروحى لثورة ٢٣ يوليو ـ كما قال الرئيس جمال عبد الناصر ٠
زار الباشا اقاربه هناك ، وتعرف اليهم ، لكنه اعلن لهم فى دهشـــــة تعجبه من تمسكهم بالاسلام ، رغـــم موقف الماركسية من الدين ، ورغـــم تدريس الماركسية فى المدارس وفى كل مكان ٠ بكى عزيز باشا (وكان فريقا) بكاء شديدا لامرين : تحقق الحنين ، وتحقق الايمان ٠ ذلك لان عزيز باشا كان ـ حتى زيارته هذه التى اتحدث عنها ـ علمانيا وملحدا ، فهـــو ابن الاتحاد والترقى فكريا وان اختلف مع اقرانه منهم حركيا ٠
اتجه عزيز باشا ـ بعد انتهـــاء مهمته فى الاتحاد الســـــوفييتى الى الايمان ، وكان يصلى ويبكى ، ويردد كثيرا الاية القرآنية : (قتل الانسان ما اكفره) كان الباشا يبـــــكى نادما على مسالتين ، رددهما كثيرا على زواره من الاتراك ، وفهم نهاد بازار ، وهما : اشتراكه فى الثـــورة العربية الكبرى التى ضربت الترك فى المدينة المنورة من الخلف وغدرت بهم ، والاخرى حرمانه من الايمان فتـــرة طالت كثيرا فى حياته ٠
لم يكن مقر عزيز باشا فى القاهرة ملتقى للثـــــوار فقط ، ولا للقوميين فقط ، ولا للاســـــلاميين فقـــــط ، ولا للملكيين فقط !! وانما كان ملتقى لكل هـــؤلاء ثائرين كانوا ام عاقلين عصبيين كانوا ام وقورين ٠مثلا كان الباشا صديقا شخصيا للامير محمود شوكت ، الامير العثمانى الذى طرده اتاتورك من تركيا والامير شوكت كان مرشحا ليكون ملكا على فلســـطين عام ١٩٤٨ ، وكان عزيز باشا مؤيدا لفكرة ان يكون الامير ملــــــــكا لفلسطين ، واخذ على عاتقه اقنـــاع الحاج امين الحسينى مفتى القـــدس ورئيس اللجنـــة العليا لفلسطين ، وجمع عزيز باشا اعضاء هذه اللجنة بمنزله فى القاهرة ، ليقول لهـــم انه يريد هذا وعليهم التنفيذ ٠
كان الباشا صديقا حميما للشيخ امين الحسينى ـ والرجل معـــروف باسلاميته ـ كما كان منزل الباشـــا ملتقى للضباط الشبان الذين قـــادوا ثورة مصر عام ١٩٥٢ ، وبهـــــذه المناسبة اسال واستفسر ترى هـــل عرضت قيادة ثورة الشـــــبان على الباشا ، واذا كان كذلك فهل قبلتهـــا وما ظروف هذه المسالة التاريخية ؟
عزيز باشا ، كان ثوريـــــا فى انتمائه لحـــركة الاتحاد والترقى ، ثـــم ثوريا فى انتمائه للتيار القومى العربى ، وكان ثوريا فى ليبيا ،وكان ثوريا فى نبذه لكل هذا ودعوته للايمان٠عزيز باشا كان ثوريا ايضا فى تعـــاونه مع الاخرين ٠ مع العثمانيين ، ومع الاتـــراك ، ومـــــع العرب ، ومـــع المصريين ، ومع الانجليز ٠ يعمـــل مع كل هؤلاء عندمـــــا كان يريد وينسحب من التعامل معهم عندمـــا يريد ٠
استفسارى ايضا يتجه الى الاتى: هل يمكن الحكم على عصبية الباشـــا

أنت.. والهلال

لانه كان يجيد الانسحاب بعد احتداد التيار الذى يناصره ؟ وهل ايد كل ما نادى به حتى النهاية ؟ ولماذا ؟

ترى هل يمكن القول بان الانجليز استطاعوا استخدام الباشا بنجاح وذكاء ، معتمدين على دراستهم لنفسيته ؟ اولا يمكن القول بهذا ، ثم ما الدليل ؟ ترى كيف تدرج الباشا من رتبة ضابط صغير فى جيش الحركة الى ضابط مشهور فجأة ، بل ومن ابرز الضباط العثمانيين ، مما جعل قادة الاتحاد والترقى العسكريين ، يغارون منه ، .. الى ضابط له مكانته الخاصة فى جيش الشريف حسين الذى يؤيده الانجليز ضد العثمانيين ؟ ثم الى ضابط بالجيش المصرى الذى سيطرت عليه قوات الاحتلال الانجليزى وقتها ، والانجليز كانوا ضد وحدة منطقة الشرق الاوسط تحت القيادة العثمانية بل كانت انجلترا عاملا من عوامل انهيار هذه القيادة ؟

اسئلة واستفسارات واضواء ، وهناك اسئلة اخرى يمكن ان تضاف الى ملف عزيز باشا . بل وهناك وثائق كثيرة عن الباشا فى كل ساحات عمله ، لم تنشر بعد ، وقد وعد جمال قوطاى بنشر الوثائق التى عثر عليها بعد بحث ، لكنه لم يوف بوعده حتى الان . وعندما ينشرها ستتغير معارف كثيرة عرفناها عن عزيز باشا ، القائد صاحب الشخصية المهيمنة القوية .

د. محمد حرب

● تعودين .. أهلا ●

تعودين مرحى بعود القصيد
فجودى على بلقياك جودى
لاجلك حررت كل الاحاسيس
اطلقت حرف الهوى فى نشيدى
ورحت اهيم بليل الاغاريد
ليل الاناشيد عمر الخلود
تعودين .. اهلا باحلى عيون
ومرحى بعود الهوى فى عهودى

رفعت محمد بروبى
سوهاج

● حقوق العباد ●

وتسال هل عمرة كل عام
فافتيك أن الاله غنى عن
واولى بك البحث عمن ظلمت ،
تسال هل يرفع الطائفون
فافتيك لن تشفع التمتمات
اذا لم تؤد حقوق العباد ،
لست وحيدا تجوب الحياة ،
تخلف في الارض حيث
ولكن شرع الاله الحكيم
لقد خلق الناس في اسرة ،
تكفر ما قبلها من ظلم
المسعى بالمال او بالقدم
بارضاؤه قبل ان يختتم
أكف الضراعة عند الندم
ولو طاف صاحبها بالحرم
تبسرا - قبل الدموع - الذمم
وتختال فيها بلا معتصم
انطلقت جراحا وراءك لا تلتئم
يشد الخليقة كي تلتحم
رعتها الرسالات منذ القدم

محيي الدين عطية
الكويت

● حفني ناصف والتقاعد ●

● تذكرني الاحالة الى التقاعد موقفا للمرحوم الشاعر حفني ناصف يحسن ذكره هنا للقراء الكرام ففيه ظرف وطرافة :

عندما قارب الشاعر الكبير سن انهاء الخدمة تقدم الى المرحوم حسين رشدى باشا رئيس الوزارة انذاك (حوالي سنة ١٩١٥) برسالة شعرية يطلب فيها مد خدمة لاسباب ذكرها وهي لا تختلف في مجملها عن الاسباب التي تتوافر الان لكل عامل بالحكومة في مثل حالته فيما عدا سببا واحدا تضمنه البيت الاخير وهو امهاله حتى يفرغ من الاشراف على اعادة رسم المصحف الشريف الى الرسم العثماني وكانت الحكومة قد كلفته القيام بهذا العمل الجليل، الذي استغرق سبع سنوات كاملة منها ثلاث وهو متقاعد وقد انتقل الى رحمة الله بعد انجازه بقليل ، وقد وافق رئيس الوزراء على مد خدمته حتى ينتهى من رسم المصحف تحقيقا لرغبة عدلى يكن باشا وزير المعارف • ولكن المستشار الانجليزي اصر على رفض هذا المد •

ان شعر حفني ناصف جدير بالقراءة فهو يتسم بالاصالة والسلاسة والاستقصاء والطرافة وتتضح فيه شخصيته كقاض من شانه تقديم « الحيثيات » فماذا قال - رحمه الله في رسالته :

صاحب الدولة يا شيخ الوزارة
حاجتى ان شئت تقضى باشارة
نالها قبلى الوف لم اكن
دونهم علما ولا ادنى ادارة
ناهز الستين عمرى ، انما
لم ازل جم القوى جم الجدارة
واذا لم يشك مثلى علة
هل من الحكمة ان يلزم داره ؟

ان تركي خدمة الاوطان مع
طول ما مارست في الدنيا خساره
وحياتي كلها قضيتها
تاره في العدل والتعليم تارة
ليس عندي صنعة تكفل لي
رزق اولادي ولا عندي تجارة
ان اولادي على كثرتهم
ليس فيهم بعد من يكسب « باره »
ابقني بضع سنين ريثما
يقدر الاكبر ان يؤوي صغاره
او الى ان ينتهي ما في يدي
وهو – ان تم – فضار للنظاره

احمد قاسم امين – بالمعاش .
قنا

الشاعر خالد الجرنوسي

● ولد خالد الجرنوسي سنة ١٨٩٨ في قرية الجرنوس مركز بني مزار بالمنيا ونشأ فيها على الادب والشعر، وبين يدي والديه ، امه الصالحة ، وابيه المؤمن المجاهد احمد جاد الحق من ضباط الثورة العرابية ودرس في مدرسة القرية وحفظ القرآن على يد الشيخ مصطفى القاياتي في الكتاب وقرأ كل ما وقع تحت يديه من كتب السيرة النبوية والشعر والتهم دواوين الشعر التهاما والتحق خالد بالازهر الشريف عام ١٩١٦ واشتغل بالتدريس بعد تخرجه في كلية اللغة العربية وعمل بالصحافة فترة وانضم في سنة ١٩٤٦ الى جامعة ادباء العروبة التي اختير لرياستها الوزير ابراهيم دسوقي اباظة باشا وحلت الجماعة ادباء العروبة بعد ثورة ١٩٥٢ ، رغم انها ساعدت ونشرت مبادىء الثورة قبل قيامها . وبدأ خالد الجرنوسي عقد ندوة الادب الشعرية الشهرية منذ عام سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٦١ في جمعية الشبان المسيحية .

كتب الشاعر خمسة دواوين شعر طبع اولها سنة ١٩٢٤ واخرها سنة ١٩٧٣ .

وقد احتفلت كلية اللغة العربيـــة بجامعة الازهر فى ٤ - ١١ - ١٩٨٦ بذكرى الشاعر خالد الجرنوســـى، ومرور ٢٥ عاما على وفاته وجـــاء احتفالا باهتا لا يليق بذكراه ونحـــن نناشد الدكتور احمد هيكـــل وزير الثقافة والدكتور سمير ســـرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب اعادة طبع دواوين الشاعر خالد الجرنوسى

رجب عبد الحكيم بيومى
كلية دار العلوم

اشراقة الربيع

كان الشـتاء رهيبـــا فى بـــرودته
كم ظل يؤذ ذا يســـر ومســـكينا
كادت معاطفنـــا تمسى مخابئنـــا
من فرط رعدتنا زدنا « البطاطينا »
من تحت الحفـــة غصـــنا بمرتبـــة
وللزكام لقلى اعيـــا المداوينـــا
وبعد توديعـــه عـــادت مســـرتنا
واصبح النـــاس فى الترويح لاهينا
هذى زهور الربـــا تزهو بوادينـــا
سبحان من صاغها وردا ونسرينـــا
اشراقة الحسن قـــد فـــاضت سبائكها
فى الكون تفتن تنميقـــا وتكوينـــا

وفيقة عواد سلامة

العقاد والهلال

● احتفل الهلال فى عدد مارس الماضى بذكرى العقاد .. وكـــم كان الهلال وفيا كريما للعقاد فى ذكراه ، كما كان صديقا وخليلا للعقـــاد فى حياته ، فعلى صفحات الهلال ومنـــذ عشرينيات هذا القرن والعقاد يوالي كتاباته والى وفاته فى ١٢ مـــارس سنة ١٩٦٤ ، وعندما صدرت سلسلة كتاب الهلال استهلها العقاد بـكتابه « عبقرية محمد » ، وتولى الهلال نشر مؤلفات العقاد فى سلسلة كتـــاب الهلال . وكان العقاد يخص الهـــلال بمقالاته القيمة طوال الاربعينيـــات والخمسينيات وبداية الســـتينيـــات وتوثقت الصلة بين اصحاب الهلال وكاتبنا من ناحية ومن ناحية أخرى بين العقاد والمرحوم الاستاذ طاهـ الطناحى مدير الهلال الاسبق ، فتجـــد ان علاقة الطناحى بالعقاد تجد مفتاحها الإعجاب بالعقاد الكاتب والمفكـــر والانسان ، ومن هذه العلاقة يتوافر الطناحى على جمع تراث العقـــاد فى الهلال وينشرها فى كتب ومنها « رجال عرفتهم » و « انا » و (حياة قلم) وينشر الطناحى كتاب « انـــا » فى سلسلة كتاب الهلال بعد رحيل العقاد وفاء وذكرى ولا يترك طاهر الطناحى فرصـــة عند صـــدور كتـــاب

أنت .. و الهلال

للعقاد او ديوان شعر الا واهتبلها ليسجل فى حديث القلم » فى الهلال ايات التقدير والثناء لعبقرية العقاد فى كل ما كتب .. وفى حديقة الادباء فى الهلال كتب طاهر الطناحى عن العقاد مقالا تحليليا وصفيا فوصفه باوصاف عقاب الجو وجعل عنوان المقال - العقاب المنيع - وكان ان قدم المرحوم الاستاذ العقاد لكتاب الطناحى حديقة الادباء بمقال قيم عن نفسية الانسان والحيوان وجوانب من علم الفراسة الحديث وشرح فكرة الكتاب والقى الاضواء على جوانب من ادب الطناحى ، وعندما بلغ العقاد السبعين اهدى اليه الطناحى قصيدة عصماء نشرها فى الهلال ، ورد عليها العقاد فى نفس العدد ، وكان مما قاله الطناحى فى العقاد :

اهديت للفن الرفيع ذخائرا ورفعت ركنا للعلوم مكينا

ان العلاقة بين العقاد والهلال تحتاج الى بحوث مستفيضة ، ودراسات جادة وامينة يتوافر عليها من الباحثين والدارسين من يكتب ويضيف صفحات جديدة لتاريخنا الثقافى والادبى المعاصر .

عمرو عبد المنعم حمودة

● ترنيمة جريحة ●

نفسى تطالبنى المزيد
واليأس قد شل القصيد
الليل يعصف .. بالامان
- وبالمنى عصف الحديد
والقلب ينهشه الاسى
والنبض أضناه .. الشرود
قد جئت فى زمن عقيم
.. والجراح به وئود
الحلم مختنق الصدى
وله انين فى الوريد
والحب مذبوح الجميل
مقيد .. قيد العبيد

ايمن دسوقى - القاهرة - مصر القديمة

● على الجارم

شرف له حذق الصيال مثارا يطوى التلاع يشرف الاعمارا

ميدانه الفصحى ولفظة يعرب ... ووعى المعاجم قبله ومزارا
دار العلوم تشامخت بجهوده ... ولواؤه استن الهدى انوارا
كم طاف بين معاهد مستنطقا ... ادب العروبة ، كم افاد حوارا
اعلى كم الفت نحوا واضحا ... واتحت علما سائغا مختارا
وادرت اطراف الحديث جدارة ... فى قصة تصف الشجاعة نارا
فى مجمع اللغة استطار نشاطه ... بحثا يفوح طلاوة ونضارا
اعلى كم القيت شعرا نابضا ... هز العواطف واستعيد مرارا
كم قمت دن شوقى مقام انابة ... تلقى قصيدته هوى وفخارا
ان العروبة تستحث بك الخطى ... كم كنت رائدها وكنت منارا
الضاد انت حفيها ورشيدها ... بلغت بك اللغة المدى اطوارا

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانويه سابقا

● حوار مع الاصدقاء ●

● طلال عبد المقصود على ـ ابو حماد :
ـ اهم باتقان تكنيك القصة القصيرة ، فليست القصة القصيرة فنا سهلا ولا قصير الانفاس ، ولابد من الصبر حتى اوان النضج

● عبد الرءوف عبد الله رزق ابشواى :
ـ زجلكم الذى ارسلتموه الينا لا باس به ، ولكن الهلال ينشر الانتاج الادبى باللغة القومية للامة العربية كلها ، والزجل كلام عامى لا يعرفه الناس خارج حدوده

● عبد اللطيف عوام ـ الدار البيضاء ـ المغرب :
ـ انت تطلب منا ان ننشر ابداعات الشباب ، والبحوث الادبية المعاصرة، والنحو والفلسفة والقانون والاقتصاد والتاريخ ، وهذا ما نفعله فى الواقع ولو داومت الاطلاع على الهلال لعرفت ذلك •• واما قصة مدام بوفارى فاكتب بشانها الى قسم التوزيع بدار الهلال ، وسنحيل نحن خطابك الى هذا القسم ••

● عبد الله سعيد بن سلمان ـ المكلا ـ حضرموت ـ اليمن الديمقراطية
ـ موضوعك عن العقاد والرافعى، تلخيص من كتاب للدكتور عبد العزيز المقالح كما تقول ، وهو بشكله هذا يبدو للقارىء المصرى والعربى معلومات مكررة ، ولعلك لا تعرف أن الرافعى والعقاد لا يحتاج التعريف بهما الى تلخيص كتاب وعذرك ان الهلال لم يكن يصل اليكم فى الماضى ثم عاد اليكم اخيرا بعد استتباب الاحوال ، وهدوء البال ••

● نشكر السادة الادباء والشعراء صبرى الزحاف •• عاصم البرقوقى، اشرف ابو العز •• محمد سلطان سيد حسن •• محمد عثمان جبريل موسى محمد هلة •• طارق صلاح بندارى •• عبد القادر المصرى •• نبوية محمد حسين •• خالد سعدالدين الصغير •

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

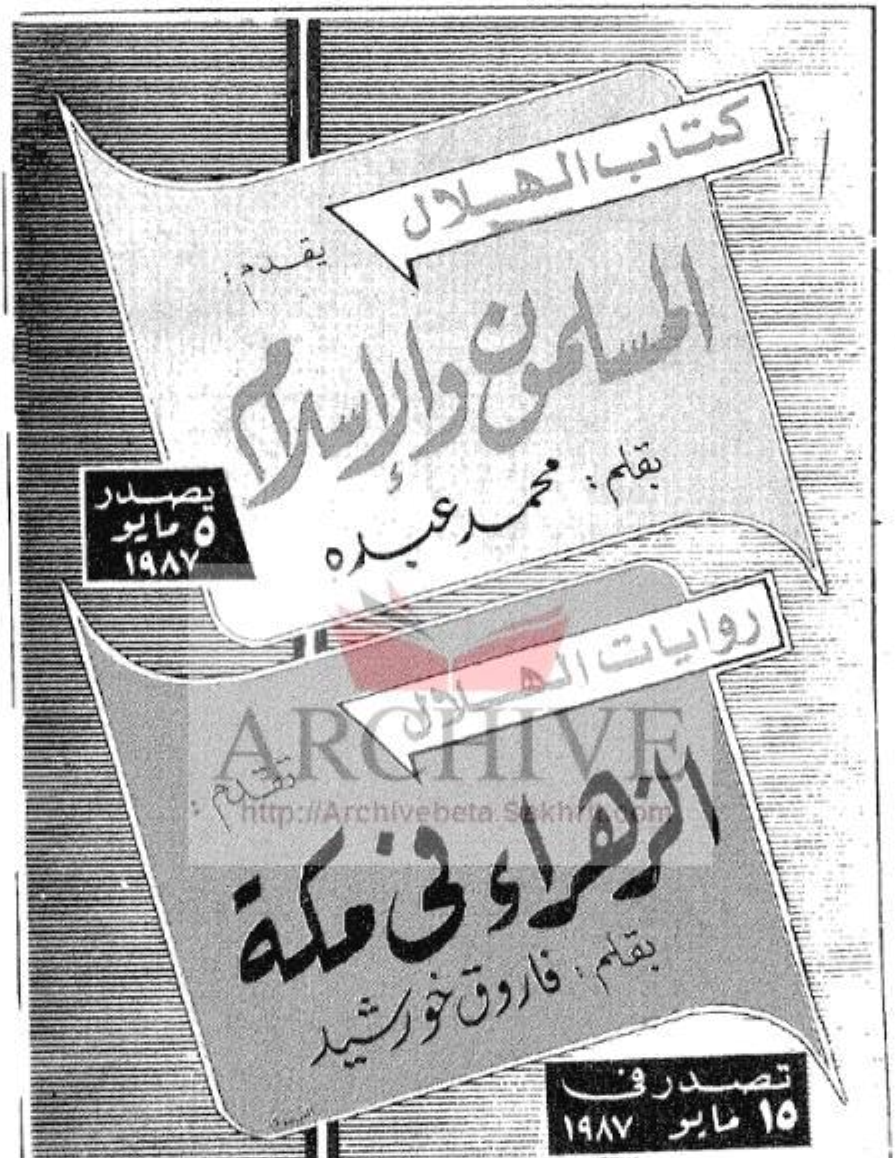
دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

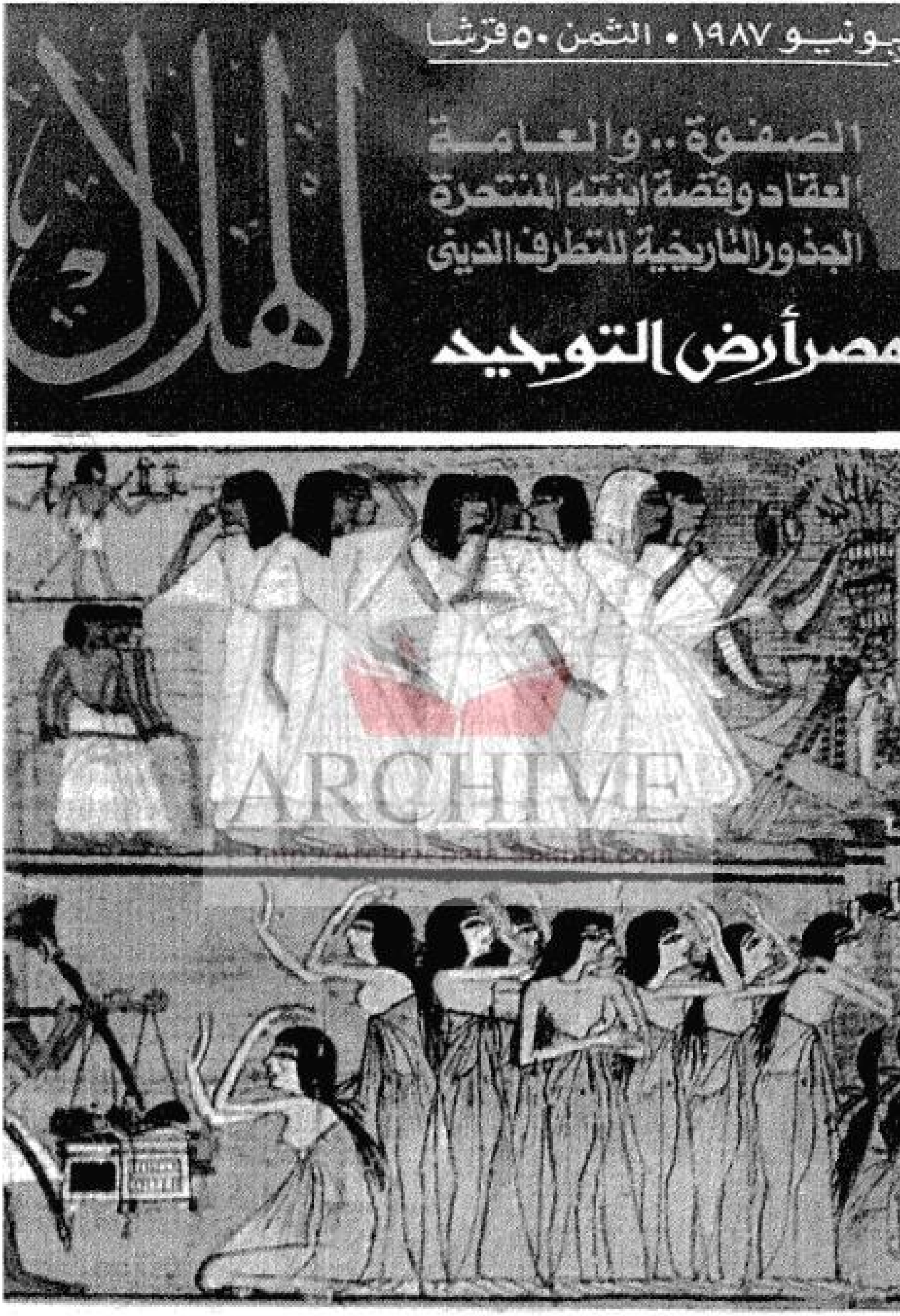
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


٦٠
رحلة أسبوعيا إلى
٨٦
٣٠
رحلة أسبوعيا إلى
أفريقيا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران فى جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما فى خدمتكم ..


كتاب الهلال
يقدم :
المسلمون والإسلام
بقلم : محمد عبده
يصدر
٥ مايو
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم :
الزهراء فى مكة
بقلم : فاروق خورشيد
تصدر فى
١٥ مايو ١٩٨٧


يونيو ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشا
الهلال
الصفوة.. والعامة
العقاد وقصة ابنته المنتحرة
الجذور التاريخية للتطرف الدينى
مصر أرض التوحيد
ARCHIVE



الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ اول يونيو ١٩٨٧ م - ٥ شوال ١٤٠٧ هـ

من روائع الفن الإسلامى

لوحة مستوحاة من الخماسية التى كتبها الشاعر الايرانى نظامى (٢٠٢ بيت) تصور الامير بهرام فى رحلة صيد إلى اليمن عبر الجزيرة العربية . حيث كشفت هذه الرحلة عن مدى مهارته فى الصيد

تنتمى اللوحة الى فن المنمنمات . وتصل مساحتها إلى ٣٠٠ × ١٧٠ مم ومحفوظة فى المكتبة البريطانية فى لندن .

عزيزي القارئ

بعد ست سنوات تكمل مجلة الهلال مائة عام من عمرها المديد التليد الذى انفردت خلاله دون سائر المجلات المصرية والعربية بالصدور المتواصل بلا انقطاع برغم نشوب الحروب الطاحنة ، واندلاع الثورات الدامية ، وحلول المجتمعات الجديدة محل المجتمعات القديمة ، وأفكار القرن العشرين محل أفكار القرن التاسع عشر ، ثم وقوف الايديولوجيات الاجتماعية والسياسية المختلفة فى مبارزة بالأسلحة النووية ! ..

قبل أربعة وتسعين عاما أخذ جرجي زيدان اسم مجلة « الهلال » من « الهلال العثماني » الذى كان رمزاً للدولة العثمانية عند صدور الهلال سنة ١٨٩٢ وكان رسم الهلال يتوسط العلم العثماني الاحمر الذى كان أيضا علما لمصر ، وتحت ظلاله خاض الشعب المصرى ثورة ١٩١٩ فاصبح اسم مجلة « الهلال » عند قرائها يشير إلى الثورة الوطنية والاستقلال

لقد رأت مجلة الهلال فى أواخر القرن التاسع عشر انتصارات العثمانيين التى قال فيها شوقى أمير الشعراء يخاطب السلطان عبد الحميد

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب
وينصر دين الله أيان تضرب ..

ثم رأت « الهلال » هزيمة العثمانيين التى قال فيها شوقى يرثى مدينة أدرنة

ياأخت أندلس عليك سلام
هوت الخلافة عنك والاسلام ..

ثم رأت « الهلال » زوال الدولة العثمانية واستيلاء الأوربيين على ما تبقى من بلاد العرب والمسلمين عقب الحرب العالمية الأولى .

ثم أطلت عيون « الهلال » على معارك الحرب العالمية الثانية التى شاء التاريخ أن يجعل من نتائجها تحرر جميع البلاد العربية ما عدا فلسطين

ثم تقلبت الدنيا تحت انظار « الهلال » منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ إلى يومنا

هذا ، بين مد وجزر ، فرأت مصر ورأت دنيا العرب مشرقا ومغربا تفور وتمور ، وتسعد وتشقى ، وتتقدم وتتقهقر ، وتنهزم وتنتصر .

وهكذا اجتمع لمجلة الهلال خلال ٩٤ عاما من عمرها الحافل بالأحداث أربعة وتسعون مجلدا ، هي سجل مصر والعرب والمسلمين والشرق والغرب في الأدب والعلم والفن والسياسة والدين والقانون وكل معقول ومنقول من ثمرات العقول البشرية في جميع العصور .. فكان لزاما علينا - نحن العاملين في الهلال - أن نضبط هذا كله ونسجله في « كشاف » دقيق يجمع بين الفهرسة والتسجيل والتلخيص لمادة الهلال ، على أحدث المناهج في هذا المضمار ..

وقد أصدرنا منذ سنوات كشاف اثنين وعشرين عاما ، من أول صدور الهلال إلى سنة ١٩١٤ ، ثم أكملنا أخيرا هذا الكشاف حتى سنة ١٩٣٦ ، كما تم الاتفاق مع إحدى المؤسسات المختصة ذات الامكانات التكنولوجية المتقدمة ، على تحويل مجلدات الهلال الضخمة التي اصفر ورقها من تقادم السنين ، إلى « ميكروفيلم » يحفظ مادة هذه المجلدات من الضياع ، ويجعلها سهلة التناول في جميع الظروف ، وبأيسر السبل لجميع طالبيها .. وما أكثرهم ..

ومن أحدث مشروعاتنا وأهمها إصدار طبعة جديدة كاملة لمجلد السنة الأولى من الهلال ، وستكون هذه الطبعة في أيدي قرائها خلال مدة وجيزة ، ثم يتتابع إصدار طبعات أخرى كاملة لمجلدات الهلال كلها ..

وهكذا تتسع صورة مجلة « الهلال » في عيون قرائها ، فهي ليست مجرد العدد الذي يصدر كل شهر ، بل هي - إلى ذلك - ألف عدد صدرت حتى الآن ، بل ألف ومائتا عدد تكتمل في عيدها المئوي المأمول ! ..

عزيزي القارىء ..

إننا نعتقد أنك مثلنا - وربما قبلنا وأكثر منا - تشعر كلما تلقيت عددا جديدا من الهلال بأنك تتلقى في هذا العدد الواحد ، أو تتلقى معه ، أكثر من ألف عدد ، وتطالع تراثا مؤثلا من الثقافة ، فإن الهلال الذي يتتابع صدوره في شهور سنة ١٩٨٧ يمتد صدوره إلى ألف شهر مضت ، ويمتد في ألف شهر من المستقبل الذي نرجوه للأبناء والأحفاد ، ثم إلى ما شاء الله من ألوف الشهور ..

وقد كان ماضي « الهلال » هو ماضي الثقافة العربية ، وسوف يكون مستقبله المرجو هو مستقبل الثقافة العربية التي يفتح لها المستقبل ذراعيه ويدعوها إلى التقدم إليه متحررة من كل الأصار والأثقال والظلمات ! ..



الغلاف تصميم الفنان حلمي التوني
كتاب الموتى بين عقيدة التوحيد والكتب السماوية ص ٨٣

في هذا العدد

فكر وثقافة

ص

كان ياما كان

●● قضايا ومواقف

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

مذكرات شيخ وهمي

صفحات من سفر الحياة في مطلع القرن

بقلم : د. ناجي نجيب

لـ « مذكرات الشيخ الفزارى » (١٩١٤) فضل السبق فى تصوير البيئة الأزهرية فى صورتها التقليدية التى خلفتها تراكمات الماضى ، هذا قبل أن يكتب طه حسين « الأيام » (الجزء الثانى) بنحو ربع قرن من الزمان ، كما أنها من الأعمال الأولى فى الأدب العربى الحديث التى تنتحل صيغة اليوميات أو المذكرات ، وتستعين بفن التصوير الساخر عن طريق تجسيم المواقف والشخوص لا عن طريق اللعب بالألفاظ . وأخيرا وليس آخرا فهى تعبر عن القدرة على الارتفاع فوق حدود الذات أو القدرة على مواجهة الذات على ما قد يكون فى هذه المواجهة أحيانا من إيلام

المأسوف على شبابه

صاحب هذه الصحائف أو المذكرات هو المأسوف على شبابه الشيخ حسان عامر الفزارى ، الذى وافاه الأجل عام ١٩١١ فى باريس بعد نحو عامين أو يزيد قضاها فى الدرس والتحصيل فى السربون .

والشيخ الفزارى ـ كما يعرفنا به ناشر هذ الصحائف ـ قد درس فى الأزهر الشريف ، واستمع الى دروس الأستاذ الامام محمد عبده ، ثم دخل دار العلوم ونال شهادتها ، وقد لمس فيه أحد « الباشوات » ملامح الجد والنبوغ ، فأرسله إلى فرنسا كى ينمى معارفه ويصقل مداركه وأحاسيسه ، ويتعرف على ماعند القوم من « مدنية وعرفان » وعلم لاغناء عنه لنهضة البلاد .

ولكن الأقدار شاءت أن يصيبه المرض على غير انتظار وهو ينهل من منابع العلم



مصطفى عبد الرازق



الشيخ محمد عبده

الجديد ، فلما أحس دنو الأجل دفع بصحائفه هذه إلى رفيق من رفاق الدرس والرحلة ، وأخذه العهد أن يحفظها حينا ثم يخرجها إلى الناس ، إذ قد تكون منها منفعة ، ولأنها حقائق لم يلعب بها الهوى ، وهاهو الناشر يعمل بوصية الشيخ الفزارى .

« وها انذا انشر منها على الناس ما أشار بنشره فى سلسلة مقالات .

ولاشك عندى فى أن القراء سيعرفون لتلك الصحائف موقعها من دقة الملاحظة ولطف الأسلوب ، وسيقبلون عليها اقبالا يضمن لها الرواج الذى يشجعنى على الاسراع بطبعها ، تحقيقا لأمنية صاحبها المرحوم وتخليدا لاسمه الجدير بالخلود »

أما الناشر فهو الشيخ مصطفى عبدالرازق الذى نشر هذه المقالات تباعا فى الفترة من ٢ مايو الى ٦ اغسطس سنة ١٩١٤ فى صحيفة « الجريدة » (التى كان يراس تحريرها لطفى السيد) ، ولا حرج على الناشر ، فما دوره إلا دور الوسيط الذى يفى بالأمانة . أما اللوم ، إذا كان هناك لوم ، فيقع على صاحب الصحائف ، وما أبعده عن لوم البشر الشخصية الخيالية الأساسية فى هذه الصحائف هى شخصية الشيخ الفزارى ، أما جميع الشخصيات التى يوردها فى أوراقه فهى مأخوذة من الواقع أولها أصول فى الواقع ، والشيخ الفزارى أو الشيخ مصطفى عبدالرازق حريص على أن يذكرنا بذلك فى الهوامش ، ولا يحدثنا الشيخ الفزارى الذى توفاه الله فى باريس ، ودفن فى مقبرة « بيرلاشيز » عن رحلته الى فرنسا أو تجاربه فى الحى اللاتينى أو مونمارتر ، وانما عن حياته بين قومه فى الأزهر ودار العلوم ، وعن

صفحات من سفر الحياة

الشيوخ والمجاورين ، وعن انقسام « الطبقة العلمية » الى ازهريين ، وافندية ، وعن صناعة البيان وأساليب العلم التى تجذب العقول ، وعن الفرق بين « الابتيار » و« الابتهار » ، وعن الأذكار وما تورثه من أسقام ، وعن الصيام وتجهم الوجوه فى رمضان ، وعن الزواج والطلاق ، والحرمان ، والحب عن طريق الوهم أو الشعر . وأيضا عن الريفيين والافندية .

وقد نتساءل . لماذا إذن الإغراب ، ولماذا الرحلة والحيلة ، والتخفى خلف وظيفة الناشر الذى يخرج الى الناس أوراقا ليست من وضعه ؟

● التحرر من القيود

ولذلك أسباب ، لعل أهمها شخصية الأزهرى النمطية التى تخلقها البيئة الأزهرية بميراثها الذهنى والنفسى الطويل ، والشيخ مصطفى عبدالرازق - كالكثير من أبناء جيله - ثائر على هذا الأزهرى الذى يراه من حوله ، والذى يقيده أيضا فى نفسه ، وهو تواق الى الحياة والجمال و« الدعابة » و« الضحك » ولكنه حتى خلال اقامته فى باريس ، يراوده احيانا الاحساس أنه « معمم » فى الداخل ، وأن شيئا يحول بينه وبين الحياة فى عفويتها وانطلاقها ، وحين يتخذ الشيخ عبدالرازق من الشيخ الفزارى قناعا له ، فهو يفعل ذلك كي يتحرر من هذه القيود والاثقال ، وكى يتحرر ايضا من « الحياة العابسة التى تذيب البشاشة ، وتصيب الاجسام والأرواح والأساليب بالهدم » كما يقول فى مقال له . ثم إنه من خلال الشيخ الفزارى يخلق المسافة التى تحرره من الحرج وتكسبه حرية القول والنقد ، والقص والتصوير ، وممارسة صناعة الأدب .

وبالاضافة الى ذلك فقد كتب الشيخ عبدالرازق هذه الصفحات من « سفر الحياة » فى فرنسا عام ١٩١٤ خلال فترة كان يستشفى فيها من مبادىء الاصابة بمرض الصدر أو من شبه الاصابة بهذا المرض . ومن البين أن هاجس المرض قد أوحى اليه بقصة الشيخ الفزارى الذى لقى حتفه فى فرنسا .

قضى الشيخ مصطفى عبدالرازق فترة الاستشفاء هذه بين ليون وجنيف ، وشغل نفسه خلالها بكتابة يومياته وتسجيل صحائف الشيخ الفزارى . ولم يمنعه من مواصلة هذه الصحائف غير اندلاع شرور الحرب العالمية واضطراره الى العودة الى أرض الوطن . ونراه يعتذر الى القراء بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩١٤ بأن عليه الآن أن يؤجل الى حين نشر هذه الصحائف ، وقد يكون الشيخ حسان فى قبره بباريس - كما يقول - غافلا عن هتاف تلك الجماهير التى « تدفعها الحمية الى ساعات الوغى بوجوه كالدنانير .. كأنهم لايخرجون من الدنيا إذا قتلوا » ... ولكن ناشر مذكرات الفزارى يعيش فى فرنسا فى هذه الساعات ، ويرى « أمة الجمال والسرور » فى صورة غريبة ، وهو يكره الحرب ، ويريد للبشر رقيا منتظما فى ظل



الدكتور طه حسين

السلام والحرية ... و« الفزارى الضاحك » لايتفق مع هذه الأيام العابسة .

● حقائق لم يلعب بها الهوى

وما يقدمه الشيخ عبدالرازق فى « مذكرات الفزارى » هو « جد فى ثوب هزل » ، وهو أشبه فى منحاه هذا بما فعله محمد المويلحى فى « حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمان » ، التى نشرها اولا ، فى صحيفته « مصباح الشرق » (١٨٩٨ ـ ١٩٠١) اراد المويلحى أن يصور ماحل بالمجتمع من خلط واختلال وبدع ومحدثات تحت تأثير الغرب ، فاختار أن يبعث من رقاده أحد الباشوات القدماء ليرى بعين الدهشة والاستنكار انقلاب الموازين وتغير الأحوال ... وقد وضع المويلحى رحلته التخيلية عبر المجتمع فى صورة المقامات .

اما الشيخ مصطفى عبدالرازق فهو ينظر بالم وحزن الى مجتمعه القديم العارى من اسباب الجمال والحياة النابضة والحب ، الذى يصيب النفس بالسأم (او كما يقول على لسان الشيخ الفزارى : « إن فى اعماق نفسي قلقا يتزع بى الى أمان لاموضع لتحقيقها فى هذا الوسط ») .

ومع هذا الاختلاف فى الوجهة فكلاهما قد اختار أسلوب التصوير الهزلى الكاريكاتيرى ، وكلاهما يفكر الواقع لايفكر الفكر أو الوهم ، ويفكر بالصور ، وأحيانا ينتقل من التصوير الى التعليق . طوع المويلحى أسلوب المقامة القديم لأغراض العرض التصويرى الساخر ، ووظف السجع والمحسنات اللفظية والاقتباسات الشعرية لهذا الهدف . أما الشيخ عبدالرازق فيستخدم أسلوبا ادبيا مصقولا ، يمتاز بالدقة والوضوح لتصوير مظاهر حياة مغرقة فى القدم ، بعيدة عن الوعى بنفسها . ويسعى عن قصد إلى استنباط « الفكاهة » من المواقف والمعانى لامن اللعب بالألفاظ ويعبر على لسان الشيخ الفزارى فى احدى صحائفه عن خشيته من أن تكون بهجة مايكتبه لفظية أكثر منها معنوية ، ويقول إن من أمانيه العلمية « الآن بعد أن رقت مداركه أن يغير « ذوق قومه » من هذه الجهة » .

على أن « مذكرات الشيخ الفزارى » قد ظلت شذرة ، فهى تتكون من أربع عشرة مقالة ومقدمة وخاتمة ، وتستغرق نحو ٤٢ صفحة من القطع الكبير ، وتنقصها تلك الوحدة التى تنتظم فصول « حديث عيسى ابن هشام » لمسافات طويلة .

● من تلاميذ الإمام

الشيخ الفزارى كما نتعرف عليه من

صفحات من سفر الحياة

صحائفه من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، ومن المتشيعين لدعوته الى التجديد والاجتهاد ، وعنه أخذ الدعوة الى تعاطى الأدب وممارسة الكتابة واعمال الفكر والعقل .. قال لهم الأستاذ الامام .

« أقراوا كتب الأدب ، واحفظوا من مختار الشعر وجيد النثر ، وحركوا افكاركم وخيالاتكم ، وهذبوا ألسنتكم وأقلامكم »

فأساليب العلم القديم تقتل ملكة الفكر والبيان ، وتلك العقول المحشوة « بشروح التلخيص وحواشيه وتقريراته » عاجزة عن التعبير ، وقضية العجز عن التعبير بين الأزهريين فى غير مادرجوا عليه قضية قديمة أبرزها الاحتكاك بالغرب ، وابرزتها الحاجة الى نقل علوم الغرب ، وعبر عنها الكثيرون (رفاعة رافع الطهطاوى ، أحمد أمين) ..

ثم إن « الأدب » يقع فى الأزهر إذ ذاك منذ ازمنة موقع الريبة ، وتحيط به شبهة الكذب والشيء الذى لانفع فيه ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد عبده الى الاشتغال بالأدب وسيلة من وسائل الثورة على جمود القديم .

الشيخ الفزارى ثائر على « دروس الأزهر » وأساليبه ، وهو يقضى يومه متنقلا من حلقة أستاذ الى حلقة أخرى ، وتارة ينفرد بالدرس وتارة اخرى يشارك غيره ، دون أن يجد معنى فيما يأتى ، بل ويلازمه شعور ثقيل بأنه مضيع وغريب فى هذا « الوسط » ، فيتوجه الى الشيخ محمد عبده فى دار الافتاء شاكيا حاله ، بعد أن استقال الشيخ نفسه من الأزهر .

« فانى قد سئمت دروس الأزهر ، ولم أعد استطيع أن استمر على الاشتغال بتلك البحوث العقيمة ، اننى أشعر بأنها تجنى على عقلى وذوقى . قال . يابنى انا أعرف ذلك السأم الفعلى ، وهو يدلنى منك على ماتفرسته من فطرة صالحة ، استعد لدخول دار العلوم » .

● أحمد الله أولا وثانيا

وينقل لنا الشيخ الفزارى صورة من صور العلم وأساليبه ، ففى عصر يوم من الأيام تدفعه شهرة أستاذ له تاريخ وهيبة بين أهل الأزهر الى جامع الحسين يستمع اليه .

اقبل الشيخ فى قفطان أصفر زاه ، ويحيط « بصدره الضيق » نطاق من حرير أزرق ، « مطرز بأعلام مخضرة » ، وفوق ذلك جبة حمراء فى « لون الدم » ، ويتدثر بدفية من صوف برتقالى لامع » . نظرت إليه « فرأيت وجهه القليل المساحة يعوم فى لحية كثيفة محمرة الشعر الا مانصل عنه الخضاب من أطرافها وجذورها الشمطاء » .

جلس الشيخ فى كرسيه ولبس نظارته ثم أخرج ملزمة المنار (فى أصول فقه الحنفية) وقرأ عبارة المتن « احمد الله أولا وثانيا » .

« كانت الساعة ٩ عربى فما برح العالم النحرير يقتل هذه الجملة المسكينة بحثا وتحقيقا حتى اذن مؤذن المغرب .

ولما اضجرنا باطالته على غير طائل فى

تطريق الاحتمالات وتوجيه الاعتراضات ، قلت : ياسيدنا الشيخ : الا يجوز أن يكون كل مراد المصنف هو التلويح الى البيت المشهور :

لله الحمد أما مانحب فلا نرى
ونبصر مالا نشتهي فلله الحمد

لوى الشيخ عنقه ، ووجم مفكرا ثم أجاب : هذا الاحتمال غير وجيه ، لأن الحمد فى المتن مطلق وهو فى الشعر مقيد ، ومضى فيما كان فيه .

ولم يكد يفرغ الشيخ من الدرس حتى تزاحم عليه الطلاب يقبلون يده ، ويعلق الشيخ الفزارى على ذلك فيقول :

« ويارحمتاه للمجاورين : لايفتأون يقبلون تلك الأيدى التى لاهى أيدى النساء الناعمة ، فتحى فيها نعمة الله على الناس بالجمال والحب ، ولاهى مرتجاة لخير فتكرم لخيرها ومعروفها ، وكم فى تلك العادة السيئة من مضار » .

● مشايخ وافندية

ويسجل الشيخ الفزارى انقسام « الطبقة العلمية » الى طلاب المعاهد الدينية والمدارس النظامية ، أو الى أزهريين وأفندية ، ويصف الجفوة بل العداوة التى تحكم العلاقة بينهم ، فكل فئة ترمى الأخرى بالجهالة وتحقر من شأنها .

« فالمدرسيون » لايكتفون بالعلم الدنيوى وانما يريدون ايضا حمل لواء الدين « ليكونوا زعماء الدنيا والآخرة » ، ورجال المعاهد الدينية ينكرون العلم الحديث ، ويريدون « أن يكونوا هم العلماء من غير قيد ولا حد » ، وهكذا ساد التشويش ، الحركة الفكرية الناشئة .

ويرى الفزارى ان الخلاف بين الفئتين هو اختلاف فى الذهنية وفى التوجه وفي طريقة الادراك وأسلوب الحياة ، ويقول : « .... فالذى يسترعى نظرى بوجه خاص هو أمر الانقسام الاخلاقى الواضح فى فتياننا من اثر التربية المدرسية والتربية الأزهرية ... »

و« المدرسيون » ـ كما يرى بوضوح ـ يكونون فئة طبقية صاعدة ، وهى فئة فتية تطرق فى زهو وتعال . ميادين منهجية وعملية جديدة

بعيدة تماما عن آفاق رجال المعاهد الدينية الذين يهمشهم التطور اقتصاديا واجتماعيا وذهنيا ، فينكبون فى مواجهة « المدرسيين » على تلك المقولة التى تزيدهم ضعفا · « علم لاينفع وجهل لايضر »

● علم آخر الزمان

فى أول جمعة من رمضان يعتلى الشيخ الفزارى المنبر فى بلدته تحت الحاح جماعة من الأصدقاء ليلقى خطبة الجمعة :

« تناولت تلك العصا المعوجة (السيف الخشبى) وتسلقت ذلك المركب العالى ، وكانت وطأت قدمى فوق سلالم المنبر تثير الغبار الراكد ، فأظل أعطس كلما نقلت قدمى من درجة الى درجة ، وكان التراب ينتثر يمنة ويسارا فيجهش بالعطاس من حولى . وإن معظم الناس فى الريف ، بل فى القاهرة نفسها ، بين سمع الأوقاف وبصرها ليعتقدون أن تراب المساجد مقدس لاينبغى أن يخرج منها ، فإذا خرج ، جعل يصيح حتى تحمله الملائكة الى موضعه ! »

صفحات من سفر الحياة

ويبدأ الشيخ الفزارى خطبة الجمعة ، فيحدث الناس فى امر الزواج ، ليبين لهم أن تعدد الزوجات يقلع الحب من الأساس ، لأن الحب « موحد لايعرف الشرك » ، وإذا ذهب الحب فقل على السعادة ، بل على الدنيا العفاء ، وما أن يبلغ من الكلام هذا الحد حتى يصيح به الجمع :

« هذا هو علم آخر الزمان لم يبق الا ان نسمع من فوق منابر الوعظ الديني الكلام عن النسوان والحب

وماجرى من خطب الشيخ البولاقي والشيخ السقا التى تذكرنا بالموت وتحبب الينا الفقر ؟ » .

وينقسم الجمع الى خصوم وانصار ، وينتهي الأمر الى التشاحن والقذف بالأحذية وغليظ القول .

ومن الجامع الى السوق يرى الشيخ الفزارى نفسه وسط حلبة نزاع حول « العرتمة » (وهي قطعة من لحم العجل لايعرف المراد بها) ، ولا يحسم هذا النزاع بين العمدة وبين أحد البكوات غير المأذون الذى يفوز « بالعرتمة » نظير فتواه .

ويهرع الشيخ الفزارى من هذه المشاحنات الرمضانية الى غرفته ، فيشعل دون وعى سيجارته ، وحين يكتشف ذلك يحدث نفسه ، فيقول · « لئن كان يرضى الله هذا الصيام الشعوب اللغوب ، فلن يغضبه هـذا الفطـر السلمى ... »

● فى الكحكيين

ويبلغ فن التصوير الكاريكاتيرى ذروته فى كـوميديـا « شارع الكحكيين » ، ومحورها هو الشيخ محمد عبد الذى يقول عنه الناشر فى الهامش أنه كان عالما صـالحا ذكيـا ، وكان من أسـاتـذة « المرحوم » الفزارى فى علم النحو . وقد عرف الشيخ عبد بأنه مزواج مطلاق ، ونرى الشيخ وهو ينفى عن نفسه هذه الشبهة بحرارة واصرار ، وان كانت وجهته دكان المأذون الشـرعي ، كي يطلق امرأته ، التى تتبعه فى الطريق على بعد خطوات ، ذلك أنها على الرغم من مضى شهور ثلاثة على زواجه منها لم تحمل منه ، وفى منعطف شارع الكحكيين يلمح فتاة تروقه ، فيوسط الفزارى أن يسألها ، ان كانت تريده زوجا لها ، وما أن يتم المأذون كتابة ورقة الطلاق حتى يدعو الشيخ صاحبه الفزارى أن يرافقه الى اسرة هذه الفتاة ... ومصدر الطرافة لايكمن فى تلاحم المتناقضـات فى شخصية هذا الشيخ فحسب أو فى غفلته عما يأتيه ، وانما فى أسلوب العرض ، وفى المواقف التى نصادفـه فيها فالمتناقضات والغفلة لا تخلقان بالضرورة « الكوميديا » أو الفكاهة .

● قمة الحوار : « أوحشتنا ! »

حين يفترض شخص ما الاتفاق التام مع الغير ومع الكون ، أو امتلاك الحقيقة

قد تتحول اللغة الى مجرد اشارات او ترديدات صوتية، بلا مضمون او مضمونها السكون، وهدفها الدفين هو اخضاع الغير، ويتمثل ذلك بصورة فريدة في المنظر التالي من « مذكرات الفزارى »، فقمة الحوار فى هذا المنظر هو لفظ « أوحشتنا ! »، على أن هذا اللفظ يتحول فى النهاية الى شىء رهيب، وكأنه سوط مشرع، ذلك أن أحد طرفى هذا « الحوار »، وهو الشيخ الفزارى يرفض في الباطن التوافق مع الفراغ الذى يعيش فيه الطرف الآخر:

« تقام فى بيت شيخ الرواق حفلة ذكر ليلة الجمعة من كل أسبوع يحضرها كثير من المجاورين وبعض العلماء، ولم يكن من عاداتى أن أذهب الى تلك الليالى، لانتى لست كثير التردد على الشيخ ولكننى أزوره حينا بعد حين ... أدخل عليه فى مجلسه العادى قبالة الباب، وبيده سبحته لاتفارق يده. أصافحه وأجلس يمينه ... فيصيح: يا أبا سيف، هات قهوة.

ثم تتحرك شفتاه، وتدور السبحة فى يمينه، حتى إذا انقضت دقائق التفت إلىّ غير باسم كدأبه، وقال: أوحشتنا.

أقول: الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ.

وبعد ساعة ينظر الى جهتى مرة أخرى قائلا: أوحشتنا.

ـ الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ.

ويأتى أبوسيف بالقهوة فيقطع الشيخ تسبيحه لحظة، ويقول لى: تفضل، فأقول: الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ.

وبعد أن أشرب فنجان القهوة انتظر وقتا يكرر الشيخ تحيته:

أوحشتنا. وأكرر أنا: الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ.

ثم أستأذنه فى الانصراف، فيمد الى الأستاذ يمينه وسبحته قائلا لآخر مرة: أوحشتنا. وأجيب مسرعا الى الباب الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ »...

● حاجات القلب

ويعيش الشيخ الفزارى أو الشيخ مصطفى عبدالرازق فى سعة. ولكن أين للقلب فى هذه البيئة أن يتسبع حاجاته، وأين مباهج الحياة؟ وهذا مصدر من مصادر الشجن والألم.

ويجول الفزارى بين المزارع يحدث نفسه بالشعر والحب على طريقة العصر، أو يعتصر الحب أو الوهم بالحب من الشعر والخيال، ويحدث نفسه عن الحب الذى لايحيا إلا فى النفى والحرمان، فينشد مع القائل

يموت الهوى منى إذا لقيتها
ويحيا اذا فارقتها فيعود

فالوهم بالحب يفوق الوصال، ذلك أنه لاسبيل الى الوصال.

وقد حدثنا المنفلوطى فى « نظراته » و« عبراته » فى الربع الاول من هذا القرن طويلا عن ذلك اللون من الحب الذى يقوم على تحريك العواطف والأشجان فحسب.

صاغ الشيخ مصطفى عبدالرازق هذه الصفحات الأدبية عند مطلع القرن، ومن يقرأ هذه « اللوحات القلمية » الفنية قد يحسب أنها قد كتبت هذه الأيام، كما يقول أديبنا الناقد يحيى حقى.

وبالاضافة فهى وثيقة تاريخية تعبر عن مرحلة من مراحل الفكر والتنوير والبحث عن الحياة، كما تعبر عن القدرة على الرؤية والتصريح والصدق مع النفس

الوشم
عالم من الأسرار والمعتقدات

● الوشم أو الطوطم كما يسميه الاوربيون هو فن شعبي ، وراءه الكثير من الاسرار والمعتقدات .. انه ذلك العالم السحري المتلىء بالرموز الموشومة أو المرسومة على الاجسام بحرفية المتمرس وتلقائية الفنان الشعبي ، عالم من الانس والجن ، من الطيور والحيوانات والزواحف المختزنة في اعماق الوجدان الشعبي لها دلالات رمزية راسخة .

تحقيق : نجوى صالح

وهذا الفن المثير لم يجد الا قلة من الباحثين اهتموا به وبينوا أصوله وجذوره ، وغالبا ما كان موضوعه يجيء في سياق الكتب التي تبحث في الفن الشعبي ، أو تلك التي تتناول حياة القبائل القديمة من الوثنيين . لكنه لم يكن أبدا موضوعا خاصا للبحث والكتابة ، ولكن باحثة مصرية هي الفنانة سوسن عامر عنيت به عناية خاصة ، بعد أن اكتشفت انه ذو صلة وثيقة بالتراث الشعبي العريق منذ عصور ضاربة في التاريخ .

لقد قامت هذه الباحثة برحلات عديدة في أرجاء مصر بحثت ونقبت وناقشت ، المعلمين ، الذين يقومون بالوشم الذي يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوههم ، وهو لم يكن في يوم من الايام مجرد عبث لهؤلاء المعلمين ، وانما يعود الى التاريخ القديم ، عندما كان الناس يعيشون حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات ويخشون مظاهر الطبيعة كالمياه والرياح والطير والرعد .

أصل الطوطم

وتعود بنا الباحثة الى الاصول التاريخية لاصل الطوطم فنجد انها كلمة تدل على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رمزا لها



القلب ، الزهرة ، الأسد
رموز تختلط بالوشــــوم

وتعتقــــد أنها تؤلف معه وحــدة اجتمــاعية ، وتنزل الأمــور التى ترمز اليه منزلة التقديس ، فاذا كان الذئب مثــلا طوطما لعشيرة ما ، فمعنى ذلك أن هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزا لها يميزها عن غيرها من العشائر ، ولقبا يحمله جميع أفرادها ، كما تعتقد بأنها والذئب وحــدة جمــاعية وأسرية ولذلك تنزله منزلة التقديس

وتتألف معظم الطواطم من فصائل حــيوانية ونباتية كفصــائل الذئب والثعلب والنمر والحمام والطاووس وكشجر البلوط والموز والمطاط ·

وتضــيف الباحثة انــه من بين خمسمائة طوطم كشف عنها العــالم « هويت » عند العشائر الجنوبية من سكــان استراليا يرجع أربعمــائة وســتون منها الى طواطم حيوانية ونباتيه وأربعون فقط الى طواطم غير حية من مظاهــر الطبيعه كالشمــس والقمــر والنجوم والصــيف والشتاء والبرد والريح والدخان ·

وبجانب الطوطم الخاص بالعشيرة هناك الطوطم العام الذى تجتمع حوله جميع العشائر أو القبائل وتقدســه كما تقدس طوطمها الخــاص ، بأن لا تأكله اذا كان مما يؤكل ، وتبجله أعظم التبجيل ·

ويرمز للطوطم برسم على هيئته . فى القبــائل المتقدمة فنيا كالهنــود الحمر ، أو يرمز له بجلد حــيوان واقف فى بعض القبائل الاســترالية التى ينقصها التعبير الفنى ·

● الامتزاج

تضــيف سوسن عامر أن هــذه العقيــدة قد تحولت الى ما يشبه الاساطير عند قبائل عديدة يرجــع أهمهــا الى طائفتين الاولى أن بعض أفراد الطوطم الحيوانى أو النباتى قد تحــولت الى أناس وأن من هــؤلاء انحدرت العشيرة ، أما الثانية فتذهب الى عكس ذلك أى أن أفراد الطوطم هم الذين كانوا فى الاصل أناسا ثم تحول بعضهم الى حيوان أو نبات ، وبقى بعضهم الاخر محتفظا بصورته الانسانية ، وأن من القســم الاول تتألف فصيلة الطوطم ، ومن القسم الثانى تنحدر العشيرة ·

وتختلف هذه الاساطير فيما بينها فى تصــوير هذا التحول وبيــان تفاصيله ، فيذهب بعضها الى أن قوى خفية قاهرة أو كائنات غــريبة قد مسخت بعض أفراد الحيوان والنبات الى انسان ، أو العكس ، وتذهب هذه

الوشم

الاساطير الى ان التحول قد حدث بصورة تلقائية على النحو الذى تتحول به دودة القز الى فراشة ٠

ونأخذ مثلا على ذلك أن فى احدى العشائر التى تتخذ السلحفاة طوطما لها تذهب الى أن بعض السلاحف قد اضطرت لمغادرة البحيرة وذهبت تبحث عن مأوى ، وكانت احداها مفرطة السمنة والضخامة فاجهدها السير الطويل وغلافها الثقيل فأخذت تزيحه عن جسمها حتى نمت قامتها واستقامت واستحالت الى انسان ومن هذا الانسان انحدر جميع أفراد العشيرة ٠

● الدماء والطوطم

وقد كان كل فرد من أفراد العشيرة يحمل شيئا من قدسية الطوطم الذى ينتمى اليه ، وهذه القدسية فى جميع أجزاء الجسم وعناصره ، ولكنها اكثر تمركزا فى دم الانسان وشعره ٠٠ لذلك كانت الدماء والشعر اكثر الاشياء استخداما فى الشعائر والطقوس ٠ وعلى هذا الاساس فانه حينما كانت تطبع صورة الطوطم على جسم الانسان المراد امتزاجه بطوطم كان لابد من خروج الدم لكى يمتزج به امتزاجا ماديا (وروحيا) ٠ ومن هنا نشأت عادة « الوشم » ٠

وهناك رأى شائع خاطىء هو أن الشعوب البدائية لا يحكمها قانون أو نظام ، ويظن البعض أن نظمها وقوانينها ساذجة بسيطة تسيرها الغرائز ، ولكن النظام الطوطمى فى الحقيقة يضع لجميع فروع الحياة نظما وقواعد لا تقل فى دقتها وتعقيدها عن نظمنا الحاضرة ٠

ومن وجهة نظر باحثتنا فان للطوطم رواسب كثيرة فى العصر الحاضر ، ففى بعض العشائر التى تسير على هذا النظام يرمز الافراد لطواطمهم بأن يحمل كل منهم جلد الحيوان أو خصلة من ريش الطائر الذى اتخذه طوطما ، وفى بعضها يرسم كل فرد طوطما على أسلحته وأمتعته ، ويعد هذا بمثابة البطاقة الشخصية أو « الخاتم » الذى يميزه عن الآخرين ٠

● بدايات الوشم عند المصريين

وقد اشار احد الباحثين الى ان الوشم كان ايضا عند قدماء المصريين ، وقد بين اثاره فى مومياوات راقصات فرعونيات ، ويرى أن الاجزاء التى بها وشم على اجسام المومياوات تطابق مكان وضع الحلى والاحجبة ٠ مما حمل على الاعتقاد بأن الحلى التى تضعها الراقصات الآن ترجع الى أزمنة سحيقة ، كان الرقص خلالها مرتبطا بالمعتقدات الدينية ٠٠ وكذلك يمكن القول أن الرموز التى قامت الراقصات بوشمها – فى الماضى القريب – على صدورهن ارتبطت بعقائد الدين ٠ ولا يزال لذلك بقية نراها عند بعض نساء الريف فى مصر العليا ، حيث لا يزال الوشم محتفظا بطابعه المصرى القديم الى حد كبير ٠٠

وصورة هذا الوشم أن شفة الفتاة الموشومة السفلى كلها تكون باللون الاخضر ، اما الذقن فيرسم عليها حتى أسفلها ارتباطا بالشفة السفلى ، وكثيرا ، خاصة فى الصعيد ، ما « تدق » العلامة المميزة « نفر » وهى كلمة تعنى بالهيروغليفية « جميل » وهى الدقة المفضلة لدى الفتاة الصعيدية حتى الآن ومنذ الاف



الباحثة سوسن عامر



مارى جرجس .. فارس احبتـه المسيحية

السنين .. وطبعا فى الغالب هى لا تعرف معناها .

وفى مصر العليا ايضا مازالت دقة ، النخلة والسمكتين وهما من علامات الاخصاب عند المصريين القدماء .

أما العصفور الاخضر الذى نراه كثيرا فى الوجهين القبلى والبحرى فى مصر على السواء ، فيرجع الى اسطورة ايزيس وأوزوريس ويعد فالا حسنا للنصر والخير .

تقول الاسطورة أن ايزيس علمت بأن تابوت زوجها أوزوريس قد جنح الى شاطىء مدينة بيبلوس ، ونبتت شجرة احتوت التابوت ، فجلست ايزيس تحتها تبكى بكاء مرا حتى تحولت الى عصفورة اخذ تحلق هائمة حول الشجرة حتى خرج التابوت بعظام أوزوريس التى دفنت فى الدلتا .. الممتلئة بالخير والنماء بسبب هذا الرفات .

● وشم مارى جرجس

ومن ابرز علامات الوشم التى ظهرت وقت الاضطهاد الرومانى للمسيحيين وشم القديس مارى جرجس .. والمعروف أن القديس جرجس كان فارسا من فرسان الجيش جميلا وذا حظوة ومكانة ، ثم تفتح قلبه للدين الجديد فاتجه بوجدانه كله ، وصار واحدا من أشد الدعاة للمسيحية متحديا جبروت الرومان حتى استشهد على أيديهم .. فتأثر الفنان الشعبى ليعبر عن حبه له بايجاز بليغ . فرسم الوشم على هيئة فارس نبيل يمتطى جواده ، أما قوى الشر فرسمها على هيئة ثعبان ضخم .. ولأنه كان فارسا مؤمنا بالهدف الأسمى فان ملامح وجهه تظهر عليها علامات البطولة والجمال أما الخوف فجاء على ملامح وجه الحصان ، ذلك الحيوان الذى لا يعرف هذا التسامى الروحى .. وحتى يومنا هذا يستخدم الاقباط المصريون هذا الوشم فى مصر العليا .

● وحدات زخرفية فى العصر الاسلامى

وفى العصر الاسلامى ، وكما هو معروف ، حلت الوحدات الزخرفية محل التشخيص فى الفن الاسلامى ، واتجه الوشم أيضا هذه الوجهة ،

الوشم

فرسم الفنان الشعبى النجمة والقمر والهلال والزهرية .. حتى بدأ عصر اكثر جرأة على التشخيص . هو العصر الذى ظهرت فيه الملاحم الشعبية على السنة الرواة ، ويبدو انه كان عصرا ينحو نحو البطولة الرومانسية ، فرسم الفنان الشعبى ابو زيد الهلالى ، وعنترة وعبلة والزير سالم وسيف بن ذى يزن فى الوشم الذى نجده حتى يومنا هذا .

وقد يكون عنترة بن شداد ذا دلالة تفوق تمثل الفنان الشعبى للبطولة والرجولة تلك المعانى تجدها فى رسمه للزير سالم والهلالى ، هذا المعنى يفرض علينا القول بان الفنان الشعبى العربى لم يكن يعرف النظرة العنصرية ، فمعروف ان عنترة من ام كانت « عبدة » ومع ذلك فقد وضعه الفنان الشعبى فى قائمة ابطاله الذين يستمد منهم معانى البطولة .

● فى أوربــــا التمسك بالوشم

وقد لا يعرف الكثيرون ان شعوبا اوربية عديدة لا تزال تتمسك بعادة الوشم حتى الآن ، خاصة الوشم الزخرفى المرسوم على هيئة صلبان وخطوط مستقيمة ومثلثات واشكال هندسية متنوعة كنقش ، خاصة على الجبهة والايدى والصدر والذقن .

ويشاهد فى فرنسا بصفة خاصة بين الرجال الذين يخدمون فى الفرق العسكرية العامله فى افريقيا ، وبين محترفى الاجرام ، وهؤلاء يرسمون الوشم على هيئة ازهار ورءوس نساء واشكال رمزية فاضحة او عبارات غريبة مثل عبارة « سوء الحظ » او « مولود تعس الطالع » وحديثا نجد الكثير من الشباب الاوربى يرسمون بالوشم عبارات ذات دلالة مثل كان قانون التجنيد سببا فى بكاء والدتى ، أو « كل شىء يدعو للضحك » أو « أفكر فى أمى لكن قلبى ملك زوجتى » وغيرها من العبارات الساخرة ذات الدلالة .

وقد يسال البعض لماذا يقبل الناس على عادة الوشم ؟

والباحثة تقول : لعل فيما راه عالم التحليل لنفسى سيجموند فرويد بعض الجواب ، فهو راى أن هذه رموز لها علاقة وثيقة بالجنس ، وعلى سبيل المثال ذلك الوشم الذى ترمى فيه فتاة يحيط بها سمكتان وثعبان ، ان رجلا « يدق » على صدره مثل هذه الصورة لابد انه يشير الى رغبه كامنه فيه لامتلاك فتاة مدينه كعروس مشتهاة ، ووضع السمكة الى جانبها يشير الى رغبته فى النسل والحياة الرغدة .

على اية حال فان عملية الوشم تتم باستخدام ابر ومشارط تغرس فى المكان المراد وشمه بالصورة المطلوبة حتى تدمى ويوضع عليها الحبر الصينى والهباب ، أو الفحم المسحوق بعد اذابته فى الماء ، كما يستخدم مسحوق القرميد الاحمر او احمر الشفاة أو السلقون حسب اللون ودرجته التى يريدها الموشوم .. وفى تطور اخير نجد الناس فى اوربا الأن يرسمون الوشم باستخدام ابر تعمل بالكهرباء .

اما الوشامون المصريون الذين نطلق عليهم « المعلمين » فلا يزالون يستخدمون الطريقة اليدوية بالابر والمواد الطبيعية كالهباب ومسحوق الفحم والقرميد . ويتميز الوشم المصرى بدرجة الاخضرار التى تدل على خصوصية « الخلطة » التى يحسنها المعلم المصرى دون سواه .

أقوال معاصرة



داليدا

● « الحياة لا تطاق »

داليدا

● « عالم بدون اسلحة نووية سيكون اقــل استقرارا واكثر خطرا بالنسبة لنا جميعا »

مارجريت تأتشر

● « كل ما اريده ، هو ان يحب الناس بعضهم البعض اكثر قليلا » .

فيروز



خوسية سارني .

● « خفة اليد السوفييتية قد تخدع العين الغربية

جيوفري هاو

وزير خارجية بريطانيا

● « الحكومة الامريكية تسير مرتدية حذاء باليه»

المعهد الدولى للدراسات السياسية والاستراتيجية

« فى لندن »

● « لن نسدد الدين بجوع الشعب »

الرئيس البرازيلى

خوسيه سارنى



بول نيومان

● « ما من شيء يمكن ان تطــاله الدولة الا وللاحتفاظ به ثمن .

المفكر محمد عابد الجابري

● « الانشقاق الفلسطينى الدائم هــو المطلب الرسمى العربى العام ، وهــو المطلب الامريكى ، وهو المطلب الاسرائيلى »

الشاعر محمود درويش

● « يبدو انني سانتهى مثل همفرى ـ »

بول نيومان

الحاصل على أوسكار أحسن ممثل ١٩٨٧



العقاد وقصة ابنته المنتحرة

بقلم: كمال النجمى

كانت «غراميات العقاد» مدار مقال لنا فى الهلال - شهر مارس الماضى - فاثارت تعليقات ونقدات شتى ، تتابعت علينا ، فصار لزاما ان نعود إلى هذه «الغراميات» ، نجلو ماغمض من كلامنا حولها ، ونرد شبهة من هنا أو هناك حول بواعث ماكتبناه عن هذا الجانب «الحساس» الذى استعظم أمْرَ الكلام فيه بعضُ محبى العقاد ، كانما كان العقاد راهبا فى دير ، أو عاشقا من بنى عُذْرَةَ فى سالف الزمان ..

وليس أحد ممن أبدوا الغيرة على تاريخ العقاد أو اسمه الكبير ، أغْيَر منا على تاريخه واسمه ، فله علينا يد نحفظها ، وهو عندنا واحد من أبلغ كتاب العربية من لَدُن بداية النثر الفنى فى عهد عبدالحميد أو ابن المقفع ، أى خلال أكثر من ألف ومائتى سنة ..

ولم نكتب عن غراميات العقاد إلا بعد أن كتب عنها أَخْلَصُ أصدقائه ، وأقرب ذوى قرابته ، وحسبك منهم عامر العقاد -

ابن أخيه ـ الذى الف كتابا عنوانه «غراميات العقاد» .. ومنه استعرنا عنواننا ! .. وطاهر الجبلاوى ـ صديقه الصدوق وكاتم أسراره ـ وانيس منصور أشهر تلاميذه وصاحب أعظم الكتابات عنه وأشدها صراحة واستفاضة ..

ولم نقصد بمقالنا السابق إلا إلقاء الضوء على جانب من حياة العقاد ، وقد جرت العادة على عدم إغفال مثل هذا الجانب عند الكتابة عن أمثاله من عظماء الادباء والمفكرين .

والسادة الذين كتبوا إلينا مختلفو القرائح والفهوم والعلوم ، أخذوا من مقالنا على قدر اختلافهم فى هذه المواهب ، فاختلفت كلماتهم ونبراتهم ، ولكن أكثرهم يرى أننا أخطأنا على العقاد ، أو تَزَيَّدنا عليه ، أو جحدناه حقه ، فى النقاط التالية :

● علاقته بالأديبة الآنسة مى ، وقولنا إنها بادلته حب الأدب والفكر ولم تبادله حبا وراء ذلك ، وأنه لو كان طاردها بغرامه لقدمت فيه شكوى إلى النائب العام كما أوشكت أن تفعل ذلك بمجنون غرامها الأول الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ورحم العقاد ..

● قولنا إنه اكتوى بنار الحب والغيرة والشك ، وإن حبائبه كُنَّ خبيرات بهذا المضمار ، وكان ساذجا فيه ، يخلط بين حبيبات القصائد الشعريـة وحبيبات السويعات العابرة .

● حديثنا عن «ابنته» التى انتحرت يأسا عقب وفاته إذ أنكر عليها الآخرون حقها فى ميراثها منه ، وكان مسجلا فى وصية بخط يده أخفاها أولئك الآخرون ..

● ماوصفنا به العقاد بأنه كان «عزهاة» كأبى الطيب المتنبى ، وأنه كان له فى الحب «يد من حديد فى ذراع من جريد» .

● قولنا إن العقاد لم يكسب مالا من تأييده للوفد وسعد زغلول باشا ، وأنه لم يقتن عمارة ولابيتا ولاسيارة من تأييده لسعد والوفد ..

● استعظام بعضهم أن «نرمى» العقاد الكاتب الإسلامى العظيم «بتهمة» حب نساء لم يكن زوجات له .. من أمثال سارة وسمراء الفن والمرأة التى أنجبت له ابنته .. وأخريات ! ..



مى زيادة

وعلى هذه النقاط نتكلم بوجازة ، لأن المقام لايتسع للإسهاب وإن كان الإسهاب ممكنا ..

ونتخذ من أقوال أصدقاء العقاد مصداقا لقولنا ، فلا نقول من عندنا شيئا إلا بسند من قولهم ..

فأما الآنسة مى ، فيقول من كتبوا إلينا إنها بادلته الحب ، أو بادأته بالحب ، أو أعلنت عليه الحب كما ظهر ذلك فى المسلسل التليفزيونى الساذج الذى صنعوه عن العقاد . ولكن الحقيقة غير

العقاد
وقصة ابنته المنتحرة

ذلك ، وكنا نود لو أنها كانت كذلك ، إذن لصنعت للعقاد تاريخا فى الحب غير تاريخه الذى نعرفه ، ولصنعت للآنسة مى تاريخا فى الحب والحياة ، وقد أجمع معاصروها على أن العقاد كان فى آخر صفوف محبيها أو عاشقيها ، ولم يجعل منه ومنها حبيبين متفاهمين إلا صديقه طاهر الجبلاوى فى كتابه الذى عنوانه «فى صحبة العقاد» .. ولم يجد دليلا على ذلك إلا قصيدة كتبها العقاد تشوقا إلى مى حين سافرت إلى الفاتيكان ، للحج أو للسياحة

ولو أن كل من كتب شعرا أو نثرا عن مى كان فى الواقع ـ الذى صار الآن ماضيا ـ متفاهما معها على الحب ، لكان قد سبق الناس جميعا إلى حبها مصطفى صادق الرافعى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بكتابته عنها شعرا ونثرا منذ عرفها إلى آخر حياته رحمه الله ! ..

وأقصى مابلغه العقاد فى حب مى ماأشار إليه الجبلاوى بقوله فى كتابه : «كان يداعبها متقبل منه المداعبة البريئة ، فإذا تعدى هذه الحدود ، أشارت إليه ليقف عند حدوده» ! ..

أهذه حال امرأة محبة مع محبوبها ؟! .. لقد كانت الدعابة بين شاب وشابة أو رجل وامرأة فى الأوساط المختلطة ، تجرى مجرى الدعابة بين انسانين متساويين فى الحظ من حرية القول والعمل فى الحدود الاجتماعية المتعارف عليها . وأقصى مابلغه العقاد من حب مى هو هذه «الدعابة البريئة» التى كان يحاول أحيانا أن يتعدى بها الحدود فتصده باشارة حازمة من يدها أو إصبعها أو قسمات وجهها ! .. وما أبلغ هذه الاشارة ، كأنها تقول له الحب شىء آخر ، ولست أنت صاحبى فيه

أما كتابته إليها ـ على نحو ماذكر الجبلاوى ـ فلم يجلس فى ندوتها أديب إلا كتب إليها ، وكان بعضهم يعلن شوقه إليها علانية ـ وقد ذكرنا الرافعى ـ ونضيف إليه ولى الدين يكن ـ وقصائده فى ديوانه تفصح عن شأنه ـ ونضيف إليهما إسماعيل صبرى باشا الذى ذاع وشاع قوله الجميل عن ندوتها التى كان موعدها الأسبوعى يوم الثلاثاء

روحى على دُورِ بعض الحىِّ حائمةٌ
كظامئ الطير رَفّافاً على الماء

إن لم أُمَتَّع بمىٍّ ناظرى غدا
أنكرت صُبحَك يايوم الثلاثاء

لقد كانت مى أشبه ببعض جوارى العصر العباسى ـ والتشبيه مع الفارق اللاتى كن أديبات شاعرات مغنيات ، فكان الشعراء والأدباء ينظمون فيهن وينثرون ، وليس فيهم من يظفر بغير المجالسة والمشاهدة والمتعة بالنظر والحديث والغناء .. ولم يكن للعقاد فى مى نصيب أكبر من نصيب شاعره المفضل «ابن الرومى» الذى جلس مرة أو مرتين فى «صالون» الجارية المغنية «وحيد» فقام

فيها قصيدته الرائعة «ياخليلى يتمنى وحيد» التى لم يقل مثلها شاعر حتى اليوم فى مغنية ولا أديبة ، ولو كان ابن الرومى قد بعث فى عشرينيات القرن العشرين وقال فى «مى» قصيدة كقصيدته ، الرائعة فى «وحيد» لما ظفر من مى بنصيب أوْفَى من نصيب العقاد الذى لم يقل فى «مى» إلا شعره العادى المعروف .

وقد بلغ من جنون حب الرافعى لمى أنه فكر فى الزواج منها ، كما يقول عنه تلميذه محمد سعيد العريان فى كتابه الرائع «حياة الرافعى» .. أما العقاد فكان الزواج عنده أبعد شىء عن حبيباته .. يقول الجبلاوى إنه «طبع على ألا يشاركه أحد فى حياته ، ولايطيق هذه المشاركة» .. فالحب عنده ، أحلام رومانسية ، كحبه لمى ، أو علاقة رجل بامرأة كسائر علاقاته بالنساء اللاتى تحدث عنهن من اطلعوا على حياته من قريب .

فأين تقع مى من العقاد ، وأين يقع العقاد من مى ؟ .. لشتان ماحالها وحاله ، ومابعده عنها وأبعدها عنه ! ..

السمراء والصرصور

أما أنه اكتوى فى حب سارة الشقراء والأخرى السمراء بنار الشك والغيرة ، فيقول الجبلاوى إن العقاد بعد أن امتلأت حياته سرورا بحب سارة بدأ الشك فى سلوكها يساوره .. «رآها مصادفة فى عرض الطريق ، فلفت نظره تغير فى نظام ملبسها ، وتناثر فى خصلات شعرها ، وقد اشتم رائحة من الطيب لاتستخدمها لغير «غرض» فلم يستطع أن يعلل ماراه .. وسمع ابنتها الصغيرة التى كانت تلازمها تنبس بكلمات مريبة فدب دبيب الشك فى نفسه وانصرف إلى منزله مكتئبا حزينا فلم تطب له راحة ولم يهدأ له بال وجافى عينه الرقاد» .. «وعرض عليه صديق من خلصائه أن يقبل سارة كامرأة ويستمتع بما تهبه من متع الحياة ولهوها فأبت

انيس منصور



اسماعيل صبرى



العقاد وقصة ابنته المنتحرة

نفسه» ! .. فهو يريدها خالصة له دون سواه .

وكان بعد ذلك ماكان من مطاردته لها فى كل مكان ، وقد اشترك صديقه الجبلاوى فى هذه المطاردات حتى تبث للعقاد أن سارة ذات نشاط واسع ، وأن قلبها مفتوح للرجال ، فقهر نفسه على قطع علاقته بها وهو بها متيم جريح الفؤاد مغلوب على أمره ..

وخيل إليه بعد مدة أنه نسيها ، حتى سمع يوما أغنية على الفونوغراف لمطرب لبنانى يقول فيها بلهجته العامية الشامية

نار الغرام لم تنطفى
ولا المحبة بتختفى

يقول الجبلاوى إن العقاد لم يكد يسمع مطلع هذه الأغنية حتى بكى وأغلق الفونوغراف ولم يفتحه إلا بعد سنوات

وكان العقاد يقول ـ وقد تهاجرا وتخاصما ـ إنها حبه الأخير الذى لاحب بعده ، ويتمثل بقول المتنبى .

وَلَوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُم
بكيت على حبى الزائل

ولعله كان يتمثل بقول المتنبى أيضا :

يُراد من القلب نسيانكم
وَيَأْبَى الطِّبَاعُ على الناقل

أما الفتاة السمراء الجميلة التى عرفها وهى فى سن العشرين وهو فى الخمسين ـ سنة ١٩٢٩ ـ فقد أحبها حبا جارفا وظن لقلة خبرته أنها تخصه بحبها دون سواه ممن تعرف من الرجال وهم كثير حولها لأنها تشتغل بالفن ، فلما عرف أن الأمر لم يكن على ما صورته له أوهامه ، فارقها باكيا محطم القلب ، مقهورا بالوحدة والفراغ والهجر المؤلم الموحش بعد الوصال الممتع الصاخب ، فتكررت مع السمراء قصته مع سارة ، «وما أشبه الليلة بالبارحة» .. كما قال الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد ..

وظن العقاد لسذاجته أنه انتقم لنفسه. منها عندما اقترح على رسام صديق له أن يرسمها فى صورة «فطيرة حلوة تورتة يتوسطها قدح من العسل الأبيض وقد تجمع حولها الذباب والصرصور ، فأصبحت تعافها النفس» ! .

كان يخدع قلبه ووجدانه بهذه الصورة التى تعافها النفس لمحبوبته السمراء التى كانت ترضى بالبقاء معه «لو أن صاحبها ممن يقبل المشاركة فى هواه» .. كما يقول الجبلاوى .. «وافترقا على رغم ، وكان العقاد يذكر لى وقع هذا الفراق الذى رضيه كارها ويقول لى . ماظنك برجل يحس يده وقد قطعت وفصلت عن جسمه وهو يراها بعينه بعيدة عنه ؟! .

ومع ذلك هجاها العقاد ـ على المكشوف بقوله متهما إياها بالتنقل حيث شاءت من الهوى ، حتى هانت ـ فى رأيه ـ على الرجال وعلى نفسها بعد أن هانت عليه .

خذى عشيقين مثلى

لابل خذى الناس طرا
يلقاك هذا بليل
وذاك يلقاك ظهرا
قد هنت والله هنت

يقول هذا ثم يلجأ إلى سماع الغناء من وقت إلى وقت ، يتداوى به من داء الغرام ، ويسمع أم كلثوم تغنى فى اسطوانة لها قديمة من شعر اسماعيل صبرى باشا وتلحين الدكتور صبرى النجريدى :

ياآسى الحىّ هل فَتَّشْتَ فى كبدى
وهل تَبَيَّنْتَ داء فى زواياها ؟!
أوَّاهُ من حُرقٍ أوْدَتْ بمعظمها
ولم تَزَلْ تتمشّى فى بقاياها !!

هكذا اكتوى العقاد بنار الحب والغيرة والشك والخيبة والعجز ، والى هذا الحد كان مثاليا وطيبا وساذجا فى حب امرأتين خبيرتين بالرجال سارة والسمراء !..

قصة ابنته المنتحرة

اما حديثنا عن ابنته وكيف كان يغسل ملابسها بيديه وينشرها على حبل الغسيل فى شرفة البيت غير مبال بنظرات الجيران ، فقد أزعج المعجبين بالعقاد «الكاتب الاسلامى» .. وتساءلوا . أليس مافعله حراما ؟! .. وتساءلوا ايضا : أليس وضعا من اختلاق الوضّاعين والرواة ؟! .

ولكن صديقا قديما لنا هو الدكتور عصام الطاهر الطبيب ورجل الأعمال بالكويت بعث إلينا قصاصة كبيرة من إحدى الصحف الكويتية ومعها رسالة يقول فيها : «طالعت عدد مارس من الهلال وقرأت بشغف كبير مقالك الممتع عن غراميات العقاد ، والذى اضاف إلى معلوماتى الشىء الكثير ، ذلك انى من المهتمين بالعقاد وقد كتبت عنه مرات فى صحف الكويت .. وقد وجدتك تطلب من أصدقاء العقاد أن يلقوا الأضواء على حياة العقاد الشخصية التى أتيح لهم أن يعرفوها ، وقدرت أنك لابد لم تطلع على مانشره الأستاذ خليفة التونسى - صديق العقاد - فى مارس سنة ١٩٨٦ بجريدة القبس على ثلاث حلقات ، فرأيت أن أحصل لك عليها وأرسلها إليك مع رسالتى هذه ..»

وصديقنا الدكتور عصام هو ابن شقيق المجاهد الفلسطينى الصحفى الكاتب المرحوم محمد على الطاهر .. تعلم الطب فى جامعة القاهرة وعرفته حين كان طالبا قبل ثلاثين عاما ، وغابت عنى أخباره طويلا بعد سفره ، وهو الآن رجل أعمال ترك الطب واشتغل بالأدب إلى جانب الأعمال ..

جاءتنى قصاصات الأستاذ التونسى فى وقتها لأننى كنت ابحث عن شاهد صدق على ماذكرته من قصة ابنة العقاد .. وننقل هنا - باختصار - شهادته .. قال «لم تكد تمضى ساعة على نعيه حتى رأينا البنت وأمها حضرتا وهما تلبسان الملابس السوداء ، والبنت تصرخ وتتلهف ، حتى دخلتا غرفة نومه ، فأغلقت وراءهما باب حجرته ولكنى عندما سمعت الفتاة تولول خانتنى دموعى ، إذ تصورت كأننى انا الميت ، وكأن بنتى الكبرى قد اكبت على رأسى تقبله وتعاتبنى لأنى تركتها ، وذلك مارأيت الفتاة - يقصد بنت العقاد - عليه عند دخولها غرفة نوم الأستاذ ، فادركتنى الرقة والضعف وسالت منى الدموع» .
«واستمر صراخ الفتاة بضع دقائق فلم

العقاد

وقصة ابنته المنتحرة

أجد بدا من الذهاب إليها وتعزيتها، وكانت الفتاة مكبة على رأسه تحتضنه وتقبله وتعاتبه فى مرارة كيف تتركنى وحدى يابابا؟! كيف هان عليك أن تتركنى وكنت غالية عندك ؟ .. لن أعيش بعدك

.. كما كانت السيدة - والدة الفتاة - منبطحة على الأرض تجول يمينا ويسارا على سجادة الغرفة كأنها أفعى ضربت على رأسها ! وقبل خروجها وقفت فى تحد وقالت للشاب عامر : ياعامر افتح هذا الدرج من هذا الدولاب .. ولما فتحناه لم نجد سوى بعض الملابس فقالت لى إن الاستاذ كتب وصيته قبل موته بمدة طويلة وكان يضعها فى هذا الدرج ، وانه أوصى بإيراد سبعة عشر كتابا حددها بأسمائها لتكون لهذه البنت ! .. وخرجنا إلى غرفة الجلوس والفتاة تولول : آه يابابا لمن تتركنى يابابا ؟! لن أعيش بعدك» ! . ثم بدأت أفكر فى الخلاص من السيدة والفتاة قبل أن يطلع النهار ويأتى المعزون ، توقيا للفضيحة ، ولم أجد بدأ من الاستعانة بأوثق أصدقاء العقاد محمد طاهر الجبلاوى . فحضر وعزّاهما وحاول التسرية عنهما ثم طلب منهما العودة إلى بيتهما اتقاء للفضيحة»

وأول كلمة قالها التونسى للشيخ احمد خادم العقاد عندما قضى العقاد نحبه : هل أعلمت الفتاة - يقصد بنت العقاد - الخبر ؟! .. قال خادم العقاد لا فسأله التونسى هل تعرف رقم تليفونها ؟ . قال . نعم . فلما أمره التونسى باستدعائها عارض فى ذلك أقارب العقاد ، لكن الخادم نفذ أمر الأستاذ التونسى وجاءت البنت وأمها ..

هذه هى قصة بنت العقاد كما رواها شاهد صدق كان من أعز أصدقائه وهو يستشهد فيها بأقرب أصدقاء العقاد وكاتم سره الجبلاوى ، وبألصق الناس بالعقاد وهو خادمه «الشيخ أحمد» وواضح جدا أن جميع أقارب العقاد كانوا يعرفون الفتاة ووالدتها ..

وفى كتاب «صالون العقاد» قال انيس منصور إن الفتاة ووالدتها ضربتا بالاحذية فى بيت العقاد بعد موته

وبهذه الكلمات التى نقلناها عن اقرب الناس من العقاد نختم الكلام عن ابنته ووالدتها .. والقصة ابلغ من كل كلام ، والبراهين عليها تكفى لاثبات مائة قضية شرعية لاثبات البنوة برغم كل «الدفوع الشكلية» على حد تعبير أهل القانون

من كان بلاخطة

بقيت النقاط الثلاث الأخيرة ، فقولنا إن العقاد كان «عزهاة» كالمتنبى لايعنى انه كان ضعيفا فى خلوته بالنساء ، بل معناه أنه كان مشغولا عنهن أغلب وقته بطلب العلم والأدب .. ولاتوجد أية إشارة إلى ضعفه فيما قلناه من أن العقاد كانت له مع النساء «يد من حديد فى ذراع من جريد» فإن هذه عبارة شهيرة من عباراته

السياسية قالها فى المرحوم محمد محمود باشا حين صار رئيسا للوزراء قبل ستين عاما وأعلن أنه سيحكم البلد بيد من حديد ! .

اما البيت والسيارة ، فلم يقتن العقاد بيتا من تأييده للوفد ولا اقتنى سيارة ، وإنما اشترى السيارة بعد أن صار عضوا فى مجلس الشيوخ على عهد السعديين والأحرار الدستوريين ، وقد رأيته وهو يتجول بهذه السيارة فى شوارع القاهرة فى مطالع الأربعينيات ، وكان له سائق ، ثم ضاق ذرعا بالسيارة فنفض يديه منها وعاد الى التنقل بالمترو والتاكسى والترام ،وكانت المواصلات العامة أيامئذ فى غاية السهولة .. والمتعة ، والمدينة هادئة كأنها تحلم ! ..



ام كلثوم

أما المستنكرون لحب العقاد نساء كثيرات وهو الكاتب الاسلامى العظيم ، فلا تعليق لنا على استنكارهم ، ونقول لهم : الله أعلم بالسرائر ! وليست حياة الرجال نمطا واحدا ، ولوكان العقاد قد عاش فى العهد الذى يباح فيه شراء مائة جارية من سوق الرقيق ، فماذا تراه كان يفعل ؟! ..

من الوجهة الدينية ، لاأدرى الحكم فى قضية العقاد مع حبائبه ومع المرأة التى ولدت له ابنته التى لاشك فى أنها ابنته !

وقد مات العقاد وماتت ابنته ومات الذين مزقوا وصيته ، ولم تبق لهم جميعا إلا رحمة الله التى وسعت كل شىء . وقد أنجب العقاد ابنته سنة ١٩٤٤ اى بعد هجره حبيبته السمراء ، ولم يشتهر العقاد بالكتابة الاسلامية إلا منذ ذلك الحين تقريبا ، ولايعرف له احد «غراميات» بعد ذلك التاريخ .. وكان بينه وبين والدة ابنته ـ فيما قيل ـ عقد غير رسمى ، هو بمنزلة العقد الرسمى فى نظر الدين ، وشهوده كثيرون .. وليت طاهر الجبلاوى كان حيا ليشهد على ذلك .

فالعقاد معذور من هذه الجهة ، ولكنه فر من ميدان أبوته وربط اسم ابنته باسم شخص من الأشخاص وجنى عليها ذلك فى حياتها ومماتها .. وليغفر الله للجميع .. ومن كان منكم بلا خطأ كبير أو صغير ، فليرم ذوى الأخطاء الكبيرة والصغيرة بما شاء من الأحجار الكبار والصغار وليعلن انه مبرأ عصوم ! ..

قنديليات



بقلم: يحيى حقى

اقتراحات

« باجانينى » الايطالى العازف الشيطانى على الكمان ، اطبق فمه سنة ١٨٤٠ م ولكنه لايزال يقول لنا كلمة منذ وعيتها قبل زمن بعيد جعلتها حلقة فى اذنى :

ــ اذا تقاعست عن التدريب على العزف ثلاثة ايام متصلة احس الجمهور اننى لست كما كنت ، واذا تقاعست يومين لم ينتبه لتقصيرى الا النقاد المتمرسون ، واذا تقاعست يوما واحدا لا غير لا ينتبه الا شخص واحد هو انا •

العمل الفنى الخارج فى عالم الظاهر للناس ما هو الا نسخة تحاول ان تكون طبق اصل تخلق فى عالم الباطن اما بغتة او بعد عناء ، كل عالم النفس او الافضل عالم الروح •

هل من همس الحاضر او من هممات تراث ممتد الى ماض سحيق حتى يبلغ الانسان البدائى •

وليس فى انتزاع نسخة تكرار بل هو صراع مع الزمن العابر لتخليد لحظة الابداع مع التيقن بانها هى الاخرى عابرة ، فالفن شعور ماساوى ، فانت ترى ان لا ذائق للفنان الا نفسه ان كان اصيلا •

كان « هيمنجواى » لا يترك احدا يطلع على مخطوطه او يساله رايه فيه بل يسلمه كانه من الاسرار او المهربات الى ناشر ، فاذا به فى فترة من حياته يجد نفسه يدور على بعض اصدقائه ومعه مخطوط له يسالهم الراى فيه •

تزعزع ايمانه بصدق قوله وجدواه، ومبلغ انطباقه على الفن هذا هو

الانهيار المميت للفنان لا خلاص منه الا ان يطلق على نفسه النار ·

ووصف لنا « توماس مان » في قصة « الموت في البندقية » مأساة كاتب مبدع بدأ على غير عادته يراجع مخطوطه مرة بعد مرة ، الكلام جميل والنص مفهوم والاصول مرعية ولكن صوتا خفيا من ضميره يهمس له : ليس هنا هذا الاتقاد الباطني الذى جعل من اعمالك السابقة تحفة فنية ، فمضى كالجائع يبحث عن نبع جديد من الجمال فلم يجده الا فى فتى يافع خلب لبه ·

انتحار خلقى اسوأ من انتحار « هيمنجواى » ·

وليس الفنان فى نهاية الامر حرا فلا تكتمل حريته الا فى عالم التجريد والمطلق وهو عالم ممتنع عليه فهو مضطر الى اتخاذ اداة للتعبير عن نفسه من عالم الواقع عالم التشخيص والابعاد فهو بشر يعيش فوق كوكب اسمه الأرض ، وهذه الاداة لها مع الاسف قوانينها الكاشفة عن طبيعتها فهو مضطر للخضوع لها حتى لايدرى هل هو الذى يملى عليها ام هى التى تملى عليه ، فحين يضع الرسام على لوحته الصغيرة الملتوية عجائن بين اسود واحمر واخضر تمثل له على الفور عالم الالوان ، كيف تكون اذا انفردت او اجتمع اثنان او اكثر ، فيظل همه بادىء ذى بدء ان يدرك سر التوافق والتنافر وتميز الدلالات ومظهر هذا التفاعل بين الالوان فى الكون كله ، فليست العلاقة بينهما توفيقية بل توقيفية كانها قوانين كونية ثابتة فهذا الرسام لابد يخضع اولا لاحكام الوانه قبل ان يحاول ان يخضعها لاحكام فنه ·

واداة كاتب هى اللغة والحال بين الالفاظ هو الحال بين الالوان بالنسبة للرسام · الفاظ متحابة والفاظ متنافرة فلابد له ان يخضع لاحكام هذه اللغة وتبين كل لفظ على حدة لادراك دلالته ، لا كل لفظ فحسب بل كل حرف فى اللفظ ، فكل حرف فى اللغة العربية له دلالته ·

اذا لم تصدقنى فدعنى استرجع لك مقالا كنت كتبته تعليقا على الطبعة الاولى للقاموس المحيط الذى اصدره مجمع اللغة العربية والذى ارتضى فيه بعض الالفاظ العامية الشائعة ويعرفها بعلامة « مج » اى من اقتراحات المجمع فوجدته ارتضى كلمتين « طرابيزة وترابيزة » ووضعهما فى باب التاء ثم وضعهما من باب التحرز ايضا فى باب الطاء لانهما تنطقان بها ايضا ، قال عنهما فى باب التاء « منضدة صغيرة وقذيفة تطلقها غواصة » ، اما فى باب الطاء فعرفهما بانهما « منضدة كبيرة وقذيفة ضخمة » فانت ترى ان حرف الطاء حين تنطق به يخيل اليك ان لسانك قد تورم وتضخم ولابد ان ينعكس هذا التضخم على المعنى ، ولست ازعم ان مقالى كان سبب عدول الطبعة الثانية عن هذا الوهم·

النخبة... والجماهير... ومتى يعزفان لحناً واحداً ؟

بقلم : مصطفى نبيل

إيقاع المجتمع ، وأن تتناغم كل الأصوات في معزوفة واحدة

● **يعود هذا كله إلى تلك الفجوة الواسعة بين النخبة** والجماهير - وهنا استبعد المطامع الدولية التى لعب موقع مصر وأهميته الاستراتيجية دوراً هاماً فيها . والذى يفسر عداوة الغرب لكل محاولات مصر فى التقدم - وهذا الاستبعاد ليس تقليلا من خطورة هذه المطامع .. بل للانتقال مما هو خارج السيطرة الى مايقع فى صميم مسئوليتنا وقدرتنا

لقد حان الوقت لكى نعمل على سد هذه الفجوة ، والخروج من هذا المأزق ، وتنصت الصفوة إلى صوت العامة ، وتضبط ايقاعها على

فكثيراً مايدور الحوار حول قضايا حيوية تدخل فى هموم الصفوة ،

وتراها العامة ، مجرد ترف لايمس همومها ومعاناتها .. وهذا هو سر ما نلحظه من تعثر فى مسار تطورنا الحديث ، فالنهضة الحقيقية هى التى يشارك فيها الصفوة والعامة ، وتغير حياتهما معاً ، ولا يحقق التنمية والديمقراطية سوى حركة المجتمع ككل لا حركة صفوته وحدها

عندئذ يصبح ماتحقق غير قابل

●● لماذا تشد الحياة الفكرية المجتمع الى الوراء ..؟ ولماذا فشل التعليم فى تحقيق اهداف المجتمع فى التنمية والديمقراطية ..؟

ولماذا تواجه الحركة الوطنية الانكسار بعد كل انتصار تحققه ..؟

وماهو سبب الانتكاسات التى لحقت بتجربة مصر الحديثة منذ محمد على حتى اليوم ..؟ رغم الجهود الكبيرة التى بذلت ، والانتصارات التى تحققت ، والتضحيات التى قدمت ●●

للارتداد أو الانتكاس .. بل قابل للتنامى ..

ولكن أين هى علامات ذلك الانقسام ، وما هى ملامح التباين الشاسع بين الصفوة والعامة التى تعرقل خطانا ..؟

إن أول مظاهره هو استمرار الأمية التى تمنع المشاركة الايجابية الواعية لكل المواطنين ، والفروق الواسعة التى تشمل الدخول والأذواق والمعارف والقيم ، وتصل الى نوعية التعليم ومستوى الاستهلاك ، وتشمل التفاوت فى الأزياء والخدمات ، والفجوة بين القرية والمدينة ، والفروق داخل المدينة ذاتها بين الأحياء الراقية وتلك الأحياء العشوائية أو الشعبية التى تحاصر المدينة وتكاد تخنقها ، **والفروق بين السلع الفاخرة المستوردة أو الاستفزازية فى مواجهة السلع المسماة بالشعبية ، والفروق بين نوادى الصفوة مقارنة بملاعب العامة فى الحوارى الموحلة والساحات المتربة !**

ويصدم الكثيرين مايصل الى أسماعهم من حديث فى الحارات ، الذى سرعان ما يتسلل الى وسائط الاتصال بما يتضمنه من كلمات سوقية واشارات مبتذلة .

النخبة...
والجماهير...

واذا كان الخبراء يعتبرون أن أهم مؤشرات التقدم فى أى مجتمع هى مدى اقتراب الحد الأقصى للدخل من الحد الأدنى ، واذا كانت النسبة قد وصلت فى مصر فى الستينات إلى حوالى عشرين ضعفا ، فقد انفلتت هذه النسبة فى السبعينات ، ولم يعد من الممكن السيطرة عليها أو حتى حسابها ..

وتلمح آثار هذا الانقسام الاجتماعى فى الكثير من الأحاديث العابرة ، والتجارب الشخصية المباشرة ، والكلمات التى تتردد ولاتخفى دلالاتها مثل « أبناء الذوات » و« أولاد الناس » وكثيراً ماتلتقط أذنك تعبيراً مثل . « أنت عارف انت بتكلم مين ..؟»

واذا تصادف وتابعت كيف يعامل أصحاب النفوذ والثروة ، وكيف يعامل « العامة » ؟ فى اقسام الشرطة مثلا . أو اذا تابعت حواراً يدور بين رئيس مصلحة وموظف الأرشيف ، أو بين مفتش التموين وبائع متجول .. لأدركت عمق هذه الفجوة ..!

ولعل البعض يذكر عند بدء العام الدراسى فى المرحلة الأولى للتعليم ، السؤال التقليدى عن عمل ولى الأمر ، وبناء على الاجابة يتحدد وضع التلميذ على خريطة الاهتمام فى المدرسة ..!

ويعكس الاقبال الشديد على التعليم الجامعى رغم أهمية التعليم الفنى ، وزيادة فرص عمل متخرجيه ، يعكس رغبة ملحة فى الحراك الاجتماعى تدفع اليه تلك الهوة السحيقة بين الصفوة والعامة ..

وهذه التجارب والمشاهدات التى تمر بنا جميعاً ترسم ملامح حدود نظام اجتماعى صارم .

● أهمية النخبة ●

يتفق الجميع على ان المجتمع يتطلب نخبة تتولى قيادته ، وتتمتع هذه النخبة بدور متميز ، على أن تكون ذات اعداد خاص ، ويسلم لها المجتمع بأنها مؤهلة للتصدى لقيادته وتحقيق أهدافه على أن تكون أحقية هذه

القيادة مستمدة من تميزها الفكرى وولائها العميق لمجموع المواطنين ، لا لثرواتها وأصولها ..

هذا مايحدث فى العالم المتقدم ، الذى لاتوجد فيه هذه الفجوات الواسعة والفروق الحادة بين الصفوة والعامة ، فى العالم الممتد من واشنطن حتى موسكو ، ورغم الاختلاف فى طبيعة النظم الاجتماعية يشترك الجميع فى أن المعرفة فى متناول كل الشعب ، ويذهب الجميع الى ذات المدارس ، ويرتادون ذات النوادي والمعارض . والمسارح ، ويتذوقون ذات الفنون ، ويقرأون ذات الكتب وتتقارب أذواقهم وأزياؤهم .

يسعى كل واحد منهم لكى يطوف العالم ، بعد أن أصبح السفر متعة الملايين ، ولم يعد يقتصر على الرحالة وحدهم فالصفوة عندهم ترتاد أفخر الفنادق وأجمل الجبال والشواطىء والغابات ، ويقوم العامة برحلات جماعية ، تزداد معرفة الجميع بالعالم من حولهم .

وكثيراً مايجمع بين الصفوة والعامة هواية واحدة أو عمل مشترك .. وجاء هذا التطور خلال القرنين الماضيين بعد أن شهد العالم تغيرات متلاحقة ، وسقطت الكثير من النظريات التى تتوجه للصفوة وتتجاهل العامة ، وتكشف عن مدى مافى القيم القديمة من قصور ، مثل مازعمه الفيلسوف الاغريقي أرسطو عندما زعم « أن من الناس من يخلق ليأمر ، وأن منهم من يخلق ليطيع ..! » أو مابشر به أفلاطون فى جمهوريته .. التى يعمل فيها العبيد وتستمتع الصفوة بالحكم والفكر والفن .

وبدأت أفكار القرون الوسطى التى تقوم على التفرقة بين البشر على أساس الدين أو اللون أو الأصل تتلاشى ، وتتغير جذريا ، ولعب ظهور المطبعة وشيوع المعرفة دوراً رئيسيا فى هذا التطور ، وجاءت الثورة الصناعية وما أحدثته من قيام المدن الكبرى ، وتبعها التطور الواسع فى وسائط الاتصال الحديثة ، مما جعل للعامة وزنا كبيرا ، لم يكن لهم من قبل ولم يعد مقبولاً اطلاق لفظ « الدهماء » أو « الصعاليك » أو « الحرافيش » عليهم وتحول الفنانون من تزيين جدران القصور والكنائس الى نشر فنهم فى المدن ، وخرج الكتاب والشعراء من بلاط الأمراء الى عموم الفقراء بعد انتشار التعليم وأصبح المفكر والأديب والفنان ، لايخاطب

النخبة...
والجماهير...

الصفوة وحدهم بل يتوجه الى جمهور واسع ينتظر حكمه ، وتشققت النخبة وأصبحت تقوم على أساس فكرى وثقافى لا على أساس وراثى ..

وفى العصر الذى نعيشه تفجرت ثورة المعلومات ووسائط الاتصال ، وأصبحت المعرفة فى متناول الجميع ، مما يفرض ضرورة الاستجابة لكل هذه المتغيرات وتحقيق التوازن داخل المجتمع .

● محاولات لم تكتمـــل ●

فلماذا تستمر الهوة الواسعة لدينا رغم العديد من المحاولات التى لم يقدر لها ان تكتمل ..؟!

وتكاد تكون هذه القضية هى محور الصراع الذى حكم التاريخ المصرى الحديث ، منذ محمد على حتى اليوم ..

وعكس التاريخ الحديث الرغبة العارمة فى التحرر والمساواة ، ووقر فى وجدان الحركة الوطنية أن من يسعى الى رفعة الوطن ، عليه ان يتوجه للجماهير لكى تشارك فى الانتاج وفى التقدم وفى البناء الذى لايمكن تحقيقه دون الاعتراف بحقوق الانسان وتفجير طاقاته ..

لذلك يلاحظ الامتزاج فى تاريخ الحركة الوطنية بين المطالبة بالاستقلال والمطالبة بالدستور وسُجل فى التاريخ الحديث قول الزعيم أحمد عرابى .. « لسنا عبيداً ، ولن نورث بعد اليوم ..» رداً على ما قاله الخديو توفيق .. « ما أنتم الا عبيد احساننا ! »

وفى هذه الفترة أصدر عبدالله النديم صحيفته التى كان يكتبها باللغة العربية واللهجة العامية على أمل أن يصل خطابه الى العامة ويحركهم ويؤدى الى زيادة وعيهم ، وكانت هذه الصحيفة بداية توجيه الخطاب الى الكافة .

وخطت مصر خطوات هامة فى الخمسينات والستينات فى سد هذه

الفجوة بين الصفوة والعامة فالغيت الألقاب ، وسقط العديد من القيود التى تعوق الحراك الاجتماعى ، ولم يعد الجيش أو الشرطة أو القضاء مقصوراً على طبقات بعينها ، ورسخت فى المجتمع المجانية فى كل مراحل التعليم ، وشارك العمال فى مجالس الادارة ، وشارك العمال والفلاحون فى المجالس المحلية والنيابية .

وفى ذات الوقت يقوم النظام القانونى على أساس المساواة أمام القانون ويؤكد الدستور على الحقوق الانسانية السياسية ، ولايملك أى فرد حقوقاً خاصة ناتجة عن أصله أو مركزه ، ويقوم النظام السياسى على مبادىء الحرية وتكافؤ الفرص لابناء المجتمع الواحد ، ويأخذ بالتعددية الحزبية .. ..

● ازدواجية الثقافة ●

ورغم كل هذا .. مازلنا نعيش فى ظل ازدواجية اجتماعية وثقافية صارمة ، ولعل المسألة تتركز فى نظام القيم السائد ، وفى الازدواجية الثقافية داخله ، التى تحكم ضمائر الأفراد ووجدانهم ، بوعى أو بغير وعى ، أولئك الذين يعتبرون هذا الانقسام مثل الزلازل والبراكين وكالقدر يستحيل الفكاك منه

والنظام القانونى القائم يعيش فى ظل أوضاع اجتماعية تمده بالحياة فاذا كانت الحكومات المعاصرة قد أخذت بمبدأ الاعتراف بحقوق المواطن ، فإن هذه المبادىء بقيت شكلية وظلت الدساتير نصوصاً بعيدة عن الواقع ، ولم تول المجتمعات العربية اهتماماً بالوسائل والاساليب التى تعطى مضموناً لهذه المبادىء .

وبقيت هذه القيم لا يستطيع الكثيرون التحرر من آثارها فى عقولهم ووجداناتهم وتضيع الفكرة الرئيسية التى يقوم عليها أى تنظيم اجتماعى حديث والذى يتعامل مع المواطن بوصفه إنساناً قبل أية صفة أخرى تتصل بلونه أو دينه أو عائلته أو طبقته

ويُشقى هذا الانقسام المجتمع ، سواء الصفوة أو العامة ، ويفقد المجتمع حيويته .. فالصفوة المتعالية ، يعجزون عن تقديم ماهو مفيد ، عندما ينتظرون الجزاء على



كفاءتهم ، وتعيش الصفوة ممزقة بين مسئوليتها وانتظار ثمن كفاءتها ،

وتعجز عن جذب القاعدة الواسعة من العامة الى مستويات أرقى من الحياة والثقافة والاستنارة

والعادات والتقاليد المناسبة **للعصر ، ويعيشون** فى **فزع** من **تطور العامة** ومشاركتهم فى **خيرات البلاد ، ويسعون لكى يظل الصراع السياسى يقتصر عليهم بعيداً عن العامة ، وكثيراً ماتؤدى هذه الأزمة الى مايعرف بمشكلة هجرة العقول .. التى تمكن أفراد النخبة من الهروب على أمل تحقيق ذواتهم ، فى بلاد غير بلادهم ..**

وحتى عندما ينتقل الواحد من صفوف العامة الى الصفوة ، فسرعان ما ينفصل عن بيئته الأصلية ، **فاذا كانت أصوله تمتد إلى احدى القرى ، فسرعان ما تنقطع صلته بقريته أو تكاد ، فمثلا .. كم طبيبا تمتد أصوله الى الريف .. صمم على أن يضع خبرته لخدمة ابناء قريته .. ؟**

● الهوة السحيقة ●

وعلى الجانب الآخر من النهر ، يفتقد العامة الشعور بالمساواة ، ويعيشون كأنهم على هامش المجتمع ، يصادر الصفوة حقهم فى الطموح ، ويعاملونهم على أنهم أدنى شأناً ، بالنظر الى ظروفهم أو فقرهم ، ويضعونهم أدنى درجات السلم الاجتماعى ، وبعد ذلك يتوقعون منهم القيام بدور فى بناء الديمقراطية والتنمية أو يقدمون عن طيب خاطر عرقهم لخير الوطن ، بعد أن مست هذه الهوة السحيقة جوهر انسانيتهم ، وصادرت حقهم فى الحياة الكريمة ، مما يعرض الوحدة العضوية للبناء الاجتماعى للخطر ..

ومن اخطر نتائج هذا الانقسام مانشهده اليوم من غياب الاتفاق العام ، الناتج عن التفاوت الثقافى ، وحدة الفروق الطبقية ، ومايؤدى

اليه ذلك من تفاوت النظرة الى الذات وإلى العالم .

ومنذ نصف قرن كتب الدكتور طه حسين ... « ان الواجب الوطنى هو أن نبذل مانملك وما لانملك من القوة والجهد ، ومن الوقت والمال لنشعر المصـريين أفراداً وجماعات ، ان الله قد خلقهم للعزة لا للذلة ، وللقوة لا للضعف ، وللسيادة لا للاستكانة ، وللنباهة لا للخمول .. »!!

فاذا كانت القيم الأساسية فى **مجتمعنا** تستمد من المـوروث **القيمى ، فلقد** ظهر الاسلام لكى يعلى **فكرة العدل** والمساواة **بين بنى البشر ، وتوجه الدين الحنيف إلى الناس كافة ليرفع شأنهم ، ويرتفع بذوقهم بصرف النظر عن لونهم وأصلهم .**

ولسنا فى هذا مثل الهند التى تعانى من نظام طبقى صارم ، يستمد أصوله من الموروث عندما ينظر الى المجتمع نظرته الى هرم يقف على قمته البراهمة ، وفى قاعدته المنبوذون الذين لايجوز الاختلاط بهم أو حتى ملامستهم .. ورغم ذلك نجحت الهند فى التخلص الى حد بعيد من هذا النظام الطبقى الصارم .

ويستمر هذا النظام فى مجتمعنا رغم مجافاته للموروث القيمى ، ولعل الاخفاق يعود الى أن « الانسان » لم يكن الأساس فى الأفكار التى سادت والتى ادعت اقترابها من العصر ، أو فيما حملته بعض الدعوات من عصور الانحطاط والتخلف ، وكأنه جزء من ذلك الموروث .

وتقع مسئولية سد هذه الهوة السحيقة التى تقسم المجتمع على عاتق كل المخلصين ، التى ينبغى أن تواجهها حركة اجتماعية وفكـرية نشيطـة ، تدرك تـاريخ المجتمـع والعوامل التى تحكم حركته ، وتعمل على صهر الوجدان الاجتماعى وإعادة صياغته ليكون أكثر تعبيراً عن الحلم الانسانى فى العدل والحرية الذى يشترك فيه الجميع ..

ويبدأ العمل بإعادة النظر فى مضمون ما يقدمه التعليم والثقافة والإعلام ، ونعمل بما ذكره الفقيه ابن تيمية .. « ان الأمة الواحدة تصبح كذلك بالمشاركة بين ابنائها فى عمل واحد » ..

وبذلك يقف المجتمع كله على بداية طريق حل المعضلات التى تعرقل خطانا .

ثقافة للبيع

محنة الأدب والثقافة

• ارتفاع كلفة العمل الثقافى وعجز الأفراد عن القيام به

• لماذا توقف أمين الرافعى عن إصدار صحيفة الأخبار .. ؟!

بقلم : فتحى رضوان

●● من متناقضات الحياة أن السلعة الثقافية أغلى ثمنا .. وأعظم كلفة من السلعة العادية التى تسد حاجات الانسان الغريزية من طعام أو ملبس أو مشرب أو مطية يركبها الانسان ليبلغ هدفا أو سلاحا يدفع به عن نفسه عادية الأخرين .

فالكتاب والمسرحية واللوحة زيتية كانت أو مائية كلها سلع ثقافية تكلف الكثير من الأموال وتستنفد الطويل من الأوقات ، والعظيم من جهة التحضير والاعداد والتنفيذ والاخراج ومن ثم حصل التناقض الذى قوامه أن الإنتاج الثقافى لايتأتى لعامة الأفراد ، وهم لايقوون على أداء تكاليفه فى صورته اللائقة به ، ومن يتصدى لادارة واستغلال مكتبة أو مطبعة أو مسرح لتعرض للأفلاس فى الأغلب الأعم ، فتقفل الصحيفة أبوابها بعد شهور قليلة من بدء نشاطها وتسدل الجريدة الستار على مسرح أعمالها ، وقد يحاول صاحب المكتبة أو الجريدة أو المسرح الاتصال بالجماهير وعرض إنتاجها فى مثل الصورة القديمة أو فى صورة جديدة معدلة ●●

وكم من جريدة ومسرح ودار نشر فى مصر ، لحق بها الكساد فتوارت عن الأنظار ، وعاش صاحبها بعد ذلك سنوات يحاول أن يسدد ديونه ، ويتفق عن طريق (سنديك) عينته المحكمة او عن طريق التراضى والحل الودى .

يحدث هذا فى حين تقوم الى جانب الجرائد الكاسدة والمسارح التى بارت سوقها ودور النشر التى دهمها الافلاس مشروعات تجارية ناجحة اشد النجاح تدر على اصحابها الدخل الوفير والمال الكثير .

وقد يحدث استثناء فى الظاهر فيكسب صاحب الجريدة او المسرح او المطبعة او المكتبة رزقا وفيرا والحقيقة ان هذه المنشآت الثقافية قد وقعت الى مصادر رزق لاتمت الى العمل الثقافى بادنى صلة فاستطاعت ان تعيش وتواجه ظروف الزمان التى تثقل العامل فى الحقل الثقافى بالنفقات الباهظة .

ففى مصر ، ظهرت صحف كان اصحابها من غير المصريين ، إذ كانوا من اهل المشرق العربى ، وقد تبنت دول فى الغرب بعض هذه الصحف ، لتروج بين المصريين فكرة ، الذين اتخذوها سبيلا لنشر زعامتهم وبث مذاهبهم ، فنجحت هذه الدور نجاحا عظيما ، ودرت على المشرفين عليها ، والمتصلين بها وافر الرزق ، فاصبح هؤلاء من ذوى الثراء العريض ، وتصدروا المجتمع ، ووصلوا الى اعلى المراتب ولا احد ينكر أن هذه الصحف اسدت يدا جليلة الى الثقافة ، فخلقت هذه الصحف مجالات فكر ، ونقد




مصطفى صادق الرافعى   عزيز عيد

ودعوة عادت على البلاد كلها بخير غير قليل ولما تطورت الأحوال تخلصت تلك الصحف من شوائب صلاتها بجهات النفوذ التى دفعت بمحررى هذه الصحف والمشرفين على إدارتها الى مجالات الراى ، وانتهى الامر ناسين هذه الصحف التى انصرف المصريون عنها ، وساء ظنهم بالقائمين على امرها ، وتحولت وربما على الرغم من اصحابها او برضائهم الى منابر رأى وفكر .

ولسنا بصدد نقد هذه الظاهرة ظاهرة النشاط الثقافى الذى يقف خلفه اناس لاصلة لهم بالثقافة ـ انما نحن بصدد ارتفاع كلفة العمل الثقافى وعجز الفرد العادى عن النهوض به وتحمل اعبائه واذا تجلد صاحبه وباع ما يملك واقترض واشرك معه سواه فان هذا الجهد الدامى الجدير بالثناء والاشادة لايمكن أن يطول وقد يخرج الصحافى المجاهد من جهاده مصابا ، باكثر من علة تضعف جسده ، او تهرم قلبه ، أو تطفئ نور عينيه ، والذين شاهدوا امين الرافعى صاحب (الأخبار) بعد أن كانت رائجة يطبع عشرات الالوف فى

محنة الأدب والثقافة

اليوم الواحد كسدت تماما وقل قراؤها، وخفت صوتها ثم اختفت من الوجود، وبعد قليل انحنى ظهر صاحبها وشابت رأسه، واصبح يسير فى الطريق وحيدا وساقاه لاتقويان على حمله.

ذلك لان الاخبار كانت لسان حال الاغلبية، فلما اختلف امين الرافعى مع هذه الاغلبية، تخلت عنه واستمرت جريدته فى الاضمحلال، والرافعى يأبى ان يغير موقفه او يخفف من غلوائه.

وقد نقول إن هذا امر طبيعى لان الصحيفة سياسية، والسياسة امرها قلب، ولها فى كل حال شان وهذا صحيح الا ان ماجرى على امين الرافعى صاحب الجريدة اليومية السياسية، جرى على اصحاب مشروعات ثقافية، فعزيز عيد الذى حاول ان ينشىء مسرحا يعرض فنا جادا انصرف الناس عنه ومعه زوجته الممثلة الشهيرة فاطمة رشدى التى اسماها المعجبون بها بـ «سارة برنارد الشرق»، وحدث هذا ليوسف وهبى الذى عاش سنوات يدير مسرحا من اكثر مسارح القاهرة رواجا، بفضل ما تمتع به من قدرة فائقة فى الدعاية، واستثارة لاهتمام الجماهير، بانتاجه واخباره الخاصة، ولا انسى الايام التى كنت ارى فيها يوسف وهبى الممثل الشهير، بمكتب اخيه المحامى اسماعيل وهبى، وهو لايخجل من ان يمد يده ليأخذ سيجارة من صديق يعطف عليه ويود ان يواسيه.

ان هذه صورة من محنة الأدب والثقافة فى بلادنا اثرت ان يعرفها الناس من جهة، وان يعرفوا الاهوال التى تعترض سبيل الذين يريدون ان يخدموا الثقافة.

وإذا كان امراء الاقطاع والأثرياء الذين كانوا يبسطون الرعاية على الشعراء والفنانين وهواة الموسيقى، ويقتنون ما ينتجه المصورون والرسامون من تحف وروائع ـ اذا كان هذا العصر انتهى واختفى معه هؤلاء الاغنياء الذين كان بعضهم اقرب مايكون من غنى الملوك وثرائهم ونفوذهم فلم يعد من يحل محلهم سوى الحكومة فالثقافة الأن ـ ولاسيما فى العالم الثالث ـ هى البديل عن الأمير الاقطاعى الذى تولى الانفاق على فرق الموسيقى التى اسمعت الشعب موسيقى موتسارت وبتهوفن وفاجنر، والتى شغفت بفن الباليه وانفقت على فرقه ألوف الجنيهات ولابد من أن نضع خطة للنشاط الثقافى للدولة، فإن حياتنا الثقافية هزيلة الى أبعد حد، ولايزال الانتاج الثقافى إرتجالا من جهة، وقاصراً الى ابعد الحدود من جهة أخرى وكلنا نعرف قداسة الانفاق الحربى، والحرص على استمرار

● ماهو سر انصراف الناس عن مسرح عزيز عيد وفاطمة رشدى ؟!

وجوب توسيعه حتى فى السنوات العجاف ، فهذا إنفاق على مرفق تتعلق به حياتنا ، ويرتهن به وجودنا ولكنى ازعم - وهو زعم لن يلقى ما يستحق من الاحتفال والتصديق - أن الإنفاق الثقافى ، يجب أن يأتى بعد الانفاق الحربى مباشرة وهو أهم بكثير من الانفاق على التعليم ، ومن الناس من يخلط بين الثقافة والتعليم ويحسبهما أمرا واحدا والواقع أن الفرق بينهما شاسع ، وتأثير كل منهما يختلف عن تأثير الآخر ، بمقدار عظيم

فالتعليم يخلق العظم الذى ينشىء الوجود القومى ، ولكن الثقافة هى التى تكسو هذا العظم لحما ، والثقافة تسبق الحرب ، وتصاحبها وتبقى بعدها فالانتعاش الروحى ، والرغبة فى التغيير ، وكراهية القصور فى حياتنا والتخلف والتطلع الى مزيد من الحيوية ، والاتساق ، والحركة ، لاتتم الا بالثقافة ، فهى التى تحمى حياتنا من الرتابة والسوقية والجمود والفجاجة والغلظة والقبح ، وإذا كنا نشكو هذه السمات فى حياتنا التى تؤدى الى التحلل والتخلف والأهمال الشديد وجهل الواجب والفتور فى ادائه ، فذلك لأن ثقافتنا مضمحلة وسطحية ولانعتنى بها عنايتنا بمرافق اقل منها شانا .

والفرق - فى الواقع - بين أمة وأمة ، هو الفرق بين ثقافة وثقافة . وأى إصلاح نطمع فيه ونطمح له ، لايمكن ان يتحقق بكل ما نقترحه من وجوه التغيير والتقدم ، فسبيله الوحيد والفعال والناجح والسريع هو ثقافة واسعة النطاق وعميقة الاغوار ، يقوم على نشرها وتوصيلها الى جميع طبقات الشعب ، اناس يعتبرون العمل الثقافى لونا من الجهاد الروحى ، أو قل ضربا من الاستشهاد .

فإذا كنت تسير فى القاهرة وكانك تسير فى مدينة ضربتها طائرات الأعداء بالقنابل فهى كاطلال مدينة سابقة عليها ، وإذا كنت ترى جهارا نهارا عمائرنا الاثرية اماكن لطهو الفول والخضراوات وتقديمها للناس واذا كانت المدينة العظيمة لا روح فيها ولا عمل ، وإذا كنا الى الآن لم ننتج دائرة معارف عربية ، ولم نترجم أعمال الفكر والفن والأدب العظيمة والشامخة فى بلاد الآخرين ولغاتهم .

فلأن الثقافة نشاط حيوى مهمل ومتروك ولا يشغل بال أحد من الحكام وكذلك لا يشغل بال أحد من المحكومين واذا كانت فرنسا قد اقامت مناحة لقطع أربع شجرات قديمة توطئة لاقامة مبنى معرض الفنون الأربعة (كاترارتو) فيتبارى الشعراء والكتاب والمصورون وكبار المسئولين فى البكاء على هذه الأشجار .

وكنا قد قطعنا فى السنوات الأخيرة أشجارا جديرة بمثل هذا الاعزاز دون أن يحس أحد أو يتحرك أحد .

وإذا كانت الأحداث الكبرى تقع فى بلادنا ، فلا يبدو أن نبأها قد وصل الى سمع أو اتصل بنفس ،فذلك كله لاننا أمة بلا ثقافة ، ولابد إذن من دعوة مجلجلة ومعضلة لتصبح الثقافة ثقافة لا شيئا شبيها بحاجياتنا الدنيوية التافهة والصغيرة .

بقلم: د. شكري محمد عياد

الديون وتحرير الإرادة!

لاشك أن قراء الهلال قد تابعوا - مثلما تابعت - دراسة الدكتور جلال أمين القيمة عن ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم . إن أظهر ما تمتاز به هذه الدراسة هو أنها تضع مشكلة الديون في إطارها العالمي ، أو بعبارة أخرى أنها توضح الدور الإيجابي الذي يقوم به الدائن في إغراء المدين بالاقتراض ، أو إجباره على ذلك ، بمختلف طرق الإجبار ، إن اقتضى الأمر .

وإذن فليست حصافة محمد على وحدها هي التي عملت على تنمية اقتصاد مصر بدون حاجة إلى الاقتراض في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، وليس ضعف سعيد ولا تهور إسماعيل هما السببين الوحيدين في كارثة الديون التي حلت بمصر في الستينيات والسبعينيات . فالتغيرات التي مر بها الاقتصاد الأوربي خلال تلك الفترة كانت عاملاً مهما في نشوء مشكلة الديون . كان تراكم رأس المال في الغرب ، وضيق مجالات الاستثمار في الأسواق الداخلية يدفعانه إلى البحث عن فرص للاستثمار في الخارج وكان اقراض بلد كمصر يمثل فرصة مزدوجة : فهناك أرباح الديون من جهة ، وهناك المشروعات التي تقام بهذه الديون ، ويسند إلى الشركات الأجنبية إنشاؤها ثم إدارتها من جهة أخرى

والحق أن مشكلاتنا الاقتصادية والسياسية ، التي تبدو داخلية محضة ، لا يمكن أن تتضح لنا طبيعتها وأبعادها إلا من خلال رؤية عالمية . ولكن ...

هل هو نوع من الجبر التاريخي ؟

هل يعني وجود قوى عالمية عاتية تدفعنا في اتجاه معين ، أننا لا نملك إلا ان نسير في هذا الاتجاه ؟

إن دراسة الدكتور جلال أمين لا تؤدى بالضرورة إلى هذا الاستنتاج ، ولكننى أخشى أن يميل البعض منا إليه ، بحكم القانون النفسى المعروف "الخط الأقل مقاومة" ، أو اختيار أسهل الحلول . بل أخشى أن يكون من هذا البعض اقتصاديون ومفكرون وقادة . وقد قرأت منذ وقت غير بعيد مقالة عن ديون العالم الثالث ، تجادل بأن مسئولية الدول الدائنة عن هذه المشكلة لا تقل عن مسئولية الدول المدينة ، وأن العجز الاقتصادى الناشىء عنها لابد أن يضر بالدول الدائنة نفسها ، وإذن فعلى هذه الدول أن تهتم بإيجاد حل مناسب ، يسمح للدول المدينة أن تستمر فى القيام بدورها داخل النظام الاقتصادى العالمى

أى أن الدول الدائنة الغنية قد اشتركت فى خلق مشكلة الديون للدول المدينة الفقيرة . ولكن الدول الغنية هى القادرة على حل هذه المشكلة ، وحاجتها إلى بقاء الدول الفقيرة لا تقل عن رغبة الدول الفقيرة فى البقاء ، كما أن الراسمالية لا يمكن أن تقوم بدون بروليتاريا

وظاهرة الوعى البروليتارى بين الدول المدينة ظاهرة طريفة تستحق التسجيل . فبينما نجد بعض الدول تتنمر وتشهر سلاح «الإضراب» عن دفع فوائد الديون ، نجد الأكثرية ، والأكثر فقرا ، تتودد وتصانع ، لأنها أصبحت معتمدة اعتمادا كليا على الممول الغنى .

أما نحن فى مصر فأخشى أن نغمة «مسئولية الدول الدائنة» تضرب على وتر حساس عندنا : وتر «القدرية» وانتظار الحلول التى تأتينا من حيث لا نحتسب .

وهو وتر لم ينفع فى علاجه قول علماء الدين إن اتخاذ الأسباب واجب على المؤمن ، ولا قول الماركسيين إن الوعى هو العامل الحاسم والمباشر فى حل الصراع الطبقى . وأنى لأنظر حولى فأرى الجماعات الإسلامية تقول بكل بساطة : علينا أن نتبع «منهج الله» ، وسوف تزول المشاكل من تلقاء نفسها ، وأرى الماركسيين يتحدثون عن تناقضات الراسمالية وحتمية الحل الاشتراكى ، فأقول إن مشكلتنا الأصلية التى لن يصلح لنا دين ولا دنيا إلا بالتغلب عليها هى مشكلة «تحرير الإرادة» .

ولكن من « نحن » ؟

بعض كتاب الصحافة القوميين يتكلمون بصيغة الجمع فتلاحظ على الفور أن « نحن » فى كلامهم تعنى المشرعين وواضعى السياسة . وقد لا يستغرب ذلك منهم . ولكن أساتذة الجامعات يكتبون بالطريقة نفسها ، بل إن هذه هى الطريقة المسلوكة فى كل كلام عن القضايا العامة ، مهما كان قائله . أهذا أيضا مظهر من مظاهر تكبيل الإرادة ؟ فالإرادة الحرة تتعامل مع الواقع وتغيره قليلا قليلا ، والإرادة المكبلة تحلم بتغيير شامل .

ناسية أو متناسية الوف العقبات التى تحول دون هذا التغيير . ولو فرض أن هذا الذى يبتكر الحلول من موقع السلطة ، وهو بعيد عنها ، وجد نفسه فعلا فى موقع السلطة ، لظهر عجزه عن اتخاذ أى خطوة عملية فإما قرارات غير قابلة للتنفيذ ، وإما بقاء الأمور على ماهى عليه ، وترك المشاكل تحل نفسها بنفسها ، بالأسلوب

بين الأشياء

القدرى المعهود . لا جرم أننا إذا أردنا تغييرا حقيقيا فيجب أن نتسلح بفهم جيد لآليات التغيير فى الفرد والمجتمع ، ودراسة هذه الآليات هى مهمة علماء النفس وعلماء الاجتماع عندنا ، ولكنها مهمة لا ينهضون بها ـ مع الأسف ـ كما يجب ، لأنهم هم أيضا محتاجون إلى شىء من تحرير الإرادة .

وفى حدود علمنا المحدود ، وقدراتنا الضئيلة ، نتحدث «نحن» عن المشكلات ونقترح الحلول . وما «نحن» إلا عامة الشعب ، الذين لا يملك الواحد منا إلا صلاحيات محدودة داخل دائرة محدودة ، ولكننا بتصرفنا داخل هذه الدائرة المحدودة نجعل بعض القرارات السياسية العليا ممكنة أو غير ممكنة .

الذى أخشاه ، حين أتخذ هذا الموقف ، أن يبدو كلامى شبيها بالوعظ ، وخصوصا حين أتكلم ـ كما أنوى أن أفعل ـ عن عاداتنا الاستهلاكية . و«الوعظ» فى نظر الكثيرين كلمة قبيحة ، لأنها تعنى أن يقول القائل كلاما لا يعمل به ، ولا ينتظر من السامعين أن يعملوا به أيضا ، كما كان الخليفة أو الأمير يستدعى الفقيه إلى مجلسه ويقول له : «عظنى» ، فيلقى الفقيه على مسامعه بعض الأحاديث الشريفة والوصايا والحكم ، وربما كان بليغا فابتكر كلاما من عنده فى ذم الدنيا ولذاتها الزائلة ، وربما أمعن فى ذلك حتى يجعل خليفة مثل هارون الرشيد يذرف بعض الدموع ، ثم يخرج الفقيه راضيا عن نفسه ، وينام الخليفة أو الأمير نوما عميقا ، ويستيقظ كل منهما ليستقبل ما تعود أن يستقبله من شئون يومه .

ولكننى لا أحسبنا قادرين على المضى فى عاداتنا الاستهلاكية التى دأبنا عليها منذ بضع عشرة سنة ، أى فى سنى الرخاء البترولى الطارىء . وليس من الصعب أن نتذكر ماضينا القريب ، عندما كان المصرى العادى يكره التبذير ويرى فيه نوعا من التخنث ، بقدر ما كان يبسط يده عندما تدعوه الشهامة والرجولة إلى ذلك . وما أعجب الإنسان ! أنت تعلم ياصديقى أن هذه الأشياء الصغيرة التى أدخلناها فى حياتنا ، بمحض إرادتنا وبدون حاجة حقيقية إليها ، قد خلقت هى نفسها الحاجة إليها ، واستعبدتنا . تماما مثل التدخين . والذى تعود التدخين فترة ما ثم أقلع عنه يعرف قيمة الشعور بحرية الإرادة ، التى تجعل لذة التدخين تبدو له سخيفة وعبث أطفال .

أنا لا أقول إن تغيير عاداتنا الاستهلاكية ـ بمحض إرادتنا وقبل أن يفرض علينا حرمان أشد ـ يحل مشكلة الديون . هذه سذاجة . ولكننى أقول إنه يوقظ الإرادة الشعبية لحل المشكلة . ولابد عندئذ أن تؤثر الإرادة الشعبية فى اتجاه الحكومة ، ولابد أن تتجاوز الإرادة الشعبية هذا الموقف السلبى ـ رفض البضائع الأجنبية غير الضرورية ـ لتتخذ

مواقف أكثر إيجابية تؤدى إلى مضاعفة الانتاج .

هل نشعر ـ نحن المصريين ـ شعورا كافيا بأن مشكلة الديون هى مشكلة وطنية ؟ أخشى أن الحادث فعلا هو أننا نكبت هذا الشعور ولا نسمح له بأن يؤثر فى سلوكنا ، ولكى لا نظلم أنفسنا يجب أن نعترف بأن سنين طويلة من القرارات الفردية التى تؤخذ بدون موافقتنا ـ وأحيانا بدون علمنا ولكننا نضطر بوسائل البطش والارهاب إلى قبولها وتحمل نتائجها ـ قد علمتنا أن نقف من مشكلاتنا الوطنية موقف المتفرجين . وأنا لا أدافع عن هذا الموقف ولا أقول إنه يعفينا من المسئولية ، ولكننى أصف حالة . وأعتقد أننى لا أتجاوز الواقع حين أقول إن معظمنا يتابعون أخبار الديون العامة ومفاوضات الحكومة مع صندوق النقد الدولى من موقف المتفرج . وعندما نفكر فى المشكلة ـ كأفراد ـ بطريقة جدية فإن سؤالا واحدا هو الذى يعنينا : هل يبقى الدعم أو يلغى ؟

وقصة «التبرع لسداد ديون مصر» قصة جديرة بالاعتبار . فالفكرة ـ رغم سذاجتها ـ تدل على بدء الشعور بأن مشكلة الديون مشكلة وطنية لا تعنى حكومة تبقى فى الحكم سنوات تطول أو تقصر ثم تذهب ، ولكنها تعنى الشعب الذى لا يزول ولا يحل محله شعب غيره . ولكن الطريقة التى قدمت بها الفكرة أوحت بأنها حيلة من جانب الحكومة للتخلص من أهم مشكلاتها بطرحها على كاهل الشعب دون تمييز بين غنى وفقير ، وعامة الشعب يعلمون كما تعلم الحكومة أن الثروات الضخمة التى توجد فى البلد الآن ـ والتى يمكنها بالفعل أن تتحمل عن الحكومة المنهكة جانبا ، على الأقل ، من عبء الدين العام ـ إنما توجد بأيدى أناس جمعوها بأشد الطرق أنانية وأبعدها عن الشعور بالمسئولية الاجتماعية .

لهذا كانت الحصيلة كسرا ضئيلا من الفائدة السنوية التى تدفع لـ «خدمة» الدين ، وبقى كل من الشعب والحكومة حيث هو · هذا يتفرج ، وهذه تسعى للبحث عن حلول مؤقتة لأنها لا تملك غير ذلك ستحل ، مشكلة الديون ؛ فليس ثمة مشكلة يمكن أن تبقى بدون حل .

ولكن السؤال هو : هل تحل بصندوق دين جديد ، أو تحل بإرادة الشعب ؟ الحل الأول معناه أن **نبقى فى دائرة التبعية** وإن تغير **نوعها** . **والحل الثانى** معناه أن ننجح **فى اختراق** الشبكة التى يحكم **ربطها حولنا** .

وقد يبدو أن الحل الذى نقترحه لا يقل خيالية عن فكرة «التبرع لسداد ديون مصر» . فتغيير العادات الاستهلاكية عملية بطيئة وضعيفة الأثر . ولكننى أقول لك إن هذا ليس حلا ولكنه بداية الحل ، الذى يكمن فى تحقيق الاستقلال الحقيقى وبناء العزة الوطنية ، وهو حل يتجاوز مشكلة الديون بحيث يمحوها محوا .

وأقول لك ثانيا إن هذه البداية المتواضعة ـ كهذه الغاية المرموقة ـ أمر يملكه الشعب ولا تملكه الحكومة ، بل إن الحكومة لا يمكنها أن تتناوله إلا بحذر ، فهى تستطيع أن تشجع ولكنها لا تستطيع

أن تمنع ، لأن الدول الصناعية الكبرى تتمسك بحرية التجارة ، وكثيرا ما تلجأ إلى تهديد الدول الصغرى إذا حاولت أن تضع قيودا شديدة على وارداتها

ثم إني أضرب لك مثلا !

هب أن أمامك شجرة عاتية وخبيثة كشجرة الزقوم ، وتريد أن تسقطها ، فهل تمسك بفأس وتضرب في جذعها المتين ، حتى ترتمي على الأرض إعياء ويأسا ؟

أم الأولى أن تحفر حول أصلها لتمنع عنها الماء والغذاء ، حتى تسقط من عليائها ؟

كل شيء يبدأ من الجذور ،

وأمامنا مثل اليابان

وما أكثر ما نتمثل باليابان ولا نفعل فعل اليابان !

ما سر الأزمة بين الحكومتين الأمريكية واليابانية ؟

معلوم أن هناك فائضا ضخما في الميزان التجاري بين أمريكا واليابان ، لصالح اليابان بالطبع . (يبلغ هذا الفائض ثلاثة أضعاف فائض الدول الخليجية البترولية مجتمعة !) ولا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنع استيراد السلع اليابانية لأن هذه الخطوة تنافى مبدأ حرية التجارة الذى تدعو إليه أمريكا

إذن فلا حل إلا أن تستورد اليابان من أمريكا بقدر ما تصدر إليها أو أكثر ، حتى يستنفد ذلك الفائض .

ومثل هذه المشكلة قائمة أيضا - وإن بطريقة أقل درامية - بين اليابان ودول السوق الأوربية .

وأعتقد أن «الحكومة» اليابانية ما كانت لتمانع في حل المسألة بالكيفية التي ترضي الصديق الذى ما من صداقته بد . ولكنها لا تستطيع

فكما أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تمنع شعبها من شراء البضائع اليابانية ، فحكومة اليابان لا تستطيع أن تجبر شعبها على شراء البضائع الأمريكية !

كل من زار اليابان أو عرف شيئا عن طبائع الشعب الياباني يحدثك بأن هذا الشعب يكره استعمال البضائع الأجنبية . عادة متأصلة فيه ، تغذيها العزة الوطنية ويدعمها الذكاء والمهارة والنشاط . شعب لا يستريح حتى يعلم ما لم يكن يعلم ، ولا يكتفي بالعلم حتى يحول علمه إلى الإبداع فيزيد على ما اقتبسه من غيره ، ولا يكتفي بالعلم والإبداع حتى ينشر ما أبدعه في مشارق العالم ومغاربه ، حاملا شارة «صنع في اليابان» .

مشكلة الديون مشكلة هينة إذا صدق عزم الشعب والحكومة مجتمعين على حلها . وشاعرنا القديم يقول :

ولا يحسبون الخير لا شر بعده

ولا يحسبون الشر ضربة لازب

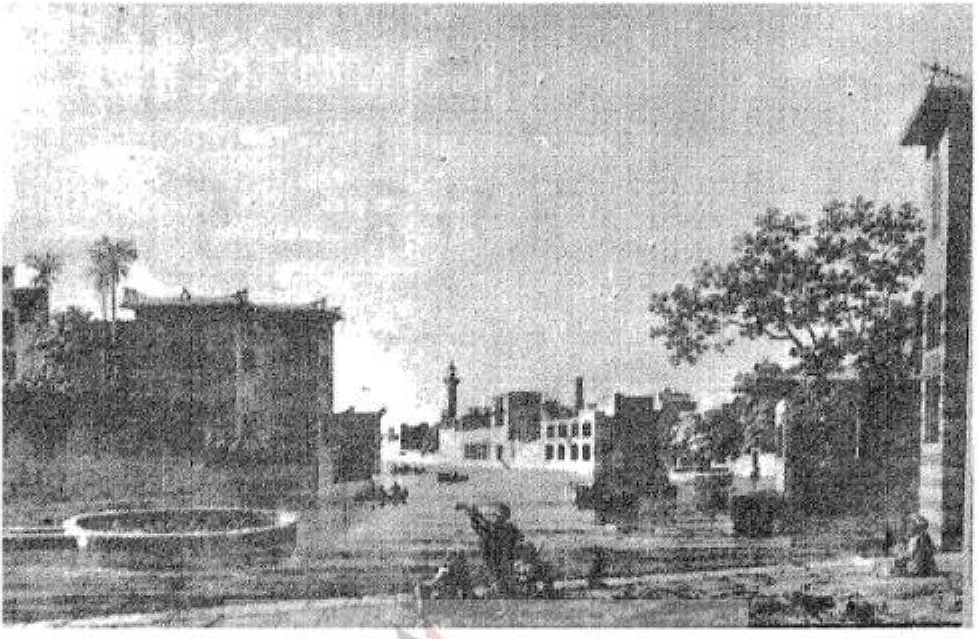
السّادات في بركة الفيل

بقلم : محمد سيد كيلاني

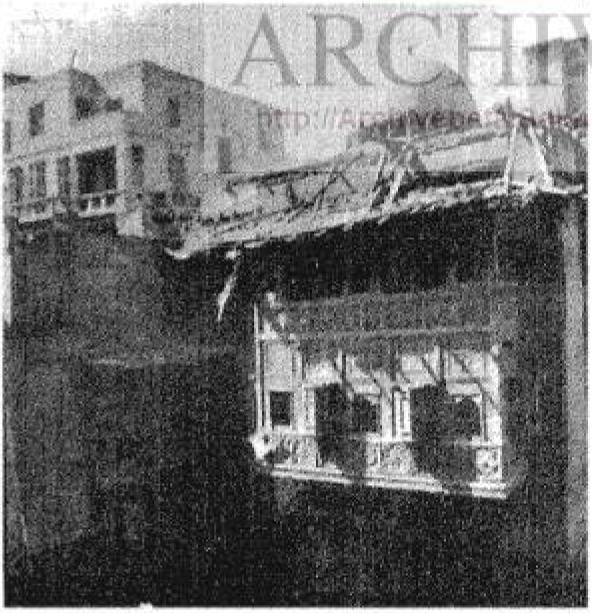
على مساحة متسعة من الارض المطلة على بركة الفيل اقيم قصر ضخم فخم حوى من انواع الترف والوان النعيم شيئا كثيرا ومن الخدم والحشم والجوارى والعبيد عددا كبيرا ، ومن الجياد العربية الاصيلة ذات السروج المزركشة بالفضة والذهب ما يخلب الالباب ويأخذ بمجامع القلوب ، ومن الازهار والرياحين ماتطيب به النفس حينما يصل اليها عبيره ، ويرتاح الخاطر عندما يسرى اليه نسيمه ، هذا الى جانب مكتبة حوت عددا كبيرا من كتب الادب والتاريخ وعلوم الدين .

فى هذا القصر كان يعيش الشيخ محمد ابو الانوار شيخ السادات كانه ملك مستقل ، لا سلطان لاحد عليه ، بل كان الوالى العثمانى يهابه ويلتمس رضاه . وكانت الدولة العثمانية قد منحته اقطاعا واسعا فى ناحية زفتى وفى جهات اخرى واعفته من دفع كافة انواع الضرائب فكانت الاموال تتدفق عليه من كل جهة . واتفق ان احد كبار الموظفين توقف معه فى امر فاستدعاه الى قصره ولعنه واهانه وكشف رأسه وضربه بزخمة من الجلد ، ولم يراع مقام سيده الذى هو امير البلد .

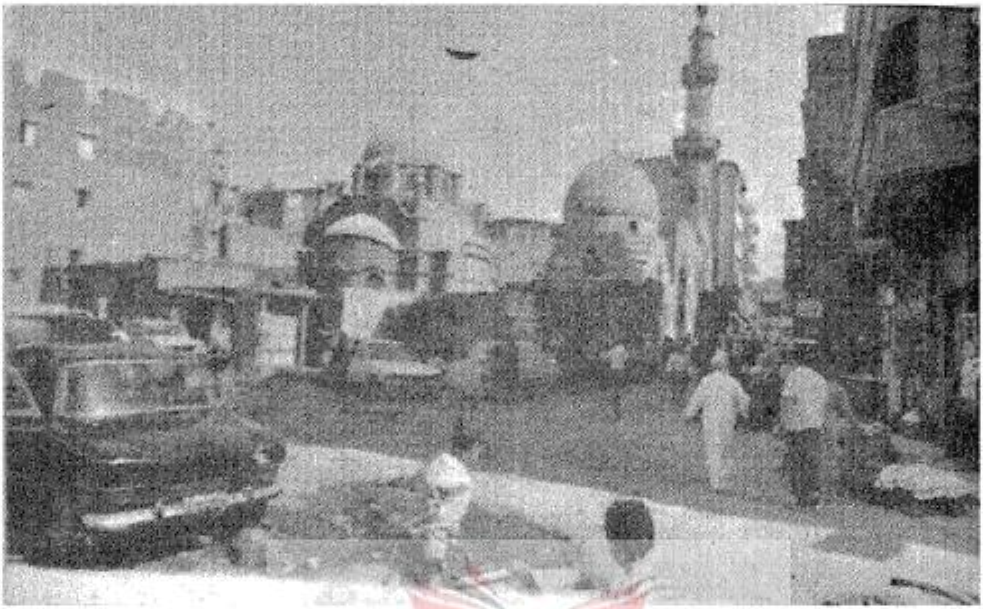
وحدث ان جماعة من الناس التقوا فى منزل احدهم ، واخذوا يسخرون من بعض الكبراء ، ويقلدونهم فى حركاتهم وطريقة كلامهم ، ومن ضمن من سخروا بهم شيخ السادات . فلما بلغه ذلك استدعاهم واحدا بعد واحد واهانهم وضربهم ضربا موجعا . قال الجبرتى : فكان من حين الى حين يقع فى بيته الضرب والاهانة لافراد من الناس ، وكذلك فلاحو الحصص التى حازها والتزم بها ، فانه زاد فى خراجهم ، وفرض عليهم زيادات كان يحبسهم عليها شهورا ويضربهم بالكرابيج وبالجملة فقد



بركة الفيل كما صورها الفنان الفرنسي مع مطلع القرن التاسع عشر



بيوت أثرية في بركة الفيل تحاصرها العمارة الحديثة



الوجه المعاصر من بركة الفيل، بعد أن أصابه الكثير من التسرهل

قلب الموضوع وغير الرسم المطبوع ، بعد ان كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد صار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة ويتحاماه الناس من جميع الاجناس » ــ

واتخذ لنفسه قاعة على مثال قاعات العرش فى القصور الملكية واطلق عليها « أم الافراح » قال الجبرتى انها مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشانى الصينى بجميع حيطانها والرخام الملون وأنشأ بجوار بيته مسجدا ليصلى فيه ، وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاظمه على السعى الكثير والاختلاط بالعامة وانشأ بستانا كبيرا وغرس به الاشجار والرياحين والثمار • وأفنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتأنق فى المآكل والمشارب والملابس واستخراج الادهان والعطريات والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة » •

● المهدى المنتظر

وقد شاعت فكرة فى هذا العصر

السادات في بركة الفيل

ان هذا الشيخ الذى يحيط به الترف من كل ناحية هو المهدى المنتظر الذى سوف يملأ الدنيا عدلا ورحمة بعد ان ملئت جورا وقسوة . قال أحد الشعراء

اذا لم يك المهدى هذا تيقنوا
ببطلان ما قد يزعمون فلا مهدي

فان لم يكن أبو الانوار هو المهدى الذى ينتظره الناس . فلا مهدى اذن على الاطلاق

وقال اخر من قصيدة داعيا الشيخ لينهض ويطهر المجتمع من كل ما يخالف الشرع الشريف ومحرضا له على الثورة فى وجه الدولة العثمانية ؟

فقم يا أبا الانوار لله حسبة
فانك فى كل الامور المظفر
وكن واثقا بالله معتصما به
على ثقة بالفوز والله ينصر
فانك داعى الحق ، والحق دافع
لباطلهم وهو الزهوق المتبر
وانك مهدى الزمان فلا تدع
بمصرك شيئا ماله الشرع ينكر

وصوره فى صورة ملك تدين له الملوك .

ملك تدين له الملوك وسيد
ورث العلا عن سادة أطهار

وقال اخر :

لولا انحصار الملك فيكم لم تكن
فى بابكم كل الملوك عبيدا

واسندوا اليه علم الغيب . قال أحدهم

له قلم بعلم الغيب يجرى
وبالارزاق والقدر المتاح

وزيارة شيخ السادات فريضة كالحج ، بل اكثر . قال احدهم

والحج مفروض علينا مرة
ولبيتهم عدد من الكرات

وكانوا يذكرون اسمه كما يذكرون اسم النبى محمد عليه السلام . مثال ذلك :

سريرته كسيرته وأسمى
فياحسناه اذ يعني ويقصد
فذاك السيد السند المفدى
أبو الانوار سيدنا محمد

الشيخ السادات بريشة رسامى الحملة الفرنسية



واتخذ له وزيرا اسمه الشيخ ابراهيم السندوبي . وبذلك جمع في قصره كل شارات الملك وقد سخر الشعراء والكتاب ومنهم مرتضى الزبيدى ذو الكلمة المسموعة اذ ذاك لتمهيد الاذهان للانفصال عن الدولة العثمانية وقيام حكومة شيعية في مصر او خلافة على رأسها خليفة قرشي . وربما كان حرصه على جمع الاموال والاكثار من العبيد والمماليك يخفى وراءه غرضا بعيدا ، وهو الرغبة في الاستيلاء على مقاليد الحكم . وعلى ضوء هذا نستطيع ان نفهم قول الجبرتى ... « وصار – يعني شيخ السادات – يلبس قاووقا بعمامة خضراء تشبيها باكابر الامراء ، وبعدا عن التشبه بالمعممين والفقهاء والمترفين » وقد كانت احوال الدولة العثمانية في ذلك الوقت مضطربة كل الاضطراب، والثورات تعصف بها ، والحركة الوهابية على اشدها ، اضف الى ما تقدم ان نفوذها في مصر كان قد تلاشى تماما في تلك الفترة ، وكان امراء المماليك يهابونه ويخضعون لاوامره خضوعا تاما ، ولكن قدوم الحملة الفرنسية وما تلاها من الحوادث التي انتهت بتولى محمد على حكم مصر قد قطع عليه احلامه، وسد كل طريق امامه .

***

وكانت لشيخ السادات مواقف مشرفة في مواجهة الفرنسيين . فحين اعتقل بونابرته ابن القاضي التركي وحبسه في القلعة ، تشفع المشايخ عنده ليطلق سراحه . وكان الشيخ حاضرا فضم صوته الى صوت العلماء واضاف قائلا « انكم تقولون دائما ان الفرنساوية احباب العثمانية ، وهذا ابن القاضي من طرف العثماني ، فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة » فغضب بونابرته من كلام السادات واستدعاه الى مجلسه وعاتبه ولامه وحجزه مدة من الليل ، واخيرا اطلق سراحه وامره بالانصراف الى منزله .

ولما نشبت الثورات ضد الفرنسيين وقف الشيخ ابو الانوار الى جانب الثوار ولكن الفرنسيين نجحوا في اخماد تلك الثورات ، وقبضوا على الشيخ واجروا عليه انواع التعذيب والاهانة وصادروا املاكه والزموه بدفع غرامة كبيرة وقد ظل محبوسا في القلعة الى ان قتل كليبر وخلفه مينو فافرج عنه بعد ان دفع الغرامة المفروضة والزموه بأن يظل في بيته ولا يخرج منه الا باذن منهم .

ولما جلا الفرنسيون عن مصر عوضته الدولة العثمانية عن خسائره الكثيرة التي اصابته من المحتلين . فاستعاد بعض ثروته ولكنه مالبث أن توفى اوائل حكم محمد على ، فاستولى هذا على كل ما تركه الشيخ من اموال واطيان

وبعد موته تفرق عنه عبيده ومماليكه وخدمه . وقد حمل بعض هؤلاء العبيد لقب « الساداتى » ومازال بعض احفادهم يعيشون بيننا الى الان . وقد ورثوا عن سيدهم الكبير حبه لجمع المال والاكثار منه . وحبه لحياة الترف والنعيم . وميله الى التأنق في الاكل والشرب والملبس .

كان ياما كان

أتاتورك وطربوش السفير المصري

بقلم : د. محمد حرب



الملك فؤاد الاول

كمال اتاتورك



بموجب معاهدة لوزان (١٩٢٣م) تنازلت تركيا عن ادعاءاتها في مصر والسودان وبعد ذلك اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وتركيا على مستوى السفراء . ثم لما الغيت الخلافة عام ١٩٢٤، وظهر من يقول بان الملك فؤاد ملك مصر ، يفتح احضان بلاده امام كل الهاربين من تركيا سواء من الاسرة المالكة العثمانية ، أم من الذين سموا بالمائة والخمسين وهؤلاء طردهم اتاتورك ايضا من تركيا ، ومن ضمن هؤلاء الاخيرين شيخ الاسلام مصطفى صبرى صاحب كتاب موقف العقل .



روز اليوسف — العدد ٢٥٤

...بوش وزيرنا المفوض فى أنقره ؟

الغازي يتكلم بشدة ويأمر الخادم برفع الطربو...

نكتب هذه الكلمة فى صباح يوم الاربعاء ولا يزال معالى وزير الخارجية يقتل شاربه ويدرس مذكرة الحكومة التركية ، فلا نعرف والحالة هذه فحوى هذه المذكرة ولا الرأى الذى استقرت عليه حكومتنا وما اذا كانت تعتزم أن تبعث أولا الى وزيرنا فى أنقرة طربوشا جديداً بدلا من الطربوش المهان !

ولقد كانت الصحف عندما ذاع خبر هذه الحكاية ... كانت الصحف أذاعت أن الغازى مصطفى كمال اعتذر عقب الحادثة مباشرة لعبد الملك بك حمزة وزير مصر المفوض ، وأن وزير الخارجية التركية ذهب اليه وكرر الاعتذار .

وقلنا نحن أن شيئا من هذا لم يقع وأن ... لم يعتذر ، وأن وزير خارجيته لم ... وأن كل ما حدث هو أن وكيل ... التركية ذهب الى عبد الملك حمزه ... بكلمتين ...

... الى الآن حتى اليوم ... الصحافة التركية ...

عيد الجمهورية . ولا شك أن الذين خارج تركيا بعد الحرب العظمى والجهود الجبارة الخارقة التى بذلها مصطفى كمال لانقاذ وطنه من الهاوية ورد كرامته عليه بعد أن مزقتها معاهدة سيفر ... لا شك انهم يفهمون ابتهاج الغازى وحماسه بل ويقدرون نخامته اذا كان قد ذهب فى حماسه الى حد غير مألوف

من ذلك أن فخامة الغازي الذى يجيد أكثر من لغة أجنبية واحدة أبى فى تلك الليلة أن يتكلم — حتى الضيوفه من وزراء ...

... على الوزير المفوض ... ودعا فخامته قرينة سفير ... ولكنها اعتذرت لانها تجهل ... ذلك فقد رفض فخامته أن ... ورقص معها .

ويأتى الآن دور طربوش ... فقد طلب الغازى من عبد ... أن يرفع طربوشه ، وتردد ... فى اجابة الطلب ... وهنا ... وجه الغازى والتفت ...

نجاح ...

فى سراية ...

القول الفرنسى — بغير اللغة التركية ...

وعندما الغى اتاتورك ارتداء الطربوش وغيره من اغطية الرأس وفرض القبعة بديلا ، اصدر قانونا بهذا سماه قانون القبعة وكان عام ١٩٢٥ م

وفى عام ١٩٣٠ ، تم تعيين عبد الملك حمزه بك سفيرا لمصر فى انقرة ، وظل يرتدى طربوشه فى انقره مدة عامين كاملين منذ تقديمه لاوراق اعتماده لاتاتورك فى نوفمبر من نفس عام تعيينه ، حتى يوم الاحتفال بالعيد الوطنى التركى فى اكتوبر ١٩٣٢ ، وكان اتاتورك قد اقام مأدبة رسمية مساء فى انقرة بالاس اعقبها حفل راقص حضره اعضاء السلك الدبلوماسى الاجنبى فى تركيا . وكان المدعوون كثيرين (٢٠٠ شخص) . وكان اتاتورك يأكل قليلا ويشرب بشراهة . انتهى الحفل عندما قام اتاتورك واقفا ، وشرب كأسا فى « سبيل وحدة الانسانية » ومر اثناء خروجه بجانب السفير المصرى الذى كان يرتدى الطربوش، وكان الطربوش فى ذلك الوقت رمز الوطنية والاستقلال فى مصر .

يروى السفير الانجليزى فى انقرة وقتها ، وهو سير جورج كليرك ، المسألة كالاتى : (اتاتورك (للسفير

المصـــــرى) : قل للملك ، اننى انا مصطفى كمال ! واننى اصدرت أوامرى لك ، بأن تخلع هذا الطربوش من على راسك ، من الآن) .

ونادى مصطفى كمـــال اتاتورك ، جرسونا .. السفير المصرى يخـــلع طربوشه .. يعطيه للجرســـــون .. الجرسون يأخذ الطـــربوش ، ويختفى بين نظرات الدهشة فى اعين المدعوين .. سفير مصر ينسحب حـــزينا ، من من المكان فورا .

ويقول السفير الفـــرنسى الذى كان حاضرا ايضا الحفل وهو الكونت دى شاميرون : (كان أتاتورك ينظر بين الفينة والفينة بنظرات سخـــرية الى السفير المصرى ..) .

وفى اليوم التالى للحفل ، اعتذر توفيق رشدى بك للسفير المصرى بشأن ما حدث من أتاتورك . وعلل وزيـــر الخارجية التركية الحادث تعليـــــلا اخويا اذ قال : (ان ما حـــدث كان حديثا وديا بين اتاتورك وسفير مصر ، وان السفير خلع طربوشـــــه بارادته حتى يتحدث براحة مع اتاتورك) .

لكن وزير الخارجية المصرية عبـــد الفتاح يحيى باشا ، صرح بقوله (ان اتاتورك قال بشكل قاطع لسفير مصر فى انقرة بان يخلع طربوشه . ولما لم ينفذ السفير هذا ، اصـــدر الاتاتورك آمره الى احد الخدم ليخلع الطربوش من على راس سفير مصـــــر ، فرأى السفير ان يخلع بنفســـــه الطربوش وامام هذا الموقف غير المتوقـــع من اتاتورك وجد الســــفير المصرى ، ان يترك القاعة) .

وفى ١١ نوفمبر نشـــرت الديلى هيرالد الانجليزية خبرا يقول (تسبب الطربوش فى قيام مشـــــــادة بين الديكتاتور التركى مصطفى كمال وبين السفير المصرى فى انقرة حمـــزة بك امر مصطفى كمال ، الســـــفير ، بأن يخلع طربوشه .. وغادر الســــفير القاعة فورا .. واعتـــــذر رئيس الجمهورية التركية بعد ذلك رســـميا للسفير ، وقبل السفير اعتذار الغازى (مصطفى كمال) لكن الحادث انتشر فى مصر واحدث رد فعل عنيف) . ولم تذكر الديلى هيرالد مصدرها ..

وفى ١١ نوفمبر ١٩٣٢ ابرقت رويتر بالخبر الى مصر ، فعرفته مصر لاول مرة ، ونشرته الاهرام . وكذبته وكالة انباء الاناضول ، ونشـــرت الصحف المصرية هذا التكذيب .

لكن حزب الوفد ـ وكان فى المعارضة ـ اراد استغلال الحادث ، وضـــخمه فقالت جريدة البلاغ الناطقة باسمه : (ان هذا الحادث اهانة لمصر ، وانها لاهانة ان يقوم شـــخص لا يملك حـــق توجيه الامر لمصر ، اصدار الامر الى ممثل مصر ، وهو موضـــــع الاحترام حسب قواعد القانون الدولى) .

قالت البلاغ الوفدية أيضا : (هل كان من الواجب اعتذار مصطفى كمال اتاتورك ، للسفير ، ام لمصر ؟! وهـــل من حق السفير قبول الاعتـــــذار دون الرجوع الى مصر أولا . ان قبـــــول عبد الملك حمزه بك اعتذار اتاتـــورك معناه انه جاوز حدود صلاحيـــــاته كسفير) .

اراد الملك فؤاد تضخيم المســـألة ، حتى وصلت الى مذكرة تهديد بسحب البعثه المصرية الدبلوماســـــية من انقرة .

وقالت اللطائف المصورة : (لقد تدخل اتاتورك فيما لايعنيه) وقالت: (المصريون احرار يرتدون فوق رءوسهم ما يريدون) و (ان الشعب المصرى الحر ، يريد ان يعرف - وهو محق فى هذا - ماذا سيتم فى مسألة الطربوش) •

واستخدمت روزاليوسف الكاريكاتير ضد اتاتورك ، لكن جريدة المقطم المصرية كانت فى صف اتاتورك ، ووصفته برقة التعامل ، وقالت المقطم ان ليس هناك مشكلة اصلا •

وترددت اسئلة فى انقرة عقب ذلك لماذا خرج هذا الخبر من لندن ، ولم يخرج من مصر ؟ وما هو هدف الصحافة المصرية من اذاعة الخبر وتضخيمه ، ومادور الاوساط السياسية الانجليزية فى هذه المسألة؟! ولماذا لم تذكر الديلى هيرالد التى كانت اول من اذاع النبأ ، مصدرها الذى استقت منه الخبر ؟!!

وقال عاصم اوص (ان الملك فؤاد يريد الاضرار بالاقتصاد التركى فى مصر ، لذلك اختلق هذه الحادثة حتى يفسد - علينا - نحن الاتراك - الدخان التركى ، والتفاح التركى)

وذهب بعض الاتراك الى (ان المعتمد البريطانى فى مصر استخدم نفوذ بلاده فى مصر ، لكى يغير الجو ويكهربه بين مصر وتركيا) ونشرت الاهرام ان ليس بين البلدين مشكلة وانتهى الامر بتقديم مذكرة مخففة من الخارجية المصرية الى الخارجية التركية ، تقبلها الاتراك بقبول حسن، وانتهت المشكلة •

فى حوار بين اتاتورك والسفير المصرى حمزه بك،فى حفل راقص اقامه الهلال الاحمر التركى بمناسبة عيد رأس السنة ، استدعى اتاتورك ،حمزه بك - وكان حاسر الرأس بغير طربوش - الى جانبه ، ودار الحوار بينهما على الوجه الاتى :

اتاتورك : (باستهزاء بالغ) لماذا لا تلبس الطربوش ؟

حمزه بك : (مندهشا) ••

اتاتورك : لماذا كتبت عنى تقريرا الى حكومتك ؟

حمزه بك : •••••

اتاتورك : اذا لم ترتد الطربوش فى حفل ٢٩ اكتوبر القادم ، فانى انا الذى ساكتب عنك تقريرا وارسله الى حكومتك ، اقول فيه انك لا ترتدى الطربوش •

حمزه بك : •••

عبر اتاتورك فى هذه اللحظة عن حبه لحمزه بك وللملك فؤاد ، وقال للسفير ان المذكرة المصرية الثانية احدثت فى تركيا ارتياحا ، وبالتالى فان المشكلة انتهت •

وصدر بيان الحكومة فى البرلمان المصرى ٢٣ يناير ١٩٣٣ بأن لم تكن هناك مشكلة ، وان العلاقات طيبة بين البلدين •

وعندما مات الملك فؤاد فى ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ارسل اتاتورك برقية تعزية الى الملك فاروق ، وقدم سفير تركيا فى مصر اكليل زهور باسم اتاتورك فاق كل ما قدمه السفراء الاخرون •

وبمقدم الملك فاروق ، بدات صفحة جديدة من العلاقات المصرية التركية، ففى السابع من ابريل عام ١٩٣٧ وقعت معاهدة الصداقة المصرية التركية •

لغويات

● الأدباء الفصحاء لا يستعملون الفعل : « زغزغ ·· يزغزغ » ويستعملون بدله : « دغدغ ·· يدغدغ » ·· ولكن الدغدغـة والزغزغة بمعنى واحد فى اللغة ، واللفظـــان فصيحان ، الا أن معنى الفعـــل « زغزغ » قد تطور على الالسنة واخذ معناه الخاص ··

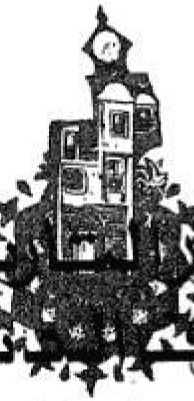
● « المقطف » بفتح الميم وتسكين القاف وفتح الطاء ، وهو موضع قطف الثمر من الشجر ·· استعار الناس هذه الكلمة للوعاء الذى توضع فيه الاثمار المقطوفة فسموه المقطف ، ثم اتسعوا فى معناه فصـــار المقطف عندهم ما يملأ بالثمـــر او بالتراب او بالرمال ·· وفى المعنى « الأصلى » للمقطف قال بعض البلغاء يصف بستانا : « لكل عين فيه منظر ، ولكل يد منه مقطف ، ولكل فم منه مذاق » !

● الناس فى بلادنا يطلقون على أولادهم الآن اسـم « تامر » تشبها بأسماء الأولاد فى البلاد البترولية ·· والتامر هو صاحب التمر أو البلح ، فاذا كان معه صاحب لبن او بائع لبن فهذا « لابن » ·· وهو اسم معروف فى البلاد البترولية ايضا ·· وقديما قال الشاعر :

وغـــررتنى وزعمت انـك
« لابن » فى الصيف « تامر »

● يقول العامة : فلان يقبص ـ بالصاد ـ الشىء باصابعه ، فيخطئهم بعض المتأدبين ويقولون : فلان يقبض ـ بالضاد ـ وقد أصابت العامة واخطأ أولئك المتأدبون ، لأن « القبص » يكون باطراف الاصابع ، ويكون « القبض » بالكف وهى مقبوضة ، فـــاذا فتح الرجل كفه واخذ فهـو « يحفن » لأن الحفن بالكف والراحة مفتوحة قليلا ·

● فى الاردن بلدة اسمها « معان » بفتح الميم ، يختلط اسـمها عند بعض الناس باسم مدينة عمان ـ العـــاصمة الأردنية ـ ويختلط احيانا باسم سلطنة عمان ! ·· ومعنى «معان» : المنزل ، ·· وهذا المعنى هو الذى أعطاها اسمها منذ نزلها العرب من قديم ··



الجذور التاريخية للتطرف الدينى

بقلم : د. محمود إسماعيل

كثر الجدل حول الأصول المرجعية للجماعات الدينية المتطرفة ، فمن قائل بردها إلى الخوارج أو إلى غلاة الشيعة بينما تذهب هذه الجماعات نفسها إلى أصولها المستمدة من القرآن والسنة فضلا عن الدعوة السلفية التى أصل لها الإمام ابن تيمية .. وفى كل الأحوال يجرى تأويل النصوص الدينية واعتساف هذا التأويل بما يخدم غرض كل من عرض لاستقصاء جذور هذه الجماعات . وفى كل الأحوال أيضا يشكل "المنهج الانتقائى" حجر الزاوية إذ يستباح التراث والتاريخ الإسلامى معا لمزاعم هؤلاء وأولئك .. والحصاد النهائى لتلك التحليلات مزيد من طمس الحقائق ..

ومن هنا تبرز أهمية المنهج فى وضع الأمور فى إطارها الصحيح . ذلك أن المنهج هو الوسيلة بين الحقائق باعتبارها وقائع عيانية وبين تحويلها إلى صور منطقية ترسم فى العقل . ومن هنا أيضا تبرز قيمة "التاريخانية الاجتماعية" كمنهج ورؤية أيضا لدراسة ورصد وتحليل وتفسير ظاهرة التطرف الدينى باعتبارها حقيقة اجتماعية واقعية من جهة وباعتبارها نشأت وتطورت نتيجة معطيات موضوعية فى المكان والزمان .

لذلك نلح فى الدعوة للحوار على تناول "إشكالية المنهج" لأنه ـ فى تقديرى ـ لو حسمت هذه الإشكالية أمكن حسم الكثير من القضايا الخلافية حول الموضوع .

إن ظاهرة التطرف الدينى ظاهرة شهدتها المجتمعات الإسلامية منذ صدر الإسلام حيث نشأت الفرق والمذاهب

الجذور التاريخية للتطرف

عاكسة صراعا اجتماعيا وارتبط التطرف والاعتدال حول المسائل الخلافية بالعوامل الجغرافية وصيرورة التطور التاريخى الاجتماعى . لذلك تباينت المواقف وتباينت بالتالى التأويلات للنصوص الدينية بما يخدم أهداف القوى المتصارعة .. وشكل كل ذلك "ثقافة تاريخية" عكست فعاليتها على ذات القوى إبان تطور المجتمع الإسلامى فى الحقب التالية وحتى اليوم

ونلاحظ انطلاقا من تلك الرؤية حقيقة هامة ـ أرجو أن تنال حظها من الحوار ـ وهى ارتباط ظاهرة التطرف الدينى خصوصا والفكرى بوجه عام بالصراع بين البورجوازية والاقطاع . إن جدلا طالما اثير ومازال يثار حول تلك المنظومة التى تشكل فى قناعتنا ـ حجر الزاوية فى حركة التاريخ الإسلامى العام . وإذا ما سلمنا بصحتها ـ أو على الأقل وجاهتها ـ تقف دون لأى على حقيقة ارتباط ظاهرة التطرف بسيادة النمط الإقطاعى .. بينما تذوب وتذوى هذه الظاهرة فى أحضان الصحوات البورجوازية المحدودة التى شهدها العالم الإسلامى . إن طغيان ظاهرة التطرف الدينى وهيمنتها على معظم قرون التاريخ الإسلامى ترجع بالتالى إلى "أزمة البورجوازية الإسلامية" وعدم نجاحها فى إنجاز ثورة بورجوازية كاملة تسفر عن حركة إصلاح دينى إذا ما جاز لنا الأخذ بمنهج المقارنة بصيرورة التاريخ الأوربى . ولعل الأخطار الناجمة عن هزال البورجوازية الإسلامية هى التى جعلت مفكرا فذا مثل ابن خلدون يحملها مسئولية انهيار الحضارة الإسلامية أو "خراب العمران" على حد قوله .

إن غلبة التقليد والسلفية والإتباع ورواج الصوفية المشعوذة قرينة على تسلط النمط الإقطاعى وسيادته مسرح التاريخ الإسلامى ومحصلة من محصلاته . إن هذا يدفعنا أن نقرر بأن أزمة التطرف هى بالضرورة أزمة واقع قبل ان تصبح أزمة تفكير ..

● ظواهر التطرف

والحقيقة الثانية ـ التى نود إبرازها ـ ونطرحها بالمثل للحوار ـ هى ما اصطلح على تسميته باسم "سوسيولوجيا الدين" .. وهنا تلعب الأبعاد الجغرافية دورا محوريا باعتبارها تلعب ذات الدور فى الأساس "السوسيو ـ اقتصادى" .. فليس جزافا أن تتسم المجتمعات ذات الموقع المنفتح والتضاريس السهلية ووديان الأنهار الفيضية بدور هام فى توجيه "قوى الإنتاج" وبالتالى فى تخليق عقائد ومعتقدات وأخطار ورؤى معتدلة متسامحة خصبة ومعطاءة . وعلى العكس شهدت المناطق "المنغلقة" طبيعيا والمتطرفة مكانيا والجبلية والرعوية مزيدا من ظاهرات التطرف والتقوقع والتحجر الدينى والفكرى ، كما أنها كانت مستودعا للهرطقات وأدعياء النبوة والتأثر بالمعطيات العقائدية القديمة . لم يكن جزافا أن تشهد مرتفعات الشام والهند وأطارف المغرب الأقصى مثل تلك النزعات المتطرفة بل وتحتفظ بها إلى الآن .

أما الحقيقة الثالثة فتكمن فى دور "النظم السياسية" التى ترجع بدورها إلى تاثير المعطيات السوسيو - اقتصادية . فمراحل الصحوات البورجوازية المحدودة على مسرح التاريخ الإسلامى افرزت نظما أقرب ما تكون إلى "الديمقراطية" . نظما مستنيرة نهلت من الثقافة بمنابعها الواسعة والعميقة فانفتحت على التراث القديم والوافد وواءمت بينهما وبين الاصول الإسلامية . بل شجعت وتبنت حركات علمية - كحركة الترجمة مثلا - وشجعت العلماء وتميزت بالعقلانية . وبتأثير الرخاء الاقتصادى خففت من غلواء التطرف واثر عنها التسامح . ألم يكن رؤساء الملل والنحل يتحاورون فى بلاطات بغداد العباسية وقرطبة الأندلسية والقاهرة الفاطمية دون تعصب أو جمود ؟. هذا بينما صادرت "النظم الإقطاعية" - وخاصة العسكرية - على الليبرالية وتشبثت بالنصية وروجت للطرقية الغيبية .. وفى ظلها سادت الصراعات المذهبية والطائفية وسالت الدماء أنهارا انطلاقا من رؤيتها الضيقة واذكائها نزعات التعصب الأعمى . ألم يتفاقم الصراع بين الحنابلة والأحناف والشافعية والزيدية والسنة والشيعة عموما .. الخ فى ظل "عسكرتاريا" السلاجقة وسلاطين الهند الغزنويين والغوريين وجفاة المرابطين فى الغرب الإسلامى ، ألم يتعرض أهل الذمة - الذين اعترف بإسهاماتهم الفكرية وأتيحت لهم الحرية فى ظل الحكام المتبرجزين - إلى العسف والمصادرة وسفك الدماء فى عصور العسكر الأيوبيين والمماليك ؟ ومن قبل الأمويين ؟.. ألم تتفشى الطرقية الصوفية فى العالم الاسلامى بأسره فى ظل "عسكرتاريا" المماليك ومن بعدهم العثمانيين ؟

صفوة القول - أن الصلة وطيدة بين التطرف وبين نمط الإنتاج الإقطاعى ، كما أن الاعتدال قرين سيادة البورجوازية . ومن ثم تبرز مقولة "سوسيولوجيا المعرفة" حتى لو تعلق الأمر بالمذاهب والعقائد بالملل والنحل . كما أن المعطيات الجغرافية وطبيعة النظم السياسية تعكس ذات المقولة .

● مكانة خاصة للدين

وبتطبيق ذات المنهج وذات الرؤية على مصر والمصريين نلاحظ الآتى :

اولا أنه بفضل تلك المعطيات اتسم الدين فى مصر بمكانة خاصة . وكان له دور إيجابى طوال تاريخها .. كما أن رصيدها الحضارى الضخم نأى بها عن "التطرف" وغيره من الظواهر المرضية . بل شكل الدين عامل بناء حضارى وحافزا على تبنى رسالة حضارية ذات طابع عالمى . ألم يبزغ فجر التوحيد بفضل إخناتون ؟ أو لم يقدم القديس أنطون الى العالم المسيحى ظاهرة الرهبنة ؟ أولم يقدم ذو النون المصرى إلى العالم الإسلامى التصوف المفلسف ؟ ألم يكن الدين فى مصر القديمة وراء الحضارة والعمران الذى تشهد عليه الآثار المتحدية لصروف الزمن ؟ أو لم يكن الدين من وراء تخليق "الشخصانية" المصرية السوية التى أنتجت فكرا وعملا قيما وسلوكا ومعارف ؟ ألم تكن "كنيسة الإسكندرية" موئلا للنضال المصرى ضد بيزنطة كما كانت معابد آمون ورع وبتاح وغيرها مراكز للنضال ضد البطالمة ؟

الجذور التاريخية للتطرف الدينى

ثانيا : اما عن مصر الإسلامية فحدث ولا حرج . لقد اقبل المصريون على الإسلام فى يسر وعمق وشمول . فى ذات الوقت الذى تمتع فيه "أهل الذمة" منذ الفتح بحرية العقيدة وحرمة النفس والمال والعرض . وفى مجال العلوم الدينية انجبت مصر علماء وفقهاء أفذاذا من أمثال الليث بن سعد والإمام الشافعى وكثير غيرهما . لم تعرف مصر الصراع بين المذاهب الأربعة بل اعتمدتها جميعا وجرت فى قضائها على الأخذ بأحكامها جميعا كل حسب مذهبه . بل لعبت دورا ما فى التوفيق بين المذاهب النصية كالمالكية والحنابلة وبين المجددة كالحنفية . لقد كان الإمام الشافعى المصرى رائدا فى هذا المجال .. وزاد على ذلك بما هو جدير بمكانة مصر حين أسس "علم أصول الفقه" الذى يعد ـ فى تقديرى ـ من أعظم ما أنجب الفكر الإسلامى . وبالمثل لم يكن التصوف فى مصر ضربا من الشعوذة إلا فى العصور المتأخرة حين صدر لها من بلاد المغرب . لكن إسهامها الأعظم فى هذا المجال تمثل فى التصوف المتفلسف القائل "بوحدة الوجود" وبالتالى الذى يساعد على التوحد لا التشرذم والفرقة . ناهيك عن إسهاماتها الأدبية والفنية والعلمية بما هو غنى عن التعريف . إن أمجاد "مدرسة الإسكندرية" على صعيد نشر الحضارة الهلّينية فى العالم لا تقارن إلا بدور علماء وفقهاء مصر الإسلامية على صعيد نشر الإسلام وثقافته وحضارته خاصة فى الغرب الإسلامى .

ثالثا : على صعيد المذاهب والفرق ـ وهذا هو الأهم بصدد موضوع الحوار ـ رفضت مصر التطرف . فلم ينتشر فيها مذهبا الخوارج ـ الأشد تطرفا ـ والشيعة المتطرفة . بل ظل إسلام أهلها معتدلا بسيطا أقرب إلى الفطرة .. ورغم كونها مقرا للفاطمية الإسماعيلية لم يأخذ أهلها بهذا المذهب . وظل الأزهر طوال العصور الوسطى ـ بعد الفاطميين وحتى العصر الحديث "جامعة إسلامية" يؤمها طلاب العلم من الشرق والغرب ، ويدرسون بها كافة المذاهب والعقائد والعلوم الإسلامية دون تعصب أو تطرف .

وحين فشا التخلف فى العالم الإسلامى واضطهد العقل وساد التقليد أعطت مصر "ابن تيمية" بدعوته السلفية التى أثرت فى الكثير من الحركات الدينية السياسية من الوهابية والسنوسية وحتى اليوم . وبرغم ذلك لم يقف الفكر الدينى فى مصر عند ابن تيمية ولم يصل هذا الإمام إلى مكانة "التقديس" بين المصريين كما هو الحال بالنسبة للبلدان الأخرى . كما تبنت مصر معظم "دعوات الإصلاح الدينى" فى العصر الحديث من دعوة الأفغانى التى نظر لها الإمام محمد عبده ثم "مدرسة المنار" التى ما زالت تعاليمها فى وجدان الشعب المصرى المسلم . وكل هذه الدعوات اتسمت بالإصلاح والتجديد ولم تجنح نحو التطرف أو التحجر البته . ولا يزال الكثير من تراثها فى عقول

المستنيرين من فقهاء الأزهر من أمثال الشيخ محمود شلتوت

● المصريون والاسلام

رابعا : أن الإسلام في مصر بفضل اعتداله و إيجابيته كان دائما صمام أمن عصم المصريين من أخطار الغزاة فضلا عن جبروت السلاطين . والحديث عن دور مصر في الفتوحات الإسلامية في الغرب حديث يطول . وعن دفاع المصريين عن العالم الإسلامي ضد أخطار المغول والصليبيين غنى عن البيان . الم يكن "ابن تيمية" مجاهدا إلى جانب كونه فقيها مجددا ؟ . ودور العلماء والفقهاء في مساندة السلاطين نغمة سائدة في حوليات التاريخ الإسلامي . من أجل مواجهة الأخطار الخارجية ضد القوى الاوربية وغير **الاوربية الغازية** .. ونضال الأزهر ضد **الإنجليز** ۱۸۰۷ والفرنسيين **عن البيان .**

وفي مواجهة الطغيان في الداخل لطالما **كان لرجال الدين** مواقفهم المشهودة **لقد كانوا واسطة** الرعية لتخفيف المغارم والمكوس والجبايات طوال تواريخ الطولونيين والإخشيديين والايوبيين والمماليك والعثمانيين ومواقف الطهطاوى والشرقاوى ومحمد عبده والمراغى معلومة لدى الخاص والعام في الوقوف إلى جانب الشعب ضد جبروت الحكام .

ودور مصر الإسلامية في حماية الأماكن المقدسة بالحجاز وبيت المقدس من الأمور التى أصبحت في حكم البديهيات . وثورة ١٩ كانت انتفاضة ضد الانجليز التأم فيها المسلمون والاقباط سواء بسواء . ونضال الإخوان المسلمين في حرب فلسطين والأعمال الفدائية بمنطقة القنال أمر لا ينكره إلا جحود

صفوة القول إن إسلام المصريين ذو أبعاد حضارية **إيجابية على الصعيدين** الفكرى المعتدل **والنضال السياسى** الجسور .. **وأن التطرف الدينى** لم يعرف طريقه **إلى مصر إلا** نادرا . فمتى ظهر هذا **التطرف ؟ وماهى** أسبابه ؟ وماهى مظاهره ؟

نرجو أن يكون في **ذلك موضوع** المقال التالى

● الرشيد مع المأمون ●

دخل الرشيد على المأمون في داره موجده وقد امسك بكتاب يقلبه بين يديه . فقال له : ما هذا الذى بيدك ؟ فقال : بعض ما تشحذ (تهذب) به الفطنة . ويتنبه به من الغفلة ويؤنس به من الوحشة . فقال له : ما تحب أن اهدى لك ؟ قال : حسن رأيك .

فقال الرشيد : الحمد لله الذى رزقنى من ولدى من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وسنه

التدرّج..؟ أم الطفرة..؟
في العودة إلى قانون الإسلام

بقلم: د. محمد عمارة

في إطار « الصحوة الإسلامية » لاخلاف على أن العودة الى الاحتكام لأحكام « الشريعة الإسلامية » في تنظيم الحياة المدنية وشئون الدولة وسياسة المجتمع شرط لاغنى عنه ، وسبيل رئيسي لتحقيق المسلمين : إسلامية حياتهم والمجتمعات التي فيها يعيشون .. وفي ذلك صلاح دنياهم ، والسعادة الأخروية التي وعدهم بها الله ..

● لاخلاف على هذا الهدف و« الشعار » بين الاسلاميين .. لكن ... إذا تجاوزنا « الشعار » الى ميدان « التصورات الواقعية » لكيفية وضعه في « الممارسة والتطبيق » ظهرت لنا التمايزات في التصورات ..

فالبعض يختزل قضية الشريعة الاسلامية في العقوبات الاسلامية .. وفي مقدمتها « القصاص » و« الحدود » ... دونما تقديم لنمط الحياة الاسلامي والعدل الاجتماعي الاسلامي قبل هذه العقوبات والحدود ..

والبعض يقف بهذا الهدف عند مجرد إحلال النصوص القانونية المستمدة من تراثنا في فقه المعاملات محل القوانين الوضعية التي فرضها « التغريب » الذي هيمن على عالمنا الاسلامي في حقبة الغزوة الاستعمارية الحديثة ..

لكن آخرين يرون هذه الجزئيات مجرد لبنات في بناء حضاري متكامل .. فالعودة

الى الاسلام الكامل انما تمثل « نهضة حضارية » مصبوغة بالصبغة الاسلامية المتميزة عن هوية الحضارة الغربية فهى يقظة امة ، تنعتق بها من اسار الاستلاب الحضارى ، وتتقدم بها كى تستكمل بناء نموذجها الحضارى الخاص .. وهم لذلك يدركون عظم المهمة وضرورة التخطيط ، والحاجة الى حشد كل الطاقات ، واهمية تحديد الاولويات .. كما يؤكدون على اهمية « الوسائل » و« الادوات » القادرة على ابلاغنا « الاهداف » و« الغايات » .

وفى هذه القضية تأتى اهمية هذا « النص » الذى كتبه العلامة ابو الاعلى المودودى (١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩ م) عن تصوره لعودة « الحاكمية الالهية » فى ميدان القانون الاسلامى ـ الى مركز الهيمنة والسيادة فى عالم الاسلام ومجتمعات المسلمين .

* * *

فإذا كانت « الحاكمية الالهية » انما تتجسد فى هيمنة شريعته على الدولة والمجتمع وكل شعب المعرفة وشئون الحياة .. وتعنى عودة السيادة والمشروعية للشريعة الاسلامية فى عالم الاسلام ودنيا المسلمين ، بعد ان انحرف عن نهجها المماليك الى « ياسة » جنكيزخان .. ثم جاء الاستعمار فاستبدل بها قانونه الوضعى المعبر عن فلسفة حضارته الغربية فى التشريع والقانون .. اذا كان هذا الانجاز وهذه المهمة هما مطمح الاسلاميين من أعلام الصحوة الاسلامية وجمهورها .. فكيف كان تصور المودودى لطريق الوصول الى هذه المهمة وتحقيق هذا الانجاز ؟.

● إحداث نهضة إسلامية

قد يعجب الكثيرون اذا علموا ان الرجل لم يكن من السذاجة بحيث يتصور ان الاثار التى زرعت فى واقعنا ـ شوائب غير اسلامية سماها « الجاهلية » ، منذ قرون مضت ، والتى رعاها ونماها الاستعمار الغربى . ان هذه الاثار يمكن اقتلاعها واحلال الشريعة واحكامها محلها فورا وبمجرد الاستيلاء على السلطة من قبل الاسلاميين .. فلقد كان المودودى يدرك ان الامر الذى يواجه الاسلاميين ، والتحدى الذى لابد لهم من اعداد العدة لمواجهته هو احداث « نهضة اسلامية" ، وليس مجرد تغييرات جزئية تحدث هنا أو هناك .. وهذه "النهضة" لابد لها من رجال وادوات ، من الضرورى أن تصاغ صياغة اسلامية تتفق وعظم المهمة وتتناسب مع طبيعتها الاسلامية ولقد تحدث الرجل الى الذين يفكرون فى هذا الأمر تفكيرا سطحيا متعجلا ، فقال : « وانى على مثل اليقين فى نفسى من انه لو حُوِّل المسلمون اليوم أن يؤسسوا دولة لهم فى بقعة من بقاع الأرض لما استطاعوا أن يقوموا بإدارة شئونها وتسيير دفتها وفق المبادىء الاسلامية ولا ليوم واحد ! فإنكم ، معشر المسلمين ، لم تعدوا المعدات اللازمة ولا هيأتم العوامل الكافية لتنشئة رجالكم وشبابكم على الطراز المخصوص للتفكير والأخلاق الذى تحتاج اليه الدولة الاسلامية لتسيير دفة أمرها وتنظيم شئونها العديدة المتشعبة .. فقل

لى ، بربك ، ماذا أقول فى الذين يلهجون بذكر "الدولة الاسلامية" ثم لا يعدون لها معداتها ، ولا يتذرعون لها بشىء من الوسائل سوى انهم لم يعرفوا حقيقة "الدولة الاسلامية" ، ولم يدركوا مغزاها أصلا ؟! .. »[1] .. ذلك أن الاعلان عن التطبيق الاسلامى واقامة الدولة الاسلامية دون تهيئة المناخ وتوفير العاملين الاكفاء ذوى التأهيل الاسلامى والرؤية الاسلامية الواضحة ، لابد أن يقود المشروع الى الفشل ، والجيل المتطلع الى هذا الحلم لاحباط شديد !.

ولقد نظر المودودى نظرة واقعية إلى هدف « العودة للقانون الاسلامى ، وسيادة احكام الشريعة وهيمنتها على مؤسسات الدولة وقضائها وواقعها ومعارفها .. ونبعت واقعيته هذه من ادراكه عظم المهمة ، وعظم العقبات المزروعة فى الواقع الاسلامى ، والتى ظل أصحابها يرعونها الحقب الطوال .. فلم يدع إلى « التطبيق الفورى » للقانون الاسلامى ، وانما دعا الى « التدرج » فى بلوغ هذه الغايات .. وفى نص هام ـ وإن يكن طويلا ـ يقول الرجل فى هذه القضية المطروحة والمثيرة للجدل فى المحيط الاسلامى هذه الأيام .. « أريد ، قبل كل شىء ، أن أزيل شبهة تخالج أذهان كثير من الناس حول القانون الاسلامى فإنهم عندما يسمعون اننا نريد أن نقيم فى هذه الدولة ـ [باكستان] ـ حكومة إسلامية يكون القانون الاسلامى هو قانون الدولة فيها ، يظنون أن جميع القوانين الماضية ستلغى فى تلك الحكومة دفعة واحدة ، وينفذ مكانها القانون الاسلامى فجاة بمجرد اعلان التغيير فى نظام الحكومة ! وهذه الشبهة لاتخالج اذهان العوام فحسب ، بل نجد انه قد تورط فيها كثير من طبقاتنا الدينية أيضا ..

الحقيقة أنهم لايعرفون أن القانون فى كل بلد له علاقة وثيقة بنظامه الخلقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، فمادام لا يتغير نظام الحياة فى ذلك البلد بكل شعبه ونواحيه ، من المحال قطعا أن يتغير نظامه القانونى .

إنهم لابصر لهم فى المسائل العملية ، وما إحداث الانقلاب فى النظام الأجتماعى عندهم إلا كلعبة الأطفال ! أو هم يتمنون أن يحصدوا زرعهم بعد غرسه على الفور ! ... »

ثم يستطرد المودودى ، فيكتب تحت عنوان [قاعدة التدرج]

« فنحن إن كنا نريد حقا أن يحالفنا التوفيق فى إلباس هذه الفكرة ـ [اقامة الدولة الاسلامية] ـ حلة العمل والتنفيذ ، لا ينبغى أن نغفل قاعدة للفطرة لا تقبل التغيير ، وهى انه لا يحدث الانقلاب فى الحياة الاجتماعية الا بالتدرج ، ولابد أن يكون كل انقلاب بدءا غير محكم على قدر مايكون فوريا متطرفا ، ولابد لكل نظام راكز المبادىء والاصول أن يجرى فى كل جهة من جهات الحياة وناحية من نواحيها باتزان تام حتى تساند كل ناحية نواحيه الأخرى ... »

● القيام بالإصلاح

وعند هذا الحد من الحديث يشرع

المودودى فى ضرب الأمثال على أن التدرج قد كان سبيل الانقلابات التى اتت اكلها .. ويبدأ بالحديث عن [أسوة العهد النبوى الزاهر] فيقول

« واحسن أسوة لنا فى هذا الصدد ذلك الانقلاب الذى تم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بلاد العرب فغير خاف على من له أدنى إلمام بسيرته ، صلى الله عليه وسلم ، انه ماكان طبق القانون الاسلامى بجميع شعبه ونواحيه دفعة واحدة ، بل كان قبل هذا الانقلاب قد مهد الأرض وأعد المجتمع بقبوله ، ومازال ، شيئا فشيئا مع هذا الاعداد ، يبدل طرق الجاهلية ويستعيض بها طرق الاسلام وقواعده الجديدة .. فهكذا بعد أن تسلم النبى ، صلى الله عليه وسلم القوة السياسية ووسائل البلاد وتمكن منهما كل التمكن ، قام بمهمة الاصلاح والتعمير .... وعلى قدر ماظل الانقلاب ، يحصل فى مختلف نواحى الحياة بفضل هذا السعى الجديد للاصلاح الشامل ظل صلى الله عليه وسلم يطبق أحكام القانون الاسلامى بكل تناسب واتزان ، حتى اذا مرت على ذلك تسع سنوات ، تم فى البلاد فى جانب بناء الحياة الاسلامية ، وفى الجانب الآخر نفاذ القانون الاسلامى بأسره ..

اننا اذا درسنا القرآن والسنة دراسة عميقة ، علمنا بدون إلتباس ولا ارتياب ، كيف وبأى تدرج وانسجام تم الانقلاب الاسلامى فى بلاد العرب على يد النبى ، صلى الله عليه وسلم . فقد نفذ قانون الوراثة فى سنة ثلاث من الهجرة ، وتمت قوانين النكاح والطلاق - شيئا فشيئا - الى سنة سبع ، ومازالت القوانين الجنائية تنفذ مادة مادة الى ان اكتملت فى سنة ثمان . ومازال يعمل بصفة غير منقطعة الى عدة سنوات لتمهيد الأرض وتوطيد الجو لتحريم الخمر ، الى أن أعلن تحريمها النهائى بصفة قطعية فى سنة ثمان . والربا ، وإن كان قد نُعى على المتعاملين به بكل صراحة ، لم يُلغ على الفور مع قيام الدولة الاسلامية فى المدينة ، ولكن لما تم العمل لإفراغ نظام الاقتصاد كله فى القوالب الجديدة ، أعلن تحريمه والغاؤه بصفة نهائية قطعية فى سنة تسع فكانه صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك كمهندس جمع حوله البنائين والفاعلين لرفع بناء كان قد خط له رسما فى ذهنه واستجمع له الوسائل والأسباب ومهد له الأرض وحفر له الأساس ثم مازال يرفعه من كل جهة واضعا لبنة فوق لبنة حتى أكمله أخيرا بعد بذل الجهود لعدة سنوات متواصلة ... » .

وبعد أن ضرب المودودى مثل الانقلاب النبوى الأول ، ضرب لنا على ضرورة التدرج مثل الانقلاب المضاد ، الذى أحدثه الاستعمار الانجليزى فى الهند .. فكتب تحت عنوان . [مثال العهد الانكليزى فى الهند] يقول

« ... والانكليز صرفوا مدة قرن كامل تقريبا فى تبديل نظام البلاد القانونى . بدلوا نظام حياتها أولا شيئا فشيئا ، وأعدوا رجالا لا يتفكرون ولا يعملون الا حسب نظرياتهم وافكارهم ، وعملوا عملا متواصلا على تغيير اذهان الناس واخلاقهم ونظامهم الاقتصادى بنشر

الأفكار وبتأثير السلطة والاستيلاء ، أى ظلوا يلغون القوانين القديمة وينفذون مكانها قوانينهم الجديدة على قدر ماظلت تاثيراتهم المختلفة تغير من نظام هذه البلاد الاجتماعي ... » .

وبعد أن استدل المودودى بالانقلاب الاسلامى . والانقلاب المضاد للاسلام على أن النجاح فى أى انقلاب مرهون بالتدرج ، وبسبق التغييرات فى أرض الواقع لسن القوانين المنظمة لهذه التغييرات . استطرد فكتب تحت عنوان [لابد من التدرج] يقول

« فنحن إن كنا نريد الآن احياء القانون الاسلامى وتنفيذه من جديد فى دولتنا الفتية فإنه من المستحيل قطعا ان نمحو آثار الحكم الانكليزى ونثبت مكانها آثارنا الجديدة من عندنا بهزة واحدة من القلم . إن تغيير نظام البلاد القانونى دفعة واحدة - إن أمكن على فرض المحال - لا يكاد يجدى بشىء ، لأن نظام الحياة ونظام القانون لابد أن يكونا فيها على أغير ما علاقة ، بل متضاربين بينهما ، ولابد أن يبوء هذا التغيير بمثل الفشل الذى يبوء به غرس شجرة فى أرض وطقس لا يلائمان طبيعتها فمن المحتوم إذن ان لا يتم هذا الاصلاح والتغيير المنشود الا على مبدأ التدرج ، ولا أن يتغير نظامنا القانونى الا بطريق متزن يساير التغيرات الخلقية والثقافية والاجتماعية والمدنية والاقتصادية فى البلاد .

ولعمر الحق ، انه اذا انتقلت سلطة الدولة الى أيدى رجال من الصالحين المفكرين أولى الخبرة والتجربة والجد ، وبدأوا يسيرون على نهج محكم يرسمونه للاصلاح ، مستعينين فى ذلك بوسائل الدولة وجهاز الحكومة وادارتها فعسى أن لا تلبث حياة البلاد الاجتماعية أن تنقلب راسا على عقب قبل أن تمر عليها عشر السنوات الآتية ، ويبدأ فيها العمل لالغاء القوانين القديمة واصلاحها وتطبيق القوانين الاسلامية الجديدة مكانها بصورة منظمة متزنة ، حتى لا يبقى فيها قانون من القوانين الجاهلية سائرا ، ولا قانون من قوانين الاسلام موقوفا عن السير إن شاء الله ... » .

ثم حدد الأستاذ المودودى ثلاث مهام أمام الحركة الاسلامية ، تعد بها الضرورى من الأدوات للتغيير الاسلامى المنشود .. وهى

١ - تقنين تراثنا فى القانون الاسلامى . وكتب أصول التشريع الاسلامية .. والاجتهاد لمستحدثات الأمور .. وأن نعيد إعداد تراثنا الفقهى ليكون مصدرا سهل الورود للقانونيين المعاصرين ..

٢ - وصياغة هذا القانون الاسلامى صياغة عصرية ..

٣ - واسلامية التعليم القانونى فى كليات الحقوق ، اعدادا للرجال الصالحين والقادرين على اقامة قانون الاسلام .

فكتب ، عن هذه المهام يقول

« .. فالمعقول ، بالنسبة لأنفسنا ، أن نستفيد فى حاجاتنا الراهنة مما ترك لنا أسلافنا الأمجاد الميامين ، ونستمر فى رفع البناء على قدر ماتعرض لنا من الحاجات والمطالب فى الحاضر والمستقبل .. فالحاجة ماسة اليوم الى

ان نوسد الى عدد من أرباب العلم والفكر مهمة أن يستعرضوا ماترك لنا اسلافنا من التراث القانونى ، فيرتبوا كل ماعسى أن يوجد فيه من الموضوعات المفيدة ترتيب كتب القانون الجديدة .. ثم علينا أن نتناول الكتب المهمة فى أصول التشريع وحكمته ، ونرتب موضوعاتها على أسلوب كتب القانون فى العصر الحديث ، ونضع لها العناوين الجديدة ، ونجمع مافيها من المسائل المنتشرة تحت عنوان واحد ، ونرتب الفهارس لموضوعاتها وأعلامها ، ليستعين بها أرباب القانون فى العصر الحديث على الفهم الصحيح والمعرفة الرصينة للفقه الاسلامى ..

والعمل المهم الثانى ، فى هذا الباب : أن يؤلف مجلس من العلماء المسئولين وأهل الخبرة والتجربة من رجال القانون ، يدون أحكام الاسلام المتعلقة بالقانون على طراز كتب القانون فى الزمن الحاضر ....

والعمل المهم الثالث فى هذا الشأن أن نغير الطريق الجارى لتعليم القانون فى كلياتنا الحقوقية ، وندخل فى مادة تعليمها وأسلوب تربيتها اصلاحات جديدة تعد الطلبة من الوجهة العلمية والخلقية اعدادا تاما لتطبيق القانون الاسلامى .. »[1]

ذلك هو منهج التدرج نحو الانقلاب الاسلامى ، ووسائل نجاح هذا الانقلاب !.. وهذا هو السبيل الذى حدده المودودى لعودة « حاكمية الشريعة الالهية » من جديد للهيمنة على الدولة والمجتمع وكل شعب الحياة المادية والفكرية فى عالم الاسلام ..

● فتغيير القانون مصاحب ـ أو هو ثمرة ـ لتغيير الواقع الخلقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

● ونجاح التغيير رهن بتدرجه . لأن التدرج هو السبيل لعموم آثار التغيير كل شعب الحياة ، فتتساند هذه الشعب ويبلغ التغيير الأعماق

● ويشهد لضرورة التدرج فى عودة « حاكمية الشريعة الالهية » ، أن هذا التدرج قد كان سنة كل الانقلابات الناجحة . سواء منها الانقلاب الاسلامى النبوى الأول . أو الانقلاب المضاد للاسلام الذى أحدثه الاستعمار الانجليزى فى الهند بعد احتلالها ..

● فتغيير الواقع وأسلمته شرط لصلاح القانون الاسلامى الجديد للارتباط الوثيق بين القانون ـ أى قانون ـ وبين واقع الحياة الذى ينظمه ويضبط حركته هذا القانون

● ولابد من اعداد الأدوات والوسائل اللازمة لاحداث هذا الانقلاب الاسلامى وادامة استمراريته وترسيخ نجاحه فكرا كانت هذه الأدوات أو رجالا تتم صياغة عقولهم وأخلاقهم وفق الفكر الاسلامى الجديد ..

(١) المودودى [منهاج الانقلاب الاسلامى] ص ٩٢ ، ٩٣ ترجمة مسعود الندوى طبعة بيروت ـ ضمن مجموعة عنوانها « نظريه الاسلام وهدية فى السياسة والقانون والدستور » سنة ١٩٦٩ م

(١) [القانون الاسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان] ص ١٨٩ ـ ١٩٧

دعوة مفتوحة لعمل علمي كبير :

قبيلة عربية بائدة

الوقائع التاريخية في التوراة جرت في الجزيرة العربية وليست في فلسطين

بقلم : عبد الرحمن شاكر

الشيء بالشيء يذكر .. فقد ناقشت في عدد مايو الفائت من « الهلال » كتاب « مقدمة في التاريخ الآخر ، نحو قراءة جديدة للرواية الاسلامية » . لمؤلفه الدكتور سليمان بشير ، الذي يحمل الجنسية الاسرائيلية ، واوردت ان النظرية التي افتعلها حول نشوء الاسلام في بلاد الشام « وتطوره » بين نصارى الشام على عهد عبد الملك ابن مروان ، انما يصدر فيها عن اعتقاده الذي عبر عنه بقوله : « ان دين التوحيد لم يخرج في نظرنا ولم يسبق ان خرج من الصحراء الى الهلال الخصيب »! كان من المحتم لدى ان تتمثل امامي النظرية المضادة التي كتبها مؤلف آخر ، ومؤداها ان دين التوحيد قد خرج كله من « الصحراء » أى من جزيرة العرب ـ مع التحفظ على وصفها كلها بالصحراء ـ ذلك هو الدكتور كمال سليمان الصليبي في كتابه « التوراة جاءت من جزيرة العرب » .

وقد سبق لى أن علقت على هذا الكتاب الاخير أيضا ، قبل أن أطلع عليه . وذلك حينما كتب عنه الاستاذ محمد العزب موسى مقالا « للهلال » . ودار تعليقي آنذاك حول كونه سواء لدينا ان تكون التوراة قد جاءت من عسير في الجنوب الغربي لجزيرة العرب ، أو في شمالها في فلسطين، فكلها بلاد العرب، وادعاءات الصهيونية يكفي في دحضها بيان ان غزاة فلسطين من الصهاينة ، المعروفين باسم اليهود الاشكناز ، انما ينحدرون من شعب الخزر في القوقاز ، الذين تهودوا في زمن متاخر بعد ظهور كل من المسيحية والاسلام .

غير أنه بالاطلاع على نص كتاب الدكتور كمال الصليبي ، تكون ذمة « الهلال » وذمتي قد برأتا تماما من شبهة الكتابة عن كتب ـ على السماع ـ أى قبل الاطلاع عليها كاملة ! لاجد في هذا الكتاب الاخير ، اكثر بكثير مما قدرت حينما علقت عليه أول مرة . أجد نفسي أمام عمل جاد كل الجدية ، بما لا يقارن به على أى وجه ، عمل ذلك الماجن المسمى سليمان بشير ، واكثر من



ذلك: أن كتاب الدكتور كمال الصليبي من الممكن جدا أن يدخل التاريخ باعتباره واحدا من الكتب التي تصنع مراحل التاريخ وتحدد معالمه ،مثل كتاب أصل الانواع لداروين وهذا الكتاب بين أيدينا كان يمكن ان يحمل اسم « أصل الاديان » ـ وكتاب رأس المال لكارل ماركس ، وهلم جرا ٠

ويبدي المؤلف في مقدمته ، ودار النشر التي طبعت كتابه ، ضيقهما بالاشتباك السياسي المزدوج ، الذي ترتب على تأليف هذا الكتاب ، حيث بدأت ـ كما تقول مقدمة الناشر ـ حملة اعلاميه واسعة ضد الكتاب ومؤلفه في أجهزة الاعلام والدوائر الغربية والصهيونية ، داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، والمؤلم في الامر ليس قيام مثل هذه الحملة ، وانما وقوف أوساط عربيه موقفا سلبيا من الكتاب » ، اما المؤلف فيقول : « والواقع أن هذا الكتاب يبحث في الجغرافيا التاريخية للتوراة وليس في أي أمر آخر ، بما فيه قضية الصهيونية ٠ الغرض منه هو توضيح غوامض التاريخ التوراتي عن طريق اعادة النظر في خريطة التوراة ٠ وقد يستنتج القارئ من الكتاب أن يهود اليوم لا حقوق تاريخية لهم في ارض فلسطين ٠ والصحيح أن الحقوق التاريخية للشعوب تزول بزوالها ٠ فيهود اليوم ليسوا استمرارا تاريخيا لبني اسرائيل ليكون لهم شيء يسمى حقوق بني اسرائيل ٠ وذلك سواء أكانت أرض اسرائيل أصلا في فلسطين او في غير فلسطين ، وقد رأيت أن هذا التوضيح ، وان كان بديهيا ، حتى لا يساء فهم القصد من مقولة هذا الكتاب ، وهو قصد علمي بحت ، لا يمت الى واقع عصرنا هذا بصلة الا بقدر ما في المقولة بطبيعة حالها من دحض للمفهوم الصهيوني المغلوط للتوراة ، وهو مفهوم تتبناه اليوم فئة كبيرة من اليهود ، ويتبعهم في ذلك الكثيرون من جهلة المسيحيين في الغرب » ٠

● مبدأ خطأ

أما عن اعتراضات بعض الدوائر العربية فتنقل مقدمة الناشر عن المؤلف قوله في مجلة « الشراع » البيروتية « ان البعض يتهمني بأني أدل اليهود على عسير لكي يستردوها ٠ وانا أجيب بان من يقول هذا القول فانما يعترف بحق الدولة الصهيونيه ويؤمن بصحتها من حيث المبدأ ، وهكذا نكون كمن يوافق على حق شعب في أن يعود الى الارض التي كان موجودا فيها منذ ألفي سنة ٠ فالمبدأ خطأ ، فانا لا أضع الكتاب لأقول لليهود عودوا الى عسير واتركوا فلسطين ٠ فعسير أرض عزيزة علينا على غرار فلسطين أو لبنان او سورية ، أو اية ارض عربية اخرى » ٠

وخلاصه الكتاب ـ كما يقول المؤلف : « أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين ، بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الاحمر وتحديدا في بلاد السراة بين الطائف ومشارف

قبيلة عربية بائدة

اليمن ، وبالتالى فان بنى اسرائيل من شعوب العرب البائدة ، اى من شعوب الجاهلية الاولى • وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم ، ثم انتشرت من موطنها الاصلى ومنذ وقت مبكر الى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم » • ويقول فى موضع آخر •

« ولابد فى البداية من توضيح الفرق الاساسى الهام بين مفهوم «بنى اسرائيل» ، ومفهوم « اليهود » و « اليهودية » • فبنو اسرائيل كانوا فى زمانهم شعبا دان باليهودية • وقد كان لهم بين القرن الحادى عشر والقرن السادس قبل الميلاد ، ملك فى بلاد السراة (أى فى جنوب الحجاز وفى المنطقة المعروفة اليوم بعسير) • وقد زال هذا الشعب من الوجود بزوال ملكه ولم يعد له أثر بعد ان انحلت عناصره وامتزجت بشعوب أخرى فى شبه الجزيرة العربية • وهذا تماما ما حدث لغيره من الشعوب البائدة اما اليهودية فهى ديانة توحيدية وضعت اصلا على أيدى أنبياء من بنى اسرائيل » •

« واساس الكتاب ـ كما يقول المؤلف ـ هو المقابلة اللغوية بين اسماء الاماكن المضبوطة فى التوراة بالحرف العبرى ، واسماء أماكن تاريخية أو حالية فى جنوب الحجاز وفى بلاد عسير مأخوذة اما عن قدامى الجغرافيين العرب (ومنهم الحسن الهمدانى ، صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وياقوت الحموى ، صاحب « معجم البلدان » ، أو عن المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية ، الذى بدأ فى الظهور عام ١٩٧٧ م • وقد قام بجمعه عدد من العلماء السعوديين (حمد الجاسر ، ومحمد العقيلى ، وعبد الله بن خميس وعلى بن صالح السلوكى الزاهرانى) أضف الى ذلك « معجم معالم الحجاز » و « معجم قبائل الحجاز » ، اللذين صنفهما المقدم عاتق بن غيث البلادى ، و « معجم قبائل المملكة العربية السعودية الذى صنفه الشيخ حمد الجاسر • ومن أسماء الاماكن فى جنوب الحجاز وعسير ما أخذته أيضا من الخرائط المفصلة لتلك المناطق » •

● اليهود وتحريف الكلم

ويستدل المؤلف على صحة نظريته بالقرآن الكريم ، فيقول : « والواقع أن القرآن الكريم يقول بكل وضوح ان مقام ابراهيم كان ببكة (سورة آل عمران ٩٦ ـ ٩٧) • وليس هناك فى النص القرآنى ما يشير الى أية علاقة بين بنى اسرائيل وأرض فلسطين • ناهيك عن أن مفسرى القرآن الكريم لم يستبعدوا وجودا لبنى اسرائيل فى غرب شبه الجزيرة العربية • والوجود التاريخى القديم فى شبه الجزيرة العربية مشهود به فى التواريخ العربية وفى الشعر الجاهلى • وقد كانت اليهودية ديانة آخر ملوك حمير باليمن • وربما كانت أيضا ديانة واسعة الانتشار فى مملكة حمير منذ ان قامت هذه المملكة عام ١١٥ قبل الميلاد » •

ويمضى المؤلف قائلا : « ويقول القرآن الكريم ان هناك من اليهود من « يحرفون الكلم عن مواضعه » وأنهم يفعلون ذلك « ليا بألسنتهم » (سورة النساء ٤٦) وفى هذه الآية اشارة واضحة وبالغة الدقة فى الوصف الى العمل الذى كانت تقوم به فئة دون غيرها من أحبار اليهود ، وهم المعروفون بالمصوريتيين (أى أهل التقاليد) ، ابتداء بالقرن الميلادى السادس • وقد استمر المصوريتيون فى عملهم هذا

حتى القرن العاشر · وبالفعل فقد قام هؤلاء بتحريف النصوص التوراتية عن طريق ادخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية فى أحيان كثيرة · مما غير أعراب الجمل وحور المعانى · ولم يرق عمل المصوريتيين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين بالربانيين فى البداية · لكن الربانيين قبلوا ماعمله المصوريتيون مع الوقت ، بحيث أصبح النص التوراتى المصوريتى المضبوط من التوراة هو النص المعتمد من اليهود · وقبل المسيحيون أيضا بهذا النص المصوريتى للتوراة ، وأخذوا عنه ترجماتهم المعتمدة للعهد القديم من الكتاب المقدس · وعلماء التوراة اليوم ، بمن فيهم العلماء اليهود، يعرفون تماما أن ضبط المصوريتيين للتوراة لم يكن صحيحا فى مواقع كثيرة، وقد قامت عدة محاولات لاعادة النظر فى هذا الضبط ، خصوصا من قبل العلماء الذين حاولوا ومازالوا يحاولون تصحيح ترجمة الاسفار التوراتية · لكن هذه المحاولات لم تف بالمطلوب حتى الآن ، لان التحريف الذى أدخله الضبط المصوريتى على النص التوراتى هو أضخم بكثير مما يتصوره علماء التوراة » ·

« وبناء على ذلك فقد عمدت فى معالجتى للنصوص التوراتية فى هذه الدراسة الى اهمال الضبط المصوريتى لهذه النصوص · واجتهدت قدر الامكان فى فهم المقصود منها كما وردت أصلا بالاحرف الساكنة · نتج عن ذلك فهم جديد لمقاطع توراتية عديدة · وذلك زيادة على النتائج التى توصلت اليها بشأن جغرافيا التوراة التى هى موضوع الكتاب » · ليمضى قائلا : « ومن علماء التوراة من يفترض بأن المصوريتيين لم يكتفوا بتحريف النص التوراتى حسب ما ارتأوا ، بل انهم ذهبوا الى ابعد من ذلك فغيروا الاحرف الساكنه فى بعض الاحيان · وربما حدث ذلك بالفعل دون ان يمس بأسماء الاماكن · والدليل على ذلك هو ان الاكثريه الساحقة من اسماء الاماكن التوراتيه مازالت موجوده الى اليوم ، بشكل او باخر فى غرب شبه الجزيره العربيه » · بينما ـ كما يقول فى موضع اخر : « الاراضى الشماليه للشرق الادنى قد مسحت وحفرت من قبل اجيال متوالية من اقصاها الى اقصاها . وأن الحضارات المنسية قد نبشت من تحت الارض ودرست وأرخت ، فى حين انه لم يعثر فى اى مكان على أثر واحد يمكن ان يصنف جديا على انه يتعلق مباشرة الى أى حد بالتاريخ التوراتى ، واكثر من ذلك ، فان التوراة العبرية تذكر الآلاف من أسماء الامكنة وليس بين الاسماء هذه اكثر من قلة قليلة مع أسماء أمكنة فى فلسطين · مع العلم أن أسماء الامكنة هناك ، مثلها مثل أسماء الامكنة فى كل انحاء الشام ، هى فى معظمها أسماء عريقة جدا فى القدم، وهى فى معظمها كنعانية أو آرامية فى بنيتها ، وليست عربية · وحتى فى المواقع القليلة التى تحمل فيها مواقع فلسطينية أسماء توراتية فان الاحداثيات المعطاة فى النصوص التوراتية للاماكن التى تحمل هذه الاسماء فى اطار الموقع أو المسافة المطلقة أو النسبية ، لا تنطبق على المواقع الفلسطينية · وفى حالة بارزة وهى حالة بئر سبع الفلسطينية ، فان بلدة يظهر اسمها ببروز فى الروايات الآبائية لسفر التكوين ، بالتالى يفترض أن تعود أصولها الى أواخر العصر البرونزى على الاقل ، لم يعثر فيها الا على مواد أثرية تعود بتاريخها الى المرحلة الرومانية على أبعد حد · وقد اضطر علماء الآثار فى السنين الاخيرة

قبيلة عربية بائدة

الى التنقيب على بعد خمسة كيلو مترا تقريبا عن بئر سبع للعثور على مواد اثريه يعود عهدها الى زمن التوراة ، دون أن يعثروا على اى برهان قاطع بأن لهذه المواد اقل علاقة بالتوراة أو بتاريخ بنى اسرائيل » .

ثم يمضى المؤلف فى بقية كتابه مدللا على أن كل الاماكن المذكورة فى التوراة ولم يتم العثور عليها فى فلسطين يمكن العثور عليها فى عسير ، بل انه يذهب الى أبعد من ذلك فى قصة خروج بنى اسرائيل من مصر : فعنده أن تلك القصة قد وقعت فى مكان ما بعسير وما جاورها وليس من مصرنا المعروفة ، يقول :

« وبالنسبة الى اسم المكان مصريم ، لابد من لفت الانتباه الى أنه نادرا ما استخدم فى التوراة العبرية للاشارة الى « مصر » ، كما يفترض عادة . وحيث لا تشير الكلمة الى المصرمة فى جوار ابها وخميس مشيط ، فهى تشير الى قصر فى وادى بيشة ، أو الى المضروم فى مرتفعات غامد ، أو الى آل مصرى فى منطقة الطائف . و « فرعون » التوراتى (فرعه) ، كما سيذكر لاحقا ، لم يكن ملك مصر ، بل يبدو أنه كان الحاكم المتسلط فى وقت ما على « المصرمة » وجوارها ، امتدادا الى « مصر » فى حوض وداى بيشه . فرع (فرعء) اسم لقبيلة مازالت موجودة فى وادى بيشه الى اليوم . واسم هذه القبيلة لا يختلف عن فرعه التوراتية ، ولعله استمرار فى الوجود للقب حكام هذه الناحية فى الازمنة الغابرة .

وكذلك « الاردن » ، وهى عنده ليست اسما لنهر ما ، بل لفظة تعنى «الجرف، القمة ، المرتفع » أو هى اسم مكان مثل ريدان يحمل المعنى نفسه » .

أما عن فلسطين فعنده أن الاصل فى هذه الكلمة هو مكان فى عسير اسمه « الفلسة » كان أهله جيرانا لبنى اسرائيل هناك ، فنسبوهم اليها بالعبريه فقالوا « فلشتيم » ، أى الفلستيون » ، وكما يقول مترجم الكتاب عن الانجليزيه: « هذه هى الترجمة الصحيحة لكلمة ، التى ترد عادة فى الترجمة العربية للتوراة العبرية «الفلسطينيون» ، مما يوحى بالنسبه الى ارض فلسطين خطأ ، والواقع هو أن اسم ارض فلسطين هو تحريف لاسم شعب الفلستيين وليس العكس »

وتفسيرا لظهور هذا الاسم وغيره فى فلسطين الحاليه ومنطقة الشام عامة يقول المؤلف : « ومهما كان شأن الهجرات الاولى من شبهالجزيرة العربية الى الساحل الشامى ، فان الهجرات الفلستية والكنعانية الى هناك لابد أن تكون نمت حجما عبر الزمن . واستنادا الى الكتب التاريخية للتوراة العبرية ، فالواضح أن المملكة الاسرائيلية اسست فى غرب شبه الجزيرة العربية بين أواخر القرن الحادى عشر ومطلع القرن العاشر قبل الميلاد ، والى حد كبير على حساب مجتمعات مثل الفلستيين والكنعانيين الذى كانوا من سكان تلك الاراضى أصلا ، ولعل هجرة هؤلاء الفلستيين والكنعانيين من شبه الجزيرة الى الشام ، ازدادت حجما فى تلك الفترة على اثر الهزائم المتتالية التى الحقها بنو اسرائيل بهم فى مواطنهم الاصلية .

« وفى فلسطين يبدو أن الفلستيين أطلقوا على عدد من مستوطناتهم (مثل غزة وعسقلان) أسماء هى فى الاصل أسماء لاماكن فى غرب شبه الجزيرة

العربية جـاءوا منها • والقـرية الفلسطينية « بيت دجن » (ومعبد) دجن أو داجون ، قرب يافا ، مازالت تحمل اسم الههم فى غـرب شبه الجـزيرة العربية ، وفي شـمال فلسطين أعطى الكنعانيون أيضا أسماء من غرب شبه الجزيرة العربية لبعض مستوطناتهم ، وهى أسـماء مثـل : صور وصيدون وجبيل وارواد ولبنان ، وعندما بـدأ اسرائيليو غرب شبه الجزيرة العربيـة (وربما يهود آخـرون من غير بني اسرائيل) بالهجرة الى اتجاه الشمال للاستيطان فى فلسطين ، كائنا ما كـان زمن الهجرة ، اطلقوا بدورهم أيضـا أسماء من غرب شبه الجزيرة العربيـة على بعض مستوطنـاتهم الفلسـطينية (وليس كلها بالتاكيد) أو على أوابد دينية محلية استولوا عليها وعرفـوها باوابد يهودية فى غرب شبه الجـزيرة العربية ، وهى أسـماء مثل يهـوده ، ويروشليم ، وبيـت لحم ، وحبـرون (الخليل هو اسمها الحالى بالعربية ، وشمرون وتعريبها السامرة ، وجزريم وعيبل ، والكرمل (كرمل) ، وربما الجليل (جليل) ، وحرمون والاردن (هـ - يردن) والظاهرة هذه مرتبطـة بالهجرة فى كل زمن ، وفي كل أنحـاء العالم ، فالمهاجرون دائمـا يحنون الى اوطانهم الاصلية وكثيرا ما يسـمون البلدات والاقاليم والجبال والانهـار ، او حتى بلدانا وجزرا باكملها باسـماء مالوفة حـملوها معهم مـن مواطنهم القديمة • ولم تكن هناك فوارق بعيـده فى اللغـة بين غرب شبه الجـزيرة العربية والشام فى أيام التوراة » •

***

على أن المؤلف لا يجزم بكل ما انتهى اليه من نتائج ، اذ يقـول فى مقـدمته « ومهما كان الامر بالنسبة الى صـحة مقولة هذا الكتاب عـلى وجه العموم فلابد أنى وقعت في أخطاء كثيرة فى التفاصيل » •

قد يكون من أخطـاء المؤلف تاويله لقصة خروج بني اسرائيل من مصر ، كما تقدم ذكره ، بأنهـا اسم مكان فى عسير ، أو غرب شبه الجزيرة العربية . وربما يكونون قـد خرجـوا من مصرنا المعروفة واتجهوا جنوبا الى عسـير بدلا من الشـام ، وبذلك ينتفى بعض التناقض بين التصور الدينى لقصـة الخروج ، ونظريته التي تفسر كثيرا مما يحتويه هذا التصور ذاته ، مثل الحاق مملكة سبأ بملك سليمان فاليمن تقـع مباشرة جنوب عسير ، وتسمية المسجد الاقصى فى القدس بهذا الاسم ، بـأنه اقصى ما وصـل اليه الموحـدون الذين انطلقوا من جزيرة العرب ، وهلم جرا •

على أن الكتاب يبقى في النهاية دعوة مفتوحة لعمل كبير ، حيث يقول فىخاتمة كتابه : « يمكننا طبعـا أن نتابع اعادة تاويل جغرافيا التوراة العبرية فى اطار غرب شبه الجزيرة العربية بـدلا مـن فلسطين • لكن مثل هذا العمل يخـرج عن الغرض المحـدود لهذا العمل الذى لا يتعدى اظهار واقع الامر عن طـريق ما يكفى من التفاصيل » •

هذا العمل لاينبغي أن يترك للمغرضين من الدخـلاء الذين اغتصبوا ويغتصبون اليوم فلسطين باسم اسرائيل ، وهو كما يقرر مؤلف الكتاب لا يعدو أن يكون اسم قبيلة عربية بائدة ، وتفسيره التقليدى هو « سرى الله » ، ومازال قـوم فى جزيرة العرب يعرفون هم وبلادهم باسم السراة حتى الآن ! تاريخ هذه القبيـلة وكتابها هو جزء من تاريخ الامةالعربية وتراثها ، ينبغي لهذه الامة أن تاخـذه فى أيديها ، بما يجب عليها ، كجزء من نضالها لاسترداد كافة حقوقها •

غيمة

شعر : ماجدة بركة

ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
انى المفتونة ابدا ..
مطرا - صيفيا - كنا
واذن .. هل يبتهج الاطفال بنا
ام انا جئنا فى غير اوان ؟
ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
خبئنى منى . من نفسك
فى عينيك .. ابدى الوانا
فاكهة الموسم اصبح
تينا .. رمانا . عنبا
أو اوراق خريف تسقط
اعكس عينيك وتعكسنى
اصبح .. خضراء بلون الأحراش
زرقاء بلون هدوئك
سوداء بلون الخشب المحروق !
امسك بشعاعى المتبدد
لاتفلتهُ فاضيع
ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
انى احببتك حتى اخر كلمة
فى كتب الله
حتى اخر ومضة صدق فى اسطورة



لاتهدرني قطرات فى الرمل
تغذوك صباح مساء وتستانس فيك
بغير استئذان
خذ منى قبسا يضوى فى عينيك الساهمتين
ولايغرب
ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
انى المذهولة ابدا
انى المرتعبة ابدا فى بستان الرمل
سرت طويلا لأحج اليك
فارحنى عندك سنوات او لحظات
فلكم ارهقنى الترحال !
قدم لى كوبا من شاى دافىء
ودثارا
اشعل لى نارا
واحك احاديثك حتى انعس
انى اشتقت الى النوم
داعب خصلاتى حتى تطرد منى عفريت الخوف
واسكن فى قلبى هذى الليلة فالليل طويل
ومحطتنا لاتثبت
اليوم هنا
وغدا .. فى غير مكان
ثبتنى لاطير
والخيط بكفيك
طائرة ورقية
ترسم غيمة
وتجوب الدنيا
لتعود اليك
ثبتنى فى بؤبؤ عينيك
وشما فى صدرك : غيمة
حتى .. لا اهدر فى الرمل





سينما مؤجلة إلى متى؟

بقلم : مصطفى درويش

عندما اعددت نفسي لاكتب هذه الكلمات عن « السينما المؤجلة » لصاحبه الناقد « محمد سويد » . قفزت الى ذهني من ظلمات الماضي القريب نتائج استفتاء اجرته مجلة « اليوم السابع » لمعرفة افضل عشرة افلام في تاريخ السينما العربية (٢٢ فبراير و ٢ مارس عام ١٩٨٧)

تركت قلمي حيث كان وطالبت نفسي أن تبحث عن الخيط الذى ربط فى خواطرى المنسابة بين هذا الاستفتاء ونتائجه وبين ما كنت قد هممت بكتابته عن « السينما المؤجلة » .

وبعد تفكير بدت أمامي رابطة ارجّح انها هى الخيط الذى جذب نتائج استفتاء « اليوم السابع » فى سيل الخواطر .

فما هى هذه النتائج ، وما هى الرابطة بينها وبين دراسة الناقد البيروتي ، تلك الدراسة التى تدور وجودا وعدما حول ما يسمى بالسينما اللبنانية فى زمن الحرب ؟

الافلام العشرة التي هزت السينما العربية وفقا للاستفتاء .

وحسب عدد الأصوات الحاصلة عليها ممن جرى استفتاؤهم هي (١) المومياء شادي عبد السلام (٢) الارض - يوسف شاهين (٣) باب الحديد - يوسف شاهين (٤) المخدوعون - توفيق صالح (٥) بداية ونهاية - صلاح ابو سيف (٦) العزيمة - كمال سليم (٧) أحلام المدينة - محمد ملص « سوريا » (٨) الحرام - هنري بركات (٩) عمر قتلته الرجولة - مرزاق علواش « الجزائر » (١٠) كفر قاسم - برهان علوية « لبنان »

وقراءة سريعة لهذه النتائج يتبين منها

اولا . ان سبعين في المائة من مجموع هذه الأفلام لمخرجين من اهل مصر .

ثانيا . ان فيلما واحدا « كفر قاسم » (١٩٧٤) لمخرج من اهل لبنان ، وبالتحديد جنوبه « برهان علوية » .

ثالثا : إن جميع الأفلام الفائزة ، فيما عدا « العزيمة » الذي انتجه « ستديو مصر » (١٩٣٩) و « باب الحديد » الذي انتجه واحد من اهل فلسطين « جبرائيل تلحمي » (١٩٥٦) - جميعها من إنتاج مؤسسات القطاع العام على امتداد الوطن العربي من مشرقه « سوريا » حتى مغربه « الجزائر » ، مرورا بقلبه « مصر » .

رابعا : إن « كفر قاسم » إنتاج مشترك بين مؤسسة السينما في سوريا ومخرجه ..

وهو فيلم لايعرض لمحنة الشعب العربي على ارض لبنان ، وانما يعرض لمأساة الشعب العربي في ارض اخرى ، هي ارض فلسطين المحتلة ، في ايام لها تاريخ فيما بين قرار تأميم قناة السويس وقرار العدوان الثلاثي على الشعب العربي في ارض مصر .

وعنه قال صاحب دراسة « السينما المؤجلة » « انه فيلم « بقي في اطاره الفردي . ولم يشكل في حد ذاته التيار المؤثر والقابل للاستمرار » .

● عبقرية المكان

ويستفاد من هذه القراءة ان سينما القاهرة لها نصيب الاسد فيما هو ممتاز وذو تاثير على مسار السينما في الوطن العربي من الافلام . اما ما عداها من مراكز سينمائية في دمشق وبيروت والجزائر العاصمة وغيرها من امهات مدن هذا الوطن الفسيح ، فهي بإنتاجها المتقطع القليل ، ذي التاثير الضئيل ، لاتعدو ان تكون روافد سينمائية لتيار سينما القاهرة الجارف

ولا غرابة في هذا . ففن السينما قد ظهر في الوطن العربي اول ما ظهر على ارض مصر سنة ١٩١٢ اى قبل التاريخ الرسمي لظهوره على ارض لبنان بفضل فيلم « مغامرات الياس مبروك » (١٩٢٩) لصاحبه « جوردانو بيدوتي » المنحدر من اصل ايطالي ، والذي « كان يعمل سائق سيارة مياومة عند عائلة جاك ثابت بحي السراسقة في الاشرفية » .

وهنا من المفيد التاكيد مرة اخرى على ان انطلاق الأنتاج السينمائي في الوطن العربي بدءا من ارض مصر لم يات من فراغ فمصر بحكم وضعها الجغرافي المركزي الذي يجعلها بمثابة القلب من الوطن الكبير .

وبحكم التقدم النسبى لاقتصادها ، ومتعة مدنها الكبرى المشعة ثقافه وفنا وبهجة ، فضلا عن تعرضها لتاثير الافكار الحرة السائدة فى العالم وبالتحديد اوروبا ، بحكم ذلك كله كانت مؤهلة لان تكون قاعدة وطليعه للوطن العربى فى الفنون ، لاسيما ما كان منها متصلا بالفن السابع .

● لبنان . اولا

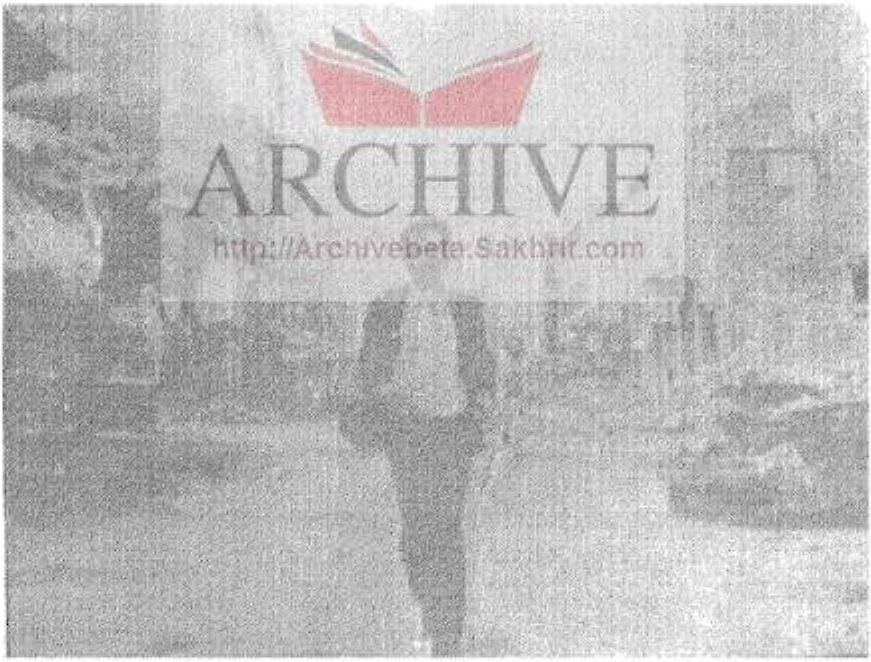
والعجيب .. العجيب ان هذه الواقعة التى لا منصرف عنها ، ولا تخلص منها قد وجدت من يعارضها ، يكابر فيها واين "

على ارض لبنان حيث ثمة اسباب طبيعية حتمت وجود الفيلم التجارى على مراحل متباعدة زمنيا

او كما يقول الناقد صاحب الدراسه بحق ، من السابق لاوانه الاشارة الى سينما لبنانية فعلية ، يقوم فيها الانتاج على تراكم منتظم (ص ٤٦ ، ٤٧) ومتى "

عندما صدرت قرارات التاميمات الكبرى فى مصر (١٩٦١) لتشمل صناعة السينما ، فكان ان انتهز اقتصاد الخدمات فى بيروت الفرصة ، ففتح الابواب لبعض الطيور المهاجرة من القاهرة مما عكس ازدهارا عابرا فى انتاج سينمائى هابط بلا هويه

حروب سفيرة .. ام طائفية



وعن هذه الفترة من عمر السينما في بيروت كتب صاحب الدراسة قائلا «لبنان الستينيات ومطلع السبعينيات عرف فترة فنية غنيه . لكنه كان على صعيد السينما يعيش مرحلة انحطاط في الانتاج رغم غزارته واختلاطه بالتجربة المشتركة مع السينما المصرية (يقصد السينمائيين المهاجرين من مصر تخوفا من التاميم) ولصاحب الدراسة تفسير لظاهرة معاناة السينما على ارض لبنان من انقطاعات مفاجئة تستبعد اى تواصل او استمرارية او تكامل في التجارب والأجيال ..

فهو يرجعها أولا الى وجود خلاف اصلا حول وطنية لبنان او بتعبير ادق حول لبنان - الوطن (ص ٥٠)

وثانيا الى قيام تاريخ السينما في لبنان على افلام وليدة ومغامرات فردية . باء معظمها بالفشل بحكم انها لم تعط المردود الكافي لاستمرار عجلة الانتاج فضلا عن بقاء العديد منها اسير العلب ، كفيلم «برهان علوية» الاخير «بيروت اللقاء» (١٩٨١)

باختصار هي افلام لاتشكل تيارا متجانسا يمكن ان يطلق عليه «تسمية السينما اللبنانية» .

الحرب القذرة

وفي محاولة اخرى منه لتفسير هذه الظاهرة ارجع تقطع مراحل الانتاج السينمائي في لبنان إلى كثرة الحروب «فما ان كانت الثلاثينيات حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وعهد الاستقلال .

وما ان كانت الاربعينيات والخمسينيات حتى كانت احداث عام ١٩٥٨ ، وما ان كانت الستينيات مرحلة خصبة للإنتاج التجارى المشترك مع مصر ، حتى جاءت حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ثم كانت السبعينيات وتقلص نفوذ هذا الانتاج لتحل مكانه بعض المحاولات اللبنانية المتواضعة التى لم تلبث ان عطلتها قذائف الحرب في ١٣ نيسان ١٩٧٥ » (ص ١٨)

والغريب ان يتبنى صاحب الدراسة هذا التفسير ، ولايكاد يفطن ان مصر قد تعرضت هي الأخرى للحرب العالمية الثانية ، فضلا عن حروب خمسة مع اسرائيل وحلفائها ، ومع ذلك لم ينقطع الانتاج السينمائي على ارضها رغم ما صاحب هذه الحروب من خطوب

ومهما يكن من امر . فثمة حرب تصلح تفسيرا لتلك الظاهرة . بل قل سببا لاعتبار السينما على ارض لبنان - بشروط انتاجها الحالية - مغامرة محكوم عليها سلفا بالاعدام

في الفصل السابع والأخير من الدراسة وعنوانه « آفاق المستحيل يجنح صاحبها الى مزيد من الياس

فلبنان يشهد احداثا تصرف الانتباه عن التطلع الى القضية القومية الكبرى ، يتفتت ، يقع فريسة افتعال نظريتى الخوف المسيحى ، والغبن الاسلامي ، يغرق في دوامة حرب اهلية بين الطوائف ..

● نهاية حلم

ومع هذا التمزق والتشتت وفقدان



سينما مؤجلة الى متى ؟

بيروت اللقاء
.. فيلم متشيع

الاصل ، ومن هذا الواقع المتشرذم الافاق ، وعلى خريطته المبعثرة الأطراف ، تورط سينمائيو لبنان فى

توازنات ومعادلات هذه الحرب القذرة ، سقط رائدو السينما البديلة أو الاخرى فى مستنقع « طوائفية المرحلة » عندما قاموا فى افلامهم برسم صورة للتفكك والتجزئة الطائفية فى بنية لبنان على وجه كان لامفر معه مثلا من « ملاحظة مسيحية » « ثريا » فى « حروب صغيرة » للمخرج « مارون بغدادى » او شيعية « حيدر » فى « بيروت اللقاء » وكذلك مسيحية البطلة واسلامية البطل فى « الانفجار » للمخرج « رفيق حجار »

ومع بقاء « بيروت اللقاء » فى علبه ورفض حروب صغيرة « فى منطقتى بيروت الشرقية والغربية ، بدا طغيان نجاح « الانفجار » ، فى بيروت الغربية على نجاحه فى بيروت الشرقية بمثابة نوع جديد من الانقسام المناطقى بالنسبة للفيلم اللبناني (ص ١٠٤)

واذا كان الامر كذلك بالقياس الى السينما البديلة أو الاخرى ، فالسينما كلها على أرض لبنان سواء اكانت سائدة ام نخبوية أم توفيقية ـ وقد اشتدت عليها أزمة تمزق المجتمع ، وأخذتها الخطوب والأهوال من جميع وجوهها ـ هذه السينما قد انكشف انها بدون بنية تحتية ، بدون سوق لتصريف انتاجها .

واى سينما بغير توافر هذين الشرطين مصيرها حتما إلى الزوال ، وذلك لانه كما جاء بحق ختاما للدراسة من العبث اختراق المستحيل بحثا عن آفاق ليست سوى اوهام ..



بين عقيدة التوحيد والكتب السماوية

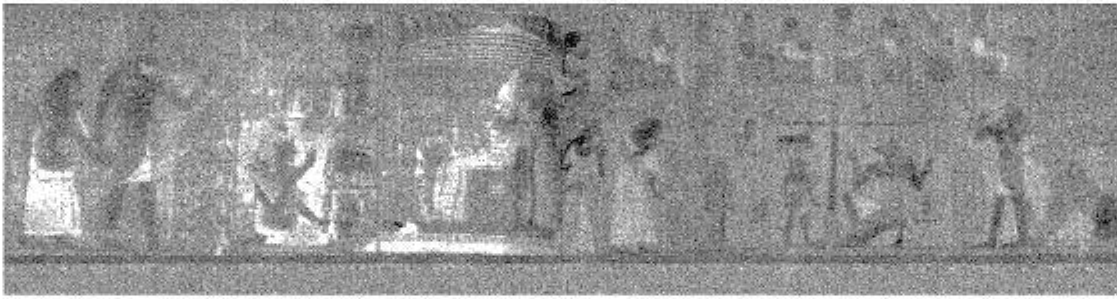
بقلم : د. سيد كريم

منذ اكتشف علماء المصريات فى نهاية القرن الماضى "كتاب الموتى" ولا يزال هذا النص القديم البالغ الأهمية بعيداً عن متناول القارىء العربي ، رغم ترجمته لمعظم لغات العالم ..

ويقدم هذا الكتاب رؤية فلسفية متقدمة ، وتبين القوة الخفية التى تهب الحياة وتسير الكون ، ومغزى الموت والحياة والجزاء والعقاب .

يكتب هذه الدراسة القيمة الدكتور سيد كريم فى محاولة لتقديم هذا النص القديم للقارىء العربي ، ومد وشائج التوحيد فى العقيدة الدينية لمصر القديمة مع الرسالات الدينية الكبرى .

وهذه دعوة لكى يترجم هذا الكتاب ، ويقدم للقارىء العربى



الانسان المصرى عرف العطاء منذ ان شهد مولد الزمان فالمصرى صنع الحضارة لا فى مصر وحدها بل فى العالم اجمع .. ان عطاء مصر الحضارة والانسانية دائم ومتجدد والعظم ماجادت به القريحة المصرية كان فى مجال الاديان والعقائد .

فقصة الدين وتتبعها على مدار العصور تنهض على عبقرية اصيلة ووجدان مرهف لشعب وادى النيل وهى عبقرية لم تنقطع قط وستظل تؤدى دورها ما بقى نسج حياة ذلك الانسان العظيم .

فشعب مصر أول من آمن بأن هناك الها واحد للجميع . آمن بهذه الحقيقة قبل مولد الزمان فكان أول من نادى بالتوحيد . توحيد الاله الواحد رع (آتى) خالق الكون . الذى رمز اليه بقرص الشمس المجنحة التى تتربع فوق عرش السماء لتعبر عن القوة الخفية التى تهب الحياة وتسير الكون والذى "لا تدركه الأبصار"

لقد شد ذلك اللغز اهتمام الباحثين فى علوم اللاهوت وتاريخ الحضارات من قديم الزمان وهم يحاولون الوصول الى جذور تلك العقيدة ومواطن نشأتها وعوامل تطورها وانتشارها فتلاقت نتائج بحوثهم عند مدينة "اون" موطن العقيدة والقدم فى تاريخ مصر .

وصفها المصريون القدماء بأنها "افق السماء" وموطن نشأة جميع المعبودات والارباب ويخرج منها رجال المعرفة ويجمع القضاة ومنها خرج "ابنوبيس" بأول رسالة للتوحيد .

وقد حدثنا مانيتون المؤرخ المصرى والذى تولى مركز الكاهن الاكبر لمعبد اون ونقلها عنه المؤرخ يوسيبيوس عالم اللاهوت وتاريخ الاديان فى موسوعته "تاريخ العالم من الخليقة الى مولد المسيح"

وذكر يوسيبيوس فى موسوعته نقلا عن مانيتون ان رسالة التوحيد الأولى فى تاريخ البشرية نزلت فى مدينة اون فى عهد الكهنة المبجلين من انصاف الالهة عندما أرسل لهم الاله الخالق الملاك الوزير (ابنوبيس) احد حملة العرش على شكل بشر ليحمل رسالة التوحيد الأولى والتى بدأت بتعريف الخالق رب الارباب بقوله :

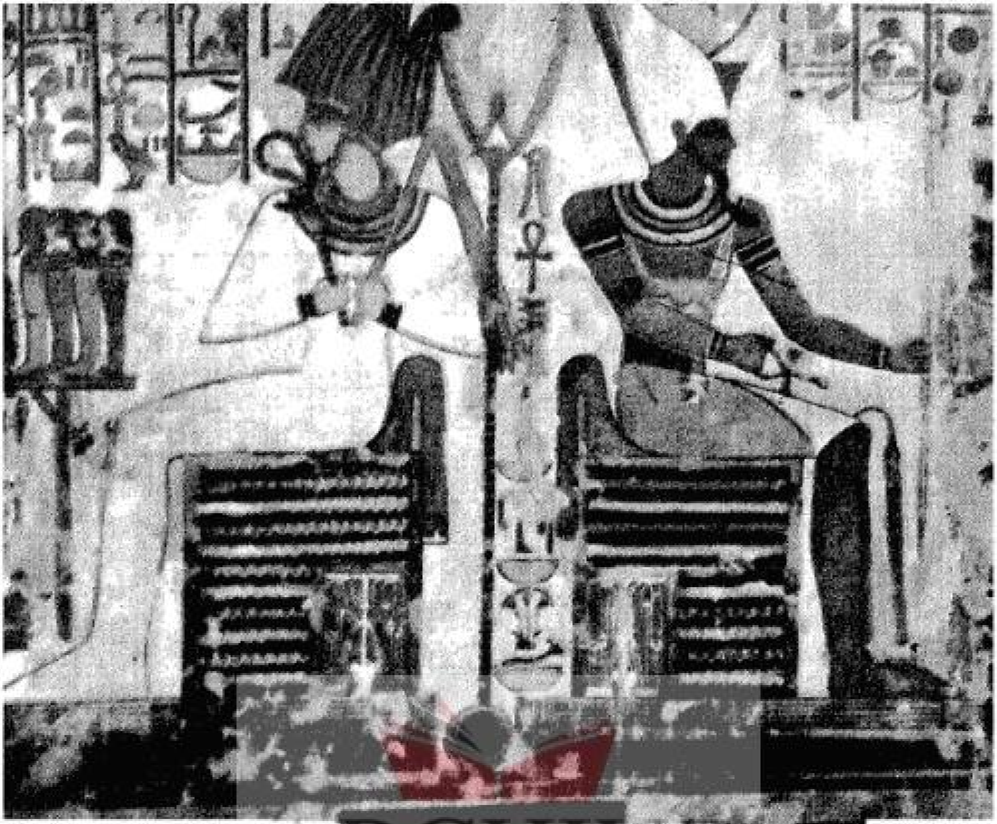
كان الكون فضاء ازليا يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الاله الاعظم نفسه بنفسه . فسارت الحركة الدائمة وعم نوره الكون كله . ومن انفاسه انبثق ملائكة التكوين او ملائكة العرش الثمانية .

وفى البداية كانت الكلمة والكلمة مصدرها الاله رب الارباب خالق كل شىء فكان كل شىء . علم الانسان الحروف والكلمة والاسم والنطق ليقرأ رسائل الاله ويتلقى تشاريع السماء .

وهى الرسالة التى تمت بها جميع الكتب السماوية الى البشر فكان شعب مصر أول شعب عرف الكتابة والقراءة .

ومن أون مهبط العقيدة خرج أول تقويم شمسى فى الوجود ظهر عام ٤٢٤٢ ق . م فبالعقيدة عرف المصرى حساب الزمن وقسم الزمن الى سنوات والسنة الى ميقاتات او اسابيع وايام كما قسم اليوم الى ساعات ودقائق وثوان . وهو التقويم وحساب الزمن الذى خرج من مصر الى مختلف الحضارات قديمها وحديثها ولم يجد له العالم بديلا الى يومنا هذا .

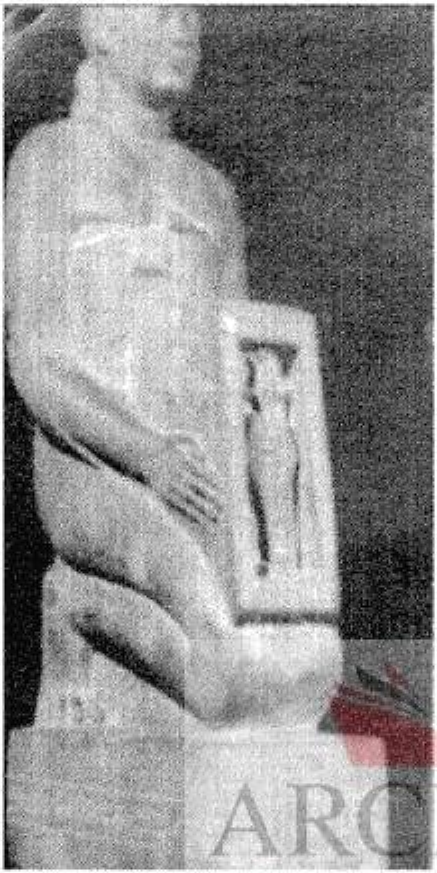
ومن عقيدة اوزوريس الأولى كان المصرى أول من عرف معنى الخلود



اتوم - واوزيريس ..
أوزيريس (أوزيرا) حمل
أول رسالة للتوحيد
عرفتها البشرية .
وعاش في منف



تمثال مجهول
للمعبود اوزيريس
(متحف دمشق)



الكاهن الاكبر لمعبد
اون يحمل الكتاب
المقدس بين يديه

والبعث والحساب والجنة والنار والتى نادى بها الرسل ونادت بها الكتب السماوية التى ظهرت بعد رسالة توحيد اوزوريس بالاف السنين .

● بداية تعاليم الإله

لقد حدد مانيتون تاريخ نزول عقيدة اوزوريس باقامة معبد رع اله السماء عام ٩٥٠٠ من التاريخ الكهنوتى اى من ١٢٥٠٠ سنة فى عصر ملوك الشمس اول ملوك ماقبل الاسرات . كما ان التشابه القريب بين اوزوريس واوصافه التى وردت فى برديات كتاب الموتى والنبى ادريس الذى ورد ذكره فى الكتب السماوية اتاحت الفرصة لكثير من كتاب العقيدة من تأكيد العلاقة بين شخصية كل منهما . وصف كتاب الموتى اوزوريس بانه احد ملائكة العرش الثمانية وان الاله الاعظم رب الارباب ارسله الى الأرض على شكل بشر ليحمل الى الناس رسالة السماء فعلم الناس القراءة والكتابة ليستمعوا الى تعاليم الاله وتشاريعه وعاش فى منف ليعلم الناس الزراعة وارتداء الملابس ثم صعد الى السماء ليأخذ مكانه فى محكمة الآخرة ليرأس محكمة البعث والحساب

فتلك الأوصاف تنطبق جميعها على النبى ادريس الذى وصفته الكتب السماوية والقرآن الكريم بأنه رسول نزل من السماء مناديا بالاسلام والتوحيد وانه علم الناس الحرف والكلمة والزراعة ولبس المخيط ويصفه القرآن الكريم بأنه « كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » (مريم) كما وصفته بعض طوائف اليهود بأنه ابن الله « وقالت اليهود عزير بن الله (التوبة)

إن بداية تعاليم الاله فى رسالة توحيد اوزوريس هى القراءة والكتابة وهى الدعوة التى تصدرت جميع الرسالات السماوية ونادى بها جميع الأنبياء . ووصفتها



بردیات كتب الموتى في كل من تشاجيع نصتانون وإيمسيوتي وآني وتيتو بتوجيه ، اقرأ فالقراءة اول مراتب الايمان بآلهة السماء . فالقراءة تثير لك طريق السعادة في الدنيا والخلود في الآخرة . .

وتقول التوراة : اقرأوا كلمات الاله واعملوا لها وبوتو تشاريعه لتفوزوا على اتصال دائم برب العرش .

وبينما القرآن الكريم يقول ...... اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

● السياسة والعقيدة

وهكذا تكشف [illegible] رسالة التوحيد عرفتها البشرية [illegible] بها [illegible] على أرض مصر [illegible] وسجلها في كتاب الموتى بالنقد المنسوق والنقش المرسوم حتى لا تصل الى البشر عن طريق السماء .

ويكاد عقيدة دينية أو رسالة سماوية تمضي في تطورها [illegible] مختلف [illegible] الشعبية بصعب متكلف [illegible] في [illegible] بعض على تلك [illegible] وتعالي [illegible] عرفت رسالة التوحيد [illegible] السمات الشعبية بين مختلف [illegible] والمعتقد والتقاليد [illegible] كل [illegible] خاصا يعبر عن صفة من صفات [illegible] [illegible] القوة والحكمة والعدالة و [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] النبية والعصبية والشرابية [illegible] والبحوث والحرس [illegible] وبعد النشأ كل [illegible] تحول الى معبود مستقل [illegible] المعبودات فتفكك العقيدة [illegible]

المعبودات وهو ماوصفه مؤرخو العقيدة بعبادة الأوثان .

لقد تبع استقلال العقيدة وتفككها في كل مرة تفكك وحدة البلاد وانفصال القرى الوادي عن بعضها وتحول البلاد والاقاليم الى اقطاعيات متباعدة ومتصارعة حتى يظهر رسول ينادي بالعودة الى الايمان بالاله الواحد .

وكان القائد "نعرمر" موحد القطرين أول من نادى بالعودة الى توحيد الاله . واتخذ القائد نعرمر (الملك مينا) موحد القطرين الصقر حورس شعار الحرية المقدسة لتوحيد البلاد بتوحيد العقيدة . فكانت في جوهرها حربا دينية أو زحفا دينيا وليست حربا سياسية او عسكرية لدعوة البلاد الى نبذ المعبودات المحلية ومعبوداتهم الارضية والدخول في عقيدة الله التوحيد اله السماء . ولذا فقد وجدت دعوته استجابة سريعة وبغير حرب في اقاليم الدلتا والشمال وكان الفضل في ذلك لكهنة معبد اون الذين ناصروه وامنوا

بدعوته التي تنادي بالعودة الى توحيد الاله رع وقد رمز له بالصقر وهو يحمل فوق رأسه قرص الشمس رع . وقد اتخذ نعرمر الصقر كرمز للتعبير عن الاله رع لأن اسم الصقر "حور" معناه الرفعة والسمو كما أن اجنحته تمتد لتظل أطراف المعمورة لتنشر السلام على الأرض وعيناه لا تغمضان طوال الليل والنهار وتعبران عن العناية الالهية التي لا تغفل عن حراسة المخلوقات والعناية بهم .

وعندما أتم نعرمر رسالته توج ملكا باسم مينا مؤسس الأسرة الأولى ونقل عاصمة بلاده الى منف لتكون بمثابة قلب العقيدة النابض على أرض مصر عند ملتقى القطرين الدلتا والصعيد ومن القلية التي وصفه بها كهنة اون انه ينتمي الى انساب الآلهة الذين يتلقون تعاليمهم من السماء .

لقد تفككت عقيدة توحيد أو رسالة نعرمر بنهاية الأسرة الأولى بعد أن استمرت الى مايقرب من ثلاثمائة عام كما

لوحة نعرمر "مينا"
وحد القطرين
بتوحيد العقيدة

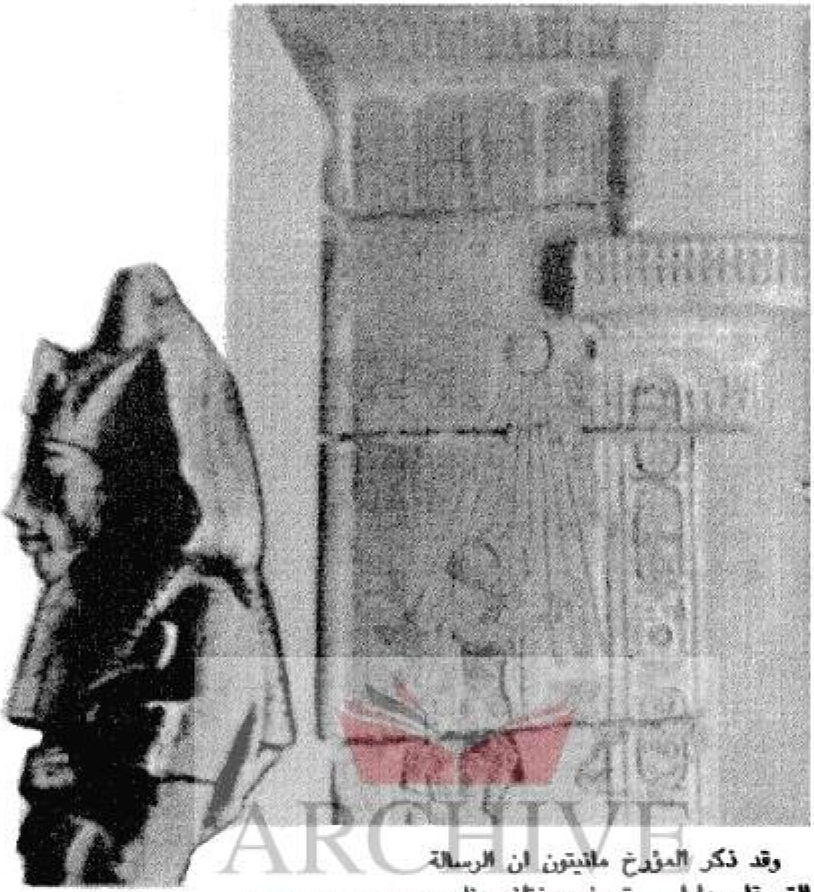


إيمحوتب ٢٩٠٠ ق.م
عقيدة التوحيد -
عصر الاهرامات



ورد فى قوائم مانيتون فعادت الالهة والمعبودات تحتل مكانها فى المعابد. وتعددت المذاهب والعقائد وما ارتبط بها من أساطير وطقوس للعبادة انفرد بها كل معبد وقد ظهر ذلك واضحا فى برديات الموتى ومتون العقيدة التى وجدت فى مقابر ذلك العصر.

ومع بداية الأسرة الثالثة ظهرت محاولة ثانية لتوحيد العقيدة بالرسالة التى حملها الحكيم "ايمحوتب" مستشار الملك زوسر ومن ألقابه المتعددة المهندس الأكبر والطبيب والفنان والقاضى وكاهن المعرفة المقدسة المطلع على اسرار الوجود بعد دراسته لعلوم المعرفة بمعبد اون "حصن عقيدة اوزوريس" وكان يحمل لقب احد كهنتها المبجلين



وقد ذكر المؤرخ مانيتون ان الرسالة التى قام بها ايمحوتب فى مختلف عناصر المعرفة من اللاهوت الى العلوم والطب والهندسة وفن البناء والتى كان ينسبها الى تشاريع رب السماء هى التى جعلت المصريين يؤلهونه بعد وفاته بعدة قرون واطلقوا عليه فى الأسرة ٢٦ بعد الفى سنة من وفاته لقب (بن بتاح) اى ابن اله الخلق والتكوين واتخذ منه الاغريق الها للطب واطلقوا عليه اسم "اسكليبيوس"

● عقيدة التوحيد .. شعار الدولــــــة

لقد وصف المصريون عقيدة التوحيد التى نادى بها ايمحوتب والتى اصبحت



اطلق الفراعنة على
معبد أوزوريس "كعبة
البعث" وبوابة
العالم الآخر

شعاراً للدولة بأنها النظام الادارى الخلقى العظيم الذى يعمل بتشاريع السماء واتخذ ايمحوتب من البناء الهرمى رمزاً لاله الخلق فاقام أول هرم مدرج وهو هرم سقارة الذى تعبر درجاته السبع عن السماوات السبع وايام الخلق الستة التى جلس الاله على عرشه فى اليوم السابع وقد نقل ايمحوتب فكرة الاهرام كرمز لاله التوحيد من معبد أون الذى كان يحتفظ بهرم يعلو قمة مرصد المعبد وصفه كتاب الاغريق بانه كان مكسوا بمعدن خاص يعكس اشعة الشمس مع دورانها طوال النهار ويشع نورها طوال الليل .

كما اضاف بعض المؤرخين أن هرم أون المضىء الذى كان يمثل عرش الاله كان يوضع فوق درجات الهرم الست فى مناسبات الأعياد الدينية ولذا فقد وصفه البعض بأنه يرمز الى سلم الصعود الى عرش الاله . ووضع ايمحوتب شعارا لتوحيد الاله رع نقله عن كهنة أون وهو وضع هرم مصغر على قائم مرتفع والذى اطلق عليه الكتاب والمؤرخون اسم المسلة أى الابرة والتى اطلق عليها الفراعنة اسم اصبع العقيدة التى تشير الى عرش الاله فى السماء .

وقد استمرت رسالة توحيد ايمحوتب

في الازدهار والانتشار ولا تختلف في مضمونها عن عقيدة أوزوريس من يعتبره بعض علماء الكهنوت امتدادا لها. كما بدأ شأن الاله رع يرتفع سياسيا مع بداية الاسرة الرابعة حتى اصبح الاله الرسمي للدولة واضاف كل من ملوكها اسم "رع" الى اسمه المقدس وقد استمرت عقيدة توحيد الاله رع التي حمل رسالتها ايمحوتب حتى نهاية الاسرة السادسة. اي مايقرب من تسعمائة عام وفقا لقوائم المؤرخ المصري مانيتون والتي انتهت بقيام الثورة الشيوعية الاولى التي منعت العبادات وحطمت المعابد وحرقت المقدسات.

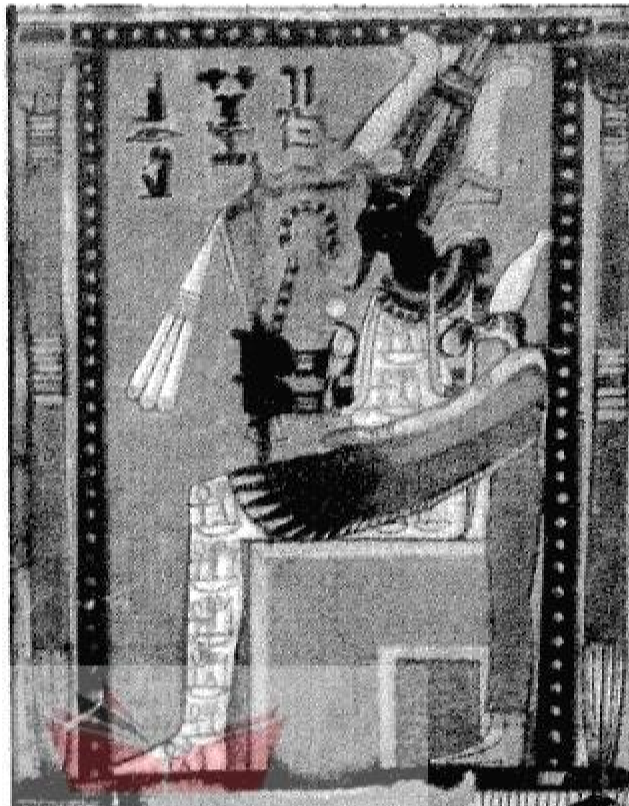
● رسالة التوحيد

وجدت العقيدة تظهر مع بداية عصر التحوير في الاسرة الثانية عشرة ولكنها تعثرت وواجهها العديد من العقبات السياسية وتعدد نفوذ المعابد وتعددت صور الالهة والمعبودات وفي مقدمتها نفوذ معابد امون وكانت عقيدة التوحيد تمارس في السر خلال حكم امنحتب الثالث واستمرت حتى قيام دعوة التوحيد التي نادى بها امنحتب الرابع واصراره على الدعوة الى عبادة اله الشمس "الاله الواحد الذي لا شريك له" ويرمز له بقرص الشمس الذي اطلق عليه اسم اتون بدلا من رع ليعبر عنه بالقوة الكامنة خلف قرص الشمس لا الشمس نفسها فقرص الشمس ماهو الا رمز للاله وليس الاله نفسه الذي لا تدركه الابصار كما غير اسمه الى اخناتون اي حبيب الاله وهو الابن الذي مكن من الاله اختاره و.. اقام اخناتون في نشر رسالته على طول البلاد وعرضها معلنا بانها رسالة منزلة من اله التوحيد الى البشر وماهو الا رسول يحمل رسالة اله السماء الى الارض والتي تنادي بتوحيد الاله وتمجيد ذاته

وقام كمن سبقوه من رسل العقيدة بتحطيم تماثيل الالهة وخاصة تماثيل امون ايضا وجدت خاصة عندما حول كهنة امون اسم امون الى امون رع حتى يكون ربا للارباب ومن بينهم رع وعمل على محو اسماء الالهة والمعبودات. ولفظة الالهة بصيغة الجمع من كل المعابد حتى يؤكد وحدانية الاله "اتون" وكانت النظرية التي تبناها اخناتون في تحطيم تماثيل المعبودات هي القضاء على كيانها في عالم الوجود وذلك كما تشير اليه الوثائق القديمة في عالم السحر، بان محو صورة انسان تعني القضاء عليه. وذلك ينطبق كذلك على الالهة لانها ليست الهة وليست لها حصانة من رب الخلق وليست لها القدرة على الدفاع حتى عن نفسها.

وهو مافعله سيدنا ابراهيم عند تحطيمه تماثيل الكعبة وماقام به ايضا محمد عند زحفه المقدس. لقد استمر نزول رسالات التوحيد والكتب السماوية التي تدعو اليها والتي تتفق جميعها في توحيد الاله الواحد خالق الكون وماتنادي به الرسالات جميعها بالبعث والحساب والخلود والعالم الاخر. ويحمل كلا منها رسول او نبي

ان اول رسالة او كتاب سماوي نزل بعد اخناتون كانت توراة سيدنا موسى والتي كشف بعض المؤرخين ان بعض صفحاتها تشترك في الصيغة والمضمون مع رسائل اخناتون. كما ان مزامير داود ثبت انها نسخة طبق



اوزوريس (اوزير) جالسا على عرش العالم الآخر تحميه اجنحة نخبت راعية الوجه القبلى (برديات كتاب الموتى) الاسرة ١٩ - ١٣٥٠ ق م (متحف اللوفر)

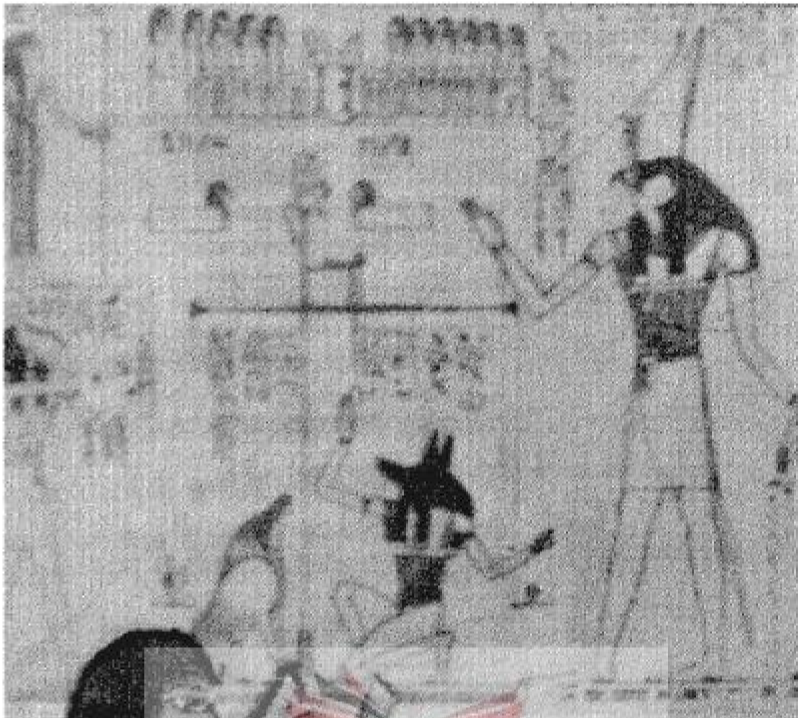
الأصل من اناشيد اخناتون وهو ما ادى بفرويد الى الادعاء بأن اخناتون ماهو الا موسى عليه السلام رغم أن موسى قد ولد بعد موت اخناتون بمائة وستين عاما .

وتوالى نزول الكتب السماوية فنزل الانجيل على سيدنا عيسى ثم القرآن الكريم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء .

إن جميع الكتب السماوية التى ظهرت منذ بدء الخليقة وفجر الزمان والتى تنادى بالتوحيد وبتزويد البشرية بالتشاريع التى تحدد علاقة المخلوق بالخالق لا يختلف احدها عن الآخر الا فى علاقتها بالزمان والمكان .

ان اسباب تكرار او عودة نزول رسالة التوحيد وكتبها السماوية الى البشر من أوزوريس الى تحرمز الى ايمحوتب وانتهاء باخناتون وهو ليس أول من نادى بالتوحيد كما يصفه بالخطأ كثير من الكتاب والمؤرخين بل هو رابع من حمل الرسالة من قدماء المصريين ـ هى نفس الأسباب التى دعت الى تتابع نزولها بعد رسالة اخناتون من التوراة الى الانجيل الى القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية والتى حمل كلا منها رسول أو نبى .

وقد اشار الله عز وجل الى حاملى رسالة التوحيد من غير الرسل والانبياء الذين ورد ذكر اسمائهم فى الكتب السماوية بقوله :





فى الصورة العليا . البعث
والحساب وفى الصورة السفلى
صورة الكاهن الى نسخ
رسالة بردية "كتاب الموتى"
كما صورته فى البردية ،
وهو يتقدم للدخول
إلى "محكمة الآخرة"

● «ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزا حكيما» (النساء)

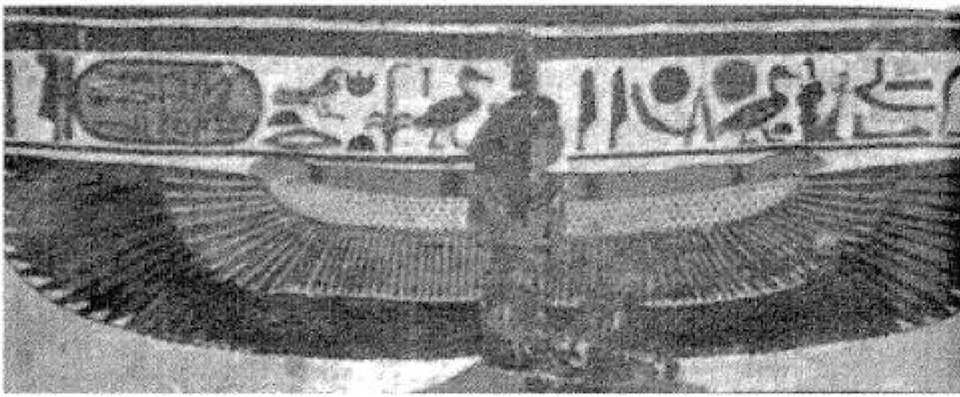
● «ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا بإذن الله» (غافر)

● كتاب الموتى ورسالات العقيدة

- عندما بدأ مؤرخو الاديان دراسة أصول العقيدة عند قدماء المصريين والبحث عن جذور نشأتها لتتبع سيرة رسل العقيدة ورسالات التوحيد التي تقدموا بها والتي تأكد ، بالنسبة الى الفترة الزمنية التي نزلت فيها ، انها فوق تفكير البشر والمستوى الاجتماعي والثقافي والتي كانت تلك الرسالات أو كتب العقيدة نواة بناء حضارتها الانسانية ، بدأ خيط البحث بالرجوع الى برديات النصوص الدينية التي أعتاد المصريون القدماء أن يزودوا بها موتاهم ، والتي كانت تكتب تارة على أوراق البردي ، وتارة أخرى على الرق كانت هذه البرديات توضع في بعض الأحيان في صندوق مخصص لها ، وأحيانا توضع مع الميت في تابوته . واحيانا توضع بين اللفائف التي تغطي الجثة المحنطة . كما وجدت لفائف تشكل كتابا او رسالة كاملة وضعت في صندوق خشبي يستخدم ركيزة لتمثال أوزوريس الذي تنسب اليه الرسالة او الاب الروحي لرسالات التوحيد ، . وفي بعض المقابر كانت النصوص والمتون تنقش على حوائط المقبرة نفسها أو تزين بها توابيت الموتى .

وكان اكتشاف اصول كتب العقيدة ومتونها بين برديات مقابر الموتى سببا في اجماع علماء الآثار والحفريات ومؤرخي العقيدة على اطلاق أسم "كتاب الموتى" على كل كتاب أو رسالة أو بردية من برديات العقيدة . كما امكن الوصول لكثير من البرديات والنصوص لكتاب الموتى التي تعود معظمها الى رسالة دعوة ايمحوتب في عصر الاهرامات ، في كل من اهرامات أوناس وبيبي الأول ومنتي ام ساني . كما وجدت بعض النصوص في تابوت الملك منقرع وهي البرديات التي اطلق عليها اسم "متون الاهرام" التي جمعها كل من ماسبيرو وماربيت عام ١٨٨٠ م . كما تم اكتشاف برديتين اخريين يرجع تاريخهما الى الدولة القديمة وهما برديتا هونيفر وتيبستي وقد ألقت كل منهما ضوءا على رسالة التوحيد التي بدأت في الأسرة الأولى .

وفي سنة ١٨٨٨ اكتشفت بعثة المعهد البريطاني ضمن حفريات معبد ابيدوس نسخة كاملة لكتاب الموتى وهي البردية المشهورة باسم بردية آني Papyrus Of Ani . وهي بردية واحدة طولها ٢٥ مترا وعرضها ٤٠ سم مدونة بالخط الهيروغليفي ومفسرة بالنقوش والرسوم المختلفة الالوان . ولم يتمكن علماء الآثار من تحديد تاريخ نزولها فنسبوا تاريخها الى عصر الحفريات التي وجدت بها اي عام ١٤٥٠ ق . م وهو الخطأ الذي وقع فيه علماء



العقيدة عند تحديد التاريخ الزمنى الفعلى "لكتب الموتى". فوجود الكتاب الدينى أو برديات نصوص العقيدة فى أى مقبرة من المقابر كوجود القرآن والكتب السماوية الأخرى فى قبور موتى العصر الحديث. لا يعتبر تاريخ نزولها منتميا الى تاريخ المقابر التى وجدت بها ويجب العودة الى تاريخ صدورها أو نزولها وعلاقاتها بالتطورات أو الانقلابات السياسية والدينية التى تمخضت عن ظهورها ومن قاموا بحمل رسالتها والتى قد تسبق التاريخ المعاصر لمكان وجودها بآلاف السنين.

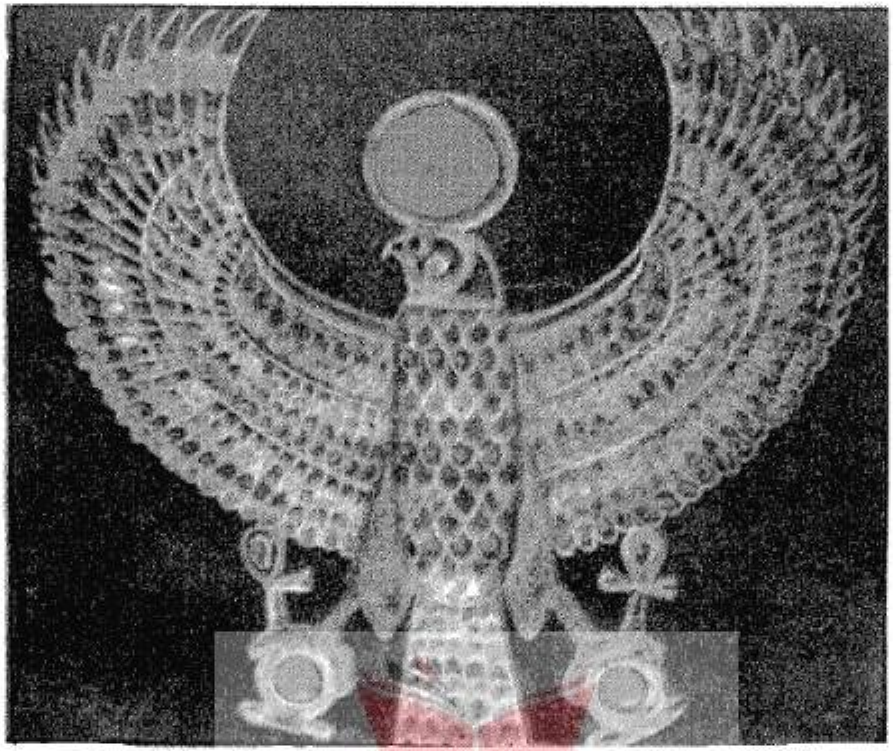
كما أن شخصية الحكيم آنى الذى ذكر ضمن ألقابه انه كاتب الملك ومستشاره، ولم يذكر اسم الملك نفسه الذى سجلت البردية فى عهده. هو مايؤكد أن آنى ليس بحامل الرسالة بل انه الكاتب الذى نسخها ورسمها.

وتحمل كتب الموتى اكثر من اسم بعيد عن اسم كتاب الموتى الذى اطلقه عليها الكتاب والمؤرخون، منها كتاب المجىء الى وضح النهار وطريق النور ورحلة الروح الى العالم الآخر. وكتاب الطريقين وخلود الروح.

وكتاب المجىء الى وضح النهار كان الغرض منه كما وصفه كاتبه، تسهيل مرور المتوفى الى العالم الآخر وضمان راحته وسعادته.

ويشمل كتاب الموتى وصفا كاملا لرحلة الروح فى العالم الآخر بعد تعريف البشر بالإله الواحد خالق الكون - كيف خلق نفسه بنفسه وخلق الكون والكائنات ولم يكن بجواره أحد - يعرف المخلوق بالخالق ويعرف المخلوق بنفسه - يشرح الكيان الانسانى وعلاقة الروح بالنفس والجسد كما ينتقل الكتاب الى وصف كامل لرحلة الروح الى العالم الاخر وهى الرحلة التى سجلها حامل الرسالة على شكل تجربة شخصية وواقعية كرحلة الاسراء والمعراج التى مارسها بنفسه على انه قد مات فعلا وانتقلت روحه الى العالم الآخر ليقوم برحلة القدر والمصير ابتداء من مفارقتها للعالم الأرضى حتى وصولها الى عالم الخلود.

تبدأ الرحلة فى مرحلتها الأولى بعد انتقال الروح فى سفينة الشمس عبر الفضاء الأزلى بدخول آنى الى قاعة



صور رمز التوحيد
اتخذ الملك مينا الصقر (حورس) رمزا لإله التوحيد في الأسرة الأولى عندما قام بتوحيد البلاد وبتوحيد العقيدة

التحضير والرؤيا وفيها تواجه الروح قضاة التطهير فى قاعة الأبواب الاثنى عشر التى تمثل البروج السماوية التى ينتمى الناس الى كل واحدة منها قبل نزوله الى الأرض وينتقل منها الى محكمة الآخرة مرورا بالسماوات السبع وطبقات الجنة والجحيم التى صورها كتاب الموتى تصويرا تعبيريا دقيقا سنأتى على شرحه وتقديمه مع الدراسة التحليلية المقارنة لوصف كل منها فى مختلف الكتب السماوية .

ويختتم كاتب الرسالة رسالته بأن الاله الاعظم بعد أن اطلعه على اسرار الوجود والعالم الآخر وحقيقة البعث والحساب بعثه مرة أخرى وارسله الى الارض ليسجل رسالة الاله للبشر بعدما زوده بجميع التشاريع والنصائح التى يجب أن يعمل بها فى الدنيا حتى يضمن لروحه الخلود فى العالم الآخر ، لذا فقد أطلق على الرسالة اسم "طريق الخلود وتسهيل مرور المتوفى الى العالم الآخر"

سرّ النّار

شعر: عبد الوهاب البياتي



فى آخر يوم قبلتُ يدَيها
عينيها / شفتيها
قلت لها : أنت الآنَ
ناضجة مثل التفاحة
نصفك : امرأة
والنصف الآخر ، ليس له وصف
فالكلمات
تهرب منى
وأنا أهرب منها
وكلانا ينهار
لطفولة هذا الوجه القمحى
وهذا الجسد المشتعل الريان
ابتهل ، الآن
وَأقرب وجهى
من هذا النبع الدافق ، ظمآن .
فى آخر يوم ، قلت لها :
أنت حريق الغابات
وماء النهر
وسر النار
نصفك ليس له وصف
والنصف الآخر : كاهنة فى معبد عشتار

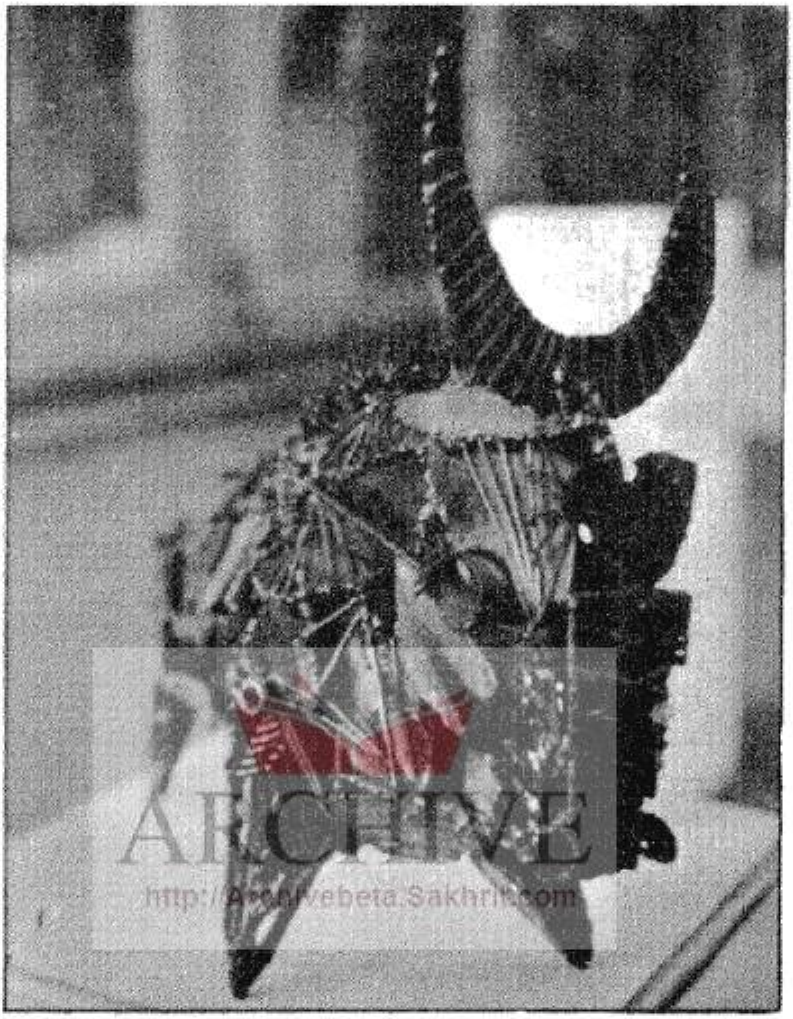
المعرض العام السابع عشر للفنون التشكيلية

الخروج من الدائرة المغلقة

بقلم : عز الدين نجيب

للعام السابع عشر على التوالى ، اقيم المعرض العام السنوى للفنون التشكيلية خلال الشهر الماضى بقاعة النيل بالجزيرة ، وضم اكثر ٦٠٠ عمل فني لما يزيد على ٣٠٠ فنان . ولاول مرة منذ سنوات عديدة يعطينا المعرض مذاقا وحيوية ، ويكسر الى حد ما الخمول الابداعى الذى التصق به طويلا ، وجعل من هذا المعرض حتى العام الماضى شاهدا على اضمحلال الخلاقية فى الحركة التشكيلية فى مصر ، بوقوعها اسيرة للانماط الثابتة ، سواء لاصحابها من الفنانين ، أوللاتجاهات الفنية المعاصرة فى الغرب .

وربما كان احد اسباب هذه الحيوية التى نشهدها كثرة ما تعرض له المعرض العام فى دوراته السابقة من نقد حاد ، سواء باقلام النقاد أو فى الندوات التى اقيمت حوله ، انصب غالبا على أنه اصبح تجميعا للراكد من انتاج الفنانين والمعاد عرضه فى معارضهم، سعيا الى بيعه للدولة ـ من خلال لجنة المقتنيات ـ ولو بأسعار زهيدة مما جعل المستوى المقدم على قدر المقابل المادى ، خاصة بعد ان الغيت المسابقة التى كانت تقام خلال المعرض العام وكانت تشكل حافزا ماديا وأدبيا للفنانين ، نتيجة لضمور الدافعية الذاتية للابداع لديهم دون ارتباط بالمقابل ، وهو الامر الذى يتسق مع التغيرات القيمية فى المجتمع



تمثال من الحديد الخردة للفنان صلاح عبد الكريم

اخيرا حتى فرضت على الفن قوانين السوق !

● **الفنانون الشباب يزحفون**

ويمكن ايضا رصد سبب اخر لهذا الابداع المتجدد ، فى دخول عدد غير قليل من الفنانين الشباب الى معترك الحركة الفنية، ليس من خلال المعارضة الجماعية فحسب ، بل كذلك من خلال المعارضه الفردية ، التى اصبح تزاحمها الشديد فى الساحة ظاهرة لافتة للنظر خلال السنوات الماضية الى حد يصعب ملاحقته ، وقد صار عدد هؤلاء الفنانين الشباب يمثل اغلبية بين عدد العارضين سواء فى المعارضة الفردية أو الجماعية .

ورغم ما يبدو على سطح الحركة الفنية من سيادة دافع الربح المادى

على انتاج الفنانين ، بما يجعلهم يحرصون على تلبية ما يتطلبه قانون العرض والطلب ، فلا شك ان الفنانين الشباب مازالوا يملكون حافزا معنويا اكبر - للتواجد الفنى بين العمالقة والمخضرمين - يفوق حافز التسويق ، ويتمثل فى البحث عن خصوصية جمالية مستقلة عن الاساليب الشائعة وهو ما انعكس بالتالى على اعمال الفنانين الكبار - ضمن مسايرتهم لحركة التطور عامة - لتجديد الدماء فى أساليبهم .

● الاسماء اللامعة .. والتجديد

وقد اتخذ هذا التجديد الاسلوبى اشكالا متنوعة لدى الاسماء اللامعة من الفنانين .. فنجده عند الفنانين عز الدين حموده وابو خليل لطفى يميل الى التجريدية التعبيرية فى

حوار الاشكال الهندسية بحس شعرى - لوحة للفنان مصطفى عبد المعطى



اتجاه روحانى ، ونجد الفنان يوسف سيده يعود الى التشخيصية بحس شاعرى مرهف يتحاور مع الارقام المجردة ، ونجد الفنان صالح رضا يبتعد عن السيمترية العربية فى منحوتاته الخشبية متجهاً الى التجريدية الموحية بكائنات عضوية مفرغة داخل سبائك المعدن فى تنغيم متصاعد كنمو النبات • ونجد الفنان صلاح عبد الكريم يتخلى عن مخلفات الخردة التى كان يشكل بها منحوتاته القديمة ليقيم بناء معماريا مسطحا يعطى مذاق العمارة الاسلامية ، ونجد الفنان مصطفى عبد المعطى يتحرر قليلا من اطاراته الزخرفية الصارمة ، ليضيف عنصرا تعبيريا غنائيا حالما يتمثل فى الاشكال المجنحة والبذور المسحورة والتشخيص الخفى والالوان الشفيفة ، ونجد المثال احمدعبدالوهاب يضفى على منحوتته البارزة رشاقة موسيقية ودندشة لونية ناعمة ، وعند المصورة جاذبية سرى يصبح البحر منبعا للالهام والاسرار،وتنقسم اللوحة الى مساحات هندسية منفصلة بخطوط غليظة ، فى منازلة للتجريد من بعيد وعند الفنان زكريا الزينى نجده يعود بنا الى مراحله القديمة التى تسودها التشخيصية التعبيرية مع استخدام الاطارات التى تحبس الوجوه بداخلها، وعند المصور احمد نوار نجده يواصل توغله داخل هندسيته العقلانية المحملة بدلالات عصر التكنولوجيا والكمبيوتر، وعند المصور عدلى رزق الله نجده يقترب من الميثولوجيا المشبعة بدراما مكتومة على عكس ما كان يسود اعماله السابقة ، أما الفنان عصمت داوستاشى فقد ازداد اقترابا من الحس الاسلامى متخذا من الترديد الزخرفى وسيطا لتحقيق نوع من الترنيم الدينى ، وكذلك تبدو اعمال النحات محمد سيد توفيق الخشبية فى اقترابها من الترديد الزخرفى العربى ، وتمثال الفنان محمود شكرى الذى يمتلىء بالقوة والدلالة الرمزية كعملاق متآكل الجوانب » كما تشد الانتباه لوحة فنان الديكور نهاد بهجت باختزالها الدرامى على خلفية بيضاء كصفعة ضوئية مفاجئة •

● أساليب مستقرة

هذا فى الوقت الذى حافظ فيه العديد من الفنانين المعروفين على عزف نفس الصانهم القديمة بنفس الاساليب التى استقروا عليها منذ فترة ، وقد تعلو حرارته أو تهبط وفقا لقوة الشحنة الابداعية لديهم • واسوق فيما يلى بعض النماذج السريعة على سبيل المثال وليس الحصر •

فمازال الفنان حامد ندا يعزف على طرفى معادلته المعتادة (الجنس ـ الموسيقى) من خلال انماطه البدائية والفنانتان انجى افلاطون وزينب عبد الحميد تستلهمان الطبيعة بخطوط أشبه بخيوط حريرية ملونة على خلفية بيضاء ، ويثير رمزى مصطفى كعادته الانتباه بأعماله الطريفة المرحة التى يحاكى بها نماذج الحياة الشعبية والفلكلور والمصور احمد عزمى بتجريداته الهندسية الشبيهة بزخارف الكليم الشعبى ، وعبد السلام عيد بحوار الملامس فى السطحات المجردة بين الرقة والعنف ، ومصطفى الرزاز بأشكاله الاسطوانية المنفلتة من قانون الجاذبية الارضية بنظام جبرى ، وصبرى منصور برؤاه الاسطوانية المتشحة بطابع فرعونى وهى تسبح فى ضوء قمرى ، وسيد عبد الرسول بغنائياته الرشيقة عن الخيول والفرسان ، وعبد العزيز البحيرى بمحنوتاته الخشبية الانسيابية المنطوية على رموز ، وسيد سعد الدين بعالمه الاثيرى الحالم حتى ولو كانت

مائته هي الكادحين من اجل الرزق ، وزكريا الخنانى بمجسماته الزجاجية التى تموج بالرؤى السحرية ، وفتحى احمد بمطبوعاته الجرافيكية على الخشب بلون اسود وحيد وحس رمزى مغلف بالتجريد ، وعلى نبيل وهبة برؤاه الدرامية عن واقع مصرى معاصر بلغة تزاوج بين التجريد والتشخيص وتقوم على الصراع والجدل بين العناصر وفرغلى عبد الحفيظ بعرائسه الهندسية المجسمة امام خلفيات الطبيعة المجردة، ورضا عبد السلام بزحام مشخصاته المجردة فى تتابع افقى يهمهم بواقع اجتماعى ، ورباب نمر بوجوهها الكرتونية المقصوصة فى علاقة رمزية ماساوية ، وحسن غنيم بتسابيحه الصوفية من خلال عناصر الخط العربى فى ضوء كانبثاق الفجر ، وزهران سلامة بمشخصاته اللصيقة بالواقع ورؤيته الامينة مع الطبيعة الحية، ومحمود بقشيش بحوار الضوء على كثبانه الرملية اللامتناهية بايقاع موسيقى وئيد يدفع الى التامل ويحاصر الانسان بالعزلة • ومحمد عثمان بمنحوتاته المصرية الرشيقة ، وصبرى ناشد بمعزوفته الخشبية المناسبة فى الفضاء كالطيف •

● نحو رؤى جديدة

غير ان هناك العديد من الرؤى المثيرة للاهتمام من عدد قليل من الفنانين اقلهم من جيل الستينيات واغلبهم من جيلى السبعينيات والثمانينيات ، بحثا عن لغة جديدة مازالت فى بداية الطريق الى تحقيق دلالات تعبيرية •

من هذه الرؤى ما يقدمه المصور محمد عبلة باسلوب تنقيطى مرقش بخطوط ملتوية تبدو كالرموز البدائية، والمصور رضوان حجازى بمحاولته تحريك العناصر الحروفية نحو آفاق تعبيرية متفجرة ، والمصور شاكر المعداوى بمعزوفته الدرامية الضخمة عن عالم يبدأ من الطبيعة ليصل الى مجال الحلم الكابوسى ، والمصور الواعد عبد الخالق حسن بتوليفه بين عناصر الخط والمشخصات المجسدة ، والنحاتون المتميزون بجرأة فى تحطيم الكتلة واعادة تشكيلها بحس تعبيرى او رمزى مثل طارق زبادى ، محمد عبد الحميد ، محمد العلاوى ، شريف عبد البديع ، جمال عبد الناصر ، فاطمة منكور ، محمود الدهطار ، سامى عيد ومنصور المنسى • والفنانة ليليان كرنوك بمعلقاتها الشاهقة الارتفاع والمثيرة للانتباه بضخامة الريش التى شكلت منها والمصورة الصاعدة ايفلين عشم الله بتفجيرها للمخزون النفسى والاجتماعى للشعب من خلال شخصيات طوطمية ذات حس فطرى ، والفنانان السيد القماش ومحمد عبد السلام بلوحات الرسم بالحبر ذات النسيج المحكم والرؤى المجنحة بالخيال والفنانان يحيى رمضان ومحمد منصور بعالمهما المستوحى من الوجدان الشعبى والمصور محمود عبد العاطى بتصميمه الاسلامى وحواره الهندسى بين العناصر المتابعة والمصورة نازلى منكور بتوليفاتها الرقيقة بين الطبيعة والمسطحات الفضائية ، والمصور الشوربجى متولى بتفاعل اشكاله البيضاوية الصارمة مع الاشكال العضوية ، والمصور عبد الفتاح البدرى بحواريته الطريفة بين البشر وظلالهم على مقهى شعبى ، والمصورة سلمى عبد العزيز بطلاقة فرشاتها

الشاعرية فوق البيوت الشــعبية . والمصوره سوسن ابو النجا ببيوتهـا المتصاعدة الشعة بالضياء .

● بعيداً عن ثمن العاصمة

وهناك ظاهرة برزت فى هذا المعرض اكثر من المعارض الســـابقة ، وهى التواجد الايجابى للفنــــانين الذين يعيشون فى الاقاليم ، وكانت مركــزية النشاطين الفنى والثقافى بالعاصـمة تحول عادة دون تواجدهم ، حتى نشأ نوع من الطبقية البغيضة التى لاتقوم على تكافؤ الفرص فى الحركة الفنية. فى هذا المعرض اثبت فنانوا بالاقاليم ندية كاملة مع اقرانهم بالعاصـــمة ، وجدية فى البحث ، مـــع معايشة حميمة لجذور الاصالة المصرية :اذكر منهم على سبيل المثال : النحـــات يوسف عبد الله والمصور بدوى سعفان (من الدقهلية) والمصور مصطفى مشعل (من الغربية) والنحات السيد عبده والمصور عبد الوهاب عبـــد المحسن (من كفر الشيخ) ..

اما اعمال الخزف فهى كالعـــادة محدودة العدد والاجتهاد، تميزت بينها اعمال محمد منـــدور ذات الرصـــانة المزاهدة فى الالوان البراقة حتى توحى بالوقار وتثير الخيال ، واعمــــال جمال عبود ببساطتها ومصريتهــــا الصميمة ، واعمال سمير الجنــدى بخطوطها وفراغاتها المســتوحاة من التراث الاسلامى والشعبى ، واعمال فاطمة عباس التى تزاوج بين الخزف والنحت بملامس سطوحها المتنوعة ، ومحمد عثمان ،بسمكاته الخـــزفية المتحفزة للقفز بما يجعلها عمــــلا نحتيا جيدا .

وكانت اعمال الجرافيك والباتيك اقل من مستواها فى الاعــوام الســـابقة ، فلم يلفت الانتباه منها الا اعمال قليلة لعدد اقل من الفنانين مثـــل عوض الشيمى وسهير ابو شادى وهـــدى عبد الرحمن وعلى دسوقى وســــهير عثمان وعبد الناصر شيحة وغيرهم.. واغلبها استمرار لاساليب اصحــابها ورؤاهم الفنية خلال الاعوام الماضية، فيما عدا عبد الناصر شـيحة ، الذى يبزغ نجمه كفنان تلقائى صادق لمحس متفتح الموهبة .

● بحثاً عن الخلاص من الحصار

لكن علينا فى النهـــاية أن نوضح أن هذه الرؤى الطازجة التى بدت فى المعرض العام لم تتخط فى اغلبها اطار المفردات التشـــكيلية بتنويعاتهـــا العريضة ، ولم تنجح بعد فى الوصول الى دلالات فكرية أو تعبيرية لهــذه اللغة التشكيلية الا فى القليل ، الامر الذى يشير الى ان الفنان المصرى لا يزال أسير الاسلوب والتقنية ، وحتى وهو يحاول الخروج من أسرة الاسلبة، فانه لا يجتازها بالفكر الذى يستوعب الحياة والوجود وقضايا الانســـان المصرى ، بل يجتازها د بأسلبة جديدة وهى الدائرة المغلقة التى فرضتهـــا علينا وعلى الفن العــربى المعـــاصر جميعه تبعيتنا للفنون الاوربية ، وخلو حركتنا الفنية من التيارات الـفكرية المتحاورة ، حتى صارت جزيرةمعزولة وسط المجتمع لا يكاد يشعر بوجودها.

ولعل ما يعزينا عن ذلك ، هــو اقتراب جانب هام من هذه الاجتهادات الاسلوبية من روى البيئة ومؤثراتها الحضارية ، وتنامى الحس التعبيرى والرمزى بينها ، وأفول بعض التيارات الهاربة من اى قضـــية مثـــل تيار التجريدية الحروفية ، بما يوحىببداية انشغال الفنان المصرى بالبحث عن طريق الخروج من الدائرة المغلقة .

حكاية شعبية مغربية

كانوا ثلاثة

بقلم : د . الطاهر أحمد مكي

● سمعت هذه الحكايه فى مقهى فى طنجة ، الحى العربى منها ، أو فى القصبة كما يسمونها هناك ، عام ١٩٦٠ ●

يحكى ، والله العلى القدير أعلم ، أن بغالا اسمه أحمد كان يعيش فى زمن مضى فى مدينة تطوان ، وكان الناس ينادونه فى لحظات الصفو تدليلا : حميدة ، مستخدمين صيغة التصغير تهوينا لشأنه ، واستهانة بأمره .

ولم يكن أحد يثق فى حميدة فهو أكسل خلق الله ، وفوق ذلك كله كان مسرفا مبذرا باع ما يملك بثمن بخس ، وقضى على ثروته كلها ، وترك بيته نظيفا من أى شىء ، فأصبح خاليا مثل كف اليد

فإذا أقبل الليل مضى إلى حقل قريب ، يرفع قدما ويحط أخرى ، وأوى إلى غرفة جميلة ، فى سعة الحقل كله ، سقفها السماء ، ومصابيحها النجوم ، وسريره الأرض الطيبة ، خالية أو غنية بأعشابها .. وفوق هذا السرير الالهى استسلم للنوم فى اطمئنان عميق ، خلىّ البال من أى شىء ، إذ ليس معه ما يفقده أو يخاف عليه ، إلى أن تطلع الشمس ، فتغطى أشعتها الجميلة قمم الجبال ، وأعالى البيوت ، مؤذنة ببدء يوم جديد

وحين غمرته الشمس الوليدة من كل جانب بدأ يفتح عينين متثاقلتين ومنطفئتين ، ثم انفتحتا فجاة بقوة ، واتسعتا رعبا ، فقد اقترب منه ، وهو فى حال بين اليقظة والنوم ، شخصان عابران ، يلفهما الحزن ، وتعكس نظراتهما قلقا ، وحركاتهما حيرة ، وتفرّساه جيدا فى فضول زائد ، وأخيرا بادره أحدهما :

ـ من أنت ؟

ومع أن حميدة لايمكن أن يوصف بالبطولة ، أو الشجاعة ، أو الجرأة ، فهو لايملك من وسائلها قليلا أو كثيرا ، لكنه حاز المكر كله ، بأكمله ، حتى ليمكن أن يقال إنه الخبيث الأكثر

استفادة على وجه الأرض من هذه الخصلة ، فتجمد في مكانه كما لو كان ينتظر يوم القيامة ، وفي هدوء رد عليهما بسؤال آخر مثله :

- وأنتما .. من تكونان ؟

- نحن عرّافان

- لايبدو هذا على وجهيكما .. ما علينا ، طيب ، وأنا عرّاف أيضا !

- وأين تذهب ؟

- وأنتما - من أين قدمتما ؟

- نحن ذاهبان إلى مدينة فاس .

وأحس السائلان بشيء من الخيبة فتوقفا عن الحديث ، وأخذوا يتبادلون النظر ، كما لو كان كل واحد منهم يتفرس الآخر ويدرس قوته ، ومدى ما يمكن أن يفيد منه .. وعندما استنتج القادمان أن الثالث ليس هينا ، إذا أحسنا توجيهه ، ويمكن أن يكون مفيدا ، ضماه إليهما ، على أن يتقاسم ثلاثتهم الأرباح فيما بينهم ، وأن يتعاونوا على الخير بدل أن يتنافسوا فيه ، فيؤذى بعضهم بعضا .

وذلك ما كان حميدة يريده ويرغب فيه



حكاية شعبية مغربية

كانوا ثلاثة

اتفقوا ، وتعاهدوا على الوفاء ، ولعنة الله على من يخون ، أو يعمل لحسابه من وراء ظهر زميليه ، وشد كل واحد على يد الآخر تأكيدا للاتفاق واحتفاء به ، ثم أخذوا طريقهم نحو فاس ، أغنياء بالأحلام والآمال ، وأن أكياسهم سوف تمتلىء بالأموال .

ولم يحدث لهم فى الطريق ما يستحق أن يروى .

عبروا فى رحلتهم مدنا وقرى . وفيها كلها حاولوا أن يشيروا إلى مهنتهم ، وأن يظهروا براعتهم ، وفى يوم مبارك وجدوا أنفسهم فى عاصمة الأمبراطورية المغربية ، سادة لعبة يمكن أن تدر على صاحبها الذهب أو أن تذهب به إلى السجن ، وراجعوا أنفسهم ، ووازنوا بينهم وبين غيرهم ، واعتقدوا أنهم أفضل الجميع ، وأن بوسعهم أن يتقدموا إلى القصر الملكى لكى يقدموا خير ما عندهم ..

وأمضوا أول الليل يسمعون الحكايا عن الأعطيات والطرف التى يهبها السلطان لمن يصدق ويحسن ويعرف ، وقضوا بقيته يحلمون بما يتوقعون منها ، وأخذوا يفكرون بعضهم بعضا بالاتفاق الذى أمضوه ، وتعاهدوا عليه عندما التقوا للمرة الأولى ، وفى الصباح بدأوا مغامرتهم ، وهم يستمطرون اللعنة على من يخون

ووصلوا القصر الملكى ، ودخل أولهم إلى مجلس السلطان ، وبدون مقدمات بدأت المحاورة ، إذا أصاب نال مكافأة سخية من الذهب الخالص ، وإذا فشل فجزاؤه مائة جلدة كاملة ، وكان عليه أن يجيب فى الحال عن هذا السؤال ،

ـ كم نجمة تلمع في السماء ، وعلى كم كوب من الماء يحتوى البحر ، وكم شعرة فى حصان السلطان المحبب إليه ؟

ولأن التنفيذ يتم فورا كان يقف على جانبى العرش اثنان من العبيد ، الذى على اليمين يحمل صرر الذهب مكافأة للفائزين ، والذى على الشمال يحمل عصا كبيرة ، يحركها مزمجرا ، ويلوح بها متوعدا .

ورغم الجهد المضنى الذى بذله العراف التعس لم يجب بشىء ولم يتوصل إلى جواب ، ولا عرف كيف ينجو بنفسه ، فاقتيد إلى غرفة مجاورة ، وتلقى « علقة » ساخنة ، ثم تركوه يستجمع قواه ، ويلملم أعصابه ، ونهض مغيظا ، ومضى محنقا ، كاتما غيظه ، مصطنعا البهجة والفوز ، وحريصا على تنفيذ الاتفاق ، وأراد أن يشرك رفاقه فى هذا الفوز العظيم ، وعندما سألاه أجابهما ماكرا بهما :

ـ مائة فقط ، بلا زيادة ولا نقصان !

وهمهم الثانى :

ـ مائة ! .. سبحان الله ، كم هو سخى سلطاننا ، وسوف يكون شيئا رديئا ألا أحصل أنا أيضا على مثلها .

وأخذ طريقه إلى قاعة العرش

يتقدمه أحد الخدم ، ودار بخاطره وهو في الطريق هاجس أن « المائة » التى اشار إليها رفيقه ، جاءت مبهمة ، وفيها تورية ، ولكن زمن التراجع فات ، فلم يكن بد من أن يتقدم ..

وفي المجلس تلقى الأسئلة نفسها ، وعجز عن الأجابة عنها ، وتلقى مائة جلدة كاملة . وخرج بعدها كسيرا يسب في أعماقه مكر رفيقه وخبثه ، واقسم أن يتلقاها منه في قادم الأيام مضاعفة . ومع ذلك كتم سره ، فهناك حميدة ، لم يواجه الموقف بعد ، وليس عدلا أن يمضي دون أن يأخذ حظه من الجزاء ، ولهذا عندما سأله رفيقاه عما لقى ، أجاب في ابتسامة مغتصبة .

- أنا ايضا أعطوني مائة !

* * *

ثم توجه إلى حميدة :

- والآن ، اذهب أنت ، وهناك من المكافآت ما يكفي الجميع !

وتردد حميدة قليلا ، متطلعا إلى رفيقيه ، فرأى على وجهيهما سحابة ، من غضب وسخرية ، وفي عيونهم شيء من حرص وترقب ، فهاب الموقف ، وبدأ يدعو سيدى عبد القادر الجيلانى حامى « الغلابا » والمساكين ، ثم تقدم واثقا من ذكائه ، الذى أنقذه من قبل في ضائقات كثيرة ، ووقف إلى جواره في صعاب أكثر خطرا مما يعرض له اليوم ..

في حضرة السلطان قدم المزيد من التوقير والأجلال والتحايا ، وتلقى أسئلة السلطان ، نفس الأسئلة التى قدمها إلى زميليه من قبل ، سمعها هادئا ، وفي ثقة واطمئنان طلب ورقا واقلاما ، وبدأ يمارس جملة من حسابات معقدة غامضة لا تنتهي ، ورأى أنها تعينه على الأقل في أن يربح الوقت ، ويدبر الأمر على مهل ويفكر دون عجلة في خطة ينجو بها من هذا الفخ ، وفجأة ترك الركن الذى كان قد انزوى فيه وحيدا وقال :

- ياسلطان الزمان ، سيدنا وتاج رءوسنا ، لقد قمت بالحساب ، ولكن حتى اكون متأكدا مما انتهيت إليه ، يحتاج الأمر أن تحضروا لى حصانكم المفضل هذا .

وأمر السلطان فاحضروا الحصان !

وطلب حميدة مقصا ، وما أن جاءوا به ، حتى أسرع به ، يحاول أن يقص ذيل الحصان ، طويلا وجميلا وناعما كالحرير ، وصاح السلطان محذرا :

- ماذا تفعل ، امسك .. أى جنون هذا ؟

- ليس جنونا ياسيدى ، سوف تكون حساباتى أكثر انضباطا اذا كان حصانك ابتر ، إذ أن شعر الذيل هذا شوش على ، وأفسد تناسق معلوماتي ، فإذا أردت الحصان كما هو ، ولم تشأ أن تضحي بجمال ذيله ، فعليك أن تعرف أيها السلطان أن مزاجك هذا أفسد على مهمتي .. وآذاني في مهنتي ، ويجب أن تعطيني مكافأتي كاملة أطال الله عمرك !

- لتكن لك المكافأة كاملة ، ومعها خروف لقاء ظرفك ولطفك ، ولكن الحصان يجب أن يبقى كما هو لايمس ..

* * *

حكاية شعبية مغربية

كانوا ثلاثة

كان رفيقاه فى الخارج يضربان أخماسا فى أسداس ، وتزداد سعادتهما عندما يتخيلانه يتلقى المائة التى تلقياها قبله ، وعندما ظهر حميدة ، أخذ يلوح بيده سعيدا ، ويصيح :

ـ مائة وخروف

ورد رفيقاه :

ـ تستطيع أن تبقى مع المائة ، لأننا حصلنا على مثلها ، ولكن الخروف كما تعرف ، وكما اتفقنا ، لابد أن يكون قسمة بيننا نحن الثلاثة .

لم يدعا لحميدة فرصة يفكر فيها ، واشتبكوا بالأيدى ، وتحول نزاعهم حول الخروف إلى مشاجرة ، ثم اتفقوا على أن يذهبوا إلى القاضى ليحكم بينهم .

كان القاضى رجلا تقيا يخاف الله ، ودعاه أن يعينه على حل هذه المشكلة ، ولمّا غم عليه الأمر ، وحار فيما يفعل ، استخار الله فى حيلة ، وأفاد المتخاصمين بأنه سوف يعطى الخروف لمن يستطيع خلال الليل أن يحلم بأشد المغامرات سعادة ، وأمرهم بأن يعودوا إليه فى الصباح .

وعاد الجميع حيث ينزلون .

وبينما الاثنان يغطان فى النوم ، يحاولان أن يحلما بأعظم المغامرات سعادة ، كان حميدة يتسلل خفيفا ، ويذهب لكى يفترس الخروف ، يذبحه .. ويطبخه ، ويسحقه بين فكيه القويين عظما ولحما ، ويفعل ذلك . فى هدوء عجيب حتى لايوقظ رفيقيه النائمين اللذين وثقا فيه .

وبعد ذلك استلقى على فراشه مطمئنا ، ونام عميقا ..

فى الصباح الباكر تقدم الثلاثة إلى المحكمة ، خلعوا أحذيتهم إجلالا ، وانحنوا أمام القاضى تقديرا ، وقال أحد الثلاثة :

ـ يافخر القضاة ، وموضع اعتزاز كل المسلمين ، أنا حلمت أنى أعبر ميدان حرب على ظهر حصان ، فى لحظة أوشك المسلمون فيها أن يستسلموا لأعدائهم ، فسللت سيفى ، وقاتلت ضد الكفار ، وقطعت رءوس كثيرين منهم ، وانتصر المؤمنون بفضل الله ، فحمدا دائما لله العلى ، رب الجلال والإكرام ..

وتأثر القاضى أكيدا لرؤياه ، فالجهاد من أكبر القربات إلى الله تعالى ، وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم الشهداء الذين يسقطون قتلى مناضلين عن عقيدتهم بالجنة وما فيها من حور عين ، وأنهم يبعثون يوم القيامة ودماؤهم لها لون الدم ورائحة العطر وهمهم فى دخيلة نفسه

ـ سيكون الأمر للمحارب ، حتى ولو كان فى الحلم ..

ومع هذا ، فلنر ماذا كان الحال مع الآخرين ..

وقص العراف الثانى حلمه :

ـ يا أبا الحكمة والعدل .. لقد حلمت بأنى أبحر فى سفينة قرصنة ، ووجدت نفسى أمام سفينة كبيرة ، يملكها كافر عظيم ، وأنها تضم عددا من البحارة والمسافرين ، والمغلوبين على

أمرهم ، فبدأت أبشر بينهم بالدين القويم ، وجعلتهم يعترفون بأن الدين عند الله الاسلام ، وأن ديننا هو الحق ..

وعلت القاضى إشعاعة رضى ، وهنا الرجل الحالم ، فما من شىء يجعل المرء أقرب إلى الله مثل هداية الضالين .

ثم سأل حميدة .
ـ وأنت بماذا حلمت ؟
ـ أنا سيدى ، ياحامى العدل وكنف الأمان ، هاجمنى كابوس حقيقى ، وظهر لى شيطان ـ أعمى الله عينيه !

وهددنى بقتلى ، وزجى فى جهنم إذا لم أكل الخروف فى الحال ، وحاولت جاهدا أن أقنعه بأن الأمر يتوقف على عدالة حكمكم ، ولكنه لم يرد أن يفهم أسبابى أو يقتنع بوجهة نظرى ، وبدأ يضربنى بقسوة ، وبدأت ياسيدى حينئذ أطلب العون والمساعدة ممن حولى . ولكن .. من الذى سيلبى ندائى ؟ .

أول رفيقىّ كان كما سمعت يقاتل الكفار ، والثانى يبحر عبر بحار بعيدة ، مشغولا بهداية الكافرين إلى الاسلام . فماذا يستطيع أن يصنع غلبان ضعيف مثلى ياسيدى القاضى ؟

ـ مكرها أكلت الخروف ، أكلته والله العظيم ياسيدى !

.. ..

.. ..

واقتربت الشمس من الغروب ..

وبدأ السامعون واحدا إثر الآخر ينصرفون إلى المسجد القريب ، فقد كان المؤذن من أعلى منارة المسجد يدعو الناس إلى الصلاة ..

وانتعل الراوى خفه ، وأخذ عصاه ، وترك بقية الحكايات ليوم آخر ، وضاع بين غمار السائرين

[illegible]

الكلمات المتقاطعة

قصة

بقلم : شمس الدين موسى

عندما ولج الى داخل البيت لم يجد سوى الجدة .. رحبت بقدومه بكلمات ودود .. لم يفهم من ملامح وجهها المغضن المحايد ذلك الشىء الذى كان يتوجسه فى الايام الاخيرة . تحسس بعينيه جميع الموجودات التى عرفها جيدا قبلما يبدأ تجنيده ويحتجزونه طوال فترة التدريب . تذكر ان احدا لم يرد على خطاباته المتوالية .. ارسل موعد اجازته مرتين . فى المرة الاولى لم يحصل على الاجازة . فان انهم سوف ينتظرونه كما فعلوا من قبل . عندما حضر فى المرة السابقة لم ير فتاته التى كان يحضى ساعات بعاده عنها . حاول ان يعرف اثر وجوده من ملامح الجدة العجوز .. لم يتوقف كثيرا امام فقدها القدرة على التركيز .. نسى انها تخلط بين الافراد وتروى الاحداث متداخلة ومتكسرة . سألها عن الفتاة التى اشتاق كثيرا لرؤيتها .. عندما لم تجبه كرر سؤاله مرة ومرة .. اجابته بكلمات مهشمة بينما اصابعها تتشاغل كعادتها فى تحريك حبات المسبحة القاتمة . لم يفهم منها غير كلمات محددة كانت تكررها من قبل ..

- انهم بخير .. بورسعيد ليست بعيدة . المقابر القديمة .. الطائرات .. السفن الحربية .. القطار عاد من حيث اتى .. اهلا .. وسهلا .. اين كنت ؟؟ هل انتهت الحرب كما يقولون ؟؟؟

لم يبق على انتهاء اجازته سوى ساعات قليلة . لم ير الفتاة منذ اكثر من شهرين .. قالوا انها سافرت الى بور سعيد . لم تكن الام موجودة .. ستحضر فى الساعات الاولى للصباح . فهم من شقيقها الاصغر ان الام صحبت فتاته فى تلك الرحلة .. ضاعت الاجازة السابقة دون ان يراها ، لم يكن سهلا ان يمد اجازته يوما اخر .. سيصل الى وحدته فى الساعات الاولى من النهار .. تلمس لها الاعذار رغما عنه .. استذكر طوفان الوساوس التى كانت تطيح برأسه .. كان يعرف ان لهم اقارب يعيشون فى بور سعيد .



ريشة : محمود الشيخ

كلمته عنهم من قبل ..
اصحاب اعمال كبيرة.
رأى أحدهم أثناء
احدى اجازاته .. دعاه
لزيادته في بلده.. قدمته
الام كأحد اعيان
بورسعيد وأنه ابن
عمها .

قالت عنه الفتاة ..
ـ كان جارا لنا قبل
حرب ١٩٦٧ .
لم يجد لديه دوافع
لتوثيق العلاقة معه ..
لم يره سوى مرتين ..
تردد اسمه كثيرا في
الفترة الاخيرة .. دعاه

للمصاحبة والسهر في
احد اماكن اللهو
الليلية لكنه اعتذر كلما
ذكروا اسمه كان يحس
بدوائر من العداء
تحيط برأسه . لم يسأل
الفتاة ـ لم قالت امها
انه قريبها ؟؟ ـ خشى

الكلمات المتقاطعة

جرح شعورها اذا عرفت انه ادرك اكاذيب امها .. اعلن لها انه يبغض وجود ذلك الشخص ، شاركته النفور منه أخبرته أنه انفصل عن زوجته البورسعيدية .. لم يؤد للزوجة ما عليه لها . كانت الام تدافع عنه عندما تأتى سيرة زوجته . تعرف على زوجته اثناء زياراته للفتاة . لم تقل الام عنها شيئا .. همست له الفتاة بان تلك السيدة قريبة لامها ، وحضرت لتأخذ الام للشهادة ضد الاخر فى المحكمة . ، قضت الام الادلاء بشهادتها رغم محاولات الاقناع التى توالت عليها من الجميع .

تضاعف احساسه بالتوجس من الاخر .. انتابه الكثير من المشاعر الغامضة تجاهه . انشغل بتتبع كل ما يخص الاخر . كلما حضر كان يسأل عن الاخر متتبعا آثاره . لم يفكر فى تتبعه عن طريق الام ، ولم يسألها عنه .

– هل هو موجود ؟ او حضر اثناء انقطاعه عنهم ؟ ومتى سيحضر؟

كانت الفتاة تلقى امامه باخبار الاخر التى تتلقاها عن طريق الام .. تحول الحديث عنه الى لازمة اساسية . كان لابد ان يوجد حتى لو لم يتحدثوا عنه مباشرة .. لم يكن يسترد انفاسه قبل ان يعرف انه لم يحضر .. كثيرا ما قيل له انه كان هنا بالامس .. او انه لن يحضر اليوم .. او ان هذا الشىء له وسيرسل من يأخذه فى الاسبوع القادم .. او انه لم يحضر منذ فترة .. او انه موجود لكنه فى زيارة لطبيب معين ... الخ .. الخ .. الخ .

وفى كل الاحوال كان يتجنب اظهار رغبته فى تتبعه بطريقة مباشرة ، خاصة امام الام . لكن اسمه سرعان ما يتناثر خلال حديثهما فى اى موضوع . كانت تتفاخر بمقدار الثراء الذى وصل اليه ، وعدد البلدان التى زارها .. واحدث السيارات التى يقتنيها ، وحجم اعماله .. تحول الى مثال ورمز يجب الاقتداء به . وسط كل ذلك كانت عينا الجدة العجوز دائمة الحركة مع اصابعها بطريقة آلية ، بينما لا يصدر عنها سوى عبارة واحدة تحمل الكثير من السخرية . فى البداية لم يكن سهلا عليه ان يفهم مقاطع عبارات العجوز .. كانت تتداخل فى رأسه مثل الكلمات المتقاطعة ، تتكسر دائما ، ولا تُوصل اليه معنى محورا . بعد فترة استطاع تدريجيا ان يدرك عبارات الجدة ومدلولها .. بدت واضحة فى اذنيه ... كانت تبدو عوجاء متقاطعة .. تتعثر فوق ثنيات الشفتين اللتين تكرمشتا بفعل الزمن . كانت تقول :

– الله ... يرحم ابوه ... سارق الاكفان ... من .... من المقا ... بر .

لا تعلق الام بشىء كى لا تثير مناقشات مع العجوز ، وحتى لا يتحول ما تقوله الجده الى موضوع . وكلما اثارتها الفتاة للكلام كانت ترفض ناهرة اياها .. ورغم ذلك لم تسلم العجوز من مناوشات الفتاة لها .. كانت تلبى استجابة لديها .. كان نفورها منه يتزايد منذ طلب من الام ضرورة التفرغ للعمل فى مشروعاته المتعددة . اعلنت انها لا تطيق وجوده .. بدأت تتشاجر مع الام بسببه

كانت امها موافقة على ان تعدل معه ، كي تشاركه أعماله ..

احس انهم يتنفسون وجوده في احاديثهم الخاصة . مما حصر نقدهما الدائم حول تصرفاته الخشنة ، رغم ترحيب الام به واشادتها بمآثره ، وتحويل جميع تصرفاته محل النقد الى مزايا خاصة ... ذلك كان السبب في سؤاله الدائم عنه كلما حضر في اجازاته ... هل هو موجود ؟ وهل سيحضر؟ عبارات ثابتة كانت تتردد بداخله قبلما ينطق بها لسانه امام الفتاة او شقيقها الصغير ، ولا تهدأ نفسه الا عندما يعلم انه لم يحضر طوال فترة انقطاعه عنهم .

تذكر كل هذا اثناء جلوسه في مواجهة الجدة التي لم تقدر على تركيز وعيها وتجيبه على سؤاله . كان قلقا لعدم الرد على خطاباته استعاد توجساته من الامارات الجديدة التي بدت بطريقة غير محسوسة . استرجع كلمات فتاته له في الفترات الاخيرة . لم تكن مهتمة بالتعبير عن نفورها من الاخر ، ولم تكن تعلق على كلمات العجوز المتقاطعة التي ساعدته على فك رموزها .. تحول موقفها من الآخر الى نوع من الحياد . لم تكرر اراءها التي شاركته في اتخاذها . تذكر ان الأحاديث عن الثروة قد بدأت تتسرب الى مفرداتها . ارجع ذلك الى امها وانه لا يمكث معها فترات طويلة بسبب تجنيده وسرعان ما تتوحد اراؤه مع فتاته . كان لا يهمه اثناء الاجازات القصيرة وفي الساعات القليلة التي يقضيها معها ان يثير المناقشات ، لم يكتشف التغييرات بوضوح كان وجودها الذي يحبه يملأ حياته طمأنينة وسعادة لم يعرف غير تلك السعادة التي لا يريد لها ان تتأثر بأي عوامل اخرى .

تداعى كل ذلك داخله بينما كان يعيد وضع كلمات العجوز المتقاطعة بجوار بعضها لكي يستنتج شيئا ما . احس بنمو وظهور اشياء جديدة لم تكن موجودة . شعر بها كنباتات شيطانية بدأت تطبق على نفسه .. لم يعرف مصدر الدوافع الغريبة التي بدأ اريجها ينتشر . عندما رأى الشقيق الاصغر ، تلمس معه نوعا من الاستئناس داخل دائرة الوحشة التي وجد نفسه داخلها .. كاد يسأله كما كان يسأل الفتاة ..

– هل هو موجود ؟

حبس عباراته داخل نفسه .. شعر انها لا تحمل اية مدلولات ، لكنها كانت تتحرك قلقة بداخله ولا تستقر في مكان .. سأله :

لم لم تصل ردود على خطاباتي ؟ ؟

اجابه الشقيق بكلمات لم يتبين منها شيئا .. لكنه اخبره انهم كانوا في بورسعيد طوال الاسبوع الماضي .. وأن فتاته في احسن حال ، وتتعلم قيادة السيارات والام لا تزال في بورسعيد ولم تعد ، وأن شقيقه الفتاة – نالت اجازة بدون مرتب من عملها ..

كاد سؤاله المعتاد عن الآخر يتبلور على شفتيه . كانت اجابة السؤال نصف واضحة ونصف غامضة . شعر بالحروف تتلاشى فوق طرف لسانه .. بدا المعنى واضحا شيئا فشيئا لكن الكلمات ظلت معلقة في اعماق عقله . كلما حاول استخراج واحدة تاهت الاخرى . حالة من الشك كانت تؤكدها الفتاة تعبر عنها كلمات

الكلمات المتقاطعة

صغيرة والفاظ مبتورة مهشمة كانت تتناثر ولا يستطيع وضعها بجوار بعضها .. تداخل الشك والتوجس وسط طوفان كلمات العجوز المتقاطعة .. قاطعه الشقيق قائلا ..

- ان شقيقته سافرت الى .. . ...

لم يستطع سماع كلمات شقيق فتاته - ساله :

- هل حضر ؟ ..
متى - هل - ستحضر ؟؟
متى - هل - ستحضر؟؟

لم يحصل على اجابات محددة على سؤاله ، تضاعف القلق داخله لعدم توصله الى الحقيقة . لم تكن موجودة حتى يفهم منها ما تريد قوله . لم تكن حواراته معها تعتمد على الحروف والكلمات .. وكثيرا ما تمت عبر نظرات العيون ، ودرجات لمعانها ، وتلون البشرة عند التعبير عن شيء معين ، وربما منحركة الاصابع بطريقة معينة.

حاول أن يطرح اسئلته مرة ثانية .. احتبست الحروف ولم تصدر الحنجرة شيئا .. تلاشت نبرات صوته .. ماتت فوق طرف لسانه ما كان يتوجس منه ظهر فجاة بدت له صورة قديمة احبها وعرفها جيدا . عندما دقق فيها احس بالدوار .. لم تكن ذات الصورة .. كان عليها الكثير من الرتوش .. بدت مختلفة لحد كبير .. ربما ازدادت نحولا ، أو ازدادت طولا .. او .. او .. او ..

حاول استعادة الماضي ومكوناته التي تبعثرت في انحاء عقله .. حملت اليه نظرات باردة مجوفة .. توارى الشقيق .. تشاغلت العجوز باحصاء حبيبات السبحة .. اتت الفتاة في صحبة الاخر .. كان يرفل في ملابسه اللامعة ، وصوته الاجش ، ونظراته الجسور .

سرعان ما تجسدت الصورة فوق كل ماكان يراه من قبل . كانت معلقة فوق الجدار، على نواصي الشوارع أو فوق لوحات الاعلانات .. كانت صورة جديدة عليه .. انطبقت تماما على جميع ما يدور حوله . بدت مجسدة فوق وجه الشقيق الاصفر ، وبرزت من ثنايا كلماته المتقاطعة بينما يبذل اكبر جهد .

- انها بخير ،ولكنها لن تحضر. لقد سافرت الى بورسعيد .. ستمكث هناك !!

لم يصل الى اذنيه سوى صوت القدمين يدقان الاسفلت بشده بينما السكون مطبق حوله ، ووجوده الذى تضاءل متداخل في ذاته ، جسده الذى أصيب بالرعشة الباردة بعد أن دقت جميع الاسئلة .. لم يصله الا صوت العجوز يحكي بكلمات متدسرة عن سارق الاكفان من القبور ، ويتهم الجميع بانهم سياوون الي النار التي اعدها الله للكافرين . كانت تخط امامهم كلماتها المتقاطعة وتداعياتها من اعماقها بكلماتها المهشمة المكسرة عن الحرب التى انتهت كما يقولون، وبورسعيد التي لم تعد بعيدة . والقطار الذى عاد من حيث اتى ، والذين تخصصوا في سرقة الاكفان ، والذين ذهبوا ولم يعودوا ثانية .

■ أنا من إمبابة .. اذن فأنا موجود

إطلالة على عالم إبراهيم آصلان

بقلم: فريده مرعى

كلما قرأت إبراهيم اصلان تطفو على سطح الذاكرة صيحة مصطفى كامل الشهيرة : « لو لم أكن مصريا لوددت ان أكون مصريا » واشعر بابراهيم اصلان يطل علينا من خلال سطوره معلنا انتماءه الى امبابة بنفس القوة والوضوح والحسم . فقلائل هم الكتاب الذين يرتبطون بالمكان ارتباطا عضويا فلا وجود لهم الا من خلال هذا المكان حيث يصل الارتباط الى درجة التوحد وتبدو امبابة عند ابراهيم اصلان وكأنها حدود العالم وبؤرته ، هى الشهيق وهى الزفير ، منها يغضب وعليها يخاف ، منها يهرب والى حضنها يلجأ ، هى الاول وهى الاخر ، منها المبتدى واليها المنتهى .

وعالم امبابة كما نراه فى رواية مالك الحزين ، وفى المجموعة القصصية بحيرة المساء عالم زاخر ، متنوع شديد الثراء فهو تارة واسع رحب ممتد عبر الزمان وتارة ضجل ، ضيق ، محدود يكتم الانفاس ، انه عالم يثير دهشتك وحيرتك ، استياءك وتفهمك ، حزنك وابتسامتك ، انه يداعبك مرة ويستفزك مرات ، ولكنه فى النهاية ينجح فى استدراجك ويداهمك ويمسك بتلابيبك ويجبرك على الانصات والتساؤل والمشاركة .

وأول مايلفت النظر فى عالم إبراهيم أصلان هو كثرة الشخصيات العليلة التى تعانى من امراض جسمانية . شخصيات طحنها المرض وهدها الالم حتى تبدو وكأنها اكبر من سنها وكثيرا مايستخدم ألفاظا مثل ضئيل الحجم ، نحيل ، ضامر ، ضعيف ، واهن ، شاحب . ففى قصة الملهى القديم يقول تقدم الرجل الضئيل الحجم داخل الميدان .. كان وجهه ضامرا ... وشعره فى لون الملح وفى مكان اخر يقول تقلص وجهه . صدرت عنه اهة

ابراهيم أصلان

رقيقة وهم بالقيام ـ البواسير . البواسير تؤلمني جدا .. مضت فترة اخرى من الصمت .. خلالها كانت ملامح الرجل الضئيل الحجم قد اصبحت متغيرة وفي نفس القصة يدور الحديث بين الرجل الضئيل وبائع السجائر عن امراة عجوز مريضة تنام على الشاطيء « تضع بعض الاقفاص وتنام تحتها بجوار الماء ، فوق الزبالة » وترفض ان تعيش مع أبنائها في منازلهم لانها « تحب أولادها وتخشى ان تعديهم »

وفي قصة البحث عن عنوان كان هناك رجل نحيل يسير في خطوات مستقيمة على طوار الشارع ... مسح العرق عن وجهه ومقدمة راسه وزفر في ضعف يقابله صدفة زميل دراسة قديم ويفاجئه بالسؤال ولكن كيف ظهر عليك الكبر هكذا ؟ ويجيب الرجل النحيل في استكانة · والله الظروف . وما ان يفجر زميل الدراسة الذكريات القديمة وامجاد وشقاوة الرجل النحيل حتى يستسلم الرجلان للضحك « بكل مايملكان من قوة راحا يضحكان » ولكن الرجل النحيل لايتحمل هذا الجهد فتنتابه نوبة شديدة من السعال ويقول في صوت واهن . آه . اتعبتني يارجل .

اما في قصة بحيرة المساء التي تحمل المجموعة القصصية عنوانها يقول ابراهيم اصلان واصفا إحدى شخصيات القصة كان صدره ضيقا كصدر امراة . اما نصفه الاسفل فقد كان منتفخا بشكل مرضي . وشعره ابيض تماما مع انه لم يكن قد تخطى مرحلة الشباب بعد وبدت عيناه مرهقتين وفيهما انكسار غريب .. لاحظت انه كان يبتسم في وجهي فقط عندما انظر اليه . ولكنه ما ان يشرع في الحديث حتى تتهدل ملامح وجهه وتكسوها مسحة من الجد الممزوج بالطيبة المهمومة .

والى جانب الشخصيات العليلة التي يعتصرها الالم فيغير ملامحها كما في قصة الملهى القديم ، او يزيدها ادراكا ووعيا بتجربة الالم الانساني كما في لانهم يرتون الارض ، والتي هي عموما شخصيات مهمومة قد « تهدلت » ملامحها ، و« تغضنت » وجوهها وشاخت قبل الاوان هناك ايضا الشخصيات العاجزة تماما مثل الكسيح في البحث عن عنوان ، والمشلول في الحرج ، اما الضرير فقد حاز على النصيب الاوفر في عالم ابراهيم اصلان مثل قصة في « جوار رجل ضرير » و« المستاجر » ، ثم رواية « مالك الحزين » التي تزخر بالكثير من العميان

□ شخصيات يقتلها الإحساس بالوحدة

ومعظم شخصيات ابراهيم اصلان تعاني من احساس حاد وحرين بالوحدة وتتلهف للاحتكاك والتواصل مع الاخرين فالرجل الضئيل الحجم في الملهى القديم والذي ماتت ابنته وهي اخر من تبقى من الاسرة ، يتسكع كل ليلة في خطوات قصيرة متمهلة في ميدان الكيت كات ولايغادره الا في الفجر . انه يقيم جوارا مع بائع السجائر ويتحدث معه لمجرد الحديث حتى انه يساله نفس الاسئلة دون ان يدري ، ويطلب منه رغم انهما يتعارفان لاول مرة ان يزوره في غرفته بالنهار لانه يعيش بمفرده في حجرة على السطح . وفي البحث عن عنوان يقف الرجل النحيل حزينا بعد ان فقد همزة الوصل التي تصله بالحياة حين اختفى صديق الدراسة فجاة بعد ان اضاف بعض الحرارة الى حياته الخاوية . وحين يتبين انه لاسبيل للحصول على عنوانه الذي هو الجسر الذي سيتواصل عن طريقه بالآخرين ، يقف وقد تغضن وجهه عن ذي قبل ويتراجع الى الوراء في خطوات الية متثقلة . وتتضح المأساة اكثر في بحيرة المساء حين يستبد الحنين بالاشخاص الى الزواج والدفء العائلي والبيت والابناء ، والزواج هنا تواصل وهدم للوحدة ، والزواج معناه ان تعود الى

المنزل فتجده عامرا بالزوجة والاولاد ، معناه ان تجد من يسأل عنك ويهتم بأمرك ، اما انت فما عليك الا الجلوس هكذا طوال الليل على قارعة الطريق يامبجل لو تغيبت سنة ماوجدت من يسأل عنك » وفي نفس القصة نجد الشخص « ذا الشعر الابيض » والذى ماتت كل عائلته ، ونجده يتحدث الى الاخرين بحذر وكأنه يخشى ان ينصرفوا عنه فتضيع فرصته الاخيرة في التواصل معهم . اما في « وقت الكلام » فنحن امام حالة من حالات حنين الانسان الدائم والابدى الى الاليف فالمرأة العجوز جدا تنتظر كل يوم في نفس المكان ونفس الزمان حبيبها الذى يأتي متكئا على عصاه ليجلسا على نفس المنضدة التى لم يغيراها منذ سنوات طويلة ويحتسيان معا شراب الليمون ويعلق احد شخصيات القصة « لو مات احدهما لعاش الاخر في مأساة حقيقية » . اما فى رائحة المطر ليلخص ابراهيم اصلان الموقف على لسان احد ابطاله حين يقول معلقا على الشاب الابله الذى يعترض الناس فى الطريق ويحتضنهم ويقبل اكتافهم ثم يريح رأسه على صدورهم قبل ان يتركهم ، ويقول مفسرا « واحد استبد به الشوق لبنى الانسان ويريد ان يعبر عن ذلك تعبيرا لاشك فيه » .

□ نموذج المثقف المحبط

ويحتل المثقف مساحة لابأس بها فى عالم ابراهيم اصلان ولكنه نموذج معين ومحدد الملامح فهو دائما المثقف الصامت الذى فقد الرغبة فى عمل اى شيء وكف بالفعل عن عمل اى شيء . كما في « وقت للكلام » المثقف الذى لايخرج من البيت ولا ينام ويفكر بشكل مستمر لانه يعانى من حالة حزن دائم كما فى « التحرر من العطش » انه المثقف الذى يبدو مثل الغريب في الوطن مع انه احد ابنائه انه قادر « على ان يسترخى على مقعده ويظل صامتا طول الوقت وهو ينظر الى اى شيء دون ان يقول كلمة واحدة .. اما اذا تحدث فان



ابراهيم اصلان

صوته الخفيض يبحث عن الكلمات التى يقولها كلمة كلمة فى جهد واهتمام وشيء من الضيق انه المثقف الذى يتصرف بغرابة تثير الاهتمام فى البداية ولكن يعتادها الجميع مع مرور الوقت . المثقف الذى لايعرف حقيقة الامور لانه يتعامل مع الكتب ولايتعامل مع الواقع . وحين تسنح له الفرصة لكى يرى الواقع الاليم على حقيقته لايملك الشجاعة على تغيير هذا الواقع ، ويشعر بالغضب يجتاحه لهذا العجز ويرفع صوته لاعنا نفسه ثم تعود الامور الى طبيعتها بعد زوال تأثير الخمر كما فى مالك الحزين

□ نموذج المرأة الانثى

واذا مااقترب المرء اكثر من عالم ابراهيم اصلان باحثا عن موقع المرأة وسط هذا الزحام يفاجأ بالحيز الضئيل الذى تشغله المرأة رغم تنوع هذا العالم وثرائه واحتوائه على الكثير جدا من النماذج البشرية المختلفة وحتى هذه المساحة الصغيرة التى تحتلها قد حجمها الكاتب وحددها بجانب واحد هو جانب الانثى فيها . فكل الشخصيات تتعامل معها من هذا المنطلق . وتنظر اليها وتقيمها من هذا الجانب . ففي بحيرة المساء ، يمر رجل وزوجته

ابراهيم أصلان

الشابة من امام المقهى فى طريق عودتهما الى المنزل ، فيعلق الشاب النحيل ياروحى ، اما ذو الشعر الخشن · طبعا ، سهرة ممتعة ، ثم الذهاب الى البيت .. والزوجة اللبنة ويعلن الثالث عن رغبته فى الزواج من اى واحدة « على شرط ان تكون حلوة » .

وفى الرغبة فى البكاء يعلق الصديق القديم الذى هو فى زيارة لصديقه ويتعرف بالزوجة لاول مرة « مدت لى كفا صغيرة دافئة » و« لاحظت ان الزواج لم يذبل ثدييها » أما زوجها فانه يلتفت الى صديقه ويغمز بعينه أليست حلوة ؟ وفى « وقت للكلام » يطلب الصديق من حبيبة صديقه ان تقابله فى المقهى حتى يطمئن منها على احوال صديقه الغريبة . ورغم قلقه واهتمامه الشديد باحوال صديقه فإنه يلاحظ انها حين اعتدلت فى مقعدها «وضمت ذراعيها العاريتين على صدرها فتكور نهداها» وفى التحرر من العطش تعود المخطوبة من اجازتها السنوية التى تقضيها مع اسرتها فى قليوب . تذهب لزيارة خاطبها سيد ولكنها لاتجد الا صديقه الذى يعيش معه فى نفس الشقة . يختفى الصديق فى حجرة جانبية لارتداء بيجامته وعندما يعود يجد ان الفتاة جالسة على الكنبة بجوار المكتب وقد وضعت كفها بين ركبتيها العاريتين . اما فى الجرح فرغم ان الرجل الغريب قد ذهب مع الفتاة فى مهمة انسانية وهى معاونتها فى تنظيف «وتحميم» والدها المشلول . فإنه طوال الوقت يقيمها كانثى فصدر الثوب مطرز بشريط اخضر يبدأ من عند الكتفين ويلتقى بين نهديها الممتلئين وعندما تمسك بثوبها المسدل وترفعه عن الارض وتدور من حوله ، يشعر بنهدها وهو يلامس مرفقه فى بطء . وحين تضطر الفتاة لخلع ثوبها حتى لايبتل وهى تقوم بتحميم والدها لايفوته ان يلاحظ ان جلدها الناعم كان متغير اللون من اثر الضوء الازرق الفاتح ، وان جسدها المبتل قد اصبح الان بارز القسمات . اما فى الثلاث قصص فى جوار رجل ضرير ، المستأجر ، واللعب الصغير ، فان المرأة لها وظيفة واحدة ومحددة هى اشباع الرجل جسديا

والحصيلة اربع عشرة قصة قصيرة هى كل مجموعة بحيرة المساء ، ست لا تلعب المرأة فيها اى دور ، وثمانٍ لا وجود للمرأة فيها الا كانثى

فاذا ما انتقلنا الى رواية « مالك الحزين » فسنواجه بنفس الرؤية فهناك فاطمة الشخصية النسائية الرئيسية فى الرواية . وحين يصف الكاتب اول ظهور لها على مسرح الاحداث يقول من قطر الندى جاءت فاطمة تخطو على مهلها الى فضل الله عثمان كانت تلم اطراف الملاءة الحريرية تحت ابطها الايسر . ويدها العارية تروح وتجىء بغوايش الذهب مع حركتها الكسولة الواثقة وامام الدكان تركت الملاءة تتزلق من على رأسها واظهرت شعرها الكثيف وابتسمت لهما ومن خلف ، رأى سمانة ساقها اليمنى تضوى تحت هذه الملاءة الحريرية السوداء . ولايتحمل فاروق كل هذه الانوثة الصارخة فيعلق وهو يتابعها بعينيه « ربنا يهد القوى » اما يوسف النجار فحين يعرف ان زوجها تركها وعاد الى بلاده يفكر كيف يستفيد من الموقف لان « الامر يبدو مختلفا الان لانها لم تعد بنتا بل اصبحت امرأة » اما صديقه مجيد فيشجعه على خوض التجربة « انها تجربة ظريفة وخصوصا انها بنت بلد . ولان هذا النوع من التجارب غير متوافر لمن كانوا مثلنا وأن بوسعه ان يتركها عندما يريد ، ووعده بان يعطيه مفتاح شقته فى اى وقت يطلبه »

□ موت الفقراء ليس موتا ولكنه اغتيال

وعالم امبابة ليس مثل اى عالم . انه عالم

الناس «الغلابة» الناس التى لاتجد ماتستر به نفسها سوى جلباب قديم ممزق وحذاء مقطوع واعلى درجات التمدن عندها هو ان تلبس البيجامة انه عالم الحوارى الضيقة، والازقة التى يتبول فيها الكبير والصغير عالم الاعرج والاعمى وبائع الفول وماسح الاحذية والقهوجى وموزع البريد وبائع السجائر وبائعة البرتقال والحلاق واللبان وبائع السمين والحانوتى . ولان هؤلاء الناس الغلابة يعلمون تماما ان احدا لم يهتم بهم فى السابق وانه لم يجد جديد حتى يهتم بهم احد فى الحاضر فلقد صنعوا عالمهم الخاص بهم واسسوا علاقاتهم الخاصة وقوانينهم غير المكتوبة ولانهم من المعدمين فقد عاش بعضهم على صيد السمك من النيل واحضاره الى الاسرة كل يوم وعاش البعض الاخر على الحداقة والشطارة والفهلوة كى يهبشوا قروشا من هنا وقروشا من هناك كما فعل فاروق وشوقى والشيخ حسنى وعبد الله القهوجى ولكنها فى النهاية قروش قليلة لاتكفى لشراء جلباب او لرتق حذاء مثقوب وبالكاد تكفى لحق الدخان ومشروبات القهوة .

□ موقف إبراهيم أصلان من القضايا الوطنية

لم يمسك ابراهيم اصلان العصا من الوسط ولم يحاور او يناور او يتلاعب بالكلمات ، بل اعلنها واضحة ، صريحة ، ومحددة ، لقد عبر عن رأيه ورأى جيل الستينيات فيما حدث فى مصر فى السبعينيات وتنبأ وحذر مما سيحدث فى الثمانينيات نتيجة لسياسة الانفتاح الاقتصادى وفتح الباب على مصراعيه للغرب وللوجود الاجنبى .

وفى قصة « إنهم يرثون الارض » عبر عن رايه فى نظرة الاجنبى الى شعوب العالم الثالث واحتقارهم وحرصه على بنى جنسه واعتبارهم من جنس ارقى وانهم احق الناس بوراثة الارض ومن عليها يسأل العم عمران الكابتن الانجليزى ايام الحرب العالمية الثانية لماذا تضعون الجيش المصرى فى الامام ، وتضعون الجيش السودانى وراءه ، والجيش الاسترالى وراءهما ، والجيش الانجليزى فى الخلف ؟ ويرد الكابتن الانجليزى اذا خاننا الجيش المصرى يضربه السودانى واذا اتفق المصرى مع السودانى يضربهما الاسترالى ، واذا اتفق المصرى والسودانى والاسترالى يضربهم الجيش الانجليزى .

وفى مالك الحزين سارت قضية ضياع القهوة على ايدى الطبقة الطفيلية التى افرزها الانفتاح والتى تشعبت وتغلغلت مثل السرطان سارت جنبا الى جنب مع قضية الوجود الاجنبى وتغلغل نفوذه فى مصر متمثلا فى الخواجة الايطالى الذى يدعى ملكية حى الكيت كات وانه اذا كسب القضية ، قول على البيوت والقهاوى وبتوع اللبن والبرتقال والحديد السلام . كله كله . مش حيخلى حاجة ابدا ، الله ؟ أرضه بقى يبنيها ، يهدها يعملها خرابة ، يفرقها ، هو حر ، وهكذا يصبح الاجنبى فى مصر هو صاحب الحق وصاحب الارض وعلى يديه يتحول المواطن المصرى الى مواطن من الدرجة الثانية ، يتحول الى غريب فى وطنه وبسبب الانفتاح الاقتصادى والوجود الاجنبى فى مصر تحولت مصر الى مجتمع خدمات بناسها وطوبها وشجرها للقادرين والطامعين من كل مكان . وتنتاب ابراهيم اصلان الحيرة ولايعرف كيف يتصرف ازاء هذه الهجمة الشرسة ، فهو يرى ان الوطن يتحول ، وان المصريين الشرفاء سيكونون اخر الورثة فينصح « ان اهم شىء الان هو ان نكون حريصين على ما بأيدينا ولا نضيعه ابدا حتى يظل الوطن دائما وطنا » ولكنه فى لحظة اخرى ينتابه الخوف والقلق ولايستطيع ان يكبح غضبه فيقول مخاطبا اهل الحى على لسان عم قاسم ان كل هذا يحدث لكم وامام اعينكم وانتم لاتفعلون شيئا سوى ان تجلسوا مثل « صينية القلل » .

قضايا ومواقف

نحو مدرسة مصرية في التربية

بقلم : د. شبل بدران

« نحن نعتقد أن علما تربويا وطنيا لايمكن له أن ينشأ على اكتاف المؤسسة الأكاديمية الأمريكية ورجالها في الخارج والداخل . لقد آن الأوان لصحوة فكرية وعلمية تغزو الأوساط البحثية الوطنية ، وتدعو رجال التربية الى إعمال عقولهم واذهانهم للتفكير في قضايا التربية عن طريق بحث علمي وطني نضع له معاييره وقواعده ونستخلص منه نظرياتنا المناسبة باغين هدفا أوحدا لا بديل له : إقامة نظام تعليمي يسعى لتحرير الانسان من كافة صنوف القهر والتسلط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية .

إن الاصلاحات التربوية الجزئية او الكلية لن تدعم فعالية النظام التعليمي لكي يحقق الاهداف الملقاة عليه إن هذه الاصلاحات لاتغني عن ضرورة وأهمية التغييرات الجذرية في بنية المجتمع اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، وذلك لأن حل مشكلات التعليم تكمن خارجه في بنية المجتمع ، ان النظام التعليمي أحد الأدوات الايديولوجية للأنظمة السياسية ، ومن هنا فان رجال التربية وحدهم لن يستطيعوا حل مشكلات التعليم في غياب المشكلات المجتمعية الأخرى .. والتعليم المصرى والفكر التربوى السائد في مصر الآن ، ومنذ اكثر من قرن من الزمان يعاني من مشكلات جوهرية تعوق حركته وفعاليته ، منها .

الأمية : التي مازالت تنهش في طموحات الجماهير في العلم والمعرفة ، والتي تزداد نسبتها عاما بعد عام ، فهي تصل إلى حوالى ٨٠ ٪ كنسبة عامة ، وتصل الى حوالى ٦٥ ٪ في المدينة وحوالى ٧٥ ٪ في الريف ، وترتفع نسبتها بين الإناث عن الذكور ، وبين جموع الفقراء والمحرومين



من ابسط احتياجاتهم الانسانية ، وتعود هذه المشكلة الى أن نسبة التسرب من المراحل الدراسية تصل الى حوالى ٢٠ ٪ ، وان النظام التعليمى يساعد على طرد المتعلمين خارجه إما بالقسوة التى يتصف بها ، واما لاحتياجهم إلى العمل فى سن مبكرة ، وكذلك فان الجهود التى تبذل فى هذا المجال هى جهود بيروقراطية وشكلية ، وليس هناك توجه عام وقومى نحو حل المشكلة حلا سياسيا ولذلك فان شعار زيادة الانتاج يصطدم بصخرة ارتفاع هذه النسبة ، فكيف يستطيع المواطنون العمل على زيادة الانتاج فى ظل حرمانهم من كافة الاحتياجات الثقافية والتعليمية ، ناهيك عن الاحتياجات المادية الضرورية ...

الاستيعاب : كانت الخطة الخمسية الثانية (٦٥ ـ ١٩٧٠) تطمح إلى تحقيق استيعاب ١٠٠ ٪ لجميع الاطفال الذين يقعون فى سن الالزام (ست سنوات) ولم تحقق هذه الخطة ذلك لاسباب منها انهيار النظام السياسى بعد يونيو ١٩٦٧ ، بل قبلها بقليل ، ومنذ ذلك التاريخ لم يتحقق الاستيعاب الكامل او شبه الكامل ، حيث بلغت النسبة بإحصائيات عام ١٩٨١ حوالى ٨١ ٪ في المدن الكبرى وحوالى ٧٠ ٪ في الريف المصرى ، وهذا يعنى أن الطموح الذى طرح عام ١٩٦٥ لم يتحقق حتى عام ١٩٨٦ .. ولا شك أن ذلك يلقى بظلال الفشل والاخفاق للنظام السياسى ويدفع بغالبية الذين لم يلتحقوا بالمدارس الى الذهاب مبكرا الى سوق العمل ويقعون تحت قسوة شروط اصحاب رأس المال الخاص .

نحو مدرسة مصرية فى التربية

والى الانضمام الى جيش الامية الزاحف .

المدرسة الموازية : يحاول الفكر التربوى السائد فى مصر تبرير مشكلة الدروس الخصوصية بارجاعها الى مجانية التعليم ، مما يكشف عن الهدف الايديولوجى الذى يكمن خلف هذا التفسير ، عندما يطالب بإلغاء المجانية أو ترشيدها .. ولا شك ان هذه المشكلة تعود بشكل رئيسى الى خلل بنيوى فى النظام التعليمى ، حيث يعتبر مجموع الدرجات هو المعيار المؤهل للانتقال من مرحلة دراسية الى أخرى .

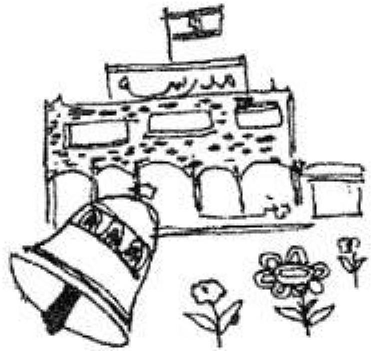
الانحياز الايديولوجى للمناهج : ان المعارف المقدمة للطلاب تعلن انحيازها لثقافة الطبقة الحاكمة ، وتكرسها وتدعمها ، من نمط القيم السائد والعادات والتقاليد والطموحات . فالمحتوى الدراسى للمناهج (المعارف المقدمة) لاتبث أى قيم عن العمل والانتاج واحترام الانسان وتدعيم القيم الديمقراطية ، ولكنها فى مجملها تدعم قيما ومعارف فردية أتت من الاطار المرجعى والمعرفى للثقافة الغربية . ولقد لعبت الايديولوجيا دورا بارزا بعد زيارة القدس (١٩٧٧) عندما تم تعديل مقررات المواد الاجتماعية ، ولم يعد هناك ذكر لاسرائيل وأصبح الحديث عن القضية الفلسطينية غير وارد بالمرة ، بل أن الخرائط التى أتت للتعليم الاساسى من " المعونة الامريكية " لم يكن بها مكان لفلسطين . ولذلك فان المناهج تساعد على خلق أجيال مستسلمة وضائعة يدعمها فى ذلك طرق التدريس التقليدية والادارة المدرسية التسلطية . كل ذلك يتم على اعتبار ان المناهج الدراسية فى مصر تتصف بمايلى :

أ ـ إن محتواها الدراسى ليس محايدا كما يعتقد رجال التربية التقليديون ، بل مثقل بالمعانى الاجتماعية والسياسية . فلا مغزى البتة للتميز بين المعرفة المدرسية والمحتوى الايديولوجى لها . وعلى ذلك فليس من المنطقى تقويم هذه المعرفة بالاعتماد على مجرد المعايير المحايدة من وجهة نظر أصحابها كالامتحانات والاختبارات المدرسية .

ب ـ يشير التحليل الاجتماعى والسياسى للمعانى المتضمنة فى المعرفة المدرسية إلى قيام الفئات الاجتماعية صاحبة الثروة والسلطة بإضفاء الشرعية على وجهات نظرها ومبادئها . ويعنى ذلك تعرض الطلاب لأفكار تخدم فى أضفاء الشرعية على النظام الاجتماعى السياسى الحالى .

جـ ـ تعمل المناهج على دعم التقسيم الاجتماعى للعمل وتعزيزه ، وتؤدى بذلك دورا تربويا هاما فى توليد الظروف الموائمة لاستمرار عدم التكافؤ الاجتماعى . وأكثر من ذلك ، فهى تلعب دورا هاما فى حرمان الفئات المقهورة من أنواع الوعى اللازمة للكشف عن طبيعة النظام الاجتماعى .

فقدان العلاقة بين ما يطرحه التعليم من شعارات والواقع الاجتماعى : يشيع فى المدرسة جو المعرفة والعلم والمنهج



العلمى فى التفكير ، واحترام المتعلمين وتحوى الكتب الدراسية العديد من القيم التى تدعم المنهج العلمى ، ولكن حينما يخرج الطالب الى الحياة ، إلى واقعه المعاش يصطدم بغياب وفقدان ماسمع وقرأ وعرف ، ومن هنا فان الانفصال بين المدرسة والواقع عامل يساعد على عدم جدوى التعليم ، وعدم اهمية المدرسة أصلا ، فى تدبير شئون الحياة ، ويفقد التعليم دوره وأهميته فى العملية الانتاجية ، ويقلل الاعتماد عليه فى احداث التنمية أو تحقيق الاحلام . ويدعم ذلك فى ذات الوقت محاولات الدولة رفع يدها عن تعيين الخريجين بحجة زيادة أعدادهم عن احتياجات سوق العمل ، **ولا تعترف ان الفشل ليس فى زيادة أعداد المتعلمين ، ولكن فى عدم قدرة المجتمع عن توفير فرص العمل والحياة لأبنائه**

ازدواجية النظام التعليمى : يعانى النظام التعليمى المصرى الحديث منذ نشأته فى مطلع القرن التاسع عشر ازدواجية كرسها ودعمها المستعمر الاجنبى (تعليم عام ، تعليم فني ، تعليم أزهري - ديني - تعليم أجنبى ، تعليم لغات .. الخ) وكلها أنواع متباينة ومتناقضة مع طموحات الدولة الوطنية والقومية . ولكنها أنواع تسد احتياجات الفئات الاجتماعية المتباينة ، وتدعم الهرمية والطبقية الاجتماعية ، حيث يدخل التعليم العام والاجنبى واللغات أبناء الفئات الاجتماعية الميسورة (النخبة) ويدخل أبناء الفئات والطبقات الفقيرة والمحرومة التعليم الفنى والدينى ، ذلك لما لكل نوع من هذه الأنواع من احترام وتقدير من المجتمع وثقافته السائدة التى هى ثقافة الطبقة المسيطرة طبعا . ولذلك فليس بغريب علينا أن تمهد جريدة الاهرام وتدعم ذلك من تصريحات لرؤساء الجامعات من تقليل أعداد الطلاب الملتحقين بالتعليم العام والجامعي ، وزيادة أعدادهؤلاء الذين سوف يتخرطون فى التعليم الفنى والمهنى ، ومن هنا **فنحن نقول أن الفكر التربوى السائد فى مصر مازال يقف عند الحدود التى رسمها افلاطون من أن ابناء الحكام والصفوة يشتغلون بالعمل العقلى الذهنى الذى يؤهل له التعليم العام والجامعى وأبناء الرعاع يشتغلون بالاعمال اليدوية**

● الدور التبعى للتعليم المصرى

التعليم المصرى منذ أن استقدمه محمد على فى مطلع القرن التاسع عشر . تعليم منقول ، وهو صورة مشوهة من صورة التعليم فى المجتمع الاوروبى ،

نحو مدرسة مصرية فى التربية

فالتعليم فى أوروبا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، كان يحقق أهداف وطموحات المجتمع الصناعى الراسمالى المتقدم ، من ضرورة تعليم وتدريب المواطنين لكى يكونوا قادرين على زيادة الانتاج وتقبل التقدم الصناعى فى الانتاج

وكان فى مصر أشبه بنتوء خارج حركة التطور الاجتماعى ، فلم يكن نابعا منها ،

ولا مواكبا لها ، **وظل هكذا حتى بعد يوليو ١٩٥٢** .

● ملامح المدرســـــة المصرية فى التربية

لقد آن الاوان أن يصبح تحرير الانسان المصرى الواعى الحر هو الهدف الرئيسى والعاجل الذى يجب أن تنجزه التربية فى مصر ، والذى يهتم به ويدور حول محوره الفكر والممارسة التربوية فى مجتمعنا ، إن أشكال الفكر والممارسات التربوية القديمة والسائدة تعجز ـ كما عجزت بالفعل ـ عن إنجاز هذا الهدف

ومن ثم فلابد من التفكير فى مدرسة مصرية للتربية جديدة تأخذ مكانها فى مجال التربية ، كما يجب أن تأخذ مكانها فى كل مجال من مجالات المجتمع .

إن الفكر التربوى السائد فى مصر الآن والذى يحكم حركة التربية لن يستطيع انجاز هذا الهدف العاجل والملح

فالاهتمام الحقيقى للفكر التربوى السائد هو ربط التعليم فى مصر ليس بقضية تحرير الإنسان المصرى واطلاق طاقاته الانسانية الخلاقة والمبدعة ، بل ربط التعليم بالانتاج من خلال مفهوم اقتصادى ضيّق يحقق فقط مصلحة القلة المسيطرة فى المجتمع .

وباتت القضايا المحورية فى هذا الفكر تدور حول مسائل فنية فى وسائل التعليم وطرائق التدريس ، وبدت المعرفة التى تقدمها المناهج فى هذا الاطار الفكرى وكأنها شيئا طبيعيا ومحايدا لايناقش بنيتها ولا أسس توزيعها وكل ما يسمح به هذا الفكر هو تقديم تعديلات جزئية فى المناهج الدراسية القائمة بالفعل فى إطار الفكر السائد ، وغدت المسألة فى التعليم وبصرف النظر عن فشل الممارسة التربوية الحالية فى مدارسنا من تحقيق ذلك وكأنها تكمن فى حزق وبراعة المعلم وفاعلية الطرائق التربوية الحالية فى الفصل الدراسى ، مما أدى الى ظهور أعراض مرضية متعددة منها : الدروس الخصوصية ، والاقتصار على التعليم اللفظى ، والامتحانات وقياسها لبعد واحد هو الذاكرة الصماء ، وليست الذاكرة المبدعة ، وتفاقم مشكلة الامية والتى تعد فى مجملها نتاجا للقوى الاجتماعية المسيطرة .. والتى تحجم عن التصدى لهذه المشكلة باعتبار أن ذلك يهدد مصـالحها الاقتصـادية والاجتمـاعيـة والسياسية ، ولقد أغفل الفكر التربوى

السائد دراسة البنية الاجتماعية للمدرسة التى تتم من خلالها العملية التربوية ، واضحت لديه هذه البنية وكأنها - أيضا - شيئا طبيعيا قطعيا ، ومعزولة عن بنية المجتمع السياسية .

إن الفكر التربوى السائد على سبيل المثال لم يتطرق من قريب أو بعيد الى دراسة نمط العلاقات الاجتماعية فى المدرسة المصرية وتاثير هذه العلاقات فى تكوين وتشكيل شخصية المواطن المصرى من جهة ودورها فى تعزيز بنية المجتمع القديم الذى نتطلع نحو تغييره الى مجتمع انسانى ارحب من جهة ثانية .

ان المدرسة المصرية فى التربية التى نتطلع اليها تطالب - ضمن ما تطالب - بجعل تحرير الانسان فى مصر من عوامل السيطرة والقهر التاريخية وتمكينه من بناء مجتمع انسانى أرحب ، هو الهدف الذى ينبغى أن تدور حوله الجهود فى مجال الفكر والممارسة فى حقل التربية . ومن ثم تصبح دراسة العلاقة بين بنية التنظيم الاجتماعى والتربوى من جهة وبنية المجتمع الاكبر من جهة أخرى ، تعنى الموضوع الدراسى الاول الذى يجب أن تهتم به الدراسات والابحاث والاصلاحات فى مجال التربية . ومن هنا فان مهمة وضع ملامح وأطر لهذه المدرسة المنشودة ، ليست مهمة فرد بعينه او جماعة بعينها ، ولكنها مهمة مجتمعية فى الأساس ، تساهم فيها كافة القوى والأحزاب السياسية والنقابات والهيئات والمنظمات التى تنشغل بهموم الوطن والمواطن ، الا إننا نطرح فى هذا التصور المبدئى أربعة ملامح يمكن أن يدور حولها النقاش والحوار الذى يجب أن يفتح امام الجميع للمساهمة والمشاركة فيه . وهذه الملامح العامة هى

١ - أن تهتم المدرسة المصرية فى التربية بدراسة العلاقات الاجتماعية داخل المدرسة وتاثيرها فى تشكيل السمات الشخصية للانسان فى المجتمع المصرى .

٢ - أن تهتم بدراسة المعرفة ومحتوى المناهج الدراسية من حيث كونها نتاجا اجتماعيا يعكس البنية السياسية والاجتماعية للمجتمع المصرى .

٣ - ان تهتم بدراسة العلاقة التفاعلية القائمة بين العلاقات المدرسية ومايدور خلالها من عملية تربوية وبين بنية العلاقات السياسية الاجتماعية فى المجتمع من جهة أخرى .

٤ - ان تعنى بدراسة المشكلات التربوية باعتبارها مشكلات تربوية اجتماعية وسياسية وليست مشكلات تربوية منعزلة عن الواقع الاجتماعى المعاش .

ولاشك ان دراسة مثل هذه المجالات سوف تعمق وتؤصل الفكر التربوى المصرى المناط به احداث تغيير فى بنية النظام التعليمى ، لكى يكون اكثر عدلا واكثر تحريرا للانسان المصرى من كافة صنوف القهر الواقعة عليه .

د . شبل بدران يعمل بكلية التربية جامعة طنطا

قضايا ومواقف ● رداً على مقال د. محمد حرب ●

بقلم: د. سعيد اسماعيل على

"ما هكذا ينقد التاريخ العثمانى"

كم يشعر المسلم بكثير من الزهو والفخار، اذ يقرأ فى تراث تاريخ الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة، كيف وقف واحد من جماهير المسلمين يقول فى وجه الخليفة العادل، انهم لو وجدوا فيه اعوجاجا لقوموه ولو بحد السيف، وكان لهذا الخليفة العظيم ماله من مكانة فى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون ان يغضب من القائل وينزل به العقاب، وانما على العكس، يظهر ارتياحا وطمانينة لتوفر الوعى بين جماهير المسلمين، والجراة فى التصريح بالحق امام اعلى المقامات دون وجل او تردد حيث ان الساكت عن الحق «شيطان اخرس».

وكم يشعر المسلم بقدر غير قليل من الأسى، حين يرى بعضا منا – ربما بحسن نية – يضفون هالات التقديس على نظام حكم اقامة بشر وأداروه بعد ذلك بقرون عدة، وبعد ان تعددت الاراء واختلف الاجتهادات وتباينت المذاهب والاتجاهات، وصار كل منها يتصور انه وحده المبصر بالحق، وان غيره منحرفون عنه .. حتى اذا حاول باحث ان يكشف عن اخطاء هذا النظام الحاكم، هب هذا البعض غاضبين، دون ان يدروا ان غضبتهم تلك انما تعلى مطابقة لديهم بين نظام الحكم هذا وبين رابطة العقيدة الاسلامية!

ولقد حرصت على أن أحدد بوضوح كامل المنطلق الفكرى الذى تصدر كتابتى عنه فى مقالى عن موقف السلطان عبد الحميد من الثورة العرابية (الهلال، فبراير ١٩٨٧)، ومع ذلك فقد هب د. محمد حرب ناقدا (الهلال، مايو ١٩٨٧).

وعلى الرغم من حرصى الغالب على عدم الرد على ما قد يثار نقدا لبعض ما أكتب، لما يشوب الكثرة الغالبة من الكتابات النقدية عندنا من انحراف عن (الموضوع) الى هجوم على (الشخص)، لكننى اليوم اتخلى عن العزوف عن الرد، لاننى حقيقة لست فى نقد د. حرب حرصه ان يحصر نفسه فى (الموضوع) بنسبة اكبر، معبرا عن روح تتسم بالتهذيب وعفة القلم.

وأرجو الا يقدح فى وصفى هذا، الاشارة الى ان هذا النقد لم يخل من

شائبة (شخصية) بدت من خلال بعض ظلال حامت اطيافها على « أهلية » كاتب هذه السطور فى الكتابة التاريخية، وفى المقابل ، قدر قليل من روح «التعالى»

ولا اريد أن اقف عند هذه القضية طويلا .. فقط اريد ان اطمئن د. حرب بان درجة الدكتوراه التى يحملها كاتب هذه السطور ، هى فى تاريخ الفكر التربوى فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ، وبالتالى ، فقد كانت علاقة مصر بالدولة العثمانية ، أحد الاركان الهامة فى الدراسة . ومقالى اليوم سأقصره على بعض النقاط التى وردت بمقال الدكتور حرب عن الدولةالعثمانية فقط ، اما علاقتها بالثورة العرابية ، فقد نفرد لها مقالا آخر .

وأول النقاط التى أثارها الدكتور حرب ، هى ما يتصل ببعض‌المصادر التى استعنت بها ونقص بعض بياناتها . وأود أن ألفت النظر هنا الى ان حجم المقالات التى نكتبها للهلال ، فضلا عن طبيعتها كمجلة ثقافية موجهة لمختلف شرائح‌المثقفين وتخصصاتهم ،تغل‌القلم عن ان يسترسل ويفيض فى ذكر المصادر كلها وما يتصل بها من تقاليد معروفة فى عمليات « التهميش » و « الاحالة » ومن ثم نحاول ان نحصر انفسنا فى « نماذج » و « امثلة » من المصادر .

وأكاد اعجب لدهشة الدكتور حرب من استعانتى بكتاب الدكتور أبو الفتوح رضوان المنشور عام ١٩٦٨ ، على أساس أننا الآن فى سنة ١٩٨٧ ، اذ لا أظن — وهو الباحث التاريخى المدقق — يغفل عن ان قدم المصدر ، لا يقلل من قيمته ، وفى كثير من الاحوال ، قد يكون القدم ميزة ، على عكس الامر فى كثير من أبحاث العلوم الاخرى .

ولا أدرى كيف يقلل الدكتور حرب من قيمة مرجع كبير موضوعه كله هو (القومية العربية) ، وبالتالى ، كان من الضرورى ان تكون الدولة العثمانية و (الجامعة الاسلامية) ركنا أساسيا فيه ، فتتوفر فرصة الوقوف على الرأى (الغاير) . ونضيف الى ذلك ان مؤلف الكتاب ، متخرج فى قسم التاريخ بآداب القاهرة فى اوائل الثلاثينيات، وحصل على درجتين للماجيستير ، أولاهما فى (تدريس التاريخ) ، والثانية عن (تاريخ مطبعة بولاق) ، وهى رسالة ضخمه فى موضوع وعن معظم مصادرها، عن عهد الدولة العثمانية ، ورسالته للدكتوراه كانت بعنوان

New Farces In Egyptian Education old and.

وهى دراسة تاريخية تمت فى جامعة كولومبيا بنيويورك ، وصدرت فى كتاب معروف ومتداول هناك .

أما كتاب الدكتور محمد أنيس عن الدولة العثمانية والشرق العربى ، فعدم ذكر تاريخ طبعته ليس سهوا ، لانه بالفعل (بدون تاريخ) . وللدكتور حرب ان يشكك فى قيمة هذا المصدر لهذا المؤرخ الكبير ، أما كاتب هذه السطور ، فيحمل له — الدكتور انيس — الكثير من التقدير والاحترام ، وهذه قضية أخرى .

واذ نقول « لولا الازهر ، لاصيبت اللغة العربية والعلوم الدينية بأضرار، ولغلبت اللغة التركية » ، يبادر الدكتور حرب بأن هذه مقولة ، « مجافية تماما لتاريخ التربية والتعليم » ، ومعذرة اذ نستخدم نفس أسلوب الدكتور لنقول بتأكيد هذه المقولة من منطلق تخصصنا فى تاريخ التربية والتعليم ، ونحيله الى كتابينا « تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ » و « دور الازهر فى السياسة المصرية ، كتاب الهلال ، نوفمبر ١٩٨٦ » .

وندهش لتساؤل الدكتور : « ممن قال ان العثمانيين تدخلوا فى مقررات الازهر ولا فى دراساته ؟ » .. بل اننا نكرر معه هذا التساؤل ، لاننا لم نقل بتدخلهم فى الازهر ، ولكن مقولتنا ان النظام الحاكم ، اذا كانت لغته مغايرة للغة المحكومين ، كما هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية ، فانه ، حتى ولو لم يقصد ، من الناحية العملية ، يؤدى ، بالتعامل معه ، الى « تسييد » لغته هو ، فتضعف بالتبعية لغة المحكومين المغايرة .

وبغض النظر عما قاله الدكتور حرب فاننا نحيله الى دراسات اساتذة اللغة العربية وآدابها ليقولوا هم كيف ان اللغة العربية وآدابها فى مصر لم تشهد تدهورا مثل ذلك الذى شهدته ابان الحكم العثمانى ، فهذا محمد عبد الغنى حسن، فى كتابه عن حسن العطار (دار المعارف، ١٩٦٨ ، ص ١٦) يقول ان اللغة التركية فى العهد العثمانى « استطاعت ان تفسد ملكة اللسان العربى عند اصحابه .. فقد رأينا ملكة التعبير هبطت عند كثير من الادباء والمؤلفين ، كما رأينا الاصالة الفكرية قد استحالت الى ضحالة ، ورأينا القرائح العربية قد جمدت ولم يعد لها ذلك الخصب الذى عهدناه فى عهود القوة العربية ، وهبط مستوى التاليف الخالق المبتكر الى درك من الجدل العقيم والتعليق السقيم والحواشى المرذولة التى لا ترتفع الى مستوى الاصالة ، التفكير » .

اما الدكتور شوقى ضيف فى كتابه (الادب العربى المعاصر فى مصر) — « كان الحاكم يؤثر عليها (العربية) اللغة التركية فى دواوينه ومنشوراته وما يطبع من كتب وآثار فى مطبعة بولاق ، بل لقد كان التحدث بها من طلاب المدارس مسبة حتى عهد عباس الاول ، فالشيخ المهدى يقول فى (مذكرات الادب) التى طبعها لتلامذة القضاء الشرعى فى مطلع هذا القرن ، كانت اللغة العربية مضطهدة فى عهد عباس الاول الى حد ان من يتكلم بها من طلبة المدارس الحربية ، توضع فيه العقلة التى توضع فى فم الحمار حين يقص ، ويبقى كذلك نهارا كاملا عقوبة له على تحريك لسانه بلغة القرآن فى اثناء فسحته » .

وفى دراسة علمية هامة لعبد السميع الهراوى بعنوان (لغة الادارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر) نشرها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦١، (ص٨٠) « عانت اللغة العربية محنة قاسية تخرمتها بالاعياء والوهن، فانحط اسلوبها وزاحمتها اللغة التركية فى دواوين الحكومة بوصفها اللغة الرسمية الاولى، بل انها زاحمت العربية فى المعاملات العامة كذلك ، بحكم الغلبة والسلطان ، والناس على دين ملوكهم .

ولقد عمد الاتراك الى وأد اللغة العربية فى دواوين الحكومة الرئيسية بالغاء ديوان الانشاء الذى كان قائما منذ عهد أحمد بن طولون ، وكان اذ ذاك مثابة تستقيم فيها اللغة الديوانية ، ومدرسة يتخرج فيها جهابذة الادباء وحذاق كتاب الدواوين ، فكان الغاؤه جناية على العربية ، ومحنة قاصمة حزبتها وصوحت عن نضرتها .. » .

ويقول نفس الباحث (ص ١٢٠) ان الدولة العثمانية أضفت على الادارة المصرية صبغتها التركية « اداتها ولغتها ، فارست قواعدها على اسس تركية ، وفرضت التركية لغة لها ، واستبقت العربية — اللغة القومية — رسميا فيما له اتصال مباشر بافراد الرعية ، وفى شئون الضرائب خاصة تيسيرا

لجبايتها وضبط حسابها ٠٠ » ٠

وهناك شواهد أخرى كثيرة ، نحن على استعداد للمزيد منها لمن أراد ٠

● شعارات للنفاق

أما ما اورده الدكتور حرب عن الجامعة الاسلامية ، فلن اقف عنده طويلاً٠ فقط أرجو ان يعيد قراءة الفقرات الاولى من مقالى السابق ليتأكد ان كاتب هذه السطور يضع الرابطة الدينية فى المقام الاول ، ومن ثم فان ما نسوقه من نقد ، انما هو « لممارسات » هذا النظام السياسى أو ذاك ، واننا لنعيد الى الاذهان كيف رفع حاكم مثل (جعفر نميرى) فى السودان الشعار الدينى نفاقا وكذبا ، ومارس من وراء ستاره ابشع أساليب الاستبداد والفساد والاستغلال ٠

واذا كان كاتب هذه السطور يحتفى فى سطوره (بالعروبة) ، فلأنه يتعامل معها كحضارة وثقافة ، لا كجنس وعرق ، وبالتالى ، فلا يراها دائرة تقع خارج الدائرة الاسلامية ، وانما هى ركن أساسى فيها ٠ وكذلك اذا كنا نفخر (بالوطنية) ، فليس باعتبارها أيضا بديلا أو مقابلا للاسلام أو العروبة وانما هى ايضا دائرة أصغر تقع داخل دائرة العروبة ٠

اننا لا نستطيع ان ننكر الدور التاريخى الكبير الذى قامت به الدولة العثمانية فى جانبين :

الاول : جمعها البلدان الاسلامية فى وحدة سياسية استمرت عدة قرون ٠

الثانى: وقوفها بالمرصاد ضد محاولات الاستعمار الغربى ٠

لكن هذا لا يجعلنا ايضا ننسى ان مثل ذلك انما كان حتى نهاية القرن الثامن عشر ، اما فى القرن التاسع عشر ، واوائل العشرين ، فقد كانت تلك الدولة تعانى من أمراض الشيخوخة الحضارية، شأنها فى ذلك شأن كثير من الامبراطوريات الكبرى طوال التاريخ وكما ساعدت قوتها ووحدتها على حماية العالم الاسلامى من الوقوع تحت سيطرة الغرب الاستعمارى ، اذ بضعفها وشيخوختها يمكنانه فى القرن التاسع عشر ان (يأكل) معظم العالم العربى تحت سمع وبصر سلاطينها وخلفائها ٠

كذلك فاننا نعترف بموقف عبد الحميد المشرف من محاولات اقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين ، لكننا نرجو ان ننبه الى انه اذا كان قد رفض فكرة الدولة الوطن القومى،الا ان الصهاينة فى ظل حكمه أيضا قد اقاموا العديد من المستوطنات وبذروا العديد من البذور التى جعلت قيام هذه الدولة فيما بعد مسألة وقت ومسألة اجراءات ٠

● عداء العثمانيين لمصر

ثم تأتى لمسألة (تهجير) السلطان سليم لكم ضخم من أحسن الكفاءات العلمية والعملية المصرية الى العاصمة العثمانية من مصر ، ومحاولة الدكتور حرب التهوين من آثار ذلك على الطاقة الانتاجية لمصر، حيث ذكر انهم عادوا الى مصر بعد ثلاث سنوات فقط ، فحتى اذا سلمنا بذلك ، فهناك مما لا يمكن ان يعاد الى شعب مصر ، فها هو ابن اياس فى مؤلفه المعروف (بدائع الزهور)، طبعة الشعب ، ص ١١١١ يقول :

« ان ابن عثمان هتك حريم مصر ، وما خرج منها حتى غنم اموالها وقتل ابطالها ويتم اطفالها ، وأسر رجالها ، وبدد أحوالها ، وأظهر أهوالها ، فلم يدخل اليها أحد ٠٠ ولا ملكها قط أحد ، ولاجرى مثل ما جرى عليها من ابن عثمان الا ان كان فى زمان بختنصر البابلى ،٠٠ ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم» ٠٠ وقال أيضا :

« ان ابن عثمان خرج من مصر ومعه

الف جمل ، ما بين ذهب وفضة ، هذا خارجا عما غنمه من التحف والسلاح الصيني والنحاس ·· والخيول والبغال والصيني والنحاس·· والخيول والبغال الرخام الفاخر ، وأخذ منها من كل شيء أحسنه ، مما لم يفرح به اباؤه ولاجداده من قبله ابدا ، وكذلك ما غنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة ، وكذلك عسكره ، فانهم غنموا من النهب ما لا يحصى وصار اقل ما فيهم ، اعظم من أمير مائة ومقدم الف مما غنمه من مال وسلاح وخيول وغير ذلك ·· **فما رحلوا من الديار المصرية الا والناس في غاية البلية** ·

وفي مدة اقامة ابن عثمان بالقاهرة، حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة ·، وتعطلت منها اصحابها » ··

ترى ، اكان ابن اياس هو الاخر متأثرا في ذلك بكتابات الغربيين لانه انتقد الدولة العثمانية ؟

ويسجل علي مبارك في الجزء الاول من الخطط التوفيقية قوله : « ابتداء من القرن الثاني عشر ، يعني مدة ثلاثة قرون ، قد اهمل امر المدارس ، وامتدت ايدى الاطماع الى اوقافها ، وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها ، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة ، فاخذوا في مفارقتها ، وصار ذلك يزيد كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد ، حتى انقطع التدريس فيها بالكلية ، وبيعت كتبها وانتهبت ، ثم اخذت تتشعث وتتخرب من عدم الالتفات الى عمارتها ومرمتها ، فامتدت ايدى الناس والظلمة الى بيع رخامها وابوابها وشبابيكها حتى آل بعض تلك المدارس الفخمة والمباني الجليلة الى زاوية صغيرة ، تراها مغلقة في اغلب الايام ،وبعضها زال بالكلية وصار زريبة او حوشا و غير ذلك ، ولله عاقبة الامور » ·

وهذا هو الشيخ السادات يكتب عام ١٨٠٠ الى عثمان كتخدا الدولة يقول : « ·· الزمتم الغني والفقير اطعام عسكركم الذى اوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ في النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادكم في اماكن الموبقات والملاهي حتى نزل المسلمين اعظم المصائب والدواهي فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الاقوات وانقطعت الاسباب ، فبذلك كان عسكركم مخذولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا » ، ص ٣٦٠ ·

·· هكذا خربوا مصر وامتصوا دماء شعبها واذلوا اهلها وافقروا جيوبهم ·· جفت الاوراق وسالت انهر البؤس في كل مكان ·· وصارت مصر بذلك (صيدا) جاهزا ·· فريسة سهلة لافاعي الاستعمار الجديد الاتية من الغرب الرأسمالي !!

ومعذرة للقارىء حيث اتخمناه بهذه النصوص ، وما فعلنا ذلك الا ليعلم من لا يعلم ان المسألة ليست رأيا لنا او لغيرنا ابتدعناه ، وليس الرأى دائما فيه متابعة وترديد لما يقوله الغربيون ، فنحن نعي تماما العداء التاريخي الغربي للدولة الاسلامية ، ولكن : هل يدعونا هذا ان نغمض العينين عما في (ممارسات) النظام الحاكم لهذه الدولة من سيئات ؟ وهل يمكن ان نصدق حكاما هذه حال مصر في عهودهم ، انهم يعملون لصالح الاسلام ؟ أليس صالح المسلمين من صالح الاسلام ؟ فاذا كان هذا هو ما آل اليه حال مسلمي مصر (وغيرها مثلها بطبيعة الحال ، ولكننا نقصر الكلام على مصر التي

تخصصنا فى دراسة تاريخها) فهل يمكن ان نثق بالشعار المرفوع ؟ ٠

● سيادة الجنس التركي

ونأتى اخيرا الى قضية وصفنا للدولة العثمانية بأنها (تركية) ، اذ ينكر الدكتور حرب علينا ذلك ويرى ان دولة المماليك هى فقط الدولة التركية ٠٠ وليس ذلك دقيقا كل الدقة ، وها هو الدكتور محمود رزق سليم فى الجزء الاول من موسوعته التاريخية الضخمة عن عصر سلاطين المماليك (ص ١٧) يقول : « ويظن المرء لاول وهلة ان مماليك مصر هؤلاء كلهم من الجنس التركي أو الجركسى ، والواقع ان فيهم من اجناس اخرى عددا » ، ومن الامثلة التي يبرهن بها على ذلك ان منهم التركي كالظاهر بيبرس والجركسى كالاشرف قايتباى ، والتترى كالعادل كتبغا ، والقبجاقي ، كالمنصور قلاوون والهندى كالامير جوهر التركماني اليشبكى ، والرومي كالظاهر تمربغا ، ولكن الجنسين التركي والجركسى كانا غالبين ٠٠ كان للجنس التركي السيادة فى الدولة الاولى (الدولة البحرية) ، وللجنس الجركسي السيادة فى الدولة الثانية (الدولة البرجية) أو الجركسية ٠٠ وكان من الاجناس الاخرى طائفة من المغول استقدمها الى مصر العادل كتبغا المنصورى ، وكان منها طوائف من التركمان والكرد واللاظ والارمن ، وكثرت أنواعهم وتعددت فى الجزء الاخير من الدولة الجركسية ٠

وتتعدد أقوال المؤرخين فى الاصول الجنسية للعثمانيين ، وتحيط بعض الروايات الاساطير ، ولا ندعى قولا فصلا فى هذا الموضوع ، ولكن المتواتر ان العثمانيين منتسبون الى احدى قبائل الغز التركية التى دفعها تقدم المغول فى أوائل القرن الثالث عشر الى الهرب غربا صوب الاناضول تحت قيادة أرطغرل ٠ وانتساب الدولة الى عثمان راجع الى كونه قد اكد استقلاله التام على اثر انهيار دولة سلاجقة الروم ٠ ومن ناحية أخرى فهى دولة تركية بشكل ما ، وليس بصفة مطلقة ، فالاسرة الحاكمة انما هى اسرة تركية تدعى الانتساب الى قبيلة أوغوز التى انتسب اليها السلاجقة ، وكان بامكانها ان تستثير التضامن الجنسي لدى رجال القبائل الاتراك (احمد عبد الرحيم مصطفى : فى اصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ٣١) ٠

وهكذا لم يكن لاصطلاح (عثمانى) مدلول قومى ، بل انه يرتبط بأسرة حاكمة مثله فى ذلك مثل مصطلحات (الامويين) و (العباسيين) و (السلاجقة) ٠٠٠ الخ ٠

ان الكتابة التاريخية بحاجة الى حذر شديد من تغلب ما تثيره العقيدة الدينية من عواطف ، قد تحيد بالباحث عن رؤية الاخطاء الناتجة عن الممارسات والتطبيق ، وهما منه ان الحديث عن هذه الاخطاء فيه مساس بهذه العقيدة ، فيخلط بذلك بين « الالهى » و « البشرى » ، بين (المطلق) و (النسبى) ٠٠ ونحن لا ندعى لانفسنا العصمة تماما من مثل هذا الخطأ المنهجي ، وانما يكفينا الوعى بهذه الحقيقة مما لا يجعلنا نتهم الآخرين ونبرىء انفسنا ، اذ لا نملك ان نقول الا ما قاله احد تلاميذ ابى حنيفة عندما لوحظ اختلاف بعض ارائه عن راى استاذه ، فلما سئل عن ذلك ، كان رده : « ان ابا حنيفة قد اوتى لم تؤت ، فادرك فهمه ما لم ندركه ، ونحن لم نؤت من الفهم الا ما اوتينا ، ولا يسعنا ان نفتى بقول ما لم نفهم من أين قال » ٠

شهريات

رأى فى الثقافة الاعلان وسيله ثقافية ايضا

● فى بلاد الدنيا التى تعرضت للمشكله الاعلانيه التى تعانيها ، ومن اجل الصالح العام ، تدارسوا الوضع . ووضعوا له الحلول .

فالإعلان اصبح الآن ، ليس فقط الوسيلة الاخطر لترويج السلع الاستهلاكيه وغير الاستهلاكية . لكنه ايضا وسيله لتوصل ثقافة يراد لها ان تسود وتنتشر مع السلعة ، وبقدر حاجه الناس لها

فالامريكيون مثلا يريدون لثقافتهم « الوسترن » ان تسود وتنتشر فوضعوا « قانون الحياة للاقوى والاغنى والاكثر اثارة » فى « موضوع » و« رسم » الاعلان . ليغزوا به . ليس فقط السوق الداخليه الرحيبه ، بل اسواق البلدان التى تتيح لهم ان يصولوا ويجولوا فى عقول ابنائها

وفى فرنسا ، مثلا ، تتدخل وزارة الثقافه والبلديات فى « رسم » و« تصميم » الاعلان كما فى « مضمونه » ومناك قوانين صارمه من اجل الحفاظ على الطابع الفرنسى والثقافه الفرنسيه ، ومستوى الذوق الذى تنقله هذه الوسيلة الخطيرة المؤثرة على ذوق وثقافة الناس

واذا كان الانسان البالغ يعانى من تاثير شكل وتصميم ومضمون اعلاناتنا المتخلفة ، التى هى فى الاغلب الاعم بلا شخصيه ولا طعم ولا رائحه ، الا فى القليل النادر حيث يفاجئنا بعض مصممى ومخرجى الاعلانات باشكال مصرية ذات طابع عربى ترتاح له النفس ، وتتفاعل معه القلوب والابصار . نقول فما بال الأجيال الصاعدة ؟

لمن يتوجه المواطن المتاذى من الكم الاكبر من شكل وذوق هذا السيل من الاعلانات التى هى على الجدران ، وفى الصحف والمجلات وعلى ظهور الاتوبيسات والقطارات . وليس فقط فى الراديو والشاشه الصغيرة التى اصبحت اعلاناتها مادة يرددها الصبية والبنات مع بريلا بريلا بريلبلة وهم يلعبون ؟

هل من حقنا ان نسال عن دور اللجنة الثقافية فى مجلس الشعب ، ام عن دور نقابة الفنون الجميله ، ام نتوجه بالسؤال الى وزارة الثقافة ؟

إن لدينا مصممين وفنانين كبارا تستعين بهم المؤسسات العربية والعالمية . لماذا لاتستعين بهم وباستشاراتهم المؤسسات العاملة فى هذا الحقل ؟

عبده جبير

راديو

ثلاثون عاما على البرنامج الثانى

● البرنامج الثانى الذى ظل واحة صغيرة فى حياتنا الثقافيه ، لها طعم ورائحة ولون ، على الرغم من تقليص عدد ساعاته أحيانا ، وبعض النبات الشيطانى الذى يعشش فيه لأسباب خارجة ، وفى ظروف خاصة ، احتفل الشهر الماضى (مايو) بمرور ثلاثين عاما على انشائه ، واحتفاله كان من داخله بتجويد ماقدم ، وتكرار ذكريات واعادة لاذاعة ماعد بارزا من اعماله .. لكن صحافتنا الغراء ، تجاهلت المناسبة ، او ذكرتها على الماشى .

أنشىء البرنامج الثانى فى مايو ١٩٥٧ ليكون منبرا للثقافة الجادة التى تتعامل مع روح الناس ووجدانهم الحق ، لا مع غرائزهم الحيوانية ، وعندما انتشرت الخفة فى ظروف بعينها ، تقلص دوره ، ولم يعد اهتمام الناس به مستمعين او مثقفين كما كان فى أول عهده . واجهة للابداع الأدبى والفنى والفكرى .

لقد استطاع البرنامج الثانى ، على اية حال ، خلال هذه المسيرة الطويلة ، ان يقدم عددا كبيرا من المع الشعراء والقصاصين والنقاد وكتاب المسرح ، والمعدين الجادين والمذيعين .. رجالا ونساء .. من المستوى الرفيع فى كل هذه الفنون .. وكان لبرامجه النقدية أثر كبير فى التعريف بالأعمال الادبية ، وانواعها المختلفة ، واسماء مبدعيها وحوادث حياتهم التى اثرت فى ابداعهم .

لقد كان فى وقت من الأوقات ، هو الجامعة الوحيدة المتاحة لابناء الريف الذين يعيشون بعيدا عن العاصمة ، ليسمعوا الموسيقى الكلاسيك الرفيعة مع شرحها ، ويعرفوا المصطلحات الادبية والفنية والفكرية وطريقة نطقها الصحيحة ، كما اسماء الكتب ، والمجلات غير المتاحة لهم ، وماتنقله لهم هذه الاذاعة الثرية من ثقافات الشعوب الاخرى بلغات العالم المختلفة

لقد اعتلى منبر البرنامج الثانى عدد هائل من ادباء مصر والعرب من كل الأجيال ، اذا ذكرنا منهم طه حسين والعقاد .. فلابد ان نذكر سلسلة هائلة من الأسماء التى قد لاتنتهى . لكن لابد ان نذكر اولئك الذين وقفوا خلف فترات ازدهاره ، مديرين او معدين مذيعين او مخرجين ، سعد لبيب ، وفؤاد كامل وبهاء طاهر والشريف خاطر وليلى مندور وشوقى فهيم وغيرهم وغيرهم .. رجالا ونساء ، قدموا برامج عديدة لابد ان نذكر منها « مع النقاد » و« مع الأدباء » و« فى رحاب الجامعة » و« الوان من الشعر » و« المسرح العالمى » و« القصة القصيرة » و« عالم الآداب الاجنبية » علاوة على فقراته الموسيقية الرفيعة ، وعشرات البرامج الخاصة حول الشخصيات الأدبية والفنية المتميزة فى حياتنا وفى العالم

ولابد أن نقول ان الأمل الآن معقود على تفتح السيدة ليلى الكردانى ، التى تعمل على تطوير برامجه بتعاونها مع العاملين فيه ، ليعود برنامجا ثقافيا حقا حرا يفتح الشبابيك والأبواب والشرفات للضوء والهواء فى جو خانق بالعوادم والقاذورات والأذواق الرديئة .. والقيم الرديئة

واذا كان لابد لنا ان نتوقف امام احد البرامج الهامة التى قدمها البرنامج الثانى فى اطار احتفاله ، غير الاحتفالى ، بل العملى ، فان الحلقة الأخيرة من برنامج « حدائق الأوراق » الذى يعده ويقدمه الشاعر محمد ابراهيم ابوسنة لتدعونا ، بما

لها من أهمية في أيامنا هذه ، للوقوف أمامها قليلا .

فالحلقة خصصت لعرض موضوع « علاقة المصادر الأجنبية بالابداع العربي . والقى الضوء على علاقة التراث العربي منذ العصر العباسي بالتراث الانساني في الفكر والأدب . ومرحلة الازدهار في الأندلس . وكيف اسهمت هذه المرحلة في نشوء ظواهر ومذاهب ادبية في اوربا ، ومن هنا كان الاسهام العربي في الحضارة الانسانية مبررا لاقتسام حظها ايضا من التراث الانساني في العصر الحديث .

واذا القينا نظرة للأنواع الأدبية التي اصبحت شائعة الآن في لغتنا العربية في القرن العشرين ، مثل الرواية والقصة والمسرحية وجدنا هذا الإبداع ذا صلة قوية بالمصادر الأجنبية ، دون ان يعني ذلك الوقوع في اي لون من ألوان الدونية الأدبية ، فقد استطاعت هذه الأشكال ان تقدم مضمونا قوميا ووطنيا هائلا على الرغم من انها ذات أصل أجنبي .

وقد تعرضت الحلقة بالتفصيل لعدد كبير من الظواهر الأدبية والأمثلة ، وكلها تؤكد ان الارث الانساني في الآداب والفنون هو حق وضرورة في نفس الوقت لكل الآداب ، ولاشك ان تصحيح العلاقه بين الأدب القومي والعالمي في اطار الندية ، والتفاعل ، والتاثير ، هو العامل الأهم في معرفة اين نقف باقدامنا ، كما هو الدافع الأهم لتطوير ادواتنا وتجديدها وتاثيرها في الثقافات الاخرى ... وهذا مفهوم جدير بالبرنامج الثاني .. هذه النافذة المفتوحة على كل ماهو جاد واصيل وحقيقي في اي مكان من العالم .

تليفزيون

حلقة جاك ليمون من برنامج « ستار »

● البرنامج الجديد الذي يقدمه المذيع النشط يوسف شريف رزق الله على القناة الثانية ، برنامج « ستار » .. قدم حلقة لاتنسى مع الممثل والفنان الكبير جاك ليمون .. ستبقى ، هذه الحلقة ، وربما حلقات اخرى من هذا البرنامج الثقافي الهام ، علامة مميزة ، ضمن بعض البرامج النادرة ، التي يقدمها لنا التليفزيون ، الذي يأكل وقتنا وعمرنا .

وهذا البرنامج دليل قاطع على ان التعاون بين الأجهزة الفنية والثقافيه . اذا ما احسنت ادارتها ، يمكن ان يكون مثمرا الى حد كبير ، فالادارة الاعلامية في السفارة المصرية في واشنطن قامت بدور هام في الاعداد لهذا البرنامج ، وليس سهلا ان يقتطع احد من نجم يحسب وقته بالدقائق والثواني ، مثل جاك ليمون ، وبلا مقابل ، ليتحدث الى مستمعين ، لا أظن انه يعرف ما اذا كان له جمهور بينهم وتوضيح أهمية ان يتعامل مع برنامج للتليفزيون المصري . وان يتكلم مع نقاد مصريين ، ولمشاهدين مصريين هو الدور الأكبر الذي قامت به الدائرة الاعلاميه التي تستحق كل الشكر .

من جهة ثانية كان اختيار الناقد سمير فريد ، والمخرج أشرف فهمي ومقدم البرنامج لمجموعة الاسئلة التي وجهت الى النجم العالمي اختيارا موفقا حيا ، ودليلا قاطعا على أنه اذا اتيحت الفرصة للحوار الجاد المثمر فإن الفائدة تصبح بلا نهاية .

ان هذا البرنامج يذكرنا بالبرامج الثقافية

رفيعة المستوى التى يقدمها الـ بى بى سى . التليفزيون البريطانى ، وهذا التشبيه الذى تردد بين أوساط المثقفين ، هو شهادة له ، والأمر كله الآن بين يديه ، لمزيد من التطوير والاجادة .

ملاحظة وحيدة لابد من ذكرها هى التى عابت ، أو ، لنقل ، شابت البرنامج ، هى عنوانه ، فلماذا هو « ستار » ولماذا لايكون « نجم » أو « نجوم » أو أى كلمة عربية اخرى ، حتى يتذوقه الناس ويتفاعلوا معه ، وحتى يكون الاسم اكثر تداولا .

مؤتمرات

المؤتمر الثالث للمعماريين المصريين عن إيواء من لا مأوى لهم

● فى الفترة مابين السادس والعشرين الى الثامن والعشرين من ابريل الماضى عقد بقاعة المركز المصرى الدولى للزراعة بالدقى المؤتمر الثالث للمعماريين المصريين تحت شعار « ايواء من لاماوى لهم » وهو الشعار الذى رفعته الأمم المتحدة باعتبار العام الحالى (١٩٨٧) عاما دوليا لايواء من لاماوى لهم .

قدمت فى المؤتمر عدة بحوث توزعت على ثلاثة أيام ، وفى أعقاب كل بحث كانت تتم مناقشته من مجموع الحاضرين ، ويمكن الاشارة الى ان المؤتمر قد تميز بالحضور الكثيف من مجموع المهتمين بقضية الاسكان ، وان كانت السلبية قد بدت واضحة عليهم بامتناعهم عن المشاركة فى المناقشات ، ماعدا المشاركين فى المؤتمر الذين اضفوا حيوية نسبية على المناقشات .



سوسن المصرى و[illegible] الشيشاوى
و[illegible] فى المؤتمر

لكن يمكن القول من الزاوية الاهم ، ان هذا المؤتمر قد تميز بميزة اساسية وهى انه ولاول مرة تناقش بهذه الدرجة من الوضوح قضية القضايا العمارية ، قضية هى من داخل الأزمة ، تضرب فى لب المشكلة ، من ناحية تعرضها للسياسات المتبعة ، والأساليب التى فشلت فى معالجة المشكلة ، وتلك النماذج التى حققت بعض الحلول .

وقد استقر رأى المشاركين فى المؤتمر على تعريف من لاماوى لهم ، من زاوية الشرائح الاجتماعية التى ينتمون لها بانهم ·

١ ـ سكان المقابر والمساجد والأماكن الأثرية .

٢ ـ العائلات التى تشارك بعضها البعض فى وحدة سكنية واحدة .

٣ ـ الأسر الناشئة .

٤ ـ العائلات التى تسكن فى أماكن دون المستوى اللائق انسانيا .

٥ ـ العائلات التى تسكن الخيام وماشابهها نتيجة الاخلاء الادارى .

وقد تعرضت البحوث ، بشكل عام ، الى ثلاثة مجالات اساسية :

١ ـ مجال السياسات وتشتمل على سياسة ادارة الاسكان وسياسة التمويل والدعم والاقراض وسياسة الأراضى .

٢ ـ مجال المشاركة الذاتية والشعبية .

٣ ـ مجال الأنماط التخطيطية والتصميمية الملائمة لايواء من لا مأوى لهم .

وقد شملت قائمة البحوث ، بحثا للدكتور اسماعيل صبرى عبدالله « الايواء فى اطار التنمية والتخطيط الاقليمى » .. وبحث المستشار عادل عبدالباقى عن سياسة التمويل والاقراض والدعم للاسكان وبحث الدكتورة منى زكريا المشاركة الشعبية فى اسكان من لاسكن له (وقد سبق عرض هذا البحث فيلمان عن الاسكان العشوائى والايواء من عمل طلبة المعهد العالى للسينما) وبحث الأستاذ هانى المنياوى « دور المخطط والعمارى المصرى فى توجيه المشاركة الشعبية فى مشروعات ايواء من لاماوى لهم وغيرها من البحوث .

هذا ويمكن القول ان هذه البحوث قد تمحورت حول ثلاث نقاط اساسية : اتجهت مجموعة الى كل منها :

١ ـ اتجاه مثله بعض كبار العماريين الاستشاريين ، وهؤلاء اتجهوا ناحية المعانى العامة ، والتعاريف ، وتوقفوا طويلا امام مقولة ان الدولة تعالج هذه المشكلة بلا تخطيط ، كما لاحظوا تضارب القوانين والقرارات ، لكنهم لم يقدموا حلولا عملية ، بعيدا عن الدولة ، بل كانت مناقشاتهم وبحوثهم تتجه الى الدولة لتحل المشكلة .

٢ ـ اتجاه ثان (وربما كان اسماعيل صبرى عبدالله أهم ممثليه) يتجه الى تعريف الأزمة ، وتبيان ملامحها بأبعادها المتعددة ، وملامح هذا التيار تتسم برحابة الفكر ، ولكن حلوله مطروحة على المستوى الاستراتيجى ، استراتيجية الحلول التى يتبناها اتجاه يطالب بسياسة بديلة تجاه العالم الثالث ، من منطلق المطالبة باقتصاديات بديلة ، لكنه يظل فى الاطار النظرى .

٣ ـ أما الاتجاه الثالث فيمكن القول عنه بانه اتجاه العماريين الشبان فهم يطرحون

المشكلة في خصوصيتها المصرية من الواقع العيان الموجود كما يحاولون تقديم الحلول من هذا الواقع . وتتسم نظرتهم بالمنهج النقدى ، وتبنى التجارب الهامة التى تمت فى بلدان العالم الثالث . ويرون المهمة اليوم ، بالنسبة لاسكان محدودى الدخل ، وايواء من لا ماوى لهم ، يجب ان تتجه فى إطار تخطيطى باتجاه موضوعين اساسيين

١ ـ التطوير للأحياء القديمة .

٢ ـ التفاعل مع اليات وطاقة البناء لدى السكان فى الأحياء (اى الاسكان اللارسمى) وتوجيه الناس فى المجتمعات العمرانية الجديدة عن طريق منهج خدمات فنية للانسان المصرى فى موقع البناء ، بامداده بهذه الخدمات الفنية وهو فى موقعه ، بالاضافة الى امداده بقطع اراضى بناء صغيرة ، واقناعه بالدور الفعال للمعمارى والمخطط حتى نتجنب العشوائية ، خاصة المعمارى الذى يقدم حلولا واقعية من خلال النماذج التى قدمها عماريو العالم المسمى بالثالث .

واذا كان لابد من الاشارة الى اهم مايمكن ان يكون قد انجزه هذا المؤتمر ، علاوة على تناوله للقضايا الأساسية للمشكلة فهو انه قد اوصى باستمرار اجتماعات المعماريين الذين قدموا طروحات عمارية تحتاج الى نقاش ، وكانه فتح الباب لان يكون مؤتمرا منعقدا بشكل دائم .

مهرجان

الماستر فى ازمة .. والمهرجانات الادبيـــة فى ازدهـــار

هذا هو الانطباع الأول الذى احسست به وانا اشاهد افتتاح مهرجان الربيع الأدبى بمدينة مرسى مطروح الذى عقد فى الفترة من ٢٣ الى ٢٦ ابريل ١٩٨٧ . فالمهرجان يفتتحه المحافظ وتحضره نخبة كبيرة من رؤساء القبائل والمسئولين . بل ان هذه النخبة تواظب على حضور الامسيات التى اقيمت على شرف الشعر والشعراء طوال يومين .. مجموعة كبيرة من الشعراء يلقون بقصائدهم فى المساء .. ومجموعة من الباحثين يقدمون بحوثا جادة فى الصباح . ثم ينفض المولد . يعود كل منا الى منزله .. لايحمل سوى الذكرى .. عن لحظات وساعات ساد فيها الدفء . وتسرب بعض الشعر الجميل الى شراييننا فذاب فيها واعطى لدمائنا مذاق السكر

اما الماستر فهو فى ازمة لان قانونا صدر بتحريمه .. ولان ابناء هذه المحافظات البعيدة الذين يرتضون بتسمية انفسهم بادباء الاقاليم لايجدون سوى الماستر سبيلا للوصول الى القارىء فى كتيبات هزيلة الطباعة غالبا ، هزيلة المادة الادبية فى اغلب الاحيان .. ولان الغربة والاغتراب عن الحركة الثقافية تنتحران فى هؤلاء الرابضين بالاقاليم .. فان المهرجانات الادبية تلعب دورا فى عملية الاتصال بين اصحاب القلم من الشلال الى السلوم .. وبالفعل ففى المهرجان الذى حضرته جاء شعراء من اقاصى الصعيد ومن اقاصى الوجه البحرى . وانسكبت اشعارهم مع اشعار البدو فى مرسى مطروح رغم اختلاف المستويات الفنية لكل منها .

واذا كان الماستر فى طريقه الى الزوال سواء بتشريع قانونى او من خلال التطورات الطبيعية لبقاء الاصلح فالسؤال الآن : هل عملت المحافظات المختلفة بمسئوليها واجهزتها على صناعة البديل ؟ لقد فوجئنا مثلا ان معظم شعراء مطروح

الجادين لم يصدر لهم ديوان واحد عدا اسماعيل عقاب الذى نظم « مهرجان الربيع الادبى الأول » . من هؤلاء الشعراء مثلا ابراهيم عبدالسميع احد ابلغ شعراء عصره والذى تجاوز الخمسين بسنوات وهو « صداح الشاطىء » اللازوردى الصافى . وقد فوجئت ان هناك محاولة لنشر ديوانه الاول فى سلسلة اشراقات ادبية التى من المفروض ان تقدم للشباب .

هل حاولت مطروح مثلا تكريم هذا الشاعر بطبع ديوانه فى كتاب يليق بعطائه وليس لدسه مع المبتدئين من الكتاب مهما كانت جودتهم ؟ .

ذلك هو مايمكن ان نتعلمه من دائرة المهرجانات الأدبية التى لاتنتهى .. انه لو قامت المحافظات بتخصيص جزء من اموال هذه المهرجانات لطبع ابداع ابنائها ... او إصدار مطبوعة ثقافية باقية لكان اجدى ... حتى لو اضطر الأمر الى الغاء المهرجانات الثقافية لفترة عام كى يجىء المبدعون فى العام التالى حاملين ابداعاتهم يتناقشون فيها . ويتبادلون قراءتها .. وهنا تتحول ظاهرة المهرجانات بالفعل الى ظاهرة ثقافية فضلا عن بعض ايجابياتها الحالية .

رسائل جامعية

الروائية المصرية وصـــوت المـــراة

فى جامعة المنيا وبكلية الدراسات العربية نوقشت رسالة الماجستير المقدمة



من سوسن ناجى رضوان عن موضوع « الروائية المصرية وصوت المراة فى الفترة الممتدة مابين ١٨٨٨ و١٩٨٥ وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور عبدالحميد ابراهيم مشرفا والدكتورين الطاهر احمد مكى ، وصلاح فضل مشرفين .

وقد بدات المناقشة بحديث الدكتور صلاح فضل الذى بدا حديثه بالثناء على الترابط الحقيقى بين فصول الرسالة التى تبلغ اربعة عشر فصلا بالاضافة الى مدخل وفاتحة وملحق هام شمل ببلوجرافيا عن « جميع الروايات النسائية التى صدرت فى الفترة المذكورة فى مصر .

واوضح الدكتور فضل ان هذه الفترة كانت طويلة جدا على البحث مما ارهق الباحثة دون جدوى حيث ـ كما يرى ـ ان النتاج الفنى الحقيقى للرواية النسائية المصرية لم يبدا الا مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، او بعده بسنوات ، بكتابات « امينة السعيد » وجاذبية صدقى ، ولطيفة الزيات ، وسعاد زهير ، وهدى جاد ...

لكن اعجاب الدكتور فضل بالمنهج التكاملى الذى استخدمته الباحثة فى دراستها كان واضحا فقال ان هذا المنهج قد استطاع ان يفى بحاجة بحث يتناول قضية المراة وصورتها الى جانب الملامح الفنية التى تتميز بها الرواية النسائية ... لكنه عاب على الباحثة اقحام مدخل وفاتحة على

كل فصل مما جعلها تبتعد بالبحث الى مجالات اخرى كعلم النفس او الاجتماع . وكانت الخاتمة التى تلت كل بحث ـ وحدها ـ كفيلة بارهاق الباحثة واستنفاد طاقتها دون جدوى ، وقال ان الحس النقدى الذى تتمتع به يثير الاعجاب . بالاضافة الى المامها بأهم المراجع والمصادر التى نوعت البحث ودعمت الدراسة . ومما عابه عليها عدم دقة استخدامها للمصطلحات بالاضافة الى انها لم تتعرض لنقطة هامة وضرورية لمثل هذا البحث هى تبيان مزايا او عيوب الكتابة النسائية بملامحها المحددة ، بالاضافة الى انه كان يرى ضرورة دراسة مقارنة بين الكتابة الرجالية والكتابة النسائية خاصة من حيث تناول كل طرف لقضية المراة وصورتها الفنيه مما كان من شانه ان يمنح النتائج ثقة وعمقا ووضوحا .

اما الدكتور الطاهر مكى فقال بعد ديباجة الثناء على الباحثة والمشرف ان هذه الدراسة تعد رائدة فى مجال الدراسات التى تبحث فى ادب المراة او الرواية النسائية .. وان خلوها من الاخطاء النحوية واللغوية يستحق الثناء . كما نود بالحس النقدى الذى تميز به نقد الباحثة للأعمال الفنية والذى ـ كما قال ـ يعكس روحا ادبية تمثلت مافراته مما يدل على انها احبت البحث عن ايمان بقضية المراة واهمية الارتقاء بها فى المجتمع

ومما عابه على الباحثة خلو البحث من التعريف بالكاتبات ، وأعمالهن فى الحياة ، مما من شانه ان يساعد القارىء ، خاصة فى حالة نشر الرسالة ، على معرفة الكثير عن اتجاهات هؤلاء الكاتبات وانتماءاتهن الاجتماعية والفكرية

وقد فاجا الدكتور مكى حضور المناقشة واللجنة والباحثة ، بانها قد اوردت اسم « هدى عبدالمحسن صالح الرشيدى » باعتبارها كاتبة مصرية ، وهى فى الحقيقة من احدى البلاد العربية الأخرى والبحث قد حدد نفسه فى اطار الكاتبات المصريات

اما الدكتور عبدالحميد ابراهيم فقال ان هذا البحث ليس فقط دراسة نقدية للروايات النسائية التى تعرض لها بل هو ايضا تاريخ للأدب النسائى فى مصر استقر حديثا .

وقال انه من الواضح ان الباحثة قد تعاملت بحب ليس فقط مع موضوعها لكن ايضا مع بعض اعمال كاتبات بعينهن ، الأمر الذى وان كان من شانه ان يبتعد بالطالبة عن مجال الحيدة العلمية الا انه بنى نسيجا حيا وعبر عن حس نقدى ساهم فى خلق ناقدة وفنانة فى ان واحد

اما عن الببلوجرافيا الملحقة فقد اعتبرها الدكتور عبدالحميد انجازا هاما يساهم فى خدمة الدارسين الآخرين لا فى مصر فقط بل فى كل معاهد البحث المهتمة بالموضوع .

وبعد المداولة منحت الطالبة درجة الماجستير بتقدير امتياز مع التوصية بطبعها وتبادلها مع الجامعات الأخرى

ومن الجدير بالذكر ان الدراسة تناولت اعمال الكثير من الكاتبات وضمت القائمة علاوة على اسماء من ذكرنا ، نوال السعداوى ، وإقبال بركة ، وزينب صادق ، ووفية خيرى ، وعائشة ابوالنور وغيرهن

اشارات نقدية

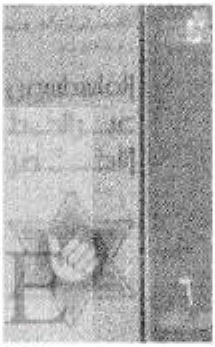
مذكرات سيد عويس تترجم الى الفرنسية

● المذكرات الشائقة التى كتبها الدكتور سيد عويس الباحث الاجتماعى المعروف ،

والتى نشرتها سلسلة كتاب الهلال فى جزءين بعنوان « التاريخ الذى احمله على ظهرى » اوشكت ترجمتها الفرنسية الكاملة على الانتهاء ، وهى ستكون جاهزة تماما فى اغسطس القادم .

اشترك فى الترجمة كل من آلان روسيون ، وهو مترجم يعمل فى مركز الترجمة التابع للمركز الثقافي الفرنسى (السيداج) بالقاهرة ، ونشوى الأزهرى المترجمة بالادارة الفرنسية بجامعة الدول العربية .

من المنتظر ان تنشر المذكرات فى طبعة مصرية بالفرنسية عن السيداج ، كما يقوم المترجمان بالتفاوض مع دار نشر لاتيس الباريسية لنشرها فى طبعة دولية



الكتاب : الفلسطينيون عبر الخط الأخضر
تأليف : اكسندرشولش وآخرون
ترجمة : محمد هشام
الناشر : كتاب الفكر ، ٢٩٦ ص ، ٣٠٠ ق . م

فى هذا الكتاب ستة بحوث مختلفة تتناول على المستويين النظرى والعملى التطبيقى دراسة موقف الفرق المختلفة فى الحركة الصهيونية تجاه « المسألة العربية » فى فلسطين ، بالاضافة الى تلمس الأشكال المختلفة لتطور العلاقة بين ما اصطلح على تسميتهم بفلسطينيّ ١٩٤٨ ، وفلسطينيّ ١٩٦٧ . اى الفلسطينيين الذين ظلوا فى أجزاء فلسطين التى اقيمت عليها الدولة الصهيونية ، والفلسطينيين الذين يعيشون فى الأراضى التى ضمتها تلك الدولة اثناء حرب ١٩٦٧ .

ويستعرض الكسندر شولش مقدم الكتاب واستاذ التاريخ بجامعة ايسن المناهج المختلفة لدراسة الصراع العربى الصهيونى مشيرا الى المشاكل التى تعترض تطبيق مفهوم الاستعمار على حالة الحركة الصهيونية ، كغياب الوطن الأم المحدد وتباين هدف الحركة الصهيونية المتمثل فى تجريد الفلسطينيين من ممتلكاتهم وتهجيرهم واقتلاعهم من ارضهم عن هدف الاستعمار التقليدى المتمثل فى إخضاع المستعمرين واستقلالهم اقتصاديا . فضلا ـ كما يرى شولش ـ ان تطبيق هذا المنهج قد يقود الى افتراض حل تبسيطى للصراع باقتراح تصفية الاستعمار واعادة المستعمرين الى بلادهم .

وكتب رينار فايمر عن الصهيونية والعرب بعد قيام دولة اسرائيل ، وكمال عبدالفتاح عن التوزيع الجغرافى للفلسطينيين على جانبى خط الهدنة لعام ١٩٤٩ وابراهيم الدقاق عن استبيان حول مواقف الفلسطينيين الاجراء على جانبى خط الهدنة ، واميل ساحلية عن المواقف

السياسية للفلسطينيين في الضفة الغربية واسرائيل . والكسندرفلورس عن التأثيرات السياسية عبر الخط الأخضر



الكتاب : الشعر ، غاياته ووسائله
تأليف : عبدالقادر المازني
تحقيق : د مدحت الجيار
ناشر : دار الصحوة
١٠٦ ص ، ٢ ج م

طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩١٥ ، وقصد به المازني صياغة نص نقدي نظري عن الشعر يقف في مواجهة النصوص السلفية التقليدية ، من زاوية التطوير ، ليوصل بين القديم والجديد . وكان الكتاب حدثا فريدا عندما ظهر ، اذ طبع مسلسلا ، ثم جمع في كتاب . ونفدت طبعته لكنه ـ لاسباب لايعلمها الا الله ـ لم يطبع مرة اخرى لذا فقد احس الباحث مدحت الجيار باعادة نشر الكتاب حتى يتمكن الباحثون وجمهور القراء من معرفة افكار المازني الخاصة . ومدى تأثيرها في مجموعة الديوان ، اذ سيكتشف انها كانت ذات التأثير الاقوى

الكتاب : جياد البحر
تأليف : فوزية مهران
الناشر الكتاب الذهبي ١١٤ ص ، ١٠٠ ق م

بأسلوب شاعري تكتب فوزية مهران هذا النص



الذي يتراوح بين النص الشعري والعمل الروائي . اذ تحلق كاتبته عن طريق اللغة المتدفقة واللمحات السريعة الموحية . بين أحلام الانسان المتشوق الى الذهاب بعيدا عبر البحار الى الأفق المتجدد . وبين الواقع الذي يجري امام عينيها في مسرحية الحياة . دون ان يكون هناك « موضوع » محدد . فالموضوع هنا هو هذه المفارقة بين الواقع والحلم . بين المشاعر الخاصة ، والمشكلات العامة ، بين الجزئي والكلي . حتى لتصبح السباحة في هذه المنطقة اشبه بالخوض في المتاهة ، متاهة الحياة التي تغرقنا بهمومها الانسانية

والحقيقة ان اسلوب الكاتبة يحتاج الى دراسة نقدية تتبع اسباب لجوء كاتباتنا الى تدفق المشاعر الانثوية كنوع من الهرب من البناء الدرامي الحي . وكنوع من التعويض عن افتقاد الدفء في هذا العالم البارد . وهو ماندعو نقادنا الى الاهتمام به

بنات كارل ماركس

بقلم : د. أحمد أبو زيد

قليلون جدا في العالم العربى هم الذين يعرفون شيئا ذابال عن بنات كارل ماركس أو حتى سمعوا بأنه كان لماركس ثلاث بنات اتيح لواحدة منهن على الأقل أن تلعب دورا مهما فى نشر افكاره والدعوة لها وأن تحظى بقدر لا بأس به من الشهرة بحيث ظهر عنها بعض الكتابات التى تؤرخ لحياتها وتلق من خلال ذلك بعض الأضواء على الجوانب الخفية من حياة كارل ماركس نفسه العائلية والخاصة . ومن الطبيعى ان يطغى اسم ماركس على بقية أفراد عائلته ..

فلا يكاد يلتفت أحد اليهم أو يهتم بمعرفة قدراتهم وجهودهم الخاصة فيتراجعون الى زوايا الاهمال .. وهذا ثمن فادح يدفعه فى العادة الأبناء الذين يولدون لآباء مشهورين فى مجال الأدب أو الفكر أو الفن أو السياسة ، ولم يكد يفلت من ذلك المصير سوى أفراد قليلين افلحوا فى اثبات وجودهم والصمود أمام شهرة آبائهم وتمكنوا بفضل نبوغهم وعبقريتهم وجهودهم الخارقة من توطيد أقدامهم ومكانتهم الى جانب آبائهم إن لم يتفوقوا عليهم .. وأغلب الظن أن الناس فى الخارج لم يكونوا ليهتموا بأولاد كارل ماركس ـ أو على الاصح ببناته الثلاث ، فقد مات أولاده الذكور فى سن مبكرة ـ لولا أن ظهر منذ سنوات قليلة كتاب يضم عددا من الرسائل المتبادلة بين هؤلاء البنات الثلاث .. وقد أثار ظهور هذه الرسائل اهتمام الكتاب والأوساط الثقافية فى الخارج بوجه عام بالدور الذى لعبته الفتيات فى حياة الأب ونشر الفكر الماركسى والظروف التى عاش فيها ماركس وعائلته والصعوبات والمتاعب التى احاطت به وبهم والمأساة الخاصة

التى عاشتها كل واحدة من هؤلاء البنات على حدة ..

خلافات حول ماركس

ولم تختلف الآراء حول أى من المفكرين الكبار مثلما اختلفت حول كارل ماركس ، ولم تثر آراء وأفكار أى من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين من النقاش والجدل والخلاف مثلما أثارته أراء ماركس وأفكاره وكتاباته .. وبينما نجد استاذا مثل كريستوفرهيل العميد السابق لكلية باليول بجامعة أكسفورد يعتبر ماركس مؤرخا اقتصاديا عظيما وأن كتاباته مليئة بالأفكار والنظرات واللمحات الثاقبة العميقة وان كان يصعب اعتبارها كتابات أكاديمية بالمعنى الدقيق للكلمة ، نجد كاتبة شهيرة مثل هورتنس واكيت تقول فى شىء من السخرية والاستخفاف

جينى ولورا والينور بنات كارل ماركس



الذى لايخلو من مرارة إن هناك « فكرة راسخة وثابتة عندنا نحن الانجليز الذين آوينا ماركس » من انه كان إنسانا يثير الاشمئزاز والتقزز وانه كان متعصبا لأفكاره ويؤمن إيمانا أعمى بنظرياته دون أن يعير ادنى اهتمام « لنوع الأذى أو الضرر الذى تسببه هذه النظريات » للناس والمجتمع على السواء .

وجانب كبير من هذه المرارة التى يشعر بها الانجليز إزاء كارل ماركس يرجع بغير شك الى احتفاظه بالكثير من مقومات شخصيته الألمانية الأصلية على الرغم من أنه عاش الجانب الأكبر من حياته فى انجلترا ، وذلك بعد ان جاء اليها عام ١٨٤٩ وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ، والانجليز يعترفون بأنه لم يصبح (انجليزيا) قط وذلك على عكس صديقه الشهير فريدريش انجلز الذى اصبح من رجال الصناعة المرموقين فى مانشستر فمقاومة ماركس للطباع الانجليزية كانت ولاتزال تثير حفيظة الانجليز عليه وكريستوفرهيل الذى يبدو متعاطفا معه فى كثير من الأحيان يقول فى مقال نشره بجريدة الجارديان الاسبوعية (٢٠ مارس ١٩٨٣) انه يشك فى ان ماركس ظل ألمانيا فى أعماقه طيلة حياته على الرغم من انه كان يعتبر نفسه مواطنا عالميا ، ويظهر تمسك ماركس بمقوماته الشخصية الالمانية فى لهجته وفى كثير من عاداته وتصرفاته ومظاهره وسلوكه ، وعلى الرغم من أنه كان يقلد الانجليز فى بعض عاداتهم وتقاليدهم فإن ذلك لم يتجاوز بعض المظاهر السطحية .. مثل استخدام اسماء التدليل فى الحديث مع أصدقائه أو الخروج يوم الأحد الى حدائق لندن لجمع الزهور البرية وتناول طعام الغداء فى أحد (البارات) كما يفعل الانجليز ، ولاينسى كثير من الكتاب أن يلاحظوا فى هذا الصدد ـ وفى غير قليل من السخرية أيضا ـ أن كارل ماركس أقام من نفسه مدافعا عن بريطانيا عام ١٨٥٥ ضد انتقادات المهاجرين الذين رحلوا الى انجلترا بعده ، كما أنه كثيرا ماكان يصف اللغة الانجليزية بأنها اغنى اللغات واكثرها ثراء سواء فى مصطلحات والفاظ السخرية والتهكم أو السب والشتم .

وعلى اية حال فإن معظم الكتاب الانجليز يدركون فى الوقت ذاته أن ماركس لم يكن يتاح له أن يصبح ما اصبح عليه الا فى انجلترا بالذات ، فلقد كانت المانيا فى ذلك الحين متخلفة نسبيا فى المجالين الاقتصادى والسياسى عن بريطانيا وبذلك لم يكن فى امكان ماركس أن يصل الى ذلك التحليل للانتاج الرأسمالى ونقد الاقتصاد السياسى التقليدى لو انه ظل فى المانيا ولم يرحل الى انجلترا ، وعلى الرغم من كل ما أتاحته انجلترا من فرص وامكانيات وحرية تفكير وكلام وتعبير وكتابة فانه كان يرى أصبع بريطانيا وراء كثير من أحداث العالم لدرجة انه كان يرد فشل ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا والمانيا ـ وهى الثورة التى عاصرها قبل هروبه الى انجلترا ـ الى الدبلوماسية البريطانية .. وكان ماركس

يأمل فى ان تقوم الطبقة العاملة فى بريطانيا ، والتى كان يسميها الابناء الأوائل للصناعة الحديثة ، بمؤازرة الثورة الاجتماعية التى ترتبت على هذه الصناعة وهى ثورة من شأنها أن تقود فى رأيه الى تحرير الطبقة العاملة فى كل انحاء العالم .. ولكنه سرعان ماخاب أمله وأدرك مدى استحالة تحقق ذلك الامل وقيام مثل تلك الثورة فى بريطانيا فى ظل الظروف التى كانت سائدة هناك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

ولم تكن حياة ماركس فى بريطانيا حياة سعيدة تماما ، اذ كانت أوضاع العائلة ككل تكتنفها المشاكل والمتاعب من كل جانب ..

كانت هناك أولاً حياة النفى والتشرد والمشكلات النفسية المتعلقة بها ، فقد ترك المانيا عام ١٨٤٩ ، ولكن رغم ذلك أصدر البوليس البروسى عام ١٨٥٣ نشرة رسمية تطالب بالقبض عليه وجاء فيها :

مطلوب للقبض عليه : كارل ماركس
الأوصاف الخاصة :
السن : ٣٥ سنة
ارتفاع القامة : ٥ اقدام و١٠ ـ ١١ بوصة
الهيئة العامة : قصير وممتلىء الجسم
الشعر : أسود مجعد
الجبهة . بيضاوية
لون الحاجبين : أسود
لون العينين : بنى غامق منطفىء
الأنف : أفطس
الفم : متوسط
اللحية : سوداء
الذقن . مستدير
الوجة : يميل الى الاستدارة
لون البشرة متورد صحى
يتكلم اللغة الالمانية بلكنة الراين كما يتكلم اللغة الفرنسية
علامات مميزة : (أ) طريقة النطق والهيئة العامة تدلان على أصل يهودى
(ب) مراوغ وبارد وحازم

وكان هناك ثانيا . الفقر الذى لازمه فى المنفى على الاقل قبل أن يغدق عليه انجلز من مساعداته . وقد بلغ به الأمر الى حد طرده من مسكنه عام ١٨٥٠ لعجزه عن دفع ايجار البيت الذى كان يسكنه فى حى تشلسي والذى لم يكن يكلفه أكثر من ستة جنيهات شهريا ، وقد كتبت زوجته خطابا الى بعض أهلها فى المانيا يوم طرده من المنزل ـ وكانت قد وضعت طفلها الرابع قبل ذلك بأسابيع قليلة وذكرت فى ذلك الخطاب أنه قد تجمع حول البيت حوالى ٢٠٠ الى ٣٠٠ شخص يتسكعون فى الشارع لكى يتفرجوا على العائلة وهى تطرد من مسكنها .. ومن السخرية أن ذلك الجمع كان اكبر بكثير جدا من مجموع الذين جاءوا لتشييع جثمان (ابو الشيوعية) يوم وفاته عام ١٨٨٣ بعد أن عاش فى انجلترا اربعة وثلاثين عاما ، اذ لم يصاحب الجسد أكثر من عشرين شخصا ، وقفوا يستمعون الى انجلز وهو يرثيه بقوله « لقد توقف عن التفكير أعظم المفكرين الأحياء » .

وكان هناك . ثالثا . المرض الطويل الذى لازمه بقية حياته منذ سن

الأربعين وقد قاسى ماركس بوجه خاص من آلام البثور التى كانت تظهر بكثرة على ظهره وتجعل من الصعب عليه ان يجلس الى مكتبه لمدة طويلة وكانت تسبب له كثيرا جدا من الألم اثناء تأليفه كتابه الشهير « رأس المال » ويقال إن ماركس كتب ذلك الكتاب وهو واقع تحت تأثير تلك الآلام المبرحة وأنه أراد بكتابه أن يجعل البرجوازية تحس وتشعر بل وتتذكر دائما ماكان يعانيه من متاعب جسدية اثناء الكتابة والتأليف .. وقد جمع ماركس الى جانب الألم الفيزيقى كثيرا من الآلام والمتاعب السيكولوجية التى كان يعانى منها نتيجة لوفاة ثلاثة من اطفاله الستة وهم الأطفال الذكور الذين ماتوا صغارا .. فقد توفى ابنه الأول ادجار خلال السنة الأولى من حياة المنفى فى انجلترا، ومات الطفلان الآخران بعد ولادتهما بقليل ، ثم جاء موت أحفاده من ابنته الثانية لورا .. ثم وفاة زوجته هى نتيجة لسرطان الكبد ، ثم اخيرا موت ابنته الكبرى جينى قبل وفاته هو نفسه بشهرين اثنين فقط .. فكأنه فقد أربعة من أولاده الستة أثناء حياته ولم يعش بعده سوى ابنتين فقط من بناته الثلاث .

وليس من شك فى ان ماركس عانى الكثير جدا من جراء هذه المصائب والويلات ولذا فإن الكثيرين من الكتاب الذين عرضوا لحياته يبدون استغرابهم من أنه لم يكن أكثر تشاؤما وحزنا ويأسا وأنه كان قليل الشكوى الى حد يثير الدهشة والاعجاب على السواء .

□ □ □

ولكن رغم ذلك كله فإن العائلة كانت تحظى بقدر من السعادة فى الظاهر على الأقل ، كما أن العلاقات داخل الاسرة كانت بعيدة كل البعد عن الرسميات التى كانت تعتبر من أهم المظاهر الأساسية فى الحياة العائلية فى القرن الماضى ، ويظهر ذلك من أسماء التدليل أو أسماء (الدلع) التى كان افراد العائلة يطلقونها بعضهم على بعض بما فى ذلك الصديق القديم الحميم فريدريش انجلز الذى كان ينادى دائما على أية حال باسم (فريد) فحسب .. بل ان ماركس نفسه لم يسلم من ذلك . فقد كانوا ينادونه باسم تشارلى او الرئيس او القاطرة البخارية وغير ذلك من الاسماء .. وكانت جينى كبرى البنات الثلاث معروفة باسم داى أو الامبراطور أو امبرطور الصين او امبراطور ماركس . وكانت لورا الابنة الوسطى تعرف باسم لولو أو كاكادو او لوراى أوتيلور .. بينما كانت الينور صغرى البنات واكثرهن جدية واخلاصا لمبادىء أبيها تنادى باسم هتنتوت (اسم قبيلة فى جنوب افريقيا) أو كوكو أو تاسى وما الى ذلك . وتسخر هورتنس واكيت فى مقال لها بمجلة The Listene (بتاريخ ٢٦ اغسطس ١٩٨٢) من ذلك كله ، وتخشى أن يكون فى الأمر نوع من اللبس والخلط بين أسماء أفراد

العائلة وأسماء القطط والكلاب التى كانت العائلة تحتفظ بها وهو خطأ كثيرا مايقع فيه - حسب رأيها - الأغراب والأجانب الذين لم يتعودوا فى بلادهم وثقافاتهم على اطلاق اسماء التدليل على البشر .

وأيا ماتكون من سخرية واكهته فالواقع أن كارل ماركس كان يعطى قدرا كبيرا من اهتمامه وعنايته لأطفاله وأنه كان يسعد بصحبتهم وباللعب معهم . وحتى حين مات ابنه ادجار - وكان ذلك بمثابة لطمة قاسية - فإنه كان يجد السلوى والعزاء فى اللعب مع بقية اطفاله ومشاركتهم العابهم مما استرعى انظار الآخرين لدرجة ان احد الجواسيس البروسيين كتب يقول انه اصابته الدهشة حين شاهد ذلك (الثورى المخيف) يجلس الى مكتبه وقد وضع اللجام فى فمه لكى يقوم بدور الحصان لاحدى بناته .. لقد كان ماركس يؤدى دور رب العائلة بالمعنى التقليدى بالنسبة لأولاده أوعلى الأصح بالنسبة لبناته .

□ □ □

ولقد انجب كارل ماركس ستة اطفال من زوجته الى جانب ابن غير شرعي من خادمته هيلين ديموث . وقد اضطر ماركس الى أن ينكر انتساب ذلك الابن اليه وأن ينسبه الى انجلز الذى رأى أن من (واجبه) أن يعترف بابوته لذلك الابن (فريدى ديموث) حتى ينقذ عائلة صديقه من العار والدمار .

وتعكس البنات الثلاث شخصيات ثلاث ، مختلفة احداها عن الأخرى كل الاختلاف ، ولكنهن يشتركن جميعا فى النهاية المأساوية التى انتهت بها حياة كل منهن .

كانت جينى هى كبرى البنات ، ويبدو أن ماركس كان يميل اليها ميلا شديدا ، وقد تزوجت من الاشتراكى الفرنسى شارل لونجيه ، ولكنها لم تكن سعيدة بالحياة معه فى فرنسا ، وانما كانت تحن دائما الى حياة لندن .. كذلك لم تكن جينى سعيدة بمتاعب أولادها خاصة أن زوجها كان كثير التغيب ، بل ولم تكن سعيدة أيضا بأعمال البيت الروتينية القاتلة ولكنها مع ذلك لم تكن كثيرة الشكوى .. وقد ماتت وهى فى الثانية والثلاثين من عمرها من سرطان الأمعاء ، وكانت تظن أن الآلام المبرحة التى كانت تشعر بها انما كانت نتيجة ولادتها لطفلها الاخير ، ولقد أضنتها متاعب الحمل والولادة ست مرات ، كما اضناها موت اثنين من اولادها وحتى بعد ان ماتت لم يحسن الزوج معاملة الابناء وانما كان يقابلهم بكثير من الجفاء والاهمال .

وكانت لورا - الابنة الثانية - أصغر من جينى بسنة واحدة وقد عاشت بعد موت أبيها ولكنها فقدت هى ايضا اولادها الثلاثة أثناء حياتها ، وكانت لورا تتمتع بشخصية مختلفة عن الأختين الأخريين .. فقد كان ينقصها ذكاء ولماحية الاثنتين كما أنها كانت شديدة الاعتداد بنفسها ومحبة للظهور والتفاخر والتظاهر .. وقد تزوجت واحدا من الثوريين (الممارسين) وهو الفرنسى بول لافارج وعاشت معه ايضا فى فرنسا ، ولكنها كانت عديمة

بنات كارل ماركس

الاكتراث بأحوال اختيها ولم تكن تهتم حتى بالرد على رسائل أختها الصغرى الينور التى كانت تتمتع على اية حال بقدر كبير جدا من التسامح والسماحة . ويبدو أنها هى الأخرى لم تكن سعيدة بزوجها كما أضناها موت اولادها الثلاثة واستبد بها الحزن والأسى والضياع فوضعت حدا لحياتها بيدها وماتت منتحرة .

وعلى العكس من ذلك تماما كانت الينور صغرى البنات واكثرهن حيوية وجدية ونشاطا وتمسكا بأفكار الأب ودفاعا عنها ودعوة اليها . ولقد تزوجت الينور من الكاتب المسرحى الاشتراكى البريطانى ادوارد ايفلنج الذى كثيرا ما كان يكتب منشورات عن الاشتراكية ولكنه كان فى الوقت ذاته مخادعا ومحتالا ولايجد بأسا او حرجا فى أن يتعيش على حب زوجته وعلى ماتكسبه من مال تحصل عليه بالتعب والكد .. فقد كانت تعمل وتكسب عيشها من الترجمة والكتابة أحيانا لبعض الصحف والقاء المحاضرات عن نظرية أبيها وأفكاره وكذلك بالكتابة على الآلة الكاتبة .. وقد أعطت كثيرا من وقتها وجهدها وتفكيرها لمشكلة صراع العمال ، وكانت تحمل نفسها مالا تطيق فى الاجتماعات والمحاضرات الى جانب العناية بزوجها وبخاصة أثناء مرضه .

ولقد عرفت الينور بحقيقة أخيها غير الشرعى أثناء احتضار أبيها وأخذت المسألة بكثير من الاهتمام وعملت لذلك على تقوية علاقتها به حتى أصبح فريدى ديموث (الذى يحمل لقب عائلة امه) من أقرب الناس اليها ومن أقوى أصدقائها بحيث كانت تأتمنه على اسرارها وتشكو اليه همومها كما يظهر بوضوح فى رسائلها اليه فى الفترة الاخيرة من حياتها ، وقد كتبت عنه ذات مرة لأختها لورا تقول وهى تشير اليه : « انه ليس مما يسعد المرء حين ينظر الى الأمور بصراحة أن يكتشف أننا نادرا ما نقدم فى الحقيقة للآخرين كل الأشياء الجميلة التى نتكلم عنها وننادى بها » .. والغريب ان مثل هذه الشخصية القوية النشيطة المتفتحة المتسامحة تلقى أسوأ الجزاء من زوجها ادوارد ايفلنج الذى كان يخدعها مع ممثلة اصغر منه سنا ولم يلبث ان هجر زوجته من أجلها .. وقد كتبت عن ذلك لفريدى ديموث قبل أن تنتحر ، وكان خطابها اليه مليئا باليأس والرقة معا وفيه تقول : « احضر هذا المساء ان استطعت اننى فى أشد الخجل لأننى اثقل عليك ، ولكننى اشعر بوحدة قاتلة .. انه أمر مخيف للغاية ، واسوأ بكثير من اى شىء كنت انا نفسى أتصوره .. احضر ياعزيزى فريدى فان قلبى ملىء باليأس والاسى » .

وهكذا كانت الينور ثانية اثنتين من بنات كارل ماركس تنتزع حياتها بيدها بعد اختها التى تكبرها مباشرة .. والظاهر ان ماركس كان يتوقع شيئا من هذا المصير لبناته وكان يخشاه طيلة الوقت ، فقد كتب ذات مرة الى بول

لافارج زوج لورا يقول « انك تعرف كيف أنني ضحيت بكل ما املك من أجل قضية الصراع الثورى ولست نادما على ذلك قط . بل اننى على العكس من ذلك تماما على استعداد لأن افعل الشيء ذاته لو ان حياتى بدأت من جديد ، ولكننى لم اكن لأتزوج ابدا . وسوف أعمل كل مافى وسعى لكى انقذ ابنتى (يقصد لورا) من ان ترتطم حياتها بالصخور التى ارتطمت عليها حياة أمها وتحطمت .. »

وكان ماركس يعنى بذلك صخور المنفى والتشرد والفقر والمرض والضنى . ولكنه لم يفلح مع ذلك فى انقاذ حياة بناته من الارتطام بصخور الحياة . فقد كانت حياتهن تعكس جانبا من الأوضاع العامة السائدة فى القرن التاسع عشر والتى كانت تعانى منها المرأة فى العصر الفيكتورى بوجه عام بكل مافيه من تحامل على المرأة واهمال لشأنها وانكار لحقوقها ، وبكل ما كانت المرأة ذاتها تتحمله من متاعب العمل فى البيت ومتاعب الحمل والولادة الى جانب القيود والضغوط النفسية الرهيبة المفروضة عليها من المجتمع .

وهكذا كانت حياة كل واحدة من بنات ماركس الثلاث تمثل مأساة مفجعة تدعونا الى أن ننظر بشيء من التعاطف ليس فقط مع كارل ماركس وانما مع غيره ايضا من عظام الرجال والمفكرين والأدباء والفنانين وأن نأخذ فى الاعتبار الجانب الانسانى الخفى من حياتهم . وهو جانب كثيرا ما يتضمن عناصر قوية من الألم الدفين والضعف الانسانى النبيل الذى يستتر وراء بريق الآراء والأفكار والنظريات .

• نأخذ ما أعطينا •

كان لأبي حمزة الأعرابي زوجة فولدت له ابنة فعز عليه ذلك ، واجتنبها مدة وصار في [illegible] صاحبتها . فجعلت ترقص ابنتها الطفلة وتقول

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في ايدينا

بل نحن كالارض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

وانما نأخذ ما اعطينا

فعرف ابو حمزة ما فعل ، وراجع امرأته



الانتحار في آسيا والشرق الأدنى

تحقيق: لى أ. هيدلى ● عرض: د. أمين العيوطى

الانتحار عادة فعل يائس يأتيه شخص يعانى من ضغوط داخلية وخارجية ، وتتدخل فيه عوامل اقتصادية واجتماعية وعاطفية ومدى الارتباط بالعائلة والتعاليم الدينية . وقد تزايد الاهتمام بظاهرة الانتحار فى العقدين الأخيرين بحيث انشئت فى أمريكا وأوربا واليابان والهند مراكز تؤدى خدمات علاجية لأصحاب الميول الانتحارية . وقد أثبتت الأبحاث التى قامت بها هذه المراكز تزايد حالات الانتحار بين المسنين والعزاب والمطلقين والأرامل الذين يجدون صعوبة فى التلاؤم مع أنفسهم أو مجتمعهم . وهذا كتاب يتناول أسباب الانتحار وأنماطه فى أقطار آسيا والشرق الأدنى .

على عكس مايحدث فى الغرب ، يبدو الانتحار أكثر شيوعا فى بلدان آسيا بين الشباب عنه بين كبار السن ، كما يشكل انتحار النساء نسبة أكبر من مثيلتها فى الغرب . فعدد عمليات الانتحار كبير بين الشباب تحت عمر الثلاثين ، خاصة بين مجموعتي أعمار ١٥ ـ ٢٤ ، ٢٠ ـ ٢٩ . بل تصل نسبة الانتحار بين مجموعة عمر ١٠ ـ ١٩ الى ٣٩ر٦٪ فى الأردن ، ١٥ر٣٪ فى الهند ، ٣٠٪ فى سريلانكا ، ١٨ر٤٪ فى اليابان وتايوان وتايلاند

غير أن هناك بضعة استثناءات حيث تصل عمليات الانتحار الى قمة عالية فى اليابان وتايلاند بعد عمر الستين وتعادل عمليات الانتحار فى سن الثلاثين . ويرجع انتحار هؤلاء إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية فى اليابان . فمع تفتت الأسرة الموسعة الى وحدات صغيرة قلت رعاية المسنين . نفس الشيء ينطبق على المناطق المدنية فى تايلاند حيث يشعر المسنون بانعدام الأمان وسط الاتجاه الى التحديث . أما فى سريلانكا ، حيث مازالت الروابط الأسرية قوية ، فيرجع الانتحار بين المسنين الى الأمراض العضوية ، وادمان الخمر ، والمشكلات الاقتصادية .

أما معدلات الانتحار بين الشباب فترجع إلى سيطرة الكبار فى أمور اختيار الزوج او الزوجة او اختيار المسكن أو العمل ضد رغبة الشباب الذى لا يستطيع تأكيد شخصيته والاعتراف به كهوية مستقلة وتأكيد مكانته فى العائلة والمجتمع . ولهذا تنمو العدوانية والحاجة الى التعبير عن الذات فى المراهق أو الشاب المتمرد . وقد تتجه هذه العدوانية ، حين تسد منافذ التلاؤم ، الى الذات كعقاب لرموز السلطة ، أو كمحاولة للحصول على التعاطف والقبول .

● النسب بين الجنسين

على الرغم من أن نسبة انتحار الذكور تفوق نسبة انتحار الاناث ، فإن معدلات انتحار الذكور والأناث تكاد تكون متقاربة فى مصر وباكستان وسوريا واليابان وسنغافورة . أما فى الكويت وسريلانكا فإن نسبة انتحار الذكور تتفوق . وربما تميل بعض بلدان الشرق الأوسط الى اخفاء انتحار الاناث حتى لا تتأثر مكانة العائلة . ويرجع ازدياد معدلات انتحار الاناث في آسيا الى مكانة المرأة التى لا تتمتع بنفس حرية الرجل قانونيا واجتماعيا وثقافيا . والمشكلات الأساسية التى تواجه النساء تتركز فى الزواج والطلاق والاحتكاكات الزوجية وخيبة الأمل فى الحب ، والعقم الذى يرتبط فى البلاد العربية بالطلاق . فالزيجات يقوم الآباء بترتيبها على أساس اقتصادى لا على أساس الاختيار الشخصى ، خاصة بالنسبة للمرأة مما يزيد من حدة ميلها الى الانتحار بحيث يأتى انتحارها احتجاجا على زواج لا ترغبه . ويأخذ هذا الاحتجاج شكل الموت حرقا فى الهند وسوريا والعراق والاردن . كما تؤدى خيانة الزوج لزوجته أو سوء معاملته لها أو انتقادات الحماة أو المشاحنات الزوجية الى الانتحار بالسم .

وقد تستطيع المرأة أن تحصل على الطلاق ، لكنه مرهون بإرادة الزوج .

الانتحار

ونسبة كبيرة من النساء في البلاد العربية يقف القانون أو نقص البدائل بالنسبة لمستقبلهن أو خوفهن من ترك اطفالهن للأزواج دون طلاقهن . ولهذا غالبا ما تلجأ النساء التعيسات فى زواجهن الى الانتحار . وفى آسيا يكون الطلاق صعبا بالنسبة للمرأة التى تواجه مشكلات مالية خاصة اذا احتفظت بأطفالها . ولذلك يبقى الانتحار بالنسبة للمرأة التى تجد نفسها غير قادرة على الخلاص من الزواج المهرب الوحيد المتاح لها .

غير أن الشبان الآسيويين ايضا يعانون من سيطرة كبار العائلة فى ظل النظام الأبوى . ففى اليابان مثلا لا يستطيع الشاب أن يبدى روح التمرد أو أن يواجه موقفا بشكل فردى . وفى كثير من الثقافات الآسيوية لا يمكن للشاب أن يتحدى رغبات الكبار فى مجالات اختياره لمهنته أو زواجه أو محل إقامته أو أن يبدى رأيه فى الأمور العائلية والاقتصادية . وقد اضطر كثيرون الى التخلى عن مشروعاتهم للدراسة أو العمل لتولى مسئوليات الأسرة بعد وفاة عائلها ، وربما مسئوليات الأقارب أيضا . وهكذا يأتى الانتحار أو محاولات الانتحار بالنسبة للشباب الآسيوى معيارا للصراعات الموجودة فى الأنظمة الاجتماعية فى البلدان الشرقية .

ومن الناحية النفسية فإن الحاجة الإنسانية الأساسية هى تأسيس الهوية الشخصية التى يحترمها أفراد الأسرة والآخرون ، وكذلك الاحساس بسيطرة المرء على حياته وقدره . والأنظمة الاجتماعية الأبوية تمارس ضغطا شديدا ولا تسمح بهذا التفرد . وهكذا تأتى الاحتكاكات العائلية حافزا للانتحار حيث لا يستطيع الشبان والشابات تأكيد ذواتهم وتحديد مستقبلهم . وقد لا يكون الانتحار عدوانا موجها للذات فحسب ، بل عدوانا موجها للسلطة المتحكمة . ومن أجل الحيلولة دون الانتحار لابد أن تحدث تغيرات اجتماعية توفر بدائل للشباب من الجنسين فى مجال تأكيد الذات .

● وسائل الانتحار

الوسائل الأساسية للانتحار فى البلدان الآسيوية هى تناول جرعات كبيرة من العقاقير أو السموم خاصة المبيدات الحشرية والزراعية ، كما فى تايوان وتايلاند ، نظرا لرخصها وسهولة الحصول عليها . أما فى اليابان فالوسائل المفضلة هى الشنق والغرق واستخدام الغاز . وأكثر الوسائل المستخدمة فى سنغافورة هى القفز من أماكن مرتفعة ، يليها الشنق فاستخدام السم فالغرق . وفى تايلاند تستخدم الأسلحة النارية دون كل بلدان جنوب شرق آسيا ، وفى آسيا الوسطى - سريلانكا ، الهند ، ايران ، باكستان ، يستخدم المنتحرون العقاقير والسموم . ويلى هذه الوسيلة الانتحار شنقا فى سريلانكا وغرقا فى الهند ، والموت حرقا فى سريلانكا وباكستان والهند .

أما فى الشرق الأوسط فتأتى الحبوب والسموم فى المقام الأول . كما

في مصر وسوريا والأردن والكويت . وهي وسائل تأتي في المقام الثاني في العراق . ففي العراق والأردن يستخدم المنتحرون غالبا الأسلحة النارية ، وحرق الذات ـ خاصة بين النساء ـ يحدث في الأردن وسوريا والعراق .

وربما كان الموت عن طريق استخدام المبيدات الحشرية أو احراق الذات مؤلما ، لكن المنتحرين والمنتحرات بهذه الوسائل لا يدركون احتمال الألم . والوسيلة الأخيرة غالبا ما تستخدمها النساء الأميات واللاتي ينتمين الى الطبقات الدنيا . وربما كان في استخدام هذه الوسيلة عنصر تقليدي ليس له معنى واضح يستطيع أي بحث أن يصل اليه ، إذ إن أقل القليل ممن يستخدمن هذه الوسيلة يبقين على قيد الحياة .

ولما كانت الأسلحة النارية موجودة في العراق والأردن بنفس القدر الذي توجد به في أقطار الشرق الأوسط ، فإن السبب في استخدامها غير واضح . والرجال وحدهم هم من يستخدمونها لأن النساء يفضلن وسائل أقل عنفا لقتل أنفسهن .

واستخدام جرعات كبيرة من العقاقير والسموم هي الوسائل المفضلة في محاولات الانتحار . والذين يحاولون الانتحار قادرون على تقدير مدى فعالية هذه السموم . وهم عموما يستخدمون وسائل أقل فعالية ويميلون الى القيام بمحاولتهم في ظروف تسمح باكتشافهم في الوقت المناسب .

● أسباب الانتحار

لعل أهم أسباب الانتحار هي المشكلات بين المنتحر والآخرين ، كما في المشكلات العائلية والاحتكاكات بين الأزواج . والخلافات بين الأبناء والآباء ، او بين الزوجات والحموات . فالمشكلات العائلية تأتي في المقام الأول في حالات انتحار النساء أو محاولات انتحارهن ويتفق هذا مع وضع النساء الآسيويات . وحتى في البلدان التي تعمل فيها النساء بأعداد كبيرة ، كما في اليابان وتايوان

وسنغافورة والعراق ، تشكل الخلافات العائلية سببا أساسيا للانتحار . لكن العامل الأساسي في آسيا هو عدم مرونة الأنظمة الاجتماعية التي لا توفر بدائل للتخفيف من وطأة الحياة . بل ان نفس القوانين الصارمة تؤثر بنفس القدر في عمليات انتحار الذكور .

يلي ذلك الاخفاق في الحب خاصة بين الشباب ، بل حتى بين كبار السن في العديد من البلدان . ولعل العلاقات الغرامية الفاشلة تجتذب الانتباه اكثر من اللازم ، فالكثير من الاحتكاكات التي نعزوها الى الحب قد تكون مشكلات بين الأبناء والآباء ، فيما عدا حالات الهجر والرفض . وعمليات الانتحار المتعلقة بزيجات مرفوضة تختلف قليلا عن تلك المتعلقة بعلاقات غرامية ، إذ أن المشكلة الحقيقية هي القدرة على اختيار المرء لمصيره أو عدم قدرته على ذلك .

والرسوب في الامتحانات أحد الأسباب ، لان مثل هذا الرسوب اما أن يشكل ضربة للعلاقات العائلية أو فقدانا لميزة اقتصادية ومالية . وهو مشكلة خطيرة تؤثر في السلوك الانتحاري في اليابان ، لكنها أيضا ترتبط بالعلاقات

الانتحار

العائلية ، خاصة مع الأم . فرسوب الطلبة فى اليابان ذو أهمية أكبر عما فى عداها من البلدان ، لأنه على الرغم من كونه من بين أسباب الانتحار فى الهند وسوريا ومصر ، مثلا ، فإنه يحتل مرتبة أقل فى هذه البلدان عنه فى اليابان .

ويشكل الفقر والفشل الاقتصادى عاملا هاما فى السلوك الانتحارى . ففى اليابان ترتفع معدلات الانتحار بين من يعانون من البطالة او المشكلات الاقتصادية ، وكذلك فى الهند وسنغافورة وسوريا والأردن . غير ان **الأسيوى لا يتشبث** بالحياة على الرغم **من فقره المدقع** بل ينتحر بسببه . **بل غالبا ما يكون** الفقر سببا **لعمليات انتحار متعددة** فى اليابان والهند **وايران .**

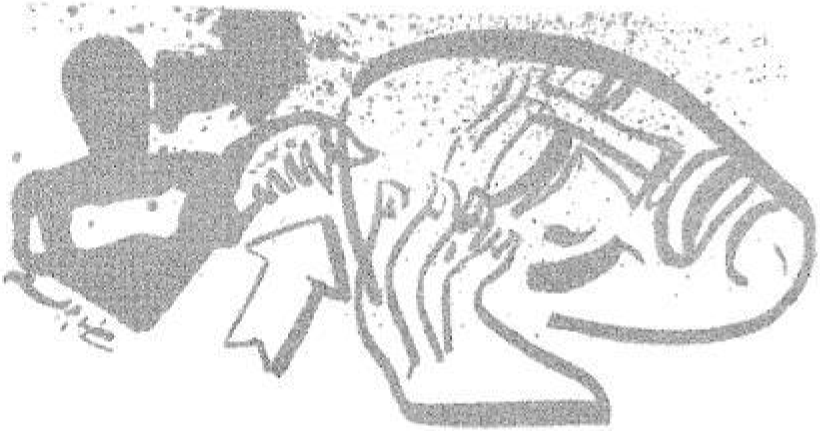
ويميل الأطباء النفسيون الى أن يضعوا الاضطرابات العقلية والعصبية والاكتئاب على قائمة أسباب الانتحار . غير أن هذا لا يوضح الأسباب الشخصية للمنتحر . فمسألة ما إذا كانت الاضطرابات العقلية لها أصولها العضوية أو البيئية مسألة معقدة . ومن المفيد ، من منظور أوسع أن ننظر الى المنتحر بصفته شخصا يستجيب لعوامل شخصية خاصة به ، بما فى ذلك تكوين بنيته ، وعلاقاته الشخصية والأسرية ، والمؤثرات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الأوسع . فهذه العناصر تتحد لتحدد ما اذا كان الفرد يستطيع أن يجد حلا لأزمته أم لا .

ومن المؤشرات على دلالة العوامل المالية المستوى التعليمى لمن يقدمون على الانتحار فقليل من المهنيين أو أصحاب المهارات العالية أو من يشغلون مناصب ادارية يقدمون على الانتحار . ومعظم المنتحرين ممن حصلوا على تعليم ابتدائى أو ثانوى ، لكن أعدادا كبيرة منهم تأتى من صفوف الأميين .

وتلعب الظروف الاجتماعية دورا هاما فى تزايد معدلات الانتحار . ففى تايوان ارتفعت هذه المعدلات بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة نتيجة للهجرة الجماعية من الصين ، والتغيرات التى ادت اليها هذه الهجرة ، وعدم تكافؤ الفرص بين المواطنين والمهاجرين . غير أن توطين موجات الهجرة ، واعادة تنظيم المجتمع على أساس حديث يقوم على المساواة بين المهاجرين والمواطنين ، وتطور نظام قيم ثابتة متماسكة أدى الى استقرار انخفضت معه معدلات الانتحار .

وعلى الرغم من أن هونج كونج مركز تجارى مزدهر اقتصاديا ، فإن غالبية السكان فقراء ، مهاجرون من الصين ، أعدادهم كبيرة ، أميون وغير مدربين وقد كان معظمهم مزارعين شبانا اجتذبتهم قصص الثراء . غير أنهم وجدوا أنفسهم عمالة رخيصة . وأدى التضخم الى أزمة أسكانية وارتفاع تكاليف المعيشة بحيث لم يكن كثير منهم قادرا على دفع ثمن المأوى ، مما كان سببا فى ارتفاع معدلات الانتحار .

وفى تاريخ الهند هناك نوعان معروفان من الانتحار : الانتحار الجماعى الذى كانت النساء يقمن به لتجنب الاذلال على أيدى جيوش غازية ، والاضراب عن



الطعام احتجاجا على الحكم الأجنبى مثلما كان غاندى يفعل أو احتجاجا على اجراءات حكومية . كذلك كانت هناك انتحارات جماعية لأزواج أو عشاق أو أخوات أو أحداث اما بسبب الفقر أو الديون أو الكوارث المالية أو ما الى ذلك .

● مراكز الوقاية فى الانتحار

تشير احصائيات مراكز الوقاية من الانتحار إلى أن الكثير ممن يعانون من ضغوط عاطفية شباب، فى مجموعة عمر ١٥ ـ ٢٩ ، بينهم نسبة كبيرة من الفتيات.. وتقل نسبة الانتحار بين متوسطى العمر ، وتزيد فى بعض المجتمعات التى تتغير بسرعة مثل اليابان بين المسنين الذين لا يجدون الأمان وسط التقاليد المتغيرة .

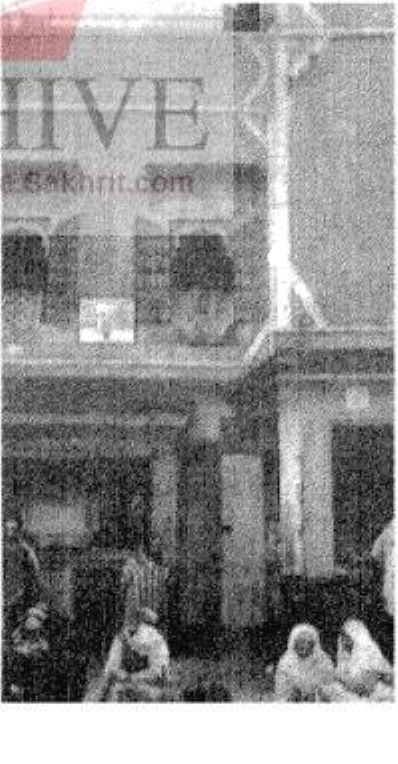
ولهذا يجب أن تتجه الجهود الرامية الى تقليص عمليات الانتحار الى الشباب أساسا ، وينبغى أن تبدأ الاجراءات الوقائية فى المدارس الابتدائية والثانوية وتستمر فى الجامعة . فتغيير المواقف من الانتحار يعنى أن يتعلم المرء كيف يتعامل بشكل ايجابى مع المواقف التى تنطوى على صراع ، وهى عملية تتطلب تضافر جهود الآباء والمدرسة . وفى مدارس الولايات المتحدة الأمريكية الابتدائية والثانوية أدخلت خدمات لتقديم المشورة للطلبة الذين يعانون من الاكتئاب أو من مشكلات عائلية . وتتضمن هذه المشورة الآباء لتذليل الصعاب ، ولتحسين قدرتهم على التعاون البناء فى مواقفهم وسلوكهم .

ولما كانت امكانية الاقدام على الانتحار أكثر ارتفاعا بين الفئات التى تتمتع بأقل القليل فى الامتيازات ـ مثل الشباب والفقراء والنساء ـ فإن دور الحكومات أساسى لتوفير الخدمات العلاجية . وعلى الأخص فإن محنة الفقراء ، وخاصة المسنين منهم ، هى مجال تحرك الحكومات الى حد كبير . فالتعساء والمحرومون يهددون استقرار الحكومات ويؤثرون فى انتاجية الأمة ككل . ويجب على السلطات الحاكمة أن تتحمل مسئولية اصدار قوانين لمنع أشكال الظلم الواقع على مجموعات بعينها ، وأن توفر الفرص المتكافئة ، فى حدود الامكان ، للشباب والنساء .

العالم في سطور

● طنجة .. جنة الادباء

أصبحت مدينة طنجة المغربية محط أنظار العالم فى الشهر الماضى .. من خلال صدور بضعة كتب فى أدب الرحلات وعرض فيلم سينمائى يعرض الان فى أوروبا بنجاح ملحوظ ..



طنجة .. صورة مصرية

الفيلم هو « الصيف الاخير فى طنجة » من اخراج الكسندر أركادى وبطولة روجيه حنان وأنا كارينا وتدور أحداثه عام ١٩٥٦ فى المدينة المغربية ، حيث يجد رجل شرطة نفسه يجيء اليها بدلا من الرحيل الى الولايات المتحدة الامريكية . ويجد المغامرات متلاحقة مع خلال شابة ايطالية ذات ماض غامض تضعه فى مواجهة الاسرة التى تسيطر على المدينة .

لم تتغير طنجة كثيرا منذ عام ١٩٥٦ وحتى الان ، حسبما يقول الصحافى دانييل روندو صاحب كتاب « طنجة » الذى صدر بالفرنسية فى مايو الماضى ، يقول الكاتب ان طنجة بالنسبة له ليست بطاقة معايدة عليها صورة تذكارية ، ولكنها ذكريات تتدفق . وقد كانت المدينة ملتقى للعديد من الادباء ، فقد بهر بها كل من بول موران واندريه مالرو كما اعتبرها الامريكى بول بولز مجالا خصبا لصناعة نموذج أدبى مثالى . وقد بهر هؤلاء الكتاب بالليل الرخيم الذى يسود المدينة العربية فاصبحت جنة الادباء .

وكما كانت المدينة جنة للكتاب فان بناتها وشوارعها العامرة بالمارة كانت مصدر الهام لفنانين تشكيليين مثل ماتيس الذى قام بتعرية بناتها فى صدر لوحاته .

ويقول روندو داننا نذهب الى طنجة كى ننتظر قدوم احسن ايامنا » كما اكد ان الرحيل الى هذه المدينة مبعثه الهروب من اختناق الاجراء

الفرنسية ، حيث المطر والغبار والانتخابات التي لا تنتهي . لذا فان ناقد مجلة لوبوان يؤكد في العدد الصادر في ٤ مايو الماضي ان روندو يحب طنجة لانه يريد أن ينسى باريس .. وهو يبحث في المدينة عن الادباء الراحلين كي ينسى الاحياء منهم .. ولذا فانه يبدو كأنه يقوم بتصحير فرنسا .

والقارىء يجد نفسه يرحل الى طنجة مرتين .. الاولى فوق صفحات كتاب روندو ، ثم في رحلة مفتش الشرطة الى المدينة مع روجين حنان الذي وجد في المدينة مهربا اخر من رحلته الى الولايات المتحدة ..

● هولز .. الذي

هل من الغريب أن يكون آرثر كونان دويل هو رجل عام ١٩٨٧ في الصحافة الأدبية العالمية .. الامر لم يبد غريبا بالمرة رغم وجود مناسبة معينة تدعو للاحتفال بالرجل .. لكن المتتبع لهذه الصحافة بشتى اللغات سيفاجأ أن السيد دويل قد أصبح الكاتب المدلل في كل المجلات العالمية . فقد خصصت مجلة « ليتربر فرانسيه » عدد خاصا عن أبيه وشخصياته .. وهي المجلة المعروفة بجديتها الشديدة .. كما اقامت مجلة « يوليس ٢٠٠٠ » التي تصدر بالايطالية ملفا كبيرا عنه في عدد شهر أبريل الماضي . وذكرت مجلة بوميير الفرنسية في عددها الاخير أن شخصية شرلوك هولز التي ابتدعها دويل تعد ابرز شخصية سينمائية على الاطلاق وقد انتج عنها ١٨٦ فيلما وبذلك تكون اكثر شخصية



شرلوك هولز
صورت عنها السينما مجموعة من الافلام .

عاش دويل في الفترة من ١٨٥٩ الى ١٩٣٠ وكانت حياته خصبة الانتاج شأن اغلب ادباء الرواية البوليسية مثل موريس لبلان واجاثا كريستي وجورج سيمنون . ابتدع شخصية المفتش هولز البالغ الذكاء ذا القبعة الانجليزية والغليون .. والمعطف الطويل .. وهي الشخصية التي خرج من جعبتها اغلب مفتشي السينما والادب مثل ميجريه وكولومبو .. كما ابتدع دويل ايضا شخصية مقابلة هي الدكتور واطسن صديق هولز الذي يساعده في الكثير من تحرياته .

أما اهم الروايات التي ظهرت فيها هاتان الشخصيتان فهي « علامة الاربعة » عام ١٨٩٠ ، و « مذكرات شرلوك هولز » ١٨٩٤ و « عودة شرلوك هولز » ١٩٠٥ و « عقدته الاخيرة » عام ١٩١٧ .. و « قضية شرلوك هولز » عام ١٩٢٧ .

وقد أصبحت لشخصية هولز مجلة رسوم متحركة متخصصة كانت تصدر اسبوعيا باللغة الانجليزية بعنوان « ستراند ماجازين » .

العالم في سطور

لم يتوقف كونان دويل – مثل أغلب كتاب الرواية البوليسية – عند صديقه هولز بل كتب مجموعة روايات تنتمى الى أدب الخيال العلمى منها « عصر الفضاء » و « الرجل الخفى » وفى آخر حياته اهتم بشكل مكثف بالغيبيات فأصدر كتابا يحمل عنوان « تاريخ مذهب تحضير الارواح » .. كما كتب المسرحية والقصيدة . ومن أهم مسرحياته « قصة ووتر لو » .

● عين الفن .. زانية

هو عنوان الكتاب الذى يثير اكبر فضيحة فى ايطاليا منذ صدوره فى ابريل الماضى ، ليس كتابا سياسيا ، ولا هو بالوثيقة العسكرية الخطيرة ، ولا بالمذكرات الهامة . ولكنه عبارة عن ذكريات روتها امرأة لصحافيين ايطاليين عن أدق التفاصيل فى علاقتها بزوجها .

المرأة هى مارتا مارتسوتو ، التى تزوجت الفنان التشكيلى الايطالى ريناتو جوتوسو وتركت له جسدها ليصوره كما يشاء فى لوحات فنية راقية . ولم يقتصر الامر على تصويره لهذا الجسد عاريا . فقد سبق للعديد من الفنانين التشكيليين أن رسموا زوجاتهم عرايا . بل ان جوتوسو راح الى ما هو أبعد .. فقد صور زوجته فى أوضاع جنسية بالغة الجرأة مثلما يحدث فى الافلام المكشوفة .

وتجىء أهمية هذا الكتاب من أن جوتوسو هو أحد الرسامين المرموقين فى الفن التشكيلى الحديث . وهو صاحب فكر ، كما أنه عضو فى الحزب الشيوعى الايطالى . وهو أب لأسرة سعيدة ، جمع ثروة كبيرة من فنه لم يجمعها بيكاسو فى حياته .

وقد اهتم المؤلفان بالتركيز على ابعاد العلاقة التى ربطت بين ريناتو وزوجته ، ذكرى اللقاء الاول ، وحلاوة الكلمة الاولى ، وحسية الاتصال الجسدى وقال المؤلفان ان الرجل كان يحب الحياة والفن ، وأنه آمن أن الجنس اشد لحظات الانسان انفعالا . لذا لم يسع الى تصوير امرأته باردة الحس كما فعل عشرات الفنانين من قبله . وهو يرى أن لوحاته عبارة عن فن خالص لا علاقة لها بالاخلاق والتربية ، وإذا نظرت اليها العيون نظرة زانية ، فالعين اذن هى الخاطئة وليست اللوحة . وكأنه بذلك يعيد قول مايكل انجلو « رسمتهم عرايا كما خلقهم الله » .

مارتا مارتسوتو فى احدى لوحات جوتوسو



نيودلهي

● رحلة فى قطار الهند السريع

يرى الكثير من أدباء العالم الثالث ان عليهم عبور قنطرة محددة للوصول الى العالمية من خلال هجرتهم الى بعض المدن الاوروبية ـ خاصة لندن ـ والكتابة عن بلادهم باللغة الانجليزية . من أشهر هذه الاسماء الكاتبان الهنديان نايبول وبول ثيروكس ـ لاحظ اسمه الانجليزى ـ الذى صدرت له فى الشهر الماضى روايه « بازار السكة الحديد » .. كما عرض فيلم « ساحل البعوض » من اخراج بيتر فير وبطولة هاريسون فورد وهو الفيلم المأخوذ عن رواية له بنفس الاسم .

فى روايته الاخيرة « بازار السكة الحديد » يتحدث الكاتب عن تجربة خاصة مر بها فى عام ١٩٧٤ حين اصابه روماتيزم فاقترحت عليه زوجته أن يسافر الى موطنه اسيا ، فاستقل القطارات التى انتقلت به من لندن الى باريس وسيبيريا وطوكيو حتى حطت به فى الهند : « وفى القطار كان يدون انطباعاته حول الناس والمدن » . وقد بدا مشدوها فى هذه الرحلة بشمس تركيا الشاحبة ومياه مدراس المنعشة وحب الايرانيين للمال وعشق الهنود للابقار .

يقول فى كتابه متسائلا : ترى هل السفر عمل خيالى أم واقعى . هل هو حلم أم روايه . لقد أمسكت القارة الهندية بمخيلتى فلم أستطع الهروب منها . وجعلتنى مدينة نيودلهى جملة داخل جملة لـذا فانا الرجل الذى يبحث دوما عن القطارات التى تدب فوق قضبان بيضاء تعبر البلدان حاملة مئات الانفس . وفى الهند تجد فى نفس القطار اكثر الناس ثراء يجلس الى جوار هندى من السيخ يتحدثان بمودة .. لكن من الصعب أن تسمع لصوتيهما صدى . لان دبيب عجلات القطار هو الاعلى صوتا .

من اهم روايات ثيروكس المولود عام ١٩٤١ هناك « المتآمرون » ، و « جاك الرائع » و « قصر الصور » و « رحلة عبر المملكة المتحدة فى السكك الحديدية » .

بول ثيروكس



المسرح

● حياة عاصفة

لم يختلف الناس على رجل من أساطين النغم كما اختلفت اراؤهم فى « ويلهلم ريتشارد فاجنر » (٢٢ مايو عام ١٨١٣) .

تغالى البعض فى تقديره حتى زعم انه استوعب فيما أبدع من أعمال أوبرالية كل من سبقوه وعاصروه .

العالم في سطور

واشتط الاخرون فى كراهيته حتى لقد اتهموه بتمهيد الطريق بموسيقاه وافكاره فى الاشتراكية والانسان الكامل الى النازية .

ومهما يكن من أمر هذه الاحكام المتناقضة ، فلو جرى رسم صورة لفاجنر بفرشاة واقعية لا تجنح للتزييف ، لكان لنا بفضل ذلك دراسة شائقة فى التباين العنيف .. دراسة تحكى قصة شخصية قبيحة أبدعت موسيقى جميلة .

فمنذ طفولته ، وهو ظاهر الثقة بنفسه ، غير مكترث بالاخرين ، منطلق الموهبة فى الشعر والموسيقى

فما كان يبلغ الثالثة عشر ، حتى كان قد ترجم فى أوقات الفراغ الاثنى عشر كتابا الاولى من ملحمة « الاوديسة » ، وقرأ شكسبير فى ترجماته الالمانية ، حفظ أوبرا « فرايشوتز » للموسيقار « كارل ماريا ويبر » عن ظهر قلب .

وفى عام ١٨٢٨ عكف على دراسة أعمال بيتهوفن ، ثم عقد العزم على التاليف الموسيقى ، فامضى ستة شهور يتعلم فيها أصوله ونظرياته ، وكان ذلك هو كل ما تلقاه من تعليم منظم .

فاذا ما اقترب من العشرين ، ادمن التردد على أوكار القمار فى « ليبزيج » ، حتى انه خاطر ذات مرة بكل معاش امه فى رهان واحد ، غير أنه كتب له ، ولحسن حظه ان يكسب الرهان .

فى هذه الاثناء شغل وظيفة قيادة المجموعة الغنائية للفرقة الاوبرالية « بوورزبرج » حيث الف عمله الاوبرالى الاول « الجنيات » (١٨٣٣)

ثم الف خلال العام التالى أوبرا اخرى أسماها « ممنوع الحب » .

وطبعا كان هو اول المتمردين على هذا المنع ، اذ سرعان ما وقع فى حب الممثلة « مينا بلانر » التى عقد قرانه عليها فى ٢٤ (نوفمبر) عام ١٨٣٦ ، ذلك اليوم الذى كان لا مفر من أن يتحول الى ذكرى سنويةلبداية موعد « مينا » مع الشقاء ، فما أتعس اولئك الذين تربطهم الاقدار بعجلة العبقرية واقتحاماتها الجسور .

وعلى كل ، فقد أبدع خلال الاعوام الاولى من هذا الزواج غير السعيد اربعة أعمال اوبرالية « رينزى » ، و « الهولندى الطائر » ، و «تانهاوزر» و « لوهنجرين » .

ولكن ايا منها لم يلق قبولا عند الجمهور الذى لم يستطع أن يتذوق لغتها الجديدة .

وهاهو ذا « فاجنر » ، يعانى .. يعطى العالم جمالا ، وفى المقابل لا يعطيه العالم سوى الاحتقار .

وما أن انتهى من تاليف أوبرا « لوهنجرين » ، حتى انغمس فى احداث ثورة ١٨٤٨ .

فاذا ما فشلت الثورة فى «درسدن» حيث صدر أمر بالقبض عليه ، فر منها هاربا الى « فايمار » حيث كان يقيم صديقه وقدوته « فرانز ليست » ، ومنها الى سويسرا حيث اخذ معه اثناء رحلة العذاب قلب الشابة الحسناء « جيسى » امراة تاجر النبيذ الفرنسى « اوجين لوسو » .

ولقد ظل فاجنر اثنى عشر عاما فى منفاه حيث عكف على كتابة

اشعار لاعمال اوبرالية مستوحاة من اساطير الفايكنج ، كان من بينهما القصيدة التى اقام عليها رباعيته الاوبرالية « ذهب الراين » ، « فالكور » ، « سيجفريد » و « غروب شمس الالهة » والمعروفة تحت اسم « حلقة النيبولنج » ٠

وفى اثناء ذلك نشر كتابات اوضح فيها اراءه فيما يجب ان تكون عليه الاوبرا او الدراماالموسيقية « الكلمات هى الجذور والموسيقى هى الزهرة »

ومع عام ١٨٥٣ بدأ فى كتابة الموسيقى الخاصة بتلك الرباعية ، غير انهسرعان ماتوقف عن اتمامها ، متنقلا منها الى تاليف عمله الاوبرالى المشهير « تريستان وايزولد »

وبعد كثير من الفشل وتراكم الديون ، بدأ الحظ فى الابتسام ٠

فها هو ذا « لودفيج » الثانى ملك بافاريا الشاب يسدد ما عليه من ديون ، ويهبه قصرا فى ميونيخ ومعاشا سخيا اتاح له فرصة القيام بنفسه باخراج اعماله ٠

وقد كان من نتائج ذلك ان لقى عمله الاوبرالى « اساطين الغناء فى نورنبرج » (١٨٦٨) نجاحا كبيرا ، غير انه ازاء انكشاف علاقته « بكوزيما » ابنة « ليست » وزوجة رئيس فرقته الموسيقية « هانز فون بولو » اضطر الاثنان ، تحت ضغط الفضيحة الى ان يغادرا « ميونيخ » وفيما بعد تزوجا ، وكان زواجهما سعيدا لاتفاقهما فى الهدف المشترك ، فكلاهما كان لا يعبد سوى « ريتشارد فاجنر » !!

ومن اجل « كوزيما » (١٨٣٧ ـ ١٩٣٠) ـ وبمناسبة عيد ميلادها ـ ابدع لها « غزلية سيجفريد » ، التى



ريتشارد فاجنر

تعد من اجمل ما الف من القطع الموسيقية القصيرة ٠

فى ذلك الوقت كان قد اوشك على اتمام « حلقة نيبولنج » فصمم على ان يبنى مسرحا خصيصا لها ٠

وبفضل حماسه تمكن فى ١٣ (اغسطس) عام ١٨٧٦ من افتتاح مسرح « بيت المهرجان » فى « بايرويت » حيثعرضت الحلقةكاملة غير مفتوحة على امتداد اربع ليال ٠

بعد هذا الحدث الذى يعتبر نقطة تحول فى تاريخ الموسيقى عاش « فاجنر » خمسة اعوام ونصفا ابدع خلالها عمله الاوبرالى الاخير « بارسيفال » (١٨٨٢) ٠

وفى ١٣ (فبراير) عام ١٨٨٣ جاءه الموت بالسكتة القلبية ٠

وبه اختفت من مسرح الحياة شخصية فريدة اورثت الانسانية بناء شامخا من الدراما الموسيقية او بمعنى اصح السيمفونيات الدرامية ٠

عالم ارسكين كالدويل

ملامح أدب الجنوب الأمريكي

بقلم : محمود قاسم

ترى هل هناك علاقة بين رحيل الكاتب الامريكى ارسكين كالدويل وبين مؤشرات الحياة الثقافية فى مصر .

قد يبدو السؤال غريبا لكن اجابته واقع ملموس عما تسير عليه حياتنا الثقافية التى انعزلت تماما عن كل ما يحدث فى العالم من تيارات فكرية ومايصدر من ابداع جديد .

فعندما مات كالدويل فى الاسبوع الثانى من ابريل الماضى لم ينشر عن وفاته خبر واحد . بينما بدت المجلات الثقافية والصفحات المفروض انها ادبية غافلة تماما عن هذا الحدث الثقافى الهام .

وكأن كالدويل نكرة .. وكأنه لم يقدم ستين رواية ترجمت افضلها الى اللغة العربية وقرأناها ايام ازدهار حركة الترجمة وكأن انفصالا شبكيا حادا اصاب العين العربية المثقفة فلم تعد تلتفت حولها واخذت تعوم فى دياجير العتمة التى صنعتها لنفسها .

لو فتحت الملف الخاص بكالدويل فى ارشيف دار الهلال - مثلا - لوجدته عامرا بمقالات كتبت منذ اكثر من عشرين عاما نشرت فى «المجلة» و« الكاتب » ثم تكتشف فجأة ان الصلة انقطعت بعد ذلك بالكاتب وبالطبع بغيره من الكتاب رغم عطائه الذى لم يتوقف حيث صدر له قبل وفاته باسبوعين كتاب جديد حمل العديد من ذكرياته وسيرته الذاتية .

تنبع اهمية كالدويل فى انتمائه الى بيئة افرزت اسماء عديدة فى الادب وكانت محط الانظار بالحروب الاهلية التى اجتازتها فى القرن الماضى .. فالبيئة شبه مغلقة ، اقرب الى صعيد مصر . تعتمد على الزراعة التى اثرت بدورها فى سلوك ابنائها . وقد اهتم ادباء الجنوب الامريكى بتصوير مايعانيه المواطن العادى فى هذه المنطقة من شقاء وتعاسة ومايسقط فيه من كوارث وسلوك غير اخلاقى . حيث تدفع قسوة الحياة أبناءها الى السقوط فى هوات عميقة لاخروج ابدا منها .. وحول

هذا العالم قرانا ادب ويليام فوكنر وويليام ستايرون وجيمس بولدوين وجون دوس باسوس وشسترهايمز وترومان كابوت وفلانرى اوكنور وكارسون ماكلورز وآخرين .

● ارض الله الصغيرة

فى هذا المكان بمدينة كوينا الصغيرة الواقعة فى ولاية جورجيا ولد ارسكين كالدويل فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٠٣ لاب يعمل قسا متواضع الحال .. وقد دفعته ظروفه الاجتماعية الى الاندماج مع الفقراء من البيض والزنوج كما قام بممارسة بعض الاعمال البسيطة وهو فى سن مبكرة مثل بيع الصحف وتوزيعها على المشتركين وعندما بلغ السابعة عشرة انتقل الى مدينة جيفرسون كى يلتحق بالمدرسة العليا بها . يقول كالدويل ـ نقلا « عن المجلة » فى سبتمبر ١٩٦٤ ـ « لم يكن يحدث شىء فى البلدة أو فى الضواحى المجاورة الا ويعرفه كل منا بتفاصيله داخل المعصرة . كنا نتناقش اثناء الليل بحرية وبصراحة فى كل شىء .. المنازعات العائلية ميلاد الاطفال غير الشرعيين . حوادث الموت الغامضة . المشاجرات العنيفة .. اخبار الهجرة والخيانات وفضائح العلاقات الغرامية . وكان يشترك فى المنافشة البيض والزنوج على السواء . كنا نعمل جنبا الى جنب ونتناول وجبة العشاء معا فى الصباح الباكر على جانب شريط السكة الحديدية عندما يكون يوم الخميس رائعا . او فى حجرة الغلايات فى الليالى المطيرة . ومن هنا لم يكن ثمة مجال للتفرقة العنصرية فى هذه المعصرة . كان كل واحد منا ، سواء أكان أبيض او أسود ، يعبر عن رأيه وعما يحبه او يكرهه ، فى اى موضوع كما يشاء ..

عندما تخرج كالدويل فى المدرسة العليا اشتغل بالصحافة والكتابة للسينما . ونجح فى هذه الميادين لما اتسم به من قوة ملاحظة وقدرة شديدة على رصد مايدور امامه . وقد بدا هذا فى روايته الاولى « ابن الحرام » التى نشرت عام ١٩٢٩ ثم نشر روايتيه الكبيرتين « طريق التبغ » عام ١٩٣٢ و« ارض الله الصغيرة » عام ١٩٣٣ . وهما اهم رواياته على الاطلاق ـ ترجمتا الى اللغة العربية ـ ويقال ان كل روايات الكاتب الباقية كانت ظلا باهتا من هاتين الروايتين . من هذه الروايات « رفيق الرحلة » ١٩٣٥ « ويد الله القوية » .. ١٩٤٧ ، « مصباح لسقوط الليل » ١٩٥٢ ، « حب ومال » ١٩٥٥ ـ ترجمها لويس جريس فى الكتاب الذهبى ثم « حى ميدورا » عام ١٩٧٣

وقد ارتبط اسم كالدويل بعالم السينما مثل الكثير من اقرانه الذين

ارسكين كالدويل



عالم ارسكين كالدويل

لمعوا في الثلاثينيات وعلى راسهم ارنست هيمنجواى ، ليليان هيلمان ، ويليام فوكنر وجون شتاينبك . وقد قام بنفسه عام ١٩٤١ بكتابة سيناريو فيلم « طريق التبغ » الذى اخرجه جون فورد وقامت ببطولته جين تيرني . وقد قدمت بعض رواياته الاخرى للسينما مثل « المعسكر الصغير » التي اخرجها انتوني مان عام ١٩٥٨ بطولة روبرت ريان . وقد عرف عن كالدويل ان رواياته تحقق اعلى المبيعات حيث بيع من « لنسمها تجربة » .. مائة مليون نسخة في كل انحاء العالم .

● وحاكموا الأدب .. لأنه واقع

يقول الناقد الفرنسي كليير هيرن ان كالدويل اجاد فن القص الى ابعد حد فاستطاع ان يختلق شخصيات حية ارتبطت بالاماكن التى عاشت فوقها ..

ففى روايته الأولى « ابن الحرام » يتحدث عن قرية صغيرة فى الجنوب تسكنها قرابة الفى نسمة . الاقلية فيها بيضاء (٣٠٠ نسمة) اما البطل فهو جين مورجان أمه داعرة . وهو امى زنجى يعمل فى ورشة نجارة يمتلكها البيض . متعته الوحيدة هى اللهو وتناول الطعام وممارسة الحب . انسان بلا غد ولايفكر فى اللحظة القادمة . لذا فانه لايتوانى عن اغواء امراة عجوز من اجل بضعة دريهمات . كما انه يغتصب امراة متزوجة . ويسقط اخيرا فى هوى اخته غير الشقيقة فتنجب منه سفاحا أو « ابن حرام » هذه العلاقة الجريئة اثارت الكثير ضد الكاتب . رغم ان مثلها موجود فى « الصخب والعنف » لفوكنر التى تدور احداثها فى الجنوب ايضا . فقد اقيمت ضد كالدويل عدة قضايا اتهم فيها بالاباحية والانحلال الا انه خرج منها منتصرا بعد ان اثبت للجميع أنه يصور الواقع الذى يعيش فيه . ويسعى الى تنفير الناس من هذه النماذج العنيفة الخارجة على الناموس الأنسانى ..

اما رواية « طريق التبغ » فتتحدث عن الفلاح جيز ليستر الفقير الذى لايمكنه زراعة أرضه لاملاقه الشديد . ورغم ولائه للأرض فإنه لايستطيع ان ينشر الخضرة فوق الأديم . يتأمل البوار يزحف الى ارضه والحشائش تغزوها انه لايستطيع الافلات من القدر المحتوم الذى يحوطه . فكل شىء الى بوار . الام العجوز التى على وشك الموت . والزوجة المريضة : حتى ابنائه الثلاثة يعانون من اثر الفقر خاصة ابنه ديوك البالغ من العمر ستة عشر ربيعا . والذى يجد نفسه ينساق وراء أرملة تسعى للزواج منه . تغدق عليه المال والهدايا . وكعادة نهايات روايات الكاتب فانها تصطبغ بمأساوية شديدة . فديوك يقتل جدته . اما اخته بيرل التى تزوجت فى سن مبكرة فانها تهرب من المدينة التى تعيش فيها . بينما تأتى النيران على الأب ليستر وزوجته فى الكوخ الذى يقيمان به .

نفس هذه الاجواء تتواجد فى روايته « حب ورمال » حيث يصاب احد الفنانين بصدمة عاطفية ونفسية مما يهدده بالعقم الفنى وبالعجز التام عن الكتابة . لقد احب فتاة لم تبادله مشاعره . ظل يجرى وراءها خلف سراب بعيد لايقترب ابدا . واذا اقترب منه انسال بين ناظريه فلا يرى سوى رمال جرداء خاوية من الحياة . لقد

هربت منه فتاته . فاصبحت الحياة بالنسبة له خاوية المعنى . فهجر الفن بعد ان فقد بريقه وخبت جذوة عطائه الملتهبة . لقد غدت هذه العلاقة الفاشلة كارثة بالنسبة للفنان استطاعت ان تذبل منابعه المتدفقة فيتحول الى شخص يائس عدواني لاامل منه ولارجاء .

● المرأة التى أفسدت حيـــا بأكملــــــه

وحول هذه الحالة تحدث كالدويل قائلا : « حالة العقل هذه ـ كما سميتها ـ هي في الاغلب رغبة حارة لايمكن السيطرة عليها ، تبحث عن الاشباع باى ثمن . انها اشتهاء لايمكن انكاره انها عند بعض الناس تشبه الحاجة العـاطفيـة الى البحث عن الحب والصداقة . وتبلغ حدتها وضراوتها عند آخرين ضرورة الحاجة المادية للطعام والشراب .

اما آخر رواياته « حى ميدورا » فانها تدور ايضا فى نفس الاجواء . فى شارع ابرجرين » احـد شوارع الجنـوب الامريكي المعروفة . وجد الكاتب ان هذا الشارع الضخم يكاد ان يفقد جزءا كبيرا من هويته بسبب التصرفات المتحررة التى تسلكها امراة تسكنه تدعى ميدورا آرنشو . فى الخمسين من عمرها . تنتمى الى البيوريتانيـة جاءت يوما من قريتها الفقيرة كى تتزوج من فرانك القروى الذى اجتاح المدينة فملكها واصبح تاجرا مرموقا بها .. فاستطاع ان يحقق ثروة كبيرة من تجارة الحلويات . هذه المراة لاتميل الى جاراتها اللاتى يلوكن سيرتها دوما .. خاصة بعد ان مات زوجها فى حادث سيارة .

فرغم وجود ابنة لها من فرانك فإن ميدورا تحس بالعزلة التى ضربتها السنة الآخرين حولها . ولأن الوحدة قاسية ولانها امراة سمراء اقل جمالا . تحاول الهروب . من لونها . فانها لاتحتمل العزلة اكثر من سبعة اشهر وتقرر ان تهجر عالم الترمل وتتزوج من موظف بسيط يعمل فى محكمة المدينة . رجل فقير بدا كانه باع نفسه لامراة اكثر ثراء . هذه الحكاية تزيد من لهيب الألسنة الذى يتردد فى الشارع عن حياتها . قيل إنها فقدت اتزانها . وقيل لها انها تعامل زوجها الجديد باحتقار خاصة انها لاتزال تحمل اسم زوجها السابق وقيل كلام كثير فى حقها .. مما دفعها يوما الى اهدائه سيارة كاديلاك .

ورغم كل هذه المحاولات فإن زوجها الجديد لايشعر بالرضا . فتبدو العلاقة متوترة ويزداد الطين بلة . عندما تلعب ابنتها ايرمجان دورا فى افساد الكثير من العلاقات فى هذا الشارع الكبير . انها فتاة ناهدة فى التاسعة عشرة من العمر . اغوت الكثير من الرجال وخاصة استاذها فى الجامعة . هذا السلوك يجعل الأم فى وضع لاتحسد عليه . فالفضائح لاتجيء فرادى . واصبح الشارع بمثابة هاوية بالنسبة للاسرة وعلى افرادها سرعة مغادرته .

هذا هو بعض من عالم الكاتب الامريكي ارسكين كالدويل .. آخر جيل العمالقة فى الرواية الامريكية التى وجدت فرسانها العظام طوال الخمسين عاما الماضية ..

العالم غدا

• مصرى يفوز بجائزة الزراعة بدون تربة •

مع امتداد فترات التحليقات المدارية فى الفضاء صارت مشكلة التموين من اكبر المشكلات التى تواجه تنظيم مثل هذه التحليقات ، الامر الذى دفع الى التفكير فى اتمام بعض العمليات الانتاجية ، على متن المحطات المدارية ذاتها وهكذا تواصلت تجارب شتى تدرس امكانية القيام ببعض العمليات الزراعية فى الفضاء •

وكان قد جرى منذ بدء الانسان فى ممارسة الزراعة على استحالة ذلك مالم تتوفر التربة التى تتعلق بها جذور النباتات • لكن صعوبة وتكاليف نقل التربة الى الفضاء دفعت بالتجارب الى دروب شتى سرعان ما كشف احدها عن امكانية زراعة النباتات ، وعلى نطاق واسع ، فى محالدل مشبعة بالاسمدة والاكسجين دون حاجة الى التربة •

ولم يبق الاسلوب الزراعى الجديد حكرا على الانشطة الفضائية اذ سرعان مااهتمت اليابان بماهو معروف عنها من دينامية ابداعية بزراعة المحاصيل دون تربة ذلك ان الاسلوب الجديد يعدها بتحقيق انجازات زراعية بارزة ، بعد أن سلمت أجيال من اليابانيين باستحالة تحقيق مثل هذه الانجازات نتيجة للافتقار الى الارض،

وهكذا تكدح اليابان اليوم فى الاعداد لثورة تقلب اوضاع الزراعة التقليدية مع بداية القرن القادم اعتمادا على اسلوب الزراعة بدون تربة التى لا يعدم رواده سلبيات الزراعة التقليدية تعزز منطقهم ، وتدور حول تدهور خصوبة التربة (وبالتالى انتاجيتها) على الرغم من الجهود الضخمة التى تبذل لرفد هذه الخصوبة بالاسمدة الكيماوية •

وخلال السنوات الخمس الاخيرة ازداد عدد نظم الزراعة بدون تربة فى اليابان حتى ناهز عشرين نظاما ، وبينت انه يلائم على نحو اكبر الزراعات التى تجرى فى صوبات من البلاستيك ، يجرى التحكم فى درجة وكثافة محاليل الاسمدة فيها عن طريق انواع صغيرة من الحاسبات الالكترونية •

الزراعة على سطح بدون تربه



وجدير بالذكر ان العالم المصرى صلاح البربرى حصل على الميدالية الذهبية الخاصة بمعرض الابتكار الدولى الخامس عشر الذى شهدته مدينة جنيف أخيرا ، وذلك عن ابتكار مادة « بربرى بلانت » التى تستخدم فى زراعة جميع انواع النباتات بدون تربة هذا وقد منحته المنظمة العالمية للملكية الفكرية الميدالية الذهبية المخصصة لافضل مارضى العالم الثالث .. فهل يجد الاسلوب الزراعى الجديد طريقه (الى الحلول المختلفة)لمواجهة المشكلات الزراعية ، ومشكلة توفير الغذاء فى مصر ؟

● عقد ايجار الرحم

هل يمكن النظر الى الرحم على انه حيز قابل للتأجير ؟ وهل يمكن النظر الى عقد ايجار مثل هذا الحيز على أنه واجب التنفيذ ؟ .. هذه عينه من الاسئلة التى تناقش على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الامريكية اليوم . بعد ان حكم احد القضاة بتنفيذ واحد من هذه العقود كان الخلاف حوله قد اثار اكبر ضجة اعلامية حول قضية الامومة بالوكالة (انظر « الهلال » مارس ــ ٨٧)

وترجع حملة التساؤلات الراهنة الى عدم وجود تشريعات تنظيم عملية تأجير الارحام ، على الرغم من ولادة ما يقرب من مائة طفل سنويا بهذه الطريقة . والعقد النمطى الذى يستخدم فى مثل هذه الممارسات لا يهتم بأى حقوق للام بالوكالة (الو لدة) قدر ما يهتم بالقيود الواجب ان تراعيها مثل الامتناع عن اللقاءات الزوجية حول فترة الاخصاب ، والامتناع عن التدخين ، وعن تناول الكحول والعقاقير . هذا كما يحظر (العقد) على المرأة اجراء عملية اجهاض دون موافقة الاب ، الا فى حالات نادرة ، ويتجاهل المشكلات المعنوية التى يمكن أن تعانيها «الام» والتى اكدتها شكاوى بعض الامهات اللاتى مررن بهذه التجربة ، والتى تدور حول اكتشافهن ــ بعد الوضع ــ ان عاطفة الامومة لا تقدر بثمن ، وانهن غير قادرات على تحمل فراق اولادهن ..

وتختلف وجهات النظر كثيرا حول القضية المطروحة .. فيرى البعض ضرورة فرض حظر على هذه الممارسة الشاذة،التى تحول شيئا خاصاجداالى تجارة ، ناهيك عن كونها مجال خصب للاستغلال والاسى والاحزان . وهؤلاء يستندون فى مواقفهم الى مبررات اهمها أن التلقيح الصناعى خارج الزواج هو خرق للرابطة المعنوية والبيولوجية للاسرة ، وان الامومة بالوكالة تعامل الطفل كسلعة والمرأة كمصنع للاطفال . وموافقة الام على دور المصنع لا تبرر اخلاقيا اعتبار الاطفال سلعا يمكن التصرف فيها بالبيع والشراء ..

ويعارض هؤلاء تقنين ممارسة تأجير الارحام لانه سيكون بمثابة اعتراف بكونها ممارسة صحيحة وبمشروعية بيع الانسان بالتقطاعى ذلك الى ان هذه الممارسة تثير اشكاليات عويصة ، ليس اهونها رغبة العزاب فى « امتلاك » أطفال ، والازواج الاثرياء فى تأجير ارحام نساء فقيرات لتجنيب نسائهن متاعب الحمل او الانقطاع عن ممارسة المهن التى يمارسنها .

وعلى الجانب الاخر يقف من يرون ضرورة تقنين الامومة بالتبنى ، لان حظرها لن يؤدى الا الى ازدهار ممارستها فى « السوق السوداء » بالاضافة الى انه لا ينبغى سد طاقة

العالم غدا

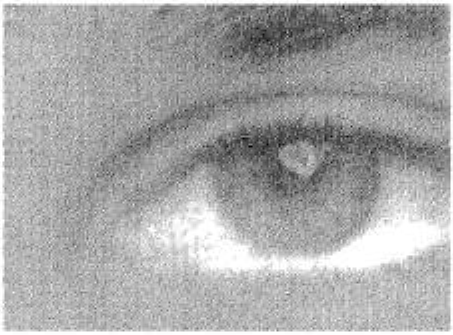
الامل التى التمعت امام ١٥٪ من الامريكيين اللذين يعانون مشاكل فى الانجاب ••

• لحام شبكية العين بالصمغ •

تمكن فريق من الاطباء الامريكيين برئاسة البروفيسور بروكس ماكوين استاذ امراض العيون فى جامعة ميول ، من التوصل الى طريقة جديدة لرتق الانفصال فى شبكية العين ••

والمعروف أن انفصال الشبكية هو احد الاسباب الشائعة لفقدان البصر، لان الشبكية تمثل مجموعة الخلايا الحساسة للضوء فى مؤخرة العين .

وتتلخص الطريقة الجديدة فى لصق الشبكية بالصمغ العادى ، وتستخدم فى ذلك اداة تشبه القلم الحبر الذى



يعبأ الصمغ فى خزانته حتى لايتعرض للبلل قبل أن يوضع خلف الشبكية للصقها . ويخلط الصمغ المستخدم بمادة تبطىء عمله قليلا ، حتى يتمكن الجراح من ابعاد الاداة قبل ان يجف الصمغ ، ويلتصق طرفها بالعين .

وقد بينت النتائج تفوق هذا الاسلوب فى لصق الشبكية على الاساليب الاخرى التى تستخدم تكنولوجيا الليزر والتجميد . ولا تستغرق العملية اكثر من ثوان وليس لها اى اثار جانبية .

واستخدم الصمغ بالفعل فى علاج شبكية عشرات الاشخاص الذين لم تستجب حالاتهم للاساليب الاخرى (كالليزر والتجميد) وبينهم عدد ممن فقدوا الابصار باحدى العينين . ولولا نجاح عملية لصق الشبكية بالصمغ لفقد الابصار بالعين الثانية.

• سراب الحشرات الكونية الجديدة •

منذ ايام الحرب العالمية الثانية والحديث عن الاطباق الطائرة لا يغيب فترة الا ليعود من جديد •• وبعد ان هدأت الانباء التى تواترت حول ظهور مثل هذه الاطباق فى منطقة الخليج (ابان تزايد النشاط العسكرى فيها) تصاعد الحديث عن هذه الاجسام الغريبة اخيرا ، بعد رصد افراد طاقم احدى طائرات الشحن اليابانية لما ظنوه بمجموعة من الاطباق الطائرة ••

كانت الطائرة اليابانية تقوم برحلة اعتيادية بين ريكيافيك (ايسلندا) وانكوراج (الاسكا) حينما اقترب منها جسم غريب يناهز حجمه ضعف حجم طائرة الجامبو •• وظل الجسم يتابع الطائرة ما يقرب من نصف ساعة ، يصحبه جسمان اصغر،

تنبعث منهما أضواء مختلفة الالوان ، كما هى الحال مع الجسم الكبير ..

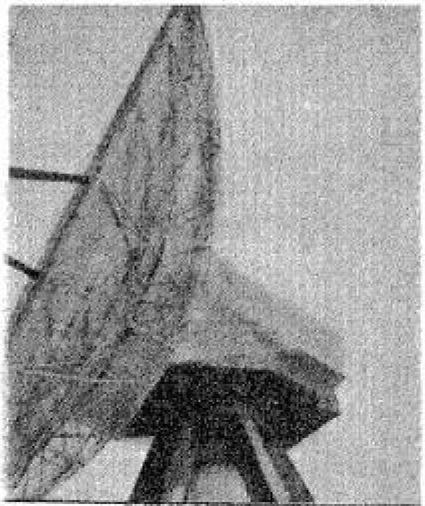
وقد اتاحت هذه المتابعة الطويلة لطاقم الطائرة فرصة ابلاغ محطة المراقبة الارضية ، التى ايدت ماشاهده الطاقم ، بل وابلغت قائد الطائرة بأن الاجسام التى يذكرها تظهر على شاشة الرادار ايضا ، واستجابت لطلب طاقم الطائرة تغيير ارتفاع التحليق ، فى محاولة للابتعاد عن هذه الاجسام ، التى غيرت ارتفاعها فى اثرهم ..

وجاءت نهاية هذه المطاردة المثيرة عندما شرعت الطائرة فى الهبوط حين بلغت انكوراج ، اذا اختفت الاجسام الغريبة بسرعة مذهلة .

وعند مراجعة اشرطة الرادار ، التى تسجل كل ما يظهر على شاشتها ، اتضح انها لم تسجل شيئا عن هذه الاجسام . هذا كما اثبتت الفحوص الطبية والنفسية التى اجريت لطاقم الطائرة ان افراده يتمتعون بكامل وعيهم وصحتهم ، ناهيك عن خلو تاريخ خدمتهم من امثى تعلق بالغرائب .

ويربط الناس عادة بين مثل هذه المشاهدات وبين وجود عوالم وحضارات كونية اخرى ، نجحت فى صناعتها وارسالها الى مجموعتنا الشمسية على بعد مئات والاف من السنين الضوئية ، وبالتالى لابد وان تكون اكثر تقدما بما لا يقاس مقارنة بحضارتنا الارضية ، التى لم تفلح فى حمل الانسان بعد ، الى ما هو ابعد من القمر (اقل من ثانيتين ضوئيتين) .

لكن على الرغم من الاثارة التى ينطوى عليها التفكير فيما تمارسه الحضارات الكونية الاخرى من انشطة «ومغامرات» فان الثابت علميا حتى الان ، بعد دراسات امبيريقية مسهبة لكل الحالات التى دار الحديث حولها واشرفت عليها جهات علمية وعسكرية



الرادار يرصد الاطباق الطائرة

مسئولة فى عدد من الدول المتقدمة تكنولوجيا انما يبدو اجساما غريبة ليس سوى ظواهر ضوئية تحدث فى طبقات الجو العليا ، يتوهم من يراها انها اجسام حقيقية ، على غرار ما يبدو للانسان من سراب فى الصحراء .

ويعزز ذلك فى الحالة التى نقل الحديث عنها طاقم طائرة الشحن اليابانية ان الرحلة كانت تجرى بالقرب من الدائرة القطبية الشمالية ، بما هو معروف عنها من ظواهر ضوئية فريدة مثل الشفق القطبى .

ولا يغير ظهور هذه « الاجسام » على شبكات الرادار من الامر فليست هذه بالمرة الاولى التى ترصد فيها هذه الشبكات بعض « الاوهام » والظواهر البصرية ..

وذلك كله لا ينفى بالطبع امكان وجود حضارات كونية اخرى اكثر تقدما من حضارتنا الارضية ، تسعى الى اللقاء معنا ، كما نحاول ، نحن ان نفعل

رسالة سويسرا

بقلم : جميل عطيه ابراهيم

على مائدة الهندسة الوراثية

اليمين الرجعي واليسار التقدمي ضد أطفال الأنابيب والعبث بالانسان والبيئة

في مدينة بازل السويسرية والتى تعتبر معقل الصناعات الكيميائية والادوية فى وسط اوربا ـ عقد مؤتمر نسائى لمناقشة معطيات الهندسة الوراثية والنتائج المترتبة عليهما وتاثيراتها على المراة خاصة فيما يتعلق بزرع الاجنة خارج الرحم وتأجيره للاغراب والتوسع فيما عرف باطفال الانابيب .

وبعد هذا المؤتمر باقل من ثلاثة اسابيع قدمت مبادرة شعبية الى الحكومة الفيدرالية فى برن وقعت من ١٣٠ الف مواطن ومواطنة لتعديل الدستور ووضع قيود على مجالات البحث العلمى والتوسع فى انتاج أطفال الانابيب .

الهندسة الوراثية ثورة علمية عمرها حديث نسبيا ولا يتعدى عقدين من الزمان ولكن معطياتها على أرض الواقع بعيدا من المعامل أصبحت تشغل قطاعات عريضة من الرأى العام ومن السيدات على وجه الخصوص بالاضافة الى رجال الاجتماع والدين والسياسة وذلك الى جانب أصحاب الشأن أنفسهم من العلماء ومراكز الابحاث ـ ومن نافلة القول هنا الاشارة الى الاطماع التى ترقب بها الشركات الموقف لتغرق العالم بأنواع جديدة من البذور والشتلات النباتية المحسنة وكذلك بأنواع جديدة من الحيوانات تقاوم كل الامراض حتى اذا سارت الفانتازيا الى مداها وقبل أسدال الستار وعدت الشركات بانتاج أصناف محسنة من أطفال الانابيب خالية من الامراض الوراثية والعاهات وتتميز بصفات « السوبرمان »،

وهكذا تختلط الحقائق بالاماني والاوهام في مجال الهندسة الوراثية مع الاعتراف بأن معطيات هذا العلم قد أدت الى ثورة على أرض الواقع ـ ثورة بكل المعايير ليس في مجال المضادات الحيوية التي تقضي على البكتريا ولكن يكفي أن نسمع ان سيدة عرضت تطوعا تأجير رحمها لابنتها العاقر وزوجها لزرع جنين من صلبهما يكبر في بطنها وعند ولادته تسلمه لابنتها من المتلهفة على الانجاب وقد حرمتها الطبيعة من هذا الحق الانثوى لعلة ما .

ولخطورة القضية وللتفرقة بين الحقائق والاحلام ـ اجتمعت ٨٠٠ سيدة للاستماع الى محاضرات من رجال العلم والفلسفة والاخلاق والاطباء في مدينة بازل حول الجوانب المختلفة للموضوع ـ وكان في مقدمة المتحدثين العالم السويسرى فيرنر آربر وهو حاصل على جائزة نوبل في موضوع الهندسة الوراثية وله انجازات في هذا المجال دفعت بهذا العلم الى الامام خطوات في اقل من ١٥ سنة لم يكن يتوقعها أو تخطر على باله عند انجاز مكتشفاته حول الجينات .

● التفرقة بين الحيوان والبكتريا

شرح العالم السويسرى بطريقة مبسطة معطيات الهندسة الوراثية في مجال البكتريا وتلك الكائنات وحيدة الخلية التي تتضمن عددا محدودا من الجينات وبين انه أمكن ادخال تعديلات على الجين الواحد في الخلية فتبدلت أحوال الخلية كما انه أمكن في حالات أخرى ادخال جينات غريبة على الخلية في مجال البكتريا وقد أجريت تجارب مماثلة على الفئران ـ والجين هو الذى يحدد مجموعة من الوظائف تقوم بها الخلية في كل ظرف على حدة بطريقة تلقائية كما ان بعض الجينات تحمل العوامل الوراثية . وادخال جين جديد على خلية يعني خلق نوع آخر لم يكن معروفا .

وقد أوضح الاستاذ فيرنر آربر انه لاسباب تقنية بحتة فليس من المحتمل أو المقدر اجراء مثل هذه التجارب على الانسان وذلك لصعوبة التحكم في النتائج



العالم السويسرى فيرنر الحائز على جائزة نوبل في الهندسة الوراثية

كما أن الانسان وبقية الحيوانات الثديية العليا تتضمن خلاياها العديد من الجينات وليس معروفا على وجه الدقة مواضع تكوينها ـ وأى هجوم على الجينات يعني العبث في طريق غير مأمون العواقب وهو الاخال تطور على الانسان وهو طريق لا تحمد عواقبه لما لا نعرفه يقل كثيرا من المعطيات المتوفرة حاليا .

ويبقى السؤال معلقا بالنسبة الى المستقبل واذا تجاوز العلماء هذه الصعوبات ، ويقول الاستاذ فيرنر آربر وهو واحد من الذين يحق لهم القول في هذا المجال : انه يجب سن التشريعات لتحديد المجالات العلمية التي يجوز التوسع فيها وتلك التي يجب عدم التعرض اليها البتة ومنها ما يتعلق بخلايا الاخصاب في الانسان ، لان هذا العبث يترتب عليه ادخال تغييرات جوهرية على الجنس البشرى فالجينات هي ثروة الانسان من الازمنة الماضية السحيقة وهي التي تمكنه من العبور الى المستقبل .

ويؤكد الاستاذ فيرنر آربر أن مواجهة الامراض الوراثية والعاهات من الاهداف النبيلة ولكن تحقيق ذلك ليس متيسرا

رسالة سويسرا

لاسباب تقنية والتقدم فى هذا المجال سوف يظل محدودا لعقود كثيرة مقبلة .

ولكن اخطر النتائج التى يمكن استخلاصها من كلمات العالم السويسرى انه من الناحية العلمية البحتة اصبح من المتيسر حاليا تغيير جين او عدة جينات فى بويضة او خلية مخصبة لانسان أو ادخال جين غريب عليها واذا كان ليس من المقدور التنبؤ بالنتائج او حصر الاضرار فان امكانات القيام بالتجربة موجودة ومتيسرة وهذا هو الجانب السوداوى فى هذه الفنتازيا او الكوميديا السوداء واذا كان العالم السويسرى قد أعلن فى محاضرته عدة مرات أن هذا ليس مسموحا به من الناحية الاخلاقية وان اما لن تسمح باجراء تجربة نتيجتها أقل من واحد فى المائة فان هذه المحاذير كلها ليست لها قيمة فى عالمنا ففى أماكن عديدة تحت الارض وفى بلدان بعيدة يمكن اجراء مثل هذه التجارب على سبيل ارضاء شهوة البحث ولذة الاكتشاف وذلك اذا اهملنا النزعات العنصرية التى تبيح اجراء تجارب على أجناس اخرى .

ويقول الاستاذ فيرنر اربر أن الانسان عرف تحسين انواع النباتات وعمليات التهجين منذ آلاف السنين نتيجة لمراقبته للطبيعة وهذه العمليات يخرجها من نطاق علم الهندسة الوراثية فهى لا تعدو عملية تزاوج كالتى تحدث بين انواع مختلفة من البشر فاذا تزوج ابيض من بيضاء ربما انجب منها طفلا بنى اللون وهكذا - أما الهندسة الوراثية فتختص بادخال تعديل على جين واحد فى الخلية واذا كان الغرض ادخال عدة تعديلات على جينات مختلفة خرجت التجارب الى علوم أخرى تتعلق بالكيمياء الحيوية وغيرها .

● والنتيجة اعداد تشريعات صارمة

ويرى الاستاذ فيرنر اربر انه توجد ضرورة حاليا لوضع تشريعات تحدد المجالات التى يسمح بالبحث فيها وتلك التى توصد امام مراكز الابحاث ويفسر عدم وجود تشريعات فى هذا الخصوص حتى الان بانه لم تكن هناك حاجة فى الماضى لهذه التشريعات .

ولننتقل خطوة أخرى لمناقشة الموضوع من وجهة نظر استاذة لعلم الاخلاق فى جامعة بازل - فالاستاذة آنا مارى بيبر أصرت على الحديث بصفتها استاذة لعلم الاخلاق وليس بصفتها استاذا لعلم الاخلاق فاكثرت من قولها نحن النساء الذين يقع علينا الغرم فى قضية اطفال الانابيب وتأجير الرحم وحرمان المرأة من الانجاب وسعيها للحصول على طفل بكل الوسائل .

وقد افاضت الاستاذة آنا مارى بيبر فى شرح العنصر الاول المتعلق بالنساء ووضحت انه من وجهة نظر المرأة التى ليس فى مقدورها الحمل لاسباب جسمانية طبيعية توجد مقولتان لهما ثقل اخلاقى بارز ولا يمكن تجاهلهما :

المقولة الاولى :

تقرر انه يجب عدم وقوع ظلم على احد لاسباب طبيعية فامرأة ليس فى مقدورها الانجاب لاسباب جسمانية يقع عليها ظلم لعدم مساواتها بالاخريات اللاتى فى مقدورهن الانجاب - فحق الانجاب حق مقرر للمرأة ولا يجوز حرمانها من هذا الحق - ووفقا لهذه المقولة فانه من حق المرأة اللجوء الى كافة الوسائل المشروعة لازالة الظلم عنها ومساواتها بالاخريات والحصول على طفل من صلبها .

وهكذا تحقق الوسائل الحديثة مثل اطفال الانابيب او تأجير الرحم وسيلة لازالة الظلم عن امرأة محرومة من الانجاب لاسباب خلقية .

المقولة الثانية :

ان هذه الوسائل الحديثة تحقق العدالة

اما العنصر الثانى من المشكلة وهو الرجال فقد اكتفت الاستاذة آنا مارى بيبر بحصرهم فى الزوج أو الصديق أو شخص مجهول ورأت ان هؤلاء جميعا فى مقدورهم الدفاع عن حقوقهم اما العنصر الثالث وهو الجنين فقررت انه يجب الحفاظ على حقوق الجنين لانه ليس فى وضع يتيح له الحفاظ على حقوقه وهذه قضية اخلاقية يجب دراستها اما العنصر الرابع وهم الاطباء فاشارت

الى انه وفقا لقسم الاطباء فانه يتعين عليهم تقديم العون والمساعدة لكل محتاج وفي هذه الحالة المرأة التى فى حاجة الى طفل يتعين على الاطباء تقديم العون لها ٠

أما بالنسبة لعنصرى التقنيات السابقة والتقنيات المستخدمة فانهـا أوردت عـدة مبادىء عامة منها انه وفقا لحرية البحث العلمى فانه يمكن دراسة مجالات بعيـدة تماما عن المشـاكل الاجتماعية او البيئية أو تلبية مصالح الجماهير ولكن عندما يتم فى المعامل تقطيع أوصـال الاجنة للقيام بالتجارب النظرية فان هذا سوف يعيد الى الاذهان قضايا العصور الوسطى ٠

والمبدأ الاخر بشأن التقنيـات تورد الدكتورة آنا مارى بيير انه لا توجد تقنية لم تستخدم ضد الانسـانية فى لحظة ما فجميع التقنيات المفيدة استخدمت ضـد الانسانية وسوف تستخدم ضدها أيضـا مستقبلا ٠

وتشير الى العلاقة بين الابحاث كوسيلة لممارسة السلطة والقوة فى المجتمع وتقول ان التحريم لن يؤدى الى نتائج فى غيبة المعرفة والمسئولية فالعقوبات لن تمنع اساءة استخدام النتائج ٠

وننتقل خطوة اخرى لنستمع الى طبيبة مارست العمل فى هذا المجال ـ وتذكرنا الطبيبة السويسرية باربارا ماسيغى بان اول طفل انابيب ولد فى انجلترا سنة ١٩٧٨ وبعدها انتشرت هذه العمليات وانتقلت الى البلدان المختلفة ٠

وتوضح هذه الطبيبة من واقع تجربتها ان هذه العمليات مرهقة جدا للمـرأة وليست سهلة كما يتصور البعض والسيدة التى تقبل عليها فى حاجة الى تدريب واعداد نفسى تواجهه كل خطوة جديدة وفى حاجه الى الاستعانة باخصائى نفسى ٠

واذا انتقلنا الى وجهـات نظر علمـاء الاجتماع والساسه فنجد وجهات نظـر اخرى فى القضية وانه من نافلة القـول الاشارة الى أن الحصول على طفـل مرتبط بعلاقة جسدية وعاطفية بين شخصين وتقطيع أوصال العلاقة لن يؤدى الى سعادة حقيقية ٠

كما ان هناك علاقة خفية لم يكشف النقاب عنها بين الطفل ورحم امه ولا يمكن الاخذ بمقولة استئجار رحم غريب على قطعة من ارض فضاء ـ كما ان رحم المرأة تحول على أيدى العلماء الى حقل تجارب لاجراء تجارب على الجينات لتحقيق نجاحات علمية ويتعين على المرأة ان توقف هذا الاتجاه الضار ٠

وقد القت مجموعة من التحدثات اللوم على المجتمع الذى ينظر نظرة غير عادله للمرأة المحـرومة من الانجـاب وحـذرت اخريات من الحرب الكيميائيه التى تهدد سلامة العالم نتيجه لتطور الابحاث على الجينات وكذلك من المصالح الماليه للشركة الصناعية التى تسعى لاستثمار نتائج هذه الابحاث ٠

ونتيجة لكل هذه التخوفات فقـد نجحت مجلة « المراقب » الصادرة فى سويسرا الالمانية من صياغة مبـادرة شعبيه لادخال تعديلات على الدسـتور الفيدرالى وقدمت الى السلطات الفيدراليه فى برن فى ١٤ ابريل الحالى بعد ان وقع عليها حوالى ١٣٠ الف مواطـن ومواطنة لطرحتها فى استفتاء عام لوضـع حد فى مجال زراعه الاجنه وتحـديد مجالات البحث فى علوم الهندسه الوراثية خاصة فيما يتعلق بخلايا الاخصـاب فى البشر غير انه من جانب اخر فقـد وجهت انتقادات لهذه المبادرة بدعوى انها جاءت عامة جدا فى المواد التى تطلب ادخالها على الدستور وانها ليست كافية لمواجهة هذه الاخطار ٠

ووفقا للنظم المعمول بها فى سويسرا فقد فتحت هذه المبادرة الباب واسـعا للتقدم بمبادرات شعبية اخرى معارضة او مطالبه بادخال تعديلات عليها ـ ومن الناحية العملية لن يتم البت فيها قبل أربع أو خمس سنوات تعرض فيها القضية على اوسع نطاق على اليمين واليسـار ويمين اليسار ويسار اليمين ورجال الدين والاجتماع ورجال الصناعة والعلماء حتى تقتل بحثا قبل البت فيها ـ وبذلك تكون المبادرة قد ادت الوظيفه الاخلاقيه لها بنقل التخوفات الى جمهور عريض فى مقدوره وضع حد لتجاوزات محتملة مستقبلا وادانة اولئك الذين يسـعون للعبث بالجنس البشرى وذلك على الاقل من الناحيه النظرية ٠

٥ قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

ديون عبد الناصر

بقلم : د. جلال أمين

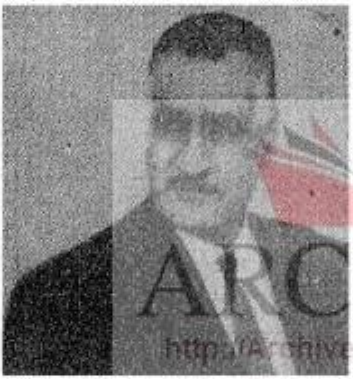
لايعرف التاريخ الاقتصادى نفس الانكسارات الحادة التى يعرفها التاريخ السياسى ، فقد تقوم ثورة تقلب نظام الحكم بين يوم وليلة ويستمر مع ذلك التطور الاقتصادى ، لعدة سنوات بعدها ، بنفس النمط الذى ساد قبلها . وينطبق هذا القول على انفجار ثورة ١٩٥٢ . فتطور مصر الاقتصادى لم يشهد انكسارا فى ١٩٥٢ كالذى شهده النظام السياسى ، بل استمر لنحو أربع سنوات (حتى ١٩٥٦) ، بنفس الملامح الأساسية التى اتسم بها التطور الاقتصادى فى العقد السابق على الثورة .

كذلك فإن تغير شخصية الحاكم لايتطابق دائما مع التغير فى النظام الاقتصادى أو السياسة الاقتصادية . وكثيرا ما يوقعنا هذا فى الخطا ونحن بصدد تقييم تجربة تاريخية معينة ، وقد وقع فيه كثيرون وهم بصدد تقييم التجربة الناصرية ، على الأقل فيما يتعلق بأدائها الاقتصادى ذلك انه حتى إذا جاز اعتبار الحقبة الناصرية من الناحية السياسية ، هى تلك التى بدات بقيام ثورة ١٩٥٢ وانتهت بوفاة عبد الناصر فى ١٩٧٠ ، فإن النظام الاقتصادى الناصرى كان فى الواقع اقصر عمرا بكثير . فأهم الملامح المميزة للناصرية من الناحية الاقتصادية لم تسد فى الواقع إلا فى الفترة الواقعة بين حرب السويس فى ١٩٥٦ وانتهاء الخطة

الخمسية الأولى فى ١٩٦٥ ، اى لفترة لاتزيد على عشر سنوات سبقتها فترة ليست فى الحقيقة إلا امتدادا لسنوات مابعد الحرب العالمية الثانية ، واعقبتها فترة اصيبت خلالها السياسة الاقتصادية بما يشبه الشلل ، واستمرت كذلك حتى الى مابعد وفاة عبد الناصر ببضع سنوات . والوضع هنا يشبه الى حد كبير تجربة النصف الأول من القرن التاسع عشر . فعلى الرغم من أن محمد على قد حكم مصر لفترة تقرب من نصف قرن (١٨٠٥ - ١٨٤٨) فإن أهم الملامح الاقتصادية المميزة لعهد محمد على عما سبقه وما لحقه ، لم تسد فى الواقع اكثر من ربع قرن (١٨١٦ - ١٨٤٠) وهى الفترة التى بدأت ببداية إصلاحاته لنظام الرى وفرض نظام الاحتكار فى الصناعة ، وانتهت بمعاهدة لندن التى اجبرته على التخلى عن نظام الاحتكار .. وكما أن محمد على ظل يعتلى عرش مصر لمدة ثمانى سنوات بعد انكسار تجربته ، فإن عبد الناصر ظل ايضا حاكما لمصر حتى نهاية الستينيات ولكن تجربته الحقيقية كانت قد انتهت قبل ذلك بثلاث سنوات على الأقل .



محمد على



جمال عبد الناصر

استمرت مصر لفترة خمسة عشر عاما أخرى ، تشمل السنوات السبع الأولى من الثورة ، فى غنى عن الديون الخارجية فحتى نهاية ١٩٥٨ ظلت مصر غير مدينة للخارج بشىء . لقد تلقت مصر خلال هذه السنوات السبع بعض المنح والقروض الخارجية ، ولكنها كانت ضئيلة للغاية ولم تترتب عليها اية التزامات ذات شأن بالدفع بالعملات

سبع سنوات بلا ديون :

سبق أن رأينا أن سنة ١٩٤٣ شهدت إسدال الستار على الفصل الأول من قصة مديونية مصر الخارجية ، وهو الفصل الذى بدأ فى مطلع الستينيات من القرن الماضى وانتهى بتحويل الديون الخارجية الى دين محلى .

الأجنبية . فالمساعدات الأمريكية لمصر خلال سنوات الثورة الأولى كانت إما معونات فنية فى صورة منح لاترد (برنامج النقطة الرابعة) ، او معونات غذائية طبقا للقانون الأمريكي المعروف برقم ٤٨٠ . وهذه كانت تقدم في صورة قروض تسدد بالعملة المصرية ، ومن ثم لم تترتب أية التزامات على مصر بالعملات الأجنبية . وعلى اية حال فإن مصر لم تتلق من هذه المعونات الغذائية خلال تلك الفترة الا ما قيمته ١٧ مليون دولار وفي سنة واحدة هي ١٩٥٦/٥٥ ، ولم تستأنف بعد ذلك الا في ١٩٥٩/٥٨[١] وفيما عدا هذا عقدت مصر خلال هذه الفترة قرضين مع الاتحاد السوفييتي لتمويل السد العالى (قيمتهما ١٧٠ ، و٩٧ مليون دولار على التوالى) واتفاقا مع المانيا الغربية للتعاون الاقتصادى قيمته ١٢٤ مليون دولار ، ولكن لم تسحب مصر اى مبلغ طبقا لهذه الاتفاقيات الثلاث حتى آخر ١٩٥٨[٢] .

ليس من الصعب تفسير استغناء مصر عن الاستدانة خلال السنوات السبع الأولى للثورة . فمن ناحية كانت لاتزال لدى مصر أرصدتها الاسترلينية المستحقة على بريطانيا ، فضلا عما كانت قد تلقته مصر منها قبيل الثورة ولم تنفقه فاضافته الى احتياطياتها . ومن ناحية اخرى كانت جهود التنمية في ذلك الوقت متواضعة للغاية إذ كانت حكومة الثورة مازالت منشغلة بتثبيت أسس النظام الجديد وتقليم أظافر القوى السياسية القديمة فضلا عن تحقيق الجلاء ، كما كانت لاتزال تؤمن بإمكان الاعتماد على الاستثمارات الخاصة ، الوطنية والأجنبية ، لتحقيق التنمية ، فلم يشكل الاستثمار العام عبئا ملحوظا على ميزان المدفوعات فى الوقت الذى أحجم فيه رأس المال الوطنى والأجنبى عن الاستثمار حتى تتبين له اتجاهات السياسة الاقتصادية للنظام الجديد ، فلم يشكل الاستثمار الخاص بدوره عبئا على موارد مصر من العملات الأجنبية وهكذا نجد ان إجمالي قيمة الواردات السلعية لم يزد خلال هذه الفترة إلا زيادة طفيفة للغاية (بما لايزيد على ٥٪ فيما بين ٥٢ ,١٩٥٨) وأن متوسط العجز في ميزان المعاملات الجارية في ٥٧ ـ ١٩٥٨ كان اقل مما كان في ٥١ ـ ١٩٥٢[٣] .

● وسبع سنوات من التنمية :

على أن صورة ميزان المدفوعات المصرى ومديونية مصر الخارجية تغيرتا تغيرا شاملا خلال السنوات السبع التالية (٥٩ ـ ١٩٦٥) وهي كما ذكرنا اكثر سنوات الثورة تمثيلا للنظام الاقتصادى الناصرى ، إن اغلب ما يقترن في أذهاننا بالانجازات الناصرية في المجال الاقتصادى إنما يعود الى هذه الفترة . فهذه هي سنوات التنمية بالغة الطموح ، والارتفاع الملحوظ في معدلات الاستثمار ، وفي متوسط الدخل على الرغم من الزيادة السريعة في السكان ، والتغير الواضح في هيكل الاقتصاد ومعدل التصنيع . وهي ايضا

الفترة التى شهدت تجربة مصر الوحيدة فى التخطيط الشامل وفى التدخل الجدى لاعادة توزيع الدخل ففى هذه الفترة ارتفع معدل الاستثمار من ١٢,٥٪ من الناتج المحلى الاجمالى (٥٩/٦٠) الى ١٧,٨٪ (٦٤/١٩٦٥) ومن ثم حقق الاقتصاد القومى نموا حقيقيا زاد على ٦٪ وارتفع مستوى الدخل الحقيقى للفرد باكثر من ٣٪ سنويا، بعد ركود فى متوسط الدخل استمر، كما سبق أن اشرنا، اكثر من اربعين عاما. وقد حظيت الصناعة والكهرباء باكبر نصيب فى الاستثمارات (نحو الثلث) فنما الناتج الصناعى بمعدل ٨,٥٪ سنويا والكهرباء بمعدل ١٩٪. ومع ذلك فاق معدل نمو الزراعة ايضا (٣,٣٪) بدرجة ملحوظة، ومعدل النمو فى السكان (٢,٨٪)[٤].

ادى ذلك الى أن أصبحت صورة الهيكل الاقتصادى فى نهاية سنوات الخطة مختلفة بشكل ملحوظ عما كانت فى بدايتها، فارتفع نصيب الصناعة والكهرباءفى الناتج المحلى الاجمالى من ١٧٪ فى ١٩٥٨ الى ٢٣٪ فى ١٩٦٥، وزاد نصيب الصناعة فى الصادرات من ١٨٪ الى ٢٥٪[٥]. وإذا كان نصيب الصناعة فى إجمالى العمالة لم يرتفع بنفس الدرجة فإن العمالة الصناعية قد زادت خلال هذه الفترة باكثر من ضعف الزيادة فى إجمالى القوة العاملة[٦]، وهو مالم يعرفه الاقتصاد المصرى منذ أيام محمد على.

واقترن كل ذلك بتحسن ملحوظ فى نمط توزيع الدخل، فارتفع نصيب الأجور الزراعية فى اجمالى الدخل الزراعى من ٢٥٪ فى بداية الخطة الى ٣٢٪ فى نهايتها، ونصيب الأجور الصناعية فى إجمالى الدخل الصناعى من ٢٧,٥٪ الى ٣٣,٤٪. وزاد متوسط الأجر الحقيقى فى الزراعة والصناعة بنسبة ٣٤٪ و ١٢٪ على التوالى خلال نفس الفترة[٧]

● زيادة العبء على ميـزان المدفوعات

لم يكن غريبا ان يترتب على كل هذا أن يزيد العبء الملقى على ميزان المدفوعات وأن تظهر الحاجة الى الاستدانة، بل الغريب ان يكون قد تم إنجاز كل ذلك دون تدهور اكبر بكثير مما حدث بالفعل فى ميزان المدفوعات، ودون تورط اكبر بكثير فى الديون. كان من الطبيعى أن تؤدى هذه القفزة الكبيرة فى معدل الاستثمار الى زيادة الواردات من السلع الرأسمالية والوسيطة زيادة كبيرة وأن تؤدى إعادة توزيع الدخل إلى زيادة كبيرة ايضا فى استيراد السلع الاستهلاكية فاذا أضفنا الى ذلك الزيادة الملحوظة فى الانفاق الحكومى، وفى الانفاق العسكرى بوجه خاص لتمويل حرب اليمن، كان علينا أن نتوقع زيادة ملحوظة فى عجز ميزان المدفوعات. وبالفعل، بعد ما اتسمت به قيمة الواردات السلعية من ثبات فى السنوات السبع الأولى للثورة، قفز المتوسط السنوى لاجمالى الواردات السلعية من ٥٥٨ مليون دولار فى تلك الفترة الى ٨٢٤ مليون دولار فى الفترة

٥٩ ـ ١٩٦٦ ، أى بزيادة قدرها ٤٨٪ وعلى الرغم من الزيادة الملحوظة فى الصادرات السلفية وفى إيرادات مصر من قناة السويس بعد تأميمها لم تستطع ايرادات مصر من العملات الأجنبية أن تواجه هذه الزيادة الكبيرة فى الاستيراد فزاد عجز ميزان المعاملات الجارية بحيث أصبح (فى ٥٩ ـ ١٩٦٦) نحو ثلاثة أمثال ماكان عليه (فى ٥٢ ـ ١٩٥٨)[٨] .

● دولار الأرصدة الاسترلينية

كان لايزال لدى مصر فى بداية هذه الفترة من الأرصدة الاسترلينية ما تستطيع استخدامه فى مواجهة هذا العجز ، إذ كانت بريطانيا لاتزال مدينة لمصر فى مطلع ١٩٥٩ بمبلغ ٨٠ مليون جنيه استرلينى ، ولكن هذا كان أقل بكثير مما كانت مصر فى حاجة اليه لتمويل استثمارات الخطة والزيادة فى الاستهلاك الخاص والحكومى ، فضلا عما كان على مصر مواجهته من أعباء إضافية خلال تلك الفترة أهمها ما كان عليه دفعه من تعويضات لحملة أسهم قناة السويس المؤممة وغيرها من الممتلكات الأجنبية التى جرى تأميمها فى أعقاب حرب ١٩٥٦ ، فضلا عن التعويضات المستحقة للسودان بسبب إغراق بعض أراضيها الذى ترتب على بناء السد العالى . هذه التعويضات بلغت نحو ٦٧,٥ مليون جنيه استرلينى (٢٧,٥ مليون لمساهمى شركة قناة السويس و ٢٥ مليونا للبريطانيين الذين أممت ممتلكاتهم و ١٥ مليونا للسودان) وذلك دون حساب مادفع من تعويض لرعايا اليونان وفرنسا ولبنان وايطاليا وسويسرا عن ممتلكاتهم المؤممة[٩] فإذا أضفنا الى هذا المبلغ ماقدمته مصر من قروض ومساعدات لبعض الدول العربية والافريقية خلال هذه الفترة (منها ١٠ ملايين جنيه للجزائر و ٦ ملايين لمالى) نجد أنه لاصحة للقول بأن الأرصدة الاسترلينية المتوافرة لمصر خففت عن مصر عبء التنمية بدرجة ملحوظة فالحقيقة أنها لم تساهم فى ذلك الا مساهمة محدودة للغاية إذا أخذنا فى الاعتبار ماكان على مصر دفعه من تعويضات ، وأن إجمالى المتوافر منها فى بداية الخطة كان أقل من نصف حجم الاستثمارات المنفذة فى السنة الأولى وحدها من سنوات الخطة

● كم كان عبء الديون ؟

لم يكن هناك إذن مفر لمصر من أن تلجأ فى هذه الفترة الى الاقتراض . ويقدر الدكتور الجريتلى ما تلقته مصر بالفعل من مساعدات وقروض خلال الفترة الممتدة من يونية ١٩٥٨ الى يونية ١٩٦٥ بما يعادل ٨٠٠ مليون جنيه مصرى منها : ٣٠٠ مليون قيمة المساعدات الغذائية المقدمة من الولايات المتحدة و ٥٠٠ مليون من الاتحاد السوفييتى وغيرها من دول الكتلة الشرقية وبعض الدول الغربية والمؤسسات الدولية[١٠] . بمقارنة هذه الأرقام بأرقام الناتج المحلى وأرقام الاستثمار نجد أن ما حصلت عليه مصر من قروض خلال هذه الفترة كان يمثل

نحو ٥٪ من الناتج المحلى الاجمالى وأنها اعتمدت على الاقتراض فى تمويل نحو ٣٠٪ من إجمالى الاستثمارات . كانت هذه الأرقام تبدو للباحثين فى الاقتصاد المصرى فى منتصف الستينيات ارقاما مزعجة ومدعاة للقلق[١١] ، كما تميل كتابات أكثر حداثة الى الايحاء بأن مصر قد بدأت تتورط فى الديون تورطا خطيرا منذ سنوات الخطة الأولى فيقتطف خالد اكرام فى كتابه الصادر عن البنك الدولى فى ١٩٨٠ عبارة لهانسن تشير الى تزايد التجاء مصر منذ ١٩٦٥/٦٤ الى الاقتراض قصير الأجل باسعار فائدة باهظة « كان من شانها أن تصيب بالدهشة الخديو اسماعيل نفسه »[١٢] ولكن الحقيقة تبدو لنا الآن عكس ذلك تماما . فالذى يبدو لنا الآن ، ونحن ننظر الى تجربة هذه الحقبة من أواخر الثمانينيات ، هو أن لجوء مصر الى الاقتراض فى ذلك الوقت كان مبررا تماما ، ولم يخلق لمصر من الأعباء ماكان يصعب عليها النهوض به مع الاستمرار فى التنمية ، وأن الذى أوقف مسيرة التنمية منذ منتصف الستينيات ليس أعباء المرحلة السابقة ولا أعباء زيادة الاستثمار أو الاستهلاك ، ولا حتى أعباء الانفاق العسكرى ، بل الذى أوقفها هو ما تعرضت له مصر من ضغوط خارجية بدأت منذ السنة الأخيرة للخطة ، وبلغت قمتها بحرب ١٩٦٧ وما ترتب عليها من آثار

ذلك أن معيار الحكم بما إذا كان الاقتراض مبررا أو غير مبرر وما اذا كانت درجة الاستدانة خطيرة أو غير خطيرة ، لايختلف كثيرا فى حالة الدولة عنه فى حالة الفرد . فالعبرة ليست بالضبط بنسبة الاقتراض الى الدخل وإنما هى فى الأساس بمدى القدرة على الوفاء بالدين ، فى فترة معينة معقولة

● استخدامات القروض

فمن ناحية استخدامات القروض لا اظن أن أحدا يمكن أن يجادل فى ان قروض عبد الناصر المدنية قد وجهت بكاملها تقريبا لزيادة قدرة مصر الانتاجية . فقروضه من الكتلة الشرقية ذهبت إما لتمويل مشروعات صناعية أو لتمويل السد العالى . إن الجدل مازال يحتدم بالطبع عما إذا كان نظام عبد الناصر قد « بدد » جزءا كبيرا من الموارد الذاتية والخارجية على صناعات قليلة الكفاءة ، وعما إذا كان مشروع السد العالى قد ولد من الأعباء ماقلل كثيرا من منافعه الصافية . على أن القضية التى نحن بصددها الآن تختلف عن ذلك . فالقضية التى تواجهنا هنا ليست هى ما إذا كانت القروض قد استخدمت أفضل استخدام ممكن بفرض أن تحقيق ذلك كان متاحا أصلا حتى فى أحسن الظروف الداخلية والخارجية ، وإنما هى ما إذا كان العائد الذى تحقق من القروض يفوق تكاليفها . فاذا طرح الأمر على هذا النحو لبدا لنا من شبه المؤكد أن تجربة عبد الناصر فى الالتجاء الى الاقتراض لتمويل التنمية كانت مبررة تماما ، حتى لو ثبت لدينا أن أخطاء معينة قد أرتكبت فى توزيع الاستثمارات . والعبرة على كل حال فى تقييم تجربة ما ليست هى فى القدرة على الدفاع عن كل مشروع استثمارى

على حدة وإثبات كفاءته الاقتصادية ، بل هي النظر الى توجه الاستثمارات بوجه عام ومدى مساهمتها جملة في قدرة الدولة الانتاجية بحيث تتمكن الدولة في فترة زمنية معقولة من سداد ديونها وقد اشرنا منذ قليل الى التغير في هيكل الاقتصاد القومي الذى احرزته التجربة الناصرية في فترة وجيزة نسبيا ، سواء بزيادة نصيب الصناعه في الناتج القومي او في الصادرات ، وهو تغير عجزت مصر عن إحداثه طوال الفترة التالية لعهد محمد على ، وكذلك طوال الفترة التي انقضت منذ انتهاء الخطة الأولى في ١٩٦٥ وحتى اليوم .

بل ليس من التعسف القول بانه حتى التجاء عبد الناصر الى الولايات المتحدة للحصول على معونات غذائية كبيرة كان الى حد كبير اقتراضا انتاجيا وليس اقتراضا استهلاكيا . فمن المتفق عليه انه حتى المواد الغذائية يمكن ان تعتبر سلعا انتاجية إذا استخدمت لتشغيل اعداد اكبر من العمال في اعمال منتجة ولم تستخدم في مجرد رفع مستوى الاستهلاك للعمال المشتغلين بالفعل . وهذا هو بالضبط ماحدث في الفترة التي نحن بصددها ، فقد زاد عدد المشتغلين في هذه الفترة (٥٩/٦٠ - ١٩٦٤/٦٥) بمعدل يفوق بنحو ٥٠٪ معدل الزيادة في القوة العاملة ، وكانت اكبر معدلات النمو في العمالة من نصيب قطاعات التشييد فالكهرباء فالصناعة .

● شروط عملية التنمية

اما من حيث شروط الاقتراض فقد كانت في جملتها من افضل ما حصلت عليه مصر من شروط في تاريخ مديونيتها الخارجية ، إن لم تكن افضلها على الاطلاق فمن ناحية القيود السياسية المرتبطة بالقروض ، كانت هذه الفترة بما اتسمت به من ظروف تـوازن القـوى بين المعسكـرين الرأسمالى والاشتراكي ، هي الفترة الذهبية بالنسبة لمصر ، والعالم الثالث عموما ، من حيث القدرة على الاقتراض من كلا المعسكرين باقل قدر من التضحية بحريتها في التصرف . كانت هذه الفترة من الفترات النادرة ، التي تذكرنا مرة اخرى بالفترة الذهبية من حكم محمد على ، التي قنعت فيها كل من الدولتين العظميين بان تكون الدولة الصغيرة غير خاضعة للقوة العظمى الأخرى ، دون أن تشترط خضوعها لسيطرتها هي كان من الممكن إذن لدولة كمصر ان تتلقى معونـات اقتصادية كبيرة من كلا المعسكرين بمجرد إثبات استقلالها عن المعسكر الآخر ، فتتلقى المعونات الغذائية من الولايات المتحدة وهي في قمة تطبيقها للاجـراءات الاشتـراكيـة ، وتتلقى معونات الاتحاد السوفييتي لبناء السد العـالي والمشروعـات الصنـاعيـة والماركسيون المصريون قابعون في المعتقلات .

واما الشروط الاقتصادية فكانت بالغة اليسر سواء من حيث فترة

السداد أو سعر الفائدة فالقروض السوفييتية كانت تقدم لفترة اثنى عشر عاما وبسعر فائدة لايتجاوز ٢,٥٪ ومعونات الغذاء الامريكية كانت تقدم فى صورة قروض مستحقة الوفاء بالعملة المصرية وعبر فترة ثلاثين عاما ، وبسعر فائدة ٤٪ اما ما يشير إليه خالد إكرام من أسعار الفائدة الباهظة التى اقترضت بها مصر . فهى لاتتعلق إلا بالسنة الاخيرة من سنوات الخطة (١٩٦٥/٦٤) والسنوات الثلاث التالية لها ، ولم تضطر مصر اليها إلا بسبب القطع المفاجىء من جانب الولايات المتحدة لمعوناتها الغذائيه ، وفى وقت كانت مصر فيه تعانى من تعاقب موسمين سيئين من الانتاج الزراعى المنخفض .

إن من الممكن بالطبع ان نعتبر ان مجرد إتجاه عبد الناصر للاعتماد على المعونات الغذائية الأمريكية كان موقفا يتسم بقصر النظر والبعد عن الحكمة ، على أساس أن هذه المعونة كان لابد من اعتبارها من أول الأمر أمرا غير مضمون الاستمرار ، ومرهونا بموقف الولايات المتحدة السياسى من النظام الناصرى ، وأن من قبيل التهور رسم خطة للتنمية على افتراض استمرار هذه المعونة ، هذا النقد ، وإن كان لايخلو من الصحة ، فإنه أقرب الى ذلك النوع من الانتقادات الذى يسهل توجيهه ممن ينظر الى التجربة برمتها بعد انتهائها ، وممن يعرف نهاية القصة ، دون أن يقع عليه عبء المرور بالتجربة نفسها . لم يكن من السهل ، فى اعتقادنا ، ان يتنبأ المرء فى ٥٨ أو ١٩٥٩ ، حينما كان النظام الناصرى يتمتع فى الواقع بتأييد الولايات المتحدة . وحينما بدت الظروف الدولية مواتية للغاية لتدشين تجربة طموح فى التنمية ، بأن توازن القوى الدولية فى منتصف الستينيات سوف يؤدى بالولايات المتحدة الى اتخاذ موقف عدائى تماما من التجربة الناصرية ، ويقترن فى نفس الوقت بإحجام الاتحاد السوفييتى عن تقديم يد العون لمصر بالدرجة المطلوبة لتعويضها عن إيقاف المعونة الأمريكية .

● معادلة عبد الناصر الصعبة

كان من الممكن بالطبع تجنب انتكاس تجربة التنمية . الذى حدث منذ منتصف الستينيات ، لو استمع عبد الناصر لراى فريق من الاقتصاديين المصريين فى نهاية الخمسينيات الذين كانوا يعتبرون اهداف الخطة مفرطة فى طموحها ، فقبل معدلا للتنمية اكثر تواضعا واقل اعتمادا على الموارد الخارجية ، أو لو انه على العكس اختار طريقا أشد تقشفا فلم يسمح بزيادة معدل الاستهلاكين الفردى والحكومى واعتمد على المدخرات المحلية فى تمويل متطلبات الخطة كان الطريق الثالث الذى اختاره عبد الناصر هو التمسك بمعدل طموح للتنمية مع السماح فى نفس الوقت ببعض الزيادة فى مستويات الاستهلاك ، وهو ما سماه فى ذلك الوقت « بالمعادلة الصعبة » من حيث أنه لم يكن فى الواقع يريد التضحية بشىء لابمستوى الاستثمار المرتفع ولا بمستويات الاستهلاك . لا

بالجيل الحاضر ولا بالمستقبل . كان حل المعادلة يكمن فيما توفر لعبد الناصر من موارد خارجية ، وهو حل كان لايخلو بالطبع من مخاطرة ، ولكنها مخاطرة بدت وقت اتخاذ القرار مبررة بسبب توافر الظروف الدولية المواتية . إن من السهل علينا الآن أن نقول إنه كان على عبد الناصر أن يكون فى نهاية الخمسينيات أقل مغامرة واكثر واقعية ، ولكن الواقع هو اننا ، على الرغم من كل ما تعرضت له مصر من مصاعب بعد منتصف الستينيات ، مازلنا حتى اليوم نجنى بعض ثمرات مغامرة عبد الناصر وجسارته ، وان ماتعرض له الاقتصاد المصرى من مصاعب منذ ذلك الوقت لم يكن بالضبط من اثار المغامرة ، بل كان من آثار توقفها ، وأن هذا التوقف لم يكن فى الأساس بسبب قطع المعونات الأمريكية ، التى كان باستطاعة مصر بسهولة التغلب على آثارها ، وإنما كان فى الأساس بسبب حرب ١٩٦٧ التى فرضت على مصر فرضا .

هوامش الدراسه

(1) Amin,G . : Food supply and Economic Development, Cass, London, 1966, p.90

(2) Ikram,K. : Egypt : Economic Management in aPeriod of Transition, John Hopkins University Press, Baltimore, 1980, PP. 343-4

(3) Honsen, B.& Marzouk, G. : Development and Economic Policy in the UAR (Egypt), North- Holland, Amsterdam, 1965,PP. 174& 186-7

(4) Hansen,B. : Planning and Economic Growth in the U.A.R., 1960-5, in Vatikiotis,p (ed.) : Egypt since the revolution, Allenx Unwin, london,1968, pp.31-6.

(5) Mabro,R. : The Egyptian Economy, 1952 - 72, Clarendon Press, Oxford, 1974, pp. 180 & 189

(٦) هانسن ، المرجع السابق ، ص ٣١

(7) Mabro, R. & Radwan, S. : The Industrialization of Egypt, 1939 - 73, Clarendon Press Oxford, p. 179

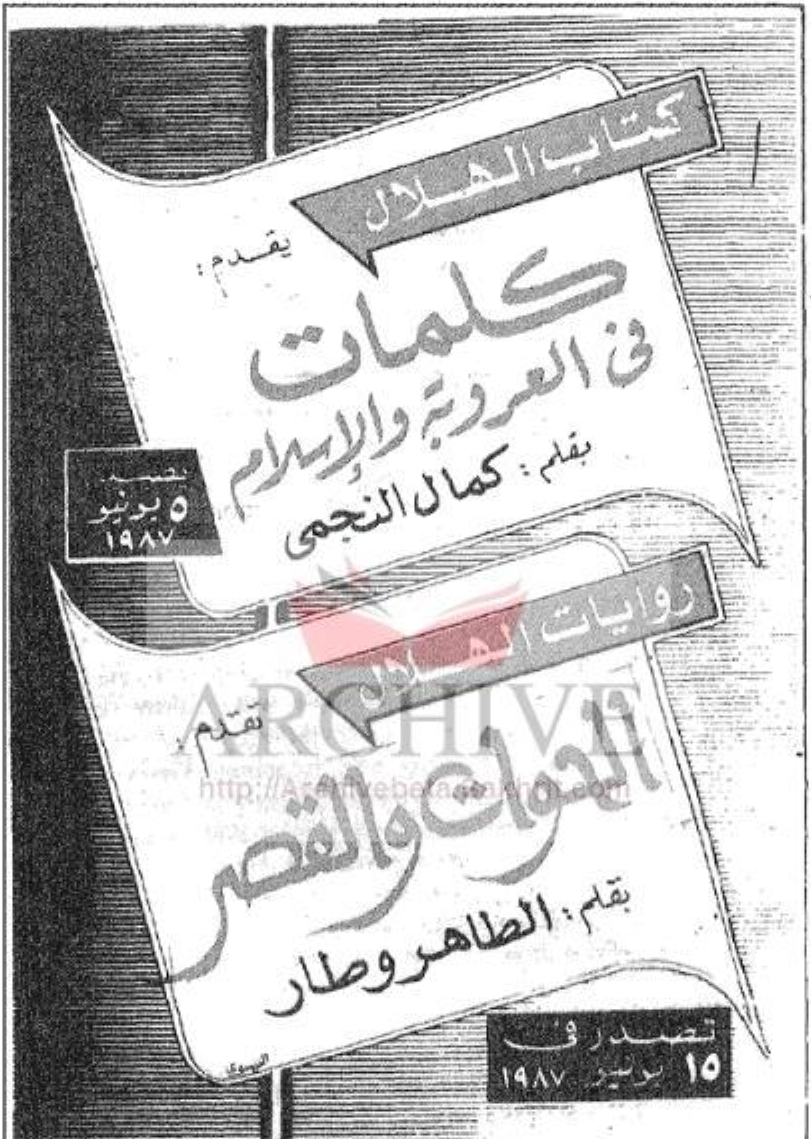
(٨) خالد إكرام ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢

(٩) د . على الجريتلى . التاريخ الاقتصادى للثورة ، ٥٢ ـ ١٩٦٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٨

(١٠) الجريتلى ، نفس المرجع ، ص ١٣٤ .

(١١) انظر مثلا هانسن ، المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٩ .

(١٢) خالد إكرام ، المرجع السابق ، ص ٣٤٤


كتاب الهلال
يقدم:
كلمات في العروبة والإسلام
بقلم: كمال النجمي
٥ يونيو
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم:
الحوات والقصر
بقلم: الطاهر وطار
تصدر في
١٥ يونيو ١٩٨٧

أنت والهلال

رفاعة الطهطاوى وبعثته

● لفت نظرى فى مقال « الشيخ فى باريس » للأستاذ على الشوباشى ، الذى نشر فى عدد ابريل الماضى من « الهلال » أنه ردد القول الشائع عن الرائد العظيم رفاعة رافع الطهطاوى ، من أنه لم يسافر من مصر الى فرنسا فى الأصل بوصفه عضوا فى البعثة ، وانما بوصفه اماما لطلابها ، يعظهم ويرشدهم ويؤمهم فى الصلاة ... وانه ازاء رغبته فى التعلم واجتهاده ، تقرر ضمه الى البعثة !.

وهكذا ردد الكاتب ما ذكره معظم من كتبوا عن رفاعة كانه مسلمة من المسلمات . وهو كلام لا سند له مطلقا من الوثائق التاريخية لعصر محمد على، فضلا عن انه يتنافى ومنطق الاحداث .

وحقيقة ما حدث ان رفاعة عين بالفعل اماما للبعثة العلمية الثانية الى باريس ، بناء على ترشيح أستاذه الشيخ حسن العطار ، ولكنه كان فى الوقت نفسه عضوا دارسا بهذه البعثة .

ان رفاعة نفسه ، وكتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » هو اول المراجع فى هذا الصدد ، يقول فى مستهله : ان خير الامور العلم ، وانه اهم من كل مهم ... سهل لى الدخول فى خدمة صاحب السعادة اولا فى وظيفة واعظ فى العساكر الجهادية . ثم منها الى رتبة مبعوث الى باريس فى صحبة الأفندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون ... » .

وهو يؤكد فى الكتاب ذاته بعد ذلك ان « رؤساء » البعثة ، الذين صحبوها الى باريس ليتولوا شئونها الادارية ، كانوا فى الوقت نفسه يدرسون كسائر الطلاب ، ولم يذكر رفاعة فى كتاب رحلته كلمة واحدة عن عمله فى فى الامامة والوعظ ، مما يؤكد ان ذلك لم يكن سوى مهمة ثانوية . أما مهمته الاولى فكانت الدراسة التى تحدث عنها تفصيلا . وكذلك لم يشر مطلقا الى « تحوله » من امام للبعثة الى واحد من طلابها بقرار من حكومة مصر . مع أن هذه الواقعة اذا صحت لكانت أجدر بالتسجيل من كثير مما أورده فى فى كتابه من دقائق التفصيلات .

ثم ان بدء رفاعة فى تعلم مبادىء اللغة الفرنسية فى مرسيليا مع سائر زملائه لم يكن – كما وهم بعض المؤرخين – مبادرة شخصية منه ، وانما كان جزءا من الخطة الموضوعة لكل أعضاء البعثة . ويؤكد رفاعة هذا اذ يقول : « ولما كانت آمال الوالى متعلقة بتعلمنا عاجلا ورجوعنا الى أوطاننا ابتدأنا فى مرسيليا قبل وصولنا الى باريس وتعلمنا فى نحو ثلاثين يوما التهجى » .

وبما كتبه صالح مجدى ، أول مؤرخ لسيرة رفاعة ، يؤكد ــ على الاقل أن باب الدراسة فى البعثة كان مفتوحا امام كل الملتحقين بها والعاملين فيها ، وان علم رفاعة بذلك قبل سفره هو الذى أغراه بقبول ترشيحه · فهو يقول ان رفاعه كان « رئيس من تعين من افاضل العلماء لوعظ هؤلاء الانجاب ··· وما اختارت نفسه النفيسة البعد عن الاوطان ··· الا لعلمه انه مع القيام بوظيفة الوعظ اذا اجتهد فى الاستحصال على اللغة الفرنساوية ووصل الى درجة مترجم يبرز فيها جلائل الكتب الى اللغة العربية كان فى ذلك النفع للاوطان طول المدى » ·

وتضم القائمة التى اثبتها الامير عمر طوسون نقلا عن الوثائق الرسمية أسماء جميع أعضاء هذه البعثة من المسئولين والدارسين ، وأمام اسم كل عضو « العلم المرسل له » · وتوضح هذه القائمة أن رفاعة أرسل ليتخصص فى الترجمة · بل ان القائمة توضح كذلك أن الازهريين الآخرين الذين صحبوا البعثة ، والذين كان المفروض ان يشاركوا رفاعة فى مهمة الوعظ والامامة ، قد خصصت لهم بعض المواد لدراستها ·

ويؤكد تلك الحقيقة تقرير مسيو جومار عن الحالة العلمية لاعضاء البعثة ، الذى كتبه عام ١٨٢٨ · فقد جاء به : « وممن امتازوا من بين هؤلاء الشبان الشيخ رفاعة الذى أرسل ليحرز فن الترجمة ، وأعد لهذه الوظيفة فى بلاده ، حتى اذا رجع اليها أطلع بترجماته الجمهور المصرى على تاليفنا العلمية ، وأدنى منه ثمرات آدابنا وعلومنا · وقد ابتدأ هذا الشيخ يقوم بتحقيق مقاصد حكومته فترجم عن الفرنسية ·· » ·

ومنطق الاحداث يستبعد ــ من ناحية أخرى ــ أن يكون الشيخ حسن العطار قد اختار رفاعة وزكاه لمحمد على ، لمجرد أن يتولى وظيفة لا تتفق وآمال الاستاذ العريضة فى تلميذه النابغة ، ولا ترضى كذلك طموح هذا الشاب وتطلعاته ، بعد ان طالت صحبته لشيخه المتفتح ، وتاثر الى حد بعيد بأفقه الواسع وافكاره المتقدمة · ان الاقرب الى المنطق ان العطار ، وهو الشيخ الذى كان يدرك انه لن يستطيع ان يحمل اعباء رسالة التغيير الثقافى المأمول (لبلوغه سن الستين فى ذلك الوقت) ، قد اختار رفاعة لكى يتعلم الفرنسية ويقرأ علوم الغرب وينقل منها الى العربية ، حتى يسهم بذلك فى قيادة حركة التنوير ·

ولقد صدقت فراسة الاستاذ الشيخ ، وحقق تلميذه الذى آماله فيه ، وربما بأكبر مما كان يتوقع ·

د· أحمد حسين الصاوى

● قرية الشاعر الجرنوسى ●

● أبعث بتحياتى وتقديرى واعجابى بالجهد الخارق الذى تبذلونه فى الرد على بريد الهلال ، ولقد حدث خطأ مطبعى فى مقال خالد الجرنوسى المنشور فى عدد شهر مايو ١٩٨٦ وهو عن محل ميلاد الشاعر ، فقد ذكر أنه ولد فى

قرية الجرنوس مركز بنى مزار محافظة المنيا ، والصحيح انه ولد فى قرية الجرنوس مركز مغاغة ـ المنيا .

رجب عبد الحكيم بيومى
كلية دار العلوم

• فراق •

أعند الفجر تنتحر الأماني
وبين الزهر تنتحب الأغاني
دعاني للهوى همس رقيق
ولبيت النداء لما دعاني
أتاني بهجة ملأت حياتي
ومن آيات المحبة كم حباني
تدنت لي به دنيا خيالي
وأبرأ لي جراحي بالحنان
وقال لنبق هذا العهد سرا
فما أفشى بسره يوما لساني
وفيت بما أراد وصنت عهدي
فما ذنبي إذن لما سلاني

حسن علي محمد جابر ـ الاسكندرية

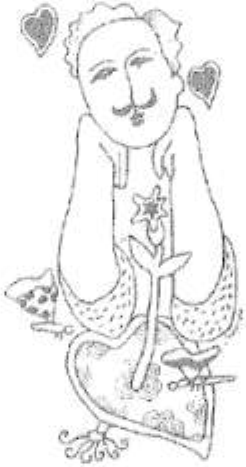
• قالوا .. •

قالوا : تغنى بأشعار منمقة
وعد للحب آمالا الى الابد
ولم يكن خاض للأحكام تجربة
قلت : اصمتوا .. ان قلبي للهوى ويدى
كتمته عنكم والله يعلمه
وعشت أشدو ونار الشوق فى كبدى

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ سوهاج

● شدائد ●

يخيل لي
أن حبك نهر صغير يصب مباشرة
في وريدي
وأنك عالية القدر
مثل السحاب
ومشكلتي انني لا اجيد التسلق
فوق الرعود
وكنت أرى
أن أول طفل وليد سيدخل قلبك
بعد مكالمتي
هو أن تفهمي
غير انك خيبت ظني وظن وليدي
فما كان منا سوى أن نطارد حلما جميلا
نما مثل كل البشائر
فوق دماء الوجود



محمد سعد
قصر ثقافة اسيوط

● مصادفة غريبة ●

● في اليوم الاربعين لوفاة الامام محمد عبده وقف ستة من كبار الادباء على قبره يرثونه ، ومرت الايام بعد هذا الحدث وبدأ الموت يتخطف هؤلاء الادباء واحدا واحدا وكان من بينهم المرحومان حفني ناصف وحافظ ابراهيم وقد مرض المرحوم حفني بعد فترة من التأبين وطاف بذهنه وهو على فراش المرض خاطر غريب : ذلك أنه تأمل الوفيات التي حدثت لهؤلاء الاعلام الادباء فوجدهم قد توفوا على حسب ترتيب القائهم لقصائدهم فمات أول الراثين ثم تلاه التالي في الترتيب وهكذا دونما خلل في هذه القاعدة ، وقد كان ترتيب المرحوم حفني الخامس ، اما السادس فكان المرحوم حافظ ابراهيم ، فكتب حفني الى حافظ أبياتا ضمنها هذه الملحوظة ، وعلى الرغم من أن موضوع الرسالة لم يكن بهيجا فان الابيات لم تخل من خفة روح الشاعر الكبير ، ويبقى أن نعرف بالاربعة الاخرين السابقين فهم : الشيخ أبو خطوة عضو المحكمة العليا الشرعية ، فحسن باشا عاصم ، فحسن باشا عبد الرازق ، فقاسم أمين المستشار

وصاحب كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » واليكم الان تلك الابيات وما بعدها .. قال حفنى ناصف يخاطب حافظ ابراهيم :

اتذكر اذ كنا على القبر ستة
نعدد آثار الامام ونندب .. ؟
وقفنا بترتيب ، وقد دب بيننا
ممات على وفق الرثاء مرتب
« ابو خطوة » ولى ، وقفاه « عاصم »
وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى ، وغابت بعده شمس « قاسم »
وعما قليل نجم محياى يغرب
فلا تخش ملكا ما حييت ، وان امت
فما انت الا خائف تترقب
فخاطر وقع تحت « الترام » ولا تخف
ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء اعزل آمنا
فان المنايا منك تعدو وتهرب

وقد استوعب « حافظ » هذا المعنى فلما دعى لالقاء قصيدة فى حفل تكريم للمرحوم حفنى بمناسبة نقله من « القضاء العالى » الى « المعارف » قال ضمن تلك القصيدة :

وان دعوت لحسى
يوما فاياك اعنى
عمرى بعمرك رهن
فعش اعش الف قرن

وحين وافت المنية المرحوم حفنى - دون خرق للقاعدة - أيقن المرحوم حافظ أن دوره قد حل فهتف قائلا :

آذنت شمس حياتى بالمغيب
ودنا المنهل يانفس فطيبى

رحم الله الجميع ونفعنا بما خلفوه من آثار نافعة ..

احمد قاسم احمد
قنا

● تعليق :

● ورد اسم الاستاذ أحمد قاسم احمد في كلمة سابقة له بالهلال عن حفني ناصف ، منسوبا الى « أمين » لا الى « أحمد » فصار حانه حفيد المرحوم قاسم أمين « محرر المرأة » •• فنعتذر الى الاستاذ احمد قاسم احمد من الخطأ المطبعي الذى جعل اسمه في بطاقته الادبية : أحمد قاسم أمين وان كان أحمد هو الامين ، والامين هو أحمد !••

● البداية ●

صحا القلب عن ليلي وأفكارها الخضر
وتبدلت سحب الحداثة بالفكر

بالنور بالأمل المكلل جبهتي ••
بالسحر ، بالالهام في رقة الفجر

فهمنا بوديان التصافي والرضا
قلبا الى قلب يحن ولا يدرى

تخليت عن اسمي ورسمي وهيباتي
ولم أعترف الا بالحاظها السمر

أبو بكر محمد محمد حسانين
مدرس اللغة الانجليزية بمدرسة أبو تشت الاعدادية

● تعليق :

ـــ اجتزانا من قصيدتك التي تبلغ اثنى عشر بيتا هذه الأبيات الاربعة التي تدل على سائر أبيات القصيدة •• والواضح انك أردت أن تنظم القصيدة غزل من بحر الطويل ولكن لم يسعفك الوزن الا في الشطرة الاولى من البيت الاول ، ثم في البيت الرابع ، ثم في ثلاثة أبيات لم نذكرها هنا ، فمجموع أبياتك الموزونة أربعة أبيات ونصف بيت من الابيات الاثنى عشر • وليس هذا بالقليل وأنت مدرس لغة انجليزية لا عربية ، وقد رأينا بعض مدرسي اللغة العربية في أيامنا لا يقيمون الكلام المنثور بنحوه وصرفه ، أما المنظوم فلا شأن لهم به •• نرجو أن تستمر في النظم حتى تستقيم أوزانك ••

أنت والهلال

الاصباغ

طوفت في الآفاق التمس الكرائم في الحصون
اجرى وأبحث خلف أهداب العيون عن العيون
وأمام أصباغ الوجوه تدافعت حولي الظنون
فتشت في الاثواب والالوان عن قلب حنون
عن جوهر الانسان يلمع تحت اقنعة الدهون
عن حلوة الاعماق لا تطوى محاسنها السنون
فازيد في عمري بها عمرا ، وتمتد الغصون
عن ابنة الخنساء شامخة على فرس حرون
لكنني ان عدت مخذولا ، ومحتقن الجفون
لن استنيم فلي يدى وعد تعززه القرون

محيي الدين عطية ــ الكويت

مع الاصدقاء

● علي زكي ناصر ــ لبنان :

ــ نشكركم على هذا الكشكول من الملاحظات والنقدات والاشعار الذي أرسلته الينا ، الا أن كثيرا من « الاغلاط » التي ذكرتموها هي أغلاط مطبعية يعرفها القارىء بفطنته ولكنكم أمسكتم بها وأسهبتم في نقدها .. وبخاصة الاغلاط المطبعية في القصائد .. ونحيي فيك كفاحك فانت ــ كما تقول ــ تعمل نجار أسمنت في النهار وطالبا في الليل . وتقول انك دخلت الجامعة لتتعلم طريقة كتابة البحث الادبي ، ولو كان البحث الادبي يتعلمونه حقا في الجامعة ، لكان عندنا في مصر الآن مائة الف اديب وباحث أدبي تخرجوا في الكليات .. وأما شروحك الطويلة في العروض والقافية فقد استمتعنا بقراءتها الا أنها عندنا تحصيل حاصل ، أما المقال الافتتاحي في الهلال فليس وقفا على احد ، بل يجيء على حسب المناسبات .. ولسنا معك في ضيقك بمقالات الموسيقى والغناء، فهي ليست عن الغناء والموسيقى فقط ، بل عن الادب والتاريخ والسياسة ايضا ، وواضح أنك لم تستطع أن تستوعب منها هذا المعنى ، ويدهشنا أن تكتب الينا هذه الكمية الهائلة من الصفحات !.. من أين جئت بالوقت وأنت في الصبح نجار ، وبعد الظهر ، الى منتصف الليل ، تلميذ؟..

● محمود أحمد المصلى ـ قربين :

ـــ زجلكم لا بأس به ولكنا ننشر الشعر الفصيح فقط ، وقد نبهنا الى ذلك مرارا وتكرارا ٠

● خالد سعد الدين محمد الصغير ـ بولاق الدكرور :

ـــ سبق أن نبهنا الى أن كلمة « الراسل » خطأ وأن الصواب « المرسل » فلا تكتبها مرة أخرى ، أما شعركم فلا ينقصه الوزن ، ولكن لغته تحتاج الى مراجعة ٠٠

● محمد ناصر بوحجام ـ القوارة ـ الجزائر :

ـــ نشكركم على حسن ظنكم ، ونعتذر اليكم من عدم استطاعتنا نشر مقالكم لضيق المقام ٠٠

● رجب عبد الحكيم بيومي الخولي ـ كلية دار العلوم :

ـــ كلمتكم عن نزار قباني لا جديد فيها ٠٠ حاول أن تنبش عن الادباء والشعراء الذين لم ينالوا حقهم من التعريف ٠٠

● طارق صلاح الدين بنداري ـ مساكن الاميرية القديمة ـ القاهرة :

ـــ قصيدتك التي أولها : « يا يوم القاها تعال ففى فؤادى عاصف » لا ينقصها الوزن ، ولكن فيها بعض الهنات النحوية واللغوية ٠ نتمنى لكم مزيدا من التقدم ٠٠

● حسن عثمان هلال ـ الخرطوم :

ـــ تقول فى مطلع قصيدتك : « فى داخل قلب نشوان ، ينام حبيبين غريبان » ٠٠ وهذا مطلع غير صحيح اللغة مع الاسف ، فان حبيبين صحتها « حبيبان » لانها « فاعل » ٠٠ وهذا شىء يعرفه أبناؤنا فى المدارس الابتدائية٠٠ وبقية قصيدتك تجرى هذا المجرى من الخطأ اللغوى والنحوى ، فضلا عن الاوزان التى يصعب العثور على شىء صحيح منها فى قصيدتك التى هى فى الواقع نثر ! ٠٠

● السادة : موسى محمد هلفو ٠٠ محمد جمال شحاته ٠٠ السيد سعد الجزايرلي :

ـــ قصائدكم ينقصها الوزن ، وليس معنى ذلك أنها مختلة الاوزان من ألفها الى يائها ، ولكن الاوزان المكسورة غالبة عليها مع الأسف !٠٠

● السادة : سعيد بكر ٠٠ عبد المطلب عامر علي ٠٠ محمد محمود بخيت :

ـ قصصكم جهد مشكور فى فن القصة ، ونعتذر من عدم تمكننا من النشر لضيق المجال كما ترون !٠٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . س	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			



٦٠
رحلة أسبوعيا الى
أمريكا
وأوروبا
٨٦
رحلة أسبوعيا إلى
٣٠
رحلة أسبوعيا الى
أفريقيا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..

الهلال

- التعليم المصرى على قمة الهاوية
- تسلل الأوربيين إلى مصر
- طائرة الميدان الأحمر

لإرهاب.. إلى أين ؟!





الهلال

السنة الرابعة والتسعون

من روائع الفن الإسلامى

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ أول يوليو ١٩٨٧ م - ٥ ذو القعدة ١٤٠٧ هـ

لوحة من الفن الإسلامى تعود الى عام ١١٩٩ م تمثل أنواع العلاج الطبى الذى كان يمارسها العرب فى تلك الاونة .. وفى الهلال الذى بمركز الصورة تظهر اهم انواع العلاجات.

واللوحة مرسومة فى شمال العراق ويغلب عليها عنصر الحركة



الغلاف : لوحة للفنان
حلمى التونى

ص

● فكر وثقافة ●

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

عزيزى القارئ

الإرهاب لايلد أفكاراً!

لم يحدث فى تاريخ مصر الحديث كله ، من عهد محمد على باشا الى ايامنا هذه ، عدوان بالاسلحة النارية على اديب او شاعر او مفكر او صحفى .. حتى فوجئت مصر كلها فى الشهر الماضى باطلاق رصاص المدفع الرشاش على زميلنا الأستاذ مكرم محمد احمد .. فهذه هى الحادثة الأولى من نوعها فى تاريخ مصر الحديثة .

وقبل هذه الحادثة كان ثمة دستور غير مكتوب بين جميع اهل الرأى من اقصى اليمين الى الوسط .. الى اقصى اليسار ، الى مابين هؤلاء واولئك من آراء متعددة متناقضة .. وكان هذا الدستور يقول لجميع اصحاب الرأى : ان الحقيقة لاتظهر ولاتنتصر الا بجدال حر بين الآراء المختلفة ، وبانتقاد متبادل بين الاقلام والأفكار ، فهذا الطريق دون غيره من الطرق هو الذى يتيح للانسان المصرى والعربى ، مسلما كان او غير مسلم ، ان يطلع على التيارات الفكرية التى تزحم كوكبنا هذا الصغير الذى اصبح على مشارف القرن الواحد والعشرين اشبه بقرية صغيرة يعرف الناس فيها بعضهم بعضا ، وتتشابك مصالحهم ، كما تتشابك مصالح اهل القرية الصغيرة الذين تجمع بينهم الانساب والارحام !

إن جدال الافكار المتباينة ، بل والمتناحرة ، ينبغى ان يكون جدالا حرا متكافئا يحقق مصلحة الانسان العربى والمسلم فى عالمنا هذا المعاصر الصغير الممتلىء بالأخطار والاحتمالات المثيرة .

ويصبح الانسان العربي والمسلم في مهب الرياح العاصفة القاتلة ، اذا حاولت جماعة من الجماعات ، تحت أى شعار من الشعارات ، وبانتحال أى هدف من الاهداف ، ان تقف حجر عثرة في طريق الجدال والنضال الحر بين الاراء ، والمساعي المختلفة في السياسة والادب والفلسفة والاجتماع وكل معقول ومنقول مما يتجادل حوله الناس في عالمنا المعاصر المزدحم بالمذاهب السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية .

ان الامم المتقدمة تزحف الآن نحو القرن الحادى والعشرين وملء ايديها خطط لمواصلة تطورها خلال مائة سنة أو اكثر ، فهل يفيدنا في اللحاق بهذه الأمم ان نتجادل بالرصاص وان يكون الرأى الصحيح عندنا هو الرأى الذى يملك مدفعا رشاشا وسيارة ذات ارقام مزورة ؟!

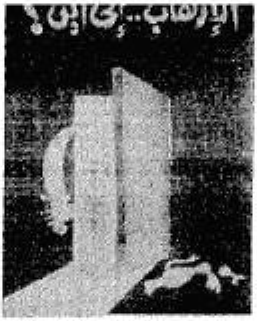
اننا من منظور مهمتنا وعملنا كمجلة ثقافية تخاطب عقل الانسان العربي والمسلم المعاصر ، نرى بكل وضوح ان عقل هذا الانسان سوف يتعرض لهزيمة رهيبة في مواجهة تيارات عصرنا وعواصفه ، وسوف يجد نفسه مغلوبا على امره ، عاريا من كل وسيلة تحفظ عليه وجوده في العالم المعاصر الذى لايستطيع ان يبقى فيه الا من يمتلكون ناصية التقدم والتفكير الصحيح .

نحن نرى بوضوح تام هذا المصير الاليم للانسان العربي والمسلم ، اذا استبدل براسه المفكر مدفعا رشاشا لايعرف التفكير .. فان ظهور المدفع الرشاش بديلا من راس الانسان ، يلغي اول مايلغي انسانية هذا الانسان ويجعله اقل درجة من ذوات الأنياب والمخالب في الغابات لأن الارهاب لايلد افكارا ..

ان مجلة الهلال تصدر منذ بضعة وتسعين عاما ، وهذه هي أول مرة تضطر فيها الى كتابة افتتاحيتها عن الارهاب الذى يهدد اصحاب الاقلام والآراء .. فلم يحدث قط طوال هذا التاريخ الطويل ان اطلقت جماعة ارهابية رصاصها على مفكر او كاتب او صحفي ، برغم الاختلافات التى لم تنقطع يوما بين الافكار والآراء .

فهل يعني هذا ان مجتمعنا قد تقدم بضعة وتسعين عاما ـ منذ صدور الهلال ـ أم ان مجتمعنا قد تقهقر بضعة وتسعين عاما قبل صدور الهلال .. اى الى عهد ابراهيم بك ومراد بك والبرديسي بك والمماليك العثمانلية » ؟!

ان مجرد اضطرارنا الى طرح هذا السؤال ، يدل على الحال التى صرنا اليها .



بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

الخائفون من الإسلام والخائفون عليه ..

على امتداد العالم الإسلامي من مشرقه الأدنى الى مغربه الأقصى حوار ساخن حول ظاهرة واحدة اوشكت ان تحجب كل ماعداها من قضايا العرب وهموم المسلمين .. ظاهرة ينظر إليها البعض بعين القبول والرضا فيسمونها المد الإسلامي احيانا .. ويطلقون عليها وصف الصحوة الاسلامية تارة اخرى .. وينظر اليها اخرون بعين السخط والبغضاء والقلق فيسمونها « التطرف الدينى » او يطلقون عليها وصف الارهاب الدينى ويرون فيها نذيرا بشر مستطير وخطر داهم يتهدد العباد والبلاد ..

ولو ان اطراف هذا الحوار الدائر التزموا جميعا بادب الحديث وموضوعيته ، واداروه بينهم فى سماحة نفس وعفة لسان وقلم .. واتبعوا فيه منهج العلم المتحرر المترفع فوق المصالح الذاتية والمواقف العارضة .. لو انهم فعلوا ذلك لقلنا ان هذا الحوار لايمكن الا أن يكون باب خير وبشيرا بين يدى اصلاح ورشد .. ولكن الذى نراه من حولنا غير ذلك فقد تحول الحوار الى مبارزات كلامية تصطك فيها الاقلام ويعلو صريرها من فرط الهياج والتوتر .. وتتهدج فيها الاصوات من شدة الانفعال والتاثر وتتداخل فيها اخلاط من الموضوعات واشتات من القضايا .. حتى ليسال المرء نفسه بعد ذلك كله ايصلح هذا اللون من الحوار مدخلا لمواجهة الازمة وعلاج المشكلة ام انه ـ وقد شابته هذه الآفات ـ قد صار مظهرا من مظاهر الازمة وجزءا من اجزاء المشكلة ..

واغرب من ذلك كله واشد اثارة للحيرة .. ان كثيرا من المتحاورين لا يفصحون ابدا عما يريدون .. ولا يعلنون عن حقيقة مواقفهم . والخنادق التي يتخندقون فيها .. وإنما يتخفوا وراء اقنعة يلبسونها .. وحجب للتمويه يستترون وراءها وبذلك تشتد الحيرة بالقارئين والسامعين . ويختلط الامر على المؤيدين والمعارضين .. ولا تتقدم القضية قيد انملة بهذه الاكداس من الصفحات التي تسجل وقائع تلك المبارزات وتلك الالاف من الساعات والايام التي تضيع على الامة كلها وهي مشغولة بهذه المبارزات الكلامية عن كثير من قضاياها الحقيقية والمصيرية ..

تعالوا ننزع الاقنعة

وهذه السطور محاولة لنزع الاقنعة عن وجوه اطراف الحوار وتحديد المواقف الحقيقية لكل منهم .. وتحرير موضوع الخلاف الحاصل بينهم .. ومعرفة الاسباب الحقيقية لهذا الخلاف .. وتنحية الحجج والاسباب غير الحقيقية التي يسوقها المتحاورون تعمية وتمويها .. حتى تخلص لنا صورة صادقة وحقيقية وبسيطة لجوهر هذا الخلاف الدائر حول ظاهرة « المد الاسلامي الجديد » .. ولقد ادت بنا متابعة السيل المنهمر من الكتابات حول هذا الموضوع في صحفنا ومجالسنا وندواتنا الى ان موقفين متميزين بضمان اكثر المشاركين في الحوار الدائر .. الموقف الاول موقف الذين ساء ظنهم باكثر روافد التيار الاسلامي الذي يرونه من حولهم .. واطلعوا من امرها على مايجدون فيه نذيرا بما يوشك ان يفعله ممثلو تلك الروافد اذا آل أمر الناس اليهم . وصار لهم الحل والعقد في امور المجتمع وتنظيمه .. واستقرت بين ايديهم مقاليد السياسة وصولجان الحكم .. وزمام القول فيما يجوز ومالا يجوز .. واكثر المنتمين الى هذا الموقف يعلنون انهم مع الاسلام في صفائه الاصيل ، ونقاوته الاولى ، وسماحته التي لا ينكرها الا جاحد او مكابر .. ولكن اين السبيل الى ذلك كله ..؟ **والاسلام في نهاية الامر ليس الا دعوة ورسالة يحملها رجال امثالنا .. يصيبون ويخطئون .. ويحسنون ويسيئون وبهم تعرف الدنيا الاسلام . ومن خلالهم تتعامل معه .. فاذا كانت الفكرة الغالبة بين ممثلي روافد التيار الاسلامي والمتحدثين باسمه تخطيء** وتسيء وتجور وتظلم .. **فتلك هي الحقيقة** الاجتماعية **الوحيدة التي يتعامل معها** الناس .. **اما المبادىء المطلقة** ، والقيم الكاملة **والمثل** الصالحة فانها تظل نماذج **للخير يهتدي** بها الناس وتتجه **اليها الأجيال** .. يقتربون منها احيانا ويبتعدون عنها اكثر الاحيان .. ومن الدقة في تحديد مخاوف هذا الفريق ان نفرق بين موقفين متميزين يفصل بينهما خيط دقيق ، الاول موقف الذين يسيئون الظن بروافد الحركة الاسلامية .. وينتبهون الى مايحمله امتداد نفوذها وتاثيرها من اخطار دون أن يكون لهم موقف معاد للاسلام او منكر له .. والآخر موقف الذين لهم موقف سابق ، ورؤية قديمة ، وعداء مستحكم للاسلام وللاديان كلها ... وهذا الفريق الاخير يمارس حيلة قبيحة ماكرة حين يزج بنفسه وسط أفراد الفريق الاول ..

الخائفون من الإسلام والخائفون عليه ..

ويستخرج من اعماق نفسه كل ما انطوت عليه من كراهية للدين والمتدينين .. وللاسلام بروافده كلها .. ثم ويسقط ذلك كله على "القضية الماثلة" وهى قضية الممارسات الخاطئة لجماعات وتنظيمات ترفع لواء الاسلام وتصبح بشعاراته .. إن الخطر الحقيقى فى هذا التمويه لا يتمثل فى كذبه وتستره .. وانما يتمثل فى اختلاف الهدف بين الفريقين .. فالذين يعبرون عن مخاوفهم واشفاقهم من سوء فهم بعض المنتمين للجماعات الاسلامية .. وسوء تصرفهم .. وفساد اسلوبهم .. يفعلون ذلك من موقع اسلامي ، وموقف اصلاحى ورغبة صادقة فى الترشيد .. لذلك فانهم ينتقدون بحساب يحذرون وينبهون بمقدار ومعيار .. وقد يذكرون الفضائل والمزايا جنبا الى جنب مع المثالب والنقائص والعيوب .. أما الذين يكتبون ويتكلمون من خندق الرفض المطلق للاسلام أو للأديان فى عمومها .. فإن هدفهم هو اجتثاث "التدين" من جذوره .. والقضاء على التوجه الاسلامى وكل توجه دينى بغض النظر عن ممارسات اتباعه .. لذلك فانهم يسرفون ويبالغون ويجسمون الأخطار .. ويبخسون الناس حقهم .. وقد يتنكرون لمبادىء فى العمل وأساليب فى الحركة نادوا بها وزعموا انهم ملتزمون بها .. ان كل وسيلة عندهم جائزة ومقبولة مادامت تصل بهم فى النهاية الى اخلاء الساحة من هذا الصوت الاسلامى الذى يكرهونه ، ويتمنون زواله ، وتغص بذكره حلوقهم ..

اننا لا نكتب هذه السطور لنعلن رأيا فى هؤلاء الرافضين للاسلام جملة وتفصيلا .. فتلك قضية اخرى .. ولها مقام غير هذا المقام .. أما الذى يحتاج الى مناقشة هادئة فهو المخاوف المشروعة التى يبديها المشفقون من أخطاء بعض الدعاة وتجاوزات كثير من الشباب الذين يتحركون بين الناس باسم الاسلام ودعوته ، والذين يملأون حياتنا العامة بنداءاتهم لتطبيق الشريعة ، وتصحيح العقيدة "واسلمة المجتمع" ..

● تعطيل دور العقل ●

إن هذه المخاوف ترجع الى امور اربعة :

أولا : الاتجاه الى **اجترار الماضى واستعادة** تجاربه الأولى ، **والذهول عن حقائق الحاضر وتغيرات المستقبل** ..

ولهذا الخوف مايبرره .. ذلك أن كثيرا من المنتمين لروافد التيار الاسلامى المعاصر .. يرون فى "ماضى الأمة" عصر الصفاء الأول والنقاء المطهر من أوشاب الحضارات المغايرة كما يرون فى "الالتزام بهذا الماضى" ضمانا وأمانا فى مواجهة محاولات "الغزو الثقافى" التى تتعرض لها الشعوب فى مراحل ضعفها .. وهذا الاتجاه الى الماضى والانحصار فيه يوصف أحيانا بالسلفية ، ويوصف أحيانا بالتقليد ، ويوصف فى جوانبه السياسية والاجتماعية بالرجعية ..

ثانيا : الاتجاه الى التمسك بحرفية النصوص ، وتعطيل دور العقل فى عملية تغيير المجتمع .. وهذا التخوف له ـ كذلك

مايبرره ذلك أن كثيرا مما يكتبه دعاة بعض الجماعات الاسلامية يدور حول محور واحد مؤداه أن "الاتباع" هو المنهج الاسلامي الصحيح ، وأن الابتداع زيغ وضلال .. وان طاعة الخالق تقتضى الوقوف عند النصوص وحدها ، وأن الدعوة الى تحكيم العقل اما دعوة غير اسلامية ، أو دعوة فرق اسلامية كالمعتزلة خارجة فى منطق هذا الفريق عن المنهج السلفى الذى هو منهج اهل السنة والجماعة .. ولهذا وجدنا هذا الفريق يصب الوانا من اللعنات على المعتزلة ومنهجهم وفكرهم كما ينظر بعين الريبة والشك الى دعوات "العقليين" فى تاريخ الفكر الاسلامى من أمثال الافغانى ومحمد عبده وكل من يتاثر بفكرهم .. ولهذا أيضا نجد هذا الفريق يوجه جانبا كبيرا من وقته وجهده لمحاربة "التجديد" فى الفكر الاسلامى يحسبانه تعبيرا عن موقف مبتدع غير ملتزم ، متاثر بالضرورة بافكار غير اسلامية ..

كذلك يجد هذا التخوف سندا وشاهدا فى الصورة التى يتصور بها كثير من الدعاة قضية "تطبيق الشريعة" فى المجتمع .. فالشريعة فى هذا التصور بناء جاهز مكتمل يستدعيه المجتمع فى لحظة تاريخية مواتية فيصلح امره كله وتتراجع المفاسد كلها .. وذلك دون التفات للحقائق الاجتماعية التى تثيرها عملية "التطبيق" اى تطبيق النصوص على الواقع الاجتماعى .. ودون التفات لمتطلبات التطور الاجتماعى التى تقتضى من الفقه ان يتطور وأن يتجدد ليلاقى الحاجات المتجددة للجماعات المسلمة فى الازمنة المختلفة والامكنة المختلفة ..

● طاعة أولى الأمر

ثالثا : الاتجاه الى اقامة حكم سياسى دينى أوتوقراطى .. يحكم فيه الحاكم بصفته الدينية ويستخدم فيه الأوامر الدينية.بطاعة أولى الأمر ليقيم فى النهاية نظاماً استبداديا يطلق سلطات الحاكم ولا يعبأ بحقوق المحكوم ...

وهذا التخوف لا محل له فى شقه الأول وقد يكون له مايبرره فى شقه الآخر ..

ذلك أن علماء المسلمين ـ من أهل السنة والجماعة قد اجمعوا قديما وحديثا على أن الخلافة ، وهى المصطلح المستخدم قديما لوصف نظام الحكم الاسلامى ، ليست نظاما دينيا يستمد الحاكم فيه سلطته من مصدر الهى ، وانما هى سلطة تستند الى البيعة ، والبيعة عندهم عقد يقوم على الرضا ، وهو عين التصوير الذى صور به النظام الديمقراطى فى أوربا حين اعتبر العقد الاجتماعى اساسا وتفسيرا ـ نظريا أو تاريخيا ـ لشرعية السلطة السياسية ومعنى هذا أن الفكر السياسى الاسلامى لا يقدم للحاكم المسلم ذريعة دينية للاستبداد السياسى ، ولا يضفى على اعماله عصمة ولا قدسية .. ولا نحتاج هنا الى ذكر الأمثلة المعروفة من مثل قول الخليفة الأول ابى بكر : أطيعونى ما اطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم ، اذ هى شاهدة كلها على أن السلطة السياسية فى الاسلام سلطة مدنية ، وسلطة مقيدة وفرق هائل بين مسالة اساس شرعية السلطة وهو الرضا من المحكومين وطبيعة النظام القانونى السائد وهو الشريعة الاسلامية ذات المصدر الالهى (فى شق منها)

اما التخوف الذى له مايبرره فهو أن

الخائفون من الاسلام والخائفون عليه ..

الحماس الديني والرغبة في استعجال تطبيق الشريعة الاسلامية او اسلمة المجتمع في مظاهر حياته كلها . قد تغريان بعض ذوى النيات الحسنة بقبول استبداد الحاكم وظلمه لمخالفيه ، واستهانته بالشورى . واعتدائه على الحقوق والحريات .. مادام يتجه الى تطبيق الشريعة الاسلامية ويؤيد المنادين بهذا التطبيق .. والأمثلة من حولنا قريبة العهد وقريبة المكان على أن هذا التخوف له مايبرره .. وأن الحاجة ماسة وشديدة الى التحذير من الوقوع في هذا المنزلق .

● زوائد هامشية متطرفة

رابعا : الاتجاه الى العنف ، والاعتداء على المخالفين ، واهدار حقوق غير المسلمين في المجتمعات الاسلامية ..

ومع أن صدورنا قد اوشكت أن تضيق بالتحامل الشديد الذى بدا في كتابات عدد غير قليل من كبار كتابنا والذى دفعهم الى تعميم القول ، وارساله على عواهنه ، والوصول بالمقدمات الى نتائج لا تترتب عليها عقلا ومنطقا في هذه القضية الاجتماعية والسياسية الدقيقة .. مما انتهى بكثيرين الى تصور ان العنف ظاهرة اسلامية وان الضيق بالمخالفين والتضييق عليهم مشكلة اسلامية . كذلك وأن اهدار حقوق غير المسلمين خطر ملازم للمد الاسلامي الذى يتعاظم يوما بعد يوم .. نقول مع ذلك إن ارتباط العنف ببعض الجماعات التي ترفع شعار العودة الى الاسلام .. ارتباط لا يمكن انكاره وان كانت له اسبابه العديدة المعقدة .. واذا كان العنف امرا مستنكرا في العقل ، فادح الضرر في الواقع الاجتماعي .. فإنه حين يصدر عن جماعات ترفع لواء الاسلام وتصيح بشعاراته يغدو خطيئة كبيرة في حق الناس .. وفي حق الاسلام الذى لا يعترف لأحد بالاسلام الا "اذا سلم الناس من لسانه ويده" والذى حرص نبيه ﷺ على ان يعلم الدنيا في أخر خطبة القاها في حجة الوداع في العام الذى قدم فيه على ربه ، فيقول : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا » والذى يقول كذلك ان « الرفق مادخل في شيء الا زانه ومانزع من شيء الا شانه » أما حقوق غير المسلمين فإن التاريخ شاهد على أنها كانت على امتداد التاريخ الاسلامي – محل حفظ ورعاية .. وأن الافتئات عليها قد كان الاستثناء ولم يكن القاعدة .. على غير ماوقع في تجارب أخرى لقيت فيها الفرق المختلفة – داخل الدين الواحد – الوانا من الظلم والاضطهاد ليس هذا موضع الحديث عنها ...

أن المخاوف التى عددناها مخاوف مشروعة ، يبررها مسلك كثيرين من المتحدثين باسم الاسلام والزاعمين انهم دعاته ..

ولكن الأمر فى شانها يحتاج الى مزيد من التدقيق والضبط .. فاصحاب الممارسات الخاطئة التى تثير هذه المخاوف قد يكونون اعلى صوتا واحد نبرة واكثر اثارة للمتاعب واسباب القلق .. ولكنهم يظلون هامشا صغيرا على جانبى تيار عريض له ممارساته المختلفة تماما عن كل ماتقدم .. وله من سماحة الاسلام ورفقه وعدله واعتداله نصيب كبير .. واصحابه يملؤهم الاشفاق والاسى من ممارسات المغالين والمتشنجين وضيقى الصدور .. ويعز عليهم ان ينسب ذلك كله الى الاسلام ...

ومن حق القارىء أن ندله على حقيقة مازالت غائبة عن كثيرين .. وهى أن الممارسات الخاطئة للروافد الهامشية المتطرفة قد ولدت مزيدا من اليقظة والوعى عند جماعات كبيرة من الدعاة والساسة والقائمين بالعمل الاجتماعى داخل التيار الاسلامى الاصلاحى .. ولذلك بدات الساحة على امتدادها الذى اشرنا اليه فى صدر هذه السطور تمتلىء بجماعات من المثقفين والساسة المسلمين يرفعون اصواتهم كما لم يرفعوها من قبل معلنين براءتهم وبراءة الاسلام من صور الغلو والتطرف التى ولدتها ظروف "الازمة" فى المجتمعات الاسلامية .. والتى لا يمكن بحال أن تحسب على "الصحوة الاسلامية" كما يحلو لكثير من الكتاب والمحللين أن يحسبوها عليها .. كذلك نسجل أن عشرات الملايين من المسلمين وقد تطلعت نفوسهم الى تفسير حى للاسلام ومبادئه يتجاوزون به النظرة التقليدية الدينية التى لا تزال ترددها بعض منابر الدعوة الحكومية او الرسمية فى بعض بلاد المسلمين فانهم مع ذلك يرفضون أن يمنحوا ثقتهم وتأييدهم للجماعات الهامشية التى تنزع السكينة والاستقرار والأمن من نسيج المجتمعات المسلمة ، وتزرع بذور الشقاق والتوتر والقلق داخل تلك المجتمعات وتصرفها عن كثير من قضاياها الكبرى والمصيرية الى قضايا فرعية وجزئية تغيب عنها رؤية المصالح الحقيقية . كما تغيب عنها رؤية الاحجام والاوزان النسبية لتلك المصالح ..

فلعل الذين يملؤهم الخوف والاشفاق من بعض الممارسات الخاطئة لفريق المتحدثين باسم الاسلام والمنادين بتطبيق شرائعه .. أن يدخلوا هذه الحقائق فى حسابهم ، وأن يتذكروا ان الخيار الحقيقى المطروح هو العمل الدائب لترشيد التوجه الاسلامى ، برده الى الأصول الأخلاقية الكبرى للاسلام فى عقيدته وشريعته وآدابه .. وهى أصول تقوم على الايمان بالله ورسوله والايمان بحرية الانسان وكرامته .. واشاعة روح الخير والبر والتعاون والمرحمة .. كما تقوم على أن العقل شريك فى معرفة الحق والاهتداء الى الصواب والرشد .. وأن من لا عقل له فلا دين له .. ومن لاحرية له فلا تكليف عليه ..

● ضحايا عصر الهزيمة

اما الخائفون على الاسلام .. فإنهم ضحايا الهزيمة الحضارية والسياسية والعسكرية التى تعرضت لها الأمة الاسلامية .. وهى هزيمة هددت الاستقلال الحضارى للمسلمين فى

الخائفون من الإسلام والخائفون عليه ..

وجوده كله .. وصاحبتها قفزات متعاقبة فى مجالات العلم والصناعة قفزتها الحضارة المنتصرة .. وبقى المسلمون ـ فى مكانهم ـ يستقبلون ثمرات تلك الثورة العلمية ولا يكادون يشاركون فى صنع شىء منها .. ثم جاءت الثورة فى مجالى علوم الانتقال والاتصال .. فتهاوت الحواجز وسقطت الجسور .. والتقى الماء على أمر قد قدر .. فإذا بثقافات الآخرين تحل قريبا من دارنا .. وإذا ملايين المسلمين يوشكون ان يفقدوا معالمهم وسط طوفان الأفكار والنظم الوافدة الينا من كل فج عميق ..

وإذا هذا الجيل من الشباب يستولى عليه الخوف من الضياع وتطارده أشباح غزو جديد يقضى على مابقى للمسلمين من فرص الافاقة والانبعاث ، ويسلبهم "معالمهم" ويجعل منهم فى النهاية موالى تابعين لحضارات أخرى لا هوية لهم .. ولا تميز لحضارتهم ولا دور لهم فى سباق الأمم والشعوب .. ولا مكان لهم على خريطة المستقبل .. لذلك انتشرت بين الشباب روح غريبة من "المحافظة" على القديم والوقوف عنده ، والارتياب فى الجديد والشك فى دعاة التجديد .. ومد الجيل كله ساعديه يريد أن يحتضن الاسلام ليحميه ، ويتطلع الى بناء سور حديدى كبير يقيم داخله بناءه الاسلامى المتميز والأصيل .. وكان طبيعيا أن تحمل هذه الروح المحافظة معها عددا من المواقف التبعية .. فى مقدمتها موقف الابتعاد عن الآخرين .. والتحرج من الأخذ عن الغير ... والاعتقاد بوجود مؤامرة مستمرة متصلة الحلقات على الاسلام والمسلمين ومداومة الحديث عن الغزو الثقافى وخطر الافكار المستوردة .. ورفع شعارات "العودة" الى الذات الحضارية ، وحماية الحضارة الاسلامية الوليدة من أوشاب الحضارات الغازية ...

وموضع الخلل والخطأ فى تصور وسلوك هؤلاء الخائفين على الاسلام أمور ثلاثة :

الأول : أن الفرض الأساسى الذى يقوم عليه تصورهم فرض خاطىء .. فهم يتصورون الاسلام كيانا ونظاما مختلفا عن كل ماعداه اختلافا مطلقا .. وينسون فى غمرة خوفهم على الاسلام .. ان الاسلام هو دين الانبياء جميعا .. وأن الحنيفية كانت دين ابراهيم عليه السلام .. وأنه سبحانه شرع للناس من الدين « ماوصّى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » كما ينسون أن المسلمين ناس من الناس وأن الاسلام ليس نتوءا ناشزا على تاريخ الانسانية ومسار تطورها .. كما ينسون قوله ﷺ ترى الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ..

وينسون أن النبى ﷺ شهد فى الجاهلية حلفا كريما هو حلف الفضول وانه ﷺ قال فيه : لقد شهدت فى دار ابن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم » وهكذا وزع ـ سبحانه ـ الحكمة والرشد على خلقه جميعا ولم يجعل على المسلمين حرجا فى البث عنها والأخذ بها انى وجدوها

الثانى : أن عزلة المسلمين عن غيرهم لم تعد أمرا ضروريا ولا جائزا ولا ممكنا ..

(أ) فهى ليست أمرا ضروريا لأن حضارة الاسلام قد ولدت ونمت وشبت عن الطوق وافاءت على الانسانية عبر التاريخ خيرا كثيرا وعلما نافعا وقيما صالحة .. والزعم بأن الحضارة عند مولدها تحتاج الى حضانة وحماية حتى تنمو وتشب ويشتد عودها ، هذا الزعم تعبير مجازى لا يثبت عند التحقيق .. فالحضارة تولد مرة واحدة ولا يتجدد مولدها مع تعاقب المد والجزر فى تاريخها .. وكما قال ﷺ : **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية** ..

فكذلك نقول : لا عزلة بعد انتشار الاسلام . ونمو الحضارة الاسلامية ورشد العقل المسلم والضمير المسلم ولكنه جهاد وعمل موصول مع العاملين . وفى موكب الانسانية الرحب الذى يتنافس فيه الناس وتتسابق الشعوب ..

(ب) والعزلة غير جائزة لانها تحول دون اداء المسلمين دورهم التاريخى فى تعمير الكون وهداية الآخرين .. كما انها تحرم المسلمين فرصتهم التاريخية فى الوعى بحركه الحياة من حولهم .. وبغير هذا الوعى يستحيل أن يكون للمسلمين مكان على خريطة المستقبل المملوءة بالناس والشعوب ..

(جـ) والعزلة ـ بعد ذلك كله ـ لم تعد ممكنة بعد الثورات العلمية والصناعية المتتابعة ، وما أدت اليه من اسقاط حواجز الزمان والمكان .. فالشعوب اليوم كلها تعيش فى قرية واحدة .. ولم يعد لطلاب العزلة من سبيل الى ممارسة هذه العزلة دون أن يقطعوا عن أنفسهم شرايين الحياة .. وهواء التنفس .. ونسمات الحياة الاجتماعية التى فطر الناس عليها ..

● الخوف من أشباح الغزاة

الثالث : أن فكرة "النقاء الحضارى" ورفض الأفكار المستوردة والعيش الدائم تحت ظلال الخوف من اشباح الغزاة .. ذلك كله موضع نظر كبير ..

ذلك ان اكثر الأفكار التى نعايشها افكار مستوردة .. من مكان آخر أو من زمان آخر .. والفرض ان المسلمين اصحاب عقول وان لهم فى اختيارهم من تجارب الآخرين وأفكارهم معيارا وميزانا .. واين موضع الغرابة فى الاستئناس بتجارب الآخرين ، والنبى ﷺ يقول : **الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها** .. وكيف ينسى هؤلاء الخائفون على الاسلام ان النبى ﷺ يوم الخندق قد استشار سلمان الفارسى واخذ بنصيحته .. وان تدوين الدواوين الذى بدأ فى عهد عمر بن الخطاب قد كان نظاما فارسيا . وان المسلمين لم يجدوا ـ فى عصور نهضتهم ـ حرجا ولا

الخائفون من الاسلام والخائفون عليه ..

غضاضة فى أن يأخذوا من غيرهم وأن يأخذ غيرهم منهم .. لهذا يكون من الحماقة أن ينصب بعض الناس اليوم انفسهم حماة للاسلام .. يرفضون ـ نيابة عنه ـ كل فكرة وافدة ولو كان فيها الخير للمسلمين .. ويحرمون أنفسهم وأهليهم فرص الصلاح والرشد اذا كان الذى يحقق لهم ذلك نظاما سبق اليه غيرهم من شعوب الأرض ..

وليذكر أولئك الخائفون على الاسلام أن الله سبحانه هو الذى أنزل الذكر وهو الذى يحفظه .. وانه سبحانه هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. فليس الاسلام ـ اذن ـ فى حاجة الى وصاية أحد .. وحماية أحد .. ولا تحتاج شريعة الله الى أن يستدرك عليها أحد من الأولين أو الآخرين .. ذلك أنها الحق الخالص والخير المحض .. وانها تحكمها فى مدها وجزرها سنة الله الخالدة .. « كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وهكذا .. وبعد أن تنزع الأقنعة فى هذا الحوار الساخن تتبدى المخاوف على جانبى الحوار .. خوفاً من الاسلام أو خوفا عليه .. والحوار الحق لا يجوز أن تحركه المخاوف أو أن تتحكم فيه الهواجس ..

وليت الخائفين من الاسلام يدركون أنه ـ لو تخلصوا من عقدتهم فى النظر اليه ـ ابر بهم وأرحم وأصلح لهم وأهدى مما يظنون ..

وليت الخائفين على الاسلام يدركون أن الله غالب على أمرهم وأن الله تعالى لم ينصبهم حفظة على دينه وانما ابتعثهم دعاة وهداة ومصلحين .. وأمرهم أن يكون جدالهم بالتى هى أحسن .. وأن يدفعوا بالتى هى أحسن .. وأن يكونوا ـ بعد أن يتحرروا من هواجس الخوف على الاسلام ، رموزا حية لسماحة الاسلام ورفقه وعدله ورحمته ..

وليت الفريقين جميعا يثوبون الى رشدهم ويلقوا من أيديهم تلك الصواعق المحرقة التى يتقاذفونها بينهم ، فتسقط على الأمة كلها .. كأنها حجارة من سجيل ..



اقوال معاصرة



● « الرؤية المعلبة للاسلام ، رؤية متراجعة منغلقة على الماضى ، متحرجة اسلاميا وعقليا ووطنيا وصحيا »

د . كمال ابو المجد

● « العمل على تقوية اسرائيل هو بطريق غير مباشر تقوية لامريكا » .

جوناثان بولارد

الجاسوس الاسرائيلي

د . كمال ابو المجد



● كل عمل يؤدى الى الاضرار بمصالح الولايات المتحدة وحلفائها عمل من اعمال الارهاب » .

وليم كيسى

مدير المخابرات الامريكية السابق

● نادى بالحوار والتفاهم وهم يهددون بالبندقية»

رئيس وزراء لبنان المغتال

رشيد كرامى

● « كرامى كان متطرفا ، سقط فريسة لنفس القوى التى شجعها هو بنفسه » .



شيمون بيريز

وزير خارجية اسرائيل

● « لا خيار امامى عن ان استنشق الهواء واشرب الماء واعمل واستريح واحب الوطن » .

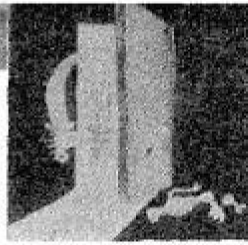
اميل حبيبي

الاديب الفلسطيني

● « بريطانيا بلد معوق اقتصاديا واجتماعيا » .

نيل كينوك

رئيس حزب العمال



تغيير المنكر.. من يملكه..؟ وكيف يكون..؟

بقلم: د. محمد سليم العوا

● عندما أرادت [illegible] تغيير المنكر
قامت الصراعات والفتن السياسية

● كيف يسوغ للمرء أن يفرض رأيه بالقوة
تحت دعوى تغيير المنكر .. ؟
عندئذ يتجه المجتمع إلى الفوضى

يتميز التنظيم الاسلامى للحياه الاجتماعية بعديد من الخصائص التى يقوم عليها تفرده عن غيره من النظم الاجتماعية القديمة والحديثة ، والتى تجعل دراسته ـ حتى لغير المؤمنين به ـ مسألةمثيرة للمتعة العقلية والنشاط الذهنى . ولعل ذلك كان احد أسباب الغنى الفريد فى الاراء والمذاهب الفكرية والفقهية التى استمدت من الاسلام او قامت فى ظل نصوصه الاصولية ، او عنيت بتفسير هذه النصوص وتاويلها فى مختلف العصور والظروف

ومن المميزات البارزة فى التالظيم الاسلامى للحياة الاجتماعية تفرده بجعل « الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » واجبا على كل مسلم قادر عليهما . ففى الوقت الذى تكتفى فيه اكثر النظم السياسية والاجتماعية « تقدمية » بجعل « الجهر بالرأى » حقا أو مجرد رخصة ، فان الاسلام جعل ذلك « واجبا » أو بتعبير الفقهاء «فرضا» .

وهو فرض يجد مصدره فى القرآن الكريم نفسه ، فهو يدعو المؤمنين بصيغة الامر الى ذلك : « ولتكن منكم **امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون »** .

وهو ـ فى آية أخرى ـ يربط بين هذا الواجب وبين الايمان نفسه : **« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** .

ولا يكفى للحكم بصلاح الفرد فى حكم القرآن ـ أن يكون مؤمنا قانتا عابدا ـ اى صالحا فى نفسه ـ بل يتعين للحكم بصلاحه أن يكون صالحا « اجتماعيا » أو صالحا فى « الشئون العامة » بقدر صلاحه فى « الشئون الخاصة » :

« ليسوا سواء : من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين » .

فى نصوص السنة عشرات الاحاديث التى تتصل بهذا الواجب وتأمر به ، وتبين كيف يجب على المسلم القيام بأدائه .. وفى الفقه الاسلامى الاف الصفحات التى تدور حول « فقه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » بل فيه مؤلفات قامت كلها حوله وقد اتخذ العمل السياسى المكتسب الى الاسلام ـ فى كل العصور ـ من واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بوجه عام ، ومن الجزء المتعلق بوجوب تغيير المنكر ، بوجه خاص ، اساسا يقوم عليه ، وسندا يدعو الناس به الى الالتفاف حول الدعاة السياسيين وتأييدهم .

فالخوارج فى صدر الدولة الاسلامية قاموا تحت ستار هذا الواجب ، وثورات آل البيت كانت

تغيير المنكر..
من يملكه..؟

رايتها التي ترفعها دائما في تغيير المنكر ، ومرورا بكل الثورات السياسة - وبالتأكيد الاجتماعية والاقتصادية - في تايخ الاسلام ، وانتهاء بالاحزاب والجماعات السياسيةالمعاصرة : كان تغيير المنكر هو أقوى الاسانيد ، وأهم الدعائم التي قامت عليها دعوة هؤلاء جميعا ، وطبيعي أن لا يكون هؤلاء جميعا على درجة واحدة من « الفهم » أو « الفقه » الصحيح للاسلام . هذا مع عدم الفحص أو البحث عن درجة الصدق ، أو الاخلاص أو التجرد اذ أنها أمور تدخل في أعمال القلوب التي لا نملك نحن البشر وسيلةللبحث عنها أو الكشف عن حقائقها .

وقد شهدالتاريخ الاسلامي - دائما - وتاريخنا الحديث - بصورة خاصة - حالات كثيرة - أسيء فيها فهم الحق - بل الواجب - في تغيير المنكر . وكانت أسوأ هذه الصورة هي التي تصور فيها بعض « المؤمنين » أن من واجبهم تغيير مايرونه منكرا بأيديهم، وفق الطريقة التي يرونها « وحدهم » مناسبة . وضد « الاشخاص » أو « الاماكن » أو « الجماعات » التي يرونها « منكرا » يجب تطهير الارض منه بمحوه من الوجود ، أو يظنون انها تمارس « منكرا » تصر على عدم الانتهاء عنه وبالتالي تستحق أن يوقع عليها الجزاء - مهما كان مقداره ونوعه - الذي قدروه « هم » ويتولون بحكم « واجبهم » تنفيذه بأيديهم .

وشهد التاريخ الاسلامي - كذلك - عصور ... [illegible] فيها الامة - جلها ان لم نقل : كلها - واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى وصف واحد من هذه العصور الامام الغزالي في الاحياء : « ... وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون .. اذ قد اندثر من هذا القطب علمه وعمله . وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه . فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم » .

وهكذا وقع المشتغلون بالعمل العام - بتعبيرنا العصري - تاريخيا بين جانبي الافراط والتفريط ، وهكذا يقع في أحد الجانبين - الا من عصم الله وهم قليلون - دعاة العصر والمشتغلون بالعمل الاسلامي العام فيه . فكيف السبيل الى الخروج من هذا المأزق ؟

● الجهل بالاحكام الاسلامية

ان الازمة - في نظرنا - أزمة فكرية أساسا ، سببها ومحورها « الجهل » بالاحكام الاسلامية ، والايمان « ببعضها » دون بصر مدى ارتباطه « بالبعض الاخر » ، والفردية في التفكير : فبعضنا يرى النجاة في تركه كل شأن من شئون الامة العامة وبعده عما يجب « الريح » من الابواب ايمانا بالنصيحة التقليدية لامهاتنا وجداتنا : « سده واستريح » .. وبعضنا يرى واجبه في أن يخلص المجتمع من الشرور والاثام - بتغيير المنكرات - ولو غيرها وحده ، بيده أو مسدسه ، طلبا للشهادة في سبيل الله ، أو طمعا في خلود « البطولة السياسية » وهما معنيان جميلان

يستحقان التضحية فى سبيلهما ، بشرط أن تتوافر أسباب قبول هذه التضحية عند الله ثم عند الناس .

والمشكلة الفكرية فى قضيتنا مظهرها - أو فى الحقيقة جوهرها - ان الافراد الذين يتولون تغيير المنكر الظنون بأيديهم عند جانب واحد من جوانب « واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، وينسون أن الفقه الاسلامي السديد قد جعل هذا التغيير على درجات - سماها الفقهاء مراتب - وجعله لاشخاص معينين - لا لكل انسان - وجعله فى أمور معينة - لا فى كل ما يظن الفرد انه يجوز فيه الانكار أو التغيير .

وبغير هذه القيود يتحول المجتمع الذى يمارس فيه كل فرد بلا ضابط ولا نظام حق تغيير ما يراه منكرا الى فوضى يضيع فيها حق الفرد بقدر ما يضيع حق الجماعة .

وتنبها الى هذا المعنى اكد الفقه الاسلامى - بما يشبه الاجماع - أن التغيير فى المنكرات يجب أن يقع بترتيب معين : فالمرء يغير المنكر - أو ينكره بقلبه . ثم ينكره بلسانه ثم ينكره أو يغيره بيده اذا لم يجد التغيير .

والتغيير باليد لا يكون الا اذا أمن المغير وقوع فتنة اكبر من المنكر ذاته الذى يسعى لازالته .

وليس كل انسان له أن يغير المنكر . وانما هذا واجب يقتصر على من يستوفى الشروط التى قررها الفقهاء لذلك واهمها العلم بما يأمر به وينهى عنه ، وهو العلم الاجتهادى المستمد من الدليل ، لا العلم التقليدى أو التلقينى المستمد من تقليد الاخرين أو تلقينهم .

وليس كل فعل لا يرضى الفرد عنه يجوز له تغييره ولو كان عدم الرضا نابعا من ظنه ان هذا الفعل مخالف لنص شرعى !! بل يجب أن يكون هناك اجماع بشروطه الاصولية على كون فعل ما منكرا ، أى مخالف لامر شرعى فى القرآن الكريم أو السنة أو لواجب مجمع عليه فى الاسلام .

فأين من هذه الشروط كلها التغيير باليد فى العمل السياسى و الاجتماعى العام ؟!

ان معظم المسائل السياسية والاجتماعية تدخل فى باب الامور الاجتهادية التى لا يجوز فيها الخلاف بين المسلمين ، والتى يسع فيها الإسلام اراء متباينة مادامت قائمة على فقه النصوص وفق الواقع الاجتماعى والسياسى للامة . فكيف يسوغ لاحد ان يفرض على الناس رأيه فيها بالقوة تحت دعوى « تغيير المنكر » ؟ وهل يعد ذلك مقبولا فى ضوء مبادىء الاسلام التى أوجزنا خلاصتها ؟

ان فكرة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر - فى ذاتها - فكرة عبقرية لانها تقتضى أولا أن يتعلم كل فرد قادر فى الامة الواجب والمباح والممنوع . ويعرف ما تتفق الامة عليه . فاذا تحقق ذلك نشأ حقه - بل واجبه - فى الامر والنهى .

والمجتمع الذى يتصف مجموع افراده بهذا الفهم لاتكاد تقع فيه المحرمات أو الممنوعات - أو حتى مجرد التجاوزات - الا على وجه الصدفة ، أو الغفلة ، أو الانحراف العارض . والصدفة تسوغ العفو والتسامح ، والغفلة والانحراف العارض يقتضيان النصح أو التنبيه

تغيير المنكر.. من يملكه..؟

اكثر مما يقتضيان العقوبه او العنف فى التغيير .

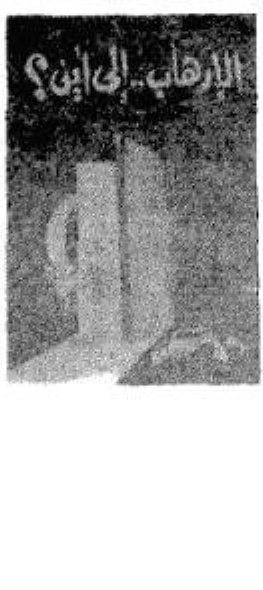
● الانتماء الى الامة

اما مشكلة الفردية فى الفكر والتصرف ، فانها تثير قضيتين بالغتى الاهمية : قضية الانتماء الى الامة ، وقضية علاج الانحراف الفردى او الاجتماعى او الجماعى .

فالانتماء الى الامة يوجب على الفرد الترفق فى اداء واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان مهمة المسلم الفاقه لدينه هى الدعوة لا العقاب ، وهى النصيحة لا اقامة الحدود . والدولة من جانبها لا يجوز لها أن تتصدى للعنف الناتج عن الانحراف الفكرى بعنف مضاد .. لان شهادة التاريخ كله تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان العنف لم يقتل فكرة ، ولم يمحق جماعة ، ولم يعدل من مسيرة فئة ضلت الطريق أو اخطأت الهدف .

والاستناد الى الاسلام ذاته فى علاج مثل هذه الانحرافات الفكرية - الفردية والجماعية - يقوم باستدعاء مستمر لقاعدة الاسلام فى احترام اختلاف الاجتهادات وتقديس تنوع الاراء ، والحفاظ على حق كل ذى رأى فى ابداء رأيه والدفاع عنه .. وعلى هذه القاعدة قبل الفقهاء حتى فى شئون التعبد الخالص لله تعالى ان تكون هناك اراء متباينة ، تصل أحيانا الى حد التضاد أو التناقض ، ومع ذلك فان احدا لا يسوغ لاحد الانكار فيها ، أو تغيير بغير النقاش العلمى المستند الى قواعد الاسلام وكلياته وأصوله . فكيف لا نقوم بالامر نفسه فى تفصيلات حياتنا السياسية والاجتماعية ؟!

ان الذين يرون وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأنا منهم ، يجب عليهم ان يقبلوا بمنطق هذا الواجب نفسه ، الا يقودوا الامة كلها - والا يقودوا انفسهم من باب أولى - الى نهاية فاجعة يباح فيها ما ليس مباحا ، وتستحل حرمات شملها الاسلام بحمايته تحت دعوى تغيير المنكر ، أو عقاب الذين يغيرونه على غير الوجه الصحيح - اسلاميا - للتغيير .



لغويات

● بعضهم يخلط بين « الثَّريُّ » و« السَّريّ » .. أما الثرى فهو ذو الثراء ، وأما السرى فهو الرجل الشريف .. وفعله « سرا .. يسرو » ..

● تقول : أُحِبُّ هذا الشيء « بضمة فوق همزة القطع وكسرة تحت الحاء في الفعل المضارع : أحب » .. وتقول ايضا : أَحب هذا الشيء « بفتحة فوق همزة القطع » .. والفعل الماضي .. أَحْبَبْتُ ، وحَبَبْتُ .. قال شاعر قديم متفكها :

أحِبُّ ابا مروان من اجل تمره
واعلم ان الجار بالجار ارفق

وقال المتنبي :

حَبَبْتُكَ قلبي قبْلَ حُبِّكَ من نأى
وقد كان غدارا فكن انت وافيا

● تقول في وصف المحاربين ذوي العدد الكثير : هم المحاربون الأكثر عددا ، وتقول اذا شئت : الاكثرون عددا .. كلاهما صواب ..

● كان بعض المتفيهقين في الجيل الماضي يقول : ان النسبة الصحيحة الى كلمة « طبيعة » هي « طَبَعِيٌّ » بفتح الطاء والباء ، على اساس قاعدة معروفة ولكن الجاحظ وغيره من البلغاء استخدموا كلمة « طبيعي » لدقتها في النسبة ، كقولك « مَدَنيٌّ » حين تنسب احد سكان المدينة المنورة ، لكيلا تختلط هذه النسبة الخاصة بالنسبة العامة حين تقول « مَدَنِيٌّ » بفتح الميم والدال ، وقد استعمل المجمع اللغوي وجميع البلغاء في عصرنا كلمة « طبيعي » وتجدها في كلام العقاد والمازني ومصطفى صادق الرافعي وشكيب ارسلان وغيرهم ، ولم يشذ عنهم الا من يقفون عند القواعد بلا تمييز !

● اذا قلت : « العلوم الدينية والدنيوية » فالمعنى « العلوم الدينية والعلوم الدنيوية » .. والتعبير الأول اخصر وصحيح تماما ..

● تقول : « هذا الشيء اعجب الينا » اي احب الينا واشد اثارة لاعجابنا وعجبنا .. وهذا تعبير عربي معروف منذ الجاهلية ، ولكن بعض الضَعَفَة « بفتح الضاد والعين والفاء ، اي : الضعفاء » من اهل زماننا يظنون انه تعبير غير صحيح ، ولله في خلقه شئون !

بقلم: د. شكري محمد عياد

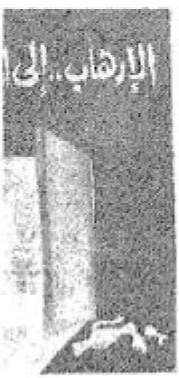
دائرة العنف

لو تكلمنا باعصاب متوترة عن محاولات الاغتيال الاخيرة . لحققت هذه المحاولات الغرض الأكبر منها . فالشخصيات التي استهدفتها هذه المحاولات يمكن ان تكون قد اختيرت بناء على « مواصفات معينة » : فهي مرة تمثل الامن ، ومرة تمثل الراى ، ومرة تمثل العلاقات الخارجية للدولة . وعندما يجيء رد الفعل المضاد من هذه الجهات الثلاث : فتلجأ سلطات الامن الى القمع . ويتحول اصحاب الراى من النقاش الى التسفيه والادانة . وتكتسب السفارات الأجنبية شكل ثكنات عسكرية فهنا تكتمل دائرة العنف .

فالهدف من الاعتداء على حياة اشخاص معينين لايقتصر على هؤلاء الاشخاص بالذات . إن الهدف هو إثارة الفتنة . والفتنة لاتوجد الا حين ينتشر العنف والعنف المضاد . وجو العنف والعنف المضاد هو الجو الذى يناسب اصحاب الفتن ، لأن سواد الناس لايطلبون الا الأمن الذى يسمح لهم بالسعى على معايشهم . فاذا اصبح الخروج الى الاسواق محفوفا بالمخاطر ، هان عليهم ان يسلموا جل امورهم الى من يضمن لهم ولو قسطا صغيرا من

الامن ، فهنا يثب اصحاب الفتن الى كراسى الحكم وهى مقصدهم النهائى .
ولكن القصة لاتنتهى عند هذا الحد .
فكما أن العنف يولد العنف ، فكذلك الفتنة تولد الفتنة .

والذين استولوا على السلطة بتدبير حالة من الخوف ، يبعثون الأمل فى نفوس غيرهم من الطامحين الى السلطة ، فما امكن تحقيقه مرة ، يمكن ان يتحقق اكثر من مرة . وهكذا تنشأ الفرق المتصارعة فى الخفاء او فى العلن ، ويكون النصر ، آخر الأمر ، للأخبث والاقسى .هذه سنة التاريخ فى الفتن ، لاتتخلف ابدا . ومهما تردت الفتنة بثوب العدالة ، او ثوب الحق ، او ثوب الدين لتجند بعض ضعاف العقول تزين لهم القتل والتخريب باسم هذه المقدسات - فإن غرضها النهائى بل الوحيد هو ان تهدم السلطان القائم لتقيم سلطانها هى . وكثير من الناس تختلط عليهم الأمور فيحسبون ثورة ما هو فى حقيقته فتنة . والفرق بينهما كبير فى الطبيعة اوالاهداف والوسائل .



الفتنة سلبية محضة ، مظهرها الفكرى انكار ما هو قائم ، ولذلك تتبلور تعاليمها فى سلسلة من المحرمات . والثورة إيجابية دائما ، تبشر بمجتمع جديد ، يولد من المجتمع القائم ولكنه ينقضه ، او على الاصح يعيد ترتيبه ليتخذ وضعا اقرب الى العدل . فاذا نظرنا الى الدوافع النفسية الفردية وراء كل من « الفتنة » و « الثورة » وجدنا أن هناك نوعا من عدم التسليم بالواقع ، ورغبة فى تغييره ولكن هذه الرغبة اذا لم يتحكم فيها العقل ، ولم تستند الى العلم ، تحولت الى فعل تدميرى محض . هذه هى الخامة النفسية التى يتولى صياغتها مدبرو الفتن . وهم عادة افراد يتصفون بدرجة هائلة من الشعور بالعظمة ، بحيث لايبالون بآلام الآخرين . وربما توهموا انهم يتمتعون بنوع من الكشف او الالهام . هذه صفات تحدث عنها علماء النفس بوضوح ، ورأينا امثلة لها فى بعض المحاكمات .

ولكن الرغبة فى تغيير المجتمع قد تكون نابعة.من رؤية واقعية لنواقصه ، وادراك موضعي لامكانية التغلب عليها ، وحب للغير ، قد يدفع الفرد للتضحية بسعادته الشخصية ، وربما للمخاطرة بحياته ، من اجلهم . هذه هى صفات الثوريين الحقيقيين وهي لاتتمثل فى مهاجمة الأوضاع القائمة بقدر ماتتمثل فى تبنى براعم المستقبل وتعهدهما بالجهد المتواصل .
والفتنة تحقق هدفها النهائي حين تتمكن من اسقاط النظام القائم وتتحول إلى سلطة . فأهدافها لاتتجاوز ذاتها ، ومن هنا يصبح نشاطها كله مركزا على الدفاع عن بقائها . اما الثورة فلا يلزم - أصلا - ان تستولى على السلطة لتنجح . إن الثورات العلمية والتعليمية والفنية ليست أقل قيمة فى تاريخ البشرية من الثورات السياسية . إن كل تغيير فى أسلوب حياة الانسان هو

ثورة وربما كانت الثورات الهادئة ، التى تتم دون أن يشعر بها احد ، هى اعظم الثورات وادومها اثرا . انظر الى الثورة الصناعية فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انظر الى الثورة فى نظم المعلومات فى عصرنا . انظر الى الثورة الروحية التى بدانا نشهد إرهاصاتها فى العالم كله وربما اثبتت انها اعظم الثورات فى تاريخ الانسان : طبيبة إنجليزية تشارك سكان مخيم فلسطينى محنتهم الطويلة حتى تاكل مثلهم لحم الكلاب ، سكان مدينة المانية يحتجون على ارسال اغذية ملوثة بالاشعاع الذرى الى شعوب العالم الثالث . احزاب الخضر التى يتزايد تاثيرها فى جميع ارجاء العالم الصناعى ، إذ تدين العدوان المستمر على الطبيعة .

هذا الاختلاف العميق بين الفتنة والثورة ، من حيث الطبيعة والأهداف ، يستتبع اختلافا فى الوسائل لايقل اهمية عن سابقيه ، ويزيد عليهما انه يقدم لنا علامات واضحة تمكننا من ان نميز بسهولة بين ما هو فتنة وما هو ثورة .

فالفتنة التى تعادى المجتمع كله ، ولاتبالى بما يصيب الابرياء من محن والام ، لاتحجم عن ارتكاب القتل الفردى او الجماعى ، لاحداث مناخ الرعب الذى يهيىء لها الفرصة للاطاحة بالنظام القائم . وفى مقابل ذلك لاتهتم الفتنة بالتحليل العلمى للاوضاع القائمة ، ولا تقبل الحوار الهادىء مع خصومها الفكريين ، وتفضل الدعوة السرية على الدعوة العلنية ، او تنظم مستويين للدعوة : مستوى علنيا مخففا الغرض منه استمالة الجمهور او تحييده على الاقل ، ومستوى سريا على درجة من الصراحة يخص به الانصار الذين يهيئون للمهمات الخطيرة .

وبما ان الثورة لاتعادى المجتمع بل تحاول تغييره الى الاصلح ، فإنها تتوسل لذلك بالبحث العلمى اولا ، ثم بالعرض الواضح ثانيا . فبمجرد الشعور بأن ثمة فسادا فى المجتمع (او حتى ان كل مافيه فاسد) لايكفى لمعرفة مايجب عمله . بل يجب الفحص عن جميع العلل الاجتماعية والتعمق فى فهم اسبابها حتى تمكن ازالتها . وتجب الاحاطة بالوقائع الموضوعية التى يعايشها انسان العصر لمعرفة انسب الطرق للتعامل معها . ثم إن الثورة بعد ذلك او خلال ذلك تعرض فكرها على جمهور الناس فاتحة لهم ابواب الامل فى

المستقبل ، موضحة منهجها فى السعى لحياة افضل . وهنا يمكن ان تصطدم الثورة بقوى معارضة ، فتضطر الى الدفاع عن نفسها ، ودستورها فى هذه الحالة : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » .

الاســـــلام بـــــرىء

لا أصدق أن جماعة تنتسب الى الاسلام يمكن ان تتخذ من القتل وسيلة لنشر دعوتها .

إن كانوا يريدون « ثورة » فى أحوال المسلمين (ولا اقول « ثورة اسلامية » فالاسلام دين انزل كاملا فلا يثور ولا يطور) فليعدوا للثورة عدتها واولها البحث الدقيق والفكر المستنير . ولا اظن ان احدا سيعارضهم فعالمنا مريض وكلنا نشعر بهذا المرض ونتمنى ان نشفى منه وان نساعد غيرنا على الشفاء .

وإن كانت « الفتنة » فقد علموا ان المسلمين لم ينالوا خيرا منذ فتنة قتل عثمان . وقد بدأت الفتنة فى خلافة عثمان نفسه . ومعنى ذلك ان « الدولة الاسلامية » التى يتحدثون عنها لم تعمر اكثر من خمس وعشرين سنة ، عشر منها فى حياة الرسول . ولا يمكن القول ان الله اراد بدينه شرا حين جعل مدة حكمه فى الارض اقصر من عمر جيل واحد .

إن حكمة الأحداث التاريخية ليست من الأمور التعبدية ، فلا جناح علينا ان بحثنا عنها ، بل إن مثل هذا البحث فرض كفاية ، على المسلمين .

وقبل ان اقول كلمة فى هذا الموضوع ، اقدم يقينى المطلق بأن فى علماء المسلمين اليوم من هم افقه منى بكتاب الله وسنة رسوله وتاريخ المسلمين مائة مرة . ولكننى لم اقرأ لأحدهم عن القضية التى نحن بصددها كلمة شفت غليلى ، فانا اقول ما عندى فى ذلك ، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحقرن أحدكم نفسه » .

هل قرأتم قصة ثعلبة بن حاطب ؟ انه الرجل الذى نزلت فى شأنه هذه الآيات من سورة التوبة (٧٥ ـ ٧٧)

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقنَّ ولنكوننَّ من الصالحين . فلما ءاتهم من فضله بخلوا به وتولَّوْا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » صدق الله العظيم

قال الامام البيضاوى فى تفسيره « نزلت فى ثعلبة بن حاطب ، اتى النبى

صلى الله عليه وسلم وقال : ادع الله ان يرزقني مالا . فقال عليه الصلاة والسلام : ياثعلبة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه . فراجعه وقال : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه . فدعا له . فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة . فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة . فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لايسعه واد . ياويح ثعلبة ! فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات . فاستقبلهما الناس بصدقاتهم . ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرءاه الكتاب الذى فيه الفرائض . فقال ما هذه الا جزية ، ما هذه الا اخت الجزية ، فارجعا حتى أرى رايى . فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة ... »

ولنتوقف هنا لحظة . فلو كانت الصدقات او الزكاة اخت الجزية كما زعم ثعلبة لاخذت منه مضاعفة كما يفعل حكام الدنيا بغرامة التأخير او مخالفة التهرب من الضرائب ولكن اسمع بقية القصة :

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله منعنى ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه . فقال : هذا عملك ، قد امرتك فلم تطعنى ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها . ثم جاء بها الى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فلم يقبلها . وهلك فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه » ا .هـ .

احكام الله فى كتابه هى اذن احكام دينية ، واقوال الرسول وافعاله كلها آداب نبوية ، والعمل بها لايصح ولايقبل الا ان كان صادرا عن ايمان ، والعقاب على تركها ـ فى المقابل ـ لايكون الا بغضب الله ورسوله .

لعلك تشعر ـ ايها القارىء الكريم ـ اننا بدانا ندخل فى دروب خطرة فانت تسالنى فماذا نفعل بالحدود ؟ فاقول : انظر ـ هدانا الله واياك ـ الى المواضع التى وردت فيها ايات الحدود ، تجد اية تأمر بالحد وبعدها أية تحض على العفو . لا يستثنى من ذلك الا حد الزنا . وهذا مثل من أمثلة الاعجاز فى كتاب الله الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فالمجنى عليه فى جريمة الزنا مطعون فى شرفه . فكيف يطبق العفو ؟ فكان ان حل اللعان محل العفو للغاية نفسها .

ولكنك تسأل مرة اخرى ، ولعلك قد ازددت حيرة :

فهل يعقل ان الله - جلّت حكمته - أنزل احكاما لا يرجو ان نعمل بها ؟

فاقول وبالله التوفيق : بلى ، انه يأمرنا بها ويريدنا ان نعمل بها ، ولكن عن إيمان به وحب لرضاه ، لا عن طمع فى ثواب او خوف من عقاب فى الدنيا . لذلك قال رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم (وتأمل أسلوب القصر) « إنما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

وتعال نقترب أكثر فأكثر من حكمة التاريخ ، التى هى حكمة الخالق جل وعلا . فقد اراد الله للانسان أن يرتفع فوق ضعفه ، فأخذه بالتربية درجة بعد درجة ، كالطفل فى المدرسة .

انزل شريعة على موسى ، فلم يطقها قومه ، وعصوها وهو لا يزال بين ظهرانيهم . ويقى اليهود فى صراع دائم مع شريعة الله .

ثم بعث عيسى مصدقا لرسالة موسى ، ومطهرا لنفوس اصحابه من الخوف والرياء وكان السلطان الزمنى القاهر قد افسد القلوب والضمائر ، فكان الشعب محتاجا الى تذكيره بان فوق هذا السلطان القاهر الجائر الذى لابد ان يبيد يوما سلطانا عادلا رحيما لايبيد ابدا . وقال لهم : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلم يكن الوقت قد حان لاقامة مملكة الله على الأرض . ولكنهم لما قويت شوكتهم تعجلوا الأمر وحسبوا ان ملكوت السماء يمكن ان يقام على الأرض من خلال الكنيسة ، وكان ذلك وبالا على المجتمع المسيحى ، فقد زجت « الكنيسة المحاربة » شعبها فى حروب طاحنة - داخلية وخارجية - استمرت قرونا ، بينما كان الفساد يستشرى داخل الكنيسة نفسها .

ثم جاء محمد خاتم الانبياء والرسل فاقام بنفسه حكم الله فى الأرض . حدثت المعجزة ولم يكن من الممكن ان تدوم فحكم الله لايقوم على الأرض الا بايدى البشر . والبشر فيهم ضعف فلا يمكنهم ان يكونوا ربانيين فى جميع احوالهم .

هكذا قامت مملكة السماء على الأرض ، لمحة بلغت فيها النفوس البشرية اقصى درجات العطاء والتجرد ، ولم تخل مع ذلك من اخطاء مميتة ، كخطأة ثعلبة هذا الذى باع دينه بدنياه .

كانت حكومة الخلفاء الراشدين اختبارا عمليا لما يستطيع البشر ان يعملوه اذا ارادوا ان يكونوا ربانيين وقد مات ثلاثة من الخلفاء الأربعة مقتولين وتعاقبت الفتن . وما وعينا الدرس الى يوم الناس هذا .





التيار الإسلامي وأسطورة الاضطهاد

بقلم: د. فؤاد زكريا

من المفهوم ان تلجا بعض التيارات السياسية إلى العنف حين تجد نفسها محاصرة ، وحين تضيق امامها سبل العمل وتغلق ابواب التعبير . وليست هذه بالطبع قاعدة عامة ، لأن اليسار ، على سبيل المثال كثيرا مايحاصر ويمنع من ممارسة نشاطه ويتعرض للاضطهاد فى عدد غير قليل من بلاد العالم ، ومع ذلك فإنه لايتبع فى الأغلب أسلوب العنف الارهابى الذى يقتنص الخصوم غدرا ثم يهرب ومع ذلك فإن العقل يستطيع ان يتصور ذلك الوضع الذى لاتجد فيه جماعة سياسية معينة من سبيل إلى العمل سوى استخدام القوة ضد الخصوم ، حين يوصد امامها كل ماعدا ذلك من المنافذ .

ولقد حاول تيار الاسلام السياسى ، الذى اكتسب قوة كبيرة منذ السبعينيات ، ان يصور نفسه بصورة المضطهد المحاصر ، الضحية ، المستشهد فى سبيل الحق ، وكانت هذه الصورة هى المبرر الذى يقدمه كلما حوسب على لجوئه إلي العنف . غير ان هناك من الأسباب القوية مايؤكد ان الحقيقة غير ذلك وأن تيار الاسلام السياسى ، إذا ماقورن بغيره من التيارات السياسية المعارضة ، هو أبعد الجميع عن معاناة الاضطهاد مفهوما بمعناه الشامل ، وان حلقة العنف تبدأ منه دائما ، فترد عليها الدولة بعنف مقابل .

وسأحاول فى هذا المقال ان اثبت أن فرص العمل امام تيار الاسلام السياسى

تفوق ماهو متاح لغيره من التيارات بمراحل . ومن ثم فإن العنف الارهابى الذى تلجأ إليه بعض فصائله ليس وليد الاضطهاد ، بل هو يرجع إلى عناصر تنتمى إلى صميم التكوين الفكرى والاعداد النفسى لهذا التيار . وبعبارة أخرى فإن التيار الدينى السياسى يتمتع بمزايا واضحة ، على حساب غيره من التيارات ، بحيث يمكن القول إن الصراع بينه وبين التيارات الأخرى ، يمينا ويسارا ، هو صراع غير متكافىء تميل كفة الميزان فيه لصالحه بوضوح قاطع .

★ ★ ★

١ ـ فلنتأمل أولا ميدان التعليم . ففى هذا الميدان الحيوى يكتسب التيار الاسلامى فى بلادنا قوة هائلة ، لأن الطريقة التى تتكون بها عقول الناشئين من أبنائنا ترعى الفكر الدينى رعاية تامة ، بل أن المرء لن يكون مغاليا إذا قال إن مناهجنا التعليمية تدعم هذا الفكر فى صورته التقليدية التى تشكل تربة صالحة لظهور الأفكار السلفية بشتى انواعها . ولنسأل انفسنا بصراحة : كم من الكتب الدينية المقررة فى مختلف مراحل التعليم العام ، وكم من كتب اللغة العربية التى تتضمن محتوى دينيا غنيا ـ كم منها يغرس فى النشء قيم الاسلام الايجابية أعنى قيم التفكير العقلى والسعى إلى المعرفة ومحاربة الظلم الاجتماعى وتحقيق العدل والمساواة بين البشر ؟ وكم منها ، فى مقابل ذلك ، يركز على شكليات الدين ويدعو إلى الطاعة المطلقة و « إيمان العجائز » ؟

ومن ناحية أخرى فإن نسبة التعليم الدينى المباشر فى بلادنا تزداد بلا انقطاع فالمعاهد الدينية ، على المستوى الابتدائى والثانوى (بالاضافة إلى معاهد الأزهر وكلياته بالطبع) تنتشر وتزدهر وتجتذب المزيد من الطلاب ، ويشكل طلبة هذه المعاهد نسبة غير قليلة من المتعلمين فى المحافظات الريفية بوجه خاص . وهكذا يتمتع التعليم الدينى فى مصر ، من حيث الكم ، بقاعدة واسعة ، أما من حيث المضمون فلا يمكن لأحد أن يزعم أن محتوى هذا التعليم يتعارض مع اتجاهات التيار الاسلامى السياسى فى بلادنا . ومعنى ذلك أن التعليم الذى تقدمه الدولة لايشكل أية عقبة فى وجه هذا التيار ، بل إنه ، على العكس من ذلك ، يسانده ويدعمه بشتى الطرق المباشرة وغير المباشرة .

٢ ـ فإذا انتقلنا إلى ميدان الاعلام ، وجدنا للموضوعات الدينية نصيبا لا يستهان به فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون . بل إن الحيز والوقت اللذين يخصصان لهذه الموضوعات يفوقان مايخصص لأى موضوع « دنيوى » آخر على حدة . ولكن الأمر لايقتصر فى هذه الحالة بدورها على الجانب الكمى ـ أعنى المساحة المخصصة للمقالات الدينية فى الصحف ، والوقت الذى تستغرقه الأحاديث والندوات الدينية فى الارسال الاذاعى والتليفزيونى ـ بل أن المحتوى ذاته يقدم أرضية مناسبة تتيح لتيار الاسلام السياسى ان يفيد منها إلى أقصى حد . فالاسلام المضىء بالعلم والعقل والحكمة والحضارة نادرا مايجد له مكانا فى وسائل الاعلام هذه ، بل تسرى وجهة النظر التقليدية والسلفية على معظم

مايُكتب ويقال ، وتذاع فتاوى على نسق فتوى « الطين الارمنى » المشهورة وتقدم نماذج لايتضمن معظمها ابداعا أو اجتهادا حقيقيا ، وتتكرر العبارات والأفكار التى ظلت تردد منذ مئات السنين بحذافيرها ، ويصور التراث الاسلامى ، لا على أنه قوة حية متجددة بل على أنه صحائف مختزنة لا دور لنا إزاءها سوى أن ننفض عنها غبار الزمن .

ومن جهة أخرى ، فإذا كانت هناك قلة من الصحف تفسح المجال لكتابات تعارض تيار الاسلام السياسى ، فإن أغلب الصحف تتبارى فى مجاملة هذا التيار . وفضلا عن ذلك فإن لهذا التيار صحفه ومجلاته العديدة التى يهاجم فيها معارضته بكل حدة ، ومع ذلك فإنه يضيق ذرعا إذا ظهر ، من آن لآخر مقال يعارضه ، ويسارع بالشكوى مما يعانيه من « اضطهاد » إعلامى ويهدد صاحب المقال أو ناشره بالويل والثبور . وهكذا يبدو أن التشخيص الحقيقى لموقف التيار الاسلامي من ميدان الاعلام هو أنه يريد أن يكون وحده في الساحة يهاجم الآخرين كما يشاء ويعرض فكره دون معارضة من أحد ، أما إذا ظهر ابسط رد عليه أو مناقشة له ، فإنه يرى فى ذلك اضطهادا يستحق مرتكبه اشد العقاب .

٣ ـ ولست اود ان أطيل الحديث عن ميدان الاقتصاد ، لانى لست من خبرائه ولكن متابعتى للأحداث العامة تسمح لى بأن اقول باطمئنان تام ـ إن التيارات الاسلامية تزداد تغلغلا وتوسعا فى هذا المجال من خلال البنوك والمصارف الاسلامية وشركات توظيف الأموال العملاقة التى تجتذب كل يوم ملايين جديدة من مدخرات المواطنين . ولم يعد المساهمون فى هذه الشركات يفعلون ذلك لأسباب دينية فقط ، أعنى استجابة للحس الدينى الذى يحرم عليهم التعامل بالربا ، بل إن عددا لايستهان به من « العلمانيين » أصبحوا يوظفون أموالهم فيها لسبب دنيوى بحت هو أنها تعطى اكبر عائد من الأرباح . والذى يهمنا فى هذا كله هو أن أمور التيار الاسلامى فى الميدان الاقتصادى أصبحت مزدهرة الى حد لايترك لممثليه أى مجال للشكوى من الاضطهاد فى هذا المجال .

٤ ـ ولعل الرصيد الأكبر للتيار الاسلامى السياسى فى بلادنا ينبع من أنه يرتكز على ذلك الشعور الدينى العميق الذى يجرى فى دماء الشعب المصرى منذ عشرات القرون . فمنذ أيام الفراعنة كان الحس الدينى سمة مميزة لشعبنا ، ومن هنا رأينا أهم إنجازاتهم وآثارهم تتخذ طابعا دينيا وأخرويا لاتخطئه العين وامتد هذا الحس الدينى إلى العصر القبطي ثم ازداد تغلغلا وتأصلا منذ أن اعتنقت أغلبية الشعب المصرى الاسلام . وهكذا فإن اية حركة إسلامية نشطة ، فى الوقت الحاضر ، تستطيع أن تعتمد على رصيد هائل مختزن على مر التاريخ من المشاعر الدينية العميقة ولاتحتاج هذه الحركة إلى جهد كبير لكى تجند وراءها عشرات

الألوف من البشر وخاصة إذا أضيفت إلى ذلك ظروف موضوعية تجعلهم متلهفين - فى ظل الأوضاع الصعبة القائمة - إلى الحل البديل . فالنجاح السريع الذى تحرزه دعوة الاسلام السياسى لايرجع فى الواقع الى براعة يتصف بها أصحاب هذه الدعوة أو إلى قدرة غير عادية لديهم على اجتذاب الجماهير ، بقدر مايرجع إلى أن دعوتهم تستفيد من ذلك المخزون الضخم من المشاعر الدينية ، الموجود بالفعل لدى هذه الجماهير وتجده امامها جاهزا ، وتحصل عليه بلا عناء . وفى ذلك تختلف التيارات الاسلامية عن كافة التيارات السياسية الأخرى التى تضطر إلى أن تنحت طريقها فى الصخر وتجد لزاما عليها ، من أجل نشر مبادئها السياسية ، أن تبدأ من الصفر .

وهكذا يمكن القول ، بمعنى معين ، إن دعاة الاسلام السياسى ليس لهم فضل كبير فى هذا النجاح الملموس الذى أحرزوه فى السنوات الأخيرة لأنهم ركبوا موجة عاتية موجودة بالفعل . وكل مافعلوه هو انهم إعلنوا أنفسهم ناطقين بلسان ذلك الحس الدينى العارم الذى كان يتملك الجماهير قبل ظهورهم ، وسيظل يتملكهم من بعدهم ، واخذوا على عاتقهم توجيهه والانتفاع منه ، بعد أن احتكروه لأنفسهم من أجل تحقيق هدف سياسى محدد . وهذا وضع يمنحهم تفوقا لافضل لهم فيه على جميع التيارات السياسية الأخرى ، ولايمكن فى ظله أن يتحدث احد منهم عن اى اضطهاد يعانون منه .

بل اننا لو شئنا الدقة لقلنا إن المعارضين لهم هم الذين يلقون منهم اضطهادا لايستهان به ، فما دام التيار الاسلامى السياسى قد جعل من نفسه تجسيدا للحس الدينى لدى الانسان العادي وممثلا وحيدا له ، فإن من السهل على أصحابه أن يتهموا اى تيار آخر مخالف لهم بالكفر ويصبح سلاح التكفير اداة قوية يستخدمونها بطريقة تعسفية من أجل تخويف المعارضين وإسكات أصواتهم . ومما يضاعف من تأثير هذا العامل ، أن مستوى الحرية فى مناقشة المسائل الدينية يهبط فى مجتمعنا العربى يوما عن يوم ، بحيث تُحرِّم فى أواخر القرن العشرين مناقشة أمور كانت تبحث بكل حرية فى اوائله . بل كان الفقهاء والمتكلمون يناقشون ماهو أخطر منها وأجرأ فى القرون الأولى للاسلام . وهكذا يستغل التيار الاسلامى ضيق الأفق الثقافى السائد من أجل فرض أضطهاد فكرى على معارضيه يصل أحيانا إلى حد الارهاب الصريح .

● [illegible] المثل العليا

٥ - وتترتب نتائج هامة على انتفاع التيار الاسلامى السياسى من ذلك الرصيد الدينى الضخم الذى يتلقاه جاهزا اهمها أن هذا التيار يستطيع أن يتخلص دائما من مواجهة تفاصيل الواقع العملى ، مكتفيا بالمبادىء العامة التى تتسع لشتى التأويلات . والواقع أن الحس الدينى لدى الانسان هو فى جوهره تطلع إلى مثل أعلى يتجاوز عالم الواقع . وهو رؤية للعالم كما ينبغى أن يكون وكل مثل أعلى هو بطبيعته هدف بعيد يسعى الانسان بلا انقطاع إلى بلوغه ولكنه لايحققه إلا بصورة جزئية .

غير ان عجز الانسان عن بلوغ المثل الاعلى لايعنى تخليه عنه . بل إنه يظل يسعى إليه حتى وهو يعلم ان واقعه لن يسمح له بتحقيقه إلا بصورة منقوصة .

وهكذا يتمتع الداعية إلى التيار الاسلامى السياسى بميزة هائلة بالقياس إلى كل من يدعو الى مذهب سياسى اخر : إذ يتحرك الاول فى ميدان المثل العليا ، بينما يتحرك الثانى فى ميدان الواقع الملموس ، والمثل العليا بطبيعتها أسمى وارفع من الواقع . ومن جهة اخرى فإن الدعوة إلى المثل العليا ، مادامت تعلو على مستوى الواقع ، تسير فى طريق خال من العقبات ، لايصطدم بمشكلات الواقع على حين ان المذاهب السياسية الاخرى التى توصف بانها ، علمانية ، كالراسمالية والاشتراكية والليبرالية ، الخ ... تضطر إلى مواجهة العقبات التى يثيرها فى وجهها الالتزام الدائم بعالم الحياة الواقعية . ومن هنا فإن المذهب القائم على اسس بشرية تجريبية يصطدم بعقبات لانهاية لها ، لانه يحتك دائما بالعالم الفعلى ويواجه مشاكله اما المذهب الذى يحلق فى سماء المثل العليا فإنه يتحرك فى عالم من الحرية التامة يتجاوز مصاعب الواقع وعقباته .

وفى هذه الناحية يكون لتيار الاسلام السياسى ، بشعاراته الدينية المثالية ميزة كبرى على تلك المذاهب المرتكزة على الاحتكاك بعالم الواقع بحيث تكون المقارنة ذاتها بين هذا الطرف وذاك ظالمة من الاساس . وبعبارة أخرى فإن جميع المحاولات التى تبذل من أجل المفاضلة بين الاسلام كايديولوجيا او عقيدة سياسية ، وبين الايديولوجيات الاخرى التى تظهر فى ظل تجارب تاريخية ملموسة ، كالراسمالية والاشتراكية والشيوعية والفاشية ، الخ ... تقع فى خطأ اساسى . هو خطأ المقارنة بين المثاليات التى وُضعت لتكون هدفا بعيدا يستحيل بلوغه كاملا وبين الافكار المستمدة من خبرة الواقع المعقد الملىء بالمشاكل والصعوبات .

٦ ـ وهناك ميزة كبرى يتمتع بها التيار الاسلامى السياسى ، إذا ماقورن بكافة التيارات الاخرى التى تمثل المعارضة فى بلادنا هى أن قدرة الاول على السيطرة على العقول اعظم بكثير . ذلك لأن دعاته يقدمون تعاليمهم (التى هى فى الاغلب اجتهاداتهم الخاصة) على انها تعاليم سماوية لاتناقش . ويضربون بذلك عصفورين سمينين بحجر واحد : إذ يضمنون الطاعة المطلقة من جانب الاتباع ويستغلون الميل الغالب لدى اكثرية الناس إلى الانقياد لسلطة توفر عليهم مشقة التفكير وتقدم إليهم حلولا جاهزة . وعلى العكس من ذلك فإن اى حزب معارض آخر لابد له ان يطالب الناس بالتفكير والمشاركة فى تحليل الاوضاع والبحث عن مخرج من المشاكل . وهذه عملية شاقة يتمنى الكثيرون ـ خاصة فى اوقات الازمات الاقتصادية والسياسية ـ لو وجدوا من يعفيهم منها .

وتلك سمة لاتقتصر فى الواقع على مجتمعنا وحده ، بل إن شعبا عظيما كالشعب الألمانى قد كشف بوضوح فى فترة غير بعيدة من تاريخه ، عن حاجته إلى من يقوده ويوجهه وهو معصوب العينين ، حين تراكمت عليه الهزائم العسكرية والأزمات الاقتصادية والسياسية فى فترة مابين الحربين ، فأسلم قياده برضاء تام « للفوهرر » أى للقائد والموجه والمعلم الذى يفكر ويقرر نيابة عن شعبه . وبالمثل يكتسب التيار الاسلامى بفضل منهج الطاعة المطلقة الذى يتبعه فيما بين كافة مستوياته التنظيمية ميزة كبرى تجذب اليه اعدادا كبيرة من الناس ، وخاصة فى الظروف الصعبة الراهنة ، وتعطيه سبقا واضحا بالنسبة إلى كافة التيارات الاخرى .

٧ ـ وأخيرا ، فإن قوى المعارضة الأخرى تعتمد أساسا على الكلمة المقروءة ، على حين أن تيار الاسلام السياسى يعتمد فى المحل الاول على الكلمة المسموعة مما يعطيه قدرة هائلة على الانتشار بين أعداد من الناس ويمنحه ميزة لا تتوافر لغيره . ذلك لأن الاتجاهات المعارضة الأخرى توجه دعوتها أساسا من خلال الصحف أو النشرات أو الكتب . وفى ظل الأمية المتفشية ،والأزمة الاقتصادية الطاحنة ، يحق لنا أن نتساءل : كم من الناس يشترون هذه الصحف والمطبوعات ؟ ومن من هؤلاء الذين يشترونها قادرون على قراءتها بوعى واستخلاص النتائج المطلوبة منها أعنى كم منهم يتمتع بالمستوى الذهنى والثقافى الذى يتيح له تحليلها وفهمها فهما صحيحا ؟

وفى مقابل ذلك يتمتع التيار الاسلامى بميزة مخاطبة جمهوره فى الأغلب من خلال الكلمة المسموعة ، أى فى المساجد والحلقات والتجمعات والندوات . وفى أحيان غير قليلة عن طريق التليفزيون (أقوى منابر العصر التكنولوجى) الذى يذيع بلا انقطاع أحاديث دعاة ناجحين ومشهورين يمهدون الأرض لتيار الاسلام السياسى حتى لو لم يكونوا واعين بأنهم يعملون لحسابه . ولاننسى فى هذا الصدد استخدام الأشرطة الصوتية (الكاسيتات) التى كانت من العوامل الهامة لنجاح ثورة الخمينى فى ايران ، والتى أصبحت أداة من أهم أدوات الدعوة الاسلامية فى بلادنا .

ونستطيع أن نعدد ثلاث مزايا رئيسيه على الأقل للكلمة المسموعة بالقياس إلى الكلمة المقروءة :

الأولى هى الاتساع الكبير لقاعدة جمهورها ، وخاصة ـ كما أشرنا من قبل ـ فى ظروف انتشار الأمية والأزمة الاقتصادية .

والثانية هى أن الكلمة المسموعة تسمح بالتأثير على الجماهير عن طريق عوامل أخرى غير العقل فالمتحدث أو الخطيب يستطيع استخدام صوته بطريقة تثير انفعالات قوية لدى السامعين وتستحوذ على مشاعرهم حتى ولو كان منطقه هابطا وتفكيره سقيما ويمكن القول إن نسبة كبيرة من الدعاة المشهورين حاليا يدينون بشهرتهم لطريقتهم فى الالقاء ، ولمؤثراتهم الصوتية ، اكثر مما يدينون بها لعلمهم أو رجاحة عقولهم .

والثالثة أن من طبيعة المنابر التي تقدم فيها الكلمة المسموعة أن تكون إرسالا من اتجاه واحد ، واستقبالا سلبيا من الاتجاه الآخر . فالتليفزيون والكاسيت لامجال فيهما للنقاش والرد ، وانما يتلقى الجمهور مايسمعه ويتقبله بلا اعتراض فتقوى لديه بالتدريج عادة التصديق السهل والتسليم السريع .

وفي هذا كله تكتسب دعوة الاسلام السياسي مزايا هائلة بفضل الأساليب الخاصة التي تستخدمها ، والتي تعطيها تفوقا واضحا على كافة الاتجاهات الأخرى .

● فرصة أفضل بكثير

في كل ماسبق كنت أحاول أن أرد على دعوى الاضطهاد التي تتردد بلا انقطاع على لسان التيار الاسلامي . والنتيجة التي أود أن أخلص إليها هي أن هذا التيار إذا ماقورن بغيره من التيارات العاملة في ساحة السياسة المصرية والتي تسير مثله في طريق المعارضة ليس مضطهدا على الاطلاق ، بل إنه يتمتع بمزايا أساسية تجعل فرصته في العمل والدعوة إلى أهدافه أفضل بكثير من أي حزب أو اتجاه معارض آخر .

أما إذا تأملنا الموضوع من زاوية العلاقة مع الحكومة ، فإن العنف الذي تمارسه الدولة يأتي دائما كرد فعل على عنف سابق صحيح أن رد فعل الدولة كان في بعض الأحيان أقسى مما ينبغي ، ووصل أحيانا إلى حد البطش في الخمسينيات والستينيات ، ولكن بداية مسلسل العنف كانت تأتي دائما من جانب التيار الاسلامي السياسي إما عن طريق القيام بعمليات مباشرة وإما عن طريق تكوين تنظيمات شبه عسكرية تستشعر فيها الدولة خطرا عليها . وعلى أية حال فإنني لست على الاطلاق من المؤيدين لسياسة مواجهة العنف بالعنف ، وأعتقد أن مسلك الحكومات المصرية ، منذ الاربعينيات ، في مواجهة الحركات الدينية ذات الطابع السياسي كانت تشوبه أخطاء فادحة وكان يتسم بقدر غير قليل من التخبط ومن معالجة القشور دون الجذور ومواجهة العضلات دون العقول .

وبعد هذا كله ، تظل علامة الاستفهام الأصلية قائمة : فتيارات المعارضة الأخرى قد تعرضت في أحيان غير قليلة ، لاجراءات عنيفة مارستها ضدها الدولة ، ومع ذلك فإنها لم تحاول اللجوء إلى أي شكل من أشكال الارهاب . فلماذا كان التيار الاسلامي السياسي هو وحده الذي يلجأ من خلال بعض فصائله ، إلى العنف الارهابي ؟ إذا كانت الظروف التي يعمل فيها هذا التيار كما بينا ، مواتية إلى حد بعيد بالقياس إلى غيره فإن حجة الاضطهاد لابد أن تسقط وينبغي علينا البحث عن تعليل آخر .

وواقع الأمر أن الاتجاه الذي يتصرف على أساس أنه يملك الحقيقة الواحدة المطلقة التي لايسمح بأي خروج عنها ، لابد أن يتولد لديه النزوع إلى العنف

فحين يقسم الناس إلى حزب الله وحزب الشيطان ، وحين يحتكر بعض البشر لأنفسهم تمثيل الحس الدينى والايمان المستقر فى قلوب الملايين منذ آلاف السنين . وحين تصف هذه القلة كل من عداها بالجاهلية أو الزندقة ، عندئذ لايعود العنف أمرا مستغربا . فالارتباط وثيق فى رأيى ، بين الاعتقاد بامتلاك الحقيقة الوحيدة المطلقة وبين العجز عن التفاهم بأية لغة غير لغة الرصاص .

إن الشاب الذى تربى على الايمان الراسخ بأنه هو وجماعته المسلمون حقيقة ، وبأن إسلام الآخرين جميعا ناقص أو باطل . يسهل إقناعه بضرورة استئصال من يخالفه فى الرأى وتصفيته جسديا ، بل إنه ليؤمن بأنه حين يفعل ذلك فإنه يكتسب لنفسه ثوابا ويحقق لأمة الاسلام كل الخير . والمذنب الحقيقى فى هذا هم الدعاة الموجهون ، الذين يستولون على عقول مريديهم من خلال تفسير باطل لآيات وأحاديث مثل : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » فهم يرون فى هذا الحديث دعوة للمسلم الغيور على دينه إلى استئصال « المنكر » باليد قبل اللسان وبالطبع فإنهم لايقولون لهؤلاء الشباب إن تحديد « المنكر » ينبغى أن يترك لأهل العلم ، ولايحذرونهم من أنه لو ترك تقرير ماهو منكر وماهو غير منكر لأى إنسان يتوسم فى نفسه الايمان ولو سمح له بأن يغير هذا الذى يراه منكرا بيديه لكان معنى ذلك أن يُترك أمر تنفيذ القانون لكى يتولاه كل فرد فى المجتمع بنفسه فيتحول المجتمع إلى غابة تتصارع فيها الوحوش .

إن القطاعات التى تنزع إلى العنف فى التيار الاسلامى السياسى لاتفعل ذلك لأنها مضطهدة ، أو لأن المجتمع يضيق عليها الخناق أكثر مما يفعل مع غيرها من الجماعات المعارضة ، وإنما هى تلجأ إلى العنف لأن طريقة تكوينها وتربيتها النفسية والذهنية تؤدى إلى هذه النتيجة حتما . ولكن المشكلة هى أن هذا العنف الذى لايرتكز على أى أساس من الفهم الصحيح لما يستحق البقاء وما يستحق الفناء فى المجتمع ، يسير دائما فى الاتجاه الخطأ ، ويطيش رصاصه على الدوام بعيدا عن الهدف الصحيح .

وحسبى ، تدليلا على ذلك أن أطالب أى إنسان مقتنع بالعنف سبيلا لاصلاح المجتمع ، بأن يطرح على نفسه السؤال الآتى : إذا كانت وسيلتى الوحيدة لاستئصال الفساد والمفسدين فى بلد كمصر هى استخدام البندقية فهل ينبغى أن يكون أول من أصوب نحوهم هذه البندقية هم حسن أبوباشا ومكرم محمد أحمد ؟

أما الشعب المصرى الأصيل فإنى أطرح السؤال الآتى على وعيه الذى لا أشك فى أنه مازال فى مجموعه سليما : هل يحق لنا أن نتبنى موقف أولئك الذين تركوا أكبر اللصوص والنهابين يعيثون فى بلدنا فسادا ولم يجدوا هدفا يطلقون عليه رصاصهم سوى وزير سابق دعا إلى الحوار معهم ، وكاتب كان ذنبه الوحيد هو أنه اختلف معهم فى الرأى ، ولم يستخدم ضدهم إلا لغة العقل والمنطق ؟



دوائر العنف الثلاث في المجتمع المصري
محاولة للفهم والتفسير

بقلم: د. محمد نور فرحات

العنف هو اسلوب لحل الصراعات يتبناه فرد او جماعة بهدف حسم الصراع لصالحه بالاستناد الى القوة الماديه وحدها . وظنى ان هذا التعريف هو اكثر التعريفات شمولا وقبولا ، من بين التعريفات الكثيرة التي صاغها علماء السلوك الانساني المهتمين بظاهرة العنف كظاهرة انسانيه معاصرة ، تؤرق البشرية ويبحث الساسة والمفكرون والمصلحون عن حلول لها .

والعنف بهذا المعنى ظاهرة عالمية أولا ومستمرة ثانيا · فهو ظاهرة عالمية يكاد لا يخلو منها مجتمع من مجتمعات اليوم الا القليل ، فقد اضحى كوكبنا على مشارف القرن الواحد والعشرين كوكبا للصراعات الانسانية الدنيئة المختلفة الاسباب والمتباينة المظاهر · وليست أمثلة جماعات الالوية الحمراء ، وبادر ما ينهوف ، وصراعات السود الامريكيين ، ونضال الباسك والجيش الاحمر ، وقلاقل الشباب الفرنسيين ، والسيخ الهنود ، الا امثلة قليلة للحركات الدقيقة المنظمة أو غير المنظمة التى تسود عالمنا اليوم ·

والعنف أيضا ظاهرة مستمرة عبر التاريخ ، لم تخل منه حقبة تاريخية واحدة على قدر منا وعى الانسان من حقبات تاريخية · بل ان التاريخ ليتحلى أجلالا امام العديد من حركات العنف الجماهيرى القديمة والوسيطة والحديثة ، تلك الحركات التى كان لها اثرها فى انهاء حقبات بائدة والايذان بحقبات مشرقة من حقبات التاريخ الانسانى ·

ومع كل ذلك ، أى مع التسليم بعالمية العنف وتاريخيته ، فان هذه العالمية وتلك التاريخية يجب الا تلهينا نحن المتدبرين لواقع مجتمعنا اليوم ، عن الاسباب الداخلية والعوامل المعاصرة ، وهى التى يجب ان تتوجه اليها الانظار عند بحث هذه الظاهرة الآن · فالتفسير بالعالمية وبالتاريخية هو تفسير يبعث على الراحة والاطمئنان والظفر ، وكيف لا ونحن جزء من العالم وحلقة فى التاريخ ·



دوائر العنف الثلاث

ولكنه تفسير لا يضوء أمامنا الطريق نحو مواجهة الظاهرة التى نعانى منها الآن .

● أهداف متباينة

والملاحظة الاولى التى نود أن نبديها ، ان طلقات الرصاص التى دوت فى الاونة الاخيرة فى شوارع القاهرة ، متخذة لها كل مرة هدفا مختلفا يجب أن تؤخذ فى حدود الدائرة التى تنتمى اليها . والزعم عندى ان ظاهرة العنف الانسانى يمكن أن تنقسم الى دوائر متعددة تفوق كل دائرة فيها الدائرة التى تليها من حيث السعة .

الدائرة الاولى : هى دائرة العنف الجماهيرى ، وهى اكثر دوائر العنف سعة وفيها تشترك قطاعات واسعة وكبيرة من الجماهير ، وهى عادة جماهير الفقراء وتعمد الى استخدام القوة أو التلويح بها من اجل الحصول على مكاسب اجتماعية واقتصادية محددة .

والدائرة الثانية : هى دائرة عنف التنظيمات او العنف المنظم ، وفيها يحاول مجموعة من الافراد يتمتعون بقدر من التنظيم فى استخدام العنف من اجل تحقيق الاهداف العقائدية أو السياسية التى يتبناها هذا التنظيم

والثالثة هى دائرة عنف الافراد عندما يعم فى المجتمع لجوء الافراد الى العنف المادى لحسم صراعاتهم الشخصية والفردية .

هذا ، وان كانت حوادث العنف الاخيرة (محاولة اغتيال حسن ابو باشا ، والدبلوماسيين الامريكيين ، ورئيس تحرير المصور ، وقبل ذلك عدد من الحوادث المتناثرة، وان كانت هذه الحوادث كلها تنتمى الى الدائرة الثانية دائرة عنف التنظيمات ، التى لها تفسيراتها واسبابها الخاصة ، الا أن احدا لا يستطيع أن ينكر أن المجتمع المصرى منذ حقبة السبعينيات وحتى الان يتجول بحرية انطلاق بين هذه الدوائر الثلاث ويزدرد من كل كاس منها بقدر

فقد شهدنا تظاهرات الخبز فى يناير ١٩٧٧ ، وقبل ذلك وبعده حفل مجتمعنا بما اصطلح على تسميته بالحوادث المؤسفة وهى عبارة عن تصدى مجموعات من الجماهير بالعنف لممثلى السلطة وخاصة رجال الشرطة، واختلطت المعارك الانتخابية عندما بالمعارك الفعلية التى تستخدم فيها الايدى والاسلحة ، وخرج جنود الامن المركزى مطالبين بالعدل يعيثون فى المدينة تدميرا وتحطيما ، ولجأ العمال فى عدد من المواقع الى سلاح الاضراب للمطالبة بحقوقهم التى تمنعها عنهم الادارة ، وهذه كلها وغيرها مظاهر للعنف العفوى التى تعبر عن الاحباط الاجتماعى لقطاعات واسعة من الجماهير المصرية .

وفى مجال العنف المنظم ، فقد اغتيل رئيس الجمهورية السابق بواسطة تنظيمات تنتهج العنف اسلوبا فى العمل السياسى ، وعلى نفس الوتيرة جرت محاولة اقتحام الكلية الفنية العسكرية وسقوط الصرعى نتيجة لذلك، وشهدت محافظات الصعيد مشاهد دامية من حوادث الاقتتال المفرطة فى عنفها ، واستقر الامر عند محاولات الاغتيال الاخيرة التى تتحدث عنها مصر كلها .

وعلى مستوى العنف الفردى تتعدد مظاهر الجرائم الجديدة كما

وكيفا على العلاقات الاجتماعية المصرية والتى تتخذ من العنف الدموى الذى يستفز ابسط القيم الانسانية اسلوبا لها ٠

محاولة البحث عن الاسباب

اذن ، فالعنف بدوائره الثلاث ظاهرة متصاعدة يعانى منها المصريون الان ، والبحث فى الاسباب يجب الا يخلط بين الاسباب العامة التى تقف وراء العنف كظاهرة عامة بدأ يشتد وقعها على المصريين منذ اوائل السبعينيات ، وبين الاسباب الخاصة بكل دائرة من هذه الدوائر المتفردة ٠ ولا نزعم فى هذا المقال السريع اننا بصدد محاولة اعطاء تفسير لظاهرة العنف فى مصر على المستويين العام والخاص فهذا امر يجب ان تقوم عليه فرق من الباحثين تضمهم وتقوم على رعايتهم مراكز البحوث المصرية ٠ وانما حسبنا فى مقامنا هذا ان نقدم مجموعة من الفروض تصلح للاختبار بواسطة دراسات لاحقة لننتهى الى اثباتها او نفيها ٠ وهى فروض تستند الى ملاحظة التركيبه الاجتماعية ونمط العلاقات الاجتماعية السائدة فى مصر الان ، كما انها تستند ايضا الى مشاهدات التاريخ ، خاصة واننا ننتمى الى مجتمع تاريخى تلعب عادات التاريخ دورا بارزا فى ادارة حاضره وتوجهات مستقبله ٠

ولنبدأ بفحص دوائر العنف من المستوى الخاص الى المستوى العام فنطرح بصددها تساؤلات اكثر مما نقدم من اجابات ٠

فاولا : اعتقد انه من المقبول والمبرر ان نفترض ان شيوع مظاهر العنف الفردى فى الاونة الاخيرة ، ومن امثلتها جرائم الاغتصاب ، وقتل الاقارب وجرائم العنف لاسباب مالية وجنسية وغير ذلك من الجرائم التى يقشعر لها الحس الانسانى ترجع فى المقام الاول الى الزلزال الذى حدث بجهاز القيم فى المجتمع المصرى والناتج عن الانتقال المفاجيء وغير المسبوق بمقدمات من سياسة التنمية الاقتصادية الموجهة الى سياسة المشروع الفردى وما تبع ذلك من سيادة قيم الانانية والفردية والتطلع الى الثراء السريع أيا كان الطريق اليه مشروعا قانونا وخلقا او غير مشروع ٠

وثانيا : نعتقد ايضا أنه من المقبول والمبرر أن نفترض ان ظاهرة العنف المنظم أو عنف التنظيمات ترجع الى مجموعة من العوامل الفكرية والعوامل السياسية ٠ اما عن العوامل الفكرية فتتمثل فى تبنى عدد من المجموعات المهمومة بقضايا المجتمع فى مصر لافكار تنفى الاخرين ، اى لافكار بحكم مكوناتها المعرفية لاتقبل ان تتعايش مع افكار الاخرين فهى الوحيدة من وجهة نظرها المسموح لها بالتواجد ، لانها وحدها تمثل الحق كله وغيرها يمثل الباطل كله ٠ ولا وسطية او توفيقية بين النقيضين ، فالركائز الفكرية لهذه المجموعات تنظر الى التعددية السياسية على انها من قبيل اللغو وبالتالى تنتفى اى امكانية للحوار او لادارة الصراع مع الاخرين بطريقة سلمية ، واكون

متجنيا على الحقيقة ناكلا عن امانة الملاحظة ان عزوت مذهبية نفى الاخرين الى فصائل من التيار وحدهما ، وان حجبت هذه المذهبية عن تيارات اخرى ٠ فبين الاسلاميين المستنيرين من يتبنى قيما سياسية هى على اعظم ما تكون سعة وليبرالية ، كما أن من غيرهم من اقصى جماعات اليسار

دوائر العنف الثلاث

واليمين من يتشح بوشاح الشمولية بحيث لا يتصور أن تتسع ساحة العمل السياسى لغيره وحده دون غيره . فالظاهرة موجودة على اى حال هنا وهناك ، وان كان الظاهر منها حتى الان يعلن انحيازه لمفهومه الخاص عن الاسلام ويرفع رايته .

● العنف المنظم

وعنف التنظيمات او العنف المنظم ترتد أسبابه ايضا الى عوامل سياسية ضاربة بجذورها فى واقع الحياة السياسية فى المجتمع . ذلك أن هذه الجماعات السياسية التى تقوم على نفى الاخرين ، هى جماعات منفية ومتغربة اجتماعيا بفعل ممارسات السلطة والتى تعتمد هى أيضا على نفى وتغريب من عداها . فليس لنا أن نتوقع فى مجتمعنا تمنع قطاعات كبيرة منهم من حق التنظيم السياسى المشروع ، ونقف بين التنظيمات السياسة المعترف بها وبين الاتصال بالجماهير ، ونجعل من الديمقراطية نموذجا سياسيا مختزلا للحق فى الشكوى ، ليس لنا ان نتوقع الا ان يقابل النفى بالنفى والتغريب بالتغريب وليس لنا ان نتوقع فى مجتمع تنفى فيه السلطة الحاكمة خصومها السياسيين نفيا جسديا يستفز الضمير الانسانى عن طريق التعذيب ، ليس لنا أن نتوقع الا ان يتسم هؤلاء الخصوم بالضراوة تجاه السلطة وتجاه المجتمع باكمله ، اذ ان تلك هى الخبرة الوحيدة التى تعلموها فى العمل السياسى داخل السجون المصرية ، فنفى بنفى وتغريب بتغريب .

وثالثا : ونعتقد ايضا بل نكاد نوقن ، ونحن على حق فى يقيننا هذا أن العنف الجماهيرى ، وهو اكثر دوائر العنف اتساعا ، والذى يتمثل

- هل تخترق الرصاصات العقول .. كما اخترقت الزجاج ؟



فى هبات الجماهير من اجل الحرية ولقمة العيش ، ليس سوى رد فعل تلقائى غير منظم تجاه السياسات الاجتماعية والاقتصادية التى طبقت فى مصر منذ السبعينيات ، والتى نتج عنها تشويه فى خريطة الطبقات الاجتماعية المصرية ، ونتج عنهما تحول قطاعات كبيرة من الطبقة الوسطى المصرية الى صفوف الفقراء والمعوزين ، ونتج عنها اخيرا ان الاحتجاج برفع الصوت فى الشارع وفى مواقع العمل اصبح هو الوسيلة الوحيدة للبقاء فى ظل مناخ سياسى عجزت فيه الاحزاب السياسية عن ان تحتوى حركة الجماهير فى الشارع المصرى • ومما يزيد هبات الجماهير من اجل الخبز والحرية اشتعالا وعنفا الدور الاجتماعى الخطير الذى تلعبه فى هذه الاحداث الطبقات الشاردة ، وهى الطبقات المغرقة فى عوزها التى تقع خارج السلم الاجتماعى لوقوفها خارج العملية الانتاجية تماما • هذه الطبقات التى يطلق عليها الباحثون فى التاريخ الاجتماعى المصرى لفظ الزعر او الجعيدية اوالهباشة اوالحرافيش يعسكر افرادها على اطراف القاهرة والمدن الكبرى هربا من قحط الريف ، ويقدر عددهم بالملايين فى ظل اسلوب للانتاج عاجز تماما عن استيعابهم ، ويلعبون اخطر الادوار فى اضرام النيران فى الهبات الاجتماعية بحيث يستفحل امرها وتستعصى على التحكم فيها

تلك كلها فروض خاصة لمحاولة فهم وتفسير دوائر العنف الثلاث فى المجتمع المصرى الان ، وخلف هذه العوامل الخاصة المفترضة ، يقف فى نظرنا عامل عام وشامل يتحكم فى ظاهرة العنف المصرية تحكمه فى كافة الظواهر الاجتماعية المصرية الاخرى• فالحقيقة التى تعلن عن نفسها لدى محاولة البحث عن معنى للتاريخ الاجتماعى المصرى انك ان اردت ان تحيط بهذا المعنى فابحث عن الدولة • فالدولة فى مصر ليست كشأنها فى كثير من المجتمعات الاخرى ظاهرة عارضة يعى المواطنون ذواتهم خارجها ، بل هى ظاهرة متحدة مع النسيج الاجتماعى المصرى تلعب فى هذا النسيج اخطر الادوار واهمها قاطبة ولديها امكانية وسعة لمواجهة العنف ولا اريد ان اطيل على القارىء فى حديث اطلت فيه فى بحوثودراسات سابقة ، ولكن حسبى ان اقرر مع كثيرين غيرى ان الدورات التى مر ويمر بها التاريخ المصرى من عصور الازهار الى عصور الاضطراب الى عصور الازدهار انما هى دورات الفاعل والمتحكم الاساسى فيها جهاز الدولة المصرية بالحالة التى يكون عليها وبانحيازه أو عدم انحيازه نحو قيم العدل والحرية • فالفترات الاجتماعية التى تنحاز فيها الدولة لصالح الفقراء وتوجه جهدها الى احداث تنمية اجتماعية واقتصادية حقيقية تأخذ فى الاعتبار اساسا مصالح الفقراء والمنتجين ، يظهر المجتمع بمظهر الوحدة والتماسك والالتفاف نحو الدولة والامتثال لارادتها ، وفى الاوقات الاخرى التى تتلهى فيها الدولة عن مصالح جماهير العامة والفلاحين والفقراء وتنصرف الى تحقيق مصالح الصفوة ، ينفرط عقد المجتمع ويفتقد المجتمع صفة التماسك ، ويتشرذم الى مجموعة من الجماعات الفرعية تحاول أن تنوب عن الدولة فى القيام بوظائفها واولها وظائف وضع القانون العادل والحاقه بالجزاء وأحسب أن التفصيل فى هذا الامر مطلوب ومطلوب ونسأل الله العون على القيام به فى دراسات لاحقة •



تأملات في كتاب "القتل السياسي"

بقلم : فتحي رضوان

شهدت مصر في الفترة التي صاحبت ثورة سنة ١٩١٩ واعقبتها نشاطا سياسيا عنيفا لم تشهد مثله بعد ذلك بسنوات ، وكان من خصائص هذا النشاط انه لم يكن ينقضي سوى بضعة ايام او على الاكثر اسابيع حتى تقع جريمة قتل او محاولة وبذلك لم ينج وزير من وزراء تلك الايام من محاولة قتل تهدد حياته . ثم هدأ هذا النشاط حتى كاد يتوقف تماما ثم استؤنف في الحلقة الرابعة من القرن العشرين وتصاعد حتى بلغ غاية العنف والشدة .

وقبيل ثورة سنة ١٩١٩ اى فى ٨ ابريل سنة ١٩١٥ حاول مجهول قتل السلطان حسين ، قتله بعيار نار من مسدس الا ان القذيفه لم تصبه واصيب بعدة جراح وفى يونيو من نفس العام تمت محاولة اغتيال ابراهيم باشا فتحى وزير الاوقاف ووقعت المحاولة فى محطة السكة الحديد بمصر وكانت وسيلة القتل خنجرا ، اذ طعن المجنى عليه ثلاث طعنات ، وحوكم عليه بالموت ونفذ فى القاتل صالح عبد اللطيف حكم الموت ، وفى ١٠ من يونيو سنة ١٩١٩ شرع مجهول فى قتل رئيس الوزراء محمد سعيد باشا امام منزله بالاسكندرية ولم يقبض على الفاعل .

وفى ٢٢ من يونيو سنة ١٩١٩ تمت محاولة اخرى لقتل محمد سعيد باشا وقد اقتصرت هذه المحاولة على مجرد بلاغ من مجهول عن نية آخر لقتل رئيس



دولة النقراشى باشا واحمد حسين باشا . ومعالى ابراهيم عبد الهادى باشا



احمد ماهر باشا



عبد الرحمن فهمى

الوزراء وانهم خبأوا قنبلتين فى مكان ما لاتمام الجريمة وقد تم تفتيش المكان ووجدت قنبلتان ولكن الشرطة لم تتوصل الى الفاعلين ثم تلقت النيابة بلاغين فى ٢٢ ـ ٦ ـ ١٩١٩ ، ٢ ـ ٩ من نفس السنة عن التحضير لقتل محمد سعيد باشا ولم تسفر هذه البلاغات عن شيء ، وقد اتهم فى هذا البلاغ الدكتور محمد سعيد باشا احد رجال التعليم وعبد الحى كيرة احد البارزين فى العمل السياسى المصرى اتهم معهما فى هذه الجريمة طالب بالازهر يدعى سيد محمد على ومحمد شكرى الكرداوى موظف وقد حكم على الاول بعشر سنوات سجن مع الشغل وحكم على الثانى بخمسة عشر عاما ، وقد فر الاخير من وجه العدالة وبقى مختفيا حتى انتهت فترة قيام الحكم بالعفو .

وفى ١٢ من نوفمبر سنة ١٩١٩ قتل الكابتن صموئيل كوهين اثر اصابته باربعة اعيرة وواضح أن هذا القتيل كان من الضباط اليهود الذين يعملون مع البريطانيين فى المستعمرات

وفى يوم ١٢ من نوفمبر سنة ١٩١٩ اطلق مجهولون على اربعة جنود بريطانيين اثنين برتبة جاويش وعسكريين وانحصرت الاصابة على واحد من الاربعة ولم يضبط احد كما وقعت محاولة مشابهة فى ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩١٩ على احد الضباط الانجليز

تأملات

"في كتاب القتل السياسي"

ولم يصب ولم يقبض على احد كما لم يقبض على احد في محاولة قتل اثنين من الضباط الانجليز اثناء سيرهما ومعهما فتاتان انجليزيتان وبعد عدة اعتداءات على جنود وضباط انجليز وقعت عدة محاولات قتل على الوزير اسماعيل سرى باشا فى ١٨ ـ ١ ـ ١٩٢٠ ومحاولة اخرى فى ١٢ ـ ٢ ـ ١٩٢٠ على الوزير محمد شفيق باشا وكان كل منهما وزيرا للاشغال العمومية ومهندس رى كبير. ثم جاء دور القضية الكبيرة التى سميتقضية المؤامرة الكبرى ووجه الاتهام فيها الى الوطنى الكبير عبد الرحمن فهمى بك وكان سكرتيرا للجنة الوفد بالقاهرة واتهم معه عدد من خيرة شباب مصر مثل محمد لطفى المسلمى وكان طالب حقوق وامتد عمره واصبح نائبا من نواب الشرقية وحسنى عبده الشناوى وكان كذلك طالبا بكلية الحقوق وتوفيق صليب الذى اشتغل بالصحافة فى اكبر الجرائد والدكتور محمد حلمى الجيار كان طالب طب وحصل على اجازة الطب من جامعة استانبول بعد ان فر من السجن وكان جرجس عبد الشهيد الذى وصل الى منصب المستشار بمحكمة الاستئناف وحامد الليبى الصحفى وابراهيم عبد الهادى الذى وصل لمنصب رياسة الوزراء وهو الذى فى عهده صدر قرار تنفيذ حل جماعة الاخوان المسلمين بعد قتل محمود فهمى النقراشى • وقد استمرت هذه القضية شغل البلاد والشاغل حتى حكم فيها بعقوبات شديدة اول الامر ثم خففت.

• وعادت محاولات قتل الجنود الانجليز فى شوارع القاهرة وكان من هذه المحاولات وقع فى ٦ من مايو سنة ١٩٢٠ ثم ٨ من مايو نفس السنة ثم ٩ من نفس الشهر ونفس السنة ومحاولة اخرى مماثلة فى ٢ ـ ٦ ـ ١٩٢٠ ثم شرع فى قتل توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء فى ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٢٠ وقد قبض على المتهم وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالموت فى ٢٦ ـ ٦ ـ ١٩٢٠ ونفذ الحكم فى ٨ من يوليو •

ثم اتهم عدد من المتهمين فى قضية المؤامرة الكبرى التى كان المتهم الاول فيها هو عبد الرحمن بك فهمى بمحاولة قتل شهود الاثبات فى تلك القضية الاولى •

واطلق الرصاص مرتين على محمد بدر الدين بك مدير الامن العام فى يومى ١ ـ ١ ـ ١٩٢١ و ٥ ـ ١٢ ـ ١٩٢٢ ولم يعرف الفاعل • ثم اطلق عيار نارى على محمد عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء فى ٢٣ ـ ٢ ـ ١٩٢٢ واتهم اربعة ، ثم اطلق سراحهم عندما صدر قانون عفو • واستمر اطلاق الاعيرة النارية خلال سنة ١٩٢٢ على ضباط وجنود بريطانيا اثناء سيرهم فى شوارع القاهرة وقد بلغ عدد محاولات قتل هؤلاء الجنود نحو سبع محاولات وتمت محاولة ثامنة فى ٢٣ ـ ٤ سنة ١٩٢٢ فاقتل عبد الخالق ثروت وقبض على اربعة متهمين وقدموا للمحاكمة وحكم عليهم باحكام متفاوتة •

ولكن حسن باشا عبد الرازق عضو حزب الاحرار الدستوريين والاستاذ

اسماعيل زهدى قتلا على ابواب نادى حزب الاحرار الدستوريين فى يوم ١٦ منوفمبر سنة ١٩٢٢ وكان حسن باشا من كبار اعضاء حزب الاحرار، وقد حوكم على هذه الجريمة الدكتور شفيق منصور وزملاؤه فى قضية قتل السردار البريطانى (قائد الجيش المصرى السير لى ستاك باشا فى ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٢٤) .

وقد وصلت هذه السلسلة الطويلة من حوادث القتل ومحاولته الى حادث ضخم ، كان له دور كبير تجاوبت به اصداء مصر والعالم كله ، واعنى به مقتل الجنرال الانجليزى السيرلى ستاك الذى اسندت اليه الحكومة قيادة الجيش المصرى ليجرده من كل مقومات الجيش ، وليجعل ضباطه وجنوده اشباحا لا يمارسون شيئا من فنون العسكرية ولا يتحلون بشىء من خلق الجنود المصريين الذين عاشوا قبل الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢ يخوضون المواقع ويحققون الانتصارات العظيمة فى السهل والجبل وعند خط الاستواء وفوق الثلوج وكانت بعض خيوط هذه الجريمة تنتهى الى ايدى البريطانيين الذين ما كادت الجريمة تقع حتى بادروا الى استغلالها فوجهوا انذارا الى حكومة مصر طالبين التحقيق السريع فى الجريمة وانزال اقصى العقاب بفاعليها ، مع طرد الجيش المصرى من السودان عقابا لحكومة مصر وكأن حكومة مصر هى التى قتلت السيرلى ستاك ، وقد ابت الصدفة الا ان يقتل السير كيرزوق قائد الجيش البريطانى نفسه فى طريق من طرق لندن عاصمة الامبراطورية البريطانية مما يقطع ان الحكومات لا تسأل عن الجرائم السياسية التى تقع على ارضها الا اذا شاركت فيها مشاركة ثابتة المهم ان الشرطة القت القبض على ثمانية من المتهمين . ثمانية من شباب مصر هم الدكتور شفيق منصور الذى بدأ حياته فى العمل السرى عقب تخرجه فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٩ فقد اتهم فى قضية مقتل بطرس غالى باشا سنة ١٩١٨ ، ثم طالبا الحقوق والعلمين العليا عبد الحميد وعبد الفتاح عنايت وهما شقيقان ومحمود راشد وابراهيم موسى وراغب حسن ومحمود اسماعيل وقد نفذ الحكم فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ . وقد توصلت الشرطة الى معرفة هؤلاء الشبان بفضل شهادة تقدم بها شاهد ملك هو نجيب الهلباوى الذى كان من قبل متهما فى جناية الشروع فى قتل السلطان حسين كامل .

وبعد وضع اليد على هذه الجماعة النشطة الجريئة ، هدأت حركة القتل السياسى فى مصر لبضع سنوات حتى استعادت شدتها ابتداء من ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ وهو تاريخ مقتل الدكتور احمد ماهر .

فهل كان وضع اليد على هذه الفئة هو السبب فى انقطاع حركة العمل السياسى السرى باعتبار أن هؤلاء كانوا رأس الجماعة التى تستهدف الموت ، وتجازف فى سبيل انقاذ خطة القتل التى التزمتها الواقع ان ذلك يبدو للنظرية السطحية . وتاريخ الحركات السرية يؤكد أن سقوط شعبة من العاملين فى هذا المجال لا يؤدى الى توقف حركة العمل كله او سرعان ما يعاود الباقون خارج السجون عملهم أو قد يعود الى مسرح العمل السرى سواهم فى السر ، اذن فى هدوء العمل السرى بعد انقاذ حكم الموت فى قتلة السردار فى اغسطس سنة ١٩٢٥ . ونفس السبب الحقيقى لهذا الهدوء تغير موقف بريطانيا من المطالب المصرية وما انتهى اليه اللورد

تأملات
في كتاب "القتل السياسي"

اللنبي المندوب السامي البريطاني فقد تبين ان موقف العناد من الحركة الوطنية عبث لا طائل تحته ، وان المصريين مستعدون لمواصلة الكفاح وان اعمال العنف لا تدل على انها شعبة منعزلة يمكن محاصرتها والقضاء عليها بل انها تعبير عن الشعور الوطني العام وقد حصل تغير الموقف البريطاني على الوجه التالي٠

اولا : افرجت بريطانيا عن سعد زغلول واخوانه واطلقت سراحهم من المنفى ٠

ثانيا : خففت وطأة الاحكام العرفية والمحاكم العسكرية البريطانية ٠

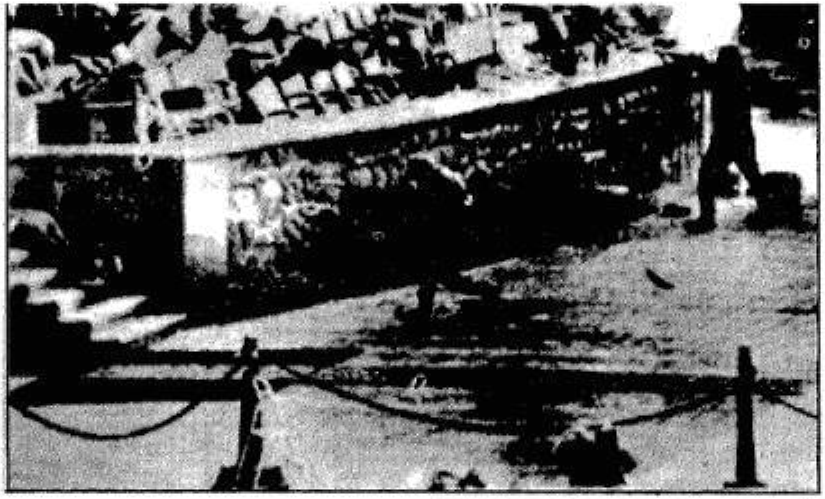
ثالثا : اعلنت ان مصر دولة مستقلة دستورية ذات سيادة ٠

رابعا : منحت مصر دستورا كان يتضمن النص على الحريات الجوهرية ٠

خامسا : جرت انتخابات كانت وحدها الانتخابات ، الحرة النزيهة بين عشرين انتخابا جرت بعد ذلك وكانت مزورة ٠ وعاد سعد زغلول فاستقبل استقبال الفاتحين ، والغت الاحكام المعطلة للصحف ، والنشاط الحزبي ، وعقدت الاجتماعات وخطب الخطباء في كل مكان ٠

تحولت مصر من سلطنة الى ملكية دستورية يحكمها ملك ينص الدستور على انه يملك ولا يحكم وان اساس الحكم في البلاد هو فصل السلطات وان القضاء مستقل والقضاة لا يخضعون الا لضمائرهم ٠ هذه الاحكام العظيمة وهذه النقلة الضخمة، وجو الحرية الذى ساد وعودة المنفيين واطلاق سراح المعتقلين كانت بلاشك رشا باردا القى على نار الذين كانوا يرون انه لاسبيل الى اجلاء الانجليز الا بمطاردة الانجليز واعوانهم برصاص البنادق حتى تصبح حياتهم فى مصر جحيما لا يطاق ، وكان هؤلاء محقين تماما وقد تحرك فعلا كثير من الساسة الانجليز نحو تحسين الاوضاع السياسية فى مصر ، وزيادة القدر المتاح من الحرية لابنائها ، وقد نجحت هذه السياسة فعلا ووضع القاتلون المصريون بنادقهم جانبا واستعدوا لخوض حياة سياسية جديدة،واستعدوا للانتخابات العامة ونظموا صفوفهم وبهذا الاسلوب خفت حملة العنف فى مصر وبعد ان كان لا ينقضى اسبوع او اسبوعان حتى تنطلق رصاصة الى صدر باشا من باشوات الحكم فى مصر ٠

واثبتت هذه التجربة ان الوسيلة الناجحة فعلا لتطويق العنف السياسى هى الغاء مسبباته فان كان هناك ظلم سياسى وتضييق على المواطنين ، واذا سادت روح القهر ، فلابد من رصاص ينطلق فى الظلام ، ولابد ان يعلو صوت الرصاص لا صوت المناقشة والجدال ، وقد استفادت بريطانيا من هذا الدرس فى كل موضع من امبراطوريتها ، فكلما عقدت الامور واشتد ساعد حملة البنادق وسقط الجرحى والصرعى من انصار الحكومة سارعت حكومة بريطانيا الى تخفيف حدة القيود واطلقت الحريات ، ودعت الى دورة من المفاوضات ٠ حدث هذا فى الهند وحدث فى ايرلندا وحدث



حادث المنصة .. الاغتيال العلنى على شاشات التليفزيون



محمود عبد اللطيف المتهم فى اغتيال عبد الناصر

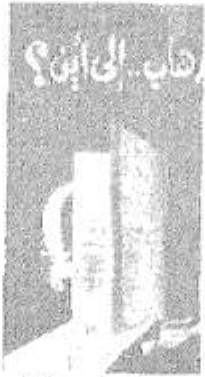
اخيرا فى قبرص كما حدث فى مصر على الوجه الذى اسلفت اليه الاشارة .

وهذا ما نستخلصه من مطالعة الصفحات التى طالعناها فى السطور السابقة . ولذلك فنحن ندعو الى معالجة اسباب الارهاب ، ونزيد من مقدار الحرية فيتاح لكل نشاط انشاء حزبه واصدار جريدته وعقد اجتماعاته . ونعيد النظر فى القوانين المكروهة، وعندها ستخف حالة التوتر ويسود الوطن جو من السكينة الصحيحة والطمأنينة الصادقة .

لاشك ان الكثيرين وفى مقدمتهم رجال الحزب الوطنى القديم حزب مصطفى كامل ، كانوا يرون فى كل ما صدر من السلطات البريطانية من مظاهر تفريج الضيق ، واسباغ صور الحرية على اسلوب الحكم ، هو مجرد خديعة يقصد بها صرف المجاهدين عن جهادهم والقاء الفتنه بين الوطنيه بتقديم وهم المفاوضات ولكن الاحساس الغالب كان المقدار المتاح من الحرية واصبح اعظم من طرقات حملة البنادق من الوطنيين، ولكنه تقدم نحو الافضل ويجب استغلاله والانتفاع به . فى مجالات الكتابة والخطابة والاجتماع ولهذا كسبت السلطات البريطانية جولة ضد العنف فلما تأزمت الامور ثانية بسبب ازمة فلسطين عاد العنف الى سطوته ودوى صوت الرصاص من جديد .

جذور التطرف الديني

رفضت مصر تاريخيا الفرق المتطرفة



بقلم : د. محمود إسماعيل

رأينا ان تاريخ الاسلام فى مصر العصور الوسطى لم يعرف ظاهرة التطرف الدينى ، فقد لفظت مصر الفرق المتطرفة فى ذات الوقت الذى اسهمت فيه بتقديم انجازات فكرية دينية مستنيرة ومعتدلة للعالم الاسلامى باسره .. كما ان طبقة الكهنوتية لم تتخلق فى تربة مصر المعطاءة بل كان رجال الدين فقهاء ومعلمين وفى ذات الوقت مناضلين وكادحين .. وقد ارجعنا ذلك الى عوامل جيوب تاريخية ، اقتصادية واجتماعية . وبنفس المنظور وذات المنهج نرصد بواكير ظاهرة التطرف فى مصر الحديثة والمعاصرة .

يرتبط تحديد بداية تاريخ مصر الحديث ببدايات القرن الثامن عشر وليس بالفتح العثمانى سنة ١٥١٧ كما درج المؤرخون التقليديون على غرار الاوربيين الذين ربطوا تاريخ العرب الحديث بالتاريخ الاوروبى . وحجتنا فى ذلك أن المرحلة العثمانية برمتها امتداد للعصور الوسطى من حيث سيادة النظام الاقطاعى لنمط انتاج افرز معطياته الثقافية السلبية من اتباع وتقليد ونصية وغيبية تسليمية . وحين تخلخل البناء الاقتصادى - الاجتماعى بفعل الحملة الفرنسية وسياسة محمد على ممهدا المجال كان من الطبيعى أن يواكب هذا التحول تطور فكرى .. ولقد تحدد هذا التحول الفكرى كما وكيفا بمدى التحول الاقتصادى - الاجتماعى فى صورته غير الكاملة وغير الحاسمة . اذ فى الوقت الذى افرز فيه النمط السابق التيار « المحافظ » السلفى افرزت البورجوازية المتنامية - ولكن غير الثورية - افطيتها الفكرية الليبرالية التى تبنت العقلانية واعطت التقدم الصناعى والتقنى الذى ميز عصر محمد على عن العصور السابقة ويعنينا فى هذا المقام رصد ظاهرة



حسن البنا



محمد عبده

الاصلاح الديني او - ان شئت - ظاهرة التنوير في الفكر الديني التي بدات ارهاصاتها مع الشيخ حسن العطار ومن بعده رفاعة الطهطاوى واخيرا حركة الافغاني ومحمد عبده .. تلك الحركة التي احتضنت التيارات الغربية التي افرزتها الثورة البورجوازية الاوربية وربطت بينها وبين الاتجاهات التراثية العقلانية والمائية . لم تكن الدعوة للاصلاح الديني - كما ذهب معظم الدارسين - نتيجة للغزو الفكرى الاوربى بقدر ارتباطها بالتطور الاقتصادى - الاجتماعي والسياسي في كيان المجتمع المصرى .

وكان واد « الجنين » الليبرالي بعد ضرب تجربة محمد على و « تحجيمه » ثم وقوع مصر تحت وطأة الاحتلال البريطانى بمثابة احياء للتيار السلفي المحافظ .. دليلنا ما حل بالطهطاوى ومحمد عبده من محن النفى والمطاردة . لكن مدرستهما ظلت تمارس وجودا شاحبا سوف يتعاظم فيما بعد سواء على صعيد الحركة الوطنية أو على صعيد الثقافة والفكر . فاذا كان التيار « المحافظ » في الفكر الديني - ومثله عبد الله النديم - رأى في الارتباط بالجامعة الاسلامية والدولة العثمانية وسيلة لمناهضة الاحتلال ، تلك الصيغة التي حددت مسار الحزب الوطني ومنظره الشيخ جاويش بلا مدافع ، فان التيار الليبرالي سيجد ضالته في البورجوازية المتنامية التي عبر عنها حزب الوفد بزعامة سعد زغلول .

لم يكن زغلول ورفاقه الا « تلامذة » في مدرسة الامام محمد عبده وامتدادا لها على الصعيدين الفكرى والنضالى . وكان ظهور الوفد واكتسابه جماهيريته المعروفة تعبيرا عن دور البورجوازية المصرية المتعاظم ممثلة في طلعت حرب وشركاته . وكان في ذات الوقت بمثابة دحر مؤقت للتيار السلفي المحافظ الذى عبر عنه الحزب الوطني .

● الوفد .. وعوامل الضعف

ولان حجم البورجوازية المصرية كان محدودا لعجزها عن منافسة الراسمالية الاوربية ، كان الوفد يحمل في داخله عوامل ضعفه اذ ضم شرائح من طبقة كبار الملاك ذوى

الاتجاه المعتدل وهو أمر سوف يؤدى الى حدوث الانشقاقات المعروفة « مكرم عبيد والنقراشى » .. كما سيؤدى الى وجود دور غير محدود لاحزاب الاقلية التى كانت تعبر عن طبقات كبار الملاك وفلول الاقطاعيين، بل لعل فشل ثورة ١٩١٩ ولجوء الوفد وأحزاب الاقليات الى أسلوب « المفاوضات » كوسيلة لحل قضية التحرر الوطنى كان من أسباب ظهور الحركات الشيوعية فى العشرينيات لتعبر عن طموحات الطبقة الكادحة وبعض شرائح البورجوازية الصغيرة .. بل سوف يؤدى فى ذات الوقت الى ظهور تيار « راديكالى » داخل الوفد نفسه (محمد مندور وجماعته) . وكانت معاهدة ١٩٣٦ التى شاركت فيها أحزاب الاقلية الى جانب الوفد بمثابة معلم جديد فى تاريخ الحركة الوطنية نضاليا وفكريا . فلم تحقق المعاهدة الطموحات الوطنية مما أفرز فيما بعد استنكارا شعبيا سوف يتبلور بعد قليل فى ظهور قوى جديدة على ساحة العمل الوطنى . فظهور « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » بفصائلها المختلفة كانت اعلانا عن فشل الاحزاب السياسية المعلنة عموما . كما كانت بمثابة مخاض لميلاد أحزاب وجماعات جديدة تلتمس أسلوب النضال المسلح بديلا لاسلوب المفاوضة الذى لم يجد فتيلا . وساعد على ذلك فقدان الوفد لجماهيريته على أثر حادث ٤ فبراير المشهور .. تمثلت الاحزاب والجماعات الجديدة فى حزب « مصر الفتاة » الذى رغم تطرفه الفاشى طرح القضية الاجتماعية بوضوح بعد أن شغلت الاحزاب التقليدية أساسا بقضيتى « الجلاء والدستور » .

● ميلاد الجماعات المتطرفه

وفى ذات الظروف ولذات الاسباب سيجرى احياء التيار الدينى السلفى وسيظهر على الساحة ممثلا فى جماعة « الاخوان المسلمين » . وهذه الظروف أيضا هى التى أفضت الى تشرذم الحركات الشيوعية وانقساماتها المعروفة .. فضلا عن تأسيسها على يد قادة أجانب بالاضافة الى « هزال » دور البورجوازية : ما كان من الممكن أن تحتل مكانة التوجيه السياسى فى ظل الظروف التى أحيت التيار الدينى السلفى الذى شجعه القصر والاحتلال معا ولو بطريق غير مباشر لضرب الاتجاهات الراديكالية الجديدة .

ويعنينا فى هذا المقام أن نتوقف عند « حركة الاخوان » باعتبارها الجنين الذى سيكبر ليلد الجماعات الدينية المتطرفة ، موضوع الدراسة ، ولقد كتب الكثير عن هذه الجماعة وفكرها وطموحاتها السياسية بما يغنينا عن اللجاج . لكن يجب على الاقل أن نثبت بعض الملاحظات الجوهرية وهى :

١ ـ ارتباط الحركة « بهزال » دور البورجوازية وافلاسها على الصعيد الوطنى . فبعد تصدع الوفد انضمت بعض فصائله وخاصة من العمال والفلاحين والمهنيين « المدرسين والمهندسين والاطباء والصيادلة الخ » الى الحركة ، ليشكلوا دعامتها الاساسية .

٢ ـ أنها كانت معاصرة لحركات مماثلة فى العالمين العربى والاسلامى

انطلاقا من ذات الظروف السوسيو ـ سياسية · ولذلك سوف تؤثر كثيرا وتتاثر ايضا بفكر منظرى الاتجاهات الدينية عموما ، بل سيقدر لها أن تنتشر فى معظم بلدان العالم العربى انطلاقا من تاثير واشعاع دور مصر الحضارى والتاريخى ·

٣ ـ أن اعلانها عن طبيعة نشاطها وتكريسه فى الامور الدينية اساسا قد حماها من اخطار الصراع والتنافس السياسى فى الساحة الوطنية على الاقل فى سنوات نشاتها ·

٤ ـ أن الحركة فى ذات الوقت كانت تتطلع الى دور سياسى اتخذ فى البداية صورة « الاحتساب » ثم بدأت تشخم نفسها فى السياسة متذرعة بأن الاسلام دين ودنيا ، عقيدة وشريعة ·

٥ ـ انها لم تجد معارضة من مكامن القوة الممثلة فى القصر والانجليز بل العكس هو الصحيح ، إلقيت التأييد والتعضيد · فالقصر كان يجد فيها معولا يهدم حزب الوفد ، والاحتلال يجد فى الحركة اداة « للتهويم والتغييب » انطلاقا من خبرة تاريخية ومعرفية أصلتها دوائر الاستشراق ·

٦ ـ أن هذا التأييد والتشجيع دفعا بالحركة الى الانتقال الى مرحلة « العنف المسلح » وبالذات أسلوب « الاغتيال السياسى » ذلك الاسلوب الذى يعبر عن « المراهقة السياسية » والذى أفضى الى مرحلة من العنف والعنف المضاد الذى أفضى الى اغتيال حسن البنا والقاء الاخوان فى السجون ·

٧ ـ برغم ذلك استمرت الحركة وتطورت الى مرحلة نظرت فيها للعمل السياسى مفيدة من تاريخ « الحركات السرية الاستبدادية » · ويظهر ذلك بوضوح فى أنتكيز على « الجهاز السرى » كأداة ووسيلة للوصول الى السلطة ·· كما ظهر منظرون لفكر الحركة وقد افادوا فى ذلك من مسلمى الهند « فكر المودودى بالذات » ويظهر ذلك فى كتابات



محمد على باشا



الشيخ رفاعة الطهطاوى

« سيد قطب » الذى طرح المفهوم السياسى الاسلامى كدين ودولة ٠ وكذلك عبد القادر عودة صاحب الاجتهادات المعروفة فى التشريع الاسلامى كبديل للقوانين الوضعية ٠

٨ ـ برغم ذلك كان « الاسلام السياسى » وفقا لمنظور جماعة الاخوان ينطوى على « هولامية » و « عجز » و « تلفيقية » ٠ دليلنا على ذلك شعار الحركة القائل « الله غايتنا ـ الرسول زعيمنا ـ القرآن دستورنا ـ الموت فى سبيل الله اسمى امانينا » !!٠٠

٩ ـ ان سياسة العنف كانت قاسما مشتركا بين الكثير من القوى الوطنية كنتيجة لفشل اسلوب التفاوض المعتدل ، ونتيجة ايضا لمؤثرات نازية وفاشستية ٠٠ ظهرت بصماتها فى



سيد قطب

جماعات الفتوة الوفدية ومصر الفتاة وان بز الاخوان الجميع فى هذا الصدد تحت تاثير « الهوس الدينى »

١٠ ـ ويؤخذ على جماعة الاخوان اغفال الجانب الاجتماعى الذى اخذ يفرض نفسه حتى على برامج الاحزاب التقليدية ناهيك عن المنظمات الشيوعية وحزب « مصر الفتاة » الذى طرح شعار الاشتراكية متاثرا بمبادىء حزب العمال البريطانى فى اطار فاشستى ٠ وكان ذلك من أسباب التركيز علي الجانب « التآمرى الانقلابى » كأسلوب للعمل السياسى ٠

ولعل ذلك كان من أسباب عدم تنامى الحركة عموما رغم تدهور القوى السياسية الاخرى اليمينية « احزاب الاقلية » والبورجوازية « الوفد » والمحاصرة « الشيوعيون » ومصر الفتاة خاصة بعد انتصار دول الحلفاء علي دول المحور التى راهن عليها الاخوان ومصر الفتاة ٠

وكان انتصار الحلفاء بمثابة وضع عراقيل جديدة أمام الحركة الوطنية المصرية ، فظلت القوى التقليدية على المسرح السياسى تتخبط فى سياساتها مع تفاقم الازمة الاجتماعية والهزيمة فى حروب فلسطين ٠ حيث باتت العوبة فى يد القصر والانجليز ٠

فى ذات الوقت كان تنظيم « الضباط الاحرار » يعد العدة للثورة التى اندلعت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتبدا مرحلة جديدة فى تاريخ مصر وبالتالى فى تاريخ الفكر الدينى ٠٠ كان الصراع بين الاخوان والثورة بمثابة معلم جديد فى ضوئه يمكن رصد وتعقب تنامى ظاهرة التطرف الدينى ـ وهو ما ستكرس له المقال التالى ٠



الأدب.. والعنف السياسى

بقلم : محمود قاسم

● الحقيقة .. اكثر غرابة من الخيال

ليس صحيحا بالمرة ان القرن العشرين هو وحده عصر العنف ـ خاصة السياسى منه ـ لكنه هو الذى قام بتجسيد جرائم العنف بشتى اشكالها من خلال وسائل الاعلام التى قامت بنقل العنف ـ على وجه السرعة ـ الى البيوت وسط مؤثرات صوتية وبصرية ملونة او مجسمة تزيد من الاحساس به وتضاعف من تأثيره ··

● ولو تصورنا ان احدى الجرائم التى حدثت فى الفترة الاخيرة قد دارت فى عصر يخلو من كل هذا الكم من وسائل الاعلام ، ما خرجت هذه الجرائم ـ رغم اهميتها ـ عن حدود الدائرة المكانية التى شهدتها ٠ الا ان وسائل الاعلام قد جعلت من الناس جميعا شهودا لما حدث وهى تجسد لهم الجرائم وتنقل وقائعها الى بيوتهم ·· من خلال لقطات مكبرة ·· وكلمات مؤثرة ··

وقد لعب الأدب ـ كما لعبت السينما ايضا ـ دورا كبيرا فى توصيل أحداث العنف الى الناس ٠ لدرجة أن الادب أصبح معلما ومتنبئا ونذيرا لكافة أشكال العنف ٠ فهو معلم جيد لهؤلاء الذين يمكنهم تطبيق خطة محكمة دبرها أحد أبطال الروايات فلاقت نجاحا ٠ مثل حكاية الرجل الذى سرق أحد المتاحف بنفس الأسلوب الذى حدث فى رواية عن متحف « طوبكابى » ٠ ولعب الأدب دور المتنبىء حين تخيل ليوناردو شاشا اختطاف رئيس وزراء ايطاليا عام ١٩٧٤ فى روايته « تودو مورو » فتقوم عصابة الالوية الحمراء بعمل ذلك فعلا بعد أربع سنوات مع الدو مورو ·· كما أن الأدب نذير حين يحذر من النتائج التى انسالت بسببها

الأدب .. والعنف السياسى

كل هذه الدماء القانية . وتحطمت على اشلائها جثث اغلبها من الابرياء

وقد اهتم الادب دوما بابراز شتى اشكال العنف خاصة السياسى منه . فهذا العنف مثير فى المقام الاول سواء فى اسبابه او نتائجه .. وبالنظر الى الروايات التى اهتمت بالعنف السياسى سوف نرى انها تجمع سمات متقاربة منها :

● ارتبط ادب العنف السياسى بما يدور فى مناطق بعينها من العالم . مثل امريكا اللاتينية والشرق الاوسط وجنوب افريقيا وايطاليا .. وفى بعض الاحيان سنجد أن ابناء هذه المناطق من الشرفاء هم الذين يحملون على عاتقهم تصوير العنف بشتى الابعاد .. خاصة ادباء امريكا اللاتينية المنفيين خارج بلادهم لمواقفهم المضادة .. مثل ماركيث ويوسا ، وارنستو ساباتو والبهوكار بنتير . ثم اندريه برنيك وكوتيزى فى جنوب افريقيا .. كما الهمت احداث هذه المناطق العديد من ادباء العالم الاخر بتصوير ما يحدث فى هذه البلاد من عنف . مثلما فعل جون لوكاريه فى روايته « الطبالة الصغيرة » عن العنف فى الشرق الاوسط ومثلما فعل الفرنسى هيرفين بازان فى روايته « نيران تفقد نيرانا اخرى » عن العنف فى امريكا الوسطى رغم أن الكاتب لم يزر هذه البلاد قط .

● لعب اغلب الادباء الذين كتبوا عن العنف السياسى دورا كبيرا فى الحياة السياسية داخل وخارج بلادهم ففى داخل البلاد انضم الكثيرون الى الاحزاب السياسية ولعبوا دورا مؤثرا وعندما يتم نفيهم الى الخارج يزداد دورهم البطولى وقد يصبح بطلا قوميا .. وكثيرا ما تتلقفهم دول خصومة وتبرز نضالهم . من ابرز هذه الاسماء اندريه برينك .. اما ليوناردو شاشا فهو احد ابرز اعضاء الحزب الشيوعى الايطالى وقد اشترك فى القضايا العامة مثل محاكمات المافيا . والعنف السياسى والارهاب الذى مارسته جماعة الضغط وعلى رأسها الالوية الحمراء .

● برز نوع جديد من الادب اطلق عليه اسم « الخيال السياسى » يعتمد فى المقام الاول على تصور الكاتب لشكل السياسة فى دولته او فى العالم خلال سنوات المستقبل . وقد اتفق اغلب ادباء هذا النوع أن « العنف السياسى » هو سيد العصور القادمة . ولعل جورج اورويل هو احد الذين تنبهوا لهذا العنف فى روايته « ١٩٨٤ » ثم جاء من بعده العديد من ادباء هذا النوع مثل انتونى بيرجس وهارى هاريسون وكيرت فنجوت . وفى السنوات الاخيرة قدم ابناؤنا العرب بعضا من هذا الادب مثل « السيد من حقل السبانخ » لصبرى موسى و « ثقب فى قاع النهر » لعمر كامل .

● الجهات التى تمارس العنف السياسى فى هذه الروايات هى فى الغالب منظمات ارهابية سرية . جيدة التنظيم . تقوم بعمليات غسيل المخ لاغلب اعضائها الذين يجيدون اطلاق الرصاص حتى اذا اطلقوا رصاصاتهم الطائشة فان عقولهم ووجدانهم تكون خالية تماما من التفكير او مراجعة الضمير . مثل عصابة اليكسيس فى رواية « البرتقالة الآلية » لانتونى بيرجيس . وعصابة الالوية الحمراء فى ادب ليوناردو شاشا . اما



الدومورو .. الوجه الحقيقى



الدومورو .. على الشاشة

الضحايا فهم غالبا من الابرياء وهم من اصحاب الكلمة الشريفة او من الزعماء الذين يحظون بشعبية كبيرة .

وقد اخترنا ان نؤكد على تجربة ليوناردو شاشا لأهميتها القصوى . ورغم اننا سبق أن تناولناه فى الهلال - اكتوبر ١٩٨٣ - بالتفصيل . لكننا سنتحدث عن جزئية صغيرة من أدبه من خلال قضية الدو مورو لاهميتها الشديدة خاصة بعدالحوادث الاخيرة من ناحية وبعد ان القيت الاضواء عليها فى فبراير الماضى بعد فوز فيلم « قضية مورو » باحدى الجوائز الكبرى فى مهرجان برلين الاخير .

وليوناردو شاشا - او شقشق - وهو سليل احدى الاسرات العربية التى تعيش فى صقلية وقد اهتم دوما بما يدور فوق أرض الجزيرة من عنف سياسى . كما اهتم بقضايا المافيا . وهو كاتب غزير الانتاج يكتب الرواية والمقال السياسى ويعد أحد الكتاب المعاصرين الذين ينالون سمعة طيبة من كل الاطراف . وهو عضو فى الحزب الشيوعى الايطالى وسوف نتناول هنا قضية مورو التى انشغلبها ولعلها أحد أسباب شهرته .

• الخيال قبل الواقع •

فى عام ١٩٧٤ طلع شاشا على الشعب الايطالى برواية غريبة الاسم غريبة الموضوع . رواية هى « تودومورو » وتدور حول اختطاف ومصرع رئيس وزراء يدعى « م » ولأن رئيس الوزراء فى ايطاليا آنذاك هوالدو مورو رئيس الحزب الديمقراطى المسيحى وهو الحزب المنافس لذلك الذى ينتمى اليه شاشا . فان الاذهان سرعان ما ربطت بين « م » وبين مورو خاصة ان شاشا قد وصف بطله بما اوحى انه يقصده بالفعل . فهو رجل القى بنفسه وببلاده فى أحضان الامريكيين . فتقوم مجموعة سياسية معارضة باختطافه واغتياله . وقد وصف شاشا الطريقة التى يتم بها الاختطاف وهى اقرب الى تلك التى اتبعتها عصابة الالوية الحمراء عندما نزل الدو مورو من منزله فى صباح السادس عشر من مارس ١٩٧٨ وكان انذاك رئيسا للحزب الديمقراطى وقد ترك منصب رئاسة الوزراء . وفى ذلك الصباح كان مورو متجها

الى البرلمان محاطا بحراسة مشددة حيث تم ابلاغه أن هناك أكثر من محاولة لاغتياله .

ورغم كل اجراءات الامن فقد تم اختطافه وقتل الكثير من الحرس المرافقين .. واقتيد مورو الى غرفة صغيرة أقرب الى التابوت . لاتتسع الا لمكان واحد . بها سرير صغير للغاية . ومنضدة كى يكتب عليها رسائله التى وجه بعضها الى الحزب الشيوعى والبعض الاخر الى أصدقائه وافراد اسرته . وتوالت الرسائل من قبل مورو .. والتقط المختطفون صور مورو محبوسا وارسلوها الى الصحف وتوترت ايطاليا طوال خمسة وخمسين يوما . وذات صباح طلبوا منه ارتداء البزة الجديدة التى جاءوا له بها . واعطوه كيس نقود كى يستعمله فى الاتصال الهاتفى ، وفى ركوب التاكسى .. ثم وضعوه فى حقيبة سيارة وامروه أن يغطى نفسه . ثم أطلق زعيمهم النيران على جسده واقتيدت السيارة الى الساحة التى يطل عليها الحزب الديمقراطى والحزب المسيحى حيث تم اكتشاف جثته فى صباح اليوم التالى .

وقد قام المخرج الايطالى اليوبترى - أحد أشهر المخرجين الذين اهتموا بظاهرة العنف السياسى - باخراج رواية « تودومورو » للسينما عام ١٩٧٦ وهى نفس الفترة التى كان مورو فيها رئيسا للوزراء . وامعانا فى الواقعية قام الممثل جان ماريا تولنته بصبغ شعره وقصه على طريقة مورو . كما تكلم بنفس اسلوبه

ولم يعد خافيا أن تودو مورو هو بالفعل الرئيس الدو مورو .

● اكذوبة رجل الدولة ○

يقول شاشا - لونوفيل ليتررير (٢٠ يناير ١٩٧٧) - ان الظروف التى دفعته الى كتابة هذه الرواية نتجت عن الضائقة الاقتصادية التى عانت منها ايطاليا فى تلك السنوات . والتى كانت تتضخم يوما وراء اخر . مما جعل البعض يتوقع ان ايطاليا ستمر بتجربة شيللى التى كانت قد شهدت لتوها تجربة انقلاب الديكتاتور بينوشيه ضد سلفادور الليندى .

ويقول شاشا فى مجلة بانوراما الايطالية - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٦ - ان تودومورو كان يمثل نموذجا سياسيا لما يمكن ان يحدث لرجل السياسة حين يواجه العنف . ثم حدثت الاحداث واصبح الدو مورو ضحية للعنف السياسى . لذا فلاتزال الشخصية تودو مورو اقرب الى النموذج .

لذا كان على شاشا ان يكون اول المتحدثين عن « قضية مورو » عقب اغتياله .. فاصدر فى شهر أبريل عام ١٩٧٨ كتابا يحمل نفس العنوان هو اقرب الى الرواية منه الى التحقيق الصحفى .. رغم ان الكاتب قد قام بجمع الرسائل التى بعث بها مورو من سجنه الاخير . ومطالب الالوية الحمراء التى بعثت بها طيلة الشهرين التى لم يكن لايطاليا فيهما من حديث سوى عن آلدو مورو . وقد بدأ الكاتب كتابه بعبارة : « اصبح الواقع فى ايطاليا الان خيالا ساذجا » .

والتصقت « قضية مورو » بشكل مباشر بليوناردو شاشا .. فقد





ليوناردو شاشا

راح البعض يتصور ان حزبه المنافس يتشفى فى مورو .. ولكن الكـاتب حاول ان يكون حياديا . لان القضية تخص ايطـاليا وزعماءها السياسيين وفى حديث نشرته مجلة كانزان الادبية فى فرنسا (العدد ٢٩١ الصادر فى اول ديسمبر عام ١٩٧٨) يقولمدافعا عن مورو .

نحن نعرف ابعـاد تلك الاكـذوبة الرسمية الضخمة . وهى ان الـدو مورو رجل دولة من الدرجة الاولى . فهذا كذب . فكيف لنا ان نصدق ان الدولة موجودة ؟ فهل كان على الوطن ان يضحى بمورو . عند هذا الحد احتج مورو . وطلب ان يتم التبـادل به . صاح انه لا يريد ان يموت .. قيل ان مورو مجنون . او انه شخص متقلب . وانه ليس نفس الشخص الذى عرفوه . ولم يود احد ان يستمع الى ما يردده . خاصـــة انه اتهم اصدقاء الامس ..

« لا . لم يكن مورو مجنونا . بل قام بالتفاوض سعيا لتبادل به ببعض السجناء . ولم يفش اى سر . ولم يخن .. بالتاكيد انه اصبح شخصا اخر » ولكن ازاء هذا الموقف الذى يتعلق بخيانة حـزبه . فان وقاحة أصدقائه قد اسكرته وهم يخـرجون على كل المبادىء المسيحية التى تتعلق بهذا الامر .

الغريب .. والغريب حقا ان الدو مورو نفسه قـــد تصرف فى الواقع بنفس النص الـــذى كتبه شاشا فى روايته عن تودو مورو الذى كتب فى احدى رسائله : « يا سادة آمل الا تحاشونى عن الالم وانتم ترددون ان الدولة لا تزال موجودة فرجل فى مثل سنى .. وبكل الثقة التى اكنها لكم . فاننى اخبركم ان وضعى لا يحتمل .

ومرة اخرى تلعب السينما دورها .. ففى اواخر عام ١٩٨٦ قاممخرج ايطالى شاب يدعى جوزيبه فيـرارا باخراج رواية شاشا الثانية « قضية مورو » بنفس الاسم . وكـــان على جان ماريا فولنته ـ من جديد ـ ان يصبغ شعره ويقصه على طريقة تودو مورو ، وان يغير الاسم من تودو مورو الى الدو مورو . وان يتقمص الشخصية التى منحته جائزة احسن ممثل فى مهرجـان برلين ١٩٨٧ فى نفس الفيلم .

عندما يعشق الفيلسوف



بقلم: د. أحمد أبو زيد

فى مذكراته الشخصية (السرية) كتب الفيلسوف البريطانى الشهير برتراند رصل بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٨٣ يقول :

« حلمت الليلة الماضية اننى ارتبطت بالزواج من اليس ، ثم اكتشفت فجاة فى الحلم ان اهلى خدعونى حين اخبرونى ان امى قد ماتت بينما هى تقيم فى الحقيقة فى مستشفى المجانين ، ولذا فانا مضطر الى ان اصرف فكرة الزواج من ذهنى تماما .. ان هذا الحلم يطاردنى بشكل مزعج طيلة هذا اليوم (يوم عيد ميلاد أليس) » .

« اننى افكر فى أليس طول الوقت ... بينما يراودنى الشك فى حقيقة مشاعرى ... ومع ذلك فانا اعتقد ان حبى صادق وحقيقى ليس الان فقط وانما كان كذلك منذ اول مرة . فانا دائم التفكير فى ادق الذكريات التى احتفظ بها عن تفاصيل لقاءاتى معها .... »

والاشارة هنا الى أليس بيرسال سميث التى تزوجها رصل بعد ذلك بعام فى سنة ١٨٩٤ . وكان رصل يتودد اليها ويتقرب ويحاول استمالتها اليه بعد ان وقع فى غرامها بينما كانت هى تبدى كثيرا من التحفظ والتردد فى مبادلته الحب ،

وترى ان ما بينهما هو نوع من الصداقة التي هي في نظرها اهم واقوى من الحب

وقد اشار رسل في مذكراته الخاصة اكثر من مرة الى هذه العلاقة ومدى تعلقه بها رغم تضارب مشاعره ، وكيف ان ذلك الحب كان يملك عليه امره بحيث كانت تتراءى له في احلامه ويصيبه الهلع حين يرى في نومه ان امه مجنونة وانها لاتزال تعيش في مستشفى للامراض العقلية وان ذلك قد يكون سببا في فشل مشروع الزواج مع انه يعلم ان امه قد توفيت بالفعل منذ زمن طويل . وتسجل هذه المذكرات اختلاف نظرة كل منهما الى تلك العلاقة والاحاديث التى كانت تدور بينهما حولها فيكتب مثلا في ١٢ اغسطس ١٨٩٢ اي بعد حوالي ثلاثة اسابيع من ذلك الحلم يقول :

« هذه اسعد ايام حياتي حتى الآن لقد جاءت آليس واحدى بنات عمومتي لتمضية الليلة هنا ، ثم بقيت هي بعد رحيل ابنة العم . وذهبنا نحن الاثنين للتجديف في قارب ، ودار الحديث بيننا حول الحب والزواج ... وقد بينت لها رايي عن ان الحب او التعاطف او الصداقة ـ ايا مايكون الاسم ـ هو اعظم مايمكن للانسان ان يصل اليه وانه هو الشيء الوحيد الذى يستحق من الانسان عناء البحث عنه . ولكن آليس كانت ترى ان اعظم مايصبو اليه المرء هو الاستقلال . وحاولت ان ابين لها ان الاستقلال هو مجرد وسيلة لغاية اعلى واتفقنا الى حد كبير على ان الزواج يهيىء فرصة افضل لتحقيق الحب الروحي ، وان الصداقة بين الجنسين مستحيلة ولكنني تأكدت في الوقت ذاته من صدق تصوراتي عن نفور المرأة وكراهيتها للاتصال الجنسي الا اذا كان من اجل الانجاب ».

ولم يكن في هذا الاكتشاف مايسعد برتراند رسل الذى يعترف في بداية كتابه « السيرة الذاتية » بان :

« هناك ثلاث عواطف او نوازع بسيطة ولكنها قوية بشكل جامح كانت تتحكم في كل حياتي وتوجهها وهي : اللهفة للحب ، والبحث عن المعرفة ، والشعور بالاسى والاشفاق الشديد لمعاناة البشر » .

فالبحث عن الحب كان دائما احدى النزعات الاساسية في حياة رسل . وقد لعب دورا هاما في هذه الحياة وسبب له كثيرا من المشاكل العائلية والمضايقات الاجتماعية والازمات المالية ، ودفعه في بعض الاحيان الى ان يسلك اساليب غريبة للتغلب على تلك المشكلات التى انعكست على سمعته العلمية ومكانته الاكاديمية .

وعلى اية حال فقد انتهى الامر بين برتراند رسل وآليس سميث بالزواج عام ١٨٩٤ . وكان رسل في الثانية والعشرين من عمره . ودام الزواج سبعة عشر عاما ثم اكتشف رسل (فجأة) انه لم يعد يحب آليس . وقد هبط عليه هذه الاكتشاف وأخذه على غرة ذات يوم وهو راكب دراجته ، ويقول في ذلك :

« لم يكن لدى قبل تلك اللحظة ادنى فكرة حتى عن ان حبي لها كان يقل ويتضاءل ».

وهذا هو نفس الشخص الذى كان قد كتب من قبل فى تلك المذكرات نفسها يوم ٢٥ اغسطس ١٨٩٣ وقبل ان يتزوجها بشهور قليلة وهو يعرب عن سعادته وفرحه بها :

« لقد تسلمت خطابين من أليس وكتبت لها رسالتين : انه يبدو لى ان فى استطاعتى ان اتحمل الاقامة فى اى مكان مادمت استطيع الاتصال بها عن طريق الخطابات التى تاتى على اية حال فى المنزلة التالية للوجود معها وفى صحبتها ... انها تحتل فكرى من الصباح حتى المساء ثم تسكن احلامى من المساء حتى الصباح ».

بل انه هو نفس الشخص الذى كتب تلك المذكرات ايضا وفى نفس التاريخ عن احد احلامه فيقول :

« لقد حلمت ان الانسة ستيفنس تغازلنى بنهم وشغف فى الاحراش القريبة ووجدت نفسى مرغما تقريبا على ان احيط خصرها بذراعى واقبلها ، ولكننى قلت لها وانا افعل ذلك يجب الا تتصورى اننى ابغى الزواج منك فانا احب امراة اخرى »

ولذا فمن الغريب ان يحدث كل هذا التحول الفجائى وينسى فجأة ذلك الحب الاول الذى ظل يلهث وراءه فترة طويلة وقد يكون هناك بعض الاختلاف بين أليس وبرتراند رصل فى المستوى الفكرى . ولكن لاشك انه كان بينهما كثير من التجاوب والتلاقى كما تكشف عنه بعض صفحات تلك المذكرات . ففى سبتمبر عام ١٨٩٣ يسجل رصل حوارا دار بينهما وتكشف عن طبيعة العلاقة بينهما وسوف انقل لك معظم ذلك الحوار لاهميته . وقد بدأ بإبداء رصل تذمره من ان الحياة لم تحقق له كل مطالبه فترد عليه بان الانسان يستطيع ان يحصل على كل مايبغيه بالدأب والمثابرة ، ثم يستقر حنانه معا بعض المشاكل ويتناولان بالتحليل علاقته باصدقائه فى شىء من الصراحة ويعترف رصل بانه كان يهتم دائما باصدقائه اكثر مما كانوا هم يهتمون به .

هى : انك لاتثق بهم

انا : كلا .. (فترة صمت ثم بعد كثير من التردد وكبح الصراع الطويل بداخله) .. اننى واثق انك انت ايضا لاتهتمين بى مثلما اهتم انا بك .

هى : لا ، ولكننى اتعاطف معك تماما . ثم ما الذى تريده اكثر من ذلك ؟! اننى ارجو ان تأخذ صداقتنا بنفس الهدوء الذى تأخذ به الصداقات الاخرى ، اننى اعتقد ان ذلك قد يؤثر فى علاقتنا .

انا : لقد حاولت كثيرا ، ولكنها ليست علاقة كغيرها من العلاقات .. لقد جاهدت كثيرا ولكننى لااستطيع ان اخذها بهدوء .. (فترة صمت طويلة قالت فى نهايتها بصوت مرتجف) .

هى : اعتقد اننى لو كنت اكثر إحساسا وادراكا للامور لكان من الواجب علىّ ان اضع حدا لهذه الصداقة من اجل صالحك انت ولكننى اهتم بهذه الصداقة انا نفسى كثيرا ..

انا : (مقاطعا) لا .. لن تستطيعى ان تفعلى ذلك . فهذه العلاقة هى الشيء الوحيد الذى يجعل للحياة معنى بالنسبة لى

هى : حسنا .. من حسن الحظ اننى لست اكثر احساسا وتقديرا للامور ولكننى ارجو ان تنبذ من ذهنك فكرة الزواج . فالصداقة الطف من الزواج بكثير . اننى لااريد ان اتزوج على الاقل قبل وقت طويل .. طويل جدا .

انا : سأحاول ان آخذ الامر بهدوء . وسيكون ذلك اسهل لو اننى استطعت ان اراك مرات اكثر .

(وفى اليوم التالى دار بينهما الحديث على النحو التالى)

هى : اشعر اننا يجب ان نتحدث عن الصداقة مرة أخرى قبل أن نبدأها .. لست واثقة من انك سوف تدخل فى هذه العلاقة بعيون مفتوحة .. هل تعتقد اننا لو صرنا صديقين حميمين دون ان اقع فى غرامك فى اخر الامر فان ذلك يسبب لك كثيرا من الالم ؟

انا : ولكن هذه هى فرصتى الوحيدة .. اننى استطيع ان اؤكد لك ان حبى لن يتغير ابدا . ومن الخطأ ان تعتقدى انك سوف توفرين علىّ كثيرا من الالم لو اننا انفصلنا الان . ولكن اذا كان لابد من الانفصال فمن الافضل إرجاء ذلك الى ابعد وقت ممكن لان حبى لم يكن ابدا اكبر مما هو عليه الان بالفعل »

ورغم هذا كله فان هذا الزواج تحطم عام ١٩١١ فقد دخل رصل فى مغامرة جديدة كان لها دوى شديد واستمرت خمس سنوات مع احدى سيدات الطبقة الراقية وهى الليدى اوتولين موول اوف جارسنجتون ، زوجة احد اعضاء مجلس العموم الاحرار . وكان لتلك العلاقة تاثير بالغ السوء على حياته التي كانت حتى ذلك الحين مستقرة وآمنة وهادئة الى حد كبير .

• • •

ثم لم تلبث هذه العلاقة العاصفة ان توارت وتراجعت امام مغامرة جديدة كان طرفها الاخر ممثلة (ارستقراطية) ايضا وهى الليدى كونستانس مانسون . ثم انزوت هذه العلاقة ايضا امام علاقة اخرى مع شابة اصغر سنا هى « دورا بلال » التي تزوجها رصل عام ١٩٢١ . اى بعد طلاقه من زوجته الاولى بعشر سنين وقد انجب رصل من « دورا » طفلين ، ولكن ذلك لم يمنعه من الدخول فى مغامرة عاطفية مع مربية الاطفال لم تلبث ان انتهت بالزواج منها عام ١٩٣٦ بعد ان تم طلاقه من « دورا » . وانجب رصل طفلا ثالثا من هذه الزيجة الجديدة فاصبح له بذلك ثلاثة اطفال وبدأ يدخل فى مرحلة الشيخوخة التى تهدأ فيها رغبات الانسان العاطفية والجنسية ، ولكن قلبه خفق بالحب لفتاة امريكية فطلق دورا عام ١٩٥٢ وهو فى الثمانين من العمر لكى يتزوج من هذه السيدة الامريكية التي شاركته بعض نشاطه السياسي ودخلت السجن معه بسبب ذلك النشاط عام ١٩٦١ وكان حينذاك فى التاسعة والثمانين .

وكان لابد لهذه الزيجات الاربع والعلاقات الغرامية الاخرى ان تنعكس على حياته فقد كان عليه ان يضطلع بالتزاماته المالية نحو ثلاث مطلقات

دون ان تكون لديه الموارد المالية الكافية ولذا لم يكن امامه الا ان يزيد من انتاجه وان يقبل بعض الاعمال ويقوم ببعض الكتابات التى لايمكن تفسير صدورها منه الا فى ضوء حاجته الشديدة الى النقود . فقد كتب مثلا سلسلة طويلة من المقالات القصيرة بلغت ١٥٦ مقالا بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٥ لمجموعة مجلات هيرست تدور كلها حول امور عامة بل بعضها موضوعات تافهة وغريبة مثل مقاله عن : « من الذى يحق له ان يستخدم احمر الشفاه » او مقالة عن « هل يحق للاشتراكيين تدخين السيجارة ؟» وما الى ذلك . ثم دفعته هذه الضائقة المالية الى ان يقبل - وهو يقترب من السبعين من عمره - دعوة احد أصحاب الملايين الامريكيين الى القاء محاضرات فى الفلسفة فى المعهد الذى يحمل اسمه وهو معهد بارنز فى فيلادلفيا . ولكنه لم يلبث ان فصله من العمل عام ١٩٤٢ لصعوبة التعامل معه . ومع ذلك فقد كانت هذه الفترة فى فيلادلفيا من اهم الفترات على الاقل لان تلك المحاضرات كانت هى الاساس الذى بنى عليه كتابه الشهير (تاريخ الفلسفة فى الغرب) وهو اكثر كتبه رواجا وانتشارا وقد حقق له هذا الكتاب لاول مرة فى حياته دخلا كبيرا وأتى له بالتالى بالاستقرار المالى الذى كان يفتقر اليه قبل ذلك .

وكان لبعض هذه الزيجات اثر مدمر على سمعته العلمية والاكاديمية . فقد شارك زوجته الثانية مثلا فى بعض الانشطة الاجتماعية التربوية التى كانت تهتم بها ، وقاما معا بانشاء مدرسة (تقدمية) عام ١٩٢٧ فى هامبشاير . ولكن المدرسة اثارت ضدها عاصفة من النقد والهجوم العنيف من الصحافة فى اوائل الثلاثينيات لانها كانت تنادى ليس فقط بحرية التفكير وحرية التعبير عن الراى بل وايضا بحرية الحب . وكان من الصعب الدفاع عن المدرسة بعد ان تكشفت الامور عن بعض الفضائح العاطفية فى حياة كل من الزوجين . فقد انجبت من رسل طفلين على ماذكرنا ولكنها فى الوقت ذاته انجبت طفلين اخرين من رجل غير زوجها ، كما ان رسل نفسه كان على علاقة مع مربية اطفاله التى اصبحت زوجته الثالثة عام ١٩٣٦ . وكان من الطبيعى ان يسىء ذلك الى سمعته ومكانته لدرجة انه حين ارادت جامعة ولاية نيويورك إلحاقه بالعمل فيها ضمن هيئة التدريس بها اعلنت احدى السيدات رفض الحاق ابنتها بالكلية الجامعية التى كان سيدرس بها خشية ان (يعتدى) الاستاذ على تلميذته او ان يفسد اخلاقها بشكل من الاشكال وذلك على الرغم من ان الفتاة لم تكن ستتخصص فى الفرع الذى يقوم هو بتدريسه وهو المنطق الرياضى . واثارت المرأة القضية امام المحاكم وافلحت فى ان تجعل القاضى يحكم لصالحها بل وان يوجه اللوم الى الجامعة لانها انشأت كرسيا « للبذاءة وقلة الادب » .

وعلى اية حال فانه على الرغم من البداية الاكاديمية الطيبة التى بدأ رسل بها حياته فان الظروف التى وجد نفسه فيها او التى اوجد هو نفسه فيها صرفته

بالضرورة عن تلك الحياة الاكاديمية الجادة والجامدة . والكثيرون يلاحظون ان اعماله العلمية ظهرت كلها قبل ان يصل الى سن الخامسة والاربعين قبل ان ينصرف الى الاهتمام بالشئون العامة والسياسية وأن يكتب فى موضوعات يتصف بعضها بالسطحية . وقد تكون هذه الانشطة والكتابات قد جلبت له الشهرة وذيوع الصيت ولكنها باعدت بينه وبين طريق العلم والتفكير الفلسفى بالمعنى الدقيق للكلمة . ويذهب بعض الكتاب فى تفسير ذلك الى ان رصل كان قد فقد فى الحقيقة اهتمامه الاول المبكر بالفلسفة ، وان هذا ليس بالامر المستغرب من رجل متقلب فى حبه وميوله وعلاقاته كما يقولون . ولكن المؤكد هو اهتمامه بمشكلات عصره وانتاجه الغزير الوفير الذى تناول فيه كثيرا جدا من الموضوعات المختلفة المتنوعة وماالقيه فى سبيل ذلك من عنت وسجن هو الذى جعل له كل هذه الشهرة الواسعة العريضة بحيث ان الكثير يشبهونه بفولتير . ولقد كان الحكم عليه بالسجن عام ١٩١٨ لموقفه المعادى للحرب والخدمة العسكرية من اجل الحرب هو ـ فى رأى الكثيرين ـ البداية الحقيقية لابتعاده عن التفكير الفلسفى الاكاديمى .

ولعل ذلك كان وراء عدم اختياره زميلا (كاملا) بكلية ترينتى بجامعة كيمبردج الا فى عام ١٩٤٣ بعد ان كان قد تجاوز السبعين من العمر وحقق كل تلك الشهرة الواسعة ، وذلك على الرغم من انه كان قد امضى فى تلك الكلية خمس سنوات كما عمل محاضرا فى الجامعة لبعض الوقت . فلقد نشا برتراند رصل فى بيت جده اللورد جوردون رصل بعد أن توفي والداه قبل ان يبلغ الرابعة من عمره . ولم يلبث الجد نفسه ان مات بعد سنتين وبذلك نشا (برتى) الصغير ـ كما كانوا يدعونه ـ فى بيت معظم افراده من النساء . وتولت تربيته عماته وعدد من المربيات ، كما انه تلقى تعليما خاصا كما كانت عادة كثير من العائلات الارستقراطية فى القرن التاسع عشر . وبذلك لم يترك بيت العائلة الا بعد ان بلغ السادسة عشرة حين (ارسلوه) الى لندن قبل ان يدخل جامعة كيمبردج فى سن الثامنة عشرة ، وكان ذلك عام ١٨٩٠ .

وليس من شك فى أن الفترة المبكرة من حياته بوجه عام هى التي شهدت أعماله (الاكاديمية) الجادة والتى كان من اهمها (اسس الهندسة) عام ١٨٩٧ و (مبادىء الرياضيات) عام ١٩٠٣ و (مشكلات الفلسفة) عام ١٩١١ وأهم كتبه كلها وهو كتاب (برنكيبيا ماثماتيكا Principia Mathemetica) الذى الفه مع وايتهيد عام ١٩١٠

وأسلوب رصل فى الكتابة بوجه عام أسلوب متميز لا يمكن للمرء أن يخطئه بما فيه من عمق ولماحية وفطنة وثقة بالنفس واعتداد بالرأى وبما يعكسه من قدرة على تسلسل الافكار وربطها بعضها ببعض رغم كل ماقد يكون فيها من تشعب وتعقد وتشابك . وحين سئل رصل عام ١٩٣٠ عن اسلوبه وطريقته فى الكتابة

وعن غزارة انتاجه اعترف بأنه كان فى البداية يراجع مايكتبه عدة مرات ويدخل عليه كثيرا من التغييرات والتعديلات والتصويبات ، وأنه ظل على ذلك الحال حتى بلغ الثلاثين من عمره ، أى حتى عام ١٩٠٢ . فقد شعر حينذاك أن أسلوبه قد استقر وبانت ملامحه وبذلك لم يعد يراجع مايكتبه أو يدخل عليه أى تعديلات الا فى القليل النادر ، وأن تلك التعديلات لا تتعدى فى الأغلب تغيير كلمة واحدة بأخرى اذا وجد ان تلك الكلمة قد تكررت بكثرة . وهذا يفسر الى حد ما على الأقل كثرة انتاجه وغزارته ، وذلك اذا نحن أخذنا فى الاعتبار أيضا حاجته الى النقود كى يقابل ديونه والتزاماته المالية نحو مطلقاته . ولكن من الانصاف مع ذلك أن نقول انه منذ البداية ومنذ عهد التلمذة كان يكشف عن قدرات غير عادية سواء من حيث التفكير المنطقى الناضج أو ترتيب أفكاره وعرضها فى شكل متسق . كما أن كثيرا من آرائه واتجاهاته الفكرية ومواقفه ظهرت بوادرها فى سن مبكرة نسبيا وأنه ظل متمسكا بها طيلة حياته . ثم يجب الا ننسى انه نشأ فى بيت كان يتسم بالجدية فى التفكير وطريقة الحياة بحيث ان الأحاديث اليومية العادية كانت تأتى على درجة عالية من العمق والذكاء وتدور حول المسائل التى تشغل بال المجتمع فى ذلك الوقت مثل عقوبة الاعدام وأثرها فى المجتمع ككل وعلاقة ذلك بمبدأ العدالة المطلقة . وكانت احدى عماته بالذات تؤمن بأن المجتمع هو الذى (يخلق) الجريمة ولذا فليس من حقه أن يعاقب عليها .

ولكن على الرغم من نشأته الارستقراطية وانتمائه الى أسرة عريقة فإنه كان خلال معظم حياته الطويلة التى امتدت الى مايقرب من قرن كامل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) يؤرق هذه الطبقة الراقية ويقض مضاجعها ويناوشها بآرائه وتصرفاته . فحياة رسل كانت مليئة بالحركة والتمرد فى المجالات الاجتماعية والسياسية أو حسب تعبيره هو مجال (معاناة البشر) وكان ذلك الهاجس وراء اندفاعاته ومشاركته فى كثير من التظاهرات التى تعبر عن السخط والاحتجاج على كثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية . وقد زج به فى السجن أكثر من مرة بل انه حكم عليه بالسجن هو وزوجته الرابعة لمدة شهرين لمشاركتهما فى المظاهرات وحركات الاعتصام والجلوس على الأرض فى الميادين العامة . وكان ذلك فى عام ١٩٦١ وهو فى سن التاسعة والثمانين . ولكن قوة الرأى العام البريطانى والضغط الشديد الذى مارسه أديا فى الحال الى تخفيض ذلك الحكم الى أسبوع واحد فقط ، أمضاه الفيلسوف وزوجته على أية حال فى مستشفى السجن . وكان اشفاقه من معاناة البشر وراء تلك المشاركة فى حركات الاحتجاج والاعتصام والتمرد والاضراب . فقد كان يرفع ـ مثلا ـ لواء الدعوة الى تحريم استخدام الأسلحة النووية وبخاصة بعد أن امتلك الروس تلك الأسلحة الرهيبة . وهو نفسه يفسر ذلك الموقف بأنه حين كان السلاح النووى فى أيدى المعسكر الغربى وحده لم يكن ثمة مايدعو الى الخوف من استعماله ، على الأقل لان الجانب الآخر ـ أى المعسكر الشرقى ـ كان يسلم بالأمر الواقع ويذعن له فى رضوخ واستسلام ولا

يملك القدرة على التحدى بحيث يضطر الغرب الى الالتجاء الى تلك الاسلحة الخطرة . أما بعد أن توصل الروس الى ذلك السلاح المخيف فإن مخاطر التحدى من الطرفين وبالتالى فرصة اللجوء اليه زادت زيادة كبيرة ، ولذا كان لابد من العمل بكل قوة على منع انتشار تلك الاسلحة وتحريم استخدامها فى الحروب .

• • •

ولقد ظل برتراند رصل طيلة حياته شخصية ثائرة متمردة لدرجة ان الحزب الذى ينتمي اليه ، وهو حزب العمال ، ضاق به ذرعا واوصى بفصله من عضويته عام ١٩٦٢ وهو في سن التسعين . ولكن التوصية لم تنفذ ، وانما كان رصل هو الذى قام بتمزيق بطاقة العضوية بعد ذلك بثلاثة اعوام (سنة ١٩٦٥) اثناء اجتماع عام احتجاجا على موقف حكومة العمال السلبى ازاء السياسة الأمريكية فى فيتنام . وكان ذلك هو قمة ماوصل اليه من مشاركة فى القضايا العامة ، وبدأ بعدها فى التراجع بحكم السن ، وان ظل محتفظا مع ذلك بحيوية فكره ويقظة ذهنه حتى آخر ايامه . ويقول بعض الخبثاء من الكتاب ان رصل كان مجنونا بحب الشهرة والدعاية لنفسه وأن ذلك الجنون ازداد بتقدمه فى العمر وأن ذلك كان هو السبب الحقيقى وراء مشاركته فى كل تلك الحركات السياسية والتحررية والسير فى التظاهرات وتوقيع العرائض والنداءات وما اليها .

وقد يكون من الصعب تصنيف رصل فى فئة بالذات من الناس . فقد كان يبدو دائما فى نظر البعض وحسب تعبير الأستاذ انتونى هاورد ـ مجرد (زائر نصف آدمى من أحدى الغابات المسحورة) وقد قال رصل عن نفسه فى أواخر أيامه !

« لقد كنت خلال حياتي اتصور نفسى على التوالى ليبراليا ثم اشتراكيا أو داعية للسلام ، ولكننى لم اكن فى الحقيقة أياً من هذه الأشياء بكل معانى الكلمة . فقد كان عقلى يميل دائما الى الشك ولذا كان يهمس لى دائما بشكوكه وارتيابه وهواجسه فى الوقت الذى كنت اريد منه حقا ان يصمت . وبذلك كان يبعدني دائما وينأى بى عن ذلك الحماس السهل الذى كان ينعم به الآخرون ، ويلقى بى فى احضان تلك العزلة البائسة الكئيبة » .

وقد تبدو تلك العزلة التى يتكلم عنها هنا غريبة وغير مفهومة بالنسبة لرجل أحرز كل تلك الشهر وذيوع الصيت . ولكن مناوشاته الدائمة حرمته من كثير مما كان جديرا به . والمثال الواضح على ذلك هو امساك جامعة كيمبردج عن أن تمنحه الزمالة (الكاملة) فى كلية ترينتى حتى عام ١٩٤٢ بعد أن تجاوز السبعين من العمر ، ولكنها بعد ذلك أصبحت تفاخر به الجامعات الأخرى بعد أن تنكرت له كل تلك السنوات . ومع ذلك فالذى لا شك فيه هو أن سنوات التلمذة والعمل فى كيمبردج فى أوائل حياته كانت هى الخطوة الأولى التى أيقظت روح التمرد والثورة التى طبعت حياته كلها بذلك الطابع الذى ظل ملازماً له والذى فتح له الطريق الى الدخول فى تاريخ الفكر الانسانى من أوسع ابوابه .

الأوربيون في مصر في عصر محمد علي

بقلم: حسين أحمد أمين

لم تكن الوجوه الأوربية بالمنظر غير المألوف في مصر قبل وفود الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ . فقد عرفت مصر القناصل الذين كان استنجادهم بفرنسا بسبب إساءة المماليك المزعومة الى التجار الفرنسيين من المبررات المعلنة للغزو الفرنسي . وعرفت الرحّالة من أمثال نيبور وفولني ، والجماعات التي كانت تفد إليها لتقصّي أحوالها أو دراسة إمكان غزوها ، كجماعة الضباط الذين أرسلهم إليها لويس السادس عشر . وكان هناك الافرنج المترددون عليها للتجارة ، خاصة في الاسكندرية ، ثم الافرنج «البلديون» بالقاهرة وبعض المدن الكبرى ، وهم الذين حدّثنا الجبرتي عن إقبالهم على فتح المطاعم والحانات لجنود الحملة الفرنسية ، وعمل بعضهم كمترجمين لقادة الحملة وعلمائها .



التجار يمهدون الطريق

غير أن عدد هؤلاء جميعا لم يكن من الضخامة بحيث يكفل احاطة عموم اهل القطر ، بل ولا سكان المدن الكبرى عدا الاسكندرية ، بأحوال الافرنج وعاداتهم ، وبحيث يترك أثره أو يحدث تغييرا فى مظاهر حياة لفيف من الشعب ، خاصة ان الأجانب وقتها كانوا يشعرون بالخطر والعزلة ، لايجازف أحدهم بالخروج من القاهرة أو الاسكندرية أو رشيد أو دمياط دون حراسة مسلحة ، وكان للتجّار منهم فى القاهرة حيّ مسوّر خاص بهم ، يتولى حراسة بواباته جنود من الانكشارية .. أما هذه الاحاطة وهذا التأثير فقد بدءا بالغزو الفرنسى ، حين قدم بونابرت فى صحبة نحو ثلاثين ألفا من الجنود ، وخمسمائة مدنيّ ، و ١٦٥ عالما ، وثلاثمائة من النساء ، وانتشر هؤلاء جميعا فى مدن القطر وأريافه وصحاريه من الاسكندرية إلى أسوان .

الأفاقون

وقد فضّل المئات من الفرنسيين البقاء فى مصر عند رحيل الحملة عام ١٨٠١ ، وانحاز بعضهم إلى طائفة أو أخرى من الطوائف المختلفة المتنازعة فى مصر فى السنوات ما بين ١٨٠١ و ١٨٠٥ . غير أن غالبيتهم سرعان ما مالت إلى محمد على دون المماليك والعثمانيين ، وداعبها الأمل فى أن يتمكن من تأدية خدمات جليلة للمصالح الفرنسية فى الشرق . فلما تولى حكم مصر التحقوا بخدمته ، وانبروا يسدون إليه النصح والعون فى شئون الحرب والسلم .. وبعد هزيمة نابليون فى واترلوا عام ١٨١٥ وسقوطه خشى عدد كبير من جنوده أن يتعرض لهم لويس الثامن عشر بالاساءة والتنكيل ، فأسرعوا بالهجرة إلى الشرق يعرضون على حكامه خدماتهم . وقد استقبلت مصر طائفة من هؤلاء الجند ، اعتنق بعضهم الاسلام وتبنّى عادات المصريين .

وقد كان من المألوف ، ومن الطبيعى ، انه كلما اقبلت أمة متخلفة على الأخذ بأساليب التمدّن الغربى ، تدفّق عليها فى ركاب الخبراء والمدرّبين والمستشارين الغربيين ، زمرة من المحتالين والأفاقين من أوربا ، سعيا وراء الكسب عن طريق استغلال مطامح الحكام وسذاجة الشعوب . وصفحات الادب الروسى زاخرة بصور هؤلاء الذين وفدوا إلى روسيا فى أعقاب «إصلاحات» بطرس وكاترين ، فتلهفت المنتديات على دعوتهم ليكونوا نجوم سهراتها، وأرباب الأسر الكبيرة على إسناد مهمة تعليم الأولاد إليهم .. كذلك فإن ما احس هؤلاء باتجاه محمد على وحكومته إلى الاقتباس من نظم الغرب بأى ثمن ، وتكريمهما الزائد للأوربى لمجرد تمتعه بجنسية اوربية ، حتى توافدت على مصر افواج من الاطباء والمهندسين ومبتكرى المشروعات والتجار والعسكريين ، يحملون إلى الوالى رسائل توصية ، أو بدون رسائل توصية ، هذا يعرض اختراع غواصة ، والخر يشرح وسيلة مبتكرة لرفع المياه «مؤكدا انها إذا روعيت تجىء بالمعجزات المدهشات» ، وثالث يقترح صنع قذائف من نوع جديد لاحراق سفن العدو وتدمير حصونه ، ورابع قد ابتدع اساليب مستحدثة لتدبير القتال وتعبئة الجيوش ، ثم اطباء دجالون يدعون معرفة اسرار علاج الدوسنتاريا والرمد الصديدى والطاعون ، يغرّرون بالسذّج ، ويقابلون بما لا يُستقبل به غير الكبراء من مظاهر الحفاوة والتبجيل «وماهم فى الحقيقة إلا لصوص» . وكثيرا ما كانت تُجرّب فى مصر اختراعاتهم هذه ، مما كانوا قد عرضوه فى بلادهم من قبل فرفضتها ، فلا تؤدى الى غير الفشل .

وقد قصّ علينا كلوت بك فى كتابه «لمحة عامة إلى مصر» نبأ أحد هؤلاء الدجالين ، وهو «البارون» دوفلتنجن ، الذى قدم إلى الاسكندرية فاستُقبل احفل استقبال من أهل الطبقات العليا فيها ، تقديرا لكتب التوصية

الأوربيون في مصر في عصر محمد علي

العديدة التى زوّد بها . وقد بدأ هذا الألمانى بالنزول فى دار عظيمة تنمّ عن كافة مظاهر الأبهة ، وإنفاق المال عن سعة ، يستقبل الزائرين من أهل البيوتات الكبيرة والأسر الكريمة ، فلا يدور حديثه معهم إلا عن قصوره الشامخة وأمواله الطائلة فى ألمانيا . وكان الناس يتسابقون إليه راجين أن يتفضل عليهم بإصدار أمر أو التعبير عن رغبة ، ليتباروا فى تحقيقهما فورا ، وما من أحد منهم إلا تقدم إليه بماله يسأله التعطف عليه بقبوله . وصار الناس يتفاخرون بأنهم ممن فازوا بحظوة المثول بين يدى البارون ، وإذا صادفت فى الطريق وجيها وسألته عن وجهته أجاب بكبرياء وصلف أنه يقصد البارون .. ثم إذا بالشكوك تحوم حوله بعد إقامته فى الاسكندرية نحو عام ونصف ، وإذا به يعترف بحقيقة حاله ، وبأن قصوره وأمواله لم تكن إلا بمخيلته ، فضاع على الناس ما لايقل عن خمسين ألف فرنك كانوا قد أقرضوه إياها .

وينصح كلوت بك فى كتابه القناصل الفرنسيين بتطهير الجالية الفرنسية فى مصر من المحتالين الذين لا ذمة لهم ، ممن يلوّثون سمعة أمتهم باغتنامهم فرصة سذاجة الشعب المصرى وركونه إليهم لابتزاز أمواله ، وانتحالهم الألقاب والصفات للتغرير به .. غير أنه يمضى فيهاجم طائفة أخرى من الأوربيين ، كانوا يحذرون «محمد على» من أبناء جنسهم ، ويتهمون لديه الموظفين الأوربين فى حكومته بقلة الكفاءة والجهل ، ذاهبين إلى أن «إصلاحاتهم» لا تفيد البلاد ، أو أنها خيالية غير ميسّرة التحقيق فى مصر . والظاهر أن أفراد هذه الطائفة التى هاجمها كلوت بك (وهو الموظف الكبير فى حكومة محمد على ، وكان يمكن أن ينطبق عليه اتهامهم) ، كانوا أولئك الزائرين الأوربيين لمصر (خاصة الكتاب والفنانين منهم) ، الذين رثوا لحال المصريين إذ رأوهم «يهجرون عاداتهم المحمودة ليستبدلوا بها العادات الأوربية» ، وكانوا معجبين بمصر أيما اعجاب ، شديدى التحمس لشعبها ، مسارعين إلى تقليد طرائق المسلمين فى المعيشة والملبس ، حتى انهم صاروا فى مصر يسيرون حفاة ويلبسون العمائم ، «رغم أن استخدامها فى مصر قد قل وأصبح يكاد يقتصر على الطبقة الدنيا من الشعب» .

● طبقاتهم

أما عن غير هؤلاء الأفاقين والرحالة ، فقد كان بمصر عدد من القناصل الاوربيين وأعوانهم ، يمثلون فرنسا وانجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا وأسبانيا والسويد وصقلية وسردينيا وهولندا وبلجيكا والدنمارك وتوسكانيا ، يقيم كبراؤهم بالاسكندرية ، ويقومون فى الواقع بمهام السفراء ، ولهم نواب من الافرنج فى القاهرة ، ونوّاب من أقباط مصر فى دمياط ورشيد والسويس وقنا والأقصر .

ثم تجار الجملة ، ومعظمهم بالاسكندرية ، وتجار القطاعى من أصحاب متاجر الزجاج والمجوهرات والاقمشة ومتاجر الأزياء الحديثة التى كانت توقف زبائنها على حركة الأزياء المستحدثة فى اوربا . وكان بالاسكندرية وحدها نحو مائة متجر أوربى ، ونحو عشرة مطاعم للفرنسيين والأيطاليين والانجليز ، ومقاه يقدّم فيها الجيلاتى والشوكولاته على الطريقة ، ومخابز إفرنجية كان الناس يقبلون إقبالا كبيرا على شراء فطائرها . كما كان بالقاهرة عدد كبير من المطاعم على الطراز الأوربى .



السير سيدنى سميث فى حضرة والى عكا عام ١٧٩٩ وقد صور الفنان الذى رسم الصورة نفسه فى القصى اليمين



الإناقـة على الطريقة الشرقية .. صورة اللورد جيمس سيلك وحرمه فى اثواب شرقية
تحت الموضة الراقية فى اوروبا فى تلك الايام.

چوفانى بالترونى رحالة ومكتشف ولاعب سيرك طوله اكثر من مترين عمل فى القاهرة فى خدمة هنرى سولت



الأوربيون في مصر في عصر محمد علي

ثم ارباب الحرف والصنائع من النجارين والبنائين وصانعى الأقفال والسمكرية والنحاسين والصاغة وصانعى المركبات والساعات والاحذية والقبعات والخياطين لملابس الرجال والنساء . أما عن موظفى الحكومة من الاجانب ، فيقول كلوت بك إنهم كانوا عام ١٨٤٠ اقل كثيرا مما يظن الناس ، وذلك حين بدأ محمد على يستغنى عن البعض لانقضاء الحاجة اليهم ، وهو ما يستنكره كلوت بك «بالنظر الى حاجة الأنظمة الجديدة إلى الحرص على ثمراتها واطراد السير والتقدم ، مما يستدعى الاستمرار فى طلب العون من الأوربيين والاسترشاد بهم» . أما عن عددهم فكان بينهم مائتا طبيب وصيدلى ، وعشرون مدربا فى الجيش ، وما بين عشرين وخمسة وعشرين مدرسا أغلبهم فرنسيون ، ثم مديرون وصناع من الفرنسيين والانجليز والايطاليين .

وقد بلغ عدد القاطنين الأجانب فى مصر فى أواخر حكم محمد على نحو عشرة آلاف من بين مجموع السكان البالغ حوالى ثلاثة ملايين نسمة . وكان اكثرهم عددا اليونانيون (٥٠٠٠ نسمة) ، فالايطاليون (٢٠٠٠ نسمة) ، فالمالطيون (الف) ، فالفرنسيون (٨٠٠) ، فالانجليز (مائة) ، والنمساويون (مائة) ، فجمع من الروس والأسبان والسويسريين والبلجيكيين والهولنديين والألمان والدنماركيين (مائة وخمسون) وكان بالاسكندرية وحدها نحو نصف هذا العدد (٥٠٠٠ اوربى) من بين مجموع سكانها البالغ ستين الف نسمة .

وكان الأوربيون فى مصر يقطنون احياء انيقة خاصة بهم ، «فحى الافرنج بالارسكندرية ارقى بكثير من بقية احياء المدينة الأهلة بالوطنيين» . وكان بالقاهرة حىّ خاص بالارستوقراطية التجارية منهم من أصحاب البنوك والسماسرة ومنظمى التجارة فى منتجات مصر والهند ، هو عبارة عن شارع رئيسى يغصّ بحوانيت اليونانيين والارمن (وكان عدد الارمن وقتها نحو الفين) . ويذكر الشاعر الفرنسى چيراردو نيرفال فى كتابه «رحلة الى الشرق» انه كان بالقاهرة فندق خاص بالفرنسيين «به بيانو وبوليباردو» وفنادق خاصة بالانجليز ياكل نزلاؤها - شان المسافرين فى البواخر - من معلبات الخضر واللحم دون الماكولات المصرية الطازجة .

وقد لاحظ نيرفال أن الاوربيين فى مصر بوجه عام لا يعرفون البلد وأهله معرفة وثيقة ، «قد غلب عليهم السأم ، ولايظهرون إلا فى أماكن معينة تناسبهم ، ولا يتحدثون مع من هم من طبقة أقل من طبقتهم ، يسعدهم مقابلة الأوربيين الجدد ، ولكنهم لايجرأون على الاختلاط بالمصريين أو على مشاهدة احتفالاتهم ورقصهم ، ويخشون أن يراهم الناس فى المقاهى أو الملاهى ولا يعقدون صلات اخوية مع عربى من العرب الكرماء الذى يهديك بدافع من شعور الودّ علبة غليونه ، أو الذى ما أن يراك تتوقف للاستطلاع أو بسبب التعب أمام بابه حتى يبادر بتقديم القهوة لك .. وكان المصريون يدهشون لمرأى القفافيز (الجوانتيات) السوداء فى أيدى الاجانب ، ويتساءلون كيف يمكن أن يكون للمرء يدان سوداوان ووجهه أبيض !» . ثم يعلق نيرفال على نمط معيشة الأوربيين هذا فى مصر بقوله «إنه كان من الأولى بهؤلاء إلا يغادروا أوطانهم ، أما من ناحيتى فقد كنت فى مصر احيا حياة شرقية تماماً» .

وكان اغنياء الأجانب يتوسعون فى الانفاق والبذخ فى الأثاث والثياب وتعقّب الأزياء الباريسية ، ويقيمون الحفلات الراقصة والاحتفالات فى كل مناسبة . وكان

لهم بالاسكندرية مسرحان ، أحدهما لعرض المسرحيات الفرنسية ، والآخر للأوبرا الإيطالية ، بناهما هواة المسرح من الافرنج وتولوا إدارتهما . كما كان بالقاهرة مسرح صغير يتردد عليه الايطاليون والارمن واليونانيون ، ويعرض «فود فيلات» يمثلها فرنسيون ، ويعزف ضمن فرقته الموسيقية بعض الضباط في جيش محمد علي .

أخلاقهم

ولم يكن للاجانب حق الملكية العقارية في مصر . ولكنهم كانوا كثيرا ما يلجاون إلى الحيل القانونية التي تمكنهم من استغلال الاملاك والمصانع كاستخدام الاقباط في تملك العقارات بالوكالة عنهم . ويتحدث نيرفال عن سيدة قبطية كانت تمتلك أكثر من عشرين منزلا بالوكالة عن بعض الأجانب ، ويقول إن البيت الذي سكنه في القاهرة كان في الحقيقة ملكا لأحد موظفي القنصلية البريطانية .. غير انه كان للاجانب حق امتلاك الحوانيت ، يملأونها بالسلع من منتجات كافة الاقطار الأوربية . فكان لانجلترا مكان الصدارة فيما يختص بالاصواف ، وفرنسا بالمستحدث من الأزياء ، ومرسيليا بالبقالة واللحوم المدخنة وغيرها «وتبذل الصناعة الأوربية قصارى جهدها لاجتذاب الأغنياء من سكان القاهرة والأتراك المتقدمين والأقباط واليونانيين ، وهم الاكثر استعدادا لتقبل العادات الأوربية . وثمة في الموسكي مشرب بيرة إنجليزي ، يقصده الناس لمقاومة مفعول مياه النيل التي تصيبهم أحيانا بالرخاوة . وهناك مكان آخر هو صيدلية كاستانيول ، ويأوون إليه هربا من الحياة الشرقية ، ويستعيد فيه الأوربيون ذكرياتهم عن الحياة في وطنهم ، بينما يجلس الشرقيون وعلى صدورهم الأوسمة البراقة يتحدثون بالفرنسية ويقرأون الصحف» ويضيف نيرفال قوله إن بعض التراجمة المصريين تولّد لديهم بسبب كثرة مخالطتهم للاجانب «ميل متطرف الى البيرة والويسكي» .

ويتحدث كل من كلوت بك وجيراردو نيرفال عن الطوائف المختلفة من الأجانب في مصر . فأما الانجليزي «فمن أشد أفراد الجاليات الاوربية حرصا على عاداته ، إذ تراه في القاهرة ـ كما في لندن ـ لا يستطيع الاستغناء عن أكل البوفتيك والروزبيف وجبن الشستر أو عن تناول المشروبات قوية المفعول ، ولا يأنس إلا الى أبناء جنسه ، لايختلط بغيرهم إلا قليلا . وبالنظر إلى صلابة أخلاق الانجليز والتزامهم الوقار في سلوكهم والجد في معاملاتهم ، وتراهم يؤلفون هنا أسمى طبقات الجاليات الأجنبية وأشرفها وأصونها لكرامتها «وهم في مصر يلبسون قبعات مستديرة مكسوّة بالقطن للوقاية من حرارة الشمس ، وغطاء للعينين لتخفيف حدّة الضوء ، ووشاحا يحميهم من الاتربة ، وعلى معاطفهم غطاء خارجي من القماش المشمع لحمايتهم من الطاعون ومن الاحتكاك بالمارة من أهل البلد . وترى الانجليزي وقد أمسك بيده من داخل القفاز بعصا طويلة يُبعد بها عنه كل عربي موضع ريبة ، وتابعه يقذف بهؤلاء العرب يمنة ويسرة» !

اما الفرنسيون الذين لاحظ نيرفال أن الكثيرين منهم قد باتوا يقلدون الانجليز في معيشتهم وسلوكهم ، فيراهم كلوت بك مخالفين للانجليز في الطباع والميول ، سريعي التحمس للشيء وسريعي الملل منه «والشرقيون يؤثرونهم بالمحبة لما جبلوا عليه من الأدب والذكاء وحضور البديهة والبشاشة والكياسة ، وهي طباع إذا أضيفت إلى ماتركوه بأرض مصر من ذكرى وجودهم بها (أثناء الحملة الفرنسية) ، تحمل الأهالي على اختصاصهم بمودتهم» .

وقد اشتهر الالمان في مصر بدماثة خلقهم وطيب سريرتهم اما الايطاليون فقد

الأوربيون في مصر في عصر محمد علي

كانت اخلاق أهل الطبقة الوسطى منهم - وهم كثيرون - سببا في إلقاء كثير من التهم الجائرة على عاتق الأمة الايطالية باسرها، وأما اليونانيون فمنهم من هم من سلالة الاغريق القدماء، يسكنون مصر منذ امد بعيد، وقد تحوّلوا عن لغتهم إلى العربية مع احتفاظهم بالكثير من السمات المميزة لشعبهم، ومنهم من هاجر إلى مصر بعد الفتح العثماني لها، وجميعهم تقريبا يعمل بالتجارة. وكان ابراهيم باشا قد أسر عددا كبيرا من الشباب اليوناني خلال حرب المورة، فبيعوا في مصر رقيقا، ثم اعتنقوا الاسلام، ووصل بعضهم إلى رفيع المناصب في الادارة والجيش.

معاملتهم للمصريين

وقد لاحظ كلوت بك فساد الاخلاق المنتشر بين الجالية الافرنجية وانتهاكهم حرمة التقاليد المصرية، وسوء استغلالهم للحرية التي منحها محمد علي للأوربيين «من فيوض مكارمه». ويقول نيرفال إن الكثيرين من الافرنج الذين التحقوا بخدمة الوالي اعتنقوا الاسلام، إما عن مصلحة لضمان طاعة مرؤوسيهم المسلمين لهم، أو طلبا للمتعة بالنظر إلى أوهامهم المتعلقة بلذات الحريم، والسلطان المطلق للزوج أو للسيد، وفكرتهم عن النساء الفاتنات اللواتي تتضافر جهودهن من أجل إسعاد رجل فرد، ثم عادوا بعد ذلك الى المسيحية حين تبددت أوهامهم، أو انقضى أمد وظائفهم.

مقابلة بين محمد علي باشا والقنصل البريطاني الكولونيل باتريك كامبل في قصر الباشا بالاسكندرية عام ١٨٣٩



وكان الأوربيون بوجه عام «يعاملون الشعب المصرى المسكين بازدراء جم» . فقد أصبحوا الآن يقاسمون الجنس التركى امتيازاته ، وتبنوا نظرة الاتراك إلى المصريين . بل إنه حتى الأرمن الذين كانوا يتعقبون الغزاة العثمانيين فى تنقلهم من قطر الى آخر ، واستقر بعضهم فى مصر عقب الفتح العثمانى ، تعلّموا أن يعاملوا المصريين بعجرفة وصلف ، وهم الذين ذاقوا من الاتراك كافة صنوف الأذلال والمهانة ، بل وصاروا يتحاشون الاختلاط بأهل مصر . ويتحدث كلوت بك عن مسلك للشدة والقسوة الذى سلكه الأوربيون مع المصريين ، فيقول إن بعضهم «كان يعتبر المصريين كائنات حقيرة ليست من الجنس البشرى ، ويقول علنا أنه لا ينبغى مخاطبتهم إلا بالكرباج .. ولذا فإن هؤلاء يحرصون عند وصولهم إلى مصر على التزوّد بالكرابيج يضربون بها من غير رحمة ولا سبب معقول أفراد الحمالين الحمارين والمراكبية» . وأما السياح منهم ممن يصادفون المشاق فى رحلتهم إلى مصر ، وتسوءهم صعوبة اللغة العربية ورداءة الطرق وقلة أسباب الراحة مما اعتادوه فى بلادهم ، فكانوا يكثرون من الشكوى ، ويستشعرون الكراهية لمصر والمصريين ، لايرون الأشخاص والأشياء فى ضوء حقيقى ، ثم يتنفّسون الصعداء حتى تتوارى أرض مصر خلف سفينة العودة ، حتى إذا هم وصلوا الى بلادهم ، أطلقوا العنان لألسنتهم يذمّون مصر وأهلها ، وإن كتبوا عنها كتبوا مالا يطابق الحقيقة» .

ومع ذلك فقد كانت الامتيازات والتسهيلات التى يوفّرها محمد على وحكومته لهؤلاء الأجانب ، من المقيمين والسائحين ، عظيمة لا حصر لها . فهو يحتفى شخصيا بكبار الزوار ، ويُنزلهم قصوره أو قصور كبار رجال دولته . وأما السياح العاديون فهم يزورون مايشاءون زيارته من الأماكن والآثار فى راحة ويسر ، ويزوّدهم الوالى بكتاب توصية للانتفاع به حيثما حلّوا . وكانت صيغة خطاب التوصية من محمد على على النحو التالى :

«إن صديقنا الحميم القديم المسيو ــــ ، وجنسيته ــــ ، جاء إلى أملاكنا ليزور المعاهد الأثرية وغيرها من الأماكن المفيدة له فى أبحاثه . وقد قدّمه إلينا جناب قنصله . فبناء عليه قد سلمناه فرماننا هذا لينتفع ويستظهر به أثناء رحلته فى طول أملاكنا وعرضها فعلى المديرين والمأمورين وأرباب الحل والعقد ، ملكيين وعسكريين ، وبالجملة كل من يقدم إليهم هذا الفرمان ، أن يعنوا بأمره ، ويهتموا بأداء الخدمات التى يروم منهم قضاءها ، حتى لاترفع إلينا منه شكوى فيما بعد .

«ونوصيكم بعمل مايلزم كى لا يلحقه حيف ، أو يوجّه إليه شتم من الفلاحين أو غيرهم ، وأن تبادروا بموافاته بكل ما يحتاج إليه ، وألا يدفع ثمنا عنه إلا ما يطابق السعر الجارى فى البلاد ، وذلك فيما يختص بأجر ركوب الدواب والمراكب وثمن الأغذية .. الخ . وإنى أعتبر أن الخدمات التى ستؤدونها إليه كأنها أدّيت إلينا بالذات» .

وكان الأجانب إن رفعت مراكبهم فى النيل أعلام دولهم ، ويضمنون سلامتهم واحترام الفلاحين لهم ، خاصة إن كان العلم هو العلم البريطانى ، وهو الذى كان يستخدمه من هم من غير انجلترا طلبا للمزيد من الطمأنينة ! وكانت الشرطة المصرية إن ضبطت أوربيا متلبسا بانتهاك حرمة امرأة مسلمة ، تطلق سراحه غالبا دون عقوبة . ويضيف نيرفال قوله إنه بوجه عام ، «لايستطيع أحد فى القاهرة ــ غير الأتراك ــ مقاومة الافرنج ، وأن كل أوربى لا ينتمى إلى طبقة الصناع و التجار يعتبر فى مصر شخصية كبيرة» .

تأثيرهم فى المصريين

وقد كان لوجود الأوربيين فى مصر أثره فى

الأوربيون فى مصر فى عصر محمد على

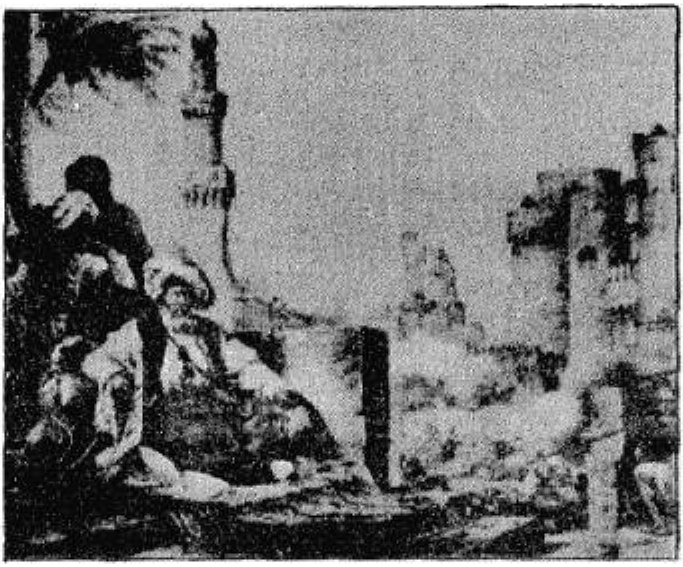
بعض عادات المصريين وأخلاقهم فى عصر محمد علىّ ، خاصة الأغنياء منهم .

فقد حرص أغنياء المصريين على استيراد فاخر الأثاث لقصورهم من الدول الاوربية ، من المرايا والثريات وساعات الحائط ، الى آخره . وقد شغفوا بهذه الساعات شغفا شديدا حتى كان البعض منهم يعلق فى الحجرة الواحدة ساعتين او ثلاثا ! وقلدّوا الاوربيين فى طريقة تناولهم للطعام ، فاقتنوا صحافا كصحافهم ، واستعملوا الشوك والسكاكين والكئوس . غير انهم كانوا كثيرا ما يخلطون فيتناولون الحساء فى صحاف الحلوى ، ويشربون النبيذ فى اقداح الشمبانيا ، وقد يتناولون قطعة اللحم باصابعهم ثم يغرسون الشوكة فيها ويرفعونها الى افواههم . وإن اقيمت مادبة على النمط الاوربى ومرّ الخادم على المدعوين بطبق الطعام ليغرفوا لأنفسهم منه ، تناول المدعو الطبق من يد الخادم ووضعه امامه ظانا انه باكمله له ! وقد كانوا قبل اتصالهم بالاوربيين لا يعرفون غير الماء شرابا عند تناول الطعام فإذا هم الآن وقد نقلوا عن الاوربيين عادة شرب النبيذ وغيره من المسكرات . وإن كان إقبالهم عليها فى غير اعتدال ، لايلتمسون فيها نشاطا او فائدة ، وإنما يلتمسون فقدان الوعى . يقول كلوت بك . «ذلك ان الشرقيين لا يأخذون فى الغالب من اخلاقنا وعاداتنا كلما اختلطوا بنا سوى ما كان منها سيء العاقبة ، بعيدا عن الصواب» .

اما عن الملابس فلم يطرا تغيير كبير عليها فى عهد محمد على ، اللهم إلا فى الجيش حيث بداوا بحذف العمامة من ملابس الجنود بعد تنظيم الجيش عام ١٨٢٣ ، وتبعوها بحذف الاكمام الواسعة التى تحدّ من الحركة . وكان إبراهيم باشا اول من استبدل الطربوش بالعمامة ، فلم يلبث جنده وغيرهم ان قلدوه ، ولبس محمد على نفسه ملابس الجند التى نقلها عن البانيا . وكان اختيار الطربوش دون القبعة بسبب كراهية المسلمين للبس الاخيرة واعتباره بمثابة الكفر . وأما عن النساء فقد قصّرن الأكمام فأصبحت تنتهى عن المعصمين ، واغفلن الجبّة فأضحى ارتداؤها مقصورا على المسنّات وشاع استعمال الجوارب بين نساء الاغنياء . وقد تركن العمامة الكبيرة المرصّعة بالجواهر ، وكذا الملابس المزركشة بالذهب ، وحل محلها نسيج حرير الموصلين البسيط .

وقد كان للحية دوما احترام عظيم عند المسلمين وغيرهم من الشرقيين باعتبارها رمزا للرجولة والقوة . وكانوا يرمون من لاشارب له ولا لحية باقبح الصفات ، فإن اقسموا بهما كان القسم يمينا لاحنث فيه . غير ان «محمد على» امر بحلق لحى الضباط والجنود ، فإذا بعادة حلقها تنتقل إلى الاعيان خاصة عندما بداوا يرتدون الثياب على طراز الزىّ العسكرى سواء كانت لهم مناصب فى الجيش او لم تكن .

وعندما علم محمد على ان لكل فرقة بالجيوش الاوربية جوقة موسيقية خاصة بها ، واحب الا تكون حكومته دون حكومات الغرب فى هذا الصدد ، استدعى إلى مصر طائفة من الموسيقيين الفرنسيين انشاوا معهدا للموسيقى لتعليم مائتين من جنود الجيش المصرى العزف على الآلات الاوربية الحانا عسكرية وغناء الاناشيد الاوربية ! يقول كلوت بك : «إنه بالرغم من انه كان المفروض ان اسر بسماع انغامنا العسكرية واناشيدنا الوطنية فى البلد الذى سار فيه ابطالنا قبل ثلاثين عاما ، لم اشعر قط بمثل ذلك الاغتباط لاستعارة المصريين لها منّا ، ونقلهم إياها عنا دون تحوير . فموسيقانا لا تؤثر بالمرة فى المصريين ، حتى ان نشيد المارسيلييز الذى يعرفونه ويميزونه عن غيره من الاناشيد الفرنسية ويسمّونه



محمد على يتفرج على مذبحة المماليك بالقلعة ويستمتع فى نفس الوقت بانفاس النرجيلة .



حديقة الأزبكية «عندما كانت حديقة» ويطل عليها فندق شبرد البريطاني «هكذا كان اسمه»

بانشودة بونابرته ، لا يهز وترا واحدا؟ في قلوبهم ، ولا تنشرح له صدورهم .. وبالتالي فإن مطالبة المصريين باستعمال الاتنا الموسيقية والتغني بأناشيدنا الأوربية لا تحقق الغرض المطلوب من الموسيقى العسكرية ، وهو إثارة النشاط والحماس في الجند ولاشك في ان الموسيقى لغة ، وإرغام المصريين على سماع موسيقانا تعزف على آلات لم يالفوها ، وهو كإرغام امرىء على حفظ عبارات فصيحة فخمة بلغة لايفهمها .. وعلى هذا فالمصريون الذين يغمى عليهم سرورا إذا سمعوا الأغاني المصرية المملة ، لايشعرون لدى سماعهم اغانينا إلا بالملل وانحراف المزاج وإذا كان من الآلات الأوربية ما يلتذون بسماعه وتبهجهم رؤيته فهو الطبل الكبير ! .. وقد كان الأحرى والأفيد ان يستدعى إلى مصر فنانون اوربيون قادرون على فهم كنه الموسيقى المصرية وعبقريتها ، ليطوّروها ويجعلوا منها موسيقى خاصة يكون للآلات الوطنية نصيب في عزفها» .

ومع ذلك فقد ظل التاثير الأوربي في عادات المصريين ومفاهيمهم محدود النطاق ، وظلت الغالبية على اعتزازها بتقاليدها بل وعلى اعتقادها بتفوقها على تقاليد الفرنجة . وقد نقل لنا چيراردي نيرفال حوارا شائقا دار بينه وبين احد المصريين حول المراة يعكس مثلا لهذا الاعتزاز :

قال المصري : إن نساءكم الروميات (الاوربيات) هن للناس جميعا ولسن لكم وحدكم . فتلك المخلوقات الحمقى يكشفن وجوههن كاملة لا لمن يريد رؤيتها فحسب ، بل وحتى لمن لا يريد رؤيتها . لقد رايت بعضهن في الطريق ينتظرن إليّ في شغف ، بل ودفع الفجور إحداهن إلى محاولة تقبيلي ! وَلَيْتَهُنّ كن ممن يسرّ المؤمن ان يسمح لهن بتقبيل يده ! ولكنهن «زراعة شتوية» لا لون لها ولا طعم . وجوه مريضة وابدان جائعة بوسعي ان احتوى جسد الواحدة منهن بين ذراعيّ ! اما من يتزوج من إحداهن فلن يعرف بيته غير الحرب والشقاء .. النساء عندنا يعشن معا في جانب من المنزل والرجال في جانب ، وهو السبيل الوحيد الى الهدوء والراحة . اما نساؤكم فيعشن مع الرجال في مكان واحد .

قال نيرفال : ولكن الا تعيشون مع نسائكم في الحريم ؟

صاح الرجل : ياقوة الله ! من ذا الذي لاتحطم ثرثرتهن راسه إن هو اقام معهن رجالنا يقضون اوقات فراغهم في النزهة او الحمام او المقهى او المسجد او في الزيارات والاستماع إلى القصص والاشعار ، او في التدخين بصحبة الأصدقاء وكل هذا ادعى للتسلية من الحديث مع النساء اللاتي لا يشغلهن إلا الأمور السخيفة كالزينة والقيل والقال

قال نيرفال : ومع ذلك فانتم تحتملونهن في اوقات الوجبات ..

ردّ المصري : لا ياسيدي نحن ناكل إما بمفردنا او مع اصدقائنا .. صحيح ان بعض الرجال ياكلون مع نسائهم ، غير ان الناس لا يقرّونهم على مسلكهم هذا ، كما ان شخصيتهم تتسم بالرخاوة ولاجدوى من حياتهم .. فالأحرى إذن ان يبقى ابناء كل جنس مع من يشاكلهم ..

قصة قصيرة

كل تلك الفصول

بقلم : سعيد الكفراوى

فيما بين الظلمة والفجر ، تدرج النسوة صاعدات الى سطوح الدور ينشرن طرحهن السوداء فى الريح ، وينظرن من خلالها فتبدو الدنيا مكتسية بسواد الطرح الخافقة .

كانت تقرع الكفوف النحاس فيتردد صدى الطرق على الابواب :

« ولدى يموت ، وينتزع كبدى .. افتحوا الدور » .

هبطت النسوة الدرج .. كن حاسرات الرؤوس ، يضربن صدورهن بأياد كالمخالب .. ويقصن فى ليل كالعمى ، وعلى السطوح لا تزال تضرب الريح الطرح المنشورة .

« يا الهى القدوس ، هذه ليست صرخة لكنه الوجع » .

انزاحت حملان الصوف المعبقة بالعرق ، وانتزعت الصرخة الاجساد من مراقدها .

« ادفعوا الموت عن ولدى » .

بدا أول النهار على ارض المجاز ، الذى يفصل السدار عن سياجها ، نعش من خشب اصفر بأربعة اذرع وظل ، ومصباح صفيح كتميمة قديمة يستقر فى نهاية بجدار الطين . من بطن النعش تفوح رائحة شيح قديم .. وعطر رخيص بائخ ، وذكرى لموتى راحلين .

« ولدى » .

ولم تذرف دمعة .

قبضت بيدها على خناق جلبابها ودارت فى البيت برأس مشعث ، وكف مفرود وهى تصرخ :

« آه » ..

فلفلت بطرحتها ، وتحركت ناحية النعش فزحف خبالها حتى استقر فوق الكسوة الحرير . طفقت تصرخ بلا دمع فى وداع ابن الثلاثين .

بعد تجهيز الجسد للدفن بمراسيم الشريعة .. استند ضرير للجدار وتلى الآيات بصوت كسول .

« ولدى » ..

دقت صدرها بقبضة الذئبة الثكلى . صاح احد الرجال :

« اكرام الميت دفنه ، والدنيا هذا النهار حارة » .

توقف قارىء العتب عن اهتزازه ، وانبجس ضوء الشمس خيوطا .

البست النعش طربوش ابنها المفارق . سوت زره بيدها وابتسمت . احاطت الطربوش بلامسة

كل تلك الفصول

وضعتها فى مقدمة النعش .

سكنت لحظة مطاطئة الراس فوق الكسوة ، ثم رفعت عينيها للجمع وحدقت فيه ، حيث كان يتوزع نفر قليلون بجوار السور وعلى ارض المجاز وبجانب النخلة ، وصاحت فيهم :

« ولدى ازفه للموت » .

اطلقت زغرودة .. جلجلت كالجرس . انبهت المشيعين الذين اخذتهم المفاجاة ، وتمتموا اسفين .

« ابنى الوحيد الذى من صلبى ، يذهب حيث ابوه » .

واطلقت اخرى :

« جتت المراة » .

قالها رجل فى عبه ، ومسح دمعته الساقطة .

عادت بعد ان وارت وحيدها التراب ، فى ذيلها نسوة البلد .. كانت صامتة ، مزمومة الشفتين تنظر الى الافق البعيد حيث البراح على الارض البور المتوحدة فى ذلك الزمن البعيد . وقفت امام بابها وشدت جسدها الفارع ونظرت حفلة الدور .. بيوت عشرة . بيت على الترعة وخمسة فى الجوار ، وثلاثة فى حضن بعضها البعض ، ثم بيتها بالقرب من المسجد الصغير . فيما تبدو ساقية بقواديس من فخار موروثة ، وعلى البعد تلوح اخصاص تصفر بقشها الريح البدائية ، ومن خلفها يطل شاهد قبر ابنها الواحد .

دخلت دارها واغلقت الباب .

مرت من الاعوام عشرون ، وهى مسجونة بارادتها ، خدمتها اختها كل تلك السنين ، تذهب اليها مرة فى الصباح ، ومرة فى المساء ، فتطعمها وتسقيها ثم ترد عليها بابها .

فى العشرين سنة الاولى تمادى النيل فى الزيادة ، كان ذلك فى شهر صفر الذى يوافق شهر مسرى القبطى وظل يفيض حتى ثالث ايام النسىء ، فاختفى الزرع وبدت البلد كقوارب عائمة . وهبت فيها ريح القبول فسد طلع النخيل .. وكسفت الشمس مرة . واختنق القمر مرتين وذلك لاختلاط البروج . وحوطت الدور الجديدة الدور العشرة القديمة . وشق طريق يصل البلد بالمركز وسمع دق اجراس فى مدرسة اقيمت على عجل .. واختير للبلد عمدة وشيخ للغفر ومأذون . وسار على السكة اول طالب علم .

وعندما ودعت اختها الدنيا ، ومع اخر لفظة نفس امسكت بيد بنتها وهمست لها « وصيتى خالتك » خدمتها بنت الاخت من السنين عشرين . فكانت تزورها مع الغروب حيث تخطو متلفعة بطرحتها بجانب الجدران كشبح .

فى العشرين الثانية وقعت بالكفر اول جريمة ثار ، واعتدى اخ على اخته فقطعوه بالبلط وراح دمه ، وولد طفلان من سفاح ، وعمت الدودة الغيطان ، وسرحت على الاوراق وعلى شطوط الترع ، وزحفت حتى باحات الدور ، لدرجة ان الخلائق كانت تجدها لابدة فى المراقد وعلى المخدات وداخل فرش المنام ، ولما ضاقوا بها استعملوا السموم



فبادت طيور كانت موجودة في الكفر منذ الازل ، وشرع في بناء المسجد الجامع بقبة ، وخلاوى عشرة ، وحمام وطلمبة بعجلة من حديد وصهريج على السطح ، ولما تم البناء توفي العارف بالله الشيخ « ايوب » ، ولما ظهرت له كرامات خارقة ، ومعجزات تحير الالباب دفن تحت القبة داخل ضريح مزدان بالنقوش .. وصار الجامع مزارا ، وامتد على شاطىء النهر شريط لقطار اسموه الفرنساوى .. والذى كان يطلق صفارة في المساء وصفارة في الصباح ، وتسورت البلد بالشجر وبدت الارض في ذلك الزمن مضيافة وطيبة القلب .

وكنت قد تجاوزت العشرين ، احلم دون الترابي بالمستحيل ، واعشق الخرافة ، والحكايا القديمة وأرغب في الولوج خلال الابواب المغلقة ، بابا بعد باب ، واحاول بكل الصدق التعرف على الحقائق البسيطة المدهشة .

وكانت تاسرنى حكاية السيدة التى بلغت التسعين من العمر ، والتى كانت تمت الى بقرابة من بعيد ، والتى حاولت ان اطرق بابها مرة فحذرني شيخ المسجد وقال « اياك المراة مخاوية » ولانني تخلصت من الخوف بالمعرفة سخرت من الرجل وعزمت على ان انتهك وحدة العجوز مهما كلفني الامر .. وعندما قابلتنى بنت بنت اختها سالتها : « ما اخبرها ؟ » فنظرت ناحيتي بنظرة عدائية وتجنبت طريقي ، وفي مرة ثانية قلت لها : « خذيلي معك » . ولما ردت على « الى اين ؟ »

كل تلك الفصول

قلت لها : « عند العجوز » • دفعتني في صدري وقالت لي : « لا تحاول وحاذر » • ولما انصرفت من امامي ووصلت الى الباب •• نظرت ناحيتي ، فهرولت تجاهها لكنها اغلقت في وجهي باب الدار •

ولما كنت مغرما من صغرى بتسلق النخيل، لذا تسلقت نخلتها المائلة من فوق السور ، حيث هبطت على سطح دارها • بيت تصقسقفه من السعف ، تقشر كله وضربت الرطوبة جوانبه • رايت على السطح صومعة للغلال، وحماما لا يطير ، وارانب القلت مختبئة تحت الخيش وصف الطوب المركون للجدار شعرت برجفة ، فالى اين يقود هذا السلم الهابط ؟

فتحت باب السطح ونزلت المدرج بانتفاض قلبى • كان اول ما احسست به رائحة البيح •• ثم هبت نسمة رطبة وانا اهبط الدرجات •

فجاة توقفت عندما شاهدت ضفيرتين مجدولتين من شعر الشعث ابيض ، وراس غاف على اول درج السلم • همست « هي » احسست بي فانتبهت وحركت جسدها فيما يستقر على صدرها صندوق من خشب تحتضنه كفاها في اصرار • تحرك الراس تجاهي فرايت الوجه وقد كسته التجاعيد ، تبرق العينان ببريق لم تطفئه كل تلك السنين • قلت : « ازيك » فاطلقت نباحا ومدت يدها ناحيتي وكانها تدفعني بعيداً ، فذعرت وشعرت كانني مدفوع الى فراغ مخيف •• رجعت بظهرى حتى النخلة التي اخذتني واسلمتني للارض •• تنشقت الهواء وعند مروري بالوسعاية تطلعت الى النسوة بشك وبشيء من الريبة •

بعد انقضاء ثلاث من السنين ، هبت ريح السموم من الغرب ، وعتمت الدنيا ثم اظلمت •• وهطلت امطار في غير اوانها . واهتزت الارض هزة خفيفة فسقطت دار من الدور العشرة الاول •

سمعت من يصرخ : « فتحت العجوز باب دارها » •

عبرت القنطرة عدوا ، ظهرى لسبيل الماء المبني على شط الترعة •• تساءلت : « هل آن الاوان لاسبل عينيها واواسيها لحظة ان تحتضر • انا الذى بجلت بعدها بعد انقضاء هذه السنين » •

وكانوا لفرط دهشتهم قد راوا الباب يفتح من غير توقع ، وتهب من داخل الدار رائحة بخور ، وصندل محترقين ، ويسقط من ملور السقف حصيرة من نور مفروشة على ارض مكنوسة ومرشوشة بماء خفيف •

وصلت واجف القلب • كانت تقف بالبابكاملة على ظهرها سنينها ، محلولة الشعر الذى كان يصل حتى فخذها، تطوحه ريح مواتية ، وكنت ارى في عينيها ذلك البريق الذى خوفني •• تحتضن صندوق الخشب المصدف • والمطعم بالعاج •• سمعتها تقلت صوتا كالنذير ، اتى الى عابرا العتبة : « آن الاوان » •• لم افهم واقتربت منها مستفهما « يا الهى لقد انقضى زمن طويل » قالت بصوت واضح: احضروا الشيخ

« رضوان » اللحاد » •
قالوا لها :
« الشيخ « رضوان » مات » •
قالت :
« احضروا ولده »•
قالوا :
« لحق بابيه » •
قالت :
« وحفيده » ؟•
قالوا :
« هجر دفن الموتى »
ردت بلا انزعاج :
« ومن يوارى الموتى التراب بالكفر » •
قالوا :
« اسماعيل زايد »•
قالت :
« احضروه ، حتى لو كان عظاما فى قفة » •

قبل ان تختفى داخل حجرتها ، نظرت ناحيتى وكانهـا تعـرفنى ، وسمعتها تتمتم « مثلى من سلخ عمره من الزمن ، لا يموت الا عندما يريد » واختفت خلف باب حجرتها •

اجتزت الجـان ، ووطات ظلال العريشة المبرقشة بزهرات اللبلاب البنفسجى ، ورايت قرب السور قطـا يغتسل ببلسـان من ورد •• حدجنى بنظرة خضراء وماء ناحيتى كاشفا عن مخلب وناب •

عندمـا وصلت كانت مسجاة على ظهرها ، وكنت قادرا فى الضوء الساقط من النافذة على رؤية آخر ومضة من عينيها وفى قلبى يهدر صوت « سـلام على الريح ، سـلام على التراب ، تلك امراة من ايام خلت » •

سمعتها تقول « الولد •• الولد •• ابعدوه عن النهر » •

ادركت انهـا ارتدت لايامها الماضية ، وانها لا تزال تعيش امومتهـا الاولى •

قالت لى : « انهـا سوف تذهب » فقلت لها « بدرى » فقالت « بدرى من عمرك » وابتسمت عن اسنان من لبن •• قلت « كانما لم يعد شىء يفرحها ، ترحل مدركة ان امتلاك العمر حلم مستحيل » •

بدا الشيخ يتـلو بصوت غمغمة الحزن ، وبعد ان انتهى لقنهـا دعوات عجلى وتنحى جانبا •

اعطتنى الصندوق ، وقالت « هذا لك » ••

وغامت الحيـاة فى وجهها • تتبعت عيناها الشاحبتين خط الموت الذى يشق الان طريقه ، تحركه الحـواس بارث الفناء ، يخطو من فوق القنطرة الخشب ، التى يجرى من تحتها المـاء الى مستقر بعيـد ، طامسا اثار ابناء اوى المنطبعة فى وحل المراوى هناك حيث تجثم الجبانة التى انتثرت فى اعداد كثيرة ، تفصلها دروب مزروعة باشجار تتعـرى من اوراقها المصفرة •

سكنت المراة القديمة فقلت : « ماتت » •

تاملت الصندوق • له رتاج من فضة ، وعلى جوانبه فصوص العاج والصدف تنتشر تحـت زهرات ملونة •• « من اين جاءت به ؟ » •

فتحت الصـنـدوق واخرجت ما فيه •

صابونة عرس •• حق من رمال بيضـاء •• خصلة من شعر اسود •• مكحـلة من فضة مرودها على شكل نجمة المساء •• صورة باهتة لولـد مبتسم ، علـى راسه طربوش •• ورقة مالية بمائة جنيـه ، خضراء ومشروخة من الوسط ، ملصقة بورقة تبدت حوافيها وبان من تحتها القـدم ، على الورقة رسم المئذنة تسبح وسط الخضرة الباهتة ، اسفل المئذنة تاريخ قديم وحرف لكتابة متاكلة •• وارقـام تشى بان الورقة ذات المـئذنة ضربت فى عهود مضت ، وانهـا لم تستبدل فى عهود تليت ، ومن ثـم توقف التعامل بهـا من زمان ، حيث كانت داخل ذلك الصندوق الـذى رافقها كل تلك الفصول •

الصالون القومى لعلى مختار

ومحنة استكشاف نظرية الثورة

بقلم : عبد الرحمن شاكر

اذا كان قد قيل عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل انه لم يعمل بالمحاماة بعد تخرجه فى كلية الحقوق لان « قضية » واحدة كانت تشغله وأعطاها عمره وهى قضية الوطنية فى مصر .. فان الطبيب المصرى الذى رحل عن عالمنا منذ اسابيع ، وهو الدكتور على مختار لم يكن يشتغل بالطب طيلة حياته لان « حالة » وحدة كانت تشغله وهى حالة الامة العربية الممزقة والمعتدى على حقوقها .. واذا كانت مصر قد عرفت عددا من « الصالونات » السياسية والادبية ، مثل صالون الاميرة «نازلى فاضل» الذى كان يشهده رجال مثل الشيخ محمد عبده ولطفى السيد وسعد زغلول ، وصالون « مى » الادبى الذى كان يضم العقاد والرافعى واسماعيل صبرى وسواهم ، فربما يكون « الصالون القومى » لعلى مختار واحدا من أهم تلك الصالونات وأكثرها عمقا وثراء فيما كان يدور داخله من مناقشات .. واليك القصة التى تكاد تشبه الاساطير عن هذا الصالون وصاحبه ، وهى قصة من شأنها أن تكشف الكثير من عناصر العلاقة المعقدة التى قامت ما بين ثورة ٢٣ يوليو ـ من حيث كونها ثورة وسلطة فى آن معا ـ وبين « كوادرها » الفنية والفكرية التى عملت فى ظلها وتعاونت معها .



على مختار اثناء حضوره المؤتمر الاقليمى للسكان



على مختار

أول ما عرفت الدكتور على مختار ، كان فى منتصف الستينيات ، طبيبا شابا يناهز الثلاثين ، ويعمل فى المؤسسة العامة للأدوية ، ووقتها تساءلت كيف يرضى هذا الطبيب الشاب ، البادى الذكاء ، والمتدفق نشاطا وحيوية بوظيفة « بيروقراطية » من هذا النوع ، ويترك وراءه مستقبلا عريضا من الجاه والثروة كان يمكن أن يوفره له اشتغاله بمهنته الاصلية؟ ثم عرفت الاجابة بعد ذلك ، وهى أن السبب كان هو الاختيار السياسى ، فلقد كان يعمل مساعدا رئيسيا فى تلك المؤسسة لطبيب سياسى اخر هو الدكتور مصطفى السماع الذى كان يشغل منصب مدير عام تخطيط فى مؤسسة الدواء، وقد تم «تسييس» هذا الاخير بسبب قرابته لاحد كبار الضباط فى حركة ٢٣ يوليو ، وانتزع من موقعه كنائب لجراحة السرطان بالقصر العينى ـ بقتضيره بدوره مستقبل باهر فى عالم الطب ليشغل وظيفة مدير الادارة الطبية بمديرية التحرير ، مع اقراره بأنه سوف يجد فى هذا العمل ما يرضى « ميوله » الاشتراكية ، حيث يمكنه أن يساهم ـ مع اشرافه على علاج المزارعين الجدد بتلك المديرية ـ فى اقناعهم بمزايا انشاء المزارع التعاونية !

ثم اختير الدكتور السماع ليقوم بمهمة خطيرة من نوع ما قام به المهندس محمود يونس ، حينما وكل اليه امر تنفيذ قرار تأميم قناة السويس . وكل الى الدكتور مصطفى السماع تنفيذ قرار تأميم صناعة وتجارة الدواء فى مصر ، وكان عليه أن يقوم فى ليلة واحدة ، بوضع يده كممثل للدولة على مختلف المخازن

الصالون القومى لعلى مختار

وأدوات الانتاج المحلى » قبل أن يقوم أصحابها ، ومعظمهم من المستوردين من الخارج ، بالتعاون مع الجهات الاجنبية فى تهريب شىء منها . ولم يكن تأميم الدواء مجرد واحدة من الاجراءات الاشتراكية التى شملت عددا من السلع ووسائل انتاجها والتجارة فيها للغرض الاقتصادى من تلك الاجراءات فحسب ، ولا حتى بمجرد الهدف الانسانى فى توفير الدواء لجماهير الشعب بأسعار معقولة ، وانما كان الدواء سلعة استراتيجية ، قررت الدولة أن تضع يدها عليها خدمة لاهدافها العليا ، فقد كانت الحرب متوقعة — مع الدولة الصهيونية بصفة خاصة — والدواء ضرورة حيوية تزداد فى حالات الحروب ، مع طلبات المستشفيات العسكرية لعلاج الجرحى والمصابين فى ميادين القتال . كانت السيطرة على الدواء فى ظل هذا الوضع مهمة استراتيجية ذات أهمية كبرى .

وكان دور على مختار فى مؤسسة الادوية هو الاشراف على حركة مخازن الدواء والتحقق من صحة أرصدتها وسلامة اجراءاتها خروجا ودخولا ، مستخدما فى ذلك أحدث الاساليب التكنولوجية فى الادارة المحاسبة وهو الكومبيوتر ، الذى ساعده ذكاؤه ونشاطه الجم على سرعة اكتساب الخبرة به وبوسائل استخدامه ، حتى اصبح — الى جانب كونه طبيبا — واحدا من أوائل خبراء مناهج استخدام الكمبيوتر فى مصر !

ثم علمت بعد ذلك ان الدكتور على مختار وقع الاختيار عليه للتفرغ للعمل السياسى بأمانة الشئون العربية بالاتحاد الاشتراكى العربى . وقد سألته وقتذاك عن نوع العمل الذى يقوم به ، فقال لى ان مهمته هى ان يقضى اطول وقت ممكن فى « النادى العربى » الذى كان يقصده الطلبة العرب فى الجامعات المصرية بقصد توعيتهم سياسيا ، وكسبهم الى صف مبادىء ثورة ٢٣ يوليو والاتحاد الاشتراكى .

ولم تكن تلك مهمة سهلة بحال من الاحوال . فأحد الاهداف الرئيسية فى ذلك الحين ، للاتحاد الاشتراكى عامة وأمانة للشئون العربية خاصة ، كان العمل على تشكيل ما يعرف باسم « الحركة العربية الواحدة » أو الحزب السياسى العربى لثورة ٢٣ يوليو ، وخاصة فى تلك السنوات التى أعقبت انفصام الوحدة المصرية السورية ، وتحول حزب البعث العربى الاشتراكى خاصة فى سوريا ، من اعتبار جمال عبد الناصر الزعيم الحقيقى للحزب أيام الوحدة ومقدماتها ، الى الهجوم على « النظام المصرى » وسياسته ومن المعروف انه رغم كون حزب البعث كان يرفع شعار الاشتراكية فان الانفصال قد وقع بعد قليل من اعلانه القرارات الاشتراكية فى « الجمهورية العربية المتحدة » حزب البعث قد أسهم فى هذا الانفصال الذى كانت وراءه مصالح الرأسمالية التجارية فى سوريا .

كان على أمانة الشئون العربية ، وممثليها فى صفوف الشباب العربى

ان يدافعوا عن « النظرية القومية » للاتحاد الاشتراكى العربى ولثورة ٢٣ يوليو باعتبارها نظرية مستقلة عن نظرية البعث ، وخاصة أن هذا الحزب الاخير كان يصور قضية القومية ، كما لو كانت مسألة عربية منبتة الصلة بالظروف التى تشكلت فيها المجتمعات العربية ، المعاصرة ، ونشأت معها روابط تاريخية مع « قوميات » أخرى ، فقد كان البعث يأخذ على ثورة يوليو حرصها على الروابط الاسلامية والافريقية طبقا لنظرية « عبد الناصر » فى فلسفة الثورة عن « الدوائر الثلاث » التى يشملها الالتزام السياسى المصرى .

غير ان المسألة النظرية الاكثر تعقيدا ، كانت هى قضية الاشتراكية وعلاقتها بالقومية . ولو يكره فى وسع على مختار ، أن يكتفى بترديد كلمات الزعيم عبد الناصر ، أو الميثاق مثلا ، مهما تكن قيمتها الفكرية أو السياسية ، للرد على التساؤلات التى يواجهها فى « صالونه الرسمى » بالنادى العربى . بل كان عليه أن يخوض بحور الفكر المتلاطمة والتى يتصل بها الشباب العربى المثقف الذى يحاوره فى هذا النادى . وكانت الماركسية هى أوسع تلك البحور وأكثرها عمقا ، خاصة والفكر الماركسى هو الذى يسيطر على مختلف التجارب الاشتراكية التى سبقت فى العالم التجربة المصرية أو العربية . وبالرغم من أن « الثورة » فى مصر قد وصلت الى ما يشبه الاتفاق مع بعض الرموز البارزة للفكر الماركسى فى مصر ، الذين قرروا فى عام ١٩٦٤ حل المنظمات الشيوعية والانضواء تحت لواء الاتحاد الاشتراكى فى السعى لتطبيق الاشتراكية فى المجتمع المصرى ، ونقل الثورة على أساسها الى مختلف المجتمعات العربية ، فان صراعا مكتوفا ظل يدور داخل الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الطليعى ومختلف وسائل الاعلام : حول خصوصية الطريق المصرى أو العربى للاشتراكية ، أو خضوعه للصيغة التقليدية للقوانين العامة للحركة الاشتراكية فى العالم ، وحول ما اذا كانت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التى ارتضتها القوى الماركسية .التى قبلت حل المنظمات الشيوعية ، كافية لتحقيق الاشتراكية أم ينبغى دفعها فى اتجاه اقرب ما يكون الى ديكتاتورية البروليتاريا ؟ فى مواجهة اتجاه اخر ماركسى أيضا ولكنه اقل نفوذا كان يرى ان يكون اتجاه هذا التحالف نحو الديمقراطية السياسية الكاملة التى ان الاوان ان تتجه اليها جميع التجارب الاشتراكية فى العالم بعد أن اصبحت الاشتراكية نظاما عالميا لا تقوى القوى الامبريالية المعادية له على قهره او اقتلاعه . بل اصبحت ـ أى الاشتراكية ـ مستوى حضاريا تسعى للحاق به كثير من البلدان ـ وخاصة الحديثة الاستقلال والتحرر ـ دونما ارتباط مذهبى مسبق مع التجارب الماركسية ، وان مصر واحدة من ابرز تلك البلدان ، وتجربتها فى اتخاذ الاشتراكية اداة للتنمية القومية ، هى المرآة التى تعكس هذه الحقيقة بوضوح ، وهى اسهامها الخاص والمهم فى اثراء الفكر الاشتراكى العالمى

● خصومات كثيرة

كان على مختار واحدا ممن يميلون له الى هذا الاتجاه ويسعون الى تأصيله نظريا ، بما ينطوى عليه من تأكيد خصوصية الثورة العربية واتجاهها

الصالون القومى لعلى مختار

نحو الاشتراكية · وفى هذا المجال كان عليه ان يواجه خصومات كثيرة ،منها أصحاب الجمود المذهبى من الماركسيين الذى كانوا يرون فى هذا اللون من – التفكير المستقل ضربا فى الهرطقة والردة ، . وفى الوقت الذى كان فيه بعضهم يعطى للسلطة الوجه الذى تريد يضمر الاستحقاق الكامل بكل ما يقال عن خصوصية التجربة المصرية أو العربية فى الاشتراكية ! ذلك فضلا عن خصوم الاشتراكية ذاتها داخل حزب السلطة واجهزتها ممن كانوا بدورهم يداورونها ويسعون الى افقاد التجربة كل ما يؤكد جديتها وصدقها فى تحقيق الاشتراكية ·

وقع على مختار بين الفريقين وربما تحالفهما ضده فى سعيه لاستكشاف نظرية حقيقية للثورة ·والقى القبض عليه حقيقة لقد لحق عمليشابه ببعض العناصر الماركسية التى تعمل فى الاتحاد الاشتراكى ومختلف أماناته منها أمانة معهد الدراسات الاشتراكية به ، وكانت تهمة الجميع هى العمل على ترويج « مبادىء مستوردة » داخل الاتحاد الاشتراكى وأجهزته ، الا انه لوصحت هذه التهمة على احد كان سياسيا قبل الثورة ، أو منضما الى احدى التنظيمات اليسارية ، فقد كان من المدهش تماما توجيهها الى على مختار ، وهو من كان فتى فى السابعة عشرة من عمره حينما قامت الثورة فى عام ١٩٥٢ ، ولم يعرف من التنظيمات السياسية غير الاتحاد الاشتراكى وأجهزته ! فضلا عن ان الفكر الذى كان « يروجه » انما كان يصدر أساسا من المنطق القومى ·

كانت هذه الصادثة – القبض على « على مختار » من اول الحوادث على خطورة فقدان الديمقراطية حتى داخل الحزب الحاكم ذاته من ناحية ، ومن ناحية اخرى على الخواء السياسى الذى مثله ان حزب الثورة قد تم تشكيله ، ومحاولة صياغة اهدافه ونظريته وهى قد تحولت – أى الثورة – الى سلطة ·

في عالم الكتب

كان من الطبيعى ان تنقطع صلة على مختار بالاتحاد الاشتراكى بعد القبض عليه ، بل اصبحت عودته متعذرة الى عمله الاصلى فى مؤسسة الادوية، وكان ان التقطته دار المعارف بصفته خبيرا فى الكومبيوتر – كما تقدم – والحقته بها لكى يشرف على تنظيم حركة مخازنها بهذا الاسلوب التكنولوجى المستحدث · وفى هذا العمل انفتح امام على مختار عالم الكتب بأوسع ابوابه المحلية والعالمية ، واصبح عليما بمختلف ما تصدره دور النشر فى العالم من مطبوعات فى مختلف ميادين الفكر والمعرفة ·

ولم يتوقف على مختار على نشاطه الفكرى والسياسى ، باغلاق « صالونه الرسمى » التابع للاتحاد الاشتراكى، وانما نقل الصالون القومى الى بيته· وقد ساعده على ذلك زواجه من سيدة لبنانية الاصل ، هى المخرجة السينمائية المعروفة نبيهة لطفى · اصبحت « العروبة » حالة يعيشها على مختار فى بيته المفتوح

دائما فى سخاء ومودة نادرين لجميع القاصدين من ارجاء الوطن العربى والمهتمين بشئونه وقضاياه .

واتخذ على مختار قرارا جريئا ، اذ استقال من وظيفتـه المرموقة فى دار المعارف ، واتفق مع المرحوم الدكتور عبد الوهاب الكيالى على افتتاح فرع فى القاهرة للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، يديره على مختار من مكتبه الخاص . وكان ان تحول هذا المكتب الى جزء متمم للصالون القومى يقصده مختلف المهتمين بقضايا الوطن العربى من مختلف الاتجاهات . ولم يعد الزاد الذى يمدهم به على مختار مقصورا على ما يدور فيما بينهم من مناقشات ، بل بسط امامهم موائد لا حصر لها من عالم الفكر ، بالكتب التى كان يستوردها ويدل كل واحد منهم فيما يخصه او يهمه على كل جديد نافع فيها ، مستخدما فى ذلك صلاته الواسعة بعالم الكتب قديمـا وحديثا !

لقد حقق على مختار داخل صالونه القومى فى بيته ومكتبه على السواء اكبر قدر من الحوار الديمقراطى الذى افتقده ، بل لحقه النكال بسببه فى الاتحاد الاشتراكى ، وكان ذلك ولايزال احوج ما تحتاجه الامة العربية من اجل الوحدة والنهوض والتحرر .

على أن على مختار لم يكن مجرد منظم للحوار القومى فى صالونه ، بل فى طليعة المساهمين فيه بأبحاثه المتعددة ، المنشورة بمختلف اللغات كما ذكرت الدكتورة سهير لطفى فى كلمتها عنه للاهالى ، وفى المحاضرات التى كان يلقيها فى مصر او الخارج، والمؤتمرات الدولية والعربية التى كان يحضرها ، ومنهـا المجلس الوطنى الفلسطينى الذى كان يدعى اليه دائما كان يرتاد فى ابحاثه كل ما يتصـل بقضايا الامة والقومية ، وتحريفاتها المختلفة ، والايديولوجية والتنمية ، وانماط الانتاج وعلاقتها بالاوضـاع القومية ، وهلم جرا . مما يدخل فى دائرة الهموم النظرية التى حملها معه منذ كان يعمل على انشاء حزب عربى للثورة المصرية !

ولقد وطأ الدكتور على مختـار مكتبه للاتجاه القومى داخل حـزب التجمع ، الذى كان عضوا بلجنتـه المركزية ، ذلك الاتجاه الذى يتزعمه الدكتور احمد خلف الله ، واسهم معه فى اصدار مجلة « اليقظة العربية » ، بل فرغ ابنته منى على مختار بعـد تخرجها فى الجامعة للعمـل فى الشئون الادارية لتلك المجلة !

ولم تمنعه مشاغله السياسـية والفكرية والعملية من ان يبذل اقصى الجهد فى خدمة اصدقائه وجلهم من المفكرين العرب ، على نحو ما صوره الاستاذ رجاء النقاش فىمجلة المصور كانت حيويته الدافقة ومروءته النادرة تجعلانه يحمل هموم هذه الامة قدر ما يستطيع .. امة وافرادا ! كان بدوره « امة واحدة » على حد تعبير القدماء فى العمل من اجل مستقبل افضـل للامة العربية .

فى الرابع عشر من مايو الماضى ، انطفأت الشعلة المتوهجة من الفكـر والنشاط الجم التى تجسدت فى علـى مختار . قضى عن اثنين وخمسين عاما امضاها على هذه الدنيا . ولـكن الجذوة التى اشعلها فى قلـب كل من عرفه او اتصل به اكبر من ان تنطفىء!

رحلة المدرسة المصرية نحو الهاوية..

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

تأخرنا طويلا فى إدراك الخطر القادم ، عاتيا ومدمرا ، مع انهيار مؤسساتنا التربوية ، وهو أمر بدهى ، فالناس تشغلهم أولا لقمة العيش ، والسقف ، والملبس ، وبعدها ينتبهون إلى التعليم والثقافة وشئون الفكر .

وحين ينتبهون إلى هذه الأمور المعنوية ، بمثل هذا الإحساس القلق الذى نعيشه الآن ، فإن ذلك يعنى أن الأمر بلغ مرحلة من السوء السكوت عندها جريمة ، والهروب من مواجهتها خيانة ، ولابد من كلمة تقال عالية وصريحة وبلا نفاق أو مجاملة .

إن الطبيب الواعى لايقف عند حاضر المريض ، وإنما يتجاوز حاضره إلى الماضى ، يحاول أن يقع على أسباب المرض البعيدة ، ويجتث الداء من أصله ، لأن مجرد التخفيف من الألم لايشفى المريض ، ولايهبه العافية مادام مصدر الداء قائما .

فى منتصف القرن الماضى أدركت مصر جيدا أن القوة العسكرية لاتكفى وحدها ، ولا أهمية لها مالم يدعمها العلم



على مبارك



د . طه حسين

والفكر ، فبدأت تتجه نحو التعليم ، تنشىء المدارس وتعنى بها ، طلابا وبناء وكتابا ومعلمين ، وكانت القاعدة الذهبية التى وضعها ابو التعليم المصرى الحديث على مبارك : مدرسة واحدة لكل المصريين ، مسلمين وأقباطا ، أغنياء وفقراء ، وهى قاعدة كافحت مصر طويلا لتجعل منها واقعا ، واحتاجت إلى قرن كامل من الزمان ، ثم تراجعت عنها القهقرى مع عصر الانفتاح .

وإذا استثنينا مدارس الجاليات الأجنبية ، وكانت عديدة وقامت لأبنائها ، ولم يكن معترفا بشهاداتها ، ولايتجه إليها أحد من المصريين ، فإن مدارس الدولة كانت تمثل مستوى عاليا فى الأداء من شتى جوانبه ، ومطمحا للنابهين والنبغاء وابناء الأغنياء .

● كتب لخيرة التربويين

كان مدرسوها فى غالبيتهم ينتسبون إلى معهدين جليلين : دار العلوم والمعلمين العليا ، ولا ثالث لهما فى غير المواد الفنية من رسم وموسيقى وتربية رياضية .

وكانت الكتب من تأليف خيرة التربويين فى المرحلة الأولى ، وفى المدارس الثانوية من تأليف مفكرين فى مستوى طه حسين وأحمد أمين ومحمد عوض وعلى الجارم وأحمد ضيف وعبدالعزيز البشرى ومحمد مهدى علام ، وآخرين ، وإلى جانبهم خيرة كتب التراث كالبخلاء للجاحظ ، والمكافأة لابن الداية ، ومختار الصحاح ، والمصباح المنير ، والمنتخب من أدب العرب ، وغيرها .

ويبدأ اليوم المدرسى مع مطلع النهار وينتهى مع أصيله .

وتتخلله أوقات مخصصة للمهارات العملية واليدوية ، من زراعة ونجارة وميكانيكا ، أو النشاط الفنى من رسم وموسيقى ، أو رياضة ، وكل مايخطر على البال .

وكانت الاجازة الصيفية شهرين

رحلة المدرسة المصرية نحو الهاوية..

لايزيدان يوما واحدا ، وموعد البدء ثابت لايتأخر ويوم النهاية مقرر لايتقدم .

وإلى جوار المدارس الحكومية ، وتكفى كل الراغبين ، تقوم المدارس الحرة ، تتلقى الذين تردهم مدارس الدولة أو تلفظهم ، لعدم توافر الشروط المقررة ، من كبر السن أو سوء الاخلاق أو تعدد الرسوب ، وتتقاضى منهم ماتشاء من رسوم ، وفيها تتجلى التجارة واضحة ، فهى تقتصد فيما تقدم من خدمات ، وتبالغ فيما تأخذ من رسوم ، فالأمكنة سيئة ومرتبات المدرسين منخفضة ، وحين قررت وزارة المعارف أن تعينها بالمساهمة فى دفع جانب من مرتبات هؤلاء المدرسين كانت تشاركهم فيها بدل أن تزيد عليها .

● تحرير المعلمين فى المدارس

وهكذا نشأت مشكلة مدرسى التعليم الحر ، وقامت روابطهم تدافع عنهم ، وحين تولى أحمد نجيب الهلالى الوزارة فى وزارة الوفد ١٩٤٢ - ١٩٤٥ ، وهو أول وزير عظيم لها بعد على مبارك ، أصدر قراره بضم كل مدرسى التعليم الحر الى الوزارة ، واعتبارهم عاملين بها ، ويتقاضون منها نفس مرتبات زملائهم ، وعليهم تجرى نفس الترقيات ، على أن يعتبروا منتدبين فى المدارس الحرة التى يعملون بها .

كانت هذه الخطوة ثورة فى سبيل تحرير المعلمين فى المدارس الحرة ، وترقية التعليم بها .

وحين جاءت وزارة الوفد عام ١٩٥٠ بالدكتور طه حسين وزيرا للمعارف كان ذلك دليلا واضحا على أنها تولى قضية التعليم أهمية كبرى ، ولم يكن ذلك أمرا سهلا ، فقد عارض الملك طويلا فى اختيار طه حسين وزيرا ، رغم أنه قضى شبابه كاتب القصر ، وأن سياسته بعد الوزارة اتسمت بملاينة الملك وملاطفته ، فأطلق اسم جده ابراهيم الكبير على الجامعة التى أنشأها ، والتى تحمل الآن اسم جامعة عين شمس ، ولكن الملك لم يكن يخاف طه حسين شخصا ، وإنما يرهبه فكرا ، وكان ذلك صوابا الى حد بعيد .

اتسمت سياسة طه حسين بالثورية فى كل مجالات التعليم ، جعل التعليم الثانوى مجانا ، بعد أن جعلت وزارة الوفد السابقة التعليم الابتدائى كذلك ، وعمم التعليم الالزامى ، وذهب به إلى أصغر القرى وأبعدها ، ونهى أن يمنع طالب جامعى من دخول الامتحان لأنه لم يدفع المصروفات فأصبح مجانيا فى واقعه .

ووجدت سياسته دعما من حكومة الوفد بلا حدود ، فلم تبخل عليه بالمال والتأييد

● توسع على حساب المستوى

وأدرك طه حسين ، أستاذا عظيما ، أن المعلم هو الأساس ، فرفع من شأن المعلمين ماديا ، وسبق بهم غيرهم فى الترقيات ، وبدأ العاملون فى الوزارات الأخرى يتجهون إلى وزارة المعارف ، ونقل الدرجات الكبرى من ديوان الوزارة إلى المدارس نفسها ، فكان نظار المدارس الثانوية الكبرى فى درجة مدير عام ، وهى

الدرجة التى كان يعين عليها المديرون والمحافظون ، وأفرغ ديوان الوزارة منها ، وكان مدير مكتبه ، وهو من هو ؟ ! ، محمد سعيد العريان ، الأديب والكاتب والروائى فى الدرجة الرابعة ! .

لكن هذا التوسع غير المخطط له كان على حساب المستوى ، فاضطرب الأمر ، ومن المؤكد لو ان طه حسين ظل وزيرا لالتفت اليه ، وأصلح من أمره ، اما فى البدء فكان رده على منتقديه : « الجهل نار مشتعلة ، وعندما تواجه حريقا لاطفائه ، فإنك لاتفكر فى نوع الماء الذى تستخدمه ، نقيا صافيا ، أو راكدا آسنا » ، وكان ذلك سفسطة من أديبنا الكبير دون أدنى شك .

وعلى أية حال لم يطل المقام بحكومة الوفد ، ولا بالنظام كله ، فبعد قليل قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى الأشهر الأولى جاءت باسماعيل القبانى وزيرا للمعارف ، وهو رجل بيروقراطى شنيع ، ورغم انه تعلم فى كل مراحل تعليمه بالمجان لذكائه ، ولينحدر من أسرة متواضعة للغاية ، كان عدوا لدودا لمجانية التعليم وللفقراء على السواء .

ثم اصطدم مع الثورة حين حاول أن يفصل توفيق الحكيم من منصبه مديرا لدار الكتب المصرية ، وكان طه حسين قد عينه فيه ، مستخدما قانون « تطهير الوظائف » ، بحجة أنه من الموظفين الكسالى غير المنتجين ، واصطدم بسبب ذلك مع عبدالناصر شخصيا ، فى مجلس الوزراء ، ثم اقيل من منصبه .

كانت الثورة تعى أهمية التعليم ودوره فى النهضة التى تأملها ، فكانت وزارة المعارف من بين الوزارات التى تولاها ضابط من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكانت من نصيب الصاغ كمال الدين حسين .

لم يكن كمال الدين حسين موهوبا فى هذا المجال ، أو يعرف شيئا ذا أهمية عن التعليم والثقافة والتربية ومشكلاتها ، ولكنه يملك على التأكيد رغبة قوية فى الاصلاح ، وإرادة حاسمة فى التصميم على النجاح ، وشبابا فياضا وصحة وعافية تعينه على العمل ساعات طوال متصلات فى هذه الوزارة الواسعة المضنية ، وجمع حوله نخبة من خيرة رجال التعليم الوطنيين فى ذلك الوقت ، ومعهم مضى يصلح ما افسده الزمن ، وأوضح ما صنع فى هذا المجال انشاء « مؤسسة المبانى المدرسية » فقد اضطلعت ببناء مئات المدارس الراقية فى القرى فى زمن يسير .

وبعد ذهاب كمال الدين حسين سقطت وزارة التربية والتعليم ، وأصبح هذا اسمها ، فى قبضة البيروقراطية العاتية المتخلفة من جديد ، ومعها توقفت قليلا ، ثم بدأت رحلة الصعود الى الهاوية بأسرع ماتستطيع ! .

الخوف من كل شىء ! !

ذلك أن الثورة أحست بالشيخوخة المبكرة بعد انفصال سوريا ، وانتابها وهن جعلها تخاف من كل شىء وأى شىء ، وفى مثل هذا المناخ ليس اسهل من أن تجعل وكيل الوزارة يديرها وأن تعطيه لقب وزير ، واللقب الجديد لايجعل منه وزيرا ، وسوف يظل وكيلا موظفا ، سلوكا وتصرفا واحساسا ، وهكذا كان كل وزراء التربية الذين جاءوا بعد كمال الدين حسين ، حتى

يومنا هذا ، باستثناء اثنين جاءا من خارجها ، الدكتور عبدالسلام عبدالغفار والدكتور احمد فتحى سرور ، أما البقية فكانوا موظفين تنطبق عليهم قولة الجاحظ التى القى بها منذ أكثر من الف عام من الزمان : « لباسهم الذلة ، وشعارهم الملق ، وقلوبهم ممن لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب ، وألفها العزل ... فهم مع ذلك فى تكدير وتنغيص ، خوفاً من سطوة الرئيس ، وتنكيل الصاحب ، وتغيير الدول » .

كان الخط الذى سار عليه هؤلاء الوزراء ، ويجب الا تأخذنا بهم رحمة لانهم المسئولون مباشرة عن الكوارث التعليمية وانهيار البناء التربوى الذى نعانيه الآن ، الا يطالبوا بشىء ، والا يعارضوا قرارا يأتيهم من خارج الوزارة من مركز قوى ، والا يتبنوا اية قضية او سياسة تربوية ، المهم ان يبقوا فى الوزارة أطول وقت ممكن ، وكان احدهم ، رغم لقب الدكتور الذى يسبق اسمه ، يقرأ أخبار الترقيات والتعيينات الكبرى والوظائف المرموقة فى وزارته فى صحف الصباح وهو ذاهب إلى مكتبه ، حتى ماكان منها مردها اليه ومن اختصاصه ، ولم يثر لكرامته ولا مرة واحدة ، وكان طيعا بطريقة مغيظة ، ينقل من الوزارة الى مكان آخر ، أدنى أو أعلى ، فيقبل ، وتضم له الوزارتان فيبقى عليهما ، ثم تفصلان ويبقى على واحدة منهما ، ثم يقصى عنهما جميعا ، ثم يجاء به مرة ثانية ، وهو راض سعيد ، ومبتسم أيضا ! ، فى كل الحالات .

● الفصول الطائرة !

فى هذا المناخ المتردى بدأت عملية الكذب والخداع للشعب وللقيادة السياسية على السواء ، وبدلا من مواجهة زيادة التلاميذ بانشاء مدارس جديدة بدأت زيادة أعداد التلاميذ فى الفصول القائمة ، فإذا لم تتسع جلس على المقعد الواحد اثنان ، أو ظلوا واقفين ، أو استراحوا أرضا ، وحين ضاقت هذه بدأت زيادة الفصول نفسها فى الافنية المخصصة للنشاط الرياضى ، أو الحدائق ، أو فى قاعات النشاط ، أو فى مكاتب المدرسين .

وحين اكتظت هذه تفتقت مواهبهم عما سمى بالفصول الطائرة !

وهى فصول موجودة على الورق ، ولا مكان لها فى الواقع ، يجيىء تلاميذها من البيوت ، ثم يبقون ينتظرون فى الممرات أو الافنية ، إن كانت هذه موجودة ، أو أى مكان آخر ، فإذا شغر فصل بذهاب تلاميذه الى الألعاب الرياضية ، أو إلى المعمل ، أو حجرة الرسم ، شغلوه مكانهم ، فإذا لم يفرغ لهم فصل ظلوا طوال يومهم فى الفناء والممرات .

ومع المزيد من خداع الأرقام بدأت المدارس تعمل دورتين ، أى انها اختصرت العملية التربوية الى النصف ، واستسلاما لهذا الانحدار بدأت تختصرها الى الثلث ، فتستقبل المدرسة الواحدة ثلاث دفعات فى اليوم المدرسى الواحد ! .

وفى هذا الزحام غير المعقول ضاع



اسماعيل القباني



كمال الدين حسين

الود بين المدرس والتلميذ ، ولم يعد هذا يجلس على الطرف الثانى من المقعد كما يقول المثل الأمريكى ، ولم يعد المدرس يحس ميلا الى تلاميذه ولايحسن تعليمهم ، ولم يعودوا هم ايضا يرتاحون اليه او يحترمونه ، وبذلك اصبحت المدرسة أشبه ماتكون باغوار الجحيم للمعلمين والتلاميذ على السواء ، وزاد من المأساة هذا التفاوت الطبقى الرهيب ، يذهب بفريق منهم الى الزهو والبذخ والامتعاض ، ويثير فى أبناء الفقراء المحرومين روح الثورة والتمرد ، فهم يدمرون كل مايتصورونه احتقارا لهم أو امتهانا لآدميتهم .

وأخذ العام الدراسى يبدأ مع نهاية أكتوبر وينتهى فى آخر مارس ، أى خمسة شهور فقط ، تتخللها اجازة نصف العام ، واجازات أخرى عديدة ، وحين حاول الرجل العظيم الدكتور عبدالسلام عبدالغفار أن يعيد الجدية الى المدرسة فى الزمن فقط ، فقرر أن تبدأ الدراسة مع أوائل سبتمبر ، وأن تظل الى أواخر ابريل ، أطاحوا به ، رغم انه لم يكن قد مضى عليه وزيرا غير عدة شهور .

وماجرى مع المبانى والزمن حدث للكتاب نفسه ! .

فبعد أن كان يؤلفه طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم ومهدى علام وآخرون من رفاقهم ، عهدوا به ، الى أناس مجهولى الهوية ، وتحول الى زفة تنافق الحاكم من جانب ، وتميل الى السهولة الفجة من جانب آخر ، أو تستعبد القائمين عليه نظريات تربوية أمريكية عفا عليها الزمن ، وليدة مجتمعات مغايرة ، ولغة مختلفة ، وأهلها أنفسهم نسوها ، واحتجنا الى أكثر من ربع قرن لكى نتحرر من أسار « القط شرشر » ، وهو بالمناسبة كتاب فى تعليم اللغة العربية ، ألفه أستاذ عظيم فى الرياضيات ! .

وهكذا أصبح الكتاب المدرسى المصرى سقيما ومتخلفا ، مادة ومحتوى وعرضا ، ولايرى فيه التلميذ شيئا مفيدا ، وانما يضطر الى مذاكرته ليمتحن فيه ، ثم

ينساه بعد الامتحان ، ان لم يتخلص منه ، وليس على غلافه اسماء لها جاذبية يمكن ان تشده اليها أو تغريه ، وحين أوازن مثلا بين الكتاب الذى يقدم للتلميذ فى سلطنة عمان وبين مثيله فى مصر ، أبكى واقعنا المتخلف فى المادة والمنهج والاخراج ، وأسى على زمن كان فيه الكتاب المصرى يمثل القدوة والمحتذى .

● تدهور سريع

ومع الكتاب جاء تأخر المعلم ، وهو الجسر الذى يصل بين المدرسة والحياة ، وبدأت المأساة بهروبه من مدرسته حين خص ديوان الوزارة نفسه لكل الدرجات العليا ، وفى فترة من الفترات كان فى مكتب الوزير خمسة يحملون درجة وكيل وزارة ، على حين تقهقر واقع ناظر المدرسة الثانوية ، وإن حمل لقب مدير ، ليصبح فى الدرجة الأولى إذا كان محظوظا .

وزاد من تدهور مستوى المدرسين ان المدارس لم تكن فى عهودها الزاهرة ، تعرف لمدرسى المواد غير الفنية غير موردين ، دار العلوم والمعلمين العليا ، وكلاهما ذو تاريخ عريق ، شهدا أجيالا صارت فيما بعد من النوابغ فى حياتنا الثقافية والفكرية ، وهذه التقاليد تدفع فى شرايينها بحياة معنوية دافقة ، ويحركها روح قوى خاص بها ، تتضاءل الى جانبه الأبنية والأساتذة والطلاب ، وكلها معان جليلة لايدركها من تعلم فى معاهد لاتاريخ لها ، ولا تمتاز بميراثها القديم وذكرياتها الفعالة .

غير أن هذين المعهدين اللذين يمثلان تاريخا هائلا ، أزيح احدهما ، وهو المعلمين العليا وأصبح تاريخا يروى ، وبقيت دار العلوم تكابد أهوالا محبطة ، من الجهل برسالتها ، وهبوط مستوى متخرجيها واساتذتها ، وتصارع المنافع الخاصة فى جنباتها ، فبهت دورها بعد أن كان شعاعا وهاجا ! .

وفى مواجهة النقص الذى تعانيه المدارس أصبحت الوزارة تستعين بكل من هب ودب ، وتتلقى أفواجا من كل حدب وصوب ، وإذا كانت المهنة نفسها صعبة بطبيعتها ، وبمستواهـا المادى غيـر مغرية ، فإن جل الوافدين عليها هم ممن ضاقت بهم سبل العيش ، والوزارة نفسها ليس لها أى سلطان على المؤسسات التى يتخرجون فيها ، والتدريس فى بعضها شكلى للغاية ، وشهاداتها تمنح صدقة للفقراء والمعوزين الكسالى ، والحاصلون عليها شبه أميين .

وبدأت القوى العاملة تسهم بدورها فى عملية التخريب ، فهى ترسل كل من جاء عليه الدور ، ولاتعرف له مكانا توجهه اليه ، إلى وزارة التربية ليعمل فيها مدرسا ، دون تأهيل أو اعداد ، والمعلم غير المتمكن من مادته ، والذى لايعرف تلاميذه ، ويرى مالا يرى غيره ، ويفكر خيرا مما يفكر سواه ، ويدرك من أحوال مجتمعه مالا تدركه أواسط الناس ، لاخير فيه ولن يجدى فتيلا .

ذلك واقعنا .

فماذا عن مستقبلنا ؟

أود أن أقول للوزير ، وأعرف فيه الكفاءة والطهارة وصدق الرغبة فى التغيير ، انك تحاول ، ولكنك تستعين



د . عبد السلام عبد الغفار



د . احمد فتحي سرور

بالأدوات نفسها التي خلقت الفشل والتردى ، وأسهمت فى الاتيان على كل المعانى الجميلة التى كانت تعرفها حياتنا التربوية ، وهم اليوم معك ، وبالأمس كانوا مع غيرك ، وعلى استعداد لأن يكونوا غدا مع سواك ، وفى كل الحالات هم « عبد المأمور » ولن يقدموا شيئا مفيدا .

وزارتك ، أى مدارسنا ، فى حاجة ملحة الى خلق جديد ، وتمنيت ان اقول ثورة ، ولكنى كرهت اللفظ لكثرة ما امتهنوه ، بأدوات جديدة ، وأفكار غير ملوثة ، تدرس :

● الأبنية المدرسية ، وكيف السبيل الى مدرسة نظيفة جميلة وعصرية ، وهل من الخير ان نخرج بها من الأزقة الى الفضاء الرحيب فى الصحراء ، وأن نجمع بين الوانها المختلفة ، زراعية وصناعية وتجارية وعامة ، وأن نفيد من التجربة التونسية فى هذا المجال .

● المعلم ، وطريقنا الى اعداده ، وتوحيد مصادره ، والارتقاء بمستواه ، وانصافه ، وتقديره ، وجعل هذه المهمة الجليلة غاية يتسابق اليها النابهون .

● الكتاب المدرسى ، وكيف نرقى به مادة واخراجا ، وهناك تجربة رائدة ورائعة فى عمان أتمنى ان تكون تحت أنظار من يتناولون هذا الجانب .

● التوجيه الفنى ، تحت اسم مستشار أو موجه ، وكيف نختار العاملين فيه ، شبابا متوثبا ، وثقافة متنوعة ، دون أن نعتمد على الأقدمية المطلقة ، قاتلها الله ! ، فقد قتلت فى العاملين كل نوازع الطموح .

وبالمناسبة : ألا يرى معى الوزير الجامعى أن من الظلم البين أن تظل درجات المستشارين على ماتركها عليه طه حسين منذ أربعين عاما ، وأن تكون درجاتهم دون درجات مدير مكتبه ؟ .

وكل ذلك يحتاج الى مال ، نعم ، ولكن لن يكون عن طريق مصاريف يدفعها التلاميذ ، وانما فى شكل ضرائب يدفعها القادرون ، وأن نذكر أن المواطن يدفع حين يستخرج رخصة السيارة ، أو جواز سفر ، أو بطاقة تموين ، فهل كثير عليه إذا كلفناه أن يدفع مثلها ، أو ضعفها ، للارتقاء بمستوى التعليم ؟ .

كتاب الموتى (٢)

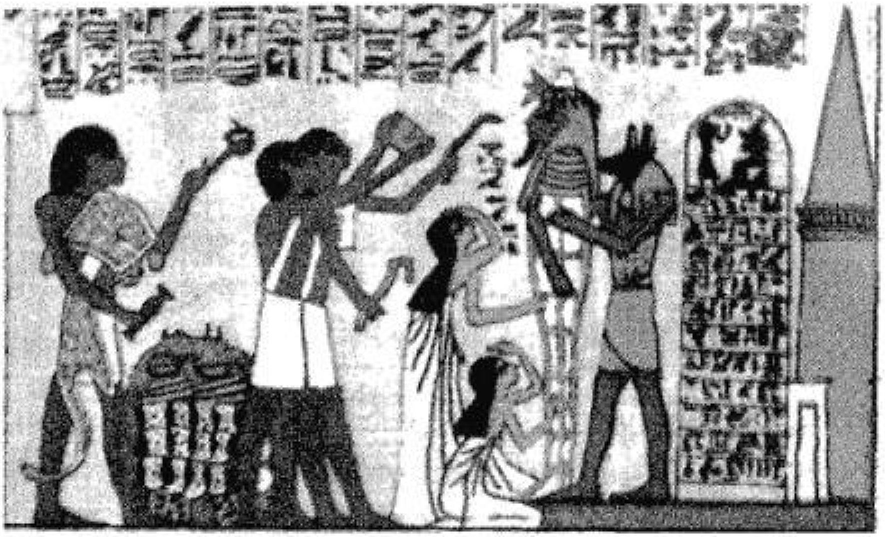
التوحيد والبعث والخلود في مصر الفرعونية

بقلم: د. سيد كريم

يواصل الدكتور سيد كريم تقديمه لأهم كتاب من العصر الفرعوني، وتتصل الدعوة لتقديم «كتاب الموتى» البالغ الأهمية للقارىء العربى.

● إذا تتبعنا «كتاب الموتى» ودوره فى شرح العقيدة ونشرها كرسالة سماوية الهدف منها تعريف الناس برب السماء خالق الكون واطلاعهم على اسرار الوجود والخلق والحياة. وان الموت ليس هو نهاية الحياة بل بدايتها فى عالم الخلود وتسهيل مرور المتوفى الى ذلك العالم المجهول الذى تشرح لهم الرسالة اسراره. لوجدنا انه يتكون من ثلاثة اجزاء او ثلاثة كتب اشتركت فى مضمونها فى مختلف كتب الموتى التى كتبت فى عصور متباعدة.

فالجزء الأول يتكلم عن ملكوت السماء وخزائن سر الوجود فيشرح نظرية الخلق والتكوين ابتداء من خلق الإله نفسه ـ كما تصوره الاساطير الفرعونية ـ إلى خلق الكون وعناصر تكوينه الى خلق كيان الوجود الانسانى وعلاقته بكل من الروح والنفس والجسد ويبدأ هذا الجزء من الكتاب بسؤال يفرض نفسه ليبدد الظلمات وهو «من هو الله؟» خالق الكون وماهو الكون وماهى حدوده.. وماهى الحياة ما الهدف منها.. وماهو مصيرها؟



• انتقال الروح بين ضفتي الحياة ..

• بروج السماوات السبع وأبوابها . !

● والجزء الثاني او الكتاب الثاني يطلق عليه اسم « رحلة المصير » او طريق البعث والخلود ووصف في بعضها برحلة الروح الى العالم الآخر واطلق عليها في بعض المتون اسم « رحلة الرؤيا » التى يصفها حامل الرسالة ويسجلها في كتابه على شكل تجربة واقعية مارسها بنفسه بأمر من خالقه حيث تنتقل روحه بعد موته الى العالم الآخر ليقوم برحلة القدر والمصير ابتداء من مفارقتها للعالم الارضي حتى وصولها إلى عالم الخلود تنقله سفينة الشمس او سفينة الروح او فلك الآلهة التى تسبق البرق والتي تشبه رحلات عروج الرسل والانبياء التى وردت انباؤها في الكتب السماوية .

إن وصف رحلة الروح او رحلة البعث والخلود التى سجلتها مختلف كتب الموتى في مختلف العصور الفرعونية لاتختلف في مضمونها عن رحلة اوزوريس في اول رسالة للتوحيد نزلت على البشرية وفي ارض مصر .

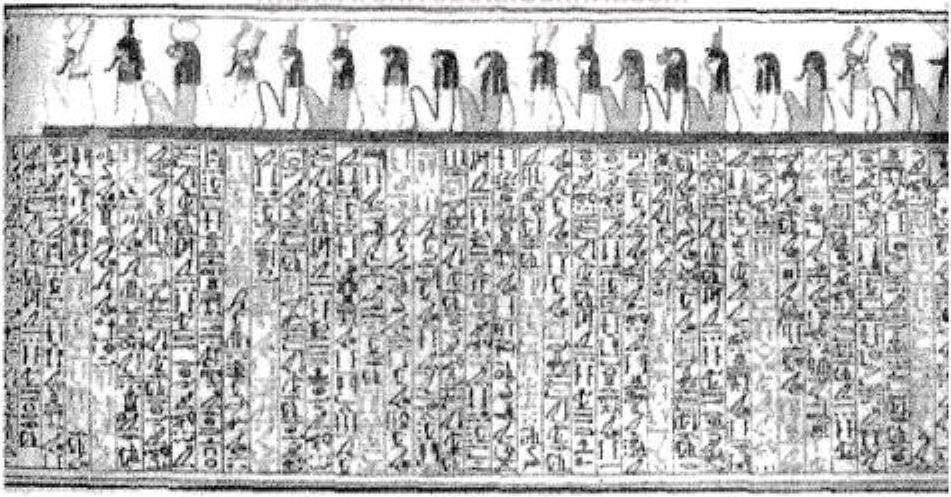
ومن البرديات او الكتب الكاملة التى وصفت تلك الرحلة كتاب آني الذى وجدت احدى نسخه الكاملة في مقابر الأسرة الثامنة عشرة وهي عبارة عن بردية واحدة اولفافة طولها ٢٥ مترا وعرضها ٤٠ سم

يصف أني في برديته المصورة رحلة الروح خطوة بخطوة ابتداء من مفارقة الروح للجسد الأرضي بعد اجراءات تحنيط الجثة ودفنها وطقوس تلقينها ومراسم الاحتفالات الجنائزية ونقل الجثة بين ضفتي نهر الحياة ويرمز اليه بنهر النيل لتسير في طريق الغروب أو طريق دورة الاله في السماء لتدفن في البر الغربي لتدخل القبر وتقفل عليها أبوابه بعد أربعين يوما ـ وقد اختلف المؤرخون في تفسير تلك المدة فنسبها البعض إلى المدة اللازمة لتحنيط الجثة وعملية حفظها قبل دخول القبر بينما فسرها البعض الآخر بأنها المدة التي تمكثها الروح في الأرض قبل خروجها من القبر وانتقالها الى العالم الآخر حيث يحتفل بوداعها .

تبدأ الرحلة في مرحلتها الأولى بعد انتقال الروح في سفينة الشمس عبر الفضاء الأزلي بدخول « أني » يقوده أنوبيس الى قاعة التحضير او الاعتراف وفيها تواجه الروح المحلفين الاثني عشر وهم أعضاء العائلة المقدسة أو حماة البروج السماوية وأبوابها وفيه يقدم المتوفى إلى حارس بوابة البرج السماوي الذي خرج منه إلى الحياة وعليه أن يتلو امام الحارس تلاوة مقدسة يحفظ نصها من الكتاب يعلن فيها نسبه إلى البرج الذي خرج منه إلى الحياة في الأرض والذي زوده بصورة شخصيته وما ارتبط بها من تعاليم مقدسة تحافظ على كيانه ومكانته ، ليعلن براءته وطهارته وانه عمل في حياته بتعاليم رب البروج التي زوده بها عند ميلاده في عالم التجربة أو الحياة الأرضية .

وينتقل أني من محكمة التحضير إلى محكمة أخرى مماثلة اطلق عليها محكمة التطهير أو الضمير التي يقابل فيها المحلفين السبعة الذين يمثلون ملائكة التكوين فيما عدا « ست » اله الشر ، ليتعرف عليهم ويعلن ايمانه بالاله الواحد الذي بعث للقائه في عالم الخلود وفي تلك المحكمة يزود بمختلف النصائح التي تمهد

صورة من بردية كتاب الموتى تبين رحلة الروح في طريقها نحو العالم الآخر ومرورها خلال مختلف بوابات البروج ومحكمة التطهير



له الدفاع عن نفسه فى محكمة الآخرة ويحاول أن يكفر عن ذنوبه واخطائه خلال مروره عبر السماوات السبع التى عليه ان يجتازها ويعبرها حتى يصل إلى محكمة الآخرة .

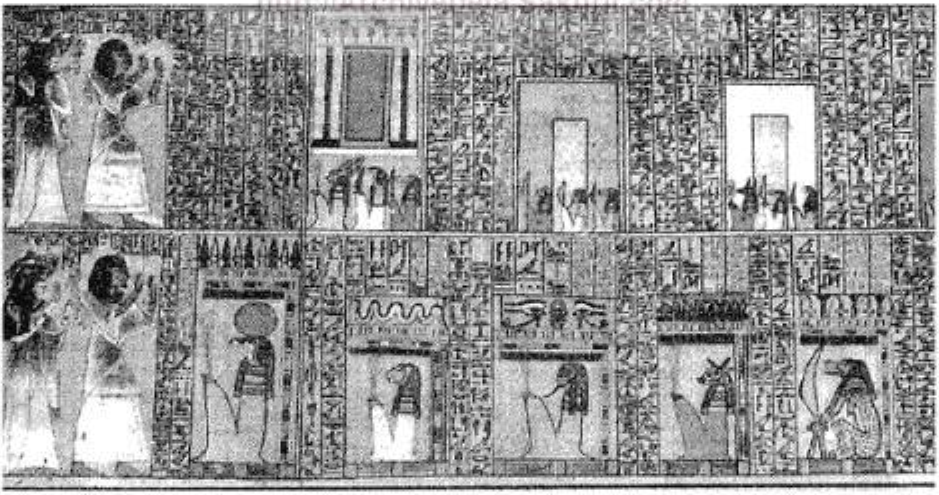
ويصف كتاب الموتى كل سماء من السموات السبع وصفا تفصيليا - يشرح طبيعة كل منها وما تحويه من مخلوقات وما يرتبط بها من أساطير وما يجب أن يتلى فيها من تعاويذ وتلاوات سحرية وادعية مقدسة فى مواجهة ما يقابله من اهوال وعذاب يطهر بها نفسه من ذنوبه الكبرى قبل دخوله الى محكمة الآخرة محكمة المصير أو محكمة السماء الاوزيرى .

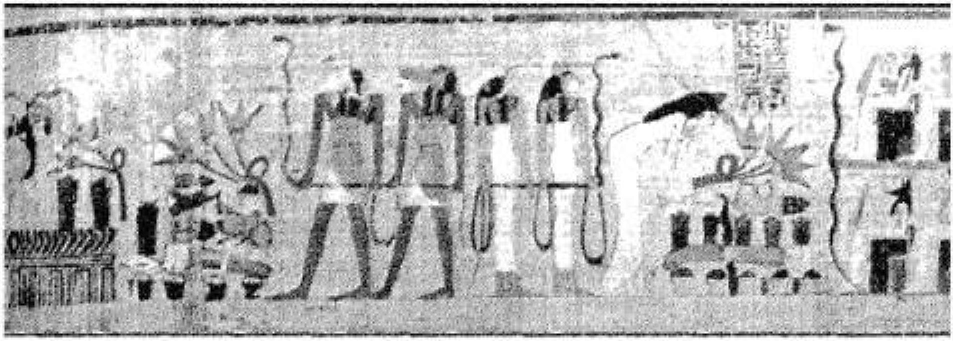
ويصف أنى آخر مرحلة من مراحل رحلة الروح ودخولها لملاقاة ربها فى محكمة العالم الاوزيرى أو محكمة السماء فتصف البردية او كتاب الموتى بالرسم والتصوير قاعة المحكمة والملائكة والميزان والقضاة ومايتم بها من اجراءات ثم الانتقال بسفينة الروح من قاعة المحكمة إلى البرزخ الذى ترسو به السفينة عند شواطىء الجنة وفيه يصف طبقات الجنة وماتحويه كل منها كما يصف ما سمح له بمشاهدته من طبقات الجحيم . وهو ما سيأتى شرحه مفصلا من البرديات الاصلية لكتاب الموتى عند شرح كل مرحلة من المراحل مع تفسيرها المقارن بمختلف الكتب السماوية التى اتفقت مع كتاب الموتى فى رسالة التوحيد والبعث والخلود .

وينهى أنى رحلته إلى العالم الآخر او رحلة البعث بأن يطلب من الاله أن يسمح له بالعودة إلى الأرض ليحمل الى الناس رسالة ما شاهده وما ستشاهده الناس بعد موتهم وبعثهم ويزودهم بنصائح وتعاليم السماء التى تسهل لهم المرور إلى العالم الآخر

● اللغة المصرية القديمة وكتاب الموتى

وصفت متون عقيدة رسالة التوحيد



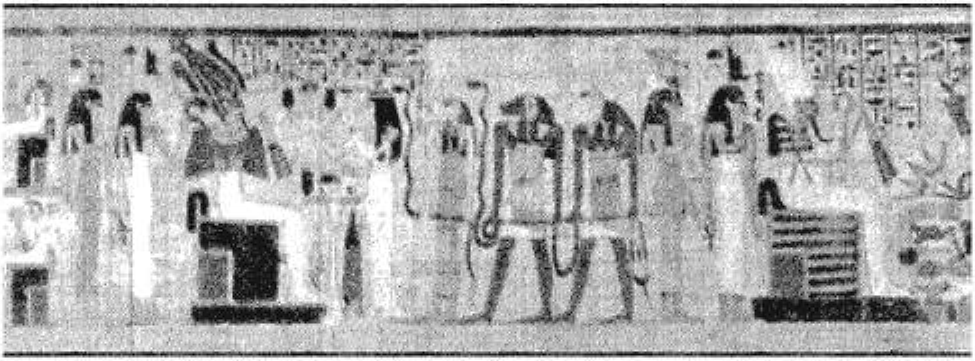


الأولى انها نزلت باللغة المصرية العليا بالخط الهيروغليفي أى النقش المقدس (نترخرو) نزل بها اوزوريس الذى وصفته المتون بأنه أول من خط بالقلم وعلم الناس القراءة والكتابة ليتمكنوا من قراءة تعاليم الاله الخالق اله السماء .

فاللغة المصرية القديمة ونقشها المقدس الذى سجل به كتاب التوحيد الأول هى اول لغة عرفتها البشرية ظهرت متكاملة بنقش خطوطها وفنون تكوينها ورموز تشكيلها . تكاملت ابجديتها التى اشتملت على جميع الحروف المرسومة والمنطوقة بالاضافة إلى الحروف الحلقية والخفيفة ظهرت متفرقة فى مختلف لغات العالم القديم والحديث .

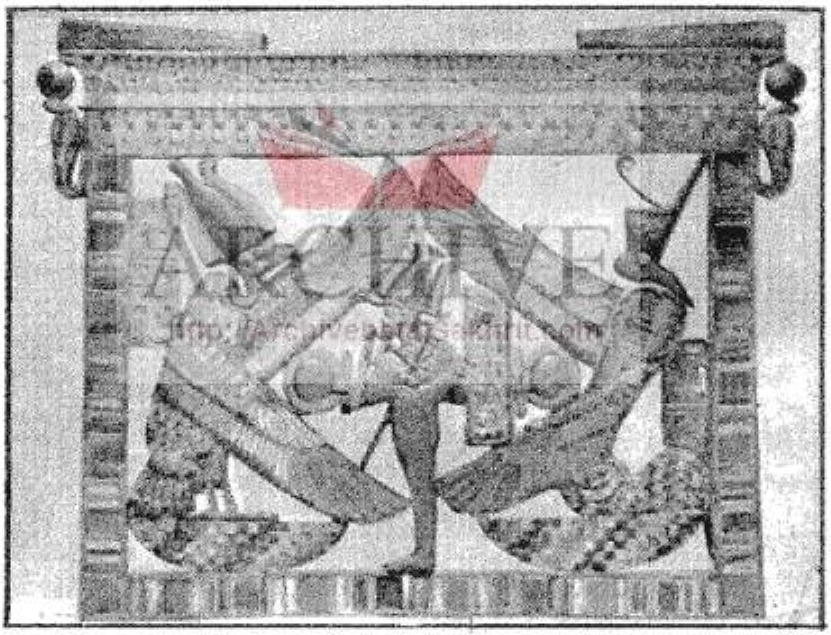
ويعتبر الخط الهيروغليفى أو النقش المقدس الذى نزل به كتاب الموتى قمة فنون التعبير الرمزى تشكلت الحروف وتكوينات جملها بالنقوش الهندسية وفنونها التشكيلية المعبرة وصور الطيور والحيوانات والكائنات والمعدات ، المرتبطة اشكالها بنطقها ولذا فقد تم شرح العقيدة وتشاريعها بالقصص والملاحم وصورت الكائنات السماوية بأشكال تصويرية تقربها لخيال الناس وفهمهم . فرمز للملائكة بالكائنات الانسانية التى تزينها الأجنحة التى تتجول بها فى ملكوت السماء والكواكب بالكائنات الأسطورية تتفق مع الاسماء التى اطلقت عليها ، كما عبروا بقرص الشمس المجنحة للقوى الخفية وطاقاتها اللانهائية المحركة للكون . والصقر المتوج للتعبير عن السمو والعلو . والريشة رمزا للعدالة وغيرها من الرموز المتعددة الاشكال والمعانى التى تستعرض كتاب الموتى وعقيدة البعث والتوحيد فى صورة حية للوحة فنية تعبر عن رسالة السماء بالنقش والرسم والتصوير الملون .

وقد وصفت برديات عقيدة التوحيد علاقة الكتابة بالرسالة فى كتاب الموتى



اوزوريس فى كتاب الموتى فى شرح لرحله الروح

اوزوريس حامله رساله التوحيد تحيط به الملائكة



بقولها . فى البداية كانت الكلمة والكلمة مصدرها الاله فالاله قالها عند خلق كل شيء فالكلمة نطق بها الاله اسم كل شيء وانزل الحرف ليصور الكلمة ونفخ بانفاسه فيها لتنطلق بيا وحملها اوزوريس ليلقنها للبشر

كتاب الموتى (٢)



خلق الله الحب . وبالحب خلق الكون كما جاء في برديات اون

ليتفاهموا بها مع بعضهم ويتعارفوا على ماحولهم ويعرفوا اسماء الكائنات التى خلقها الاله بنطق اسمائها . فالقراءة مفتاح اسرار المعرفة ووسيلة التخاطب مع السماء وتلقى رسائل الاله .. فالقراءة أول اركان الايمان .

● إن علاقة القراءة والكتابة بكتب الموتى التى نزلت بعد رسالة اوزوريس اجمعت على علاقة العلم بالايمان والقراءة بحفظ كتاب الموتى (رسالة الاله) فتقول برديات هرموبوليس .

خلق الاله الكون بالكلمة فارسل « تحوت » رسول المعرفة المقدسة ليعلم الانسان الحرف والكلمة والاسماء والنطق والموسيقى فانبت له عيدان غاب النهر ليصنع منه القلم ليكتب ويقرا ويصنع منه الناى ليشدوا بالنطق والنغم وانبت البردى ليصنع منه الورق الذى يسجل عليه رسالة الاله وامره بالعلم ليقرا رسائل الاله .

ويقول آنى : اقرا فالقراءة أول خطوة فى طريق الايمان بالاله فتنعم بقراءة تعاليمه المقدسة التى تفتح لك ابواب الجنة وتكشف لك أسرار الوجود ونعم المعرفة المقدسة وتنير لك طريق السعادة فى الدنيا وطريق الخلود فى الآخرة .

ويقول خيتى : « الكلمة مصدرها الاله خالق الكون والوجود فمن يعرف سر الكلمة يعرف سر الوجود . والكلمة تفتح عينيه واذنيه ليرى صورة الخالق ويسمع صوت السماء » .

ويقول اخناتون فى التشريع الاول من تشاريع العقيدة الاثنى عشر :

« العلم أول اركان الايمان والجهل كفر برب السماوات » وهى الدعوة التى اعقبتها الثورة التى قام بها لمحو الأمية باسم العقيدة والتى حدد لها سنة كاملة حول فيها المعابد الى مدارس لتعليم القراءة والكتابة والدين .

إن الرابطة الوثيقة بين العلم والايمان – أى بين القراءة والكتابة وكتب العقيدة او الرسالات السماوية هى التى عملت دائما على تبادل المحافظة على كل منهما وحمايتهما من الانحراف أو التحوير او الاندثار . يرجع ذلك كما ذكر « ثونيرون » فى كتابه عن كتاب الموتى ومعتقدات الفراعنة » إلى ان رجال الكهنوت اخذوا على عاتقهم عدم تغيير لغة نزل بها كتاب السماء . لغة كان جرسها او نطق كلماتها من الكلمات التى اسخدمت فى خلق الكون وكتاباتها من تعاليم الالهة . فاى تغيير فى نقوشها يفقد الكلمات فاعليتها ويبعد الأسماء عن معانيها .

لهذا فالكتابة الهيروغليفية أو النقش المقدس - التى كانت اول كتابة عرفتها البشرية ، نزلت بمصاحبة كتاب الموتى أو رسالة التوحيد الاولى تعتبر فى نفس الوقت اول كتابة عاشت أطول فسحة من الزمن فى تاريخ الحضارات والعقائد والاديان . عاشت أكثر من خمسة الاف سنة لم تخضع خلالها لأى تغيير رغم اللهجات العامية وخطوط كتاباتها الشعبية .

● كتاب الموتى ونظرية الخلق والتكوين

● لما كان كتاب الموتى يعتبر أول رسالة للتوحيد على الأرض مع فجر التاريخ أو كما وصفه كهنة الفراعنة بمولد الزمان ولم يسبق للناس سماع صوت السماء قبل نزول الرسل والانبياء بالكتب السماوية . كان من الطبيعى أن تكون الرسالة الأولى بمثابة نافذة يطل منها البشر على ملكوت السماء ليبصرهم الايمان بسر وجودهم وينير طريق خطاهم فى الحياة . لذا فقد فتح كتاب الموتى النافذة التى أعطت الفرصة للبشرية لترى نور الاله ويجيب الكتاب على السؤال الحائر .

من هو الاله الخالق ؟ كيف خلق الكون وحده ولم يكن بجواره احد ؟

لقد أجاب كتاب الموتى على ذلك السؤال باسهاب وتفصيل بمنطق التفسير المقنع بعد ان قدم حامل الرسالة نفسه على أنه رسول من عند الاله الواحد .

يبدأ الكتاب بشرح الخلق والخالق برد الكون الى عناصر تكوينه الأساسية والقوى العظمى المتحكمة فيه وما يحيط به من ظواهر طبيعية وغامضة فيصف نشأة الكون بقوله :

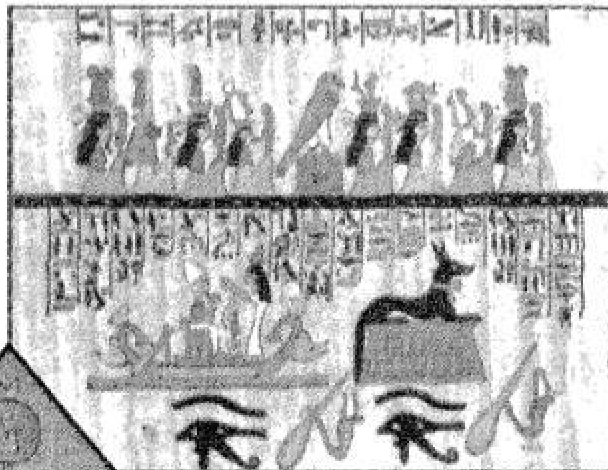
كان الكون فى البدء محيطا أزليا يغمره الماء ، أطلقوا عليه « فون » لا حياة فيه يغمره الظلام الابدى تظله سحب الدخان . فخرج من ذلك المحيط الأزلى اللانهائى اله خالق أوجد نفسه بنفسه خلق ولم يخلق وأطلق عليه اسم « اتوم » أى الكامل المتناهى وخلق من انفاسه ثمانية ملائكة وصفوا بانهم ملائكة التكوين وهم :

١ - شو روح الفضاء والهواء
٢ - تفنوت روح الرطوبة والندى
٣ - جب روح الأرض واليابسة
٤ - نوت روح السماء والضياء
٥ - اوزوريس روح الخصب والخير
٦ - ايزيس روح الامومة والحنان
٧ - نفتيس روح الاستقرار والمجتمع
٨ - ست روح الشر والفناء

وبأنفاسه خلق بهم الكون فى ستة ايام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع وكلفا ملائكة التكوين الثمانية بأن يحملوا عرش الاله ابد الابدين . وعندما خلق الاله الأرض وعمرها ارسل أوزوريس احد ملائكة العرش الثمانية على شكل بشر حاملا رسالة التوحيد الأولى فى كتاب الموتى وعندما انتهى من مهمته صعد ليرأس محكمة الآخرة التى وصفها فى كتاب الموتى الذى نادى بالايمان بالبعث والتوحيد ومحكمة الحساب وعالم الخلود والجنة والنار .

● لقد اجمعت برديات كتب الموتى المختلفة التى فى مختلف المناطق وعلى

ينبوع الخلق



منذ بدء الخلق



كتاب الموتى (٢)

مختلف العصور على تصور نظرية الخلق والتكوين وتوحيد الاله وملائكة العرش الثمانية كما نزلت فى رسالة ايزوريس ولم تختلف الا فى تسمية ملائكة التكوين الثمانية واسم الاله الخالق تبعا للصورة التى رمز له . ففى اسطورة الثامون التى ظهرت فى كتاب تحوت فى مدينة خمنو (هرموبوليس) اى مدينة الثمانية نسبة الى ملائكة العرش الثمانية فقد اطلق عليهم اسماء

نون ونونيت عنصرا الفضاء والمحيط الازلى

حوح وحوحيت عنصرا اللانهائية فى الزمان والمكان

كوك وكوكيت عنصرا الظلام والضياء

امون وامونيت عنصرا القوة الخفية والحركة

وهى تمثل عناصر الكون الذى خلقه الاله فى ستة أيام وكلفهم على حمل عرشه أبد الابدين والطواف معه عبر ملكوت السماء فى سفينة الشمس التى تدور حول الكون مع دورة الشمس تحركها القوى الكونية .

فى جميع متون كتاب الموتى رمز الى عرش الاله الخالق ، بسفينة العرش ، التى تدور ومع دورتها يتحرك الكون ـ فقد خلق الاله الكون بالحركة ـ ويجلس فى سفينة



العرش الاله الخالق اتوم الذى رمز اليه بالشمس المجنحة التى تعبر عن القوى اللانهائية الخفية التى تنبعث من خلق الشمس لتحرك الكون وتمده بالحياة . وفى متون أون رمز اليه بقرص الشمس رع اولت اوله كما ورد فى بعض البرديات القديمة ، ورمز اليه باسم اتون فى عقيدة اخناتون . او الصقر الذى يرمز الى السمو والعلو والعيون التى لاتغمض عن رعاية خلقه . ويحيط بالاله الملائكة الثمانية فى (الفلك المشحون) .

وقد اطلق على سفينة العرش اسم (التاسوع المقدس) أى عرش الاله والملائكة الثمانية التى تحمل العرش وتحرسه فى دورانه فى ملكوت السماء .

● قدس الفراعنة الرقم ٩ الذى يعبر عن التاسوع الذى لعب دورا كبيرا فى متون العقيدة وطقوسها كثيرا من ظواهر الخلق . صنعوا منه مشعل قدس الاقداس فى المعابد ويتكون من شعلة متوسطة تحيط بها ثمانى شعلات تمثل ملائكة العرش الثمانية . كما اقاموا مشعلا مماثلا مكونا من سبع شعلات تمثل الاله وايام الخلق الستة واطلقوا عليها اسم شجرة الحياة وهى التى نقلها اليهود عند خروجهم من مصر واعتبروها من مقدسات شعائر عقيدتهم .

وصف كتاب الموتى الكيان الانسانى بأنه يخضع لتاسوع الخلق الممثل فى الروح رمز الاله والعناصر الثمانية وهى القلب والقرين والعقل والظل والطاقة والجسم الأثيرى والجسم المادى والاسم .



هرم سقارة المدرج يمثل التوحيد فى الأسرة الرابعة

هرم سقارة المدرج ٦ درجات تحمل عرش الاله فى السماء



خلق الحياة للفنان السريالي سلفادور دالي

ثم تاسوع بنات الشمس أو الكواكب التى تدور حولها وعددها تسعة وهى المشترى وزحل وعطارد والزهرة وبلوتو ونبتون وأورانوس والمريخ والأرض . وأطلقوا على كل منها الاسم الذى ناداها به اله الخلق عند خلقها ورقم وجودها .

كما نسبوا خلق الميلاد الى التاسوع وخلق السماوات حيث تنزل الروح فى الجسم فى الشهر السابع ويولد الطفل فى الشهر التاسع وتحوى برديات متون العقيدة وكتب الموتى العديد من الأمثلة التى تؤكد قدسية الرقم ٩ .

ولما كان لسر الأرقام علم خاص احتفظ به كهنة معبد أون (معبد التوحيد) وهو من العلوم السرية التى ارتبطت بالعقيدة والذى كان يعتبر من المفاتيح السرية لفك رموز أسرار الوجود . هناك العديد من البرديات التى يطلق عليها المؤرخون برديات السحر التى لايمكن فك رموزها أو تفسيرها الا بمعرفة سر الأرقام وقد حاول

بعض علماء المصريات فى المتاحف الاوربية أخيرا فك رموزها بالكمبيوتر . لقد جعل علم الارقام وأسرارها لكل اسم من أسماء الكائنات والمخلوقات والملائكة ونجوم القبه السماوية وبروجها بل والأوصاف والصفات الخاصة بالكائنات وضع لكل منها رمزا رقميا يرتبط بسر وجودها وكياناتها بمعادلات سرية . وقد نقل حكماء اليهود بعض أسرارها عند خروجهم من مصر واحتفظوا بها ضمن مقدساتهم .

فعلم الأرقام الذى انزله الاله الخالق مع الكتابة بمصاحبة « كتاب الموتى » عبر خلق الأرقام وعددها عن تاسوع الخلق نفسه فتحدد عددها بتسعة أرقام فقط اضيف اليها صفر فى التقسيم العشرى وهى الاعداد وتقسيماتها التى نقلها عنهم جميع اللغات الهندية والعربية واللاتينية والاوربية .

كما ورد فى احدى برديات العقيدة المرتبطة بسر الأرقام والخلق بان الارقام التسعة التى انزلها الاله إذا ضربت مجتمعة فى الرقم ٩ لظهرت صورة الاله الواحد وملائكة العرش الثمانية .

١٢٣٤٥٦٧٨٩ × ٩ =
١١١١١١١١٠١

ولقد قدم الفراعنة فى برديات الفلك والرياضة والعقيدة عددا لايحصى من الأمثلة التى تؤيد تمسكهم بقدسية الرقم ٩ الذى يرمز إلى تاسوع الخلق .

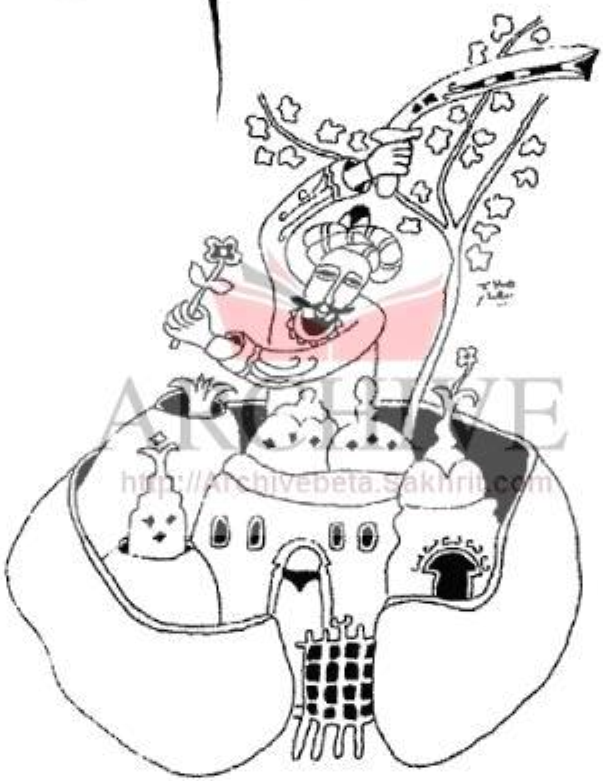
● يستمر كتاب الموتى بعد شرح نظرية الخلق وكيف خلق الاله الواحد رب الارباب نفسه بنفسه وخروجه من ماء المحيط الأزلى ولم يكن بجانبه احد فبددت انواره الظلمة الأبدية ومن انفاسه خلق ملائكة العرش الثمانية . ثم ينتقل الى خلق السماوات والأرض فى ستة ايام . فى اليوم الاول خلق شو وتفنوت عنصرى **الهواء والفضاء** وفى اليوم الثانى خلق جب ونوت **عنصرى الأرض والسماء** وكانتا ملتصقتين ففصلهما وادخل الفراغ بينهما وفى الأيام الاربعة التالية خلق غرت واوزير ونفتيس وست عناصر **التكوين والحياة والخصب والاقوات** . وقد خلق كل عنصرين بتزاوج العنصرين اللذين خلقهما قبلهما . واستوى الاله الخالق على عرشه فى اليوم السابع .

وفى عصر الاهرامات الذى نادى فيه « ايمحوتب » باعادة المناداة بتوحيد « رع » وسجل رسالة كتاب الموتى على حوائط الاهرامات وعرف الدفن فاقام اول هرم يرمز به الى عرش الاله وهو هرم سقارة المدرج الذى ترمز درجاته الست إلى ايام الخلق الستة وكانوا يضعون نموذجا لعرش الاله فى المناسبات الدينية فوق الطبقة السابعة ولذا فقد اطلق على الهرم المدرج فى متون العقيدة اسم سلم الصعود الى عرش الاله فى سمائه السابعة .

لقد قدس كتاب الموتى الرقم ٧ لأنه يرمز الى ايام الخلق السبعة كما ان خلق أركان الكون والوجود كان يخضع دائما لهذا الرقم المقدس فالسماوات والأرضون عدد كل منها سبعة وطبقات الجنة وأبواب الجحيم وبحار المعموره عدد كل منها سبعة والكواكب السيارة حارسة الشمس والوان الطيف ، كما وصفوا أن الروح تدخل فى الجسم فى الشهر السابع وسنوات القحط (غضب الاله) كان عددها دائما سبعا وطقوس العبادة من الطواف حول المعابد والمقدسات سبع مرات كذلك الدعاء والتراتيل تخضع جميعها للرقم سبعة .


للصناعات الكيماوية
التجهيز
دور - دورين
وتقدم الشركة خبراتها المتخصصة في تصميم النماذج
حسب مساحة الموقع واحتياجات العميل
وعلى أساس من الدقة الهندسية بحيث
يسهل فكها وتركيبها من مكان لآخر .
بالمنشية ت ٨٠٠٥٨٨ / ٨٠٠٣٦٧

الولادة في مدن لم تولد



شعر : عبدالوهاب البياتى

أُولد فى مدن لم تُولد
لكننى فى ليل خريف المدن العربية
مكسور القلب ، أموت
أُدفن فى "غرناطة" حبى
وأقول :
لا غالب إلا الحب
وأحرق شعرى وأموت
وعلى أرصفة المنفى
أُنهض من بعد الموت
أُولد فى مدن لم تولد وأموت

شركة النيل للكبريت

خطوة رائدة فى صناعة المساكن الخشبية سابقة التجهيز دور - دورين

●● شركة النيل للكبريت هى الشركة الرائدة فى مجال صناعة الثقاب والاخشاب فى مصر ، وقد أخذت الشركة على عاتقها منذ إنشائها وحتى الآن مهمة تطوير الصناعة حتى تواكب الصناعة العالمية فى هذا المجال .



السيد المهندس / أحمد شكرى حطب رئيس مجلس إدارة شركة النيل للكبريت مع السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والسيد المهندس محمد عبد الوهاب وزير الصناعة داخل الفيللا الخشبية المميزة ذات الدورين والتى تصدرت إنتاج الشركة فى جناح مصر بسوق القاهرة الدولية لعام ١٩٨٧ .

● ڤيلات خشبية سابقة التجهيز

ولم تال الشركة جهداً فى سبيل تطوير منتجاتها على الدوام وذلك بفضل الجهود التى يبذلها ابناؤها من العاملين المدربين المهرة والتى وفرت لهم الإدارة الرشيدة للشركة كل أسباب التدريب واستيراد احدث الاجهزة والمعدات . وثمرة كل هذا ، ما قدمته الشركة من انتاجها الجديد ذات التصميم المصرى المطور بالخبرة الفنلندية من وحدات المنشآت الخشبية سابقة التجهيز ذات الدورين خلال هذا العام وذلك بجانب انتاجها المطور من الوحدات الخشبية سابقة التجهيز ذات الدور الواحد وتأخذ هذه المنشآت الأشكال الآتية :

● ڤيلات حديثة التصميم
● وحدات سكنية لمواقع الانشاءات .
● وحدات مكاتب ادارية للمشروعات
● عنابر اعاشة لحقول البترول واستصلاح الأراضى
● شاليهات للمصايف والاستراحات
● اكشاك ومخازن
● وحدات متعددة المنافع والاغراض

هذا وتقدم الشركة خبراتها المتخصصة فى تصميم النماذج حسب مساحة الموقع واحتياجات العميل . وتنفذ الطلبات الخاصة طبقا للرسومات التى يقدمها العميل باى مساحة وبعدد الحجرات المطلوبة والتوزيع الداخلى للمنافع والشكل الخارجى .

المواصفات العامة للمنشآت :

تصنع الحوائط المكونة للوحدات من بانوهات خشب سويدى مكسى بالواح الهاردبورد ويتكون السقف من طبقتين الاولى سقف افقى من الداخل بارتفاع الحوائط والثانية سقف جمالون من الخارج يغطى بالصاج المضلع المجلفن .

وتصنع الابواب الخارجية من الخشب السويدى بخردوات مصرية وكذلك الابواب الداخلية ويتم الطلاء بالبويات الخاصة المقاومة للرطوبة والحرارة والحريق ثلاثة اوجه (معجون + بطانه + تلميع نهائى)

ويجهز الحمام بحوض لافومانو فاخر بقاعدة + مرحاض + كومبنيشن + دش بخلاط وسماعة تليفون + بانيو قدم .

ويجهز المطبخ بحوض استنلس استيل بالخلاط ودولاب تحت الحوض ٢ ضلفه ، وتجهز الوحدات بالتوصيلات الكهربائية الداخلية بالكامل بمفاتيح + لمبات + لوحة توزيع + برايز + جرس للباب .

● الثقاب الامان :

وتقوم الشركة بإنتاج جميع انواع الثقاب سواءِ من العلب عبوة ٥٠ ، ٤٠ عوداً كما تنتج ايضا الامشاط ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عوداً وكذلك الثقاب الخاص للتصدير عبوة ٤٠ ، ٥٠ من العلب و ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عوداً من الامشاط والذى تقبل عليه شركات السياحة والفنادق وشركات الطيران لجودته الفائقة .

صناعة الاخشاب :

وتنتج الشركة اخشاب الفينير والاخشاب المضغوطة وهى ذات كثافة عالية تستخدم فى تصنيع قطع غيار آلات النسيج كانوال ومواكيك وغيرها بمواصفات مختلفة .

وكذلك تنتج الشركة خشب الأبلاكاج من جزوع الاشجار والحور والاسبن المستورد ، وبعد فهذه لمحة عن التطور الذى تعيشه شركة من الشركات الرائدة فى الصناعة المصرية بل هى رائدة صناعة الاخشاب فى مصر . هذا التطور الذى يتم بجهد ابنائها العاملين قد جعلها شركة منافسة على المستوى العالمى ورمزاً لمصر الحديثة يحمل شعار صنع فى مصر .

عادل كامل



فارس الدائرة المشئومة

بقلم: سليمان فياض

في سنوات الثلاثينيات ، كان التكوين الثقافي ، وكانت بواكير الانتاج القصصي لموجة جديدة من كتاب القصة المصرية القصيرة والطويلة ، موجة أكثر عروبة أو أكثر مصرية ، وأصالة من الموجة السابقة في حقل القصة ، بعد أن عبدت لها بواكير الرواد الطريق في العقدين السابقين : المازني ، وهيكل ، وجورجي زيدان ، وعيسى عبيد ، وطاهر لاشين ، وجمعة ، وغيرهم . وكانت حركة أبوللو الشعرية في أوجها ، وجيل الرواد يزداد خصوبة إنتاجا وفكرا في الابداع والدراسة ، وكانت الحركة الفكرية تناقش اتجاهاتها بين الأصالة والمعاصرة : الاتجاه الاسلامي ، والاتجاه القومي العروبي ، والاتجاه الأقليمي المحلي ، والكل ، من يومها ، في حيص بيص ، حيال حضارة الغرب المادية الحديثة ، بنظاميها الرأسمالي ، والاشتراكي ، بين نافر ومؤيد ، وموفق للرؤوس في حلالات الفكر ، وجازم بالتحريم في لقاء الشرق والغرب ، والمادة والروح .



نجيب محفوظ



احسان عبد القدوس



يوسف السباعى

وفى هذا الجو الفكرى العاصف ، والزاخر ، والكل يبحث عن فلسفة وهوية ، كان التكوين الثقافى لأعلام الموجة الجديدة من كتاب القصة المصرية القصيرة والطويلة ، وصار أبرزهم فى سنوات الثلاثينيات ، متوزعا بين الاتجاه فى القص ، الى موضوعات التراث التاريخية ، العربية ، والفرعونية والاسلامية : العريان ، أبو حديد مثلا استغرقتها موضوعات التراث الاسلامى والعربى . ومعهما كان « باكثير ، والسحار » وكان كلاهما عضوا بلجنة النشر للجامعيين ، مع « سيد قطب » و « نجيب محفوظ » وعادل كامل ، والاخيران شدتهما اليها فى البداية ، موضوعات التراث الفرعونى ، فكتب « نجيب » ثلاثيته الفرعونية ، وبينها : « رادوبيس » و « عبث الاقدار » ، وكتب « عادل كامل » روايته « ملك من شعاع » . وكان هذان الاثنان أكثر انفلاتا بين أعلام موجتهم من حقل التراث عامة ، فسار « عادل كامل » بروايته « مليم الأكبر » فى طريق جديد ، طريق المحلية المصرية العصرية ، ومثله فعل فيما بعد « نجيب محفوظ » حين كتب « خان الخليلى » ، بعيدا عن موضوعات التاريخ والتراث ، والمعالجة القصصية المباشرة لهما .

وكان « عادل كامل » ، أحد الوجوه القليلة التى وعتها ذاكرتى بين أعلام هذه الموجة الجديدة من القصاصين ، وعن معرفتى بعادل كامل ، وبفنه القصصى ، وانطباعا ، لاتأريخا ولانقدا سيكون هذا المقال القصير .

● ضباب ورماد

فى أواخر الاربعينيات ، كنا ثلاثة ، نرتاد المكتبة العامة ، بحى المختلط ، بمدينة المنصورة . كانت المكتبة فيما مضى ، استراحة لاحدى أميرات القصر الملكى على شاطئ النيل ، وكانت لهذه الاستراحة درجات تصل الى النهر ، يرسو عليه قارب للأميرة ، وحلقات حديدية يشد اليها قارب الأمير . وصارت الاستراحة فى العهد الملكى مكتبة للمدينة ، تتبع دار الكتب المصرية فى باب الخلق بالقاهرة ، واحدة من سبعة وعشرين مكتبة تابعة لدار

الكتب ، فى مدن مصر الكبرى ، وعواصم مديرياتها .

كان قيّم المكتبة هو الشيخ أمين ، كان رجلا طيبا يعشق الثقافة ، ويحب روادها المدمنين للقراءة ، وبينهم كنا نحن الثلاثة : عبد الجليل حسن ، أبو المعاطى أبو النجا ، وأنا . وبلغت علاقتنا بالمكتبة ، وبقيّمها الشيخ أمين ، أننا كنا نتردد عليها فى أوقات عملها . عدا يوم الجمعة ، فى الصباح ، وفى المساء ، وصرنا بين مساعدى الشيخ أمين ، نتجول فى صالات الكتب الداخلية بها ، بين دواليب تحمل ثلاثين الف كتاب ، فلم يكن نظامها نظام المكتبات المفتوحة ، وننتقى لانفسنا مانقرؤه ، ونجلب للرواد مايريدونه من كتب ، حين يكون المساعد الوحيد للشيخ أمين غائبا ، وكثيرا ما يغيب مطمئنا الى وجودنا دائما .

وقعت عينى على صف لأعداد مجلة « المقتطف » رحت اتجول بين صفحاتها اياما . وقرات فيها ، بين ماقرأته ، عملين ادبيين هامين للغاية : أحدهما كان محاورة ادبية ونقدية مترجمة ، حول الابداع والنقد ، اشترك فيها ثلاثة : كان أحدهم ناقدا أدبيا ، والثانى عالم طبيعة والثالث عالم رياضة هو « إينشتين » صاحب نظرية النسبية ، وكنت قد قرأت فيها كتاب نظرية النسبية العامة لمشرفة ، وفهمت ماكتبه مشرفة عنها ، لكن كتابه الآخر عن « النسبية الخاصة كان مليئا بالمعادلات الرياضية ، فعز علىّ التواصل معه . ودهشت لما قرأته فى المحاورة . فها هو إينشتين ، وصاحبه عالم الطبيعة ، يفهمان عن الابداع والنقد أكثر مما يفهمه ناقد الأدب .

العمل الهام الآخر كان قصة لعادل كامل ، تحمل عنوان ، ضباب ورماد ، ولم آلف على صفحات اعداد المقتطف نشرها لقصة ، ولقصة مؤلفة ، ولكاتب مصرى ، كانت القصة قصيرة طويلة ، وتستغرق فيما اذكر اكثر من عشرين صفحة ، من صفحات عدد مجلة المقتطف الذى نشرت به ، قرأت القصة مبهورا ، مسحورا ، لاهث الانفاس كانت القصة مغامرة روحية نفسية ، لفيض من المشاعر والاحاسيس ، لا حدث فيها يحكى ، عالما متتابعا من الصور والرؤى ، لاتخلو من دفق وجودى ، وتحديق الى الداخل ، كما ينطبع عليه العالم الخارجى ، واللغة فيها لغة فريدة وجديدة فى القص القصير والطويل لاعهد لى بنصاعة نصاعتها ، والصور باهرة التكوين ، والزمن فيها يتداخل بانسياب فى ظل زمنى واحد ، والمشاعر حرة طليقة ، كما الطير فى السماوات .

وفيما بعد إذ وفدت إلى القاهرة فى الخمسينيات واتسعت دوائر قراءتى للمترجمات ، ادركت صلة هذا اللون من القص بعوالم جويس ، وفرجينيا وولف ، وبروست ، وفيما بعد ، فى الخمسينيات تذكرت أن تاريخ نشر هذه القصة بالمقتطف ، كان فى مطالع الثلاثينيات ، وحدثت نفسى أن عادل كامل بهذه القصة ، كان رائدا حقيقيا ، وأنه كان سابقا لزمانه وأوانه ، وحزنت لتوقفه عن القصّ . ولقد أستغرقت القصة المصرية

زمنا ، حتى بدت لاتجاهها الفنى إطلالات فى قصص قصاصى الستينيات ، مجرد إطلالات لاترقى الى مستوى « ضباب ورماد » لغة ، وبناء وصورا ، وعالما طليقا فى الزمن والمشاعر وأشك أن واحدا منهم قد قرأ هذه القصة القديمة العهد ، التى لم تنشر فى كتاب .

● مليم الاكبر

فى القاهرة ، فى سنوات الخمسينيات ، قرأت للمرة الأولى ، رواية « مليم الاكبر » لعادل كامل . كانت سياقا فنيا آخر ، غير سياق « ضباب ورماد » شحنة من الواقعية والعنفوان . حدثت نفسى أن هذا كاتب حقيقى له روح ، نيتشوى النزعة فى اختيار لموضوعه ، وفى روايته ، بل وفى شخوصه ولغته ، وحوارات ناسه فى عالم روايته . كاتب حقيقى له عالم واقعى خاص ، يفيض بروح الدراما ، بين فنانين ضائعين فى جيل ضائع ، فى « غرف مقبضة » فى حارة شعبية ساكنة ، ثابتة العادات ، رتيبة الحركة .

عدت اقرأ مقدمة عادل كامل بين يدى الرواية . القوة فى المقدمة هى نفسها التى وجدتها فى الرواية . اللغة الطليقة ، والارادة الحرة المتحدية ، التى تريد خلق العالم من جديد ، وإعادة صياغته ، هى هى التى لناسه فى الرواية . كان عادل كامل قد كتب هذه الرواية عام ١٩٣٦ ولم يتح له نشرها لأول مرة فى كتاب لأسباب لا أعلمها (وقد كان عضوا بلجنة النشر للجامعيين) إلا فى عام ١٩٤٣ ، ولم تنشر فصولها ، فى « الرواية » الملحق القصصى لمجلة الرسالة الزياتية) التى كان ينشر بها نجيب محفوظ أقاصيصه الاولى . وكان « عادل كامل » قد تقدم بهذه الرواية لينال جائزة « مجمع فؤاد الاول للغة العربية » (مجمع اللغة العربية الآن) وأبت اللجنة فى تقريرها أن تمنح هذه الرواية الجائزة . وقد منحها المجمع لرواية « لقيطة » لمحمد عبد الحليم عبد الله (ربما لم يكن ذلك فى نفس السنة) وعجبت لذوق أعضاء المجمع . فلقيطة كانت الباكورة الأولى لمؤلفها . وكانت مليئة بالسجع والمحسنات البديعة الأخرى ، وكان عالمها ميلودراميا يستدر العواطف فى استجداء ، وتبدو لغتها ألفاظا وصورا وتراكيب كأنها خارجة لتوها من معطف « المنفلوطى » و « الرافعى » و « الزيات » غارقة فى قيود النثر الفنى غرق الشعر القديم فى قيوده ، وثار عادل كامل فى مقدمته ضد المجمع ثورة فنية عارمة شعرت بالحزن لعادل كامل : كيف لم يدرك أنذاك أن عليه أن يسبح فى مياه أخرى غير مياه المجمع (أنذاك) أو كيف تستدرجه جائزته ، أو يخدع بمعنى هذه الجائزة لكاتب مثله ، وايقنت انه اخطأ التقدير لنفسه ، ولروايته . وقدرت انه ، ربما لهذا السبب وغيره من الأسباب التى لا أعلمها ، توقف عادل كامل عن كتابة القصة وكان المثقفون يتحدثون أنذاك عمن توقفوا : عن القص ، وعن الشعر وعن التاليف المسرحى ، وادركت ان عادل كامل ، بروايته « مليم الاكبر » وفى التاريخ الذى كتبت فيه عام ١٩٣٦ ، كان سابقا فى ارتياد الابداع القصصى فى تيار الواقعية النقدية ، لنجيب محفوظ صاحب « خان الخليلى » و « بداية ونهاية » ففى الوقت الذى كتب فيه عادل كامل قصة « ضباب

ورماد » ورواية « مليم الأكبر » كان نجيب يكتب أقاصيصه الأولى على صفحات « الرواية » بين عامى ١٩٣٢ ، ١٩٤٢ ويجهد للاقتراب من لغة القص ، وبساطة اللغة ، والواقعية ، فى قصص أكثرها يعد من باب المفارقة ، والنكتة ، قصص بالعشرات ، لم يختر منها نجيب سوى عدد محدود ، نشره فى مجموعته الأولى « همس الجنون » ورفض نشرها سائرها فى مجموعات أخرى .

● ملك من شعاع

بين دعاة الاقليمية ، أو المحلية فى الأدب ، فى سنوات الثلاثينيات ، كان عادل كامل ، ونجيب محفوظ . وليس لأحدهما ، فيما أعرفه مقال فى هذا الصدد ، لكن نزوعهما الى هذا الاتجاه كان واضحا ، فيما أبدعاه من روايات نجيب محفوظ كتب ثلاثة أعمال روائية فى التاريخ الفرعونى ، بينهما : « رادوبيس » و « عبث الاقدار » وعادل كامل كتب روايته التاريخية اليتيمة « ملك من شعاع » عن أخناتون الملك « موحد الآلهة فى إله واحد : هو « الشمس » .

ولأن الدعوة للإقليمية ، بمعناها الخاص ، بالتراث الفرعونى ، وبإمكان ربط الواقع العصرى لمصر بحضارة بادت ، وانقطعت ، فكرا ولغة ، باللغة القبطية ، ثم باللغة العربية ، وبالحضارة اليونانية ، ثم الرومانية ، ثم العربية الاسلامية ، فقد أخذت هذه الدعوة الاقليمية معنى جديدا ، عند نجيب محفوظ ، وعادل كامل ، معنى المحلية ، المصرية ، والعصرية . فكانت « مليم الاكبر » ، وكانت « خان الخليلى » وإذ توقف « عادل كامل » بعد « مليم الأكبر » عن القص استمر « نجيب محفوظ » فيه ، فقد اضاف نجيب الى نزعته المحلية المصرية العصرية ، وفى ثنايا رواياته ، معنى « الايمان » بصورته الاسلامية ، الصوفية ، التى تمثلت فى بعض شخصياته ، وراح يضفرها ، فى : ثلاثيته ، وحرافيشه ، وحاراته ، جنبا الى جنب مع : زيطة ، والموظفين ، والفتوات ، واليساريين ، والوفديين ، والاخوان ، واحسب أن عادل كامل لو استمر فى القص ، لانتهى به الأمر الى نفس الطريق ، وإن تغيرت الرؤية ، وتغيرت التجارب وتغيرت طريقة المعالجة والتعبير .

عالم واحد ، هو عالم « ملك من شعاع » و « رادوبيس » و « عبث الأقدار » لكن رواية « ملك من شعاع » تبدو لى كرواية سامقة روائيا . قصا وفن قص ، على فرعونيات نجيب . ويزداد أساى لفقد القص المصرى لصنو ونظير لنجيب محفوظ ، وما قدرت عمق العلاقة بين الاثنين خاصة ، وهما أبناء حقبة واحدة ، ورفيقا عمر ، على كثرة لقاءاتى بنجيب فى مقهى الأوبرا ، حتى أتيحت لى الفرصة للقاء عادل كامل .

● الدائرة المشؤومة

عام ١٩٥٩ . عملت شهورا كصحفى بصحيفة الجمهورية كان سعد وهبة ،



محمود البدوى



محمد عبد الحليم عبدالله



عبد الحميد جودة السحار

كاتب المسرح ، يعمل بالصحيفة نائبا لرئيس التحرير . وكان يشرف على تحرير صفحة منوعة مثيرة بالصحيفة ، الصفحة الخامسة بالتحديد . عرضت عليه إدارة حديث صحافى مع « عادل كامل » صاحب « مليم الأكبر » وكان بها شهيرا بين كتاب القصة فى مصر . ولم اكن قد كتبت سوى أربع قصص او خمس . نشرتها بمجلة الآداب ، وأذيعت من البرنامج الثانى بإذاعة القاهرة . لكن معرفتى بعالم القصاصين فى مصر كان طيبا . وافق سعد على الفكرة . وكنت اعرف ان عادل كامل قد صار محاميا . منذ منتصف الأربعينيات . وذهبت للقائه .

كان مدخل مكتبه مليئا بشواتين الملفات والبطاقات والموظفين والمحامين . وخرج من باب جانبى رجل ربعة جاوز الأربعين ببضع سنين ، مصرى الوجه ، أسمر راعنى انحناؤه وهو يصافحنى . وراعنى هذا المنديل الابيض الذى يدسه فى كم يسراه ، مثل لورد انجليزى . وصحبنى الى مكتبه الخاص .

فاتحته فى سبب زيارتى له ، فابتسم . وقال لى :

ـ دعنا من الحديث ، فهذا أمر نسيناه .

عدت اعرض ماجئت أسأله عنه . ولا أعرف تماما كيف تحول الموقف بيننا . صار المسؤول يسأل . قال لى :

ـ أهم من ذلك . ان نتعرف ببعضنا أنا وأنت . قد نصير صديقين . قدومك إلىّ . يجعلنى أشعر انك قرات لى « مليم الأكبر » وانك تمارس كتابة القصة .

قلت :

ـ وقرات رواية « ملك من شعاع » ، وقصة « ضباب ورماد » وكأنما مسّت فيه إشارتى لضباب ورماد ذكرى خاصة انفتح صدر « عادل كامل » لى . خلع جاكتته ، وألقى بمنديل كمه جانبا . وشمر قميصه الى منتصف ساعديه . وقال :

الآن . نتكلم . اريد أن أقرأ لك .

حدثته عن نفسى . وحدثنى عن نفسه ، مؤكدا بين حين وآخر . اننا نتعارف . وأن مايقوله ليس للحديث الصحفى . ارانى صورة لبناته الثلاث . باح لى بان « نجيب

محفوظ ، لايدخل احدا بيته ،فيما يعلم ، سواء باح لى بأن ، نجيب ، لايطلع احدا قبله ، على قصة له ، إثر كتابتها بالآلة الكاتبة . وارانى رواية ، أولاد حارتنا ، الموضوعة على مكتبه ، قبل أن تنشر مسلسلا بالأهرام ، وقبل أن تصدر فى كتاب ببيروت ، إثر اعتراض الرقابة الدينية على موضوعها . وباح لى بأنه قدم لنجيب خدمة العمر ، منذ أن عمل هو (عادل كامل) محاميا . اتاح له أن يكتب سيناريوهات لافلام السينما ، فغطى بأجوره عنها نفقات أعوامه كموظف بالأوقاف ، وأتاح له فراغا يوميا ، يكتب فيه قصصه ، كان سينفقه فى القلق على موارد المعيشة الشهرية ، وفى العمل الاضافى بأى مكان . وضحك ، عادل كامل ، وقال :

ـ أنا سعيد حقا ، لاننى أتحت له هذه الفرصة . أحدنا على الاقل قد بقى فى ساحة القصة يكتب قصصا .

رحت أسأله عن رأيه فى القصاصين اللامعين الذين تشهدهم ساحة الابداع القصصية فى مصر . محمد عبد الحليم عبد الله ، وإحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعى ومحمود البدوى ، وسواهم من المعروفين ، ظننت أنه يجد وقتا أو رغبة لقراءة احد من هؤلاء القصاصين الجدد ، فى صحيفة ، المساء ، أو فى مجلة ، روزاليوسف ، ، ولم يخف رأيه فيمن سألته عنهم . ولم يتحرج فى البوح به ثم قال لى :

ـ هؤلاء صنعوا أنفسهم بالاعلام . لاأستثنى منهم سوى محمود البدوى فى بداياته الأولى ، ويضيعون أنفسهم واوقاتهم بكتابة القص كنا قد قضينا ساعتين من الثانية ظهرا ، حتى الرابعة عصرا ، ونسى كلانا حاجته الى الطعام ، لاشىء سوى الحديث وفناجين القهوة .

سألت عادل كامل :

ـ لم توقفت عن كتابة القصة ؟

ـ اثر موقف مجمع اللغة من رواياتى ، ادركت أنه لاقبل لى بإضاعة الوقت فى مناطحة الصخر . وأدركت اننى لن اعيش من قلمى ككاتب ، وان قلمى لو صار فى يدى سيفا ، ولاينبغى له ان يكون فى يد الكاتب ، سوى سيف . سيجعلنى اعانى أكثر مشقة مجرد العيش . قررت فى تلك اللحظة ، ان اكون محاميا . وهانذا كما ترى ، ميسور الحال . الشوانين ملأى بالملفات والبطاقات . شركات كثيرة بقلب المدينة قضاياها بمكتبى هذا ، وانا بعد محامى الفنانين المقيمين فى مصر ، والذين يفدون اليها من الفنانين او يخرجون منها ، وبفضل معرفتى بهؤلاء الفنانين ، أتحت الفرصة لنجيب ، ليكتب سيناريوهات للسينما ويواصل كتابة قصصه . ثم اكد على . قال :

ـ ما قلته تعارف ، وليس للحديث . اسمع .

وطلب منى أن القاه غدا . ومعى قصص اختارها له ليقرأها لى . ولنزداد معرفة ببعضنا .

فى اليوم التالى . حملت له ثلاث قصص ، ولم يكن بمكتبه ، فرحت

اتجول بين الكتب المجلدة فى دواليبها الزجاجية التى تحيط بالجدران الاربعة لايقطعها سوى فراغى النافذة والباب . كانت كلها كتبا فى الادب بلغات ثلاث . وليس بينها كتاب واحد فى القانون . وجاء عادل وجلسنا .. وواصلنا ما انقطع من الحوار . وانصرفنا على موعد فى الغد .

قال لى فى لقائنا الثالث :

ـ قرات قصصك . ولاينبغى ان تتوقف عن كتابة القص يوما . مثلما فعلت انا . اسعدنى ما سمعته منه . وقلت له :

ـ اود ان اسالك سؤالا . اانت حقا سعيد بما انت فيه .. ولاتحن إلى الكتابة ؟

قال لى :

ـ ساقول لك الحق . لست الآن . ومنذ سنين سعيدا بما فعلت . وإنى لشديد الحنين للكتابة . وحاولت العودة اليها وقد استقرت لى الاحوال . كتبت جانبا من رواية لى بعنوان . الدائرة المشؤومة . موضوعها عن هذه اللقاءات التى كانت تجمعنا . انا ونجيب والسحار وباكثير تحت قاعدة تمثال باخر كوبرى قصر النيل . لقاءات ضائعة . حائرة . لجيل ضائع . لكننى اكتشفت ان قلمى قد صدىء . وان روحى لم تعد روح كاتب . فقدت الدربة احذر ان تفقدها يوما . الروح تتحفز وتتوهج بالممارسة . والقلم لايجف مداده بالكتابة .

وزفر عادل كامل باسى ساخر . ومرارة ضاحكة وقال :

ـ سبقنى نجيب . وتطور . وانا حيث توقفت . ولذلك لم اكمل روايتى . وازحتها جانبا .

ثم قال لى :

ـ انقذ نفسك من العمل بالصحافة . وبسرعة لاتعمل شيئا سوى كتابة القصة . ساتيح لك الفرصة التى اتحتها لنجيب . وتعيش منها . وتفرغ معظم وقتك .. لقصصك . والبحث عن تجارب لقصصك .

وضحك . وقال :

ـ سوف اعرفك ايضا باجواء القاهرة التى لاتعرفها . ويعز عليك الدخول اليها .

قلت بذعر :

ـ لكننى لم ادرس الس ''يو

قال لى مؤكدا . وهو :

سيناريو لفيلم :

ـ خذ . هذا سيناريو فيلم باب الحديد . افراد . واصنع مثله تبحث عز ... سينما الآن . مصنب . يهودا والنجار والضحية . لغتها لغة صورة . وذلك ماتريده السينما ولاتحمل هم السيناريو المنتج والمخرج سيرحبان به ... جهد القصة

قلت :

ـ ساد ... لكن ..

قال لى ... كا :

ـ الرغبة فى نشر حديث معى تسيطر عليك كما تشاء . اكتب الحديث .

قلت :

ساطلعك على ما ساكتبه .

فقال لى :

ـ لا ذاكرتك طيبة . وانا اثق بك . ولاتتحرج فى نشر ماقلته عن احد وكتبت الحديث . ونشرته . وثار

المكتوب عنهم ، ورفضوا الدخول فى اى حوار تعليقا على حديث عادل كامل لى .

وتهربت من لقاء « عادل كامل » مرة اخرى لقاء خاصا خفت من ضغطه علىّ لأكتب السيناريو طوال عشر سنوات . خفت من تأثير كتابة السيناريو على كتابتى للقص فقد كنت ، ماأزال فى تقديرى لقصصى ، غض العود ، وخفت ان ادخل بقصصى فى دائرة مشؤومة اخرى .

● دون عشرة جنيهات

أغرى « الشاعر » فاروق شوشة » بالحديث الذى نشرته مع « عادل كامل » وبحديثى عنه ، وكان فاروق يعمل مذيعا بإذاعة القاهرة ، ويقدم برنامج « مع النقاد » من البرنامج الثانى ، واتخذ فاروق قرارا بإذاعة قصة « ضباب ورماد » من إذاعة البرنامج الثانى ، وتقديم حلقة من البرنامج مع « عادل كامل » . وأذيعت القصة كاملة وزاد وقت إذاعتها على الساعة وربع ساعة ولم يكن وقت الارسال بالبرنامج يزيد أنذاك على ثلاث ساعات . وأذيعت الحلقة فى حوار مدهش من الطرفين ، السائل والمسؤول . ولايزال نص الحوار الذى نقله فاروق ، من الشريط المسجل تحت يده ، مع نصوص الحلقات اخرى مع صفوة المبدعين من الأدباء فى تلك السنوات ينتظر النشر فى كتاب .

وجاء موعد صرف المكافأة الاذاعية لعادل كامل عن قصة « ضباب ورماد » وعن حديثه الحوارى فى برنامج « مع النقاد » وسعى عادل كامل إلى الاذاعة ربما حرجا منى ومن فاروق ليتسلم مكافأته ، وصحبه الساعى إلى وحدة العقود بين الدورين الرابع والعاشر ، وفوجئنا نحن وفاروق ، بعادل كامل ، يوقع إذنى الصرف عن القصة ، والحديث الحوارى ، ويعطيه لمصطفى الساعى ، قائلا له :

ـ أصرف المكافأتين ، وخذ قيمتهما لك .

ولم يضطرب عرق واحد ، فى وجه عادل كامل كانت المكافأة عن قصة « ضباب ورماد » جنيهين وستة وعشرين قرشا من جنيهين ونصف ، بعد الاستقطاعات وكانت المكافأة عن الحديث الحوارى لمدة ساعة ، فيما أذكر خمسة جنيهات وكسورا من القروش والملاليم ، بعد الاستقطاعات فالحديث الحوارى أجره فى الاذاعة مهما كان وقته ثلاثة أرباع مكافأة الحديث غير الحوارى ، وكلاهما لايحسب له وقت فى تقدير المكافأة أكثر من عشر دقائق .

وغرقت فى العرق حياء من عادل كامل ، فأنا الذى جررته ، هو الذى استقرت به الأحوال ، وتوقف عن الكتابة هربا من مواجهة مثل هذا الموقف ، وما أحسب حال فاروق آنئذ كان بأفضل من حالى . ونظر الى عادل كامل ، وأنا أسير معه وفاروق إلى المصعد وقال لى :

ـ متى ستريح نفسك وتكتب سيناريو لفيلم ؟!



تمر فى ٢١ يوليو الحالى الذكرى الخامسة والخمسون لرحيل شاعر النيل حافظ ابراهيم .. وفى هذه المناسبة نحيى ذكراه بهذا المقال الذى نفرده له كواحد من المع الشعراء الضباط .

الملازم أول شاعر النيل

بقلم : كمال النجمى

الملازم الأول حافظ افندى ابراهيم «شاعر النيل» هو أشهر الشعراء الضباط فى مصر ـ وليس أشعرهم ـ بعد اللواء محمود سامى البارودى باشا ، باعث نهضة الشعر العربى قبل مائة عام ..

خاض البارودى الحرب وكابد اهوالها ، فوصفها فى شعره البدوى الفخم وَصْفَ مَنْ رَأَى لَا مَنْ سَمِعَ .. وهو فى هذا الباب من الشعر نسيج وحده بين شعراء عصره جميعا ..

اما حافظ ابراهيم فلم يكن شعره عن الحرب الا صدى لما يطالعه فى الصحف ، ويقرؤه فى كتب التاريخ ، ويسمعه من قدماء المحاربين المصريين فى الحبشة والسودان والقرم وكريت ، لأن خدمته العسكرية المضطربة القصيرة المتقطعة ، انقضت فى ظل السلام الوارف ، فلم يخض معركة كبيرة ولاصغيرة ، ولم يجتمع له من البواعث النفسية الجياشة عن الحرب شىء كثير ولاقليل مما اجتمع لاستاذه البارودى ، حتى اوشك حافظ ابراهيم ذو النشأة العسكرية ، ان يكون اقل شعراء عصره احتفالا بهذا الباب من الشعر الذى تابعه شعراء عصره بيقظة وحماسة فى حروب الاتراك العثمانيين ـ أصحاب الخلافة الاسلامية ـ منذ أواخر القرن

التاسع عشر الى سنة ١٩٢٢ التى انتصر فيها الاتراك على اليونان فيما سمى « حرب الاستقلال بقيادة مصطفى كمال قبل الغاء السلطنة والخلافة ...

كان حافظ فى الصف الأخير من شعراء عصره فى هذا المضمار حتى انه لم يلتفت الى « حرب الاستقلال » التركية التى التفت اليها كبار شعراء عصره ، وعلى رأسهم أحمد شوقى أمير الشعراء ..

ومن يطالع ديوان شوقى يجد فيه تسجيلا رائعا للحروب العثمانية فى عصره بانتصاراتها وانكساراتها .. وحسبه ما سجل من انتصاراتها فى قصيدته المطولة التى مطلعها :

بسيفكَ يعلو الحق والحقّ أغلبُ
وَيُنْصَرُ دينُ اللهِ أيَّانَ تَضْرِبُ

أما الهزائم العثمانية فإن لشوقى فيها قصيدته الرائعة المشهورة التى مطلعها :

يا أُخْتَ أندلسٍ عليكِ سلامُ
هَوَتْ الخلافةُ عنكِ والاسلامُ

● ضابط بالصدفة

لم يكن حافظ ابراهيم من رجال الحرب الا بحكم وظيفته التى أخرجه الانجليز منها سنة ١٩٠٠ وهو ضابط صغير ضمن قوة مصرية كانت ترابط فى السودان .. اذ نشب خلاف سنة ١٨٩٩ بين اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر وبين الخديو عباس حلمى ، كانت عاقبته عزل ثمانية عشر ضابطا من قوة مصر فى السودان ، أحدهم حافظ ابراهيم ..

وقد اعيد ثانية الى العمل العسكرى ثم أحيل الى « المعاش » او « التقاعد » بناء على رغبته سنة ١٩٠٣ وهو يحمل رتبة « ملازم أول » بعد خدمة اثنى عشر عاما فى الجيش متنقلا بين مصر والسودان ، وبين وزارتى الحربية والداخلية ، وبين الاحالات المتكررة على « الاستيداع » .. حتى أصابه اليأس ، وقنع بمعاش التقاعد وقدره أربعة جنيهات مصرية ! ..

لم يصبح حافظ ضابطا الا مصادفة ، وربما على الرغم منه ، فقد فشل فى جميع الاعمال التى زاولها فى صباه وشبابه الباكر ، فزين له بعض نصحائه ان يلتحق بالمدرسة الحربية ، فالتحق بها وتخرج ضابطا برتبة الملازم الثانى وهو فى العشرين من عمره ، تداعبه الأحلام فى مستقبل زاهر حافل ، بعد ذلك الفشل المتكرر فى اعماله السابقة ! ..

ولكن حافظا ـ كما تقدم ـ لم يكن من رجال الحرب ! .. يقول الأديب المؤرخ الكبير الاستاذ احمد امين ـ رحمه الله ـ فى مقدمته للطبعة الأولى من ديوان حافظ التى أصدرتها وزارة*

المعارف المصرية سنة ١٩٣٧ ، ثم سرقتها وزورتها إحدى دور النشر اللبنانية واسمها « دار العودة » ووزعت منها الوف النسخ فى مصر : « يخيل لى أن حافظا لم يُخلق رَجُلَ قتال ! .. نعم كان منظره رجل حرب ، فهو مستحكم الخلقة ، وثيق التركيب ، مفتول الساعدين ، عريض المنكبين ، ولكن لا اظن أن قلبه يشاكل جسمه .. لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حَرّهُ ، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها » ..

لهذا ـ فيما يبدو ـ لم يبال حافظ الا قليلا بما نشب فى عصره من حروب ـ وهى كثيرة ـ ولم يهتز، الا عندما انتصرت اليابان على روسيا القيصرية فى معركة « موكدن » الشهيرة سنة ١٩٠٥ مثلما اهتز « الشرقيون » جميعا فى آسيا وافريقيا لهذا الانتصار اليابانى ، لانه كان اول انتصار كبير فى القرن العشرين تحرزه دولة « شرقية » على دولة أوربية ! .. وكانت كلمة « الشرق » فى عهد حافظ تتضمن معنى « الاسلام والعروبة » فيما تتضمن من معان كثيرة .

نشبت الحرب بين روسيا القيصرية واليابان فى فبراير سنة ١٩٠٤ .. وكانت بدايتها أشبه ببداية الحرب بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ، اذ فاجأ اليابانيون الأسطول القيصرى وهو يرسو غافلا فى ميناء « بورت أرثر » وفتحوا عليه نيران سفنهم فدمروه تدميرا ..

وثمة فرق بين معركة بورت أرثر هذه ومعركة بيرل هاربر المشهورة التى دمر اليابانيون فيها زهرة الأسطول الامريكي خلال الحرب العالمية الثانية ، ذلك هو الفرق بين قنابل البوارج والمدمرات اليابانية التى انطلقت على بورت أرثر ، وبين قنابل الطائرات اليابانية التى تساقطت على بيرل هاربر .. أما النتيجة فى الحالتين فكانت واحدة ، فقد خسر الأمريكيون أسطولهم كما خسر القياصرة أسطولهم من قبل ! ..

كانت الحرب الروسية اليابانية ، صداما داميا شرسا بين دولة أوربية مسيحية ودولة أسيوية لم تدخل فى دين سماوى .. وفى ذلك يقول حافظ ابراهيم :

قد اقسم « البيضُ » بصلبانهم
لا يهجرون الموتَ او يُنْصَرُوا
واقسم « الصُّفْرُ » باوثانهم
لا يُغمدون السيفَ او يظفروا
فمادت الارض باوتادها
حين التقى الأبيض والأصفر
واثملتها خمرةٌ من دمٍ
يلهو بها « الميكادُ » والقيصر
واصبحتْ « مُكْدِنُ » ياقوتةً
يغار منها الدُرُّ والجوهر

ويصف حافظ ابراهيم الموقف اليائس للجنرال كروبتكين قائد الجيش الروسى القيصرى ، والموقف الظافر للجنرال اوياما قائد الجيش اليابانى الأمبراطورى :

امسى « كروبتكين » فى غمرةٍ
وبات « أوياما » له ينظرُ

فكم قتيل بات فوق الثرى
ينتابه الأظفور والمنسر
وكم جريح باسط كفه
يدعو أخاه وهو لايبصر
فهل درى القيصر في قصره
ماتعلن الحرب وما تضمر ؟!

لم يكتم حافظ اغتباطه وفخره بانتصار اليابانيين الشرقيين على الروس الأوربيين الا انه التفت فى اخر قصيدته الفتاة إنسانية شاملة ، تستنكر الحروب وإهراق الدماء وتدمير العمران .. قال :

تسوءنا الحربُ وإن اصبحتْ
تدعوْ رجال الشرقِ أنْ يفخروا

فالحروب تسوء العقلاء والرحماء ولو كانت عاقبتها نصرا مبينا كالذى أحرزه اليابانيون فى البر والبحر على جيوش القيصر الروسى وأساطيله ..

ولكن حافظ ابراهيم ، مع استنكاره للدمار الذى تجلبه الحروب ، ظل يتغنى باليابانيين الذين كانوا يحاولون تمهيد مكان لهم فى نادى الدول الاستعمارية ، فنظم قصيدته التى عنوانها « غادة اليابان » .. ومطلعها :

لاتلُمْ كفّي إذا السيفُ نبا
صحّ منّي العزمُ والدهر أبى

فى قصيدته هذه حاول ان يروى قصة او حكاية عن فتاة يابانية تخيل انه التقى بها وحدثته انها ماضية الى ميدان القتال ، فحاول ان يثنيها عن عزمها ، وأراد تخويفها من الحرب ، فقال لها فيما تخيله من كلامه إليها :

فَسَليني ! .. إنني مارستُها
وركبتُ الهولَ فيها مَركبا
وَتَقَحّمْتُ الرّدَى فى غارةٍ
أسْدَلَ النّقْعُ عليها هيْدَبا
جاك عزرائيل فى هيدبا
تحت ذاك النقع يمشى الهَيْذَبى

وشاعرنا هذا الذى زعم فى أبياته هذه انه ركب الهول فى الحرب ، وتقحّم الموت فى الغارات ، وأسدل النقع او الغبار على عينيه هيدبا ، او سحابا أسود لايرى من خلاله شيئا ... شاعرنا هذا المغوار ، لم ير حربا قط ، ولا كان له فى أية غارة أو معركة كر ولا فر ، الا انه وجد مجال القول واسعا مع فتاته اليابانية المزعومة فقال لها ولنا ماشاء . وليس عليه من حرج ! ..

لم تصغ الفتاة الى « توسلات » حافظ ابراهيم ، ومضت الى الحرب قائلة له كما جاء على لسانها في قصيدته تفخر ببلادها وبأمبراطورها « الميكادور » المقدس :

انا يابانيةٌ لا انثنى
عن مرادى أو اذوقَ العَطَبَا
انا إنْ لَمْ أُحْسِن الرَّمْىَ ولم
تستطعْ كفاى تقليبَ الظُّبَا
اخدم الجرحى واقضى حقهم
واواسى فى الوغى مَنْ نُكِبَا
هكذا « المِيكَادُ » قد عَلَّمَنَا
أنْ نرى الأوطانَ أُمّاً وَأَبَا
مَلِك يكفيك منه أنه
انهضَ الشرقَ فَهَزَّ المغربا

عندئذ تركها حافظ تمضى لشأنها ، ووافقها على الفخر بانتصار الشرق على الغرب في تلك الحرب ، ولتفعل الحرب ما شاءت بالناس ، أفرادا وجماعات !

لم يتطوع حافظ للقتال ضد الغزاة الطليان كما تطوع شاعر معاصر له هو الامير شكيب ارسلان صاحب اقوى واجود قصيدة قيلت فى تلك الحرب ، ومطلعها :

سِراعاً بنى أُمّي بِحَثِّ ظُعُونِها
فما حَرَّكَ الآلامَ غَيْرُ سُكونِها

ولم يتحرك حافظ لنظم شيء فى هذه الحرب إلا بعد نشر قصيدة شكيب أرسلان فى جريدة « المؤيد » والجرائد الأخرى .. وكان المستعمرون الطليان المتعصبون قد أعملوا القتل والفتك والهتك فى المدنيين المسالمين ، رجالا ونساء وأطفالا ، ولم يستطع الخليفة العثمانى ولا حكومة « الاتحاد والترقى » العثمانية إلا الاستسلام للمقادير ! ..

فى هذه المأساة نظم حافظ قصيدته التى مطلعها :

طَمَعٌ ألقى عن الغرب اللثاما
فاستفق ياشرق واحذر أن تناما

وأيقن حافظ بعد هزيمة دولة الخلافة الاسلامية العثمانية فى هذه الحرب ـ برغم ضعف الطليان وفسولة ادائهم العسكرى ـ أن الغرب هو الأقوى سواء كان اسمه فرنسا أو بريطانيا أو إيطاليا ، وأن « الشرق » لم يصبح قويا إلا فى ركن قصى هو اليابان ، أما الشرق الاسلامى فهو مستغرق فى نوم عميق أشبه بالغيبوبة وقد جثمت على صدره الخطوب الجسام .. قال حافظ يصف فظائع الاستعماريين الأيطاليين فى ليبيا :

عجز الطليان عن أبطالنا
فاعلوا من ذرارينا الحساما

كبلوهم ، قتلوهم ، مثلوا
بذوات الخدر ، طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم
يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما
أحرقوا الدور ، استحلوا كل ما
حرمت «لاهاي» في العهد احتراما
كشفوا عن نية الغرب لنا
وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطورا من دم
أقسمت تلتهم الشرق التهاما

لقد رأى حافظ ـ مرة أخرى ـ أن الحرب هى صراع بين دول أوربا الاستعمارية ـ أى الغرب ـ وبين الأمم الشرقية التى انتصر لها اليابانيون الناهضون المتطلعون الى تصيبهم من «مستعمرات ، ولم يستطع أن ينتصر لها العثمانيون الذين كانت شمسهم على وشك الأفول الأبدى ! ..

وكان من ذيول الحرب العثمانية الايطالية فى ليبيا أن اغار الاسطول الأيطالى على بيروت سنة ١٩١٢ ، ولبنان والشام كله حينذاك تحت راية الخلافة العثمانية ، فسقط من أهل بيروت عدد كبير من القتلى والجرحى ، ولم يستطع الاسطول العثمانى أن يحمى هذا الثغر من ثغور دولته « العلية » ! ..

هزت هذه الحادثة العرب والمسلمين ، فنظم حافظ تمثيلية يدور فيها حوار منظوم بين أحد الجرحى وبين فتاة تدعى « ليلى » وطبيب يعالج المصابين ، وشخص من أهل بيروت :
فى هذه التمثيلية ـ إن صح أن تسمى كذلك ـ حاول حافظ تقسيم المعانى التى خطرت بباله بين المتحاورين الاربعة ، فأنطق كلا منهم بأبيات كاملة ، ولم يتيسر له تقسيم الابيات إلى كلمات أو جمل قصيرة بين المتحاورين كما فعل أحمد شوقى بعد ذلك فى مسرحياته الشعرية .. على أنه يمكن أن يقال إن حافظا قد سبق شوقى فى نظم الحواريات الشعرية ولو بتلك الطريقة الساذجة ! ..

ثم نشبت الحرب العالمية الأولى فظل حافظ صامتا بضعة أشهر لأنه كان يخشى قول الشعر فى « السياسة » ويخاف على منصبه فى دار الكتب وعلى رتبة البكوية من الدرجة الثانية التى نالها سنة ١٩١٢ .. فلما تثبت من أنه لا ضرر ولا ضرار فى الكلام عن هذه الحرب مادام مؤيدا للجانب الذى فيه بريطانيا صاحبة « الحماية » على مصر ، نظم قصيدته التى مطلعها :

لاهُمَّ إن الغرب أصبح شعلة
من هولها أُمّ الصواعق تفرق

نعى فيها على الألمان استعمال الغازات السامة سلاحا فى الحرب .. قال :

ولقد حسبت العلم فينا نعمة
تأسو الضعيف ورحمة تتدفق
فإذا بنعمته بلاء مرهق
وإذا برحمته قضاء مطبق
عجز الرماة عن الرماة فأرسلوا
كِسَفاً يموج بها دخان يخنقُ

ولم يكن للحكومة المصرية حينذاك من عدو إلا الألمان لكونهم أعداء البريطانيين ، فامتشق حافظ قلمه وأهوى بسنانه على الأمبراطور الألماني غليوم الثاني الذي زحفت جيوشه على فرنسا ـ حليفة بريطانيا ـ فدمرت المدن والقرى ، وقصفت مدافعها مدينة « ريمس » الفرنسية فهدمت كنيستها التاريخية المشهورة .. قال حافظ يخاطب الأمبراطور الألماني ويوبخه :

إن كنت أنت هدمت رمس فإنه
أودى بمجدك ركنها الموهون
لم يغن عنها معبد خربته
ظلما ولم يمسك غنائك دين
اكثرت من ذكر الإله تورعا
وزعمت أنك مرسل وأمين
وكذلك القَصَّابُ يذكر ربه
والنصل في عنق الذبيح دفين

● هذه هي قصائد شاعر النيل الملازم الاول حافظ ابراهيم في « الحرب » .. لم تزد على « تعليقات » شعرية ، أوحتها إليه أخبار الصحف ، وليس فيما نظمه عن الحروب ما يدل على أن وراءه تجربة شخصية في القتال ولو ضد فلول الدراويش في السودان ، أو ضد عصابة من قطاع الطرق

ولاتثريب عليه ، فإن مدة خدمته العسكرية كلها كانت في زمن السلم ، فلم يخض حربا ، ولم ير معركة ، برغم تهويله على « غادة اليابان » بما زعمه من تمرسه بالحرب ، ومقارعته الأبطال تحت النقع المثار !!

لقد كان حافظ ابراهيم ـ رحمه الله ـ رجلا مسالما سمحا معتدلا لايحمل ذرة من الروح العدوانية ، يؤثر السلامة وينفق نصف وقته في التفكه والتسرية عن نفسه وعن أصدقائه .. وهو في كل الأحوال قانع بحياته ، يأكل العيش بالجبن ، كأنه الشاعر المصري القديم الذي قال في تلاعب لفظي طريف :

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة
دعوني فإني اكل العيش بالجبن

وفي كلمة « الجبن » هنا تورية واضحة الدلالة ـ كما لايخفى ـ ولها معنيان ، معنى أكل الخبز بالجبن ، ومعنى حماية النفس بالجبن وعدم الاندفاع إلى التهلكة في الحرب بدعوى الشجاعة وكذلك كان حافظ ! ..

ثورة.. وسينما لم تكتمل

أكثر الهراء غرابة فى هذه الايام ، ما تكتبه بعض الاقلام من كلام حاصله ان السينما عندنا كانت احسن حالا قبل فجر الثالث والعشرين من يوليه لعام ١٩٥٢ منها بعده .

بقلم : مصطفى درويش

● ووجه الغرابة فى هذا الكلام الاقرب الى اللغو ، انه لو استطعنا العودة عبر رحلة الذاكرة الى السينما الروائية عند الميلاد على ارض الوطن ، اى فى الربع الرابع من عقد العشرينيات ، ثم الصعود مع سيرتها مرة ثانية نحو المستقبل حتى بلوغها سن الخامسة والعشرين ربيعا فى الربع الأول من عقد الخمسينيات ، لو استطعنا ذلك لوجدنا أمامنا سينما وطنية تعيش عالة على السينما العالمية فى كل صغيرة وكبيرة .

فالمعدات مستوردة ، والافكار مستعارة ، والاخطر من هذا كله ذلك الانبهار بسينما هوليوود الذى وصل الى حدّ التاليه والسجود لافلامها ، والتقليد الأعمى لكل ما تنطوى عليه من زبد لا ينفع الناس .

ولبيان هذا المدى فى التاثير ، تكفى نظرة طائرة على كل من "قبلة فى الصحراء" للاخوين ابراهيم وبدر لاما (٥ مايو لعام ١٩٢٧) الذى يعتبر بحق اول فيلم عربى روائى تجارى طويل .

و"ليلى" للمخرج "استفان روستى" (١٦ نوفمبر لعام ١٩٢٧) ، والذى به ـ فى راى نفر من مؤرخى السينما ـ بدأ انتاج الافلام الروائية الطويلة فى مصر ، وذلك باعتبار ان نجمته ومنتجته "عزيزة امير" تحمل الجنسية المصرية ، الامر غير المتوافر فى حق الاخوين "لاما" .

● الارض الخراب

وسواء اكان اى من هذين الفيلمين ، هو الاول أم الثانى ، فمن المتيقن أن الانتاج السينمائى بدأ على أرض مصر ، والوطن العربى ، ما عدا المملكة السعودية وامامة اليمن ، ترفرف على جميع ربوعه من المحيط إلى الخليج أعلام الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى والحكم فى مصر يتقاسمه الإنجليز والسراى واحزاب لا تمثل سوى الأقلية ، وشراذم من المغامرين والأفاقين الاجانب .

فى هذا الجو الذى يشيع فيه الذل والخوف ، بدت السينما فى مصر ، او



عزيزة امير

بمعنى أصح فى الوطن العربى كما لو كانت لا تعزف إلا لحنا واحدا لا يتغير .

● معبود هوليوود

ومهما يكن من الامر ، فما هو هذا اللحن الواحد الذى يعزفه الفيلمان الرائدان ؟

أولهما : وهو منقول جملة وتفصيلا عن فيلم امريكى قام بتمثيله "رودلف ڤالنتينو" معبود النساء تحت اسم "ابن الشيخ" ، يقول ضمن ما يقول من تفاهات ان شابا "شفيق" من الاعراب المقيمين فى الصحراء ، رأته شابة امريكية "هلدا" فهامت به من اول نظرة .

وكان "شفيق" مولعا بسباق الخيل والمراهنة ، دائم الشجار مع عمه لهذا السبب .

وحدث ذات يوم ان عثر "شفيق" على عمه قتيلا ، وحامت حوله الشبهات الامر الذى اضطره الى الفرار والاختفاء فى



اسيا داغر

الصحراء حيث انضم الى عصابة من قطاع الطرق .

وتشاء الصدف ان تهاجم العصابة قافلة تضم "هلدا" ويأمر "شفيق" رفاقه بإخلاء سبيل القافلة بمجرد تعرفه عليها .

وبفضل خنجر مشدود إلى وسطه تتعرف هى الاخرى عليه ، فتعود اليه لتعبر عن هيامها به ، ويتعانقان ، الا انه سرعان ما يتذكر انه طريد العدالة ، ولا يستطيع العودة معها الى المدينة .

وبعد ان تستأنف رحلتها مع القافلة ، يزف اليه نبأ الحكم ببراءته ، فيلاحق القافلة فى الصحراء حيث يكتشف ان ثلاثة لصوص قد اختطفوا "هلدا" فيطاردهم حتى ينتصر عليهم ويسترد محبوبته .

● طريق الضياع

ومن عجب أن الاخوين لاما ظلا مدمنين لهذا النوع من الهراء المستورد حتى آخر فيلم لهما "صلاح الدين الايوبى" (١٩٤١) فهو لا يعدو ان يكون

ثورة..
وسينما
لم تكتمل

مسخا اختلطت فيه الامور ، فالجيوش الصليبية تكر وتفر بأسلوب قطاع الطرق ، تخطف ، تنهب ، تحرق .

"وصلاح الدين" مع نفر من الاتباع الابرار يقف بالمرصاد للصليبيين الاشرار كما رعاة البقر فى افلام الغرب الامريكى .

وللنهوض فنيابفيلمه اختصر "ابراهيم لاما" الطريق ، لجأ الى ما نعتته مجلة "الراديو" وقتذاك" بسرقة غريبة او تدجيل من نوع جديد كيف ؟

بأن قام بلصق اجزاء من المعارك الحربية فى فيلم للمخرج الامريكى الشهير "سيسيل . ب . دى ميل اسمه "الصليبيون" .

فكان أن بدت وجوه العرب "الافرنجية الملامح" وعندما قرأ الاخوان "لاما" هذا النقد اللاذع بادرا بحذف المشاهد المختلسة ، فكانت النتيجة انهما - وفق ماجاء فى مقال بنفس المجلة - "زادا الامر اضطرابا على اضطراب وعبثا على عبث" .

● علية القوم

وفى الفيلم الثانى "ليلى" نجد نفس الهراء متجسدا فى قصته التى تدور حول فتاة جميلة يتيمة يكفلها عمدة قرية صغيرة تقع على مشارف الصحراء .

يزور القرية الثرى رءوف بك ، فيرى البدوية الحسناء ويراودها عن نفسها .

تعرض عنه لانها وهبت قلبها لجارها الشاب البدوى الشهم "احمد" الذى يعمل دليلا للسائحين .

وتشاء الصدف ان تزور القرية سائحة متحررة تهيم بأحمد وتغريه بالرحيل معها بعيدا الى البرازيل .

وطبعا تطرد ليلى من القرية بعد اكتشاف انها حامل من احمد الذى غدر بها .

وفى الطريق ، وبينما هى وحيدة منبوذة ، يتوقف لها "رءوف بك" بعربته ثم يصطحبها معززة مكرمة الى قصره حيث يعقد قرانه عليها .

وقد يكون من الصعوبة بمكان تصور قصة بمثل هذا القدر من التفاهة والبعد عن الواقع والحط من شأن الجماهير .

ومع ذلك فقد تعرضت "عزيزة امير" لحملة من الانتقادات ، واخذ عليها افراطها فى الاهتمام بالدهماء .

ولعل المقال الذى نشر فى عدد ٢٨ من نوفمبر لعام ١٩٢٧ فى مجلة "الصباح" خير مثال يساق للتدليل على مستوى هذه الانتقادات .

ففيه يأخذ كاتبه على "عزيزة امير" جنوحها الى احتقار الشرق والسخرية من تقاليده باسلوب امرأة متفرنجة ، ويعترض على اتخاذ القرية مكانا لاحداث الفيلم ، مستفسرا من المنتجة - وهو فى اشدّ حالات الاستياء - عن سبب اصرارها على اظهار مصر وكأنها لا تزال تعيش فى القرون الوسطى ، هذا فى الوقت الذى يوجد "الكثير مما نفخر به" .

وفى ختام مقاله صاح متسائلا كيف سمح السينمائيون صانعو الفيلم لانفسهم - وهم من علية القوم فى

القاهرة ـ ان يجرى تصويرهم داخل عشش .

وكرد فعل لهذا النقد اعلنت "عزيزة امير" عن توبتها واتجاه نيتها الى اختيار قصة لفيلمها القادم تجرى احداثها وسط الطبقات العليا فى مصر .

متكلم وصامت

ولم تكن الفترة الصامتة من حياة السينما العربية على ارض مصر طويلة . فبعد فيلمى "قبلة فى الصحراء" و "ليلى" بخمسة اعوام الا قليلا ، وبالتحديد يوم ١٤ من مارس لعام ١٩٣٢ اى فى عهد اسماعيل صدقى باشا ـ وهو من اشد العهود سوادا فى تاريخ مصر الحديث ـ عرض اول فيلم عربى ناطق "اولاد الذوات" الذى اخرجه "محمد كريم" ومثله "يوسف وهبى" .

وفى هذا اليوم التاريخى اكتشف جمهور الحفلة انه كان ضحية غش كبير ، فقد تبين له اثناء العرض ان "اولاد الذوات" نصفان الاول ناطق عربى اللسان ، والثانى صامت لا ينطق حرفا واحدا .

وان هذا الاستهتار ليس له من سبب سوى رغبة منتجى الفيلم فى الحدّ من تكاليف جعله ناطقا بالكامل ، وهى تكاليف باهظة لا قبل لهم بتحمل اعبائها .

وهكذا ولدت السينما المتكلمة مريضة بداء الاستسهال والتسطيح والجرى اللاهث وراء الكسب السريع ، وهو داء يرجع الى الخطيئة الاولى ، الا وهى ميلاد السينما العربية اصلا فى مصر ، والوطن العربى يئن تحت كعاب جنود الاحتلال الاجنبى .

الماضى المجهول

وبمناسبة قصر الفترة الصامتة من حياة السينما عندنا ، لا يفوتنى أن أشير هنا الى ملاحظة ذكية للناقد نور الدين غالى ضمّنها مقاله "السينما المصرية بانعكاساتها وسرابها" المنشور بالعدد ٨٣ من مجلة "جين سينما" الفرنسية .

فهو فيها يرجع فقر المرئيات فى "الافلام المصرية" الى أن "السينما المصرية" تكلمت وهى لا تزال فى المهد صبية ، فيكاد لا يكون ثمة وجود "لسينما صامتة مصرية" آية ذلك ان "اول فيلم طويل مصرى" قد انتج عام ١٩٢٧ اى العام الذى نطقت فيه السينما العالمية .

ومن ثم افتقد "المخرجون المصريون" خبرة الفيلم الصامت ، وذلك لعدم مرورهم بتجربة اكراه الصمت التى كان لابد ان تجبرهم على التعبير المرئى ، فضلا عن اجراء بحوث فى مجالى التشكيل والايقاع .

المسرح المعلب

وعلاوة على هذا التاريخ الذى يفتقر الى ماض صامت ، فقد لعب المسرح هو الآخر دورا فى الاساءة الى السينما والاضرار بها .

ففى البدء مع تكلم السينما وعدم توافر مبدعين سينمائيين ، انيط مصير الفيلم بكتاب سيناريو اعتادوا التعبير بالحوار ، وليس بالصورة .

وهؤلاء الكتاب وفدوا فى معظمهم الى

ثورة.. وسينما لم تكتمل

السينما من عالم الادب المسرحي او الروائي ، بل ان بعضهم اكتفى بان يسجل سينمائيا المسرحيات التى سبق له ان كتبها او اخرجها دون ان يكلف نفسه عناء حذف او اضافة همزة او وصلة .

ولعل يوسف وهبى المثل الصارخ على هذا الغلو .

فمن المعروف عنه انه استغل شهرته المسرحية باعتباره ممثلا ومؤلفا ومخرجا ومنتجا فى آن واحد ، فنقل الى السينما موضوعات مسرحياته ، وهى من نوع الدراما النفسية والاجتماعية الزائفة ذات الانماط الانسانية المبسطة .

وهكذا ، ومنذ البداية فرض المس... على السينما اسلوبه فى التمثيل وط... فى الاخراج ، وهو وضع ضار كتب له الاستقرار والاستمرار زمنا طويلا . .

ومن هذا المنطلق وخلال فترة لا تتجاوز العامين (٣٤ ـ ١٩٣٥) تم تقنين النمطين الرئيسيين للسينما التجارية فى مصر ، الا وهما الفيلم المسرحي تحت رعـايـة "يـوسـف وهبى" "ونجيب الريحانى" وغيرهما من اهل المسرح والفيلم الغنائى الذى ارسى المخرج "محمد كريم" قواعده ، وكان محمد عبدالوهاب مطرب الملوك والامراء نجمه الاول بلا منازع .

● القاعدة والاستثناء

وعن الظاهرة الاخيرة كتب الناقد "جى هينيبيل" ـ وهو من المهتمين بالسينما العربية ـ فى مؤلفه "خمسة عشر عاما من السينما العالمية" (ص ٢١٩) ، قائلا ففى مصر هم ـ يقصد المصريين ـ مولعون بالأغنية ، فالكلمة عند العرب تفوق الصورة فى الأهمية لان الصورة ليست امرا مستحباً فى الاسلام !!

وليس محض صدفة ان الحضارة العربية ترجمت ـ وهى فى أوج مجدها ـ كل الفلسفة الاغريقية ، ولم تترجم المسرح .

وهكذا ظل العالم العربى حصينا من المسرح الذى لم يستطع التسلل اليه الا مع جحافل الغزو الاجنبى وبخاصة الجنرال بونابرت ، ثم انتشر بعد ذلك بفضل السوريين واللبنانيين من اهل الكتاب" .

واستثناء من هذه الافلام ذات الطابع المسرحى والتى يغلب عليها البكاء والغناء ، وخروجا على تقاليدها التى اصبحت من الثوابت ، فاجأ كمال سليم الناس بفيلمه الاول الذى اراد له اسم "فى الحارة" ، وشاءت الاقدار له اسما آخر "العزيمة" (١٩٤٠) .

وهذا الفيلم الاستثناء ذهب نقاد الغرب فى شأنه مذهبا واحدا ، هو الاشادة به وبالدور الايجابى الذى لعبه فى تاريخ السينما العربية .

وهذا الإجماع فى الحماس للعزيمة لم يحظ به فيلم عربى آخر على مدى ثلاثين عاما او يزيد .

بعد ذلك كله ، فلا عجب اذا ما انصرفت السينما ، لا فى مصر وحدها ، بل فى اقطار عربية اخرى كسوريا ولبنان ، عن تناول اى موضوع جاد يؤدى الى صحوة وطنية او نهضة

فكرية ، بل الاعجب من هذا العجب ان يكون الامر على خلاف ذلك في ظل احتلال اجنبي ليس له من هدف سوى حجب المعرفة عن الامة العربية بمزيد من التشدد في الرقابة على حرية الفكر ، وبالذات حرية التعبير بلغة السينما .

ومن هنا فليس من باب الصدفة ان احدا لم يحاول في جميع الافلام المنتجة في مصر ، بل في الوطن العربي باسره ، وحتى عام ١٩٥٢ حين بدا "احمد بدرخان" تصوير فيلمه عن حياة الزعيم مصطفى كامل ، لم يحاول احد ان يعرض لكفاح الامة العربية ضد المحتل الاجنبي ، وضد الظلم الاجتماعي .

وفي مواجهة تصاعد الحركة الوطنية المعادية للاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية باندحار الفاشية - وقبل الحرب العربية - الاسرائيلية الاولى بقليل - لجأت الدوائر الحاكمة الى سلاح الحد من حرية التعبير ، لاسيما في مجال السينما .

وإذا كانت مصر مرآة الوطن العربي كما يقول بحق "فؤاد عجمي" في كتابه "المأزق العربي" ، فان التعليمات التي أصدرتها ادارة الدعاية والارشاد الاجتماعي في فبراير ١٩٤٧ بغرض تقنين ماجرى عليه العمل رقابيا في مصر فيما يتعلق بالسينما ، هذه التعليمات المتشددة التي اشتملت على اربعة وستين محظورا ، كان لابد ان يكون لها انعكاساتها على السينما في الاقطار الاخرى من الوطن العربي .

وفي ضوء هذه المحظورات كان امرا مقضيا أن تنصرف السينما على امتداد الوطن الفسيح عن معالجة اى موضوع اجتماعي او سياسي يمس من قريب أو بعيد صراع المعذبين في ارض الوطن ضد الاحتلال والخوف والجوع .

• فجر جديد

كل ذلك كان قبل فجر الثالث والعشرين من يوليه ، والتحول بمصر من ملكية إلى جمهورية مستقلة متحررة من رق الاستعمار .

ومع هذا الفجر ظهر جيل جديد من المخرجين الشبان كصلاح ابو سيف وتوفيق صالح ويوسف شاهين وهنرى



شادى عبد السلام

ثورة .. وسينما لم تكتمل

بركات ، حاول فى بعض افلامه "كالفتوة" "ودرب المهابيل" "وباب الحديد" "والحرام" ان ينتقد الاوضاع الاجتماعية .

وتدعم التيار الجاد فى السينما بانشاء معهد عال لها ومراكز فنية للافلام التسجيلية والتجريبية ، ونواد للتعريف بالفن السابع باعتباره الدرجة الاسمى التى وصل اليها الفن فى تطوره الصاعد .

ومع ذلك ظل النقد الذى انطوت عليه افلام هذا الجيل الذى ظهر مع الفجر ، ظل محصورا فى وصف الامراض الاجتماعية لا يتجاوزها الى اقتراح الوسائل السياسية لعلاجها واحداث التغيير المنشود .

وفوق هذا بقى عدد هذه الافلام الجادة قليلا تائها فى خضم افلام غريبة عن ارض الوطن ، لا تكترث بتراثنا العاطفى والاجتماعى والانسانى ، بل قل تستهزئ به وتشهّر .

● فيلم وزلزال

وبداهة ما كان لهذا الوضع الذى تحول مرة اخرى بواقع السينما العربية الى مستنقع راكد ، ان يدوم فبعد مرور أربعة عشر عاما على الثالث والعشرين من يولية انقض على هذا الواقع المستنقع فيلم "معركة الجزائر" (١٩٦٦) .

ففى مهرجان فينيسيا خرج هذا الفيلم متوجا بالاسد الذهبى جائزته الكبرى ، وكذلك بجائزة النقد الدولى .

والوقع الصاعقى الذى احدثه فى الوطن العربى حيثما عرض او سمع عنه ، هذا الوقع ، انما يرجع الى انه قادم من أول أرض عربية تتحرر من الاستعمار بفضل ثورة شعبية مسلحة ، هذا الى أنه فيلم سياسى من الفه الى يائه ، فضلا عن انه يعرض للثورة فى الجزائر العاصمة باسلوب جمالى يدفع المتلقى الى فهم يؤدى الى العمل على تغيير الواقع .

وعلى كل حال ، فقد كان من اثر "معركة الجزائر" ان اهتزت السينما فى الوطن العربى على وجه ادى الى تدعيم الاتجاه نحو سينما واقعية جادة .. ولا اقول سياسية .

وقبيل زلزال الخامس من يونية لعام ١٩٦٧ ، وبعدها تلاحقت الافلام السياسية داخل مصر وخارجها ، وظهر فى الساحة السينمائية العربية ، ولأول مرة ، مايسمى بالمخرج السياسى ، ولعل خير مثل على ذلك "برهان علوية" صاحب "كفر قاسم" .

وبحكم البداية ، لم تكن جميع الأفلام السياسية إيجابية فى مضمونها ، فبعضها كان ذا اثر سلبى إذ لعب دورا من خلال كشف اخطاء ونقائص الأجهزة الحاكمة ، وبخاصة الاتحاد الاشتراكى العربى فى التشكيك فى ثورية نظام عبدالناصر والنظم المماثلة له فى انحاء الوطن العربى ، مما مهد الطريق لنكسة جديدة فى مسار حركة التحرر الوطنى والاجتماعى ادت الى تفاقم امر التشتت العربى .

وعن الدور الذى لعبه احد هذه الافلام "ميرامار" فى هذا الخصوص ألقى

صاحبه "كمال الشيخ" بعض الضوء بقوله فى حديث له ان الفيلم لم يحصل على ترخيص الرقابة بالعرض الا بعد ان شاهده نائب رئيس الجمهورية وقتذاك واجازه مبديا اعجابه الشديد .

متمردون ومخدوعون

فاذا ما انتقلنا الى الافلام السياسية التى لعبت دورا ايجابيا فى كشف الواقع ومواجهته بغرض التمرد عليه وتغييره الى ما هو افضل لوجدناها لا تزال نادرة .

واهمها عندى ، وذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، رائعتا توفيق صالح "المتمردون" و "المخدوعون" والاولى تم اخراجها فى مصر بفضل القطاع العام ، اما الثانية ـ وهى مستوحاة من قصة للاديب غسان كنفانى ـ فلم يستطع اخراجها الا فى سوريا ، وايضا بفضل القطاع العام ثم "كفر قاسم" لبرهان علوية من لبنان "وصور من مذكرات خصبة" لصاحبه ميشال خليفة من فلسطين المحتلة .. وعمر قتلته الرجولة .. لصاحبه "مرزاق علواش" من الجزائر و "ليلة حساب السنين" (المومياء ١٩٦٩) رائعة شادى عبدالسلام ، وعندها اقف قليلا .

السينما الغائبة

عندما كتب لنقاد الغرب ان يشاهدوها فى مطلع السبعينيات ، دفع الحماس نفرا منهم الى ان يشبه "شادى عبدالسلام" "بساتيا جيت راى" ويتنبأ له بأن يكون صاحب تاثير خلاق على "السينما المصرية" قريب من تاثير المخرج البنغالى الشهير على السينما الهندية .

غير ان "جون راسل تايلور" الناقد الانجليزى ذهب ، رغم فيض حماسه لشادى وفيلمه ، مذهبا على عكس ذلك تماما .

ففى الدراسة التى خص "ساتيا جيت راى" بها فى مؤلفه القيم "مخرجون واتجاهات" كتب فى وصف رائعة شادى قائلا "انها عمل فردى يتسم بالغرابة والخروج على المألوف ، واغلب الظن انه لا يعكس سوى مواهب مبدعه .

وفى ظنى ان "راسل تايلور" كان فى تقويمه لفيلم "ليلة حساب السنين" واثره اكثر جنوحا الى الصواب من اغلب النقاد .

فهو ، وبعد انقضاء زهاء عشرين عاما على اخراجه ، لم نر فيما انتج من افلام ، وهى تعد بالمئات ، شبيها له لا من قريب ولا من بعيد .

بل ان صاحبه امتنع عليه حتى اختفائه بالموت قبل شهور ، ان يخرج من بعده فيلما روائيا طويلا آخر .

واذن فليس غريبا اذا ما استخلص من ذلك ان رائعة شادى الشهيرة بالمومياء استثناء .

وفى عالم الاطياف الاستثناء لا مستقبل له ، وبخاصة اذا كان الامر متعلقا ببناء صرح مدرسة وطنية سينمائية .

وعن مأساة المخرج الراحل ومعها مأساة السينما فى الوطن العربى كتب الناقد الانجليزى كين ولاشين فى المجلد السادس من موسوعة الافلام قائلا "المومياء لشادى عبدالسلام هو اشهر فيلم فى فترة السبعينيات ولكن مخرجه لم يبدع افلاما بعد ذلك ، الامر الذى يعكس حالة الصناعة المصرية" .. وكفى .. !!


كتاب الهلال
يقدم
كلمات مصرية
بقلم: حلمى سلام
يصدر
٥ يوليو
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
ابنتى سوزان
تأليف: هنرى جريفل
ترجمة: محمد حسنى عبد الله
تصدر فى
١٥ يوليو ١٩٨٧

شهريات

رأى فى الثقافة

الخوف من « المديوكر »

ان اخفاء الواقع لن يفيد احدا .. فنحن نعانى فى المقام الاول من مأساة ذات طابع خاص ، ترزح تحت نيرها حياتنا الثقافية ، وربما ترزح تحت نيرها بلدان كثيرة فى العالم الثالث ، التى لم ترسخ لها تقاليد ثقافية بعد ، ولم تتوفر لها قيم فنية وفكرية وادبية ثابتة ، بحيث يمكن اللجوء اليها كحكم بين الحقيقى والزائف ، وبين الزبد وما ينفع الناس .

هذه المشكلة النوعية هى سيادة نموذج الموهبة المتوسطة ، او معذرة لاستخدام المصطلح الاجنبى المعرب شخصية «المديوكر» فى مجالات الثقافة المختلفة ، وبين كل التيارات ، فهو سائد بين اليسار كما هو سائد بين الوسط واليمين ، وللاسف فانه لا يقف فى الهامش ، كما هو مكانه الطبيعى ، بل يتصدر الصفوف الاولى فى الساحة ، وهو وحده الذى تسلط عليه الاضواء وتقدم العطايا ، والمناصب ، وهو الذى يمثلنا فى المحافل ، وهو الذى « يكبس » على انفاس الفنانين الحقيقيين ، ومبدعى الصف الاول بالنظر للقيمة الحقيقية لاعمالهم نفسها .

وهذه المأساة ، يساهم فى تفاقمها ، ضمير نقدى ، للاسف الشديد ، يركب السهل ، ويتام على الحقيقة ، ويريد ان يهيل عليها التراب ، لانه لا يريد ان « يتعب دماغه » ، ولا يريد ان يركب الصعب ، لانه عندئذ يفرض على نفسه الجهد والعرق ، وهو يحب ان يكون نائما مع النيـــام ، وربما لانه هو ايضـــا « مديوكر » يعتلى نفس المركب .

● عبده جبير

تليفزيون

سنبل والملل العظيم

● ليس أسوأ من ان يبدأ فنان بداية طيبة ، ويحقق النجاح الفنى والجماهيرى ، ثم ينكفىء على عقبيه ، ليصبح كارثة اخرى تضـاف الى الكـوارث المنتشرة على خشـبات المسرح التجارى ، وعلى الشاشتين الكبيرة والصغيرة التى تقاوم بضراوة للاستمرار على الرغم من الحملات المتوالية ضدها فى كل مكان ، حتى على شاشة التليفزيون .

وقد لا يأسف المرء لفنـان غير موهوب ، وغير قادر ، وبلا امكانيات منـذ بدايته ، لانه من الممكن أن يتساه و « يكفى على الخبر ماجور » لكن أن ينقلب فنان موهوب ، كنا نظن أنه يتسلح بالدراسة ، والموهبة ليقدم بديلا جديدا للفنان الكوميدى المصرى الجديد ، ليصبح مسـخا مشوها غير مدرك لشىء مما يقول أو يفعل ، فهذه هى قمة المأسـاة فى هذا المجال .

ويكفى ما قاله النقاد ضد مسلسل « سنبل بعد المليون » من تفاصيل أعتقد انها تحقق له هدفا خطيرا ، الا وهو الانتشـار ، لـكن لابد من الادانة هنا فى حق من أساء اليهم المسلسل دون وعى أو دراية ، وهم جزء عزيز وأساسى من ابناء الوطن ، أقصد « الصعايدة » الذين لم يقدمهم المسلسل بطريقة فكاهية قد تضحك عليها ، لكنهـا تؤكد على طيبتهم واصالتهم ، لكنه قدم هجاءه دون فهم لهم ، أو احساس بما يحسونه ، فقدم نموذجا « تليفزيونيا » رديئا وساذجا غير قائم ، لا على الكوميـديا ولا على خفة الدم ، بل على جهل عظيم بالشخصية ، وأفق ضيق فى تناولها ، حتى أصابنا بالملل العظيم ، وهـل نقول الان خسارة . كان محمـد صبحى موهوبا وبدد موهبته ، أم أنه سيعود ليحاسب نفسه بالشدة على ما اقترفت يداه ، ويفكر فى موهبتـه مرة أخرى .

شموع صلاح جاهين

قدمت سهام صبرى فى برنامجها « شموع » الذى كثيرا ما قدم حلقات ناجحة ، حلقة اخـرى ناجحة عن الشاعر والرسام والكاريكاتيرست ، والممثل المبدع صلاح جاهين فى ذكراه الاولى ، حلقة لابد من التنويهبضرورة حفظها ، والابقاء عليهـا ، حيـة ومتجددة ، تقـدم باستمرار ، حتى يعرف ابنـاؤنا الطالعون ، ويروا ويسمعوا بالصوت والصورة ، فناننا الكبير ، وبلسانه ولغتـه وحركته ، كيف جاءته اللحظـة الاولى التى أصغى فيها لشعلة الابداع ، وكيف كافح وناضل من اجل أن تستمر حية ومتجددة ، وكيف مر ايضا بعثرات كبار ، وكيف كان ينتقل من عمل الى عمل ، ومن فن الى اخر ، بقـدرة عجيبة ، دون أن يحس باى تضارب بين مختلف الفنون التى مارسها ، بل



صلاح جاهين

باحكس ، كان يحس بتكامل وتناغم مختلف الاشكال ، وهذهخاصية فريدة يتميز بها صلاح جاهين ، دونا عن فنـــانى الصف الاول جميعهـــم ، وبرشاقة الفراشة ، اخذ يتنقل مـن كتابة الاغانى ، الى السيناريو ، الى الكاريكاتير والى التمثيل .

لقد كان الاعداد الــذى قامت به اقبـــال بركة لهذه الحلقة متميزا ، ودافعا الى دعوتها لنشاط اكبر فى تقديم مثل هذه البرامج التى تحتاج الى ما تتمتـــع به من حساسية ، واقتراب من منابع الثقافة الحية ، كما كان الاخراج الذى قامت به ثناء محروس ، جهدا مشكورا لبصماته الخاصة .

مسرح

قضية المتجول

● اثار صدور قرار وزيرالثقافة باغلاق المسرح المتجول وضم فنانيه الى مسرح الطليعة ، ردود فعل قوية بين المسرحيين ، واختلفت الاراء بين مؤيد للقرار ومعـــارض وشاركت الصحافة فى تصعيد الخـــلاف بين المسئولين عن مسرح الدولة ، ووصل الامر الى تدخلات مختلفة من البعض الذين ارادوا ان يكون هذا القـــرار بداية للاجهـــاز على بقيـــة الفرق المسرحية التى تتبع الدولة .

أيا كان الامر فان اغلاق احـــد منافذ الابداع مهما كانت الاسبـاب لن يؤدى الى اصـــلاح حال المسرح المصرى ، خاصة ان دور العـــرض ـ على قلتها ـ مغلقة طوال العـــام لاسباب اخرى !

اذا كنا حقا نريد للحركة المسرحية ان تنهض من غفوتها فانه يجب اعادة النظر فى خطة عمل كل مسرح على حدة ، وضرورة تنحية القيادات التى تثبت يوما بعد يوم فشلها فى ادارة مسارحها ، فاذا كان المسرح المتجول لم يتجول فانه على الاقل كان يثير مسرح الفرقة التابع له طوال العام ، واذا كانت القيادات الاخرى لا تردد غيـر الحجج التقليـدية عن عجـــز الميزانية وهروب الممثلين ، فانه يلزم ان تتنحى وتفسح الطـريق لقيادات شابة اكثر حماسا ورغبة فى صنع مسرح حقيقى يفيد الجماهيرالمتعطشة التى لا ترى طوال العام غير عروض باهتة ومسرحيات لا تعبر من قريب او بعيد عن همومهم ومشاكلهم ، هذا اذا كنا فعلا نسعى لان تقوم لمسرحنا قـــائمة وان ينهض فنانوه ويتحملوا مسئوليتهم كاملة .

ندوات

عن قضايا النص المسرحى

● فى اطار سلسلة الندوات التى تقيمها الادارة العامة للمسرح والتى اقيمت اولى ندواتها حول « مستقبل مسرح الثقافة الجماهيرية » بمحافظة الشرقية فى ينـــاير الماضى ، اقامت ندوتها الثـــانية حول قضايا النص المسرحى ، واستهلت الندوة عمليـــا بحفل تأبين بمناسبة ذكرى الاربعين للراحل نعمان عاشور يوم ١٨ مايو الماضى على مسرح ثقافة الزقازيق حيث حضرها حشد كبير من كتاب وفنانى المسرح ، واعقب ذلك عـــرض مسرحية الكاتب الراحل « النـــاس اللى تحت » .

واستكملت الندوة عملهـــا يومى ٧ ، ٨ يونيو ١٩٨٧ على مسرح السامر وناقشت عددا من الابحاث المقـــدمة

والتي تناولت الموضوعات الآتية :

● نعمان عاشور والتاريخ الدرامي للمسرح المصرى • للناقد فاروق عبد القادر •

● المسرح التراثي والتاريخ والبحث عن الهوية القومية فى الفن ، للناقد احمد عبد الحميد •

● التجريب في المسرح الحديث ، للدكتور مدحت الجيار •

● الديمقراطية والرقابة ، للكاتب مدحت ابو بكر •

● ملاحظات حول النص المسرحي للمخرج عادل العليمي •

● اكتشاف النص المسرحي ، للكاتب امين سلامة •

● الكتابة لمسرح الثقافة الجماهيرية ، للكاتب صلاح الوسيمي

● المسرح الشعرى واشكالية اللغة ، للشاعر محمود نسيم •

وقد انتهت الندوة الى التوصيات التالية :

اولا : ان قضية البحث عن صيغة فنية للمسرحين المصرى والعربى تعتبر قضية ضرورية وقائمة منذ البدايات الاولي للمسرح المصرى وهذا يدعونا الى ضرورة اعادة تقييم تاريخ مسرحنا الحديث على اسس واضحة تستند الى ما هو ايجابى واصيل الى جانب الاستفادة بالتراث المسرحى العالمى والتجارب الانسانية بفكر مفتوح مع ملاحظة المتغيرات التى طرأت على الواقعين المصرى والعربى وما تفرضه على الابداع المسرحى من معادلات جديدة من اجل صيغة فنية صحيحة •

ثانيا : ان الاهتمام بالتراث والموروث الشعبى والتاريخ فى بناء النص المسرحى هو امر له مبرراته الفنية والفكرية ، وهو احد السبل الهامة فى الوصول الي صيغةاصيلة للمسرح المصرى ، الا اننا نرى ضرورة تخليص هذا الاتجاه من الخلط الكثير الذى احاط به واوقعه فيما يشبه الغوغائية الشكلية ، وهذا الامر مرهون بحركة نقدية نشطة وواعية وقادرة على الفصل بين كبار ، وكيف كان ينتقل من عمل الي الاجتهادات الحقيقية والادعاءات المزيفة •

ثالثا : ان قضية اللغة في المسرح تستحق ان نوليهااهمية خاصةباعتبار ان المسرح فن جماهيرى وان العبرة ليست فى ان تكون اللغة فصحى او عامية ، شعرا او نثرا ، وانما العبرة فى ثراء العمل الفنى وشاعريته وبما يحويه من قيم فنية وفكرية وبمدى اقترابه من وجدان الجماهير ومشاعرهم •

رابعا : ان تهتم دور النشر وخاصة هيئة الكتاب بنشر النصوص المسرحية المصرية والعربية والعالمية ، وان تهتم بوجه خاص باعادة نشر نصوص التراث المسرحى المصرى منذ بداياته وحتي الان على ان يصاحب ذلك النشر تغطية نقدية جادة وتوثيق علمى •

خامسا : ان حرية الابداع والفكر شرط ضرورى لازدهار الحركة المسرحية •

سادسا : حفاظا على حركةالتاليف المسرحى ونموها بشكل سليم يراعى الالتزام بالحدود الفنية والفكرية والتقاليد المتعارف عليها عند تقديم النص المسرحى على خشبة المسرح ورفض كافة التجاوزات التيتتعارض وهذه المبادىء من قبل بعض المخرجين •

سابعا : ان مسرح الثقافة الجماهيرية هو مسرح الشعب ويعتبر النبض الحى للمسرح المصرى فيما بعد الستينيات كما انه يمثل رصيدا هاما فى مستقبل هذا المسرح مما يستوجب دراسته دراسة علمية

باعتباره ظاهرة متميزة تستحق الدراسة والتحقيق فى مجالات النص والعرض والنقد والجمهور
ثامنا : العناية بالمؤلفين الجدد من خلال :
- اتاحة فرص الحوار الخلاقة بينهم وبين اعضاء لجان القراءة من خلال النصوص المقدمة دون وصاية او مصادرة والاستعانة فى هذا بكبار الكتاب والنقاد والمخرجين ٠
- التعرف على الاعمال الجيدة من خلال شكل القراءة الدرامية ٠
- اقامة دورات دراسية فى المسرح للمؤلفين الجدد واتاحة الفرصة للالتقاء بكبار المسرحيين ومتابعة العروض المسرحية ٠
- رفع اجور التاليف المسرحى ٠
وفى نهاية الندوة اتفق المجتمعون على ان تكون الندوة القادمة عن « ظاهرة مسرح الثقافة الجماهيرية بين النص والعرض والجمهور » ٠

عروض جديدة

● بدا المسرح الكوميدى تقديم اول عروضه الصيفية بمسرحية « ليلة مجنونة جدا » على المسرح العائم وهى ماخوذة عن مسرحية اجنبية ، اعدها محمود الطوخى واخرجها رزيق البهنساوى ومثلها سعيد عبد الغنى ، ماجدة الخطيب ، مشيرة اسماعيل ، فاروق يوسف ، رياض الخولى ، ويستعد المسرح الكوميدى لتقديم مسرحيته التالية « دكتور زعتر » عن نص ليسرى الجندى واخراج السيد راضى ، ثم مسرحية « حاسب من اخوك » تاليف لينين الرملى واخراج محمد ابو داود ٠

● يستعد المسرح القومى لتقديم نص « اثنان فى البلاعة » الذى كتبه محمد سلماوى ويخرجه فهمى الخولى بعد ن تاجل التاج عرض « عفوا أيها الاجداد » الذى كتبه نبيل بدران ويخرجه عصام السيد ٠

● محمد الشربينى

اشارات ثقافية

طفولة جبرا ابراهيم جبرا فى كتاب

● باكورة انتاج أول دار نشر عربية تبدا عملها من العاصمة البريطانية لندن ستكون كتابا للروائى والمترجم والشاعر الفلسطينى الاصل المقيم فى بغداد جبرا ابراهيم جبرا ٠

يحمل الكتاب عنوان « البئر الاولى » وفيه يحكى جبرا ذكريات طفولته فى القدس القديمة ، بين افراد أسرته وأهله واقاربه ، حيث عاش فى بيت من تلك البيوت العربية القديمة التى تميزت بوجود بئر فى فنائها ، ارتبط بالكثير من الذكريات العائلية والاسرية الدافئة ، ارتباطه بالوطن ذو الطابع الخاص الذى لا يمكن أن تمحوه الايام من الذاكرة ، وان ابتعد المرء بجسده عنه ٠

والكتاب هو الجزء الاول من مذكرات جبرا يتوقف فيه عند خروجه عام ١٩٤٨ من فلسطين مهاجرا ، وسيليه جزء ثان سيتناول فيه فترة

شهريات

شـــبابه في الاردن وسوريا ، ثم دراسته في اكسفورد حتي ذهابه الى بغداد حيث يعيش حتى الان ·

كتابان جديدان لاحمد عبد المعطى حجازى

● « حديث الثلاثاء » والشــعر رفيقى » كتابان جديدان دفع بهمــا الشاعر احمد عبد المعطى حجازى الى المطبعة وسيصدران في الأسابيع القليلة القادمة ·

اشترك في نشر الكتابين المكتبــة الاكاديمية بالقــاهرة ، ودار المريخ السعودية ، في طبعة موحــدة ، يتم انجازها في القــاهرة ، وتوزع في نفس الوقت من مصر والسعودية ·

« حديث الثلاثاء » يضم مجموعة مقالات مختلفة ، كان حجازى قــد نشرها في السنوات الاخيرة في عدة صحف عربية ، وهي تكشف التحول الثقافي الكبير الذى خاضه الشاعر بجديته المعهودة عنه ، اثناء لقائه بالثقافة الفرنسية بعد سفره واقامته في باريس منذ عشر سنوات ·· هذه الاهتمامات توزعت وتعــددت ، بين الموسيقى الرفيعــة ، والبــاليه ، والاوبرا ، والفن التشكيلي الذي تموج به عاصمة النور ، بالاضافة الى دأبه على معرفة اخــر المذاهب الفكرية والفلسفية والنزعات الثقــافية التى تغص بها العاصمة الفرنسية ·

اما « الشــعر رفيقى » فيسـجل حجازى فيه تجربته مع الشعر بطريقة



احمد عبد المعطى حجازى

١٤٦

مبتكرة ، مدخله اليها تعرفه الاولى على الشعر ، وعشقه له ، وتساؤله حوله ، ثم التعامل معــه بالحفظ والترديد ، ثم بالتاليف فيه والنقاش حوله ، خاصة مع رفيق تجربتــه الروحية التوام صلاح عبد الصبور ، ثم كيف بدا يكتشف عوالم الشــعر الفرنسى الفنية في اقامته في فرنسا ،

رسائل جامعية

● الاقليات والاستقلال السياسى في الوطن العربى

لابد من القول بداية ان هناك من يحاول بجدية ، هــذه الايام ، من باحثينــا الاكاديميين ، ان يدفع البحوث التى تقدمها الجامعة ، في طريق المشاركة الفعالة في القضايا العـامة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بما يجرى خارج الجامعة ·· والمطلوب الان ان تتم الافادة من هذه البحوث ، الى اقصى درجــة ممكنة حتى تعطى ثمارها المرجوة ·

وهذه الرسالة المعنونة « الاقليات والاســتقرار السياسى في الوطــن العربى » التي نالت بها نيفين عبد المنعم ، درجة الدكتوراه ، من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، واشرف عليها الدكتور على الدين هــلال ، وعضوية الدكتور مصــطفى الفقى ، والدكتور فاروق يوسف ، تاتى ضمن المحاولات البحثية الجادة التي تدرس قضايانا القومية الحيوية التي تتفاعل في ارض الواقع ، ويحتــاج الى نتائجها كل من يرغب في العمــل الفعال المجدى ، من اجل الوصــول الى وعي علمي بقضايانا القوميــة المؤثرة ·

وتعد هذه الدراسة ، من زاوية



د . مصطفى الفقى



الباحثة نيفين عبد المنعم



د . على الدين هلال

اخرى ، واحدة من عـــدد قليل من الدراسات العربية التى تناولت هـذا الموضوع الخطير ، فلم تسبقها سوى ثلاث محاولات معلومة هى « المسالة الطائفية ومشكل الاقليات » للدكتور برهان غليون ، ومشكلات الاقليـات فى الوطن العربى » للدكتور جـلال يحيى والدكتــور نصر مهنــا ، و « الاقليـات والطوائف فى الوطن العربى ، همومها الذاتية وموقفها من العـــروبة » للدكتور ســعد الدين ابراهيم ، ويلاحظ أن هذه الدراسات الاربع ، تناولت مشكلة الاقليات ، فى أطارها العربى ، أى على مستوى الوطن العربى كله ، مما يضفى عليها اهمية خاصة ، ان يكن فى فهمهــا للابعاد العامة للمشكلة ، أو وعيهـا بالبعد القومى الاصيل للقضية ، ذلك لان المطروح ، على مستوى آخر ، ومنزاوية الصراع العربى الاسرائيلى •• هو دفع مشكلة الاقليات الىمرحلة تعبيرها عن ذاتها لتصبح مشــكلة طائفية تؤدى من جهة الى اذكاء نار الفتنة ، بين الاقليات والاغلبية فى كل قطر على حدة ، ومن جهة أخرى ، الوصول الى مرحلة تفتيت الاقطــار العربية الى دويلات طائفية ، وعرقية منفصلة من نفس طبيعة الكيــان الصهيونى ، حتىتتلاءم هذه الدويلات وتتعايش معه على نفس الاسس •

من هنا فان دراسة مشكلة الاقليات ـ بقصد الوعى بها ـ ووضع الحلول الديمقراطية للتعايش فيما بينها فى اطار المجتمع العربى الواحد ، وهـو ما تسعى اليه هذه الدراسة ، يجعل بالامكان افســاد المخطط الداعى للتفتيت واذكاء نار الصراعات ، وهو ما حــدث بالفعل ، وللاسف ، فى لبنان •

على اى حال فان هــذه الدراسة تسعى الى اختبار فرضية رئيسـية تكمن « فى طبيعة العلاقة بين عملية بناء الدولة الحديثة ، بما تطرحه من اشكاليات تتعلق ببنــاء المؤسسات والاستقرار السياسى ، والشرعيـة السياسية من ناحية ، والقضيةالاقليات ودورها فى التاثيـــر على ذلك من ناحية ثانية » •

ولقد سعت الباحثة بجــدية الى الاجابة عن تساؤلات محددة : الى اى مدى تمثل مشكلة الاقليات عاملا للتفجــر عدم الاستقرار السياسى فى المنطقة العربية ؟• وكيف ترتبط هذه المشكلة بالعوامل الاخرى لظاهرةعدم الاستقرار السياسى فى تلك المنطقة ؟ وما هو موضع القيادات العربيـــة والقوى الاجنبيـــة من مثل هـــذا الارتباط ؟ وما هى مستلزماتالمواجهة الناجحة والفعالة للمشكلة ؟

وفي سبيل الاجابة عن هذه التساؤلات بذلت الباحثة جهدا مشكورا وضعته على هيئة عناوين ثلاثة رئيسية ، شكلت ابواب الرسالة الثلاثة ، فبدات بالتاصيل النظرى لعلاقة الاقليات بالاستقرار السياسى ، ثم فصلت مجموعات الاقليات في البلدان العربية المختلفة ، ودرست كل جماعة على حدة ، وبينت اصولها وخلفيتها الثقافية ، والعرقية ، وتطور علاقاتها مع المجموعات الاخرى ، والمشاكل التى اعترضت المسيرة المشتركة ، فى باب اخير حمل عنوان محاور العلاقات بين الاقليات والجماعات المسيطرة فى الوطن العربى ٠

واذا كان من غير الممكن او المستحب تلخيص مجمل الرسالةالتى امتدت قراية الثلاثمائة صفحة فى جمل قليلة ، فانه من المفيد ان نسجل هنا الاحصاء العام لنسب الاقليات الذى توصلت اليه الباحثة ، مع استبعاد « لبنان » باعتبارها حالة خاصة ومتفجرة ٠

ففى صفحة ١٨٣ تقول الباحثة :

« فاذا نحينا جانبا النموذج اللبنانى فسوف نجد سائر الدول العربية تتراوح بين التجانس النسبى ، وبين التعددية ، وبهذا المعنى يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات اساسية تنتظم فيها الدول العربية ، ويعبر كل منها عن دلالات معينة على الاستقرار السياسى للمنطقة :

المجموعة الاولى تتمتع بقدر كبير من التجانس وهى تضم كلا من السعودية وقطر واليمن الجنوبى والاردن ومصر وليبيا وتونس والصومال وجميعها دول لا تتجاوز نسبة الاقليات فيها ١٥٪ من اجمالى سكانها ٠

المجموعة الثانية تتمتع بقدر متوسط من التجانس وهى تضم كلا من الكويت ودبي وسلطنة عمان والجزائر وجميعها دول تتراوح نسبة الاقليات فيما بين ١٥ و ٢٥٪ من اجمالى عدد سكانها ٠

المجموعة الثالثة وهى اكثر تنوعا وتضم كلا من العراق والبحرين وسوريا والسودان والمغرب واليمن الشمالى وموريتانيا وجميعها دول تزيد نسبة الاقليات فيها على ٢٥٪ من اجمالى عدد سكانها ٠

واذا كان علينا ان نسجل اهم ما قيل من ملاحظات اثناء مناقشة هذه الرسالة الهامة فان مناقشة الدكتور مصطفى الفقى انصبت على نقطتين اساسيتين :

النقطة الاولى ركز فيها الدكتور مصطفى الفقى على ان الباحثة قد خلطت بين مفهومين : مفهوم الاقلية العرقية المنتمية الى جماعة محددة من الناحية الثقافية ، ومن ناحية الاصل الوراثى ، واحيانا من ناحية اللغة ، ومفهوم المذاهب او الفرق ، وما هذه المذاهب الا اجتهادات فقهية او تصورات مذهبية لعقائد بعض القيادات الدينية ٠

النقطة الثانية التى طرحها الدكتور الفقى انصبت على صحة مقولة ان الديمقراطية ، بمعناها المعاصر الذى يعنى ان يحكم الشعب نفسه بنفسه من خلال ممثليه الحقيقيين هى الحل الاكيد لمشكلة الاقليات ، بعد وضع الاسس الاصلية لمقومات المجتمع باعتبار المصلحة العامةللمجموع ٠ ومنيقول ان بلدانا

ترسمت طريق الديمقراطية ، ومعذلك ظهرت فيها اقليات ، فانه انما نظر للمسالة من ناحية الشكل ، ولم ينظر الى اى مدى طبقت الديمقراطيـة ، وعلى اية اسس •

اما النقطة الثـالثة التى طرحت فى المناقشة فهى التى انصبت على ما يقوله البعض ، وما رددته بعد ذلك احدى الصحف ، ومن ان النظـام الملكي يساعد على الاستقرار ، لان الملكية ما هي الا مجرد رمز للدولة ، ثم تتوزع الحكم بعد ذلك الحكومة المنفذة ، التي لا تعرف كيف يمكن ان نضمن عدالتها ، او كيف يمكن ان نتجنب تحيزها لهذه الفئة او تلك »•

لقد كانت هناك عدة نقاط اخرى جرت مناقشتها من الباحثة ، لا يتسع المجال للاستطراد فيها ، وكان من المفيد للباحثة ان تستمع للاحظات الدكتور فاروق يوسف الخاصة بالاخطاء اللغوية والتى وصلت الى حد خلط بعض المفاهيم ، مما ندعو الباحثة الى تداركه قبل تقديم الرسالة الى القراء ، خارج الجامعة ، فى كتاب نرجو ان نراه قريبا •

مكتبة الهلال



الكتاب : نساء فوق القمة

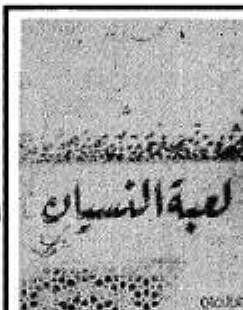
تأليف : احمد زكي عبد الحليم

الناشر : دار الفيصل

١٤٨ ص / ١٥٠ ق ٠م

صور ادبية بقدر ما هى بانوراما لست عشرة من الرائدات اللواتي عملن فى حقول مختلفة، استطعن ان يكن علامات بارزة فيما يسميه مؤلفنا معركة التحدى الحضارى ، واكدن على ان المرأة العربية الحديثة استطاعت ان تثبت وجودها ، على قدم المساواة مع الرجل ، بالعطاء الكبير لمجتمعها العربى ، فغيرت بذلك من صورة المرأة ـ الحريم التى كان ولا يزال البعض من المغرضين فى الغرب يصورها عليها ، ها هى منيرة صبرى تستطيع ان تؤسس نظام مرشدات الجوالة فى مصر لتحمل لقب الماريشالة عام ١٩٣٠ الامر الذى قد لايتخيله العقل الان ، وتدخل كريمة السعيد سباق المركز الاول من الجامعة الى الوزارة ، وتناضل باحثة البادية من اجل تعليم المرأة كاساس رئيسى للنهضة بالاسرة•

نماذج متنوعة ضمت نبوية موسى ، ومنيرة ثابت ، وسيزا نبراوى، ودرية شفيق ، ومى زيادة ، وابتهاج قدروه ، واسيا داغر ، وعائشة التيمورية ، وسعاد الصباح ، وام كلثوم ، وسميرة بنت الجزيرة ، وسميرة موسى ، كتبت باسلوب شائق دافع للشباب خاصة للقراءة •• واستخلاص العبرة •



الكتاب : لعبة النسيان
تأليف : محمد برادة
الناشر : دار الأمان - الرباط
١٤٩ ص / ٢٠ درهما

ها هو ناقدنا المغربي المعروف محمد برادة يعود مرة أخرى الى ارتكاب فعل الابداع ، فيصدر ، مرة أخرى ، مجموعة من القصص القصيرة حملها هموم الفنان الذي لا يفتأ يصارع من أجل التعبير عن خلجاته ، متحديا كل محاولات العقل الصارم ، والمنهج الواضح ، والترتيب والتنظيم الذي يحكم الباحث فيه ، لينطلق في تلقائية وشاعرية ممسكا بلحظات حية من الحياة ، متحسسا ملامح الشخوص الحميمين الذين عاشوا فيه ، أي معه ، وقد يندفع البعض وراء حيرة نابعة من درجة تراوح النصوص بين الشاعرية والرسم الحي للمخلوقات ، لكن الثمن الذي يقبض عليه وجدان القارىء ، لن يقل عن تعاطف كامل .

أجواء خطها يراع فنان حقيقي وصادق ، يتلمس الدفء من الشوارع الخلفية ، ومن خفقات القلب الكسير من شدة الحلق

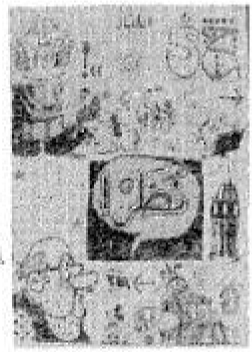
الكتاب : سيد قطب من القرية الى المشنقة
تأليف : عادل حمودة
الناشر : سينا للنشر
٢١٦ ص/ ٥ ج . م

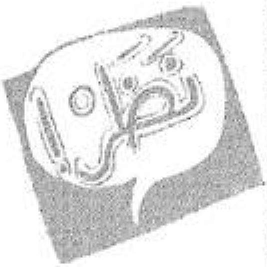


كانت حياة سيد قطب دراما مثيرة في سجل السير الشخصية للادباء والمفكرين ، فها هو يتحول ١٨٠ درجة ليناقض في نهاية حياته ما قاله في بدايتها ، وتتبع هذه الحياة بالطريقة الاستقصائية الوثائقية التي اختطها عادل حمودة ، عمل مفيد ، لانه يضفي على البحث حيادا وقدرة على قول كل شيء استنادا الى الوقائع .

واذا كان لابد لنا من الوقوف أمام بعض الاقوال المؤثرة والاساسية لسيد قطب ، تلك التي نحس الآن خطورتها على أجيال الشباب المتأثرين به فان هناك جملتين رئيسيتين في الكتاب لابد من تسجيلهما .. الاولى ينتزعها عادل حمودة من كتاب معالم على الطريق ، وتلخص تصور سيد قطب عما اسماه جاهلية المجتمع المعاصر ويقول فيها : نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الاسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية .. تصورات الناس وعقائدهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وآدابهم ... شرائعهم وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة اسلامية ، ومراجع

الكتاب : نظر
تأليف ورسم : محيى الدين اللباد
الناشر : العربى للنشر
١٥٢ ص ، ٢ ج م





اســـلامية ، وفلسفة اسلامية ، وتفكيـــرا اسلاميا .. هو كـذلك من صنع هذه الجاهلية .

ان من يقرأ هـــذه العبارة فقط لابد أن تظلم الدنيا من حوله . أما الجملة الثانية التي يتوقف أمامها المرء ، هذه الأيام ، ليعتبر من دلالتها فهي التي ترد في صفحة ١٥٢ من هذا الكتاب جاء فيها أن النظام الاسلامي – في رأى سيد قطب – لا يفرض ، عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الاسلامي لانها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم به ، لكن ، هذا لا يمنع من ضرورة وجود ، مجموعات مدربة تدريبا فدائيا ، .. ، تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القوة المعتدية بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها ، .

كل كلمة أو رسم ضمتها دفتا هذا الكتاب الجميل انما تعبر بقوة عن رهافة حس ، ورفعة ذوق ، واحساس عال بمسئولية من يتصدى للعمل في مجال مخاطبة الوجدان والبصر والفهم

فها هو محيى الدين اللباد يتجلى في مكانة كاتب من طراز فريد ، بعد أن عرفناه طويلا رساما من الطراز الاول رائدا ومجددا ، ومصمما يمكن لمن تعرف على خطوطه مرة واحدة ، أن يلمح عمله ويتعرف عليه دون توقيع ويتأكد من بصماته الواضحة .

انه يدفع بك في هذا الكتاب الفريد أن تتفاعل معه من اللحظة الاولى من التعامل معه وتدخل الى حالة كاملة من الوجد ، أشبه بحالة الصوفي وهو في قمة نشوته ، أو حالة الفنان أثناء ممارسته للعملية الابداعية .

انه يستدعي التاريخ العربي الحي لأنه ينعش ذاكرتك التي انهال عليها التراب ، فيذكرك بمقولة بسيطة خطيرة : « ان جمال العمل الفني في ماضينا العربي لم يكن منفصلا عن حياتنا ، تجده في الاناء الذي تستعمله في البيت ، كما تجده في الاثاث وغلاف ورسم الكتاب .

لكن اللباد ، في مقاطع كثيرة من كتابه ، لا يستدعي فقط الماضي العربي الذي يريدنا أن نستمد جذورنا

الفنية منه ، لكنه يصل بنا الى الحاضر ، ويبدو كمقاتل يريد أن يخلص وجداننا من القبح السائد من حولنا ، من اعلاناتنا التى نراها ليل نهار فى كل مكان ، ومن عدم الدقة دفعا الى حسن الاداء ، فى الخط والكلمة والرسم ، وبأسلوب صاحب رسالة وداعية كبير ، انه كتاب جميل ندعو الجميع لقراءته ، ولا يمكن لكلمة بسيطة أن توفيه حقه ، كما انه لا بديل عن التعامل معه ، وتحسسه ، والنظر اليه طويلا !









كامل كيلاني وطارق نور معنى مشترك



لذيذة ومنعشة ورمز للهيمنة

صدر حديثاً

● الكاتب والصياد ،رواية رمسيس لبيب ، نشر الثقافة الجديدة بالاسكندرية ، الثمن جنيهان ·

● عكس الريح ، مجموعة قصص يوسف أبو رية ، نشر مختارات فصول هيئة الكتاب ، الثمن ٥٠ قرشا ·

● تحولات السقوط ، شعر صلاح والى ، نشر كتاب المواهب ، الثمن ٥٠ قرشا ·

● الهواء المقنع ، ذكريات خمسة عشر عاما فى الاعتقال الصهيونى لـ « أبو على شاهين » ، اعداد محمد القيسى ، الناشر كتاب لوتس ، تونس ، الثمن جنيهان مصريان ·

● الرواية اليهودية الحديثة فى الولايات المتحدة وفرنسا ، دراسة محمود قاسم ، نشر دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، الثمن دينار وربع عراقى ·

● عرب بلا نفط ، دراسات لمجموعة من المؤلفين ، اعداد عبد المجيد فريد ، نشر مؤسسة الابحاث العربية ببيروت ، ٥ر٢٥ جنيه مصرى توزيع مكتبة البيادر بالقاهرة ·

● كيراك أو شق فى جدار الصمت ، رواية فاروق عبد الله ، سلسلة الرواية العربية ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٦٠ قرشا·

قضايا فكرية

الإطار وممكنات الحوار

بقلم: مصطفى الحسينى

لأسباب تتعلق بقانون جائر، لا تسمى "قضايا فكرية" نفسها مجلة . ولأسباب تتعلق بالقانون هذا لم تستطع أن تحافظ على انتظام صدورها فصلية وهى الوتيرة التى يقترحها نوع المادة وحجم "سلسلة الكتاب" حسب ماتضطر الى تكييف وضعها القانونى لكن هذا المقال سيتعامل معها بوصفها الحقيقى الواقعى لا بالوصف الذى فرضه عليها عسف القانون .

ومن النوافل التى درجت عليها الكتابة عن المجلات فى مطالع صدورها أن يقال إنها كانت ضرورة ، وأنها تسد فراغا كان فى الحياة الثقافية والفكرية لكنه من اللوازم بشأن هذه المجلة أن يقال هذا ولا يكون من نافل القول . ذلك لأن المجلة التى تقول إنها تصدر "من أجل تأصيل العقلانية والديمقراطية فى الابداع" انما تعبر ـ فى عمومها أو فى غالب ماتنشر من مادة ـ عن مدرسة فكرية أثرت وتؤثر فى الفكر العالمى ومنه العربى والمصرى أيما تأثير والمقصود هنا بالفكر العالمى عقل العالم الحديث والمعاصر بتوجهاته وهمومه كلها ، ومايصدر عنه من ابداع فى الاتجاهات والمدارس جميعا . حتى تلك التى تتخذ منه مناحى النقد والنقض الى الخصومة والعداء . والمجلة ، وهو مايعنى هذا المقال هى أصفى تعبير فى مانعرف عن تاريخنا الفكرى المعاصر عن المدرسة

الماركسية المصرية حتى وإن لم تقل ذلك بهذه الكلمات . وهى مدرسة أثرت وتؤثر فى المدارس الفكرية المصرية كافة ، فاستعار كل منها شيئا مما قدمت ، حتى لو انكر هذا من يعنيهم انكاره من المتأثرين وحتى وهم يوظفون تأثرهم فى الخصام معها . ولعل هذا هو الانجاز الأكبر للحركة الماركسية المصرية بوجهيها الفكرى والحركي . ذلك أنه على الرغم مما يقال - وهو تقييم لا يناقضه الماركسيون - عن ضعف حركة اليسار المصرية ، فإن أثرها الفكرى ملموس فى راديكالية بعض تيارات الاخـوان المسلميـن أو أجنحتهـم . وملموس فى رد الطليعة الوفدية ايام كان الوفد هو حزب البورجوازية الوطنية الليبرالية . وملموس فى فكر مصر الفتاة ثم الحزب الاشتراكي ثم حزب العمل الاشتراكى . وملموس فى تطور الحزب الوطنى وانشقـاقه "الـوطنى الجديد" فى مطلع الخمسينيات ، كما هو ملموس فى تطور سياسة حركة الضباط الاحرار وما اقامت من نظام . بل وملموس فى بعض مايصدر عن الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم . وملموس فى الحياة الثقافة والعلمية والاكاديمية ... وليس هذا مجالا للحصر .

و"قضايا فكرية" هى أصفى التعبيرات حتى الآن - وفيما نعرف - عن هذا الفكر ، لأن تعبيرات سابقة عنه فى الاربعينيات ومطلـع الخمسينيات لم تكن بهـذه الرصانة ، ولم تتصل أو تفلح فى الاتصال بالهموم المصرية ، على نحو ماتسعى هذه المجلة أن تفعل . وهى لذلك ضرورة لأنها تجتهد فى انصاف سمعة هذه المدرسة المؤثرة ، التى طال اتهامها بالتعميم حيث لا يكون الدبيب نحو اكتمال معنى إلا بالتخصيص ، وبالتنظير دون رؤية الى الواقع حيث لا يستمد النظر لحمته وسداه ومداه الا من الواقع ، وبالنقل حيث المطلوب هو اعمال العقل . وهى - للانصاف - اتهامات فيها من الجور كثير انما فيها ايضا قدر من عدالة التشخيص .

ثم ان "قضايا فكرية" كانت (الفعل الماضى فى اللغة العربية هو مطلق التوقيت) ضرورة خصوصا بعد أن احتجبت مجلة "الكاتب" مجلة "الطليعة" التى عادت الى الصدور تتعثر فى العوائق ذاتها التى تواجه "قضايا" فكرية . وخصوصا أن "الكاتب" و"الطليعة" هما آخر ماكان يصدر دوريا ومؤسسيا من مجلات تعبر - جزئيا - عن هذه المدرسة الفكرية وان كانت "قضايا فكرية" - مرة اخرى - أصفى فى التعبير عنها ، من هنا ليس من النوافل أن يقال أن صدور "قضايا فكرية" كان ضرورة لصحة الحياة الفكرية فى هذا البلد ، وانها تسد فيها فراغا كان فاغرا أو تحاول ذلك ، خصوصا أن سابقاتها الساعيات الى التعبير عن هذه المدرسة لم تجتهد فى هذا التعبير مثل الاجتهاد الذى تتطلع اليه هذه المجلة .

● ● ●

ولقد أصدرت "قضايا فكرية" حتى الآن خمسة كتب او خمسة أعداد فى اربعة مجلدات . قراءتها والنظر فيها على اساس توقع تكاملها هو موضوع هذا المقال . الذى هو - صراحة- خطاب ترحيب . وان كان الترحيب بالأعمال الفكرية والمساعى التثقيفية غير الترحيب

الإطار ومكنات الحوار

بالضيوف ، هو أقرب تطابقا مع الترحيب بأهل البيت ، يقال لهم « أهلا ومرحبا ... ولكن » التى تقال بعد هدأة الشوق . ولكن ...

من الزيغ أن يطمع مقال فى مجلة أن يعرض لمضمون محتويات أربعة مجلدات يربو عدد صفحاتها على ثلاثمائة وألف صفحة . انما قصارى غرض هذا المقال أن ينظر فى هذه المجلدات ليرى الى أى حد أوفت بما قصدت والى أى حد نأت عن القصد الذى هو قصدها كما قالته .

- ١ -

« انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى »

ولقد تساهل بعض المفسرين أو تسامح ، ففسروه وكأن الانسان يحاسب على النية لا على الفعل ، فمن نوى الاحسان ثم لم يقدر ، فكأنه أحسن ، وهذا منهم فضل عظيم . غير أن بعض المفسرين نحوا منحى آخر ففسروه على أن الانسان يحاسب على ما انتوى بقدر ما أوفاه أو قصر عنه ، بقدر ما التزمه أو نأى عنه . فنية الانسان له وعليه ، كما أن له ما اجترح وعليه ، وتبقى فوق ذلك "حبة مسك" شرط أن تكون النية خالصة ، لذلك كان لكل مجتهد نصيب ، من اجتهد فأصاب له أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد .

وسيأخذ هذا المقال "قضايا فكرية" بنواياها كما أفصحت عنها ، وسيأخذ باجتهاد مفسرى النية الذين يقيسونها الى الفعل .

وفى العدد الأول من المجلة أبلغنا محمد يوسف الجندى خطبة الكتاب تحت عنوان "الفكر النظرى ضرورة عملية" ، وفيها يقول أن « النظرية التى نحتاجها ليست نظرية محايدة أو فوق الطبقات بل نظرية تنحاز الى الجماهير الكادحة ، الى العمال والفلاحين وباقى الشعب العامل الى الغالبية الساحقة من السكان » وفى ختام الخطبة يقول : .

« ولهذا كان اصدار "قضايا فكرية" محاولة للاسهام فى هذا العمل الذى نعتبره هاما وحيويا للمناضلين الوطنيين الذين يتصدون للعمل من أجل مصالح الشعب ومن أجل حريته وتقدمه »

هذا هو القصد من اصدار المجلة ، ولا جدال أنه قصد جدير بالسعى . وان كان يحتاج الى تحديد وتوضيح . فهل تقصر المجلة الفكر النظرى الذى نوت تقديمه وخدمته على النظرية التى « تنحاز الى العمال والفلاحين » أى الماركسية . أم أنها نوت أن تمد جناحين يشملان الفكر النظرى « الذى تعتبره هاما وحيويا للمناضلين الوطنيين » ؟ هل أتى ذكر المناضلين الوطنيين « بعد العمال والفلاحين » من قبيل « التعميم بعد التخصيص » أم أتى من قبيل الاعتقاد بأن المناضلين الوطنيين "هم فقط الذى يتوحدون مع مصالح العمال والفلاحين ومطامحهم ؟ وليست المسألة ولنقترض من الاستاذ محمود العالم عبارة استخدمها فى سياق مشابه فى العدد الثالث من المجلة ، فنقول ان المسألة ليست « حذلقة لغوية » لانها تعنى بلغة السياسة ، هل الفكر النظرى الذى تراه المجلة ضرورة عملية هو فكر

لحزب أم فكر لجبهة ، هل فكر لطبقة أم فكر لحلف طبقى ؟

ثم إن هذا الاستفسار عن النيات يجد سنده فى صفحات المجلة ذاتها ما قدمت من دراسات ومقالات وماتداولت فيما عقدت من ندوات ، جاءت فى سياق حمل هموم مستقبل هذا البلد . هل المستقبل الذى نريد مهمة قوة اجتماعية واحدة ومسئوليتها ام هو المهمة والمسئولية التى يلقيها التاريخ على عاتق تحالف من القوى الاجتماعية كلها ـ مع تفاوت الدرجات ـ ذات مصلحة تتطلع اليها فى هذا المستقبل ؟ أو بعبارة اكثر افصاحا وإن شابتها فجاجة تستحق الاعتذار . هل إن الطبقات جميعا . عدا العمال والفلاحين قد خانت قضية مستقبل هذا البلد المعقود على الاستقلال الوطنى والرخاء الاقتصادى والعدل الاجتماعى بمستلزماتها من الصراع الوطنى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ؟

لعلنا نجد جواب التساؤل والاستفسار فى صفحات المجلة ذاتها . وفى هذه الصفحات نجد اتفاقا فى مواضع عدة من الاعداد كلها ، على أن "البورجوازية الصغيرة" طرف ضرورى وشرعى فى أى حلف طبقى قادر على انجاز هذا المستقبل المرموق . ونجد خلافا حول "البورجوازية الوطنية" وهو خلاف يتداولها وجودا أو عدما كما يتداولها فى رأى القائلين بوجودها طرفا مؤهلا ام غير طرف فى هذا الحلف الطبقى .

فإذا اخذنا خطبة الكتاب مضروبة فى هذه الاتفاقات والاختلافات التى عبرت عن نفسها على صفحات المجلة ، قلنا أن الاقتصار على العمال والفلاحين ، كان تخصيصا يسبق التعميم الذين هم "المناضلين الوطنيين" ويكون ماتتوقعه من المجلة هو أن تقدم فكر ذلك الحلف الطبقى الذى جرى البحث فيه وعنه ، وأن تقدم الفكر النظرى الذى يلحم مابين هذه الأطراف فى نسق فكرى جبهوى . تكون هذه نيات المجلة التى عليها تقاس اعمالها .

لكننا إذا طالعنا المجلدات الأربعة نجد ان ماتحتويه من ثمين البحث والمداولة لايخرج عن دائرة الفكر الماركسى . بما دخل على اجتهاداته من تعدد ، ومالون التعداد من أضواء من ظلال . لا نجد اثرا لمدرسة فكرية بورجوازية صغيرة مصرية (ناصرية ـ قومية !) ولا اثرا لمدرسة بورجوازية وطنية على زعم من قالوا بوجودها .
فكأن المجلة ، وكأن التفسير الصحيح لخطبتها الافتتاحية انها لا ترى فكراً وطنياً إلا فيما يعبر عن فكر العمال والفلاحين ومصالحهم . أى لا ترى فكراً وطنياً إلا فى معين الماركسية . ولاغبار على الاجتهاد ولا على هذا الاجتهاد ولانزاع فى حق أصحابه فيه .

وإن كان لاغبار أيضا على اجتهاد واجتهادات أخرى ولانزاع فى حقوق أصحابها لكن هذا يخرج على موضوع هذا المقال .

وإن كان أيضا يجوز التساؤل ـ وهو أيضا يخرج عن موضوع هذا المقال ـ عمّا إذا لم يكن أولى بمجلة فكرية لها هذا الوزن ، وتتصدى لهذا الهم الثقل ، هم مستقبل هذا البلد ، آن يتسع صدرها فتخلى بعض صفحاتها لمدارس فكرية أخرى تحمل الهم ذاته ، إنما لها اجتهادات أخرى ؟ ألم يكن هذا أحرى ببناء فكر الجبهة ؟

الإطار وممكنات الحوار

الا يستثير شيئاً من الاهتمام ، أن يموج هذا البلد ، والمنطقة التى يقع فيها و إليها بتيارات الاسلام السياسى ، وبدعوات الاعتصام بالتراث ؟ ، لكننا لانرى فى مجلداتها الأربعة مايقترب من هذا كله سوى ثلاث مقالات لمحمود اسماعيل وأحمد صادق سعد (العدد الأول) وفؤاد مرسى (العدد الثانى) .

ايضا يشهد هذا البلد عودة إلى الناصرية او انتعاشا لها . وتشهد المنطقة بداية لما قد يصبح صعودا جديدا للفكر القومى العربى بعد ان حجبته ثروة النفط المتناقصة فالزائلة ، لكن معالجة هذا الجديد غابت عن هذه المجلة المهمة .

مرة أخرى ، هذا كله يقع خارج موضوع هذا المقال .

فهذه إذن مجلة مدرسة فكرية بعينها . هى المدرسة الماركسية بأوسع معانيها ، فإذا كانت هذه هى نيتها ، فهى على درب الوفاء بها وهو مسعى مطلوب .

ـ ٢ ـ

طالما انها مجلة مدرسية فكرية ـ ايا كانت المدرسة ـ فلنقرأها على هذا الأساس . وعلى هذا الأساس يعالج هذا القسم من المقال عددا من المجلة لم يصدر ، ولعل أوان صدوره قد فات ، ولعل من الممكن تداركه ، إذا تحلت هذه المعالجة بقدر من القدرة على الاقناع . فهو عدد كان جديراً بأن يكون عددها الأول ! .

ماذا يتوقع القارىء المعنيُّ من مجلة فكرية تعبر عن مدرسة بعينها ؟ خصوصا إذا كانت هذه المدرسة تتصدى لمهمة الاسهام فى بناء الفكر النظرى الذى تراه لازما لانقاذ بلدها من براثن وضع يستهدف تدميرها ، على حد ماطرح الدكتور فوزى منصور على صفحاتها ؟

اجتهاد هذا المقال أن مايتوقعه القارىء المعنى هو أن تفتتح هذه المجلة جهدها بطرح تصورها للموضوعات التى يجدر بأصحاب الطاقة الفكرية فى البلد أن يعالجوا على طريق تحديد متطلبات هذه المهمة وسبل تحقيقها . أى أن يكون العدد الأول هو جدول الأعمال الفكرى الذى ترى هذه المدرسة الفكرية أن تبنيه وتحقيقه ، هو مهمة المثقفين المقتنعين بمسئولية إنقاذ هذا البلد : أن يكون أجندة البحث النظرى الذى تتطلبه هذه المهمة . وغنى عن القول أن جدول أعمال البحث النظرى هذا ليس مجرد قائمة عناوين ، وإن كانت قائمة العناوين لابد وأن تكون هى الخلاصة الأخيرة فى البحث عن هذا الجدول . ولكنْ يتضح القصد من هذا إن لم يكن واضحاً ، تفيد الأمثلة، وإن كان بعضها تمثلاً بمصادر غير مستحبة فعندما قررت حركة "الأغلبية الأخلاقية" فى الولايات المتحدة أن تخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية قبل الأخيرة تحت مظلة الحزب الجمهورى وبشخص رونالد ريجان شكلت لجنة أسمتها « لجنة النظر فى الخطر الراهن » أصدرت بعد عمل كثيف تقريرا حول هذا الموضوع عرضت فيه ماتصورت انه الأخطار التى تواجه الولايات المتحدة وحددت على هذا الأساس الموضوعات

التى تراها جديرة بالبحث حتى تستطيع تلك الدولة أن تواجه هذه الأخطار ورسمت الأهداف التى على الجهد البحثى أن يستهدفها وأصبح هذا التقرير هو البرنامج الانتخابى لرونالد ريجان وعلى أساسه اقامت مدرسة فكرية هى مدرسة المحافظين الجدد . وأقامت لتحقيق غرض برنامجها البحثى مؤسسة أسمتها مؤسسة التراث ، هى التى ترعى بالبحث والترويج والضغط والنشاط هذا البرنامج . ولم يكن هذا جديداً فى الحياة السياسية الأمريكية ، فمن قبل ريجان صاغت القوة التى ساندت ليندون جونسون ماعرف باسم « استراتيجية المجتمع العظيم » ومن قبله أسس الليبراليون المحافظون الأمريكيون مدرسة « الآفاق الجديدة » التى أسهمت فى الأتيان بجون إلى الرئاسة . ولعل مثال التحضير للمؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يفيد أيضا . فقد تميز هذا التحضير بجهد بحثى واسع لاستشراف مستقبل الدولة الشيوعية الأولى والكبرى لعشرين سنة تالية .

لكننا نتحدث هنا عن مجلة تعبر عن مدرسة فكرية وليس عن قوة انتخابية أو حزب كبير وحاكم وذى تراث عريق . إنما كانت الأمثلة لزوم التوضيح . المهم فى هذا العدد من المجلة الذى لم يصدر انه كان من شأنه الا يبقى ما تتصوره المجلة وجهات ضرورية للجهد البحثى الوطنى فى هذا البلد مستتراً فى ضمير اصحاب هذه المدرسة أو القائمين على هذه المجلة ، يبين لمن سواهم عدداً بعد عدد .

ومرة اخرى لعل امثلة على مستوى آخر تفيد ! هل تتطلب مهمة انقاذ مصر مما هى فيه وبناء مستقبلها فى الاستقلال والرخاء والعدل الاجتماعى البحث فى حالة المراة ووضعها فى المجتمع ام ان هذه مهمة مؤجلة ؟ هل تتطلب هذه المهمة البحث فى تعدد نظم التعليم وانواع مناهجه ؟

على أن المسألة بالطبع ليست مجرد تحديد الموضوعات فقد يقول قائل أن شئون الوطن والشعب وشجونهم بالطبع واردة جميعا إنما المسألة هى ايضا ومعا مسألة الاولويات ، ليس بمعنى ماذا نبحث أولاً وماذا نؤجل . وإنما بحث ماذا ضرورى لإمكان بحث ماذا . أى أن جدول الأعمال هو بالضرورة نسق فكرى لكل موضوع منه كما فى أي تكوين عضوى حى . أين الراس وأين القدمان ؟ وهل يستطيع القلب ان ينبض إذا كان الدماغ مشلولاً ؟

ثم ان للبدء بطرح جدول الأعمال الفكرى فوق فوائده الفكرية فائدة حركية او هى حركية فكرية . إليس من شأنه أن يثير مناقشات فى أوساط مدارس فكرية أخرى وفيما بينها . الا يستدعى بناء جدول الأعمال هذا تنظيم مناقشات تؤدى إليه . أليس هذا سبيلاً من السبل لاكتشاف قوى ألجبهة الفكرية المطلوبة وبناء الاواصر بينها ؟

ـ ٣ ـ

أمام القارىء اربعة مجلدات من قضايا فكرية ، يستطيع الآن أن ينظر إليها معا لكن هذا القارىء فى سياق زمن صدور هذه المجلدات قد يسأل نفسه لدى كل فيها ، لماذا هذا الموضوع الآن ، فلكل مجلد منها موضوع تخصص فيه و"الآن" هنا ليست دلالة زمن ، إنما هى دلالة موقع

الإطار وممكنات الحوار

من نسق فى جدول أعمال فكرى مفترض .

وهذا عرض من أعراض غياب « الأجندة الفكرية » .

عناوين المجلدات الأربعة هى على التوالى :

- من الذى يحكم مصر .
- مصر بين التبعية والاختيار الاشتراكى .
- أزمة النظام الرأسمالى فى مصر ـ لماذا ... وإلى أين ؟ .
- الطبقة العاملة المصرية ـ التراث ـ الواقع ـ آفاق المستقبل .

عندما ينظر القارىء المعنى فى تتابع موضوعات المجلدات ، فقد يسأل نفسه عن النسق الفكرى الذى ينتظمها فى هذا التتابع بالذات ، لأنه بما أن المجلة تعبر عن مدرسة فكرية ، فالنسق الفكرى متوقع .

ولم ينجح كاتب هذه السطور فى اكتشاف نسق فكرى لهذا التتابع بالذات ، وسأل نفسه هل نستطيع ـ علمياً ـ أن نحدد من الذى يحكم مصر قبل أن نبحث فى التكوين الاجتماعى وعلاقاته وصراعاته وأقطابها ، ومواقع القوى فيه من المجتمع ومن السلطة ؟ هل نستطيع أن نقول أن طريق مصر للخروج من التبعية هو الاختيار الاشتراكى ، قبل أن نبحث فى وضع الرأسمالية المصرية وطاقاتها إن كان لها منها شىء ؟ هل نستطيع أن نقول بالاختيار الاشتراكى قبل أن نستطلع وضع القوى صاحبة المصلحة فيه ؟

لو حاول قارىء معنى إعادة ترتيب تتابع المجلدات ووفقا للاطار الفكرى الذى تصدر عنه المجلة ، لوجد نسقاً فى أن يسبق المجلدات أن الثالث والرابع سابقيهما .

أو بصيغة أخرى .....

لكى نصل إلى وفاق فكرى . على أن الاختيار الاشتراكى هو طريق مصر إلى الخروج مما هى فيه ـ الا تستدعى هذه الخلاصة مقدماتها الضرورية ؟ من فحص الرأسمالية المصرية والرأسمالية فى مصر والوصول إلى أن الرأسمالية المصرية قد تخلت نهائياً عن مشروع التنمية المستقلة . أو هى عاجزة عن تحقيقه ، وأن التنمية الرأسمالية المستقلة مستحيلة فى ظل التقسيم الدولى للعمل . وإلى أن الطبقة العاملة المصرية قادرة على قيادة البلاد إلى خارج قيود التبعية وإلى نعمة الرخاء والعدل ، أو أنها قادرة على بناء التحالف القادر على تحقيق هذا ، وإلى أن « من يحكم مصر الآن » هو هذه الرأسمالية المختلة أو الخائنة أو العاجزة .

وليس هذا البحث عن نسق فكرى ينتظم تتابع موضوعات المجلدات من قبيل الحذلقة أو من المشورة الفنية ، إنما هو من قبيل بناء الثقة فى المدرسة الفكرية التى تعبر عنها المجلة ، أليس النسق الفكرى المتحرك من الحال إلى المآل هو نسق المادية التاريخية ؟ والا يؤسس اتباعه علمياً للحتمية التاريخية التى هى هنا حتمية الاختيار الاشتراكى ؟ بدلاً من أن تبدو قدراً أتيا هكذا ، لأن هذا هو ماتقول به النظرية ، أو لأن هذا الاختيار الذى يفضله أصحاب المدرسة الفكرية التى تصدر عنها المجلة ؟

- ٤ -

مع الغنى الشديد الذى تتميز به مادة المجلة فإن مجلداتها الأربعة - حتى بافتراض تعديل تتابعها على النحو الذى اقترحه الاجتهاد السابق ، وبدون تعديل هذا التتابع ، تبقى دون مايتوقعه القارىء المعنى من تكامل .

ويأتى مطلب التكامل هنا من اعتبار ان المجلدات الاربعة هى فى الحقيقة وإن يكن بصيغة المجلات التى تتمايز عن صيغة الكتب ، هى اجزاء أربعة لكتاب واحد فى موضوع بذاته هو وضع مصر ومستقبلها .

والمقصود بالتكامل ان يؤدى كل من الاجزاء إلى الجزء الذى يليه .

وللتوضيح : إذا كان المجلد الثالث والكتاب الثالث والرابع قد فحص ازمة النظام الرأسمالى فى مصر ، يكون مناط التكامل هنا ان نرى هذا الجزء الذى تلاه والذى فحص تراث الطبقة العاملة ومستقبلها باعتبار النظام الرأسمالى والطبقة العاملة نقيضان متكاملان ومتصارعان .

هذه الرابطة التكاملية ليست مطلقة الغياب ، لكنها ايضا ليست بينة الحضور .

على سبيل المثال : إذا قلنا أن الرأسمالية المصرية رأسمالية تابعة هيكلياً او بنيوياً ، أو أصبحت تابعة فى عصر الانفتاح ونتيجة لسياساته ، وهما إجتهادان عرضتهما المجلة ، فإن للقارىء المعنى أن يتوقع عند النظر فى شأن الطبقة العاملة تفتيشاً عن "الاستقلال المزدوج" الذى قد تتعرض له طبقة عاملة تعمل لدى رأسمالية تابعة .

على أننا فى مواضع أخرى نجد بينات أخرى للتكامل وإن تكن خافتة ، ومن امثلتها ماتوافق عليه مجلد « ازمة الرأسمالية » من أن المال النفطى ، قد اكد تبعية الرأسمالية وعمقها ، ودراسة نادر الفرجانى عن اثر هجرة العمالة المصرية على الطبقة العاملة المصرية .

ومن بينات افتقاد التكامل أنه إذا كان من أثار تبعية الرأسمالية المصرية أو الاقتصاد المصرى استيراد التضخم من الخارج ، وتفشى أنماط استهلاك لايطيقها الاقتصاد ، فللقارىء المعنى أن يتوقع بحثا عن أثر هذا فى تطلعات الطبقة العاملة المصرية ، على نحو يؤثر على دعيها بذاتها كطبقة . ومن بيناته أيضاً انه إذا كان من الاجتهادات المنشورة أن العهد الناصرى كان مسعى لتنمية مستقلة ، رأسمالية أو ذات توجه اشتراكى على اختلاف الاجتهاد ، فللقارىء المعنى أن يتوقع عند النظر فى واقع الطبقة العاملة فحصاً لعلاقة هذا المشروع الناصرى ، بهذا الوصف بأمرين متفارقين ومتكاملين هما ما أحرزته الطبقة العاملة من مكاسب فى ذلك العهد ، وعلاقة هذه المكاسب باستتباع المنظمات النقابية لهذه الطبقة للتنظيم السياسى الواحد ثم للجهات الادارية .

ولقد كان هذا نظراً فى "قضايا فكرية" حدد نفسه بإطارها من حيث صلته بادائها لوظيفتها المهمة . ولم يتطرق هذا النظر إلى مضمون مانشرت وماتداولت . ليس فقط لانه مقال فى مجلة مهما كان لاتتسع له ولاتتحمله . وإنما لانه اوسع واكثر تنوعاً من ان يتناوله محاور واحد . ومع ذلك فهذا الحوار المطلوب مع مانشرت قضايا فكرية ليس ملموساً بعد . ولعل هذه ظاهرة تستوقف النظر بالنسبة لحياتنا الفكرية والثقافية كلها وباطرافها جميعاً .

إنما ربما ايضاً ترجع مسئولية التقصير فى هذا الحوار اللازم - ولو بقدر صغير - إلى ما سبق تناوله فى هذا المقال وإلى غيره متعلقاً بإطار المجلة . ولعل « قضايا فكرية » ذاتها تتدارك بعضه فى اعداد عديدة مقبلة ، بان توسع مثلا من تنوع المدارس الفكرية فيما تنشر من مقالات ودراسات وفيما تدعو إلى المشاركة فيما تعقد من ندوات .

العالم في سطور

باريس

أسرع كتب .. في العالم

هذا النوع من الكتب يأتي سريعا . ويذهب ايضا سريعا . لكن الطريف في أمره هو سرعة صدوره . فبعد وفاة المطربة العالمية داليدا بثلاثة ايام ظهر اسرع كتاب في العالم ويحمل عنوان « عندما يذهب الحب » عن حياة داليدا ورحلتها مع الفن والملل والانتحار .

وعليك ان تتخيل مدى السرعة التي تم بها اعداد الكتاب سواء من حيث



كتابة المادة التحريرية وتبويبها والبحث عن الصور النادرة وسرعة الانجاز . ومثل هذا النوع من الكتب لابد أن يرتبط بمناسبات معينة . ولان الناشر ميشيل لافون يعرف ان الناس لن يقرءوا عن داليدا بنفس الشهية سوى في الايام السبعة الاولى من وفاتها فقد عمل على اصدار الكتاب في منتصف هذه المدة .

والمشرفون على اعداد هذه الكتب هم عادة من الصحفيين الذين برعوا في سرعة التحرير . ويمكنهم تسليم المادة المنسوخة في اقصر وقت ممكن . وقد اصطلحت صفحات الكتب في الصحف على تسمية هذا النوع من المطبوعات بـ « كتب الولائم » حيث انه لا يتم تناولها سوى عند قيام وليمة معينة .

ويقول الناشر لافون انه « تلزمنا اربعة ايام مفتوحة كي نصدر كتابا ، نعد فيها النص . ونقوم بالطبع . واعداد الغلاف . لذا فهناك نوعان من الكتب . كتاب يمكن أن نطبعه في دارنا . واخر نرسله الى دار نشر اخرى تطبع لنا الفي وخمسمائة نسخة في كل ساعة ..

من اهم كتب الولائم التي صدرت في باريس خلال هذا العام « الحساب المسير » عن لاعب التنس بوريس بيكر . الذي تم اعداده في ثمانية ايام و « وداعا » عن الممثل الكوميدي كلوش وتم اعداده ايضا في ثمانية ايام .

وبمجرد أن أذيع خبر انتحـــار داليدا فى الثامنة والربع من مساء الثانى من مايو المــاضى بدأت ادارة لافون فى انجاز الكتاب الذى صــدر فى السابع من مايو • ويقول الناشر انه قد منح بعض الوقت للمحــررين حتى لا يخرج الكتاب « مسلوقا » وأن هذا النوع من الكتب لا ينسب الى كاتب بعينه رغم كل الجهد الذى يبذل فيــه •



مادونا

نيــويــورك

● وجه المدينة ... في صوت مادونا

« يا ناس يا شر •• كفاية قر »

هل تتصور أن تصبح العبارات التى يكتبها البعض فوق سياراتهم ـ خاصة الاجرة ـ عناوين لمؤلفات ادبية جادة

تحت عنوان « أنا نيويورك » صدرت اخيرا رواية للكاتب اليهودى جيروم تشارين • والرواية نفســها غريبة • ففيها يقــول الكاتب ان نيويورك اكبر المدن اليهودية فى العالم قد تأسست على يد بيتر ستايفسنت ـ وهو ايضا اسم دخان شــهير ـ اليهودى القادم من هولاندا عــام ١٦٥٣ •

وعبر تاريخ المدينة بحيش الكاتب عندما صيغت نيويورك بالطــابع الانجليزى ثم امتزجت بالابرانســدية والايطالية واليهودية والصينيــة والزنجية • ولان المدينة ولدت انجليزية فهى تفضل ان تنكر لها ذاكرة ضعيفة ويرى الكاتب ان المدينــة عرفت الكثير من الناس • لكنه يختــار نموذجا بعينه ليتكلم عن المدينــة من خلاله • وهو المطربة والممثلة المعروفة مادونا التى لها صوت اشــبه بالفار الصغير • وتمثــل الحس الجنسى خاصة عندما تعرى بطنهـا اثناء الغناء • وذلك الهذيان الذى تحدثه فى القاعة • وقد غيرت مادونا هويتها مثلما حدث لنيويورك • فقــد جاءت من ايطاليا • وقصت شعرها الاشقر بعد أن صبغته • وكان عليهـا أن ترقص بحرارة اكثــر من الدفء الذى يشع من جسدها الذى يتلوى • « يلف جسدها ويلف • وكأنها حــواء تمارس الحب مع الافعى ـ وعنــدما تنظر الى جدران مانهاتن ترى مادونا وجهها الحقيقى » •

« هناك ايضا الكثير من الرسامين فى نيويورك اكثر من كل الرســامين الذين عرفتهم أوروبا منذ عصــر النهضة وحتى الآن » •

جيروم تشارين ... ٥٠ عاما ـ هو

العالم في سطور

احد ابرز الروائيين اليهود الان فى الولايات المتحدة ، وهو اقل تعصبا من الكثير من اقرانه ، من ابرز رواياته « عيد ميلاد فى مانهاتن » و « عزيزتى بيك » و « سمك القط » .



اسماعيل قدرى

تيرانا

العزف على اوتار التاريخ

اسماعيل قدرى هو بالفعل اشهر كتاب البانيا على الاطلاق رغم عمره الادبى القصير الذى بدأ عام ١٩٧٠ . ورغم ان عدد رواياته القليل (١٢ رواية) فان اعماله قد ترجمت الى العديد من لغات العالم منها اللغة العربية . ومن احدث ما صدر له اخيرا روايتان قصيرتان تحت عنوان « السنة السوداء » و « اخترق موكب الزمان الجليد » ويؤكد النقاد ان الادب بالنسبة له خاصة حيوية كيماوية فى حاجة الى وعى خاص بالمجتمع . ومن الصعب معرفة سبب ذلك او كيفيته . فهو احد الكتاب الذين عزفوا على نغمة التاريخ . فيبحث فى منابعه . لذا فانه شغوف بأصل الحكايات الشعبية الالبانية التى يقوم باعادة صياغتها فى رواياته .

وقد احتفلت البانيا فى العام الماضى بمناسبة بلوغه سن الخمسين ورغم انه لم يشهد الاحتلال العثمانى الذى دام خمسة قرون حتى بداية القرن فانه تأثر بتاريخ بلاده وانشغل دوما بقضية الاحتلال والثقافة .. « فى البلاد المستقلة تأخذ الثقافة الطابع الجامعى . والبرلمانى والاكاديمى . ويتعلم الاطفال وهم يستمعون الى الحوارات والى تاريخهم مثلما يحدث فى اليونان » .

والسنة السوداء هى عام ١٩١٤ . التى اندلعت فيها الحرب العالمية الاولى بعد استقلال البانيا بعامين . قبل ذلك العام كانت الكلاب تنبح بلا سبب فى القرى الصغيرة . وكان على البانيا ان تجد لنفسها هوية وسط الجبروت الاوربى . فى هذه السنة تسلح الابناء تحت قيادة اسد باشا ضد هؤلاء الذين ارادوا تدمير تركيا بمالدتها ..

اما روايته « اخترق موكب الزفاف الجليد » فتتناول محاولة الاغلبية الالبانية الذين يعيشون فى اقليم كوسوف بيوغسلافيا الاستقلال عام ١٩٨١ . وذلك فى محاولة اولى لتحقيق حكم ذاتى بالاقليم . الا ان الحكومة اليوغسلافية ارسلت دباباتها وجنودها واحبطت المحاولة من خلال العنف .

فينيسيا

● اضعاف البعد الثالث

بينما انشغل العالم باجتماع زعماء الدول الصناعية الكبرى فى فينسيا خلال الاسبوع الثانى من يونيه الماضى كانت مدينة البندقية تكشف عن وجهها الحقيقى وهى تستقبل معرض الفنان الوحشى هنرى ماتيس من خلال مجموعة شبه كاملة من اهم لوحاته

وبمناسبة اقامة هذا المعرض تم تخصيص مجموعة من اللوحات التى رسمها ماتيس عن ايطاليا لعرضها فى قاعة خاصة . فقد اعجب ماتيس دوما بايطاليا . وعاش بين جبال الالب فى الشمال وبالريمو فى صقلية بالجنوب . فعشق البشر . واحب النساء . ورغم انه سافر الى العديد من بلدان العالم فانه ظل مشغوفا بصفة خاصة بنساء ايطاليا .

لا تنبع اهمية ماتيس فقط من عظمة لوحاته . التى صنعت منه مدرسة تشكيلية متميزة . وليس فى رحلاته المتعددة الى كافة اقطاب الدنيا . بل فى ارتباطه الحقيقى بمثقفى عصره فى شتى الميادين . مثل صداقته لاندريه جين الذى اكد ان اعمال ماتيس هى تجسيد حى لكل ما يحمله من فكر .

واذ اكد الناقد التشكيلى بيتر شنايدر فى كتابه عن ماتيس انه اول من نبه الى نقاء الفن فى لوحات عديدة مثل معادلة الاشياء مع الحوار ، « اليه والسهم » .

اما المدرسة الوحشية التى ينتمى اليها ماتيس فان اصحابها قد سعوا لاكتشاف سحر الالوان التى تقتضيها مطالب لوحة كاملة مع الاعتداد فى كل الاحوال بان اللوحة شئ آخر غير الواقع . وان اللوحة لابد ان تشتغل بالوان اريبة . اما من ناحية الشكل فقد سعى الوحشيون الى زعزعة شكل الاشياء مع محاولة عمل تسطيح للاشكال . كما عملوا على اضعاف البعد الثالث الذى يعد اهم العناصر فى الفن التشكيلى .

موسكو

● روايات غير منشقة

لاشك ان الادب الروسى قد ارتبط فى السبعين عاما الماضية فى اذهان الكثيرين بانه منشورات ادبية لصالح النظام السياسى . وكان على الكاتب الذى يسعى لتحقيق شهرة عالمية كبيرة - دون ان يخرج من الاتحاد السوفييتى - حتى لو كان اقل اهمية ان يعلن انشقاقه على ايديولوجية بلاده . لدرجة اصبح الانشقاق فى السنوات الاخيرة تقليعة غريبة حتى فى ميدان الرقص الايقاعى ..

وللاسف فان اكثر ما نستقيه من معلومات عن الادب الروسى الحديث يعبر من خلال مرشحات تمثل ما ترجم من اللغة الروسية الى اللغات الاخرى الاكثر ذيوعا ولذا فان كاتبا مثل فلاديمير جوسيف قد استطاع عبور هذا المرشح من خلال رواية واحدة فقط من رواياته التسع .. ليس لانها رواية منشقة .. ولكن لانها مجرد رواية تاريخية عادية تدور احداثها فى امريكا اللاتينية فى اوائل القرن التاسع عشر وجوسيف - ٤٨ سنة - روائى وناقد ومؤرخ . ويعمل مدرسا فى معهد الادب بموسكو جاء من ضواحى الاتحاد السوفييتى الى العاصمة ليعمل فى الصحافة .

طائرة الميدان الأحمر وأبعاد المهزلة الأرضية

بقلم : محمد فتحي

ان واقعة اختراق المغامر الالمانى ماتياس راست خطوط الدفاع الجوى السوفييتية بطائرة رياضية لابد ان تدفع كل عاقل الى وقفة تأمل للمهزلة الاكبر والاعم ، المتمثلة فى خواء الاسس التى يقوم عليها أمن الجنس البشرى المدجج بمنظومات تسلح فتاكة ، دون أن يكون بمقدور احد أن يعرف على وجه الدقة ، وبقدر كاف من المصداقية آليات تحريكها أو التصدى لها .

على حين غرة وفى يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٩ بدأت عجلة الحرب العالمية الثالثة فى الدوران . ثم توالت الاجراءات بالفعل على المسرح الحقيقى للعمليات دون ان يكون للامر ادنى علاقة باى من سيناريوهات نهاية العالم ، التى تنتمى الى عالم السينما او عالم الدراسات المستقبلية ..

كان الحارس النوباتجى ـ الحاسب الالكترونى ـ فى المؤسسة الدفاعية الامريكية يعمل كالعادة فى تأدية مهام وظيفته ، الخاصة بحماية اجراء الولايات المتحدة وحلفائها . وكان السؤال التقليدى : « هل هناك مبرر للقتال ؟ » يطرح نفسه على الحاسب كالعادة ملايين المرات كل ثانية . وكانت اجابات السؤال تتوالى ، على ضوء مسح سماوات العالم . وعلى حين غرة تغير الرد النمطى المعهود ليقرر الحاسب ببرود وثقة : عليكم بالعمل فهناك هجوم بالصواريخ قد بدأه السوفييت على القواعد الجوية الامريكية .. »

واستجابة أوتوماتيكية لما قرره الحاسب بدأت على الفور اجراءات الحرب فانقلعتطائرة القيادة والسيطرة « ايه ـ ٤ » ، المخصصة لرئيس

الولايات المتحدة ـ وهى تقف فى حالة تأهب دائم ـ حتى تتيح للرئيس توجيه عمليات الثأر . هذا كما انصاعت للاوامر دوريات قاذفات القنابل النووية بعيدة المدى ـ التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية ـ التى تحلق بانتظام فى الجو .. انصاعت للاوامر وأخذت طريقها متوجهة الى الاراضى السوفييتية .. وتوالت الاجراءات القتالية نحو خمس دقائق .

لكن الكارثة لم تقع لاسباب مضحكة، ان كان الضحك جائزا مع مأسى بهذا الحجم ..

لقد ظهر أن طائرة الرئيس اقلعت قبل ان يصل جيمى كارتر اليها ، وان الاقلاع كان صحيحا من وجهة النظر القانونية ، فليست مهمة الطاقم فى ظرف كهذا البحث عن الرئيس ، فعليه هو نفسه ان يتمكن من الوصول الى الطائرة خلال مهلة الثوانى المتاحة لها على الارض ..

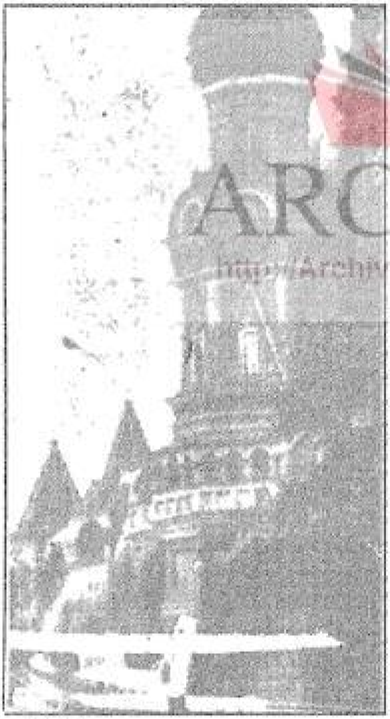
وظهر ان الصواريخ السوفييتية لم تصل الى مقاصدها رغم الفسحة الزمانية التى تمكن من ذلك ..

ثم تبين ان التحذير كان خطأ من الاساس وان احد الفنيين وضع شريطا خاصا بالتدريب على مواجهة هجوم سوفييتى فى الحاسب الالكترونى العامل ، بدلا من وضعه فى الحاسب المخطط لاجراء التدريب ..

● واقعة هزلية ●

ولعل القارىء لا يستغرب أن تكون مناسبة مدخلنا هذا الواقعة الهزلية التى جرت يوم الخميس ٢٨ مايو الماضى ، اذ فوجىء الموسكوفيون فى الميدان الاحمر بالشاب الالمانى ماتياس راست (١٩ سنة) يهبط بطائرة صغيرة من ذوات المحرك الواحد ، لايزيد ثمنها على ٦٠ الف دولار ، بعد ان اخترق نقاط الحدود بين الاتحاد السوفييتى وفنلندا ، واجتاز نطاقات الدفاع الجوى السوفييتية واحدا وراء الاخر على امتداد ٤ ساعات وحوالى الفى كيلو متر (الاف من شبكات الرادار

الطائرة بعد هبوطها قرب كاتدرائية سان بازيل



العسكرية وبطاريات الصواريخ والمقاتلات النفاثة ، يؤكد الخبراء الغربيون انها افضل شبكة للدفاع الجوى فى العالم كله ، وضمنها الشبكة الصاروخية المنيعة الذائعة الصيت عن مدينة موسكو) ٠

ومن سخرية القدر ان المغامر الالماني فعل ذلك كله بينما يتبادل حرس الحدود السوفييتي انخاب الاحتفال بعيدهم (يوم الحدود) ومنعتهم ضد الاختراق(!) وبينما يوقع زعماء وعسكريو الدول الاشتراكية فى برلين الشرقية وثيقة حول « العقيدة العسكرية » لدول حلف وارسو ، تتناول ضمن ما تتناول قضايا الامن المتبادل والمنعة والسيادة فى العصر الفضائى النووى (!)

نقول لعل القارىء لا يستغرب ربطنا بين واقعتى طائرة الميدان الاحمر والحرب العالمية الثالثة ذلك انهما تؤكدان ، على الرغم من المفارقة الواضحة بينهما ، نفس المعنى ٠

فمع صحة ما يقال عن الضربة المهينة التى تعرضت لها المؤسسة العسكرية السوفييتية ٠٠ ومع صحة ما يقال عن ان رحلة راست لم تكن كلها على الخاطر وان جهاز مخابرات قوى لابد ان يكون قد وضع امكانياته فى خدمتها (تحديد التوقيت ، خرائط الطيران ، تفادى شبكات الرادار ٠٠) ومع صحة ما يقال عن التناقض الفاضح بين مظهر الصرامة المتجهمة وبين التسيب الذى لا نظير له ٠٠٠

مع صحة هذا كله وغيره مما يقال فان الواقعتين تؤكدان خواء الاسس التى يقوم عليها امن الجنس البشرى فى هذه المرحلة الحرجة من تطوره الحضارى ٠

ويبين مغزاهما الحقيقى ما تكشفه السجلات من انهما ليستا شذوذا فى بابهما ٠ واذا امكن صرف النظر عن دلالة احداث « صغيرة » مثل مفاجأة شاب مأفون لصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا العظمى فى حجرة نومها ، مخترقا كل احزمة الامان التى تحيط بها ٠٠ ان كان من الممكن صرف النظر عن مثل هذا الحدث فانه يستحيل الا يتوقف عاقل امام ما جاء فى تقرير للكونجرس الامريكى حول تسجيل الاجهزة التى تراقب تعرض امريكا لهجوم ذرى سوفييتى ، وتديرها حاسبات الكترونية متقدمة ، ١٤٧ انذارا كاذبا خلال عامى ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ (ضمنها الواقعة السابقة التى استمرت الحرب فيها ما يقرب من ست دقائق) ٠٠

ورغم ان اكتشاف كذب بعض العقول الالكترونية عن طريق مراجعة عقول الكترونية اخرى لادائها نعمة لا تقدر بثمن ، فقدر العبث فى الموضوع يتضح اذا عرفنا ان عقولا الكترونية عديدة من نفس النوع ٠ كان يراجع الواحد منها غيره يوم الحادث المشئوم ، الذى راح ضحيته مكوك الفضاء « تشالنجر » بملاحيه السبعة ، وظلت جميعها تؤكد حتى النفس الاخير ان كل شىء على ما يرام ، الامر الذى يبين استحالة الماام مصممى برامجها بكل خاف وطارىء ، حتى يتمكنوا من تخطيط هذه البرامج بحيث تتلافاه ٠



ماثياس راست الطيار الالمانى مع اسرته قبل ان يبدأ مغامرته الطائشة .

وحتى ندرك المخاطر الكامنة وراء وقائع « هزلية » من هذا النوع ، لا بأس من نظرة سريعة على الاطار العام الذى تجرى هذه الوقائع فى اطاره .

من المعقول او العبث الذى يلف حياة عالمنا فى مرحلة تطوره الراهنة ان ضمانات سلام هذا العالم ترتبط بامتلاك كل من طرفى الصراع المقومات التى تمكنه من توجيه ضربة مضادة مدمرة للطرف الاخر ، حتى بعد التعرض لضربة نووية اولى ماحقة وذلك عن طريق قاذفاته الاستراتيجية وصواريخه العابرة للقارات الموجودة على متن الغواصات الذرية وغيرها من المنصات المتحركة ٠٠ ووفقا لاستراتيجية « الدمار المتبادل » هذه ليس من الممكن ان يبدأ عاقل من اى جانب بتوجيه الضربة الاولى لان معنى ذلك هو اعدام الجنس البشرى وتحويل هذا الكوكب الى دغل غير صالح للحياة لفترة لا يعلم مداها الا الله ٠٠

وعلى الرغم مما يبدو من نجاح هذه الاستراتيجية فى الابقاء على عالمنا فان التدقيق يكشف عن كونها استراتيجية هشة وغير منطقية ٠ فالكلام عنها وان بدا متماسكا على الورق لا يصمد امام اى قدر من التمحيص ذلك ان من يملكون قرار الرد على هجوم نووى سيقعون تحت ضغوط هائلة ، حال نشوب اى طارىء يحثهم على اطلاق صواريخهم قبل ان يجرى تدميرها فى مواقعها ، اذ يفرض منطق هذه الاستراتيجية نفسه الاسراع بالرد على اى هجوم او شبهة هجوم نووى ربما قبل التأكد من مصدره وموقعه وابعاده ؛ اذ لا يحتمل الامر

تأجيلا او ترددا لثوان معدودات •

ومن مظاهر اللامعقول التى تبعث على الاسى انه فى هذا الاطار يكون بمقدور أى حادث عسكرى عارض اشعال حرب نووية شاملة لا تبقى ولا تذر ، بل والانكى من ذلك أمكان قيام مثل هذه الحرب عن طريق سوء التقدير والخطأ او بفعل واحد من هواة الشهرة المغامرين أو حتى الساعين الى الانتحار ، فى عالم تؤكد وقائع حياته واحصائياته على تزايد عدد من يفقدون توازنهم النفسى والعقلى مع كل يوم •

وقد يكون من المفيد عند هذا الحد التاكيد على ان مقولة اعدام الجنس البشرى هنا ليست من قبيل التعبير الادبى المجازى فقد اجمعت الدراسات العلمية عليها • فبعد تأكيد عدد من الدراسات الاوربية والامريكية لها لم تجد الحكومة الامريكية مناصا من تكليف المركز القومى لابحاث الطقس فى ولاية كولورادو بدراسة الامر •

وخلصت دراسة المركز الى ان السحابة الناتجة عن استخدام واحد فى المائة (فقط) من المخزون العالمى للسلاح النووى ستؤدى — السحابة — الى حجب اشعة الشمس وبالتالى انخفاض درجة الحرارة فى نصف الكرة الشمالى فى غضون ثمانية ايام الى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر (فى فصل الصيف) ••

ولن تمر اسابيع ثلاثة حتى تنخفض درجة حرارة النصف الجنوبى ـ للكرة الارضية الى نفس الحد •

وسوف يستمر هذا الوضع الذى اصطلح على تسميته بـ « الشتاء النووى » ما يقرب من ثلاثة الى ستة شهور ، بحسب المنطقة الجغرافية المعنية •

ونتيجة للاختلاف الكبير فى درجة الحرارة بين اليابسة ومياه المحيطات ستهب عواصف واعاصير عاتية تغرق اليابسة بالامطار والثلوج •

وسيؤدى ذلك كله الى القضاء على انواع الحياة النباتية بشكل عام الامر الذى يترتب عليه بالضرورة القضاء على كل انواع الحيوان •

المهم انه جريا وراء قدر من المصداقية فى اطار استراتيجية الدمار المتبادل السابق الاشارة اليها ، وتحسبا لارتباك خطوط الاتصال بين القيادات ووحداتها العاملة عند وقوع ضربة ذرية ، الامر الذى يحتم اتمام الرد وسط حالة الفوضى الشاملة ، راحت القوى المتصارعة تعزز من ترساناتها النووية حتى قارب نصيب الفرد فى عالمنا الى مايزيد عن عشرين طنا من المتفجرات ولم تقف هذه القوى عند ذلك الحد بل راحت تعزز سباق التسلح فى مجالات اخطر واعصى على التحكم مثل مجالات الفضاء والليزر ••

وليت الامر يتوقف عند اهدار البشرية — التى تعانى قطاعات واسعة منها الجوع والمرض والتشرد — للجانب الاعظم من مواردها على الانفاق العسكرى اذ ان المستحدثات الجديدة تجعل هذا الانفاق سيفا مسلطا على رقاب البشرية لا يستطيع احد ان يؤكد باى قدر من المصداقية انه يعرف على وجه الدقة اليات تحريكه او التصدى له •

العالم غدا

عقل الامة بمناسبة جوائز الدولة

البحث العلمي هو العقل الذى يرسم للامة خطى حركتها ويتيح الفضل نتاج لما يتوفر لديها من امكانات ·

وقد حظى البحث العلمي هذا العام باهتمام متزايد فقد شهد أول زيارة يقوم بها رئيس جمهورية فى مصر للمؤسسات العلمية مع توجيه صريح من سيادته لمجلس الوزراء لبحث الاحتياجات التمويلية للبحث العلمي· هذا كما شهد العام مناقشات مسهبة فى اطار مجلس الشورى حول أهداف ومشكلات البحث العلمي ، وتعيين وزير دولة للبحث العلمي فى التعديل الوزارى الاخير ·· بل وشهد محاولة لتشكيل المجالس النوعية لاكاديمية البحث العلمي برئاسة الوزراء الذين ترتبط القطاعات التنفيذية التابعة لهم باستخدامات العلم والتكنولوجيا فى التنمية ، بهدف تدعيم قنوات الاتصال بين مراكز البحث العلمي ومراكز الانتاج والخدمات ودفع عجلة البحث العلمي وعجلة التنمية فى نفس الوقت ·

وجاءت جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية التى أعلنت أخيرا لتغطى دائرة واسعة من الاهتمامات التطبيقية تراوحت بين تحسين الاستفادة من الاسمدة العضوية (د · حسن معوض عبد العال) واستغلال مياه الصرف فى الرى بهدف ترشيد استخدام مياه الرى وزيادة المساحة المنزرعة والانتاج الزراعي د سامية محمود) ووسائل تجميد السائل المنوى فى الاغنام للاستفادة بالتلقيح الصناعي فى زيادة انتاجية الاغنام (د · محمد حلمى سالم) ، وتخزين الهيدروجين ونقله واسترجاعه وتكاليف الوقود النووى فى المحطة المقترح اقامتها فى مصر (د· ابراهيم على محمود العيسوى) ··

وقد ركزت الابحاث ، التى فازت بجوائز الدولة ، وتراوحت بين المجالات التقليدية والمجالات الطليعية ركزت الاضواء من جديد على دور البحث العلمى والعقبات التى تكبح ، رغم الاهتمام والجهد البحثى ، مساهمته مساهمة محسوسة فى الاخذ بيد المجتمع ، على عمق الصعوبات التى يواجهها ·

وان كان من الصحيح أن ظروف البحث العلمى رهن ، كظروف غيره من الانشطة ، بالمناخ العام الذى يسيطر على المجتمع ، فان أصبح الصحيح ان خروج البحث العلمي من أزمته الخاصة (ناهيك عن مساهمته فى حل ازمات المجتمع) هو من صميم مهام مؤسسات البحث العلمي · وربما كان الرجوع الى الاساسيات هو الاسلوب الاكثر فعالية فى هذا الصدد

ان حل مشاكل البحث العلمي يتطلب ارادة فاعلة وهيكلا اداريا قادرا وخطة سليمة واضحة الاهداف ، مع تخصيص الموارد اللازمة لتنفيذها ·· وفى اطار الاهتمام الذى تجلى منذ بداية العام لعل أولى خطوات اقالة البحث العلمي

العالم غدا



د . عاطف صدقى

ـى عشرته تسكمن فى تنسيق واضح المعالم بين السلطات والمؤسسات البحثية المختلفة حتى لا تتشتت جهودها او تستنزف بعيدا عن الهدف .

● حق تقرير المصير لمستوطنات الفضاء

لم يعد الحديث عن مستوطنات الفضاء حكرا على كتاب الخيال العلمى فناهيك عن النموذج المصغر لهذه المستوطنات (محطة مير المدارية) الذى اطلقه السوفييت فى العام الماضى ويواصل العمل والعيش عليه حاليا عدد من الملاحين الكويتيين اطلق الروس فى منتصف الشهر الماضى صاروخا هائلا جديدا (افيرجيا) قادرا على حمل ١٠٠ طن الى مسدار حول الارض ، الامر الذى يعد انجازا اساسيا لنقل الاثقال التى سيجرى استخدامها فى بناء المدن الفضائية .

ومن المعروف ان الولايات المتحدة الامريكية تحث خطاها فى مجال انشطة الفضاء حتى تتمكن من اطلاق نموذجها الخاص للمستوطنات الفضائية قبل نهاية هذا القرن .

ولمواجهة المشكلات المتوقع ظهورها مع الانتشار المتوقع للسفر الى الفضاء تعمل جهات عديدة على وضع تشريعات واضحة لساكنى الفضاء واستخدامه . وفى هذا الاطار اعلن وليام برينات ، القاضى بالمحكمة العليا الامريكية ، عن انتهائه من صياغة مجموعة من المبادىء القانونية المقترحة لتنظيم العلاقات بين البشر وتحديد سبل ممارستهم لحقوقهم فى مثل هذه المستوطنات .

وقال برينات ان المبادىء التى انتهى من وضعها تنص على ضرورة التزام الولايات المتحدة بالتاكيد على ان الاحتياجات الضرورية للحياة والحرية والعدالة والحرية الشخصية والمسئولية المترتبة على حق تقرير المصير هى مبادىء اساسية لغزو الفضاء . ونوه برينات بأن مبادئه القانونية تنظم ايضا سبل تطبيق القانون وحق التصويت وحرية التعبير وحقوق الملكية وحماية البيئة والالتزام بمبادىء القانون الدولى ..

نموذج مستوطنة الفضاء التى ستطلقها امريكا قبل نهاية القرن



● دائرة معارف قرآنية بالكمبيوتر

أمام مجمع البحوث الاسلامية حاليا ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزا «دائرة معارف قرآنية بالكمبيوتر» ، فى انتظار اجازة ائمة المجمع .

ومنذ سنوات وهناك محاولات عديدة للتعامل مع كتاب الله باستخدام الحاسبات الالكترونية . لكن « دائرة المعارف » الجديدة تتجاوز مرحلة الدراسات الاحصائية وتنطلق الى افاق جديدة لا تقتصر على امكانية عرض القرآن الكريم كله كتابة بل وتتطرق الى التفسير والى الاحكام الاعتقادية والاحكام التهذيبية والاحكام العملية ، كما انها لا تغفل الاشارة الى معانى الكلمات واصولها واسس وعلم اللغة وعالم القصص القرآنى .. وذلك كله مع ثبت بالمراجع التى اعتمدت عليها « دائرة المعارف » .

وقد اجمع عدد من الفقهاء على أن هذه « الدائرة » تيسر تيسيرا كبيرا تداول كتاب الله والانتفاع به ، كما تيسر معرفة الايات القرآنية المنتشرة فى سور القرآن الكريم حول هذا أو ذاك من الموضوعات .

وقد قرر مفتى الجمهورية الشيخ سيد طنطاوى انه يجوز شرعا « طبع » المصحف على الشرائط والاسطوانات الالكترونية الخاصة باجهزة الكمبيوتر من أجل منفعة المسلمين والتيسير على الباحثين ..

● علاج السرطان والعقم بالليزر

أثارت اشعة الليزر منذ ظهورها فى بداية الستينيات ضجة كبرى فى الاوساط العلمية وتراوحت محاولات استخدامها تطبيقيا بين صنع أسلحة القتل والتدمير وبين الاستفادة منها فى مختلف الاغراض السلمية وفى طليعتها علاج الانسان مما يلم به من أمراض .

وكان اطباء العيون بين أول من استخدموا الليزر فى علاج أمراض شبكية العين والجلوكوما وأمراض العدسة ولم يتخلف عنهم أطباء التجميل الذين استخدموا الاشعة فى علاج الامراض الجلدية وازالة التجاعيد والتشوهات .

ولفت ذلك نظر العلماء الى تجربة علاج السرطان بالليزر لكن النتائج الاولى جاءت مخيبة للآمال فعلى الرغم من ابادة الاشعة للخلايا المريضة كانت بعض الخلايا السرطانية تفلت ، وتنتشر بسرعة غير معتادة ، نتيجة « لتبخر » الانسجة ، فى المناطق المجاورة .. وشكل ذلك معضلة كبرى عند علاج الاعضاء الداخلية مثل المعدة والمرىء والرئتين ، لصعوبة التخلص من « بخار » الانسجة المحترقة .

لكن العلماء نجحوا أخيرا فى استخدام طريقة جديدة تعتمد على قدرة بعض الصبغات الطبيعية على التجمع فى الخلايا السرطانية . وبموجب هذه الطريقة يتم حقن المريض باحدى مشتقات هذه الصبغة ، وخلال أيام تكون الخلايا الطبيعية قد تخلصت منها بينما تكون الخلايا السرطانية قد جمعتها وحفظتها ، وبتسليط شعاع الليزر على الورم تقوم الصبغة بامتصاص الضوء الذى يؤدى الى تحللها لمواد سامة تقوم بقتل الخلايا السرطانية الضيقة . وقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها فى علاج بعض الاصابات السرطانية بنسبة ٨٠٪

٦

قصة ديون مصر الخارجية
من عصر محمد على الى اليوم

ديون عبد الناصر ونكسة الاقتصاد المصرى

بقلم : د. جلال أمين

●● من اكبر الاخطاء التى يمكن ان ترتكب ، وترتكب بالفعل ، فى تقييم السياسة الاقتصادية المصرية منذ ثورة ١٩٥٢ ، النظر إلى فترة حكم عبد الناصر ، ابتداء من قيام الثورة وحتى وفاته فى ١٩٧٠ ، وكانها فترة متجانسة يمكن ان تتخذ كلها اساسا للحكم بنجاح او فشل النظام الاشتراكى او سيطرة القطاع العام والتدخل المركزى فى الاقتصاد . فضلا عن ان سياسة التدخل الصارم من جانب الدولة فى مختلف جوانب الاقتصاد القومى لم تبدا فى الواقع إلا فى اعقاب حرب ٥٦ ، فإن الظروف التى تعرضت لها التجربة الناصرية منذ منتصف الستينيات تجعل من الظلم الصارخ إصدار حكم على الاشتراكية والقطاع العام بناء على اداء الاقتصاد المصرى فى الستينيات باكملها ●●

لقد تضافرت على الاقتصاد المصرى منذ ١٩٦٥ مجموعة من العوامل الخارجية التى حتمت اداء اقتصاديا باهتا ، ويكاد يكون من غير المتصور ان يكون بمقدور اية سياسة اقتصادية مهما كانت براعتها وحكمتها ، ان تنقذ الاقتصاد المصرى من الانحدار ثم الركود طوال السنوات العشر التالية (٦٥ ـ ١٩٧٥) . كان استخدام

تعبير "النكسة" لوصف الهزيمة العسكرية فى ١٩٦٧ تعبيرا غير موفق بلا شك ، كان المقصود به تخفيف وقع الصدمة على المصريين فلم ينجح فى أداء هذه المهمة بل ربما زاد من الشعور بمرارتها . ولكن استخدام تعبير "النكسة" لوصف ما حدث للاقتصادى المصرى لم يكن فى الواقع بعيدا عن الحقيقة . فقد كان الانجاز الاقتصاد باهرا حتى منتصف الستينيات وكان يحمل بالفعل إمكانيات الدخول فيما سُمى وقتها بحق "بمرحلة الانطلاق" ثم اندثرت الآمال فجأة ودخل الاقتصاد المصرى بدلا من ذلك مرحلة الركود الطويل .

على أن من الخطأ أيضا الاعتقاد بأن انتكاسة الاقتصاد المصرى منذ منتصف الستينيات كانت فى الأساس بسبب توقف المعونات الأمريكية وتضاؤل المعونات الغربية بوجه عام . لم يكن هذا التوقف او التضاؤل فى المعونات الخارجية امرا يستهان به بالطبع ، ولكن هناك من الدلائل ما يشير على نحو شبه قاطع بأن التنمية الاقتصادية فى مصر كان من الممكن أن تستمر بمعدل مرض ، وإن لم يبلغ مثل معدلها فى السنوات العشر السابقة على ١٩٦٥ ، ودون تضحيات بالغة الشدة فى مستوى الاستهلاك ، لولا قيام حرب ١٩٦٧

توقف المعونات الغربية وآثار الهزيمة العسكرية

كان إجمالى ما حصلت عليه مصر من مساعدات غذائية من الولايات المتحدة خلال الفترة ٥٨ ـ ١٩٦٥ نحو ٣٠٠ مليون جنيه مصرى ، فلما أوشك حلول موعد



جمال عبد الناصر

تجديد اتفاقية المعونات الغذائية أبلغ السفير الأمريكى فى القاهرة الحكومة المصرية بأن حكومته "ليست على استعداد فى الوقت الحاضر للدخول فى اى نقاش حول تجديد الاتفاقية لأنها غير راضية عن سياسة الحكومة المصرية" . واكتفت الولايات المتحدة بمد الاتفاقية لفترات تتراوح بين ثلاثة وستة أشهر حتى توقفت المساعدات الأمريكية تماما فى فبراير ١٩٦٧ . اقترن ذلك بانخفاض مذهل فى المعونات التى كانت مصر تتلقاها من الدول الغربية والمؤسسات الدولية . إذ بينما بلغ المتوسط السنوى لهذه المعونات كلها (بما فى ذلك المعونات الغذائية الأمريكية) ٢٠٠ مليون دولار فى ٦١ ـ ١٩٦٦ ، انخفض هذا المتوسط إلى ١٦ مليونا فى ٦٧ ـ ١٩٦٩[١] . كان المتوسط السنوى للمعونات الغربية خلال سنوات الخطة الأولى يمثل إذن نحو خمس

إجمالى الاستثمارات المتحققة خلالها ، ومن ثم فإنه فى حالة الاستغناء عن هذه المعونات برمتها فى السنوات الخمس التالية كان على مصر تخفيض معدل الاستثمار بهذا القدر ، بغرض عدم زيادة مصادر المعونة الخارجية الأخرى والاحتفاظ بمستوى الاستهلاك والادخار على ما كانا عليه . ولكن من الممكن أيضا أن نتصور أنه كان بإمكان النظام الناصرى أن يعوض هذا النقص فى الموارد الخارجية أو جزءا منه على الأقل بزيادة الادخار المحلى عن طريق ضغط الاستهلاك العام والخاص ، واتباع سياسات فى الأجور والانفاق العام أكثر تقشفا . الأمر الذى كان من الممكن أن يستجيب له الناس فى مواجهة التعنت الخارجى لو لجأ عبد الناصر الى تحويل قضية وقف المعونات الخارجية إلى قضية وطنية كما فعل من قبل فيما يتعلق بتأميم قناة السويس . إن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن عبد الناصر كان يزمع بالفعل اتخاذ هذا المسلك منذ خطبته الشهيرة فى بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ ، عندما بدت أولى بوادر عزم الولايات المتحدة على وقف معوناتها ، وحينما تحدى عبد الناصر محاولة الولايات المتحدة فرض إرادتها على مصر . على أنه أيا كانت قدرة عبد الناصر الحقيقية على النجاح فى هذا المسلك ، فإن من المؤكد أن العامل الذى حسم الأمر فى اتجاه معاكس ، والغى نهائيا احتمال اتباع سياسة اقتصادية أكثر تقشفا وأشد إصرارا على تعبئة الموارد المحلية ، هو قيام حرب ١٩٦٧ .

كان هذا الحل مستحيلا تصوره فى أعقاب الهزيمة لأكثر من سبب . فأيا كان استعداد الجماهير لقبول سياسة تقشفية كنوع من التحدى للقوى الخارجية ، فإنه كان من الصعب الارتكان على هذا فى ظل مناخ عام من الاحباط واليأس ولدته الهزيمة ، وفى ظل انخفاض شعبية نظام عبد الناصر بسبب ما أثارته الهزيمة من شعور بتقصير المؤسسة العسكرية والشك فى قدرة النظام على الصمود فى مواجهة التحديين الأمريكى والاسرائيلى . كان من شبه المستحيل إذن على نظام عبد الناصر أن يضيف إلى العبء النفسى المتولد عن الهزيمة العسكرية أعباء اقتصادية جديدة للاستمرار فى التنمية .

أضف إلى ذلك ما ترتب على هزيمة ١٩٦٧ من انخفاض شديد فى موارد مصر الذاتية من العملات الأجنبية ، الأمر الذى جعل الاستمرار فى تحقيق معدل مرتفع للتنمية مع تحمل أعباء الانفاق العسكرى للاستعداد لحرب جديدة أمرا فى حكم المستحيل ، حتى مع افتراض استعداد الناس لقبول تخفيض كبير فى مستوى الاستهلاك . فقد ترتب على الحرب فقد مصر لآبار البترول فى سيناء ، وتخريب معامل تكرير البترول فى السويس ، وإغلاق قناة السويس التى كانت تدر لمصر سنويا ١٦٤ مليون دولار فى المتوسط خلال السنوات السبع السابقة على إغلاقها فى ١٩٦٧ ، أى ما يزيد بنحو الثلث على المتوسط السنوى للمعونات الغذائية الأمريكية خلال نفس الفترة ، فضلا عن الانفاق الذى فرضه تهجير نحو مليون شخص من سكان مدن قناة

السويس ، والانخفاض الكبير فى ايرادات السياحة التى كانت بدورها تدر نحو ١٠٠ مليون دولار سنويا فى المتوسط خلال السنوات السبع السابقة على الحرب[٢] .

بدائل ثلاثة ، احلاها مر

كان امام عبد الناصر إذن ، فى مواجهة كل هذا ، اختيار واحد من البدائل الثلاثة الآتية : إما ان يضحى بالانفاق العسكرى وان يقبل الهزيمة والصلح وقبول اى عرض للتسوية يعرض عليه فى سبيل الاستمرار فى التنمية ، او ان يضحى بكليهما : التنمية والحرب ، فى سبيل رفع معدلات الاستهلاك ، او أن يضحى بالاستمرار فى التنمية والا يسمح إلا بالحد الادنى من الزيادة فى الاستهلاك فى سبيل الاستعداد لمعركة مقبلة . لم يكن هناك فى الواقع بديل آخر ، إذ لم يكن هناك من الموارد الخارجية من القروض والمعونات ما يسمح بالاستعداد للحرب والاستمرار فى التنمية فى نفس الوقت . فالدول والمؤسسات الغربية ما كانت لتعود إلى سابق عهدها فى مد مصر بالقروض والمعونات ما لم تقبل مصر صلحا غير مشرف مع إسرائيل والتخلى عن سياسة حماية الصناعة المصرية وتقييد الواردات . ولم يبد من الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية الاستعداد لتقديم معونات كافية لتحقيق الغرضين معا وتعويض مصر عما فقدته من المعونات الغربية . فالمتوسط السنوى لمعونات الكتلة الشرقية التى حصلت عليها مصر بالفعل (تمييزا لها عن إجمالى التعهدات) بلغ خلال الفترة ٦٧ ـ ١٩٧٢ نحو ١٤٠ مليون دولار ، وهو ما لا يزيد كثيرا على المتوسط السنوى لهذه المعونات خلال السنوات العشر ٥٤ ـ ١٩٦٤ (١١٦ مليون دولار[٣] ، وهى زيادة لم تكن تكفى قطعا لتعويض النقص فى المعونات الغربية ، حيث بلغ النقص فى المتوسط السنوى لهذه المعونات ، كما رأينا ، نحو ١٨٤ مليون دولار .

المعونات العربية

كان المصدر الأساسى للمعونات المقدمة إلى مصر فى السنوات التالية لحرب ١٩٦٧ هو البلاد العربية ، إذ حصلت مصر بناء على اتفاقية الخرطوم الموقعة فى ١٩٦٨ ، من المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا على منح قدرها فى المتوسط ٢٨٦ مليون دولار فى السنة ، وهو مبلغ لا يمكن الاستهانة به إذ كان يساوى تقريبا المتوسط السنوى لمعونات الكتلتين الغربية والشرقية معا فى سنوات ما قبل ١٩٦٧ . ولكن معنى ذلك فى الواقع اننا إذا اعتبرنا أن المعونات العربية قد أتت لتعويض النقص فى المعونات الخارجية فإنه كان لا يزال على مصر أن تواجه بعد ١٩٦٧ كل الآثار الاقتصادية المترتبة على إغلاق قناة السويس وفقدان بترول سيناء ونقص إيرادات السياحة ونفقات توطين المهجرين من منطقة القناة فضلا عن الإنفاق العسكرى الجديد . اضف إلى ذلك ما كان على مصر دفعه لخدمة الديون التى حل موعد استحقاقها فى السنوات التالية لحرب ٦٧ ، إذ بلغت قيمة أقساط الديون المستحقة الدفع خلال الفترة (٦٧ ـ ١٩٧٢) نحو ٢٤٠ مليون دولار فى السنة فى المتوسط[٤] ، وهو ما كان يلتهم وحده الجزء الأكبر من كل ما تلقته مصر من مساعدات وقروض وتسهيلات

خارجية خلال هذه الفترة . فكأن مصر فى السنوات اللاحقة على حرب ١٩٦٧ كان عليها ، ليس فقط مواجهة ظروف اقتصادية وسياسية جديدة غاية فى القسوة ، بل وكان عليها أيضا أن تتحمل جزءا كبيرا من أعباء التنمية السريعة السابقة على ١٩٦٧ .

إن هذا هو الأساس الذى نبنى عليه قولنا أنه لم يكن هناك أمام عبد الناصر إلا البدائل الثلاثة المتقدمة ، وقد اختار عبد الناصر البديل الثالث ، وهو الاختيار الوحيد الذى كان يسمح له بالاستعداد لحرب جديدة ، والدخول فيما سمى بحرب الاستنزاف ، ولو على حساب التضحية بالتنمية والارتفاع بمستوى الاستهلاك .

عشر سنوات من الركود الاقتصادى

دخلت مصر إذن فى أعقاب ١٩٦٧ مرحلة من الركود الاقتصادى استمرت حتى منتصف السبعينيات ، وشهدت مصر خلالها فترة من أحلك فترات تاريخها الاقتصادى الحديث . فقد انخفض معدل الاستثمار من ٢ر١٧٪ من الناتج المحلى الاجمالى فى ١٩٦٥/٦٤ إلى ٨ر١١٪ فى ١٩٧٠/٦٩ ، أى ما لا يكاد يزيد على معدل الادخار المحلى (٣ر١١٪) . وبقى الاستهلاك الفردى (أو العائلى) ثابتا تقريبا كنسبة من الناتج المحلى (٦٥٪) ، وذلك للسماح بزيادة الاستهلاك العام (أو الحكومى) من ٧ر١٩٪ إلى ١ر٢٤٪[5] ، وعلى الأخص لزيادة الانفاق الحربى الذى ارتفعت نسبته إلى اجمالى الدخل القومى من ٩٪ فى ١٩٦٥ إلى ١٤٪ فى النصف الثانى من الستينيات[6] .

وقد ترتب على ذلك بالطبع انخفاض شديد فى معدل التنمية من نحو ٦٪ سنويا فى السنوات الخمس الأولى من الستينيات إلى نحو ٣٪ فى السنوات الثمانى التالية (٦٥ ـ ١٩٧٣) ، أى ما لا يكاد يزيد على معدل نمو السكان . فإذا أخذنا فى الاعتبار ما أصاب المرافق العامة والبنية الأساسية من تدهور بسبب ضغط الانفاق على التجديد والصيانة تبينا أن مستوى المعيشة قد تعرض بلا شك للانخفاض فى تلك الفترة .

من أسوأ سمات هذه الفترة أيضا توقف الاتجاه إلى تصحيح هيكل الاقتصاد المصرى توقفا تاما . فبعد النجاح الكبير الذى أحرزته سنوات الخطة الأولى فى إحداث تغير جذرى فى هيكل الجهاز

كيندى



الانتاجي لصالح الصناعة والكهرباء ، بقى نصيب الصناعة والكهرباء فى الناتج القومى الاجمالى ثابتا طوال الفترة ٦٥ ـ ١٩٧٢ ، بسبب الانخفاض الشديد فى معدل الاستثمار . بل أصابت النكسة أيضا نمط توزيع الدخل ، فتوقفت الحركة نحو تصحيح توزيع الدخل لصالح فئات الدخل الدنيا توقفا شبه تام ، بسبب تراخي معدلات التصنيع والتشغيل من ناحية ، وبسبب القيود السياسية التى فرضتها الهزيمة على حركة عبد الناصر فى هذا الاتجاه . من المؤشرات الدالة على ذلك عودة نصيب الأجور الزراعية فى إجمالى الدخل الزراعى إلى الانخفاض من ٣٢٪ إلى ٢٥٪ فيما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٢ ، وانخفاض نصيب الأجور الصناعية فى الدخل الصناعى من ٣٣٪ الى ٣١٪ خلال نفس الفترة ، بعد زيادة كل منهما زيادة ملموسة فى السنوات الخمس الأولى من الستينيات .

تدهور ميزان المدفوعات

لم تمنع هذه التضحية بالتنمية من تدهور ميزان المدفوعات . فقد كان النقص فى إيرادات مصر من قناة السويس والسياحة ، والانخفاض الشديد فى معونات الدول والمؤسسات الغربية ، والزيادة الكبيرة فى الانفاق العسكرى وفي أقساط تسديد الديون ، اكبر من أن تستطيع تعويض الزيادة الطفيفة فى معونات الكتلة الشرقية ومنح الدول العربية وتخفيض الاستثمارات . فقد ارتفع المستوى السنوى لعجز ميزان العمليات الجارية بنسبة ٨٦٪ (من ٢٠٢ مليون دولار فى ٥٩ ـ ١٩٦٦ الى ٣٧٥ مليونا فى ٦٧ ـ ١٩٧٢) ، وزاد المدفوع تسديدا لأقساط الديون طويلة ومتوسطة الأجل من ٥٦ مليون دولار إلى ٢٤٠ مليونا فى السنة ، ومن ثم كان على مصر أن تجد مصادر لتمويل عجز اجمالي فى العملات الأجنبية قدره ٦٢٥ مليون دولار فى السنة . كان أكبر مصدر لتغطية هذا العجز ، كما رأينا ، هو المنح المقدمة من بعض الدول العربية طبقا لاتفاقية الخرطوم (٢٨٦ مليون دولار) ثم قروض الكتلة السوفييتية (١٤٠ مليونا) وتمت تغطية الباقى بالسحب من احتياطى العملات الأجنبية (٣٠ مليونا) وبتسهيلات الموردين من الدول الغربية (١٣٣ مليونا) وبالاقتراض قصير الأجل من البنوك التجارية (٣٧ مليونا)[٧] .

عبء الديون عند وفاة عبد الناصر

لابد أن نلاحظ إذن أنه على الرغم من الصعوبات التى واجهت الاقتصاد المصرى فى أعقاب ١٩٦٧ ، لم يكن من بين الحلول التى لجأ اليها عبد الناصر إغراق مصر بديون لا تستطيع الوفاء بها . فمع ضخامة الأعباء والتضاؤل الشديد فى الموارد الذاتية كان سد العجز يتم فى الأساس بالمنح التى لا تولد أية أعباء مالية أو بالقروض من الكتلة الشرقية ذات الشروط بالغة اليسر . ولم يلجأ عبد الناصر إلى الاقتراض باهظ التكلفة (الاقتراض قصير الأجل وتسهيلات الموردين) إلا فى حدود لا تتجوز ٢٧٪ من اجمالى العجز فى العملات الأجنبية . كان الثمن الذى دفعه الاقتصاد المصرى لذلك يتمثل فى الانخفاض

الشديد فى معدل التنمية ، ولكنه كان فى اعتقادنا يمثل اختيارا حكيما ، إذ كان من شأن التوسع فى الديون فى تلك الفترة أن يجبر مصر فى وقت لاحق على التخلى عن أية محاولة لمتابعة مسيرة التنمية المستقلة التى بدأها عبد الناصر فى نهاية الخمسينيات وكان من شأن هذا الاختيار أن كانت مصر وقت وفاة عبد الناصر لا تحمل إلا عبئا هينا نسبيا من الديون . فيقدر خالد اكرام إجمالى ديون مصر المدنية (بما فى ذلك كل الديون طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل) فى ٣١ ديسمبر ١٩٧١ ، اى بعد نحو سنة من وفاة عبد الناصر ، بما لا يزيد على ١٣٠٠ مليون دولار ، لا تزيد نسبتها إلى الناتج القومى الاجمالى على نحو الربع(٨) . وبلغت نسبة خدمة الديون كلها ، مدنية وعسكرية ، وبمختلف انواعها ، طوال السنوات ٦٧ ـ ١٩٧٢ نحو ٣٣٪ من إجمالى الصادرات من السلع والخدمات . ان من المفيد تذكر هذه الأرقام حينما ناتى لوصف حالة المديونية الخارجية لمصر فى الوقت الحاضر ، إذ ان ما كان يبدو عبئا باهظا فى ١٩٧٠ يبدو الآن عبئا يسيرا للغاية إذا ما قورن بحجم المديونية وعبء خدمة الديون فى يومنا هذا . كما ان من المفيد أن نتذكر الفارق البين بين هيكل المديونية فى نهاية حكم عبد الناصر وهيكله اليوم . ففى نهاية ١٩٧١ كان اجمالى الديون المدنية موزعا بالتساوى تقريبا بين الكتلتين الشرقية والغربية فبينما كانت الديون المستحقة للاتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية والصين تشكل نحو ٤٣٪ من اجمالى ديون مصر المدنية ، كانت الديون المستحقة للدول والمؤسسات الغربية والبنك الدولى تشكل ٤٦٪ . والباقى كان دينا للكويت . وسوف نرى كيف زال هذا التوازن بالتدريج خلال السبعينيات حتى أصبحت الديون المستحقة للدول والمؤسسات الغربية (مضافا اليها اليابان) تشكل النسبة العظمى من اجمالى مديونية مصر الخارجية .

هوامش الدراسة

(١) جلال امين : المشرق العربى والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٧٦ .

(2) Ikram, K. : **Egypt : Economic Monagement in a Period of Transiton,** Johns Hopkins University press, Baltimore, 1985, P. 342

(3) Amin, G. : **The Modernization of Poverty,** Brill, Leider, 1974, P. ٩

(5) Mabro, R. : **The Egyptian Economg : 1952 - 72,** Clarendon Press, Oxford, P. 177.

(٦) امين : المرجع السابق ، ص ٤٤

(٧) اكرام ، المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

(٨)إكرام ، نفس المرجع ، ص ٣٤٤ .

نظرة المرضى للأطباء !

بقلم: د. سيد عويس

لا جدال فى ان مهنة الطب مهنة قديمة، بل هى من اقدم المهن الانسانية . ويفترض انها مهنة عالمية تعمل فى ميدان انسانى فى ضوء تقاليد انسانية . اى هى مهنة توجد فى كل المجتمعات الانسانية، قديمها وحديثها، كبيرها وصغيرها، أكثرها تعقيدا واقلها تعقيدا على السواء . والمكانة الاجتماعية للأطباء فى كل المجتمعات مكانة عالية .

ويتضمن عناصر هذا التقدير الحب والخوف او الخشية، اى الاحترام والاعجاب . ويلاحظ ان كل عضو من اعضاء المجتمع له مكانة اجتماعية معينة، ولكننا نجد على مستوى المجتمع او على مستوى الجماعات، من هم اعلى مكانة اجتماعية من غيرهم، كما نجد من تكون مكانتهم الاجتماعية فى الحضيض .

● وقد تتحدد مكانة الشخص الاجتماعية بالوراثة الاجتماعية او الوراثة البيولوجية عن طريق ظروف أسرته الاجتماعية او فئته الاجتماعية او طبقته الاجتماعية او عن طريق نوعه ولونه ووسامته وجماله . وقد تكتسب المكانة الاجتماعية فى ضوء بعض المقومات: منها مستوى الشخص الاقتصادى، ومنها مستواه الثقافى . ومنها مستواه الصحى، ومنها مستوى المسكن الذى يسكن فيه ومستوى المكان (فى المدينة او فى القرية) الذى يقع فيه المسكن، ومنها الدور الاجتماعى او الادوار الاجتماعية التى يؤديها . والملاحظ

نظرة المرضى للأطباء !

انه كلما تعددت هـــذه الادوار الاجتماعية للشخص منـــــا ارتفعت مكانته الاجتماعية ·
وفى عصرنا الحالى نجد ان المكانات الاجتماعية التى تورث اجتماعيا او بيولوجيا تقل يوما بعد يوم · وبمرور الزمان ، وفى ضوء انتصارات الانسان العلمية والمادية المذهلة على الطبيعة وعلى المجتمع نرى ان الامـــل كبير فى اختفاء المكانات الاجتمـــاعية الموروثة فى المستقبل القريب ·

مهنة الطب فى مجتمعنا مهنـــة عريقة · وقد صدرت مصـــر الى العالم الخارجى من الخبـــرات الطبية ما اعترف به المؤرخـــون واكده العلماء فى فروع العـــلوم الطبية · وهى مهنة عريقة يتـــوج اصحابها فى مجتمعنـــا مكانة اجتماعية رفيعة · توحى بالرهبة احيانا،كما توحى بالحب والرحمة احيانا اخرى · وقد توحى بمشاعر انسانية اخرى عديدة كذلك · فهى تتعامل مع الانسان المصرى صاحب التاريخ القديم المستمر عبـــر القرون منذ اكثر من سبعين قرنا ·

ومهنة الطب فى مجتمعنا وفى غيره من المجتمعات تتعامل مـــع الانسان سواء كان طفلا اوصبيا او شابا او رجلا او كهلا او شيخا ، او كان ذكـــرا او انثى ، تراه بالضرورة ، او يجب ان تـــراه بالضرورة ، لا يعيش فى فراغ · بل يعيش فى علاقات اجتماعية على الدوام ، وله ادواره الاجتماعية،سواء اكانت ادوارا متعـــددة ام غير ذلك ، التى يؤديها فى المجتمع الذى يعيش فيه حتى يستطيع ان يعيش فيه · أى ان مهنـــة الطب لكى تؤدى مهمتها وتحقق اهدافها، تهتم او يجب ان تهتم بالانســـان وهو يعيش واقعه الاجتماعى الحى أى تهتم بالضرورة بظروفه الثقافية الاجتماعية وبظروفه الاقتصـــادية وبظروفه السياسية على السواء ·

ومهنة الطب فى مجتمعنا وفى غيره من المجتمعات تهتـــم فى الغالب بعلاج امراض الاجسام ، كلها او بعضها · وان كان اهتمامها بالوقاية من هـــذه الامـــراض وبالعناية بدور التنمية فى محيط المادة البشرية من الوجهة الصحية حتى يشب اعضاء المجتمع اصحاء الاجسام اقوياء يســـتطيعون ان يؤدوا ادوارهم الاجتماعية المتعددة أو غير المتعـــددة احسن اداء ـ لايبلغان الحد المطلوب فى ضـــوء قيم كل مجتمع ومبـــادئه ومثله العليا ·

وفى ضوء واقعنا الاجتمـــاعى الثقافى الحى نلاحظ ان مهنة الطب وهى تتعامل مع الانسان المصرى صاحب التاريخ القديم المستمر عبر القرون ، قد تركت فى نفســه اثارا عميقة فالطبيب هو الملاذ الذى فى يده ان يكيد العوازل حتى لو كان المرض مرض الموت :

عليـــل طلعـــوه قصـــر عالى بنــاه طـــالع
وجــابو له طبيب من الشام كشف عليه وجـــه طــالع
فقالت ام العليـــل يا طبيب ايه العليــل حــــاله
قالها يا ست ابنك عمل فيـــه الدود مجارى وما طالع
قالت له امانة عليك يا طبيب ترش الدوا وتجى طـــالع
تلاقى العوازل على الصفين يسالوك ايه العليل حاله ؟
قول لهم طبيب بياتوا مكانى وابنى يصبح فى الخشب طالع
امانة يا طبيب لو قابلوك العـــوازل تقـــول طيب
بياتوا كمادى واصبح انـــا على الســـرير ميت .

ونظرة الانسان المصرى نحـــو الطبيب انه المــــلاذ الامين الذى يشكو اليه حاله ويستنصـــحه فى شان خلانه واحبائه :

تسمع وتسلم انا شفت العليل على العضم
متاكل اللحم والجلد فضل على العضـــم
والدود سرح فيه ملقا من ليـــان فى العضم
وقال الطبيب للعليل يا عليل فين رفقـــاتك
كانوا يجولك يمكن تلقى الرجـــا منهـــم
فقال العليل للطبيب بس ما تقولش رفقاتك
ما هى البلاوى يا طبيب واصل العيا منهم
طول ما معاك مال ما هم كتـــر رفقـــاتك
وان خس مالك لم تلق احـــــد منهـــم
انا خانى زمانى المثل والطمع والجـــاه
ووقعت مع ناس مالهمش اساس ولا جاه
حالا شرحت المثل زى العسل والجـــاه
عتبك على الاهـــم ياكلوك لحم ورموك عضم
و
يا طبيب معى الم قـــد العلم عينـــاه
على خل صادق كانت ايدى اليمين عيناه
شبه الجواهر واغلى من الدهب عينـــاه
سعدى ووعــــدى اتوفى الآن العصـــر
استكثروا نعمتى خــــدوا الحبيب منى
راحت ليالى الهنـــا جاتنا ليالى عسر
يا نار فؤادى اتكوى شلعوا الهـــوا منى
لا اسيب منــادى ينــادى كل يوم العصر

يا رب مش قدرتي وانت قــــوى منـــى
يارب دانا ادمى مانيش حجـــر يوسف
ويعقوب على سجن يوسف ضيت عينـــاه

والملاحظ ان الطبيب عند الانسان المصرى لا يشفى من الامـــراض الجسمية فحسب ، فهو انســـان حكيم يدعو الى الايمـــان والى الخلق القويم :

يقول يا طبيب ياللى مؤمن بالاله ونبيـــه
وقاضى فرض ربك وماشى بشرع نبيــــه
رب العباد اكرمك بقيت فصيح ونبيـــه
الزور منعته وخدت الحـــق من طبعــك
ابليس عصيته ولا قبلتش ســـؤال منــه
واشتهرت على الجود وداء الكرم طبعك
والبخل دست عليه ما فيش قيـــراط منه
يا ابو فعل محبوب يمكـــن الادب طبعك
كمثل ورد فى شجر ريحته تبان منـــــه
وفى كل مكان شهدولك العــــالم بالحق
وقالوا دا طبيب طـــاهر وصــاحب حق
حتى اللسان متصان مابيقولش خلاف الحق
وصاحب الحق تلقاه مليح ونبيـــــه

ومهما كانت مهارة الطبيب فانه لا يستطيع بالتاكيد ان يشـــفى ولكن الله وحده هو الشافى الاعظم :

جس الطبيب فى شــــمالى قلت له مين (على اليمين)
صابح مســـافر يا طبيب وفايتنى عليـــل على مين ؟
واهلى وناس بقـــــوا بالجــــــروح عــــالمين
والله ان طبيتنى لا نصب لك رايات على المين (على الميناء)
وان ما طبيتـــنى يا طبيـــب يطبنى الاله وحـــــده
لا فـــــوقه طبيـــــــة ولا عـــــالمين

ولا هم للطبيب الا ان يسال عن اتعابه وعن ثمن الدواء مهمـــا كانت معاناة المريض من الالام الى حد الموت :

طبيب وقال للعليــــل اداويــك يا عليل واخد حق الدوا من مين ؟
قالت اخت العليل داويه ياطبيب وخد حلقى وخلخالى . ———
قالت ام العليل ، داويه ياطبيب وخد منى جميع مالى .
قال ابو العليل داويه يا طبيب وتعلق لك فى الجبال
علمات طق العليل مات من قولت اخد حــق الدواء من مين ؟

و
جس الطبيب فى شمالى قلت له على مين (على جنبى اليمين)
صابح مسافر يا طبيب وفايتنى عليل على مين ؟
قال ان دويتك يا عليل راح اخد الدواء من مين ؟
انا قلت يا طبيب ما تحسبنيش من الرجال خالى .
دانا لى القين غير عمى وغير خالى .
قالت اخت العليل داويه يا طبيب وخد حلقى وخلخالى
قالت ام العليل داويه يا طبيب وخد جميع مالى .
قال ابو العليل داويه يا طبيب وتعلق لك فى الجبال علامات
طق العليل مات من قولت حاخد الدواء من مين ؟
والانين من جشع الاطباء يزداد ويزداد حتى يقول القائل :
طبيب يا جبار مكاسبى من العيا راحت .
وكان عندى ميراث عال من اثر الجدود راحت .
ومكاسبى قلت وختى صحتى راحت .
وتبلغ شكوى العليل حد اليأس فيلجأ الى الاولياء والقديسين يطلب الشفا منهم :

عليل ابتلى بالسرطان حير جميع الطبايا
زعق وقال يا سرطان (يا سرطنطا) انت كبير الطبايا

واذا كان الانسان المصرى يحزن للموت والفراق حزنا شديدا فالطبيب وهو مصرى اذا يئس من شفاء العليل يدعو اهله الى الحزن والبكاء :

الطبيب يقول لام العليل هاتى لك ناس وتعالى ابكى .
على ابنك اللى تعب من الموت وتعالى ابكى .
شغل الطبيب على العليل وهو مات .
يا طول بكاك على الاثنين وتعالى ابكى .

ومهما كان العليل مريضا فالامل فى ان يشفى قائم . فهو يرجو هذا الشفاء لكى ياكل كما كان ياكل :

عليل يقول للطبيب وقت ايه اطيب وامشى
واترك بلاد المصسل واكل بصل وامشى (بالمش)

وتجد مشاعر العليل نحو الاهل الذين جافوه والاصحاب الذين تركوه تملأ عليه كيانه :

فى باطنى جرح بشنيه بفوارة
وفيها مراكب بتوسق جبس وحجارة
لما اتانى العيا وبركت فى الحاره
اهلى جافونى وجافو ماولدناش حد

و
وقت ايه يا ناس ابرأ من العيا واطيب
واعاتب الصاحب اللى كنت عامله حبيب
يلزم على البيت كانه اجنبى وغريب
حتى السلام يا رفاقه لم يجوله لحد

أنت .. و الهلال

الاباضية

● قرأت مقال الاستاذ مصطفى نبيل فى الهلال ـ عدد يناير الماضى ـ بعنوان « البحث عن الاباضية » ، فاعجبتنى الكتابة النزيهة فى هذا الموضوع عن هذه الفرقة الاسلامية ، مما جعلنى أسعى لتقديم شكرى وأنوه باعجاب الاباضيين فى الجزائر بهذا المقال ، كما وددت لو أتيح لى أن أقدم للهلال بعض الكتابات الاباضية عن فكرهم ، لعلكم تتطرقون الى هذا الجانب بعدما استوفيتم جانب التعريف بهم جغرافيا وتاريخيا ، لان الهوة الحاصلة الآن بين الاباضية وغيرهم من المسلمين لا ترجع لاختلال فكرى أو تطرف عقائدى وانما ترجع الى الجهل بفكر هؤلاء أساسا ، فالاقلية التى تميز مذهب الاباضية جعلتهم غير قادرين على توصيل علمهم وتراثهم للآخرين ، أو جعلتهم يتشغلون بالدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات اللاذعة من بعض الذين يجهلون حقيقتهم • ومن هنا فان كتابات المعاصرين وهم كثرة والحمد لله من غير الاباضية .. قد أعطت دفعا كبيرا لقضية هذه الجماعة فى سبيل توضيح حقيقتها •

ونحن لسنا فى عصر المذهبية ، والتبارز العقائدى ، ولكن أريد أن أقول ان العمل فى هذا الاطار يدخل فى سبيل نشر الحقيقة وتنبيه الناس وايقاظهم من غفلتهم فمتى عرف المسلمون حقيقة الاباضية وزالت الغمامة التى بينهم أمكن توحيد الصف والكلمة •

القارىء الجزائرى :
يحيى صالح بوتردين
مصر الجديدة

● صدر القرار

لا ، لا تحاول أن تشـــد يدى
انا لن أعــود اليك للأبـــد
صدر القـرار فلست مرتجعــا
عنـــه ، ولا فيه بمجتهـــد

فلقد اطلت عليك مصطبرى
حتى فقدت فضيلة الجلد
ما عاد لى سفن فاحرقها
او عاد لى موج سوى الزبد
لا ترج عودة امس ثانية
او يرتجى عود للتحد !؟٠٠٠

جهاد جميل الجيوسى
عمان ـ الاردن

● وطنى

وكم بطن قد انتفخت ٠٠
فاين مدينتى انت !؟
وكم بطن قد اشتركت ٠٠
فكيف بها تجزات !؟
وابحث عنك يا وطنى
تعيدك عين فاطمتى
اذا ابتسمت ٠٠ ارى حزنى
تهلل : تلك قاهرتى
يصب النيل فى فرعين ٠٠
ذكرت رسوم خارطتى
يصب النيل فى الشفتين ٠٠
شفاهك روتا نبتى

د٠ احمد عامر
شبين القناطر

● تعليق

ـ نهنئكم على غزارة انتاجكم الشعرى ٠٠ وقد اجتزانا من قصيدتكم هذه الابيات بسبب ما ترون من ضيق المقام ٠ ولكننا نلفت انتباهكم الى ان كلمة « بطن » ليست مؤنثة كما هو الشائع وانما هى مذكرة ، وعكسها كلمة « كرش » التى يستعملها العامة مذكرة وهى مؤنثة ! ٠٠

● علم النحو

● أرجو افادتى : هل كان العرب يتكلمون فى الجاهلية وصدر الاسلام باللغة العربية الفصيحة بدون أن يعرفوا شيئا على الاطلاق من علم النحو ، واذا كان الامر كذلك فمن أين جاء علم النحو ولماذا ؟!

حسن علم الدين الاسد
الاسكندرية ـ شارع سعد زغلول

● تعـليق :

ـ نعم كان العرب لا يتعاطون علم النحو لانهم كانوا يتكلمون لغتهم بالفطرة وقد استقرت قواعد اللغة عندهم على هذا الشكل الرائع خلال مئات السنين التى عاشوها قبل الاسلام ، ولا يدرى احد كيف اتفق ان تكون هكذا ، وبعض العلماء يقول ان هذه اللغة جاءت عن طريق « التوقيف » .. اى الالهام الالهى ، لفرط الدقة فى تكوينها .. اما النحو فان أول من تكلم فيه كان ابا الاسود الدؤلى فى عهد على بن ابى طالب ، ثم جاء الخليل بن احمد فى عهد هارون الرشيد فاكمل هذا العلم واخذه عنه تلميذه سيبويه فاستبحر فيه ووضع فيه كتابا عظيما صار مرجعا لجميع النحاة الذين تكاثروا بعد ذلك حتى ايامنا هذه التى أصبح اكثر المتعلمين ـ دعك من غيرهم ـ يجهلون النحو تماما !..

● الديون

لا تسلنى كيف نقضى ما علينا من ديون
كيف ننجى جيلنا المقبل من كف المنون ؟!
فى يديك الامر ان النحت عن بعض الجنون
فى يديك الامر ، فاهجر ما عليه المترفون
ما يغوص القوم فى أوحاله حتى الذقون
من سباق خلف زهو زائف زيف الخائنون

فى يديك الامر لا تغمض عن الحق الجفون
دربنا كالصبح صحو ، انما تعمى العيون

محيى الدين عطية
الصفاة ـ الكويت

● حكاية لقب

● تقولون فى تعليقاتكم على اشعارنا : هذا جيد وتعتذر من عدم نشره لضيق المقام ، وكلامكم هذا لا يكفي للاقناع ، فارجـــو التوسع قليلا فى التعليق ، واليكم هذه القصيدة :

يوم الرحيـل تذكر ان اللقب
الذى كان يزهو به
صار عنـه غريبا
وان الضياع التى كان يزعم
لم تكن ملكه
وان الخفـر



ليسوا الخفـر
فالحمار الذى كان يركب
الآن يمشى وحيدا
اين الخفير الذى كان يدعى « مطاوع »
اين باقى الخفر

على حوم
اذاعة شمال الصعيد بالمنيا

– زعم بعضهم ان النظم بالتفعيلة قد حرر الشعراء من ذل البحور والقوافى ·· ولكنا نراك « مزنوقا » فى كل سطر ، لا تستطيع الا أن تقرأه منفردا وتقف على آخره ، ولو وصلته بما بعده لصار نظمك غير موزون ، ماعدا قولك : « فالحمار الذى كان يركب » ·· فهذا يمكن وصله بالسطر الذى يليه ! ·· هذا من جهة ، ومن جهـة أخرى ، فأى شعر او شاعرية فى نظمك هذا يا عزيزى ؟! لقد خدعت نفسك حين استغرقت فى قراءة وحفظ انواع رديئـة من الشـعر التفعيلي حتى صرت تقول مثل هذا الكلام الذى لا محصول له ·· بقى أن نقول : ان « الخفر » معناه فى اللغة « الحياة » ·
أما الخفير فان جمعه « خفراء » ··

أنت .. و الهلال

● أنشودة الوفاء

● اكتب اليكم قصيدتى هذه راجيا ان تنال اعجابكم :

فضحت هواى نظرة عفـــوية
والحب عنـــد الصب لا يستتر

قلت دعينى كى اتم قصــــيدتى
استاف وجدى من عيون تسكر

انت التى اوقـدت نار غــــرامى
وشغلتنى دومـــا بصوت يسحر

حتــام ابقى فى هجــــر دائـم
ويخاصم النوم الجفـــون فاسهر

ما جال غيرك فى سماء قصيدتى
ان الســــماء بطيفك تتفـــاخر

رفعت بروبى
سوهاج

● الهلال :

ـ انت دائم الكتابة الينا ، فلك علينــا حق الصــديق على الصديق ، ولذلك نصارحك برأينا فى قصيدتك هذه التى بلغت عشرة أبيات وقد اجتزأنا منها خمسة فقط تدل على بقيتها ، ومن الواضــح أنك اردت نظم قصيدة غزلية من بحر الكامل ، ولكن الاوزان لم تسلس قيادها لك ، فالبيت الاول لا يتزن الا اذا مددت ياء « هواى » فجعلتها « هوايا » ٠٠ وشطره الثانى مكسور ، ويمكن أن يصبح موزونا اذا قلت « لا يتستر » بدلا من قولك « لا يستتر » ٠٠ والشطر الاول من البيت الثانى مكسور ، ويصبح موزونا اذا قلت «اتركينى» بدلا من قولك « دعينى » ٠٠ والشطر الاول من البيت الثـــالث لا يصح أن تقول فيــه « نار غرامى » وتســـتطيع ان تقول « نار محبتى » مع ان هذا الشطر اذا قام بذاته ولم يكن ضمن البيت يكون موزونا بحسب تفعيلات « الكامل » ٠٠ والبيت الرابع مكسور فى شطره الاول ويصبح موزونا اذا قلت « فى خصام » بدلا من قولك « فى هجر » ٠٠ والبيت الرابع مكسور فى شطره الثانى ، ولو قلت: « ان السماء بحسن طيفك تفخر» لصار موزونا ٠٠ ونحن نتحدث

هذا عن مجرد الاوزان المكسورة وغير المكسورة ، أما المعانى والقيمة الفنية فالقصيدة تفتقر اليها تماما مع الاسف ٠

● حلم المتيم



حلم هو الوجـه الصبيح ٠٠
وهذه الشمس
استحمت فى إبتسامتك الخفية ، راودت
فى الجموح
فعق ويل العشق ، آه وحـق
ويـل النفى فى
وضح النهـار
الاخضر الرقراق شب متيمـا
بأميرة ، مطر الكلام الحلو روى وهمه
القـروى ، راح
الاخضر الولهان يرمى للعصافير الجميلة
قمحــه ،
والاغنيــات ،
وكان فرحـانا ،
يمد القلب مرتعشا فتاتيه العصافير
الجميلة والاميرة لا تـراه
مطر الكلام الحلو روى وهمه القروى ،
قال : أجيئـك الان ، الشـتات
الفج حـاصرنى
وقال : أضمك الان ، الغيــاب
المـر أطفـأنى ،
وبات الاخضر الاسيان ينتظر الاميرة ،
قالت الريح : انتبـه
قالت : ولا تحـزن ، فأومات الاميرة للمتيم
واختفى وجـه صـبيح !

على منصور ـ القـاهرة

● رسالة ازهرية

● نشكر لكم عملكم الدائب فى انشــاء جيل ينمو على الكلمـات العربية الصحيحة ٠ وأبدأ بالدعــاء أن يكون ما أكتبه شعرا ٠٠ لاننى لست « ذو » عهد جديد فى الشعر بل اكتب من فترة كبيرة فتارة اكتـب

أنت.. و الهلال

بيتا موزونا والالاف لا ، فغير « موزونا » ودلنى على طريق امشى فيه « مدرسا جليلا » فله جزيل الشكر وعرفان بالجميل فقال لى اكتب على البحر الكامل وكتبت ولعل ما اكتبه « صحيحا » وليس خطأ وانى والله احب الشعر واكتب ما يحوم بداخلى وما « تان » منه نفسى وارجو ان « تعطوننى » الثقة بالنفس ان كان ما اكتبه شعرا وعربيا فصيحا • ونحن فى عصر لا يتكلم الا بالعامية وان تكلم « لفظ فصيح » أخطأ فيه و « الحن » « فمعزرة » ان كنت قد اخطات املائيا او لفظيا فلازلت اتعلم من الذين « يضاهوكم » ويحاكوكم » وانى شاكر لكم •

جمال جابر على

كلية اللغة العربية بجامعة الازهر
فرع اسيوط

● تعليق :

ـــ لم تفزعنا هذه الرسالة المليئة بالاغلاط النحوية واللغوية والاملائية والتى يقل مستواها عن مستوى ما يكتبه تلاميذ السنة الثانية فى التعليم الاساسى .. وسبب عدم فزعنا اننا اعتدنا ان نتلقى رسائل مثلها ، ولكن الحزن استبد بنا ، فهذا طالب فى كلية اللغة العربية بالازهر ، سوف يكون مدرسا للغة والادب عندما يتخرج ان شاء الله بعد عام او عامين فقط ، وهو لا يحسن اقامة الفاعل والمفعول واسم «ان» وخبر « كان » .. انه يقول « لست ذو » بدلا من « لست ذا » .. وغير « غير موزونا » فيجعل المضاف اليه منصوبا .. ويقول : « دللنى مدرسا جليلا » فيجعل الفاعل وصفته منصوبين .. ويقول : « لعل ما اكتبه صحيحا » فيجعل خبر « لعل » منصوبا .. ويرسم كلمة « ثان » هكذا « تان » .. ويقول : أن تعطوننى » بدلا من « أن تعطونى » .. ويقول: « تكلم لفظ فصيح » فيضم ما هو مفتوح .. ويقول : « اخطأ فيه والحن » بدلا من « لحن » .. ويرسم كلمة « معذرة » بالزاى بدلا من الذال..ثم يقول « يضاهوكم » فينصب فعلا غير منصوب..اما شعره الذى جاءنا مع نثره هذا ، فهو شىء لا يصدقه عقل .. فانا لله وانا اليه راجعون ، وما اشد بؤسك ايتها اللغة العربية برجالك فى المستقبل وبخريجى كلية اللغة العربية الازهرية ـ فرع اسيوط ـ وانها لمصيبة لا عزاء لبها ، والامر لله من قبل ومن بعد ! ..

● حسن المنشاوي ـ السويس :
ـ جهدكم فى كتابة القصة لا ينقصه الا المثابرة والصبر لاتقان هذا الفن الذى يظنه الناشئون فنا سهلا ٠

● محمد عبد القوى الشباس ـ كلية الهندسة بالاسكندرية :
ـ قصيدتكم لا بأس بها ، وهى موزونة ، ونحن نفرح بكل من يستطيع اقامة الوزن بالتفعيلة او بالبحر ٠٠ نشكركم ونرجو أن تستمر ٠٠

● محمد العايش القوتي ـ تونس :
ـ قصيدتكم التى عنوانها « فتنة » والتى اولها : « روى التاريخ احلامى فداعبها البدر » ٠٠ لم نفهم اوزانها ٠٠ فهذا البيت مثلا لو قلت فيه « الدهر » بدلا من « احلامى » لصار من بحر الطويل ٠٠ واذا قلت : « روى التاريخ احلامى » فهذا وزن آخر ٠٠ ولكنك تدخل عليه قولك « فداعبها البدر » ٠٠ وبقية ابياتك تختلط فيها التفعيلات ، واحيانا تكون خارج الوزن كقولك : « ورفت على اهدابى سكرة الهوى » ٠٠ وهذا « البيت » يمكن أن يصبح شطرا من بحر الطويل اذا قلت : « ورفت على اهدابها سكرة الهوى » ٠٠ وبقية القصيدة تجرى هذا المجرى العجيب الذى يختلط فيه المنظوم بالمنثور فى غير طائل !٠٠

● خالد سعد الدين الصغير :
ـ نحن لا ننشر الزجل أو الشعر العامى وقد بينا أسباب ذلك مرارا وتكرارا فى اعدادنا السابقة فارجع اليها اذا شئت ٠٠

● محمد ابو طاهر ـ النوع ـ فلسطين :
ـ نشكركم ، أما كلماتكم فهى مع الاسف لا تصلح للنشر ، ومعذرة من هذه الصراحة ، ومن المؤلم أن نقول لكم ذلك وأنتم تحت وطأة الاحتلال الصهيونى ٠

● عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :
ـ تعليقكم على كلام الشيخ محمد عبده من أن أوربا يوجد بها اسلام وليس بها مسلمون ، تعليق صائب ٠٠ ومازال هذا الكلام ـ وياللعجب ـ قائما بمعناه ومبناه ، ولا يوجد ما يدل على أن الامور ستتحول فى وقت قريب !٠٠

● رمضان الهجرسى ـ فندق الفضل الحديث ـ شارع الكفاح ـ بغداد :
ـ أنت تسألنا عن الهلال ولماذا لا تجده بسهولة فى بغداد ، ونحن نقول لك ان المسئول عن ذلك هو التوزيع والشركة القومية للتوزيع ، ونحن على كل حال نشكو من ارتباك التوزيع فى جميع البلاد العربية ٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية .غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

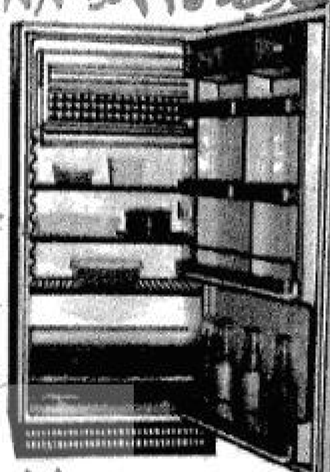
أسعار البيع للعدد العادي

سوريا	١٧٥٠	ق. س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٢٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا .	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٥٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق. سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٦٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا

انتاج متميز
ولا غنى عنها للأسرة
بجودة عالية
وبأسعار للتجارة

ايديال
IDEAL

الثلاجة ٢٣٥ لترا ٨,٧ قدم



للتقسيط الفوري

١٨٠ دولارا
أو بالعملة المصرية

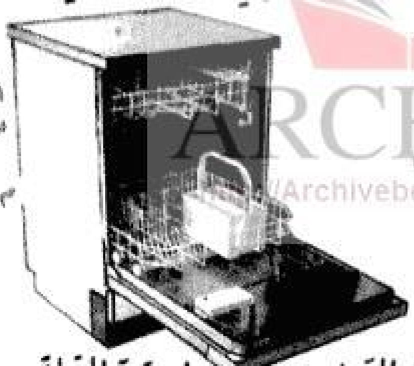
* ثريز كبير .
* كفاءة تبريد عالية .
* كابينة متسعة لحفظ المأكولات
* اقتصادية فى استهلاك الكهرباء .
* يمكن تعديل اتجاه فتح الأبواب .
* ضمان ٣ سنوات .
* مراكز خدمة متخصصة .
* التسليم بسيارات الشركة .

وثلاجات ... بباب واحد وببابين بأحجام متعددة

وانتاجنا العصري
غسالة الأطباق الجديدة

* توفر الراحة والرفاهية .
* بديل للإنتاج المستورد دون مواجهة مشكلاته من نقص قطع الغيار والصيانة - ومشكلات الشحن والنقل والتخليص الجمركي .
* وفرق السعر مع كفاءة عالية فى التشغيل .

ومزايا أخرى عديدة

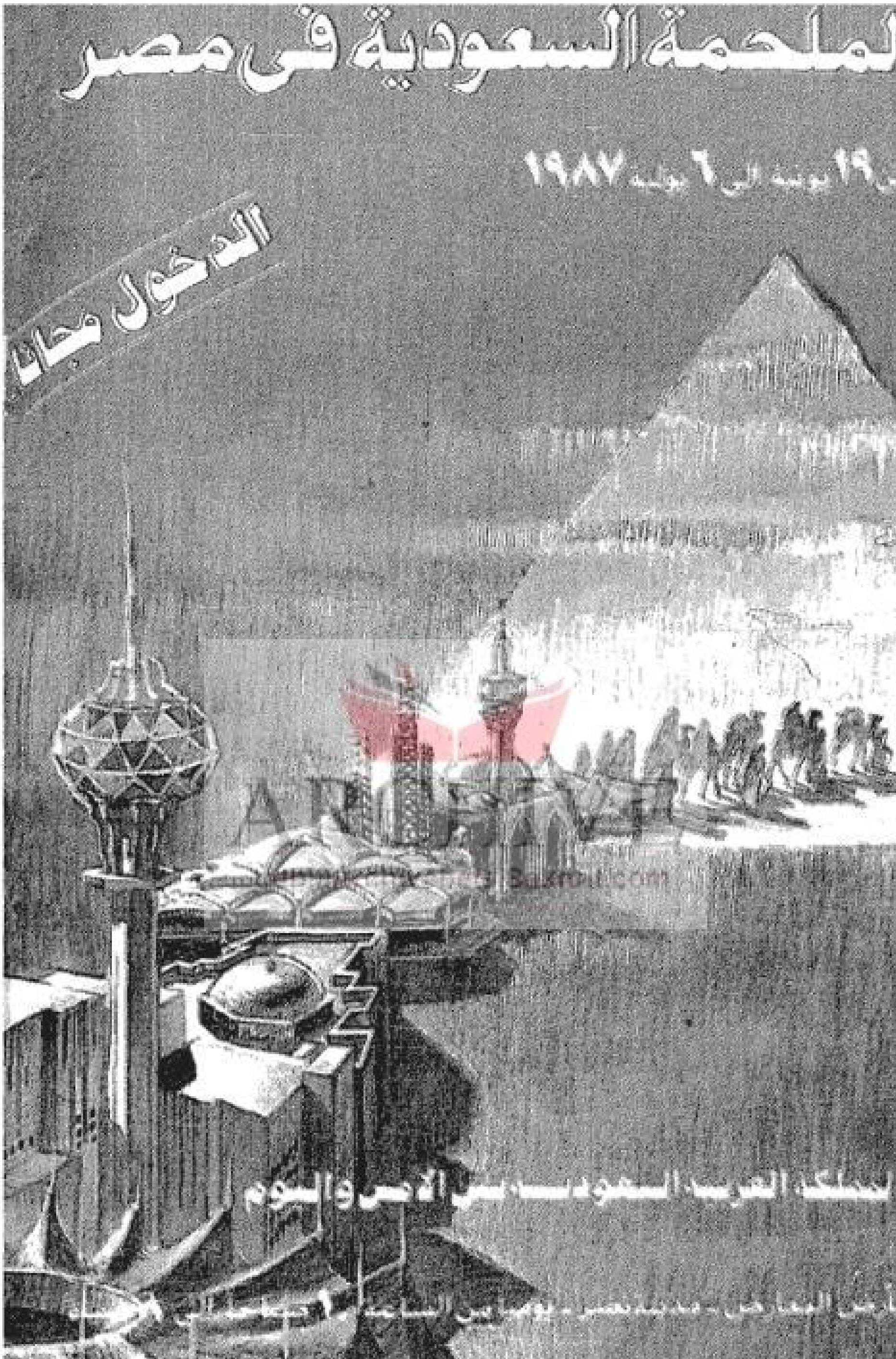


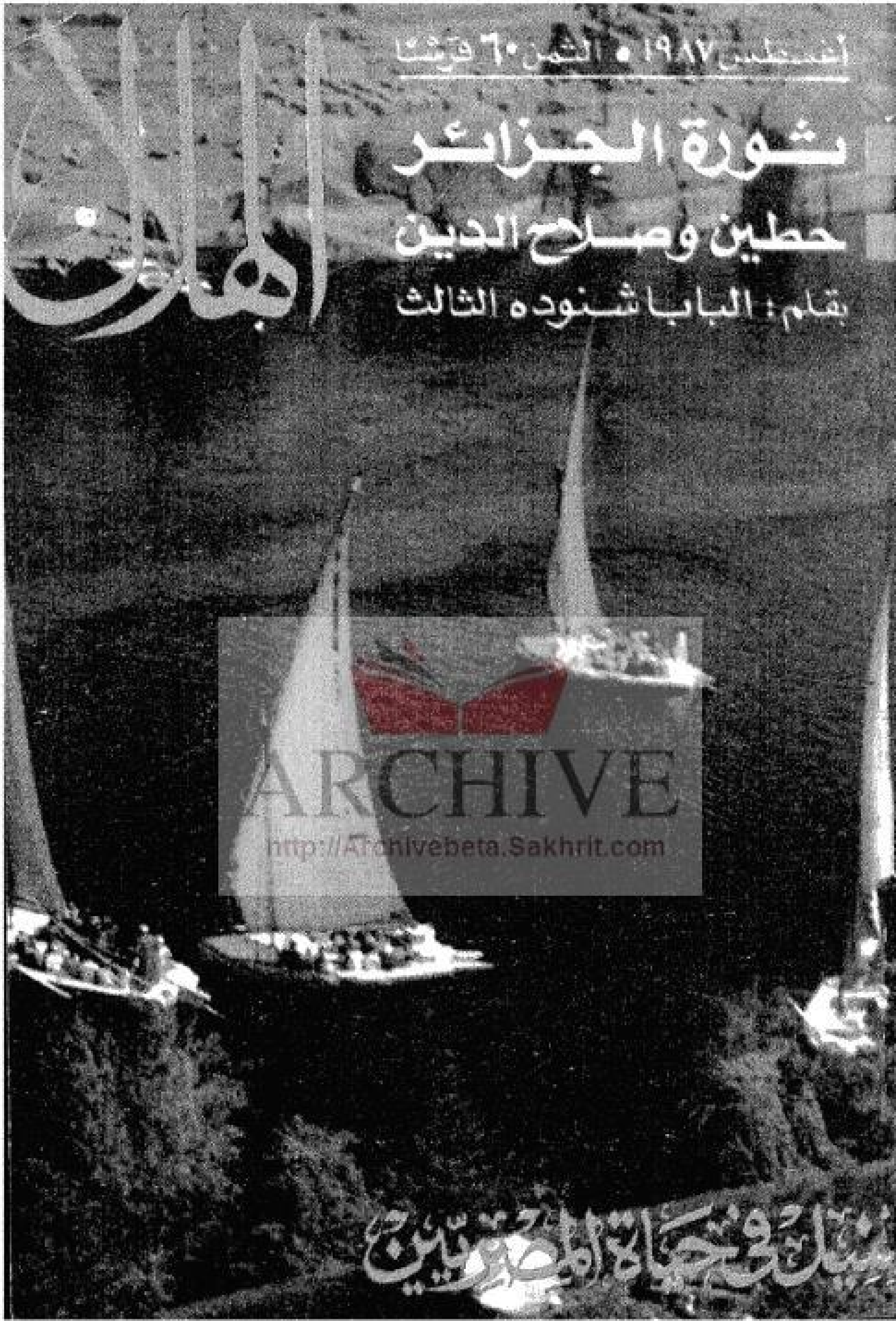
٩٤٨
دولارا
+
... م. بنكية

التسليم
بأسبقية التعاقد

والاستعلام : فروع ومعارض الشركة
بنك القاهرة وفروعه وموزعونا المعتمدون
بنك ناصر الاجتماعي وفروعه .
للعملة الأجنبية : بنك الإسكندرية وفروعه ومكاتبنا بالخارج .

ايديال
IDEAL
صناعة
مصرية متخصصة
ومتطورة


الملحمة السعودية فى مصر
من ١٩ يونيه الى ٦ يوليه ١٩٨٧
الدخول مجانا
المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم
أرض المعارض - مدينة نصر - يوميا من الساعة


أغسطس ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرشا
الهلال
ثورة الجزائر
حطين وصلاح الدين
بقلم: البابا شنوده الثالث
النيل في حياة المصريين



من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامى مستمدة من احدى القصائد التى كتبها الشاعر الايرانى خواجو كرمانى وهى تصور بعض العذراوات يتنزهن فى حديقة غناء . ويرجع تاريخ اللوحة الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى . ومحفوظة حاليا فى متحف فنون الزخرفة بباريس .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ أول أغسطس ١٩٨٧ م - ٦ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب

عزيزى القارئ

محنة الصّحافة الثقافية

الصحف والمجلات المصرية الآن ، هى أوسع المطبوعات الدورية العربية انتشارا فى البلاد العربية وفى العالم كله ، ولكنها تباع بأقل الأسعار .

وتنفرد المجلات الأدبية والثقافية المصرية بأنها تباع بثمن رمزى ولا تحصل على دعم من خارج الدور الصحفية التى تصدر عنها ، ولهذا لا تكسب المجلات الأدبية والثقافية المصرية إلا محبة قرائها وثقتهم ، أما المال فإنها لا تحصل منه على كثير ولا قليل ، ولا تستطيع أن توازن بين حصيلة توزيعها وبين نفقات ورقها وطباعتها وتحريرها ، لأن الثمن الذى تباع به هو أقل من ربع الثمن الحقيقى الذى يمكن به أن تتعادل كفتا الميزان ، بلا ربح ولا خسران ، وبلا خوف من جرائر التأرجح الدائم للكفتين بغير رجحان ! ..

وربما استطاعت الصحف اليومية وبعض المجلات الأسبوعية المصرية أن تتجنب غوائل ارتفاع أسعار الورق والطباعة وغيرها ، بما تتلقاه من عائد الاعلانات التى تكاثرت فى الزمن الأخير ، ولكن المجلات الثقافية والأدبية المصرية لاتحظى بنصيب من الاعلانات .

وفى الآونة الراهنة زاد الضغط العادى الذى ترزح تحته المجلات الأدبية والثقافية المصرية ، ومع ذلك أبقت مجلة الهلال على سعرها ، وتشبثت به ، وامتنعت عن « تحريكه » وخاضت فى سبيل الاحتفاظ به صعوبات شتى ، وأرجأت كل الخطط الخاصة برفع السعر مرة بعد مرة ، بالرغم من أن عدد الهلال

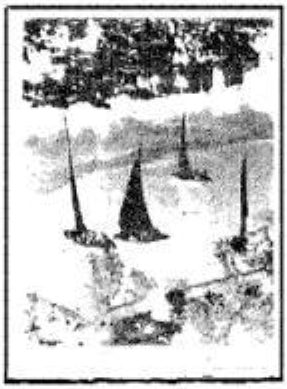
الذى يباع بخمسين قرشا يكلف قرابة مائتي قرش ، ويتسلمه الموزعون بأقل من خمسين قرشا لأنه لابد لهم من ربح بطبيعة الحال لقاء التوزيع ، ومعنى هذا أن الخسارة تتزايد من شهر إلى شهر ، بلا تعويل على دعم من أية جهة ، وبلا تبدل تلوح بشائره فى الأفق ، أو انفراج يدق الأبواب ! .. وتلك هى محنة المجلات الأدبية والثقافية المصرية ، وهى محنة خاصة بهذه المجلات ، لم تذق مرارتها المجلات الثقافية التى مازالت تصدر فى بعض البلاد العربية الشقيقة وتتمثل فيها دعاية طيبة للبلد الذى تصدر عنه ، ولهذا تتلقى دعما جزيلا يتيح لها أن تحتفظ بسعر رمزى لايساوى معشار سعرها الحقيقى .. وقد أغلقت جميع المجلات الأدبية والثقافية فى البلاد العربية أبوابها حين امتنع عليها الدعم الجزيل ، ولم يبق منها إلا عدد قليل يتفيأ ظلاله الوارفة ! ..

وكنا نتمنى لو كان وراء « الهلال » دعم من هذا القبيل ، إذن لتضاعفت خدمتنا للقارىء أضعافا كثيرة . ولكن لابد مما ليس منه بد ، وها نحن أولاء نجد أنفسنا مضطرين إلى هذه الزيادة الطفيفة فى سعر الهلال ، وهى لا تغنى فى الحقيقة شيئا ، فإن عشرة قروش لاتفى الآن بثمن أربع ورقات بيضاء ..

ونحن على ثقة من أن دعم المجلة الثقافية المصرية لايجىء إلا من قرائها ، ولكن القراء كانوا فى الزمن الماضى يستطيعون بإقبالهم على المجلة أن يدعموها ، إذ كان ثمن المجلة الأدبية ـ قديما يتضمن جميع نفقاتها ، مضافا إليها قليل من الربح ! ..

كانت مجلة « الرسالة » آخر مجلة أدبية تكسب من التوزيع ، أى من الثمن الذى تباع به ، فلما اختلت هذه « المعادلة » احتجبت الرسالة ، ولم يجرؤ أحد بعدها على إصدار مجلة أدبية أو ثقافية ..

إلا أنه لابد فى كل حال من بقاء صوت الصحافة الأدبية والثقافية مسموعا فى مصر ، ولهذا تمضى « الهلال » فى طريقها برغم كل التبدلات الجانحة فى سوق الصحافة ، مادام القراء ينتظرون صدورها فى الموعد الذى لم تخلفه معهم على مدار أربعة وتسعين عاما ، ولن تخلفه معهم إن شاء الله ! ..



الغلاف : تصميم الفنان حلمى التونى
تصوير : محمود عارف

هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● سينما :

● كان ياماكان :

● قضايا ومواقف :

● فنون تشكيلية ●

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

● الابواب الثابتة ●



خيول النيل

أسطورة المصريين القديمة

بقلم : حلمى هلال

فى هذا الشهر ، اغسطس ، كان المصريون دائما يحتفلون بعيد وفاء النيل ، هنا ، ومن بطون التاريخ ، من الأساطير والعادات الاحتفالية ، هذا العرض التراقى لادبيات العشق الذى احتفى به المصريون : النيل ، سر حياتهم وجوهرها .

يابحر النيل المبارك ، أيها المسيطر القابض على دورة الحياة ، ارفع عنا غضبتك ، ورد الينا غرقانا ، واطلق خيولك يابحر ترعى ارضنا ، تحرس معنا الزرع والقوت ، وخذ منا على حسب ماتعطينا ، إنك تمنحنا فنرضى ، وتمنع عنا فنرضى ! لانه ليس فينا يابحر من يكرهك ، ولايفرح إلا بك !

● عند الحد الذى يختلط فيه الخيال بالحقيقة ، والنقطة التى يمكن أن يلتقى عندها الحزن والفرح ، تقف هذه الحكاية ، أطول واعنف حكايات المصريين ، درامية ، كان مبتداها بدء الخلق وسوف يكون منتهاها نهايته ، ابواب ، وفصول ، وفقرات ، وجمل وكلمات ، تمتد من أول الزمان حتى حاضره نقشها المصريون بالالم والدم والعذاب فوق صفحة واحدة ، صفحة النهر سيد الأنهار كلها ، البحر ، الفيض ، اليم ، النيل : قاطع الطريق الأول فى مصر ، وحارس البلاد الوحيد ، الفرعون الذى سبق كل الفراعنة .

يقال إن الأسطورة مصدر من مصادر المعرفة التاريخية وإن كل اشكال الأساطير والحكايات القديمة تحظى بدرجات متفاوتة من الصدق والحقيقة وانها فى غالب الأحوال ترتبط ارتباطا قويا بالواقع ، وبحر النيل اسطورة المصريين ـ الحقيقة ، عرف كل من جاء الى حكم البلاد سره ، أدرك انه يمسك الأرزاق ويربط الأجزاء كلها كخيط العقد ، فرفع فوقه الفراعنة والسلاطين والغزاة رايات الحكم والسيطرة ، فابتلع الجميع ، كان يعطى عندما يشاء ، ويمنع متى شاء ، يحنو على الناس كحنو الأم على الوليد ، ويزدريهم فى قسوة لا حد لها ، يرقد فى اعماقه منذ الأزل ملوك وأمراء ، رجال ونساء واطفال خصيان وفحول ، بغايا ، صعاليك ، لصوص ، عشاق ومكافحون الوف من البنات العذارى ، ولكل واحد من هؤلاء قصته !

● مصريم الجبار

« أنا مصريم الجبار ، كاشف الأسرار ، الغالب القهار ، وضعت الطلسمات الصادقة ، واقمت الصور الناطقة ، ورفعت الأعلام الهائلة فوق المياه السائلة ، ليعلم كل من يأتى بعدى انه لايملك احد ملكى » !

تقول الحكايات القديمة إن مصريم الجبار لما ركب على ظهر الأسد وكان أول من يركب ظهر الأسد فى الدنيا ، ذهب الى منبع النيل وبنى هناك خمسة وثمانين تمثالا من نحاس ، تخرج من حلوقها مياه

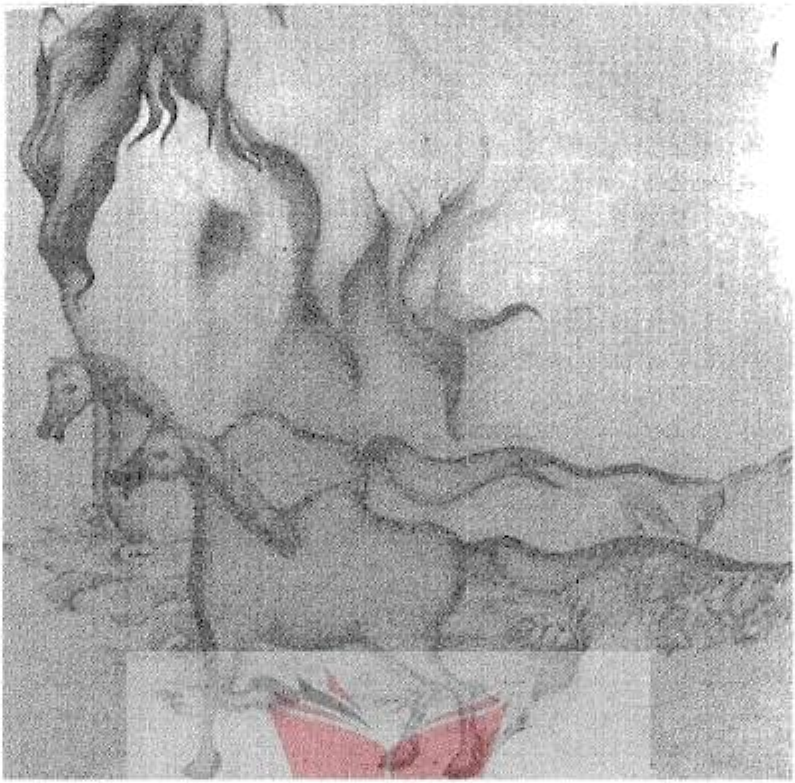
حول النيل
أسطورة المصريين القديمة

النيل بحساب وتدبير ، وسكن بنفسه فى القلعة البيضاء التى بناها ، ليشرف على جريان الماء بالحق وبما يكون فيه النفع دون الفساد ، وانه أوصى ابنه « خصليم » فبنى مقياسا لبحر النيل ، صنعه من رخام أخضر ، وجعل فى وسطه بركة صغيرة فيها ماء موزون بالحكمة ، يقف عليه عقابان من نحاس احمر ، أحدهما ذكر والآخر انثى ، فاذا كان الشهر الذى يفيض فيه النهر ، جاء الكهنة الى تلك البركة . وتكلموا بكلام وكلام ، فان صفر الذكر عرفوا ان الفيض سيأتى عاليا ، فى هذه السنة ، وان كانت الأنثى هى التى صفرت ، جاء الفيض ناقصا !

إن بنى آدم لما بغى بعضهم على بعض ، فتحاسدوا وتقاتلوا ، ذهب بقراويس ابن مصريم - كما يحكى المسعودى فى اخبار الزمان - ومعه نيف وسبعون راكبا جبابرة ، شداد ، يطلبون موضعا يبعدون فيه عن الناس ، فراحوا يمشون ويمشون ، حتى وصلوا الى بحر النيل ، فاطالوا المشى حوله ، والنظر اليه حتى اصابهم الانذهال ، لما رأوا سعة البلاد من حوله وعاينوا حسنه وجماله ، فارتاحت نفوسهم راحة عظيمة ، وقالوا هذا بلد زرع وعمارة وحكمة وجمال ، فاستوطنوه ، وبنوا فيه .

ويحكى المسعودى فى « مروج الذهب » ، أن بقراويس الجبار ، كانت له قوة زائدة وبطش شديد فأمر اتباعه ان يحفروا مجرى النيل معتدلا - وكان عند مجيئهم متعرجا منبطحا ، يتفرق ماؤه فى كل ناحية ، فانتظم خط البلاد ، وتوحدت وانه وضع عند منبع النيل شجرة لها فروع كالخطاطيف ، اذا اقترب منها الظالم تخطفه ، فلا تتركه حتى يقر بظلمه أو يموت ، كما صنع تماثيل من نحاس اصفر لها تجويف عند الفم ، وملأها بالكبريت ووكل اليها « روحانية النار والحرق » فاذا اراد احد ان يطلسم للنهر أو يسعى الى البلاد بحقد أو سوء ارسلت تلك التماثيل من حلوقها نارا فاحرقته ، وقال بقراويس « توجد اوقات يكون فيها الماء عدالة للزرع واوقات اخرى يكون فيها ظلما له ! »

ويحكى النويرى فى « نهاية الارب » إن تدراس ولد خصليم لما وجد النيل فائضا فى كل عام فكر ان يجبى خراجا من اهل مصر ، فكان اول ملك فى جميع الدنيا يفعل ذلك ، فجمع اول مرة من اهل مصر الف الف وخمسين الف الف دينار ثم وكان يربط بين مقدار الخراج وحالة الفيض ، بالزيادة والنقص ، وفى كل عام بعد ان يكتمل له ماأراد جمعه من اموال يدعو جميع الشعب الى قصره فى اجتماع كبير ، ويأخذ فى اظهار اسحاره وغرائبه ، حتى يملأ قلوبهم بالرعب ، فيخروا على وجوههم ، ثم يأخذوا فى الدعاء له ، عندئذ يأمر باحضار الطعام والشراب لهم فيأكلون حتى يشبعوا ، ويعودون الى بيوتهم ، وانه « تدراس ولد خصليم » الذى وضع فى سنة من السنين ، شجرة عند شاطىء النيل ، لها فروع من حديد ، تأتى اليها الطير والوحش من كل صنف وصنف ، وتكون قريبة حتى ليصطادها الناس باليد ،



ريشة : فوزية رضا

وقد شبع الناس في ايامه من اكل اللحم ، لكنه كان اذا غضب على اهل قرية يسلط عليهم السباع فتاكلهم في بيوتهم ، انه « تدراس ولد خصليم » الرجل الذى اخترع النصب ، وسارت على طريقته كل الملوك والسلاطين فكانت مناسبة الفيض ايذانا ببدء جمع الخراج ، ومقدار الفيض مقياسا لنسبته .

● ياوجه البركة والخير

ربط النهر اقتصاديات البلاد به ، احياها ، كون لها نظاما وسمة معينة اثر في شخصيتها ، علم المصريين الطاعة والنظام والوحدة والصبر ، امسك بفيضه الارزاق ، لذلك كانت حاجتهم للتنبؤ بمقدار الفيضان حاجة ملحة واساسية ، كان على النهر ان ياتى في موعد لايتاخر عنه ، وان يفيض بقدر محسوب لايزيد عليه ولاينقص ، انها معادلة الحياة والموت ، الشبع والجوع ، الظما والارتواء .

فتخيل المصريون منذ اقدم العصور ، ان خيولا مثلها كمثل خيول البر تماما ، تظهر في بحر النيل ، وتخرج كل عام في موعد معين فتجرى على الأرض ، حتى ينتهى جريها الى مكان ، فيعرف الناس ان الفيض سيصل حتى هذا المكان ، وقد ظل هذا الاعتقاد سائدا الى زمن طويل ، حتى اننا نجد في كتاب المسبحى « أخبار

مصر فى سنتين » من حوادث سنة ٤١٤ هـ ، انه فى يوم الاربعاء ٨ شعبان « ظهر فى بحر النيل بمصر من اعمال أسفل الأرض ، الدابة التى كانت قد ظهرت من قبل ايام الحاكم بأمر الله وتسمى فرس النهر ، وهو فى لون الفيل وله قوائم تشبه قوائم الثور ، وفى ظهره حدبة عالية تشبه سنام الجمل ، وقد رئى ذاهبا وعائدا فى النيل كالجند دفعات كثيرة » ! .

كان النهر مصدرا للخير ، وأهم اسباب الحياة والبناء معا ، تصور القدماء انه سوف يصير يوم القيامة نهر العسل فى الجنة ، لذلك فقد قالوا انه لولا « الليمون » فى ارض مصر ، مااحتمل الناس الشرب من ماء النيل لفرط حلاوته ، ويقول « امية الاندلسى » : كان اقليم مصر متصلا بالعمارة على شطى النيل كانها مدينة واحدة مشتبكة بالاشجار المثمرة ، والفواكه اليانعة ، والقرى العامرة حتى كان المسافر الغريب يسير من الاسكندرية الى مدينة اسوان ، بلا زاد ! فمن اراد ان ينظر الى شبه الجنة ، فلينظر الى مصر !

ويقول ابن اياس ان محمدا الحكيم الترمذى صاحب الجامع الصحيح ، قال انه قرأ فى كتاب نوادر الاصول عن ابن عباس : انه لما غرست الاشجار أول مرة فى مصر ، ورويت بماء النيل ، كانت ثمارها عظيمة جدا . بحيث ان الاترجه تشق نصفين فيحمل كل نصف على بعير ، وان « القثاء » كان طولها اربعة عشر شبرا ، وكان طول « القرع » ثلاثين شبرا ، وطول البلحة الواحدة شبرا ، وكانت سباطة الموز تحمل ثلثمائة موزة ، وكل موزة وزنها رطلا وكان عنقود العنب اذا قطف من كرمة يحمل على بعير من عظمه ، وكانت الكمثرى زنة كل واحدة سبعمائة « درهم » ، والرمانة اذا قشرت يقعد فى قشرها ثلاثة انفار ، وكان وزن البطيخة الواحدة ثمانين رطلا ، وحبة القمح فى وزن كلية البقرة ، والوردة الحمراء تحمل الف ورقة ، ثم قس على ذلك » .

ويقول ابن عباس ايضا ـ على لسان ابن اياس ـ ان الشيخ تقى الدين المقريزى حكى قائلا : اننى سافرت الى مصر وشاهدت شجرة جميز كبيرة فلما سألت « مستوفى الناحية » عما تطرحه هذه الشجرة كل عام ، احضر لى قوائم تتضمن ذلك ، فتصفحتها فاذا هى مكتوب فيها مايلى : « قطف من هذه الشجرة فى سنة واحدة ، اربعة عشر الفا وسبعمائة « نارنجة » صفراء مستوية ، بخلاف مابقى على الشجرة من الأخضر الذى لم ينضج بعد وبخلاف ما تناثر فى الهواء بفعل الريح ، فتعجبت من ذلك غاية العجب !! »

هكذا كان حظ المصريين ، ارتبط خيرهم بالنهر ، ودفعت الحاجة الى معرفة مقدار الفيض ، وضرورة التنبؤ به كل الحكومات والسلطات التى تعاقبت على حكم البلاد الى انشاء المقياسات وحفر الخلجان والقناطر والسدود ، كانت هذه ضرورة اساسية لاستمرار الحكم والسيطرة واستجباء الخراجات والمكوس إلا انها كانت ـ هذه الحاجة نفسها ـ أول دافع لسرقة هذا

• « رفعت الأعلام الهائلة ، فوق المياه السائلة ، ليعلم كل من يأتى بعدى أنه لايملك أحد ملكى »

مصريم الجبار

• هل رأى أحدكم رمانة اذا قشرت يقعد فى قشرها ثلاثة انفار وحبة قمح فى وزن كلية البقرة .. أنا رأيته !

الحكيم الترمذى « ابن إياس »

الشعب واستغلاله ولعل المثل البارز فى التاريخ على ذلك مافعله « هامان » وزير الفرعون عندما شق خليجا يخرج من بحر النيل ، « وأنه جمع مالا وفيرا وذهبا كثيرا من كل أهل القرى التى يمر عليها هذا الخليج » ، ويقول المسعودى ان الخليج الذى احتفره الوزير هامان هو بحر قليوب المعروف ببحر « السردوس » ، وأنه لما طغى وتجبر ، امره الفرعون ان يعيد للناس ماأخذه من اموال وذهب ، لقد كان أول لص فى التاريخ ، يبيع للناس : الماء !

• نقـــابة السفـــاحين وسنون الظمأ المتوالية :

منذ أن رأى تحتمس رؤياه العجيبة : سبع بقرات سود عجاف ، يأكلن سبع بقرات صفر سمان وسبع سنبلات يابسات يأكلن سبع سنبلات خضر وان النيل تناقص حتى راح ونشف ، فلم تبق الا ارضه مشققة ، موحشة ـ منذ هذا وقبله ـ وصراع المصريين مع الجوع لاينتهى ـ فتاريخ المجاعات فى مصر سجل حافل بالدم والعذاب ، اجتاحها الجوع في مختلف عصورها ودولها ، وكان النيل يلعب دورا عشوائيا فى ذلك ، بل ويتيح اعظم الفرص لكل النصابين واللصـوص ، يستغلون وينهبـون ، يكدسون الثروات الهائلة على حساب الناس ، وعلى حساب النهر .

وللمقريزى مؤلف له علاقة وثيقة بنهر النيل هو كتاب « اغاثة الأمة » يتناول فيه المجاعات التى حلت بمصر حتى سنة ٨٠٨ هـ وهي السنة التى وضع فيها

كتابه ، فبين اثر هذه المجاعات فى حياة البلاد الاجتماعية والسياسية موضحا كيف ان انخفاض النيل قد لعب فى ذلك اكبر الأدوار واخطرها « فلا يقدر الناس على الزرع ، وتشتد عليهم وطأة الأسعار ، ويستغل البعض احتياج الناس للاقوات فتختفى الحبوب ، وتباع سرا » .

حتى أن الخلفاء فى عصر الدولة الفاطمية قد ادركوا العلاقة بين النداء على زيادة النيل وحالة الاسواق ، وكانت عادة قديمة متبعة ، فأمر المعز لدين الله فى شوال سنة ٣٦٢ بابطال النداء على زيادة النيل إلا فى حالة واحدة ، هى وصول المنسوب فى المقياس الى ستة عشر ذراعا ، وذلك لاستقرار الأسواق ومنع احتكار الاقوات أو تخزينها مما يزيد عذاب الناس .

وقد تخللت عصر المماليك مجاعات مخيفة ، اكتسحت البلاد مثل الوباء يذكر التاريخ ابشعها ، تلك التى وقعت فى عام ١٢٩٥ ، بسبب انخفاض النيل انخفاضا مميتا ، « ففسد الزرع وقل المحصول ونفقت الابقار والطيور وتعذرت الأقوات حتى قيل ان ندرتها حينئذ دفعت الناس الى أكل القطط والكلاب ، حتى تعذرت فاضطر الناس الى اكل الميتة وخرجوا الى الجوامع والشوارع صائحين : الجوع .. الجوع ياMولانا !!

ويحكى الصيرفى فى « إنباء الهصر بأبناء العصر » قائلا :« إن البلد لها خمسة ايام فى أمر مريع وهلع زائد وتشويش مفرط ، وشغب فظيع بسبب انخفاض المياه وانقطاع الخبز من الحوانيت ، فارتاع الناس لذلك وكثر الزحام على الافران ، وصار من له عادة بشراء رغيف يشترى ثلاثة ، وقد صغر الرغيف جداً مع سواده وفحش صنعته ، والمحتسب يعلم ويقيم فى داره لايهمه ، ووكل الأمر للأعوان يأكلون الناس ويخربون البلد ، فلا قوة إلا بالله » .

ويضيف المسبحى : انه فى أيام الأحد والاثنين والثلاثاء جمادى الآخرة سنة ٤١٤ هـ انصرف ماء النيل انصرافا متداركا فاحشا ، ولم ترو منه الضياع ولازكت الأرض ، فكثر ضجيج الناس بمصر ، واستغاثتهم الى الله ، وخرج اهل البلاد من الرجال والاطفال يحملون المصاحف المنشورة الى الجبل ، وتعذرت الاخباز فى الاسواق ووقع الازدحام على الغلات ، وبيع القمح سرا بدينارين ، وكان الناس يزعقون الخبز ، الخبز ! حتى غلا الماء ايضا لتعذر مايعتلفه الدواب وعدم من يستقى عليها ، فبيعت راوية الجمل بثلاثة دراهم ! وراوية البغل بدرهمين ، وبلغ من أمر الناس ان جزارا كان يلقى عظمة لكلب ، فرآه رجل شاب متعفف فهجم على الكلب واخذ العظم ليأكله ، وكان أكل الضعفاء فى هذه الأيام العساليج الخشنة من القنبيط التى ينزعها البقالون عن رءوس الكرنب » .

وكان « الشريف العجمى الحسنى » متولى الصناعة سنة ٤١٤ هـ فى مصر ،

● كل من يغرق فى بحر النيل ، يدفع لحمله دينارين وقيراطين « حق الصناعة » !

« الشريف العجمى صاحب الصناعة »

● فليؤخذوا عند هبوط الظلام إلى شاطىء النيل ، ولتلق جثثهم المقطوعة الرءوس فى النهر .

« نابليون بونابرت »

كبير السفاحين ونموذجا للمستغل الفاسد الطباع ، يبيع ويشترى فى الناس ، يسير على نهج « تدراس بن خصليم وهامان » وكل من باع الماء للشعب ، أو تاجر فى أزمته - كلفه الخليفة - كما يحكى المسبحى « ببناء حظير دائر على مقياس النيل بالجزيرة ، واعطاه لاجل ذلك من المال جملة كبيرة ، وفى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ٤١٤ كان القائد « معضاد » فى زيارة لمقياس النيل ينظر فى امر البناء الذى تولاه « الشريف العجمى » صاحب الصناعة ، فقال له الرجل المسمى « ابن ابى الرداد » ، متولى مقياس النيل بالعصا : يامولانا ، ان هذا الرجل - يقصد الشريف - يسخر الضعفاء والمساكين فى البناء ولا يدفع لهم اجرة ، فلم يهتم الشريف بحضور الامير ، وقال لابن ابى الرداد : اسكت اسكت يامسلماني ياسفله ، ثم هجم عليه ولطمه ، وبعد أن انصرف الامير هجم اعوان الشريف على الرجل فامسكوه ومدوه على رجليه ، ثم اعتقل !

ويحكى المسبحى ايضا عن الشريف هذا انه فرض رسما على كل من يغرق فى البحر فقد حدث فى مساء السبت ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٤١٤ هـ أن « غرق فى دار النيل حدث صغير يعرف « بابن الاسكاف » وطرحه النيل الى الشط ، وصار اهله اليه كى يحملوه ، فمنعهم

خيول النيل
أسطورة المصريين القديمة

اصحاب الشريف من حمل جثته ، وطالبوهم بدفع دينارين وقيراطين واجب الصناعة ، وحق كل من يغرق فى النيل ، فدفع الناس لهم وحمل الولد الى داره !

إنه الموت وخراب الديار كما يقول المصريون !

ولم يكن امام السلاطين ـ كما قال ـ المؤرخون ـ من حل لأزمات الفيض وتأثيرها على حالة الاسواق سوى حل غريب ، فكانوا يجمعون الفقراء والجائعين والذين يهجمون من الجوع على الافران فيوزعونهم على الاثرياء من الأمراء والتجار « كل واحد منهم على قدره » ، فيتكفل كل ثرى باطعام عدد معين من الجائعين ، « حتى تزول الشدة ويأتى الغوث » (ابن دقماق الجوهر الثمين ص ١١٧) .

وكما كان المصريون ينتظرون الفيض بكل الأمل والرغبة فى الحياة ، فقد كانوا يتمزقون كذلك حين يأتى متعاظما فيضه ، كثيرا عن الحد ، مفرطا فى الكرم والجود ، فيدخل الماء الى بيوتهم ليغرقها ويشتت اهلها ، ويسقى الزروع الى حد الشرق والاختناق بالماء ، « فلا تقع للناس فى زيادته حظوظ ولانزاهة كعادتهم » ،

ويحكى ابن اياس فى حوادث شهر رجب سنة ٩١٥ « أن النيل لما زاد ثمانية اصابع عن الحد المفروض ، حصل ضرر شديد ونادى السلطان (الغورى) بالا يتجاهر الناس بالمعاصى ، ولايمشى احد بسلاح بعد المغرب ، وان يواظب الناس على الصلوات فى الجوامع ، ثم امر القضاة الأربعة ان يتوجهوا للمقياس ويدعوا الله ان ينهبط النيل . »

● موتوا فى بحركم !

اغرق النيل مصر فى بحور من الخير ، ومحيطات من الجوع والفقر والمذلة اغرق الكثيرين فى ذهب واموال سرقوها ، مستغلين طيبة قلبه او مزاجه الغريب واغرق الكثيرين او اغرقوا فيه عقوبة وانتقاما ، فقد استغله الحكام والغزاة ايضا وسيلة للاعدام وطريقة للقتل !

كان القاتل فى نظام العقوبات الفرعوني ، يحرق حيا على اشواك ، أو يحرق المذنب فى بعض الجرائم ثم يلقى برفاته فى بحر النيل ، وربما كانت هذه بداية استخدام النيل فى التغريق ، وفي تاريخنا الحديث يحكى المؤرخون ان نابليون اصدر اوامره للجنرال برتييه « تفضل ايها القائد بأن تأمر قومندان القاهرة بقطع رءوس جميع المسجونين الذين امسكوا وبيدهم سلاح ، فليؤخذوا بعد هبوط الظلام الى النهر ، ولتلق جثثهم



المقطوعة الرءوس في النيل . كما يؤكد تاريخ قديم للحملة الفرنسية ان الجنرال « ديجا » وكان حاكما للقاهرة سنة ١٧٩٩ م كتب لنابليون « إن البغايا وباء يتفشى في مساكن الفرنسيس ولابد لابعادهن من اغراق من يقبض عليهن في الثكنات » وكان تعقيب بونابرت في هامش الرسالة « يكلف اغا الانكشارية بهذه المهمة » ويؤكد نفس التاريخ ان ربعمائة امرأة قطعت رءوسهن وخيطن في غرائر والقين/في النيل .. وقد تنصل نابليون من هذا العمل الفظيع ، فيقول في كتاب كرستوفر هيرولد « بونابرت في مصر » أنه قد اسيء فهم تعليماته بشان هذا الموضوع !

اما برطلمين ضابط البوليس المنتفخ الأوداج فيحكى عنه الجبرتي في « عجائب الآثار » قائلا « وانتدب برطلمين العسس يتجسسون في الطرقات ، يبحثون عن كل من حمل السلاح ، ويقبضون على الناس بحسب اغراضهم ، فيحكم عليهم برطلمين بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ، ويركب في موكبه ويسير وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ويسألونهم عن السلاح فيدل بعضهم على بعض ، فيذبحونهم ، وفي بحر النيل يقذفونهم وقد مات في يومين أمم كثيرة لايحصى عددها إلا الله » .

وربما يستعصي على كل المصادر والوثائق والتواريخ ، أن تأتي حصرا أو رواية على كل اولئك الذين اغرقوا في بحر النيل ، أو اولئك الذين اغرقوا انفسهم عمدا زهقا في الحياة ، أو هربا منها !

● ياجميل الأمر يانيل

كان رأى الخليفة الفاطمي « المعز لدين الله » أن جوهر الصقلي بنى القاهرة في بقعة لاهي على قمة الجبل فتحتمي فيه ، ولاهي على شاطيء النهر فتنتفع به ، لذلك فقد فكر هو وخلفاؤه من بعده في جلب مياه النيل اليها من الجهة الغربية ، وقد قام الحاكم بأمر الله بعد ذلك بحفر الخليج المصري الذي عرف فترة طويلة باسم الخليج الحاكمي والذي بات يروى عطش القاهرة ويروح عن اهلها زمنا حتى تراخت المحافظة عليه وعلى نظافته في العهد العثماني ، وصار مستودعا للأقذار ، ورجع القاهريون الى الشرب من النيل رأسا على

شجون النيل
أسطورة المصريين القديمة

ايدى السقائين ، الذين كانوا يطوفون بالجمال وهى تحمل القرب لامداد المنازل والاسواق بحاجتها من الماء والذين قدر عددهم فى ذلك الوقت كما ذكر « البلوى المغربى » مابين خمسة آلاف وستين الف سقاء كان مفروضا عليهم ان يسجلوا انفسهم لدى المحتسب وان يقوموا بدفع ضريبة معينة نظير مايأخذونه من ماء النيل

وكان النيل منذ الأزل مفرج الكروب عن اهل مصر ، والموضع المختار الذى يخرجون اليه للترويح واللعب والحب ، فكان الناس يهرعون الى شاطئه للتمتع بالحدائق والاشجار والأزهار او لاستئجار القوارب المصحوبة بالمغانى والمعازف ، وذلك لقضاء أسعد الأوقات وامتعها ، ولأن هذه العلاقة الجميلة بين المصريين والنهر قد تحولت فاصبحت تراثا ، فلا بأس من أن نتذكر تلك الصفحات البديعة التى تصور احتفال المصريين بالنهر ، وحبهم الشديد له .

كان احتفال وفاء النيل من الايام المشهودة فى تاريخ المصريين ، كان عيدا قوميا كبيرا ، يخرج فيه الناس من كل مكان فيصفه ، الجلال السيوطى فى بلبل الروضة » : « يوم وفاء النيل » يوم يحشر الناس إلى المقياس ، وتطيب من تحليقه وتخليقه الانفاس ، ويسبل فيه ستر الوفاء بالعفو ، وهو فى الحقيقة خلعة رضى ولباس فتكمد الحساد ، وتجتمع الاضداد ، ويحصل بين الناس الصفا والوفا ، اذا انكدر ، والجبر اذا انكسر ، ويبلغ الناس من النيل غاية ويسحب الماء على بساط الأرض الذيل ويركب اليه الملك والجنود وتعقد الالوية والبنود ويكون للناس من مائه ولونه المحمر ورود ، ذلك يوم مجموع له الناس مشهود » .

ويقول الاندلسى فى كتابه « الحقيقة والمجاز فى الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز » « بحر النيل الذى يبسط الأمال ويقبضها ، تبرز به ارض مصر فى احسن الملابس ، وتظهر به حلل الرياض على القيعان والبسابس ، فسبحان من جعله سببا لانتشار الموات ، وتعالى من ضاعف به ضروب البركان » . ثم يحكى الأندلس حكاية لطيفة عن يوم الوفاء حيث التقى وجمع اصحابه لمشاهدة ذلك والاستمتاع به فيقول : « ثم اننا لم نزل فى اثناء ذلك السماع تمشيا على شاطىء بحر النيل ، يرفع كل منا فى بحر الاسترواح شراعه ، وسرحت نواظرنا فى تلك البساتين على شاطئيه والرياض على جانبين ، فتنعمت خواطرنا وتمسكت بذيل الطرب الفضفاض فجلسنا وقد سكرت بشراب المحبة الالهية . حواضر القلوب والاسماع حتى قام رجل معنا يقال له الشيخ شعبان فانشد :

مابين معترك الاحداق والمهج
انا القتيل بلا اثم ولاحرج

فضج الحاضرون بالوجد ، واختبط

بعضهم ببعض ، وهو يكرر ذلك عليهم بطلبهم حتى وصل الى قوله : تبارك النيل ماأحلى شمايله ! فألقى الرجل عمامته عن رأسه ونزع ثيابه وخرج هايما على رأسه بسراويله من شدة الوجد ! »

وقد اعتاد المصريون فى يوم وفاء النيل على دفع احد المكوس ، سمى « بمقرر وفاء النيل » وكان مخصصا لعمل « شوى وحلوى وفاكهة » يأكلها الناس عند خروجهم الى المقياس ، أما احتفالات السلاطين فقد حكى « ابن إياس » عنها صفحات طويلة . ننقل منها احتفال السلطان الغورى ، الذى يعطى صورة تعكس حالة البذخ والترف الشديد التى عاشها ، رغم فقر البلاد وحاجتها :

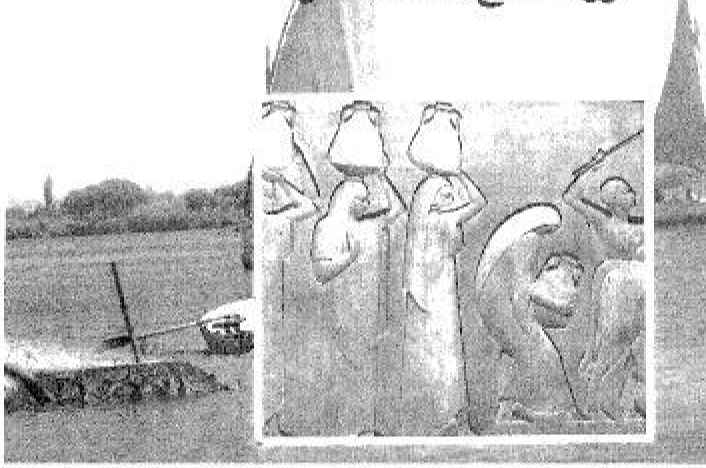
« ثم ان السلطان أوقد فى قاعة المقياس وقدة حافلة . وعلق احمالا بقناديل وامر السكان فعلقوا فى بيوتهم القناديل فى الأحمال والامشاط ، بطول البرين ثم احضر السلطان المركب المسمى « الغليون » فعمره وصرف عليه نحو من عشرين الف دينار فركبه ورسا به عند المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراس فى البحر وعلقوا فى صواريه القناديل فى الأمشاط فكان الذى اوقد فى المقياس تلك الليلة عشرة آلاف قنديل ، وخمسة قناطير من الزيت ، فشقوا الطريق بالنفط والسلطان مزفزف وقدامه الطبول والزمور ، وخمسون قلعة من النفط وستون مأذنة وعشرة ازيار وأربعين جره ، وثلثمائه صاروخ ، وأربعين شعلة فلما وصل الى شاطىء البحر انزلوه فى خمسين مركب ، وحضر الطبلخانات فى مراكب عند المقياس ففعلوا زمور وطبول مثل صوت الرعد القاصف وقد اطلق والى القاهرة النفط وامر باشعال فتائل الزيت الموضوعة فى قشور البيض ، ثم اطلقوا هذه القشور مشتعلة على صفحة النيل ، وقد حكى الجبرتى عن عادة اطلاق قشور البيض المشتعلة على صفحة المياه ووصفها بأنها « أسرجة موقدة على وجه النيل » .

وكان الناس كما يحكى الجبرتى « يجتمعون من كل صوب للفرجة والمتعة » .

كان النيل على الدوام مصدر الهلم للأدباء والشعراء ، فقد كان اهم ظاهرة طبيعية - ومازال - فى حياة المصريين ، فمجده الفنانون وشغل اذهانهم طويلا ، لكن حظه من الشعر كان اوفى وارق من النثر وسائر الفنون وقد ذكرت كتب التاريخ ان اقدم الاشعار التى قيلت عن النيل تلك التى كتبها الاعشى « صناجة العرب » وابو نواس الذى يقال انه قد زار مصر ومكث بها وقتا ، واسماعيل النحوى الذى فقد شبابه وعمره بسبب النيل ايضا ، فيحكى « ابن خلكان » فى كتابه وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦/٣٥ « إن سبب وفاة اسماعيل النحوى المصرى سنة ٣٣٨ هـ ان شخصا من عامة الناس راه جالسا على سلم المقياس ، ينظم شعرا ، ويتمتم بكلمات غريبة ، فظن الرجل أنه يسحر للنيل أو يطلسم له حتى ينقطع فيضه ، فجاءه من الخلف ودفعه فى النيل فسقط على الفور غارقا !

المصريون والنيل

حقائق الزمان وواقع الحال



حين تقول النيل فانك انما تقصد الحياة بما تعنيه من نقيض للموت والفناء ، ليس فقط بالنسبة لشعب مصر طوال آلاف السنين ، بل طوال الدهر لحيوانها وطيرها وزواحفها .

هكذا كان ، وهكذا ايضا اصطلى المصرى وحيوانه وزرعه وسمكه بروح النهر ، اذا أعطى ومنح ، فان البلاد تضج بالفرح ويستبشر فيها كل حي فتفرح الاسارير وتفتر الثغور ، كما تقول نعمات احمد فؤاد .

اما اذا غاب واستعصى فان المصرى يخرج الى مجرى النهر باكيا ، يلطم الخدود ويشق الجيوب ، ويتوجه للاله بالدعوات ، لكنه في كل الحالات يقدسه .

وها هو اخناتون يصلى :

انت الذي يعطى الحياة (ايضا) لكل البلاد الاجنبية البعيدة ، لانك خلقت نيلا في السماء ،

لينزل لاجلهم ويحدث امواجا فوق الجبال ،

مثل (امواج) البحر ،

لتروى حقولهم التي في قراهم ،

ما اجمل اعمالك يارب الابدية !

فالنيل الذي في السماء (خلقته) للاجانب .

ولكل حيوانات الصحراء التي تمشي على الاقدام .

اما النيل الحقيقي فانه ينبع من العالم الآخر لاجل مصر .

لكن لنهبط بقسوة من علياء رحاب صلاة اخناتون السالفة الذكر الى الحقائق البارزة :

تقول حقائق الجغرافيا : ان النيل الذي يسير مسافة ٦٨٥٠كيلو متر اكثر احد من اعظم انهار العالم ، يجمع بين

المصريون والنيل

تسع دول عربية وافريقية هي مصر والسودان واثيوبيا وكينيا وتانزانيا واوغندا ورواندا وبوروندى وزائير ، وهم يشكلون قرابة الـ ٢٠٠ مليون نسمة ٠

مصادر النيل :

ويتكون حوض النيل الجامع لايراده من ثلاث مناطق رئيسية يغذى كلا منها فرع او اكثر من فروعه ، هذه المناطق او الاقسام هى :

- حوض هضبةالبحيرات الاستوائية٠
- حوض بحر الغزال ٠
- أحواض الانهر التى تنبع من جبال اثيوبيا ٠

وتتكون الهضبة الاستوائية من ثلاث بحيرات كبرى هى :

فكتوريا ، وكيوجا ، وموبوتو (البرت) ٠

ويقول احمد نافع أن بحيرة فكتوريا التى تقع على حدود أوغندا وكينيا وتانزانيا تعد ثانى اكبر بحيرة عذبة فى العالم ، اذ تبلغ مساحتها ٧٠ الف كيلو متر ، ومتوسط الايراد السنوى الخارج منها حوالى ٢٨ مليار متر مكعب ، والمخرج الوحيد لهذه البحيرة هو نيل فكتوريا ، الذى يمر بجملة شلالات قبل أن يتجه الى بحيرة كيوجا التى تبلغ مساحتها كما تحددها دراسة عالمية شاركت فيها دول حوض النيل ، ١٧٦٠ كيلو مترا مربعا ، وتضيف الدراسة أن نيل فكتوريا يحمل ايرادا يتراوح بين ٢٧ و ٢٩ مليار متر مكعب سنويا لتنحدر مياهه الى بحيرة موبوتو التى تبلغ مساحتها ٣٥٧٠ كيلو مترا مربعا حيث تنحدر المياه بعد ذلك الى نهر بحر الجبل عند حدود أوغندا والسودان ٠

وبين مخرج بحيرة موبوتو (البرت) وبلدة منجلا على بحر الجبل يغذى النهر جملة روافد وسيول يبلغ ايرادها حوالى ٣٤ مليار متر مكعب سنويا ، لكن ، وهنا تؤكد الدراسة على المشكلة ، تضيع معظم هذه المياه فى منطقة السدود ، ويأتى بعد ذلك حوض بحر الغزال الذى تضيع كل مياهه تقريبا ، فى مستنقعات تصل مساحتها الى ٤٠ الف كيلو متر مربع ، ولا يصل من مياهه المقدره بـ١٥ مليار متر مكعب الا نصف مليار متر مكعب فقط فى العام ٠

اما المصدر الثالث للنيل فهو جبال اثيوبيا ، التى تنبع منها انهار السوباط والنيل الازرق وعطبرة ، يضاف اليها حوض مستنقعات مشار الذى يقع بين حوض السوباط ، وتغذيه سيول لا يصل منها الى النيل الابيض سوى مقدار ضئيل جدا من المياه،لا تزيد على نصف مليار متر مكعب فى افضل الاحوال ٠

وتقول البيانات الواردة فى هذه الدراسة ان المشكلة تتضح بقوة عندما تعرف أن فاقد مستنقعات البيبور وحده (وهو احد فروع السوباط) يبلغ ٤ مليارات متر مكعب ، بالاضافة الى ما يضيع بالتبخر ، وهو عامل رهيب فى ضياع ماء النيل ، كما يبلغ الفاقد من بحر الغزال ٨٠ مليار متر مكعب ، بسبب المستنقعات ، هذه المشكلة التى ترى دول

حوض النيل انها المشكلة الام التى لابد من حل جماعي لها .

وعلى اية حال فان هذه الدراسة ترى الحل الامثل فى تخزين هذه المياه فى اماكن بعيدة عن المستنقعات، ومن هنا فان السد العالي ، الذى ادى الى تكوين بحيرة ناصر ، هو واحد من المشاريع الاساسية التى تقوم بحل لهذه المشكلة ، على الاقل بالنسبة للفاقد الذى كان يذهب الى البحر المتوسط .

ومن هنا ايضا تتضح اهمية العمل المشترك بين بلدان حوض النيل ، لتفادى هذا الفاقد الكبير بعمل جماعي ، وهو ما يلاقى الان - كما يقول الدكتور عبد الملك عودة - اجماعا كبيرا من مثقفى وعلماء هذه الدول ، وهو انه لابد ان ينتقل التفكير بين هذه الدول من فكرة الوحدة القديمة والتى طرحت فى زمن الاستعمار البريطاني الى فكرة التجمع او الجماعة ، لان المياه ليست موجودة لمدة محدودة فقط ، وانما هى مشروع طويل الامد يستلزم اقامة المشروعات على هذا الجزء ، والدليل على هذا ان مصر فى اواخر الاربعينيات فى وزارة عثمان محرم الفت لجنة كان اسمها لجنة « التخزين القرنى » من اجل التنسيق والتفكير للمشروعات على وادى النيل لمدة خمسين عاما قادمة » .

« السد العالي »

ولقد جاء السد العالى - كما يقول جمال حمدان فى هذا الصدد - ليدشن عصر التخزين القرنى وليصبح مفتاح الاستراتيجية العظمى للرى فى مصر

وقبل الانتقال للاثار التى ترتبت على بناء السد ، الايجابى والسلبي منها ، علينا ان نتعرف ولو بمثال واحد على ما كان عليه الوضع قبل بنائه ، ويصور جمال حمدان الوضع على اساس انه كان تراجيديا فيضانية ، وهو ينقل عن سكوت مونكريبف فى تقريره عن فيضان عام ١٨٨٧ العالي ، والذى يعلق عليهما بأنها مشهد لابد كان مألوفا فى مصر يتكرر فى تاريخها كروتين عادى « انتشر خبر كسر الجسر بسرعة فى القرية . اندفع القرويون الى الجسور بأولادهم وماشيتهم وكل شىء يملكونه . كان الاضطراب لا يوصف ، ثمة جسر ضيق جدا كان يغطى تماما بالاطفال والجاموس والدجاج واثاث البيوت ، تجمعت النساء حول اضرحة الاولياء المحليين وهن يلطمن صدورهن ويقبلن الضريح ويصرخن صرخات مدوية .

من هنا تعددت الاسباب لبناء السد العالى كضرورة ، ولم يكن بناء السد ، على اية حال ، بعيدا عن استراتيجية مصرية ، بل ، كما يقول جمال حمدان « كجزء من الاستراتيجية السياسية المصرية العظمى التى كانت تسترشد فيها مصر بمبدأين اساسيين تستقطب فيها كقطبين نهائيين متكاملين وغير متعارضين توازن بهما بين مصالحها الذاتية ومصالح الاخرين : مبدأ حسن الجوار ومبدأ الموقع الوطنى .

اهتمامات مصر الحقيقية فى افريقيا هى نيلية فى المحل الاول واهتماماتها النيلية العميقة هى مائية من الصف الاول وفى كلتا الحالتين فان مبدأ حسن الجوار هو الذى يحكم ويسود علاقات مصر بدول الحوض الثمانى فى ظل اخوة الوحدة العربية فى حالة السودان العربى ، وفى ظل صداقة الوحدة الافريقية فى حالة سائر دولة غير العربية » .

وتجاوزا لتكرار الكلام عما سمى بمعركة بناء السد ، ماذا الان عن نتائج السد المادية والاقتصادية وفى

المصريون والنيل

الانتاج ، وما مزاياه وعيوبه ؟

يقول جمال حمدان :

« النتائج الايجابية لا تقل بالطبع عن انقلاب كامل ، ان لم تصل الى حد الثورة ، واذا كان الماء والكهرباء هما قطبا السد أساسا ، فانه متعدد الاغراض وفوائده تتوزع تفصيلا بين عدة بنود اهمها الحماية من الفيضان ثم الرى والمصرف والزراعة والاستصلاح ثم اخيرا الطاقة والملاحة » .

الآثار الجانبية :

لكن جمال حمدان وبروح العالم الذى لا يرى سوى المصلحة العامة يعرض الى المثالب والمسوالب على الجانب الاخر من هذه المزايا والفوائد الاساسية فيقول :

« يمكن القول أن لكل واحدة من المزايا مقابلها السلبى ، وهذه « الاثار الجانبية » كما تسمى ، كانت فى حساب المشروع منذ تخطيط ، بحسبانها ظاهرة حتمية فى اى مشروع هندسى مماثل على هذا المقياس ، وعلى هذا الاساس ، وضعت الخطط لمواجهتها وعلاجها او التقليل من اخطارها .

وبوجه عام يمكننا ان نلخص كل نتائج السد الجانبية وآثاره العكسية لتستقطب فى معادلة واحدة هيأن السد قد استبدل « بمجاعة الماء » « مجاعة الطمى » فاليوم تجد مصر نفسها ، على عكس الماضى ، فى الموقف الغريب الذى تملك فيه ماء اكثر مما تستخدم فعلا وطميا اقل مما تحتاج جدا ، بل لا طمى على الاطلاق . ومن زيادة الماء اتت مشكلة المصرف ، ومعها ومن غياب الطمى اتت مشكلة التمر ، فى حين ان غياب الطمى مسئول عن اخطار الخصوبة ، وتآكل السواحل ومشكلة طوب البناء وهجرة المسردين .

ويضيف جمال حمدان انه : « من جهة اخرى ، حتى اذا كان السد قد وفر الحماية من خطر الفيضان الواطى أى القحط ، فهل حقا حقق الوفرة المائية الكاملة المتوقعة لمصر ؟ من اغرب المتقائض التى اسفر عنها السد أن ٤٠٪ مما وفره من المياه يضيعكفاقد بسبب الحشائش التى انتشرت بصورة وبائية فى كل مجارى مصر المائية منذ انشائه » .

على أى حال تبقى المطالبة الآن ، ونحن فى شهر كان المصريون يحتفلون فيه بوفاء النيل ، ان نكون أوفياء حقا لنهر النيل ، مصدر الحياة لكل عرق نابض، بل لكل حيوان ونبات،باللجوء الى الحلول العلمية لتجاوز كل ما ترتب على تغير الحياة التى تسبب فيها السد العالى ، وهى موجودة وقائمة ، فهناك فكرة ترد فى جمال حمدان هى فكرة قناة تحويل جانبية تستدير حول البحيرة ، بادئة امام السد فى النقطة التى يتكدس فيها الطمى اغزر ما يتكدس فى قاع بحيرة ناصر ، لتنتهى خلفه بعد أن تكون قد تحاشت مصيدة السد ، حاملة بذلك الطمى بكامله او معظمه الى مجرى النهر الطبيعى مرة اخرى ،، أى قناة تحويل للطمى مثلما هناك قناة تحويل للماء نفسه .

هذا بالاضافة الى تطوير المشاريع العديدة المطروحة بين دول حوض النيل ، التى لابد من مواصلة بحثها مع شركاء المصير ، فى السودان وبقية البلدان الافريقية .

أقوال معاصرة


الاميرة ديانا

● « لنذهب الى الديسكو ونسكر حتى ننسى من نحن »

الاميرة ديانا
زوجة ولى عهد بريطانيا

● « احس باننى مسافرة فى قطار ينطلق بسرعة الى هدف بعيد سينتهى بارتطام »

رابيكوفتش
الشاعرة الاسرائيلية


رونالد ريجان

● « الذى تريده اسرائيل هو وضع اليد ، ومحو القومية والتاريخ ، وذبح النصارى ، وتفريق المسلمين » .

شكرى نصر الله
الكاتب اللبنانى

● « ايران ذات اهمية استراتيجيةهائلة للولايات المتحدة ، والعلاقات العدائية معها ليست مقبولة ولابد من تصحيحها » !

رونالد ريجان


الصادق المهدى

● « لا اليمين ولا اليسار ، ولا اى مجموعة عرقية أو عسكرية قادرة على حكم السودان بمفردها .. »

الصادق المهدى
رئيس وزراء السودان

● « البندقية تخطف حياة الفريسة ، كماتخطف عدسة التصوير قطعة من روح الانسان ، وقد خطفت روحى مرات ومرات »

بريجيت باردو
الممثلة الفرنسية

حطين وصلاح الدين

بقلم: البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

(ومن وعى التاريخ فى صدره
أضاف أعمارًا إلى عمره)

ـ التاريخ ليس مجرد احداث ، وانما هو دروس وعبر وأحداث التاريخ معروفة لنا جميعا ، لذلك اود ان اقدم بعض تاملات بسيطة .

١ ـ النقطة الاولى أن تسمية الحروب الصليبية بهذا الاسم ، هى تسمية خاطئة ، وكثير من المؤرخين المسلمين يقولون إنها تسمية خاطئة ، فهى حرب استعمارية ، او هى حرب اوربية ، او هى حرب من الفرنجة ، او هى حرب للاحتلال ... والمسيحية تدين الحرب عموما ، وتدين الاحتلال . نقطة الأستثناء الوحيدة التى تسمح بها المسيحية ، هى الحرب الدفاعية ، أما الهجوم والاعتداء ، فلا تقبله المسيحية على الإطلاق ، وهنا اقول .. إن المسيحية دين سلام ودين محبة ، وقد قال السيد المسيح : «احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون إليكم» ، فكيف باسم المسيح تقوم حرب ؟! .. كذلك الصليب فى المسيحية هو رمز حب وبذل وفداء ، ولم يكن فى يوم من الايام رمز هجوم او اعتداء ، إطلاقا .. وعندما يقول السيد المسيح «من أراد أن يتبعنى فلينكر ذاته ويحمل صليبه ويتبعنى» ، وإنما يقصد بهذا ، ان الإنسان يحتمل التعب والالم من أجل الله . فمعنى الصليب هو ان الشخص يفدى الاخرين بسفك دمه من اجلهم . وليس معناه أن يسفك دماء الآخرين .. لذلك فتسمية تلك الحروب بانها حروب صليبية ، هى تسمية خاطئة .

وأقول .. إن كثيرين من المسيحين الذين يحملون اسم المسيح .. لاينتمون الى مبادىء المسيح باية صلة .



ريشة : عادل ثابت

٢ ـ هذه الحرب التى استمرت مدى قرون ، كانت حرب اعتداء . ساعد على ذلك انقسام المسلمين فى ذلك الوقت .. حينما بدأ العرب دولة قوية فى بداية القرن السابع استطاعت هذه الدولة الواحدة القوية أن تدخل فى الشام ومابين النهرين ، وفى فلسطين وفى مصر وفى بلاد الفرس بل استطاعت أيضا أن تذهب إلى أسبانيا وتكون دولة هناك ، وكانت على أبواب فرنسا أيضا . وأصبحت دولة العرب المتحدة ، هى أكبر دولة فى الشرق بلا منافس ، بل أصبحت لها قوة فى الغرب أيضا .. ولكن على مرور الوقت ، وفى وقت الحروب الصليبية ، كانت هناك خلافة أموية فى الأندلس وخلافة عباسية فى بغداد ، وخلافة فاطمية فى مصر والشام ، وكان بين هؤلاء وأولئك اختلاف ، وأحيانا عداء ، ثم قامت دولة : السلاجقة واستطاعت أن تضرب الدولة البيزنطية أو الدولة الرومانية الشرقية ضربة قوية فى موقعة «منزكرت» سنة ١٠٧١ م ، قبل الحروب الصليبية بحوالى ربع قرن ، وأصبحت قوة شديدة استطاعت أن تأخذ نيقيا وكيليكيا وفريجية ، وبمفيلية . واستطاعت أيضا أن تأخذ انطاكية واللاذقية وتستولى على كثير من بلاد الأمبراطورية الرومانية الشرقية ، بل أن امبراطور الدولة الرومانية الشرقية «اليكسيوس» استنجد بالبابوات فى روما لكى ينصروه على السلاجقة .

ولكن ، للأسف الشديد ، حينما قامت الحرب الصليبية الأولى ، ونحن هنا نستعمل الاسم الشائع لها ، كانت دولة السلاجقة قد انقسمت أيضا الى ولايات ، فأصبحت هناك أقسام لها فى فارس ، فى خراسان ، فى حلب ، فى دمشق ، فى دولة

الروم فى آسيا الصغرى . ولم تكن هناك وحدة عربية تستطيع ان تقاوم هؤلاء الغزاة . فانتصروا فى الحرب الأولى . وكان لابد للعرب من وجود رجل قوى مثل صلاح الدين ، يستطيع أن يوحد ، لأن العرب لايستطيعون أن ينتصروا الا لو كانوا وحدة قوية ، تستطيع أن ترغم الناس على احترامها وتوقير قوتها .

لذلك فأنا أعتقدُ أن انتصار حطين بدأ قبل تلك الموقعة بخمس سنوات ، فموقعة حطين كانت فى سنة ١١٨٧ ، وصلاح الدين استطاع أن يوحد الدولة العربية فى سنة ١١٨٢ وأصبحت قوات صلاح الدين تنتشر من الفرات الى النيل ، وصارت هناك قوة ترغم هؤلاء الغزاة الاجانب على احترامها ، وتستطيع أن تصد وترد وتردع .

٣ ـ وهنا أقول إن الأحداث معارك ، وإذا انتصر الانسان فى معركة ، فليس معنى هذا أن انتصاره قد ثبت .. ملاحظة هامة .. جدا يمكن أن نقولها فى هذا المجال ، وهى ، أن هؤلاء الصليبيين أخذوا القدس سنة ١٠٩٧ ، واستطاع صلاح الدين أن يرد القدس الى العرب بعد ذلك بتسعين سنة تماما ، سنة ١١٨٧ . السنوات ليست شيئا كثيرا فى حياة البلاد ، فلا ييأس أحد اطلاقا .. استرجعت القدس بعد تسعين سنة على يد صلاح الدين . وأن كان الصليبيون قد استطاعوا أن يأخذوها مرة أخرى ، فإنها استرجعت مرة ثانية بعد ٥٧ سنة فى سنة ١٢٤٤ على يد الملك الصالح ايوب .

فالاحتلال ليس وضعا مستقرا ، ومهما أخذت بلدة من البلاد ، فلا يجب أن نيأس لاسترجاعها .

● لم تكن ضد المسلمين فقط .

لقد كانت موقعة حطين بداية لعملية تمشيط واسعة النطاق قام بها صلاح الدين .. والمرء يقف أمام التاريخ ويتعجب ، ففى مدة أقل من ثلاثة شهور ، (موقعة حطين فى ٤ يوليو سنة ١١٨٧ ، ودخول القدس كان فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧) ، واستطاع صلاح الدين فى تلك الشهور الثلاثة أن يستولى على طبرية ، وطبعا انتصار حطين ، والرملة ، وعسقلان وأن يأخذ باقى البلاد أمثال قيصرية وحيفا ، واستطاع أيضا أن يأخذ بيروت وجبيل ، ثم يأخذ القدس ، كل هذه البلاد أخذها فى ثلاثة شهور ، فى وقت لم تكن فيه الحرب الميكانيكية والالات الحديثة موجودة ، ولكن كانت هناك القوة ، والعزيمة ، والوحدة ، والأصرار على تحرير البلاد .

٤ ـ نقطة رابعة لابد من ذكرها هى أن الحرب الصليبية ، أو الحروب التى سميت بالصليبية ، لم تكن ضد المسلمين فقط ، انما كانت ضد المسيحيين فى هذه البلاد أيضا ، وهنا أذكر على الأقل اتجاهين :

ماقام به الصليبيون فى المجر ، وكيف اعتدوا على أهل المجر ، بينما المجر كانت بلادا مسيحية . ويدل على ذلك حوادثهم فى سملن ، فى براغ ، وفى بلجراد ، فى نيش . لدرجة أن ملك المجر طردهم طردا

واعتبرهم أعداء ، وتخلص منهم ، وهذه واقعة .

اما الواقعة الثانية فهو قيام هؤلاء الغزاة ضد الدولة البيزنطية ذاتها ، وامبراطور الدولة الرومانية استنجد بأوربا لكى تحميه من السلاجقة ، فماذا كانت النتيجة ، كانت النتيجة أن هؤلاء الغزاة حلوا عليه بعنف ، كغزوة جراد على حقل بسيط ، حتى أن بعض المؤرخين قالوا فى تشبيه هذا الأمر ، إن امبراطور الدولة البيزنطية كان مثل راع يطلب قليلا من المطر لينبت العشب لغنمه ، فاذا به يصادف طوفانا يغرق كل شىء ، وكان هذا الطوفان هؤلاء الغزاة الأجانب .

ثم ماذا حدث ؟ أراد منهم أن يحموه من السلاجقة ، فكانت النتيجة انهم نافسوه فيما أخذوه من البلاد التى كانت تحت يد السلاجقة ، مثال ذلك ، أخذوا انطاكية ، ثم بعد ذلك قاوموه مقاومة شديدة فى أن يأخذوا أيضا اللاذقية ، واضطر أن يسلم ، وكثير من البلاد الأخرى التى أخذها السلاجقة وأرجعها هؤلاء الغزاة ، بدلا من أن يردوها الى الدولة البيزنطية ، استولوا عليها وكونوا فيها امارات ، فكونوا امارة فى الرها ، وامارة فى طرابلس ، وامارة فى انطاكية ، وازداد الأمر جدا حتى لم يعودوا يبحثون عن بيت المقدس ، أو عن سلامة الحج .

تغير الهدف ، بل انكشف الهدف الحقيقى ، وهو استتارهم وراء الدين ، ووراء عبارة الأماكن المقدسة ، ووراء عبارة حماية الحجاج ، ولكنهم كشفوا انفسهم حينما اتسعوا شرقا وغربا ، بل جاء وقت استولى فيه هؤلاء الغزاة على القسطنطينية نفسها عاصمة الدولة البيزنطية (استانبول حاليا) .

اذن لم تكن المسألة مسألة حجاج ، وليست مسألة صليب ، وليست مسألة القدس ، انما مسألة احتلال .

● ولفتح الأسواق أيضا

٥ ـ بل أراد هؤلاء الغزاة أيضا ، ليس فقط لأسباب سياسية أن يحتلوا ، وانما ارادوا أيضا لأسباب اقتصادية أن تكون لهم أسواق فى بلاد العرب ، وهكذا وجدنا تجار جنوة وبيزا والبندقية يقومون بتمويل حملات ، ويستولون على بلاد لكى توجد هناك أسواق فى الشرق يتعاملون معها ويعملون فيها . أين مسألة الدين فى كل هذا .. لا علاقة للدين بهذه الأغراض الاقتصادية والتجارية والسياسية ، والاحتلال . والمنصفون فى التاريخ يقولون أن الحروب الصليبية كلها حروب احتلال وغزو اجنبى واستعمار ، ربما كاستثناء ، يستثنون حملة الأطفال .. وربما يستثنون اهداف لويس التاسع ، ولكن هؤلاء الأطفال كانوا مخدوعين . ومسألة الدين يمكن أن تستخدم مع الأطفال .. مع صغار السن .. لتغريرهم ، ومع ذلك حملة الأطفال لم تكن حملة .. قاموا من البندقية ورحلوا ، وأخذهم تجار الرقيق وباعوهم فى أسواق الرقيق ، ولانقول ان حملة الأطفال كانت حملة ، انما نقول سعى الأطفال للقيام بحملة كانت لها أهداف دينية .

● المسيح يرفض إنشاء مملكة

٦ ـ وهنا أحب أن اثبت نقطة هامة وهى أن الهدف الطيب لابد أن تكون له وسيلة طيبة

، ومع ذلك ، فحتى حملة الأطفال لم يكن هدفها سليما ، ولم تكن الوسائل الصليبية سليمة لأن المسيح لم يناد فى يوم من الأيام بدولة يملكها الناس ، انما قال «أعطوا مالقيصر لقيصر ، وما لله لله» . وعندما اراد اليهود أن ينصبوا المسيح ملكا ، عارضهم فى ذلك ورفض ، وهرب من هذا الملك ، وكان يقول «مملكتى ليست من هذا العالم» ، المملكة التى أرادها المسيح هى أن يملك الله على القلب ، وعلى الفكر ، وعلى المشاعر وعلى النيات ، وهذا هو ملكوت الله الذى تقول عنه المسيحية (ملكوت الله داخلكم) داخلكم .. أى داخل قلوبكم .. أما تكوين مملكة على الأرض، فلا يمكن أن تفكر فيها أية كنيسة تحترم مبادىء المسيح .. الممالك هى عالم السياسة .. وليست عمل الدين ، فالمسيحية لاتوافق على أن يخرج غزاة ليملكوا باسم المسيح ، والمسيحية لاتوافق على احتلال أرض الغير ، والمسيحية لاتوافق أن يظلم بعض المسيحيين شعوبا أخرى ، كل هذه أمور بعيدة عن المسيحية تماما .

٧ ـ نقطة سابعة أحب أن أذكرها .. وهى أن هؤلاء الغزاة الذين يسمون أنفسهم أو الذين أسماهم التاريخ بالصليبيين كشفوا أنفسهم فى معركة واضحة جدا فى حملتهم الخامسة ضد مصر سنة ١٢١٩ حينما احتلوا دمياط ، حاصروا دمياط .. احتلوها ، فكانت النتيجة هى أن الملك العادل لكى يكسب موقفا سياسيا ، قال لهم لامانع عندى من أن تأخذوا القدس ، ولا مانع عندى من أن تأخذوا غالبية بلاد فلسطين ـ استثنى بعض مناطق معينة ـ على أن تتركوا مصر ودمياط فأصروا على أن يأخذوا مصر ودمياط ، فكانت النتيجة أنهم ضربوا هناك وطردهم الملك الكامل خليفة العادل ، فلم يكسبوا القدس ، ولاكسبوا دمياط ، وهذه احدى نهايات الظالمين ، ومجرد محاولتهم لاحتلال مصر ، يدل على أنه لم يكن لهم هدف دينى .

٨ ـ الحروب الصليبية كانت عملية ظلم ، عملية احتلال ، عملية شهوات سياسية وشهوات اقتصادية ، بل أن البعض يقولون إن الاقطاعيين فى أوروبا وقد ضاقت البلاد بهم أرادوا أن يستولوا على بلاد أخرى تصلح اقطاعيات . والمعروف أن النظام الاقطاعى فى أوروبا كان يعطى للابن البكر الحق فى أن يستولى على الأراضى كلها دون أخوته الذين يريدون هم أيضا أراضى مثله . فلو تفككت الأرض كلها لاتقوم اقطاعية كبيرة . وهؤلاء المحتاجون الى أراض ، وجدوا فيما يسمونه بالحروب الصليبية مجالا لنشر الاقطاع فى الشرق . كما أن العبيد الموجودين فى أوروبا وجدوا فى هذه الحرب مجالا للتخلص من العبودية .

ونحن لانوافق اطلاقا على موقف الكنيسة فى الغرب من الحروب الصليبية . واننا فى الشرق لنا مبادؤنا الروحية التى لاتدعو فيها اطلاقا الى غزو الغير ، واحتلال الغير ، والاستيلاء على أراض يملكها الآخرون . وهناك مبدأ روحى نقوله

باستمرار وهو (لاتبن راحتك على تعب الآخرين) .

● انسانية صلاح الدين

٩ ـ أود ان اؤكد على مسألة أخرى هى انسانية صلاح الدين ، فصلاح الدين لم يكن قائدا مظفرا فقط ، وانما أيضا كان إنسانا على خلق ، ولذلك فهو من الشخصيات القليلة فى التاريخ التى امتدحها أعداؤها ، كان الصليبيون يحترمون شخصية صلاح الدين ، ولاأقول فقط يخافونه .. انما يحترمونه ، لأن الاحترام هو شعور بالتقدير داخل القلب ، وكانوا أحيانا يصغرون أمام أنفسهم حينما ينقضون اتفاقا معه ويقفون أمامه موقف الذي هو فى عار .

صلاح الدين بعد موقعة حطين ، حينما استولى على كل هذه البلاد التى ذكرناها كان يعرض على اهل هذه البلاد التسليم والأمان ، ومن كان فيهم يقبل ، كان يسلم البلدة ويخرج امنا من الاعتداء ، ولذلك فكثير من هذه البلاد التى استولى عليها صلاح الدين بعد موقعة حطين ، استولى عليها بدون سفك دم ، احتراما لقوته وقدرته وشدة حصاره ، واحتراما أيضا لوعوده ، ماعدا القدس ، التى رفض أهلها تسليمها ، فأصر صلاح الدين أن يأخذها بالقوة ، ومع ذلك حينما رجعوا اليه ، وجدوا فى قلبه حنوا عليهم ، ويقال فى التاريخ أن بعض النساء حينما اتين اليه يبكين من أجل رجالهن الصليبيين الأسرى ، دمعت عينا صلاح الدين وأشفق وأخرجهم من القدس بفدية بسيطة .

إننا نحيي شخصية صلاح الدين كرجل قوى ، وكرجل وحد كلمة العرب ، وكرجل استطاع ان ينتصر ، وكرجل انسانية ورجل لايميل الى سفك الدماء ..

١٠ ـ وأن كان قد حدث بعد صلاح الدين أن تفرقت الدولة قليلا قليلا ، ولكن أمكن توحيدها بعد ذلك .. العجيب أن موقعة حطين كانت سنة ١١٨٧ ثم استطاع الصليبيون أن يستولوا على عكا سنة ١١٩١ ولكنهم فقدوا عكا واسترجعها العرب مرة أخرى سنة ١٢٩١ يعنى بعد مائة سنة بالضبط ، امام هذه الأرقام ، نحن نأخذ دروسا من التاريخ انه لايأس اطلاقا ، القدس أخذت ١٠٩٧ واسترجعت سنة ١١٨٧ بعد تسعين سنة ، وعكا أخذت سنة ١١٩١ واسترجعت سنة ١٢٩١ بعد مائة سنة .

وارجو للعرب ان يتحدوا لكى ينتصروا فاذا اتحد العرب ـ صدقونى ـ حتى دون أن يحاربوا ، مجرد اتحادهم سيخيف أعداءهم ، اما التفكك فلا يفيد العرب ولا يفيد الشرق ، ولا يفيد الإسلام ، ولا يفيد إلا أعداء العرب ، **فلتكن دعوتنا للتضامن العربى ، فى كل مكان ، ففى الاتحاد قوة ، وفى القوة مايخيف الأعداء ، وفى القوة احترام للذات ، أمام النفس وامام الآخرين . وبالقوة ، قوة الوحدة نستطيع أن نسترجع حقوقنا .**

فليكن الرب مع العرب ، ليساعد على وحدتهم ، ويعطيهم النصر على أعدائهم .

التمغز على الأشواك

جدل وهزل في لغة الأرقام!

بقلم : د. شكري محمد عياد

يعجبني من الفرنسيين ـ الى جانب مآثرهم المشهورة ـ انهم يحسبون معاملاتهم العادية بالفرنك القديم ، وهو يقابل مليمنا عندما كان المليم شيئا مذكورا ... لهذا فهم يتكلمون بالالوف والملايين بدون خوف ليسوا مثلي ومثلك حين ندخل في حسابات النقود ، نفقد وعينا اذا تجاوز المبلغ ثلاثة ارقام . انا اتكلم عن الناس العاديين بالطبع ، لا اتكلم عن موظفي البنوك او الحسابات ، ولو انهؤلاء لايشكلون شذوذا عن القاعدة ، فالنقود عندهم تفقد معناها كنقود وتتحول الى ارقام حسابيةلاغير .. والحساب المجرد شيء وحساب النقود شيء اخر ..

انا شخصيا لم استطع ان اعقل معنى ديون مصر الا حين قسمت مبلغ اربعين الف مليون على خمسين مليونا (عددنا التقريبي بسم الله ماشاء الله) فتبين لي ان كل فرد منا مدين بثمانمائة دولار :

$$\frac{\text{٤٠} \times \text{ألف} \times \text{مليون}}{\text{٥٠} \times \text{مليون}} = \frac{\text{٤٠} \times \text{ألف}}{\text{٥٠}}$$

$$\frac{\text{٤}}{\text{٥}} \times \text{ألف} = \frac{\text{٨٠٠}}{\text{١}}$$

هكذا حسبتها حتى ابعد الالوف والملايين كانها الشياطين . وحتى عندما نزلت بالمبلغ الى مستوى الارقام الثلاثة ، وهو المستوى الذي يمكن أن يتحول عنده العدد الحسابي

الى مبلغ من المال بقى شيء غير مفهوم ، والغريب ، هذه المرة ، انه الواحد الذى فى المقام لقد تمكنت من ادخال ذلك المبلغ غير المعقول في حيز ادراكي حين حولته الى ثمانمائة دولار فقط ، ولكن هذا النجاح كان له ثمن ،وهو أن المدين فى هذه الحالة أصبح فردا ، واحدا صحيحا ، ومن يدرى ، فقد يكون غير صحيح ، ولكنه على كل حال يجب ان يتشخص كما تشخص ذلك العدد الخرافى فى مبلغ معلوم من المال . وشعرت بشيء من القلق حين تبينت ان هذا الواحد يمكن أن يكون انا ، بل هو بالتأكيد أنا ثم جزعت حين نظرت الى حقيقتي فوجدت أنها رغم صغرها تشكل واحدا صحيحا . ثم هززت كتفى استهانة بالامر كله وقلت : وماذا عسى أن يصنع الطفل محمود صبحى الكرجى ، فهذا أيضا واحد صحيح حتى الرضع الذين يبسرلون على انفسهم وحتى كل واحد غير صحيح فى بلدنا - مهما يكن مرضه - هو فى هذه الحالة واحد صحيح . فاذا كان على الكبار الاصحاء منا أن يتحملوا ديون الأطفال والضعفاء والمرضى ، بالاضافة الى ديونهم ، فكم ذا يكون دينى او دينك أيها القارىء ؟

واظن اننى لو كنت متعودا ان اتعامل بالارقام الكبيرة فى دنيا المال لما تصورت الامر مأساة الى هذا الحد . لذلك أتمنى - ونحن بصدد اعادة النظر فى مناهج التعليم - أن يخلو تدريس الرياضة الحديثة من العيب الانف الذكر ، حتى تخرج الاجيال الجديدة أمتن اعصابا منا .

على ان للمسألة وجهها المضحك أيضا . فهناك اناس يتعاملون بالالوف ، يكسبون الالوف - لا تسلنى كيف - ويصرفون الالوف (والكلام عن اليوم الواحد وليس عن الشهر أو السنة) ، وهؤلاء مثلنا لا يتصورون معنى ما جاوز الارقام الثلاثة ، لهذا حذفوا كلمة الف واستعاضوا عنها بكلمة باكو ، وتعاملوا مع الباكوات كما يتعاملون مع ورق اللعب . ولكنهم سعداء فى بلاهتهم ، وعندنا اناس يتعاملون بالملايين ، يكسبون الملايين - لاتسلنى كيف - ويهربون الملايين ، وهؤلاء أيضا تعوزهم الشجاعة العقلية للنظر الى ملايين الجنيهات او الدولارات كملايين ، ولذلك يسقطون عليها جبنهم ويسمونها أرانب ، ولعلهم يتفاءلون بقدرتها على الهرب . ولكنهم سعداء حقا مع ارانبهم فى بلاد الله الواسعة ، حيث الطبيعة الجميلة والشوارع النظيفة والنساء الشقراوات .

● التحدى الاعظم

التحدى الاعظم الذى يواجهه المصرى العادى - او يجب ان يواجهه - فى هذه الايام هو الوعى الكامل بلغة الارقام حين نتجاوز الملايين الى عشرات الملايين ومئات الملايين ، وحين تكون - فى الوقت نفسه - مميزة بالجنيه أو الدولار . وأعنى بالوعى الكامل أن يفهمها كما يفهم حساب الخبز واللحم والخضار أول الشهر وحساب الكتب والكراسات والاحذية أول السنة ، وان يحاول مواجهتها بشجاعة كما يواجه البنود المذكورة بشجاعة اصبحت مضرب الامثال .

فالمصرى العادى الذى ذهب قبل مدة يسيرة الى صناديق الاقتراع لينتخب حكومته - أو كان يمكنه أن يذهب وقد الحت عليه الحكومة والمعارضة أن يفعل ذلك - لا يمكنه أن ينام على هذا العمل الواحد ويترك الباقى للحكومة ومجلس الشعب بل هو مطالب بأن يراقب أحوال البيت الكبير - مصر - حتى يعرف ماذا يريد من حكومته وماذا تريد منه

حكومته . وحتى يعرف حين يدعى بعد بضع سنوات ـ ان شاء الرحمن ـ الى انتخاب جديد أين يضع صوته وهو يعلم بدون شك اننا نمر بأحوال غير عادية وأن غير العادى فى هذه الاحوال يتركز فى قضية واحدة وهى قضية المال ، كما يعلم ان فى رقبة الحكومة ورقبته ايضا شيئا اسمه القطاع العام ، وأن هذا القطاع العام ينهض بالعبء الاكبر من عملية الانتاج التى بدونها لا يمكن لاى شعب أن يعيش، والتى تترجم فى العادة الى أموال . فطبيعى اذن ان يهتم بهذه الاموال كما يهتم بماله الخاص . ولا سيما اننا حين نريد ان نطمئن أنفسنا بخصوص ديوننا الكبيرة نقول اننا نملك ـ مجتمعين ـ هذا القطاع العام الذى تعادل قيمته قيمة الديون أو تزيد عنها ، ولذلك يجب الا نقلق انفسنا باعتبار هذا الدين هما خاصا لى أولك ، بالطريقة المضحكة التى تصورتها فى صدر هذا المقال ، ولكن هذا لا يعنى بالطبع أن نطرده من عقولنا لانه هم عام .

واذا كنا نقيم حاجزا بين الهم الخاص والهم العام ، وبين المال الخاص والمال العام (فما للمال العام يصل الى اموالنا الخاصة وما لاموالنا الخاصة لا تصل الى المال العام) فليس السبب راجعا الى انانيتنا الزائدة كما يزعم البعض بل اسلوبنا الطريف فى التعامل مع الارقام فلولا هذا الاسلوب لما تصور الوزير أو المدير أو المحافظة حين يعقد قرضا ما أن هذا القرض يفقد دلالته المالية بمجرد اضافته الى رصيد الدولة الهائل من القروض ، فلا يعود كذا مليونا من الدولارات أو الفرنكات بل يتحول بما يشبه السحر الى رقم حسابى على الورق .

مستقبل مصر ـ ولا أبالغ ـ رهن بأن نتصور هذه المبالغ المالية الكبيرة تصورا حقيقيا ، لا على انها أرقام مجردة، حتى ولو ترجمناها ـ كمرحلة أولى فى الفهم ـ الى أموال خاصة بالزائد أو بالناقص .

ولذلك فنحن ملتزمون يا صديقى ، حتى انا وأنت ، أن نعرف بالضبط الموقف المالى لكل شركة من شركات القطاع العام . ولعلنا لا نطلب من حكومتنا الديمقراطية سوى حقنا ـ وواجبنا ايضا ـ حين نطلب منها أن تصدر نشرة سنوية تشتمل على اعمال كل شركة ولا سيما ميزانيتها التى تلخص هذه الاعمال وتوضح موقف الشركة المالى ، اذ من الجائز الا نقتنع بالميزانيات التى تنشرها بعض هذه الشركات فى الصحف على صورة اعلانات . ونحن الان فى موسم هذه الاعلانات ـ ولكن بين يدى اعلانا لاحدى شركات القطاع العام تضمن ميزانيتى السنتين الماضيتين ونشر فى شهر ابريل الماضى . ودعك من هذه المفارقة التاريخية فهو على كل حال اعلان ، وتعال ننظر فيما هو مكتوب (واستأذنك فى حذف كل ما يدل على اسم الشركة او اشخاص رجالها ، فنحن لا نتكلم عن شركة معينة او اشخاص معينين ، بل عن ظاهرة عامة وسلوك عام) .

الاعلان يشغل الصفحة الاخيرة كلها فى احدى صحفنا القومية . الثلث الاسفل ـ بعرض الصفحة ـ

اعلان فى برواز مستقل داخل البرواز الرئيسى الممتد بطول الصفحة وعرضها الاعلان الداخلى لاحد متاجر القطاع الخاص التى يتصل عملها بالشركة المذكورة ، على الجانب الايسر من هذا الاعلان الاخير ما يلى :

تهنئة من القلب

للسيد ....

رئيس مجلس ادارة ....

بهذه الطفرة الطيبة للشركة وثقة السيد ...

... .

برئاستكم لهيئة .. وصندوق .... بجانب عملكم والله يوفقكم .

ومعذرة لانى بدات بالفرع قبل الاصل ، ولكنك سترى معى أن الفرع يبين مناسبة الاصل التى لا يبينها الاصل نفسه . فلنتجاوز عن ثلاثة براويز ، صغيرة أخرى داخل البرواز الكبير . كلها تحمل تهنئات ، واثنان من الثلاثة يضمنان التهنئة مطلبا خاصا بالعاملين فى الشركة ، وهما بلا توقيع . والثالث تهنئة خالصة تحتها ثلاثة توقيعات .

يبقى صلب الاعلان ، الذى يشغل نصف الصفحة الاعلى ولكن مع تداخل بينه وبين الاعلانات الثلاثة المذكورة

وينقسم هذا الصلب اربعة اقسام .

١ ـ القسم العلوى : نحو اربعة سنتيمترات بعرض الصفحة يحمل اسم الشركة وبجانبه :

فى قفزة جديدة على طريق اصلاح المسار وتحقيق الارباح .

٢ مليون جنيه أرباح ساهمت فى سد عجز الميزانية خلاف الفائض .

تكاتف العاملين ومجلس الادارة مع رئيس الشركة فى صنع هذا النجاح تحت هذه اللافتة ، فى الوسط صورة الوزير وصورة رئيس مجلس الادارة فى بروازين دائريين .

٢ ـ القسم الثانى الى اليمين :

صور اعضاء مجلس الادارة (سبعة) مع أسمائهم .

٣ ـ القسم الثالث : شبه مقالة أو خطبة قصيرة ، مصدرة بعبارة (كتب ..) ويعدها اسم على طريقة بعض المواد الصحفية . الاسم مجهول على كل حال فيمكن أن يكون صحفيا أو لا . ولكننى لن أبخل عليك بما دبجه يراع الكاتب :

« عندما تتضافر الجهود وتخلص النوايا ويحسن اختيار قيادة العمل وتجتمع فيها طهارة اليد وسلامة القصد والمقدرة على حل المعادلة الصعبة من تحقيق مصلحة العمل ومصلحة العاملين فى الوقت ذاته . عندئذ يتوفر المناخ المناسب والصالح لحسن الاداء والاستثمار الطيب للطاقات المخلصة والراغبة حقا فى صنع التقدم لوطننا الذى هو فى حاجة الى كل الجهود . وهنا يمكن صنع المستحيل وتحدث المعجزة .

وليست المعجزة فى قيمتها المادية المحسوبة بالارقام فحسب . بل هى أيضا فى العمل الدائب وتخطى الصعاب والاصرار على النجاح والوصول الى الهدف وهذا هو ما حدث فى ... فاذا كانت شركة .. من الشركات التى تراكمت عليها الخسائر حتى وصلت الى اكثر من ١٢ مليون جنيه بعد ان قابلت من عثرات كثيرة (كذا)وكان للدكتور ...... نظرته الثاقبة ورؤيته الحكيمة وأيضا المهندس .... عندما تم اختيار السيد المهندس .. رئيسا لمجلس ادارة شركة .. والذى احسن صنعا عندما بدأ (كذا) فى حل مشاكل العاملين أولا .. .. . . وتلاقت ارادة الرجال من العاملين ومجلس الادارة مع الرئيس الجديد

للشركة بعد ان اختفت الخلافات داخل المجلس وتفرغ الجميع للعمل الجاد الذى فيه المصلحة العامة والرغبة فى زيادة الانتاج .. وبروح الفريق عمل الجميع حتى دانت الغاية (كذا) والهدف وحان وقت القطوف وفى الجمعية العمومية واثناء مناقشة الميزانية انتزعت الشركة التصفيق اكثر من مرة بعد نفضت عنها خسائرها واستعدت لجنى الثمار . ونظرة على الميزانية المنشورة على هذه الصفحة تجد أن الارقام قد اجبرت على الهروب من خانة العجز والخسائر بينما وقفت تبتسم فى تواضع فى خانة الفائض .

• القسم الرابع : الميزانية . وهى بيت القصيد . ولكن القصيد له مقدمات . القصيد له أيضا مقدمة خاصة به . وهى كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

« انا لا نضيع اجر من احسن عملا »

صدق الله العظيم

وزارة ...

هيئة ...

شركة ...

اناب السيد الاستاذ ......

السيد المهندس ... رئيس هيئة .. فى رئاسة الجمعية العامة لشركة ... المنعقدة يوم ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٨٧ .

وقد قام السيد المهندس .. رئيس مجلس ادارة الشركة بعرض اوجه نشاط الشركة خلال العام المالى ٨٥ ١٩٨٦ فى مجالات ....

وقد اسفر نشاط الشركة هذا العام عن تحقيق فائض للمرة الاولى نتيجة للجهد الكبير الذى قام به العاملون فى الشركة . وبعد عرض تقرير السيد مراقب الحسابات .

قرارات الجمعية

● اعتماد الميزانية والحسابات الختامية للشركة فى ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٨٦.

● صرف العلاوة الدورية للعاملين بنسبة ١٠٠٪

انتهت المقدمة . وقبل أن ننتقل الى الارقام دعنى اصارحك بأنى لم اقرأ فى حياتى شيئا اكثر امتاعا ولا اشد اثارة للخيال من هذه السطور القليلة الموجزة التى نقلتها لك . فكم وراءها من قصص وشخصيات وصراعات وانقلابات . اين الروائى الملهم الذى يصوغ من هذا كله رائعة العصر . عملا شامخا يمكننى ان اصفه منذ الان بأنه ملحمة معكوسة تصور خراب مصر على يد ابنائها ، وتبقى على الزمن لتتأملها الاجيال المقبلة ان كانت هناك اجيال مقبلة .

أما الارقام فتنتظم فى لائحتين : ميزانية العام ٨٥ ـ ٨٦ مقارنة بسابقتها ، وحساب العمليات الجارية للعام نفسه مقارنا بسابقه ايضا . وارجوك ان تنظر معى فى هذه الارقام ، وتقارن بينها وبين الكلام :

ايضاح هامشى : ميزانية أى مؤسسة اقتصادية تحدد بتاريخ معين ـ هو دائما تاريخ نهاية السنة المالية ـ وتنحصر فى بيان الموقف المالى للمؤسسة : مالها وما عليها . أو الاصول والخصوم باصطلاح المحاسبات . والاصول تشمل المبانى والالات التى تعتمد عليها الشركة فى مباشرة عملها ، والخصوم تتمثل قبل كل شىء فى رأس المال الذى يمكن أن

يكون مملوكا لفرد أو افراد باعيانهم أو مقسما الى اسهم تتداول فى سوق الاوراق المالية ، ويمكن ان يكون مملوكا كله او اكثره للحكومة .
وتلتزم شركات القطاع العام طبقا لقانون متفائل جدا بتخصيص قسم من الارباح لسداد رأس المال الذى قدمته الحكومة .

والان الى الميزانيتين :

ميزانية ٨٥ ـ ٨٦
فى (١٩٨٦/٦/٣٠) بالالف جنيه

اصول		خصوم	
٣٨٤٤٥	اصول ثابتة	٥١٠٠٠	رأس المال
١٥٠٨٨	مشروعات تحت التنفيذ	٢٣٧	احتياطيات
٤١٣٩	المخزون	١٧٨٧٠	مخصصات
٥٠٢	استثمارات	٨٣٠٤	قروض طويلة الاجل
٣٦٤٥٨	مدينون وأرصدة مدينة مختلفة	٢٢٦٥٢	دائنون وأرصدة دائنة مختلفة
٥٥٣١	نقدية		
٠٠٠٠٠٠	عجز		
١٠٠١٦٣		١٠٠١٦٣	

ميزانية ٨٤ ـ ٨٥
(المفهوم انها تمثل وضع الشركة فى ١٩٨٥/٦/٣٠
ولو ان هذا التحديد لم يرد فى الاعلان)

اصول		خصوم	
٣٩١٠٠	اصول ثابته	٥٢٨٢٥	رأس المال
١٣٩٠٨	مشروعات تحت التنفيذ	٧٦٢٥	احتياطيات
٣٩٦٩	المخزون	١٩٠٦٢	مخصصات
١٠٥٤	استثمارات	٨٢٩٨	قروض طويلة الاجل
٢٨٨٢٣	مدينون وأرصدة مدينة مختلفة	١٤٢٥٧	دائنون وأرصدة دائنة مختلفة
٢٣٩٠	نقدية		
١٢٨٢٣	عجز		
١٠٢٠٧٧		١٠٢٠٧٧	

ملاحظة على الهامش أيضا : أرجـوك الا تنظر الى هـذا الرقم «الذيك» في مجموع الاصول والخصوم على انه يدل على شيء اكثر من « حجم » الشركة فتساوى الرقمين لا يدل على استقرار المركز المالى للشركة او عـدم استقراره ٠

ولكنه من مستلزمات « شياكة » المحاسبية ٠ أما اذا أردت ان تعرف حالة الشركة وهل هى « بخير » أو « ليست بخير » فعليك أن تنظر فى بند « الفائض » وبند « العجز » ٠

لعلك تتساءل أيضا ـ مثلما تساءلت أنا ـ عن « المخصصات » ٠ فهى أموال تجنبها الشركة مقابل الضرائب المتنازع عليها والديون المشكوك فى تحصيلها ونحو ذلك ٠

أما اذا كانت لديك ملاحظات أخرى فأرجو ان تستبقيها حتى نطلع معا على « حساب العمليات الجارية » خلال الفترتين المذكورتين ٠ وهذا نوع من الحساب يلخص نشاط الشركة طوال الفترة . فهو يختلف عن الميزانية ـ أو الموازنة بتعبير أدق ـ التى هى حصر لما للشركة وما عليها فى الوقت الذى يجرى فيه هذا الحصر ٠

حساب العمليات الجارية

عن سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦

الاستخدامات	المخطط	الفعلي	الموارد	المخطط	الفعلي
الاجور	٢٩٢٥	٢٧٠٩	ايرادات نشاط	٦٤٣٠	٦٩٥٤
المصروفات العامة	٢٩٨٣	٢٤٤٥			
مشتريات بغرض البيع	١٠٠	٢٤١			
المصروفات التحويلية	٩١٢	١٤٣٣			
الفائض		١٢٦			
		٦٩٥٤			٦٩٥٤

وعن سنة ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥

الاجــور	٢٧٤٣	ايرادات نشاط	٥١٥٩
المصروفات العامة	٢٥٠٢		
مشتريات بغرض البيع	١٤٨		
المصروفات	١٧٥٣	العجــز	١٩٨٨
	٧١٤٧		٧١٤٧

اذا كنت قد تعودت شيئا من الجرأة فى التعامل مع الارقام الكبيرة فلابد انك فهمت ان هذه الشركة التى تتجاوز ميزانيتها مائة مليون جنيه (ويمكن بناء على ذلك ان تعد من الشركات المتوسطة التى يمتلكها القطاع العام ، فحجمها يبلغ خمس حجم شركة الحديد والصلب تقريبا) قـد اصبحت مدينة باثنى عشر مليونا • ولا يعقل ان يتبدد هذا العجز ـ الذى تراكم خلال سنوات ـ فى سنة واحدة • ولكن كيف يقال ان « معجزة » قد حدثت ؟ تأمل جيدا فى ارقام الاحتياطيات ، وارقام المخصصات ـ وكلها تقريبا تخضع لتقدير واضع الميزانيـــة • ثم تأمل الفرق بين حجمى الارصـــدة الدائنة والارصدة المدينة فى السنتين ، وهى تمثل معـــاملات الشركة فى الشراء والبيع ، ولاحظ انها زادت فى السنة الثانية عـن السـنة الاولى بمقـــدار ٢٦٫٦٪ تقريبا • والسبب الرئيسى فى هذا واضح وهو ارتفاع الاسعار ، وقد ترتبت عليه زيادة الارصدة النقدية لدى الشركة •

فاذا جمعت هذا كله تبين لك انه لايزال هناك عجز حقيقى مقـــداره تسعة ملايين ومائتا الف جنيه تقريبا ، ومعنى ذلك ان الادارة الجديدة نجحت حقا فى تخفيض قيمة العجز بنسبة محسوسة •وسيتضح لك هذا بصورة افضل عندما تنظر فى حساب العمليات الجارية عن السنتين الاخيـــرتين • فلا « معجزة » هناك ، لكن بداية يمكن ان تكون جادة ومبشرة •

وقد تعودنا ان نرى مثل هذه البدايات فى حياتنا العامة والخاصة • وقد تصورنا ان ننظر اليها بأمل يخالطه قلق شديد ، بل شىء يشبه الخوف• وما ذلك الا لان البدايات الحسنة عندنا كثيرا ما تكون وسيلة لكسب الثقة ، ثم يتبعها سوء استعمال لهذه الثقة • ويزيد قلقنا وخوفنا اذا صحبت هذه البدايات بضجة اعلامية كبيرة •

ان الامر جد ، وليس فى اداء الواجب فخر • ولايزال الطريق امامنا طويلا حتى نستطيع ان نهنىء انفسنا باننا حققنا ما يشبه النجاح • اما المعجزات فليست فى مقدور البشر •

ثورة تاتشر وجورباتشوف إلى أين؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر





مارجريت تاتشر   جورباتشوف

بين المسز تاتشر ،رئيسة وزراء بريطانيا للمرة الثالثة (!)، والرفيق جورباتشوف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي ، علاقة وثيقة ! ولا اقصد هذا المعنى الخبيث ، الذى استنتجته احدى الصحف البريطانية الهازلة من صورة لهما معا ، تعكس فيهما نظراتهما المتبادلة الاعجاب الشخصي العميق الذى يكنه كل منهما للاخر ، بالرغم مما هو معروف بينهما من خلافات سياسية ولكننى اقصد ان هناك علاقة ما ، ما بين الاعمال السياسية لكل منهما ، تلك الاعمال التى ادت الى تسليط الاضواء على الشخصيتين ، بحيث اصبح كل منهما ، او الاثنان معا، علامة على عصره ، او عصرهما ! عصر « نقد الاشتراكية » بعد ان طبقت بصور متعددة فى العالم ، وقد ظهرت هذه الاشتراكية اساسا باعتبارها نقدا تاريخيا للراسمالية .

على سبيل المثال ، لا شك في ان المسز تاتشر قد استفادت فائدة كبرى ، من النقد الهائل الذى يوجهه جورباتشوف للاوضاع الاقتصادية فى بلاده ، التى تأخذ بالنظام الاشتراكي ، فى حملتها الانتخابية الاخيرة ، والتى اعلنت فيها ان هدفها من العودة الى الحكم هو استئصال شأفة الاشتراكية فى بريطانيا ! كان لسان حالها كان يقول للناخبين البريطانيين : « لقد رأيتم مقدار خيبة الاشتراكيين فى روسيا بحيث يعيدون النظر فى جميع أوضاعها هناك ، فلماذا تحرصون عليها ، ونحن - اى البريطانيين - بلد الرأسمالية العريقة ؟ ولكنها - بالطبع - لم يكن فى وسعها ان تدعو الى عودة الرأسمالية المطلقة - على جثة الاشتراكية الممزقة - ولكنها تسميها « الرأسمالية الشعبية » ، وأداتها فى ذلك هو بيع شركات القطاع العام ، ليس للرأسماليين الكبار وحدهم ، ولكن بيع أسهمها للعناصر الشعبية أيضا ، بمن فيهم العمال الذين يعملون فى تلك الشركات ذاتها ·

لا بأس !··· فبعض الافكار « الاشتراكية » التى ظهرت قبل كارل ماركس ، والتى أطلق عليها ماركس اسم « الاشتراكية الطوباوية » ، او الخيالية والمثالية ، مثل افكار روبرت اوين ، وسان سيمون وسواهم ، كانت تدعو الى تملك العمال للمصانع على صورة اتحادات للمنتجين ، وقد فشلت تجارب اولية فى هذا النوع اقامها اوين فى بريطانيا ، ثم فى امريكا ، الامر الذى دعا ماركس الى اعلان مذهبه فى « الاشتراكية العملية » ، وذهب فيه الى ان على الطبقة العاملة ان تستحوذ على السلطة السياسية اولا فى مجتمعها ، ثم تصادر المصانع او تؤممها ، بمعنى ان تتملك الطبقة العاملة أدوات الانتاج كلها دفعة واحدة ، من خلال الدولة التى تحكمها !

وقد حدث شيء مشابه بوصول حزب العمال البريطانى أحيانا الى الحكم ، وقيامه بتأميم عدد كبير من الشركات الصناعية ، باسم الاشتراكية ، التى تريد المسز تاتشر ان تستأصلها الان ، على أساس ان هذا الطريق قد فشل اقتصاديا ، وأدى الى تفشى الكسل فى اوساط العمال ، وتدهور الصناعة البريطانية ازاء المنافسة الاجنبية وبخاصة فى اليابان وألمانيا ، وهى تحاول حاليا العودة عن هذا الطريق من خلال رأسماليتها الشعبية ·

اما فى روسيا ، فقد قامت الثورة الاشتراكية فيها ، خلال طريق اكثر مشقة وتعقيدا ، من وصول حزب العمال البريطانى الى الحكم عن طريق الانتخابات ، فى ذلك البلد الديمقراطى العريق المتطور صناعيا ، بل موجد الثورة الصناعية ، كانت روسيا فى اوائل القرن العشرين اكثر بلدان اوربا تخلفا من الناحية الصناعية والاقتصادية عامة ، كانت تسودها اوضاع شبه اقطاعية فى ظل استبداد القياصرة ، يعانى فيها الفلاحون ، الذين لم يكادوا يتحررون من رق الارض ، وعمال الصناعة الوليدة بجميعها من الاستغلال البشع، على أيدى كبار الملاك وحلفائهم من الرأسماليين ، وكثير منهم كانوا من اصحاب الاحتكارات الدولية الكبرى فى الغرب المتقدم صناعيا · وزاد من ضراوة الاوضاع الاقتصادية واشتداد وطأتها على العمال والفلاحين الروس ، الحروب المتوالية الخاسرة التى خاضتها القيصرية ، مثل هزيمتها امام

ثورة تاتشر وجورباتشوف إلى أين؟

اليابان عام ١٩٠٤ ، وهزيمتها فى الحرب العالمية الاولى أمام الالمان ، حيث كان الجنود يموتون جوعا فى ميادين القتال قبل ان يقتلهم رصاص الاعداء ، واخوتهم الفلاحون لا يكادون يجدون ما يقتاتون به مما تنهبه « الدولة » منهم باسم الحرب، بحيث كان الشعار الذى وصل به البلاشفة الى حكم البلاد يتلخص فى كلمتين « السلام والارض » . السلام للجنود الذين يهلكون فى حرب لا صالح لهم فيها ، والارض للفلاحين الذين لا يتبقى لهم شىء مما يزرعون ويفلحون !

وجها العملة

شتان ما بين الوضعين ، وظروف تطبيق الاشتراكية فى كل من البلدين بريطانيا العظمى ، وروسيا أو الاتحاد السوفييتى حاليا . ولكن الوضعين كانا يمثلان وجهين لعملة واحدة هى التطور الرأسمالى المصاحب للثورة الصناعية :

● الوجه الاول : هو التطور الرأسمالى الحر او المفتوح ، فى البلدان الصناعية فى الغرب ، وفى مقدمتها انجلترا وطن الثورة الصناعية كما تقدم . كان لهذا الوضع تناقضاته الخاصة منذ بدايته ، وقد لخصها كارل ماركس ـ الذى استند الى دراسة تاريخ الاقتصاد البريطانى فى تأليفه كتاب رأس المال الذى يعتبر انجيل الاشتراكية العلمية ، فى تناقضين رئيسيين :

أولهما : هو التناقض ما بين الرأسمالية مالكة وسائل الانتاج ، والطبقة العاملة أو البروليتاريا التى لاتملك الا قوة عملها تبيعها للرأسمالى فى سوق العمل ، ويحرص الرأسمالى على أن يشترى تلك القوة بأرخص الاسعار ، وبعبارة أخرى أبخس الاجور ، لكى يستثمرها فى انتاج « فائض القيمة » الذى تزداد به ثروته وينمو رأسماله ، ومن مصلحة الرأسمالية فى ظل هذا الوضع ان يكون هناك « جيش احتياطى » من العمال الصناعيين المتبطلين ، الذين يمكن اقناعهم بقبول الاجر الاقل لمجرد الحصول على عمل وعلى لقمة العيش ، وبالتالى فمشكلة البطالة هى اكبر ما يواجه الطبقة العاملة ويجعلها بحاجة الى تغيير النظام الاقتصادى والاجتماعى ككل لتحقيق فرص العمالة الكاملة .

أما ثانى تلك التناقضات فهو التناقض ما بين الرأسماليين وبعضهم البعض حيث يتنافسون على الاسواق، والكبير القادر منهم يأكل الصغير العاجز فى ميدان المنافسة بحكم تخلف أساليب انتاجه ، بما فى ذلك الحرفيون وأصحاب المصانع الصغيرة ممن أطلق عليهم كارل ماركس اسم « البرجوازية الصغيرة » . وهذه الطبقة الاخيرة هى التى يهددها الاستقطاب الذى يجرى باستمرار فى المجتمع الرأسمالى ، بحيث ترتفع قلة الى مستوى « البرجوازية الكبيرة » بينما تتحول الاغلبية ، بعد أن تفقد رأسمالها فى السوق التى لا ترحم ، الى عمال او بروليتاريا لا تملك الا قوة عملها .

كان كارل ماركس يتوقع ان تقوم الثورة الاشتراكية اولا فى البلدان المتقدمة صناعيا بحكم مفعول هذين التناقضين الاساسيين ، وكانت الطبقة المرشحة عنده للقيام بتلك الثورة هى

الطبقة العاملة أو البروليتاريا بعد تنظيمها في شكل حزب سياسي اشتراكى ، كما كان يتوقع أن تنضم ، البرجوازية الصغيرة ، بما فيها الفلاحون الى تلك الثورة باعتبارها بديلا للحلم المفقود فى التحول الى برجوازية كبيرة .

● الوجه الثانى : هو التطوّر الذى حدث فى المجتمعات الزراعية المتخلفة ، والتى غزتها الرأسمالية القادمة من البلدان الصناعية المتقدمة فى بحثها عن الاسواق الخارجية ، وحولتها الى مستعمرات او أشباه مستعمرات وكثيرا ما كانت تلجأ الى القوة فى السيطرة على تلك الاسواق، فاذا ما تم لهـا ذلك أغرقت تلك البلدان بانتاجها الصناعى المتطور ، قاضية بذلك على ما قد يكون لديها من أساليب انتاج بدائية ، وفئات متعددة من صغار الصناع والحرفيين، بل انها كانت تفرض أنماطا جديدة من الاستهلاك لم تعرفها تلك المجتمعات من قبل ، وشيئا فشيئا تصبح هذه الانماط امرا لا غنى عنه لحياة تلك المجتمعات ، وتصبح حاجتها الاولى هى أن تصبح قادرة على صنع أمثالها ، بدلا من استيرادها بأثمان قد تكلفها ثرواتها كلها ثم لاتستطيع أن تستوفى احتياجاتها الا بالديون التى تعجز عن سدادها ، كما هو الحال الآن بالنسبة لما يطلق عليه اسم العالم الثالث .

بعد عصر كارل ماركس اصبح اللحاق بركب الثورة الصناعية هو المشكلة الرئيسية التى تواجه المجتمعات المتخلفة اقتصاديا . وكانت سلسلة الثورات الديمقراطية أو الدستورية التى شهدتها تلك المجتمعات فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى (كالثورة العرابية فى مصر) ، ثم الثورات الوطنية على الاستعمار (ثورة ١٩) تستهدف تحقيق التطور الصناعى بالطريقة الرأسمالية وعلى أيدى الطبقات الصناعية الوليدة . ولكن معظم هذه الثورات أخفق فى الوصول الى هذا الهدف فى مواجهة العصر الامبريالى الذى تطورت اليه الرأسمالية الصناعية فى بلدان الغرب المتقدمة ، والتى اضافت الى تناقضات الرأسمالية داخلهـا ، تناقضين جديدين :

أولهما : التناقض ما بين الدول الامبريالية الصناعية المتقدمة وشعوب المستعمرات التى تناضل ضدها .

والثانى : هو التناقض ما بين الدول الرأسمالية الصناعية الكبرى ذاتها فى التنافس على المستعمرات ، الذى وصل الى حد الحروب العالمية الكبرى التى تستخدم فيها الاسلحة الفتاكة القائمة على الصناعة الحديثة .

وكان لينين هو الذى اكتشف هذين التناقضين فى دراسة للامبريالية ، ورأى ان الثورة الاشتراكية سوف تقوم أولا فى البلد الذى تصبح فيه تناقضات الرأسمالية الامبريالية مجتمعة أكثر من غيرها بغض النظر عن مدى تطورها الصناعى ، وقد حدث بالفعل ان قامت الثورة الاشتراكية فى روسيا بقيادته عام ١٩١٧ .

ولكن الامر الذى لم يتبينه لينين بوضوح حينما قاد تلك الثورة ، وانما يتبينه جورباتشوف تماما فى الوقت الحالى ، هو أن الاشتراكية الروسية ، انما قامت لتحقيق ما عجزت الرأسمالية عنه من تطور صناعى . بل ان بعض المعلقين قد وصف سياسة ستالين فى تصنيع الاتحاد السوفييتى ، بكل ما كان فيها من ضراوة هى موضع النقد الآن ، بأنها أشبه بالعصر الحديدى

ثورة تاتشر وجورباتشوف إلى أين؟

للثورة الصناعية فى بريطانيا . بينما الاشتراكية فى بريطانيا كانت شيئا آخر ، كانت محاولة لتدليل الطبقة العاملة البريطانية واشراكها فى بعض غنائم الثروة التى كانت تجنيها تلك الامبراطورية من نهبها الواسع النطاق لمستعمراتها ! وقد أصبحت موارد الامبراطورية العجوز اضأل من ان تحتمل كل الفئات الذى كان يلقى الى عمالها .

اما اذا كان جورباتشوف يعيد النظر الآن فى كثير من الاوضاع الاقتصادية فى بلاده ، بما فى ذلك ادخال بعض الاساليب الرأسمالية وتطبيق ما يسمى باقتصاديات السوق ، فذلك لان المهمة الاساسية للاشتراكية فى بلاده كانت القيام بالدور الذى عجزت الرأسمالية عن القيام به فى انجاز التطور الصناعى ، وقد قطعت فى ذلك شوطا لا مراء فيه .

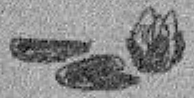
غير أن ما يجمع كلا من المسز تاتشر وجورباتشوف هو ان كلا منهما يسعى الى اللحاق بركب الثورة الصناعية الثانية او الثورة التكنولوجية التى تقودها الولايات المتحدة الامريكية ، وتنافسها فيها اليابان ثم المانيا الغربية ، ويعتبر جورباتشوف ان اعباء التسلح الباهظة تمثل معوقا رئيسيا امام بلاده للحاق بتلك الثورة ، فهو لذلك يسعى الى التصالح العالمى على أوسع نطاق وخاصة مع الولايات المتحدة الامريكية . اما المسز تاتشر فهى تعرف انهما لا تمثل احدى القوتين العظميين فى العالم ، وليس لها مصلحة فى أن يتوقف استنزاف مواردهما فى التسلح النووى والصواريخ العابرة للقارات وحرب الكواكب وما الى ذلك ، بل ان مصلحتها او مصلحة بلادها كما تراها ، هى فى ان يستمر سباق التسلح ما بين القوتين العظميين ، لعل بلادها تعود لتصبح واحدة من القوى العظمى بعد ذلك على حسابهما ولهذا تسعى جهدها الى افساد جهود التصالح على أساس استبعاد الاسلحة النووية والصواريخ ما بين هاتين القوتين العظميين ، بدعوى الدفاع عن أمن اوربا الغربية !

ولكن يبدو أن زعماء المانيا الغربية لهم موقف آخر خلاف المسز تاتشر ، والتصالح بالنسبة لهم يبدو فرصة لكى يبيعوا للسوفييت الكثير من التكنولوجيا الالمانية المتطورة ، كما انه قد يكون فرصة للاقتراب من حلمهم القومى فى اعادة توحيد المانيا ! وهو امر يتوقف تحقيقه فى رأى المراقبين الاوربيين ، على زوال انقسام اوربا بأسرها الى معسكرين .

يبقى بعد ذلك أن مصير كل من ثورة مسز تاتشر باسم « الرأسمالية الشعبية » ، وجورباتشوف تحت « الاشتراكية المعدلة » ان تخضعا ومعهما بقية العالم لما تتمخض عنه الثورة الرئيسية حاليا فى التاريخ المعاصر ، وهى الثورة التكنولوجية الهائلة ، التى لا يستطيع انسان ان يزعم لنفسه القدرة على التنبؤ بكل احتمالات تأثيرها على الحياة الانسانية جميعها ، الا فى ازدياد الوعى بضرورة تلافى خطرها على مجرد وجود هذه الحياة ذاتها !..

وهذا ما يجعل ثورة جورباتشوف واتجاهها نحو التصالح الدولى اكثر ايجابية من أحلام تاتشر الامبراطورية .



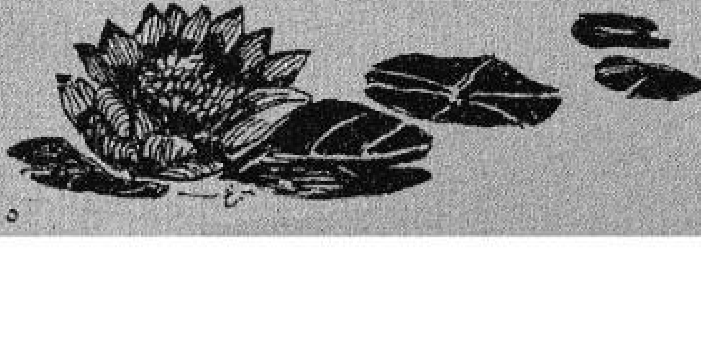


الجنيه الطائر

شعر : أحمد قاسم أحمد

بين الجنيـــه وبيني — أمر بسبب حزني .
أن رمت منـــه بقاء — ألفيه يفلت مـــني
شرعت أغرى جنيهـا — لكى يقيم بامـــن
فقلت : عندى مكان — يكاد يرقى لحصـــن
تعيش فيـــه معافى — فقال : تقصد سجنى ..؟
انى خلقـــت طليقـا — لـكل حـر وفـــن
اقضى زمـاني سيرا — حتى اصادف حينى
فقلت : عنـدى ثيـاب — تكسوك دوما بحســن
فقال : غير مبـــال — ان التجـرد شـانى
على نقش جميــــل — عن الملابس يغـنى
فقلت : عنـدى طعام — اغذوك شـهما بسمن
فقـال : اطعم فقيرا — ما كنت صاحب بطن
فقلت : تنوى فرارا ..؟ — فقال : قد حان بينى
بالقـرب بائع حلوى — لديه من كـل فـن
فخذ لاهلك شـيئا — بى ، وسـلم ودعنى
فقلت : امـر حبيب — من اجـل بنتى وابنى
عليـك منى سـلام — ان شئت يوما فزرنى
سـبحان ربى يغنى — اذا اراد ويقـنى

احمد قاسم احمد



عندما يتخاصم الفلاسفة

بقلم : د. أحمد أبو زيد

●● قصة الخصومة بين الفيلسوف الوجودى جان بول سارتر والفيلسوف المؤرخ السياسي ريمون آرون ●●

تاريخ الفكر العالمى زاخر بالجدل والخلافات والمساجلات الفكرية العنيفة بين المفكرين والادباء والفلاسفة بل واحيانا بين العلماء وكثيرا ماتتحول هذه الخلافات والمساجلات الى خصومات وعداوات شخصية تخرج باصحابها من دائرة الحوار الهادىء المتزن الى تبادل الاتهامات ومحاولات النيل من المكانة الادبية او العلمية والتعرض بالنقد والتجريح المهين للسلوك الشخصى والعلاقات الخاصة ، ويصل ذلك الى حد الاسفاف الذى لايخلو من ابتذال فى بعض الاحيان حين ينشب الخلاف بين اشخاص كانت تقوم بينهم فى وقت من الاوقات علاقات قوية من الصداقة التى ترتكز على التفاهم والاعجاب المتبادل والتقارب الفكرى وتشابه النظرة الى الحياة والى المستقبل والايمان بنفس القضايا والاهداف ثم لايلبث ان يتبدل الحال نتيجة لتغير الظروف فتختلف التطلعات وتتضارب الأهواء وتتعارض المصالح . وعلى الرغم مما قد تتصف به هذه الخصومات من مهاترات وقسوة وسخرية وتجريح وتعريض فانها تساعد بشكل او باخر على إثراء الفكر وتعميقه وان كانت تكشف فى الوقت ذاته عن بعض جوانب الضعف البشرى الطبيعى الذى لايسلم منه حتى كبار المفكرين والفلاسفة والادباء والعلماء والمبدعين والذى يتخفى وراء قناع زائف من بريق الفكر الراقى والسلوك المهذب والرقة المصطنعة .

وفى تاريخ الفكر الغربى او بالذات الفكر الفرنسى المعاصر كان الفيلسوف الفرنسى الوجودى جان بول سارتر من اكثر المفكرين اختلافا وصراعا مع معاصريه بل واصدقائه من المفكرين والمثقفين ، وله فى ذلك خصومات شهيرة ربما كان من اهمها واطولها خصومته مع زميل الدراسة وصديق الشباب الفيلسوف السياسى الاجتماعى ريمون آرون فقد امتدت هذه الخصومة الى مايقرب من ثلاثين سنة حتى وفاة سارتر عام ١٩٨٠ وكان سارتر دائما هو المهاجم المعتدى الساخر اللاذع بينما كان آرون يبدى فى خصومته كثيرا من الترفع والتعفف الذى يحمل بين طياته قدرا لابأس به من الايذاء الخفى والاستهانة بسارتر وارائه وافكاره ومواقفه وحين اصدر ريمون آرون مذكراته عام ١٩٨٣ بعد وفاة سارتر باكثر من ثلاثة اعوام كانت تلك العلاقة بكل مافيها من حب ومودة وصداقة وجفاء وتعقيدات وصعوبات تؤلف خطا واضحا وتشغل جانبا لابأس منه فى الكتاب فالخصومة لاتعنى عدم وجود علاقة بالمرة وانما هى علاقة من نوع معين وفيها اعتراف بوجود الطرف الاخر وبالدور الذى يلعبه طرفا الخصومة فى حياة كل منهما وتفكيره وآرون يعترف بذلك بطريقته الخاصة المتواضعة الرقيقة المهذبة التى لايجيدها سارتر باسلوبه الثائر الصاخب اللاذع الملتهب .

ولقد كان من المحتم على اية حال أن يحدث ماحدث بين (الصديقين) القديمين اللذين يختلفان رغم صداقتهما القوية فى مقومات الشخصية ومكونات المزاج الخاص .

● أحلام تتحقق

ويحكى لنا الكاتب الامريكى الشهير



ريمون آرون

سكوت سوليفان ان (الشابين) سارتر وآرون اللذين يصفهما بانهما كانا من ابرع واذكى وفى الوقت ذاته من انجح ابناء جيلهما واكثرهم دماثة تعاهدا ذات يوم من عام ١٩٢٦ وهما يسيران معا فى حى الجامعة بباريس على ان يعملا فى صبر ومثابرة لكى يصلا الى اعلى مايمكن ان يصل اليه المثقف المفكر من شهرة وسمعة وصيت . وكان اطول الاثنين (آرون) يبدو واثقا من نفسه وانه يعرف طريقه تماما وهو يقول فى شيء من الزهو والخيلاء انه سوف يحاكى فى اعماله وكتاباته هيجل بعد سنوات قليلة . وقد كتم صديقه (سارتر) ضحكة ساخرة كادت تصدر منه لدى سماعه ذلك ، واخذ يتكلم بشكل عام عن بعض الفلاسفة الالمان الذين اتيح له ان يتعرفهم من كتاباتهم وبالذات عن اثنين من رواد الوجودية وهما هوسرل وهايدجر . وقد حققت الايام كثيرا من احلام هذين الشابين مثلما حققت احلام كثيرين غيرهم ممن ارتبطوا بهما بعلاقات الصداقة اثناء الدراسة واتيح لهم ان يحتلوا فيما بعد مكانة مرموقة فى مجالات الفكر والادب والفن فى فرنسا مثل سيمون دى بوفوار صديقة سارتر الشهيرة وسيمون فيل التى تركت بعد موتها المبكر نسبيا عددا لا بأس به من الكتابات التى تعبر عن نظرتها العميقة الى الدين ودوره فى الحياة وتعارض فيها مواقف سارتر الالحادية .

وقد عصفت احداث السياسة الدولية وقيام الحرب العالمية الثانية بكثير من روابط الصداقة وباعدت بين الزملاء والاصدقاء فقد اضطر ريمون آرون وسيمون فيل الى الهجرة الى انجلترا امام الغزو النازى لباريس . وفى لندن ماتت سيمون فيل بينما اسهم آرون فى الاشراف على صدور (فرنسا الحرة) وحين عاد الى فرنسا بعد تحريرها اختار ان يتجه الى العمل فى الصحافة فى باريس وفضل ذلك على الالتحاق بالتدريس فى الجامعات الاقليمية رغم انه كان يهيىء نفسه طيلة الوقت للحياة الاكاديمية التى هى اقرب الى طبيعته وميوله . وارتبط لفترة طويلة بجريدة الفيجارو ثم الاكسبرس حتى اتيح له عام ١٩٥٥ وهو فى سن الخمسين ان يشبع الجانب الاكاديمى فى شخصيته وتكوينه حين انتخب لشغل كرسى الاستاذية فى السوربون واستطاع بذلك ان يجمع بين الكتابة فى الصحافة السياسية وبين التدريس فى الجامعة وان يصدر عددا كبيرا من الكتابات السوسيولوجية والسياسية التى كان لبعضها رنين كبير ودوى هائل مثل كتابه الشهير « افيون المثقفين » كما اتيح لسارتر من الناحية الاخرى ان يسيطر على جانب كبير جدا من الحياة الثقافية والفكرية فى فرنسا لنصف قرن تقريبا وبدا كما لو كان (الصديقان) القديمان يتقاسمان فيما بينهما مواقع الريادة والاشراف والتوجيه فى المجالين الاساسيين فى الفكر الفرنسى المعاصر وهما مجال الابداع (سارتر) ومجال التحليل النقدى (آرون) .

ولكن هذه الصداقة لم يكن ليقدر لها ان تستمر . وهذا امر طبيعى الى حد كبير فى

جو باريس الثقافى المشحون بالصراع الفكرى والجدل والمشاحنات الايديولوجية التى تنعكس فى كثير من الاحيان على العلاقات الشخصية وتسيء اليها . وقد حدث الصدام بين سارتر وأرون اوائل الخمسينيات وهو صدام له مبرراته القوية التى تكمن فى اختـلاف التـوجـه الايديولوجى لكل منهما وتباين المواقف السياسية والعقائدية ثم ـ وهذا عنصر مهم للغاية ـ الغيرة التى كان يشعر بها كل منهما ازاء ماحققه الاخر من نجاح وشهرة رغم اختلاف مجال التخصص والاسلوب الذى اتخذه كل منهما للتعبير عن أرائه وافكاره .

● شهرة فائقة

وليس من شك فى ان سارتر من حيث هو فيلسوف ومفكر وجودى وكاتب مسرحى يشارك مشاركة ايجابية وفعالة فى كل الاحداث السياسية والاجتماعية التى تموج بها الحياة اليومية فى باريس ويؤازر كل حركات التمرد والثورة على الاوضاع السائدة فى فرنسا اكتسب شهرة فائقة تجاوزت اوساط المثقفين فى فرنسا ووجدت لها صدى فى كثير من انحاء العالم حتى بين القطاعات والفئات التى لاتكاد تعرف عن الوجودية غير اسمها . وهذه شهرة لم يتح لارون ان يحظى بها رغم الدور الجوهرى الذى لعبته كتاباته فى الحياة الفكرية والسياسية فى فرنسا بل ان سيمون دى بوفوار التى تعتبر بوجه عام شخصية ثانوية اذا قيست بسارتر ومكانتها فى تاريخ الفكر كانت تتمتع بقدر هائل من الشهرة ومن البريق الاجتماعى ليس فقط بسبب ارتباطها بسارتر ولكن ايضا بفضل اعمالها الروائية الاكثر انتشارا بغير شك من الكتابات الاكاديمية الرصينة التى كانت تصدر عن قلم آرون وكذلك بفضل مساندتها لحركة تحرر المرأة وغيرها من حركات التمرد الاجتماعى فهذه مواقف تختلف كل الاختلاف عن مواقف ارون الاستاذ الجامعى الذى يتمسك بالقيم الاكاديمية ويحيا الحياة العلمية الرصينة وينأى بنفسه عن ان يشارك فى المسيرات حتى وان كان يؤازر القضايا التى تكمن وراءها . وقد التزم آرون بهذا الموقف المتزن فى كل مجالات انشطته المختلفة التى كان يمارسها كمعلق سياسى يكتب مقالا تحليليا كل اسبوع يتطلب منه الموضوعية ووضوح الرؤية والامانة



جان بول سارتر

والدقة في العرض . ولذا فان الشهرة الواسعة العريضة التى حققها سواء فى المجال الاكاديمى المتخصص أو فى مجال الكتابة السياسية فى الصحف لايمكن ان تقاس ـ رغم اهميتها واتساعها ـ بما حققه سارتر من شهرة ومجد نتيجة للكتابة الفلسفية والمسرحية والادبية ومشاركته الفعالة فى احداث المجتمع ومكونات شخصيته التى تختلف كل الاختلاف عن شخصية آرون الوقور الهادىء الذى لايجرى وراء الشهرة ولا يحاول ان يجذب اليه الانظار او الاضواء بمواقف مسرحية درامية او باسلوب ملتهب يثير حماس الفرنسيين وخيالهم . ولذا فانه بدلا من ان يترجم آراءه وافكاره فى اعمال مسرحية او روائية مشوقة تحقق له الشهرة وذيوع الصيت بين جماهير عريضة وعلى نطاق واسع كان يفضل التحليل المنطقى الهادىء العميق للاحداث السياسية والاجتماعية الكبرى ويقف منها موقف المفكر الموضوعي وليس موقف الكاتب المبدع الذاتي المتطرف . وقد ظل ملتزما بهذه القاعدة حتى اخر لحظة من حياته الا فى بعض حالات قليلة جدا كان يستخدم فيها بعض العبارات الساخرة التى يهزأ فيها من سارتر ومن مواقفه التى كان يستجدى بها الشهرة واعجاب جماهير الشباب الثائر المتمرد كما حدث فى حركة الطلاب الشهيرة عام ١٩٦٨ . وقد كان آرون يرفض ان تكون الحركة تعبيرا عن ايديولوجية عالمية ويراها مجرد خليط من كل انواع ومظاهر الاحتجاج ومختلف التطلعات التى يموج بها المجتمع الفرنسى بمختلف فئاته ، وانها على هذا الاساس مجرد نموذج من نماذج التعبير عن خيبة الامل فى الحضارة الحديثة .

ومع ذلك فالذى لاشك فيه هو ان آرون كان يشعر بغير قليل من الغيرة الممزوجة بالمرارة من كل ماحققه سارتر من نجاح وشهرة على مختلف المستويات وفى مختلف الاوساط الثقافية وشبه الثقافية ولكن الذى لاشك فيه ايضا هو ان سارتر كان يشعر هو الاخر بغير قليل من الغيرة الممزوجة بالمرارة من نجاح آرون فيما اخفق هو فيه ، وهو ان يكون له مكان فى الحياة الاكاديمية فى السوربون خاصة ان فلسفته الوجودية رغم كل ماحققته من انتشار لم تكد تحظى باهتمام اساتذة السوربون الذين لم يكونوا حريصين على تدريسها او تعريف طلابهم بها .

والواقع ان سارتر كان يتميز على آرون ببعض القدرات والمواهب الابداعية التى ساعدته على ان يحتل تلك المكانة المتميزة فى الحياة الثقافية بينما دفعت آرون من الناحية الاخرى الى ان يتخذ من (صديقه) موقف الاستعلاء الذى يخفى وراءه جانب الضعف والقصور فى تلك القدرات ، فعلى الرغم من ان آرون كان من ابرع رجال الفكر السياسى واكثرهم ذكاء وقدرة على الفهم والتحليل فانه كان يفتقر الى تلك الموهبة الادبية والقدرة على التعبير باسلوب شائق يتميز بسحر الكلمات وجزالة اللفظ . صحيح ان كتابات آرون لم تكن تخلو تماما من المرونة والقدرة على التعبير والاداء الدقيق

الواضح الا ان اسلوبه كان يخلو من الشخصية المتميزة بل انه كثيرا ماكان يدفع القارىء الى الملل والضجر ، ولاتكاد كتاباته تشتمل على صيغ او عبارات تلصق بذهن القارىء وتحفر لها مكانا فى ذاكرته . وقد يكون ريمون آرون اكثر حيوية وتدفقا وتلقائية فى الحديث والمحاضرة عنه فى الكتابة . وهذا هو الذى جعل كتابه (المتفرج الملتزم) اكثر اعماله حيوية وتشويقا لانه كان فى الاصل احاديث ومقابلات واسئلة واجوبة اذيعت فى التليفزيون فى السبعينيات ، وتناولت حياته وفكره واعماله . وهو من هذه الناحية يختلف كل الاختلاف عن كتابه الطويل (مذكرات) الذى يعرض فيه لهذه المسائل ذاتها ولكن بطريقة ثقيلة على النفس . وربما كان ادراك آرون لافتقاره لهذه الموهبة وراء احجامه عن اتباع الطريق الذى سلكه سارتر والذى جلب له الشهرة وهو طريق الكتابة المسرحية لعرض افكاره وارائه .

● طرفا نقيض

ثم كانت هناك الى جانب ذلك بعض الاختلافات الاساسية فى الموقف الفلسفى لكل منهما . وقد اخذت هذه الاختلافات تزداد وضوحا بمرور الزمن حتى ظهر انهما يقفان على طرفى نقيض تماما فى كل شىء بما فى ذلك السلوك الشخصى والقيم التى يتمسك بها كل منهما فى حياته اليومية الخاصة وعلاقاته مع الناس ... كان سارتر المفكر الفيلسوف الوجودى يعتقد أنه ينبغى على كل فرد ان يحدد لنفسه قانونه الاخلاقى الذى يتبعه فى حياته وينادى بمبدأ (الالتزام) الراديكالى بالحركة الثورية الماركسية وكانت اتجاهاته وميوله اليسارية واضحة كل الوضوح فى كتاباته وتصرفاته ومشاركته فى حركات التمرد الاجتماعى ومناداته صراحة بامكان الالتجاء الى العنف الثورى لتحقيق الاهداف الثورية كما كان مغرما الى حد كبير بالخروج على الاوضاع التقليدية المتعارف عليها فى الحياة العامة والحياة الفكرية على السواء بحيث انه كان يرفض الزواج من صديقة عمره التى ارتبط بها طيلة حياته كما كان كل عمل من اعماله يأتى بمثابة صدمة فكرية جديدة لهذه الاوضاع والتقاليد الراسخة المتأصلة فى الفرد والمجتمع . ولقد بدأ آرون حياته هو ايضا بالاهتمام بالماركسية ولكنه لم يلبث ان تحول الى الوسط السياسى واخذ يعارض بعنف وشراسة ماكان يسميه بالشمولية السوفييتية . وكان آرون يكتب تعليقاته على الاحداث السياسية فى جريدة الفيجارو مما جعل اسمه يرتبط بالتيارات اليمينية ومع انه لم يكن يتبع اى اتجاه حزبى معين بالذات فانه كان بوجه عام يقف موقفا معاديا للشيوعية فى وقت كان معظم المثقفين الفرنسيين يتجاوبون مع الماركسية ويتعاطفون مع الاتحاد السوفييتى . ويظهر ذلك بوضوح فى كتابه « افيون المثقفين » الذى ظهر عام ١٩٥٥ والذى هاجم فيه بشدة النظرة التى كانت تسود فى كثير من الاوساط الثقافية فى فرنسا عن ان النظام السوفييتى هو امل العالم وطريقه الوحيد الى الخلاص .. وكان موقف ارون اقرب الى الليبرالية التعددية ويتخذها منهاجا لسياسته وتفكيره ، وان كان اعداؤه يعتبرونها شكلا

عندما يتخاصم الفلاسفة

اخر من اشكال الرجعية التى كانوا يرفضونها بحكم اتجاهاتهم اليسارية ، كما ان عداءه الشديد المستمر للاتحاد السوفييتى كان مثارا للشك والارتياب والتساؤل من جانب هؤلاء المفكرين اليساريين الذين كانوا يسيطرون بغير شك سيطرة تكاد تكون تامة على مسار الحياة الثقافية والفكرية فى فرنسا . وهكذا وجد هذا المفكر الهادىء الرصين الوقور الملتزم بقواعد الحياة الاكاديمية الجادة والمتمسك بروابط الحياة العائلية المحترمة وقواعد ومبادىء الموضوعية وجد نفسه محاطا من كل الانحاء بالتيارات الفكرية الثائرة والمتمردة واليسارية التى لم يكن يقبلها واصبح فى اخر الامر (مغتربا) فى المجتمع الفرنسى المثقف وسجين عالمه الخاص . ومع ذلك فقد ظل يأبى ان ينزل عن نظرته الموضوعية للاشياء وعن استقلاله الفكرى لدرجة انه حين عمل مستشارا ومساعدا لاندريه مالرو فى وزارة ديجول الاولى لم يتردد فى ان يخرج على (الجنرال) رغم اعجابه الشديد به وان يبتعد عن العمل السياسى الرسمى لكى يحتفظ لنفسه بمكانته ومنزلتـه واستقلاله فى الراى وفضل على ذلك كله ان يلعب دور (المتفرج الملتزم) حسب التعبير الذى اطلقه وارتضاه لنفسه .

عدو المثقفين الفرنسيين

وهذا موقف فيه (شىء غير فرنسى) على مايقول الاستاذ جون ويتمان يتمثل فى النظرة المحايدة (الباردة) غير الانفعالية للقضايا الحساسة الهامة التى تهز المجتمع الفرنسى وتلهب مشاعر وخيال المثقفين الفرنسيين الذين يميلون بشكل عام الى الاعجاب بالكتاب ذوى الاقلام الثائرة الملتهبة حتى وان كانت كتاباتهم تفتقر الى الدقة والوضوح والموضوعية ويفضلونها على الكتابات والاراء المتحفظة او (اليمينية) . ولذا كان آرون يعتبر العدو رقم واحد للمثقفين الفرنسيين حتى فترة قصيرة قبل موته . فمع انه كان يتعرض للماركسية فى مقالاته وكتاباته ومحاضراته فإن تحليله لها كان موضوعيا ومتزنا باعتبارها نظرية لها مكانتها واهميتها فى عالم الفكر وانه يجب على هذا الاساس عرض ارائها بدون تحيز او تحامل مع تبيين مابها من نقص وزيف ، كما كان يعتبر الثورة نوعا من الهروب الذى يلجأ اليه المثقفون هربا من مشقة وعناء التفكير الواقعى الجاد حول المشكلات السياسية والاجتماعية لايجاد حلول عملية لها على امل منهم ان الاشتراكية كفيلة بتحقيق الحياة السعيدة الطيبة . ومن هنا كان احجام آرون عن التعاطف مع حركة الطلاب مثلما فعل سارتر ، ومن هنا جاء وصفه لهذه الحركة ولاصاحبها من افعال وتصرفات هستيرية بانها (الثـورة المراوغة) .

والمهم فى هذا كله هو ان الاختلاف الاساسى الذى ادى الى الخصومة ثم القطيعة بين الصديقين القديمين كان فى الاصل اختلافا فى الشخصية وفى المزاج لم يلبث ان يتبلور بمرور الزمن واصبح اختلافا فى المنهج والموقف والنظرة

والالتزام الايديولوجي . وتعكس هذه الخصومة جانبا من واقع وحقيقة التاريخ الثقافى فى فرنسا فى القرن العشرين او على الاقل فى فترة طويلة وهامة وحاسمة من هذا القرن ، وكيف كان الغموض والقلق يعتبران (موضة) ويجدان قبولا فى اوساط المثقفين يفوق احيانا ماكان يلقاه التفكير الهادىء العقلانى الرصين ، وكيف ان سيطرة الفكر الماركسى كانت من القوة والجبروت والاحكام بحيث ان اية محاولة للخروج عليها كانت كفيلة بان تؤدى بصاحبها الى مايسميه سكوت سوليفان (النفى الداخلى) وقد بدأ هذا الوضع يتغير على اية حال بشكل واضح فى السنوات القليلة الماضية ولكن المؤكد هو انه على الرغم من تلك القطيعة الطويلة بين سارتر وآرون فان جانبا كبيرا من اعمال آرون بالذات ونشاطه لن يمكن فهمه الا فى ضوء علاقته بصديقه وغريمه .

وايا مايكون الامر فلقد مات زملاء الدراسة واصدقاء عهد الشباب الاربعة . وكان اخر من توفى منهم هى سيمون دى بوفوار . وقد ضاع بموتهم - او حتى فى اثناء حياتهم - كثير مما كانوا يدعون اليه ويتحمسون له . فلقد اصبحت مناداة سارتر بالالتزام وكل مايحمله من معنى مجرد دعوة قديمة دخلت الان فى ذمة التاريخ بعد ان كان هو الموضة السائدة فى تلك الايام الخالية . ولقد فقدت الحركة النسائية والدعوة الى تحرر المرأة كثيرا من البريق الذى كانت تتمتع به فى الستينيات ايام كانت سيمون دى بوفوار تؤازرها وتتحمس لها وتشارك فى كل المؤتمرات والاجتماعات التى تدعو الى هذه الحركة . كذلك لم تحقق رسالة سيمون فيل كل ماكانت تصبو اليه من نهضة واحياء . وبدأ النسيان او على الاصح الاهمال والاغفال ينسج خيوطه على اعمال الثلاثة جميعا ببطء ولكن بثبات واطراد وان كانت هناك بعض المحاولات الجادة لايقاظ الاهتمام بكتابات سيمون فيل . ولكن الظاهر ان اسم آرون وموقفه العقلانى الجاد هما وحدهما اللذان نجيا من هذا النسيان وان سمعته آخذة فى الارتفاع بالتدريج ولكن بثبات واطراد ايضا لدرجة ان فرنسا اقامت معهدا باسمه وهو مالم يحدث بالنسبة للكثيرين من زملائه ، كما ظهرت منذ وفاته عدة مؤلفات عن حياته واعماله وفلسفته باعتباره احد معالم الفكر السياسى والاجتماعى المعاصر وبذلك اخذ اسمه يستعيد كثيرا من ذلك البريق الذى كان يحيط به حين كان الزملاء الاربعة اصدقاء تجمعهم معا وحدة الامل والتطلع الى المستقبل .

والطريف بعد هذا كله هو ان ريمون آرون بعد كل هذه الخصومة والقطيعة الطويلة التى استمرت مايقرب من ثلاثين عاما كان يعترف ويعلن - ربما فى شيء من السخرية والمرارة - ان الزمن سوف يعتبر سارتر رغم كل عيوبه وقصوره احد العباقرة الافذاذ فى الفكر الفرنسى والعالمى بينما سوف يحكم عليه هو - اى على آرون نفسه - بانه مجرد شخصية ثانوية رغم جهوده واخلاصه واستقامته ووضوح فكره وتمسكه بالقيم ، او ربما بسبب هذا كله ، وان ذلك الحكم سيكون خاتمة فصل من فصول تاريخ الفكر فى فرنسا المليء بالغرائب والتناقضات .

طلائع المثقفين المصريين
وصدمتهم بالديمقراطية والاستعمار

بقلم : كمال النجمى

فى عام ١٨٣٠ أغارت قوات الاستعمار الفرنسى على ساحل الجزائر وبدأت احتلالها الطويل الشديد القسوة لهذا البلد العربى الذى وجد نفسه أعزل وحيدا فى براثن الوحش الاستعمارى ، وقد ولت فرارا قوات « الخلافة العثمانية » التى كانت تتولى حراسة هذا البلد المسلم من أعداء الإسلام ! ...

فى ذلك العام كان الشيخ رفاعة بدوى رافع الطهطاوى الانصارى الحسينى ، يوشك أن يتم طلب العلم فى باريس ضمن أول بعثة تعليمية أوفدها إلى فرنسا محمد على باشا الكبير والى مصر .. وكان الشيخ رفاعة الطهطاوى إماما لصلاة هذه البعثة وطالبا من طلابها ، وقد

عاش مجاورا فى الأزهر طالبا ومدرسا قبل أن ينتزعوه من « رواق الصعايدة » ويقذفوا به الى باريس حيث قضى خمس سنوات درس فيها اللغة الفرنسية دراسة عميقة ، كما درس التاريخ والطبيعة والكيمياء والرياضة والفلسفة والأدب والجغرافيا والطب والعلوم الهندسية والحربية ، بينما كان كل طالب فى البعثة يتخصص فى علم واحد .!

كان هذا المجاور الأزهرى أعجوبة عصره فى استيعاب كل علم وفن وفكر .. وبينما هو يتأهب للعودة إلى مصر ، وقد نال مجموعة من الشهادات الدراسية ، ثارت باريس على الملك شارل العاشر ملك فرنسا ، فصدمت الثورة الشيخ الطهطاوى أول الأمر وأدهشته ، لأن الذين أشعلوها كانوا من العامة والفقراء والعيّارين والشطار و « الزُّعر » من سكان باريس ، أما الملك الذى ثاروا عليه ـ وياللعجب ـ فكان يومئذ ظافرا منتصرا فى حربه ضد السلطان العثمانى فى الجزائر !.. والسلطان العثمانى أيامئذ هو ملك الملوك عند الطهطاوى وعند جميع الرّعية العثمانية .

فكر الشيخ رفاعة فى هذه المشكلة : كيف استطاع شارل العاشر « سلطان



رفاعة الطهطاوى

الفرنسيس ، أن ينتصر على السلطان العثمانى ، ولم يستطع الانتصار على رعاع باريس وليس فى أيديهم من الأسلحة ولو قليل مما فى أيدى عسكر سلطان آل عثمان ، خاقان البرين والبحرين ، أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ؟! ..

واستطاع الشيخ الألمعى أن يفهم المشكلة ، برغم رعويته العثمانية ..

فإن القضية التى كان الشعب الفرنسى يناضل فى سبيلها لم تكن قضية فتح المستعمرات ، وإنما كانت قضية الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان التى رفعت الثورة الفرنسية راياتها منذ سنة ١٧٨٩ على أنقاض سجن الباستيل ! ..

قال الشيخ يحاور نفسه :

- إن الحروب الظافرة خارج فرنسا وضم المستعمرات لاتبرر عند هؤلاء الفرنسيس إهدار حقوق الانسان الفرنسى داخل بلاده .. هذه قاعدة تقررت فى الثورة ، ثم أهدرها نابليون بونابرت خلال بضعة عشر عاما توجت فيها الانتصارات الحربية الطنانة اسمه الامبراطورى ! .. فلما انقضى عهده ، عادت القاعدة المقررة للحرية ، ثم انتكست ، ثم عادت ولم يستسلم « رعاع باريس » قط لعبودية « سلاطين » قصر التويلرى أو قصر الاليليزيه ! ..

هكذا فهم الشيخ ثورة الباريسيين للحرية والديمقراطية والاخاء والمساواة فوق كل شبر من بلادهم ، مع أن البلاد التى جاء منها هذا الشيخ المفكر ، كانت فى قبضة حكم مطلق كغيرها من « إيالات » الخلافة العثمانية فى ذلك

الزمان ، وكان أبعد شيء عن ذهن « المواطن العثماني » أن يفهم ثورة الرعاع على السلطان ، فقد يصح فى الذهن أن يثور المماليك أو الانكشارية على السلطان ، ولكن لايمكن أن يصح فى ذهن مواطن عثمانى أن يثور الرعاع وينتصروا وليس فى صفوفهم مماليك من الجركس ولا الانكشارية ولا أحد من الباشوات ، ولا أحد من البكوات كعلى بك الكبير - مثلا - يقوم فى هذا الشأن وينصب نفسه واليا أو شيخا للبلد !..

● إيالة عثمانية

كانت « إيالة مصر » العثمانية التى ينتمى اليها الشيخ رفاعة محكومة حكما مطلقا كغيرها من إيالات الخلافة العثمانية ، غير أن الحكم المطلق فى مصر على يد محمد على باشا كان فى ذلك الزمان « مستنيرا » .. بل « متقدما » بالقياس الى ما جثم على مصر قبل ذلك من حكم المماليك : مراد بك وابراهيم بك والبرديسى بك والالفى بك ، وبقية البكوات المماليك « المصرلية » الذين لم يكن بينهم وبين الشعب المصرى الا السيف والسوط والخازوق ، ولا ملاذ للشعب منهم الا بعض شيوخ الازهر احيانا ، وأضرحة الأولياء الصالحين فى اكثر الاحيان ، فاذا اعيتهم الحيل ، وخذلتهم الأدعية على أبواب الاضرحة ، فروا بجلودهم فى جنح الظلام الى الشام او السودان او ليبيا ، حيث يجدون انهم قد استجاروا من الرمضاء بالنار ، فان سيوف امير المؤمنين مسلولة فوق اعناقهم هنا وهناك ، فى اليقظة والأحلام !..

مع ذلك استطاع ذلك المجاور الأزهرى الشاب الذى لم يكن يومئذ يتجاوز التاسعة والعشرين من عمره ، أن يدرك بزكانته وفطرته السليمة المتفتحة وعلمه الذى اكسبته إياه باريس ، معنى ثورة الفرنسيس على سلطانهم المنتصر على سلطان العثمانيين ، وكتب الشيخ الشاب صفحات فائقة الجمال فى كتابه الفريد « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » .. عرف منها المثقفون فى مصر والبلاد العربية والشرقية - لأول مرة خلال القرن التاسع عشر - نصوص الدستور الذى كان معمولا به فى فرنسا ، فى زمن لم تكن فيه مصر تعرف كلمة « الدستور » ولا أية كلمة بديلة لها تؤدى معناها ، وكان المعنى الدارج لكلمة « الدستور » منذ قدماء السلاطين المصريين ، أن يمنحوا لجنودهم ومماليكهم إذنا بالراحة والاستجمام والانصراف إلى أملاكهم وبيوتهم !..

وفى عهد محمد على باشا كانت تقاليد الحكم تعتمد على مجموع الفرمانات القديمة والجديدة التى يبعث بها الباب العالى الى الوالى على أيدى خدم السلطنة والسعاة الممتازين الذين لم ينقطع سعيهم بين استامبول والقاهرة من أيام السلطان سليم فاتح مصر الى السلطان محمود الثانى ..

وكان اكثر هؤلاء السعاة العظام من خصيان القصور السلطانية الذين اكسبتهم خدماتهم المخلصة للسلطان مقاما رفيعا فى الدولة العلية !

وكان رفاعة الطهطاوى يعرف أن هذه الفرمانات غير ذات شأن كبير لدى محمد على باشا الذى صار فى القاهرة اشد ثباتا فوق كرسيه من خليفة آل عثمان فى استامبول بين المئات من جواريه وغلمانه وخصيانه ! ..

وكان الطهطاوى قد رأى من قريب أو بعيد بعض مندوبى الباب العالى ذوى المكانة الرفيعة لدى المقر السلطانى فى عاصمة الخلافة .. ولايقلل من شأن هؤلاء المندوبين كونهم خصيانا ، فإنما هم نتاج تلك العادة السلطانية العتيقة القديمة ، وبخاصة فى قصور آل عثمان الذين تضخمت فى عهدهم الطويل مساوىء الحكم الفردى الذى بدأ من أيام معاوية بن أبى سفيان ولم ينقطع قط طوال الف سنة على اختلاف الدول التى رفعت على عمائم حكامها لافتة تفسر الدين على مقتضى مصالحها ! ..

كان السلاطين العثمانيون تأكلهم الغيرة على « الحريم » .. أى على تلك المقاصير والدور الغاصة بالجوارى الحسان ، فكانت غيرتهم على نسائهم تدفعهم الى حمايتهن من الغلمان الذين تغص بهم أيضا قصور السلطنة ، فلا يجد السلاطين مناصا من جب ذكورة هؤلاء الغلمان المختلطين بالجوارى ، ثم يعوضون بعضهم بترفيعهم فى رتب القصور السلطانية حتى يصيروا فوق الوزراء والعلماء أحيانا ! ..

أما الجوارى ، ونساء « الحريم » فكن أعلى منزلة من الخصيان ، يلعبن بأقدار الأمراء والوزراء والقواد والولاة والصدور العظام ، فإذا خان الحظ إحداهن أمر السلطان بإلقائها فى ماء البسفور طعاما للأسماك ، وكانت هذه النهاية المؤسية هى أيضا نهاية كل خصى سيىء الحظ ، يسقط من قمة السلطة الى قعر البسفور ! ..

ولابد أن رفاعة الطهطاوى كان يتذكر - دليلا على مكانة الحريم - مارواه الناس من أنه خلال مذبحة القلعة الشهيرة التى قادها محمد على باشا سنة ١٨١١ وقتل فيها أكثر من سبعمائة من رؤساء المماليك وبعض أولاد البلد .. لجأ أحد المماليك وقد اثخنته الجراح ، إلى باب حريم محمد على باشا فى القلعة ، وصاح مستنجدا بزوجات الباشا وجواريه :

- أنا فى عرض الحريم !..

ولولا أن باب الحريم كان موصدا فى تلك الساعة الحرجة لأنجدته نساء الباشا طبقا للتقاليد التى توجب نجدة من يستجير بالحريم ! ..

كانت هذه بعض صور الحياة فى البلاد التى جاء منها الطهطاوى إلى باريس بلد الثورة وكان الطهطاوى وهو فى أضواء باريس لاينسى هذه الصورة الحالكة !..

كانت أسواق الرقيق الأبيض والأسود مفتوحة فى جميع بلاد الخلافة العثمانية ، بدعوى أنها تجارة أحلها الله فلا يصح تحريمها .. وكانت أوربا حينذاك قد خرجت من النظام الاقطاعى شبه العبودى الى النظام البورجوازى الليبرالى فصار مستحيلا على الأوربيين - عمليا - أن يبيحوا تجارة الرقيق ، لأنه يناقض ويهدم علاقات

الإنتاج والقوى المنتجة والنظام الجديد كله ! ..

القرون الوسطى

أما الدولة العثمانية ، فكانت متوقفة عند القرون الوسطى بنظامها الاقطاعى شبه العبودى الذى يبدو فيه « الرق » نظاما لاغبار عليه ، ولايمكن الغائه فى تلك الدولة العبودية الاقطاعية المتعددة القوميات ، والتى تخفى تناقض قومياتها بادعاء أنه لاقومية فى الاسلام ، فكان هذا الادعاء سوط عذاب على جميع قوميات الدولة ..

وكان من المضحك أن يتحدث أحد فى الدولة العثمانية حينذاك عن إعلان دستور يقر حقوق البشر فى الدولة ، على غرار الدستور الفرنسى ، والدولة مازالت تعيش عصر الرقيق الأبيض والأسود ، متخلفة فكريا واجتماعيا وسياسيا عن القرن التاسع عشر بأربعة قرون على الأقل ! .. غارقة فى قمع القوميات تحت دعاوى منسوبة الى الدين ! ..

ويرغم ذلك الظلام كله ، لمعت فى رأس رفاعة رافع الطهطاوى فكرة الدستور ، وتكلم عن الحرية بإعجاب ولهفة ، وبدون يأس من حصول « الرعية العثمانية » ذات يوم على الدستور ! ..

لم يستعمل الطهطاوى بطبيعة الحال كلمة « الدستور » ترجمة للكلمة الافرنجية الدالة عليه ، بل قال عنه باختصار أنه القانون الذى يجعل الملك غير مطلق التصرف ، وهذا القانون يسمى « الشرطة » ـ بفتح الشين وتشديدها ـ ومعناها فى اللاتينية « ورقة » ، ثم أطلقت على السجل المكتوب فيه الأحكام المقيدة .. أى أطلقت على الدستور المكتوب فى ذلك السجل ..

ولكن الطهطاوى عرف جوهر الدستور ، وأدرك أهميته فى درء شرور الطغيان ، وكيف أن التخلف والاستبداد فى أقطار الدولة العثمانية مبعثهما أن أمير المؤمنين العثمانى لم يكن فى ذهنه أدنى فكرة عن شيء يمكن أن يكون أسمه الدستور ؟ ..

واحتفى الطهطاوى بترجمة نصوص الدستور الفرنسى ، دستور لويس الثامن عشر الملك البوربونى الذى جلس على عرش فرنسا تحت حماية بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا القيصرية ، وهى الدول التى تحالفت على نابليون وهزمته وأرسلته الى المنفى الأبدى ! ..

فى هذا الدستور الذى استجاب لكثير من مطالب وحقوق الطبقة الوسطى الفرنسية .. « أمور لاينكر ذوو العقول أنها من باب العدل » . كما قال الطهطاوى .. فلنذكره لك ـ أى الدستور ـ لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقاد الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما » !.. هكذا استطرد الطهطاوى فى كلامه عن الدستور الفرنسى ..

ولما ذهبت أسرة البوربون وجاءت أسرة أورليان ، وجلس شارل العاشر على عرش فرنسا ، كانت القوانين الدستورية

للقول والطبع والنشر هى شرارة صدام هذا الملك مع شعب باريس ، طليعة الشعب الفرنسى فى جميع الانتفاضات والثورات ! ..

ولخص الشيخ رفاعة وقائع هذه الحادثة التاريخية قائلا : « .. قد سبق لنا الكلام على حقوق الفرنساوية أنه لايمنع إنسان فى فرنسا أن يظهر رأيه ، ويكتبه ويطبعه .. وإذا بالملك قد أظهر عدة أوامر منها : النهى عن أن يظهر الانسان رأيه وأن يكتبه أو يطبعه فى الكازيطات - الصحف - التى لابد قبل طبعها من أن يطلع عليها أحد من طرف الدولة ، فلا يظهر منها إلا مايريد إظهاره .. مع أن هذا ليس من حق الملك وحده ، فكان لايمكنه عمله إلا بقانون ، والقانون لايصنع الا باجتماع آراء ثلاثة : رأى الملك ورأى أهل المشورة ، وديوان رسل العمالات » يقصد ما نسميه الآن مجلس البرلمان » ..

ثم يصف الطهطاوى كيف عصف شارل العاشر بالنواب بعد أن عصف بحرية القول والنشر ، ثم توجس خيفة مما ارتكبه من هذه الجرائم فى حق الشعب ، وأحس فى نفسه بحصول مخالفة منه للدستور والقوانين ، فتوقع انفجارا شعبيا جائحا .. يقول الطهطاوى : « .. ثم إن الملك أعطى المناصب العسكرية لعدة رؤساء مشهورين بأنهم أعداء للحرية التى هى مقصد الرعية الفرنساوية ، وبمجرد حصول هذه الأوامر قال العارفون بالسياسة إنه ستحصل فى المدينة محنة عظيمة يترتب عليها مايترتب » ! ..

الخطوة الخطيرة

لقد عرف الشيخ القادم من بلاد التخلف والاستبداد عاقبة هذه الخطوة الخطيرة التى أقدم عليها شارل العاشر ، بفرضه الرقابة على الصحف وعصفه بالبرلمان وإقامته حكما عسكريا يديره مارشالات وجنرالات الجيش الفرنسى .. وبعد أن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة ، أدرك الملك أن خطواته هذه لاتوطد عرشه بل تزعزعه وتثله ، فانطلق مع رئيس وزرائه يحاولان تهدئة الغضب الشعبى !..

أخذ شارل العاشر يحاول مع حكومته الجديدة تهدئة باريس وتنويم الرأى العام الفرنسى كله ، بالتهويل فى انتصارات القوات الفرنسية فى الجزائر على قوات العثمانيين ، وضم هذه الأرض الاسلامية الى الممتلكات الفرنسية ، ورفع راية الكثلكة فى سمائها ، تحويل المسجد الجامع فى الجزائر - العاصمة - الى كاتدرائية تتلقى بركات البابا الأعظم فى روما ..

ولكن جهود شارل ورئيس وزرائه أخفقت فى استمالة الشعب بشعار « النصر فى الحرب الاستعمارية » .. فالشعب قد عقد العزم على الخلاص من شارل العاشر وبطانته السيئة السمعة ، ولم يكن يعنيه فى كثير ولاقليل توسيع رقعة الأرض التى يحكمها شارل العاشر وراء البحار ولاتسعده حرب صليبية جديدة يتم فيها تحويل المساجد الى كنائس تحت راية فرنسا مهد الحرية والعلمانية والاخاء والمساواة .

يقول الشيخ رفاعة فى ذكائه ورشاقته وخفة ظله : « جاء الى الفرنساوية خبر وقوع بلاد الجزائر فى أيديهم قبل حصول هذه الفتنة - ثورة باريس - بزمن يسير ، فتلقوا هذا الخبر بغير حماسة .. وبمجرد وصول هذا الخبر الى رئيس الوزراء أمر

بتسييب مدافع الفرح والسرور - إطلاق نيرانها - وصار يتماشى فى المدينة كانه يظهر العُجب - بضم العين - بنفسه ، حيث إن مراده قد نفذ وانتصرت الفرنساوية فى زمن وزارته على بلاد الجزائر ، فما كانت إلا أيام وانتصرت الفرنساوية عليه !!. أى أن الثورة عصفت به وطردته من الحكم برغم انتصاره فى حرب الجزائر ! ..

إن فطنة الشيخ رفاعة تتجلى فى تفرقته بين انتصار الحكومة الفرنسية الاستعمارية فى الجزائر ، وبين موقف الشعب الفرنسى المطالب بالحرية ، الذى لم يبال هذه الانتصارات واصحابها ، بل ثار عليهم برغم انتصارهم الذى دقوا له الطبول و « سيبوا » مدافع الفرح والسرور ، فتخلص الشعب من شارل وبطانته وسط الأفراح والزينات التى أقاموها لانتصارهم الاستعمارى العظيم !..

الملك والباشا

ذهب شارل العاشر ومن يلوذ به ! .. ثم بدأت حرب الجزائر تظهر فى صحف باريس على شكل رسوم كاريكاتيرية ، يتحدث عنها الطهطاوى قائلا : « .. إن الفرنساوية لما رأوا أن شارل العاشر قد أخرج باشا الجزائر - الوالى العثمانى - من مملكته ، صاروا يهزأون بشارل ويصورونه هو وباشا الجزائر فى الطرق ، ويكتبون فى وقائع النوادر تلميحات عجيبة ونكات ظريفة .. فمن جملة ذلك أنهم صوروه هو والباشا المذكور وكتبوا تحت صورة الباشا : « وأنت أيضا جاءت نوبتك » .. كأنما الباشا العثمانى يقول لغريمه الملك الفرنسى : « وأنت ايضا عزلك الفرنسيس كما عزلتنى » ! ..

ويمضى الشيخ وراء رسوم الكاريكاتير فى صحف باريس عقب عزل شارل العاشر : « وصوروه أيضا - أى الملك شارل - فى صورة أعمى يتكفف الناس ويقول لهم : « أعطوا شيئا للفقير الأعمى » !.. يشيرون بذلك الى انه لم يتبصر عواقب الأمور » . « وكتبوا فى وقائع النوادر : إن الباشا يقول لشارل : قم بنا نلعب لعبة كذا على قدر معلوم - من المال - وإذا لم يكن معك نقود جمعنا لك شيئا على سبيل الصدقة من الناس » .. يشيرون بذلك الى أن الباشا العثمانى خرج من الجزائر غنيا يحمل كنوز الولاية ، أما شارل فخرج فقيرا يستحق الصدقة ، لأن أموال الحكومة الفرنسية كانت فى حماية الشعب الفرنسى ، أما أموال ولاية الجزائر العثمانية كانت فى جيب الوالى ! ..

ثم يقول الشيخ بين الاعجاب والدهشة : « والعجيب أنهم كانوا يصيحون بهذه الأوراق - يعنى الصحف التى تنشر الرسوم الكاريكاتيرية - ليبيعوها فى ساحة بيت الملك الجديد - لويس فيليب - الذى هو من أقارب الملك السابق ، ولا أحد ينكر عليهم ، لأن حرية الرأى قولا وكتابة تقضى بذلك » ! ..

العودة إلى مصر

عاد الشيخ رفاعة الى مصر فى أواخر سنة ١٨٣١ وأصداء ثورة باريس تملأ

وجدانه وتفكيره ، فوجد أن الوالي محمد علي باشا قد وصلته شذرات من أخبار هذه "الفتنة" التي سقط فيها "سلطان الفرنسيس" فلم تحرك هذه الأخبار شعرة في لحية الباشا الرابض في قلعة صلاح الدين مطلا بمدافعه على القاهرة متأهبا لضرب "بومبة" على كل تاجر يقترب من القلعة مطالبا الباشا برد القروض التي استولى منه عليها الى حين ميسرة !..

إلا أن الشيخ رفاعة لاحظ أن الباشا قد فارق طريق مراد بك وابراهيم بك والبرديسي بك ، طريق القرون الوسطى والتخلف العثماني الماحق للشعب .. طريق الانقراض الذي نزل بتعداد سكان مصر من ستة ملايين في عهد الأيوبيين والمماليك البحرية الى مليونين ونصف المليون في آخر عهد البكوات المماليك الجراكسة الذين كانوا يحكمون نيابة عن الخلافة العثمانية ..

وأدرك الشيخ رفاعة ببصيرته الثاقبة أن خطوات محمد علي في طريق حضارة القرن التاسع عشر - على خلو خطواته هذه من كل مدلول ديمقراطي - انما هي ارهاص بانتقال عدوى الديمقراطية من باريس الى القاهرة .. ولو بعد حين !.. فإن تغيير البناء الاقتصادي والاجتماعي مهما كان بطيئا ومبعثرا سوف يجيء في النهاية بالديمقراطية ويفتح الباب للتقدم .

والآن .. وقد مضى على تلك المشاهد التاريخية المثيرة أكثر من مائة وخمسين عاما ، وتحررت الجزائر وسارت في طريق التطور المستقل ، وتغيرت الدنيا ، وتحررت المستعمرات الفرنسية وغير الفرنسية من احتلال العسكر الأجنبي ، وسافر الى فرنسا بعد الطهطاوي وطلائع مثقفينا الأوائل النجباء ، مئات الألوف من طلاب العلم والثقافة والاطلاع ، نجد - بالعجب - أن أوربا وديمقراطيتها واستعمارها ، قضية لم تنته بعد ، لأن بقاياها مازالت معروضة في سجل السنوات القلائل المتبقية من القرن العشرين ، وان كانت أوربا تحاول - وهي تلهث في أذيال أمريكا - أن تستنبت من ديمقراطيتها أزهارا جديدة ، فقد تحطمت حديقتها الاستعمارية القديمة ، وزعزعت رياح التغيير ديمقراطيتها حتى لتوشك أن تقتلعها !..

فهل تشهد "باريز" جولة تاريخية جديدة كالتي شهدتها في ايام مؤلف تخليص الإبريز ؟!

لقد اصطدم الطهطاوي وطلائع المثقفين المصريين في أوربا القرن التاسع عشر بأمرين متناقضين : ديمقراطية الأوربيين وحريتهم في بلادهم .. واستعمار حكوماتهم واستعبادها لبلادنا !..

ولم يعرف الطهطاوي ولا طلائع المثقفين من بعده طوال القرن التاسع عشر ، أن ديمقراطية أوربا التي بهرتهم كانت دائما في خطر ولكن الأوربيين كانوا دائما مستعدين لحمايتها من حكوماتهم الاستعمارية الاستبدادية ، لأن هذه الحكومات التي تغتال حرية الشعوب وراء البحار ، لم تكن تستطيع أن تعيش في وفاق حقيقي مع حرية شعوبها داخل حدودها الوطنية !..

وهذه المعادلة البسيطة تنطبق على أوربا القرن العشرين وامتدادها في الدنيا الجديدة - أمريكا - كما كانت تنطبق على أوربا القرن التاسع عشر تمام الانطباق !..



نابليون بونابارت والتاريخ العباسي

بقلم : د. محمد رجب البيومي

لم تكن عبقرية نابليون بونابرت وقفا على معاركه الحربية ، وانتصاراته السياسية وحدها ، ولكنها تمتد الى إبداعه الادبى الذى اتجه اليه في مطلع حياته كاتبا ، ثم شغلته مطامحه السياسية عن الكتابة دون القراءة ، إذ كان لايترك الكتاب فى فترات راحته ، بل ربما كان الكتاب الأدبى واحته الخضراء فى صحراء الحياة ، وقد يستبعد القارىء أن تكون الحياة صحراء بالنسبة لنابليون ، ولكن واقعه النفسي يؤكد انه كان مع ضجيجه الصاخب يعيش فى وحدة نفسية لاتملؤها ابهة المجد ، وعظمة السلطان وفى ذلك عزاء أى عزاء للذين يقاسون فى أعوامهم المديدة لفح الهجير ظانين أن ذوى الجلالة يتفيئون وارف الظلال ، وما دروا أن الانسان الطامح من أماله الشاسعة المتجددة فى ظمأ لايرتوى وسغب لايشبع ! لقد قربت الشقة كثيرا كثيرا بين المحظوظين والمحرومين .

لقد ترك نابليون فيما ترك من آثار ادبية ثلاث قصص كتبها في مطلع حياته ، وظل حريصا على بقائها في حوزته ، دون أن يسمح بإذاعتها حين ضجت الدنيا بامجاده ، وحين اذنت شمسه بالمغيب أسلمها الى الكردينال فيش في طبعتها الأولى المحدودة ، ثم ظهرت قصة رابعة عثر عليها اديب بولوني ، فاكتمل إنتاجه الفني بقصته « كليون واوجيني » وقد فكرت متسائلا كيف أهمل نابليون هذه القصة عن عمد ، فلم يضمها الى ماحرص على بداعه لدى فيش ، ثم ادركت من مطالعتها انها تكشف اسرار إخفاقه العاطفي إذ صورت غراما عاصفا كان البطل فيه صاحب الكلمة ، وهو إيحاء عكسي لما اخفق فيه قلب القائد حين احب لأول مـرة « اوجيني » فـي « مارسيليا » . وتوسل إليها بما يملك من ارق المشاعر ، ولكنها تابت عليه ، فكتب هذه القصة لا ليذكر إخفاقه ، بل ليمحوه في دنيا الخيال حين عز عليه ان ينتصر عاطفيا في ارض الواقع ، ومن كان ذا نفس متعالية كنابليون لايسهل عليه أن يعترف بإخفاق ، ولكنه نسى ان رسائله العاطفية قد كشفت حيلته ، إذ سجلت مثل قوله لأوجيني :

« إن الحياة حلم رقيق لايلبث ان يذوب كالضباب ، وانى اشعر بهياج عاطفي ، ماشعرت بمثله قبل هذا اليوم ولئن طال الهجر لاقتلن نفسي ، ولارمين بهذا الجسم تحت عجلات العربات » .

ومقال اليوم يقتصر على قصة واحدة من القصص الثلاث التى حرص نابليون على بقائها ، تلك هي القصة التاريخية التي تتحدث عن ثائر خطير ظهر في عهد الخليفة ، المهدى العباسي ، فادعى الألوهية ، وجمع الحشود الهائلة في بلاد فارس ليزلزل الخلافة العباسية ، وقد نازلته جيوش متوالية فانتصر عليها ثم عبات الدولة كل جهودها الجبارة حتى انتصرت عليه ، تلك هي قصة المقنّع الخراساني التي كتبها نابليون في مطلع شبابه ، وإذا تركنا الحكم على اثرها الفني فإننا لانغفل دلالتها الخطيرة على اتجاه نابليون الطامح ، إذ اختار شخصية جبارة تخطف حدود العقل حين ادعت الألـوهيـة متـرفعـة عن حقيقتهـا الانسانية ، ثم جمعت حولها آلاف الآلاف من الناس مؤمنة طائعة ، ايكون تسجيل هذه الظاهرة بقلم ضابط عسكري ناشيء مؤشرا يحدد اتجاها نفسيا تنمو بذوره الأولى في لفائف الغيب ، وإذا كان المقنع قد اخفق فليس الاخفاق فرضا محتوما في منطق شاب مندفع ، إذ يستطيع ان يتجنب الخطأ في طموحه المشرئب ، وليس معنى ذلك أن كل قصاص يتحدث عن بطل تاريخي يكون معبرا عن نفسه ، ولكن الناقد الذى يربط البدايات بالنهايات يستطيع ان يسجل من الملاحظات مايجد محله من التقدير والالتفات .

الحدث التاريخي

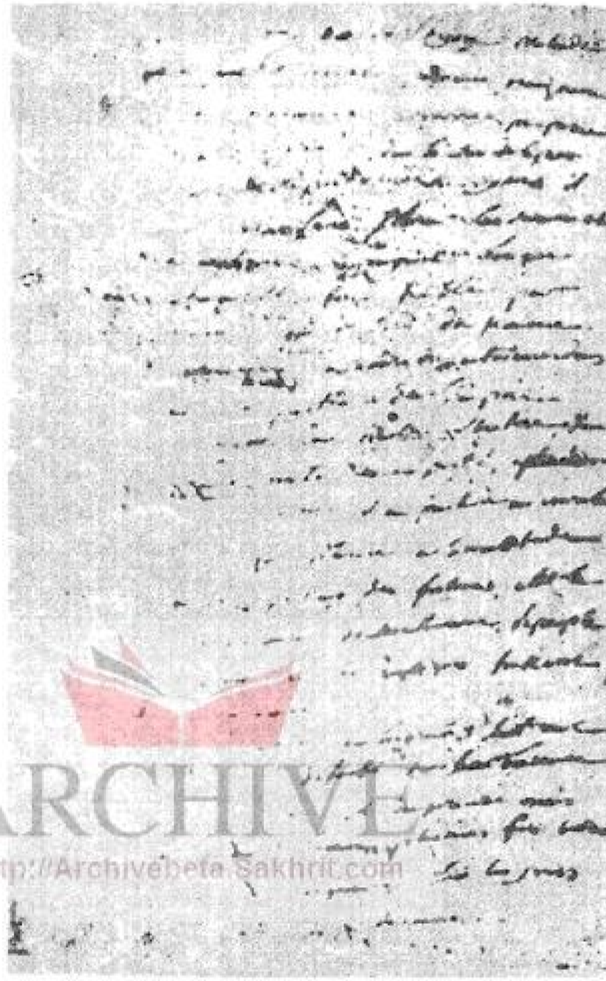
أما الحدث التاريخي في واقعه المروى بكتب التاريخ الاسلامى خاصا بالمقنع

الخراساني ، فموجزه أن هذا الآفك الوصولى قد انتهز مقتل أبى مسلم الخراساني ليؤلب الجموع بالمشرق كي يأخذوا بثأر البطل الصريع لاحبا لأبى مسلم ولكن محاولة استغلال مغرض لشعور غاضب تضطرم بجذوته النفوس ، إذ لم تعرف ، لهاشم بن حكيم ، وهو الملقب بالمقنع صلة شخصية بأبى مسلم من قبل ، ومن هو أبو مسلم في منطق المقنع ؟ إنه إنسان حلت فيه روح الآله التى حلت من قبل فى ادم ومنْ تلاه من الأنبياء حتى انتقلت لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده لعلى بن ابى طالب ثم للحسين فعلى زين العابدين فزيد بن على ، فمحمد بن على العباسى فأبى مسلم الخراسانى ، فالمقنع الخراسانى !! واذن فالثائر الوصولى فى بدء أمره يحمل روح الآله ، وقد صدقت العامة من اتباعه ماحكاه عن تسلسل هذه الروح منذ ادم ، ثم رأى بعد أن تزايد خطره أن يقفز قفزة أخرى فلا يقتصر على حلول هذه الروح المزعومة في كيانه ، بل يقول إنه الآله نفسه ! وقد كان أبرص أعور دميما ، فاتخذ لوجهه قناعا من الفضة لايفارقه فى اجتماعاته . وكان إذا جن الليل صعد الى الجبل الأعلى وتوجه الى السماء بقناعه الفضى فترتسم صورته البيضاء فى صفحة الأفق ، ويقول للناس إن هذا المرتسم بدر المقنع ، وهو نظير بدر السماء ، وكأنه اهتدى بذلك الى معجزة خارقة شلت وجوه التفكير لدى قوم سُذَّج فاعتقدوها مؤمنين ، وقد عناها أبو العلاء المعرى حين قال .

أفق إنما البدر المقنع رأسه
ضلال وغى مثل بدر المقنع

ثم التفت حوله الجموع من الصغد وبخارى وسمرقند وقزوين ، وأمرهم بالسجود له فخروا طائعين وطبيعى أن يفزع الخليفة المهدى لما بلغه من شأنه فيسير له الجيوش بقيادة ابرع قواده . ولكن المعارك تدور فتنهزم جيوش الخلافة مرة تلو مرة وكل انهزام يؤكد لاتباع المقنع صدق ألوهيته ، فيتزايد الخطر ، وتنتشر الأراء الضالة التى تبيح سلب الأموال وهتك الأعراض فيتفاقم اللهب اشتعالا ، حيث يضطر الخليفة إلى إرسال جيش يضم سبعين الف مقاتل بقيادة معاذ أبى مسلم فيضرب الحصار على قلعة ، كش ، التى يعتصم بها المقنع ويوالى الفتك المستبسل بجنود المقنع حتى يعجزوا عن المقاومة فضجر اكثرهم وطلبوا الأمان وفروا سالمين ليتركوا الطاغية بقلعته مع نفر من ذويه .

قالت كتب التاريخ : ولما شعر المقنع بالهزيمة أشعل النار فى القلعة وأحرق كل مافيها من الدواب والمتاع والثياب كيلا تكون عونا للمهاجمين إذا احتلوا الحصن واستولوا على نفائسه ، ثم أمر بحفر خندق يسير وأشعل به النار وأذاب مالديه من معادن الذهب والفضة والنحاس ثم جمع أصحابه ونساءه وأهله وسقاهم السم لتصعد أرواحهم الى السماء التى يمتلكها فماتوا جميعا ، والقى بهم فى النار المشتعلة كيلا يمثل أحد بجثثهم وكان آخر من شرب السم بعد تابعيه ! وهكذا انتهت حياة هذا الآفك دون أن ينتهى صدى



المخطوطة الاصلية
بخط نابليون بونابرت

دعوته إذ انتشر من أتباعه من زعم أنه فى السماء ، وأنه قد اباح لهم ماحرم الاسلام من مال ونساء وتكونت فرق تالية بعد فترات مختلفة لترهق ، الدولة بمحاربتها . متخذة اسماء جديدة وكلها ذات زندقة والحاد .

قصة نابليون

اشتهرت قصة المقنع الخراسانى فى أوربا فيما ذاع من أحداث الشرق العجيب بطرائفه ونوادره ، وقد كانت مجالا لوحى الشاعر الانجليزى الشهير (توماس مور) حيث عبر عنها فى بعض ماروى من شعره ، وإذا كان نابليون قارئا واعيا فقد عرف هذه القصة قبل أن يعرفها توماس . إذ كتبها سنة ١٧٨٧م وتوماس طفل فى الثامنة من عمره ولعله اهتدى اليها بوحى نابليون لأن طبعها قد تم سنة ١٨٢١ م فى

عام وفاة نابليون ولابد أن تذيع شرقا ومغربا بذيوع الحديث عن القائد الكبير تاليفا وتحليلا واستيعابا ، وسأورد ترجمة القصة ببعض التصرف نقلا عن مجلة الرسالة ١٩٤٢/٢/١٦ حيث عربها الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكي تعريبا يجيز لنا أن نعتمد على جوهره الخالص خشية الاطالة ليتضح مدى تأثر نابليون بتاريخ الشرق العربي كما تأثر بتاريخ الغرب الأوربي دون أن ينحصر في حيز خاص .

قال نابليون (..... وكان الرجل طويل القامة فصيح اللسان فادعى انه صوت الله على الأرض ، وقال إن الواجب أن يكون الناس جميعا من حيث المراتب والثروة سواء ، واستهوى هذا القانون افئدة الدهماء فهرع اليه الوف من الناس ولما رأى الخليفة خطر هذه الثورة عقد على خنقها في المهد ولكن جيوشه كانت تلقى الهزيمة فازداد بذلك انصار (حكيم) يوما بعد يوم وبينما كان هذا النبي في أوج مجده إذا به يصاب بمرض شديد نتيجة الجهد الذي بذله في المعارك التي خاضها ، فلما خفت وطأة المرض ونال الشفاء ايقن أن حسنه قد ذهب ولم يعد خير الرجال وأوسمهم إذ كان قد عمى وخبا الى الأبد ضوء عينيه الرائع ولما أحس بأن هذا التشويه الطارىء قد يفقده السيطرة على أتباعه والتأثير فيهم ، رأى أن يحجبه عن أعينهم بقناع من فضة وضعه على وجهه ، وجعل يخطب مؤثرا بفصاحته فظل الناس مأخوذين بعذوبة بيانه وكان يعلل لهم إخفاء وجهه عنهم بأنه يخشى عليهم أن يبهر أعينهم ذلك الضوء الفياض الخارق للطبيعة ، ولكن هذه الحال لم تدم طويلا إذ أصيب اتباعه فجاة بهزيمة منكرة على أيدى جيوش الخليفة ، فكانت الهزيمة صدمة عنيفة له ، حين هجره كثير من أنصاره ، وتراجع ومن بقى معه الى مدينة محصنة ذات أسوار عالية ولكنه لم يلبث قليلا حتى أحدق به الجيش البغدادى فكان تجاه موقفين إما أن يموت وإما أن يحدث له ماهو أسوأ من الموت وهو الأسر فجمع اتباعه وخطب فيهم قائلا :

أيها المؤمنون لقد اختارنا الله ورسوله لاعادة بناء هذه الأمة ، واسترجاع مجد الانسان ، فلماذا إذن يثبط من عزنا ويلقى اليأس في قلوبنا في الليلة البارحة والناس نيام سجدت لله طويلا ودعوته في حرارة ، قلت : أبتاه لقد رعيتني وحميتني هذه السنين الطوال فهل اثمت أو اثم أحد من أتباعي حتى تتخلى عني ، فسمعت صوتا يقول : ياحكيم ، إن اتباعك الذين حافظوا على عهودهم ، وظلوا معك يناصرونك في ساعة الحرج أولئك الذين سأنجيهم وانصرهم وأولئك هم الذين سيقاسمونك غنائم أعدائهم انتظر حتى يبزغ القمر الجديد ، فإذا بزغ فأمرهم أن يحفروا خنادق في الأرض ليسقط فيها أعداؤهم ويهلكوا ، ففعلوا وحفرت الخنادق ، وملئت بالمعادن المصهورة والزيوت والنيران ، وعندئذ أقام حكيم حفلا كبيرا دعا اليه أنصاره . فأكلوا وشربوا الخمر ، ثم وقعوا صرعى بتأثير ماشربوا من السم الذعاف فرميت جثثهم في الخنادق لتلتهمها النيران وحين تصاعدت أعمدة اللهب قفز حكيم فوق أتباعه فاحترق معهم ، وتقدمت جيوش

الخليفة فلم تلق من اثر غير حظية واحدة من نساء حكيم بقيت على قيد الحياة .

● موازنة بين الواقع و...

لاندرى اقصد نابليون ان يكتب قصة المقنع الخرسانى بلسان المؤرخ ام يكتبها بلسان الاديب ، لانه لم يلتزم بالنص التاريخى المتداول حتى يعد مؤرخا . كما لم يفسح مجال التحليل والتخيل والتصوير حتي يعد أديبا ، على أننا لانعرف اى نص ذاع فى أوربا حين كتب نابليون قصته حتى نعرف إذا كان التصرف فى النقل من عنده أم سبق به سواه ممن راقهم ان يحدثوا بعض التبديل فى الاحداث . لقد جعل نابليون عنوان قصته النبى المقنّع . وهو فى الأصل العربى لم يقف عند حد النبوة بل تجاوزها الى الالوهية . اتكون دعوى الالوهية غير معقولة فى منطق نابليون ؟ حتى يتجرأ عليها المقنع ؟ كيف وقد ذكر الكتاب المقدس فريقا من البشر ساقهم التجبر الطاغى الى هذه الزعوق كالنمرود صاحب ابراهيم وفرعون صاحب موسى ، فهى إذن غير مستحيلة استنادا لمنطق التاريخ ولكن الكاتب الاديب قد ادعى ان المقنع صوت الله فى الأرض فحسب ، ثم إن الرواية التاريخية اثبتت أنه كان أعور أبرص دميما منذ نشأته وكل ذى عاهة جبار فما ظنك بذى عاهات معدودات ! ولكن نابليون جعل صاحبه يصاب بالمرض بعد أمد ما نتيجة للجهد المضنى الذى بذله فى المعارك التى خاض غمارها ، وهذا المرض افقده حسنه ومظهره بل أذهب نور عينيه فصار اعمى مما دعاه الى أن يلبس قناعا من فضة يضعه على وجهه معللا ذلك بانه يخشى أن يبهر جماله الابصار فتغشى العيون انبهارا بما تشهد من الضوء الخارق للطبيعة ! مع أن الثابت تاريخيا أن القناع كان شعوذة وتدجيلا حيث تصعد به ليلا للجبل لينعكس ضوءه على صفحة الافق فيرى الناس الههم يشرق فى صفحة السماء كما يشرق البدر ومن هنا ضرب المثل فى التمويه ببدر المقنع كما المع لذلك ابو العلاء المعرى . لعل نابليون قد استبعد أن تنطبع صورة القناع من فوق الجبل على صفحة الافق فتحاشاها لتكون الحادثة اقرب الى التصديق . كما أن الكاتب قد اجرى على لسان المقنع خطبة لم ترد فى كتاب ، إذ ذكر أن الله ورسوله قد اختاراه لاعادة بناء الامة واسترجاع مجد الانسان ، فاى رسول ذلك الذى اختار المقنع . وهو عندنا نابليون بشهادة العنوان نبى مرسل فهل يختار الرسول رسولا ؟ أو أن الآله وحده من يصطفى ويختار ! ثم قول المقنع فى خطبة نابليون مخاطبا ربه : أبتاه مما لايمكن أن يأتى على لسان المقنع . إنما هو تصور مسيحى لم يجد الكاتب مانعا فى إطلاقه ، وإذا كان المقنع قد قال ـ كما أراد نابليون ـ مخاطبا ربه : لقد رعيتنى وحميتنى هذه السنين الطوال فهل أثمت أو اثم احد من اتباعى حتى تخليت عنا . فإن الثابت التاريخى أن المقنع لم يستمر فى دعوته سنين طوالا لأن مدته الزمنية فى دعوى الالوهية أو مادونها لم تصل الى تمام الثلاث من السنوات . فأين هى السنون الطوال ؟

لقد ختم نابليون قصة بقوله (قصته لايكاد يصدقها العقل لغرابتها . وهى تبين المدى البعيد الذى يذهب اليه



الامبراطورة اوجيني

الناس احيانا طمعا في الشهرة وبعد الصيت) وهو ختام يدل على ان الكاتب كان مؤرخا لحادث وعاد فراى فيه ما يستغرب ويهول ولعل التحوير الذى وقع فى رواية نابليون لم يكن من تصرفه الشخصى ، بل اوجده تضارب الروايات الاوربية قائلا عن قائل حتى ابتعد عن الحقيقة فى بعض النقاط . وذلك لايعنى انه كان ملتزما بما انتهى اليه كل الالتزام . وذلك مجرد احتمال .

اديب كبير

قرأت ان الناقد الفرنسى الكبير (سانت بوف) يعد نابليون اكبر خطيب عرفه عصره ، محتجا بروائع خطبه التى دفعت جنوده الى الهجوم على اضعاف أضعافها عدة وعددا ، وبأنه خاطب اليوم فى مصر خطاب الشاعر الاديب لا القائد المغامر . كما قرأت أن الكاتب الفرنسى (جاك نغيل) سطر صفحات تشيد بأدب نابليون ، وقد امتد إعجابه الى آل بونابرت جميعا إذ كانوا فى رايه أرباب بلاغة وفرسان بيان ، وحياة نابليون الحربية كانت عائقا كبيرا لانتاجه الفنى ، وإن لم تعق قراءاته الأدبية لروائع الآثار العالمية شعرا ونثرا ، ولولا هيامه الذاتى بالادب لما كانت هذه الروائع رفيق خلوته ، وزاد وحدته ، وتلك عجيبة حقا ، لان وحدة هذا المغامر المتوثب من ميدان الى ميدان لا تتسع للأدب بحال ، إذ يجب ان تكون مجال تخطيط حربى ، وتدبير سياسى إلا إذا كان الشعور الادبى من القوة بحيث يقهر الضرورات الحافزة لتفسح المجال لترويح نفسى يكون نسيما منعشا فى اشد لفحات الهجير ، هذا الى ان الامبراطور الكبير قد فقد الصديق المخلص الذى يستحق ثقته الغالية حين تفيض همومه فى جنبات صدره ، وتتطلب اذنا تعى ، ولسانا امينا يشير ، فليكن الكتاب صديق الوحدة ، ونديم العزلة فى أويقات تمر سريعا كبرق يلمع بين متكاثف الغمام ، وقد ظل نابليون محتفظا بنتاجه الادبى طيلة حياته لأنه فى رايه قطعة حية من نفسه ، وفورة ساخنة من دمه ، فهو إذن جدير بالصون والاعتزاز .

لغويات

● أردنا فى لغويات الشهر الماضى أن نبين أن كلمة «طبيعى» مستعملة من قديم فى الادب العربى ، وأنها أفضل من كلمة « طبعى » بفتح الطاء والباء ، التى هجرها الادباء فى عصرنا ولكن بعض « الصحفيين » ما زال يتمسك بها ، وأن القدماء كانوا يقولون « مدينى » بفتح الميم وكسر الدال ، بعدها ياء ، ثم نون مكسورة : اذا نسبوا أحد الناس الى المدينة المنورة ، ولا يقولون « مدنى » بفتح الميم والدال · لكيلا تختلط النسبة الخاصة بالمدينة النبوية مع النسبة العامة لاية مدينة أخرى · وقد شاء الغلط المطبعى أن يخلط الالفاظ بعضها ببعض فضاع هذا المعنى الذى أردنا بيانه ، فلزم التنبيه اليه هنا ! ··

● وفى عدد يونيو الماضى وقعت غلطة مطبعية عجيبة ، ففى مقال : « العقاد وقصة ابنته المنتحرة » ·· جاءت فى آخر سطر كلمة « معصوم » مرسومة هكذا : « عصوم » ولا تحتاج كلمة معصوم الى شرح ، أما «عصوم» فمن معانيها « اكول » ·· يقال : هذا شخص عصوم ، أى كثير الاكل · وهكذا قلب الغلط المطبعى المعنى رأسا على عقب ! ··

● كان طه حسين يكثر فى كتاباته من قوله ـ مثلا ـ « كنت أذهب الى ذلك المكان من حين الى حين » ·· يعنى : من وقت الى وقت !·· فانتقده مصطفى صادق الرافعى قائلا : « الحين هو الزمن » ·· يعنى أنه لا يصح أن يسمى الوقت القصير حينا ! ·· وهذا غلو من الرافعى لما كان يعتبره من « سقطات » طه حسين اللغوية ، فان « الحين » ـ كما قال اللغويون ـ على وجوه كثيرة ·· الوجه الاول بمعنى « سنة » وفى القرآن « تؤتى أكلها كل حين » ·· أى كل سنة ·· والثانى بمعنى يوم القيامة ، « ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » ·· أى الى يوم القيامة ·· والثالث : ساعات الليل والنهار : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » ·· الخ ·· واللغة تتسع لاصحابها ··

● من عجائب ما سمعت أخيرا قول بعضهم ان أدباء عصرنا يخطئون فى قولهم : « رأيته أو قابلته البارحة » ·· وان الصواب ان يقولوا : « رأيته ليلة أمس » ·· وهذا معناه ان الشاعر الجاهلى الفحل طرفة بن العبد ـ أحد أصحاب المعلقات المشهورة ـ لم يكن يعرف اللغة العربية حين قال :

كلهم أروغ من ثعلب
ما أشبه الليلة بالبارحة

على أن طرفة بن العبد كان ـ فيما نظن ـ أبصر باللغة العربية من بعض المتشدقين بها الآن ! ··

المماليك .. والعثمانيون .. والحضارة ؟

بقلم : د . محمد عمارة

لقد حققت دول العسكر المماليك لأمتنا نصرا مؤزرا ، ضد التتار .. وضد أطول وأبشع غزوات العصور الوسطى : الغزوة الصليبية (٤٨٩ ـ ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١ م) .. لكنها ، على الجبهة الحضارية ، اصابتنا بالتراجع والهزيمة والجمود .. ولقد حدث ان تزامنت هذه المفارقة مع نهضة الغرب الأوربى ، الذى اكتشف من خلال صراعه المسلح معنا ، تراثه اليونانى ، فأضاف إليه إبداع حضارتنا فى المنهج التجريبى وإضافاتها فى العلوم الطبيعية ، فبنى عليهما نهضته الحديثة العملاقة .. فكان أن انتصر المهزوم عسكريا فى الميدان الحضارى ، وانهزم المنتصر عسكريا فى هذا الميدان ؟!.. وشهد التاريخ كيف تبادلنا المواقع الحضارية ـ من حيث النهضة والتراجع ـ مع الغرب الأوربى ..

فلقد كنا سادة العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، وكانوا يعيشون الجهل المظلم .. وعندما أهدى هارون الرشيد (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م) "ساعة" تضبط الوقت إلى ملكهم شرلمان (٧٤٢ ـ ٨١٤ م) فأحضر شرلمان قساوسة الإمبراطورية ـ مفكرى الغرب يومئذ ـ لرؤيتها ، أصابهم الرعب من حركتها ، وقالوا : لابد أن يكون قد تقمصها شيطان ؟!![1].. حدث ذلك على عهد الرشيد وشرلمان .. فلما حدث أن تبادلنا معهم المواقع ، رأينا شيوخ الأزهر ـ وهم سلالة الذين صنعوا المجد العلمي لحضارتنا ـ يذهبون لزيارة مقر البعثة العلمية التى صحبت الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) فإذا رأوا تجربة كيميائية بسيطة فى زجاجة اختبار ، أصابهم ما أصاب قساوسة الغرب عندما رأوا ساعة الرشيد فى بلاط شرلمان ؟.. وبلسانهم تحدث الجبرتى عن علم الفرنسيين هذا فقال : "ولهم فيه امور

واحوال وتراكيب غريبة ، تنتج منها نتائج لا تسعها عقول امثالنا"....[٢]

والأزهر ـ الذى كان يدرس طلابه علم الفلك ، ويشتغل علماؤه بصناعته ، عندما كانت الكنيسة الأوربية تحاكم جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م) ـ تبادل مع الغرب المواقع ، فنهضت جامعات الغرب ومعاهده فحققت الانتصارات الفلكية الباهرة .. وتخلفنا نحن ، حتى ليحكى الجبرتى (١١٦٧ ـ ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢ م) ذلك الحوار الذى دار بين الوالى التركى على مصر سنة ١١٦٢ هـ ١٧٤٩ م ـ أحمد باشا ـ وبين شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوى (١٠٩٢ ـ ١١٧٠ هـ ١٦٨١ ـ ١٧٥٧م) حول مكان علم الفلك ـ وكان الوالى من المهتمين بمباحثه ـ فى مناهج الأزهر التعليمية .. وهو حوار شاهد على تبادلنا المواقع مع الغرب فى الاهتمام بهذه العلوم التى تؤسس عليها النهضات الحضارية ..

الوالى : المسموع عندنا بالديار الرومية ـ (التركية) ـ أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها ، فلما جئتها وجدتها ـ كما قيل ـ : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ؟!

شيخ الأزهر : هى ـ يامولانا ـ كما سمعتم ، معدن العلوم والمعارف .

الوالى : وأين هى ؟! وأنتم أعظم علمائها ، وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا ، وغاية تحصيلكم : الفقه ، والمعقول ، والوسائل ، ونبذتم المقاصد ؟!..

شيخ الأزهر : نحن لسنا اعظم علمائها ، وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند ارباب الدولة والحكام . وغالب اهل الأزهر لا يشتغلون بشىء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث !..

الوالى : وعلم الوقت كذلك من اللوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة ، كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، واوقات الصوم والأهلة ، وغير ذلك ..

شيخ الأزهر : نعم .. معرفة ذلك من فروض الكفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وامور ذوقية ، كرقة الطبيعة ، وحسن الوضع ، والخط ، والرسم والتشكيل ، والأمور العطاردية ، وأهل الأزهر بخلاف ذلك ، غالبهم فقراء ، واخلاط مجتمعة من القرى والآفاق ، فتندر فيهم القابلية لذلك ..؟!"[١]

تلك كانت حال الأزهر ـ أعظم منارات العلم فى امتنا يومئذ ـ وذلك هو حظه من العلوم التى نهض بها الغرب وتسلح ، ثم خرج للاستكشاف والاستعمار والهيمنة والاحتواء !..

وبلغت الهزيمة قمة المأساة .. فضاعت الأندلس ، بعد سقوط غرناطة (سنة ٨٩٧ هـ سنة ١٤٩٢ م) .. واكتشف الغرب طريق رأس الرجاء الصالح (سنة ٩٠٣ هـ سنة ١٤٩٧ م) فالتف من حول الأرض العربية ، ليحتل بلاد الاسلام فى شبه القارة الهندية والشرق الأقصى تمهيدا للانقضاض على القلب العربى من مواقع عدة : مصر ـ بحملة بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١ م) فى سنة ١٢١٣ هـ سنة

١٧٩٨ م) .. والجزائر فى (سنة ١٢٤٦ هـ سنة ١٨٣٠ م) .. وعدن فى (١٢٥٤ هـ سنة ١٨٣٨ م) .. ثم الاحتلال الانجليزى لمصر (سنة ١٢٩٩ هـ سنة ١٨٨٢ م) والفرنسى لتونس (سنة ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م) والايطالى لليبيا (سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١ م) والفرنسى للمغرب (سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ م) .. ثم عمت البلوى عندما تمخضت الحرب العالمية الاولى (١٣٣٢ ـ ١٣٣٧ هـ ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) عن اكتمال الهيمنة الغربية على كل وطن العروبة وعالم الاسلام ؟!.. فوصل المسلمون وعالمهم إلى قمة المنحدر الذى صنعت بداياته ونسجت خيوطه الهزيمة الحضارية التى صنعتها عسكرة الدولة والمجتمع فى ظل دول العجمة التى بدأت بالترك المماليك .. لقد نجحوا عسكريا ، بقيادة الملك الاشرف (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م) فى إزالة آخر الحصون الصليبية من عكا (سنة ٦٩٠ هـ سنة ١٢٩١ م) فحققوا بهذا النصر أحلام الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ ١١٣٧ ـ ١١٩٣ م) .. ولكنهم بالهزيمة الحضارية التى صنعوها قد أصابوا الأمة بالضعف والهزال ، بل والشلل الذى أعجزها عن صد الغزوة الاستعمارية الحديثة ، فكان أن دخل الجنرال الفرنسى جورو (١٨٦٧ ـ ١٩٤٦ م) على رأس الجيش الغازى إلى دمشق (سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩٢٠ م) ، فذهب إلى قبر صلاح الدين ليقول له : "ها نحن قد عدنا ياصلاح الدين" ؟!.. فالهزيمة الحضارية التى صنعوها قد أثمرت فى النهاية ضياع الكثير ، بما فيه النصر العسكرى الذى أحرزوه !!..

على اننا نظلم الحقيقة ، كما نظلم أمتنا وتاريخها وحضارتها إذا لم ننبه الى حقيقتين من حقائق هذا الموضوع :

أولاهما : أن التراجع الحضارى لم يكن كاملا ، والتخلف لم يكن شاملا ، والجمود لم يكن عاما فى كل ميادين الفكر والعلم والابداع .. فعلاوة على الجهود العملاقة التى نهض بها أعلام أفذاذ فى كتابة التاريخ ، الذى حفظ للأمة ذاكرتها .. وفى تدوين الموسوعات التى جمعت علوم الحضارة وفنونها ، فحفظتها من الضياع ، وخففت كارثة تدمير التتار لمكتبات بغداد ... وغير ماصنعه الأزهر الشريف ، والزيتونة ، والقرويون ، والجامع الأموى ، ومدارس بخارى ، وسمرقند الخ من احتضان العربية وعلومها ، والقرآن والحديث وعلومهما .. كانت هناك المدارس التى قامت ، منارات للعلم الدينى واللغوى ، منذ عصر الناصر صلاح الدين الأيوبى .. ففى مصر وحدها ـ على سبيل المثال ـ انتظم التعليم فى ثلاثين جامعا ومسجدا ورباطا وزاوية وخانقاه ـ وذلك غير الأزهر الشريف .. كما انتظم التعليم فى مائة وخمس وعشرين مدرسة ، فى المدة من [٥٦٦ هـ ١١٧٠ م] سنة انشاء "المدرسة الناصرية" الى [١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م] عندما انشئت "مدرسة محمد بك أبو الذهب" بجوار الأزهر الشريف ..[٤]

وغير مدارس العلم .. وجهود الجمع والتصنيف للموسوعات .. والجهود العملاقة فى فن التاريخ .. كانت هناك

ومضات للابداع فى عدد من العلوم ، واضافات ذات شأن فى بعض الفنون ..

لكن ذلك كله كان أدنى من المستوى الطبيعى لهذه الأمة ولحضارتها .. فإذا ماقورن بالذى كان يحدث فى بلاد الحضارة الغربية ، مركز التحديات التاريخية لبلادنا وامتنا وحضارتنا ، وضحت المفارقات الصارخة ، وظهر جليا للعيان أن هذه "الذبالة" التى ظلت مضيئة فى الليل الطويل لدول العسكر المماليك ، لم تكن ، اذا ماقيست بمنارة حضارتنا فى عصر ازدهارها ، أو قورنت بالنهضة الغربية الحديثة ، لتسمن أو تغنى عندما يجد الجد ، وتبدأ دورة جديدة من دورات الصراع التاريخى بين أمتنا والحضارة الغربية الطامعة فى احتواء عالم الاسلام ..

وهذا بالفعل ، هو الذى كان .. فعندما هبت على بلادنا عاصفة الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة ، وضح للعيان أن تخلفنا الحضارى قد نزع أسلحة الأمة الفاعلة ، بينما يواجهها خصمها بعلوم قد نسيتها ، وتطبيقات لهذه العلوم قد جهلتها ، فكانت الهزيمة التى حولت بلادنا الى فريسة للغرب ، يفرض عليها الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية ويجاهد لاحتواء عقلها بفكرية التغريب ...

وثانيتهما : أن الدولة العثمانية [٦٩٩ - ١٣٤٢ هـ ١٢٩٩ - ١٩٢٤ م] قد مثلت محاولة هامة وجادة لتجديد شباب الدولة المملوكية عندما أصابها الضعف ، والتف الغرب حول وطنها بعد اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح [٩٠٢ هـ ١٤٩٧ م] ... ولقد نجح العثمانيون فى نقل المعركة الى قلب أوربا ، فمدوا حدود عالم الاسلام ، واتخذوا مواقع الهجوم عندما عجزت الدولة المملوكية عن النهوض بمهام الدفاع ؟!... كذلك نجح العثمانيون فى توحيد أغلب بقاع العالم الاسلامى فى اطار الامبراطورية العثمانية ، فمدوا فى عمر الوحدة الاسلامية ، واستثمروا قوتها فى تأخير الاجتياح الأوربى لعالم الاسلام لعدة قرون ...

القوة العسكرية .. اولا

لكن هذا الانجاز **العثمانى** ، **على** اهميته الكبرى ، لم يكن **على مستوى** الخطر القادم من الغرب ، **الزاحف باسلحة** النهضة الاوربية **وعلومها** .. فبداوة العثمانيين التى **صبغت دولتهم** بالصبغة العسكرية ، **قد جعلت منهم** قوة عسكرية ضاربة **لا تستند الى** ابداع حضارى ينمى العمران **ويمدن** الحياة فى البلاد **التى تفتحها الجيوش** ، **وهم لذلك كانوا تجديدا "للقوة" التى ضعفت فى دول العسكر المملوكية** ، **ولم يكونوا تجديدا "للحضارة" العربية الاسلامية** ..

ولقد حرم العثمانيين من "الزاد الحضارى" اللازم لعمران البلاد المفتوحة والضرورى لتمدن الامبراطورية العظمى التى أقامتها قوتهم العسكرية ، حرمهم من هذا "الزاد الحضارى" نفورهم من العروبة واحتقارهم للعرب .. فلم يتعربوا حتى يصبحوا جزءا من

الحضارة العربية الاسلامية ، وانما احتفظوا بمغايرتهم للعرب، فوقفوا ـ كالترك المماليك ـ في كثير من الأحيان عند شكل التدين بالاسلام ، دون أن يفجروا طاقات الابداع الحضارى الاسلامية ، والتى هى عربية الهوية والمزاج !..

ولعل هذه "الثغرة القاتلة" هى التى تصاعدت بالنفور التركى من العرب ، فجعلت الادارة التركية للولايات العربية العثمانية على نحو من الفوضى ودرجة من الظلم زادا من ضعف الأمة وتخلفها الحضارى .. فلم يشهد الخط البيانى لحضارتنا العربية الاسلامية ، خلال الحقبة العثمانية ، أى درجة من درجات الصعود ...

فلما ضعفت الدولة العثمانية ، "كقوة عسكرية ضاربة" ، وزاد من هذا الضعف خلل الادارة ، وفوضى الجند ، وزيادة المظالم والتعديات .. لم يكن هناك الابداع الحضارى القادر على ترميم الثغرات التى انفتحت فى "الجدار العسكرى العثمانى" فزادت أمراضها استفحالا ، وبلغت أدواؤها حد الاستعصاء على الاصلاح !..
وحتى عندما فكرت فى الاصلاح ، فإن نفورها من العروبة قد صرفها عن التوجه للتعرب وتجديد الحضارة العربية الاسلامية ، وتأسيس اصلاحها على نمطها الحضارى ، وانما ذهبت منذ عهد السلطان سليم الثالث [١٢٠٣ ـ ١٢٢٢ هـ ـ ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧ م] الى الغرب ، تطلب "التحديث" على النمط الغربى ، حتى جاء الوقت الذى استلهمت فيه من الغرب مفهومه العنصرى للقومية ، فكانت محاولاتها الخرقاء لتتريك العرب فى القرن التاسع عشر الميلادى ، تلك التى زادت حدتها بصعود وتصاعد تيار الحركة الطورانية المعادية للعرب والعروبة ، الأمر الذى أتاح الفرصة لبروز فكر قومى عربى معاكس ، شحنته قوى موالية للغرب بالعداء للرابطة العثمانية ، والفصل بين العروبة والاسلام ..

تلك هى "الثغرة القاتلة" التى أعجزت الدولة العثمانية عن تجديد الحضارة العربية الاسلامية ، والتى وقفت بها عند حدود "تجديد القوة الضاربة لدولة العسكر المماليك" التى سبقتها .. ولذا عجز العثمانيون عن تجديد شباب قوتهم عندما دب فيها الضعف .. فتبدل صمودهم أمام الغرب خضوعا وتسليما .. فتسللت أوربا ـ أولا ـ بالامتيازات ، الى ولايات الدولة العثمانية[*] .. ثم أخذت تقتطع الأجزاء تلو الأجزاء من هذه الدولة .. وظلت تحرس ضعف "الرجل المريض" ، ترتيبا لأوراق تنافسها الاستعمارى على تركته وتحينا للظرف المناسب للاجهاز عليه ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى ، فأجهزت على "رمز" الخلافة الاسلامية ، و"وعاء" وحدة عالم الاسلام ، وقسمت أشلاءه بين دولها الاستعمارية .. وذلك حتى لا يظل "الرمز" و"الوعاء" يغريان رواد اليقظة الاسلامية بتحويل "الرمز" الى "حقيقة فاعلة" ، وملء "الوعاء" بما

يصلح شأن المسلمين ويجدد شباب حضارة الاسلام ..

فلا الومضات التى ظلت تبعث الضوء فى أماكن متفرقة وميادين متناثرة من عالم الاسلام .. ولا القوة الضاربة للدولة العثمانية .. قد استطاعت الحيلولة بين التراجع الحضارى وبين النهاية المأساوية التى انتهت اليها الأمور ... وصدق جمال الدين الأفغانى عندما أشار الى ان "المقدمات" قد بلغت من القوة حدا جعل السقوط حتما وقدرا مقدورا .. فلقد قال :

« إن مبدأ تدهور ممالك المسلمين فى الشرق كان من شاهق عظيم ، ولا يمكن للحكيم الوقوف فى سبيل سقوطه وهو فى وسط الانحدار ، أو بقربه من نقطة المركز .

ذلك الشاهق العظيم ، شاهق حكمة الدين ؟! . واذا كان انحطاط الأمم مرضا ، وله سير معلوم ، فيتعذر على الطبيب الحاذق توقيف السير ، بل غاية مايمكنه : الاتيان بالملطفات والمسكنات ، حتى ينتهى السير ، ويبل العليل ، ويدخل فى دور النقاهة .. نعم .. لو استقلت قدرة البشر بالتاثير ، ماانحط رفيع ، ولا ضعف قوى ، ولا انهدم مجد ، ولا تقوض سلطان .. ؟!..(٦)

هوامش

(١) [رسالة المؤتمر الخامس] ص ٤٩ . طبعة القاهرة ١٩٧٧ م .
(٢) [عجائب الآثار] جـ٣ ص ٣٧ .

(٣) [عجائب الآثار فى التراجم والاخبار] المجلد الاول . ص ٢٧٦ ومابعدها . طبعة دار فارس . بيروت .

(٤) انظر فى مدارس مصر وجوامعها التى كانت مدارس للعلم : الملحق الخامس من كتاب [التعليم فى مصر] لأمين سامى باشا . ص ٢ ـ ٣٢ . طبعة القاهرة ١٩١٧ م .

(٥) انظر كتابنا [فجر اليقظة القومية] ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ طبعة بيروت ١٩٨١ م .
(٦) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى] ص ٢٤١ ، ٢٤٢ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٦٨ م .

بذور التطرف الدينى (٣)

عبد الناصر والتيار الدينى

بقلم : د. محمود اسماعيل

انتهينا فى المقال السابق إلى إفلاس الاحزاب الليبرالية والمحافظة سواء بسواء نتيجة معطيات سياسية .. فلاهى انجزت « الجلاء » لاتباعها اسلوب ، « المفاوضة » العقيم .. اما « الدستور » فلطالما انتهك بتدخلات « القصر » و « الانجليز » .. كما كان لاغفالها البعد الأجتماعى فى النضال الوطنى من وراء هذا الأفلاس الجماهيرى .. ولم يجد إلغاء الوفد معاهدة ١٩٣٦ فى محو آثار حادث ٤ فبراير المشئوم .

وظلت احزاب الأقلية العوبة فى يد القصر والأنجليز ، فأخذت تترى على تداول الحكم حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ دون ان تقدم جديدا للحركة الوطنية .. وكان حريق القاهرة رد فعل للفساد السياسى .. والاجتماعى وتعبيرا عن حالة من اليأس وفقدان الثقة فى الاحزاب التقليدية .. ذلك الحادث الذى لاتزال أسبابه ملغزة لحد الساعة ..

وإن كنا نقترح ـ حتى على صعيد البحث ـ إعادة طرحه من منظور يضع فى الاعتبار .. مواقف الأخوان المسلمين وحزب « مصر الفتاة » الاشتراكى وربما التنظيمات الشيوعية كقوى ضالعة فى نسج هذا الحادث ..

لقد كانت هذه القوى تتحسس السبيل للافادة من إفلاس الاحزاب التقليدية فى الوصول إلى الحكم بطريقة او بأخرى .. لكن قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وضع حدا لطموحاتها .. وهذا يفسر مواقفها من



جمال عبد الناصر



أحمد حسين



حسن الهضيبي

الثورة رغم اعلان الأخيرة عن طابعها الراديكالي ممثلا في المبادىء الخمسة التي تبنتها .. ولم تعدم هذه القوى وجود ممثلين لها - تراهن عليهم - في مجلس قيادة الثورة .. ثم كان إلغاء الثورة للأحزاب - بعد عجزها عن تطهير نفسها - مدعاة لاستمرارية المراهنة .. أما الحزب الاشتراكي ، مصر الفتاة ، فكان أقل طموحا - نظرا لضآلة جماهيريته من ناحية ولتبني الثورة بل وتحقيقها لبرنامجه الراديكالي وهذا يفسر رضوخ قياداته ، للأمر الواقع ، وتعاطف الثورة مع رجالاته وتكريم زعيمهم ، أحمد حسين ، حتى وفاته ..

أما الشيوعيون فقد اجتمعوا على تعدد فصائلهم وعلى إدانه الثورة .. وذهبت تحليلاتهم ، النظرية ، إلى انها لا تعدو ، انقلابا عسكريا ، بصمته أيدي المخابرات الأمريكية وقد عبرت عن موقفها هذا في أحداث انتفاضة عمال كفر الدوار - حركة خميس والبقري - التي قمعت بعنف .. ولم يعد للشيوعيين فعالية تذكر في الساحة السياسية بعد اعتقالهم ..

أما الأخوان المسلمون فقد شكلوا القوة الحقيقية التي كان الصدام بينها وبين الثورة قدرا محتوما .. لقد اتسمت العلاقة بين الطرفين خلال عامين من ميلاد الثورة بالحذر والمناورة والتربص .. ولم لا ؟ وكانوا على صلة قبل الثورة ببعض رجالاتها وخاصة زعيمها جمال عبد الناصر .. وكان عبد المنعم عبد الرءوف - أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة - همزة الوصل بين الطرفين .. لذلك شكل دوره في المجلس وسلوكه ، مختبرا ، يقيس الصراع المرتقب .. وقد أسفر الأخوان عن موقفهم المعادي للثورة حين انحازوا إلى جانب ، محمد نجيب ، ضد معظم أعضاء المجلس .. وتصوروا ايلولة الأمر إليهم بعد اعادته لرئاسة

الجمهورية .. لقد راهنوا على ضعفه من ناحية وعلى رصيدهم فى الجيش فضلا عن « نظامهم الخاص » القوى من ناحية أخرى فى احتواء الثورة وبالتالى وصولهم إلى السلطة ..

لكن خاب ظنهم حين ادركوا ان عبد الناصر ـ من خلال تداعى الأحداث ـ هو الرجل القوى خاصة انه كان على علم ودراية بمكامن ضعفهم وقوتهم فى آن .. لذلك عمدوا إلى اسلوب المناورة مرة اخرى فاعتذر « الهضيبى » مرشد الجماعة عما حدث متعللا بان ما جرى تم رغما عنه لانه لايملك السيطرة على قيادات الجهاز السرى... وبالمثل عمد عبد الناصر إلى ذات الأسلوب مفيدا من الانشقاقات داخل الجماعة .. ومن المؤكد ان الشيخ الباقورى لعب دورا هاما فى هذا الصدد فى صفوف الاخوان لصالح الثورة .. لقد كان الترقب الحذر وتجميد الموقف إلى حين قاسما مشتركا بين الخصمين العنيدين فى سياستهما إزاء بعضهما البعض .. وكان ما كان من إنجاز « اتفاقية الجلاء » التى راى فيها الاخوان عملا يزيد من قوة الخصم وازدياد جماهيريته لذلك لم يتقاعسوا عن اشهار تشكيكهم للاتفاقية وبالتالى بدء الحلقة الثانية من الصراع .. وذلك بالتآمر على حياة عبد الناصر نفسه .. فكان ما كان من امر حادث المنشية الذى يري البعض انه كان « حادثا مدبرا » قصد منه عبد الناصر خلق الفرصة لضرب الجماعة .. ونحن نشك فى ذلك فى ضوء معرفة سياسة « الاغتيال السياسى » التى عمدت الجماعة إلى اتباعها للتخلص من الخصوم .. كذا فى ضوء حالة الياس التى حلت بالجماعة لصعود نجم عبد الناصر يوما بعد الآخر ..

وعلى اية حال كان هذا الحادث بمثابة « الضربة القاضية » التى وجهت لجماعة الأخوان .. فكان ما كان من إعدام بعض قياداتهم والزج باتباعهم فى السجون سنة ١٩٥٤ ..

وما يعنينا بصدد دراساتنا هو ان بعض الدارسين راوا فى البطش بالاخوان بداية لميلاد ظاهرة التطرف الدينى .. وما نؤكده هو خطأ هذا الرأى لعدة اعتبارات ..

١ ـ أن الصراع بين عبد الناصر والأخوان كان صراعا سياسيا وليس عقيديا .. فلا احد يشاحح فى « تدين » عبد الناصر ومعظم قيادات مجلس قيادة الثورة ..

٢ ـ أن عبد الناصر حين الغى الأحزاب ابقى على جماعة الأخوان كجماعة للاصلاح الدينى . بل استعان ببعض رجالات الجماعة فى حكومته الأولى ..

٣ ـ أن الدين حظى باهتمام عبد الناصر طوال حكمه ففى عهده أنشىء الكثير من المساجد وتم تطوير الأزهر وتاسيس المؤتمر الاسلامى والمجلس الأعلى للشئون الأسلامية .. إلى غير ذلك من الاصلاحات التى تنم عن إجلاله الدين وتوقير رجاله ..

٤ ـ أن الصدام وقع بين عبد الناصر والأخوان حين تخلوا عن مبادىء جماعتهم المعلنة وتطلعوا إلى السياسة متوسلين بالقوة .. لذلك نوافق على تحليلات الدكتور فؤاد زكريا فى كتابه « الحقيقة والوهم » فى نفى كون التطرف الدينى نتيجة لبطش عبد الناصر بالأخوان ..

لكننا نخالفه من ناحية اخرى حين ناقض نفسه فرأى أن « حكم الفرد » و« اللاديمقراطية الناصرية » مهدت « للتطرف الدينى » .

إن الحديث عن الديمقراطية فى السنوات الأولى لثورة وطنية اجتماعية أمر يتم عن خطأ فى إدراك طبيعة الظروف الموضوعية للثورات بما تقتضيه من « اجراءات استثنائية » . إن هذه الاجراءات الاستثنائية « سلوك طبيعى » و « حتمى » إزاء طبيعة الثورة ، باعتبارها هدما للقديم وارساء للجديد ، ، ومن هنا تكتسب هذه الأجراءات « مشروعيتها .. إن « القوى المضادة » .. فى صراعها مع الثورة باسلوب العنف تقتضى من الثوار « الرد بالمثل » بل بمزيد من العنف والثورات عموما فى مراحل الهدم والبناء لصالح الجماهير ـ لا يمكنها ان تبدأ مرحلة « التشريع » و « التقنين » إلا بعد إنجازها لمهامها التاريخية ومثال الثورة الفرنسية فى هذا الصدد أصدق من دليل

بحيث لم تبدأ مرحلة التشريع إلا فى عهد « نابليون » بعدما يزيد على ثلاثين عاما من بداية الثورة ..

و « الديمقراطية » كما ابتدعتها « اثينا » فى بلاد اليونان ـ لم تكن مطلقة مجردة بل فى اثينا نفسها ولدت « الديكتاتورية » وذلك إبان الظروف الاستثنائية كتعرض البلاد للخطر الأجنبى .. ولم يكن مصطلح « ديكتاتور » آنذاك يحمل المفهوم البغيض الذى نعرفه اليوم .. بل كان يعنى « الزعيم الحكيم الذى يستطيع أن يجتاز مواقف الخطر » فى ظروف لا تسمح بانعقاد المجالس الشعبية والدستورية ..

وبنفس الرؤية أيضا لانوافق الراى القائل بان ميلاد التطرف الدينى كان لأسباب « سيكولوجية » تخلفت على إثر انتكاسة يونية ١٩٦٧ ..

وإذا كنا ناخذ برأى صديقنا الدكتور فؤاد زكريا فى تخطىء هذا الزعم انطلاقا من أن ذيوع وانتشار هذه الظاهرة حدث بعد انتصار ١٩٧٣ .. فإننا لا نشاركه القول فى اعتماد ذات الرؤية « السيكولوجية » حيث قال « إن الانتشار الهائل لهذه الحركات هو تعبير صريح عن اكتمال الهزيمة وعن تغلغلها فى نفوس الناس وعقولهم »

إن هذا التناقض فى آراء صديقنا راجع إلى اعتماده منهجا عقلانيا تجريديا بحيث يقوده « المنطق الشكلانى » إلى إرجاع ظاهرة هامة كالتطرف الدينى إلى أسباب « نفسية وعقلية » .. فلو صح هذا التعليل السيكولوجى « العصابى » لكان من المنطقى ان يظهر « المرض » على إثر الهزيمة مباشرة دون أن يحتاج إلى ستة أعوام لتظهر اخطاره .. !! وإن كان

عبد الناصر والتيار الديني

« المرض نفسيا عقليا » حقا «نتيجة هزيمة ١٩٦٧ فإن انتصار ١٩٧٣ كان كفيلا بالشفاء منه .. !! لكنه خطأ المنهج والرؤية التى تعول على « العقلانية الشكلانية » و « المنطقية التجريدية » .. ! ولعل هذا الخطأ نفسه هو الذى جعل مفكرنا الكبير يرى فى السبعينيات امتدادا للستينيات ، والخمسينيات بحيث تجتمع الحقب الثلاث وفق منظوره تحت لواء « ثورة يوليو » التى جعلها الدكتور زكريا سببا لميلاد ظاهرة التطرف الدينى ..

إن تصحيح هذه الأخطاء لايمكن أن يتم بمعزل عن المنهج « التاريخانى الاجتماعى » والرؤية « السوسيو - سياسية » .. وبفضلهما يمكن تعقب وتعليل الظاهرة تعليلا صحيحا .. فنحن نرى أن ظاهرة التطرف الدينى لم تظهر قط فى الستينيات .. ويرجع ذلك إلى الانجازات « الراديكالية » لثورة يوليو منذ الخمسينيات وطوال الستينيات .. تلك الانجازات التى تنحاز للجماهير فى النهاية والتى جرت وفق « ايديولوجية ثورية واختيارات اشتراكية عكست ابنيتها «الأخلاقية » والفكرية والتشريعية .

وإذا كنا نوافق مفكرنا وصديقنا على أن السبعينيات هى التى شهدت تفاقم ظاهرة التطرف الدينى كما وكيفا فلا يرجع ذلك لاسباب سيكولوجية تولدت عن هزيمة ١٩٦٧ بقدر ما شهدته السبعينيات من انتكاسة ثورة يوليو ١٩٥٢ وظهور « الردة » عليها نتيجة الاختيارات الجديدة التى تمثلت فيما اصطلح على تسميته خطأ - « بالانفتاح الاقتصادى » وهو ما سنوضحه فى المقال التالى ..

نعود إلى مواصلة رصد موقف عبد الناصر من الاخوان المسلمين .. كان من الطبيعي أن تظل « ثارات » هذه الجماعة كافية فى الصدور وذلك بتأثير معطيات سوسيو - سياسية داخلية وخارجية .. فعلى الصعيد الداخلى كانت ثورة يوليو بعد نجاحاتها المظفرة فى ضرب القوى المضادة فى الداخل وإزاء المؤامرات الخارجية التى فشلت بفشل عدوان ١٩٥٦ .. نقول أسفرت الثورة عن اختياراتها الاشتراكية فكرا وعملا فسياسة التاميم والتصنيع والتنمية المخططة وما نجم عنها من تعاون مع القوى الاشتراكية العلمية ومساندة من اليسار الماركسى فى الداخل .. وما ترتب على ذلك كله من تعاظم « التجربة الناصرية » والتفاف الجماهير حولها .. كل ذلك وغيره كان من اسباب تواطؤ القوى الرجعية مع الامبريالية الامريكية للتامر على التجربة الناصرية .. ولم يكن هناك قوى داخلية اقدر على تنفيذ هذه المخططات من « الاخوان المسلمين » .. خاصة أن الكثيرين منهم قد نزحوا بعد الاعتقال الأول إلى دول الخليج حيث اثروا وتواطئوا مع الرجعية « الكهنوتية » .. ولكن المساندة الجماهيرية لعبد الناصر وإدت هذا المخطط ولم يجد عبد الناصر صعوبة فى توجيه الضربة

الثانية القاضية للاخوان .. وذلك حين زج بهم في المعتقلات مرة أخرى عام ١٩٦٥ .. ولم يكن جزافا إعدام « سيد قطب » .. باعتباره المنظر الجديد « للحاكمية » أو « الحكومة البترقراطية » ..

وكان ما كان من مضى الثورة في طريقها الاشتراكي قدما ، وانجاز الخطة الخمسية الأولى بمعدلات طيبة افزعت الدوائر الأمبريالية وعروش الرجعية العربية الكهنوتية خاصة بعد نجاح الناصرية عاليا نتيجة مساندتها لحركات التحرر الوطني في العالم الثالث عموما والعربي بوجه خاص .. أما وقد فشل التآمر مع قوى الثورة المضادة في الداخل بالقضاء على فلول « حركة الأخوان » فلم يكن هناك من سبيل سوى تدبير حرب ١٩٦٧ .. وبرغم اختلافنا مع الكثير من الآراء التي تذهب في تفسير الهزيمة إلى أسباب كامنة في طبيعة « النظام الناصري » الموسوم خطأ ـ باللاديمقراطية ، وترجيحنا للمقولة المقابلة التي تركز على التآمر الخارجي ، فإننا نأخذ على « التجربة الناصرية » أخطاء ايديولوجية واستراتيجية لعل من أهمها المبالغة في سياسة « التجريب » والحرص على النمط المصري أو العربي الاشتراكي الخاص .. وغيرها من الأخطاء التي أفضت إلى « الردة » فيما بعد ..

وعلى أية حال ـ كانت الهزيمة « بردا وسلاما » سرى في صدور أصحاب التيارات الدينية .. كانت « تشفيا » و « انتعاشا » و « انتقاما إلهيا » في نظر أصحاب هذا الاتجاه .. ولم يكن كما ذهب الدكتور فؤاد زكريا سببا « لازمات نفسية وعقلية » مهدت للتطرف الديني » ...

إن هذا الموقف من الهزيمة والتعبير عنه بهذه الصورة ذو دلالة بالغة على صدق ما نقول من عجز وضآلة وعدم فاعلية أصحاب التيار الديني في القيام بعمل إيجابي ضد الناصرية .. بل إن قطاعا عريضا من الاخوان تاب إلى رشده وآزر الناصرية حتى أن بعضهم تقلد الوزارة ..

وليس ادل على ضآلة تأثير الهزيمة واقعيا من مطالبة الجماهير بشكل « سحرى » مذهل بعودة عبد الناصر زعيما وقائدا للمسيرة الوطنية .. ولعلها كانت من اسباب نضج القيادة ، ومراجعتها للاخطاء « المنهجية » التي اشرنا إليها وجنوحها نحو مزيد من الثورية والاشتراكية بعد تخلصها من القيادات المعوقة داخل النظام ..

إن استقرار الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بعد الهزيمة دليل لايرقى إليه الشك على استمرارية الثورية .. وان نجاحها في إعادة بناء القوات المسلحة وإدارة « حرب الاستنزاف » والمضي في طريق المزيد من الاشتراكية والديمقراطية دليل آخر على عدم مواتاة المناخ العام للتيارات الدينية كي تنمو وتفرخ ..

لم تنم هذه التيارات إلا بعد موت عبد الناصر ووصول السادات إلى السلطة وبداية التحول عن مسيرة ثورة يوليو ..

جويا

الفنان الذى سبق عصره

بقلم : د. صبرى منصور

يحتفل تاريخ الفن الاوربى منذ عصر النهضة الايطالى وحتى اليوم بأسماء العديد من المصورين والرسامين والمثالين ، الذين اقاموا صرح الفنون الشامخ فى الحضارة الاوربية لكن المصور الاسبانى فرانثيسكو جويا يحتل موقعا فريدا بين كل هؤلاء ، فهو يمثل ظاهرة فنية فذة ، وعبقرية فى الخلق والابداع يندر تكرارها ، وابداعه الفنى الغزير خلال حياة حافلة كانت سماته الاساسية الصدق والحرارة والانسانية · ولقد تقلب انتاجه ما بين احترام والتزام بالواقع الى جنوح فى الخيال واغراق فى التهاويم الغامضة ·وقادت خطواته الفنية غير المسبوقة الى تجديدات شملت سبل وطرائق التعبير الفنى واثرت فى مجرى تاريخ الفن وفى اجيال الفنانين الذين جاءوا من بعده ·

لقد قدر لهذا الفنان الذى علم نفسه بنفسه ، والذى ولد فى بلد على حافة اوربا ـ معزولة منذ ايام فيليب الثانى عن الاصلاحات الاجتماعية والحياة الثقافية فى القارة ـ ان يحمل على عاتقه مهمة شق طريق جديد للفن التصوير · طريق يؤدى الى بنيان ثقافى واجتماعى قائم على الحرية ، وعدم الانصياع للتقاليد البالية ·

وحين ولد جويا كان القرن الثامن عشر يشهد نموا وتصاعدا فى الفن والسياسة والعلم ، بغية تجديد النظام الاجتماعى القديم ، واحلال مجتمع اكثر عقلانية · كما كان هناك ايضا نمو فى الاتجاه العلمانى الذى كان قد بدأ منذ عصر النهضة ، وفى نفس الوقت بدأ فن الباروك يضمحل ويفقد بريقه ومثالياته التى ضاعت فى تفاهة فن الركوكو ، وكان مبدأ الشك فى الفلسفة يقوض الجذور العميقة للمعتقدات والمسلمات التى كانت تشكل اسس الثقافة الغربية منذ القرون الوسطى · ولقد كان الفن ـ من خلال اتصاله المباشر بالواقع ـ هو



لوحة «الجليد» رسمت عام ١٧٩٧

الوسيلة التى يمكن من خلالها التعبير عن هذه الافكار ، وتجسيد الحساسية الجديدة .

لقد جاء فن جويا معاكسا للتيارات الفنية والثقافية السائدة فى عصره ، كمدرسة العودة الى الكلاسيكيات القديمة « نيوكلاسيزم » سواء فى السياسة او الادب والفن فى النصف الثانى من ذلك القرن حاولت ان تطبع بسماتها السائدة على فن التصوير ، لهذا كان الفن الذى يعتمد فى الهامه على الواقع والحياة اليومية حينذاك هو فن مرفوض ، بل ينظر اليه على انه فن سوقى خال من اية قيمة .

جويا

الفنان الذي سبق عصره

وكان جويا معاصرا للمصور الفرنسي دافيد ، الذي كانت لوحاته عن الجمهورية الرومانية تحمل في ثناياها رسالة اخلاقية ، كما كان هناك المصور منجز مصور الملك في اسبانيا والذي تعرف عليه جويا في مدريد فيما بعد، وكان ينتمي ايضا الى ذلك الفن المثقف الذي اتفق على تسميته بالنيوكلاسيزم · لكن جويا كان يمضي في اتجاه مغاير ومعارض لاتجاهاتهم الفنية والجمالية ، واليوم نستطيع ان نفهم فنه العبقري المتقدم واذا كان عمل العبقري هو التعبير عن عصره ، فيبدو انه غالبا ما يكون في تعارض مع تيارات ذلك العصر ·

كان الملك فيليب الخامس هو العاهل البوربوني الحاكم على اسبانيا · وابن عمه لويس الخامس عشر ملكا على فرنسا ، حين ولد فرانثيسكو جويا في الثلاثين من مارس عام ١٧٤٦ في قرية فوينتودوس الفقيرة باقليم اراجون ، وكان والده يعمل في حرفة طلاء الذهب بمدينة ثارا جوثا عاصمة الاقليم – هناك امضى جويا طفولته وصباه وتعلم القليل من حرفة التصوير والرسم في مرسم الفنان خوسي لوذان الذي كان ذا اتجاه باروكي · وحين بدأت تتضح شخصيته الفنية ذهب الى مدريد حيث انشأت عائلة البوربون الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة لتعطي للفنانين المبتدئين منحا للدراسة · وهناك شارك جويا في مسابقتين خلال اعوام ١٧٦٣ و ١٧٦٦ واخفق في الاثنتين اذ كانت التعاليم الاكاديمية قاسية ومسيطرة · ولما كان الهدف المثالي في عصر جويا ان يحصل الفنانون على منحة تساعدهم على استكمال دراستهم في روما ، وحيث انه قد فشل في الحصول على هذه المنحة ، لهذا فقد صمم على الذهاب الى ايطاليا على نفقته الخاصة · واعتمد هناك على ملاحظته الدقيقة لاعمال مشاهير المصورين · والغريب ان تطور فن جويا لم يعتمد على المؤثرات الخارجية بقدر ما اعتمد على التفجرات الهائلة التي تندلع من اعماق عبقريته، وعلى ذلك الجيشان العاطفي الذي ارتبط الى حد كبير ببعض الحوادث في حياته وحين عاد جويا الى مدريد اشتغل في بداية حياته الفنية في مصنع للنسجيات تابع للبلاط الملكي ، حيث كان يقوم بعمل التصميم الذي يتم تنفيذه فيما بعد على السجاد الذي يستعمل في تزيين القصور الملكية · وكان هذا العمل فرصة طيبة للمران على استعمال الالوان ، ونمت لدى جويا حدة ملاحظة الحياة اليومية ، كما علمته التجربة اضفاء الحياة والحركة على اشكاله وشخوصه وهي سمات نادرا ما تظهر في الصور الاكاديمية ، كما كانت الحياة الشعبية هي موضوع ومحور اللوحات مما يعكس نزعة حب الانسان والبشر التي اعلى من شانها فن القرن الثامن عشر ·

وفيما بين اعوام ١٧٧٤ و ١٧٩٢ انتج جويا اعمالا خصبة ، وجعلت رسوم السجاد يديه اكثر مرونة ومنحته حرية اكبر · لقد ابدع اكثر من خمسين تصميما استعملت كنماذج لتصنيع السجاد ، ثم كدست في المصنع حتى ثورة ١٨٦٨ حين انتقلت لتعرض

في متحف البرادو لكي تعطينا اليوم المدخل السعيد لعالم جويا الفني

وعني جويا المرض عام ١٧٧٨ ، وفي اثناء فترة نقاهته بدأ في انتاج أعمال في فن الحفر ، ومنحته هذه الاعمال الفرصة لدراسة اللوحات العظيمة لسلفه المصور الاسباني الشهير فلاسكيند ، ولقد تعلم منه الدروس الاساسية التي سيستفيد منها في اعماله المستقبلية في فن الصورة الشخصية .

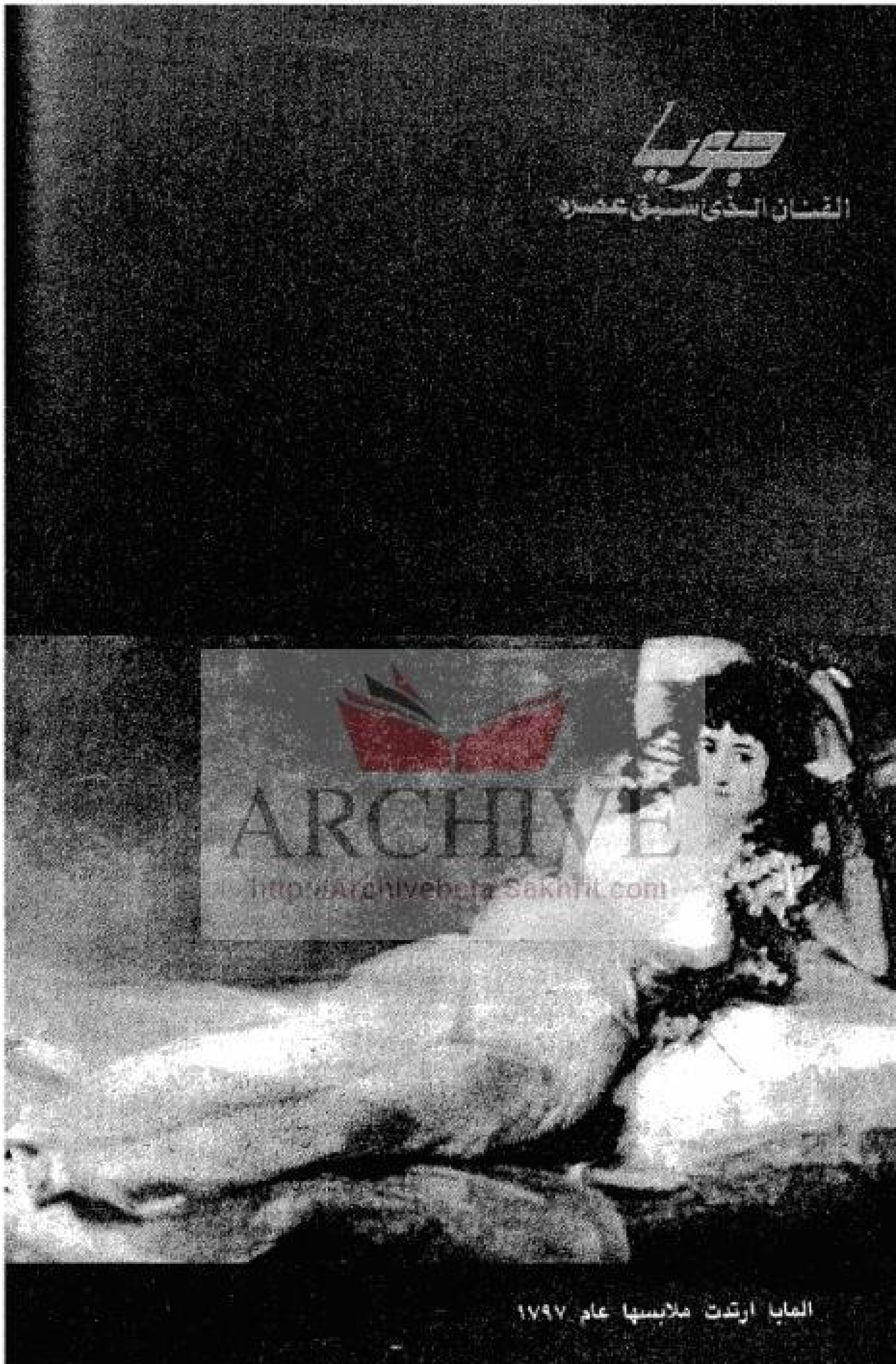
وفي عام ١٧٨٠ كان قد حصل على بعض الشهرة في مدريد ، وتم اختياره كعضو في الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة .

في تلك الفترة الزمنية اتضح لجويا عمق الهوة التي تفصل بينه وبين جماليات فن التصوير السائدة في عصره،وبعد عدة محاولاتفي التصوير الديني في الكنائس ، وفي محاولة للتخلص من الطريق المحدود لتصميم النسجيات ، اكتشف جويا ان طريقه هو فن الصورة الشخصية (البورتريه) ولم يكن فن الصورة الشخصية عنده مجرد مشكلة فنية وتقنية ، وانما — مثلما كان عند فلاسكيند ورمبرانت — طريقا للبحث عن الغموض والسحر عند الانسان الفرد . وكان يهمه الغوص داخل الشخصية والتعبير بسرعة شخصية الموديل ، ويقول ابنه فيما بعد ان الصور الشخصية التي كانت تعطيه الرضا والسعادة هي تلك الصور التي انجزها لاصدقائه القريبين والتي لم تتطلب لانهائها سوى جلسة واحدة .

فالتلقائية ، والسرعة ، والصراحة هي السمات التي ميزت صورة الشخصية وفي حوالي ١٧٨٥ بدأ جويا يتحركداخل اطار المجتمع الارستقراطي حيث أنجز العديد من لوحات الوجوه لعلية القوم ، والتي اودعها اسلوبه الجديد الذي تميز بالطلاقة والوضوح وفي عام ١٧٨٦ وكان في سن الاربعين عين جويا مصورا للملك . لقد كانت بدايات طريقه صعبة وشاقة ، ولكنه منذ الان وحتى عام ١٨٠٨ فان النجاح بدأ يواكب مسيرته .

وبعد وفاة الملكشارل الثالث كان في انتظار جويا نجاح اكبر حين عينه الملك شارل الرابع رئيسا لمصوري البلاط ، وكان اسلوبه قد اتجه الى النعومة والشفافية ، وامتلا بالبهجة والاناقة . في تلك الفترة من حياة جويا الاجتماعية ذات الشهرة والبريق ، قابل العديد من مشاهير الادباء والمفكرين الاسبان ، في عصر كانت أوربا تغلي بالرغبة في التغيير والثورة . ولقد تعاطف جويا مع مبدأ الحرية ، وعارض فكرة قهر واستغلال الانسان .

وفي خريف عام ١٧٩٢ سقط جويا صريعا للمرض وهو في قمة نجاحه وشهرته ، وتوقف عن العمل والابداع، ثم أنتهى — مثل بيتهوفن ولكن الاسباب اخرى — الى فقدان السمع . ولفترة ما كان يبدو أن استمراره في الانتاج معرض للخطر ، لكن حيويته الفائقة ، وطاقاته الفنية الهائلة التي مازال يحتفظ بها وهو في سن متأخرة قد دفعته الى الامام ، وان كانت حادثة المرض القاسية ، والصمم الكامل قد اثر على نفسيته ، وتحول فنه الى اتجاه اخر . ومنذ ذلك الحين ولد جويا الجديد . فذلك الانسان الصريح المرح ، الذي يحب الحياة والمجتمع ، وارتياد المسرح وحلبة مصارعة الثيران ، ويهوى المناقشات مع



الماجا ارتدت ملابسها عام ١٧٩٧



الدونا ماريا انتونينا كونتاخا (عام ١٧٩٥)

جويا
الفنان الذى سبق عصره

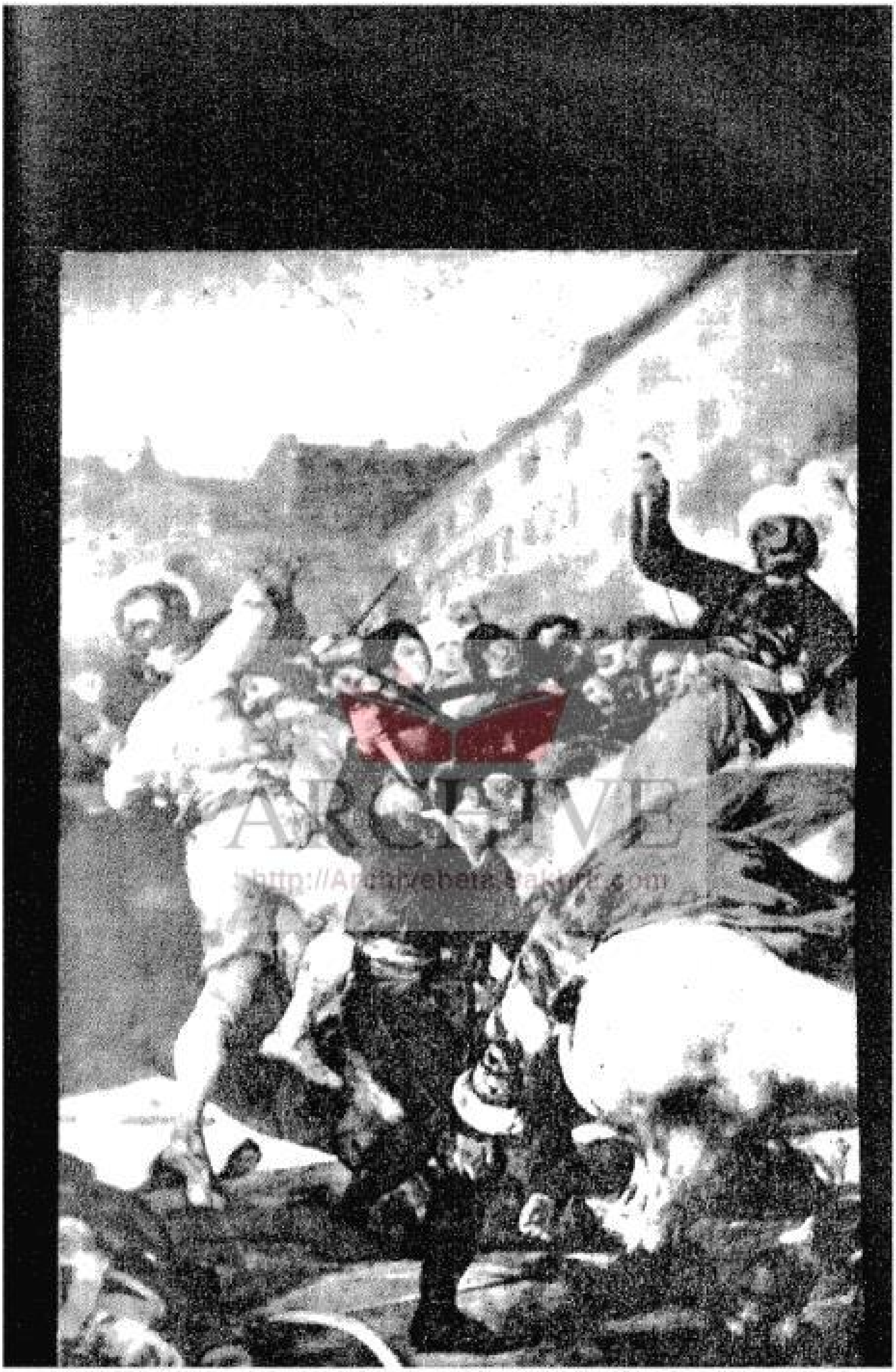
الاصدقاء . قد حرم الان من كل ذلك بسبب صممه . وحوله ذلك الى انسان انطوائى متشائم . ولكنه لم يؤثر على تصويره . فقد كانت هناك منذ فترة مرضه ملامح للتغيير ما لبثت ان امتدت لتشمل رسومه وحفره الذى مهد الى ان يصبح جويا واحدا من اعظم الحفارين فى كل العصور .

ولم تعكس لوحاته فى الحفر فقط تاثير المحن التى مر بها ، ولكن نموذجا جديدا ايضا فى تصويره قد بدأ يتضح ، تجسد فى صور خيالية، اودع فيها تعبيره عن عالمه الداخلى وجسد فيها افكاره من خلال الاشكال. واصبح اسلوبه اكثر حرية وجسارة ، وغدت الوانه اكثر قوة وعنفا . لقد اصبح جويا الجديد هو نفسه ، حين حقق ذاته من خلال اعماله الحرة ، وحين استطاع ان يكون حرا فى التعبير عن ارائه وافكاره ، مما كان يستحيل عليه عمله فى اللوحات التى يكلف بها . ومنذ ذلك الحين فانه كان يرسم ويصور كيفما تحركه روحه وخياله ، لقد ثار على كل القواعد الاكاديمية الصارمة التى تكبل منه وتحول بينه وبين الانطلاق نحو افاق مجهولة .وفى نفس الوقت كان جويا متاثرا بأفكار عصره ، متلاحما مع المجموعات الاسبانية المثقفة التى كانت تسعى نحو اصلاح اسبانيا التقليدية ، فلقد هاجم فى اعماله العنف والقهر ، وكان داعية الى عالم اكثر معقولية .

فى تلك الفترة ابدع جويا مجموعة لوحات امتلأت بمجموعات غريبة من البشر ، نبلاء واطباء ، وعاهرات ومتهمين ، وساحرات ، ولقد نشرها عام ١٧٩٩ لكنه سرعان ما سحبها من التداول خشية أن يساء تأويلها ، كذلك انجز لوحاته الحائطية الصرحية الغريبة لكنيسة سان انطونيودى لافلوريدا بمدريد ، والتى اتضحت فيها جرأته الشديدة ، وأسلوبه الحر الملىء بالسخرية والنقد اللاذع ، لقد حشد الانسانية كلها وجسدها فى الشخصيات المرسومة ما بين شحاذين ومحبين ، وامرأة ساحرة الى جانب وحش مخيف ، ومخادعين وأطفال ، كل ذلك فى اسلوب تعبيرى حر وضربات فرشاة جزيئة مقتدرة .

كما اتجهت صور جويا الشخصية ايضا فى تلك الفترة الى أن تكون اكثر قوة ، حتى وهو يرسم العائلة المالكة، مثلما يتضح فى لوحته المعروفة لعائلة شارل الرابع التى تعد لوحة لا مثيل لها فى مجال تصوير الوجوه ، ومثلما فعل فلاسنيد فى لوحته « لاس منيناس » فان جويا قد ضمن شخصه فى خلفية اللوحة كشبح ظلى خافت كما ابدع فى تلك الفترة لوحتيه الشهيرتين الجميلة العاتية والجميلة المرتدية ، احداهما تمثل امراة عادية والاخرى لنفس المراة وقد ارتدت ثوبها وفى لوحة الجميلة العارية تظهر لنا دقة ضربات الفرشاة ، والرهافة البالغة فى درجات الالوان الباردة ، بينما فى اللوحة الاخرى نرى القوة





جويا

الفنان الذي سبق عصره

والرشاقة التي تقترب من اسلوب التأثيريين . ولم تكد تمر سنوات قليلة حتى كانت اسبانيا تمر بمحنة قاسية ، عندما قرر نابليون أن يضم أوروبا تحت جناحيه . وان يخلع عائلة البوربون عن عرش اسبانيا ليمنحه لاحد أفراد عائلته . وبدأت في عام ١٨٠٨ الحرب بين الشعب

جزء من لوحة «الثاني من مايو» رسمها عام ١٨١٤

احدى لوحات الفنان التي تصور الساحرات اللاتي كن موضوعا مفضلا لديه

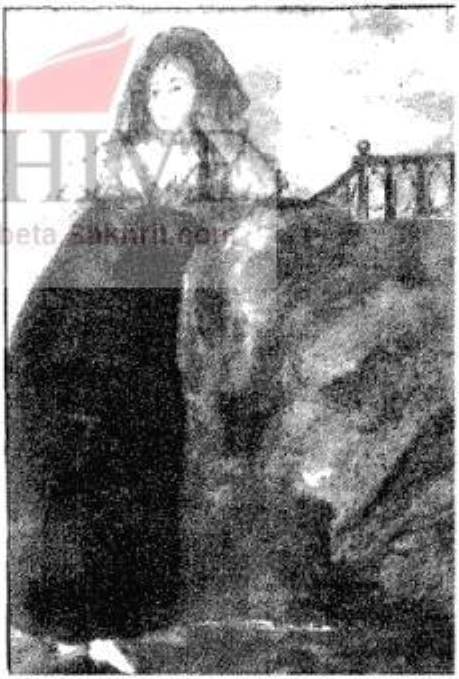


جويا

الفنان الذي سبق عصره

الاسباني وبين القوات الفرنسية فيما يشبه حرب العصابات • ومنذ ذلك العام وحتى عام ١٨١٤ عانت اسبانيا حين تحولت الى بلد دائم يدافع عن حريته • وحين أجبرت عائلة البوربون على التنازل عن العرش اصبح جوزيف بونابرت ملكا على اسبانيا •

رؤية خيالية (١٨١٩ - ١٨٢٣)



ولقد اثرت هذه الاحداث على حياة جويا وعلى اعماله ، فقد كان - مثل بيتهوفن ايضا معجبا في البداية بنابليون ، ولكنه الان وبعد غزو اسبانيا بدا وكأن العالم قد بدأ ينهار من حوله • وانقسم اصحابه - وهم من الصفوة - بين مجموعة تؤيد الفرنسيين وتبدي الاستعداد للتعاون معهم ، ومجموعة اخرى كانت تؤمن بأن الشرف الوطني لا يحتمل وجود القوات الفرنسية على ارض الوطن واستقر جويا في مدريد لبعض الوقت ثم انتقل الى ثارا جوثا حين كانت تدافع عن نفسها ضد القوات الفرنسية وهناك انتج اعمالا عديدة للمناظر من الحرب ، وفي اثناء ذلك استسلمت مدريد ، واعيد تعيين جويا في منصبه الرسمي - بواسطة الملك الجديد جوزيف • كرئيس لمصوري البلاط •

تلك كانت سنوات سوداء ، وحالكة الظلمة بالنسبة لجويا ، كشاهد على المآسي تلو المآسي • ولم يتم تكليفه الا بأعمال رسمية قليلة ، لكن حيويته لم تمت ، ورغبته في الخلق الفني لم تزل متوهجة ، فانجز العديد من مشاهد الحرب في لوحات صغيرة الحجم احتفظ بها في منزله ، كما أبدع صورا خيالية تميزت بقدر كبير من الحرية والجرأة •

لقد اصبح الان اكثر تشاؤما ، فأحلامه عن الحرية والاخاء ذهبت ادراج الرياح وانتج في هذه الفترة مجموعته الرائعة عن مآسي الحرب ، وهي مجموعة مكونة من اثنتين وثمانين لوحة حفر ضمنتها رؤيته الشخصية عن الحرب ، ولم تكن هذه اللوحات

ابطال ولا شهداء ـ وانما هى اتهام لقوى البغى والقهر . وفيها جسد ووصف الجوع والمعاناة والرعب والقسوة البربرية وليس هناك فى تاريخ الفن كله اعمال اكثر رعبا وادانة للحرب من اعمال جويا فى هذه المجموعة . وفى النهاية مع ذلك كان عليه الا يظهر هذه اللوحات او ينشرها علنا ، ولم يكن الجزء الاخير منها سوى تجسيد لمشاهد ما بعد الحرب التى اعطت لجويا محصولا وفيرا جديدا من الاسى والامل المفقود .

واخيرا انتهى نابليون على حدود اوربا ، روسيا من ناحية ، واسبانيا من الناحية المقابلة . وعاد فرديناند السابع الى عرش اسبانيا ، لكنه بدلا من أن يضمد جراحها فانه اضطهد الوطنيين الاحرار وقام بسجنهم ، واولئك الذين تحالفوا مع الفرنسيين حاولوا النجاة بالفرار ونتيجة لذلك وجد جويا نفسه وحيدا بلا اصدقاء ، فازدادت عزلته وتشاؤمه ، لكنه لم يعتزل فنه ، فمازال عنده الكثير ليقوله ، وكان قد انجز لوحتيه الرائعتين « الثانى من مايو ١٨٠٨ و « الثالث من مايو ١٨٠٨ » بعد الحرب وقبل وصول فرديناند مدريد . ومع ذلك فقد ظل جويا مصورا للبلاط وان لم يكن على وفاق مع الملك الجديد . كما استمر فى انتاج الصور الشخصية للطبقة الارستقراطية بأسلوب فنى مهد للتأثيريين بواسطة ضربات الفرشاة الحاذقة والسريعة . كما انجز فى عام ١٨١٦ مجموعة حفر جديدة تناول فيها تاريخ فن مصارعة الثيران ، وامتلأت اعمال هذه المجموعة بالضوء والحركة .

وفى عام ١٨١٩ اشترى منزلا فى ضواحى مدريد على ضفاف نهر مانذانارس ، ليعزل نفسه فى الريف ، وأنتج هناك احسن صوره الدينية بنفس الالوان القاتمة التى ميزت انتاج هذه الفترة من حياته .

ويهدد المرض حياته مرة اخرى ، ويظهر لنا عام ١٨٢٠ بعد نقاهته اكثر تشاؤما ، بادئا مرحلة سوداء جديدة ، فى طراز هو امتداد لما بداه فى مجموعة النزوات . ففيها تجسد فن تعبيرى عنيف ، واحلام ومناظر خيالية نفذت بالوان قاتمة ، غطت جدران منزله الريفى ، وتميزت بقدر هائل من الجراة على الخيال والتصور

لقد كان اللحن المبتور لجويا مشابها لتاريخ بلاده الذى عصفت به الريح فى سنواته الاخيرة ، فقد هبت تيارات وطنية ضد فرديناند الرابع ، مما دعاه الى تحريك قواته لقمع المتمردين فقد كان خائفا من الثورة ، وكان جويا يراقب هذه الحركات التحررية متعاطفا معها ، وفى نفس الوقت توقع السوء فاختبأ

جويا

الفنان الذى سبق عصره

عند احد الاصدقاء ، وكان ابن زوجته الثانية ذو النزعة الوطنية قد قـرر الهجرة الى فرنسا ، وارادت امـه

الذهاب معه ، فيلحق بهم جويا وكان فى السابعة والسـبعين ويذهب الى باريس ، ثم يعود ليستقر اخيرا فى

بلدة بوردو حيث انتج فيها اعمـالا معظمها صور شخصية للاصدقاء ، ومات فى ليلة الخامس عشر من ابريل

عام ١٨٢٨ تاركا اثرا خـالدا فى فن التصوير .

لقد حمل جويا دائما ثورته الخاصة ، وامتلا قلبه بحب الانسـان وتقديس

الحرية .. ومر زمن طويل قبل أن يفهم العالم رسالته النبيلة .

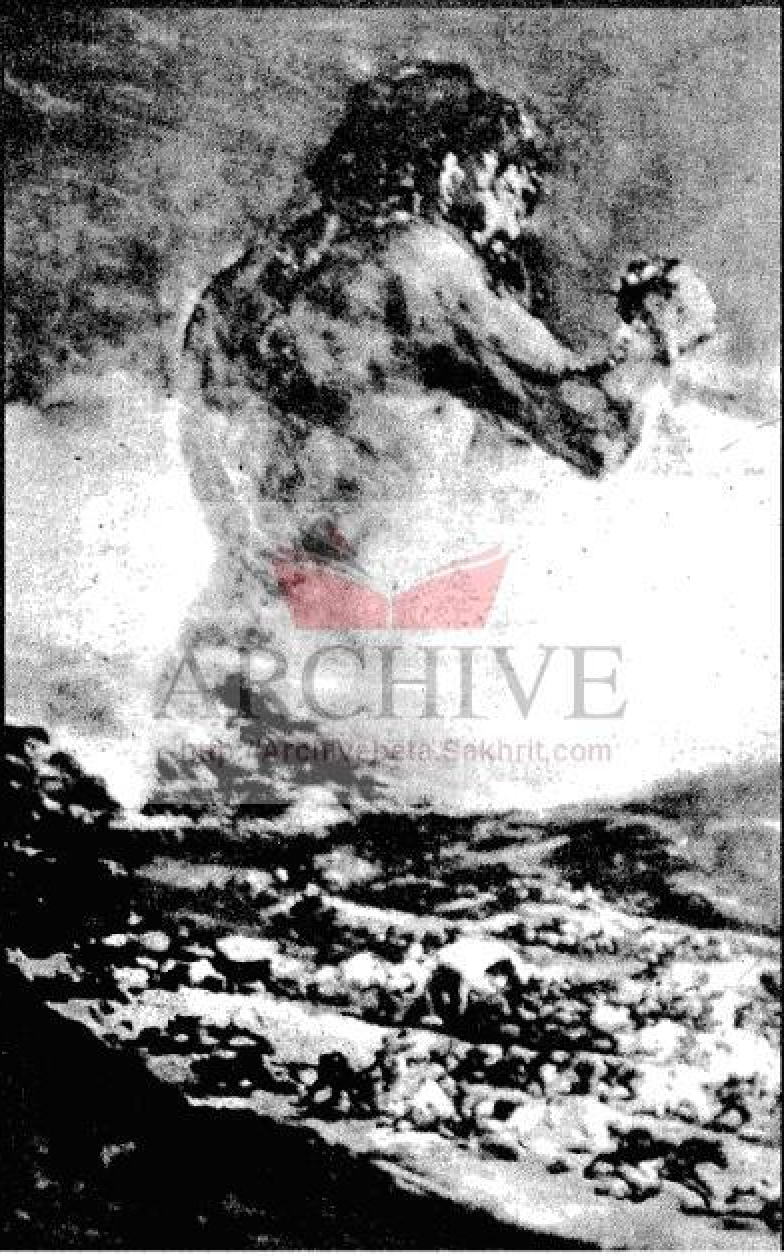
صورة ذاتية للفنان بريشته



الثالث من مايو ١٨١٤



● لوحة المارو التى رسمها جويا عام ١٨٠٨ ويطلق عليها أحيانا اسم «الخوف»



رسالة بازل
بقلم: جميل عطيه ابراهيم

سوق بازل للفنون التشكيلية

الأعمال الفنية العربية تتسلل إلى السوق على استحياء.. لماذا؟

قاعة عرض سويسرية تخصص جناحها للفنان العراقي توفيق النواب

السوق الفنية للفنون التشكيلية التى تعقد فى مدينة بازل السويسرية كل عام فى شهر يونيو لمدة ستة ايام ومنذ ١٨ عاما لها سمعة طيبة وشهرة واسعة فى اوساط النقاد والمهتمين بمتابعة الاتجاهات الحديثة فى الفنون التشكيلية فى انحاء العالم وهى ايضا فرصة للشراء والبيع وتكوين الثروات .

وترجع شهرة هذه السوق الفنية التى اصبحت واحدة من أهم الاسواق الفنية فى العالم الى القواعد الصارمة التى وضعتها ادارة المعرض لهذه السوق الفنية .

وفى هذه الرسالة نعرض لهذه القواعد والاتجاهات الفنية هذا العام والسر فى غيبة التواجد العربى عن هذه السوق وان كانت قد بدأت تهل بشائره فى السنوات الخمس الأخيرة .



أحد اعمال الفنان العراقى توفيق النواب

تحتفل الأوساط الثقافية والاعلامية فى سويسرا كل عام باقامة هذه السوق الفنية فتفرد لها الصفحات ، وتخصص لها البرامج الاذاعية والتليفزيونية ، وتعلق الملصقات فى جميع أنحاء سويسرا ، وتنشر التوقعات والدراسات الفنية للاتجاهات الحديثة فى العالم والمفاجآت التى سوف تسفر عنها السوق .

والاعلام عن السوق ليس مقصورا على سويسرا فقط ولكن فى العواصم العالمية سوف تجد من يذكرك بموعد اقامة هذه السوق من ١٧ ـ ٢٢ يونيو .

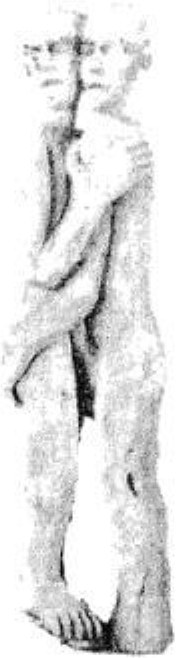
فهذا حدث ثقافى واقتصادى ايضا نعتمد عليه الحركة السياحية فى هذه المدينة الصغيرة التى نجحت هيئة المعارض أن تحولها الى مركز صناعى وثقافى ومحط انظار العالم بواسطة مجموعة متتالية من المعارض الناجحة طوال العام .

فى كل عام تتضافر جهود النقاد واصحاب قاعات العرض والاعلام والسياحة والمؤسسات الحكومية الأخرى من بريد وهاتف وتلغراف ونقل وبنوك وجمارك لانجاح هذا المعرض .

المعرض من الناحية الرسمية تشرف عليه هيئة المعارض وهى هيئة مستقلة تكاد تشبه فى تكوينها « هيئة المعارض الدولية » فى مصر ـ ولكن من الناحية الفنية تشرف على اعداد المعرض هيئة استشارية من اصحاب قاعات العرض وكبار النقاد فى سويسرا واحدى عشرة دولة اوربية .

وقد وضعت هذه الهيئة قواعد صارمة يتعين اتباعها ، فلا يسمح بالعرض الا لقاعات العرض ذات السمعة الطيبة فى عالم الفنون التشكيلية ، كما أنه لايسمح بعرض المستنسخات أو الأعمال المسروقة ، وتوجد لجنة من الخ.

سوق بازل للفنون التشكيلية



لفحص الأعمال الفنية ، وإذا ثبت فيما بعد أن قطعة مسروقة أو مزورة قد بيعت تتحمل اللجنة التبعات ، ومن حق المشترى مقاضاة هيئة المعارض - ولهذا يقبل المشترون على الشراء من هذه السوق الفنية فى اطمئنان .

وهذه كلها أسباب توحي بالثقة والجدية فى السوق.

أما التسهيلات التى تقدمها الجهات الأخرى ، فحدث ولاحرج ، هيئة النقل تعد

الفنان السويسرى جوزيف جونثر
صورة جديدة من جياكوميتى

نموذج من أعمال توفيق الذواب يكشف تأثره بالمدرسة الحديثة



الاتوبيسات من والى المعرض وتوزع النشرات بكافة اللغات لتسهيل مهمة القادمين ، والبنوك لها فروع داخل السوق ، وهيئة البريد والهاتف والتلكس والتلغراف تعمل من داخل السوق ، والجمارك لها فروع فى السوق للتخليص وتحصيل الرسوم على المبيعات لتسهيل مهمة قاعات العرض.

ومن يشترى لوحة يحصل على شهادة معتمدة بها المواصفات الفنية للوحة وقيمتها حتى لاتصادفه متاعب اذا كان مغادرا سويسرا ، وتؤكد أن اللوحة اصلية وغير مزورة .

هذه نظرة على السوق من الناحية المادية ، ولننتقل الى نقطة اخرى لنستعرض الأعمال الفنية هذه السنة .

● معرض أم سوق لفنون

عرضت الأعمال الفنية هذه السنة على مساحة تزيد قليلا على ١٤ الف متر مربع ، وبلغ عدد قاعات العرض ٢١١ قاعة عرض من ٢٦ بلدا .

ومن الملاحظات الجديدة بالنظر ان قاعات العرض القادمة من المانيا الاتحادية قد تصدرت القائمة وبلغ عدد قاعات العرض الالمانية ٨٧ قاعة ، وجاءت قاعات العرض السويسرية فى المرتبة الثانية ٦٥ قاعة ، اما قاعات العرض الأمريكية فعددها يتزايد عاما بعد وأصبحت منافسا للقاعات الأوربية فى السوق ، وبلغ عددها هذا العام ١٧ قاعة بعد النجاح الذى صادفته فى السنوات الماضية ، والقاعات الأمريكية لاتقتصر على عرض الفنون الأمريكية الحديثة الجديدة التى اصبحت تلاقى نجاحا فى اوربا ولكن تعرض كنوزها من الأعمال الفنية للفنانين الأوربيين الذين لهم شهرة واسعة والتى جمعتها قاعات العرض قبل الحرب العالمية الثانية .

وإذا كانت السوق فرصة للبيع والشراء واجراء الصفقات بين قاعات العرض المختلفة فهى أيضا فرصة لاتعوض لرجال المتاحف للتعرف على الجديد واستكمال بعض المجموعات .

أما بالنسبة للنقاد والمهتمين فهى فرصة لمتابعة التيارات الحديثة فى عالم الفنون التشكيلية فى البلدان الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وامريكا الجنوبية .

● العشق الفنى والاستثمار المالى

يمثل اهتمام قاعات العرض بأعمال فنان معين كل سنة مؤشرا على قدر الرواج الذى تتمتع به أعماله وفقا لقوانين العرض والطلب ، وفى بعض السنوات تلعب ظروف خارجية دورا فى هذا الشأن ، فمثلا بعد رحيل بيكاسو عرضت معظم قاعات العرض اعماله املا فى تحقيق ارباح عالية نظرا لشدة الاقبال عليها بعد رحيل بيكاسو ، وحدث هذا ايضا بالنسبة الى ميرو وشاجال وغيرهم .

وفى هذه السنة على سبيل المثال عرضت ١٧ قاعة أعمال بيكاسو و١٥ قاعة اعمال ماكس ارنست و ١٦ قاعة اعمال خوان ميرو و ١١ قاعة اعمال ليجيه و ٧ قاعات اعمال ماتيس .

فالاقبال على اعمال الفنانين المعروفين من الراحلين يعتبر نوعا من الاستثمار ، فقيمة الأعمال الفنية تتزايد نتيجة للتضخم المالى ، وثارت هذه السنة مناقشات ممتعة حول شراء الاعمال الفنية وهل هو نوع من الاستثمار المالى المضمون أم دافعه عشق فنى ، ورأى بعض اصحاب القاعات

ان شراء لوحة قيمتها تزيد على عشرة آلاف فرنك سويسرى يعتبر استثمارا لايقدر عليه سوى الاثرياء .

وقد اهتمت قاعات العرض هذه السنة باعمال الفنانين الذين بزغت اسماؤهم فى العقدين الماضيين ، فعرضت ١٤ قاعة عرض اعمال الفنان الالمانى « بنك » الذى احرز شهرة واسعة فى العقدين الأخيرين حتى أن قاعات العرض اصبحت تتسابق للحصول على لوحاته لبيعها للمتاحف ، وفى كل سنة تتضاعف قيمة اعماله عدة مرات ، كما ان قاعات العرض هذه السنة تابعت عرضها لاعمال مجموعة من شبان لمعت اسماؤهم وارتبطت بالمدرسة التعبيرية الالمانية الحديثة والواقعية الايطالية الحديثة مثل « انزوكوكى » و « بلادينو » و « وكليمنتى » وغيرهم ، وهاتان المدرستان ظهرتا فى السنوات القليلة الماضية فى السوق ولفتتا انظار النقاد واصبحت تلك الأعمال موزعة على قاعات العرض العالمية والمتاحف مثل متحف برلين وتيت جاليرى بلندن ومركز بومبيدو للفنون بباريس ، ويرجع الفضل الى هذه السوق فى القاء الاضواء عليها وابراز نجومها .

● خليط للمدارس الفنية

والسمة الرئيسية هذا العام فى المعروضات كما وصفها النقاد هى تنويعات على الحان سابقة ـ فلم تقدم قاعات العرض اعمالا جديدة يمكن القول انها تشكل مدرسة بعينها بدأت فى البزوغ ، واكتفت قاعات العرض بتقديم الأعمال الفنية للمعروفين والصاعدين من المدارس الجديدة كما ذكرنا .

ويبرر بعضهم هذا الوضع هذا العام بأنه ليس من المتيسر تواجد مدرسة فنية كل عام ، أو عامين ، لهذا كانت المعروضات هذه السنة بمثابة خليط هائل بين مدارس فنية متباينة ، ويبحث كل فرد عن بغيته .

كما أن هذه السنة لوحظ تضاؤل اعمال الشباب الجدد ، ويبدو أن قاعات العرض قد بدأت تتراجع عن تقديم اولئك الجدد تماما ، واكتفت لاسباب تجارية بحتة بتقديم من تضمن بيع اعمالهم .

ومن الظواهر اللافتة هذا العام تراجع الأعمال الفنية التى تعتمد على الموديل الأنثوى فى اوضاع جنسية ، بعد أن تراجعت مفاهيم كثيرة حول هذا الموضوع بسبب انتشار مرض « الايدز » اللعين وذلك بالمقارنة مثلا الى خمس سنوات مضت .

● الأعمال الفنية العربية تتسلل الى المعرض فى استحياء

يشاهد جمهور هذه السوق الفنية اعمالا من بلدان مختلفة من بينها اسرائيل وتحرص احدى قاعات العرض الاسرائيلية على تقديم عدة فنانين اسرائيليين فى كل عام كما أن احدى قاعات الأسرائيلية "قاعة جولدمان" ممثلة فى اللجنة الاستشارية للعرض ، اما الأعمال العربية الفنية فقد بدأت تتسلل الى هذه السوق فى استحياء .

فمنذ خمس سنوات تقريبا قدمت قاعة عرض فرنسية مجموعة من الفنانين

التونسيين واللبنانيين من المقيمين فى اوربا . وفنان مغربى يقيم فى بلجيكا يعرض منذ عدة سنوات لوحات زخرفية صغيرة الحجم ، كما أن فنانا سويسرى الجنسية من اصل مصرى هو شريف الدفراوى يعرض اعماله الفنية منذ عامين فى المعرض .

أما مفاجأة هذا العام فهى عرض اعمال الفنان العراقى توفيق النواب ، فقد تحملت قاعة عرض سويسرية - هى قاعة عرض "الفن المعاصر" فى جنيف - قصر جناحها فى المعرض على اعمال الفنان ، وأعدت الكتالوجات والدعاية له ، وهى مجازفة لأن تكاليف حجز موضع فى هذه السوق باهظة .

بالخرائب . وإذا كانت اعمال الفنان توفيق النواب تفتقد الى الحركة فهى تتميز بحالة من السكون وكأنها تمثل التصوف والصفاء الذهنى ، والفنان يبتعد تماما عن فكرة الصراع فى اعماله عن وعى ومعرفة . وبعض اللوحات تبدو للعين كأنها صفحة قديمة من كتاب للتراث .

وقد صادفت اعمال الفنان العراقى توفيق النواب نجاحا فى المعرض وبيع معظمها فى اليوم الأول ، فالتراث هنا يمثل منبعا فياضا للفنان ، وليس مصدرا للنقل منه أو التقليد ، كما أنه على معرفة بالفنون الحديثة ويبتعد عن النقل عنها أو تقليدها .

● فنان التصوف

الفنان العراقى توفيق النواب من مواليد سنة ١٩٤٣ فى بغداد ودرس الفنون فى بغداد وعمل بعدها فى الرياض فترة ثم سافر الى اوربا ، ومنذ سنة ١٩٧٥ تعرض اعماله فى العواصم الأوربية ، ويقيم الفنان توفيق النواب متنقلا بين اليابان وسويسرا والمغرب العربى ويهوى دراسة المدن العربية القديمة ويقضى عدة شهور كل سنة فى بلد عربى ليس ليعمل ولكن للعيش فى الأحياء القديمة فيها.

ويستلهم الفنان التراث العربى والاسلامى بعيدا عن الزخرفة ويضعه فى تكوينات مجردة ، فهو لاينقل التراث ولكن يقدمه معطرا ويعتمد فى لوحاته على خامات البيئة مثل الابواب القديمة وقطع الخيش الرثة والالوان الخافتة التى توحى

● السر فى تراجع عرض الأعمال العربية :

اذا كانت الأعمال العربية قد بدأت فى التسلل على حياء الى هذه السوق كما ذكرنا ، فإن غيبتها ترجع الى عدم وجود قاعات عرض عربية ذات شهرة وسمعة تمكنها من اقتحام هذه السوق .

فالسوق لاتتعامل مع الفنانين مباشرة ، ولكنها تتعامل مع قاعات العرض التى يتعين عليها الحجز وإجراء الاتصالات مع إدارة السوق وتقديم الضمانات المادية والأدبية - وحيث إن معظم قاعات العرض فى البلدان العربية مملوكة للدولة فليس من المحتمل فى المستقبل القريب أن تتمكن من شق طريق امام الفنانين العرب ، ويبقى على الفنانين العرب البقاء تحت رحمة قاعات العرض العالمية لتقديم اعمالهم فى السوق .

سينما

أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

بقلم : مصطفى درويش

لسبب ما أجدنى تائها ، لست ادرى الى اى من الاحداث السينمائية المتلاحقة اعرض ، وعلى اى منها اركز .
هل اعرض لظهور « ليليان جيش » على شاشات مهرجان كان الأربعين باعتباره اكثر احداث الشهور القليلة التى مضت اثارة ومدعاة للتفاؤل .. لماذا ؟
لان هذه الممثلة قد بلغت فى الرابع عشر من اكتوبر لعام ١٩٨٦ التسعين من عمرها .

● ومن المعروف انها بدأت التمثيل فى هوليوود مع شقيقتها الأصغر « دوروتى » فى فيلم « عدوخفى » (١٩١٢) لصاحبه المخرج « دافيد جريفيث » .
ومنذ هذا التاريخ الذى اصبح خبرا فى ظلمات الزمن ، لم تنقطع « ليليان » عن التمثيل سواء امام الكاميرا او على خشبة المسرح .

وقد كان الظن ، وبعض الظن إثم ، انها تحت وطأة الشيخوخة واعبائها الجسام ، قد اعتزلت التمثيل منذ فيلم « زفاف » (١٩٧٨) الذى لعبت فيه دور عجوز ثرية تفارق الحياة ليلة زفاف احد الاحفاد .

● شباب الروح

ولكن هاهى لا تزال على الشاشة



جيمس بوند

تتطلع إليها الأنظار ، تشارك « بيت ديفيز » بطولة رائعة المخرج « ليندساي اندرسون » الاخيرة « حيتان اغسطس » (١٩٨٧) .

وهاهي بالألوان تزين صفحات مجلة « بريميير » (يونية ١٩٨٧) ، تسرق الكاميرا من الأميرة اللعوب « ديانا » ، توقع بإمضائها لجمهور المعجبين المشدوهين ، تجيب على وابل الأسئلة في المؤتمر الصحفي المنعقد عقب عرض فيلمها الاخير بيقظة ولباقة منقطعتي النظير ، تتذكر وتذكر بأجمل وامجد ايام الريادة في عاصمة السينما التي بمرور مائة عام على ميلادها احتفلوا قبل ايام .

والكلام عن النجمة اللامعة على امتداد خمسة وسبعين عاما من عمر الزمن ، لابد ان يسحبنا الى الحديث عن مكتشفها العبقري « جريفيث » .

وعنه كتب الأستاذ « الكسندر دوتي » في العدد السادس (ربيع ١٩٨٦) من مجلة البلاغة المقارنة « الف » ، التي تصدر عن قسم الأدب الانجليزي والمقارن بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، كتب بحثا تحت عنوان « جماليات المكان والريف المثالي في افلام « د . و . جريفيث » .

● السطحية .. لماذا ؟

ولعله اول بحث عن جماليات السينما ينشر على صفحات مجلة متخصصة تصدر عن إحدى الجامعات على أرض مصر .

ومن بين ما جاء في هذا البحث القيم ان « جريفيث » لم ينجح في مجال الإبداع السينمائي للمكان في تصوير حياة الاغنياء فكثيرا ما يبدو هذا التصوير سطحيا ، جامدا ، اقرب الى « الكليشيه » ، وذلك لانه لم يبذل جهدا ابتغاء استكناه دلالة المكان من خلال عناصر الإخراج والتصوير ، حتى يغدو الإحساس به تطويرا بصريا للشخصية وفكرة الفيلم السائدة ، وامتدادا لهما .

وإذا كان تصوير جريفيث لأوساط الطبقات العليا ، قد ظل سطحيا وتقليديا ، فإن خبرته بحياة الطبقة الوسطى الريفية ، وبمظاهر الفقر في المدن قد ساعدت على اضفاء دقة ومصداقية على تصويره السينمائي لهما ، وذلك حتى في الحالات التي كانت فيها قصص الافلام التي تعرض لهما مشوبة بطابع عاطفي ميلودرامي .

● الوان وأشجان

ومن عجائب الأشياء ان تظل

أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

« ليليان » حية فى سن التسعين على الشاشة وخارجها ، وحيدة نوعها ، لاشريك لها من نجوم جيلها ، فى حين ان من يصغرنها سنا ـ وبعضهم بكثير ـ قد عاجله موت لايرحم .

« فاندريه وارهل » الرسام المخرج ورائد سينما تحت الأرض فى نيويورك يختفى من مسرح الحياة بعد رصاصات انطلقت من غدارة « فاليريا سولانسى » لتستقر فى جسمه منذ عشرين عاما إلا قليلا (١٩٦٨) ، ليعقبها مرض عضال عطل كثيرا مما كان كامنا فيه من ايات الابداع .

و « داليدا » بنت شبرا تنتحر بعد ان رايناها تحاول التمثيل لاول وآخر مرة فى « اليوم السادس » حيث أسند إليها دور غسالة ريفية من باب الشعرية ، تحاول انقاذ حفيدها الوحيد من وباء الكوليرا ، ومع ذلك تنهزم امام الموت .

« ودوجلاس سيرك » المخرج الأمريكى المنحدر من اصل نمساوى ، يجيئه الموت ـ وهو فى السابعة والثمانين ، فتفقد به السينما العالمية واحدا ممن ساهموا فى العلو بفن الميلودراما ، والسمو بها فى عالم الأطياف .

فأفلامه التى اخرجها فى الخمسينيات ، كانت تعبيرا صادقا عن ياس الشرائح العليا من الطبقة المتوسطة ، والقضاء الذى يسيطر على حياتها ، ويصرفها كما يشاء .

● نجمة وأميرة

وما كاد العام يقترب من منتصفه ، حتى كانت وكالات الانباء قد طيرت خبر وفاة « ريتا هيوارث » ، تلك الراقصة المنحدرة من اصل اسبانى ، والتى صنعت منها شركة كولومبيا لصاحبها « هارى كوهين » نجمة اغراء ، فنجمة اميرة اقرب الى الاسطورة .

« ريتا » هذه التى ظلت طوال اعوام الحرب العالمية الثانية نجمة معبودة يتقاسم جمالها جنود العم سام فى الاحلام حتى الموت .

فاذا ما انتهت الحرب اصبحت « جيلدا » و « سالومى » « وكارمن » وزوجة عبقرى السينما « اورسون ويلز » ، وفوق كل هذا اول اميرة شرقية فى تاريخ هوليوود بزواجها من « على خان » .

« ريتا » هذه تصاب فجاة بمرض يفقدها الذاكرة نهائيا ، فتعيش لاتعرف حتى اسمها ، عالة على ابنتها « ياسمين » حفيدة زعيم الطائفة الاسماعيلية « اغا خان » حتى ينقذها الموت فى السادس عشر من مايو الماضى ، وهى فى الثامنة والستين من عمرها الحافل بالعجائب والغرائب .

وبعد اختفائها بايام ، وافت المنية « فريد استير » وهو فى الثامنة والثمانين ، ولقد راقصها فى فيلمى « لن تصبح غنيا ابدا » و « ما اجملك » وهى فى قمة المجد والصعود .

و « استير » لاينافسه فى نشر المتعة

لفنية ، صافية ، نقية بين اكبر عدد من الناس سوى « شارلى شابلن » .

فكما « شابلن » استطاع « استير » ان يزيل الحواجز بين ما يعتبر « فنا شعبيا » وبين مايسمى « فنا رفيعا » .

● العبقرية عمل

وفى الحق ، يعتبر « استير » احد العمالقة القلائل فى فن الرقص .

وعنه قال « جورج بالانشاين » مصمم البالية الشهير ، انه اعظم راقص على مر العصور ، بل ذهب فى التعظيم من شانه الى حد مقارنته بالموسيقار « باخ » فى مجال عبقرية القدرة على التركيز .

وغنى عن البيان ان « استير » لم يصل الى ما وصل اليه من مستوى فى الرقص يوهم المشاهد برشاقة تلقائية دون عناء ، الا بفضل عمل متواصل ليل ، نهار لايام واسابيع وشهور .

وفى هذا الخصوص يقال ان « جنجر روجرز » التى راقصها فى عشرة افلام على امتداد ستة عشر عاما ـ وهى تعتبر الانجاز المحورى للفيلم الموسيقى الامريكى ـ يقال انه ادمى قدميها من

عناء مراقصتها فى مشهد « لن ارقص ابدا » من فيلم « زمن السوينج » .. لماذا ؟

لانه استلزم اعادة تصوير هذا المشهد اربعين مرة طلبا للكمال !!

شارلتون هستون وبول براينر فى الوصايا العشر



أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

وقبل اختفاء « استير » بايام ، بل قل ساعات معدودات فاجأنا الموت باختطاف حياة واحدة من اعظم ممثلات المسرح والسينما فى الولايات المتحدة « جيرالدين بيج » ، اختطافها ، وهى فى الثانية والستين .

ولعل اهم ما يميز سيرتها السينمائية ، هو ان ظهورها على الشاشة كان متقطعا ، لانها لم تكن فى عرف هوليوود نجمة اغراء ، فضلا عن انها كانت مدققة فى اختيار الادوار .

وقد يبدو امرا مثيرا للدهشة ، انها ورغم تتويجها بجائزة اوسكار احسن ممثلة رئيسية عن دورها فى فيلم « رحلة إلى الرخاء » (١٩٨٦) ، فلم يسمع بها وبافلامها إلا نفر قليل من نقاد وعشاق الفن السابع فى ربوع الوطن العربى الفسيح .

ولكن الدهشة سرعان ماتزول اذا ما تذكرنا ان العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة ، لاسيما فى مجال السينما .

والآن ، بعد هذا الحديث الطويل عن الاحياء والاموات ، وبعد ان احترت فى تيه الاحداث كثيرا ، اخترت اخيرا ان اقف قليلا عند مناسبتين هامتين هما يوبيل « بارامونت » الماسى ويوبيل « جيمس بوند » الفضى .

● « إمبراطورية زوكور »

فى يوم السابع من يناير عام ١٩٧٣ اجتمعت هوليوود بكل ما تبقى لها من نجوم فى صالونات فندق « بيفرلى هيلز» حيث احتفلوا بذكرى غريبة لم يالفها احد من قبل فى كعبة السينما المطلة على الهادى .

فما هى هذه الذكرى الفريدة التى احتشدت احتفالا بها النجوم .. كل النجوم ؟

إنها ذكرى بلوغ احد رواد صناعة السينما الأوائل وآخر الاحياء منهم ، بلوغه المائة .

فمن هو ذلك الاب الروحى ذو القرن من عمر الزمن ؟

انه « ادولف زوكور » الذى ولد قبل

فريد استير . اعظم راقص على مر العصور



تاريخ الاحتفال به في بيفرلي هيلتون بمائة عام من اسرة يهودية بريشى من اعمال المجر .

فلما بلغ السادسة عشرة ، هاجر الى العالم الجديد حيث بدأ جهاده سمسارا ناجحا في تجارة الفراء بشيكاغو ، ومنها انتقل الى تجارة اكثر انتشارا وتاثيرا .. السينما فاذا بالحظ يبتسم ، فيجعل منه مؤسسا لشركة « بارامونت » ، وواحدا من بناة امبراطورية صناعة الاحلام المخططين لانتاجها ، الراسمين لمسارها على مدى اربعة وستين عاما .

● حكماء هوليوود

ومما يثير الدهشة ان ما حدث « لبارامونت » هو بعينه ما حدث لجل ان لم يكن كل شركات هوليوود الاخرى ، بحيث تكاد تتفق سيرتها جميعا في امر واحد .. هو ان يهوديا هاجر وحده او مع اسرته من وسط اوروبا أو شرقها الى الدنيا الجديدة حيث اقتحم حقل السينما ، ليكتب له نجاح يتوج بانشاء شركة سينمائية ، سرعان ما تتحول الى واحدة من امهات الاحتكارات .

فشامويل جولدوين الذى ساهم في تاسيس كل من شركتي « متروجلدوين ماير » و « الفنانين المتحدين » هاجر الى الولايات المتحدة من وارسو عاصمة بولندا .

« ولويس ماير » الذى ساهم في انشاء الشركة الاولى ، وظل مديرا عاما لها ، متحكما في مصيرها زهاء ثلاثين عاما ، لم يولد في العالم الجديد ، وانما بعيدا في اقصى الشرق من اوروبا ، وبالتحديد في مدينة منسك من اعمال روسيا البيضاء .

« وويليم فوكس » صاحب شركة « فوكس فيلم » التى جرى تحويلها فيما بعد الى « فوكس للقرن العشرين » ، هو الآخر قد ولد بعيدا بمدينة « تولكفا » من اعمال المجر .

و « كارل لامل » الذى انشا شركة « يونيفرسال » صاحبة اوسع استديوهات على وجه البسيطة ، كان مسقط رأسه مدينة « لوفيم » بألمانيا ، ومنها هاجر ـ وفي جيبه خمسون دولارا ـ إلى الولايات المتحدة حيث عمل عند ترزى في شيكاغو ، قبل ان يسعى به قدره الى السينما .

والاخوة « وارنر » ولد اكبرهم « هارى وارنر » في مكان ما ببولندا . ومع والديه وصل الى ميناء « بليتمور » بالولايات المتحدة ، ولما يبلغ من العمر الستة اعوام .

وبالاشتراك مع اشقائه ـ سام ، البرت ، جاك ـ والثلاثة ولدوا بعد الهجرة ، قام بشراء بعض دور العرض . ثم ما لبثوا ان انشاوا شركة اخوان وارنر التى كان لها فضل الانتقال بالسينما من الصمت الى الكلام المباح (٦ اكتوبر عام ١٩٢٧) .

ومما يؤكد هذه الظاهرة مقال الناقد « شارلز فورد » بمناسبة عيد "زوكور" المئوى الذى اعتبر عيدا للسينما ، جاء في ختامه « وهكذا .. وبفضل فئة قليلة من (صغار تجار الفراء والترزية من اليهود) ـ يقصد اصحاب الاسماء المتقدم ذكرها ـ اتوا من اوروبا الوسطى تم بناء صرح صناعة من اقوى صناعات الولايات المتحدة » .

والاكيد ـ بعد كل ذلك ـ ان ظاهرة

أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

« بارامونت » ورجلها المعمر الذى وهن العظم منه ليست استثناء من قاعدة .. بل هى القاعدة .

● الفك المفترس

ومن المعروف عن « زوكور » عجوز « بارامونت » انه صاحب عبارة « الجمهور لايخطىء ابدا » - وهى المرادف لعبارة « الجمهور عاوز كده » عندنا - تلك العبارة التى اتخذت منها هوليوود شعارا لافلامها التى غزت بها الجيوب والقلوب .

وانه مبتكر نظام النجوم ترصع بها سماء عاصمة الاطياف . فاذا بها تتحول الى سديم بدايته « مارى بيكفورد » فتاة بريئة ، معبودة الجماهير ، ونهايته « مارلون براندو » اب روحى ، عدو للناس اجمعين .

وهم اذ يحتفلون الآن بالعيد الماسى لشركته العملاقة ، فانهم يذكرون محاسنها .. كيف صمدت لاعاصير التغيير ، وكما « حُوت يونس » او « الفك المفترس » كيف اتسع جوفها فابتلع الشقيقات الثلاثة « يونيفرسال » و « مترو جلدوين ماير » و « الفنانين المتحدين » .

وكيف فتحت السوق الصينية مرة اخرى بفيلمها « قصة حب » (١٩٨٧/٣/١٧) الذى يعتبر اول فيلم امريكى يعرض فى الصين الشعبية منذ عام ١٩٤٩ .

وعلى كل ، فمن بين محاسنها التى لاشك فيها البحث الدءوب عن كل وجه جديد موهوب ، وعند العثور عليه الاسراع بالتصعيد له الى اعلى عليين .

ومن بين مساوئها التى لاريب فيها اختيارها لقصة خروج بنى اسرائيل من مصر هربا من ظلم الفراعين ، كى تنتجها مرتين تحت اسم « الوصايا العشر » .

المرة الاولى صامتة بلا الوان عام ١٩٢٣ ، اى عقب وعد بلفور ، وفى فترة قل فيها الاقبال على الهجرة الى ارض الميعاد .

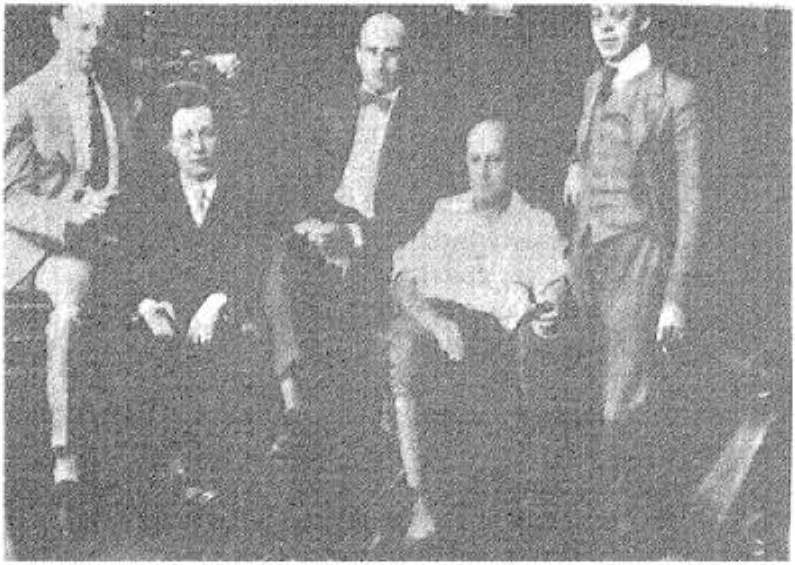
والمرة الثانية متكلمة على شاشة عريضة ملونة عام ١٩٥٦ وفى ايام استشرت فيها موجة هجرة ابناء الشعب المختار الى فلسطين !

وكلا الفيلمين كان صاحبهما « سيسيل ب دى ميل » شيخ المخرجين .

وفى كلا المرتين لم يكن له من هم سوى ان يتناول قصة موسى وبنى اسرائيل اثناء وجودهم على ارض مصر ثم اثناء الخروج منها على وجه مشوه يراد به باطل هو تصوير بنى اسرائيل وكانهم ابناء شعب اختاره الله ، وتصوير اهل مصر وكانهم ابناء شعب نبذه الله ، فكتب عليه ذل العيش فى اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

● الشوق والحنين

فإذا ما انتقلنا الى « جيمس بوند » ويوبيله ، فسنجد انفسنا امام شخصية لها من العمر على الشاشات الفضية



ادولف زوكر «الثاني على اليسار» مع مؤسسي شركة بارامونت

خمسة وعشرون عاما . هو عمر فى عرف الزمن السينمائى طويل .

و« ايان فلمنج » الروائى الانجليزى . هو صاحب فكرة « جيمس بوند » . واول قصصه التى تحكى بطولات العميل الشهير . هى « الكازينو الملكى » (١٩٥٣) . اما آخرها فقصة « الرجل ذو المسدس الذهبى » (١٩٦٥)

وهذان التاريخان لهما مغزى كبير ، ففى عام القصة الأولى جرت احتفالات تتويج الملكة « اليزابيث » ، على وجه قصد به ان يعاد التأكيد على امجاد الامبراطورية التى كان يتغنى بان الشمس لاتغرب عنها ابدا .

وفى عام القصة الاخيرة حمل جثمان «ونستون تشرشل » رئيس وزراء بريطانيا العظمى فى عصر مدو بطبول الانتصارات ؛ حمل الى مثواه الأبدى فى جناز مهيب اعتبر بمثابة لحن الوداع لعصر مفعم بالغنى والمتاع ، وبكل ما يثير الزهو .

وطبعا كان لجيمس بوند دور فى هذا العصر المشوب بالشوق والحنين ، المفعم بالاسى وجلال الذكريات .

فهو باعتباره ضابطا مرموقا فى المخابرات البريطانية . وبالتحديد فرعها المختص بشئون الحرب والدمار .

وهو بفضل مغامراته الشائقة ، وانتصاراته المبهرة التى تشعل الخيال .

وهو بما عرف عنه من انه لايتحرك إلا محتضنا امراة حسناء ، وامامه قارورة مليئة بشراب الشمبانيا الشهى ، وفى متناول يده بندقية مشحونة تحمل للأعداء صنوفا من الشقاء والبلاء ، ومن حوله تحميه ترسانة اسلحة ابدعها عقل مدبر شيطان .

هو بحكم ذلك كله كان تعويضا

أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

خياليا للفجيعة الكبرى التي غصت حلوق ، وحرقت اكباد الانجليز لخذلان التاريخ لهم على وجه كان من آثاره فقدان الفتوحات التي ارست قواعد امبراطورية سادت اليابس والماء مئات الاعوام .

ومن هنا نجاح هذا المسخ المعبود « جيمس بوند » ، حتى ان المباع من رواياته في بريطانيا وحدها قد ارتفع من نصف مليون نسخة عام ١٩٥٧ الى ...ر٧٩٠ر٢٢ فيما بين عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٧ .

● سر البقاء

والاكيد .. الاكيد ان السينما قد لعبت دورا حاسما في تحقق هذا النجاح المنقطع النظير .

فما ان ظهر « بوند » على الشاشة بدءا بفيلم « الدكتور نو » (١٩٦٢) حتى تعلق به الجمهور ، واصبحت له منزلة مذهلة في قلوب الجميع صغارا كانوا ام كبارا .

وتفسيرا لذلك يقول الناقد الانجليزي « جون راسيل تايلور »

في دراسة له منشورة في المجلد الخامس من موسوعة السينما (ص ١٠٣ ـ دار اوربيس ـ لندن) ان « الدكتور نو » وما جاء بعده من افلام مثلها « شين كونرى » وهي « من روسيا مع حبي » ، « جولد فنجر » (١٩٦٤) ، « الرعد الصاعق » (١٩٦٥) ، « انت لاتعيش سوى مرتين » (١٩٦٧) و « الماس الى الأبد » (١٩٧١) ـ هذه الافلام قد اتسمت جميعا بامتزاج روح الدعابة الساخرة بالاعيب المخترعات غير المألوفة ، بتزاوج الجنس المسرف بالعنف غير المعهود .

والشيء المحقق أن حسن اختيار شاب مغمور منحدر من اصل اسكتلندى اسمه « شين كونرى » لتقمص شخصية « بوند » قد لعب دورا كبيرا في نجاح الموجة الاولى من الافلام المستوحاة من روايات « فلمنج » . فلولا سحر حضوره ، ولولا اعجاز توحده في تلك الشخصية لما تحول العميل « بوند » الذى لايهزم ابدا الى بطل اسطورى ، ولما ظفر بهذا الكثير من التوفيق .

وفوق هذا فان الشخصيات الرئيسية في هذه الافلام الاولى قد رسمت على وجه روعى ان يتحقق معه الارضاء للرجال والنساء على حد سواء .

ففتيات « جميس بوند » مستقلات ، متحررات ، يخرجن من البحر كما الحوريات ، ليس لاجسادهن من ساتر سوى رداء في حجم ورقة التوت ان لم يكن اصغر قليلا .

يلاحظ هنا ان احدا لايتذكر من « الدكتور نو » سوى مشهد « اورسولا اندرسن » في لباس بيكيني ابيض ، خارجة من البحر منتصبة كما عروس البحر « فينوس » .

ومع ذلك فالامر ينتهى بهن في

معركتهن مع « بوند » الى الخضوع والاستسلام التام .

● قوة العمر

ومهما يكن من شيء فمع مرور الأيام والأعوام ، ومع اعتزال « كونرى » تمثيل الدور ليحل محله « روجرمور » الذى استقر في دور « بوند » حتى مشهد « حادثة قتل » (١٩٨٥) ـ بدأ الشوق والحنين « لكونرى » باعتباره « جميس بوند » الاصيل .

ومن هنا اغراؤه بحوالى خمسة ملايين دولار مقابل الموافقة على العودة عميلا فى خدمة صاحبة الجلالة فى « ابدا لاتقل ابدا مرة اخرى » .

ومن عجب انه قد غاب عن صانعيه من هيئة المنتفعين « ببوند » ان « كونرى » عام ١٩٨٤ يقترب من الستين ، وبالتالى لم يعد صالحا كما فى سالف الزمان ، لتقمص شخصية الفارس المغوار الذى لايشق له غبار .

ورغم نجاح الفيلم فى الشباك ، كما العادة مع كل ماهو منتسب لاسم « بوند » ، فقد فجع الجمهور فى المعبود . اذ وجده عجوزا متصابيا .

ومع هذا الاحباط ، لم يكن ثمة مفر من استدعاء « مور » مرة سابعة ليمثل فيلم « بوند » الرابع عشر .

ومرة اخرى يكتشف الجمهور ان « بوند » الثانى « مور » قد اقترب بدوره من سن الاحالة الى المعاش ، ولا يرجى منه خير ، فهو مقطوع النفس ، مثقل بحمل الشيخوخة ، لايصلح للاستمرار فى تقمص شخصية بطل الابطال .

واسقط فى يد المنتفعين من الماركة المسجلة « بوند » وثار السؤال .. ما العمل ؟

● البحث والتجلي

وكانت الاجابة بانه لابد من العثور على شاب له حضور ، ذو وجه وجيه وسيم ، وشخصية جذابة يندمج فيها الرجال وتذوب فى فحولتها النساء .

وشاءت لهم الاقدار ان يعثروا على ضالتهم المنشودة فى شاب انجليزى يتفجر حيوية ، شاب صاعد فى سماء المسرح والسينما اسمه « تيمونى دالتون » .

وسرعان ما كلفوه باداء دور « بوند » فى رواية « فلمنج » المسماه « اضواء النهار الحية » .

واحداث فيلم « بوند » الاخير او بمعنى اصح مطارداته اللاهثة ، انما تجرى بداية من تشيكوسلوفاكيا والمغرب وجبل طارق ، ثم تنتقل بابطاله الى هضاب وسجون افغانستان حيث يتضامن « بوند » مع المجاهدين ضد امبراطورية الشر !!

وبغض النظر عن العبث الذى يقوله فيلم « بوند » الخامس عشر : فهل سيكون فى استطاعة بوند الجديد « دالتون » أن يكمل مشوار « كونرى » و « مور » حتى نهاية القرن العشرين ، ام انه سيسقط فى اول اختبار ، لن يكون عميلا اعظم الا مرة واحدة ؟

عن هذا السؤال يجيب كتاب الدعاية « جيمس بوند الرسمى » (١٩٨٧) بنعم متفائلا ولكن منذ متى يؤخذ تفاؤل المتربحين ماخذ الجد ؟



قصة الجزائر كاملة

صور وأحداث من أيام "الداى" وحتى بعد مضى ربع قرن على الاستقلال

١٨٣٠ - ١٩٨٧

إعداد: مصطفى نبيل

إذا وضعت الوقائع التاريخية التى شهدتها الجزائر منذ عام ١٨٣٠ وحتى اليوم ، جنبا الى جنب ، فسترى بانوراما هائلة ، وملحمة تاريخية تزخر بالصور والعبر ، ولن تجد هذه الصور التاريخية مجرد احداث وقعت وانتهت ، بل هى حية تتجدد ، وان كانت الحوادث المعاصرة التى لم يُكشف كل ابعادها بعد ، تملك وسائل العصر فى التخفى ،

وتتقن صناعة الأقنعة واخفاء الحقائق ، واخراج الوقائع على غير ماتمثله .

واذا كنا نرى فى الوثائق التاريخية التى شهدتها الجزائر اليوم ، استعمارا استيطانيا شرسا ، لايقبل بأقل من الالتهام الكامل للأرض والشعب ، ولايرضى بأقل من تغيير فكر وعقل الشعب ، فلم يظهر ذلك فى حينه ، بل عاشت الجزائر قرنا من الزمان حتى تبينت كل أبعاد الغزو ، والذى يقدم نموذجا فاضحا لأهداف الهيمنة فى العصر الحديث ، بعد أن أصبحت هذه الظاهرة اليوم أكثر حنكة ، وأعلى دربة ، وأقدر على اخفاء نواياها ! ..

ولايتجاوز دورنا هنا ، تسجيل الأحداث ، ووضعها جنبا الى جنب ، فى حدود المساحة المتاحة ، ولاتزعم « الهلال » انها جمعت كل شاردة وواردة ، وتعترف انها تخطت العديد من التفاصيل ، وحرصت على التسجيل اكثر من التحليل . .

وقبل ان نترك القارىء يقلب هذه الصفحات ، نذكره بملاحظتين :

● كل من عاش معركة الجزائر بانتصاراتها وصراعاتها ، لايملك ان يكون محايدا ، وليس أشق على الكاتب من ان يختلط لديه العقل بالعاطفة ، ولكننا حاولنا ان نتجرد قدر الامكان من عواطفنا .

● إن مهمة تسجيل احداث الجزائر ، وخاصة مايتناول تيارات جبهة التحرير وصراعاتها ، مهمة شاقة ، تتباين فيها الآراء ، وتقل المصادر ، ومازال الكثيرون ممن عاشوا احداثها لم يسجلوا شهادتهم التاريخية بعد .

ومانقدمه هو بداية الطريق لتسجيل اهم انتصارات العرب فى النصف الثانى من القرن العشرين .

حسين باشا يستبدل الحرب بالصداقة مع أمريكا !



● ● لقطة تاريخية لحاكم الجزائر (الداى) حسين باشا ، عمرها حوالى ثلاثة قرون ، عندما كانت جزائر القرن الثامن عشر جزءا من الدولة العثمانية ولكنها تتمتع بقدر كبير من الاستقلال ، يحكمها حاكم أطلق عليه « الداى » ، وتتبادل القناصل ، ولها اسطول بحرى قوى يحمى سواحلها ..

وفى هذه المرحلة اقامت الجزائر أول معاهدة سلام وصداقة مع الولايات المتحدة الامريكية عام ١٧٩٢ ، وعندما أساءت أمريكا استغلال الاتفاقية اعلنت الجزائر الحرب ضدها ، وبعث الرئيس الأمريكى جيمس ماريسون الى الداى رسالة جاء فيها :

« لقد أعلنتم الحرب على الولايات المتحدة ، وقد قرر الكونجرس فى اجتماعه الأخير اعلان حالة الحرب على حكومتكم ، وكلف اسطولا من بوارجنا بالتوجه الى البحر الأبيض المتوسط لتنفيذ ذلك .. »

ورد الداى قائلا : « أبلغكم رغبة حكومتى استئناف علاقات الصداقة التى ربطت بين بلدينا منذ مايزيد على عشرين عاما ، ولاسيما ان امريكا كانت أول بلد عقدت حكومتى معه معاهدة سلام .. »

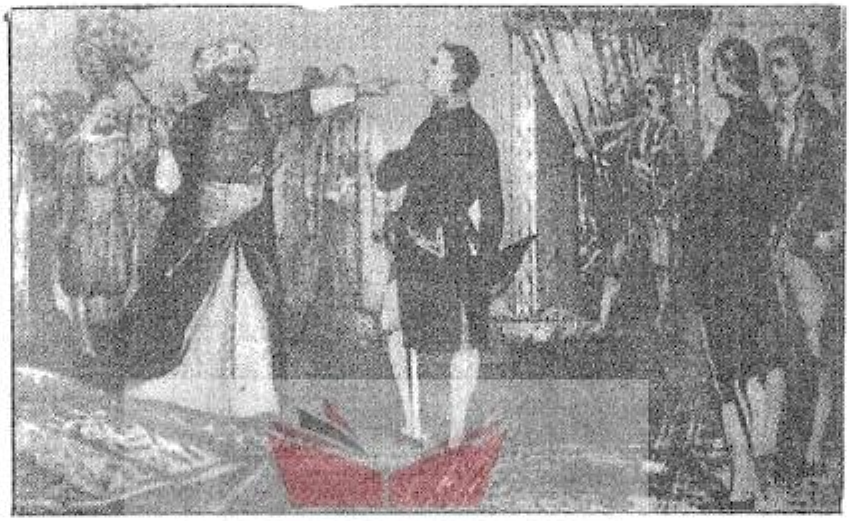
وانتهت الأزمة ، ووافقت امريكا على مطالب الداى ، وتم الصلح بين البلدين .

وكانت فرنسا تعترف بالجزائر كدولة مستقلة .

وبعد فشل الحملة الفرنسية على مصر ، سعت فرنسا الى احتلال الجزائر الشاطىء المقابل للسواحل الفرنسية .

وحقا .. بدأ الاستعمار الفرنسى فى الجزائر وقضى عليه فى الجزائر .

قصة الجزائر كاملة



يهوديان.. وراء غزو الجزائر

رسام فرنسى حاول بهذه الصورة أن يؤكد واقعة مشكوك فيها ، فاذا كان الشائع ان سبب غزو فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ بسبب صفع الداى للقنصل الفرنسى بيير ديفال ، فإن ما اظهرته الوثائق يخالف ذلك تماما ، فالحملة كانت تدبر قبل هذه الواقعة .

تحكى الواقعة التى حدثت يوم ٢٩ ابريل سنة ١٨٢٧ انه عند لقاء الداى بالقنصل الفرنسى ، تساءل الداى عن عدم تسديد الحكومة الفرنسية لديونها للخزانة الجزائرية ، وعن الرسالة التى ارسلها لملك فرنسا ..

فأجابه القنصل بصلف : « إن ملك فرنسا لايتنازل لمراسلة داى الجزائر » ...

فألقى الداى المروحة فى وجه القنصل وطرده من بلاطه ، وقامت فرنسا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الجزائر ، وارسلت أسطولها الحربى لحصار ميناء الجزائر ، واستمر هذا الحصار مدة ثلاثة أعوام .

وفى يونيو عام ١٨٢٠ ، هجمت القوات الفرنسية على الجزائر العاصمة ، وابعدوا الداى عن السلطة ، وبدأ الاحتلال الذى استمر قرنا وربعا ، حتى تم الاستقلال عام ١٩٦٢ .

وهذه الحملة كانت استمرارا للروح الصليبية ، فبينما كانت الجزائر تتزعم الجناح الاسلامي في شمال افريقيا ، كانت فرنسا تتزعم الجناح الكاثوليكى خلال حكم البوربون ذوى النزعة الدينية .

وهاهو قسيس الجيش الفرنسى يقول لقائد الحملة بورسون : « لقد فتحت بابا للمسيحية فى افريقيا » ، وسارع الفرنسيون إلى تحويل المسجد الكبير إلى كاتدرائية ، ووصف ادوارد دريو أحد المؤرخين الفرنسيين احتلال الجزائر بانه « أول اسفين دق فى ظهر الاسلام » .

واللافت للنظر ، ان وراء حادث المروحة ، يقف كل من بوخريص وبوشناق وهما يهوديان ، حصلا على عدة اقساط من الدين ولم يسلماها الى الخزانة الجزائرية ، وقد تجنس بوخريص بالجنسية الفرنسية وغير اسمه الى باكرى وسافر الى فرنسا ، اما بوشناق فقد فر الى ليفورن بايطاليا .

وقد اتهمت الصحافة الفرنسية القنصل ديفال بالحصول على مليونى فرنك من المبالغ التى دفعت لبوشناق وبوخريص .

واصدرت حكومة بوليفياك فى عهد الملك شارل العاشر اوامرها بنزول جيش فرنسى مكون من ٣٧ الف مقاتل يوم ١٤ يونيه ١٨٣٠ على شاطىء خليج سيدى فرج ، الواقع على بعد ٢٢ كيلومترا غرب الجزائر .

جنود الاحتلال
فى حى القصبة

جنود الاحتلال الفرنسى امام حى القصبة ، القلعة الحصينة للدفاع عن العاصمة ، فما أن بدأ الاحتلال ، حتى أسفرت فرنسا عن حقيقة نواياها ، وجاء فى التقرير الذى كتبه دى كليرمون توفير وزير الحربية الفرنسية الى الملك شارل العاشر مايلى :

قصة الجزائر كاملة



« إنها العناية الالهية التى قضت بأن تنادى سليل القديس لويس ليأخذ بالثأر ويقتص للدين والانسانية ، ولا سبيل الى استقرار الأمن فى الجزائر الا بابادة أهلها عن بكرة أبيهم » ! ! .

وتصور الفرنسيون ، انه يمكنهم الاكتفاء باحتلال الموانىء الساحلية ، لكي تخضع الجزائر بأسرها ، ولكن ما أن تحرك الجيش الفرنسي لاحتلال بليدة حتى هاجمته القبائل وأجبرته على الانسحاب والعودة إلى العاصمة .

فارس المقاومة الشعبية

الأمير عبدالقادر الجزائرى الذى التفت حوله القبائل ليقودها محققا صفحة مجيدة من التاريخ ، وكان هذا الرجل ينتمى الى قبيلة هاشم القاطنة فى وهران ، واحد المنضمين إلى الطريقة الصوفية القادرية ، وبايعت القبائل الامير ، وبدأ جهاده ضد الفرنسيين ، وحقق الكثير من الانتصارات والهزائم ايضا ، وكانت اكبر انتصاراته فى موقعة وهران ، واضطرت فرنسا الى عقد معاهدة صلح عام ١٨٣٤ ، اعترفت خلالها بسلطة الأمير على المناطق الداخلية ، وتقدم لبسط نفوذه على الأقاليم الواقعة وراء وهران .



ولم يلبث ان خاض المعارك ضد الفرنسيين من جديد ، وعقدت معاهدة اخرى هى معاهدة التافنا عام ١٨٣٧ .

واستمر الأمير يقاوم قوات الاحتلال بقوات بلغت عشرة آلاف مقاتل معلنا الجهاد طوال خمسة عشر عاما ، وانتهت هذه الصفحة المجيدة ، بنفى الامير عبدالقادر عام ١٨٤٧ الى فرنسا ثم انتقل الى دمشق وتوفى بها عام ١٨٨٢ .

واذا كان لم يحقق النصر ، فقد قدم نموذجا احتذاه الثوار فى الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ .

مقاومة رغم الإبادة

عندما هجم الفرنسيون على مدينة قسنطينة ، كانت المقاومة فى انتظارهم ، فتاريخ الجزائر يؤكد ان مقاومة المحتل لم تكن مقصورة ، على قوات الأمير عبدالقادر ، بل قام بها ايضا باى قسنطينة ، الذى قرر التحصن



بها ، واستغل الفرنسيون فترة الصلح مع الأمير عبد القادر لكى يتخلصوا من احمد باشا ، ونجحوا فى القضاء عليه .

ويفخر الضباط الفرنسيون .. بأن الجند قد دمروا القرى وأحرقوا القبائل » .

واستمرت المقاومة فى منطقتين :

● واحات الصحراء ، التى اعتصم بها زعماء الطرق الصوفية ، مثل واحة الزعاطشة وواحات ورغله والأغواط التى تم اخضاعها عام ١٨٥٣ .

● وبلاد القبائل التى تشمل الأوراس ، وجبال جرجرة ، ولم تتمكن فرنسا من اخضاعها الا بعد قتال عنيف عام ١٨٥٧ .

وأعلن لويس فيليب الذى خلف شارل العاشر ضم الجزائر الى فرنسا عام ١٨٣٤ .

ولقد تعرضت المقاومة الى حرب ابادة ، وهاجر الكثيرون ، وتناقص عدد السكان فى المدن الجزائرية الرئيسية .

وتقدر التقارير الفرنسية ان سكان الجزائر تناقصوا خلال هذه الفترة من ٤ ملايين الى ٣ ملايين .

جمعية العلماء تتحدى

رغم الاحتلال ومحاولة القضاء على الثقافة الوطنية ، فقد تصدت جمعية العلماء للحفاظ على الهوية الجزائرية ، وكان على رأس هذه الجمعية علماء أفاضل ، أمثال عبد الحميد بن باديس وبشير الأبراهيمى .

وعاشت الجزائر تكافح ليل الاستعمار الطويل بمقاومة الفرنسة والاستلاب الثقافى .

ويحكى لنا تاريخ الجزائر ثورة « المقران » عام ١٨٧١ التى قادها الصوفيون معلنين التمرد والعصيان .

وفى تلك الفترة اتصلت المقاومة التى تتمثل فى الزوايا والجوامع ، والتى قادها الشيوخ ورجال الطرق الصوفية .

وتبلورت اخيرا هذه المقاومة فى جمعية العلماء بعد مائة عام من الاحتلال واستجابت الجزائر للتحدى الثقافى ، بعد أن حافظت الزوايا على الثقافة الوطنية ، وبدأت المقاومة العنيدة لكى لا تصبح الجزائر ولاية فرنسية ..



عبد الحميد بن باديس



توفيق المدنى



البشير الابراهيمى

واستمر كفاح الجزائريين ضد الاستيعاب والهيمنة جيلا بعد جيل ومع احتفال فرنسا عام ١٩٣٠ بمرور مائة عام على احتلال الجزائر جاء الرد الحاسم من عبدالحميد بن باديس الذى أعلن :

« ان الأمة الجزائرية ليست هى فرنسا ، ولايمكن ان تكون فرنسا ، ولاتريد ان تصير فرنسا ، ولاتستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها ، وفى أخلاقها وعنصرها وفى دينها ، ولاتريد أن تندمج ولها وطن محدد معين هو الوطن الجزائرى .

ان هذه الأمة كانت قائمة قبل الاستعمار ، وذات مقومات من دينها ولسانها وذات مقومات من ماضيها وحاضرها ، كانت ارقى عقلا واسمى روحا ، واوفر علما ، واعلى فكرا من أمم البلقان ، ولو سارت سيرها الطبيعى ولم يعترضها الاستعمار بعوائقه وموانعه لأنجبت المعلم الذى يملى الحكمة ، لا المعلم الذى يمالىء الحكومة ... »

ويقول توفيق المدنى فى كتابه تاريخ الجزائر ... « الاسلام دينى ، والعربية لغتى ، والجزائر وطنى » ...

وادركت جمعية العلماء انها لكى تهزم المحتلين ، يجب هزيمتهم فى عقول الشعب ، وعندها ماايسر هزيمتهم فى أرض الواقع .. وكانت تؤرقهم دائما كلمات الأب شارلس زكولر : « مالم ننجح فى تحويل هؤلاء الناس الى فرنسيين فسيطردونا خارج البلاد ، والطريق الوحيد لجعلهم فرنسيين هو اعتناقهم المسيحية » .

مرحلة جديدة من العمل

بعد هزيمة فرنسا أمام القوات الألمانية قامت سلطات الاحتلال بالغاء جميع التنظيمات السياسية ، فحلت جمعية العلماء ، وقبضت على زعمائها ، وأصبحت حكومة فيشي برئاسة الماريشال بيتان ، من أشد حكومات فرنسا قربا من الكولون (المستوطنين الفرنسيين) ، يؤيدون فكرة التفوق الأوربي على السكان المحليين ، ورفض بيتان عريضة تقدم بها فرحات عباس يطالب فيها بالاصلاح الزراعي ، والغى انتخابه عام ١٩٤١ ، وأصدر حكما ضد مصالي الحاج الذى اودع السجن .

وسرعان ماوصل الحلفاء الى شمال افريقيا ، فى نوفمبر عام ١٩٤٢ ، وقامت اتصالات بين الحركة الوطنية وممثل الولايات المتحدة مورفى ، ووجه فى هذه المرحلة فرحات عباس نداء الى السلطات الأمريكية ، طالب فيه بتطبيق مبادىء ميثاق الأطلسى .

ولكن السلطات الأمريكية سلمت الادارة المدنية لحكومة فرنسا الحرة ، التى جاءت خلف جيوش الانجلو أمريكية .

واقتنع عباس فرحات بضرورة التخلى عن سياسة الادماج مع فرنسا التى كان يدعو اليها ، وبدأت مرحلة جديدة من تطوره السياسى .

وأعلن فرحات مبادئه الجديدة فى بيان أصدره يوم ١٢ فبراير عام ١٩٤٣ ، وهذه المبادىء هى :

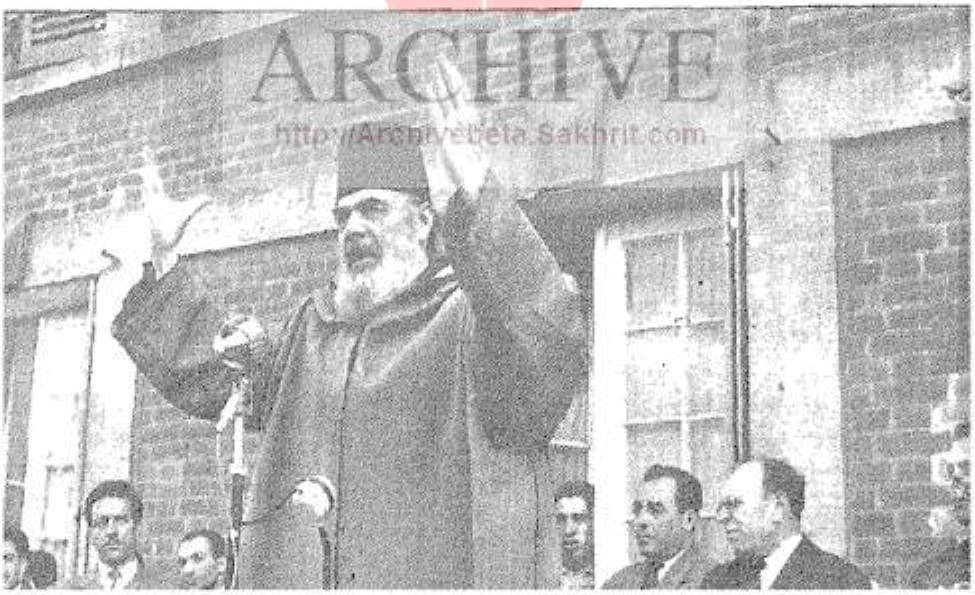
- المساواة والحرية لجميع الجزائريين دون تمييز .
- القضاء على الاقطاع وتطبيق الاصلاح الزراعى .
- اعادة اللغة العربية كلغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية .
- تعميم التعليم الابتدائى وجعله الزاميا فى كل انحاء الجزائر .
- فصل شئون الدين الاسلامى عن الادارة الفرنسية .
- ضرورة اشراك المسلمين فى ادارة البلاد .

وطالب فى خطاب سياسى وجهه الى السلطات الأمريكية يوم ١١ ديسمبر ١٩٤٢ باقامة جمهورية جزائرية تتحدد فدراليا مع فرنسا .

ومن جانب آخر افرج عن مصالى الحاج عام ١٩٤٤ ، وسعى فرحات عباس لعقد مؤتمر عام يضم جميع الزعماء ، وأصر مصالى الحاج على ضرورة إعلان



القادة القدامى . عباس فرحات في القاهرة ، وحوله الثوار الجدد ومصالي الحاج يخطب في الجزائر .



الاستقلال كشرط مسبق ، ورأى فرحات عباس ان المهم قيام جمعية تأسيسية تمثل السكان تمثيلا ديمقراطيا ، وعليها أن تقرر مستقبل الجزائر .

وبمجرد انتهاء الحرب ، عادت السلطات الفرنسية لممارسة أبشع وسائل القمع ، عندما قامت مظاهرات في الجزائر تحمل شعارات وطنية في ٨ مايو ١٩٤٥ ، وتطالب بجامعة عربية ، دبر المحتلون مذبحة سطيف ، وهي من أفظع جرائم الاحتلال الفرنسي ، وبلغ عدد الضحايا حسب احصائيات الجزائر نحو ٤٥ الف شهيد ، وقدرتها السلطات الفرنسية بألف وستمائة شهيد ، واعترف بعض الضباط الفرنسيين بأن عدد الضحايا يصل مابين ٨ آلاف و١٠ آلاف شهيد .

واستوعبت الحركة الوطنية الدرس جيدا .

ميلاد الثورة بعد مخاض صعب

خمسة من القادة التاريخيين التسعة الذين اختاروا طريق الكفاح المسلح ..

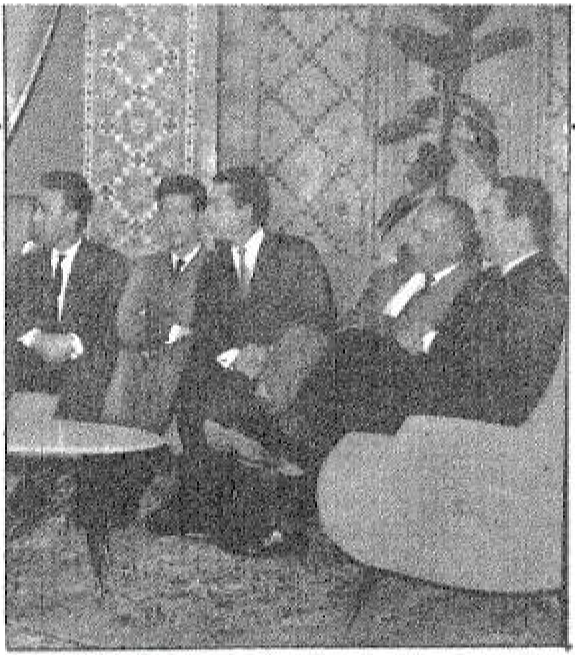
فقد ادرك المناضلون الجزائريون انه لاجدوى من العمل السياسي في ظل الزعامات والأحزاب القائمة ، وبدأت التنظيمات السرية لمقاومة الاحتلال ، وكان معظم هؤلاء من الشباب الذين نشأوا في حزب الشعب بقيادة مصالي الحاج .

وبدأوا عام ١٩٥٣ يجمعون الأموال والأسلحة ، ويتصلون بالقوى العربية وعلى رأسها مكتب المغرب العربي في القاهرة ، والذي كان يرأسه علال الفاس ويضم صالح بن يوسف ومحمد خيضر .

عندما كانت الثورة المسلحة في المغرب قد بدأت تتسع بسبب خلع الملك محمد الخامس ، ولم تكن القضية التونسية قد حلت بعد .

وبعد مخاض صعب ، قام تسعة من الثوار في مارس سنة ١٩٥٤ يشكلون نواة اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، المنظمة الخاصة في حزب الشعب ، وهؤلاء التسعة هم :

مصطفى بلعيد ، والعربي بن مهيدي ، وكريم بلقاسم ، ورابح بيطاط ، ومراد



ديدوش ، وحسين آية أحمد ، وأحمد بن بيللا ، ومحمد بوضياف ، ومحمد خيضر .

وإعلان قيام جبهة التحرير الوطني الجزائري .

ووقع على تأسيس جبهة التحرير اثنان وعشرون مناضلا التسعة مضافا اليهم : يوسف زرهوط وتحضر بن طوبال ، وعبدالحفيظ بوصوف ، ورمضان بن عودة بن عبدالملك ، ورشيد ملاح ، وسعيد بوعلي ، وعبدالسلام حبشي ، ومحمد نهأت ، ومختار سويداني بوجمعة باجي ، وعثمان بوعجاج زبير بلوزدار ، ومحمد مرزوقي ، بلحاج بوشايد .

وأعلن فرحات عباس عام ١٩٥٥ انضمامه الى جبهة التحرير ، كما انضم ايضا أعضاء من حركة انتصار الحريات الديمقراطية (حزب مصالى الحاج) وأعضاء من جمعية العلماء .

ويروى رابح بيطاط أحد التسعة ورئيس مجلس الشعب الحالي قائلا : كان تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل قد تم فى النصف الثانى من شهر يونيه عام ١٩٥٤ ، ووضعنا أهدافا منها استقلال الجزائر فى اطار المغرب العربي ، وكان يتم الاتصال عن طريق مصطفى بلعيد بممثل التونسيين عز الدين ، ويتم الاتصال بالمغرب عن طريق أحمد بن بيللا ، وجاءتنا فى هذا الوقت برقية من مكتب المغرب العربى فى القاهرة تقترح أن يكون انطلاق الثورة يوم ٢٠ أغسطس ، فى الذكرى الأولى لنفى الملك محمد الخامس ، وكان ردنا أننا لم

قصة الجزائر كاملة

نكمل بعد استعدادنا لتفجير الثورة ، واخترنا بدورنا أول نوفمبر عيد القديسين لسببين :

١ ـ أنه جرت العادة على تسجيل حوادث أول الشهر .

٢ ـ يأخذ الجنود فى عيد القديسين عطلة تستمر ٢٤ ساعة مما يمكننا من الهجوم على بعض الثكنات العسكرية الفرنسية .

● وسرعان ما استقال الأعضاء الجزائريون فى المجلس الذى أنشأته فرنسا فى عام ١٩٥٥ ، واضطر إدجار فور إلى استثناء الجزائر من الانتخابات . وكان هذا من أكبر الانتصارات السياسية .

● وتطور عمل السلطات الفرنسية وسعت الى عزل الجزائر عن جاراتها بانشاء خط موريس ، لكى تمنع وصول السلاح والمؤن والذخائر الى الثوار ، ورد الثوار بتطبيق مبدأ تحرك منفردا وقاتل متحدا .

وكتبت الثورة بدماء الشهداء أكبر ملحمة فى تاريخ العرب الحديث .

جاء الى القاهرة خلال عام ١٩٥٤ ، مجموعة من الشبان الجزائريين ، كان من بينهم أحمد بن بيللا ، وكان قد وصل المرة الأولى فى أغسطس ١٩٥٣ بعد هربه من الحكم عليه بعد حادث بريد وهران .. وجاء فى البداية مندوبا لمصالى الحاج ، والتقى خلال هذه الزيارة ببعض العاملين فى القضايا العربية ، ومنهم عزت سليمان وفتحى الديب ، الذى رتب لقاءه مع زعيم ثورة ٢٣ يوليو .

وتم الاتفاق بين عبدالناصر وبن بيللا على مساندة الحركة الثورية فى الجزائر بلا حدود أو شروط .

بعد أن وقر فى وجدان ثوار الجزائر ان الكفاح المسلح هو الحل الوحيد وظهرت ارهاصات العمل المسلح بظهور وحدات المقاومة فى الجبل عام ١٩٤٧ ، تحت قيادة كريم بلقاسم ، وبدأ العمل الفعلى ضد الوجود الفرنسى .

وأعلنت اذاعة صوت العرب ساعة الصفر فى أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، وأذاعت بيان جبهة التحرير الجزائرية والذى صاحبه عمليات عسكرية شملت ٢٤



انفجارا فى اماكن مختلفة من الجزائر ، ووجهت معظم الهجمات الى مراكز الشرطة وثكنات الجيش المعزولة وتم الاستيلاء على اسلحتها وذخيرتها .

وانشئت فيما بعد ، وبالتحديد فى نوفمبر عام ١٩٥٥ اذاعة سرية خاصة للجزائر ، ظلت تذيع طوال سنوات الثورة وحتى انتصارها ، ومن الذين كانوا يذيعون فيها المرحوم عبدالقادر قاسى ، الذى أصبح فيما بعد مديرا للشئون العربية فى وزارة الخارجية الجزائرية .

ويقول بن بيللا فى مذكراته : « على طول الشمال الافريقى كانت الجماهير قد حملت السلاح ، فالثورة فى وهران قد نظمت بالتنسيق مع الثوار المغاربة الذين يشنون العمليات فى الريف ، واسرع الفرنسيون لاعادة محمد الخامس الى عرشه ، ومنحت المغرب الاستقلال .

وأدى استقلال المغرب وتونس ، الى تاثير عميق ، وبات من المستحيل حرمان الجزائر مما حصلت عليه جارتاها

لقد انتشلنا من النار فستق الاستقلال ، واخواننا على الحدود يتأهبون لاكله » ..

قصة الجزائر كاملة

لقد اعطانا محمد الخامس تأكيدا بأن تكون الحدود المغربية فى كل لحظة حدودا صديقة ، وممكنة العبور للأسلحة والرجال » .

وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ تأكد ارتباط مصير مصر بالجزائر ، عندما ربطت الحكومة الفرنسية بين ماتلاقيه فوق أرض الجزائر وبين الدعم الحاسم لمصر .

وكانت السلطات الفرنسية قد القت القبض على السفينة المصرية « آتوس » التى كانت تحمل شحنة من السلاح المصرى ، وصادرت السفينة وحاكمت طاقمها .

واعلن جى موليه وزير الحربية مبررا للتواطؤ الفرنسى مع اسرائيل وبريطانيا بقوله .. « اننا نريد ان نخضع الجزائر عن طريق اخضاع القاهرة .... » ! !

وهبطت فرقة المظلات الفرنسية فى بورفؤاد ، وهى ذات الفرقة التى يقودها الجنرال ماسو قائد معسكرات الاعتقال وقائد المظليين فى الجزائر .

وعندما اندحر العدوان وبدأت عودة العلاقات مع بريطانيا ، استمرت العلاقات المصرية الفرنسية مرتبطة بموقف فرنسا فى الجزائر .

صناديق السلاح فى يخت الملكة

يروى بن بيللا هذه الواقعة فى مذكراته :

« اذا كانت مصر قد امدتنا منذ البداية بمساعدات عظيمة ، فان كل الاقطار العربية الأخرى قد ساعدتنا بدرجات أقل ، ان الملكة دينا الجذابة ، اعارتنا يختها لنقل السلاح الى الساحل المغربى ، وفى البداية كانت هذه الاعارة بغير اختيارها ولكن عندما اوقف الاسبان طاقم اليخت واحتجزوه اضطررنا للاعتراف للملكة باننا قد استعملنا يختها الجميل ، وفورا شرعت فى العمل عن طيب خاطر ، وطلبت من الأسبان تحرير اليخت ، مؤكدة لهم انه بأمر منها وعلى هداها ، كان يختها يتجول بدونها .

كان اليخت يسمى بنفس اسم الملكة وكانت سفينة عجيبة ، وقد اصطدم وسط الليل فى خليج صغير ، وتعرى رجالنا من مغنية وتلمسان طوال الليل وظلو ينقلون صناديق السلاح الثقيلة من اليخت الى اليابسة ، غارقين الى الصدور فى الأمواج الثلجية ، لقد اصيب بعض المناضلين بجروح ، وفقد آخرون سلامة بعض اعضاء من جسمهم ، ولكن ما أن طلع الفجر حتى كان اليخت قد افرغت شحناته ، والأسلحة قد دفنت ، وأمر فى الصباح الفلاحون قطعان الغنم لمحو الآثار .

وكان التدخل الحازم للملكة ، وان كان لم يقنع رجال الحرس الأسبانى كل

وكان السلاح يدخل الى جيش التحرير ، عن طريق ليبيا وتونس والمغرب ، وفى المرة التى استخدم فيها يخت الملكة دينا كان يقوده ميلان باتشش اليوغسلافى الجنسية ، الذى تزوج كريمته الأخضر الابراهيمى فيما بعد .

والذى نقل السلاح من غرب الاسكندرية حتى الناضور فى المغرب الخاضعة للأسبان ، ومنه يهرب الى داخل الجزائر .

أبحر اليخت من ميناء بورسعيد يوم ٢٤ مارس ١٩٥٥ ، وفى صحبته سبعة من المناضلين الجزائريين الذين اتموا تدريبهم فى القاهرة فى طريقهم الى وهران ، ومنهم محمد ابوخروبة (الرئيس هوارى بومدين فيما بعد)

وأبحر من برج العرب بعد شحنه بالسلاح يوم ٢٧ مارس ١٩٥٥ .

- ويروى فتحى الديب فى كتابه انه وصلت برقية يوم ٤ ابريل تقول : « كللت المهمة بالنجاح ، وأصيب اليخت بخسائر كثيرة » .

وعلمت ومازال الحديث لفتحى الديب ... « أن اليخت وصل فى موعده إلى المنطقة المحددة ، وتأخر وصول الجزائريين لنقل الشحنة الى الشاطىء ، فاضطر القبطان للاقتراب من الشاطىء مسافة ٢٠ مترا ، ليتم تفريغ الشحنة » ، وعند أول ضوء مد حبل من اليخت إلى الشاطىء وتم نقل عبوات الأسلحة على الأيدى . وبعد تفريغ شحنة اليخت ، فقد القبطان سيطرته وتوازنه ، واصطدم بالصخور وعجز عن الحركة .



الاقتناع ، فقد امدهم على الأقل بذريعة يبحثون عنها لحفظ القضية .

ويمضى بن بيللا قائلا : « وبعد عملية اليخت دينا تمت عمليتان اكثر اهمية بكثير ، كانت أخراهما قد نفذتها سفينة حربية مصرية ، وأصبح الأمر يتعلق برشاشات ومدافع هاون وبازوكا وقذائف ، وأسلحة أخرى جديدة وعصرية .

وبفضل هذا السلاح تقدمت للعمل فى ٢ اكتوبر ١٩٥٥ جبهة وهران ، الوحيدة التى بقيت حتى هذا التاريخ هادئة » .

بداية الخلاف داخل جبهة التحرير

لقطتان تعبران عن مؤتمر الصومام الذى عقد داخل الجزائر فى ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ .

الأولى ... كريم بلقاسم وأمامه الميكروفونات خلال مؤتمر صحفى ، وكان وراء عقد مؤتمر الصومام ، ثم دافع عن قراراته .

والثانية .. للجنة التنسيق التى أقامها المؤتمر ويرأسها عبان رمضان ، خلال زيارتها الى القاهرة ، ويظهر عباس فرحات ويوسف بن خدة وكريم بلقاسم وعبدالله بن طوبال وفتحى الديب .

وشهدت الثورة فى عامها الثالث ، عقد مؤتمر « الصومام » ، والذى كان يهدف لتقييم مسار الثورة المسلحة ، ماقامت به وماعليها ان تفعله ووضعت وثيقة تاريخية عكست كل المواقف التى واجهت الثورة .

وتأسس خلال هذا المؤتمر المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، وتكونت لجنة للتنسيق والتنفيذ .

ويذكر فتحى الديب فى كتابه ... عبدالناصر وثورة الجزائر ، ان عبان رمضان قد استغل عدم وصول السلاح إلى بعض الولايات الداخلية لايغار صدورهم على القائمين بتمثيل الكفاح المسلح فى الخارج ، واتهامهم بالتقصير وضرورة توجيه اللوم اليهم .

وطرح فى المؤتمر افكاراً حول مستقبل الجزائر تجاهل فيه المؤتمر عروبة الجزائر وارتباطها بالدين الاسلامى ! .

كما شكل المؤتمر لجنة ثلاثية للتنفيذ والتنسيق ووضع عبان رمضان نفسه على رأسها وتتكون منه ومن كريم بلقاسم ويوسف بن خدة .

كما أصدر المؤتمر قرارا يخول له الحق فى تعيين ممثلين جدد للثورة فى الخارج لكى يحلوا محل بن بيللا ـ مازال الحديث لفتحى الديب ـ وبالفعل اختار الدكتور محمد الأمين دباغين ليمثل الثورة فى القاهرة » ..

● ويقول بن بيللا فى مذكراته ... « لا جدال فى أن المؤتمر حقق للثورة أبنية وهياكل تنظيمية ، كانت غائبة ، ولكنه حمل اليها ايضا جهازا بيروقراطيا أخذ ينفصل بالتدريج عن واقع النضال ، وخطأ المؤتمر انه أدخل شخصيات سياسية ، كانت تعارض الانتقال الى الكفاح المسلح ، والتى شجبت علانية عملنا صبيحة الفاتح من نوفمبر .





قصة الجزائر كاملة

ولعل المأخذ الأشد خطورة على المؤتمر تركه للولايات فى المناطق العسكرية الداخلية بدون سلاح ، مع التسليم بأن شبكات الخطوط المكهربة التى اقامتها السلطات الفرنسية ، جعلت الوفاء بهذه المهمة بطريق البر شديدة الصعوبة ، ولكن بقى طريق البحر لم يستخدم » ..

● أما الدكتور سمير أمين فيرى ان مؤتمر وادى الصومام ، قد اتخذ مواقف راديكالية ، فلم تعد المطالبة بالاستقلال كافية ، وطالب بارساء المجتمع الاشتراكى الذى يطبق الاصلاح الزراعى .

وعلى أية حال .. فقد بدأت فى هذا المؤتمر بوادر الانقسام فى صفوف جبهة التحرير ، وظهرت لأول مرة التفرقة بين جيش تحرير الداخل فى الولايات الست وجيش تحرير الخارج ، وانقسام بين قيادات جبهة التحرير فى الداخل وفى الخارج ، وحكم هذا الانقسام مسار الثورة حتى بعد تحقيق الاستقلال .

●○

لقطة للقادة الذين تعرضوا للقرصنة الفرنسية بن بيللا وبوضياف وحسين اية ، فبعد مغادرة بن بيللا ومحمد خيضر للقاهرة يوم ١٦ اكتوبر ١٩٥٦ للقاء بوضياف وحسين اية بمدريد .

ويحكى وقائع هذه القرصنة بن بيللا فى مذكراته ، « ضلت الطائرة المغربية التى تقلنا من الرباط الى تونس ، وقد ضلت امتثالا لأوامر ابلغت اليها بالراديو من قيادة أركان الجيش الفرنسى بالجزائر ، وهبطت الطائرة بالعاصمة الجزائرية ، وكان فى انتظارها سرب المصفحات وأفواج من الدرك .

كنا نجرى مفاوضات مع فرنسا ، وفى سبتمبر انتهينا الى اتفاق ، وقررنا ان يعود كل منا الى بلده لتوقيعه بصورة نهائية . وبعدها نلتقى فى روما لاتمام المفاوضات بصورة فعلية وعلنية .

كنا نفكر اننا على ابواب السلام ، عندما دبر لاكوست هذا العمل الذى أطلقوا عليه « ضربة الطائرة » .

وكنا نرى انه من اللياقة ابلاغ كل من المغرب وتونس بشروط السلام التى عرضت علينا .

وفى مدريد جاءنا رسول من مولاى الحسن . [الملك الحسن فيما بعد] وأبلغنا ان السلطان يريد أن يرانا فى الرباط ، وفى الرباط اتفقنا ان نذهب الى تونس برفقة محمد الخامس ، وكان حضور ملك المغرب فى الطائرة ذاتها بدا لنا ضمانة كافية ، ولسوء الحظ ، أشعرنا القصر بعدم توافر مقاعد ، وبأن طائرة ثانية ستقلنا ، استأت من ذلك ، ولم يكن هناك بديل ، فاجتماع تونس كان محدداً له يوم ٢٣ اكتوبر ، فقبلنا اقتراح القصر ، بعد أن كنا نتصور السلام على الأبواب ...

احسست بتخوف وهمست بذلك الى خيضر فقال ضاحكا : « أوه ، هكذا أنت تحذر دائما » ...

وعشنا بعد ذلك فى السجون الفرنسية خمسة أعوام .



اتفاقيات ايفيان

المفاوضون الجزائريون امام فيللا بوادفو مقر اقامة الوفد الجزائرى فى مباحثات ايفيان ، ويظهر اعضاء الوفد الرسمى فى جولة المفاوضات الثانية ، على منجل وثابت بلحروف ، وكريم بلقاسم ، والدكتور أحمد فرنسيس وأحمد قايد سليمان وأحمد بومنجل وسعد دحلب ومحمد بن يحيى .

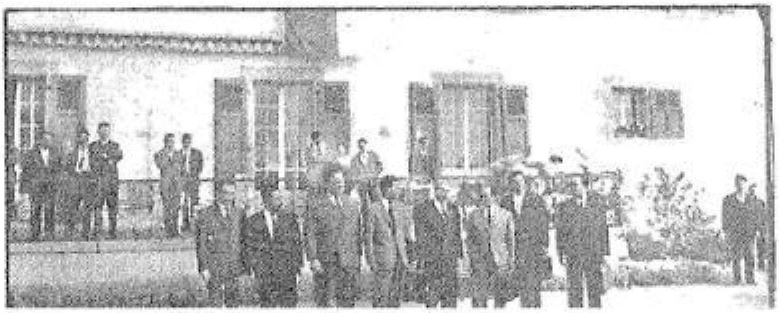
بعد أن اجبرت طلقات المجاهدين على أرض الجزائر فرنسا على التفاوض ، وكانت مفاوضات طويلة ، وعلى كل فريق أن يواجه متطرفيه ، « الاقدام السوداء » بالنسبة الى فرنسا ، ومناضلى الداخل بالنسبة للحكومة المؤقتة .

فقد تغلب الجنرال ديجول على معارضيه ، وفشلت المحاولة التى قام بها الجنرالات فى منظمة الجيش السرى الفرنسى .

وأدت المفاوضات التى افتتحت فى ايفيان الى اطلاق سراح بن بيللا ورفاقه ، والى وقف اطلاق النار فى ١٨ مارس ١٩٦٢ فى يوم توقيع الاتفاقية التى تقضى اجراء استفتاء تقرير المصير .

وتنص هذه الاتفاقية على ان تستأجر فرنسا قاعدة المرسى الكبير البحرية فى وهران لمدة خمسة عشر عاما .

وفى صباح ، الثلاثاء ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ ، نكست الاعلام الفرنسية ورفعت الأعلام الجزائرية ، وأصبحت الحكومة المؤقتة صاحبة السلطة العليا فى الجزائر .



الحكومة المؤقتة



لقطة لأحد السياسيين الذين تخطتهم الأحداث وعى « فارس » والذى اختارته السلطات الفرنسية رئيسا للسلطة التنفيذية الجديدة ، وهو الأكثر اعتدالا بين رجال السياسة في الجزائر ، لتطبيق اتفاقيات ايفيان ، تسانده قوة محلية قامت بتجنيدها ، وهى آخر المناورات السياسية الفرنسية .

وتهدف هذه المناورة الى اضعاف الحكومة المؤقتة التى أجرت المفاوضات ، وهى الحكومة التى تشكلت برئاسة يوسف بن خده يوم ٢٧ أغسطس عام ١٩٦١ .

وهى امتداد للحكومة التى تألفت فى القاهرة يوم ١٩ سبتمبر عام ١٩٥٨ ، برئاسة عباس فرحات وكان نائبا الرئيس كريم بلقاسم وأحمد بن بيللا ، وضمت ١٩ وزيرا من بينهم حسين آية أحمد ورابح بيطاط ومحمد بوضياف ومحمد خيضر الذى تم اغتياله فيما بعد فى أوربا والذى كانت أموال جبهة التحرير مودعة باسمه ! .

واللقطة الثانية لعباس فرحات ويوسف بن خده ومحمد يزيد يعلنون فى القاهرة تشكيل الحكومة المؤقتة .



نسيم الحرية

أول مجلس وزراء جزائرى بعد الاستقلال ..

أثمرت ثورة الجزائر وتضحيات الشعب ، وطنا حرا تغنى به الشعراء . ورحل الفرنسيون فى يوليو بعد استفتاء تقرير المصير ، وخرج حوالى ٨٥٠ ألف مستوطن فرنسى يمثلون ٩٠ فى المائة من الخبرة الادارية والفنية العاملة فى الجزائر ، وتوقفت معظم البنوك والمصانع والمزارع التى كانت تعتمد عليهم ...

وواجهت الحكومة الجديدة هذا الموقف عندما تسلمت بلدا حطم الاستعمار قدرات ابنائه الفنية والادارية خلال ١٣٤ عاما من القهر .

وبالاضافة الى هذا كله ، كان الخلاف قد وصل بين الحكومة المؤقتة والزعماء الخمسة الذى تم الافراج عنهم الى ذروته ، وأصدر يوسف بن خدة رئيس الحكومة قرارا بعزل رئاسة اركان حرب الجيش يوم ٣٠ يونيه ١٩٦٢ ، العقيد هوارى بومدين ، ورفض بن بيللا هذا الاجراء ، كما رفض تكوين المكتب السياسى الذى تشكل تحت رئاسة بن خدة .

وكان جيش التحرير قد تكون من المتطوعين ، وعدد قليل من الجنود الذين سبق لهم الخدمة فى الجيش الفرنسى ، وكان موزعا بالشكل التالى :

٩٠ ألف مقاتل جيش الداخل فى الولايات الست .

٢٥ ألفا فى تونس .

١٥ ألفا فى وجده على الحدود المغربية .

واصبح هذا الصدام نقطة تحول فى الموقف السياسى ، فاما ان تنتصر الحكومة المؤقتة التى اعتمدت على القوات الداخلية وخاصة الولاية الرابعة (الجزائر) والولاية الثالثة (القبائل) وجزء من الولاية الثانية (قسنطينة) الذين أعلنوا ولاءهم لها .

وتمكن بن بيللا من دخول الجزائر دخول البطل العائد ، واستقر فى تلمسان ، وتمكن بومدين من كسب تأييد بقية الولايات التى تحرك فيها جيش الخارج .

وبدى الأمر يهدد بقيام حرب اهلية ، وخرج الشعب الجزائرى يهتف « سبع سنوات بركات » أى سبع سنوات من القتال يكفى .

وأخيرا قبلت الحكومة المؤقتة الخروج من العاصمة يوم ٣ اغسطس لتصبح السلطة فى يد المكتب السياسى وجيش التحرير .



صراع الصديقين

الصديقان احمد بن بيللا ، وهوارى بومدين عندما التقيا فى تلمسان بعد اتفاقية ايفيان ... الا ان تلك الصداقة سرعان ماتحطمت امام عواصف الحياة السياسية فى جزائر ما بعد الاستقلال ..

اقتحمت مجموعة مكونة من العقيد طاهر الزبيرى والكولونيل سليمان هوفمان ، وأحمد درايا ، فى الساعة الثانية والنصف من صباح السبت ١٩ يونيه ١٩٦٥ ، منزل رئيس الدولة أحمد بن بيللا فى فيللا جولى .

تحركت هذه القوات لخلع بن بيللا ، كانت المقاومة محدودة تماما ، بضع



احمد بن بيلا وحسين اية احمد وهوارى بومدين ومحمد خيضر ورابح بيطاط يتفقدون جيش التحرير الجزائرى

طلقات هزت هدوء الليل ، أعقبها البيان رقم ١ ، وبذلك تم اعلان هوارى بومدين رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، بعد أن كان نائبا للرئيس ، وأعلن عن تشكيل جديد لمجلس قيادة الثورة ومجلس جديد للوزراء .

أعتقل بن بيلا مع مجموعة من أقرب أصدقائه ، ولم تظهر فى الجزائر اى معارضة للتغيير الجديد ، والحزب لم يتحرك للدفاع عن امينه العام ، كل ماجرى مظاهرات طلابية سرعان ماتفرقت !

فهل غياب المعارضة سببه عدم تأييد بن بيلا ، ام العجز عن مواجهة نائب الرئيس ووزير الدفاع ؟ ! .

وكانت هذه هى النهاية المتوقعة فى الصراع الدائر بين بن بيللا وجيش التحرير . وبعد أن وصلت التناقضات بينهما الى ذروتها ، واخفقت محاولات ادخال الجيش طرفا فى لعبة التوازن ، وأخفق بن بيللا فى اقامة الجيش الشعبى .

وكان قد ظهر موقف بن بيللا واضحا فى مواجهة مجموعة ضباط وجده ، التى كان يرابط بها قيادة جيش التحرير الجزائرى ، واستغل فرصة غياب بومدين فى موسكو وعين طاهر الزبيرى قائد احدى الولايات وزيرا للدفاع واستطاع بومدين بشخصيته ونفوذه ان يكسب ويستوعب الجميع .

سبق أن كان بن بيللا يسعى الى عزل انصار بومدين ، فاقال احمد مدغرى من وزارة الداخلية فى يوليو ١٩٦٤ ، وأقال قايد أحمد من وزارة السياحة ، وسعى الى اخراج عبدالعزيز بوتفليقه من وزارة الخارجية فى ابريل ١٩٦٥ ، واعترض بومدين ورضخ بن بيللا .

ولم يعد أمام بومدين ورفاقه سوى الاطاحة بأحمد بن بيللا . قبل ان يتمكن من تغيير التوازنات القائمة ، ودفع ثمن الصراعات التى بدأت مع مؤتمر الصومام .

الشاذلى .. وبداية المفاهيم الجديدة

الشاذلى بن جديد
وبداية لمفاهيم جديدة

الشاذلى بن جديد رئيس الجزائر الحالى .. وقد جاء الى الحكم بعد وفاة الرئيس بومدين ... ووقائع الأحداث تقول انه اذا كان الوقت لم يمكن أحمد بن بيللا من خلق توازن جديد بين جيش التحرير والوضع السياسى بعد الاستقلال ، الذى تمثل فى محاولة اقامة التنظيمات الشبابية ونواة لجيش شعبى ، إلا أن هذا التوازن الشكلى سقط عندما اقتحم بيته اقطاب هذا الجيش ، ويمكن القول ان الرئيس هوارى بومدين سعى بدوره فى ذات الطريق ، عندما اقام اكاديمية شرشال العسكرية ، وقطع خطوات هامة فى تكوين جيش نظامى حديث يقوده ضباط محترفون .

ولم تصل هذه المحاولة الى هدفها ، عندما وافته المنية قبل اتمام مسعاه ،

وكاد العقيد محمد يحياوى قائد الاكاديمية يكون الوريث ، ولكن ظهر أن قبضة جيش التحرير مازالت قائمة ، وجاء الشاذلى بن جديد الذى كان قائدا عسكريا لولاية وهران ، وشاركه احمد عبدالغنى القائد

قصة الجزائر كاملة

العسكرى لولاية قسنطينه كرئيس للوزراء .

وبعد فترة من حكم الرئيس الشاذلى بن جديد ، أخذت تختفى من المسرح السياسى آثار حرب التحرير ، وعاد إلى حزب جبهة التحرير دوره ، وبرز على سطح الحياة السياسية الى جانب الشاذلى بن جديد اثنان من المناضلين هما شريف مساعديه والدكتور احمد طالب الابراهيمى ، واستمر من الشخصيات التاريخية الخمس رابح بيطاط رئيسا لمجلس الشعب الجزائرى .

ولعل مايجرى فى الجزائر هو بداية العودة للحياة الطبيعية بعد ربع قرن من استقلال الجزائر ، وانهاء الحالة الاستثنائية التى فرضتها ظروف حرب الاستقلال .



ابتسامات

الواقع والحلم

كتب وليم كاكستون اول من استخدم الطباعة في انجلترا ، المقدمة الآتية لكتاب « حكم الفلاسفة واقوالهم » المنشور عام ١٤٧٧ :
« ان نساء هذا البلد صالحات ، دمثات الخلق ، متواضعات ، عاقلات ، وقورات ، عفيفات ، مطيعات لازواجهن ، صادقات ، متكتمات، صارمات ومنهمكات في عملهن ، لا يعرفن الخمول . يقتصرن في حديثهن، وفاضلات في كل ما يعملن .. او هكذا يجب ان يكون على الاقل » !

حديث بلا موضوع

يستطيع الرجال قضاء ساعات طوال في الحديث عن موضوع واحد ، اما النساء فلا يحتجن الى موضوع للقيام بذلك !

تفاؤل

الرجل المتفائل هو ذاك الذى ينتظر في سيارته من غير ان يطفىء محركها ، عودة زوجته من المحل المجاور حيث تبتاع حاجياتها . !

الحق على العمر

التقت نجمتان سينمائيتان وقد تقدم بهما العمر واخذتا يتبادلان اطراف الحديث حول حياتهما الملكية . فقالت الاولى : « اتذكر الفيلم الذى مثلته عام ١٩٢٨ ولكنني لم اشاهد فيلمك السابق فقد كنت انذاك في روضة الاطفال » .
فردت الممثلة الثانية : « اصحيح ما تقولين ؟ لم اكن ادرى انك كنت معلمة في رياض الاطفال ! »

خجل

قال الطبيب النفسي مؤنبا مريضة : « الا تزال تشعر بالذنب بعد كل سنوات العلاج هذه ؟ يجدر بك ان تخجل من نفسك » !

حيلة

أجرى الزوج مكالمة هاتفية مع زوجته واعلمها بانه دعا رئيسه الى تناول طعام العشاء في المنزل .
وفي تمام الساعة الثامنة وصل الزوج منفردا . فسألته زوجته التى ارتدت الملابس اللائقة لاستقبال الضيف الكريم :
ـ اين رئيسك ؟
ـ انني آسف لقد كانت مزحة ، ولكنني ساجد ولا شك عشاء طيبا للمرة الاولى في حياتي .

خجل في محله

قالت امرأة لزوجها : « انى خجولة جدا من جراء طريقة حياتنا . فامي تدفع ايجار منزلنا ، وعمتي ثمن ثيابنا واختي تكاليف طعامنا . ويخجلني انه لا يمكنك التصرف على نحو افضل » .

قصة قصيرة

"قيلولة يوم الثلاثاء"

بقلم: جبرييل جارسيا ماركيز
ترجمة: محمود على مراد

خرج القطار من النفق المهتز الذى يتخلل الصخور الحمراء واخترق مزارع الموز السيمترية التى لاتنتهى وتشبع الجو بالرطوبة وغادرته رائحة نسيم البحر. وتسرب من نافذة العربة دخان خانق. فى الطريق الضيق المحاذى لخط السكة الحديدية عربات تجرها ثيران، محملة بعراجين الموز الخضراء وعلى الجانب الاخر من الطريق، فى مساحات متطفلة لم تبذر فيها البذور، مكاتب بداخلها مراوح كهربائية، فى معسكرات من الطوب الاحمر، ومساكن وضعت فى شرفاتها كراس ومناضد بيضاء بين اشجار النخيل والورد التى علاها التراب. الساعة الحادية عشرة صباحا وقيظ النهار لم يبدا بعد.

قالت المراة:

- ارفعى الزجاج والا غمر تراب الفحم شعرك.

وحاولت الصبية ان ترفع زجاج النافذة ولكنها لم تستطع بسبب الصدا الذى عاق حركته لم يكن فى عربة الدرجة الثالثة العارية غير المراة والصبية. واستمر دخان القاطرة فى الدخول من النافذة فتركت الصبية مكانها ووضعت فيه كل ماكانت تحمله من متاع اى كيسا من البلاستيك فيه ماكولات وباقة من الزهور ملفوفة فى ورق جرائد. وجلست فى المقعد المقابل بعيدا عن النافذة، امام امها. كانت كل منهما ترتدى ثوب حداد كاملا رخيصا

الصبية فى الثانية عشرة من عمرها وهذه المرة الاولى التى تسافر فيها. وسن المراة وعروق جفنيها الزرقاء وجسمها الضئيل الذى فقد نضارته واصبح كتلة لا شكل لها، وثوبها الذى يشبه جبة الراهبات، ترجح لدى الناظر انها ام الصبية. وطوال الرحلة كانت المراة تستند بقوة بعمودها الفقرى على ظهر المقعد وفى حجرها حقيبة من الجلد المتهرىء كانت تمسكها بكلتا يديها، وعلى وجهها تلك الرصانة العميقة التى تتسم بها وجوه الفقراء.

وبدا الحر فى الثانية عشرة ظهرا. ووقف القطار عشر دقائق فى محطة فى العراء يتزود بالمياه. وفى الخارج كان للظل فى صمت المزارع المليء بالاسرار مظهر نظيف. اما فى داخل العربة فقد كان للجو الراكد رائحة اشبه برائحة الجلد غير

المدبوغ • وام يستأنف القطار سرعته ، وتوقف في قريتين لا تتميز احداهما عن الاخرى بشيء ، بيوتهما مصنوعة من خشب مطلي بالوان زاهية • وحنت المرأة رأسها واخذتها سنة من النوم وخلعت الصبية حذاءها ثم ذهبت الى دورة المياه لتغمس في الماء باقة الزهور الميتة•

وحين عادت الطفلة الى مقعدها كانت امها في انتظارها لتتناول الطعام • واعطتها الام قطعة من الجبن ونصف كعكة ذرة وفطيرة بالسكر واخذت لنفسها مثل ذلك من كيس البلاستيك •وبينما كانتا تاكلان عبر القطار على مهل قنطرة حديدية ومر بعرض قرية تشبه القريتين السابقتين الان حشدا من الناس قد اجتمعوا في ميدانها أمام فرقة موسيقية تعزف تحت شمس الظهيرة مقطوعة خفيفة • وفي طرف القرية الاخر انتهت المزارع الى سهل تشققت ارضه من شدة الجفاف •

وأمسكت المراة عن الاكل وقالت لابنتها

ـ البسي الحذاء •

ونظرت الصبية الى الخارج ، فلم تر سوى السهل المقفر الذى اخذ القطار يجرى فيه من جديد • ومع ذلك وضعت



الصبية قطعة الفطيرة الاخيرة في الكيس وارتدت حذاءها على عجل . واعطتها المراة مشطا وقالت لها :

ـ سرحي شعرك .

وانطلق صفير القطار والطفلة تسرح شعرها . وجففت المراة عرق رقبتها ومحت باصابعها بقايا الدسم الذى علق بوجهها . وحين انتهت الصبية من تسريح شعرها كان القطار يمر امام البيوت الاولى من قرية اكبر حجما وان كان الحزن يغلبها اكثر ، من القرى السابقة .

وقالت المراة :

ـ اذا اردت ان تفعلي شيئا فافعليه الان فانك بعد ان تنزل ، لن تجدى ماء في اى مكان حتى لو مت من العطش . واياك والبكاء .

ووافقت الصبية بهزة من راسها . وهب هواء ساخن جاف عبر النافذة اختلط به صفير القطار وجلجلة عرباته القديمة .

وطوت المراة الكيس بما تبقى من الماكولات ووضعته في الحقيبة . وفي لحظة خاطفة بدت في النافذة صورة القرية باكملها ، وكان ذلك في يوم مضيء من ايام الثلاثاء من شهر اغسطس . ولفت الصبية الزهور في ورق الجريدة المبتل وابتعد قليلا عن النافذة وسددت نظرها الى امها فوجدت وجهها يشع بالهدوء وكف القطار عن الصفير وهدأ سرعته ، وما هي الا لحظة حتى توقف .

لم يكن في المحطة احد . وفي الجانب الاخر من الشارع ، على الرصيف الذى تظلله اشجار اللوز ، كان المحل الوحيد المفتوح هو صالون « البلياردو » وكانت القرية تبدو وكانها تطفو فوق صهد الشمس . ونزلت المراة والصبية من القطار وتركتا المحطة المهجورة التى بدأ البلاط المستخدم في رصفها يتخلع بفعل الاعشاب ، وعبرتا الشارع الى الرصيف الظليل .

كانت الساعة قد قاربت الثانية من بعد الظهر . وكانت القرية تغط هذه الساعة ، في نومة القيلولة . وكانت المحال والمصالح الحكومية ومدرسة القرية فيها تقفل ابوابها عادة منذ الحادية عشرة ولا تعيد فتحها الا قبيل الرابعة حين يمر بها قطار العودة . ولا يظل مفتوحا الا الفندق المواجه للمحطة والمطعم وصالون « البلياردو » الملحقان به ومكتب التلغراف الذى يقع في احد جوانب الميدان . اما البيوت ، وقد بني معظمها على طراز بيوت شركة الموز ، فان ابوابها وشبابيكها توصد من الداخل . وتبلغ حرارة الجو في بعض هذه البيوت درجة تحمل ساكنيها على تناول وجبة الغداء في «الحوش» ومن الناس من يضع كرسيا في ظل شجرة من اشجار اللوز وينام ساعة القيلولة وهو جالس على قارعة الطريق .

ودخلت المراة والصبية القرية ، وهما تحتميان قدر الامكان باشجار اللوز من وهج الشمس ، دون ان يزعجا قيلولتها واتجهتا مباشرة الى بيت ريفي المظهر . وحكت المراة باظافرها شبكة الباب المعدنية ثم انتظرت قليلا وبعد فترة صاحت منادية . في الداخل طنين مروحة كهربائية . ولم يسمع وقع اقدام . كل ماسمع هو صرير باب ثم صوت

قريب جدا من الشبكة المعدنية يسال بحذر :

ـ من ؟

وحاولت المراة ان تنظر من خلال الشبكة المعدنية واجابت :

ـ أريد « الاب » ·

ـ انه نائم

قالت المراة :

ـ المسالة مستعجلة

وكان فى صوتها رنة اصرار هادىء

وفتح الباب فى سكون نصف فتحة · وظهرت امراة ناضجة بدينة شاحبة البشرة لــون شعرها كلون الحديد · وكانت عيناها تبدوان صغيرتين خلف عدستى نظارة سميكة ·

قالتها وفتحت الباب· ودخلتا الى صــالة تشيع فيها رائحة زهــور قديمة · وقادتهمــا ربة البيت الى « كنبــة » خشبية واشارت اليهما بالجلــوس · وجلست الصبية ولكن امها ظلت واقفــة وهى تحتضن الحقيبة بيديها وقد بدا عليها الانشغال ، هــذا والهدوء الشامل لا يقطعه سوى طنين المروحــة الكهربائية ·

وظهــرت ربة البيت عند باب المؤخــرة ، وقالت فى صوت خفيض جدا :

ـ انه يطالب أن تعودا بعد الساعة الثالثة فهو لم يرقــد الا من خمس دقائق ·

قالت المراة :

ـ لكن القطار يغــادر المحطة فى الثالثــــة والنصف ·

رد حازم ومقتضب ، ولكن الصوت ظل هادئا متعدد النغم · وابتسمت ربة البيت للمرة الاولى

ـ حسنا ·

وحين اغلق بــــاب المؤخرة ثانيــة جلست المراة الى جوار ابنتها· صالة الانتظار الضيقة متواضعة · وهى حسنة الترتيب نظيفة · وثمــة فاصل خشبى يقســـم الغرفة ، فى جانبــــه الاخر مكتب بسيط يعلوه غطاء من المشمع ·وعلى المكتب الة كاتبة قديمــة بجوارها اناء فيه زهور وخلف المكتب « ارشيف» الكنيسة · واضــح ان الذى يقدم على ترتيب المكتب ونظافته امــراة غير متزوجة ·

وفتح باب المؤخــرة وظهر القسيس هذه المرة وهو ينظف نظــارته بمنديل · ووضــــع القسس النظارة علــى عينه فادركت المــراة للتو انه شقيق السيدة التى فتحت البــاب ·

وسال القسيس :

ـ أى خدمة ؟

فاجابت المراة :

ـ مفاتيح المقبرة ·

كانت الصبية جالسة والزهور فى حجرهــا وقدماها متقاطعين اسفل « الكنبة » · ونظر اليها القسيس ثم نظــر الى المراة ثم مد بصره عبر شبكة النافذة المعدنيــة الى السماء المشمســة الخالية من الســحاب وسال :

ـ فى هذا الحر ؟ كان بامكانكما الانتظــار الى ان تخف حرارة الشمس

وهزت المراة راسـها فى صمت · وســـار القسيس الى الجــانب الاخــر من الفاصــل واخرج من الصــوان دفترا مبطنا بمشــمع ، وريشة كتابة ومحبرة ، وجلس الى المــكتب · والشعر الذى خلت منــه راسه كان غزيرا عــلى ظهر يديه · وســـال القسيس المراة :

ـ اى قبــــر تريدان زيارته ؟

فاجابت المراة :

ـ قبر « كارلـــوس كونتينو » ·

ـ من ؟

ورددت المراة :

ـ « كارلـــوس كونتينو » ·

وظلت علامات عــدم الفهم بادية على القسيس وقالت المراة دون ان

تغير نبرة صوتها :

ـ اللص الذى قتلوه هنا فى الاسبوع الماضى

حدق القس فيهـــا وصويت هى اليه عينيها رابطة الجاش ، فاحمر وجهه وحنى رأســـه ليكتب . وكان ، وهـو يملأ الصفحة ، يطلب من المرأة بيانات هويتها وكانت هـى تجيب دون تردد بتفاصيل دقيقـة كما لو كانت تقرأ .وبدا القسيس يعرق . وحلت الصبية حزام حذائهـا الايسر وخلعت شـريط العقب واسـتدته الى مؤخرة الحذاء ثم فعلت مثل ذلك بالحذاء الايمن

كان كل شىء قد بدأ يوم الاثنين من الاسبوع السابق فى الســاعة الثالثـة من الفجـر على مسافة قليلـة من هذا المكان . السـيدة « ربيكا » ، وهى أرملـة تعيش بمفردها فى بيت ملىء « بـــكراكيب » قديمة لا قيمة لهـا ، احست ، من خـــلال الصوت الذى أحـدثه سقوط مطر خفيف أن هناك من يحاول ان يفتح باب الشارع بالقوة من الخارج ، فقـــامت تتحسس طريقها واخرجت من دولاب الملابس غدارة قديمة لم يستخدمها احد من أيام « الكـولونيل اوريليانو بونديــا » ، وذهبت الى الصالة دون أن تضىء النور . ولـم يكن ما قاد خطاهـــا هو صوت قفل البـاب بقدر ما كان الرعب الذى ولدته فى نفسها ٢٨سنة من الوحدة . واسعفها خيالها فلم تحدد موقع الباب بل حددت ايضـا ارتفاع القفل . وقبضت السلاح بكلتا يديهـــا واغمضت عينيهـــا وضغطت على الزناد . كانت هذه المرة الاولى فى حياتها التى تطلـق فيها الرصاص من غدارة أطلقت الرصاصة ولـم تسمع شيئا اكثــر من صوت سقوط المطر على السقف المصـنوع من الزنك . ثم سمعت وقوع جسم معدنى فى الممـر الاسمنتى وصوتا بالـغ الانخفاض هـادئا يهتف « اه ، يا امى » فى أعياء لا حد له . وكان الرجل الذى أصبح الصـبح عليه وهو ميت امـام الدار ، وقد تهشم انفه، يرتدى « فـانلة » ذات خطوط ملونة،وبنطلونا، عاديا يشده الى جسـمه رباط بدل الحزام ،وكان حافى القدمين . ولـم يكن فى القرية من يعرفه

وتمتم القسيس حين فرغ من الكتابة :

ـ اذن كان اسـمه « كارلوس سينتنبى »

وقالت المرأة :

ـ « سينتينو ايـالا » ولم يكن لى سواه ولـد ذكر .

واتجه القسـيس الى الـــدولاب . وكان فى داخل الباب مسمار علق عليه مفتاحان كبيـران علاهما الصدأ كأنهمـــا مفتاحا القديس بطـرس كما كانت تتخيلهمـــا الصبية وكمــــا كانت تتخيلهما امهـــا فى صغرها وكما لابـــد ان القســـيس نفسه كان يتخيلهما أحيانا . ونزع القسيس المفتـــاحين من مكانهما ووضعهمـــا فى الدفتر المفتـــوح على الفاصل الخشبى واشار بسبابته الى موضــع فى الصفحة المكتوبة ونظـر الى المرأة قائلا :

ـ وقعى هنا .

ووقعت المرأة اسمها فى « شخبطة » والحقيبة تحت ابطها . وامسكت الصبية الزهور واتجهت الى الفاصل الخشـبى وهى تجر فردتى حذائها ولاحظت امها باهتمام .

وتنهد القسيس :

ـ الم تحاولى ابـدا هدايتـــه الى الطريق المستقيم ؟

وردت المرأة بعد ان

انتهت من التوقيع :

- كان رجلا فى غاية الطيبة .

واحال القسيس بصره بين المراة والصبية ، وتاكد بشىء من دهشة الانقياء انهما لا تهمان بالبكاء . واستطردت المراة بنفس اللهجة :

- كنت اقول له لا تسرق ابدا شيئا يحتاج اليه انسان لياكل ، وقد سمع كلامى لقد كان فى الماضى يكسب عيشه من الملاكمة وكان من اثر الضربات يلزم الفراش احيانا لمدة ثلاثة ايام .

وتدخلت الطفلة قائلة:

- لقد اضطر الى خلع جميع اسنانه .

وامنت المراة على كلامها :

- فعلا :

ثم اضافت :

- كل لقمة كنت اكلها فى تلك الايام كان لها طعم اللكمات الشديدة التى كان ابنى يتلقاها فى مباريات ليلة السبت

وقال القسيس :

- حكمة ربنا لايعلمها احد .

قال ذلك عن غير اقتناع كبير . اولا لان التجربة قد زرعت فى نفسه شيئا من الشك ، وثانيا بسبب الحر . واوصى القسيس المراة وابنتها بتغطية راسيهما بشىء لتفادي ضربة الشمس ، ووصف لهما، وهويتثاءب ويكاديستسلم تماما للنوم ، وكيفية الوصول الى قبر « كارلوس سنتينو » ، واضاف انه لا حاجة بهما الى طرق الباب عند العودة وانه يكفى ان يدفع بالمفتاح من اسفل الباب وان تضعا الصدقة فى نفس المكان ان ارادتا التصدق للكنيسة . واستمعت المراة الى الشرح باهتمام وشكرت دون ان تبتسم

وكان القسيس قد تنبه حتى قبل ان يفتح باب الشارع الى ان شخصا ماينظر الى داخل البيت وقد الصق انفه بالشبكة المعدنية كانوا جماعة من الاطفال . وحين فتح الباب بالكامل تفرق الاطفال . والمعتاد، فى مثل هذه الساعة ان يكون الشارع مقفرا . اما الان فهناك اطفال ، وهناك ايضا جماعات من الناس تحت شجر اللوز وتطلع القسيس الى الشارع الذى اعوج والتوى ما فيه من سعير الشمس ، ففهم . وبرفق قفل الباب من جديد وقال دون ان ينظر الى المراة :

- انتظرا دقيقة .

وظهرت اخته فى باب المؤخرة وعلى قميص نومها « جاكتة » سوداء وقد انحل شعرها على كتفيها . ونظرت الى القسيس فى صمت . وسالها القسيس :

- ما الحكاية ؟

وتمتمت الاخت :

- ذاع الخبر .

وقال القسيس :

- الافضل ان تخرجا من باب الحوش .

وقالت اخته :

- لن يغير هذا شيئا . الناس كلهم يراقبون من نوافذهم .

ولم يبد على المراة حتى ذلك الوقت انها فهمت . وحاولت ان تنظر الى الشارع من خلال الشبكة المعدنية . وعلى الفور تركت للطفلة باقة الزهور وبدات تتحرك صوب الباب والطفلة فى اثرها .

وقال القسيس :

- انتظرا حتى تميل الشمس .

وقالت اخته من اخر الصالة دون ان تتحرك:

- ستذوبان كما يذوب الذباح من حرارة الشمس . انتظرا وساعيركما مظلة .

واجابت المراة :

- شكرا . نحن هكذا بخير .

واخذت الصبية من يدها وخرجت الى الشارع .

شهريات

رأى فى الثقافة

الكم والكيف وهيئة الكتاب

الخطوة الاولى التى نهضت بها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى الفترة الاخيرة خطوة ايجابية ، تتعلق بالانجاز الصناعى المنشط الذى قامت وتقوم به ، من اصدار المجلات فى مواعيدها المضبوطة ، وتحريك عملية اصدار الكتب بخطوات متسارعة تليق بالامكانيات الضخمة التى توفرها لها الدولة مما يدعونا للترحيب به ..

لكن المشكلة الحقيقية الان التى يجب ان تخضع فى هذه المرحلة للتقييم من داخل الهيئة وخارجها ، خاصة من قبل النقاد ، هى قيمة هذه الاصدارات من ناحية ما تقدمه وضرورته وأهميته ، والانطلاق نحو البحث عن النصوص الجيدة ، والتخطيط للاعمال والمشاريع الكبيرة ، لا الاكتفاء بما يسعى المؤلفون لتقديمه ، والصراع والالحاح من أجل نشره ، سواء كان هؤلاء كتابا راسخين ، او ادباء فى خطواتهم الاولى.

نقول ذلك لان الكم الكبير الذى تخرجه مطابع الهيئة من كتب هذه الايام ، كثير منه من باب « التزيد » واضاعة الجهد ، ولو انه لم يصدر ، فان شيئا لن يحدث .. وقد يقول البعض ان هذا انعكاس لمستوى الموجود ، لكن الحقيقة غير ذلك ، لان ما هو موجود وجيد فى أدراج المبدعين الجادين كثير ، والمطلوب الان ان تخطو الهيئة خطوة ثانية فى اتجاه الكيف ، وان تتجاوز مرحلة الكم .

وهذا لا يتم بمجرد انتظار النصوص ، بل بالبحث ، والتخطيط ، ومناقشة المؤلفين ودعوتهم للمشاركة ، والانفتاح على كل الاتجاهات الفكرية الجادة ، ليس فقط فى طول مصر وعرضها ، بل والتوجه الى العمق العربى حتى تسترد مصر دورها .

عبده جبير

ذكرى

نبيل السلمى .. وداعا

● فارس اخر من فرسان الفن يغيب عنا ، فعلى الرغم من غربته الطويلة خارج الوطن ، فان نبيل السلمى كان دائما معنا ، بما قدمه من عطاء خصب متميز طوال السنوات الماضية ان يكن فى مجلة العربى ، أو جريدة الوطن ، أو فى العربى الصغير الذى بذل فيها الكثير من الجهد ، لينير شمعة فى طريق الاجيال الجديدة ، باحساس عال من المسئولية ، وقدرة كبيرة على العطاء .

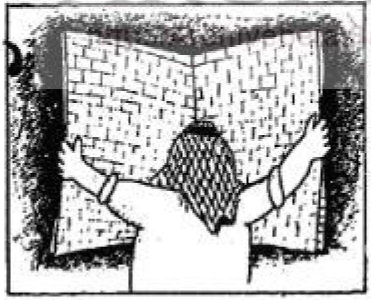
نبيل السلمى الذى بدأ حياته الفنية على صفحات جريدة الجمهورية ، ولد عام ١٩٤١ فى أسوان ، ودرس الفن والجرافيك بين القاهرة وبرلين الشرقية .

شارك السلمى بأعماله فى عدة معارض دولية وفاز بعدد كبير من جوائز الكاريكاتير الهامة ، حتى تأهل ليكون محكما فى عدد هام من معارض الرسم الدولية ، مونتريال بكندا ، وبرلين بألمانيا الشرقية ، وسكوبيا بيوغسلافيا ، ودمشق ، وكنوكا ببلجيكا ، وجابروتو ببلغاريا ، وبولونيا بإيطاليا ، وهكذا كان وجها من وجوه مصر المشرقة فى كل مكان حل فيه .

لنبيل السلمى ثلاثة كتب صدرت حتى الان فى فن الكاريكاتير ، « تحت ظلال الاهرام » و « عود الثقاب » و « جمليرتر » وكلها صدرت خارج مصر ، وتبقى الامنية ان ترى هذه الاعمال النور فى وطنه الذى يضم رفاته بكل الحب والاعزاز .



نبيل السلمى



من اعمال السلمى المعبرة : الصحيفة جدار يحول بين المواطن وبين الرؤية

جوائز

تساؤلات حول جوائز الدولة



سيد عويس



د . احمد هيكل

● ليس من الضرورى أن نتفق جميعا على كل شىء ، وقد تكون بعض اللجان التى منحت بعض الجوائز على خطأ ، وقد تكون على صواب ، ولا شك أن كثيرين من الذين فازوا هذا العام بالجائزتين التقديرية والتشجيعية ، جديرون بالفوز ، الا أن ما تثيره هذه الاحكام من تحفظات جدير هو ايضا بأن نضعه فى اعتبارنا

وهناك عدة ملاحظات تفرض نفسها :

الملاحظة الاولى : هى هذا الجو العام غير المبالى الذى أصبحت الجائزة تقابل به وهو ما يدعونا الى التساؤل: ما سبب هذه اللامبالاة ، هل يكمن السبب فى الدورة السنوية التى بنيت على أساسها الجائزتان ، مما يجعلها أشبه بالشىء المعاد المكرور · أم أن سنوات مضت فاز فيها بعض ممن لا يستحقون أضفت على الجائزتين هذه الظلال الغريبة ؟

الملاحظة الثانية تتعلق بمنح الذين رحلوا عن دنيا الاحياء بعض الجوائز ، وفى هذا الصدد لابد من أن نسأل ايضا : على اى اساس هنا تمنح الجائزة ؟ ولماذا لم تمنح لكثيرين ممن رحلوا عنا وهم بها جديرون ؟ ·

ونحن لا نشكك بالطبع فى قيمة الفائز الراحل محمود البدوى ، فالرجل كان يستحقها منذ زمن ، وفى حياته ، لكن التساؤل يظل قائما · وبالنسبة للجائزة التشجيعية ، والمبدأ الفضفاض الذى يفقدها الكثير من المصداقية ، مبدأ أن يكون من حق اى من اللجان أن ترشح من لم يرشح نفسه لها فى حالة ما اذا وجدت أن ما هو أمامها غير جدير بها ، وقد أصاب هذا البند رأس الشاعر· فاروق شوشه الذى يقترب من الشيب ، هذا العام ، وهو الذى كان أولى بها فى عمر سابق ، على أى حال نحن نسوق هذه الملاحظات حرصا على قيمة مصر ، التى تمنح الجوائز باسمها ، ودعوة للنظر لما يتوارد فى أذهان الذين يعيشون فى الشارع الثقافى الذين يؤرقهم ان تكون الامور قد وصلت الى حد اهدار قيمة عزيزة علينا ، قيمة المبدعين أنفسهم ·· كما اننا نسوق هذه الملاحظات اثر لقاء عدد من الذين فازوا ببعض الجوائز ، والاحساس الذى ترسب لدينا بأنهم ، على الرغم من فوزهم ، كان شيئا لم يتحرك داخلهم ، بل قابلها بعضهم بعدم مبالاة غريبة ·

على أى حال اننا لا نجد ضرورة لتكرار الاسماء ، أو الاعلان عن الفائزين ، فقد نشرت الصحف والمجلات ما فيه الكفاية ، وما هى الا مشاركة يقتضيها الاحساس بأهمية السؤال : كيف نعيد لجوائز الدولة هيبتها ، وكيف السبيل الى اعادة الفرحة بها ؟

رسائل جامعية

احمد حسين في الصحافة المصرية

● شهدت قاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر وعلى مدى أربع ساعات متواصلة مناقشة رسالة الماجستير التي أجيزت بتقدير جيد جدا والمقدمة من الطالب رشدى انور البدرى المعيد بقسم الصحافة والاعلام بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر والتي تدور حول « أحمد حسين في الصحافة المصرية » اشرف عليها الدكتور احمد حسين الصاوى أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة والجامعة الامريكية كما اشترك في المناقشة الدكتور جودة عبد الله مصطفى أستاذ اللغة العربية مشرفا مساعدا وعضوية كل من د٠السيد محمد حسن الدقن أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة الأزهر ود٠ محيى الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة والاعلام بالأزهر

بدأت المناقشة بالاستاذ / الدكتور السيد محمد الدقن أستاذ التاريخ المعاصر بكلية اللغة العربية جامعة الازهر الذى أشاد بالجهد المبذول في الرسالة وقال بأنها من حيث الموضوع كانت موفقة وبارعة لأن احمد حسين من الشخصيات النادرة التي لا يجود الزمان بمثلها كثيرا باعتباره واحدا من الذين ساهموا في تاريخ الحركة السياسية المصرية وأضاف بأن الباحث لم ينفعل ولم يتحيز واستعان بمصادر أصلية تمثلت في حشد كاف من الصحف والمجلات والمؤلفات والمذكرات التي كتبها عن كفاحه وما نادى به فضلا عن مقابلة العديد من الشخصيات الوطنية من أمثال ابراهيم شكرى وفتحى رضوان ود ٠ محمد حلمى مراد ثم كان الاشراف المتاز من جانب الاستاذ / الدكتور احمد حسين الصاوى الذى ترك بصمات واضحة على الرسالة وتناولها بشكل موضوعى كما ترك بصمات على جوانب الرسالة من الناحية اللغوية والصياغة ، ساعده في ذلك الاستاذ الدكتور جودة عبد الله مصطفى ٠

● وأشار د٠الدقن الى الغموض الذى اعترى تسلسل المواقف السياسية لأحمد حسين والذى أظهره تارة يؤيد السعيديين وتارة يعارضهم تارة يؤيد الوفديين وتارة يعارضهم دون ذكر الأسباب والمسببات لتلك المواقف مما قد يوحى لغير قارىء التاريخ بأن هناك تناقضا في مواقف هذا الرجل ، فيبدو أن التخصص غلب على الباحث وجعله يهتم بالجانب الصحفى اهتماما مطلقا على حساب الجانب التاريخى ٠

وقد عاب الدكتور الدقن على الباحث عدم تناوله في المقدمة لأهمية الموضوع ٠٠ لماذا اختاره ، ولماذا عالجه ، والمصاعب التي واجهته اثناء بحثه والنتائج التي خرج بها ـ فتدخل د ٠ الصاوى وحسم المناقشة بتغيير اسم المقدمة الى تمهيد أو تصدير !

● وشكك د ٠الدقن في معلومة أوردها الباحث تقول بأن احمد حسين اسس جمعية نصر الدين وكان يصدر نشرة وطنية يقرأها أساتذته وعمره ٨ سنوات ـ فقال بأنها مبالغ فيها ٠

كما اخذ عليه نقله حرفيا عن

كتاب محمد حسنين هيكل « خريف الغضب » عندما تحدث عن فترة الاربعينيات وعلاقة مصر بالحرب العالمية الثانية فى حين أرخ هيكل بطريقة مقلوبة لتلك الفترة والنقل عنه يذكيه ! ٠

وناقشه فى الفصل الذى تحدث فيه عن الحضارة العربية وذكر الحضارة الاسلامية اذ قال أن الحضارة العربية لم يعرفها العالم الا بعد ظهور الاسلام ومن خلال الحضارة الاسلامية ــ كما أخذ عليه عبارة « مصر فوق الجميع » عندما تحدث عن الولاية العربية المتساوية والمتعادلة فقال بان هذا وصف مخالف طالما أن مصر احدى الولايات العربية وطالما أن الباحث وصفها بالمساواة ٠

واختتم د٠ الدقن مناقشته بتوجيه الدعوة لأحد الباحثين فى قسم التاريخ لتناول الجانب التاريخى لحياة أحمد حسين ٠

وظهر د٠ محيى الدين عبد الحليم أستاذ ورئيس قسم صحافة الازهر متحفزا ومهاجما ٠٠ فبعد جمل مديح وثناء مقتضبة حول الاختيار الموفق لموضوع الرسالة وأهميته لقسم الصحافة والاشادة بالجهد المبذول والواضح فيها انتقل الى الهجوم على الباحث من خلال الرسالة التى وصفها بانها ينقصها كثير من الملاحظات المنطقية فبادأها بقوله :

« رشدى ظلم أحمد حسين فى رسالته خاصة عن مسائل تهمنا كأزهريين فى مدرسة الاعلام التى تنطلق من منطلقات اسلامية ، وهذا المنطلق كان بعيدا عن تناول الباحث رغم أن أحمد حسين أثراه ! كما اننى لم أر الباحث قد تعرض لسلبية واحدة من سلبيات أحمد حسين فحول رسالته الى مديح وثناء ودفاع عن شخصيته وهذا ما تعارض مع الموضوعية والحيدة التى لابد أن يلتزمها الباحث والتى افتقدها فى بحثه ٠

وانتقد الدكتور محيى الدين أسلوب النقل والاقتباس الذى غلب على الباحث اكثر من اسلوب التحليل والتفسير والاستخلاص ومن ثم ظهرت أجزاء كبيرة من الرسالة وكأنها جانب من السرد فغرقت فى بحر الاقتباس من الصحف والكتب والمراجع واختفت وجهة نظر الباحث وعلق د٠ محيى الدين على ما ذكره الباحث فى الصفحة رقم ٢٧ من أن دعوة جمال الدين الافغانى حجبت القومية المصرية ! فرد د٠ السيد الدقن بأن دعوة الافغانى كانت اسلامية انطلقت من فكرة تكوين الجامعة الاسلامية ومن ثم تغاضى عن الجانب القومى وطالب كل من ينضم الى الجامعة أن ينسى قوميته ولكنه اكتشف فى رحلة تالية أهمية القومية بصفة عامة وأنه من الخطأ ان تمحو القوميات صفتها قبل دخول الجامعة الاسلامية فالهدف من تأسيس الجامعة توحيد الخطط والسياسات ضد الغزو الاجنبى وليس محو القوميات ٠

واعترض د٠ محيى الدين على المقولة التى أوردها الباحث والتى تقول « لم يخف أحمد حسين وحسن البنا اعجابهما بالنظام الفاشى » قائلا : بان الباحث الازهرى يدافع عن زعيم معجب بالفاشية !

واختتم المناقشة د· أحمد حسين الصاوى المشرف على الرسالة قائلا بانه سيذكر نقاطا ذاتية ارتبطت به وشجعته على قبول الاشراف على الرسالة لأنه أحد أبناء مصر وتربطه علاقة وثيقة بأحمد حسين لبس قميصها الأخضر منذ كان تلميذا وشارك فى الجوالة ودق الطبول عند استعراضات شباب مصر الفتاة تحت سفح الهرم – فثوب مصر الفتاة أثر تأثيرا بالغا فيه بل ان أثره كان أعمق مما كتب أى باحث حتى الآن واضاف الصاوى بان الرسالة تلبى حاجة قومية لأن دراسة الشخصيات السياسية البارزة تقدم لنا التوجيه الذى نحتاجه عند تلمس خطانا. فلا شك أن الرسالة قد بذل فيها جهد كبير ·

وقال د· الصاوى ان المؤرخين اغفلوا دور الصحافة فى تاريخ مصر الفتاة ودلل على اهميتها ودورها الرائد متمثلا بصحافة عبد الله النديم من خلال صحيفة الاستاذ التى علمت مصطفى كامل الزعيم الوطنى والمتحدث البليغ – واضاف بأن دور الصحافة بارز فى الحياة الحزبية اذ غالبا ما كانت تنشأ الصحف قبل الاحزاب وكثيرا ما اسست الاحزاب على اكتاف الصحف ·

وقال د· الصاوى بأن الرسالة تناولت احمد حسين فى قطاع واحد هو الصحافة من خلال جهده فى انشاء الصحف وما كتبه وحددنا مواقفه والقينا الضوء على ارائه ويكفى لاحمد حسين انه قدم نموذجا رائعا لصحف المعارضة فى الصلابة والصبر والنضال الذى لا يتزعزع ، لقد قدمنا نموذج احمد حسين منذ عام ١٩٣٠ حتى عام ٥٢ واضاف بانه مع د· محيى الدين عبد الحليم فى ان الباحث لم يعرض لوجهات النظر الاخرى حول احمد حسين ولكنه يختلف معه فى نوعيتها فالدكتور الصاوى يقصد وجهات النظر الغربية

مسرح

مسرح الدولة والطريق الخطأ

● مع بداية العام عاد المخرج السيد راضى الى موقعه الذى تركه على رأس ادارة المسرح الكوميدى ومن يومها وهو يدلى بتصريحات صحفية تفيد بانه سيدير هذا المسرح التابع للدولة ، باسلوب ادارة مسارح القطاع الخاص ، لأن هذا – من رأيه – الاسلوب الانجح والأوفق فى ظل تفاقم أوضاع المسرح المصرى ، وحتى كتابة هذه السطور لم يفكر أحد فى الرد على هذا الكلام الذى ينسف نسفا فلسفة وأهمية ومعنى مسارح الدولة ·

وحتى لا يدع لنا فرصة لكى نتشكك فى صحة مزاعمه ، وهو يقدم اعمال المسرح الكوميدى باسم (ليلة مجنونة جدا) وهى هزلية كاريكاتورية أعدها محمود الطوخى عن نص أجنبى لمؤلف مجهول ، وهى لا تحمل أى قيمة فنية أو فكرية ، فالموضوع الرئيسى مفتعل والشخصيات هشة والاحداث مفبركة بلا رابط ، وكأن كل ذلك جمع على المواصفات التى يريدها مدير المسرح وذلك من أجل تحقيق رسالة المسرح الاولى وهى الضحك ، أليس اسمه المسرح الكوميدى ! وقد أخرج المسرحية رزيق البهنساوى متبعا نفس المفهوم فى استدرار الضحك الأجوف ، فلم يحاول أن يعالج قصور النص ولم يثبت طوال المسرحية أن وراءها مخرج صاحب رؤية

فنية ، وهو يجلب النجوم من غيــر العاملين فى مسرح الـــدولة ، وذلك ترسيخا لمنطق النجومية ، ويتم رفــع قيمة تذكرة الدخول بما يقترب من أسعار مسرح القطاع الخاص ، ثم يتحدثون بعد ذلك عن الادارة الحكيمة (!!) التى حققت النجاح ، والنجاح هو لفظ المتفرج صاحب الحق فى هذا المسرح من أجل افساح الطريق وتقديم المغريات لمتفرج آخر له ذوق ومواصفات مختلفة، تعود على الانحدار والاسفاف الذى ملأ المسرح الذى ألفه واستأمنه على « فلوسه » التى يدفعها مثلما يدفع فى ملهى او كباريه ، من أجل متعة غليظة ومن اجل لعب بالغرائز ومن اجل غياب العقل .

لجان القراءة الرشيدة

مشكلة رئيسية من مشاكل مسرح الثقافة الجماهيرية هى لجان القراءة ، فأى واحد يستطيع ببساطة ان يكتب خزعبلاته ويأخذ بنفس البساطة موافقات ثلاثة من اعضاء هذه اللجان الكثيرة ، والمشكلة انه ليست هناك قواعد فى اختيار السادة الاعضاء ، وان فكر أحدهم فى وضع قواعد فان بيروقراطية الجهاز كفيلة به وبأمثاله ، والحل الذى نراه هو تقليص عدد هذه اللجان ، وضرورة التدقيق فى اختيار اعضائها من ذوى السمعة الطيبة ومن الذين ليس فى قلوبهم مرض ، وبعدها يمكننا التحكم فى كل المنافذ من هنا يمكن أن تبدأ القراءة الرشيدة !

محمد الشربينى

كونسير

الحفل الختامى لاوركسترا القاهرة السيمفونى

● كان الحفل الختامى لموسم الصيف الذى قدمه اوركسترا القاهرة السيمفونى يوم الاحد ١٢ يوليو الماضى على خشبة مسرح الجمهورية حفلا مشهودا اكتظت فيه مقاعد المسرح . بل كواليسه وممرات بعشاق الموسيقى الرفيعة ، الى حد يجعلنا نتساءل :اذا كان هناك اقبال حاشد من الجمهور على هذا الفن الرفيع ، لماذا لا تقدم حفلات فرقة اوركسترا القاهرة فى مسارح تتسع له ، بدلا من ان تضطر ادارة المسرح الى الاستعانة بمقاعد جلبتها من الخارج ، خضوعا لرغبة الجمهور الحاشد الذى ظل واقفا ساعات طويلات امام المسرح رافضا الانصراف على الرغم من محاولة اقناعه بامتلاء المقاعد .. ونفاد التذاكر ، وكان ان قبل الكثيرون ان يدفعوا خمسة جنيهات مقابل ان يتاح لهم الوقوف (طوال اكثر من اربع ساعات) فى الصالة على الجانبين ، وأخرون قبلوا الجلوس على مقاعد غير مريحة فى الممرات ؟

على اية حال هى فرحة يشعر بها المرء وهو يرى اقبال المصريين على

الفن الرفيع ، مما يدل على ان المستمع الجاد موجود ، وان الفن الراقي له جمهوره ، على الرغم من كل شيء .

خصص الحفل لبرنامج من أعمال بتهوفن ، وفي البداية جاءت السيمفونية رقم ٥ من مقام دو صغير (عمل رقم ٦٧)التي تعتبر كما يقول الناقد الموسيقي أحمد المصري من اشهر الاعمال التي كتبها بتهوفن ، بل يمكن القول بانها اشهر الاعمال السيمفونية بشكل عام .. وهي كعمل فني تعتبر من اتم واكمل الاعمال السيمفونية من وجهة الصياغة الموسيقية .

أما الفقرة الثانية فقد قدمت الفرقة افتتاحية ليونورا رقم ٣ (عمل رقم ١٧٢) ويقول احمد المصري : ان المعروف ان بتهوفن لم يكتب للمسرح الغنائي طوال حياته سوى اوبرا واحدة (هي اوبرا فيديليو) ولكن لم يكتب لهذه الاوبرا في اول الامر النجاح المنشود . واضطر بتهوفن الى ادخال بعض التعديلات عليها ، لتصبح لها اربع افتتاحيات ، وتعد هذه أهمها ، وقد كتبها بتهوفن لتقدم عند اعادة عرض اوبرا منديليو بمدينة براج .

ثم كان ختام الحفل الحاشد بفنتازيا من مقام دو صغير للبيانو والكورال والاوركسترا (عمل رقم ٨٠) التي اشترك في ادائها مع اوركسترا القاهرة السيمفوني كورال اوبرا القاهرة بقيادة الرومانياتو ، وسوليت (بيانو) تاتيانا فراتوفا .

مكتبة الهلال



الكتاب : اعمال صلاح جاهين
الناشر : مركز الاهرام للترجمة والنشر

اصدر الاهرام اخيرا مجموعة اعمال الشاعر صلاح جاهين في اربعة كتب منفصلة ، كل منها خصص لجانب من جوانب عطاء فناننا الكبير ، وفي طبعات كاملة ، اضيفت اليها الاعمال التي لم يسبق نشر بعضها في أي من دواوين صلاح جاهين السابقة أو ضمن المجلد الذي سبق واصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب تحت عنوان « ديوان صلاح جاهين » وبذلك يمكن القول بأن النتاج الغنائي والزجلي والشعري اصبح الان متوفرا لعشاق فنه ، والدارسين والنقاد ،وان كانت هناك ملاحظة ، فاننا نرجو ان تتمكن ادارة نشر الاهرام في الطبعة الثانية لهذه الاعمال من تشكيلها ، وعمل الهوامش الضرورية ، لبعض المفردات ، او تلك التي تفيد الباحثين بربط بعض الاعمال التي كتبها جاهين بالمناسبة التي سجلتها ، لان كثيرا من اعماله ، الغنائية ، دواوين صلاح جاهين والزجلية بالذات ، ارتبطت بمناسبات قد تحتار امامها الاجيال الجديدة التي لم تتح لها فرصة التعرف على الاحداث التي سجلتها .

لكن هذا لا يقلل من قيمة هذه الطبعة ، والامل ان يتوج هذا الجهد بدراسات ننتظرها من النقاد



الكتاب : ديوان الاراجوز
شعر : فؤاد حداد
الناشر : سينا للنشر
٢٥٠ ص - ٣ ج م

ضمن فيض العطاء الذى لا ينفد يصدر هذا الديوان ، لشاعرنا (هل نقول مرة أخرى: الراحل) فؤاد حداد ، الذى تكتمل بعد اعماله بين ايدينا ، ويبدو انها لن تكتمل قبل مرور بعض الوقت ، فكل يوم تكتشف المزيد والمزيد من عطاء هذا الشاعر الرائد الذى تتلمذت على يديه كوكبة شعراء العامية ، الذين اعترفوا بقدرته ، وريادته ، ومن هنا ، فان كتابة عجالة عنه ، يعد من قبيل التهوين بالخطير الجليل ، فكيف يمكن ان تستوعب حضرته وهو يقول :

الله يقدرني على حمالى
يهدينى خيط من دم موالى
بفصل يوالى صوتى فى المعركة
أنا كنت اهل الكهف
وكنت اهل الدنيا
وكنت خيط فى الكف
وكنت خيط فى الدميه
وكنت صوت أراجوز فى عين شمس
فاجر شديد اللمس



الكتاب : موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم
تأليف : د . ناصر الانصارى
الناشر : دار الشروق
٢٣٢ص-٥ ج . م

تأتى هذه الموسوعة ، ضمن نشاط ملحوظ فى مصر والعالم العربى ، فى مجال نشر الموسوعات، والقواميس، التى وان تعددت ، وتشرت الدور فى اصدرها ، فاننا مازلنا نحتاج الى الكثير منها .

وفى سبيل التاكيد على جدية هذا العمل فلابد من التنويه بخبرة مؤلفه ، الذى حصل على دكتوراه الدولة فى القانون مع التخصص فى تاريخ النظم القانونية والسياسية والاجتماعية من كلية القانون بجامعة مارسليا الفرنسية ، وعن موضوع قريب من هذا العمل ، بل يعد سندا له هو المراسم فى القانون العام المصرى « دراسة تحليلية لنظم المراسم فى العصور المصرية على مدى التاريخ من الفراعنة الى يومنا هذا .

كما اتاح له موقعه كامين لرئاسة الجمهورية فى ديوان كبير الامناء لمدة اثنى عشر عاما ان تتاح له الوثائق اللازمة لمثل هذا العمل الهام ، مما دفع الدكتور احمد قدرى الى القول عن العمل : « انه يقدم اسهامة مؤثرة للغاية على طريق الوعى

التاريخي لشبابنا وطلبتنا ، وللمواطن العام فضلا عن تلبية اغراض الدارس المتخصص في عين الوقت ·

ومن الجديد بالتسجيل هنا ، علاوة على التعريف الموضوعي لكل حكام مصر اضاف المؤلف جزءا خاصا شمل صور حكام مصر الذين توفرت لهم رسوم قديمة ، او صور حديثة ، بالاضافة الى فصل خصصه للخرطوش الفرعوني والطغراء المملوكي والعثماني ، بالاضافة الى شعارات الدولة واعلام مصر ، والنوتة الموسيقية للسلام الوطني الملكي حتى عام ١٩٦٠ ، ثم الجمهوري الاول حتى عام ١٩٧٩ ثم السلام الاخير ·



الكتاب : الفجوة
تاليف : اشرف راضي
تقديم : د. محجوب عمر
الناشر : دار البيادر
١٤٨ص - ٤ ج م

كثيرة هي الكتابات السريعة ، غير العلمية، التي تناولت هذا التنازع المميت للتجمع الاسرائيلي ، وهو التنازع الحضاري العرقي الفارق بين اليهود الغربيين (الاشكيناز) واليهود الشرقيين (السفارديم) ·· لكن هذا الكتاب واحد من كتب قليلة تختط الطريق الصحيح في الدراسة · طريق البحث الموضوعي الذي يتسلح بالمعلومات الضرورية التي لا يقوم بسردها بشكل مجرد ، بل يعمل على كشف دلالاتها ،واغوار ماترمي بناء على معطيات واقع القضية، لا الوهم، او التمني · فنجده وقد اوضح الاساس المادي للفجوة الاجتماعية بين الطائفتين ، مستعينا بالمؤشرات الديمقراطية اي مجموعة البيانات الاحصائية الاساسية الخاصة بالسكان ، ثم الفجوات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والفجوة في العمالة ونوعية الوظائف كما يؤدي الى فروق اساسية في الدخل والانفاق ، ومستوى المعيشة ، بالاضافة الى الفروق التي تنعكس على المستوى الثقافي والتعليمي ، واختلاف انماط القيم والسلوك ، ثم التحيز ضد اليهود الشرقيين في التمثيل السياسي الذي ينعكس بدوره على هيئة سيطرة كاملة لليهود الغربيين ضد اليهود الشرقيين

صدر حديثا

● سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، تاليف جوزيف داهموس وترجمة محمد فتحي ، نشر الهيئة العامة للكتاب ، الثمن ٢١٠ ق ·

● المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الاسرائيلية ، تاليف دمنى ناظم ، نشر الاتحاد للصحافة والنشر، توزيع القاهرة دار الهلال ١٠٠٠ ق ·

● مسافر في الطوفان شعر محمد محمد الشهاوي، نشر المستقبل للطباعة والنشر ببورسعيد ، ٢ ج م ·

● الضفة الثالثة ، رواية اسعد محمد علي، نشر مكتبة السيد يس ببغداد ، ١٫٢٥٠ دينار عراقي ·

● رؤية ديستويفسكي للعالم تاليف نيقولا برديائف ، ترجمة فؤاد كامل ، نشر دار الشئون الثقافية ، بغداد ، دينار ونصف عراقي ·

قضايا ومواقف

الغياب العربى عن تطوير التعليم العربى

بقلم : د . سعيد إسماعيل على

فى مساء أحد ايام شهر يونية الماضى ، كان الاجتماع فى قاعة احمد لطفى السيد بجامعة القاهرة يضم وزراء سابقين ورؤساء جامعات حاليين وسابقين وبعضا من وكلاء وزارة التعليم ، وكاتب هذه السطور ، وكان الاجتماع برئاسة الدكتور احمد فتحى سرور وزير التعليم وكانت اللجنة التى كلفت برئاستها فى تشكيلات المؤتمر القومى لتطوير التعليم الذى انعقد هذا الاجتماع بشانه ، هى لجنة « ديمقراطية التعليم » .

وكان الرأى الذى أكد عليه د . سرور ، أن الهدف من هذا المؤتمر ليس هو حل مشكلات التعليم ، وانما الاستماع الى أراء الجميع واثارة الاهتمام فى كل بيت وجميع قطاعات الشعب .

واذا كان من غير المنتظر ان توجد الحلول ، فان الذى لاشك فيه ، انه من الضرورى ان تبرز اتجاهات توجه مسار العمل التعليمى ..

هو مؤتمر يدور حول كليات التطوير لا حول جزئياته ..

فى البداية : كانت الفكرة الرئيسية ،

ان يكون المؤتمر خاصا بتطوير التعليم الجامعى ، ثم رؤى فى وقت متأخر ان يمتد ليشمل كل التعليم ، ولعل هذا يفسر اختلاف (المنهج) بالنسبة لكل من القطاعين الرئيسيين : ففى قطاع التعليم الجامعى ، نجد اللجان تناقش بحوثا كلف بها عدد من اساتذة الجامعات وخبراء التعليم سيقدمونها بصفتهم الشخصية لتعبر عن أرائهم الخاصة . اما بالنسبة للتعليم قبل الجامعى . فليست هناك بحوث مطروحة ، وانما (تقارير) رسمية انتهت اليها لجان كان وزير التعليم قد شكلها منذ شهور واستغرق عملها وقتا طويلا . ومن هنا فالافكار التى تحملها لاتنمى الى فرد بذاته وانما هى افكار لها الطابع الرسمى الجماعى .

ولاشك ان هذا الاختلاف ، وان كان مفهوما من حيث الظروف التى ادت اليه ، فإنه بطبيعة الحال لايستقيم مع المنطق ، هذا فضلا عما يمكن ان نلاحظه من ان التعليم الجامعى قد حظى بخمس لجان رئيسية ، اما التعليم ماقبل الجامعى فلم يحظ الا بأربع . ويتنافى هذا ايضا مع المنطق العلمى والتربوى والقومى ؛ فالقطاع الاول هو قطاع الصفوة على نحو ما ، أما الثانى فقطاع الجمهرة الكبرى .. الاول يضم نصف مليون طالب على الاكثر ، والثانى يضم ما لايقل عن عشرة ملايين . الا يدل هذا على ان الذين يخططون ويرسمون السياسات تسيطر على اذهانهم ايضا فكرة ان الجامعة هى صاحبة الخطوة الاجتماعية والمكانة المرموقة ، اما ماعداها فثانوى وقليل القيمة ؟ هل نلوم بعد ذلك اولياء الامور والطلاب عندما يتزاحمون على ابواب الجامعات طالبين الالتحاق بها فنصرخ فى وجوههم بأن الجامعة ليست كل شىء وان هناك مسارات اخرى (محترمة) انها بالفعل « قسمة ضيزى » حسب التعبير القرآنى الكريم !

عند عودتى الى المنزل ، وجدت دعوة وصلتنى من (اتحاد التربويين العرب) فى بغداد لحضور مؤتمر يعقد هناك تحت شعار (التربية فى الوطن العربى فى عالم متغير) من ٢٨ ـ ٣٠ يونية .. ولبيت الدعوة .

وترجع فكرة هذا الاتحاد الى توصية جاءت ضمن توصيات اول مؤتمر للتربويين العرب دعت اليه الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية فى يونية من عام ١٩٧٥ . وتشكل الاتحاد بالفعل اثناء انعقاد المؤتمر الثانى الذى عقد ايضا فى بغداد عام ١٩٧٨ .

وفى إحدى قاعات فندق بغداد بشارع السعدون الشهير ، كانت الإجتماعات التى حضرها ممثلون من بعض البلدان العربية وشخصيات مسئولة سابقة وحالية ذات اسماء رنانة فى عالم التعليم العربى : د . عبد العزيز البسام ، د . طه الحاج الياس ، د . مسارع الراوى ، من العراق ، ود . عبد الله كريم الدين مدير ادارة البحوث التربوية بالمنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس ، ود . سعد الهاشل عميد كلية التربية بجامعة الكويت ، ومن مصر كان كاتب هذه السطور ود . حامد زهران استاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس ود . نبيل نوفل ود . عزيز حنا والاخيران : اولهما يعمل حاليا بالبحرين والثانى ببغداد وهما مصريان

.. وغير هذا وذاك ، آخرون من بلدان عربية عدة .

لقد كان الاتحاد قد وجه الدعوة الى اثنى عشر عالما واستاذا من اساتذة التربية وعلم النفس في مصر ، لكن عشرة منهم مع ألاسف الشديد اعتذروا عن الذهاب بحجج مختلفة ضعيفة السند ، وكان السبب الحقيقي عند البعض ، هو الخوف من « جو الحرب » الايرانية العراقية ، هذا الجو الذى لم نشعر به في بغداد ، حيث كانت الحياة تسير في مجراها الطبيعي ، على الاقل امام اعيننا !

لم تكن المسألة غياب اشخاص ، وانما هى قضية التواصل والتلاحم مع العقول القادمة من مختلف انحاء العالم العربي ، فضلا عما يمكن ان يؤدى اليه حضور المعتذرين من تكثيف للافكار والاراء المصرية ، مما لابد ان يؤدى الى مزيد من التلاحم ، والتفاعل يذيب ما قد تسببه الحماقات السياسية من ثلوج تتراكم على الطريق تعيق الاتصال وتمنع التقارب ...

اغلب الظن ان القارىء سيتساءل على الفور بينه وبين نفسه : ما العلاقة بين هذا وبداية المقال ؟

هذه هى القضية التي تشغلنا حقا ..

فنحن نعلم جميعا تلك الاثار الجانبية التى ترتبت على عقد معاهدة كامب ديفيد من حيث الغياب المصرى عن كثير من المؤتمرات العربية الكبرى وخاصة تلك التى تتعلق بشئون تعليمية او ثقافية او اقتصادية او اجتماعية ...

ونعلم جميعا الخسارة الفادحة لكلا الطرفين : الطرف المصرى ، وبقية الدول العربية الاخرى وان الرابح الوحيد هو العدو المشترك ..

● الغياب المصرى

وعلى الرغم من عدم منطقية هذا الغياب - ايا كانت المسئولية فيه ، ومن يتحملها - فى السنوات القليلة التى تلت توقيع المعاهدة ، فإن ذلك على اية حال ، كان امرا مفهوما .

واذا كانت هناك دول عربية تحرص على الغياب المصرى عن المؤتمرات العربية ، فهذا ايضا رغم سخفه ، فإن دوافعه واهدافه مفهومة .

لكن الذى يصعب على المرء فهمه حقا ، هو ، لا اقول (الغياب العربى) وانما (الشعوب العربى) فى المؤتمرات المصرية . واذا كان البعض يرد بان هذه صورة من صور المعاملة بالمثل ، فاننا نقول ان القضية هى : هل هذا صواب ام لا ؟ هل هذا على المدى القصير والطويل فى اتجاه المصلحة القومية والوطنية أم لا ؟ واذا كانت تصرفات الاخرين تنم عن صغار وقلة عقل ، فهل تكون المعاملة بالمثل ان نثبت نحن ايضا اننا نتصرف كصغار ومحدودى عقل ؟

لاأقصد بكلماتى هذه المؤتمر القومى لتطوير التعليم بصفة خاصة ، وانما اتناول هنا قضية عامة نلمسها فى كثير من المواضع والمواقع . واذا كان هذا الحديث

يوحي بالبحث عن العيب في الساحة المصرية ، فسوف نبين في موضع آخر ان اخوة عربا يشاركون كذلك في استحقاق اللوم وفي استحقاق العتاب .

وبالنظر الى القضايا المحورية للمؤتمر القومي المصري للتعليم وما يندرج تحتها من عناصر وفروع ، نجدها تدور كلها على وجه التقريب على الاقليم المصري مستبعدة البعد العربي . وعندما نقول هذا ، فنحن لا نقصد ان تجيء (العروبة) كشعار وجمل سريعة عارضة وانما كـ (فلسفة) و (توجه) و (منهج) . وعندما كنت اسمع في الاجتماع المشار اليه في بداية المقال اسماء الشخصيات والهيئات التي اقترح توجيه الدعوة اليها ، لم تطرق اذني اسماء شخصيات وهيئات عربية .

وربما يقول قائل ان المؤتمر خاص بتطوير التعليم المصري ، وهنا نؤكد ان ذلك أدخل في باب "عذر اقبح من ذنب" . ان كاتب هذه السطور لا يخالجه ادنى شك في ان اي اصلاح او تطوير للتعليم يسقط الورقة العربية من حسابه ، فانما يسيء الى مصر ، قبل ان يسيء الى البلدان العربية الاخرى .

ادرنا بصرنا الى العالم الغربي الذي تتحدث شعوبه لغات متباينة : انجليزية ، فرنسية ، المانية ، اسبانية ، ايطالية .. الخ ، ومع ذلك تتجمع في برلمان مشترك وسوق اوربية مشتركة وحلف .. الخ ، فلابد ان يتملكنا الاسى والحسرة : مابالنا ونحن الذين نتكلم لغة واحدة على هذا النحو المزري من التفكك والتعارك ؟

ولو تأمل احدنا في المأساة اللبنانية ، لاستطاع ان يرى سببا اصيلا - ضمن اسباب اخرى - جعل الصيغة اللبنانية صيغة هشة يسهل تفكيكها وضربها ، فالجمهرة الكبرى من مؤسسات التعليم ، كانت طائفية ، كل منها يتبع طائفة معينة لها مناهجها ولها اساليبها وفلسفتها واهدافها التي تتباين مع الأخرى ويخضع الطفل اللبناني منذ نعومة اظفاره لهذا التباين والاختلاف .. انه يحرم من تلك الصيغة القومية الموحدة العامة في تعليم المرحلة الاولى التي يتربى وفقا لها اطفال كل دولة من دول العالم : شرقه وغربه ، اشتراكييه ورأسمالييه . ومن ثم كانت هذه المؤسسات التعليمية تفرز للساحة اللبنانية (طوائف) متنافرة مختلفة ، فهل ندهش بعد ذلك ، ان نجد هذه (الطائفة التعليمية) وقد تحولت فيما بعد الى مليشيات مسلحة ؟

● لوم متبادل

ان التعليم هو تلك العملية التي تصاغ بها العقول والثقافات والقيم والاتجاهات فاذا ما سارت في المجرى الاقليمي الضيق ، فان ذلك يكرس التجزئة ويوهي عرى ماهو قائم من روابط ، في وقت تشهد فيه بقية دول العالم الاخرى مساعي الى التجمع والترابط في كيانات متعددة ، ولو

في غيبة العقلانية ، وفي مستنقع التخلف ، وفي هاوية الطائفية ، كلما اشتد تباين العقول ، واختلفت الاراء اختلافا حادا ، يصبح من المألوف ان يتم التحاور بالرصاص ، لا بالافكار ..

واذا كان عناد البعض قد ادى باخراج المصريين من عدد من المنظمات العربية

المشتركة ، فلا ينبغي على مصر ان تخرج العرب من تفكيرها .

واذا كان عالم السياسة له اتجاهاته واوراق لعبه ، المعروف منها والمجهول ، وله حساباته ، فلماذا نمد سيئات هذا العالم الى العوالم الاخرى الاقتصادية والثقافية والتعليمية والاجتماعية ؟ صحيح ان (السياسة) هي التي تحكم وتوجه ، لكن هناك مجالات وفرص نملكها بأيدينا ونبددها ايضا بأيدينا : فهذا المؤتمر العربي ببغداد : لماذا نتقاعس عن المشاركة فيه ؟وهذا المؤتمر القومي للتعليم في مصر : لماذا يغيب الوجه العربي منه حيث لانتوقع ابدا ان هناك توجيها سياسيا بذلك ؟

واذ نوجه اللوم الى انفسنا في مصر ، فاننا نوجهه ايضا الى الاخوة العرب في مناسبة اخرى سابقة ، على نفس الطريق : طريق تطوير التعليم .

ففي الحادي عشر من ابريل الماضي ، عقدت رابطة التربية الحديثة في مصر مؤتمرا كبيرا تحت شعار (نحو مشروع حضاري تربوي لمصر) في كلية التربية بجامعة عين شمس .

وواضح من العنوان انه يتسم بالاقليمية ، ومع ذلك فقد حرصت باعتباري المقرر العام للمؤتمر ، ان اوجه الدعوة الى بعض الهيئات والمؤسسات العربية ذات الطابع القومي المشترك ، مثل مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربي ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج والمنظمة العربية للتربية والثقافة ، مؤكدا ان الشعار وان كان يوحي بالاقليمية ، فإننا نعي تماما ان التفكير في مصر لابد ان يحتل فيه الركن العربي مكانا رئيسيا ، ومن هنا يهمنا ان نسمع رأى الاخوة العرب .

المحزن حقا ، ان احدا لم يرد ، باستثناء مكتب دول الخليج الذي اعتذر لعدم مناسبة الوقت لظروفهم . وغلبنا حسن النية وقلنا لانفسنا : ربما لم تصل اليهم الدعوة ! ، وصلنا الى هذا الرأى بعد حيرة كبيرة في تفسير هذا الموقف ، وكان الاحتمال الغالب في اول الامر هو ان الرابطة ، لقصر يدها ، وفقرها المالي الشديد ، لم تتعهد بتحمل نفقات السفر والاقامة !

واذا كان المدعوون من اقطار اخرى يمكن ان يكون لهم العذر ، فماذا يمكن ان يكون عذر من يقيمون في مصر نفسها ؟ لقد ارسلنا دعوات الى مختلف الاحزاب السياسية ، والى كثير من الهيئات الاخرى ، مثل نقابة المعلمين والمركز القومي للبحوث الاجتماعية ومعهد التخطيط القومي والجامعة العمالية ، فضلا عن عدد من المفكرين ، ايمانا منا بأن تطوير التعليم ليس قضية فنية ينفرد بها اساتذة وعلماء التربية وعلم النفس ، وانما هو قضية قومية لابد فيها من مشاركة كافة القوى والهيئات والمجالات الاخرى .

ومع ذلك فإن كثيرين من هؤلاء لم يلب الدعوة او حتى يعتذر عنها . بطبيعة الحال ، فهناك مايمكن ان يفسر ذلك ، وهو ايضا

يرجع الى ان الرابطة لاتملك ثقلا اعلاميا يتيح لها فرصة اسماع صوتها ونداءاتها .

وقد ادى غياب القوى والمؤسسات العربية ، وغياب القوى والاحزاب السياسية المصرية والهيئات الاخرى البحثية ، الى مأزق كبير واجهه المؤتمر ، وهو : تفريغ المشروع المأمول من ابعاده الحضارية العامة .. لماذا ؟ لأن معظم الذين لبوا الدعوة ، كانوا من اعضاء هيئات التدريس بكليات التربية الذين تنحصر نظرات الجمهرة الكبرى منهم فى القضايا الفنية المهنية مثل : اثر طريقة تدريس معينة او منهج معين على التحصيل المدرسى وما شابه ذلك .

لكننا والحمد لله استطعنا ان نستقطب عددا من المفكرين الذين لبوا الدعوة مشكورين مثل د . لويس عوض ود . حلمى مراد ، ود . مصطفى كمال حلمى ود . سيد عثمان ود . محمد ابراهيم كاظم مدير مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى البلدان العربية ، مما غذى افكار المؤتمرين ببعض الملامح والمؤشرات الحضارية العامة .

وكان كم الابحاث ضخما الى الدرجة التى جعلتنا نخرجها فى اربعة مجلدات .

● آفة التطوير

لقد كان من حقنا ان نتساءل : اذا كان الجهاز الرسمى المسئول عن التعليم فى مصر يريد رسم استراتيجية مستقبلية لتطويره ، أليس هذا هو نفس هدف مؤتمر : نحو مشروع حضارى تربوى لمصر ، وان اختلفت صياغة العناوين ؟ لماذا لم يلق بثقله اذن فى المؤتمر الاول ، وآثر ان ينفرد هو الاخر بمؤتمر قومى عام ؟ ولا يخفف من تساؤلنا هذا أن مؤتمر الرابطة كان برعاية وزير التعليم نفسه وهو الذى افتتحه شخصيا !

لعلنا بهذا نضع ايدينا على آفة التطوير فى مجال التعليم ، ذلك انه فى اغلب الاحوال يفتقد ركنين اساسيين :

الركن الاول هو « التراكمية » بمعنى ان يكون حلقة من سلسلة متصلة من جهود سابقة على طريق التطوير يستفيد منها ولايكررها ، ويسير بها خطوات الى الأمام نحو النمو والتقدم والحادث هو العكس : ان تجيء الخطوة الحالية متجاهلة سابقتها ، بادئة ، لامن حيث انتهى السابقون ، وانما من حيث بدءوا ونكون بهذا قد سرنا - ومازلنا - على طريق دائرى ، لاطريق مستقيم ، فنظل نلوك ماقرأناه ، وما سجلناه ونجتره عشرات المرات دون خطوات الى امام ، فتتحول جهودنا الى نقوش على سطح ماء ، لا خدوش على سطح حجر ، او حتى على سطح من الرمال !

الركن الثانى ، هو الركن القومى ، بمعنى التواصل بين الجهود العربية الاخرى فى تطوير التعليم ، لابمجرد الاستفادة بها وانما بادخال المصالح والمتغيرات العربية فى عناصر التفكير . واذا كان الاقتصاديون يتحدثون كثيرا عن حلم (التكامل الاقتصادى العربى) ، وان الجهود الاقتصادية العربية اذا اتصلت وتعاونت وتكاملت ، استطاع العرب ان يقهروا شياطين وسرطان التخلف والمديونية ، فاننا هنا نشير ايضا الى حلم (الوحدة الثقافية) التى لاقوام لها الا بوحدة تعليمية

العالم في سطور

استانبول

● عندما تكون الاميرة .. مؤلفة

ماذا يمكن ان يحدث لو انشغلت الاميرات بالفنون المختلفة · مثلما فعلت الاميرة ثريا زوجة شاه ايران الاسبق · ثم ايرادى فرستنبورج – التي تزوجت امير موناكو اخير –

كنيزة مراد



عندما عملتا في السينما · واخيرا الاميرة التركية كنيزة مراد التى قدمت رواية ضخمة تقع في ٦٠٠ صفحة تحمل عنوان « حكاية الاميرة الميتة ».

وكنيزة هي سليلة السلطان العثماني مراد والسلطان الهندي «جتيجه» وفي روايتها الاخيرة تتحدث من خلال تاريخ العثمانيين والقرون الستة التى ارتفعت فيها دولتهم عن سلمى · الحسناء · ذات الشعر الشرقى الاسود المجعد والبشرة اللبنية و لعينين الخضراوين كانهما الزمرد · والتى تروى مذكراتها فى المنفى بعيدا عن حريم السلاطين ·

تقول الكاتبة انها قد اتجهت الى الرواية بعد أن انتهى عصر الاميرات خاصة في تركيا وجربت الاقامة في الفنادق الرخيصة باوربا وان سلمى بالنسبة لها تمثل حنين الماضى حول امرأة محاطة بالخدم الذين يمثلون القصر · ومثلما كان الجاه من لوازم السلطنة · فان المنفى ايضا شيء حتمى لاميرة حملت ميراث ابائها على كتفيها فعندما طارد كمال اتاتورك امراء العثمانيين · هربت سلمى وامها الى لبنان · واقامت فى بيروت بضع سنوات · وتزوجت اميرا هنديا لم تره من قبل · ورغم انه تعلم فى انجلترا ويبدو معاصرا الا انه كان محكوما دوما بتقاليده التى تعلمها · بل قال لها يوما انه لم يتزوجها لانها اعجبته · ولكن ببساطة لانها سليلة سلاطين مثله ..

لم تكن الاميرة كنيزة فى الواقع

سوى نتاج هذه الزيجة التي ربطت بين امها القادمة من تركيا و.بيهـــا الهندي . لذا فانها تشعر أن الدماء تختلط في عروقها خاصة انها تعلمت منذ طفولتها في اوربا .

وتقول الكاتبة انها قبل ان تكتب رواياتها ذهبت الى مراكز المعلومات تفتش عن تاريخ أسرتيها الهنـــدية والتركية فرحلت الى لبنـــان والهند وتركيا والعديد من المدن الاوربية .. لذا فان الرواية هي اقرب الى البحث التاريخي منها الى رواية ابداعية .



باريـــس

● نجمك المفضل في مجلة فرنسية

في الاستطلاع الذي أجرته مجلة لوموان في يونية المـــاضي عن احب الشـــعوب او ابغضـــها او احب الشخصيات واكثرها كراهيـــة لدى الشعب الفرنسي ، فازت مصر بمكانة لا بأس بها في قلب الشخصية الفرنسية فقد أبدى ٤٦٪ من الاشخاص الذين اجرى عليهم الاستطلاع تعاطفا مـــع مصر . بينما كانت نسبة الذين وقفوا ضدها ٩٪ فقط . واعلن ٣٨٪ منهـــم أنهم غير متعاطفين او معـــــارضين بينما اعلن ٧٪ انهم بلا رأى حول هذا الموضوع .

تضمنت استمارة الاستطلاع العديد من الدول . وكانت بلجيكا هي الدولة الأكثر قربا من الشعب الفرنسي تلتها كندا ولوكسمبورج وهولندا وايطاليا. أما الولايات المتحدة فقد حصلت على نسبة ٥٨٪ تليها المملكة المتحـــدة واستراليا والهند ثم بولندا واليابان ومصر ...

حصلت اسرائيل في هذا الاستطلاع على نفس النسبة التي حصلت عليها مصر .. بينما حققت الجزائر نسـبة ٣٢٪ . وجاء في مؤخرة القائمة كل من كوبا والعراق وسوريا وليبيـــــا وايران ..

ومن خلال الخريطة المنشورة مـــع التحقيق الخاص بهذا الموضوع يمكن تقسيم العالم الى عدة مناطق . فوسط اوربا قريب بشعبه وثقافتـــه الى الشعب الفرنسي يليه الامريـــكتان والاتحاد السوفيتي وشرق اســـيا واستراليا . اما منطقة الشـــرق الاوسط وجنوب افريقيا فقد حققت اقل نسبة من القبول اما عن الشخصيات المحببة فقد حظى البابا بول الثـــانى بأعلى نسبة . لم ينافسه احد .وجاءت بعده بمسافة كبيرة كورى نكيتـــو وهيلموت كـــول . وراجيف غاندى ورونالد ريجان . اما الشخصيات التى جاءت في آخر القائمة فهم الجنرال ياروزلسكي والجنرال بينوشــــيه والامام الخوميني والعقيد معمـــر القذافي .

موسكو

● رسائل الدكتور بوريس
.. الى ابنة عمته



بوريس باسترناك

يحاول الباحثون - والناشرون بصفة خاصة - البحث عن نصوص ادبية لم تنشر للراحلين من مشاهير الكتاب . وعندما يستنفدون تماما كل السبل ولا يجدون مسودات ادبية فانهم يروحون يبحثون عن المراسلات التى ارسلها هؤلاء الكتاب الى الاقربين اليهم .. وعادة ما تعتبر هذه الرسائل امتدادا لادب كاتب ما خاصة اذا ارسلها لحبيبته او لزوجته او لاحد اصدقائه المقربين الى عقله ووجدانه . وبعد رسائل هيمنجواى ومونترلان ها هى الرسائل الكاملة التى ارسلها الكاتب الروسى بوريس باسترناك الى حبيبته أولجا فرندبرج . وفى الاشهر الاخيرة سلطت الاضواء على باسترناك بعد السماح لروايته دكتور زيفاجو بالنشر فى موسكو عقب منعها لمدة ثلاثين عاما .

كانت اولجا احدى اقرب الشخصيات الى بوريس . وهى ابنة عمته . وكثيرا ما كتب اليها يتحدث عن مشاعره ومشاريعه واخباره . ولدت معه فى عام ١٨٩٠ . وتربيا معا فى نفس البيت الواقع على الاودسا . ثم انفصلت عنه عندما ذهب الاب باسترناك الى موسكو للاقامة فيها . ثم عاودا اللقاء وهما فى سن العشرين وعندما كانت المدن تفرقهما كانت المراسلات هى الوسيلة الوحيدة بينهما . وبينما درس بوريس الطب كانت أولجا تهتم بعالم الاحياء فكان كل منهما يذهب حيث يؤدى واجبه ، لذا ابتعدت المسافات اكثر واكثر وكانت السطور القادمة عبر الرسائل مليئة بالدفء الذى يذيب جليد الطريق وقد كانت اولجا هى دائما القارئة الاولى لكل اشعار الكاتب ورواياته .

من اطرف ما كتبه باسترناك لابنة عمته فى عام ١٩٤٦ : « لقد اصبحت رجلا كهلا ، وسأموت عما قريب . لذا فقد بدأت فى كتابة رواية نثرية ضخمة فى الواقع انها أولى اعمالى الحقيقية » .

وكانت الرواية هى الدكتور زيفاجو التى استغرق فى كتابتها ثمانى سنوات كان يرسل فصولها اولا باول الى اولجا .

روما

واذا دخل المفكرون .. البيوت

رغم ان وسائل الاعلام تحاول ان تبرز الفنان الايطالى توللير بريكولى ـ ٥٠ عاما ـ فان مجلة الهلال قد سبقته بعشرات السنين .

يحاول بريكولى ان يؤكد على نجومية رجال الادب والمعرفة بنفس الدرجة التى تفعلها هوليود مع كبار نجومها . فهو يقوم برسم صورة « بوستر » .. كبيرة لمشاهير الادباء والمفكرين ويقوم بتوزيعها على دور النشر لطبعها وبيعها فى المكتبات التى تبيع صور ملكات الاثارة وكبار نجوم السينما .

الجديد فى صور بريكولى انه لا يرسم «بورتريه» تقليديا جيد التنفيذ لهؤلاء الادباء . بل انه يضعهم فى اطار كاريكاتورى رقيق . وفى اغلب لوحاته قد لا تشكل المساحة المرسومة للكاتب سوى جزء صغير قياسا الى الفكرة التى تدور حولها اللوحة .

فقد رسم فرويد مثلا يجلس فوق مقعد خيزرانى صغير ومن اسفله ارض واسعة تناثرت عليها اعترافات المرضى النفسيين اما جيمس جويس فقد استند بظهره على مكتبته الضخمة وراح يقلب فى احد كتبها وقد ارتدى بيبونا كبيرا وبدا كأنه ينام وهو يقرأ .. وراح بيرانديللو من وراء ستار صغير يتطلع بعينيه . الى الجمهور وكأنه يقوم بتلقينه اصول المسرح . وتحولت كاميرا فيللنى الى عين حية يشاهد بها الواقع الذى حوله . بينما اصبحت رابطة عنقه شريطا سينمائيا سماوى اللون .

اتسمت اغلب خطوط لوحات بريكولى بالبساطة . كما استعان بالالوان الصافية واكسب هذه اللوحات شفافية واحساسا عاما بتفاؤل الفنان .

بريكوللى وخلفه لوحات الادباء



رواية التجسس نوع أدبي جديد

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

منذ أن كانت منافسة بين الأفراد والمجتمعات والأمم كانت الجاسوسية ، وكان من يتحدث عنها مؤرخا أو مصورا ..

فالأنسان البدائي ، يعيش في الكهوف ويقتات الحشائش ، عليه ليأمن في نومه ويقظته ، وعمله وحركته ، أن يتبين طبيعة الحيوان الذي يجاوره ، أو يرتاد مهبطه ، ليعرف كيف يتقى شره إن كان جارحا كاسرا ، أو يفيد من عونه إن كان هادئا مستأنسا .. وهو يصنع ذلك مدفوعا بغريزة حب البقاء ، وليست محاولته معرفة واقع المنطقة التي يعيش فيها إلا نوعا من الجاسوسية في صورتها المبسطة للغاية ، تناسب حياته وفهمه ومستوى تقدمه ..

ومع تطور الانسان حضاريا واجتماعياً انتقلت مهمة التجسس من الفرد إلى القبيلة ، ومن القبيلة إلى الدولة ، ومع الحاجة الملحة لحماية المصالح الهامة للجماعة أو الدولة ارتفع التجسس إلى المستوى نفسه من الأهمية ، ومن يتصفح سجلات التاريخ يجد صدى أقدم صور المخابرات وأشدها بدائية ..

● التجسس في مصر الفرعونية

كان لقدماء المصريين إدارة مخابرات منظمة ، ولهم أعمال مجيدة في مجال الجاسوسية ، وخلال حكم الاسرة الثانية عشرة ، ٣٦٠٠ ـ ٣٤٠٠ ق م ، نجح رجل اسمه توت في تدبير خدعه تتمثل في إعداد مئتي رجل داخل اكياس الدقيق ،

وضعهم على ظهر سفينة كانت متجهة إلى مدينة ساحلية تحاصرها الجيوش المصرية ، وبذلك تمكن هؤلاء الرجال من دخول المدينة ، واحدثوا فيها هرجا أضعف حاميتها ، واثاروا الفوضى فى صفوفها ، وبفضلهم تمكنت القوات المصرية قديما من اقتحام المدينة .

ويستنتج السير بازيل طومسون رئيس قسم مكافحة الجاسوسية فى بريطانيا فى العشرينيات أن المخابرات المصرية لابد أن تكون قد تدهورت فى عهد الفرعون منفتاح ، لأنها لو كانت فى نفس مستواها القديم من الكفاءة والقدرة والمهارة ، لما استطاع اليهود الخروج من مصر .

● التوراة والتجسس

ونجد صدى التجسس فى التوراة أيضا . وذلك فى سفر العدد ، فى الاصحاح الثالث ، وبلغة التوراة نفسها : « ثم كلم الرب موسى قائلا : ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل » . وابعث من كل قبيلة رجلا يكون حاكما فى موقعه ، فبعث موسى باثنى عشر رجلا يتجسسون أرض كنعان ، ورسم لهم الخطة . « وقال لهم : اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا الى الجبل ، وانظروا الأرض ماهى ، والشعب الساكن فيها أقوى أم ضعيف ، قليل أم كثير ، وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة . وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون ، وكيف هى الأرض اسمينة أم هزيلة ، . أفيها شجر أم لا » ، « فصعدوا وتجسسوا » ، وقد قضت طليعة الجواسيس هذه أربعين يوما ، ثم أتوا موسى « وقالوا : قد ذهبنا الى الأرض التى أرسلتنا اليها ، وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها ، غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز ، والمدن حصينة عظيمة جدا » .

● أول امرأة جاسوسة

وفى التوراة نفسها ، فى سفر يشوع ، فى الاصحاح الثانى ، نلتقى بأول جاسوسة ، امرأة ساقطة ، تعاون جاسوسين فى مهمتهما ، والقصة ترويها التوراة بلغتها :

« فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا ، قائلا : انظرا الأرض وأريحا ، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك ، فقيل لملك أريحا هو ذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بنى اسرائيل لكى يتجسسا الأرض .. فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول :

رواية التجسس

نوع أدبي جديد

«أخرجي الرجلين اللذين أتيا اليك ودخلا بيتك لأنهما قد أتيا لكي يتجسسا الأرض كلها ..

« فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت : نعم جاء إليّ الرجلان ولم أعلم من أين هما .. وكان نحو انغلاق الباب في الظلام أنه خرج الرجلان .. لست أعلم أين ذهب الرجلان . اسعوا سريعا وراءهما حتى تدركوهما ..

« وأما هي فأطلعتهما على السطح ، ووارتهما بين عيدان كتان لها منضدة على السطح ..

« فسعى القوم وراءهما في طريق الأردن إلى المخاوض ، وحالما خرج الذين سعوا وراءهما أغلقوا الباب » ..

ثم صعدت إليهما المرأة على السطح ، واستحلفتهما أن يعملا معها معروفا كما صنعت فيهما ، أن يبقوا على أبيها وأمها وأخوتها حين يفتحون البلاد ويستولون عليها .. ثم أنزلتهما بحبل من على السطح ، وما إن استقرا على الأرض حتى تحللاً من اليمين التي حلفاها ، وقالا لها : اجمعي أهلك كلهم في بيتك ، وعلميه بالحبل الذي أنزلتنا به ، فمن بقي منهم داخله فهو في حمايتنا ، ومن يبق خارجه يظل دمه هدرا ، وعلى ألا تفشي سرنا ، وعادا إلى يشوع بما يحملان من معلومات ..

● في الأدب اليوناني القديم

فإذا تركنا العالم الشرقي إلى الغرب نجد التجسس يلعب دورا هاما في ملحمة الإلياذة لهومير ، فقد استمر القتال أمام أبواب طروادة قرابة عشر سنوات ، وكان قتالا ضاريا وسجالا بين اليونانيين والطرواديين ، وسقط فيه أبطال صناديد .. وقد قاوم الطرواديون ببسالة ، محتمين بأسوار مدينتهم العالية التي عجز اليونانيون عن تسلقها ..

وإزاء هذا العجز ذهب كالخاس عراف الحملة إلى آلهته يستوحيها ، ثم هرع إلى سادته قادة الجيش فذكر لهم أنه مادام تمثال مينرفا المقدس موجودا في طروادة فلن يفتحها على أهلها فاتح ، ولو عاونته الأرباب جميعا ..

تنكر أوليسيوس ومعه ديوميديس ، وانطلقا إلى الحصن ، واحتالا على حارس البوابة الكبرى ففتحها لهما ، وذهبا قدما إلى الهيكل ، وسرقا البالاديوم المقدس ، وعادا به ، وكل همهما أن تبطل نبوءة كالخاس ، ومع ذلك توالت الأيام ولم تفتح طروادة ..

حينئذ بدا لأوليسيوس أن يصطنع الحيلة ، فصنع حصانا خشبيا جسيما ، واسعا وعريضا ، يتسع له ولرفيقه ولاثني عشر من خيرة رجاله بكامل أسلحتهم ، وأما الباقون فيستقلون ظهور السفن ويبحرون كأنهم ، يعودون إلى الوطن ، حتى إذا مضى شطر من الليل أقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكارا لهذه الحرب ..

وفي الهزيع الأخير من الليل قبيل الفجر ، وحين هجعت كل طروادة ، فتح سينون الباب الخلفي للحصان ، فتسلل أوليسيوس ورجاله ، وأعطوا الإشارة للأسطول لكي يهاجم ، فاحتل المدينة العاتية ، وذبحوا جنودها النائمين ، وأشعلوا النار في دورها ، وحين طلع

الصباح كانت طروادة أكواما من الأطلال، كأن لم تكن بالأمس مدينة كبيرة أهلة بالحياة والسكان ..

والقصة كما نرى كبيرة الشبه من قصة اكياس الدقيق المصرية، وإن كانت هذه اكثر بساطة وواقعية ..

● في العصر الحديث

فإذا تركنا العصور القديمة إلى العصور الوسطى وجدنا التجسس يلعب دورا كبيرا في النصر إذا احسن استخدامه، وفي الهزيمة ايضا حين لا يعطى ما يستحق من أهمية، وفي حياة الاسلام الأولى امثلة كثيرة، وربما كانت غزوة الخندق اوضحها، فقد كان المسلمون يعرفون كل شيء عن أعدائهم في مكة، على حين لم يحاول هؤلاء أن يعرفوا شيئا، ولذلك عندما جاءوا المدينة يهاجمون المسلمين ووجدوا خندقا يحيط بها دهشوا، ورأوه شيئا عجبا، ووقع الرعب في قلوبهم وعادوا من حيث جاءوا دون أن يقاتلوا ..

ولم تكن أوربا في هذه العصور تعرف شيئا عن الشرق، وهو الأقوى، وكانت معلوماتهم عن المسلمين، وهم الأكثر تحضرا، ضئيلة للغاية، ولذلك كانت أخطاء الأوربيين فادحة، وهزائمهم كثيرة، والقليل من انتصاراتهم ظل موقوتا وتلاشى ..

فلما عرفوا واقع المسلمين في الأندلس، وأدركوا من حالهم ما كانوا يجهلون، ووقفوا على دخائل أمورهم واقتصادهم وقوتهم، وعاونهم اليهود في التجسس والتخريب وإشاعة الفرقة وروح الهزيمة، استطاعوا أن ينتقلوا من نصر إلى نصر أعظم، وتدهور حال المسلمين من هزيمة إلى هزيمة أقسى، حتى طردوا من الفردوس المفقود نهائيا ..

● في العصور الوسطى

وفي العصر الحديث عظم دور المخابرات، وازدادت أهمية التجسس، وتعددت وسائله، واتسع مجاله فلم يعد عسكريا فحسب، وإنما شمل الاقتصاد والعلم والصناعة، وكل ما من شأنه أن يضعف العدو إذا هوجم فيه .. وأصبح الحصول على كثير من المعلومات بأسلوب واضح مكشوف ممكنا، بقراءة النشرات العلمية والفنية والصحافة، وهو مايمكن أن يتم عن طريق السفارات دون حاجة إلى جواسيس، والاستماع إلى محطات الاذاعة، أو عن طريق تسكع اشخاص معينين في الطرقات والمقاهي والأماكن التي يراد الحصول على معلومات بملاحظة ما يدور فيها ..

وتستخدم المخابرات الحديثة عادة بعض الأفراد من سكان البلد الذي ترغب في الحصول على المعلومات التي تحتاجها منه، عامة أو خاصة، بتكوين شبكات سرية من رعايا الدولة المستهدفة، وهؤلاء يعملون عادة نظير مكافآت مالية .. ويحملونها إلى ممثل الدولة التي جندتهم، وهو جاسوس محترف في الأصل، ويقيم في هذا البلد باستمرار، أو لفترة محددة ..

ومثل هذه المعلومات العلنية إذا أحسن تحليلها، وتقييمها، وتركيبها، واستخراج النتائج منها، تمثل ٩٠٪ من المعلومات التي يبغي العدو معرفتها، اما الباقي فيقوم به الجواسيس المحترفون ..

● الجاسوس

ثمة دوافع مختلفة تجعل من المرأة أو

رواية التجسس

الرجل جاسوسا : يتطوع حبا فى المغامرة ، أو يرى فيها مغامرة مثيرة ، أو طمعا فى كسب شخصى ، أو مرغما تحت ظروف مختلفة ، أو مخلصا يرغب فى خدمة وطنه ، وقد يكون واقعا تحت أكثر من تأثير ، وبداهة فإن من يعمل بدافع وطني هو أفضل الجواسيس وأشدهم إخلاصا ..

وتبدأ مهمة الجاسوس لحظة اختياره وتدريبه .. وتنتهى بإنجاز مهمته ، ناجحا يعود بطلا إلى قاعدته ، أو فاشلا قبض عليه وينتهى به الأمر إلى القبر أو السجن ، وأغلب عمليات التجسس الحديثة كانت نهايتها تعسة وبائسة وغير سعيدة ، والأولى نادرا مايسمع بها أحد ، ولا تنشر وقائعها إلا بعد زمن طويل ، أما الثانية فتملأ الدنيا ضجيجا لحظة اكتشافها ..

وتقوم الجاسوسية بطبيعتها على الحيلة والخداع والخيانة ، وترتكب فى الخفاء أمورا تصبح موضع استنكار إذا عرفت ، وليس الجاسوس الناجح من يجيد التنكر ، وإنما الذى لايحتاج إليه ، وأن يكون رجل حرفة أكثر منه ذكيا ، وأكثر تحملا للمشاق منه جريئا ، ولهذا كثيرا ما تصيب المرأة حيث يفشل الرجل ، فهى أكثر قدرة منه على امتصاص الألم والمعاناة ..

● فى عالم الأدب

فى ربع القرن الأخير حققت رواية الجاسوسية نجاحا مدهشا ، وانتشرت عبر العالم كله إبداعا وترجمة ، حتى أن دار جاليمار الشهيرة فى باريس أفسحت لها فى سلسلتها السوداء ، التى تنشرها على نطاق واسع ، مكانا رحيبا ، وفى مجال الدراسة التى تمت .. لمعرفة دائرة انتشارها تبين أنها أكثر ما تكون رواجا فى المدن ، بين العمال والشبان ، وأقل ما تكون إقبالا عليها فى الريف بين الفلاحين ، ربما لأن قضايا الصراع الدولى والسياسي لا تعنيهم ، ولا تأخذ من اهتمامهم مساحة واسعة ، وأن الأحداث التي تجرى فيها قلما تقع عليها أبصارهم ..

وترى قلة من النقاد أن هذا النوع ولد فى فرنسا ، ومنها انتقل إلى بقية بلاد العالم ، ولو أننا نجد بعض سماته فى كتاب ألف ليلة وليلة ، فى صورة الرسل المتنكرين إلى الملوك ، والذين يختلطون بالأعداء ليلتقطوا الأخبار ، وفى مغامرات حاجى بابا ، على أنها فى صورتها الأدبية الدقيقة التى نعرفها عليها الآن ولدت مع الرواية البوليسية ، ولو أنها أبطأ تطورا منها .. ويمكن القول أن رواية « الرسالة المسروقة » لإدجار آلن بو تصور هذا النوع بدقة ، ولكن من الحق أيضا أنها خلال الحرب العالمية الأولى ، ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، وبعدها مباشرة ، بدأت تنضج وتنضج شكلا .. وتأخذ أبعادا جديدة ، ومن ذلك التاريخ كان على الجاسوس أن يقطع عبر الروايات رحلة طويلة ..

● المحتوى

خلال الحروب تدور موضوعات رواية الجاسوسية حول جمع الأخبار والمعلومات ، وتدمير العدو حسيا أو معنويا ، وبعدها ، فى أيام السلم ،

أسهمت بنصيب وافر فى الحرب الباردة ، كسرقة العلماء او اغتيالهم ، والحصول على الأسرار الذرية والصناعات

المتقدمة ، وحتى المخترعات الكيمائية ، وتخريب القواعد السرية ، ويرى النقاد الآن أن هذه الموضوعات أصبحت مع تطور الأحداث قديمة ومعادة ، وحتى متخلفة ، وأن على المؤلفين ان يبحثوا عن جديد مثير ..

والمثير فى الأمر أن هذا النوع الروائى أخذ طريقه إلى الجامعات الأوربية لابوصفه أدبا وإنما بوصفه سلاحا ، فدرس طالب فى كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية فى جامعة باريس موضوع « رواية الجاسوسية والعلم السياسى » ليحصل بها على درجة الدكتوراه ، وفيها حلّل الظاهرة الاجتماعية التى ادت إلى نجاح هذا النوع الأدبى ، فى عمق ودقة ، وحدد غايتها السياسية ، ورأى ان ثمة رابطة بين رواية الجاسوسية وعصرها ..

ودلل على ذلك بأن الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، كان العدو فيها إما الشيوعيين ، أو الفاشيين ، أو ممثلى الاقتصاد الدولى ، أو الألمان ، أو الخطر الأصفر القادم من شرقى آسيا ، وبعد هذه الحرب تغير الموقف تماما ، فقد بدأت رواية

الجاسوسية تبتعد عن المغامرة ، وتندمج بقوة فى الحاضر السياسى الدولى ، فهى تعرض لتجار السلاح ، والحرب الباردة ، وأسرار المخترعات والتقدم الصناعى . وسريعا أخذت طابع الأعلام ، وغايتها التأثير والتفسير ، والتفسير هنا دعامته الدعاية ، وهى أحدى الأسلحة الفعالة فى الحرب الباردة ..

فى هذا اللون الجديد من رواية الجاسوسية ارتدى الأبطال أزياء كبار المخبرين السريين فى روايات ماقبل الحرب ، وإذا كانت غاية هؤلاء أن يؤمنوا حياة المواطنين فى المدن الكبرى فإن هدف الأبطال الجدد الكفاح من أجل الوطن ، إن لم يكن العالم بأسره ، وثمة ملاحظة تلفت النظر ، وهى أن توهج رواية الجاسوسية جاء مع سقوط الرواية السوداء ، القائمة على الرعب ، ومع محاولات تجديد الرواية البوليسية والخروج بها عن مفهومها القديم ..

● كبار الروائيين

اشهر من كتب رواية الجاسوسية روبير شارل من فرنسا ، وراجت رواياته التى حملت اسم « رجل المكتب الثانى » فى أوربا الغربية خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعدها أخذت طريقها إلى شمال أفريقيا والبلقان ، وبعده جاء بيير نور بروايته الشهيرة « جريمة مزدوجة فوق خط ماجينو » وكانت خطوة متقدمة على طريق هذا النوع الأدبى ، وجمعت بين البوليسية والجاسوسية ، وفيها يصطدم الجاسوس بمن يقاومونه ، ويلتحمان فى معركة شرسة ، على نحو ما نجد فى البوليسية بين المجرم والمخبر السرى ..

ورغم أن بيير نور يوجه إصدار سلسلة من الروايات البوليسية يكتب رواية الجاسوسية ، وتقنيته فيها ممتازة ، تسترعى انتباه الناقد وتشد اهتمام القارىء ، ولكن محتواها يفيض استعلاء قوميا ، وتعصبا ضد الآخرين ، ويبدو ذلك فى روايتيه : « فاطمة .. أتمنى لك حظا سعيدا » .. و « رقّة نسر فوق الكونغو » . ورغم أنهما تعكسان الواقع فى دقة ، لكنه

رواية التجسس
نوع أدبي جديد

واقع متغير ، لم يستطع أن يقع فيه على الثوابت ، وأن يلتقط منها مادته ، ولهذا فقدتا ، رغم روعة الشكل ، أهميتهما بعد زمن يسير ..

ويحتل جان بومار مبتدع شخصية « الرجل الصيني » مكانا متميزا في مجال رواية الجاسوسية ، لأنه يقص أحداثا عاشها فعلا . فالرجل الصيني الذي يصوره موجود في الحياة بلحمه ودمه ، والأحداث الأشد بعدا عن التصديق واضطرب خلالها وقائع تاريخية حقا ، ومنذ أول عمل له ، ونال به جائزة رواية المغامرات عام ١٩٢٤ إلى روايته « القطار المصفح رقم ٤ » تميز بأسلوب خاص به ، جذاب وممتع ، وبعد الحرب العالمية الثانية عاد الرجل الصيني إلى الظهور في مغامرات جديدة ، مثل : « الرجل الصيني في سيناء » ، و « الرجل الصيني يسرق القمر الصناعي » ، وكلها تبدو فيها خصائص رواية الجاسوسية واضحة تماما .. غير أنه مع الزمن بدأ يفقد قدرته على التحكم في تركيب الأحداث ، فعانت روايته كثيرا من التغيير والتبديل في الأسلوب والبناء ..

يفضل كل مؤلف من كتاب رواية الجاسوسية أن يبتدع بطلا لنفسه ، يدفع به في كل عمل يكتبه ، هذا البطل يحمل اسم هوبرت بونيسير عند جان بريس ، وكوبلان عند بول كيني ، والغوريلا عند دومنيك بونشاردييه ، ومغامرات الغوريلا تحمل خصائص الجاسوس المتطور ، الذي يناسب عالمنا المعاصر ، ففي البدء نلتقي به فظا قاسيا ، حيوانا يتكلم ، لايختلف في شيء عن قاطع الطريق في روايات « السلسلة السوداء » ، ولكن دومنيك قدمت ، بعد أن جست نبض الجمهور القارىء ، في اللحظة المناسبة ، تجربة جديدة ، فأعطت أبطالها بعدا أكثر إنسانية ، وما أسرع ما نكتشف فيهم أن وراء ظاهرهم الحيواني ، إنسانا ذكيا يفكر ، ويتجاوز طاعة الدولة العمياء ، وغاياتها المحددة ، إلى هدف أكثر نبلا يهم الانسانية جمعاء ، ويتلخص في حمايتها من العابثين ..

ويرى النقاد أن مؤلفات جان بريس وبول كيني أدنى من مؤلفات دومنيك ، في الأسلوب على الأقل ، فهما يقصان دائما المغامرة نفسها ، تقع في أماكن مختلفة ، ويتخذ المؤلف من هذه إطارا خارجيا للأحداث ، ولكنها أحداث مفتعلة ، وتبدو في الأعمال الظاهر في بعض أجزائها كأنها كتبت على عجل ، ومع ذلك فإن القارىء يجد أحيانا في الأعمال مجالا للتسلية ، يوقظ فيه الرغبة في المتابعة ، ويدفع عنه الملل .

كثيرون كتبوا رواية الجاسوسية ، وبينهم من كبار الروائيين الذين يرشحهم النقد العالمي لجائزة نوبل ، وأشهر هؤلاء جراهام جرين في روايته « رجلنا في هافانا » ، وهم يختلفون حظوظا وتوفيقا ، ورواياتهم مثيرة دائما ، حافلة بخطوب الدهر ، وتقلبات الحظ ، ومفاجآت القدر ، وموضاعاتها تدور حول الواقع الماثل ، من أزمة سياسية ، أو اكتشاف علمي حربي مثير .. وسلاسل روايات الجاسوسية تتزايد مع الأعوام في أوربا ، ويبدأ بعضها يلتقط مادته من الأحداث الفعلية حقا ،



صالح مرسي

ويريد منها مبدعوها الآن أن تصبح واقعية حقا ، وأن تصبح أدبا وثيقة ، ويطلبون من العملاء السريين فى أقلام المخابرات المختلفة أن يعودوا إلى أوراقهم ومحفوظاتهم ، فقد يجدوا فيها كثيرا صالحا ، وأن يبداوا الكتابة فعلا ، أو يقدموها لغيرهم ممن يستطيعون أن يخلقوا منها عملا فنيا ..

● فى الأدب العربى

رغم أن مصر ، والعالم العربى معها ، فى حاجة لأن تعرف الكثير من أساليب التجسس وطرائقه ، لتتسلح بها فى مواجهة أعدائها ، فإن الأدب العربى كافة لم يعرف هذا النوع من الأدب إبداعاً ، وحتى روايات الجاسوسية نفسها لما يترجم منها غير القليل ، رغم أن الروايات البوليسية المترجمة كانت زادا أدبيا شائعا فى مصر بين الحربين العالميتين وربما كان مرد هذا الأمر احتكار المعلومات السياسية فى فترة ما ، ومحاصرة العقل العربى فى الفترة نفسها ، وخوف الكتاب من أن يحسب عليهم خيالهم واقعا ، واحتقار الروائيين لمثل هذا النوع من الأدب ، وكل هذا وربما غيره أدى إلى انصراف الأدباء عنه تماما ..

ومادامت مصر لم تكتب فإن غيرها لم يفعل ..

وتعليلى هذا أجد له شاهدا فيما حدث مع نسمة الديمقراطية التى تهب على بلادنا الآن ، فمعها كتب الاستاذ صالح مرسى روايتيه الرائعتين : « الحفار » و « رأفت الهجان » ، وهما جيدتان بكل مقاييس رواية التجسس ، ومع أن بعض الأحداث تطول أحيانا ، وتبلغ تفاصيلها حد الملل والجفاف ، وبعض أحداثها تفتقد التوتر ، لكنهما فى مجملهما ، وهما خطوة رائدة وعظيمة فى هذا الطريق ، يمثلان إبداعاً روائيا عاليا ، وبخاصة أن أحدا لم يسبقه فيما أعلم ، ويعتمدان شأن أحدث روايات التجسس على مادة مستقاة من أعمال بطولية قامت بها مخابراتنا فعلا ، فهو فيهما ليس مقلدا ، ولا مستفيدا مباشرة من أعمال أجنبية ..

ومع ذلك فنحن فى حاجة إلى أن نترجم الكثير من روايات التجسس ، حتى تلك التى تتخذ من مصر مسرحا لها ، ليقرأها المواطنون فيعرفون أن كثيرا من الأشياء التى نصنعها عفويا فى حياتنا اليومية ، وفى بساطة متناهية ، وبعبط أحيانا ، حين نتحدث أو نقرأ أو نرحل أو نتسكع أو نقلق ، قد تكون عظيمة الفائدة لجاسوس مندس بيننا ، وصورت هذا الواقع فعلا رواية كتبها شخص من بورتوريكو جاء مصر جاسوسا لحساب إسرائيل فيما عرف باسم فضيحة لافون ، وسجل نشاطه وانطباعاته وما رأى وسمع ، فى رواية أسماها « صيف مصر العريض » ، وأرجو أن أعود إليها يوما ..

العالم غدا

● ألمانيا تنتج جهازا طبيا اخترعه مصري

اخترع د. منير عبد السميع الاستاذ المساعد للكيمياء بصيدلة الازهر جهازا الكترونيا يمكنه الكشف عن المواد الفعالة في العقارات والادوية والسوائل الحيوية المختلفة . وقد سجل العالم المصري الجهاز في جمهورية ألمانيا الاتحادية ، وقامت احدى الشركات الالمانية بانتاجه فعلا ...

ويقول د. منير عبد السميع ان التجارب اثبتت امكان الكشف عن المواد الفعالة الموجودة في الدواء او اية مركبات حيوية اخرى ، وامكان فصل هذه المواد مهما صغرت كميتها ، وذلك من خلال عملية ميكانيكية حرارية يتم التحكم فيها الكترونيا عن طريق كمبيوتر صغير .

ويمكن استخدام هذا الجهاز في مجالات عدة بالاضافة الى مجال الصيدلة .. وعلى سبيل المثال يمكن الاستعانة به في الكشف عن وجود وكميات المواد الحيوية في بول ودم المرضى ، وفي فحص النباتات للاطمئنان على خلوها من المبيدات التي تضر بمن يتناول هذه النباتات ، هذا كما يمكنه الكشف عما اذا كانت الطيور والحيوانات قد تناولت الهورمونات والمضادات الحيوية ام لا ..

● المؤتمرات الكمبيوترية

على الرغم من عدم اكتمال تقنيات المؤتمرات الكمبيوترية الا اخيرا فقد اخذت تطبيقاتها العملية في الانتشار سريعا على اتساع رقعة عالمنا ويتواصل المشاركون في هذه المؤتمرات وهم في بلدانهم من خلال كمبيوتر مركزي ، عبر شبكة الهاتف او الاقمار الصناعية ، وبامكانهم الحديث مع بعضهم مباشرة ، او من خلال شاشة الكمبيوتر ، عن طريق دق الحديث على لوحة مفاتيح تشبه الآلة الكاتبة .

ويقدر عدد من شاركوا في مثل هذه المؤتمرات حتى الآن بعشرات الآلاف . وتدور المؤتمرات حول موضوعات متباينة وبين موضوعات الشبكة الاوربية للمؤتمرات - مثلا - تجرى حلقة بحثية « حول اللغة الانجليزية : اصطلاحاتها وعاميتها » . وقد شارك في هذا المؤتمر ما يزيد على ٢٠٠ مشترك تبادلوا ٥٠٠ رسالة بحثية . وهناك برامج ومؤتمرات في فروع معرفية مختلفة ، يحظى بعضها بعدد أكبر من المشاركين ومن المساهمات البحثية في نفس الوقت ..



وتكنولوجيا المؤتمرات الكمبيوترية لا يمكن ان تعوض الاتصالات الشخصية بما تتميز به من نقاشات غير رسمية وتبادل مكثف للاراء وبالتالي فلا يمكن ان تحل بالكامل محل المؤتمرات العادية. الا انه من المستحيل على اى فرد المشاركة فى كل اللقاءات العلمية المتصلة بتخصصه ، التى تعقد فى مشارق الارض ومغاربها ، وذلك بالاضافة الى تداخل توقيت عدد منها ، والتكاليف الباهظة للسفر . ومن هنا اهمية المؤتمرات الكمبيوترية التى تتيح للباحث الاتصال بكل جديد فى مجاله والمشاركة فى المناقشات وحلقات الدرس باقل الاعباء وفى الوقت المناسب له ..

فكل مشارك يستطيع الاتصال بالكمبيوتر المركزى فى الوقت المناسب له اذ ان الكمبيوتر يتكفل بحل «مضايقات» فروق التوقيت ، ويحفظ الرسائل التى يتسلمها ، فى اى وقت حتى يطلبها من يريد . ويستطيع المتخلف ان يتصفح بسرعة كل اعمال المؤتمر ، والحصول من طابعة الكمبيوتر على المواد التى تروقه وباى عدد من النسخ، بل ويستطيع بعد ذلك ان يدلي بدلوه ويشارك فى النقاش اذ ان هناك طورا لاحقا ، بعد الطور الفعال المحدد بوقت المؤتمر . تمتد فيه اعمال المؤتمر الى الوقت الذى يشاء المشاركون فى المناقشات ، طمعا فى فائدة اكبر .

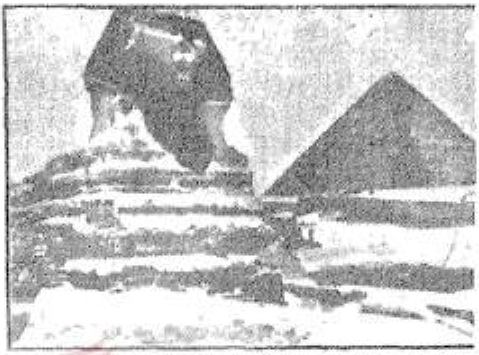
وفى عصر الانفجار الاعلامى الذى يصعب فيه متابعة سيل الكتب والمجلات والمقالات يمكن للمؤتمرات الكمبيوترية ، غير المحددة بوقت ، ان تساعد أى انسان على ان يجد طريقة بصورة مباشرة وسريعة الى اهم عناصر موضوع اهتمامه ..

وقد قادت كل هذه المميزات ما يزيد على ٢٠ منظمة دولية بينها الامم المتحدة الى عقد مؤتمرات كمبيوترية عالمية لمعالجة مختلف القضايا ..

● الاهرامات مقامة فوق صخور طبيعية

منذ الاف السنين والاهرامات المصرية تثير كثيرا من التساؤلات .. هل هى مجرد مدافن مهيبة حقا ؟ أم هى كتب حجرية لحقائق عليا فى الرياضيات والفلسفة والفلك ؟ أم هى مرصد قديم أو منار لسفن الحضارات الكونية الاخرى ؟ ...

ومن اجل التوصل على اجابات للاسئلة الكثيرة المثارة يكد المؤرخون فى مراجعة المخطوطات القديمة ، والفيزيائيون فى صنع أجهزة خاصة خارقة الحساسية ، لكن الطريف ان هناك اناسا عاديين ، فى انحاء مختلفة من عالمنا ، كرسوا حياتهم لمعرفة اسرار هذه الاهرامات لاعتبارات مختلفة ..



هل اكتشف العلماء لغز الاهرام

ولعل اغرب هؤلاء هو السوفييتى اناتولى فاسيلييف الذى لم يزر مصر ابدا ، ولم ير الاهرامات وجها لوجه ، لكنه يستطيع رغم ذلك ان يسير مغمض العينين فى اى من سراديب منطقة الاهرام كلها ...

وقد ادلى فاسيلييف بحديث صحفى فى موسكو اخيرا ، زعم فيه ان افلح فى فض سر تشييد الاهرامات· وتتلخص فرضيته فى وجود صخرة طبيعية داخل كل هرم ·· وفاسيلييف يزعم أن من يؤكدون وجود مليونى ونصف مليون كتلة حجرية فى هرم خوفو ليسوا الا اناسا ساروا معصوبى العينين وراء ما قاله هيردوت ، لان ابسط الحسابات الهندسية لا تجيز امكان تكديس هذا الكم من الاحجار دون استخدام مونة لاصقة·

ويزعم فاسيليين ان الزاوية اللغز (٢٦ درجة و ٣٤ دقيقة) فى الادبيات التى تتحدث عن الاهرامات ، ليست سوى الزاوية التى اشتهرت منذ القدم بصفتها زاوية انسب واسهل الميول لرفع الاثقال عند البناء ··

ويمضى فاسيلييف فى سلسلة طويلة من الايضاحات الموثقة ليؤكد ان مدافن الفرعون (خوفو) واقربائه ، وصالات الحلى موجودة ولم تمس · والاهم من ذلك انه يعرف على وجه التحديد الحجر الذى يغلق المدخل الحقيقى المؤدى اليها ··

ورغم الاعتراضات الوجيهة التى يمكن ان تنال من افتراضات فاسيلييف مثل بقاء مشكلة كيفية رفع المصريين القدماء للاحجار لغزا محيرا حتى اذا سلمنا بوجود صخرة داخل كل هرم ، ومثل لا معقولية ان يتجشم المصريون عناء الالتزام الدقيق المعجز بزاوية معينة لمجرد كونها تيسر النقل قسرا يسيرا ·· رغم مثل هذه الاعتراضات تبقى القضية الاساسية : هل تبوح الاهرامات بسرها امام موجة الجهود الدراسية المكثفة ، التى تستخدم أحدث المنجزات العلمية ، ام انها ستظل رغم كل الجهود تثير من الاسئلة دوما ما هو اكثر مما تتوصل اليه من اجابات ، لتظل تؤرق بال الناس على اختلاف مشاربهم فى مشارق الارض ومغاربها ·

● لاتخف من الحركة الي الخلف

ان تفادى الاصطدام خلال الحركة الى الخلف مشكلة تؤرق بال كثير ممن يقودون السيارات · وخدمة لهؤلاء انتجت شركة المانيا غربية اخيرا جهازا

بحوى عناصر حس تعمل بالموجات فوق الصوتية بتوجيه من كمبيوتر صغير ، ويقيس هذا الجهاز تلقائيا المسافة بين مؤخرة السيارة وأى جسم قد يعترض السيارة عند حركتها الى الخلف . وعندما تقل هذه المسافة عن نصف متر ينبه الجهاز السائق صوتيا وضوئيا ..

● تكاثر البرتقال فى المعامل

فى معامل الفاكهة والخضر التابعة لوزارة الزراعة الامريكية فى باسيدنا ، وبينما كان د. تيسيرات يجرى تجاربه على تاثير اضافة المغذيات والهورمونات وغيرها من المواد الكيميائية على طعم عصير البرتقال وصفاته الاخرى ، اكتشف ان حويصلات العصير التى تتكون منها فصوص ثمرة البرتقال يمكن ان تنمو فى المعمل بعيدا عن الاشجار .

وقد توصل د. تيسيرات الى طريقة للابقاء على الانسجة التى جرت تنميتها فى المعامل حية ، وفى حالتها الطبيعية، وكانت مستعمرات الانماء المعملى للحمضيات تفنى فى الماضى خلال أسابيع لما ينتاب المزارع من تلوث ناتج عن فضلات الخلايا . اما المستعمرات الجديدة فيمكن ان تعيش لمدة سنة دون الحاجة الى تغير مكونات البيئة المحيطة بها .

وتجرى تنمية حويصلات البرتقال فى خزائن خاصة ، حيث يقوم الكمبيوتر بتنظيم الحرارة والرطوبة والضوء حسب الحاجة . والميزات الاساسية لانتاج المحاصيل عن طريق الانماء المعملى هى ان المحصول لا يتعرض للافات الزراعية، ولا يعتمد على مواسم بعينها ، كما ان بالامكان زيادة القيمة الغذائية للمنتج من خلال الاضافات المختلفة خلال عملية التنمية .

● آخر الثورات التقنية

من المعروف ان الكهرباء عبارة عن سيل من الالكترونات المتدافعة عبر الطريق الذى يوصلها من مكان الى آخر (الاسلاك) ، وتتفاوت مقاومة المواد المختلفة لسيل الالكترونات حين يمر فيها مما يؤدى الى فقدان فى كم الكهرباء المنقولة .

وقد داعبت العلماء منذ وقت بعيد احلام التوصل الى موصلات لا تقاوم الكهرباء . ونجحوا فى ذلك بالفعل منذ اوائل القرن ، لكن فى اطار ظروف تبريد خاصة باهظة التكاليف ، وحكم ذلك على نجاحاتهم بالا تتجاوز جدران المعامل الا فى الحالات القليلة التى تبرر التكاليف الباهظة .

لكن العلماء توصلوا بالمثابرة الى فتوح فيزيائية بينت امكانية صنع مثل هذه الموصلات التى لا مقاومة لها فى درجات الحرارة العادية . وتفتح الانجازات الاخيرة الباب امام انقلابات هائلة تمتد عبر مجالات تطبيقية واسعة. فعلاوة على امكانية مضاعفة قدرات وحدات توليد ونقل الكهرباء فهى تقلل من تكاليف انتاج الكهرباء الى حد يسمح باشاعة استخدام القطارات التى ستطير، على وسائد مغناطيسية بدون عجلات كما تمكن اجهزة التصوير التى تعمل بالرنين المغناطيسى ، والتى تتفوق على أجهزة اشعة رنتجن فى التمييز بين الانسجة الرخوة .. وذلك بالاضافة الى فتوح تطفر بامكانيات الحاسبات الالكترونية طفرة هائلة ...

دراسة الهلال

7

قصة ديون مصر الخارجية
من عصر محمد علي إلى اليوم

ديون السادات

بقلم: د. جلال أمين

كلنا يعرف انه خلال الاعوام الأحد عشر التى تولى فيها انور السادات حكم مصر (١٩٧٠ - ١٩٨١) زادت ديون مصر الخارجية زيادة مذهلة وانما يثور الخلاف حول الأسباب التى أدت اليها وحول قوة الأعذار التى يمكن ان تقدم لتبريرها . إن من الصعب الوصول الى مقارنة دقيقة بين حجم الديون فى بداية حكم السادات وبينها فى نهايتها ، بالنظر الى تناثر المعلومات فى مصادر مختلفة وتنوع أنواع الديون التى يشير كل من هذه المصادر الى بعضها دون البعض الآخر ، فضلا عن عدم توفر ارقام دقيقة عن بعض أنواع الديون ، خاصة الديون العسكرية . وسوف نحاول هنا أن نقدم للقارىء الأرقام على نحو يسمح بالمقارنة الصحيحة ، دون إرهاقه بتفاصيل قد تمنعه من ادراك الابعاد الأساسية لتطور المديونية ، ثم نحاول البحث عن الأسباب الحقيقية لزيادتها .



انور السادات



جمال عبد الناصر

ولنبدأ بأهم انواع الديون ، وهو الدين الخارجي المدني العام ، طويل ومتوسط الأجل ، ويشمل المبالغ التي اقترضتها الحكومة أو المؤسسات العامة ، أو المضمونة من جانب الحكومة ، لغير الأغراض العسكرية . والأرقام التي سنذكرها هنا تشمل المبالغ التي تسلمتها الحكومة (والمؤسسات العامة) بالفعل ، تمييزا لها عن المبالغ المتعاقد عليها دون أن يكون قد تم سحبها في الفترة محل البحث . هذا النوع من الديون زاد من ١.٧ بليون دولار في سنة وفاة عبد الناصر (١٩٧٠) الى ١٤.٣ بليون في سنة مقتل السادات (١٩٨١) ، أي أنه تضاعف خلال حكم السادات أكثر من ثماني مرات .

ولكن هذا النوع من الديون ، وإن كان أهمها ، لا يشمل كافة ديون مصر الخارجية ، فهناك الديون الحكومية المدنية قصيرة الأجل ، والديون العسكرية ، ثم ديون القطاع الخاص ، وكلها تفرض أعباء على حصيلة البلاد من العملات الأجنبية . ولا تتوافر لدينا الا أرقام تقريبية عن هذه الأنواع الثلاثة ، ولكن بمقدورنا تقديرها بما لا يزيد على ثلاثة بلايين في ١٩٧٠ وبنحو ١٥ بليونا في ١٩٨١ . معنى ذلك أن اجمالي مديونية مصر الخارجية ، بمختلف أنواعها ، المدني والعسكري ، العام والخاص ، وذات الأجل الطويل والمتوسط والقصير ، زاد من نحو ٥ بلايين دولار في ١٩٧٠ الى نحو ٣٠ بليونا في ١٩٨١ أي انها تضاعفت خلال حكم السادات نحو ست مرات . فكيف يمكننا تفسير ذلك ؟

الأعذار المقدمة للسادات :

إن التفسيرات المطروحة تتراوح بين ردّ هذا النمو المذهل في المديونية الى

أخطاء السياسة الاقتصادية خلال السبعينيات ، وعلى الأخص تلك المقترنة بسياسة الانفتاح الاقتصادى وردها الى ظروف الاقتصاد الدولى التى لم يكن لمصر حيلة معها ، أو القاء المسئولية على تركة الستينيات وما ورثه أنور السادات من أخطاء السياسة الناصرية . ولكى نستطيع أن نحدد أقرب هذه التفسيرات الى الصواب ، ونصيب كل منها من الصحة ، يتعين أن نسير خطوة خطوة متبعين تطور المديونية خلال السبعينيات ، حيث أن الظروف التى واجهتها مصر خلال هذه الحقبة لم تكن ظروفا متجانسة ، وتقلبت خلالها موارد مصر من العملات الأجنبية ، والظروف الاقليمية والدولية تقلبا شديدا ، بحيث أن مايصح فى تفسير نمو المديونية خلال النصف الأول من السبعينيات قد لا يصلح فى تفسير ماحدث بعدها .

لماذا تزيد الديون الخارجية:

على أننا قبل أن نبدأ هذه المهمة نريد أن نلاحظ بصفة عامة أن زيادة المديونية الخارجية لأية دولة لابد أن يكون مصدرها المباشر أحد أمرين : إما زيادة العجز فى ميزان المعاملات الجارية ، الذى يعود بدوره الى تراخى نمو الصادرات بالنسبة لنمو الواردات ، أو الى انخفاض تدفق رءوس الأموال الى الدولة المعنية فى صورة استثمارات أجنبية خاصة أو فى صورة منح وهبات لا ترد ، أو بالطبع الى مزيج من الأمرين معا : أى زيادة العجز فى ميزان المعاملات الجارية مع انخفاض فى تدفق الاستثمارات الخاصة والمنح ، بحيث لا يبقى أمام الدولة من سبيل الى سد العجز الا الاقتراض من الخارج .

فإذا ركزنا النظر على السنوات الخمس الأولى من حكم السادات (١٩٧٠ - ١٩٧٥) نجد أن البذور الأولى للزيادة السريعة فى المديونية قد بذرت بالفعل خلال هذه الفترة ، اذ زادت الديون الخارجية المدنية العامة (بما فى ذلك الديون قصيرة الأجل) من ١,٨ بليون دولار الى ٦,٣ بليون ، أى بنحو ٣٥٠٪ وبينما كان معدل النمو السنوى فى الديون الخارجية المدنية طويلة ومتوسطة الأجل ٩٪ طوال الستينيات ، قفز هذا المعدل الى ٢٣٪ فى السنوات الخمس الأولى من السبعينيات . أما الديون الخارجية قصيرة الأجل ، فبينما كانت تنمو بمعدل سنوى قدره ٢٥٪ فى الستينيات قفز هذا المعدل الى ٥٥٪ فيما بين ٧٠ ونهاية ١٩٧٥

لا يمكننا تفسير التزايد فى المديونية خلال هذه الفترة بالنقص فى تدفق الاستثمارات الأجنبية الخاصة أو فى المنح والهبات الخارجية . فالفترة السابقة

على حكم السادات لم تشهد استثمارات أجنبية ذات شأن ، والمنح التى كانت تحصل عليها مصر قبل حكم السادات كانت تتكون أساسا من المعونات العربية ، وهذه لم تستمر فقط خلال سنوات السادات الأولى ، بل زادت بشدة عما كانت عليه فى عهد عبد الناصر . فبينما بلغ المتوسط السنوى للهبات التى تلقتها مصر خلال الفترة ٦٧ ـ ١٩٧٢ (وجلّها من دول النفط العربية) ٢٦١ مليون دولار ، قفز هذا الرقم الى ٧٣١ مليونا فى ١٩٧٣ و ١,٣ بليون فى ١٩٧٤ و ١,١ بليون فى ١٩٧٥ .[٤] لم تلجأ مصر اذن الى الاقتراض الخارجى فى هذه الفترة لتعويض النقص فى المعونات العربية ، فهذه المعونات زادت ولم تنقص ، بل ان الهبات والتحويلات العربية غطت فى هذه الفترة مايقرب من نصف اجمالى العجز فى موارد مصر من العملات الاجنبية .

يتعين اذن البحث عن تفسير لزيادة المديونية فيما طرأ على ميزان المعاملات الجارية ، أى فى أداء الصادرات والواردات . وهنا بالفعل نجد بداية الاجابة . لقد زادت الصادرات حقا (من السلع والخدمات) خلال السنوات الخمس الاولى من حكم السادات بنحو ٢٤٠٪ ، ولكن الواردات من السلع والخدمات زادت بدورها بنسبة اكبر بكثير (٣٥٠٪) . قارن ذلك باداء الصادرات والواردات فى السنوات الخمس السابقة (٦٤/٦٥ ـ ٦٩/١٩٧٠) حيث انخفضت قيمة الصادرات من السلع والخدمات بنسبة ٧ ٪ ، للاسباب التى سبق لنا ذكرها ، ويرتبط معظمها بآثار حرب ١٩٦٧ ، ولكن انخفضت الواردات بنسبة اكبر (١٥ ٪) نتيجة لسياسة الانكماش وضغط الاستثمارات التى اتبعها عبد الناصر .

من الممكن اذن أن نقدم الاجابة الأولية التالية : إن زيادة تورط مصر فى الديون خلال السنوات الخمس الأولى من حكم السادات ترجع الى الفشل فى ضبط الواردات . ولكن هذا بدوره يثير التساؤل عما اذا كانت هذه الزيادة السريعة فى الواردات تعود الى خطأ فى الادارة الاقتصادية أم الى ظروف خارجية لا سلطان لمصر عليها . والواقع أن المسئولية تقع على العاملين معاً ، ولكن الأرقام المتوفرة لا تدع مجالا للشك فى أن جزءا كبيرا من المسئولية يقع على أخطاء الادارة الاقتصادية .

مسئولية العوامل الخارجية :

فمن ناحية ، عانت مصر خلال هذه الفترة من تدهور حاد فى معدل التبادل الدولى بين أهم صادراتها (القطن) وبين اهم وارداتها (القمح) أى الانخفاض الشديد فى اسعار صادراتها بالنسبة لأسعار ماتستورده . فبينما تضاعف سعر الطن من القمح خلال السنوات الخمس بنحو أربع مرات ونصف (من ٢٥ جنيها للطن الى ١١٢ جنيها) ، لم يزد سعر الطن من القطن الا بنحو الضعفين (من ٥٣٠ جنيها الى ١٠٦٨ جنيها) ، وترتب على ذلك أن الطن الواحد من القطن

الذى كانت تصدره مصر جلب لها فى ١٩٧٥ أقل من نصف ماكان يجلبه لها من القمح فى ١٩٧٠ . ولكن من المهم أن نلاحظ أنه حتى فيما يتعلق بهذا العبء الناتج عن ارتفاع أسعار الواردات ، لا يمكن أن تلقى المسئولية بأكملها على الظروف الخارجية . فالاضطرار الى الاستيراد بأسعار مرتفعة لا يثير فقط مسئولية العوامل الخارجية التى أدت الى ارتفاع الأسعار الدولية ، وانما يثير أيضا المسئولية الذاتية عن العجز عن زيادة الانتاج الوطنى بمعدل كان من شأنه أن يغنى بدرجة أو بأخرى عن الاستيراد . وهنا تصادف بالفعل أول مظهر من مظاهر مسئولية السياسة الداخلية عن التورط فى الديون . فقد عجز الانتاج المصرى من الحبوب خلال السنوات الخمس الأولى من السبعينيات عجزا مذهلا عن مواكبة الزيادة فى استهلاكها . اذ بينما ارتفع استهلاك الفرد من الحبوب الغذائية من ٢٥٨ كيلو جراما فى السنة فى ١٩٧١/٧٠ الى ٢٨٦ كيلو جراما فى ١٩٧٥/٧٤ (أى بنسبة ٩٪) انخفض الانتاج للفرد الواحد من ١٩٦ الى ١٨٧ كيلو جراما خلال نفس الفترة (أى بنسبة ٥٪) ، ومن ثم ارتفعت نسبة العجز الذى يتعين تغطيته بالاستيراد من ٢٤٪ من اجمالى استهلاك الحبوب الغذائية فى ٧٠ / ١٩٧١ الى ٣٥٪ فى ١٩٧٥/٧٤(٨)

ليس من الانصاف مع ذلك ، أن نرد هذا الفشل فى زيادة انتاج الحبوب خلال النصف الأول من السبعينيات الى أخطاء ارتكبتها السبعينيات نفسها . فزيادة الانتاج الزراعى فى فترة ما تحتاج الى القيام باستثمارات وادخال بعض الاصلاحات على السياسة الزراعية فى فترة سابقة . والأقرب الى الصحة أن هذا الفشل فى تحقيق زيادة كافية فى انتاج الحبوب والانتاج الزراعى بوجه عام فى تلك الفترة بالذات (٧٠ ـ ١٩٧٥) انما يعود فى الأساس الى اضطرار مصر لضغط استثماراتها فى النصف الثانى من الستينيات وعلى الأخص فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .

الجريرتان الاساسيتان للسبعينيات :

انما تكمن مسئولية السبعينيات الأساسية عن التوسع فى الديون خلال الفترة (٧٠ ـ ١٩٧٥) فى أمرين :

الأول : اطلاق حرية الاستيراد فى كثير من السلع الضرورية وغير الضرورية ، وعلى الأخص فى أعقاب حرب ١٩٧٣ ، على نحو لم تكن تسمح به ضآلة موارد مصر من العملات الأجنبية والمعدل المنخفض نسبيا للزيادة فى

الصادرات .

والثاني : هو الالتجاء المفرط الى تمويل جزء كبير من العجز في ميزان المعاملات الجارية بالاقتراض قصير الأجل وباهظ التكلفة .

الاستيراد بلا ضابط

اما عن اطلاق حرية الاستيراد فيجرى الدفاع عنه عادة بالقول بأن القطاع الانتاجى فى مصر كان يعانى منذ فترة طويلة ، ترجع الى منتصف الستينيات ، من ندرة السلع الراسمالية والوسيطة ، ومن التضاؤل الشديد فى حجم المخزون من السلع الوسيطة وبعض السلع الاستراتيجية والغذائية ، الأمر الذى كان لابد من تلافيه باطلاق حرية الاستيراد اذا أريد لعجلة الانتاج أن تعود الى الدوران . كما يجرى الدفاع عنه أحيانا بالقول بأن حالة المرافق العامة كانت قد بلغت درجة من التدهور خلال الستينيات لم يكن هناك مفر من التصدى لها بزيادة الانفاق على تجديدها الأمر الذى كان لابد أن ينعكس بدوره فى زيادة الواردات وزيادة العبء على ميزان المدفوعات . ونحن من جانبنا نرى أن كلا القولين يمسان جزءا فقط من الحقيقة ولا يمكن ان يفسرا وحدهما ماحدث من تدهور فى ميزان المدفوعات ، ومن ثم لا يصلحان لاعفاء الادارة الاقتصادية فى تلك الفترة من المسئولية عن الزيادة فى حجم المديونية الخارجية .

ففيما يتعلق بالحاجة الى اطلاق حرية استيراد السلع الوسيطة والراسمالية نلاحظ أن الواردات من هذه السلع قد زادت بالفعل بسرعة كبيرة فى أعقاب حرب ١٩٧٣ ، اذ تضاعفت الواردات من السلع الراسمالية أكثر من ثلاث مرات (من ٨٩ مليون جنيه فى ١٩٧٣ الى ٢٦٠ مليونا فى ١٩٧٥) . وتضاعفت الواردات من السلع الوسيطة نحو خمس مرات (من ١٣٢ مليون جنيه فى ١٩٧٣ الى ٦١٩ مليونا فى ١٩٧٥) . ولكننا نريد هنا أن نورد ثلاثة تحفظات اساسية :

أولها : ان ماحدث خلال هذه الفترة من تلبية لحاجة المنتجين المشروعة الى مزيد من الواردات الراسمالية والوسيطة يجب الا يتخذ وسيلة لصرف النظر عما حدث خلال هذه الفترة أيضا من اطلاق حرية الاستيراد لاشباع حاجات استهلاكية بحتة لم تكن ظروف الاقتصاد المصرى وقتها تسمح بها فخلال السنتين التاليتين لحرب ١٩٧٣ زادت مثلا قيمة الواردات من السيارات بأكثر من أربعة أضعاف ، وزادت الواردات من السلع الاستهلاكية غير المعمرة بأكثر من خمسة أضعاف (من ٤٠ مليون جنيه فى ١٩٧٣ الى ٢٢٠ مليونا فى ١٩٧٥) ومن ثم أصبحت قيمتها فى ١٩٧٥ لا تقل كثيرا عن قيمة مجموع الواردات من السلع الراسمالية .

والتحفظ الثانى : هو أن عبارة "السلع الراسمالية والوسيطة" تخفى فى طياتها كثيرا من السلع التى لا تساهم مساهمة تذكر فى زيادة القدرة الانتاجية للدولة ، وأنها قد تضم من السلع ماهو أقرب الى الاستهلاك منه الى الاستثمار . من أمثلة ذلك مواد البناء واللوريات وقطع غيار السيارات التى تخدم أنشطة

استهلاكية لا انتاجية . يؤيد هذا التحفظ مانلاحظه من تدهور بعض أهم الصناعات فى مصر خلال النصف الأول من السبعينيات . فبينما لم يزد معدل النمو السنوى فى انتاج المنسوجات على ٢٪ وفى غزل القطن على ٠,٧٪ انخفض الانتاج فى صناعات الاسمنت والورق والسكر والسجائر وحديد التسليح واطارات السيارات والأتوبيسات .. الخ

والتحفظ الثالث : هو أن من المشكوك فيه جدا أنه كان من الحكمة اطلاق حرية الاستيراد فى تلك الفترة ، حتى فيما يتعلق بالواردات من السلع الانتاجية ، اذا كان تمويل العجز يعتمد أساسا على المزيد من المديونية . فلزيادة المديونية ثمن لابد من دفعه إن آجلا او عاجلا ، والاعتماد على الديون لرفع معدل التنمية لابد أن يؤدى فى وقت لاحق الى التضحية بالتنمية من أجل خدمة الديون ، مالم تكن أسعار الفوائد على القروض أقل من معدل العائد على الاستثمارات التى توجه هذه القروض اليها ، وهو مالم يتحقق .

المرافق العامة كحجة للاستدانة :

أما الدفاع عن التورط فى الديون بحجة اصلاح المرافق العامة ، فهو دفاع مرفوض لأكثر من سبب . أولها ماذكرناه حالا من حماقة الاعتماد على القروض غير الميسرة لتمويل مشروعات لا تساهم مساهمة مباشرة فى زيادة الانتاج ، أو تساهم فيها بمعدل يقل عن فوائد القروض . يضاف الى ذلك مانلاحظه من أن نصيب المرافق العامة فى اجمالى الاستثمارات فى الفترة ٧١ ـ ١٩٧٥ لم يزد على ٤٪ ، الأمر الذى يؤيده أن حالة المرافق العامة فى منتصف السبعينيات لم تكن فى الواقع أفضل بكثير عما كانت فى بدايتها ، وأن الجزء الأكبر مما أنفق على المرافق العامة فى أعقاب حرب ١٩٧٣ انما وجه الى اعادة تعمير مدن القناة التى فرضتها فى الأساس اعتبارات سياسية أو مصالح اقتصادية ضيقة أكثر مما استوجبتها اعتبارات اعادة بناء الجهاز الانتاجى ، وهى على كل حال أقرب الى الانفاق الاستهلاكى منها الى الاستثمار .

ليس من الغريب اذن أن نجد أن زيادة الديون فى تلك الفترة (٧٠ ـ ١٩٧٥) لم يصحبها ارتفاع ملحوظ فى معدل النمو او تحسن فى هيكل الانتاج . فمعدل النمو السنوى فى الناتج المحلى الاجمالى لم يزد على ٥ر٤٪ ، ولم يزد معدل النمو فى الزراعة على ٤ر٢٪ وفى الصناعة على ٣ر٤٪ وفى الاسكان على ٢٪ ، وإنما كانت معدلات النمو (فيما عدا الكهرباء ٩ر١٤٪) من نصيب النقل

والمواصلات والتخزين (١٣٫٣٪) وقطاع التجارة والمال (٩٫٥٪) . ترتب على هذا أن بدأ اتجاه معاكس للاتجاه الذى ساد فى الستينيات نحو تصحيح الهيكل الانتاجى لصالح القطاعات السلعية . فمع بداية السبعينيات بدأ نصيب القطاعات

السلعية فى التضاؤل ونصيب الخدمات فى التزايد حتى أصبحت صورة الاقتصاد المصرى فى منتصف السبعينيات أسوأ مما كانت عليه فى نهاية الخمسينيات من حيث التوزيع النسبى للناتج الإجمالى من القطاعات السلعية وقطاعات الخدمات .

الاقتراض قصير الأجل

أما الجريرة الثانية للسياسة الاقتصادية فى النصف الأول من السبعينيات فتتمثل فى زيادة الالتجاء الى القروض قصيرة الأجل من البنوك التجارية ذات أسعار الفائدة التى تجاوزت فى بعض الأحيان ١٥٪ .. وقد زاد هذا الاعتماد على القروض قصيرة الأجل فى أعقاب حرب ١٩٧٣ حتى بلغت نسبة هذا النوع من القروض بما فى ذلك تسهيلات الموردين فى ١٩٧٥ نحو ٣٥٪ من إجمالى ديون مصر المدنية . وقد حمل هذا النوع من القروض ميزان المدفوعات أعباء ثقيلة لا تتمثل فقط فى الفوائد الباهظة المستحقة عليها ، ولكن ايضا فى المبالغ المستحقة للتأخر فى سدادها ، وقد كان من الممكن تجنب هذا وذاك لو لجأت الحكومة الى كبح جماح الاستيراد ، بما فى ذلك حتى بعض السلع الوسيطة والرأسمالية ، فى مواجهة الارتفاع المفاجىء فى أسعار الواردات الاستهلاكية الضرورية ، كالقمح والدقيق .

خلاصة تقديرنا إذن للسنوات الخمس الأولى من السبعينيات هى أن الاقتصاد المصرى لم يجن كثيرا خلالها فى مقابل زيادة التورط فى المديونية ، سواء من حيث رفع معدل النمو ، أو تغيير هيكل الاقتصاد ، وتكاد تنحصر الثمار الاقتصادية لهذه الفترة فى بداية إعادة تعمير مدن قناة السويس وإعادة فتح القناة وتطهيرها ، واستكمال النقص فى المخزون السلعى من بعض المواد الأولية والوسيطة .

أما حرب ١٩٧٣ فقد اعتمد فى تمويلها فى الأساس على الهبات والمنح العربية ومن ثم لا يجوز التعلل بها لتبرير زيادة المديونية .

على انه إيا كانت تحفظاتنا على السياسة الاقتصادية خلال السنوات الخمس الأولى من حكم السادات ، فإن الأخطار التى ارتكبت خلال النصف الثانى من حكمه كانت اخطر شأنا بكثير وابهظ ثمنا . وهى التى تمثل فى رأينا تركة السادات الحقيقية التى ورثها للاقتصاد المصرى من بعده ، وسوف نتناولها فى المقال القادم .

أنت.. و الهلال

● ماذا يفيد الانتظار ؟ ●



تتوهجين الآن فى صـــدرى
بجمر الانتظـــار
يا قبلة الارواح فى وطنى
المعـــذب بالحصـــار
ها انت تشـــتعلين اغنية
على شـــفتى
على شفة الصـــغار
ماذا يفيد الانتظار ؟
ماذا يفيـــد الانتظار ؟
ان لم نخض نحن المعاركه
من سوانا يستعيد لنا الديـــار
تتطهرين الآن فى عينى
بدمع الاشتياق
يا دولة العرب التى قد هدها
طول الشـــقاق
ها انت ترتحلين حـــائرة
بلا وطن بلا ارض تزار
فالى متى هذا الدوار
والى متى سنظل نشعر بالاسى
بالانحصـــــار

محمد ابراهيم المجريسى
ابو تيج

● اقتراحات قارىء ●

● اقترح ان يقوم الهلال بمشروع ثقافى وفكرى ضخم يتناسب مع رصيده التاريخى فى مائة عام •• ويفترض فى هذا المشروع ما يلى :

● اعادة طبع الاعـــداد الممتازة من الهلال التى صـــدرت فى المناسبات القومية والوطنية والتاريخية وعلى سبيل المثال لا الحصر اعداد : العرب والاسلام ـ ثقافتنا فى مائة عام ـ الفاروق ـ ابو العلاء المعرى ـ العرب والديمقراطية والاعداد التى صدرت بمناسبة مرور اربعين او خمسين عاما على صدور الهلال •

● اعادة طبع الاعداد الممتازة من الهلال والتي صدرت عن : احمد شوقى وطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ·

● اعادة طبع الاعداد الاولى من سلسلة كتاب الهلال ومنها : مذكرات اعلام السياسة والفكر والادب والفن الاستاذ الامام وعبد العزيز فهمى ونجيب الريحانى ، والكتب التى كان الهلال يصدرها سنويا كهدايا ·

● اعداد كتاب عن الهلال المجلة والمؤسسة الصحفية فى مائة عام متضمنا مقالات عن الهلال فى تطوره ونشاته ·

عمرو عبد المنعم حموده

● أواه ياحب ●

اواه يا حب اضنيت الفؤاد معك
اودعته سرك السامى فما خدعك
حتى اصبت له من كل اغنية
ذكرى واحكمت فيه السحر ما وسعك
تركته حائرا يلهو الغرام به
ويستحل الاسى مسعاه اين سلك
يعوم بحر الامانى ظامئا سهدا
ويجعل الحزن خلا ·· والهناءة لك
فالطف به واهده حبا ومكرمة
ان المحب فقير ما سعى وملك

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج

● الحماقة ! ·· ●

● اكتب القصص القصيرة واشترك بها فى المسابقات فتحوز قبولا ، وكتبت ايضا الشعر ، لكنه لا يتعدى الابيات القليلة · وهذه ابيات تعليقا على قول الشاعر العربى :

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

فانا بعون الله اقول :

ما خلت شيئا كالحماقة داء
خليفها وصديقها الغباء
لكل داء بلسم يشفى به
الا الحماقة ليس لها دواء
اعيت قديما فلاسفة الزمان
كذا اتعبت الانبياء

فلا تصحبن « ما حيت » الدهر أحمقا
صحبة الحمقى بلاء
هذه ابيات ارجو ان تحوز القبول « انشاء الله » ·

« الراسل »
جمال محمد جمال على
كلية الشريعة والقانون ـ طنطا

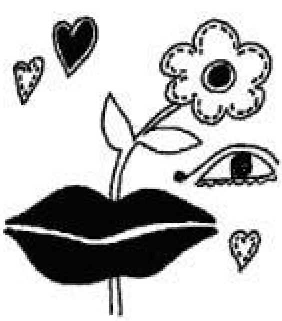
● تعليق :

ـ لم نطلع على قصصكم · أما شعركم هذا فليس فيه شيء موزون الا قوله « ما خلت شيئا كالحماقة داء » وقوله : « صحبة الحمقى بلاء » ·· ولكن هذه الشطرة من وزن والاخرى من وزن آخر ، وكذلك قوله « لكل داء بلسم يشفى به » ·· فهذا « رجز » ويصبح من « الكامل » لو اضفت حرف الواو الى قوله « لكل » ·· أى تقول : « ولكل داء بلسم يشفى به » وما عدا ذلك فلا وزن ولا شيء من الشعر فيه ، دعك من الاغلاط اللغوية والإملائية كقوله « ما حيت » وصحتها « ما حييت » وقوله « انشاء الله » وصحتها « ان شاء الله » وقوله « الراسل » وصحتها « المرسل » ! الخ ··

● عصير قلب ●

عصرت قلبي في طبق من حروف ، فلماذا لا ترشون على صفحات مجلتكم عصيرى ؟! يا ترى هل اذهب لمجلس الامن حتى اطالب كالفلسطينيين بحق تقرير مصيرى ؟! ··

امتحيلى عشقا طويل الاجل
ان قلبي مسافر فى الازل
لدرى خيط من شموس الهوى
فاغزليلى فى الحب مثل الغزل
متعب في بحر الهوى زورقي
وانا لا اريده ان يصل
اه من عينيك التي ابصرت
فى المدى والنجوم عندى تمل
ان كتبنا رسائلا فى الهوى
تتعاطى بين السطور القبل
قد تحكمت فى الذى قلته
فهواك الختام والمستهل



عبد الله السمطى ـ اداب عين شمس

● **تعليق :**

– يا بنى لا تنفخ فى مشكلتك الخاصة حتى تبدو لعينيك كأنهـــا

مشكلة فلسطين التى هى مشكلة شعب عربى مطرود من أرضه ، اما انت فحين تبلغ درجة من النضج فى الشـــعر ، فسترى شعرك منشـورا فى صحف كثيرة ·· حاول أن تكون هادىء الاعصاب ، مقبول الكلمات عند من تخاطبهم ، وقد سبق أن نصحناك بذلك ، وقـد نشرنا بعض قصيدتك هنا ولا نعلق على شىء من أوزانها ولا كلماتها ، ونحن نرى انك – رغم كل شىء – ذو شاعريةسوف ينضجها الزمن ، لكنا نلفت نظركم الى انكم قلتم : « آه من عينيك التى ابحرت » ، ومادامت العينان اثنتين فلابد لك من أن تقول « اللتين » !

● **الى متى** ●



اليوم قلت لاخـوتى :
والى متى
سيظل فينا الحلم يعصف بالمقانق
ونعيش فى أوهامنا ·· نبنى قصورا
فى الخنـــادق
وعدونا ·· مازال فوق رؤوسنا
يزداد نورا بالحرائق
النار تسعد بالحريق ··
والبحر يحتضـن الغـريق ··
والموت يحيا بالشـانق ··
لكنــه ··
مازال يخجل أن يفوز بعمرنا
الموت يخجل من حقيقة أمرنا
نحيا هنا ·· تحت الفنادق
ها هنـــا
الكل نافق
والى متى ؟؟···

خالد سعد الدين محمد الصغير

عيد ثورة يوليو ●

الشـمس فى عينى بريق ســـاحر
والزهـــر من حـــولى سعيد ناضر
والشـــعر فى نفسى خجـــول عـــاجز
والشـــوق فى قلـــبى عـــميق ثـــائر
وأهل يوليو شامخا ··· من حقــــه
بين الشهور – جميعهـا – يتفـــاخر

هى ثـورة الاحــرار فى أوطـــانهم
مــا العيش لو يطغى الهوان القـاهر
عزم الشـــعوب ينيلهـــا أمجـــادها
ان الحيــــاة لمن يفى ، ويثـــابر ..

ايمن دسوقى
القاهرة ـ مصر القديمة

● تجربة فى الشعر ●

● أود أن أعرف سعادتكم اننى على صلة وثيقة بالهــلال الحبيبة وخاصة باب « انت والهلال » وكانت اول رسالة تنشر لى فى العدد رقم أى شهر سبتمبر سنة ١٩٨٥ وهذه الرساله هى الثانيه لى ، ابعث بها اليكم أملا ان تلقى بعض الاهتمام من قبلكم كما عودتمونا دائما « بالاهتمام » بكل الرسـائل الادبية .

سيدى الأستاذ ... اسمحوا لى ان القى على انظاركم تلك القصيدة متسائلا هل هذا « شعرا » ، وهل يمكن ان أصبح شـاعرا فى المستقبل ...؟ أرجـو ان تهدونى بالاجابة التى أعتبرها حكما عادلا ولكن منى جـزيل الشــكر والعرفان ..



وهـذه هى القصيدة :

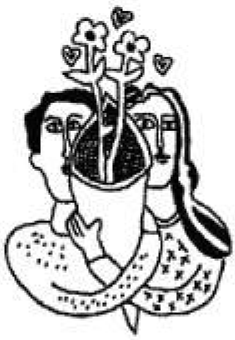
لن « تولـدين »
يا من بى لا تدرى
ما حبـك من تـكونين ؟...
لقد صـار قلبى رحم
هيـا ارتمى لبـه
ولو « تمزقيـــه »
لكنك لن « تولـدين »
ان مت لن « تموتين »
سيرعاك الهوى فى فؤادى ..

خالد حسن على
ليسانس الصحافة بسوهاج

● تعليق :

ـ نشكركم على حسن ظنكم ، أما شعركم فينقصه الوزن ، وهذا الذى ننشره لك هنا انما هو نثر ، والاخطاء النحوية واللغـوية فى نثرك وشعرك ليست قليلة وقد وضعنا بعضها بين أقواس ، حاول ان ترفع مستوى أسلوبك فى النثر فهذا أجدى ، ودعك من الشعر !..

● ذكرى ●



ستبقين في القلب ذكرى
تفيضين حبا وسحرا
ويسعى خيالي اليك
فانسى من الهجر غدرا
ويبقى يسعى صداك
لاتلوه الدهر شعرا
فقد كان قربك منى
يصور لي الليل فجرا
عطاؤك لي لن يزول
سيبقى مدى العمر عمرا

حسن علي محمد جابر
الاسكندرية

● مع الاصدقاء ●

● قداش صالح ـ عزابة ـ جمهورية الجزائر :
ـ نشكركم اجزل الشكر على كلماتكم الطيبه وعلى « الكارت » الملون الذى ارسلتم به الينـا .

● اشرف يوسف عمر ـ قنا :
ـ قصيدتك التي تقول فيها : « يا ايها الزمان .. لماذا لا تعطينا الامان .. تريد ان تقتلنا .. بالآه والاحزان .. » .. خالية تقريبا من الوزن ، فضلا عن خلوها من المعنى الجيد ، ولعلك مازلت صغير السن ، فلا تيأس ، وان كان الافضل ان تهتم بتثقيف نفسك ، وليس من المهم ان تقول الشعر ، فالشعر صعب وطويل سلمه ،كما يقول الراجز ..

● تامر محمد حسن المطيعي ـ اسيوط :
ـ قصيدتك التى عنوانها « الهوى الابدى » ينقصها الوزن فى جميع أبياتها مع الاسف ، ومازلت ناشئا فى الشعر ، فلعلك تتقدم مستقبلا .

● اشرف محمد ابو العز ـ المعصرة :
ـ انت مكثر في قول الشعر ، ولك اشعار موزونة ، واخرى تفتقر الى الوزن .. وواضح انك تحب الشعر وانك لا تريد ان تنصرف عنه ، فلعل المثابرة تصنع لك خيرا ان شاء الله .

● عاصم فريد البرقوقي ـ جليم ـ الاسكندرية :
ـ نشكر لكم حسن ظنكم ، ومثابرتكم على الكتابة الينا بانتظام منذ عدة سنوات ، فانت صديق دائم حقا ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

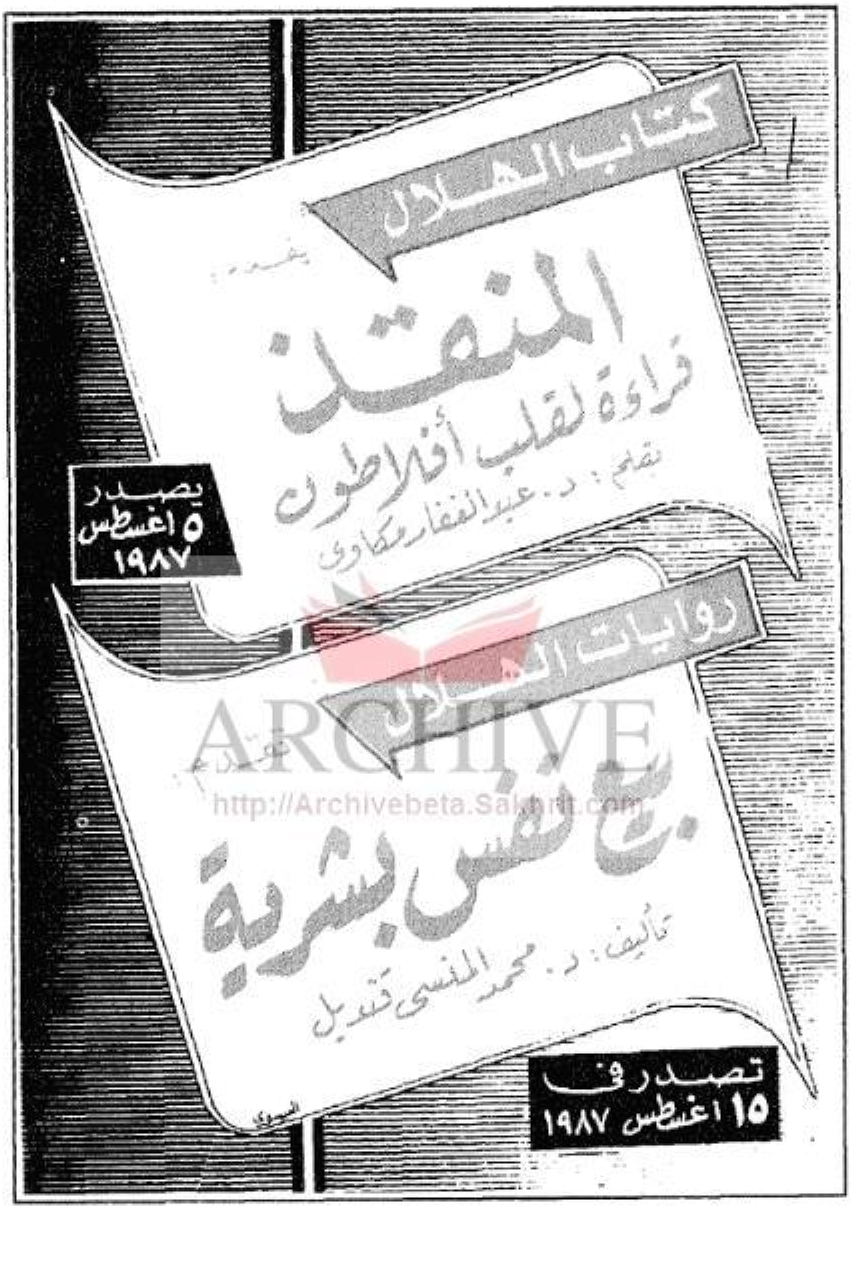
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية .غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٨٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٥٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


كتاب الهلال
يصدر:
المنقذ
قراءة لقلب أفلاطون
تقديم: د. عبد الغفار مكاوي
يصدر
٥ اغسطس
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم:
بيع نفس بشرية
تأليف: د. محمد المنسي قنديل
تصدر في
١٥ اغسطس ١٩٨٧

بنك الإسكندرية التجاري والبحري

ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK

خدمات مصرفية متكاملة — مراسلين في جميع أنحاء العالم

ACMB

شهادات الإدخار **الثلاثية** — شهادات الإدخار **الخمسية**

ذات الدخل الربع سنوي

- حسابات جارية بالعملات المصرية والأجنبية.
- تسهيلات ائتمانية للأنشطة الاقتصادية المختلفة.
- حسابات توفير وودائع بالعملات المصرية والأجنبية
- إدارات لدراسة الجدوى وأمناء استثمار.
- فتح اعتمادات مستندية وإصدار خطابات الضمان.
- شهادات إدخار بفائدة مجزية.

★ ولمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك وفروعه.

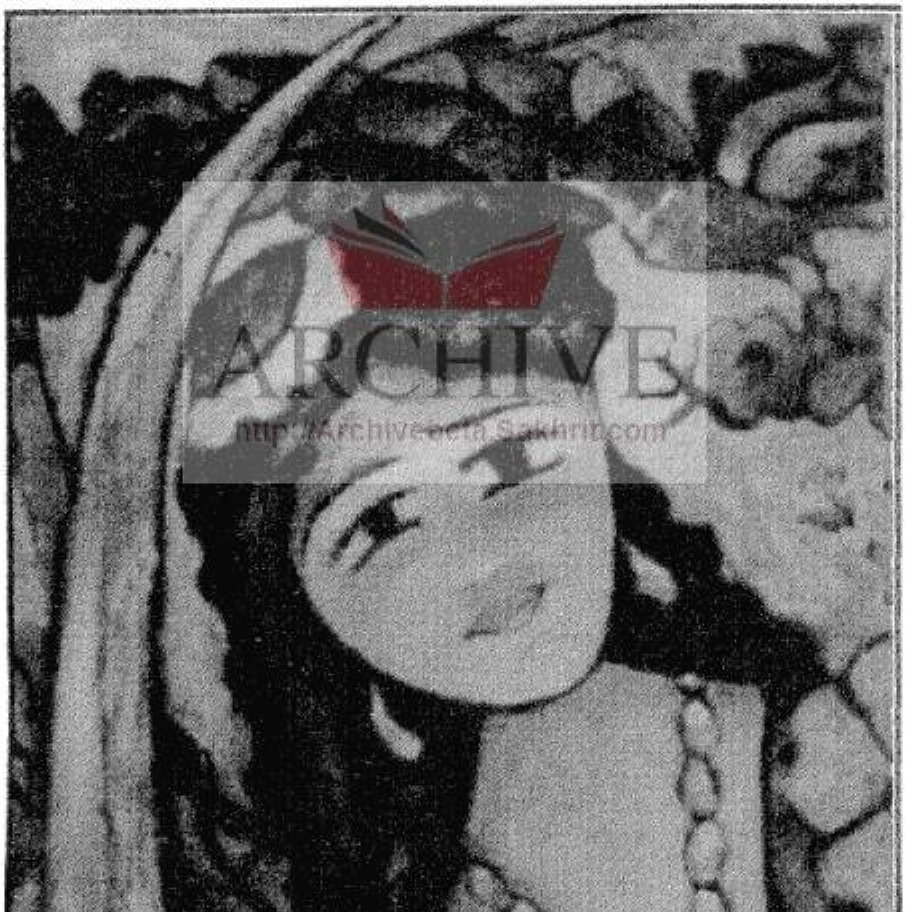
الإسكندرية، المركز الرئيسي: ٨٥ طريق الحرية ت: ٤٩٢١٥٥٦ / ٤٩٢٩٢٠٣ / ٤٩٢١٢٣٧
تلكس: ٥٤٥٥٣ - العنوان البرقي: كومارتيم - ص.ب ٢٣٧٦
فروع جديدة:
القاهرة: ١٠ شارع طلعت حرب - عمارة الفرعوني ت ٧٧١٢٤٤ / ٧٦٧٢٢٣
الإسكندرية: ١ شارع أديب ناصية سعد زغلول وأديب ت ٨١٠٩٩٢ / ٨٠٢٩٦٣

الهلال

سبتمبر ١٩٨٧ ● الثمن ٦٠ قرشا

توفيق الحكيم: رسالة من العالم الآخر

المرأة .. والحريم





الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢ - أول سبتمبر ١٩٨٧ م - ٨ محرم ١٤٠٨ هـ

من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الإسلامي تحمل اسم « لقاء الأساتذة » مرسومة فوق ورق مصقول للفنان الهندي رضا عباسي . في مطلع القرن السابع عشر الميلادي ويبلغ طول اللوحة ٤٢,٩ سم . اللوحة محفوظة في متحف فنون الزخرفة بطهران وتكشف مدى أسبقية الفنان لكل المدارس الفنية الحديثة التي حطمت المناظير الثابتة والتقليدية .



الغلاف :

تفصيل من لوحة

للفنان : حلمى التونى

هذا العدد

● فكر وثقافة ●

ص

● جزء خاص عن المرأة ●

● رسالة لندن :

● قضايا ومواقف ●

● فن تشكيلي ●

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

عزيزي القارئ

توفيق الحكيم على صفحات الهلال



في هذا الشهر يبلغ الهلال عامه الخامس والتسعين ، وهو عمر مديد سعيد إذا أتيح بلا انقطاع لأية صحيفة مصرية أو عربية ، شهرية أو أسبوعية أو يومية .. فلا توجد الآن في مصر والعالم العربي مجلة شهرية ولا أسبوعية صدرت بانتظام طوال خمسة وتسعين عاما ، أو ما يقارب هذه المدة ، إلا صحيفة يومية واحدة تجاوزت ذلك بسنوات قلائل .

وبعض كرام القراء يسألوننا منذ اليوم عما أعددناه للاحتفال بالعيد المئوي للهلال . ولا نحسبهم متعجلين ، فما أسرع انقضاء الشهور والسنين !..

ولكنا نَقْصِرُ نجوانا إلى القارىء في هذه المناسبة على أمر واحد ذي أهمية جوهرية في استمرار الهلال على أداء رسالته طوال هذه السنين الخمس والتسعين .. وإلى ما يتلوها من السنين إن شاء الله .

ذلك الأمر الواحد هو علاقة الهلال بكبار أدباء مصر والبلاد العربية ، فقد توثقت هذه العلاقة وامتدت في كل الأحوال حتى صارت مجلدات الهلال معرضا للفكر العربي كله على امتداد حوالى قرن من الزمان حتى الآن .

وقد حدثناك في الأعداد الماضية عن طه حسين وعلاقته بالهلال ، وكيف نشر فصول أشهر كتبه "الأيام" على صفحات الهلال قبل أن يطبعها في كتاب .

وكنا على نية أن نحدثك في هذا العدد عن توفيق الحكيم ، مرتقبين شفاءه ، ولكن الموت كان على موعد مع هذا الكاتب العظيم الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بكتاباته المتنوعة الثرية أكثر من خمسين عاما ..



بدأت صلة توفيق الحكيم بالهلال منذ الثلاثينيات ، وتحفل مجلدات الهلال بمقالاته التى تمتاز بالإيجاز والسخرية وارتياد الآفاق الفكرية الجديدة ..

وكانت الهلال تنشر فصولا من كتب الحكيم التى يصدرها "كتاب الهلال" فى طبعات جديدة ، ومنها كتاب "يوميات نائب فى الأرياف" وكتاب "عصفور من الشرق" وكتاب "مدرسة المغفلين" وكتاب "الشعب" وطائفة من كتبه الشهيرة الأخرى .

ومن أظرف ما نشرته "الهلال" مساجلة بين توفيق الحكيم وفكرى أباظة ـ رحمهما الله ـ حول "فتاة الأحلام" التى يحلم بها كل منهما ويتمنى الزواج منها .. وكان توفيق الحكيم وفكرى أباظة عندما نشر "الهلال" مساجلتهما فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ أشهر "العزاب" فى الأدب والصحافة .. وفيما يلى المساجلة بنصها الحرفى :

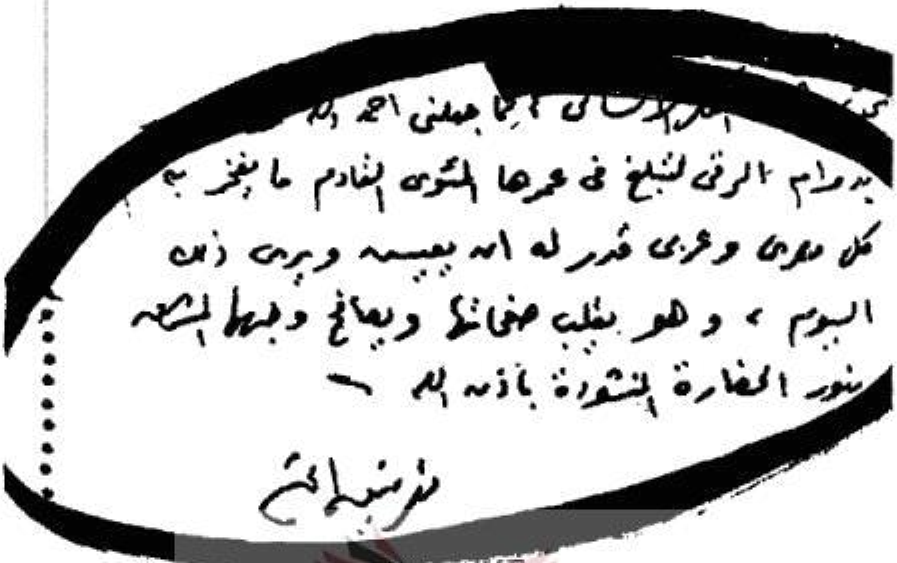
عزيزي القارئ

من توفيق الحكيم إلـى فكرى اباظة

عزيزى الأستاذ فكرى اباظة
فى هذه الايام الجميلة التى تحتفل فيها البلاد بالمولود الملكى السعيد ، لاشك فى انه قد خطر ببالك ان يكون لك انت ايضاً ولى عهدك على عرش الفكاهة . غير انه - كما تعلم - لابد دون ذلك من ان تتزوج . هذا شرط اساسى فيما اظن . فما العمل ؟ وما هو المانع عندك ؟
قد تقول إنك لم تصادف بعد "فتاة احلامك" ؟ هذا جائز . ولكن قل لى : ماهى "شروط ومواصفات" هذه الفتاة ؟ لعلى من جهتى أعثر لك عليها فاكون قد اسديت الى الانسانية ، والى الفكاهة المصرية ، بعض الفضل فى ايجاد "فكرى اباظة الصغير" الذى يشرح صدور الاجيال المقبلة .
اخشى أن تهرب من الاجابة بتوجيه مثل هذا السؤال إلىّ انا ، فتوفيراً للوقت أسرع وأقول لك : إنه ليس لى من الشروط التى ينبغى ان تتوافر فى زوجة أحلامى غير اثنين :
أولا - ان :
احبهـا وتحبنـى ويحب ناقتها بعيرى
ولا تعلق اهمية كبرى على مسالة الناقة والبعير ، فالشطر الاول من البيت يكفينى .
ثانياً - أن تكون جاهلة انى كاتب يؤلف كتباً وينشر فى الصحف ، وان تظل تجهل "عيبى" هذا حتى اخر حياتها او حياتى .
اذا ظفرت لى بمن يتوافر فيها ذلك . فهذا توكيل رسمى منى اليك أن تعقد لى عليها بدون إذنى ورأيى ، والسلام .

الى توفيق الحكيم

عزيزى الأستاذ توفيق الحكيم
... دعك منى انا قليلا ولنتكلم عنك انت قليلا .. سبحانك ربى ، امنت بانك على كل شىء قدير !


الإنسان ... جعلني احمد الله
بدوام الرقي لتبلغ في عمرها المستوى القادم ما يفخر به
كل مصري وعربي قدر له ان يعيشه ويرى زمن
اليوم ، وهو يقلب صفحاتك ويعانق ... الساطع
بنور الحضارة المشرقة بإذن الله

ها قد بدا "عدو المرأة" يلين للمرأة . هاهو ذا يحركني لاعلن عنه انه قد تاب واناب ، واستغفر واستسلم ، ورفع راية الخضوع بعد راية العصيان ..

هنيئاً لدولة الجنس الناعم هذا الظفر وهذا النصر . "توفيق الحكيم" يبحث اليوم عن "زوجة احلامه" ! وعن حبها وحبه ! وعن بعيره وناقتها ! ولكنه يتقهقر بانتظام فيشترط شروطاً بل شرطين اثنين فقط لا غير :

"اولهما" ان يحبها وتحبه . واقسم ان شرطه قد تحقق سلفاً ، وانه في لمح البصر يحب ، وفي لمح البصر يحب .. اى صديقى : عندك السمر والبيض ، والخمريات والسمهريات ، والرقيقات والمدملجات ، اختر منهن من شئت .. عندك ذوات الشعر الأسود والأشقر والكستنائي والفضي والذهبي ، اختر منهن من شئت .. عندك ذوات العيون العسلية والعربية والفسدقية والبنفسجية والجنزارية ، وعندك عيون المها وعيون القطط وعيون اليابان ، اختر منهن من شئت .

عزيزي القارئ

عندك ذوات "الشيان لو" ومقطعات "بتهوفن" وراقصات الكونتننتال والرومبا والفالس ، اختر منهن من شئت .. عندك المتحفظات المصليات العالمات المثقفات ، اختر منهن من شئت . ملايين الأصناف والعينات ياسيدى . فلو شئت مصرية فعندك مصر كلها ! وإن شئت فرنسية او امريكية أو المانية او هنجارية او روسية ، فعندك الدنيا القديمة والحديثة معاً ! الا يقع حبك على واحدة من هؤلاء ؟..

اما ان يحببنك فانا كفيل بانك جدير بحبهن جميعاً ، وإن ادعيت انني اكثر منك تجربة قلت لك : إنه لا توجد فتاة لا تحب اليوم مثلي ومثلك ، ومن هم دوني ودونك ، فكل بنت تحب . لأن كل بنت تريد ان تتزوج !

* * *

اما شرطك الثاني وهو ان تجهل انك كاتب ومؤلف وتنشر في الصحف ، فلعلك تقصد "التجاهل" لا "الجهل" وهذا شرط هين ، ورجولتك كفيلة بان تحملها على حبك مع ملحقات كتاباتك ، ومؤلفاتك ومنشوراتك ...

بما لي من صفة "الوكالة" عنك ـ كما ذكرت في خطابك ـ اعلنك بانني سازوجك قريباً إن شاء الله ...

بقيت انا ...

ومالك ومالي ياسيدى ...

لا تصدق انني لم اجد فتاة احلامي . وجدت بالفعل مئات من فتيات الأحلام . ولكني ما قاطعت الزواج ، رهبة من الزواج . وانما إشفاقاً على "فتيات الأحلام" ان يتعسهن الزواج من رجل مخاطر ، مغامر ، بوهيمي ، لا يقر له قرار . لأن الزمن جعله ممن لا يقر لهم قرار ..

امثالنا من الذين يخوضون معارك السياسة ، ويصعدون في "بورصتها" ويهبطون ، لا تامن معهم زوجة على حاضرها ولا على مستقبلها . اخشى يا صديقي أن مثلي حين يتزوج يفضل حتما امنه الخاص على امن البلد ـ وطمانينته الخاصة على طمانينة البلد ـ وسعادته الخاصة على سعادة البلد ـ وحياته الخاصة على حياة البلد .

الم يقل سيد الناس : "الأولاد مبخلة ومجبنة" ! لقد سلخت من عمرى اربعين عاماً كريماً شجاعاً ، ولا اريد بعد الاربعين ان اختم حياتى بخيلا او جباناً ..

ولى الوقت ياسيدى وضاع !...

واحسرتاه ...

فان ضمنت لى ان البلد قد استقرت امورها ، واستتب امنها ، وتدعمت رجولتها ، وذاعت نزاهتها ، وتطهرت حزبيتها ، وترفعت زعامتها ، فلم تجنح بعد الى مذبذبين ، ونفعيين ، ومنافقين ، ووصوليين .. مَنَحتُك من الآن "توكيلا رسمياً" بان تعقد لى على اية مخلوقة بغير شروط ولا مواصفات ...

فان لم يكن هذا كله قد حصل ، فدعنى حتى يزوجنى القدر !...

فكرى اباظة

ماذا يريد من الحياة ؟!

وجمعت "الهلال" بين الأستاذ العقاد وبين توفيق الحكيم فى حوار بينهما حول هذا السؤال : ماذا أريد من الحياة ؟! ودارت حول هذا السؤال خمسة أسئلة ، هى :

١ ـ هل ظفرت بما كنت تريده من الحياة ، وهل كان لك هدف خاص حاولت أن تبلغه فبلغته ؟!

٢ ـ هل تحب نفسك الآن أكثر مما كنت تحبها فى أيام الشباب ؟

٣ ـ هل تشعر بأن هناك صفات معينة تفتقر إليها وتود لو تتصف بها ؟

٤ ـ هل تجد فى نفسك أشياء تكرهها ويكرهها الناس ولكنك لا تستطيع التخلص منها ؟!

٥ ـ هل تحب أن تعيش حياتك الماضية مرة أخرى ؟

إن أجوبة هذه الأسئلة لفى غاية الأهمية الآن بعد رحيل توفيق الحكيم لأنها تشمل كل أهداف حياته تقريبا ، ويمكن أن نرى الآن بوضوح الصورة التى رسمها توفيق الحكيم لنفسه من خلال إجابته عن هذه الأسئلة . وهاهى ذى على حسب ترتيب الأسئلة :

١ ـ اننا نحدد مطالبنا من الحياة عادة عندما نكون فى مطلع الحياة ، اى

في مرحلة الشباب . فمن يضمن لنا اننا فى هذه المرحلة كانت لنا الحكمة الكافية والتجربة الضرورية للارادة الصحيحة ، ولوضع خطة الحياة المستقبلة على انسب الاسس ؟ ولو سارت الأمور بالعكس وبدأ الانسان حياته شيخا ناضجا ماذا يكون الحال ؟

من الذى يضع الخطط وتصميم العمارات : المهندس الناضج ، او الطالب الناشىء ؟

اما هدفى الذى اسعى اليه فهو السير بالادب والفن في بلادنا ولو خطوة ، وجعل الادب والفن فى سبيل نهوضنا انسانيا وقوميا واجتماعيا ، لان مذهبى الادبى والفنى هو "الفن لنهضة الانسان .. والادب فى سبيل النهوض" .

٢ ـ اظن انى احب نفسى الآن اكثر مما كنت أحبها أيام الشباب ، لان القلب يصغر كلما كبرنا ، الى ان ياتى الوقت الذى لا يتسع فيه لغير انانيتنا والعياذ بالله !..

٣ ـ لا ياسيدى ! لو عرفت الغيب لرضيت بالواقع ، وحياة فى يدنا خير من حياة وهمية ، مع رجائى ان تتغير حياتى الذهنية والفنية والانتلجية الى افضل ، وهذا ما أريد ان اتصف به .

٤ ـ أشياء كثيرة أكرهها فى نفسى ! بل ان الاصل عندى هو ما اكرهه ، اما الذى احبه فى نفسى فهو الاستثناء ، لانه اقل من القليل !

٥ ـ لا أحب الا ما كان صالحا ونافعا ، وارجو الا اكون قد عشت حياتى الماضية عبثا !

هكذا تكلم توفيق الحكيم عن نفسه فى "الهلال" قبل أربعين عاما ، وقد ظلت كلماته هذه حتى وفاته تنطبق على حياته كلها ، وتبرهن على نفاذ بصيرة هذا المفكر الفنان ومعرفته بنفسه وبالحياة وبرسالته فيها ..

وكانت "الهلال" لا تكتفى بكتابة توفيق الحكيم على صفحاتها ، فكان محرروها يكتبون عنه ، ومن ذلك ما كتبه المرحوم طاهر الطناحى مدير تحرير الهلال الأسبق فى باب "حديقة الأدباء" فى عدد فبراير ١٩٥١ مصورا توفيق



الحكيم بعصفور يطير من غصن إلى غصن ولكنه يبتعد عن الناس وإن كان يكتب عنهم ، فهو يكتب فى المشكلات الاجتماعية ولكن من بعيد ، وتحت مصباحه الأخضر ، ولا يختلط بمن يكتب عنهم إلا مضطرا ، ولا ينظر إليهم إلا من برجه العاجى ..

وتوجت "الهلال" تكريمها لتوفيق الحكيم بإصدارها عددا ذهبيا خاصا عنه فى فبراير سنة ١٩٦٨ عندما كان الاستاذ كامل زهيرى رئيسا لتحريرها ، ويعتبر الآن مرجعا للأدباء عن توفيق الحكيم وأدبه وفنه ..

ليثت صلة الأديب العظيم بمجلة الهلال قوية حتى النهاية .. وقد نشرت "الهلال" رسالتين خطيتين منه إليها ، إحداهما سنة ١٩٨٢ والأخرى سنة ١٩٨٤ يقول فيها : "منذ أنشئت مجلة "الهلال" فى سنة ١٨٩٢ وهى تنشر النور فى طريق العقل العربى ، وبعد سنوات قليلة سوف يبلغ عمرها القرن . قرن قضته كالسفينة الثابتة تمخر فى بحار الأعوام حاملة من كنوز الفكر والأدب ما أسهم فى تقدم الأمة العربية" ..

هذه كلمات كتبها توفيق الحكيم وكأنها تحية منه إلى "الهلال" وهو فى عالم الأبدية ، وكأنه يتطلع من هناك إلى "الهلال" وهى تشق طريقها إلى عيدها المئوى ..

ولا تجد "الهلال" كلمات تهديها إلى روح توفيق الحكيم الذى كانت إسهاماته على صفحات الهلال من ابرز الأعمال الأدبية ، ومن انفس كنوز الفكر والأدب التى اسهمت فى تقدم الأمة العربية !..

المحرر

توفيق الحكيم

يكتب من العالم الآخر

نشر « الهلال » سنة ١٩٥٩ مقالة نادرة للكاتب الكبير توفيق الحكيم عنوانها .. « بعد الموت .. ماذا اريد ان اقول للناس ؟ ! »

وكأنه حين كتب هذه الرسالة التى تعتبر من عيون الادب الحديث ، كان يرى بظهر الغيب مدى اهتمام الناس بوداعه ، وتكريمهم له فى رحلته الاخيرة من هذه الدنيا ، وضجتهم المدوية بعد رحيله حول آثاره الادبية العظيمة التى سوف تصدر منها طبعات بعد طبعات على امتداد السنين القادمة ..

لقد رأى الحكيم من وراء السنين هذه الصورة له بعد وفاته • فكتب هذه الرسالة البليغة الساخرة لكى يقرأها على الذين يشيعونه الى مثواه الاخير ، ثم يطلب اليهم الانفضاض من حول قبره ليستسلم للمصير المحتوم !•

وهذا نص الرسالة الرائعة التى امتازت بعمق الفكر فى الموت والحياة معا :

لطالما خطر لى انا ايضا هذا السؤال كلما شاهدت جنازة مارة فى الطريق • ترى لو سمع الميت ما يقال خلف النعش من كلام • ماذا كان يصنع • لو علم أن هؤلاء المشيعين لا يتكلمون عنه طوال الوقت ، وان فيهم من يستنزل عليه اللعنة اذا طال المشى ولم يبد بعد اثر المسجد الذى سيصلى عليه فيه ، وان منهم من يسلى نفسه وجاره فى اثناء السير بحكايات ونوادر قد تدعو الى الضحك والابتسام ، وان منهم من يتكلم فى عمله وتجارته وبيته وغيطه • لو علم الميت أن كل ما يخصه هو من كل هذا الكلام الذى يدور خلف خشبته لا يعدو دقائق معدودات وان كل ما انفق من وقت المشيعين فى الخشوع لجلال الموت لا يتجاوز لحظات • وان الصمت الرهيب الذى كان يحسب انه يحيط بنعشه لم يدم اكثر من دقيقة ، ثم بدأ الهمس يعلو ، والهمهمة ترتفع ، والكلام والثرثرة يدويان بين الصفوف فى طنين كطنين الذباب • ذلك ان الناس غير قادرين على نسيان انفسهم والسمو عن هذه الارض



آخر صورة للحكيم قبل الرحيل

والارتفاع عن شئون حياتهم العادية الصغيرة أكثر من خمس دقائق

ومع ذلك ، لماذا نريد من الناس الوقوف امام الموت موقفا أجل من هذا · ان الموت لا يجل ولا يعظم حقا الا فى نظر من يموت · فى تلك اللحظة التى يشعر فيها المحتضر انه مفارق هذه الدار التى عرفها وعرف أهلها الى مكان مجهول ، فراقا لا رجعة بعده · فى تلك اللحظة يرى المحتضر الدنيا تبتعد عنه كما تبتعد المحطة عن انظار المسافر فى القطار ·· ويرى دموع المودعين من الاهل والخلان تتساقط على باقات الازهار التى يقدمونها اليه فيخيل اليه ان ذهابه سيغير وجه الارض ولا يعلم أن هؤلاء المودعين سينصرفون من باب المحطة الى شئونهم ضاحكين كأن لم يحدث شىء · ترى لو رأى الميت كل ذلك فى صندوقه واعطى القدرة على الخروج منه والنهوض · أما كان يصيح فى الناس :

ـ أتسمون انفسكم مشيعين ؟ انصرفوا ايها اللكعاء !

انى شخصيا لا اعتقد ان الميت يفعل ذلك او يقوله لو قدر عليه · ان الميت اذ يجتاز عتبة العالم الاخر ويدخل منطقة « الصفاء » ، ينظر الى الناس واحوالهم من عل كما ينظر الانسان الى سرب من النمل يحمل جناح صرصار الى ثقب فى اسفل الجدار · انه يستكثر على الناس مجرد التحرك فى تابوته لينظر الى ما يفعلون · انه يستكثر على المادحين له والقادحين حتى مجرد ابتسامة سخرية تعلو شفتيه الجافتين الباهتتين

وعلى كل حال لو تمنيت شيئا بعد الموت لرغبت فى ان اقول انا رأيى فى الناس وقد تركتهم ، قبل ان يقولوا هم عنى شيئا ·

وهذا مستطاع · وقد فعل ذلك فيما اعلم احد الامريكان او الانجليز غريبى الاطوار · اذ سجل خطبة له فى اسطوانة « فونوغراف » ، واوصى المشيعين أن يطلقوها على قبره تنطق بصوته وانفاسه وضحكاته

توفيق الحكيم
يكتب من العالم الآخر

وكلماته . فماذا يمنعني من ان اصنع مثله ، وان اقوم في الناس خطيبا بعد موتي .. اقول فيهم :

« سيداتي وسادتي

أولا فلتجفف السيدات أعينهن حتى لا يضيع كلامي بين الشهقات وحين لا تضيع الدموع طلاء وجوههن وصبغة شفاههن ، وهذا هو المهم ، فاني مازلت حريصا على ان تكون المرأة جميلة . فالجمال هو العذر الوحيد الذي به نغتفر للمرأة كل تفاهتها وحماقتها . عفوا . لقد نسيت اني ميت . وانه ما كان يليق بي ان أوجه اليكن ايتها السيدات هذه الالفاظ في مثل هذه اللحظة الرهيبة . انتن ولا ريب تصغين الى الساعة والغيظ باد عليكن . ولولا جلال الموت ، لالقيتن على قبري باحذيتكن ذات الكعب العالي . ان كل ما ستفعلنه الان امتهانا لي هو ان تخفين في الحال مناديل العبرات العاطرة وتخرجن اصابع الاحمر الناضرة ، وتنظرن في مرآة الحقيبة الصغيرة وتهززن اكتافكن قائلة احداكن للاخرى : « والنبي الدموع فيه خسارة ! » وهذا ما اريد ان اصل اليه ، وهذه نصيحتي الثمينة لكن معشر الاحياء من النساء : حذار ان تتلفن هدبا واحدا من اهدابكن الجميلة من اجل شيء على هذه الارض ، فان الارض كلها لا تساوي هدبا واحدا من اهدابكن !

اما انتم ايها الرجال والاصدقاء والمعجبون المرتدون السواد على فقيد الادب ، المحزونون لفداحة المصاب الجلل ، الباكون لما رزئت به العربية ، والناطقون بالضاد .. الى اخر هذا الهراء سيملأ به خطباؤكم وشعراؤكم تلك المراثي البليغة والقصائد العصماء .. واني لالمح الساعة جيوب بعضكم منتفخة بشعر ونثر قد كتب خاصة للتأبين ولعل اكثره قد وضع قبل الاحتضار حتى يكون معدا للالقاء في الوقت المناسب ، ولعل احدى تلك القصائد قد نشرت اليوم في صحف الصباح بينما نشر الى جانبها خبر الوفاة . كانما القصيدة العصماء قد خرجت من صدر صاحبها ساعة خروج روحي ... لم كل هذا الاسراع ؟! الا يتركني الادب وشأني وقد صرت ترابا ، أيظل يلاحقني ويصيح في اثري وانا افر منه الى عالم ارجو الا ارى وجهه فيه . اما يكفيه انه اضاع علي حياة نابضة ، انا الذي صنعه خالقه من لحم ودم . ووضعه في دنيا جميلة زاهرة ، وقال له « انطلق وعش حياتك في هذه الحياة » فلم افعل ذلك ، ولكني احلت لحمي ودمي الى ورق .

.. آه .. انكم لو انصفتم معشر المشيعين لوضعتم جثتي مع كتبي واشعلتم النار في كل هذا .. عجبا .. اني ابصر احدكم وهو شاب فيما ارى لا يريد ان يصدق ما اقول ، وان فمه ليرجف كانما هو يريد ان يصرخ متحمسا : « في ذمة الخلود .. في ذمة الخلود » .

ايها الصديق الصغير ليس من اللطف ان اضحك الساعة منك ومن « خلودك » وان ابدد تلك الاحلام

التى تخيم على عشرين ربيعا من حياتك النضرة كما تخيم خمائل الازهار على خلوة المحبين . ولكنى اقول لك ان كلمتك هذه ان صلحت لسنك وكان لها عندك اعمق المعانى فانها عندى الان لا معنى لها . ولست ادرى ماذا تقصد بها ؟ تقصد انى قد اكون تركت لكم بعض آثار ربما بقيت .. فليكن .. ماذا يهمنى انا من ذلك ؟

وبعد ، لا احب ان استبقيكم وقوفا امام قبرى اكثر من ذلك ، فان من بينكم من قد ارتبط بمواعيد سابقة ، وهو يختلس النظر فى ساعته من آن لآن ، وليس عندى بعد ما اقول لكم ، غير انى ارى فى اول صفوفكم اصدقاء لى لايمكن ان استخف بعواطفى نحوهم . ولعل صداقتهم هى خير ما خرجت به من تلك الدار ..

والان ، اسمحوا لى ان اسكت سكوتى الابدى ، وانا ارجو منكم ان تنصرفوا الى شئونكم فى صمت كأن لم يحدث شيء . فلست فى حاجة الى كلامكم ، واذا اردتم ان تعقبوا على قولى هذا بشيء فى دنياكم تلك ، فضعوا مكان اسطوانتى هذه اسطوانة موسيقية لاحد الموسيقيين الذين كنت احبهم . تلك اللغة الوحيدة التى استطيع ان افهمها عنكم فى كل وقت ... والوداع .

من اقوال الحكيم

● انا مهمتى ككاتب ليست ابدا ان احصل من يقرأ لى يشجع رأيى [illegible] رأيه [illegible] مختلفا عن رأيى فاننى [illegible] ذلك [illegible] على رأيى بعد ذلك سيكون ذلك بمحض تفكير واستنباط .

● المرأة مخلوق [illegible] الشقاء .

● قوة الشعب مثل قوة الشمس لا اثر لها اذا تفرقت ولكنها تعمل عملها اذا تجمعت وتكتلت ونظمت .. لقد اكتشفت بعينى وقلبى معجزة مصر عام ١٩١٩ ورايت الثورة فى كل مراحلها تسفر عن روح خفية باقية ابد الدهر نابضة تسعف مصر بين حين وحين .

● هو مقرىء مطرب ، فى كتابته ، له عذوبة الترتيل وحلاوة التلاوة وتكرارها .. هو مفكر يقول العقاد عنه انه قليل العمق ولعل الاصح أن يقال عنه انه يحب التفكير العام الواضح والحديث السلس النفاذ ولا يحب التركيبات العميقة فى الفكر والفن .. وعبقرية طه حسين فى حياته اكثر فى كتاباته وكثيرون يستطيعون ان يكتبوا ما كتب طه حسين ولا يكونون مع ذلك طه حسين لانه فى الحقيقة هو شخصية واشعاع اكثر منه ابداع .

● مقال لم ينشر لطه حسين

توفيق الحكيم وبدايات الأدب المسرحي في مصر

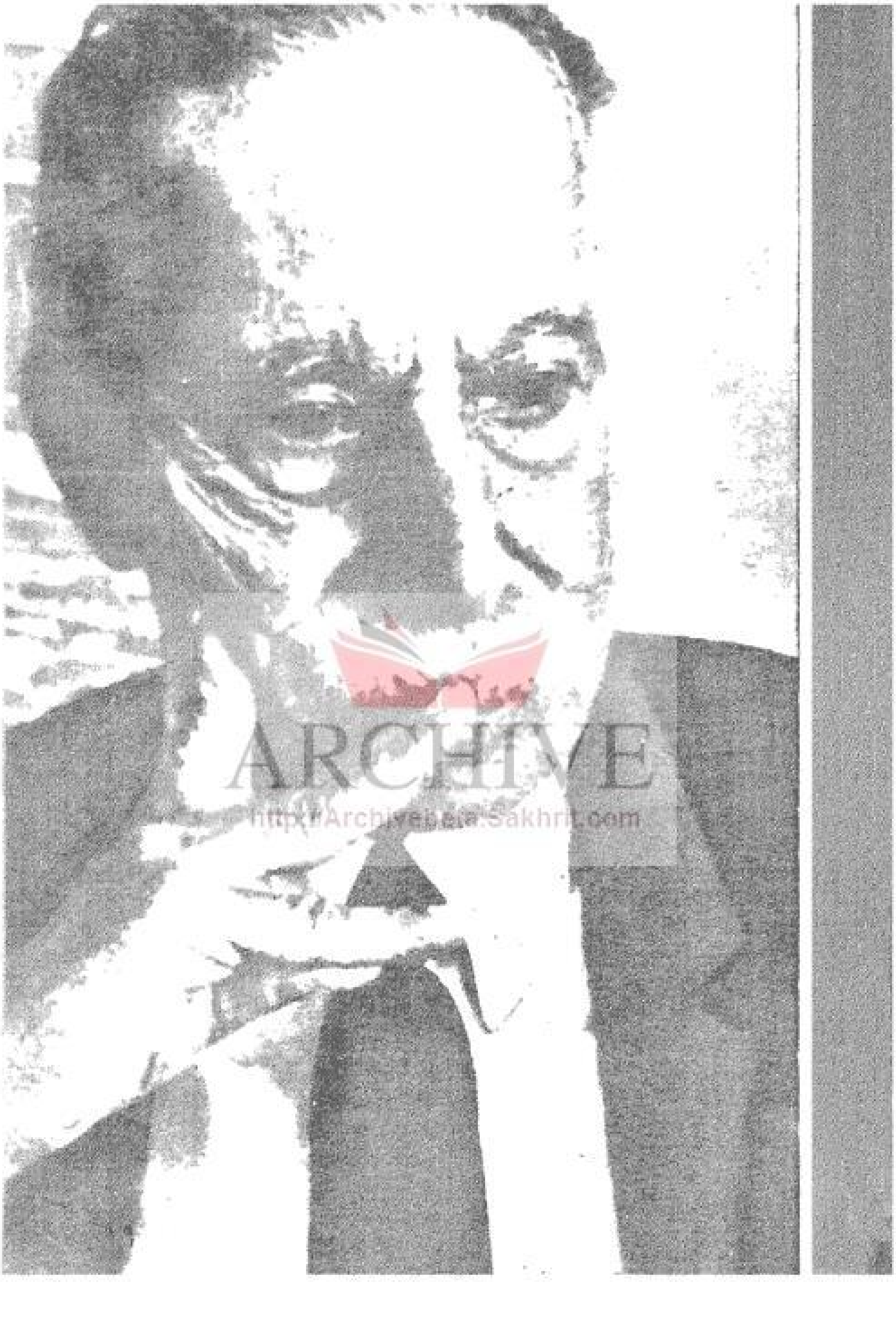


ترجمة وتقديم : عبد الرشيد الصادق

يسر « الهلال » أن تقدم لقرائها أول ترجمة عربية لهذه المقالة التي كتبها بالفرنسية عميد الأدب العربي ونشرها في مجلة **la Revue du Caire** (العدد الأول ، أبريل ١٩٣٨) التي كانت تصدر في القاهرة . وهذه الترجمة جزء من مشروع أكبر لترجمة ما كتبه الدكتور طه حسين بالفرنسية .

لابد أن الآلهة القديمة لبلاد العرب لم يكن لها أي حظ من الخيال وأن حياتها كانت كئيبة بالفعل ، فهي لم تلهم المؤمنين بها أيا من الأساطير الفنية التي أغدق بها على غيرهم من الشعوب ، وإنا لنبحث عبثا عن أي عمل ملحمي أو مسرحي في هذا الأدب العربي على ما يتسم به من فصاحة وغنائية . ولم يأت العصر الإسلامي في هذا الشأن بأي تغيير . ولم يحدث إلا في نهاية القرن الماضي أن عرف المصريون المسرح بفضل تزايد اتصالاتهم بالغرب . فكان أن ترجمت بعض المسرحيات واقتبس بعضها الآخر بنجاح كبير ، وأخذ الطلاب يتعلمون قراءة شكسبير وأعلام المسرح الفرنسي . وتعجب البعض من أن العرب القدامى لم يعرفوا هذا الفن الرائع ، ودفعهم ذلك إلى ازدراء اللغة الوطنية شيئا ما ، وكان طبيعيا أن يخشى الناس أن تصبح الفرنسية والإنجليزية مع مرور الزمن وسيلة الشباب إلى التعبير . ولكن الانقلاب الناجم عن الحرب الكبرى قد اقترن برد فعل مضاد ، فقد أراد البعض ، تمصير المسرح ، وأخذ عدد من الكتاب يؤلفون مسرحيات بعضها جاد يليق بالتمثيل وبعضها هزلي كان له حظ أكبر من النجاح لأنه كتب باللغة العامية ولأنه استقى موضوعاته من الحياة اليومية ولأنه جاء حافلا بالإشارات السياسية (١) . وفي إبان ذلك أتت في أعقاب حركات الكفاح الوطني نهضة أدبية حقيقية ، فكانت الصحف ـ وقد أخذت تتنافس على اجتذاب الجمهور وتسعى إلى إثارة اهتمامه بكل الطرق ـ تتناول مختلف القضايا الأدبية . وفي الوقت

(١) ينبغي أن تنحى جانبا المسرحيات الشعرية التي كتبها شاعرنا العظيم شوقي والتي سيسعدني أن أتحدث عنها في مناسبة أخرى .



نفسه ، زادت معرفة الناس بالاداب الغربية ·

وظل الامر على هذه الحالة حتى ظهر بيننا منذ سنوات كاتب مسرحي ذلك ان الاستاذ توفيق الحكيم كان قد بعث الى باريس ليحضر فيها رسالة دكتوراة فى القانون · غير انه عندما رجع الى مصر،لم يكن يحمل الدكتوراه وانما عاد بثلاث او اربع مخطوطات ولقد تلقى دروسا ·· فى السوربون وتردد على المسارح والحفلات الموسيقية ومونمارتر ومونبارناس ، واهم من كل ذلك انه قرأ الكثير · اما مخطوطاته فقد ظل يخفيها بغيرة الا عن دائرة محدودة من الرفاق ، وكانوا من ذوى الجد اللذين اتموا دراساتهم القانونية بنجاح باهر · والح عليه هؤلاء الاصدقاء لكى ينشر شيئا من انتاجه· فقرر بعد كثير من التردد أن ينشر مسرحية اولى هى « أهل الكهف » · فلقيت الاعجاب ، فتشجع الكاتب فنشر على التوالى مؤلفين هما رواية « عودة الروح » ومسرحية اخرى هى « شهر زاد » ·

ولم تمثل من هاتين المسرحيتين الا الاولى ، ولم تكن هذه بالتجربة الموفقة فلم يكن الممثلون قد اعدوا اعدادا حسنا لاداء مثل هذه المسرحيات المعقدة التى كتبت للقراءة اكثر مما كتبت للعرض · وذلك ان الاستاذ توفيق الحكيم لم يرد او لم يستطع أن يبدأ من البداية وأن يقدم لنا مسرحيات بسيطة مباشرة · فهو فيلسوف شاب رغم أن حديثه ومظهره لا يوحيان بذلك · فكأنه يجمع بين رجلين رجل نراه وهو ساذج برىء ، ورجل اخر يخفى عن العيون ، وهو محنك شديد التعقيد · اولهما رجل مسالم يبعث على الطمانينة ولا يستطيع أن يخوض مناقشة طويلة، اما الاخر فهو جسور مقاتل يتصدى لاغوص المسائل ويتلاعب بالافكار بسهولة فائقة ·

وترمى « شهر زاد » الى أن تقدم لادبنا الحديث صورة تعبر عن النفس البشرية وقد امضها الشك · فبعد الف ليلة وليلة يحاول شهريار الملك ، وقد ارضى نهمه ، أن يعرف حقيقة شهر زاد، تلك الفتاة البسيطة التى لم تبرح قط قريتها وان كانت تعرف كيف تروى تاريخ العالم · من هى ؟ يسالها ، فلا يفوز بجواب · وملامحها تشى بأن ثمة سرا تخفيه ، وما نظراتها وابتساماتها الا احاجى محيرة · وانى لاعتقد أن الشك الذى يتعذب به شهريار يعذب المؤلف بدوره · وينتهى الملك الى ادمان السحر والسفر · ولئن كانت شهر زاد قد نجحت فى أن ترتفع به عن الارض، فانها لم تستطع أن تصل به الى السماء ، وهو الان معلق بينهما حتى يصاب بالاعياء · وهو لم يعد يكترث بشىء ، فلا يشعر بأى أسى عندما يباغت شهر زاد وهى تخونه ــ تماما كما فعلت زوجته الاولى ــ مع عبد اسود ·

اما موضوع « اهل الكهف » ، فهو مستمد من القران والاثار المسيحية الشرقية · اذ يروى أن ملكا يونانيا كان يضطهد النصارى ، فلاذ ثلاثة فتيان بكهف خوفا على حياتهم ، وهناك ناموا لثلاثمائة سنة · تلك هى خلاصة القصة

كما وردت فى التراث • ولكن توفيق الحكيم يتخذ منها وسيلة للتساؤل : ما هو الزمن ، وما هى فكرة البعث؟ فقبل أن ينام الفتية فى الكهف ، كان أحدهم يعشق بنت الملك ، وكان لثانيهم زوجةوولد يحبهما حبا جما ، أما ثالثهما ، وكان راعيا فلم يكن له الا قطيعه وكلبه • فاذا استيقظوا شرع كل منهم فى البحث عما كان عزيزا عليه • ويعتقد الناس أنهم من القديسين : فقد عرف خبرهم وذاع • ولكن الفتية لا يصدقون شيئا من ذلك • فالعاشق يرى محبوبته فى بنت الملك الحالى : وكان عليه أن يدرك أن هذه ليست تلك • وهو مع ذلك يحبها ، وهى تبادله الحب ، ولكن ثلاثة قرون تفصل بينهما • ويبحث الزوج عن زوجه وولده ، فلا يجد الا قبرا واحدا كتب على شاهده اسم ابنه بوصفه قائدا كبيرا توفى فى سن الستين ! والراعى لا يهتدى الى قطيعه : وهو ينكر المدينة ولا يفهم مما يرى شيئا او احدا ، وهو ينهزم امام الزمن على الفور ، فيعود الى الكهف لينتظر الموت • اما الزوج فيحاول أن يقاوم ، ولكنه يعود الى الكهف بدوره عندما ييأس من العثور على ذويه • والعاشق لا يلقى بسلاحه ، فهو يريد أن ينكر الزمن • لكى يكون للمرأة التى تشبه حبيبته • ولكنه يعود الى المغارة وفى نفسه مع ذلك بقية من الامل ، وينتظر وقوع معجزة • وهو يشهد موت صاحبيه • يموت الراعى متقبلا مصيره مسلما امره الى الله ، بينما يموت الاخر ساخطا • ويستمر انتظاره ، ولكن النصر للزمن ، اذ يأتى الموت ويصحبته المعجزة • ذلك ان الفتاة تاتيه وترجو أن تلقاه • وقد غلبا الزمن الان ولكن بعد فوات الاوان • وهو يسلم اخر انفاسه بين ذراعيها ، ويعدها بأن يلقاها فى مكان اخر فى عالم بلا زمن، وتدفن نفسها حية معه •

نحن اذن بازاء كاتب يشقى بالافكار التى اشقت الفلاسفة والمتصوفة فى كل العصور • ولكن ما يجدر ذكره وما يعنينا هنا هو المتعة التى تاتى من هذين العملين نتيجة لتالف حقيقى عجيب يقوم بين ثلاثة عناصر جد متباينة : أولا طابع مصرى أصيل ـ وأنا أعنى هنا مصر القديمة التى صارعت الزمن لكى تحقق الخلود والتى شيدت الاثار وحاولت أن تنتزع الانسان من قبضة العدم ـ ثم الطابع العربى الذى يرجع الى اللغة والدين والى هذه الروح الادبية التى تسبغ على النص العربى جماله ، واخيرا طابع فرنسى لان المؤلف لم يقض فى فرنسا عدة أعوام بغير طائل ، ولم يكن من قبيل العبث أنه تعرف على الشبيبة الفرنسية فى فترة ما بعد الحرب وعرف أدب الطليعة الفرنسية ومسرحها • ونحن اذ نقرؤه لا نملك الا أن نفكر فى الاستاذ جيرودو: وشخصياته الشرقية تتسم احيانا بتلك السمة المحببة التى نلقاها فى بعض الثرثارين الظرفاء من ابطال اناتول فرانس •

ان اعمالا بهذه الجودة تثير الدهشة فى العالم العربى وتسمح لنا بان نعقد اكبر الامال على مستقبل الادب المسرحى • فتوفيق الحكيم فى بداية الطريق ، لكنه سيتحسن وسيطوع اللغة العربية بما يكفى للتحمل كل ما تفرضه المسرح من اعباء فادحة شديدة الدقة على السواء • وانى لارجو مخلصا أن يأتى مثاله بالخصب فيغدو نجاحه حافزا للاخرين •

دروب العبقرية

كيف ولدت موهبة الحكيم؟



بقلم :
محمد فتحى

على الرغم من استحالة الاجابة عن سؤال : « كيف تولد او تصنع الموهبة ؟ » اجابة دقيقة ، جامعة مانعة ، فان علو القصد ونبله مما يبرر بعض الابهام وعدم الاكتمال .

ويعزز المحاولة كون محورها موهبة فنان فى قامة الحكيم ، بالذات وقد دار الرجل كثيرا حول هذا الموضوع ، وبدرجة معقولة من نفاذ البصيرة والصراحة فى نفس الوقت، مما يجعله حالة نموذجية لتقصى الدروب الخصيبة لحقل « الموهبة » الفسيح .

لعل من المناسب أن نبدأ حديثنا عن موهبة توفيق الحكيم بتحديد سريع للصفة الجوهرية التى ميزته .. ولا اعتقد ان هناك خلافا كبيرا على ان القيمة الحقيقية البارزة للحكيم ، حتى بين اقرانه من الرواد الكبار ، تكمن فى عكوفه على علاج روح الامة ووجدانها ، ممتطيا جواد الفن ..

وقد عبر الحكيم نفسه عن علاقته بالفن ، بصورة مركزة وحاسمة ، عبر سطور قليلة فى « عصفور من الشرق »:

« .. جلست العجوز تعزف على البيانو ، واهتز محسن - الحكيم - فى كرسيه وانشد على الفور مطلع اغنية « سان سايلس » : قلبي يتفتح لصوتك ، كما تتفتح الازهار لقبلات الصباح ! ..

فنظرت اليه المرأة فى عجب !
- ما اشد حبك للموسيقى !
- انها فى دمى !

قالها محسن - الحكيم - فى بساطة تنم عن حقيقة عميقة ، وفى لهجة تشير - عن غير قصد - الى ماضيه باكمله .. »

● طبلة الاراجوز

وهنا لا اجد غضاضة فى استئذان القارىء فى مشهد رواه الحكيم عن طفولته فقد كتب انه سمع يوما طبلة الاراجوز ، فهرع اليه وفى ذيله جارهم الطفل « عطية » ، الذى كان يرى الاراجوز للمرة الاولى ..

وحين دبت الحياة فى المسرح الصغير ، ظهرت دمية تمثل شخصية امرأة شرقاوية ، بملبسها الاسود وبرقعها الكثيف ، فما شعر الحكيم الا وعطية - وقد كانت له خالة شرقاوية تدعى ام خميس - يجرى مخترقا الصفوف ويرفع رأسه محدثا الدمية : « خالتي . خالتي ام خميس» .. وظن مخرج الاراجوز ان الطفل يعابثه فجاراه بلسان الدمية

- نعم يا ابني
- امي بتسلم عليكي
- امك مين ؟
- امي ام عطية
- سلم لى عليها !

وانصرفت الدمية الى الدور المرسوم اذ دخل خفير يحمل هراوة ضخمة ، واقترب من الشرقاوية ، وقال لها « امشى من هنا ياوليه ! » واشبعها سبا وشتما ، وانهال عليها بنبوته ضربا ..

ولم يكد الطفل عطية يرى ذلك حتى بكي بدمع سخين ، وجرى الى بيته مستنجدا :

- امى امى الخفير نازل ضرب فى خالتي ام خميس ...

ويعلق توفيق الحكيم على مشهد الطفولة هذا قائلا : « ان الطفل لا يرى الاشياء بعينيه بل يراها بخياله ، الذى يمكنه من تجاوز الشكل الخارجي ، والحياة فى « المعنى » . اما نحن الكبار فقد ضاعت منا القدرة على الحياة فى المعنى ولم نعد نستطيع العيش الا فى « المادة » .. ولم يعد بمقدورنا ان ننفخ الروح فى شيء من دون فنان .. اى انسان احتفظ ببعض قوى الطفولة ..»

وتعليق الحكيم يقول لنا باكثر الصور جلاء ومباشرة :

- ان الاطفال يتمتعون بموهبة رؤية معنى الاشياء بخيالهم ..
- ان هذه القدرة تضيع من غالبية الناس مع الزمن ..
- ان الفنان هو المرء الذى يحتفظ ببعض قوى الطفولة ..

ومن هنا لعل السؤال المنطقي -

بعد ان حددنا هوية الحكيم فنانا – هو كيف نجا الحكيم يا ترى مما يسرى على الناس العاديين من فقدان ؟ .. كيف ابقى الحكيم على ما فقده عطية ، وكل عطية اخر ..

الولد وجوقة الممثلين

ولا باس من محاولة البحث عن اجابة السؤال من خلال شريط من المشاهد المنتقاة من سيرة الحكيم ..

يذكر توفيق الحكيم ان اول انفعال له بالجمال الفنى كان يوم احضروا له شيخا يحفظه القرآن . وكان الاعجاب بصوت هذا الشيخ فى كل الناحية حافزا للحكيم على محاكاته ، كما كان سماع الحكيم للاطراء يزيده اقبالا على التلاوة وتجويدا لها ..

كما يذكر الحكيم انه بعد فقدان ذلك المنبع الاول من منابع احساسه الفنى داهمه منبع اخر تمثل فى مولد سيدى ابراهيم الدسوقى ، والموكب بركوب الخليفة على حصانه شاهرا سيفه ، تحف به الرايات الملونة والطبول والمزامير . ثم صف العربات التى تجرها كل انواع الحيوانات ، وكل منها يحمل اهل حرفة من الحرف بكل ادواتها .. الحدادون والنجارون والبناءون والفخرانية والسمكرية والفكهانية يمثل كل منهم دوره فى الحياة .. يقول الحكيم : « نوع من كرنفال ساذج ، ولكن تاثيره على نفسى فى تلك السن كان عجيبا » .

لكن اهتمام الحكيم الحقيقى بالفن فى صورته المباشرة بدا يوم هبطت مدينة دسوق جوقة الشيخ سلامه حجازى . وجعل افراد الجوقة يطوفون شوارع البلدة فى ملابس التمثيل المزركشة ، وبمكياجهم واكسسواراتهم الغريبة ، والصبية والغلمان يجرون خلفهم ، بينما يترك اهل الحرف اعمالهم وحوانيتهم ليتفرجوا عليهم مع الجموع ومع النساء المطلات من خلف النوافذ .

وكان مامور البندر واعوانه والمحكمة والنيابة فى طليعة من يحضرون ليالى الفرقة .. ولعل الشيء الاهم هنا ان الطفل توفيق ذهب مع والده ، وشاهد « شهداء الغرام » (روميو وجولييت شكسبير مطعمة بالقصائد والالحان) ..

ويقول الحكيم : « لم افهم يومئذ بالطبع شيئا كثيرا من تفصيلات المسرحية .. كل الذى همنى وخلب لبى هو المبارزات بالسيوف ، فكان ان كسرت يد المكنسة وجعلتها سيفا وطلبت الى المبارزة خادما كان عندنا وكان هذا الخادم يذهب فى الليل الى مقهى بلدى يروى فيه شاعر بربابة قصة ابى زيد الهلالى ودياب ابن غانم والسفيرة عزيزة .. فكان يحلو لخادمنا هو الاخر ان يمسك بقطعة طويلة من الخشب ويصيح بى قائلا : انا ابو زيد وانت الزناتى خليفة ! ثم يرد على ما سمعه من الشاعر ليلا ، فكانت هذه القصص تقع من نفسى موقعا حسنا ، وكلنا نمضى اوقات العصر كلها نمثلها ونتبارز ..

غير ان الذى جعل الحكيم يعيش القصص بكل وجدانه ، وعلى نحو اعمق ، ظروف مرض والدته وطول رقادها ، مما دفعها الى الولع بقراءة كثير من القصص ذات الاجزاء الكثيرة مثل الف ليلة وليلة ..

ويقول الحكيم ان امه ما كانت

تنتهى من جزء من هذه المؤلفات حتى تقصه علينا (الحكيم وجدته وفى بعض الاحوال والده) ، وكانت تجيد السرد ولا تترك تفصيلا الا حاولت تصويره ، وكانت تصاحب السرد بتعليقات تقرب الشخصيات من افهامنا فهذه الشخصية الطيبة تشبه فلانا الطيب من اقاربنا ومعارفنا ، وهذه .. » فاذا ما انتهى السرد بأبطال القصة فى موقف لم يزدنا الا اشتياقا الى البقية ، قالت والدتى : « انتظروا حتى اقرأ الجزء التالى » ، وتتركنا على احر من الجمر نعيش بأرواحنا انتظارا للعودة الى هؤلاء الابطال ، وكنت بذلك أعير فى مخيلتى لابطال القصص سحنا ووجوها مما نعرفهم فى الحياة » .

المهم انه حين جد ما جعل ام الحكيم تنشغل عن القصص بامور معاشها والاطيان التى اشترتها ، بدأ الحكيم فى الاعتماد على نفسه ، وصار يقرأ القصص التى كان يرى امه تقرأها ..

الأسطى حميدة العوادة

وحين التحق الحكيم بالمدرسة لم تستمر هواية الرسم ، التى اسرته ، طويلا ، اذ خطف بصره لون آخر من الفن . فعند زواج عمه كانت عروسه تقضى على الفرح ، حين وصلت فى صالون الافراح بالقطار ، ولم تجد الموسيقى الميرى فى انتظارها . وكانت قد اصرت ايضا على ان لايزفها الا « عوالم » من القاهرة يليقون بمقامها .. وقد عاش الحكيم القصة كلها بوجدانه ، اذ اصطحب عمه الى القاهرة للاتفاق مع العوالم ، كما كان يصطحب العروس فى صالون الافراح ، بينما وقفت الازمة عند الوصول ..

وخلال الفرح توطدت اواصر المعرفة بين والدة الحكيم وجدته وبين الاسطى حميدة العوادة المطربة رئيسة العوالم ، التى كانت تنزل عليهم مع بعض القريبات من تخته كلما جئن الى الاسكندرية . وعند انتقال اسرة الحكيم للاقامة فى القاهرة اصيبت جدته بالفالج ونصح لها الطبيب بصفاء البال والسرور فتعهدت بها الاسطى حميدة ، وماكان يمضى اسبوع دون أن تبيت فى منزل الحكيم ليلة او ليلتين .

وعلى الرغم من الدلالة البالغة لان يكون هذا الشريط الفنى الاثارى هو أبرز ما يتذكره الحكيم من طفولته فانه لا يمكن ان يفى وحده بالكشف عن سر موهبة الحكيم فقد اتيح مثله للكثيرين ، دون ان يخرج من أحدهم فنان كالحكيم . وهنا يأتى دور شريط آخر يلخص لنا الصفات الارادية والعرقية التى اكتسبها الحكيم ، وميزته عن اقرانه ، فمكنت لجراثيم الفن وتداعياته من التمكن فى وجدان طفلنا الصغير ..

ولا شك فى ان ما كان بالامكان ان يكتسبه طفل من جيل الحكيم ، وما هو اكثر حسما فى تشكيل حياته ، لابد وان يكون من الابوين بالذات وقد تأخر انتظام الحكيم فى المدرسة الى سن العاشرة .

والبحث يكشف انه ناحية من الطموح وقوة الارادة التى تمثلت باجلى الصور فى امه ، التى تعلمت القراءة فى كهولتها لتقرأ الروايات(!) والتى يكتب الحكيم ان شيئا لم يكن يمكن ان يقف امام نيلها شيئا ارادته .. وناحية من التعقل والحرص وتقدير العلم والصبر والجلد والمثابرة وقوة الاحتمال ، التى تمثلت باجلى الصور فى ابيه .. ناحية من تقربه مثل هذه الصفات فان الشيء الحاسم

تمثل فى الافق الذى ارتسم لتفعل هذه الصفات فعلها فى الوصول اليه ..

لقد كان ابوه اسماعيل الحكيم يحرر مجلة « الشرائع » فى شبابه مع اسماعيل صدقى ولطفى السيد ، وكان يود فى دخيلة نفسه أن تتاح له الفرصة للانطلاق على سجيته واتخاذ الشعر والادب ميدانا لاهتمامه ، لكن المجتمع والظروف العائلية والمادية كبتاهما فى نفسه .. ويتجاوز الحكيم مرحلة التساؤل حول وراثته لاهتمامات ابيه ويقرر : « لقد ألقى والدى الثن على كاهلى ما لم تهيئه له ظروفه .. فاولاد رجال مثل شوقى ولطفى السيد لم ينزعوا الى الادب » « لقد سمى والدى أخى الاصغر « زهير » تيمنا باسم الشاعر الجاهلى زهير بن ابى سلمى ، ولا شك فى ان والدى لو كان حاضرا ولادتى لاسمانى باسم من هذا القبيل » ..

بل ويذهب الحكيم الى ما هو ابعد بكثير حين يقول : « ولعل الطبيعة المسرحية .. اى خلق الانسان من الحوار لا من الوصف ، خلقه من واقع كلامه هو لا من واقع وصف غيره ، هو ما يلائم طبعى .. أهى وراثة ؟ أهى روح الجدل والمنطق والتركيز ووضع الكلمة فى موضعها ، وحوار النفس وقلق القاضى وميزانه عند والدى » ! ..

وحين ولع الحكيم بالغناء والعزف ، ودخلت والدته الحجرة لتجده يعزف على العود اطلقت صرخة راعدة : « لو عرف أبوك يدبحك » ، وارغمت الحكيم على القسم بالا يلمس العود بيده طوال حياته . ذلك رغم صداقة الام للاسطى حميدة ، ومباهاتها - ولا شك - بان عبده الحامولى وضع وغنى اغنية « اتمخطرى يا حلوة يا زينة » فى فرحها - ام الحكيم - وبانه كان صديقا لاسرتها ..

هذا كما عارضت الاسرة انهماك الحكيم فى القراءة فكتب : « كنت اختلى بمطالعاتى القصصية عن عيون اهلى ، كما لو كنت ارتكب وزرا .. كنت اتسلل حاملا الكتب لاقراها تحت سريرى فى الظلام او على ضوء شمعة .. »

● القمع لايصل الى حد قتل الوهبة

غير ان شيئا فى ظروف اسرة الحكيم جعل حواجز المنع تقف دوما عند الحد اللازم لشحذ الارادةوتاكيد الرغبة ، ولا تصل الى حد قتل « الموهبة » فعلى سبيل المثال حين تسبب الاهتمام بالسينما فى الاضرار بدراسة الحكيم طلبت منه الاسرة ان يحلف بالايمان المغلظة على ان لايضع قدمه فى سينما لفراق الا بعد حصوله على شهادة البكالوريا (ليس للابد) كما انه لم يكن للاسرة أن تبعده عن دراسة الاداب ، فالمستقبل الذى تودد له (القضاء) مرتبط بها كما ان برامج المدرسة تحوى ما يتطلب الاهتمامات الادبية ويحثها ..

هذا كما لعب انشغال اسرة الحكيم بمراعاة اعمالها واملاكها دورا فى تخفيف الدور القامع له ، ولم تكن تتدخل فى شئون الابن الا عند اهتزاز التوازن الغريزى والحرص الذى ورثه منذ الصغر عن ابيه ، الذى كان يتكفل بحمايته حماية ذاتية من الجموح .





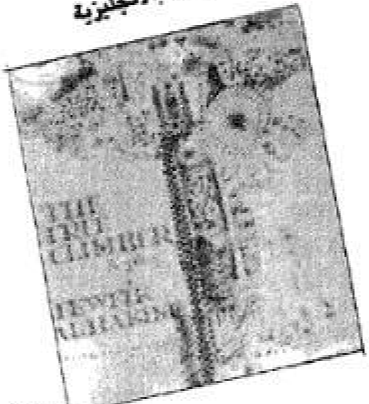


يوميات نائب فى الأرياف بالالمانية والسويدية والعبرية

عودة الروح بالروسية



ياطالع الشجرة بالانجليزية



وحتى المخارج التى كانت تقترح عند كل منعطف مصيرى جاءت ، بنوع من التوفيق ، مما يتيح للابن فرصة النمو والتطور الفنى ناهيك عن تأكيد حريته ومسئوليته • فحين فشل على الحكيم الدراسة فى الاسكندرية، وتخلف فى مادة الحساب ، اقترح ابن عمه مدرس الحساب ان ينتقل الى مدرسة بالقاهرة ليقيم معه هو واولاد عمه الاخرون• وراقت الفكرة لاهل توفيق وهكذا انتقلوا به الى الحرية الواسعة والجو الفنى الرحب• ولنفسه بالا يضيع الدمه فى السينما اتجه الى المسرح وانهمك فيه • ويقول الحكيم عن ذلك : « ولم تكن عودتى المتأخرة بعد انتهاء التمثيل تستلفت النظر فى بيت اعمامى لما من احد يملك سلطة حقيقية ، وكل واحد فى ذلك البيت كان حرا فى امر نفسه » •

وتكرر الامر حين خاف والده من انهماكه وانشغاله بالفن بعد نيل ليسانس الحقوق ، فاصطحبه الى صديقه القديم لطفى السيد الذى اقترح حين عرف بهواية الابن للادب، ورغبة ابيه فى الحاقه بسلك المحاماة والقضاء ، اقترح ارساله الى اوربا

لتحضير الدكتوراه : « فاذا عاد بها عين استاذا فى الجامعة او القضاء المختلط حيث الاقامة فى مدن كبرى كالقاهرة أوالاسكندرية ، مما يتيح له اشباع هوايته للادب » .

الكد والمحاكاة والتاليف المزيف

على هذا النحو لم تقتل معارضة الاسرة او قيودها ، فى اية مرحلة ، نزوع الحكيم الى الفن لكن ذلك كله لم يكن ليصنع موهبة الحكيم ما لم يواكبه ويجادله على طول الرحلة جهد هائل مكثف ساعدت عليه الصفات الارادية التي اكتسبها الحكيم وفصلنا الحديث عنها من قبل ، كما ساهم ولع الحكيم وحبه المجالات التى يخوضها على بذله ، دون احساس بثقل العبء أو رهقه .

وقد كان هذا الكد علما على طريق متسق التطور يبدأ بالاستيعاب ، ثم يجرى الى المحاكاة ، ويتصاعد الى مرحلة التاليف « المزيف » فمحاولة التاليف الحقيقى ، سواء كان المجال حفظ وتجويد القرآن ، او قـراءة القصص التى كانت الام تحكيها للاسرة ، او مبارزة الخادم والدخول الى عالم الاساطير الشعبية ، أو الاهتمام بدنيا العزف والغناء مع الاسطى حميدة ..

ولاباس من تفصيل ذلك فى مجال له وزنه النوعى فى تكوين الحكيم هو علاقته بالمسرح بعد المجىء الى القاهرة ويكفى هنا شريط من اعترافات الحكيم :

« فما ان اعثر على خمسة قروش فى جيبى اصعد بها الى اعلى التياترو حتى اسابق الريح الى هناك ، واعود فى منتصف الليل ماشيا على قدمي من الاوبرا الى شارع سلامة بالبغالة » ..

« .. كما ان نصوص المحفوظات هيات لنا الفرصة لاشباع هوايتنا فقلبناها الى القاء تمثيلي ، وادى بنا ذلك الى الاقبال على الشعر العربى اقبالا شديدا ، فجعلنا نتبارى فى حفظ المئات من الابيات ونتناقش فى المطارحات الشعرية .. »

« .. وصرنا بعدئذ الى نوع عجيب من اللعب التمثيلى مع اثنين من الزملاء فجعلنا نجتمع فى اوقات فراغنا ، لنلقى تمثيلية ارتجالية .. »

« .. وسرعان ما انتقلنا من الارتجال الى مرحلة التاليف ،وتطوعت انا بتاليف الرواية ، وكنت افصل دور البطل على مقاسى .. »

وقد كان المسرح المصرى انئذ - فى بداياته - مازال فى مرحلة الاقتباس الذى مرن الكتاب على اصعب ما فى الخلق المسرحى ، وهو تلوين الشخصيات ،واعادة خلقها خلقا حيا جديدا ، ذلك انه لا ضير من اقتباس الموضوعات فقد كان شكسبير وموليير وجوته يقتبسون موضوعاتهم . وهكذا جاء تتويج الحكيم لكده واهتمامه فى المرحلة القاهرية باقتباس مسرحية العريس عن « البان فلابريج » الذى ظل فى نظره من اعلام المسرحية الفكاهية الى ان سافر الى فرنسا فاكتشف انه لم يكن سوى كاتب نكرة ..

ومن كتابات الحكيم فى هذه الفترة كنت اوالى حضور البروفات يوميا « كنت أوالى حضور البروفات يوميا خشبة المسرح ، وأود أن ألتصق بها التصاقا طوال نهارى .. فقد كانت البروفات وصحبة اهل الفن بهجة لا تعدلها عندى بهجة .. » .

أقوال معاصرة

ناجي العلي



● « كل فلسطيني متهم حتى تثبت ادانته »

الفنان ناجي العلي

● « الايدز مرض غريب وقوي ، ولكن نحن اقوى ! »

مادونا المغنية البريطانية

اميل حبيبي



● « الاقتصاد له قوانينه التي يعاقب مخالفها عقابا صارما ، مثل عواقب مخالفة قوانين السلامة بالنسبة للمفاعل النووي في تشيرنوبيله »

الاقتصادي السوفييتي
نيكولاي شيميليف

● « يخيل الي ان النازيين لم يكتفوا بابادة ستة ملايين يهودي ، وانما حاولوا ان يبيدوا الضمير اليهودي »

اميل حبيبي

جورباتشوف



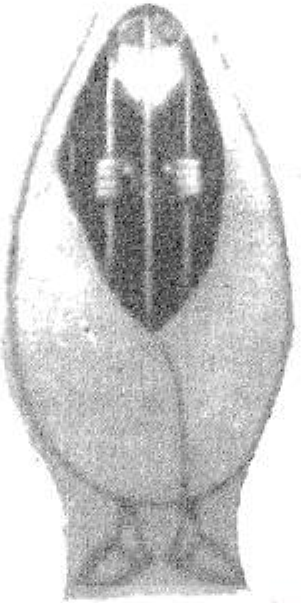
● « نحن نهدف الى تقوية الاشتراكية لا الى استبدال نظام اخر بها »

جورباتشوف

● « نظرية ريجان ، هي نظرية العمل في الخفاء ، أو على الاقل كانت كذلك في التنفيذ »

ديف ما كاردي
عضو الكونجرس الديمقراطي

هل تعود المرأة إلى عصر الحريم؟



بقلم: أمينة السعيد

لم تعد المراة فى مصر تمثل نصف المجتمع ، بل تراجعت إلى الوراء كثيرا .. خسرت كل ماكسبته طوال السنوات الستين الماضية التى ناضلت خلالها ، من اجل حصولها على بعض حقوقها ، ولاشك فى ان هناك عوامل كثيرة تسببت فى ذلك ، اولها ، تلك الانتكاسات التى حلت بالشعب المصرى ، من جراء صراعه مع اسرائيل ، وما استتبع ذلك من انهيار للاقتصاد ، وظهور عوامل اثرت كثيرا فى وضع المراة المصرية ، ودورها الذى لعبته باقتدار فى ثورة ١٩١٩ ومابعدها .

كانت بداية التراجع للمرأة فى حركتها بعد حرب ١٩٦٧ ، فقد تملك المواطن كل اليأس لأن خسارتنا للحرب ، كان يقابلها انتصارات لليهود على طول الخط .. ومع موجة اليأس هيىء للناس اننا لانسير على تعاليم الإسلام ، وبالتالى فإن الله سبحانه وتعالى غير راض عنا . وبدلا من نجاح كل المحاولات لاصلاح الأزهر ، ورفع شأنه ، واعادته لسلطته وسلطانه القديم ، الذى كان يجعل مصر قمة العالم الاسلامى كله ، ظهرت فكرة انشاء الجمعيات الدينية المتطرفة ، والتى يتزعمها افراد غير مؤهلين للإرشاد الدينى أو التوجيه .

من هنا ابتدأت المرأة تشعر بأن كل الضربات الموجهة من الرجعيين الذين هم فى الأصل ضد الحركة النسائية ، فضلا عن أنهم وجدوها فرصة سانحة لكى يدمروا مكانة المرأة فى المجتمع ، لأن كل حضارة من حضارات الدنيا ، تقوم أساسا على اشتراك المرأة مع الرجل بنصيب النصف تماما ، لخدمة بلادها بكل التفانى والاخلاص .

● بداية حرب المرأة

ونحن نعلم أن القرآن الكريم قد حث كلا من المرأة والرجل على العمل ، خاصة أن العمل نوع من العبادة ، ولكن ماذا حدث الآن ؟ ..

لقد تجرأ رؤساء بعض المؤسسات العاملة فى الدولة فى تحديد نوع العمالة بحيث ألغوا تماما دور المرأة ، ويتم ذلك يوميا من خلال ماينشر فى الصحف ، بحيث لم يعد للمرأة مجال للعمل ولم يجدوا من يزجرهم ، بل إن البعض بدأ يصور أن ماتقوم به المرأة من خدمات فى مجال العمل ، يعتبر فى حد ذاته خروجا على الدين ، ووجدت هذه الدعوة استجابة سريعة بين نسائنا ، خاصة أن معظمهن غير واعيات ، وكرد فعل مباشر لذلك ، بدأت المرأة تتقوقع وتتحجب .

وفى ظل الأزمة الاقتصادية التى نحياها ، فقدت فتاة الجامعة السيطرة على نفسها فى خضم مهرجان الأزياء الذى تشهده جامعاتنا ، خاصة أن الكثيرات من الطالبات لايستطعن اقتصاديا مسايرة هذه الظاهرة الخطيرة ، واضطرت غالبيتهن للوقوع فى شباك زى المحجبات لكى تحمى نفسها من الأزمة الاقتصادية ، التى فرضت عليهن الابتعاد عن الأناقة .

والمحجبات فى مجتمعنا أنواع ، فالبعض يفرض عليهن أهليهن لبس الحجاب ، ولا اجبار ولا اكراه فى الدين ، فحينما تجبر ابنتك بضرورة الحجاب ، فهى بالقطع تكرهه ، ولابد أن يكون حجاب المرأة عن اقتناع كامل ، وبرغبتها وحدها .

وفى رأيى أن الرجعيين ، قد انتهزوا هذه الفرصة ، وبدأوا يهدمون الخطوات التى ظللنا لمدة ستين عاما نكافح فى سبيلها ومن بينها تحرير المرأة ، وضمان حقوقها من خلال قانون الأحوال الشخصية ، والعمل على ضرورة تعليمها .

فالبعض بدأ ينادى بأن يقتصر تعليم الفتاة على التدبير المنزلى فقط ، وأرد على هؤلاء بأنه خطأ جسيم ، فكلنا فى الصغر لم نكن نعلم الكثير عن اعمال المنزل ، وبمرور الوقت ، أصبحنا « ربات بيوت » على مستوى طيب .

كما انطلقت دعوة الى ترك العمل ، وأجد فى ذلك ردة الى الوراء ، فبعض الفتيات الجامعيات يعملن بمرتبات جيدة ،

ويقلن انهن حريصات على الاستقالة ، فور الزواج ، وعلى الزوج أن يتحمل المسئولية وحده .. وذلك فى حد ذاته ينذر بالخطر ، فلماذا تصبح المرأة « جارية » لايكون لها عمل تتكسب منه ، وتساعد زوجها على بناء عش سعيد للزوجية ، وحجة الفتاة فى ترك عملها فور زواجها ، أن الدين يأمر المرأة بالجلوس فى بيتها ولايمكن أن يطالب الدين المرأة بعدم مساعدة زوجها ، وتنشئة أطفالها فى ظل حياة ميسرة ، خاصة أنه لاينبغى أن يتحمل الرجل عبئا أكثر من طاقته .

أن الجيل الجديد من النساء فى مصر ، قد أصابه الكثير من اللامبالاة التى لامثيل لها ، بل اقول البلادة ، فى التفكير والتصرف وفى الاعداد ، لدرجة أن طموحهن أصبح رخيصا وتافها ولاقيمة له ، كما انعكس ذلك كله على الانتاج ، وانهار التعليم ، وسادت الفوضى فى شوارعنا ، بل تحولت إلى « مزبلة » نتيجة عدم الاكتراث .

وكل الهبوط الذى حدث ، جاء نتيجة للاحباط الذى حل بنا ، بعد أن يئسنا من تحقيق النجاح ، واحساسنا بالحرية فى بلادنا .

● المرأة وقانون الاحوال الشخصية ●

اننى هنا أتساءل .. أين قانون الأحوال الشخصية ، الذى ناضلنا طويلا من أجله .. ولم نعد نسمع عنه شيئا ، وذلك يدعونى لكى أبين القهر الذى تحياه المرأة فى مصر ..

لقد كان قانون الأسرة موجودا فى مصر منذ أيام الحكم التركى ، ولم يتغير ، وكان الرجل يطلق زوجته بسبب وبدون سبب ، وكانت الأم تحرم من أولادها ومن حضانتهم بدون ذنب ، ومازلت اقول إن المرأة المصرية ، بالرغم من كل هذه القوانين مقهورة بشكل يدعو للعجب ..

فكثير من الأزواج يحرص على اخذ مرتب زوجته أولا بأول ، ويتصرف فيه بشكل ردىء ، ويحرص على اشباع نزواته وغرائزه من أموال الزوجة !

واذا حصلت الزوجة على ميراثها ، فإن الزوج يكون أول من يستولى عليه ، واذا كانت فتاة ، فإن أخاها ـ مثلا ـ يكون أيضا هو أول من يستولى على ميراثها .

فالمرأة فى المجتمع المصرى ، تستغل ، وتساء معاملتها ، حتى الزوج المثقف الذى تعمل زوجته لايرحمها ، ويحاسبها حسابا عسيرا إذا لم تصنع له قدحا من القهوة ، بالرغم من أنها تعمل مثله ، وتساعد بجزء كبير من راتبها فى أعباء البيت .

ونتيجة لالغاء قانون الأحوال الشخصية ، واستبدال قانون أخر به ، ألغيت ضمانات كانت تحمى المرأة إلى حد ما ، وترتب على ذلك أن قامت المؤسسات الكبرى بفصل الموظفات من النساء ، على مرأى ومسمع من الجميع ، ودون أن يحرك أحد ساكنا ، بل انهم يتباهون بذلك ، ويعلنونه فى كل مكان .

كما أن مدرس الدين فى مدارس البنات

بذا يشير إلى أن الفتاة التى تستخدم العطور فى زينتها « عاهرة » ! !

وترتب على ذلك ، ضياع المكانة التى كانت المرأة قد حصلت عليها فى الماضى ، وحدث تدهور فى عقلية المرأة ، وبالتالى فهى تعيش حالة من اللامبالاة ، وهذا فى حد ذاته يخرب بلدا بأكمله !

وقانون الأحوال الشخصية أعطى للمرأة حقوقا من بينها الا تطلق بلا سبب ، وتعطى البيت لها ولأولادها ، وزيادة سن الحضانة ١٥ عاما للولد ، و١٧ عاما للفتاة حتى تتزوج ، وفى ظل تعطيل هذا القانون ، ضاعت كل المكاسب التى كانت المرأة قد حصلت عليها ، وكانت تحميها .

كما حيل بين المرأة المصرية وبين تقلدها للمناصب المهمة في الدولة ، واننى أسأل كم وكيلة وزارة لدينا ، وكم رئيسة قسم ، أو عميدة كلية سمعنا عنها ، وعلى سبيل المثال اذكر بان شقيقتى كريمة السعيد كانت أول وكيلة وزارة ، ولكن بعد أن تعرضت لضغوط نفسية كثيرة ، وإذا حدث وسمح لأية امرأة أن تتقلد هذا المنصب ، فإن ذلك يتم بعد أن تضيع عليها عشر فرص جيدة على الأقل!

● سيف الارهاب ينتظرنا !

إن المرأة حينما تحصل على حقوقها ، فإن المجتمع الذى تحيا فيه يقوى ويتنامى ، ويحقق الازدهار المطلوب ، ونحن فى مجتمعنا للأسف الشديد ، لاتطبق ذلك بالمرة ، لاننا مجتمع متخلف ، يخاف من قول الحقيقة ، وهناك كبار المسئولين يخافون من ذلك ، وحتى حينما نسأل بعض رجال الدين ، لماذا لايقولون الحقيقة ، فإن ردهم بأن ذلك مستحيل فى هذا الزمن الذى قتل فيه الشيخ الذهبى ، حينما قال كلمة الحق ، وأصدر حكما فى قضية حق .

وأنا شخصيا اتعرض لهذا الإرهاب يوميا ، ويهددوننى بالقتل ، ويهددون ابنائى بالقتل ، ولا أخاف من كل تلك التهديدات ، فضلا عن أننى لا أؤيد الرجل أو المرأة الذى يقف أمام هذا التهديد مكتوف الأيدى ..

والإرهاب ، كما نرى ، سيف مسلط على رقابنا ، ولكن للأسف الشديد فإن اكبر الشخصيات ليس لديها الشجاعة الكاملة لإعلان الحقيقة .

● لماذا الاستسلام ؟ !

إن مناقشة قضية المرأة ، وماحققته طوال سنوات الكفاح ، وفى المقابل ماتخسره الآن ، وبشكل ملموس ويدعو إلى الدهشة يجعلنا نتوقف قليلا



لنستعرض ماوصلت إليه الآن ! .... فكفاح المرأة طوال خمسين عاما انقضت ، حقق لها تقدما ملموسا ، وعندما بدأت الردة ، وبدأ الهجوم على المرأة ، انحسرت موجة التقدم ، وبدأت تخسر هذا كله ، وتعود إلى الوراء .

وإذا استسلمت المرأة ، فإن تأخرها وخسارتها سوف يتفاقمان ويتزايدان ، ونحن نعلم من أين يأتى الخطر ، ومن هم المتسببون فيه ، ولابد للقيادات الرشيدة من أن تقف إلى جانب المرأة ، والوقوف بشدة وصرامة أمام التحديات التى تواجه المرأة ، وكونى أطلب من المسئولين ذلك صراحة ، لأنه مهما قلنا وتحدثنا وحدنا ، فماذا نستطيع أن نفعل ، أمام هذا الطوفان العاتى ! .

ومن بين مانلاحظه الآن أن الجمعيات التى كانت تنادى بحقوق المرأة ، قد تحولت الى جمعيات تقوم بجهود اجتماعية متنوعة ، ولم تعد هناك جمعيات نسائية تؤدى دورا سياسيا تستطيع القيام بدورها فى هذا المجال ، طالما أن هناك أحزابا تضم جهود المرأة ، ضمن انشطتها ، وذلك يدعونى إلى التساؤل .. هل سمع أحد منا بأن مكسبا ما قد تحقق منذ بدأت المرأة تعمل فى ظل وجود هذه الأحزاب ؟ ! ..

لقد خسرت المرأة مقاعد كثيرة فى مجلس الشعب ، وفى المجلس المحلى ، وفقدت قوانين الأسرة ، وما يستتبع ذلك من خسائر أصابت المرأة بشكل واضح .

إن حالة من الفوضى تسود المجتمع فمن يوقف هذا التيار الجارف من التعصب الأعمى ضد المرأة ، وكيف تتم هذه الحرب ضد المرأة ، وفى ظل أى ظروف .

وكيف يسمح شخص لنفسه بأن يطلق على فلان لفظ كافر أو ملحد والله سبحانه وتعالى هو وحده القيم على عباده ، فليس لإنسان الحق فى أن يقول لأخيه الإنسان أنا أكثر منك إيمانا ، أو أفضل منك إسلاما ، ولماذا ينصب البعض من هؤلاء المتعصبين أنفسهم قضاة ، وهم من أجهل الناس ، فضلا عن أنهم يقومون بغسل عقول البشر بماء آسن .

وأذكر مثالا لبعض الممارسات التى يقوم بها البعض منهم ، فلقد أتت إلى طالبة من كلية الطب تسألنى : هل صحيح يقف الاسلام موقفا معاديا ضد العلم والعلماء ؟ .

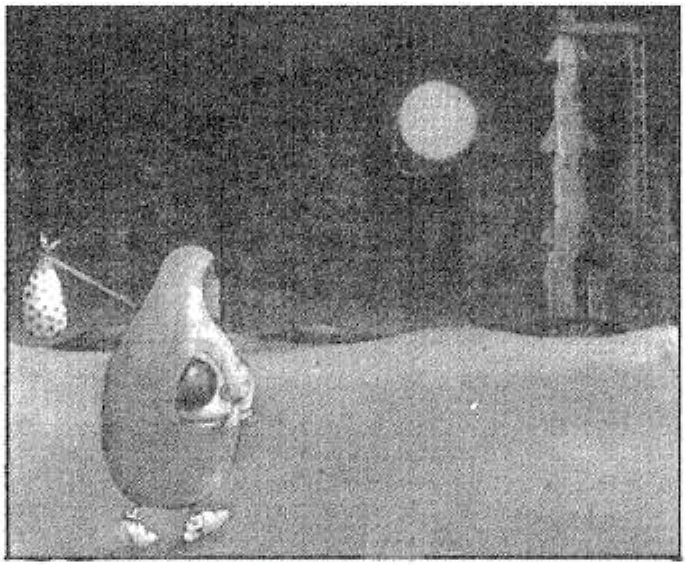
سألتها : من قال ذلك ؟

أجابت : إنه رأى الجماعات الاسلامية المنتشرة داخل الكلية ، وبالطبع فإنهم يحرفون القرآن ، ويحاولون جاهدين ، التأثير على عقول فتياتنا والسيطرة عليهن بشتى الوسائل المختلفة .

تشاؤم !

إننى متشائمة جدا لما يحدث للمرأة فى مصر ، كما أننى متشائمة أيضا مما يحدث للحركة النسائية ، التى أثبتت قدرة هائلة فى السنوات الماضية ، وأبرزت جهود المرأة المصرية ، وقدرتها على العطاء المستمر للوطن ، وتربية الأجيال ، تربية صالحة ، لتخدم فى كل مجالات الحياة .

ومن بين أسباب التشاؤم أن المرأة المصرية الشابة ، والتى فى مقدورها أن



تتحدث ، هبطت إلى أدنى المستويات ، وأرى أيضا أن الرجال الشباب الذين يشجعونها على أفكار وصلت بها إلى حد التدهور ، أصبحوا هم الآخرون جيلا لانفع فيه وأن اليأس دعانى فى نهاية الأمر ، إلى الصمت ، فأنا أنادى فى واد لايسمعنى فيه أحد ، ولا أجد من يقف الى جوارى .

ومن خلال هذا المنبر « الهلال » أوجه كلمة إلى الرئيس حسنى مبارك فيما يختص بمطالب المرأة ، التى توقفت عند نقطة معينة ، بل تراجعت إلى الوراء .

أقول له : لاينبغى أن ترضى فى عهدك بأن تتدهور الحركة النسائية ، وتخسر القليل الذى كسبته ، مما يؤثر عليها لسنوات طويلة قادمة » .

فالنساء توقفن عن العطاء ، البعض منهن حاول العطاء ، ولكن كيف يتم ذلك فى وقت شهدنا فيه بعض الجماعات تلقى ماء النار على وجوه طالبات الجامعة أثناء عودتهن إلى منازلهن . فالمقاومة العنيفة ، وسيف الإرهاب المسلط على رقابهن ، يجعلهن يترددن كثيرا فى العمل التطوعى الخاص بالمرأة .

ولاينبغى ابدا ان نغفل دور المرأة المصرية ، وعطاءها المستمر ، وماقدمته طوال هذا القرن ، ومطالب المرأة معلومة لدى الجميع ، فقط من الضرورى أن نحقق لها الاستقرار النفسى والذهنى ، وتحصل على حقوقها ، ونوقف الإرهاب الذى يحوطها من كل جانب ، لتنطلق قوة مؤثرة فى الانتاج ، وتحمل تبعاتها ، واسهامها فى بناء صرح الوطن .

المرأة المصرية

في عصر الفراعنة

بقلم : مصطفى درويش

قبل الميلاد بخمسمائة عام أو يزيد ، وبعد رحلة إلى مصر دوّن "هيرودوتس" دهشته لما رأى على أرضها العتيقة الساحرة قائلا "لا يوجد بلد مفعم بمثل هذا القدر من العجائب" .

وحتى في ذلك الزمن الموغل في القدم ، كانت الأهرام التي أبهرت بعظمتها المؤرخ اليوناني الشهير ، قد بلغت من العمر عشرين قرنا ، وهو عمر يعادل في البعد الزمني بالنسبة له بعد معبد الأكروبولس الذي أبدعته لنا شقيقتنا في جلال الذكريات .. هيلاس المجيدة ، بالنسبة لنا حاليا ، ونحن نخطو مسرعين إلى مشارف القرن الواحد والعشرين .

وعلى كل فهذه العجائب لا تزال قائمة شامخة بكل مايثير الزهو .

ومصر القديمة ، بفضل هذه العجائب ، حتى وهي أطلال ، لا يزال لها الجلال والقدرة على الإبهار من خلال فخامة تماثيلها وضخامة معابدها ، وروعة قبورها .

وفوق كل هذا ، ذلك الامتداد الزمني الرهيب الذي ظلت تعيشه حضارتها ، عظيمة ، عامرة بكل أنواع المتاع والاقتحام .



الملك والملكة فى تمثال "ممنون" دليل على المساواة

المرأة المصرية في عصر الفراعنة

ولا غرابة فى هذا ، فمصر كانت غنية بالفنون فى كل ما تتالف منه ، وبغيرها من إنجازات ومظاهره حضارة باهرة ، عندما كانت أوروبا لا تزال تحبو فى ظلمات عصرها الحجرى .

ومصر كانت على وشك أن تبدأ آخر ازدهار عظيم لها ، بعد طرد الهكسوس ، عندما كان أجداد أبطال "هوميروس" أنصاف برابرة ، ضائعين فى وادى "أرجيف" تحجب عنهم جبال سامقة ، نور المعرفة .

ومصر كانت الدرة التى ازدان بها جبين الأسكندر الأكبر ، عندما ارتفعت أعلام اليونان على الجزء الأكبر من العالم الذى عرفه إنسان ذلك الزمان .

خطر المعرفة

وقد يكون من المفيد الاستشهاد هنا بكلمات قالها اللورد بلفور فى خطاب له بمجلس العموم البريطانى (١٩١٠/٦/١٣) القاه تبريراً لاستمرار احتلال مصر .

فماذا قال اللورد صاحب الوعد ؟! .

ماذا قال رجل السياسة الداهية الذى وسعت ثقافته أشياء كثيرة ، وامتدت اهتماماته وكتاباته من الفيلسوف "برجسون" إلى الموسيقار "هاندل" مروراً بالجولف لعبة الأكابر .

لاينكر اللورد حضارة مصر القديمة ، بل هو شديد الإشادة بها ، والتغنى بأمجادها .

"نحن نعرف حضارة مصر ، أفضل مما نعرف حضارة أى بلد آخر ، نحن نعرفها من خلال ماضيها الأكثر قدما ، نحن نعرفها معرفة حميمة .

نعرف عنها الكثير ، فهى بحضارتها تتجاوز بمراحل فترة التاريخ الضئيلة لعنصرنا الذى كان عنصراً مفقوداً فى عصور ماقبل التاريخ ، أى فى ذلك الزمان الذى كانت الحضارة المصرية فيه قد بلغت ذروة الازدهار" .

إذن انجلترا تعرف مصر ، وفى رأى اللورد أن مصر بحضارتها - هى ماتعرفه انجلترا عنها .

ومن هنا ذلك المسح الدءوب علمياً لحضارتها بدءاً من جذورها مروراً بفترات ازدهارها ونضجها ، ثم انتهاء بمراحل تدهورها فانهيارها .

اختفاء المرأة

ورغم ذلك ، وإلى أن أخرجت المطابع الفرنسية كتاب "المرأة فى أزمنة الفراعنة" لصاحبته "كريستيان دى روش نوبلكور" (دار ستوك - لورانس بيرنو/١٩٨٧) فقد كان دور المرأة فى بناء تلك الحضارة المذهلة ، يكاد يكون أمراً مجهولاً .

أما بعد ظهور هذا الكتاب الذى هو آية من آيات البحث العلمى الرفيع الذى يعتمد أولاً على ملاحظة ومشاهدة آخر إنجازات التنقيب عن الآثار ، وثانياً على قراءة البرديات والكتابات التى على جدران المعابد والمقابر فى لغتها الأصلية لأن

"نوبلكور" تجيد الهيروغليفية ، فضلاً عن الاستناد إلى آخر أعمال العلماء المتخصصين فى الحضارة المصرية القديمة .

اما بعد ذلك فقد تبين ان مصر ماكان بنيانها الحضارى ليكتمل ويستمر مشعاً زهاء خمسين قرناً ، لولا ان المراة كانت مكافحة مع الرجل فى كل ميدان ، من البيت إلى الغيط، ولولا ان المجتمع فى تلك الأزمنة السحيقة لم يكن يعانى من الإزدواجية المعاصرة التى تضع حجاباً حاجزاً بين الرجل والمراة ، بحيث تجعل من الأول مستودعاً اوحداً للعقل والروح ، وتجعل من الثانية كائناً لايتحكم فيه سوى هوى العاطفة والجسد .

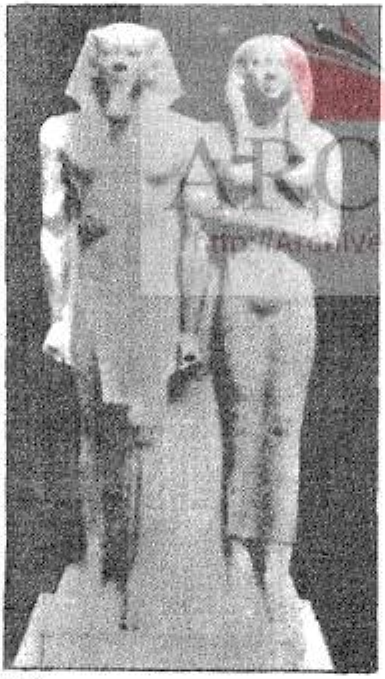
وفى سبيل التدليل على ما كان للمرأة من مكانة رفيعة فى أزمنة الفراعين ، بدأت "نوبلكور" كتابها بعرض سريع لحال المرأة فى دنيا آلهة قدماء المصريين التى لاتعدو أن تكون انعكاساً لدنيا هؤلاء القدماء هنا على الأرض .

● سفر التكوين

وقد استهلته بتناول أساطير مصر



الملكة انكاس مرير - تحمل ابنها الطفل بيبى الثانى



المراة الى جانب الرجل .. تسانده

المرأة المصرية في عصر الفراعنة

القديمة ، التى سرعان ما أصبحت جزءاً لايتجزأ من اديانها .

تلك الأساطير التى تروى خلق هذا العالم بأرضه وسمائه ونجومه ومائه واناسيه ونباته وحيوانه .

كما تروى نشأة الآلهة أجداداً وآباء وأحفاداً ، ففى البدء كان العالم قبل أن يأخذ شكله الحالى "هيولى" أى شيئاً كبيراً مضطرباً .

وكان الكون كله يخبط فى ظلام قاتم دامس .

واعتبر المصريون القدماء هذا الهيولى ربهم الأول "نون" .

وهذا الرب الأول هو الاب والأم ، لأنه حسب تفكرهم البدائي فى أسرار الكون لم يتصوروا أن يكون الرب واحداً لا شريك له .

وفى تفسير ظواهر الطبيعة من نور وظلمة ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وأرض وسماء ، وبر وبحر ، وحياة وموت ، اعتقدوا أن الخالق "اتوم" قد ابدعها فى صورة ارباب من ذكر وأنثى .

شجرة العائلة

فمثلاً "شو" ربة الهواء و"تفنوت" رب الرطوبة .

وكلاهما ينجب "جلب" رب الارض ، و"نوت" ربة السماء ، اللذين بدورهما ينجبان "أوزوريس" و"إيزيس" و"ست" و"نفتوس" الأرباب الأربعة المشاهير والـذيـن تتكـون منهـم الأسطـورة الأوزوريسية .

واستخلصت صاحبة الكتاب من هذا الذكر العارض لدنيا الآلهة انها دنيا قائمة على التكامل بين الجنسين .

وبعد عرض سـريع لعين "رع" (الشمس) وأسطورة العود الأبدى ، ثم دور الربة "هاتور" فى هذا العود الذى له علاقة بالفيضان السنوى ، وهو دور يرتهن به رخاء البلاد وما يوفره من هناء وإسعاد .

وبعد عرض آخر لهذه الربة بأوجهها وتحولاتها العديدة ، والتى من بينها انها ربة الحب كما "افروديت" ربة الحب الهيفاء وأم كيوبيد عند اليونان .

إيزيس إلى الأبد

انتقلت صاحبة الكتاب الى "إيزيس" لتقف عندها طويلاً وتفيض .. لماذا ؟

لأنها من بين آلهة قدماء المصريين ، الوحيدة الباقية ملء الاسماع .

فهم جميعاً ذهبوا مع الريح ، أصبحوا فى ذمة التاريخ .

اما هى فقد غدت بطلة أسطورية عند المصريين قدماء ومعاصرين .

وفوق هذا ، فما أن غزا الرومان مصر ، حتى اتخذوا منها ربة لهم فى روما .

ورغم انقضاء ثلاثين قرناً على أول ظهور لاسمها فى ربوع مصر ، فقد شيدت المعابد باسمها على ضفاف الراين والدانوب .

وعند صاحبة الكتاب أن سر شعبية "إيزيس" واستمرار أسطورتها منذ فجر

التاريخ حتى يومنا هذا ، إنما يكمن فى انها ترمز إلى المراة المصرية المحاربة ، الساهرة على حماية بيتها باعتبارها زوجة وأماً .

قصة حب

فأوزوريس رب الأحياء يغير منه اخوه "ست" فيقتله غيلة ويلقى بجثته فى النيل .

وتهيم إيزيس على وجهها فى اقصى الأرض ، بحثاً عن جثة زوجها حتى تعثر عليها ، وتعود بها إلى مصر ، ولكن محاولاتها تذهب سدى ، إذ سرعان مايخطف "ست" الجثة ، ويمزقها إرباً ، إرباً .

ومرة أخرى تهيم "إيزيس" على وجهها بحثاً عن اجزاء جسم "اوزوريس" وتمضى فى ذلك حتى تعثر عليها فيما عدا عضو الخصوبة .

ثم لاتلبث بسحرها أن تعيد إلى "اوزوريس" الحياة مؤقتا ، لتحمل منه ثم تنجب "حورس" الذى تسهر على تربيته حتى يغدو فتى يافعاً له من القوة مايستطيع بها ان ينازل عمه "ست" انتقاماً لأبيه ، حتى يهزمه ويسترد العرش ، فيصبح "حورس" ملك الأحياء ، ويصبح ابوه "اوزوريس" ملك الأموات فى الدار الآخرة .

ومن هنا صيرورة كل فرعون تعبيراً عن هذين الملكين حورس فى الحياة ، واوزوريس مع الموت .

ومهما يكن من الأمر فأسطورة "إيزيس" هذه بوقائعها التى تقطع بوفاء المراة وعزمها وصمودها لحوادث الدهر ، انتصاراً للزواج والأمومة ، هى التى حدت بقدماء المصريين إلى التعظيم من شأنها ، والإنشاد فى تمجيدها "انت سيدة البر .. انت يا من حققت للنساء المساواة مع الرجال" .

وفى الواقع نجد هذه المساواة متحققة ، إذا ما نزلنا مع "نوبلكور" صاحبة الكتاب من دنيا الآلهة إلى دنيا الفراعنة هنا على الأرض .

نساء فرعون

فالملكات لهن دور بارز مرموق فى عظائم الأمور ، فهن اللاتى يحملن الدم الملكى ، ويحفظن بنقله فيما ينجبن من ابناء النقاء والبقاء لشجرة الملوك ، الآلهة .

وهن اللاتى يساندن فرعون فى حكم البلاد ، ومن منطلق سيطرة العقل على أحكامهن يقدمن إليه النصح والإرشاد .

وهن اللاتى يهبن أبناءهن يلهبن حماسهم من أجل تحرير مصر من رق الهكسوس "الملكة تيتى شيرى" .

وهن إذا ما ترمّلن كان لهن الحق فى الوصاية على الأبن الوارث للعرش فيما لو مات ابوه "فرعون" وهو لا يزال صبياً ، آية ذلك الملكة "ميريرى انخينيس" ارملة "بيبى الأول" التى نصبت نفسها وصية على ابنها الطفل الفرعون "بيبى الثانى" الذى حكم مصر لمدة أربعة وتسعين عاماً ، وهى اطول مدة حكم فى تاريخ

المرأة المصرية في عصر الفراعنة

الفراعين ، بل قل فى كل ما هو معروف من التاريخ .

الباب المفتوح

ومن علامات المساواة بين المراة والرجل على قمة السلطة فى ازمنة الفراعنة ، انه كان فى إمكان المراة ان تعتلى العرش ، فتصبح "حورس الحى" أى فرعوناً .

والنساء الفراعنة اللاتى انفردن بحكم مصر لايزيد عددهن على خمسة هن "نيتوكريس" و"نيفير سوبيك" و"حتشبسوت" و"نفرتيتى ؟" واخيراً "تاوسيرت" (علامة الاستفهام امام نفرتيتى لصاحبة الكتاب لانه مشكوك فى انفراد تلك الملكة بالحكم بعد موت زوجها "اخناتون" الفرعون الكافر) .

وطبعا لم تقف "نوبلكور" طويلاً فى كتابها إلا عند "حتشبسوت" (١٥٠٤/١٤٨٣ قبل الميلاد) تلك الملكة التى اعتلت عرش مصر فى عصر مدوّ بطبول الانتصارات على الهكسوس ، واسترداد المسلوب من الأمجاد .

فلقد خصصت لسيرتها حوالى اثنتين واربعين صفحةً ، وذلك بحكم أنها من كوكبة الاحد عشر فرعونا الذين كان لهم دور حاسم ومؤثر على مصر فى كثير من المجالات ، من بينها الديانة والفن والزراعة والنصر فى القتال .

وفى الحق فإنجازات "حتشبسوت" فى السياسة والفن والزراعة تملا النفس ثقة بالمراة واعتزازاً .

فهى قد ابتعدت بالسياسة الخارجية عن طريق الحرب بأن اقامتها على أساس سلام دفاعى جوهره التركيز على تنمية العلاقات التجارية مع الجيران ، والانفتاح على أقطار نائية ذات موارد طبيعية يفيد استيرادها البلاد .



تيتى شيرى . الملكة التى حررت مصـــر من الهكسوس

ومن هنا تلك البعثة الاستكشافية التجارية العلمية الفذة التى أرسلتها إلى بلاد "البونط" (جنوب السودان وأعالى النيل وشرقى الاستواء فى رأى بعض المؤرخين) .

وهى بعلمائها فى النبات والحيوان والهندسة والرى ، إنما تذكرنا بحملة بونابرت والعلماء المصاحبين لها التى أرسلتها فرنسا إلى مصر قريباً من نهاية القرن الثامن عشر ، أى بعد بعثة "حتشبسوت" بأربعة وثلاثين قرناً .

والآن ، ماذا عن المرأة العادية خارج دنيا القمة حيث لا أحد فى جناتها سوى الآلهة والفراعنة ! .

هل عرضت صاحبة الكتاب لأحوالها بتفصيل يشفى الغليل ؟

مايقرب من خمس الكتاب مكرس لها ، وهو بالنسبة لأهمية الدور الذى لعبته فى المجتمع أقل من القليل .

ومع ذلك ، فقد نجحت صاحبة الكتاب فى رسم صورة تقريبية لحياة المرأة العادية ، يمكن أن يستخلص منها أن وضعها لم يكن متدنياً أو هامشياً كما هو حالها الآن .

التوازن الدقيق

فمصر فى الأزمنة القديمة كانت البلد الوحيد الذى تمتعت المرأة الحرة فيه بوضع مساو للرجل .

فمن الناحية الشرعية لم يكن ثمة فرق بينها وبين الرجل ، كانت نداً له فى كل شىء ، كانت تستطيع أن تتعلم ، أن تقتحم ميادين الحياة ، وتخوض معاركها كما الرجال .

وعلى عكس الرومان ، لم تعرف المرأة المصرية الوصاية التى كانت من أسباب معاناة المرأة الرومانية فسلطان الوالدين ، وبخاصة الأب ، كان لمجرد الحماية لها من الغير .

وفى الميراث كان حظها مثل حظ الذكر ، لاينقص عنه ولايزيد .

وفى الزواج كان لها الحق ، بعد موافقة الوالدين ، فى اختيار من تشاء رفيقاً للعمر .

فإذا ما عقد قرانها بطقوس لا يزال لها تأثير كبير على افراح المصريين حتى الربع الرابع من القرن العشرين ، احتفظت باسمها مضافاً إليه لقب "ست البيت" وبذمتها المالية المستقلة كاملة غير منقوصة ، وبحقها فى أن تقبل شهادتها أمام القاضى باعتبارها مساوية لشهادة الرجل ، وفى أن توصى بما لها لمن تشاء بغير حساب .

اختلاف الحدود

وفوق كل هذا كان من حقها أن تطلب الطلاق ، وأن تسترد كل ماقد يكون لها من مال فى بيت الزوجية ، وذلك طالما ان انفصام العلاقة لم يكن بسبب اثم ارتكبته كالزنا الذى كان قدماء المصريين يسمونه بالجريمة الكبرى ، ويغلظون له العقاب .

ومساواة المرأة بالرجل لاتعنى أن المصريين القدامى لم يضعوا فى الاعتبار

المرأة المصرية في عصر الفراعنة

مابين الجنسين من اختلاف فى بنية الجسم والنفس .

فهذا أمر لايغيب عن حضارة قوامها الوجود المتوازن ، حضارة اختارت لفظاً واحداً "نيفر" تعبر به عن الخير والجمال .

فمثلاً الزانى المتزوج كان يعاقب بالخصى ، اما الزانية المتزوجة فكان عقابها قطع الانف ، الامر الذى كان يشوهها ، ويحرمها من سحر الإغراء .

حتمية المساواة

ومن عجب ان نعمة المساواة هذه التى لم يكن لها مثيل فى بلاد مابين النهرين ، ولا فى اثينا ، ولا فى روما ، بل ولا حتى فى أوروبا إلى ماقبل الحرب العالمية الأولى ، هذه النعمة لم تكن إلا وليدة كفاح بنت النيل من أجل الارتقاء إلى المساواة .

فالمساواة بين الجنسين كانت من طبائع الأشياء فى مجتمع يبنى حضارة متوازنة ، مثلها الأعلى أن تكون المرأة زوجة وأماً وست بيت لشخص عزيز يعرف كيف يواجه معها متطلبات حياتهما المشتركة .



نفرتيتى . الملكة وزوجة فرعون الكافر اخناتون

ومن مستلزمات ذلك ، وحتى تستطيع مواجهة مسئوليات تلك الحياة بحلوها ومرها ، كان لابد من أن يصعد بها المجتمع ، أن يوفر لها الحرية ، ويهيىء لها وسائل الحصول على العلم والمعرفة .

ويبدو أن الحضارة المصرية القديمة لم تضع أمام هذا الصعود أى سدود .

والغريب ان الذين يدرسون تاريخ قدماء المصريين ، لا يكادون يفطنون إلى هذا الجانب الهام من أسباب نهضتهم ، والذى لولاه لما عاشت حضارتهم آلاف السنين ، ولما ظلت آثارها ـ حتى بعد غروب شمسها ـ تشع عطراً وسحراً .

قمر ... وشبابيك

شعر : عزت الطيرى



قمر .. وشبابيك
وغناء جبلى .. يأتى ويغيب
وجناحا عصفور نزق
يسترقان السمع لخطو المشتاق
ونحيب
وسحابات حيرى
تساقط عشقا
ورذاذا ،
ومواسم خصب دفاق
وحفيف عناق
وبيوت .. ونساء عبقات
وصبايا ينظرن ،
يطرزن الليل غناء
وحكايات
وسؤال ..
يخرج من بين شفاه « الرجز »
يدق على طبلة اذن «المتدارك »
لماذا تضيق المسافة
بين الفؤاد وبين الشجن ؟
وتبعد .. تبعد
بين الفؤاد وبين الحبيب ؟
وبين الحبيب وبين الوطن ؟
قمر .. وشبابيك
وأنا .. فى هذا الليل شريد
يبدأ ترتيب الكون !!

المرأة
كما تراها باحثة البادية



بقلم : د. إبراهيم عوضين

مع مطلع القرن العشرين واجهت مصر بخاصة والعالم الأسلامى بعامة لونا جديدا من الحروب الاستعمارية ، حيث توسل المستعمرون بإثارة المشكلات الفكرية والاجتماعية عن طريق أعوانهم من المستشرقين والمبشرين مقدرين أحد انتصارين لهم : فاما استسلام لعادات الغرب ، واما اشتغال بهذه القضايا واشعال لنار الفرقة والخلاف بين ابناء الوطن ، حتى لا يكون لديهم فرصة للوقوف فى وجه المستعمر .

ولا ريب فى ان الوصول الى نتيجة من هاتين النتيجتين يمكن للمستعمر من احكام قبضته من أعناق الأمة جميعها ويقدره على أن يتجه بها كيف شاء .

وكان من أبرز المشكلات المثارة مع مطالع هذا القرن قضايا المرأة فى المجتمع ، فقد استغلوا مغالاة بعض مجتمعاتنا فى الزام المرأة بالقيم الاسلامية مغالاة قد تجافى روح الاسلام وتوجيهاته .... استغلوا هذه المغالاة ، واستثاروا المرأة فى الاسلام وقيمه ، وأوقفوها على التطرف والمغالاة فى الخروج من هذه الربقة التى اساءت اليها وقضت عليها بالتخلف عن مثيلاتها من نساء أوربا .

وعلى الرغم من أن الكثيرين من الغيورين على الاسلام والوطن كانوا يدركون ماوراء ذلك ، .. ولم يجدوا بدا من مواجهة هذه الاستثارات ، والعمل على تفنيد حجج المستعمرين وأعوانهم ، واظهار ماتقدم من دعاوى باطلة لا أساس لها من واقع الاسلام ومبادئه وقيمه .

ولم يكن ذلك كافيا وحده فى الدفاع عن الوطن والاسلام ، فاعجبت طائفة أخرى من أبناء امتنا بالدعوة الى تقويم المعوج من مفاهيم ، والعود الى قيم الاسلام

الصريحة الخالية من التطرف والمغالاة فنادوا بمراجعة التقاليد والعادات ـ خصوصا تلك التي تتصل بالمرأة ـ والعمل على تنقيتها من الشوائب التي تباعد بينها وبين الاسلام ، حتى تقطع على هؤلاء دعواهم ، وتسقط حجتهم .

وكان في مقدمة هؤلاء الأديبة الشاعرة ملك حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية . فقد واجهت تلك القضايا بنظرات موضوعية متزنة ، توضح للمرأة وللرجل معا مكان المرأة من مجتمعها ، ومايجب عليها ومايجب لها لتحقق وجودها ، مستغلة في ذلك لسانها المبين ، وقلمها السيال ، وعقلها الواعي الحكيم ، فجالت وصالت في مختلف مشكلات المرأة وقضاياها . وقد جمع شقيقها هذه الآثار في كتاب نشرته المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر تحت عنوان (آثار باحثة البادية) .

● أمام السفور والحجاب

وموضوع السفور والحجاب كان من



أهم ماتناولته باحثة البادية ، فأبرزت مضار المغالاة في السفور والمغالاة في الحجاب ، فواجهت أولئك الذين خدعهم البهرج الأوربي ، وانساقوا في تيار العري الفاحش ، وألقوا بالحجاب كله عن اجسامهم ، فكشفوا منها المباح والمحرم ، ظنا منهم أن هذا هو سبيل التحضر والرفعة . كما واجهت هؤلاء الذين رأوا في كل وافد خروجا على الدين ، من غير نظر فيه ، أو تأمل في عواقبه ، وبسطت القول على مدى خمس مقالات ، ردت فيها على من نادى بإلقاء الحجاب عن المرأة حتى تكون مثل الافرنجية ، فناقشت دعواه من الوجهة الدينية والاقتصادية ، ثم من الوجهة الاجتماعية وأوضحت من واقع المرأة المصرية التي لم تتحصن بالعلم ماتجلبه هذه الدعوة عليها من اضرار ، وما تجره عليها من مآس ، فليس الأمر أمر حجاب وخلع حجاب ، وانما هو أمر من تخلع الحجاب ، ومن تسير سافرة بينهم من الرجال ، فخروج المرأة بغير حجاب لايضر في نفسه اذا كانت أخلاق النساء وأخلاق الرجال على غاية الكمال .

ثم لفتت النظر الى ماجناه الافرنج من السفور حين أباحوه ظنا منهم أن العلم والتعلم يقي من شروره فقالت أن الافرنج وهم المتعلمون نساء ورجالا يشكون من فساد مجتمعهم وقلة وفاء أزواجهم .

وهكذا رأت باحثة البادية ان القضية ليست هي هذا الشكل الخادع ، وأن الوقاية لايمكن ان تتحقق بالعلم وحده ، وانما في الأول وفي الآخر ... المجتمع في حاجة الى الأخلاق .

فباحثة البادية ترى أن المشكلة ليست في خلع الحجاب او ابقائه ، كما

المرأة
كما تراها باحثة البادية

ترى ان الوقاية من الانحراف لا تتحقق بالعلم والتعلم ... وانما الأهم من هذا وذاك أن يتخلق المجتمع ـ رجالا ونساء ـ بالخلق القويم . فعلموا المرأة تعليما حقا ، وربوها تربية صحيحة ، وهذبوا النشء ، واصلحوا أخلاقكم بحيث يصير مجموع الأمة مهذبا ، ثم اتركوا لها شأنها تختار مايوافق مصلحتها ومصلحة الأمة . فالعبرة باللابسة لا بما تلبسه ، فلتلبس المرأة ماشاءت من اللباس اللائق ، ولتحتشم فى مشيتها ، فلن يمسها سوء .

ولما ربط جماعة من المتفرنجين ـ على حد تعبير الباحثة ـ بين تخلفنا وبين حجاب المرأة ، ودعوا الى مسايرة الأوربيين فى كل شىء حتى ننهض بامتنا ، ردت عليه بمقال ضاف جاء فيه :

من يقرأ مقالات هؤلاء المسبحين بحمد الأوربيين يرى انهم يعذرونهم فى كل شر أتوه ، حتى انهم ليعذرون بأسئلتهم على اراقة ماء الوجوه ، ولكنهم بالضد من ذلك ينظرون الى كل شىء فى وطنهم بعين المقت ، ويعزون تأخر مصر المادى والأدبى الى النقاب . أترى لو كنا سافرات يوم ضرب الاسكندرية بالقنابل اكان يرتد على أعقابهم المحتلون ؟ وهل كان ينفع اشراق وجوهنا فى تبرئة مظلومى دنشواى ؟

قد يكون حجابنا مؤخرا لنا بعض الشىء ، ولكن لا يصح نسبة كل تاخر له ، والا فان الامم الغربية كلها نساؤها سافرات ، فلماذا تجد احداهن راقية جدا والاخرى منحطة الى الدرك الأسفل ؟!

ان تربية المرأة وحدها عليها مقدار فلاحها ، وهى من اهم الأسباب لاعلاء شان امتها ..

ولما طالبتها نبوية موسى بتحديد موقفها ، فاما السفور واما الحجاب . اجابتها باحثة البادية بقولها : اريد أن نطبق عاداتنا على الشرع والسنة الشريفين بغير جمود ولا تعصب ، فلا نحرج انفسنا بالاختباء اذا لزم السفور ، ولا نرخى لاهوائنا العنان بالسفور لمجرد تقليد الغربيين ، وانما نختار انفعهما لنا وادفعهما للضرر .

وهكذا وقفت هذه الشابة تناضل هؤلاء واولئك براى واضح ، وحجة قوية ، ولسان مبين ، فلم تلن لها قناة ولم تضعف أمام الخصوم من هنا وهناك ؟ لأنها تناضل عن يقين .

● الطلاق وتعدد الزوجات

ومن هذا المنظور العاقل المتأنى رأت الباحثة مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات ، فليس اباحة الطلاق وتعدد الزوجات هو الدافع إليهما ، وإنما الذى يدفع إليهما هو سوء أسلوبنا فى الزواج ، فطريقة الزواج فى مصر ـ على حد تعبيرها ـ طريقة معوجة عقيمة ، نتيجتها فى الغالب عدم





صورة للمرأة العربية كما تخيلها الفنان الجزائرى فاسى

الوفاق بين الزوجين وذلك لأننا نقيم الزواج على الخاطبة دون أن يرى الشاب الفتاة مغفلين ماسنه لنا الشرع وامرنا به الاسلام ، فطريقة العرب على عهد النبى ﷺ ومابعده فى أمور الخطبة والزواج طريقة شريفة معقولة ، اذ لم يكن الحجاب حينذاك كما هو الآن . واني اجاهر بأن حجابنا مقلوب ، ونظامنا الاجتماعى فاسد أشد الفساد ، لا يصلح ولن يصلح لأن تتبعه أمة متدينة .

وترى الباحثة الحصيفة أن سوء أسلوبنا فى الزواج ناشىء من نقص فى التربية الاجتماعية عندنا ، حيث لم نعود شبابنا احترام النساء .

وتختم الباحثة مقالها ، فتجمل أسباب شقاء الزوجين ، وعدم الوفاق بينهما فى خمسة أسباب هى : جهل احد الزوجين بالآخر ، وزواج مختلفى الطباع والبيئة ، والطمع فى الغنى بغير نظر الى الاخلاق والزواج العشرى ، وتأويل الدين الحنيف على غير ما اريد منه فى احكام الزواج والطلاق .

وهكذا نظرت الباحثة الى المشكلة من جذورها ، وربطت بينها وبين التربية .

● التقليد الأعمى

ولم تقف الباحثة الشابة عند حد معالجة المشكلات المثارة ، بل نظرت الى المرأة تلك النظرة الهادئة المتفحصة فكشفت عن طرف من أسرار تخلفها وجمودها ، وكانت حريصة كل الحرص على أن تضع يدها على هذه الأسرار كى تعالج نفسها من أوضارها ، وتتقى الناشئات شر الوقوع فيها .

وابرز مانعته على المرأة المصرية ـ خصوصا ساكنة المدينة ـ استسلامها لتقليد الأوربية دون وعى بما يناسب وما لايناسب ... انها من منطلق شعورها بتفوق

المرأة
كما تراها باحثة البادية

الاوربية تقلدها فى كل ماتفعل ، سواء كانت المصرية تحتاج ذلك أو لا تحتاجه .

ومن أمثلة ذلك عشق طائفة من النساء طلاء الوجوه فيصبحن شقراوات مثل الأوربيات ظنا منها أن الشقرة هى اللون المرغوب مادام هو لون الأوربية ، وهنا تتساءل الباحثة : ولماذا تعد الشقرة خيرا من السمرة ؟ الا تتساوى فى ذاتها الالوان ؟ ان مسالة اللون مسالة اعتيادية صرفة لا اثر لها من الصحة ، فأنا أحب اللون الاخضر ، وجارتى تحب اللون الأحمر ، فهل تفضل احدانا الأخرى من هذه الوجهة ؟

ان أولئك السيدات يقلدن ولكن ينقصهن ملكة الذوق فى كثير مما يعملن ، فان الوجوه الشديدة البياض والحمرة يكون فيها دائما عينان زرقاوان ، وحاجبان أخطبان ، ويكسو رأسها شعر أشقر فتلائم بعضها بعضا . أما نساؤنا فبينما يصبغن حواجبهن بالسواد الفاحم الى نصف الانف ، وأعينهن يكاد كحلها يخلق لها حاجبين أخرين ، تراهن بعد ذلك يصبغن وجوهن بالشقرة . فأين الذوق الحسن من هذا الترقيع الشائن ؟

ومن ذلك كذلك تقليد الأوربيات فى التدخين وشرب الخمر ، غافلات عما يحدثه التدخين والخمر فى جسم المراة ، وما يتركه من آثار فى روحها ونفسها .

فان التدخين يذهب بوداعة المرأة ويخل بصفائها ، فيفقدها أهم مظاهر جمالها المعنوية ، كما يسلبها الجمال الحسى ، فيرمى الأسنان بالصفرة ، ويغير اللثة والشفتين وطعم الفم .

واذا كان الرجل أبشع مايكون حين يسكر ، فان المرأة أبشع ماتكون حين تشرب الخمر . وقد سرى هذا الداء العياء بين الطبقات العالية من النساء بدعوى أنه من كماليات التفرنج ، ويقلدهن فيه الباقيات تشبها ، ويتبجح بعض النساء الآن فى الاعراس بطلب الكئوس والاقداح وزجاجات الخمر ، اذ يشربن بلا احتشام .

وتواصل الباحثة مناقشة هذا السلوك ، فتبين دور الرجل فى ذلك ، إذ هو الذى شجع المراة عليه ، فسفاد كثير من النساء راجع الى بعولتهن ، فكثيرات تعلمن منهم السكر ، وكثيرات يسكرن معهم فى البيت حرصا عليهم أن يسكروا فى الخارج فيرنوا الى غيرهن أو تسلب نقودهم ، ويجعلن لانفسهن عذرا أن بعض الشر أهون بعض .

ولاتقف الباحثة عند ذلك ، بل تواصل الحديث فتبين الضرر الصحى من التبغ والخمر ، اذ ضررهما الصحى لايقل عن ضررهما الاجتماعى والمعنوى ، فقد أوضح الأطباء مفعوله ، وبينوا مقدار (النيكوتين) السام فى كل لفافة من التبغ ، وكيف أنه يضر الصدر والعيون ويفسد الشهية للطعام ، كما أوضحوا أن الخمر تصيب الكبد وتفسد العقل .

هكذا أوضحت الباحثة أن التقليد فى مثل هذه السلوكيات لا يأتى بخير ، فهو

تقليد أعمى ، دفع إليه شعور المرأة بالنقص أمام مثيلتها الأوربية .

● العلاج

وباحثة البادية لاتقف عند حد وصف الداء وتشخيصه ، ولا تقصر عينها الفاحصة الدءوب على ابراز العيوب والأخطاء ، والمرور في خفة على تحديد الأسباب التى تؤدى اليها . ولكنها تقدر أن المصلح طبيب عليه أن يصف لمريضه الدواء ، مادام قد عرف الداء وسره .

والدواء الذى ترى فيه الباحثة علاج كل مشكلات المرأة هو التربية الصحيحة الواعية .

حقيقة النشء كله - رجالا ونساء - يحتاج الى التربية الصحيحة ، ولكن المرأة تحتاج من ذلك الى مايناسبها ، اذا التربية وسيلة لغرض ، وليست هى فى نفسها غرضا .

من ثم تحدد الباحثة الغرض من تربية البنت ، فتقرر أنه تقريبها من السعادة بقدر الامكان ، واعدادها لأن تكون عضوا حيا نافعا فى جسم الأمة ، وتهيئتها للقيام بأعباء الزوجية والامومة .

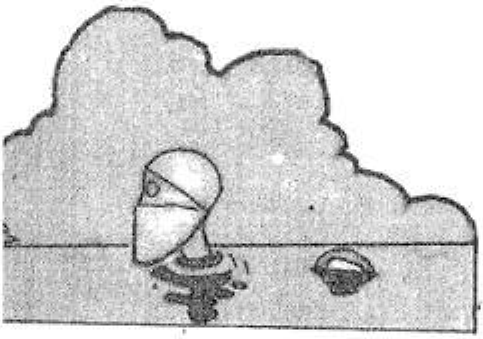
وهذا يعنى أن تربية البنات يجب أن تختلف عن تربية الصبيان ، لاختلاف الغرض منها هنا وهناك ، واختلاف طباع البنات والذكور ، ومظاهر عيشتهم ووظيفتهم فى المستقبل .

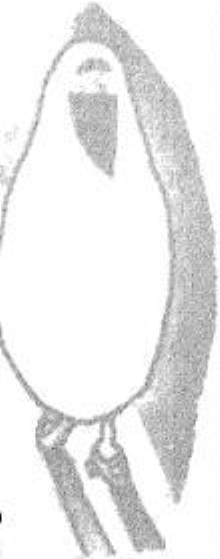
ولكن التربية في المدارس المصرية لا تفرق بين تربية البنات وتربية الصبيان ، فالجميع يسير على طريق واحد ، لأن واضعى برامج التعليم والتربية فى وزارة المعارف جعلوا نصب اعينهم تخريج فتيات ينلن شهادات الحكومة الرسمية فقط بغير تدقيق فيما اذا كانت هؤلاء الفتيات يصلحن لغير خدمتها أو يمكنهن القيام بغير ماعودتهن اياه ، مما يشبه اعمال صغار الكتبة فى الدواوين .

إن للتربية - عند باحثة البادية - اهمية كبرى في توجيه المرأة وتخليصها من كثير من العادات والسلوكيات التى ترثها أو تقلد فيها الغير عن جهل وعدم تبصر ، وامدادها بما ينقصها من لطف المرأة وسياسة الزوجة الحكيمة ، وتدبير الأم .

وبعد فمن ذا الذى يقدر أن صاحبة هذه الآراء الحكيمة ، والنظرات العاقلة ، امرأة عاجلها الموت وهى بنت اثنين وثلاثين عاما ؟!

إن دل هذا على شيء فانما يدل على ماكانت تتمتع به من ثقافة واسعة وعلم غزير ، وعقل ناضج ، وشخصية قوية ، وشجاعة نادرة ... تمكنت بها من أن ترى الحق ولا تخشى شيئا فى المواجهة بما ترى ، غير ملقية بالا بما يجره ذلك عليها من صراع وخصام وهجوم فى وقت كانت فيه قبضة المستعمر الانجليزى محكمة على أعناق الأمة احكاما يكاد يخنقها .





أبو العلاء المعري

وموقف من المرأة

بقلم : أحمد كامل

هذا جناه ابى علىّ وما جنيت على احد

أهو تعبير عن الضيق بالحياة ، أم هو إنكار للتناسل ؟

ليس من الحكمة فى شىء انكار التناسل ، لأنه حكم على الحياة بالعقم ، وحكم على الذكور بقتل غريزة الأبوة ، وعلى الإناث بقتل غريزة الأمومة ، وعلى الجنسين بقتل غريزة التواصل ، وعلى المجتمع بعدم القدرة على الاستمرار .

إذا تناولنا أبا العلاء كشخصية عامة ، لايمثل نفسه فقط ، بل يعبر عن نبض الجماهير ، ويستوحى هموم الانسانية ومباهجها ، ويرسم الطريق ـ فإن إنكار التناسل يكون حمقا وغباء ، وعدم ادراك لطبيعة الحياة ، ولمفهوم (الخلافة) الانسانية فى هذا الكون البعيد الأماد والأعماق .. بل حقّ لنا أن نحكم عليه بالمروق من الدين ، ومخالفة الشرائع السماوية والانسانية جميعا .

واذا تناولنا ابا العلاء شاعرا أديبا ، يعبر عن مشاعره الخاصة ، وتجاربه الذاتية ، وأمكن عزله عن مجتمعه ـ صح تفسير انكار التناسل ، على أساس حالة مرضية ، عضوية أو نفسية ، وهو فى هذا لا يصدر عن فكر ، بل عن انفعال .

ولنا أن نفتش فى حياة هذا الرجل لنجد سرّ هذا (الانفعال)

بداية ، نجد علاقته بوالديه لا تؤدى الى كراهية النسل ، فقد كان الوالدان متكافئين ، الأب من أسرة توارثت العلم والقضاء ، والأم من أسرة ذات شرف وجاه ، وقد كانا بارين به ، أحاطاه بالرعاية الكاملة علما وأدبا ، ووفرا له فى حياتهما مالم يحوجه الى غيرهما ، وما ساعده على أن ينمى ملكاته ومواهبه ، بقدر مايتسع النمو ، بل انه كسب عن طريقهما وعن طريق أعمامه وأخواله قدرا من العز والجاه .

لم يكن اذن فى علاقته بأبويه ماينفر من تكوين اسرة ، وقد ظل على حب ووفاء لهما ، حتى بعد موتهما ، فرثى كليهما ، وظل يلتقى بهما فى يقظة وفى منام .

اذا نمت لاقيت الأحبة بعدما
طوتهم شهور فى التراب وأحوال

وفى (الفصول والغايات) التى كتبها بعد موت والده بزمن طويل يخاطب الله ـ سبحانه ـ قائلا : (وارزقنى فى خوفك برّ والدى ، وقد قاد بره اهداء الدعوة له بالغدو والآصال ، فأهد اللهم له تحية أبقى من عُروة الجدب ، وأذكى من ورد الربيع ، وأحسن من بوارق الغمام ، تسفر لها ظلمة الجدث ، ويخضرّ أغبر السُّفاه ، ويأرج ثرى الأرض ، تحية رجل للقيا ليس براج) ص ٢١٩

وفى ايامه الأخيرة ذكر أمه فى قصيدة قالها فى أخيه القاضى أبن عبد الله محمد :

اعبد الله ، ما اسدى جميلا
نظير جميل فعلك مثلُ امى
سقتنى درها ودعت وباتت
تـعوّذنى وتقرا ، او تُسمى

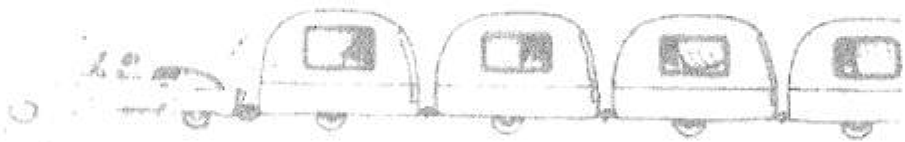
وعلاقته القوية بأعمامه وابناء اعمامه وبأخواله انما هى امتداد لعلاقته القوية بأبويه ، وانما هى تعبير صادق عن الرابطة الاجتماعية التى تزيد قوة التواصل والتنامى .

وفى اطار هذه الرابطة الاجتماعية خفق قلبه بالحب ، او بالحنين الى ان تكون له شريكة حياة تقاسمه الافراح والالام ، وتكون له عونا على المشاق والصعاب .

وديوان (سقط الزند) الذى يجمع بواكير شعره ، أو خلجات صبوته ـ يضم مجموعة من الغزليات لا يمكن وصفها بالصناعة ، وإعلان القدرة على القول فى كل فنون الشعر ، لأن أبا العلاء (لا يزيف وجدانه ، أو يقول ما لا يجد)[1] بل لأن الغزل ـ فى مرحلة المراهقة وقبل أن يدخل المرء فى غمار التجربة ـ انما هو شوق وحنين ورغبة (فطرية) ، وليس عملا اراديا فحسب ، واذا كان ثمة (معوقات) فانها مرحلة لاحقة ، حين يدخل المرء فى دائرة (التنفيذ)

ودليل آخر على صدق غزله أنه يحمل مشاعر المراهقة المترددة المستحية .

ولو أنه مقلد لصاغ معانى جرت فى اقلام السابقين أوسع من حدود المراهقة



الضيقة ، بل لو أنه شعر بعدم القدرة الجنسية ـ وكان مقلداً ـ لاختار المعاني التي تمثل الفحولة وتخطى الحواجز ، حتى يستر عجزه ، وليس من يملك تكذيب .

نجده يخاطب جارته ـ والجارة في غالب الأحيان أقرب الى من لايزال على أول الطريق ـ فلا يطلب أكثر من (زكاة الجمال) ، في أسلوب المرح الرقيق الذي عرف به في حالة اعتدال المزاج :

أيا جارة البيت الممنّع جاره
غدوت ومن لي عندكم بمقيل
لغيري زكاة من جمال ، فإن تكن
زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

إن المحب حريص على أن يداري فقره المادي ، بل كثيراً مايدعي ما لا يملك ، اما فقره الروحي وحاجته الى الزاد الجميل فهذا هو غنوته المفضلة ، على مسمع من المحبوبة ، أو بينه وبين نفسه :

كم قبلة لك في الضمائر لم أخف
فيها الحساب ، لأنها لم تكتب
ومتى خلوت بها من أجلة لم أرع
فيها بطلعة عاذل من مرقب
ورسول أحلام اليك بعثته
فأتى على يأس بنُجح المطلب

قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن : إن أبا العلاء (كشف عن وطأة احساسه باللهفة الى ما لا يدرك ، ولا ينال الا بالخيال ، ورفع نجواه الى حبيبة لا حظ له منها الا الوهم ، والا التشبث بطيف يلّم بالمدنف المشوق ، ثم يسري بعيداً الى حيث لا مطمع ولا رجاء) .

إن كان طيفك برا في الذى زعما
فإن قومك مابرّوا لهم قسما
الي أميرك لا يسري الخيال لنا
اذا هجعنا ، فقد أسرى وما علما
وكم تمنت رجال فيك مغضبة
أن يبصروه ، فلم يظهر لهم سقما
نشوف من آل هند بارقاً أرجاً
كأنما فضّ عن مسك وما ختما
اذا أطل على أبيات بادية
قام الولائد يستقبسنه ضرما

أكثر مايكون تجريد المحبوبة من السمات الخاصة بسبب التقاليد العربية

المتوارثة ، فلا ينبغى أن نعجل باتهام الشاعر فى فنه وفى مشاعره ، وحسبنا أن نأخذ بمقولة ان المرأة اقدر على فهم مشاعر الرجل ، وتقويم نبضات قلبه .

● حب للمرأة

●● على اى الأحوال فإن هذه البداية تفيد أن شاعرنا بدأ حياته محبا للمرأة ، راغبا فى أن تكون له ، وأن يكون لها . ولقد ظل أبو العلاء حياته لا ينكر التناسل ، بل يحبذه تحبيذا مطلقا تارة ، ومشروطا تارة :

والنسل أفضل مافعلت بها (الدنيا)
واذا سعيت له فعن عقل
- خير النساء اللواتي لا يلدن لكم
فإن ولدن فخير النسل مانفعا
- وهل يثق الفتى بنماء وفر
اذا لم تَقْلُ اينقة فِصال ؟

ولم يكتف أبو العلاء باصدار هذه (الأحكام) العامة ، بل دعا الى الحزم فى تربية الأولاد ، لأن الشدة تقوم السلوك ، وتبصر بالسداد :

فاضرب وليدك ، وأدلله على رشد
ولا تقل هو طفل غير محتلم
ورب شق برأس جرّ منفعة
وقس على نفع شق الراس فى القلم

بل إنه يعبر عن آلامه ، لأنه حُرم الولد ، وانقطع حبله ، وليس من سبيل :

تواصل حبل النسل ما بين آدم
وبينى ، ولم يوصل بلامى باء
تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد
بعدوى ، فما اعدتنى الثؤباء
وزهدنى فى الخلق معرفتى بهم
وعلمى بأن العالمين هباء
وكيف تلافىّ الذى فات بعدما
تلفع نيران الحريق أباء

اية مرارة وأية حسرة ، وأى ضياع ، فى قوله : (لم يوصل بلامى باء - ما اعدتنى الثؤباء - كيف تلافىّ الذى فات)!!

لقد نفى عن نفسه (اللب) والحكمة فى استمراء التهجم على التناسل ، بحجة جناية الآباء على الابناء ، ولو صار الأبناء (ولاة على أمصارهم خطباء) ، ولو (أنهم نجباء) ، إن النجابة - مع فساد الدنيا - تزيد من حقد الأبناء على الآباء .. باللهراء !!.

الآن ، وبعد فوات الأوان ، ادرك أبو العلاء أنه قد جنى على نفسه ، من حيث

نجح الآخرون .. من له يحمل اسمه بعد وفاته ، وينشر فى الناس ذكره ، ويقوم على تراثه ؟ .

اذا لم يكن خلفى كبير يضيعه
حمامى ، ولا طفل ، ففيم حياتى ؟

●● أخيرا أدرك أبو العلاء أهمية استمرار الحياة فى الولد ، فما الذى دفعه الى جفوة المرأة والحرمان من الولد ؟

أقرب الأسباب هو ماظل أبو العلاء يردده عن فساد الزمان ، وحسب المرء أن يقاسى ظلم الولاة واستبدادهم ، وجشع رجال الدين وخبث وسائلهم ، وكثرة اللصوص والعيّارين والصعاليك والمحتالين ، تجارا وصناعا وشرطة وجنودا وولاة ، كلهم نهابون ظلمة مرتشون طغاة ، فكيف يضحى بابنه على مذبح هذا الزمان الذى لا يلبث أن يفتك به ، أو يسود عيشه ؟ ماقيمة أن تنجب لتقدم ابنك لشقاء العيش ، ثم لرماد الموت ؟

الا تفكرت قبل النسل فى زمن
به حللت ، فتدرى أين تلقيه ؟
ترجو له من نعيم الدهر ممتنعا
وما علمت بأن العيش يشقيه
شكا الأذى فسهرت الليل وابتكرت
به الفتاة الى شمطاء ترقيه
وأنت أرشد منها حين تحمله
الى الطبيب ُيداويه ويسقيه
ولو رقى الطفل عيسى أو أعيد له
بقراط ماكان من موت يوقيه

وأخطر الأسباب هو عدم ثقته بالمرأة :

فما أمنت نسوان قوم أعزة
على عزها أن تستباح فروجها
وماتمنع الخود الحصان حصونها
ولو أن أبراج السماء بروجها

إن عدم الثقة هذا يكاد يكون محصورا فى انتهاك العرض ، ولهذا حرص على أن تكون قعيدة بيتها ، لا ترى ولا تُرى (كمضمر نِعْم دام على الضمير):

اذا طلّع الأوانس لم تطلّع — الى عرس تمر ولا أمير

ولهذا حمد الأوائل الذين أمسكوا بزمام نسائهم ، ولم يتركوا لهن بابا الى مجالس النساء ، يجتمعن الى غناء ، أو الى غيره ، فما أخطر المرأة على المرأة ، وما أيسر أن تلهب المغنيات والندابات والقاصات مشاعر المرأة ، فتختلط عليها المشاعر ، وتنتابها الأوهام ، فترق وتلين ، وتضطرب حواسها ، فتعثر فى ذيلها ، أو فى ذيول سواها ، (وتهتك السترَ) ، لهذا يثنى على الذين :

تضاهـى العناكـب نسوانهـم
فتنسـج للنفـع أو تغـزل
ومـا عرفـت مزهـرا فـى الحيـا
ة ولا الـدنّ يفتـح أو يبـزل
جهلـن الغنـاء وصوتـا يقـا
ل غنّـاه دحمـان أو زلـزل

قال ابو العلاء في موضع آخر :

اذا بلـغ الوليـد لديـك عشرا
فـلا يدخـل علـى الحُرم الوليد
فـإن خالفتنـي واضعـت نصحـي
فانـت - وإن رزقـت حجـى - بليد
الا إن النسـاء حبـال غـيّ
بهـن يُضيَّـع الشـرف التليـد

ومادام النساء حبال غى ، ومادامت (الخود فى مساربها كربة السم فى تسربها) ، ومادامت (الغوانى فى ملاعبها خيالات وقت أشبهت لعبا) - فقد استوى لديه (مَنْ امه حرة حصان ، ومَنْ امه زانية) ، لا لأنه يؤيد (الاشتراكية فى النساء) - كما يقول الدكتور طه - بل لانه لا يطمئن الى مشروعية الحمل ، لهذا نجده عنيفا - وهو المعروف بالرقة والرفق بجميع الحيوانات - مع المرأة الحامل ، فيقول : (ليت كشحك عن ذاك الجنين بُقر) .

انه لا يطمئن الى المرأة ، حتى وان (أبدت المودة والرضا ، فكم من حُقوُد غيبت فى السرائر) .

لهذا يرى أن سعادة آدم تحققت قبل خلق حواء ، فما جاء (شر الظُّلم الا من أولات الظَّلم ، فوارس الفتنة ، أعلام الغيّ ، المعصرات العاصفات) .

إن (الخود الحصان) لا تمنعها حصونها ، (ولو أن ابراج السماء بروجها) ، لهذا كان (دفن الغانيات لهن أوفى من الخدور) .

اعـوذ بـالله مـن ورهـاء قائلـة
للـزوج : انـى الـى الحمام احتـاج
وهمهـا فـى امـور لـو يتابعهـا
كسـرى عليها لشين الملـك والتـاج

ومادامت لاتجد التى (تغاضب كل ريبة) ، والتى (لاتقر على اللمس) ، ومادامت كل امرأة (تعرى بالكأس من كل ملبس جميل) ، ولا (تحمى نفسها من العار قبل الخيل تحمى ذمارها) - إذن فاعلم بأن (خصاءك خير من زواجك حرة) .

وإن كتـاب المهـر فيمـا لمستـه
نظيـر كتـاب الشاعـر المتلمـس

●● هذا الفهم الكئيب المظلم لعالم المراة قد يكون مرده الى أحداث مريرة اطلع عليها ابو العلاء او الى اخبار بولغ فيها وصلت الى سمعه ، وقد يكون مرده الى حبه امه ، وضيقه بشغف ابيه (الشيخ) بجارية له كانت (تشغل من قلبه مكانة خاصة ، وتشده اليها عاطفة قوية معلنة ، فلما ماتت حزن لفراقها حزنا شديدا ، بحيث ودّ لو انه كان الميت ، وكانت هى التى تتقبل العزاء فيه :

مولاك يامولاة مولاها على
حال تسر عدوه وتضره
وبوده لو كنت انت مكانه
فى الزائرين ، وان قبرك قبره

اذا كنا بحيث نكبر شأن العالم الدينى الوقور ، القائم بأمر القضاء والعدل ، فإن تصور ابن (مستعين بغيره) معتمد على ابيه اعتمادا كبيرا ، متخذ منه السند والملاذ ، يتمتع بمشاعر شديدة الارهاف والحدة ، محب لأمه أقوى وأنبل حب ـ لابد من أن يتخذ من خضوع الأب لهذه الجارية امتهانا لمثله الأعلى ، وانتهاكا لحرمة بيت اقرب الى ان يكون معبدا ، ومن ثم تكون الادانة المسرفة لهذه الجارية ، ولكل الجوارى ، بل لكل امراة .

واذا كان الشيخ المتحنث الرزين السمات القريب الخطوات قدوقع فى حبائل (جارية) شابة ، تربت فى بيته كاحدى بناته ، فاى رجل يملك النجاة من اية امراة ؟!

وينبغى ان يوضع فى الاعتبار ما سبق أن كشف عنه الأستاذ أمين الخولى وهو ان هذا الصغير الهزيل الساقين الذى اضناه الحرمان من البصر ، وانطوى على نفسه ـ حين بلغ الحلم صار لايجد من نفسه مايسمع من اترابه ، او مايقرأ فى كتابه ، من تطلع الى الحب والى الزواج والى الولد :

والمرء ليس بزاهد فى غادة
لكنه يترقب الإمكانا

ولم يكن (الامكان) فى مال ومسكن ، فقد كان يملك مايكفيه هو وزوجه ، وما كان أحوجه الى امراة يبصر بها ، ويسكن اليها ، تمسك يده ، وتقرأ له ، وتقضى حاجته ، ولقد كان له غلام يكلفه أكثر مما تكلف الزوجة ، وانه لعلى يقين من أنه !

قد يحج الفتى ويغنى بعرس
وهو من صُرْة اللجين صرورة

فما باله وله دخل ثابت ، وحاجة الى رفيقة حياة أشد من سواه ـ لايملك (لكعاب ولاللركن تقبيلا ولمسا) ؟!

إذن فالامكان رهن بـ (سر) ظل اسيره مدى الحياة ، ولأنه كثير التفكير فيه ، ضيق الحيلة معه ، فانه لايزال يعثر به كلما كشف عن خواطره واشجانه :

ولـدىً سـر ليـس يمكـن ذكـره
يخفـى علـى البصـراء وهـو نهـار

انه يتحدث كثيرا عن الحرمان الذى سببه هذا (السر) العاجز ، فجعله (يسبح فى البحار الموج) دون قدرة على أن (يحج أو يتزوج)

وإذا كان الحرمان من الحج بسبب مشاق الطريق ، ومايعانيه الحجاج من اضطراب الأمن وكثرة اللصوص والنهابين ، فما سبب الحرمان من الزواج (واستقامة العالم لاتكون ولذة الدنيا منقطعة) ؟!

إنه يناجي الله ـ سبحانه ـ في تضرع يائس ذليل ، فيقول : (لااكتمك ما انت به عليم ، إن اسفي على الدنيا لطويل) ، ويعزى نفسه عما فاته بما يمكن أن يتحقق فى الدار الآخرة (ومن مزج رضابه بذكر الله لم ييئس من رضاب الحور)

إذن ، فالسر رهن بآلة الحياة التي بدونها كان الزهد فى الحياة ، وكان التفكير فى الانتحار :

(فويحى كل الويح ، أحب الدنيا وآلتها ليست فى ، وقد يئست من بلوغها ، واليأس مريح ، فإلام التشوف الى الضلال ، ولو كنت مؤديا لها لثقل على أمرها ، من أعجبه وقود المرتج يابسا فليصبر على دخانه وهو رطب .

انه يعزى نفسه بأنه لوكان (مؤديا لها لثقل عليه أمرها) ، لأن للمرأة تبعات لايستطيع ان ينهض بها ، وحسبه انه لا يجد القدرة على (الاشباع) ، وهو بهذا الجسم الضعيف الذاوى .

لهذا ، يفضل الصبر على (الدخان) بدلا من أن يكتوى (باللهب) . لكن الدخان يحرق العيون ، ويكتم الانفاس .

وما أدق تفسيره لآلام (الصدى) ، وسعيه فى طلب (الرى) ، حتى اذا كان على مدّ اليد انقطعت (الأداة) !!

(إنما أنا كرجل بلى بالصدى ـ العطش ـ لايجد وردا ولاموردا ، فهو ظمآن ابدا ، إن ورد غَرُوفا ـ بئر يؤخذ منها باليد ـ وجده مضفوفا ـ كثر وارده ـ وأن صادف نزوعا ـ بئر ينتزع منها الماء ـ اعوزته الالة والمعين ، فبينما هو كذلك ، هجم على رجل بنزع بغرب ، فشكا اليه فرط الكرب ، فقال : ريُك ـ إن شاء الله ـ قريب ، فاعني على انتزاع المروية ، فلما كان الغرب بحيث يريان ، غدرت الوذَم ـ عرى الدلو أو السيور ـ وخان العناج ـ الحبل يشد على خشب الدلو ، أو شد من تحته ليقويه) .



المسرح القومى البريطانى : المفتش العام لجوجول أخرجها ريتشارد آيار

المسرح

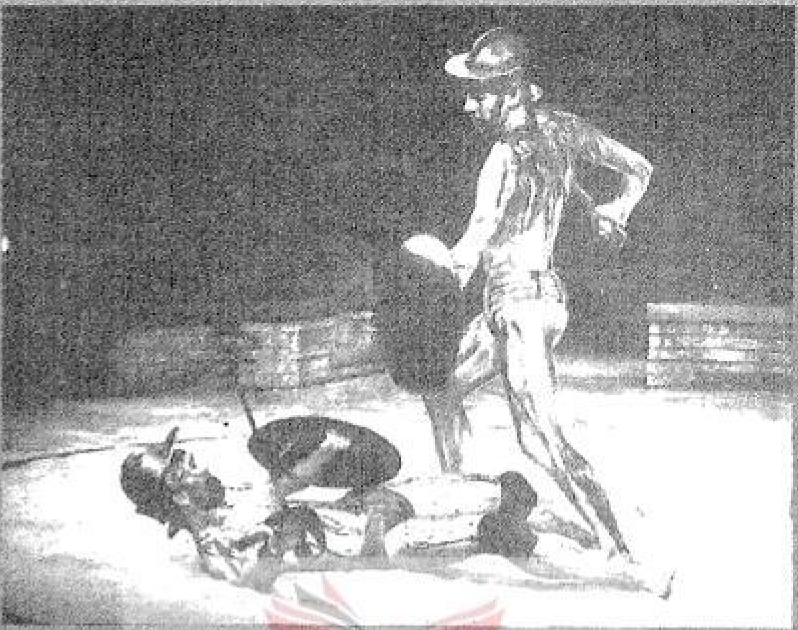
رسالة لندن

من مواليد الصيف

بقلم : الفريد فرج

إذا كان فن المسرح قد نشا فى اليونان كما تجمع الآراء ، فقد ولد المسرح فى الصيف ..

ولد فى نصف حلقة من المدرجات مخصصة للجمهور .. تواجهها منصة منخفضة تحدها من الخلف أعمدة مخروطة جميلة تمثل الكواليس ، فى مسرح مكشوف لاتهدده أمطار الشتاء أو رياحه الطائشة .



توربولانوس - مسرحية شكسبير اخرجها سترهول

وقد ولد المسرح الاغريقى خلال مهرجانات الحصاد الصيفى .

ومع أن المسرح فى اوربا فن مزدهر على مدار العام ، فإنه يكتسى زهوة خاصة فى الصيف ، حيث تقام له المهرجانات .

واقدم هذه المهرجانات يقام فى المدينة الإغريقية القديمة إبيدافروس ، كما يقام فى فرنسا مهرجان نانسى لمسرح الشباب وافينيون للمسرح الراسخ ، ويقام اكبر مهرجان مسرحى عالمى فى مدينة ادنبرة باسكتلندا فى اغسطس من كل عام .

ويستضيف مهرجان ادنبرة أشهر الفرق المسرحية من كل انحاء العالم ، ولكنه على مستوى آخر يفتح ذراعيه لاستقبال اكبر عدد من الفرق المسرحية التجريبية الشابة من بريطانيا خاصة ومن انحاء العالم كله بوجه عام .

وتحدث هذه الفرق فى المدينة حدثا كبيرا اذ يصل عددها عادة إلى خمسمائة أو ستمائة فرقة تضم بضعة آلاف من الفنانين يتبادلون العمل على حوالى مائة منصة مسرحية متفرقة فى انحاء المدينة طوال اسابيع المهرجان الثلاثة .

وتحرص ادارة المهرجان مع سلطات المدينة على اعداد هذا العدد الكبير من المنصات والصالات المسرحية فى القاعات والمسارح المدرسية وفى النوادى والمقاهى الكبيرة باقامة منصات متقاربة

المسرح من مواليد الصيف

فى الشارع الرئيسى للمدينة واغلاقه أمام مرور السيارات .

ثراء فنى كبير

وتتبادل الفرق هذه المنصات المسرحية من العاشرة صباحا وحتى منتصف الليل .

وهذا الجانب من مهرجان ادنبرة وان كان لايرقى الى سمت الأمسيات المسرحية الرائعة لأشهر الفرق العالمية ، فانه يجتذب مئات الصحفيين والنقاد والدارسين فضلا عن الفنانين بسبب ثرائه الخارق فى المغامرات الفنية والاتساع والتنوع غير المالوفين لميادين التجربة فيه .

واذا أتاحت لك الظروف مرة واحدة زيارة هذا المهرجان ومحاولة مشاهدة نوعيات عروضه الطليعية بقدر مايسمح به الوقت ـ إذ يستحيل على المرء مشاهدة كل الفرق ـ فانك ستصدق معى مايقال من أن فن المسرح متنوع بطبيعته الى مالانهاية . وأن هذه العلبة السحرية (المنصة) الصغيرة قد تسع الدنيا كلها ، وأن آفاق التجريب المسرحى لاحدود لها . وأن الاحتمالات المسرحية لا آخر لها .

وسمة شباب الفنانين فى الغرب أنهم لايحبون تقليد الكبار مهما كان إعجابهم واحترامهم لهم ، وهو اعجاب واحترام يحسدون عليه .

فالفنان الشاب يريد أن يشق طريقه الى الجمهور بالمخالفة وبالابتكار وقد لايعبأ به المتفرج أو الناقد لو أنه اختار طريقا أو أسلوبا تقليديا أو سبقه اليه الكبار .

فن الشباب التجريدى

تأمل ذلك الخلق والطبع جيدا فوراءه كل حيوية المسرح . الفن التقليدى والراسخ لا يرفد فن الشباب أو يطبعه بطابعه ، إن فن الشباب التجريبى هو الذى يرفد المسرح التقليدى الراسخ ويقتحمه دائما بالجديد .

والفرق بين مرور التيار من الراسخ الى الشباب وبين مرور التيار من التجريبى والطليعى الى المسرح الراسخ فرق كبير .

فلو أن الشباب يقلدون الكبار فأى شىء سيكسبه المسرح غير الركود والجمود واجترار الماضى ونسخ الفن التقليدى جيلا بعد جيل حتى يقتله التكرار ويقتله الإملال .

الطبيعى أن يتعلم الكبار من الصغار فهذه سنة الحياة المتجددة وهذه حكمة الطبيعة البليغة .

تذكرت فى سياحتى المسرحية مع شباب ادنبرة أن طلبة مدارسنا الثانوية وكليات الجامعة وسائر الهواة قد درجوا على تقليد الريحانى زمنا أو تكرار أسلوب فؤاد المهندس أو استعارة جمالية المسرح القومى ، وتذكرت أن الثقافة الجماهيرية عندنا ـ ولها فضل فى بعض المبادرات التجريبية ـ لا يزال يدور معظم نشاطها فى فلك المسرح القاهرى الراسخ ، تنسخه مسرحية بعد أخرى

وتبارى به نجوم القاهرة فى اساليبهم ومناهجهم .

تذكرت ذلك ولاحظت اننا نحن أبناء الجيل السابق نفرض سيطرة طاغية غير مشروعة على اتباع الأجيال التالية وذلك باستغلال اعجابهم واحترامهم لنا فى تقييد حركتهم وتلقينهم مالايناسب اختلاف جيلهم عن جيلنا .

هم مذنبون لأنهم يطيعون ، ونحن مذنبون لأننا لاندخر وسيلة لاغوائهم بتكرار إبداعنا والتأثير عليهم به .

نعود إلى ادنبرة مع خواطر الصيف لنشاهد جانبا من التجريب الغربى فى المسرح .

الفولكلور المسرحي

احدى هذه التجارب بدأت بالبحث عن الفولكلور المسرحي قبل عصر النهضة .. أى قبل شكسبير وعصره وراسين وموليير وعصرهما .

والمسرح الفولكلورى قبل النهضة يتمثل فى مسرح السوق والمسرح الواعظ . وقد قدمت هذه الفرقة نخبة من المسرحيات المغمورة المجهولة المؤلف باسلوب عصرها القديم فى التمثيل وفى الديكور والملابس والموسيقى .

وسرعان ماحركت هذه التجربة الركود الذى احاط بالمسرح الشعبى القديم ، فانتقلت تلك النصوص وهذا المنهج والاسلوب الى المسرح القومى وفرقة شكسبير الملكية والى حلقات الدرس بالجامعات والى اكثر من فرقة للشباب واعتبر النقاد أن هذه الفرقة المسرحية الناشئة قد كان لها فضل اكتشاف كنز مسرحي قومى كان خافيا ، وفضل احياء تراث مسرحى كبير للمنصة وللمطبعة .

تجربة ثانية قام بها عدد من الشباب متفرقين وان التقت مبادراتهم ، وهى رواية السيرة لشاعر قومى .

وغالبا ما تكون هذه التجربة قائمة على ممثل واحد يقوم بدور الشاعر ويقدم للجمهور اعترافاته بصراحة .



القديسة جون مسرحية برناردشو الشهيرة اخرجها رونالد ايار

المسرح
من مواليد الصيف

وهى تجربة صعبة لأنها عبارة عن مونولوج طويل ، وتحتاج الى ممثل شديد الحيوية ، كبير القدرة ، ولكن روعتها تتمثل ايضا فى انها امسية الممثل الواحد ، الشاعر المعترف بأخص وجدانياته . وقد شاهدت فى هذا الاطار مسرحيتى « بايرون فى جهنم » و« الان بو يعترف » .

المسرح السياسى ايضا له اناقه التجريبية الواسعة التى تتداخل فى فن المسرح الشامل اى المسرح الدرامى الغنائى الاستعراضى الذى يتزين بالاكروبات والحيل المسرحية السحرية ، وتستخدم كل هذه التأثيرات الفنية باسلوب تعبيرى حر فى طرح القضية السياسية .

وآفاق التجريب لاتقتصر على النصوص وانما تمتد بطبيعتها إلى التمثيل ، وقد قدم فنان شاب قصة الفيلسوف الشرقى بيدبا مع الملك دبشليم من طرف واحد ولممثل مفرد يقوم بدور بيدبا أمام الملك ويظهر الخضوع والحيلة على الصراحة والنقد المغلف بالنفاق بأسلوب فى التمثيل ونبرة فى الصوت تلخص كل ادوات التعبير الجسدى ، وباجتهاد خاص ينتمى إلى نظرية عبقرى المسرح البولندى جروتفسكى التى تقوم



بيتر بروك

على اساس التمثيل بكل اعضاء الجسم البشرى .

التجريب فى التمثيل

والتجريب فى الاخراج واسع الآفاق ايضا فقد شاهدت للمسرح التجريبى القومى بستراسبورج مسرحية « بعل » من تأليف برتولد برخت ينقل المخرج مشاهدها من موقع الى موقع ، والجمهور يتبع الممثلين من مكان الى مكان .. فالاحداث تدور فى شارع وفى اسطبل للخيل وفى حديقة وفى محطة للسكة الحديد ، وقد اقيم الديكور فى عدة مواقع ، كما يقام فى بلاتوهات السينما ، والجمهور يتبع الممثل الشريد « بعل » فى رحلته الضالة من مكان الى مكان .. بما فى ذلك من تأثير نفسى وجمالى على المتفرج وبما فيه من إغراب وإدهاش .

ولكن التجريب فى التمثيل والاخراج وفى صياغة النص اجتمع كله فى مسرحية الفنان الكبير « بثير بروك » «ماهابارتا» المأخوذة عن الملحمة الهندية الكبيرة



برخت .. مع زوجته الممثلة المسرحية هيلينا فيجل .

والتى يستغرق تمثيلها عشر ساعات وتقدم عادة فى ثلاث ليال والمتفرج يشاهدها فى ثلاثة اجزاء .

وقد صاغ فنانو بثير بروك هذه الملحمة الكبرى باسلوب يجتمع بين الفانتازى الشرقى والاغراب والعنف الدرامى . فى التمثيل والاخراج والملابس والاكسسوار وهى قصة هندية قديمة اقرب الى الملحمة الشعبية العربية ، الزير سالم ، فهى قصة انتقام وصراع على السلطة عبر ثلاثة آجيال .

المسرح الغربى عموما لايركن الى النجاح ولايهوى تكرار المالوف ، وانما يهوى الحركة المستمرة والتطور الدائم .

ويتبادل الخبرات عادة فى لقاءات الصيف ومهرجاناته ، وفيها يتأمل الكبار ابداع الصغار ، ولايتحرجون عن تقليدهم واستيحاء افكارهم الشابة ..

وقد كان الشباب هم اول من ابدع المسرح السياسى والمسرح الشامل ، وكان برخت وبسكاتور شابين حين ابدعا المسرح الملحمى واسلوب الاغراب المسرحي ، كما كان الشباب هم اول ملتفت النظر الى المسرح الفولكلورى الاوربى القديم والى القصص الشرقية والاطار المسرحى الشرقى .

والمسرح إذا لم يتجدد باستمرار يصيبه الركود وآفة التكرار ..

وتتفجر عادة هذه التجارب الكبيرة والاقتراحات الثرية من خلال المهرجانات الصيفية الكثيرة التى تنظم فى الصيف للكبار وللشباب فيلتقون ليتأملوا فنهم وابداعهم ومهنتهم ويتبادلوا الخبرات .

فاذا كان المسرح فن من مواليد الصيف فإنه فى الصيف دائما يجدد شبابه ويكتسب حيويته .

النور والظل فى حياة

رمبرانت

بقلم : د. صبرى منصور

آه ، ايها المصور المتوغل فى عالم الأشباح
وآه ، ايها الفرجون الذى يعتصر الماً ومعاناة
وكم انت معذبة ايتها اليد الغريبة ،
التى حطمت جدران الظلال ،
سوف تظلى دائماً متوجة
بشعاع من النور الأبدى .

بورتريه رمبرانت



تلك أبيات من قصيدة طويلة لشاعر الإسبانية المعاصر رافاييل البرتي ، عبر فيها عن الأحاسيس التى اثارها في وجدانه عالم المصور الهولندى الشهير رمبرانت . ذلك العالم الذى تكتنفه قوى روحية هائلة ، وتغمره مشاعر إنسانية صادقة ، سرعان ماتنتقل إلى الرائى مكتسحة ـ بعمقها وابديتها ـ كل فواصل الزمن .

« ساسكيا ، زوجة الفنان » عام ١٦٣٤ » ..



رمبرانت

وقبل أن نعرض لسيرة حياة رمبرانت الذى يعد أعظم مصور هولندى ، وواحدا من أعظم المصورين فى تاريخ الفن كله ، يحسن بنا أن نشير الى بعض ملامح العصر التى مهدت لعبقريته واتاحت لها أن تنمو وتكتمل .

لقد كان تقسيم أوربا بين مذهبى الكاثوليك والبروتستانت ـ فى اوائل القرن السابع عشر ـ مؤثراً حتى على البلاد الصغيرة ، مثل بلاد الأراضى المنخفضة (هولندا وبلجيكا) ، ولقد ظلت الأجزاء الجنوبية ـ بلجيكا ـ كاثوليكية المذهب ، ولقد جسد المصور روبنز ذلك بشكل مكثف فى اعماله الدينية العديدة . بينما أخذ الجزء الشمالى ـ هولندا ـ الذى كان قريباً من المانيا فى التحول الى البروتستانتية ، وكان معظم أهل هذا الجزء ينتمون إلى طائفة التجار . وبعد حرب دامت سنين عديدة أعلنت إسبانيا الحاكمة استقلال هولندا عام ١٦٤٨ . ولم تضعف هذه الحرب من روح الهولنديين ، بل يبدو أنها دفعتهم نحو استغلال كل طاقاتهم فى البناء ، واستثمار قدراتهم التجارية وامكانياتهم البحرية فى تشييد مجتمع جديد ، حر العقيدة ، غنى الاقتصاد .
ولقد كان القرن السابع عشر هو العصر الذهبى لهولندا ، فى تلك الفترة أضافت إلى الحضارة الغربية انجازات عظيمة ـ ليس فقط فى مجال الفنون . وانما امتد عطاؤها ليشمل كل المجالات الثقافية والعلمية .

وفى مجتمع البروتستانت البورجوازى الجديد ، كان على المصورين أن يبحثوا عن روافد جديدة لفنهم ، لاتجد معارضة من الدوائر الدينية . وكان من أهم هذه الروافد الصورة الشخصية (البورتريه) . مثلما فعل هولبين فى عصره ـ وكان من الجيل السابق على رمبرانت ـ فلقد كان هناك عديد من التجار الناجحين الذين ارادوا الاحتفاظ بأشكالهم لمن يجيء من بعدهم ، وكذلك كانت هناك الجماعات والرابطات التى استحدثت عادة تصوير مجموعة وجوههم لتعليقها فى أماكن ومقار تجمعاتهم .

وكان المصور فرانزهالز (١٥٨٠ ـ ١٦٦٦) الذى ينتمى لجيل روبنز هو أول فنانى هولندا الحرة . واتصفت أعماله بالحيوية التى يبثها فى لوحاته ، والصدق للطبيعة ، وصوره الشخصية تعطينا الإحساس بأن الفنان قد اقتنص نموذجه فى لحظة تبدت شخصيته فيها على طبيعتها فثبتها هو بريشته على قماش الرسم . فى تلك الفترة ازدهر فى هولندا مجتمع فنى كبير ، أسفر عن مواهب فنية ذات مستوى رفيع ، ومن بين مئات الفنانين الذين عاشوا فى تلك الأيام تبرز أسماء لامعة أضافت إلى تاريخ الفن طرق أداء متميزة ، فهناك أسماء روبنز وفرانز هالز وفان دايك ورمبرانت وفيرمير . لقد كان عصر انتاج فنى غزير حين اشتدت المنافسة بين الفنانين ، فكل الناس يريدون صوراً شخصية ، سواء للشخص نفسه أو لزوجته أو لاولاده ، أو لمناظر الحياة اليومية سواء داخل المنزل او خارجه ، وفى تلك الفترة بدأ الهولنديون يميلون إلى الواقعية ، ولهذا فإن الفن

الذى سيجسده لهم الفنانون هو فن واقعى . أثناء ذلك وفدت من إيطاليا موضة جديدة ـ عن طريق الفنانين الذين رحلوا للدراسة ثم عادوا ـ وتمثلت فى أعمال كارفاجيو ذات المنحى الواقعى .

● حب فطرى للفن

فى ذلك الوسط المتخم بالفن جاء إلى العالم رمبرانت فان ريخن فى ١٥ يوليو عام ١٦٠٦ ، إبناً لطحان من ضواحى بلدة ليدن ، وكان الخامس بين ستة أبناء . أراد أبواه أن يعلماه اللاتينية حتى ينشأ مثقفاً متعلماً ، ومن علم ١٦١٣ حتى علم ١٦٢٠ درس العلوم الانسانية والآداب . وبعد أن التحق بالجامعة سرعان ماتركها عندما إكتشف ميوله الحقيقية نحو دراسة الفن . فالتحق بمرسم الفنان جاكوب سوا نتبرج علم ١٦٢٠ واستمر لديه ثلاث سنوات . كما أمضى عدة شهور بمرسم المصور بيتر لاستمان الذى كان له تأثير واضح على تكوين شخصيته الفنية . فلقد عاش لاستمان عدة سنوات فى إيطاليا ، استوعب فيها الأيطالى وعاد إلى هولندا متشبعا بتأثيراته . وعن طريق لاستمان انتقلت إلى رمبرانت ـ الذى لم يسافر أبداً ـ تأثيرات الاتجاه الواقعى الجديد فى إيطاليا .

وفى عام ١٦٢٤ يعود رمبرانت إلى بلده الأصلى وقد أصبح التصوير بالنسبة إليه هو الهدف والمرمى النهائى ، ويؤسس مرسماً خاصة بمنزل أبويه . وحين يكتسب عمله التقدير فإنه يصور فى حماس ، وسرعان ما التف حوله المريدون والتلاميذ . فى هذه المرحلة ظل الإنسان هو المحور الرئيسى لأعمال رمبرانت سواء كان وحده أو ضمن مجموعة . وعلى الرغم من حبه لتجسيد مشاهد دينية من الكتاب المقدس ، فإنه أنتج العديد من الصور الشخصية التى يعرى فيها شخصية النموذج ، فتظهر الوجوه وكأنها دراسات تعبيرية وسيكولوجية .. وبدون شك فإن أعمال هذه المرحلة مازالت تحمل تأثيرات المصور لاستمان ، إلى جانب وضوح التأثيرات الإيطالية ، وخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين الأضواء والظلال فى أعمال المصور الإيطالى كارافا جيو .

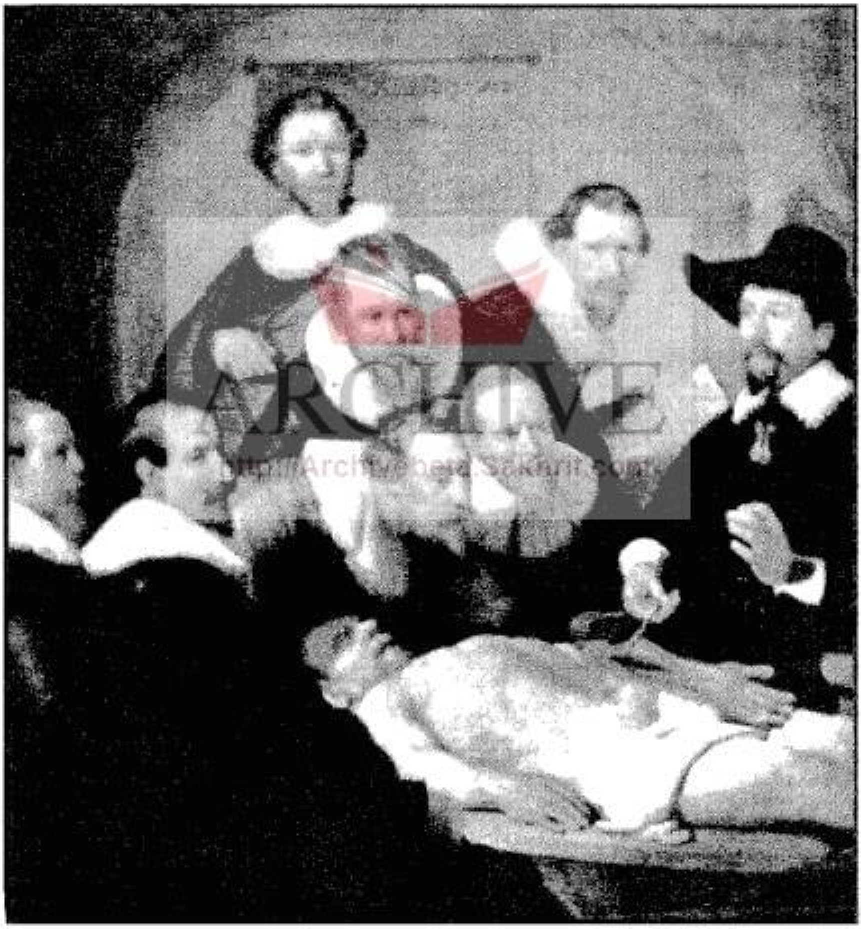
ويرجع رمبرانت إلى امستردام علم ١٦٣١ ، ويكلف بتنفيذ لوحة عن درس التشريح ، وحين يتم انجازها تنفتح له ابواب النجاح على مصراعيها ، واستطاع بفضلها ان ينتصر على مصورى امستردام ، فتلك اللوحة الضخمة ـ ٢١٦ × ١٦٩ سم ـ تعد نموذجاً للصورة الشخصية الجماعية ، ولم يحدد رمبرانت نفسه بتقديم وجوه مرسومة بشكل ممتاز فقط ، وانما استطاع بفضل الأوضاع المبتكرة للأشخاص أن يخلق مشهداً حياً ينبض بالحركة والديناميكية . وبمقارنة هذه اللوحة باللوحات السابقة عليها فإنها تظهر لنا تغييراً جذرياً فى أسلوب الفنان من ناحية التقنية المستخدمة ، وتدرج الأضواء والظلال ، بالإضافة إلى الجو العام الذى يدعو المشاهد نفسه للانضمام إلى حلقة الدرس . وبعد هذا النجاح ينخرط رمبرانت فى الطبقات العليا من المجتمع ، فلقد استقر فنه ، ولم تكن هنك عائلة قادرة مادياً فى امستردام لم تكن راغبة فى الحصول على صورة شخصية بريشة الفنان الجديد ذى الشهرة والسمعة الفنية الطيبة .

رمبرانت

ويتزوج رمبرانت من ساسكيا الفتاة الغنية ، ويمارس هوايته فى اقتناء الأعمال الفنية والتحف الثمينة ، فبالإضافة إلى اقتنائه العديد من الأسلحة من كل الأزمنة والعصور ، فإنه اشترى أيضاً لوحات لتيتيان ، ورافاييل ، وجيور جيوفى ، وفان آيك ، ولوحات حفر لدورد وهولبين ، ولقد أشعلت كل هذه الأعمال الخيال الفنى لديه ، وحفزته للإنتاج دون توقف ، ومنحته دفقات جديدة للخلق والإبداع الفنى .

لكن زوجته ساسكيا تموت فى سن الشباب عام ١٦٤٢ ، نفس العام الذى أكمل فيه لوحته الشهيرة (داورية الليل) وهى لوحة ضخمة مساحتها ٣٥٩ ×

درس فى التشريح للدكتور تولب عام ١٦٣٢ ..



٤٢٨ سم ، ومن أهم لوحات رمبرانت وواحدة من أعظم لوحات الفن العالمي ، نفذها رمبرانت على ثلاث قطع متسلوية ، وتبدو اللوحة بأشخاصها العديدة وألوانها الفنية ـ حية متحركة ، ذات ايقاع سحرى بفضل الجو العلم الذى حققه الفنان ، وحيث يبرهن للحوار الممتع بين الأضواء والظلال على مقدرة فنية عالية ، وعبقرية فذة ، ومع ذلك فإن اللوحة بكل عظمتها وجلالها لم تأت على هوى من كلفوه بتنفيذها لواقعيتها وكلفوا فناناً آخر بلوحة جديدة . وكانت ضربة قاصمة لرمبرانت الذى لم يكد يفيق من حادث موت زوجته ، ويبدأ فى الهروب من منزله ، ويقترب من الشارع أكثر من ذى قبل ، إنه يريد أن يعكس العالم المحيط ، فهو حين يبتعد عن المجتمع فإنه يزداد قرباً من الطبيعة ، إن

أرسطو .. يتأمل تمثالا نصفيا لهوميروس ـ عام ١٦٦٣



رمبرانت

هذه الفترة تنهي مرحلة من حياته ، فلقد اختفى الرجل السعيد ، وفكرته عن العالم أضحت مغلفة بالمرارة والألم . فرمبرانت المجروح فى قلبه بوفاة رفيقة حياته ، والمجروح في كبريائه الفنى لعدم تقدير البورجوازية المحيطة لقيمة لوحته داورية الليل يهجر منزله ، ويبدأ فى التعرف على التعاسة والظلم التى تسكن حوارى وشوارع المدينة ، ويتعاطف مع المحرومين والبسطاء ، وينعكس كل ذلك على أعماله الفنية الجديدة .

لقد تحكمت فى حياة رمبرانت ثلاثة عوامل هى الحب والمال والموت ، وهو لم يكن حسن التصرف في الأموال . والآن بعد موت زوجته المقتدرة ، وبسبب قلة الأعمال الفنية التى يكلف بها فإنه يبدأ فى الاستدانة . وفيما بين عامى ١٦٥٧ و ١٦٥٨ يضطر لبيع منزله وكذلك مجموعاته الفنية . لقد هجره الحظ السعيد والوضع الاجتماعى المتميز ، ولكن إنتاجه لا يتوقف ، وفى ٢٠ يوليو ١٦٥٦ تقرر المحكمة العليا بيع وتصفية ممتلكاته لصالح دائنيه ، إنه الخراب والفضيحة الكبرى ، ومع ذلك فمازال لدى الفنان ـ سيء الحظ ـ حتى الآن الوقت والحضور والحماسة لكى ينتج بعض الأعمال الهامة مثل لوحة "جاكوب يبارك أولاد خوسى" ولوحة "درس التشريح للدكتور ديمان" .

وبعد بيع منزله وكل حاجياته عاش رمبرانت فى رعاية ابنه من زوجته ساسكيا ، والسيدة هندريكخه التى أحبته وشملته بعطفها منذ موت زوجته ، وظلت قدرة رمبرانت الفنية عالية ، وظل التصوير هو المهرب الوحيد والملاذ الأمين لروحه المعذبة . ولاحقته ضربات أخرى جديدة حين رحلت هندريكخه عام ١٦٦٢ ، ثم لحقها ابنه تيتو عام ١٦٦٨ فى شهر زواجه . ويمضى رمبرانت أيامه الأخيرة مع ابنته كورنيليا إلى أن توافيه المنية فى ٤ أكتوبر ١٦٦٩ .

ولم يترك لنا رمبرانت أية ملاحظات أو مذكرات مكتوبة مثلما فعل ليوناردو دافنشي أو دورر ، ولم يتبادل الخطابات المحملة بالأفكار مع مثقفي عصره كما فعل روبنز ، كما لم يكن معجباً بعبقريته مثل مايكل انجلو الذى تناقلت الأجيال اللاحقة مأثوراته وأقواله ، ومع ذلك فنحن نشعر أننا نعرفه حق المعرفة ، وربما أكثر من هؤلاء الأساتذة الكبار ، وذلك بفضل تلك المجموعة الرائعة لصوره الشخصية التى رسمها لوجهه (ستين لوحة زيتية وعشرين لوحة حفر وعشرة رسوم خطية) منذ كان صبيا يافعاً ، ومروراً بالمرحلة التى لازمه النجاح والشهرة والسعادة فيها ، وانتهاء بالمرحلة الأخيرة من حياته التى انعكست على ملامح وجهه فيها تراجيديا الحياة ، كما تظهره كصاحب ارادة صلبة لاتنكسر ، لقد تحولت هذه الوجوه فى الواقع إلى "بيوجرافيا" كاملة .

تمرد وعصيان

والغريب حقاً ألا يعترف معاصرو رمبرانت بقيمة فنه ، ولا يستطيع الانسان أن يتخيل أن هذا الفنان العظيم كان متمرداً وحيداً دفع ثمن عصيانه وعدم

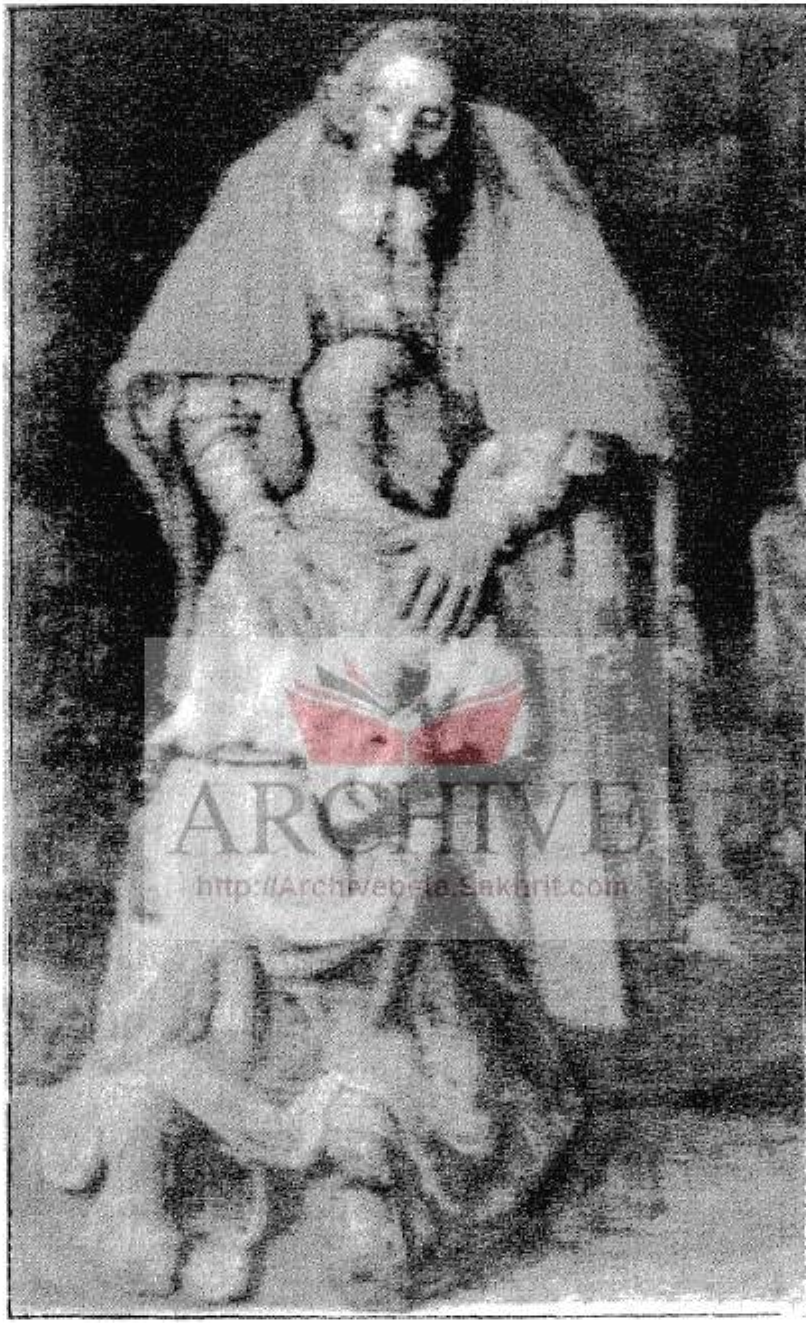
انصياعه للذوق السائد . كما أنه من الغريب أن تتأثر شعبيته كمصور في الوقت الذي أصبح فيه أكثر عمقاً . وصحيح أن رمبرانت لم يأت من فراغ ، فأصول فنه قد وجدت في وطنه هولندا ، وتمثلت في تراث فني غني امتد منذ عصر النهضة فقد كان هناك بوش وبروجل وهولبين ، كما أن أصول فنه تتصل بتأثيرات الفن الإيطالي حين استوعب رسالة كارافاجيو (١٥١٩ ـ ١٦٠٩) وانتصر مثله للصدق والبساطة ، وإضفاء اللمسة الانسانية والواقعية على عناصره الدينية . لكن رمبرانت مع ذلك كان فناناً متقدماً بالنسبة لعصره ، فنحن لا نجد بينه وبين معاصريه إلا قليلاً من التشابه ، ومعظم أعماله تحمل علامات تشير إلى حداثته ، وكانت الخطوة التي خطاها في القرن السابع عشر متصلة بعمق بالفن الذي نعيشه اليوم . ولقد مر وقت طويل قبل أن تأخذ أعمال رمبرانت حجمها الصحيح ، فلم يكن المعاصرون له قادرين على الولوج إلى عالمه الساحر ، كما لم يستطيعوا إدراك استاتيقيه في "التكنيك"

ولقد كافح رمبرانت للفكاك من أسر القيود الجمالية التقليدية التي كانت تعوق شخصيته ، وتحول بينه وبين تحقيق مفاهيمه الجمالية ، وفي مرحلته الأخيرة فإنه قد قطع كل الخيوط التي تصله بالشكل التقليدي السائد الذي اتسم بالابتذال والركاكة ، وصور بكل العنف والحرية والتوحش ، مستعملاً الفرشاة أو سكين "الباليت" بل وبأظافره وأصابعه .

ونحن ندرك الآن أن أهم ملاحقته رمبرانت في عصره هو ذلك الصدق للواقع المحيط في مناخ كان يؤثر النماذج المحفوظة . وأيضا تلك القدرة "التكنيكية" الفذة ، واللمسات السريعة الحاذقة ، وإعلانه عن حق الفنان في عدم إنهاء عمله حين يتحقق فيه الغرض الرئيسي .

إن الاحساس بالحياة ينبعث من لوحاته . ولقد شاهدنا العديد من لوحات الصورة الشخصية لكبار أساتذة الفن ، وهي أعمال تبين بخلودها للطريقة التي لخص بها الفنان شخصية نموذجه ، ولكن حتى أعظم هذه اللوحات تذكرنا بالشخصيات المصنوعة في الأدب ، أو المتحركة على خشبة المسرح ، إنها أعمال تبدو مقنعة وأحياناً مؤثرة ، لكننا في نفس الوقت نشعر أنها تقدم لنا جانباً واحداً من الحقيقة الانسانية المركبة . أما عند رمبرانت فإن الأمر يختلف ، فنحن أمام لوحاته الشخصية نحس أننا نواجه أناساً حقيقيين ، نشعر بدفئهم ، وحاجتهم إلى التعاطف ، وأحيانا نحس وحدتهم وعذابهم ، إن تلك العيون الملحة لرمبرانت التي نعرفها جيداً من خلال صوره الشخصية يبدو أنها كانت تتجه مباشرة نحو قلب الانسان .

إن الطبيعة في أعمال رمبرانت تبدو أكثر طبيعية من العناصر نفسها ، التي تبدو من خلال اللوحات أكثر حياة ودفئاً . فلم يعكس الفنان مجرد حياة غريزية باردة ، وإنما عكس همسه الشعري الذي اقتنصه بقدرته الفريدة على التأمل والامتزاج بالموضوع . فهو حين يجسد العناصر الطبيعية فإنه يضيف إليها من أعماق روحه عوامل تحيلها إلى كائنات جديدة غير واقعية .





والسواد عنصر تشكيلي
انساني عند رمبرانت

رمبرانت

وهنا تكمن احدى قدرات رمبرانت . ذلك التجميع العجيب بين الشيء المادي والروحي ، أو بين المحدد والمجرد . والنقلا إلى الطبقات العميقة من الواقع المحيط للتعبير عن ادق المعاني واكثرها شاعرية وإنسانية .

ومثلما فعل الفنان الألماني دورر من قبل ، فإن رمبرانت لم يكن عظيما فقط في أعماله التصويرية ، وانما مارس ايضا فن الحفر على الخشب

عودة الابن المجهولة
لوحة عام ١٦٦٨ م

والنحاس ، مستغلا درجة اللون الواحد في اجراء حوار بليغ بين درجات الأبيض والأسود ، وإظهار طاقة الضوء كعنصر تشكيلي اساسي ، وكعنصر نفسي يضيف إلى العمل الفني ابعادا تعبيرية وسيكولوجية مؤثرة .

ولقد ترك رمبرانت للانسانية انتاجاً هائلا (ستمائة لوحة زيتية وثلاثمائة قطعة حفر والفي رسم خطي) يمثل كنزاً غالياً سيظل دائما عنوانا على الفن الأصيل .. الانساني الطليع ، ودليلاً على المقدرة الفنية حين تبلغ اقصى ذراها .

قصة قصيرة

فريدة مرعي

كنت في ذلك الصباح خارجة لتوي من احدى هزائمي ، ظللت الليل كله اتقلب في الفراش، اليس لهذا العذاب من نهاية ؟ الا من حل ؟ ، وحين لاحت خيوط الفجر الاولى كنت قد قلبت الامر على جميع وجوهه وايقنت انه لا مفر .

كلمة لا مفر تثير الاستياء ، تثير الحنق والغيظ ، تثير الغضب والسخط ، في داخلي بركان يغلي ، شلال يهدر ، اعصار يزمجر. سأقضي بقية عمري مع المسكنات ، لقد اختارني الله انا بالذات دون ملايين البشر لكي اعيش هذه الحياة المرة .

حين ذهبت الى الطبيب لاول مرة قال : اكشفي على جيوبك الانفية ، وحين ذهبت الى الطبيب الثاني قال: اعملي كشف نظارة ، اما الثالث والرابع والخامس فقد هزوا جميعا رءوسهم وقالوا : مرض العصر، لا علاج الا المسكنات .

تعبت ، مللت، تمردت، وفي كل مرة كنت احاول ان اعلن الحرب على الروتين اليومي للمسكنات كانت تطاردني نوبة الصداع المدمر ولا تتركني الا بعد ان اتحول الى بقايا انسان مهزوم لارفع الراية البيضاء صاغرة وادخل ذليلة الى سجن المسكنات المحتوم .

في تبرم وغضب ارتديت ملابسي وحملت كتبي وخرجت وصفقت الباب ورائي بشدة . لم اهتم بصرخات امي ورائي وهي تحمل صينية الافطار .

في الطريق لفح الهواء البارد وجهي ، احكمت اغلاق ازرار الجاكت حول عنقي . يكفيني ما انا فيه من عذاب ولا ينقصني الا هذا البرد ايضا . القيت فكرة السير على الاقدام، وقررت ان اركب اول اتوبيس . الزحام اهون الف مرة من برد الصباح القارص. سار الاتوبيس ينهب الارض ، لم يكلف السائق نفسه مشقة التوقف في اي محطة في اقل من عشر دقائق كنا قد وصلنا الى اخر الخط في ميدان التحرير تأهبت للنزول ولكن حين فتح السائق الباب كان كأنه قد فتح ابواب الجحيم . تدافعت كتل بشرية تريد الصعود في نفس الوقت الذي يريد فيه الركاب الهبوط . دفعني من في الاتوبيس الى الخارج ودفعني من في الخارج الى الداخل واصبحت كالكرة التي يتقاذفها فريقان . لابد ان منظري هذا قد اثار شفقة البعض حتى ان احدهم قد مد كلتا يديه وجذبني جذبة قوية الى الخارج .

وقفت على الرصيف لا اصدق انني نجوت . انفاسي لاهثة ، شعري منكوش ، ملابسي ممزقة، كتبي واشيائي مبعثرة ، والصداع يطحن رأسي .



كل شيء في هذه الدنيا ضدي . في تذمر انحنيت على الارض الملم حاجياتي . رفعت راسي صدفة فاذا به قابع يرقبني . كان يتابع معركتي باشفاق وحين التقت اعيننا كان يبتسم ازداد غيظي ، اشحت بوجهي بعيدا ، ولكن شيئا ما جعلني اعود ببصري اليه .

شيء ما في لمعان عينيه ، في انفراجة شفتيه ، في ذقنه المدبب وخديه الغائرين . شيء ما في قسمات وجهه يوحي بالرضا بالسخرية بالقناعة ، بالتحدي او او هو مزيج من كل هذا .

كان نصف انسان او مشروع انسان . يداه مقطوعتان حتى الكوع ، وساقاه مقطوعتان حتى الركبة . كان يجلس على قطعة صغيرة من الخشب لا يفصلها عن الارض سوى اربع عجلات صغيرة . في حجره كانت تتناثر بعض علب الكبريت التي يسترزق ببيعها للمارة .

وقفت في مكاني لا اقوى على الحركة . من اين اتى بكل هذا الرضا وبكل هذا التحدي كيف واتته كل هذه القوة هو الذي ليس الا كومة من الجلد والعظم .

في اقل من لمح البصر كان يمر امامي كالسهم عجبت كيف تستطيع قطعته الخشبية الصغيرة التحرك بهذه السرعة واليسر . كان ينادي على الكبريت وكانه ينادي على اغلى واحسن انواع البضاعة . وكان المارة يتجاوبون مع نداءاته وصيحاته فينحنون لالتقاط امشاط الكبريت ويرمون بالنقود في حجره .

كان يتحرك في سهولة وثقة يداعب المارة ويناوش الصبية ويلقي بالنكات هنا وهناك وحين لا يجد من يداعبه او يناوشه يرفع عقيرته بالغناء . كان يمرق بين سيقان المارة كانه صاحب دار يرحب بضيوفه او كانه ملك يسير بين الرعية . كنت لا ازال واقفة بلا حراك حين عاد الى ضبطني متلبسة بمتابعته بعيني اقترب بابتسامته الكبيرة: كبريت يامزمازيل لم اسمع ، رفع صوته قليلا : كبريت يا مزمازيل ؟ لم اسمع، رفع عقيرته فجاة وقال مداعبا : كبريت يا ست الكل تنبهت ، التفتت رءوس المارة نحوي ، تمتمت بخجل : اه .. لا .. شكرا انحنيت بسرعة الملم حاجياتي ثم تواريت في الزحام .

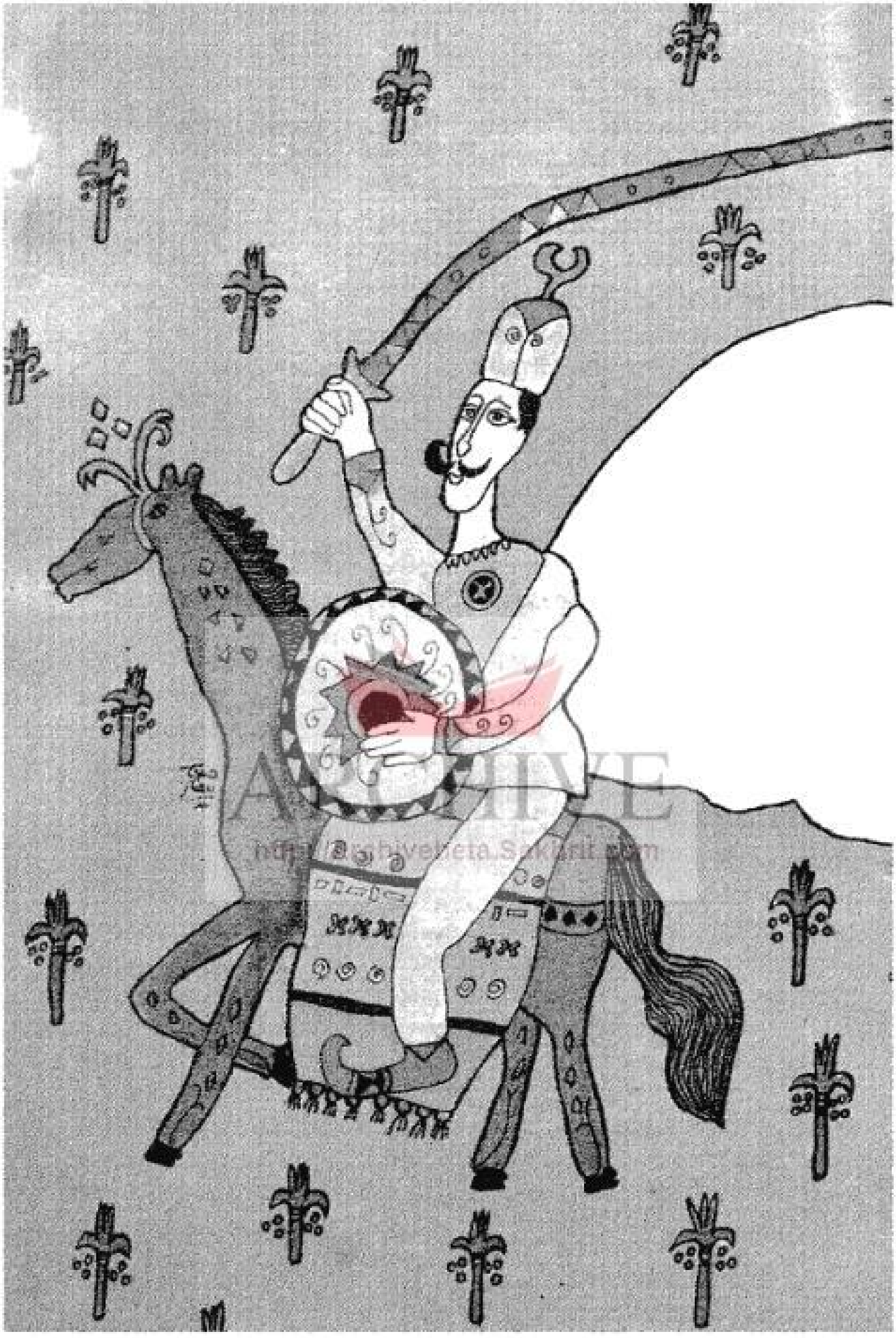
الظاهر بيبرس

في التراث الشعبي

بقلم : مصطفى نبيل

الظاهر بيبرس ، أحد السلاطين الذين تمتعوا بمكانة بارزة في وجدان الشعب ، ويكاد يكون الحاكم الوحيد الذى حظى بهذه المكانة ، فمازالت تروى قصته فى الملاحم الشعبية ، وحكايته غنية بالرموز والدلالات ، يقوم فيها بأعمال البطولة والفروسية والشجاعة والنبل

فما سر حكايته التى تروى على الربابة بين منشدى القرية وسط الفلاحين والعامة حتى اليوم ؟



وياترى ماسر هذه المكانة ..؟ وهل لهذه المكانة علاقة بأنه تم فى عصره انتقال قيادة البلدان العربية الى القاهرة عندما استطاعت مصر فى ظروف صعبة ان تلعب الدور الرئيسى فى حماية للعروبة والاسلام ، وفى ايامه زادت اهمية مصر العربية ، وانتقلت الخلافة اليها ، واكتمل دورها وشخصيتها العربية فى اللغة والثقافة ، وقادت اعظم المعارك يوم القيت عليها مسئولية الدفاع عن ارض العرب ، فحققت على المنطقة عروبتها واسلامها وكيانها ضد غزاة العصور الوسطى .

وجاء الظاهر بيبرس الى الحكم بعد انتصار صلاح الدين فى معركة حطين ، وبعد ان انزل قطز الهزيمة الساحقة بالتتار – بعد اجتياحهم بغداد – فى موقعة عين جالوت سنة ١٢٦٠م ، وبعد ان قضى التتار على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ١٢٥٨م . وكان عليه ملاحقة بقايا الصليبيين ومواجهة التتار الزاحفين الذين لم ينسوا هزيمة عين جالوت . فكانت الحروب بينهم وبين بيبرس سجالا فقضى على قوتهم بالشام ، ولم ينقطع عن مطاردتهم فى المناطق التى يغيرون عليها ..

وكما واجهت الدولة الاسلامية فى صدر الاسلام الفرس والروم ، واجهت مصر دفاعا عن العروبة والاسلام التتار والصليبيين ، عندما انتقل الوسط الجغرافى الى القاهرة ، بعد انسلاخ الامارات الاسلامية فى اسبانيا ، وانهيار بغداد ، وذهاب قرطبة ، وقد منح موقع مصر الظاهر بيبرس المزيد من التفرد ، واصبحت مصر القلب من الجسم بعد ان تكونت للعروبة منطقة واضحة وابعاد محددة ، وامتدت دولته من اليمن جنوبا حتى نهر الفرات وجبال طوروس شمالا ، وعلى شاطىء البحر الابيض من خليج الاسكندرية حتى بلاد برقة ، وعلى ضفاف النيل حتى اعالى النوبة ، فكانت تضم مصر والشام واليمن والحجاز وبرقة .

واصبح التحرك الى المركز الجديد طبيعيا ، وقد شهدنا من قبل انتقال العاصمة من المدينة المنورة ، فى عصر الخلفاء الراشدين ، الى دمشق فى عصر الامويين عندما اتسعت الدولة شمالا وانتقلت مرة اخرى مع انتقال الوسط الجغرافى الى بغداد فى العصر العباسى ، واستقرت فى القاهرة فى عصر المماليك عندما فاقت غيرها من مدن الاسلام فى العظمة والعمران ..

وتدفق على مصر العلماء والصناع حين بدأ سقوط الاندلس وقلاقل المغرب ، وحين وصل اعصار التتار الى العراق ..

وغدت مصر قلب العالم العربى والقاهرة مركزه واقوى عواصمه بعد انتصارها ، وازدهرت اقتصاديا عندما اصبحت عاصمة تجارية بين بلاد الشرق البعيد وثغور البحر الابيض ..

واللافت للنظر هنا ان سيرة الظاهر بيبرس بدأت روايتها عندما انهارت هذه الدولة ، ودخل سليم الاول الى القاهرة وسقطت مصر تحت الحكم العثمانى ، وانتقلت العاصمة من جديد الى

القسطنطينية ، الا يعنى ذلك ان الظاهر بيبرس يمثل الدولة ، الحلم ، الضائع فى الوجدان الشعبى .

● القضاء على الإرهاب

لقد قدمت الملاحم الشعبية والصور التاريخية الظاهر بيبرس فارع الطول اسمر اللون جهورى الصوت ، حاد النظرات شجاعا ، نبيلا عادلا ، لا يكف عن النشاط والحركة تتغنى الملحمة الشعبية ببطولاته خلال الحملات الصليبية وفى المعارك ضد الزحف التتارى وهى المعارك التى مهدت للانتصارات التى حققها بعده السلطانان قلاوون والاشرف ، وبعد ان قضى على سطوة الحشاشين ذلك التنظيم الارهابى المحكم الذى روع العالم الاسلامى بالاعمال العدوانية والتخريبية والارهابية واغتيال عدد من قياداته ..

ولم تقتصر سيرة الظاهر بيبرس على قيادة الجيوش واعداد الاساطيل وتدريب الفرسان وتحصين القلاع والثغور ، بل امتدت الى البناء والعمران ، وماحققه ـ من تقدم فى نظم الحكم والادارة وتنمية موارد الثروة ، فأمد الموانىء وربط القاهرة ودمشق باتصال بريدى عن طريق الخيل والفرسان الذين يحملون البريد خلال اربعة ايام ، وكانت الخيل تقف على اهبة الاستعداد لنقل البريد من محطة الى اخرى ، ولم تفته اقامة المؤسسات الخيرية والدينية والثقافية ..

ومازال فى القاهرة احد الاحياء التى تحمل اسمه وهو حى ، الظاهر ، وقد اتخذ قلعة الجبل مقرا لحكمه ، ومازالت بين القصرين تضم منشآته : المدرسة والجامع الذى يحمل اسمه ، واعاد بيبرس الجامع الازهر لما كان عليه فى عهد الفاطميين

ومازال قبره مزارا فى دمشق بعد ان لقى ربه خلال زيارة لها .

ووقف المؤرخون طويلا امام نجاح مصر فى صد الزحف التتارى الذى لم يكن انجازا لمصر وحدها ، بل للبشرية كلها ، فهذا السيل كان يتجه من المشرق الى المغرب واذا قدر للتتار اجتياح مصر ، فسيجتاحون المغرب والاندلس وربما اوربا ، وحافظت مصر على صروح الحضارة البشرية ، ويرى المؤرخون ان موقعة « عين جالوت » لاتقل خطرا عن موقعة « شالون » التى هزم فيها الهون قبلها بثمانية قرون على يد القوط والرومان بعد ان اجتاحوا اوربا جميعها ..

● السلطان الحائر !

ومن ابرز علامات عصر بيبرس احياء الخلافة ونقلها الى القاهرة عندما ظل الظاهر بيبرس السلطان الحائر بين الحق والقوة ، الباحث عن الشرعية ، فاذا كان قد حقق شرعية بالسيف والقوة ، فهذا وحده لايكفى ، فالشرعية القائمة على القبول العام ضرورية لدولته الواسعة الارجاء وفى مواجهة الجدل القائم حول اصل المماليك وشرعية انتقالهم من رقيق الى حكام ، وهم الذين يمثلون العسكرية وحدها ، وعقب فتوى الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذى افتى بضرورة بيع المماليك فى الاسواق ، وبعد اعتاقهم يمكن ان يصبح لهم الحق فى تولى

الحكم ، كما كانت للشرعية اهمية بالغة فى جو المعارك الداخلية بين امراء المماليك الطامعين وفى مواجهة الحشاشين والعلويين والاسماعيلية بعد انهيار الحكم الفاطمى ..

وواتته فرصة احياء الخلافة العباسية وهى من الحوادث التاريخية النادرة التى يختار فيها الحاكم سلطة .. اعلى منه ، وذلك عندما قدم الى دولته الامام احمد عم المعتصم آخر الخلفاء ، وابن الخليفة الظاهر بعد نجاته من مذبحة بغداد ، جاء الى مصر وفى صحبته جماعة من أمراء العرب بعد ان غابت الخلافة من البلاد الاسلامية ، وخرج بيبرس للقائه ومعه القادة والعلماء والاعيان واستقبله فى المطرية وصحبه الى قلعة الجبل ، وعقد مجلسا فى بهو الاعمدة ، حضره القضاة والعلماء والامراء ، كما حضره شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ، وامام مجلس العلماء اثبت الامام احمد نسبه ، وبايع بيبرس الخليفة وكان يوما مشهودا وشهدت القاهرة احتفالات لم تشهد لها مثيلا ..

● خطاب الخليفة

ويمكن ان نتبين عمق القيم التى سادت المجتمع عند قراءة وصايا الخليفة للسلطان الذى يوصيه فيها بالعدل ، ويأمره بتحصين الثغور والقلاع ، ونلاحظ انه مجتمع قائم على الجهاد دفاعا عن ارض وتراث المنطقة كلها .

وينقل المقريزى فى كتابه السلوك لمعرفة الملوك خطاب الخليفة ، وهو من انشائه والذى شهد على مكانته والذى القاه امام بيبرس وجمع غفير من العلماء ..

ومما جاء فى هذا الخطاب قول الخليفة .. « ان مايجب تقديم ذكره هو



امر الجهاد الذى اضحى على الامة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضا ، وقد وعد الله المجاهدين بالاجر العظيم واعد لهم عنده المقام الكريم وخصهم بالجنة ، ويضيف ..« لاتخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال يبدل مادجى من ظلماتها النور ، واجعل امرها على الامور مقدما وشيد منها كل ماغادره العدو مهدما ، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع ، وأولاها بالاهتمام ماكان البحر له مجاورا ، والعدو له ملتفتا ناظرا ولاسيما ثغور الديار المصرية فان العدو وصل اليها رابحا وراح خاسرا ، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال لهم عاثرا ، وكذلك امر الاسطول الذى ترجى خيله كالأهلة وركائبه سابقة بغير سايق ستقله ... فان ذاك غدت الرياح له حاملة ، وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة ، وان لحظها جارية فى البحر كانت كالاعلام ، واذا شبهها قال هذه ليال تقلع الايام ».

فماذا ياترى يقول اليوم فى عصر الصواريخ والطيران ؟!

واضاف مخاطبا السلطان .. « لقد اقمت الدولة العباسية ، بعد ان اقعدتها زمانة الزمان ، واذهبت ماكان من محاسن واحسان واعقب دهرها المسيء لها فاعتب ، وارضى عنها زمنها ، وقد كان صال عليها صولة مغضب .. وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية ، ومايتجدد من الفتوحات غورا ونجدا ، وفوض امر جندها ورعاياها اليك حين اصبحت بالمكارم فردا .. »

.... وهذه الاقاليم المنوطة بك تحتاج الى نواب وحكام واصحاب رأى من اصحاب السيوف والاقلام فاذا استعنت بأحد منهم فى امورك فنقب عنه تنقيبا ، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسل عن أحواله ، ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا ، وبما اجرم مطلوبا ، ولاتول منهم الا من تكون مساعيه حسنات لك لاذنوبا ، وامرهم بالاناة فى الامور والرفق ، ومخالفة الهوى اذا ظهرت ادلة الحق ، وان يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم ، الوجه الطلق ، وألا يعاملوا احدا على الاحسان والاساءة الا بما يستحق ، وان يكونوا لمن تحت ايديهم من الرعايا اخوانا ، وان يوسعوهم برا واحسانا والا يستحلوا حرماتهم ، واذا استحل الزمان لهم حرمانا ، فالمسلم اخو المسلم ولو كان اميرا عليه وسلطانا ».

ومنذ هذا الوقت اخذت وثائق تقليد حكام الولايات تخرج من القاهرة ومنهم بعض حكام الهند بل وحتى وثيقة تقليد السلطان العثمانى بايزيد الاول سنة ١٣٩٤م ، واستمرت الخلافة زهاء ثلاثة قرون وحتى انتزع السلطان سليم حكم مصر عام ١٥١٧م ، ونقل الى القسطنطينية ضمن مانقل من مصر العمال المهرة والحرفيين والخليفة المتوكل آخر خلفاء بنى العباس .

● مغزى حكم بيبرس !

ويدهش المرء من قلة العناية بهذه الصفحات من تاريخ مصر ، وهى التى تحتاج الى اوسع الدراسات للوصول الى مغزاها وعبرها، ولعل غياب الاهتمام بهذه المرحلة يعود الى التركيز

على أصول حكام هذا الزمان الذين انتقلوا من الرق الى السلطان ، او لعله النفور من أعمال المماليك في نهاية العصر المملوكي واثناء العصر العثماني وما اقترفه الكثيرون منهم من عسف وجور !

ومع ذلك وجد من يحمل هذه المهمة وهو الاكثر صدقا وتعبيرا عن وجدان الشعب ، الا وهو التراث الشعبي الذي احتفى ببيبرس وبطولته وجاءت ملحمته لتؤكد انه لم يكن مجرد حاكم معزول عن شعبه ، بل عبر بصدق عن عصره وقيم شعبه واحلام وطنه .

فمثلا ،. يظهر حرص الظاهر بيبرس على اقامة العدل وايمانه بالمساواة عندما تولى بنفسه مجلسا يسمى دار العدل يبحث مظالم الرعايا .

ولايدرك المؤرخون ان تجاهل هذه المرحلة انما هو تجاهل للدور التاريخي لشعب مصر وموقعه الحاكم في المنطقة العربية ، فليس صحيحا ان قطز وبيبرس وقلاوون ، قد اتخذوا مصر منطلقا وحكموا منها انما الحقيقة التاريخية تقول انهم حكموا بها قبل ان يحكموها ، وواجهوا الغزاة باسم مصر وبطاقات مصر ، يساعدهم موقع مصر ، وثروتها البشرية ..

ولعل في الحكاية التي رواها ابن اياس مايؤكد ذلك ويرد على دعاة ان تاريخنا كله يحكمه ما اطلقوا عليه « الطغيان الشرقي » وجاءت الحكاية في كتاب بدائع الزهور «.. جاءت الاخبار سنة خمس وسبعين وستمائة بأن التتار قد زحفوا على البلاد ، ووصل اوائلهم الى حلب وكانت الخزانة خاوية نفد مافيها من مال ، وطلب السلطان فتوى بجمع المال من الاهالي ، وعندما طلب هذه الفتوى من الشيخ محيي الدين النواوي رأس علماء الشافعية ، فامتنع فقال له السلطان :

ماسبب امتناعك ..؟

قال : انا اعلم انك كنت في الرق للامير البدقداري ، وليس لك مال ، ثم ان الله تعالى منَّ عليك وجعلك ملكا ، وبلغني ان عندك سبعة الاف مملوك ، ولكل مملوك حياض ذهبا ، وعندك مائتا جارية لكل جارية حلي فاخرة مابين ذهب ولؤلؤ وفصوص مثمنة فاذا بعت ذلك جميعه ، وبقيت مماليك بالبنود الصوف بدلا من الحوايض والذهب وباعت جواريك الحلي التي عندها ، افتيتك بأخذ اموال الرعية »

ولما غضب الظاهر قال له العلماء .. « ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ممن يقتدي به ..»

وتكشف هذه الحكاية مكانة العلماء والفقهاء ، فرغم ماحققه الظاهر من انتصارات عسكرية ومع تهديد جديد ، رفض أحد الفقهاء الموافقة على جمع الاموال من الرعية ، فمن يتصور ان يحدث مثل هذا في عالم اليوم ، ومن يقدر على مواجهة مطالب حاكم منتصر يخرج من جديد لملاقاة الاعداء الا في مجتمع تعمقت فيه حقوق الحاكم وحقوق المحكومين .

ان سيرة الظاهرة بيبرس التي ترددت في كل ارجاء مصر ، والتي تعكس حلم ابناء مصر ، وتوقهم للدفاع عن العرب ضد الغزاة يمكن ان تضيف للباحث المنصف رؤية جديدة للجدل القائم حول المستقبل .

القفز على الأشواك

المستثمرون

بقلم : د . شكرى محمد عياد

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

لم يزل هذا البيت يرن فى أذنى هذه الأيام ، ويشغلنى عن السؤال « من القائل وما المناسبة » أننا نحن تلك العيس .. ولا أظننى أسيء إلى أحد حين أدعى أننا شعب من الجمال ، أو أتخذ الجمل رمزاً لشعبنا الصبور الحمول . ولكن منظر الجمال التى تقطع الصحارى الشاسعة وهى تلهث من العطش وتتشمم رائحة الندى فى حين أن الروايا - قرب الماء - مربوطة ومرصوصة فوق ظهورها ، منظر لايليق بالجمال الآدمية مهما بالغنا فى فضيلة الصبر . هذه الصورة مازالت تلح علىّ منذ قرأت البيانات التى نشرتها الصحف اليومية ، منسوبة إلى عدد من كبار المصرفيين عندنا ، عن قيمة ودائع المصريين داخل مصر :

سبعة الاف مليون جنيه مصرى
عشرة الاف مليون دولار أمريكى

هذان الرقمان التقريبيان يمثلان مجموع مدخرات المصريين المودعة فى المصارف المصرية أو فروع المصارف الأجنبية داخل مصر . ولاتدخل فيهما المبالغ المتداولة فى السوق غير الرسمية ، ولا المبالغ المودعة لدى شركات استثمار الأموال ، ومعظمها تأخذ شكل أوراق مالية وأرصدة متنوعة ، أى راسمال مالى .

وهذان القسمان الأخيران لا يعرف مقدارهما بالدقة ، ولكن المرجح - نظراً لما يقدمانه من المغريات - أنهما يزيدان كثيراً على المبلغين السابقين .

الخبز على الأشواك

كل هذا ونحن نشكو من الكساد، والبطالة، وضعف الناتج القومي!.

وقد بحثت لدى علماء الاقتصاد عن تفسير لهذه الحالة، فلم أجد، ثم قذفت الذاكرة ببيت الشعر الآنف الذكر، فوضحت لي كثير من الأمور.

فعلماء الاقتصاد - لسذاجتهم - يجعلون نمو الثروة القومية مرتبطا بالادخار، حتى إنهم ليساوون بين قيمة المدخرات وقيمة الاستثمارات. ومن الواضح في حالتنا هذه، أن العلاقة مفقودة بين الاثنين. وبما أن علماء الاقتصاد لا يمكن أن يكونوا مخطئين فيما زعموه - فقد استمدوا هذا القانون من واقع النمو الاقتصادي في بلادهم - فالأحرى بنا أن نترك لهم قوانينهم وأن نتمثل بأشعارنا. وهكذا وجدتني انكفىء من قوانين الادخار والاستثمار إلى بيت من الشعر «بكسر الشين»، وأرجو ألا تسوء بي الحال أكثر، فأرجع إلى بيت من الشعر «بفتح الشين»

فالشيء الخطر في استعمال الشعر هو أنه يقال للتعجيب، ولا يقال للتفسير، فضلاً عن أن يشير ولو من بعيد، إلى علاج لحالة مستعصية كحالتنا، نعم، ليس بالشعر وحده يحيا الانسان، فلابد له من الخبز أيضاً. وفي سبيل الجمع بين الخبز والشعر حاولت أن أنتقل من حالة التعجب التي ألقاني فيها البيت المذكور إلى حالة التفسير، عسى أن أتوصل إلى معرفة أسباب الوضع الاقتصادي الشاذ الذي نحن فيه إلى اقتراح بعض الخطوات لتصحيحه.

ولم لا؟ فأنا لم أسمع بعد عن شيء اسمه علم الاقتصاد المرضي (على وزن علم النفس المرضي) فلماذا لا أقوم بمحاولة متواضعة نحو ارساء أسس هذا العلم الجديد؟ فمع أن هذا العلم لم يوضع بعد، فالظاهر من سيماه انه يحتاج إلى رافد أدبي، ولا عجب. فالشعر أخو الأخلاق، والأخلاق أخت الاقتصاد، وقد لبثت سنوات عدة أتحدث في الاقتصاد، دون أن أشعر، حين كنت أحدث قرائي عن أخلاق الاستهلاك. فلماذا لا اتقدم اليوم خطوة أخرى، فأتحدث عن أخلاق الاستثمار؟

وحين نتناول مشكلاتنا الاقتصادية - سواء في جانب الاستهلاك أم جانب الاستثمار - باعتبارها نابعة من سلوك الأفراد، نصرف النظر مؤقتاً عن السياسات والإجراءات الحكومية. ولا يعني هذا أننا ندعو إلى الاقتصاد الحر أو نتجاهل دور القطاع العام، فوجود هذا القطاع العام والوظيفة الرئيسية التي يقوم بها في اقتصادنا القومي مسلمتان لا محل للنقاش فيهما، وإن كان من الممكن تصور تعديلات مهمة في تكوينه وطريقة عمله. أما المسألة التي تعنينا الآن وهي السلوك الاقتصادي للأفراد فليست مقصورة على الاقتصاد الحر دون الاقتصاد الاشتراكي، وهذا واضح على الخصوص في جانب الاستهلاك. فالميل إلى الحصول على السلع المستوردة غير

مقصور على مواطنى الدول « النامية » ذات الاقتصاد الحر ، بل إنه ظاهرة ملحوظة أيضاً لدى مواطنى الدول الاشتراكية فى هذه المجموعة وكثيراً ما يأخذ طابع التهريب . والعكس صحيح أيضاً ، إذ لايقتصر تفضيل المنتجات الوطنية على مواطنى الدول التى تأخذ بالنظام الاشتراكى دون تلك التى تأخذ بالنظام الحر ، المسألة إذن مسألة سلوك فردى .

سلوكيات الاستثمار

وسلوكيات الاستثمار تلقى نصيباً غير قليل من العناية فى النظم الاشتراكية ـ عن طريق السندات الحكومية وشهادات الاستثمار ونظم التأمينات وغيرها ـ وإن كان من المسلم به أنها أساسية فى نظم الاقتصاد الحر (الصورة تبدو مشوهة بعض الشىء فى عالمنا المعاصر ، حيث تعتمد حركة الاقتصاد على تشجيع العادات الاستهلاكية لدى كل من العامل فى البلدان الرأسمالية المتقدمة والرأسمالى الناشىء فى البلدان النامية ، ولكن التمييز لايزال صحيحاً بوجه عام) .

ومادامت السلوكيات أو الأخلاقيات واحدة ـ على الأقل ـ من القوى المؤثرة فى حركة الاقتصاد (وقد تكون هى القوة المرجحة أو الحاسمة فى بعض الأحيان) فمن الواجب أن نبحث عن عللها فى الدوافع النفسية . وهذه الدوافع مع كونها فردية فالملاحظ دائما أنها تكون مشتركة بين مجموعات من الأفراد كبيرة أو صغيرة . وإذا كانت دوافع الاستهلاك كثيرة ومتنوعة فإن دافع الاستثمار ينحصر فى تحقيق أكبر عائد ممكن بأقل مخاطرة ممكنة . وقرار المستثمر يبنى دائماً على الموازنة بين وجوه الاستثمار المتاحة ، من حيث مقدار العائد وحجم المخاطرة . وطبيعى أن يتشكل هذا القرار فى ضوء خبراته السابقة .

فلننظر الآن فى التركيبة النفسية والخبرات السابقة لدى أصحاب المدخرات المصريين ـ وهم المستثمرون المحتملون . ويمكننا أن نستغنى عن "الاستبيانات" التى يستخدمها الباحثون النفسيون والاجتماعيون حين تعرض قضية من هذا النوع بالاعتماد على المعلومات المعروفة عن مصادر هذه المدخرات ، ومن هذه المصادر يمكن أن نعرف ـ على وجه التقريب ـ نوعيات الأشخاص الذين حصلوا عليها :

تميز عقد السبعينيات بعودة العلاقات الطبيعية بين مصر والمملكة العربية السعودية ومن ورائها دول الخليج . وكانت هذه الدول تشهد ازدهاراً لم يسبق له مثيل وخصوصاً بعد الارتفاع السريع والمستمر فى أسعار البترول . وهكذا أصبحت العمالة المصرية فى هذه المنطقة ـ وتضاف إليها ليبيا ـ ظاهرة اقتصادية واجتماعية كبيرة الحجم ، اقترنت بظاهرة أخرى داخلية وهى السماح ـ على أوسع نطاق ـ بما سمى (الاستيراد بدون تحويل عملة) . وفى غياب الإحصاءات المعتمدة عن أعداد العاملين فى الخارج ومستويات دخولهم ونسبة مدخراتهم إلى دخولهم يستطيع كل إنسان أن يطرح التقدير الذى يراه معقولاً . وتتراوح هذه التقديرات بين سبعين مليار دولار ومائة وعشرين مليارا . قسم صغير من هذه المدخرات حول إلى

القفز على الأشواك

العملة المصرية بالطرق الرسمية ، وقد تراوح هذا القسم بين ألف مليون وألفى مليون دولار فى معظم السنوات ، وقسم آخر حوله أصحابه إلى حساباتهم الخاصة بالعملة الصعبة داخل مصر ، والقسم الأكبر حول إلى مصارف فى الخارج ، أو دخل فى المعاملات التجارية الدولية عن طريق ماسمي تجارة العملة ـ هرباً من تسميتها بالسوق السوداء أو حتى الرمادية ، وليس من العدل أن تسمى كذلك ، مادامت قد نمت وترعرعت فى كنف ذلك النظام ، القانونى ، العجيب ، نظام الاستيراد بدون تحويل عملة ، الذى لا معنى له فى الواقع إلا التصريح بقيام سوق حرة للنقد .

لم تكن "تحويلات المصريين العاملين فى الخارج" المعروف منها والمجهول ، هى المصدر الوحيد لتكوين رءوس الأموال الخاصة ، إذ يجب ألا ننسى الإنفاق الحكومى الضخم ، وإن كان أغلبه معتمداً على القروض ، وهذا ،يعنى عقوداً ، واتفاقات ، ومقاولات . وهذه بدورها تعنى ـ بالنسبة لكثير من الأفراد ـ عمولات و، العمولات ، مثل تجارة ، العملة ، تنتمى إلى ذلك العالم الرمادى الذى تاهت فيه الحدود بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع . منذ تحدث عنها رئيس سابق علناً فى مجلس الشعب وهى ترد على أقلام الكتاب فى السياسة والاقتصاد على أنها "أمر واقع" وإن بقى الحكم الأخلاقى أو الوطنى أو القانونى فى أمرها معلقاً .

هذه هى مصادر رءوس الأموال الخاصة التى تجمعت لدى فريق من المصريين ، وعلى هديها يمكن أن نفسر سلوكيات ذلك الفريق ، التى أدت إلى الموقف المتناقض الذى نحن فيه : أغنياء فقراء ، كالجمال التى تحمل الماء فى الصحراء .

اكتساب العادات الاستهلاكية

قسم كبير ممن رحلوا للعمل فى البلاد العربية لم يكونوا مدخرات تذكر ، هؤلاء هم العمال غير الحرفيين ، الذين اشتغلوا فى أعمال التشييد وما يشابهها ، معظمهم هرب إليها من العمل فى الحقول ، وما فاض عن حاجاتهم المعيشية فى الخارج ، وحاجات أهلهم فى مصر ، أنفقوه كما ينفق الطفل الفقير مصروفه يوم العيد : اشتروا ما كانوا يحلمون به من مسجلات وتليفزيونات ومراوح وثلاجات ، تراها الآن فى بيوتهم القروية التى لم يتغير فيها شىء جوهرى ، حتى ولا أرضها الترابية ، هؤلاء لم يكتسبوا من رحيلهم إلا بعض العادات الاستهلاكية السيئة ، ولكنهم فقدوا عاداتهم ومهاراتهم البسيطة كمنتجين ؛ إنهم ـ بكل بساطة ـ يحتاجون إلى إعادة تأهيل . ولكن هذه قضية أخرى .

القسم الأكبر من المدخرين هم طوائف الكتبة والمهنيين من صغار وكبار ، يضاف

إليهم عدد غير قليل من الحرفيين . هذه الطوائف تميل إلى الادخار ، ولكن معظمهم ـ كأفراد ـ يفتقدون موهبة الابتكار ، وروح المخاطرة ، ولذلك فهم يتهيبون « المشروعات » ويفضلون أن يحولوا مدخراتهم إلى « ودائع » تدر عليهم عائداً مضموناً . وجدير بالذكر أن هذا القسم هو الذى تتناوله جميع التقديرات السابقة ، لأن القسم الثالث ، والذى سنتحدث عنه بعد لحظة ، لايمكن تقدير مدخراته ولو بالتقريب ! .

هذا القسم الثالث هم "القروش" الكبار ، القط المفترس ، أباطرة الانفتاح ، وملوك العملة ، ودهاقنة العمولات . هؤلاء لا كلام لنا معهم ، أو عنهم . حسابهم على الله ، وعلى الحكومة . قليل منهم كونوا ثرواتهم بطريقة شبه شريفة ، وبعضهم اقاموا مشروعات . ولكن الطابع المميز لأكثرهم هو انهم انتهازيون ، مراوغون ، لا "يعطون أمانا" للشعب ولا للحكومة ، ولذلك فمعظم ثرواتهم فى الخارج ، ولا يحتمل أن تعود . اما مشروعاتهم وممتلكاتهم فى الداخل فقد اثبتت التجارب انها مغطاة ، وزيادة ، بقروض من المصارف المحلية .

إذن فالمدخرات التى يمكن "اجتذابها" ، كما يقول ممثلو الحكومة ، هى مدخرات القسم الثانى . ولكن الأمر الغريب هو أننا نقرأ فى الوقت نفسه تصريحات لمصرفيين كبار أن المدخرات الموجودة بالفعل لدى المصارف المصرية فى صورة ودائع ، راكدة ! وموضع العجب أن وظيفة المصرف هى ـ بالتحديد ـ استخدام حصيلة هذه الودائع فى صورة قروض للمستثمرين !

قلبُ المسألة ، قبل البحث فى أحسن السبل لاجتذاب هذه المدخرات ، هو أن نعرف إلى أى شىء سوف توجه ! يمكن أن يوجه قسم منها ـ عن طريق المصارف ـ إلى دعم القطاع العام . ولا شك أن هذا حادث بالفعل . ولكن القسم الباقى ليس بالشىء القليل ، وهو مطالب أيضا بدعم الاقتصاد الوطنى عن طريق آخر ، طريق مشروعات القطاع الخاص التى قدر لها فى الخطة الخمسية البادئة مايزيد على ثمانية عشر مليارا .

إذن فالمسألة ببساطة تامة هى إغراء هؤلاء المدخرين بأن يتحولوا إلى مستثمرين ، فهذا أولى من دعوة المستثمرين الاجانب .

ولكن المشكلة بالضبط فى هذا "التحول" فالمستثمر الأجنبى "جاهز" بعقلية المستثمر وخبرة المستثمر . ولهذا فهو يقارن بين فرص الاستثمار فى بلادنا وفى أى بلاد أخرى ، واذا دلته تقديراته على أن فرصة الربح عندنا اكبر فإنه يقدم على التجربة . وعلى ضوء التجربة العملية يمكن أن يكمل معلوماته أو يصححها ، ومن ثم يقرر التوسع او الاستمرار أو التصفية . ونظراً لتعدد مشروعاته وانتشارها فإن احتمال الخسارة فى واحد منها لا يزعجه كثيرا .

أما المدخر المصرى الذى وصفنا حاله ، والذى ترشحه ليكون مستثمرا ، فهو مختلف تماما : رأسماله ـ مهما يكن "ضخما" بالنسبة إلى وضعه السابق ـ

القفز على الأشواك

صغير بل ضئيل بالنسبة إلى أى مشروع استثمارى مهم . وخبرته بادارة الأعمال معدومة فى الأغلبية العظمى من الحالات . ولكنه يملك بعض الخبرات المؤلمة بطريقة "تسيير الأمور" فى الإدارات الحكومية . وهو يعلم ما أصبح معلوماً للجميع ، ومنشوراً فى الصحف عن المشروعات الاستثمارية التى أقيمت فى السنوات الأخيرة : أن نسبة كبيرة منها ـ قد تبلغ الثلث أو تزيد ـ تعانى من مصاعب اقتصادية .

لهذا يفضل أن يبقى رأسماله وديعة لدى مؤسسة مالية يثق بها ، وتعطيه ربحا معقولا . وبما أنه يستبقى ودائعه عادة بالعملة الصعبة فإن المؤسسات المالية لا تجد صعوبة فى "تحريك" هذه الودائع ، بنقلها إلى أحد المصارف العالمية ، وبذلك تربح الفرق بين نسبة الفائدة التى تعطيها للمودع والنسبة التى تأخذها من المصرف العالمى . ولكن المؤسسة المالية لا ترحب كثيراً إذا كانت الوديعة بالعملة المصرية ، لأنها لدغت مرات من المستثمرين الذين تفرضهم عليها "جماعات الضغط" (حسب تعبير مسئول كبير فى أحد المصارف) ، ولذلك تفضل إقراض القطاع الحكومى لأنه ، على الأقل ، لن يهرب من البلاد . والنتيجة ـ على الحالين ـ أن مدخرات الأفراد لم تقم بالدور الأساسى المطلوب منها ، وهو إنشاء مشروعات جديدة تساعد فى تحقيق "التنمية" .

وكلنا نعرف القرار الذى اتخذته نسبة كبيرة من المدخرين المصريين حين ارادوا ان يتحولوا الى مستثمرين . لقد اتجهوا إلى "شركات توظيف الأموال" . وكان القرار ـ من وجهة نظرهم ـ سليما . فهذه الشركات تعطيهم عائدا يكاد يبلغ ضعف الفائدة التى يحصلون عليها من إيداع مدخراتهم فى مصرف عادى . ثم هى تقول لهم إنها تستثمر أموالهم وفقا لقواعد الشريعة الاسلامية . وقد حذرهم الكثيرون من أن إيداع اموالهم لدى هذه الشركات ينطوى على مخاطرة ، لأنها لا تخرج عن كونها "شركات أشخاص" ، وهذا النوع من الشركات لا يخضع لأى إشراف قانونى . ولكنهم قبلوا المخاطرة ! وهذه ـ فى تقديرى ـ خطوة مهمة فى عملية التحول المطلوبة !

وليس بخاف على احد ـ كذلك ـ أن النشاط الرئيسى الذى تقوم به هذه الشركات هو المضاربة ـ فى الأوراق المالية ، والعملات ، والمعادن الثمينة ـ هذا إلى جانب نسبة صغيرة من الأموال التى تحت يدها توجه نحو مشروعات إنتاج او خدمات . والنسب تختلف ولا شك بين شركة وشركة . ولكن المهم هو أن هذه الأنواع من النشاط ، جميعها ، ليست بدعاً من اعمال المؤسسات المالية !

ومع أن الموقف الرسمى من هذه الشركات بقى غامضا إلى ان اعلن رئيس

الوزراء عند عرض الخطة الخمسية الحالية على مجلس الشعب أن الحكومة ليس لها اعتراض عليها "إذا التزمت حدود القانون" ، فقد كان هناك ، من أول الأمر ،

رأى يضع هذه الشركات وضعها الصحيح باعتبارها مؤسسات "لتجميع" الأموال ، لا لتوظيفها . وهذا هو الاسم الذى ورد فى دائرة المعارف البريطانية علماً على نوع من المؤسسات المالية مهمتها تجميع المدخرات وتحريكها فى سوق المال شراء وبيعا لتحقيق أكبر قدر من الربح ، اعتماداً على التنويع والخبرة ، وهو مالا يتاح عادة للمستثمر الفرد . وقد سمعنا فى الاذاعات العالمية عن الحركة الواسعة التى تقوم بها مثل هذه المؤسسات فى طول العالم وعرضه ، حتى اضطرت بورصة لندن إلى تعديل نظامها فيما سمى "الدوىّ الكبير" The Big Bang لتواجه هذا النوع من النشاط ، وحتى سمعنا عن أزمة بين الحكومتين البريطانية واليابانية لأن الأخيرة تضع العراقيل أمام الشركات البريطانية التى تريد أن تعمل فى بورصة طوكيو .

المطلوب إذن هو أن يسن قانون ينظم عمل هذه الشركات ، ويضمن إشراف الحكومة عليها . ولا بأس على كاتب هذه السطور ، وهو أضعف خلق الله فى هذه الأمور ، أن يقول ولو على سبيل التمنى ، لا على سبيل الاقتراح ولا التفلنى ، أن قانون هذا النوع من الشركات ربما احتوى على مادة تحدد حجم الودائع التى تعمل فيها الشركة الواحدة ، حتى لا تتحكم فى السوق من جهة ، وحتى لا تؤثر خسارتها - إن وقعت - فى الوضع العام لسوق المال من جهة أخرى ، ومادة ثانية تحدد نسبة من الأموال التى تحت يد الشركة توجه نحو الاستثمار الإنتاجى داخل مصر ، ومادة ثالثة تحدد نسبة أخرى من هذه الأموال تودع فى المصرف المركزى بدون فوائد ، أسوة بالمصارف التجارية . والله المسئول أن يحقق هذه الأمانى !

ولكيلا يتوهم أحد أن هذه المقالة كتبت بغرض الدفاع عن هذه الشركات (ولا أتقاضى من إحداها وظيفة ، وليس لى فى إحداها جنيه واحد ولا دولار واحد والحمد لله) أقول إننى أترقب ظهور نوع آخر من المستثمرين من بين الجماعات التى تحدثت عنها . فلاشك أن بينهم عدداً غير قليل يودون أن يقتحموا ميدان الأعمال بأنفسهم . هؤلاء هم أعمدة النهضة الزراعية والصناعية القادمة ، مهما يكن شكل الملكية الذى تتخذه هذه النهضة : اشتراكيا أم تعاونيا أم رأسماليا أم مزيجاً من الثلاثة . أترقب ظهور عدد كبير من رجال الأعمال الصغار - الذين يبدءون صغارا . أتوقع أن يقتحموا كل الميادين الممكنة ، وأن يستعينوا بالأبحاث الكثيرة المطوية فى الأدراج ، وأن يكملوا نواقصها باجتهادهم . أتوقع أيضا عدداً من مكاتب الخبرة - ودعنا من هذا الاسم المخيف "الشركات الاستشارية" التى تصلهم بأعمال المركز القومى للبحوث ، وأكاديمية البحث العلمى .

أترقب حياة ، لأننى لا أستطيع أن أفكر فى الموت !

التطرف الديني إلى أين؟

بقلم : د. محمود إسماعيل

شهدت السبعينيات ميلاد وتعاظم ظاهرة التطرف الديني .. فارتبطت تلك النشأة وهذا التعاظم بأوضاع اجتماعية سياسية

وبديهى أن يعرض هذا المقال لتطور ذات الظاهرة وتفاقمها خلال الثمانينيات في اطار رؤيتنا ذاتها ، ثم لابد من ابراز مظاهر التطرف الفكرى والسياسى كتوطئة لاستشراف مستقبل تلك الجماعات بعد استقصاء جذورها ورصد معالم تطورها ..

أما عن معطيات الثمانينيات وتأثيراتها على هذه الظاهرة فنلخصها في عدة ملاحظات على النحو التالى :

أولا : بدأت ظاهرة التطرف الدينى انعطافة خطيرة في تطورها منذ مطلع الثمانينيات بعد أن شحنت بزخم جماهيرى نتيجة انجازها « لحادثة المنصة » .. وبعد ان اتضح استمراريه « النظام » باختياراته وسياساته ، وحتى أجهزته ورجاله .

ويخيل الى أن قيادات الاتجاهات الدينية وعت الدرس جيدا وأدركت عدم جدوى اسلوب الاغتيال فى الاجهاز على « النظام الحاكم » : فخططت لغزو النظام ومؤسساته من الداخل متبعة اسلوبا علميا ناجحا قوامه التغلغل الاقتصادى . وقد تمثل ذلك فى انتشار ظاهرة البنوك الاسلامية وظاهرة الشركات الاستثمارية لتوظيف الأموال متذرعة فى ذلك بالاسهام فى حركة التنمية ..!!

وليس أدل على نجاحها فى هذا السبيل من غزو بنوك الدولة نفسها، اذ تنافست على فتح فروع لها تحمل اسم « المعاملات الاسلامية » .. ! ! ومن مظاهر هذا النجاح أيضا استقطاب شركات توظيف الأموال لمعظم رءوس الاموال الخاصة بالعاملين المصريين فى الخارج فضلا عن قدر لا بأس به من الأموال بالعملة المصرية نتيجة ارتفاع نسبة فوائدها

عن الأموال المودعة بها (ما بين ٢٠، ٣٠٪) .. !!

ولقد حققت هذه السياسة أغراضها من حيث اضعاف « النظام الاقتصادى فضلا عن التغلغل داخل مؤسساته المالية عن طريق الراضيه .

كما كسبت أعدادا غفيرة من المستثمرين الذين ارتبطت مصالحهم بهذه الشركات . هذا فضلا عن قطاعات عريضة من العمال والموظفين الذين تركوا وظائفهم الحكومية والتحقوا بهذه الشركات التى استشرت فى طول البلاد وعرضها . فاذا أضيف الى ذلك كسب الكثير من « القيادات الدينية » الأزهرية التى لم تتقاعس - أمام بريق المال - عن الافتاء بمشروعيتها .. هذا فى الوقت الذى عمدت فيه الى ضرب وتخريب الاقتصاد الوطنى لاستثمار رءوس أموالها (التى تفوق احتياطى بنوك الدولة) فى مشروعات ترفيهية استهلاكية (مراكز صيانة المرسيدس - مطاعم علاء الدين السياحية - انتاج عشرات الانواع من البسكويت واللبان ... الخ) !! كما عولت على الترويج « لايديولوجيتها » عن طريق العشرات من دور النشر .. بل غزت وسائل الاعلام (صحافة - اذاعة - تليفزيون) نظير ما تقدمه من أموال تنفق على الدعاية حتى غدت أسماء شركات توظيف الاموال معروفة لدى الخاص والعام .

ومن الغرابة بمكان ان نقف عاجزين أمام هذا التيار الجارف من المساوىء والمفاسد التى خربت الاقتصاد والاخلاق والمجتمع بل الاسلام نفسه !! ألم يفت فقهاء الدينار والدولار بمشروعية أعمال هذه الشركات فى « المضاربات » فى ذات الوقت الذى يفتون فيه بعدمشروعية تعاملات البنوك الرسمية ؟؟

ان المغامرة بعرق العاملين المصريين فى الخارج فى مضاربات الذهب والفضة والبورصة ، والاتجار المعلن فى العملة وغيرها !! أمور تستوجب موقفا صارما من «الدولة» ولكن هيهات !!.. ان الحصاد النهائى لهذا التغلغل الاقتصادى للقيادات الدينية يؤهلها لدور سياسى وشيك بعد أن نجحت فى احتواء العديد من القيادات داخل النظام نفسه .

ثانيا : شكلت ظاهرة « المال الاسلامى » !! طبقة مهيمنة لا نبالغ اذا قلنا انها تمثل « دولة داخل الدولة » .وبديهى أن تتخلق « جماعات مصلحة » من صغار التيار الدينى تتطفل حول هذه المؤسسات الكبرى وتشكل احتياطيا لها جماهيريا وايديولوجيا .. ولا غرابة البتة فى ذلك اذا ما لاحظنا « اغداقات » هذه المؤسسات على « الاعمال الخيرية الدينية !! كانشاء المساجد ومساعدة طلاب الجماعات الدينية .. ورعاية أسر الموتى من أعضائها .. ولا نشك اطلاقا فى تكريس قدر من أرباحها الطائلة للدعاية الايديولوجية ان لم يكن الجهود التنظيمية السرية !!

أما القطاعات العريضة من أصحاب الاتجاهات الدينية المتطرفة فهى مخدرة بدعاوى « انتظار المهدى » والالتفاف حول « مدعى النبوة » ـ من المشعوذين . كذا حول « أمرائهم »

التطرف الديني إلى أين ؟

المقدسين !! وما ظواهر الشعوذة والاتجاربالدين وادعاء النبوة ..الخ الأمثلة دالة على الدور المخرب الذى تلعبه هذه الاتجاهات للاسلام فضلا عن الاخلاق والعلاقات الاجتماعية الاسرية .

ثالثا : أما عن التعبير السياسى لنشاطات هذه التيارات الدينية المتطرفة . فالامر – فى تقديرى – أخطر من تفاقم ظاهرة « العنف اليومى » الذى سرى فى الجامعات أو انطلق من المساجد او تكفير المخالفين .. ان نشاطا سريا عزوبا يجرى على قدم وساق تمهد له الصحافة المعبرة عن هذه التيارات وما أكثرها وتموله المؤسسات الاقتصادية المشار اليها فضلا عن ايد أجنبية .

رابعا : رغم خطورة الدور الذى تلعبه الاتجاهات الدينية على كافة الاصعدة تتبارى أحزاب المعارضة وتتنافس فى مغازلتها واسترضائها . ونظرا لعدم وجود حزب معلن يؤطر العمل السياسى لهذه الجماعات فقد توزعت قطاعات منها وخاصة القيادات القديمة بين هذه الاحزاب .. ووصل تغلغلها الى حد احتواء بعض هذه الاحزاب وخاصة حزبى الاحرار والامة كما لم تعدم قاعدة لها وزنها فىحزب الوفد .. وحتى حزبى اليسار لم يسلما من مغازلة هذه الجماعات والتيارات الدينية . فحزب التجمع الاكثر يسارية يتبارى فى استرضائها ليعلن أن الاتجاهات الدينية المستنيرة تدخل ضمن صيغة التجمع ولا يفتأ يدافع عن المعتقلين من أعضاء الجماعات الدينية بصورة مبالغ فيها .. ونظرا لاحتوائه قطاعات من الماركسيين . ونظرا لما يشاع عن الماركسيين جماهيريا من الحاد فان نغمة التمسح بالدين اصبحت معاملا سياسيا فى خطاب التجمع السياسى . أما حزب العمل – اليسارى المعتدل – فقد غدت صحيفة « الشعب » من أهم منابر* هذه الجماعات رغم ما يثيره ذلك من خلافات بين قيادات الحزب وكوادره . وفضلا عن ذلك فان « الغزو الدينى » جرف الكثيرين من المثقفين المستقلين ومن بينهم بعض الماركسيين !! وبالمثل فان الحزب الوطنى كرس صحيفة أسبوعية « اللواء الاسلامى » تعبيرا عنتمسحه بالاسلام ..

ان تعاظم ظاهرة « الاسلام السياسى » فى الثمانينيات لا يمكن ان تفسر الا فى اطار تفاقم الازمة الاقتصادية – الاجتماعية من ناحية وهيمنة بعض القيادات الاسلاميةعلى قطاعات لا بأس بها من النشاط الاقتصادى وخاصة المالى عن طريق البنوك الاسلامية وشركات توظيف الاموال ..

وقبل عرض مستقبل هذه التيارات على خريطة العمل السياسى فى مصر من المفيد أن نعدد بعض الخصائص العامة التى تميز الاطار الفكرى لهذه الجماعات الدينية .

أولا : العجز عن تقديم برنامج سياسى متكامل يتصدى لحل المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة . ويرجع ذلك الى طبيعة هذا الفكر الماضوية الاحيائية التى تحاول

تجاوز القوانين الموضوعية لحركة التاريخ .. وبالتالي فان طرح صيغة الشريعة الاسلامية طرحا هولاميا دون فهم أولى لهذه الشريعة أمر يحول دون تطبيقها .. ولا أدل على ذلك من الخلافات الجوهرية في التصورات السياسية لهذه الجماعات واختلافاتها في هذا الصدد بصورة تصل الى حد التناقض .

ثانيا : وتأسيسا على ذلك فان شاغلها الشاغل الاهتمام بأمورثانوية كقضية الحجاب واللباس والبرامج التليفزيونية والملاهي وما شابه ، وغض البصر عن حقائق المشكلات الواقعية الكبرى التي ارتبطت وترتبت على سياسة « الانفتاح الاقتصادي »

ثالثا : الموقف العدائي التخريبي السلبي من « المجتمع » عموما .. وذلك بالنظر الى اعتباره « مجتمعا جاهليا » .. ومن هنا استخدم سلاح التشهير الى الاتهام بالتكفير لمؤسسات الدولة ورجالاتها بل وحتى رجال الدين الاسلامي خارج هذه الجماعات .. وتقسيم المجتمع لا الى طبقات - كما هو معلوم علميا ومنطقيا - بل الى « ثيوقراطيين » و « علمانيين » ورمي هؤلاء الاخيرين باللادينية !!

ثالثا : رفض العلوم والشرائع الوضعية واقتراح أسلمة « العلوم باعتبار ان ما ليس اسلاميا فهو « علم لا ينفع » .. ومحض القوانين والدساتير الآنية باعتبارها من تراث الغرب المتربص بالاسلام والمسلمين . وأمام العجز الفكري الواضح فان طرح « ما كان » كبديل - في تعصب مهووس - دليل عجز وافلاس فكري وبالتالي سياسي .

في ضوء هذه المعطيات يمكن استشراف مستقبل هذا الفكر الديني المتطرف في مصر .

وأول ما يلاحظ في هذا الصدد ان ظاهرة التطرف الديني ظاهرة عابرة في تاريخ مصر الطويل اذ اتسم اسلام « المصريين » - كما أوضحنا في المقال الاول - بالاعتدال والتسامح .. وبالتالي فان قائمة التطرف تشكل استثناء للقاعدة ولسوف تختفي حتما باختفاء الظروف الاقتصادية - الاجتماعية التي أفرزتها . الملاحظة الثانية : ملاحظة منطقية تتعلق باستحالة احياء الماضي للبس الحاضر والمستقبل . فقوانين التاريخ البشري كفيلة باحتواء « الماضوية » حتى لو كانت - ولم تكن - « عصرا ذهبيا ». فللحاضر معطياته الموضوعية التي تشكل وتصيغ بنيته والمستقبل « ابن » الحاضر المرشح ليكون « حاضرا » في زمنه .. وهكذا وفقا لقوانين الجدل يجب النظر الى هذه « الاشكالية » التي احتار الدارسون في رصدها وبالتالي تفسيرها .

الملاحظة الثالثة : أن عدم الفهم الحقيقي لرسالة الدين وعدم وجود برامج واضحة ومحددة لهذه التيارات ناهيك عن انفصال تصوراتها انفصالا كاملا عن مشكلات الواقع ومتطلباته ثم الاسلوب والمنهج المتشنج في التعامل مع هذه المشكلات .. كل ذلك قمين بالحكم على استحالة استمرارية هذه الجماعات كاستمرارية ايجابية قادرة على صياغة واقع عياني تطوري .

هذا على المدى الطويل ..

أما المرتقب في الحاضر والمستقبل القريب ، فان دورا خطرا ومدمرا

التطرف الديني إلى أين؟

لهذه الجماعات أمر محتمل الوقوع . فطالما بقيت السياسات الامنية للنظام الحالي ، دون حلول للمشكلات المترتبة عن سياسة الانفتاح الاقتصادي .. وطالما استمر الوجود الفاعل للبنوك الاسلاميه وشركات توظيف الاموال ، فالحال سيزداد سوءا !

ويقدم العلامة ابن خلدون قاعدة هامة مؤداها ، ان ما يقوم به رجال الدين من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدى الى انضمام الغوغاء الى حركتهم .. وتكون النهاية فشل هؤلاء وأولئك » .. او ان شئت – عجز رجال الدين عن تدبير امور السياسة .. واحداث الثورة الايرانية الجارية خير دليل على صدق ما نقول وما يقوله ابن خلدون ..

والسؤال الاخير : كيف يمكن تحاشى الكارثة ؟ او بصورة اخرى ما هو الحل نحو تحجيم القوة المتعاظمه لهذه التيارات الدينية المتطرفة ؟

الحل – في نظرى – كامن في حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزت هذه الجماعات .. لو حدث ذلك لفقدت هذه الجماعات الاساس الاقتصادى الذى يدعمها سواء من دول « البترو – دولار » أو من البنوك الاسلامية وشركات توظيف رءوس الاموال الاسلامية . ان تقنين هذه المؤسسات – فيما أرى – ضرورة ملحة نحو اصلاح المسار الاقتصادى كما أن تضييق « الهوة الاجتماعية » قمين بالقضاء على الفساد الخلقي وكافة الظواهر المرضيه التى كانت من وراء ظهور وتعاظم هذه الجماعات .. وأخيرا فان استقلال الارادة الوطنية – في ظل الاشتراكية أيضا – سيحول بين هذه الجماعات ومصادر قوتها فى الخارج .

وحتى يتحقق ذلك – وهو أمر ليس بالهين – فعلى « النظام القائم » أن يرشد سياساته وعلينا أن نعترف بحزب يضم هذه الجماعات لتمارس نشاطها فى العلن لا فى السراديب والدهاليز .. وأن يطور « الازهر » بما يجعله قوة دعائية للفكر الاسلامى المستنير ليحاور هذه الجماعات « بالموعظة الحسنة » خاصة أن معظم المنتمين اليها – وخاصة من الشباب – لديهم من الاستعداد والفهم ما يؤهله للفصل بين الحق والباطل .

أما المعارضة ، فلتعلم ان خطر هذه التيارات المتطرفة تهددها جميعا ، وأن تغلغل هذه التيارات داخل أحزابها مقدمة لاحتوائها والاجهاز عليها وعلى « الديمقراطية » فى النهاية .. فلتكف عن سياسة المغازلة والخوف ولتفتح حوارات واسعة مع هذه الجماعات وقبل ذلك عليها أن تطور ايديولوجيتها وبرامجها وأساليب نضالها بما يوجد حلا للقضية الوطنية عموما .

ان خطر تفاقم ظاهرة التطرف الدينى يحيط برقاب اليمين واليسار معا .. وبالوطن آخيرا .. فهل من جهد جماعى وطنى لمواجهة الخطر قبل السقوط ؟؟

أرجو الا يتحقق قول من قال :

امرتهموا امرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

في غمرة انشغال العالمين العربي والإسلامي بحرب الخليج واحتمالات تفاقمها ، واتساع نطاقها ليشمل دولا عربية أخرى مثل الكويت او السعودية ، وخاصة بعد الأحداث الدامية التي ترتبت على تظاهرات الإيرانين في مكة في موسم الحج ، وتدفق الأساطيل الدولية على الخليج بدعوى حماية مصالحها او مصالح « اصدقائها » من دول المنطقة .. في هذه الغمرة انجزت الدولة الصهيونية خطوة استراتيجية رئيسية بنجاحها في تطوير صاروخها المسمى « أريحا ٢ » القادر على حمل الرءوس النووية ، وتحويله من صاروخ قصير المدى (٤٠٠ كم) الى صاروخ متوسط المدى (٨٥٠ كم) ، وتسعى حاليا لتحويله الى صاروخ طويل المدى (١٤٥٠ كم)

الأطراف الأربعة في لعبة الصواريخ الإسرائيلية

بقلم : عبد الرحمن شاكر



وكانت الجهة الوحيدة التي أبدت اهتمامها بتصاعد القوة النووية للدولة الصهيونية على هذا النحو ، هي الاتحاد السوفييتي ، الذى ادان تلك الخطوة ، ووجه تحذيرا الى الدولة الصهيونية من خلال اذاعته باللغة العبرية ، وان هذه الاخيرة بتطويرها للأسلحة النووية من هذا النوع انما تزج بنفسها فى الصراع النووى بين القوتين العظميين ، فى الوقت الذى تدور فيه مفاوضات بين هاتين القوتين لنزع الصواريخ النووية فى اوربا واسيا وسائر انحاء العالم ، حيث ان تطوير الصاروخ الاسرائيلى على هذا النحو يجعله يطول اجزاء من الاتحاد السوفييتي ذاته وحلفائه فى شرق اوربا .

وكان رد الدوائر الصهيونية على الاحتجاج السوفييتي غاية فى المكر مع الاتحاد السوفييتي ، والقحة معنا نحن العرب ، حيث قالت تلك الدوائر ان صواريخها لاتمثل تهديدا للاتحاد السوفييتي لأنه ليست لديهم عداوة معه ، وإنما المقصود به هو الدول العربية ، التى تهدد امن اسرائيل (!) ، بما فى ذلك سعيها لتطوير قوى نووية خاصة بها .

ولم يكن من قبيل المصادفة ، فى غمار تلك الاحداث ، ان يعلن مسئول رسمى فى الحكومة الصهيونية ، وهو ميخائيل ديكيل ، نائب وزير الدفاع ، مطالبته بطرد الفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة الغربية وغزة ونقلهم الى الدول العربية المجاورة ، باعتبار أن ذلك هو الحل الوحيد الممكن للمسالة الفلسطينية ! ويدعو الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية الغنية الى تمويل تلك العملية بتعويض الفلسطينيين عن خسارتهم فى عملية النقل هذه . وقد لاحظ المراقبون ان هذه أول مرة يعلن فيها مسئول رسمى اسرائيلى على هذا المستوى ، وعضو كتلة ليكود التى يتزعمها اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلى تاييده لمثل هذا المطلب الصهيونى المتطرف ، الذى كان التعبير عنه مقصورا على الجماعات المعروفة بغلوائها من امثال حزب تحيا برئاسة النائبة جيئولا كوهين ، وحركة كاخ التى يتزعمها مائير كاهانا .

وتأتي تصريحات نائب وزير الدفاع الإسرائيلي تلك مواكبة أيضا للحوار الدائر بين مختلف الأطراف حول عقد المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط ، لتعكر تماما جو التفاؤل الذى ساد فى الأسابيع الأخيرة حول احتمالات عقده !

الأطراف الأربعة :

هل هناك علاقة بين تطوير السلاح

النووي الاسرائيلي ومطالبة المسئول العسكرى الاسرائيلي بتصفية الوجود الفلسطيني على أرض فلسطين ؟ وهل هناك علاقة بين مباحثات نزع السلاح النووى بين القوتين العظميين وما يقال عن عقد مؤتمر دولى للسلام فى الشرق الأوسط ؟!

نحن أمام معادلة رباعية لها أطراف أربعة هى : الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتى ، والدول العربية ، والدولة الصهيونية . واحتمالات المواقف التى يتخذها كل طرف من هذه الاطراف لانهاية لها ، حسب مصالحها ، ويتوقف ما تصل اليه على حجم قوتها الذاتية وقدرتها على اللعب بما تحت ايديها من أوراق .

● **الموقف الأمريكي** : هو أشد المواقف خطورة وأكثرها تأثيرا على مجريات الأمور . وإذا كانت الولايات المتحدة الامريكية قد قبلت الاشتراك فى محادثات نزع السلاح النووى استجابة لمبادرات الزعيم السوفييتى جورباتشوف حول هذا الموضوع ، فقد كانت تضع فى اعتبارها الرأى العام فى أوربا وحماسته لتلك المبادرات ، وإن كانت تحاول الآن عرقلة التوصل الى نتيجة ملموسة فى تلك المفاوضات من خلال الجدل حول صواريخ برشنج المزروعة فى المانيا الغربية ، حيث يجرى تبادل الكرة بين الحليفتين لايقاع الحيرة بالمفاوض السوفييتى ، فالولايات المتحدة تقول ان التصرف فى تلك الصواريخ هو من شأن الحكومة الالمانية « المستقلة » وهو أمر يتعلق بأمنها (!) بينما يقول المسئولون الالمان إن الرءوس النووية التى تحملها تلك الصواريخ تخص الولايات المتحدة الأمريكية صانعتها ، وهى صاحبة التصرف فيها ! وكل تسويف فى حل هذه المشكلة يعطى الفرصة للأمريكان لمواصلة برنامجهم فى حرب الكواكب التى يطالب الاتحاد السوفييتى بوقفه ايضا ، لكى يصبح التوصل الى نزع السلاح النووى امرا جديا !

وتأتى مسألة الصواريخ الاسرائيلية - على هوى الولايات المتحدة - ورقة مضافة الى اوراق لعبها فى مواجهة الاتحاد السوفييتى . وقوة نووية صاروخية لامفر للاتحاد السوفييتى من المطالبة بإزالتها شأنها شأن الصواريخ الغربية الاخرى ، وبدءا من الرد الاسرائيلي الذى يقول ان الاتحاد السوفييتى ليس هو المقصود بتلك الصواريخ بل العرب (!) الى التسليم بان تلك الصواريخ النووية هى خطر فعلى يهدد الاتحاد السوفييتى بغض النظر عن النوايا خاصة والتحالف الاستراتيجى قائم بالفعل مابين الولايات المتحدة واسرائيل ولم يكن فى وسع هذه الاخيرة أن تصنع امثال تلك الاسلحة الا بموافقة الحليف الامريكى ومساعدته المباشرة وغير المباشرة .. حينما يصل الجدل الى هذا الحد يجد الاتحاد السوفييتى نفسه مطالبا بان يدفع الثمن لكى تزال الصواريخ الاسرائيلية ، التى يمكن أن توجه ضده ، فما هو هذا الثمن ؟!

الثمن فى الاغلب الاعم ، هو ماتضمنه تصريح المسئول العسكرى الاسرائيلى بالمطالبة بطرد الفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ! بمعنى أن يغض الاتحاد

السوفييتى النظر عن حكاية المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الاوسط ، الذى يتحمس لعقده والمشاركة فيه ، ويحرج الولايات المتحدة الامريكية امام اصدقائها من العرب (!!) بحماسته تلك ! لكى يتخلص الاتحاد السوفييتى من التهديد النووى الاسرائيلى (اسوة بكل تهديد نووى مماثل) عليه ان يوافق على اطلاق اليد الصهيونية فى العالم العربى خاصة الارض المحتلة ، ولا بأس ايضا من مطالبته بأن يترع سعيه للتفاهم حول هذا الموضوع بالاستجابة للمطالب الاسرائيلية بان يعيد العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، متنازلا عن شرطه التقليدى فى الجلاء عن الارض العربية المحتلة اولا ، ويسمح بالهجرة اليهودية من بلاده الى اسرائيل طبقا لأهواء الصهيونية فى استيطان تلك الاراضى بغض النظر عما يتضمنه ذلك من اخطار تتمثل فى هجرة فنيين من بين اليهود السوفييت يحملون فى جعبتهم الكثير من اسراره العسكرية والسياسية والاقتصادية !

لاشك أن هذا "السيناريو" أو قريبا منه سوف يواجه الاتحاد السوفييتى لو اثار مسألة الصواريخ الاسرائيلية فى محادثات نزع السلاح النووى . اما إذا منعه كبرياؤه القومى من إثارتها فسوف يجد نفسه ، حتى ولو نجح فى إزالة الصواريخ الأمريكية فى أوربا ، واقعا تحت التهديد المستمر من جانب صواريخ الحليف الاستراتيجى لأمريكا فى الشرق الأوسط ، والذى كان يتمنى بعض الساسة الأمريكان أن يكون لهم حليف مثله فى كل مكان من العالم ، من أيام كانت اسرائيل تعْتبر حاملة طائرات أمريكية لا تغرق ، وقد "تطورت" الآن لكى تصبح حاملة صواريخ نووية أيضا !

وتقف وراء هذا السيناريو المصالح الصهيونية بالدرجة الاولى فى تحالفها مع اشد القوى الامبريالية فى الولايات المتحدة ضراوة ، وهى التى لا تستطيع ان تتصور العيش إلا فى عالم يعيش على حافة الهاوية من الدمار النووى ، لكى تواصل جنى مكاسبها الوفيرة من انتاج الأسلحة النووية والصواريخ الحاملة لها ، واستنزاف الموارد الأمريكية الضخمة فى برامج عسكرية باذخة من نوع حرب الكواكب !

الموقف العربى : إذا كان من العسير تصور رد الفعل السوفييتى إزاء مواجهة من هذا النوع مع التحالف الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وقد بدأت نيرانه تلسعه ، فماذا عن الطرف الرابع فى تلك المعادلة الرباعية ، وهو الدول العربية !! وهو الجانب الذى يخصنا من الموضوع !

بادىء ذى بدء : هل فى وسع العالم العربى بأوضاعه الحالية أن يصل إلى مجرد تنسيق خطواته فى تلك المواجهة مع الاتحاد السوفييتى ، دعنا من توهم أن يصل بهذا التنسيق إلى درجة التحالف الاستراتيجي على غرار تحالف اسرائيل مع الولايات المتحدة ، حيث يجمع العرب والاتحاد السوفييتى - فى هذه القضية على الأقل موقف واحد ، نخشى أن نقول إنه موقف الطرف المغلوب ؟

هل فى وسع العالم العربى أولا ، أن يلم شعث قواه المبعثرة ، المشتتة ، المتناحرة فى أحيان كثيرة وفى مواضيع لا حصر لها ، لكى يكون له - أى لهذا العالم - فيما بينه موقف موحد ، قبل التفكير فى تنسيق هذا الموقف مع قوة عظمى - لها بالتأكيد مصالحها الخاصة التى تختلف عن مصالحنا ، مثل الاتحاد السوفييتى ، قبل أن يجد هذا الأخير نفسه مضطرا من أجل مصالحه هو ، إلى التسليم فى كثير مما لا يخصه ، وهو المصالح العربية ؟!

هل فى وسع العالم العربى أن يحد من "علاقاته الخاصة" مع الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تقف بكل ثقلها وراء الأطماع الصهيونية ؟ كيف ؟ ونحن نرى بعض الدول العربية تستغيث بالولايات المتحدة الأمريكية وأساطيلها لحمايتها من التهديد الايرانى ؟ كيف نستطيع الضغط على المصالح الامريكية لاجبارها ، أو إقناعها بالتخلى عن التأييد المطلق للمطامع الصهيونية وعربدتها فى المنطقة العربية من أجلها ، بما فى ذلك تهديد السلام العالمى ، والاعتذار عنه بأنه مجرد إهدار للأمن العربى !!

إن نقطة واحدة فقط هى المضيئة فى هذا الظلام العربى الدامس : دعك من التفاؤل حول احتمالات عقد المؤتمر الدولى لاقرار سلام دائم وعادل (كما يقال) فى المنطقة . بل إن السلام الحالى غير العادل قد لا يكون دائما ، ولعلنا نتذكر فى هذا الصدد ما نشرته إحدى صحفنا المعارضة نقلا عن الدوائر السوفييتية أيضا - قبل ضجة الصواريخ هذه - من توقع قيام الدولة الصهيونية بهجوم ما على واحدة من الدول العربية أو أكثر ، استنادا إلى "المصادر الخاصة" لمعلومات الدولة السوفييتية ، بما فى ذلك تحليلها لكثرة الثرثرة الاسرائيلية عن السلام ، بأنها - على عادتها دائما - تعتبر مقدمة لعدوان جديد !

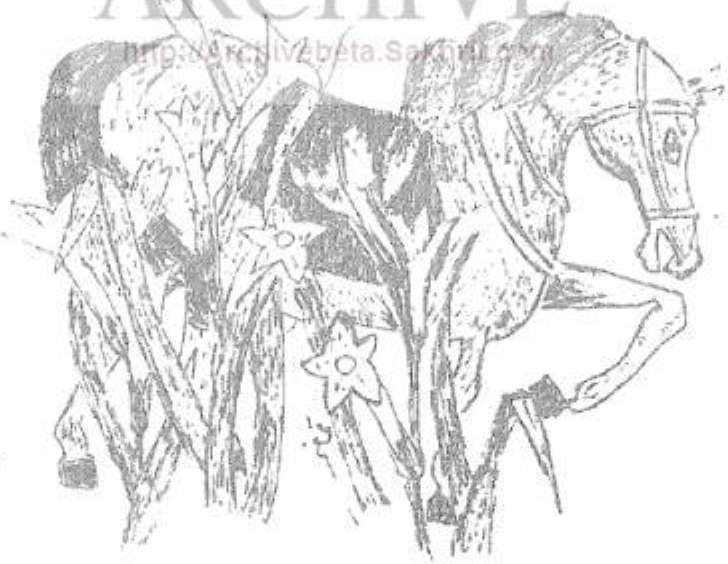
لم أذكر تلك النقطة المضيئة الوحيدة بعد : إنها فيما أتصور الصمود الفلسطينى فى الأراضى العربية المحتلة ، التى يريد العدو الصهيونى إجلاءهم عنها ويطالبنا نحن "العرب الآخرين" بمعاونته فى ذلك "بأموالنا" التى ذهب معظمها فى حرب الخليج ! ذلك الصمود يأخذ شكل العنف المتبادل فى أحيان كثيرة ، ولكن مسئوليتنا وقدرنا - مادمنا عربا - أن نكون بكل قوانا مع الطرف الذى هو منا ونحن منه ، شئنا أم أبينا !!

حوار الزجاج

شعر: سليم الرافعي - بيروت

حوارٌ جرى في زمان غبر
فقالوا: تراث وقالوا: أثرْ
نفوس تعبّر عن شجوها
تُساء بما اجترحت أو تُسرْ
هي الأرض ماذا على ظهرها
سوى حجر نائم أو شجرْ؟
تشاد الحصون بها والدمى
وتجري أساطيرها في نهرْ
ممالك من زنبق تبتني
هنا .. وهنالك .. شتى الصورْ
لمن أنت يا أرض معمورة
على جثث القيت في حفرْ؟
يقولون: إن جيوشا سطت
وسالت عليك دماء البشرْ
لتعلو لهم راية في الذرا
فيا عاصف الريح هل من خبرْ؟
حفظنا لهم قصة .. واختفت
جماجم .. والجبروت اندحرْ
شكولٌ من الضوء أم مَصْنَعُ
إذا ما أعد الزجاج انكسرْ؟
وركب يُساق الى غاية
مع الموج في جدل قد هدرْ
نسائل أعشاش طير هوت
ألم يبق من ريشة تدّخرْ؟

عمالقة الأرض ! لاتياسوا
ولا تنكصوا .. يارعاة البقز
سيذكركم ذاكر بعد أن
يصير القطيع الي منحدز ..
تُغنى العظائم او تحتسى
مع الخمر والشعر عند السمز
يقولون : سيدهم فاتك
يفجرها ذرة لم تذز
عليم يعبر عن علمه
بقاصفة الرعد حين اشتَغَز
زجاج يحطم .. ماذا جرى
ايبكى الزجاج اذا ما انتثز ؟
حوار الزجاج على ظهرها
يخلدها فى شجى الوتز
فلا ياس .. لاياسَ من عالم
إذا ما تغنى تحدى الضجز ..





عندما تغتال البراءة

بقلم: فوزيه مهران

● محاولة لاكتشاف فيلم يثير أكثر من رأى .. ويعد شاهدا على العصر .. ومبشرا بالتقدم والاصلاح . ويحصل على الجوائز فى كل مهرجان يعرض له ●

منذ اللحظة الاولى من بداية الفيلم - حتى وقبل العنوان والاسماء - تتجول الكاميرا بين حنايا قرية صغيرة منفية فى اقصى الارض .

تستعرض بيتا من الطين .. متداعى الاركان .. واكوام الروث .. وحفريات الفقر . يولد الصبح .. يطل يوم جديد على القرية (حزن مخيم على المرئيات يتسلل الى النفس) تصحو الام - قلب الحياة النابض بالحب .. فى تلك البيئة المتخلفة وسط ركام القهر . يأتينا صوتها ولا نكاد نراها .. توقظ الحركة فى الدار والابناء

يندفع الفتى الاكبر - كأنما ليلقى بنفسه فى يوم الشتاء - يدور فى

حركة الية معتادة ··تنتهى بأن يسحب البقرة الى الخارج ·· حيث قيراط الطين ·· فيه يعملون ويستنزفة عافيتهم وصبرهم ·

الفتى يتحدث الى البقرة ـ هى فى عالمه مخلوق آدمى مثله تشاركه عيشه وانفاسه ويعنى وجودها حياة « يدعو لها بالخلفه ودر اللبن ·· وان يبعد الله الدودة الشريرة عن الزرع ·· وينفخ فى صورة الحمار » ·

تبدو الام ·· تطلب من ابنها الاخر المتخلف ـ الا يدع الذباب يقف على وجهه أو طعامه ·· تنصرف لعملها الشاق ·· (يريدون لانفسهم حياة افضل واحسن بلاشك) ·

جاء الصباح بنبأ صاعق ··يريدون الفتى للتجنيد ··

تسرع الام ·· تهرول الى بيت العمدة « الفتى وحيد ·· ويعول البيت ·· يسترهم من البرار » يسخر منها القوم ـ « لا تدرى بغبائهــا ان الاضابير الرسمية لا تعترف بعاهة ولدها الاخر ـ وهو لديهم فرد ·· رقم صحيح على الورق » ·

فى نهاية الصف الذاهل الحزين تظل الام خافضة رأسها ·· مثقلة القلب ·· تعاود المسير ·· تقول وكأنما تعين نفسها على الموقف «وهو» يعنى المطلوب للتجنيد افضل من اخيه ·· عقله على اده المسكين ·· لايعرف غير الزرع والقلع » ·

(بريء حقا الى درجة العته ·· ساذج الى حد البلاهة) ·

تتابع صور القرية بسرعة (تنبيء عن تلاحق الاحداث القاسية ··وتفاقم ايقاعها) يثبت اسم الفيلم على الشاشة : البريء : قصة وسيناريو وحوار وحيد حامد ·· اخراج عاطف الطيب ·

الحكمة فى الفيلم أنه يدور على « ارض الواقع » ·

يصل بين الخاص والعام · الهموم فيه ذاتية ·· وجامعة ·

نماذج من الناس عادية وشائعة·· تعرفهم فرادى وجمعا ـ تأثير البيئة عليهم اقوى من قوانين الوراثة ··

كل شخصية تجسد موضوعا بذاته· وتتفاعل مع الشخصيات الاخرى والظروف المحيطه بها ·

تكشف عن مكنونها الداخلى ·· حركتها النفسية ·· تأثيرها وفعلها مع بعضها (والنقد الاجتماعى يكمن فى ملامحها ·· ملابسها ·· طريقة تصرفها ·· وأدائها) ·

الصورة محملة بالقسوة ـ بالقبح احيانا ـ ولكنها تنبض بشاعرية مؤثرة ·

(مزجت بين متناقضين ·· مبنية على ارض الواقع ـ ولها فاعلية شاعرية)

(وكأنما تيار يجرى بين المشاهد يضيفه وعيا واحساسا ·· ويربط بين مصير الاحداث وابطالها) ·

حتى مفردات الصورة كانت تعمق الفهم وتثرى الحس ·· وتسهم فى التدرج الدرامى ·· وتمتد الى ذروة الحدث ·

غاية الفيلم البحث عن الحقيقة وراء مانراه عاديا ويحدث يوميا بيننا ، والرغبة فى الوقوف بجانب هؤلاء الابرياء وهمومهم ·

اهمية الفيلم انه ملائم لروح العصر ·· وبجانب فنية وبراعة سرده والقص فيه يعد وثيقة وشاهدا ·· ودافعا للتغيير والتطور فى اسلوب حياتنا ··

لم يكن دافعه ادانة عصر بل النقاع

عندما تغتال البراءة

عن حريتنا وأمننا ومؤشر للتطور والتقدم فى اسلوبنا • كان عملا مجاهدا •• لذلك حصل على جوائز عدة فى المهرجانات الدولية ••والمحلية عن الاخراج والتمثيل •• والقصة •

المشاهد المتقابلة •• بين خضرة الريف وسقم البشر •• نضرة الزرع وتهدم الدور وعتمة بطونها •• هوان الصغار وسخرية القادرين كانت تمثل الخلفية الواقعية التى جاء منها البطل •

لكنهم كثير •• من ادنى فئات المجتمع •• من تحت خط الفقر – ودون المستوى الانسى •• وكانما « القدر»•• (البيئة والظروف) اختار الفتى بعناية للمهمة التى يعد من اجلها •

صفحة عقله ملساء •• بيضاء من غير سوء •• يعيش حياة غير مصقلة – عبيط القرية •• وكل قرية ربما – لا يصلح الا للزرع والعرق ينتزع من أرضه الان – والتى يمكن ان يحيلها جنة رابية – لولا السخرة والاوبئة المستوطنة والارغاد – (يعد « ليقتل » فى أرض غريبه •• وواقع مختلف) وقد تمر به لحظة يحس انه جزء من الطبيعة المحيطة به •• يشعر بتوافق معه وشوق غامض ينزع داخله (فيلقى بنفسه الى حضن الماء ويسبح بمرح وصخب او يلتقط بوصة « الناى » ليعزف بها •• ويعلو انين جوقه واشواقه الفائرة) ••

كان ذاهلا والعربة تندفع بهم الى العاصمة وموقع التجنيد • – يفتح فمه وعينه – ولا يكاد يتابع الصور المتلاحقة – رغم وجله وقلقه كان يبدو ثابتا – فقد سأل صديقه ورفيق عمره والذى دخل الجامعة •• سأله عن الجندية قال خيرا •• تعد الانسان من اجل الدفاع عن الوطن « الدفاع ضد اعداء الوطن» صارت كالفكرة الثابتة لديه •• العقيدة الراسخة

ثورة فلكية مرت به •• وكشف عن الصحة والعضلات والقوى العقلية • اخيرا يرتدى الزى الرسمى •• وتنطلق بهم عربة اخرى الى موقع العمل •• « المعتقل » • فى المواجهة الاولى داخل المعتقل يسال الضابط مساعده – ان كان احد منهم يعرف القراءة والكتابة •• او عاش يوما بالمدن ! ••

وتجىء الاجابة غريبة : لم يكن (دليل على ان لغة خاصة للتعامل فى قلب المعتقل •• ومفردات جافة جامدة) المعتقلون يقفون فى صفوف متراصة – تحت وهج الظهيرة – وقفة عقاب وعذاب – احد منهم لم يعترف عن المرض للفكرة الاضراب عن الطعام –

عندما ينصرف الطابور •• يفلت منه السؤال رغما عنه – من هؤلاء – – اعداء الوطن

هكذا قيل له – صاحبه فى القرية •• صديقه المتعلم « المتنور » قالها من قبل •• « مهمته القتال ضد أعداء الوطن » •

(رغم ان صفحة عقله كانت ملساء لم ينقش عليها شىء بعد •• فكر لنفسه ربما للمرة الاولى فى حياته يعمل عقله •• ولماذا يريدون اطعامهم •• يستحقون الحرق) هنا فى هذا المكان المغلق يتعرف البطل « احمد زكى » على المدينة •• تعاد تربيته •• وغرس مفاهيم جديدة لديه •

الموهبة السينمائية التى يتمتع بها المخرج « عاطف الطيب » تجعله يتماله

ناصية موضوعه ويضع أشخاص الرواية كلا في موضعه وينتقل بين الصور المتقابلة ببراعة وكأن الكاميرا بيده لا تكتفي برصد وابراز السلوك الخارجي للشخصية .. بل تقدم تحليلا للحركة الداخلية وايقاعها .

فبينما يقدم لنا رهبة الواقع بالمعتقل .. تنتقل بنا الصورة الى زحام شوارع العاصمة وتحيط بشخص باسم الوجه .. ناعم الحركة .. رقيق المحيا والكلمات .. في عربته مع صغيرته .. يداعبها .. يقبلها .. يختار من اجلها لعبة رقيقة - جيتارا مثلا - هدية لعيد ميلاد صديقتها .. يصعد معها الى بيت أصحابه وحفلهم .. يجدهم في قلق من عدم حضور « الحاوى » .. واستياء الاطفال لذلك .

يقوم - عن طيب خاطر - بدور الحاوى .. يتقمص الدور جيدا .. الرقة والعذوبة تتحول الى « شخصية مهرج » .. خفة الحركة والابهار .. والحيلة وخداع النظر والابصار .

- الشخصية مرسومة بعناية .. والمؤلف يقدم أوجها كثيرة لها .. ويجعلنا ندرك أبعاد الشخصية (ندرك اننا امام شخص انسان غير عادى تحوى طبيعته اسرارا عدة) قطع حاد .. ونرى ذات الشخصية بعيدة عن الثياب الانيقة والاضواء والمناديل الملونة والطراطير ..

في عربة متجهمة .. مغلقة تطوى الارض لتصل الى المعتقل .

- وستظل شخصية «توفيق شركس» (أو قائد الليمان كما صورها باقتدار انهام سيف النصر عن معتقل أبي زعبل) أو محمود عبد العزيز واحدة من أهم الشخصيات واكثرها ضراوة في الكتابة .. والواقع .. والفيلم .. وحسن الاداء .

(اعتقد ان وحيد حامد .. أستفاد كثيرا من هذا المرجع الهام - لالهام سيف النصر عن جو المعتقل .. والتحليل النفسى والبناء الفنى الحقيقى لشخصية مأمور الليمان - وهو الذى يجد أبعاده كرجل فى القسوة والتعذيب واهدار انسانية الانسان)

أضاف المؤلف لمسات مست أبعاد الشخصية وحدة التناقض داخلها - في المدينة انسان عذب واب حنون .. يتعامل بذوق وأدب .. رقيق حتى مع جندى المرور ..

وعندما يصل الى المعتقل يصبح شخصا اخر - جامد الملامح والعواطف .. قاسى التصرف والعبارة .. سادى النزعة .. متعطشا للتعذيب والايذاء

« محمود عبد العزيز » ترك نفسه على طبيعتها فى البداية بهيئته الساطعة وصفاء نظراته .. وبفعل دور المهرج بسهولة ويسر وقدرة على التهريج والاضحاك وسحر اعين الاطفال . وعلى حدود المدينة .. غادر الزى النعومة والمرح والهرج .. ولبسته « حالة » - جلسته .. هيئته .. انحناءة كتفيه - تصلب ملامحه .. اصابه مس الشيطان .. وانطلقت به العربة المتجهمة .

توصل محمود عبد العزيز الى التمكن من اصل الشخصية حتى بادق خلجات وجهة .. واصغر عضلة بجسده .

جسد الدور ببراعة فائقة .. نوع من المعذب العصرى .. الرقة واللزوجة .. الغلظة والتصنع .. نبرة الصوت حين القاء الاوامر .. والاستخذاء حين تلقيها .. خنوعه وتخاذله وطفلته تشكو من تغيب امها عن البيت كثيرا .

يقف امام صفوف المعذبين - راكبا حصانه - ولانه يعانى من الانفصام

يسال الكاتب ببذاءة .. وهل يكتب الكتب الجنسية ..

« صلاح قابيل » الوجه المصرى المعبر عن الاصالة والكبرياء يجيب على الفور وبصوت مثقل بالاسى والشجن :

ـ لن تجد هنا من يكتب او يقرأ الكتب الجنسية .

يعاود الهجوم والسخرية من استاذ الجامعة .. لقطات مبكرة لوجه جميل راثب يجسد محنة المثقفين والعلماء ..

ـ لا يلتفت الى الشخص الذى اقتيد ظلما الى المعتقل « يهوى مغازلة النساء » ووقع فى الاسر مصادفة .

ـ مفارقة درامية ساخرة ـ

كل ممثل فى موضعه ـ ولو كان دوره لقطة واحدة ـ

(المخرج استخدم فريق الممثلين .. وكأنهم خلفية للاحداث ـ فى حين انهم بؤرة الحدث ذاته ـ)

وكان غريبا ان يتهور الكاتب ويهرب فى محاولة ساذجة .. (مات من التعذيب ـ هكذا جاء فى الوثائق والمذكرات وامهات الكتب)

وجاءت صيغة مبالغة فى جر الدكتور بالحبل بعد ربطه بالحصان المنطلق .. ومع ذلك استفاد المخرج بابراز تعالى القائد وجنون شهوة التعذيب والحصان يتقافز به . وقد لعب الحوار دورا هاما .. مركزا .. بسيطا يضيف الى بلاغة الصورة وعمقها

كذلك الموسيقى التصويرية ـ عمار الشريعى ـ ناى يتحشرج طوال العرض .

يجرى على نحو بطىء هائم بالقرية الغافلة .. ويشتد ويتوتر داخل المدينة العسيرة ويتقطع العزف داخل المعتقل .. ويصاحب الغناء الحزين بالليل .

ـ هذا التعارض فى النغم ودرجات الاتين .. يعمق المفارقة الدرامية ويقوى التضاد المقصود بين هداة الطبيعة وسلاحها .. وشفيف احزانها .. وبين وطأة الوجود فى مجتمع لا يفهمه ويدور بين رحساه الى لحظة الاكتشاف وذروة الوعى .

فى لحظة والفتى يقف ببرج المراقبة يعاوده الحنين للنادى (وهو الشىء الوحيد الذى يشعره بانسانيته) تمتد يده بحركة تلقائية يلمسه .. يقربه من فمه .. ينفخ داخله ..

تأتيه صرخة امره .. يلقيه بلا تفكير تحت شجرة مبعدة .

(وكانى ارجل الحديث عن البطل احمد زكى الى النهاية متعمدة) .

كان يتمثل البلاغة حقا . وخطر فلاح عبيط .. حركته .. دورانه حول نفسه .. تشنج قفاه ..

(يتبع مصيره .. كما يلقى بنفسه وسط مجرى المياه بالترعة .. عندما يكون التيار بطيئا لزجا يتبعه .. عندما يشتد التيار .. تسرع حركته معه .. كشاهد غير واع وسط احداث تحيط به وتدفعه)

كنا نتبعه فى رحلته .. ونتقاذفه ونحن فى وجل .

الفيلم كله قائم على هذه الشخصية والتطور الذى يحدث لها .

فى دورة التدريب والخطورة السريعة والانصياع للاوامر .. كان حركة دائبة .. ويقظة بدون وعى .. واستقبال دون توقف او محاولة للفهم .

الشىء الوحيد الذى يعيه ويحفره داخله انه يعمل ضد الاعداء . فى كل

لحظة كان احمد زكى يعمق تجسيد الشخصية .. ويتمثل مراحلها النفسية بصدق وطبيعية .

« القمة » فى بناء الفيلم لحظة « التشريفة » وهى مقولة من مفردات « المعتقل » تمثل الاستقبال الاول للوافدين الجدد .

فرج من الطلاب المشاغبين .. ارسلوهم بقصد تأديبهم .

وسط الضرب ورقصته المحمومة الدائرة يواجه بصديق عمره « مبخوح عبد العليم » يحميه بجسده — لايمكن ان يكون من اعداء الوطن .

اخذ عقله يعمل بشدة — هو الذى فطنه وعلمه مهمته — تنزل عليه الضربات لحظة التحام حقيقية — يحمى كل منهما الاخر — ها قد جاءت لحظة « الاكتشاف » وذروة المأساة والمواجهة .

يصلان الى الزنزانة معا .. يكتشف الحقيقة المزلزلة .. غرروا به قالوا انهم اعداء الوطن ..

(هناك دائما الحقيقة .. والحقيقة المزيفة .. التاكتيكة التى تقلب الحقيقة وتبثها) صاحبه يحكى له .. من المعتقلين .. من يحلم (تصوروا يحلم فقط) بتغيير وجه الحياة ..

الا تكابد امه الهوان والبوار وحيدة مقهورة .. وتصرعها الارض فى مثل هذه السن يلطم خديه .. يضرب رأسه .. يا للعار لقد قتل احدهم بيديه .. فهم الان لماذا قال الكاتب له يومها ..

— انت لا تفهم شيئا ..

يموت صديقه .. الفتى النضر .. الواعد .. المتعلم — يموت بين يديه .. لا يعرضونه للمحاكمة لاخفاء حوادث الموت والفقد .. حبس لايسام وفقد ترقيته .

يعود الى دورية الصباح ..

تغير كل شىء فيه .. وقلقته .. نظرة عينيه .

يصعد الى برج المراقبة .. يرى الناى الحزين ملقى تحت الشجرة .. ينادى زميلا له فى الحراسة ان يقذف به .

(يتحسسه .. عادت اليه انسانيته .. مشاعره .. ومضة الدفء والمشاركة) يكاد ينفخ داخله ..

عزيل العربة التى تحمل فوجا اخر للمعتقل ..

« التشريفة » فى الانتظار ..

الكلاب المتوحشة .. الراكب على الحصان ..

تعول العربة متقدمة . صرخة من البرج مدوية

تتجمد الصورة

— تزحف كلمة .. النهاية .. صاعدة .

نهاية مفتوحة .. مروعة .. فاغرة فاها ومرحية .

وبعد جدل .. ومشقة .. وأعين فاحصة واعية .. عصرية متقنية يجىء قرار حكيم شجاع .. وتجىء النهاية المبدعة ..

(تخدم الفكرة .. والايقاع .. واللحظة الفائقة)

تحية محبة وتقدير لفريق العمل والاداء ..

فيلم ليس به رقصة .. ولا بطلة .. لا حانات لهو ولعب ..

موضوع مضن .. مقبض ..

لكنه يشد ابصارنا .. ويوقظ وعينا ..

والكاميرا انسان يتخذ موقفا من الحياة .. وتحدد وجهة نظر .. رؤية فنية تحلل الاحداث والوقائع .. ببساطة فى العرض تصبح لها فاعلية وشاعرية تدفع الى الوعى والمواجهة .

قضايا ومواقف

تطوير التعليم الذى لا يعكس هوية حضارية للمجتمع تتخلل كل جوانبه كمنهج وفلسفة حياة ، هو مسافر بلا بطاقة !!

من هنا .. يبدأ تطوير التعليم

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

●● طوال تاريخها المديد ، وعبر الحقب والعصور ، كانت الثقافة فى مصر فى جملتها تتجانس فى مكوناتها إلى حد كبير وتتشابه فى أهدافها وتتآلف فى شخصيتها . قد يكون هنا مؤثر أجنبى أو هناك ، وقد يكون هنا نتوء حضارى او هناك ، وقد تكون هنا جزيرة ثقافية منعزلة او هناك ، لكن هذا وذاك لم يكن لينقض التوجه العام والمسيرة الرئيسية الموحدة . ولهذا لم يكن غريبا ان تتشابه مؤسسات التعليم وتتجانس ، فهى : المعابد والاسرة والجيش فى مصر الفرعونية ، وهى الكنائس والأديرة فى مصر القبطية ●●

وما ان استظلت مصر بالاسلام ، حتى اختلفت القبلة الثقافية لمعظم المصريين واختلفت عناصر ثقافتهم في أهدافها ، وفلسفتها ، ودوافعها ، وموضوعاتها ، لكنها ظلت ، من القرن السابع حتى القرن الثامن عشر ، ذات هوية عربية اسلامية : عربية باللسان والحضارة ، اسلامية العقيدة والفلسفة في الغالب والأعم ، حتى هؤلاء المصريين الذين آثروا البقاء على عقيدتهم المسيحية ، تعرب لسانهم وتعربت عقولهم ، وتأثروا تأثرا بالغا بالاسلام كحضارة وكثقافة ، وكان من الطبيعي ان تستجد معاهد تقدم الزاد الثقافي المناسب ، فكان المسجد وكان الكتاب ، وكانت المدرسة ، فضلا عن الدور الدائم للاسرة ووسائط التعليم اللانظامي .

ثم اذا بطرقات الحضارة الغربية الحديثة تدق باب مصر بقوة النيران ودوى المدافع في آخر القرن الثامن عشر ، واذا بالنظام الحاكم الذي تمخضت عنه احداث السنوات الاولى من القرن التاسع عشر يقيم الجسور مع الحضارة الغربية في مختلف مجالات النظم الاجتماعية وفي مقدمتها : نظام التعليم .

ولم يحاول القائم على راس هذا النظام ، وهو محمد علي ، ان يتناول ما هو قائم من نظام تعليمي بالتحديث والتغيير ، لأنه كان يبني دولة ولم يكن يبني مجتمعا ، بمعنى انه كان متعجلا يريد أن يرى ثمرة التغيير في حياته ويستمتع بها ، اما الذي يبني مجتمعا ، فلا يهمه ان تمضي حياته وهو في مرحلة وضع الاسس ووضع البذور ، فسوف توالي الاجيال التالية مرحلة الرعاية والعناية لتستوى النهضة على عودها ويبدأ الحصاد : تنمية وقوة ، عزة وشموخا ، حضارة وثقافة .

ومنذ ان انشأ محمد علي نظاما تعليميا على النمط الغربي الحديث ، اصبح هذا النظام يفرز الى المجتمع عددا من المواطنين ترنو ابصارهم الى ما وراء البحر المتوسط ، ترى فيه نبع الخير وفيض التقدم ، وتدير ظهرها الى تراث هذه الامة متوهمة فيه التخلف والتأخر ، وظل نظام التعليم القديم المتمثل في الأزهر ومعاهده يفرز الى المجتمع عددا من المواطنين يستعيذون بالله مما وراء البحر ، وَهْماً منهم انه لا يجيء الا بكل ماهو مدمر مهلك ، وتظل رقابهم ملتوية الى خلف ، ينظرون الى تراث هذه الامة بقضه وقضيضه نظرة إجلال تصل الى درجة التقديس ، زَعْماً منهم انه وحده نبع الخير ومصدر الفلاح .

وادرك نفر من مفكري هذه الأمة ، ان كلا الموقفين على خطأ اذا تصور أصحاب كل وجهة نظر ، تفردهم بالحق الخالص كله ، فليس كل ما يأتي مما وراء البحر خيرا خالصا او شرا محضا ، وليس كل ما يحويه التراث قابلا للامتداد الزماني والمكاني مما يعين على التطور والتقدم ، وان الوجهة المطلوبة هي عملية (انتقاء) واع نقدي يقوم على الاختيار العقلاني الحر ، معيار هذه العملية : خصائص هذه الامة ومشكلاتها ، مقوماتها وروحها ، تطلعاتها ومستقبلها ، تقدمها وخير ابنائها .

بيد ان هذا النفر لم يكن كثيرا ، ولم يكن هو وحده فى الساحة ، اذ زاحمته طوائف اخرى قامت على اسس اخرى قد تتشابه للنظرة العجلى ، لكنها تتباين للنظرة الفاحصة ، من هذه الطوائف : التوفيقية ، والوسطية ، والحيادية .

لكن هذه المسيرة لم تترك لشأنها ، فقوى الامبريالية العالمية قد احاطت بالبلاد من كل جانب تتربص بها ، وهى على ما كان بينها من اختلاف وتفاوت ، اشتركت فى الهدف ، الا وهو التسيد على عقل هذا المجتمع واعادة تشكيله وصياغته بالشكل الذى يضمن لها استمرار الهيمنة وطول الاستغلال وديمومة التخلف . ومع تعدد المتنافسين ، برزت الثقافتان الانجليزية والفرنسية فى مقدمة الصفوف حتى الحرب العالمية الثانية ، ثم انضمت اليهما ، بل وتقدمت عليهما : الثقافة الامريكية .

ازاء هذا التعدد والتصارع ، كان من المستحيل على هذا البلد ان تتحدد له هوية واحدة ، واذا نظرنا الى اجهزة التعليم ومؤسساته ، فسوف نجد انها كانت صورة امينة لهذا التشتت ، فمعاهد ازهرية ومدارس حديثة تابعة للدولة ، وداخل هذه ، كانت هناك مدارس اولية للفقراء وابتدائية للاغنياء ، وهناك مدارس امريكية واخرى انجليزية وثالثة فرنسية ورابعة المانية وخامسة ايطالية .. وهكذا .

وايا كان الراى فى مسيرة ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فان الذى يستحيل انكاره انها بذلت جهدا جبارا فى (لم الشمل) ، فقويت قبضة الارادة الوطنية ، وخطونا خطوات ملحوظة على طريق التنمية الذاتية ، وتأكدت وحدة مرحلة التعليم الاولى ، وطور الازهر ، ومصرت مختلف المدارس الاجنبية .

كان المعول الاول لهذه المسيرة ، ان النظام القائم قد بشر بمشروع حضارى قومى واحد ، مهما اختلفنا حوله : كان النظام يعرف ما يريد ، ويوجه ما هو قائم الى هذا الذى يريد .

ولأن التجربة قامت على التنمية المستقلة والارادة الوطنية ، كان لابد للقوى الامبريالية ان تجند كافة طاقاتها من اجل افشالها باغراقها فى مستنقع المنازعات وجرها الى وحل الحروب ، فحدث ما حدث !

لم نتدارس الموقف بعد هذا بحثا عن مكمن الخطأ الذاتى : فالاعداء الخارجيون معروفون ، وجهودهم الشيطانية ملموسة ، ولكن النظام الذى قام على انقاض النظام السابق فى السبعينيات ، استقطب المسألة كلها فى استرضاء احدى القوتين العظميين بكل ما استتبعه ذلك من تفريق الاهل وتبديد المال ومصادقة الثعبان وسلسلة الارادة الوطنية وسد السبل امام التنمية الذاتية والغرق فى مستنقع الديون .

وينعكس كل هذا على مسيرة الثقافة واجهزة التعليم ، ففتحت الابواب لا على مصاريعها كما تصور كثيرون ، لانها لو كانت كذلك لاقتحمت ديارنا عناصر قوة مثلما اقتحمتها عناصر ضعف ، لكن الحقيقة تقول ، ان ما اقتحم الديار هو اسوا ما لدى الآخرين دون خيره ، واذا كانت مصر فى عهدها الفرعونى قد عرفت ما يسمى بـ (قصر التيه) فى الفيوم ، فان مصر السبعينيات قد بدات تعرف ما يمكن تسميته بـ (ثقافة التيه) فى كل انحائها وارجائها .

من اجل هذا اشتدت الحاجة الى البحث عن (هوية) حضارية يتحرك هذا المجتمع فى إطارها . والهوية لا تباع فى اسواق ، وانما تصنع معجونة بعقول ابناء الامة وسواعدهم ، ويكون دور التعليم هو الاستهداء بهذه الهوية الحضارية فى تنشئة الاجيال الجديدة ، بحيث يمد المجتمع بالزاد البشرى القادر على مواصلة المسيرة الحضارية وتسديد خطاها وتعبيد الطريق الذى تسير عليه .

واذ تجىء الثمانينيات ، تنشط الجهود ـ مع تزايد المد الديمقراطى فى صورة تزايد مساحة حرية التعبير ـ من اجل الخلاص من (التيه الحضارى) ، وفى مقدمة هذه الجهود ، وتلك الانشطة ، هذا المؤتمر القومى لتطوير التعليم الذى عقد بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة فى الفترة من ١٤ ـ ١٦ يوليو من هذا العام ١٩٨٧ .

واذا تركنا الملاحظات التى تتعلق بنظام المؤتمر وتشكيله ، والى اى حد ساعد ، او لم يساعد على فتح الحوار القومى حول تطوير التعليم ، فان ابرز ما تلفت النظر اليه ، هو تلك الاعمال المكتوبة التى تمحورت حولها المناقشات داخل المؤتمر وخارجه . وقد انقسمت هذه الاعمال الى ثلاثة اقسام :

اولا ـ خمسة مجالات تتناول التعليم الجامعى ، كل مجال منها ضم عددا من الابحاث التى كتبها بعض اساتذة الجامعات .

ثانيا ـ اربعة تقارير وضعتها لجان شكلت داخل وزارة التربية قبل انعقاد المؤتمر بعدة شهور ، نتيجة جهد عدد من اساتذة التربية وخبراء التعليم .

ثالثا ـ تقرير استراتيجية تطوير التعليم فى مصر الذى قدمه وزير التعليم بنفسه .

والذى يجب ان نؤكده هو ان دراسة مشكلات التعليم فى مصر ، ليست عملية جديدة لم تبرز الا بانعقاد هذا المؤتمر ، فهى عملية مستمرة ، ولو شاء القارىء لاشرنا له الى عشرات ، ان لم يكن مئات التقارير والمذكرات والرسائل العلمية والبحوث ، التى نستطيع ان نقول بغير مبالغة ، انها لم تترك جانبا من جوانب التعليم الا واشبعته بحثا وتنقيبا .

لكن القارىء لابد ان يتساءل : اذن ، لماذا لم نر لهذه الجهود اثرا من حيث تحريك واقع التعليم نحو ماهو مامول فيه ومرغوب ؟

واذا كانت الاجابة على هذا السؤال لابد ان تمتد الى سائر المجالات ، حيث نرى وفرة فى البحث والتشخيص دون ان نلمس اثرا فى التحريك على مستوى

قضايا ومواقف

الفعل ، فإن ما نود التركيز عليه هنا هو تلك القضية التى حرصنا على ابرازها طوال بدايات المقال ، الا وهى "الهوية الحضارية" لهذا المجتمع .

ان العمل التعليمى هو بطبيعته تنفيذى ، اشبه بما يقوم به مهندسو التنفيذ فى الاعمال الانشائية المدنية ، ولابد ان يقوم على (رسم تصميمى) Designe يمثل "نموذج الفكرة" التى نامل ان نراها شاخصة فى ارض الواقع . ومثل هذا الرسم التصميمى ، اشبه بالمايسترو الذى يضبط حركة العازفين ويوجهها داخل اطار اللحن المراد عزفه . فالآلات تختلف وتتعدد ، والعازفون متعددو المهارات والقدرات والالوان ، ولكن الجميع يعزفون لحنا واحدا يتميز (بالهارمونى) .

ولو جئنا باعظم العازفين وارقى الآلات ، وتركنا لكل منهم ان يعزف ، فى وقت واحد ، ما شاء وما يريد من الالحان ، لاصبح الامر فوضى لا مثيل لها .

من هنا كان اهتمامنا بهذا التقرير الخاص باستراتيجية تطوير التعليم فى مصر بحثا عما اذا كان قد استطاع بالفعل ان يضع لنا ملامح الرؤية الحضارية العامة التى يجب ان يسعى التعليم المصرى الى تحقيقها .

بطبيعة الحال ، نحن نحمل التقرير فوق ما يجب اذا طالبناه برسم هذه الرؤية .. انها مهمة المجتمع باسره وخاصة قيادته السياسية . واذا كان كثيرون - ونحن منهم - يؤكدون ان مجتمعنا يفتقد الاتفاق على هوية معينة ، فإن المسئولين ينفون ذلك بطريق مباشر او غير مباشر ، وابرز ما يشير الى ذلك ، ماورد فى الكلمات الافتتاحية للمؤتمر ، من أن المجتمع المصرى هويته : عربية اسلامية .

لكن المسألة ليست مجرد شعار ولافتة ، اذ من السهل رفع الشعارات ووضع اللافتات ، ففضلا عن اهمية "الممارسات" و"السياسات" التى تسير العمل التنفيذى فى مختلف المواقع ، فمن الضرورى لهذه الهوية أن تتضح قسماتها وملامحها : ماذا تعنى سياسيا ؟ واقتصاديا ؟ وتعليميا ؟ ودينيا ؟ وثقافيا ؟ .. الخ .

ولنمض الى هذه (الاستراتيجية) بحثا عن مدى وعيها بهذه الهوية العربية الاسلامية :

- ففى الجزء الأول الخاص بتراثنا التعليمى (ص ١١ - ١٩) ينصب كله على التاريخ التعليمى المصرى . واذا كان هذا أمرا طبيعيا ، فإن هذا التراث من حيث الواقع التاريخى ، كان بالفعل عربيا .. فى المساجد والكتاتيب ، وما حدث منذ عهد محمد على ، وخاصة فى عهد الاحتلال ، كان سلخا واضحا لمصر عن هذه الهوية ، وهكذا يهمل هذا الجزء من التقرير هذا البعد العربى الإسلامى .

- واذ ننتقل مع التقرير الى اهم

مشكلات التعليم فى مصر ، نجد الاغراق فى الاقليمية واضحا ، واذا كنا نؤكد انه من الضرورى تشخيص مشكلات (الوطن) ، فاننا نؤكد ان قضايا التعليم العربى ترتبط الى حد كبير بقضايا التعليم المصرى ، فعشرات الالوف من معلمي المدارس ، واساتذة الجامعات المصريين الذين انبثوا فى كل ارجاء العالم العربى يعلمون وينشئون المدارس والجامعات ، واقع مصرى عربى يرتبط به من غير شك عدد غير قليل من المشكلات .

وهذا العدد من الاتفاقات ومعاهدات الوحدة الثقافية التى ابرمت وسلرت على طريق التنفيذ بعض الوقت ، ثم توقف العمل بها ، الا يحتاج هذا الى ان يحلل ويبرز لبيان : لماذا اوقف ؟ ولماذا ظهر قبل هذا ؟

ومما يلفت النظر ان التقرير فى ص ٢٣ ، وهو يعدد مشكلات التعليم فى مصر ، يشير الى (غياب الطابع القومى) ، لكنك اذ تقرا ما تحته ، تدرك على الفور ان (القومية) لها هنا معنى يختلف عما هو متعارف عليه ، فهى هنا فى التقرير تعنى (الوطنية) ، او بمعنى ادق : تضافر كل الجهود الوطنية .

ـ ولعل اكثر الاجزاء مدعاة للالم حقا هو ذلك الجزء الخاص باستقراء المتغيرات المختلفة سواء العالمى منها او المحلى ، المحيطة بحركة التعليم المصرى :

فالجزء الخاص بالمتغيرات العالمية ، مقصود به ما وقع خارج مصر ، ونحن نسأل : هل تجارب واشكال وتنظيمات التوحيد العربى ، وما واجهته من نجاح او فشل على مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية كان لها دور خطير فى مسيرة المجتمع المصرى ، مما يجوز اهماله كلية ؟ ان التمزق العربى القائم وعزلة مصر السياسية عن محيطها الطبيعى وهو العالم العربى ، متغير يفرض نفسه ، وواقع حتمى حاضر ، ما كان ينبغى إن يغض النظر عنه كيف تواتينا الجراة بعد هذا ان نزعم اننا نقر بهويتنا العربية الاسلامية .

والاعجب من هذا ، ان ليس فى هذه المتغيرات اية اشارة الى قوى الامبريالية الجديدة واساليبها .. ترى لماذا ؟

وعندما تجىء المتغيرات المحلية ، تصور قضية الصراع العربى الفلسطينى فى صورة تحول من الحرب الى السلام دون أية اشارة الى ان اجزاء اخرى من الوطن العربى كبيرة ما زالت محتلة من قبل الاستعمار الصهيونى ، ومن ثم ، فمن حيث المنظور العربى ، لم تحسم بعد قضية الصراع العربى الاسرائيلى .

ـ ثم هاهو التقرير فى ص ٩٠ يسفر عن وجهه ، فالاهداف الكبرى التى تسعى الاستراتيجية الى تحقيقها ، يأتى فى مقدمتها : (بناء الشخصية المصرية) ، واذا كان التقرير ، وهو يشرح جوانب هذه الشخصية يؤكد فى ص ٩٤ على (الذاتية الثقافية العربية

الاسلامية) ، فاننا من غير شك لابد ان نصفق له ونحييه ، لكننا من ناحية اخرى نعيد الاشارة الى النقاط والافكار السابقة التي نوهنا بها . ان هذه العبارة أشبه بالاعتراف بدولة من الدول من الناحية القانونية ، لكنك تنظر حولك بعد ذلك ، فلا تجد سفارات ولا اتفاقات اقتصادية وسياسية وغير ذلك ذلك مما يشير الى التمثل والهضم لابعاد هذه الهوية .

ـ وعندما يجيء التقرير الى منطلقات التطوير ، تجد في مقدمتها (قومية التطوير) ، وهنا أعيدك الى ما قلناه في قضية سابقة ، وهو ان القومية المرادة هنا هي (الجهد المصري الجماعي) لا العربي .

ـ وعندما يأتي التقرير الى (محتوى التعليم) ، وهو الجزء الهام في اية عملية تطوير ، نجد الاشارة الى الهوية العربية الاسلامية تأتي في موضعين :

الاول : ص ١٦٢ حيث يقول بضرورة "تعميق القيم التي تتطلبها الحضارة المصرية ، وأهمها القيم الثقافية والدينية" .. فالاطار هنا هو (الحضارة المصرية) ، وما هذه القيم الدينية الا جزء منها ، وهذا امر يختلف تماما عما يذهب إليه فريق كبير في المجتمع المصري وهو الذي يضم القائلين بالهوية الاسلامية ، اذ يؤكدون ان (المصرية) انما هي جزء من الهوية الاسلامية . كما يختلف التقرير هنا عما يذهب اليه (التيار القومي العربي) الذي يؤكد ان (الوطنية) انما هي جزء من الهوية القومية . وهو يختلف ايضا مع التيار (الاقليمي المصري) من حيث مناداته بالهوية العربية الاسلامية ، لكن الخلاف شكلي ، حيث يؤدي التحليل العلمي الى ان الهوية السارية في التقرير هي هذه الهوية الاقليمية المصرية .

الثاني : ص ١٦٥ ، عندما يتحدث التقرير عن ضرورة ادراك موقع مصر في المجتمع العربي الافريقي حيث تقتصر المسالة هنا على مجرد (فهم) تاريخ مصر و (مكانتها) العربية و (الاهتمام) باللغة العربية .

ترى : هل نجح التقرير اذن في ابراز الهوية العربية الاسلامية ؟ في رأينا انه نجح في رفع شعارها ، لكنه فشل فشلا ذريعا من الناحية العملية ، ذلك انه عجز عن ان ينظر الى الهوية العربية الاسلامية كمنهج وفلسفة حياة ، تسري كالدم في عروق التعليم فتصطبغ نظرته الى كل القضايا بالمنظور العربي الاسلامي : عندما يتناول تراثنا التعليمي ، وعندما يتناول مشكلات واقعنا ، وعندما يحدد أسس الاستراتيجية ووسائلها وأهدافها .

ومن هنا ، فاننا نخشى على هذا الحلم الكبير من ان يتبدد ، بحكم افتقاده للهوية الحضارية . انه مواطن خرج من بيته ناسيا بطاقته الشخصية ، او مسافر الى الخارج بلا جواز !!

قضايا ومواقف

الوثائق العثمانية تقول :

نعم : المشرق العربي رحب بالعثمانيين

بقلم : د. محمد حرب

● ● هل رحب العرب بالحكم العثماني ؟ هل قاوموه ؟ كيف نظروا اليه ؟ هل ابغضوه ؟ هل أحبوه ؟ كيف كانت رؤية العرب للعثمانيين ؟ غزاة ؟ ! فاتحين ؟ ! منقذين ؟ ! مستعمرين ؟ هل كانت الرؤية العربية لهم مثل رؤيتهم للفرنسيين ؟ ! عندما دخلوا مصر ، ام للفاطميين عندما حكموا البلاد المصرية ؟ ! ام للصليبيين وقت ان اسسوا كيانا فى بلاد الشام ، قام وانتهى ؟ ام هى مختلفة عن هذا وذاك ؟

كل هذا وغيره يثار فى مؤتمرات علمية دولية ، وفى ندوات علمية محلية ، وفى المجلات بمختلف جمهورها ، بل وفى الصحف كذلك .

واذكر ، هنا ، ان ندوة من ندوات التاريخ باحدى الجامعات المصرية ، كانت تناقش -

فيما تناقشه ـ مدى الشعور الشعبي العربي ، في استقبال الحكم العثماني ، وقال احد الاساتذة اننا نعلم ان المغرب العربي هو الذي رحب بمقدم العثمانيين ، وهم اهل المغرب العربي ، هم الذين ارسلوا الى السلطان سليمان القانوني ، سلطان الدولة العثمانية ، وثاني الخلفاء العثمانيين ، عريضة ـ نشرها الدكتور محمد التميمي في المجلة التاريخية المغربية ـ يحثونه فيها على قبول الدولة العثمانية ان ينضم المغرب العربي اليها ، وقال القائل وقتها ، لكن المشرق العربي لم يرحب بالعثمانيين ، وسأل سؤالا استنكاريا فقال : هل رحب المشرق العربي بالعثمانيين ؟ !

واقول : نعم ! المشرق العربي ايضا ، رحب بالعثمانيين ، مثلما رحب بهم المغرب العربي ، وازيد ـ هنا ـ فاقول : ان ترحيب المشرق العربي بالعثمانيين لم يكن قبيل قدوم الحملة العثمانية الى الشام ومصـــر ، بل قبلها بكثير . عندما اراد الشعب المصـــرى ، الانضمام الى ما اعتبره الوحدة الاسلامية في ظلال دولة قوية تتمسك بالاسلام .

ابدأ مقالي ، بعد هذه المقدمة ، بانه كما كان المغرب العربي ينتظر المنقذ له من الظلم الاوربي وخطر الاعتداء الصليبي على الكيان المغربي من ارض وارواح وممتلكات وعرض ودين ، وتبلورت صورة هذا المنقذ ، في الدولة العثمانية ، فالمشرق العربي ايضا كان ينتظر ـ قبل المغرب العربي ـ المنقذ له من جبروت الدولة المملوكية وظلمها وتعطيلها الاحكام الشرعية ، وكان هذا المنقذ متمثلا في الدولة العثمانية ، التي كانت تسعى منذ قيامها ، الى قيام وحدة اسلامية .

قال عبدالله بن رضوان في كتابه : تاريخ مصـــر (مخطوط رقم ٤٩٧١ بمكتبة بايزيد في استانبول) ان علماء مصر ـ وهم نبض الشعب المصرى وممثلوه ـ يلتقون سرًا بكل سفير عثماني يأتي الى مصـــر ، ويقصون عليه (شكواهم من جور الغورى) ويقولون له بان الغورى (يخالف الشرع الشريف) و (يستنهضون عدالة السلطان العثمانى) لكى (يأتي ويأخذ مصـــر) .

وقال يانسكي في كتابه عن السلطان سليم الاول ، ان علماء مصـــر كانوا يراسلون السلطان سليم الاول منذ بداية توليه عرش بلاده لكي يقدم الى مصـــر على رأس جيشه ، ليستولى عليها ، ويطرد منها الجراكسة (المماليك) .

اما عن الجانب الشامي من المشرق العربي ، فاننا نرى ترحيب الشعب السورى هناك بمقدم العثمانيين ، قبل قدومهم الفعلي . وعلى سبيل المثال ، كان الغورى قد تحرك من مصـــر ـ بجيوشه ـ الى الشام لملاقاة العثمانيين . وعند دخوله الى حلب ، فوجيء الغورى وجيوشه بأن الاهالي هناك لقنوا اطفالهم صيحة : (ينصرك الله العظيم ياسلطان سليم) .

وفي حلب ايضا ، اجتمع العلماء والقضاة والاعيان والاشراف واهل الرأى مع الشعب ، وتباحثوا في حالهم ، ثم قرروا ان يتولى قضاة المذاهب الاربعة والاشراف كتابة عريضة ، نيابة عن الجميع ، يخاطبون فيها السلطان العثماني سليم الاول ويقولون ان الشعب السورى ضاق (بالظلم المملوكى) وان حكام المماليك (يخالفون الشرع



السلطان سليم الاول



السلطان قنصوه الغوري

الشريف) ، وان السلطان اذا قرر الزحف على السلطنة المملوكية ، فان الشعب سيرحب به ، وتعبيرا عن فرحته ، سيخرج بجميع فئاته وطوائفه الى عينتاب ـ البعيدة عن حلب ـ ولن يكتفوا بالترحيب به فى بلادهم فقط ، ويطلبون من سليم الاول ان يرسل لهم رسولا من عنده ، وزيرا ثقة ، يقابلهم سرا ، ويعطيهم عهد الامان ، حتى تطمئن قلوب الناس .

هذه العريضة ، موجودة ، محفوظة ، فى الارشيف العثمانى فى متحف طوب كابى فى استانبول ، تحت رقم ١١٦٣٤ (٢٦) . ونظرا لأن الذين كتبوها لم يكونوا ـ فيما يبدو ـ على دراية كافية باللغة العثمانية ، التى ارادوا ان يخاطبوا بها السلطان العثمانى ، جاء اسلوبها ضعيفا فيه ركالة ، واننا اذا استثنينا السطور الاولى من هذه العريضة الوثيقة ، لان بها اسماء العلماء والقضاة والاشراف ، واذا بدأنا قراءة هذه الوثيقة العريضة ، بعد ذلك ، نجد ان ترجمتها من العثمانية الى العربية كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ الى مولانا السلطان عز نصره ......

يقدم جميع اهل حلب : علماء ووجهاء واعيان واشراف واهالى ، بدون استثناء ، طاعتهم وولاءهم ـ طواعية ـ لمولانا السلطان عز نصره ـ وبإذنهم جميعا ، كتبنا هذه الورقة لترسل الى الحضرة السلطانية العالية . ان جميع اهل حلب ، وهم الموالون لكم ، يطلبون من حضرة السلطان ، عهد الامان . واذا تفضلتم بالتصريح لنا بالاطمئنان فى طلب الامان لارواحنا واموالنا وعيالنا ، فاننا نقبض على الشراكسة ، ونسلمهم لكم ، او نطردهم . وجميع اهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم ، بمجرد ان تضع اقدامكم فى ارض عينتاب . خلصنا ايها السلطان من يد الحكم الشركسى ، احمنا ايضا من يد الكفار ، قبل حضور التركمان . وليعلم مولانا السلطان ، ان الشريعة الاسلامية ، لاتاخذ مجراها ، هنا ، وهى معطلة . إن المماليك اذا اعجبهم اى شىء ، ليس لهم ، يستولون عليه . سواء كان هذا الشىء مالا او نساء او عيالا . فالرحمة لاتأخذهم باحد . وكل منهم ظالم . وطلبوا منا رجلا من ثلاثة بيوت ، فلم نستجب لطلبهم ، فاظهروا لنا العداء ، وتحكموا فينا . (ونريد) قبل ان يدهب التركمان ان يقدم علينا وزير من عندكم ايها السلطان صاحب الدولة ، مفوض بمنح الامان لنا ولاهلينا ولعيالنا ، ارسلوا لنا رجلا حائزا على ثقتكم ياتى سرا ويلتقى بنا ، يعطينا عهد الامان ، حتى تطمئن قلوب هؤلاء الفقراء ، « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين » .

قضايا ومواقف

مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وسيد قطب

بقلم: د. علي القريشي - العراق

التراجع الحضاري الذي شهده العالم الاسلامي منذ قرون خلت، والذي تفاقم عقب الصعود المدني والحضاري للغرب كان حريا ان ينبه الكثير من المفكرين المسلمين الى حقيقة هامة هي: ان المشكلة الاساسية التي يعاني منها العالم الاسلامي اليوم هي: التخلف وغياب مقومات الحضارة.

غير ان النظر الى هذه المشكلة قد اختلف من مفكر لآخر، وذلك تبعا لاختلاف تحديد كل مفكر لمفهوم الحضارة ذاته.

وهذه المقالة ستقتصر على استجلاء موقف كل من المفكرين: الجزائري «مالك بن نبي» «١٩٠٥ - ١٩٧٣م» والمصري سيد قطب «١٩٠٦ - ١٩٦٥م» وذلك من خلال تصور كل منهما لمفهوم «الحضارة» بما ينطوي عليه كل تصور من وعي معين بالمشكلة ونمط في ادراك ابعادها.

فسيد قطب حين اعلن ذات مرة أنه سينشر كتابا له تحت عنوان: «نحو مجتمع اسلامي متحضر»... ثم عاد لينشر الكتاب المذكور باسقاط كلمة متحضر من عنوانه وليجعله «نحو مجتمع اسلامي» فقط،

اثار ذلك انتباه المفكر الجزائري «مالك ابن نبي» الذي سارع للتعليق قائلا: ان هذا الموقف يكشف عن عقدة بعض المفكرين المسلمين ازاء «الغير» المتفوق وهذه العقدة تدفعهم الى انكار نقائص «الذات» والنجوء الى منحها عدهـا



مالك بن نبي



سيد قطب

عقيما . ويتجلى ذلك فى اندفاع المفكر الى تمويه طبيعة المشكلات ، وادخال بعض التحريف اللاشعورى فى معالجاته للقضايا المطروحة . « فسيد » ـ كما يرى « ابن نبى » ـ قد استبعد مشكلة العالم الاسلامى الحاسمة من بحثه حين اعتقد، وحملنا على الاعتقاد بأن المجتمع الاسلامى هو على وجه التحديد مجتمع « متمدين » ، فانجر بذلك تحت تأثير « حالة الخلاص » الى موقف فيه من المدح اللامجدى للذات ، اكثر مما فيه من المواجهة الموضوعية للمشكلة الراهنة (١)

ان المتتبع لكتابات ابن نبى سيصل الى أن نقده المذكور هو فى حقيقته راجع الى التصور الخاص الذى يخلعه على مفهوم « الحضارة » ، والذى يصرفه على أساس أنها « فعل تركيبى » قوامه (الانسان + التراب + الزمن) : الانسان باعتباره كائنا اجتماعيا ، والتراب بخضوعه لضرورات فنية معينة، والزمن باندماجه ضمن العمليات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية. من هذه العناصر الثلاثة تتحقق الحضارة (٢) . وعلى هذا الاساس اعتبر الحضارة « مجموع الشروط الاخلاقية والمادية التى تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من افراده ، وفى كل طور من اطوار وجوده ، منذ الطفولة وحتى الشيخوخة المساعدة الضرورية وفى كل مناحى الحياة » (٣) .

معنى الحضارة

فتحديد معنى الحضارة على هذا النحو هو فى حقيقته وضعها فى اطار يغلب عليه الجانب المادى والفنى والنفعى الذى تختص به « المدنية » ، التى يرادف معناها مصطلح Civilization . فى بعض المراجع والموسوعات الاوربية بحسبانها معنى يشير الى المستوى

قضايا ومواقف

الوسيلي والحياتي والتكنولوجي الميسر لمقومات حياة ذات مستوى مرتفع(٤) • وما تركيز « ابن نبي » على البنـــاء الزراعي والصناعي والفنى فى «تركيبه الحضارى » ، وما تتطلبه شروط ذلك التركيب من أخلاقيات وتنظيمـات ، الا تركيز على الاهداف المعاشية والغـايات التنموية حسب •

ومذهب « ابن نبى » هذا يتأكد لدينا اكثر حين نجده يقف بتفـــاؤل ازاء المشاريع الزراعية والصـــناعية التى وضعتها أو نفذتها ثورة يوليو فى مصر، واعتباره اياها بداية حقيقية لعملية « تركيب حضارى »فى المنطقة ، دون أن يتساءل كثيرا عن القيم والمنطلقـــات الايديولوجية للسياسة والاقتصــاد والتربية والتعليم والقوانين التى يقوم عليها ذلك التركيب ، وكأن هذه الامور ليست مما يشمله مفهوم الحضارة أو تركيبها !

لقد كان هم ابن نبى هو أن يتجـاوز مجتمعه وضعه التخلفى العام ويتوق الى أن يرى هذا المجتمع وقد استطاع أن يحوز مقومات تشكيل الاطر الوســيلية والمدنية ، بما يضمن له التطور والنمـو المعاشيين ، وذلك على غرارما كان يراه في المجتمع الغربي الذى عاش مدنيته، ويتحدى بالتوازن المنسجم بينها وبين ما عليه الواقع في مجتمعه المتخلف ، [illegible]

لهذا كانت « مشكلات التمدن » فى العالم الاســـلامى ، أو ما أطلق عليهـــــ بـ « مشكلات الحضارة » هى قضـــية المركزية التى شغلت كل فكره ، فصـار بذلك لا يتحدث عن « الحضارة » الا وهو يعنى « المدنية » فى الغالب •

● اختلاف فى المفهوم

ولعله من هنا جاء الاختلاف بين « ابن نبى » و « سيد قطب » حين انتقد الاول الثانى على تراجعه عن كلمة «متحضر» فى عنوان كتابه السالف الذكر ، معتبرا ذلك التراجع تحريفا للمشـــكلة •• والحقيقة هى ليست كذلك لسببين :

الاول : أن « سيد قطب » ببساطة لم يكن يقصد من كلمة « متحضر » ذلك المعنى الذي يقصد به « ابن نبى» «تمدن» • فمفهوم الحضارة عند « قطب » هــو مجموعة القيم والعلاقات والنظم ، وهى لا ترادف « المدنية » التى هى مجموعة المنتجات المادية والوسيلية المتطورة • كما انه لا يرى أن هذه المدنية تصلح مقياسا مركزيا للاستدلال على تحضر المجتمع أو عدم تحضره ، ولا مؤشرا كذلك على رقى المجتمع أو تخلفه • فالمجتمــــع المتحضر يستدل عليه فى المقـــام الاول بمنطلقاته العقيدية والقيمية وسـلوكياته وعلاقاته والنظم الاجتماعية التى يتبعها، لا بتطوره المادى ونمط وسائله وأدواته المعيشية ، خاصة وأن التمدن قد يكون ـ كما اشار « قطب » وتكون معــــه « الجاهلية » (٥) « اتبنون بكل ريـــع آية تعبثون • وتتخذون مصانع لعلكــم تخلدون • واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعـــــون • واتقوا الذى امدكم بما تعلمون »

اذن فالحضارة بمفهوم « سيد قطب » هي ليست المدنية ، بل هي نسق العقائد والقيم والنظم والعلاقات التي تحدد منهج الانسان وحركته في الحياة .

والحضارة «النموذجية» هي بنظره « حضارة التوحيد » التي يجسدها النظام الاسلامي الذي يوفر للانسان انسانيته ويحترم خصائصه الاساسية وتتحقق في ظله معاني وتجسدات العبودية لله وحده ، والتوازن الشامل في الحياة الفردية والاجتماعية .

الثاني : ان « ابن نبي » كان يتصور أن « سيد قطب » يبحث في « المجتمع المسلم - الراهن » الذي هو فعلا يعاني من أزمة غياب التحضر والتمدن معا - في حين أن « قطب » كان يبحث في «المجتمع الاسلامي = الانموذج» أو «المثال» ومادام الانموذج الاجتماعي الاسلامي - في منطلقاته وأهدافه ونظمه وعلاقاته وحركته - يقوم على العقيدة التوحيدية والقيم الربانية ونظرية النظم المستمدة من المنهج والشريعة الاسلاميين، فان اسقاط كلمة متحضر هو اسقاط لصفة لا يحتاجها الموصوف ، لان المجتمع الاسلامي - المثال وليس الماثل - هو مجتمع متحضر بالضرورة .

وبناء على ذلك لا يمكن اعتبار اسقاط « قطب » لكلمة متحضر في كتابه المنوه عنه هو محاولة اخلاص دفاعية تعكس حالة من المدح الذي لا يواجه شروط المجتمع المادية والمدنية - كما ذهب الى ذلك « مالك بن نبي » لان الشروط المادية غير واردة أساسا في معنى الكلمة التي نحاها « سيد قطب » في كتابه ، فضلا عن أنه حتى في حالة افتراض ان التمدن يعني التحضر ، وأن التمدن يصلح مقياسا حاسما على التقدم الاجتماعي، فهو كما قدمنا لم يكن يتحدث عن واقع « التمدن » في « المجتمع الاسلامي الراهن » بل كان يتحدث عن التحضر « في المجتمع الاسلامي الانموذجي » .

ان فهم « ابن نبي » للحضارة بالحدود المذكورة قد ترتب عليه تحديد جانبي لاشكالية التغيير الاجتماعي التي عالجها في معظم كتاباته وأعماله ، فتركيزه البحث في أهداف التغيير بحدود مجسدات التمدن ، قد أبعده عن المشكلة الحقيقية لازمة التخلف ، ذلك لان الشروط المادية والمدنية والمعاشية التي قد تهيىء للانسان العمل والوسائل والاكتفاء لا تعني بالضرورة حلا لمشكلة الانسان الحقيقية ، لان قضية الانسان هي في المقام الاول قضية حريته وكرامته وتوازنه الروحي والاخلاقي وتوفير الامن والعدالة والمساواة في حياته . وهذه أمور تحددها طبيعة النظام الاجتماعي والنسالة اللذان يديران العلاقات العامة والخاصة . فالنظام الاجتماعي والفلسفة اللذان ينبثق عنهما هما حجر الزاوية في تكوين « الحضارة » . أما المدنية على الرغم من أهميتها البالغة في حياة وتقدم المجتمع ، فانها لا توفر بالضرورة الحرية والكرامة والامن والعدالة والمساواة والتوازن ! فأمريكا في غاية التمدن والنمو ، فهل تم فيها القضاء على مشكلات الجريمة والتفاوت الطبقي والعنصرية والتدهور الروحي والاتجاه نحو الهيمنة والاستكبار ؟ والاتحاد السوفيتي في غاية التمدن والنمو ، فهل توفرت في ظل نظامه الاجتماعي الحرية والحياة

الكريمة الحقة ، وهل بلغ الانســان فيه أمنه الروحي وسلامه الاخلاقي ؟

ان معــــادلة « الانسان والتراب والزمن » ليست هي المعــادلة المثلى ابتداء لحل المشكلة الاجتماعيـــــة للانسان العربي والمسلم ، لان مجــرد توفير الوسائل والامكانات المدنيـــة المادية المتطورة لا يؤدى بالضــرورة الى العدالة أو المساواة أو المسعادة الاجتماعية أو تحقيق انسانية الانسان، ولهذا اذا كان « ابن نبي» يعلق على بلوغ تلك الوسائل والامـكانات آمال النمو المادى ، فانه يبــدو من غيـر المفهوم حين يعلق عليها أيضـا آمال التقدم الاخلاقي والاجتماعي ! (٦) ٠

ان التخلف في مجتمع « طنجة ـ جاكرتا » أساسه ازمة غياب النظــام الاجتماعي الصالح ، والحــل المدنى ليس هو الحل ٠ وهذا مثلما ينطبــق على المجتمع المذكور ينطبق ايضا على المجتمع الغربي وغيره من المجتمعات فاذا افترضنا أن الحل المدني قد اشاع الضمانات الوسيلية والمعاشية للانسان في كلا المجتمعين الرأســــــمالى والاشتراكى ، فالسؤال المثار :

ـ لماذا لم يوفر الحــلان أســلوبا واحدا ودرجات واحدة في توفير تلكم الضمانات ؟ أليس الاختلاف بينهمـــا نابعا من أن النظم الســـياسية والاجتماعية هي التي تتحكم في ذلك وتحدد أنماطه ودرجاته واتجاهاته ؟٠

كما ان سؤالا اخر يظل مطروحا هو:

ـ ما الذى وفره الحلان في حيـاة كلا المجتمعين على الصـعيد الروحي والاخلاقي والمعنوى والانساني ؟

ان واقـــع المجتمعات المتمـدنة رأسمالية كانت أو اشتراكية لا أظنه ينطق بالايجاب أكثر من نطقه بالسلب، اذ لم تعـد بحاجــــة الى التقصي والاستفاضة في اثبات ما تعانيه هذه المجتمعات من ازمات ومشاكل خطيرة على الاصعدة المشار اليها ٠

نخلص مما تقدم بأن « الحضارة » هي نسق من العقائد والقيم والافكار، تعكس نظــــــرة معينة ازاء الكون والانسان والحياة ، يجسدها ـ عمليا ـ نظام اجتماعي معين وهي بهـــذا المعنى لا تعنى « المدنية » ولا يتوقف تركيبها أو ظهورها على شرط التطور المادى والوســيلى ، أو المعطيــات التقنية « المجردة » ٠ فقــد توجـد الحضارة في لندن وباريس والقاهرة كما توجد عند قبائل « الباجـــند والاراندى والتفاهو » (٧) ٠ فـــاية نظرة للكون والانسان والحياة تنعكس في قيم جماعة ما وسلوكها وتقاليدها ونظمها وعلاقاتها تشكل موقفا حضاريا وتعكس نمطا معينا من انماط الحضور الانساني ، خاصة اذا تبلــورت تلك النظرة وتجسدت في اطار نظـــام اجتماعي عامل ٠

● المدنية والحضارة

فاذا نظرنا للحضارة بهذا المعنى ، فهي تختلف عن المدنية التي تعني الالات والتقنيات وما يستعمله الانسان ويستخدم من اساليب وطرق في تنظيم شئون حياته ، والتي يشكل (التراب) مادتها الاســـاسية وعجينة بناها الزراعية والصناعية والعمرانية ٠

والمدنية بمعناها المذكور لا تعبر عن هوية حضارية الا بقدر نوعية التعامل مع الاشياء والادوات وكيفية استثمارها والتحكم فيها وتوجيهها ، لان الذى يمكنه أن يحدد ذلك كله هى القيم والافكار والصيغ النظمية ذات الدلالات المذهبية ·

وبعبارة أخرى أن سياسة الاستخدام والتعامل مع المدنية وقيم توجيهها والتحكم فيها ، تحددها نظرياً فلسفة الحضارة ، ويجسدها عمليا النظام الاجتماعى العامل والمنطلق من تلك الفلسفة ، والذى فى اطاره يتم التحكم بالمدنية خيرا للانسان او ضرا ، نفعا أو ضرا ·

وعلى هذا الاساس يمكننا القول بأن المجتمع حين يتحرر من القيم والاخلاقيات والنظم الرفيعة هو مجتمع متخلف حتى وان كان متقدما (مدنيا) كما ان المجتمع ـ أى مجتمع بامكانه ان يكون متقدما « حضاريا » من غير ان يشرط تقدمه هذا بتقدم على الصعيد « المدنى » ·

من هنا يمكننا القول بأن توفير الشروط الانسانية والاخلاقية والمعنوية لحياة الانسان لا يتأتى عن طريق التفكير ـ ابتداء ـ بالتنمية والمدنية وهياكلهما المادية ، على الرغم من الاهمية البالغة لهذه الجوانب ، كان لابد أن يبدأ التفكير بحل مشكلة النظام الاجتماعى سياسياً واقتصاديا واجتماعيا وتربويا ·· فالنظام الاجتماعى هو جوهر تنظيم الحياة وعلاقاتها المختلفة ، بالاضافة الى انه هو الذى يقود ويحكم المدنية وهياكلها وهذا هو المحور الذى يجدر ان تتشكل حوله مساعى حركة « التغيير الاجتماعى » ·

ان حركة التغيير الاجتماعى ،خاصة فى مجتمعاتنا ، لا ينبغى لها أن توجه مساراتها وهمومها ابتداء نحو هدف التقدم بالمعنى النفعى فقط ، او مايسمى بالتنمية الاقتصادية ـ وهذا ما أدركه « مالك بن نبى » نفسه فيما بعد ـ بل لابد أن تنطلق هذه الحركة ابتداء نحو تحقيق التقدم بالمعنى القيمى والانسانى ضمن عمليات بناء الفرد والمجتمع ، وبناء النظام الاجتماعى الاصلح · لان ذلك هو جوهر الحضارة وهو الهدف المركزى الذى ينبغى أن تكون له الاولوية فى سلم الاهداف التغييرية ، لان بلوغ هذا الهدف حتى فى حالة بقاء التأخر المدنى ، معناه بلوغ الحل الجوهرى والحقيقى لمشكلة الانسان وحل الاشكالية الرئيسية فى المجتمع · علما بأن التأخر المدنى لابد ان يتلاشى بالنتيجة فى نظام حضارى « متقدم » ، لانه ما من مجتمع حضارى متقدم الا والمدنية جزء من معطياته وابداعاته ·

هوامش

(١) مالك بن نبى : فكرة الافريقية الاسيوية فى ضوء مؤتمر باندونج ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ·

(٢و٣) مالك بن نبى : آفاق جزائرية مكتبة عمار ، ط ٢،١ القاهرة ص ٥٩ ـ ٦٠وص ٣٨

(٤) انظر مثلا : The lexicon webster Dictionany, Vol. 1

(٥) سيد قطب : معالم فى الطريق دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨١ ،ص ١٣٦ ·

(٦) مالك بن نبى : آفاق جزائرية ، مرجع سابق ، ص ٣٧ ·

(٧) عبد الحميد لطفى:الانثربولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، ط ٣ ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ ·

الماضى والحاضر والمستقبل

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

كان التعليم الذى انشاه محمد على عسكريا صرفا ، غايته الجيش الحديث القوى المدرب ، الذى يملك سلاحه ومهندسيه وأطباءه ومصانعه وله بعثاته ومدارسه ، والكل فيها يسير على نظام عسكرى صارم ، حياة وملبسا ومأكلا ورتبا ، معلمين وتلاميذ ، واستقر ذلك كله فى القاهرة والاسكندرية وحدهما .

أما بقية القطر فلم يكن له حظ فى هذا التعليم وقصارى مايعرف منه كتاتيب منبثة فى القرى والكفور وأحياء المدن ، تحفظ القرآن الكريم ، وأسماء الله الحسنى ، وتعلم ـ ربما ـ شيئا من الخط والحساب ، وتنتهى بصاحبها إذا كان قادرا أو راغبا إلى الأزهر يبقى فيه أعواما يتثاءب كسلان خاملا ، إذا كان بليدا ، ويهرب منه إلى الحياة عجلا ، إذا كان ذكيا ، لأن الدراسة فيه مماحكات لفظية جامدة ، لاروح فيها ولاحياة ، وغاية النابغ منهم أن يحسن فهم عبارة الكتاب لاموضوعه ، وأكثرهم ـ كما وصفهم عبدالله باشا فكرى ـ لايحسن قراءة صفحة دون أن يخطىء ، ولا أن يكتب موضوعا ، ولا أن يقيم وزن بيت من الشعر .

وسط هذا المناخ الجامد والمميت كان هناك شاب مصرى يحمل هموم أمته بلا صخب ولاضجيج ، ووراءه رغم حداثة سنه رصيد هائل من المحن والتجارب عانى طفلا فى كتاب القرية ، وصبيا فى مدرسة قصر العينى ، وأقام فى باريس عامين يدرس الهندسة المدنية ، وفى مدينة ميتز الفرنسية عامين آخرين يدرس الهندسة الحربية ، وأمضى عامين أيضا مع الحملة المصرية التى ذهبت تحارب روسيا معاونة للخليفة العثمانى وتقلبت عليه الأحوال موظفا ومفصولا ، وتاجرا وبلا عمل ، وغنيا وفقيرا ، وسعيدا وبائسا .

كان ذلك الشاب هو على مبارك أبو التعليم فى مصر الحديثة .

وفى لحظة مواتية ذهب إلى باريس فى مهمة مالية عام ١٨٦٧ ، وكان وكيلا لديوان المدارس ، وليس مطالبا بدرس ولاوراءه امتحان ، ولا معتقلا فى بيت الطلاب ، فجهد أن يرى الحضارة الأوربية فى أزهى ألوانها : زار المتاحف والآثار والمدارس العليا والمكتبات وعاد إلى مصر يحمل أحلاما كبيرة وآمالا عريضة .

وأول مافكر فيه إثر عودته عملان عظيمان ولدا توأمين :

دار الكتب ودار العلوم .

وبهما أراد أن يدفع الثقافة خطوة واسعة إلى الأمام ، فقد أدرك واعيا أن نشر المدارس الأولية وإصلاح الكتاتيب لايكفى وحده ليجعل من أمته وطنا عظيما ، وكان ولاؤه لها عميقا وبلا حدود .

● تحديث الثقافة العربية

لم يرد على مبارك حين أنشأ دار العلوم عام ١٨٧١ أن تكون مدرسة لتخريج نبهاء المعلمين ، كما هو شائع الآن ، وإنما أرادها كلية جامعة على غرار مارأى فى

منظر عام لمبنى دار العلوم بالقاهرة .. أقدم مدرسة للمعلمين .



دار العلوم

باريس وأن تكون أداة تحديث الثقافتين العربية والاسلامية فى شتى نواحيها ، وهكذا لم يكد يفرغ من إنشاء دار الكتب واختار لها قصرا فى درب الجماميز شمال مسجد الأمير بشتاك ، والذى يعرف الآن باسم مسجد مصطفى فاضل ، حتى ألقى فى روع الخديو إسماعيل أن هذه المكتبة هى صنو « دار الحكمة » أو « دار العلم » التى أنشأها خليفة مصر الفاطمى الحاكم بأمره فى قصر الملك بالقاهرة ، ولكن ينقصها مارتبه الحاكم والخلفاء من بعده من علماء يلقون الدروس على الطلاب ويملون عليهم مسائل العلم ، ويحلون لهم معضلاته ، وهو لذلك يريد أن يكمّل هذا النقص بإيجاد الأساتذة الذين يلقون الدروس فى مختلف العلوم فى المدرج الذى اقيم بجوار المكتبة ، فرحب الخديو بالفكرة ونفذها على مبارك ، وكان البدء فى إلقاء هذه الدروس فى ١٥ صفر ١٢٨٨ = ٦ مايو ١٨٧١ ، بهذا المدرج الذى أسماه :

● دار العلوم الجامعة

واختيار الاسم نفسه ، جاء فى مواجهة « دار الفنون » وهو الاسم الذى كان يطلق على الجامعة فى عاصمة الخلافة ، يوحى بالغرض منها وأنه يستهدف الثقافة العالية ، ولهذا توارد على منصة الدرس فيها خيرة علماء هذه الفترة من مصريين وأجانب ، وفى مختلف الدراسات الانسانية والعلمية ، ويحضرها اكابر العلماء والقائمين بأمر التعليم وكبار موظفى الدولة ، وفى مقدمتهم على مبارك باشا نفسه ، والنبهاء من طلبة الأزهر ، والفرق العالية من مدارس المهندسخانة والادارة (= الحقوق) والمساحة ، ينصتون إلى الدروس التى كانت تلقى على هيئة محاضرات فى اغلب الاحيان .

وكانت الموضوعات التى تلقى متنوعة فبينا الشيخ حسين المرصفى ، وكان مكفوفا ، يحاضر فى الادب يلقى الشيخ أحمد شرف دروسه فى التفسير والحديث ، ويتكلم الشيخ عبدالرحمن البحراوى فى فقه أبى حنيفة ، ويدرس إسماعيل باشا الفلكى علم الفلك ، وأحمد ندا علم النبات وهى محاضرات كانت تلقى باللغة العربية .

وإلى جانبها كان يحاضر بالفرنسية هنرى بروكش فى التاريخ العام ، وفيدال باشا فى فن السكك الحديدية ، وفرانس باشا فى فن العمارة ، وجيجيون بك فى فن الآلات ، ومسيو بكتيت فى علوم الطبيعيات مع شرح الآلات التى استحضرها من أوربا . وكانت محاضرات هؤلاء تترجم بعدهم الى اللغة العربية لمن لايفهم الفرنسية ومدة المحاضرة ساعة ونصف وبعض الموضوعات يلقى مرة كل أسبوع .

وقد أبيح للناس كافة على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم وأعمارهم ودرجاتهم أن يختلفوا إلى هذه المحاضرات العامة ، فكانت دار العلوم أشبه بمجمع علمى أو كلية جامعة . ولكن على باشا مبارك سرعان مادرك أن كل جهده فى انشاء المدارس وتأثيثها وتنظيم



الشيخ محمد عبده



على باشـا مبارك ..
أبو التعليم فى مصر ..

الكتاتيب وترتيبها ، لاقيمة له مادام يفتقد المعلم الصالح ـ وما أكثر ما عانى فى طفولته وصباه من قسوة معلمى تلك الأيام ! ـ والكتاب المناسب مادة وطريقة وعرضا ، ووجد أن الذين يتولون تربية النشء وتهذيبه وتعليمه فى زمنه فريقان :

الفريق الأول من الأزهر ، يعلمون لغة البلاد ومالابد منه من أمور الدين وهؤلاء يرون أن كل علم ليس فى الكتب التى تلقوها فى الأزهر ضلال وكفر ، وأن الاشتغال به اشتغال بمالا يجدى ، وأن شركاءهم فى التدريس الذين يدرسون الجغرافيا والكيمياء والطبيعة والفلك وغيرها من العلوم الكونية ملاحدة وكفار ، لأنهم يخالفون نص ماجاء فى كتاب بدائع الزهور [لمؤلف مجهول غير كتاب ابن إياس] وما أورده صاحب تفسير الخازن من الاسرائيليات ، ولايعوزهم أن يجدوا فى ظواهر بعض النصوص وفى حرفية أقوال بعض العلماء ، مايجعلونه مستندا لآرائهم بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ، وفوق ذلك هم يتبعون فى تدريسهم طرقا عقيمة غير مجدية .

والفريق الآخر هم الذين درسوا العلوم الكونية ، وعرفوا صحة نظرياتها بالبرهان القاطع والقياس المنطقى ، فيرون فى معلمى العربية والدين جهلا فاضحا ، وضلالا واضحا وربما بلغ بهم ذلك الاعتقاد إلى الشك فى الدين الذى يعتمدون عليه ويدعون الدفاع عنه .

أدرك على مبارك هذه الهوة العميقة بين الفريقين ، ورأى أن دار العلوم بالطريقة التى هى عليها لون من الثقافة العالية المترفة وأن الخطوة العاجلة الملحة أن يجمع بين الفريقين فى

دار العلوم

مدرسة واحدة هى دار العلوم ، وأن يتخذ منها معهدا لاعداد المعلمين .

● دار العلوم المدرسة

وهكذا لم يمض شهران على إلقاء هذه المحاضرات العامة حتى طلب على مبارك من الشيخ العباسى شيخ الجامع الأزهر تعيين بعض ، الجهابذة الاعلام والأساتذة الفخام ، لتدريس التفسير على أن تكون ماهية كل واحد منهم أربع مائة قرش شهريا ، وعليه حصتان فى كل أسبوع كل حصة ساعة ونصف واختيار عشرة من نجباء الطلاب بالأزهر يحضرون بعض دروس « دار العلوم » العربية والشرعية ولهم الحق فى حضور الدروس الأخرى كالفلك والطبيعة ، وينتخب منهم المدرسون عند الحاجة ، وتدفع إعانة قدرها خمسة وعشرون قرشا شهريا ؛ وهذه المحاضرات لاتعطلهم عن دروسهم بالأزهر ولاعن معايشهم .

وقد رد عليه شيخ الأزهر برسالة جديرة بأن تسجل لأنها تصور ماكان عليه حال اللغة العربية فى الأزهر تصويرا دقيقا :

ديوان مدارس مديرى سعادتلو افندم حضر تلرى .

صار معلوم ماذكرتموه سعادتكم بالافادة باطنه رقم ١٨ ر سنة ١٢٨٨ نمرة ٤٥٢ والحال ، اما عن درس التفسير فقد تعين له حضرة العلامة الفاضل الشيخ احمد شرف الدين المرصفى بماهية شهرية أربعمائة قرش ، وحضرته اختار فى إعطاء الدروس المذكورة يوم السبت والخميس من كل اسبوع ، وسيتوجه لطرف سعادتكم لاجراء اللازم . وأما الطلبة الثمانية فقد تيسر وجودهم وهم المذكور اسماؤهم ادناه ، وسينبه عليهم بالتوجه لذاك الطرف ، ولهذا اقتضى شرحه لسعادتكم افندم .

الفقير محمد العباسي المهدى الحنفى

(الختم)

وفيما بعد تطورت المرتبات فانخفضت بداياتها للبعض فأصبحت ثلاثة جنيهات ، حتى ارتفع مرتب حسين المرصفى فى أربع سنوات فأصبح خمسة عشر جنيها .

تخريج القضاة والمفتين

وحين رأى على مبارك أن دار العلوم أثمرت فى ترقية التعليم أراد أن يتخذ منها منطلقا لاصلاح القضاء والافتاء فتألفت لجنة لتعديل مناهجها ، وجعلها ملائمة لرسالتها الجديدة ، وكان هذا التعديل يقوم على محورين : شروط قبول الطلبة فيها ، والعلوم التى يجب أن تدرس لهم . وعلى من يرغب فى أن يرشح لوظائف القضاء والافتاء أن يكون قد حصل قدرا مناسبا من علوم الأدب والنحو والصرف والأصول والتوحيد والتفسير والمنطق على أن يزاد لهؤلاء عام خامس وهو مشروع ألغى بعد قليل ، إذ رأى فيه الأزهر إجحافا بالمتخرجين فيه ، وسدا لسبل الارتزاق فى وجوههم مع اتساعها أمام متخرجى دار العلوم .

وقد ندمت الدولة فيما بعد على هذا الالغاء ، وأنشأت مدرسة القضاء الشرعى

العظيمة ، ولم يقدر لهذه أن تستمر طويلا ، فقد اغتالها الأزهر وهي في عنفوان مجدها ، في تاريخ ليس هنا مكان بسطه .

ومع ذلك قدمت دار العلوم عددا محدودا من رجال القضاء العظام أمثال : محمد صالح باشا ، وعبدالرحمن سيد بك ، وحفني ناصف بك ، وآخرين .

الانتقاء والجدية

قامت سياسة دار العلوم في اختيار طلابها بعد أن ثبتت معهدا عاليا ومتميزا يطمح الكثيرون في التقدم إليه ، من بين الأعداد الكثيرة التي تتقدم إليها ، بامتحان قبول صعب يتمثل في حفظ القرآن الكريم كاملا ، وقدرا هائلا من الشعر ، ويذكر الامام حسن البنا في مذكراته « الدعوة والداعية » انه لكي يهيىء نفسه لهذا الامتحان حفظ اثنى عشر ألف بيت من الشعر ، إلى جانب بقية علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة والاسلامية من تفسير وحديث .

وبلغت بها الجدية والتطور مداهما حين أصبحت الدراسة فيها داخلية ، وتصرف لطلابها أمهات كتب التراث والمصادر ، وفي مقابل ذلك لم تكن تعرف نظام التخلف أو الرسوب ، وكان من يرسب في الفرقة الأولى ، ولو في مادة واحدة ، يفصل نهائيا .

جاءت حصيلة ماسبق تمكنا قويا وعميقا من التراث واستيعابا كاملا لمواده وقضاياه ، في جوانبه المختلفة ، أدبا ولغة ودراسات إسلامية وانفتحت آمام النابهين منهم نوافذ على الثقافات الأجنبية من طريقين : حين أراد الاستعمار البريطاني لأوائل المتخرجين أن يذهبوا إلى انجلترا ليدرسوا اللغة الانجليزية ويزدادوا في علوم التربية فقها وتمكنا ، وقبل ذلك وفوقه ليروا الحياة الانجليزية ويتشبعوا بها .

وجاء الطريق الثاني حين زاد اهتمام البلاد الأوربية باللغة العربية مع اشتداد موجة الاستعمار واتساعها فاستقدمت مدرسين من دار العلوم يضطلعون بها ، ولم يقنع أولئك أو هؤلاء بما أوفدوا له فأخذوا يدرسون لأنفسهم في مجالات أخرى ، وتمكنوا منها ، وعاد بعضهم يحمل درجة الدكتوراه ، وقنع آخرون بالحد الأدنى من الشهادات وإن بلغ تحصيلهم العلمي غاية مداه عمقا وتنوعا ، وهكذا أصبحت دار العلوم همزة الوصل بين الثقافتين العربية والأوربية ، في مجال الدراسات الانسانية قبل ان تنشىء الجامعة وتخصص لها البعثات .

● محمد عبده ودار العلوم

عرف الامام دار العلوم شابا في مطلع حياته العملية بعد عامين من تخرجه نشاهما في الأزهر إذ دعي للتدريس فيها عام ١٨٧٩ ولكنه فصل منها بعد أشهر معدودات لغير سبب مذكور في قرار فصله ولكنه مفهوم بين من يعرفون سياسة الخديو قبيل الثورة العرابية ، فقد شاع عن محمد عبده أنه يدعو في دروسه إلى المبادىء الخطرة التي نفي بسببها جمال الدين الأفغاني ، وأكثر من ذلك هو تلميذه وخطره أعظم من خطر أستاذه وهم يكلون إليه تعليم المعلمين .

في تلك الأيام كان الامام يحاول أن يصلح الأزهر فاصطدم بأكثر من عقبة ،

دار العلوم

ففكر في أن يجعل من دار العلوم بديلا ، ولقد عثر تلميذه ، وكاتب سيرته ، السيد رشيد رضا صاحب المنار على مسودة له ، فيها خطة كاملة للتهوض بدار العلوم ، ذلك أن الاستعمار خشي خطرها بعد فشل الثورة العرابية واحتلاله مصر ، فأحكم قبضته عليها وتدخل في شئونها وبرامجها ، ولم تستطع أن تتخفف من قبضته الخانقة إلا بعد ثورة ١٩١٩ .

وفي سنة ١٩٠٤ رأس الامام محمد عبده الامتحان النهائي بالمدرسة وكتب تقريره عنها إلى وزير المعارف ، وتضمن : « ... وإنني انتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هذه المدرسة في نفسي ، وما أعتقد من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية .

الأزهر ودار العلوم

أدى نجاح دار العلوم إلى اهمال متخرجي الأزهر تماما عند اختيار المعلمين ورغم أن كثيرا من الاصلاح أدخل على نظمه وبرامجه فقد ظل المتخرجون فيه وقتئذ شيئا متخلفا في مجال الفهم والتطبيق والتجديد وبخاصة بعد انشاء مدرسة القضاء الشرعي ووقف وظائف القضاء الشرعي المتخرجين فيها ، فقاموا عام ١٩٢٣ بثورة عاتية ، يطالبون فيها بإلغاء المدرستين ، فنجحوا في إلغاء مدرسة القضاء وفشلوا في التغلب على دار العلوم ، وكان الحل الوسط الذي انتهت إليه أن ينشأ قسم ثانوي في الأزهر ، تكون الدراسة فيه على غرار تجهيزية دار العلوم ، فإذا أتموا دراستهم الثانوية به التحقوا بدار العلوم ، على أن تلغى التجهيزية تدريجا .

لكن محاولات الأزهر لالغاء دار العلوم لم تتوقف ، وكان يعتمد في مطالبه على دعم القصر الملكي له ، إذ كان الأزهر في الحقيقة مؤسسة ملكية طوال العصر الحديث تدين بالولاء المطلق للملك ، وتتبعه إداريا مباشرة ، والملك وحده هو الذي يعين رجاله ، ابتداء من شيخ الأزهر حتى أصغر شيخ في معهد صغير من مدينة نائية .

وكان صخب الأزهر ومطالبه تعلو خلال حكومات الاقلية ، ويجيء بها القصر عادة في انتخابات مزيفة ، وهكذا شهد عام ١٩٣٩ تظاهرات صاخبة في كل معاهد الأزهر ، على امتداد مصر كلها ، تهتف بسقوط هيكل وزير المعارف ، لأنه يقف في وجه إلغاء دار العلوم ، وكان د . هيكل قد قال عنها في محاضرة له ، في العام نفسه :



الشيخ مصطفى المراغي

« استطاعت دار العلوم بجهد رجالها ان تعيد هذا الضياء الخابي إلى اللغة العربية في قواعدها وادبها وبلاغتها ، وان تحيي مجدها القديم ، الذى كان يفاخر به الأمويون والعباسيون ، بل استطاعت ان تبعث فيها القوة والنشاط ، وإذا كنا نحن كتاب اليوم مدينين لأحد ، فديننا لأبناء دار العلوم » .

دار العلوم كلية جامعية

بدأ التفكير في ضم دار العلوم إلى الجامعة خلال عام ١٩٣٨ ، وكان الضغط الأزهرى لالغائها قد بلغ أوج عنفه ، إذ كان الامام محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر شخصية مهابة ومحترمة ، وصديقا ودودا لمحمد محمود باشا رئيس الوزراء ، وكلاهما عدو لدود للوفد وكان صاحب الفكرة المرحوم إبراهيم مصطفى صاحب كتاب « إحياء النحو » وهو درعمي أصلا ، ويعمل أستاذا في كلية الآداب ، وصديقا حميما للدكتور طه حسين ، فأخذ يبث فكرته بين مجموعة من طلاب دار العلوم ، غير أن جمهرة الأساتذة توجست خيفة على مستقبلها فلم ترحب بالفكرة وإن ظلت هذه أملا يراود بعض النفوس .

حتى إذا كانت وزارة الوفد ، ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ جاءت بطه حسين مستشارا لوزارة المعارف ، فأخذت الفكرة حيزا أكبر وانتقلت من مجال الهمس الى التفكير والدرس والاقتراح ، ومع أن طه حسين ذهب بسقوط وزارة الوفد ، لكن الوزيرين اللذين توليا الوزارة وهما الدكتور محمد حسين هيكل ثم الدكتور عبدالرازق السنهورى كانا يعرفان لدار العلوم حقها ، وهكذا أقر المجلس الأعلى لمعاهد إعداد المعلمين والمعلمات في ٢٦ يوليه ١٩٤٥ فكرة جعل دار العلوم كلية جامعية للتخصص في الدراسات العربية والاسلامية ، « على أن تحتفظ بكيانها وطابعها الاسلامي الخالص واسمها التاريخي المجيد ويلتحق بها الطلبة الراغبون في دراساتها سواء كان مآلهم إلى الاشتغال بالتدريس أم يقصدون طلب العلم لذاته ، بغير قيد ولا شرط .

وفي ١٣ سبتمبر من العام نفسه اعتمد الدكتور عبدالرازق السنهورى وزير المعارف هذا القرار وفي ٢٤ أبريل ١٩٤٦ صدر القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٦ بضم دار العلوم إلى جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) .

وفي الجامعة بدأت دار العلوم تضطلع برسالة شاقة معقدة ذات شعب ثلاث : عربية وإسلامية وعالمية إذ عليها أن تعنى بأدب اللغة العربية واللغات الشرقية سامية وإسلامية والشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية وأن تتجاوز بهذه المباحث دائرة المحلية إلى آفاق عالمية أرحب وكل ذلك جعلها ذات شخصية متميزة فريدة وجعل مهمتها في الوقت نفسه جد عسيرة على الأستاذ والطالب معا .

● الثانوية العامة بدل الأزهرية

في العام الجامعي ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ قبلت دار العلوم أول مجموعة من الطلاب الحاصلين على شهادة الثانوية العامة ، وبعدها بعام قبلت الطالبات الحاصلات

دار العلوم

على الشهادة نفسها ، وأثار هذا هلعا بين عدد من الأساتذة المحافظين ، وقدم الشيخ محمد الزفزاف أستاذ الشريعة الاسلامية استقالته احتجاجا ولم يتراجع عنها رغم أن الطالبات كن يحضرن منفصلات فى مبنى المعهد الفرنسى وبعد عام واحد بدأت الطالبات يتلقين محاضراتهن فى مبنى الكلية نفسه جنبا إلى جنب مع الطلاب .

ومع الايام آثر الأزهريون أن يبقوا فى جامعتهم وتزايدت أعداد طلاب الثانوية العامة ، إلى أن انتهى العنصر الأزهرى أوكاد ، وكسبت الكلية الانسجام الفكرى بين طلابها ومع أن هناك فترة كانت الكلية تتلقى فيها أقل المجموعات لما شاع عن صعوبة مناهجها وعزوف الشباب عن مهنة التعليم ، ولكن انفتاح مجالات العمل الأخرى أمامهم وبخاصة فى وسائل الاعلام ، وإقبال البلاد العربية عليهم ، وعلى الفتيات بخاصة حتى أن التعاقد يتم مع الراغبين من طلاب الليسانس قبل أن تظهر نتائجهم كل ذلك جعل الطامحين فى البلاد العربية يقبلون عليها ، وهكذا ارتفعت درجات المتقدمين لها ، حتى أنها فى العام الماضى أخذت كل طلابها ويتجاوزون ثلاثة الآلاف من طلاب المرحلتين الأولى والثانية فقط .

مخاطر الحاضر

لكن الافراط فى الرضا عن النفس وخيم العاقبة لأن يشغلنا عن النقائص والعيوب والمخاطر ودار العلوم ليست بريئة منها على التأكيد .

أولى هذه المخاطر أنها لم تعد معهد العمالقة ، كما كانت قبلا المتخرج فيها خير من يقف على التراث ، يحققه ويفهمه ويجلوه ويصله بالتيارات العالمية ، ويخلف الجيل الذى رحل أو يتأهب للرحيل .

ومرد ذلك فيما أرى عوامل يرتبط أكثرها بالأستاذ .

فإقبال البلاد العربية على أساتذة دار العلوم أفرغها من كثيرين خيرين ، وفى فترة ماكان ٧٠ ٪ منهم معارون للعمل فى الخارج دون أن تعين الكلية مكانهم ، أو على درجاتهم وقانون الجامعة يعطيها هذا الحق ، وذلك رغم أن لوائح الجامعة تجعل الحد الأقصى ٢٠ ٪ وكان ذلك على حساب المستوى دون شك .

وأدت كثرة الطلاب والحرص على توزيع المذكرات إلى تمسك الأساتذة بمقررات أكثر وساعات أقل ووجدنا من يقسم الفرقة الواحدة ويتجاوز عددها أربعة الآلاف إلى أربع مجموعات بحجة أنه لايريد أن يكرر نفسه ، وتدريس أية مادة لألف طالب فى مكان لايتسع لنصفهم ماديا ، تحايل على الضمير وخيانة للأمانة .

وكارثة المذكرات أكبر ودار العلوم لاتختص بها وحدها وهى فى جامعات الأقاليم أكثر شيوعا وهى لون من العلم السرى لايخضع لأية رقابة علمية لامن الجامعة ، ولا النقاد ولا القراء ، وذات مستوى هابط ، أفكارها مهلهلة ، ومسروقة غالبا وفى الماضى كنا نصرخ لأن الجامعة لايصح أن تعرف الكتاب الواحد أو تقرره ،

وإنما توفر المصادر والمراجع التى يعود إليها الطلاب ولكننا الآن نترحم على تلك الأيام . ومن عجب لا أحد يصرخ فى وجه المذكرات مع أنها مجموعة من الجرائم وليست جريمة واحدة .

وكذلك فإن المساواة بين النابه والخامل والمنتج والكسلان فى الأساتذة أمات روح الابداع إلا من عصم ربك وحتى البعثات وكانت يوما أملا يزهو به الجامعى لم يعد لها هذا البريق . وبعضهم قعد عنها بعد أن حصل عليها وآخرون عادوا بعد شهور فى أوربا لأنهم وجدوا الدراسة هنا أيسر معاناة وأقصر زمنا . ونادر بين الذين تعلموا فى الخارج من عاد إليه ثانية يحاول أن يلاحق الجديد ويمسك به ولاخير أبدا يرتجى من أستاذ جامعى أحادى الثقافة مهما أربد وأزبد وعلا صوته . ووقف فوق كل منبر خطيبا .

إن حصيلة عدد لاباس به من الأساتذة (ومرة ثانية الأمر ليس وقفا على دار العلوم) كتاب رقى به إلى أستاذ مساعد . وكتاب آخر أو اثنان إلى أستاذ . وبعد هذا لاشىء . استوى الماء والخشبة . ومابعد الأستاذية يحتاج إلى مواهب ليس من بينها الابداع أو العلم أو الثقافة .

وانتهى الأمر بطلبة دار العلوم أنهم يدرسون موادا يمكن أن يختصر ثلثها ومذكرات أولى بها أن ترمى فى الصرف الصحى وجهد الطلاب موزع بين ذلك كله . لايدع لهم إلى المكتبة طريقا . ولا إلى الثقافة الحقة سبيلا . وإصلاح الأمر من داخل الكلية عسير . ونحاوله منذ عشر سنوات ونحن عاجزون فقد ارتبطت به مصالح مادية عاتية لاسبيل إلى التغلب عليها . إلا إذا الاصلاح من خارج الكلية والزمناها به .

وماذا عن المستقبل

مايقلقنى الآن ليس مستوى مدرسى اللغة العربية . فهذه قضية فرعية وجزء من كل وعلاجها سهل وميسور . ويمكن أن تقوم به أية مؤسسة تربوية إذا توفرت لها الوسائل المادية .

مايهمنى فى المقام الأول كيف نرد مصر إلى امجادها الثقافية الضائعة . وقد تناثرت مزعة وراء أخرى . وماجف منها لايزهر مايعوضه . فيصبح كتابها مطلوبا . وشاعرها محلقا . وترجمتها دقيقة أمينة وناقدها يفيض عن علم بتراثها وإدراك بالجديد عند غيرها . ولا يصبح كما يقول المثل العربى القديم « جعجعة ولا أرى طحنا » .

تلك هى القضية التى تشغلنى . ولا أرى لها حلا إلا العودة بدار العلوم كيوم أن أرادها على مبارك مكانا متخصصا للغة العربية وآدابها والدراسات الاسلامية أن تكون كلية للدراسات العليا . ولكن الدارس فيها يبدأ منذ المرحلة الجامعية فهى تتلقى عددا محدودا من الطلاب . قادرين على الدرس وراغبين فيه ويعيشون فى نظام داخلى . وتصرف لهم أمهات كتب التراث ومعهم مجموعة من الأساتذة المؤهلين ثقافتهم متعددة . وآفاقهم رحيبة وأمكانياتهم ممتازة وتتلقى هؤلاء الطلاب منذ العام الأول إلى أن يحصلوا على الدكتوراه . تنمى فيهم روح البحث والتأصيل وتأخذهم بالجدية والصرامة . ومنها يتخرج الأساتذة الذين سوف يضطلعون بإعداد مدرس اللغة العربية فى مختلف الكليات .

قصة قصيرة

حكاية
الرجل الغليظ.. السخيف وما فعله معى!

بقلم : حسين عبد العليم

كنت اقف فى الطابور امام شباك تذاكر السينما ، وكنت ادخن سيجارة فى تلذذ واهيىء نفسى للتمتع بالفيلم .

واذا به بجوارى ، حادثنى بغلظة ولزوجة ، وطلب منى ان اقطع له تذكرة معى واعطانى النقود .

ترددت ، دارت فى عقلى افكار عن : اهمية احترام الصف ، وانه ينبغى عليه الوقوف مثلما وقفت انا ، وان هذا السلوك قد يغضب الواقفين خلفى .

كدت بالفعل أن اقول له : متأسف .. قف فى دورك . لكننى عندما نظرت اليه لاقولها ـ وعندما شاهدت نظراته الوقحة الشرسة قلت : طيب .

تحولت افكارى الى : انه استثناء بسيط وتحورت الى : ان البلد كلها فاسدة والاصلاح لا يرتبط بمثل هذا الموقف .

غير ان نفسى الداخلية هزات منى وواجهتنى بصراحة : انتى جبان.. لقد خشيته وهو اقوى منى نفسيا . عادت افكارى تقنعنى : اننى كنت بالفعل جبانا الإعتراف هو اول الطريق للصواب . لن اجبن مرة اخرى . قطعت التذاكر واعطيته تذكرته ، عندما دخلنا وجدته يحتل المقعد الذى بجوارى فقلت فى نفسى : انه يوم لن يمر واذا به يضع كلتا يديه على مساند مقعده وبالتالى فانا محروم من وضع يدى اليمنى على مسند مقعدى . شنت ضده حربا صامتة ادفع يده بمنكبى الضعيف احاول زحزحتها ـ لكننى فشلت . قضيت فترة العرض اجمع شجاعتى كى اطلب اليه ان يرفع يده اليسرى من فوق المسند ـ لكننى لم اطلب . انتهى العرض وعدت الى منزلى وأنا



فى حسرة شديدة من جيلى .

فى اليوم التالى كنت اقف انا وزوجتى فى ميدان الكيت كات ننتظر السيارة (السرفيس) لنذهب الى ميدان الجيزة ، وكان مثلنا كثيرون ينتظرون . وعندما حضرت السيارة اسرعنا للحاق بالاماكن ودفعت زوجتى من ظهرها للركوب اولا - واذا به قد انتزع امامى وظهره العريض فى مواجهتى ، وركب السيارة قبلى وجلس بجوار زوجتى .

ورغم غيظى الشديد فقد سكت .

فوجئت بنفسى الداخلية تقول : ياجبان .. انظر كيف يحضر

حكاية

الرجل الغليظ .. السخيف وما فعله معي !

زوجتك .. انظر كيف ان افخاذه الخنزيرية تحتل نصف المقعد له بمفرده .. انظر الى نفسك وانت تجلس بنصف مؤخرتك ؟ !

ثارت ثائرتي ، ولكن افكاري ذهبت الى : كيف تتشاجر ومعك امرأة ؟

تولى هو جمع الاجرة ، اعطيته جنيها وقلت له : اثنين . كانت عيناه تسخران مني، بشدة ، رد لي الباقي نقودا ممزقة تماما لا تصلح ، اربكت ولكنني لم اجرؤ على طلب تغييرها . وفي هذه الليلة لم انم من الغيظ والحنق على نفسي .

في اليوم الثالث كنت اسير بجوار الجمعية التعاونية ، وعلمت انه يوجد بها زيت وسكر . حسبت ما معي من نقود ووقفت فورا في الصف . طال بي الوقوف ، وعندما اقترب دوري للشراء فوجئت به يقتحم الطابور ويقف امامي ، غلى الدم في عروقي ، تشجعت وطلبت منه ان يخرج من الطابور ، كان صوتي خشنا ، متحشرجا وغريبا علي .

التفت هو الى الخلف ، بدون مقدمات صفعني فطار الشرر من عيني ، ثم حملني كما يحمل طفلا والقى بي الى الارض ومرغ وجهي وانفي في روث حمار كان موجودا بالصدفة في الشارع .

قمت في حالة يرثى لها واكتشفت ضياع النقود وضياع حقيبتي التي تحوي اوراقا خاصة بالعمل . عدت الى البيت ، سخنت لي زوجتي مياه لكي، استحم رغم الاستحمام فقد ظلت الرائحة النتنة في انفي ، جلست اناقش زوجتي في المسألة فقالت : هو مفيش الا انت قدامه ؟

عندما نمت في هذه الليلة كان نومي قلقا متقطعا رايته ينتظرني اسفل منزلي وهو يدخن سيجارة وينظر نحو نافذتي في وقاحة ، ثم رايته ينتزع مفاتيح منزلي من ميداليتي ويضعها في جيبه ، ورايته يتجول في شقتي بكامل حريته عاريا تماما وعورته الضخمة تهتز امامه ، ثم رايته يتشمم في ملابس زوجتي الداخلية المعلقة على مسمار خلف باب الحمام ، ورايته يصفع زوجتي بشدة وزوجتي قد علا صوتها بالصراخ قمت من النوم كالملسوع تبينت ان السيدة جارتنا - كعادتها كل صباح - تقوم بتشغيل المسجل باعلى صوت ، وتتلذذ باغنية للمدعو حسن الاسمر .

ارتديت ملابسي، بسرعة وتهيأت للخروج، تخيرت جرنالا قديما ، طويته كي احمله في يدي كما هي عادة الموظفين ، داخل طياته خبأت سكينا كبيرة ، خرجت الى الشارع .

لغويات

● ليس صحيحا أن كلمة « مصالح » - جمع مصلحة غير صحيحة وان الكلمة الصحيحة هي « صوالح » .. فان جميع بلغاء الشعر والنثر استعملوا كلمة « مصالح » .. ورحم الله ابا العلاء المعرى حيث قال :

ظلموا الرعية واستجازوا كيـدها
وعدوا « مصالحها » وهم اجـراؤها

● القلة التى نشرب منها ، سميت كذلك لان اليد تقلها ، أى تحملها الى فم الشارب .. ويقال : فلان اقل الشيء ، واستقل به ، أى حمله بيديه بلا مساعدة من أحد ، ومن هنا جاء اصطلاح « الاستقلال » .. أى حمل امور البلاد بأيدى أهلها وحدهم دون تدخل من الاجانب ..

● يخطيء من يقول : فلان خلد الى الراحة .. والصواب : أخلد الى الراحة .. ومعنى « اخلد » اطمان ولزم الراحة وتقاعس عن الحركة .

● كتبت علينا المقادير أن ننبه فى كل شهر عن خطأ مطبعى ، ففى لغويات الشهر الماضى استشهدنا بقول طرفة بن العبد الشاعر الجاهلى :

كلهم أروغ من ثعلب
ما أشبه الليلة بالبارحـه

وقد جاءت كلمة « أروغ » بلا نقطة فوق الغين فصارت « أروع » .. وانما المقصود فى البيت روغان الثعلب أى حيلته ومكره وخبثه !.. وجاءت كلمة البارحة بنقطتين فوق هاء السكت الأخيرة ، وليست هناك نقطتان !

● بعض الادباء يفضلون ان يقولوا « مطرت السـماء » بدلا من « امطرت ... » .. استنادا الى الاسلوب القرآنى الذى يقول لكل مطر عن العذاب : أمطر .. ويقول الرحمة : مطرت ..

● كل مرتفع عن الارض يمكن تسميته عرفا ، وسمى عرف الديك عرفا لارتفاعه فوق رأسه .. والاعراف سورة فى القرآن الكريم يقول المفسرون أن الاعراف سور مرتفع يفصل بين الجنة والنار ، وهو جمع فى معنى المفرد أى أن صيغة الكلمة « جمع » ، ولكنها تستعمل اسما للسور ، وهو مفرد .

شهريات

• البحث عن ناشر جديد •

اذا قلت انه ليس هناك في عالمنا العربي دار نشر كبيرة واحدة لها فعالية دار نشر مثل « البنجوين » التي تجد كتبها في كل بيت في اركان الارض ، فانني اقرر حقيقة موضوعية لا تمس احدا من الناشرين العرب بقدر ما تدعوهم جميعا للتفكير في الامر بجدية من اجل تطوير اساليب عملهم وصولا للهدف المنشود : ان ترتفع رايات الثقافة العربية عاليا، وان تتواصل روافد الثقافة في كل البلدان العربية بعضها والبعض الاخر.

فلا تزال دور النشر العربية تعمل بنفس الطرق التقليدية التي بدأت بها حركة النشر العربية في بداية هذا القرن واواخر القرن الماضي ، ولا اعتقد ان احدا منها اهتم بدراسة واقع الساحة الثقافية العربية ، وخطط للتواصل فيما بين جذورها المتناثرة ، وحاول ان يقيم خطة لان يكون النشر مخططا ومبرمجا وقائما على دراسات تسويقية علمية ، او حتى دراسة لصناعة الكتاب نفسها ، وان تكون خطط النشر قائمة على اساس علمي ، يقوم على وضعها متخصصون يعرفون ، لا ان يتم النشر بشكل عشوائي وحسبما هو متوفر.

اننا ندعو الناشرين العرب ان يدرسوا تاريخ دار البنجوين الانجليزية ، هذه الدار التى عملت منذ لحظة قيامها الاولى على وضع هدف محدد وواضح امامها : ان تصل الثقافة الانجليزية الى كل قارىء في اى مكان من العالم يعرف الانجليزية سواء كان غنيا او فقيرا فاستبدلت بالثوب القشيب اخر بسيطا لكنه جميل وجيد يطمئن القارىء ان وراءه من اختار بدقة ودون اعتبار لشىء الا للمستوى والجودة ، وان يجد في نتاجها تنوعا في المعارف بين اخر تطورات العلم واقدم الاعمال الادبية ، وان يطمئن بانها تضع عينيها في النهاية على المستقبل.

عبده جبير

مهرجانات

اضاءة ٧٧ بعد عشر سنوات

اقامت جماعة « اضاءة٧٧ »الشعرية الشابة مهرجانا شعريا نقديا بمناسبة مرور عشر سنوات على نشاتها وصدور مجلتها الشعرية بنفس الاسم اضاءة٧٧ وقد اقيم المهرجان باتيليه القاهرة ،فى الليالى الثلاث الاخيرة من يوليو الماضى.

وعند تكوينها عام ٧٧ ضمت هذه الجماعة الشعراء الشباب حلمى سالم، حسن طلب ، جمال القصاص ، رفعت سلام (الذى خرج منها فيما بعد) وماجد يوسف وامجد ريان ومحمد خلاف ومحمود نسيم ووليد منير .
واصدروا العدد الاول من مجلتهم التى استمرت منذ ذلك الوقت فى الصدور المتقطع مرة تصدر كل عدة اشهر ومرة تمر عليها الفصول .

فى بداية اليوم الاول لهذا الاحتفال الشعرى الذى اقيم بقصد تقييم الجماعة ونتاجها الشعرى والذى اداره حلمى سالم قدمت « اضاءة ٧٧ » نصا اطلقت عليه وصف البيان الشعرى الجديد القاه الشاعر حسن طلب بعنوان « بيان الشعر : عشر سنوات من النزف الجميل » اعادت فيه الجماعة التاكيد على مواقفها الجمالية ومنطلقاتها النقدية طوال السنوات الماضية ، فيما يتصل خصوصا بقضايا اساسية مثل: الشكل والمضمون ، والغموض والشكلانية ، وعلاقة الشعر بالجماهير والمجتمع . كما اشارت فى بيانها الى بعض اوجه القصور ، النقدى والابداعى، التى عانت منها ، فى مرحلتها السابقة.

وقد جاء فى ختام البيان ما نصه : « نحن معكم اليوم لنقول بملء العقل والقلب، اننا سنستمر : ناقدين لانفسنا، مبدعين، حاملين راية القصيدة القصيرة فى ميدان لم يكد يبقى فيه من الشعراء غير الذين استسلموا لتجارب الرواد وراحوا يكررون النسخة نفسها عن القصيدة الاصل » .

وقد كان عنوان الامسية الاول هو « الفكر النقدى والجماعى لجماعة اضاءة ٧٧ » وتحدث فى الموضوع كل من الدكتور عبد المنعم تليمة (استاذ الادب بجامعة القاهرة) والناقد ابراهيم فتحى .

ركز الدكتور تليمة على المغزى الثقافى الاجتماعى التاريخى الذى يشير اليه انشاء هذه الجماعة الشعرية المستقلة ، فى سياق تاريخنا الثقافى الحديث منذ نشوء جماعة « ابوللو » حتى « كتاب الغد » ثم « اضاءة ٧٧ ».

وقال ان رؤية هؤلاء « الاضائيين» للعالم وللشعر تختلف عن رؤية « النهضويين » و « الرومانسيين » و « الرواد » المحدثين .

واضاف قائلا : ان عمل هؤلاء الشعراء الطليعيين مازال يعانى من


حلمى سالم


جمال القصاص

عثرات لابد من تجاوزها : فما زالت التقاليد الشعرية ماثلة في بعض نتاجهم وما زالت نظرتهم للتراث هي نظرة الرواد النهضويين ، ومازالت هناك مشكلة التواصل بين شعرهم وبين جمهرة المتلقين الواسعة ٠

اما الناقد ابراهيم فتحي فقد اختلف بشدة ووضوح مع بيان الشعر ومع رؤية الدكتور تليمة معا ، فذكر انه بيان هجومي وتلفيقي ولا علاقة له بالنقد ، وان رؤية الدكتور تليمة فيها مبالغة وغير موضوعية،وظالمة للشعراء الرواد الذين ذكر تليمة انهم كانوا يصدرون من داخل « مؤسسة السلف » الشعرية والثقافية والايديولوجية ، السائدة والحاكمة ٠

واشار ابراهيم فتحي الى ان اضاءة ٧٧ قد ادعت انها هجرت ثنائية«الشكل المضمون » ، لكنها احلت ، من ناحية ثانية ، محلها ثنائية اخرى اعجب منها هي ثنائية « الموقف وتشكيله » ٠ ونصحهم بالتركيزعلى الشعر والانصراف اليه وترك النقد والتنظير للنقاد والمنظرين ٠

كان ضيف شرف هذه الامسية الاولى الشاعر محمد عفيفي مطر الذي القى قصيدة بعنوان « فرح بالماء » ثم القى اربعة منشباب الشعراء قصائدهم وهم : امجد ريان ورفعت سلام،وجمال القصاص ، وعبد المنعم رمضان ٠

وكان عنوان الامسية الثانية التي ادارها الشاعر رفعت سلام هو « ملامح الاضافةالفنية عندشعراءالسبعينيات »٠

وكان المحاضرالرئيسي فيها هو ادوار الخراط الذي تحدث بحماس عن اللحظة الفنية والفكرية والتاريخية التي يبدع فيها هؤلاء الشعراء شعرهم ، مؤكدا ، انهم خرجوا عراة في مواجهة الايديولوجيات الجاهزة ، وبخاصة ايديولوجيات اليسار الذي كف عن مساءلة الواقع وعن مساءلة نفسه وعن مساءلة النظرية نفسها، فتجمد وتكلس، والقى الخراط الضوء على المفاهيم الجمالية التي يصدر عنها شعراء السبعينيات بعامة وتحدد اتجاهات نتاجهم الابداعي ، مركزا على تصورهم الجديد لقضية « الشكل» في العمل الفني، موضحا ان هؤلاء الشباب يعتقدون بقوة ان الشكل ليس عنصرا خارجيا يدخل على « مضمون » القصيدة ، بل ان هذا الشكل نفسه دلالة ، فالشكل عندهم يقول ان الشكل بطريقة قوله للمقول يقول » ٠

واختتم ادوار الخراط حديثه بالتاكيد على التمايز الذي يفرق بين هؤلاء الشعراء بعضهم بعضا ، على عكس التهمة الشائعة القائلة بانهم متشابهون مكررون متماثلون ٠٠ ان كل شاعر من هؤلاء الشباب نسيج وحده ٠

وكان ضيف شرف هذه الامسية الثانية الشاعر سيد حجاب الذي القى قصائد قصيرة ثم قصيدة طويلة الى صلاح جاهين ثم القى اربعة من شباب الشعراء قصائدهم وهم : محمد سليمان وماجد يوسف ومحمود نسيم وحسن طلب ٠

اما عنوان الامسية الثالثة والاخيرة التي ادارها الشاعر جمال القصاص فكان عنوانها شعر السبعينيات والواقع الاجتماعي والسياسي وتحدث فيها



د . عبدالمنعم تليمه

ش
شعريات

الناقدان صبرى حافظ ومحمد بدوى •

اشار صبرى حافظ الى العوامل الاجتماعية والحضارية والثقافية التى تساهم فى تغيير الحساسية الادبية والابداعية من مرحلة الى اخرى ، موضحا ان عناصر الحساسية الابداعية الجديدة الراهنة بدات بواكيرها الاولى منذ الاربعينيات بعد ان بدات عناصر الحساسية القديمة (التى ظهرت مع بدايات القرن) تتضاءل وتضمحل وتخلى مكانها للرؤى الجديدة •

وذكر حافظ بعض السمات الفارقة التى تميز هذه الحساسية الجديدة عن سابقتها ، واهمها الانتقال من واحدية الدلالة وتطابقيتها مع الواقع الى تعددية الدلالة وغناها بالتاويلات والتفسيرات •

ثم اشار الى دلالة ظهور هذه التجربة الشعرية الجديدة فى السبعينيات بالذات بما حملته هذه السبعينيات من هبوط اجتماعى وثقافى وتغير فى القيم الثقافية والاخلاقية والجمالية •

واختتم كلامه بأن هذا التناقض مع واقع السبعينيات المتردى ؟ هو الذى جعل الشعراء الجدد يبرزون جمال النص فى مواجهة قبح الواقع •

أما الناقد أحمد بدوى فقد رصد تحولات الرؤية الشعرية منذ الاحيائيين حتى السبعينيين ، وركز على ما يواجه تجربة الشعراء الشباب من مزالق ، اهمها : افتقاد الدلالة فى كثير من الاحيان ، والوقوع فى اسر الغرام الشكلى اللغوى ، وانقطاع التواصل مع جمهرة القراء والمتلقين •

وكان ضيف شرف هذه الامسية الاخيرة الشاعر محمد ابراهيم ابوسنة الذى القى بعضا من قصائده ، ثم القى اربعة من شباب الشعراء قصائدهم : احمد طه ، وليد منير ، عبد المقصود عبد الكريم ، حلمى سالم •

ترجمات

• قصص مصرية الى الصينية

عاد الدكتور محمود كامل الريس رئيس جامعة المنيا ، والدكتور عبد الحميد ابراهيم عميد كلية الدراسات العربية من الصين الشعبية بعد ان قضيا اسبوعين تلبية لدعوة من جامعة الدراسات الدولية بشنغهاى لعقد اتفاقية ثقافية بين كلية الدراسات العربية بالمنيا ومعهد الدراسات العربية بالجامعة الصينية •

والنتيجة العلمية الجديرة بالذكر التى تمخضت عن هذه الزيارة العلمية تمثلت فى عقد اتفاق تعاون تقوم على أساسه كلية الدراسات بالمنيا بالاشراف على مناهج الدراسات العربية بمعهد الدراسات العربية بشنغهاى وتدريب الطلاب واقتراح رسائل الماجستير والدكتوراه والمشاركة فى الاشراف عليها والمساعدة فى توفير المادة العلمية للدارسين •

وقد رحب الدكتور على جبارة عميد المعهد الصينى ، وهو فى نفس الوقت كبير المترجمين من اللغة العربية بالصين،



د . عبدالحميد ابراهيم

بالملاحظات التي ابداها الدكتوران الريس وابراهيم خاصة فيما اطلعا عليه من اختيارات الترجمة من الادب العربي الى الصينية ،وكانت الملاحظة الاساسية أن هذه الترجمة تتم بطريقة عشوائية ،

وعلى هذا الاساس تم الاتفاق على ان تقوم جامعة المنيا بترشيح الاعمال الادبية للترجمة الصينية ، بالاضافة الى تبادل الرأي والاستشارة حول الاختيارات التي يقترحها بعض الدارسين في الصين.

وكانت النتيجة العملية الهامة التي انتهت اليها النقاشات هي ان يقوم الدكتور عبد الحميد ابراهيم باختيار مجموعة من القصص القصيرة التي تمثل الحركة الادبية في مصر ، وتعطي فكرة عن الاجيال المختلفة ، وتبرز اتجاهات القصة القصيرة المصرية واشكالها المتنوعة مع مقدمة دراسية نقدية لهذه القصص ومؤلفيها .

وكانت الروح الطيبة التي لمسها العالمان المصريان وراء حماسهما لدفع عجلة التعاون في مجال التبادل الثقافي بين البلدين اذ لمسا في كل من التقيا به من دارسي الادب العربي من الصينيين رغبة شديدة في الفهم وتعاطفا عميقا مع العرب ، مما يجعل حركة الاستعراب في الصين حركة هامة جدير بكل الجهات المعنية ان تتوجه اليها بنفس التقدير والتعاطف .

مسرح

● ٢ تحت الارض

بدأ الشهر الماضي عرض مسرحية (٢ تحت الارض) على خشبة المسرح القومي ، وهي من تأليف محمد سلماوي واخراج فهمي الخولي .. وقد استقى المؤلف موضوعها من سلسلة حوادث نشرتها الصحف عن انفجارات مواسير الصرف الصحي ، وسقوط البعض في بالوعات المجاري ، وتدور المسرحية حول شاب وفتاة يسقطان بالصدفة في بالوعة ، ومن خلال لقائهما يعري المؤلف ازمة جيل كامل يرى كل شيء ينهار امامه ، ويكشف عجزه عن نهضة مجتمعه بعد ان تدهور كل شيء .

الشاب والفتاة يسقطان في الوقت الذي كانت تجري فيه مراسم افتتاح خط جديد للصرف الصحي ، وامام مظاهر التردي والتصريحات الكاذبة ، تقودهما رغبتهما في الاصلاح الى اتهامهما بتكدير الامن العام والقيام باعمال تخريبية تهدد استقرار البلاد ، وهنا تتم محاكمتهما وسجنهما في البالوعة !

والسؤال الذي ساقاه وكان من ورائه اتهامهما ، سؤال بسيط عن المواطن المصري (ليه هوه عندكم مواطن من الدرجة الثانية ، كل احتياجاته الاساسية غير متوفرة ..) والمسرحية تمتلئ بعد ذلك بكم وافر من الاسئلة عن اوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويستخدم المؤلف لذلك كل ما يعن له حتى اخبار الصحف وحوادثها لكي يعطي دلالات على الواقع ، ويحذر من الطوفان القادم الذي قد يقتلع معه الاخضر واليابس ، فنحن نقرأ مع بطليه (الاستيلاء على ملايين الجنيهات من البنوك دون ضمان ـ ضبط محاولة تهريب مخدرات بخمسين مليون جنيه عبر حدود مصر الشرقية ! ـ زوجة رئيس جمهورية مصري سابق تجمع تبرعات في امريكا لاسرائيل ـ حوادث عن الابناء الذين يذبحون اباءهم والعكس) .. وتدور اسئلة البطلين حول (الحمى القلاعية ـ اللحوم الفاسدة ـ المياه

الموتة ـ اللبن المشع ـ القمامة ـ المجارى ـ المواصلات ـ التليفونات ـ رغيف العيش ـ الضرائب ـ المرافق ـ الخدمات) « البلد بقت مهجورة واللا ايه فين المختصين ، زى ما يكون الناس كلهم سدوا ودانهم ، ما حدش عاد بيسمع شكاوى الناس ... الواحد عايش حياته لا فى الشغل المناسب ولا السكن ولا قادر يتجوز ولا يفتح بيت ولا قادر يلبى احتياجاته اليومية.. يبدو اننا جيل اتحرم من الحياة الكريمة ومن الموتة الكريمة كمان) وهما يحلمان بعزة بلدهما (مصر العروبة والاسلام التى هزمت الصليبيين .. مصر الثورة اللى رجعت البلد تانى لاصحابها وحققت الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص واممت القنال وبنت السد واقامت اول وحدة فى تاريخ العرب الحديث) .

وكل هذه المعانى الكبيرة التى تتردد فى جنبات المسرح لابد انها ستشعرك بالحبور والغبطة ولكنها تظل اسيرة الاراء التى يلقيها الخطباء ويكتبها المعلقون وينفعل لها المستمعون والقراء، لأن الدراما شيىء آخر مختلف ، يمكن بالطبع ان تحمل الدراما كل هذا ولكن بعد توظيف ذلك داخلها ، فما اسهل ان تصبح الشخصيات ابواقا للمؤلف يقول من خلالها افكاره ورؤاه واحلامه وما اسهل ان يعتلى الخطباء واصحاب الرأى خشبات المسارح ويدلى كل بدلوه !

ويبدو ان محدودية الحدث الدرامى ولا منطقيته ، هى التى اوقعت المسرحية وساقتها فى طريق المباشرة والخطابية.

وقد نلاحظ ان هذه سمة ظاهرة فى اعمال المؤلف ، وهو خير من يقدر على الوقوع على افكار جميلة ، ولكنها تظل دوما حبيسة الاندهاشة الاولى ، فانت دون شك ستتحمس لما يقوله ابطاله ويرددونه ، وقد تنفعل فتصفق لمقولات هنا وهناك، ولكنك ابدا لا تتاثر وجدانيا، رغم مشوار ، وجذوة اشتعاله خافتة، والتعاطف مع مع شخصياته ضرب من المحال ! فلا يمكن ان يختلف عاقل حول آمال واحلام بطله « لازم نرجع الحلم تانى رغم كل الحملات الموجهة والمدعمة والممولة اللى حوالينا واللى هدفها انهم يقتلعوا من ذاكرة الشعب ده انه استطاع فى يوم من الايام ، انه يحلم بتحقيق المجد والتقدم ، بتحقيق العزة والكرامة .. » وان يوافق على تاكيده بان « الحملة الشرسة المستمرة معناها ان الشعب اللى عايزين يحطموه ما بيتحطمش ، معناها ان اخضاع الارادة الوطنية للبلد دى مابيتحققش معناها باختصار ان الشعب لسه برضه رافض يتنازل عن الحلم ، مصر الحضارة والتاريخ اللى نشرت المدنية فى العالم وقت ما كانت الدنيا كلها لسه ظلام مش ممكن ده يبقى حالها » وكل هذه كلمات عظيمة وجميلة ، ولكن المشكلة هى فى كيفية ان تقال على خشبة مسرح يقدم عملا دراميا فى الاساس ، والذى نقصده لا يعنى التزاما بالارسطية او التقليدية ، ولكن المهم هو البناء الدرامى الذى يعتمد اعتمادا رئيسيا على شخصيات حية من لحم ودم والتى تواجه مواقف حقيقية وليست مفتعلة وتجابه مشكلاتها بالفعل لا بالقول .

ومن هذا الحوار ، ندلل على قيمة كل هذه الاراء التى يطرحها المؤلف على لسان شخصياته واللى يمكن ان تلقى المزيد من التقدير فى مكان اخر غير خشبة المسرح .
وقد نلاحظ ان المؤلف قد ادخل بعض

المواقف قسرا على عالمه الدرامي الساكن وحدثه المستكين تحت وقع الآراء المباشرة ، فنحن نعرف في الفصل الثاني ان الشاب قد تزوج الفتاة ، فنجد مشهدا طويلا يعود بنا الى الوراء لنعرف منه فقط كيف دخل المأذون البالوعة بواسطة عمال الصرف الصحي ولنستمع منه هو الاخر خطابا طويلا عن الزواج في الاسلام – ولم لا مادام الكل يلقي بالخطب – ونعرف أيضا ان الفتاة معيدة في احدى الجامعات ، فنجد المؤلف يستحضر مشهدا من الماضي كانت فيه الفتاة تعرض الزواج على الاستاذ المشرف على رسالتها وكيف نظر اليها المجتمع وقتها ، وهو موقف كثيرا ما تكرر في الدراما المصرية ، ومسرحية الحكيم (اريد هذا الرجل) غير مجهولة ، وحين يقرأ الشاب في الصحيفة نجد المؤلف يستحضر افرادا من تحقيق صحفي داخل الصحيفة (!!) ليدلوا برايهم مثل امين الحزب وزوجة المقاولة في حوادث المجاري التي تتابعها الجريدة !

وقد حاول المخرج فهمي الخولي توظيف ادواته كلها في اخراج الموقف الاستاتيكي من جموده بحركة الممثلين الوثابة السريعة وبالاداء العنيف احيانا وبالحيل المسرحية الفاجئة ، وبقلمه الذى لا يفتأ ان يعالج معظم اعماله التي يخرجها ، ومن ابرز ما ادخله على النص المكتوب تيمة دخول قوات الامن من صالة المسرح – وقد فعل هذا في مسرحيته (الرهائن) – وان كانت هنا تؤدى بشكل هزلي تماما بعد استعانته بممثلين مختلفي الاحجام في محاولة للسخرية تستمر طوال تواجدهم في العرض ، والمخرج من ابرع من خلق تشكيلات وتكوينات من لا شيء ، وقد كان دائم التجريب في اعمال لم تعرض على الجماهير بشكل كبير مثل (كرابيج – الانسان والحرية) وكان يوظف فيها اخبار الصحف والشعر في صياغة درامية يبدعها هو ومن معه بمهارة كبيرة ، واذكر انه بمجموعة احبال مدلاة من سقف المسرح كان يصنع الاعاجيب وببساطة اسرة ، ولكن يبدو ان روح المحترفين من ابناء مسرح الدولة في هذه المسرحية قد حالت من انطلاق موهبته الكبيرة التي تتجلى اكثر مع طاقم فني وممثلين يحبون المسرح ويعشقونه ، ومن اجمل المواقف التي جسدها الخولي وربط بينها وبين بزوغ الشمس في عمق المسرح حين كان البطل يقص حكاية سيدنا ادم الذى مات وذبلت الزهور حول قبره ، بما يوحي بدور عبد الناصر الوطني ، وتنويعاته الموسيقية المصاحبة على لحن (الوداع ياجمال) وهي نفسها بقعة الضوء التي كانت تظهر كشمس تحمل من ورائها الامل في المستقبل ، ورؤية الفتاة لها وهي تطل مساء كل يوم بين العمارات قبل ان تحتجب وتغرب ·

وقد اضاف اشرف نعيم بتصميمه البديع لديكور المسرحية لمسات جمالية خالصة في تجسيده للبالوعة على خشبة المسرح ، واستخدامه ادوات وخامات لم يستخدمها احد قبله في المسرح المصري ، هكذا كان في اعماله الاخيرة المتميزة (باى عرب – عجبى) ويفرش ارضيته بطبقة داكنة لامعة تعطي الاحساس بما في البالوعات من عفن ورطوبة ومياه ··

وظهرت براعة وفهم موسيقي عمر خيرت في مزاوجته بين المؤثرات الطبيعية واللحن المعبر ··
وقد ادى محمود مسعود دور الشاب

بوعي شديد وعلى العكس كان اداء فاطمة التابعي سطحا بعد ان تعاملت مع دور الفتاة بخفة لا تليق ، وهكذا كانت نهيرامين في دور مذيعة التليفزيون والتي اضافت بمبالغتها فجاجة لاحد لها ، ويبرز من باقي الممثلين في حدود الانماط المرسومة احمد فؤاد سليم ، زين نصار ، حسن العدل ، سعيد الصالح ..

والخلاصة ان هذا العرض يحمل هموما وافكارا جادة كثيرة ، تتذكرها كما تتذكر مقالا قرأته ، وتنساها مع هؤلاء الذين ارادوا الحياة تحت الارض !

محمد الشربيني

معاجم

● معجم علم النفس

لقد ادت الدعوات المتكررة التي سادت في العشرين سنة الماضية ببذل الجهد في مجال الموسوعات والمعاجم العامة والخاصة الى نتائج باهرة بحيث يمكن القول بان السنوات الخمس الاخيرة شهدت عشرات القواميس والمعاجم والموسوعات الجديدة سواء في مصر او المغرب او العراق او غيرها من البلدان حتى ليمكن القول اننا نعيش نهضة لاباس بها في هذا المجال .

وضمن هذه النهضة المعجمية ياتي « معجم علم النفس والتحليل النفسي » الذي صدر منذ ايام قلائل عن دار النهضة العربية اللبنانية وقام بالاشراف عليه وراجعه وساهم فيه الاستاذ الدكتور فرج عبد القادر طه رئيس قسم علم النفس بجامعة عين شمس بمشاركة الدكاترة محمود السيد ابو النيل وشاكر عطية وحسين عبد القادر والعميد مصطفى كامل عبد الفتاح .

ويقول الدكتور فرج : نحن لا نكاد نحضر نقاشا او نقرأ في صحيفة او نستمع الى اذاعة او نشاهد تليفزيونا الا ونجد تداولا متكررا لمصطلحات ومفاهيم استعيرت من علم النفس والتحليل النفسي ، وسواء اكان استخدامها في تلك المجالات استخداما صحيحا او محرفا ، ومن هنا وجبت الحاجة الى معجم يشرح لنا المقصود الدقيق من هذه المصطلحات وتلك المفاهيم حتى تكون هناك لغة مشتركة بين صاحب الحديث ومتلقيه، فيستقيم الفهم ، وتكبر الفائدة .

وعلى هذا الاساس فان هذا المعجم موجه للمثقف العام حتى يجد فيه بغيته من المعرفة العلمية التي تعينه - كما يضيف الدكتور فرج - على تحقيق قدر اكبر وادق من الفهم لما يستخدم من مصطلحات في علم النفس او التحليل النفسي او يقابله منها مستمعا او قارئا ، كما يجد فيه ايضا ما يشبع فضوله نحو معرفة المزيد من المعلومات النفسية والمعارف العلمية الدقيقة من ذوي الاختصاص.

وجدير بالذكر ان ترتيب مصطلحات هذا المعجم تمت على اساس الابجدية العربية ، كما تم تذييله بثبت اصطلاحاته الانجليزية ، كما استن المؤلفون سنة طيبة هي ان وقع كل منهم في نهاية المصطلح الذي قام بعرض معناه ، والحقيقة ان الشرح الوافي لمصطلحات هذا المعجم يجعله اقرب الى الموسوعة وان كان يمكن ان يصل الى هذا الهدف بقليل من التطوير وارفاق الصور والرسوم التوضيحية المطلوبة بالاضافة الى تعريفه بالاعلام والمذاهب بشكل اكثر اتساعا .

مكتبة الهلال

الكتاب : رسائل العدل والتوحيد
تحقيق : د . محمد عمارة
الناشر : دار الشروق ٣٣٨٢ ص ٦ ج م .

بين دفتى هذا الكتاب ثمانية نصوص من جواهر تراثنا العربى الاسلامى لاربعة من كبار الائمة هم : الحسن البصرى (٦٤٢ - ٧٢٨م) امام اهل السنة والقاسم الرسى (٧٨٥ - ٨٨٦م) امام الزيدية ، والقاضى عبد الجبار (ت ١٠٢٤م) امام المعتزلة ، والشريف الرضى (٩٦٦ - ١٠٤٤م) امام الاثنى عشرية .

وتوزع النصوص فيقدم الدكتور عمارة « رسالة فى القدر » للحسن البصرى ، وخمس رسائل للقاسم الرسى هى كتاب اصول العدل والتوحيد ، والثاب العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الله الواحد الحميد والاصول الخمسة ، والرد على المجبرة ونفى التوحيد ، اما رسالة القاضى عبد الجبار فهى « المختصر فى اصول الدين » ويأتى بعدها انقاذ البشر عن الجبر والقدر » للشريف الرضى .

وكعادته فى تحقيقاته السابقة فان الدكتور عمارة ليقدم لهذه النصوص بدراسة وافية بها مقدمات بالمؤلفين ، وتقويم لهذه النصوص .

وفى هذه الدراسة المستفيضة يتعرض المحقق للقضايا الرئيسية التى تشكل جوهر مشكلة التراث بالنسبة لنا فى عصرنا الراهن فهو يرى انه تراث متنوع : جاء وتلج وتكون كثمرة عقلية ووجدانية لحياة امم توزعها شعوب مختلفة ذات بيئات متعددة ، وخلفيات حضارية متنوعة ، ومرت بها عصور وقرون واجيال متطورة » وهو يرى أن من الضرورى نشر كل هذا التراث سواء فى ذلك جانبه المتقدم او المتخلف لاننا لن نستطيع الاستفادة المرجوة من جوانب التراث المتقدمة الا اذا بعثنا الى جانبها جوانب التراث المتخلفة وهو يدعو الى بعث نهضة جديدة لنشر التراث فى مخطوطاته الاساسية التى لم تنشر بعد ، وعلى الاقل ، تلك الاعمال الفكرية الاساسية المعبرة تعبيرا كافيا عن القسمات الاساسية للتيارات الفكرية والمدارس التى حفل بها تراثنا .

كما يثير الدكتور عمارة عددا كبيرا من القضايا الهامة التى لا يغنى قارئها مجرد اشارات سريعة لها بل يقتضيه الان الرجوع الى النص الاساسى نفسه حتى تتم الفائدة .



الكتاب : حكايات من النوبة
تاليف : جمال محمد احمد
الناشر : هيئة الكتاب ٢٥٠ ص ١٥٠ ق

لعل البعض تاخذه الحيرة وهو يطالع نصا

ش
شهريات

من هذا النوع ، كتبه مؤلف عربي باللغة الانجليزية اخذ اصوله من العربية ثم ياتي مترجم عربي لينقله الى اصله العربي لكن ، هذه المرة في لغة الترجمة عن اللغة الاخرى ·

ومثار الحيرة هنا هو ما يحسه القارىء من تفضيل المترجم لنقل النص الانجليزى ابتغاء الاستسهال دون الرجوع الى الاصل العربي وهو ما يفقد النص - في تقديرنا - خصوصيته وحرارته التي لا يمكن تعريفها عن الاصل ·

على اية حال يقول لنا الدكتور عبد الحميد يونس ان هذه الترجمة قد جاءت نتيجة اقتراح من الدكتور مجدى وهبة ، كما يبين ان من « اهم مزايا هذه الحكايات ان الاستاذ جمال محمد احمد لم يكن يقصد اقتراحا مجرد نقلها الى الانجليز والاوربيين للتعرف بها ولكنه اختارها بحوافز الاديب الذى ينزع الى تحقيق ذاته ، وهو ما نجده في حوافزه على الاختيار ، وفي بذل الجهد في الوصول الى البنية الاصلية لكل حكاية من هذه المجموعة » ·

هى الآن نصوص مسجلة بلغة المؤلف تدخل في صياغتها بلغته الخاصة لذلك وجب القول انها نسخة جمال محمد احمد من هذه الحكايات الشعبية صاغها بلغته حتى يعرف القارىء الى اى نص يتقدم ومع من يتعامل وليس قصدنا من ذكر هذه الحقيقة التقليل من شان هذا العمل ، بل شرح ما هو ما مراد للقارىء على حقيقته ·



الكتاب : ابن سينا
تاليف : سليم فياض
رسوم : اسماعيل دياب
الناشر مركز الاهرام للنشر ٥٦ ص ، ١٥٠ ق م ·

هذا هو الكتاب السابع من سلسلة الكتب النيرة التي توفر على تاليفها القاص المعروف سليمان فياض وقدم فيها ابرز العلماء العرب في مجالات الطب والكيمياء والهندسة الطبيعية والانسانيات سيقدم فيها هذه المرة قصة حياة ابن سينا ابو الطب البشرى واحد عباقرة المسلمين الكبار الذى عاش في القرن الحادى عشر الميلادى ، وحفلت حياته بالصراع مع مناوئى افكاره ، فتراه وقد وصل الى قمة ثم نراه وهو يتذوق ويلات السجن ·

قصة حياة ثرية كتبت باسلوب راق وسهل في نفس الوقت يقدمها المؤلف للناشئين وان كان الكبار ايضا يجدون فيها الكثير من المتعة لانه سرد فيها الاحداث باسلوب درامى شائق اقرب الى العمل الفنى منه الى الدراسة او سرد سيرة الحياة ·

صدر حديثا

● عن الحرية اتحدث مجموعة مقالات للدكتور زكى نجيب محمود نشر دار الشروق
● برمثيوس طليقا تاليف شيلى وترجمة ودراسة د لويس عوض نشر هيئة الكتاب ·
● الإسلام دين العلم والمدنية نص الامام الشيخ محمد عبده دراسة الدكتور عاطف العراقى ، نشر دار سينا للنشر ·

حديث الصباح والمساء

●● حـــدث هذا في حواري الغورية . في الربع الاخير من القرن الثامن عشر: جمع الجوار في الســـكن والصـــحبة في المقهى بين اصدقاء ثلاثة : يزيد المصرى الذى جاء القاهرة بعد أن هلك اهله أثناء اجتياح الحملة الفرنســـية للاسكندرية، وعطا المراكيبي الذى يعمل في دكان يملكه رجل مغربي ، زوجه ابنته واورثه الدكان ، والشـــيخ القليوبي ، المدرس بالازهر .. « وشهد الرجال نابليون بونابرت علي جواده وهـــو يسير على راس جنوده أمام المشهد الحسيني، وعاصروا تقلبات حملته ، وخاصـــة ثورتي القاهرة .. وعاصروا بعد ذلك ولاية محمد علي ومذبحة المماليك ، والثورة التي احدثها الوالي في البلد واهله .. » ●●

حديث الحياة الحافلة بالألوان والظلال

بقلم: فاروق عبد القادر

هكذا تبدأ ثلاث « شجرات عائلة » ـ بالمعنى المحدد للكلمة حتى ليمكنـــك أن ترسمها باللون الازرق ، ويـــروح نجيب محفوظ ـ بدأبه المألوف ـ يتابع الفروع والاغصان ، الابناء والاحفاد (ومن الاحفاد من لا يزالون يعيشون بيننا في مصر ، أو خارجها) .وهكذا أيضا ترتسم أمامنا جدارية هائلة من الشخصيات « الاحداث » في عدد قليل من الصفحات ،لا يكاد يتجاوز المائتين كل شخصية تضيف لمسة هنا أو أخرى هناك . والروائي ممعن في حيـــاده الظاهر ، يرتب الشخصيات حســـب حروف الهجاء ، ولا ينسى ـ هو المؤلف العتيق ـ أن يكتب الاسماء ثلاثيـــة ـ وأحيانا رباعية ! ـ حتى تكتســـب شهاداتها الصدق والصحة ، ويقف بها عند رقم سيتكرر كثيرا ، وستكون لـــه آثاره على الجيلين الثالث والرابـــع : سبعة وستين . وعليك ـ بعد أن خلط لك الاوراق ـ أن تعيد ترتيبها في سياق

تتابعها الزمني ، ثم أن تسأل السؤال الاساسى : وأين يختبيء الروائى الماكر؟

● ويحدث التمايز المحتوم منذ بداية البداية : أثناء جولات الغلامين الشقيقين داود وعزيز – ابنى يزيد المصرى – فى حوارى الغورية ، ينقض عليهما جنود الوالى محمد على ، ادركوا الاول وفر الثانى ، وأرسل داود الى المدارس ، ثم الى باريس حيث درس الطب ، ورجع من بعثته طبيبا ،سرعان ما حصل على الباشوية،واصبح من رجال العصر، على حين بقى شقيقه – الذى نجا من هذا المصير – ناظرا لسبيل بين القصرين وتأسس فى العائلة الواحدة فرعان ، أحدهما يتميز بالثراء والنفوذ والعلم، ويسكن السرايات فى الاحياء الراقية . والثانى يضطرب فيما يضطرب فيه أوساط الناس . بقيت بين الفرعين روابط المودة والقربى ، لكن الوجدان الطبقى راسخ تحت السطح الساكن ، ما أسرع ما يفصح عن وجهه الجهم المتعالى كالجذار .

ولئن كان هذا الفرع قد صعد بالعلم والثراء، فثمة من صعد بالثراء وحده: بعد موت امرأته الاولى ، تزوج عطا المراكيبى من أرملة ثرية، وبسرعة مذهلة صعد من طبقة لطبقة .. بنى السرايا الضخمة فى ميدان خيرت،وابتاع عزبة فى بنى سويف .. « والحق أن الثروة كشفت عن مواهبه الكامنة وقوة شخصيته ، كما هتكت حرمه وشحه وجشعه اللانهائى الى الثراء وبخلاف الفلوس فرض سيطرته الكاملة على امرأته والمتعاملين معه ، حتى شبهه الشيخ القليوبى بالوالى الذى جاء مصر جنديا بسيطا ، ثم تعملق فوق هامة امبراطورية مترامية ، بل كانت نهاية امبراطورية بنى سويف خيرا من نهاية الوالى ألف مرة .. » ، وفى ذريته كذلك اجتمع الفقر والثراء ، فابنته من زوجته الاولى وابناؤها انطفأ أملهم فى أن يرثوا شيئا من ثروته المترامية، وآلت كلها الى ابنيه من الزوجة الثرية.

وتمتد خطوط الفروع وتتشابك ، ما بين الغورية وبيت القاضى وبين السرايات وميدان خيرت ، جمعت بين الابناء علاقات القربى والتزاور ، وقامت بين فتيان وفتيات منهم علاقات حب اتسمت بما اتسم به الحب فى ذلك الزمان ،اقل القليل منها انتهى الى التحقق، واكثرها حالت الطبقية دون تحققها ، ومن خلال هذه العلاقات ترتسم أمامنا صورة متكاملة للاوضاع الاجتماعية والطبقية فى القرنين التاسع عشر والعشرين فعدد ليس قليلا من شخصيات هذا العمل لا يزالون يعيشون فى قلب الحاضر ،

نجيب محفوظ



منهم بعض سادته ، الذين افادوا من «انفتاح السادات » حتى بلغوا قمة القمة ، ولعل ابرز ما كشفت عنه تلك العلاقات ان الفروع الارستقراطية قد لا تمانع في ان تهب بعض فتياتها للابناء النابهين من الفروع الاخرى ، لكنها - ابدا - لا تزوج ابناءها من فتياتهم ، حدث هذا في جيلين متتابعين!

● على ان اهم الملامح في هذه الجدارية الرائعة يمثلها خطان يسيران معا ، جنبا لجنب : الموقف من أحداث التاريخ المصرى في اهم لحظات تحوله من ناحية ، ثم انتقال التراث الشفاهي القيمي من جيل لجيل ، من الناحية الاخرى :

ان اهم لحظات التاريخ المصري تحدد سلوك الشخصيات ، من حيث هي كذلك ، ومن حيث هي دلالات لمواقف طبقية محددة ازاء الاحداث . يسرى على الثورة العرابية مثلا : ان عطا المراكيبي - الصاعد بقوة وسرعة نحو القمة - قد حدد موقفه منها بوضوح قاطع : « لم تغز الثورة العرابية وجدانه من مدخل وطني ، ولكن من زاوية املاكه وأمواله ، فلما صعدت موجتها حتى ظن لها النصر المبين اعلن تأييده لها ، وتبرع بشيء من المال طاويا الامه في صدره ولما تكالبت عليها القوى المعادلة ولاح فشلها في الافق اعلن ولاءه للخديو .. » ، ولما شعر الرجل بان يمضي نحو النهاية التي لا مهرب منها ، قدم لابنه خلاصة تجربته ، ودستور طبقته التي قامت أسسها ورسخت دعائمها : « اعتبر العزبة وطنك .. وحذار من الخطب والشعر » :

لا عجب اذن ان اعلن ابنه بورثه القوى - عقب ثورة ١٩١٩ - انحيازه للملك ، لا لسعد ولا لعدلي ، وقال بافصح بيان : « لقد انتهت اللعبة ، فلا تتصور ان الانجليز سيغادرون مصر ، ولا تتصور ان مصر تستطيع ان تعيش بغير الانجليز .. » لا عجب .. مرة ثانية ، فنحن ازاء كاتب يؤمن بالوراثة ودورها ايمانا كبيرا ، ويتابع - بصبر غريب - انتقال ملامح الجدات والامهات للحفيدات والبنات - ان كان من ابناك ضابط شرطة اشتهر في عقود الاضطهاد السياسية بالعنف الشديد في مواجهة المتظاهرين ، وكان هذا العنف خير تزكية له عند القصر والانجليز ، ولا عجب - مرة اخيرة - ان يرتحل ابناء هذا الضابط الثلاثة بعد موت عبد الناصر : اثنان الى أمريكا والثالث الى السعودية !.

على الجانب الاخر ، تحمس الشيخ معاوية القليوبي للثورة العرابية ، ومال الى تيارها وأيدها بالقلب واللسان ، ولما فشلت الثورة واحتل الانجليز مصر ، «قبض عليه فيمن قبض عليهم ، وقدم للمحاكمة ، فقضت عليه بالسجن خمسة اعوام .. » ، صحيح ان الشيخ خرج من سجنه ليجد نفسه غريبا في دنيا غريبة ، ولم يجد عينا تنظر اليه بعطف ، لكن الصحيح كذلك انه ذاب ، في قلب التاريخ ونحل نسيجه ، واصبح في الضمير الشعبي بطلا ، يضاف في هذا الوجدان الى عنترة والهلالي وال البيت .

انما من احفاد الشيخ معاوية سيتالق شباب وطنيون في ثورة ١٩١٩ ، ونجوم من ضباط يوليو ١٩٥٢ ، وشهداء في المعارك التي تلت قيامها حتى اكتوبر ١٩٧٣ .



ثورة ١٩١٩ الهمت نجيب محفوظ العديد من الروايات

من هذا الخط يمكنك القول ان نجيب محفوظ قدم لونا من التاريخ الفني لاهم نقاط التحول في تاريخ مصر المعاصر ، من مجيء الحملة الفرنسية حتى مصرع السادات،تاريخ لا ترويه وقائع جافة، بل نسيجه شخصيات من لحم ودم ووراثة واكتساب وتعليم ومصالح ، عاشت متأثرة بهذه النقاط الفاصلة ، تصوغ حياتها في ضوء نتائجها ،وهي تدرى او لا تدرى . في هذا التاريخ لا يبدو الروائي المتظاهر بالحياد محايدا، لكنه يهب الفضل المباشر لهؤلاء الذين انحازوا للثورة الوطنية في تجلياتها المتتالية، واسوا المصائر ـ خارج ارض مصر غالبا للاجيال الجديدة التي طحنتها ٥ يونيو وتهاوى الاحلام ـ ان اختاروا الوقوف على الجانب الآخر من الخندق، آية كشف الروائي عن وجهه الحقيقي يتمثل في تاريخه لثورة ١٩١٩ وزعيمها، هذا الكشف يحدث من وراء اقنعة متعددة للشخصيات التي عاصرتها ، ولعل اصدق الكلمات واقربها اليه ..: يبلغ قمة انفعاله في ثورة ١٩١٩ ، وعشق زعيمها ، واشترك في اضراب الموظفين، وحافظ على ولائه للزعيم رغم الشقاق بينه العظام عليه ، وتابع خليفة الزعيم ـ مصطفى النحاس ـ بكل وجدانه ، ووزع الشربات يوم عقد المعاهدة ، وأيد الزعيم بقلبه ضد الملك الجديد .. الخ » ..

يبقى الوجه الحقيقي لهذا الروائي، دائما ، يحوم حول تمثال سعد زغلول!

● الخط الثاني يبدا من ذات البداية: ولدت جليلة في الربع الاول من القرن التاسع عشر وتزوجت الشيخ معاوية الذى كان قد بدا حياته مدرسا في الازهر الشريف ، وقد عرفت بانها موسوعة في الغيبيات والكرامات والطب الشعبي ، وكانما اخذت من كل ملة

بطرف ، بدءا من العصر الفرعوني ، ومرورا بالعصور الوسطى ، وحاول الشيخ معاوية ما استطاع ان يلقنها اصول دينها ، ولكنه من خلال المعاشرة الطويلة اخذ منها اكثر مما اعطاها ..».

وقد عمرت جليلة حتى جاوزت المئة بعشرة اعوام ، عاصرت فيها فترة من حكم محمد علي،وعهود ابراهيم وسعيد واسماعيل وتوفيق والثورة العرابية وثورة ١٩١٩ ، ولم يرسب في اعماقها زمن كالثورة العرابية التي اعتبرت زوجها من اهم رجالها . وما اكثر ما روت من بطولاته وسجنه لاحفادها، وذهبيها الخيال في ذلك كل مذهب..»

من بين ابنائها وبناتها ورثتها راضية ، هي التي تمثلت تراثها ورعته واضافت اليه ، هي الام والجدة المؤسسة ،وتكادانتكون اكثر الشخصيات حظا من عناية الكاتب : « ان ما تلقته عن ابيها الشيخ لا يقاس بما تلقته عن امها من الغيبيات والخوارق وسير الاولياء وكراماتهم وأسرار السحر والعفاريت،والارواح الساكنة في القطط والطيور والزواحف، والاحلام وتاويلها، وقراءة الطالع، والطب الشعبي،وبركات الاديرة والقديسين والقديسات .. » ، هي الوجدان الشعبي الحافل بكل الموروث ، وهي التي انطبعت على صفحتها اهم الاحداث : الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ . « وسجلت فيقاموسها الخالد وليا جديدا اسمه سعد زغلول، ومثل امها عمرت راضية حتى جاوزت المائة ، وفي اثناء ذلك تحول الابناء الى اسر ، وشب احفاد جدد .. » وسمعت بولي اخر اسمه مصطفى النحاس ، واخيرا اخر الاولياء الذين عاصرتهم جمال عبد الناصر الذى رفع احفادا لها حتى السماء ، وخفض اعزة منهم الى الحضيض او السجن ، فراوحت بين الدعاء له والدعاء عليه ! »

من ابناء راضية وبناتها كان قاسم اخر العنقود ، وكان اخلص المستمعين لامه ، واصدق التابعين لها فياحلامها وجولاتها الروحية بين الجوامع والاضرحه ، « وكلاهما جمع به الخيال جود عندها الاذن الصاغية والقلب المصدق .. » ، منذ صباه تطلع نحو بنات الاسرة الجميلات بشهوة مستفزة قبل اوانها ، مع تدين مبكر وصلاة وصيام ، فتعذب دائما بين الحب والعبادة ، وسقط ذات يوم مغشياعليه، قال الطبيب ان صرع خفيف ، لكنهتطور ليصبح « اتصالا باهل الغيب .. » ، وهجر قاسم المدرسة باستهانة ، وراح يتجول في الحوارى ، او يطوف ببيوت اخوته واخواته واقاربه ، وفي كلموقع يتناول المشروباتوينثر كلماته الغامضة تنبأ عن المستقبل كما يتراءى له .. وتجيء الحوادث مصدقة لنبوءاته حتى عرف بينهم بالشيخ. ومن شيخ الىولى « كانه خلق للولاية » .. بدل بملابسه الافرنجية الجلباب والعباءة والعمامة واطلق لحيته ، وقسم وقته بيناستقبال زواره ــ الذينيحملون اليه الرزقالوفير ــ والعبادة ، حتى امه ــ الاستاذة العريقة ــ اصبحت من تلامذته ومريديه، وتزوج واحدة من بنات اعمامه وهو في الثلاثين وانجب ابنا واحدا .

هذا خط ينسحب ويتلاقى مع خطو الضياء والعلم ، ليس عبثا اذن انيكون هذا الابن الوحيد ــ وقد اسماه ابوه النقشبندى ! ــ كامل الصحة والزكاء،



سعد زغلول

تخرج مهندسا في عام النكسة ،وارسل في بعثة الى المانيا الغربية قبيل السبعينيات ، وكانت حال البلد قد ارهقت صحته النفسية فقرر الهجرة ، فالتحق بعمل في مصنع للصلب بعد حصوله على الدكتوراه ، وتزوج من المانية ، واستقر هناك بصفة نهائية ، « حزنت امه لذلك ، اما قاسم فلم يكن يحزن لشيء ! .. » .

● وقارىء نجيب محفوظ يعرف انه لا يخلو من قسوة ـ وهل خلت منها الحياة ؟ .. ، وقد يتذكر مصائر بعض شخصياته النسائية بوجه خاص ، على رأسهن عدى عائشة زهـــرة « بين القصرين » الجميلة المتفتحة للحب :وما الت اليه من ثكل وترمل،ونفيسة ،التي جدلت خيوط مشنقتهامن الدمامة والشبق واليأس والتطلع في « بداية ونهاية »، اضيف اليهما هنا شخصيات عديدة : صديلة ، الجميلة المنتحرة في « عـز الشباب واليأس والالم » ، وبدرية التي سقطت ضحية للصرع ابان تفتحها كالوردة ، وجميلة التي فقدت اسرتها كلها « بقضاء لا راد له » ، وحبيبة التي ترملت وهي دون العشرين ، ثم فهيمة ، الجميلة الثرية خريجة الميردى دييه » التي يحاكي مصيرها مصير عائشة ، ان لم تفقها تعاسة ، والتي فقدت ذريتها بعد ان اكتمل لها الشباب والامل ..

وقد لا تملك ـ مثلي ـ ان تحبس هذا السؤال : لماذا يحتفظ نجيب بهـذه المصائر التعسة لبطلاته الجميلات المتفتحات للحب والحياة ؟ لماذا يجعلهن ينتظرهن دائما الثكل والترمل ، الموت والجنون ، وفي اخف الحالات العقـم والعنوسة ؟

● لا فن بغير شغل وصنعة ، وهنا شغل وصنعة : « حديث الصـباح والمساء » اضافة ثمينة لقلب عالم نجيب محفوظ ، هي تمت بصلة واضحة الى الى « الثلاثية » و « الباقي من الزمن ساعة » و « ملحمة الحرافيش » ، من حيث هي رواية اجيال ، وتمت ـ من الناحية الاخرى ـ بصلة واضحة الى « ميرامار » و « المرايا » ، من حيث هي رواية شخصيات اثمن ما فيها تفاصيل تلك الجدارية الهائلة .. والتي تجد فيها ـ كلما امعنت النظر ـ اللون الواحد ، في درجاته كلها ، يشغل مكانه مع بقية الالوان ، لا يتجاوز حيـزه المحدد له في احكام هندسي دقيق .

● اى صباح واى مساء ؟ .
صباح التاريخ المصرى الحـديث ومساؤه ؟ .. صباح الميلاد ومسـاء الموت ؟ ليست هناك كلمة واحدة اخفيت بحذق بين المربعات البيض والسود ..
حديث الصباح والمساء ، هو حديث الحياة الممتلئة بتناقضاتها التي لاتني تتفاعل ، ملقية بحركة التاريخ الى امام، كلما اسفر مساء عن صباح ، وافضى صباح الى مساء .

العالم غدا

رائد فضاء عربي

طار طاقم من الملاحين الكونيين مكون من السوفييتيين الكسندر ليكتورينكو (قائدا) والكسندر الكسندروف (مهندسا)، والمقيم السوري محمد فارس (باحثا) طار على متن واحدة من مركبات «سيوز» الى محطة الفضاء المدارية المأهولة «مير»، في رحلة مخططة استمرت ثمانية أيام، انجز الطاقم خلالها، بالتعاون مع طاقم المحطة، برنامجا متعدد الاغراض.

وبين الانشطة التي تضمنها البرنامج تجربة «فرات» للاستشعار من بعد، التي استهدفت دراسة حوض نهر الفرات والانكسار الافريقي، وغير ذلك من التضاريس الطبيعية، وذلك ضمن مسح شامل للاراضي السورية، بين أهدافه دراسة الموارد المائية والنفطية.

كما تضمن البرنامج تجربة «باليرا» الخاصة بالبحث عن بدائل تركيبية تكون في متانة الفولاذ وأقل تكلفة منه، مثل سبائك النيكل والالومنيوم، وتجربة «أمافيا» لتركيب بلورات الجوامد عن طريق الصهر، وذلك كله بالاستفادة من ظروف انعدام الوزن..

هذا كما استخدم جهاز «بصري» لدراسة طبقة الايونوسفير المتدنيين ارتفاعي ٢٥ و ٢٥٠ ميلا في الغلاف الجوي، وذلك لتأثير هذه الطبقة على كثير من الظواهر والعمليات الارضية، تمتد من الاتصالات اللاسلكية الى حركة الاقمار الصناعية. وتعد هذه التجربة اسهاما في الجهود المبذولة لوضع نموذج دقيق للايونوسفير يتيح معرفة مواصفاته بدقة.

وقد دأب الاتحاد السوفييتي على

رائد الفضاء العربي محمد فارس



اشراك اجانب فى رحلاته الفضائية منذ عام ١٩٧٨ كوسيلة لتحقيق صلات ثقافية وعلمية اوثق ، ولتشجيع علاقات التعاون بين الدول . ولم يقتصر التعاون فى هذا المجال على البلدان الاشتراكية ، بل امتد الى فرنسا والهند ، وتشير بعض المصادر الى وجود خطط لرحلة يقوم بها باحث أرجنتينى عام ١٩٨٨، وثمة تلميحات عن دعوة لباحث بريطانى ..

المهم أن المقدم محمد فارس كان أول السوريين فى ارتياد الفضاء الكونى ، وبذلك يكون ثانى رواد الفضاء العرب بعد الامير السعودى سلطان بن سلمان ، الذى سبق أن صاحب اطلاق القمر الصناعى العربى من على متن مكوك الفضاء الامريكى .

تجميد المرضى فى انتظار التوصل الى علاج

كانت شركة امريكية قد أعلنت فى الستينيات عن امكان قيامها بتجميد جثث من هم على وشك الموت من المرضى ، املا فى ان يتمكن العلماء يوما من اعادتهم الى عالم الاحياء وشفائهم ، بعد اكتشاف علاج لامراضهم . لكن الشركة لم تعرض يومئذ اى تصور عن وقاية انسجة الجسم من الآثار الضارة للتجمد الناشىء عن التبريد .

وقد قام د. بول سيجال من جامعة كاليفورنيا ببعث الحياة من جديد فى الفكرة القديمة « لتعليق » المرضى بين الموت والحياة ، حتى يحين وقت علاج وشفاء ما يعتقد حاليا انه من الامراض المستعصية .

ويقول د. بول سيجال انه تم التوصل الى سبل لوقاية الانسجة ، ترتكز فكرتها على الطريقة التى تحافظ بها حشرات القطب المتجمد الشمالى، والضفادع فى شمال كندا ، على حياتها خلال الشتاء ، على الرغم من أن انسجة اجسامها تبدو فى صلابة الصخر بسبب تجمدها . وقد ظهر ان هذه الحشرات والضفادع تحافظ على حياتها بافراز بعض المركبات المضادة للتجمد ، والتى تحفظ الاعضاء والخلايا الحيوية من العطب رغم تجمد كل المياه الموجودة فيها . كما ظهر ان الضفادع لا تتنفس فى تلك الحالة كما تتوقف قلوبها عن الخفقان ودمها عن الدوران ، لكنها تعاود حياتها الطبيعية مع ارتفاع درجة الحرارة .

ويحاول د. سيجال منذ ٣ سنوات حماية حيوانات اخرى من اضرار التجمد باستعمال نفس المركبات الكيميائية . وقد تمكن أخيرا من تجميد كلب لمدة تزيد على ساعة ثم أعاده الى الحياة الطبيعية . ويعد د. سيجال حاليا لتطبيق التجربة على القرود توطئة للانتقال الى الانسان . وترى بعض الاوساط العلمية ذلك أمرا عاديا ، بالذات مع اللجوء الى تبريد أجسام بعض المرضى بالفعل لاجراء جراحات القلب المفتوح .

لبنانى يدافع عن حقوق الامريكيين

منذ ابتكار الوسادة الهوائية التى تنتفخ تلقائيا لوقاية صدر ووجه السائق عند الاصطدام .. منذ ابتكار هذه الوسادة ، قبل ما يزيد على ١٥ سنة، اوصت الحكومة الامريكية بتركيبها فى كل السيارات

العالم غداً

الخاصة ، كما أن الحديث عنها لا يخفت إلا ليعاود الارتفاع من جديد . والسبب هو اعتقاد الخبراء بأنها كفيلة بتقليص الوفيات في حوادث الطريق بنسبة ٤٠٪ .

وبينما الصراع على أشده بين مندوبي الحكومة وشركات التأمين وشركات صناعة السيارات ، حول استخدام هذه الوسادة الغالية (حوالي ٨٠٠ دولار) ، تبنى رالف نادر ، وهو محام امريكي مشهور من أصل لبناني حملة للدفاع عن حقوق المستهلكين الامريكيين ، تطالب بتركيب الوسادة في كل السيارات ، وعدم اعتبارها ميزة اختيارية ، والاكتفاء من هذا المنطلق بتركيبها في ربع مليون سيارة سنويا .

والجدير بالذكر أن رالف نادر

الوسادة الهوائية تحمي السائق



هو صاحب فكرة تعميم استخدام حزام الامان ، وقد حقق نجاحا ملحوظا في هذا الصدد ، وصار استخدام الحزام اجباريا في كثير من البلدان .

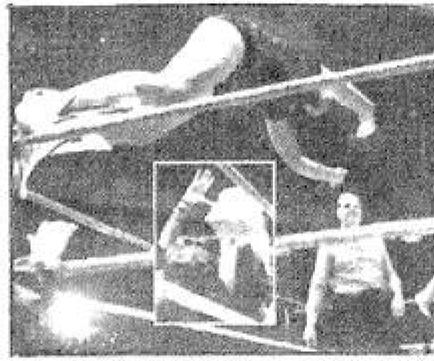
والطريف أن المحامي اللبناني الاصل يعرض عن كثير من المغريات المالية، ويقيم في شقة صغيرة بواشنطن ، ويتبرع بأغلب دخله للانفاق على أنشطة الدفاع عن المستهلكين الامريكيين ، فضلا عن الهيئات الخيرية الامريكية .

● النساء وألعاب الرجال ●

الأرقام القياسية التي ضربتها بطلات ألعاب القوى مايكي ديخلير (الالمانية) وجيكي جويز (الامريكية) وماريتا ستيبانوفا (الروسية) وراكبة الدراجات جاني لونجو (الفرنسية) .. تثير الدهشة حقيقة حول الوتائر التي تتقدم بها الرياضيات وما يتمتعن به ليس فقط من اصرار وقوة تحمل ، كما كان شائعا من قبل ، بل وقوة عضلات أيضا .

وتؤكد هذه الانجازات التفوق الذي حققته السباحات العالميات اللاتي ضربن منذ زمن بعيد الارقام الاولمبية لجوني فويملر ، الذي مثل الفلام طرزان بعد اعتزاله السباحة .

لكن ما يبعث على التأمل حقا هجمة ممثلات الجنس اللطيف المتزايدة على مواقع الرجال فهن لم يكتفين بكرة القدم أو الجودو بل اقتحمن المبارزة التي ظلت لوقت



نساء اقوى من طرزان

طويل ميدانا مقصورا على الرجال ،ثم ها هن اخيرا يقتحمن ميدان رفع الاثقال وبطولاته !!

والطريف ان الجنس اللطيف دخل مجال تحكيم العاب رجالية بحتة مثل الملاكمة والمصارعة ، فالالمانية انيتا زارس تمارس تحكيم مباريات الملاكمة منذ زمن ، بينما تحكم الامريكية شيلا ويجر مباريات المصارعة !! ويلاحظ من يتابعون المباريات التى تحكمها النساء ، تحول اللاعبين الى موقف اكثر طاعة ، كثيرا ما يقدم اللاعب بعد المباراة ، حتى اذا كان مهزوما ، على تقبيل يد « الحكم » تعبيرا عن امتنانه ، واعترافا بمهارتها وعدم تحيزها •

● المشي يقوي الذاكرة ●

انتجت احدى الشركات الامريكية جهاز كمبيوتر يعمل بثلاث واربعين لغة اجنبية فى نفس الوقت ، بهدف استخدامه فى محطات الاذاعة ، لمتابعة الاحداث العالمية •

● توصل خبراء جامعة ابنبيرة باسكتلندا الى وسيلة حديثة لتحليل بصمات الاصابع الكترونيا ، وتخزين المعلومات بها فى الحاسب الالكترونى مما يسهل الرجوع عنها والكشف عن صاحبها •

● اكدت دراسة اجراها الاطباء السوفييت ان المشي يساعد على تجنب الامراض وان عدم الحركة يصيب العضلات بالضمور مما يؤدى الى اختلال عمل القلب ، وبالتالى الى نقص تغذية المخ وضعف الذاكرة والمناعة ، وفقدان العظام لبعض مكوناتها • واشارت الدراسة الى ان هناك فوائد كبيرة للمشى لم يتسن اكتشافها بعد •

● تدرس بريطانيا تطبيق نظام المراقبة الالكترونية على المساجين الذين ارتكبوا جرائم بسيطة ولا يميلون الى العنف • وطبقا لهذا النظام يرتدى المعاقب جهازا الكترونيا صغيرا يبث اشارات الكترونية تمكن من مراقبته فى اطار منطقة معينة وفى حالة محاولته الهرب تقوم اجهزة الاستقبال باخطار البوليس لاعتقاله • وجدير بالذكر ان بعض الولايات الامريكية تستخدم هذا النظام العقابى بنجاح •

مراجعة البصمات بالكومبيوتر



العالم غدا

● الفضاء من أجل الصحة ●

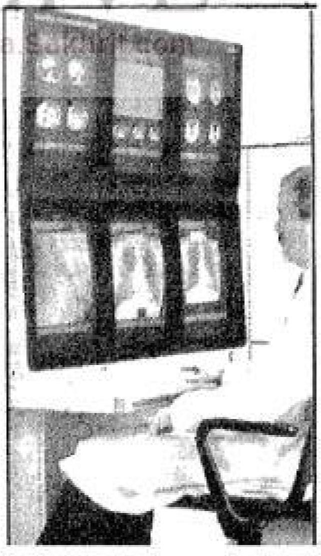
اقتــــرح د. برنارد لون عــالم الفيزياء الامريكي ، الرئيس المؤسس لمنظمة الفيزيائيين الدولية لمنع الحرب النووية ، اقترح انشاء خدمة خاصة ببث المعــلومات الطبيــة عن طريق الاقمار الصناعية .

ويقول د. لون ان هناك حـاجة ملحة في الاقطار النـامية الى تلقي أحـدث ما توصـل اليــه العلم من انجازات ، في مجالات مثل منع الحمل والرعاية الصـحية للطفل والامراض المعدية ، من قبيل مرض الايدز .. هذا كما أن كليات الطب في عدد من هذه البلدان في أمس الحاجة الى الحصـــول على المعلومات ، لنقص القدرة المالية ، وعــدم التمكن من الحصول على المجلات الطبية الدورية عند صدورها .

ولهـــــذا بادر د. لون بتأسيس منظمة « الفضاء من أجل الصحة » التي تستهدف الى استخدام تكنولوجيا الاتصـــالات عن طريق الاقمـــار الصناعية لتبادل المعلومات الطبية ، ويحبذ د. لون اطــلاق قمر صناعي خاص الى مدار قطبي منخفض ، يمكن من توفير الاتصالات ، وبثهـــا الى أي مكان على سطح الارض ، وفي اطار هـــذا النظـــام تقوم المحطـــات الارضـــية التي تتكلف الواحدة منها نحو الف دولار بتتبع القمر الصناعي أوتوماتيكيا ، وتكون كل منها قادرة على الاتصال به ٤ فترات يوميا ، تدوم كل منهـــا ١٥ دقيقة ، يمكن خلالها نقل ما يقرب من ٦٠٠ صفحة من أي نص .

وقد تشاورت المنظمة الجديدة مع منظمة الصحة العالمية ، لتحـــديد الاحتياجات التي يفي بها هذا النظام. وتحمست الاخيـــرة للاستفادة من امكانيات الاقمار الصناعية في حالات الكوارث الطبيعية ، وفي مجال نقل المعلومات بين العـــاملين الصحيين المعزولين في القرى البعيدة مثلا .

وعلى الرغم من صــعوبة تمويل البرنامج ، وغير ذلك من العقبات ، يأمل د. لون في أن يصبح القمـــر الصناعي الخاص بالنظـــــام حقيقة واقعة ، خلال السنة المقبــلة ، التي تحتفل فيها منظمة الصحة العـــالمية بالذكرى الاربعين لتأسيسها .



رد على مقال

من الرواية البوليسيّة إلى رواية التجسّس

بقلم : محمود قاسم

فى شهر ديسمبر الماضى نشر الاستاذ الدكتور الطاهر احمد مكى مقالا فى الهلال حول « الرواية البوليسية » تناول فيه نشأة هذا النوع الادبى من الرواية واهم كتابها وسماتها ، ثم توقف عن الحديث حول هذا النوع من الرواية مع حلول سنوات الحرب العالمية الثانية وكأن هذا النوع لم يشهد جديدا قط . ويومها راودتنى الرغبة فى الكتابة ردا على ما جاء بالمقال الذى يتضمن اشارة حول الاتجاهات الحديثة فى ادب النوع .. والسمات التى تتسم بها الرواية من خلال كتابها الحاليين . مع ذكر بعض الاسماء البالغة الاهمية التى لم يذكرها فى الحقبة التى تناولها . فلا يمكن الحديث عن الرواية البوليسية دون ان نذكر ارثر كونان دويل . وايضا اوجين سوويوانسوان دى تراى صاحب «روكامبول » .. ثم اغفل الكاتب ذكر اعمدة هذا الادب فى النصف الاول من القرن العشرين مثل اجاثاكريستى ، وجورج سيمنون ، وداشيل هاميت وابتون سنكلير وجيمس كان وآخرين ..

ومن النظر الى المقال يمكن للمرء ان يتكهن بأن المصادر العلمية التى رجع اليها الكاتب فى هذه الدراسة قد وقفت عند هذه الحقيقة وعند الاسماء التى ذكرها . فلم يأل على نفسه جهد البحث عن الاتجاهات المعاصرة فى ادب النوع والتى تشكل بالفعل الهيكل

الحقيقى المتطور للرواية البوليسية خاصة ان هـذا الادب قد امتزج بالاتجاهات الادبية الجادة وليس فقط بما يسمى بالرواية الشعبية • واتضح هذا بشكل واضح عند الكاتبة الامريكية المعاصرة باترشيا هايسميث التى صنعت ما يسمى بالرواية البوليسية النفسية •

حدث نفس الشىء ايضا فى المقال الثانى الذى نشره الباحث فى عدد اغسطس حول رواية « التجسس » • ففى هذا المقال تحدث الكاتب عن تاريخ حركة الجاسوسية من الفراعنة مرورا بالتوراة واليونان القديمة وحتى العصور الحديثة ثم توقف الباحث ايضا عند سنوات الاربعينيات أو بالضبط عند رواية « عميلنا فى هافانا» للاديب الانجليزى جراهام جرين وكان أدب الجاسوسية لم يضف جديدا • رغم ان هذا النوع حتى تلك السنوات كان فى طوره التمهيدى ولم يكن قد قدم ابرز مبدعيه بعد • فقد دخلت الى هذا الادب اسماء هامة استطاعت ان تضع له اصوله وتقلل من هامشيته • وتعمق من اهميته • وتبعده عن النوع البوليسى الذى اقترن به حتى سنوات الاربعينيات • وسوف نذكر فى مكان اخر من المقال اهم هذه الاسماء •

روايات من طراز اكس

ورغم ان الكاتب حاول ايهام قارئه انه قد وصل الى أحدث الانتاج الادبى فى هذا النوع عندما يقول : « بدراسة



جيمس بوند

الانتاج الروائى البوليسى فى الاعوام الاخيرة » • فاننا لم نعرف شيئا بالمرة عما حدث فى هذه السنوات سوى تقسيمات وهمية لم تعد موجودة، ذلك ان زمن التقسيمات قد انتهى الا فى حدود ضيقة للغاية •• مما يوضح ان المعلومات التى جاءت فى المقالين ناقصة الى اكبر حد ممكن •

من المعروف ان الاسبقية فى ادب النوع البوليسى او « الجاسوسى » قد جاء على ايدى الادباء الانجليز رغم الكم الهائل المنشور فى فرنسا مثلا • فلا يمكن ان نؤرخ للرواية البوليسية مثلا من خلال ما تنشره سلسلة كتب الروايات السوداء SERIE MOIRE رغم انها احتفلت منذ عامين بصدور العدد رقم (٢٠٠٠) وذلك ببساطة لان هذا النوع من الروايات اقل اهمية من الروايات البوليسية الحقيقية المنشورة خارج هذه السلسلة والتى يكتبها ادباء ذكرنا اسماءهم مسبقا • لذا اصطلح على تسمية هذا النوع من الرواية باسم رواية البولار



كن فولليت

POLARS تمييزا لهـــا عن الروايات البوليسية الجادة . فلم يحدث لكاتب جاد من ابناء النوع البوليسى او رواية الجاسوسية ان نشر رواية واحـــدة فى هذه السلسلة او غيـــرها من السلاسل الشبيهة وما اكثرها . وفى فرنسا مثلا فان الكتاب الجادين لهذا النوع ينشرون فى دور النشر المعروفة ثم فى سلسلة «كتاب الجيب» دون ان يقتربوا قط من سلاسل روايات البولار .

فالروايات المنشورة فى هـــذه السلاسل تنتمى اغلبها الى الدرجـــة العاشرة . وهى روايات اقـــرب فى طعمها وفائدتها الى حبات الفيشار . قد يكون لها طعم محبب لكنه سرعان ما يذوب فى الفم . لا يسمن ولا يغنى من جوع .. وخال تماما من اية قيمـــة غذائية . هى اقرب ايضا الى الافلام طراز « اكس » التى لا تروى لمتفرجيهـــا اى ظمأ جنسى .

ومثلما فعل كتاب الرواية البوليسية الجادون . فعل ايضا كتـــاب رواية التجسس المهمون . فلم يقتربوا قط من النشر فى مثل هذه السلاسل . وذلك امعانا فى ابعاد عنصر الهامشيـــة وايضا شبهة الالتصاق بهذا النوع – عن رواياتهم .. وتعال نعد معا بعض الاسماء الهامة فى روايـــة التجسس وجميعهم لم ينشر فى مثل هذه السلاسل فهناك انطونى هايد ، ولين دايتون من انجلترا . واريك امبلر وبيل جراتجية من الولايات المتحـــــدة ، وفلاديمير كوستوف من الاتحاد الســـــوفييتى ، وفلاديمير فولكوف من فرنســـا . كل هؤلاء – وغيرهم – يعرفون ان الكتب التى تنشرها « السلسلة الســوداء » مشبوهة السمعة . لذا حاول البعض اكساب هذا الادب شـــرعية حين تم انشاء اكاديمية الرواية البوليســـية التى تمنح جائزة سنوية لافضل رواية تصدر خلال العام وذلك من اجـــل ابعاد كل الشبهات عن تفاهة هـــذا النوع لكثرة ما التصق به من تهم .

اما الابناء المعـــاصرون الثلاثة الذين اعطـــوا لرواية التجسس شرعية واهمية فمنهم جون لوكاريه وايان فلمنج وكن فوليت وجميعهم من الانجليز . وهم مخلصون لادب النوع بمعنى انهم لم يكتبوا روايات اخـــرى تنتمى الى اى نوع أدبى آخر . وقد سبق للاثنين الاولين ان عملا لفتـــرة طويلة بجهاز الاستخبارات البريطانى وعندما تم تسريحهما مارسا كتـــابة الرواية التى تفضح خبايا هذا العالم . وتكشف ادق اسراره . فقد ابتدع كل منهما شخصية خيالية لجاسوس يقوم بمغامرات متتالية يوكل بها من قبـــل ادارته . وابتداع الشخصية الواحدة تتكرر فى عدد من الروايات ســـمة متوارثة عن النوع البوليسى كمـــا تعرف . فقد ابتدع لوكاريه شخصية الجاسوس العجوز « جورج سمايلى »

اما جيمس بوند الذى ابتدعه ايان فلمنج فهو ولاشك احد مشاهير الرجال فى عصرنا .. وهو اكثر جاذبية وعالمية من مئات الجواسيس الحقيقيين .

رو » على الطريقة الموسادية

هذان الكاتبان معروفان للقارىء العربى . خاصة لوكاريه الذى دافع عن النضال المشروع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى روايته « الطبالة الصغيرة » - نشرها عام ١٩٨٣ - فى مواجهة الاساليب الوحشية التى تمارسها الموساد ضد الفدائيين . ولا اعرف لماذا لم تترجم هذه الرواية حتى الان الى لغتنا العربية .

تنبع اهمية الكاتب الثالث - كن فوليت - فى انه يمثل بالنسبة لنا الوجه المضاد الكئيب من وجه مشرق هو صالح مرسى . فرغم فوليت انجليزى فانه يبدو وكانه يعمل لصالح الموساد فى المقام الاول حيث خصص روايتين من رواياته الثلاث لتمجيد الاستخبارات الاسرائيلية .

وهناك سمات مشتركة بين روايات لوكاريه وفوليت ففيها تمتزج الحادثة الحقيقية ببعض من خيال الكتاب . مما يصنع مزيجا جديدا وهى نفس السمة التى نلاحظها فى روايات صالح مرسى عن الجاسوسية . ويختلف فوليت فى انه لم يعمل بجهاز الاستخبارات البريطانى . وسوف نمر عابرا على بعض رواياته لنعرف الوجه المضاد لصالح مرسى .. فهذه الروايات الثلاث سياسية فى المقام الاول خاصة انه استقى احداثهما جميعا من ملفات الاستخبارات الانجليزية والاسرائيلية . رغم ان زمن الاحداث فى روايتين منها تدور فى الاربعينيات وهى سنوات لم يعشها الذى ولد عام ١٩٥٠ .

ففى رواية « ثقب الابرة » المنشورة عام ١٩٧٧ تحدث الكاتب عن جاسوس المانى يعيش فى انجلترا . وعندما يتمكن من معرفة اسم المكان الذى سيشن منه الحلفاء هجومهم الاخير لتحرير فرنسا يسعى للعودة الى المانيا . الا ان مطاردة الشرطة له تدفعه الى اللجوء لجزيرة صغيرة يتعرف فيها على اسرة سعيدة . فيقتل عائلها الكسيح الذى يرتاب فى امره ويقع فى غرام الزوجة التى لا تتورع عن اطلاق النار عليه عندما تكتشف مدى الخطر الذى يمثله لاسرتها .. ولوطنها ..

وهذه الرواية مستمدة من وقائع حقيقية حول جاسوس عرف باسمه الحركى « ثقب الابرة » عاش سنوات فى لندن . وكان قريبا من الفوهرر . وهو احد اخطر جواسيس عصره . استطاع معرفة خطة هجوم الحلفاء لتحرير فرنسا من ساحل كاليه . وعندما تم اكتشافه قام الحلفاء بتغيير خطة الغزو الى شاطىء نورماندى .

وقد بيع من هذه الرواية اربعة ملايين نسخة . كما حققت نجاحا كبيرا فى السينما حين اخرجها ريتشارد ماركواند وقام ببطولتها دونالدسوزرلاند . وعرض الفيلم فى مصر منذ اربعة اعوام تحت عنوان « اخطر الجواسيس » .

اما روايته الثانية « ذو الوجوه الثلاثة » فتدور ايضا حول حادثة حقيقية دارت عام ٣٩٦٨ ، حيث ارسلت اسرائيل احد جواسيسها للعمل على سرقة سفينة تحمل شحنة

من اليورانيوم تقدر بعشرين طنا فى سرية شديدة • ويدعى الكاتب ان اسرائيل قد لجأت الى هذا عندما احست أن مصر تتفوق عليها فى القوة النووية • فارادت ان تلاحقها • هذا الجاسوس الاسرائيلى اقام لفترة فى جنوب ايطاليا • لذا استعان فى مهمته ببعض رجال المافيا • وفى الرواية يستطيع العميل الموسادى ان يتغلب على رجل الاستخبارات المصرى ورجل الاستخبارات السوفييتى • كما ان هناك امرأة لبنانية بالغة الجمال تسقط صريعة هوى ناثان ميكشتين لتساعده فى انجاز مهمته • ويشير العنوان « ذو الوجوه الثلاثة » الى الجاسوس الفلسطينى واصف حسن الذى يعمل فى نفس الوقت لحساب الاستخبارات المصرية والروسية والفلسطينية •

وقد احيطت بهذا الحادث سرية تامة حتى كشف النقاب عن خباياها فى عام ١٩٧٧ حين اذيع ان اسرائيل تمكنت من صناعة ثلاثين قنبلة ذرية تحتفظ بها فى صحراء النقب ••

اما رواية كن فوليت الثالثة التى استقى احداثها من واقعة حقيقية فاسمها « الاسم الكودى : ربيكا » ونشرها عام ١٩٨١ •• وتدور احداثها فى القاهرة عام ١٩٤١ • فى ذلك الوقت الذى اقتربت فيه قوات روميل من طبرق • واصبحت القاهرة قاب قوسين من القوات الالمانية • لدرجة انه قيل ان سماء المدينة قد تلبد بالسحب السوداء لكثرة الوثائق التى احرقها الانجليز خوفا من وقوعها بين ايدى الالمان • ومن اجل الحصول على بعض هذه الوثائق ارسل الالمان جاسوسهم اليكس فولف بهدف التسلل الى مقر الجيش البريطانى والعثور على الخطة التى سيقاتل بموجبها الجيش الثامن فى معركة العلمين الفاصلة • وكان فولف مجهزا على احسن ما يرام لمهمته هذه • فلقد كان يجيد الانجليزية والعربية اجادة تامة • ويعرف حق المعرفة اين يمكنه الحصول على المعلومات التى يسعى اليها • جاء الى المدينة يحمل فى حقيبته الصغيرة جهاز ارسال محشورا فى نسخة من رواية « ربيكا » التى كتبتها دافنى دى موربيه • وفى القاهرة يقيم فى بيت راقصة مصرية تنقل له يوميا المعلومات الى روميل من خلال الجهاز الصغير •

وفى القاهرة ايضا يختفى قائد كبير من الاستخبارات الانجليزية • مما يدفع حبيبته ايلين — وهى يهودية مصرية — ان تبحث عنه مستخدمة كل ما منحها الله من انوثة ودهاء • وفى رحلتها للعثور على حبيبها الانجليزى تتعرف على فولف فتفسد له مهمته •

جدير بالذكر ان نشير أن الاسم الحقيقى لهذا الجاسوس الالمانى هو جون ابلر ••

وقد لوحظ ان المرأة فى روايات فوليت تلعب دورا مؤثرا • فهى التى تقتل « ثقب الابرة » قبل أن يقل مركبا يهرب به من انجلترا • كما انها تساعد فى القبض على الجاسوس الالمانى فى القاهرة • وهى ايضا (!!) العربية التى تقع فى غرام عميل اسرائيلى فتسلم له انوثتها واسرارها

حاولنا ان نؤكد فى ردنا على الاستاذ الدكتور الطاهر مكى ان الاتجاهات الحديثة فى الرواية البوليسية • وايضا رواية التجسس قد اتخذت شكلا مغايرا لما تنشره السلسلة السوداء وشبيهتها • مما يعنى ان التعرف على هذه الانواع الادبية يستلزم الحديث عن اصحاب الشرعية فيها • وليس سكان الهوامش وحدهم •

العالم في سطور

بورتريه تكعيبي رسمه الفنان عام ١٩١٥



مكسيكو

« مايا »

والمعاصرة .. تكعيبية

تحتفل المكسيك هذه الايام بمرور ثلاثين عاما على رحيـــل فنانها التشكيلي الكبير ديجو ماريا ريفيرا (١٨٨٦ ـ ١٩٥٧) الذى يعد أبرز الطليعيين التشكيليين فى أمريكـــا الوسطى والذى مزج الفن التشكيلي الحديث بحضارتي أمريكا الجنوبية وهما « المايا » و « الازتيك » فخرج فنه جديدا فى الشكل والمضمون .. يجمع بين الاصالة والمعاصرة ·

تلقى ريفيـــرا تعليمه الفني الاول فى اكاديمية سان كارلوس المكسيكية قبل ان يرحل الى مدريد عام ١٩٠٧ ، ولكنه لم يستقر طويلا فى العاصمة الفرنسية · حيث قام بجولة أوربيـة طاف خلالهـــا فرنسا وبريطانيـــا وبلجيكا وهولندا · وفى عام ١٩١١ استقر به المقام فى باريس حيث اتصل بفنانيها الكبار مثل : بيكاسو وبراك وديران وأبـدى اعجـــابه بالمدرسة التكعيبية التى كانت فى فجرها فى ذلك الوقت ·

فى عام ١٩٢١ عاد الفنـــان الى وطنـــه · وبدا يطـــالع فنون بلاده القديمة · ورويدا رويدا بدأ فنه يأخذ طابعا خاصا يتحـــد فيـــه التاريخ بالحـداثة بما تعلمه من الفنون فى أوروبا .. فكان ريفيرا بذلك المجسر الذى عبرت عليه الفنـــون المكسيكية الى اوروبا والولايات المتحدة · كما كان معبرا للتيارات الفنية الحديثة الى بلاده ·

وقد زار ريفيرا الاتحاد السوفييتي فى عام ١٩٢٧ · وعمل بعـــدها فى الولايات المتحدة حيث أنجز مجموعة



ديجو ريفيرا
بريشته



ليوب ماريان زوجة
الفنان بريشته

من الاعمال الفنية لمؤسسة روكفلر في نيويورك . وشهدت هـــذه السنوات خصوبة وتنوعا كبيرا للفنان . حيث رسم لوحات الحـائط ، وقام بتزيين جدران مبنى الحكومة . في مكسيكو سيتى في الفتـــرة بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٤٠ . كما رسم اغلفة الكتب ، والبورتريهـــات ورســم المشـــاهد التاريخية . كما جرب ريشته فى رسم بعض الصور الخليعة .

وخاض ديجو ريفيرا غمار العمل السياسى الى ابعـــد حد . ويضم تراثه الكثير من الكتابات السياسية حيث سافر عام ١٩٢٧ الى موسكو للمشاركة فى الاحتفال بمرور عشر سنوات على الثورة البلشفية .

لا تنبع أهمية الفنـــان فى تاريخ فنون القرن العشرين فقط من انه حاول عقد مصـــاهرة بين الاتجـاهات التشكيلية الاوربية التي ظهـــرت في العقود الاولى من القرن وبين الفنون القومية لبلاده . ولكنها تتعدى هذا الى نجاحه في خلق سمة مميـــزة لفنه . يصعب منهـــا تصنيفه ضمن تيار معروف ، ولكنـــه يوصف عادة بأنه « واقعية جديدة » لا تعبر الا عن عالم ريفيرا الخاص وحده .

لوس انجلوس

الموت .. لا يقتل المشاهير

الغناء في الغرب .. موجة .. وموجة .. سرعان ما تأتي عليهــا رياح النسيان فتضع صاحبها مهما كانت شهرته في ركن مظلم مجهول . فتحس كأنه لم يكن يوما ذلك النجم الصداح الذي ألهب أحاسيس ومشاعر هذه الجماهير المجنونة التي اشترت اسطواناته ورقصت على نغمـاته ، وقلدت حركاته .

حدث هــذا لاغلب مطربي الفرق الغنائية العــالمية الا .. الفيس بريسلي .

فبعد عشر سنوات من وفاته ما هو الفيس يتصدر أغلفة المجلات العالمية - وخاصة السياسية منهـا مثل نيوزويك - مؤكدا انه كمــا عاش « ملكا » فانه لايزال يضع فوق رأسه تاج مملكة الروك اندرول ، بل والغناء في العالم . الفيس الــذي حاولت فرق غنائية شهيرة أن تحطم هــذا العرش .. فتحطمت وذابت مع الريح وبقى هو يغني .. وبعــد أن مات سيطرت غنائيات بعينها على مسامع العــالم .. لكن أصحاب هــذه الغنائيات رحلوا وهم على قيـــد الحياة بينما بقى الفيس رغم انه مات .

الفيس .. لماذا ؟

لم يكن المطرب مجـــرد شخص



الفيس بريسلي . ملكا

يغني . بل كان رمزا لاشياء عديدة: يمثل البساطة ، والرومانسيــة ، والوسامة والحياة العائلية المستقرة التي كان ينشدها كل أمريكي . كمـا انه نموذج لجيل خرج أســلافه من حروب طويلة دامية . فوجد نفسه يعيش في حرب باردة وسباق تسلح شـــديد بين المعسكرين . فآثر أن يرقص فوق قنبلة ارضية غير موقوتة التفجير .. فانحشر في المــلاهي الليلية يغني ويرقص مع ملك الروك الذي أصبح ظاهرة عصره .

الفيس بريسلي الذي عاش اثنين واربعين عاما ترك وراءه حصــادا لا ينضب منه ثلاثون فيلما سينمائيا وثلاثون مليون اسطوانة . وعشرة ملايين دولار . ومليارات المعجبين

.. وأموال طائلة تحصدها شركات الاسطوانات من مبيعات اغانيه .. وعشرات المحاولات الفاشلة لتقليده . وبالطبع حنين دائم الى سنوات الستينيات التى ملأها شدوا ..

تتبع ايضا اهمية الفيس بريسلى بالنسبة للولايات المتحدة فى أنه احد السلع الثقافية التي قامت بتصديرها الى العالم وصبغ ثقافة العالم بالروك اند رول على الطريقة البريسلية خاصة بعد أن تعسر ايجاد نجم آخر بديل له ..



توجو مزراحي

باريس

توجو .. مصريا

في هدوء اعلامي شديد رحل فى شهر يونية الماضى احد اكبر مخرجى السينما المصرية فى الاربعينيات دون ان يكتب عنه أحد - فى مصر - سطرا واحدا .. توجو مزراحى الذى اخرج للسينما المصرية اربعين فيلما لا تزال تعرض بين الوقت والآخر فى التلفاز ..

توجو مزراحى الذى رحل الى باريس منذ اربعين عاما لم يفكر أن يخرج خارج الاستوديوهات العربية فى مصر .. قدم للسينما افلاما قامت ببطولتها ام كلثوم « سلامة » - وليلى مراد فى افلام عديدة منها « ليلة ممطرة » و « ليلى بنت الريف » ، و « ليلى بنت مدارس » و « ليلى » . وفريد الاطرش فى «انتصار الشباب» كما اخرج العديد من الافلام التاريخية الراقية منها « الف ليلة وليلة » الذى عرضه التلفاز المصرى فى الشهر الماضى ..

كان توجو مزراحى - المولود فى الاسكندرية فى عام ١٩٠١ - اول من نبه سينمائيا الى خطورة الكوكايين فى فيلم صامت يحمل نفس الاسم عرض عام ١٩٢٨ . وكان اول من انشأ ستوديو سينمائيا فى الثغر وهى المدينة التى شهدت مولد صناعة السينما بمصر . وقد لعب دورا كبيرا فى اكتشاف العديد من المواهب الجديدة التى كان يميل فى التعامل معها .

جاء توجو مزراحى الى القاهرة فى عام ١٩٢٨ م.وأصبح انشط ابناء جيله من المخرجين . اذ قدم فى خلال سبع سنوات اكثر من ثلاثين فيلما اتسمت اغلبها بالجودة . كتب عنه صديقه حلمى رفلة انه عرف بحسن الخلق وحبه للمنافسة الشريفة . وأن المشوار الذى قطعه فى السينما المصرية جعله نموذجا رائعا لشباب السينما الجديد ، وتجربة عصامية لواحد من جيل الرواد الاوائل الذين نفخر بهم دوما .

لندن

رسائل ادبية سرية

ما زالنا نؤكد ان ادب الرسائل هو تقليعة السنوات الاخيرة فقد راح الناشرون يبحثون فى ادراج الادباء المشهورين عن الرسائل الخاصة التى قاموا بكتابتها او جاءتهم من اشخاص آخرين .. واعتبروا ان هذه الرسائل مفتاح جيد للدخول الى عقل الكاتب ووجدانه .. وقلبه ..

هذا الشهر صدرت مجموعة من الكتب تضم مجموعة كبيرة من الرسائل المتبادلة بين الادباء لعل اهم كتابين صدرا هما « صداقة ادبية » الذى ضم رسائل تبادلها الكاتبان الانجليزيان روبرت لويس ستيفنسون صاحب « جزيرة الكنز » و « دكتور جيكل ومستر هايد » وبين « هنرى جيمس » صاحب رواية « ما تعرفه مايسى » وقد احتوت اغلب الرسائل المتبادلة بين الرجلين على اراء كل منهما فى ادب الآخر . فبينما وجد جيمس ان صديقه يكتب عن اماكن واسعة وارض لم يطأها بقدميه فان ستيفنسون قد شغف بميدان واشنطن - احد عناوين كتب جيمس - والحياة الامريكية كما صورها ابن وطنه المهاجر الانجليزى الذى اثر الاقامة فى الولايات المتحدة ..

رسائل الصداقة الادبية الثانية بودلت هذه المرة بين الكاتبة الفرنسية انابيس نين والامريكى هنرى ميللر


هنرى جيمس


روبرت لويس ستيفنسون



ادريس شاه

فى كتاب يحمل عنوان « كراسات سرية » · وتنبع اهمية هذه الرسائل فى كشفها مدى الارتباط الشديد بين الكاتبين اللذين اطلقا العنان لقلبيهما فيما يسمى بالادب المكشوف · وقد ضمت الرسائل حكايات خاصة لميللر عن عـلاقاته الحسية بزوجـاته الصغيرات فى السن · اما اناييس فقد تحدثت عن اسرارها التى باحت بها لمحللها النفسى وقالت انها امرأة اقرب الى الليدى تشاترللى التى لم تحتمل زوجها · وانهـا قد كابرت احاسيس هنرى بالقياس الى ما عرفته من احاسيس اقل تدفقا ·

من بين الكلمـات التى كتبها ميللر لصديقته اناييس :

« انت بالغة التواضـع · انت لا تقدرين مدى ما منحتيني اياه · وما منحته لى زوجتى جان · فهذا يمكن ان انساها مع نساء اخريات · اما انت · فانني يمكن ان اعرف الاف النساء ، ولكن لا يمكن ان انساك »

كتاب ودول

الموهبة .. والحمية الوطنية

اثارت رواية « كاركوش » للكاتب الافغانى ادريس شاه السـؤال عن العلاقة بين حميـة لحظة الانفعـال وموهبة الكاتب وعطائه ·· فقد اكد بعض النقـاد ان حماس الكـاتب للهجوم على الاحتلال السـوفييتى لبلاده كان اقـوى من موهبته وهو يقدم الرواية التى بدت دعائية فى اجزاء كثيرة منها ·· فهناك عـلاقة بين الابداع والحمية التى تسـتبد بالكاتب ··

يتحدث ادريس شاه فى روايته عن مهندس افغانى شاب اقل مبالاة بما يحدث من حوله · الا انه يتحول الى ثائر متمـرد ليتزعم مجمـوعة من المجاهدين والثوار ويقوم بمهاجمة قوات الاحتلال السوفييتية · لذا فان الجزء الاعم من الرواية يتحدث عن العمليـات الفدائية التى تقوم بهـا جماعته الصغيرة عبر جبال وعـرة ·· وطرق شاقة ·· وباسلحة بدائية وعزيمة قوية وايمان راسخ · ووسط ظروف مناخية صعبة ينجح المهندس الشاب فى شن هجماته المتتالية دون ان يخسر الكثير من جنوده ··

تقع الرواية فيمـا يزيد على ٤٥٠ صفحة · وقيل انها اقرب الى روايات الوثـائق التى تستحث مشـاعر القارىء واثارة تعاطفه قدر الامكان-

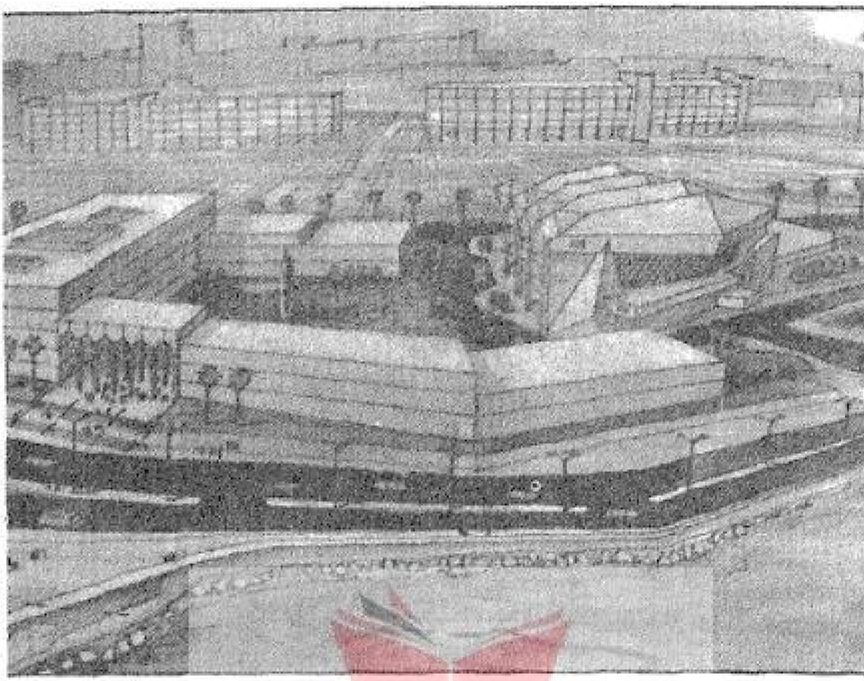
هل ستعود للإسكندرية مكتبتها من جديد؟

تحقيق : هبة عادل عيد

ظلت المكتبات الكبرى عبر التاريخ رمزاً للتطلعات الروحية للانسان ودليلا على حضارته . وقد كانت بالاسكندرية القديمة مكتبة حفظت تراث العالم كله لبضعة قرون ، وكانت مكانا مميزا باختلافه عن البيئة المحيطة بها يسودها دفء وطابع من الود أضفاه العلماء الذين كانوا يقيمون فيها باستعدادهم الدائم لتقديم العون لكل من يدخل هذا المكان .

اكتسبت مكتبة الاسكندرية شهرة كبيرة لم تحظ بها مكتبة من قبل واعتبرها القدماء اكبر مكتبة فى العالم القديم وتوافدوا عليها من كل انحاء الدنيا حتى بعد اندثارها بأكثر من الف وخمسمائة عام وظلت مكتبة الاسكندرية هى المكتبة الوحيدة التى مازال العلماء يبحثون تاريخها ، ويؤلفون عنها الكتب . ومازال الخلاف حول مسئولية حرقها وتدميرها دائرا . والسبب فى كل ذلك انها لم تكن مكتبة فقط ولكنها كانت منبرا حضاريا ومعهدا للبحث والاساس الذى قامت عليه جامعة الاسكندرية فيما بعد ، وظلت طيلة سبعة قرون تحمل لواء الثقافة بما لم تفعله اية مكتبة أخرى فى العالم .

وقد ثارت منذ شهور بعض الاصوات والاراء تدعو الى اعادة انشاء مكتبة الاسكندرية القديمة وتبنى الدعوة بشكل رئيسى الكاتب الكبير احمد بهاء الدين .. وقال انها خطوة لاعادة الوجه الحضارى المميز لمدينة الاسكندرية .. واقترح اكتتابا عاما داخل مصر لجمع تبرعات



شكل تفصيلي للمشروع الخاص بمكتبة الاسكندرية الجديدة

المواطنين للمساهمة فى تنفيذ المشروع . وتحمس كثيرون للفكرة . وكتبت عدة مقالاتتتبنى فكرة ضرورة اعادة انشاء المكتبة ، وعقدت عدة ندوات حول تاريخ المكتبة ونشاتها ، وما حوته من مخطوطات وأهمية احيائها من جديد . شارك فى هذه الندوات العديد من اساتذة الجامعات فى مصر .. ولكن كان الحضور الاكثر من الاساتذة فى جامعة الاسكندرية ، على اعتبار انهم الاقرب الى الفكرة والمكان .

وبعد فترة ليست طويلة .. بدا كان الدعوة الى اعادة انشاء مكتبة الاسكندرية قد خفتت بعض الشيء ثم تلاشت ..

وفى محاولة لمعرفة ما اسفرت عنه تلك الدعوة كان لابد من مقابلة د . لطفى دويدار الرئيس الاسبق لجامعة الاسكندرية اكثر المتحمسين للفكرة و « دينامو » المشروع – كما يطلقون عليه – و د. فريد مصطفى رئيس جامعة الاسكندرية ، وبعض الاساتذة الذين شاركوا فى الندوات حول الموضوع .

ويقول د. لطفى دويدار رئيس

هل ستعود للاسكندرية مكتبتها من جديد؟

اللجنة التحضيرية القومية للمشروع:
مازلنا رغم كل ما كتب وما قيل عن هذا الموضوع فى مرحلة الدراسات الاولية سواء بالنسبة للتمويل او المكان ، لذلك افضل الانتظار لمدة عام على الاقل حيث تكون امور كثيرة قد اتضحت » ..

● مشكلة التمويل

وفى محاولة اخرى لتوضيح الامور يقول د. فريد مصطفى رئيس جامعة الاسكندرية عن المكان المقترح لتنفيذ المشروع وتمويله والمراحل التى سيمر بها ..

« فى تصورى انه مشروع ضخم جدا .. ولابد من اتخاذ الوقت الكافى للاعداد له جيدا . واتصور ان المشكلة الاولى التى واجهتنا هى مشكلة تحديد موقع انشاء المكتبة والمكان المقترح – حتى الان – هو الارض الواقعة بمنطقة السلسلة والتى تطل على كورنيش الميناء الشرقى للبحر المتوسط . وتبلغ مساحة الارض ٤٠و٠٠٠ متر مسطح وتقدر قيمتها بحوالى ٦٠ مليون دولار . ولتقريب مكانها بالنسبة للقارىء نقول انها مجاورة لقاعة المؤتمرات التى تم انشاؤها اخيرا ، واعتقد ان هذا الموقع مثالى لانه يكاد يكون نفس موقع مكتبة الاسكندرية القديمة » .

اما عن مشكلة التمويل الضخمة التى يتطلبها انشاء مثل هذا المشروع فيقول عنها د. فريد مصطفى تكلفة المشروع الاجمالية تقدر بـ ١٦٠ مليون دولار ، منها ٦٠ مليون دولار قيمة الارض و ٦٠ مليون دولار قيمة المبانى و ٤٠ مليون دولار قيمة الكتب والمعدات اللازمة . ومصادر التمويل متعددة فجامعة الاسكندرية هى التى ستقدم الارض وستقدم الخبرة للعاملين فى المكتبة ، ثم سيجرى اكتتاب عام داخل مصر يواكبه او يليه اكتتاب عالمى ، ذلك بالاضافة الى المنح الخاصة التى ستقدم من الجهات العلمية والمؤسسات المتخصصة والجامعات الكبرى » .

وبالنسبة لمراحل المشروع يقول د. فريد مصطفى :

« اتفقنا بشكل مبدئى على ان يتم تنفيذ المشروع على اربع مراحل :
المرحلة الاولى : مرحلة الدراسة التى ستقوم بها اللجنة التحضيرية القومية برئاسة الدكتور محمد لطفى دويدار رئيس جامعة الاسكندرية الاسبق ، ثم تأتى مرحلة الدراسة التى ستقوم بها اللجنة التحضيرية الدولية ، والمرحلة الثانية هى دراسة التصميمات الهندسية وجمع التمويل ويقوم بهما المجلس الدولى لادارة المشروع . والمرحلة الثالثة هى مرحلة التنفيذ التى سيقوم بها المجلس التنفيذى للمشروع .

ثم نصل الى المرحلة الاخيرة فى المشروع – والتى نتمنى ان نصل اليها سريعا وهى مرحلة ادارة المكتبة وستقوم بها بشكل رئيسى جامعة الاسكندرية » .

وقد تردد ان اليونسكو سيكون لها دور كبير فى تنفيذ المشروع واكد د . فريد مصطفى على فعالية دور اليونسكو لدفع المشروع الى الامام ، وقال : « ان اليونسكو قد اقرت المشروع ووافقت عليه مبدئيا ويعنى ذلك ادراجه ضمن المشروعات الدولية التى تتبناها ، كما انها ستشارك فى

عمل الدعاية اللازمة ، وستساعد فى الحملة الدولية لجمع التبرعات ، وستوالى ارسال الخبراء اللازمين فى مراحل التنفيذ المختلفة » .

وعن موعد بدء التشغيل قال د. فريد مصطفى انه لم يتحدد بعد موعد نهائى لبدء العمل بالمشروع .. وأرجو أن يتم ذلك قريبا .

● جامعة أم مكتبة ؟!

وفى لقاء مع بعض الاساتذة الذين تحمسوا للفكرة وشاركوا فى عدة ندوات حول مكتبة الاسكندرية .. ومنهم د. فوزى الفخرانى الاستاذ بقسم الحضارة ـ كلية الاثار ـ الذى اكد على ضرورة تحديد مفهوم المكتبة ويرى انها لم تكن مكتبة فقط ولكنها كانت جامعة ، ولم تكن جامعة بالمعنى الشائع حاليا ، ولكنها كما يقول : « ... كانت جامعة على غرار الجامعة التى اقامها الثرى الامريكى « دومبارتون اوكس » فى واشنطن اى انها مبنى كبير يقيم فيه العلماء الذين جاءوا من كل انحاء العالم ، يطالعون ويتدارسون احدث الكتب فى المكتبة الملحقة بهما ، وفى المساء يقيمون ما يشبه « السيمنار » او حلقة بحث ونقاش لابحاثهم والكتب التى قرأوها ، واتصور ان جامعة الاسكندرية كانت شبيهة بذلك ، وانها انشئت فى الاساس من أجل جذب العلماء من الممالك الاخرى ليستقروا فى الاسكندرية ولا يضطروا للسفر بحثا عن العلم فى بلدان اخرى » .

ويضيف د. فوزى الفخرانى : « لذلك فمن الضرورى أن نحدد مطلبنا بوضوح من الجهات التى نريد منها المشاركة فى تمويل المشروع ، ولقد سمعت البعض يطالب بالتمويل من اجل اعادة احياء جامعة الاسكندرية محدثين بذلك نوعا من الخلط ، لا اتوقع أن تكون نتائجه ايجابية ، فلن تساهم جهة حكومية او غير حكومية فى المشروع لانه سيجيئنا الرد ببساطة بانه لدينا جامعة . لذلك ارى انه يجب أن نتمسك بكلمة ومفهوم المكتبة التى يراد بها خدمة الجامعات ، على مستوى راق ومتقدم لا تتيحه مكتباتنا اليوم » .

وعن مشكلة التمويل يقول د. فوزى الفخرانى : « فى رأيى أن الحماس لاى مشروع هو الذى يأتى له بالتمويل ، وفكرة الاكتتاب والتبرع فكرة جيدة وطموح لانها تستثمر هذا الحماس ، ولكنها ـ واقعيا ـ ليست كافية ، فبالاضافة الى مساهمات الافراد يجب أن نقوم بجهد كبير لاقناع العالم كله بجدوى اقامة مثل هذا المشروع ، وموافقة اليونسكو عليه هامة جدا ، لانها ستكون أول خطوة جادة على طريق التنفيذ الفعلى ، فضلا عن ان الدعاية هامة جدا لتدعيم المشروع معنويا وماديا .

وحول الورقة التى قدمها فى الندوة التى عقدت عن المكتبة قال : « بحكم تخصصى تحدثت عن الاهمية الحضارية والاثرية لمكتبة الاسكندرية القديمة ، وكيف ان هذه المكتبة تصبح المنارة العلمية الاولى من فراغ ذلك ان البطالمة لجأوا الى كل الطرق لضم المخطوطات لمكتبتهم وبلغ حرصهم الشديد على ذلك الى انهم اقاموا ما يشبه « حجرا » على السفن المحملة بالكتب . فكانت كل سفينة تأتى الى الميناء يتم تفتيشها ومصادرة اى كتاب بها ليتم الاحتفاظ به فى المكتبة وذلك بعد كتابة نسخة منه تقدم الى صاحب الكتاب مع بعض التعويض المالى ، وذلك ادراكا منهم لمدى الخطأ او التحريف الذى يمكن حدوثه للنسخ على مر الاجيال ، وربما يدل

هل ستعود للإسكندرية مكتبتها من جديد؟

ايضا على ان هذه المكتبة النادرة قد ضمت النسخ الاصلية لكل كتب هذا العصر » .

● أسس علم المصريات

ويقول د. محمد على أبو ريان استاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية : « اكتتاب المواطنين شيء ضرورى وهام بالاضافة الى تمويل اليونسكو والعالم كله . وفى رأيى ان الاستفادة بخبرات الدول العريقة فى مجال الثقافة هام للغاية ولنبدا بالاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا » . وحول البحث الذى القاه فى الندوة قال :

« لقد ركزت على ما كانت تحتويه مخطوطات مكتبة الاسكندرية من نفائس لا تقدر بثمن ، وقلت ان مكتبة ارسطو التى كانت اثينا تفخر بها .. كانت جزءا من مكتبة الاسكندرية القديمة — وان كان بالطبع — الجزء المهم والذى تاثرت به المكتبة لفترة طويلة من الزمن حتى أن البعض كان يطلق عليها مكتبة أرسطو ، لتاثرها الواضح بمنهجه . والذى قام بشراء مكتبة ارسطو هو ديميتريوس الفاليرى — تلميذ ارسطو — وصاحب اقتراح انشائها ، واشتراها من اثينا لرغبته فى المحافظة عليها من الضياع ، فقد كانت اكبر مكتبة شهدها ذلك العصر . لذلك اعتبرت اعظم مقتنيات مكتبة الاسكندرية ، وكانت السبب الرئيسى فى شهرتها — فى نشاتها الاولى على الاقل » .

ويضيف د. محمد أبو ريان « وبالاضافة الى ذلك ضمت المكتبة مخطوطات نادرة أشهرها على الاطلاق جهود الاسكندريين فى مجال ترجمة الكتب غير اليونانية الى اليونانية ، وهى ترجمة التوراه المعروفة باسم « الترجمة السبعينية » والتى لا تزال موجودة حتى اليوم ، وتعتبر أوثق نص للتوراه ، وقد سميت بهذا الاسم لانه قام بترجمتها اثنان وسبعون من رجال الديانة اليهودية بعد ان تم الفصل بينهم وجلس كل منهم فى غرفة مستقلة حتى انتهوا من عملهم وقورنت الترجمات الاثنتان والسبعون بعضها ببعض فتطابقت جميعها كلمة كلمة » .

تلك كانت محاولة لالقاء الضوء على الدعوة التى علت ثم تلاشت لاحياء مكتبة الاسكندرية القديمة التى انشأها الملك بطليموس الاول فى مطلع القرن الثالث ق.م. والتى ضمت اكثر من نصف مليون مخطوطة اصلية .. من اندر مخطوطات العصر القديم . ايضا ضمت مجموعة كبيرة من لفائف برديات الادب المصرى القديم ، حيث اهتم البطالمة بنقل تراث المصريين الى اللغة اليونانية ليقرأه علماء المكتبة من الاغريق ويتعرفوا على تراث وحضارة البلاد التى يقيمون بها ولعل اهم ما قاموا به فى هذا المجال هو تكليف الكاهن المصرى « مانيتون » بتاليف كتاب باللغة اليونانية عن مصر الفرعونية ، وقام « مانيتون » فى كتابه بتقسيم التاريخ المصرى الى ثلاثين اسرة مازال معمولا به حتى اليوم .

فهل يمكن ان تكون هذه دعوة للافئدة الاصوات التى دعت وتحمست للفكرة .. ان تواصل دعواها .. ومتابعتها المستمرة .. حتى لا نتهم باننا شعب المشاريع الكبيرة المتوقفة دائما !! ..

قصة ديون مصر الخارجية
من عصر محمد على إلى اليوم - ٨

ديون السادات فى سنوات الرخاء

بقلم : د. جلال أمين

> فى ١٩٧٧ فوجئ السادات، او هكذا قال، بالوضع الاقتصادى الخطير الذى تمثل فى عجزه عن الوفاء بمبالغ طائلة من القروض قصيرة الأجل. واستخدم السادات حينئذ فى وصف حالة الاقتصاد المصرى انه «بلغ درجة الصفر»، وتعلل باعذار غريبة منها ان احدا لم يخبره من قبل بخطورة الأمر. ومنها ان الأرقام التى عرضت عليه كان يظن انها بالدولارات ثم تبين له فيما بعد انها بالجنيهات الاسترلينية (١).

كنا قد راينا من قبل، ان الخديو اسماعيل كان قد اكتشف بدوره قبل ذلك بمائة عام (١٨٧٦) ان الخزانة المصرية خاوية وانه عاجز عن الوفاء بديونه التى ورطه فيها الدائنون الاوربيون خلال الثلاثة عشر عاما السابقة. وكنا قد ذكرنا ان تورط الخديو اسماعيل فى الديون لم يكن مصدره بالضبط ميله الى البذخ والانفاق وانما توفر اموال سائلة فى

المصارف الأوربية كانت تبحث عن فرص للاستثمار المجزى فى الخارج ، وان بذخ اسماعيل وتوسعه فى الانفاق لم يكونا السبب بمقدار ماكانا نتيجة لما تعرض له من ضغوط واغراءات من جانب السماسرة والمرابين زينت له مشروعات باهظة التكاليف وقليلة العائد . ولكننا نعرف ايضا انه فى اعقاب ١٩٧٣ توفرت للمصارف الأوربية والامريكية كميات طائلة من الأموال السائلة نتيجة لما سمى باعادة تدوير عوائد النفط فى اعقاب ارتفاع سعره ، وكانت هذه المصارف تبحث بدورها عن مجال لتوظيف هذه الأموال خارج بلادها . نحن نعرف ايضا ان مجموع ديون مصر قصيرة الأجل فى ١٩٧٠ لم يكن قد تجاوز ١٤٨ مليون دولار فى ١٩٧٥[٢] . فاذا تذكرنا ايضا انه بمجرد انتهاء حرب اكتوبر ١٩٧٣ زينت للسادات مشروعات اعادة تعمير مدن القناة ، وهى مالم تسمح بالتوسع فيه أموال مصر الاقتصادية فى ذلك الوقت . بضالة مواردها من الصادرات ، وان اعتراضات بعض المسئولين الاقتصاديين على هذا التوسع فى الانفاق على مشروعات التعمير ، خاصة اذا كان يضطر مصر الى التورط بشدة فى القروض التجارية قصيرة الأجل ، هذه الاعتراضات قوبلت وقتها بالقول بان الامر يتعلق « بسياسات عليا » لايسمح بمناقشتها ، اذا تذكرنا كل ذلك اصبح من الصعب الا يثور بقوة احتمال ان يكون التورط فى هذا النوع من الديون فى عهد السادات قد جاء استجابة لنفس النوع من الضغوط والاغراءات التى تعرض لها الخديو اسماعيل من قبل .

كانت النتيجة على اية حال هى انه فى ١٩٧٥ كان نحو ثلث اجمالى الديون الخارجية المصرية واجب السداد خلال عامين ، واصبحت مصر مطالبة بدفع ٢٠٨٤ مليون دولار فى ١٩٧٥ وحدها سدادا لاصل وفوائد هذه الديون القصيرة الاجل ، او مايعادل ٧٨٪ من حصيلة الصادرات المصرية كلها فى ذلك العام[٣] .

شهدت تلك السنة (١٩٧٥) والسنة التى تلتها ، جولات متعاقبة للرئيس السادات ولرئيس الوزراء ووزراء المالية والاقتصاد المصريين ، فى دول الخليج يرجون فيها زيادة حجم المعونات العربية المقدمة لمصر ، مستخدمين كل مايمكن استخدامه من حجج ، من بطولة الجيش المصرى فى حرب اكتوبر الى ماقدمته مصر من تضحيات للقضية الفلسطينية الى ماتؤديه العمالة المصرية من خدمات لتنمية دول الخليج ، ولكن دون طائل . فقد كان رد حكومات النفط على الدوام ان هذا الذى نقدمه هو اقصى مانستطيعه ، وانه حتى لو كان باستطاعتنا تقديم اكثر من ذلك فإنه ليس لدينا مايضمن ان مصر سوف تحسن استخدام مانقدمه لها من معونات !



أنور السادات



الخديو اسماعيل

كانت هناك ايضا تلميحات الى مايسود تصرفات الادارة المصرية من فساد وتبديد ، وهي امور كانت حكومات النفط العربية أخر من يحق له أن يشير اليها . كانت هناك ايضا ردود تعلمتها حكومات النفط من رجال البنك الدولي والمؤسسات الدولية . مثل القول بان تقديم المساعدات لدعم ميزان المدفوعات يساعد على التبديد ، وان الافضل هو تقديم مساعدات لتمويل مشروعات بعينها يتفق عليها ، ولكن مصر للأسف لاتتوافر لديها كمية كافية من دراسات الجدوى ، ومن المشروعات الكاملة الاعداد تبرر زيادة حجم المساعدات .

هكذا نجد انه في ظل اشتداد الضائقة الاقتصادية بمصر في ١٩٧٦ ، انخفضت المعونات التي قدمتها دول النفط العربية لمصر ، انخفاضا ملحوظا . فانخفض اجمالي المدفوعات الثنائية الميسرة التي دفعتها هذه الدول لمصر من ١٨٧٣ مليون دولار في ١٩٧٥ الى ١٠٢٨ مليونا في ١٩٧٦ ، أي بنسبة ٤٥٪ . وانخفضت المدفوعات غير الميسرة لمصر من نفس الدول من ٦٦٨ مليون دولار الى ٢٣٥ مليونا أي بنحو الثلثين بين هذين العامين[٤] .

● لماذا انخفضت المعونات العربية ؟

ليس هناك ، في رأيي ، إلا تفسير واحد مقبول لهذا الموقف الذي اتخذته حكومات النفط العربية في هاتين السنتين (٧٥ ، ١٩٧٦) . لقد كان لدى هذه الحكومات

بغير شك ما يكفي من الاموال لانتشال مصر من ازمتها ، ففي الوقت الذى كانت تقترض فيه مصر من البنوك التجارية بأسعار فائدة تزيد على ١٥٪ ، كانت دول النفط تستثمر فوائضها في البنوك الأمريكية والأوروبية والبنك الدولي بأسعار فائدة تقل عن نصف هذا القدر . وفي الوقت الذى كانت حكومات النفط وشركات الاستثمار فيها تتكلم فيه عن ارتفاع المخاطر السياسية للاستثمار في مصر ، كانت استثمارات هذه الحكومات والشركات في الدول الغربية تتعرض لمخاطر حقيقية تتمثل في التدهور المستمر في قيمة الدولار وارتفاع معدلات التضخم . لم يكن الأمر اذن في الحقيقة إلا أن حكومات دول النفط لم تكن قد تلقت بعد إيماءة الموافقة من الولايات المتحدة وهيئات المعونات الدولية بزيادة حجم معوناتها لمصر . ولم يكن هذا ليتم الا اذا اظهرت مصر استعدادها نهائيا لقبول توصيات صندوق النقد الدولي ، ولاتخاذ خطوة حاسمة في اتجاه عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل .

عام التنازلات

كانت مصر بنهاية ١٩٧٦ ، قد ذهبت بالفعل شوطا بعيدا نحو قبول كلا المطلبين ، ولكن يبدو ان ماتم حتى ذلك الوقت لم يكن كافيا ، كانت مصر قد اصدرت بالفعل قوانين تشجيع رأس المال الأجنبي على الاستثمار في مصر ، وخفضت بشدة من القيود على الاستيراد ، وسمحت للبنوك الاجنبية بفتح فروع لها في مصر ، واقامت مناطق اقتصادية حرة . وضيقت الفجوة بين قيمة الجنيه المصرى الرسمية وقيمته السوقية .. الخ .. ومع ذلك كانت لاتزال هناك سياسة الحماية المفروضة لشركات القطاع العام ، وماتقدمه الحكومة من دعم لهذه الشركات ولتخفيض اسعار بعض السلع الاستهلاكية ، وهو ماكانت الحكومة المصرية تبدى إحجاما واضحا عن التخلي عنه .

كذلك فيما يتعلق بقضية اسرائيل . كانت مصر بنهاية ١٩٧٦ قد قطعت ايضا شوطا بعيدا في الاستجابة للمطالب الاسرائيلية ، ولكن لم يكن ذلك بدوره كافيا . فمنذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل وفي اثنائها ، وقبل عبور القوات الاسرائيلية الى غربى القناة . كانت الحكومة المصرية قد بدأت تعبر عن استعدادها للسلام ، ثم عقدت اتفاقيتين لفك الاشتباك ، ودخلت في مفاوضات مباشرة وغير مباشرة مع الاسرائيليين . ولكن كانت الحكومة المصرية لاتزال تصر على رفض عقد صلح مع اسرائيل لاتشترك فيه سوريا والاردن ، ويستبعد الفلسطينيين .

كان هذا الوضع اذن في نهاية ١٩٧٦ ، لكن بعد اقل من سنة كانت الصورة قد اختلفت تماما . ففي صباح احد ايام نوفمبر ١٩٧٧ . كان المصريون فيه يحتفلون بعيد الاضحى ، استيقظ الناس على خبر زيارة رئيس الجمهورية المصرية للقدس ، وراوا في نفس اليوم على شاشة التليفزيون ، رئيس جمهوريتهم وهو يستعرض حرس الشرف الاسرائيلي ويضع اكليل الزهر على قبر الجندى الاسرائيلي المجهول .

كانت الحكومة السعودية في مطلع نفس العام قد اعلنت بعد احجام عن قبولها ان تساهم بنسبة ٤٠٪ في رأس مال ، هيئة الخليج لتنمية مصر ، البالغ قدره بليوني دولار ، وذلك في اعقاب اعلان مصر قبولها

لمشروع صندوق النقد الدولى ، لترشيد ، السياسة الاقتصادية وفى يونيه من نفس العام كان قد عقد فى باريس اول اجتماع للمجموعة الاستشارية التى تضم جميع الدول والهيئات المهتمة بتقديم المعونة لمصر . واستمع الحاضرون لتقرير وزير التخطيط المصرى عن السياسة الاقتصادية المزمع تطبيقها . وهو تقرير كان قد تم اعداده فى القاهرة بمساعدة خبراء صندوق النقد الدولى . ومن ثم فقد تلقى التقرير على الفور مباركة دائنى مصر المجتمعين فى باريس .

● فترة عصيبة !

لايعرف احد على وجه الدقة ماذا حدث بين نهاية ١٩٧٦ ونوفمبر ١٩٧٧ ، ولكن من الصعب ان نتصور ان هذه الفترة لم تكن فترة عصيبة للحكومة المصرية . كانت هناك بالطبع ، احداث يناير ١٩٧٧ التى قام بها الناس يحتجون على زيادة اسعار بعض السلع الضرورية . والتى قد تكون قد ساهمت الى حد ما فى التخفيف من قسوة خبراء صندوق النقد الدولى أو على الاقل اقنعته بضرورة تأجيل بعض التنازلات . ولكن من الصعب تصور انه لم تتخذ خلال تلك الفترة بعض اساليب الضغط التى لم تعرف ابعادها بعد والتى كانت الظروف الاقتصادية والديون الخارجية المستحقة الدفع من اهم الوسائل المستخدمة فيها . وربما كان قبول رئيس الجمهورية لزيارة القدس واحدا من الشروط المفروضة عليه من اجل التدخل لانقاذه .

على اية حال فانه قد يذكر ذلك العام (١٩٧٧) انه العام الذى أجبرت فيه مصر على تقديم اكبر تنازل فى المجال السياسى منذ زمن طويل .

وسوف يذكر القارىء ماحدث فى مصر قبل ذلك بمائة عام . ففيما بين ١٨٧٦ و ١٨٧٩ توالت الضغوط على الخديو اسماعيل ليقبل التدخل المباشر فى ادارة الاقتصاد المصرى من جانب الدول الاوربية التى ينتمى اليها الدائنون .

وكانت نقطة الضعف لدى الخديو ، كما كانت لدى السادات ، هى عجزه عن الوفاء بمستحقات الديون التى تورط فيها دون موجب فى السنوات القليلة السابقة .

وقد ابدى الخديو اسماعيل منذ ١٨٧٦ استعداده لقبول اى اجراء للاصلاح قد تنصح به الحكومتان البريطانية والفرنسية . فقبل تكوين « صندوق الدين العام » وتكوين « لجنة التحقيق » للاشراف على مالية الدولة وحصر مواردها واوجه انفاقها . كما قبل السادات توصيات « المجموعة الاستشارية » المجتمعة فى باريس . ولكن السادات فيما يبدو كان على استعداد للذهاب الى ابعد مما ذهب اليه الخديو اسماعيل . اذ بينما حاول الخديو مقاومة اشتراك ممثل لبريطانيا . واخر لفرنسا كوزير فى مجلس الوزراء المصرى فكلفه ذلك عرشه فى ١٨٧٩ ، قبل السادات القيام بزيارة القدس فى ١٩٧٧ فاستحق بذلك

رضا الأمريكيين والدول الغربية وهيئات المعونة الغربية والدولية .

● مرة أخرى : الاستدانة فى عصر الرخاء : ٧٧ ـ ١٩٨١

بقدوم ١٩٧٧ بدا كان عقدا كاملا من المتاعب الاقتصادية المتراكمة قد أوشك على الانتهاء ، واذا بالاقتصاد المصرى يبدأ فترة جديدة من الانتعاش الواضح استمرت حتى نهاية عصر السادات . ففى خلال السنوات الاربع الأخيرة من عهد السادات (٧٧ ـ ١٩٨١) بلغ معدل النمو فى الناتج المحلى الإجمالى ، بالاسعار الثابتة مابين ٨٪ ، ٩٪ سنويا ، وهو معدل لم يستطع تحقيقه فى نفس الفترة ، الا عدد محدود للغاية من البلاد ، ولم تحققه مصر منذ الحرب العالمية الأولى على الأقل . فى هذه السنوات الاربع ايضا شهدت مصر زيادة لم تعرف لها مثيلا من قبل فى موارد العملات الاجنبية ، فضلا عن اتجاه معدل التبادل التجارى الدولى لصالحها ، فقد زادت ايرادات مصر من صادرات البترول ، التى لم تتجاوز ١٦٢ مليون جنيه فى ١٩٧٧ ، الى مايقرب من عشرة امثالها ، فبلغت ١,٥ بليون جنيه فى ١٩٨١ ، بفضل الزيادة السريعة فى كل من انتاج واسعار البترول ، بينما زادت ايرادات مصر من الصادرات غير المنظورة من ٩٩٨ مليون جنيه الى ٤ بلايين جنيه ، فى نفس الفترة .. وهى زيادة ترجع فى الأساس الى الزيادة السريعة فى تحويلات المصريين العاملين بالخارج . كذلك شهد معدل التبادل الدولى تحولا لصالح مصر بنسبة ٨١٪ فيما بين ٧٧ و١٩٨١ ، حيث فاق الارتفاع فى اسعار النفط ، بدرجة ملحوظة ، الارتفاع فى اسعار الواردات من السلع الاستهلاكية والراسمالية . وهكذا تضاعفت ايرادات مصر الجارية من العملات الاجنبية نحو اربع مرات خلال اربع سنوات(٥) .

كانت هذه الظروف المواتية هى بلا شك انسب الظروف ، ليس فقط لوضع حد لتزايد المديونية الخارجية ، بل ولإحداث تخفيض كبير فيها . ففى الفترة ٧٧ ـ ١٩٨١ كانت قيمة الزيادة فى اجمالى صادرات مصر من السلع والخدمات نحو خمسة بلايين من الجنيهات او نحو سبعة بلايين من الدولارات ، وهو مبلغ يساوى نحو ٨٧٪ من اجمالى قيمة ديون الخارجية المدنية ، طويلة ومتوسطة الاجل ، فى ١٩٧٧ ولكن الذى حدث هو العكس بالضبط ، واذا بمصر تلجا فى فترة رخاء لم تشهد مثلها طوال هذا القرن ، إلى مزيد من الاستدانة ، واذا بنا نجد الديون المدنية طويلة ومتوسطة الاجل التى كانت قد بلغت ٤,٨ بليون دولار فى ١٩٧٥ ، وزادت إلى ٨,١ بليون دولار فى ١٩٧٧ ، تزيد بنسبة ٧٦٪ فى الأربع سنوات التالية فتصل الى ١٤,٣ بليون دولار فى ١٩٨١ . كيف يمكن تفسير ذلك . وأى عذر يمكن ان يقدم لتبريره ؟

● أين ذهبت الأموال ؟

لقد رأينا حالا انه لايمكن تفسير ذلك

بضآلة او تراخي حصيلة الصادرات ،

فقد شهدت صادراتنا المنظورة وغير المنظورة فى تلك الفترة رواجا لم يسبق له مثيل ، انما يكمن السبب فيما اصاب الواردات من السلع والخدمات من زيادة غير معهودة ايضا . فخلال السنوات الأربع ٧٧ - ١٩٨١ زادت واردات مصر السلعية من ١,٨ بليون جنيه مصرى الى ٦,١ بليون اى بأكثر من ثلاثة امثال ، والواردات من الخدمات من نصف بليون جنيه الى بليوني جنيه ، اى بنحو اربعة امثال[٦] . ترتب على ذلك انه ، على الرغم من الزيادة الكبيرة فى حصيلة الصادرات ، زاد العجز فى ميزان المعاملات الجارية من ٨٩٢ مليون جنيه الى ١,٩ بليون ، اى بأكثر من النصف .

الواردات من الخدمات . اما زيادة الواردات السلعية ، وقدرها ٤,٣ بليون جنيه ، فيرجع ١٨٪ منها الى الزيادة فى واردات القمح والذرة والدقيق ، و٢٣٪ للزيادة فى السلع الاستهلاكية المعمرة وغير المعمرة عدا القمح والذرة والدقيق . ويرجع الباقى ، وقدره ٥٩٪ الى الزيادة فى واردات السلع الوسيطة والراسمالية[٧] .

واما الزيادة فى واردات الخدمات فيرجع نحو ثلثها الى فوائد الديون ، ويوصف الجزء الأكبر من الباقى ، فى احصاءات ميزان المدفوعات التى ينشرها البنك الأهلى بانه « نفقات اخرى » فلا يعلم اين ذهب هذا الجزء الا الله .

على أن هذه الاجابة لاتكفى بالطبع ، اذ يهمنا ان نعرف ، معدلات الزيادة فى مختلف انواع الواردات . وقد شاع القول بأن هذه الزيادة فى عجز ميزان المعاملات الجارية فى تلك الفترة ، ومن ثم زيادة الالتجاء الى الاقتراض ، إنما يرجع فى الأساس الى اطلاق حرية استيراد السلع الكمالية . وهذا القول وان كان يشير الى جزء من الحقيقة ، فانه لايشير الى السبب الاساسي لزيادة العجز والمديونية . ذلك اننا اذا نظرنا الى توزيع الواردات بين مختلف البنود وجدنا ان ثلاثة ارباع الزيادة فيها ، خلال هذه السنوات الأربع ، يرجع الى زيادة الواردات السلعية ، وربعها الى الزيادة فى

نستخلص من ذلك ان زيادة العجز والمديونية خلال السنوات الأربع الأخيرة من عهد السادات ، وإن كان من الممكن القاء جزء من المسئولية عنها على زيادة الاستهلاك ، فإن الجزء الاكبر يرجع الى زيادة استيراد السلع الوسيطة والراسمالية ، وهو مايعكس ارتفاع معدل الاستثمار الى نحو ٣٠٪ من الناتج المحلي الاجمالي . ولقد كان من الممكن ان يتخذ هذا عذرا للادارة الاقتصادية فى ذلك الوقت لو كانت اوجه الاستثمار التي وجهت اليها الأموال المقترضة من النوع الذى يولد عائدا يزيد على تكلفة الاقتراض . ولكن العكس تماما كان هو الصحيح ، فقد

وجه الجزء الأكبر من الاستثمارات فى تلك الفترة الى فروع قليلة الانتاجية وضعيفة العائد ، كالمرافق العامة والخدمات التجارية والمالية . مما جعل مصر تواجه فى السنوات التالية بعبء ثقيل من المديونية دون أن يكون فى قدرتها توليد الدخل الكافى للقيام بهذا العبء . ففى خلال السنوات ٧٧ ـ ٨١/ ١٩٨٢ ، كانت القطاعات التى احرزت اعلى معدلات النمو (فيما عدا قطاع البترول وقناة السويس) هى قطاعات التجارة والمال (١٢,٥٪ سنويا) والبناء والتشييد (١١,٣٪) والخدمات الحكومية (١٠,٦٪) والنقل والمواصلات والتخزين (٨,٣٪) بينما لم تنم الصناعة والتعدين (بعد استبعاد البترول) باكثر من ٦٪ ، وتراخى معدل نمو الزراعة (٢,٣٪) عن معدل النمو فى السكان[٨] .

لم تقترن اذن تلك الزيادة المذهلة فى المديونية ، خلال عهد السادات ، باى تصحيح لهيكل الاقتصاد المصرى ، بل صاحبتها زيادة كبيرة فى درجة الاختلال ، سواء فى هيكل الانتاج او فى هيكل العمالة . فانخفض نصيب الزراعة فى الناتج المحلى الاجمالى من ٢٥٪ فى بداية عهده الى ١٧٪ فى نهايته ، ونصيب الصناعة التحويلية من ٢٣٪ الى ١٧٪ ، بينما ارتفع نصيب الخدمات من ٤٥٪ الى ٤٨٪ ونصيب البترول الخام من اقل من ١٪ الى ١٨٪ . كذلك زاد الاختلال فى هيكل العمالة لصالح قطاع الخدمات الذى يضم اكبر نسبة من البطالة المقنعة . اذ بينما ظل نصيب قطاع الصناعة التحويلية فى اجمالى القوة العاملة ثابتا تقريبا عند ١٢٪ طوال عهد السادات ، كان الانخفاض فى نصيب الزراعة فى القوة العاملة ، مساويا تقريبا للزيادة فى نصيب الخدمات . حيث زاد هذا الأخير بنحو ٥٠٪ (من ٣٠٪ من اجمالى القوة العاملة الى ٤٥٪) .

ولم يقترن توقيع اتفاقية السلام فى ١٩٧٩ بتخفيض الانفاق العسكرى ، بل زاد هذا الانفاق بشدة فى اعقابها ، وزاد الالتجاء فى تمويله بالقروض الخارجية ايضا ، التى ساهمت فيها الولايات المتحدة باكبر نصيب ، وباسعار الفائدة التجارية التى كانت بالغة الارتفاع فى ذلك الوقت . ويذكر تقرير لصندوق النقد الدولى صادر فى ١٩٨٤ ان الانفاق العسكرى زاد بنسبة تتجاوز ٢٠٪ سنويا فى اعقاب ١٩٧٩ ، وبلغت نسبة الزيادة فيه فى عام مقتل السادات ٣٢٪[٩] .

● بين السادات والخديو اسماعيل

لايسع المرء من جديد الا ان يلاحظ شبها آخر بين تجربة الاقتصاد المصرى فى عهد السادات وبينها فى عهد الخديو اسماعيل .

ففي الحالين اقترنت الزيادة الكبيرة في المديونية بمعدل نمو بالغ الارتفاع في الدخل القومي . وبازدهار واضح في مصادر النقد الاجنبي . فلم يمنع الرخاء من التورط في مزيد من الديون في الوقت الذى كان يجب فيه ان تستخدم الموارد الذاتية الجديدة في تسديد الديون السابقة .

وفي الحالين ، وعلى الأخص في عصر السادات استخدم جزء كبير من هذه القروض في تمويل مشروعات لاتضيف اضافة ملحوظة الى الانتاج ، بما في ذلك شراء السلاح ، الأمر الذى لابد ان يثير التساؤل مرة اخرى عن نوع النصائح (او الضغوط) التى كان يتعرض لها الحاكم في الحالين ، وعن المصالح الخارجية والداخلية التى كانت تجد مصلحتها في تشجيع الاتجاه نحو الاستدانة ، اما تسهيلا لفرض الارادة في المستقبل . او تصريفا لمنتجات لاتجد من يشتريها .

هوامش الدراسة

(١) انظر عادل حسين : الاقتصاد المصرى من الاستقلال الى التبعية (٧٤ ـ ١٩٧٩) دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨١ ، الجزء الثانى ، ص ١٤٢ ـ ٣ .

(2) Ikram, K. Egypt Economic, Management in a Period of Transition, John Hopkins University Press, Baltimore,1980,P.362.

(٣) رمزى زكى : « قضية الديون الخارجية » . فى : جودة عبد الخالق (محرر) : الانفتاح : الجذور والحصاد والمستقبل ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٢ . ص ١٩٣ ـ ٤ .

(4) OECD : Flows of Resources From OPEC Members to Developing Countries, Paris, 1977, (mimeo), Statistical Tables .

(٥) البنك الأهلى المصرى : النشرة الاقتصادية ، ١٩٨٥ ، العدد الأول ، ص ١٠٥

(٦) نفس المرجع :

(٧) حسبت هذه الارقام والنسب من المرجع السابق .

(8) IMF: Arab Republic of Egypt : Recent Economic Developments, june 19, 1984, (mimeo), P.4.

(٩) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

أنت .. والهلال

● قضايا فكرية

● تركزت ملاحظات الاستاذ مصطفى الحسينى على المجلدات الاربعة التي صدرت حتى الآن من « قضايا فكرية » في ثلاث ملاحظات .. اثنتان منها في اسلوب العمل ، والثالثة في جوهر موقف « قضايا فكرية » من المدارس الفكرية المختلفة بمصر .

ولعله يخلف من تصورنا أن « قضايا فكرية » ظهرت في اطار مشروع اكبر ، وضعت له اجندة عامة تضمنت الاهداف ونشرت في الكتاب الاول . وقد بدأنا باكثر الموضوعات جدية ، وهو موضوع « الدولة » ، ثم موضوع « التبعية » ، ثم حاولنا في الموضوع الثالث تحديد ملامح تطور الرأسمالية في بلادنا ، وجاء بعد ذلك المجلد الخاص بالطبقة العاملة .. والكتاب القادم مخصص للقضية الوطنية ، ثم يليه كتاب عن الريف المصرى .

ثم نأتي لهذه الملاحظة : عن أى المدارس الفكرية تعبر « قضايا فكرية » ؟!.. عن المدرسة الماركسية وحدها ، ام عن جبهة فكرية وطنية عريضة ؟!.. ونحن نعتقد أن العمل السياسى هو مجال النشاط الجبهوى في جميع المراحل ، لكن الايديولوجية ليست مجالا جبهويا ، ومن ثم فلا معنى لكلمات « التحالف الفكرى » او « الجبهة الفكرية » ، وهناك جانب للعمل المشترك بين الفكريات الطبقية المتباينة ، هو التزام جانب العلم برغم أن كل تناول علمى يتضمن مضمونا أيديولوجيا طبقيا .. وقد حفلت « قضايا فكرية » بدراسات لباحثين غير ماركسيين لكنهم يتبعون المنهج العلمى في عملهم ، فيقدمون مساهمات بالغة الاهمية .

وبرغم تمسكنا بأن نكون واضحين ، وربما بسبب هذا الوضوح ، نصنع أوسع تحالف سياسى بين مثقفى مصر الجادين من مختلف المدارس الفكرية ، يقوم على الوضوح الفكرى والالتقاء الديمقراطى العميق ، والتمايز والاستقلالية التى لا تنكر ولا تطمس ، بهدف تأصيل العقلانية والديمقراطية والابداع .

جمال الشرقاوى

مدير تحرير « قضايا فكرية »

● الرمز

قالوا : تقول صريحا … لم لا تحاول رمزا ..؟
فقلت انى صريح … ارى التوارى رجزا
الرمز عجز وانى … خلقت ارفض عجزا

احمد قاسم احمد
قنا

● الشاعر اليماني الشهيد

● الشاعر محمد محمود الزبيرى شاعر يمنى ، ولد سنة ١٩١٦ وتلقى تعليمه الابتدائى فى اليمن عندما كان يحكمه الامام يحيى حميد الدين ، ثم رحل الى مصر وعاد الى اليمن سنة ١٩٤١ فاصطدم بواقع مرير ، أطلق فيه كلماته مدوية يدعو فيها قومه الى الكفاح ، فزج به الامام فى السجن وعندما افرج عنه رحل الى عدن وأسس فيها حركة الاحرار اليمنيين سنة ١٩٤٤ وظل يطلق قصائده فى وجه نظام الائمة مناديا بقيام الثورة . وبعد ثورة الشعب اليمنى على الامام احمد بن يحيى سنة ١٩٤٨ أصدر الامام حكما بالاعدام على الشاعر الزبيرى وكان الشاعر فى ذلك الوقت فى القاهرة على رأس وفد لمقابلة الامين العام للجامعة العربية ، فنجا من الموت ، ولكنه ظل يتنقل بين الاقطار وهو يعانى شظف العيش والام الغربة حتى قامت ثورة سبتمبر ١٩٦٢ فعاد الى وطنه ، لكنه سقط شهيدا برصاص قوى الظلام فى ٥ ابريل ١٩٦٥ .. وللزبيرى آثار شعرية ونثرية قيمة .

احمد محمد باثيب
كريتر ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية

● الهوى الابدى

● قرات رد محرركم على قصيدة لى عنوانها « الهوى الابدى » فى شهر اغسطس الماضى ، من انها مكسورة الابيات واننى ناشىء فى كتابة الشعر ، مع اننى اكتب الشعر قبل ان يستقيم القلم فى يد هذا المحرر ، وقد ولدت كبيرا ، ومادح نفسه شيطان ، ولكن هذا هو رأى كبار النقاد فى شعرى .. والقصيدة من بحر المتدارك ، ومستعد للمناقشة فى اوزانها :

مزجوه وانت الساقى … بالصاب وبالترياق
فتظل قلبى وجدا … يتفنن فى اشواقى
تصفو الاحباب وتجفو … وهواك بقلبى باق

مهـــواك هوى ابـــدى — يتشــعب فى اعمـــاقى
من فيك رضعت النجـــوى — ورحيق الحب ســـقانى
كاســـا عـــذبا عـــذريا — ادمنتـــك فى وجـــدانى
ولانـــك أول حـــب — يتـــدفق فى شريـــانى
ادركت مواطن ضـــعفى — فعرفت تهز كيـــانى

تامر محمد حسن المطيعى
اسيوط

● تعليق :

● لا تغضب يا مولانا ، فان اسمك وضع خطا على رد نقصد به شاعرا ناشئا لم تستقم الاوزان فى يده بعد .. وها نحن أولاء ننشر ابياتك هذه ، وهى من مجزوء المتدارك ، ومنها رائحة الشعر ، مما يدل على انك لست ناشئا .. ونهنئك برأى كبار النقاد فيك . ونقول لك : ينبغى ان تكون سنك فوق الستين عاما لتكون اكبر من محرر هذا الباب ، وبهذه المناسبة نرجو اصدقاءنا الا يتعجلوا فى الغضب من الاخطاء غير المقصودة ، فان مع التانى السلامة !..

● اين المفر ... ؟

يا انت وكـــانت عينـــاك — ماوى ومـــلاذا وخـــلاص
كذبت عينـــاك على قلبى — كـــذبت آيات الاخـــلاص
فـــلاين ساوى والدنيـــا — حفـــر بعيون الاشـــخاص
برد .. وظـــلام يترامى — ليصون زمان القنـــاص

د. احمـــد عامر
شبين القنـــاطر

● ملاحظات قارىء

● ابدى اعجابى وتقديرى لمجلة الهلال وما ينشر بها من مقالات ومناقشات حرة ومستفيضة واننى لاشكر للسادة القائمين على امر الهلال حشدهم لهذه الكوكبة العظيمة الثرية من الكتاب الافاضل الذين تزخر الهلال بعصارات فكرهم ، وان قراء الهلال ليقدرون هذا الجهد وان كانوا يتطلعون الى المزيد من الخدمة الثقافية والفكرية والصحفية .

وأزجى تحيتى واعجابى وتقديرى بالاستاذ الذى يشرف على باب « انت والهلال » وهو من احب ابواب المجلة الى قلبى وانا للاسف لا اعرف من يشرف على هذا الباب ولا ادرى لماذا تحجبون اسمه .. وانا قلت عنه انه استاذ لان ردوده وتعليقاته على رسائل القراء تقول ذلك فهو بحق موسوعة وانا اعرف ان المجلات الكبيرة كالهلال لا تستهين بباب القـراء ويكون المشرف عليه من اكبر واقدر كتاب المجلة ، مرة آخـرى تحيتى وتقديرى للاستاذ الكبير الذى لا أعرفه ودعواتى له بالصحة والعافية .

تبقى ملاحظة بسيطة وهى تتعلق ايضا بباب « انت والهلال » وهى اننى الاحظ ان هذا الباب ادبى فقط اى ان كل ما ينشر به لا يتعلق الا بالادب : شعر ، نثر ... الخ ولا ادرى لماذا لا يكون هناك مكان للاراء والافكار السياسية لان المفروض ان باب القراء يعبـــر عن جميـــع الاهتمامات ، ومجلة الهلال ليست ادبية فقط ولكنها سياسية ايضا بل ان كم السياسة ربما يفوق كم الادب فى الكثير من الاعداد ولكن لانكاد نرى اثرا للآراء السياسية فى هذا الباب فهل معقـــول ان اهتمـامات جميع قراء الهلال تنحصر فى الادب فقط ، لا اعتقد ذلك ، فارجو ان يعبـــر « انت والهلال » صادقا عن جميع اهتمامات المجلة والقراء كذلك .

محمد ابراهيم النجدى

ميت طريف ـ دكرنس

● تعليق :

● هذا الباب ينشر جميع الرسائل التى تصل اليه .. واكثرهـا شعر ، وبعضها تعليقات ادبية وقصص ، وننشر التعليقات السياسية التى تصل الينا كما ترى فى بداية هذا الباب الذى بين يديك . اما محرر الباب فهو الذى لا يريد ان يضع اسمه عليه حتى لا يصبح مشهورا اكثر من اللازم .

● لا تحـزن

ايها المكبوت دع عنـك الاسى	وترنم بعد ما عز البكـــــاء
لن يعيد الحزن امرا قد مضى	او يعود الدهـــر يوما للوراء
انمـــا الدنيـــــا نعيم زائل	تزدهى حينـا وتخبو كالضياء
تارة تالى وطـــورا تنجلى	هكذا الاحوال بدء وانتهـــاء

عبده محمد سلطان

صقيل ـ اوسيم ـ جيـزة

● توفيق الحكيم

● كانت عبقرية الراحل العظيم ، اديبا ومفكرا ، عبقرية مصر الثرية من نيلها واهراماتها ، حتى الحمار والعصا كانت ادوات ووسائل للحوار

أنت والهلال

الخلاق يصنع بها حكيم مصر المعجزات .. وكتب توفيق الحكيم فيما كتب عن الماضي والحاضر ولم ينس المستقبل بل انطلق في كتاباته ليبشر بما ينبغي ان يكون عليه المستقبل وصورته ، ويرى ان العالم السعيد .. عالم الغد سيظهر فيه الكثير من المخترعات التي تهدف الى رفاهية بني البشر ، وربما قامت الدولة بتوزيع الغذاء المادي والعقلي على الناس في صنابير ، كما صور ذلك في مسرحيته « رحلة الي الغد » ، وسوف يكون كل شيء في متناول اليد وتستمر الآلة في خدمة الانسان ويتيسر السفر بين الارض والكواكب .. وستزول محاولات السيطرة على البشر واستغلالهم .

وفضلا عن ذلك توفيق الحكيم سيبقى رمزا من رموز الثقافة والادب العربي في مصر والعالم العربي ، بل ان عطاءه وآثاره وتراثه سوف تستمر في العطاء بدوام الدراسة والبحث لتراث الراحل العملاق .

عمرو عبد المنعم حمودة

● شاطئ الذكريات



ايها البحر .. هل نسيت مراحي
فوق شطيك .. واننا .. بانشراح
يوم كنا ، يا بحر ، في ميعة العمر
وكان الشباب طلق الجناح
كل شيء كساه منك رواء
كرواء الضياء في الاصباح
وافترقنا .. كل الي طلب العيش
لقاصي المدى ونائي النواحي
ثم منا من راح من غير عود
في رحيل لعالم الارواح
قد خلفنا ، يا بحر ، جيلا قديما
وحللنا الخطى .. لنفس الساح
مسرح يلعب الجميع عليه
كالخيالات ، في دنا الاشباح
وخططنا على الرمال سطورا
فمحتها يد الزمان الماحي

د. عزت شندي موسى

● محاولة شعرية

● الحمد لله حمدا لا يحصى ولا يعد ، وصلاة وسلاما على من وهب امته جنة الخلد ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم • أما بعد ، الى مجلتنا الهلال نرسل بالتحية والشكر الى جميع العاملين على اخراج المجلة الى يد القارىء فى صورتها الجميلة ، واشكركم على اتاحتكم الفرصة للاقلام الشابة على نشر الاعمال ، وذلك ما شجعنى على ارسال هذه المحاولة « عساه » « تنول » رضاكم واستحسانكم :

قلبى طوع أمرك
عمرى « نجما » يتلألأ
فوق صـدرى
حبك ذرات ضوء
تضىء طريقى اذا ما « احل »
الظلام بدربى



احمد منير احمد
مغاغة

● تعليق :

● نرجو لك ببركة ايمانك الذى يبدو فى رسالتك أن تصل يوما الى ما تريد من اجادة الشعر •• اما قصيدتك التى اجتزأنا منها هذه الاسطر فغالبيتها غير موزونة •• وفى رسالتك هذه وما يتلوها من اسطر شعرك اغلاط نحوية ولغوية وضعناها لك بين اقواس لتتجنب الوقوع فيها مرة أخرى •• ومنها مثلا كلمة « تنول » وصحتها « تنال » •• وبما أن كلمة « المحاولة » مؤنثة ، فيجب أن تقول « عساها » بدلا من « عساه » • وقولك « عمرى نجما » خطأ صوابه : « نجم » وقولك « احل الظلام » خطأ صوابه : « حل الظلام » ••• الخ •

● من أجل عيون مصر

(١)

قالت : نسكن أين ؟
اجبت : يسامحك الله •• بيوت الشعر كثيرة
قالت : نأكل •• نشرب •• نلبس •• نسهر
من اين لنـا المال الكافى ؟!
ـ يا اجمل اهدافى •• كيف تخافين ؟
كونى كبنات الافكار النورانيات
كى لا ترتجف الابيات !



(٢)

ـ اجمل منك هذه وهذه وتلك والتى فى آخر القاعة
(معذرة اعنى « اغنى منك » ولا اعنى « اجمل »)
وان بسمة من ثغرك الذى احبه ••• خمر
وهذه وهذه وتلك ••• فقاعة !!
ـ كم الساعة ؟ (قالت بلا اكتراث)

(٣)

معى قروش
كل المحلات التى فى الشارع الثرى لا تبيع الا بالجنيهات
فقل : هات •• وخذ •• وادفع •• وغادر
(الجــوع غــادر)
جلست فى الميدان قرب نافورة
يداعب الرذاذ جبهتى
قرأت (فوق صندوق) : تبرعوا من اجل م •• صـــ ••
ذهلت !!
اياكل الزمان ، والسطحية الطوفان ، والعقوق حرفك الاخير !؟
المحتاجين ما معى وانت كنزى الوفير !؟
وضعت ما فى حوزتى من القروش فى هدوء
ولم اكون ندمت
لاننى علمت اننى شبعت !!

محمد محمد السنباطى

● مع الاصدقاء

● احمد حمدى ـ القاهرة :

ـ قصيدتك التى عنوانها : « قصيدة بعنوان ••• » هى من الشعر الموزون الطيب •• نهنئك ، ونعتذر اليك نظرا لطول القصيدة •

● محمود احمد المصلى ـ شربين :

ـ قصيدتاك تدلان على شاعريتك ومعرفتك بالاوزان ، وانت مازلت كما تقول طالبا بالمدارس •• نهنئك •

● رفعت محمد يروبي ـ سوهاج :

ـ نشكرك على كلمتك الطيبة عن تعليقنا ونقدنا لقصيدتك ، وبعض الادباء الشبان يغضبون من النقد ولو كان طفيفا لطيفا •

● جمال جابر علي ـ سوهاج :

ـ قصيدتك الرثائية في صديقك تدعو للحزن ، ولكنها مع الاسف تفتقر الى الاوزان ـ وينقصها صحة النحو واللغة •

● طارق صلاح الدين بنداري ـ مساكن الاميرية القديمة ـ القاهرة :

ـ ابياتكم بعنوان « رحيل » جيدة حقا • نرجو أن تستمر في الكتابة الينا •

● السيد محمد علي عمر ـ الوايلي ـ القاهرة :

ـ نرجو ان تكلل جهودكم في ميدان الشعر بالنجاح والشهرة في نهاية المطاف ان شاء الله •

● ممتاز السيد سلطان :

ـ لم تكتب عنوانك •• ورباعياتك الشعرية لا بأس بها وان لم يكن فيها جديد ، ولم تستطع اقتطاع شيء منها للنشر ، وهي طويلة كما تعلم •

● أحمد حمدي ـ القاهرة :

ـ قصيدتك تبدأ بقولك :

وليلة لم يأت فيها القمر
كأنه عن أرضنا في سفر
احتلت الظلمة ليل المنى
وغادر الحب قلوب البشر

وهذا شعر جميل ، ولكن الابيات التي تتلوه مليئة بالاغلاط العروضية واللغوية والنحوية ، وهذا امر عجيب حقا !!

● رمضان الهجرسي ـ بغداد :

ـ نحييك أيها الشاعر المصري المقيم في بغداد ، وأما نقدك للشعر الذي نشرناه في ندوة الشعر بالهلال ، فلا حجة لك فيه وأنت تعترف بأنك لم تقرأه ، وأما شعرك الذي ارسلته الينا فنعتذر عن عدم نشره لاضطراب كثير من اوزانه ، فلعلك تعيد النظر فيه ، وتحاول ان تتعلم من غيرك بدلا من النقد بغير دليل والتمسح بالكلمات الطنانة !

● محمد معوض عامر ـ طوخ :

ـ أرسلتم الينا زجلا عاميا ، ولعلك لا تعلم اننا مجلة للامة العربية كلها ، ومقالاتنا واشعارنا كلها باللغة القومية لهذه الامة ، أي باللغة الفصيحة •

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

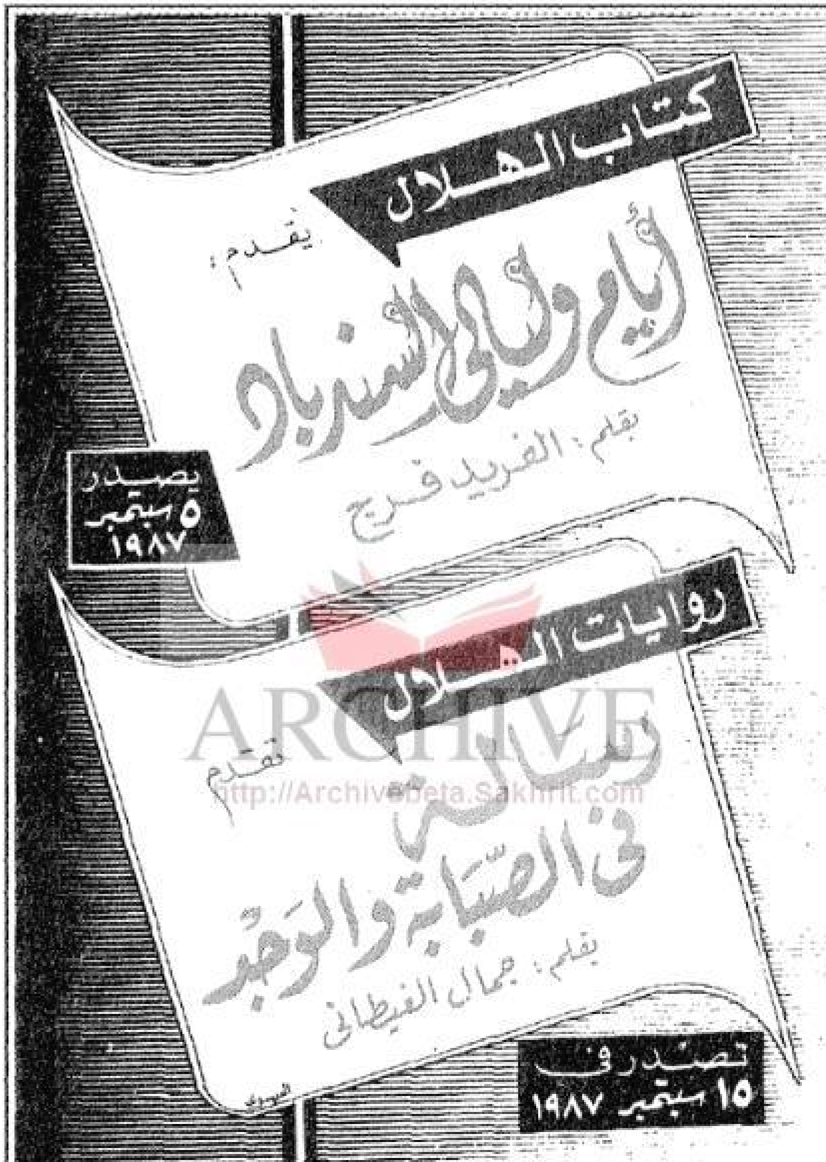
دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

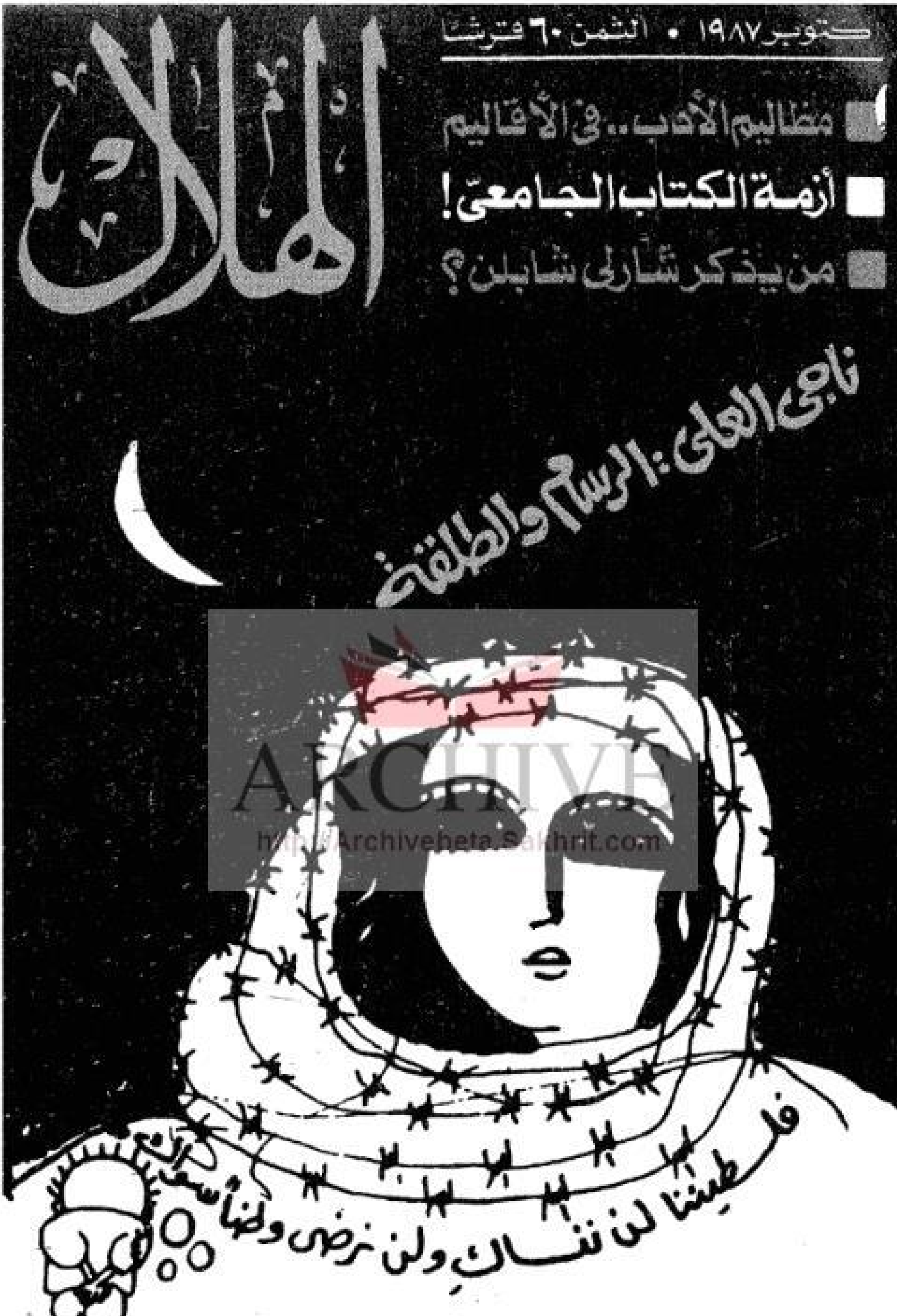
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

اسعار البيع للعدد العادى فئة ١٠٠ قرشا

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٨٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


٢٠
رحلة أسبوعيًا
إلى ٩ مدن
أفريقية
٩٤
رحلة أسبوعيًا
إلى ١٨ مدينة
بالشرقين
الأقصى والأوسط
وبلدان الخليج
العربي
٦٧
رحلة أسبوعيًا
إلى ١٨ مدينة
في أوروبا وأمريكا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبًا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائمًا في خدمتكم ..


كتاب الهلال
يقدم :
أيام وليالي السندباد
بقلم : ألفريد فرج
يصدر
٥ سبتمبر
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
رسالة في الصبابة والوجد
بقلم : جمال الغيطاني
تصدر في
١٥ سبتمبر ١٩٨٧


أكتوبر ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرشا
الهلال
مظاليم الأدب.. فى الأقاليم
أزمة الكتاب الجامعى!
من يذكر شارلى شابلن؟
ناجى العلى: الرسم والطفو
فلسطيننا لن ننساك ولن نرضى وطنا س



الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جرجى زيدان عام ١٨٩١ - اول اكتوبر ١٩٨٧ م - ٨ صفر ١٤٠٨ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب

من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن العربى رسمها الفنان رضا عباسى . على ورق مقوى . وقد استوحاها من مظاهر الحياة فى مدينة اصفهان ابان القرن السابع عشر الميلادى . وتصور احدى الجاريات تصب القهوة لحبيبها قبل المنادمة .. اللوحة محفوظة فى متحف الزخرفة بايران ..

عزيزى القارئ

حسنى مبارك: من أجل تعميق الديمقراطية والحرية

فى الخامس من أكتوبر الحالى يدلى الشعب المصـرى بكلمته فى إعادة انتخاب الرئيس حسنى مبارك لمنصب الرياسة ست سنوات أخرى ، تمتد إلى حوالى منتصف العقد الأخير من القرن العشرين ، فيرتبط تجديد انتخاب الرئيس بتجديد خطوات شعبنا إلى مشارف القرن الواحد والعشرين ، لكيلا نتخلف عن الشعوب التى تسابق الأيام والليالى لتدلف إلى المستقبل الذى يبشر به القرن القادم كل شعب أخذ الأهبة ، واستعد كما ينبغى أن يستعد لبناء كيانه فى عالم الغد المأمول !..

إن يوم انتخاب الرئيس ـ ٥ أكتوبر ـ يسبق بأربع وعشرين ساعة يوم الذكرى الوطنية الباقية على الزمان ، ذكرى عبور قواتنا المسلحة قناة السويس فى ملحمة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. التى كان سلاح الطيران المصـرى من أبرز علامات أدائها الظافر ، ومن أوثق عوامل نجاحها فى طرد عدونا بعيدا عن مياه القناة .

وقد ارتبط أداء سلاح الجوالمصـرى فى تلك الملحمة بقيادة الرئيس حسنى مبارك قائد السلاح الجوى فى تلك المأثرة التاريخية .

ان أمتنا التى عدت عليها العوادى قد فتحت عينيها فى يوم العبور وكأنها وثبت فجأة الى مستقبلها وعبرت اليه بقفزة واحدة !

ولكن المستقبل ليس وثوبا بالخيال ، ولاقفزا بالأحلام .. فالعمل الدائب المرهق في عصرنا هذا طريق الحياة ، وقد رأى شعبنا ألوانا من الصعوبات والشدائد في حياته ، وصدمته أزمات واختناقات في السنوات الماضية ، إلا أن منجزات تلك السنوات لم تكن لتخفى على أحد ممن يحكمون على الأمور حكما موضوعيا يوازن بين السلبيات والإيجابيات ، ويرجو الخير ولا ييأس من روح الله .

ولقد كانت حرية الكلمة في الصحافة والثقافة والأدب والفن .. فضلا عن السياسة ، من أهم تلك المنجزات .. واستطاع شعبنا أن يحمل تبعات الحرية والديمقراطية ، ويحافظ عليهما بطريقة غير معهودة في الشرق الأوسط وافريقيا والعالم الثالث بوجه عام .

ان حرية الكلمة بالنسبة للمثقف في البلاد العربية مازالت هي المطلب المعلق في الفضاء ، لايستطيع أن يمسكه بيديه ، وقد لايستطيع أن يراه بعينيه !
ولكن هذا المطلب ذا الأهمية الفائقة ، وجد حلا مناسبا في مصر خلال المدة الأولى لرياسة حسني مبارك ، حتى غدت مصر الدولة العربية الوحيدة التي تصدر فيها صحف معارضة بالمعنى الحقيقي للمعارضة الصحفية ، وصارت القاهرة من العواصم القلائل في العالم الثالث التي يستطيع فيها المثقف أن يكتب كلمته ويمشي .. إلى بيته لا إلى السجن !
ونحن نشهد ـ للحقيقة والتاريخ ـ أن المجلات الثقافية المصرية لبثت طوال السنوات الست الماضية تكتب بحرية وبلا قيد سوى الضمير الوطني .
ومن أجل حرية ممتدة ، متسعة بلا انقطاع ، للصحافة والفكر والأدب والفن ، يرتقب المثقفون المصريون المدة الثانية للرئيس مبارك ، كما يرتقبها الشعب المصري ، من أجل تعميق الديمقراطية والحرية ، والبناء السليم في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. ومن أجل مستقبل الإنسان المصري وهو يدق أبواب القرن الحادي والعشرين ..!

المحرر



الغلاف : لوحة من اعمال
الفنان ناجى العلى

هذا العدد

● فكر وثقافة

●● قضايا ومواقف

●● كان ياما كان

● رسائل صحفية ●

●● رسالة اثينا :

●● رسالة الجزائر :

● فن تشكيلي ●

● قصة وشعر ●

● الابواب الثابتة ●

تطوير التعليم الجامعي والقفز فوق المشكلات

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

دواع عديدة جعلت الرأى العام يأخذ انعقاد المؤتمر القومي لتطوير التعليم مأخذا سهلا ، ويوليه دون ما يستحق من الرعاية والاهتمام ، وينساه بعد أيام قليلة من انتهائه، رغم خطورة ما تعرض له، وخطر النتائج المترتبة على ما اتخذ من قرارات .

أولى هذه الدواعى أن ثلاثة أيام غير كافية لأن يتناول المؤتمرون بالجدية الكافية القضايا التى تعرضوا لها ، وبعمق يحيط بالمشكلات من شتى وجوهها ، وتفسح المجال لحوار يتسع لوجهات النظر المختلفة .

وأخطرها أن هناك أسماء ظهرت على رأس اللجان مغررة ، ربما تملك المعرفة الواسعة، والخبرة الكافية، لكن رصيدها من ثقة المواطنين والجامعيين لاشىء فاشاع وجودها الغم والسلبية ، وأشاع بين الجامعيين النغمة اليائسة: ((مفيش فايدة)) أما خارج الجامعة ففهم الناس الامر على أنه مجرد تظاهرة أولا، وليس مهما أن تؤدى إلى أية نتائج مرجوة وراء هذه الغاية .

هل يتصور وزير التعليم ، وهو يعرف ما نعرف وزيادة ، أن وجود جامعي ، مهما كانت المناصب السياسية التى تولاها، دافع يوما عن فصل قرابة سبعين أستاذا جامعيا ، واعتقال أكثر من الف ونصف من المواطنين ، وتعطيل الصحف ، واعتبر ذلك ثورة ثالثة بعد ٢٣ يولية و ١٥ مايو (ان كانت ثورة) يمكن ان تستريح النفس لوجوده فى المؤتمر فضلا عن رئاسة احدى لجانه .

وليس هناك جامعي يقدر نفسه ونوره ، وفيه بقية من احساس بالكرامة يمكن ان يطمئن الى مقرر لجنة كان يوما ، وهو استاذ ، انشط رفاقه في اعطاء الدروس الخصوصية ويختار زبائنه من الطلاب الوافدين ، ولا يقبض الا بالعملة الصعبة ، ولا يذكر اسمه بين الطلاب والزملاء الا مضافا لمنادى « ... استرليني » او « ... دولار » ، فلما اصبح رئيسا للجامعة نسى كل القابه العلمية ، وتاريخه الجامعي ، وتحول الى شيء آخر نعرفه جميعا .

ومن هنا رأى جمع لا بأس به ، وكاتب هذه السطور من بينهم ، ان المشاركة في المؤتمر مضيعة للوقت ، واسهام في زفة ، ومن الافضل ان نقول ما عندنا علنا لتشهد الناس عليه .

● مشكلات تناساها المؤتمر

من يتابع الدراسة التى نشرها وزير التعليم عن استراتيجية التعليم ، وما امكن الحصول عليه من تقارير اللجان ، يجد أن هناك مشكلات اساسية وجوهرية لم يعرض لها احد وبدونها يصبح اى كلام عن التطوير والارتقاء كلام فى الهواء .

لم يعرض احد أبدا لازدواجية التعليم الجامعي وخطرها ، كان جامعاتنا واحدة ، وتخضع لاشراف واحد ، وتسير متسقة نحو غايات متقاربة ، مع أن الواقع جد مختلف . فلدينا الوان ثلاثة من الجامعات :

● جامعات مصرية ، تتبع وزارة التعليم العالى ، وينسق بينها المجلس الاعلى للجامعات ، وهى التى يتحدثون عن تطويرها .

● جامعات مصرية لا تعرف وزارة التعليم العالى عنها شيئا ، ولا تملك بازائها اى شيء ، لانها تتبع رئيس الوزراء ، وهى الجامعات الازهرية ، اقول الجامعات لان الازهر لم يعد جامعة واحدة مقرها القاهرة ، وانما اصبح يضم خمسا وثلاثين كلية ، ان لم يكن اكثر ، موزعة على كل محافظات القطر ، وفى الطريق المزيد منها ، وبعض كلياته جامعة كاملة ، مثل كلية البنات الاسلامية ، وهذا الفيض من الكليات لم يعرض له أحد بكلمة ، وكأنها ليست على ارض مصر ، ولا تنفق عليها الدولة ، والذين يتلقون العلم فيها ليسوا مصريين .

● جامعة أجنبية ، ليس للدولة عليها ، فضلا عن وزارة التعليم ، اية رقابة فعالة ، او اشراف مثمر ، واعنى بها الجامعة الامريكية ، وهى مؤسسة مستقلة ، وشرورها لا تقف عند حد ، وارجو الا نخدع بالواجهة البراقة ممثلة فى عدد محدود جدا من خيرة الاساتذة المصريين تضعهم فى الواجهة ، فوراءهم بلاء عظيم ، واتمنى على وزير التعليم ان يطلب قائمة باسماء العاملين فيها من المصريين والاجانب ، وان يراجع طبيعة الاسماء والمؤهلات ، ومجرد قراءة الاسماء وحدها سوف يضع يده على بعض ما تريده هذه الجامعة وتخطط له ، وتفسده على ارض هذا الوطن .

● الازدواجية فى الكليات

والى جانب الازدواجية فى الجامعات هناك الازدواجية فى الكليات والاقسام ، كأن الجامعات مدارس ثانوية ، واختفت من حياتنا الجامعات المتميزة ، وتشابهت الاقسام وتعددت ، وهو ما يكلف الدولة نفقات باهظة بلا مبرر ، ولم يعد انشاء الكلية او المعهد او القسم يتطلب اية دراسة جادة . طبعا هناك دراسات شكلية

وتبريرية في اغلب الاحيان ، رغم كثرة استخدامنا لمصطلح « دراسة الجدوى » في هذه الأيام ، وبدا المجلس الأعلى للجامعات وكأن مهمته التبرير ، ولكي لا أكون متجنيا ، في ذاكرتي مثل واحد يغني عن كثير .

منذ ثماني سنوات تقريبا وافق المجلس الأعلى للجامعات على رغبة محولة اليه من رئاسة الجمهورية عن طريق وزارة التعليم العالي ، بانشاء قسم للتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية في كلية الآداب في جامعة المنيا ، وأرسل القرار الى الكلية ، وبداهة عارضت ، لأن بها قسما للتاريخ من بين مواده هذه المقترحة ، ومن غير المتصور انشاء قسم مستقل لها ، لأن دراسة تاريخ أية امة لا يمكن ان يدرس بمعزل عن تاريخ العالم المحيط بها .

ومع ذلك ، وترضية للجهة المطالبة انشىء بالكلية قسم للدراسات الاسلامية . ولكنه لم يغن ، فانشئت كلية الدراسات العربية الاسلامية ، واعترض الأزهر على كلمة «الاسلامية» لأنها تدخل في دائرة اختصاصه فحذفت . وبقيت « العربية » وحدها .

وأصبح في مدينة المنيا وحدها : قسم للغة العربية ، واخر لدراسات الاسلامية في كلية الاداب ، وقسم اخر للغة العربية في كلية التربية ، وكلية الدراسات العربية مستقلة ، وهي تدرس الامرين ، وكلية الدراسات الاسلامية ، وتتبع الازهر ، وطلاب هذه الاقسام كلها لا يبلغون نصف الف ، ويمكن بسهولة واضحة جمعهم في مكان واحد ، وتوفير مستوى لائق لهم من الاساتذة والابنية .

والاكثار من اقسام اللغات الاجنبية اصبح « موضة » ، وبدا كان الأمر لا ضابط له ، رغم النفقات الباهظة التي تكلفها ، والعائد القليل الذي تثمره ، مثلا : هناك قسم للغة الالمانية في اداب القاهرة ، واخر في اداب عين شمس ، وثالث في كلية الالسن (في الجامعة نفسها) ، ورابع في كلية اللغات في الازهر ، وخامس في كلية البنات الاسلامية ، وربما سادس في مكان لا اعرفه ، وفي كل قسم اساتذة ومدرسون ومعيدون ، ومجموع الدارسين في هذه الاقسام ، في كل السنوات ، لا يبلغون نصف الف ، ويمكن ان يضمهم قسم واحد في كلية واحدة .

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن اللغة الاسبانية او الايطالية ، وحتى عن اليابانية .

وتتكرر هذه الاقسام في جامعة الاسكندرية ، وفي عدد من جامعات الاقاليم الأخرى ، وهي لا تعني شيئا ذا اهمية ، وما انتجته في الترجمة مثلا ، على امتداد تاريخها ، وفي كل هذه الامكنة ، لا يبلغ شيئا مما قامت به مدرسة الالسن في عهد رفاعة الطهطاوي منذ مائة عام او تزيد .

وفي القاهرة ، وبدون ادنى مبرر ، فضلا عن النفقات الضائعة والاذى المترتب على تعدد الجهات التي تعد المدرس ، كلية للتربية تتبع عين شمس ، واخرى تتبع جامعة حلوان ، وثالثة تتبع الازهر ، وكلية واحدة تكفي .

● اللامعقول في جامعة حلوان

ولم يقف الامر عند حد التكرار ،

فذات يوم قررت الوزارة ان تجعل من المعاهد التطبيقية والفنية جامعة مستقلة ، وهو امر لم يكن مفهوما في حد ذاته ، لانه يخــرج بهــذه المؤسسات عن دورها الطبيعي ، وهو اهم ، اولا يقـل اهميــة ، عن الدراسـات النظرية في الجـامعات ، وجعلها الوضع الجديد مسخا غير مفهوم ، وادى بها الحال الى اشياء غير معقولة ومضحكة ، ولابد أن يكون الانسان مختل العقل ليفهم أن كلية الفنون الجميلة في الاسكندرية تتبع جامعة حلوان في القـاهرة ، وفي الاسكندرية جامعة ، وان مدرب كرة القدم في كلية التربية لابد ان يكون دكتورا حتى يرقى استاذا ، ومثله الضارب على الرق في كلية الموسيقى وغيرها كثير ·

وقد اخذت الجامعة اسم حلوان لتبنى في هــذه الضاحية جنوب القاهرة ، ولتـكون جامعة تقنية في المقام الاول ، ولتتخذ من الصحراء الواسعة هناك مجالا ، تبنى وتنشىء وتزرع ، وتخفف الضغط عن كـاهل القاهرة المدينة ، وحتى تتنسم مناخا جامعيا كاملا تفتقده ، وتذوب فيه خصائصها المهنية غير الصالحة ، لابد ان تجتمع كلياتها في مكان واحد ، مما يسهل الخـدمات المركـزية ، ويحول دون تعددها ، والارض متاحة بلا ثمن ، وفي مبانيها المتناثرة في افخر احياء القاهرة ، في جـاردن سيتي والزمالك والدقي ، ما يوفـر قدرا كبيرا من المـال اذا بيعت ، وكان هذا هو المخطط له ، ثم جاء من يهمس : جامعةبجوارالمصانع ، وطلاب بجوار العمــال ، في هــذا خطر شديد ، فماتت الفكرة ·

وبقيت الجامعة بوضعها الشـاذ هــذا ، في كل حي بيت ، وفي كل مدينة كلية · وهو امر لا مثيل له في اية دولة اخرى ، نامية او متقدمة ؛ ومثل اخر :

● معهد الدراسات الاسلامية

وهو اعجب معهد في الدنيــا ، ويحتل افخم مبنى في ارقى حي في القاهرة ، وكان يتبع رئاسةالجمهورية في البدء ، ثم الحق بوزارة التعليم العالي ، وهو ليس مدرسة ثانوية ، ولا كلية جامعية ، فهو لا يمنح درجات الليســانس او البكالوريوس ، ولا كلية للدراسات العليا ، فهو لا يمنح الدكتوراه ، وانما يقتصر فقط على منح الماجسـتير ، وهو ماجســتير عجيب ، لانه مســبوق بسـنتين دراسيتين لا يحضرهما الطلاب عـادة وانما يقتصر الحال على حضور من يستطيع ، وكلهم طبعا يشــترون الكتب ، وهذا هو المهم ·

وهو اعظم المعاهد ديمقراطية في العالم ، فهو يقبل الطـلاب من كل جنس ولون ، ومهما كان تخصصهم ، وبأي تقدير حصلوا على شـهاداتهم الجامعية ، بتقدير مقبول او تعثروا فقطعوا الرحلة الجامعية في ضعف سنواتها ، ليس هذا مهما ، ومنهنا لا توجد جامعــة في مصر تعترف بشهادته الوحيدة التي يمنحها ، وهي الماجستير ، وليس فيه هيئة تدريس ثابتة ، وانما يعيش على الانتدابات ، ويحرص المنتفعون به على ان يبقى ، فاعداد الطلاب كثيرة ، كل الحاصلين على درجــة مقبول ، ولا يقبلــون للدراسة العالية في اى مكان غيره ، والحكومة تعاون ، والطلاب يدفعون ، والاساتذة يقبضون ، وتوزيع الكتب « على ودنه » ، ومكافآته مرتفعة ، ضعف ما تدفع الجامعات !

من هم الذين يدرسون هناك ؟ وكم قبضوا في السنوات الخــالية ؟ لو تابعت الامر هيئــة تحقيق لاكتشفت

منجما من المصائب والكوارث !
سيادة الوزير :
« بلاش فضايح » ، اغلق هذا المعهد فورا ، بذلك تحمى الطلاب من وهم كبير ، ولدينا كلية مستقلة للدراسات الاسلامية فى الازهر ، بها دراسات عليا ، ومعترف بشهادتها ، واقل سوءا بكثير .

● الحل الامثل .. كليات نوعية !

هذا البذخ فى كثرة الكليات وتعدد الاقسام ، دون قدرة على النهوض بها ، لا يتفق مع واقعنا الاقتصادى ، وما دامت الكليات فقيرة فى مكتباتها ومبانيها ووسائلها ، ومرتبات الاساتذة متدنية فى مستواها ، وابواب الاعارة مفتوحة على مصراعيها ، فكل محاولة للاصلاح تصبح مجرد كلام منمق جميل ، تذهب به قسوة الواقع ، وتذروه رياح الاهمال والنسيان .

وطريقنا الى النهضة ، بنفقات اقل ، هو التجميع فى كليات نوعية ، نحشد لها كل قدراتنا ، ونجمع فيها خير ما عندنا من كفاءات ، فنقيم كلية واحدة للغة العربية والادب العربى ، وثانية للفلسفة والاجتماع ، وثالثة للتاريخ والجغرافيا ، ورابعة للغات الاجنبية ، وهكذا نصنع فى بقية التخصصات . ولا تتعدد الكلية الواحدة فى المدينة الواحدة .

ومنذ خمسة وثلاثين عاما تقريبا لم يفهم الدكتور محمد كامل عرسى ، وكان مديرا لجامعة القاهرة ، ان يكون فيها كلية دار العلوم وقسم للغة العربية فى كلية الاداب . وكلاهما فى جامعة واحدة ، فأصدر قراره بجمعهما فى كلية واحدة تحمل اسم كلية الدراسات العربية ، ولكن الخائفين والمنتفعين بما هو قائم بذلوا كل جهدهم ، واستخدموا كل ادواتهم ، فى معارضة قراره ، وكان ان اصدر اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، بعد ضغوط شديدة عليه من اقاربه ، اوامره بالغاء هذا القرار ، فالغى بعد ان كان قد صدر فعلا !

ولدينا الان الشجاعة ، فيما اظن ، لكى نواجه مثل هذا الامر ، وعلى نطاق واسع .

● كليات التربية مشكلة

ليست مهمة كلية التربية ان تقدم المعرفة النظرية للطالب ، وانما دورها ان تعلم الراغب فى ان يصبح معلما كيف يوصل معلوماته الى التلميذ ، فيدرس نظريا نفسية التلميذ طفلا وصبيا ومراهقا ، ويتدرب عمليا على طرق التدريس المختلفة ، وما يرتبط بالحياة المدرسية من نشاط اجتماعى او ثقافى او رياضى .

وحتى اواخر الخمسينيات كان فى مصر كلها معهد واحد فى القاهرة ، يتميز بسمعة علمية عالية ، ومدة الدراسة فيه عامان ، ومع حاجة الوزارة الى مزيد من المعلمين انشأت معهدا اخر فى الاسكندرية ، وفيهما كان يلتقى كل الذين سوف يعملون فى حقل التدريس مستقبلا ، مهما كانت الكلية التى تخرجوا فيها ، فيسمهم بطابعه ، وتقوى فيهم روح الالفة والزمالة ، ومع انه كان للازهر معهد خاص به ، يحمل اسم التخصص ، فان طلابه تظاهروا ، وطالبوا بان يكملوا دراساتهم

التربوية فى معهد التربية ، شأن بقية المدرسين ، بدلا من التخصص الازهرى ، واجبروا الى طلبهم ، قبلوا فى معهد الاسكندرية فى البدء ، ثم فى المعهدين فيما بعد .

وعندما جمع طه حسين المعاهد العليا ليجعل جامعة ابراهيم باشا الكبير ، او جامعة عين شمس فيما بعد ، ضم اليها معهد التربية ، وان لم يتغير واقعه التعليمى او مهمته التربوية .

لا اعرف من هو الشيطان الذى وسوس فى اذن وزير التعليم العالى الاسبق ليجعل كلية التربية اربعة اعوام ، وتقدم المادة العلمية نفسها مع وسائل توصيلها ، ولان الحاجة الى المعلمين ملحة انشأوا كلية للتربية فى عاصمة كل محافظة ، وثانية للاداب ، وثالثة للعلوم ، بالاستيلاء على مبنى المدرسة الثانوية وتحويله مقرا للكليات الثلاث ، واصبحت كلية التربية تضم نفس الاقسام الموجودة فى كليتى الاداب والعلوم ، ودون ان يكون بها هيئة تدريس مستقلة ، ماعدا التربويين ، واصبح طالب التربية من دون زملائه الاخرين ضائعا بين المادة العلمية والمواد التربوية ، ودونهم فى مستوى التحصيل والمعرفة على التأكيد .

واذن لا مفر من العودة الى النظام القديم ، كليات تعد الطالب علميا ، ومعاهد للتربية تؤهله عمليا ، والخلط بينهما عبء مادى ، وكارثة علمية ، ومؤذ من كل الوجوه .

● التوازن الجهوى

وكذلك لم يعرض المؤتمر ، او الدراسات ، لما يمكن ان نسميه التوازن الجهوى ، فنخطط لتعليم جامعى يمتد الى كل جهات القطر بمستوى متقارب ، ان لم يكن واحدا ، فليس عدلا ان تختص القاهرة بافضله ، وان تذهب بعض المحافظات باغلبه ، كثرة كليات ، وتنوع تخصصات ، على حين تحرم منه محافظات اخرى تماما . فاعلى الصعيد مثلا محروم من الكليات العلمية تماما ، الطب والهندسة والزراعة والصيدلة ، على حين تتجمع هذه الكليات فى القاهرة ، وفيما تناثر من جامعات بين القاهرة والاسكندرية . ومقتضى هذا الحرمان بقاء هذه المحافظات متخلفة فى الكثير من العادات والتقاليد ، ومعاناة الذين يمرضون حين يطلبون العلاج ، والذين يزرعون او يصنعون حين يطلبون المشورة والعون .

ويتصل بهذا الاعداد المقررة للكليات القائمة فى محافظات اعلى الصعيد فعلا ، فآداب قنا مثلا ليس بها غير ثلاثة اقسام ، ولا يخصص لها من الطلاب الا مائة ، يؤخذون من طلاب المرحلة الاولى ، اما بقية المراحل فعلى اصحابها ان يتجهوا الى القاهرة ، او اية جامعة اخرى ، ومن العادى جدا ان تجد طالبا فى آداب الزقازيق او تجارتها او حقوقها من قنا ، ورمى به مكتب التنسيق الى وسط الدلتا ، لان التخصص الذى يريده غير موجود فى محافظته ، او لان العدد الذى حدد لكلياتها قليل ، بدون مبرر علمى واجتماعى .

لسنا فى حاجة الى مؤتمر او دراسات ، وانما نحن حقا فى حاجة الى وزير نظيف شجاع ، يقتحم المشكلات ، ويزلزل الواقع الجامعى ، وينقل حياتنا الجامعية الى قريب من نهاية القرن العشرين .

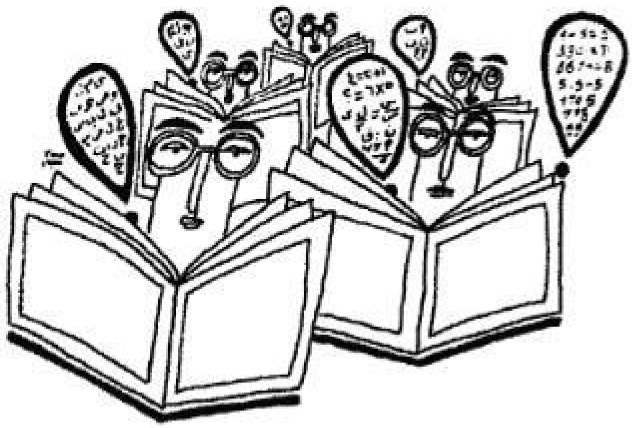
القفز على الأشواك

انقذوا الكتاب الجامعى!

بقلم: د. شكرى محمد عياد

إذا شب الحريق فى الدار، فليس من الحكمة أن يذهب رب الدار إلى البازار ليبحث عن تحف يعلقها على الجدران، أو يضعها فى الأركان - أيها القارىء الكريم - بعيداً عن جو الجامعات فى هذه الأيام، فلاشك أنك ستظن كلامى هذا مبالغة مسرفة.

ولكنك تعلم أن هناك حقائق أغرب من الخيال، وهذه بعض الحقيقة عن جامعاتنا، فإذا شئت أن تستوثق من صحتها .. فما عليك إلا أن تحضر الكتب الجامعية التى يدرسها ابنك أو أخوك أو قريبك لترى طريقة فى التاليف ونوعاً من الطباعة لانظير لهما فيما عرفت من أشكال المطبوعات .. وعند ذلك تعرف أن أى حديث عن «فلسفة» التعليم الجامعى أو أهدافه أو مستواه لاتخرج عن كونه ضرباً من التعمية، أو صرفا عن المشكلات الراهنة الملحة أو هروبا من أرض الواقع إلى دنيا الأحلام ..



لم يعد خافيا أن واقع التعليم الجامعى ، كواقع التعليم عموما ، كواقع الأخلاق والمجتمع ، هو انهيار واسع النطاق .. لذلك ينادى كثير من المفكرين بأن الظروف الحالية لاتسمح برسم الخطط الطموحة لأن علينا واجباً أسبق من ذلك .. وهو وقف التردى .

وقد يبدو هذا القول مفرطاً فى التشاؤم .. ولكن يجب الا يكون كذلك .. فليس فى مقدور أحد أن يزعم أن « وقف التردى » يعنى وقف التطور .. إن الظروف تستلزم حلولا جديدة ، ومشكلاتنا الحاضرة فى التعليم أو الاقتصاد او العلاقات الاجتماعية لايمكن أن تحل بالرجوع الى أوضاع قديمة .. واذن فلابد من الابتكار ، لابد من إعمال الارادة والفكر ... وطبيعى أن تتجه الارادة والفكر أولا الى وقف التردى .. أى العودة الى المستويات السابقة فى الكفاءة والانجاز .. ولكن حركة الارادة والفكر لاتتوقف عند هذا الحد .. فاذا انكسر المنحنى الهابط وعاد الى الارتفاع بدأ الهبوط ، فانه لا يلبث ان يتجاوز المستوى السابق وربما تجاوزه كثيرا .. هذا ـ على الاقل ـ هو أحد احتمالات الحالة التى نحن فيها ، ولا ندعى أنه قانون طبيعى أو تطور محتوم ، فما دام الأمر معلقا بـ « الارادة » فلاحتمية فيه ، وإنما هناك « واقع » يجب أن يحسب حسابه ، و« عزم » ثابت على تغيير هذا الواقع ، و« فكر » يستكشف المسالك ويبتدع الوسائل لاحداث هذا التغيير .

● بين الطموحات والقدرات

وبداية الطريق للتغير هى أن نوفق بين طموحاتنا وقدراتنا فالارادة لاتتحرك اذ كان الهدف الموضوع فوق امكانها ، ومن ثم تبقى الأمور على ماهى عليه ، ويبقى الحديث عن الأهداف مجرد حديث ، لا تتبعه محاولة للتحقيق . وشر من ذلك أن يختلط الممكن بغير الممكن ، نتيجة لغموض الرواية ، فتنبعث الارادة نحو هدف مستحيل التحقيق ، وتكون الخيبة ، وتكون المرارة وتصاب الارادة بما يشبه

القفز على

الأشواك

الشلل ، فهى تجفل من كل تغيير ، وتخاف عاقبة كل تحرك .

لهذا نرى ان كل تقدم حقيقى ينطلق من علاج ، واقع قائم ، وأن العلاج الناجح لمشكلة واحدة أجدى من برنامج طويل عريض من « التوصيات » التى تعبر عن آمال ، اكثر مما تحمل من حلول ، ومشكلة الكتاب الجامعى التى نحن بصددها الآن هى على رأس المشكلات التى جدت على التعليم الجامعى ، وعملت على الهبوط السريع والمستمر فى مستواه .

الأصل فى التعليم الجامعى ـ وقد كان مرعيا فى جامعاتنا الى وقت غير بعيد ـ هو أن يلتزم الطالب والأستاذ بدراسة " حقل " معين ، أى مجموعة من المعارف المنسقة حول موضوع معين .. ويراعى فى مجموع « الحقول » التى يغطيها الطالب قبل حصوله على الشهادة الجامعية الأولى أن تضعه على أول سلم التخصص ، وذلك بأن يكتسب مع « كم » المعرفة الذى يحصله فهما لطبيعة المشكلات التى تعالج فى هذا التخصص ، وطريقة علاجها ، وبذلك يتكون لديه استعداد ذهنى معين ـ سمه « ملكة » أو ذوقاً فى العلم إن شئت ـ يمكنه من توسيع معلوماته وتنمية خبراته ، بل يتطلب إشباعاً مستمرا فى هذا السبيل ، بحيث يصبح العمل فى تخصصه ، بحثا وتجريبيا وتطبيقيا ، متعة اعظم من جميع المتع عنده ، وربما استهواه العكوف على البحث لجلاء بعض غوامض العلم فواصل دراسته العليا فى موضوعات أكثر تخصصا .. ولكن طالب الدراسات العليا يفشل حتما إن لم يعد فى مرحلته الجامعية الأولى ذلك الاعداد الذى يخلق فيه ملكة البحث .

هذا التصور لطبيعة التعليم الجامعى والغاية منه لايسمح بوجود « كتاب مقرر » لكل « مادة » يلتزم الطالب بحفظ مافيه ، أو أجزاء ممافيه .. فمثل هذه الطريقة تقتل فيه روح التساؤل التى تدفعه إلى البحث عن المعلومات وربط بعضها ببعض ، وتحوله الى « كومبيوتر » بشرى محدود الطاقة فى الاستيعاب ، ضعيف القدرة على الحفظ والاسترجاع .. لذلك لم يكن الكتاب المعتمد او المقرر معترفا به فى جامعاتنا ، شأن كل جامعة جديرة بهذا الاسم ، وانما كانت هناك المراجع الأساسية فى كل فرع من فروع التخصص ، ثم كانت هناك ـ فى مجال الدراسات الانسانية بالذات ـ الآثار التى تمثل علامات بارزة فى تاريخ الفكر أو الفن ، وكان الطالب مضطرا إلى الاعتماد على هذه الآثار والمراجع اعتمادا كبيرا أو قليلا بحسب قدراته ونوع تخصصه وميول أستاذه ، ولكنه على كل حال لايصل إلى نهاية المرحلة الجامعية الأولى دون أن يكون قد الم بالكثير منها .

فقد كان من المنتظر من الأستاذ أن « يحاضر » أى أن يتكلم ويشرح ويناقش ، لا أن يملى .. ولكن المملين وجدوا فى ذلك العهد أيضا .. بل وجد منهم عدد غير قليل .. ثم اجتمعت الظروف

لتجعل « الأمالى » هى القاعدة .. ثم لتتحول الأمالى الى كتب مقررة .

اجتمع فى سنوات قليلة : تضخم اعداد الطلاب ، وضعف امكانيات المكتبات الجامعية ، وشحة الوارد من المراجع الأجنبية ، وغلاء اثمان الكتب عامة ، وضعف المستوى العلمى للطلاب ، وارهاق الأساتذة بالأعباء الاضافية واضطرارهم الى السعى لزيادة دخولهم بمختلف الوسائل ـ وربما اضفنا الى ذلك ايضا نوعا من التساهل فى القيم او تناوم الضمائر لم تنج منه بيئة من البيئات .

بدأ كل استاذ يطبع مذكراته بمختلف انواع الطباعة : فمنها الكتب العادية ، ولكن مع الاقتصاد الشديد فى ثمن الورق وتكاليف الطبع ، ومنها الأوراق المصفوفة بالآلة الكاتبة والمطبوعة بالرونيو ، وأستاذ الجامعة ـ مهما تكن درجته العلمية ـ سلطان فى مادته لامعقب لحكمه .. فهو يفرض على طلابه مايشاء من كتب ، ويضع لهم مايراه مناسبا من اختبارات ، ويقدر لهم مايقدر من درجات .. فهم لايحصلون من العلم الا مافى هذه الكتب أو هذه الأوراق ، ولعل الأستاذ لملمها من هنا أو هناك ـ بل هذا هو الغالب ـ ثم دفعها الى المطبعة مستعجلا فخرجت فوق غثاثتها مشحونة بالأخطاء .

ولكل قاعدة شواذ كما يقال .. أعلم أن فى جامعاتنا ـ إلى الآن ـ أساتذة ينتهرون الطالب الذى يسأل : « ماهو الكتاب المقرر يا أستاذ ؟ » ، ولكن الشاذ لاحكم له كما يقال أيضا .

● ممارسات غير شرعية ●

وهكذا سارت الجامعة على هوى الطالب البليد ، والأستاذ المهمل «والضعيف أمير الركب » وهكذا اصبح «كتاب الأستاذ» هو المرجع الأول والأخير . وفى معظم الكليات شمر المعيدون عن سواعدهم وقاموا يلخصون هذه الملخصات ويمدون بها الطلاب الذين يلجأون اليهم للدروس الخصوصية .. وكل ذلك مشهور ومعروف .. ولكنه ليس بأخطر مافى الأمر .

فقد ظلت هذه « الممارسات » خارج نطاق الشرعية ، كسوق سوداء فى العلم ، مهما تحكمت فان لها صفة الوقتية والضرورة .. اما الأصل فى المراجع الجامعية فلايزال هو الأصل وأن أصبح مجفوا مهجورا .

الكارثة الحقيقية هى أن « الشرعية » انتقلت الى « الكتاب المقرر » ! وقد تم التحول بصورة « ناعمة » جدا .. ثم بالتدريج ودون أن يشعر به احد ، فقد بدأ علاجا لحالة عمت الشكوى منها ، ولعل الذين وضعوا العلاج وشرعوا فى إعطائه كانوا حسنى النية ، راغبين حقا فى الاصلاح ، ولكن لكل إصلاح عندنا معبرا خبيثا الى مزيد من الفساد ، وسر هذه الظاهرة الغريبة ـ والله أعلم ـ أن اصلاحاتنالاتتعمق الى الجذور ، ولكنها تركب نظاما جديدا فوق نظام قديم ، وبذلك تخلق فئة جديدة من « المنتفعين » تضاف الى الفئة القديمة !

تغالى بعض الاساتذة فى اثمان الكتب ، فتدخلت الادارة الجامعية لتخفيف العبء عن الطلاب وأولياء أمورهم ، وعرضت على الأساتذة ـ دون أن تلزمهم ـ تقديم مالديهم من الكتب والمذكرات إليها ، على أن تأجرهم عليها الأجر

القفز على

الأشواك

المجزى ، وتبيعها للطلاب بالثمن الذى لا يرهقهم ، أى أن سياسة « الدعم » شملت الكتاب الجامعى ، وهذا شىء حسن بدون شك ، اذا وضعت الضوابط التى تضمن جودة الكتاب ، أما أن يكون الكتاب المدعوم كالرغيف سيئا شكلا ومضمونا .. بل غير صالح للاستعمال الآدمى فى كثير من الأحيان ، فهذا تبذير فى أموال الدعم ، التى هى فى النهاية أموال الشعب كله ، لصالح قلة من المنتفعين .

امامى كتاب من أوائل الكتب الجامعية التى أنفقت عليها الدولة ، صادر ـ كما طبع على غلافه ـ عن « الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية » وتاريخ طبعه سنة ١٩٧٧ .. الكتاب اشبه بمرجع واسع ، يمكن أن يستخدم فى تدريس عدد من « المقررات » لا أقول إنه كتاب نموذجى فى نوعه .. ولكن كان ـ دون شك ـ بداية حسنة لو استمر الجهاز المذكور على اصدار هذا النوع من الكتب .. ولكن الذى حدث كان شيئا مختلفا كل الاختلاف .

وقد استقيت معلوماتى عن هذا الذى حدث ويحدث ، من زملاء قدامى ، متفاوتى الدرجات فى سلم هيئة التدريس ، ومنهم من يعمل فى أقدم جامعاتنا ومنهم من يعمل فى أحدثها ، ومنهم المتخصص فى الانسانيات ، والمتخصص فى العلوم الدقيقة ، ولاشك أن ما أكتبه الآن معلوم للكثرة ، ولكنى أكتب للقلة التى لا تعلم كما أكتب للكثرة التى تعلم ولايهمها ماتعلم ـ وأكتب ـ من بين هؤلاء وهؤلاء خاصة ـ للذين يملكون أن يغيروه ولايغيرونه .

أصبح فى الجامعات اليوم تسعيرة للكتب كتسعيرة اللحم والخضار ، المقرر ذو الساعتين فى الأسبوع له كتاب حجمه كذا ، وذو الثلاث له كتاب اكبر ، والملزمة لها سعر محدد ، ولم يعد فى وسع الجامعات أن تتولى عملية الطبع فالأستاذ يتولاها بنفسه ، ويذهب فى أول السنة أو اول الفصل الدراسى حاملا عددا من النسخ بقدر عدد الطلاب المسجلين فى مادته ، ويتقاضى الثمن بالعدل والقسطاس .

وهذا بالطبع ، وكما سبق القول ، لايمنع الاستاذ ان لم تعجبه شروط القطاع العام ، أن يتعامل مع القطاع الخاص ، وبعض الأساتذة ـ وهذا داء قديم ـ يتولى طبع كتابه بنفسه ويحدد سعره كما يريد ويسلم النسخ الى عامل فى قسمه ليتولى مهمة التوزيع لقاء « نسبة » صغيرة .

وتظل هذه الكتب ـ سواء ما مر منها بالقطاع العام أو القطاع الخاص ـ سرا بين الاستاذ وتلاميذه ، الا أن يتجسس عليها زميل موتور لينتقم من زميله ، وعندئذ تثور فضائح يمكن أن تتحدث عنها الصحف ، ولكن معظم الأساتذة (ولنتجاوز الآن عن الالقاب الجامعية .. فكل من يدخل على مجموعة من التلاميذ ليعلمهم ويقيم تحصيلهم هو بحكم الوظيفة والواقع أستاذ مهما تكن درجته العلمية) اقول ولكن معظم الاساتذة يؤمنون بالمثل القائل : اذا كان بيتك من زجاج فلا تقذف الناس بالحجارة ..

ويظل الصراع محصورا ـ فى أغلب

الاحيان ـ داخل مجالس الأقسام وبالذات عند توزيع الدروس فى نهاية عام أو بداية عام .. فالأساتذة يحفظون عدد ساعات كل مادة عن ظهر قلب .. كما يحفظون اعداد التلاميذ فى كل فرقة ، وكل يحاول الا يخرج بصفقة المغبون ، ورئيس القسم يحاول أن يرضى الجميع ، فكلهم قابله قبل الجلسة ووصاه وتملقه ، وكل قال فى حق زميله ماقال ، وكل أبدى حججه حتى وصل إلى رزق العيال .

ومسكين هذا الرئيس ! فقد يكون لدور الحكم بهجته وعظمته ، ولكنه مضطر أن ينزل الى حلبة الصراع حين يحضر مجلس الكلية ويطرح موضوع توزيع الطلاب على الأقسام ، والعدد الذى يخصص لكل قسم ، فسيحاول ـ هو ايضا ـ الا يخرج قسمه بصفقة المغبون .

● اين سمعة مصر ؟!

بربكم أيها المدلهون فى حب مصر .. أيها الغيورون على سمعة جامعات مصر .. أيها الحريصون على مستقبل شباب مصر ـ ماذا يمكن ان تكون مصر وسمعة مصر وحال جامعاتها هذا الحال ؟

لاتقفوا مكتوفى الأيدى ، كأنكم بارعون فقط فى خلق المشكلات لاتسمعونا كلاما حلوا .. تعلمون أنتم قبل غيركم انه مستحيل التحقيق .

ولا تجيئونا بنظام جديد تضعونه فوق النظام القديم الفاسد ، فلابد ان يسرى الفساد من القديم الى الجديد .. احفروا حتى الجذور ، تعمقوا حتى الأساس .. ثم واجهوا اوضاعنا المادية بشجاعة ، دون تهوين أو تهويل .. مشكلة الكتاب الجامعى عندنا ـ كسائر مشكلاتنا ـ ممكنة الحل ...

وحل مشكلة الكتاب الجامعى ليس بيد وزير التعليم أو رئيس الدولة ، بل ولا « القيادات » الادارية فى الجامعات ..

الحل ـ فى تقديرى ـ بيد الأساتذة العاملين دون سواهم ، ولعل الزملاء الذين يؤلفون «اللجان الدائمة لفحص الانتاج العلمى» ـ وهى لجان تضم كبار الاساتذة فى التخصصات المختلفة وتمثل كل الجامعات ـ هل هؤلاء الزملاء الكرام قد شعروا الآن انهم المعنيون بهذا الكلام ، وان فى ايديهم امانة يسألون عنها امام الأمة ، وامام التاريخ وأمام الله ..

أن يرقى فلان أو لايرقى مسألة مهمة قطعا .. ولكن المسألة الأهم هى أن توفروا للطالب غذاءه اليومى الذى يصلح عليه عقله .. وليس لهذه المهمة غيركم حتى ولو لم ينص عليها صراحة فى اختصاصاتكم .. كل لجنة من لجانكم هى قيادة عليا لهيئات التدريس فى تخصصها ، فلتقم كل لجنة بمسح شامل للحقول والمواد الأساسية فى كل حقل ولتؤلف لجانا لوضع كتاب أو اكثر فى كل مادة .. ولايحرمنّ أحد صغيرا أوكبيرا من الاشتراك بجهده فى هذا العمل الكبير .. حتى المعيد يمكنه أن يشارك فى جمع المادة أو تصحيح تجارب الطبع .. فليست المسألة فتح باب جديد للانتفاع ، يتزاحم حوله الطالبون ، ولكنه حق وواجب فى الوقت نفسه ، للوطن وللعلم ، وللذات أيضا .. واذا قل الربح المادى أو زاد .. فان الربح فى جانب احترام الانسان لنفسه لايقدر بمال .

ثم يكون النظر فى تدريب الطلاب على البحث ، واعداد جيل من العلماء .. ولهذا حديث يطول !

عن آفات الشهرة وحلاوة النجاح

بقلم: حسين أحمد أمين

نجاح الأديب وشهرته ، هل يفسران أدبه وشخصيته ؟ تضاربت الآراء ..

فمن قائل كـ (هيمنجواى) إن النجاح الد أعداء الأديب : "فالكتاب الجيد يأتي له بالمال . وما يأتى المال حتى يرفع الكاتب به من مستوى معيشته . وما يرتفع مستوى معيشته حتى يبدأ هو وزوجته وأولاده فى اعتياده ، فيحرص كل الحرص على ألا ينخفض . ويؤدى حرصه ذلك إلى السرعة والإفراط فى الكتابة . والإفراط والسرعة فى الكتابة يؤديان إلى الإسفاف وهبوط المستوى . وإذ يهبط مستوى كتاباته يخمد حماس النقاد والقراء . وبخمود هذا الحماس تهتز ثقة الأديب بنفسه" .

توماس مان



ومن قائل كـ "سمرست موم" إن النجاح لا يفسد الأديب وإنما يصلحه . "وهو لا يؤدى به إلى الغرور وتعاظم الإحساس بذاته ورضائه عنها . بل هو يعزز من السمات الطيبة في خلقه ، ويضفى عليه تواضعا وتسامحا واعتدال مزاج ، في حين يميل به الفشل إلى أن يضحى قاسيا شديد الإحساس بالمرارة ، عظيم الحسد لغيره من الكتاب الناجحين ، دائم السخط على ما حوله ومن حوله" .

وتضارب الآراء هذا راجع فى حقيقته إلى اختلاف طبائع الناس اختلافا يجعل من الأمر الواحد ضارا بهذا ومفيدا لذاك. فمن المؤكد أن النجاح المبكر والشهرة لم يضرا بأدب تولستوى، أو دوستويفسكى، أو جوته، أو تشارلز ديكنز، أو كبلينج، أو توماس مان، أو آرثر ميلر. كما أنه من المؤكد أنه أفسد فرانسواز ساجان، وشولو خوف، وسكوت فيتزجيرالد، وتينيسى ويليامز، وجون أوزبورن، وكولين ويلسون.. كذلك فقد يؤدى فشل أديب معين فى إحراز النجاح والشهرة إلى إحساسه بالقهر، وفقدانه الثقة بنفسه، ثم إلى إحجامه كلية عن مواصلة الكتابة، وقد لا يؤثر هذا الفشل فى إيمان أديب آخر بقدراته وقيمة ما يكتبه، فيكتب لنفسه أو لأجيال تالية هو على ثقة من أنها ستكون أقدر على تقييم أدبه تقييما عادلا.

فالقاعدة فى هذا الشأن إذن أنه لا قاعدة، وأن الأمر يتوقف على شخصية الأديب وطبيعة تكوينه. فإن كان قد قيل إن الفراق يقتل المودة السطحية ويزيد المودة الصادقة توهجا، فكذلك النجاح والشهرة قد يقتلان المواهب الصغيرة والزائفة، ويصقلان الموهبة الحقيقية الضخمة.

● المواهب الزائفة

فأما عن صاحب الموهبة الضعيفة أو الزائفة: فهو قد يخرج على الناس بكتاب يلقى بينهم رواجا عظيما ولا يكون لهذا الرواج والنجاح أدنى صلة بعبقرية أو نبوغ. فقد يكون حاويا لأسرار سياسية لا يعلمها غيره، أو وصف رحلة إلى أقطار بعيدة لم تطأها أقدام غالبية قرائه. وقد يكون كتابه جنسيا فاحشا، أو فكاهيا رائقا، أو بوليسيا شائقا، أو عاطفيا رومانسيا يستهوى قلوب المراهقات والمراهقين، أو شديد التعاطف مع تيار سياسى أو دينى له شعبية كبيرة مؤقتة.. حينئذ يلمع اسم الكاتب، وتزيد دور النشر من نسبة مكافآته، وتستجلبه الإذاعة للحديث فيها، والتليفزيون لكتابة


فرانسواز ساجان


سكوت فيتزجيرالد

التمثيليات المسلسلة له ، وتستكتبه الجرائد والمجلات ، ويدعى للاشتراك فى ندوات ، وإلى إلقاء المحاضرات ، وتجرى معه المقابلات الصحفية ، وتسند إليه كتابة عمود يومى أو مقال أسبوعى ، ويؤخذ رأيه عند وقوع حدث ، ويمطر بالأسئلة عن نمط حياته وأسلوب معيشته ، وعن ألوان الطعام التى يهواها ، والأغانى التى يفضلها ، وعلة غرامه بالقطط ، وسبب كراهته لارتداء رباط العنق .

وهو إذ يقبل على كل هذا فى نشاط وهمة ، إنما يحفر قبره بنفسه .. فالساعات التى كان يقضيها فى الإطلاع والقراءة تتناقص فتتضاءل فتندثر .. والمال الذى بات يغدق عليه قد نقله من الريف أو مدن الأقاليم إلى العاصمة ، أو من وسط شعبى يفيض حياة وكان مصدر إلهام كتاباته الأولى إلى صالونات الأغنياء والأدباء من أمثاله . وقد تعرف بسبب نجاحه بعدد كبير من النقاد والكتاب ، وأنشأ معهم علاقات شخصية ، فباتوا مضطرين اضطرارا إلى امتداح كل كتاب جديد له ، أو الإحجام ، على الأقل ، عن بيان نقائصه وعيوبه ، فيزيده مديحهم الذى يحسبه مخلصا غرورا واطمئنانا إلى استمرار موهبته .

وعد الناس ضرطته غناء

وقالوا إن فسا : قد فاح طيب !

وإذ أن المجلات والصحف ودور النشر وسائر سبل الإعلام يهمها شهرة الكاتب قبل جودة ما يكتبه ، فإنها تظل على إلحافها فى طلب المقالات والتمثيليات المسلسلة والكتب إلحافا يوهمه بأنه لا سبب وراءه غير عبقريته . وعموده اليومى فى الصحيفة يملأ ، ومقاله الأسبوعى فى المجلة يكتب ، وإن لم يكن قد بقى فى عقله أفكار جديدة ، والبئر لابد من استخراج الماء منها ولو كانت فارغة . وأصحاب الصالونات من الأغنياء يتهافتون على دعوته لإضفاء البريق على سهراتهم ، فيتبدد وقته وتتشتت طاقته الذهنية والروحية بالتردد عليها لسماع الثناء على آخر ما كتب ، وأحدث ما نشر . وثمة نساء وفتيات قاصرات العقل يراسلنه أو يستشرنه أو يتزاحمن عليه ، ويرين فخرا أن ينشئن معه علاقة جنسية . كل هذا وغيره أمور من شأنها أن تقتل الموهبة الصادقة بله الموهبة الزائفة ، فإذا كل كتاب هو أضعف مما سبقه ، وكل مقال أتفه من سلفه . حتى إذا ما صار كقشرة الليمونة قد اعتصر منها ما فى جوفها ، تعجب وتأفف ، وتألم وتذمر ، إذ يرى الجمهور وقد تحول عنه فجأة إلى كاتب صاعد ونجم جديد ، وإذا مكانه فى صفيحة القمامة وهو الذى كان قد أوشك أن يصبح على ثقة من أنه فى زمرة الخالدين .

● متاع الغرور

لاشك فى أن كل هذا كان وراء قولة أنتونى ترولوب الشهيرة "إن النجاح هو بمثابة السم الذى ليس من المصلحة تناوله إلا فى أواخر العمر ، وحتى فى أواخر العمر فإنه لا ينبغى تناوله إلا فى جرعات صغيرة" . فالكهل والشيخ أبصر من الشباب بالأمور على حقيقتها ، وأصعب انبهارا بالمتقلب الفانى ، وأقل تعرضا للإصابة بالزهو أو بالإفراط فى تقييم متاع الغرور . فإن أخذنا فى الاعتبار ذلك الميل المرضى لدى النقاد إلى أن

يلعبوا دور يوحنا المعمدان الذى بشر بقدوم المسيح ، والتهليل الأحمق لكاتب جديد شاب باعتباره "أمل المستقبل" ، و"أعجوبة الزمان" ، و"خليفة طه حسين وعباس العقاد" ، أدركنا مدى خطورة خمر الثناء المفرط على عقول الشباب الغر . والكثيرون منا قد عاصروا الضجة المفتعلة التى صاحبت صدور رواية "مرحبا أيها الحزن" لفرانسواز ساجان وهى فى الثامنة عشرة ، وتمثيل مسرحية "انظر إلى الماضى فى غضب" لجون أوزبورن وهو فى السابعة والعشرين ، وظهور كتاب "الغريب" لكولين ويلسون وهو فى الخامسة والعشرين ، ثم لمسوا ذلك التدهور الغريب الذى طرأ على ثلاثتهم ، وإفلاسهم الذهنى ، الرهيب بعد أن صاروا من مشاهير العصر ونجوم الأدب . كذلك يمكننا تبين هذه الحقيقة من قراءة الروايات الست لجى دى موباسان ، ومراقبة انحداره التدريجى من رواية رائعة (حياة) ، إلى رواية جيدة (بيل آمى) ، إلى ثالثة لا بأس بها (بييروجان) ، إلى رابعة متوسطة (مونت أوريول) ، إلى خامسة سيئة (قوى كالموت) ، إلى سادسة مشينة قبيحة بالغة السوء (قلوبنا) ، وهو انحدار كان يزداد حدة بنمو شهرته ، وتعاظم ثروته ، وازدياد تزاحم النساء عليه .

● مزايا تأخر الشهرة

وأما عن أصحاب المواهب الحقيقية ، فما من أدنى شك فى أن الشهرة ستكون من نصيبهم ، وأنها ستلازمهم بالضرورة ملازمة الظل للإنسان . غير أنها كالظل ، تسبق الإنسان أحيانا وأحيانا تتبعه . وقديما قيل إن معبدها يحوى أمواتا لم يدخلوه حتى ماتوا ، وأحياء سيطردون منه فور وفاتهم .. فالكاتب المتميز الفحل ، كالمتنبى وشوبنهاور ، لا مفر من أن يستثير عند الكتاب من أصحاب المواهب الزائفة مشاعر الحسد والغيرة والخوف والكراهية . فهو كالشمس إذا طلعت "لم يبد منهن كوكب" على حد تعبير النابغة الذبيانى . وإذ تصفر وجوهم وتنقبض صدورهم إزاء كل كتاب أو مقال ممتاز يصدر من قلمه ، يرون السلامة فى التحالف والتآزر من أجل هدمه ، والتضافر على تحقيره وإخماد صيته . وقد يلجأون إلى سلاح الصمت للحيلولة دون نيله الشهرة التى ستودى بشهرتهم ، فلا يذكرون كتبه بكلمة ، ويحرصون على الا يرد ذكر اسمه على ألسنتهم ، فى الوقت الذى يشيدون فيه بكل مقال أو كتاب يصدر عن أمثالهم من أصحاب القرائح العقيمة الجدبة ، ويمسح بعضهم جوخ بعض كما تتهارش الحمير ، مطمئنين إلى انه لا خطر على شهرتهم من شهرة التافهين الأراذل .

على أن تأخر شهرة المجيد الموهوب هو فى الغالب خير له وإن كرهه وتألم له . فهو بتأخرها قد تجنب لسنوات طويلة ما تحدثنا عنه من أخطار الثروة والغرور ، والصالونات والنساء ، وهجره لمصدر إلهامه وبيئته الطبيعية .. مازال وقته ملك يده ، وقراءاته وساعات تفكيره وتأملاته لم ينتقص منها شيء . كذلك فإنه ما من شيء ذى قيمة حقيقية إلا استغرق نموه زمنا طويلا . أو كما قال ابن حزم : "أسرع الأشياء نموا أسرعها فناء ، وأبطؤها حدوثا أبطؤها نفادا ، ومادخل عسيرا لم يخرج يسيرا" .. إن تأخرت

شهرة الكاتب فى حياته فالأرجح انها ستدوم مدة أطول بعد وفاته .

يموت رديء الشعر من قبل اهله
وجيّده يبقى وإن مات قائله
(يغبل)

فهو إن تأنى ، فإنما ليتقن . "قال بعض الشعراء لبعض : انا اقول كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها فى كل شهر . لأنى لا أقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك" ! وإن كتب فإنما يكتب للأجيال كافة والأمم كافة ، لا لجيله وحده وأمته وحدها . أما من جاءت شهرته الزائفة نتيجة تناوله لموضوعات الساعة ، أو لإرضاء ميول عارضة واتجاهات سياسية أو دينية مؤقتة ، فإنما شهرته أشبه شيء بالأعشاب والنباتات الصحراوية التى تنمو سريعا وتذوى سريعا ويسهل على الطفل الرضيع اقتلاعها ، او بالورقة الخفيفة ليس بوسع أقوى ذراع لناقد أو ناشر أن يطيرها مسافة بعيدة .

أضف إلى ذلك أن تأخر الشهرة والنجاح سبب فى الا يتعجل الكاتب الإنجاز ، اذ ليس هناك ما يستحثه ويدفعه إلى أن يمسك بالقلم مالم تجل بخاطره فكرة جديدة ذات قيمة . وهو فى العادة إنما يكتب لإرضاء حافز داخلى قوى يحفزه إلى التعبير عن ذاته ، لا لإرضاء جمهور قرائه :

علىّ نحت القوافى من مقاطعها
وما علىّ لهم أن تفهم البقر
(البحترى)

وهو يدرك أن النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة ، وأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .. لذلك فهو حريص كل الحرص على كمال الأداء ، وإتقان الصنعة . ليس ثمة عمود يومى امامه عليه أن يملأ سطوره بأى كلام ، ولا وراءه رئيس تحرير مجلة يستحثه الإنجاز كى يلحق بالعدد الأسبوعى ، أو مدير إذاعة يستعجل حلقات التمثيلية لتسجيلها قبل ظهور هلال رمضان . وقد قضى جوته فى كتابه "فاوست" اثنين وستين عاما . ولو أنه كان ينشرها فى حلقات فى مجلة ، او استعجله مدير الإذاعة لتسجيل المسلسل ، لكان من المؤكد ان يحرم الأدب العالمى من إحدى روائعه .

● حلاوة النجاح

غير أن للشهرة والنجاح فى حياة الكاتب ـ رغم كل ما قلنا ـ آثارهما الطيبة الحميدة . صحيح أن قيمة الكاتب الحقيقية ليست فى إنتاجه الفعلى بقدر ما هى فى قوة القريحة ورهافة الحس اللتين مكنتاه من كتابة ما كتب ، وإنتاج ما أنتج .. هى فى نفسه وملكاته لا فى المظهر الخارجى لهذه الملكات . غير أن الشهرة ونجاح كتبه من شأنهما أن يطمئناه على أنه يمتلك موهبة حقيقية يجدر به استغلالها وإنماؤها وتعهدها بالرعاية ، فى حين قد يزعزع الفشل من ثقته فى وجود تلك الموهبة فيتوقف عن ممارستها .. فالثقة بالنفس هى عماد المهارة وشرط المقدرة . والأديب عادة يفتقر إلى القدرة على أن يحكم بنفسه على مدى جودة ما يكتب ، مالم يلمس رد الفعل الإيجابى أو السلبى لدى جمهور قرائه ونقاده . والعين ، كما قيل ، لا ترى نفسها

إلا بمرأة .. وإذ أن العالم زاخر بالاناس العاديين غير المتميزين ، فإن الشهرة العظيمة لا يمكن أن تعنى إلا أن صاحبها فرد متميز خارق للعادة ، وأنه من بين الآلاف التي يصادفها فى الطريق ، أو الملايين التى يسمع بوجودها ، ذو قيمة فذة ترفعه فوقها ، وتفرقه عنها . ولابد أن إدراكه لهذه الحقيقة سيجلب إلى نفسه الرضا والسعادة ، خاصة إن كان العمر قد تقدم به فأفقده القدرة على الاستمتاع بأمور كثيرة مما يستمتع به الشباب . حينئذ تضحى الشهرة عنده إحدى متعه المحدودة ، وتعويضا لا بأس به عما بدأ يعتور شيخوخته من آفات ، ومصدر رزق حين تضعف قواه الجثمانية عن تحصيل الرزق .

هذا إلى أن الناس عادة إنما تحكم على الأشخاص وأفعالهم على ضوء النتيجة وقدر النجاح . وعندها أن الفاشل لابد سيء ، والناجح لابد جيد . فالحظ السعيد كثيرا ما يكون لازما للإعلاء من شأن المناقب والفضائل .. وهاهو كل من يوليوس قيصر وكاتيلين قد اعتزما نفس الأمر ، وبيتا نفس الخطة والمؤامرة ضد الدولة ، وكان لدى كل منهما نفس القدر من الموهبة والشجاعة . غير أن نجاح قيصر فى إنجازه خططه قد صيره بطلا تسير بذكره الركبان ، فى حين أدى فشل مؤامرة كاتيلين إلى الحديث عنه فى كتب التاريخ باعتباره خائنا غبيا .. كذلك فقد ثار البحارة على كريستوفر كولومبوس إبان رحلته البحرية ، ورفعوا راية العصيان وطالبوه بالعودة إلى أسبانيا ، فاستمهلهم متوسلا ثلاثة أيام يقفل بعدها عائدا إن لم تبد خلالها أرض فى الأفق . ثم إذا بهم فى مساء اليوم الثالث وقد لاحت لأعينهم أرض العالم الجديد . ولو أن البحارة أبوا إمهاله غير يومين ، وعادت السفن إلى أسبانيا وقد خابت الآمال المعقودة عليها ، لذكر الناس كولومبوس باعتباره حالما واهما ، قد خدع الملك فرديناند وغرر به ، وبدد الأموال الطائلة وخاطر بأرواح بحارته ، فى حين يذكرونه الآن بفضل نجاحه على أنه المكتشف الأعظم ، والبطل الفرد .

فالدنيا إذن إذا أقبلت على أحد أعارته محاسن غيره ، وإن أدبرت سلبته محاسن نفسه .. فإن كانت جودة إنتاج الكاتب هى فى بعض الأحيان سبب شهرته ، فإن شهرته كانت فى كل الأحيان سبب الاعتراف بجودة إنتاجه .

ولو كان الفشل نصيبه لتصيد الناس لنفس هذه الكتب العيوب ، وبرروا بها فشله وخمول ذكره :

وأنكد الناس عيشا من تكون له
نفس الملوك وحالات المساكين

○ سعة العيش

فإن كان النجاح قد وفر للكاتب سعة فى العيش ، ونقله بذلك من حيه الشعبى أو الريف وسكانهما إلى حى أنيق فى العاصمة ، وتحول عن استخدام الحافلات العامة المزدحمة إلى ركوب سيارة خاصة به ، وتضاءلت صلاته بطبقات الشعب المختلفة وكادت تقتصر على الأثرياء والفنانين ، فلاشك أيضا فى أن الضيق فى جانب يصاحبه انفراج فى جانب ، وانغلاق باب هنا يواكبه انفتاح باب هناك .. فهو الآن قد أضحى بفضل الشهرة والنجاح يخالط أناسا من طبقة

الأدباء والمثقفين ذوى الأفكار والأحاديث والمساجلات التى من شأنها أن تغذى فكره وإن لم تغذ مشاعره إلا لماما .. وهو يقابل فى الأمسية الواحدة يقضيها فى أحد صالونات الأغنياء مجموعة من المشاهير من نجوم السينما والمسرح والشعر والموسيقى والرسم والنحت والسياسة والدبلوماسية والاقتصاد ، فتنمو بلقياهم معارفه ، ويتسع بمحاورتهم نطاق اهتماماته ، وينفتح أمامه بالاستماع إليهم باب من الخبرات الجديدة التى لم يكن له عهد بها . وهاهم المعجبون به يكتبون إليه أو يحادثونه فى لقاءاتهم به عن أخص خصائص حياتهم وأسرار قلوبهم مما لا يفضون به إلى أقرب المقربين إليهم من أصدقائهم وذويهم . ثم هاهو يدعى إلى مؤتمر للكتاب فى هذه الدولة الأجنبية أو تلك ، أو إلى إلقاء محاضرات فى جامعة أوربية أو أمريكية ، وقد يسعى حاكم أسيوى أو إفريقى إلى الاجتماع به ، أو أمير عربى إلى استشارته والائتناس برأيه . فإذا هو وهو ابن الحاج عبد المقصود عمدة إحدى قرى الصعيد ، وقد نزل ضيفا على كاسترو ، وتداول ساعة مع شو إن لاى ، وجال بين الآثار الإسلامية فى سمرقند وطشقند ، ودخل فى نقاش مع أساتذة جامعة أوكسفورد وطلبتها ، وتناول العشاء هو وزوجته على مائدة يفتوشنكو أو مكسيم رودينسون ، وأدلى بحديث لإريك رولو فى صحيفة لوموند .

فإن كان كل هذا قد استغرق الكثير من وقته ، وأثر فى قدر قراءاته ، فهو بالتأكيد قد أثرى حصيلة تجاربه ، ووسع من أفقه ومفاهيمه عن الحياة والعالم حوله ، وقضى على خطر أن يتحول إلى دودة كتب ، أو راهب فى صومعة . كذلك فلابد أن يؤدى اطلاعه الجديد على عوالم النحت والرسم والسينما والاقتصاد والسياسة وغيرها ، واختلاطه بأقطابها ، إلى تغذية أدبه وتنمية جوانبه وأطرافه . فيضحى بذلك أدسم مضمونا وأعم نطاقا . أو كما قال ابن قتيبة : "من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم" . فإن كانت الحياة الاجتماعية والمحاضرات والمؤتمرات والأحاديث الإذاعية والتليفزيونية قد التهمت الكثير من وقته ، فالمؤكد أن ثمة ساعات أخرى كثيرة قد وفرتها له الشهرة والنجاح ، وما جاءت به الشهرة والنجاح من ثراء ، وما هيأه له الثراء من قدرة على الاستعانة بالغير فى السعى وراء إنجاز شتى احتياجاته . وسيكون بوسعه عندئذ باتصال تليفونى قصير أن يطلب من وزير معجب به إنهاء مهمة له ، أو من رئيس مجلس إدارة بنك قابله فى إحدى سهراته أن ييسر له تحقيق رغبة . وقد يحدث أن يكون مفتش الجمارك فى المطار قد شاهده فى التليفزيون فيرحب به مبتسما ولا يفتح حقائبه ، أو ناظر مدرسة مبهور بكتاب له فيقبل على الفور إلحاق ابنه بها ، أو تاجر أثاث قد تابع مسلسلته الإذاعية فيجرى له خصما عظيما على مشترياته !

● مستوى الإنتاج

فإن كان صحيحا أن الشهرة والنجاح يواكبهما فى العادة إكثار من الإنتاج وإسراع فى الكتابة ، فليست السرعة بالضرورة مدعاة إلى الحط من قيمة الإنتاج مادام العقل خصبا زاخرا


سومرست موم


هيمنجواى


تشارلز ديكنز

بالأفكار . وإنما تمثل السرعة خطورة حين تتحول إلى عجلة ، ويكون الإكثار من الكتابة ضارا حين يتخذ صورة تجريف للعقل المنهك . وبوسعنا أن نذكر عشرات الأمثلة لأدباء عظام كانوا شديدى السرعة فى الكتابة ، (دوستويفسكى ، بلزاك ، ترولوب ، تشارلز ، ديكنز) ، وكانت السرعة عندهم ناجمة عن الرغبة فى رفع مستواهم المعيشي ، وأنتجوا مع ذلك كتبا خالدة لم يعتورها خلل أو نقص .. فإن كان النجاح كثيرا ما يؤدى بالأديب إلى الاتجاه للكتابة للصحافة ، إما لزيادة دخله ، أو للإبقاء على تداول اسمه ، فهناك عشرات من الأدباء المشاهير ممن أتقنوا حرفة الأدب بفضل كتابتهم للصحف ، (صامويل جونسون ، اديسون ، هازليت ، ثاكرى ، برناردشو ، جورج أورويل ، بريستلى ، جراهام جرين) .. والكتابة من أجل المال ليست عيبا فى حد ذاته كما يزعم تولستوى ، اللهم إلا إن كان الاشتغال بالقضاء أو الدبلوماسية أو الجندية أو الزراعة أو غير ذلك لقاء أجر عيبا . وثمة عدد من الأدباء ممن قضى الفقر على مواهبهم أكبر من عدد أولئك الذين قضى عليهم الإفراط فى الخمر ، أو أودى بهم الغرور ، أو أضر بهم الثراء الفاحش .

هذا وقد يكون تأخر الشهرة والنجاح مدعاة للاسترخاء ، وسببا فى الركون إلى الكسل ، إذ ليس لدى الكاتب المغمور حافز يدفعه إلى المواصلة والإنتاج المتدفق ، مادام لا يرى جمهورا ينتظر إنتاجا جديدا له ، أو ناشرا يستحثه ، أو رئيس تحرير يقف وراءه بالمرصاد . وما من أحد بوسعه أن ينكر أن المثابرة والعمل المتواصل يساعدان على صقل المواهب وإتقان الصنعة ، وأنهما لازمان للأديب لزوم التدريب المستمر للرياضى والرسام ، وراقصى الباليه ، والمغنين والموسيقيين .

غير أن أبرز النقاط الإيجابية فى الشهرة والنجاح فى رأيى هو حرص الكاتب بسببها على ألا يهبط مستواه ، وخشيته الدائمة ، والمؤلمة المأساوية أحيانا ، من أن يأتى إنتاجه الجديد دون إنتاجه السابق . فهو دائما فى خوف على موهبته من أن يعتريها نقصان . وفى شك من قدرته على أن يجعل كتابه

الجديد فى مستوى كتابه الأخير الممتاز . وهو يعلم أن النقاد والجمهور بصفة عامة لديهم ميل خبيث إلى أن يحكموا بضعف الإنتاج الحديث بالمقارنة بالإنتاج القديم الذى هللوا له وأشادوا به . وقد كانت جل معاناة جوستاف فلوبير فى حياته هو من قول الناس له إن روايته الجديدة ، وإن كانت طيبة ، لا يمكن مقارنتها بروايته الأولى "مدام بوفارى" . والكاتب يدرك أن الجمهور متقلب هوائى ، وأنه وقد كان بمقدوره أن يرفعه إلى السماء ، على استعداد دائما ، وفى أية لحظة ، لأن يخسف به الأرض ، وأن ينقل إعجابه وتهليله إلى غيره .. فالنجاح إذن هو خير ضمان لمحاولة الكاتب أن يبقى أدبه على مستواه الرفيع ، وأن يشل يده عن الإسفاف ، وعن الاستهانة بقارئه والاستخفاف . وهو أمر قد يكون مدمرا فى بعض الأحيان ، بدليل قولة شتاينبك إنه ما من كاتب حصل على جائزة « نوبل فى الأدب إلا كف عن الكتابة بعد الفوز بها من جراء خشيته من أن ينتج عملا جديدا يقال عنه : أهذا عمل يليق بحائز على جائزة نوبل ؟!! » قال هذا عام ١٩٥٦ مبررا به عدم طمعه فى أن ينال الجائزة . فلما نالها عام ١٩٦٢ ، ظل حتى وفاته سنة ١٩٦٨ لا يخط قلمه حرفا !

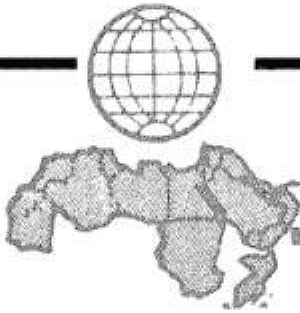
● خـــاتمـــة

فى عام ١٩٠١ ، سأل ليوتولستوى أنطون تشيخوف عمن يظنه من بين الكتاب الروس صاحب أعظم الكتب رواجا لدى الجمهور فى تلك الحقبة . أجاب تشيخوف بقوله : أنت ؟ قال لا . قال : فتورجينيف ؟ قال لا . قال : دوستويفسكى ؟ بوشكين ؟ جوجول ؟ قال لا . فمن إذن ؟ فذكر له تولستوى اسما لا نجده اليوم مذكورا فى أى كتاب عن تاريخ الأدب الروسى .

فهل بوسعنا أن نعتبر مثل هذا الشخص الشهير فى حياته ، النكرة بعد وفاته ، أسعد حظا من فرانتز كافكا الذى لم تسمع الجماهير باسمه أو بأدبه إلا بعد انقضاء الأعوام على موته ، ثم بات منذ أن عرفه الناس إحدى القمم الشامخة فى الأدب العالمى ؟

إن الشهرة التى كثيرا ما ينالها أصحاب المواهب المتوسطة أو الزائفة هى كالثروة التى يغتصبها امرؤ لنفسه بناء على وصية مزورة . أو هى كالعملة الزائفة ، يظل صاحبها فى قلق مستمر من أن يكتشف أمره ويسقط قناعه فيفتضح ، وهو ما لابد واقع . أما صاحب الموهبة الحقيقية ، فهو حتى إن لم ينل الشهرة فى حياته ، سيظل أسعد حظا من الآخر ، سعيدا بقدراته ونبوغه ورهافة حسه ، سعيدا بثقته من أنه فى يوم ما ، فى بلد ما ، سيمر ناقد جليل الشأن ، مسموع الكلمة ، برصيف أمام إحدى المكتبات ، قد ألقيت عليه أكوام من الكتب القديمة تباع بقروش زهيدة . وسيلتقط الناقد كتابه وينظر فيه ، ثم إذا به وقد راعه جمال فقرة ، أو عظمة فكرة ، فيقرر شراءه لينظر فيه على مهل .. ثم إذا هو بعد أيام يكتب عنه فى صحيفة ويشيد به . وإذا بالكاتب المجهول وقد أضحى حديث الناس أجمعين .

وهو بالضبط ما حدث حين التقط ناقد شهير من بين كتب قديمة على الرصيف فى أحد شوارع لندن ، ترجمة إدوارد فيتزجيرالد الإنجليزية لرباعيات الخيام .



أقوال معاصرة

سعيد عويطه



● « انا اعظم عداء فى العالم ··
العداء المغربى ـ سعيد عويطه

● « روما هى القاهرة بدون مسلمين »
الصحفى الايطالى كارلو روسيللو

● « أتمنى لو كنت مؤمنة لاصلى من كل قلبى لكى تستمر مرحلة الانفتاح والشفافية ، وبداية الحرية ··
المخرجة السوفيتية كيراموراتوما



● « يصور البعض الصراع الدائر فى الخليج على انه صراع سنى شيعى ، ان اجترار هذه الخلافات واستدعاءها من الذاكرة التاريخية ، هو القاء بذرة خبيثة فى ارض الواقع ·· »
الدكتور كمال ابو المجد

● « الاستشراق هو عين الاستعمار التى بها يبصر ويحدق »
الاستاذ محمود شاكر

كمال ابو المجد

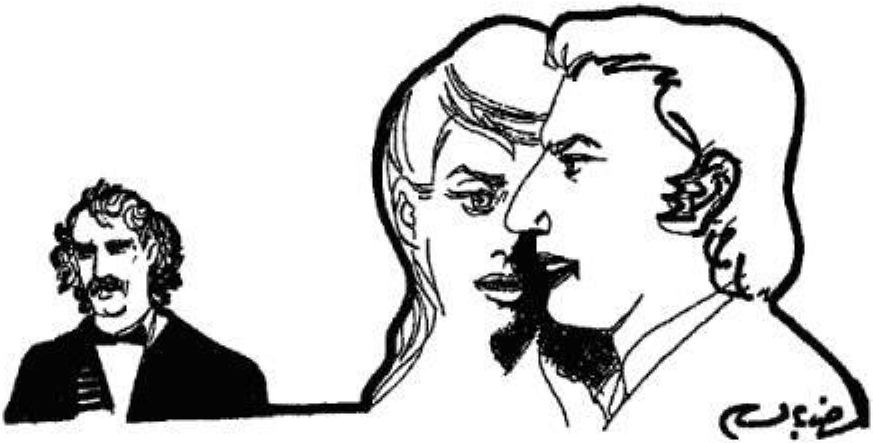
كميل شمعون



● « سأتحالف مع الشيطان للتخلص من الفلسطينيين ··
آخر كلمات كميل شمعون

● « حان وقت التواعد مع الواقع »
باتريشيا شرويدر
عضو مجلس النواب الامريكى

● « اكثر صعوبة على المدمنين ان يقولوا « لا » للمخدرات » !
دافيد ماستو
الاستاذ الامريكى بجامعة ييل



الفتاة والفيلسوف

بقلم: د. أحمد أبو زيد

كانت مشاعر الأسى والكآبة والوحدة تخيم على الفيلسوف الألماني الشهير فريدريش نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) في السنوات الأخيرة من عمره وقبل أن يصاب بالجنون ، وكان يحاول التخلص بقدر الامكان من هذا الشعور القاتل عن طريق العزف على البيانو حيث كان يمضي ساعات طوالا يعزف موسيقى فاجنرالتي كان يعجب بها ويصاحبها أشد الاعجاب . ولكنه لم يستطع أن يتخلى أبدا عن الفكرة التي سيطرت في تلك السنوات الأخيرة على ذهنه من أنه أفضل وأعظم فلاسفة عصره على الاطلاق ، كما لم يستطع أن يتخلص من شبح أمه وأخته الذى ظل يطارده حتى استراح منه بالجنون ثم الموت . وفي كتابه الذى لايكاد يعرفه في العالم العربي غير القليلين وهو كتاب « هذا هو الانسان Ecre Homo » عبارات تشير إلى ذلك الهاجس ، وهي عبارات يبدو أن الناشر الأصلي للكتاب الذى ظهر عام ١٨٨٨ رفض أن ينشرها فظلت مجهولة حتى ظهرت في طبعة عام ١٩٦٩ .

وقد كتب نيتشه تلك العبارات وهو على شفا الجنون ومنها يكشف عن رقة مشاعره الطيبة نحو أبيه وعن سوء ظنه فى أمه واخته اليزابيت ، فيقول فى نفور واضح يكاد يصل حد الكراهية إن غرائزهما بلغت من الفظاظة والفجاجة حدا لايمكن احتماله وان طريقة معاملتهما له كانت تملؤه بالرعب والارتياع وانهما كانتا توجهان ضده كل (اجهزتهما الجهنمية) ويصفهما بانها نوع من (الزواحف السامة) المؤذية كما استخدم بطريقة مهينة بعض افكاره وآرائه الفلسفية فى وصفهما فيقول مثلا إن قربهما الفيزيقى منه يجعله يتقبل بسهولة فكرة النشاز الازلى وان اقسى مايمكن أن يوجه إلى نظريته عن « العود الابدى » من اعتراضات هو « عودة أمه واخته » وهكذا ، ولقد كتب نيتشه ذات مرة يقول إن اضعف رابطة يمكن ان يرتبط بها الانسان هى تلك التى تربطه بأبويه بصرف النظر عما إذا كان ابوه يوليوس قيصر او الاسكندر او ديونيزوس . وهذا تعبير مأساوى يكشف عن موقف معقد إلى حد كبير خاصة ان نيتشه كان شديد الاعتزاز بذكرى أبيه ويرى فيه الانسان الكامل . وذلك عكس رأيه فى امه واخته .

● تدخل مستمر فى حياته الشخصية

وجانب كبير من نفور نيتشه من امه واخته يرجع إلى تدخلهما المستمر فى اموره الخاصة وبالذات فى شئونه المتعلقة بصداقاته النسائية رغم قلتها وكانت أخته اليزابث قد ارتبطت منذ الصغر ارتباط ذهنيا وعاطفيا يكاد يكون مرضيا بحث كانت تقف بالمرصاد لكل فتاة تعتقد أن اخاها يريد الارتباط بها او أنها قد تسلبها ذلك الأخ وتستحوذ عليه كما فعلت مع (لواندرياس سالوميه) ـ الفتاة الروسية التى عرفها نيتشه عام ١٨٨٢ وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر بينما كانت لوسالوميه فى الحادية والعشرين فقط . فقد ناصبتها اليزابث العداء بشكل لايخلو من فجاجة وشراسة حتى انتهت تلك العلاقة بعد شهور قليلة وتركت نيتشه شبه محطم . وقد يكون ذلك من العوامل التى سارعت به إلى الجنون ، وإن كانت بذور ذلك الجنون أقدم من ذلك بل وقد يكون وراثيا .

ولم ينس نيتشه لاخته ذلك أبدا بحيث إنه كتب اليها بعد أن قطع علاقته بلوسالوميه يقول : « **إننى لا احب الاشخاص الذين هم على شاكلتك يا اختى العزيزة ، وبخاصة حين تكون نفوسهم غير صافية من الناحية الاخلاقية** » . كذلك كتب إلى صديقه اوفربك يقول : « إننى لا احب امى كما ان سماع صوت أختى يؤذينى اشد الايذاء ، بل اننى اشعر بالسقم والمرض حين اكون معهما . وصحيح اننا قلما كنا نتشاجر حتى الصيف الماضى لاننى أعرف كيف اتصرف معهما ولكن الوضع لايناسبنى على العموم » . وبلغ الأمر به حين ارسل إلى أمه خطابا قبل اعياد الميلاد فى تلك السنة اعاده اليها دون أن يفتحه .

ومع أن فترة علاقته بلوسالوميه كانت قصيرة ، لم تمتد إلى اكثر من بضعة شهور من عام ١٨٨٢ ، فالظاهر انها اثرت تأثيرا عميقا فى حياتيه العاطفية والفكرية على السواء وقلبت كثيرا من الموازين والمبادىء التى كان يتمسك بها فى سلوكه مما آثار عليه أمه . والواقع أن المرأة بوجه عام كانت تؤلف وإنما مشكلة من نوع خاص بالنسبة لنيتشه ، **والظاهر انه كان شديد الولع والتعلق بالمراة ، بقدر ماكان شديد النفور والرغبة فى الخلاص من ذلك الولع والتعلق على الاقل كما يتمثل ذلك فى علاقته بامه واخته** . ولقد مر نيتشه فى ذلك ببعض الأحداث والتجارب التى تركت آثارها السلبية فى نفسه . فحين تقدم مثلا لخطبة احدى معارفه قابلته بالصد والرفض . وقد أراد أن يتخذ من لوسالوميه تلميذة ومريدة بل وريثة فيما لو مات مبكرا ، وقد يكون أراد أن يتزوج منها ـ او هذا على اقل هو ما أشاعته وأذاعته هى نفسها بين

الناس - ولكنها تركته لغيره بحيث فكر فى الانتحار . وقد بلغ من تعلقه بها وخروجه فى ذلك على كل التقاليد المالوفة ونزوله عن جانب كبير من كبريائه وكرامته وابائه كفيلسوف ومفكر أن أصبحت أمه تنظر بكثير من القلق والغضب الى تلك العلاقة (غير المريحة) بحيث كانت ترى أنها لن تنتهى الا بواحدة من ثلاث : « إما أن يتزوج فريتز من لو أو أن ينتحر أو أن يصاب بالجنون » كما جاء فى خطاب كتبته اليزابث يوم ١٠ فبراير ١٨٨٣ إلى أحد اصدقائها بعد أن كانت تلك العلاقة قد توقفت وانتهت بالفعل . وفى اليوم نفسه كان نيتشه (أو فريتز كما كان أصدقاؤه وعائلته يدعونه) يكتب الى أحد اصدقائه يشكو من أن لوسالوميه كانت لاتزال تملك عليه أمره وتحتل كل تفكيره بحيث لم تكن تغادر ذهنه لحظة واحدة ، وأنه لايزال يتألم حين يتذكر أن امه وصفته بأنه (عار على أبيه فى قبره) بسبب تلك العلاقة وأنه رغم صمته على تلك الاهانة التى جاءته من أمه فإن فكرة الانتحار راودت ذهنه بسببها .

● حنان الأب

ولقد ولد نيتشه (فريدريش فيلهلم) عام ١٨٤٤ . وكانت أمه ابنة لأحد القساوسة ، ويقال انها كانت تتمتع بقدرة فائقة على التكيف مع الأوضاع كما كانت على درجة عالية من التواضع والورع رغم انها كانت فى الوقت ذاته ذات مزاج متقلب ولايخلو من الحدة والحيوية إلى جانب قدرتها على الاحساس بالجمال وتذوق الفن بحيث كانت تجد متعة حقيقية فى قراءة الشعر والقائه . كذلك كان أبوه من رجال الكنيسة . وقد وصفه نيتشه نفسه بأنه « الصورة الكاملة » لرجل الدين فى القرية . واليزابيث نفسها التى لعبت دورا مدمرا فى حياة الفيلسوف كانت تقول إن الأب كان يعطى جانبا كبيرا من وقته لأبنه الطفل ويعتبره (صديقه الصغير) ، كما كان (فريتز) شديد الالتصاق بأبيه وكان يراقبه فى هدوء وهو يعمل ويقرأ ولم يكن الأب رجل الدين بعيدا هو أيضا عن الفن ، وإنما كانت له بعض الاهتمامات فى الموسيقى ، فكان يمضى جانبا من وقته فى العزف على البيانو ، بل وكانت له بعض المحاولات فى التأليف الموسيقى . وكان فريتز الصغير يحب فى طفولته أن يسمع إلى عزف أبيه ، بحيث تقول اليزابث انه حين كان يبكى دون سبب واضح كانت الأم تطلب إلى الأب أن يلعب على البيانو ، وحينئذ « يصبح فريتز ساكنا كالفأر الصغير ويجلس منتصبا فى عربته الصغيرة ولا يرفع عينيه أبدا عن أبيه اثناء العزف » . ومات الاب وكان فريتز فى الرابعة من عمره . وجاء تقرير الطبيب يعزو الوفاة إلى حدوث (سيولة فى المخ) . وبعد شهور قليلة من وفاة الأب مات يوسف الأخ الأصغر لنيتشه . ووجد فريتز نفسه وسط عائلة لاتضم سوى خمس نساء : أمه واخته اليزابث وجدته واثنتين من عماته العوانس تعكس كل منهما شخصية مختلفة تماما عن شخصية الأخرى . فإحداهما تتميز بالطيبة والتدين بينما كانت الأخرى عصبية المزاج ولاتخلو من التهور . وماتت الجدة والعمة الطيبة . ولم تجد الأم صعوبة فى التخلص من العمة الأخرى وأن تستقل بحياتها هي وابنها وابنتها . وقد كتبت اليزابيث بعد ذلك عن الأم تقول : « كنا نرى فى أمنا اختا كبرى لنا ، إذ كانت تجمع بين المرح والحزم كما كانت قادرة على أن تشاركنا فى تصوراتنا وتخيلاتنا الطفولية ، وظلت قريبة طيلة الوقت من افكارنا الساذجة البسيطة » .

وكانت وفاة الأب لطمة قاسية بكل المعايير والقت بظلالها الكثيفة القاتمة على حياة نيتشه كلها رغم أنه كان فى الرابعة من عمره وقت الوفاة . وليس ادل على ذلك من أنه كتب قصة الوفاة وتأثره بها وذكرياته عنها خمس أو ست

مرات فى فترات مختلفة من حياته . ويشير نيتشه فى هذه الكتابات الى ماكان الاب يتمتع به من قدرة على تذوق الأدب والموسيقى . ويبدو ان نيتشه نفسه ورث هذه الميول إذ كان له غرام بالعزف على البيانو كما كانت له بعض مؤلفاته الموسيقية الخاصة . وقد جذبته موسيقى فاجنر بشكل خاص واقام علاقات قوية مع فاجنر نفسه ومع زوجته كوزيما على الرغم من انه بحكم طباعه ومزاجه كان يختلف تماما عن فاجنر فى كل شىء ، ولكنه مع ذلك ارتبط بهما ارتباطا وثيقا الى الحد الذى يقال إنه كان هو الذى يشترى لكوزيما كل احتياجات البيت من السوق . ومن الطريف أنه كان يشعر احيانا ان اعماله الموسيقية المبكرة كان فيها جوانب وعناصر تشبه موسيقى فاجنر . ويلغ به الأمر فى ذلك بعد ان انتهت علاقته به ان كتب فى خطابه إلى صديقه بيتر جاست فى ٢٥ يوليو ١٨٨٢ يقول : « لقد كنت يوم الاحد الماضى وانا فى نـاومبورج اهيىء أختى لحضـور اوبرا بارسيفال ، وبدا لى الامر غريبا بعض الشىء . وأخيرا قلت لأختى : يا أختى العزيزة إن هذا النوع من الموسيقى هو بالذات ماكنت اكتبه انا نفسى حين كنت صبيا . واعترف باننى احسست بخوف حقيقى حين ادركت كم كنت حينذاك شبيها بفاجنر . فياله من تدهور وانحطاط . » وحتى حين كان تلميذا فى المدرسة الابتدائية كان عزفه يشد الإنتباه بحيث إن بعض زملائه كانوا يرون ان بيتهوفن نفسه لم يكن يستطيع أن يعزف أحسن منه . ولكنه حتى فى تلك السن المبكرة كان يميل إلى الوحدة كما كانت شخصيته ذات طابع حاد . وكان هو نفسه يرى ذاته فى احسن أحواله حين ينفرد ويخلو إلى نفسه فى (معبد الطبيعة الحرة) ، كما كان يجد متعة حقيقية فى ملاحظة ظواهر الطبيعة بما فيها الظواهر العنيفة من رعد وبرق ويرى فيها اية على عظمة الخالق :

وعلى الرغم من أنه كان فى وقت من الأوقات يود أن يصبح من رجال الكنيسة مثل أبيه وجده فإنه لم يلبث أن فقد اهتمامه بدراسة اللاهوت واعتنق اراء وأفكارا لاتتفق تماما مع المسيحية . وقد أثار ذلك حزن الأم كما أشاع البلبلة والاضطراب فى ذهن الأخت اليزابث التى كانت تتحمس لكل ما يقول وتعتنق آراءه وتلتهم كلامه التهاما ولاتجرؤ على نقد أفكاره باعتباره المعلم الذى تعجب به وتحفظ كل أقواله وتحتفظ بكل أوراقه وكتاباته وتتابع كل مشاكله وتتوه فيها معه .

كانت المناسبة التى ادرج فيها نيتشه ـ حسب مزاعمه ـ وجه الشبه بين موسيقاه المبكرة وموسيقى فاجنر هى حضور اليزابث حفل اوبرا بارسيفال فى بايرويت ومعها لوسالوميه التى تعلق بها نيتشه . وكانت هذه فرصة فريدة لالتقاء الفتاتين ، كما أن اليزابث اصطحبت لوسالوميه لمقابلة كوزيما فاجنر والتعرف عليها ورؤية فاجنر العظيم نفسه ولو للحظات قصيرة . وكان يبدو أن الفتاتين قد أعجبت كل منهما بالاخرى وذلك قبل أن تندلع بينهما العداوة بشكل حاد وقاطع ولايخلو من شراسة جعلت قصة العلاقة من اقصر واعمق القصص فى حياة فيلسوف وادخلت صاحبتيها التاريخ .

وكانت لوسالوميه فى الحادية والعشرين حين قابلها نيتشه فى ايطاليا فى مايو عام ١٨٨٠ وكانت تتمتع بذكاء خارق وطموح زائد وشخصية وثابة . وكانت حينئذ تدرس فى جامعة زيورخ بسويسرا حتى أصابها مرض صدرى فحملتها امها الى ايطاليا ، وهناك قابلت أحد اصدقاء نيتشه الحميمين وهو الفيلسوف باول ريه . وأعجب ريه بها منذ الوهلة الاولى وتكلم عنها مع نيتشه ويبدو أن كلامه كان على درجة عالية من البراعة والاثارة مما جعل نيتشه يتشوق لمقابلتها ومعرفتها ، فقد صورها ريه له على انها فتاة وقفت حياتها منذ الطفولة على طلب المعرفة .. وقد كتب نيتشه إلى ريه حول ذلك يقول : « إن الناس

الفتاة والفيلسوف

الذين من هذا النوع أصبحوا نادرين جدا ويستحقون من المرء أن يلف العالم كله لكي يلتقي بواحد منهم » . وحين قابلها فى مايو كان أول ما قاله لها : « أى طالع حسن دفعنا الى السير فى اتجاه أحدنا الآخر لكي نلتقى » .

ولقد أعجبت لوسالوميه هى أيضا منذ البداية بطريقة نيتشه الهادئة وصوته الخفيض فى الكلام وبأسلوبه الأنيق فى اللبس وبمشيته المتأنية الحذرة الحزينة وبيديه الجميلتين الرقيقتين وبأذنيه الصغيرتين بشكل غير عادى وبخطوط فمه المعبرة إلى حد كبير على الرغم من أنها تكاد تختفى تماما وراء شاربه الكث المتهدل فوق فمه . بل إن بصره الكليل الضعيف كان يضفى عليه سحرا من لون خاص لأن عينيه لم تكونا تعكسان أى انطباعات عن العالم الخارجى وإنما كانتا تعكسان فقط مايدور بداخله . وقد قالت لوسالوميه فى ذلك : « كانت عيناه تتجهان إلى الداخل كما لو كانتا تحدقان فى الافق البعيد » .

ومنذ ذلك اللقاء فى مايو من عام ١٨٨٢ ارتبط الثلاثة معا : نيتشه ولوسالوميه وباول ريه ، وكانت علاقته غريبة وغير مفهومة بالنسبة للكثيرين . فلقد وثقت الفتاة علاقتها بكل من الفيلسوفين وعملت على اثارة الغيرة والتنافس بينهما ، وشعر الثلاثة أن لاغنى لأحدهم مع ذلك عن الاثنين الآخرين فاتفقوا على أن يعيشوا فى علاقة ثلاثية تقوم فى ظاهرها على الأقل على الحب الأفلاطونى البرىء . وقد أطلقت الفتاة على هذه الجماعة اسم (الثالوث) ، وسجلت العلاقة ذاتها فى صورة لها دلالتها ، إذ تظهر فيها لوسالوميه جالسة فوق (عربة يد) وفى يدها سوط بينما يجر العربة نيتشه وباول ريه كما لو كانا حصانين . وكانت تزهو بهذه الصورة وتعرضها فى غير تحفظ على أصدقائها لكى تدلل على مدى سيطرتها على الفيلسوفين . ولكن الظاهر انها لم تكن تقدر تماما مدى حرص نيتشه على سمعته وكرامته وحساسيته من أن تهتز صورته فى أعين الآخرين . وكان ذلك من أهم الأسباب التى ادت الى الجفوة ثم القطيعة بينهما قبل أن تمر شهور قليلة على بدء العلاقة . وكان كل من الفيلسوفين يحاول التقرب الى الفتاة على حساب الآخر ويعمل على الانفراد بها واصطحابها فى رحلاته بعيدا عن الآخر . ويبدو أن باول ريه كان أقدر الرجلين على ذلك خاصة أن نيتشه كان يعانى من المرض ولذا كانت الفرصة أكبر أمام غريمه وصديقه الذى أفلح فى أن يقنعها بأن تقيم مع عائلته لبعض الوقت كان أثناءها يزرع فى ذهنها الشك فى أن نيتشه يريد أن يستغلها جنسيا وعقليا وأن يستخدمها كسكرتيرة له فى كتابة أعماله ومؤلفاته . وكان نيتشه يحاول بقدر الامكان أن يخفى خبر تلك العلاقة الثلاثية الغريبة عن عائلته وعن معارفه باستثناء عدد قليل من الأصدقاء المقربين الذين لم يكونوا يجدون غضاضة فى قيام مثل هذه العلاقة .

● أذكى امرأة رآها

والواقع أن نيتشه الفيلسوف كان يأخذ الفتاة ، مأخذ الجد إلى حد كبير ويحاول أن يشركها فى أفكاره وآرائه ويتكلم معها عن نظريته عن (العود الأبدى) وعن زرادشت الذى كان يعتبره ممثلا لقيم الخير والشر فى أقدم قصص الانسانية المعروفة . فقد كان نيتشه يعتبر لوسالوميه أذكى امرأة صادفها على الاطلاق ولذا كان يتصور أنه يستطيع أن يجعل منها ابنة له وتلميذة وزوجة روحية فى وقت واحد . فلم تكن عاطفته المشبوبة نحوها تخلو من بعض العناصر الروحية ، كما أن الفتاة نفسها كانت تعتقد أن طبيعة نيتشه فى جوهرها طبيعة متدينة على الرغم من انكاره للدين . بل إن الدين كان فى كثير من الأحيان

هو الموضوع الوحيد الذى كانا يتكلمان فيه . وقد كتبت هى ذات مرة إلى باول ريه تقول له إنها لن تندهش ، إذا كشف نيتشه عن نفسه ذات يوم على أنه نبى يبشر بدين جديد يكون اتباعه وأنصاره من الأبطال ، كما تذكر أنهما قد يمضيان أحيانا عشر ساعات فى الحديث والنقاش ، وأن الحديث كثيرا مايسوقهما دون أن يدريا الى الهاوية وذلك حين يبلغان فى الحديث الى تلك القمم العالية المرتفعة التى يكاد المرء يصاب عندها بالدوار والتى تعطيه الانطباع بأنه أرتقى فى وحدته الى نقطة يستطيع أن يرى منها كل الأبعاد والأعماق . ولكن من المشكوك فيه إذا كانت هذه الأحاديث الطويلة العميقة وجدت طريقها الى كتابه الشهير (هكذا تكلم زرادشت) الذى نقله الى العربية منذ زمن طويل المرحوم فيلكس فارس .

والمهم على أية حال هو أن الفتاة تعلقت بنيتشه إلى الحد الذى أغفلت معه العمل فى كتاب كانت قد بدأت فى اعداده عن المرأة وكرست جانبا كبيرا من وقتها لجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات والانطباعات عن نيتشه نفسه وعن مرضه ومتاعبه وآلامه الجسمية الهائلة تمهيدا لتاليف كتاب عنه . وقد كتب هو نفسه عن ذلك يقول « إن ثمة شبها قويا بيننا فى الاحساس والتفكير مع وجود كثير من أوجه الخلاف والتنافر التى تجعل كلا منا يتعلم الكثير من صاحبه .. وإننى لأعجب إذا كان هذا التفتح الفلسفى الذى يقوم بيننا قد وجد له مثيلا من قبل على الاطلاق » . وقد يكون نيتشه مبالغا فى ذلك لكى يبرر لنفسه تمسكه بها وأنه لايستطيع أن يستغنى عنها كما يقول رونالد هايمان .

● علاقة مهينة !

ولم تكن هذه العلاقة الثلاثية من النوع الذى يمكن أن ترتاح اليه امراة متدينة مثل أم نيتشه ولا امراة أخرى غيورة ومتحكمة مثل اخته اليزابيث . وكانت الاثنتان تعتبرانها علاقة سيئة ومحيرة ومهينة للكرامة . وصحيح أن اليزابيث قابلت لوسالوميه وذهبت معها إلى مهرجان بايرويت الموسيقى الشهير عام ١٨٨٢ ثم اصطحبتها لمقابلة كوزيما فاجنر وتقديمها إلى فاجنر العظيم نفسه ، ولكنها لم



الفتاة والفيلسوف

تلبث أن افتعلت معها كثيرا من المشاجرات وناصبتها العداء الصريح السافر . وقد أفلحت ذات مرة فى استثارتها أثناء زيارتهما لعائلة أحد الأساتذة من زملاء نيتشه فى جامعة بازل بحيث فقدت الفتاة سيطرتها على نفسها فانطلقت تصرخ وترميها فى وجهها بأن أخاها مجنون وأنه يريد أن يلطخها بالعار ويستغل جسمها وفكرها لأهوائه الخاصة . وصعقت اليزابيث لأسلوب لوسالوميه ونوع الألفاظ التى خرجت من شفتيها . وأثارت الحادثة غضب نيتشه فانصرف عنها ولكن الفتاة الذكية الماهرة عرفت كيف تتغلب على الأزمة ، فإذا بها « تقع فريسة للمرض » وتلزم الفراش بضعة أيام حتى ضعف نيتشه أمام مرضها وتخاذل وأعاد الاتصال بها وكتب اليها يقول : « أعتقد أن الاختلاف الوحيد بيننا هو فارق السن . فحياتنا متشابهة وتفكيرنا متقارب أيضا » . وحين نهضت من فراشها فى ١٣ أغسطس ١٨٨٢ أمضيا الأثنان اليوم كله معا ونسى نيتشه كل شيء ولم يعد يهتم أو يضطرب لوجود صورة باول ريه على مكتبها كما كان يفعل من قبل ، وكتب فى ذلك يقول : « إننا نستطيع أن نتواصل ونتفاهم بأنصاف الكلمات ، بل إن حديثنا لايستخدم ألفاظا حقيقية وإنما هو حديث خاص بنا يتم من خلال تقابلنا معا فى منتصف الطريق » .

والطريف فى الأمر هو أن باول ريه حين رأى العلاقة تتوطد بين نيتشه ولوسالوميه على هذا النحو اقترح أن يتراجع هو وينسحب من الميدان ويتوارى فلا يلتقى بهما « حتى الموت » ولكن نيتشه ولوسالوميه رفضا الفكرة وأصرا على استمرار (الثالوث) . والطريف أيضا أن الفتاة لم تلبث أن تركت نيتشه وذهبت لكى تعيش مع ريه وأهله خلال سبتمبر ولكنها كانت طيلة الوقت تفكر فى نيتشه وتكتب بطريقته .

ولقد كان من الصعب على الصديقين أن يخفيا تنافسهما وصراعهما أو أن يرتفعا طيلة الوقت فوق مشاعرهما ، كما أن موقف الفتاة نفسها كان قد بدأ يتغير إزاء نيتشه بعد أن انفردت طويلا بباول ريه وعائلته ، ولذا قررت أن تهجر نيتشه نهائيا فى نوفمبر من ذلك العام وبعد ستة أشهر فقط من قيام تلك العلاقة المشبوبة المشبوهة ، ولكن الغريب أن نيتشه رغم ذلك لم يتوقف تماما عن الكتابة اليها رغم مافى ذلك من مهانة واهدار لكبريائه ، حتى رأت الفتاة أن تكتب اليه مذكرة سريعة ومقتضبة بعثت اليأس فى نفسه وجعلته يدرك تماما أن كل مابينهما قد انتهى حقا ، ولكنه ظل مع ذلك يأمل أن تعيد الاتصال به ، كما ظل على اعجابه بباول ريه ويتألم طيلة الوقت لمشاعره المتضاربة وكرامته المهدرة وعجزه الفيزيقى .

وكانت حالة نيتشه تثير الاشفاق بغير شك بسبب مرضه وعجزه ووحدته . والواقع أن صحته كانت قد بدأت فى التدهور منذ سن مبكرة ، وكان الصداع العنيف يهاجمه منذ كان فى المدرسة الابتدائية كما كانت الازمة تستغرق فترة طويلة فى بعض الاحيان . وبصرف النظر عن أسباب المرض وهل كان راجعا الى اصابته ببعض الأمراض التناسلية فإنه كان يعانى من بعض الاضطرابات النفسية والعصبية وبالذات فى السنوات الأخيرة من حياته بفعل العقاقير التى كان يتناولها ، ولكن يجب الا ننسى أن أباه توفى بأحد أمراض المخ التى لم تعرف حقيقتها تماما . والمهم هو أن نيتشه كان منذ سن مبكرة عرضة لكثير من الآلام الجسمية المبرحة التى كان يتحملها فى صبر وجلد لدرجة أنه كتب ذات مرة إلى فاجنر يقول : إنه كان « يبتلع تلك الآلام » ابتلاعا كما لو كان قد خلق خصيصا من أجلها ، كما كتب إلى طبيبه يقول : إنه « متعطش للموت » .

ولم تكن آلام نيتشه الفيزيقية هي نوع الألم الوحيد الذي عرفه في حياته ، وإنما كانت هناك إلى جانب ذلك آلام الوحدة القاتلة . وكتاب (هكذا تكلم زرادشت) كان بمثابة « قصيدة جياشة عن الوحدة » التي تكشف - على مايقول شارفستاين - عن مدى احتياجه الى الأب الذي كان قد فقده منذ سنوات طويلة جدا والذي قال فيه : « إذا لم يكن للمرء أب طيب فعليه أن يخترع لنفسه مثل ذلك الأب » .

● تظاهر بالجنون !

ولقد اختلطت الأمور اختلاطا شديدا في ذهن نيتشه في السنوات التالية من الثمانينيات ، فلم يعد يفرق في كثير من الأحيان بين التصورات الذهنية والوقائع والأحداث الخارجية ، كما بدأ ينظر إلى نفسه كما لو كان « عالما » قائما بذاته كما يقول رونالد هايمان ، وأنه يتمتع بقوة تكاد تحاكي قوة الآلهة ذاتها ، وان افكاره يمكن أن تسيطر على أحداث العالم وتتحكم فيها ، فليس ثمة أية مصادفات على الاطلاق ، « فإذا فكرت في شخص ما مثلا فسوف أجده يضع بأدب رسالة من تحت عقب الباب » .

ومع ذلك فقد كان هناك بعض الشك في حقيقة جنونه .

فحين جاء صديقه جاست مثلا لزيارته يوم ٢١ يناير عام ١٨٩٠ كتب يقول : « لم يكن يبدو عليه المرض » بل انني كدت أتصور أن اضطرابه العقلي لم يكن أكثر من مبالغة في تلك الألاعيب القديمة التي كان يجيدها والتي كان يقوم بها حين يكون وسط مجموعة من أصدقائه الحميمين ، فقد عرفني في الحال وأخذني بين ذراعيه وقبلني وكان يبدو في غاية السرور والانشراح لرؤيتي كما لاحظ أنه لم يكن في الحقيقة يريد أن يشفى من مرضه ولقد بدا لي - رغم قسوة ما أقول - كما لو كان نيتشه يتظاهر فقط بالجنون وكما لو كان مسرورا لأن الأمور انتهت بهذه الطريقة » . وكان هذا بالضبط هو رأى صديقه الآخر أوفربك الذي زاره في فبراير من نفس السنة وكتب يقول : « لم اكن استطيع التخلص من الشك المؤلم .. في أن ذلك الجنون كان جنونا مصطنعا من جانب نيتشه » خاصة أنه رغم (مرضه وجنونه) كان يجلس من حين لآخر في العزف على البيانو بنفس الدقة والمهارة والتمكن بحيث لم يكن يخطيء ولو في نغمة واحدة ، ولكن يجب الا ننسى أنه هو الذي قال : (بدون الموسيقى تصبح الحياة مجرد غلطة » .

ولكن رغم هذه الشكوك فإن ظلام الجنون امتد كثيفا على عقله وتفكيره ، ووجد نفسه في آخر الامر تحت رعاية أمه التي سعدت لاسترداد « ابن قلبها » كما أصبح تحت رحمة وسلطة اخته التي سيطرت على كل شيء بما في ذلك الحصول على حقوق طبع أعماله التي كانت تنتشر بسرعة وتدر مبالغ طائلة كانت تنفقها في سخاء على حياتها الاجتماعية وإن كانت في الوقت ذاته اهتمت بعمل أرشيف كامل بكل أعماله وكتاباته وأوراقه وضمت إليه خصلة من شعره ، كما كانت تعمل جاهدة على تحويل أخيها إلى اسطورة خالدة لدرجة أنها كانت تضعه في ملابس البراهمة البيضاء حتى يبدو واحدا منهم وبحيث إن من يراه لم يكن يتصور - كما يقول رودولف شتاينر - أن مثل هذا الرجل يمكن أن يموت .

ولكن كان لابد للموت أن يجيء ، وقد جاء يوم الاثنين ٢٤ أغسطس عام ١٩٠٠ قبل سبعة أسابيع من بلوغ نيتشه السادسة والخمسين .

ومن سخرية القدر أن الذي قام بتأبينه يوم دفنه كان أحد كبار أساتذة تاريخ الفن . ولكنه وقف يتلو مرثيته من نص مكتوب وبطريقة رتيبة مملة جعلت أحد النقاد يقول : « إن الطريقة الأكاديمية العقيمة التي كان نيتشه يرفضها ويحاربها ظلت تتعقبه حتى قبره . ولو كان في استطاعة نيتشه أن يقوم من القبر لألقى بالمحاضر من النافذة ولطاردنا جميعا من معبده » .. ولكن الموتى لايتحركون !

الرسام والطلقة

ناجى العلى ..

سيناريو الموت فى حالة عطاء

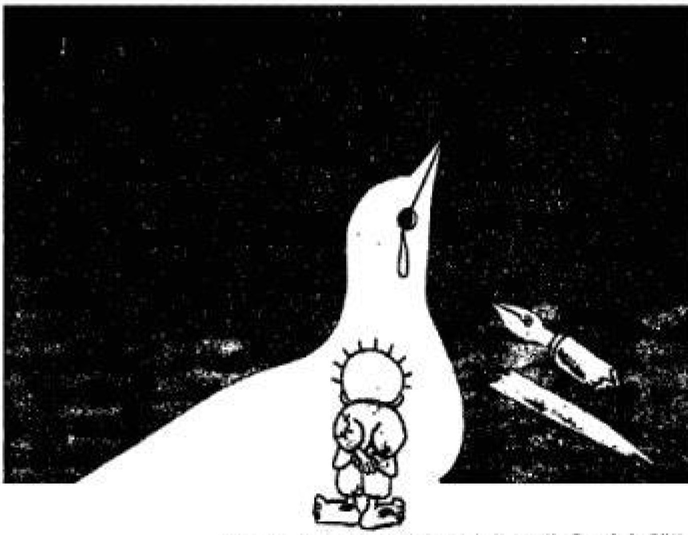
« مشهد ١ / الحادث »

● فى نحو الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الاربعاء الموافق ٢٢ - يوليو الماضى ، وفى شارع ساوث كينجتون بقلب العاصمة البريطانية لندن ، وبينما كان ناجي العلي يهبط من سيارته التي اقلته من ضاحية ويمبلدون حيث يعيش مع زوجته واولاده الاربعة ، وما ان تقدم من مدخل البناية التي توجد بها مكاتب الصحيفة الدولية التي يعمل بها ، وكانت بصحبته سيدة ، حتى جاءه شاب طويل عريض فى نحو الخامسة والعشرين ، ذو ملامح شرق اوسطية يرتدى ملابس زرقاء ، واخرج يده المدسوسة فى جيبه بمسدس ، وتقدم خلفه ، ومن مسافة لا تزيد عن ١٥٠ سم اطلق على فكه رصاصة واحدة ، ومشى فى طريقه بهدوء وكانه لم يفعل شيئا ، حتى وصل الى عربة كانت تقف على بعد امتار ، وفيها فتاة تنتظر احتفظت بموتور العربة دائرا ، وانطلقت به وغابت فى زحام المدينة •

فى نفس الوقت كان ناجي العلى قد سقط على الارض والدماء تتدافع من رقبته ، بينما بدات السيدة تولول ، والمارة يتلفتون الى المنظر المفزع دون ان يطيلوا النظر •

وجاءت الاسعاف ونقل الى المستشفى ، والجدير بالذكر ان عملية نقله قد استغرقت خمسا واربعين دقيقة كاملة •

ومن الجدير بالذكر ايضا ان البوليس البريطانى اضطر ان يعلن عن وفاته ، حتى يتسنى له نقله الى مستشفى اخر تتوفر فيه معدات تحتاجها حالته المتدهورة •



حنظلة شخصية ناجي العلي الشهيرة يقف تحت دمعة الحمامة التي تذرفها على كسر الريشة

« مشهد ٢ / عودة للماضي »

● ولد ناجي عوض العلي في قرية صغيرة من قرى الجليل الاعلى بفلسطين المحتلة ، اسمها « الشجرة » ، وكان والده واسرته قد عملوا جميعا بزراعة الموالح ، ولما جاءت نكبة فلسطين ، هاجر وهو في العاشرة من عمره مع اسرته الى جنوب لبنان ، حيث اقيم لهم معسكر « عين الحلوة » في جوار مدينة صيدا ، وهناك ايضا تلقى تعليمه الاولى في مدارس وكالة غوث اللاجئين ، ودخل ايضا احد المعاهد المتوسطة ليستدرس الكهرباء ، لكنه كان طوال الوقت يشتعل بروح الغضب ضد من احتلوا وطنه ، فاخذ يرسم على الجدران اشكاله الكاريكاتورية المحتجة ، وارسل رسما الى مجلة الحرية فنشرته ، ويبدو انه عندئذ قرر السير في طريق الفن ، واحترف الرسم ليكون حياته ورايه وعشق القضية ، فدفع حياته ثمنا للحقيقة، وللجراة والاقدام على تبنيها ٠

« مشهد ٣ / المستشفى »

ظل ناجي العلي تسعة وثلاثين يوما كاملة في غيبوبة منذ اصابته وحتى وفاته ، فتحوا رقبته من اسفل ليصلوا حنجرته بانبوب يصبون له فيه السوائل المغذية ، ولم يفق من غيبوبته سوى دقائق معدودات طوال الـ ٣٩ يوما ٠

وفي صباح يوم السبت الموافق ٢٩ من اغسطس الماضي مات ناجي العلي ، ويقول تقرير الاطباء الابيض ببروده المعهود:

ناجي العلي



« وقد جاءت الوفاة نتيجة هبوط في القلب ، بعد غيبوبة طويلة لم يخرج منها منذ اصابته الا لحظات متقطعة كان يفتح فيها عينيه ويحس بمن حوله » ٠

« مشهد ٤/ ظهور حنظلة »

في اعقاب هزيمة يونيو ٦٧ كانت قد تحطمت احــلام ، واستيقظت أحلام أخرى ، وتكشفت حقائق عديدة ، وفي جــو من الحمية ابدع الفنانون العرب الراديكاليون اعمالا في غاية الاهمية : ووصل الكثيرون منهم الى اكتشافات فارقة ٠٠ وفي رحلة بحثه الفني والفكرى ظهرت شخصية حنظلة التي صاحبت رسوم ناجي العلي على هيئة شخص ضـــــــعيف يعطي للمشاهد ظهره في اغلب الاحيان : لكنك تراه يواجهــك في اللحظات الفارقة٠ولم يبذل فيه الفنان كثيرا من الحبر ، مجرد خطوط بسيطة واضحة تنقل كل الشحنة ، وبحركته المعبــرة يقول كل ما يريد ان يقول : شاهد مؤلم للضمير ٠

« قطع / ١ »

تلقى ناجي العلي في حياته القصيرة التي لم تزد عــلى ثمانية واربعين عاما مائة خطاب تهديد بالقتل من اطــراف عديدة ويقال ان اخرها وصله قبل اغتياله باسبوعين ٠
سجل حافل بالشجاعة في حياته ٠

« مشهد ٥ / جثة بلا وطن »

بعد وفاته بلحظات قامت زوجة الفنان الفلسطيني واولاده الاربعة بمحاولات مضنية مع الفعاليات السياسية في كل من



دوائر من الحديد متشابكة في سلسلة القهر تحملها الأم الفلسطينية بدلا من كعك العيد

سوريا ولبنان لتنفيذ رغبته بدفن جثته في معسكر عين الحلوة بالجنوب اللبناني حيث قضى صباه وشبابه لكن كل المحاولات ذهبت ادراج الرياح ·

وكان مؤلما ان تقرأ في البيان الذى اصدرته اسرته هـذه العبارة : « أنه بعد كل هذه الاتصالات لم يكن امامنا الا ان ندفنه دفن امانة حسب الشريعة الاسلامية » ·

لكن يبدو ان الخوف من ناجي العلي ميتا كالخوف منـه حيا ، وظنوا انهم سيقتلون الرمز · لكن ما رأيكم ها هي وفود الزائرين تتوافد على قبره في « بروك وود » ويزداد الـــرمز ابعادا أخرى ·

« قطع آخر »

اذا نظرنا الى النتيجة السياسية التى قصدها المخططـون لاغتياله فاننا لابد ان نقول ، ان المقصود باغتياله هو بالضبط: اشاعة الفرقة بين الفلسطينيين وارهاب أصحاب الاقلاموالمبدعين منهم حتى يعم الزور والجهل ، وحتى يترددوا في قولالحقيقة، وحتى يغيب منكان يهز الضمائر كلصباح، ويكاد المخططونان يكونوا قد حققوا جزءا من هذه النتيجة بهذه الفرية التيرددها البعض وبيس مقصودا ان تكون جهة وطنية قد اغتالت ناجي العلي ، مع أن القاتل واضح كالشمس ·

« ختام »

الناس جميعا يموتون ولا يتركون آثارا على الارض ،الا المبدع المعطاء ، وناجي العلى كان مبدعا وعطـــاء ، وها هي رسومه تنتشر في الارض ، ويعرفه الذين لم يعرفوه في حيـاته ليشتعل كالنار في الهشيم ·



عين الحلوة المخيم الفلسطيني الذى قضى فيه ناجي صباه وشبابه عندما تدمع عيناه يتحول الدمع الى قنابل



بشجاعة فائقة يكتب الكاتب وصيته غير مبال بمصيره إثر مقالة له عن الديمقراطية التى يرفضها الفاشست



لم يكن ناجي العلي يرى فيما يحدث فى لبنان صراعا بين المسيحيين والمسلمين من ابناء الشعب الصورة توضح التضامن بين كل اللبنانيين

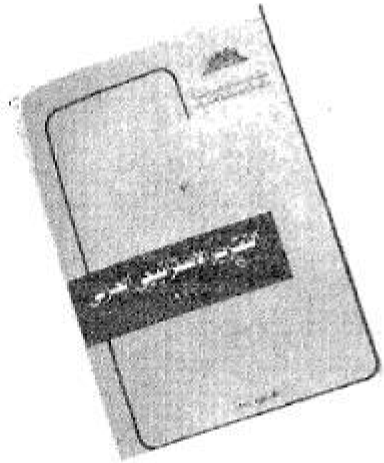


كثيرا ما عبر ناجي بالعيون عما يريد قوله . العين الأولى على هيئة كلابشات والثانية قضبان السجن والثالثة فراغ وافتقاد .



واحدة من الرسوم المباشرة لناجي العلي يرفض فيها كتم اصوات اصحاب الراى .

التقرير الاستراتيجي العربي - ١٩٨٦



... إضافة إلى الترحيب والتقريظ

بقلم : مصطفى الحسيني

لم يجانب الصواب السيد ياسين عندما كتب في مقدمة «التقرير الاستراتيجي العربي» الاول لعام ١٩٨٥ وكرر في مقدمة التقرير الثاني لعام ١٩٨٦ ان صدوره «يمثل حدثا فكريا ينبغي ان نتوقف عنده قليلا لنتأمل دلالته» .. فالذي لاشك فيه ان عملا من هذا القبيل من شانه ان يسد فراغا فاغرا في المكتبة العربية ، وان يلبي حاجة يتطلع اليها العقل السياسي العربي

ومع هذا الاقرار الذي نكرره هنا مع السيد ياسين . فان التوقف «عنده قليلا لنتأمل دلالته» ، لا يجوز ان يقتصر على الترحيب والتقريظ اللذين يشير اليهما رئيس تحرير التقرير بشكل غير مباشر في مقدمته للتقرير الثاني ، ولا ان يقتصر على القول انه وقد لبى حاجة موضوعية

لصناع القرار والسياسيين والباحثين والمثقفين والمهتمين بشكل عام » .

ولعل الاقرب الى الصواب والى « تواضع المنشئين » أن يقال أنه قد سعى ويسعى الى أن يلبى حاجة موضوعية لدى من ذكرهم ، وأنه قد لبى بعض هذه الحاجة .

ولا تسعى هذه المراجعة للتقرير الثانى الا الى تقديم مشورة متواضعة لعلها تساعد هذا العمل المهم على أن يكون أوفى بغرضه فى السنوات المقبلة.

قبل أن يصدر هذا التقرير كان المعنيون من العرب بالتوجهات الاستراتيجية عيالا على المنشورات الاجنبية فى هذا المجال ، وأشهرها التقرير الاستراتيجي الذى يصدر عن المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن ، وكان هذا الاعتماد يحمل بالضرورة امكانية التأثر بالمنظور الذى تصدر عنه هذه المنشورات الاجنبية ، خصوصا إن معظمها يحمل معه سمعة من « الموضوعية » و « الحياد » ، تتستر على ما ينطوى عليه من تحيز تخفيه مسلمات مسبقة وغير مذكورة فى نصوصها . ولعل من أبرز معالم هذا التحيز المخفى ببراعة أنها جميعا تتعامل مع العالم على أساس أنه يدور من حول مركز « انجلو ـ ساكسونى » (ما يصل الى القارىء العربى هو ما يصدر فى الغرب) ، أو بتعبير أوضح تتعامل تلك المنشورات مع عالم يدور من حول قوى الحلف الاطلسى ، فى صراعها مع دول حلف وارسو ، منظورا الى هذا الصراع من وجهة النظر الاطلسية ، وباعتبارها وجهة الخير والسلم والاستقرار الدوليين. ويترتب على هذا المنظور النظر الى أوضاع بقية العالم باعتبارها محكومة بهذا الصراع . محكومة وليست مجرد متأثرة مهما بلغت قوة هذا التأثر .

وهذه وجهة تستهدف اسقاط قيمة القوى الذاتية لبقية مناطق العالم وأقاليمه ، بما تحفل به من طاقات صراعية كامنة ، وبالتالى تدفع المعنيين بالتوجهات الاستراتيجية فى هذه المناطق والاقاليم ، من المحللين الى متخذى القرارات ، الى الاعتماد على حركة قوى المركز وانتظار ما تقرر .

ولعل أبرز ما يجب أن يميز ، أو بالحرى أن يبرر صدور تقرير استراتيجي اقليمي أو قومى ، هو أن ينجو بمن يتوجه اليهم من هذا الوبال .

فهل نجا « التقرير الاستراتيجي العربى » ؟

● حياد الورقة البيضاء

اذا نظرنا فى بنيات التقرير وجدنا أن القسم الذى يتناول « الشرق الاوسط فى السياسة العالمية » يفتتح صلب التقرير ، وهو أمر من حيث الشكل كأنه يقول أن موقع « الشرق الاوسط » فى السياسة العالمية « هو القاعدة والاساس لما يجرى فى داخله وهو القوة الحاكمة والمقررة لوجهة طاقاته الصراعية ، ويقوى هذا الايحاء عندما نقرأ هذا القسم ، فنجده يبدأ بعرض العلاقات السوفييتية الامريكية ، فينتقل الى رسم موقع الشرق الاوسط فى تلك العلاقات ، ثم الى استعراض سياسات كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى حيال المنطقة ، منتهيا الى عرض الميزان العسكرى السوفييتى ـ الامريكى .

وفى صلب هذا العرض بفصوله الخمسة ، نجد التقرير الاستراتيجى العربى محايدا حياد الورقة البيضاء والماء القراح فقد كان مسار الاحداث مؤكدا للاتجاهات السابقة (اتجاهات العام ١٩٨٥) : « اتجاه يعمل بقوة على تثبيت ودعم الوضع الراهن لتحقيق

الانفراد بالقوة والسيطرة على مسار الاحداث في المنطقة ·· » ·· « وكان هذا هو اتجاه الولايات المتحدة » ·· « اما الاتجاه السوفييتي فكان في اطار تخفيف حدة التوتر في المنطقة فيما يتعلق بالصراع العربي – الاسرائيلي» الى أن ينتهي هذا الفصل من التقرير بتقييم لسياسات الامريكيين والسوفييت حيال المنطقة في العام ١٩٨٦ ·

يقول التقييم : « ان مجمل هذه الممارسات في عام ١٩٨٦ يشير الى استمرار علاقات الحرب الباردة الجديدة بين القوتين العظميين فيما يتعلق بالشرق الاوسط · ولا شك أن موقف القوتين من المنطقة املته اعتبارات استراتيجية في المقام الاول، وعوامل اقليمية جعلت الاتحاد السوفييتي يستخدم أسلوب الترقب مكتفيا من حين لاخر ، بطرح فكرة المؤتمر الدولي لتسوية النزاع حول الشرق الاوسط ، بينما استمرت الولايات المتحدة في تاكيد نهجها السابق والخاص باستبعاد الاتحاد السوفييتي من الاسهام في اية جهود للتسوية في المنطقة ، بل ان جهودها اتخذت خطا تصاعديا وصل الى حد التهديد بضرب دولة عربية والاعتداء المسلح على دولة عربية أخرى » ·

عدا عن الجملة الاخيرة ، الا يسوى هذا التقييم بين موقف القوتين ؟ الا يرى أن موقف كل منهما « مفهوم » أو يجب أن يكون مفهوما ، على أساس انه موقف « املته اعتبارات استراتيجية في المقام الاول » ؟

اتساقا مع هذا « الحياد الاكاديمي » وامتدادا له ، يختتم التقرير هذا القسم بعرض للميزان العسكري السوفييتي الامريكي ، ينتهي بـ « مقارنة القوات التقليدية للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في الشرق الاوسط » ويوجه الاتساق مع « الحياد الاكاديمي » في هذا العرض والجداول الملحقة به أنه يعتمد مقارنة كمية بين الاسلحة وحجم القوات · ومع أهمية رصد الكميات ، فانه مما يضعف من مدلولها أن يخلو هذا من رصد العوامل المحددة لطاقة الكميات وامكاناتها ، ومن هذا القبيل : مواقع انتشارها ، طاقتها الحركية أو التعبوية ، نظم قيادتها والتحكم فيها ، هذا كله منسوبا الى الموقع المستهدف وهو في حالة التقرير الاستراتيجي العربي : « الشرق الاوسط » وللانصاف فقد حاول التقرير ان يسد بعض هذه الفجوة بتلك المقارنة بين قوات الطرفين في الشرق الاوسط · انما يعيب هذه المقارنة انها : أولا ، مثلها مثل الميزان الاجمالي اعتمدت الكم مقياسا ، وثانيا ، أنها اسقطت عنصرا مهما هو ما للطرفين من « قواعد » و « تسهيلات » في المنطقة وحولها ، ومن ارتباطات عسكرية بدول المنطقة · يضاف الى هذا أن هذه المقارنةقد وردت خلوا من تحديد مصدر ما ورد فيها (★) والمصدر هنا ليس مجرد اداه توثيق · انه أداة مصداقية · بمعنى أنه اذا كان المصدر غربيا أو كان المصدر شرقيا ، فمن وراء الارقام غرض يمكن تبينه من تحليل الارقام · ولعل من الامثلة الشهيرة على الغرض في هذا الشأن، ذلكالتقرير الذي درجت الولايات المتحدة علىنشره في السنوات الاخيرة عن « القوة

(★) يغيب المصدر عن اغلبية ما يتضمنه التقرير من جداول و « معلومات » ·

العسكرية السوفييتية، والذي يميل الى تهويلها ، وقد كشفت صحيفة «واشنطن بوست» في العام الماضي عن وجود طبعة أخرى محدودة التداول من التقرير ذاته ، يختلف ما فيها من ارقام عما تورده الطبعة المعروضة للتداول اختلافا شاسعا ، وبمقارنة الارقام في الطبعتين ، توصلت الصحيفة الامريكية الى أن غرض الارقام المهولة في الطبعة واسعة التداول هو اقناع الرأى العام الامريكي بالموازنة العسكرية الضخمة، واقناع الرأى العام العالمي « بالخطر السوفييتي » .

قبل أن نغادر هذه النقطة ، وموضوعها ما نراه من أن « التقرير الاستراتيجي العربي » لم ينج من التسليم الضمني بالمركز الانجلو ـ ساكسونية ، وما يترتب عليها من سيادة « الدولي » على « الاقليمي » وتحكمه به ، بل وتوقف الثاني على الاول وما ترتب على هذا من استراجات ، قبل أن نغادرها نتحسب للقول بأن ما فعله التقرير هو الاقرار بواقع الحال حيث الراهن أن « الاقليمي العربي » معلق على « الدولي الامريكي ـ السوفييتي » . فنبادر الى التسليم بأن هذا هو واقع الحال انما نضيف ـ مستندين الى التقرير ذاته ـ أن واقع الحال هذا يرجع فى الجزء الاكبر منه الى حالة التدهور العربي ، وهي وان كانت حالة راهنة، فان ما يعرضه التقرير من وقائع الاوضاع العربية ينطق بما يقترب من استحالة استمرارها ، كما يشير الى طاقات وممكنات تبدلها الى الافضل . وما يتسق مع « النظرة الاستراتيجية » الا يوصد الباب أمام استشراف هذه الآفاق .

في ايجابيات التقرير التي تستحق اشادة حارة، تلك الاقسام التي تناولت: « الاقتصاد العربي بين التبعية والاستقلال في حقبة النفط » ، « والصراعات الاقليمية خصوصا الصراع العربي ـ الاسرائيلي » و « النظام الاقليمي العربي » خصوصا الجزء المتعلق بالفلسطينيين .

تتميز هذه الاقسام عموما بنظرة استراتيجية ثاقبة وشامله تستحق التنويه ولا تحتاج الى التدليل .

ومع ذلك فلا بأس من بعض الملاحظات، التي وان كنا نراها جوهرية ، لا تقلل من قيمة هذه الاجزاء .

١ ـ ينتهي تناول « الصراع المسلح العربي ـ الاسرائيلي ١٩٨٦ » بجداول مقارنة للقوة العسكرية العربية ـ الاسرائيلية في نطاق ثلاثة بدائل :

أ ـ مجموع الدول العربية في مقابل اسرائيل ، و ، ب : دول المواجهة العربية واسرائيل مع مجموعة من البدائل الفرعية ، تتناول الاحتمالات (النظرية) جميعا : أي أن تقاتل سوريا وحدها ، أو أن يقاتل الاردن وحده ، أو أن تقاتل مصر وحدها ، أو أن تقاتل سوريا والاردن معا ، أو أن تقاتل سوريا ومصر معا ، أو أن تأتلف دول المواجهة الثلاث ضد اسرائيل . وهذا كله مفيد .

غير أن هذه الجداول يعيبها ماسبق أن اوردناه حول الميزان العسكرى ـ السوفييتي الامريكي منسوبا الى هذه المنطقة . وهو ما لا حاجة الى تكراره .

كذلك غابت عنها الامكانية النووية الاسرائيلية .

٢ ـ عند التعرض للنظام الاقليمي العربي ، خصص التقرير قسما للتجمعات الاقليمية الفرعية تناول فيه تجربتي مجلس التعاون الخليجي والتكامل المصري ـ السوداني .

● مجلس التعاون .. حقيقة واقعة

وفى عرض تجربة مجلس التعـ...

الخليجى . يلاحظ التقرير أن « اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية منذ سبتمبر ١٩٨٠ كان عاملا حاسما فى أن أصبح مجلس التعاون الخليجى كتنظيم اقليمى فى المنطقة العربية حقيقة واقعة» . وهى ملاحظة صحيحة . لكن الغائب عن « تقليب الامور على أوجهها » فى هذا الشأن هو محاولة اختبار الصلة بين تكوين هذا التجمع الاقليمى بالطريقة التى تكون بها ، وبقصر عضويته على بعض دول الخليج وليس عليها جميعا ، ـ أى استبعاد كل من العراق وايران ـ بنشوب الحرب العراقية ـ الايرانية . ويعزز من هذه النقطة أن من بين الافكار المطروحة ـ نظريا على الاقل ـ لانتهاء هذه الحرب ولترتيب اوضاع هذه المنطقة من بعدها ، فكرة توسيع عضوية هذا المجلس (أو تصحيحها) بحيث تضم القوتين الخليجيتين الكبيرتين اللتين جرى استبعادهما .

٣ ـ فيما يتعلق بالفلسطينيين نجد ميل العرض الى وجهة نظر خصوم القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولا غبار على هذا فهو اقرب الى النظرة الاستراتيجية الصائبة ، سوى أن المآخذ فى هذا السياق ، هو انه كلما اتصل الامر بالموقف السورى مال العرض الميل الاخر . وهو ما نجد مثالا واضحا عليه فى موضع آخر ، فى وصف ما أسماه التقرير « علاقات التنافس والتهديد بين الاقطار العربية ، حيث يقول « انها اصرار سوريا على استبعاد منظمة التحرير فيعود بصورة أساسية الى العامل الشخصى » . وهى عبارة على ايجازها تتناول أمورا لم يقم عليها ... ، لكنها تعامل على أنها «ثوابت» . مثل القول بـ « اصرار سوريا على استبعاد منظمة التحرير » . استبعاد المنظمة ، أم استبعاد القيادة الحالية للمنظمة ؟ نفى للمنظمة أم خلاف على السياسة التى تنتهجها قيادتها الرسمية . ثم اليست مسألة « العامل الشخصى » هذه وقوعا فى شرك الدعاية السياسية وما تروجه ، حتى وان كان للعامل الشخصى بعض التأثير ؟

كذلك يشوب هذا العرض « ميل أرشيفى » قوى . أى أنه يحفل برصد تفصيلى للتطورات والاحداث . وهو أمر مفيد . لكن هل مكانه الصحيح « تقرير استراتيجى » . ان خطر الغرق فى العرض التفصيلى هو أن يضيع الخيط الذى يقود الى رؤية استراتيجية .

٤ ـ عندما تناول التقرير «الاقتصاد العربى بين التبعية والاستقلال فى حقبة النفط » ، أورد ما أسماه « استرداد السيطرة القومية على موارد النفط » وجسدها فى « اجراءات التأميم الشامل للنفط العربى » . وهى نقطة تتسع لان يقال فيها انها الباس لوجهة النظر ثوب الحقيقة . طالما أن هناك وجهة نظر أخرى ومعتبره فى أوساط كثرة من المحللين تقول ان اجراءات التأميم ، التى تراوح موقف الغرب وشركاته النفطية منها ما بين القبول الهادىء والتشجيع الصريح ، أدت الى اضعاف قدرة العرب على فرض حظر نفطى آخر ، على أساس انه قبل التأميم كانت الشركات تدفع حصة الدولة العربية المعنية من قيمة برميل النفط بمجرد رفعه من البئر ، بينما بعد التأميم لن تحصل الدولة او الدول المعنية على سنت واحد من ثمن النفط الا اذا باعته .

٥ ـ من القبيل ذاته ، قبيل الباس

وجهة النظر ثوب الحقيقة ، أو ثوب الامر المقضي به ، ما يتوصل اليه التقرير بعد فحص حال النظام الاقليمي العربي من أن « المغزى الاساسى لهذا التحول هو أن النظام العربى لم يعد نظام قيادة (تقرير حال) » وأن افكار ونظريات الدولة القائدة لم تعد تصلح كمنطلق لبناء نظام اقليمي عربي جديد يقوم على درجة كبيرة من الوحدة »·

٦ ـ تعرض القسم الذى تناول الصراعات الاقليمية الى جانب الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، كلا من الصراع العراقي ـ الايراني ، والصراع الليبي ـ التشادى · وقد غابت عن عرض هذين الاخيرين ، اية اشارة الى اصول الصراع ، التى هى فى النهاية ، وعلى المدى الاستراتيجى المحدد الرئيسى لتطوراته فى المستقبل ، والتى هى ايضا مرجع الحق والباطل ، والعدل والبغى فى مواقف الاطراف ·

كذلك فان التقرير عندما يعرض الصراع العراقى ـ الايرانى لا يخفى قدرا غير قليل من التحيز ضد ايران · ولا يطلب أحد موضوعية تغض الطرف عن الانتماءات · انما ما يطلب من « تقرير » أمران : أ ـ الا تكون التحيزات ظاهرة ، و ب ـ الا ينسب الى طرف ما لم يصدر عنه · ففى صفحة ١٣٢ يلخص التقرير الهدف السياسى ـ العسكرى الايرانى ، ويضع بين علامتى تنصيص « ··· » « هزيمة النظام الحاكم فى العراق عسكريا تمهيداً لقيام نظام موال لايران » والنصف الاول من الجملة صدر عن ايران اكثر من مرة ، أما النصف الثانى «تمهيدا لقيام نظام موال لايران» فلا يتصور صدوره عنهم · ثم يعود التقرير وفى الصفحة ذاتها ليدرج ضمن الهدف الاستراتيجى للعمليات العسكرية الايرانية ، وضمن علامتى تنصيص « ·· والاستيلاء على منابع النفط فى السليمانية وهو ما لم ينطق به مصدر ايرانى ·

ويبدو التحيز ضد ايران مرة أخرى فى موضع آخر ، فى القسم الذى يستعرض السياسات العسكرية لايران وتركيا واثيوبيا ، فبينما يعرض للسياسة العسكرية للاخيرتين عرضا تقريرا صرفا ، نجد عرضه للسياسة العسكرية الايرانية تهويلا لما يعتبره عداء ايران للعرب ، مثلا ، يرد فى صفحة ١٤٩ « ترى ايران فى الفكر القومي العربي تهديدا لها » هكذا وبهذه اللغة القاطعة ، ودون تصور أن مقولة كهذه تستحق التدليل عليها · خصوصا وأن من بين الطروحات العديدة (والمتضاربة احيانا) التى صدرت عن ايران الخمينية تصور كحلف عربى ـ ايرانى ضد اسرائيل والولايات المتحدة والامبريالية العالمية ·

تضمن التقرير قسما ضروريا ومفيدا حول « العرب ودول الجوار الجغرافى » وهو القسم الذى تناول السياسات العسكرية لايران وتركيا واثيوبيا ·

الم يكن جديرا بالتقرير ان يضم الى هذه الدول باكستان التى شاركت فى حلف عسكرى ضم واحدة من دول المنطقة (العراق) واستهدف المنطقة ؟ والجبلى بامكانية نووية من شأنها أن تؤثر على أمن هذه المنطقة ؟ والتى عن طريق انغماسها الوثيق فى المشكلة الافغانية ، التى تخترق المنطقة ببعدها الاسلامى ، تمد اصبعا فى شئون أمن المنطقة ·

هذه قبضة من الملاحظات على « التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٨٦ »، مرماها اثارة حوار حوله يتخطى حدود التقريظ الذى يستحق التقرير غيرقليل منه دون شك · ومرماها ايضا أن يكون التقرير للعام ١٩٨٧ أوفى بغرضه ·

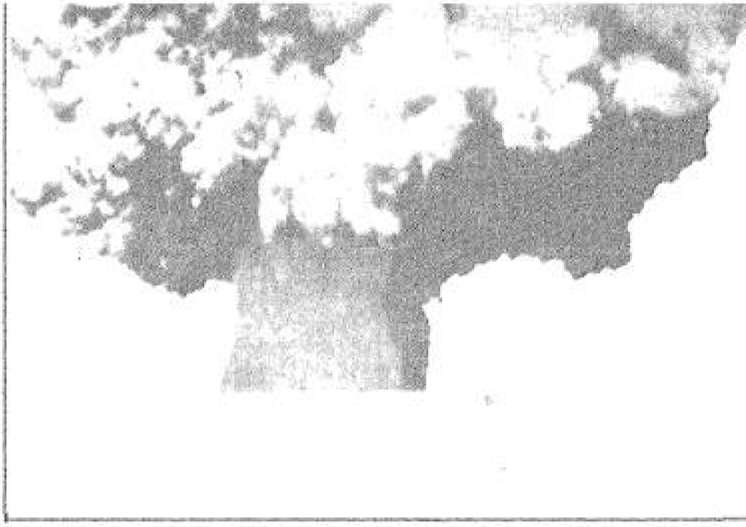
محاكمة إسرائيل لخبيرها النووي

جولدا مائير : قررت استخدام السلاح النووي في حرب أكتوبر

بقلم : عبد الرحمن شاكر

اصبحت مسالة القوة النووية للدولة الصهيونية احد الموضوعات البارزة المطروحة على الساحتين العربية والدولية فلولا وقوف الاتحاد السوفييتي فى حيازة تلك الدولة للاسلحة النووية لم يكن ليبالي بمسالة تطوير صواريخ « اريجا » الاسرائيلية ، لو لم تكن تلك الصواريخ مزودة بالرءوس النووية واصبحت بتطويرها يصل مداها الى داخل حدوده وصور حلفائه فى شرق اوربا « انظر عدد سبتمبر من الهلال » . وحاليا تجرى فى الدولة الصهيونية محاكمة مردخاى فانونو الفنى النووى الاسرائيلى، المتهم بتهريب الاسرار النووية الاسرائيلية ، والذى سبق له اللجوء الى الغرب حيث اعلن فى بريطانيا تخليه عن كل من جنسيته الاسرائيلية وديانته اليهودية ، وصرح لجريدة صاندى تايمز البريطانية بان الدولة الصهيونية تمتلك ترسانة من القنابل الذرية يبلغ عددها حوالى ثلاثمائة قنبلة . مما يجعل منها قوة نووية سادسة ، تلى الدول الخمس الكبرى ، ذات العضوية الدائمة فى مجلس الامن من حيث القدرة النووية ، وقد تمكنت الدولة الصهيونية من اختطاف خبيرها النووى السابق وعادت به الى الارض المحتلة حيث تجرى محاكمته ، مع احتمال ادانته بالخيانة العظمى ومعاقبته بالاعدام أو السجن مدى الحياة .

وفى اطار الاهتمام بهذا الموضوع ، انشأ الدكتور تيسير الناشف ، استاذ الدراسات العربية فى كلية اسيكس كاونتى فى نيوجرسى بالولايات المتحدة الامريكية ، مقالا مهما بعنوان « التهديد النووى الاسرائيلى » نشره فى عدد سبتمبر الماضى من مجلة « المستقبل العربى » التى تصدر فى بيروت عن مركز دراسات الوحدة العربية . وفى هذا المقال اشار الباحث الى شهادات العلماء النوويين الذين استشارتهم صحيفة « صانداى تايمز » البريطانية فيما يتعلق بصحة شهادة الفنى الاسرائيلى مردخاى فانون ، ومن اهمهم « تيودور تيلر .



● هل سيغير السلاح النووى طبيعة الصراع فى المنطقة

احد تلامذة روبرت او بنهايمر الذى يوصف بانه « ابو القنبلة الذرية » . وقد عمل تيلر على التصميم الاول للقنبلة النووية ، ثم ترأس برنامج وزارة الدفاع الامريكية لتجريب الاسلحة النووية . ومن تيلر الصور التى التقطها فانونو داخل منشأة ديمونة النووية التى كان يعمل بها وصورة فى شهادته ثم علق عليها بقوله : « ينبغى الا يكون بعد اى شك فى ان اسرائيل طيلة عقد على الاقل دولة حائزة بالكامل للاسلحة النووية وبرنامج الاسلحة النووية الاسرائيلى اكثر تقدما بكثير مما يبينه أى تقرير سابق ، او حالات حدس سابقة كنت قد علمت بها » ، واضاف : « ان شهادة فانونو متسقة اتساقا تاما مع قدرة اسرائيل على انتاج عشر قنابل نووية سنويا . وربما له مغزى مهم هو انها اصغر واخف واكثر فعالية من الانماط الاولى من الاسلحة التى استحدثتها الدول الخمس العظمى الحائزة للاسلحة النووية » ! ومعنى ذلك ان اسرائيل لم تعد تضارع تلك الدول العظمى فى امتلاك القنابل الذرية فحسب ، بل هى تمتلك قنابل اكثر تطورا من حيث كونها اصغر واخف حملا واكثر فعالية !!

ومما اورده الكاتب ايضا ان محطة سى . بى . اس الامريكية قد اذاعت بعض المعلومات التى يتضمنها كتاب سوف يصدر بالعبرية لصحفيين من اسرائيل هما ايل نايجر ، وعامى دور ، تجاوزا فيه شهادة فانونو بان اسرائيل لديها عدة عشرات على الاقل من القنابل الذرية ، ليقررا ايضا ان لديها بضع قنابل هيدروجينية !

● المعونة الدولية

ويقرر الدكتور الناشف ، فى بحثه المستند الى مصادر كثيرة ، ان برنامج اسرائيل النووى « كان من بدايته تحت اشراف وزارة الامن ، مما يشير الى الطابع العسكرى الذى يتسم به ذلك البرنامج » . وان اسرائيل لديها البنية الاساسية والموارد والمعرفة

والخبرة اللازمة لانتاج الاسلحة النووية ، وان الكثير من العلماء والفنيين الاسرائيليين متخصصون فى العلوم النووية ، كما ان هناك تاكيدا كبيرا على العلوم الطبيعية والهندسية فى نظام اسرائيل التعليمى . وتوجد فيها مؤسسات مهمة تؤدى دورا رئيسيا فى اعداد العلماء والاختصاصيين فى مجال العلوم النووية مثل معهد وايزمان فى رحفوت وجامعة الهندسة التطبيقية فى حيفا والجامعة العبرية فى القدس . والكثير من علماء اسرائيل النوويين تلقوا دراستهم وتدريبهم فى وقت مبكر فى هولندا وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية وغيرها من البلدان » ثم شرع هؤلاء العلماء يعودون من الغرب الى اسرائيل فى بداية الخمسينيات بما حصلوه من معرفة فى التكنولوجيا النووية » .

وفى عام ١٩٤٨ اجرى الاسرائيليون تحت رعاية وزارة الامن مسحا تمهيديا فى النقب حيث اكتشفت كمية من اليورانيوم فى قرارات الفوسفات . وفى عام ١٩٤٩ انشئت دائرة بحوث النظائر فى معهد وايزمان ، التى اصبحت بعد ذلك دائرة البحوث النووية . وفى عام ١٩٥٢ انشئت لجنة الطاقة الاسرائيلية برئاسة ارنست بيرجمان الذى كان من اشد المتحمسين لانتاج الاسلحة النووية . وقد احيطت هذه اللجنة بالسرية بحيث لم يعلم الجمهور بوجودها الا فى عام ١٩٥٤ .

وقد حصلت اسرائيل على مفاعلها النووى الاول من الولايات المتحدة الامريكية ، كما حصلت منها على المطبوعات والمعلومات المتعلقة بالمفاعل النووى ، وتلقى العشرات من العلماء الاسرائيليين التدريب فيها اى فى الولايات المتحدة على ادارة المفاعلات وقد انشىء هذا المفاعل الذى تبلغ طاقته ٥ ميجاوات فى ناحال سوريك بالقرب من اسدود ، واستكمل بناؤه فى مايو ١٩٦٠ وهو قادر على انتاج البلوتونيوم ، ويعتبر مركز تدريب للفنيين والعلماء الذين يستطيعون بعد ذلك العمل فى تشغيل مفاعلات اخرى .

ومع ذلك فالدكتور الناشف يعتبر ان فرنسا هى « اشد الدول مسئولية عن مساعدة اسرائيل فى ان تصبح دولة حائزة للاسلحة النووية ، وذلك بحكم تحالف الدولتين السياسى والعسكرى الذى » بلغ ذروته فى العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ » .

ولقد ابرم بين الدولتين فى عام ١٩٥٣ اتفاق نووى ينص على تبادل المعلومات التكنولوجية النووية وعلى تدريب علماء اسرائيليين فى فرنسا . وقد بنت فرنسا فى النقب الشمالى مفاعل « ديمونة » النووى الذى بدأ بطاقة ٢٤ ميجاوات ، وقد بدأ تشغيله فى اواخر ١٩٦٣ وبداية ١٩٦٤ .

ومنذ بدايتها احيطت منشأة ديمونة النووية بالسرية التامة ، حتى لقد قيل ان اعضاء الكنيست لم يسمح لهم بزيارة بعض اقسامها .

وقد ساعدت اسرائيل فرنسا على الاستقلال عن المظلة النووية للولايات المتحدة ، فى مقابل مساعدتها لاسرائيل بتزويدها « بالماء الثقيل » ، حصلت من هذه الاخيرة على تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية التى تم استحداثها فى الولايات

المتحدة . وكانت الولايات المتحدة قد حظرت بيع حاسبات الكترونية معينة لفرنسا حتى لا تستخدمها فى صنع قنابل ذرية . وكذلك حصلت فرنسا من اسرائيل على سر استخلاص اليورانيوم من المعادن الخام .

وهكذا اسهم التعاون النووى بين فرنسا واسرائيل فى تمكن كل منهما من الحصول على القدرة على انتاج الاسلحة النووية ، الامر الذى اثار حفيظة الامريكان ، وجعلهم يطالبون اسرائيل رسميا بأن توضح نواياها النووية ، وفى عام ١٩٦٠ ارسلت امريكا طائرتى تجسس من طراز «يو٢» لالتقاط صور لمركز ديمونة الذى كان فى طور الانشاء . وبذل الاسرائيليون جهودا جلية للتظاهر بأن المنشأة الملتقطة فى الصور هى مصنع للنسيج . ولكن بن جوريون اعترف فى النهاية فى اواخر عام ١٩٦٠ لاول مرة بانشاء مفاعل نووى فرنسى للبحوث . ووعد بالسماح بزيارات امريكية للتفتيش على مفاعل ديمونة على الا يتم ذلك فورا ، مكررا زعمه انه انما اقيم لاغراض سلمية ..

ويقرر الدكتور الناشف ان من الدول التى تعاونت مع اسرائيل فى برنامجها لانتاج الاسلحة النووية جنوب افريقيا وتايوان . وهما « دولتان » ذواتا وضع خاص شبيه باسرائيل . فكما تغتصب اسرائيل جزءا من ارض العرب تقيم عليه دولتها ، تقوم دولة جنوب افريقيا على اغتصاب جزء من الارض الافريقية تقيم عليه دولة معادية لسائر الافارقة ، وكذلك تايوان التى تقيم على تلك الجزيرة الصينية دولة متمردة على النظام السائد فى جمهورية الصين الشعبية بأسرها ، ولا يخفى ان الصين بضخامتها وتعداد سكانها - تعتبر ازاء تلك الدولة فى وضع شبيه لم يزد عنه وضع العالم العربى والقارة الافريقية ، ازاء كل من اسرائيل وجنوب افريقيا . لذلك فكل من الدول الثلاث : اسرائيل وجنوب افريقيا وتايوان ، هى جزء صغير يعادى كيانا كبيرا نشأ بالرغم عنه ، وحاجتها الى الاسلحة النووية هى لتهديد هذا الكيان الكبير ، كى لا يفلح فى ردها الى « عصمته » ، ان صح التعبير !

● حالات التهديد

والسؤال الان ، بعد أن أصبح امتلاك اسرائيل للسلاح النووى امرا معروفا ومسلما به ، ففى اى الاحوال يمكن لها ان تستخدم هذه الاسلحة ؟

قبل الرد على هذا السؤال ينبغى الاشارة الى ان اسرائيل قد نقلت تحالفها الاستراتيجى من فرنسا الى الولايات المتحدة الامريكية ، التى تعرف تماما الان ان اسرائيل لديها اسلحة نووية ، ولعل الولايات المتحدة قد اصبحت راضية عن ذلك تماما بعد ان كانت تستنكره ايام التحالف الاسرائيلى الفرنسى ! ولعلها تعتبرها كما سبق ان كتبت فى عدد سبتمبر الماضى من الهلال - ورقة تستخدمها فى مساوماتها النووية مع القوة العظمى الثانية فى العالم وهى الاتحاد السوفييتى !

ولقد ناقش الدكتور الناشف فى مقاله احتمالات استخدام اسرائيل لاسلحتها النووية ويلخص ذلك قوله : ان احد الظروف التى من المؤكد ان تستعمل فيها اسرائيل اسلحة نووية هى حالة تعرض اسرائيل للهجوم ،

سواء بالمباغتة اولا ، من قبل طرف عربي واحد او اكثر ، ولا تكون قادرة فيها على صد الهجوم باستعمال الاسلحة التقليدية واذا قررت استعمال الاسلحة النووية فيمكن أن يكون هذا الاستعمال لهدف تكتيكي ـ وقف القوات العربية المتقدمة ـ او لتحقيق هدف استراتيجي ـ مثلا مهاجمة الاهداف الخلفية العربية ، والاختيار من هذين الخيارين يتوقف على عوامل مختلفة ، وخصوصا طبيعة المعركة الدائرة ، والهدف العسكرى للجيوش العربية ، وعدد الخسائر وسرعة وقوعها فى صفوف الاسرائيليين »

غير ان من اكثر ما يثير الاهتمام فيما كتبه الدكتور الناشف هو ما نقله عن مجلة تايم الامريكية عن القرار الاسرائيلى باستخدام السلاح النووى فى حرب اكتوبر ! تقول المجلة

« فى بداية حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. صد المصريون هجمات اسرائيلية اولى على طول قناة السويس مسببين اصابات كثيرة ، وكانت القوات الاسرائيلية تنهار فى وجه هجوم الدبابات السورية الواسع النطاق . فى الساعة ٢٢ يوم ٨ اكتوبر ، اخبر القائد الاسرائيلى على الجبهة الشمالية اللواء يتسحاق حوفى رئيسه : « اننى لست متأكدا من اننا نستطيع ان نصمد وقتا اطول بكثير » ، وبعد منتصف الليل حذر وزير الامن موشى ديان رئيسة الحكومة جولدا مائير تحذيرا جادا « هذه هى نهاية الهيكل الثالث » . وعلى ذلك اعطت السيدة مائير ديان ترخيصا بتشغيل اسلحة « يوم الحساب » الاسرائيلية (لعل الترجمة الادق هى « يوم القيامة » !)، وبعد تركيب كل قنبلة نقلت بسرعة الى وحدات القوة الجوية المنتظرة . بيد انه قبل القيام بأى اطلاق،تحولت المعركة على الجبهتين فى صالح اسرائيل » .

ولكن الشيء الذى لم تناقشه تايم ولا الدكتور الناشف هو : اذا كان فى استطاعة اسرائيل استخدام القنبلة النووية على منطقة بعيدة عنها نسبيا من البلدان العربية ، فهل تستطيع استخدامها فى منطقة الشام التى تقع الدولة الصهيونية على جزء منه مجاور لبقيتها اشد الجوار ، دون ان تضع فى اعتبارها اخطار الغبار النووى على مواطنيها من الصهاينة ؟

ان الحرب الشعبية فى منطقة الشام من اجل استرداد حقوق الشعب الفلسطينى قد تكون اشد فعالية من الحروب النظامية ، وتكون الاسلحة النووية غير صالحة لوقفها ، ولعل الضراوة التى تعاقب بها الدولة الصهيونية مخيمات الفلسطينيين فى لبنان ، ردا على اعمال الفدائيين ، واخرها الغارات الاخيرة على مخيمات عين الحلوة والمية ميه فى منطقة صيدا دليلا على ذلك . وعلى كل لا يزال عرب الشام اكثر عددا ممن جلبتهم الصهيونية من يهود العالم لبسط سيطرتها على تلك المنطقة ، ونضالهم من اجل استرداد الحقوق العربية ، بمختلف اشكال المؤازرة من جانب مجموع الامة العربية،هو الذى سوف يحسم الصراع التاريخى فى المنطقة ، شريطة ان تكون صفوفهم اكثر تنظيما واقل انقساما فى مواجهة العدو التاريخى ، وذلك بدوره بحث اخر ، يخرج عن حدود البحث عن احتمالات التهديد النووى من جانب الصهيونية !

زائر

شعر: جيلي عبد الرحمن



كيف اشرقت علينا وتراب القبر في اللحية
عطر المسبحة
وحفيف الاجنحة . ضوؤها .. في مقلتينا
لم تكن في جيبك الخاوي . . جوازات سفر
وعلى المعطف ثقب ، وخيوط ومطر !
مثلما خلفتني . . مازال قيدي في يديا
كافرا بالمنبر العالي . . ومسك الاضرحة !
هذه اللحظة . اومن بالعظم المسجى
في جراح الارض نيليا . . اريجي النخيل
وبباب الغار للابتسام . . . . جرعات ،
وملجا
وآذان الفجر . . يصغى الطير للصوت الجليل
وعلى وجهك . نور الفاتحة!
وحملت الطير . . . آيات ، وشمرا ملحدا
ومحيطا من عقيق ، وبريق ، وصدى
اوقفوني: اين يا انت الهوية؟
وانا . . يا سيدى في قبرك الغالي .. ضحية
آجهش التائه : ظلف الغاب من فوق الهدى
راية الاجداد .. داستها الخيول . . الجامحة !
انت اقبلت . . اذن فحنانيك الهوينا
وطب الرأس بريق الروح.
رفرفت . . علينا وتراب الافق . .
كالاحراش . . يعمينا فاينا ؟
صولجان النصر ــ يارباه ــ دم المذبحة !

ميلينا ميركورى

رسالة أثينا

وكفاح امرأة من أجل الحرية

بقلم : أحمد أبو كف

ورغم أنها الآن تعدت الستين ، فهى لا تعترف بذلك وتؤكد انها فى ربيع عمرها . وحقا فإن ميلينا ميركورى بقوامها السامق تحس أن فيها مسحة من ربيع العمر ، رغم أن الزمن لا يرحم الإنسان فقد بدأ الشيب يزحف على شعرها الكستنائى ، وبدأت العروق تنفر فى يدها ، وتجدد أو ترمز إلى حقيقة السنين .

حياتها لكل من قرأها وعرفها هى مجموعة من الملاحم والمآسى ، بل والكوميديات التى تشبه مآسى وكوميديات اليونان القديمة . تزوجت أكثر من مرة ، إلى أن استقرت على زوج يناسبها ، تعبت كثيرا فى البحث عنه ، هو المزج اليسارى الامريكى الأصل جول داسين ، وتعيش معه تحت سقف واحد ، وهو من وقف بجانبها أيام محنتها ، بل فى أحلك لحظات حياتها .. وهى قد وقفت جانبه من يوم زواجهما وحتى الآن ..

علاقة ميلينا ميركورى بالرجال ذات طبيعة خاصة ، وربما هى ـ كما قال لى يونانى مصرى فى اثينا ـ أنها فى فترة من عمرها لم تفرق بين الزواج وغير الزواج ، فعلت المستحيل من أجل مستقبلها .. ثم فعلت نفس الشىء من أجل بلدها لكى يتحرر من الطغمة العسكرية التى استولت عليه عام ١٩٦٧ .. ولم تتركه سوى عام ١٩٧٤ .

•••

هى .. دائما مشغولة ، مشغولة لشوشتها ، لا تعرف متى تعطيك جانبا من وقتها .. حتى تتصور أنها من حوريات اثينا اللاتى لا تستطيع أن تمسك بهن . لكنها فى الحقيقة مواطنة يونانية من بنات ميناء بيريه ، ذلك الميناء الذى أنشأه "بركليس" .. وما أدراك ما هذا السياسى والخطيب اليونانى القديم .. الذى كانت تهتز لخطبه أعمدة الاكروبول .. أعظم أثر

عيب أن نذكر على الملأ سنوات عمر سيدة من بنات حواء . فما بالك لو كانت حواء هذه شخصية عامة وعالمية ، ونجمة سينما لها بصمات وسياسية ووزيرة لبلد عريق الحضارة فى الماضى ، ثم هى مناضلة ، حملت رأسها على كفها ، وجعلت ساحة كفاحها العالم من أجل تحرير بلدها ، ولصدقها فقد رحب بها مفكرو العالم التقدميون ، وعلى رأسهم المفكر الفرنسى الكبير جان بول سارتر .

ميلينا ميركورى



مادى يونانى ، على قلة الآثار المادية فى اليونان .

فى ميلينا ميركورى شبه من حوريات جبل الأوليمب ، وفيها رقتهم وشموخهم . حياتها - كما ذكرنا - أسطورة جرت فى بلاد أفروديت وفى خارجها ، ومع ذلك فهى تعشق المرح أو تحب دائما أن تعيش دائما كما عاش اليونان حين كانوا يحتفلون بعيد آله المرح والشراب ديونيسوس .

فيها أيضا من البحارة .. وكأنها من رعايا "نبتون" آله البحر عند أجدادها اليونان القدامى . وهى تعشق السباحة والابحار وانما إلى عوالم جديدة ، قلوعها مشرعة ، مثل العصفور لا يهدأ على غصن ، أو هى مثل طائر النورس الذى كثيرا ما يشاهد بحذاء شواطىء اليونان الطويلة .. لكنها الآن حطت على مرفأ السياسة . أصبحت وزيرة للفنون والحضارة فى اليونان .. وهى بدورها تتعامل مع هذا المنصب

السياسى بحساسية الفنان .. أو العكس كذلك هو الصحيح .

● ميلينا وجان بول سارتر

منذ عدة سنوات وبعد موت المفكر الوجودى الفرنسى جان بول سارتر ، كتبت رفيقته سيمون دى بوفوار كتابا اسمته «مهرجان الوداع» .. أو «حفل الوداع» la Ceremonie de Adieux . تحدثت فيه عبر جمل مبعثرة عن الأيام الأخيرة لسارتر ، وعن علاقته بميلينا ميركورى . كانت ميلينا كما قالت تعشق وتقدر سارتر لسببين : أولهما لمكانته الادبية العالية والعالمية ، ولفكره المتشعب والشامل وثقافته الواسعة . والسبب الثانى : أن سارتر تبنى كفاحها من اجل تحرير بلادها من الطغمة العسكرية التى استولت على السلطة فيه

يبدو أن ميلينا قد تعرفت بسارتر فى نهاية الستينيات أو بداية السبعينيات ، وهو أيضا قد رحب بالتعرف عليها ، لأنه كان مهتما بقضية الديمقراطية فى اليونان

وكانت ميلينا قد قرأت بعض فكر سارتر واعجبت به ، فطلبت منه أن يساعدها على تحرير بلادها .

والعلاقة بين ميلينا وسارتر .. قد تكون اثارت غيرة سيمون دى بوفوار – فالمرأة هى المرأة ولو كانت مثقفة بزاد الارض الثقافى . بل ان سيمون – كما يقال – حاولت ابعاد ميلينا عن طريق سارتر بحجة انه مريض . لكن سارتر اعترف لرفيقة حياته ، وهذا الاعتراف سجلته سيمون دى بوفوار – فى كتابها ، اعترف بقوله «أنا مع ميلينا أشعر وكأننى فى الخامسة والسبعين» .. وربما هذا ما دفع ميلينا إلى أن تتمادى فى علاقتها مع سارتر من ناحية ، وما دفع سيمون دى بوفوار إلى أن تنفر منها أو هى لا تستريح اليها من ناحية أخرى .

ومن بعض ما كتبت سيمون دى بوفوار فى كتابها «حفل الوداع» : انها وسارتر كثيرا مازارا اثينا ، وكثيرا ما كانت ميلينا تصحبه إلى مقهى يجتمع فيه المثقفون اليونانيون – بعد تحرر اليونان من حكم الطغمة – فمثلا فى اغسطس عام ١٩٧٤ وكان سارتر قد احتفل بعيد ميلاده السبعين ، قد سافر مع سيمون دى بوفوار إلى اليونان ، زارا الجزائر أولا . ثم ذهبا إلى اثينا واستمرا فيها عشرة ايام ، وصعدا الاكروبول ، وكان يتعشى مع ميلينا ، التى كانت تلتقى به كل مساء ، بينما هو يقضى النهار مع سيمون دى بوفوار .

وتذكر سيمون دى بوفوار فى كتابها أن ميلينا كانت دائما تزور باريس ، وكان سارتر دائما يحب ان يراها فى بيته . لكن سيمون دى بوفوار تقول ، إن سارتر اعترف لها عام ١٩٧٦ أن ميلينا ميركورى "جوفاء" .. لكنه لم يبغضها قط !!

ولقد زار سارتر ميلينا ميركورى أيضا فى اليونان عام ١٩٧٤ حينما كان يحتفل بعيد ميلاده السبعين أما ميلينا فكانت حينما تزور باريس تتناول معه الغداء فى المطعم البرازيلى الشهير . ومرة ذهب معها للغداء ، فخذلته ساقاه ، ورغم ذلك قال لسيمون دى بوفوار : أنه يعود شبابا فى صحبتها» .. ومن هذا يبدو أن ميلينا كانت تعرف كيف تتعامل مع الرجال .

وتذكر سيمون دى بوفوار ، أن صديقها سارتر كانت له نزوات وتقلبات فى أواخر ايامه .. حتى أنه لم يعد يريد أن تأتى ميلينا لرؤيته كلما زارت فرنسا . وقال إنها

مهتمة بنفسها اكثر من اللازم ، ولكنها لا تثير الاهتمام !! . واضاف «انه لم يعد فيها ما يجذبني» ..

وتؤكد سيمون دى بوفوار ـ والعهدة عليها ـ أن سارتر أسر إلى ميلينا مرة ، وقال لها «انا أحمل لك قدرا كبيرا من العاطفة ، ولكنني لم أحبك قط» .. وبكت ميلينا وقتها ، ونشرت رسالة غرام لها إلى سارتر فى الصحف اليونانية .

كان سارتر على علاقة قوية بالمقاومة اليونانية أيام حكم الجنرالات ، وكان يكتب المقالات ضدها ، وكان دائم القراءة للكتب التى كتبت عن المقاومة فى اليونان . ولا شك أن ميلينا استغلت علاقتها بسارتر ايما استغلال ـ كما تقول سيمون دى بوفوار ـ سواء لنفسها هى أو لبلادها التى كانت ترزح تحت حكم الجنرالات حتى تحررت منهم .

● الغيرة طبيعة إنسانية

اعتقد ، ويعتقد الكثيرون أننى اطلت التمهيد للدخول الى عالم ميلينا ميركورى ، الشاسع الثرى .. والذى أردت به أن اثير اهتمامها لكى تتكلم . بمعنى أننى حاولت أن أضرب عصفورين بحجر ، أن أذكرها بسارتر وفترة من حياتها من جهة ، وفى نفس الوقت اذكرها بأيام الكفاح التى تريد دائما ـ حسب طبيعة البشر ـ أن تستعيدها وتخوض فى بحارها .

لكنها .. فاجأتنى بقولها : إن العلاقة مع سارتر ، والحديث عن صديقته سيمون دى بوفوار يحتاجان إلى حديث طويل . فلا أحد عاشرهما أكثر منى ! وقالت : لقد تابعت ما كتبته سيمون دى بوفوار وأصدقاء كثيرون نبهونى إلى ما ذكرت فى كتابها . واعتقد أن الغيرة طبيعة انسانية ، كما اعتقد أن سارتر بشهادة الشهود كان يهش ويسعد كلما شاهدنى ، وكان دائما يحب الحوار معى ، وكنت أنا أبادله نفس الشعور كمفكر ، لأنه حتى فى أيامه الأخيرة التى اشتد عليه المرض فيها ، كان ذهنه متوقدا وحاضرا دائما .

وتتوقف ميلينا لحظات لتقول : لا أشعر أننى أعرف الغيرة مع انى امرأة . لكننى أعرف كيف اسعى إلى التفوق . وهذا الشعور لم يراودنى حينما التقيت بسيمون دى بوفوار . واعترف أن شعور الغيرة راودنى بحق عندما شاهدت الممثلة الكبيرة إيرين باباس فى فيلم «اليكترا» . وشعور الغيرة أيضا راودنى عندما مثلت مع جينا لولو برجيدا فى فيلم «القانون» . لم نستلطف بعضنا بعضا أثناء التصوير ، وحينما عرض الفيلم وجدت أنها قدمت دورها أفضل منى .

●● قلت لها : لماذا انضممت إلى حزب "الباسوك" مع انك من اسرة ، بحكم طبيعتها ووضعها الاجتماعى ، كان من الطبيعى أن تنضمى إلى حزب الديمقراطية المعارض الآن فى اليونان ؟

ـ قالت ميلينا ميركورى : ان حزب باسوك هو حزب الحركة الاشتراكية الهيلينية ، وهذا الحزب اقرب إلى طبيعتى كفنانة وكسياسية ، وإلى طموحاتى القومية وأهدافى من العمل بالسياسة .

● ماذا فعلت ضدك حكومة الجنرالات ؟

ـ قالت : تعرضت للكثير من السلطات العسكرية فى اليونان . لقد سحبوا جنسيتى ، وصادروا أملاكى وأملاك عائلتى ، وحاولوا اغتيالى . ولولا ان مهندسى الصوت ـ فى إحدى المرات ـ

اكتشفوا في الميكروفون الذي سأخطب فيه جهاز تفجير ، لانفجر في وجهي ، بينما أنا كنت على وشك الحديث في اجتماع جماهيري بمدينة جنوا الايطالية ، وكنت أطالب فيه بانتصار الديمقراطية في بلدي اليونان .

● **سألت ميلينا : لماذا اخترت « ولدت يونانية » عنوانا لكتابك الوحيد ؟**

ـ قالت : هذا العنوان فرض نفسه عليّ ، بعد أن سحبت مني حكومة الجنرالات جنسيتي .

في هذا الكتاب تحدثت ميلينا ميركوري عن تأثرها بجدها الذي كان نموذجا لانسان اليونان الطيب المرح ، الضعيف في مواجهة النساء ، والقوي في مواجهة الخصوم .

وقد ظل جدها ٣٠ عاما محافظا لاثينا ، ورئيسا لبلديتها .

في الكتاب أيضا ـ وهي جذور ميلينا ميركوري ـ أن والد ميلينا كان وطنيا غيورا ، عاشقا لبلده . وانتهى به هذا العشق إلى العمل بالسياسة ، وأخيرا تولى منصب الوزير أكثر من مرة ، ثم نفي خارج اليونان ليموت مغتربا .. وجاء موته بينما كانت ابنته ميلينا تعاني الغربة والقهر خارج وطنها ..

● **سألتها : هل انت بالطبيعة مهتمة بالسياسة فانت سياسية اخطات طريقها إلى الفن ؟**

ـ قالت : الفن سياسة ، والفن مهد لي الطريق لأن أمارس السياسة علنا ، ولأن يذهب صوتي الى كل ربوع الأرض . بمعنى أني سياسية عن طريق الفن ، أو قل أنا فنانة شققت طريقي عبر السياسة .

● **يقال إنك بدأت بالمسرح أولا ، اصابك ميكروبه ، وبسببه هبت عليك لعنات العائلة .**

ـ تقول : المسرح عشقته منذ طفولتي ، بل إنني تحديت عائلتي كي أمثل أو أصعد على خشبة المسرح . تعرضت في البداية لتوبيخ أمي ، وضربني أخي بيروس . لكنني وجدت تشجيعا من الممثل اليوناني جورجيوس الذي علمني كيف أتثقف مسرحيا ، وكيف أقرأ وكيف أستوعب ، بل كيف أعبر وانطق الكلمات . وقرأ على مسامعي شعر رامبو ، وفيرلين ، وأبوللينير . كنت في هذه الفترة في الرابعة عشرة من عمري ، وشاهدت لأول مرة ميلودراما اسمها «الحداة» وقد أحببت جورجيوس . وفي نفس الوقت بلغ من حبي للمسرح أن كنت اتسول ثمن التذكرة من الطرقات .

وعلاقتي بالمسرح بدأت حينما كنت في العاشرة من عمري ، عندما ارتديت ملابس أمي ودخلت أحد المقاهي المنتشرة في جزيرة بيروس ، ثم بدأت أرقص . لكنني لم أفق إلا على صفعة قوية أنهالت بها والدتي على وجهي وسط جميع الزبائن . على أنني لم أهتم بما حدث سوى شيء واحد هو تصفيق الزبائن اعجابا بي . ومنذ ذلك الوقت الحت عليّ رغبة واحدة هي تسلية الجماهير بلا مقابل سوى التصفيق !!

●● **هل نجحت في المسرح بعد ذلك ؟**

ـ قالت : نجحت قبل أن أبلغ العشرين من عمري ، في نهاية سنوات الحرب العالمية الثانية . وكانت بطولتي الأولى في المسرح ، في واحدة من أعمال برناردشو بعنوان «البطل والعسكري» .



سيمون دي بوفوار



جان بول سارتر

● لكن ما هي أشهر مسرحياتك التي حققت نجاحا ؟

ـ قالت : «عصفور الشباب» وهي من تأليف الكاتب الامريكي تينسي ويليامز وقد مثلتها على مسارح باريس . هذا بالاضافة الى مسرحية «آليا حبيبتي» التي مثلتها على مسارح برودواي في نيويورك .

● كيف شققت مشوارك المسرحي ، وقد كان طريقا كله عقبات ؟

قالت : كوّنت في البداية فرقة مسرحية مع جورجيوس ، مثلنا مسرحية بعنوان «طريق الحرية» وفشلنا فيها فشلا ذريعا ووقتها قال النقاد عني : «إنها شباب جدا ، وشقراء جدا ، وبلا موهبة» ، وقالوا أيضا : هناك ممثلات ناشئات اكثر موهبة وفي حاجة للعمل .. وقالوا أيضا : لماذا لا تبقى الميركوري في المجتمع الذي يليق بها .. !!

● لكنك تمسكت بالمسرح رغم كل شيء

ـ قالت : بالفعل ، لقد ناضلت من أجله . عملت أولا في مسرح كاترين ، وكانت مدام كاترين ممثلة يونانية قديرة ، مديرة لمسرحها . وقد مثلت معها مسرحية «الحزن يناسبه الكثير» ليوجين أونيل . ووصلت إلى أن أصبحت نجمة الفرقة الكبيرة بلا منازع ، وقد حققت المسرحية نجاحا كبيرا ، كما حققت نجاحا كبيرا أيضا في مسرحية أخرى لبرناردشو وهي «البطل والعسكري» .

وتضيف ميلينا : لقد فكرت وقتها في تكوين فرقة مسرحية . جمعت حولي ذخيرة الشباب الواعد ، وبدأت الافتتاح بمسرحية لكوستاس بلا ماش عميد شعراء اليونان المحدثين ، ولكن المسرحية فشلت .

● ماذا استفدت من النجاح والفشل في المسرح ؟

ـ قالت : الفنانة لا تعترف بالنجاح أو بالفشل إنما عليها دائما أن تسعى لكي تكتشف الصورة المحددة للشخصية التي تحبها ، ثم تدرس أغوارها ، وبعدها يأتي كل شيء .

● أحسب انك تريدين ان توضحي شيئا عن المسرح ، ما هو ؟

تقول : لقد تتلمذت أيضا على روندريس مدير المسرح القومى اليونانى وقتها ، وكدت انتحر وقتها بعد مجموعة من المحاولات الفاشلة . ثم انضممت فترة لفرقة المسرح القومى ، ومثلت مسرحية «عربة اسمها اللذة» ونجحت فيها . وقد تجولت مع الفرقة فى انحاء اليونان لمدة ٧ سنوات عرفنى فيهاالناس .. وكان عملى فى الفرقة القومية هو بمثابة اعتراف بموهبتى وبطاقة مرور إلى عالم النجاح .

مـازال الحـديث حـول المسـرح مستمرا ..

قالت ميلينا ميركورى : لقد مثلت على خشبة المسرح اليونانى ، كما مثلت فى باريس حيث تعرفت على مارسيل بانيول ، وجان كوكتو ، وسارتر ، وساشا جترى . وفى باريس لجدت التمثيل فى مسرحية «لاشارء ، أو هكذا قالوا لى .

● وماذا عن فترة المنفى ؟ ..

ـ قالت : فى فترة المنفى تعرفت على الكثيرين من نجوم الفكر والثقافة والفن ، ومنهم الروائى الأمريكى جون شتاينبك مؤلف رواية «ثم غاب القمر» . كما تعرفت على جين فوندا ، وتابعت نشاطها ضد حرب فيتنام ، وعرفت الفنانة فانيسا رود جريف التى تساند حركات التحرر وتقف مع الحق الفلسطينى .

● عالم السينما الرحب

من المسرح ننتقل مع ميلينا ميركورى الى عالم السينما ..

● أقول : ماذا عن السينما ، حيث جعلتك نجمة شهيرة ؟

قالت : أول دور مثلته فى السينما كان شخصية أمرأة تغنى فى الكهوف على نغمات البوزوكى .. وهذا فن شعبى قديم معروف فى اليونان .

لكن أول أفلامى السينمائية كان فيلم «ستيلا» من اخراج كاكو نيس أشهر مخرجى اليونان ، وكان هذا فى عام ١٩٥٤ ، وقد تقاضيت فيه مبلغ ٢٠٠ دولار ، وكان دورى أمرأة متحررة تعارض فكرة الزواج ، لكنها فجأة تحب رجلا يعرض عليها الزواج . فالزواج فى رأيها موت لحريتها . وستيلا بطلة الفيلم امرأة مرحة ، كلها حياة ، كلاجيا فخورة بجسدها وحريتها ، وهى تحب حقيقة لكنها ترفض الزواج ومباركة المجتمع له .

● ماهى أشهر افلامك !

ـ تقول : فيدرا الآثمة ، والبيانو الآلى ، وأبدا الاحد ، والمنتصرون .

● ومن اشهر المخرجين الذين عملت معهم ؟

ـ تقول : كوكايانيس الذى أخرج «ستيلا» . وجول داسين المناضل الأمريكى الذى هرب فى الخمسينيات من امريكا بفعل حملة المكارثيه ليستقر فى أوربا . وقد تزوجنا وعشنا ولا نزال نعيش أحلى الأيام ، وهو الذى أخرج لى فيلم «أبدا الاحد» .

● « سألت المخرج الايطالى الشهير ماورو بولونينى عنك ، فقال انك نجمة كبيرة وانك مازلت فى عصمة جول داسين . وقال انك دعوتيه لحضور مهرجان سالونيك السينمائى باعتبارك الداعية له ، والسؤال هو : قبل داسين من هم ازواجك ؟

ـ قالت : تزوجت فى فترة الاحلام الضابط البحرى الوسيم سبيروس ، ثم

افترقنا ثم تزوجت «بان» فى جزيرة سباستاى ، بعد أن انفصل عن زوجته الراقصة فى علب الليل وكنت قد تزوجت جورجيوس المسرحى ، وسافرت معه إلى باريس ، وافترقنا . وآخر أزواجى هو جولى .. أى جول داسين !

● لكن كيف تعرفت على المخرج الكبير جول داسين ؟

ـ قالت : تعرفت عليه فى مهرجان كان ، وقدمه لى ميشيل آشار بعد عرض فيلم ستيلا . ولاشك أن داسين هو رائد الواقعية فى السينما الأمريكية ، وكان اسمه وقتئذ فى القائمة السوداء لاتهامه ظلما بعدائه لأمريكا . وكان وقتها يفكر فى اخراج فيلم مأخوذ عن رواية كرنتزاكيس ، وهذا الفيلم ، هو « إعادة صلب المسيح » . وقد عرض الفيلم بعنوان «هو الذى يجب أن يموت» . وجولى داسين طلق زوجته وتزوجنى بعد علاقة بيننا استمرت سبعة أشهر بدون زواج .

ولك أن تعرف أنه فى ربيع عام ١٩٥٧ ذهبت للمرة الثانية إلى مهرجان كان مع فيلم « هو الذى يجب أن يموت » . وكان رئيس هيئة التحكيم جان كوكتو .. وقد مثل الفيلم فرنسا فى المهرجان .

● نعود إلى فيلم ستيلا .. البعض يرى أن بطلته ستيلا .هى ميركورى فى بداية حياتها .

ـ تقول : ربما فيها الكثير من ملامحى وتضيف : لقد نجحت فى ستيلا على أية حال ، وصعد معى نجم المخرج كوكا يانيس ، وصار مخرجا عالميا ، ونال فيلمه «اليكترا» مع الممثلة ايرين باباس اعجاب العالم . ثم تبعه فيلم "زوربا" عن قصة نيكوس كازنتزاكيس ، وموسيقى ثيودوراكيس ، وحقق ، زوربا انتشارا وانتصارا عالميين .

● وماذا عن الجوائز ؟

ـ تقول : فى البداية .. عرض فيلم ستيلا فى مهرجان كان عام ١٩٤٥ .. لكنه لم ينل الجوائز . وبعدها بوقت قصير تعرفت على جول داسين ، وأخرج لى فيلم «هو الذى يجب أن يموت» ولم ينل الجائزة أيضا . لكن فى عام ١٩٥٧ ذهبت بالفيلم لمهرجان كان ، وكان رئيس لجنة التحكيم جان كوكتو . وقد حصل الفيلم على عدة جوائز ، ولم ينجح تجاريا .

● وماذا عن فيلم «ابدا الأحد» اشهر فيلم لك ، والذى حصلت فيه على جائزة احسن ممثلة ؟!

ـ تقول : هذا الفيلم الذى أخرجه جولى «تقصد جول داسين» كان اسمه «المومس السعيدة» ، ولكن اسمه تغير ، وهو يعرض لقصة رجل أمريكى يحاول فرض آرائه على الآخرين ، ثم يقابل امرأة يونانية «ميلينا» .

وقد قام ببطولة الفيلم جول داسين نفسه لأنه لم يكن لديه مال ليأتى بالممثل جاك ليمون . وفى هذا الفيلم قمت بدور أليا ، وصرت لكل مومسات الأرض «الخرزة الزرقاء» التى تجلب لهن الحظ السعيد . وقد وصلتنى خطابات كثيرة من كل مكان فى أوربا من مومسات يشكرننى على العظمة التى أديت بها مهنتهن !!

● ما الفرق بين دورك فى ستيلا ، وبين دورك فى «ابدا الأحد» ؟

ـ فى ستيلا كنت نموذجا للمرأة ذات السمعة السيئة ، ونجحت فى تجسيد

مأساتها . ولكن مع «أليا» فى «أبدا الأحد» صرت كما ذكرت من قبل .

● وماذا عن «فيدرا» ؟

ـ فيدرا أصلا تراجيديا يونانية . وقد تم تصوير الفيلم فى جزيرة «هيدرا» وقد حقق الفيلم نجاحا كبيرا فى البلاد الكاثوليكية .. بينما خانه الحظ فى بلاد البروتستانت .

● هل يأتى على الفنان وقت يرى فيه أنه ادى واجبه وعليه أن يتوقف ؟

ـ قالت : فى عام ١٩٦٦ كنت قد مثلت عددا لا بأس به من الأفلام . وعملت مع مخرجين كبار بينهم فيتوريو دى سيكا . وقد مرضت فى هذه الفترة وأثناء مرضى أحسست أن الزمن يجرى بى وأن السينما تتطلب الشباب وكان فى نيتى بالطبع الا أتشبث بها حتى آخر لحظة ، إنما سأنسحب فى الوقت المناسب ، وهذا الشعور انتابنى حينما بدأت أمثل دور الكسندرا ديل لاجو فى رواية «عصفور الشباب الجميل» المقتبسة عن مسرحية تينسى وليامز . والكسندرا هى شخصية نجمة سينمائية تسير نحو الشيخوخة ، وتمر بفترة انطفاء بريقها والكاميرات تثير الرعب فى نفسها .. وبهذا فقد صممت أنه قبل مضى ٦ أو ٧ سنوات لابد أن أعتزل السينما ، وأنشأت فرقة مسرحية فى أثينا .. لكى أمهد لذلك .

وتضيف ميلينا ميركورى : فى هذه الفترة بالذات كنت فى قمة شهرتى وازدهارى لدرجة أنه بعد نجاح «ابدا الأحد» ألح علينا أنا وداسين منتج أمريكى لتحويل نفس القصة إلى مسرحية استعراضية يخرجها داسين بعد أن عفوا عنه فى امريكا . و أقوم أنا بنفس الدور .



راسين .. مؤلف مسرحية فيدرا

وتعرض على مسارح نيويورك .. وبالفعل وافق داسين على ذلك .

وهذه المسرحية كانت بعنوان «اليا حبيبى» وقد حققت نجاحا كبيرا واستمر عرضها أكثر من عام ، لدرجة أنهم فى اليونان تحدثوا عن الانتصارات الفنية التى حققتها بنت اليونان داخل امريكا . ووصفت الصحف اليونانية الانتصارات وقالت بالنص :

«إن اطفال بيريه ذهبوا إلى برودواى ، وصاروا آلهة هناك» .

وتضيف : فى امريكا اتيح لى أن اتعرف جيدا على ادوار إلبى ، وشتاينبك ، وتينسى وليامز وغيرهم من الكتاب الكبار .

حلمت بالمستقبل المشرق

● إلى هنا واقول لميلينا ميركورى : متى سحبوا جنسيتك ؟

ـ تقول : لقد مضت الحياة جميلة فى نيويورك ، وكنت أحلم بمستقبل مضىء ،

وعندما عرفت بأحداث اليونان وقيام حكومة الجنرالات فى ٢١ ابريل ١٩٦٧ ، وفى نفس الوقت جاءنى خبر وفاة والدى فى لندن .

وبينما أنا فى نيويورك أرقص وأغنى فى مسرحية «أليا حبيبتى» إذ بمكالمة تليفونية تلقيتها صباح ١٢ يونيو ١٩٦٧ من أحد الصحفيين البريطانيين ، يقول لى : «مدام ميركورى ، لقد أعلن وزير الداخلية اليونانى أنك تعملين ضد مصلحة وطنك ، وقرر وضع الحراسة على ممتلكاتك ، وستفقدين الجنسية اليونانية» .

واضاف الصحفى : لقد اعلن وزير الداخلية تجريدك من جنسيتك اليونانية . وسألنى الصحفى بعد ذلك : ما رأيك ؟ . فقلت له : «لقد ولدت يونانية وسأموت يونانية» ..

● **هذا هو عنوان كتابك الذى كتبتيه فيما بعد .**

ـ قالت : بالفعل .. وهذا ما دفعنى إلى كتابته

● **وكيف ناضلت ضد الجنرالات ؟**

ـ لقد قدت كثيرا من المسيرات السياسية ضد الدكتاتورية . ففى امريكا كانت الاحاديث فى التليفزيون الامريكى ، والتظاهرات أمام البيت الأبيض تطالب باقصاء حكم الجنرالات .. واكثرت من الاحاديث والاجتماعات والخطب فى عواصم اوربا ، فى لندن وباريس وروما وقد تعرضت للكثير من المضايقات لكن الشرفاء والكتاب المناضلين كلهم وقفوا بجانب الشعب اليونانى حتى استرد حريته . لقد حاولوا اغتيالى فى اكثر من مكان .. وانا اقف بين الناس اطالب بانتصار الديمقراطية فى مواجهة الحكم العسكرى .

● ● ●

● **ما دورك الآن كوزيرة للثقافة والحضارة ؟**

ـ أولا إن دورى كفنانة لا يزال مستمرا .. الفنانة عليها اكتشاف الصورة المحددة للشخصية التى تحبها ، وأنا اعشق الثقافة والفن . ولهذا فأنا أعمل فى حقل التنمية الثقافية وينبغى أن ننطلق من المفهوم الهلليني .. أى الحفاظ على المواريث الثقافية اليونانية العريقة ثم الانطلاق الى آفاق العصر .

● **هل هذا ماجعلك تتحدين بريطانيا لاسترداد الآثار اليونانية الثمينة التى استولت عليها ، وهى بعض رخام الاكروبوليس ؟**

ـ سأظل اطالب بتراث بلادى المنهوب الى أن يعود الى مكانه .

● **وماذا عن تمثال هيليوس اله الشمس فى رودس القديمة والذى أعلن عن اكتشافه اخيرا ؟**

ـ تمثال رودس كان فعلا من عجائب الدنيا ، ويقال إن طوله كان ٣٠ مترا ، وانه اختفى خلال زلزال حدث فى عام ٢٢٥ قبل الميلاد وبعد انتشال إحدى الرافعات لكتلة حجرية كان يعتقد أنها جزء من التمثال اتضح أنها ليست جزءا من التمثال ، بل هى كتلة حجرية .. بعدما فحصها علماء الآثار .. وذهبت بنفسى والقيت نظرة عليها .

● **لكن الكتلة كما جاءت فى الصورة تشبه قدم تمثال كبير .**

ـ هى كذلك لكنها كتلة حجرية عمرها فى قاع البحر لا يتعدى السنتين أو ثلاثا كما أكد ذلك الخبراء والمتخصصون .

سر الوجود
وأسرار الغيب عند الفراعنة

بقلم : د. سيد كريم

يواصل د . سيد كريم فى هذا المقال حديثه عن كتاب الموتى ، الذى تناول أسرار التوحيد عند الفراعنة . وهو من أهم الكتب فى هذا المجال .

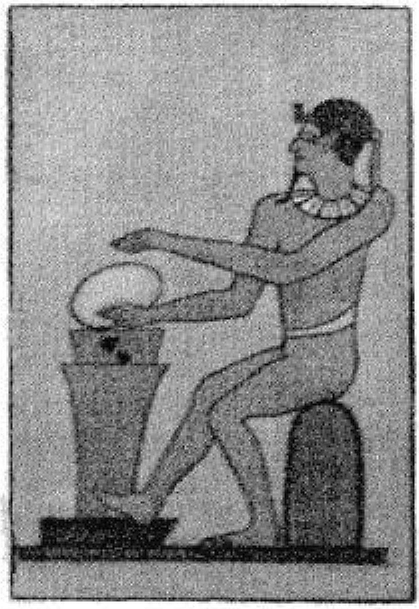
● إن محاولة البحث عن سر الوجود وكشف أسرار عالم الغيب او ما وراء الحياة وعلاقة الجسد بالروح والروح بالخالق .. كانت الحلقة التى تدور حولها جميع الأديان وما نزل بخصوصها من كتب سماوية حددت العلاقات الإنسانية عن فلسفة الحساب ومفهوم البعث والجنة والنار وعلاقة المخلوق بالخالق .

وكل ماورد بشان تلك الأديان وماحوته كتبها السماوية من تفاسير وتشاريع ومعتقدات وتصورات وجدت مفصلة فى « كتاب الموتى » الذى يعتبره كثير من المؤرخين وعلماء الأديان ـ أول كتاب سماوى عرفته البشرية ـ خاصة أن أقدم آثاره ترجع إلى ماقبل شروق فجر الحضارة نفسها ونادى بأول دعوة للتوحيد ضمت جميع عناصر الايمان من موت وحياة وبعث وقضاء وقدر ومحكمة الميزان فى عالم الخلود بما فيه من سماوات وجنات وجحيم .

يرجع تاريخ أول كتاب للموتى الذى يطلق عليه رسالة اوزوريس الى عام ٩٥٠٠ ق . م كما ورد فى وثائق الكاهن والمؤرخ المصرى القديم « مانيتون » ونسب نزوله الى عصر ملوك الشمس وقد تعرض كتاب الموتى أو رسالة التوحيد الى الاندثار اكثر من مرة فى مختلف العصور الفرعونية وحمل عوده نزول الرسالة اكثر من رسول من بينهم نعرمر (الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى) الذى وحد القطرين بتوحيد العقيدة . ثم ايمحوتب توحيد عصر الأهرامات وحمل آخر رسالات التوحيد اخناتون الذى خرج بعده موسى بالتوراة من مصر وتكرر نزول الرسالة على عدة مراحل حتى ختمت بالقرآن الكريم آخر الرسالات .

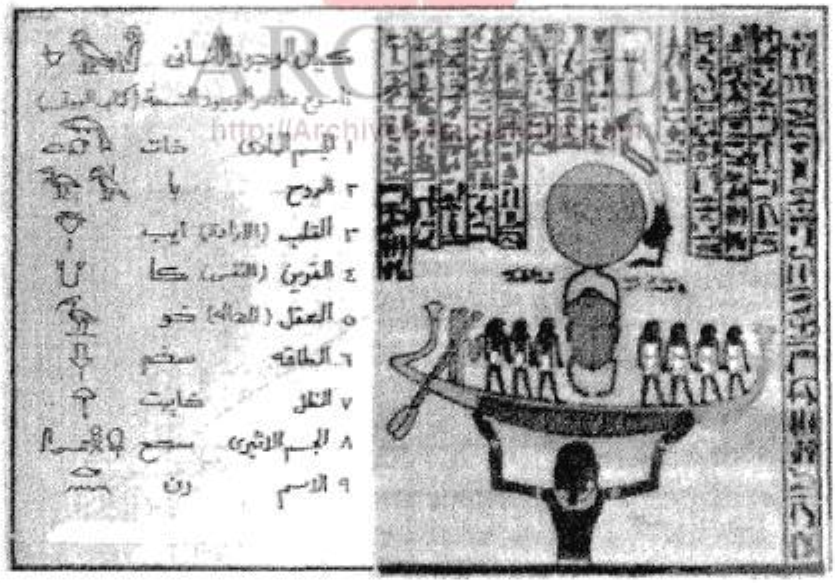
لقد ردوا الكون إلى عناصر تكوينه الأساسية والقوى العظمى المتحكمة فيه ووصفوا نشأته بقولهم :

« كان فى البدء محيطا أزليا من الماء اطلقوا عليه اسم « نون » لا حياة فيه ولا حركة ويغمره الظلام الابدى . فخرج من ذلك المحيط الأزلى اللانهائى اله خالق ـ اوجد نفسه بنفسه خلق ولم يخلق ـ اطلقوا عليه اسم « اتوم » اى الكامل المتناهى الذى لاتدركه الابصار .



الاله بتاح . إله الخلق والتكوين القديم يكون الأرض على شكل بيضة « خلق الحياة من الجمال »

كيان الوجود الإنسانى .. تاسوع عناصر الوجود التسعة (كتاب الموتى) .



سر الوجود
وأسرار الغيب عند الفراعنة

اشرق بنوره فغمر الكون كله وبأنفاسه سارت الحركة الدائمة ».

خلق الكون فى ستة ايام . فمن أنفاسه خلق ملائكة العرش الثمانية (ارباب التكوين أو عناصر الكون الطبيعية) ففى اليوم الأول انجب شو (رب الفضاء والهواء) وتفنوت (ربة الرطوبة والماء) وبتزاوجهما انجبا فى اليوم الثانى نوت (ربة السماء) وجب (رب الأرض) وفى الأيام الأربعة التالية انجبا بتزاوجهما اوزير (رب الخصب) وايزت (ربة الخير والبركة) ونفتيس (ربة الاقوات) وبتاح (رب التشكيل والتكوين) وفى بعض النصوص ورد اسم ست (رب الشر والغرائز) بدلا من بتاح .

وفى اليوم السابع استراح الاله الخالق على عرشه فوق المحيط الازلى وكلف ملائكة العرش الثمانية بحمل عرشه الى ابد الأبدين .

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام ثم استوى إلى السماء » (فصلت ٩ ، ١٠ ، ١١)

« والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » (الحاقة ١٧)

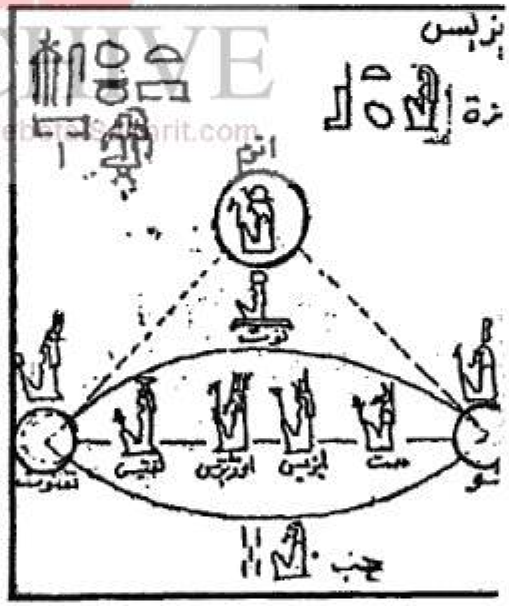
« وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء » (هود ٧)

إن نظرية خلق السماوات والأرض فى ستة ايام التى وصفتها رسالات التوحيد المصرية القديمة فى « كتاب الموتى » ، والتى ورد ذكرها وتفاصيلها فى أكثر من اية من أيات القرآن الكريم ، وجدت لها تصورا مماثلا فى جميع الرسالات السماوية التى خرج بها رسلها وأنبياؤها من مصر كالزبور والتوراة والانجيل ورسائل داود والمزامير .

فتصف التوراة خلق السماوات والأرض فى ستة أيام فى « الاصحاح الأول من سفر التكوين » بقولها :

« فى البدء خلق الله السموات

- تاسوع عين شمس . إله الخلق الواحد والملائكة الثمانية التى تحمل العرش و « يحمل عرش ربك يومئذ ثمانية » سورة الحاقة .



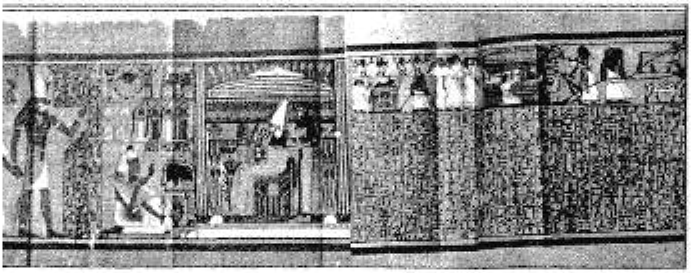


- طلبة المعبد وهم يتلقون الدرس الديني وينسخون كتاب الموتى .

والأرض فقال ليكن نور . ودعا الله النور نهارا والظلمة ليلا وفصل بينهما فكان صباح اليوم الأول . ودعا بفصل الماء واليابسة وأرسى الأركان فكان صباح اليوم الثاني . وقال لتنبت الأرض عشبا ونباتا وشجرا فكان صباح اليوم الثالث . وقال لتكن أنوار تفصل الليل والنهار فكانت قبة السماء وكواكبها فكان صباح اليوم الرابع . وقال لتسبح الكائنات في البحر والطير في السماء والحيوانات في الأرض . والزواحف في بطنها فكان صباح اليوم الخامس . وقال نعمل الانسان على صورتنا ذكرا وانثى فكان صباح اليوم السادس . وفرغ الإله من عمله في اليوم السابع واستراح على عرشه وبارك اليوم السابع وقدسه . »

● لقد وصف أحد علماء الأديان نظرية الخلق ووحدانية الإله في كتاب « ضمير الحضارات ونشأة المعتقدات » بقوله أن عقيدة التوحيد المصرية التي دونت وسجلت في أكثر من كتاب مما أطلق عليه اسم « كتاب الموتى » والذي يرجع تاريخه الى عدة عهود وعصور تاريخية متباعدة والتي لاتختلف في مضمونها وتصورها والدعوة التي تحملها عن أول كتاب أو رسالة للتوحيد (رسالة اوزوريس) التي ظهرت مع فجر الانسانية وقبل الحضارة المصرية نفسها بآلاف السنين والتي ورد ذكرها في قوائم الكاهن الأكبر والمؤرخ المصري القديم « مانيتون » بنزولها في عصر ملوك أبناء الشمس الذين حكموا قبل عهد الأسرات بأربعة آلاف سنة أي حوالي عام ٩٥٠٠ قبل الميلاد .

فرسالة الخلق في عقيدة التوحيد المصرية كما يصفها « ضمير الحضارات » كان فيها الرد المقنع والقاطع على طوائف الملحدين



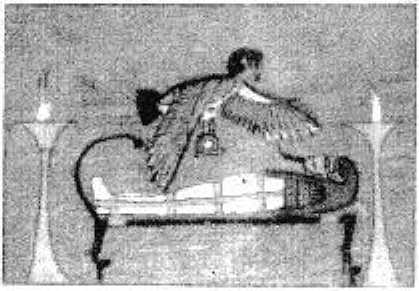
والمشككين في الكتب السماوية بالإجابة على سؤالهم التقليدي .. « إذا كان الإله الواحد هو الذي خلق الكون والمخلوقات وحده .. فمن الذي خلق الإله نفسه ؟

إذا استعرضنا نصوص برديات الخلق التي وردت في مقدمة كتاب الموتى التي يعود تاريخها إلى مختلف العصور ابتداء من رسالة أوزوريس إلى أخناتون نجد أنها تشترك جميعا في التصور والمضمون كما تشترك الكتب جميعها في أركان الإيمان من حياة وموت وبعث وحساب ومحاكمة الآخرة والجنة والنار وعالم الخلود كما

▲ - صورة من النسخة الأصلية لكتاب الموتى بألوانها الطبيعية المحفوظة بالمتحف البريطاني وهي بردية واحدة طولها ٢٥ مترا . وعرضها ٤٠ سم مدونة بالشكل المقدس (الخط الهيروغليفي) وتظهر بها رحلة العالم الآخر .



➤ - الكا - القرين الروحي (النفس) ورمز لها بذراعين وبين الشفافة تحدهما تعبر عن الحواس الخمسة الظاهرة والأخرى من الباطنة



➤ - الروح وصفها المصريون القدماء على شكل طائر يخرج من عنق الجسد وصبغوا أجنحته باللون الأخضر الذي يعبر عن البعث

سر الوجود
وأسرار الغيب عند الفراعنة

تشابهت جميعها فى وصف الاله الخالق فوصفته احدى برديات معبد اون بقولها :

● اتوم – انت الاله الأوحد يارب الأرباب – يامن خلقت نفسك بنفسك . ومن أنفاسك خلقت الكون كله ، انت الاول فليس قبلك شيء . وانت الآخر فليس بعدك شيء . وانت الظاهر فليس فوقك شيء . وانت الباطن فليس دونك شيء .

وفى احدى برديات تحوت بهريوبوليس :

● إله واحد خلق نفسه بنفسه ومن أنفاسه خلق الكون والكائنات ، فى البداية كانت الكلمة والكلمة مصدرها الاله . فالاله خلق الكون بالكلمة ، قالها لكل شيء ، فكان كل شيء ، خلق الكائنات بنطق اسمائها .

وفى رسائل اخناتون برديات العمارنة :

● الله وحده لا شريك له – إله احد ليس بجانبه شأن لاحد – هو الاب وهو الام وليس له ولد – سوى نفسه بنفسه ولم يكن بجواره أحد . نعمة لاتحصى تفوق حبات الرمال التى تكون الصحراء التى تمتد لتعانق الأفق على جانبى نهر الحياة . وتفوق قطرات الماء التى تكون البحار اللانهائية التى تعانق السماء .

وفى كتاب امى :

● إله واحد خلق نفسه بنفسه ومن أنفاسه خلق ملائكة العرش الثمانية ، خرج من المحيط الأزلى ليضيء بنوره الظلام الأبدى – خلق ولم يخلق عرشه فى السماء وظله فى الأرض .

وفى احدى برديات معبد إيزيس (كتاب ختيا) ٥٠٠ ق.م

● إله واحد . هو كل شيء كان . وكل شيء كائن . وكل شيء سيكون محالا على من يفنى أن يزيل النقاب عن سر من لايفنى انه الكل بغير ولادة أو نهاية بموت .

هو فوق كل المحسوسات – لم يلد ولم يولد ولم يحط بسر كيانه أحد . هو المحيط بكل شيء علما – عرشه فى السماء وظله فى الأرض يشمل نوره كل شيء فى السماء وكل كائن فى الأرض .

منه كل شيء وله كل شيء .

وهناك العديد من برديات الدعاء من مختلف العصور التى تملأ المقابر والتى تحمل نفس النصوص التى وردت فى كتب التوحيد كما نقش بعضها على جدران المقابر وأغطية التوابيت وزينت بعضها بالرسوم والصور التى تعبر عن البعث وخروج الأرواح من المقابر وانتقالها الى محكمة الآخرة وعالم الخلود .

فكتب التوحيد التى اطلق عليها خطأ اسم كتب الموتى لوجود بعض نصوصها او اجزاء منها فى المقابر والتى نزلت على عدة مراحل طوال فسحة من الزمن تمتد لأكثر من عشرة آلاف سنة بدءا من رسالة أوزوريس التى نزلت فى عصر ملوك الشمس الى رسالة اخناتون الذى نادى بالتوحيد والتى سبقت التوراة ببضع مئات من السنين . وتضم رسالات التوحيد المصرية القديمة جميع أركان الايمان بالخالق التى وردت فيما بعد فى مختلف الكتب السماوية بدءا بالايمان والمناداة بوحدانية الاله الخالق الى الايمان بالحياة والموت والبعث والحساب والجنة والنار وعالم الخلود كما تضمنت الرسالات

التشاريع التى نادت بها الكتب السماوية لتنظيم حياة المجتمع .

فمما لاشك فيه أن تلك الرسالات إذا قورن مستواها الأدبى والعلمي والفنى وقت نزولها مع فجر الانسانية وجاهلية البشرية . وما حملته من تخطيط وتشاريع لحياة المجتمعات . وتكرار نزولها كلما تعرضت للانحراف والانحلال ودورها الفعال فى بناء الانسان المصرى ، وبناء حضارته الخالدة ، وهو ما وصفت به مصر بأنها مهد الحضارات ومهبط الأديان وهو مايؤكد أن تلك الرسالات ومضمونها السامي ليست من وضع البشر وان من قاموا بحملها يمكن وصفهم بالرسل وهو ما يتفق مع قوله تعالى فى القرآن الكريم :

● « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » (النساء ١٦٤ ، ١٦٥)

● « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . وما كان لرسول ان ياتي باية إلا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق » (المؤمن)

● خلق الأرض ونشأة الحياة

يصف كتاب الموتى خلق الأرض بعد السماوات بقوله إلا الاله الخالق أمر المعبود بتاح رسول التكوين وأحد ملائكة العرش الثمانية بتكوين الأرض من التراب بعد تحويله الى صلصال يخلط بماء الحياة حتى يسهل تشكيلها وأمره ان تكون على شكل البيضة ثم نفخ فيها من روحه فدبت



- صورة اوزير قاضى محكمة الاخرة مرسومة بداخل غطاء التابوت كتعبير عن الشهادة والايمان بالبعث واليوم الاخر .



- اجنحة الملائكة . خلق الله الملائكة اجنحة يتنقلون في ملكوت السماء وجعلهم درجات وطبقات منهم من يحمل جناحين ومنهم من يحمل ثلاثة واربعة واكثر . وملك الملائكة يطير بعدد لايحصى من الاجنحة . الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير . سورة فاطر .



- يحرس ابواب الجنة تسعة عشر ملكا - ويحرس ابواب الجحيم تسعة عشر حارسا

فيها الحياة وصورت برديات معبد منف المعبود بتاح وهو جالس على رحى التكوين وهو يشكل الأرض على شكل البيضة ، لذا فقد اتخذ المصريون القدماء البيضة رمزا للحياة واحتفلوا بها فى عيد الربيع عيد بعث الحياة فى الأرض .

ومما هو جدير بالذكر ان بيضاوية الأرض وصفها كتاب الموتى وانفرد القرآن الكريم بين الكتب السماوية الأخرى بتحديد شكلها البيضاوى كما اثبتت الدراسات الفلكية بعد ان قامت المراصد العالمية بتصويرها عبر الأقمار الصناعية وحسابات ابعادها بالكمبيوتر ان الأرض بيضاوية الشكل وليست كروية حيث تزيد المسافة بين قطبها الشمالى ومركز الأرض ببضعة مئات من الأميال على المسافة بين المركز وقطبها الجنوبى .

● خلق البشر من الطين والصلصال

وتصف برديات الخلق خلق البشر بأن الاله أمر المعبود بتاح ملاك التكوين بأن يخلق الانسان من طين الأرض « طا » التى خرج منها على أن يجمعه من زوايا الأرض وأركانها الأربعة - من طينها الأسود والأحمر والأصفر والأبيض ويعجنه بمياه الحياة الأربعة . ماء السماء (الامطار) والمياه التى تجرى على سطحها (الأنهار) والمياه التى تخرج من باطنها (العيون والآبار) ومياه المحيط الازلى (البحار المالحة) حتى يتحول الطين الى صلصال (نسى) يسهل تشكيله .

فمن الطين اتخذ البشر أشكالهم وألوانهم ومن الماء طباعهم وصفاتهم وأخلاقهم . فمنهم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ومنهم الجميل والقبيح والطيب والخبيث فاختلفت ألوانهم الظاهرة وتباينت طباعهم الباطنة .

وصفت أساطير الخلق الصلصال الذى يشكل منه البشر - وكلمة صلصال فى اللغة المصرية القديمة كناية عن الرنين أو الصلصلة فى اللغة العربية - وهو الصوت الذى يسمع إذا ماطرق الصلصال أو نفخ فيه . وينطق الجماد عندما ينفخ فيه الاله الروح .

● « الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله فى سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه » (السجدة)

● « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »

(الحجر)

● خلق الانسان وكيان الوجود الانسانى

وقد اطلقت برديات العقيدة على اسطورة خلق الانسان اسم تاسوع كيان الوجود الانسانى - تشبها بتاسوع الخلق أى الاله الخالق وملائكة العرش الثمانية .

فكيان الوجود الانسانى تعلو قمته الروح « با » صورة الاله ويتكون هيكله من عناصر التكوين الثمانية وهى :

الجسم المادى (خت) والجسم الاثيرى (سعح) النفس او القرين (كا) والقلب او الارادة (ايب) الطاقة والحيوية (سخم) الظل او الواسطة (خابت) العقل أو الهاله (خو) الاسم (رن) .

وعبروا عن علاقة تلك العناصر ببعضها ودورها في حياة الانسان وكيان وجوده بصورة الهرم المدرج المكون من ثلاث طبقات الطبقة العليا المتعلقة بالسماء (نوت) تمثل الروح « با » ويمثلها القلب والطاقة والعقل والضمير . والطبقة الوسطى النفس « كا » وتمثلها الحواس الخمس الظاهرة (السمع والبصر والشم واللمس والتذوق) والحواس الباطنة (الغرائز والانفعالات والارادة) والطبقة السفلى المرتبطة بالارض الجسد (جت) أما العناصر الأخرى التى تربط الطبقات الثلاث ببعضها فهى الـ « خا » التى تربط الروح بالسماء وتقودها بعد مفارقة الجسد في رحلة الصعود والظل (خابت) واسطة الاتصال والحركة المتبادلة بين الروح والنفس بينما الطاقة أو القوى الحيوية (سخم) هى الخيوط التى تربط النفس بالجسد فالروح (با) هى التى تحمل رسالة القدر المكتوب للانسان ولذا فهى مسيرة والنفس (كا) هى التى تسيطر على الحواس الظاهرة والباطنة وتركت لها حرية الخيار فيما تعمل وتختار بين الخير والشر والحق والباطل وبين ماتخطه تشاريع القدر وماتمليه تصاريف النفس ولذا فالنفس مخيرة .

والجسد (جت) هو الجهاز المادى او اداة التنفيذ وتبعا لمحصلة الصراع بين الروح والنفس فهو طيب أو خبيث .

فالروح تصعد ـ والنفس تحاسب ـ والجسد يفنى .

وصف الروح والنفس

ولما كانت حروف الكتابة فى اللغة الهيروغليفية وتركيب كلماتها تعبر نقوشها ورسومها عن منطوق المعنى الذى تؤدية فقد رمز للنفس « كا » بذراعين مرفوعتين الى السماء ، اطلق عليهما ذراعى الشهادة ـ كانت ترسم مفصلة فى برديات الدعاء . أو توضع فوق رءوس التماثيل تعبيرا عن الشهادة كما تعبر أصابع كف الذراع الأيمن عن الحواس الخمس الظاهرة وأصابع الكف الأيسر عن الحواس الباطنة كما تعمل اليدان فى نفس الوقت على درء الشر وصد الحسد كما ان رفع الذراعين واليدين الى السماء فى الدعاء يعنى الدعاء بجميع حواس الانسان الظاهر منها والباطن .

النفس والروح بين القضاء والقدر

ما من مشكلة أخذت جدلا من خلال العصور كلها منذ نزول الرسالات والكتب السماوية مثل مشكلة القضاء والقدر .

فالقضاء والقدر من صلب الأديان والعقائد جميعها فهى تعبر عن مشيئة الاله وقدرته ويحاول الكثير من المفسرين أن ينسبوا إلى القدر أخطاء البشر بقولهم ان الانسان مسير ولكل أجل كتاب لايحيد عنه . واذا كان الانسان مسيرا بالقدر أى

لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا . فلماذا الحساب ؟ فالقدر فى مفهوم رسالة التوحيد هو النظام المحكم الذى وضعه الاله الأعظم الخالق للوجود ، والقوانين العامة التى ربط بها الاله قدر الأشياء وحدد التشاريع التى ربط الاله الأسباب بمسبباتها فحلل الأشياء بأسبابها وحرم الأشياء بمسبباتها عندما وضع امام النفس حرية الخيار فيما تفعل أو لاتفعل وترك محاسبتها للقضاء .

وتنص عقيدة التوحيد ان الاله ميز الانسان عن بقية المخلوقات بالعقل والضمير ويعبر عنهما بالنفس قرين الروح . فالمخلوقات مسيرة بالقدر المكتوب الذى تحمله الروح اما الانسان فيوهب الحياة بالروح والقرين اى النفس معا ـ فاعطت النفس للانسان حرية العمل والاختيار بين العمل بوحى القدر الذى تحمل الروح الواحة او بأمر النفس التى تسيرها الغرائز والحواس .

« ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد وخاب من دساها » (الشمس)

فالروح تصعد ـ والنفس تحاسب ـ والجسد يفنى فتلك العلاقة الهرمية أو هرم الوجود الانسانى هى التى تحدد علاقة كل من القضاء والقدر بالمصير ودور كل من الروح والنفس فى محكمة الآخرة أو محكمة الميزان كما تصفها كتب الموتى .

تصف بعض النصوص حساب النفس بقولها « يضع الاله ميزان النفس فى (قلب) المؤمن فى حياته ـ ليزن اعماله ويحاسب نفسه حتى لاتلهيه النفس بمغريات الأرض عما هو مسطور فى كتاب القدر أو تعاليم السماء . حتى يخفف من أحماله التى ستصحبه الى ميزان الآخرة ويطهر نفسه بدفع ثمن خطاياه فى حياته .

يصف القضاء ـ أى حساب النفس ـ أكثر من بردية من برديات العقيدة بأن الحساب لن يكون بأكمله فى محكمة الآخرة بعد البعث . بل انه فى كثير من الاحوال يساير الحياة الأولى نفسها (حياة التجربة) لتطهير النفس المؤمنة والتكفير عن ذنوبها التى يغفرها الاله .

يكون حسابها بالاصابة بالحوادث والأمراض أو غير ذلك مما يؤثر على النفس والجسد ولكن هذه المحاكمة الأرضية لاتطهر النفس تماما ولن تعفى صاحبها من الوقوف امام الميزان .

● « **يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا** »

(**آل عمران ٣٠**)

● « **ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا** »

(**الانبياء**)

وقد صورت برديات كتب الموتى القضاء والقدر فى أكثر من وضع وشكل تعبيرى من بينها « بردية شجرة الحياة » التى تصور المعبود تحوت أو هرمس يمد الحياة بيدين تحمل احداهما لوحة كتاب السماء (القدر) وتحمل الاخرى الميزان رمز الحساب أو (القضاء) .

أو برديات الايدى التى تحمل قرابين قدس الاقداس التى يتقدم فيها الانسان حاملا قدره فى يد وقضاءه فى اليد الأخرى .

تأملات

فى مظاهر تراجعنا الحضارى

بقلم: د. محمد عمارة

كثيرة هى الظواهر التى يستطيع الباحث فى « التخلف والتراجع » الذى اصاب حضارتنا العربية الإسلامية أن يرصدها، عندما يقارن حال هذه الحضارة وسماتها وقسماتها إبان ازدهارها وتألقها بحالها عندما دخلت طور التوقف عن الإبداع والخلق وأصيبت بالتخلف والتراجع والجمود ..

والبحث فى هذا الميدان ليس مجرد « تاريخ حضارى » بل هو من صميم « هموم النهضة » المرجوة لهذه الأمة، كى تخرجها من المأزق الذى تردت فيه .. فرصد عوامل الصحة والمرض الحضارية، هو السبيل إلى تمييز « الفجر الصادق » من « الفجر الكاذب » من بين المشاريع المختلفة والمتعارضة والمتناقضة التى يبشر بها فرقاء كثيرون، سبلا لإنهاض الأمة وانعتاقها من قيود الضعف والتخلف والجمود ! ..

وإذا كان انحراف الامة عن « النهج العقلانى » الذى تميزت به حضارتها العربية الاسلامية .. وهو النهج الذى بلغ من أصالته وتألقه الحد الذى جاء فيه « نقلها » ـ وهو القرآن الكريم ـ « معجزة ـ عقلية »، لم يأت « ليدهش العقل »، ويشل قدراته، ويذهب فعالياته ـ كما كان حال المعجزات السابقة للرسل السابقين على نبينا، عليه الصلاة والسلام ـ وإنما جاء هذا « النقل » ـ مع كونه « المعجزة » و « المعجز » ـ يحتكم الى « العقل »، الذى جعله « مناط التكليف »، وأداة « الراسخين » فى العلم إلى « فقه » ماوراء ظواهر النصوص، ورد

الآيات « المتشابهات » إلى « المحكمات » التى هى « أم الكتاب » ! ..

إذا كان انحراف الأمة وحضارتها عن هذا النهج العقلانى ، وسقوطها الذى وقف بها عند « النصوصية » ، التى تنكرت لأدوات العقل والعقلانية ، هو واحد من أبرز سمات التراجع الحضارى .. فإن هناك عديدا من السمات التى لا بد من رصدها ، كى يبرأ منها المشروع الحضارى ، الذى لابد من صياغته دليلا للتقدم الحضارى المأمول .... فمثلا :

● فيما يتعلق بالانحراف عن شريعة الأمة

فلقد تزامن الضمور الذى أصاب طاقات الابداع وملكات الاجتهاد ، عندما سادت فكرية « التيار النصوصى » ـ الذى ثنى بمحاربة « الأشعرية » ، بعد أن اضطهد « المعتزلة » ـ تزامن ذلك مع انحراف دولة العسكر المماليك عن شريعة الأمة ، وفقه معاملاتها ـ وهو قانونها الطبيعى ـ .. فبعد أن كانت « الشريعة » حاكمة ومهيمنة ولها المشروعية فى كل الميادين ، ابتدع المماليك الازدواجية القانونية والقضائية .. فأبقوا على الشريعة قانونا فى أمور الأسرة « والأحوال الشخصية » ، ومرجعا للقضاء بين العامة والجمهور ... أما فيما يتعلق بأمور « الدولة » أى « الدواوين السلطانية » ، و« المعسكر » أى الطبقة الحاكمة ، فإنهم قد استعاروا واستوردوا لقضائها وتنظيم شئونها والفصل فى منازعاتها القانون الذى كان سائدا فى المواطن الأصلية التى جلبوا منها ، والذى وضعه الخان الوثنى جنكزخان [٥٦٢ ـ ٦٢٤هـ ١١٦٧ ـ ١٢٢٧ م] فاقتحم القانون الأجنبى ، الغريب عن طبيعة الأمة على الشريعة حصنها وحماها ، تعبيرا عن غربة هذه السلطة عن حضارة الأمة ، وشاهدا على التحولات التى مثلت التراجع والتخلف لازدهارها الحضارى ..

ومؤرخ العصر المقريزى [٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ ١٣٦٥ ـ ١٤٤١م] يضع يدنا على ملابسات هذا التحول ، فيقول : « إن جنكزخان قرر قواعد وعقوبات أثبتها فى كتاب سماه « ياسة » .. جعله شريعة لقومه . فالتزموه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن ، فلما حكم الترك المماليك البلاد ، جمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد الى الردىء ، وفوضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية ، من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر فى الأقضية الشرعية .... واحتاجوا فى ذات أنفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان ، والاقتداء بحكم الياسة ، فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم .. على مقتضى الياسة ، وجعلوا اليه ، مع ذلك ، النظر فى قضايا الدواوين السلطانية .. »(١) ! ..

صحيح أن هؤلاء الترك المماليك قد أسلموا .. وبعبارة المقريزى : فهم « قد ربوا بدار الاسلام ، ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية » .. لكنهم قد وقفوا بالتدين عند « شكل » الاسلام ، لأنهم قد أصابوه فى اللب عندما طعنوه فى عقلانيته ، فضمرت طاقة الاجتهاد فى أمته .. ثم ثنوا بانتزاع جهاز الحكم وطبقات الحكام

ولاية الشريعة الاسلامية وسلطانها ، فاستننا ـ جزئيا ـ السنة السيئة التى مارسها الاستعمار الغربى الحديث فى ميدان التشريع والقضاء ؟! ..

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الهوة تتسع بين « القانون الاسلامى » ـ فقه المعاملات ـ وبين واقع المسلمين ... فضمور طاقات الاجتهاد قد تطور منحدرا الى ما عرف بـ « إغلاق باب الاجتهاد » .. وعزل القانون الاسلامى عن الهيمنة على جهاز الدولة وحكامها وجيشها قد اعجزه عن مجاراة الواقع ـ المتطور دائما ـ فجمدت الأحكام ، وتطور الواقع بعيدا عن سلطان هذه الأحكام .. وقنع فقهاء السلاطين بالتبرير لما حدث ويحدث .. وقنع فقهاء العامة بالتفصيل فى فقه العبادات .

وذلك هو السر وراء الغنى الزائد عن الحد فى « فقه العبادات » ، والفقر المخل فى « فقه المعاملات » .. فالأول قد استمر حيا متطورا ، لدواعى الممارسة والاستعمال .. اما الثانى فلقد جمد وتحجر ، عندما عزل عن ميدان الواقع ، فذبلت مباحثه ، واصابه جفاف شديد .. وغدونا ، عندما تلمسنا طريقنا الى اليقظة والنهضة ، ندرك أكثر فأكثر فداحة الخطب والجرم الذى صنعه بشريعتنا ـ وهى القانون الطبيعى للأمة ـ هؤلاء الترك المماليك ! .

وفيما يتعلق بالظلم الاقتصادى والاجتماعى للرعية

لقد أحرز المماليك اعظم الانتصارات على الجبهة العسكرية ، وكانوا فرسان الشرق المهرة فى ميادين القتال لعدة قرون .. ولولاهم لتغير وجه العالم والتاريخ .. فهم فى عين جالوت [٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠م] الذين انقذوا الشرق وحضارته من المصير الدامى والمرعب الذى لقيته بغداد على يد جحافل الهمج التتار [٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨م] وبسالتهم فى التصدى للغزوة الصليبية هى التى انقذت بلادنا من مصير المستعمرات الاستيطانية اللاتينية الذى خططت له الكنيسة الكاثوليكية الأوربية ، ومولت تنفيذه المدن التجارية الأوربية ، وانخرطت فى الجيوش لتحقيقه الجماهير الأوربية الغوغائية المتعصبة تحت قيادة فرسان الاقطاع الصليبيين ..

تلك صفحة ناصعة ـ على الجبهة الحربية ـ فى تاريخنا الاسلامى ـ لفرسان المماليك .

وبقدر ما كان هذا العمل عظيما ، كان الثمن الذى دفعته الأمة فى سبيله غاليا ، وفادحا ؟! ..

لقد كان الصليبيون إذا دخلوا بلدا من بلاد الاسلام ، وحولوا أرضه الى « إقطاع » لجنودهم وقادة هؤلاء الجنود .. كان ذلك « شريعة » من شرائع الفتح والاستعمار الاستيطانى الذى أقاموه فى بلادنا ... أما دول العسكر ـ من الغز والمماليك ـ فإنهم صنعوا شيئا قريبا من صنيع الصليبيين ـ فى هذا الميدان ـ فالبلاد التى دافعوا عنها وحموا حماها من الغزو الصليبى ، أو حرروها من احتلاله ، قد اقطعوا أرضها لجنودهم وقادة هؤلاء

الأجناد !! .. صحيح أنهم لم يجلوا الفلاحين عن أرضهم ، ولم يقتلوهم ـ كما كان يصنع الصليبيون ـ وإنما أنقذوا حياتهم .. ولكنهم حولوا هؤلاء الفلاحين الى « أقنان » فى نظام « الاقطاع الحربى » الذى طرأ على نظم استغلال الأرض الزراعية منذ ذلك التاريخ ..

يحدثنا المؤرخ ابو شامة [٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ ١٢٠٢ ـ ١٢٦٧م] فى أخبار [٥٦٤ هـ ١١٦٨م] عن خطط وتخطيط الصليبيين لتوزيع أرض مصر إقطاعا على جنودهم إذا هم انتصروا عليها فى الحملة التى تحركوا فيها لهذا الغرض فى ذلك العام .. ويقول : إن ملكهم أحضر « وزيره ، وأمره باقطاع بلاد مصر لخيالته ـ [فرسانه] ـ وفرق قراها على أجناده .. وكان ، لعنه الله ، لما دخل ديار مصر ، قد اقام من أصحابه من كتب له أسماء قراها وتعرف له خبر ارتفاعها ـ [دخلها] ـ .. » !(٢) .

لكن الصليبيين قد هزموا أمام جيش الغُز والترك الذى قاده أسد الدين شيركوه [٥٦٤ هـ ١١٦٩م] الذى اقطع بلاد مصر لجنوده .. كما يقول المؤرخ أبو شامة ، أيضا ؟ ! .. (٣) .

وصارت سنة من سنن دول العسكر ـ الغز والمماليك ـ تغير بها نظام استغلال الأرض الزراعية ، وتحول بها الفلاح الى « قن » ـ ليس عبدا حتى يباع ويسترق ـ وليس حرا ـ وإنما هو مربوط بالأرض ، التى اقطعت للجند كبعض من أدوات زراعتها ! ـ .. وعن هذه السنة السيئة ، التى مثلت المصدر الأول للبؤس الاجتماعى والظلم الاقتصادى ، ونكبت الشعب بالأوبئة والمجاعات ، يحدثنا المقريزى ـ مؤرخ العصر ـ فيقول : « ... واعلم انه لم يكن فى الدولة الفاطمية ، ولا فيما مضى قبلها من دول ، لعساكر البلاد إقطاعات ، بمعنى ما عليه الحال اليوم فى أجناد الدولة التركية ، وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء ـ [نظام الالتزام] ـ ولم يعرف ما يسمى اليوم بالفلاحة ، والذى يسمى فيه المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا [أى مربوطا بالأرض مقيدا اليها] ـ فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية ، إلا انه لا يباع ولا يعتق ، بل هو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك ؟! .. حدث ذلك عندما تغير الرسم ، وفرقت الأرض إقطاعات على الجند .. » (٤)

لقد أنقذ المماليك الأرض ، وحولوها الى إقطاع حربى لأجنادهم وأمرائهم ... واستمر هذا الاقطاع الحربى سنة متبعة فى استغلال الأرض الزراعية ـ وهى الثروة الأولى فى ذلك العصر ـ حتى رأينا « الروك الناصرى » [أى مسح الأرض ـ فك الزمام] الذى تم فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون [٦٨٤ ـ ٧٤١ هـ ١٢٨٥ ـ ١٣٤١م].

فى [٧١٦ هـ ١٣١٦ م] يقسم الأرض الى أربعة وعشرين قيراطا .. للسلطان ـ وهو مملوك ـ أربعة .. وللأجناد ـ وهم مماليك ـ عشرة .. وللدولة ـ وهى مملوكية ـ عشرة .. ولا شىء للفلاح ؟ ! .. (٥)

وكما أنقذوا الأرض من التتار والصليبيين ، فلقد انقذوا ما على هذه الأرض من فكر وحضارة ظلت تقام وتبث أشعة التقدم والاستنارة بكل الاتجاهات ... لكن الثمن كان غاليا ، والمهر كان فادحا ؟ ! فلقد أصيبت قسمة « العدل » ،

التى ميزت إسلامنا وحضارتنا ، بهذا الاقطاع الحربى فى الصميم ! ..

وفيما يتعلق بالعروبة الحضارية

كانت « عجمة الدولة والسلطة الحاكمة » فى دول العسكر المماليك ، وكذلك فى الدولة العثمانية ثغرة وحاجزا صنع المغايرة بين الحكام وجمهور الأمة فى اللغة ، التى هى فى حال لغتنا العربية اكثر من سبيل للتخاطب بين الناس .. فهى لغة القرآن والشريعة والسنة ، وقسمة من القسمات الثوابت فى حضارتنا العربية الاسلامية ..

ولقد أصابت العربية من تأثيرات التراجع الحضارى فى ظل دول العسكر المماليك امراض كثيرة .. فهى أداة الابداع ، تنمو بنموه ، ويصيبها الذبول عندما يلحقه الضمور .. فبعد الرقة والدقة والجزالة والاحاطة التى جعلت من العربية لغة الحضارة ، فى مختلف ميادينها وعلومها وفنونها ، النظرية والعملية .. أصابتها .. « الركاكة » ، وغرقت فى « الشكل » السطحى ـ سجعا ولعبا بالألفاظ ومحسنات لفظية ـ لأن هذا الشكل السطحى كان الوعاء المناسب للمضمون المتدنى لكثير من اهتمامات أدبائها فى ذلك الحين .. صحيح أن المماليك لم يحاربوا العربية ، ولم يتخذوا لهم لغة سواها .. لكن العجمة الغالبة عليهم ، والتردى الذى أصاب الحياة الفكرية والابداع العقلى أصاب الوعاء والاداة ـ العربية ـ كما أصاب المضامين والأغراض .. وفي أشعار ذلك العصر شواهد كثيرة على هذا الذى نقول ..

ولقد كانت محنة العربية فى ظل الدولة العثمانية أشد منها فى ظل دولة المماليك .. فلقد اضافوا الى أمراض الركاكة التى اصابتها حربا أعلنوها عليها ، عندما احتفظوا بمغايرتهم اللغوية للأمة العربية ، فاحتفظوا بلغتهم التركية ، رغم فقرها الشديد ، ورغم أنها مجرد خليط مستعار اغلبه من العربية والفارسية ـ فأصبحت التركية ـ لا العربية ـ لغة الدولة ودواوينها ، تجتذب الخاصة والعامة من راغبى الالتحاق بوظائف الدولة والاقتراب من السلطة ، وأصحاب الحاجات لدى دواوين الدولة وسلطاتها .. ولذلك ، فهى لم تنافس العربية فقط ، حتى فى الولايات العربية التى حكمها العثمانيون ، وإنما تعدى الأمر وتصاعد ـ فى ظل ما عرف بمحاولة الأتراك « تتريك العرب » ! . تعدى الأمر وتصاعد الى حد إزاحة التركية للعربية من مدارس المشرق العربي ، حتى غدا تعلم أبناء العرب للغتهم العربية فى المدارس مطلبا تناضل فى سبيله الأحزاب والجمعيات ، وقضية تناقش فى المؤتمرات ؟ !(٦)

صحيح أن من العثمانيين علماء تعربوا وبرعوا فى العربية .. وسلاطين ـ كمحمد الفاتح [٨٣٣ ـ ٨٨٦ هـ ١٤٣٠ ـ ١٤٨١ م] كان من رأيهم أن يتعرب الأتراك العثمانيون حتى يندمجوا فى « الأمة الأم » ـ الأمة العربية ـ فيتسلحوا بأدواتها الحضارية ، ويشرفوا بشرفها النابع من دورها الخاص فى حياة الاسلام .. لكن هذا التيار لم يكن الغالب ولا المؤثر

وهذا الرأى لم يقدر له الانتصار .. فظل الاتــراك العثمــانيــون علي عجمتهم ومغايرتهم العرب لغويا .. وقادتهم التطورات الى أن شنوا الحرب على العربية ، وتوهموا ـ بسفاهتهم ـ إمكانية تتـريك العـرب وتحـويلهم عن لغـة القرآن ؟ ! ...

لقد كانت مأساة تجسدت فى موقف الأتراك العثمانيين من العربية .. وعن هذه المأساة تحدث فأجاد جمال الـدين الأفغانى [١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م] عندما قال : « لقد أهمل الاتراك أمرا عظيما .. وهو اتخاذ اللسان العربى لسانا للدولة . ولو أن الدولة العثمانية اتخذت اللسان العربى لسانا رسميا ، وسعت لتعريب الاتراك ، لكانت فى أمنع قوة .. أنها لو تعربت لانتفت بين الامتين [العربية والتركية] ـ النعرة القومية ، وزال داعي النفور والانقسام ، وصاروا أمة عربية ، بكل ما فى اللسان من معنى ، وفى الدين الاسلامى من عدل ، وفى سيرة أفاضل العرب من اخلاق ، وفى مكارمهم من عادات ... كيف يعقل تتريك العرب ؟! .. وقد تبارت الاعاجم فى الاستعراب ، وتسابقت ؟ !! .. وكان اللسان العربى لغير المسلمين ، ولم يزل ، من أعز الجامعات واكبر المفاخر .. فالأمة العربية هى « عرب » قبل كل دين ومذهب .. (٧) »

لكن .. إذا كانت العربية قد أصابها ما أصابها من ركاكة وتوقف عن التطور وملاحقة الجديد فى الفكر ومصطلحات العلوم .. مثلها فى ذلك مثل الاعضاء التى تكف عن الحركة الحيوية فيصيبها الضعف والضمور .. فإن هذا الذى اصابها قد ظل فى نطاق الأعضاء ، وبعيدا عن القلب النابض بمصدر الحياة ! .. ذلك أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم ، وارتباط العروبة بالاسلام ، قد جعل من هذه القسمة هوية ثابتة وخصيصة لهذه الأمة تستعصى على الزوال ... فحيثما كان القرآن يتلى كانت العربية تحيا .. وعلى امتداد وطن الامة صمدت المؤسسات العريقة والمنارات الصامدة ـ من الأزهر .. إلى الزيتونة .. الى القرويين . الى الجامع الاموى .. الخ .. الخ ... احتضنت الشعلة ، وحافظت عليها ، فلم تستطع إطفاءها الرياح التى هبت فى ظل عسكرة الدولة وتأثيراتها السلبية على قسمات الحضارة العربية الاسلامية ..

تلك كانت أبرز أسباب تـراجعنا الحضارى .. وأهم مظاهر وظواهر هذا التراجع الذى أصاب حضارتنا العربية الاسلامية بالتوقف والجمود ..

★ ★ ★

ونحن إذا شئنا ، عند هذا الحد من هذا الحديث ، شهادة على صدق هذا الذى رأيناه ، فإن لدينا الكثير مما سطره ائمة اليقظة الاسلامية الحديثة فى هذا الموضوع .

● فالأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] يقول عن التاثيرات السلبية لدول العسكر المماليك على عقلانية حضارتنا وعروبتها : « .. كان الاسلام دينا عربيا ، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا ، بعد أن كان يونانيا ... حتى سيطر الترك والديلم وغيرهم .. ممن لم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الاسلام ، والقلب الذى هذبه الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون الوية الظلم فلبسوا ثوبه على ابدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم ، أما

العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة ، وحملوا كثيرا من أعوانهم على ان يندرجوا في سلك العلماء ، وان يتسربلوا بسرابيلهم ، ليعدوا من قبيلهم ، ثم يضعوا للعامة في الدين مايبغض اليهم العلم ، ويبعد نفوسهم عن طلبه ، ودخلوا عليهم ـ وهم اغرار ـ من باب التقوى وحماية الدين ، زعموا الدين ناقصا ليكملوه أو مريضا ليعللوه او متداعيا ليدعموه ، أو يكاد ينقض ليقيموه .

نظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه ، لكنهم نجحوا في اقناع العامة بان في ذلك تعظيم شعائره ، وتفخيم اوامره . والغوغاء عون الغاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة واركس (٨) الناس في الضلالة وقرروا ان المتاخر ليس له ان يقول بغير مايقول المتقدم ، وجعلوا ذلك عقيدة ، حتى تقف الفكر ، وتجمد العقول ، ثم بثوا اعوانهم في اطراف الممالك الاسلامية ، ينشرون من القصص والاخبار والآراء ما يقنع العامة بان لانظر لهم في الشئون العامة ، وان كل ما هو من امور الجماعة والدولة فهو ما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ، ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لايعنيه ، وان مايظهر من فساد الأعمال واختلال الأحوال ، ليس من صنع الحكام ، وانما هو تحقيق لما ورد في الأخبار من احوال اخر الزمان ، وانه لاحيلة في إصلاح حال ولا مال ، وان الاسلم تفويض ذلك الى الله ، وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الالفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك ، وفي الموضوعات والضعاف (٩) ما شد أزرهم في بث هذه الاوهام .

وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضللين ، وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف ، واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم وغلا للأيدى عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول الخرافات انما هو السذاجة ، وضعف البصيرة في الدين ، وموافقة الهوى ـ أمور اذا اجتمعت اهلكت ـ فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ، ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يتضارب واصول دينهم ويباينها على خط مستقيم .

هذه السياسة ـ سياسة الظلمة واهل الأثرة ـ هي التي روجت ما ادخل على الدين مما لايعرفه ، وسلبت من المسلم املا كان يخترق به اطباق السماوات ، واخلدت به الى يأس يجاور به العجماوات ! .

فجل ماتراه الان مما تسميه العامة اسلاما فهو ليس باسلام ، وانما حفظ من اعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ، ومن الأقوال قليلا منها حرفت عن معانيها ، ووصل

الناس ـ بما عرض لدينهم من البدع والخرافات ـ الى الجمود الذى ذكرته ، وعدوه دينا ، نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله وعلى دينه .... هناك استعجم الاسلام وانقلب عجميا (١٠) ؟! ..

هكذا صور الامام محمد عبده الانقلاب الحضارى الذى صنعه الترك المماليك ، وهو الانقلاب الذى جعل الاسلام « عجميا » ؟! ..

● والامام الشهيد الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م] هو الآخر يدلي بشهادته فى هذه القضية ، فيقول : « ان هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل الى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين ، وتوحدت الامم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ! . وقد جاء في الاثر : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » ! .. وقد تحقق هذا المعنى حين ذال سلطان العرب السياسى وانتقل الأمر من ايديهم الى ايدى غيرهم من الاعاجم والديلم ومن إليهم ... . فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه .... ومن هنا وجب على كل مسلم ان يعمل لاحياء الوحدة العربية وتاييدها ومناصرتها (١١) .. !

تلكم « شهادتان » .. ان كان الأمر لايزال بحاجة الى اثبات ، بعد هذا المعنى الذى قدمناه عن مظاهر التراجع والتخلف الذى اصاب حضارتنا العربية الاسلامية .. وهو حديث نرجو ان يكون التذكير به مما ينفع المؤمنين ؟!

مراجع :

(١) [الخطط] جـ ٣ ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ . طبعة القاهرة . دار التحرير .

(٢) [كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية] جـ ١ ص ٤٣٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م .

(٣) المصدر السابق . جـ ١ ص ٤٠٢ .

(٤) [الخطط] جـ ١ ص ١٥٧ ، ١٥٣ .

(٥) القلقشندى [صبح الأعشى] جـ ٣ ص ٤٣٢ . طبعة دار الكتب المصرية . ود . محمد عمارة [فجر اليقظة القومية] ص ١٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م .

(٦) انظر [وثائق المؤتمر العربي الأول] الذى عقد بباريس سنة ١٩١٣م ـ ص ١١٦ تقديم ودراسة د . وجيه كوثرانى . طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م .

(٧) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى] ص ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .

(٨) اى اعادهم الى حالتهم الأولى فى الضلالة قبل ان يهتدوا .

(٩) اى الأحاديث الموضوعة المكذوبة .. والضعيفة الإسناد .

(١٠) [الأعمال الكاملة للامام محمد عبده] جـ ٣ ص ٣١٧ ـ ٣١٩ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م .

(١١) رسالة المؤتمر الخامس] ص ٤٦ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م .

رسالة الجزائر

منتدى الفكر الإسلامي بالجزائر

الحياة الروحية في الإسلام

بقلم : د. سعيد اسماعيل علي

«ان الدنيا خلقت لكم، وانكم خلقتم للاخرة»

حديث شريف

لم يعرف الفكر البشري عالما اغنى واعمق من عالم الروح الفسيح ، فما من مجتمع الا وله فيه قناعاته الخاصة ، وما من حضارة الا ولها منه موقفها المتميز وان تفاوتت بعد ذلك هذه القناعات والمواقف ، تطرفا واعتدالا ، سذاجة وعمقا ، واختلفت الاسماء والصفات وتعددت المصطلحات ، من القوى الباطنية للانسان الى ملكوت النفس ، ومن الطاقة الغامضة الى عالم الروح ، وما الى ذلك مما يعج به تاريخ الفكر والفلسفة واللاهوت بصفة عامة ، ويزخر به التراث الاسلامي بصفة خاصة)) .

بمثل هذه الكلمات ، افتتح السيد بوعلام باقي عضو المكتب السياسي ووزير الشئون الدينية بالجمهورية الجزائرية ملتقى الفكر الاسلامي الواحد والعشرين في ولاية (معسكر) في الفترة من ١٩٨٧/٨/٢٦ - ١٩٨٧/٩/١ .

لكن : لماذا (الحياة الروحية) بالذات ، وفي هذا العصر ؟

ان كثيرا من المغيورين من اهل العلم والفكر ، يعتقدون ان الذي ينقصنا لكي نسعد ونرقى افرادا وجماعات ، انما هو التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يساعد مجتمعاتنا على ان تنمو وتتطور وتلحق بركب العالم المتحضر ، الذي حطم الذرة ، وغزا الفضاء ، وصنع الكومبيوتر ، واصبح على ابواب ثورة بيولوجية لا ندري ماذا تصنع بالانسان .

وهنا يقف الدكتور يوسف القرضاوي ليؤكد ان من حسن حظ المسلمين ان دينهم لا يضيق بالدعوة الى العلم والتقدم كما يتوهم الذين

لا يعرفون الاسلام » بل ويعتبر التقدم العلمي وما يثمره في الحياة من استخدامات تكنولوجية نافعة ـ تيسر على الانسان حياته وتوفر عليه جهده البدني والعقلي ـ عبادة بالنسبة للفرد المسلم ، يتقرب بمعرفتها واتقانها الى ربه ، كما يتقرب بالصلاة والصيام ، وهي ـ بالنسبة للمجتمع ـ فريضة كفائية ، يأثم المجتمع كله اذا لم يقم من ابنائه عدد كاف يسد كل الثغرات، ويلبي كل الحاجات التي يتطلبها المجتمع في كل مجـالاته المدنية والعسكرية .

ولكن الذى يؤكده القرضاوى هنا هو حاجة مجتمعاتنا ـ وكل المجتمعات البشرية ـ الى العلم والايمان جميعا . فالانسان جسم وروح ، وعقل وقلب، ولابد من رعايته ككل وامداده بما يغذى كل جوانبه وطاقاته ، مما ينبت من الارض ، ومما ينزل من السماء ، وهذا هو التوازن او التكامل الذى تميز به الاسلام .

ومما يؤكد توافق هذه الصيغة الاسلامية مع الفطرة البشرية ، توصل كثير من المفكرين اليها رغم عدم درايتهم بالاسلام ، فمن ذلك ما استشهد به (مولود قاسم) ، وهو من الزعماء الجزائريين البارزين ، من اقوال للفيلسوف الالماني الكبير (ايمانويل كانط) الذى اقام فلسفته النقدية فى نظرية المعرفة على هذا الجمع بين الروح والمادة ، بين العقل والاحساسات ، اى الماديات ، فقال فى مقدمة الطبعة الاولى من كتابه الشهير (نقد العقل الخالص)

critique of pure reason

« ان كل ادراك قائم على عنصرين اثنين ضروريين متكاملين ، اى لا يتم بدونهما . ولا معنى لاحدهما بدون الآخر : التصورات او المفاهيم او القوالب الذهنية ، والاحساسات .اى المدركات الحسية للحواس » الخمس من شم ولمس وبصر وسمع وذوق ، فالعنصر الاول ذهني ، عقلي روحي، وهي تلك الصور ، او المفاهيم ، او القوالب الذهنية ، والعنصر الثاني: مادى،حسي،جسمي ، هى الاحساسات التى تبلغنا اياها حواسنا الخمس ، فيقول كانط ان المحسوسات فقط بدون المفاهيم ، مادة عمياء ، بدون دليل ولا مرشد ، ولكن المفاهيم وحدها ، من جهتها بدون محسوسات ، خيالات فارغة جوفاء .. بدون محتوى .. بدون مضمون ..

أين المنهج العلمي

واذا كان هذا التوازن محل اتفاق كثيرين ، فقد كان من حق باحث مثل (عبد الحميد برزوينة) فى المركز التربوى المدرسي بمستغانم بالجزائر ان يعجب حين يلاحظ ان اكثر الدراسات الفكرية التى تسمى بـ (الانسانيات) قد اجهدت نفسها وضيعت الاموال ـ حسب رأيه والاوقات من اجل ان ترد الازمات والمشكلات والانواع جميعها الى الاسباب المادية والعوامل الاقتصادية والمؤثرات البيئية وحدها ، ناسية العوامل الحقيقية والاسباب الاصلية. والذى يعجب له باحثنا اكثر ، ان ينهج دارسون من العالم الاسلامي هذا النهج المادى ، فينخدعون بالحسابات الرياضية والجداول الاحصائية والدراسات الوثائقية ، ظنا منهم ان هذا كله هو المنهج العلمي الذى ينبغى ان يتبع اذا اردنا تحليل الامراض ذات الطابع الحضارى والاجتماعي والنفسي .

ويمكن القول بأن التصوف اهم مظاهر الحياة الروحية في الاسلام ، الى جانب انقطاع افراد لحياة العلم والبحث ، ولذة التفكير والعبقرية .

ولفت الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة انظار الحضور الى ان هناك من المحدثين من تناولوا التصوف بالدراسة تحت عنوان فيه لفظ (الروحية) كما فعل الدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور ابو العلا عفيفى ، الاول فى كتابه (الحياة الروحية فى الاسلام) ، والثانى فى كتابه : (التصوف : الثورة الروحية فى الاسلام) .

ونظرا لهذا الارتباط الذى بدا بين الحياة الروحية والتصوف ، كان لابد ان ينبرى باحث مثل الدكتور عبد العظيم الديب الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة قطر (مصرى) الى ان يبين عددا من العوامل والاسباب التى صرفتنا فى هذه الايام عن هذا الجانب الروحى :

١ ـ فمن ذلك ما كان من اخطاء ارتكبت باسم التصوف ، والتصوف منها براء ، وما كان من وجود بعض المنحرفين المستغلين الذين انحرفوا بالتصوف عن مفهومه وهدفه واتخذوه وسيلة لاطماعهم وتحقيق ماربهم وعن طريقهحازوا الجاه واكتنزوا الاموال فاتخذوا مقعد القيادة ، بل والسيادة ، وحكموا فى الاتباع وتحكموا وفرضوا عليهم الجبايات والمغانم ، والاخطر من ذلك انهم حالوا بينهم وبين المعرفة والاستنارة .

٢ ـ ما تعانيه امتنا الان من عجز وتخلف ، فى مجال العلوم العصرية ، وفى مضمار القوة المادية ، وامتلاك اعدائنا لناصية القوة ، والمقدرة على القهر والاستبداد ، مما جعلنا نتطلع الى هذا الجانب المادى فى الحياة ، ونجرى وراءه ظانين ان تفوقنا فى هذا الميدان هو وحده العلاج ، هو وحده السبيل لكى تعود امتنا الى مكانتها من العزة والقيادة والريادة .

٣ ـ وثالث العوامل التى صرفتنا عن الجانب الروحى ، هو انه يتعلق بالنفس وتهذيبها ، وبالقلوب وتطهيرها ، يتعلق بالمعاناه فى كف النفس ، وكبح جماح الشهوات ، وانكار الذات ، والتطهر من الكبرياء ، والبعد عن الخيلاء ، وعدم الركون الى الدنيا ، وتذكر الوعد والوعيد فى العقبى . على حين تتعلق الجوانب المادية ، بالفكر والقلم واللسان .

العلاقة بين التصوف والاسلام

ويقطع النظر عن كلمة (التصوف) وما دار من جدل حولها : معنى واصلا ، وحول مدى مشروعية التعبير بها عن مضمون لم يظهر لكثير من الناس مدى علاقته بالاسلام ، سواء فى مبادئه الاساسية او جوانبه الكمالية والتحسينية ، فانه من الاهمية بمكان ، ان يظهر ذلك البحث الذى تقدم به الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، المفكر الاسلامى السورى المعروف ، حيث بين المعنى المراد بهذه الكلمة ، والعلاقة الدقيقة بين التصوف والاسلام :

ان قيمة التزام المسلم بالاسلام تظهر على صعيدين اثنين ، قد يتضافران ويجتمعان ، وقد ينفك الواحد منهما عن الاخر .

أما الصعيد الاول : فهو الساحة الدنيوية التى يتجلى فيها تعامل الناس بعضهم مع بعض ومن المعروف ان الانسان يجب ان يعامل على انه مسلم ، من كل الجوانب ، بمجرد ان تتوافر اركان الاسلام فى ظاهر اقواله وافعاله .

لكن مدار الامر عند الله ، فى ذلك الصعيد الثانى الذى يقوم على صفاء القصد واخلاص القلب وموافقة

الظاهر الذى كان يراه الناس للباطن الخفى الذى يطلع عليه الله عز وجل ، فهذا هو اساس قضائه عز وجل فى حق عباده يوم القيامة .

غير ان المشكلة التى كان لابد ان تؤرق فكر المسلم الصادق فى اسلامه، وهى مشكلة التوفيق بين الظاهر من احكام السلوك الدينية ، والباطن من الاخلاص لوجه الله فيها ، ذلك لان من السهل على الانسان ان يتحلى ، فى ظاهره بكثير من اوامر الله وحكامه دون اى انضباط حقيقى وجوهرى بها ، ودون اى اخلاص قلبى لها ، اما الامر العسير حقا ، فهو السعى الى تطويع الباطن لما قد تحلى به الظاهر ، بحيث يصبح ظاهر المسلم عنوانا على باطنه .

لم يكن غريبا ان تشغل هذه المشكلة بال المسلمين الراغبين فى ان يكون اسلامهم مفيدا لهم فى حكم القضاء الدنيوى ، وان يكون منقذا لهم ايضا فى قرار الديانة الاخروية العائد الى حكم الله عز وجل .

ونحن لا نشك فى ان القرآن يهدى الى السبيل الامثل لحل هذه المشكلة وربط كل من الظاهر والباطن برباط السعى المخلص الصادق الى مرضاة الله ، غير ان القرآن أجمل بيان الحل فى كلمة واحدة كرر الامر بها وشدد فى التنبيه الى ضرورتها ، الا وهى (التزكية) ، فكيف تتم هذه التزكية ، وهى فيما اجمع عليه العلماء تطهير النفس من رعوناتها واهوائها الجانحة ؟ وكيف السبيل الى غرس محبة الله فى القلب ثم كيف السبيل الى التخلص من (المغفلات) وايقاظ القلب والمشاعر الى ذكر الله ومراقبته ؟

ها هنا تكمن العقبة الكؤود ، وعندها يتجلى معنى الجهاد الاكبر الذى ابتلى الله به الانسان ، وجعله يفوق فى قيمته الجهاد بالسلاح .

هنا يبرز البوطى دور التصوف الذى لا ينبغى أن يتعداه .

والحق ان القرن الاول من تاريخ المسلمين قد شهد صورا لا حصر لها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان المسلمين الاوائل قد استوعبوا هذه المعانى حق الاستيعاب ، فقد فهموا ـ حق الفهم ـ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن الدنيا خلقت لكم ، وانكم خلقتم للآخرة » . لكن هذا النهج العملى الاصيل للحياة الروحية وما اتسم به من صفاء ووضوح ، قد عرف ـ فيما اكد السيد بو علام باقى وزير الشئون الدينية ـ تطورا كبيرا اكتنفه الغموض والتعقيد ، مع تطور الحياة السياسية والاجتماعية الثقافية وتعقدها ، ومع ما شهدته الامة الاسلامية من انقسامات حادة ، وما ظهر من الوان الترف المادى ، فتزامنت وامتزجت الصور اللاهية مع الصور الدامية ، وكان ذلك كله دافعا قويا للرجوع الى الذات والانطواء عليها لدى كثير من الزهاد والعباد ، وكانوا يختصون وحدهم بهذا الجانب بعد ان اصبح الدين فى المجتمع شكلا ومظهرا ، فراج التصوف وارتاد افاقا لم يألفها الناس من قبل ، اذ اصبح دراسة للقلوب واسرار النفوس ، وسبيلا الى المعرفة عن طريق الحس والكشف والذوق وصار عالما واسعا قابلا لاحتضان شتى الافكار الدينية والسياسية والاجتماعية او الدعوة اليها ، فتشكل من كل ذلك تراث كامل كان المسلمون فى غنى عن جانب منه ، جانب افرط فى اهتمامه بالوسائل والسبل حتى كاد يشغل عن الغاية ، اذ ابتعد المتطرفون من رواده عن نهج الاسلام

الصحيح في تدبر كتاب الله والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فيه المتأولون المنحرفون مرتعا خصبا اثروه بمغامرات باطنية غامضة ، غير متورعين عن تطويع النصوص القرآنية للامزجة والاهواء، واخضاع معانيها لرؤى غريبة لا يضبطها ضابط ، فظهرت مواقف متطرفة ومتناقضة ودعوات مغرضة وافكار دخيلة بلبلت العامة وتعالت اصوات تعلن أن الشريعة انما جعلت للمحجوبين ، اما اصحاب الاشراق والحس من المتصوفة الملهمين ، فانهم احرار في عباداتهم يأتون منها ما يشاءون ويدعون ما يشاءون .

ومن الطبيعي ان يعظم تأثير هذا النوع من التصوف السلبي المبتدع ، فيما اكد الوزير ، وان يكون هذا التعاظم مرتبطا بمدى التدهور الاخلاقي والاجتماعي للامة ، ومن هنا اصبح الاسلام عموما ، ترديدا مشوها لاقوال السلف ، وجبلية عقيمة في العبادة ، قل معها الصدق والاخلاص في مجاهدة النفس ، وتعطل معهما جهاز الاسلام عن العمل بسبب العقول القاصرة العاكفة على هوامش الحياة وجزئياتها ، فنشط الجهال المغرورون واستغل بعضهم سرعة انقياد الناس لن يخاطبهم بدينهم ، فادعوا العصمة وعطلوا الشريعة ونصبوا انفسهم اوصياء على الجنة والنار فرسخوا مفاهيم التواكل والاستكانة ، وكانوا معاول هدم وتخريب ، وعوامل تخدير وتجهيل .

واتساقا مع هذا الرأي ، فقد وزع على حضور الملتقى بحث صغير لعلم من مفكري الجزائر الراحلين الا وهو (محمد البشير الابراهيمي) حمل فيه حملة عنيفة على التصوف وعلى الطرق الصوفية ، فمن ذلك ما ذكره

« .. واما المذاهب الصوفية فهي ابعد اثرا في تشويه حقائق الدين واشد منافاة لروحه ، واقوى تأثيرا في تفريق كلمة المسلمين لانها ترجع في اصلها الى نزعة غامضة مبهمة تسترت في اول امرها بالانقطاع للعبادة والتجرد من الاسباب والعزوف عن اللذات الجسدية والتظاهر بالخصوصية وكانت تأخذ منتحليها بشيء من مظاهر المسيحية وهو التسليم المطلق ، وشيء من مظاهر البرهمية وهو تعذيب الجسد وارهاقه توصلا الى كمال الروح كما زعموا » .

كذلك ذهب الابراهيمي الى ان الناظر في احوال المسلمين اذا كان ممن رزقوا ملكة التعليل واراد ارجاع كل شيء الى اصله الاصيل ومنبته الاول فانه لا يعسر عليه أن يرجع امهات علل المسلمين الدينية والاجتماعية الى هذه الطرقية الكاذبة الخاطئة التي اصبحت من قرون فكرة تسود العالم الاسلامي وتتحكم في دينه ودنياه وتتدخل في حياته وسياسته ثم تستحكم في طباعه فاذا هو في غمرة من الذهول مطبقة اضاع معها اخرته ودنياه .

وحظيت الطرق الصوفية بعدة بحوث اختلفت اتجاهات كتابها اختلافا جذريا من اقصى اليمين الى اقصى اليسار : من ابراز لدورها في ترقية وتنمية المجتمع الاسلامي وتحريره ، الى القول بالعكس تماما !

فمن البحوث التي القيت بحث بعنوان (النقشبندية واثرها في الحياة الروحية والنهضة الاسلامية المعاصرة) القاها استاذ تركي بكلية الالاهيات بجامعة انقرة .

وكذلك بحث للاستاذ عمر نكيتشلفيتش عميد الدراسات الاسلامية بسرايفو فى يوغسلافيا تحت عنوان (الطرق الصوفية المعاصرة فى يوغوسلافيا) وانواعها واعدادها ، وعرض اراء بعض اقطابها والاختلافات والمجادلات التى تجرى بين العلماء حول بعض اعتقادات الاتباع وسلوكياتهم الطرقية . وقد اتضح من عرض الباحث لموضوعه بأن ثمة كثيرا من الخرافات والسفاسف والشعوذات مثل الاعتقاد لدى بعض الاتباع بأن الولاية هى اعظم من النبوة وان الرسل يستفيدون من الولاية .. الى اخر ما يماثل هذه الخرافات الصوفية .

وكان هناك بحث اخر القاه (سيدى الامين انياس) مدير جريدة الفجر بدكار (السنغال) عن (التصوف فى افريقيا عامل بعث وتحرر) ، ومما جاء فى هذا البحث ان الاسلام فى افريقيا اسلام (طرقى) قامت فيه تجارب صوفية عديدة اهمها طريقتان هما : الطريقة القادرية وهى ذات منشأ عراقى ، والطريقة التيجانية التى منشؤها الجزائر ، وهما الاكثر سلطانا وشيوعا وانتشارا ، وذكر الباحث ان التصوف الافريقى اتجاه يقوم على الصبر والشكر ، فالصبر يتطلب المعاناة ومجابهة المصاعب والمواجهة البدنية فيها بلاء وابتلاء ، اما الشكر فهو الثناء على الله وحمده ، وهذا دون الاستغناء عن زينة الحياة الدنيا وما اخرج الله لعباده من الطيبات من الرزق . وذكر الباحث ان هؤلاء (الطرقيين) قد اكتسبوا نتيجة ذلك صيتا وشهرة واسعين اصبحوا بموجبهما مرجعا فى الحياة والامور الاجتماعية .

اما الاستاذ (مسعود الطويل) المحامى لدى المجلس الاعلى للقضاء (وهران) فقد القى بحثا عن «الطرق الصوفية ودورها فى المجتمعات الاسلامية سلبا وايجابا» .

وذكر الاستاذ محمد الطاهر فضلاء مدير المكتبة المركزية بقصر الحكومة ان زعيم التيجانية كان مواليا لفرنسا وقد زار فرنسا فرحبت به ترحيبا عظيما وقدمت له من الهدايا فتاة شقراء تزوجها واصبحت تقيم معه بزاوية عين ماضى وتتصرف فى شئون الزاوية وتسيرها فكريا وعقليا .

ومهما يكن من شىء ، فقد كانت رحلة الملتقى الى ماضى المسلمين موفقة ، اتت ثمارا طيبة ، فقد تفاعل الملتقون مع تراثنا الروحى ، ووقفوا على صحيحه وسقيمه ، وبينوا ان الشخصيات السلبية المنحرفة ليست حجة على التصوف الصحيح ، فهو منها براء ، وان ملات الدنيا وشغلت الناس ، واوضحوا فى الوقت نفسه ان ما جاء به التصوف النقى الطاهر السليم ، المحكوم بالكتاب والسنة ، هو فى الحقيقة جوهر الدين ولبه .

كذلك فقد تاكد للجميع ان الفصل بين الحياتين الدنيوية والروحية انما هو نظرى تصورى لا أساس له فى الواقع ، فالمسلم الفقيه فى الاسلام حقا ، يستطيع ان يكون فى صميم الحياة الروحية وهو يواجه شأنا من شئون الدنيا ، اذا اراد به وجه الله ، ولا خير فى نشوة روحية اذا كانت لا تتم الا بترك الدنيا واعتزال الناس والتخلى عن الواجب واهدار الحقوق ومعارضة الفطرة .

قضايا ومواقف

إسلام الأتراك العثمانيين بين الحقيقة والأسطورة

بقلم : د. زكريا سليمان بيومى

مازالت ندرة الوثائق والمصادر تشكل عاملا هاما فى أحجام الباحثين عن توضيح كثير من الجوانب الغامضة التى مازالت تكتنف تاريخ الدولة العثمانية ، وقد أدى ذلك الى قبول المؤرخين للكثير من الروايات الأسطورية التى كتبها المؤرخون العثمانيون الأوائل تحت اعين سلاطينهم ووفق أهوائهم .

واذا كانت حركة التحول التركى الحديثة الى العلمانية قد أفرزت كتابا ومؤرخين حاولوا تأصيل القومية التركية فحاولوا ان يضعفوا من دورهم الاسلامى ، ومن أبرزهم محمد فؤاد كوبريلى ، فإن الانتعاش الاقتصادى للبلاد العربية فى اعقاب اكتشاف البترول قد ادى الى اتجاه تركيا الى العالم الاسلامى للأتراك سواء من الأتراك ام من المسلمين العرب ، الذين نالوا تشجيع الاتراك وان اختلفت دوافع كتاباتهم ، فعادوا ليقبلوا العديد من الاساطير التى تحيط بنشأة التاريخ العثمانى ، وانساهم حماسهم فى هذا الاتجاه ما كان ينبغى ان يلتزموا به - كلية - من الموضوعية .

ومن بين هذه الاساطير التى اضطر المؤرخون لقبولها واصبحت لاتساع تداولها حقيقة ثابتة قضية اسلام العثمانيين التى ترد فى اسطورتين .

فتروى الأسطورة الأولى ان عثمان قضى ليلة فى دار أحد الزهاد المسلمين وقبل ان ينام جاء صاحب البيت بكتاب فوضعه على رف فسأله عثمان عن هذا الكتاب فأجابه بأنه القران الكريم ، كلمة الله التى انزلت للناس عن طريق النبى ، وحمل عثمان الكتاب وأخذ يقرأ فيه حتى

الصباح ، ثم نام فرأى فيما رأى النائم كأن ملاكا بشره بأنه وذريته سيعلو قدرهم لقاء احترام القرآن .

أما الرواية الثانية فتذكر أن عثمان طلب إلى أحد مشايخ الصوفية واسمه "اده بالى" أن يزوجه ابنته فرفض الشيخ طوال عامين ، وفى احدى الليالى رأى عثمان وهو نائم فى بيت الشيخ كأن قمرا يخرج من صدر "إده بالى" ويقع فى صدره هو ، ثم تخرج من سرته شجرة يغطى ظلها الأرض كلها ، وفسر "إده بالى" الحلم بأن اسرة عثمان ستحكم العالم وزوّجه ابنته .

وعلى الرغم من إدراك المؤرخين لعدم صدق هذه الروايات لأسطوريتها ولتشابه ذكرها عن كثير من مؤسسى الدول كالامبراطور قسطنطين والسلطان محمود الغزنوى وغيرهما ، فإن أيا منهم لم يجد مناصا من الاعتماد عليها .

واذا جاز للمؤرخين ان يقبلوا مضطرين هذا الاسلام لمؤسسى الدولة العثمانية فلا ينبغى ان يقبلوا اسلاما جماعيا لقبيلته لمجرد اسلامه ، كما لا يجوز بعد قبول هذه الاراء اضفاء الصفة الاسلامية على توسعات هذه الدولة وعلى اساليبها فى الحكم ودورها فى تأسيس دولة اسلامية وجهودها فى نشر الاسلام وأهلها حديثو عهد به وغير ذلك من الاستطرادات التى امتلأت بها الكتب ومازالت تثير حماسا أجوف بين جموع المتشنجين .

وسواء أكان الأتراك العثمانيون من بين فصائل الترك التى وفدت مع السلاجقة الى منطقة الاناضول منذ العصر العباسى الثانى ام انهم قد اضطروا للهجرة تحت ضغط المغول من آسيا الوسطى حتى استقروا فى شمال غرب الاناضول فإنهم اعتنقوا الاسلام مثلهم مثل السلاجقة اذا ما جارينا اصحاب الرأى الأول ، أو انهم قد تعرفوا عليه واعتنقه بعضهم خلال فترة الهجرة التى لم تكن قصيرة والتى كانت بين العناصر الفارسية المسلمة . بل ان الرأى الراجح أن الاسلام قد انتشر بينهم فى منطقتهم الاصلية فى آسيا الوسطى منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) حيث تؤكد مصادر الأدب الفارسى انتشار جماعات الفتوة التى كانت تعتنق الاسلام بين الترك فى آسيا الوسطى مثل جماعة العيارين فى جنوب منغوليا فى هذه الفترة .

● اعتناق الإسلام

ويرى البعض ان كثيرا من سكان اسيا الوسطى من الاتراك الذين كانوا يدينون بالديانة الشامانية والبوذية والمانوية قد ناسبهم ما فى الاسلام من واقعية ونزوع الى الحياة العسكرية والفتوة التى كانت تلتقى مع طباع بيئتهم والتى تقابل فكرة الجهاد والجنة التى وعد الله بها شهداء الحرب ، فى حين يرى البعض الآخر أنه لا يوجد دليل على ذلك وأن انتشار الاسلام فى هذه المناطق قد تأثر بنزوع كثير من دراويش الصوفية اليها والذين كانوا يركزون اسلوبهم فى نشر الاسلام على التخويف من العذاب اكثر من تركيزهم على فكرة الجهاد وثواب الجنة ، وباسلوب غير مستفز لعقائدهم القديمة أو تقاليدهم الاجتماعية ، فبدأوا اعتناقه بشكل فردى قبل القرن العاشر الميلادى ، وازداد عدد معتنقيه بعد نجاح المسلمين فى دخول بلادهم وبناء مجموعة من المساجد

اسهمت فى اسلام اغلبهم فى القرن الحادى عشر .

ولما كانت هذه الدلائل تؤكد اعتناق الاتراك العثمانيين للاسلام قبل دخولهم الاناضول من جهة ، فى حين اعلن عثمان اسلامه على يد احد شيوخ الصوفية المحليين فى الاناضول من جهة اخرى ، فإننا ينبغى ان نفرق بين اعتناقهم الاسلام واعلانهم لهذا الاعتناق الذى كان من الواضح انه يرتبط بأهداف سياسية لا دينية نوضحها فيما يلى : ـ

أولا : أن "إده بالى" او "أدب غالى" ـ حسبما يرد اسمه فى بعض المراجع العربية ـ الذى تزوج عثمان ابنته كان الى جانب كونه شيخا لاحدى الطرق الصوفية شخصية مؤثرة على مجموعة من الآخيين من اصحاب الحرف الذين كانوا يعلنون حماسهم للجهاد وهم فى حقيقة الأمر يسعون لرواج حرفهم ، وكان عثمان يدرك ان هذه الجماعات ستعينه على تدعيم مكانته وتحقيق طموحه فى السعى للاستقرار حيث لم يكن يستطيع ان يحقق ذلك بفرسان قبيلته وحدهم الذين لم يزد عددهم على اربعمائة فارس ، لذلك وجد عثمان انه من الحكمة ان يعلن اسلامه على يد "أدب غالى" وان يتزوج ابنته فكان هذا بمثابة عهد بينهما ، واصبح عثمان يمثل القوتين الحربية والسياسية فى حين مثل الشيخ "اده بالى" أو "أدب غالى" القوة الدينية المدعمة له الى جانب امداده بالمجاهدين وهو اتفاق شبيه بالاتفاق الذى تم بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير النجدى محمد بن سعود فى جزيرة العرب بعد ذلك .

ثانيا : أن عثمان قد أصبح حاكما اقطاعيا منذ بداية وجوده فى منطقة سكود فى شمال غرب الاناضول شأنه فى ذلك شأن بقية امراء السلاجقة ، وان فرسان قبيلته قد ظلوا على ولائهم له بصفته شيخ قبيلتهم وان إعتناقهم الاسلام على منهج التصوف كما كان سائرا فى بقية الامارات السلجوقية وبقية المناطق الاقطاعية فى العالم الاسلامى لن يقلل من سلطته بل على العكس سيدعمها ، ولهذا اتسمت سياسة العثمانيين منذ البداية بتشجيع التصوف وساعدت على انتشار طرقه حرصا على تدعيم حركة الجهاد والحفاظ على سلامة النظام .

ثالثا : ان اعلان عثمان لاسلامه ، واخذه بنظام الحكم الاسلامى أو محاولته صبغ حكمه به لم يكن ليقلل من سلطته المطلقة على قبيلته واتباعه حيث كان شكل نظام الحكم الاسلامى الذى كان سائدا فى هذه الفترة يلتقى مع نظام الحكم القبلى ، وهو امر دعا المؤرخ الانجليزى توينبى لأن يؤكد بأن العثمانيين قد حكموا الشعوب التى خضعت لهم باسلوب بيئتهم الأولى فى اواسط اسيا ، وادى اعتناقهم للاسلام إلى كسب الصفة الثيوقراطية التى لم تغير من هذا الاسلوب شيئا .

رابعا : ان هذا الاعلان لن يغير من اسلوبه فى السعى للتوسع والاستقلال بل على العكس سيضفى عليه صفة الجهاد والفتح بدلا من السلب والنهب والقتل وغير ذلك .

خامسا : كان عثمان يريد بهذا الاعلان ان يؤمن ظهره من جهة الامارات

السلجوقية اذا ما وجه قوته للتوسع على حساب الدولة البيزنطية ، فضلاً عن انه سيضفي على امارته من الشرعيةاذا ما سعى للسيطرة على الامارات السلجوقية الضعيفة . وهذا ما حدث بالفعل حين قام المغول بالقضاء على دولة الاتراك السلاجقة سنة ١٣٠٠ التي اعقبها وفاة الامير علاء الدين سنة ١٣٠٧ فاعلن عثمان - كبقية الامراء المحليين - استقلاله .

اما عن شكل الاسلام الذى اعتنقه الاتراك فى اسيا الوسطى فكما سبق التوضيح قد تم قبولهم له على يد مشايخ ودراويش الصوفية ، ولم يكن يعنى قبولهم هذا الدين تخلصهم او تخليهم عن كثير من العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة كما ان العناصر المحلية فى الاناضول قد تاثرت بعديد من العقائد اختلطت فيها المعتقدات الشيعية التى تاثرت بها عناصر الاتراك الذين وفدوا عبر الاراضى الفارسية ، والمعتقدات السنية التى حملتها العناصر العربية والتى حوت عدة اتجاهات . وادى اختلاط هذه الاتجاهات الى تكوين مزيج من المعتقدات اثرت فى الاسلام الذى اعتنقه اهل هذه المنطقة عند مجيء العثمانيين .

وقد انتشرت بينهم العديد من الطرق الصوفية ومن اهمها الطريقة المولوية او الجلالية التى اسسها الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى والرفاعية والخلوتية واليسوية والقلندرية التى اثرت فى بعض الاتراك العثمانيين قبل وصولهم الى الاناضول وذلك لكونها قد نشات فى منطقة خراسان واثرت فى اغلب المناطق المجاورة لها .

ولا يمكن الحسم بان هذه الطريقة قد تاثرت بالمذهب الشيعى بشكل واضح لكنها قد اثارت الطرق الصوفية السنية لغرابة طقوسها ، ولما دعت اليه من اباحية الى جانب المظهر الشاذ لاتباعها وهو ما دعا كثيرا من صوفية الاناضول إلى اتهام اهلها بالزندقة او بالهرطقة . وقد ابتعد عنها العثمانيون وهجروها الى طرق اخرى كالمولوية ثم البكاشية بعد استقرارهم فى الاناضول ، ويبدو ان انتماء اغلبهم الى هذه الطريقة فى البداية ثم التحول عنها هوالذى دعا بعض الصوفية السنيين إلى اعتبارهم وثنيين وهو الاساس الذى جعل مؤرخا مثل جيبوتر لان يراها فترة تحول من الوثنية الى الاسلام .

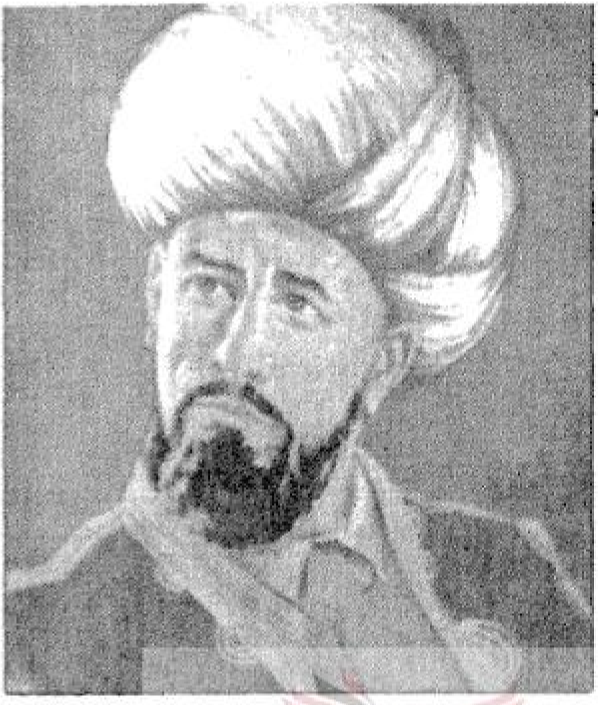
واذا كان الاتراك العثمانيون قد تحولوا - كما سبق التوضيح - منذ بداية وجودهم فى شمال غرب الأناضول عن طريقتهم الصوفية إلى طريقة محلية فإن أشهر الطرق المحلية كالمولوية ثم البكتاشية كانت هى الاخرى أكثر اباحية ، لكنها كانت لاتلقى نقدا من العناصر الصوفية المحلية ، ولهذا فإن التحول كان بغرض كسب ود هذه العناصر المحلية أكثر منه سعيا للتميز بين الطرق وهو أمر يتضح من مساعدتهم لأهل طريقتهم الأولى « القلندرية » على الاستقرار وضمان حمايتهم وعدم الاعتداء عليهم . كما أن الشدة التى قوبلت بها هذه الطريقة من العناصر المحلية كانت ترجع فى الأساس لتمردها على النظام الاجتماعى والأخلاقى أكثر من ميولها الالحادية أو افكارها الشيعية .

مصر
فى التراث الجغرافى العثمانى

بقلم : د. محمد حرب

نحن في هذا المقال بصدد مخطوط يشكل قيمة كبيرة فى تراث المسلمين ، وهو علامة واضحة فى الأدب الجغرافى العثمانى ، استخدمه الغرب كثيرا وشهدوا بفضله ، لأنه احتوى على معلومات هامة عن بلاد البحر الأبيض المتوسط .. ومنها مصر ، بخرائط دقيقة ومعلومات مدهشة ، كما اننا - فى هذا المقال - بصدد معرفة مؤلفه .. والمؤلف وإن كان تركيا ، فواجب على المصريين معرفته ، لأنه جزء من تاريخهم .. وإن جهلوه ، وكتب عن بلادهم .. فاوفى ، ورسم خرائط ديارهم ، فاجاد واتقن ..

هذا المؤلف ، هو : الريِّس بيرى ، القائد البحرى العثمانى ، والعالم الجغرافى الفذ .. وهو معروف فى الأدب العثمانى باسم بيرى رئيس ، وكذلك يعرفه الغربيون بهذا الاسم . وقد شغل الريِّس بيرى منصب قائد الأسطول المصرى فى العهد العثمانى ، وكان مقر قيادته ميناء السويس ، وبيزى رئيس ، او ، الريِّس بيرى ، إن كان قد ولد فى غاليبولى فى تركيا (١٤٦٥ م ؟) فقد مات فى القاهرة عام (١٥٥٤ م ؟) او بمعنى اصح قد دُقَّ عنقه فى القاهرة ..



رسم تصوري للريس بيري من عمل الفنان جمال دوندا

كان مولد الريّس بيرى ـ كما قلنا ـ فى مدينة غاليبولى ، وكانت المركز الإدارى للبحرية العثمانية .. اشترك مع عمه الريّس كمال (وتقول بعض المصادر أنه خاله) وكان هذا قائدا بحريا عثمانيا شهيرا ، اشترك فى الحرب البحرية الطويلة بين العثمانيين والبنادقة من عام ١٤٩٨ م حتى ١٥٠٢ م . واستفاد مؤلفنا من هذا ، خبرة حربية بحرية كبيرة .. وفى هذه الحرب وبالذات فى عام ١٥٠٠ م حصل بيرى ، على لقب (ريّس) وقاد سفينة عسكرية أثناء حصار العثمانيين لقلعة بندقية هامة هى مودون ..

لكن بدايات خدمة الريّس بيرى للدولة العثمانية ، ترجع إلى قبل هذا التاريخ ، عندما كان يعمل (قرصانا) . وأحب أن انبه هنا أن مفهوم القرصان فى اللغة العثمانية لم يكن يعنى المفهوم السائد الآن من السلب والنهب ، وإنما كان نوعا مما يمكن تسميته الميليشيات البحرية أو المتطوعين البحريين ، بمعنى قوات بحرية ، يقودها ، ويعمل فيها ، وعلى سفن خاصة ، أشخاص لاينتمون رسميا إلى القوات الحكومية التى تسيطر عليها الدولة العثمانية .. ومهمة القراصنة ، كانت ، مهاجمة القوات البحرية الصليبية المعادية ..

والجدير بالقول هنا ، أن القرصنة العثمانية أدت دورا رائعا فى إنقاذ حياة المسلمين فى الأندلس ، والمحافظة على ارواحهم وممتلكاتهم عندما غادروا اسبانيا ، مطرودين أو فارين ، قصد

التوجه إلى ملجأ ما .. وكان دور القرصنة العثمانية حماية سفن ومراكب هؤلاء المهجّرين الفارين بأرواحهم وممتلكاتهم ودينهم من غدر السفن الأوربية التي كانت تقف لهم بالمرصاد ، وكانت المهمة الثانية للقرصنة العثمانية ايجاد مأوى لهؤلاء المسلمين الاندلسيين .. ولعله يمكن الاشارة هنا إلى أن تركيز القراصنة العثمانيين على المأوى ، كان على الساحل الجزائري في مكان ما ، وعندما تكاثر المهجرين فيه ، أطلقوا على هذا المأوى ، اسم البليدة ، وهي مدينة البليدة الجزائرية المشهورة الآن ..

من المعلوم أن أهل غرناطة طلبوا العون والمساعدة ضد الظلم الواقع عليهم ، طلبوا هذا من كل من تونس ، ومصر ، ثم من الدولة العثمانية وكان ذلك عام ١٤٨٦ م .. اشترك الريّس كمال في حركة نصرة مسلمي الأندلس ، وقاد سفنا عثمانية متطوعة لذلك ، توجه بها إلى غرب المتوسط عام ١٤٨٧ م . واشترك الريّس بيري ـ موضوع مقالنا هذا ـ بجانب عمه كمال ، في عملياته البحرية هذه وفي الاستيلاء على بعض الموانيء والاغارة على سواحل جنوب فرنسا ، وسردينيا ، وكورسيكا .

ولما مات الريّس كمال ، خلفه في القيادة خير الدين ، الذي اشتهر في اوربا باسم بارباروس ، وبالتالي أصبح كبير القراصنة .. وعندما نجح القرصان العثماني خير الدين بارباروس في الاستيلاء على مركب فرنسي كبير ، وأراد إرساله هدية إلى استانبول ، مع بعض الهدايا ، تقربا إلى السلطان العثماني ، وليعلمه بنشاطه في البحر المتوسط . لم يجد خير الدين ، غير (الريّس) بيري ، رسولا منه إلى استانبول . وأعجب السلطان بايزيد الثاني (والد سليم فاتح الشام ومصر) ببيري ، وأحسن عليه ، بسفينتين ..

● علاقة الريّس بيري بمصر

انضم الريّس بيري إلى القوات البحرية النظامية العثمانية ، واشترك في العمليات العسكرية للدولة أثناء الحرب العثمانية المملوكية التي قادها السلطان سليم الأول عامي ١٥١٦ ـ ١٥١٧ م . وفي الفتح العثماني لمصر رسم الريّس بيري خريطة لمصب نهر النيل ..

وعندما توجه الصدر الأعظم العثماني ابراهيم باشا إلى مصر ، لكي يحل الخلاف الذي قام بين والي مصر و دفتر دارها (عام ٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٤ م) .. تحرك من العاصمة العثمانية بأسطول قوامه عشر سفن حربية ، واصطحب معه الريّس بيري مرشدا له .. وكان مكان ابراهيم باشا ، في سفينة القيادة .. ولم يتمكن هذا الأسطول من الوصول إلى مصر ، بسبب العواصف الشديدة ، فاتخذ الصدر الأعظم الطريق البرى إلى مصر ، ورافقه فيه الريّس بيري . وبالتالي وجد الفرصة في أن يعرض على الصدر الأعظم ـ مباشرة ـ أعماله العلمية ، وكتابه المشهور (كتاب البحرية) ويشرح له قيمته العلمية . ويسرت له هذه الفرصة فيما بعد مقابلة السلطان سليمان

القانونى ، إذ توسط له فى ذلك ابراهيم باشا عندما أنجز بيرى كتابه عام ١٥٢٦/١٥٢٧ م .

عقب زيارة الصدر الاعظم ابراهيم باشا لمصر ، أعطى الريّس سلمان - وكان قبطانا تركيا يعمل فى خدمة مماليك مصر - تقريرا هاما يقول فيه إن البرتغاليين قد استولوا على تجارة منطقة الخليج العربى وحرموا الأهالى هناك من العمل بها ، بل إنهم أخذوا المواد التجارية هناك وارسلوها إلى بلادهم ، وأن هؤلاء البرتغاليين يتحكمون فى تجارة البهارات ، وأنهم استولوا أيضا على تجارة الخليج العربى (وكان العثمانيون يسمونه خليج البصرة) مع الهند والبلاد الاخرى وان البرتغاليين قد بعثوا بأسطول قوى إلى مياه الهند ، وقال الريّس سلمان فى هذا التقرير أن من الممكن بسهولة إنهاء النفوذ البرتغالى هناك ..

بعد ذلك بمدة ، صدر مرسوم بتعيين فرهاد بك قائد الاسطول البحرى المصرى ، واليا على اليمن ، ومرسوم آخر بتعيين الريّس بيرى ، محله ، قائدا للقوات البحرية المصرية العثمانية .. وكان هذا التعيين عام ١٥٤٧ م .

أبحر الريّس البحرى بيرى من ميناء السويس عام ١٥٥١ م بوصفه الجديد هذا ، وفتح ميناء عدن ، واستولى على قلعتها بعد هجوم بحرى عنيف ، وترك فيها حامية برية وعاد إلى السويس ، وبلغ اعجاب كل من داود باشا والى مصر ، وكذلك السلطان العثمانى فى استانبول ، بهذا العمل الكبير ، حدا عظيما .

دفع هذا النجاح ، الريّس بيرى ، أن يقوم فى نفس العام ، بقيادة ثلاثين سفينة فى مختلف الأحجام ، من أسطول مصر البحرى ، وتوجه إلى جدة ، ثم إلى عدن ، ثم تمكن من فتح قلعة مسقط ، ثم حاصر هرمز وضربها ضربا شديدا بالمدافع ، لكن المقاومة البرتغالية ، كانت أشد ، وبالتالى استعصت هرمز على الفتح بعد ان كانت قاب قوسين أو ادنى منه . تذكر بعض المصادر العثمانية ان الريّس مال إلى التفاهم مع البرتغاليين مقابل دفعهم الخراج ، وتقديمهم هدايا ..

قام الريّس بيرى بأسطوله هذا من مياه هرمز إلى البصرة ومكث هناك مدة ..واذا به يعلم فجأة ان الاسطول البرتغالى فى طريقه إلى البصرة ، ولم يكن يتوقع هذا ، ولم يكن فى القوة البحرية الكافية لمواجهته ، فأسرع بالانسحاب من مياه البصرة بثلاث سفن كانت هى القريبة من أوامره ، ولم يتمكن من استدعاء بقية سفنه التى كانت تتجول فى مياه الخليج .. وكان غرضه الانسحاب بسفنه الثلاث سريعا قبل أن يلحق البرتغاليون بأسطوله ذى القوة العددية الضخمة .. وأمام البحرين تحطمت واحدة من سفنه الثلاثة وغرقت .. وعاد إلى قاعدته فى مصر بسفينتين فقط عليهما ما استطاع نقله من غنائم معاركه فى الخليج قبل انسحابه ..

ارسل قوباد باشا والى البصرة ، رسالة إلى والى مصر ، يخبره بالواقعة ، وبأن الريّس قد ترك السفن الباقية من أسطوله فى مياه الخليج تواجه مصيرها . وقام والى مصر ، بدوره ، بابلاغ النبأ إلى العاصمة استانبول وشرح كل اسباب النكسة وقال أيضا فى بلاغه أنه قد قبض على الريّس ، بعد عودته إلى السويس ..

وجاء رد استانبول سريعا وحاسما : بأمر السلطان سليمان القانونى .. يدق عنق قائد البحرية المصرية الريّس ، وتصادر كل ثروته لصالح بيت المال ، وعلى ذلك أعدم فى ديوان مصر عام ٩٦٠

هـ (= ١٥٥٢/١٥٥٣ م) تقريبا يعنى ٩٦٠ هـ أو ٩٦١ هـ .

● **الريّس بيرى : عالما جغرافيا**

الريّس بيرى ، رائد من رواد رسم الخرائط في الأدب الجغرافي العثماني .. وله في هذا المضمار خريطتان هامتان ، الأولى لاسبانيا وغرب افريقيا والمحيط الأطلسي والسواحل الشرقية من الأمريكتين .. وهذه ، قدمها إلى السلطان سليم الأول في مصر عام ١٥١٧ م ، وموجودة الآن في متحف طوبقبو في استانبول (٦٠ × ٨٥ سم) . وعليها توقيع الريّس .

والأخرى لسواحل الأطلسي من جرونلاند إلى فلوريدا (٦٨ × ٦٩ سم) وموجودة الآن في متحف طوبقبو باستانبول أيضا ..

والجدير بالذكر أن الخريطة التي رسمها الريّس بيرى لامريكا (الأولى المار ذكرها) هي أقدم خريطة لها ..

في ٢٦ أغسطس عام ١٩٥٦ عقدت في جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة إذاعية عن خرائط الريّس بيرى ، اتفق كل الجغرافيين المشتركين فيها بأن خرائط الريّس بيرى لامريكا : « اكتشاف خارق للعادة » .

وقد كان الريّس بيرى على معرفة بوجود أمريكا قبل اكتشافها ، ويقول في كتاب البحرية : (إن بحر المغرب ـ يقصد المحيط الأطلسي ـ بحر عظيم ، يمتد بعرض ٢٠٠٠ ميل تجاه الغرب من بوغاز سبته . وفي طرف هذا البحر العظيم توجد قارة هي قارة انتيليا) ..

وتعبيره (قارة انتيليا) هي الدنيا الجديدة أو أمريكا .. وقد كتب الريّس أن هذه القارة اكتشفت عام ٨٧٠ هـ (١٤٦٥ م) أي قبل اكتشاف كولومبس لامريكا بحوالي ٢٧ سنة ..

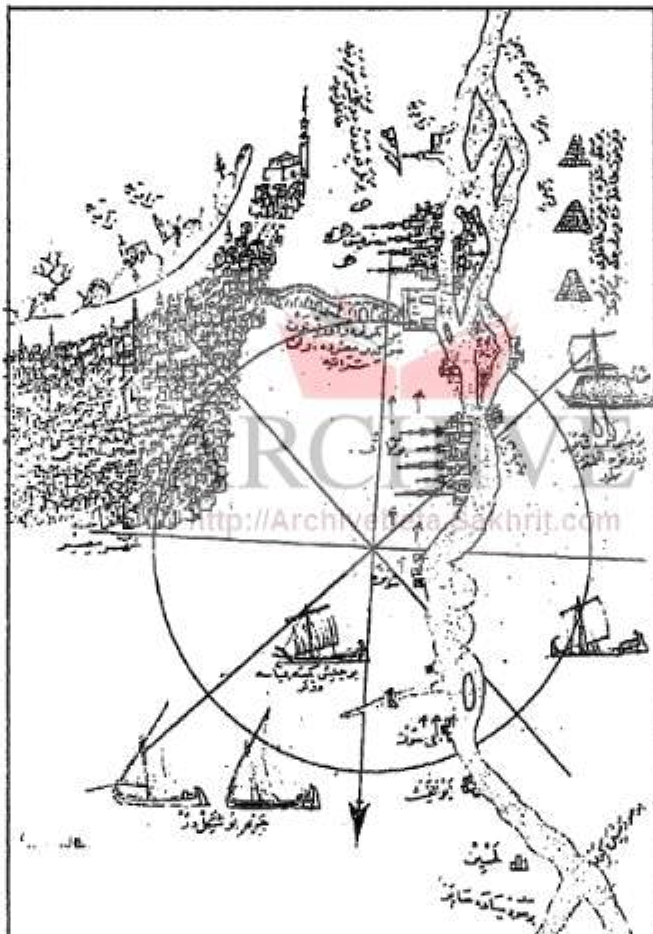
ولابد أن نلفت النظر هنا إلى أن رود ريكو ـ خادم الريّس كمال عم بيرى والذي أعيرت خدماته لكريستوفر كولومبس وهو صاحبه في رحلته المشهورة . وقف يتوسط بين كولومبس وبين بحارته الذين ارادوا الاعتداء عليه بعد اليأس الذي اصابهم من البحث عن أمريكا ، قال رودجر هذا ـ وقتها : (لابد أن تكون في هذه المياه أرض ، لأني تعلمت هذا في استانبول ومن الكتب البحرية العثمانية . واثق اننا لابد أن نصل هنا إلى الأرض التي نبحث عنها ، ذلك لأن البحارة العثمانيين لا يقدمون معلومات خاطئة ، وهم لايكذبون . وبعد ثلاثة ايام من هذا الحديث عثروا على الأرض وكانت أمريكا ..

● **كتاب البحرية : تصنيف الريّس بيرى**

كتب الريّس بيرى ، كتاب البحرية ، عام ١٥٢١ م ، ثم وسعه وأضاف اليه حتى عام ١٥٢٥ م فقدمه للسلطان سليمان القانوني . وهو كتاب كما وصفه كراتشكوفسكي) (يمثل في أساسه اطلسا ملاحيا ، إلا انه كان يستهدف أن يكون دليلا للملاحة الشراعية في بحر

ايجه والبحر الابيض المتوسط ، وأن يخدم فى نفس الوقت كمرشد فى معرفة المواضع المبينة على الخارطات .. ولهذا السبب ، فإن الريّس بيرى يقدم وصفا مفصلا بما فيه الكفاية لجميع السواحل مع بيـان التيـارات والشعب والمـراسى والخلجان والمرافىء ومنابع المياه العذبة والمواضع المحصنة والقلاع والمبانى والخرائب .. كما يتعرض خلال ذلك للحديث عن الجغرافيا السياسية والوضع الأدارى للأماكن المختلفة ..

وأن البحوث الاثرية قد اثبتت أن بيرى رئيس ، محل للثقة ، فمن بين جميع التفاصيل التى يوردها ، لا توجد واحدة

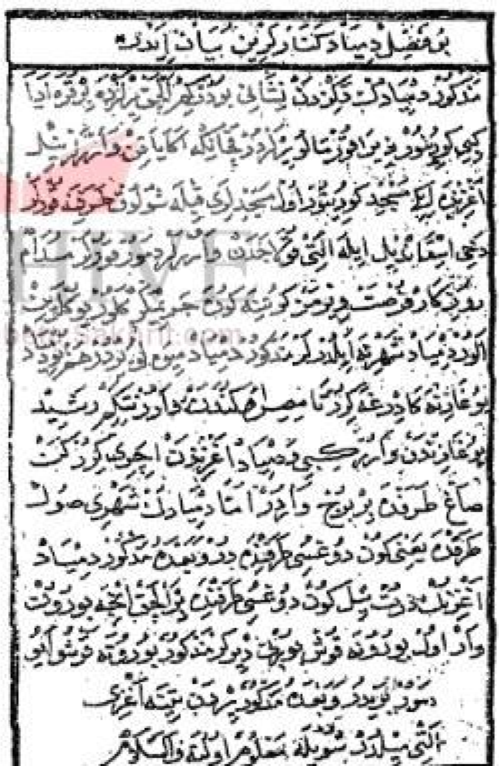


خريطة للقاهرة فى القرن ١٦ م فى كتاب البحرية للرئيس بيرى

منها قط ، لم تدعمها البحوث المعاصرة) .

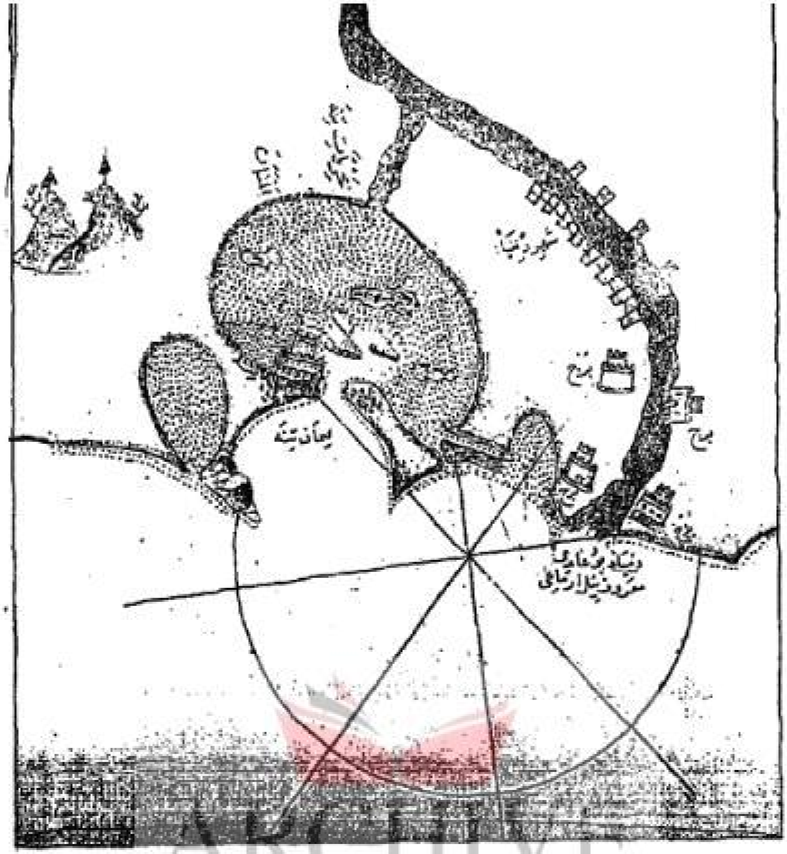
لقد أحدث كتاب البحرية للريس بيرى ، صيتا واسعاً في الأدب الجغرافي ، وهذا الكتاب يحمل تجربة ثلاثين عاما تقريبا من المران العملي في الشئون البحرية ، والاطلاع الواسع على الآداب الجغرافية العربية والغربية .. وخرج أصيلا بحيث تردد صدى ذلك فيما تميز به الريّس بيرى من نضج واكتمال ..

الريّس بيرى يتحدث عن اهمية ميناء دمياط



لقد اثار كتاب البحرية هذا بصفحاته الـ (٧٤٣) والذى وضع اسم الريّس بيرى بين أسماء أعظم الجغرافيين في التاريخ ، اثار بما فيه من معلومات وخرائط دقيقة ، دهشة المعاصرين من علماء الجغرافيا في امريكا وأوربا ، معلومات وخرائط اثبت العلم المعاصر صحتها ..

في مدح الريّس بيرى عالما جغرافيا وبحريا قديرا ، اشترك كل من الخرائطى الأمريكي ارلنجتون هـ . ماللرى ، وكذلك والترز المتخصص في الخرائط في أسطول الولايات المتحدة الأمريكية . والراهب الجزويتي لاين هام مدير مركز الأرصاد في ويستون . وهذا الأخير ، انقل من اقواله هنا ، هذه العبارة : (خرائط الريّس بيرى صحيحة بدرجة مذهلة للعقل ، خاصة انها تظهر بوضوح أماكن لم تكن قد اكتشفت حتى أيامه في القرن السادس عشر الميلادى .. ان الجانب المذهل في مكانة بيرى ، هو رسمه لجبال انتاركتيكا بتفاصيلها فيما رسمه من خرائط ، مع أن هذه الجبال ، لم يكن أحد قد تمكن من اكتشافها إلا في عام ١٩٥٢ م أي في أول النصف الثاني من القرن العشرين ، وكيف ؟ بعد استخدام الأجهزة المتقدمة العاكسة للصوت ، أما قبل القائد العثماني الريّس بيرى ، يعنى حتى القرن السادس عشر الميلادى ، لم يكن أحد يعرف ان انتاركتيكا موجودة ، إذ كانت مغطاة بالجليد طوال عصور التاريخ) .



رسم لميناء دمياط رسم الريّس بيرى خريطته قبل ٤٦٩ سنة

والمعروف أن أنتاركتيكا هى القارة السادسة والواقعة في نصف الكرة الأرضية الجنوبى ..

لم يقتصر الذهول على الراهب لين هام فقط ، بل تعداه إلى كثير من العلماء والكتاب .

وها هو اريك فون دانكين ، مؤلف عربات الآلهة ينقل عن العلماء ويقول ..

انه بمقارنة صور الأرض التى تم التقاطها من مركبات الفضاء (فى القرن العشرين طبعا) بالخرائط التى رسمها القائد البحرى العثمانى الريّس بيرى فى البدايات المبكرة للقرن السادس عشر ، اتضح التشابه المذهل بين صور مركبات الفضاء وبين خرائط بيرى) .

● مصر فى كتب البحرية

يحتل وصف مصر وسواحلها معلومات وخرائط من صفحة ٦٩٢ وإلى صفحة ٧٢٢ من مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم ٢٦١٢ ، بالطبع فى كتاب البحرية للريّس بيرى . والجدير بالإشارة هنا أن قام ضابطان بحريان تركيان هما حيدر الباقوط ، وفوزى كورت أوغلو ، بتصوير

هذه النسخة المخطوطة من أيا صوفيا وعمل مقدمة وفهارس وبذلا في ذلك جهداً رائعاً وقدما ذلك إلى المجمع التاريخي التركي عام ١٩٣٥ م ، وقام المجمع بنشر المخطوط بهذا الشكل . وصفحات مخطوط كتاب البحرية في ايا صوفيا يبلغ ٨٥٨ صفحة (وليس ورقة) بما في ذلك خرائطه . ونسخة ايا صوفيا هذه قد أهداها السلطان محمود الأول وأوقفها على مكتبة جامع ايا صوفيا ، الحديثة الانشاء في عهده ، وهي اكمل النسخ المخطوطة من كتاب البحرية ، وهي نسخ تبلغ ٢٩ نسخة ، وقام الضابط البحري التركي ياووز سنلم أوغلو بترجمة الكتاب إلى اللغة التركية وظهرت على جزءين ١٨ ، ١٩ من سلسلة الألف كتاب وكتاب التي تصدرها دار ترجمان للنشر في تركيا ..

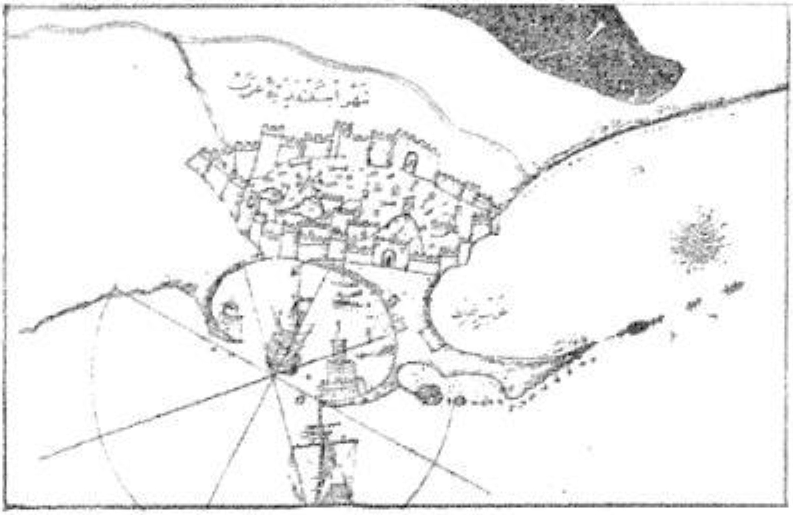
يبدأ الريّس بوصف السواحل المصرية بدقة بالغة من شواطىء السلوم ، وينتهي من وصفه لها عند غزة .. وبالتالي يتحدث في اقسام خاصة عن كل مكان على حده : رأس السلوم ـ ميناء مطروح جزيرة درك (جزيرة الصرّى) ـ مدينة الاسكندرية ـ ميناء ابى قير ـ شواطىء نهر النيل ـ سواحل رشيد ـ البرلس ـ شواطىء دمياط ـ سواحل تينه ..

وعن السلوم يقول كتاب البحرية ـ فيما يقوله ـ إنها رأس مرتفع يمتد نحو البحر ـ يجتازه الحجاج المغاربة عندما يتجهون برّا إلى مصر والاسكندرية . وهو طريق مشهور ذو مرتفعات ومنخفضات ، لذلك أطلقوا عليه اسم السلوم . والسلوم تعني السلّم او السلالم .. ثم يتحدث الريّس عن الرياح التي تهب على السلوم ، ويتحدث عن الموانىء التي تحيط بها ، والأراضي الزيتونية المجاورة لها ، وعن مكان فيها للسفن الصغيرة تحتمي فيه ..

وعن مطروح يقول ـ فيما يقول ـ انها ميناء واسع ، ضد رياح الشمال وهي الريح التي تهب بين مطلع الشمس والشمال اى الجهة المقابلة للجنوب .. يسميها الأجانب بورتو دلبارتون ..

ويقول إنه يمكن التوجه إلى الميناء ، بالاتجاه نحو القبلة ، ذلك لأن جانب النجوم ، ضحل وهناك في الجهة الجنوبية الشرقية من الميناء بمسافة ثلاثين ميلا : راس الكنايس . وفي الجهة الجنوبية الشرقية من راس الكنايس على بعد ٧٠ ميلا يوجد بورتو دلفارسه ، ويطلق العرب عليها : مقطع الروح .. ويقطعون من هنا ، حجارة الطواحين ، وتحملها مراكب تأتي من الاسكندرية .

أما عن الاسكندرية ، فيبدأ المصنف حديثه عنها باشارة الى تاريخها القديم ، والى أن « الاسكندر ذا القرنين » عندما وصل الى هذه المدينة ، لم تكن الا مكانا مهجورا خربا .. ثم يقول الريس إن بعض الصحابة جاءوا الى هذه المدينة ، واقاموا فيها ، وماتوا فيها . لذلك اطلق الناس على مدينة الاسكندرية لقب ملجأ الأولياء .. يمتد سورها وبرجها الى مسافة ثمانية أميال وهما (في وقته) مهجوران .. ثم يصف المصنف أماكن رسو السفن ، والموانىء ، والأماكن المحيطة بالميناء ، والرياح التي تهب عليها .. ويحدد



ميناء الاسكندرية (القرن ١٦ م) من كتاب البحرية للريس بيرى

المسافات بينها وبين ما يجاورها من اماكن ، ويصف الطريق الساحلى بينها وبين أبى قير ..

ويبدأ حديثه عن أن أبى قير بقوله : « ميناء جميل للغاية ، واسع وطبيعى ..

وهناك أبراج أمام الميناء ، وعلى بعد أربعة أميال منه جزيرة وهناك بوغازان بين الجزيرة والبرج .. ويسرد المعلومات الجغرافية والبحرية بدقة كما هى عادته فى كل فصل ..

وعن نهر النيل يقول الريس بيرى مادحا : (كل مكان فى نهر النيل ميناء) .. و (يفيض نهر النيل فى اغسطس من كل عام ، وسبب ذلك أن النيل يبدأ عند خط الاستواء ، وعندما يكون هناك شتاء يكون هنا صيف .. لذلك يفيض النيل صيفا وفى اغسطس ..) و(كما أنى فصلت القول تفصيلا عن كل مكان رأيته فى البحر الأبيض المتوسط ، فلابد أن اسجل هنا كل مكان رأيته .. من نهر النيل .. لقد سجلت بالبوصلة ، كل مكان من مصبى نهر النيل يوصل الى القاهرة . وهى بمقدار ٥٠٠ ميل من سواحل البحر حتى القاهرة) ..

وفى الفصل الخاص برشيد (ويكتبها رشيت) تشبه ، من البحر ، شراع مركب النقل لذا يبدو مريحا ، وعندما تأتى سفن النقل الكبيرة بقصد التجارة ، تسرع المراكب الصغيرة من الداخل الى الذهاب اليها وتتولى حمولتها ، ثم تدخل مركب النقل بعد ذلك الى الداخل .. وتقع مدينة رشيد بعد برجها بثلاثة أميال ..

وعن ميناء دمياط ، يفصل الريس بيرى الحديث عن موقعه وعن خيرات دمياط .. وعن رياحها ، والمسجدين اللذين يظهران فى أول النيل ، وعلى بعد ستة أميال من بوغاز دمياط إلى الجنوب الشرقى يقع رأس الطير وهو رأس بحرى ومكان جيد للرسو البحرى ، وعلى بعد منه حوالى ستة أميال نجد مصب تينه ، وميناء تينه ، وفيه يصطاد العرب السمك بالعصىّ ، وبين تينه وغزة ، تقع قرية العريش ..

سوانح وطرائف

فى الذكرى الخامسة والخمسين لأمير الشعراء

هكذا فشل شوقى فى المعارضات

بقلم : كمال النجمى

[فى الرابع عشر من اكتوبر الحالى تمر الذكرى الخامسة والخمسون لأمير الشعراء أحمد شوقى .. و "الهلال" يحيى ذكراه بهذه المقالة] .

نبدأ بطرفة من نقد الشعر وتذوقه عند أسلافنا الكرام الذين كانوا فى الشعر أرقى الناس بصرا بأسراره ، وألطفهم تذوقا لبدائعه ، وأنطقهم باستحسان الشعر الحسن ، واستهجان الشعر الردىء ! ..

فى مرثية أبى الطيب المتنبى لوالدة سيف الدولة ، بيتان ختم بهما القصيدة مادحاً إياه :

رأيتُك فى الذين أرى ملوكاً
كأنك مستقيمٌ فى مُحالِ

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ
فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

قال أبو الحسن محمد بن أحمد الشاعر : كان الأمير سيف الدولة يسره من يحفظ شعر المتنبى فى مدحه ، فأنشدتُ الأمير يوما فى مجلسه هذين البيتين وأبو الطيب المتنبى حاضر ، ثم قلت : "هذان البيتان اخترعهما أبو الطيب اختراعا ، لم يسبقه إلى معناهما أحد " .. فقال سيف الدولة :

ـ كذا حدثنى الثقات من أهل العلم ..

فاهتز المتنبى إعجابا بنفسه ، وكان واقفا فقعد ، استزادة من ثنائى عليه ، فأردت أن أعابثه فقلت :

ـ إلا أن فى البيت الأول عيبا ...

فالتفت المتنبى حانقا ، وسألنى متحديا :

ـ ماهو ؟! ..

قلت :



احمد شوقى
امير الشعراء

ـ قولك : "مستقيم فى مجال" .. والمحال ليس ضد الاستقامة ، وإنما ضدها الاعوجاج ! .. ولو قلت هذه الكلمة لوجب ان تكون قصيدتك على قافية الجيم لاقافية اللام ، فتقول : "كأنك مستقيم فى اعوجاج" ! ..

فأراد سيف الدولة مداراة المتنبى ـ وكان غضوبا ـ فوجه الكلام وجهة أخرى ، فسألنى متفكها :

ـ هب القصيدة جيمية القافية وليست لامية ، فكيف تعمل فى تغيير قول أبى الطيب : "فإن المسك بعض دم الغزال" من قافية اللام إلى قافية الجيم ؟! ..

فأجبت من فورى :

ـ فإن البيض بعض دم الدجاج !..

فضحك سيف الدولة حتى ضرب الارض بيده وقال لى : هذا حسن مع سرعة بديهتك ، إلا أنه يصلح أن يُباع فى سوق الطيور ولا يصلح لمدح أمثالنا يا أبا الحسن ! ..

ونظرت فإذا المتنبى لايضحك ولا يلتفت نحوى من فرط استخفافه بفكاهتى وسرعة بديهتى فيها !..

● انتهت قصة أبى الحسن ، بشىء من التصرف فى كلامها ! ..

ولم يكن جادا فى نقده لكلمة "مستقيم" فى موضعها ذاك ، فإن العرب إذا قالت : "استقام الأمر" .. فمعناه : أمكن الأمر ، أو صار ممكنا .. فيكون المعنى الذى اراده المتنبى : "كأنك ممكن فى محال .. أو فى مستحيل" .. ولا شأن لهذا بهندسة الاستقامة والاعوجاج لأن أبا الطيب أراد المعنى الشعرى لا المصطلح الهندسى ، ولم يفارق فى ذلك لغة العرب ! ..

ولولا صبر المتنبى لقام فكسر على رأس أبى الحسن بيض الدجاج الذى جاء به في تلك الفكاهة ! ..

فى هذه القصيدة يصف المتنبى كيف فاجأ الحزن جوارى والدة سيف الدولة ، إذ ماتت بين أيديهن ، وكن غافلات عن تقلبات الزمان لطول عيشهن مع سيدتهن هذه فى الترف والنعيم .. قال :

أتتهن المصيبة غافلاتٍ
فدمعُ الحزن فى دمع الدلال

وقد أجمع النقاد قديما على علو طبقة هذه الصورة المخترعة فى هذا البيت ، حتى قال أبو البقاء العكبرى اللغوى النحوى العلامة ، شارح ديوان المتنبى : "هذا من أبدع المعانى ، ولو لم يكن للمتنبى فى ديوانه إلا هذا البيت لكفاه" !

وشرح العكبرى البيت فقال : "أتتهن المصيبة على غفلة ، فَبَيْنَا هُنَّ يبكين دلالا ، بكين حزنا ، فاختلط الدمعان ، فهن يبدين الدلال مع الحزن ، والذلة مع الحسن" ! ..

● قلت : حاول الشعراء فى ألف سنة تقليد هذا البيت ، فلم يأتوا بشىء .. وكان أحمد شوقى أمير شعراء عصرنا يحاول الإلمام به فى بعض شعره ، فلا يقارب الإصابة ، حتى قال فى رثائه للخلافة العثمانية حين ألغاها مصطفى كمال "أتاتورك" سنة ١٩٢٤ :

شُيِّعَتِ مِنْ هَلَعٍ بعبرةِ ضاحك
فى كل ناحيةٍ وَسَكْرةِ صَاحِى

فنظر الى بيت المتنبى ، وجاء ببيت جيد ، لا يعيبه أنه مستولد من بيت المتنبى ، وقد ابتعد كل منهما عن مجال الآخر ، وإن كان البيتان كلاهما فى معنى من معانى الرثاء ..

وحين خلع ضباط الاتحاد والترقى الخليفة العثمانى عبدالحميد الثانى سنة ١٩٠٩ كان لشوقى إلمامة عابرة ببيت المتنبى فقال يصف جوارى السلطان عبدالحميد وقد فوجئن بخلعه :

العاثراتُ من الدلال
الناهضاتُ من الغرور

هذا البيت يبدو بعيدا عن بيت المتنبى ، لكنك إذا تأملته وجدت شوقى قد أقامه على كلمة "الدلال" وعارضها بكلمة "الغرور" يقصد "الغفلة" .. فالجوارى هنا بين الدلال والغفلة عن تصاريف القدر ، تماما كجوارى والدة سيف الدولة اللاتى فوجئن بموتها كما فوجئت جوارى السلطان عبدالحميد بخلعه ! ..

ولشوقى طريقة فى التقاط المعانى من بعيد ، بحيث يخفى أصلها على من لا يتأمل أو يدقق ! ..

إلا أن شوقى أبدع فى وصف حال جوارى عبدالحميد بأبيات لم يسبقه إليها شاعر .. وقصارى ماقاله البحترى فى جوارى الخليفة المتوكل العباسى بعد قتله وتفريق جواريه على قواد جيشه :

ولم أنْسَ وحش القصر اذ رِيع سِربُهُ
وإذ ذُعِرَتْ اطلاؤه وجآذِرُهْ

ووحش القصر هن جوارى القصر ، شبههن البحترى - على عادة الشعراء قديما - بالبقر الوحشى لاتساع عيونهن وجمالها ، ورشاقة اجسامهن ..

ولا يفى هذا البيت المفرد ولو بصورة واحدة من الصور التى أبدعها شوقى وصفا للحال التى صارت إليها جوارى السلطان عبدالحميد .. ولولا خوف الإطالة لجئنا هنا بهذه الابيات ! ..

كذلك "دم الغزال" .. كان للشعراء على طول السنين محاولات فى تقليده ، فلم يوفقوا حتى جاء شوقى بقصيدته التى مطلعها :

حياة مانريد لها زيالا
ودنيا لا نود لها انتقالا

فوصف فيها كيف زاره ليلا أحد المجاهدين السوريين القدماء الذين قاوموا الاحتلال الفرنسى . ليسلمه رسالة من زملائه فى سوريا .. وشوقى ليلتئذ وسط زحام حفل كبير اقامه فى داره "كرمة ابن هانىء" تكريما للوفود العربية التى توجته أميرا للشعراء سنة ١٩٢٧ .

طالع شوقى رسالة المجاهدين أو المحاربين القدماء الذين يمتلىء شعره بمدحهم ، فإذا هم قد كتبوا أسماءهم عليها بدمائهم لا بالمداد ، إعزازا للشاعر الذى تغنى بجهادهم ! ..

قال يصف ذلك :

ذكرت المهرجان وقد تجلّى
ووفد المشرقين وقد توالى
ودارى بين أعراس القوافى
وقد جُليت سماء لا تُعالى
تسلل فى الزحام إلىّ نضوٌ
من الأحرار تحسبه خيالا
رسول الصابرين ألمّ وَهْناً
وبلغني التحية والسؤالا
دنا منى فناولنى كتاباً
احسّت راحتاى له جلالا
وجدت دم الاسود عليه مسكا
وكان الأصل فى المسك الغزالا

فطاف شوقى فى البيت الاخير من هذه الأبيات ، باللفظ والمعنى فى بيت المتنبى

ولكنه لم يأخذ منه إلا "المسك" و "الغزال" ثم وجه المعنى إلى رسالة المجاهدين المكتوبة بدمائهم الزكية فجعل المسك من دم الأسد لامن دم الغزال ، فأبدع فى خلق هذا المعنى الجديد من المعنى القديم ، ولعل بيت المتنبى لم يكتمل فى ديوان الشعر العربى إلا ببيت شوقى الذى جمع إلى التصوير الجديد ، رشاقة فى التعبير ، وايماءة لطيفة الى بيت المتنبى ! ..

وقصيدة شوقى هذه التى يصف فى بعض أبياتها بطولة الشهيد يوسف العظمة ومصرعه فى معركة ميسلون الخالدة التى تصدى فيها مع نفر قليل من صحبه للجيش الفرنسى ، هى ـ بلا مراء ـ إحدى فرائد الشعر العربى الكلاسيكى الحديث ، وقد غمطها القراء والنقاد حقها كأنهم لم يقرأوها ، وما أكثر ما أضاع النقاد والقراء !! ..

ولا أتذكر الآن من الذى قال من أدباء الجيل الماضى إن شوقى كان يعارض أبا تمام والبحترى فلا يقصر عنهما، وقد يتفوق عليهما ، فإذا عارض المتنبى بان تقصير شوقى بإزاء شاعر العربية الأكبر ! ..

لست من هذا الرأى ، فإن شوقى عارض أبا تمام فى بائيته المشهورة التى خلد بها انتصار "المعتصمُ فى وقعة "عمورية" ومطلعها :

السيف أصدق انباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

فقال شوقى بائيته التى يمدح بها مصطفى كمال حين هزم اليونانيين فى حرب الاستقلال التى خاضها الأتراك بقيادته وانتصروا سنة ١٩٢٢ ومطلع هذه القصيدة :

الله اكبر كم فى الفتح من عجب

ياخالد الترك جدد خالد العرب

والفرق واضح بين "الاصل" وهو كلام أبى تمام الذى اخترعه اختراعا ، وبين كلام شوقى الذى لم يكن الا جريا فى طريق أبى تمام ، ولا نقول فى غبار أبى تمام ، لأن قصيدة شوقى ـ فى ذاتها ـ من أجود الشعر ، ولا يضائل من قدرها إلا الموازنة بينها وبين قصيدة أبى تمام الفريدة فى بابها .. وقد اختلف مجال القول بين هذين الشاعرين فى عصرين متباعدين ، وحادثين مختلفين ، وليس فى الوسع أن يكون كلام القرن الرابع عشر الهجرى ككلام القرن الثالث ، فالزمان لا يتوقف ، والجديد ـ ولو كان أقل جودة ـ يحل محل القديم وإن كان لا يلغيه ولا يجحده .

وعارض شوقى سينية البحترى الرائعة :

صنت نفسى عما يدنس نفسى

وترفعت عن جدا كل جبس

فنظم شوقى ـ باجتهاد شديد ـ قصيدته التى أولها :

اختلاف النهار والليل ينسى

اذكرا لى الصبا وأيام أُنسى

ولو حذف بعض أبيات قصيدته هذه لسترها وأعلى قدرها عند موازنتها بقصيدة البحترى .. مثال ذلك قول شوقى :

ومكان الكتاب تغريك ريا

ورده غائبا فتدنو للمس

فهذا مسخ لقول البحترى :

يغتلى فيهم ارتيابى حتى

تتقراهم يداى بلمس

ولعل شوقى أراد أن يأتى ببيت القصيد ، كما جاء البحترى به حين قال :

والمنايا مواثل وانو شروان

يزجى الصفوف تحت الدرفس

فقال شوقى :

وعلى الجمعة الجلالة والنا

صر ، نور الخميس تحت الدرفس

فهذه غارة شنها شوقى على اللفظ والمعنى ، وإن كان قد جعل الحرب ، صلاة ، واستبدل بكسرى أنوشروان ، الخليفة الأموى فى الأندلس ! ..

هكذا كان شوقى يقصر ويتخلف عندما يعارض أبا تمام والبحترى ، ولم يكن يتفوق عليهما كما ادعى من ادعى ، وكان تقصيره فى معارضة الشاعرين لا يقل عن تقصيره فى معارضة المتنبى ..

بل إن شوقى كان ينتابه التقصير حتى فى معارضاته لمن هم أقل طبقة فى الشعر من أبى تمام والبحترى والمتنبى ..

ومن منا لم يسمع معارضة شوقى لقصيدة الحصرى القيروانى : "ياليل الصب متى غده" .. فأين معارضة شوقى بإزاء هذه القصيدة الأندلسية التى تغنت بها الأجيال فى المغرب والمشرق ؟!

○ معارضة ليل الصب ○

فليل الحصرى هو "ليل الصب" .. أو ليل المحب المدنف الذى يتعجل الصباح ويراه بعيدا أو مجهول الموعد كقيام الساعة .. أما ليل شوقى فهو ليل المضنى الذى جفاه مرقده ، فهو راقد وليس ساهراً كالصب عند الحصرى ، ومع ذلك بكى على هذا الراقد المترف زائروه أو عائدوه وترحموا عليه كأنه ميت ، فياله من افتعال فى تصوير هذا العاشق الراقد فى فراشه بكامل صحته لا ينقصه إلا أن يغمض جفنيه وينام حتى توقظه ضجة الصباح :

مُضْنَاكَ جَفَاهُ مرقدُه

وبكاه وَرَحمُ عُوَّده !..

لقد نشط شوقى إلى معارضة "ياليل الصب" حين دعاه إلى ذلك اسماعيل صبرى

باشا ـ شيخ الشعراء كما كانوا يسمونه في وقته ـ فرأى شوقي ألا يدع لاسماعيل صبري فخر الانفراد بهذه المعارضة .. ثم اندفع بعض شعراء وشعارير عصر شوقي فعارضوا "ليل الصب" بما قدروا عليه من الكلام المنظوم الخارق فى نكت البديع وألاعيب الألفاظ .. ومن ذلك قول اسماعيل صبرى :

اقريبٌ من دنف غده
فالليل تمرد أَسْوَدُهُ
والتفت تحت عجاجته
بيض في الحي تؤيده

فهذه بداية حرب وقتال ، لا بداية غزل أو نسيب ، والليل هنا جيش من العساكر السود قد اثاروا بخيلهم العجاجة أو التراب ، واقبل جيش آخر من العسكر البيض فانضم إلى جيش السود ! .. ولم يبق بعد ذلك إلا أن ينفخ الشاعر فى الصور ، ويقيم القيامة ، ويبعث الموتى من اجداثهم .. وكل ذلك من اجل ذلك "الدنف" الذى يسأل : اقريب غده ام بعيد ؟! ..

وغزليات شوقى التى نظمها معارضة للشعراء القدماء ، هى اقل شعره حظا من الجودة . وهى متخلفة فى الإحساس والصدق والنبض الشعرى عن الأشعار الغزلية التى عارضها .. فاين هو من ابن زيدون الذى قال :

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن
زاد في تلك الخطى اذ شيعك

عارضه شوقى فقال :

ردت الروح على المضنى معك
احسن الأيام يوم ارجعك
مر من بعدك ماروعنى
أترى ياحلو بعدى روعك

خالف عن ابن زيدون فى موقفه الشعرى ، فابن زيدون يودع ، وشوقى يستقبل .. ولكنه لم يجد فى موقف الوصال بعد الوداع إلا هذا السؤال يردده على مسامع حبيبه : أترى ياحلو بعدى روعك ؟! .. فهبط قارىء الشعر من سماء ابن زيدون إلى مقهى "صولت" فى القاهرة حيث كان شوقى يقضى أمسياته يتسلى أحيانا بنحو من هذه "الدردشة" الشعرية ، أو قريب من نحوها ..

وابن النبيه الشاعر الأيوبى اقل شاعرية من شوقى ، ولابن النبيه أبيات غزلية بديعة سمعناها غناء فى عصرنا هذا من ملحنها الشيخ أبى العلا محمد ، ثم من

أم كلثوم .. ومطلع هذه الأبيات الصادقة الشعور ، الحلوة التعبير :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا
ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا

عارضها شوقي فقال الأبيات التي أولها :

تأتي الدلال سجية وتصنعا
وأراك في حالي دلالك مبدعا ! ..

فلم يأت شوقي إلا بدليل آخر على أنه قد دعا شاعريته إلى معارضة القدماء لغير داع ! ..

ويعرف قراء الشعر العربي قول أبي الطيب المتنبي في الغزل :

أتراها لكثرة العشاق
تحسب الدمع خلقة في المآقي ؟! ..

وهو بيت "يخرق العقول" كما يقال ، لفرط حسنه واختراع معناه !.. فقال شوقي يعارضه :

جئننا بالشعور والأحداق
وقسمن الحظوظ في العشاق

فجعل المرأة الوحيدة المخصوصة بالحب من عاشق واحد على كثرة عشاقها ـ مجموعة من النساء ، أو جمعا غفيرا منهن ، جئن بخصلات شعرهن وأحداقهن أو عيونهن ، وانهمكن في تقسيم ما في أيديهن من هذه الأشياء الجميلة على العشاق المساكين الواقفين في "طابور" جمعية الحب الاستهلاكية ! ..

ثم انتقل شوقي من المتنبي إلى عمر بن أبي ربيعة في "قلت" و "قالت" .. وبهما اشتهر ابن أبي ربيعة في أشعاره التي تتضمن حوارا مع حبائبه الكثيرات .. قال شوقي :

ضربت موعدا فلما التقينا ..
جانبتني تقول : فيم التلاقي ؟! ..

قلت : ماهكذا المواثيق ، قالت :
ليس للغانيات من ميثاق ! ..

فكان الشطر الأخير من هذين البيتين حكمة جرت على لسان تلك الغانية التي مانطقت ولا قالت شيئا ، ولكن شوقي أنطقها نيابة عنه بالحكمة التي أرادها فكانت طعنا في مواثيق الغانيات ، وعلى رأسهن غانيته العزيزة ! ..

● تقليد الحب

لم يكن شوقي ـ رحمه الله ـ عاشقا لأية امرأة ، فجاء الحب في شعره معارضة أو تقليدا للحب في دواوين القدماء .. وضاع من شاعريته شيء كثير في كلام قليل ضئيل عن الحب والمرأة لم يأت به من وجدانه ، ولكن من دواوين القدماء التي هي بدورها حافلة بالحب الصناعي الكلامي الذي بينه وبين الحب الحقيقي من البعد الباعد مالا تقريب فيه ! ..

وكان ناشرو شعر شوقي قد حذفوا مدائحه للخديو عباس حلمي الثاني من ديوانه حين أعادوا طبعه في عهد الملك فؤاد وابنه الملك فاروق ، ولم يبق الناشرون إلا على أبيات الغزل التي كان شوقي يفتتح بها هذه المدائح ، على عادة قدامى الشعراء ..

ولو عقل الناشرون لحذفوا من هذه القصائد غزلها قبل أن يحذفوا مديحها .. وإن كان الرأي الذي يراه حفظة الأدب قديمه وجديده ، أن تبقى دواوين الشعراء على أصولها ، بلا حذف ولا تعديل ، بما فيها ديوان ابي نواس ومايجرى مجراه !

ومن حسن الحظ أن الخديو عباس حلمي خلع عن كرسيه ، فتحرر شوقي من التغزل المفتعل في مقدمة كل مدحة خديوية ! .. ثم نظم غزلا قليلا جيد الصياغة ، رائع القسمات في مثل روعة التماثيل الاغريقية الواقفة في صمتها منذ الفي عام .. ذلك أن شوقي لم يستطع أن يبعث في غزلياته الجديدة هذه أيضا مشاعر حقيقية .. ولعل أشعاره الزجلية التي نظمها للمطرب الملحن الكبير محمد عبدالوهاب ، هي الشعر الذي حمل بعض خوالج شوقي ، فكان في غزله الزجلي أشعر منه كثيرا في غزله الشعري .. ولو كان لشوقي في شعره الفصيح قصيدة واحدة مثل قصيدته الزجلية " في الليل لما خلي إلا من الباكي " لكانت حسبه من شعر الوجدان !..

إن شوقي قد أجاد في زجلياته لأنه عبر فيها عن نفسه ولم يعارض بها أحدا .

إن شوقي قد أجاد في زجلياته لأنه عبر فيها عن نفسه ولم يعارض بها أحدا ،
ولكن شوقي كان مصابا بعقدة نفسية تدفعه إلى معارضة القصائد الفرائد في الشعر العربي ليثبت تفوقه على شعراء العربية جميعهم ، فاشتط في هذا المضمار غير الذي أراد .. !

ولما نفاه الانجليز الى الاندلس ، اسبانيا ، خلال الحرب العالمية الأولى ، وجدها فرصة لمعارضة ابن زيدون الشاعر الاندلسي الكبير ، فقال شوقي قصيدته التي مطلعها :

يانائحَ الطلحِ أشباهٌ عوادينا
نشجىَ لواديكَ أم نأسىَ لوادينا ؟

يعارض بها قصيدة ابن زيدون المشهورة :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وَنَابَ عن طيب لقيانا تجافينا

ولعل معارضة شوقي هذه لابن زيدون هي أفضل محاولاته في المعارضة الشعرية ، لأنه كان وقتها يشعر بفداحة الغربة عن الوطن ، ويحس احساسا صادقا باللوعة والحنين ، فضلا عما يرزح تحته من الظلم والطغيان الأجنبي ، والخوف من المستقبل المجهول ..

إلا أن الأصل يبقى دائما هو الأصل ، فابن زيدون هو الذي دق الناقوس الشعري لشوقي ليمضي في آثاره ، ويقول في بحره وقافيته ، وينسج على منواله .. وقد استعار ماشاء من الفاظ ابن زيدون وقوافيه ، ولم يأخذ ابن زيدون منه شيئا بطبيعة الحال .. وحسبنا هذا من فارق بين الشاعرين في هاتين القصيدتين ! ..

بل ان "شوقى" لم يستطع ان يثبت فى المعارضة لقصيدة البوصيرى التى مطلعها :

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذى سَلَمِ
مَزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

والبوصيرى ليس من كبار الشعراء كابى تمام والبحترى والمتنبى .. ولا هو كابن زيدون والحصرى .. ولكنه كان يبلغ الغاية فى مديحه النبوى ، لصدق عاطفته الدينية وغزارتها ، وانثيال المعانى عليه من كل اتجاه .. ولذلك قال بعضهم : "افضل المدائح النبوية ، البردة والهمزية" .. وكلاهما للبوصيرى ولم يكن شوقى كاذبا فى العاطفة الدينية ، ولكنه لم يبلغ شأو البوصيرى الذى كان المديح النبوى مثار عاطفته وشاعريته ، فيبلغ بقوة روحه من بلاغة الشعر ما لايبلغه كبار الشعراء .. فاذا قال فى غير المديح النبوى كان شاعرا عاديا كشعراء عصر الايوبيين او المماليك البحرية .. أو عصر العثمانيين .. إذا شئت ! ..

هكذا اذن .. لم يكن شوقى يعجز عن معارضة المتنبى وحده ، بل كان يعجز عن معارضة القصائد المختارة فى الشعر العربى كله بغض النظر عن حظ أصحابها من الشاعرية .. لأن المعارضة كانت تخرج شوقى من شاعريته الى تقليد شاعرية الآخرين وشعرهم ، فيفارق طبعه وسليقته وطريقته لينازل شاعرا سبقه الى روضة قطف ازهارها وثمارها ولم يترك له فيها الا ما لا خير فيه . فيدفعه ذلك الى التكلف ، كأنه يصنع لنفسه روضة من الأزهار الصناعية والاثمار البلاستيكية ..

الا ان شوقى كان فى غير "المعارضات" شاعر العربية الاكبر فى عصره ومن اشعر الشعراء فى جميع العصور وله من فاخر الشعر مابوأه منزلته فى الشعر ، وجمع له شعراء العربية فبايعوه بإمارتهم وفى مقدمتهم حافظ ابراهيم شاعر النيل يقول :

اميرَ القوافِى قد اتيتُ مبايعاً
وَهذِى وفودُ الشرقِ قد بايعتْ مَعِى

وأكثر معارضات شوقى شعر جيد فى ذاته ، ولكن الشعر ليس مغالبة قصيدة بقصيدة ، ولا محو شعر قديم بشعر جديد ، ولاصراع ابطال فى حلبة رفع الاثقال ، كل بطل يتحدى الآخرين ان يرفعوا مايرفعه من قناطير الحديد التى تقصم الظهور ! ..

تزييف الواقع في أدب الجاسوسية

جون إبلر أو حسين جعفر وأخطر فصلي الجاسوسية

بقلم : صالح مرسي

لست اعتقد ان هناك من كان اسعد مني ، للمساهمة التي يقوم بها الهلال حول هذا النوع الجديد – علينا – من الادب ، وهو ما نطلق عليه الان اسم ادب الجاسوسية وبالرغم من اعتراضي على التسمية فانى ارى ان الادب ادب مهما تنوعت مادته ، الجديد علينا الان فقط هو ان الجاسوسية كنوع من النشاط الانساني اصبحت واحدة من ملامح العصر الحديث ، ومع التقدم المذهل في الاليكترونيات واساليب التصنت والرؤية – على السواء – اصبح التجسس غير مقصور على اجهزة المخابرات فقط بل اصبح عنصرا هاما من عناصر الصناعة الحديثة وليست هناك شركة او مؤسسة صناعية كبرى ليس فيها قسم كامل مهمته معرفة مدى التقدم في الشركات الاخرى او الجديد فيها ، سواء أكان هذا في صناعة الدواء او حتى صناعة الاعلاف او الصواريخ •

وفي العددين الاخيرين من الهلال، كتب الاستاذان الدكتور الطاهر احمد مكي ، ومحمود قاسم ، عن هذا النوع من الادب ، ولقد كنت سعيدا بالمقالين سعادة حقيقية •• اذ انهما اكدا وجود هذا النوع من الادب المحترم على مستوى العالم المتحضر كله •• واذا كان كلاهما قد ذكرني بالخير في مقاله ، ذاكرا جهدي المتواضع في اقتحام هذا المجال الجديد من الادب •• فان ثمة حقائق قد غابت عنهما ، بصفتهما ناقدين ادبيين •• ومن اهم هذه الحقائق ، ما جاء في مقال الاستاذ محمود قاسم ، الذي اشهد له بمعرفة موسوعية عن هذا النوع من الادب •

ففي حديث الاستاذ قاسم عن الكاتب الانجليزي « كن فوليت » جاء ذكر روايته التي صدرت عام ١٩٨١ تحت اسم « الاسم الكودي : ربيكا »•• متمدثا عن الاصل الذي استقى منه هذا الكاتب قصته الاخيرة •• وهي قصة الجاسوس الالماني « جون ابلر » وهنا ، يجدر بنا ان نتوقف قليلا امام حقيقة مهمة !

هذه الحقيقة التي تقول – انه ليس هناك كاتب يكتب بدون دوافع ، بمعنى ان السيد فوليت الانجليزي ، لا يمكن ان يكتب ممجدا عملا اسرائيليا دون ان يكون من وراء ما يكتبه دافع، سواء اكان هذا الدافع ماديا ، ام معنويا ، او حتى دافع مبدئي •• وهو ايمانه بقضية اسرائيل مثلا !!•• وربما كان هذا هو السبب الذي من اجله اطلق عليه الاستاذ قاسم : الوجه الكئيب للوجه المصري المشرف الذي هو كاتب هذه السطور •

ولابد أن الأستاذ قاسم قد استقى معلوماته عن « جون ابلر » هذا ، من الرواية نفسها ، او من أحداثها ... وهذا خطأ لا يجب أن يقع فيه ناقد ودارس جاد ومبشر كالأستاذ قاسم .. ذلك أن تزييف الواقع ، او بمعنى علمى ، افساده .. لا يأتى عبثا ،انما يوضع – ربما – فى أحد المعامل العلمية أو الفكرية ، فى جهاز مخابرات ما .

وهذا هو ما حدث فى روايةوالاسم الكودى : ربيكا » .

أما الواقع الحقيقى الذى حدث ، فيختلف اختلافا شديدا، وربما جذريا، عن هذا الذىوضعه فوليت فى روايته – التى لماقرأها بكل أسف – عمدا .. وربما جاء هذا التزييف او الافساد ، لاخفاء دور الوكالة اليهودية ، والتى كان لها مقر فى القاهرة ، وتعاونها مع كل اجهزة المخابرات فى العالم لمصلحتها الخاصة ، والتى كانتعبارة عن جهاز مخابرات قائم بذاته له اسلوبه الخاص !

ولقد كان جونابلر هذا طفلا لابوين المانيين يعيشان فى الاسكندرية ، ولقد مات الاب فتزوجتالام من رجلمصرى فاضل هو المستشار « صالح جعفر » الذى تبنى الطفل « جون » واطلقعليه اسم « حسين جعفر » وعلمه الدين الاسلامى ، واصطحبه معهالى الاراضى الحجازية ، وهو لا يزال صبيا ، كى يؤدى فريضة الحج !

هكذا نشأ حسين جعفر فى مصر ، يجيد الالمانية اجادة تامة ، كما يجيد العربية باللهجة المصرية كأحد ابنائها!

غير أن ما فعله المستشار صالح جعفر بكل أسف لم يأت بنتيجة ، ففى أحد أسفار الشاب حسين جعفر الى بيروت ، التقطته هناك احدى فتيات المخابرات الالمانية ، وحققت له اتصالا مع واحد من رجال النازى المشهودلهم بالبراعة .. ولم يقاوم حسين جعفر طويلا ، وسرعان ما اصطحبه الرجل الى تركيا ، ومن تركيا سافر سرا الى المانيا حيث تدرب على التجسس ، وحددت له مهمته فى القاهرة وهى التجسس على الحلفاء ومعرفة خططهم بالنسبة لحرب الصحراء خاصة .. وكان زميل حسين ، أو جون ابلر ، فى هذه المهمة ، شاب المانى يدعى « فولكاستر » ، كانت مهمتهبثالرسائل باللاسلكى، الى محطة اليت خصيصا فى الصحراء الغربية ، لاستقبال رسائلهما .

وعندما أصبح ابلر جاهزا تماما لمهمته ، التقى بالفوهرر – او الزعيم – أودلف هتلر ، ولم يتم اللقاء اكثر من دقيقة ونصف ، ذكره هتلر فيها أن دماءه المانية خالصة ، وان عليه أن يقوم بالمهمة على الوجه الاكمل ، وان الفيلد مارشال روميلينتظر مساعدته واجابته على كل الاسئلة التى ستطرح عليه !

ولم يدخل ابلر الى مصر بالطريق الطبيعى .. بل دخلها عن طريق الواحات ثم اسيوط ، ثم القاهرة ، ووصل ابلر الى القاهرة .. وصل كحسين جعفر ، واتصل أول ما اتصل بصديقة له كانت تعمل كراقصة ، هى « حكمت فهمى » .. التى مهدت له الطريق ، وقبلت التعاون معه، لمعرفة اخبار الحلفاء من الجنود والضباط السكارى ، والذين كانوا يعودون فى الاجازات منهكى القوى ، والذين كان ابلر يلتقى بهم فى ملهى « الكيت كات » بامبابة حيث كانت حكمت تعمل ...

ولقد استطاع ابلر أن يمد قوات المحور فى الصحراء الغربية ، بكم هائل من المعلومات كانت مفيدة الى

أقصى درجة بالنسبة لقوات روميل الزاحفة ..

لكن الضربة القاصمة كانت ، في صداقة ابلر مع ميجور انجليزى يدعى « سميث » ، وكان واقعا في غرام حكمت فهمي ، وكان يشغل وظيفةهامة في المخابرات البريطانية ، ان لم يكن واحدا من قادتها اللامعين !

كان سميث يسكن العوامة المجاورة لعوامة حكمت فهمي ، فاستأجر ابلر وفولكاستر العوامة المجاورة لهما .. وبلغ من غفلة ميجور سميث هذا — لم أستطع الحصول على اسمه الاول رغم كل المحاولات التي بذلتها ! — انه أهدى جون ابلر ، ايريال شديد الحساسية ، بحجة استعماله للراديو الخاص به ، وكانت وظيفته الاساسية — أى وظيفة الايريال — هى التقاط وبث الرسائل الى تلك المحطة التي أقيمت خصيصا في الصحراء الغربية !!!

وصل جون ابلر الى ذروة النشاط فى تلك الفترة التي كان روميل يدق فيها أبواب الاسكندرية ، وتلك الفترة القلقة التي كان على القيادة السياسية البريطانية ان تغير بقائد قواتها في افريقيا الجنرال « ريتشى » ، فقائدا آخر استقر الامر عليه هو مونتجومري .. فى تلك الذروة ، لعبت الصدفة دورا خطيرا فى كشف هذا الجاسوس الرهيب • وكانت الوكالة اليهودية ، خلف هذه القصة !

فمع النجاح الهائل الذى كان ابلر يحققه ، نسى الكثير من أسباب الامن .. كان — مثلا — يرتاد النوادي الليلية مع صديقه فولكاستر .. وفى احدى المرات التقى ابلر بفتاة يهودية اسمها « ايفيت » — لم نعرف اسمها بالكامل ولم يذكر هذا الاسم حتى الآن !! — وكانت ايفيت هذه تدعى انها لبنانية فرنسية ، وقد جمعها ابلر وفولكاستر مع فتاة أخرى ، الى العوامة .. وفى صباح اليوم التالى ، أعطى كل منهما عشرين جنيها استرلينيا !

لم يكن هذا هو الخطأ الوحيد ، فلقد كان طبيعيا أن يحمل الناس في مصر فى تلك الايام عملة بريطانية .. لكن الخطأ الاعظم جاء ، عندماتحدث ابلر الى فولكاستر أمام تلك الفتاة اليهودية ، ايفيت ، باللغة الالمانية !

هنا .. يجب أن نتوقف قليلا كى نتأمل ، الى أى مدى كانت أجهزة المخابرات الاسرائيلية — وكانت الوكالة اليهودية واحدة منها — على درجة عالية من التدريب والكفاءة فى نفس الوقت !!

ولقد كانت القصة تتطور — على الجانب الآخر — تطورا غريبا !

فلقد حدث شيء غريب .. فعندما حاول فولكاستر — ضابط اللاسلكي — الاتصال بقاعدته المتاحة فى الصحراء الغربية .. لم يجد ردا مع اشاراته، وكانت الرسالة الجاهزة الآن للارسال، على جانب هائل من الخطورة ... لذلك ، فلقد انتاب ابلر القلق البالغ، وظن أن جهاز اللاسلكي معطل ،فسأل حكمت فهمي — شريكته بوضوح — عن خبير فى أجهزة اللاسلكي فدلته على ضابط اشارة فى الجيش المصرى ، اسمه : أنور السادات !

فاتحت حكمت فهمي أنور السادات بالامر كله وبوضوح ، ووافق السادات على أن يكشف على الجهاز المعطل ، وبالفعل جاء ، وكشف على الجهاز ، وقال : انه سليم وليس معطلا !!

وهكذا .. أسقط فى يد جون ابلر، وكان عليه أن ينتظر ثماني وأربعين ساعة ، كى يتصل بالمحطة التبادلية — أى المحطة التي يتصل بها اذا لم ترد عليه المحطة المخصصة له — وكانتفى

اليونان ..
فما الذي حدث ؟ !
كان ما حدث ـ على الجانب الآخر ـ مأساة بكل المعاني لهذا الجاسوس الخطير .
فعندما كان ابلر فى المانيا يستعد للسفر الى مصر ، قدموا له كتاب « ربيكا » للكاتب « دافنى دى موريه » ، وهى الرواية التى استعملها الكاتب الانجليزى كن فوليت فى عنوان روايته ، كى تكون مفتاح الشفرة التى يتراسل بها .
كان هذا ، بالطبع ، قبل قيام الحرب العالمية الثانية رسميا .
وكان قد حدث فى لندن حادث فريد فى نوعه ..
ففى احدى المكتبات ، دخل السفير الالمانى كى يشترى رواية .. وكان صاحب المكتبة يعرفه من قبل ، اذ كان السفير زبونا فى المكتبة .. ولقد انتقى الرجل رواية ربيكا للكاتب « دافنى دى موريه » ، ودفع ثمنها ، ثم انصرف ..
بعد بضعة أيام ، دخلت زوجة السفير الى نفس المكتبة ، كى تطلب نفس الرواية ، ثم تدفع ثمنها وتمضى ... ولقد ادهش صاحب المكتبة هذا التصرف ، فكيف يقتنى رجل من رواية واحدة نسختين ... ولعب الفأر فى عبه ، ولم يجد مفرا من ابلاغ الاستخبارات البريطانية بما حدث !
ولقد افاد هذا الذى حدث العديد من رجال المخابرات فى العالم ، وكان منهم عزيز الجبالى الذى ، عندما أراد أن يشترى رواية تحل شفرته مع رأفت الهجان ، واشترى الرواية بالفعل من مكتبه هاشيت بالقاهرة ، ظل شهرا ، حتى كلف صديقا له ! بعيدا تماما عن مهنته ، بشراء نفس الرواية من نفس المكتبة ونفس الطبعة !
على ان المخابرات البريطانية وقد أبلغت بما حدث ، لم تفهم له معنى .. وظل هذا الامر حتى وقعت صدفة أخرى ، وكان مكان الصدفة الجديدة ، يبعد آلاف الاميال .. كان مكانها فى الصحراء الغربية ..
فلقد كانت احدى الدوريات الانجليزية تقوم بعملها فى الصحراء ، عندما عثرت على وحدة المانية صغيرة مكونة من ثلاثة جنود ، يقبعون وحدهم فى الصحراء ، وليس هناك وسيلة من وسائل الحرب معهم سوى جهاز لاسلكى .. ولقد اعتقلت هذه الوحدة ، ودمر جهاز اللاسلكى وكل ما كان فى الموقع ، حتى ذلك الكتاب الغريب الذى وجده قائد الوحدة ، وهو رواية « ربيكا » للكاتب « دافنى دى موريه » ، وكاد أن يلقى به جانبا ، لولا انه انتبه فى آخر لحظة ، أن الكتاب باللغة الانجليزية .. وكان أمرا غريبا ، أن تجد رواية بالانجليزية مع جندى المانى فى الصحراء الغربية ... وكان الكتاب جزءا من المضبوطات التى أرسلت الى القاهرة !!
هنا نتوقف قليلا ، لنعرف الحقيقة ، ولنعرف كيف تتم لعبة التجسس ، وكيف يتم التحكم فيها !
فعندما بدا واضحا للمخابرات البريطانية ، أن ثمة أسرارا رهيبة تتسرب الى العدو من القاهرة ، كان لابد من ارسال رجل مخابرات آخر ، غير ميجور سميث .. وبالفعل ، أرسل الميجور « سانسوم » ، وهو داهية بريطانى ، عاش فى السعودية والاردن وسوريا سنوات تعدت العشرين .. ولقد كان سانسوم هذا داهية بكل المعانى .. فبعد وصوله الى القاهرة ، اكتشف أولا ـ أن هناك الوف الجنيهات الاسترلينية المزيفة تغرق السوق المصرية .. فبدأ يدس عيونه هنا وهناك رصدا لمصدر هذه النقود المزيفة .

ثم بدأ فى حصر فتيات الليل اللواتى كن يتعاملن مع الجنود والضباط البريطانيين ، وكانت منهن الفتاة ايفيت ، فقبض عليها من ضمن من قبض عليهن .

وهكذا،تحرك مدير الوكالة اليهودية فى القاهرة ، الذى كان سانسوم يعرفه جيدا .. وكان تحرك المدير فى اتجاه الميجور سميث ، لكن الضابط الذى رد عليه تليفونيا ، حدد له موعداً فى نادى الجزيرة ، دون ان يذكر له اسم من سيلتقى به .

فى نادى الجزيرة ، تم اللقاء بين سانسوم ومدير الوكالة اليهودية، الذى كان متسلحا بالنقود المزيفة ، وبتلك القصة عن الشاب حسين جعفر الذى يتحدث الالمانية بلهجة اقليم السار !!!

نهاية مثيرة

وكانت هذه هى نهاية قصة جون ابلر ، او ، حسين جعفر ... الذى ظل مجهول المصير ، منذ محاكمته الصورية التى تمت فى مكان ما بحى المعادى — وهو ضاحية قاهرية — وصدر ضده الحكم بالاعدام .. حتى أراد احد الصحفيين البريطانيين ان يسجل تلك القصة ، ولم يجد خيطا يوصله الى الحقيقة ، الا البكباشى محمد انور السادات عضو مجلس قيادة الثورة المصرية التى كانت قد قامت منذ اعوام قليلة .

وفى لقاء مع السادات ، أرشد هذا الصحفى عن مكان حسين جعفر .. وكان يقطن فى قرية المانية مجهولة فى الشمال .. وما ان ذهب ذلك الصحفى الانجليزى الى صاحب الكتبة — وكان يحمل بالطبع اسما مختلفا — وصارحه بأن السادات هو الذى دله على عنوانه حتى وافق على الحديث ، وقص القصة بالكامل !

ولم يكن ممكنا ان يعيش الصحفى البريطانى فى قرية المانية لأسابيع دون أن يلفت الانظار .. لذلك ، وامعانا فى السرية ، قد استضاف صاحب المكتبة الذى لم يكن سوى حسين جعفر، أو جون ابلر ، الجاسوس الالمانى الشهير ، فى بيته فى أحدى ضواحى لندن ... ولقد قضى حسين جعفر ثلاثة أسابيع فى ضيافة هذا الصحفى ، الذى أصدر فيما بعد كتابا بعنوان « قطط وفيران» يعتبر المرجع الرئيسى وربما الوحيد لهذه القصة الغريبة والمثيرة!

بقى بعد ذلك نقطتان أود أن اضعهما تحت عين القارىء :

النقطة الاولى : أنى ما هدفت من وراء هذا المقال ، الا ان اخضع تحت أعين النقاد الذين يحترمون أنفسهم ! حقيقة هامة : هى أن الحكم على مثل هذه الاعمال أو القصص — من وجهة النظر الفنية — يتطلب جهد البحث عن الاصول... فالعمل الفنى — بالضرورة — يختلف عن الواقع لا من حيث ترتيب الاحداث فقط ، ولكن من حيث البناء أيضا .. فثمة أسرار لا يمكن، ومن المستحيل ، أن تبوح بها الاجهزة مهما مر عليها من سنين أو أعوام، وان على الكاتب أو الاديب ، أن يصوغ « قصة » بالمعنى العلمى لهذه الكلمة ، تحوى الواقع ، ولا تشوهه !

أما النقطة الثانية : فهى انى شخصيا ، قد عرفت حسين جعفر ورأيته فى مدينة طنطا ، وكان ابوه ، بالتبنى ، المستشار صالح جعفر ،يملك أرضا هناك ، ويقيم بعض فصول السنة فيها ... وكنت واحدا من الصبية الذين يشيرون الى حسين جعفر على انه اعجوبة ، فهو المانى — اثناء الحرب العالمية الثانية!! — ويعيش بيننا !!..

عرفته كانسان يمضى أمامنا بوجهه العريض المحدد الملامح ، وبالطبع ، لم أعرفه كانسان !!

رؤى

شعر
ماجده بركه



افصح : من صوت الاشياء بروحى
او صمت الروح ، ازاء الاشياء
فوقعة واذوب بوشوشة البحر
هل تتملكني الاسماء ، تسكبني فى
الاسفلت التائه
ام تتملكنى الروح فاحيا ، وانا
سهو مره
سرب من الصبايا العطاش وجره
قطـــرة
نهر .. فرس ... وفراشه
محموم يهذى ... مفترق
انثى ضجره
حوريه .. جنيه
قدس للاقداس .. قارورة عطر
نقش فوق جدار بالهيروغليفية
شرير ، مافون ، افعى
سقراط !
حب ووسادة عشق .. سجاده
دمعه .. وتر مكبود ـ
محبوب وصديقه
قاطرة وطريق ... مصباح
ارتاح .. على غصنك عصفوره
بنوره .. راسي توقي لذراعك
دمعي .. مشتاق لقميصك
نبضي مشتاق وانا مشتاقه
يسرع حين يراك ،
يجرى يلهث ، يتعثر .. اتبعثر !
وانا ، سهو مره
سرب من الصبايا العطاش وجره

الجريكو

عبقرية متفردة في تاريخ الفن

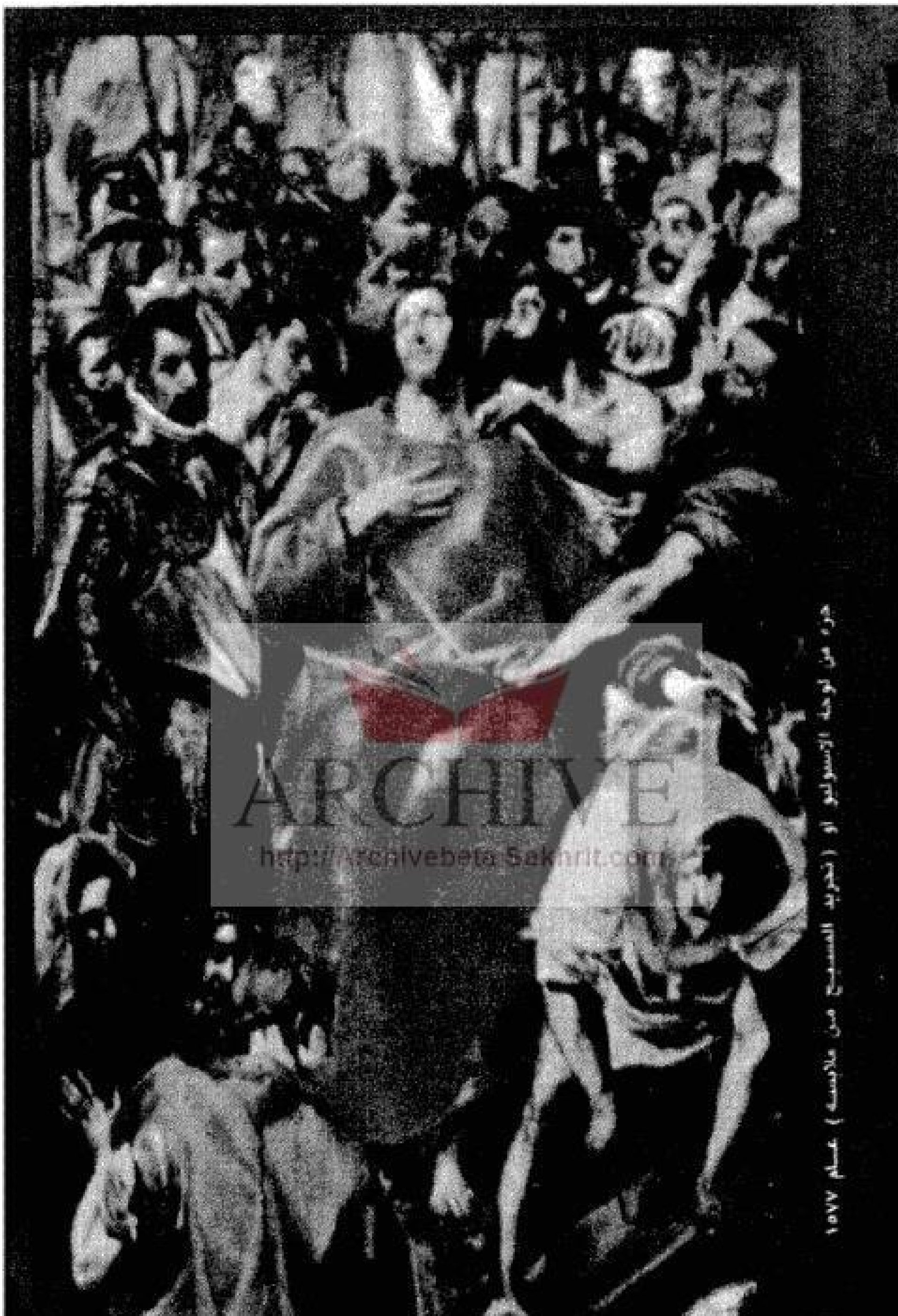
بقلم : د. صبري منصور

من الحقائق القليلة المؤكدة عن حياة الجريكو انه قد توفى عام ١٦١٤ . ويخمن المؤرخون مولده فى عام ١٥٤١ بجزيرة كريت اليونانية ، وكان يدعى دومينيكوس ثيوتوكوبولس ، وحين اقام فى اسبانيا فيما بعد تحول اسمه - بسبب صعوبة نطقه باليونانية - الى دومينيكو جريكو او الجريكو فقط كما نعرفه اليوم ومعناه « اليونانى » ، ولقد امضى طفولته فى قرية فوديل ، وتلقى تعليمه الاولى على ايدى الرهبان قبل ان يكمل دراسته فى المدرسة الشهيرة التابعة لدير سانت كاترين فى سيناء .

ويتضح من محتويات مكتبته التى تركها بعد وفاته انه كان مثقفا محبا للفلسفة والادب الكلاسيكى والدراسات الدينية والجغرافيا والتاريخ ، وكانت نشأته فى عائلة تنتمى الى الارستقراطية المحلية المتحررة . وتعكس اعماله الاولى احاطته بالثقافة الايطالية ، ويتضح فيها ايضا تأثيرات الفن البيزنطى التى ظلت تلازمه طوال حياته . وقد احتفظ الجريكو دائما بمودة لوطنه الاصلى فكان يوقع لوحاته باليونانية مضيفا الى اسمه صفته كمواطن من كريت .

● تقديم الرؤى الدرامية

لقد ظهر الجريكو فى مكان منعزل عن العالم ، لم يتطور الفن فيه منذ القرون الوسطى ، ولابد انه قد تعود على رؤية صور القديسين المصورين بالاسلوب البيزنطى ذى المهابة والجدية والبعيد عن اية مماثلة للطبيعة . ويبدو ان فناننا كان



جزء من لوحة الاسبوليو او (تجريد المسيح من ملابسه) عام ١٥٧٧

الجريكو

عاطفيا وربما احس بالحاجة القوية الى حكاية القصص الدينى باسلوب جديد ومثير . وبعد اقامته فى ايطاليا متنقلا مابين فينيسيا وروما اختار مكانا قصيا فى اوربا ببلدة توليدو الاسبانية ، حيث لايكون خاضعا هناك لسياط النقاد ، او على الاقل مدفوعا لعمل تصميمات طبيعية على النسق التقليدى ، وكذلك لان اسبانيا كانت لاتزال غارقة فى التقاليد الفنية للقرون الوسطى ، وذلك يفسر السبب الذى جعل فن الجريكو يفوق فى تينتوريتو (١٥١٨ - ١٥٩٤) فى جسارته على اهمال الاشكال الطبيعية ، وجرأته فى تقديم الرؤى الدرامية المثيرة . وعلى الرغم من استفادة الجريكو من طريقة تينتوريتو فى التكوين ، وتبنى فكرة الاشخاص المبالغ فى طولها عنده ، فان الجريكو وظف هذه الطريقة الفنية فى غرض جمالى جديد ، فلقد عاش فى اسبانيا حيث تتمتع العقيدة الدينية بسحر متقد وعميق ، وفى مثل هذا المناخ فان الفن التقليدى المتقولب داخل اطر مصطنعة يفقد كثيرا من جاذبيته وفاعليته . لهذا فان الجريكو - الذى يدهشنا اليوم كفن توفرت له عناصر فى منتهى الحداثة - لم يعترض عليه معاصروه فى اسبانا مثلما فعل معاصرو تيتيان معه .

ان النزعة الانسانية التى هيمنت على انتاجه المبكر كانت نتيجة طبيعية لثقافته المتحررة ، كما يعكس هذا الانتاج اهتماما بالثقافة الايطالية كما هو متوقع من احد ابناء العائلات الكبرى فى كريت وبالمثل يلاحظ ان التاثيرات اليونانية وفن الايقونات ظلت موجودة فى كل مراحل انتاجه ، على الرغم من ان معالجاته الايطالية قد قللت من وضوح هذه التاثيرات . فبطريقة واعية او غير واعية فان الجريكو ردد فى اعماله اصداء من روح فن الموزاييك البيزنطى من ناحية التكوين ومعالجة الاشخاص ، اما من ناحية استعمال اللون فان التشابه يصل الى مدى ابعد ، فلقد هجر الجريكو درجات الالوان الدافئة وكانت الوانه فى عمومها مشتقة من ضوء القمر ، وهو يلجأ الى تغطية السطح باللون الابيض او الاسود او الاصفر مثلما فعل الفنان البيزنطى ، ثم يقوم بتقسيم اللوحة وملء كل قسم على حدة وينتظر حتى يجف ليبدأ فى غيره . كما يبدو اثر الفن البيزنطى فى الفراغ الضئيل الذى يحيط بالاشكال ، وفى المنظورالبسيط ، ووضع الاشخاص فى مقدمة اللوحة تجاه خط الافق المنخفض بحيث تكتسب مظهرا شبحياً مستطيلا .

ولقد رأى بعض النقاد ان الجريكو لا ينتمى الى فن التصوير الاسبانى رغم اقامته الطويلة وانتاجه الغزير فى اسبانيا . ويعتقدون ان ثقافته البيزنطية قد وجدت طريقها للتعبير فى اشكال تنتمى الى المدرسة الايطالية . وحجتهم فى ذلك طريقة تناوله للفراغ ، ومنظوره السحرى الغريب ذو النكهة الشرقية الخالصة ، فبينما الفن الاسبانى هو فن محدود ومباشر ، ويستوحى إلهامه من عناصر واقعية ، فان الجريكو يعطى التعبير لافكار وانفعالات ، ويملأ عالمه بوجود سماوى مقدس ، مشيدا مملكته الروحية . وفى الواقع فان التاثيرات البيزنطية لم تعبر عن نفسها بكل الوضوح فى اعمال الجريكو

الا فى مرحلته الاخيرة من حياته فى اسبانيا ، وربما كان هذا مثلا غير عادى لظاهرة عودة الفنان فى المرحلة الاخيرة من انتاجه لتاثيرات طفولته .

● المرحلة الإيطالية

ويعتقد ان الجريكو قد تعلم اصول فنه فى كريت قبل ان يشد رحاله الى مدينة فينيسيا الايطالية حوالى عام ١٥٥٠ ، وكان يقطنها آنذاك مايقرب من اربعة آلاف يونانى ، ولقد ادت المواجهة بين تقاليد الفنانين اليونانيين والاساليب الفنية السائدة فى فينيسيا الى توليد فن جديد ، هو خليط من الفنين البيزنطى والايطالى ، ولعل هذه المدرسة كانت ملهمة للجريكو فى بداية حياته الفنية ، حيث يبدو الطراز البيزنطى فى لوحاته فى حالة بعث جديد من خلال اشكال عصر النهضة ، ولقد ازداد هذا البعث وضوحا عندما تقدم به العمر وازدادت الخبرة ، فتلاشت الاشكال الايطالية ، وحل محلها ملامح بيزنطية ، هى بالتحديد التى اضفت الى اعمال الجريكو ذلك التميز والتفرد .

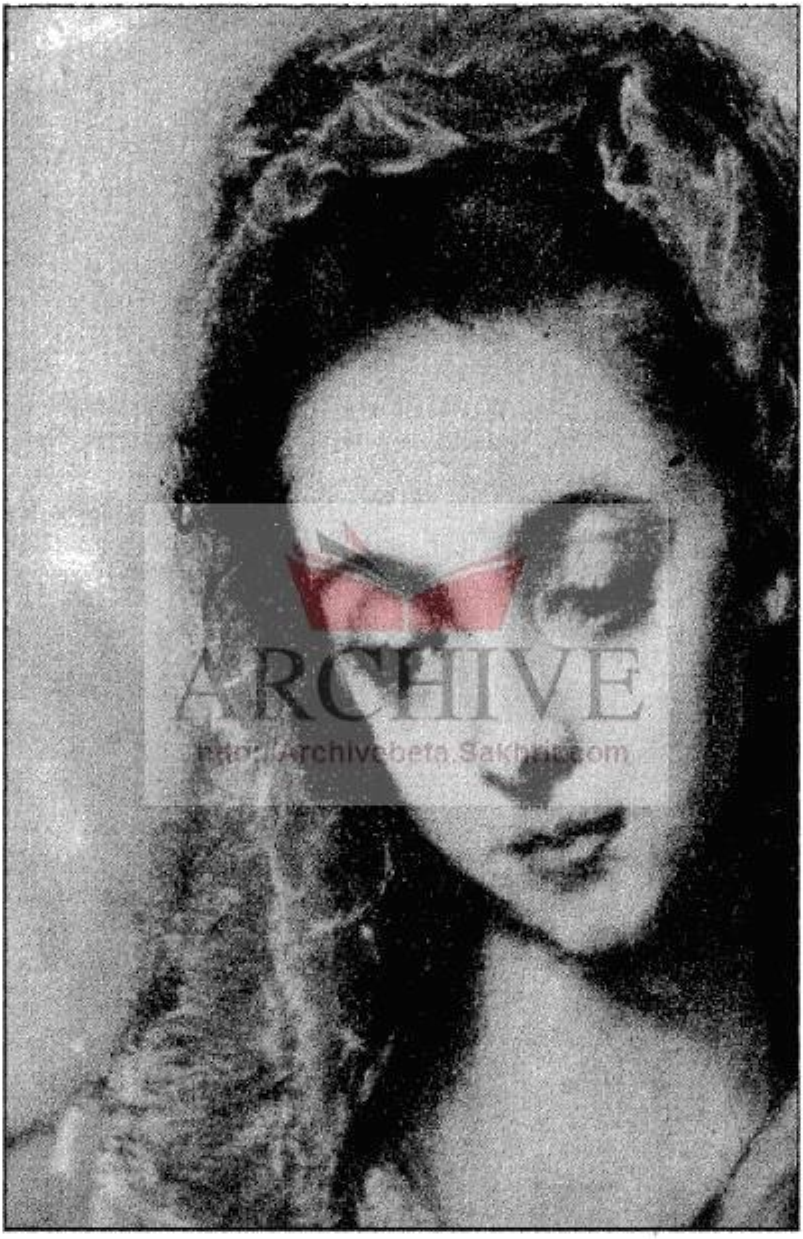
ولقد عاش الجريكو فى فينيسيا ما بين اعوام ١٥٦١ ـ ١٥٦٩ فى وقت كانت تمثل فيه مركز الثقل الفنى والادبى فى العالم الغربى ، وكان للعمل الفنى فيها شعبية كبيرة . وهناك شواهد تؤكد علاقته بالمصور الشهير تينتورتو ولعله كان واحدا من تلاميذه . ولقد تعلم منه كيف يكوّن اشخاصه فى مجموعات ، واضفاء الحياة عليهم بوضعهم بجوار مبنى عمارى يكون صدى لحركاتهم ، واسلوب السيطرة على الفراغ بدون اللجوء الى القوانين التقليدية للمنظور ، ولم يهجر الجريكو ابدا ما استفاده من المصور الفينيسى الكبير فى التصوير عن نماذج مصغرة قام بنحتها من مادة الشمع او خامة الخشب ، تلك النماذج التى كان يستطيع تحريكها كيفما شاء وفقا للوضع المطلوب .

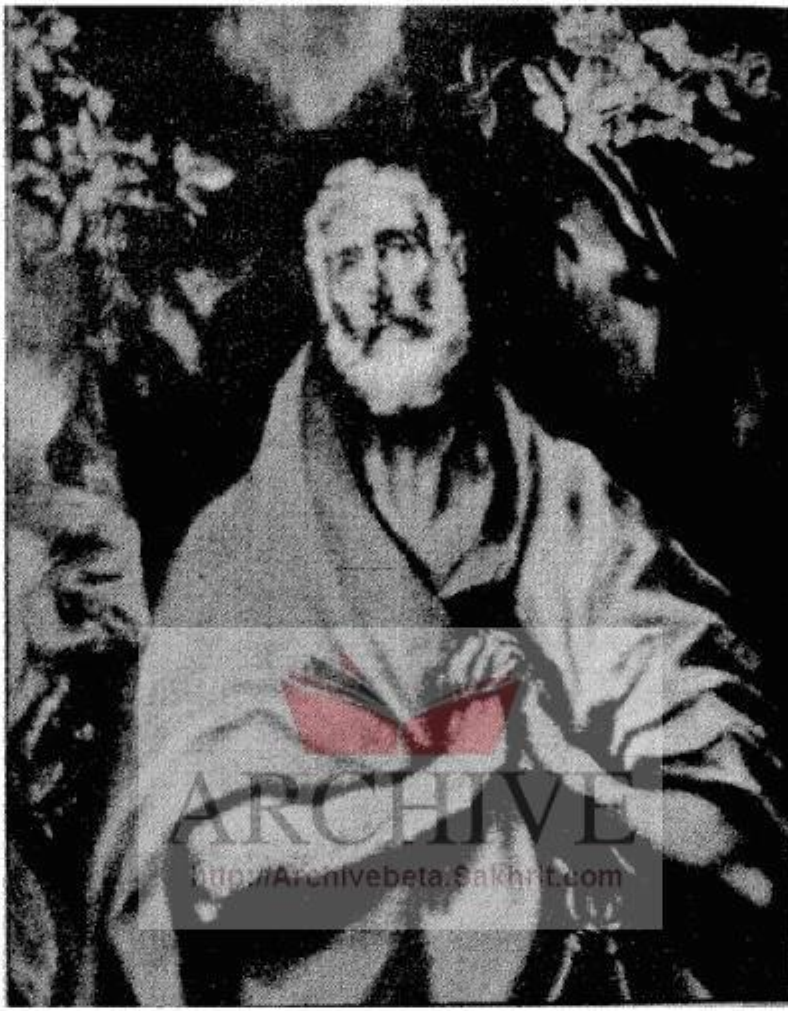
وفى فينيسيا كان المصور فيرونيز منبعا اخر لإلهام الجريكو ، فلقد شجعه على تجربة أشكال اكثر استدارة ، وتنمية احساسه بالخامات الثرية ، وفى اعوامه الاخيرة فى فنيسيا تاثر الجريكو بالمصور تيتيان الذى جعله يخطو خطوة للوراء فى مسار فنه ، فاشخاصه اصبحت بتاثير هذا المصور ذات طابع دنيوى ، وضربات الفرشاة اكثر نعومة ، والسطح اكثر استدارة .

وتظهر لنا اعمال الجريكو فى فينيسيا ضاربة فى عدة اتجاهات ، فهى تدل على مزاج فنى يحاول اكتشاف دربه الصحيح ، والاعمال المتميزة منها تبرهن على سرعة استيعاب الجريكو للمبادىء الفنية الرئيسية السائدة ، مثل ابراز الاحجام الممتلئة المستديرة ، وتضمين المعمار الثلاثى الابعاد ، والايقاع المنساب المتدفق .

وبعد ان استنفد الدروس الفينيسية كان لابد له من ان يفكر فى الذهاب الى روما ، مدفوعا باهتمامه بالاعمال الفنية الكبيرة فى عصره ، يؤكد ذلك نسخه لبعض الاعمال الهامة لمايكل انجلو وكوريجيو . وفى روما تعرف على الاشكال الاصطلاحية التى اشاعها مايكل انجلو ورافاييل ، وكان اصحابهامن ذوى المواهب المحدودة ، فهم يملكون المهارات فى التكوين والتنفيذ ولكنهم يفتقدون الخلق والاضافة . واعمال الجريكو فى روما اثناء اقامته التى امتدت حتى عام ١٥٧٦ تظهر لنا بعض التأثيرات

وجه العذراء جزء من لوحة
العائلة المقدسة عام ١٥٨٥





لوحة القديس بطرس يبكي (عام ١٥٨٥)

الرومانية ، فلقد هجر التكوينات ذات الخط الافقى التى حذقها فى فينيسيا ، ولجأ الى التـركيبـات المـعـروفـة فى رومـا انذاك ،كالتكوين البيضاوى والدائرى ، بحيث تتجه العين لمركز اللوحة ، بينما تمتلىء اركـان الـدائـرة واطـرافهـا بالاشخاص والتفاصيل . ومن اللوحات الشهيرة التى بنيت على هذا المفهوم لوحة

الجريكو

« تجريد المسيح من الثياب او « الاسبوليو » عام ١٥٧٢ ، حيث يبدو تركيز الانتباه على شخص المسيح فى قلب اللوحة ، مع الاهتمام بالحركة الرأسية والعمودية واضفاء ايقاع محلق سواء للشخصية المحورية او للشخصيات الجانبية . وعلى مايبدو فان الجريكو قد وجد ان هذا الاسلوب فى التكوين اكثر ملاءمة لتجسيد الرؤى الخيالية والمناظر السماوية فى المنظور الافقى الفينيسى ، فالحركة الصاعدة تجاه اعلى تؤكد تحرر الاشكال والاشخاص من اتصالها بالارض ومن ثقلها المادى .

ولقد كان الجريكو صموتا ذا طبيعة حالمة ، ويروى احد اصدقائه فى روما انه حين زار الفنان فى مرسمه ذات صباح ربيعى مشمس ، وجده جالسا فى كرسيه والستائر مسدلة ، والمكان يلفه ظلام دامس ، وحين دعاه للخروج رفض متذرعا بأن ضوء النهار يشوش عليه ضوءه الداخلى . كما كان عنيفا ذا كبرياء ، معتزا بقيمة عمله مدركا قدره ، ونحن نعلم من الوثائق المحفوظة ان البابا اوربان الثامن طلب منه ان يقوم بتغطية بعض الاشخاص العارية فى لوحة مايكل انجلو المعروفة « يوم القيامة » حين ظن ان هذا العرى لا يليق بالمكان الدينى ، فأجابه الجريكو بان من الافضل ازالة العمل كله ، فهو يستطيع ان ينجز عملا جديدا يتسم بالحشمة والوقار ، وسوف يأتى هذا العمل - على الاقل - مماثلا فى قيمته للوحة ميكل انجلو . ويقال ان هذا الرد قد اثار سخط المجتمع الفنى ، وربما كان سببا ادى الى اضطراره مغادرة ايطاليا .

● الجريكو فى اسبانيا

ليس معروفا على وجه الدقة التاريخ الذى وصل فيه الجريكو الى اسبانيا ، كما انه لا يوجد دليل وثائقى يكشف الاسباب التى دعته الى اختيار مدينة توليدو للاقامة فيها بقية حياته . وكانت توليدو - او طليطلة ابان الحكم الاسلامى - تعد واحدة من اغنى المدن الاوربية واكثرها شهرة ، وظلت حتى عام ١٥٦٠ عاصمة لاسبانيا ، وبلغت قمة سامقة فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، وكان مجتمعها مكونا من المسلمين واليهود والاسبان بالاضافة الى عدة جاليات اجنبية اهمها الفرنسية والايطالية . ولقد تركها الملك فيليب الثانى وبلاطه عام ١٥٦٢ ومع ذلك ظلت فى سموها . فى تلك الفترة وفد اليها الجريكو ، وبدأ عمله فيها بداية ناجحة ، وكان مرسمه يعمل باقصى طاقته بمساعدة ابنه جورج مانويل وتلميذه لويس تريستان - وكان التابع الاسبانى الوحيد له - وقد كان هذان المساعدان مسئولين عن تلك الاعداد الكبيرة من الاعمال الفنية المنسوبة للجريكو لتغطية الطلبات الكثيرة التى انهالت على لوحاته من المقاطعات الاسبانية المختلفة . وتتميز لوحات توليدو الاولى بالعودة الى الدرجات الدافئة ، والاحجام المستديرة التى استقاها من خبرته فى فينيسيا ، وكذلك تحولت تكويناته الى تصميمات لونية واحجام محلقة فى الفراغ ، مرئية من اعلى او من اسفل ، ومغمورة بالضوء المفاجىء . وعموما فان اعماله حينذاك كانت تبدو



لوحة تعبر عن تخيل السيدة العذراء ان السيد المسيح قد بعث من جديد

كتجميع لكل ما هو جديد في فن التصوير في عصره . وفي نفس الوقت فانه كان يخطو بثبات نحو اشكال اكثر روحانية ، باروكية الملمح . وفي خلال السنوات من ١٥٨٥ وحتى ١٥٩٥ انجز الجريكو اعمالا عظيمة تتخذ مكانا بين مرحلته الايطالية ومرحلته الاخيرة من حياته . فلقد تحرك فنه بعيدا عن التكلف ، واكتسب الملامح الشخصية في التعبير على الرغم من استمراره معتمدا على الواقع ، ومن ناحية التقنية فان مهارته بلغت درجة عالية ، ومع هذا فانه لم يهجر ابدا تجاربه التي ادت الى ابداع اعماله الاخيرة الرائعة ، اذ انه بدأ في ادخال مزيد من التحريف والتطويل على اشخاصه ، تلك المبالغات التي سوف تهيمن على اعماله الاخيرة والتي انتجها في الفترة من ١٥٩٦ وحتى ١٦٠٥ ، حيث تلاشت كل آثار الواقعية ، وحلت ضربات الفرشاة الاثيرية محل معالجة الاشكال بطريقة نحتية ، واكتسبت الالوان مزيدا من الانسياب والشفافية . في هذه المرحلة التي تمثل انتقالا بين قرنين من الزمان ابدع الجريكو اشكاله الطويلة الرفيعة المقدسة ، الغير موصولة بالارض ، والمحلقة دائما في الفضاء السماوي الرحيب .

إن الجريكو الذي استطاع الهرب من واجبات البلاط الرسمية انجز العديد من الصور الشخصية (البورتريه) التي تبدو وكأن اصحابها قد توقفوا في لحظة ما بين الحياة والموت ، ولقد اقتنص الفنان تلك اللحظة التي يبدون فيها على كامل حقيقتهم . لقد صور فقط اولئك الاشخاص الذين احس معهم بنوع من التعاطف ، وبدلا من أن يحصر همه في تسجيل ملامحهم الدقيقة ، فانه حاول أن يغوص داخل الشخصية ليكشف ما اختبأ منها داخل الاعماق ، التي ربما كانت اعماقه هو ايضا ، وذلك يوضح مدى التشابه في صور اشخاصه رغم فرديتهم القوية . انهم يعبرون عن شيء من روح الجريكو نفسه ، ففيهم غموضه وحزنه ، ولعله المصور الاول الذي يكشف عن روحه بهذه الطريقة ، مما دعا الكاتب الاسباني الكبير خوسي اورتيجا إي جاسيت الى ان يكتب فيما بعد ، ان روعة ڤلاسكيز تكمن في



القديس اندرو والقديس فرنسيس (١٥٩٠)

غيابه عن اللوحة ، بينما نجد ان تصوير الجريكو هو تجسيد خاص لروحه ، فحينما ننظر الى لوحة بريشته فنحن نرى الجريكو نفسه ، اسلوبه هو اعترافه ، هو رسالته » .

بين المخدرات والشهرة العالمية

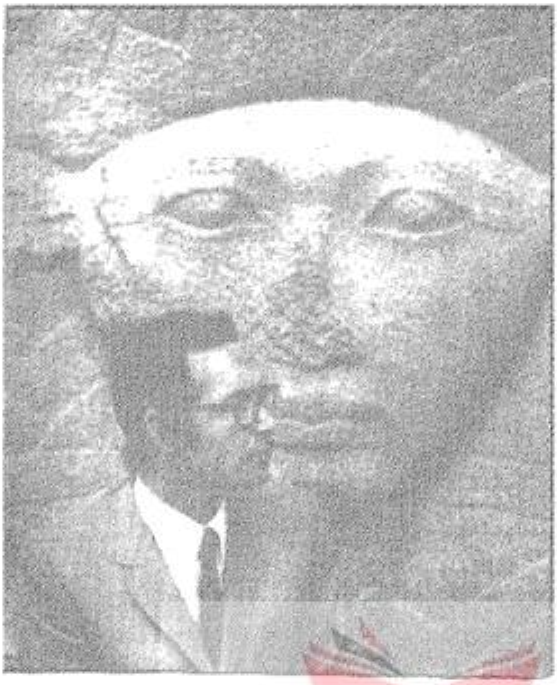
حقق الجريكو فى حياته مجدا وشهرة عريضة ، وفى مكمنه ببلدة توليدو ــ التى لم يغادرها ابدا ــ وفد اليه عديد من كبار الفنانين من شتى الاقاليم الاسبانية يمثلون مذاهب مختلفة ، وكانت الاتصالات بين هؤلاء وبين فنه مؤثرة لدرجة انه يمكن القول بخلق مذاق توليدو الذى اثر على التصوير الاسبانى فى بداية القرن السابع عشر . لقد كانت عبقرية الجريكو هى التى اعطت للتصوير الاسبانى القيم الجديدة التى مهدت الطريق نحو مجده العظيم ، حين اتصلت اسبانيا من جديد ــ بعد استجابتها مرة لنداء الشرق ابان الحكم الاسلامى ــ بالافكار الجديدة السائدة خلف حدودها والاتية من الغرب ، وتمثلت بذور الخصوصية فى اعمال الجريكو الذى كان يملك امجاد فينيسيا واساليب التقنية المتقدمة التى خبرها فى روما ، وكذلك تجربته فى التأثر بالاشكال البيزنطية ومواءمتها للافكار الجديدة .

ومع ان شهرة الجريكو قد خفتت حدتها فى ايامه الاخيرة فإننا نلمح تأثيره على بعض اعمال المصور فلاسكيذ الذى كان عليه كمصور للبلاط الملكى ان يقتنى بعض اعمال الجريكو لضمها للمجموعة الملكية .

وعادة فانه بعد موت الفنان تكون هناك سنوات يهمل فيها عمله ، ولم يشذ الجريكو عن هذه القاعدة ، فبعده بجيل تقريبا بدأ الناس ينظرون الى فنه كملحة غير طريفة ، واضحى موضوعا للنقد الذى وصل الى حدود غير عادلة . فقيل انه كان متطرفا فى افكاره ، وان رسمه غير دقيق لا يلتزم باصول التشريح . كما كانت هناك محاولات لايجاد اسباب معينة اثرت فيه واجبرته على ان يصور ويرسم ويرى كما فعل مثل ادمان المخدرات ، فى نفس الوقت نمت اسطورة تدعى جنونه ، واشيعت نظرية تدعى انه كان يعانى من قصر نظر شديد كان سببا فى طول شخصياته . ولم يصدق احد ان ملامح اعماله كانت مقصودة ، وانها تمت عن وعى وبعد تفكير عميق ، وذلك الفهم القاصر هو دائما قدر الانبياء الحقيقيين .

وفى القرن التاسع عشر فقط تحولت اعمال الجريكو لتصبح محورا للاهتمام ، وكان الرومانتيكيون الفرنسيون المسافرون الى اسبانيا قد حملوا العديد من اعماله وعرضوها فى فرنسا ، وتولى المصورون والشعراء والنقاد مهمة الدفاع عن فن الجريكو والدعاية له ، وكان الشاعر بودلير زائرا منتظما للركن الخاص باعمال الجريكو فى القاعة الاسبانية بباريس . ولكن لم يتسع مجال شهرة الجريكو الا حينما اعترف به الوطن الذى تبناه ، فأقيم له فى متحف البرادو الشهير بمدريد اول معرض ضخم لاعماله ، توالت بعده الكتب والدراسات التى تناولت فنه بالتحليل وابراز قيمته الحقيقية ، واصبح احد منابع الالهام للمصورين الاسبان الذين كانوا سببا فى اعادة احياء فنه ومن اهمهم ذولواجا وكذلك بيكاسو فى مرحلته الزرقاء .

بقلم :
مصطفى درويش



السينما العربية
أزمة صعود أم سقوط

لم يعد خافيا على أحد ، حجم الأزمة التى تعانى منها السينما العربية .

وقد انعكس ذلك أولا على مايعرض من افلامها على الشاشات فى الغرب سواء ما كان منها صغيرا ام كبيرا .

فمثلا لم يتح لجمهور التليفزيون الفرنسى ان يرى خلال عقد الثمانينيات الذى على وشك الرحيل سوى ستة افلام عربية من بينها « لحن الخلود » لهنرى بركات و « باب الحديد » و « وداعا بونابرت » ليوسف شاهين .

وانعكس ثانيا ، وكرد فعل طبيعى لهذا الغياب ، على ما يكتب عنها على صفحات الجرائد والمجلات الغربية . فقد كان قليلا ، بل قل ، معدوما .

واستثناء من قاعدة الاهمال هذه افردت المجلة الفصلية الفرنسية الجادة « سينما أكسيون » بالتعاون مع معهد العالم العربي ومجلة « المغرب الكبير » ـ افردت ملفها الاخير رقم ٤٣ مايو لعام ١٩٨٧ للسينما العربية

وفي غمرة الانهماك في الاعداد لهذا الملف الاستثناء ، لم يغب عن بال المشرفين على تحريره أن صاحب فيلم « ليلة حساب السنين » الشهير بالمومياء قد انتهت رحلة عمره قبل عام .

فكان أن اهدوا ملفهم الى « شادى عبدالسلام » مؤلف « المومياء » المتوفى فى ١٩٨٦ قبل ان يتمكن من اخراج « اخناتون »

وفوق هذا الاهداء جرى تزيين الصفحة الاولى من الملف بصورة نصفية للمخرج الراحل ، جالسا متأملا ، وفى الخلفية وراءه نحت حائطى لوجه أحد قدماء المصريين مكبرا .

ولعلى لست مغاليا إذا ما قلت إنها اكثر صور الملف ـ وعماده الكلام عن الافلام وما يصاحب ذلك بحكم الضرورة من تناول لجماليات الصورة ـ اكثرها اصالة ونبلا .

● الاهداء .. لماذا ؟

وليس محض صدفة ذلك الاهداء لفقيد السينما العربية .

فمعروف أنه أول مخرج تنجبه أرض الوطن العربى له اسلوب متميز ، متكامل ، فضلا عن انه كان واعيا بتحديات حاضره ، متمكنا من اسباب ووسائل التصدى لها بلغة الفن السابع .

وفوق هذا فهو واحد من أهم بناة السينما على ارض مصر ، تلك السينما الاقدم والاقوى والاكثر انتشارا وتاثيرا من المحيط الى الخليج .

فاحد من الجمهور العادى لم يسمع بالسينما المنتجة على ارض العراق او الكويت او سوريا او تونس او المغرب او حتى ما كان منتجا منها على ارض المليون شهيد .

وبطبيعة الحال لم تشاهد الغالبية الغالبة ايا من افلامها وعلى العكس من ذلك تماما حال سينما القاهرة ، فهى ملء الأسماع والأبصار ، أفلامها وحكايات نجومها على كل لسان .

ومن هنا استئثارها بمعظم مقالات الملف ، ، البالغ عددها خمسة وعشرون مقالا .

ومع ذلك ـ وياللعجب ـ فهى جميعا مكتوبة باقلام نقاد وباحثين فرنسيين وأمريكيين وعرب غير مصريين ، وذلك فيما عدا مقالا يتيما كتبه ناقد من مصر « خالد عثمان » تحت عنوان « وضع المثقف فى السينما المصرية » (١٥٧ ـ ١٦١)

ومهما يكن من شيء ، فاذا ما قرانا المقالات المكرسة لتلك السينما الاقدم والاقوى ، والتى على وشك ان تبلغ ستين عاما فيما هو قادم من أيام ، فمن اليسير ان تتبين لنا عدة أمور .

● المحطف والماتم

أولها انه منذ البداية والميلودراما متزاوجة مع نظام النجوم تتحكم فيها على وجه لاسبيل للفكاك منه .

« فليلى » (عزيزة أمير) أول فيلم روائى طويل كان ذا طابع مليودرامى صارخ .

و « زينب » (بهيجة حافظ) أول فيلم مستوحى من قصة لأديب عربى محمد حسين هيكل باشا ، يغلب عليه الطابع الميلودرامى الزاعق .

و « أولاد الذوات » اول فيلم تكلم حتى منتصفه بلسان عربى ، قد صب هو الآخر فى قالب مليودرامى فاقع ، قائم على تراكم وتزاحم الفواجع .

وقصته تستوجب وقفة قصيرة .. لماذا ؟

لانه فيلم مناحة خرجت من مأتمه السينما العربية ذات الطابع المليودرامى ، كما خرج الادب الروسى من معطف « جوجول » .

● لحن واحد

فلقد استمر نمطه متكررا فى مئات الافلام

السينما العربية

التي انتجتها صناعة السينما في ديار مصر على مر الأيام والاعوام ، لاسيما ما كان منه من اخراج عز الدين ذو الفقار وحسن الامام وتمثيل فاتن حمامة ، تلك النجمة التي خصص الناقد « عباس فاضل ابراهيم » دراسة قيمة (ص ١٢١ ـ ١٣٠) لثلاثة من افلامها « دعاء الكروان » و « بين الاطلال » (١٩٥٩) و « نهر الحب » (١٩٦٠) لايجمع بينها سوى خيط واحد ، هو الميلودراما .

فاذا بنا نكتشف بفضل تلك الدراسة ، انها منذ سن التاسعة عندما ظهرت مع مطرب الملوك والامراء في « يوم سعيد » وحتى « ليلة القبض على فاطمة » ، وهي كالفراشة الرقيقة تتنزه بوجهها الملائكي بين الافلام .

وإنها على عكس غيرها من النجوم قد وظفت موهبتها تماما في خدمة الميلودراما وحدها لاشريك لها ، مما حدا بأهل الدعاية الى الانعام عليها بلقب « السيدة ميلو » !!

وانها قد نجحت في الحفاظ على صورتها ملاكا طاهرا ، وذلك رغم مواصلتها من فيلم الى فيلم مسيرة اختطاف الازواج من نسائهم كما في « لحن الخلود » (١٩٥٢)

والآن عود الى « اولاد الذوات » اول فيلم عربي ناطق بلغة الآباء .

تدور وقائع هذا الفيلم حول رجل ثرى حمدي بك « يوسف وهبي » يخون زوجته زينب « امينة رزق » مع عشيقة فرنسية « كوليت دارفاي » ، يفر معها الى باريس حيث يضبطها متلبسة بالزنا مع شاب فرنسي ، فيطلق عليهما الرصاص ، وتنتهي به الخطوب معاقبا بالسجن اثني عشر عاما .

ثم يمضي الفيلم قدما ، فيركب الحدث المثير فوق الحدث المثير فها هو ذا « حمدي » في القاهرة متسللا الى بيت العز حيث يجد ابنه الذي لايعرفه محتفلا بزفافه ، ويجد زوجته امراة حلالا لرجل آخر بعد أن وصل الى علمها خبر موته في سجون فرنسا .

وكان يمكن أن ينتهي « أولاد الذوات » عند هذا ، ويكون مثيرا بما فيه الكفاية واكثر .

غير أن صاحبه « يوسف وهبي » أراد أن يعتصر آخر دمعة بان هيأ للبطل القبر بعد ان سلبه الشرف .

فها هو ذا يتقدم نحو ابنه وعروسه يهنئهما ، يقبل ايديهما .

فيحسبه العريس فقيرا يطلب إحسانا ، ويمنحه جنيها .

ويصطلي الاب بنار هذه الاهانة شقيا معذبا ، فيخرج من الفرح في حالة من الانهيار تدفع به الى الالقاء بنفسه كما « أنا كارنينا » تحت عجلات القطار .

جنس .. دين

فإذا ما انتقلنا بعد هذه النهاية الفاجعة الى ثاني الامور لوجدناه يتلخص في معاناة السينما عندنا من محظورات شداد تحول بينها وبين حرية التعبير (د . رفيق الصبان ـ ص ١٣٥ ـ ١٣٩)

وهذه المحظورات هي الدين ونظام الحكم القائم والجنس غير المشروع بأوجهه المتعددة (العشق المثلي ، العادة السرية ، العلاقات الحرة ، الخيانة الزوجية ، عشق المحرمات) .

ولأن الدين أمره دقيق وشائك بحكم اتصاله بالعقيدة ولأن السينما في المفهوم المتخلف السائد على امتداد الوطن العربي ، إنما لهو ولعب ، فقد امتنع على فنانيها ـ وهم اهل عبث ومجون ـ ان يعرضوا للدين بموضوعاته الحساسة ، لا من قريب ، ولا من بعيد .

وفعلا آثر صانعو الاطياف السلامة فابتعدوا بافلامهم عن الدين بمختلف تفصيلاته ، تجنبا لمشاكل قد تورطهم مع فئات من غلاة السلفيين

المتشددين ، لاتزال تعتبر الصورة رجسا من عمل الشيطان ، وترى فى السينما اثما وفسوقا يهددان الاسلام !

وحتى اذا لم يستسلم الفنان للحظر ، ولم يصرفه الخوف عن التصدى كما فى فيلم « وللحب قصة اخيرة » فانه سرعان مايتعرض . هو وكل من شاركه فى صنع الفيلم ، لالوان شتى من الاتهام والاضطهاد ، تشيع فى حياتهم القلق ، وتسبغ عليها سوادا مخيفا .

وهنا ، قد يكون من المفيد التذكرة بوقائع مطاردة صاحب هذا الفيلم « رافت الميهى » ومنتجه « القلة » وممثليه « يحيى الفخرانى » و « معالى زايد » ! كيف عبثت بعض الاجهزة بأمنهم ، كيف أصدرت أمرا بالقبض عليهم ووقف عرض فيلمهم ، ثم ملبثت ان افرجت عنهم بكفالات من غير المألوف أن تطلب حتى من مختالى المال العام وتجار المخدرات .

وليست السينما بأحسن حالا بالنسبة لمحظور نظام الحكم القائم ، فقبل الثورة وبعدها ألف صانعو الافلام الامتناع عن معالجة اى موضوع فيه شىء قليل او كثير من المساس بالنظام السياسى السائد .

ففى العهد القديم ،كان ضرورة محتومة الا تعرض السينما لاستبداد السراى ، واستغلال الاقطاع للفلاحين .

بل إن من يشاهد الريف من خلال افلام المخرج « محمد كريم » ، لابد أن تذهب به الظنون للحظات ، انه انما يشاهد فيلما تقع احداثه فى ربوع سويسرا او السويد .

وبعد سقوط هذا العهد ، كان قضاء محتوما ، الا تعرض السينما بأى نقد لمؤسسات نظام الحكم الجديد ، ورجاله وقد يفسر هذا الحظر الراسخ رسوخ الجبال ، تلك الضجة التى صاحبت عرض « ميرامار » (١٩٦٩) للمخرج « كمال الشيخ »

فمن بين شخصيات هذا الفيلم الرئيسية شخصية عضو فى الاتحاد الاشتراكى العربى يذهب به الانحراف الى حد الارتشاء .

ومعروف ان الفيلم لهذا السبب لم يرخص له بالعرض الا بعد ان تدخل الرئيس جمال عبدالناصر شخصيا وسمح له بالعرض العام .

[illegible]

وعلى عكس الحال بالنسبة لمحظورى الدين والنظام الحاكم ، فصاحب المقال يرى فى غير مداورة ان نفرا من كبار المخرجين قد افلح فى ثقب جدار خطر الجنس على وجه يتيح لنا ان نرى زرقة السماء .



وعنده أن الضربة القاضية فى هذا المضمار قد جاءت على يد « صلاح ابو سيف » الذى طرح لأول مرة وبصورة لايختلف عليها أثنان موضوع الشذوذ الجنسى ، ذلك الموضوع المحرم تحريما تاما على سينمائيى مصر .

فهو فى « حمام الملاطيلى » قد اختار العشق المثلى أرضا درامية ينهض عليها بناء الفيلم باكمله من خلال ثلاثة مراهقين يمارسون بيع أجسادهم فى حمام تركى .

ولم يفته ، وهو يتغنى بدور « صلاح ابو سيف » ان يتغنى كذلك بدور « يوسف شاهين » وثلاثيته « اسكندرية ليه » « حدوتة مصرية » و « وداعا بونابرت » باعتبار انها قد « خطت خطوات عملاقة فى تقديم العلاقة المثلية ، وكأنها علاقة طبيعية تقوم على الاختلاف ، وليس على مفهوم المرض او الجنون ، كما كان يحلو لبعض الكتاب والمخرجين فى مصر أن يقدموها » .

● السفراء

اما ثالث الامور ـ ولعله اخطرها ـ فهو تحول القاهرة من مركز جذب لسينمائيى الوطن العربى المسدودة امامهم طرق الابداع فى بلادهم الى مركز طرد لهم ، لا يأبه بمصيرهم ، وهم فى منافى اوروبا تائهين .

فمثلا « برهان علوية » صاحب « كفر قاسم » و « مارون بغدادى » و « جوسلين صعب » و « راندا شهال » (لبنان)

و« مرزوق علواش » صاحب « عمر قتلته الرجوله » و « ابراهيم تزاكى » (الجزائر) و « مؤمن سميحى » و « أحمد المانونى » (المغرب) و « ناصر خمر » و « طيب لعوش » و « فيتورى بلحيية » (تونس) و « عمر اميرالاى » صاحب « الحياة اليومية فى قرية سورية » (سوريا) ـ كل هؤلاء لم يجدوا سوى باريس مأوى للعيش والابداع .

وغيرهم استقر بهم المقام اما فى « بروكسل » كما « محمود بن محمود » و « نجية مبروك » (تونس) و« ميشيل خليفة » (فلسطين) او فى لندن مثل « هانى سرور » (لبنان) او فى فرانكفورت كما نبيل المالح » و « قيس الزبيدى » (سوريا)

● النفى الخفى

وعن هذه الظاهرة كتبت الصحفية الامريكية « مريان روزين » مقالا تحت عنوان « سينما مجتثة الجذور » السينمائيون العرب فى المنفى (ص ١٠٦ ـ ١١٣)

وقد عرضت فيها لاسباب النفى فى الحقبة التالية لرحيل الاستعمار .

فاذا من بينها البيروقراطية غير الشرعية ، الاقتصاد غير المستقل ، المجتمع غير المتحضر ، والهوية الثقافية غير السوية

واذا من بين ضحايا هذا التلوث الشامل المخرجان « توفيق صالح » و « شادى عبدالسلام » .

فهما عند صاحبة المقال بمثابة منفيين ، وذلك رغم انهما لم يغادرا أرض الوطن العربى ، ولم يمارسا نشاطا سينمائيا فى بلاد الغربة .

وأولهما درس فى كلية « فيكتوريا » ، ومن بعدها التحق بجامعة القاهرة ، ثم ما لبث أن سافر الى فرنسا حيث درس فن السينما فى باريس .

وفضل العودة الى مصر حيث كرس حياته من أجل سينما ملتزمة اجتماعيا وسياسيا .

وفيما بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٤ أخرج خمسة افلام روائية طويلة (فى نفس الفترة ، أخرج يوسف شاهين اربعة عشر فيلما)

وعلى كل فاحد هذه الافلام الخمسة ظل



فاتن حمامة .. سيدة الشاشة العربية . ام السيدة ميلو

حبيس العلب زهاء عامين لانه انتقد البيروقراطية ، وفيلم ثان كادت الرقابة ان تبطش به لفضحه الفساد الحكومى ، لولا ان كتبت له النجاة بفضل تدخل عبدالناصر شخصيا ، وفيلم وثالث اعملت الرقابة مقصها فيه بالقطع والتمزيق متذرعة بانطوائه على مشاهد جنسية صارخة بعد كل هذا ، لم يكن غريبا ان يشد توفيق صالح الرحال الى سوريا حيث تقدم بمشروع فيلم يدور حول الفلسطينيين ، لم يكتب له لاعتبارات سياسية ان يرى النور .

ومع ذلك ، ففى عام ١٩٧١ ـ وبعد ايلول الاسود ـ التمس لمشاكله حلا فى قصة « رجال تحت الشمس » لصاحبها « غسان كنفانى » .

فاذا به يخرجها فى رائعته « المخدوعون » التى حصلت على الجائزة الكبرى لمهرجانى دمشق وقرطاج .

والغريب ان هذه الرائعة لم تعرض تجاريا الا فى دمشق ولمدة اسبوعين فقط ، كما لم تتح لها فرصة العرض العام لا فى مصر ، ولا فى العراق .

ومضت ايام من حياته اصبحت عشرة اعوام من الصمت ، لم يقطعه سوى تكليف من الرئيس العراقى باخراج فيلم « الأيام الطويلة » (١٩٨١) .

واذا كانت السن قد تقدمت بتوفيق صالح قليلا ، قليلا حتى اصبح كهلا رصيده من الافلام سبعة لاتزيد . فان الموت قد انقض على « شادى عبدالسلام » ، فاختطفه فى اكتوبر ١٩٨٦ ، وليس له من رصيد سوى المومياء ، ذلك انه ، وعلى مر سبعة عشر عاما ، لم يفلح فى الحصول على تمويل « اخناتون » الذى كان يحلم باخراجه ، رغم أنه كان مقصوص الجناح ، مثقلا بقيود وضع اجتماعى متردٍ ، يغلب عليه الجهل بان الانسانية تعيش عصر الصورة ، واننا ، نحن العرب ، لا نستطيع ان نعيش خارج حضارة الصورة منبوذين .

● وداعا للتسول

وعن هذا الخطر الذى يتهددنا كتب المخرج المغربى « مؤمن سميحى » مقالا « اذا ما اختفت الصورة العربية » (٩٨ ـ ١٠٥) محذرا فيه من ان اية امة لا تنتج صورا مثلها مثل امة لاتنتج احتياجاتها من المواد الغذائية ، فمالها بحكم اللزوم ان تتعرض لخطوب مهلكة من بينها المجاعة وضياع الكرامة بفقدان الاستقلال ، وذل السؤال .

رحلة الحياة

قصة قصيرة

قصة: نجيبة العسال
ريشة: عادل ثابت

امتدت اصابعي في عصبية شديدة تحكم رتاج حقيبتي التي احملها دائما في مثل هذه المناسبة ..مناسبة تركي لبيتي .. في ثورة عاتية وكثيرا ما افرغت الحقيبة بعد يوم او يومين على اكثر تقدير في دولاب ملابسي .. وقد عاد بي احمد مرة اخرى الى البيت .. وهو يقسم الا يغضبني ابدا .. اعود وانا اقفز على اطراف اصابع قدمي والدنيا لا تسعني من السعادة،واثقة تماما في قسم احمد ولكن لا يمر اسبوع او اسبوعان حتى اكون في طريقي مرة اخرى الى بيت .. ابي .. ولكن هذه المرة انا التي اقسمت . وواثقة تماما في قسمي انني لن اعود الى هذا البيت . مهما حدث .. و .. وضعت الحقيبة بجانب باب الشقة وفوقها حقيبة يدي ومفتاح الشقة ، رجعت الى حجرة نومي لاكمل ارتداء ثيابي ولكن عرجت فجاه على حجرة الصالون لارتمي فوق مقعد مريح احاول تهدئة اعصابي حتى لا اخرج الى الطريق في منتهى التوتر .. تنفست بعمق .. اشمخ براسي متحدية كل همسة في بيتي ولكن لا ادري كيف استقرت نظراتي على صورة احمد المعلقة في صدر الصالون .. يبتسم ابتسامة خفيفة واثقة يلمع معها بريق عينيه يؤكد احساسه بتفوقه وادراكه لقوة شخصيته وانتفضت واقفة .. ذاهبة الى الصورة حتى اتاكد تماما من تحليلي لشخصية احمد .. انه هو احمد كما احسه دائما صاحب الثقة وكبرياء واعتزاز بنفسه واعتداد بطباعه واه من طباعه هذه انها سبب كل خلاف فرغم انه طيب القلب جدا عطوف ويحبني فعلا . الا انه حاد الطبع لا يستطيع كبح جماح غضبه عندما تغضبه اى لمحة لا توافق مزاجه من حيث وجهة نظره واحاول جاهدة الا اتي بما يغضبه ولكن قد يفلت الزمام دون ان ادرى وعندها تكون الطامة الكبرى على اتفه



رسالة الحياة

الأشياء وكلما خرجنا من أزمة مفاجئة جاءت ازمة اخرى بلا مقدمات فجأة انتفض كل جسدى وامتدت يدى تربت على بطنى . تسارعت انفاسي .وانتقلت قدمى سريعا الى اقرب مقعد انها اول نبضة احسها في احشائي منذ ايام وكنا على مائدة العشاء عند امى قمت منتفضة في خسوف ابحث عن مقعد المائدة وسالتنى امى ..

ـ ما الخبر .

وقلت في خوف :

ـ لقد مر صرصار بجانبي ..

وضحكت امى وضج الحاضرون من اخوتي وزوجاتهم بالضحك .. وقالت امى ..

ـ مبروك .. الف مبروك لقد تحرك الشقي الصغير ..

لكن لم اصدق .. اهكذا يكون تحرك طاغي في احشائي ولكنها اليوم نبضة واضحة من جسم تحركه ملموس واوصدت باب قلبى وكل احساسى .. هل قدوم طفل صغير يجعلنى اسيرة لكل هذه الطباع العتيقة .. والعصبية التى تكاد تطيح بكل شيء وتأتى كلمات امى التى تهمس بها دائما .. الى .. يا ابنتى الحياة هكذا بكل ما فيها من سعادة وشقاء هى شركة متساوية بين اثنين زوج وزوجة .. ولو رضى كل زوج وزوجته ان يتقاسما الحياة بحلوها ، ومرها وخيرها وشرها

لعرفا ان الحياة لا تقوم الا بهما وبهما وحدهما وزادت النبضات ولكنى هززت راسى فى عناد وقمت من فورى الى حقيبتى بجانب باب الشقة واعدت قسمى، مره اخرى الا اعود الى هذا البيت مهما حدث.. من حسن حظى وجدت تاكسي امام ناصية الشارع وكان السائق رجلا طيبا او ربما فطن الى حالتى .. لم اذهب الى بيت ابى احسست فجاه برغبة شديدة الا اذهب اليه فوراً ولابد لى من الذهاب اولا الى اى مكان هادىء لاخذ فنجانا من القهوة وافكر مرة اخرى فيما انا مقدمة عليه .. تركت التاكسى فى اشارة مرور ونزلت سريعا .. لم احدد الى اين اذهب .. تركت قدمى تقودانني الى وسط البلد ورحت بلا هدف انقل عيني بين واجهات المحال التجارية وشد انتباهي صوت ضحكة سعيدة تصدر عن

قلب فرح هانىء .. نظرت حولي وكانت بجانبى . فتاة فى مقتبل العمر تتأبط ذراع شاب لا يقل عنها سعادة وهناء .. لابد انهما لا يشعران بمن حولهما .. كل اهتمامها يكاد يخترق زجاج الفترينة العريضة المعروض وراءها حجرة مائدة فى منتهى الذوق والجمال قالت الفتاة فى حماس ..

ـ جميلة جدا هذه الحجرة .

وجاءنى صوت الشباب فى حب ..

ـ هل تعجبك حقا .

فى دلع اجابت الفتاة

ـ جدا .. جدا .

وفى رجولة شديدة وشهامة قال الشاب ..

- اذن ندخل لشرائها حالا ..

ومرا من امامى فى خطوات جزلة سريعة والفتاة تتعلق فى ذراع فتاها وكانها لا تحس بالارض تحت قدميها وابتسمت فى صمت وانا أهز راسى وتعود الى قلبى كل مشاعر الفرحة التى تحسها الفتاة الان .. لقد شعرت بها من قبل .. كم هى جميلة تلك اللمسات الاولى التى مررت بها باصابعى على اثاث بيتى للمرة الاولى .. وكادت تغشى عينى سحابة من الدموع انقذنى منها نبضة سريعة قوية من داخل احشائى وامتدت يدى سريعا تحتضن بطنى وخطوت مرة اخرى على غير هدى .. فبددنى سريعا اصوات هادرة تتعالى من حولى فى صخب نظرت اليهم ثلاثة اطفال صغار ولد وبنتان انفلتوا سريعا من امهم وابيهم ليقفوا بجانب فترينة كبيرة للعب الاطفال، الاب يجاهد فى استماتة ليذهب بهم بعيدا عن الفترينة والام تهددهم وتعدهم ببعض اللعب . فى وقت قريب . لم تتركنى المفاجآت لافكر بهدوء وقفت فى مكانى على الطوار كنت اهم بسحب قدمى لاخطو فى طابور المشاه وحاولا ان تسبق خطواتهما .. خطواتى اثنان .. زوج وزوجة خط الشيب راسيهما وكاد بريق الحياة يخبو فى عيونهما .. ولكن مازالت الزوجة تتمسك باناقتها . وتتمسك ايضا بتابط ذراع زوجها يعطيه لها فى شموخ واهن وذراعه الاخرى تتكىء



على عصاه ينقلها فى نغمه ولحن يطرب له ويعيد به خطوات شبابه .. سارا فى هدوء وتؤدة ثم اختفيا فى زحمة الحياة .. وقفت لحظة صامتة تماما .. ثم فجاة شعرت .. وكانى كرة تتدحرج على الارض مملوءة من الداخل بالنبضات القوية التى ترجفنى ويد تربت على بطنى ويدى الاخرى تحمل حقيبتى وراسى يدور فى قسمى وقلبى تسرع دقاته تحثنى على المضى فى طريقى .. اى طريق .. اى طريق .. طريق ابى ام طريق زوجى ام طريق ولدى ؟ وامام عينى العروس الفرحة بتاثيث بيتها والصغار باصواتهم الصاخبة . وفرحة امهم وابيهم بهم رغم زجرهم واخيرا العجوز وهى تتكفىء على ذراع زوجها الذى يلحن دقات عصاه على ارض الطريق على صوت المفتاح فى باب بيتى كانت هناك نبضة قوية ترجفنى معها وهى تدق .. بين احشائى وعلى صدر الصالون كانت هناك عينان مستقرتان فى ثقة واطمئنان ..

المؤتمر الرابع

لمظاليم الأدب في أقاليم مصر

رؤية أدبية يكتبها : يوسف القعيد

● كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق فى شارع الهرم ، من اجل استقبال عايدة الهرم ، بعد أربعة اشهر من عايدة الاقصر . كان التناقض صارخا بين بذخ الإنفاق من اجل عايدة . وبين الإهمال الفاضح فى حوارى الجيزة . تلك المحافظة التى تعد بوابة القاهرة على صعيد مصر . وهى المحافظة التى لايعرف أحد أين ينتهى الريف فيها واين تبدأ المدينة . ورغم كل تناقضات الحاضر فقد كانت هنا اول حكومة موحدة فى تاريخ البشرية .

قطع أدباء مصر فى الاقاليم الطريق ـ عبر شارع الهرم ـ أربع مرات . مرتان الى قاعة خالد الذكر « سيد درويش » الذى قاوم الفناء بعبقريته الفذة . حيث جرى افتتاح وختام مؤتمر أدباء مصر فى الاقاليم . ومرتان الى قرية « طهومس » القريبة من شارع الهرم وفيها عقدت جلسات النقاش وتحول المؤتمر الى لجان ، هى نفسها اللجان التى شكلت فى المؤتمر منذ بدايته وحتى الآن . ولها أيضا نفس المقررين والأعضاء .

المؤتمر هو المؤتمر الثالث لأدباء مصر فى الأقاليم . وكان المؤتمر الاول قد عقد فى الفترة من ٤ الى ٧ فبراير سنة ١٩٨٤ فى مدينة المنيا بصعيد مصر . والمؤتمر الثانى عقد فى الفترة من ٧ إلى ١٠ ابريل سنة ١٩٨٦ فى مدينة الاسماعيلية . المؤتمر الأول عقد فى فترة رئاسة الدكتور سمير سرحان للثقافة الجماهيرية . والثانى عقد فى فترة رئاسة الدكتور عبدالمعطى شعراوى للثقافة الجماهيرية باعتبارها الجهة المنظمة للمؤتمر .

● لماذا العداء ؟

هذه المرة تعثر المؤتمر اكثر من مرة ، قدمت له محافظة سوهاج دعوة للانعقاد فيها ثم تنصلت واعتذرت ثم تقدمت محافظة مطروح بدعوة لعقد المؤتمر فيها

وعادت فسحبتها . وبعدها كان هناك عرض من محافظة جنوب سيناء فى مدينة نوبيع وحدث خلاف بين الثقافة الجماهيرية ومحافظة جنوب سيناء حول الاقامة فاعتذرت المحافظة عن الدعوة .

واخيرا حدثت المعجزة وتمكن عبدالرحمن الشافعى مدير الثقافة بالجيزة من التوصل الى اتفاق مع الدكتور عبدالحميد حسن محافظ الجيزة على عقد المؤتمر فى الجيزة خاصة وأن الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة ورئيس المجلس الاعلى للثقافة هو فى نفس الوقت نائب فى مجلس الشعب مما سهل الاتفاق بين الثقافة الجماهيرية ومحافظة الجيزة .

والسؤال هو : لم كل هذا العداء للمؤتمر ؟ ولأنه لاتوجد إجابات محددة من أحد . نقدم نحن الاجابات التى يخشاها الذين يعادون المؤتمر ولايعلنونها أبدا .

هل العداء للمؤتمر بسبب إصراره التام فى كل مرة عقد فيها على ان تكون التوصية الأولى التى تصدر عن أدباء مصر هى رفض كافة اشكال التطبيع مع أسرائيل فى المجال الثقافى ومقاطعة كل مثقف مصرى يقوم بالتطبيع مع إسرائيل بكل شكل من أشكال المقاطعة .

أم أن هذا العداء سببه التوصية في كل مرة بضرورة استقلالية أجهزة الثقافة فى الأقاليم عن أجهزة الحكم المحض . حتى لايبقى الاهتمام بالثقافة مرهونا بمزاج مسئولى الاقاليم والمحافظات وفهمه لقضية الأولويات ؟!

أم أن رفض المؤتمر سببه الأساسى حالة العداء الدائمة الموجودة بين المسئول فى موقع المسئولية وكل هذا الصخب والضجيج الذى يحدثه المثقف عادة فى أى مكان يعمل فيه أو يصل اليه . خاصة وان هذا الصخب وذلك الضجيج

جانب من الحاضرين فى مؤتمر ادباء الاقاليم



يحدث حالة من العدوى فى بعض الأحيان .

عموما لتذهب التساؤلات مع الرياح ولكن تبقى لنا النتائج . فقد عقد مؤتمر أدباء مصر فى الاقاليم لأول مرة بعيدا عن الاقاليم نفسها ، أى أنه عقد فى مدينة القاهرة . بصرف النظر عما يقال من انه عقد فى الجيزة وأن مناقشاته جرت فى قرية « طهرمس » التى تبعد عن شارع الهرم بخمسة كيلو مترات فقط . فقد .

عقد المؤتمر فى إقليم القاهرة الكبرى . اى ان ادباء الاقاليم عقدوا مؤتمرهم فى عاصمة الأقاليم وليس فى أحد هذه الاقاليم . وتلك هى حقيقة الأمر بدون زيادة أو نقصان . وبعيدا عن التلاعب بالفاظ اللغة العربية .

● اغرب المؤتمرات

وهذا المؤتمر من أغرب المؤتمرات فى مصر ، فمن ناحية رقمه هناك اجتهادات متعددة ، ومن ناحية اسمه هناك اكثر من خلاف . الاوراق الرسمية تقول إنه المؤتمر الثالث . وبعض المشاركين يقولون إن هذا الرقم فيه تجن على الواقع . فالمؤتمر الأول ليس الذى عقد فى سنة ١٩٨٤ فى مدينة المنيا بصعيد مصر ولكنه المؤتمر الذى عقده شعراوى جمعه باعتباره أمين الدعوة والفكر فى الاتحاد الاشتراكى فى مدينة الزقازيق سنة ١٩٦٩ . صحيح ان



يس الفيل



عبدالله السيد شرف

مؤتمر الزقازيق ١٩٦٩ كان اسمه المؤتمر الأول للادباء الشبان فى مصر ، ولكنه كان الانجاز الأول الذى خرج منه المؤتمر الذى نظم فى سنة ١٩٨٤ فى المنيا . وبالتالى من المفروض أن يكون هذا المؤتمر هو الرابع .

اسم المؤتمر قضية اخرى ، من الصعب معرفة أين تنتهى الاقاليم واين تبدأ العاصمة فى كل ادباء مصر الآن والقليل جدا من ادباء مصر هو من ولد فى العاصمة . وهذه التسمية جائرة . وهى تكرس وضعا يجب محاربته بدلا من أعطائه كل فرص الشرعية ، وهذا الوضع الذى يقسم أدباء مصر الى ادباء اقاليم وادباء عاصمة يجب مواجهته بدلا من تخصيص مؤتمر له . والاحتجاج على التسمية يلخصه محمد الخضرى عبدالحميد عميد أدباء صعيد مصر عندما يقول ببساطة :

يعنى نهاجر الى القاهرة ونترك البيئة والاقاليم ونجىء اليكم نصبح عليكم مع كل طلعة شمس - لننال حقنا .

والخضرى عبدالحميد أديب فرض

اسمه على الساحة الادبية وسلاحه الوحيد هو : طابع البريد وقضية هى أنه من حق الاديب الجيد أن يأخذ حقه من المجتمع كله بصرف النظر عن الاقليم الذى يعيش فيه . ولكن المشكلة ان عباقرة اليفط الأدبية سدوا عين الشمس فى العاصمة الأدبية . والمشكلة ايضا أن كل بؤر تجمعات الادباء فى أقاليم مصر لم تستطع ان تخلق واقعها الادبى والثقافى الذى يوازى القاهرة . ابتداء من أسوان وحتى الاسكندرية ، فالكل يكتب ويبدع ولكن على ايقاع القاهرة الثقافى .

وإن كانت تلك هى حال الخضرى عبدالحميد فان الشاعر يس الفيل عميد أدباء الدلتا والوجه البحرى حالة أخرى . فالشاعر الذى سيكمل الستين من عمره فى نوفمبر القادم ، وسيحال الى المعاش من عمله كمدير عام للعلاقات العامة بمديرية التربية والتعليم بدمنهور . لم يتمكن حتى الآن من نشر ديوان شعر واحد . والسبب الوحيد فى ذلك بعده عن القاهرة وعن دور النشر بل ان ديوانه الذى سيكون الأول . موجود ومعد للنشر ضمن سلسلة اشراقات ادبية التى يرأس تحريرها عبدالعال الحمامصى ، وان كان لم يصدر بعد . وعندما يصدر ستكون المرة الاولى التى تدون فيها شهادة ميلاد شاعر فى سن الستين من عمره .

● البيانات والواقع الثقافى

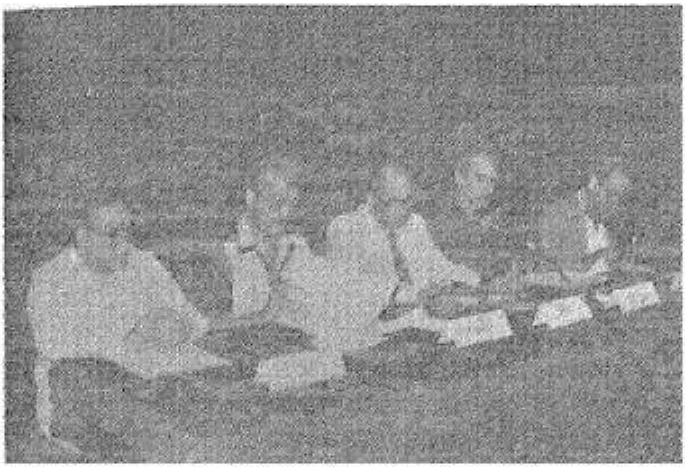
وكالعادة حفل المؤتمر بالعديد من البيانات التى تقدم خريطة دقيقة للوجه الآخر للواقع الثقافى فى مصر الآن . ولكن هذا العام كانت اقل البيانات الصادرة . ولايدرى الانسان هل فقد الادباء اهتماماتهم ، أم انها مرحلة لالتقاط الانفاس الادبية فى أقاليم مصر ؟

البيان الأول اصدره ادباء المنصورة : فؤاد حجازى نبيل خالد عبدالمنعم الباز محمد عمار وعنوانه لماذا نحن هنا ؟ وهذه الورقة فيها قفز على حقائق الواقع . ففى الوقت الذى اعتذرت فيه ثلاث محافظات عن استضافة هذا المؤتمر . اذ بورقة المنصورة تقترح مد المؤتمر من ثلاثة ايام الى سبعة ايام ، ثلاثة أيام منها لادباء مصر واربعة للادباء العرب .

ان امتداد الحلم الى ارجاء الوطن العربى مسألة مشروعة وربما كانت مطلوبة أيضا ولكن لا القدرة على الحلم موجودة ولا امكانية تحقيق الحلم متاحة لأحد الآن . فنحن فى زمن العين البصيرة واليد القصيرة .

البيان الثانى والثالث من ادباء الاسماعيلية عن مشاكل بين ادباء الاسماعيلية ونادى الادباء هناك وكذلك عن حال جريدة القناة وندوات النادى ، وقع عليه أشرف عوض الله . صفية فرجانى ، جوزفين ريمون . وهناك دعوة من ادباء الاسماعيلية بدعوة الجمعية العمومية لنادى الادباء للاجتماع واعتبار كل مبدع فيها عضوا ومقاطعة ندوات النادى الحالى المعين بقرار من المحافظ لحين انعقاد الجمعية العمومية .

والبيان الثالث من كل ادباء مصر المشاركين فى مؤتمر أدباء الاقاليم من اجل الابقاء على الدور الايجابى للمجلات غير الدورية فى اثراء الحياة الثقافية وتحقيقا للممارسة الديمقراطية الحقة نناشدكم نحن أدباء مصر التدخل العاجل



د . هيكل يلقى كلمة فى افتتاح المؤتمر

لدفع اى حظر على اصدار المطبوعات الثقافية غير الدورية . والبيان موجه الى الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة . وموقع عليه من حجاج الباي وقاسم مسعد عليوة وجمال التلاوى ، سمير الفيل ، مصطفى نصر ، محمد المنسى قنديل ، سهام بيومى . جار النبى الحلـو . خيرى عبدالجواد . أحمد زرزور .

حضر هذا المؤتمر مائتا كاتب واديب منهم حوالى ٨٠ فقط من ادباء الاقاليم والباقون من ادباء العاصمة طبعا وتكلفت الاقامة فى الفنادق فقط خمسة عشر الف جنيه مصرى .

ولعل افضل صور المؤتمر هى صورة الاديب عبدالله سيد شرف وهو من قرية صناديد غربية وقد حول بيته فى القرية الى ندوة دائمة ومستمرة لأدباء مصر كلهم سواء من القاهرة أو من الاقاليم ورغم مرضه الذى يمنعه من الحركة . فقد جاء على كرسى متحرك وأبناؤه الصغار يدفعون به الكرسى المتحرك وكان حريصا رغم المرض على حضور كل الجلسات .

ان الحياة ـ فى الاصل والاساس ـ ارادة اكثر منها إمكانية وقدرة . وفى اعماق عبدالله سيد شرف ضرورة الخلق والابداع وارادة الحياة قبل هذا كله . لذلك جاء الى هذا المؤتمر على كرسى متحرك .

وقد حصل على تكريم هذا العام . ومعه شاعر الريف زكى عمر الذى غرق فى اليمن الجنوبى لكى ينقذ ابنتيه من الغرق ، وشاعر الدلتا الكبير يس الفيل والروائى السكندرى محمود عوض عبد العال . صاحب رواية سكرمر .

لغويات

● كلمة « الشرق » تستعمل بمعنى « الشمس » .. لان الشمس تطلع من الشرق .. ويقال : طلع الشرق ، أى طلعت الشمس ، ولكن لا يقال : غاب الشرق بل يقال فقط : غابت الشمس .. قال المتنبى يذكر « الشرق » بمعنى الشمس :

والقى الشرق منها فى ثيابى
دنانير تفر من البنان

● من الاخطاء الشائعة فى الكتابة الصحفية قولهم : « طفلان توأم » .. وانما يقال للطفلين اذا ولدا فى بطن : « طفلان توأمان » .. والطفل الواحد : « توأم » .. وفى التأنيث : « توأمتان » .. والواحدة « توأمة » .. والجمع : « توائم » وتؤام » .. وللاستاذ العقاد بيت فى الغزل يقول فيه لمحبوبته :

فيك منى ومن الناس ومن
كل موجود وموعود تؤام

انتقده مصطفى صادق الرافعى قائلا : أن من كل موجود وموعود بالوجود ، الحشرات والحيوانات والهوام ، فكيف يقال ان هذه الموجودات الدنيئة شقيقات توأمات للمحبوبة ؟! ..

● هرأ الرجل الكلام ، أى اكثر من الخطأ فيه .. والهراء هو الكلام الفاسد الكثير الخطأ ..

● يقولون : فلان تيمته فلانة بحبها ، أى جعلته ذليلا خاضعالها .. ويقال أيضا : فلانة تامت فلانا ، بمعنى تيمته بحبها .. قال الشاعر القديم :

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت
احدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

● نقرأ فى كتابات هذه الايام قولهم : صفع فلان فلانا على وجهه .. وهذا تعبير غير صائب « الصفع » يكون على القفا وليس على الوجه !.. ويكون « اللطم » على الوجه لا على القفا .. قال أبو نواس متغزلا فى امرأة تبكى :

تبكى فتذرى الدر من نرجس
وتلطم الورد بعناب

و « الورد » هنا هو ورد خديها ، فهى تلطمها بأصابع يديها المخضوبة كأنها العناب ! ..

وقد بالغ شعراء « البديع » بعد ذلك فى هذا المعنى حتى قال أحدهم :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

و « البرد » بفتح الباء والراء هو الثلج ، يشبه به الشاعر أسنان محبوبته وهى تعض أصابعها وتمطر من نرجس عينيها لؤلؤا تسقى به ورد خديها ! ..

ش
شهريات

• رأى فى الثقافة •

التليفزيون المصرى ورسومه العجيبة

من نافلة القول ان نعيد ونزيد عن اهمية هذا الجهاز الذى يشكل الغذاء الاساسي للمشاهدين لدى الاغلبية الساحقة من الناس ·· لذلك فان حساب التلفزيون يجب ان يكون على هذه الدرجة العالية من المسئولية القومية ·

وانطلاقا من هذا الاحساس لابد ان نذكر السادة العاملين فيه بان اى اداء سيىء لابد ان ينعكس على الناس وعلى درجة تذوقهم ، بل ، حتى على فهمهم للحياة ·

والشيء الغريب أن التلفزيون يضم بين جدرانه الشاهقة عددا كبيرا من المصممين والفنانين ذوى القدرات العالية ، لكن لا نعرف لماذا يسندون الرسوم المصاحبة للبرامج والفقرات الموسيقية ومقدمات الحلقات والديكورات الى اشخاص يبدو انهم لا يعرفون شيئا عن الرسم ، ولا شيئا من الذوق ، من اولئك الذين تخرجوا فى مدرسة افيشات السينما الرخيصة حيث تبدو الالوان ملطخة بشكل عشوائى ، والاشكال نفسها تدعو للرثاء : عصفورهم يوحى بالتشرد والضياع والهوان ، واغصان اشجارهم توحى بالنضوب والجفاف، ووجوه نسائهم عليها اكوام المساحيق وملامح الرجال توحى انهم خرجوا لتوهم من مستشفيات الامراض العقلية والنفسية والعصبية ·

وهذه الاشكال تنتقل الى اذواق وضمائر الناس حتى لتراها بالفعل فيما يختارونه من لوحات رخيصة يعلقونها فى غرف نومهم وطعامهم وصالوناتهم ·· وذلك طبعا بفضل الرسامين العتاة الجبابرة للتلفزيون المصرى ·

عبده جبير

● المستقبل العربي مرحلة جديدة

لا ينسى احد منا تلك المجهودات الرائدة التى قدمها معهد الدراسات العربية فى مجال الدراسات القومية التى اغنت المكتبة العربية بدراسات رائدة ، ستظل علامات بارزة فى هذا المجال ٠

وبعد أن توقف المعهد عن العمل والانتاج لاسباب معروفة حدثت فجوة كبيرة ، لم يعوضها الا مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت الذى قام بمجهودات قيمة فى هذا المجال ، عبر الكتب العديدة التى قدمها منذ انشائه عام ١٩٧٥ ، والسنوات الاخيرة منها بالذات . او عبر مجلته المتميزة التى بلغت حتى الان ١٠٢ اعداد ٠

وها هو مركز دراسات الوحدة العربية يتخذ خطوة جديدة فى سبيل تطوير نفسه من خلال تدعيم مكتبه بالقاهرة بالعديد من الباحثين الجادين والمشاريع الجديدة الذى يقوم عليها الباحث والكاتب جميل مطر الذى عرف بالكفاءة والتفوق ، لتعود القاهرة من جديد قبلة للثقافة العربية بعد سنوات من العتمة والظلام اللذين خيما على وجهها

اما العدد الجديد من المستقبل العربى فقد ضم دراسة هامة عن التهديد النووى الاسرائيلى كتبها الدكتور تيسير الناشف استاذ الدراسات العربية بالجامعات الامريكية ، ودراسة عن المشروعات العربية المشتركة ترصد واقع هذه المشروعات واهميتها كما تستعرض المعوقات التى تحول دون نموها والنظرة الى مستقبلها ٠ هذا بالاضافة الى دراسات كل من د٠ المنصف وناس عن المنظومة الاصلاحية الخلدونية ، ودراسة د٠ وليد خدورى عن اليمن العربية على اعتاب عصر النفط ، وملف كامل عن الدولة الريعية العربية ساهم فيه كل من د٠ حازم الببلاوى وجياكومو لوشيان و د٠ محمود عبد الفضيل ، ورأى للدكتور رضوان السيد عن الشرعية الدستورية والعقد الاجتماعى ٠

بالاضافة الى الابواب الثابتة وعروض الكتب والمؤتمرات وموجز يوميات الوحدة العربية وببلوجرافيا الوحدة العربية ٠



● ذكرى

● تراث كامل الكيلانى فى ذكراه

فى العشرين من اكتوبر الحالى يكون قد مر على ميلاد رائد كتابة الاطفال كامل الكيلانى ٩٠ عاما ، وفى التاسع من هذا الشهر تكون ٢٦ عاما قد مرت على رحيله ٠

وهذا الرائد الكبير الذى وضع على كاهله مسئولية ضخمة لم يحملها احد قبله ، بل قام بها مدركا لاهميتها وخطورتها ، كان شلالا هادرا من الكتابات ، فكان بالفعل الرائدالعربى الاول للكتابة للاطفال ، ويذكر لنا التاريخ ان اول قصة كتبها الكيلانى للاطفال كانت عام ١٩١٢ ، اى منذ ٧٣ عاما ، وتعد اول قصة للاطفال فى الادب العربى ، وهى قصة الامير صفوان التى كتبها وهو فى الرابعة

عشرة من عمره ولم تنشر ، وان كان اصلها الخطى لايزال موجودا بين اوراقه فى حوزة ورثته ٠

وبالاضافة الى كتبه المعروفة : « نظرات فىتاريخ الاسلام » و « ملوك الطوائف » و « مصارع الخلفاء » و « مصارع الاعيان » وتحقيقه الشهير لرسالة الغفران ، وترجماته العديدة كتب الكيلانى الف قصة بالتمام والكمال للاطفال ، بعضها ترجمه وصاغه والاخر من تاليفه الخالص ، ولم ينشر من هذا الكم الهائل من القصص سوى ٢٥٠ قصة تقريبا ، اما الباقى فيحتاج الى جماعة عمل جديدة ، لعل المركز القومى للطفل يقوم بدفعها ، كما سبق واعلن ، الى نشرها بعد تحقيقها بما تقتضيه الظروف التى تغيرت منذ وفاته ٠

ان هذه الكلمة القصيرة ما هى الا تذكير بهذا الرائد ، حتى لا تضيع اعماله ، واعادة تقليب فى اوراق روادنا الكبار الذين وضعوا على كواهلهم مسئولية من هذا الحجم القومى الكبير ٠٠ مسئولية الكاتب الحقيقى الذى يرى ان الكتابة رسالة قبل اى شيء اخر ، كما انها دعوة لدراسة اعماله مجددا لنتبين ما حققته وما لم تحققه وصولا الى مستوى متطور واكثر تحديدا للطفل العربى الذى يعانى نقصا شديدا فى الكتابة الجادة له ٠

مسرح

● عروض جديدة

يستعد المسرح الحديث بعد ان اسندت ادارته للمخرج فهمى الخولى لتقديم اربعة عروض فى الموسم المشتوى القادم ، اولها « عريس لبنت السلطان » التى كتبها محفوظ عبد الرحمن ويخرجها محسن حلمى ، ومسرحية « النواسانى » للكاتب عبد الغنى داوود واخراج عادل زكى، ومسرحية « بشر الحافى » للدكتور عبد الغفار مكاوى والمخرج محمد صديق العائد بعد سفر طويل من الخارج ، وكان قد اوقف له عمله الاول فى بداية السبعينيات ، الذى كان ماخوذا عن نص « اليهودى التائه » للكاتب يسرى الجندى ، وسيقدم المسرح عرضا للمرحوم محمود دياب يخرجه جلال توفيق عن مسرحية « ارض لا تنبت الزهور » ، وهى اخر ما كتبه الراحل ٠

● وفى المسرح القومى يتم الان عمل البروفات للعرض المؤجل من الموسم الماضى والذى كان مدرجا فى خطة المسرح الحديث « سماء على ستار الكعبة » وهو من تاليف الشاعر فاروق جويدة ويخرجه هانى مطاوع وديكور اشرف نعيم ، وسبق ان اخرج مطاوع منذ عودته من الخارج مسرحيتين لفرق القطاع الخاص ، اولاهما « خشب الورد » لعلى سالم ، والثانية « شباب امراة » عن قصة امين يوسف غراب واعداد بهجت قمر ٠

● وفى المسرح الكوميدى مازالت البروفات مستمرة لعرض « د ٠ زعتر » تاليف يسرى الجندى واخراج السيد راضى ومن تمثيل ابو بكرعزت وبوسى على ان يبدأ العرض مع مطلع هذا الشهر ٠

● مسرح الثقافة الجماهيرية

يواجه مسرح الثقافة الجماهيرية الذى يشرف عليه الكاتب المسرحى يسرى الجندى ازمة حادة بسببتقليص الميزانية الى ثلث الاعتمادات المقررة، وكانت الازمة قد بدأت منذ العام

الماضى لنفس السبب ، وبسبب اثارة الموضوع امام رئيس الجمهورية فى لقائه مع الادباء فى افتتاح معرض الكتـــاب فى اول يناير الماضى ، تقرر اعادة الاستقطاعات ، ورغم ذلك فان ما حدث فى العام الماضى يتكرر هذا العام فقد اعتمدت الميزانيات وتم التخفيض ، والمشكلة هنا ليست فى قلة الاعتمـــادات المخصصة من قبل الدولة لقطاع الثقافة الجماهيرية ، ولكن لان المسئولين فى الثقـــافة الجماهيرية قد قرروا توزيع الميزانية بما يجوز على النشـــاط المسرحى ولصالح انشطة لا تمت للثقافة بصلة كافتتاح فصول للتطريز والخياطة وما الى ذلك ، وبذلك احكم الحصار حول المسرح ، مرة بخفض الميزانية ومرات لغلق دور المسارح بسبب احتـــلال السينما التجارية المستمر لهـــذه الدور وتقديم افلام تهدف للربح فى المقام الاول ، فاذا علمنـــا ان هذا الربح يدخل الى ميزانيات جمعيات رواد قصر وبيوت الثقافة المنتشرة فى كل اقليم والتى ليس من حق الادارة المركزية التدخل فى شئون ادارتها ، حيث تتكون من مجلس ادارة معظمه منتخب من قبل جمعيات وهمية يتكون اغلب اعضائهـــا من رواد نوادى السينما حيث يشكلون الكم الاكبـــر بالنسبة للانشـــطة الاخـــرى ، ولذا فان معظم مجالس الادارات يتم فيها الانتخـــاب بالتزكية ، فتتكـــرر نفس الوجوه فى كل مجلس ، وهذه لايهمها بحكم الاستمرار والمصلحة سوى زيادة الرصيد ولو على حساب الانشـــطة الاخرى الاساسية كالمسرح ونـــوادى الادب والموسيقى والفنون الاخـــرى ، فلو علمنـــا مع كل هـــذا ان دور الثقافة بأروقتها قد احتشدت بالانشطة النسوية وفصول تعليم اللغات ، ولم يبق مكان لممارسة نشاطات اخرى ، فان هذا كله يؤكد على النية المبيـــتة لتحجيم دور المثقفين فى الاقـــاليم وتقليص نشاطهم ..

من اذن يقف وراء غلق المـــرح المسرحية لابوابهـــا وتسريح روادهـــا وكـــذلك محـــاصرة نوادى الادب والموسيقى والفنون التشكيلية ؟.. سؤال نضعه امام وزير الثقـــافة ونطالبه بالتدخل لوقف هذا الاهدار المتعمد لطاقات اكثر من مائة فرقـــة مسرحية تقدم عروضها السنوية فى كل ربوع الجمهورية .

محمد الشربينى

● رسائل جامعية ●

● استكشاف الفنانين فى رسالة دكتوراه

ناقش الزميل الفنـــان رضا عبد السلام رسالة الدكتوراه التى تقـــدم بها لكلية الفنون الجميلة التى يعمل بها مدرسا مســاعدا تحت عنوان « اهميـــة الرسوم التحضـــيرية فى التصوير المصرى المعاصر » ، وكـــانت لجنـــة المناقشة مكونة من الاستاذ احمد نبيل سليمان ، والدكتورمصطفى عبـــد المعطى ، والدكتور مســـعد المنصورى .

وفى البداية اكد الدكتور احمـــد نبيل على ان اهمية هذه الرسالة انها رسالة ميـــدانية ، تناولت مجمـــوعة من الفنـــانين المصريين فى رسومهم التحضيرية ، وان هذا جانب مهم لم يتناول من قبل .

وقد اكـــد الدارس فى تلخيصه للرسالة على عدد من الحقائق :

● ان الرسم يعد من اقدم وسائل التعبير الفنى عن نفسه منذ ازمنة بعيدة ، فعندما احس الانسان بالرغبة فى التعبيـــر عن خلجـــاته وامآله ومعتقداته كان الرسم وسيلته الاولى .

● ان الرسم لم يعـد تابعـــا للتصوير ، بمعنى أنه مجـرد عملية اعداد للوحة الفنية ، بل اصبحت له اهميته المباشرة فى التعبير ، وانه فن مستقل بذاته . يتطلب عندتحليله مجهودا كبيرا كما تتطلبه اية لوحة فنية قيمة .

● للتاكيد على هـذه الاهميـــة استشهد الباحث بنماذج عـديدة من الرسوم ابتـداء من عصر النهضـة وحتى وقتنا الراهن .

● ان الرسم يستطيع ان يحيى فى الذاكرة ما تراه الاعين من نباتات وحيوانات وانهار وبحار واشجار ، بل يستطيع أن يسجل ادق التفاصيل ، بالاضافة الى حفظ الابعـاد والنسب بين الاجزاء وبعضها البعض ، وبين الاجزاء والكل .

● نظرا لتعدد النماذج المصرية التى شكلت مادة البحث لجأ الباحث الى تصنيفها فى ثلاث مجموعات :
(ا) رسوم انطبـــاعية مأخوذة مباشرة عن مصادرها .

(ب) رسوم تلقائية ذات طبيعـة خيالية .

(ج) رسوم تعبر عن شعور باطنى بطىء التكوين .

وقـــد اوصى البـــاحث بضرورة التفات النقاد والدارسين لفن الرسم باعتباره فنا مستقلا يجب اخذه بعين الاعتبار ، كما اوصى بضرورة انشاء مكتبة قومية تضم رسوم الفنـــانين خشية ضياعها .

وقد ايد الدكتور مصطفى عبـــد المعطى على اهمية الرسم واسماه ملح الطعام فى الفن ، وانطلق الى ما اسماه ملاحظات ضرورية ، بعضها يتعرض للشكل والبعض الاخـــر للمضمون .

وفى اطار الملاحظات الشكلية اشار الى الاخطـــاء الاملائيـــة والنحوية واللغوية التى كان يمكن تجنبها .

وقد وجد المناقش تناقضاموضوعيا حينما وصف الدارس الفن الفرعونى فى بداية البحث بما يوحى ببدائيته ثم وصفه بأوصاف توحى بعظمتـــه وتفرده مما يناقض القول الاول ، كما ان الباحث قد تجنى على الفن المصرى وهو يصف خطوطه بالعصبية ضمن فنون اخرى .

كما رأى المناقش فى الفصل الخاص بالفن الاوربى تطويلا كان يمـــكن الاستغناء عنه لان الرسالة اصلا عن الفن المصرى المعاصر ، وان كـــان البـــاحث قد رد على هـــذه النقطة باعتبار ان الرسم المصرى اخذ عن الاوربى الكثير من المناهج والرؤى مما يقتضى ضرورة عرضه فى هذه المساحة .

وعاب على البـاحث خلو دراسته مما اسماه بالخطة العامة التى يسير





رضا عبدالسلام   مصطفى عبدالمعطى

عليها من ناحية انه لجا احيانا الى التدليل على صحة كلامه فيما يخص احد الفنانين بنماذج معينة من الرسوم والمعلومات ، وعند فنان اخر نجده يتخلى عن هذا النهج .

اما الدكتور سعد المنصورى فاكد على ان الموضوع بالفعل مثير وشائق وفريد ، لان الكلام عن الاسكتشات هو كلام عن النبتة الاولى للابداع عند الفنان وله صلة كبيرة بعلم النفس وعلم الجمال ، والثقافة الفنية بوجه عام . لـــذلك كنت ارجو ان يمس الموضوع من الناحية النظرية بشكل اعمق من الكلام عن الفنانين بهذا الشكل المريع .

وقال ان هناك ملاحظة شكلية ، لكنها هامة وهى ان الباحث وضع فهرس المراجع فى غير موضعه وكان يجب ان يضعه قبل الملخص فى نهاية البحث .

وفى النهاية حصل الباحث على درجة دكتوراه الفلسفة فى الفنون .

● مسعد حسان ●

● تلك الرائعة فى مهرجان الرافعى هذا العام

احسن مهرجان الرافعى هـــذا العام لانه استن سنة جديدة تجاوز بها نفسه ولم يقف عنـد الدعاوى الاقليمية المضـــيقة الافق ، فها هو يتجاوز الحدود الاقليمية ليقيم ندوته الادبية عن عمل روائى هام لصنع الله ابراهيم .

والمعروف ان هذه الرواية نشرت اخيرا فى مصر فى طبعة كاملة لاول مرة ، بحيث يمكن القول انها ولدت فى تربة وطنها ولادة جديدة تستحق الاحتفاء والتقدير .

اقيم المهرجان ـ الندوة ـ يوم الاحد الموافق ٨/٣٠ الماضى وشارك فيـــه الدكتور فوزى مكى عميد تربية طنطا والدكتور محمود الحسينى الاستاذ بجامعتها والدكتور حامد ابو احمـد بالاضافة الى القاص فؤاد حجـازى والناقد محمود حنفى كساب .

وفى البـــداية رحب الدكتور مكى بصـــنع الله ابراهيم مؤلف تلـك الرائعة التى اقيمت الندوة لمناقشتها ، وعبر عن سعادته وغبطته باجتمـاع هذا الحشد القادم من العاصمة وعدد اخر من البلدان من اجل القيمـــة الادبية الجادة على الرغم من عناء السفر . وقال عن الرواية انها افاقته على صرخة الالم الذى عاناه بطلها . وكان المتكلم الثانى هو القاص فؤاد حجازى الذى اشاد بالرواية ودورها التاريخى وقـــال انها كـــانت بداية لنهاية عصر الرواية التقليدية ، ولكنه عاب عليها بعض الالفاظ الخـــارجة وان كثيرا من تصرفات البطل رآها غير منطقية من النـــاحية الواقعية بالاضافة الى ان المؤلف لم يحـــدد الزمن الذى عاش فيه البطل ولا حالته الاقتصادية وكيف يعيش وماذا يفعل ولكن صنع الله ابراهيم اوضح ان القارىء يستطيع ببساطة ان يعـرف مكان وزمان البطـل من القـــرائن حيث هناك شوارع واماكن محـددة

بالاسم فى الرواية كما اننا نستطيع ان نحدد الزمن من اللقطة التى نرى البطل فيها وهو يتابع العساكر العائدين من حرب اليمن .

اما محمود كساب فقال ان هذه الرواية هى مفتاح اعمال صنع الله ، ولكى ندخل الى عالمه المتمثل فى أعماله الاخرى نجمة اغسطس ، اللجنة بيروت بيروت ، لابد من ان نمر بتلك الرائحة ، وذكر ان للرواية مستويين، الأول المستوى الخارجى التلغرافى ، والثانى مستوى الحلم والتذكر والتداعى ويغلب عليه الطابع الشاعرى . كما انتقد علاقة البطل بالعسكرى الذى يأتيه كل مساء ومعه الدركى ليوقع عليه بالتواجد فى مسكنه وقال انها علاقة نمطية لم تتغير .

اما الدكتور الحسينى فقد سرد وقائع الايام التسعة التى تستغرقها الرواية وقال انها يمكن ان تتناول باكثر من طريقة ، فيمكن مثلا تناولها بالمنهج البنيوى كما يمكن تناولها من زاوية آليات اللغة التى تتحرك وتتطور من حالة الى اخرى .

اما الدكتور حامد ابو حمد فقد تعرض لتاريخ مصادرة الرواية وقارن بينها وبين روايتى مدام بوفارى لجوستاف فلوبير ويوليسيز لجيمس جويس اللتين تعرضتا للمصادرة بدورهما وقدم مقارنة ثاقبة من هذا المنطلق لهذه الاعمال .

● مكتبة الهلال ●



الكتاب : الهجرة الى العنف
تأليف : عادل حموده
الناشر : سينا للنشر
٢٨٦ ص - ٥ ج .

يستعرض عادل حموده فى هذا الكتاب وفى سياق متابعته السابقة للتيارات الدينية السياسية ، مقدمات ودوافع ظهور جماعة المسلمين الذين عرفوا من قبل بجماعة التكفير والهجرة وكيف كانوا حلقة من حلقات الجماعات المتطرفة من تنظيم الجهاد وجماعة صالح سرية وكيف استطاع شكرى مصطفى ان يجمع من حوله الأتباع حتى شكل تنظيمه الذى قام بعملية اختطاف وقتل الشيخ الذهبى .. لكن عادل حموده يلجأ هذه المرة الى بيان الاجواء السياسية والفكرية العامة التى كانت سائدة فى نهاية الستينيات والسبعينيات بدءا مماكان يجرى داخل السجون بين المعتقلين من الاخوان المسلمين ومرورا بحركة الطلبة التى قادت تظاهرات فبراير ونوفمبر ٤٨ لأول مرة فى فى عهد الثورة ، ثم كيف تطورت الأمور لأن يصبح اليسار قوة لايستهان بها فى الجامعة مما دفع السادات للتحالف مع الجماعات الدينية وتشجيعهم لتصبح لهم الغلبة بعد ذلك .

والمؤلف هنا يقدم تاصيلا ذكيا للحركات والجماعات الداعية للعنف بكثير من الموضوعية .

الكتاب : الحداد
تاليف : يوسف القعيد
الناشر : هيئة الكتاب
١٢٤ ص ـ ٧٥ ق . م

يكاد عالم يوسف القعيد يبدو على درجة عالية من النضج والطزاجة في هذه الرواية القصيرة الشائقة على الرغم من انها كانت روايته الاولى ، وضمن نتاجه الغزير تبدو هذه الرواية اقل من اخريات له حظا بالنقد ، وان كانت في الحقيقة اكثرها تفوقا من ناحية الانجاز الفنى .

ومن أول سطر يبدو البناء شديد الاحكام ، يبدو لان زاوية الانطلاق كانت صحيحة وحاسمة، فالحدث الواحد ، الذى هو مقتل الحاج منصور ابو الليل يقوم بدور البؤرة التى تدور فصول الرواية حولها ، فابطال الرواية الاربعة يسردون هذا الحدث الذىيدور في جو عام مشحون بالحزن والحداد الذى تسبب فيه موت منصور كعمق روائي واقعي ، وهو فى نفس الوقت مشحون بجو الحزن المخيم على جميع الافراد، ابطالا وكومبارس نتيجة لهزيمة البلد في ١٩٦٧ .

نرى هنا القرية المصرية دون افتعال ، وبعيدا عن الشعارات السياسية التي طرحتها اعمال أخرى للمؤلف ، ويصدق الفنان فيبراءته الحقيقية ووعيه الثاقب حتى لنتبين الريف المصرى من وجهة نظر تستبعد المألوف والمعاد والمكرور الى الحي والانساني والمشوق .



الكتاب : اضاءه النص
تاليف : اعتدال عثمان
الناشر : دار الحداثة ـ بيروت
١٩٢ ص

تبدو المؤلفة في هذا الكتاب وقد وضعت يديها على القسمات الواضحة لكل شاعر من الشعراء الذين تناولتهم فى دراستها ، وهى على أى حال تحاول بجديةشديدة ان تستخلص من الشعر مقولات عامة تدلل بها على صحة المنهج الذى تتبناه ، ولا نعرف اذا قلنا انه المنهج البنيوى تكونمخطئين اممصيبين على اى حال فهذه الدراسة التى لا تشع بالعمق النظرى تدرس أعمال كل من أدونيس ، ومحمود درويش ، وسعدي يوسف وعبد الوهاب البياتي ، وامل دنقل ومحمد عفيفى مطر واحمد عبد المعطى حجازى ، فى دراسات مستقلة وان كانت تعود لتستعرضها موضوعيا .

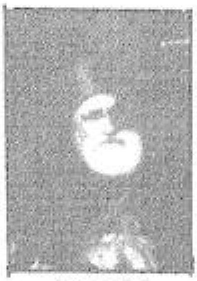
انها دراسة تتوخى الجدية والعمق على الرغم من أن المؤلفة قد وصفتها بالقراءة الشعرية امعانا فى التواضع الذى يتحلى به الكتاب الجادون الحقيقيون .

صدر حديثا

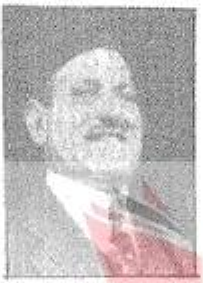
« المرأة الجديدة » تاليف قاسم أمين مع دراسة للدكتورة زينب محمود الخضيرى ، نشر سينا للنشر ، ١٤٠ ص، ٣ج ★ الاقباط والاسلام تاليف د . محمد سليم العوا، نشر دار الشروق، ٨٤ ص ، ١٥٠ ق م د

يتفق كتاب التاريخ على أن كتابة التاريخ وتدوينه يخضعان لمعايير محددة ، استنوها منذ زمن بعيد ، وطبقوها وبذلك حسمت واحدة من أهم القضايا التى تتيح للأجيال القادمة معرفة تاريخهم بالكامل .

أما نحن فى مصر ، فمازلنا نناقش الأسس الموضوعية للالتزام بكتابة التاريخ ، وكيفية تحرى الدقة فيما يكتب ، بعد أن أصبح هناك تجار وسماسرة لكتابة المذكرات ، وإعادة كتابتها ، بل وتزوير التاريخ نفسه ، من أجل حفنة من المال ، دون مراعاة لضمائرهم او إخضاع مايكتبون لما اتفق عليه فى المنهج العلمى لتدوين تاريخ الأمم العريقة ، ومن بينها مصر .


محمد على


سعد زغلول


مصطفى النحاس


عبد الناصر

زعماء مصر بين الحقيقة التاريخية والتشهير السياسى !

بقلم : عاطف مصطفى

وقد دعيت « الهلال » لحضور الندوة العلمية الدولية بالقاهرة المنعقـدة تحت عنـوان « الالتـزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ » وهى تمثل كما أشار منسق الندوة د . أحمد عبد الله فى جلستها الافتتاحية نقطة التقاء بين دافع علمي ودافع وطني ، فرضتهما الى حد كبير ظروف تناول قضايا تاريخية فى المجتمع المصرى اليوم ، حيث تشهد الصحافة المصرية معارك حول التاريخ بعضها يمتد فيخرج عن الحد ، وبعضها يلزم نفسه بقدر من الموضوعية والعلمية ، وتلك القضية تفرض نفسها على مجتمع العلماء الذين يتناولون التاريخ باعتباره قضية من قضايا البحث والدراسة العلمية ، وبالتالى إرتأينا الاّ يُترك أمر تاريخ هذا البلد فقط للمعارك والمعتركات السياسية للسياسيين فقط ، وإنما ان يتولى العلماء أيضا الادلاء بدلوهم فى هذا الشأن على أمل أنه قد يأتى فى يوم من

الايام ميثاق شرف لتناول قضايا التاريخ خصوصا الحقبة من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ التى تحيط بها معارك عديدة !

وللوهلة الأولى استبشرنا خيرا بصفوة المؤرخين والسياسيين الذين حضروا جلسة الافتتاح فى فندق ماريوت الفاخر ولكن ماهى إلا ساعات حتى ثارت الخلافات بين المؤرخين ، وبدأت التيارات الحزبية تظهر واضحة جلية فى قاعة المعهد الإيطالى الذى شهد عشر جلسات على مدى أربعة أيام شارك فيها عشرة من كبار مؤرخينا فى مقدمتهم استاذنا الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى والاستاذ طارق البشرى فهذا يهاجم سعدا ، وذاك يدافع عنه باستبسال ، والآخر يتهم النحاس بأنه "أهبل" وبأن عبد الناصر شيطان ، وتحولت قاعة الندوة إلى حلبة من الصراع الذى بدد الجهد الكبير الذى بُذل فى إعداد أوراق الندوة .

● موضوعية الالتزام

ومايعنينا هو كيفية الالتزام بكتابة تاريخ الزعماء من محمد على حتى جمال عبد الناصر . والالتزام فى كتابة التاريخ يعتبر موضوعية نسبية ، بمعنى أنه ليست هناك موضوعية مطلقة ، فالمؤرخ له ميوله وتكوينه الثقافى أو انتماؤه الفكرى والاجتماعى ، وذلك يلعب دورا لاشعوريا فيما يكتب ، وهذا الدور يكون ملموسا ، فضلا عن فكرة مسبقة وغير واضحة لديه .

وعلى سبيل المثال فإن الانتماء الحزبى يلعب دورا فى عملية التقويم التاريخى ولو كان هذا المؤرخ يقيم أناسا من المعاصرين فإن حكمه يتأثر بذلك وبالتالى فليست هناك موضوعية مطلقة ، بل يحكم المؤرخ على الرؤية المتاحة لديه ، وبالقطع يحدث خطأ نسبى فى هذا المجال ، وليس هناك عمل تاريخى معصوم من الخطأ بالرغم من وجود الوثائق المتاحة والوثيقة بالطبع قام شخص معين بكتابتها من زاوية معينة .

وفى هذا الصدد يشير الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى فى بحثه للندوة حول تقييم زعامات مصر فيما بين ثورتى ١٩ ، ١٩٥٢ بقوله « لايجب على كاتب السيرة أن يتصدى لهذه المهمة الشاقة إذا ما افتتن بموضوعه افتتانا لامبرر له ، أو إذا اشتط فى معاداته ، فخلال تجاربى وجدت بلا استثناء أننى مررت بعدة مراحل من

أساليب التفكير ، قبل أن أتوصل إلى حكم متوازن حول موضوعى ، فالسيرة الحقة ليست مجرد تسجيل حياة شخص ما ، بل هى صورة حياة لاتتم إلا إذا استندت الى الفهم والتعاطف ، ولا أعنى بذلك المديح الذى يستوى فى خطورة قصوره مع الموقف المعادى الذى لابد أن يفضى الى طمس مشابه للحقائق ..

ويعود قائلا : لعل كتابة السير ، وبخاصة سير الزعماء من أصعب المباحث التاريخية ، بالاضافة الى انها تستلزم تمكن الكاتب فى عدة مجالات ترتبط بهذا النوع من الدراسة ، تتضمن أحكاما ذاتية تلعب دورها فى عملية التقييم بحسب ميول الكاتب وارتباطاته ونظرته الى الأحداث والأشخاص . وقد ارتبط تقييم الزعامات المصرية الى حد كبير بتطور الحركة الوطنية المصرية وانتصاراتها ونكساتها وبنشاطات الأحزاب والجماعات العاملة على الساحة السياسية وبالأمية السياسية لدى قسط كبير من الجماهير المصرية ، مما جعل كثيرا من الاحكام مرتبطا بالنزعات العاطفية ، لا بالنظرات العقلانية »

« فسحر الشخصية وجاذبيتها وهو السحر الذى لاشك له تأثيره فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى كل زمان ومكان ، كان لهما أثرهما فى تقييم أعمال الزعماء ، سواء من جانب مريديهم أم من جانب خصومهم .

وهكذا افتقد كثير مما كتب عن زعمائنا النظرة النقدية المتوازنة ، واتصف بالانحياز أو بالتحامل بحسب العلاقات الشخصية والظروف السياسية التى كثر تقلبها ما بين مد وجزر .. وضعاف النفوس يظهرون بكثرة إذا ما أقبلت الدنيا على هذا الزعيم أوذاك ، ويفرون منه فرار السليم من الأجرب إذا ما ابتعد عن مقعد الحكم .. وما أكثر ضعاف النفوس فى تاريخنا الحديث بل والمعاصر ..

● العظيم يصنع التاريخ

والزعيم فى التاريخ له وضع متميز ، من حيث أنه لعب دورا وتزعم أمة وكان له أعداء وخصوم ، وله رأيه السياسى ، لدرجة أن البعض يقولون إن العظيم هو الذى يصنع التاريخ ، ويقود الجماهير خلفه ، فدوره عظيم ومسئوليته أكبر !

وهناك اجماع على أن محمد على هو مؤسس مصر الحديثة ، ولكن الوسائل التى اتبعها فى النهوض بمصر محل خلاف ، فالجبرتى ناقم على أسلوبه فى النهوض بمصر ، واستنكر الجبرتى أن يموت المصريون نتيجة للسخرة فى شق ترعة المحمودية ، حيث مات فى ذلك الوقت عدة آلاف من أبناء مصر الكادحين !

والجبرتى أيضا ناقم على مذبحة القلعة التى مهدت لمحمد على الانفراد بالسلطة ، وكان الجبرتى متعاطفا مع المماليك . والجبرتى مؤرخ معاصر وقلمه سيال وكان شديد النقد لمحمد على ، ذكر عن محمد على « إنه لما صادر بيوت الأغنياء .. أغلق مضايف الفقراء » وقال عنه : « إنه طمّاع ينظر الى مافى يد غيره ويطمع فيه »

ولم يفهم الجبرتى مضمون محمد على لأن الجبرتى كان ينتسب الى الفئة التى

دمرها محمد على ، وارتبط بوضعه الطبقى والاقتصادى .

اما المؤرخ المعاصر فحينما يؤرخ لمحمد على فإنه بالقطع لم يعاصر القهر الذى عاشه المصريون فى عصره ، والسخرة التى قاسى منها الفلاح المصرى ، وسوف يقول إن محمد على أسس دولة عظمى من لاشىء ، وأنه بانى نهضة مصر .

والميثاق لم ينكر نتيجة أعمال محمد على ، برغم نقده لطبيعة حكمه ، وديكتاتوريته والبعض من المؤرخين يقول إن نهضة مصر أسسها محمد على ، والبعض الآخر يرجع هذه النهضة وهذا التطور الهائل للشعب حتى لايسلط الضوء على محمد على .

تعاطف الشعب

وإذا ماجئنا الى سعد زغلول نجد أن فتحى رضوان قال اكثر من مرة أن سعدا استغل ثورة ١٩١٩ وتسلق على أمواجها ، ولم يكن سعد مفجرا للثورة، فهو رجل بلغ عمره فى ذاك الوقت ستين عاما ، وتعاطف الشعب معه وهو يساق الى المنفى ، ووقتها أضرب المحامون والطلبة والموظفون ، وكانت البلد فى حالة غليان وعاد سعد بعد عامين . فى ذلك الوقت كان هناك تنظيم سرى فى مقدمته عبد الرحمن فهمى وإبراهيم عبدالهادى ، وبالرغم من دور عبد الرحمن فهمى ، فإن سعدا تنكر له فى النهاية وضرب أنصاره من مؤسسى الوفد فى باريس لينفرد بالسلطة !

وكان سبب الانقسامات موجودا ولكنه فجرها ، ولعب الانجليز لعبتهم المعروفة « فرق تسد » حيث كانت الظروف مواتية لهم ، بهدف تنفيذ سياستهم .

يقول د . أحمد عبد الرحيم مصطفى فى هذا الصدد « لاشك أن سعد زغلول هو أبرز زعماء مصر فى فترة مابين الثورتين ، فقد استطاع أن يوحد المصريين تحت زعامته ، فأصبحت الحركة الوطنية بتوجيهه مستقلة بذاتها ، تحتل مكان الصدارة فى الحياة السياسية المصرية ، وكان سعد أقرب من أقرانه الى قلوب الجماهير كما يذكر عباس محمود العقاد فى كتابه « سعد زغلول ـ سيرة وتحية » « فهو فى طبيعته العملية وفصاحته المقنعة وفكاهته المرتجلة وعزيمته الماضية وسماته المهيبة ومنزلته الرفيعة . خير من ترشحه مصر لزعامتها من صميم تكوينها » وهكذا انجذب إليه عامة المصريين وأوساطهم ، وتأثروا بسحر شخصيته الكارزمية مما جعله أقوى من استطاع أن يهز ضمير المصريين والشرقيين فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

النحاس ومكرم عبيد

ويجىء دور مصطفى النحاس ليكون امتدادا لدور سعد زغلول ، وبالرغم من أن النحاس ليس له كل مؤهلات سعد وزعامته ، وبرغم أنه كان رجلا نظيفا ووطنيا فإن شخصية كانت اقل من شخصية سعد زغلول ومنذ توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، بدأ نجم النحاس والوفد فى الضعف لأنه من المفروض أن الوفد قد تأسس للحصول على الاستقلال ، فإذا بزعيمه (رئيس جبهة التفاوض) يوافق على تقنين الاحتلال !

وبعد ذلك هزت حادثة ٤ فبراير صورة الوفد فى نظر الكثيرين برغم ماقيل فى تبرير هذه الحادثة ، ولعب مكرم عبيد دورا

هاما فى زعزعة صورة النحاس زعيم الحزب ، وصل الى حد التجريح الشخصى حيث اتهم زوجة النحاس بالفساد والسيطرة عليه ، وبالرغم من دفاع الوفد المستميت ، فإن صورة النحاس بهتت عند بعض الناس ، بعد أن كان النحاس رمزا مقدسا فى هذا الوقت .

● عبد الناصر فى انتظار التقييم

ويختلف المؤرخون فى تقييم جمال عبد الناصر تاريخيا ويقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى : إنه لو رأى الآن فى جمال عبد الناصر رأيا فإن الناس ستتحول إلى أحد نقيضين ، لأن وجوده كان قريبا ، وأعماله كثيرة جدا ، منها مايوافق عليه ، ومنها ما لايوافق عليه .

ولكى نتعرض للزعامات التى اثرت فى تاريخ مصر فإنه ينبغى أن يلتزم المؤرخ بالنظرة العلمية الناقدة الى الأحداث والأشخاص ودون مجاملة أو تحامل أو تشبث بالأفكار الموروثة حول هذا الزعيم أوذاك فكلهم « أصبحوا فى ذمة التاريخ بعد أن أدوا دورهم فى الحياة العامة كل حسب إمكانياته وميوله وظروفه ، وأصاب وأخطأ وعادى وصادق » .

« إن بعض الكتابات تعمدت إرضاء الحكام الآتيين دون رادع من ضمير أو منهج موضوعى ، ولهذا لم تثبت أمام المتغيرات السياسية ، بل إن عدم صدقها قد جعلها مثارا للسخرية والاحتقار ، بعد أن يبارح هذا الحاكم أوذاك مقعد الحكم ، ويأتى شخص آخر يستمرىء أن يكون موضوعا للإسراف فى المديح من باب تأييد شرعيته » .

ومن واجبات المؤرخ أن يتحرى أقصى درجات الدقة فى جمع المادة ، وعليه ان يقوم بكافة الاجراءات فى سبيل التحقق والتثبت والمقارنات والتدقيق ..

ثم يلجا المؤرخ ـ كما يذكر الأستاذ على فهمى فى بحثه « الالتزام والنموذجية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ ـ ١٩٥٢ » الى محاولات دءوبة فى إعادة تركيب المواد الجزئية عن جزئيات الواقعة التاريخية .

ومن هنا يكون مايقدمه المؤرخ هو مجرد محاولات فى إعادة التركيب لاترقى الى « مستوى الريبرتوار التام » وإن كان يظل متشبثا بالأمل فى الوصول بعمله العلمى الى هذا المستوى ، وهو لن يصل اليه مهما بذل لأن « الريبرتوار » التام هنا ، هو من قبيل المستحيل ! .

وهذه الكلمة السريعة دعوة صادقة لكتاب التاريخ ليراعوا ذممهم فى كتابة تاريخ الزعامات المصرية ، التى اثرت فى مسار هذه الأمة ، فمن اخطأ منهم نسجل خطأه ، ومن أصاب نذكر له ذلك .

وعلى مؤرخينا ومن يشتغلون بالتاريخ أن يبتعدوا عن تزييف الحقائق فإن ٤٩ مليونا من أبناء هذا الشعب الطيب لم يعودوا يثقون فيما تقوله الصفوة ، بل حتى فيما نختلف عليه من آراء تتغير الآن بين عشية وضحاها ، بهدف إرضاء ومجاملة البعض على حساب الحقائق التى لاتخطئها العين الفاحصة والعقل المستنير !

بونابرته فى بيت البكرى

بقلم : محمد سيد كيلانى

فى ايام الاحتلال الفرنسى احتفل اهل القاهرة بالمولد النبوى فى الازبكية على غير المعتاد . وكان هذا الاحتفال بناء على رغبة بونابرته .. وقد اقيم فى بيت السيد خليل البكرى صديق زمانه فنصبت الزينات واوقدت المصابيح الكثيرة وارسل بونابرته فرقة موسيقاه الخصوصية الى بيت البكرى فظلت تطرب الحاضرين ليل نهار وفى الليل اطلقت الصواريخ والمدافع .

قالت صحيفة « كوريية دى ليجيبت » التى كانت تصدر فى القاهرة خلال وجود الحملة الفرنسية عدد (١٠٣) ما ترجمته « احتفلت البلاد هذه الايام احتفالا رائعا بمولد النبى ، فأضيئت منازل القائد العام (بونابرته) والجنرال ديبوى والشيخ البكرى بالانوار الساطعة طوال خمسة أيام وفى الساعة العاشرة من كل ليلة من ليالى العيد سارت مواكب المسلمين فى المدينة وهى تنشد اناشيد المديح فى النبى ، كما عقدت حلقات الذكر على اضواء المشاعل » .

« وحوالى الساعة الثامنة من ليلة امس (الليلة الختامية) قام بعض جنود الحامية باستعراض عسكرى رائع ، ثم توجهت لفيف من الضباط الفرنسيين بهيئة اركان الحرب يتقدمهم حملة المشاعل ورجال الموسيقى الى منزل الشيخ البكرى نقيب الاشراف ، وقد اطلقت المدافع عدة طلقات لدى وصولهم منزل النقيب » .

● رفض للغزاة

« وفى صباح اليوم التالى قام القائد العام بتقديم عباءة من الفراء الفاخر الى الشيخ البكرى وقد حضر الاحتفال بتقديم العباءة أعضاء الديوان » .

ورغم ما اظهره بونابرته من المشاعر الطيبة نحو المسلمين ، فان المصريين لم ينخدعوا ولم تنطل

عليهم مجاملات الفرنسيين فى المواسم والاعياد الاسلامية . ولم يطمئنوا الى الغزاة ، وقولهم انهم خربوا كرسى البابوية فى روما ، أو طردوا فرسان القديس يوحنا من مالطة .. فنجد الشيخ الشرقاوى ، وهو عضو فى الديوان يقول فى كتابه « تحفة الناظرين » ص ٢٤٥ ـ بولاق ما نصه « وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم نصارى قاثوليقية ، يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا ، وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين . ويقولون ان الله واحد ولكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام ، يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ، ويزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء ، وأن الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذلك جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم . وكان فى ذلك رحمة بأهل مصر ، فانهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ ، وصاروا يراجعونهم فى بعض اشياء لا تليق بالشرع » .

هذا موقف الشيخ الشرقاوى ، فماذا كان موقف الشيخ حسن العطار ؟ نلمس مما كتبه العطار عن الفرنسيين روح الاستهتار بالقيم الدينية والخلقية ، والاعجاب بالحضارة الاوربية دون تحفظ ، ودون مراعاة لتقاليد البلاد وعاداتها ومعتقداتها . ويمكن أن يقال ان العطار قد حطم الحاجز الدينى والحاجز النفسى الناشىء عن اختلاف الازياء والعادات والتقاليد واللغة ، وهو ما حال بين الغزاة وبين سائر أفراد الشعب . اذ لا شك فى ان الوجود الفرنسى فى مصر كان انفع للشعب من الوجود العثمانى او المملوكى . ولو كان الفرنسيون مسلمين لما واجهتهم مقاومة ، بل لوجدوا ترحيبا عظيما .

وفى ثورة القاهرة سنة ١٧٩٩ هجم العامة على منزل السيد خليل البكرى بشارع عبد الحق السنباطى، لاتهامه بأنه كان يوالى الفرنسيين ويمدهم بالاطعمة . فهجم عليه عدد كبير من جنود المماليك ومعهم جمع عظيم من عامة الشعب ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده بعد أن ضربوه ضربا مؤلما وعروه من ثيابه وساقوه الى الجمالية وسلموه الى عثمان كتخدا .

القائد نابليون بونابرته



وحقيقة أن السيد خليل البكرى كان منحازا الى جانب الفرنسيين ولكنه استطاع ان يؤدى خدمات كبرى الى كثير من الاسر التى فقدت عائلها فى الحرب دفاعا عن الوطن.

وقد كانت نقابة الاشراف فى يد السيد عمر مكرم الذى هرب من وجه الفرنسيين الى الشام فضرب بذلك مثلا سيئا لابناء الامة ، وكان موضع خزى وعار .

قال الجبرتى فى ترجمة السيد خليل البكرى : « ... وصار له قبول عند الفرنساوية ، وجعلوه من اعاظم رؤساء الديوان ، مقبول الشفاعة عندهم . فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى . وآوى كثيرا من المشردين وأمن عددا عظيما من الخائفين » .

ولم يجد الشيخ حسن العطار مانعا من الانسجام مع الفرنسيين ، كما سجل ذلك فى كتاباته .

وقد وجد محمد على باشا فى الشيخ العطار خير مشجع على الاخذ بالحضارة الاوربية فقد افتى بجواز التشريح فاستطاع الباشا ان ينشىء مدرسة للطب فى الخانكة . كما افتى بجواز تلقى المسلم العلم عن الغرب . وبذلك امكن ارسال البعوث الى اوربا ، واستقدام المدرسين من هناك .

كان اشتباك الدولة العثمانية فى حروب دائمة مع الغرب من العوامل الرئيسية التى اكسبتها قلوب المسلمين فى جميع انحاء العالم الاسلامى ، اذ اعتبرت حامية الاسلام والذائدة عن المسلمين . وقد كسب السلطان العثمانى منزلة مقدسة لا فى قلوب المصريين فقط ، بل فى قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها .. فكانوا يرفعون اصواتهم مؤمنين على دعاء الخطباء يوم الجمعة حينما يدعون بالنصر لسلطان المسلمين ولوزرائه وقواده وعساكره فى البر والبحر الى يوم الدين ، فقد كان السلطان هو المجاهد والغازى فى سبيل الله وحامى حمى الحرمين الشريفين .

وقد ادرك بونابرته هذه الحقائق حينما جاء لغزو مصر فنوه فى منشوراته بصداقة فرنسا للسلطان ، من ذلك ما ورد فى منشوره الاول « ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى ، واعداء اعدائه ، ادام الله ملكه » ... « والمصريون باجمعهم ينبغى أن يشكروا الله قائلين بصوت عال : ادام الله اجلال السلطان العثمانى »

واذا كان السلطان العثمانى يحتل تلك المكانة المقدسة فى قلوب المصريين ، فكيف استطاع محمد على أن يشق عصا الطاعة ضد مولاه ؟ ولولا تدخل الدول الاوربية لتمكن من القضاء على الامبراطورية العثمانية ، ولماذا لم يستخدم السلطان سلاح الدين ضد الباشا الخارج على دولة الخلافة ؟ لقد كان فى استطاعة شيخ الاسلام فى الآستانة ان يصدر فتوى بكفر محمد على وارتداده عن الاسلام .

أما من ناحية محمد على فيغلب على الظن انه استفتى الشيخ حسن العطار فى قتال السلطان فافتى بجواز ذلك على اساس « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ولا ندرى اذا كان اسم الخليفة العثمانى قد حذف من خطبة الجمعة بعد احتدام القتال بين الجيش المصرى والجيش العثمانى !

هذا الطريق الشاق الذى تتقدم فيه العبقرية .

● من يذكر شارلي شابلن

شابلن بين الشقاء وسعادة الآخرين

بقلم : توفيق حنا



كان شابلن يخرج فيلمه الاخير « كونيتسه من هونج كونج » وكان ذلك عام ١٩٦٦ .. وفي اثناء عمله في هذا الفيلم قال لمحرر النيوزويك – جوزيف مورجنشترن – « انى املك بيتا جميلا في سويسرا ، وكان من الممكن ان اقضي وقتي في التزحلق ، وفي عمل اشياء تافهة اخرى كثيرة ، ولكني اشعر بحماس يدفعني الى العمل والانتاج ، واجد دائما هذه الحاجة الى عمل اخر اشعر في اعماقي برغبة لتحقيقه ».

ثم يقول هذا الفنان الفيلسوف :

« مع مرور السنين تسقط الاوهام ، وتبدو الحقيقة في صورة الطف وادق ، وجميل حقا أن يتحرر الانسان من كل الآراء المسبقة . وعندما تشعر انك انسان حر ، فانك لا تقيم وزنا لما يقوله الاخرون،

ذلك لاني أعمل عندما أحس بدافع يدفعني الى العمل » ..

ثم يقول :

« سوف استمر في الاخراج والعمل مادمت حيا » .

ولد شارلي شابلن في ١٦ ابريل ١٨٨٩ .. في حي فقير من أحياء لندن الشعبية .. وفي هذا العام ولد هتلر - الديكتاتور - كما انتهى رائد المعمار المعدني ايفل من بناء برجه في باريس على الضفة اليسرى من نهر السين .. وفي عزبة الكيلو ولد طه حسين ..

بدأ شابلن حياته الفنية في الخامسة مثل الموسيقى موتسارت .. وذلك في عيد ميلاده الخامس (١٨٩٤/٤/١٦) اذ كانت أمه تغني أمام جمهور أحد مسارح لندن المتواضعة واذا بها تفاجأ بأزمة حبست صوتها ولم تتمكن من الاستمرار .. واذا بمدير المسرح يدفع بالطفل الصغير الى الغناء .. وينطلق شابلن مغنيا مقلدا صوت أمه .. الحزين .

وتنقل الام الى احدى العيادات النفسية للعلاج من هذه الصدمة التي ادت الى فقدان صوتها وعقلها معا .. وانتقل شابلن مع أخيه سيدني الى أحد ملاجىء الايتام .. لان الاب كان قد هجر زوجته .. وترك أيضا الطفلين ..

هكذا بدأت حياة شابلن في هذا الجو الحزين الكئيب .. القاتم .. الذي ملأته ولونته ظروف الفقر واليتم والحرمان والبؤس والقهر ..

● شابلن وشخصية شارلو

كان الكتاب الذي أحبه شابلن في شبابه هو كتاب جورج ميرمديث عن



« الممثلون البؤساء » كان شابلن وهو في الرابعة عشرة يقوم بالتمثيل الصامت (البانتوميم) على أحد مسارح لندن عندما اكتشفه المخرج فريد كرنو ... الذي علمه التركيز في الاداء والايجاز في الحركة وفنون السيرك ..

ثم عمل بعد ذلك مع ماك سينيت ..

ثم اهتدى الى هذا الاكتشاف العبقري .. شخصية شارلو .. هذا الانسان البسيط .. هذا المتشرد في شوارع لندن .. الانسان الذي يكره النفاق والرياء .. وتتميز شخصيته بالرقة والحنان والبراءة .. البريئة من كل زيف .. الانسان الذي يعشق الحرية والمحبة والعدل والسلام .. وعلى مدى ستين عاما اضحك شارلو الانسان في الشرق والغرب وفي كل مكان ..

رغم كل الوان الظلم والقهر والضيق ..
رغم الكراهية والحقد والجشع التي تسبب الحروب والانقسام والتمزق ..
وتمكن شارلو من ان يشيع في هذا الظلام التفاؤل والفرح والأمل ..

يقول ايزنشتين – المخرج الروسي المعروف – عن فن شابلن ورسالته :

« كم نحب أن نبقى اطفالا .. هذا هو ما يميز فن شابلن ... كل فيلم من افلامه يعيد الينا الدهشة والانبهار وكل ما يميز عالم الاطفال عن عالم الكبار – بكل ما يحيط بنا في هذه الحياة التي تستحق أن نتحمل في سبيلها كل عناء وعذاب وألم » ثم يقول ايزنشتين :

« ان شابلن – رغم هذا الشعر الرمادي الذي يكسو رأسه – يحتفظ في سلوكه وفنه بروح الطفل وبنظرته التلقائية التي يقابل بها كل ظواهر الحياة والواقع .. ومن هنا نلمس ما يتمتع به شابلن من تحرر أمام ضغط القيود والقوانين وكل المواضعات الاجتماعية » .

في عام ١٩٢٧ وفي البيان السيريالي الذي وقعه مع الشاعر الفرنسي اراجون كثير من الكتاب والشعراء مثل أندريه بريتون ومارسيل دوهاميل وبول ايلوار وجاك بريفير وجورج مادول .. نجد هذه التحية للفنان العبقري شابلن :

« في كل أفلام شابلن نلمس ما يعانيه الانسان من بؤس وقهر وما يلاقيه من صعاب ومشاق .. وهو يصور لنا هذا الطريق الشاق الذي تتقدم فيه العبقرية .

نسجل هنا شكرنا لهذا الفنان الذي يمكن أن يقدم لنا عن طريق السينما هذه الحقائق العظيمة التي يعيشها الانسان في الغرب حيث تختفي شموسه الواحدة بعد الاخرى .. تلك الحقائق الاخلاقية التي تفوق قيمتها كل ماعداها على هذه الارض .

شكرا لك .. ونحن نعلن بأعلى أصواتنا هذا الشكر والتقدير .. ونحن جميعا نشارك في تحقيق اهدافك النبيلة » .

في عام ١٩٣٧ وجسو أوربا ملبد بالغيوم منذر بالحرب فكر شابلن أن يخرج فيلما عن « المسيح » .. عن نابليون عن هاملت .. عن هذا الجندي الشجاع شفايك ..

وانتهى أخيرا باخراج فيلم « الديكتاتور » الذي يصور فيه في شكل اقرب الى السخرية والتهكم والكاريكاتيرية شخصية هتلر .. وذلك في عام ١٩٣٨ .. ولم يعرض الفيلم على الجماهير الا في عام ١٩٤٠ .. والحرب العالمية مشتعلة وهتلر يتقدم بجيوشه معلنا قيام سلطان الظلام وبداية سنوات القهر والطغيان والتخريب والدمار والخراب ..

وفي عام ١٩٤٧ وضع شابلن في القائمة السوداء لمن اتهم بمعاداة السياسة الامريكية .. بسبب هذه الاراء والافكار والمبادىء التي كان يبشر بها في أفلامه .. وفي كثير من الولايات

الامريكية قامت التظاهرات ضد فيلم « مسيو فردو » ومنع عرضه . وفى عام ١٩٤٨ رشحت جماعة نقاد السينما الفرنسية شابلن لجائزة نوبل للسلام .

وفى عام ١٩٥٢ ، بعد ان اخرج فيلم « اضواء المسرح » ، رحل مع أسرته الى أوربا .. وفى لندن عرض هذا الفيلم لاول مرة ، وبعد ذلك توجه شابلن الى فرنسا ومنها الى سويسرا حيث اشترى بيتا كبيرا واستقر فيه مع أسرته .. ثم صفى شابلن أعماله وباع كل ما يمتلكه فى امريكا .. وفى جنيف اعاد شابلن الى القنصل الامريكى « تصريح العودة » وأعلن بذلك قراره النهائى بعدم العودة الى امريكا .

وفى عام ١٩٥٤ تجنست اونا اونيل - ابنة الكاتب المسرحى الامريكى المعروف اوجين اونيل - بالجنسية البريطانية .. وكانت اخر زوجاته .. وفى نفس العام حصل شابلن على الجائزة الدولية للسلام . وفى عام ١٩٥٧ عرض فيلم « ملك فى نيويورك » فى لندن للمرة الاولى ، والذى منع عرضه فى نيويورك . وابتداء من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٤ عكف شابلن على تسجيل مذكراته الخاصة .

وفى عام ١٩٦٦ انتهى شابلن من اخراج اخر افلامه « كونتيسه من هونج كونج » فى استديوهات باينوود فى ضواحى لندن .. وهذا الفيلم من تمثيل مارلون براندو وصوفيا لورين .. وشابلن .

يقول المخرج الروسى بودوفكين :

« تعتمد عبقرية شابلن على العمل الجاد والدقيق والعميق الذى يحققه عقل وقلب فنان عرف الحياة واحب الناس .. ويؤمن بمستقبل افضل للانسان .

يواجه شابلن الحياة والواقع بصراحة وحسم .. وفى اصرار وعناد .. ولا يغفل جوانب الحياة القاتمة الحزينة .. وفى افلامه الاولى نجده اشبه بهذه النملة التى تسير ثم تقع .. ثم تقوم وتعاود السير وكلها ثقة انها لابد واصلة الى هدفها الذى وضعته امامها .. انها تسير فى عزم وتصميم وفى عناد واصرار .. وكان بطل هذه الافلام الاولى .. هو هذا الرجل البسيط العادى الذى يبحث عن السعادة - ولعل هذه السعادة ابعد بكثير عن آماله المتواضعة الحقيقية - ان يجد الامان والاستقرار فى ابسط الصور واشدها تواضعا » .

كان شابلن يحلم باخراج فيلم عن « مارسيل بروست » مؤلف « الزمن المفقود » .. ولكن هذا الفيلم بقى حلما من أحلام الزمن المفقود فى حياة هذا الفنان العبقرى الجاد الذى كان يحرص كل الحرص على أن يتحمل كل مسئوليات فيلمه .. من اخراج وتمثيل ومونتاج وموسيقى تصويرية كان يقوم أحيانا بتأليفها ومن حوار - فى افلامه الناطقة - ومن سيناريو ايضا .. كان حريصا على أن تبلغ رسالته الفنية فى الصورة التى أرادها .

فى كتاب « شابلن والنقد » الذى كتبه الناقد الايطالى جلوكو فيانى والصادر عام ١٩٥٥ - منذ ثلاثين عاما - سجل المؤلف الف وثيقة تتعلق بحياته وعمله .. من دراسات ومقالات وكتب بلغ عددها أربعين كتابا .

العالم في سطور

لوس انجلوس

● تجدد موضة تجسيد الشخصية الخيالية في السينما الامريكية

تستعد السينما الامريكية لتحويل شخصية « سبيدرمان » او « الرجل العنكبوت » الخيالية الشهيرة الى فيلم سينمائي كبير – او ربما الى سلسلة افلام – بعد ان صدرت لهذه الشخصية الاف من مجلات وكتب الشرائط المصورة للاطفال انتشرت انتشارا هائلا ، وتمت ترجمتها الى لغات عديدة .. من بينها العربية .

وتجدد السينما الامريكية بفيلم سبيدرمان» موجة تجسيد الشخصيات الخيالية التي تحفل بها المجلات المصورة ، والتي ظهرت بوضوح في السبعينيات .. حيث تتحول تلك الشخصيات من خطوط والوان الى لحم ودم ، وتنطلق من سجنها على الورق لتتحرك على الشاشة ، وقد كتب فنان امريكي من كبار الفنانين العاملين في هذا الحقل تقريرا يرصد من خلاله هذه الموجة ، ذكر فيه ان اول سلسلة مصورة تحولت الى فيلم سينمائي كانت سلسلة ذائعة الصيت في الثلاثينيات وحتى الخمسينيات اسمها « ليل ابنير » وقد تحولت الى فيلم لاول مرة سنة ١٩٤٠ ، ولكن التجربة كانت فاشلة .. واعيدت الكرة بنجاح سنة ١٩٥٩ .

واضاف الفنان واسمه ستان لي وهو الذي يقوم بابتكار الشخصيات الخيالية لمجموعة المجلات والكتب المصورة الفخمة « مارفيل » انه تلى ذلك ظهور شخصية « باتمان » أو « الرجل الوطواط » في فيلم سينمائي سنة ١٩٦٦ ، وبعدها بعامين – تحولت سلسلة مصورة فرنسية ناجحة اسمها « بارباريلا » الى فيلم ..

وذكر الفنان ستان لي في التقرير الذي نشره « معهد الفيلم الامريكي » ان السينما الامريكية لجأت مع

سبيدرمان .. جاء عليه الدور ليتحول الى لحم ودم



احتدام منافستها مع التليفزيون فى اواخر السبعينيات الى تحويل شخصيات المجلات المصورة الخيالية الى افلام باهظة التكاليف تعتمد على احدث الحيل السينمائية : فكان فيلم « سوبرمان » الذى صور هذه الشخصية الاكثر شهرة بين الشخصيات الخيالية سنة ١٩٧٨ ، وبعد النجاح الجماهيرى الكبير الذى حققه الفيلم : أصبحت السينما الامريكية تنتج فيلما او اكثر من هذه النوعية سنويا ..

وشهدت سنة ١٩٧٩ تحويل سلسلة « بوك روجرز » المصورة واسعة الانتشار الى فيلم ، اما سنة ١٩٨٠ فقد كانت سنة الشخصيات الخيالية فى السينما : حيث ظهر خلالها الجزء الثانى من « سوبرمان » ، تحولت شخصيتان خياليتان شهيرتان جدا من رسوم على الورق الى شخصيات تنبض بالحياة على الشاشة : فظهر فيلم للشخصية المحبوبة البحار « بوباى » ومثل قيمة فنية جيدة بالاضافة الى ما حصل عليه من نجاح جماهيرى ، وظهر فى السنة نفسها فيلما اخر لشخصية « فلاش جوردون » التى جذبت اهتمام اجيال متعاقبة .

وفى سنة ١٩٨٢ : ظهرت فى فيلم سينمائى شخصية نسائية محبوبة من شخصيات المجلات المصورة ، هى شخصية « انى » التى قدمتها من قبل مسارح « برودواى » فى مسرحيات غنائية ، وفى سنة ١٩٨٤ : ظهر فيلم « سوبر جيرل » وهى « النسخة النسائية » من « سوبرمان » ، ثم مرت ثلاث سنوات توقفت فيها الموجة .. التى سوف تتألق بشخصية « سبيدرمان » .

باريس

● عصر الموسوعات الشاملة

تحتفل الاوساط الادبية العالمية هذا الشهر بذكرى ميلاد الكاتب والفيلسوف دينيس ديدرو الذى عرف برجل الموسوعات العالمية . عاش ديدرو فى الفترة بين عامى ١٧١٣ و ١٧٨٤ ومثل العصر الذى عاشه خير تمثيل فقد كتب القصة والنقد الادبى والمسرحية . فى عام ١٧٤٧ اسندت اليه الاكاديمية الفرنسية - الحديثة العهد انذاك - مهمة رئاسة تحرير الموسوعة الفرنسية التى اشترك فى تصنيفها أهم كتاب عصره ومفكريه وقد عرف عنه أنه لم يهدأ يوما فى البحث عن المصادر الاكيدة للمعلومات فكتب فى الموسوعة اكثر من الف مقال حول مواضيع مختلفة . كان واسع المعرفة متعدد المواهب . يجوب المعامل والمصانع لجمع المعلومات واتقان معرفة الفنون المهنية والحرفية .وكان يقوم بتصحيح واستكمال مقالات الاخرين وتنظيم العمل بين معاونيه . وكان رائده فى عمله وجهده تقديس العقل . فكما حظت الفلسفة فى رأيه بريادة عقلية خطوة استتبع ذلك تقديم العلوم الاخرى . وكان صاحب راى شهير هو ان الدين يجب ان تسوده روح التسامح ويجب ان تقود السياسة روح الحرية . اما الاخلاق فعليها ان تهتدى بالسلوك الطبيعى .

كانت الموسوعة التى اشرف عليها ديدرو فاتحة لصدور الاف الموسوعات فى شتى المجالات لدرجة ان اصبح القرن العشرين هو عصر الموسوعات .. ويسوقنا هذا الى الحديث عن اهمية

وجود موسوعات عربية متطورة ·· ومدى حاجتنا الى موسوعات عامة ومتخصصة فى كافة فروع المعرفة · وللاسف فقد تعثرت هيئات عديدة ـ رسمية وغير رسمية ـ فى اعداد او اصدار الموسوعة العربية · وترى الهلال ـ كما نادت دائما ـ أن هذا لن يتحقق ابدا الا بانشاء اكاديميات ادبية من بين مهامها الرئيسية اصدار هذه الموسوعات ·· فهل سيأتى هذا الوقت ·· ؟ مجرد سؤال ·

بروكسل

● فرانسواز ·· امرأة مهرجة

« المدخل المكسى » ·

عنوان احدث مسرحية تعرض هذا الاسبوع فى بلجيكا كتبتها اخيرا الكاتبة المعروفة فرانسواز ساجان ـ ٥٣ عاما ـ التى تعرضت فى العام الماضى لازمة صحية شديدة · أهمية هذا الخبر ان فرانسواز التى عرفت برواياتها الوجودية العديدة تعود من جديد الى المسرح · ففى عام ١٩٦٣ نشرت مسرحيتها الاولى « قصر فى السويد » التى ما لبثت ان تحولت الى فيلم سينمائى وترجمت الى اللغة العربية فى نفس العام ·· ثم قدمت مسرحيات اخرى منها « ثوب فالنتين



فرانسواز ساجان

الرمادى » و « الحصان المغمى عليه» ولم تخف ابدا انها ارادت بهذه الاعمال السير على هدى ابيها الروحى جان كوكتو · الذى تعلمت منه لياقة الاسلوب · وهشاشة الاحاسيس :

ومسرحية ساجان الجديدة تدور مثلما حدث فى مسرحيتيها السابقتين فى مدينة فيينا · ولكن الاحداث تدور عام ١٩١٤ حول رجل يعشق النساء ويجيد معاملتهن · ولكنه مع ذلك لا يتجح فى الارتباط الدائم بواحدة منهن · حتى يضطر اخيرا أن ينام مع امراة رجل ذهب الى الحرب · وكى يهرب من الشعور بالذنب يتزوج اختها ·· وهربا ايضا من ذنب يقترفه يصبح انسانا داعرا··

المسرحية من اللون الكوميدى · ويقوم ببطولتها تسعة من نجوم السينما والمسرح منهم ميشيل بلان ودومنيك لافينان · وقد قامت فرانسواز باختيارهم جميعا بنفسها لانهم يجسدون الشخصيات كما تخيلتها · «يتحدث» الآن حول هذه

التجربة قائلا : « على خشبة المسرح يجد الممثل نفسه دائما حر الحركة فينطلق كما يشاء . وفيه نشعر بعدالة التمثيل على المدى الطويل وذلك عكس ما يحدث في السينما ..

بروكلين

الموتى على شرف جون هيستون

لاشك أن الحاسة السادسة متضخمة بشكل ملحوظ عند الفنان.. وقد اتضحت بصفة خاصة عند المخرج الراحل جون هيستون الذى توفى الشهر الماضى عقب اخراجه لفيلم يحمل عنوان « الموتى » المأخوذ عن احدى مسرحيات جيمس جويس .. فمن خلال الاحاديث التى كانت تنشر للمخرج العجوز فى السنوات الاخرى بدا مدى حبه للحياة . وشغفه بأن يعيش لحظة مهما كان السبب لدرجة انه قال لو ان السينما عطلته عن الاحساس بمتعة الحياة لابتعد عنها فورا ..

هيستون هو احد المخرجين القلائل الذين حققوا المعادلة الصعبة فى السينما فقد استعان بنصوص ادبية جيدة وبنجوم سينمائيين معروفين وخرج من كل هذا افلاما لاقت النجاحات على كل المستويات الجماهيرية والفنية .. بدأ حياته كممثل مسرح ومخرج فى برودواى ثم كاتب سيناريو . وأخيرا مخرج سينمائى .. عمل مخرجا فى افلام مأخوذة عن هيمنجواى وتنسى ويليامز وآرثر ميللر وجيمس جويس .. الذى تم تصويره فى مصر عام ١٩٦٤ . ومنذ ذلك الحين وهو يطلق لحيته على طريقة نوح أما أهم النجوم الذين عمل معهم فهناك همفرى بوجارت ومارلين مونرو وكلارك جيبل وجاك نيكولسون .

يقول هيستون انه عندما ذهب الى هوليود للعمل فى الاستوديوهات فان رجال السينما عاملوه على انه ابن الممثل المعروف والترهيوستن . وقد أصابته هذه الحكاية بنوع من النقص . ولكنها لم تمنعه من أن يسند الى أبيه أدوار البطولة الثانية فى العديد من الافلام قبل وفاته عام ١٩٥٠ كذلك لم تمنعه من اسناد البطولة الثانية الى ابنته انجيليكا فى فيلم « شرف بريزى » عام ١٩٨٤ والتى حازت به على جائزة اوسكار احسن ممثلة مساعدة وكذلك فيلمه الاخير « الموتى » .

رغم أهمية افلام هيوستن فانه كان يستعين دائما بكاميرا واحدة

جون هيستون




امراة من الايك

اثناء التصوير وكـــان يرى ان الضخامة لا تاتى بالكاميرات المتعددة والديكورات الباهرة ·· ولكن البساطة نفسها تحمل عنصر الابهار ·

كمـــبـــالا

● مسرحية انجليزية في شمال أوغندا

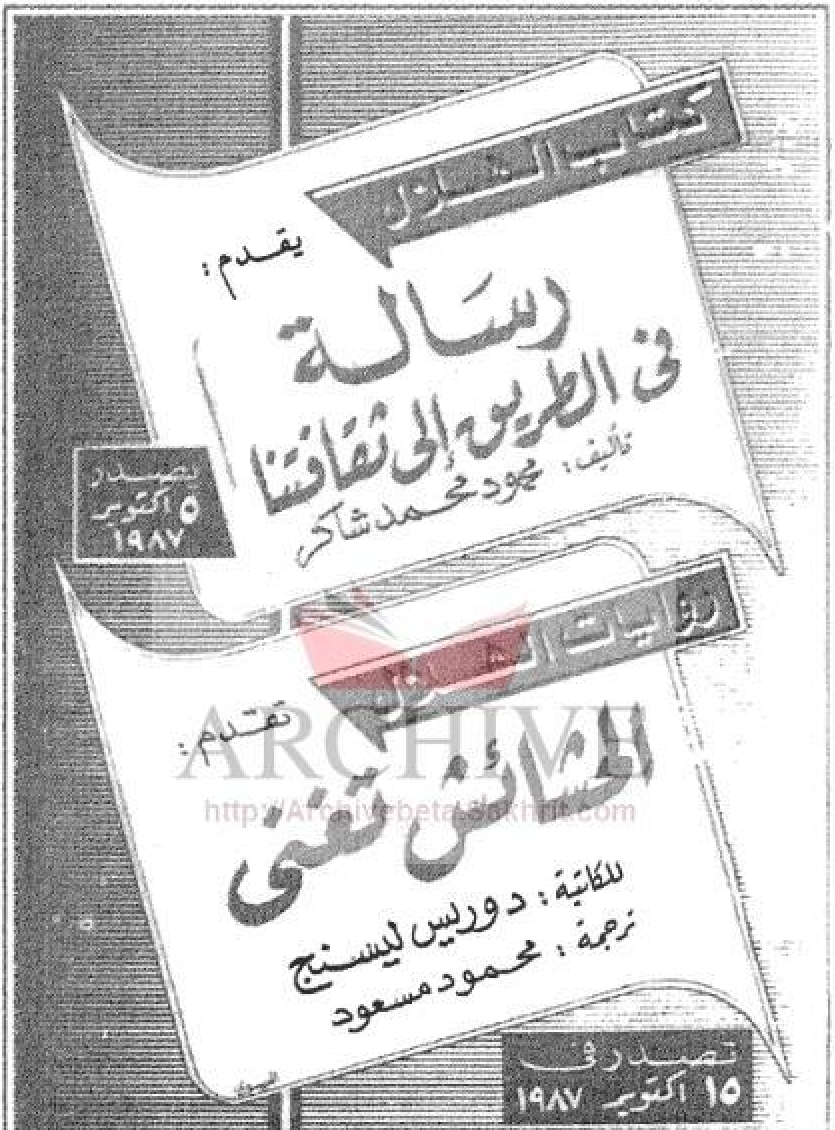
صدرت هذا الشهر الترجمـــــة الايطالية لكتاب « الايك » الذى قدمه الباحث الانثربولوجى البريطـــانى كولين تربنول فى عام ١٩٧٠ لاول مرة وتتبع اهمية هذا الكتاب فى انه تحول فى منتصف السبعينيات الى ظاهرة ثقافية هامة مزجت فيها التجـــربة الحية بالوقائع المذكورة فى هـــذا البحث الهام ·

ففى اواخر عام ١٩٨٤ فكر الكاتب والمخرج المســـرحى بيتر بروك فى الاستعانة ببعض حكايات قبـــائل الايك التى تقع فى شمال اوغنـــدا فاقترح على ترنبول الذهاب الى افريقيا لرؤية هذا الشعب ومعايشـــته على الطبيعة · ورغم ان المؤلف كان قـــد سبق ان حبس نفسه ثلاث ســـنوات ـ فيما قبل ـ ليؤلف هذا الكتـــاب ووافق فانه وافق أن يذهب مع بروك·· ولكن المخرج كان اكثر طموحا · فهو ام يصحب فقط معه مؤلف الكتاب ·· بل كل الممثلين الذين ســيعملون فى المسرحية ·· الذين عاشوا تجـــربة فريدة · فتعلموا لغة الايك وراقبـــوا حركاتهم عند الحديث والطعام والحب والكراهية ·او كما يقول اعضــــاء الفرقة : « احسسنا كاننا جميعا من الايك · فقد عايشنا مشاشـــتهم وانبعث فينا اشواقهم ·

وعندما عادت الفرقة الى لندن بدا الحماس مشتعلا داخل وجدان الجميع فجاءت تجربة فريدة اكدت ان الفنان ليس فقط معايشة للنص ـ أن حدث ـ وانما معايشة للاشخاص الحقيقيين الذين يتقمصون حكاياتهم ·

يقول المؤلف فى مقدمة طبعتـــه المترجمة الى الايطاليـــة ان اروع ـ واقسى ـ ما شاهده فى حيـــاته هو لهفة الامهات على منع الجوع عن ابنائهن الصغار حتى لا يموتـــوا من الجوع ·

تؤكد هذه التجربة من جـــديد ان الفن ليس منفصلا عن المجتمع انعالمى ومعاناته من ناحية · وانه أيضا ليس منفصلا عن البحوث العلمية الجادة مثل التى كتبها الانثربولوجى المعروف كولين ترنبول ·


يقدم:
رسالة
في الطريق إلى ثقافتنا
تأليف: محمود محمد شاكر
تصدر 5 أكتوبر 1987
تقدم:
الحشائش تغني
للكاتبة: دوريس ليسنج
ترجمة: محمود مسعود
تصدر في 15 أكتوبر 1987

■ أدباء بلا جذور ■

الاستيطان .. الرحيل .. الحنين

بقلم : محمود قاسم

يستمد الكاتب هويته من الأرض التي عاش فوقها .. ففيها تلاعب لسانه يخاطب اقرانه بلغته المالوفة . واكتسب عاداته الصغيرة . وجبّل مشاعره باديمها ماذا يفعل هذا الكاتب حين تجتث الظروف جذوره الهشة من هذه الأرض فيذهب إلى وطن آخر يقال له : « هذه هي امك الشرعية » ؟

حدث هذا في الجزائر .. حدث هذا في فرنسا ..

« أي أرض تلك التي ننتمي إليها ؟

هل هي الجزائر التي نشأنا فوق أرضها ورضعنا من اديمها . وسرت مياهها في دمائنا فأصبحنا جزائري اللحم والهوية ؟ أم هي فرنسا التي نحمل جنسيتها في بطاقات هويتنا ؟

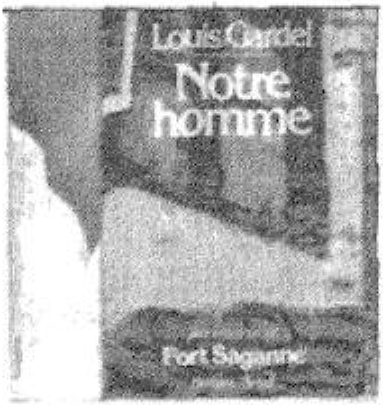
هذا هو التساؤل الذي يدور الآن في ذهن أغلب الفرنسيين الذين رحلوا عن الجزائر بعد الاستقلال الذي تم منذ ربع قرن . هذه الفئة من الناس الذين أطلقت عليهم الصحافة اسم « الاقدام السوداء » . لا هم بالفرنسيين ولا هم بالجزائريين .

ولأن الأدب هو الروح المعبرة عن كل فئة فان الأدباء الذين ينتمون الى « الأقدام السوداء » قد دونوا دوما مشاعرهم وأفكارهم في ادبهم وصنعوا ثقافة خاصة بهم هي في الغالب « حنين » جارف الي تلك الأرض التي عاشوا فوقها ابان سنوات الطفولة أو الشباب المبكر . وعدد هؤلاء الكتاب ليس بالقليل . كما انهم يلعبون دورا مؤثرا في شكل الحياة الثقافية المعاصرة في فرنسا ، مما يعكس أهمية أن نتناولهم بالحديث ونذكر من بين الاسماء التي لاتزال تقدم عطاءها المتدفق : ايمانويل روبليس ، وبرنارهنري ليفي ، وهيلين سيكسوس وشانتال شواف . اما البيركامي فقد كان اشهر الأدباء الذين ينتمون الى هذا النوع من الأدب .

وقد ترك الرحيل من الجزائر – مع سنوات الاستقلال – اثرا واضحا على أدب



شانتال شواف



رجلنا .. عنوان احدث رواية بلا جذور

كل منهم . ورغم هروب الكثير من أدباء النوع من تأثير المكان متجها نحو « التغريب » فإنه في الخلف دائما توجد اشباح تتحرك في أماكن هلامية . تعبر عن مشاعرها بجمل غير محددة المعاني مثلما فعلت كل من شانتال شواف وهيلين سيكسوس .

اما البعض الآخر فقد ظل مرتبطا بالأرض التي تربى عليها وجعلها مجالا خصبا لرواياته جميعها مثلما فعلت ماري كاردينال المسماة بابنة الجزائر - انظر مقالنا حولها في هلال أغسطس ١٩٨٣ - ولوي جارديل . لكن البعض الثالث يعلن انه لاينتمي إلى أي الثقافتين لكثرة الخلط الذي دار برأسه - سواء الفرنسية ام العربية في الجزائر وسوف نحاول هنا الحديث عن اربعة نماذج أدبية من هذه النماذج المتعددة . وهم جميعا من الشباب . أي ان السنوات التي عاشوها في الجزائر كانت بالغة القصر قياسا الى الجيل الاسبق الذي عاش بأكمله هناك .

ورغم ذلك فان مكان سنوات الطفولة بدا واضحا للغاية في ادبهم .

● أدب .. الشعر المنثور

تنتمي كل من شانتال شواف وهيلين سيكسوس ليس فقط الى « الاقدام السوداء » ونفس الجيل . ولكن أيضا إلى نفس الاتجاه الادبي . فهما تكتبان ما يمكن تسميته برواية الشعر المنثور . وكلتاهما غزيرة الانتاج الادبي . وقد نشرتا اول أعمالهما في عامين متقاربين .

نشرت شانتال روايتها الأولى عام ١٩٧٤ تحت اسم " المذبح " ومنذ ذلك الحين وهي تنشر رواية كل عام تقريبا حتى توقفت عن الكتابة عام ١٩٨١ . وهو نفس العام ايضا الذي توقفت فيه زميلتها هيلين عن الكتابة بعد عطاء متدفق غزير .. ولو دققنا في روايات شانتال فسوف نرى انها تدور جميعا في اطار السنوات القليلة المحدودة التي عاشتها في الجزائر .. رغم ان المكان هنا شيء هلامي لايمكن تحديده بسهولة أو الامساك به . وقد بدت الكاتبة

مهتمة باشخاص معينين ـ هم بالطبع من الاقدام السوداء ـ خاصة امها التى ماتت وهى تلدها عام ١٩٤٧ . ويبدو ان الكاتبة قد شعرت بعقدة ذنب غير براءة تجاه أمها فقدمت كل أعمالها تكريما لهذه الام . وفيها حكت الكثير عن أبيها وعلاقته بابنته أو بزوجته . حول وفاة أمها أثناء ولادتها وقسوة التجربة قدمت روايتها " القلب المزموم " عام ١٩٧٥ . أما روايتها « بذرة القمح » عام ١٩٧٨ .. فهى أيضا مجموعة أشعار منثورة حول الطفلة الصغيرة التى عاشت بدون أمها . لا ترضع من لبنها الساخن ولم تنعم بها وهى توقفها أمام المرآة تجدل لها شعرها وتضع الحلى حول رقبتها لذا كثيرا ما تخيلتها تفعل هذه الأشياء وغيرها . ثم تذوب فجأة بين السحاب فتقف الصغيرة خلف النافذة تتطلع إلى أعلى ربما تعاود النزول مرة أخرى لتسامرها ..

وفى نفس العام نشرت شانتال روايتها "احمرار" حول نفس العالم . المنزل الريفى فى الجزائر والمساحات المترامية الاطراف التى لا تنتهى . مما جسد الشعور بالوحدة والغربة ونمّا فيها الحاسة الشعرية .

ومن أمها و « البيت الريفى » إلى أبيها الذى خصصت عنه روايتها الأخيرة المنشورة « غروبيات » عام ١٩٨١ . وكما تخيلت امها تنزل من السماء لتصنع لها جدائلها . تخيلت اباها يأتى اليها فتحاوره فى مونولوج صامت تعبر فيه عن مدى تعاستها وعذاباتها . لقد رأت اباها يموت ببطء فوق سرير مرضه ، بعد ان تسربل الضعف شيئا فشيئا فى جسده الرقيق . ورغم قسوة المرض وحدته . فإن وجهه لن يفقد ابدا بريقه الجذاب . فظل بشوشا . يتحدث بنفس اللغة التى تتهامس بها إليه فى روايتها لكنه ابدا لا يرد .. ولا يتجاوب مع حوارها الداخلى ...

● دون كيشوت .. فى الصحراء

رغم ان لوى جارديل ـ ٤٦ عاما ـ قدم خمس روايات بين عامى ١٩٧٧ و ١٩٨٥ فإن روايته « قلعة ساجان » هى التى جلبت له الشهرة خاصة بعد تحويله الى فيلم سينمائى قامت ببطولته كاترين دونوف وعرض فى مهرجان " كان " منذ عامين . وهى رواية استعمارية حول جده الذى قرر غزو الجزائر على طريقته الخاصة فيما بين عامى ١٩١١ و ١٩١٤ . انه دون كيشوت الصحراء . تحولت طواحين الهواء الى سرابات الرمل التى لا تقترب أبدا . يحلم بامتلاك تلك المساحات الواسعة الممتدة بلا نهاية فلا يمكن للبصر ان يبلغ مداها . أرض لم يطأها امرؤ من قبل . لكن شارل ساجان يصاب بخيبة أمل . فيكتب إلى أخيه بعد عدة أشهر ان التجربة اكثر قسوة مما كان يعتقد . وان الصحراء الواسعة ضاقت به فتحول ضياء الشمس إلى لهيب حارق . وأعجزه الصمت والوحدة .

ويقول الكاتب ان ساجان الذى جاء الى الجزائر لينتصر على السلطان محمود لم يكسب سوى زوجة عاشت معه فى " قلعته " الصغيرة . وعندما يتزوج يقرر عدم تكملة رحلته . خاصة أن الحرب

العالمية الاولى قد اندلعت وهى كما يراها اكبر شىء غبى فى التاريخ المعاصر .

ويتحدث جارديل عن جده الذى مات عام ١٩١٤ قائلا انه : الهمنى الكثير فهو ينتمى الى أسرة متواضعة . ابن الوحدات العسكرية الفرنسية . أصبح التلميذ ضابطا صحراويا . نُشرت قصته فى « الجريدة الرسمية » . ورغم أننى قرأت كثيرا عنه فإنه لا يزال مجهولا بالنسبة لى . تزوج جدتى عام ١٩١٤ ولم يدم زواجهما سوى ثلاثة اشهر .. فقد مات ...

وعن حياته الخاصة ومشاعره يتحدث الكاتب قائلا : " قضيت اغلب سنوات طفولتى فى الجزائر وكانت اسرتى تنتمى الى الأقدام السوداء . سافرت الى باريس أول مرة عام ١٩٥٧ وانا فى السادسة عشرة من عمرى . كنت ممزقا . خائفا من ان تظل اسرتى هناك . الا انها سرعان ما عادت بعد الاستقلال . " مازلت اقدس الجزائر . فاذا شاهدت بعض العرب فى المترو . فاننى اجلس الى جوارهم واستمع الى لغتهم التى احبها واتكلم بعضا منها . واجد نفسى أروح معهم فى حوار طويل لا ينتهى الا عندما يتوقف المترو فى محطة ينزل بها احد منا " .

● رجل من بنى مصاف

الكاتب الرابع هو برنار هنرى ليفى احد أبرز الوجوه الثقافية المعاصرة فى فرنسا . ان لم يكن فى العالم كله . فهو مؤسس حركة "الفلسفة الجديدة" عرف اسمه ككاتب ومناضل سياسى وعدائى للنظم الشمولية وهو فى الخامسة عشرة من عمره . فاز فى عام ١٩٨٤ بجائزة ميدتشى الادبية عن روايته «الشيطان فى الرأس»

وفى الاحاديث الصحفية التى يدلى بها ليفى يردد انه لا ينتمى الى فرنسا . ولا الى الجزائر بل انه ليس سوى انسان " يقيم فى فرنسا " ويقول : « انتمى الى العديد من الرجال والنساء والشباب الذين يمكنهم أن يعيشوا فى اى مكان : نيويورك . لندن . ميلانو . باريس . اذا كانت فرنسا مجموعة من الاراضى والأطيان . فلست أحمل منها سوى الثقافة واللغة الفرنسية . هناك هذا الجزء من الأغنيات والكتب والأوراق التى اعرفها واحبها . وارتبط فيه بوجودى . فليس من السهل ان تكون فرنسيا ـ من اليسار إلى اليمين ـ دون ان تجرى وراءك جثث مروعة واشباح »

ويرى الكاتب المعروف لوسيان بودار ان ليفى لا ينتمي الى مكان . لا البلد الذى ولد فيه . ولا ذلك الذى يحمل هويته . يقول انه رغم يهوديته . فإنه لا يحلم مثل الآخرين بالذهاب الى القدس . وان الكتابة هى حزبه ووسوسته التى تسبب له الجنون »

هذه اذن بعض النماذج الادبية التى تنتمى الى هويتين ثقافيتين . فلم يشعر أصحابها بالانتماء الكامل لأى منهما . وذلك عكس كتاب الجزائر من العرب سواء الذين يكتبون باللغة العربية ام بالفرنسية ـ فهم رغم هجرة بعضهم الى فرنسا ومحاولة الاستيطان هناك . فإنهم فخورون بعروبتهم . يكتبون ادبا عربيا فى المقام الاول . ولم يظهر حتى الان ادبا جديدا غيرهم مثلما حدث فى أدب الاقدام السوداء . ومن هنا يتضح الفرق بين الثقافة الواهية الجذور التى يحاول ان يصنعها المستعمر فى الارض التى يحتلها . والثقافة الراسخة الوتد التى تأصلت فى ابناء البلاد الاصليين منذ الاف السنين ..

العالم غدا

● اكتشاف خام اليورانيوم فى مصر

تم اكتشـاف حقول جديدة لخـام اليورانيوم فى منطقة العلوجة شرق ابو ذنيبة • والمعروف ان مثل هذه الخامات قد اكتشفت من قبل فى ثلاث مناطق : شـمال غرب الغردقة ، وجنوب شرق اسوان ، كما فى مناطق المسيكات والعريضـيـة فى منتصف الطريق بين سفاجا وقنا ..

لكن اهميـة المنطقة الجـديدة (العلوجة) ترجع الى انهـا المرة الاولى التى يتم فيهـا اكتشـاف اليورانيوم فى صـخور رسوبية ، فكل الاكتشافات السابقة كـانت فى صخور جرانيتية وتركزت اساسا على معادن اليورانيوم الثـانوية ، رغم اكتشاف معادن اولية (مثـل بتش بريلت) فى بعضها ..

والمعروف فى الخبرة العالمية ان مناجم الصخور الرسوبية اغنى كثيرا من منـاجم الصخور الجرانيتية . ولهذا تبشر منطقة العلوجة بامكانات كبيرة ، نظرا لان ظهور المعـادن الثانوية لليورانيوم على السطح مؤشر قوى لتواجـد المعادن الاساسية فى الاعماق •

وتولى هيئة المواد النووية اهتماما كبيرا بمنطقة العلوجة ـ كمـا هى الحال بالنسبة للمناطق الاخـرى ـ وتجـرى الدراسات لتقييم الكشـف الجديد ، والاعداد لبرنامج مكثف من الحفر والاعمال المنجمية ، بهـدف التوصل الى معرفة الكمية المتوفرة ، وللاعـداد للمراحل الانتـاجية • والمعروف ان العمليـات التحضيرية السابقة على الانتـاج تستغرق عادة من سنتين الى خمس سنوات ..

● ثورة فى علاج الاسنان

اعلن العالمان الامريكيان كرونمان وجولدمان عن ابتكار سيحدث ثورة فى عـلاج الاسنان هو سـائل « كاريدكس » الذى يذيب التسوس دون تاثير على مادة السن او اللثة،



وذلك بفعل تركيبتـــه الكيميـــائية الخاصة ..

وقد ابتكر العالمان للسائل الجديد انبوبا تتصل به مضخة يدوية تمكن الطبيب ، بعد تهيئة الطريق ، تعريض التسوس للســـائل ٦٥٠ مرة فى الثانية ، ولا يكون على الطبيب بعد اقل من دقيقة الا شفط التسوس المذاب ليعمل بعد ذلك فى حشو الفجـــوة الناتجة .

ومن جـــانب اخـــــر قامت شركة فرنسية بابتكار جهاز ليزر متطور لا يزيد وزنه على ٩ كيلوجرامات (وزن الليزر السابق ١٠٠ كيلوجرام) سهل كثيرا استخدام اشعة الليزر فى علاج امراض الاسنان .

والمعروف ان اشعة الليزر تستخدم فى ازالة التسوس وفى الجراحـات الخـاصة للثـــــة والفكين وازالة التقرحات ، كما فى علاج التهـابات العظام ومفصل الفك واللثة والجيوب الهوائية فى الوجه والغدد اللعابية .

واستخدام الليزر فى طب الاسنان يبشر بانقاذ المرضى من المضـادات الحيوية ومضادات الالتهابات ومزيلات الالم والمسكنات بما لها من تاثيرات جانبية غير هينة .

● تآكل سقف العالم

طبقة الاوزون التى يزيد سمكها على ٣٠ كيـلو متراً ، فى نطـاق الغلاف الجوى المحيط بالارض ، ذات اهمية بالغة بالنسبة للحياة ، ذلك انها تتكفل بامتصاص نسبة كبيـــرة من الموجـــات فوق البنفســـجية ..



ثقب فى طبقة الاوزون

التى تحملها اشعة الشمس قبل دخولها جو الارض . وزيادة نسبة هذه الموجات تؤدى الى تغييرات كبرى فى جو الارض كما تضر بمظـاهر الحياة عليها ..

ويؤكد العلماء الامريكيون أن مثل هذه التغيرات باتت ملحوظة خلال السنوات الاخيرة ، وان نسبة الاصابة بسرطان الجلد فى ارتفاع مستمر ..

ويعتقد كثير من العلماء أن طبقـــة الاوزون ـ السقف الذى يحمى العالم ـ تتعرض لتآكل تدريجى ، وان الثقب الموسمى الذى يظهر بها فوق القطـــب الجنوبى هو اشـد مظـــاهر التآكل وضوحا ..

ومازال الجـــدل على اشده حـــول مسببات هذا الثقب واذا كان البعض يرجعونه الى ارتفاع كميات من الهـواء من اسفل جو الارض ، مما يخفف نسبة الاوزون فالابحـــاث التى أجـــراها د. سولومون من جامعة نيويورك خــلال العام الماضى تؤيد الفكرة السائدة حول مسئولية غاز الكلور فلور كاربون الذى يســـتخدم فى كثير مــــن البخـــاخات

العالم غدا

(الاسبراى) واجهزة التبريد وانتاج بعض مواد البلاستيك .. مسئوليته عن تآكل طبقة الاوزون ، اذ يرتفع تدريجيا حتى يصل هذه الطبقة ويقضى رويدا على مكوناتها ..

لهذا قامت كندا والولايات المتحدة الامريكية والبلدان الاسكندنافية بحظر استخدام الكلور فلور كاربون تماما ، لكن معظم الدول الاوربية لاتزال فى طور التحضير لسياسة موحدة فى هذا الصدد .

وقد وقع الامريكيون والسوفييت اخيرا اتفاقا مشتركا لدراسة ثقب طبقة الاوزون بالوسائل الارضية والفضائية، مما سيساعد على رسم سياسة دولية شاملة لمواجهة الاثار الوخيمة التى تهدد مناخ العالم وصحة سكانه ..

● دواء لاصابة الانسان بالاجهاد

يؤدى الاجهاد المزمن ، بما يصاحبه من قلق ، الى الاصابة بامراض ارتفاع ضغط الدم ، والذبحة الصدرية ، والقرحة ، ناهيك عن الامراض العصبية .. ومن المعروف أن العقاقير المهدئة التى تستخدم فى كبح الاجهاد تصيب الانسان بالخمول كما تقلل من حساسيته وتكبح انفعالاته القوية، الامر الذى يصيب قدراته العاطفية والابداعية فى الصميم ..

وقد اعلن العلماء السوفييت اخيرا عن اكتشافهم مادة تقضى على مضار الاجهاد دون تاثير على حيوية الانسان .. وقد حدث ذلك عند ملاحظتهم خلال التجارب على الحيوانات ان بعضها يتحمل بهدوء ما يتعرض له من المحن والضغوط ، بينما يمرض بعضها الاخر . واستنتج العلماء من ذلك ان هناك « ميكانيزم » طبيعيا يمكن ازالة الاثار الضارة للاجهاد ، وان هذا الميكانيزم يعمل لدى بعض الافراد ولا يعمل عند الاخرين .

واكدت التجارب وجود مثل هذا الميكانيزم ، وتاثيره على الافرازات البيولوجية التى تصاحب الاجهاد ، بما يزيلها بسرعة من الدورة الدموية للحيوانات المتعبة .. هذا كما اتضح ان الاجهاد لا يشكل خطرا على الجسم الا بعد تجاوزه حدا معينا « يدركه » ميكانيزم ازالة اثار الاجهاد ، وعند « بلادة » هذا الميكانيزم لا يعى الانسان حدوده ، ويندفع بما يتجاوز الحد النافع للاجهاد ..

واكتشف العلماء ان الاداة التى يستخدمها هذا الميكانيزم سائل موجود فى دماغ الانسان ، وهكذا لم يلبث صناع الدواء يعملون حتى استخلصوها وحولوها الى دواء . وتجرى حاليا ابحاث لتحديد الشكل الامثل لتناولها ، وتحديد الجرعات الملائمة ووقت اعطائها للمريض .

لكن الطريف ان الدراسة اسفرت ايضا عن تفكير فى استخدام الافرازات المصاحبة للاجهاد فى « قلقلة » غلاظ البشرة اللامبالين الذين لا يحسون باى اجهاد او قلق .

● سياحة فى الفضاء

★ يوم ١٢ اكتوبر ١٩٩٢ ستتم باذن الله اول رحلة فضائية سياحية فى مركبة تتسع لـ ٢٠ سائحا بالاضافة الى ملاحيها وسوف تستغرق الرحلة

١٢ ساعة تدور فيها المركبة حـول الارض عدة مرات . الرحلة الاولى كاملة العـدد من الان رغم ان ثمن التذكرة ٥٢ الف دولار .

★ ذكرت صحيفة الرابطة الطبيـة الامريكية ان ١٢ الف عالم امريـكى (٧٠٠٠) ويابانى (٣٠٠٠) وبريطانى (١٠٠٠) .. قرروا عدم الاشتراك فى برنامج « حرب النجوم » الذى طرحه الرئيس ريجان عام ١٩٨٣ هذا كما وقع ٢١ من علماء الفيزياء والكيمياء الحاصلين على جائزة نوبل على بيان رفض الاشتراك فى ابحاث البرنامج .

★ احتفلت احدى حدائق الحيوان الاوربية بعيد الميلاد الثـانى لاول باندا تمت ولادته فى الحديقـة عن طريق التلقيح الصـناعى ، ذلك ان حيوانات الباندا تضرب تمـاما عن التواصل والتكاثر ان فقدت حريتها .

★ خلال قراءة المذيع ديفيـد هورويتز نشرة الاخبار اقتحم عليه الاستوديو شاب يدعى جارى ستولان واجبره تحت تهديد مسدسه على قراءة بيان يهاجم فيه وكالة المخـابرات المركزية لتكتمها انباء عن رواد فضاء حطوا من كواكب بعيدة .. ظهر بعد ذلك ان المسدس لعبة من البلاستيك .

المذيع يقرأ تحت التهديد



● هل هم اطفال عباقرة



اشتركت فى مسابقة العـزف على التشيللو التى اقيمت اخيرا فى باريس الطفلة الفرنسية اوريليا الكسـندر التى اجادت العزف رغم ان عمرهـا لا يتجاوز ٤ سنوات ، وانها لم تتدرب على التشيللو سوى سبعة شـهور هذا كما انتظم طالب لا يتجاوز عمره ١٣ سنة فى محاضرات كلية الصحافة بجامعة موسكو بعد ان اجتـاز كل امتحانات القبول بدرجة « امتياز » .. الطريف ان بيجلوف اسم الطالب بدا القراءة وهو فى الثالثة وطـالع ما يقرب من الف كتاب ، وكتـابه المفضل « فلسفة التاريخ » وهـو من اصعب واعمق المؤلفات الفلسـفية للمفكر الالمانى هيجل ..

بين الفحم والماس

خبرة العلم فى العنصر والمنظومة

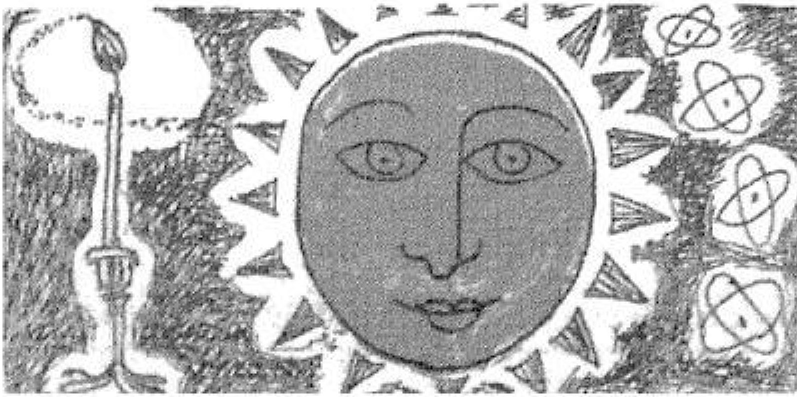
بقلم: د. أحمد عامر

فى الحياة كما فى البحث العلمى نتعامل مع اشياء، وعادة ما لا تكون هذه الاشياء بسيطة، بل تكون مركبة، ذات مكونات وبناء، وعادة ما تقتصر النظرة السطحية للامور على رؤية مكونات الشىء وتقصر عن رؤية بنائه، فلا ترى من الامة مثلا الا افرادها، ومن الجيش الا عساكره ومن الكتاب الا فصوله.

ولكن النظرة الاعمق تكتشف بناء الشىء وتدرك أهميته التى كثيرا ما تكون حاسمة فى تحديد هويته. فالاشياء اما بسيطة لا تركيب لها ولا تتكون مما هو ابسط منها او مركبة. تسمى الاشياء البسيطة عناصر، اما الشىء المركب فيسمى منظومة، فالمنظومة تتكون من عناصر (اجزاء). ونورد هنا اربع ملاحظات على مفهومى العنصر والمنظومة:

(١) العنصر او الجزء اصطلاح نسبى: فالشخص بالنسبة للمتخصص فى العلوم الاجتماعية هو الوحدة أو الجزء الذى يتكون منه المجتمع ولكن هذا الشخص نفسه بالنسبة للطبيب منظومة غاية فى التعقيد مركبة من عناصر واجزاء ابسط، فهو مكون من اجهزة والاجهزة مكونة من اعضاء والعضو مكون من انسجة والانسجة مكونة من خلايا. كذلك الذرة فى الكيمياء هى الجزء النهائى من المادة ونواتها لا تنقسم فى التفاعلات الكيميائية، ولكنها فى

● استاذ قسم الرياضيات بكلية العلوم جامعة القاهرة



الفيزياء منظومة مكونة من عناصر ابسط ، اذ تتكون نواتها من بروتونات ونيوترونات .

كذلك ، فان ما نتصوره في مرحلة من مراحل تقدم العلم بسيطا وأوليا ، نكتشف تركيبه في مراحل اكثر تقدما ، فالذرة مثلا ، كانت في وقت من الاوقات تعتبر أصغر جزء من المادة ثم اكتشف رذرفورد تركيبها من نواة والكترونات واعتبرت النواة عندئذ بسيطة بلا تركيب ، أدى مزيد من دراسة النواة الى اكتشاف تركيبها من بروتونات ونيوترونات ، هذه الاخيرة كانت تعتبر جسيمات اولية لاقل من عشرين سنة خلت والان يعتبرها الفيزيائيون مركبة مما هو ابسط وهو الكوارك .. وهكذا .

فالشيء يعتبر بسيطا اوليا لاحد سببين : اما لاننا نعتبره في سياق لا يتعرض لتركيبه او لا يتأثر بتركيبه ، او لان حدود معرفتنا بالشيء لم تصل الى تركيبه ، وهذا يعني أن تركيبه لا يتدخل في كل التفاعلات التي رصدناه فيها ، بل يسلك كشيء اولي بسيط بلا تركيب .

(ب) التجميع البسيط والاتحاد المركب : المنظومة قد تكون تجميعا بسيطا لعناصرها أو اتحادا مركبا منها ، كمخلوط الكبريت والحديد ومركب كبريتيد الحديد، فالاول بسيط ويحمل خصائص الكبريت وخصائص الحديد ويمكن فصلهما فيه بواسطة مغناطيس مثلا ، يجذب الحديد ويترك الكبريت ، اما الثاني فلا يحمل صفات اي منهما ولكن له صفاته الخاصة .

● تفهم الملاقات

قارن بين سلة من البرتقال وباقة من الزهور ، المنظومة الاولى تجميع بسيط لعناصر حيث تسلك كل برتقالة كما لو كانت موجودة وحدها في غياب البرتقالات الاخرى ، ولا يعطي الجمع هنا الا زيادة الكمية دون اضافة خصائص جديدة ، اما باقة الزهور فستبعث فيك من البهجة اكثر مما تبعثه فيك الزهور لو رأيت كلا منها على حدة ، واحدة بعد الاخرى. كذلك القصيدة المفككة والقصيدة المترابطة الاولى مثال على منظومة هي تجميع بسيط لعناصرها ، والثانية مثال على

بين الفحم والماس

منظومة هى اتحاد مركب لعناصرها التى هى ابيات الشعر فى الحالتين ·

(د) **العلاقات بين العناصر :** على العموم ليست المنظومة مجرد التجميع البسيط لعناصرها ، ولكنها هذه العناصر داخلة فى علاقات معينة ، فالمنظومة = عناصر + علاقات · وكلما قل التفاعل بين عناصر المنظومة أو قلت اهميته ، قل الفرق بين المنظومة ومجموع عناصرها

ويمكن بتغيير العلاقات بين عناصر منظومة ما ، دون تغيير اى عنصر من عناصرها ، ان نحصل على منظومة جديدة تختلف عن السابقة اختلافا بينا · فجزىء الاكسجين مثلا ، يكون من ذرتين من الاكسجين وجزىء الاوزون مكون من ثلاث ذرات من الاكسجين ، فلو قلت عندى ست ذرات من الاكسجين ★ ، فماذا املك؟ قد تملك اكسجينا أو أوزونا ، اذا اتحدت الذرات اثنتين اثنتين فستملك ثلاث جزيئات من الاكسجين ، اما اذا اتحدت ثلاثا فسيكون عندك جزيئين من الاوزون ، والاكسجين غاز شفاف بينما الاوزون لونه أزرق باهت ، والاكسجين عديم الرائحة وللاوزن رائحة خاصة ، وهكذا · كذلك الفرق بين الفحم والماس هو ان الاول كربون غير متبلور بينما الثانى كربون متبلور ، أى أن الماس هو بلورات الكربون · هذا يعنى أن ذرات الكربون موجودة فى الفحم عشوائيا بلا ترتيب ، اما فى الماس فتوجد بترتيب هندسى معين ، فالمنظومتان ، الفحم والماس ، كلتاهما مكونة من نفس العناصر وهى ذرات الكربون · ان لم يكن لها تركيب معين فهى فحم ، اما اذا دخلت ذرات الكربون فى علاقات معينة (ترتيب هندسى معين) فهى ماس · والفرق بين الفحم والماس بين ، لن نتكلم عن السعر ، لكن الماس يخدش الزجاج وصلابته شديدة بينما الفحم (الجرافيت) لين ، والماس شفاف والفحم معتم ، وهكذا · ايضا اذا غيرت ترتيب الذرات ، فقط الترتيب فى بعض الجزيئات الكبيرة يتغير المركب الكيميائى فتتغير بهذا بعض انواع السكر الى سم ·

هناك امثلة ابسط لتغيير المنظومات بتغييرات بسيطة فى العلاقات بين عناصرها دون تغيير العناصر ذاتها ، فالتليفزيون (جهاز الاستقبال مثلا) هو منظومة من شاشة وسماعة ومقاومات ومكثفات وملفات وصمامات واشباه موصلات واسلاك متصلة اتصالا كهربائيا والكترونيا معينا · لو فككت سلكا من مكانه ولحمته فى مكان آخر او تركته مفككا ، لن تكون قد غيرت ايا من العناصر ، ولكنك بهذا تكون قد غيرت المنظومة من تليفزيون الى شىء لا يستقبل الارسال التليفزيونى · او خذ سيارة مثلا وفك عجلاتها الاربع وضعها على السقف ، وفك المحرك وضعه داخل العربة ، ستحصل بهذا على شىء غير السيارة بالرغم من انه مكون من كل عناصرها ·

هناك من لا يرى فى الامة الا ابناءها وفى الكتاب الا فصوله وفى

★ هذا للتبسيط لان ست ذرات كمية غاية فى الضآلة ، فاربعة جرام مثلا من الاكسجين بها اكثر من $١٫٥ \times ١٠^{٢٢}$ ذرة أى مائة وخمسون الف مليار ذرة ·

البستان الا نباتاته ويتساءل : ماذا يبقى للامة كي تتحضر بحضارة عصرها اذا تحضر بهذه الحضارة كل فرد من أبنائها ؟ ماذا يبقى من الكتاب لتستوعبه اذا استوعبت فصوله ؟ ماذا يبقى من البستان اذا ازدهرت كل نبتة فيه ؟ والامة المتحضرة ليست فقط افرادا متحضرين ولكنها افراد متحضرون تربطهم علاقات متحضرة ، وفرق كبير بين امتين افراد كلتيهما متحضرون ولكنهم في الاولى باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وفي الثانية مثلهم في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فضلا عن ان كل فرد من الامة يجب ان يكون قائما بالدور الاجتماعى الملائم له (الشخص المناسب فى المكان المناسب) فلا يقوم المهندسون بعلاج المرضى والاطباء بصناعة الاسمنت مثلا ، اما عن الكتاب كجزئيات متناثرة لا يربطها سياق عام فيفشلون فى حل مسائل يعالج الكتاب موضوعها لان حلها يتطلب فهم السياق العام وهو مما يربط بين فصول الكتاب ولو لم يبق فى الكتاب حقا ما يستوعب بعد استيعاب كل فصل لكان كتبا وليس كتابا ، ولكان كل فصل فيه كتابا قائما بذاته ، لا يغير الامر أنك جمعتها فى مجلد واحد • يتضح هذا الامر اكثر اذا قارنت الجملة بكلماتها • فأحيانا تفهم كل كلمة فى جملة ولا تفهم الجمله ، ولا سيما اذا كانت بلغة أجنبية تكون مبتدئا فيها • يضاف الى هذا أيضا أن الجمله هى مجموعة كلمات وفصلات ونقط فى ترتيب معين يقال ان الملك قد عفا عن احد معارضيه المحكوم عليه بالاعدام وقرر الافراج عنه ، وكان المعارض محبوسا فى مكان بعيد ، وجاء قرار الملك بالعفو عنه فى نفس اليوم المقرر فيه اعدامه ، فلم يكن بد من ارسال برقية ، وأملى الملك البرقية الاتية :

الاعدام ممنوع • الافراج

ولكن عامل التليغراف تلقاها كالاتى :

الاعدام • ممنوع الافراج

وشنق الرجل • أما البستان فليس فقط نباتات مزدهرة ، ولكنه نباتات مزدهرة منسقة • والبستانى الماهر هو الذى يجيد أيضا تنسيق الزهور فى احواضها وهو يزرعها •

● احتمالات واردة

(د) صفات العناصر وصفات المنظومة : هل كل ما يصف العنصر يصف المنظومة ؟ وهل كل ما يصف المنظومة يصف العنصر ؟ نجد كل الاحتمالات واردة ، فهناك صفات تتصف بها العناصر وتتصف بها المنظومة ، بعض هذه الصفات تجميعى وبعضها ليس كذلك ، كما أن هناك صفات تتصف بها العناصر ولا تتصف بها المنظومة بمعنى انك لو اضفت هذه الصفات على المنظومة فلن تحصل على عبارة صحيحة ولا على عبارة خاطئة بل ستحصل على كلام فارغ من المعنى او الدلالة • واخيرا فهناك صفات تتصف بها المنظومة ولا معنى لاضفائها على العناصر :

١ ـ صفات تصف العناصر والمنظومة : اعتبر منظومة مكونة من منظومات جزئية كأن تكون كتيبة فى الجيش مكونة من فصائل • عدد جنود الكتيبة هو مجموع اعداد جنود فصائلها ، أما القدرة القتالية للكتيبة فليست مجموع القدرات القتالية

بين الفحم والماس

لفصائلها ، قد تكون اكبر او اقــل حسب كفاءة قيادتها وحسن تنظيـم الفصائل فى الكتيبة • فالعنصر هنـا وهو الفصيلة يتصف بأن به عـددا من الجنود وبأن له قدرة قتـالية ، كذلك تتصف المنظومة وهى الكتيبـة بالصفتين • الصفة الاولى وهى عدد الجنود تجميعية أما الصفة الثانيـة وهى القدرة القتالية فليست تجميعية لو اعتبرت منظومة من الجسيمات ، فالعنصر (الجسيم) يتصف بـأن له شحنة كهربائية (قد تساوى صفرا) وحجم وكتلة • فى هذا المثـال ، الشحنة تجميعية لان شحنة المنظـومة هى مجموع شحنات عناصرها ، أمـا الحجم فواضح انه ليس تجميعيـا اذ أن حجم المنظومة اى الحجم الـكلى لا يساوى مجموع حجوم عنـاصرها فقد يكون اكبر من ذلك ، كما هـو الحال فى المجموعة الشمسية فحجم المجموعه الشمسية اكبر بـكثير من مجموع حجوم الشمس والـكواكب وكذلك الحال فى الذرة • أمـا اذا اذبت نصف لتر من الخل مثلا فى لتر من الماء فلن يكون حجم المحلول لترا ونصفا بل اقل من ذلك ، فهنا حجـم المجموعة وهى المحلول اقل من مجموع حجوم عناصرها وهى الخل والماء •

أما الكتلة فهى اذا اردنا الدقـة غير تجميعية كما هو الحال مثلا فى نواة ذرة الهليوم المكونة من بروتونين ونيوترونين ، كتلة نواة ذرة الهليوم أصغر من مجموع كتل مكوناتهـا • فاذا رمزنا لكتلة النـواة بالرمز ك وكتلة البروتون او النيوترون (المفرض انهما متساويان) بالرمز ك ، فان • ك = ٤ ك ف ، ف > صفر حيث ف هو الفرق • والسبب فى هذا الفرق هو التجاذب النووى الشديد الـذى يجمع النويـدات (البروتونـات والنيوترونات) فى النواة والذى ينتج عنه جهد سالب كبير المقدار جدا •

وهذا الجهد قصير المدى ★ جدا ، فمدى الجهد النووى هو $١٠^{-١٣}$ سم أى واحد من مليون مليون من المليمتر فاذا كان لدينا بروتونان ونيوترونان على مسافات اكبر بكثير مـن $١٠^{-١٣}$ (واحد من مليون من المليمتر اكثر من كافى) لا تكون المجموعة نـواة وتكون كتلة المجموعة فى هــذه الحالة ٤ ك • اذا قربنا النـويدات لتندمج وتكون النـــواة فان كتلة المجموعة فى هذه الحالة تسـاوى ك • تقل طاقة المجموعة النهائية وهى النواة عن طاقة المجموعة الابتدائيـة وهى النويدات غير المترابطة بمقدار $ف ع^{٢}$ حيث ف هو فرق الـكتلة كما اسلفنا ، ع سرعة الضوء حسب المعادلة المشهورة • حسب قـانون بقاء الطاقة لابد أن ينطلق هـذا الفرق فى صورة اشعة مختلفـة وحرارة • هذا هو اساس القنبـلة الهيدروجينية ، كما يفسر حـرارة الشمس وضوءها ، فمـا الشمس الا قنبلة هيدروجينية كبيرة :

لكن عندما تكون القوى المتبـادلة بين جسيمات المنظومة صغيرة ★ فان الكتلة تكون تجميعيـة ، فاذا اذبت

★ مدى الجهد هـو البعد الذى يصبح الجهد بعده صفرا او يكاد •

★ يجب أن تكون سـرعات الجسيمات ايضا صغيرة •

جراما من الخل او السكر فى خمسة جرامات من الماء فستحصل على ستة جرامات من المحلول •

٢ ـ صفات تصف العناصر ولا تصف المنظومة : اعتبر مجموعة عناصرها افرادا من البشر •كل عنصر يتصف بالانوثة أو الذكورة ، أما المجموعة ككل فلا تتصف بأى منهما ، فريق لكرة السلة من البنات ، كل عنصر من عناصره انثى ، الا ان الفريق ليس انثى كما انه ليس ذكرا، فهو لا يتصف بهذه الصفة • كذلك فريق لكرة القدم ، كل لاعب فيه له رقبة ولسان ، أما الفريق فلا رقبة له ولا لسان ، وهكذا •

٣ ـ صفات تصف المنظومة ولا تصف العناصر : اذا اخذنا فريق الكرة مرة ثانية كمثال ، فالفريق له خط هجوم وخط دفاع ، اما كل لاعب على حدة فليس له خط هجوم ولا خط دفاع مثال اخر ، منظومة مكونة من عدد كبير بمسائة الف مليار من جزئيات الماء ، هذه المنظومة ستتصف بالصلابة أو السيولة او الغازية حسب درجة حرارتها (والضغط الواقع عليها) وستسمى ثلجا أو ماء او بخارا ، اما الجزىء الواحد من جزيئات الماء فلا يتصف بهذه الصفة أيضا لو اتيت بذرة من الكربون وسألت هل هى فحم ام ماس ؟ لا معنى للسؤال ، ولا اجابة ! لان الماس هو مجموعة من ذرات الكربون فى ترتيب هندسى معين لتكون بلورات اما اذا كانت الذرات غير مرتبة فالمجموعة فحم والذرة الواحدة لا تتصف بانها مرتبة او غير مرتبة • كذلك فدرجة حرارة مادة هى تعبير عن الحركة العشوائية لجزيئات هذه المادة وترتفع بزيادة هذه الحركة العشوائية وعليه فدرجة الحرارة صفة لمجموع الجزيئات ككل ولا يتصف بها الجزىء الواحد ، فلو أتيت بجزىء وسألت عن درجة حرارته فالسؤال بلا معنى ، ولو وصفت الجزىء بدرجة حرارة معينة فقد قلت لغوا •

● تحديد العلاقة

كذلك فالديمقراطية صفة تصف المجتمعات ولا يتصف بها الافراد لان الديمقراطية تحدد العلاقة بين افراد ومؤسسات المجتمع ، ولا يتعارض هذا مع أن تقول انك ديمقراطى لان هذا لا يعنى انك ديمقراطى فى ذاتك بل يعنى انك تحبذ الاسلوب الديمقراطى فى التعامل مع الاخرين او انك تحبذ المجتمع الديمقراطى أو تدعو اليه أو تعمل من أجل اقامته • كذلك لا يوجد مصرى عضو فى منظمة الامم المتحدة بينما مصر عضو ★ بها •لاحظ ان اعضاء الوفد المصرى فى الامم المتحدة ليسوا اعضاء بالمنظمة بل هم ممثلو مصر بها •

يظن البعض أن من اخطر مزالق الخطأ فى التفكير ان تضع امامك اسماء المجموعات الى جانب اسماء افرادها ثم تتوهم ان لكل مجموعة منها كيانا غير كيانات افرادها • وعلى ضوء ما سبق لا يمكن ان نوافق على هذا الظن ، فللمجموعة عادة كيان غير كيانات افرادها بما ينتظم هؤلاء الافراد من علاقات داخل المجموعة ، والا ما انفجرت القنبلة الهيدروجينية وما اضاءت ولا ادفات الشمس •

★ هذا المثال ضربه الدكتور محمد عامر استاذ الرياضيات بكلية العلوم بجامعة القاهرة •

أنت.. والهلال

● **القصيدة البحرية**

● عندما امسك القلم لاخط رسالة ، فأنني أعتبر هذا الامر جهادا في سبيل الكلمة ، وعندما تهاجر الكلمات من شفتي الى سطح الورقة فـانني اسمي هذه الهجرة بالهجرة الشعرية الشريفة ..

وعندما آثرت أن أراسلكم بقصائدي آثرت ذلك لانني شممت رائحة العشق تفوح من ثقب باب « أنت والهلال » فتمنيت ان اكون حديقـة ورد ، واتبرع بقلبي لخدمة هذا الباب حتى يظل وطنا دافئا لابجديات الشذى ..

انني أتمنى ان تفتحوا لي هذا الباب وتاخذوا شعري زنبقة بيضاء.. تطوقونها بقوس قزح .. وأتمنى ان لا تغلقوا الباب في وجهي .. وتتركوني ادق عليه باستمرار .. او انظر للذين ينثرون فيه زهورهم .. من ثقبه ..

أحبها ومدى الامواج ارتكب ... تلك التي شعرها للبحر ينتسب
في المد تاتي فالقاها باغنية ... حتى اذا اقتربت .. في الجزر تنسحب
كانت وصايا الهوى كالحرف تحفظني ... ورغم ذا منعت احلامي الكتب
قلبي قصيدة ورد كيف اكتبها ... والعطر في عشقها عنوانه السحب ؟؟
جميلة ـ قال نجم كان نازعني ... في حبها ـ فاستحمت في دمى الشهب
أن مر سطر ببالي كان ينظمها ... فسوف يرسمني في قلبها الادب
فالعشق « أصدق انباء » اذا اقتربت ... والحرف اكذب ان كانت ستنسحب

عبد الله السمطي
آداب عين شمس

● تعليق :

ـ ننشر ـ كالعادة ـ رسالتك وشعرك بلا تعليق ! ..

● **اهواك**

● أرسلت اليكم قصيدة عنوانها « اهواك » ولم اجدها منشـورة ، ووجدت اسمي بين ردودكم على القراء .. هل معنى ذلك انكم ترفضـون قصائدي . وهذه هي القصيدة التى اختصرتها لكم حتى لا اضيع وقتكم :

انا بالقلب اهـــــواك ودوما لست انساك
وأنت الحب والسـلوى فكيف القلب يسلاكى
فحبي لســت انســاه ولن انسى محياك
«منايا» في الهوى« انت فما احببت الاك
اذا ما النــــوم ناداني أتانى فى الكرى « فاك »
ينـــاجيني بـــلا خوف ويدعونى لرؤياك
« فمن أرسل لها وردى » ومن تحميه اشواكى
« ومن افديه بالـــــروح ومن اتى لها شاكى
« ومن افدية بالـــــروح ومن اغدوا لها باكى
« ومن اســـهر لها ليلى ان يابدر افلاكى ؟!

عيد حميدة ـ آداب طنطا

● تعليق

● نحن لا نرفض شعرك ولا شعر أحد من الناس ، ولعلك تطـالع ردودنا على اخوانك الشعراء الناشئين وغيرهم ممن جاوزوا سن الشباب ·· اما قصيدتك هذه ففيها :

١ ـ اغلاط نحوية ·· مثل قولك : « أتانى فى الكرى فاك » وصحتها « فوك » ·· لأنها من الاسماء الخمسة وقد درستها فى التعليم الثانوى وانت الآن فى كلية الآداب فهل نسيتها ؟!

٢ ـ أغلاط عروضية ، مثل قولك « منايا فى الهوى انت » ·· فـلا يصح أن تقول « منايا » فى أول البيت ، بل تقول : « مناى » وهنـا ينكسر البيت ، وكذلك قولك : « فمن أرسل لها وردى » ·· لأنك اذا ضممت اللام فى « أرسل » انكسر البيت ، واذا جعلتها ساكنة اخطأت فى النحو ·· وكـذلك كلمة « اسهر » فى قولك : ومن أسهر لها ليلى ·· فالضم فيها يكسر البيت والسكون خطأ نحوى ··

● احـــزان

عشقت فى همـــــوم البشر وأطلت ـ حنقا ـ من نظرى
فراتنى صورة للحزن قـــــد صاغنى البؤس بأدهي الصور
غصت فى بحر حياتى ضائعا وشريدا ليس لى من أثر
بين صبح صـــام فيه املي عن ضياء الشمس طول العمر
ومساء لم يصــن لى حــلما نضرا أرعاه تحت القمر
وضمير هزا النــــور بـــه بعد أن أصبح أعمى البصر
وعيون تحمل الدنيـــا عـــلى لجة الشوق وسخط القدر
تعب الحـــب بقلبى واثننى تحت ضغط الحقد بين البشر
سرت أرمى الى فى دمعـــــة علها تخفيه بين الحفر

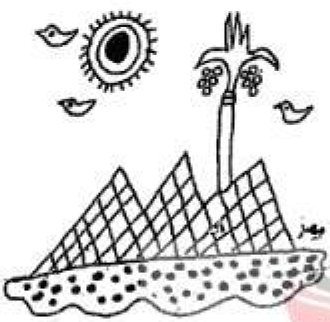
أحمد حمدى ـ القاهرة

● ادباء الاقاليم

● نتشرف بأن نكتب اليكم قصيدتنا العصماء « ادباء الأقاليم ·· » وهى كما ترى فريدة فى معناها ومبناها ·· ولم يسبقنا شاعر الى هذا

التناول الفريد والحمد لله .. ونسال الله ان يحفظ وحدة الصف المصرى والصف العربى ، كما نأمل أن تتكرموا باعطائنا حقنا الذى توجيه عليكم مصر .. بنشر هذه الرائعة فى صدر مجلة العروبة « الهلال » .. ومصر ستبقى هى القاهرة .. وهذه هى القصيدة :

من اين جاء ؟؟
من أين جاء ؟؟
هذا الذى سمي وقسم فى ذكاء
هذا الذى اصطنع الحدود
هذا الذى ابتدع السدود
من اين جاء ؟؟
يا مصر يا وطن الوفاء
كنا صغارا فى ابتداء
كنا صغارا فى انتماء
كنا صغارا فى ولاء
ومع دراستنا حروفا للهجاء
قال المعلم اذ يشير الى الخريطة فى استياء :
تلك الحدود هى افتراء
اذ يهدف المستعمرون الى التمزق فى البناء
يا امة العرب المجيدة وحدة .. نعم الاخاء
ومن الخليج الى المحيط : البيت يجمعنا .. تظللنا السماء ..
ومضى الزمان .. مضى زمان الابرياء
ومضى المعلم لم ير عصر التقدم فى ارتقاء
قد قسموا مصر الحبيبة فى دهاء
قد قسموا وطن الرجاء
هذا رثاء للمعلم والمناهج والمدارس والولاء
هذا رثاء للرثاء



الشاعر الدكتور احمد عامر

● تعليق

ـ ننشر الرسالة والشعر بلا تعليق ، ولا نستكثر على احد من شعراء زماننا ان يكون مبعوث العناية لانقاذ فن الشعر ، كما كان المرحوم يوسف وهبي مبعوث العناية لانقاذ فن التمثيل !!

● الجمال الطبع

يا هذه .. ما بال عينك لا ترى
مما وضعت بها ، وهددها العمى

زججت عينا والمراود سـخرة
تجرى هنا وهناك فنا علقمـا
وأزلت حاجبها ولم يك وضـعه
عيبـا ، وكان مرتبا ومهنـدما
واتحت خطـا باليمين مرادفا
خطا يجـاور خطه مستسـلما
أو ما رأيت مع الطبيعة خلقـه
تسمو مع المولى ، وتبدو بلسما
عودى الى الطبع الكريم ورددى
أن الجمال الطبع يرقى سـلما

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانوية سابقا

● حول قصة الجزائر

● كان يا ماكان : قصة الجزائر كاملة صور وأحداث من أيـام « الداى » وحتى بعد مضى ربع قرن على الاستقلال اعداد الاستاذ مصطفى نبيل رئيس تحرير الهلال فى عدد اغسطس الماضى ، وجاء فيها ما يلى : « .. وعلى رأسها مكتب المغرب العربى فى القاهرة،والذى كان يرأسه علال القاس ويضم صالح بن يوسف ومحمد خيضر .

عندما كانت الثورة المسلحة فى المغرب قد بدأت تتسع بسبب خلع الملك محمد الخامس ، ولم تكن القضية التونسية قد حلت بعد . »

وأريد أن أشير هنا : أولا : علال الفاسى لا علال القاس ثانيـا : أن الرئيس حبيب بورقيبة كان من أعضاء مكتب المغرب العربى فى القاهـرة المؤسسين والعاملين . ويمكن للقارىء مراجعة كتاب « ذكريات عن مكتب المغرب العربى فى القاهرة » بقلم الأستاذ الرشيد ادريس الصادر عن الدار العربية للكتاب تونس .

ومن الكلمة التى ألقاها الرئيس الحبيب بورقيبة بقصر قرطاج يـوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ عند استقباله للولاة الجزائريين : « ... ولعلكم تذكـرون ان الكثيرين من المناضلين التونسيين المنتسبين الى الرعيل الاول قضـوا السنين الطويلة بسجون الجزائر ومنهم السيد الباهى الادغم .. وغيرهـم ومنهم كذلك من أدركته الوفاة هناك . وتقول كذلك : « ... وبعد حـرب الجزائر شعرت كأنما شعبينا امتزجت دماؤهما ، وكنت معتقدا صـادق الاعتقاد أن الكفاح المشترك سيؤدى الى مصير مشترك . فطيلة تلك الحرب قاسينا الشدائد معا ، وكنا هنا فى تونس نعانى الكثير من مشـاكلنا الداخلية . وحصلت لنا متاعب مع فرنسا من أجل تضامننا مع الجزائر . وكنا جادين فى مواقفنا ومساندتنا للجزائريين .. بل اننا احتملنا بكـل صبر وجلد القذف الجوى ، والاعتداءات المتوالية والضائقة الاقتصـادية وصمدنا بلا تردد .

وقد رأينا أن علينا التزامات للشعب الجزائرى لابد لنا من الوفـاء بها وكنا معرضين للاخطار دون سوانا . وكان تراب بلادنا محتـلا ، والقوات الفرنسية مرابطة ببعض مدننا التونسية ومن الاعتداءات الفرنسية

على القرى والمدن التونسية مدينة سيدى يوسف الحدودية للبلاد الجزائرية وذلك يوم ٨ فبراير ١٩٥٨ م قصفها يوم السوق الاسبوعى فاختلطت الدماء التونسية مع الدماء الجزائرية وخاصة المدرسة الابتدائية بالمدينة . »

ويمكن للقارىء مراجعة كتاب « بين تونس والجزائر ماض مشترك ومصير واحد : الحبيب بورقيبة نشر وطبع كتابه الدولة للشئون الثقافية والاخبار .

محمد العائش القوتى
عضو باتحاد الكتاب (تونس)

● ماذا تصنع بالاوزان ؟



الاصفر يقتحم الذاكرة
ويحصف بالالوان
وجراد يلتهم الجنة
فى اطمئنان
والنورس يضرب بجناحيه الجثة
والديدان ..
تلهو بالجسد ـ الجيفة
والغربان ..
تمتلك الساحة
قل لى :
ماذا تصنع بالاوزان ؟

حسين محمد على
ديرب نجم ـ شرقية

● دعاء الفجر

● هذه القصيدة المسماة « بدعاء الفجر » هى احدى قصائدى الكثيرة عبرت فيها عن احساسى بليلة كئيبة قلقة وبالاحساس بتخلف الفجر عن الحضور ثم قدوم الفجر والاتجاه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ، فارجو من سيادتكم وانت راعى الادباء والشعراء الشبان ان تعطينى رايك فى هذه القصيدة من الناحية الفنية والموضوعية وهل استمر فى الكتابة أم لا ؟

وما هى الكتب التى تنصحنى سيادتكم بالاطلاع عليها لتنمية موهبتى الشعرية .

وهل استمر فى ارسال قصائدى لمجلتكم الموقرة ؟!

حسبت الفجر قد اخلف ميعـــاده
وكان ضياه منى ذا اقتراب
سألت النجم عنه والســـحاب

لماذا ضـــياء فجـــرى عنى غاب ·
« الراسل »
احمد فهمى غنيم على ـ ليسانس حقوق
شبراخيت

● تعليق

ـــ انت مشكور على تعلقك بالشعر ، ولكنك يا بنى قد وصـــلت الى درجة الليسانس وانت بعد لا تستطيع ان تقيم الاوزان ، فليس فى قصيدتك هذه بيت واحد موزون او له ادنىصلة بالعروض والقافية ، فضلا عما حوته القصيدة من عجائب الاغلاط النحوية والصرفية والاملائية ، فاترك الشعر يا بنى ولا تاسف على تركه ما دام لم يسلس لك قياده ، وقد فاتك الشعـر فلا تتعب نفسك فى طلبه · ونرجو أن تكتب فى رسائلك المقبلة « المرسل » لان كلمة « الراسل » غير صحيحة فى هذا الموضع !·· ونرجو الا تغضبك هذه الصراحة ، لأنها لازمة ومفيدة فى هذا المقام ! ··

● مع الاصدقاء

● حسن المنشاوى ـ السويس :

ـــ نحن نهتم بكل ما يصل الينا من المواد ، لا بالشعر فقط كما تقول، ولكن كثرة الشعر فى هذا الباب سببها أن تسعين فى المائة على الاقل مـن الرسائل التى نتلقاها تحوى شعرا ·· ونرجو ان تلتمس لنا عذرا فىعجزنا عن نشر قصتك لضيق المقام ··

● محمد عبد الفتاح مصطفى عمار :

ـــ نشكرك على حسن ظنك ، ونرجو ان تبلغ بالمثابرة ما نرجوه فى فن الشعر ان شاء الله ··

● مسعد سليمان نجم ـ العزيزة ـ دقهلية :

ـــ نشكرك على تحيتك ، ونحييك على كلمتك عن الكاتب الكبـــير الراحل توفيق الحكيم ··

● رضا ابراهيم عبد المعطى ـ دكرنس :

ـــ قصيدتك « أيها الليل » طيبة جدا ، ونتمنى لك مستقبلا حســنا فى الشعر ··

● ونشكر كل الشكر اصدقاءنا السادة : رفعت محمـــد بروبى ·· جمال محمد جمال طلحة ·· احمد محمد زيادة ·· عبد السلام فـــاروق عبد العظيم ·· عاصم فريد البرقوقى ·· اشرف محمـــــد ابو العز ·· ·· هيام عطا الله احمد ·· فؤاد سليمان مغنم ·· موسى عنتر المرسى ·· اسامة عبده حسين ·· خالد سعد الدين الصغير ·· ايمان ابراهيـــــم عبد المعطى ·· يوسف شهير ·· عزة سعيد السمادونى ·· محمد عبدالله الهادى ·· الحسين محمود خضيرى ·· عبد الفتاح الضبع ·· منيـــر ابراهيم عبد الحميد ··

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

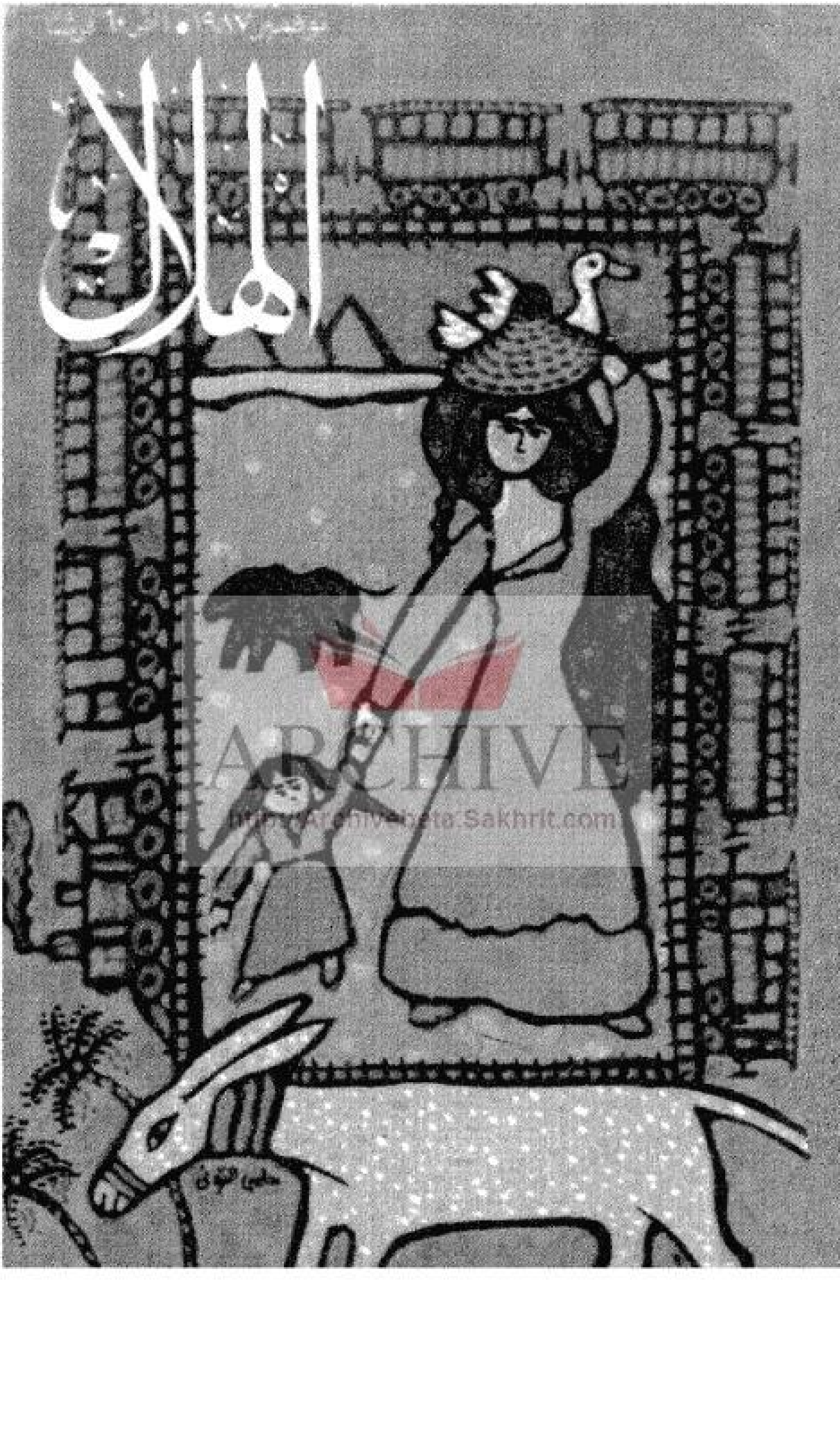
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

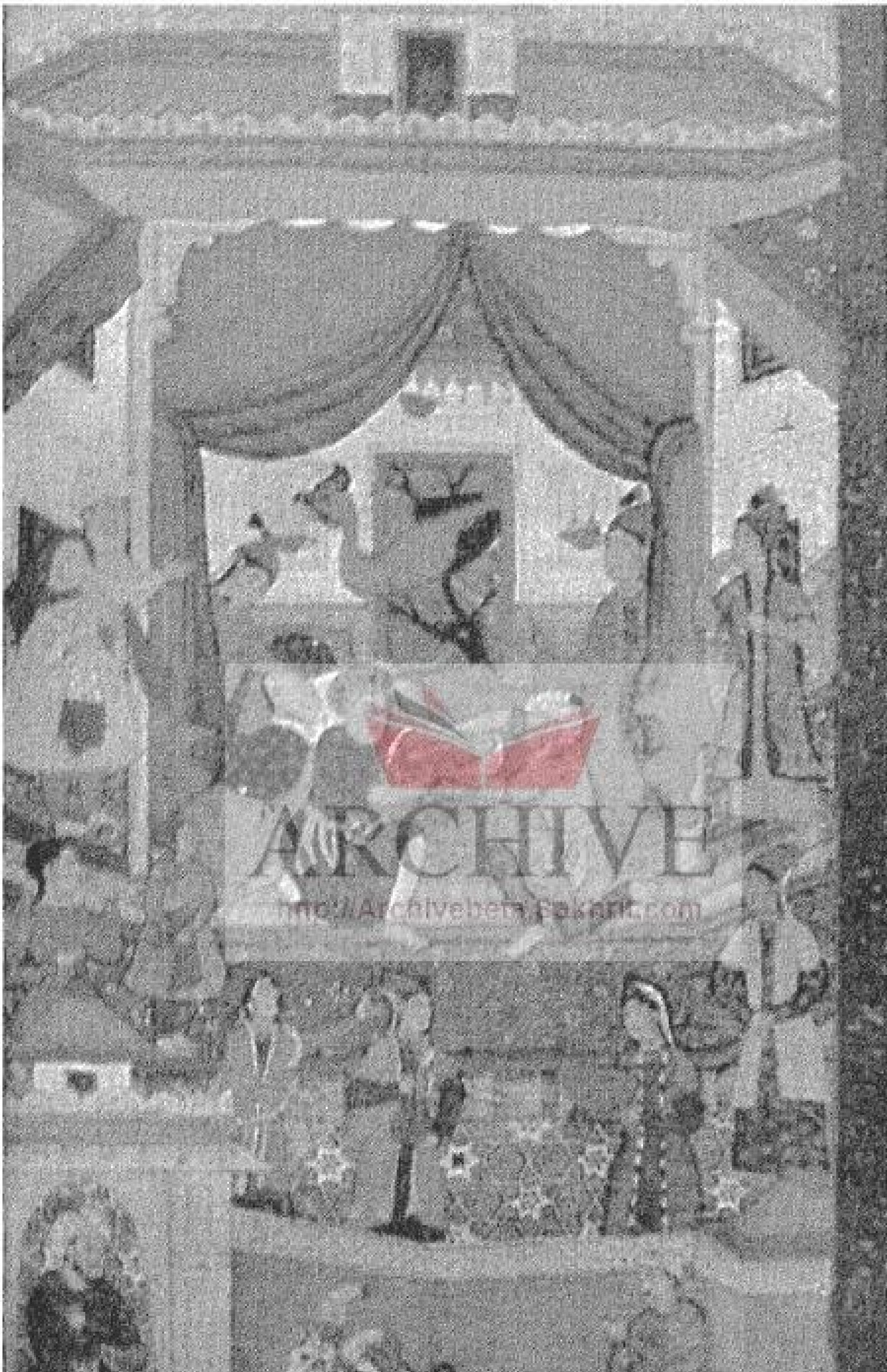
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

أسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٨٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


٢٠
رحلة أسبوعيا
الى ٩ مدن
افريقية
٩٤
رحلة أسبوعيا
الى ١٨ مدينة
بالشرقين
الأدنى والأوسط
وبلدان الخليج
العربي
٦٧
رحلة أسبوعيا
الى ١٨ مدينة
في أوروبا وأمريكا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..


سبتمبر ١٩٦٧ • الثمن ١٠ قروش
الهلال



الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جرجي زيدان عام ١٨٩١ - اول نوفمبر ١٩٨٧ م - ٩ ربيع اول ١٤٠٨ هـ

من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الإسلامى تحمل اسم «كتاب الملوك» وهي احدى لوحات عديدة تصور ميلاد الأمير الهندى رستم فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى. واللوحة المحفوظة بالمتحف الوطني بنيودلهى تكشف مدى اهتمام الفنان بتكثيف العديد من مظاهر الحياة داخل لوحة واحدة ..



الغلاف الاول : رسم وتصميم الفنان حلمى التونى ، ويعبر عن رؤيته لاثر القطار ورحلته عبر المكان والزمان ..

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

●● قضايا ومواقف

●● كتاب الشهر

●● فى الذكرى الستين للسينما المصرية و «ملف الهلال»

فن تشكيلي

قصة وشعر

دراسة الهلال

الأبواب الثابتة

عزيزى القارئ

"ياوابور" قل لى

ما أشبه الليلة بالبارحة ..

جرى أول قطار للأنفاق فى الشرق الأوسط وأفريقيا فى القاهرة الشهر الماضى .. ومع جريه تحت الأرض لابد ان تعود الذاكرة إلى أول مرة جرى فيها القطار فوق أرض مصر فى القرن الماضى .

ينشر "الهلال" ابتداء من هذا العدد مجموعة مقالات بالغة الطرافة والأهمية للكاتب المؤرخ الأديب الاستاذ محمد سيد كيلانى ، اختار لها عنوانا خاصا هو « ياوبور قل لى » .. لانها تروى قصة دخول القاطرة البخارية او « وبور السكة الحديد » الى مصر فى منتصف القرن التاسع عشر ..

و « الوبور » تحريف بسيط للكلمة الانجليزية Vapour ومعناها « البخار » .. وقد اطلقها المصريون منذ دخلت مصر عصر البخار قبل مائة وثلاثين عاما .. على كل آلة كبيرة او صغيرة تعمل بالبخار ، مثل « وبور الماء » .. « وبور الطحين » .. « وبور النور » .. وقبل كل شىء « وبور السكة الحديد » ..

وقد اختار الاستاذ كيلانى عنوانا لسلسلة مقالاته الممتعة ، مطلع الاغنية المشهورة : « ياوبور قل لى رايح على فين » التى غناها محمد عبدالوهاب قبل خمسين عاما فى فيلمه السينمائى الثالث : « يحيا الحب » ومازالت حتى الآن اجمل الاغانى عن قطار السكة الحديد وخدماته فى تقريب المسافات بين المحبين ! ..

ومقالات « ياوبور قل لى » اقتضت من الاستاذ كيلانى جهدا كبيرا فى مراجعة مئات من مجلدات الصحف المصرية القديمة التى مضت عليها عشرات السنين ، والكتب والوثائق المنسية فى اركان دار المحفوظات بالقلعة او فى دار الكتب واماكن اخرى كثيرة ..

وليست هذه أول مرة يكابد فيها الاستاذ كيلانى جهدا من هذا القبيل ، فهذا دابه فى جميع مؤلفاته وبحوثه منذ كان طالبا فى كلية الاداب قبل بضعة وخمسين عاما .. وقد اصدر منذ عشرين عاما كتابا عنوانه « ترام القاهرة » اقتضاه ان يبذل فى البحث

والتنقيب جهدا لا يقل عن الجهد الذى بذله فى رسالته التى نال بها درجة الماجستير ..

وترام القاهرة هو اخو « الوبور » او القطار البخارى الذى دخل مصر قبل الترام بزمن طويل ..

ففى سنة ١٨٥٢ قام روبرت ستيفنسون ، وهو ابن جورج ستيفنسون مخترع القاطرة البخارية وملحقاتها من عربات وقضبان حديدية ، بمد اول خط حديدى فى مصر . وكان المفروض ان يقوم بهذا العمل والده ـ مخترع القاطرة ـ ولكنه مات سنة ١٨٤٨ بعد ان تعلم منه الابن هندسة السكك الحديدية مع عدد اخر من مواطنيه الاسكتلنديين والانجليز ..

ومقالات « ياوبور قل لى » تروى قصة دخول القاطرة البخارية الى مصر وما احدثته من تطورات عميقة سريعة فى المجتمع المصرى كله ، حولته من مجتمع عثمانى مملوكى متخلف الى مجتمع متقدم ..

لقد اخرجت القاطرة مصر من القرون الوسطى الى العصر الحديث ، ونقلتها من عصر الابل والحمير الى عصر البخار قبل ان تنتقل اليه جميع الدول الاوربية ماعدا انجلترا وفرنسا .. ثم كان « الوبور » سببا فى لحاق مصر بعصر المركبات الكهربائية سنة ١٨٩٦ ، فدخل الترام القاهرة واحدث فيها انقلابا اجتماعيا حضاريا .. ثم جاءت السيارة ، وقفزت القاهرة بعد بضعة وثلاثين عاما فقط من بلدة متخلفة موبوءة بالكوليرا يسكنها ثلاثمائة الف ، إلى مدينة عصرية جميلة نظيفة يسكنها اكثر من مليون انسان ، وتنافس باريس وروما فى مرافقها الحضارية الحديثة ! ..

إن « الوبور » كان بداية ثورة المواصلات التى بدأت فى انجلترا قبل مائة وسبعين عاما وهى يومئذ رائدة الثورة الصناعية الأولى . وقد لحقت مصر بثورة المواصلات ، وتغير وجه البلاد من أقصاها إلى اقصاها ، وانفتح الباب لبشائر العصر الصناعى ، وانتقلت بلادنا انتقالا حقيقيا ـ اجتماعيا وسياسيا وفكريا ـ من ظلام عصر المماليك العثمانيين الى نور القرن العشرين . وكان انتقالها ذاك يوحى باعظم الآمال .. فماذا حدث بعد تلك الخطوات التى اوحت بالآمال العظام ؟ ..

إن المقالات التى سيوالى « الهلال » نشرها ابتداء من هذا العدد عن « وبور » الاستاذ كيلانى ، ستلقى ضوءا على جوانب لهذا السؤال ..

ولقد ظن بعض عامة الناس حين شاهدوا القطار والترام والسيارة لأول مرة ، أن هذه البدع المستحدثة من علامات الساعة ، وأمارات آخر الزمان .

وقد خلت الساحة الآن من هؤلاء جميعا ، ولكن ماذا عن افكار هنا وهناك فى ايامنا هذه ؟! .. أتراها تقدمت كثيرا عن افكار أولئك العامة البسطاء فى تلك السنين الخالية ؟!

وماذا اعددنا لعصر الفضاء ، وقد فرغنا من عصر « وبور » البخار وترام الكهرباء منذ نهاية القرن العشرين ، ونحن الآن على مشارف القرن الواحد والعشرين ؟! ..

يا وابور قل لي

بقلم : محمد سيد كيلاني

كان عباس باشا الأول ذا ميول انجليزية وكان مبغضا لكل ما هو فرنسي . وقد أوعز إلى شاعره شهاب الدين المصري المتوفى سنة ١٨٥٧ أن ينظم قصيدتين في مدح الانجليز والإشادة بقوة الإمبراطورية البريطانية والتغني بمفاخر الملكة فكتوريا وزوجها البرت ورئيس الوزراء بلمرستون . ومما جاء في إحدى هاتين القصيدتين :



القطار ورحلة في الزمن والخيال

إذا غضبت فالدهر يبدى تغضبا
وإن رضيت فالدهر يرضى بما فعل
ألا وهى ذات المجد (وكترية) التى
بشوكتها فى الملك قد ضرب المثل
وقد عظُمت كل الممالك شأنها
وما أحد منهم إلا لها امتثل
وان شابهتها فى المفاخر دولة
فهيهات ليس الكحل فى العين كالكَحَل
رعى الله هاتيك المحاسن كلها
وصان بها جيد الزمان عن العطل
وأعلى جناب الشهم البرت زوجها
وما كل من رام العلاء به اتصل

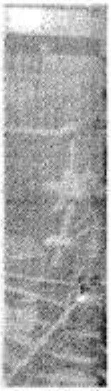
ومنها يذكر بلمرستون :

ودونكما ذاك المشير فإنه
أصالته فى الرأى صينت عن الخطل
بتدبيره كم أكسب الشعب حظوة
بنوا مجدهم فيها على كاهلىْ زحل
فسطوتهم فى البر والبحر أصبحت
قلوب جميع الناس منها على وجل
فهم أهل إنجاد وأصحاب قوة
وصولتهم تعنو لشكوتها الدول

* * *

ظلت مصر حتى نهاية عصر محمد على لا تعرف من وسائل السفر غير السفن الشراعية والدواب .

وفى عصر عباس الأول اقترح عليه بعض الانجليز إنشاء خط حديدى يربط ثغر الاسكندرية بالعاصمة فلم يتردد فى الموافقة وسرعان ما جاءت من انجلترا الأدوات اللازمة من فلنكات وقضبان وعربات وقاطرات ومعها العمال المتدربون على مثل هذا العمل الذى أشرف عليه مخترع القاطرة البخارية جورج ستفنسون . وقتل عباس قبل أن يكتمل إنشاء السكة ولكن العمل لم يتوقف بل استمر حتى تم فى عصر سعيد (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣) وفى عصر هذا الوالى شاهد المصريون لأول مرة السفن البخارية فقد أنشأت شركة كوك خطا ملاحيا يبدأ من القاهرة وينتهى بالأقصر ، وخصصته لخدمة السياح ، كما أنشأت فندقا فخما هناك . ومن ذلك الوقت بدأت السياحة تأخذ طابعا منظما وكثر وفود الأجانب لمشاهدة آثار الفراعنة .



أما الخط الحديدى فقد توقف عند القاهرة . ولما تولى الخديو إسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) امتدت الخطوط الحديدية الى المنيا ثم إلى أسيوط . وكان

الغرض من هذه الخطوط خدمة مزارع إسماعيل فقد كان يمتلك مليونا وأربعمائة الف فدان من أجود الأراضي ومعظمها يقع فى مديريتى المنيا وأسيوط ، كما أنشا مصانع لانتاج السكر .

وفى عصر الخديو عباس الثانى (١٨٩٢ ـ ١٩١٤) امتدت هذه الخطوط إلى جرجا ثم قنا ثم إلى الأقصر التى وصل إليها أول قطار فى السادس من مارس سنة ١٨٩٨ .

وقد عهدت الحكومة إلى شركة سوارس الانجليزية بمد خط يربط بين الأقصر وأسوان . وتشكلت شركات انجليزية لمد خطوط تربط مدن الدلتا . ولم يكد القرن العشرون يهل حتى كانت جميع مدن القطر قد ارتبط بعضها ببعض بالخطوط الحديدية ، واصبح من السهل على الإنسان ان ينتقل من جهة إلى أخرى .

حقا لقد سيطر الانجليز على مصلحة السكك الحديدية فكان منهم كبار

● باب الحديد ١٨٥٦ .. صورة قديمة تخلو من السور الحديدي .



المهندسين وكبار الموظفين . وانشيء في لندن مكتب خاص لشراء مستلزمات هذه المصلحة من فحم وعربات بضاعة وعربات ركاب وغير ذلك . وكان هدفهم تسهيل نقل المواد الأولية من الهند وسرعة تصديرها إلى انجلترا . كما كان غرضهم تجميع القطن من سائر جهات القطر وتصديره إلى الخارج . وكذلك نقل المصنوعات الواردة من بلادهم إلى الشرق . ولكن احدا لا يستطيع ان ينكر فضل السكك الحديدية في تغيير معالم البلاد الاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

لم يرق في أعين الفرنسيين أن تستأثر انجلترا بهذه المغانم ، وكان كل من سعيد واسماعيل ذا ميول وثقافة فرنسية . فاجتهد ديليسبس في الحصول على امتياز حفر قناة السويس ، وبذلك حدث توازن بين النفوذين الإنجليزي والفرنسي .

ثم وضعت قوانين خاصة بالسكك الحديدية توقع عقوبات على من يعطلها عمدا ، أو يتلف شيئا منها .

ونظرا لازدياد عدد القطارات واتساع حركة النقل بالسكك الحديدية رؤى إنشاء ورش لإصلاح القطارات فانشئت ورش عنابر بولاق سنة ١٩٠٠ .

● محطة سكة حديد مدينة الاسكندرية وترجع الصورة الى عام ١٨٥٦ .



وكانت توجد بالعاصمة محطتان : محطة السبتية للوجه القبلى وأخرى ... محطة كوبرى الليمون للوجه البحرى .

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ١٤ مايو سنة ١٨٩٢ جرى احتفال بوضع الحجر الأول فى بناء محطة القاهرة . وقد وضعت أصناف العقود م... سجل البناء المفتتح باسم الجناب الخديوى المعظم ، ونسخ من جميع الجرائد العربية والافرنجية التى تطبع فى الديار المصرية فى علبة كبيرة ختم عليها بالرصاص . وحضر هذا الاحتفال كبار موظفى نظارة الأشغال العمومية ومصلحة السكك الحديدية . كما أن شركة سوارس ربطت ضاحية حلوان بالعاصمة بخط حديدى . ومثل هذا تم بين القناطر الخيرية والقاهرة .

● تغير الحياة الاجتماعية

أدى إنشاء محطة العاصمة فى هذا الموضع إلى ازدحام الجهات القريبة بالفنادق والمطاعم والحانات والمقاهى . وكان موظفو السكك الحديدية يسكنون فى حى الفجالة ومنهم من سكن فى حى شبرا . كما أن الطبقة العاملة سكنت فى حى السبتية والقللى . وكان موظف بالسكة الحديد اسمه مسرة يملك أرضا فضاء فى الشارع الذى يحمل اسمه فشيد بها بعض المنازل وأجرها لموظفى السكة الحديد .

وكانت ترعة الاسماعيلية تمر بميدان باب الحديد ، وكانت شواطئها تتخذ كمراحيض حتى أصبحت قذارة أوضار تنبعث منها الروائح الكريهة إلى مسافات بعيدة فتصدم القادمين إلى العاصمة من مصريين وأجانب . وقد أقيم على هذه الترعة كوبرى صغير ليعبر عليه الناس ، واتخذه باعة الليمون مكانا يعرضون فيه بضاعتهم . ومع أن هذا الكوبرى قد زال من الوجود فإن ذكره لا يزال يدور على الألسنة فيقال محطة كوبرى الليمون .

وترتب على ما تقدم أن فقد حى بولاق « أبو العلا » أهميته ، إذ كان قبل إنشاء السكك الحديدية محطة نهرية ترد عليه السفن من مختلف الجهات . وإليه يقصد المسافرون ليستقلوا السفن الشراعية التى تنقلهم الى بلادهم . ولذلك كان هذا الحى عامرا بالوكالات التجارية مثل وكالة البلح والبن والصابون وغيرها .

وتغيرت جغرافية المدن ، فبعد أن كانت تنشأ على شاطىء النيل أصبحت تقوم على جانبى السكك الحديدية . وأقبل المصريون على السفر بالقطار ، إذ بلغ عدد ركاب الدرجة الثالثة تسعة ملايين راكب سنة ١٨٩٦ .

* * *

وباجتماع محطتى الصعيد والوجه البحرى فى مكان واحد ، أضحى ميدان

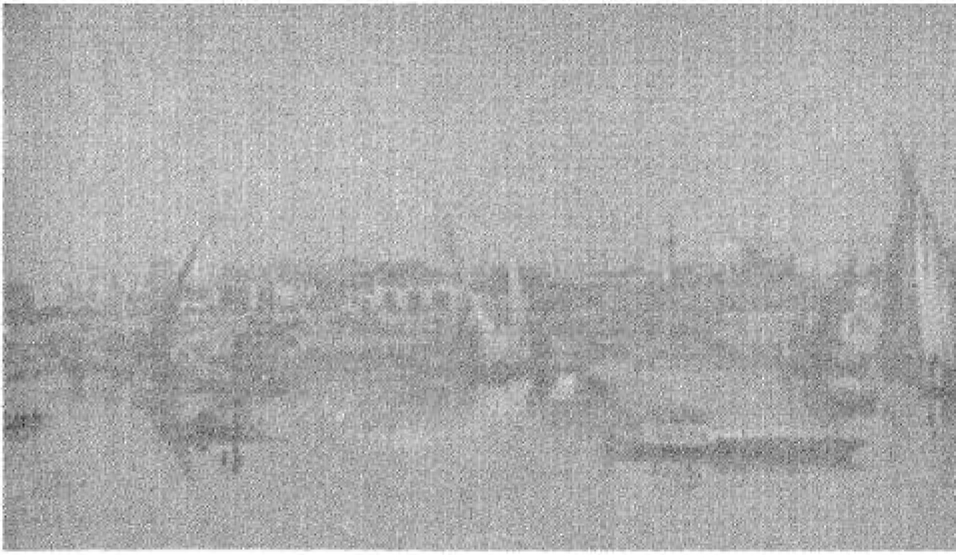
الحديد من أوسع ميادين العاصمة وأخطرها وأشدها ازدحاما بالجماهير وبوسائل النقل . فتخترقه السيارات العامة القادمة من شرق المدينة أو غربها ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس . وتظل الحركة فى الميدان طوال اليوم إلى ساعة متأخرة من الليل وخاصة بعد أن اكتظ حى شبرا بالسكان وجهات الزيتون والمطرية وعين شمس . لذلك وافقت الحكومة على إنشاء نفق يخترق الميدان وينتهى بباب اللوق فربما يخفف من شدة الزحام فى تلك الجهة . أما ميدان أحمد حلمى فقد انشىء فى الخمسينيات .

وكما يحدث فى كثير من بلاد العالم فقد اندس اللصوص والنصابون والمحتالون وسط الزحام وشرعوا يزاولون جرائمهم وبخاصة مع القادمين من الأرياف .

وفى أوائل الثلاثينيات خصصت مصلحة السكك الحديدية نظاما سهل على الموظفين قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى الاسكندرية ، ذلك فى قطار البحر الذى كان

● سوارس كانت وسيلة الانتقال المحلية التى سبقت القطار





صورة لمرسى بولاق رسمها الباحث الاثرى روبرت هاى تبين مدى اعتماد القاهرة على النقل الشراعى

● وتوافد البشر الى العاصمة عبر القطارات يملأون ميادينها ويشغلون مقاهيها .



يغادر العاصمة ظهر الخميس ليعود صباح يوم السبت . وكانت أجرته زهيدة في الذهاب والإياب .

● السيارة .. منافس خطير

لم يطل احتكار القطار للنقل السريع ، بل سرعان ما ظهر له منافس خطير ، وأعني به السيارة . فقد اشترى الخديو عباس سنة ١٨٩٨ "عربتين من العربات التى اخترعت حديثا وتعرف باسم أوتوموبيل ، وهى كالعربة المعتادة ولكنها تسير بقوة الكهرباء الموضوعة أدواتها بأسفل العربة بين العجلات" [عن المؤيد] . وحذا حذوه الأغنياء .

وفى نوفمبر سنة ١٩٠٨ شاهد سكان القاهرة السيارات العامة لأول مرة تخترق الشوارع .

ولما جاء لورد كتشنر معتمدا بريطانيا في سبتمبر سنة ١٩١١ وكان عسكريا بطبعه وبيئته . تحول نظره إلى إنشاء الطرق على النمط العسكرى ولخدمة الأغراض العسكرية البريطانية . فأمر بانشاء طريق يربط القاهرة بالاسكندرية ، وآخر ربطها بحلوان والضواحى . وطلب إخراج المسجونين للعمل فى هذه الطرق فأنجزت هذه المشروعات سنة ١٩١٢ ، وسافر كتشنر بالسيارة من القاهرة إلى الاسكندرية . ولكن هذه الطرق كانت ترابية ، وكانت ترش بالماء .

وقد فرضت معاهدة سنة ١٩٣٦ على مصر القيام بتعبيد عدة طرق علاوة على ماسبق ذكره ، منها طريق مصر ـ السويس والاسماعيلية . ثم غطيت هذه الطرق كلها بالاسفلت فسهلت السير على السيارات .

وإذا كان القطار قد ربط بين المراكز والعواصم ، فإن السيارة قد ربطت بين القرى والكفور والنجوع ، وصار فى إمكان الفلاح أن ينقل بضائعه من فواكه وطيور وخضار إلى المدن فى أى وقت شاء ودون مشقة ، ولم يكن هذا متيسرا من قبل لأن القطار له مواعيد محددة ، ويحتاج إلى إجراءات معقدة . أما السيارة فكانت تتحرك من الباب إلى الباب . وهكذا نشأت مصلحة الطرق والكبارى . كما نشأت إدارة المرور التى يعمل فيها آلاف من العساكر والضباط .

وقد احتكر العمل على السيارات عناصر أجنبية قبرصية ومالطية ويونانية . فكان منهم السائقون والذين يتولون إصلاح ما يتلف منها . وقد تتلمذ عليهم المصريون واستفادوا منهم كثيرا . كما أنشأت محطات البنزين التى يعمل فيها آلاف المصريين الآن . وقد كثرت حوادث تصادم السيارات فى مصر كثرة فاحشة وراح ضحيتها عدد لا يحصى من الرجال والنساء والأطفال . كما استخدمت السيارة فى ارتكاب الجرائم ، وفى الأمور المخلة بالآداب .

● مصر.. بعد ظهور القطار ●

كان المصرى قبل ظهور القطار يعيش منعزلا فى مدينته أو قريته ، لا يدرى شيئا من أحوال البلاد الأخرى فضلا عن العالم الخارجي . وكان الانسان فى المدينة اذا انتهى من امور معاشه توجه إلى منزله . ولم يكن الفلاح فى قريته يعرف من أمور دنياه سوى غيطه وبهيمته ، ومن أمور دينه غير أستاذ طريقته . وكانت رأسه ملأى بعبارات الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة .

أما بعد امتداد الخطوط الحديدية فقد أمكن للمصرى أن ينتقل من جهة إلى جهة وهو آمن مطمئن . فبدأت آفاقه تتسع ومعلوماته تزداد ويعرف كثيرا من عادات الآخرين وتقاليدهم . وانتشرت الجالية اليونانية فى جميع جهات القطر من الاسكندرية إلى أسوان إلى بورسعيد ، وأخذت تفتح الحانات والمقاهى وتبيع المخدرات فبدأ ضعاف النفوس من الشبان يتعاطون الخمر والسطل . جاء فى تقرير كرومر ما نصه « لا تكاد قرية من القرى المصرية تخلو من حان لبيع المسكرات . واصحاب هذه الحانات هم عادة من اليونان . ولا ريب أن تاثيرها كان سيئا فى آداب الأهالى . ولم اسمع من معتبرى المسلمين شكوى بقدر الشكاوى العديدة الحقة التى سمعتها منهم بهذا المعنى »

● ● ●

وكان الناس يستقبحون اسم « القهاوى » على ألسنتهم فضلا عن جلوسهم عليها ، لأن الشهامة كانت تمنعهم من الجلوس فى محلات لم تخلق إلا لأقوام خلعوا



● دليسبس



● كيتشنر



● الملكة فيكتوريا



المعممون والمطربشون .. كل ذلك كان من بالي بدخول القطار الرسمى فالزى ايضا تغير



برقع الحياء وانساقوا مع شهواتهم وملذاتهم فصار كل شيء عندهم حسنا . ولذا كان الإنسان يرى البيوت آهلة عامرة بالناس ، وقلما يخلو بيت من البيوت ولا يكون فيه جماعة يتجاذبون اطراف الأحاديث النافعة .

اما بعد ظهور القطار فقد انعكست القضية ، وهجر الناس بيوتهم وصار العظيم والحقير على حد سواء في الجلوس على المقاهي .

قال الشيخ محمد عبده (المنار في ٢ ـ ٨ ـ ١٨٩٨) تحت عنوان "منتدياتنا العلمية وأحاديثها" . تعقد عندنا المجالس ولكن على ذكر أنواع الخمور والمسكرات . يطرب المجتمعون فيها بذكر أوصاف الغيد الحسان ، ويصرفون ثلثي الليل على قهاو يشربون فيها من المواد الممزوجة بالعقاقير السامة قدرا لا تسوغه طباع الوحوش الضارية ولا الأسود الكاسرة . وفي خلال ذلك يتناقشون ويتخاصمون حيث إن كلا منهم يفضل مألوفه من ذلك ويعدد أوصافه ويذكر محاسنه من صور عيون ورقة خصور ، وعذوبة منطق . ويحتج عليه بأن فلانا لا يبيت في ذلك المخدع ولا يطأ ذلك الموضع حتى يدفع عشرين أو ثلاثين جنيها"

وقد أخذت العادات والتقاليد الأوربية تحل شيئا فشيئا محل العادات الموروثة في

● تغير شكل البناية في شوارع المدينة بعد دخول القطار .. واعتبر فندق شبرد بهيكله نموذجا لهذا التطور





● عباس الاول



● محمد على باشا



● الشيخ محمد عبده

الملبس والمسكن والمأكل ، وفى حفلات الافراح وتوسع الناس فى استخدام البترول فى شئون المنزل وفى الأضاءة وإدارة الآلات والسيارات .

وبعد ظهور القطار وفد على القاهرة أعيان البلاد وأغنياؤها وتركوا المدن والقرى التى كانوا يعيشون فيها من قبل حتى أقفرت منهم ، وشيدوا القصور فى العاصمة وسكنوها وانعزلوا عن بقية أفراد الشعب . وقد حدث أن زار لورد كتشنر المعتمد البريطانى فى ذلك الوقت منية المرشد سنة ١٩١٣ ونزل ضيفا على فتح الله بك بركات فاثنى عليه وعلى أفراد أسرته لاختيارهم بلدهم مقرا لسكناهم ، وتمنى لو سلك كبار الأمة وذوو المكانة فى البلاد هذا المسلك .

وقبل ظهور القطار لم يكن للإدارة الحكومية وجود ، ولم تكن الحكومة تعرف شيئا عما يدور فى البلاد وخاصة البعيدة عن العاصمة . حقا لقد ارتبطت جميع البلاد بخطوط البرق منذ عصر محمد على ، ولكن هذا لم يكن كافيا لكى تثبت الحكومة سلطانها وهيبتها فى طول البلاد وعرضها .

فلما ارتبطت المدن بالخطوط الحديدية أنشأت الحكومة فى كل مدينة الأجهزة الإدارية اللازمة مثل مركز للشرطة ومحكمة شرعية وأخرى أهلية ومكتب للبريد وآخر للبرق وإدارة للكنس والرش والإطفاء ، فضلا عن محطة للسكة الحديدية ومكتب للصحة به طبيب يشرف على قيد المواليد والوفيات . وانشىء فى كل

مدينة ميدان صغير وحديقة عمومية . وقد تطلبت كل هذه الأجهزة تعيين عدد من الموظفين . وهكذا ظهرت طبقة الأفندية فى الأقاليم بعد أن كانت محصورة فى العاصمة .

ولما كانت الملابس الأوربية آخذة فى الانتشار فقد احتاج الأمر إلى خياطين متخصصين فى القمصان والبدل والمعاطف والأحذية . ولم يكن للمصريين عهد بهذه الأمور فخلا الميدان لليونان والأرمن لمزاولة هذه الأعمال . وبمرور الزمن أخذ المصريون يتعلمون هذه الصناعات ومهروا فيها . كما أن أعمال الكهرباء وإصلاح مواقد البترول والآلات البخارية والسيارات ظلت وقفا على العناصر الأجنبية مدة من الزمن . ومثل هذا يقال عن تركيب الأدوات الصحية فى المنازل . وكذلك أعمال الطباعة والزنكوغراف والتجليد كانت كلها فى يد الأجانب ، الذين كثر وفودهم على مصر لان مجال العمل كان أمامهم مفتوحا .

* * *

وبعد ظهور القطار أخذت الأسلحة النارية تتسرب إلى جميع جهات القطر ، وترتب على هذا ظهور عصابات تغير على القرى والمدن وتقطع الطرق وتنهب وتسلب وتخطف الرجال والأطفال وتطلقهم نظير فدية مثال ذلك ما جاء فى صحيفة المقطم (٢٥ ـ ١ ـ ١٨٩٧) وهو "ظهرت عصابة خطيرة من اللصوص وقطاع الطرق يتزعمها على سليم فى مديرية قنا وقتلوا ملاحظ شرطة أبو شوشة . فدعاهم بطرس بك عبد الشهيد ليختبئوا عنده . فلما استقر بهم المقام أرسل سرا إلى الشرطة فجاء أحد الضباط على رأس عدد كبير من رجال الشرطة يطلب منهم التسليم فأبوا ، وكانوا ثمانية رجال ومعهم كمية كبيرة من الذخيرة والبنادق . فصعد رجال الشرطة على سطح الحجرة ، وفتحوا ثغرة فى السقف وأطلقوا عليهم النيران فاشتعلت الذخيرة وماتوا جميعا حرقا . وقد ثبت أنهم خربوا أربعين قرية من قرى مديرية قنا وشردوا سكانها وتسببوا فى حبس أربعمائة رجل من عائلات معروفة" .

وقد شاع التسمم فى بلاد الريف إلى درجة مخيفة أصبحت معها حياة كل مقيم فى تلك الجهات مهددة وكثيرا ما ذهب الابرياء فريسة بجريرة المذنب ، بمعنى أن المرأة أو الرجل الذى يرغب فى قتل آخر بهذه الطريقة يضع له السم فى أكل أو شرب ، ويقدمه له فيتصادف أنه لا يأكل منه ، بل يكون من نصيب آخرين غير مقصودين فتذهب أرواحهم فداء للمنتقم منه . وقد أصبحت هذه الجواهر السامة الرخيصة القيمة سلاحا بسيطا للجهلاء يضعونها لمن أرادوا فيزهقون روحه حتى امتلأت المحاكم بهذه القضايا التى يصعب إثباتها على المتهمين .



ولما كثرت جرائم القتل بالأسلحة عقب ظهور القطـــار غيرت الحكومة فى القانون الجنائى .

ومن أسباب استخدام سلاح السم ما حدث فى الأرياف من فساد بعد ظهور القطار . فإنك تجد رجلا يعشق امرأة ويهواها ، ثم يحبها رجل آخر ، وهى بالطبع تميل إلى أحد الرجلين ، فيعمد الآخر إلى إعدام هذا المزاحم ليخلو له الجو فينفرد بصاحبته . أو أن امرأة تهوى رجلا وتريد الزواج منه وهى لا تقدر على التخلص من عقد الزوجية مهما أكرهت الزوج على ذلك فتدس له السم فيموت وتقع هى تحت طائلة العقاب .

وقد أخذ الوازع الدينى يضعف يوما بعد يوم . ولا أدرى لماذا وجه بعض الكتاب حملاتهم على مدينة المنصورة بالذات . فقد كتب أحدهم فى صحيفة الفلاح (١٦ ـ ٢ ـ ١٩٠٠) مقالا جاء فيه "ولما كان المتجول فى بعض شوارع هذه المدينة ـ أى المنصورة ـ يراها أصبحت محلا للفجور والفحشاء ، ومرسحا تمثل فيه الرذيلة بأشكال لم تنزل من السماء يعود ـ ولا شك ـ ساخطا ساخرا خصوصا إذا رأى شبانها منعكفين على حب الشهوات ، مجدين وراء الملذات » .

وكتب آخر فى صحيفة الدستور (٢٦ ـ ١ ـ ١٩٠٨) مقالا جاء فيه "سافرت

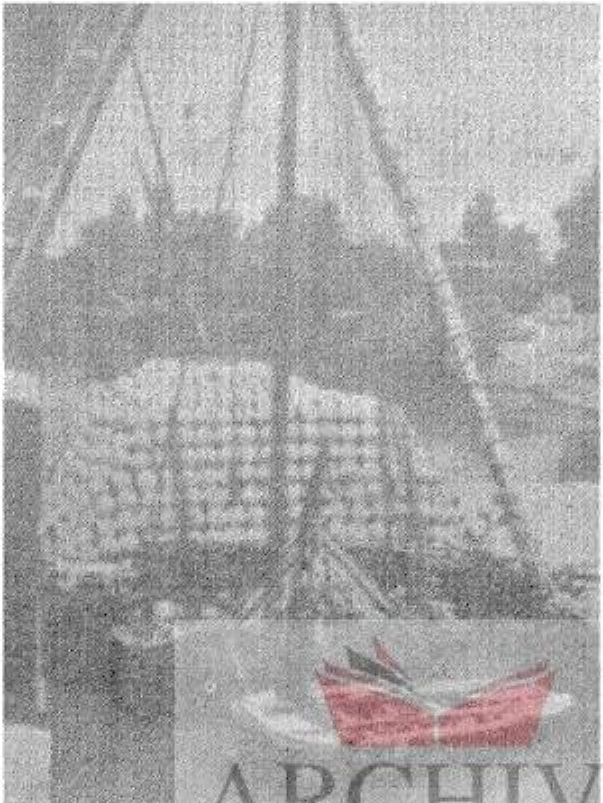
إلى المنصورة لأشغال خصوصية . وبقدر ما سرني عمرانها ساءني حالة شبابها الأدبية ، فقد رأيت منهم تحرشا بالسيدات وتحككا بالأوانس ومغازلة للمخدرات ، من هذه الأمور المعيبة والفعال الشائنة .

نعم ، لا أنكر أن هذا الداء الخبيث سرى في جسم الأمة جمعاء سريانا ينذر بالخطر الشديد ، ولا أغالي إذا قلت إن الشيوخ يشاركون الشبان في هذه النقائص ، ولكن الحق أقول رأيت من بعض الشبان اندفاعا في هذا المأزق الخطر وتوغلا في ذلك السبيل الممقوت بدرجة فظيعة يبكي لها العفاف ويئن الأدب وتتألم الفضيلة وتتوجع الإنسانية ، ولا أكون مزكيا نفسي إذا قلت إن فؤادي كاد يذوب من جراء ذلك ، بل انهمر مدمع عيني مدرارا مما شاهدت"

وفي الدعوة إلى ارتكاب المعاصي يقول عباس محمود العقاد :

يانديم الصبوات	أقبل الليل فهات
واقتل الهم بكأس	سميت كأس الحياة
خمرة تملأ قلبي	بقديم الذكريات
إن في الخمر لصحوا	من خمار الحادثات

وجاء في مجلة المنار (١٢ - ٧ - ١٨٩٩) مقال تذكر منه "بعض ما شاهدته في الديار المصرية مما يذهب ثروة أهلها وملاشاتهم من ظلوا على سباتهم وغفلتهم ، وذلك أني زرت الديار المصرية منذ عشرين سنة ، وزرتها في العام الماضي فوجدت فرقا كليا في الزيارتين . وجدت في الأولى مصر للمصريين . وفي الثانية وجدت مصر للدخلاء والغرباء وجدتهم قابضين على الوظائف المهمة والأشغال العمومية . وجدت المالية بيدهم وكذا التجارة والبنوك . وجدت الوطنيين حالات صماء بأيديهم . وجدت أكثر أبناء الأعيان الذين هم رجال المستقبل منغمسين في المنكرات ، عاكفين على اللذات ، ينفقون المال جذافا في سبيل البذخ والشهوات . وكثير منهم باعوا ما تركه لهم أسلافهم من الأطيان والعقار ، وأضاعوه في المقامرة وأخواتها من الفواحش . وجدت الوطنيين مثقلين بالديون للأجانب . وجدت أكثر سراتهم ووجهائهم عاكفين على اللهو والبطالة وأحوالهم في تأخر وتقهقر ، والأجنبي يبتز أموالهم ويتملك أطيانهم . وإذا سافر أحدهم إلى البلاد الأوروبية - كما هي عادتهم في الصيف إبان القيظ فلا يعود منها بتجارة أو صناعة تعود عليه وعلى بلاده بالنفع والفائدة ، بل بأحمال من الأزياء والعادات الإفرنجية التي تذهب بجانب كبير من ثروتهم إن لم تذهب بمجموعها" .



رغم تطور النقل البرى بالقطارات ، فإن النقل النهرى لايزال صالحا لبعض السلع دون غيرها

"ثم جلت فى الأرياف حتى انتهيت إلى الحدود فرأيت مثلما رأيت فى البنادر الكبيرة وزيادة . رأيت الدخلاء قد نصبوا فيها للفلاحين المساكين فخاخ المسكر والميسر والفواحش والربا الفاحش يوقعونهم فيها ويستولون على أطيانهم . وقلما مررت بكفر إلا رأيت فيه المواخير والحانات ومحلات المقامرة والفحش ، والعمد والفلاحين عاكفين عليها أى انعكاف" .

● ضرورة التغيير

ولما كثرت جرائم القتل بالأسلحة النارية عقب ظهور القطار ، أو بالسم اضطرت الحكومة إلى إدخال تغيير مهم فى القانون الجنائى . وقد جاء فى تقرير المستشار القضائى (المقطم فى ٢٤ ـ ٣ ـ ١٨٩٨) مانصه : "فى سنة ١٨٩٧ ادخل على قانون العقوبات تغيير مهم ، فإن المادة (٣٢) التى ألغيت منه كانت

تشترط فى الحكم بالاعدام احد أمرين : إقرار المتهم بجنايته أو شهادة اثنين يشهدان برؤيته يرتكب تلك الجناية . ولما كان من النادر أن يقر جان بجنايته أو يرتكبها على مرأى من شهود فلم يتيسر للمحاكم أن تقيم الحد منذ نشأتها أى فى ظرف ١٤ سنة سوى ٢٧ مرة ، على ان القطر لم يصل من النظام والحضارة الدرجة التى يمكن معها أن يبطل هذا الحد بغير أن يلحق الأمن العام ضرر من ذلك"

"ولقد مضى على هذه المادة زمن ، ولم يفكر احد فى طلب الغائها كان يظن من ان ذلك يخالف احكام الشريعة الغراء . ولما لوحظ ان شرائع البلاد الإسلامية الاخرى ليس فيها ما يماثل هذه المادة ، بحث عن أصل ذلك التقييد فى الحكم بهذه العقوبة فى أعظم الكتب الفقهية فاستدل منها على أن حذفه لا يكون فيه مخالفة للاحكام الشرعية . وفى الواقع إن القانون المعمول به الآن فى بلاد الدولة العلية يجيز الحكم بالقرائن فى كل الأحوال .

فبالنظر لهذه الأسباب رات الحكومة أن تلغى هذه المادة ليكون الإعدام جائز الحكم به متى ثبتت التهمة بطريق من طرق الإثبات العمومية بدون تقييد بإقرار أو شهادة أسوة بالعقوبات الأخرى ، وقد كان" .

وكان حكم الإعدام ينفذ علنا فى ميدان باب الخلق ، وفى ميادين المديريات فى الأقاليم .

* * *

وكان وباء الكوليرا يظهر من حين إلى حين ويفتك بالأهالى فتكا ذريعا فأغلقت المدارس والكتاتيب وامتد الوباء إلى الحدود وقضى على عدد من الجنود يزيد على مائتين وعدد من الضباط المصريين والانجليز .

وكان الأهالى يتسترون على مرضاهم لسوء معاملة رجال الصحة فإنهم كانوا يشرحون الموتى أمام أهلهم ، ولا يكفيهم ذلك ، بل يلقونهم على قطع الخشب معرضة لحرارة الشمس . وقد حدث صدام بين الأهالى ورجال الصحة فى مصر القديمة وبولاق وباب الشعرية .

وانتشرت الشائعات فمن قائل إن مصر ليس بها داء ولا وباء بل ان الذين يموتون فإنما يموتون بسم الأطباء ، وهذه سياسة انجليزية . ومن قائل إن أناسا يلقون حلوى مسمومة فى الطريق لياكلها المصريون ويموتوا بها . ويقولون إن الاحتياطات الصحية مخالفة لنصوص الشريعة الإسلامية وإن أطباء الصحة لا

... طبيب قسم الدرب الاحمر فى إصابة ... بعد الشوام من أروقة الجامع الأزهر ، فذهب لنقله الى المستشفى لأنه يقيم فى مكان لا يمرض به عليل ، ومحافظة على صحة الطلبة . فامتنع رفاقه عن تسليمه وعن السماح بتبخير الرواق وطردوا الطبيب فاستغاث حينئذ بمعاون شرطة الدرب الأحمر فذهب المعاون ومعه بعض العساكر فلم يمتثل الطلبة لأوامره فأرسل اشارة إلى المحافظ فجاء ومعه البكباشى منسفيلد وكيل الحكمدار وأخذ يلاطف الطلبة ويكلمهم بالحسنى ليرجعوا عن موقفهم فأبوا أن يصغوا اليه وتطاولوا عليه وعلى من معه وشتموهم ورجموهم بالأحجار ، وأقفلوا الأبواب كلها ومنعوا العساكر من الدخول .. وأصاب المحافظ حجر فى فمه وآخر فى رجله ، وأصاب البكباشى منسفيلد حجر فى رأسه فشجه وأسال دمه .

ثم اتحد الطلبة جميعا وتسلقوا الجدران وجعلوا يرجمون رجال الشرطة بالحجارة فجرحوا بعضهم . ونما الخبر إلى كولس باشا حكمدار العاصمة فسار ومعه مائة من المشاة وخمسون فارسا . ولما وصل إلى الجامع كان الطلبة مازالوا يقذفون الأحجار حتى ملأوا الشارع بها . فلما رأى المحافظ أن العساكر باتوا فى خطر أمر بإطلاق النار فقتل أربعة طلاب وأصيب خامس ، واعتقل عدد منهم وحقق معهم وقدموا للمحاكمة أمام محكمة السيدة زينب ، وصدر الأمر باغلاق رواق الشوام لمدة سنة ، ولكن الخديو عباس أصدر عفوا عن هؤلاء الطلبة وأمر بإعادة فتح الرواق .

• • •

وكان الناس فى الأقاليم ينظرون إلى طبقة الأفندية نظرة شك وارتياب فهم فى رأيهم خارجون عن الوطنية لتركهم الزى الوطنى واتخاذ الزى الافرنجى قال طه حسين « ... ولكننا نقول إن للشرق زيا تدعو إليه طبيعته وللغرب زيا يقتضيه جوه وإقليمه . فليس تبديل الزى الغربى بالزى الشرقى فى الشرق صادرا إلا عن نفس مرتبكة مختلطة ومزاج غير مستقيم » ، وكان الأولاد يجرون وراء أى افندى صائحين "افندى طز أكل اللحمة وخلى الرز" وكان الأمر الذى حير الناس هو كيف يستطيع الأفندى ان يجلس فى المرحاض لتنزيل ضرورة . واطلقوا على كلمة "بنطلون" اسم "عنطلوز" ويقولون "لبسوك العنطلوز يامحمد ياولدى فكيف ومن اين يذهب عنك الأذى ؟"

ولم يقف الأفندية صامتين إزاء هذا الهجوم وتلك السخرية ، بل قابلوا المثل بالمثل فكنا نسمع "العمة وقعت فى البير وصاحبها واحد خنزير" وغير ذلك .

القفز على الأشواك

تفريخ الباحثين

بقلم: د. شكري محمد عياد

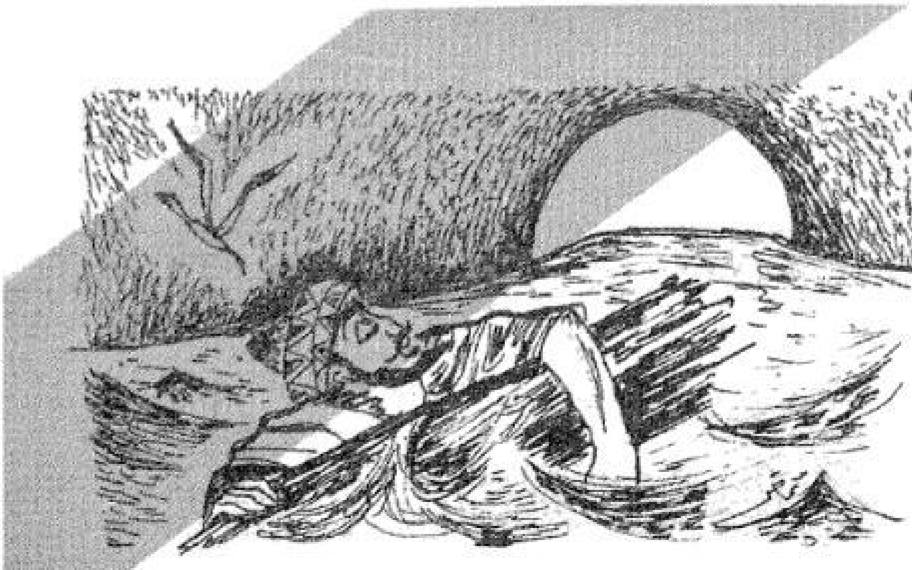
لايمكن تفريخ الباحثين مثل الكتاكيت ..

ولكن هذا هو بالضبط ما نفعله عندما ننشىء دراسات عليا فى بضع عشرة جامعة ممتدة بطول الوادى وعرضه، ومنح ماجستيرات ودكتورات بدون حساب، لنقول إننا خرجنا أو فرخنا كذا ألفا من «الأفراد العلميين». فإذا سألت أين نحن من التقدم المذهل الذى حققه العلم فى العصر الحاضر، فلا يكاد يمضى يوم بدون كشف جديد، تولى الدمع عن قلبى الجوابا. وكيف نضيف إلى العلم جديدا ومكتباتنا - مع فقرها - مخربة منهوبة ومعاملنا ملقاة فى العراء أو مطروحة فى المخازن يعشش عليها العنكبوت ..

أما آن لنا أن نجدّ؟ أما آن لنا أن نفيق؟

بلى، قد آن ..

وكم سعدت حين استمعت إلى ندوة على التليفزيون من بعض كبار الزراعيين، اعترفوا خلالها بأن الاكتشافات الثورية فى العلوم الزراعية، والتى توالت منذ الخمسينيات، بقيت مجهولة لدينا إلى سنوات معدودة، الآن أصبح لدينا مركز لأبحاث الهندسة الوراثية، وأكثر من مركز واحد لأبحاث



زراعة الصحراء .. شعورنا المفاجىء بتخلفنا فى العلم هو بداية العلم ، وربما كان اضطرارنا فى الأعوام الأخيرة إلى استيراد معظم غذائنا هو الذى حفزنا الى التطلع الى مزيد من العلم فى باب انتاج الغذاء ، فحركة العلم تبدأ من حركة الحياة ، والبحث العلمى لا يدور فى فراغ ، ولكنه ينطلق من الواقع ليعود إلى الواقع ، ينطلق من مشكلة قائمة ليعود باقتراح الحل ، أو بخطوة نحو اقتراح الحل ..

وهذا كلام لم يعد مجهولاً لأحد .. وأظنهم يدرسونه فى أقسام الفلسفة والعلوم الاجتماعية فى جامعاتنا ، أما الكليات العلمية فلم اسمع انها عنيت يوما بفلسفة العلم أو تاريخ العلم ، فهذه الكليات لا تزال محتفظة بطابعها الأصلى كمدارس عليا أنشئت لتخريج مهنيين ، أما « كليات العلوم » فتقف نموذجا فريدا ، لا هى بالكليات المهنية - كالطب والهندسة - ولا بالكليات النظرية ، وقد خرجت من عصر كان شعاره « العلم للعلم » إلى عصر أصبح شعاره « العلم للمجتمع » ، أو العلم للتطبيق العملى ..

وأينما وجهت نظرك ، سواء سمعت كلاما محفوظا معادا عن المنهج العلمى وفلسفة العلوم أم سمعت معادلات وقوانين فى صفحة بيضاء أنزلت من السماء ، فمفهوم العلم كحركة ذهنية لاكتشاف المجهول غائب فى جميع الأحوال ..

ولعلى لا أبالغ حين أقول أن الصفة الغالبة على الكتابات العلمية عندنا هى النقل ، حتى كتب « المنهج العلمى » ، التى تتحدث عن الملاحظة والتجريب وصياغة المشكلة والفرض والاختبار والقانون ومجال القانون ، تكتفى بنقلها بعد حذف ما يستعصى علينا فهمه ، لقد تخلفنا عن حركة العلم مرتين : مرة طوال العصر التركى حين سيطرت الخرافة ، ومرة طوال العقود الثلاثة السابقة التى شغلنا فيها بغير العلم ، وانقطعنا عن

القفز على

الأشواك

المراكز العلمية المتقدمة في الغرب ، فطبيعي إذن أن ننقل عن الغربيين .. ولكن الحقيقة المزعجة هي أننا بدأنا مرحلة النقل منذ مائة وثمانين سنة تقريبا ولم نتجاوزها إلى مرحلة الابتكار حتى الآن .. ولذلك فقد يمكننا القول أن عندنا « علما » ولكننا لا نستطيع القول إن عندنا بحثا علميا يعتد به ، لأن البحث غير المبتكر لا يعد بحثا ، إنما هو نقل ، ولو سميته بحثا ومنحت صاحبه درجة الماجستير أو الدكتوراه ..

● أصل الداء

ولا يمكن تفسير الإهمال الفظيع الذى تعانى منه مكتباتنا ومعاملنا بمجرد « التسيب » أو ضعف الرقابة ، فإننا لا نجد مثل هذا القدر من التسيب في خدمات المواصلات أو الصحة أو التموين مثلا ، إنما التفسير الأقوى هو أن مفهوم البحث العلمي غائب من حياتنا ، مهما وجد عندنا من دراسات عليا ومنح من درجات الماجستير والدكتوراه ..

ولعلنا حين نأمل اليوم في أن تنطلق حركة بحث علمي حقيقي ، من مراكز مخصصة للبحث ،* تعالج مشكلات التخلف في الإنتاجية ، لا نراعي فقط مفهوم العلم في أحدث مراحله ، وهي مرحلة الارتباط الوثيق بالتكنولوجيا ، [illegible]

الخطوة المفهوم الكلاسيكي للعلم ذاته ، وهو أن العلم بحث متجدد ، وليس مجرد نقل وتفسير وإعادة تفسير ، أن العلم اكتشاف ، لا مجرد تحصيل ، والمعلم الماهر هو من يجعل المتعلم يعيد اكتشاف حقائق العلم التي توصل إليها واضعوه أو مكتشفوه ..

هكذا كان شيخ الفلاسفة سقراط يعلم أصحابه ، حتى كان يقول إن الحقائق كلها موجودة في عقل الانسان ، وإنما عمل الحكيم فيها أن يساعد على إخراجها من الباطن إلى الظاهر ، كما تفعل القابلة مع المرأة الحامل ، ولم يكن أرسطو ذاتيا إلى هذه الدرجة ، بل كانت طريقته هي إعمال قوانين العقل في الملاحظة الخارجية ، وبذلك أخرج العلم من مجال الأخلاق إلى مجال الطبيعة .. ووقف العالم الغربي ردحا طويلا من الزمن حيث وقف أرسطو ، إذ شغلتهم أمور الآخرة عن أمور الدنيا ، وتفسير النصوص المقدسة عن ملاحظة الطبيعة ، فكان اعتمادهم في العلم الطبيعي ـ ما بقى لديهم منه ـ على نصوص أرسطو أيضا .. وهكذا جمد العلم ، ولم يستأنف نشاطه الحقيقي إلا حين رعاهم فرانسيس بيكون إلى أن يتجهوا مباشرة إلى الطبيعة ، ولا يعتمدوا على نصوص أرسطو ..

ولا تزال هذه المبادىء الأولية نافعة للمعلم والمتعلم ، ولاسيما عندنا ، فكل حركة جادة لإصلاح التعليم تصطدم بالاعتماد المفرط على الحفظ ، وكثيرا ما يبقى المحفوظ كتلا صماء في ذهن [illegible] ، ولذلك

فهو لا يلبث ـ بعد محنة الامتحان ـ أن يلفظها كالأجسام الغريبة .. والحفظ جزء ضروري من العملية التعليمية ، لاشك في ذلك ، بل لعله الجزء الأهم ، وإلا فكيف ننتفع بما أنتجه العقل البشري على مدى القرون ؟ ولكن هذا "الانتفاع" نفسه لا يتم بمجرد الحفظ ، إذا غابت عن المتعلم « دلالة » المعلومات التي حفظها ، أي قيمتها بالنسبة إلى الانسان في ماضيه وحاضره ومستقبله . ولا أعني بالقيمة الفائدة العملية فقط ، من نحو ما نسميه اليوم بالاستعمالات التكنولوجية ، فإن قيمة المعلومات العلمية ـ حتى تلك التي تتعلق بالعلوم الطبيعية ـ بالنسبة إلى الانسان في نظرته إلى نفسه وعالمه لا تقل عن قيمتها العملية ..

الوعي بهذه الدلالة هو الذي يجعل للعلم دورا مهما في بناء الشخصية .. وكثير من المعلومات ينسحب رويدا رويدا حتى يختفي في مخزن الذاكرة ، فلا يبقى إلا ما يستعمله المرء في حياته العادية أو في ممارسته لمهنته .. ولكن ميسم العلم على الشخصية يبقى دائما : نوع من المرونة الذهنية في تقبل الأفكار الجديدة ، والبحث عن الأسباب والمقارنة بين النتائج .. أسلوب علمي في التعامل مع المشكلات ، بتحليلها ، وتقدير عناصرها ، وترتيب هذه العناصر ، وإذا كان للدارس شغف خاص بعلم معين فسيبدأ تخصصه ولديه توجه الباحث ، فالبحث العلمي لا يتطلب كما معينا من المعلومات .. قد يكون الكم متواضعا في البداية .. ولكن الباحث لديه أسئلة حائرة تبحث عن أجوبة .. هناك موضوع يثير اهتمامه : نبات ، حشرة ، كتاب ، بناء ، آلة فهو يحاوره ويستنطقه ، احترام هذا الشيء ، الشعور بأن له كيانه الخاص ، وله قيمته في حياتي وحياة الناس جميعا ، هو ما يمكن أن يجعل مني باحثا ومكتشفا ..

● العلم والإيمان

لاشك أن هناك قدرا من العاطفة الدينية لدى كل باحث ، وإلا ما اهتم كل هذا الاهتمام بموضوعه ، وما تخلى عن مسراته وعلاقاته الاجتماعية ومصالحه المادية ليمنحه كل مايملك من وقت .. ولكنني لا أكتمكم أني غير سعيد بشعار « العلم والايمان » ..

فإني أرى واو العطف هنا توحي بشيء غير متوقع .. تماما مثل « الأصالة والمعاصرة » .. كأن فيها معنى « لكن » . تأليفا بين شيئين غريبين كل عن الآخر ، غريبين إلى درجة التناقض ..

والذي أذكره عن شعار « العلم والايمان » أنه كان في أول أمره تعبيرا عن موقف خاص من الماركسية ، التي تسمى نفسها الاشتراكية العلمية ، وترتبط عند أكثر الناس بالالحاد ..

هو شعار برجماتي إذن ، لا بأس ، لو لم يكن منطويا على استغلال سيىء لفكرة خاطئة عن العلم ، وأخرى لا تقل خطأ عن الدين ..

لقد أدى الجمود الفكري الذي اتصف به العصر العثماني إلى أن وقف بعض رجال الدين موقفا سلبيا من العلم الحديث حين بدأ محمد علي اصلاحاته

الأشواك

الحضارية في مصر .. ويحدثنا رفاعة الطهطاوى حديثا طريفا فى مستهل المقالة الثانية من كتابه ، تخليص الإبريز ، بمناسبة حجزه مع رفاقه فى « الحجر الصحى » حين وصلوا إلى ميناء مرسيليا ..

« ولنذكر هنا ما قيل فى (الكرنتينة) بين علماء المغرب ، على ما حكاه لى بعض من يوثق به من فضلاء الغرب ، قال : وقعت بين العلامة الشيخ محمد المناعى التونسى المالكى المدرس بجامع الزيتون ، ومفتى الحنفية العلامة الشيخ محمد البيرم ، المؤلف عدة كتب فى المنقول والمعقول ، وله تاريخ دولة بنى عثمان ، من مبدئها إلى السلطان محمود الحالى ، محاورة فى إباحة (الكرنتينة) وحظرها ، فقال الأول بتحريمها ، والثانى بإباحتها ، بل وبوجوبها ، وألف فى ذلك رسالة ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة ، وأقام الأول أدلة على التحريم ، وألف رسالة فى ذلك ، جل اعتماده فيها فى الاستدلال على أن (الكرنتينه) من جملة الفرار من القضاء ..

ووقعت بينهما محاورة أيضا نظير هذه فى كروية الأرض وبسطها ، فالبسط للمناعى ، والكروية لخصمه ..

وممن قال من علماء المغرب بأن الأرض مستديرة ، وأنها سائرة ، العلامة الشيخ مختار الكنتاوى ، بأرض أزوات بغرب بلاد تمبكتو » ..

● الإسلام والعلم

وليس غريبا أن ينكر بعض علماء الدين المسلمين ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، حقائق علمية مثل كروية الأرض ، وحركتها ، أو يعترضوا على نظام وقائى مثل الحجر الصحى .. فرجال الدين أميل من غيرهم إلى المحافظة ، والارتياب فى كل فكرة أو نظام خارج على المألوف .. (لاتزال الكنيسة الكاثولوكية إلى اليوم تعارض تنظيم النسل) .. ولكن الذى يستدعى النظر حقا أنه حتى فى ذلك الوقت المبكر كان من علماء الدين الاسلامى فى أعماق القارة الأفريقية من رأى الكلام على كروية الأرض وحركتها غير خارج عن الدين .. أما رفاعة الطهطاوى نفسه فغير مستغرب أن يضمن كتابه عن رحلته الباريسية ترجمة كتيب فرنسى فى حفظ الصحة .. والواقع أن موقف علماء الاسلام من العلوم الطبيعية كان دائما موقف تقبل بل تشجيع ..

وحتى المتشددون منهم ، الذين هاجموا الفلسفة وعلم الكلام ، لم يتعرضوا للعلوم الطبيعية أو المشتغلين بها ، لقد هاجموا ابن سينا – مثلا – فيلسوفا ، ولكنهم لم يتعرضوا له طبيبا .. ولم نعرف أن كيميائيا مثل جابر بن حيان ، أو طبيعيا مثل الحسن بن الهيثم .. أو طبيبا مثل ابن النفيس ، جلبت عليه نظرياته العلمية عداوة رجال الدين كما حدث لجاليليو مثلا .. إن موقف علماء الدين المسلمين فى مقاومة الفلسفة ، بل تكفير المشتغلين بها أحيانا ، ينحصر فى رفض الالهيات ، وهذا لا يختلف فى شىء عن هجوم

الماركسيين ، أو الوجوديين ، أو الوضعيين المنطقيين على الميتافيزيقا .. وكيف ننسى أن من بين من هاجموا علم الكلام ابن خلدون ، وهو فيلسوف اجتماعي عظيم ؟

إنما العجيب حقا أن بعض من ينتسبون إلى علم الدين وتعليمه في أيامنا هذه لايزالون - بعد أن كتب رفاعة الطهطاوي هذا الذي كتبه عن موقف أسلافهم من العلوم الحديثة بأكثر من مائة وخمسين سنة - يتعرضون لبعض حقائق العلم ومنجزاته بالتشكيك والانكار ، وقد سمعت أو قرأت - لا أدري - أن أحد هؤلاء يحرم الهندسة الوراثية لأنها من باب تغيير خلق الله .. وسمعت طرائف من الأسئلة التي توجه إلى علماء الدين ، وأجوبة بعضهم عليها ، في إذاعاتنا العربية .. من ذلك أن طالبا سأل : نحن نتعلم في الجغرافيا أن المطر يسقط حيث تهب رياح محملة ببخار الماء على منطقة جبلية ، فيتكاثف بخار الماء بفعل البرودة ، فكيف يتفق ذلك مع كون المطر رحمة يصيب بها الله من يشاء من عباده ؟ وسأل آخر : اننا نصلي ونتضرع إلى الله لينزل علينا مطراً ، ونحن مسلمون مؤمنون ، وفي بلاد الكفار تنزل الأمطار الغزيرة بلا صلاة ولا تضرع ، كيف يتفق ذلك ؟ والسؤالان لا محل لهما ، ولكن الاجابة كانت أعجب ، أو كانت = على الأصح - هروبا من الاجابة .. لقد كانت على ما أذكر - شيئا كهذا : إن سقوط المطر أو احتباسه راجعان إلى مشيئة الله فقط ، ولو شاء سبحانه أن يزيد المطر عندنا ويجعل أرض الفرنجة قفراً يبابا لفعل .. ولا أدري لماذا نسي المجيب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ولده ابراهيم : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد .

اظن أن خوف بعض علماء الدين من العلم لا يرجع - آخر الأمر - إلا إلى خوفهم على مكانتهم الاجتماعية .. فقد كان تراجع النشاط الإنتاجي في العالم العربي إيذانا بانفراد علماء الدين بالقيادة الفكرية .. ومن ثم اصبحوا يستفتون في كل شيء من امور الدين والدنيا .. وفي فطرة الانسان أن يسأل عن كل ما يحيط به من الموجودات ، كما أن في نظرته أن يؤمن باله واحد خالق قادر .. وهكذا ارتد الناس إلى ما يشبه ديانة الأقوام البدائيين ، فالتمسوا أسبابا غيبية لكل ما يلم بهم من شر وما يرجونه من خير .. واختفى « عالم » الدين ، العالم بالدين ، وحل محله « رجل الدين » الذي يشبه عراف القبيلة ، وفهم اكثر الناس « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، على أنها شاملة لأمور الدين والدنيا ، مع أن التمييز بين علوم الدين وعلوم الدنيا كان مبدأ مستقرا ، أشبه بالبديهيات ، طوال عهود الحضارة العربية ..

ولكن طوفان الحضارة الغربية ، بعلومها الحديثة ، كان يغرق بلادنا ، شئنا ذلك أم أبيناه .. فقام بعض حسني النية منا - وهم قلة من علماء الدين المستنيرين ، وأفراد ممن تخصصوا في تلك العلوم الحديثة - يحاولون « استئناس » العلوم الطبيعية بربطها بالدين .. ولو رجعوا إلى تراثنا العريق لما وجدوا بينهما خصاما يدعو إلى المصالحة ، أو نفرة تحوج إلى الاستئناس ..

فخاض هؤلاء وهؤلاء فيما سمى

القفز على الأشواك

بالتفسير العلمي .. ووضع الشيخ طنطاوى جوهرى ـ من علماء الأزهر الشريف ـ تفسيره الضخم الذى سماه « تفسير الجواهر » ، ضمنه من علوم الفلك ، والطبيعة ، والأحياء ، ما جعله أشبه بموسوعة علمية .. وكان بعض الناس يشبهونه بتفسير الفخر الرازى مع أن البون بينهما بعيد كالبون بين حاضرنا وماضينا ، ولا أقيسهما بمقياس الجودة بل بمعيار أساسى فى فهم الحضارات وهو العلاقة بين الدين والفلسفة والعلم .. فالفخر الرازى كان يمزج الدين بمسائل علم الكلام والفلسفة الدينية وما بعد الطبيعة ، وهى من بابه وإن اختلفت الأداة فهى فى الدين السماع وفى علم الكلام وما إليه العقل .. أما صاحب « الجواهر » فقد مزج الدين بالعلوم الطبيعية وهما نهجان مختلفان ، يستقلان إذا تقدمت الحضارة ويلتحمان إذا تراجعت ..

وما أظن إلحاحنا على الربط بين العلم والأيمان فى هذه الأيام إلا استمرارا لحالة الأنبهار الفزع التى أصابتنا أمام طوفان الحضارة الغربية والعلم الغربى ، فنحن لا نجد الوقت الكافى لاستئناس مخلوقات العلم التى تهاجمنا من بين أيدينا ومن خلفنا ومن فوقنا ومن أسفل منا ، وسنظل كذلك إلى أن ننهض نهضة حضارية شاملة .. ولكننا نكون جديرين بتراثنا الدينى والعلمى العظيم ولا قادرين على استقبال تلك النهضة المرموقة إن نحن مضينا فى الخلط بين الدين والعلم ..

إننا لا نزيد على أن ننادى على أنفسنا بضعف الدين والعلم جميعا حين نحاول دعم أحدهما بالآخر .. نعم ، إن الدين والعلم يمكن أن يلتقيا عند بعض الممارسات (أطفال الأنابيب أو نقل الأعضاء مثلا) مثلما يلتقى القانون الوضعى مع العلم فى هذه الممارسات ..

فكل من الدين والعلم والقانون يعمل لتنظيم الحياة .. ومن السهل أن نحل المشكلات التى تنشأ عن مثل هذا اللقاء .. ولكنك لن تكون ديّنا حقا ، ولا عالما حقا ، إذا وضعت نصوص الدين أمامك فى المعمل .. يكفى أن تحملها فى داخلك .. كم أشفق على المعلم والتلميذ فى حصة الطبيعة أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافيا ، فى بعض مدارسنا العربية ، حين يلزمان باستخلاص العبرة الدينية مما تعلمه هذا وعلمه ذاك ، قبل أن ينهيا الدرس ! فإن نسيا ذلك أو ضاق عنه الوقت فربما أدى ذلك إلى فصل المدرس !

بل كم أشفق على المجتمعات العربية كلها حين يتداعى بعض أساتذة العلوم الحديثة لعقد مؤتمرات يأملون أن يخرجوا لنا منها علم اجتماع إسلاميا ، أو علم نفس إسلاميا ، مبنيين على الكتاب والسنة ، ولا أدرى ، فقد يجيئوننا غدا بفيزياء إسلامية ، وكيمياء إسلامية ، وبيولوجيا إسلامية !

أما الكاتب الذى يخلط نصوص الدين بحقائق العلم ، فقد نحتمله ، ولكن كما نحتمل الروائي الذى يلقى علينا درسا فى الأخلاق !

أقوال معاصرة

● « لو انني لم ازر هوليوود ، فكأني لم ازر الولايات المتحدة » .

البابا يوحنا بولس الثانى

● « اذا كانت ثمة ازمة فى الثقافة المعاصرة فهى التليفزيون » .

الكاتب البريطانى هيوهيرت

● « جزء كبير من حل الازمة الراهنة يكمن فى تخليص الشباب المتطرف من سجن الفكرة الواحدة » .

الدكتور فؤاد زكريا

● « يحتاج الابداع الى طاقات وامكانيات هائلة ، فى وقت يصبح فيه الجمهور اصغر فاصغر . ! » .

ديريك مالكولم

● « ان امريكا هى البلد الوحيد الذى انتقل من حالة البربرية الى الانحطاط دون المرور بمرحلة الحضارة » .

الجارديان ـ مايل بيلنجتن

المخرج البولندى ((اندريه فايدا))

● « الفنان يجب ان يخدم المجتمع » .

● « الزواج من السلطة هو جحيم فى النهار ، وكوابيس فى الليل » .

نزار قبانى

● « المبادىء الثلاثة التى توصل اليها واضعو الدستور الامريكى هى الحل الوسط ثم الحل الوسط ثم الحل الوسط

المؤرخ الامريكى ((اكستير كوك))

● « لم يكن برنامج الرئيس ريجان متسما بالعدل ، فقد زاد من فقر الفقير ، ومن غناء الغنى » .

((تيب اونيل)) رئيس مجلس النواب الامريكى السابق

● « البابا ممثل افضل منى شخصيا » .

الممثل الامريكى شارلتون هستون



البابا يوحنا بولس



فؤاد زكريا



نزار قبانى

قضايا ومواقف

• الضروري المفقود على قمة عمان •
مفهوم مشترك للأمن القومي العربي

بقلم : مصطفى الحسيني

خلال ايام تشهد العاصمة الأردنية اجتماع قمة عربية هي الاولى منذ قمة فاس بالمغرب في سبتمبر ١٩٨٣ . وهي قمة تعثر عقدها رغم تكرار موجباتها منذ ذلك الحين ، ومن اوضح هذه الموجبات العدوان الاسرائيلي على تونس ، والعدوان الامريكي على ليبيا ، وهذه موجبات ملحة ، ان لم نقل مستفزة ، بمقاييس تراث القمم العربية ، إذ إن تقليد عقد مجلس الجامعة العربية على مستوى القمة قد وجد اصلا بسبب موضوع الأمن القومي العربي مترجما في التهديد الخارجي لدول الجامعة العربية .

ولعله من اللافت للنظر ان القمة العربية الاخيرة قبل قمة عمان المرتقبة ، قد انعقدت ايضا متأخرة عن موعدها ، والموعد هنا موضوعي لا تقويمي ، فقد كانت تلك القمة هي « التعليق » الجماعي العربي على غزو اسرائيل لبنان في ١٩٨٢ وما ترتب عليه ، فبدلا من ان يجتمع العرب فور بدء ذلك الغزو لتحديد ردهم عليه وتنظيم مسئولياتهم حياله ، انتظروا حتى انتهى الغزو واثمر نتائجه ، فاجتمعوا ليعلقوا على تلك النتائج ، اوليحددوا مواقفهم على اساس تلك النتائج .

كما انه من اللافت للنظر ايضا في تلك القمة العربية الاخيرة ان ما توصلت اليه ، كان اقرارا لمشروع سبق ان رفضته في ١٩٨١ ، هو ما عرف باسم « مشروع الملك فهد لتسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي » فكأن القمة اعلنت في فاس ان غزو اسرائيل لبنان قد اقنعها بالتراجع وقبول مالم تكن تقبل .

ومع تعثر محاولات عقد قمة عربية منذ قمة فاس ١٩٨٣ ، تعثر ايضا الاعداد لهذه القمة المرتقبة . فقد جرى هذا الاعداد من خلال اجتماع طارىء لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية . لكن الاجتماع تم

على مرحلتين نتيجة لصعوبة الاتفاق على جدول اعمال . رغم ان وصف الاجتماع بانه « طارىء » يوحى بان مشكلة جدول الاعمال محلولة ، وان مهمة الوزراء المجتمعين تقتصر على الصياغة والتنظيم .

وانتهى الاجتماع وجدول الاعمال ما زال موضوعا للخلاف : هل يقتصر على بحث الحرب العراقية ـ الايرانية « ام يتسع للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، الذى هو موضوع « الامن القومى » الذى كان مبرر القمم العربية السابقة جميعا ، ولم يحل هذا الخلاف . ان كان حقا قد حل . الا فى نطاق المشاورات اللاحقة لاجتماع وزراء الخارجية التحضيرى ، والا تحت ضغط تهديد عدد من الدول العربية بعدم المشاركة فى القمة اذا لم يصبح الصراع العربى ـ الاسرائيلى هما من همومها .

● بعد اعمق للخلاف

ولقد يبدو هذا الخلاف على جدول الاعمال ، خلافا بين من يرون أن على القمة ان تواجه الموضوع الملح وهو الحرب العراقية ـ الايرانية ورفض ايران (او قبولها الشروط) لقرار مجلس الامن الدولى الداعى لوقف اطلاق النار وافساح المجال للمساعى الدولية لتحقيق تسوية دبلوماسية للنزاع العراقى ـ الايرانى ، وبين من يرون انه اذا كانت القمم العربية تنعقد لبحث تهديدات الامن القومى ، فلا يجوز لواحدة منها ان تتجاهل التهديد الاصيل والمستمر .

غير ان لهذا الخلاف بعدا اعمق بكثير من هذا الذى يبدو . هذا البعد هو ان التفكير العربى (الرسمى على الاقل) فى الامن القومى العربى ، فوق انه يمنح لوضع راهن يتميز بالالحاح اولوية على خطر دائم ومستمر ، ويتميز ايضا بالالحاح ، كما انه يمنح نزاعا مع قوة اقليمية اصيلة فى المنطقة اولوية على الصراع ضد هذا الخطر الدائم المستمر الملح والذى تمثله قوة غريبة عن المنطقة لا يختلف العرب على ان اختلاقهاكان بقصد ضرب امنهم القومى .

او بكلمات اكثر تحديدا ، وضع جدول الاعمال المقترح لقمة عمان المرتقبة النزاع مع ايران فى موضع الاولوية فوق الصراع ضد اسرائيل مع ان ايران (١) قوة اصيلة فى المنطقة و (٢) ليس من اهدافها (فيما بعد سقوط الحكم الشاهنشاهى) ضرب الامن القومى العربى و (٣) ان نزاعها مع العراق هو من « طوارىء » السياسة وليس من ثوابتها ، وامثاله فى العلاقات الدولية كثير : النزاع الهندى ـ الباكستانى على كشمير ، النزاع الهندى ـ الصينى على الحدود ، النزاع التركى ـ اليونانى على بعض جزر بحر ايجه ، النزاع الاثيوبى ـ الصومالى على اوجادين ، .. الخ ، بينما وضع الصراع بين العرب واسرائيل يتصف بالنقيض الكامل لتلك المواصفات كلها .

اى ان جدول الاعمال المقترح لقمة عمان المرتقبة قد اصدق ما يقال فى الغرب عن العرب ، مثلهم مثل الغرب ، قد هبطوا بصراعهم ضد اسرائيل الى مكان متأخر فى ترتيب اولوياتهم .

تأسيسا على هذا الارتباك الواضح في تحديد الاولويات ، لا يحتاج المراقب الى واسع خيال ليتوقع ان يطلب العراق ومناصروه من تلك القمة اعمال ميثاق الدفاع العربي ، وهو مطلب عادل وسليم لولا ان اصحاب المطلب يعلمون من السوابق : ـ ان هذا الميثاق لم يوضع موضع التنفيذ على الاطلاق

● قمة لفرض العقوبات على مصر

وكانت مناسبة تلك القمة وموضوعها توقيع اتفاقات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل . ولقد اتخذت تلك القمة قرارات غير مسبوقة في وجه تطوير في الصراع العربي ـ الاسرائيلي غير مسبوق ، اتخذت قرارات تعني في مجموعها مقاطعة شاملة لحكومة عربية هي الحكومة المصرية ، لانها اتت ما كان حتى ذلك الحين هو « الحرام » في معالجة الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

ان النظر في تلك القرارات التي سميت قرارات مواجهة لاتفوته عليها ملاحظات ثلاث :

(١) إن تلك القرارات اقتصرت على فرض عقوبات على مصر ولم تكتب سطرا واحدا عن خطة المجتمعين في بغداد للمضي في ممارسة الصراع ضد اسرائيل ، لم تتطرق الى خطة ، او مشروع خطة ، او اطار لخطة تعالج موقع اسرائيل من مسألة الامن القومي العربي ، عدا عن تكرار المبادىء النظرية ـ التاريخية حول الرفض العربي لوجود اسرائيل او لتوسع اسرائيل او لعدوانية اسرائيل .

ولا يغيب عن المراقب انه حتى صياغة هذه المبادىء النظرية ـ التاريخية لا يعبر عن فهم واحد موحد للموقف من اسرائيل . فالوقوف ضد وجودها غير الوقوف ضد توسعتها ، غير الوقوف ضد عدوانياتها .

(٢) انه عندما تقررت العقوبات الحقت بفقرة عاطفية تلتزم بألا تؤدى العقوبات التي فرضت الى الاضرار بالشعب المصري ، دون الالتفات الى صعوبة ـ ان لم يكن استحالة ـ فرض عقوبات اقتصادية على الدولة المصرية دون الاضرار بمصالح الشعب المصري حيث تحكم الدولة الشعب وتدير شئونه ، وحيث مركزية الدولة في الحياة المصرية ، وبغض النظر عن نظام الحكم ووجهته ، هي العنصر الاهم في تاريخ مصر السياسي القديم والحديث والمعاصر .

(٣) انه مع كل التهويل في أهمية القمة ، فقد كانت من اقل القمم العربية من حيث مشاركة الرؤساء والملوك ، وان ثلاثا من الدول المشاركة ابلغت القمة ذاتها انها لن تلتزم بالقرارات . ولم يمر وقت طويل بعد القمة حتى تواتر الخروج عن قراراتها على ما هو معروف .

الى ماذا تشير هذه الملاحظات ؟

تشير الى امرين :
الاول : ان قرارات تلك القمة غاب عنها الربط الملزم بين ما تضمنت من عقوبات على مصر وبين موقف الذين قرروها من اسرائيل كخطر على الامن القومى العربى (امن بلدانهم !) .
الثانى : ان القرارات بفرض عقوبات على مصر ، تجاهلت مركزا معينا لمصر فى الحياة القومية العربية ، ولهذا كانت قرارات « مخروقة » من لحظة صدورها .
وجذر هذين الامرين ان قرارات العقوبات هذه جاءت بديلا ذاتيا عن عبء المواجهة مع اسرائيل ، بينما لم تكن بديلا موضوعيا صالحا .
وهنا ، لعل هذا المقال قد « وضع العربة اما الحصان » عندما قال بهبوط العرب بالصراع ضد اسرائيل الى مكان يتاخر فى ترتيب اولوياتهم . « وضع العربة امام الحصان » لانه افترض ان ثمة ترتيبات للاولويات . مع ان ترتيب اولويات ، فى هذا السياق ، لا يقوم الا على مفهوم مشترك للامن القومى العربى .
وهذا هو المفقود
واذا كان هذا مفقودا ، ضاعت المسألة ، وتساوت الهموم وتحولت الأولويات مجرد وجهات نظر ، اى ان الامر يصبح كالتالى :
ان الذين يقولون بأولوية النزاع الايرانى ـ العراقى فى الاخطار التى تهدد الامن القومى العربى قد يكونون على حق .

من اين تستمد الامم مفهومها لامنها القومى ؟
من مجموع تجاربها التاريخية
واذا نظر العرب فى تاريخهم المعاصر ، وجدوا ان الاخطار التى تعرضت لامنهم ، دولا ومجتمعات ، مجتمعة ومنفردة ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ترجع اجمالا الى مصادر ستة ، ثلاثة منها خارجية ، وثلاثة داخلية .
اما المصادر الخارجية فهى :
١ ـ سعى الامبراطوريات الاستعمارية القديمة الى المحافظة على مواقعها ومصالحها فى بلاد العرب ، وقد كانت بعض هذه الامبراطوريات تحكم بلادا من هذه البلاد ، كما كانت لها مصالح فى بعض منها ، وكانت تعتبرها جميعا من مرتكزات امنها وأمن مصالحها .
ومن تطبيقات هذا المصدر : العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ ، حرب الاستقلال الجزائرية ، وحرب الاستقلال اليمنية الجنوبية . العدوان الامريكى على ليبيا ـ فى العام الماضى .
٢ ـ اختراق « دولة » اسرائيل ، وهو مصدر لا يبعد كثيرا عن المصدر الاول .
ومن تطبيقات هذا المصدر : الاستيلاء على ارض فلسطين على مرحلتين ، وتشريد قسم من شعبها وقهر القسم الاخر تحت الاحتلال ، الاستيلاء على

الجولان واعلان ضمه ، مشاركة اسرائيل فى العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، حرب ١٩٦٧ ، ضرب المفاعل النووى العراقي ، غزو لبنان مرتين في ١٩٧٨ و ١٩٨٢ واحتلال جزء من اراضيه ، ضرب تونس ، رفض التسوية التى تقوم على اساس اعادة الاراضى التى احتلت في ١٩٦٧ . مع ملاحظة ان هذا السرد يقتصر على التطبيقات الكبرى لهذا المصدر ، دون التطبيقات اليومية المستمرة .

٢ ـ عوامل التوتر مع الامم المجاورة . وهو اقل المصادر الخارجية نشاطا ، غير ان من تطبيقاته : الحرب العراقية ـ الايرانية ، وفى هذا الشأن يجدر ان نلاحظ ان هذا التوتر لم يشهد اى قدر من الهدوء لا فى العهد الشاهنشاهى ولا فى العهد الاسلامى فى إيران ولافى العهد الملكى ولا فى العهد الجمهورى فى العراق ، الا عندما انضوت الاثنتان تحت الهيمنة الغربية فى حلف بغداد . اما فى ما عدا ذلك ، فقد تراوح التوتر ما بين الحرب بالوكالة والهدنة القلقة ، وتسوية الاذعان ، الى ان اندلع منذ ما يزيد على سبع سنوات ، ولأول مرة ، فى حرب مباشرة مازالت معنا وقد تبقى كذلك فى المستقبل المنظور .

ومن تطبيقاته ايضا التوتر مع تركيا التى درجت فى الخمسينيات ، على حشد قواتها على حدود سوريا كلما استعصت دمشق على ضغط الغرب ومطالبه ، والتى مازال يداعبها حلم مستتيم بضم شمال العراق ان واتتها الظروف .

وبالطبع ، فإن هذه المصادر الثلاثة ، على تمايزها ، وعلى تفاوت قدرتها على النشاط ، ليست منفصلة ، اذ يربط بينها سعى مستمر الى ادامة تبعية بلاد العرب لقوى خارجية .

كما انها ليست مقطوعة الصلة بالمصادر الداخلية لتهديد الأمن القومى العربى.

و المصادر الداخلية هى :

١ ـ منازعات الحدود ، اى المنازعات بين الدول العربية حول السيادة : على الأراضى . ومن تطبيقات هذا المصدر : الحرب الجزائرية ـ المغربية فى ١٩٦٤ ، مناوشات الحدود المتكررة بين شطرى اليمن ، توتر الحدود بين اليمن الشمالي والسعودية ، توتر الحدود بين دولتي الامارات وعمان ، النزاع الاخير بين قطر والبحرين على « فشت الديل » ، النزاع الذى حاولت السودان فى عهد حكومة عبدالله خليل اثارته مع مصر حول السيادة على منطقة حلايب ، والنزاع الذى أوشك أن ينفجر فى السبعينيات بين مصر وليبيا حول السيادة على واحة جغبوب ، مايثار حاليا فى مصر حول مشروع « النهر العظيم » فى ليبيا . النزاع المغربى ـ الجزائرى ، بالوكالة على منطقة الصحراء ، وهو من ذيول حرب

١٩٦٤ . هذا ، الى حالات حشد القوات على الحدود على النحو الذى تكرر بين سوريا والعراق وبين سوريا والأردن ، وبين ليبيا وتونس .
وليست غائبة عن الادراك صلة هذه المنازعات على الحدود بعمليات التقسيم الاستعمارية التى أنتجت الدول المستقلة فى المنطقة ورسمت حدودها .
٢ ـ توترات التغييرين الاجتماعي والسياسي : ولعل من ابرز تطبيقاتها ، حرب اليمن ، وانفصام الوحدة المصرية ـ السورية :
ففى حرب اليمن رأت السعودية تصدير الثورة الناصرية باستهدافاتها الاجتماعية والاستقلالية والقومية الى موقع على حدودها .
وكان انفصام الوحدة المصرية ـ السورية من وظائف تجاهل التفاوت فى التطور الاجتماعي الاقتصادى بين شطرى الدولة الموحدة . ولاخلاف الآن على ان عوامل الاطماع الخارجية لعبت دورا منشطا فى الحالتين .
٣ ـ المشاكل القومية والطائفية : ومن أمثلتها : المشكلة الكردية ، مشكلة جنوب السودان ، مشكلة البربر فى الجزائر ، وعلى مستوى اخر وأخطر : الحرب الاهلية اللبنانية .
ولاخلاف أيضا على أن قوى التهديد الخارجى ، المصدر الاول ، واسرائيل ، المصدر الثانى ، تلعبان دور المنشط فى هذه المشاكل .

إن اطارا يجمع هذه المصادر لتهديد الأمن القومى العربى ، والخارجية والداخلية ، ويدرك مساحات تداخلها ، كما يدرك مساحات تمايزها ، هو التصور التخطيطى العام للمفهوم المشترك لعوامل تعرض الأمن القومى العربى
فإذا حقن هذا التصور ، بتصور آخر لكيفية مواجهة ماتجب مواجهته منها وتحييد ما يمكن تحييده ، كان هذا اطارا لمفهوم مشترك للأمن القومى العربى .
وعلى قاعدة منه يكون تحديد الأولويات ، ويكون تحديدا قاطعا وصارما ، لايتسع لوجهات النظر .

هل يحاول هذا المقال طرح هذه المهمة على القمة العربية الآتية فى عمان ؟
ياليت !
لكن اجتماعات القمة مؤسسات سياسية ، مهمتها معالجة الراهن من الأمور ، فحتى عندما يندرج على جدول اعمالها : الصراع العربى الاسرائيلى ، تعالج منه المستجدات ، دون الأصول والثوابت ، مع افتراض ان هناك اتفاقا جامعا على هذه الأصول والثوابت .
إنما هذا المقال ، وجد فى مدار حول اجتماع هذه القمة الآتية من خلاف ، مناسبة كى يفتتح على صفحات « الهلال » نقاشا بين المعنيين من العرب ، حول هذا الضرورى المفقود : المفهوم المشترك للأمن القومى العربى .

قضايا ومواقف

من أجل حياة تعليمية سليمة

بقلم : د. محمد عبد الحميد عيسى

تتواكب هذه الايام مع بداية عام دراسي جديد ، استعدت له الاسر المصرية ، كما يجرى العمل على قدم وساق فى كل مؤسسات الدولة المرتبطة بالعملية التعليمية ، وللعام الدراسى الجديد طابع خاص ، وصورة قلقة فى نفوس الكثيرين من المهتمين بمستقبل الوطن . فهو ياتى بعد عام دراسى انتهى بما يشبه الزلزال لما تكشفت فيه من مآس وفضائح حاولت اجهزة الدولة مخلصة معالجتها ، وهيأ الله لها وزيرا نعترف بشجاعته ومحاولته اعادة الامور الى نصابها ، كما صاحب ذلك حملة اعلامية ضخمة تبرز هذه المساوىء والعيوب ، وتنادى بالاصلاح كما ان نتائج العام الدراسية كانت مؤشرا واضحا على تدنى المستوى التعليمي وتذبذبه .

ولقد سكنت هذه الحملة الآن . وهدأ كل شيء ، وانصرف المسئولون الى معالجة الآثار المتخلفة من العام الماضي . واخشى ما اخشاه ان تعود تلك الضجة الى الظهور مرة ثانية فى نهاية العام وان تعود « ريمة الى عادتها القديمة » .

ولكى نقيم فى بلادنا نظاما تعليميا سليما ، وحتى لا نصرخ فقط فى نهاية العام علينا ان نبدا فى هدوء فى دراسة الواقع التعليمى فى مدارسنا ، وفى معالجة مشاكلة

● د. محمد عبد الحميد عيسى ، استاذ التاريخ الاسلامى المساعد بكلية التربية ـ جامعة عين شمس .



المؤتمر القومى للتعليم [illegible]

واحدة واحدة حتى يضمن اقامة نظام تعليمى سليم .

ودون أن نهمل قرارات المؤتمر القومى للتعليم الذى واكبته أيضا حملة اعلامية ضخمة ثم انتهت ـ مثلما هو حالنا فى جميع المناسبات ـ والنتائج المتمخضة عن احداث العام الماضى ، فاننا يجب أن نعترف صراحة بتدنى المستوى التعليمى فى بلادنا الى حد ينذر بالخطر ، ويهدد بضياع أجيال كاملة قادمة ، ولا يحتاج الأمر الى كثير من الادلة، وما نراه عند تصحيح أوراق اجابات طلابنا فى الجامعات لشىء يندى له الجبين خجلا ، من تدهور واضح فى المستوى العلمى واللغوى والاملائى ، كما أن أوضاع الخريجين فى كافة التخصصات لا تبشر بأى أمل ؟ .

والسبب الرئيسى فى ذلك يرجع الى النظام التعليمى ، والى التسيب السائد فى هذا النظام من البداية الى الجامعة التى لم تنج ـ للأسف الشديد ـ من الانحدار فى هوة التسيب وتدنى المستوى ، والاهتمام بالكم فقط ، ومنح الشهادات دون أن يكون لهذه الشهادات قيمة تذكر فى الدلالة على كفاءة حاملها .

اننا نسرف فى الحديث النظرى عن اعداد الأجيال ، وصنع الانسان ، ونتبارى فى ذلك الحديث متخصصين وغير متخصصين ونعقد المؤتمرات والندوات ، وننفق الأموال على مراكز الابحاث التربوية والدراسات العليا المنتشرة بوفرة على مختلف انحاء أرض مصر ، وفى نفس الوقت نشارك، بل ونسعى بجد الى هدم هذه الاجيال، وافساد صنعها وتركها خاوية على جذورها ، وتركها دون علم أو وعى أو حتى مبادىء اخلاقية أو قيم جمالية، وذلك بتجاهلنا ـ ان لم يكن بمشاركتنا ـ للجرائم التى تحدث فى

مدارسنا وللفساد المستشرى فى نظامنا التعليمى .

هل يعقل ان يساهم المدرسون واولياء الامور والمسئولون في انتشار الغش في النظام التعليمي منذ بدايات المرحلة الابتدائية ، وحتى الجامعة ، وبعد ذلك نطالب بوجود جيل متعلم متمسك بقيم دينه وايمانه ؟

ان ظاهرة الغش فى النظام التعليمي ليست وقفا على مكان معين او مرحلة دراسية معينة ، بل هي - للاسف الشديد - قد تفشت كمرض سرطاني حتى لم يعد يجدى معها العلاج بالادوية والمسكنات ، ويحتاج الامر الى مشرط جراح ، ولكى نصل الى العلاج السليم علينا أن نحدد العوامل التى تسببت فى تردى الاوضاع ومن ثم يمكن لنا اتخاذ الاجراءات اللازمة لعلاجها وهذه العوامل هى :

اولا : قوانين وزارة التعليم التى سمحت بتكدس عشرات التلاميذ فى فصول ضيقة ، وفى نفس الوقت طالبت المعلم بان تكون نتيجة نجاح طلابه اكثر من ٩٠٪ والا حرم من كثير من الامتيازات ، ودفع ذلك المعلم الى السعى لكى ينجح طلابه ، سواء كانوا يستحقون النجاح او لا يستحقون .

وشارك المدرس فى ذلك السعى المخرب كل المسئولين اعتبارا من ناظر المدرسة ، وانتهاء بوزير التعليم نفسه ، والذى جعل منصبه السياسى اهم بكثير جدا من الواقع التعليمى ، وسعى الى استرضاء اولياء الامور عامة والشخصيات الاجتماعية خاصة وذلك باصداره قرارات ادارية تحدد نسبة الدنى يجب الا تتجاوزها ارقام الرسوب مهما كان المستوى وحتى فى الشهادات العامة . وكم سمعنا عن نسب النجاح قبل التصحيح وعن لجان الرأفة والمراجعة .. الى غير ذلك وتسربت العدوى الى الجامعات فعمد رؤساء الاقسام والعمداء الى تعديل نتائج تصحيح أعضاء هيئات التدريس ، ووضعت قواعد تسمح بانجاح طلاب لم يكن من حقهم النجاح ، وغيرت نسب النجاح الى أرقام غير واقعية دون النظر الى المستوى العلمى .

ثانيا: مسئولية الوالدين

لعبت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأزمات التى يعاني منها مجتمعنا المصرى دورا هائلا فى تغيير القيم والمثل والمبادىء سواء على المستوى الجمعى أو الفردى ، حتى وصل الامر بالاباء والامهات . المفترض فيهم القدوة والمثل الى المشاركة الفعلية فى عمليات الغش فى الامتحانات ، وعدم التحرج فى طرح ضمائرهم جانبا ، وسعيهم بكل همة - وبلا خجل - للحصول لابنائهم على مالا يستحقونه . ولقد ساهم نظام القبول فى المراحل التعليمية ، والتوزيع فى الجامعات القائم فقط على المجموع الكلى فى تبرير تصرفات هؤلاء الآباء فى حصولهم لابنائهم على درجات بحق أو بغير حق .

ثالثا : نظام الحكم المحلى :

شارك المسئولون عن الحكم المحلى فى افساد الحياة التعليمية لاسباب شخصية بحتة ، اما لوجود اقرباء لهم فى المراحل التعليمية او لارضاء المسئولين أو للحصول على شعبية مزيفة لدى أولياء الامور ، ضاربين عرض الحائط بالقيم والخلق وما يمليه الضمير والدين والاخلاق حتى وصل الامر فى بعض المحافظات التى تطلق

عليهـا اسم « الثانية » ان يقـوم المحـافظ بنفسه باستقبال لجـان الثانوية العامة . وتكون درجة اكرامه لهم بقـدر ما يتساهلون مع ابنـاء محافظته فى الامتحان . وأصبح هدف المسئولين فى هذه المحافظات ارضـاء الاهـالى ، حتى ولو تخـرج فى الجامعات أطباء لا يعرفون الفرق بين مرض وآخر ومهندسون ينهار ما يبنونه قبل أن يتموا بنـاءه . ومدرسون جهلاء يناط بهم تنشئة الجيل الجديد.

● رابعا : رجال الامن

ويقشـعر البدن حين نستعرض دور رجال الأمن فى افساد الحياة التعـليمية فى بلادنا وذلك أنه من المفترض أنهم حماة القيم والأخلاق وأنهم القدوة والمثال لكنهم لاسباب شخصية وللرغبة فى اثبات الذات أو للرغبة فى استتباب الامور والبعد عن المشـاكل نرى موقفهم أمام لجـان الامتحـان يتغير تمـاما . حيث يتحـالفون مع غيرهم للمسـاعدة فى الغش وانجاح الطلاب دون وجه حق ، وويل للمراقبين ذوى الضمائر الحية والرغبة فى اداء واجبهم كما أمر الله ، حيث يجدون أنفسـهم فى العراء دون أى غطاء أمنى بل وفى مواجهة عداء مكثف من قبل رجال الأمن والمسئولين وأولياء الأمور .

● والعلاج لذلك كله

لقد أسرفت صحافتنا فى التنديد بالظاهرة هـذه الأيام مما كان له أثـره الطيب فى نفوس المحبين للاصـلاح ، ومما أعطى بعـض المؤشرات الهامة فى نتائج العـام الدراسى الماضى ، وأخشى ما أخشاه أن يكون ذلك فورة يعقبها سكون ثم يمضى كل شىء على ما كـان عليه ، ومن ثم قد يصل الأمر الى مالا يمكن تداركه . والمسـألة تقتضى ما هو أهم من ذلك ، اذ كيف يتسنى لنا أن نعالج المشـكلة معالجة جذرية دون خوف أو تردد مهما كان حجم الالم الذى سيشـعر به الكثيرون ؟ فى رأيى أن الامـر يحـتاج الى مجموعة من الحلقات لابد من تكاملها معـا حتى تعطى نتائج ملموسـة ومنها :

أولا : اصلاح النظام التعليمى ، بحيث يكون الهـدف منه تقـوية القدرات واكتسـاب المهارات ، دون التركيز على ملكتى الحفظ والتذكر ومن ثم ابتكار أنواع من الاختبارات التى تقيس التقـدم عند طـلاب وما اكتسبوه من خبرات وملكـات عقلية وفكرية . تلك الامتحـانات سوف تجعل من الصعب الغش أو النقـل وان لم تمنع ذلك كليـة كذلك يجب التركيـز ومنذ المراحـل التعـليمية الاولى على تقـوية الجوانب الخلقية والروحية . وذلك باعطاء النموذج والقدوة وايجـاد المجتمع المدرس الصـالح فعلا وعدم الاعتماد على حشو اذهـان الطلاب نظريا بكلام لا يجـد له فى الواقع تجسيدا أو يجد عكسـه فى معظم الاحوال .

● كما يجب الا تكون الدرجـات المكتسبة فى الامتحانات هى العـامل الاوحد فى توجيه مصـائر الطلاب بل يجب أن تكون هناك عوامل أخرى نفسية وصحية وعقلية تسـاعد فى توجـيه الدارسين نحـو ميولهم واستعداداتهم الحقيقية .

● العمل على تغيير نظرة النظام التعليمى التى تتجه الى الجـامعة باعتبارها الامل الوحيد الذى تهفو اليه قلوب المتعلمين ، وتربية ابنائنا على أسس وقيم جديدة تقـدر قيمة الفرد بما يعرفه ويجيده لا بما يحمله ويجيده لا بما يحمله من شهادات

● الغاء القوانين واللوائح التى تحتم نجاح نسبة معينة من طلاب المدارس والجامعات والعمل ما امكن على تحسين مستوى المدرسين المادى والعلمى حتى يمكنهم العمل فى جو اجتماعى مناسب .

● ايجاد نظام يسمح بمثوبة المدرسين وعقابهم بناء على نتاجهم وجهدهم الفعلى لا على الارقام المزورة التى يقدمونها .

● ايجاد علاقة قوية بين الابناء والمعلمين ، واحياء مجالس الاباء ، وابراز روح التعاون بين المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية بغرض اعداد اجيال متعلمة حقيقة .

● منح مديرى المدارس سلطة اتخاذ القرارات الحازمة ضد الطلاب الذين يسيئون الى مدرستهم بمحاولتهم الغش، وكذلك ضد المدرسين الذين لا يؤدون واجبهم كاملا .

ثانيا : المسئولية السياسية :

بما انه لا يخفى على احد مسئولية السلطات السياسية عن ذلك التسيب الواقع فى نظامنا التعليمى بدءا من ملابسات تسرب الامتحانات العامة فى الستينيات .. ولجان اليمن الشهيرة واللجان الخاصة وغيرها ، فانه مما لا شك فيه ان الاصلاح يجب ان يبدأ من هذه السلطات . ولن يستقيم الامر الا باتخاذ قرار سياسى حاسم وتوجيه واضح من رئيس الجمهورية الى المحافظين يحدد فيه صراحة عزل اى محافظ يقع غش فى دائرة محافظته ، واعتبار ذلك مسئولية شخصية يجب ان يتحملها ويستعد لها .

● ثالثا : المسئولية التشريعية :

ومع كثرة التشريعات فى بلدنا ،فان الضرورة تحتم اصدار تشريع بتجريم الغش فى الامتحانات او المساعدة عليه، وتشديد العقوبة على الطلاب واولياء أمورهم ، وتزداد العقوبة كلما كان القائم بها من المسئولين سواء فى نظام الحكم المحلى أو موظفى الدولة أو رجال الامن أو غيرهم من رجال المجتمع ، الى درجة المطالبة باعتبار الغش جريمة اخلاقية يجب أن تخلو منها صحيفة المواطن عند تقدمه للمناصب العامة التنفيذية منها او الشعبية .

● رابعا : مسئولية رجال الامن :

لابد أن تنهض وزارة الداخلية بدورها الحقيقى فى حماية الامن ، واقرار القيم ، وأن تقف الى جانب المراقبين ولجان الامتحانات وذلك بحمايتهم من اعتداءات الطلاب واولياء الامور وابعاد اولياء الامور والاهالى وغير المسئولين عن مقار لجان الامتحان، وتأمين وسائل حياة كريمة للجان الامتحان والمراقبين ، وتوقيع أقصى عقاب على من يسىء أليهم .

● خامسا : القرارات الادارية :

والقصد بها القرارات التى يجب أن تتخذها وزارة التعليم ضد موظفيها ومدرسيها الذين يساعدون فى عمليات الغش ، ولا يتحلون بقيم المربين واخلاقهم، ويجب أن تكون هذه القرارات حاسمة ، واقلها فصل اى مدرس أو ادارى يساهم فى افساد الحياة التعليمية ان لم يصل الامر الى السجن والمحاكمة باعتبار ذلك جريمة فى حق الشعب المصرى بكامله حاضره ومستقبله .

كما يجب أن تنص القرارات الادارية بحرمان أى طالب حرمانا نهائيا من مواصلة التعليم فى حالة قيامه بالغش او حرمانه على الاقل من المجانية التعليمية .

ان الامر شاق ومؤلم ، ولكن مستقبل الوطن فى حاجة الى انقاذ والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

لغويات

● ننبا بتصحيح خطا مطبعي وقع في لغويات الشهر الماضي ، فقد ذكرنا بيت المتنبى الذى يقول فيه :

والقى الشرق منها فى ثيابى ... دنانيرا تفر من البنان

وكلمة « دنانير » لا تنون لانها ممنوعة من الصرف - اى ممنوعة لغويا وليست ممنوعة بصفتها عملة ذهبية - ولكن هذه الكلمة فى هذا البيت تنون - ضرورة - لاقامة وزن الشعر هنا ، وقد لا تحتاج الى هذه الضرورة فى وزن اخر .. وناسف لان الخطا المطبعي قد اسقط الالف من « دنانيرا » فصارت « دنانير » فقط وانكسر البيت ! .. وسامح الله من كان السبب فى كسره ، ونقول له : ان مالا يجوز فى النثر ، يجوز فى الشعر ضرورة ! .. ونرجو الا يتكرر العدوان على اوزان الشعر مرة اخرى ! ..

● « المتهم » فى جناية او جنحة - مثلا - يسميه بعض العامة « المتهوم » .. ويظن بعض المتادبين ان كلمة « المتهوم » غير فصيحة ، او غير عربية ، ولكنها عربية فصيحة !..

● اذا قلت : رايت عديدا من الناس ، فمعناه : رايت عددا من الناس ، لان « العديد » معناه « العدد » ويستعمل المتادبون الان كلمة « العديد » بمعنى « الكثير » وهو غير صحيح .. وانما العديد هو العدد كثيرا كان او قليلا : قال المتبنى ، جامعا بين الكثير والعديد :

يقدن الفناء غداة اللقاء ... الى كل جيش كثير العديد

و « كثير العديد » .. معناه : كثير العدد » .. وليس معناه « كثيرا لكثير » .. .. لان كثير الكثير لا معنى له ! ..

● يقولون : ارتطم فلان بالحائط ، والصواب : اصطدم بالحائط ، لان الارتطام يكون فى حفرة او نحوها فيقال : ارتطم فلان بحفرة عميقة ، اى وقع فيها !

● يقول العامة : شاب صغار - بضم الصاد - اى صغير ، وهذا القول صحيح فصيح .. وكذلك : كبار - بضم الكاف - اى كبير .. العامة تضم الكاف مع تشديد الباء ، والصحيح فتح الباء بدون تشديد ..

مصر
وشخصيّتها التاريخية

بقلم : مصطفى سبير

لايحتاج الباحث المدقق الذى يشغله قضية الهوية والشخصية المصرية ، سوى ان يعيد قراءة تاريخ مصر . وسيجده كتابا مفتوحا غنيا بالوقائع والدلالات ، ويجيب على كافة التساؤلات ، ولن يجد فيه زيف الازدواجيات التى تمتلىء بها الحياة الثقافية .

ولا محل لتلك المناقشة حول : هل مصر فرعونية ام عربية .. ؟!

وترى ان الحوار الدائر بين العروبة والإسلام ، لايزيد على كونه لغوا بلا معنى ، عندما يجد تاريخ مصر ، دوائر تتداخل ولاتتعارض .

وصفحة التاريخ المصرى ، مدونة ومسجلة ، وهو اول تاريخ عرفه الإنسان ، وضع أمام القارىء آلاف السنين التى تبدو بالأمس القريب ، بعد ان قدر لكل مراحل التاريخ أن تجد من يسطر احداثها ويسجلها ، ويكاد يندر فى تاريخ مصر الفجوات ، بما لايقارن مع تواريخ المجتمعات البشرية الأخرى .

كلما الحت عليّ فكرة تناول شخصية مصر التاريخية استبعدها ، لما تحمله من شبهة التعصب الوطنى ، وما يمكن أن تدفع إليه من كبرياء أجوف مما يتعارض مع مضمون حضارة مصر ورسالتها ، ولإيمانى العميق بأن المجتمع المصرى مثل غيره من المجتمعات يقوم ببناء الحاضر والمستقبل ، لا على زهو الماضى وانما على جهد ابنائه ، وتسلحهم بالمعرفة والمهارة ، وصلابة ارادة الجماعة ، والتصميم على التقدم والانجاز ، وشيوع الايمان بالعدل وحقوق الانسان ، وبعدها يحتاج المجتمع الى عبر ودروس الماضى ، وعندها يتعدى دور التاريخ المتاحف والأماكن الأثرية ، الى سلوك الناس ، عندما يضيف الى عمل الانسان ايمانا عميقا بالمستقبل .

وشعرت بدقة الفكرة وصعوبتها ، وأن أولى الناس لانجاز هذه المهمة هم أساتذة التاريخ ، ولست متخصصا في التاريخ ، وما أنا سوى قارىء لأحداثه .

وأدركت أن سبب ندرة هذه المؤلفات التى تجمع أطراف تاريخ مصر فى مراحله المختلفة ، تعود الى طبيعة المنهج الأكاديمى ، الذى يقوم على التخصص الدقيق ، وخلاله تتقطع أوصال التاريخ المصرى بين أيدى الدارسين الى مراحل وأطوار ، وتصبح مصر الاسلامية مقسمة الى مصر الطولونية ، ومصر الفاطمية ، ومصر المملوكية ، وهكذا .

وهذا بسبب كثرة المادة التاريخية وتنوعها وتداخلها مع غيرها مما يجعل الرؤية الشاملة بالغة الصعوبة ، ويغيب وسط أطنان المخطوطات وحدة التاريخ المصرى وفلسفته ، وترمى أية محاولة فى هذا الطريق ، بالبعد عن الدقة العلمية واقتحام دروب غير آمنة !

ولكن طال التاريخ فى مصر ماطال سواه ، من التشويه والسعى الى توظيفه للقعود والنكوص ، لا للصحوة والنهوض ، البعض بسوء قصد والبعض نتيجة القصور وتبنى أفكار الغرباء الذين تناولوا هذا التاريخ ، يحملون على اكتافهم معاركه القديمة ، ووجدنا المراحل التاريخية تخاصم بعضها بعضا . فالمتخصص فى التاريخ الاسلامى يتجاهل تاريخ مصر القديم ، على اعتبار أن التاريخ الفرعونى منقطع الصلة بما جاء بعده ، وفى المقابل خرج علينا من ينظر الى تاريخ مصر الاسلامية على أنه مرحلة ركود وموات انتزعت الروح المصرية والشخصية المصرية !

ويحضرنى نموذجان :

● يقول أحد أساتذة التاريخ .. « عندما فتح العرب مصر عام ٦٤٠ م ، كانت مصر ولاية بيزنطية تحكم من القسطنطينية ، وعندما غزا الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨ م وجدوها ولاية عثمانية تحكم من نفس القسطنطينية التى حملت اسما جديدا هو اسلامبول أو الآستانة ، ولم يكن حالها بأحسن من حالها عام ٦٤٠ م ، وكان البلد

خرابا ، وكأن اثنى عشر قرنا ضاعت سدى انقضت ونحن نيام بعيدون عن الوجود .. » !

وهى رؤية مضطربة لأحداث الماضى ، تتجاهل أن مصر كانت فى ذات الفترة التى وُصِفت فيها بالخراب حاضرة العالم الاسلامى ، ومنارة علمه وفنونه ، وقلب الحضارة الاسلامية ، وتتجاهل دور مصر ورسالتها عندما دافعت عن المنطقة العربية وواجهت الغزاة من الصليبيين والمغول ، وأنها كانت قبل الفتح العثمانى مقرا للخلافة الاسلامية .

● ويؤكد استاذ آخر على أن مصر لم تحكم بواحد من ابنائها منذ عصر الفراعين حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ، ويقول ... « أخضعها ـ اى مصر ـ الروم والعرب والديلم والفرغانيون والمغاربة والكرد ، وكل ما تجلبه أسواق النخاسة من أجناس الترك ، حكمها العثمانيون والفرنسيس والأرنئود والبريطانيون ، وذاقت مصر حكم الأجنبى على كل لون تراه فوق خريطة اوروبا وآسيا ، لم ينقصها سوى حكم الهنود والصينيين واليابانيين وقد تكون الوحيدة من بلاد الله التى عانت خلق الله جميعا .. »

تزدحم هذه الكلمات بالمغالطات ، ولايتسع المجال الا لذكر بعض الملاحظات ، مثل أن نظرته لتاريخ مصر الاسلامية ، جاءت من خلال معيار حديث ، هو الفكر القومى الحديث ، الذى لم يكن سائدا فى المرحلة التاريخية التى يتحدث عنها ، ويرى من خلالها أن حكام مصر كانوا من الأجانب عنها ، متجاهلا أن المعيار الوحيد فى ذلك الزمان ، هو الايمان بالله ورسوله ، وإذا اعتمدنا ذات المعيار مثلا على بريطانيا ، لكانت تحكم حكما أجنبيا ، فالعائلة المالكة البريطانية ذات أصول المانية ..

ونتساءل .. اذا أخذنا بنظرته تلك ، فهل نعتبر صلاح الدين الأيوبى وهو كردى الأصل ، أجنبيا ، وفيما كان جهاده وانتصاراته اذن هل كانت دفاعا عن وطن الكرد ، أم عن وطن الاسلام .. ؟!

وبنفس المعيار ، كيف نقيّم معارك الظاهر بيبرس وهو المملوك المولود على ضفاف نهر الفولجا ، هل كان فى معاركه ضد الصليبيين والمغول ، يدافع عن بلاد القفجاق أم عن بلاد الاسلام ، بعد أن كفانا التراث والوجدان الشعبى مشقة التقييم فمجده كما لم يمجد حاكما سواه .

لهذا وجب علينا اعادة قراءة التاريخ ، بعين منصفة وفى سياقه الطبيعى ، وخاصة أنه كلما تزايدت المصاعب والتحديات التى تواجه مصر الحديثة ، كلما سعى البعض الى اخفاء جوهر الرسالة الحضارية للشعب على ضفاف النيل ، باعتبار الماضى تجربة انسانية ، ومرتكزا اخلاقيا ، وسجلا لأعمال المواطن وأفكاره ، عندما نتعلم من عبر التاريخ ، ونبتعد عن التفاخر والغطرسة الفارغة ، كما نبتعد عن النظرة الظالمة المتميزة .

فهذا الماضى كفيل بان يبعث فى الأمة صحوة جديدة ونهضة اصيلة . توضع عندها المشاكل اليومية فى حجمها الحقيقى ، ويمكن لنا أن نستشرف الغد ، وتتحول المعادلات وموازين القوى الجامدة ، الى معادلات يمكن تغييرها والفكاك من أسرها .

اقدم الحضارات

ولعل المدخل قد طال ، وحان الوقت لتحديد بعض ملامح التاريخ المصرى .

إن نظرة خاطفة على تلك الخريطة الملونة التى أعدها سير جون هامرتن فى كتابه تاريخ العالم ، والتى تقدم تاريخ حضارات العالم بألوان متعددة ، وميز الحضارة والتاريخ المصرى باللون الأزرق ، تلحظ أنه عند اللون الأزرق يبدأ التاريخ ، تاريخ مصر ويمتد الى ما قبل ٤ الاف سنة قبل الميلاد ، ويأتى بعده البابليين والحيثيون وكل من الهند والصين ..

اما بلاد مثل بريطانيا فلا يمتد تاريخها إلى ابعد من الفى عام ، وأسبانيا لايتجاوز تاريخها سوى الفين وخمسمائة عام .

وتكشف لوحة هامرتن أيضا عن أن التاريخ المصرى تاريخ متصل .

يذكر : « إذا اخذنا بالتقدير الأقصر على انه الأرجح ، كانت سنة ٣٤٠٠ ق . م هى بداية فجر التاريخ ، وكان فجر التاريخ المصرى ، السابق على ارض مابين النهرين (البابليون) . وهناك روايات يمكن اثباتها تمتد الى سنة ٣٥٠٠ ق . م ، وبهذا يكون تاريخ الانسان المتحضر قد بدا فى وادى النيل » .

● ويؤكد فى تعليقه على اللوحة .. « أن هناك شواهد تدل على أن الحياة الاجتماعية فى مصر كانت فى تاريخ غير معلوم يقع فى حدود عام ٤٠٠٠ ق . م الذى ترتقى فيه مصر وتتجه نحو اقامة دولة منظمة ، وأن أول امبراطوريات العالم قامت عام ١٥٨٠ ق . م عندما طردت مصر فئة حاكمة من الغزاة الأجانب ، بفضل عبقرية تحتمس الثالث » .

ويكاد البحث التاريخى يتفق على أن فجر البشرية كان فى مصر ، ويتناول « وول ديورانت » الفكرة فى كتابه « قصة الحضارة » بقوله :

« ولم يكن الشرق مسرحا لأقدم مدنية عرفها الانسان فحسب ، بل إن تلك المدنيات كونت الاساس والبطانة للثقافة اليونانية والرومانية التى ظن سير هنرى مين خطأ انها المصدر الوحيد الذى استقى منه الفكر الحديث فما لنا من فلسفة ودين يرتد الى مصر والشرق .. »

وينتقل الى القول :

« فى هذه اللحظة التاريخية ، حيث تسرع السيادة الأوربية نحو الانهيار ، وحيث تنتعش اسيا مما يبعث فيها الحياة ، وعندما يبدو الاتجاه فى القرن العشرين وكأنما هو صراع شامل بين الشرق والغرب .

فى هذه اللحظة نرى أن التعصب المقيت الذى ساد كتاباتنا للتاريخ ، والذى يبدأ كتابة التاريخ من اليونان ، ويكتفى بتلخيص الشرق كله فى سطر واحد ، لم

يعد يحرر غلطة علمية ، بل ربما اخفاقا ذريعا فى تصوير الوقائع ونقصا فادحا فى ذكائنا .. »

ثم يتساءل .. كيف يتاح لعقل غربى ان يفهم الشرق ؟ فالعمر بأسره لايكفى طالبا غربيا ليدمج نفسه فى روح الشرق الدقيقة اللمحات ، وفى تراثه الذى يكتنفه الغموض .

فى العصر ماتبدو حياة اليونان او روما بالقياس الى السجل الحافل فى حياة مصر ، فاليونانيون قد اخذوا فنون عمارتهم من هذا الشعب المبدع المبتكر .

وتتوالى الشهادات :

● فيشير موريه فى كتابه « النيل والحضارة المصرية » .. « ماضى المصريين هو أطول الأحقاب التى يسجلها تاريخ البشرية ، فمصر وحدها هى التى تقدم لمن يدرسها تاريخا يمتد من العصر الحجرى القديم حتى العهد المسيحى ، فاذا لم ندخل فى حسابنا سوى الحقبة التى تلت العمل بالتقويم ، فإن امامنا اربعة الاف سنة من حضارة تركت اثارها المدونة .. »

● ويذكر بريستيد فى كتابه « فجر الضمير » ، وفيه يرى أن تاريخ مصر ليس الاقدم فحسب ، بل اول حضارة ، تتوصل الى فكرة الضمير كقيمة فلسفية وأخلاقية ، يقول : « إذا نظرنا الى أرض وادى النيل ، منبت أول انسان ادرك قوة المثل الأخلاقية ، تلك المثل التى قلبت الصفحة الكبرى فى تاريخ الانسان ، تذكرنا أن حكماء المصريين كانوا اول الناس إدراكا لمعنى الشخصية والاخلاق وصدق الاحساس » .

● التدوين والتسجيل

وتاتى العلامة الثانية التى لم تنل حظها من الاهتمام رغم أهميتها البالغة ، وهى أن تاريخ مصر من اكثر تواريخ البشرية تدوينا وتسجيلا ، ولم توجد مرحلة تاريخية مهمة لم يرافقها مؤرخ يسجل وقائعها ..

فمصر امة صنعت التاريخ ، وعاشت عمرها فى احداثه ، وهى إما صانعة حضارة او محافظة عليها ، تقدمها لمن يتعاقب عليها من الاجيال .

فكان فى مصر منذ عهد الأسرة الأولى سجل بوقائع كل عام ، وبما بلغه النيل من ارتفاع ، وحفظ التاريخ الاف السنين ، وأصبحت بفضل التدوين كتابا يمكن أن تقرأ خلال صفحاته رسالتها وطبيعة شخصيتها ، ومغزى احداثها .

وتتواصل ظاهرة رصيد الماضى وتدوينه ، كدليل على الحس التاريخى لشعب مصر ، فالتاريخ ظاهرة فارقة بين التحضر والهمجية ، فغير المتحضر لايعرف حتى اباءه ، يشغله ويملك عليه

نفسه احتياجاته الآنية ، ولايمتد بصره الى مابعد حاجاته الضرورية ..

واذا كان تاريخ الفراعنة قد سجل على المعابد وأوراق البردى ، فيكاد لايجد مرحلة تاريخية لم يظهر فيها مؤرخ يدون أحداثها ووقائعها ، منذ هيرودوت ومنيتون المصرى .. وحتى عبدالرحمن الجبرتى ..

سجل لنا (أبو التاريخ) هيرودوت فى كتابه التاسع ، الذى كتبه حول مصر ، بعد زيارتها فى القرن الخامس قبل الميلاد ، دون حملة تميز على مصر الذى ابتلعته رمالها ، وعالج مصر وكانها الكنز الحافظ لحضارة الانسان ، وهى عنده أم الفنون والعلوم والدين ونظم الحكم ، ووصف اثارها منذ عصور موغلة فى القدم ، وتحدث عن طبيعة أرضها ونيلها وعادات أهلها ومظاهر حياتهم وأصل سكانها ، ونقل ماعرفه عن حياة ملوكها .

وبدأ كتابه بالقول .. « إن حديثه عن مصر سيطول نظرا لكثرة ماتجمعه أرضها من عجائب المخلوقات ، ومن البدائع والروائع وسائر الفنون والصناعات .. »

وقام فى ذات الفترة مؤرخ مصرى سجل حياتها وهو منتون .

وبقى التاريخ محفوظا ، يجهل بعض جوانبه حتى أصحابه ، الى أن اكتشف شامبليون حجر رشيد ، فى رحلة علمية جسورة تسلحت بالادراك والخيال ، قادت الى سر اللغة الهيروغليفية ومعرفة ابجديتها ، فأزاح الستار عن فجر التاريخ الانسانى ، وقاد المؤرخين الى ينابيع لاتنضب من المعرفة التاريخية ، ومهد الطريق الى عالم التاريخ المصرى الرحيب .

● مصر المسيحية

وتمر الأيام ، وتمضى العصور ، ويدون الرهبان تاريخ مصر المسيحية فى مدوناتهم وينقل شفيق غربال عن مؤرخ مصر المسيحية « كارنا سك » قوله : « أن المسيحية قد لامت فى مصر بين خصائصها والخصائص الأساسية للدين المصرى القديم ، لمدى اوسع مما شهدناه فى اى بلد أخر ، فأن كان اكثر المصريين قد أصبحوا عند منتصف القرن الرابع مسيحيين ، فمرجع ذلك إلى أنهم خلقوا لانفسهم دينا قوميا من المسيحية ، بأن لقموا هذه الديانة ببقايا معتقداتهم القديمة وآمالها .. » ويضيف .. « واقامت مصر المسيحية كنيسة قومية ، وخلقت لنا جديدا وأداة لغوية جديدة ، ودونت تاريخها وسجلته ، وأصبحت الحضارة المصرية ذلك المزيج الفذ ، المسيحية المصرية ، وعندما ظهرت المسيحية دان لها الحكام البيزنطيون - حكام مصر فى ذلك الزمان - وبقى الحكام أجانب يسعون الى فرض مذهب دينى مغاير ، وقاوم وانتصر المصريون ، فاحتفظوا بشخصيتهم ، وأقاموا صروح الفن واللغة » .

ومصر لا روما ولاأثينا كانت مصدر التشريع الكنسى للعالم المسيحى ، وابتدعت مصر نظام الرهبنة الذى انتشر منها فى انحاء العالم .

مصر
وشخصيتها التاريخية

وما من بلد اثر فى انتشار المسيحية كما فعلت مصر .

● مؤرخو مصر الاسلامية

وبدخول مصر الاسلام ، اتسع الافق المصرى ، وامتد الى محيط دار الاسلام ، وظهر الانتماء الاوسع ، الى منطقة ارحب ، وتحرر الانسان من العبودية لغير الله الخالق .

وبرزت ظاهرة التدوين فى مصر الاسلامية ، وسبب ذلك انها اقرب المراحل التاريخية للزمن الراهن او لعله نتيجة رسوخ التدوين فى ارضها ، ويؤكد الدكتور كامل حسين فى كتابه « ادب مصر الاسلامية » ، ... « من اقدم المحفوظات العربية التى تضمها كافة المكتبات والمتاحف العالمية ، تلك التى كتبت فى مصر على ورق البردى .. » .

وقائمة من ارخوا لمصر الاسلامية قائمة طويلة ، تكاد تسجل حياة مصر الاسلامية بكل تفاصيلها الحية ، وتضم هذه القائمة كلا من ابن عبدالحكم ، والكندى ، وابن زولاق ، والمسبحى ، والقضاعى ، والمقريزى ، وابن تغرى بردى ، والسخاوى ، وابن اياس ، والجبرتى .

ولايكاد يفوت احدهم واقعة تاريخية او حدث جلل ، الا وسجلها وكشف مكنونها ، ورصد نتائجها ، فى تتابع يثير الدهشة ، وشمل تسجيلهم كل شىء ، فمثلا يقدم الكندى سجلا وافيا عن قضاة مصر ويسجل ابن زولاق انهيار الحكم الطولونى وقيام الدولة الاخشيدية ، ويؤرخ لانتقال مصر من الخلافة العباسية الى الخلافة الفاطمية ، ويكتب المسبحى سيرة الحاكم بامر الله ، وبعدها ياتى مؤرخو مصر المملوكية ، ويسجل وقائعها كتاب موسوعيون هم النويرى والعمرى والقلقشندى .

ويقوم كل من المقريزى وابن تغرى بردى والسخاوى وابن ايلس ، بتدوين تاريخ مصر الاجتماعى ، يمزجون فيه بين اخبار العامة والدهماء مع سير الملوك والحكام ، وتظفر من خلالهم بتاريخ القرن التاسع الهجرى ، فى صورة حية متصلة ، تحكيه المشاهدة وترك لنا ابن ايلس المشاهد الدامية لخضوع مصر للعثمانيين ، ثم ياتى عبدالرحمن الجبرتى راصدا الحملة الفرنسية واعمالها ، وبداية عصر محمد على ..

وتقف هذه الاعمال التاريخية الضخمة لتشكل منهلا لكل باحث شغوف بتاريخ مصر ، وقد قدم الكاتب الكبير عبدالله عنان اعمالهم فى كتاب مهم هو : « مؤرخو مصر الاسلامية » ، ولاحظ الكاتب الكبير فى هذه الاعمال قدرة مصر الخلاقة على التفاعل مع من حولها مع الاحتفاظ بخصوصيتها . فقد

عنى مؤرخو مصر الاسلامية بتدوين تاريخ مصر قبل غيره .

ويقول المقريزى فى مقدمة كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » :

« كانت مصر هى مسقط راسى ، وملعب اترابى ، ومجمع ناسى ، ومغنى عشيرتى وحاميتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجوى الذى ربى جناحى فى وكره ، وعش ماربى ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت مذ شذوت العلم واتانى ربى الفطانة والفهم ، ارغب فى معرفة اخبارها ، واحب الاشراف على الاغتراف من ابارها ، واهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها .. »

وتظهر عاطفة ابن اياس الفياضة فى وصفه لمحنة سقوط مصر فى يد العثمانيين فى اواخر القرن التاسع الهجرى ، ويصور بقلمه هزيمة جيش مصر بقوله : « اشيع خبر الكائنة العظيمة التى لمت وعمت وزلزلت .. وزال ملك الأشرف الغورى فى لمح البصر ، فكانه لم يكن ... وقام نعى السلطان فى ذلك اليوم ونعى الامراء والاعيان الذين قتلوا ، وصار فى كل حارة وزقاق وشارع من القاهرة صراخ وبكاء .. ورجت القاهرة ، وضجت الناس ، واضطربت الأحوال ... وانقض الغزاة البرابرة على القاهرة كالضوارى المفترسة ، فاوقعوا فى سكانها السفك الذريع ، وامعنوا فى الآمنين قتلا وهتكا ونهبا ، ودامت المذبحة الهائلة اياما اربعة .. » وهى .. « المصيبة العظمى التى لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان ، وكانت الجثث فى الطرقات من باب زويلة الى الرميلة ..... » .

ويحكى بكلمات دامية اعدام السلطان بقوله ..

« صرخت الناس عليه صرخة عظيمة ، وكثر عليه الحزن والأسف ، فكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان وقتل منهم ما لا يحصى ، ووقع منه فى الحرب امور لم تقع من الأبطال العنترة ..

لهفى على سلطان مصر كيف
قد ولى وزال كانه لم يذكرا

التغير والاستمرار

إن هذا العرض يؤكد أن تاريخ مصر وحدة متكاملة ، ورواية متصلة ذات فصول ، بطلها الشعب المصرى ، وتاريخها المدون يؤكد على مذاقها الخاص وخصوصية تاريخها ، ويمكن ملاحظة الوحدة الكامنة وراء كل مراحلها التاريخية ، ودورها الحضارى الفريد ، فلا تصدق على حضارة صفة الاستمرار كما تصدق على تاريخ مصر .

ويؤكد ذلك عباس العقاد فى مقدمة كتابه عن سعد زغلول : « إن المصريين امة لها تاريخ قديم متصل ، والاخبار عنها متصلة ، وذاكرة الشعوب بأخبارها مشغولة ، العالم القديم والعالم الحديث كليهما ، ومصر امة توارثت العقائد والماثورات جيلا بعد جيل ، وأصبح لها من بعض تلك العقائد تراث تصونه وتحافظ عليه » .

وكانت قوة هذه الحضارة تتلخص في قدرتها الدائمة على التفاعل مع ما حولها، وفي التناغم الدائم بين مراحلها التاريخية المتعاقبة. وهي على حد قول الدكتور جمال حمدان، فرعونية بالجد، ولكنها عربية بالاب.

وهي توشك ان تكون مركزا مشتركا لثلاث دوائر مختلفة، فهي قلب العالم العربي، وواسطة العالم الاسلامي، وحجر الزاوية في العالم الافريقي، وهي لاتجمع بين الاضداد، ولكنها تجمع بين اطراف متعددة وجوانب خصبة تجعلها امة وسطا .. «وهي بجسمها النحيل تبدو مخلوقا اقل من قوى، ولكنها برسالتها التاريخية تحمل راسا اكثر من ضخم ..».

وعالج قضية الاستمرار في التاريخ المصري عالمان كبيران، شفيق غربال في كتابه «تكوين مصر». الذي يعتمد على خلفيته التاريخية، والدكتور جمال حمدان في كتابه «شخصية مصر»، والذي يعتمد على الجغرافية الواسعة.

ويتحدث شفيق غربال عن خصوصية تاريخ مصر بقوله .. «عندما نبحث عن مصر خلال كل العصور، مصر التي تسمو فوق هامات الحقب والعصور، نلاحظ أن التفاعل بين الاستمرار والتغيير هو مادة التاريخ، فما يبدو في التاريخ مستمرا لايخلو أبدا من تغير خفي دقيق، وما من انقلاب مهما كان فجائيا ومهما كان عنيفا استطاع ان يقطع صلة الاستمرار بين الماضي والحاضر» ويضيف .. «الشخصية المصرية قابلة للتاثر والتاثير فيما تتصل به، وبقيت لها خصائصها عندما اتصلت بشعوب العهد القديم وباليونانية والرومانية، وقد حان الوقت لان ننفذ الى صميم النفس المصرية من خلال فنها وادبها وعاداتها، ومن الناس من يرى اهمال تلك الأيام، ويلحقها بقصص الاستعمار، مما يفرض على الكتاب واجب أن يصلوا بين اطوار حضارة مصر ..». «والذاتية المصرية اكثر الوجوه استجابة لأثر البيئة الجغرافية، فنلاحظ ان تطور مصر الاسلامية يجرى على نسق خاص بها، بيين أن هذا الاتجاه كان في الوقت نفسه سريع التأثر بمبادىء الاسلام وبالحركات الاسلامية، فتاريخ مصر سار وفق خطوط تختلف اختلافا بينا عما سار عليه تاريخ العراق أو تاريخ المغرب».

ويجيب تاريخ مصر على العديد من التساؤلات المعاصرة، فالتاريخ هو لسان الجغرافيا والتعبير الصادق عن البيئة والموقع، ومن يبحث مثلا على اسس أمن مصر، فسيجدها من وقائع التاريخ التى تؤكد .. أن طريق الشرق هو اتجاه الغزو على مر الأيام.

واخيرا .. هل لكل هذا التاريخ المدون والمتصل من مغزى، سوى مغزى واحد، هو أن هذا المجتمع الذى يعيش على ضفاف النيل، قدر له ان يلعب دورا حضاريا في حياة البشر، وبناء الحضارة.

فإذا اقعدته الظروف بعض الوقت، فسرعان ما يقوم ويكمل رسالته.

في ذكرى المولد النبوي

هل أخذنا إمرة الأرض غصابا؟

بقلم: أحمد حسين الطماوي

بين حين وآخر يرسل المذياع الى اذاننا قصيدة نبوية من نظم احمد شوقي وغناء السيدة ام كلثوم من ابياتها المادحة للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم .

وعلمنا بناء المجد حتى : اخذنا امرة الارض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمني : ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال : اذا الاقدام كان لهم ركابا

البيتان الاخيران منفصلان عن البيت الاول . جيدان ، ويمثلان حكمة عالية ، والمعنى المتضمن يرهج العواطف ، ويصقل النفوس ، ويذكى الروح ، ويمكن أن يقالا عن اى شعب مجاهد في سبيل تحقيق عزته وتأكيدها بعد طول اذلال وهوان . ولكن ترتيبهما بعد البيت الاول يؤكد معنى خطيرا يتنزه عنه الاسلام ، ويبطله تاريخه العريق ،ذلك ان البيت الاول يشير الى أن مجد الاسلام استند الى اغتصاب البلاد التي اعتنقت الاسلام عنوة وقهرا ، وهذا المعنى يعرج عنه لبطلانه ، ويمترى فيه لتفاهة برهانه ، هذا فضلا عن أن انتساب كلام من هذا القبيل لأحد شعراء الاسلام يعد اكبر تأييد لرأى بعض المستشرقين الذين يزعمون باطلا أن الاسلام انتصر بالسيف ، وانتشر بالعراك بين اقوام يرفضون أصوله ، واغتصب الارض ليؤثل عليها مجدا .

ان تاريخ صدر الاسلام ليس خافيا على أحد ، فهو مسطور في دواوين التاريخ ، ومن ينظر فيه يجد تكذيبا لكل من يفترى عليه وعلى رسوله الامين وخلفائه الراشدين الفاتحين ، ومن دروس الاسلام التي تدحض فرية الاغتصاب والقهر ما جاء في « فتوح البلدان » للبلاذرى عندما بعث النبي (ص) محيصة بن مسعود الانصارى الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي، فصالحوا الرسول (ص) على نصف الارض بتربتها فقبل ذلك ، لأنه لم يرجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب». أما ما آل الى المسلمين من خيرات فدك فقد انفقه الرسول (ص) على أبناء السبيل ، ونتساءل أين الاغتصاب في هذه الواقعة ؟

لم يكن الاسلام يقهر الناس أو يغتصب الاهل والارض والممتلكات .

وانما كان يحمي تلك البلاد ويؤمنها ويرعاها ، فقد جاء في كتاب النبي (ص) الى أهل نجران : « لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وغيرهم » الى آخره • ولم يأل الاسلام جهدا في رعاية أهل الذمة ، وكان الرسول (ص) يستوصي الفاتحين خيرا بقبط مصر وله في ذلك أحاديث ترددها كتب السيرة النبوية ، وأسفار الحديث الشريف •

وتمدنا سجلات التاريخ الاسلامي بأخبار الذين دخلوا الاسلام بارادتهم الحرة ، فقد أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال في عهد الرسول • ويذكر الواقدي في « فتوح الاسلام » أن أبا موسى أقام على اصطخر الى أن فتحها « صلحا » أما أهل مرو فقد أرسلوا الى عبد الله بن عامر فصالحوه، وكان بعض الملوك يطلبون الامان من قواد العرب المسلمين مثل كنازا ملك طوس ، والاسوزار ملك نيسابور ، وذادارية ملك الفارياب ، والران ملك بلخ •

● الدعوة لا القوة

فلم يعلمنا الرسول الكريم أو أحد الخلفاء الاربعة أن تغتصب أراضي الغير ونبني عليها مجدا ، ولكن الاقرب الى الصواب « أن الاسلام انتشر بالدعوة لا بالقوة » كما يبرهن على ذلك واقبال في كتابه « دعوة الاسلام » •

واذا كان العرب قد فتحوا البلدان المجاورة لهم فذلك بهدف نشر دين الله، وليس بهدف السيادة والاغتصاب، ومما قاله عمرو بن العاص لأبي مريم جاثليق مصر عندما دخلها « نحن ندعوكم الى الاسلام فمن أجابنا اليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنعة » على حد ما جاء في « تاريخ الطبري » • فنشر أصول الاسلام من غاية الفتوح الاسلامية، وهناك البلدان العديدة التي لم يفتحها المسلمون ، وسادت فيها شعائر الاسلام مثل غرب افريقيا وأندونيسيا وغيرها •

أما الصدام بين المسلمين وغيرهم فقد جرى عندما قاوم أهل الشرك والوثنية كلمة الله ودعوة نبيه بالحرب والضرب ، وانبرى المسلمون لهم وذادوا عن دينهم وأنفسهم بنفس الوسيلة « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » •

ولم يكن دأب القواد المسلمين فرض الدين وجمع المال ، وانما كانت رسالتهم نشر الدعوة بالسماحة واللين ذلك أن العقيدة لا تدخل القلوب بالقهر والغلبة ، ومما يصلح أن يكون مثالا على ذلك ما جرى عند فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ ، فقد أسر عمرو بن العاص عددا كبيرا من المصريين ، فأرسل اليه صاحب الاسكندرية كتابا يطلب فيه اطلاق السبايا مقابل جزية يدفعها • فكتب عمرو الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما عرضه عليه صاحب الاسكندرية ، وجاء رد عمر شافيا كافيا فرأى أن يخير السبايا بين الاسلام ودين قومهم ، فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه وضعت عليه الجزية ، فأخبر عمرو بن العاص صاحب الاسكندرية بفحوى رد أمير المؤمنين •

وهذا المثل يوضح الى أي مدى كان الاسلام سمحا لينا لا يأخذ الناس بالقوة ، وانما يرغبهم فيه بالدعوة •

البلاد المفتوحة ترحب بالاسلام

وتخبرنا كتب التاريخ الموثوق

بسمتها أن أبناء البلاد المفتوحة رحبوا بالمسلمين ووقفوا الى جانبهم عندما ادركوا أن انصاف الاسلام واصل اليهم، وعدالته حاكمة فيهم ، وحرية العقيدة مكفولة لهم، بعد معاناة طويلة وشديدة من عسف الفرس وخسف الرومان ،فلا جرم أن ساعدت قبيلة الجراجمة (المسيحية) المسلمين فى قتالهم ضد الرومان فى بلدان الشام ، وليس غريبا أن يسد أهل حمص طرق مدينتهم فى وجه هرقل وجيشه ، ويعرضوا على الفاتحين من المسلمين بلدهم ليشرق عليها نور الاسلام ، وليس هذا فحسب وانما الفينا أسقف دمشق يفتح بابها الشرقى للمسلمين ، فصارت دمشق كلها صلحا ، وسايره فى هذا بطريق بيت المقدس الذى سلم المدينة للعرب .

ويمكن أن يقال مثل هذا الكلام على قبط مصر الذين سامهم الرومان صنوف الاضطهاد ، وعلى أهل فارس حيث كان نفوذ كهنة الزرادشتيه خطيرا فى الحياة الاجتماعية .

وكان دور الاسلام فى تلك البلدان هو رد الحقوق المغتصبة ، وتحرير الناس من ظلم حكامهم .

وعندما استتب الامر للمسلمين وانتشر العدل ، ومنحت الحريات ، واستقامت أحكام الشريعة السمحاء ، دخل معظم أبناء تلك البلاد المفتوحة فى دين الله افواجا ، بل ان العرب المسلمين عندما أخذوا فى تنظيم دولتهم، وانشأوا الدواوين المختلفة تبعا لذلك، أخذ كثير من الذميين وغيرهم فى ترك لغتهم الاصلية ، وتعلموا العربية التى تمكنهم من التوظف والعمل فى دوائر الحكم ودواوين الدولة . وانه لا يمكن التصور بأن العربى المسلم قد لوى السنة أهالى الامصار المفتوحة لتعلم لغته واستخدامها فى حياته العامة والخاصة .

وقد لقى الاسلام انصافا عند غير المتعصبين من الأوربيين، فشهدوا بمدى تسامح المسلمين مع أهالى الاقطار التى دخلها الدين الحنيف ، وقدر الترحيب الذى لقيه الفاتحون الجدد ، فقال بلاسكو ابانيز عن دخول العرب الى اسبانيا : « ان القرى الاسبانية أسلمتهم أزمتها بغير مقاومة ولا عداء » ويقرر توماس ارنولد بأن «الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق»

فهذه شهادات للاسلام بسماحته من غير المسلمين .

لقد كان مجد المسلمين الحقيقى هو نشر الدعوة واعلاء كلمة الدين ،وليس امتلاك الارض أو اغتصابها .

والواقع الماثل ـ بعيدا عن التفلسف والتعصب ـ يؤكد أن المسلمين لم يغتصبوا شيئا ، فالاقوام فى البلاد المفتوحة هم اقوامها ، والارض لم تنتقل من مكانها ، كل ما حدث أن عقيدة السكان تغيرت من الشرك الى التوحيد، ومن الوثن الى الاله المقتدر ، وبقى كل شىء فى موضعه ، والآن تحكم الشعوب الاسلامية نفسها بنفسها فى ارضها ، فاذا كان هناك من أخذ ، فماذا أخذ ؟

وعلى هذا فان شوقيا قد خصانه التوفيق ، فى التفكير والتعبير . وواقع الامر أن المسلمين لم يأخذوا اسوة بالقوة بل بالدعوة ، وأخذوا الدنيا بالسماحة وليس بالغلبة ، ولم يركبوا الاقدام فقط الى البلاد المفتوحة وانما استخدموا الاقناع والبرهان ، ونال المسلمون ما نالوا بالجهاد المشروع وليس بالاغتصاب المكروه ، واقاموا العدالة المستمدة من الشريعة ، فانتشر الاسلام ، وساد السلام « واشرقت الأرض بنور ربها » .

سرّ تقدم غير المسلمين!
متى.. ولماذا تخلفنا حضاريًا؟

بقلم: د. محمد عمارة

لم يتبدل «الإسلام - الدين» ولم تضعف حصيلة المسلمين من فقه أسراره ومراميه .. بل لعل التقدم الذى احرزته علوم الشريعة والعلوم الطبيعية يكون قد اتاح للخلف من اسرار الإسلام ومراميه مالم يتح للأسلاف ...

فلماذا تقدم «السلف» .. وتخلف «الخلف»؟ .. حتى صرنا الى مانحن عليه، ووجدنا أنفسنا - وغيرنا - مدفوعين الى الخوض فى الحديث عن ضرورة اليقظة الاسلامية التى تخرج الأمة من السبات والنوم؟ .. والصحوة التى تنقذها من السكرة؟ .. والنهضة التى تغادر بها الركود .. والتقدم الذى يعتقها من التخلف؟ .. والتجديد الذى يخرج بها من الجمود؟ .. والاجتهاد الذى يعصمها من التقليد؟ .. والارتقاء الذى يرفع عنها عار الانحطاط؟ .. والتواصل الحضارى الذى يجدد الخيوط التى وهنت، ويبعث الحياة فى قنوات الاتصال بين حياة المسلمين ودينهم الحنيف ؟؟؟ ..

لقد زادت معرفتنا بالاسلام .. وزادت كشوف المسلمين لثروات أوطانهم المادية .. وبلغ تعدادهم المليار .. وهم أكثر اهل الأرض زيادة في معدل التوالد الجديد ؟! .. فلماذا تقدم السلف ؟ .. ولماذا تخلف الخلف ؟ ..

سؤال طرحه العقل المسلم منذ القرن الثامن عشر الميلادى .. وأضاف اليه ، منذ الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة ، السؤال عن : سر تقدم غير المسلمين ؟؟ ..

وإذا كانت إجابات هذا السؤال قد تعددت بتعدد مذاهب الذين طرقوا مباحث هذا الميدان فإننى اعتقد أن رصد التحويلات الواقعية التى أحالت تقدمنا تخلفا ، عبر مسيرتنا التاريخية ، هو اقوم السبل لحسم النزاع بين المجيبين على هذا السؤال ! ..

* * *

لقد ذهب الصحابى سعد بن هشام بن عامر ، رضى الله عنه ، إلى أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، سائلا .. فقال :

- « يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم »
- فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟!
- قال : بلى !
- قالت : فإن خُلُق نبى الله كان القرآن » !

هنا ، كان القرآن قد تحول ، عبر الذين فقهوه ، الى طاقة حية ، تقيم فى الواقع بناء حضاريا تتجسد فيه روح القرآن ! .. ولم يقف الأمر عند الحفظ والترتيل للآيات ، بل ولا الفقه للمرامي والأغراض ؟! ..

وعندما ساوم الباطل - ممثلا فى مشركي قريش - الحق - ممثلا فى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - بالترغيب والترهيب ، كانت قولته المشعة المدوية : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته .. » !

ولقد صبغت هذه المقولة تلك المرحلة ، فكان شعار جيلها الفريد : « احرص على الموت توهب لك الحياة » ! .. فكان الذى بهر الدنيا .. المستضعفون يقوضون عروش الأكاسرة والقياصرة ، ويحيون موات المواريث الحضارية القديمة ، ويفتحون فى ثمانين عاما ما لم يفتح الرومان - سادة الفتح فى التاريخ - فى ثمانية قرون .. ويبدعون اعظم وأنبل الحضارات التى شهدها تاريخ الانسان ..

فلماذا .. ومتى .. وكيف حدث الانقلاب ؟ .. وماهى المسيرة التى سلكتها الأمة إلى حيث تحققت فيها النبوءة السياسية والحضارية التى نبه عليها رسولها ، صلى الله عليه وسلم ، محذرا ، عندما قال : « يوشك أن تداعى عليكم الامم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ! .. »

فقال سامعوه : « يارسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ ؟ ! »

قال : « أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم

المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ! »

فسأل سامعوه : « وما الوهن ، يارسول الله ؟ »

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت ! »

لماذا ؟ .. ومتى ؟ وكيف حدث الانقلاب الحضارى ، حتى تحققت « النبوءة ـ المحذرة » لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فغدى المسلمون غرباء فى ديارهم ، أسرى لأعدائهم ، تستبد بهم وبمقدراتهم التحديات المعادية والمنهالة على عالم الاسلام من كل الملل والقوميات ـ ومن الحضارة الغربية وقواها العدوانية على وجه الخصوص ـ ؟! ..

لنمسك الخيط من بدايته .. ولنتابع المسيرة الحضارية ، راصدين أسباب التراجع ومظاهره ، لنضع أيدينا وعقولنا على سبل اليقظة التى هى الغاية من وراء هذه الصفحات .

● استبداد الاكاسرة

لقد كانت قيادة الشرق ، فى صراعه التاريخى ضد الغرب ، للدولة الفارسية .. نهضت بهذه المهمة ، ومارست هذا الدور ، ناجحة حينا ومخفقة أحيانا ، لعدة قرون (٤٩٠ ق ٠ م ـ ٦٢٧ م) ؟! ..

لكن هذه الدولة الفارسية قد بلغت بها أمراضها المستعصية ـ من النظام الاقطاعى الظالم .. إلى الطبقية الثابتة المغلقة .. إلى استبداد أكاسرتها باسم التفويض الإلهى ـ بلغت بها هذه الأمراض حدا جعل كفة الغرب الاغريقى ترجح فى هذا الصراع ، فكانت الهيمنة الاغريقية الغربية على عالم الشرق منذ حقق الاسكندر الاكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق ٠م) انتصاره الحاسم على الفرس سنة ٣٣١ ق ٠ م .. ومنذ ذلك التاريخ :

● رزحت الشام ومصر وبلاد الشمال الافريقى تحت الحكم الاغريقى فالرومانى فالبيزنطى ..

● وظل العراق تحت الهيمنة الفارسية ..

● وتبادل الفرس والأحباش السيطرة على اليمن وجنوبى شبه الجزيرة العربية ..

● وكاد وسط شبه الجزيرة العربية أن يسقط ، فيتم احتواء كل الشرق نهائيا ، فى غزو الحبشة لمكة عام الفيل سنة ٥٧١ م .. عام ولادة الرسول محمد ابن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ؟! ..

لكن ظهور الاسلام قد جاء إيذانا بتغيير صورة هذا الواقع البائس ، وتبدل اتجاه التاريخ العالمى ...

● ففى عام البعثة المحمدية ، ومع تباشير الوحى برسالة الاسلام ، تحقق للعرب أول انتصار على الفرس فى « يوم ذى قار » ؟! ..

● وبالتوحيد الديني توحدت الهوية القومية والحضارية للعرب ، فبنوا دولتهم العربية الاسلامية ، التي رفعت رايات الوحدة على شبه الجزيرة كلها للمرة الأولى في التاريخ .

● وانطلقت شعوب المنطقة ـ حتى الذين ظلوا على عقائدهم الدينية القديمة ـ خلف العرب المسلمين في موجة الفتوحات العربية الاسلامية ، كالاعصار التحريري ، فاقتلعوا الهيمنة الغربية البيزنطية التي رسف الشرق في أغلالها لأكثر من عشرة قرون ؟ ! ..

● وانجزت هذه الفتوحات وحدة الشرق ، تحت قيادة الأمة العربية ، وواصلت الدولة العربية الاسلامية المهمة التي عجز عنها الفرس .. مهمة قيادة الشرق في صراعه التاريخي ضد أطماع الغرب واستعماره ..

● انتصارات الجهاد الاسلامي

لكن الغرب لم يستسلم لهذا المصير ، فظلت الجبهة « الاسلامية البيزنطية » مشتعلة بوقائع الغزو والجهاد ..

والذين يراقبون حركة « الخط البياني » لأحداث جبهة الصراع « الاسلامية ـ البيزنطية » ، يلحظون العلاقة العضوية بين « وحدة الأمة الاسلامية » و « وحدة دولتها العربية الاسلامية » وبين توالي انتصارات الجهاد الاسلامي على خط هذه الجبهة .. فإذا ضعفت وحدة الأمة واهتزت وحدة الدولة مالت الكفة على جبهة التحديات الخارجية لصالح الأعداء .. أي أن العوامل الداخلية والخارجية قد ارتبطت دائما وأبدا في الصعود والهبوط .. في القوة والضعف .. في الانتصار والهزيمة فكان تاريخ « الواقع » الشاهد الاعظم على صدق « المناهج والنظريات » التي تعلمنا صدق هذه المقولة في شئون الأمم عبر كل الحضارات وفي كل مراحل التاريخ .. فالعلاقة عضوية ، والعروة وثقى بين العوامل الداخلية والخارجية في صراعات هذه الأمة ، وفيما حققت من تقدم وما أصاب مسيرتها الحضارية من نكسات .

فاشتداد مخاطر التحديات الخارجية فتح الباب للاهتمام بـ « الدولة » أكثر من « الأمة » ، والتركيز على « القوة » على حساب « العدل » فتغير النهج الاسلامي ، تدريجيا ، منذ تأسيس الدولة الأموية (٤١هـ ٦٦١ م) فشابت « الشورى » سلبيات « الملك العضوض » ، وأصبحت الأموال دُولة بين الأغنياء ، بعد أن كانت نهرا أعظم والناس شريبهم فيه سواء ؟! .. الأمر الذي فجر ، على أرض الواقع الداخلي سلاسل من « الثورات » و « الانتفاضات » و « الأزمات » .. عالجتها الدولة بالمزيد من « الأدواء » فلقد واجهت التمزق الداخلي بتنمية « القوة » بدلا من إشاعة « العدل » و « الشورى » ، حتى جاء الوقت الذي تضخمت فيه هذه « القوة » الضاربة ـ وكانت قد أصبحت غريبة عن الروح الحضاري للأمة ـ فتم « الانقلاب » الذي قاد النهضة إلى التراجع والجمود ؟! ..

لقد كانت وحدة الأمة الاختيارية هي المصدر الطبيعي لقوة « الدولة » .. وعندما كان التمزق يصيب وحدة « الأمة » كان الوهن يتسرب إلى قوة « الدولة » فتميل الكفة ـ إعمالا لقانون ارتباط العوامل الداخلية بالخارجية ـ تميل الكفة لصالح الاعداء على جبهة الغزو والجهاد ..

● ففي (٧٠ هـ ٦٨٩ م) انقسمت الأمة في الصراع بين عبد الملك بن مروان (٢٦ ـ ٨٦ هـ ٦٤٦ ـ ٧٠٥ م) وعبد الله بن الزبير (١ ـ ٧٣ هـ ٦٢٢ ـ ٦٩٢ م) فبلغت « الدولة »

من الضعف الحد الذى اضطرها إلى مهادنة الروم البيزنطيين لقاء « جزية » نعم « جزية » هكذا سماها المؤرخون ؟! مقدارها الف دينار يدفعها خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان الى ملك الروم « كل جمعة » ؟! ..

● فلما عادت إلى « الأمة » وحدتها ، وإلى « الدولة » قوتها ، بعد تصفية ثورة ابن الزبير ودولته ، طويت هذه الصفحة من صفحات كتاب العلاقة مع الروم ، واستأنف المسلمون الغزو والجهاد فى سنة (٧٦ هـ ٦٩٥ م) وانتظم هذا الغزو والجهاد ، تقريبا ، كل عام ! ..

● فلما جاءت (سنة ٨١هـ ٧٠٠ م) وحدثت ثورة عبد الرحمن بن الاشعث (٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م) كان التمزق والضعف .. فتوقف الغزو والجهاد فى ذلك العام ؟! ..

● وإبان تزايد حدة الثورات التى أشعلها الخوارج والعباسيون ، تفرقت « الأمة » وانخرطت جموعها وقواها خلف أعلام الثوار .. فضعفت « الدولة الأموية » .. فتوقف الغزو والجهاد طوال فترة ضعف الدولة الأموية ، وفى مرحلة التأسيس وعدم الاستقرار ـ بسبب الثورات ايضا ـ للدولة العباسية .. بل لقد مالت الكفة لصالح الروم ، فشرعوا فى غزو ديار الاسلام ، وانتزع ملكهم قسطنطين (٧٤١ ـ ٧٧٥ م) مدينة « ملطية » عنوة ، وهدم سورها فى (١٣٨ هـ ٧٥٥ م) ؟!

● فلما عادت الوحدة « للأمة » والقوة « للدولة » العباسية الجديدة ، تغير ميزان القوى ، فعاودت الدولة غزوها وجهادها .. واستردت مدينة « ملطية » (١٤٠ هـ ـ ٧٥٧ م)

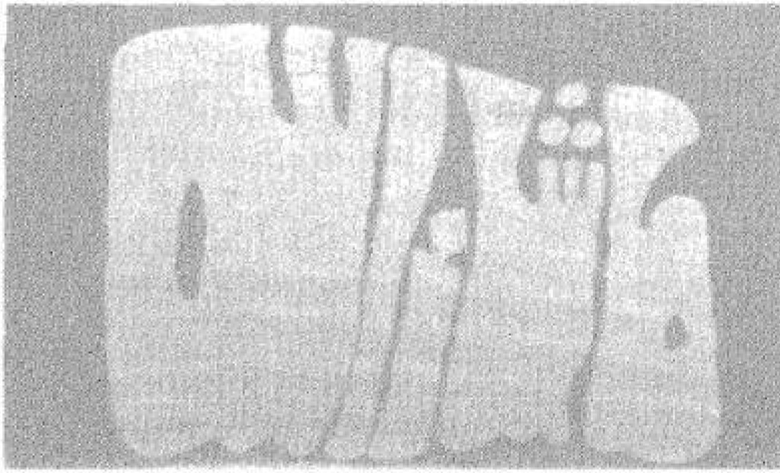
● وفى عهد هارون الرشيد (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م) تصاعد الخط البياني للغزو والجهاد .. حتى إذا حدثت فتنة الأمين (١٧٠ ـ ١٩٨هـ ـ ٧٨٧هـ ـ ٨١٣ م) والمأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م) تراجع هذا الخط ، فغابت من سنوات تلك المحنة ظاهرة الغزو والجهاد ؟ !..

وفى القرن الثالث الهجرى برزت على خريطة الواقع الاسلامى عدة عوامل وظواهر ذات دلالة بالغة فى موضوع هذا الحديث ..

● فثورات الخوارج وهباتهم وانتفاضاتهم قد تواصلت دون انقطاع ..

● والعلويون ، الذين نافسوا العباسيين على « السلطة » و « الدولة » توالت ثوراتهم تحت قيادات « زيدية » فكانت لهم فى ذلك القرن الثالث الهجرى ثورات : فى الكوفة (٢٤٢ هـ ٨٥٦ م) وطبرستان (٢٥٠ هـ ٨٦٤ م) والرى (٢٥٠ هـ ٨٦٤ م) وقزوين (٢٥٠ هـ ٨٦٤ م) والكوفة (٢٥٠ هـ ٨٦٤ م) وثورة الزنج الكبرى فى العراق وفارس (٢٤٩ هـ ٨٦٣ م) ..

● والشعوبية ، التى احترفت الكيد لكل ماهو عربى ، والتى لم تتبدد احلامها فى احياء المواريث المجوسية الفارسية القديمة ، واصلت هى الأخرى الكيد لوحدة الأمة ولقوة الدولة ..



ولم يتوقف نشاطها بنكبة الرشيد للبرامكة (١٨٨ هـ ـ ٨٠٢ م) .. بل لقد استثمروا هذه النكبة ، عاطفيا ، فى الكيد للعروبة ودولتها وللاسلام ووحدة امته ..

● وغير الثورات المذهبية والفكرية ، تفجرت فى الكثير من ولايات الدولة انتفاضات محلية ، لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو عرقية أوقبلية .. وذلك من أمثال ماحدث فى مصر (٢١٢هـ ـ ٨٢٨ م) و (٢١٤ هـ ـ ٨٢٩ م) و (٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م) و (٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م) وماحدث فى فارس (٢٢٠ هـ ـ ٨٣٥ م) وماحدث فى طبرستان (٢٢٤ هـ ـ ٨٣٩ م) وماحدث فى البحرين (٢٨٦ هـ ـ ٨٩٩ م)

● وغير هذه الثورات .. والمكائد .. والتمردات ، شهد هذا القرن ، والذى تلاه عددا من الأزمات الداخلية ، ذات الطابع الفكرى ، أضعفت وحدة الأمة ، فسرى الضعف إلى الدولة والخلافة على نحو مهد السبل لعوامل التراجع والجمود والاضمحلال ..

ففى سنوات (٢١٢ ـ ٢١٩ هـ ـ ٨٢٧ ـ ٨٣٤ م) حدثت المحنة التى اشتهرت بمحنة « خلق القرآن » عندما استخدمت الدولة قوتها فى فرض لون من الوان الفكر على رافضيه ، فكان ماكان من انقسامات فى صفوف العامة والخاصة على حد سواء ...

وفى (سنة ٢٣٦ هـ ـ سنة ٨٥٠ م) شرع المتوكل العباسى (٢٠٦ ـ ٢٤٧ هـ ـ ٨٢١ ـ ٨٦١ م) فى اضطهاد الشيعة والمعتزلة والعلويين .. وتصاعد هذا الاضطهاد فى عهد القادر بالله (٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ ـ ٩٩١ ـ ١٠٣١ م) فصدر ماعرف بـ « الاعتقاد القادرى » الذى حرم فكر المعتزلة وأهل العدل والتوحيد ، بما يشبه المراسيم الكنسية ، الغريبة عن روح الاسلام ؟!

● وفى خضم هذه الثورات .. والمكائد .. والتمردات .. والازمات .. وبتأثيراتها ، كان ضعف الدولة المركزية . فظهرت حركة استقلال العديد من الولايات ، وخصوصا فى الأطراف .. فاستقلت الدولة الطولونية (٢٥٤ هـ ـ ٨٦٨ م) والبويهية (٣٣٤ هـ ـ ٩٤٥ م) والغزنوية (٣٩٠ هـ ـ ٩٩٩ م) ـ وكانت السلطة فيها جميعا أعجمية ـ تركية وديلمية ـ ** وذلك فضلا عن المغرب .. والأندلس ..

سر تقدم غير المسلمين!
متى.. ولماذا تخلفنا حضاريا؟

تلك كانت ابرز التحديات التى واجهت الدولة الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى ... فماذا صنعت هذه الدولة إزاء هذه التحديات ؟! ..

لقد سبقت إشارتنا إلى أن الدولة قد عالجت هذه « الأدواء » بـ « الداء » الذى زادها حدة وتفاقما .. فأغلب هذه الانشقاقات والازمات قد جاء ثمرة لضمور « العدل » و « الشورى » فى مناهج الحكم وغاياته ووسائله ، لحساب تركيز السلطة والثروة بيد « الدولة » وانصارها وعصبيتها ، ظنا منها أن ذلك هو المعين على مواجهة التحديات الخارجية بكفاءة واقتدار... لكن هذا الطريق فى معالجة التحديات قد زادها عددا واستفحالا ، على النحو الذى أشرنا إلى ابرز معالمه فيما تقدم من سطور ...

والبعض ـ ممن يحترف منهج « التبرير » فى كتابة التاريخ ـ يرى أن « الدولة » لم يكن امامها خيار آخر فى معالجة ومواجهة هذه التحديات .. فلا يفل الحديد إلا الحديد ؟ ! ..

لكننا ننبه إلى أن النهج الاسلامى ، بل والتاريخ الاسلامى ، قد عرف ، بل ومارس ، خيارا آخر فى مواجهة مثل هذه التحديات .. فخامس الراشدين عمر بن عبد العزيز (٦١ ـ ١٠١هـ ٦٨١ ـ ٧٤٣ م) عند حمل أمانة خلافة المسلمين ، واجهته تحديات مماثلة ، بل ربما أشد .. فعلى جبهة « العدل » وجد ثروة الأمة ، التى تركها النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان « نهرا أعظم ، والناس شربهم فيه سواء » وجدها قد حيزت من قبل العصبية الاموية ، وغدت دولة بين الأغنياء ... فجعل رسالته الخالدة : رد المظالم الى اهلها ، بادئا بنفسه وأهله وأمراء بنى أمية وبطانة الدولة فعامة الناس ! ..

وعلى جبهة « الشورى » وجد أن فلسفة الحكم قد تنكبت طريقها ، وغدت « الخلافة » ملكا وراثيا عضودا .. فعزم على إعادة الأمر شورى بين المسلمين ـ وإن يكن أعداؤه لم يمكنوه من تحقيق عزمه هذا ، عندما دسوا له السم فمات ؟! ... وعلى جبهة « وحدة الأمة » واجهته ثورات الخوارج والعلويين وأهل العدل والتوحيد... فحصن الثغرات فى جدار وحدة الأمة بالعدل والسلام العام وعقد الهدنة مع الجيوش الثائرة والجموع المتمردة ، واستبدل الحوار بالسيف ! ... إلى آخر ماصنع رضى الله عنه من معالم النهج الاسلامى الأمثل فى معالجة الازمات التى تمر بالدول والمجتمعات .

صحيح أن الذين خلفوه كانوا ثورة مضادة على هذا النهج الاسلامى ... لكن ماصنعه عمر بن عبد العزيز شاهد على أن للاسلام نهجا متميزا فى معالجة الأمراض والتحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... وليس صحيحا مايقوله محترفو « التبرير » ، من أن الدولة العباسية لم يكن امامها خيار آخر غير المزيد من « القوة » وتركيز السلطة و « عسكرة المجتمع » لمواجهة هذه التحديات لكن الذى حدث قد حدث ! ..

فلقد اقدم الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ ٨٣٣ ـ ٨٤٢ م) ـ كى يواجه التحديات التى أشرنا اليها ـ على ذلك « الخطأ القاتل » عندما استجلب الترك المماليك ، وأقام

لهم مدينة « سامراء » معسكرا ، وجعلهم مركز الثقل فى القوة العسكرية الضاربة لدولة الخلافة .. فهنا ، وللمرة الأولى فى تاريخ الدولة الاسلامية أصبحت القوة الضاربة للدولة غريبة عن روح حضارتها ، فليست لهم عروبة الأمة والدولة والحضارة .. وليست لهم عقلانية الاسلام ، لأنهم لم يحصلوا منه ، بعد شهادة التوحيد ، إلا أشكالا ورموزا لاتغنى عن جوهر هذا الدين ؟ ! ..

وزاد الطين بلة ، أن الدولة ـ كى تواجه حدة التحديات ـ زادت هذه المؤسسة العسكرية عدة وعتادا ، فتغيرت موازين القوة بينها وبين « الخلافة ـ الدولة » ، فبعد أن كان المظنون والمبتغى أن يكون العسكر المماليك أداة طيعة بيد الخلافة ، لعدم ارتباطهم بأطراف الصراع الداخلى فى الدولة ، غدت الخلافة لعبة فى يد أمراء الأجناد الترك وقادة المماليك .. و « سامراء » التى بنيت معسكرا لهؤلاء العسكر ، تابعا للعاصمة « بغداد » غدت ـ فى سنة ٢٢١ هـ ـ ٨٣٦ م العاصمة التى تتبعها « بغداد » ؟! .. وكان مقتل الخليفة المتوكل ، بيد قادة الجند المماليك بداية هذا التحول الجذرى فى مسيرتنا الحضارية ، فدخل ازدهارنا الحضارى ، عبر مراحل طويلة ، ومن خلال دروب متعرجة ، وبمصاحبة صحوات عدة ، ومقاومات باسلة ـ كما هو شأن التطور الحضارى ، صعودا وهبوطا ـ دخل ازدهارنا الحضارى ، منذ ذلك التاريخ نحو الهبوط والتراجع والانكسار ..

لقد قضى الأمر .. و « تعسكرت » الدولة « الاسلامية ، وحدث أنفصام حضارى بين « السلطة والدولة » وبين « الامة وحضارتها » .. وأصبحت مقاليد الأمر والنهى والحل والعقد بيد رجال من مثل : « وصيف » و « بغا » و « كيغلغ » و « ياجور » و « بايكباك » و « بكلبا » و « أصفجون » ... الخ ... الخ .. ؟! ..

وغدت الخلافة وأصبح الخليفة لعبة فى أيديهم ، يولونه ويعزلونه ، ويسجنونه ويقدمون له السم فلا يملك إلا أن يتناوله ليموت ؟! .. ولقد اجاد الشاعر الذى شهد ذلك الواقع عندما وصف حال الخليفة المستعين بالله (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ ٨٦٢ ـ ٨٦٦ م) مع قائدى الجند المماليك « وصيف » و « بغا » فصور الواقع الذى بلغته الخلافة والخليفة فقال :

خليفة فى قفص ⁂ بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له ⁂ كما يقول الببغا ؟!

وعندما انتهت حياة الخليفة المستعين بالله مقتولا بيد هؤلاء الجند الترك المماليك ، قال البحترى (٢٠٦ ـ ٢٨٤ هـ ٨٢١ ـ ٨٩٨ م) :

لله در عصابة تركية ⁂ ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد ⁂ وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا ، فأصبح ملكنا متقسما ⁂ وإمامنا فيه شبيه الضيف ؟!

لقد تعسكرت الدولة بهذه « العصابة التركية » .. وغدا « السيف ـ القوة » هو السيد الموهوب فى كل الأمور .. ولم تنجح « القوة » فى رأب الصدع ومداواة الجراح ومواجهة التحديات .. بل تفاقمت الأمور و « أصبح ملكنا متقسما » على حد تعبير البحترى ـ .. أما الخليفة ـ الامام ـ أمير المؤمنين ـ فلقد أصبح ـ إلى جانب هذه « العصابة المملوكية » ـ « شبيه الضيف » فى الدولة التى هو خليفة عليها ؟! ..

ولم يقف الأمر عند « عسكرة الدولة » ، بل لقد امتدت تأثيرات هذه « العسكرة » الى المجتمع ، فأحدثت وأقامت أكثر العوامل السلبية التى فعلت فعلها فى التخلف والتراجع والجمود لحضارتنا العربية الاسلامية ..

لكن ... قبل الحديث عن تأثيرات « العسكرة » على « الحضارة » ومظاهرها فى ميدان التراجع الحضارى ... علينا أن نسأل : لماذا اختار المعتصم العباسى أن تكون « القوة » الضاربة غريبة عن أجناس الأمة ؟ .. ومن الترك بالذات ؟ .. ولماذا لم يلجأ ـ كخليفة عربى إلى العرب ، يستعين بهم على مواجهة التحديات التى تواجه الدولة العربية الاسلامية ، كما صنع من قبل ، عمر بن عبد العزيز عندما جدد جهاز الدولة واحدث فيه ما أحدث من تغييرات بلغت حد الثورة بواسطة عناصر وقوى وبدائل من ذات الأمة ، وليس من خارجها .. ولامن الغرباء عن روح حضارتها ؟؟ ..

إن البعض يبسط الاجابة على هذا السؤال تبسيطا مخلا ، عندما يرجع اختيار المعتصم للترك المماليك بسبب من جنسية أمه ، التى كانت جارية تركية ؟! .. لكننا نعتقد أن هذا الخليفة ، الذى كان كالمأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م) والواثق (٢٢٣ ـ ٢٢٨ هـ ٨٤٢ ـ ٨٤٧ م) منحازا الى فكرية التيار العقلانى ـ المعتزلة ، أهل العدل والتوحيد ـ وواعيا بمخاطر الشعوبية والتيار الشعوبى على وحدة الدولة ، لم يكن بالمعادى للجنس العربى ، ولابالزاهد فى الاستعانة بالعرب ، ليكونوا « القوة الضاربة » التى تواجه بها الدولة ما فرض عليها من تحديات .. أما لماذا لم يلجأ المعتصم الى « العرب » واستجلب بدلا منهم « الترك ـ المماليك » فأن مرجع ذلك ـ فى اعتقادنا ـ إلى أسباب ، فى مقدمتها :

١ ـ أن التيار العلوى ، المناهض للعباسيين والساعى لانتزاع الدولة منهم ، كان قد استقطب العنصر العربى الى دعوته وثوراته ، وذلك بسبب من الدور الملحوظ للعنصر الفارسى فى قيام الدولة العباسية .. فلقد أصبح هوى العرب مع آل البيت ، والعلويين منهم على وجه الخصوص ..

٢ ـ وهو الأهم ـ أن العنصر العربى كانت قد استوعبته عوامل الترف والرفاهية ، فلم يعد مؤهلا ليكون « القوة ـ الخشنة ـ الضاربة » القادرة على مواجهة ماتواجه الدولة من تحديات ..أو على الأقل لم يكن ذلك بالأمر السهل فى التهيئة والاعداد .. فبدلا من أن تبذل الدولة جهدها فى تهيئة العرب كى يكونوا قوتها الضاربة ـ وهى لاتطمئن اليهم ، لأنهم طرف فى الصراعات القائمة ـ لجأت الى عنصر غريب ـ « الترك ـ المماليك » ـ ظنا منها أنهم لغربتهم عن أطراف الصراع سيكونون اداة خالصة للطاعة وكاملة الولاء للخلافة والدولة العباسية ..

إذن هو « الترف » و « الرفاهية » اللذان أعجزا العرب عن حماية الدولة والحضارة التى بنوها بثورة الاسلام وعقلانية القرآن وخشونة الجند الفاتحين ! ..

ونحن عندما نتأمل صنيع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (٤٠ ق . هـ ـ ٢٣ هـ ٥٨٤ ـ ٦٤٤ م) فى هذا الميدان نجد شواهد الصدق على هذا الذى نقول .. لقد كان عمر بن الخطاب

حريصا على أن يحفظ لهذه الدولة وأمتها وحضارتها قوتها العربية الضارية ، شديد الوعى لمخاطر الترف والرفاهية ـ التى عرفها العرب بعد الفتوحات ـ على خشونة الجند العربى وأهليته للقتال والجهاد ... فكان يمصر الأمصار الخاصة بالجند فى البلاد التى يفتحونها ، حتى لايندمجوا فى الحياة المدنية المترفة فى تلك البلاد فيفقدوا خصائص الجند الذين صاغت خشونتهم طبيعة البلاد التى نشأوا فيها .. بل وكان يحرص على تميزهم فى الزى عن أهل البلاد المفتوحة .. ويبلغ به هذا الحرص الى الحد الذى نهاهم فيه عن الزواج من نساء تلك البلاد ، وهن كتابيات أحل الاسلام الزواج بهن ، فلم يقل عمر إنه « حرام » لكنه نبه على « مضاره » الاجتماعية والعسكرية على الجند الذين أرادهم قوة ضاربة تحمى الدولة وتصد عنها القائم والآتى من التحديات ..

كان عمر يصنع ذلك بالذين خرجوا إلى مواطن الترف فاتحين .. أما من بقى فى شبه الجزيرة من أشراف قريش ورءوس الصحابة ، فلقد كان واعيا بمخاطر خروجهم الى مواطن الترف وانغماسهم فى حياة الرفاهية ... ولنتأمل فى ذلك عبارة الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ ٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) التى تقول : « إن عمر بن الخطاب كان قد حجر على أعلام قريش ، من المهاجرين ، الخروج فى البلدان إلا بإذن وأجل ؟! .. فلما ولى عثمان لم يأخذهم بالذى كان عمر يأخذهم به ، فخرجوا الى البلاد ، فلما نزلوها ورأوا الدنيا ! ورآهم الناس ، فانقطع اليهم الناس .. وتقربوا اليهم ، وقالوا : يملكون فيكون لنا فى ملكهم حظوة ؟! فكان ذلك أول وهن على الاسلام ، وأول فتنة كانت فى العامة !!

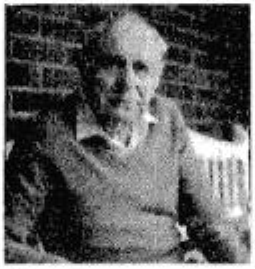
ولنتأمل أكثر وأكثر وصف الطبرى لهذا التحول ، تحول جند الدولة وقوتها العربية الضاربة ، من خشونة الجند البعيدين عن الترف والرفاهية ، إلى نعومة الحياة المدنية المترفة ، وصفه لهذا التحول بقوله : « فكان ذلك أول وهن على الاسلام » ؟!

ثم .. لنتأمل ، أيضا حديث ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) عن طور انتقال الدولة من « العمران » الى « الترف والرفاهية » ، وكيف أن ذلك التحول هو « سن الوقوف لعمر العالم فى العمران والدولة » ؟! .. أى علامة الدخول الى طور التراجع عن العمران ـ الحضارة ـ والدخول فى طور الاضمحلال ..

فهو إذن « الترف » والانغماس فى حياة « النعومة والرفاهية » ، هو الذى افقد الدولة العربية الاسلامية قوتها الطبيعية الضاربة والحامية ـ القوة العربية ـ حضاريا ـ فكان أن لجأ المعتصم العباسى الى اتخاذ قراره المشئوم ، واقتراف خطئه القاتل ، بتكوين جند الدولة من عنصر غريب عن حضارة الأمة ، هم « الترك ـ المماليك » ..

وصدق الله العظيم إذ يقول : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .. ـ ومن « القراء » من يقرأ (أمَّرنا) بتشديد « الميم » مفتوحة ، أى جعلناهم أمراء الدولة وقادتها ؟!

هكذا تعسكرت « الدولة » .. فلما طال عليها الأمد ـ بسبب طول التحديات الخارجية وحدتها ـ امتدت تأثيرات « العسكرة » الى المجتمع ، فأصابت الكثير من ميادين الابداع الحضارى بالذبول والجمود .. فدخلت حضارتنا العربية الاسلامية طور الغفوة والسبات ، ومرحلة التراجع والتخلف منذ ذلك التاريخ .. الأمر الذى حتم ويحتم على هذه الأمة أن تسلك ـ بكل الطاقات والامكانيات ـ طريق « اليقظة » و « النهضة » ، حتى تنجو من التحلل والاضمحلال والموات ! .



كارل بوبر
صبي النجار الذي أصبح فيلسوفاً !

بقلم: د. أحمد أبو زيد

حين بعد العشرين عملت (صبيا) عند نجار متقدم في السن في فيينا ، كان اسمه اولبرت بوش وكان (اسطى) في صنع الدواليب والخزانات ، وقد ظللت أعمل معه من عام ١٩٢٢ حتى أواخر عام ١٩٢٤ اي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (الحرب الكبرى) بوقت غير طويل ، وكان أولبرت بوش شديد الشبه بجورج كليمنصو ولكنه كان رقيقا وعطوفا . وبعد أن اكتسبت ثقته كان يجود عليّ من حين لآخر ، عندما نكون وحدنا ، بشيء من فيض علمه الذى لاينتهى ، فقد أخبرنى مثلا ذات يوم انه ظل يصنع لعدة سنوات نماذج مختلفة لاحدى الآلات التى تستطيع أن تعمل باستمرار وبحركة دائبة وبغير توقف .. ثم أضاف بعد تأمل طويل : ان الناس يتشككون دائما في قدرتك على صنع الشيء ولكن حين تفعله فإنهم يتكلمون عنك بطريقة أخرى مختلفة تماما .. وكان له غرام شديد بتوجيه الأسئلة التى لها صلة ببعض الأحداث التاريخية ثم يتولى الاجابة عليها حين يرى أننى لا أعرف الجواب رغم أننى كنت طالبا بالجامعة ، وهى مسألة كانت تبعث فيه الشعور بالزهو والفخر ..

فكان يسألنى مثلا : « هل تعرف من الذى اخترع الأحذية ذات الرقبة الطويلة .. الا تعرف ؟

إنه فالنشتاين دون فريد لاند أيام حرب الثلاثين عاما .. وبعد سؤالين او ثلاثة من هذا النوع الصعب والتى كان يجيب عليها بنفسه كان يقول لى بكبرياء لايخلو من تواضع : تستطيع انت الآن أن تسألنى ما تشاء ، فأنا اعرف كل شيء » ..

صاحب هذه العبارة هو الفيلسوف النمساوى البريطاني المعاصر كارل بوبر الذى يقول فيه أحد كبار النقاد وهو برايان ماجى : « ليس هناك من بين الفلاسفة الذين يكتبون بالانجليزية الآن من يماثل كارل بوبر فى اتساع مجالات كتاباته أو نوعية هذه الكتابات التى تشمل السياسة والعلوم والفنون ... والواقع أنه لايكاد يوجد سوى قليل جدا من موضوعات الفكر الانسانى الكبرى لم يتعرض لها بوبر فى أعماله ويلقى عليها بعض الضوء » .. ولكن هذا الاطراء لم يمنع بوبر نفسه من أن يقول : « إننى اعتقد أننى تعلمت عن نظرية المعرفة من (معلمى) الأسطى أولبرت النجار الذى « يحيط بكل شىء علما » أكثر مما تعلمت من اى (معلم) آخر من أساتذتى ، فلم يفعل أى واحد منهم اكثر مما فعل الاسطى أولبرت لكى يجعل منى تلميذا لسقراط .. فهو الذى جعلنى أشعر بمدى تفاهة معلوماتى ، كما جعلنى أدرك أنه لا خير فى اى نوع من العلم أو الحكمة .. إن لم تجعل صاحبها يحس بمدى جهله وضآلة معرفته » ..

كانت هذه الافكار وأمثالها تراود ذهن كارل بوبر وهو عاكف على صنع المكاتب وخزانات الكتب ، وقد عرف فيما بعد أنها افكار تتعلق فى آخر الأمر بما يعرف فى الدراسات الفلسفية باسم الايستمولوجيا (نظرية المعرفة) ، وكان لدى الأسطى أولبرت (طلب) بصنع وتوريد ثلاثين مكتبا من خشب الماهوجنى مزودة بعدد كبير من الأدراج على كلا الجانبين .. والظاهر أن الصبى ، كارل بوبر لم يبد قدرا كافيا من الحذق والمهارة والاتقان فى الصنع وبخاصة فى دهان المكاتب بالورنيش الفرنسى فى المرحلة الأخيرة .. وربما كان ذلك بسبب انشغال فكره بالإيستمولوجيا على ما يقول هو نفسه .. ولكن الاسطى ادرك ، كما أدرك بوبر نفسه ، أنه لايصلح لذلك النوع من العمل .. وقرر بوبر أن يبحث لنفسه بمجرد الانتهاء من فترة تلمذته الصناعية فى اكتوبر ١٩٢٤ عن عمل آخر يكون أسهل من النجارة ومن صنع المكاتب الماهوجنى .. وكان هذا العمل السهل الذى وقع عليه اختياره هو الفلسفة ..

◎ المرء فيلسوف بطبعه

ولكن المسألة لم تكن بطبيعة الحال على مثل هذه الدرجة من البساطة ..

صحيح أن كل إنسان هو فيلسوف بشكل أو بآخر وبطريقته الخاصة ، ولكن ان يكون المرء فيلسوفا (محترفا) أو أن يتخذ من الفلسفة عملا ومهنة وتخصصا فإن ذلك يقتضى توفر قدرات ذهنية معينة كما يتطلب إعداداً شاقا وطويلا ومن نوع معين ايضا .. ومعظم الناس يعرفون بالضبط ـ على مايقول بوبر ـ تاريخ وساعة ومكان ولادتهم (الفيزيقية) ولكن القليلين جدا هم الذين يعرفون متى وكيف تمت ولادتهم الفكرية .. أما هو فإنه يعرف الكثير عن الخطوات الأولى فى إعداده الفكرى وعن المراحل المبكرة فى تطوره الفلسفى ، كما يدرك أن ذلك الاعداد الفكرى بدأ بعد تطوره العاطفى والأخلاقى بوقت طويل ..

فهو لم ينس مثلا أنه كان فى طفولته الباكرة يحمل كثيرا من الاحترام والاعجاب بمن يكبرونه فى السن أو يفوقونه فى القدرات العقلية أو حسن السلوك ، وأنه إذا كان ثمة اعتقاد شائع بين الناس عن

أن الأطفال قساة القلوب بطبيعتهم فإنه يرفض ذلك الزعم ولايؤمن به ، بل إنه على العكس من ذلك تماما يذكر كم كان فى طفولته يشعر بالشفقة والتعاطف مع الضعفاء ، وأن ذلك التعاطف كان واحداً من أقوى مشاعره وأحاسيسه ، بل لعله كان يؤلف جزءا هاما - إن لم يكن العنصر الرئيسى فى أولى تجاربه فى الحب ، وهى تجربة مر بها وهو لايزال طفلا فى الرابعة أو الخامسة من عمره .. فقد حمله أهله إلى إحدى رياض الأطفال فى فيينا ، وهناك قابل طفلة صغيرة على درجة عالية جدا من الحلاوة والجمال ولكنها كانت عمياء .. وأحس الطفل الذى أصبح فيلسوفا بقلبه يتمزق بين ابتسامتها الحلوة الرقيقة دائما والمأساة التى تعيشها .. ومع أنه لم يرها سوى مرة واحدة فقط ولفترة لاتزيد على ساعة أو ساعتين لأن أهله نقلوه فى اليوم نفسه إلى مدرسة أخرى ، فلاتزال هذه الذكرى اللطيفة عن (حبه) الأول عالقة بذهنه وتؤلف جزءا من تاريخ حياته المبكرة ..

وكانت مظاهر الفقر المدقع فى فيينا تثير الروع والاضطراب فى نفس الطفل الصغير .. وظلت هذه المظاهر كامنة طيلة الوقت تقريبا فى مؤخرة عقله .. وكما يقول هو نفسه فى تاريخ حياته (صفحة ٩ من الترجمة الانجليزية) : « إن قليلين جدا من الذين يعيشون الآن فى إحدى الديمقراطيات الغربية يعرفون ما كان عليه الفقر فى أوربا فى بداية هذا القرن .. كان الرجال والنساء والأطفال يعانون أشد المعاناة من آلام الجوع والبرد والعجز .. ولم يكن فى استطاعتنا نحن الأطفال أن نفعل شيئا لمساعدتهم سوى أن نطلب من أهالينا بعض قطع النقود الصغيرة لكى نعطيها للفقراء » ..

وكان الجو العام الذى نشأ فيه جوا مليئا بالكتب ، وكان الكتاب يسيطر على كل شىء فى البيت ، إذ كان أبوه واثنان من أعمامه يحملون درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة فيينا .. وكان لأبيه مكتبة ضخمة موزعة فى كل أنحاء البيت وفى كل حجراته باستثناء حجرة الطعام التى كانت على أية حال تضم مجموعة كبيرة من الأعمال الموسيقية الكاملة لكبار الموسيقيين من أمثال باخ وهايدون وموتسارت وبيتهوفن وشوبيرت وبرامز ، فإذا كان أبوه مغرما بالقراءة وبالكتب التى أثرت بغير شك فى التكوين العقلى للطفل الصغير الذى نشأ يحب القراءة ، فإن أمه كان لها ولع شديد بالموسيقى ، وقد انتقل ذلك الولع إلى الابن الذى شغل بها فكره منذ الصغر ثم أصبحت له فيها - وفى الفن بوجه عام - كتابات وآراء وأفكار لا تخلو من الجدة ومن العمق .. والطريف أن الأب الذى كان يحمل شهادة فى القانون ويشتغل بالمحاماة لم يكن يعتبر نفسه محاميا بقدر ما كان يتصور نفسه باحثا أكاديميا ومؤرخا .. فقد كانت له اهتمامات واسعة بالتاريخ وبخاصة بالفترة الهلينستية وبتاريخ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كما كان يكتب الشعر وينقل بعض الأشعار من اليونانية واللاتينية إلى الشعر الألمانى ، وذلك إلى جانب قراءاته الفلسفية بحيث كانت مكتبته تضم الأعمال الكاملة لعدد من الفلاسفة من أمثال أفلاطون وبيكون وسبينوزا وجون لوك وكانط وشوبنهاور وغيرهم . ولم تخل مكتبته أيضا من الأعمال الروائية الأدبية لكبار الروائيين والكتاب الألمان والأوربيين

والروس على السواء ، ولا من أعمال كثير من المفكرين الاجتماعيين بما في ذلك الاشتراكيون والشيوعيون بل والفوضويون مثل الأمير بيتر كروبتكين ، إلى جانب الكتابات التى تناصر حركة السلام التى كان أبوه من دعاتها ، ولا يزال كارل بوبر يحتفظ بكثير من هذه الكتب التى رآها وقرأها لأول مرة فى مكتبة أبيه وهو فى مقتبل العمر ..

وهكذا نجد أن ذلك النجار الشاب نشأ أصلا فى بيت كانت الكتب والموسيقى وأعمال الفكر والفن تلعب فيه دورا أساسيا وتتغلغل فى حياة أهله ، وأنه ظل يرى أو يسمع هذه الكتب والأعمال الفنية ويتأثر بها بشكل مباشر أو غير مباشر لوقت طويل جدا قبل أن يتمكن من أن يقرأها ويفهمها ويستوعبها ويعترف كارل بوبر أن معرفة القراءة – وكذلك الكتابة وأن يكن بدرجة أقل – هى أهم الأحداث الكبرى فى التطور الذهنى للفرد ولا يكاد يعدلها فى ذلك شىء على الاطلاق ولقد بدأ هو نفسه يقرأ الكتب الجادة وهو فى سن مبكرة نسبيا لدرجة أنه درس بعض الكتابات الأساسية الصعبة فى النظرية الاشتراكية – مثلا – وهو لايزال فى الثانية عشرة من عمره .

● الحرب والتنكر لمبادىء الانسانية

كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى . فقد ولد كارل بوبر عام ١٩٠٢ ، وبذلك تكون الحرب قد لحقت به وهو لايزال صبيا ، وعرف منها عن قرب كيف يتنكر الانسان لابسط مبادىء وحقوق الانسان وهو حق الحياة ، كما عاصر الاحداث السياسية التى كانت تموج بها أوربا والعالم فى ذلك الحين . وشاهد تفسخ الأمبراطورية النمساوية والحركات الانفصالية التى تعرضت لها بعد أن كان يعتقد أنها وطن لجميع (الرعايا) الذين يعيشون فيها رغم تعدد لغاتهم من تشيكيين وسلوفاكيين وبولنديين وسلافيين جنوبيين ويوغوسلافيين وبعض الجماعات الأخرى التى تتكلم الايطالية ، وسمع كثيرا جدا من القصص والحكايات عن هروب كثير من افراد هذه الجماعات التى تتكلم عن تلك اللغات العديدة من الجيش ومن الخدمة العسكرية اثناء الحرب وكيف ظهر مازاريك وهو فيلسوف من جامعات فيينا وبراغ لكى يقود التشيكيين ، وكيف تم تكوين جيش تشيكى فى روسيا من اسرى الحرب النمساويين الناطقين باللغة التشيكية ، وكيف بدأت الشائعات تتردد وتنتشر حول حالات الخيانة العظمى وتوقيع الحكم بالاعدام على الذين تثبت عليهم التهمة ، وكيف طفا على السطح طغيان وارهاب السلطات النمساوية ضد الافراد الذين يشك فى ولائهم للدولة وقد ترك ذلك كله آثارا عميقة بغير شك فى نفس الصبى وعقله وتفكيره وانعكست كلها فيما بعد فى بعض كتاباته .

وعلى الرغم من كل مايقال عن صعوبة الفلسفة وتعقد مشكلاتها ومباحثها فان بعض هذه المشكلات الفلسفية الحقيقية – وليس مجرد الالغاز الناشئة عن اساءة استخدام اللغة – كانت مشكلات واضحة ويمكن ان تطرأ على ذهن اى طفل صغير يكون على قدر كاف من الذكاء . وقد صادف كارل الصغير بعض هذه المشكلات وهو فى سن الثامنة تقريبا . اذ كان قد سمع عن النظام الشمسى وعن لانهائية الفضاء ، وشعر بالحيرة ازاء ذلك لأنه لم يكن يستطيع ان يتصور ان يكون

للفضاء نهاية والا فما الذى يوجد وراءه أو خارج حدوده ، كما لم يكن يستطيع ان يتخيله ممتدا بغير حدود أو نهاية ، وحين آثار الموضوع مع احد اعمامه ـ بناء على نصيحة ابيه ـ سأله العم اذا كان يجد أية صعوبة فيتصور تسلسل وتتابع الاعداد واحدا بعد الآخر باستمرار وبدون توقف ؟ فلما اجابه بالنفى طلب اليه ان يتخيل كومة من قوالب الطوب وأن يضيف اليها قالبا جديدا ثم قالبا آخر وهكذا بغير توقف ، وقال له انه مهما زاد عدد قوالب الطوب فان ذلك لن يملأ حيز الكون ابدا . وتقبل الطفل ذلك الشرح ولكن على مضض لان الاجابة كانت مفيدة ولكنها غير مقنعة تماما .

وكانت هذه مجرد مشكلة واحدة ... فقط من المشكلات الفلسفية الجادة التى شغلت ذهنه فى تلك السن المبكرة أو بعدها بقليل كما حدث له حين شغل فكره وهو فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بمشكلة اصل الحياة التى لم تحلها تماما النظرية الداروينية وهل هى مجرد عملية كيميائية بحتة . ومشكلة أصل الحياة فى رأى بوبر هى من المشكلات التى يمكن أن تخطر على ذهن أى شخص يكون قد سمع عن داروين سواء اكان ذلك الشخص طفلا أو رجلا مكتمل النضج والتفكير ، وهى مشكلة فلسفية بالدرجة الأولى بصرف النظر عن التجارب والبحوث العلمية الدقيقة التى اجريت حول الموضوع والتى لم تستطع على اية حال ان تجردها من طبيعتها الفلسفية . ولكنه لم يكن يشك قط فى أن كل هذه المشكلات التى كانت تقلق باله دار حولها كثير من المناقشات وأبديت فيها اراء عميقة عديدة وانها ليست مشكلات جديدة تماما ، وانه اذا كان يجد صعوبة فى فهمها أو الادلاء برأى فيها فإن ذلك كان راجعا الى قلة معلوماته وقصور مداركه .

● زمن اليأس والتمرد

كان ذلك زمنا للتمرد فى كل المجالات وليس فقط فى المجال السياسى ، كما كان زمنا لليأس من كل شىء بما فى ذلك اليأس من العثور على العمل والحصول على الطعام . ولم يكن امام كثير من الشبان الا ان ينضموا الى المدرسة للدراسة وليس على أمل العثور على عمل بعد الدراسة . كما شغل الكثيرون منهم انفسهم بالجدل السياسى والسير اغلب الاحيان فى ركب الدعوة الاشتراكية او حتى اعتناق الشيوعية باعتبارها الأمل الأخير امام الشعوب . وهذا مافعله كارل بوبر لفترة قصيرة من الزمن قبل ان يكتشف مافى دعاوى الشيوعية من زيف وانصرافه بالتالى هو وبعض زملائه عنها . وحدث ذلك قبل ان يتم السابعة عشرة .

وقد جاء ذلك التغير نتيجة لحادث قد يبدو بسيطا ومألوفا ولكنه هز ثقته فى الماركسية كلها . وذلك حين ادت الدعوة السافرة الى تصعيد الصراع الطبقى فى فيينا الى وقوع صدام عنيف مع الشرطة ، مات فيه عدد من الشبان الماركسيين والشيوعيين غير المسلحين .. ووجد كارل بوبر نفسه فى مواجهة حادة مع ضميره لانه تقبل بغير مناقشة مبدأ الصراع الطبقى وضرورة تصعيده واعتبر نفسه مسئولا ـ أو على الأقل مشاركا فى المسئولية ـ عما حدث . ولم يكن على استعداد لأن يقبل التبريرات الماركسية

من ان مثل هذا الصراع سوف يسارع الى تحقيق الاشتراكية وانه لابد لكل ثورة من بعض الضحايا ، وان ضحايا الراسمالية اضعاف اضعاف ضحايا الثورة الاشتراكية ، واحس ان كل هذه الحجج هى مجرد تبريرات للتهوين من جرائم القتل وان مايسمونه بالاشتراكية (العلمية) ، ليس لها سند من (العلم) مادام انصارها يتقبلونها بدون مناقشة ودون ان يخضعوا افكارها ومبادئها للنظرة النقدية . وشعر بضميره يؤنبه لانه اعتنق « عقيدة خطيرة » بغير تمحيص أو فحص أو نقد وبطريقة دجماطيقية بحتة جعلته يعادى كل الاتجاهات العقلانية الواعية . وهكذا دفعته تلك الحادثة الى ان يعيد النظر فى موقفه الايديولوجي والى أن يغير نظرته الى الماركسية بعد ان تحقق من « طبيعتها الدجماطيقية » و« غطرستها العقلية » المبالغ فيها ، واصبح يشعر برعب حقيقى من ان ينتحل نسقا ايديولوجيا لايقبل من الأخرين مناقشة مبادئه بينما يبشرهم بآمال واحلام قد لايمكن تحقيقها على الاطلاق . وتملكه الأسى لأنه سمح لنفسه بالوقوع فى ذلك الشرك أو تلك المصيدة (صفحة ٣٤ من تاريخ حياته) .

وبمجرد ان اخضع كارل بوبر الماركسية للنظرة النقدية ظهرت له الفجوات والثغرات والتناقضات وعدم الاتساق بين كثير من عناصرها الاساسية بما فى ذلك موضوع مهم مثل ديكتاتورية البروليتاريا . فكان يتساءل مثلا عمن يكون هؤلاء البروليتاريا ، وهل هم اناس من نوع لينين وتروتسكى وامثالهما من القادة والزعماء ؟ وقد لاحظ ان الشيوعيين لم يؤلفوا ابدا الأغلبية فى اية دولة أو مجتمع ، بل انهم لم يكونوا الاغلبية ابدا بين عمال المصانع، وأنهم فى النمسا بالذات كانوا يؤلفون اقلية ضئيلة للغاية ، وان هذا يكاد يصدق على كل المجتمعات والتنظيمات التى لديه علم بها .

وبطبيعة الحال لم تكن افكاره حول هذا الموضوع قد وصلت الى كل هذه الدرجة من النضوج والتحديد فى تلك السن المبكرة من اولى مراحل الشباب وان كانت بذور ذلك التفكير وتلك الاتجاهات الجديدة قد وجدت حينذاك ثم عمل هو على رعايتها وتنميتها طيلة الوقت حتى تمخضت فى آخر الأمر عن عدد من الكتابات ذات المذاق السياسى المتميز والتى تعكس موقفه الرافض لكل دعاوى التسلط والطغيان ، ومن هذه الأعمال كتابه الشهير بعنوان (عقم المذهب التاريخى) الذى نقله الى العربية منذ حوالى ربع قرن فى ترجمة عربية دقيقة ومتقنة استاذ مصرى من جامعة الاسكندرية هو الدكتور عبد الحميد صبره أحد تلاميذ بوبر واستاذ تاريخ العلوم فى جامعة هارفارد الآن . ثم هناك كتابه الآخر المهم (المجتمع المفتوح واعداؤه) . وبعض الكتابات الأخرى التى ظهر معظمها بين عامى ١٩٣٥ ، ١٩٤٣ .

ومن المؤكد ان ضمن العوامل التى اشاعت فى نفسه روح التذمر بل والثورة على الماركسية فى تلك المرحلة المبكرة من حياته أى حوالى عام ١٩١٩ و١٩٢٠ هو مالاحظه من ادعاء بعض اصدقائه الماركسيين وبعض زملائه فى الدراسة انهم هم قادة الطبقة العاملة فى المستقبل واعتبارهم ذلك امرا مفروغا منه وتصرفهم على هذا الأساس ، مع انهم لم يكونوا

يتمتعون باية قدرات أو مواهب عقلية أو شخصية يمكن ان يستندوا اليها فى هذا الادعاء أو تؤهلهم للقيام بهذا الدور . فلم يكونوا يعرفون فى الاغلب سوى القليل عن الكتابات الماركسية وذلك فضلا عن عجزهم الشديد عن مناقشة هذه الكتابات او اخضاعها للتحليل النقدى . والادهى من ذلك . انهم لم يكونوا يعرفون شيئا على الاطلاق عن تلك الطبقة العاملة التى يريدون ان يكونوا قادة لها . كما كانوا يجهلون كل شىء عن طبيعة العمل اليدوى الذى كان هو قد عرفه ومارسه لسنوات طوال ليس فقط من خلال عمله مع الاسطى اولبرت بوش النجار ولكن ايضا عن طريق عمله فى احد المصانع اثناء الحرب العالمية الاولى وكذلك عمله فى رصف الطرق لفترة قصيرة حيث لم تساعده قواه الجسمية على الاستمرار لمدة اطول فى ذلك العمل الشاق .

وكانت هذه المواجهة مع الماركسية عاملا مهما فى تطوره الفكرى ، اذ نبهته الى عدد من الامور التى لم ينسها بعد ذلك قط ، فقد علمته أولا مغزى عبارة سقراط الشهيرة (اعلم انتى لااعلم) وجعلته يدرك ان كل إنسان معرض للخطأ كما علمته فضيلة التواضع الفكرى وضرورة التمييز بين الفكر الدجماطيقى والتفكير النقدى . وقد ادى ذلك التمييز به ليس فقط الى رفض ماركس والماركسية وإنما امتد إلى كل فكر دجماطيقى آخر مثل فكر فرويد (التحليل النفسى) وفكر آدلر (سيكولوجيا الفرد) وقد حدث كل ذلك التغيير فى تلك السنة الحاسمة فى حياته ، سنة ١٩١٩ وساعد على ذلك انه عرف لأول مرة موقف أينشتاين العلمى وأسلوب تفكيره وكان ذلك أيضا فى مايو من تلك السنة نفسها حين حضر فى فيينا محاضرة عامة القاها أينشتاين ولم يكد بوبر يفهم منها شيئا لأن ماقاله ذلك العالم الكبير ، كان فوق مستوى فهمه ، ولكنه عرف على اية حال ان اينشتاين لم يكن يعطى من الاهمية للتجارب الجديدة التى تتفق مع آرائه وتوقعاته والتى تؤكد نظريته بقدر ماكان يهتم بمعرفته اذا ما كانت هناك ولو تجربة واحدة لاتتفق مع هذه الاراء و التوقعات لأن ذلك معناه عدم صحة تلك النظرية ، وأدرك بوبر ان هذا هو الموقف العلمى الصحيح ، وهو موقف يختلف اختلافا جذريا عن الاتجاهات الدجماطيقية التى تحاول العثور على الوقائع والحقائق والاحداث التى تساعد على تحقيق واثبات وتأكيد النظريات التى يميلون اليها أو يفضلونها .

وهكذا توصل كارل بوبر عام ١٩١٩ وهو لايزال فى السابعة عشرة من عمره الى نتيجة حاسمة وقاطعة اصبحت اهم مبدأ يسترشد به فى حياته الفكرية وأصبحت أساسا لفلسفته وهى ان الموقف العلمى هو بالضرورة موقف نقدى لايهتم بالبحث عن المبررات أو يحاول البرهنة والاثبات بقدر مايبحث عن الاختبارات والفحوص النقدية التى قد تؤدى إلى تفنيد ورفض النظرية التى تختبرها . فمبدأ التفنيد اهم فى العلم بكثير من محاولات الاثبات والتحقيق . والعلم يقوم اساسا على التفنيد اكثر مما يقوم على القبول والتحقيق والاثبات . وهذا هو احد الاسهامات الكبرى التى اسهم بها صبى النجار والتى جعلت منه واحدا من اكبر فلاسفة العلم المعاصرين .



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

□ السينما فى عيون الآخرين □

بمناسبة مرور ٦٠ عاما على بداية السينما المصرية ، تقدم « الهلال » هذا الملف الذى يتناول نظرة الى السينما المصرية فى عيون الآخرين ، الذى يشارك فيه الناقد السينمائى المعروف مصطفى درويش بموضوع « سينما مفترى عليها » و د. رفيق الصبان بموضوع « السينما المصرية فى عيون الاجانب » ، كما يكتب رؤية بعنوان « الظلال والاطياف فى قاموس السينما العربية » الناقد الفرنسى كلود ميشيل كلونى .

٦٠

في الذكرى الستين للسينما المصرية

سينما مفترى عليها

بقلم : مصطفى درويش

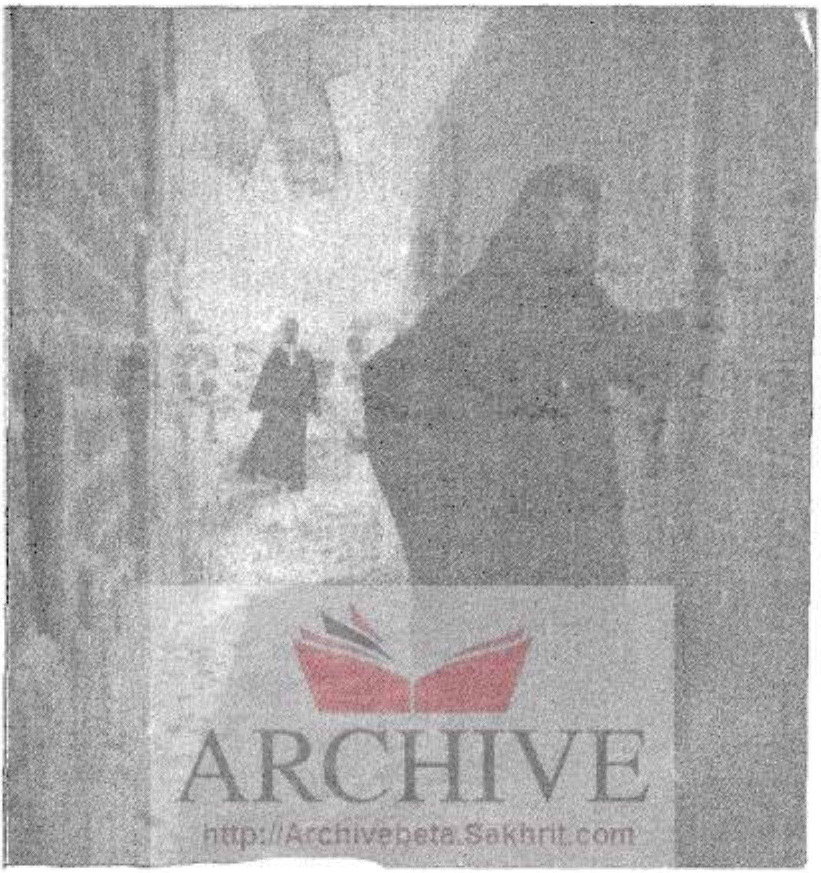
« منذ زمن بعيد ، واثناء مشاركتي في مهرجان كورك ، اسات إلى سمعتي عندما قهقهت ضاحكة في تعال على فيلم مصري ارادوا له ان يكون جادا ..

ولم يعدني إلى الصواب ، إلا تذكرة من جالس إلى جواري ، صدمه سوء سلوكي ، تذكرة بان مخرج الفيلم موجود في قاعة العرض ..

وعلى كل ، فقد كنت اظن انه ليس ثمة ما يدعوني إلى الاهتمام بما تعرضه الشاشة المصرية .. غير انني اكتشفت انه من الواجب عليّ ان اهتم .. واهتم » ..

بهذه الكلمات الساخرة ، الحافلة بما يملأ النفس دهشة وتعجبا ، وبما يدفع العقل الى التفكير المتصل ، استهلت « ديليز باول » ناقدة « الساندای تایمز » المخضرمة مقالها في (١٩٧٢/٤/٢) عن « ليلة حساب السنين » ، المعروف تحت اسم « المومياء » ، ذلك الفيلم الذي بفضله اكتشفت الناقدة الانجليزية السينما المصرية ، وغيرت من نظرتها اليها ، وهي نظرة ـ باعترافها ـ متعالية ، تحمل مما تبقى من غطرسة ابناء وبنات الامبراطورية التي غربت عنها الشمس ـ تحمل الشيء الكثير ..

وليس من الغريب هذا الاكتشاف



المومياء .. الحدث الذى بهر النقاد

للسينما المصرية الذى اعقبه اهتمام بها ، ثم حماس لبعض افلامها ..

● التجاهل .. لماذا ؟

ولكن الغريب ان يجيء هذا الاكتشاف يواكبه بعض الاهتمام والحماس ، فى مطلع السبعينيات اى بعد اكثر من أربعين عاما على مولد السينما المصرية قريبا من نهاية العشرينيات ، وبالتحديد فى ١٦ من نوفمبر ١٩٢٧ تاريخ عرض فيلم « ليلى » الذى بفضله حازت ممثلته « عزيزة أمير » على لقب « مؤسسة الفن السينمائى فى مصر »

(ملحوظة : هناك راى آخر يقول به المخرج « أحمد كامل مرسى » صاحب « معجم الفن السينمائى » مع الدكتور

فى الذكرى الستين للسينما المصرية

« مجدى وهبه » ـ وهو أن « ليلى » ليس بأول فيلم مصرى روائى طويل ، وانما « قبلة فى الصحراء» (١٩٢٧/٥/٥) للاخوين ابراهيم وبدر لاما)

فلماذا كل هذا الزمن .. لماذا كان لابد أن يضيع زهاء نصف قرن حتى ينتهى الاهمال ، او يبدأ الاهتمام بسينما لايفصلها عن الساحل الأوربى فى الشمال سوى شريط ضيق من بحر أو « بحيرة » كما كان يحلو « لموسولينى » ديكتاتور ايطاليا ان يسمى بحرنا المتوسط ..

عند الناقد الفرنسى « كلود ميشيل كلونى » (عدد ١٨٠ من « سينما ٧٣ ») هذا الوضع الواضح الشذوذ له اسباب كثيرة من بينها الجهل والرفض والاحتقار ..

« حقا ان ماضى السينما المصرية بافلامها ـ التى هى فى معظمها من نوع سقيم ـ لا قيمة له ، انما هو ماض لا يشرف ..

غير ان مسئولية ذلك انما تقع على تجار بيروت والقاهرة . وفضلا عن ذلك فهو بمفرده لا ينهض سببا يبرر كل هذا التجاهل لسينما وطنية معاصرة تلعب دورا مهما فى العالم العربى الممتد من المحيط الى الخليج ..

وهذا الرأى قريب مما ذهب اليه الناقد الفرنسى « جى هينيبيل » فى مقاله « السينما المصرية والتاريخ .. النهضة متى ؟»(عدد ٢٠ من مجلة افريقيا الادبية والفنية ١٩٧٢) ..

فمما جاء فى هذا المقال أن عرض افلام السينما المصرية يكاد يكون امرا محظورا فى اوربا الغربية والولايات المتحدة .. وهذا الحظر يبررونه بسوء مستوى الافلام المصرية ، وهو تبرير مردود عند هينيبيل لسببين اولهما ، ان بعض الانتاج المصرى الذى بلغ حوالى ١٤٠٠ فيلم (الآن حوالى ٢٥٠٠) له ، ولاشك ، قيمة فنية تؤهله للتوزيع فى الغرب ..

ومع ذلك فافلام هذا البعض ذات القيمة الفنية لا تحظى بشرف العرض ..

والثانى ان الانتاج الغربى وان كانت بعض افلامه من نوع لا تقل رداءته عن الافلام المصرية ، الا ان هذا البعض الردىء تتاح له فرص العرض على امتداد الغرب ..

ويبدو من كتابات النقاد خارج مصر انهم لا يختلفون فى أن جيد الافلام المصرية ضئيل جدا ، اذا ما قورن برديئها الذى هو كثير جدا الى حد الشذوذ المثير للانتباه ..

● صوت الحق

فناقد عربى كبير مثل طاهر الشريعة (تونس) يقول فى وصف السينما المصرية إنها « ما برحت تنحدر نحو الاسوأ وصار الفرق الآن هو فارق الدرجة ، درجة افتعال صخب الأحداث ، وبلاهة الابتسامات ، وسيل الدموع ،

وهذيان الخطب وألوان الماكياج الأشبه تكلفا بلطخات الشمم » ..

وناقد إنجليزى شهير مثل « جون راسل تايلور » يتطرف الى حد اعتبار السينما المصرية سينما فيلم واحد « المومياء » » ..

وفى الدراسة التى افردها « لساتيا جيت راى » المخرج الهندى فى مؤلفه « مخرجون واتجاهات » ، كتب فى وصف فيلم « شادى عبد السلام» قائلا انه « عمل فردى يتسم بالغرابة والخروج على المألوف ، ومن المحتمل انه لا يعكس سوى مواهب مبدعه » ..

ولو كان « شادى » حيا ، لم يتركنا الى عالم الأموات ، قبل عام ، لرد على ما كتبه الناقد الأنجليزى فى حق فيلمه قائلا برقة حادة وذوق دقيق لايفوته شىء :

« إنكم تتكلمون عن المومياء ، وكأنه عشبة شيطانية طلعت فى صحار مقفرة ، فلماذا لا تتكلمون عن زملائى السينمائيين المعاصرين لى ؟ لماذا لا يستبد بكم الفضول لمعرفة موقعى فى ساحة الحركة السينمائية المصرية المعاصرة ، فانا فى الحقيقة لا أعمل وحدى ، ولا اخرج وحدى ، انا جزء من حركة ، هى جزء من بلد وحقبة وتاريخ » ..

● قطاع طرق

ومهما يكن من شىء .. فانغماس السينما المصرية فى ردىء الأفلام انما يرجعه الناقد الفرنسى « روجيه بوسينيه » فى « موسوعة السينما » الى عدة أسباب لعل أهمها مناخ رقابى قاس يفسد الأمر على سينما وطنية تتصدى لمشاكل البلاد



أحمد كامل مرسى — محمد كريم

الحقيقية ، تستمد موضوعاتها من ثراء الواقع ..

وفى دراسة فريدة للأستاذ الأمريكى « رايموند بيكر » منشورة فى العدد الثالث من المجلد السابع عشر من المجلة العلمية « امريكان بيهيفرال ساينتيست » تحت عنوان « مصر فى الأطياف ، الأفلام والنظام السياسى » ـ فى هذه الدراسة يرد صاحبها جنوح السينما المصرية الى الابتعاد عن تلك المشاكل او الاقتراب منها فى كثير من التحفظ والاحتراس بحيث اصبح العالم الواقعى غائبا تماما عن سينما مصر ما قبل الثورة ، يرده الى ان الطبقة الحاكمة بدافع من انانيتها وتفسخها وفسادها استطاعت قطع الطريق على اية محاولة تبذل لتجسيد الواقع المصرى فى السينما ..

ونجد هذا متمثلا فيما فعله المخرج « محمد كريم » الذى يعتبر ابا للسينما المصرية مع الحيوانات التى ظهرت فى فيلمه « زينب » ، فقد اصر على غسلها جميعا بالماء والصابون قبل بدء التصوير كما نجده واضحا كل الوضوح فيما أرسته تلك الطبقة للسينما من قواعد تقليدية ثابته

في الذكرى الستين للسينما المصرية

، اصبحت مع كرّ الأيام مقوّما اساسيا من مقوماتها ..

وفي رأى صاحب الدراسة ان المعالجة الميلودرامية السطحية لحياة الطبقة الموسرة ، بما يتخللها من اغنيات ورقصات شرقية ، مع اصرار معيب لا منصرف عنه على عدم تقديم اى تنويع آخر .. هذه المعالجة هى المقوم الاساسى الأول بين مقومات السينما المصرية ..

● الرقابة الخفية

وربما كانت تجربة « عزيزة أمير » منتجة وممثلة « ليلى » مع فيلمها هذا ، خير مثل على ثقل الضغوط الكامنة وراء ابتداع هذا النمط من الأفلام الذى اصبح راسخا رسوخ الجبال ..

فبينما هى - بعد عرض فيلمها بنجاح - قريرة العين ، هادئة الروع ، مطمئنة البال ، فليس فى الأمكان ابدع من ان

المتمردون رائعة توفيق صالح



تكون رائدة تدخل التاريخ من باب الأطياف ، حتى فوجئت ، وعلى غير انتظار بمقال ينشر فى مجلة الصباح (١٩٢٧/١/٢٨) - اى بعد احد عشر يوما من عرض « ليلى » بسينما متروبول - يسخر من فنها ، لانها اظهرت مصر القرون الوسطى «فى حين ان لدينا اشياء كثيرة نفخر بها» ، واختتم صاحب المقال كلماته متسائلا كيف سمح ممثلو وممثلات الفيلم لانفسهم «وهم طبعا من سكان ارقى شوارع القاهرة» ان يتم تصويرهم داخل اكواخ الفلاحين ..

وما كادت رائدة السينما المصرية تفرغ من قراءة مقال « الصباح » ، حتى اعلنت ان فيلمها القادم سوف تجرى احداثه فى اوساط الطبقة الغنية دون سواها ..

وهنا تطرق صاحب الدراسة الى الرقابة قبل الثورة قائلا نقلا عن « صلاح ابو سيف » انها كانت تقف بالمرصاد لأى نقد ولو بالتلميح لاصحاب المهن الرسمية .. « وبذا يبقى رجل البوليس والقاضى والمحامى والصحافى فوق اية شبهة ويختال رجل السلطة بعيدا عن اية مفسدة فى نقاوة الثلج المتساقط الآن » ..

ولم تلبث الأمور ان تدهورت ، واذا برابطة حجاب المحاكم المصرية تحتج بشدة ضد فيلم « العزيمة » لماذا ؟

لأن حاجب المحكمة الذى ظهر فى احد مشاهده كان قصير النظر !

● القفزة الكبرى

ثم تتقدم الأعوام شيئا ، واذا الملكية تسقط ، وتضع الثورة نظما من شأنها ان تغير الحياة السينمائية فى مصر تغييرا خطيرا ..

ومن بين هذا التغيير - فى رأى « بيكر » - ظهور الافلام ذات الصبغة السياسية الواضحة ..

وما ان يذكر الفيلم السياسى فى الوطن العربى الا ويقفز الى مقدمة الاسماء التى شاركت فى صنعه اسم « توفيق صالح » ..

فإليه يعود الفضل فى إضفاء قدر من الأهمية السياسية والاجتماعية على السينما العربية داخل الوطن العربى وخارجه ..

ولقد وصفه « شادى عبد السلام » مبدع المومياء بأنه «المخرج الملتزم الوحيد الذى لم يبع نفسه للموزعين السينمائيين العرب» ..

وهو الوحيد من دون جميع مخرجى السينما المصرية الذى جعل من السينما اداة سياسية ، اداة لفهم العالم ، ومحاولة تغييره ..

فنظرة طائرة على افلامه ، تتيح اكتشاف ميزة ينفرد بها ، هى واقعيته الممتدة الى جذور الأشياء على وجه بعيد عن الحرفية والفجاجة ..

وعن هذه الميزة قال الناقد الفرنسى « ميشيل شيفالييه » انه « يمكن للانسان الذى سبق ان تعرف على مصر ان يجدد تعرفه بها من خلال سينما توفيق صالح ..

ففى افلامه تطابق مدهش مع الواقع المصرى ، يكاد يخلو من اية شائبة ..

وهى لاتخلو ابدا من تحريض الانسان على الكفاح من اجل التغيير .. مع تأكيد التماس الحل فى صيغة مناسبة غالبا ما تكون ثورية ..

واذن فتوفيق صالح لم يعقد بعد اتفاق استسلام ، لم يرتض الصلح ، ولم يستكن للمهادنة » ..

في الذكرى الستين للسينما المصرية

ولعل « المتمردون » افضل تعبير عن هذه الميزة التى اشار إليها الناقد الفرنسى ..

فالفيلم يحكى قصة طبيب شاب يصاب بمرض التدرن الرئوى المتخصص فيه ، فيذهب للاستشفاء فى احدى المصحات الرسمية ، حيث يكتشف الكثير من الحقائق المفجعة ، ان كل شىء نهب إهمال وسوء الإدارة ، وان الكل ناقم ، متربص وما تلبث نقمة النزلاء ان تتحول الى ثورة ، يصبح هو فى موضع القائد منها ..

وتبدو الثورة للوهلة الأولى ناجحة ، عندما تفلح فى طرد مدير المصحة المستبد ، واستكمال السيطرة على كل صغيرة وكبيرة فى المصحة ..

ثم لا تلبث ان تدور الدائرات ، فاذا بالثورة تتهاوى تحت ضربات القوة الغاشمة ، ويعود كل شىء الى ما كان عليه ولا يظفر الطبيب من العدل لنفسه ولا لغيره من النزلاء بشىء ..

* حقائق و أكاذيب

ومما ينسب الى « توفيق صالح » فى دراسة الناقد الأمريكى « بيكر » ، سالفة الذكر انه قال عن فيلمه « المتمردون » ، ما حاصله ان الرقابة قد مارست عدوانها عليه عندما أطاحت باحسن مشهد صوّره طوال حياته السينمائية ، لانها ضاقت بما كان يرويه ، ومصدره ان النزلاء المصدورين ، قد تمكنوا من تنظيم شبكة اتصال فيما بينهم ، تمهيدا لتفجير الصراع ضد ادارة المصحة ..

وهذا القول المنسوب الى المخرج الكبير ليس له من الحقيقة نصيب ..

فالرقابة ــ وكاتب هذه السطور كان مسئولا عنها وقت عرض فيلمه عليها ــ لم تشوه رائعة السينما العربية « المتمردون » بأى حذف ، بل وافقت عليها كاملة غير منقوصة ..

وقد تسأل اخيرا عن سر هذا الادعاء .. وقد تطيل التفكير فى السؤال دون جدوى ..

فما اصعب الوصول الى الحقيقة فى هذه الأيام !!



في الذكرى الستين للسينما المصرية

السينما المصرية في عيون الأجانب

بقلم: رفيق الصبان

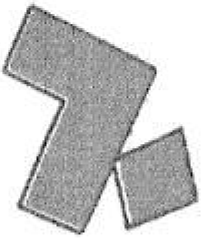
غريبة جدا .. هذه النظرة إلى سينما تعود فى تاريخها وجذورها إلى نشأة السينما فى العالم وان اختلفت فى تطورها وتياراتها وافكارها واسلوبها عن اية سينما أخرى نشأت معها او بعدها فى ارجاء الدنيا ..

غريب جدا موقف المتفرج الأجنبى منها .. موقف يتارجح بين الفضول حيث السخرية احيانا .. والإعجاب الذى يصل إلى حد المبالغة مرات قليلة ..

لقد واجهت بنفسى هذه الآراء المتضاربة .. من خلال أحاديث شخصية أو مواقف محددة .. أو لقاءات رسمية فى ندوات عامة أو فى كواليس المهرجانات المحلية أو الدولية ..

ولكن اغلب هذه (المواجهات) كانت تتم مع نقاد مختصين أو مهتمين بشئون السينما فى العالم الثالث .. أو عاملين فى المهنة .. (★) الى ان اتتنى هذه الدعوة الخاصة جدا فى سنة ١٩٨٥ لتقديم مجموعة من الافلام المصرية فى صالة عرض تجارية بباريس ..

الأفلام كانت كالعادة .. لمخرجين ..



في الذكرى الستين للسينما المصرية

عرفهم الجمهور الفرنسي عن طريق نقاده وصحافته ومهرجاناته .. « كيوسف شاهين وصلاح أبوسيف وأنور وجدى وبركات » .. أو لأبطال فى الغناء والاستعراض .. شاعت أسماؤهم وأغانيهم عن طريق الجاليات المغربية والجزائرية والتونسية التى استوطنت باريس وفرضت على الأحياء التى تقيم فيها أجواء ومناخا عربيا مختلفا كأفلام فريد الأطرش وعبد الوهاب وأم كلثوم وفيروز الصغيرة ..

كان لى أن أناقش جمهورا عاديا .. وغير متخصص .. يختلط فيه العرب مع الفرنسيين ، أفلاما .. مزاوجة بين الحداثة والقدم .. تمتد من (وداد) فرتيز كرامب وجمال مدكور إلى عودة الابن الضال ليوسف شاهين .. مرورا بياسمين وإنت حبيبى ورصاصة فى القلب وانتصار الشباب ..

واعترف انى خرجت من هذه التجربة (الصعبة) والفريدة معا ، بحصيلة وافرة يمكننى أن ألخصها فى عدة نقاط ..

● منها ان السينما المصرية مازالت فى أعين الكثيرين من المتفرجين الأجانب .. صورة ايكسوتيكية يختلط فيها التغريب بالاحساس السياحى .. يؤكد ذلك اللغة وطريقة التصرفات والسلوك فضلا عن العادات والأزياء ثم النظرة العامة للأمور وطريقة تقييمها ..

● ان الخلطة المركبة التى كانت تستعملها السينما المصرية فى أفلامها الدرامية والاستعراضية والمكونة عموما .. من شىء من الغناء وشىء من الرقص وشىء من الفواجع .. تثير عجب المتفرج الاوربى الذى تعود تماما على الفصل بين الأنواع فى الفن السينمائى .. كما انها تجعل المتفرج الحالي .. يستدعى رغما عنه بعض ظواهر الفن المعاصر ببدعه الحديثة المستغربة ..

● ان السينما المصرية بطريقة تناولها لبعض المشاكل الاجتماعية ، والسياسية والعاطفية مازالت تحتوى على قدر حاد من العفوية والبساطة التى فقدتها السينما الاوربية تماما .. والتى تبدو للمشاهد الاجنبى وكأنها نتيجة جهد كبير وجاد .. بالاضافة الى ان هذا التبسيط الدرامى (اللا مقصود أحيانا كثيرة) يظهر ميكانيكية الامور بوضوح اكثر .. ويحدد بصورة قاطعة الحواجز الفاصلة بين الاسود والابيض .

● ابتكار يثير الانتباه

كانت هذه النقاط الثلاث .. من اكثر الامور التى توقف عندها المناقشون الاجانب فى هذه الليالى المصرية .. بل انى عجبت لطرافة ما كنت اتصورها .. فما كنا نعتبره فى مفاهيمنا النقدية الشرقية تجاوزا أو « قلة حيلة » .. يُعتبر الآن بالنسبة لبعضهم ابتكارا وتجديدا .. يثير الانتباه .

حتى مقاييس الجمال والحكم عليها .. الآن تبدو مختلفة .. ومحكوما عليها من خلال منظار مختلف ، واعترف انى شهدت



انور وجدى



ام كلثوم



فريد الأطرش



فيروز الصغيرة

(وداد) ام كلثوم .. من خلال جو حماسى .. لا اظن ابدا ان الفلم كان سيصادفه لو عرض الان عرضا عاما .. فى احدى صالات القاهرة .

اما خيال انور وجدى فى افلامه الارستقراطية وخصوصا هذه التى مثلها مع الطفلة فيروز .. فقد حظيت بتقدير جماهيرى .. لا يقل ابدا .. عن التقدير الذى لاقته فى بلدها الاصلى .. وان كان الجمهور الفرنسى يضحك فى المواقف الميلودرامية التى ابكت الكثيرين من المتفرجين الشرقيين ..

وعندما اقول (يضحك) فانا لا اعنى بذلك استهانة بالفيلم ومخرجه وممثليه .. وانما اعنى هذا الضحك النابع من القلب .. والذى يختلف بكثير عن الاعجاب .. حول نجاح هذا المخرج فى تحقيق (الميلودراما) .. اى الدراما الغنائية بمعناها الايطالى القديم .. التى تستغل المواقف الصعبة لتعطيها غنائية خاصة بها .. تخرجها عن نطاق (التأثير) وتصل بها الى حدود (التنفيس) .

العين الغربية لا تحكم على فننا السينمائى وفق مقاييسنا نحن بل وفق مقاييسها هى .. (وهذا امر طبيعى عكسه يمكن ان يثير الاستغراب) وهذا ما يجعلها تطبق عليها مفاهيم خاصة جدا تجعلها .. تقبل (فساد الذوق) الذى تهتم به بعض مشاهد افلامنا .. وترى فيها تركيبة موفقة ومركبة لتجميع عدد من الفنون فى واحد ..

تماما ... كما يضع الناقد الموسيقى الحان البان برج وساتي .. فى مواجهة ميلوديات شوبان وعاطفيات موزارت .. أو الناقد التشكيلى .. تكعيبات بيكاسو وبراك أمام صفاء بوتيشيللى أو فيلاسكيز .

الابتعاد عن الهارمونى العقلى فى البناء الفيلمى الحديث .. والاعتماد على ايقاع غير منتظم يربط الأحداث فيما بينها .. اعتبرها المتتبع السينمائى الأجنبى ميزات خاصة .. تعبر عن سينما ارادت ان تسير فى طريق خاص بها .. يختلف عن المسار العادى الذى طورت السينما العالمية نفسها حسب سياقه ..

والحقيقة ان هذا المفهوم يمكن ان يكون نقطة تثير الجدل والنقاش ..

فالسينما المصرية بحكم تاريخها القديم .. وكونها واحدة من السينمات اللاتى بدأت .. قبل كثير من السينمات اللاتى تحتل الآن موقعا بارزا فى خارطة الفن السينمائى كالسينما الاسبانية واليونانية والمجرية والسويدية مثلا .. لم تتحرك كثيرا .. « وإنما ظلت فى موقعها تعالج وفق اسلوب لايسير افقيا قدر ما يسير عمقا » .. المشاكل نفسها من خلال الشخصيات نفسها .. مع تغيير طفيف فى الطريقة السينمائية لايكاد يذكر ..

ومهما قيل عن ان هذا التوقف عن النمو .. امر خارج عن ارادة السينما المصرية والعاملين بها .. فإنه يبدو بعيدا نوعا ما عن المنطق .. لاننا نرى هذا الاصرار ، فى عدم التخلى عن الاسلوب الذى تميزت به هذه السينما .. محسوسا .. لدى كبار المخرجين اكثر من صغارهم .. فافلام صلاح ابو سيف .. تشكل كلا واحدا .. كذلك افلام شاهين .. او بركات .. مهما اختلف الموضوع الذى يطرقونه ..

ان السينما المصرية فى مدارها الطبيعى مازالت مصرة على استخدام ايقاعها الذى عرفت به وأسلوبها المكون من مزيج متنافر من فنون عديدة .. يشكل داخلها .. نوعا من الانسجام والتوازن شبيه بتوازن لاعب السيرك على حبل رفيع مشدود على الهواء .. وفق طريقة فى الأداء .. وفى التشكيل .. وفى العرض .. تتناسب فيها مع نفسها اكثر مما تقارن به ولعل هذا وهذه .. هو الذى اعطاها طابعها الفريد الخاص بها .. وهو الذى جعل الجمهور الاوربى يكتشفها كنوع خاص له نكهته وطعمه ورائحته ..

بل ربما كان دون قصد منه .. يدفعنا الى ان نراها مرة اخرى .. بعيون جديدة .. تجعلنا نغير الكثير من احكامنا .. وتحثنا على ان نراجع دفاتر حساباتنا .. ومن يدرى .. فقد يأتى اليوم الذى نرى فيه حسن الأمام . الـ (برجمان) الذى يليق بنا .. ؟؟؟؟؟

(*) صالة البلجود .. وهى صالة مخصصة لعرض افلام الفن والتجربة .. ولكنها صالة تجارية بحتة وتقع فى مركز حساس وجماهيرى من الضفة اليسرى للسين .

فى الذكرى الستين للسينما المصرية

الظلال والأطياف في قاموس السينما العربية

بقلم : كلود ميشيل كلونى

صاحب المقال واحد من اهم مؤرخي السينما العربية ، بل لعله مؤرخها الوحيد ، فهو مؤلف « قاموس السينمات العربية الجديدة » ذلك القاموس الفريد .

فليس ثمة عمل مماثل له في لغتنا العربية . وحسب ماعندنا من معلومات ليس له ترجمة سواء داخل مصر او خارجها .

وما نامله من ترجمة مقاله ـ ولنا عليه تحفظات كثيرة ـ هو ان نلقى الضوء على منهجه في النقد ، وان نحرض على ترجمة قاموسه ، فنبلغ بذلك بعض مانريد لحركة النقد من نهضة ليس الى محوها من سبيل .

العالم العربي الحديث ، وان كان هو الوارث لآخر الحضارات الكبرى ، الا انه في العمر يصغر السينما .

ولم تكد مصر تفلت من قبضة حكم عثماني دام قرونا حتى جرى عرض اشرطة « لوميير » الاولى بأحد مقاهى الاسكندرية خلال ١٨٩٦ .

ولقد توجهت مصر وحدها نحو الغرب ، نحو اوروبا آلية ، غنية ، منقسمة على نفسها ، بأمل ان تقترض منها نماذجها الاقتصادية ، وبعضا من ارصدتها

في الذكرى الستين للسينما المصرية

السياسية ، لاسيما الليبرالية التي تبنّاها حزب الوفد .

والحماس الذي استقبل به « السينماتوجراف » - هكذا كانت تسمى السينما في مطلع القرن - انما يرجع الى الميل المتأصل لفن الاستعراض ، ذلك الميل الظاهر للعيان على امتداد الشرق ، فضلا عن الانبهار بالسينما بوصفها اختراعا اعجب من العجب ، هذا الى الانجذاب الشديد للتحديث ، وذلك على الاقل داخل صفوف الفئات المستنيرة من بين سكان مدن متفرنجة ، تلك الفئات التي كانت تزداد على مر الايام نشاطا ووطنية .

وفي العالم العربي الذي كان واقعا تحت شكل من اشكال الاستعمار - وهذا يعني كل العرب عدا مصر - لم يكن لظهور السينماتوجراف اى صدى الا في الاوساط الاستعمارية القابضة على ناصية الحكم .

وهكذا ، فالسبق الذي تميزت به السينما المصرية على اية سينما عربية اخرى ، إنما نجد تفسيرا له في هذا التقبل النسبي من الجمهور ، فضلا عن وجود رجال مهرة ، يحسنون تشمم رائحة الربح .

ورغم هذا السبق لم تصبح السينما مصرية بعد ، ذلك ان انتشارها السريع ، انما كان بفضل ايطاليين ولبنانيين ، ويونانيين وفرنسيين واتراك والمان ، فهؤلاء الاجانب هم الذين مولوها ، امتلكوها وابدعوا اعمالها ، وذلك حتى اقتراب سنوات العشرينيات من نهايتها .

وهذه السينما التي جاء بها اجانب كمموّلين ومستغلين هذه السينما الرائدة في مصريّتها ، لم تكن بالنسبة للجمهور الا استعراضا جديدا ، يدخل ضمن عروض الاسواق ، ومسارح السحرة والمشعوذين .

وعلى كل فهذه « الصناعة بلا مستقبل » حسب مقولة « لويس لوميير » لم تكن قد اصبحت فنا بعد .

حقا كانت قد اصبحت شعبية ، او بمعنى اصح كانت قد احرزت نجاحا متزايدا بين اكثر الفئات الاجتماعية في القاهرة والاسكندرية حصولا على امتيازات وتطلعا الى ثقافة اوروبا الغربية .

ومع ذلك ، فهذا الجمهور لم تكن رغباته ليشبعها لا الانتاج الايطالى - اللبنانى بمستواه الهابط ، ولا المسرح المسرف في ارتجاله والمصور في افلام بالاسكندرية لجمهور شعبى انبهر بها انبهارا شديدا .

فازدهار زراعة القطن وتوريده ، والوجود البريطاني المتزايد بسبب الحرب العالمية الاولى ، ومابعدها من احداث ، ونمو حجم الملاحة في قناة السويس نموا متصلا ، كل ذلك ادى الى توفر سيولة نقدية تغرى بالاستثمار فاذا ببنك مصر ينشيء استديوهات ويحل محل « بنك روما » في مرحلة التمويل ، ويوافق على ارسال بعثات الى اوروبا ابتغاء تكوين تقنيين ومخرجين مصريين .

وكما ارست صناعة الاسطوانات

قواعدها ونمت بفضل شركتى « اوديون » و« بيضافون » اللتين نجحتا فى غزو اسواق الشرق الاوسط ، فقد ارست صناعة الفيلم هى الاخرى قواعدها فى كل من الاسكندرية والقاهرة .

● نشاط سينمائى فى القاهرة

وظل الحال كذلك حتى بداية الحرب العالمية الثانية وبالتحديد ١٩٤٠ ، عندما انتقلت نهائيا استديوهات الاسكندرية بنشاطها الى القاهرة حيث البناء التحتى التقنى ـ البلاتوهات والمعامل ـ لم يتوقف عن النمو والتقدم ، مستجيبا فى ذلك الى متطلبات سوق (محلى واجنبى) ساعد الفيلم المتكلم على توسعه بحيث امتد الى اكثر من جمهور جديد .

وهكذا ، وفى حين ان الافلام الصامتة ـ لاسيما ما كان منها من انتاج الاسكندرية باصوله الممتدة خارج مصر ـ كانت فى معظم الاحوال غارقة فى محاكاة الانماط الكوميدية او العاطفية للسينمات الغربية ، فان السينما ما كادت تنطق حتى اكتشفت مع الكلمة والموسيقى والغناء الجذور الطبيعية اللازمة للارتواء من التراث .

وفضلا عن ذلك ، فقد تمكنت من التكيف مع تلك الاشكال من الاستعراض التى ادمن الجمهور تذوقها .

● دعامة اقتصادية

ومهما يكن من امر فالدور المهيمن

فاطمة رشدى وحسين صدقى .. فى فيلم « العزيمة »



في الذكرى الستين للسينما المصرية

الذى لعبته المصارف فى النهوض باستديوهات القاهرة ، هذا الدور قد اكسب الانتاج استقلالا مماثلا لذلك الاستقلال الذى حصلت عليه السينمات الوطنية الغربية .

ولكن اذا كان الاتساع المتزايد للسوق قد قوى من شأن دعاماتها الاقتصادية ، فهو قد جنح بها الى استغلال بلا هوادة لانماط سينمائية موثوق بها . بحيث اصبح نجاح الفيلم تجاريا مرتهنا بالالتزام بها .

حقا كان الانتاج مستقلا ما فى ذلك شك ، ولكن هل عبر عن التمصير كما كانت تراه وتؤمن به دوائر الاعمال الليبرالية ، ومعها المثقفون فى مواجهة القرون من الاحتلال التركى .. وكيف ؟

اول مايسترعى الانتباه بالنسبة لطبيعة افلام مابعد انتهاء الفترة الصامتة ، انها حاولت ان تتلاءم مع الذوق العربى .

والشىء المهم ، ان محاولتها هذه جرت على نحو ما من خلال منتجات تكاد لاتقول شيئا ، وليس من خلال البحث عن اساليب .

فالسينما لم تكن الا وسيلة ، وسندا جديدا لاستعراض قديم غير محدد المعالم لا يدفع الى امام ، والى اى بحث (اى تساؤل) شكلى او تقنى .

كل ما هنالك هو انها قدمت الى الجمهور ضحكا أو دموعا بالانطلاق من تراكيب مأخوذة تارة من الانتاج الغربى ، وتارة من تقاليد المسرح المصرى .

* تقليد سينما الغرب

« اقتصروا فى القاهرة على اقتباس مسرحيات غربية معدلة بما يلائم ام كلثوم وعبد الوهاب » .

وعندما كانت سينما الاسكندرية تريد تقليد اوروبا كانت تعيد انتاج الافلام الغربية ، ولكن بنكهة مصرية ، بلون محلى متميز .

هكذا كان الامر مع « بحبح » فقد استوحى « توجو مزراحى » بعضه من فيلم « المليون » « لرينيه كلير »

والعجيب ان سينما الاسكندرية هذه ـ وكان لها حظ كبير من الشعبية ـ كانت من صنع يهود وايطاليين ويونانيين اقاموا احيانا فى مصر واداروا فرقا عروضها قوامها مسرح مسرف فى الارتجال .

واقتصر دور الأوروبيين على اداء المهام التى تستوجب « دراية تقنية » (من حديث اجراه صاحب المقال مع « توفيق صالح » لنشره فى مؤلفه « قاموس السينمات العربية الجديدة »)

هذا هو حال السينما تقريبا من بداية الثلاثينيات ، وذلك قبل ان يقوم امثال « ماريو فولبى » ، « مانويل فيمانس » ، « تيليو كياريني » ، و« الفير اورفانيللى » (بفضله تمكن « يوسف شاهين » من انتاج « بابا امين ») يقوموا بالتخلى عن اماكنهم شيئا فشيئا ، ليحتلها من بعدهم « توجو مزراحى » ، « احمد جلال » ، « محمد كريم » ، « يوسف وهبى » و« احمد بدرخان » .. ميلاد شائع متعثر لسينما مصرية حقا ؟ ويا له من ميلاد بطىء شديد الشيوع !

ولقد كانت مصر البلد الوحيد فى العالم العربى الذى انفرد بالاشتراك فى المغامرة السينمائية قريبا من بداياتها .

ولكن كان لامناص من انقضاء مالا يقل عن نصف قرن حتى يمهد الطريق لمجىء سينما متحررة من ذلك التصور الذى يرى انها لاتعدو ان تكون مجرد سند مختلف للعروض التقليدية (مسرح - غناء او رقص) فقد كان الانتاج فى معظمه لا هو بالتعبير عن مؤلف ، ولا هو بالتصوير لواقع .

ويذهب هواة الافكار التى تجنح الى تبسيط الاشياء الى انه يمكن اعتبار السينما المصرية والسينما العربية كلا واحدا لايتجزأ .

وقد يكون ثمة حظ من الصحة لرأيهم هذا بالنسبة للانتاج اللبنانى (اغلبه من انتاج مصريين) وكذلك بالنسبة لبعض افلام على نفس المستوى التجارى جرى تصويرها فى مراكش ، او سوريا .

● التمسك بالواقع

فبدءا من سنوات الستينيات ظفرت دول عربية كثيرة بحظ من الانتاج السينمائى .

ومع ذلك فاى فيلم ذى قيمة انتجته السينمات الجديدة لهذه الدول فى فجر بداياتها العسيرة كما « وشمة » (مراكش) « رياح الاوراس » (الجزائر) « خليفة الشرير » (تونس) و« حارس الليل » بعد « سعيد افندى » (العراق) اى منها لاينتسب الى مدرسة متصلة بمصر سنوات الخمسينيات والستينيات ، مصر التى توهجت جذوتها ، فافصحت عن مكنون نفسها .

وفى الحق فلا وجود لاية سينما وطنية اذا ما اخذت فى التطور خارج اطار ثقافتها الخاصة بها او انفصلت عن الواقع بالتجريد له .

قد يستطيع رسام مؤمن من « سيينا » (ايطاليا) فى القرن الرابع عشر او مصور شخصيات (بورتريه) فى البلاط (لندن ، باريس ، كيوتو) ان يتجرد بفنه فيما يبدو لنا انه تمرد على عنصر الزمن وتجاوز له .

اما الفيلم ، فاذا كان يريد ان يعبر فى ايامنا هذه عن جوهر ايمان ما ، سواء اكان هذا الايمان دينيا او سياسيا ، او يريد التعبير عن روح شخصية ما ، فلزام عليه ازاء ذلك الذى يريد التعبير عنه ، ان يكون تناوله له خلال فترة زمنية محددة تحديدا دقيقا ، وان يكون ما يقدمه وثيق الصلة بالعالم اوثق اتصال .

(والافلام العربية الاولى غير المنتسبة الى مصر قد حاولت ان تمسك بزمام الواقع من خلال العلامات الدالة عليه) .

● وهبة السينما !

عندما قام « محمد كريم » باخراج « زينب » (١٩٣٠) انطلاقا من رواية لم يوافق صاحبها (يقصد محمد حسين هيكل باشا) ان يوضع اسمه عليها الا بعد انقضاء عشرين عاما على نشرها ، وذلك يعزى الى ان الرواية كانت تعتبر نمطا ادبيا لا يجلب لصاحبه سوى العار ، فقد اثار « كريم » بفعلته هذه فضيحة ، لاتختلف كثيرا عن فضيحة « كمال سليم » بعد ذلك مع فيلمه « العزيمة » (١٩٣٩)

ومن المفارقات انه كان لابد وان يجىء « جمال عبد الناصر » وينشىء قطاعا عاما حتى يمكن ان يتاح لهذا الاستقلال النادر ان يؤتى ثماره .

فى الذكرى الستين للسينما المصرية

وعلى كل ، فقد جاء ميلاد الواقعية المصرية مواكبا لتاريخ نشوب الحرب العالمية الثانية ، اى بعد ربع قرن من عمر السينما .

وما كاد يقع انقلاب ١٩٥٢ (يقصد الثورة) حتى أخذ النظام المنبثق عنه فى ممارسة لعبة « الاستغمَّاية » مع الثقافة .

ورويدا .. رويدا جنحت السياسة من ناحية والفنان من ناحية اخرى ، الى الظن بأن الاخر هو وحده المعصوب العينين .

ورد الفعل المزدوج هذا ، كان امرا متوقعا بل واقعا لامحالة ، وذلك بحكم انه امر لازم فى جميع الاحوال التى تتبنى فيها السلطة ، ايا كانت طبيعتها التدخل فى الثقافة لتوجيهها الوجهة التى تشاء .

ومع ذلك ، فقد حمل زمن الاوهام هذا للسينما من الخير الشىء الكثير .

● قواعد جديدة للسينما

فقد دفعها الى التطور من عدة نواح ، بان فتح الابواب لجيل جديد من السينمائيين والتقنيين ، وارسى قواعد تعليم السينما فى مصر ، وشق طرقا لانتاج افلام خارجة على المألوف ، طالما ان الرقابة ليست لها بالمرصاد .

فالدولة قد عادت الى تبنى نظرية سنوات الثلاثينيات التى تخولها حق مايعرض ، وما يمتنع عرضه من افلام ، اية ذلك « المتمردون » لتوفيق صالح (١٩٦٦) « والقضية ٦٨ » لصلاح ابو سيف (١٩٦٨) ، فكلاهما يظهر بجلاء تنكر السلطة لاى تعبير يحمل اى انتقاد ، ولو سليم للواقع .

ومن المفارقات الجلية ، ذهاب السلطة الثورية المنبثقة من ١٩٥٢ فى الرفض الى مدى ابعد بكثير من احرار الامس .

فمعاداة فيلم « محمد كريم » « زينب » ، جاءت اصلا من دوائر دينية ، ضاقت به ذرعا لانها اعتبرت تصوير « حياة الاخرين » وبالذات حياة فلاحة فقيرة ، والادهى انها فتاة ، اعتبرت كل ذلك عملا منكرا .

وكان من نتائج تلك المعاداة ان ساد مبدأ اخضاع التعبير السينمائى (والروائى) لمختلف انواع الحظر ، هذا المبدأ الذى اصبح من الثوابت ، ويعمل به الى يومنا هذا .

ولم تكتف هذه الدوائر بنجاحها بل

كمال سليم



سعت سعيا حثيثا الى تضييق الخناق على اية محاولة للاقتراب من الحياة الواقعة .

● نجدة كبار الملاك !

ولم يخيب كر الايام مساعيها فى هذا الخصوص حتى ان قانون الرقابة المصرية ، قد اصبح فى الشدة مضرب الامثال ، متجاوزا فى شدته هذه قانون « هايز » الامريكى السىء السمعة .

والواقع انه فى البلاد ذات البنيات الزراعية الراسخة لا تخيب هذه الدوائر الظن فيها ابدا ، فهى دائما متلهفة على نجدة كبار الملاك واخضاع الفقراء ، واستعباد النساء .

« فزينب » و« الحرام » (بركات ١٩٦٥) وغيرها من افلام تعرض لمحنة النساء فى الريف كما « نوه » (للجزائرى « طولبى » ١٩٧٢) كل هذه الافلام انما تؤكد استمرار المعاناة بجميع الوانها ، ولنفس الاسباب .

يوسف شاهين



غير ان « كمال سليم » عندما اراد ان يخرج « العزيمة » اذا به يثير بفيلمه هذا ضجة اكبر .. لماذا ؟

لان « العزيمة » لم يكن متوافرا فى حقه ذلك العذر الريفى المخفف ، عذر المشاهد الزائفة غير المألوفة لمتفرج المدينة (مشاهد الريف) .

فهو لم يصور سوى الحياة الواقعة اليومية فى الحوارى الشعبية بالقاهرة .

وهذه الموانع والخصومات لها فضل الاسهام فى بيان الوضع الحقيقى للسينمائى .

وفوق هذا كشف ضيق المساحة المسموح له بممارسة نشاطه داخل حدودها .

فظهور الشعب الصغير على الشاشة ، يعتبر فى نظر بورجوازية اصحاب الاعمال أوقع فى تأثيره السىء من ظهور الفلاح المجهول .

وهذه النظرة ليست رفضا سياسيا بقدر ماهى رد فعل طبقى .

فالفرجة على الفقراء فى السينما ، قد تبعث فى نفوس المتفرجين شيئا من التعاطف .

والرفض اليوم قوامه طبقة وسيطة من البرجوازية الصغيرة (قطاع ثالث وموظفون) لاتحفل بالفلاحين ومشاكلهم ، همها الاول والاخير العمل بهمة على تعميق الهوة التى بينها وبين عمال المدن ، وزيادتها اتساعا .

اما على صعيد السلطة فالرفض قد صار رفضا سياسيا والمبدأ المستأثر بتفكيرها بداءة ، هو ان هذه الموضوعات لاتثير اهتمام الجمهور فى قليل او كثير .

ولم تطرح عليها ابدا فكرة كيف يقلب هذا المبدأ رأسا على عقب ؟ ما الذى

في الذكرى الستين للسينما المصرية

يتعين عمله لاثارة اهتمام الجمهور ولتضميد جراح مجتمع شوه نفسه بنفسه تشويها شديدا .

قبل الستينيات ، كان الرواد والمنحرفون يجرى الحكم عليهم من منطلق الربح .

فالنجاح التجارى لافلام محمد كريم واحمد بدرخان فضلا عن النجاح غير المتوقع للعزيمة ، كل ذلك كان من شانه اتاحة الحرية للمخرج فيما بعد فى الا يدخل ضمن حساباته « التوليفة » السينمائية المالوفة اذا ماشاء .

● رسالة الفيلم اولا

وهكذا كان الربح باعثا لمزيد من اللبرالية . بيد ان الحال لم يبق عند هذه الخطوة ثابتا .

والان ، لم يعد النجاح هو المقياس .. حل محله مقياس اخر .. رسالة الفيلم .

ورغم ان السينمائيين العرب ليسوا ، حسب المفهوم الغربي للثقافة بمثقفين الا نادرا ، فانهم فى المحصلة النهائية ، قد اصبحوا اكثر وعيا باهمية اللعبة السينمائية ، وبالطبيعة المتميزة لصناعة يلزم العمل دوما على انتشالها من هوة الانتاج النمطى والربح دون مخاطر .

وكذلك كان حال السينما فى الغرب حيث عملوا بغير انقطاع على تحريرها من الخيارات التجارية ، وازالة الحواجز الرقابية او التحايل عليها .

ولكن هذه السينما مالبثت ان تمثلت التراث الثقافى الضخم الذى اتصلت به ، مما كان سببا فى تنوع ماتنتج من اثار .

وكذلك اصبحت السينما فنا ، بقدر انفصالها عن المصادر التى استلهمتها فى البداية ، هذه المصادر ـ اى المسرح والادب ـ التى سرعان ماتحولت الى كمائن مميتة .

والى ان نشبت الحرب العالمية الثانية ، كانت مصر رغم حظها من المخرجين ، تفتقد ذلك النوع من السينمائيين الذى يعمل الفكر فى القوانين التى يفرزها اى فن ، اذا كان له ان يولد ، يدوم ويتجدد .

حقا كان ثمة نفر من المخرجين المهرة (بدرخان ، مزراحى ، كمال سليم) الا ان اخص ما نلاحظه عليهم ان ايا منهم كان لاينفرد على المدى الطويل باسلوب يتميز به على الاخرين ، وذلك فيما عدا « محمد كريم » فى بعض العناصر التى تأتلف منها افلامه .

ويوسعنا ان نقول انهم كانوا يستشعرون بين الحين والحين ماهية السينما (كتابة متحركة ، جديدة ومختلفة) .

بيد ان مصر كانت بعيدة عن تجارب الروس فى العهد الذهبى (يقصد فترة السينما السوفييتية خلال النصف الثانى من العشرينيات) قدر بعدها عن هلوسات الطليعة الفرنسية المتطاولة على

المقدسات (مان راى ، بونويل ، كوكتو ، فيجو) .
فالمخرجون المصريون كانوا لايعرفون من امر الغرب شيئا .
والفيلم الوحيد الذى تأثر بتجارب الروس - وهو « لاشين .. بطل الشعب » - هذا الفيلم اخرجه المانى « فريتز كرامب » (١٩٣٩) حول فكرة قوامها هبات فلاحية ومؤامرات قصور .

و« كرامب » هذا كان يعيش فى مصر ، وقد اشترك على وجه الخصوص مع « جمال مدكور » فى اخراج « وداد » (١٩٣٦) ومع « احمد بدرخان » فى اخراج « نشيد الامل » وكلاهما مثلته « ام كلثوم »

○ خلل وتناقض !

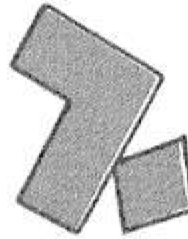
ومايسترعى الانتباه فى « لاشين » هو مشاهد القرويين وهم يزحفون على القاهرة .
فكرامب فى تناوله قد اعتنى بالاطر وبتحريك الجماهير عناية فائقة ، مستلهما فى ذلك الدروس المستفادة من « ايزنشتين » وافلامه العظيمة ، وهى دروس حاول « خليل شوقى » ان يتذكرها عند اخراجه لبعض مشاهد « الجبل » (١٩٦٥) فاذا بهذه المشاهد تكشف فيما بعد عن ضعف هذا الفيلم المهجن ، وعما به من خلل فادح وليد تناقضات افقدته وحدته .
ويظل الحال كذلك الى ان ينجح « يوسف شاهين » و« توفيق صالح » فى تعمق تلك الدروس فيخرجا فيلميهما « الارض » (١٩٦٩) و« المتمردون » (١٩٦٦) .

لقد تبنت مصر السينما كما تبنت منتجات وتقنيات اخرى قادمة من غرب كان لقوته الاقتصادية ولنفوذه الايديولوجي والثقافى اثر كبير وصل الى حد الهيمنة .

والسينمائيين الاوائل فى القاهرة والاسكندرية اذا كانوا غرباء على مصر الحقيقية ، كما ذكرنا سلفا ، فالسينمائيون المصريون الاوائل كانوا بدورهم - وعلى مر مايقرب من نصف قرن - غرباء على ثقافتهم الوطنية .

فهم وقد خضعوا لمفاهيم عن اوروبا لم يستقم تحليلها بحيث استعصى عليهم فك رموزها الامر الذى ترتب عليه انهم لم يعتمدوا الا على اشكال من العروض سيئة السمعة (الكباريه) او الخطرة (الاستعارة الادبية ، المسرح والغناء والرقص) اقاموا عليها - وهم فى غفلة غير مبصرين - سينما وطنية .

ولانهم كانوا منقطعى الصلة تماما بماضى مصر المذهل (التعليم الحالى لايزال المسئول الاول عن ذلك) جاهلين بواقع ريف لاتوجد مصر بدونه ، ولاترى الا به مشغولين بارضاء اذواق جمهور ضائع فى الاوهام - فقد تكلفوا الاستعمال - داخل الاستديوهات - لوسائل المسرح ونجوم الغناء ومن بعدهم نجوم الرقص ، كل ذلك انطلاقا من سيناريوهات (غالبا ماكانوا هم مؤلفوها) أو « توليفات » اصطنعت استجابة منهم لمتطلبات المنتجين)



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

وإذ انهم كانوا (ومازالوا) فى كثير من الاحيان ممثلى مسرح (يوسف وهبى ، عزيزة امير) او مطربين ومخرجين يجمعهم مشروع واحد محدد ، فهم وامثالهم قد جعلوا من الفيلم مجرد سند تقنى لشىء منتج ـ استعراض ـ تتزاوج فيه عناصر متباينة على وجه يصعب معه رد ابداع هذا الشىء لاحد .

المرأة الحديدية .. استمرار الموجة المقتبسة



وإذا كان مستوى شريط الصوت قد ظل على حاله ، كما هو غير معتنى به ، فالتصوير على العكس من ذلك كان يعنى به اشد عناية ، وان كان اخص مايلاحظ على الاطار المحيط بالصورة ، انه لم يكن يعنى به ابتغاء التعبير عن ذات الصورة ومكنونها ، وانما ايثارا لشىء اخر ، هو لفت النظر فى غير نفع الى ديكور او نجم .

● الجهل بطبيعة السينما

وهنا يمكن الجنوح فى تفسير ماتقدم الى القول بان ثمة تفرقة بين المصور والسينمائى ، ففى حين ان الاول مبدع ، فان الثانى ينحصر دوره فى تسجيل ماهو كائن تقنيا ، ولايتجاوزه الى اعادة التصوير .

وهذه التفرقة التى تقوم على عدم الفهم مردها الجهل بطبيعة السينما بوصفها فنا ، وهو جهل قد يكون له فضل تجنب الزج بها فى نزاعات دينية .

ومع ذلك ، وعلى كثرة ماقيل فى حق السينما ، فما اكثر الذين رفضوا تاثرا بالتقاليد ، الذهاب الى السينما فى البلاد العربية لانها رجس من عمل الشيطان !

وقد يكون تساهل العلماء هذا مستمدا من التفسير سالف الذكر .

وعلى كل فالتفكير الناقد يجد لهذا التفسير مايبرره فى تاريخ السينما .

فعلى امتداد اربعين سنة من الانتاج ، بقى الاطار المحيط بالصورة فى الفيلم

المصرى كما كان مفرغا من الواقع تفريغا يكاد يكون تاما .

وفوق هذا ظل خاليا من اى بحث حول التعبير تشكيليا بدقة واناة .

ومن عجب انه وفى بلد كمصر واسع الثراء بموروث من التقاليد والقيم الثقافية متراكم على مر الاف السنين ، لايفيد السينمائى من هذا المورث شيئا به يعصم عمله من الجدب والعقم

ولكن هل كان ثمة احساس عند السينمائى قبل « كمال سليم » و« صلاح ابوسيف » ـ انه يبدع عملا يعبر به عن مصر ، وانه لو استلهم فنه من مصر ، لكان ذلك ايذانا بانعتاقه من رق النماذج والانماط التجارية ؟

غير انه مع حصول البلاد العربية الاخرى على استقلالها بدا هذا المازق للعيان واضحا كل الوضوح .

وبفضل ذلك كان الخيار هو الاخر واضحا

فاما الانقياد للغة مستوردة ، لقواعدها ، ولنظام القيم الخاص بها ، واما ترجمة معطياتها فى مفردات حضارة مختلفة .

لقد نجح اليابانيون والروس والاسكندنافيون فى هذا الخيار وتحدياته ، محققين انجازا كبيرا

ولكن العالم العربى كان اقل حظا فقد سلب على مر العصور من ثقافته الخاصة به ، ومصدر ذلك فيما يظهر سبات عميق اصاب ديار الاسلام قرونا .

واستعمار قصر تحصيل العلم فى اوروبا او فى جامعات محلية نادرة قصره على فئات من السكان محدودة انفردت بحظ كبير من الامتياز .

وكان لكل ذلك اثره على حياة الفنان العربى ، فقد وجد نفسه فى اتصاله بالغرب اسير موقف زائف ، تابع يجعله هشا ، عرضة للضياع .

واذا كان السينمائى العربى يريد ان يخرج من هذا المازق فعليه ان يحصن نفسه اولا ضد سحر المحاكاة للنماذج المستوردة المعروضة عليه فتنة له ، وان يخترع ثانيا اللغة التى يمكن ان تؤهله ـ فيما لو تغلب على ثرثرة الكلمات واعتياد السير على صراط مرسوم لا حيد عنه ـ تؤهله اخيرا للوصول الى جمهوره الحقيقى ، لاسترداد هويته شانه فى ذلك شان بعض سينمائى الهند ممن ساروا فى السبيل الذى يخرج بهم من هذا المازق فنجوا (مثل راى ، سن ، بنجال)

ومهما يكن من شىء فمنذ صلاح ابو سيف ومسيرته الصبورة فى طريق الواقعية ـ وهى مسيرة سابقة على واقعية الايطاليين (عمل ابو سيف مساعدا لكمال سليم اثناء اخراج « العزيمة ») ومصر تدخل شيئا فشيئا فى الاطار السليم حيث نراها ، وقد بدأت هويتها المتعددة الاوجة المشروخة ، الغامضة ، المهمومة بدأت فى الظهور منعكسة على الشاشة تارة بالمجاز « المتمردون » وتارة بالحكى الاجتماعى « زقاق السيد البلطى » وتارة بالغوص فى الماضى « المومياء »

جولة المعارض

استلهام الفن الشعبى فى معرض حلمى التونى

بقلم : د. صبرى منصور

كان اول معرض اقامه الفنان حلمى التونى فى القاهرة عام ١٩٨٥ ، بعد غياب استمر لسنوات طوال فى لبنان . وخلال اكتوبر الماضى اقام معرضه الثانى الذى قدم فيه اعمالا تنحو فى مجملها نحو الاستفادة من الفن والرسوم والزخارف الشعبية ، وكذلك فن الوشم . ولقد اختار لمعرضه شخصية محورية دارت حولها الاعمال ، وهى شخصية فتاة أسماها نرجس ، وصورها منذ طفولتها وحتى زواجها وانجابها ، مرورا بفترة احلامها وصباها وتمردها ، كما صورها فى لوحات اخرى مع عناصر محببة الى قلبها كالبستان او الحبيب . واستفاد الفنان فى



نرجس والابنة
فى عيون الفنان

فى نرجس مرسوم بالكريت على قماش ..



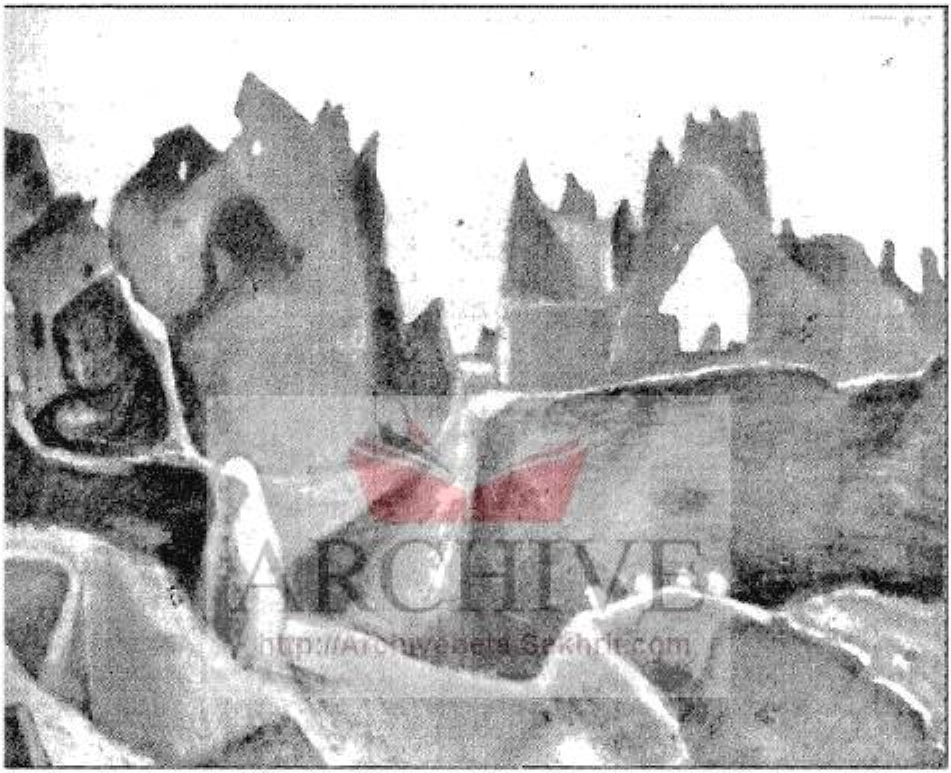
جولة المعارض

صياغة فتاته من شكل عروسة المولد بملامحها الدقيقة الجميلة ، وألوانها المبهجة ، ومظهرها الانيق . انتهج التونى فى معرضه الجديد اسلوبا مختلفا عن اسلوب معرضه الاول ، والذى كان قد اقتحم فيه عالم فن التصوير من أوسع ابوابه ، واظهر ما يختزنه من حساسية تصويرية عالية بدت من خلال اللوحات كسجين يسعى للانطلاق من اسر العالم الذى استولى على الفنان فاستغرق فيه ، وهو عالم الملصق والاخراج الفنى للمطبوعات الذى تخصص فيه ومارسه سنوات عديدة ، واصبح علامة مميزة فيه على مستوى الوطن العربى ، ومع ذلك فهو مجال لا يمنح الفرصة الكافية للتعبير عن الافكار الذاتية ، والانطلاق فى دنيا الابداع بحرية كاملة . فالفنان مقيد فيه بعديد من الاعتبارات ، من بينها الموضوع الذى يتناوله الملصق او المطبوع ، والاستجابة لحساسية الجمهور ، وتلبية مطالب صاحب العمل ، بالاضافة الى الامكانيات التى يمكن ان توفرها او تحد منها وسائل الطباعة . ومن هنا لابد ان يأتى العمل واضحا جذابا ، مرضيا للذوق العام . اما فى التجربة الفنية الخالصة ، فإنه لا توجد أى اعتبارات يضعها الفنان نصب عينيه سوى تحقيق القيم الفنية فى اسمى مراتبها . وذلك هو الطريق الذى اتبعه التونى فى معرضه الاول ، فجاءت الاعمال ـ وقد ابتعدت عن المباشرة والوضوح ، واتسمت بالغموض الفنى ، وسادها اللون الغنى المتدرج فى هدوء وشفافية ، وحفلت التصميمات بحوار بليغ بين الأشكال والفراغ .

وفى معرضه الثانى يبدو أن التونى قد غلب عليه عالمه الاثير ، فقد ظهر مزاحما لميل الفنان التصويرى ، ومنازعا له ، بل ومتغلبا عليه فى معظم الاعمال . فنراه يلجأ الى التصميم الزخرفى البسيط ، واللون المبهج الصريح ، والتناول المباشر لعناصر ووحدات من الفن الشعبى دون تعديل او تحوير (كالسمكة والاسد شاهرا سيفه والنخلة والطائر والديك) كما غلبه اسلوبه الصحفى حين لجأ الى حشو الفراغات ، فامتلأت التكوينات بتفاصيل غرضها الاساسى هو التزيين . ولم يبق من تجربة المعرض الاول للتونى غير قدر من الرومانسية والخيال الشعرى الرقيق الذى يستدعى الى الذاكرة اسلوب المصور شاجال فى جرأة الجمع بين العناصر وغرابة توليفها .

وفى بعض الاعمال استطاع التونى ان يزاوج بنجاح بين الاتجاهين اللذين يتأرجح بينهما ، حين خفف من حدة اللون ومباشرته ، وقلل من الوحدات الزخرفية ، وايضا عندما اعطى لأشكاله الفرصة كى تتنفس فى الفراغ المحيط بها . وربما كانت هذه الاعمال هى المدخل الى مرحلة جديدة تتبلور فيها كل العناصر المتصارعة فى فن حلمى التونى وتذوب فى شخصية متميزة تكون اثراء واضافة للتصوير المصرى فى المرحلة الراهنة .

حوار الأطلال
فى معرض عزالدين نجيب



- نادتني الواحة .. وباحت لي بالاسرار ..

منذ سنوات قليلة اتجه عزالدين نجيب الى التعبير عن الطبيعة المصرية ، ممثلة فى مناظر مستقاة من منطقة الوادى الجديد والواحتين الداخلة والخارجة ، ثم صحراء وجبال سيناء ، واخيرا واحة سيوة التى عرض انتاجه عنها فى قاعة اتيليه القاهرة فى اكتوبر الماضى . وفن المنظر وان لم يكن جديدا على انتاج الفنان - الذى كان يطالعنا بين الحين والاخر بمناظر من الاحياء الشعبية كالقلعة

والحسين ـ الا انه قد اتخذ في السنوات الاخيرة موقع الصدارة في ابداعه . ولعل البداية كانت حين شارك الفنان في رحلة نظمتها الثقافة الجماهيرية لمجموعة من الفنانين لزيارة الوادي الجديد ، بغرض اتاحة الفرصة لهم للتعبير الفني بعد زيارة ميدانية ومعايشة فعلية للمكان . وقد اثمرت التجربة معرضا جماعيا تميزت معظم الاعمال فيه بتلقائية التعبير وسخونته ، وكان للعناصر الجديدة التي تناولها الفنانون في اعمالهم من واقع البيئة تاثير كبير ساهم في كسر حدة الملل والرتابة التي سيطرت على اغلب معارض الفن التشكيلي في الفترة الاخيرة . ومنذ ذلك الحين يبدو ان عز الدين نجيب قد وجد لتجربته الفنية منحى جديدا ، فلقد ظهرت اعماله التي انجزها في رحلة الوادي الجديد وقد اتسمت بملامح جديدة حين اسرته الظلال القاتمة والاضواء المبهرة فأجاد صياغة الحوار بينها ـ وكذلك تحولت المنازل ذات العمارة البدائية الى كتل نحتية كاد الشكل الانساني ان يختفي منها ، ومع الواقعية والبساطة في التناول فان التركيز قد انصب على العلاقات التشكيلية . وقد ظهر ذلك كتحول في مسار تجربة الفنان الذي تعودنا تناوله للقضايا الاجتماعية فهو يؤمن بأن الفنان صاحب رسالة اجتماعية واضحة ، وان الفن يجب ان يلتحم مع الجماهير العريضة مستلهما قضاياها ، ومحطما لجسور العزلة التي تبعده عنها

ومع ذلك فان عز الدين نجيب الذي يبدو كانه قد هجر مؤقتا تناول الموضوعات الملتهبة (وكان آخرها لوحته عن مذبحة صابرا وشاتيلا وقد عرضها عام ١٩٨٣) فانه لم يهجر الملامح الاساسية لاسلوبه الفني ، فهو مازال في مناظره واقعيا ، لا يلجأ الى التحريف والتحوير الا نادرا ، وهو ان فعل ذلك ففي اضيق الحدود ، مثلما رأينا في لوحاته عن جبال سيناء وقد اتخذت قممها اشكالا آدمية ، او حينما يصور طائرا باسطا جناحيه فوق بقايا البيوت التي بدت كقلاع شامخة تتحدى الزمن ، فيضفي على الاعمال طابعا رمزيا . او حينما يرسم امرأة وحيدة تعدو في خلاء المنظر ، ويرمى ظلاله الطويلة الداكنة ذات المصدر المجهول لتذكرنا بظلال دي كيريكو وعالمه الميتافيزيقي .

وفي معرضه عن واحة سيوة قد استهوته فكرة الاطلال التي تثير الشجن والحنين الى الماضي « نادتني الواحة وباحت لي بالأسرار » فهو كالشاعر العربي القديم الذي كان يحلو له الوقوف على الديار التي غادرها الاحبة والخلان فأصبحت اطلالا مهجورة ، فتوقد قريحته ليرسل الشعر ابياتا محملة بالشوق والذكريات ، وهكذا تشي اعمال عز الدين نجيب الاخيرة ، فتلك الاطلال كانت ذات يوم منازل وقلاعا آهلة بالعمران والحضارة والبطولة ايضا . وهو حين يلبي النداء ويهرع الى الواحة طالبا الصفاء والسكينة

فانه سرعان ما يكتشف من خلال الحوار مع اطلالها ، ومزج الماضي البعيد بالحاضر القريب خيبة امله وفشل مسعاه . فلقد واجهته الاطلال بالحقيقة عارية من كل زيف ، هكذا لبيت نداء الواحة كي اطفيء ظمئي وسط الحصار والهجير ، فاذا هي تردني ظامئا الى داخل اسواري ، وتواجهني بواقعي ، لكني عدت محملا بهذه الاطلال ـ المواجهة » .

ولقد تنازعت في مناظر عز الدين نجيب الاخيرة ثلاثة اتجاهات ، اولها هو التسجيلي المباشر ، فالطبيعة احيانا تملك سحرا كامنا فيها ، لا تملك معه ان تضيف اليها او تحذف منها ، بل تتقبلها كما هي دون تصرف في العلاقات القائمة بين عناصرها ، والاتجاه الثاني يميل ناحية الزخرف ، كما تبدى في بعض المناظر التي بسطها الفنان وقسمها الى مساحات مثلثة ، ولونها بالوان شبه صريحة خالية من التنغيم ، وهو اتجاه ظهر غريبا على اسلوب الفنان وشخصيته ، وربما لجأ اليه من باب التجريب . اما الاتجاه الثالث فهو اقرب الى روح الفنان ، ويتصف بالعمق والتدخل الحذر في عناصر المنظر ، حين قام الفنان بتأكيد الظلال ومدها لتربط بين الاشكال ، وتصرف في العلاقات بين الكتل والفضاء المحيط بها ، واضفى عليها ايحاء بالحركة ، كما اولى السطح عناية اكبر بتنغيم الملامس فيه ، واجرى تعديلات جوهرية على تركيب الوانه فاكتست ثوبا رماديا مشربا بالزرقة اعطى مذاقا فريدا للوحات ، وخلق جوا اسطوريا مشبعا بالغموض .

وقد اكد هذا الاتجاه الاهتمام المتزايد الذي بدأ يوليه عز الدين نجيب للعلاقات التشكيلية الخالصة ، التي يجب ان يواكب الاعتناء بها عمق المضمون وسمو الفكرة الادبية .

والواقع ان اعمال عز الدين نجيب تثير دائما التساؤل حول امكانية التوفيق بين التعبير الادبي ، والتعبير الفني التشكيلي ، والمحافظة على النجاح في التعبير بكل واحد منهما بنفس المستوى من التميز . فالجانبان وان كانا قد اجتمعا من قبل عند العديد من المبدعين امثال ـ وليم بليك ولوركا وموديلياني وبيكاسو وبول كلي وجبران خليل جبران ، الا ان هناك ميدانا واحدا قد طغى على الاخر عندهم ، فكان الميدان الذي برزوا فيه واضافوا اليه وعرفوا به . فالتعبير عن فكرة بأدوات الادب يختلف اختلافا كبيرا عن التعبير عن فكرة وسيطها اللون والشكل . واذا كان المضمون يأتي للمبدع ممتزجا باسلوب تنفيذه ، فلنا ان ندرك مدى الصعوبة الفنية التي يواجهها الفنان التشكيلي والكاتب الاديب عز الدين نجيب ، ومقدار الحذر والتيقظ والوعي الفني الذي يجب ان يكون دائما مسلحا به حتى يظل محلقا في سماء الابداع بجناحي الادب والفن ، ونعتقد انه قادر على ذلك

رحلة الحروف الى التجريد المطلق في معرض حجازى

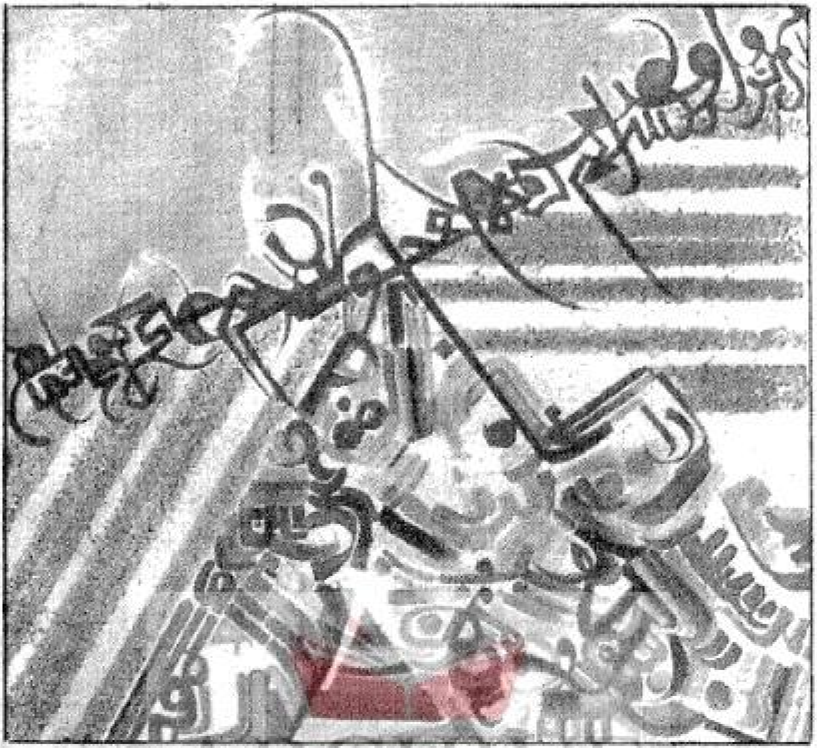
● قدم الفنان محمد رضوان حجازى فى معرضه الذى اقامه بقاعة اخناتون الشهر الماضى اعماله الجديدة التى اعتمد فيها على استفهام الحروف العربية . وكان منذ سنوات ـ اثناء عمله بالكويت ـ قد بدأ رحلته عبر الحروف المقروءة ، والجمل المفهومة ذات الدلالة الدينية المباشرة . فى تلك الاعمال الاولى سادت الصنعه والتقنيه الزائدة ، حتى لقد بدت كلوحات الحرفيين ، ولكن تجارب حجازى التالية اظهرت تحررا تدريجيا ، وافسحت المجال لحرية التناول وسلاسته ، كما شهدت اختفاء الحروف والجمل المقروءة بعد ان استخلص الفنان منها ايقاعها التشكيلى الذى تراوح ما بين القوة والرقة ، فى اعمال تجريدية الطابع ، متمكنة الاداء . وقد اقام الفنان فوق ارضياتها المحايدة حواره بين الاشكال وبقايا الحروف والنقط والهمزات والشدات والفصلات ، فهى حينا تتمايل فى رقة (مؤثرات الخط الكوفى) ، او تتصارع فى قوة (مؤثرات الخط الركعة) واحيانا اخرى تتسامى فى شموخ (مؤثرات الخط النسخ) ، اما فى تجارب الفنان الاخيرة فلا نكاد نلمح اى تأثير للحروف ، معلنا ولوجه ـ بعد رحلة المفهوم ـ الى عالم التجريد المطلق .



معرض الفنانين: سامح الميرغنى وكريمه بس

اقيم معرض للفنان سامح الميرغنى والفنانه كريمة بس بأتيليه القاهرة فى الفترة ٩/١٣ الى ١٩٨٧/٩/٢٥ وهو المعرض الثانى للفنانين وقد عرض الفنان سامح الميرغنى ثلاثين عملا فنيا عن القاهرة كما يراها . مستخدما الكولاج مع الحبر الشينى فى التعبير عن رؤيته الجمالية . ومخاطبا المتلقى العادى بعيدا عن الاساليب والمدارس الفنية الحديثة ، وكاشفا عن الواقع .

وعرضت الفنانة كريمة بس ثلاثين عملا فنيا نرى تطورا ملموظا بدأ بالطبيعة الصامتة وقدرتها على استخدام اللون فى تحريك العناصر الصامتة وانتهاء بالبورتيريه وامكانية توظيفه فى صياغة موضوع فنى .





ـ تحرر الحرف العربي في لوحات حجازي واصبح سلس التناول

احدى اللوحات الحديثة للفنانة كريمة يس

مؤتمر الفن التركي الثامن

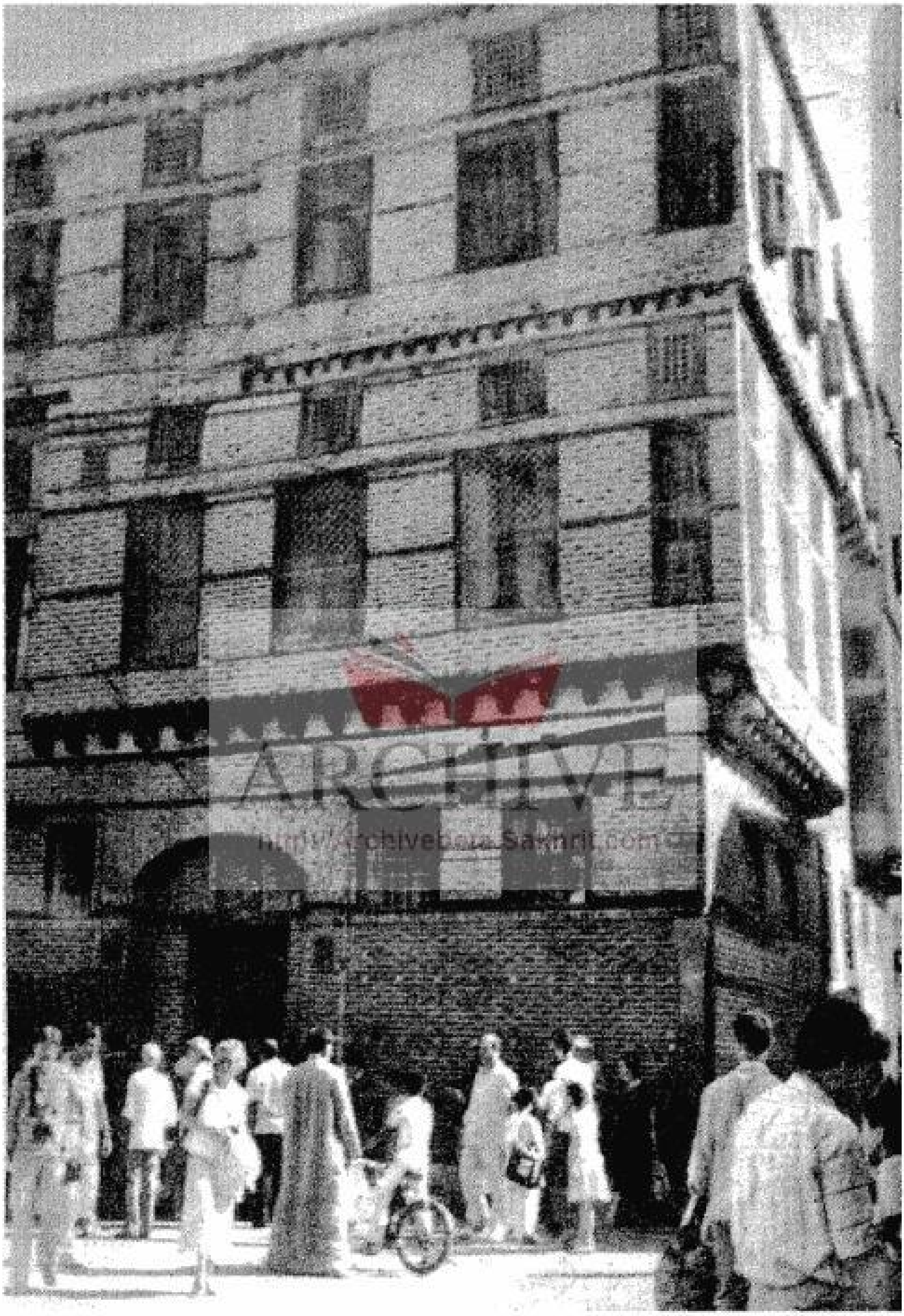
فنون مازالت فى الوجدان المصرى

بقلم : أحمد أبو كف

●● رغم الدعاية المكثفة التى واكبت اوبرا عايدة .. فإن الكثير من المصريين احجموا عنها او شهدوها ربما من قبيل الوجاهة ، فهم بعيدون عن هذا الفن الاوبرالى ، ورغم ذلك فقد تجاوبوا بشكل ملحوظ مع الموسيقى التركية التى عزفت فوق قلعة صلاح الدين بالقرب من مسجد محمد على الكبير . حشد كبير تزاحم ليشنف اذانه بالبشارف والسماعى والادوار .. فهذه الموسيقى ليست غريبة على المصريين ، لقد لعبت دورا كبيرا فى تشكيل الوجدان المصرى اكثر من ثلاثة قرون . ونتيجة لذلك فقد كان متفقا على ان يقدم الاتراك حفلة واحدة ، فاضطروا الى تقديم حفلة اخرى .

المصريون تصطرع فى دمهم الموسيقى الشرقية .. التى اول من وضع قواعدها هم الاتراك فقسموها الى اقسام ووضعوا لكل قسم اصواته ، ولكل صوت مقامه حتى بلغت المقامات اكثر من مائتين . كما انهم حددوا سلم الموسيقى الشرقى تحديدا علميا لايقل فى كماله عن السلم الغربى ●●

احد بيوت مدينة رشيد وهى عثمانية الطراز وفيها ملامح الفن التركى ←



فنـــون

مازالت فى الوجدان المصرى

● وقد كانت الموسيقى التركية واحدة من معالم الفن التركى ، التى قدمت فى مؤتمر الفن التركى الثامن والذى يعقد كل اربع سنوات ، ويناقش الفنون والعمارة التركية .

على انه بجانب الموسيقى التركية قدم الاتراك فنا هو اقرب الى المصريين بالتاريخ والوجدان من اى شعب اخر ، فقد أضاء الفن التركى سماء القاهرة بثلاثة معارض ، اهمها معرض اعمال الخطوط والزخارف . اربعون عملا فنيا من اصول المخطوطات النادرة ، وتذييب آيات قرآنية بالاضافة الى لوحات خطية مزخرفة ومذهبة بجميع انواع الخطوط التى ابدعها الخطاطون الاتراك بالذات وعلى راسهم الخطاط الاشهر « زهدى » . وبالاضافة الى ذلك قدم ممثلو ٣٦ دولة من دول العالم ٥٧ بحثا فى الفنون ومثلها فى العمارة التركية واستطاع المؤتمر ان يجذب الانظار بجانب مترو الانفاق واوبرا عايدة .. واستطاع رئيس المؤتمر د . احمد قدرى أن يشد القلوب حينما وقف يتحدث عن التحدى الحضارى الذى يفرض على مصر لانقاذ اثار اسلامية مهمة ، ومنها اثار عثمانية الطراز مثل اثار رشيد ومساجد واسبلة ، وبيوت فى القاهرة .

● الفن التركى فى مصر

والواقع ان الاتراك ـ كما فى بحث د . سعاد ماهر استاذة الاثار الاسلامية حول الفن التركى فى مصر ـ قد بدأ نفوذهم يظهر بشكل واضح فى سياسة الدولة الاسلامية فى العصر العباسى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ولعل اهم الشخصيات التركية التى لعبت دورا بارزا فى تاريخ الدولة الاسلامية عامة هو محمود الغزنوى الذى استطاع ان ينشر الاسلام فى جنوب ايران والهند وافغانستان فى القرن الخامس الهجرى « الحادى عشر الميلادى » ، ومنذ ذلك التاريخ ارتحل كثير من الاتراك السلاجقة الى ايران فى عصر الدولة العباسية . كما ان السلاجقة صار لهم سطوة وسلطان فى الدولة العباسية . بل لقد تمكنوا من هزيمة الدولة البيزنطية فى موقعة « مانزكرت » عام ١٠٧١ ميلادية .

ولقد استمر زحف السلاجقة الاتراك فى آسيا الصغرى ، حتى استطاع عثمان ابن أرطغرل هزيمة المغول هناك ، واتخذ من مدينة « إسكى شهر » عاصمة له ، ولقب نفسه « باديشاه آل عثمان » وهكذا تكونت الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى منذ عام ١٣٠٠ ميلادية . ولم يمض نصف قرن من الزمان حتى استولى محمد الفاتح على مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ ميلادية ، وبذلك استولت الدولة العثمانية على جميع املاك الدولة البيزنطية التى ظلت قائمة اربعة عشر قرنا من الزمان .

وتضيف د . سعاد ماهر اننا اذا تركنا الجانب التاريخى وتحدثنا عن الجانب الفنى والاثرى فإن الامر يحتاج الى موسوعات طوال حتى نستطيع ان نوفيه ولو بعض حقه من الدراسة والاهتمام .

فمن ناحية العمارة والفنون فقد كان هناك تأثرات وتأثيرات واضحة . ففى مجال العمارة الدينية تميز المسجد

التركي بمميزات انفرد بها الا وهي القبة التي تغطي مكان الصلاة كله ، وكذا المئذنة المرتفعة التي تنتهي بشكل مخروطي يعرف باسم « القلم الرصاص » .

كذلك تميزت العمارة المدنية واهمها المنازل ، بمميزات خاصة ، فلقد خطط المنزل التركي بحيث يكون مدخله على شكل زاوية قائمة ، فلا يرى الداخل من بصحن أو حديقة الدار من النساء والحرمات . كما روعي في بناء المقعد الرجالي ان يكون اما في مواجهة المقعد الحريمي اذا كانت مساحة الدار تسمح بذلك . اما في حالة ضيق المساحة ، فان المقعد النسائي يعلو المقعد الرجالي ويطل عليه . والقصد من هذه المواجهة هو مشاركة النساء الرجال في اجتماعاتهم دون ان يروا النساء .

وبالنسبة للفنون الجميلة التركية ، مثل صناعة السجاد والنسيج والزجاج والخزف ، فقد كانت ولاتزال اروع ما انتج بالنسبة للفنون الاسلامية عامة ، وعلى سبيل المثال فان الدولة العثمانية عنيت عناية خاصة بصناعة سجاجيد الصلاة بكثرة لم تشاركها في صناعتها دولة اسلامية اخرى بهذه الوفرة والاتقان ، وهناك نوع من السجاد انفردت به تركيا ، وهو المعروف باسم « تشنماني » .

كذلك امتازت تركيا بصناعة انواع من الخزف انفردت به ايضا ، ولاتزال حتى الان موضع تقدير فني وصناعي . ومن اهم مراكز صناعة الخزف مدينة بروسه ، ثم ازنيك وكرتاهيه واسطنبول وشناك كال ، وموروفت .

ولقد انفرد الخزف التركي بنوع من الطلاء الطبيعي ذي اللون الطماطمي ، وهو المعروف باسم Armenian Bole ومعناه الحرفي هو عرق معدني في تربة ارمنيا .

ولقد امتاز الخزف التركي بزخارفه النباتية القريب من الطبيعة الى حد كبير ، وخاصة زهرة ملالة « شقائق النعمان » ويقال ان العثمانيين اقبلوا على رسم هذا العنصر النباتي لقرب اسمه من لفظ « الله » جل جلاله

اما عن صناعة المعادن عند الاتراك فقد وصلت الى درجة من الرقي والروعة لاتزال تحتفظ بها حتى الان . وقد تعددت انواع المصنوعات والمشغولات المعدنية من ادوات للاستعمال المنزلي او لزخرفة الغرف والعمائر ، اما صناعة الحلي فهي لاتزال تحتل مركز الصدارة في العالم .

وللنسيج التركي شهرة واسعة حتى الان ، ونعني به النسيج اليدوي فتركيا لاتزال تصنع الديباج الذي يحتوي على خطوط معدنية في معظم الاحيان واسمه العلمي Brocade . اما منسوجات الدمقس Damascus فهي لاتزال تعتبر من ارقى واعلى المنسوجات الحريرية اليدوية حتى الان .

● الأسبلة العثمانية

من بين الابحاث ايضا بحث طريف حول الاسبلة العثمانية نصف الدائرية التي كثرت في مصر كوسيلة لكسب الثواب عن طريق توفير المياه الصالحة للشرب لعابري السبيل . وقد اهتم السلاطين والامراء وذوو النفوذ والجاه ببناء الكثير من الاسبلة وتوفير المياه لها عن طريق

فنون

مازالت فى الوجدان المصرى

ملئها من النيل ، أو من المياه الارضية بواسطة السواقى ..

ولقد شهد العصر العثمانى كما يقول د . عادل شريف علام فى بحثه حول طرز الاسبلة العثمانية النصف دائرية - تطويرا واضحا فى عمارة السبيل ، اذ انه بجانب الاسبلة ذات النمط المحلى التى اتخذت من السبيل المملوكى اساسا لها جرى تشييد اسبلة القاهرة فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى « الثامن عشر الميلادى » ، واتخذت من اسبلة استانبول نموذجا لها .

ويتصل بهذا البحث بحث اخر بعنوان « تأخر الطراز العثمانى فى زخارف أسبلة القاهرة » ، ألقته د . نعمات علام حمدى .

فهى تقول : اننا اذا اختبرنا الامثلة الموجودة حاليا للآثار المبنية بالقاهرة بعد الغزو العثمانى لمصر فى بداية القرن السادس الميلادى (٩٢٣ هـ) لاتجد الزخرفة العثمانية قبل القرن الثامن عشر ، فقد ظلت مصر مرتبطة بالفن المملوكى فى العمارة المحلية لقرنين من الزمان تقريبا . وهناك امثلة من فن الزخرفة قبل العصر العثمانى ، الذى استخدم لتزيين واجهات الاسبلة بالقاهرة لكنه فى اسبلة متأخرة

ملامح من الحياة التركية المجسمة من التاحف



من الاسبلة نلاحظ تبنى الاسلوب الزخرفى العثمانى .

اشكال معمارية جديدة

فى مجال المعمار .. كانت هناك عدة بحوث منها بحث د . درويس بيهرنس ابو سيف بعنوان « الزخارف المعمارية فى القاهرة فى القرن الثامن عشر » يقول البحث : ان الاحتلال العثمانى لمصر انتج اشكالا معمارية جديدة متواضعة باحتراس من مبنى لاخر ، وظهر الابتكار اساسا فى المجال العمارى فى مستوى الزخارف العمارية ، بينما ساد الطراز المملوكى بطريقة منتظمة لمدة أطول .

ولم تظل العمارة فى القاهرة فى فترة الحكم العثمانى جامدة على الرغم من انها لم تكن بنفس الايقاع الذى كانت عليه فى ظل الحكم المملوكى ، وفى خلال القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت عوامل جديدة اساسها اناضولى عثمانى فى نفس الوقت الذى ظهر فيه التحسن على نوعية الزخرفة .

وفى مجال زخرفة المعمار العثمانى ظهرت التأثيرات البيزنطية على الابنية فى القاهرة وفى الحقيقة فانها ظهرت مرة اخرى لان العمارة الفاطمية (٩٦٩ هـ ـ ١١٧١ م) كانت قد تأثرت بالعمارة



فنون
مازالت في الوجدان المصري

البيزنطية طبقا للتقاليد المحلية والحرف الاجنبية .

ولقد ظهرت الدائرة الرئيسية والمتدليات الكروية والنقوش اللولبية على الاعمدة التي كانت تظهر بطريقة طبيعية على التذكارات الحجرية المعمارية الخاصة بالعصر الفاطمي مرة ثانية في العصر العثماني ، ويمكن مشاهدة اساليب نموذجية عثمانية مثل شجر السرو ، ورسوم النباتات الحقيقية والزخارف المنحوتة مثل الشوايات الجديدة المعقدة التي ظهرت لاول مرة في مباني القاهرة .

وبالاضافة الى التأثيرات الفاطمية فهناك بحث بعنوان « التأثيرات المملوكية في الفن العثماني في مصر » لمدير متحف الفن الاسلامي بالقاهرة با نعمت محمد ابو بكر يقول البحث : ان الفنانين العثمانيين في مصر حاولوا ان يظهروا بعض الاساليب الزخرفية الجديدة على الفنون المصرية بصفة عامة ، غير انه لم يكن من السهل ان يغير الصناع والفنانون ماكان لديهم من طرز عمارية واساليب فنيه بسرعة كما كان من الصعب عليهم ان يروا مسحة اجنبية تسود فنونهم وصناعتهم التي ورثوها من ابائهم واجدادهم الذين عاشوا زمن المماليك . ولذلك ظل كثير من الاساليب والعناصر الفنية التي كانت سائدة في عصر المماليك مستعملة في العصر العثماني .

● ● ●

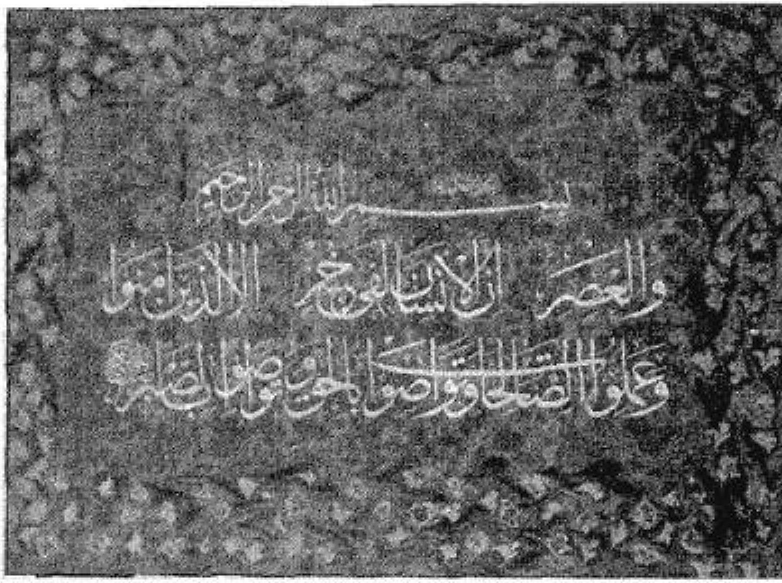
هذه بعض البحوث .. التي القيت .. واغلبها يرى ان الفنون التركية ، هي في الاصل فنون مملوكية ، او فاطمية الاصول ، وان الاتراك العثمانيين حاولوا كثيرا استنباط فنون تنتمي اليهم ، وقد نجحوا في القليل الذي قاموا بتطويره .. ولم يبدعوا سوى في اقل القليل الذي يمكن ان يقال عنه انه فن تركي .

ولقد حاولنا تقديم الفن الذي يطلق عليه الفن التركي في مصر ، لأن مصر بها اكثر كمية من الاثار الدالة على ذلك .. لكن المؤتمر القيت فيه بحوث حول الفن التركي في ليبيا ، واليمن ، وتونس ، وتركيا ، ايضا كما القى في المؤتمر ايضا بحث حول مجموعة السيراميك التي اكتشف حديثا في بحث قدمه د . نازان اولكير وملاحظات حول هندسة المباني في شرق الاناضول قبل الفترة العثمانية ، وبحث عن العمارة الاسلامية في المجر في القرنين ١٦ و ١٧ الميلاديين ، وبحث للدكتور جونيل ادنى حول الهندسة العثمانية والمملوكية في مساجد القاهرة ، وبحوث عن المساجد في تونس ، وفي منطقة البحر الاسود الشمالية .

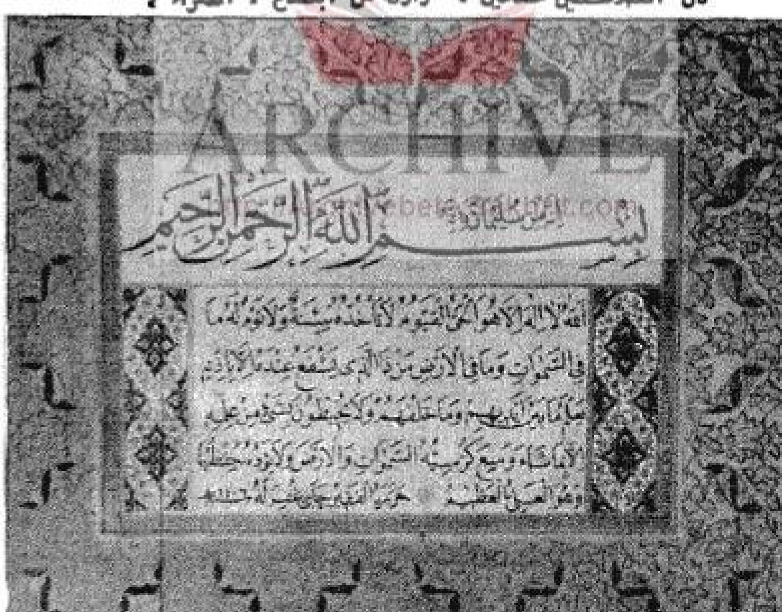
آثار رشيد الإسلامية

اخيرا .. ماذا في رشيد من الاثار العثمانية ؟.

الواقع ان رشيد اصلا كمدينة ترجع من ناحية تخطيطها وعمائرها الدينية والمدنية الى العصر العثماني ، فلقد سجل في عداد الاثار مجموعة من المنازل والمساجد والزوايا كما وجدت بتلك المدينة منشآت تجارية ، باعتبارها الثغر التجاري المهم في مصر في تلك الفترة : وتنقسم هذه المنشآت التي وجدت كما تقول د . آمال العمري الاستاذة بكلية الاثار جامعة



برع العثمانيون في تذهيب وتجليد المصاحف .. واللعب بالخطوط كان السلاطين خطاطين ، وأول من ابتدع « الطغراء »



فنون

مازالت في الوجدان المصري

القاهرة في بحثها الذى قدمته للمؤتمر الى منشآت قائمه بذاتها ، تتمثل في الوكالات والخانات التى زالت جميعها ويمكن الاستدلال على موقعها من الوثائق الخاصة بالفترة العثمانية في مصر ، ومازال الخان الذى انشأة الوالى داود باشا موجوداً فى كنيسة الكاثوليك حيث اشتروا هذا الخان وادخلوه في كنيستهم . اما النوع الثانى فى المشآت التجارية ونعنى به الجزء المخصص فى بعض بيوت التجار برشيد والذى يطلق عليه اسم الشادر ، فكان يؤدى عمل الوكالة من ناحية حفظ البضائع وتسويقها .

ولاهمية رشيد بالنسبة للاتراك فلقد رتبت زيارة لاعضاء المؤتمر بدأت بزيارة قلعة رشيد .. التى بناها في الاصل السلطان قايتباى ، وهى القلعة التى عثر عليها اثناء الحفر فى اساساتها ايام الحملة الفرنسية على حجر من البازلت الاسود عرف باسم « حجر رشيد »

وهذه القلعة اضيفت اليها منشآت عثمانية لكن كلها اندثرت .

وزار اعضاء المؤتمر ايضا بعض البيوت العثمانية الطراز ذات المميزات المعمارية والفنية التى تتميز بها منازل رشيد ، خاصة استخدام الطوب المنجور المطلى باللونين الاحمر والاسود بالتبادل فى زخرفة الواجهات ، مع استخدام

الفنون التركية في المتاحف .. وعلى واجهات المساجد والاسبلة



الكحلة ذات اللون الابيض كمونة بارزة بين المداميك وهذا مايسمى بالطوب المنجور المكحول .

ويتكون كل منزل من ثلاثة او اربعة طوابق ، اسقفها خشبية وقد استخدم نظام الاسقف المتعددة المستويات بالاضافة الى استخدام الكوابيل الخشبية لحمل البارزات والادوار العليا التي يتجه بروزها نحو الخارج بالتدريج . كما استعملت الاعمدة في الزوايا الخارجية لحمل البارزات او السلالم .

والطابق الارضى للبيوت يضم الوكالة او الشادر ، كما يضم الاصطبل والسبيل ويضم الصهريج الذى يستخدم لتخزين المياه الخاصة باستعمال اصحاب البيت

اما الطابق الثاني والذى سماه العثمانيون الدهليز فكان له باب مستقل تتوسطه « دور قاعه » وتحيط بها حجرات .

اما الدور الثالث فهو خاص بالحريم ، ويطلق عليه الهدير اى مكان النوم ، وغالبا ماتصطف حجراته حول قاعة رئيسية يطلق عليها الايوان . وفي كثير من الاحيان كان بواجهة هذه القاعة الرئيسية محراب من القاشانى كما فى منزل القناديلي ويضم هذا الدور مجموعة حجرات فضلا عن حمام خاص يتكون من غرفة استحمام ذات ارضية من الرخام وسقف مغطى بقبة ضحلة فرغت بعض اجزائها وملئت بزجاج ملون لزيادة الانارة . وكان يتم تزويد الحمام بالمياه عن طريق اتابيب . كما كان مزودا بدست نحاسى يتقدمه لوح رخامى مثبت بالجدار وامامه حوض من الرخام يعلوه صنبوران للمياه .

وقد زار اعضاء الوفود ايضا اكبر منزل من العصر العثماني والذى تحول الى متحف بعد ترميمه وهو منزل عرب كلي الذى كان يسكنه محافظ الرشيد في القرن ١٨ م . وهو منزل يشتمل على ٤ ادوار .

لكن ماذا عن المساجد التى ترجع للعصر العثمانى ؟

ان المميزات الفنية والزخرفية تنحصر فى الاتى :

١ ـ تعدد المداخل التى هى عبارة عن باب يقع داخل مستطيل بارز يعلوه عقد ثلاثى يتوسط عقده الاوسط دائرة مزينة بالزخارف النباتية والهندسية .

٢ ـ تحتوى هذه المساجد على اروقة وباتكات محمولة على اعمدة رخامية حراكتاف تحمل اسقفا خشبية او قبابا كما هو موجود فى مسجد المشيد بالنور

٣ ـ اعتناء الفنان بالاضرحة والمقاصير فزخرف واجهات بعضها بالطوب الرشيدى المنجور

٤ ـ استخدام القاشانى فى زخرفة الجدران وفى المآذن كما فى مسجد دومقسيس ، وكذا فى تغطية المحاريب .

ولاشك كما يؤكد بعض المؤرخين ان **العثمانيين حاولوا ارساء قواعد عمارة مميزة لهم بالنسبة للمساجد .. لكنهم على اية كانوا ناقلين للطراز البيزنطى ، وكنيسة ايا صوفيا بالذات .. ذات القبة الكبيرة والقباب الصغيرة .. طبقوا هذا الطراز على مساجدهم المربعة الشكل .. وهذه قضية اخرى .. تحتاج الى دراسة متكاملة .. ربما يجرى بحثها فى المؤتمر التاسع القادم بعد اربع سنوات فى مدينة قرطبة الاسبانية .**



للكاتب التشيلى : مانويل روخاس

ترجمة : طلعت شاهين

كان البحار يقف على جانب السفينةلكن ينتظر شخصا ما ، كان يمسك في يده اليسرىلفافة من الورق الابيض ، ملطخة بالدهون في عدة اجزاء منها . وفي يده الاخرى كان ممسكا بغليونه .

ظهر شاب نحيف من بين العربات الواقفة ، توقف لحظة، نظر باتجاه البحر ثم تقدم ، وسار على جانب الرصيف.كان يضع يديه في جيوبه ، وكان يبدو شارد الذهن

عندما اصبح في محاذاة السفينة صرخ البحار باللغة الانجليزية

ـ أسمع ، انظر الى.

رفع الشاب رأسه دون ان يتوقف وأجاب بنفس اللغة :

ـ اهلا ، ماذا تريد ؟

ـ هل انت جائع ؟

سادت لحظة صمت ، كان الشاب يبدو انه يفكر وبدت خطواته اقل

مستعجلا ، وبدا كما لو كان على وشك التوقف، ولكنه في النهاية نظر الى البحار بابتسامة وقال له :

- لا ، لست جائعا ، شكرا ايها البحار .

رفع البحار غليونه من شفتيه وبصق ثم اعاد الغليون الى فمه مرة اخرى .

واتجه بعينيه الى مكان آخر ، كان الشاب خجولا من مظهره الذى يثير الشفقة وبدا يستعجل الخطى . كمن يخاف من التراجع عما فعله .

بعد ذلك بلحظات ، مر امام البحار صعلوك يرتدى ملابس من الخرق، وحذاء كبيرا ممزقا ، فزعق فيه البحار دون ان يلفت انتباهه :

- هل انت جائع ؟

وقبل ان يتم البحار جملته ، كان الصعلوك ينظر الى اللفافة التى كانت في يد البحار بعيون ذات بريق واجابه بسرعة :

-- نعم يا سيدى ، انا جائع جدا .

ابتسم البحار ، طارت اللفافة في الهواء وذهبت لتسقط بين يدى الجائع المرهقتين ، ودون ان يوجه كلمة شكر كان يفتح اللفافة التى كانت لا تزال ساخنة ، جلس على الارض ، فرك يديه بسعادة وهو يتامل ما تحويه اللفافة . ربما لم يكن يعرف الانجليزية لكنه لن يتسامح مع نفسه ابدا ، لانه لا يجيد الانجليزية ليطلب بعض الطعام ممن يجيد تلك اللغة .

الشاب الذى مر منذ لحظات ، كان يقف على مسافة قصيرة ، يتامل المشهد .

هو ايضا كان جائعا، مضت ثلاثة ايام منذ ان تذوق الطعام لآخر مرة ، ثلاثة ايام طوال ، لم يكن ذلك بسبب الكرامة بقدر ما كان بسبب الخجل ، كان يعانى وهو يمر امام العربات المصطفة على رصيف الميناء ، اثناء فترات الغداء ، منتظر لفافة من بقايا الطعام يلقيها اليه كرم البحارة ، لكنه لم يستطع تقبل ذلك ، ولا يستطيع ذلك ابدا ، وعندما يعرض عليه احدهم ما تبقى منه - مثلما حدث منذ لحظات كان يرفض ببطولة ، ويشعر بان رفضه يسكت جوعه .

مرت ستة ايام وهو يتصعلك في الحارات وعلى ارصفة الميناء ، كان قد تركته سفينة انجليزية في ميناء «بونتا اريناس» حيث هرب منها بعد ان كان يعمل فيها صبيا للقبطان، ظل هناك لمدة شهر ، يساعد الصيادين ثم هرب في اول سفينة متجهة الى الشمال .

اكتشفوه في اليوم التالى من الابحار فارسلوه للعمل في قسم الغلايات ، وانزلوه في اول ميناء كبير رست فيه السفينة ، فبقى هناك ، كحمولة بلا عنوان ، او صاحب ، دون اى معارف، بلا اى نقود في جيوبه ، ودون القدرة على ممارسة اى عمل .

عندما كان في السفينة كان يمكنه ان ياكل ، لكنه الآن ... المدينة كبيرة، كان يبتعد عن الشوارع المليئة بالمطاعم والموائد الفقيرة ، لم تكن تجذبه، كانت تبدو لعينيه اماكن للاستعباد ، بلا هواء، مظلمة ، ليست كبيرة كالبحر ، وبين جدرانها العالية وشوارعها المستقيمة يعيش الناس ويموتون فاقدى الوعى .

كان مجنونا يسيطر البحر على عقله ، الذى يغير الحياة الناعمة المحدودة كذراع قوية تلوى قضيبا من الحديد، ورغم صغر سنه الا انه قام بعدة سفرات الى شواطىء امريكا الجنوبية في عدة سفن، ومارس مهنا مختلفة ، وهوايات تقريبا ليس لها وجود على الارض .

بعد ان تركته السفينة ظل يسير ويسير، منتظرا صدفة تسمح له بمواصلة

الحياة باية طريقة الي ان يعود الي اسرته ، لكنه لم يصادف شيئا،الحركة في الميناء كانت قليلة ، ولم يقبلوه للعمل في ايـة سـفينة من السفن الراسية في الميناء •

هناك كان يتجـول صعاليك، بحارة بلاعمل، تركتهم سفنهم او فصلوا لاى سبب ، وصعاليك يحبون الراحـة ، ولا يعرف كيف يعيشـون ، يتسولون ، او يسرقون، وتمر الايام ، في انتظار اى شيء يحدث ، او قد لا يحدث اى شيء ،افراد من جنسيات مختلفـة ، دخلاء غرباء ، من هؤلاء الذين لا يمكن تخيل انهم ما زالوا على وجـه الارض ، الى ان تشاهد نموذجا منهم •

في اليوم التالي، تاكد انه لن يستطيع ان يتحمل اكثر من هـذه فقرر ان يسلك اى طريق للحصول على الطعام •

سار باتجاه سـفينة كانت قد وصلت في الليلة السابقة ، وكانت محملة بالقمح ، كان هناك طابور من الرجال المحملين بالاكياس الثقيلة ينزلون من السفينة عبر سقالة من الحديد الى ان يصلوا الى مدخل المخـازن ، ويتركون حمولاتهم امام عمال الرص •

عمل بقوة طوال الفترة الاولى ، بعد ذلك بدا يشعر بالتعب ثم فاجاته نوبات من الاغماء، فكان يسير على السـقالة مترنحا تحت الحمـل الثقيل ، فكان يشاهـد البحر من بين سـاقيه المنفرجتين والمسافة بين السفينة ورصيف الميناء، كان يرى البحر ملطخا ببقع الزيت والبقايا التى تتحرك في صمت •

انهى فترة العمل وهو منهك تماما ، والعـرق يغطى كل جسده ، بينما كان العمال ينسحبون ، جلس هو على حافة بعض الاكياس باتجاه المسئول من العمل ، وبعـد ان انسحب اخـر العمال اتجه الى المسئول مترددا، ودون ان يقص عليـه حكايته ، ساله ان يدفع له اجره الان ، او يعطيه بعض الاجر مقدما •

اجابه المسـئول ان العادة جرت على الدفع بعد انتهاء العمل كله ، وانه يجب ان يعمـل في الغد لانهاء حمـولة السفينة ، يوما اخر ، انهم لن يدفعوا له شيئا •

فقال له :

ـ لكن ، لو كنـت في حاجة الى النقود ،يمكنني ان اقرضك اربعين سنتيما •• لا املك اكثر من ذلك •

شكره بابتسامة حزينة وذهب •

حينئذ هاجمته موجـة حادة من اليأس ، كـان جائعا ، جائعا ، جائعا، جوعا كالسوط، كان يرى كل شيء وقد غشاه ضباب ازرق ، كان يسير مترنحا كالسكران ، ومع ذلك ، لم يكن بامكانه الشكوى، او الصراخ ، كان المـه مقلقا ومنهكا ، لم يكن الما ، لكنه كان غمـا صامتا ، انهاكا ، كـان يشـعر كما لو كان مضغوطا تحت حمـل ثقيل •

فجاة شعر بنار تسرى في امعائه، فتوقف ،وقال يتحلى ، يتحلى بالـم ، الى ان اعتقد انه اوشك على السقوط ، في هـذه اللحظة ، شعر كما لـو فتحت امامه نافذة، شاهد من خلالها بيته، والارض المحيطة به هناك ،شاهد وجه امه ووجوه اخوته، شاهد كل ما اراد واحب ظهر واختفى في عينيـه المغلقتين من التعـب ••

بعد ذلك ، زال الاغماء، شيئا فشيئا ، وبـدا يعتدل في مشيته بينمـا كانت النار تبرد ببطء ، تنفس بعمق ، ساعة اخرى وقد يسقط عـلى الارض •

اسرع من خطـواته ، كمن يهرب من موجـة اغماء جديدة، وبينما كان يسير قرر ان يذهب ليأكل

في اى مكان ، دون ان يدفع ، مستعدا للفضيحة او الضرب ، او الزج به في السجن، مستعدا لأى شيء ، المهم هو «ان ياكل» هذه الكلمة ترددت في عقله مائة مرة : ياكل ، ياكل ، ياكل ، الى ان فقدت الكلمة معناها ، تاركة فراغا ساخنا في راسه .

لم يفكر في الهرب ، سيقول لصاحب المطعم : « سيدى،لقد كنت جائعا، جائعا ، جائعا ، ولا املك شيئا لادفع ... سافعل ما تريد » .

وصل الى اول شوارع المدينة ، وفي احداها وجد محلا لبيع منتجات الحليب ، كان نظيفا ، مليئا بالمناضد الصغيرة المغطاة بالرخام ، وخلف الطاولة كانت تقف سيدة شقراء بصدرية بيضاء جدا .

في محل الحليب لم يكن هناك سوى زبون واحد ، عجوز بنظارات، ويضع انفه بين اوراق صحيفة ، كان يقرأ ،كان يبدو ساكنا،بدا كما لو كان ملتصقا بالمقعدوعلى المنضدة كان هناك كوب من الحليب ممتلىء الى المنتصف .

انتظر خروج الزبون، فظل يتمشى على الرصيف، وكان يشعر بان الاحتراق السابق يعود اليه شيئا فشيئا ، انتظر خمس دقائق ، عشر ، الى خمس عشرة دقيقة ، اصابه التعب ، فتوقف الى جانب المدخل ، وكان يرمق العجوز بنظرات حجرية

اى شيطان يقرأ هذا العجوز في هذه الصحيفة تخيل انه عدو شخصي له، كمن يعرف ما يفكر فيه ويريد ان يعكر عليه صفو هذه الفرصة ، كان يرغب في ان يدخل ويقول له شيئا مزعجا لاجباره على مغادرة المكان ، ان يتهجم عليه او ان يقول له انه ليس له الحق في البقاء اكثر بهذا المبلغ الزهيد الذى دفعه لقاء الخدمة وكوب الحليب .

اخيرا انهى العجوز قراءته ، او على الاقل قطع القراءة،انهى باقي الحليب في رشفة واحدة، وقف متثاقلا ، دفع حسابه واتجه نحو الباب، خرج ، عجوز احدب له مظهر نجار او نقاش .

ما ان وصل الشارع، عدل وضع نظارته، وضع انفه من جديد بين اوراق الصحيفة ، وذهب ببطء، وكان يتوقف كل عشر خطوات ليقرأ بانتباه اكثر .

انتظر الى ان ابتعد العجوز فدخل ، توقف في المدخل للحظات ، مترددا لا يعرف اين يجلس ، اخيرا اختار مائدة واتجه اليها ، تراجع في منتصف الطريق فاصطدم بمقعد، ثم اتجه بعد ذلك الى ركن وجلس .

عندما استدارت السيدة ، فرك يديه بركبتيه ، مبتهجا ، كمن يشعر بالبرد وسيشرب شيئا ساخنا .

عادت السيدة ووضعت امامه كوبا من الحليب وطبقا مليئا بالبسكويت، ثم اتجهت بعد ذلك الى مكانها خلف الطاولة .

اول ما فكر فيه ، هو ان يشرب كوب الحليب دفعة واحدة ثم بعد ذلك ياكل البسكويت،لكنه ندم على الفور ، شعر بان عيون المرأة تراقبه بفضول ، لم يجرؤ على النظر اليها ، اعتقد انه لو فعل ذلك فانها ستعرف حاله ، وتضعه في موقف مخجل ، كان عليه ان يقف ويذهب ، دون ان يتذوق ما طلب .

اكل بسكويتة على مهل، غمسها في الحليب ووضعها في فمه ، اخذ رشفة من الحليب فشعر بان الاحتراق المشتعل في معدته بدأ في الانطفاء ، والاختفاء لكن على الفور تذكر موجة اليائس ، شيء ما قوى وساخن صعد من قلبه الى حلقه ،انتبه الى انه على وشك البكاء ، البكاء الصارخ ، رغم انه كان يعرف ان السيدة

كانت تراقبه ، الا انه لم يستطع ان يمنع الانشطة الساخنة التى كانت تضيق اكثر فاكثر قاوم ، وبينما كان يقاوم اكل بتعجل ، كان يخاف ان يمنعه البكاء من الاكل ، عندما انهى الحليب والبسكويت تضببت عيناه وشىء فاتر مر عبر انفه ، وسقط فى الكوب ، بكاء مرعب هزه حتى اخمص قدميه .

أسند رأسه على كفيه ، ويكى بكاء طويلا ، بكى بمرارة ، بغضب ، برغبة فى البكاء ، كما لو كان لم يبك فى حياته ابدا .

كان يبكى متحنيا ، عندما شعر بيد تداعب رأسه المعصب ، وسمع صوتا رقيقا لامرأة بلكنة اسبانية قالت له :

ـ ابك ابك ، يابنى، ابك ...

موجة جديدة من البكاء دمرت عينيه ، ويكى بقوة كما لو كانت هذه المرة الاولى ، لكنه الان يبكي بفرح ، وشعر بريح رطبة تخترقه ، مطفأة ذلك الشىء الساخن الذى كان يخنق حلقه ، وبينماكان يبكى اختفت حياته واحاسيسه كما لو كانت تغسل كالكوب الذى يوضع تحت ماء مندفع، مستعيدا وضوح وحزم الايام السابقة .

وعلى المائدة امامه كان هناك كوب جديد ملىء بالحليب ، وطبق اخر ملىء بالبسكويت اكل ببطء ، دون انيفكر فى اى شىء كما لو ان شيئا لم يحدث ، كما لو كان فى بيته ، وكما لو كانت هذه المرأة التى تقف خلف الطاولة هى امه .

عندما انهى طعامه كان المساء قد حل ، وبدا المحل يضاء بلمبة كهربائية ، ظل جالسا للحظات ، كان يفكر ليما سيقوله للسيدة لم يجد شيئا مناسبا .

اخيرا وقف وقال ببساطة :

ـ شكرا يا سيدتى ، مع السلامة ..

اجابته :

ـ مع السلامة يا بنى

خرج ، الريح القادم من البحر كان يلطف وجهه ، الذى كان لا يزال ساخنا من فرط البكاء ، سار لفترة دون اتجاه محدد ، ثم اتجه بعد ذلك الى شارع يؤدى الى رصيف الميناء .

فكر فى السيدة الشقراء الكريمة ، وفى الطريقة المناسبة ليدفع لها اجرها عندما يتوفر لديه المال ، لكن هذا الامتنان اختفى مع سخونة وجهه ، ولم يبق منه شىء ، وهذا الذى حدث منذ قليل ، ضاع بين ثنايا حياته الماضية .

فجأة بدأ يغنى اغنية بصوت منخفض ، وسار سعيدا ، يدوس على الارض بحزم وثقة .

وصل الى شاطىء البحر ، وظل يسير من جانب الى اخر، بمرونة ونشاط كما لو كانت قواه الداخلية التى ضاعت من قبل ، قد تجمعت بقوة .

بعد ذلك بدأ التعب يسرى فى ساقيه كالثمل ، فجلس على كومة من الاكياس .

نظر الى البحر ، اضواء الرصيف السفن كانت تشتعل فى الماء متناثرة ما بين اللونين الاحمر والذهبى ، كانت ترتعش برقة ، اسند ظهره ونظر الى السماء فترة طويلة ، لم تكن لديه رغبة فى التفكير،او الغناء او الكلام ، فقط شعر بانه مازال حيا .

وظل فى وضعه هذا الى ان نام ووجهه باتجاه البحر .

الجريمة

فى روايات محمد جلال

عرض وتحليل : عبد المنعم الجداوى

●● (محمد جلال) صاحب عالم قائم بذاته .. عالم من اشخاص .. يخلقهم، ويحركهم، ويجعلهم يحبون ، ويتألمون ، ويتصارعون، ويقتل بعضهم بعضا .. على مرأى ، ومسمع من القارىء . ثم لاتكاد تمسك بالمجرم لتعاقبه على ما ارتكب .. حتى تكتشف ان الجريمة لم يرتكبها مجرم واحد .. ! وانما هى جريمة عصر .. كتجريف الارض .. جريمة تضارب الرغبات ، ولقاء المصالح ، وتنازعها فى صدور اصحابها . فالذين يعملون فى الارض هجروها وسافروا الى الخارج .. فاذا بها عقيم .

ويصبح التجريف جريمة كبرى .. لكن بلا مجرم محدد السمات او الصفات .. ! ومجنى عليه .. هو الارض .. لا يملك الدفاع عن نفسه ولا يعرف ماذا يراد به .. !

و (الحلوانى) بطل (قرط الرمان) فضلا عن اتهامه فى قضيتى قتل .. متهم ايضا بالجريمة الكبرى جريمة التجريف .. لكنه لا يجرف ارضا .. بل يقوم بما هو اخطر ، وهو تجريف النفوس من كل محتوياتها فهو بحكم ثرائه الفاحش ، وغنائه المفترس .. يمارس على أهل الجمالية، وعماله ، والذين حوله ارهابا اقتصاديا .. يقوم فيه بتجريف نفوسهم من كل ما تبقى فيها من

الجريمة

في روايات محمد جلال

قسوة ظروفهم .. منتزعا كل بذرة خير او حب او جمال .. فمازال رغم اعتراف المجتمع به .. يعيش بروح زعيم العصابة .. !

وقد اجتهد (محمد جلال) فى ان يمد الرواية . بشخصيات باهتة .. منزوعة الارواح .. رغم انها تدب ، وتتحرك .. لكنها جميعا كالفراشات التى تحوم حول النار .. ثم تحترق .. حتى ترضى طغيان (الحلوانى) الذى لا يقف عند حد .. !

و « محمد جلال » فى (فرط الرمان) يبدو عليه فى اكثر من موضع . المرحلة العمرية التى يجتازها . مرحلة النضج الشديد الذى يتألق فى الذروة لكن يخطفه الحنين الى الماضى يوشك ان يعيده الى بطن الغيب ، ورحم الزمن ، وهو ما يسمى بالولادة العكسية .. يحاول ان يستحضر ما مضى من الزمن بالتمائم واطلاق البخور . لعله يلتقى فيذهب الى الماضى دون ان يغادر زمانه او مكانه .. ؟! وقد ارضى مراهقته الماضية باحياء ذكرى شخصيات كان يعشقها . ويتمناها فى صباه ، وخلط بها احلامه بعد دخوله مرحلة العقل حينما زاوج بين الهولندية البيضاء كثلج بلادها ، و (كروانة) جارية المعلم (الحلوانى) وجعل (ادهم) يتزوج (كروانة) . فهو لا يجرؤ حتى فى الخيال على الزواج من (خوجاية) لانه منقوع فى المصرية ، وفى حوارى مصر .. !

● الجريمة تختار المجرم

والتزام المؤلف بالواقع . لايعصمه من الخروج عنه احيانا .. الا انه فى الالتزام او الخروج عنه .. يعيش واقعه الذى صنعه من قراءاته ، وتاملاته . لذلك يجىء اسلوبه احيانا كالشعر المنثور .. او بكلام متناغم نظيف .. كأنه غسل بماء مطر .. لا ينقطع صيفا او شتاء .. الا انه يجىء من سماوات محمد جلال فقط وحينما يضيع منه الخيط .. يلوذ بالتنغيم ، والترتيل . كالمغنى الذى يعيد الليالى والاهات .لاتطريبا ولكن حتى يتذكر الكلمات التى ضاعت من ذاكرته .. وقد حدث هذا عندما اخذ (ادهم) الى اوروبا ، وطاف به فى (هولندا) ثم عاد به .. وكان يمكن ان يوفر كل هذه المصروفات ، وتذاكر الطيران .. فهى لم تضف الى صلب الاحداث كثيرا او قليلا !!

وفى (فرط الرمان) استطيع ان اقول ان الكاتب سلك طريقا لم يسلكه من قبل فى رواياته السابقة .. فقد حاول ان يقول خلال جزئى الرواية.. انه اذا كان المجرم يختار جريمته .. فان الجريمة ايضا احيانا تختار المجرم الذى يرتكبها .. وهذا القول ليس جديدا على ادب الجريمة ، ولكن الجديد . هو ان يقوله (محمد جلال) الروائى الحالم الذى يفزع من الرعب ، ويخاف من خياله ! .

فالجريمة فى هذه الرواية .. تظل قابعة .. لا تكشف عن نفسها .. الى ان يجىء من تختاره .. فيرتكبها .. اى ان عناصر الجريمة تكون ومكتملة .. يمهد لها المؤلف .. بحذق ، وبراعة .. كما فى جريمة قتل (خميس) الذى جاء من القرية .. لكى يعيد والده الذى يعمل مع عمال التراحيل عند (الحلوانى) .

ان الجريمة هنا توالدت عناصرها واصبح ارتكابها ضرورة لحياة المستفيد منها .. والمستفيد من قتل

(خميس) هو (الحلوانى) سلطان الجمالية · الرجل الذى يملك سيف المعز وذهبه ، وليس له فى الدنيـــا بعد المال ·· سوى ابنة واحدة ·· وهى تجاوزت المراهقة أو تجتازها ، وترتاد نادى الجزيرة ، والفروسية ، ولها فى حظيرة والدها حصان اسمه (سكر) ·· لكن الحب لا يعـــرف الطبقية ·· ومن هنا تقـــع فى حب (خميس) ابن احد الاجراء الذين يعملون فى وكـــالة والدها ·· لكن والده يعارضه لانه يريد السفر الى الخارج ·· لكي يحصل على دولارات ·· أو على الاقل يبقى فى وكـــالة (الحلوانى) ولا يعود الى الارض !

لماذا يموت خميس ؟

ولما كان الأب (الحلوانى) يريد أن يصاهر بابنته شيخ تجار الفضة المليونير (الفيروزى) · فهو يحاول ان يدفعها الى هذا الزواج ، ولا تقول برغمها ·· لانها حصلت على قسط من التعليم ، وأعطاها الأب حرية نعم عليها ·· حينما نقل اليه (عشرى) عينه وذراعه اليمنى التى يبطش بها ·· انه رأى ابنته وخميس يجلســـان فى جلسة حب ·· تحت شــجرة فى قصر (الحلوانى) ، وأن (خميس) هذا هو سبب عصيانها ، وتمردها !

و (عشرى) مخـلوق ضـــائع بلا جذور ·· التصق بالمعلم ·· ترك نفسه له ·· ينفث فيه كل متـاعب الماضى ، واحتقاراته ·· كل ما تلقاه من صـــفعات وركلات ·· وصـــعد (عشرى) لكل هذه الاهانات ·· لهدف ناله أخيرا ، وهو ثقة المعـــلم ·· فلم يعد كلب حراســـة فقط ، وانما يحوله عندما يريد الى ذئب عقور !

لكن (الحلوانى) الذى كان يحمل التراب على كتفه ·· ثم صار سلطانا صـــاحب قصر ، وقاعة ذهبيـــة ، وأرصدة ، وخيول تجرى فى السباق



محمد جلال

·· يذوب رقة ، يتحول الى شاعر ·· اذا تحدث الى ابنته ·· ولهذا فهو أجبن من ان يواجهها ، ويطلب منها أن تقطع علاقتهـــا (بخميس) ·· ويقتـــرح عليه (عشرى) ان يزيح خميس من الطريق ، هكذا أصـــبح مـــوت خميس ضرورة اجتمـــاعية واقتصادية وعاطفية أيضا ·· ووقعت الجريمة التى دبرها (عشرى) باحكام معركة بين الاجراء ·· تهوى فيها كل العصى على رأس (خميـــس) حتى يموت ، وهكذا يذهب القتيل بلا قاتل محدد ·· فالوكالة مظلمة والمعركة اشترك فيها الجميع (الصـــعايدة ضد البحاروة) ، ويموت (خميس) !!

قتل (خميس) جماعيا ، وأفرجت النيابة عن الجميع ·· ولم يتهم الأب أحدا بعينه ·· لكن الجميع ادركوا ان المستفيد هو (الحلوانى) ، والمنفذ هو (عشرى) · والقتلة هى عصى غليظة كانت فى أيدى ·· انتهـــزت فرصة المعركة والظلام ، وأجهـــزت على (خميس) ·· الا ان الجريمة لم تعط المجرم الثمـــار التى كانت مرجوة منها ·· !

فالفتاة سقطت صريعة اكتئـــاب مرير ، وهى ترى والدها يتحول من

الجريمة

في روايات محمد جلال

مجرم مالى الى مجرم جنائى .. يقتل أحب الناس اليها .. وترفض الزواج وتصر على السفر الى الخارج .. وتسافر دون ان تقول لوالدها كلمة عتاب .. أو وداع .. !! وتتشرخ شخصية الاب (الحلوانى) حزنا على ابنته .. يعيش فى الحظيرة مع حصان ابنته · الذى يموت بعد أيام يضرب فيها عن الطعام .. وتضطرب حياته ـ ويرتفع نجم (عشرى) الذى يدير كل شيء باسم المعلم .. وتساوره نفسه بان يجلس على مقعد المعلم .. وهنا يقفز صبى (عشرى) (الطماوى) الى مكانة (عشرى) ويحاول ان يزاحمه .. لا سيما بعد ان شعر ان (الحلوانى) يعتقد انه السبب فى كل ما اصابه من نكبات ، وان طموحه الذى لا يقف عند حد .. هو الذى قاده الى الجريمة .. ليستقله بها ، ولا يكاد (الطماوى) يعرض عليه ان يتكفل بازاحة (عشرى) حتى يسأله كيف ؟ فيقول له بنفس الطريقة التى ذهب بها (خميس) .. فيصمت ولا يرد عليه · ويكون ذلك اشارة البدء .. !

● ترقية الى رتبة قاتل

ويذهب (الطماوى) · ويلعب نفس اللعبة · ويموت (عشرى) .. ولا تجد النيابة العامة قاتلا معينا لمحاكمته · وتطلق سراح الجميع .. لكن الجريمة الثانية التى ذهب ضحيتها المجرم الاول فى الجريمة الاولى .. يصعب ان تدخلها فى عداد الجرائم الا من الناحية العددية اما من الناحية المعنوية فهى جريمة تابعة للجريمة الاولى .. أى انه لولا الجريمة الاولى التى قتل فيها (خميس) ما كانت الاخرى ، ولذا فهى جريمة مجرورة بالجريمة التى سبقتها ، ليس لها الكيان الجرائمى المستقل .. وأهم هذه الاركان هو المجنى عليه .. وهو فى هذه الجريمة جان ، ومعه الاثم لذلك حتى وهو ضحية .. ليس سهلا أن نطلق عليه لقب (المجنى عليه) ! ..

● الممكن والمستحيل

ونعود الى الجريمة الاولى التى هى الاصل ، والمحور الذى تدور من حوله الاحداث العتيقة .. ان المؤلف نسج فى براعة الخيوط التى كونت الجريمة ، وتركها تتفاعل فى انتظار (عشرى) ليرتكبها .. فالمعلم (الحلوانى) يقيم حفلة يدعو اليها (الفيروزى) لا لشيء الا لكى يغريه ليتزوج ابنته .. لكنه يفاجأ باعراض ابنته ، ويجتاح هذا الاعراض آماله التى رتب لها ، واعد لها .. ويود ان يصل الى اسباب هذا الاعراض .. حتى لو كلفه ذلك نصف امواله.. لكن (عشرى يقدم له اسباب المشكلة ويقدم له الحل فى نفس الوقت .. فيتحمس للحل رغم انه يحوله الى شريك ، ومحرض فى قضية قتل .. لكن حتى كتابة هذه السطور أجزم بالتلفيق من المؤلف ـ للتمهيد لهذه الجريمة .. والتلفيق · هو فى حب ابنة (الحلوانى) لهذا الشاب القروى الذى جاء من القرية ، لكى يعيد والده اليها .. !

اهمس فى اذن المؤلف ان حكاية الحب لا تعرف الطبقية .. نعم ·

لكن الذى هو واقع هنا ليس طبقية لحسب ، وانما هو بعد بعيد .. بين فتاة تركب الخيول فى نادى الجزيرة، وفلاح قابع فى وكالة والدها .. بين فتاة تحقق احلامها قبل ان تحلم بها ، وانسان لا اعتقد كما وصفه المؤلف انه غسل جلده بصابون طيب منذ أن ولد .. فتاة تقرا الصحف والمجلات الافرنجية ، وشاب بين عمال التراحيل .. بالاضافة الى أن المؤلف لم يذكر شيئا عن ثقافاته او تعليمه.. وحتى لو كان جامعيا .. وهو فى هذا القاع ، وهى فى تلك القمة .. لارتج عليه عندما يجلس اليها ، ولما وجد حرفا يقوله .. فكيف بهما يجلسان جلسة حب ، وتعشقه هذه الفتاة الى حد أن تصاب بالاكتئاب بعد موته ، وتسافر الى الخارج !.

الواقع أن السياق كله ، وليست الجريمة فقط .. قد عراه الاضطراب وجعل القارىء يرجع الى السطور مرة اخرى يقراها .. حتى يعرف كيف اجتمع (الشامى على المغربى) كما يقول المثل وذلك انعكس بالتالى على الجريمة فهز احد اركانها هزا سرى فى الاركان الاخرى التى تكون محاور الجريمة .. !

فالجريمة المكتوبة فى صياغة اى عمل ادبى .. يجرى عليها ما يجرى على كل الاعمال الفنية .. اذا ما اختل فيها ركن تداعت له الاركان متهافتة ، متهاوية !..

الحمامة .. صرعها الحلوانى أم صرعته .. ؟!

وقد استطاع المؤلف ان يقدم لنا شخصية الرجل صاحب السطوة فى الاحياء البلدية .. الذى تتضاعف أمواله بعد حد معين من الثروة دون جهد اقتصادى منه .. بقدر ما هو جهد جنائى اجرامى .. ولعل المؤلف اعتنى كثيرا برسم شخصية (الحلوانى) عناية جعلته يهمل كل الشخصيات الاخرى . فلا قيود من حوله الا اشباحا لاتكاد ترى .. وله بعض الحق فى ذلك الا أن المؤلف بدأ بشخص اسمه (ادهم) ، ويملك حمامة اسمها (قرط الرمان) وهى التى جعل الرواية تحمل اسمها ، ويطل بها المؤلف على ضراسة (الحلوانى) كمادة أولى ، وعينه من عينات منجهيته .. فيدوسها بسيارته ، وهى ترقص ف الحارة ..ثم يسرع باخراج بضعة جنيهات ليدفعها تعويضا لادهم عن (قرط الرمان) لكن (ادهم) يرفض النقود .. !

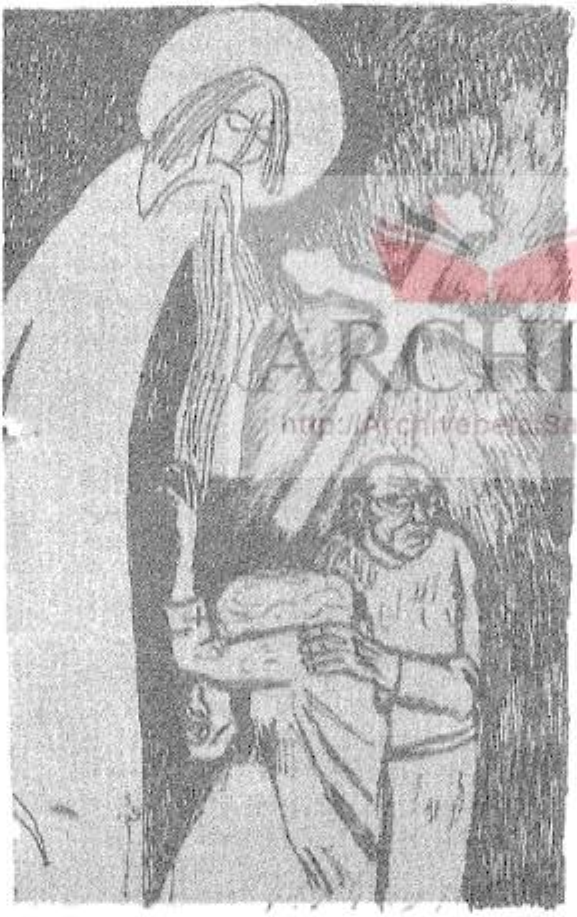
هذا (الادهم) يظل على هامش الرواية .. يظهر ويختفى ، ويسافر « هولندا » لكى يتعلم كيف يزرع الورد فى الصحراء .. ويستفيد (محمد جلال) من رحلاته المتعددة الى أوروبا .. ثم تنتهى الرواية بعيدا عن كل هذه الصراعات والجرائم .. تنتهى فى صحراء أين تقع لا احد يدرى - ولكنها فى مصر ، ويهرب اليها (ادهم) الذى يطلق اسم (قرط الرمان) على احدى العاملات عند (الحلوانى) وهى الاخرى انتزعها من (الحلوانى) ، وكان يحب أن تبقى له بعد رحيل ابنته .. لكنها تهرب مع (ادهم) الى الصحراء ، ويتزوجان .

ولا تصل الجريمة بمرتكبها الى اى هدف من الاهداف التى استهدفها، وهو يرتكب جريمته .. فلا ابنته عادت .. ! ولا هو اصبح صهرا لملك الفضة ولا عاش هادىء البال فى قصره الذى بناه ليكون هارون الرشيد الثانى فى الجمالية .. ؟

المسيح والمرأة العجوز

قصة قصيرة

بقلم: سيد جاد



ظل مبهورا يصفق بحرارة مع جمهور المشاهدين الذين اكتظ بهم مسرح الكورت رويال .. لاشك انه محظوظا لتمكنه من الحصول على هذا المقعد رغم انه باعلى البلكون .. وقفت جوقة الراقصات والراقصين فى مقدمة خشبة المسرح يتلقون التحية فى توهج وسعادة وما ان تقدم بطل العرض المسرحى عيسى المسيح العصرى ليقف بينهم حتى تصاعدت حدة التصفيق المدوى فى جميع انحاء القاعة الكبيرة .. ظل التصفيق طويلا .. والممثلون يبادلون الجمهور التحية

بالانحناء ورفع الايادى والتصفيق ايضا ··رغم انتهاء المشهد الراقص الغنائى الاخير، مازالت الاضــــواء والالوان والالحان وايقاع حركات الراقصين والراقصات الملائكية العارية تموج وتتجاوب فى كل اتجاه المســـرح وفى قلوب المشـــاهدين ·· هاهم الناس من حـــوله فى البلكون ·· النســاء الجميـــلات بازيائهن الراقية والرجـــــال المتانقون حتى وهـــم يرتدون معاطفهم ويهمون بالتحرك لمغادرة مقاعدهم مازال ســحر المسرحية وما فيها من جمال قيم التعاطف والمحبة ونبـل العذاب من اجل خلاص الانسان وكرامتـه كـل هــذه القيم الجميـلة تلتمع فى عيونهم ويبدون اشبه بملائكة محــلقة قلوبهم فى السماء ·· ويتحرك ببطء وسط هذا الجمهور المتذوق متنتشيا بروائح العطور الغالية وباصداء الالحـــان ··

الممرات العلوية السلالم كلها مكتظة·· يتحركون ببطء ·· اتجه جزء من هذه الكتلة البشرية فى الممر الطويل بالطـابق الارضى نحو احد ابواب المسرح الخلفية المعدة للخروج لتخفيف حـدة الزحام ··كان هنــاك احد العمال يحاول رفع المزلاج الحديدى لفتــح البـــاب ·· وفى نفس اللحظـة كان عدد كبير من هذه الكتلة البشرية قد تجمع للخــروج من هذا الباب الذى ما كاد ينفتح عن اخــره حتى تدافعوا الى الخارج ·· وجد نفسه وسـطهم ·· واذا بالاقدام المسارعة المتزاحمة تتعثر فى شيء ما كان متمـــددا على العتبة الخارجية عندما انفتح البـــاب ·· واذا بالشيء يصرخ فى الــم وضـعف ·· ويتحــرك محاولا دفع الاقدام عنه كفان معوقتان اشبه بكفوف الهيــــاكل البشرية ترتعشان·· جسد امراة عجوز ملتف فى معطف قديم حــائل اللون ·· شعر ابيض متناثر ·· جزء من الوجه المتغضن المرتعب يظهـر من بين اقدام الناس ·· هــل كانت تنتظــر المحسنين عند خروجهم من المسرح ·· هل كانت تحتمى من تيار الهواء البـــارد فاستسلمت للنــوم بين قدمى المسيح المجسم على الباب ·· لم كانت ثملة بالشراب مثـــل اولئك المشـــردين الـــذين يشحذون من اجل جرعة شراب فاخـــــذتها الغيبوبة وتمـــددت فى اقرب مكان ··

قبل ان يتنبه احـــد وسط حركة الشـــارع والسيارات والناس الى صرخات العجوز الواهنة كان الجسد الضئيل قد كف عن الحـركة وهمد تماما ◇

أفكار ما بعد الاشتراكية

والباحثون عن تكنولوجيا للتنمية

بقلم: عبد الرحمن شاكر

لم اجد تصنيفا لما انوى ان اعرض له من اراء وافكار فى هذه السطور ،اوفق من وصفها بانها افكار ((ما بعد الاشتراكية)) على غرار مادرج عليه الاقدمون من وصف بعض الفلسفات القديمة بانها تبحث فيما ((وراء الطبيعة)) او ما اصطلح على تسميته ((بالميتافيزيقا)) .

وعذرى فى اختيار هذا التعبير ، او الاسباب التى تدعونى لاختياره، يمكن ان تتلخص فى عدة امور :

● ان الحوار المتشعب ، الواسع النطاق ، الذى احاول ان الم باطرافه قد جرى ،ولايزال يمتد فى مجالات اخرى فى مصر ، بعد ان خاضت بلادنا العزيزة تجربة التطبيق الاشتراكى فى الستينيات، ثم حدث بعض التعديل ، او كثير منه فى الواقع على هذا التطبيق فى السبعينيات ، باسم الانفتاح ، الذى اعتبره بعض المتحمسين للتطبيق الاشتراكى انقلابا عليه ، وخاصة لما ساده فى مراحله الاولى - اى هذا الانفتاح - من طابع استهلاكى مسرف.. ومع ذلك فالامور تجرى محاولة لتداركها ، وجعل الانفتاح انتاجيا ، ممايدل على ان جذور التطبيق الاشتراكى اقوى من ان تقتلع ، ولا يزال الحوار دائرا حول القطاع العام ، الذى كان ارضح ثمار هذا التطبيق ، فى ظل اعتراف شامل بانه يشغل مركزا رئيسيا فى الاقتصاد المصرى المعاصر ، لا سبيل لتجاهله ، او انكاره ، او التفكير فى الاستغناء عنه ، اللهم الا تعديل بعض نواحيه ، هنا او هناك ، ليعطى أكبر مردود ممكن للتنمية .

● واتوقف عند لفظ التنمية ، فهى بلا جدال احدى موروثات التطبيق الاشتراكى فى بلادنا ، وقد اقترنت به اقترانا لصيقا . وكان ذلك جزءا من ظاهرة الاشتراكية ، ليس فى بلادنا وحدها ، بل فى العالم كله ، حيث ان الثورة الاشتراكية ، التى شهدها العالم فى القرن العشرين ، بدءا من الثورة الروسية فى مطالع هذا القرن، وتوسعها



في منتصفه تشمل الشطر الشرقي من أوربا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وامتدادها الى الصين في شرق آسيا ، وجاراتها فيما كان يعرف باسم الهند الصينية ، وانعكاساتها على الهند ذاتها ، وصولا الى ما يعرف الآن بالعالم الثالث ، في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، مما يصطلح على تسميته بالدول « النامية » ، (وضع خطا تحت كلمة النامية لان قدرا كبيرا من الحديث أو معظمه يدور حول «التنمية» ·· أقول هذه « الثورة الاشتراكية » على اختلاف صورها قد وقعت ، ودخلت التاريخ من بوابة بلدان كانت تعاني ولا تزال من التخلف الاقتصادي ، وما يتبعه من تخلف « حضاري » عما يصطلح على تسميته « بالعالم الاول » ·· وهو عالم الدول الصناعية المتقدمة في غرب أوربا وشمال أمريكا ، مع استثناء وحيد في آسيا هو اليابان . كانت التجربة الاشتراكية ، واختيار الطريق الاشتراكي على مختلف صوره في تلك البلدان المتخلفة اقتصاديا ، من أجل غرض واحد هو التنمية ، وخاصة في المجال الصناعي، واذا كانت «العدالة الاجتماعية»أصلا جوهريا فيالاشتراكية عموما ، بل هي هدفها النهائي ، فقد كانت هذه « العدالة » بوجه من الوجوه، أداة في معظم ما شهده العالم منتجارب باسم الاشتراكية لتحقيق أغراض التنمية ·

● ولم يكن الانفتاح مقصورا على تجربتنا في التطبيق الاشتراكي وحدها، بل لجأت اليه الصين ، ثم الاتحاد السوفييتي أخيرا في عهد زعيمهالجديد جورباتشوف ، ولم يستحق الانفتاح في هذين البلدين الكبيرين ، اللذين أعطيا العالم بثورتيهما وجهه « الاشتراكي »، ذلك القدر من « سوء السمعة » الذي استحقهالانفتاح عندنا ، لرسوخالتطبيق الاشتراكي في هذين البلدين اكثر منه مما كان لدينا ، ولانه لم يتعرض لرياح من نوع « الرخاء النفطي » الذي أحاط بنا في منطقتنا ، فجعل « انفتاحنا » ، على « البحري » ، كما يقال ·· ومع ذلك صمد التطبيق الاشتراكي عندنا أو كثير منه كما تقدم،متمثلا فيالقطاع العام ، حتى بدأت الأمور تعود الى جادتها ، ويعود الانفتاح عندنا كما هو في التجارب الاشتراكية العالمية، بحثا عن طريق لزيادة « التنمية » عن طريق زيادة الانتاج، ومحاولة استيعاب ثمار « الثورة التكنولوجية » ، التي لعب العالم الاول ، أي الدول الصناعية المتقدمة في الغرب ، الدور الاكبر في انجازها ·

● وبذلك اصبح « الاشتراكيون » ، على مختلف صورهم الفكرية ، وصور التجارب الذاتية والعامة لهم،«تنمويين»

بالدرجة الأولى . أى ان شاغلهم الشاغل هو « التنمية » لبلادهم قدر ما يطيقون بغض النظر عما يقتضيه هذا الهدف من تباعد كثير أو قليل ، عن الاصول المذهبية التى انطلقوا منها، تحت راية الاشتراكية .

● لذلك لم يكن غريبا ، بل كان من المنطقى جدا ، أن يكون من بين المتحاورين حول « تكنولوجيا التنمية » عدد كبير من الاشتراكيين ، الماركسيين، اصلا ، أو لاحقا ، أو سابقا ، وأن تتراوح افكارهم « ما بعد الاشتراكية » ، ما بين الماركسية المعدلة ، الى نبذ الماركسية واتخاذ موقف الخصومة منها! فهم جميعا ، ما بعد الاشتراكية ، أى ما بعد اعتناقهم لها ، لم تعد مقنعة عند كثير منهم ، وانما يتطلعون الى ما عداها ، ما بعد الاشتراكية ، بمعنى بعد ما أسفرت عنه الاشتراكية عندنا ، وفى العالم ، الذى لم يعد يعيش عصر انجاز الثورة الاشتراكية العالمية،ولكنه تجاوزها الى الثورة التكنولوجية العالمية التى يحاول الجميع اللحاق بها .

وبعد ، فلعلك ايها القارىء الكريم تسائلنى عمن هم هؤلاء المتحاورون ، وأعتذر لك أننى تأخرت فى ذكرهم واقول :

بين يدى كتاب طريف ممتع أشد الامتاع ، عنوانه طويل جدا ، هو : « بحوث ومناقشات ندوة تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث » . ولن أذكر لك كل اسماء مؤلفيه ، فعلى غلافه أربعة وعشرون اسما ، معظمهم ممن شاركوا فى الندوة المذكورة ولكن بعضهم يبدو أنه قد شارك فى ندوة سابقة عن « الهوية والتراث » ، نظمتها ذات الجهة التى نظمت الحوار الأخير ، وهى « المركز الاقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية » ، التى تتبع — على نحو لا أعرفه ، منظمة اليونسكو الموسوم باسمها صدر الكتاب .

وحينما أقول لك انه كتاب ممتع فصدقنى .. انك حين تقرأ كتابا لمؤلف واحد رصين الفكر جيد العبارة فأنت لا شك مستمتع به .. ولكنك فى هذا الكتاب أمام ظاهرة جديدة : لقد عمد مدير المركز الصادر عنه هذا الكتاب وهو الدكتور احمد خليفة ، ومساعدته البارعة الدكتورة سهير لطفى الى تنظيم ما يشبه أن يكون مباراة ما بين عدد من الكتاب والمفكرين عندنا ، فجاءت ورقة، أو بحث كل منهم تحمل طابع التحدى ، وحشد كل منهم اقصى طاقته فى الفكر والتعبير ، مع التركيز والايجاز قدر ما يستطيع ، حتى يكون له قصب السبق فى تلك الندوة المباراة ! وينتهى الكتاب بحوار بين أصحاب هذه الاوراق أو البحوث ، وسواهم من حاضرى الندوة، قد لا يكونون قد انتهوا فيها الى نتيجة مشتركة ، ولكنك تصغى فيها الى وقع الحوار فيما بينهم كما تصغى الى صلصلة سيوف المتبارزين !

والآن دعنا نستعرض بعض ما يحتويه هذا الكتاب الغريب الشائق :

● الاسلام والعلمانية

لا تستغرب أن يدور شطر كبير من هذا الكتاب حول الاسلام ، فالحوار لم يكن من طرف واحد ، بين الماركسيين وحدهم ، بل بينهم وبين عدد من « الاسلاميين » بمن فيهم الماركسيون المتحولون على صورة او اخرى الى الاسلام ! وعدد آخر ممن يصعب ادخالهم فى أحد الفريقين ، وربما كان أقرب تصنيف لهم انهم يقفون تحت راية الليبرالية العلمانية على الطريقة الغربية .

على أن هذا السبب الذاتى لم يكن وحده ، بل هناك أسباب موضوعية تقضى بأن يدور حوار كثير عن الاسلام ، من ذلك ما أصبح يعرف الآن باسم الصحوة الاسلامية ، واذا ذكرت الصحوة الاسلامية فلا مفر من تذكر « الثورة الايرانية » وما تمثله من تحد لسائر العالم الاسلامى ، متهمة اياه بأنه متخلف فى صحوته عنها ، محاولة أن تفرض عليه مذهبها ومنهجها باعتباره النموذج الصحيح للصحوة والمؤدى اليها !

سبب موضوعى أكبر من هذا هو الصهيونية بنجاحها فى فرض ارادتها حتى الآن على العالم العربى والاسلامى ، واحتفاظها بالارض المقدسة التى اغتصبتها من أبناء هذا العالم ، وهى بعد دولة مهما ادعت من علمانية أو ديمقراطية — فهى انما تقوم على الدين ، حيث تعتبر دولة لليهود دون من عداهم ، وأنها تقوم تنفيذا لوعد ربانى لبنى اسرائيل !! ومن ساندوا — ولا يزالون يساندون حتى الآن قيامها ، من دول الغرب « الديمقراطية العلمانية » بدورها ، لا يزيدون على أن يفضحوا وراء مساندتهم لها — بجانب مصالحهم الامبريالية — تعصبا صليبيا حاقدا على العرب والمسلمين ، ووشائج لا تنفصم عندهم بين « مسيحيتهم » واليهودية ، باعتبارهما نسيجا مشتركا لحضارتهم · لذلك كان الهرع الى الاسلام من جديد أمرا منطقيا عند كثير ممن خدعوا فى علمانية الغرب وديمقراطيته من أبناء العرب والمسلمين بعد أن تفتحت أعينهم على تلك الحقيقة المفزعة التى جسدها نجاح الصهيونية فى فرض ارادتها بمؤازرة من آزروها من دول الغرب ومفكريه !

ويمكن أن يندرج بين تلك الأسباب وقريبا منها أن صيحة « انصاف الشعوب » فى عصر الاشتراكية ، كان لا مفر من أن تمتد الى انصاف حضاراتها التى لحقها الغبن فى العصر الاستعمارى ، تلك الحضارات التى قامت على أسس مخالفة لحضارات الدول الاستعمارية ، وفى مقدمة من لحقه الغبن الدين الاسلامى رغم كون هذا الدين قد ظهر تاريخيا بعد اليهودية والمسيحية ، وجاء مكملا لهما ، وبالتالى فان كثيرا من التحولات التى حدثت فى الغرب ، انما كانت بفضل الاسلام ، وفى محاولة للحاق بما حققه من أطوار أكثر تقدما فى تنظيم الجماعة الانسانية ، لذلك لم يكن العالم الاسلامى ، عند كثير من المتحدثين فى الندوة بحاجة الى الثورة على الدين كما حدث فى الغرب ، بل ربما كانت الحاجة الى العودة اليه صحيحا خالصا أولى ، وفى مقدمة من عبروا عن هذه الفكرة الدكتور محمد عمارة فى حديثه عن العلمانية ، حيث يرى أن الاسلام كان علمانيا بطبيعته منذ البداية ، فليس فى الاسلام كهانة ، ولا نشأت فيه مؤسسة دينية تشبه الكنيسة ، التى ثار عليها الغرب وصولا الى الديمقراطية والعلمانية ، بل ترك الاسلام لمعتنقيه أن يدبروا أمور دنياهم كما يشاءون طبقا لمقتضى العقل والمصلحة العامة ، حتى الخلافة طبقا لهذه « النظرية » ، كانت مؤسسة علمانية أنشأها المسلمون فى حينها لتدبير أمورهم السياسية طبقا لمقتضى العقل والمصلحة العامة وليس هناك من شريعة سماوية تقضى بها وتضع نظامها !

وكان من طبيعة الأمور أن يرفض أبناء المدرسة العلمانية الغربية هذا المنطق ، ويصفوا ورقة عمارة بأنها قصيدة هجاء طويلة فى الغرب ،

دون أن يصلوا الى تنفيذ كامل واضح لنظـريته .

غير أن أغرب المواقف فى هــذا الصدد كان موقف محمد سيد أحمد وورقته : فالدكتور فؤاد مرسى على سبيل المثال ، قد قرر وهو الماركسى المعروف ، وترك للحاضرين أن يسجلوا عليه أن فكره قد تحول فى السنوات الاخيرة ، وأن ما يقوله الآن لم يكن ليقوله منذ ثلاثين ســنة حينما كان ماركسيا قحا ، فهو يرى الآن ما لم يكن يراه من قبــل وهو أن بعض ما تعتبره الماركسية جزءا من البناء الفوقى الــذى يتغير بتغير قــوى الانتاج والاوضاع الاقتصادية ، قــد يلعب فى التاريخ دورا اكبر بكثير مما قدره له هذا التصور ، من ذلك مسالة الدين - فالاسلام ورســوخه عندنا ، والمسيحية ورســوخها فى الغرب ، تمتد من عصر الاقطاع الى الرأسمالية ، ويمكن أن يبقيا طويلا بعد الاشتراكية ، كان ذلك سلاحا يسـلمه الدكتور مرسى فى سخاء للاسلاميين .

أما محمد سـيد أحمد فدون أن يسلم لأحد من الحاضرين ، أنشـأ بدوره قصــيدة هجاء حقيقيــة فى المدرسة الماركسية التى تعلم فيهـا ، وهى الحركة الشيوعية المصرية ، التى سيطر عليهــا اليهود الأجانب طويلا وحاولوا أن يسخروها لاغراضهم الصهيونية ! وزاد على ذلك أنه قدم للحاضرين بيانا رائعــا عن أخطار الثورة التكنولوجية على هوية الامم المتخلفة ، حيث أصبح فى مقدور الدول التى تملك ناصية تلك الثورة أن تقدم بوسائلها الاعلامية الجبــارة هوية الأمم المتخلفة وتبدلها وتحـولها الى الصورة التى تشتهيها وتلائم أغراضها كان ذلك اكبر تحريض للاســلاميين على الدفاع عن « الهوية الاسلامية » دون أن يفصــح صاحبه عن المدى الذى أصبح اليه أسلاميا ، فى موقعه الذى يصر عليه من أنه مجرد مفكر أو مراقب « كونى » لما يدور فى هــذا العــالم !

● اين التكنولوجيا ؟

ويصر الدكتور أحمد خليفة منظم الندوة ، على أن يصل المتحــاورون الى بيان لتكنولوجيــا التنمية التى يقترحونها والتى هى موضوع الندوة، بدلا من الغرق فى مناقشات بيزنطية حول الماضى والعقائد ، تزيد الحيرة ولا تضفها حينمــا تصل الى طريق مسدود ، ويعلن أحد الحاضرين وهو الشيخ الدكتور النمر أنه لا يفهم ما يقولهالدكتور سيد ياسين ، ومايقصده بأن تطبيق الشريعة الاسلامية خاصة فى مسألة الحدود يصطدم « بالدفاع الاجتماعى » ! .

ويستبشر الدكتور أحمد خليفة حينما يتكلم عادل حسين ، ويذكر التنمية ، ويذكر أيضا أن التنمية ليست تنمية اقتصادية فقط ولكنها اجتماعية كذلك بالمقام الاول ، مناقضا بذلك انتماءه الأول للماركسية وحاملا على مدركاتها القاصرة من وجهة نظره الحالية التى تنتسب الى الإسلام . ويزداد الدكتور خليفة بشرا حينما يستخلص من كلام عادل حسين أن الاجتمــاعيين فى الوقت الراهن أصبح لهم دور وعليهم مســئولية فى التنمية ربما تفــوق أهميتها أهمية الاقتصاديين ، الذين سيطروا طويلا على خاصية كل حديث عن التنمية .

غير أن « تكنولوجيا » عادل حسين للتنمية تأخذ طــابعا حالما شــديد الغموض لدى المتحاورين ، حينمــا يقول انها تبدأ من « شهادة أن لا اله

الا الله وأن محمدا رسول الله » ! ويحاول أن يوضحها بتقرير أن « الايمان يمكن أن يكون محركا كبيرا للتطور » ، وربما تكون تلك مقولة فى وجه مقولة الماركسية بأن « الاقتصاد هو محرك التطور » !

غير أنه ـ أى عادل حسين ـ لم يكن فى وسعه أن يبعد كثيرا عن مجال الاقتصاد أو يتجاهله بالمرة ، فى تكنولوجيته للتنمية ـ بل حتى عن المدركات التى علمتها له الماركسية قديما عن علاقة « الطبقة » بالانتاج ، وأن كل نمو اقتصادى وراءه طبقة أو طبقات تقوده ، فيقرر أن « الطبقة » التى يرشحها لقيادة التنمية الاقتصادية فى بلادنا ، هى « طبقة » من المؤمنين يعملون على قيادة التطور الاقتصادى فى تيار الاسلام ! ولا أدرى من يعنيهم بهذه الطبقة ؟ هل هم اصحاب شركات توظيف الاموال ، التى تتستر .. بلباس الاسلام، والتى يمكنها السباحة ببراعة فى محيط الثروة النفطية فى بلادنا العربية والاسلامية ، رغم أن هذه الثروة توشك أن تأتى عليها حرب الخليج وتدهور أسعار النفط ؟ على كل لم يكن عادل حسين صريحا مثل جلال كشك ولم يكن من حضور الندوة غير أن مثيل فكره كان حاضرا، الذى أظهر مثله التحول من الماركسية الى الاسلام ، والذى يقرر فى صراحة أن « الرأسمالية » هى الطبقة الوحيدة التى تستطيع تحقيق التطور الصناعى، رفضا لما أدخلته « الناصرية » فى بلادنا من اقتفاء آثار الثورات الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى والصين، فليس بالضرورة أن ما نجح فى هذين البلدين ـ عند عادل حسين ـ يمكن أن ينجح عندنا .

وفى مواجهة هذا التيار الاسلامى، أو تيار التنمية على أسس اسلامية أو على نطاق اسلامى ، كان الدكتور سيد عويس ـ على الطرف الآخر أشد تركيزا على « الهوية المصرية » وضرورة الانطلاق من الوطنية المصرية بجميع موروثاتها من الحضارات ، وقدم دفاعا بليغا عن الحضارة المصرية ، كان من أطرف ما تضمنه ذكر أن ارسطو وعلمه الواسع كانا أكذوبة كبرى صدقتها الحضارة الغربية ، حيث أن تلامذته فى مصر قد سرقوا كل علوم المصريين ونسبوها الى معلمهم !

غير أن ما ذهب اليه الدكتور عويس لم يقنع أحدا فى موضوع تكنولوجيا التنمية ، وفى الوسط ما بينه وبين الاسلاميين ، حاول الدكتور على مختار أن يرد المتحاورين الى ما يمكن تسميته « بالاعتدال العربى » ، حيث يقرر أن التنمية لم تأخذ مداها فى بلادنا ، ولن تأخذ هذا المدى ، وبالتالى لن تستطيع ان تقرر أن الاخذ بالطريق الاشتراكى أيها كان صحيحا أم لا ـ حتى تقوم الوحدة العربية ، لأن كل تنمية على مستوى العصر هى بحاجة أولا الى كيان كبير يستطيع أن يحقق ما ليس فى مقدور الدويلات الصغيرة أن تحققه .

وأخيرا فلن أستطيع أيها القارىء الكريم أن أنقل اليك فى هذه المساحة المحدودة كل الافكار العزيزة التى تضمنها هذا الكتاب ، الذى تغلفه غلالة من الحزن ، تمثلت فى أهدائه لروح المرحوم الدكتور على مختار ، الذى قضى منذ شهور قليلة ، قبيل صدور الكتاب ، ولم يكن مجرد مساهم فحسب ، فى ندوته ، بل كان ناشره أيضا ، وهذا الكتاب هو آخر ما أصدره من كتب عن « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » التى تحمل الآن اسم دار على مختار للدراسات والنشر » !

الضيف

شعر : [illegible]

تحضنها اعينهم
تفاحة .. مخضبه
الخصر .. فى انحنائه
يميس .. مثل القصبه
والشمس يهمى دفئها القمحى
حتى الرقبة !

***

افريقيا . هذى تقاطيع ابى فى العربه .
تسللت فى صمتها .
واجفلت .. منتحبه
ومثل صقر .. هالك
تعدو عليه الدببه
عبرت الف شارع
كنائسا .. مذهبه
وخضت فى الزحام او الترام
.. مثل ارنبه
حتى قبعت هاهنا
فى وحدتى .. المنسكبه !

***

من اين ؟



طفل آبق
رانت عليه المسغبه
فهل يثير .. هاتفا
من الحنان ، والهبه ؟
***
تبارك المليك
حيا .. رائق البلور .. سحبه
الافق فاح صندلا
ادعية و أحجبه
والنيل فاض فى المدى
شبابة ، وهضبه

النخل .. يعطى رطبه
والكرم يهدى .. عنبه
***
الدمع ؟
لا !
قلائد من الندى مغتربه
لا تتركينى ارتمى .. عسلى
هجير الغربه
الطفل .. من عذبه ؟
مناه
تم صلبه !

ش

شهريات

● رأى فى الثقافة ●

طه حسين .. الباقى

فى الثامن والعشرين من اكتوبر الماضى مرت الذكرى الرابعة عشرة لوفاة طه حسين وسط زحام الكلام عن كل شىء ماعداه .. على الرغم من ان الايام تثبت كل يوم عن الاخر ضرورة طرح القيم المصرية العليا مجددا ، ووضعها موضع الصدارة ، خاصة اذا كنا (على الاقل نحن العاملين فى الحقل الثقافى) على نفس القدر من الاحساس بالمسئولية كما كان طه حسين ابن القرية المصرية الذى حمل على كاهله ، كما لم يحمل أحد قبله او بعده ، هذا الاحساس الطاغى بدور المثقف فى المجتمع : ان يصبح العلم حقا لكل الناس كالماء والهواء ، وان ينفخ فى روح المجتمع الايمان بالعلم كقيمة عليا يجب ان تتهيأ لها كل الاسباب وفى مقدمتها حرية الرأى ، والديمقراطية الحقة ، والعدالة التى بدونها تصبح كل المعانى كالطبل الاجوف .



د . طه حسين

فى الثامن والعشرين من اكتوبر الماضى مرت ذكرى طه حسين دون كلمة وسط ضجيج الكلام عن كل شىء ماعداه ، على الرغم من ان الايام تثبت حاجتنا الشديدة لطرحه للمناقشة امام الاجيال الجديدة ، التى تكاد العوادى تأخذها فى طريق الضياع ، كما تثبت الايام ان القيم التى كافح من اجلها طه حسين خافتة هذه الايام .. فلننتبه .

عبده جبير

● تليفزيون ●

« مغناطيس » نعمان عاشور

● عندما كتب نعمان عاشور مسرحيته (المغناطيس) في أوائل الخمسينيات ، قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، كان الهدف منها هو رصد الواقع المصرى الذى يتأرجح بين التقدم للامام والتقهقر للخلف ، فهو أسير معتقدات وعادات وتقاليد تسرى في حارة درب عجور مثلها مثل الخرافات والغيبيات التى تكمل دائرة الأسر الاجتماعى ، وفى الوقت الذى يتوق فيه هذا الواقع للتحرر بأشكال مختلفة يبدأ عطوة أفندى فى التحرر من الاستغلال على يد الحاج حسنين أبو المال وأمثاله الى التحرر الطبقى للقمر على يد الحاج حسنين نفسه الذى يجدها هو الآخر فرصة للصعود الطبقى والسياسى· وبين هذا التأرجح جاء الطبيب النفسى العائد من فرنسا ليفتتح عيادته ، فيصبح محل اقبال أهل (درب عجور) ، لكن الطريف هو هذه المفارقة التىجعلت أحدث أساليب العلاج فى ذلك الوقت تؤتى ثمارها فى علاج أهل الحارة ·· ولكن ·· بمفهومهم هم ·· أى من خلال منطقهم الخاص بأن (الشافى هو الله) وأن هذا الطبيب الشاب مثل المغناطيس فيه شىء لله يعرف ما بالنفوس ويداويها ، وهكذا التقى العالمان ·· الطبيب على غير رضاه (فهم يتجاهلون علمه) ، وأهل الحارة كما أرادوا لهذا العلاج أن يكون · وخطورة هذه المعادلة التى طرحها نعمان عاشور منذ ٣٦ عاما مضت أنها وان أتاحت للطرفين معا أن يتعاونا ويلتقيا، فانها لا تقوم على الوعى والايمان بالعلم من طرف الاغلبية ، وانما تتجه الى الحل عن طريق الغيبيات وهى بقدر ما تتيح للناس أن يستفيدوا من علم الطبيب أو العالم بقدر ما توقفتطوره العلمى لانه غير مطالب به ولا متاح له

على أن نعمان عاشور أعاد كتابة (المغناطيس) مرة أخرى عام ١٩٦٦ باسم (عطوة أفندى قطاع عام) مضيفا اليها أبعادا جديدة ، ورؤية واضحة كانت قد تبلورت لديه ككاتب مفكر : هى ايمانه بالاشتراكية وملكية الدولة لوسائل الانتاج والمؤسسات العامة ، وهكذا حملت نهايتها الحلالذى وجده(عطوهافندى) ـ الشخصية المحورية فىالمسرحيةالثانية ـ للانعتاق مناستغلال الأخرين له (حسنين ، وعادل) وهو العمل فى جمعية تعاونية استهلاكية أو مجمع فى ذلك الوقت (١٩٦٦) الذى بدأت فيه الدولة هذا المشروع ، وقد قدم كاتبنا الراحل هذا الحل بعد دعوة من خلال المسرحية الى يقظة الجميع وتحول أى سلبى منهم الى ايجابى ، ونبذه لخطاياه وعيوبه من نفسه (أى تطهره) وهى دعوة خيالية تصور الكاتب وقتها أنها تثمر لدى أمثال الحاج حسنين أبو المال الذى يصاب كما وصفه فى نهاية المسرحية، بانسداد فى المسالك الاستغلالية ، فيعيد الكمبيالات الى أصحابها المديونين له ، ويتنازل لاخيه الاصغر عن العروس قمر لأنها تلائمه أكثر منه ويحل مشاكلهما المالية، وهكذا جاءت

المسرحية الثانية بحلول محددة رآها المؤلف ، وان لم يفسر لنا لا منطقيتها مع الكثير من العيوب الاجتماعية والظواهر التي رصدها في المسرحيتين، والتي مازالت مستمرة ، بل اصبحت اكثر رسوخا ووضوحا في مجتمع اليوم ، وهكذا بدا تقديم مسلسل تليفزيوني ، مأخوذ عن المسرحيتين معا ، عرضه التليفزيون في الشهر الماضي على شاشة قناته الثانية (وعرض في العالم العربي قبلها) بدا غير بعيد ولا متناقض مع واقع الثمانينيات كما أعده كاتب السيناريو عاطف بشاي واخرجه ابراهيم الشقنقيري ، فالعديد من الخيوط القديمة تأكدت استمراريتها ومتانتها فهي تمثل محاور الصراع الرئيسية المستمرة منذ الخمسينيات (الصراع بين القديم والحديث ، بين العلم والخرافة ، طموحات التجاوز المادي والطبقي) ، فبينما كان الفساد مجسدا في (مغماطيس) الخمسينيات في الحاج حسنين أبو المال، الذي يشغل الآخرين ويتاجر بالسلع في السوق السوداء فان الفساد يزداد في (مغماطيس) الثمانينيات من خلال أشكال وأنواع أخرى وهو ما شكل مادة خصبة تثرى الطرح القديم لكن معد العمل التليفزيوني لم يستغلها بل وترك عددا من الفضل الأفكار والظواهر التي طرحها نعمان عاشور في الخمسينيات وعادت للتشكل بوضوح اكثر في السبعينيات والثمانينيات وهي ظواهر : الاتجار بالدين واللعب على الوتر الديني، ثم لعبة الصعود السياسي والبرلمان عن طريق المال والثراء التي عادت بضراوة أخيرا ، ثم هذا التغير الأساسي لعطوة أفندي والجميع بحثا عن العدل ورفضا للاستغلال .

ومن هنا فان السؤال المطروح هو الى أي حد من التغيير يمكن لمعد عمل ابداعي أن يذهب ، والى أي حد يتوقف ؟

لقد احتفظ المسلسل بالشخصيات الرئيسية لمسرحيتي نعمان عاشور مع تغييرات عديدة مثل تغيير اسم الطبيب النفسي (من د. غريب الى د. عادل) بلا مبرر ، ومن تغييرات في الملامح الجسدية والعمر ، وحذف شخصيات هامشية، وشخصيات هامة ،واستبدال شخصية (مدرس) بشخصية (مأمور ضرائب) مع ما للشخصية الاولى من دلالة درامية ، وهناك تغييرات من أجل المعالجة الدرامية تصبح مقبولة في اطار حرية الكاتب المعد للسيناريو والحوار لكن هناك تغييرات أساسية اضطرارية من أجل الانتاج والتسويق وايضا النجومية كأن يكون ممثل أحد الادوار الكبرى أكبر الممثلين المشتركين اسما فيكبر دوره ليصبح محوريا وتتقلص أدوار أخرى وهو ما حدث مع شخصيتي الطبيب النفسي وعطوة أفندي المحوريتين في (المغماطيس) ثم انفراد (عطوة أفندي) بالدور الرئيسي في المسرحية الثانية ومع ذلك فقد تقلصت تلك الشخصية ، وضاع جزء كبير من أهميتها بوجود نجم سينمائي لامع (حسين فهمي) في دور الدكتور أمام ممثل أدوار هامشية لعب باقتدار دور عطوة أفندي (رشدي عسكر) ، هناك أيضا شخصية (السني الفنجري) الذي يطلق لحيته ويرتدي جلبابا وطاقية بزر أخضر ولا يكف عن ترديد الادعية وتبخير محل الحاج الذي يعمل به ويبدو كما وصفه نعمان عاشور في بداية المسرحية مصابا بالبلاهة وتبلد الفهم يعيش في انفصال لا يربط مطلقا بين سلوكيات الحاج وممارساته الاستغلالية للجميع،



نعمان عاشور

ومنهم هو ، وبين عدم جدية تظاهره بالتقوى ، عكس عطوة الندى ،وبرغم التغيير المهم لهذه الشخصية فى نهاية المسرحية الثانية حيث يتزوج المسنى من الست فرحانة الأرملة السمسارة التى تكبره ويحلق لحيته فسان المسلسل التليفزيونى ألغاها لأسباب تخص ظروف الثمانينيات ، وربما كانت أبرز نقاط الاختلاف التى اضيفت (للمغناطيس) فى الثمانينيات هى موقف المسلسل من الازمة الاقتصادية ، فبينما كانت تلك الأزمة لدى نعمان عاشور تمثل أزمة (موظفين) سواء. ذوو الاصول الطيبة منهم أو الاخرون ، اى ازمة طبقة لها دخل ثابت ووضع اجتماعى متميز بالحسب القديم أو التعليم فان الأزمة تتعمق فى الثمانينيات ، من خلال المسلسل ، لتصبح محورا مهما يطول الجميع ولتدفع بسلوكيات كان من المفروض أن تتغير منذ هذا الوقت الى نفس المسار ، فبنت الخمسينيات ذات الأصل الطيب والدخل المحدود فشلت، تماما كبنت الثمانينات ، رجلا غنيا بنالها ماديا ، اجتماعيا .

ومع قرب المسلسل من واقع الثمانينيات فانه اغفل عن عمل ثلاث نقاط تمثل اهمية خاصة للعمل وللفكر نعمان عاشور وبدونها ، يفقد المؤلف الاصلى جزءا كبيرا كمبدع له قدرة على سبق الآخرين واستشراق المستقبل .

ماجدة موريس

ش
شهريات

● رسائل جامعية ●

● الدعاية الاسرائيلية من خلال الراديو

عن الدعاية الاسرائيلية فى لاذاعة صوت اسرائيل نوقشت فى كلية الاعلام رسالة الماجستير المقدمة من الباحثة نجلاء المصرى . وقد تكونت لجنة المناقشة من د . على الدين هلال الاستاذ بكلية السياسة والاقتصاد و د . جيهان رشتى و د . ماجى الحلوانى الأستاذتين بقسم الاذاعة بكلية الأعلام .

وقدمت الباحثة فى رسالتها دراسة تحليلية لعينة من الاخبار والبرامج الاخبارية الموجهة باللغة العربية ، وأوضحت الدراسة اسلوب الدعاية الاسرائيلية وتركيزها على الدعاية الاذاعية ، لإيمانها بأنها الوسيلة الأكثر فاعلية فى مجال الدعاية للاقطار العربية ، وان كان ذلك ـ كما قالت الباحثة ـ لا ينفى اهمية استخدام الاساليب الأخرى السياسية والعسكرية والدبلوماسية لاختراق الفكر العربى . والدليل الذى ساقته

الباحثة هو ارتفاع نسبة الاستماع العربية للاذاعات الموجهة ، وأوضحت أن البرامج الاخبارية تمثل الجزء الاكبر من المواد الأكثر استماعا بعد الاغاني والمسلسلات الدرامية .

واعتمدت الباحثة في دراستها على منهج دراسة الحالة بجانب أداة تحليل المضمون لرصد تطور المعالجة الدعائية فى الاذاعة الاسرائيلية وذلك على المستويين العام والخاص .

فالمستوى العام يتعلق بنشرات الاخبار والبرامج الاخبارية ، أما المستوى الخاص فيتركز فى القضية الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، والصراع العربى الاسرائيلى ، وعلاقة الدول العربية باسرائيل .

وأوضحت الدراسة مفهوم الدعاية الاسرائيلية والصهيونية وخصائصها الأيديولوجية ، التى شكلت أهم نتائج الدراسة.

● ستبقى اسرائيل محور الصراع

واثنى د . على الدين هلال فىبداية مناقشته للباحثة على موضوع الرسالة وقال انه موضوع هام يستحق أنتحيي عليه الباحثة ، وذلك لأن بعض الباحثين فى الآونة الأخيرة دأبوا على اختيار موضوعات ليست ذات حيثية

نجلاء المصرى



.. وقال ان أهمية الرسالة ترجع الى انها رسالة رائدة فى مجال الاذاعات الموجهة وقد اختارت الباحثة أهم هذه الاذاعات حيث أن اسرائيل ستبقى محور الصراع الذى نعيشه فى هذه المنطقة .

وقال د . على الدين هلال ان الاذاعة الموجهة تعتبر بمثابة ذراع من اذرع الدولة وهذا يعنى أن الاذاعة دائما تحمل خصائص الدولة التىتعبر عنها والمفتاح التفسيرى والمنطقى لفهم اسرائيل ـ والذى أغفلت الرسالة توضيحه هوان اسرائيل مجتمع « احلالى » واستيطانى ، فبحكم انه استيطانى فهو يقوم ـ بالضرورة ـ على نفى وجود الغير ، وهذا الغير هم الفلسطينيون . واسرائيل أيضا مجتمع ايديولوجى له رسالة يجاهد ويقاتل من أجلها ـ وهذا طبعا بصرف النظر عن رأينا فى هذه الأيديولوجية

وانتقل د . على الدين هلال الى مناقشة نشأة الاذاعة الاسرائيلية قبل اقامة دولة اسرائيل وذلك بعكس جميع دول العالم ، ومسألة بث التليفزيون الاسرائيلى لبرامجه باللغة العربية اكثر من اللغة العبرية وقال انالرسالة أوردت هذه الحقائق مؤيدة بالأرقام لكنها لم تذكر السبب وتفسير ذلك يرجع الى أن اسرائيل ورغم كل شىء نواة لمشروع لم يكتمل ، بمعنى أنها ما زالت أقل فى الواقع من أفكار قادتها ومؤسسيها .

ثم قال د. على الدين هلال عن أسباب السخرية الاسرائيلية منالحكام العرب الذين يقيمون علاقات صداقة وثيقة مع الولايات المتحدة عندما تقول فى اذاعتها « أن الحكام المسلمين يحرصون على الحج الى واشنطن كل عام » ، ان ذلك يدل على أن إسرائيل لا تشعر بالامان اذا ما تحالفت الدول

شهريات

العربية مع الولايات المتحدة ، لأن هذا يعني أن العرب يحاولون طرح انفسهم كبديل لاسرائيل في الولايات المتحدة .

وأخذ د . علي الدين هلال على الباحثة عدم توظيفها للمادة العلمية لاستخدامها أفضل استخدام ممكن ر. قيامها بجهد واضح في جمع البيانات والاحصائيات . فمثلا ذكرت الباحثة ارتفاع نسبة العداء الاسرائيلي للسعودية لكنها لم تفسر لنا ذلك . فمشكلة الدراسة هي احتواؤها على معلومات كثيرة غير مفسرة ، مماادى الى وجود عدم توازن ملحوظ بين عرض البيانات والاحصائيات وتفسيرها وقال ان جمع البيانات يجب أن يوضع في ملحق بعد الانتهاء من الرسالة ، ذلك لان العلم في جوهرة ليس ارقاما بل تفسيرا في الاساس ، ومسالة جمع المعلومات هي الاساس الذي يقوم عليه العلم وليست العلم نفسه .

وانتقد د . علي الدين هلال اداة تحليل المضمون كأداة بحث مستخدمة في الرسالة، وتساءل عن مدى فاعليتها في تحقيق أفضل النتائج بالنسبة لمجال الاذاعة ، لأنها تعتمد على كلمات منطوقة ، وتحليل المضمون ينصرف في الأساس الى الكلمة المطبوعة ، وقال ان هذين المستويين مختلفان تماما ، فالتحليل الذي اخرج به من قراءة الاخبار في جريدة غير الانطباع الذي اخرج به لدى سماعها ، ذلك لان الاذاعة دائما تفترض عدم انتباه المستمع لانها تهتم بالانطباع والايحاء الذي تتركه في اذن المستمع . وأضاف د . علي الدين هلال أنه رغم تنبه الباحثة الى المآخذ العديدة لاداة تحليل المضمون فقد وقعت في أسره ، واستهوتها الفكرة الشائعة بأن الكم دائما أقوى من الكيف . وهذا خطأ كبير أحذر الباحثين في مجال الاعلام من الافراط في استخدامه لانذلك حتما سيوقعهم في مزالق علمية وتفسيرية عديدة .. وقد د . علي الدين هلال احب أن انبه الباحثين أيضا الى مسالة كبر حجم الرسالة ، وقال انه ليس بالضرورة أن القيمة العلمية الكبيرة تساوى رسالة كبيرة .

ثم ناقشت د. جيهان رشتي الباحثة واعترضت على ما ذكرته من أن الاذاعة الاسرائيلية دائما تؤثر عدم التركيز على الخلافات بين الائتلاف الحكومي في اسرائيل ،

هبة عادل عيد

• مسرح •

• «الدربكة» والمسرح الصوتي

بقاعة ملك التجريبية قدم الموسيقي الموهوب انتصار عبد الفتاح عرضه الذي أسماه « الدربكة » نسبة الى آلة « الطبلة » التي تسمى في ريف مصر بالفرايحية ، وهو يستخدم هذا المفرد الايقاعي مصاحبا لرحلة الانسان الفرد في واقعنا المصري ، ومحاولاته المستمرة للتوحد مع ايقاع الحياة

والعرض الذي يقترب زمنه من الساعة ليس عرضا دراميا بالمعنى المتعارف عليه بالتالي لا يعتمد على نص حواري مكتوب ، ولكنه صياغة متعددة الأصوات داخل وجدان انسان مصري منذ بداية ميلاده ، وحتى نهايته ، وهو لا يبحث في الوجود والماهية بقدر ما يركز على الحياة وديمومتها ، يولد الطفل فيرتبط بايقاع

الحياة ويستمد من خصوبتها ، ما يدفعه الى النهوض والمقاومة ، ومن أجل ذلك تتوحد هذه الدربكة ، مع الانسان الذى يواجه الكون من حوله ، فيصبح ما يتعرض له فى مسيرة حياته واستمراره هو ما يوازى ، ما يمكن تسميته تجاوزا بصراع هذه الآلة من أجل البقاء وسط مجموعة من الالات تتطور باطراد مع كل تقدم علمى جديد ·

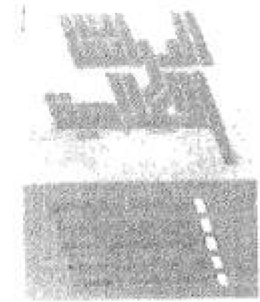
يشغل العرض القاعة كلها ، ففى اطرافها يتشكل العالم من شرق وغرب يحتل كل منهما مسرحا خاصا لا يرتفع عن الارض بأكثر من نصف متر وعرض مترين ، أما الجمهور فيجلس فى صفين – فقط – متقابلين يشكلان بقية حدود القاعة ، وفى نقطة تتوسط كل هذا وفرق كف مرسومة على بلاط الارضية ممتدة الاصابع ، يولد الانسان بلا هوية ، ولكنه سرعان مما يستمد ويتعلق ويلقم اطرافها مما حوله ، من مفردات يكثفها العرض ببراعة فينتقى من الاغنيات الشعبية البسيطة ومن ايقاعات الحرفيين ومن ترديدات الحياة الممتدة ، وهو يختار ممثلا أو اكثر لكي يعبر عن كل مفردة وتكتل ، فهناك مجموعة من المنشدين باغان شعبية مختارة من قلب المدن والقرى عن الميلاد والطهور والسبوع ·· الى آخر هذه المناسبات المختلفة التى تمر فى حياتنا ، ومع كل مايحرك الحياة يختار العرض الحرفيين (الحداد والنجار والجزار والبناء والطعمجي والمنجد والنحاس والمبيض) بادائهم الحركى الذى يتوحد مع الاصوات المتناغمة الصادرة من اثر استعمالات الادوات ، فى هارمونية تختلط بايقاعات مختلفة مأخوذة من الممارسة المعيشية ، ويمتزج كل ذلك مع كركرة القلة ودقات الهون وتقطيع المخرطة واستخدامات طست الغسيل والقرمة والعجلة الخشبية ، فى صيرورة متصلة ومتواصلة مع محاولات هذا الانسان من أجل المشاركة والتعلق باكتشافاته الاولية التى تتراكم رويدا فى وجدانه ، فيتحدد بالتالى لديه الاتجاه أو الهوية أو الهدف والارتباط ، وينجذب تماما بعد أن يصبح الكل فى نغمة واحدة صادرة من هدير الحياة السرمدى · كل ذلك وهو ليس بمعزل عن رصد الغرب له من خلال ما يمثله ، وهو هنا مجرد فتاة تتابعه أولا وتراقبه وتدرس عاداته ومعتقداته ولا تدعه يغيب عن نظرها ومنظارها المعلق أمام عينيها ،

قد يكون فى هذه التجربة بعض التزيد والاستعراض الشخصي، ولكنها تبقى علامة واضحة للفنان لا شك فى موهبته واصالتها ، وهنا تجدر الاشادة بمجموعة العرض المتجانسة التى ذاب الفرد فيها من أجل المجموع الذى انكرت فيه الذوات الفردية ابرازا للمعنى المراد بكل اخلاص : حسام محسب ، عبير لطفى ، تغريد ابراهيم، سيدة زكى ، سهام اسماعيل ، محمد هناء كمال ، تامر كمال ، رباب محمد، خطاب عمر ، ادريس متقال ، محمد عزت ، أسامة جانو ، عثمان محمد جمال منصور ، محمود حسن ، مصطفى الشناوى ، أحمد عوف ، اسماعيل شعراوى ، أحمد البهنساوى جيهان النمرسى ، محمد عسكر، ماجد الكدوانى ، أحمد الحسينى ، على عثمان ، عمرو سامى ، اكرم اسماعيل ، كوثر مصطفى ، خالد يوسف ، ومهندس الديكور حسن العزبى ·

● محمد الشربينى

ش
شعريات

• بيت •



مجلة الدراسات الاعلامية · هـــذه الدورية التى يصدرها المركز العـــربى للدراسات الاعلاميـــة ويرأس تحريرها الكاتب صلاح الدين حافظ تعد واحدة من أهم دورياتنا ، وان كان السـبب خافيا فى أن معرفة الناس بهاء حتى وسط الصحفيين والاعلاميين تكاد تكون معدومة ·

ولكن القارىء لهذه الدورية سيكتشف أهميتها الفائقة بعد دقائق معــدودة ، لا لانها فقط تتناول قضايا حرية الرأى، وحرية الصحافة والاعلام ، بل أيضـا لانها تجمع بيانات مفيدة وهامة للغـاية عن الاذاعات العربية وعددها ،والصحف العربية فى كل قطـــر من الاقطار،، فى وقتنا الراهن ، وعدد قنوات التليفزيون فى كل بلد ، بالاضافة إلى دراســـاتها ذات الرأى التى تعلى من قيمة الاعلام باعتباره حقا من الحقوق الاســـاسية للانسان يجب أن يتيح للانسان العـربى المعلومة الحقيقية الصادقة ، كما انه جهد مشكور يدفع أجهـــزة اعلامنا لمزيـد من الوعى بدورها فى حياة الناس ·

كل المجلات لها بيــــت
ومجلة الشعر ليس لها بيت



الشعر هذا الفـــن العربى الاول لا يعانى من عدم وجود مجلة خاصة به فى اكبر بلد عربى ، بقدر ما عانى من وجود هذه المجلة وطوال سنوات وهى تعامل كشىء زائد عن الحاجة ، أو مجرد سد خانة ، وعلى سبيل المثال صدرت هذه المجلة من القـــاهرة وكان رئيس تحريرها مسافرا فى بلد آخر عـــدة سنين !

على أى حال ها هى مجلة الشـــعر تعود فى شكل جديد وجميل ، وعـــلى صفحاتها أسماء شعرائنا الكبار أحمد حجازى وعفيفى مطر وفاروق شوشه وغيرهم ، وبهمة رئيس تحريرها الجديد فتحى سعيد الذى نفخ فيها مـن روح الشباب ما دفعها ســـنين عديدة الى الامام ، وقبل المســـئولية الصعبة فى وسط تحف به الاشواك من كل جانب ،

والغريب ، والغريب ، انه لا يجد له مكتبا يعمل منه ، بل لنقل ان مجلة الشعر في اكبر بلدي عربي ليس لها غرفة تصدر منها · كل المجلات لها بيوت ماعدا مجلة الشعر ليس لها بيت،

ونحن نرجو أن يشفق عليها السيد وزير الاسكان ليمنحها ولو غرفة في مدينة ٦ اكتوبر ·· ومع ذلك فلدينا القدرة على أن نحيي هذا الاصدار الجديد مع تمنياتنا بالمزيد ·

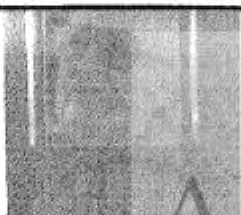
• مكتبة الهلال •



الكتاب : توفيق الحكيم
تأليف : ناجي نجيب
الناشر : دار الهلال
١٦٤ ص، ٣ ج م

هذه دراسة نابهة ومتميزة لا تنخدع بالمظاهر ولا تتأثر بالاقاويل او اوضاع الكتاب التى اكتسبوها لسبب او اخر ، نوع جديد من الكتابة الادبية ، او قل التحليق الادبي الاجتماعي النقدي الذى يتتبع الظاهرة من داخلها دون فرض مسبق او وجهة نظر ضعيفة الافق ، بها تميز ناجي نجيب الذى اختطفته المنية قبل ان يعطى الكثير ، على الرغم من انه اعطى عدة كتب لعل اهمها «كتاب الاحزان» الذى درس فيه الفئات المتوسطة المصرية والمدرسة الرومانسية فى الكتابة الادبية ، ثم دراسة النزعة الى العالمية التى خصص الجانب الاكبر منها عن يحيى حقى ، ثم كتابه عن يوسف ادريس ·

لكنه فى هذا الكتاب يتابع مسيرة توفيق الحكيم الحياتية والادبية بدقة متناهية ، ويورد اراء غاية فى الجراة والشجاعة ، نعتقد انها ستثير الكثير من النقاش فيما سياتى من ايام ، ومما يحتاج الى عرض اكثر رحابة



الكتاب : فوق الحلال والحرام
قصص : احسان عبدالقدوس
الناشر : مركز الترجمة والنشر بالاهرام
٢١٢ صفحة ، ٣ ج م

باسلوبه السلس يكتب لنا احسان عبد القدوس تمع

شهريات

قصص جديدة ، حملت أولاها عنوان الكتاب ثم تلتها » دموع ابني« و«حمل تبادلني»و« حتى لا يكون أحد الزبائن » و « في دنيا الاوهام » و « في درج الذكريات » و «وطردتني من حياتها» و « العمر لحظات » و « الضياع في الصيف والشتاء » ، واغلب هذه القصص تدور حول مشاكل الشباب المعاصر من المصريين ، خاصة ابناء الطبقة المتوسطة ذات الطموح للصعود الى اعلى ، مستعرضا مشاكلهم الاجتماعية وغرامياتهم التي يوقفها للكشف عما يدور في المجتمع المصري من مشكلات ؟ وان كانت بعض المواقف تكاد تكون مستحيلة بالنظر الى الشخصيات وطبيعتها الا ان الهدف الذى يرمى اليه الكاتب هنا يبرر هذا الخروج على نواميس الطبيعة بل والخروج على المنطق الذى يفرضه القارىء من متابعته للعمل .

وتبقى السلاسة التي يكتب بها احسان عبد القدوس مدرسة في القصة المصرية الشعبية وتبتعد عنه بمقدار ما تبتعد عنه الشخصيات الاعتيادية التي يكتب لها وعنها



الكتاب : تاريخ الطبقة العاملة المصرية
تأليف : أمين عزالدين
الناشر : دار الغد العربي
١٠٤٠ ص ، ١٥ ج م

كان امين عز الدين قد أصدر من قبل ثلاثة كتب عن تاريخ الطبقة العاملة المصرية أرخ فيها للحركة العمالية ابتداء من عام ١٩١٩ وحتى ١٩٣٩ ، ومنذ بداية السبعينيات وقراؤه المهتمون ينتظرون أن يكتمل هذا الجهد ، حتى فاجأنا اخيرا بسفره الضخم هذا ، الذى عاد فيه الى كتبه الثلاثة الأولى منقحا ومزيدا ومؤصلا لبحثه حتى اكتمل لنا هذا السفر الكبير الذى سيدخل منذ لحظة صدوره في قائمة الاعمال العربية الضخمة المهمة ، بجوار شخصية مصر لجمال حمدان ، والحراسة الوطنية لطارق البشرى والنزعات المادية في الاسلام لحسين مرة ، تلك الاعمال التي تعبر عن فكر كامل متكامل ، ورؤية خاصة للعالم .

وها هو مؤلفنا يقول : اذا كنت ادعي اكتمال هذا العمل، بمعنى شموله زمنيا لعمر الطبقة العاملة حتى عام ١٩٧٠ ، فانني لا ادعي كماله ، فالجهد الفردى مهما كانت جديته واخلاصه ، يظل قاصرا عن بلوغ غاياته .

ومرحبا بهذا العمل الجليل ، ولنا عودة مستفيضة معه على صفحات الهلال .

نوبل ١٩٨٧

شهرة بلا جوائز





وولى سوينكا   وليام جولدنج

ماركيز   كلود سيمون





هؤلاء فازوا بالجائزة

بقلم : محمود قاسم

لماذا تأخر اعلان اسم الفائز بجائزة نوبل فى الادب هذا العام عن الموعد المحدد ؟

فبعد اكثر من عشرة ايام من اعلان اسماء الفائزين بالجائزة فى كافة الافرع التى تمنح فيها سنويا . فانه لاحس ولا خبر عن اسم الفائز فى فرع الادب .. ! هذا الفائز الذى كثيرا ما يثار حوله نقاش لا ينتهى فهو تارة كاتب مجهول او شاعر مناهض للمعسكر الشرقى او هو صهيونى معروف بميوله العنصرية الواضحة فى ادبه . مثل الشاعر يوسف برودسكى الذى فاز بها هذا العام .

مع كل عام جديد وبدءا من منتصف شهر اكتوبر بالتحديد تتطلع العيون الى اكاديمية ستوكهولم لمعرفة اسم الفائز الجديد بالجائزة .. الجائزة الان تقارب الاربعمائة الف دولار .. لكن قيمتها الادبية أهم من هذا المبلغ .. فبعد ان كانت تعطى هذه الجائزة لكاتب انسانى عالمى . يتكلم بلغة انسان العصر مهما اختلف لونه وعقيدته — كما أوصى بذلك الفريد نوبل — صبغت الجائزة بشكل سياسى سواء تعمد





جونترجراس — با ـ كين Pa - Kin

جراهام جرين — انتونى بيرجيس





النوبوليون المنتظرون دوما

فيها الحديث عن سوينكا فقد عقدت الندوات ودبجت مئات البحوث الادبية عن موهوبين اخرين مثل سوينكا · رغم انه ليس الافضل فى القارة ·· فاذا كان الكاتب المسرحي قد نال الجائزة عن احد دواوينه الشعرية · فان الغرب قد تباكى على الشاعر الفرانكفونى ليوبولد سيدار سنجور الذى قيل انه احق من سوينكا ···· وان فوز هذا الاخير يضيع الفرصة تماما من سنجور الذى عليه ان ينتظر ستة وثمانين عاما اخرى قد تعود فيها الجائزة مرة اخرى الى القارة السوداء ·

ظلم الاديب العربى

الادب العربى ايضا مغبون فيما يتعلق بالجائزة ·· فعلى طول سنوات القرن العشرين لم تمنح الجائزة مرة واحدة لكاتب عربى ·· وقد تباكى العرب دائما على عدم منحهم هذه الجائزة · وقامت الاقلام حادة ضد الاكاديمية تتهمها تارة بالمحيدة تجاه ادب الغرب ، او بالعنصرية ·· واتهامات اخرى معروفة ومتناثرة فى الصحف العربية ليست هى موضوع حديثنا الآن ·

وقد تنبه القائمون على منح الجائزة لهذه الحساسية ، ليس فقط من قبل العرب بل من قبل الدول والقارات التى لم تمنح الجائزة · وايضا من قبل البلاد التى لم تمنح الجائزة منذ سنوات بما فيها السويد وبلاد شمال اوروبا وايطاليا واليونان والدول الاشتراكية واستراليا ·· وامام هذه الحساسية فكر البعض فى ابتداع تعبير جديد يمكن به امتصاص الغضب او ابتلاع الحساسية · هذا التعبير هو « النوبليون » ·· وهو يعنى قائمة طويلة من الادباء الذين

القائمون على منح الجائزة ذلك ام لا ·· فعندما يفوز كاتب ما بها فهذا يعنى فوز وطنه فى المقام الاول ··وفوز الكاتب بهذه الجائزة لا شك سيفتح مجالا للتعرف على ادب بلد هذا الكاتب مثلما يفتح المجال للتعرف على ادب الكاتب نفسه ، حدث هذا للادب فى امريكا اللاتينية عقب فوز ماركيز بها عام ١٩٨٢ · كما حدث ايضا بالنسبة للادباء الافارقة عندما منحت الجائزة لولى سوينكا فى العام الماضى ، تنبه العالم ـ هكذا فجأة الى ان الافارقة يكتبون · وانه من الواجب الاهتمام بما يكتبون ·· وطوال عام ١٩٨٧ ـ التى لم يكف

لم يفوزوا بالجائزة فى هذا العام مثلا . ولكن يمكنهم ان يفوزوا بها فى الاعوام القادمة . وانه لا عيب قط فيهم بسبب عدم فوزهم . وانما الاختيار الديمقراطى المتبع عند منح الجائزة هو الذى يعود اليه تأخر فوزهم . ربما لعام .. أو لاعوام .. المهم ان اسماءهم فى القائمة .. وعليهم الانتظار . ومن يموت منهم قبل ان يجيىء دوره فيكفيه شرف الحصول على لقب « نوبلى » ..

وقد نجحت الاكاديمية بالفعل فى سياستها هذه . ونحن نذكر العام الماضى الذى اعلن فيه ان الدكتور يوسف ادريس والشاعر السورى ادونيس قد اصبحا « نوبليين » فامتلات الصحافة العربية حديثا عن هذه الظاهرة . وعقدت المحاورات مع الكاتبين العربيين حول الجائزة واهميتها وكان شرف الانضمام الى قائمة « النوبلية » يقارب الى حد كبير من شرف الحصول على الجائزة

وفى كل عام وقبل منح الجائزة باسابيع .. ووسط عملية تعتيم شديدة حول اسم الفائز الجديد تتسرب من الاكاديمية قائمة صغيرة تمثل نموذجا لما فى قائمة الانتظار الطويلة . هذه القائمة تتضمن اسماء كتاب من مختلف الجنسيات والعقائد تم ترشيحهم للفوز بالجائزة . فى بعض الاحيان يكون الفائز الحقيقى بالجائزة موجود ضمن القائمة مثلما حدث عام ١٩٨٥ حين فاز بالجائزة كلود سيمون ، وفى بعض الاحيان يختفى اسم الفائز من القائمة النوبلية حتى اذا اعلن عن فوزه تكون المفاجاة الكبرى مثلما حدث مع الشاعر التشيكى ياروسلاف سيفيرت عام ١٩٨٤ والكاتب الافريقى وولى سوينكا عام ١٩٨٦ .

● انتظار بلا امل

ومن يستعرض الاسماء النوبلية سنويا يجد انها تختلف من عام لاخر . مع وجود اسماء ادباء باعينهم ينتظرون الفوز الدائم بها . خاصة الكتاب المشاهير الذين ترى الاكاديمية فى السنوات الاخيرة ان الشهرة التى يتمتع بها الكاتب هى نوع اخر من النوبلية . وان شهرة الكاتب قد تقف عائقا أمام فوزه بها .

من هؤلاء الكتاب المشاهير الذين قد تتجنبهم الجائزة الالمانى جونترجراس والبريطانى جراهام جرين ، والايطالى ليوناردوشاشا ، والامريكى نورمان مايلر ، والكاتب الارجنتينى الراحل بورخيس ، والكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج ، والاديبة نادين جورديمر من جنوب افريقيا .

اما اسماء الادباء الذين تطفو اسماؤهم كل عام فى القائمة انتظارا لجودو الذى لا يصل قط فاغلبهم من العالم الثالث . او من القارتين الاسيوية والافريقية . بالاضافة الى بعض الاسماء فى أمريكا اللاتينية

فمن الصين يتقدم اسم الكاتب المعروف با ـ كين (٨١ عاما) صاحب الرواية الشهيرة « العائلة » التى ترجمت منذ اكثر من خمسة عشر

عاما كاملة الى اللغة العربية . وهى رواية احق بعشرات الجوائز النوبلية عن العديد من الروايات التى فاز اصحابها بالجائزة . هناك ايضا الكاتب الاندونيسى براموبدا انانتاتوير . والروائى اليابانى ياسوشى اينوف . ومن استراليا تضم قائمة الانتظار ايضا الكاتب باتريك وايت الذى يرشح سنويا للفوز بالجائزة منذ عام ١٩٧٣ وهو العام الذى نشرت فيه أعماله فى السويد .

ومن اوروبا نفسها يرشح ايضا اسم الكاتب النمساوى البارون فون شتولتز الذى يقال ان ادبه نموذج للابداع المميز الذى تهتم به اكاديمية ستوكهولم ..

والملاحظ ان اغلب هذه الاسماء مجهولة . ليس فقط بالنسبة للقارىء العربى . ولكن ايضا للقارىء العالمى .. ويكفى ان نسوق هنا مثالا ان با ـ كين الصينى قد ترجمت روايته العائلة الى اللغة العربية قبل ان تظهر فى فرنسا مثلا باكثر من عشر سنوات . اما اينوف اليابانى فانه لا يتمتع باية شهرة تذكر خارج بلاده قياسا الى ما يتمتع به اخرون لا يزالون على قيد الحياة مثل اينوه وكاتو وتانيزاكى .

الغريب ان اسم برودسكى لم يظهر فى القوائم النوبلية هذا العام ولا فى الاعوام السابقة . فكان مفاجأة المفاجآت ليس فقط لفوزه بالجائزة . بل لعدة أسباب منها انه بالبحث فى موسوعة أنباء امريكا . وفى الموسوعة الامريكية المطبوعة عام ١٩٨٤ وفى موسوعة الانباء اليهود العالميين لم يذكر حرف واحد عنه ولا عن



يوسف برودسكى

أهميته . مما يدل ان الاكاديمية قد تأخرت فى تسريب القائمة هذا العام حتى يمكن امتصاص الدهشة بالاضافة الى ان برودسكى هو الكاتب اليهودى الخامس الذى يحصل على جائزة نوبل خلال عشرة اعوام وكلهم أمريكيون جاءوا من الدول الاشتراكية ليعيشوا فى الولايات المتحدة عدا الياس كانيتى البلغارى الذى يعيش فى المملكة المتحدة اما هؤلاء الكتاب فهم صول بيللو (١٩٧٦) ، اسحاق باشفنس سنجر ١٩٧٨ ، كانيتى ١٩٨١ وايلى فيسل ١٩٨٦ (اديب فاز بجائزة السلام) واخيرا برودسكى الشاعر الذى لم يتجاوز السابعة والاربعين . ولم تخرج شهرته من محيط غرفته الصغيرة ..

العالم في سطور

الفاتيكان

العوينات احدث لوحة لليوناردو دافنشى



رسم تفصيلي من احدث لوحات دافنشى

هل يمكن ان يكتشف نص جديد مجهول لكاتب مثل ويليام شكسبير ؟ قد يبدو السؤال غريبا . لكن ما حدث اخيرا يؤكد انه سوف يتم العثور على نصوص جديدة لشكسبير طالما انه تم العثور بالفعل على لوحة مجهولة لفنان عظيم مثل ليوناردو دافنشى صاحب اشهر لوحتين فى العالم « الجيوكندة » و « العشاء الاخير » فبعد اكثر من ٤٥٠ عاما تم العثور على لوحة لدافنشى فى كنيسة سستين التى رسم الفنان اسقفها المستوحاه من قصص التوراة ..

اللوحة التى تم العثور عليها تمثل تفصيلا للعوينات . ويرجح ان دافنشى قد رسمها فى نفس الفترة التى كان فيها يرسم سقف كنيسة سستين . اى بين عامى ١٥٠٨ و ١٥١٢ . وقد تم العثور على اللوحة فى اطار عملية ترميم الاثار والتحف الفنية التى تضمها الكنيسة وهى عملية بدأت فى عام ١٩٨٤ ومن المنتظر ان تنتهى عام ١٩٩٢ ، وقد تم فيهما ترميم لوحات ضخمة ليهودا والنبى داوود . والنبى زكريا . وقد اشتركت عدة دول فى تمويل عملية الترميم مثل اليابان والولايات المتحدة

اكد الخبراء الفنيون فى الفن التشكيلى ان اللوحة تعود بالفعل الى عام ١٥١٢ وانها تنتمى الى مايكل انجلو وانها احدى اللوحات التى كان يميل اليها البابا فى تلك الاونة .

الجدير بالذكر انه قد تم اكتشاف لوحة مجهولة ـ منذ عشرين عاما ـ للفنان المعروف رفاييللو تحت اسم « الفرقة » .. السؤال الان هل يمكن ان تختفى لوحة لفنان كبير مثل انجلو طوال هذه السنوات واين .. فى كاتدرائية مشهورة ..



مالابرته

نابــــــولى

ثلاثون عاما على وفاة الرجل السيىء

احتفلت ايطاليا فى الشهر الماضى بكاتبها الكبير مالابرته بمناسبة مرور ثلاثين عاما على وفاته • وهو احد الابناء الذين ناهضوا الفاشية منذ بدايتها • وقد عانى الكثير من موقفه ضد سياسة موسولينى • ورغم اهميته فانه اقل شهرة فى عالمنا العربى •

ولد مالابرته فى مدينة فلورنسا عام ١٨٩٨ • وعقب اندلاع الحرب العالمية الاولى اجتاز الحدود الفرنسية وانضم الى الجيش الفرنسى • وفى عام ١٩٣١ نشر روايته الاولى «تقنية الدولة» التى تعتبر اول كتاب يحذر من الفاشية ويندد بها • وكان نصيبه من هذا الكتاب خمس سنوات من النفى فى احدى الجزر الايطالية التى عاد اليها مرة اخرى فى الاربعينيات عقابا له على مجموعة مقالات كان يرسلها الى صحيفته التى يعمل بها من الجبهة الروسية •

وقد نادى مالابرته دوما – اثناء سنوات الحرب – بان تنفصل بلاده عن المانيا واعتبر اكثر الكتاب كراهية من قبل الفاشيين • ومنعت رواياته فى العديد من البلاد بما فيها الاتحاد السوفييتى وحول هذه التجربة قدم مالابرته روايته الشهيرة «الجلد» التى اخرجتها السينما الايطالية منذ اربع سنوات وتصور فظائع الاحتلال الاجنبى لايطاليا • والصدام بين ثقافتين • ثقافة سكان مدينة نابولى وثقافة جيش الحلفاء • والصدام يكشف عن كل الجروح الغائرة فى نفسية اهالى نابولى • حيث الفقر الشديد والحرمان • وحيث تباع كرامة الانسان مقابل علبة سجائر وعلى النقيض هناك الارستقراطية الايطالية التى استفادت من الحرب • والتجار الذين شملت تجارتهم كل البضائع ابتداء من تجارة الادميين الى التجارة بالاسرى الالمان •

وقد اعتبر النقاد ان رواية «الجلد» تنال نفس المكانة التى تنالها رواية «الطاعون» لكامى • وهى الرواية المنشورة ايضا فى عام ١٩٤٩ • ومالابرته (وهى كلمة ايطالية تعنى الجانب السيىء) رغم شهرته العريضة فقد كان مقلا كثيرا فى ابداعه • وكانت رواية «الجلد» كفيلة وحدها لكسبه كل الشهرة التى نالها • اما اعماله الاخرى فهناك رواية «كابوت» المنشورة عام ١٩٤٣ • ومجموعة قصصية تحمل عنوان «دم» •

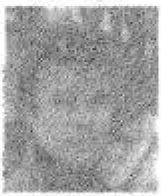
باريس

ادباء .. لاول مرة

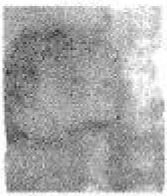
في يوم ٨ سبتمبر الماضي ـ اى بعد انتهاء مؤتمر الاقاليم الثالث بالجيزة بيومين ـ خصص الملحق الادبي الاسبوعي لجريدة لوفيجارو عددا خاصا للاحتفال بعدد خمسين كاتبا ينشرون رواية لاول مرة .. وهؤلاء الكتاب يتمتعون لاعمار مختلفة وجنسيات متباينة واتجاهات فكرية متعددة • منهم من تجاوز الخمسين مثل الفريد ايبل صاحب رواية « الكلب الغريب » • ومنهم من لم يتجاوز الخامسة والعشرين مثل جاك باريسو صاحب رواية « بدون عنوان » والكاتب الصيني يادنج صاحب رواية « السورجو الاحمر » وروضة خميس العربية المولودة في المكسيك.

وقد ضمت قائمة الكتاب الجدد خمس عشرة امرأة • كما ان دور النشر الكبرى هي التي تبنت كالعادة تقديم هؤلاء الكتاب • فقد قدمت

الان سلستر



دان فرانك



جاليمار رواية « رسالتين لصديق » من تأليف بربارا كارلييه و « النباك » من تأليف جنفيف بريساك بينما قدمت البان ميشيل روايات عديدة مثل رواية « يوميات امرأة خجول » لماري صوني ونشرت جراسية رواية « السيمفونية البيزنطية » لجان اوليفييه تيرسكو • كما تنافست بقية دور النشر في تقديم الروايات الاولى لادباء اخرين

وقد وجد الكاتب العربي فرصة نشر روايته الاولى من خلال رواية « مكتوب » للكاتب المغربي جيل زنو الذى يقوم بتدريس الادب العربي في جامعات باريس •

الظاهرة العامة لهذه الكتب انهما مطبوعة بطريقة فاخرة • وانها مرتفعة الثمن ورغم عدد الصفحات التى افردها الملحق الادبي للفيجارو ـ وكذلك ابواب الكتب في مجلة الاكسبريس ولوبوان ـ فان هؤلاء الكتاب لم يتم تقسيمهم حسب الاقاليم التي ولدوا او جاءوا منها • كما لم تطلق عليهم تسميات مشبوهة مثل الاديب الشاب • او الاديب الصاعد • واكدت لوفيجارو انه لا توجد ازمة نشر وان اغلب هذه الروايات قد ظهر في فترة قصيرة • وسوف تحصل مجموعة كبيرة من اصحاب هذه الروايات على نصيب الاسد في الجوائز الادبية السنوية التي تعلن في الاسبوع الثالث من نوفمبر الحالي • مثل جائزة جونكور وفيمينا وميدتشي .. وسوف تخصص الهلال مقالا قريبا حول هذه الظاهرة عندما تصدق توقعاتها بفوز هؤلاء الادباء بالجوائز الادبية الفرنسية لعام ١٩٨٧



شارل فانيل . جبل في الخامسة والتسعين

لـــــــــــندن

البطولة لنجوم يقتربون من المائة عام ..

شيوخ السينما الذين يقتربون من المائة عام عمراهم « الجان بروميير » للافلام التى تعرض الان فى مهرجـانات السينما الدولية وحور المعـــرض العالمية .. النجم الفرنسى شـــارل فانيل ـ مولود عام ١٨٩٢ ـ قـــام بالبطولة المطلقة فى فيلم « اذا لــم تعد الشـــمس قط » من اخراج السويسرى كلود جوريتا الذى عرض فى المسابقة الرسمية لمهرجان فينسيا. وهو يعمل فى السينما منذ عام ١٩١٢ بلا توقف . عمل فى اكثر من ثلاثمائة فيلم . ولم يتوقف يوما عن العمل فى التمثيل . من اشهر افلامه « ثمن الخوف » امام ايف مونتان عام ١٩٥٥ حيثقاما بدورى سائقى شاحنة محملة بسائل النتروجلسرين الشديد الانفجار تسير فوق طرق وعرة .

اما فيلم « حيتان اغسطس » الذى اخرجه الانجليزى ليندساى اندرسن فقد ضم ثلاثة من نجوم الســـينما تجاوز اثنان منهم التسعين . امـــا الثالثة ـ بيتى دافيز ـ فانها تقترب من التسعين بسنوات قليلة .

اسند اندرسن دور البطولة المطلقة الى نجمة السينما الصامتة ليليـــان جيش والى ممثل ادوار الرعب الممثل المعروف فنسنت برايس .

وليليان جيش مولودة ايضا عـــام ١٨٩٨ وقد اسند اليها جريفث بطولة عشرين فيلما وهى لم تتجاوز السادسة عشرة بعد وقد صـــنع منها فيــلم « الزنبقة المحطمة » عـام ١٩١٩ نجمة ذات صيت عـــالمى . ثم انقطعت عن العمل بالسينما الى ان اعادها كنج فيدور الى العمل عام ١٩٤٦ بفيلمــه المشهور « صراع فى الشمس » وفى عام ١٩٥٥ عادت مرة اخرى بفيــلم « ليلة الصيادين » وتتحدث حـــول نفسها قائلة : « لم اكن ابدا صبيــة جميلة » وفى فيلمها الاخير تقـــوم بدور شقيقة لبيتى دافيز وتعيشان معا فى منزل صيفى . تجيء اليه البنات الصغيرات لمشاهدة حيتـــان شـــهر اغسطس . انهن صورة مكررة للبنات البنات اللاتى جئن لمشاهدة الظاهرة وكان العالم لا يتغير ..

جنـــــــــــيف

نساء .. فى خدمة القضية الفلسطينية

منحت الشهر الماضى « ســـبتمبر » جائزة اليونسكو السنوية الخاصة «

« بالتعليم من أجل السلام » ، للصحافية السويسرية لورنس ديونا ، وهي كاتبة معروفة ، متخصصة في شئون الشرق الاوسط عاشت الحروب العربية - الاسرائيلية منذ سنة ١٩٦٧ حيث كانت في الاردن وشاهدت الغزو الاسرائيلي للضفة الغربية ، ولها عدة كتب حول العالم العربي من بينها « اليمن الذى شاهدت » ، « والمرأة في الكويت بين الحصير والمقعد الوثير » « وكتابها الاخير الذى حصلت على جائزة اليونسكو من أجله بعد اعداده فيلما باسم « الحرب من خلال صوتين » يتضمن لقاءات حية لزوجات للشهداء في حرب اكتوبر ٧٣ من



مصريات وكذلك عدة سيدات اسرائيليات فقدن أزواجهن في هذه الحرب .

وقد اختارت المؤلفة عدة نماذج لسيدات من الفلاحة الى استاذة الجامعة ، فجاء كتابها معبرا عن نبض النساء . كما اعدت المؤلفة فيلما عن الكتاب وصورت لقاءات حية مع السيدات المصريات اللاتى التقت بهن عند تاليف الكتاب . وقد اخرج الفيلم المخرج الشيلي خوزيه مالدانسكي الذى سبق له اخراج فيلم عن اطفال صبرا وشاتيلا .

هذا وكان من ضمن لجنة التحكيم التى منحت الصحافية السويسرية الجائزة الزعيم النمسوى السابق برونوكرايسكي والرئيس السنغالي ليوبولد سنجور وعميدة كلية الحقوق بالكويت الدكتورة بدرية العوضي .

وفي اطار المؤتمر الرابع للمنظمات غير الحكومية حول القضية الفلسطينية التقى العالم في سطور بالسيدة هانا هيوب ابنة الكاتب المعروف برتولت بريخت والتى اكدت مدى سعادتها لان اباها مقروء في العالم العربي على نطاق واسع ، وذلك على العكس من موطنه الاصلي المانيا الاتحادية ، حيث لا تزال بعض اعماله مصادرة ولا يسمح بتقديمها ، خاصة في منطقة البايرن : التى يترأس حكومتها السيد شتراوس . ففي السنوات الاخيرة اعيد فرض الرقابة على بعض اعماله من جديد مثلما حدث منذ أربعين عاما .

رسالة سويسرا :

بقلم : جميل عطية ابراهيم

صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الفنية المعاصرة ..

معرض الفنان المصري السويسري حميد زكي

العلاقات الفنية بين مصر وسويسرا في مطلع القرن

معرض الفنان المصرى السويسرى حميد زكى
الذكرى العشرون لرحيل الفنان العام القادم والبحث عن العلاقات الفنية بين مصر وسويسرا فى مطلع القرن .

تعرض حاليا قاعة عرض فنية معروفة فى مدينة بازل ٤٠ لوحة زيتية للفنان المصرى - السويسرى الراحل حميد زكى (١٩٠٩ - ١٩٦٨) .

وقصة هذا الفنان مليئة بالطرافة ، وقد اثرت فيها الأحداث السياسية التى جرت بمصر فى الربع الاول من هذا القرن ، واهمها عزل الخديو عباس حلمى الثانى ، وقد عاش معظم حياته فى سويسرا وتوفى بها سنة ١٩٦٨ بعد اصابته بالسرطان . واذا كان الفرد ليس بمقدروه اختيار ابويه او موضع وزمان مجيئه الى الدنيا ففى مقدوره اختيار مهنته فى الحياة ، وقد اختار حميد زكى الفن منذ صباه واخلص له ، وشق لنفسه طريقا فى الحياة الفنية فى سويسرا .

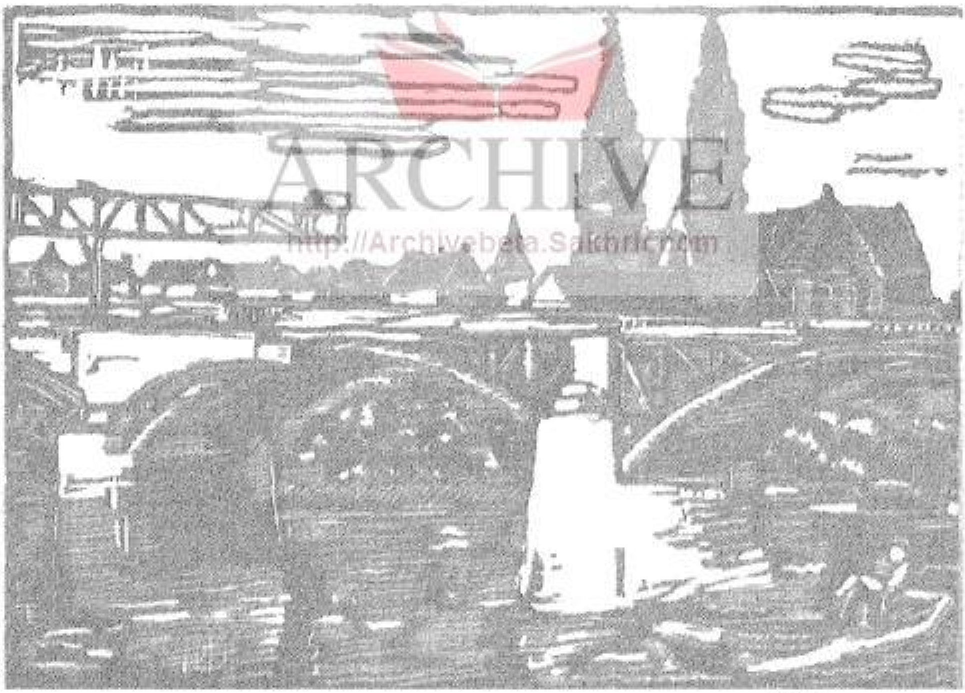
معرض الفنان حسين بسويسرى

واعمال الفنان حاليا موزعة على عدة متاحف فى زيوريخ وبازل وفى حوزة عدة بنوك وشركات للادوية والعديد من الافراد بالاضافة الى ماتركه لأسرته . وقد نشرت عنه دراسات عديدة فى الصحف والدوريات الفنية ، واذا كانت اعماله الفنية باقية ودراستها متيسرة لمن يرغب ، فان قصة هذا الفنان قد بدأت تغيب تفاصيلها ويطويها النسيان ، بفعل كر السنين فيما عدا المحطات الفنية أو العلامات البارزة فى حياته التى ارّخت لها الادبيات الفنية وكتالوجات المعارض .

● البداية : مصر فى مطلع القرن

الوالد هو « حسين بك زكى » مهنته محام ويعمل فى بلاط الخديو عباس حلمى الثانى، ولاتزيد الدراسات التى نشرت عنه عن هذا القدر ، ولاتوضح اذا كان الوالد يمت بصلة قرابة الى الخديو وعائلته ام

حفر على الخشب من أعمال حسين زكى





لا ، وان كان بعضها يشير بطريقة غامضة الى الصلة القوية بين والده والخديو عباس حلمى الثانى .

وهذه النقطة الخافية قد اثرت فيما يبدو تاثيرا كبيرا على مسار الفنان وحياته ، كما يتضح من تسلسل الاحداث ، فقد دفع الفنان ثمن خلع الانجليز لعباس حلمى الثانى فى ديسمبر ١٩١٤ وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا لمصر ، وتغيرت مسارات حياته ، وساءت علاقاته بالعائلة .

ولنرجع ثانية الى الوراء عدة سنوات حيث كان « حسين بك زكى » يمتلك قصرا فى سويسرا فى مدينة « تون » السياحية على بحيرة تقع فى سفح جبال الالب الشهيرة ، ولم يكن ذلك غريبا أو مستغربا بالنسبة لمحام على مقربة من خديو مصر فى ذلك الحين فقد كانت سويسرا فى مطلع القرن تعانى من مشاكل اقتصادية وتسمح للأجانب بتملك القصور على اراضيها ، وتزوج « حسين بك زكى » من فتاة سويسرية من مقاطعة بازل انجبت له بنتا توفيت صغيرة وبعد ذلك انجبت حميدا .

وقد عاشت الزوجة السويسرية مع ابنها حميد بين مصر وسويسرا ، وكان الوالد يمتلك قصرا فى منطقة « مصر الجديدة » ووفقا لرواية الزوجة الأولى للفنان ، وقد تعرفت على والدته لسنوات طويلة قبل وفاتها ، انها كانت تتحدث العربية وسعيدة بالعيش فى مصر على الرغم من ان « حسين بك زكى » كانت له زوجات اخريات .

وقد ولد حميد زكى فى مدينة « تون » فى ١٠ ابريل ١٩٠٩ ، ولم اجد تفسيرا لمولد حميد فى مدينة « تون » سوى ان والدته قد أتت لسويسرا للوضع ، والعودة ثانية بالمولود الى القاهرة .

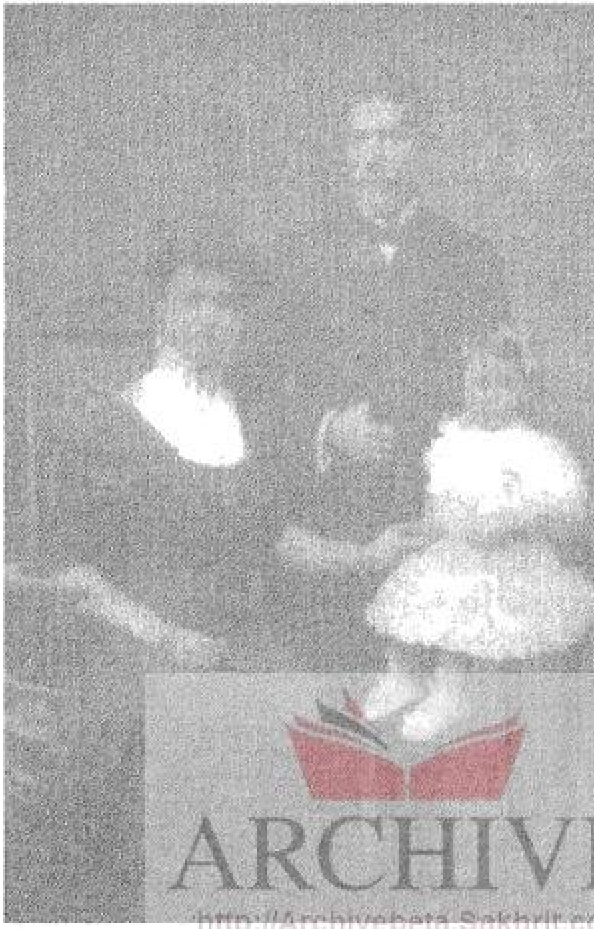
ووفقا لرواية زوجة الفنان ، فان حميدا قضى طفولته فى مصر ، وكذلك شبابه المبكر ، وان امه كانت تتحدث العربية بطلاقة ، وان والده اطلق عليها اسم « ساليكا » وحتى هذه اللحظة لم اجد تفسيرا مقنعا لهذا الاسم الغريب عن العربية "ساليكا" سوى أن عائلة حسين بك زكى كانت تتحدث التركية لا العربية ، ولم يكن ذلك غريبا بالنسبة لأهل البلاط فى ذلك الحين .

والشىء المؤكد بهذا الخصوص هو اتقان حميد للغة الفرنسية وتعلمه لها فى القاهرة ، وقد وجدت اوراقا باللغة الفرنسية بخط يده .

وربما يوضح لنا الاستاذ الكبير يحيى حقى اطال الله فى عمره حقيقة هذا الاسم ، فما من مرة سالته فيها عن فرد من اهل البلاط فى تلك الفترة الا واخبرنى بحسبه ونسبه وعنوان مسكنه ومهنته ، وما يهمنا فى هذه المرحلة هو مولد حميد زكى فى ١٠ ابريل ١٩٠٩ فى مدينة "تون" ولا خلاف حول هذه النقطة فقد سجلتها كافة الدوريات التى تعرضت لحياته .

● مرحلة غامضة فى حياة الفنان

أكثر المراحل غموضا فى حياة هذا الفنان هى مرحلة الطفولة والصبا ،



صورة نادرة لوالد الفنان حسين بك زكي ووالدته السويسرية ناديا

وتختلف حولها الروايات فى ادبيات الحركة الفنية السويسرية ، فبعضها يشير الى انه قدم مع والدته الى مدينة بازل للدراسة فى مدارسها سنة ١٩١٦ بعد عزل الخديو بعامين وعمره سبع سنوات ، وبعضها الآخر يشير الى انه قدم الى بازل فى سن متأخرة فى سنة ١٩٢٥ ، ووفقا لرواية زوجة الفنان فانه بقى فى القاهرة حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ثم حضر الى بازل بعد ان دب خلاف بين حميد ووالده حول المهنة ، فقد اختار حميد الفن مهنة له بينما كان الأب يدفعه لدراسة المحاماة ، فغادر الابن القاهرة غاضبا وحضر الى سويسرا ـ معتمدا على اخواله ـ لدراسة الفن .

واذا كانت المراحل السابقة مجهولة لنا ، فانه من المؤكد بعد ذلك انه قد سافر الى فرنسا فى الفترة من ١٩٢٥ ـ ١٩٢٨ لدراسة الفن فى مونتمارتر وانه فى اثناء ذلك قام بعدة رحلات فنية الى جنوب فرنسا وجنوب اسبانيا وجنوب ايطاليا .

ثم يعود الفنان الى مدينة بازل سنه ١٩٣١ ويفتتح له مرسما خاصا ويلتحق بمعهد للفنون التطبيقية فى بازل لمتابعة دراسته الفنية .

وقد تمكن حميد زكى فى هذه الفترة من تحقيق نجاحات فنية ، فعرض فى صالون المستقلين فى باريس سنة ١٩٣٠ ، وكذلك فى صالون الخريف فى باريس سنة ١٩٣١ .

● الانغماس فى الحركة الفنيــة السويسرية

كانت سنة ١٩٣٨ حاسمة بالنسبة للفنان ، ففى هذه السنة قبل عضواً فى رابطة الفنانين فى بازل وهى رابطة فنية لها تقاليد عريقة ، وفى تلك السنة يصدر ناقد سويسرى هو الفريد بادر كتابا حول عدد من الفنانين باسم "رسائل الى الفنانين" يضمنه مقالة نقدية حول اعمال حميد زكى وينشر لوحة من اعماله فى الكتاب .

وهذه المقالة النقدية تحلل اعمال الفنان بصفة عامة ولوحته "الميناء" بصفة خاصة ، ويشير فيها الناقد الى الدماء الحارة التى تجرى فى عروق هذا الفنان ويؤرخ له ، ويعرض للوحته من حيث البناء الفنى وطريقة توزيع الالوان الدافئة والباردة فى اللوحة ، وخبرة الفنان بنيل مصر ، ويشير اليه بصفته مصريا قضى طفولته وصباه الى جوار النيل واختزنت ذاكرته صور المراكب .

وقد استمر حميد زكى يعرض اعماله الفنية فى معارض رابطة الفنانين منذ سنة ١٩٣٨ والى حين وفاته سنة ١٩٦٨ .

● الغياب عن مصر

أشرنا فى مقدمة المقال الى ان حميد زكى قد دفع ثمن عزل الخديو عباس حلمى الثانى من حياته ، فبعد طرد الخديو ساءت الاحوال المالية لوالده ، واعتقد حميد أن والده يحجب عنه المال اللازم لدراسته الفنية ليدعم به الخديو المخلوع أو ينفقه على ملذاته ، وظل حميد على هذا الظن حتى وفاته سنة ١٩٦٨ .

وقد باع حسين بك زكى القصر الكائن فى مدينة "تون" قبل وفاته سنة ١٩٣٨ بفترة ، وتشير قرائن عديدة الى ان الفنان ووالدته السويسرية لم يتلقيا دعما من "حسين بك زكى" طوال فترة الدراسة والاعداد ، وانه كان يعتمد على عائلة والدته السويسرية فى معيشته ، مما زاد من عمق الجرح فى نفسه وجعل القطيعة بينه وبين عائلة والده فى القاهرة نهائية .

وبعد النجاح الفنى الذى صادفه حميد زكى سنة ١٩٣٨ بقبوله عضوا فى رابطة الفنانين ، حصل على منحة دراسية سهلت له فيما بعد الحصول على الجنسية السويسرية .

وهذه النقطة ليست معروفة على وجه الدقة ، ففى رواية زوجة الفنان الأولى التى اقترن بها فى الفترة من ١٩٤٥ ـ ١٩٦٢ ، اخبرتنى انه احتفظ بالجنسية المصرية بالإضافة الى الجنسية السويسرية بسبب الأجراءات البيروقراطية التى كانت تحتم صدور قرار من الملك فاروق باسقاط الجنسية أو رفعها عنه للسماح له بالحصول على الجنسية السويسرية ، وقد نصحه احد القناصل بالسعى للحصول على الجنسية السويسرية دون اخطار الحكومة المصرية ، وقد فعل ذلك وفقا لرواية هذه السيدة وظل محتفظا بجنسيته المصرية الأصلية .

وتشير بعض المقالات الى انه حصل على الجنسية السويسرية سنة ١٩٤١ الا ان بعض الدراسات تشير الى انه قد حصل على الجنسية فى وقت مبكر .

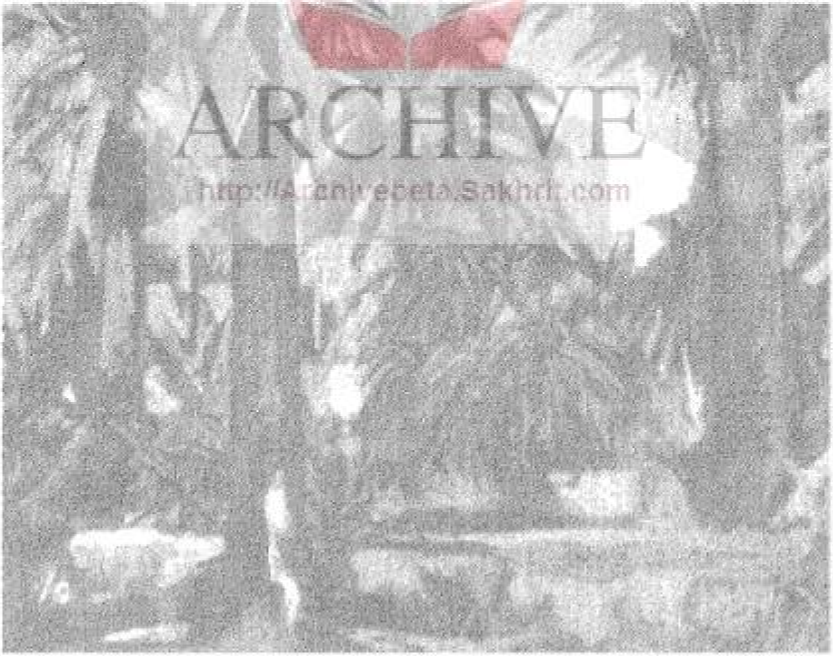
● فترة العطاء الفنى الخصب

يمكن القول ان فترة العطاء الفنى المتميز قد تأكدت بحلول سنة ١٩٢٨ والى حين وفاته ، فقد تنوعت موضوعاته من المناظر الطبيعية الى الطبيعة الصامتة الى تصوير الشخوص .



ديانا ابنة الفنان حميد زكى

لوحة للفنان حميد زكى تؤكد مدى اقترابه من جوجان



معرض الفنان المصرى السويسرى

وحدد احد النقاد المراحل الفنية للفنان بقوله انه اقترب فى مرحلة من المراحل من جوجان وفى مرحلة اخرى اهتم بالايقاع فى اللوحة عن طريق اللون والزخرف .

وتوجد مجموعة لوحات له لوجوه نسائية مصورة على ارضية ذهبية تشبه الايقونات وان كانت الوجوه النسائية فيها سمراء قادمة من جنوب مصر .

● مكانة الفنان فى الحركة التشكيلية السويسرية

سبق أن ذكرنا أن الفنان اخذ مكانته الفنية فى الحياة الثقافية منذ سنة ١٩٣٨ ، وأصبحت لوحاته تباع بأسعار مرتفعة ، وفى تلك الفترة كانت تعاصره كوكبة من الفنانين منهم على سبيل المثال ايرين تسوركندن ، فالتر ويمكان ،

الانسان والطبيعة الخلابة . عملا لوحات الفنان المصرى حميد زكى



نيكلاوس شتوكلين ، باومان ، وولف ، بارت وغيرهم .

غير أنه من الملاحظ أن حميد زكى لم ينضم أو يعمل تحت لواء الجماعة الفنية التى كونها هؤلاء الفنانون والتى عرفت فى تاريخ الفن بجماعة ٣٣ ، وهى الجماعة الفنية التى تشكلت لمقاومة الافكار النازية قبل اشتعال الحرب العالمية الثانية بواسطة المعارض الفنية والملصقات والندوات سلاحا للمقاومة فى الوقت الذى شاعت فيه الافكار النازية وتدفقت على سويسرا الألمانية مع تدفق موجات نهر الراين .

وليس سرا أن المبادىء النازية فى البداية صادفت إعجابا من الشباب الغر وبعض القطاعات من أصحاب الفلسفات البالية وقطاعات من رجال الأعمال الذين ارتبطت اعمالهم بالمانيا النازية ، وكانت حركة شرسة خاضها هؤلاء الفنانون فى شجاعة حتى تكشفت فظائع النازى والتحقت الجماهير العريضة بالمقاومة .

وبالبحث فى ادبيات هذه الحركة ومنشوراتها لا توجد اشارة صريحة او ضمنية لاسهامات حميد زكى فى هذه الحركة السياسية الراديكالية .

وقد أوضحت لى زوجة الفنان الأولى ان زوجها على الرغم من صداقته لافراد هذه المجموعة فانه كان لا يشاركها نشاطها السياسى ولا يشغل نفسه بنشاط آخر غير الفن ، وأنه كان مشغولا بفنه ليلا ونهارا ، ولحظات راحته القليلة بعد النوم والطعام كان يقضيها على المقاهى ، ولم يكن مشغولا بشىء آخر فى الحياة سوى اتقان فنه وتجويده ، ولهذا لم يكن مستغربا عدم اسهامه فى هذه الحركة الراديكالية .

ولكن هذا التبرير ليس مقنعا ، وربما توجد أسباب اخرى دفعت حميد الى الابتعاد عن هذه المجموعة ، منها احساسه بمصريته وقد ترددت مصر كثيرا فى اعلان الحرب على المانيا النازية ، كما ان المانيا النازية كانت تبدى تعاطفا مع تركيا ، وربما عدم حصوله على الجنسية السويسرية فى وقت مبكر منعه من الانغماس فى السياسة حيث تحرم القوانين والأعراف على الأجانب مزاولة الأنشطة السياسية ، ولكن كل هذه الاقوال من قبيل الظن ، ويجب الا يعتد بها حتى تسند بالبراهين ، وان كانت هذه الفروض نابعة من الشخصية المصرية التى نشأت فى مطلع هذا القرن حين كانت مصر تحت السيادة العثمانية من الناحية الاسمية وتحت الحماية الانجليزية من الناحية الفعلية .

● جياكوتى مدرسة بمفردها

والملاحظة الثانية حول علاقات حميد زكى ، هى عدم نشأة علاقة بينه وبين النحات السويسرى جياكومتى ، وهذه ظاهرة ليست مقصورة على حميد زكى وحده ، ولم تهتم المجموعة الفنية التى اشرنا لها سابقا بهذا الفنان العظيم ، فقد كان هذا الفنان مجددا اكثر مما ينبغى فى نظر هؤلاء الفنانين ، كما ان جياكومتى كون شهرته - فى البداية - فى فرنسا لا فى سويسرا .

ووفقا لرواية زوجة الفنان الأولى فأن حميد زكى لم يهتم بجياكومتى مطلقا سواء فى سويسرا او فرنسا ، وكان يراه مجددا الى الدرجة التى لا تسمح له بتذوق اعماله او الاعجاب بها ، وكان انتاجه النحتى مخالفا لخبراته الفنية التى تربى عليها فى مطلع القرن .

العالم غدا

● موسم الهجرة الى الصحراء

عقد أخيرا في الوادى الجديد المؤتمر الاول لتنمية محافظات مصر الصحراوية · ويجىء هـذا المؤتمر كواحدة من المحاولات المتكررة للتغلب على التكدسين السكانى والحضرى فى وادى النيل ·

وقد ناقش المؤتمر ٥٠ بحثا تناولت الامكانات الزراعيـة والصنـاعية والسياحية للمناطق الصحراوية بهدف انشاء مناطق جذب حضرى جديدة ، وذلك ـ كما دعت احدى دراسات المؤتمر باتباع اسلوب تنموى يعتمد على انشاء قرى صحراوية زراعية صناعية ، تتميز بطابع بيئى وعمارى خاص ، ونشاط حرفى وانماط حياة مناسبة · هذا ولم تغفل الابحاث الانشطة الخاصة بحماية الحياة والمنشآت من تعديات البيئة ·

وانتهى المؤتمر الى توصيات مختلفة فى مجالات التنمية الزراعية والموارد البيئية والصناعية والاعداد البشرى · وتضمنت هذه التوصيات

● تشكيل مجموعات عمل متخصصة لتنفيذ الدراسات المقدمة للمؤتمر ·

● رسم خريطة للمياه الجوفية على مستوى الجمهورية ·

● ادخال محاصيل غير تقليدية تقاوم الملوحة والجفاف ، فى الزراعة الصحراوية ·

● التركيز على التعليم الزراعى والصناعى والارتقاء بمؤسساته الى مستوى المراكز الانتاجية للصناعات البيئية ··

● ضرورة البت بسرعة فى تنفيذ مجمع فوسفات « ابو طرطور » ·

وقد شغلت محافظة الوادى الجديد مساحة كبيرة من اعمال المؤتمر ، بعد ان اكدت الابحاث ان الاراضى القابلة للاستزراع فيها تقدر بحوالى ٤٣٢ الف فدان ، بينما لا تزيد المساحة المزروعة على ٤٣ الف فدان ، رغم وجود مصادر مائية تكفى لزراعة ١٠٠ الف فدان · ولهذا تضمنت التوصيات ربط خطتى التنمية وتشغيل الشباب فى المحافظة ·



تصميم سيجارة جديدة

صممت شركة امريكية للدخان والسجاير (رينولدز) سيجارة جديدة ستطرح في الاسواق على سبيل الاختبار مع عام ١٩٨٨ ·

وتشبه السيجارة الجديدة في الهيئة والمذاق ، بل وطريقة الاشعال ووقت التدخين السيجارة العادية ، لكنها تختلف عنها من حيث عدم احتراق التبغ ذلك أن الذي يشتعل فيها هو وقود كربوني يثبت في طرف السيجارة ·· ويؤدي احتراق الوقود الى ارتفاع موضعي في درجة الحرارة يسخن الهواء الذي يسحبه المدخن عند أخذ نفس من سيجارته·وحين يمر الهواء الساخن عبر التبغ يطلق ما يحويه من ابخرة عطرة ونيكوتين، يحصل منها الدخن ، حين تضاف الى اكاسيد الكربون الناتجة عن الوقود المحترق ، على نكهة شبيهة بنكهة السيجارة العادية ، كما تشبع حاجته الى النيكوتين · دون دخان احتراق التبغ الذي يحتوي على القار وغيره من الكيماويات الضارة ، التي تعد من الاسباب الرئيسية ، حسب الاعتقاد السائد ، في سرطان الرئة وامراض القصبة الهوائية ·

وان كان المتوقع الا تتسبب مثل هذه السجائر في اضرار صحية للمحيطين بالمدخن · لعدم وجود الدخان ، الا انهما لا تفترق عن السجائر العادية من حيث وقوع المدخن في اسر الادمان الذي ينشأ اصلا من تأثير النيكوتين على الدماغ، ولا تفترق عنها ايضا من حيث التأثير الضار لابخرة التبغ على رئتي المدخن· اضف الى ذلك أن غالبية الوفيات الناجمة عن التدخين تحدث بسبب امراض الشرايين ، والشرايين التاجية على وجه الخصوص ، وفي الغالب نتيجة استنشاق اول اكسيد الكربون وتأثير النيكوتين · وهكذا تظل السيجارة الجديدة التي لا يحترق فيها التبغ ذات اضرار كبيرة على صحة المدخن ··

ومن الجدير بالذكر ان احصاءات منظمة الصحة العالمية تبين تزايدا مطردا في نسبة المدخنين ببلدان العالم الثالث (المتخلف) رجالا (٧٠٪) ونساء (!) ، بينما تتناقص باطراد نسبة المدخنين في البلدان الصناعية ··

من أجل عيون الاسد

خلال احد عروض السيرك في كراسنويارسك (الاتحاد السوفييتي) انتبه المروض ايفان روبان الى ان احد الاشبال (اسمه لورد وعمره ستة شهور) تلفه حالة من الاضطراب الشديد ، عند الاقتراب مع زملائه من جانب الحلبة الايمن · وبين



الفحص الطبى للشبل فيما بعد انه مصاب باعتام فى عدسة العين ..

وهكذا وجد المروض نفسه فى موقف لا يحسد عليه ، فهذا الاعتام يجعل الشبل شبه أعمى،ويقضى على اية سيرة محتملة له فى عالم السيرك ، لتصبح حديقة الحيوان افضل مصير يمكن توقعه له ..

ولجأ المروض الى مركز الجراحات الدقيقة للعين فى كراسنويارسك ،الذى قرر ضرورة الاستعاضة عن عدسة عين الشبل بعدسة اصطناعية. ورغم موافقة المروض لم تنته المشكلة ، وكان على الاطباء ان يأخذوا بعين الاعتبار ان الشبل مازال فى مرحلة النمو لهذا يجب ان يركبوا فى عينه عدسة تناسبه حين يكبر . وكشفت دراسة عين اسد اكبر ان قطر العدسة اكبر بنحو خمسة ملليمترات مقارنة بعدسة عين الانسان وان حدقة عين الاسد تتسع فى الظلمة بشكل يزيد زهاء ٣ مرات ..

ولم يكن امام الاطباء الا اللجوء الى الكمبيوتر الذى بين ان العدسة التى يحتاجها الشبل يجب ان تكون اثقل ٢٠ مرة من العدسات التى يستخدمونها فى جراحات عيون البشر وجاء دور مهندسى معهد البحث العلمى للجراحات الدقيقة فى موسكو ، حيث جرى صنع العدسة المناسبة لعين الشبل ، قبل ان يتمدد الشبل المخدر على طاولة العمليات بين ايدى الجراحات .. وذلك قبل ان يعود الى حلبة السيرك يصول ويجول بين اقرانه دون خوف او اضطراب ..

● بنك لمعلومات البيئة والموارد

تشيد الامم المتحدة حاليا شبكة كمبيوتر تتعامل ، على نطاق واسع ، مع المعلومات العلمية الخاصة بالتغيرات البيئية التى تصيب كوكبنا وذلك من اجل مساعدة مخططى التنمية والمختصين على اتخاذ قرارات رشيدة . ويستخدم بنك المعلومات المعتمد على هذه الشبكة اجهزة كمبيوتر قادرة على القيام بـ ١٢ مليون عملية حسابية فى الثانية الواحدة .

ويسعى البنك الى الحصول على الاعتراف العالمى باعتباره ضرورة علمية وتنموية فى نفس الوقت . وقد تلقى البنك مساعدات كثير من المنظمات القطرية والدولية والمؤسسات الصناعية الخاصة والجامعات ، الامر



الذى ساعد على اتمام مرحلته الاولى بتكاليف لا تتجاوز ٢٫٥ مليون دولار .

ويقول الدكتور مصطفى كمال حلمى المدير التنفيذى لبرنامج الامم المتحدة الخاص بالبيئة ، ان البنك الجديد سوف يساعد البلدان الاشد فقرا على ادارة وتنمية مواردها واتخاذ قرارات بيئية رشيدة ، كما انه سيكون فى خدمة العلماء الراغبين فى فهم افضل الظروف البيئية .

والمجالات التى يهتم بها البنك تتضمن صحة الانسان ، ومياه المحيطات ، والموارد المتجددة ،والمناخ، وعمليات التلوث الطويلة الامد . لكن الجديد فى نشاط هذا البنك ليس المعلومات التى كانت موجودة ومتاحة قبل انشائه ، وانما عمليات تحليل المعلومات ومعالجتها بشكل يساعد على استخدامها ميدانيا .

والمركز الرئيس للتحكم فى عمليات البنك موجود فى العاصمة الكينية نيروبى (مقر برنامج الامم المتحدة الخاص بالبيئة) اما مركز اعداد وتحليل المعلومات فيوجد فى جامعة جنيف فى سويسرا ، وتقدم وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) مساعدات فنية وهندسية للبنك ..

● عام دولى لمحو الامية

✲ تشهد القاهرة اول ديسمبر المؤتمر العربى للتخدير (تحضره ٣٠ دولة) الذى يناقش قضايا التخدير لزراعة الاعضاء وجراحات المخ والقلب المفتوح ، وذلك بالاضافة الى وسائل العناية المركزة وتخدير مرضى نقص المناعة الناشىء عن استعمال ادوية علاج السرطان ومنع طرد الاعضاء ، او نتيجة الاصابة بمرض الايدز .

✲ وصلت الى لوس انجلوس مومياء فرعونية لسيدة عمرها حوالى الاربعين تاريخها الى ١٥٠٠ ق . م حيث ستجرى عليها اختبارات تستمر ستة شهور بهدف دراسة الاساليب الكفيلة بحماية قريناتها وذلك عن طريق تطوير بيئة اصطناعية تؤخر احتمال تعفن اعضاء المومياء ، وتساعد على عرضها للجمهور .

✲ صدر قاموس الدكتور حسين محمد فهمى الشافعى للالفاظ القرانية وييسر القاموس الجديد الاستدلال على أى من الفاظ القران الكريم دون الحاجة الى تخصص فى قواعد اللغة حيث يرتب القاموس الالفاظ طبقا للصورة الاملائية للكلمة (دون رجوع الى مصدر اللفظ ومشتقاته كما هى حال المعاجم الاخرى) .

ويشتمل القاموس بهذا النحو على جميع الفاظ القران ولا يقتصر على الاسماء والافعال مع الاشارة الى السورة والاية وموقع اللفظ منها ..

✲ اعلن وزير التربية الكويتى خلال اليوم العالمى لمحو الامية قرارا بالزامية محو الامية فى الكويت ،

امتثالا لامر الاسلام بالقراءة وطلب العلم ، وحرص الكويت على التقدم العلمى ·· والمعروف ان مكافحة الامية صارت واجبا الزاميا فى الكويت بموجب قانون صدر عام ٨١ · وقد حدث انخفاض فى نسبة الاميين ما بين تعدادى ١٩٧٥ و ١٩٨٥ من ٦٠ر٤ فى المائة الى ٦ر٤٤ فى المائة وتولى وزارة التربية ـ كما اعلن الوزير ـ اهتماما كبيرا بالتعاون مع اليونسكو ، الذى يعد لعام دولى لمحو الامية ، بالاضافة الى التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والجهاز العربى لمحو الامية ، والمكاتب الاقليمية لتعريب بيانات تعليم الكبار ·· بهدف تبادل المعرفة والخبرات ··

● اليابان والعودة الى العصر الحجرى

فى حوار تم بين رئيس وزراء اليابان ياساهيرو ناكاسونى والفيلسوف تاكيشى اومهارا ، ونشر بمساحة مدفوعة الاجر فى مجلة تيجى شنجو قال الرئيس انه يعتبر دعوة الفيلسوف للعودة « الى نقاء العصر الحجرى » احد اهم المساهمات التى اسداها للحياة الثقافية فى اليابان

ويعد اومهارا اول القائلين بفكرة نقاء العصر الحجرى والمدافعين عنها ، وقد عين اخيرا مديرا لـ « مركز الابحاث الدولية للدراسات اليابانية » الذى انشىء بدعم من ناكاسونى نفسه

وقد جرت الدعوة الى « نقاء العصر الحجرى » الاتهامات على ناكاسونى واومهارا · ولعل اهم هذه الاتهامات هو التآمر لارساء نوع من التفكير العنصرى الذى يهدف الى تأصيل فكرة نقاء الجنس اليابانى وتفوقه ··

ويرى اومهارا ان الحضارة الغربية ، بعد ازدهارها فى عصر النهضة ، وصلت الى سقف تطورها ، ويتنبأ بدمار العالم مالم يتخل الغربيون عن الوجهة البيكونية (نسبة الى فرانسيس بيكون) القائلة بضرورة سيطرة الانسان على الطبيعة وتسخيرها لخدمته ، ومن هنا يبرر دعوته الى مبادىء العصر الحجرى

ناكاسونى .. رئيس وزراء اليابان



استراتيجية اسرائيل النووية

بقلم : محمد فتحي

خصصت وكالة الطاقة الذرية مؤتمرها القــــادم لبحث التهديد النــــووي الاسرائيلي على العالم ، جاء ذلك بعد مناقشة احــــد التقارير حــــول مخـــاطر الطاقة الذرية الاسرائيلية .

بعد ان طـــالبت ٤٨ دولة بضرورة مواجهة العـــالم لهذه الاخطار .

في عام ١٩٨٣ سرت في عديد من الاوساط التي تبدو متباعدة ، من حيث نوعية نشاطها ، مثل أوساط تجارة السلاح والصـــحافة وتجارة الجنس والمخابرات .. سرت همسات عن اهتمام جديد شاذ لبوب جوكسيوني رئيس تحرير مجلة « بنتهاوس » الانجليزية ذات الطابع الجنسي ..

وكانت المفاجاة الاولى أن هذا الاهتمام الشاذ لم يكن ســـوى تكنولوجيا الطاقة الحرارية النووية . وكانت المفاجاة الثانية أن الاتفاق كان يجرى في سرية مطلقة ، بين جوكسيوني وسول ايزنبرج تاجر السلاح الاسرائيلي المعروف،وجاكوب نيمرودي الكولونيل السابق في المخابرات الاسرائيلية ، الصديق الحميم لايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي (سابقا) . وكانت المفاجـــاة الثالثة ان الاتفاق يجـــرى حول اقامة مفاعل اندماج حراري نووي .. اى مفاعل من ذلك النوع الذى تعجز اى من دول العالم حتى اليوم عن بنائه منفردة ، والـــذى تتعاون آحاد من الدول بينها الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفييتي واليابان على تكاليفه المالية والفنية ، والذى يمكن أن يصير مصدرا للبلوتونيوم اللازم لصناعة القنابل النووية ، ناهيك عن كونه مصدرا خرافيا للطاقة الرخيصة والآمنة .

ولم تكن مفاجاة بالمرة بعد كل هذه المفاجات ان الامر كله يجرى لحساب اسرائيل ومؤسستها العسكرية .

استراتيجية اسرائيل النووية

لقد اثرنا هذه الحكاية المثيرة مدخلا للحديث عن استراتيجية اسرائيل النووية ، لانها تكشف ذروة من ذرى هذه الاستراتيجية الطموحة ، لكن لا بأس من تدارك الامر مباشرة والعودة الى السياق التاريخي .

لم تتأخر اقامة « مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية » (اغسطس ٤٨) عن اعلان الدولة الصهيونية كثيرا . ولم يحل عام ١٩٤٩ الا وكانت اسرائيل ترسل بعثاتها لدراسة الهندسة النووية، فيبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية والمانيا الاتحادية . وما أن بدأ هؤلاء المبعوثون في العودة الى اسرائيل حتى الحقوا بصفوف الخبراء اليهود، الذين هاجروا الى اسرائيل من أرجاء العالم المتقدم ، ليتخرط الجميع (عام ١٩٥٤)في بناء مفاعل « ريشوليزيون» لتدريب الفنيين الاسرائيليين على انتاج النظائر المشعة ، وتطبيقاتها الزراعية والصناعية والطبية .

وما هي الا شهور حتى تقفز اسرائيل الى بناء مفاعل جديد في ناحال سوريك تم تشييده اخر ١٩٥٨ بقدرة ٥ ميجاوات ، واتخذ وجهة تخصصية في اعداد الكوادر اللازمة لتوليد الطاقة الكهربية من المحطات النووية . ولم يكد العمل ينتهي في هذا المفاعل حتى بدأ تشييد مفاعل ديمونة الشهير في صحراء النقب ، الذي سرعان ما تحول الى مدينة نووية متكاملة ، شكلت محورا هاما من محاور الاستراتيجية النووية الاسرائيلية . ومنذ عام ١٩٦٧ بدأ العمل في مفاعل « البني روبين » الذي تبلغ قدرته ٢٠٠ ميجاوات ، بهدف تحلية مياه البحر وتوليد الطاقة الكهربائية ..

وهكذا توالت سلسلة المشروعات النووية الاسرائيلية حتى وصلت للمفاعلين الفوريين اللذين تزمع اسرائيل استخدامهما في انتاج الطاقة، واللذين يدور حولهما الاخذ بين اسرائيل وفرنسا منذ اعوام .

وان كشف ذلك عن الاستمرارية التي يتسم بها البرنامج النووي الاسرائيلي فلهذا البرنامج سمات اخرى يجدر الوقوف عند بعضها ، ولعل الشمول وتنوع الاغراض أول هذه السمات ، فالبرنامج الاسرائيلي يراوح ما بين انتاج البلوتونيوم اللازم لصنع القنابل النووية ، وبين مجالات بريئة مثل توليد الكهرباء وتحلية مياه البحر وابحاث استخدام التفجيرات النووية في الحفر وشق القنوات ، بل ويمتد الى مجالات تبدو نائية مثل تحديد عمر الاثار والعاديات باستخدام الكربون المشع ، كما انه ـ البرنامج ـ لا يغفل امتلاك مركز متخصص وخبراء على ارقى مستوى في زرع نخاع العظام (١) .

هذا كما ينوع البرنامج النووي الاسرائيلي كثيرا مصادر مستلزماته وتكنولوجياته النووية . فنجده يتعاون مع « أيه . اف . ام اتوميكس » الامريكية (مفاعل ريشو ليزون) ، و « اتوميك انترناشونال » الامريكية (ناحال سوريك) ، ومع التكنولوجيا الفرنسية (مفاعل ديمونة ـ ،فضلا عن التنويع في مصادر الخامات المطلوبة .

ومن السمات التي تلفت النظر في برنامج اسرائيل النووي الدأب على اقامة علاقات وثيقة مع الاخرين في مجالات مختلفة ، حتى وان بدا بعضها بعيدا عن السلاح النووي والتكنولوجيا

النووية ، ساعيا بذلك الى الاستفادة من تجارب الغير دون تكرارها ، والاقتصاد في النفقات الهائلة للابحاث النووية ·

ومن هذا المنطلق سارعت اسرائيل (عام ١٩٥٤) للانضمام الى الوكالة الدولية للطاقة النووية للاستفادة من امكانياتها ، وللحصول على شحنات منتظمة من اليورانيوم بحجة اجراء التجارب العلمية ، هذا كما افتتحت بمعهد الآثار القديمة في الجامعة العبرية مركزا لتدريب علماء الآثار الاوربيين والامريكيين (!) على سبيل التنقيب التي تستخدم « الكربون-١٤ » المشع ، بل وخفت الى مشاركة الاتحاد السوفييتي في التخفيف من آثار محنة تشرنوبل ، بارسال وفد الجراحين العالميين ، الذين ذهبوا للمعاونة في انقاذ ضحايا الاشعاع ، بطبيب من مركز زراعة النخاع في اسرائيل (!)

والى جوار ذلك تعمل اسرائيل ، متسلحة بكل الذرائع والدعاوى ، على تجنيد العلماء الاوربيين والامريكيين للعمل في مؤسساتها ، ولا تتورع في الوقت نفسه عن تنويع علاقاتها غير الشرعية على امتداد رقعة العالم ، من جنوب افريقيا الى شرق آسيا ، ومن امريكا الشمالية واوربا الى امريكا الجنوبية ، ولا عن استخدام شبكة من العلماء اليهود والجواسيس في معظم البلدان المتقدمة للاستفادة من تجارب الآخرين ·

هذا وان أعوزتها كميات اضافية من المواد المشعة غير تلك التي تنتجها أو تحصل عليها من خلال القنوات الشرعية أو الاتفاقيات المشبوهة ، لا تتورع عن استخدام اساليب القرصنة للحصول على هذه الكميات كما حدث في مغامرة السفينة سرسبرج التي خطفت اسرائيل حمولتها (٢٠ طنا من اليورانيوم) وهى فى عرض البحر ·

● طموح مبنى على العلم والعمل

غير أن اسرائيل ومع الاستفادة الى اقصى حد من العلاقات الوثيقة والمتنوعة الشرعية وغير الشرعية ، تعمل على تطوير تكنولوجيتها الخاصة فلا تكتفي بامتلاك اسرار العمليات المعقدة لفصل البلوتونيوم ، اللازم لانتاج القنابل النووية ، بل تسعى الى أسلوب جديد لانتاج اليورانيوم المشبع باستخدام اشعة الليزر · ولا تقف عند الاساليب التقليدية لحمل الاسلحة النووية بل تسعى الى صنع الصواريخ المجنحة القادرة على ذلك ، بل وتسعى الى تطوير مدفعية نووية تكتيكية ، غير عابئة بفشل الدول الكبرى في ذلك ·· كما انها لا تقف عند امتلاك السلاح النووى بل تسعى حثيثا الى امتلاك القنبلة الهيدروجينية ·

واسرائيل تتميز فى ذلك كله بالطموح واليقظة واجادة اختيار التوقيت ·

ولعل افضل مثال على ذلك مشروع اقامة مفاعل الاندماج النووى الذى شارك فيه ثلاثى جوكسيونى وايزنبرج ونيمرودى · فالمعروف أن المفاعلات النووية التى تعمل حتى الآن تولد طاقتها عن طريق انشطار نويات ذرات العناصر الثقيلة النادرة (مثل اليورانيوم)· لكن العلماء يدركون امكانية الحصول على كميات هائلة واكبر من الطاقة عن طريق اندماج انوية ذرات العناصر الخفيفة (مثل الهيدروجين ونظائره) والمفاعلات من هذا النوع الاخير آمنة تماما ، لانه لا يتخلف عنها نفايات ذرية ، ذلك ناهيك عن انها مصدر خرافى لا ينضب ، لان المادة الخام التى ستعتمد عليها هى المياه

وقد ساهم كل ما سبق فى جعل

استراتيجية اسرائيل النووية

مفاعلات الاندماج النووي حلمـــــا تسعى كل البلدان المتقدمة وراءه • وقد كرست هذه البلدان امـــكانات مالية وفنية هائلة لتحقيق هذا الحلم طوال الثلاثين سنة الماضـية ، حتى قاربت الوحدات التجريبية الموجـودة حاليا حدود النجاح في اقامة هــذه المفاعلات ، وذهبت التوقعـات الى ان بداية القرن الجديد هو التاريخ المحتمل لبدء استخدام مفاعلات من هذا النوع على نطاق اقتصادى وصناعى ••

وهكذا لما صارت التجارب الطويلة الباهظة التكاليف قاب قوسين او ادنى من الاثمار ، قفزت اسرائيل الى ساحة هذه التجـــارب ، لتجنى ما زرعه الاخرون ، فاقدم ثلاثى جوكســيوتى وايزنبرج ونمرودى على مشروع بناء مفاعل نووى من هذا النوع يستخدم خلاصة التكنولوجيا الامريـــكية والفرنسية بالقرب من تل ابيب ، فى اطار شـــركة « اى • ان • اى » المرتبطة بشركة « انيسكو الامريكية » التى يساهم جوكسيوتى فى تمـــويل بحوثها ، والتى تقدم تصــميما جديدا للمفاعل •

ومن الجدير بالذكر أن الامـــر بالنسبة لمفاعلات الاندماج الحـرارى النووى لا يقف عند كونها وســيلة امنة لانتاج كم هائل من الطـــاقة الرخيصة ، ذلك ان الاحتمال الارجح هو استخدامها فى ارتباط بمفـاعلات الانشطار النووى العادية ، لاستخدام جزء من نيوتروناتها فى معالجـــة اليورانيوم ـ ٢٣٨ الطبيعى (وخاماته وفيرة جدا ، ولم تستخدم على نحـو فعال حتى الان لانتاج البلوتونيـوم ـ ٢٣٩ ، وهو وقود ثمين للمحطـات النووية العادية ، ناهيك عن كـــونه الوقود اللازم لصناعة القنــــابل النووية •

● على اعدائى فقط !

ولا بأس بعد ما فصلناه من الانتقال الى بعض الاعتبارات الاستراتيجيـــة الهامة التى تحيط ببرنامج اســرائيل النووى ، التى تعد جديدة فى بابها • لقد شكك بعض الخبراء العســكريين فى القيمة الاستراتيجية للقوة النووية الاسرائيلية ، لان استخدامها سيلحـق خرابا لا يوصف باسرائيل نفســها ، ناهيك عن المنطقة العربية • لـــكن الانباء التى تتناثر حول نشـــاط اسرائيل النووى تتضمن الحديث عن اسلحة مثل القنابل النيوترونية التى تقتل الاحياء دون أن تدمر الانشاءات والمبانى والمعدات ، ولا يتجاوز مـدى الدمار الناتج عنها مسافة ١٣٠ مترا ، اذ ان هدفها الاول القضــــاء على الاحياء الموجودين على مسافة كيلـو مترين حول مركز تفجيرها ، باستخدام سيل النيوترونات ، حتى يأتى اناس اخرون ، فيما بعد ، ليجمعوا ماتخلف من غنائم • او يقيموا حيث كان عدوهم

هذا كما ان الاوساط العســـكرية العالمية نشطت فى الحديث عن نـــوع جديد من الاسلحة ، يعتمد على نشر المواد المشعة من مستحضرات ومـواد تفاعل انشطار الوقود فى المفـــاعلات النووية ، بهدف اصـابة البشـــر بالاشعاع دون اللجوء الى تفجيرات نووية • وهذا السلاح الاشعاعى يشبه فى مفعوله القنابل النيوترونيـة وان تفوق عليها فى سهولة الاســـتخدام وقلة التكاليف ، بالاضافة الى السرية الكاملة التى تحيط باســتخداماته فى مواجهة العدو ، حيث لا يكتشف ولا يحس به احد ، الا مع ظهور اثــاره

المدمرة على الانسان والبيئة • وهكذا فهو سلاح أكثر خفاء مقارنة بالقنبلة النيوترونية التى يصاحبها انفجار هائل يشعر به الجميع ..

وكل هذه المستجدات تمكن من قصر الاصابات الاشعاعية على المستهدف بها دون أن تمس مستخدم السلاح ، وذلك بعيدا عن استراتيجية « على وعلى اعدائى » التى كانت تثار قديما ..

هذا وقد تمكنت اسرائيل فى اطار استراتيجيتها النووية الشاملةمن تجاوز الاهداف المحددة للقوة النووية ، فان كانت الاهداف التقليدية لمثل هذه القوة تدور حول مضاعفة القوة التدميرية لمالك السلاح النووى دون حاجة الى مضاعفة جيوشه ، وضمان عدم تحقيق الاطراف المعادية لتفوق يؤثر على ميزان القوى ، والاستفادة من المنافع الجانبية للنشاط النووى فى تطوير الاقتصاد .. الخ فقد اضافت اسرائيل اهدافا استراتيجية جديدة لمثل هذه القوة من قبيل استثمارها فى ابتزاز الاخرين ، والقدرة على حسم الامور سياسيا بالتهديد بالخيار العسكرى ، والضغط على الاخرين لاتمام تحالفات قد لا يرغبون فيها ، بهدف الدخول تحت مظلة نووية ولحماية انفسهم من القوة النووية الاسرائيلية •

● مشاهد من بيت بنجين

وان كنا قد اثرنا ان تكون حكاية بوب جركسيونى مدخلنا للحديث عن استراتيجية اسرائيل النووية فلاباس من أن يكون ختام هذا الحديث مشهدا من بيت مناحم بيجين ..

فى عصر الاحد ٧ يونيو ١٩٨١ استدعى رئيس الوزراء الاسرائيلى سكرتيره وامره بابلاغ اعضاء الوزارة ، كل على انفراد ، بالحضور الى بيته فى الساعة الخامسة .. واعتقد كل وزير انه المدعو الوحيد للحديث مع الرئيس فخف وهو يحس ببعض الزهو ، لكن كل واحد منهم فوجىء عند وصوله بوجود الوزراء الاخرين وفى الساعة الخامسة والربع اطل بيجين على وجوه الوزراء المستطلعة وقال « حسنا • ان ستا من طائراتنا فى طريقها الان لقصف هدف هام فى العراق • وامل فى نجاح المهمة ،

ولف الحضور صمت عميق برهة همس احد الوزراء بعدها ، وقد راح ذهنه الى المواجهة المتفجرة ـ ساعتها ـ حول نشر صواريخ « سام ـ ٦ » السورية فى الاراضى اللبنانية .. « تقصدون سوريا يا سيادة الرئيس » •

لكن لسان بيجين لم يكن قد زل • كان يقصد بالتحديد مفاعل تموز النووى العراقى وكلنا يعرف بقية القصة المؤسية ، وذلك رغم توقيع العراق على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية ، وقبوله التفتيش الدولى على منشأته ، الامر الذى لم تفعله اسرائيل •

وهنا يمكن الشق الاخر للاستراتيجية النووية الاسرائيلية ، الساعية الى حرمان الدول العربية من مقومات اى برنامج نووى مستقل •

تبقى ملاحظة لا يمكن تجاوزها هنا وهى ان اسرائيل تسعى كثيرا الى استخدام الحديث عن القدرات النووية كباب للردع النفسي والتهويل ، ويجب ان ننتبه لذلك • لكن يجب الا يفوتنا ايضا أن ادراك الواقع هو اول شروط مواجهته ومن فضل القول ان نقرر اهمية امتلاك العرب لقدرات نووية خاصة ، واهمية العمل على اخضاع كافة المفاعلات النووية بالمنطقة للرقابة الدولية ، والعمل على انشاء منطقة منزوعة السلاح النووى فى الشرق الاوسط وافريقيا •

من دراسات الأدب الحديث

فن المقال الصّحفي في أدب طه حسين

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

طه حسين (مارس ۱۸۸۹ ـ الأحد ۲۸ اكتوبر ۱۹۷۳) مزاج قوى بين حضـــارة الشرق وحضارة الغـرب ، وعصارة طيبة من معهـدين مختلفين: الازهر والسوربون ..ومن نبع المعرفة الانسانية نهل طه حسين من الثقافات العالمية وتعمق في دراســات الاداب القديمة والحديثة على السواء .

وتتركز ملامح شـخصية طـه حسين في فكره الحر المستقل وروحه الـكبيرة الطموح ، وهيامه بالفن والجمال والادب كمـا يقول محمود تيمور في مقالة له عن طه حسين نشرت في الهـلال عدد فبراير ١٩٦٦ .

ويمثل طه حسين ورفاق له مدرسة جديدة في الادب المصرى ، بل وفي الفكر المصرى المعاصر

وطه حسين يصطنع في البحث المنهج الديكارتي ـ نسبة الى ديكارت ـ وقد شغف طه بفلسفته وتأثر بهـا ، وسار على ضوئه في دراسته للشعر الجاهلي .

ولطه حسين نظـرياته في الادب والنقد والثقافة ومن اساتذته سـيد



د . طه حسين .. فكر حر مستقل

ابن على المرصفى والشيخ محمد المهدى واحمد زكى باشا وحفنى ناصف ، وقد أخذ عنهم فهم النص ، وتذوق بلاغته ، وكذلك المستشرقان نلينو وفييت واخذ عنهما فهم الادب العربي واطواره وكل المقومات الادبية التى تأثر بها هذا الادب ·
وفى فرنسا حضر محاضرات نوكو فى علم النفس فى جامعة مونبلييه ، ومحاضرات اميل بوركليم وشلستان بوجليه فى علم الاجتماع ، وتحت اشرافهما كتب رسالته فى الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون · ودرس الفكر اليونانى وكتب عنه وألف فيه · كما تأثر بفلسفة ابن خلدون وأبى العلاء ، واحتذى حذو احمد لطفى السيد فى تفكيره ·· وفى كتبه : أديب - الحب الضائع - فصول فى الادب والنقد - الوان - من بعيد - صوت باريس - لحظات ، صور من تأثره بالثقافة الفرنسية ·

وصلة طه حسين بأدب المنفلوطى صلة وثيقة ، ومع انه نقد المنفلوطى فى مجلة اللواء ثم العلم عام ١٩١٠م، فانه كان يقول : لقد كنت امقت المؤيد كل المقت الا يوم ينشر فيه « نظرة » او « اسبوعية » فقد علم الله انى كنت اشغف به كل الشغف ، واقبل عليه كل الاقبال (الهلال عدد فبراير ١٩٦٦ ص ٨٧) ·

والحديث عن طه حسين طويل ومتشعب ولا ينفد بحال ·

● دراسة جديدة

وقريبا من عيد ميلاد طه حسين الثامن والتسعين (١٨٨٩ - ١٩٨٧م) يظهر فى دراسة أدب طه حسين كتاب جديد للدكتور الناقد عبد العزيز شرف بعنوان « فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين » فى نحو ثلاثين وأربعمائة صفحة من القطع الكبير ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

والكتاب دراسة جديدة ، غير مسبوقة ، استخدم فيها د· عبد العزيز

فن المقال الصحفي في أدب طه حسين

شرف منهجه في التفسير الاعــلامي للادب ، ويحرص على الرجـوع الى الادب الذي لم ينشر في كتب لعميـد الادب العربي د • طه حسين •

وقد استطاع الباحث ان يستقرىء اشكالا جديدة لفن المقال ، تثرى فنون التحرير ، وتؤصل هذا الفن في تراثنا ، وتحدد منهجه في تحقيق التفاعلية بين الاصالة والمعاصرة ، وجهد المؤلف في اظهار الخصائص الفنية لادب المقالة، وسيلة لتأصيلها في تراثنا ، ولتأصيل هذا الفن في التراث ايضا •

ويقول المؤلف في صدر بحثـه (ص ١٠) : حاولنا في هذا البحث أن نتعرف على الاسس الجوهـرية والتيارات الفكرية العامة ، والنواحي الفنية الهامة التي اسفر عنها الفن الصحفي فيما يخص المقال الصحفي في أدب طه حسين ، من حيث تحريره وغايته في الارتباط بالجمـاهير ، فضلا عن عمومية وسيلة الاتصـال الصحفي ودوريتهـا ، والرؤية الوظيفية التي تدفع الفن المقـالي ، وتحدد شكله ومضمونه • وقد اتخذ طه حسين من الفن الصحفي وسيلة للاتصال بالجماهير في تحقيـق التقارب والتواصل ، القائم على ان الفكرة في دلالتهـا الاجتماعية ، والكلمة في صيغتها العملية من اقدم الوسائل لتحقيق ما ينشد •

● دوره في ابراز النهضة

ويقول المؤلف : ان طه حسين احد الطلائع الذين استوت على ايديهـم معالم النهضة المصرية الحاضـرة ، فكانت مراحل حياته المختلفة ، كمـا كانت جهوده الصحفية مظهـرا لايمانه بهذه المثل ، ومصداقـا لعمله على التعبير عنها في الوصول بمصر الى الغد المشرق ، وفي تعزيز صلاتها بالفكر الانساني على تعـدد افاقه ، وفي مقاومة العزلة بجميـع الوانها • ويمثل مقاله الصحفي هذه الرؤيا في الميدان الفكرى والميـدان العملي على السواء (ص ١١)

ويقول كذلك : لعل في ذلك ماحدا بكثير من المستشرقين الى توكيـد الارتباط بين الجوانب المختلفـة في كتابات طه حسين ونبوغه الفني في كتاباته الثقافية والسياسية والادبية على السواء (ص ١١) •• ولقـد تقاضانا المنهج العلمي في دراسـة فن المقال الصحفي في ادب طه حسين أن ننطلق من فهم عملية الاعلام على انها عملية اتصال بين كاتب وقـارىء الامر الذي يجعل دراسة المقـال الصحفي في مكانه من عملية الاعلام (ص ١٢) •

● المستشرقون وطه حسين

ويقع الكتاب في عدة فصول :

فالفصل الاول : عن طه حسـين ومدرسة الجريدة •

والثـاني : عن طه وبيئة المقال الصحفي في مصر •

والثـالث : عن طه وبلاغـة الاتصال بالجماهير •

والرابـع : عن أساليب التحرير في مقال طه •

والخـامس : عن طه حسـين وفـن العمود الصحفي •

والسـادس : عن فن اليوميات الصحفية في ادب طه حسين

والسـابع : عن فن المقـال الرئيس الافتتاحي •

والثـامن : عن فن المقـال الرئيس التزالي •

والتـاسع : عـن فـن المقـال الرئيس الكاريكاتيري •

والعاشر : عن المقال التحليلي والتقويم الصحفي .
وفي المقدمة ذكر المؤلف ان في الدور الذى قام به طه في نهضتنا الصحفية الحديثة ما يلقى الضوء على تقدير المستشرقين لدوره ، حتى لقد ذهب الاستاذ سبرنجلتج الى انه لم يظهر من عصر هوميروس الى الان من نبغ نبوغ طه وعده «برجشسترسر» لغز الادب بمصر . وجعله المؤلف هو وسقراط والجاحظ اشد الناس صلة بروح المقال الصحفي (ص ٢٥)
ويدرس المؤلف بيئة الجويدة التي عمل فيها طه وبيئة كوكب الشرق ، والوادي ، والكاتب المصري في الفصل الثاني
ويشرح في الفصل الثالث : عناصر الاصالة والتجديد في فن المقال الصحفي عند طه حسين ، وبلاغة المقال الصحفي ، وبلاغة الاتصال بالجماهير في مقاله ، والاسلوب الواقعي والاستقصائي والاستقرائي والصحفي في ادب المقال عند طه حسين .. وذلك في الفصل الثالث
وفي الرابع يستعرض المؤلف المقال القصصي والوصفي ، والرمزي والرسائل المقالية في ادبه الصحفي وخصائص كل لون ، وذلك في دقة ، وعمق تناول .
وفي الخامس يعرض لفن العمود الصحفي ولفن العمود الرمزي وخصائصهما .
وفن اليوميات الصحفية موضوع الفصل السادس حيث يعرض المؤلف لفن المقال الاعترافي وفن اليوميات الصحفية وخصائصها في ادب طه حسين .
وفي السابع دراسة للمقال الرئيسي الافتتاحي وخصائصه في ادب طه حسين الصحفي .
والمقال التزالي وخصائصه عند طه حسين يشمل الفصل الثامن .
ودراسة للمقال الكاريكاتيري وخصائصه وعناصره في أدب طه حسين في الفصل التاسع جديرة بالتأمل .
والمقال التحليلي والتقويم الصحفي مما عرض له المؤلف في الفصل العاشر عرضا جيدا وجذابا وعميقا .
والمصادر والملحقات والمصورات شيء كبير ، وعمل على كثير الاهمية وهي في الكتاب جديرة بالتأمل والوقوف عندها .

تحديد أبعاد فن المقالة

وماذا اقول عن هذا السفر القيم النفيس الذى يأخذ بزمام القارىء والدارس ، ولا يترك له مجالا ، أخذا شديدا .
ولهذه الدراسة الواسعة العميقة لفن المقال الصحفي في ادب طه حسين فضل تحديد ابعاد الفنون المقالية واستقرائها من تراثه الصحفي : فن المقال التنويرى وفن المقال النقدى والعمود الثقافي ، والمقال القصصي والمقال الوصفي ، والتقرير الصحفي ، وفن العمود الصحفي وفن اليوميات الصحفية ، وفن المقال الاعترافي ، والرئيسي الافتتاحي ، والتزالي ، والكاريكاتيري ، والتحليلي
كما حرصت هذه الدراسة على التزام الحيدة العلمية حرصا شديدا .
وعلى الجملة فالكتاب معلمة كبيرة عن طه حسين وفن المقال الصحفي في ادبه .
وهو جدير بالقراءة والتأمل العميق ويصدر في ذكرى ميلاد طه حسين الثامنة والتسعين .
وقد ازعم أن تراث طه حسين قد كسب اليوم جديدا من الدراسة ، وانه سيبقى معلما من معالم دراسات ادب طه حسين اديب العربية الاكبر في العصر الحديث ..

زمن الاختيارات الصعبة

انخفاض أسعار النفط وتحويلات المصريين وأثره على ديون مصر

بقلم : د. جلال أمين

مع تغير القيادة السياسية عام ١٩٨١ ظهرت فرصة اخرى لإنهاء حالة الارتباك والفوضى فى السياسة الاقتصادية وللمواجهة الجدية لمشكلة الديون الخارجية . ليس من السهل رسم صورة دقيقة لتركة الديون التى ورثها انور السادات لمصر فى عام ١٩٨١ ، ولكننا نستطيع ان نستخلص ، من بين متاهات الارقام المتشعبة والمتضاربة الصورة التالية ، التى يمكن أن نعتبرها قريبة جدا من الحقيقة .

كان اجمالى ديون مصر الخارجية ، العامة المدنية ، طويلة ومتوسطة الاجل ، عند وفاة السادات ١٤٫٣ بليون دولار ، وهى الديون المستحقة على الحكومة المصرية او المضمونة من جانبها ، والمسحوبة بالفعل . وكانت الديون العامة المدنية قصيرة الأجل ٦٫٨ بليون دولار ، وديون القطاع الخاص نحو نصف بليون دولار .

كانت الحكومة مدينة ايضا بديون عسكرية تبلغ نحو خمسة بلايين دولار للولايات المتحدة وسائر دول العالم الغربى ، ونحو ثلاثة بلايين للاتحاد السوفييتى وبقية الكتلة الشرقية . كان اجمالى ديون مصر اذن عند وفاة السادات ، المدنية والعسكرية ، العامة والخاصة ، طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل ، نحو ثلاثين بليونا من الدولارات(١) .

كان هذا المبلغ يمثل نحو ١٤١ ٪ من الناتج المحلي الأجمالي في ١٩٨١ بالمقارنة بنسبة ٤٣ ٪ عند بداية تولى السادات الحكم . وكان على مصر في عام ١٩٨١ ان تدفع لخدمة ديونها المدنية وحدها ٩ر٢ بليون دولار (٣ر١ بليون كاقساط و ٦ر١ بليون كفوائد) او ما يمثل ٢٨ ٪ من جملة ايراداتها من العملات الأجنبية ، وهو مايساوى تقريبا معدل خدمة الديون عند بداية عهد السادات . مع هذا الفارق المهم : وهو ان مصر فى ١٩٨١ كانت تتدفق عليها من الايرادات من العملات الأجنبية مالم تكن تحلم به فى ١٩٧٠ ، اذ كان مجموع قيمة ايراداتها من صادرات السلع والخدمات فى ١٩٨١ اكثر من عشرة امثال ماكانت عليه فى ١٩٧٠ .

● ظروف خارجية جديدة

كان الشعور فى أعقاب مقتل السادات ، عاما وملحا ، بالحاجة الى اعادة النظر فى السياسة الاقتصادية برمتها ، والى ادخال اصلاحات جوهرية عليها ، ولكن كان من المقدر لأية محاولة للاصلاح ان تجرى فى ظروف خارجية غاية فى الصعوبة ، فقد اقترنت نهاية عصر السادات بظروف جديدة بدا فيها ان فترة الرخاء القائم على تدفق ايرادات البترول وتزايد تحويلات العاملين بالخارج وايرادات قناة السويس والسياحة قد ولت . ففى السنوات الأربع التالية لمقتل السادات (٨١/٨٢ - ٨٥/١٩٨٦) انخفضت ايرادات البترول بنسبة ٣٦ ٪ ، وأصاب الركود مصادر الدخل الثلاثة الأخرى ، التى تعتمد بدورها ، بدرجات متفاوتة ، على أسعار البترول ، بينما ظل معدل تدفق الاستثمارات الأجنبية الخاصة ثابتا تقريبا عند زهاء بليون دولار سنويا . فى نفس الوقت لم يسمح استمرار الركود فى أسواق التصدير الرئيسية بحدوث زيادة ملموسة فى الصادرات المصرية من السلع التقليدية ، ومن ثم لم تزد قيمة الصادرات من السلع الأولية (عدا البترول) بأكثر من ٤ ٪ سنويا ، ولم تزد صادرات غزل القطن والمنسوجات ، التى تمثل أهم بند فى صادرات مصر المصنّعة ، وان كانت لاتشكل الا نسبة ضئيلة للغاية من الصادرات الكلية ، بأكثر من ٨ ٪ سنويا ، ومن ثم انخفضت القيمة الكلية لصادرات السلع والخدمات فى ٨٥/١٩٨٦ بنسبة ١١ ٪ بالمقارنة بقيمتها فى ٨١/١٩٨٢ .

فى نفس الوقت كان على مصر بالطبع أن تستمر فى دفع فوائد متزايدة على ديونها السابقة ، حيث ارتفعت قيمة الفوائد السنوية المستحقة الدفع من ٤ر١ بليون دولار فى ٨١/١٩٨٢ الى ٧ر١ بليون فى ٨٥/١٩٨٦ .

كان قد ولى أيضا عهد الهبات والمنح القادمة من الدول العربية ، التى توقفت منذ عام ١٩٧٩ ، ولم تكن الهبات والمنح تشكل نسبة كبيرة من معونات الدول الغربية ، ولم تطرأ عليها زيادة تذكر خلال الثمانينيات اللهم الا بتحويل المعونات العسكرية الامريكية الى هبات لاترد ابتداء من ١٩٨٥ ، دون أن ينطبق ذلك على القروض العسكرية المعقودة قبل ١٩٨٥ .

● زمن الاختيارات الصعبة

كان من الواضح أن الاختيارات السهلة نسبيا ، التى كانت متاحة فى السنوات الخمس الأخيرة من عهد السادات ، حينما كانت تتدفق العملات الأجنبية على مصر بلا حساب ، لم تعد متاحة فى بداية عهد مبارك ، وأن محاولة اجراء تخفيض كبير فى المديونية أو على الأقل عدم التورط فى مزيد منها كان يتطلب تخفيضا كبيرا فى الواردات ، حتى من بعض السلع الأقل كمالية ، وبما فى ذلك الواردات من السلع الرأسمالية والوسيطة ، مما يتطلب بدوره التضحية بارتفاع معدل النمو ، فضلا عن تخفيض حجم الانفاق العسكرى بما يخفف من عبء ميزان المدفوعات ، مع امكانية تعويض كل ذلك بإجراءات جادة لاعادة توزيع الدخل وترشيد توزيع الاستثمارات . كان هذا الحل ، حتى مع مايتسم به من بعض القسوة ، يمثل فى رأينا الحل الحكيم الوحيد ، إذ كان البديل لايعنى الا تأجيل المتاعب الى فترة لاحقة ، بل وزيادة الأعباء فى المستقبل ، متمثلة فى خدمة ما يعقد من قروض جديدة . كان هذا أيضا هو الحل الذى اتجهت الى الأخذ به صفوة الاقتصاديين المصريين فى المؤتمر الذى دعا اليه الرئيس مبارك فى فبراير ١٩٨٢ ، عقب توليه الرئاسة بشهور قليلة ، وكان هو الذى يتردد فى مؤتمرات الاقتصاديين المصريين السنوية فى أواخر عهد السادات وأوائل عهد مبارك .

ولكن الذى حدث هو أن الادارة الاقتصادية تبنت الاختيار الآخر الأكثر سهولة فى المدى القصير ، والمؤذن بمتاعب لاحد لها فى المدى الطويل ، والذى يعتبر فى سماته الاساسية استمرارا للسياسة الاقتصادية السابقة على ١٩٨١ ، وهو تبنى معدل مرتفع للاستثمارات ، خاصة فى المرافق العامة ، وعدم اخضاع الواردات أو الانفاق العسكرى لدرجة عالية من التقييد ، مع الاستمرار فى الاعتماد على القروض الخارجية فى تمويل العجز بين الموارد والمتطلبات .

كان من الواضح منذ تدشين ماسمى بالخطة الخمسية الأولى (٨٢/٨٣ - ٨٦/ ١٩٨٧) أنه ليس من بين أولوياتها تخفيض الاعتماد على التمويل الخارجى . فعلى الرغم من تبنى الخطة فى مقدمتها شعار « الاعتماد على الذات » ، استهدفت الخطة أيضا زيادة المديونية الخارجية المدنية من ١٣ بليون جنيه فى ٨١/ ٨٢ طبقا لارقامها ، الى ١٦٫٢ بليون فى ٨٦/ ٨٧(٢) أى زيادة المديونية المدنية بنحو الربع فى خمس سنوات ، وذلك من أجل تمويل استثمارات مستهدفة تبلغ ٢٥ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى ، وتحقيق معدل نمو ٨٫١ ٪ سنويا . لم يكن يتوقع بالطبع فى مطلع ١٩٨٢ ، أن تنخفض اسعار البترول ، ويصيب الركود تحويلات المصريين العاملين بالخارج وايرادات السياحة وقناة السويس على النحو الذى حدث منذ السنة الثانية للخطة ، ولكن كان يكفى فى

اعتقادنا ما وصلت اليه حال المديونية فى ١٩٨١ ، ومابدات تلقيه من اعباء ثقيلة على ميزان المدفوعات ، لأن يتبنى المخطط معدلا للنمو أقل طموحا ، ومعدلا اقل للاستثمار ، بما يتطلبه ذلك من تخفيض الواردات ، بغية التخلص التدريجي من المديونية ، وتعويض هذا الانخفاض فى معدل النمو بالتركيز على ترشيد الاستثمار واعادة توزيع الدخل . بل ان الذى حدث هو أن واضعى السياسة الاقتصادية لم يستجيبوا استجابة كافية للتغيرات التى بدأت تطرأ على موارد مصر من العملات الاجنبية مع توالى سنوات الخطة .

فعلى الرغم مما تم بالفعل من تخفيض معدل الزيادة فى الواردات السلعية تخفيضا كبيرا عما كان عليه فى عهد السادات ، عجز هذا التخفيض عن ملاحقة الانخفاض فى الصادرات ، ومن ثم استمر العجز فى ميزان المعاملات الجارية فى الزيادة ، فارتفع من ٧ر١ بليون دولار فى ٨١/٨٢ الى ٥ر٢ بليون فى ٨٥/٨٦ ، الأمر الذى حتم ، مع ضآلة الهبات والمنح وثبات حجم الاستثمارات الاجنبية الخاصة ، الالتجاء الى مزيد من الاستدانة ، واذا بالاقتصاد المصرى فى منتصف ١٩٨٦ ، بعد اربع سنوات من بداية الخطة ، ينوء بعبء من المديونية الخارجية أثقل مما تصوره واضعو الخطة فى ١٩٨٢ .

● الديون الخارجية فى منتصف ١٩٨٦

ففى ٣٠ يونية ١٩٨٦ ، بلغت قيمة الديون الخارجية العامة المدنية ، طويلة ومتوسطة الاجل ، ٣ر٢٤ بليون دولار بزيادة قدرها عشرة بلايين (أو ٧٠ ٪) عما كانت فى ٣٠ يونية ١٩٨١ . كما ارتفعت ديون القطاع الخاص بنحو خمسة أمثال (من نحو نصف بليون دولار فى ٨١ الى ٧ر٢ بليون فى ١٩٨٦) . خلال هذه الفترة مالت الديون المدنية العامة قصيرة الأجل الى الانخفاض من (٨ر٦ بليون دولار فى ١٩٨١ الى نحو ٦ بلايين فى ١٩٨٦) وبقيت الديون العسكرية المستحقة للاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية ثابتة عند ثلاثة بلايين دولار ، ولكن زادت الديون العسكرية للولايات المتحدة وبقية الدول الغربية من نحو خمسة بلايين دولار فى ١٩٨١ الى ما بين ٨ ـ ٩ بلايين دولار فى ١٩٨٦ (٣) طبقا لهذه التقديرات يكون اجمالى ديون مصر الخارجية ، المدنية والعسكرية قد زاد من نحو ٣٠ بليون دولار فى منتصف ١٩٨١ الى نحو ٤٥ بليون دولار فى منتصف ١٩٨٦ اى بزيادة قدرها ٥٠ ٪ فى خمس سنوات وضعف النسبة التى استهدفتها الخطة مع مراعاة أن هذا الرقم الأخير (٤٥ بليون) لايشمل تسهيلات الموردين التى قدرتها بعض المصادر بنحو ثمانية بلايين دولار فى منتصف ١٩٨٦ (٤)

● اعذار واعتراضات

إن هناك الكثير من الأعذار التى يمكن أن تقدم ، وتقدم بالفعل ، لتبرير زيادة بهذا الحجم فى المديونية خلال الثمانينيات . فمن الممكن أولا المقارنة بين تطور المديونية فى السنوات الخمس الأولى من الثمانينيات وتطورها فى السنوات الأخيرة من حكم السادات على نحو يظهر الثمانينيات فى ثوب ناصع للغاية . اذ فلنقارن زيادة بنسبة ٤٤ ٪ خلال السنوات الخمس (٨١ ـ ١٩٨٦)

فى اجمالى المديونية الخارجية المدنية (من ١ر٢١ بليون دولار الى ٢ر٣٠ بليون) بتضاعف ديون السادات المدنية اكثر من ثلاث مرات فى السنوات الست الأخيرة من حكمه (من ٣ر٦ بليون دولار فى ١٩٧٥ الى ١ر٢١ بليون فى ١٩٨١) وهناك ثانيا اختلاف الظروف الخارجية اختلافا شاسعا ، **حيث تضاعفت ديون السادات بهذا القدر فى سنوات بالغة الرخاء ، بينما استدانت مصر فى الثمانينيات فى ظل انخفاض اسعار البترول وركود المصادر الاساسية الاخرى للنقد الاجنبى .** بل أن من الصحيح ايضا أن جزءا لايستهان به من القروض التى سحبتها مصر خلال الثمانينيات كان قد تم التعاقد عليه بالفعل ايام السادات . ويقدر وزير التخطيط الحالى هذا الجزء بنحو ثلثى الزيادة فى ديون مصر الخارجية المدنية خلال الفترة (٨١ - ١٩٨٦) (٥) يمكننا أيضا أن نضيف أن الاعتذار الذى تعودنا سماعه لتبرير ديون السبعينيات ، وهو حاجة المرافق العامة لمبالغ طائلة للنهوض بها مما تردت اليه ، انما يصلح لتبرير قروض الثمانينيات بدرجة اكبر بكثير مما يصلح لتبرير قروض السادات . فالتحسن الملحوظ فى حالة المرافق العامة ، وخاصة فى قطاع النقل والمواصلات وفى مياه الشرب والصرف الصحى ، انما يرجع فى الاساس الى قروض تم سحبها فى الثمانينيات وليس قبل ذلك .

● الديون الخارجية وسياسة الانفتاح

كل هذا صحيح ، وانما يكمن اعتراضنا الاساسى على السياسة الاقتصادية لهذه الفترة فى أن التورط فى الاقتراض لتمويل مشروعات المرافق العامة فى ظل اهمال واضح للقطاعات السلعية التى يمكنها وحدها ان تولد القدرة على خدمة هذه القروض فى المستقبل ، كان يعكس استمرارا لنفس سياسة السبعينيات التى تقوم على تبنى اسهل الحلول فى المدى القصير مع تجاهل اثرها على الاقتصاد فى المدى الطويل . كانت هذه السياسة تعكس توجها اخر اكثر عمقا للسياسة الاقتصادية فى الثمانينيات والسبعينيات معا ، ويتعلق بموقفها من دور كل من القطاع العام والقطاع الخاص .

لقد قامت فلسفة الانفتاح الاقتصادى منذ تشييدها فى ١٩٧٤ ، ومازالت مستمرة دون انقطاع حتى اليوم ، على تقليص مسئولية القطاع العام وتركيز توسعاته على مشروعات المرافق العامة ، على افتراض ان يقوم القطاع الخاص بنصيب متزايد من استثمارات الزراعة والصناعة . هذه النظرة الى توزيع مسئوليات التنمية ما كانت لتحدث بالضرورة ضررا بمعدلات التنمية فى المدى الطويل ، لو كان القطاع الخاص قد قام فعلا بالدور المنوط به فى تنمية القطاعات السلعية . ولكن هذا لم يحدث خلال السبعينيات وتفاقم الاختلال لصالح قطاعات الخدمات وعلى حساب الزراعة والصناعة ، كما سبق أن رأينا ، سواء من حيث نصيب هذه القطاعات فى الناتج القومى أو فى خلق فرص العمالة .

وقد اعترفت وثيقة خطة التنمية (٨٢/٨٣ - ٨٦/١٩٨٧) بهذا .

صراحة ، وجعلت من بين اهدافها تصحيحه (٦) ولكن نفس النمط من التنمية استمر خلال سنوات الخطة . ففى الوقت الذى اقبلت فيه الحكومة على الاقتراض لتمويل مشروعات المرافق العامة ، تراخت جهود القطاع الخاص ، المحلي والأجنبى ، فى الاستثمار فى القطاعات السلعية ، وأقبلت بدورها على الاستثمار فى قطاعات التجارة والمال والاسكان ، وفى مشروعات ضئيلة الأثر فى زيادة القدرة على التصدير ، وشديدة الاعتماد على الاستيراد . بل ان مقارنة توزيع الاستثمارات المنفذة بالفعل خلال السنوات الثلاث الاولى من سنوات الخطة (٨٢/٨٣ - ٨٦/ ١٩٨٧) وهـى السنوات التى تتوفر لدينا ارقامها وقت الكتابة ، بتوزيع الاستثمارات فى السنوات الخمس السابقة عليهـا (٧٧ - ١٩٨٢/٨١) لاتظهر اى تقدم فى هذا الصدد ، اذ بلغ نصيب القطاعات السلعية فى اجمالي الاستثمارات المنفذة ٤٩ ٪ فى السنوات الثلاث المذكورة (٧) و٤٩٫٣ ٪ فى السنوات الخمس السابقة عليها (٨) ترتب على ذلك بالطبع استمرار الاختلال فى الجهاز الانتاجى لصالح قطاعات الخدمات ، وهو مايحمل مغزى هاما فيما يتعلق بمشكلة المديونيـة الخارجية . اذ بينما انهمكت الحكومة فى الاقتراض لتمويل مشروعات ليس من شأنها توليد عائد كاف من العملات الأجنبية يمكنها به خدمة قروضها ، لم يعوض القطاع الخاص هذا العجز بتوليد دخل كاف من الصادرات ، بل شكلت الاستثمارات الأجنبية الخاصة عبئا متزايدا على ميزان المعاملات الجارية ، بما تولده من طلب على الواردات وما تحوله من ارباح للخارج ، وأهم من ذلك ماتسرب من خلال فروع البنوك الأجنبية من مدخرات المصريين بالعملات الأجنبية .

● ضغوط وإغراءات

لقد وصفنا هذا التوجه العام نحو تركيز الحكومة على الاستثمار فى مشروعات المرافق العامة بالاعتماد على القروض الأجنبية ، وصفناه بأنه كان أسهل الحلول فى المدى القصير لأنه كان فى الواقع يعفى الحكومة من الأعباء السياسية التى يفرضها الحل البديل وهو تعبئة اقصى قدر من الموارد الذاتية من القادرين على الدفع ، ولانه كان يعفيها كذلك من محاولة مقاومة الاغراء الذى يمارسه المقرضون لتمويل مشروعات بعينها ، قد لاتحتل أولوية خاصة فى نظر المخطط ولكنها تجلب للمقرض نفسه مغانم محققة . هذه المغانم لاتتمثل فقط ، ولا أساسا ، فى خدمة القروض ، بل فيما تتيحه القروض للمقرض من تصريف منتجات يعجز عن تصريفها بعائد مجز ، بل إن هذا التوجه كان يعفي الحكومة أيضا من محاولة مقاومة الضغوط التى تمارسها الدول المقرضة نفسها فى سبيل استمرار سياسة الانفتاح الاقتصادى التى تترك مشروعات الاستثمار خارج نطاق المرافق العامة ، مفتوحة للاستثمار الخاص .

إن القول بأن جزءا لايستهان به مما اقترضته مصـر خلال السبعينيـات والثمانينيات كان بضغط وإغراء المقرضين وتحقيقا لمصلحتهم ، لا هو من قبيل التخيل ولا يصف ظاهرة جديدة لم تعهدها

مصر من قبل . فقد سبق أن رأينا كيف كان الجزء الأكبر من ديون اسماعيل من هذا النوع ، والمسئولون الرسميون أنفسهم يضطرون فى بعض الأحيان للاعتراف به صراحة . ففى حديث قريب العهد لوزير التخطيط الحالى ، الذى تسلم مسئولية التخطيط فى مصر منذ بداية الثمانينيات ، تحدث الوزير عما تعرضت له مصر فى السبعينيات من « اغراء وتوجيه للاستدانة » من جانب الدول الصناعية بسبب « زيادة الفائض المالى لديها »(٩) ولانرى من جانبنا سببا للاعتقاد بأن نفس « الاغراء والتوجيه للاستدانة » اللذين مورسا فى السبعينيات لم يمارسا أيضا خلال النصف الأول من الثمانينيات . قد يكون الأمر قد اختلف بالفعل عما كان عليه فى السبعينيات من حيث مدى توافر الأموال السائلة لدى الدول المقرضة ، ولكن المصالح الأخرى التى يحققها الاقراض للمقرض استمرت قائمة بطبيعة الحال ، خاصة مع استمرار الكساد الاقتصادى فى الدول الصناعية ، وهى المصالح المتمثلة فى تصريف سلع وخدمات يصعب تصريفها بعائد مجز .

من الأمثلة الصادقة لذلك مايذكره تقرير صادر عن الجهاز المركزى للمحاسبات فى مصر عن مشروع الصرف الصحى لمدينة الاسكندرية ، ومشروع تطوير ميناء السويس ، اللذين مولا بقروض أمريكية ، وذهب ٥٩,٥٪ من حصيلة القرض الأول و٤٣,٣٪ من حصيلة القرض الثانى مقابل أتعاب المكاتب الاستشارية الأجنبية التى قامت باعداد الدراسات الخاصة بالمشروعين ، وما يذكره نفس التقرير من نفقات شحن بعض السلع التى تشتريها مصر من الولايات المتحدة بحصيلة بعض القروض الأمريكية ، وتشترط اتفاقية القرض شحنها على سفن أمريكية ، تبلغ فى بعض الأحيان أربعة أضعاف الأسعار السائدة للشحن ، وأن وزارة الصناعة المصرية أخطرت الجهاز المركزى للمحاسبات بخطاب مؤرخ فى ١٩٨٥/٦/١٢ ، بأن أسعار بعض السلع الامريكية التى تمولها قروض امريكية تبلغ فى بعض الاحيان ضعفى الأسعار المتاحة لمصر من دول أخرى .(١٠)

● الديون العسكرية

على أن أكبر مغنم يتحقق للمقرضين ، هو بالطبع الذى يأتى من الاقراض العسكرى ، وهذا يقودنا الى الوجه الثانى للاعتراض على توجه السياسة العامة فى النصف الأول من الثمانينيات . إن ديون مصر العسكرية قد زادت كما رأينا بنحو ٨٠٪ فى خمس سنوات (من نحو خمسة بلايين فى ١٩٨١ إلى ٩,٨ بلايين فى ١٩٨٦) . وقد بدأت الزيادة الكبيرة فى الديون العسكرية فى ١٩٧٩ ، مع بداية الاقتراض لأغراض عسكرية من الولايات المتحدة فى أعقاب اتفاقية « السلام » ، بقرض قدره ١,٥ بليون دولار . ثم تزايد الاقراض العسكرى باطراد حتى بلغت

ديوننا العسكرية للولايات المتحدة ٤,٥ بليون دولار في مطلع ١٩٨٥ . حينما أصبحت المعونات العسكرية الأمريكية منذ ذلك الوقت منحا لاترد . ولكن ما كان قد تم اقتراضه اقترن بشروط بالغة القسوة استمرت في ارهاق كاهل ميزان المدفوعات المصرى ولاتزال . فقد بلغ سعر الفائدة الذى قدمت هذه القروض العسكرية بمقتضاه ١٢٪ في المتوسط . الأمر الذى كلف ميزان المدفوعات في ١٩٨٢/٨١ ، كفوائد على الديون العسكرية وحدها ، ١٧٢ مليون دولار ، ارتفعت الى ٤٦٣ مليون في ١٩٨٥/٨٤ او مايمثل ١٣٪ من اجمالى خدمة الديون الخارجية في تلك السنة ، ويتوقع أن تصل خدمة هذه الديون العسكرية الى قمتها في ١٩٩٤ ، حين تبلغ ٧٠٠ مليون دولار . اقترنت هذه القروض العسكرية ايضا بعقوبات على التأخير في سدادها تتمثل في اضافة اربع نقاط مئوية الى سعر الفائدة المتفق عليه (فيصبح سعر الفائدة ١٦٪ بدلا من ١٢٪) على كل مبلغ يتأخر سداده لمدة ستين يوما او اكثر . وقد بدأت مصر بالفعل في التأخر في سداد هذه الديون في ١٩٨٤ ، ثم لم تستطع أن تدفع في السنة التالية أكثر من ٣٨٪ من المستحق دفعه منها . وقد قدر بنك التمويل الفيديرالى (الأمريكى) حجم المتأخرات من هذه الديون في يولية ١٩٨٦ بمبلغ ٥٢٧ مليون دولار .(١١)

● هيكل المديونية في منتصف ١٩٨٦

يهمنا هنا أن نبين ما آل اليه هيكل المديونية الخارجية لمصر في منتصف ١٩٨٦ . وما اتسم به من اختلال واضح لصالح الكتلة الغربية ، بعد أن كان هذا الهيكل يتسم بدرجة عالية من التوازن بين الكتلتين في ١٩٧٠ . ففى آخر يونيو ١٩٨٦ كان التوزيع النسبى لاجمالى قروض مصر العامة المدنية ، الطويلة والمتوسطة والقصيرة الأجل (٣٠ بليون دولار) على النحو التالى : ٢٥٪ للولايات المتحدة ، ٣٢,٣٪ لبقية الدول الغربية واليابان واستراليا ، ٩,٥ لمجموعة البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ٢١٪ لدول ومؤسسات عربية ، ٣٪ للكتلة الشرقية (١٢) وهكذا اقترن التحول في السياسة الاقتصادية والخارجية لمصر منذ بداية السبعينات بارتفاع نصيب الدول والمؤسسات الغربية والمنظمات الدولية السائرة في ركابها من ٤٦٪ من ديون مصر المدنية في نهاية ١٩٧١ الى ٦٨٪ في منتصف ١٩٨٦ ، وارتفع نصيب البلاد العربية من نحو ١١٪ الى ٢١٪ ، بينما انخفض نصيب الكتلة الشرقية من ٤٣٪ إلى ٣٪ خلال نفس الفترة .

هوامش الدراسة

١ ـ اعتمدنا في الوصول الى هذه التقديرات على عدة مصادر منها : تقرير غير منشور لصندوق النقد الدولى بعنوان :

Arab republic of Egypt : recent Economic developments june 19,1984.

ورمزى زكى : بحوث فى ديون مصر الخارجية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠٧

Middle East Economic Survey , March, 30, 1987 :

وكذلك : Butter, D : Debt and Egypt's Financial policies,

وهو بحث مقدم لندوة عقدت فى كلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن فى ١٨/٥/ ١٩٨٧ تحت عنوان :

Politics and the Economy in Egypt Under Mubarak..

٢ - وزارة التخطيط : الاطار العام التفصيلى للخطة الخمسية (٨٢/٨٣ - ٨٦/١٩٨٧)
الجزء الأول ص ١٦٣ - ١٦٥ .

٣ - انظر مقال Butter الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ٢ ، وتقريرى السفارة الأمريكية بالقاهرة عن الاقتصاد المصرى ، بعنوان :

Economic Trends Reprt

فى يونيه وديسمبر ١٩٨٦ .

٤ - تقرير السفارة الامريكية عن الاقتصاد المصرى ، ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٢٤ , ٢٥

٥ - انظر حديث الدكتور كمال الجنزورى لمجلة المصور (٣/٧/١٩٨٧) ص ٢٢

٦ - وزارة التخطيط المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٩ ، - ٢٠ ، ٢٦

٧ - حسبت هذه النسبة من الأرقام الواردة فى : البنك الأهلى المصرى : النشرة الاقتصادية العدد (١) ١٩٨٥ ، ص ٧٥

٨ - وزارة التخطيط ، المرجع السابق ، ص ٢٨

٩ - مجلة المصور ، العدد سالف الذكر ، ص ٢٠

١٠ - الجهاز المركزى للمحاسبات : تقرير عن المديونية الخارجية لمصر فى ٣٠/٦/١٩٨٤ والسياسات المؤثرة عليها ، (بدون تاريخ) غير منشور ص ٧

١١ - من مذكرة امريكية رسمية غير منشورة

١٢ - حسبت من بحث Butter الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ٢

ابتسامات

● وفاق عائلي

نظر الرجل الى زوجته ، حين واجهته بمعطف جديد من الفرو ،قال لها انني رجل عاقل ولن اسمح بان يهدد شيء كهذا وفاقنا العائلي وسعادتنا فاعيديه الى المتجر فوراً .. !!

● العكس صحيح

التقى رجلان في حفل كوكتيل في باريس ، واثناء الحديث، قال احدهما للآخر : انظر الى هاتين السيدتين الشقراء والسمراء ، ان واحدة منهما هي زوجتي والاخرى الشقراء وعلى الفور قال له الثاني : غريب بالنسبة لي العكس هو الصحيح ! .

● فترة حداد

عرف عن الايطالية الشقراء « كلوديا » انها كانت تحب زوجها الى درجة الجنون ، ومع ذلك شوهدت بعد ان توفى زوجها باسبوع مع شاب زنجي . وحين سألها أحدهم : كيف ولماذا تفعلين ذلك ، اجابت ببساطة وماذا افعل انا لا ازال في فترة الحداد !!

● تبادل قبلات

سئل النجم الفرنسي موريس شيفالييه عن السبب الذي يجعل الرجال الفرنسيين يتبادلون القبلات على الوجنتين ، فقال : لاننا نحن الفرنسيين نحب ان نجدد معارفنا ، ولهذا قد نقبل رجلا لم نره منذ خمس سنوات ، او فتاة لم نرها منذ خمس دقائق !!

● شكر

قال مدير الشركة للموظف الذي يعمل عنده : انا اعرف انك لن تستطيع ان تتزوج بالمبلغ الذي اعطيته لك ، ولكنني اعرف انك ستشكرني على ذلك في يوم من الايام !

● صداقة

قال صديق لصديقه : لقد قلت انك ستبقى صديقي للنهاية، اذن اقرضني مائة دينار فرد عليه صديقه : وهكذا نكون قد وصلنا الى النهاية !!

● مثالية

قال أحد الكتاب : عندما كنت شابا قررت الا اتزوج الا من المرأة المثالية وقد وجدتها بعد اعوام ، ولكنها كانت تبحث هي الاخرى عن : رجل مثالي !!

أنت .. و الهلال

المجمع اللغوى

● **جاء فى « المعجم الوسيط » الطبعة الاولى ـ وهى التى بين يدى ـ عند الحديث عن معانى « الخضراء » ما يلى :**

« وخضراء الدمن : يكنى بها عن جميل الظاهر قبيح الباطن، لانها تنبت على المزابل ونحوها ، فتكون حسنة المنظر قبيحة المخبر. وفى الحديث : « اياكم وخضراء الدمن . قيل وماذاك يا رسول الله ؟ فقال : المرأة الحسناء فى منبت السوء » .. والحديث الذى ذكره « المعجم » ـ فيما أعلم ـ غير صحيح ، وقيل من بين ما قيل فيه انه ضعيف جدا ، وعلى أحسن الوجوه فقد وصف بأنه ضعيف .فهل يليق بالمجمعيين الاعلام أن يستشهدوا بحديث هذه صفاته ، فى مجال لغوى ، ولا شك أن من بينهم متخصصين ؟! وان كانت هناك وجهة نظر فنحن فى شوق الى معرفتهـــا من حضراتهم ..

احمد قاسم احمد ـ قنا

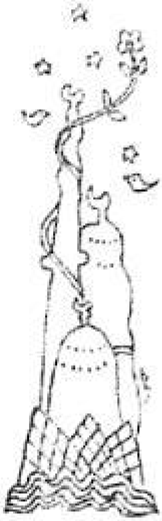
ثلاث رسائل

● **جاءتنا الرسائل الثلاث التالية من الشاعر الدكتور احمد عامر الطبيب البيطرى بمدينة شبين القناطر :**

١ ـ قال فى الرسالة الاولى ما يلى :

« نكتب اليكم رائعتنا مزدوجة القافية ونسألكم : منذ قامت حرب العبور ، وحتى الان ، هل نشرتم ، أو حتى قرأتم قصيدة على مستوى هذه الرائعة ؟!.. اقرأوا وسبحوا معنا بحمد الله الذى يهب لمصر هذا العطاء .. يهدينا الله واياكم » .

وقفت على مر العصـــور
تزهـــو الاذن والقبــب
والى السماء امتــد نور
والازهــر العــالى سبب
اهرامنــا فوق الـــدهور
تعلو بمصـــر على السحب
يا جنـــة الضيف الوقور
انت الســياحة ان رغـب



٢ ـ وقال الدكتور عامر في الرسالة الثانية ما يلي :

« السلام عليكم ، وبعد ·· نحن نكتب اليكم أعلى مستويات عرفها الشعر العربي والحمد لله ··

وهذا العصـــر سادته جيوب
قد انتفخت على أغلى الثياب
فليس الفارس المغـــوار الا
بطينا عال في الثوب المهـــاب

٣ ـ وقال الدكتور أحمد عامر في رسالته الثالثة :

« قال عمر بن الخطاب : « صديقي من أهدى الى عيوبي » ·· ونحن من أجل انتمائنا الحقيقي لمصر ·· ومن أجل الاخلاص للشعر العربي ·· وللموهبة الأصيلة التي وهبها لنا الله ·· نرى من واجبنا أن نصارحكم ·· الستم بتمزيقكم المستمر لروائعنـــا تشاركون في تكثيف أزمة الشعر المزعومة في مصر وفي الوطن العربي ·· انكم باجتزائكم القاسي وتبديلكم بعض المفردات اللآلىء الشاعرة ·· وبالنشر الى جوار نماذج مشوهة للناشئين المتعثرين في زاوية خاصة ·· تحاولون محاولات يائسة للنيل من روعة العمل الكامل وتشويهه في صورة ناقصة مبتورة لايهام الساحة العربية بافتقار الوطن العربي الى امتياز الابداع ، وانكم ـ يا صبركم الطويل ··!! ـ تشجعون وتحتملون ما لا يحتمله غيركم ··! أيها الاخ الكريم لا نريد لكم ـ معاذ الله ـ ان تكونوا كمن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ·· فروائعنا التي نزفها اليكم هي بعض من فضل الله ونوره علينا وعلى مصر ·· ونحن جزء من أرض مصر ·· هل يستحق الشاعر الدكتور أحمد عامر وهل تستحق مصر هذا التشويه لقصيدتنا الرائعة « وطني ·· »؟ ·· وهـــل لا ترى مجلة « الهلال » حتى الآن أن من حق الشـــاعر الدكتور أحمد عامر على سلطات التحرير بها أن يزينوا بأعمـــاله صدر مجلتهم ·· عفوا أقصد مجلتنا جميعا ·· ومجلة مصر ·· ومجلة العروبة ·· أيهـــا الاخ الكريم نأمل أن تكونوا قـــد ارتكبتم مـــا ارتكبتموه دون قصد ·· وأن تنتبهوا فيما بعد فنحن جميعـــا في سفينة واحدة ·· كما نأمل أن تصلحوا ما ارتكبتموه في حق مصر وفي حق قصيدتنا « وطني » وأن تزينوا بها صدر الهلال ·· وتبقى أنت يا وطني ·· منارا فوق خارطتي ·· وبعد : نتشرف بأن نزف اليكم في الصفحة التالية احدى روائع الحزن العربي وهي رائعتنا مزدوجة القافية : « يا ليل لا تحزن ·· » · وهل نشرت مجلة الهلال قصيدة أجمل من قصيدتنا هذه ؟؟

ـ أيها الاخ الكريم : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما مـــا ينفع الناس فيمكث في الارض » ··

قدر علينا أن نسير على الجـــراح ·
قدر علينـــــا أن نســـير ونبتسم

الطائر المشتاق مكتوف الجنـــاح
يمشى عـــلى قلب ينوء بعـــبا كتم
تلهو به ويحــــزنه هـــوج الرياح
يا غربة العمـــر المضـــاع بهجرهم
مالوا عن الشدو الجميل الى الصياح
يا طائر الاخـــلاص يا حلو النغم
الشاعر الدكتور احمـد
مصر العربية

● تعليق

ـ نشرنا رسائل الدكتور احمد عامر الثلاث ، وهى بعض رسائله الكثيرة فى هذه المعانى التى تلح على الدكتور من انه اشعر شعراء مصر والعرب ، واننا نضطهد قصائده الرائعة التى يعجز الشعراء جميعا عن الاتيان بمثلها . وقد صبرنا كثيرا على الدكتور ، ولابد أن نصارحه بكل حنان ونحن نربت على كتفيه فى مودة خالصة بانه مجرد شاعر من الشعراء الذين يوجد مثلهم فى كل مكان ، ولا يعيبه أن يكون شاعرا عاديا ، بل شاعرا عـاديا جدا ، أو حتى أقل من ذلك فى طبقات الشعراء ، ولكن يعيبـــه كثيرا هذا الزهو بنفسه وشعره الى الحد الذى يخرجه من الثقة بنفسه ، الى الغرور الشديد الذى يحجب عنه حقائق الاشياء ، وأولها انه لا يرسل الينا روائع واننا لا نبعث باللؤلؤ الذى يرسله الينا ، بل نرى هذا اللؤلؤ فى حاجة الى تهذيب فتغيير أو تبدل فيه ليكون اجمل فى عيون القراء ، فياعزيزنا الدكتور احمد عامر .. لقد تقبلنا كلماتك ونصائحك كلها ، فحاول انت أيضا أن تتقبل نصيحة واحدة منا ، وهى : القصد فى قول الشعر ، وبدلا من أن ترسل الينا كل شهر اربع قصائد او أكثر ، ارسل قصيدة واحدة ذات مستوى اعلى مما ترسله الينا ، واكتب بجوار إسمك اسم البلدة التى تعيش فيها لا اسم مصر كلها .

● خاطرة

فى هداة الليـــل بين الفجر والسحر
والفكر يجرى كسيل فوق منحـــدر
وحدى تذكرت انسام الهـــوى فسرت
لحنا شذيا يناغى هـــائم البصر
حتى اذا طارت الاحـــلام والتأمت
ستائر الروح .. فاض القلب بالعبر

ياسيد الحسن ان كان الغـــرام لظى
يشوى المحبين٠٠لا رحماك فى قدرى

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج

قصيدة قصيرة جدا
الاسماء والبحـــر



● كنت أقف وبعض الاشخاص الذين لا أعرفهم فوق جسر عال أمام منحدر ترابى يؤدى الى مدخل المدينة ، على يمين المنحدر بحر واسع عميق أزرق ملىء بالمراكب والسفن يمتد ضبابا حتى الافق ، وعن شمال المنحدر حقول من القمح والنباتات الاليفة ، وخلفى لم تكن صحراء ولا جبال ، كانت غابات وحقول ، تأملنى احدهم وقال :

ـ انت ٠٠٠٠٠٠ !

قلت : نعم أنا هو ٠٠

قال آخـــر :

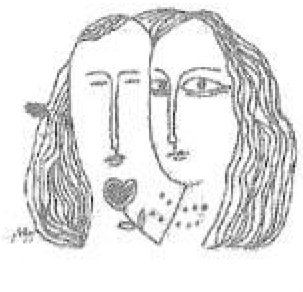
ـ انت ٠٠٠٠٠٠ !

قلت : نعم أنا هو ٠٠

صافحنى كلاهما بحرارة ، قلت لهما : لى أصدقاء هنا ، ولم أستطع النطق بأسمائهم ، ابتسم كلاهما وتركانى وحـــدى اتأمل بيوت المدينة ، قلت لنفسى : كيف سأبيت هنا وأى منهما لم يحاول استضافتى ، وقفت فى ظل شجرة شاردا ، بكيت ، فازداد البحر اتساعا ، وفى فمى أسماء من أحببتهم ولم أستطع النطق بأسمائهم ٠

سعد الدين حسن

● مالا يجوز فى الحب



احبك لا شك فى أن احب حياتى
ولا شك انك اكبر من كلماتى
ولا شك انك اغنية صعبة الفهم
لا شك انك اصعب من قدراتى
انا لاابرر شيئا
ولكننى لا اجيز الكلام عن الحب
حين تكون القضية بينى ٠٠٠
وبين حياتى ٠٠٠!

محمد سعد
قصر ثقافة أسيوط

● غرور بعض الشبان

● الشعر يولد فى العراق وينمو ويترعرع فى الشام ويموت فى مصر .. هذه العبارة التى أطلقها الشاعر نزار قباني مازالت تدوى فى أذن الاجيال الشعرية الجديدة الطالعة كالوردة من بين الاشواك فلحن نحاول جاهدين ان نمحو هذه العبارة من ذاكرة التاريخ الشعرية تلك العبارة التى تلاحق الشعر العربى فى مصر فى كل ملتدى شعرى .

فلماذا لا تعطوننا فرصة .. فرصة واحدة فقط كى نشتعل فى البحر الطويل .. البحر الحرقى .. بحر الذهب !؟

ان جيل الثمانينيات - فى رأيى - هو الجيل الذى سيرفع رأس الشعر العربى فى مصر .. فنرجو أن تساعدونا على أن نرفع راسنا ونطبق المثل التركى : كن رأسا ولو رأس بصل .

عبد الله السبطى
اداب عين شمس

● تعليق

- اما قول نزار قباني ان الشعر يموت فى مصر ، فهذا من الكلام الذى يلقيه على عواهنه ، ومن الشطحات والتطوحات اللفظية المعروفة عن نزار قباني الذى هو فى الحقيقة شاعر متوسط الموهبة ، قليل المعانى والالفاظ ، لكنه كثير الضجيج والعجيج ، يركب الموجات ويحسن استخدامها فى ترويج كلامه .. اما انت يا سيد عبد الله ومن تسميهم الاجيال الطالعة فاين اشعاركم ، وهل منعناكم فرصة من الفرص ، ام انك وامثالك ممن لعب الغرور بعقولهم يتصورون ان الدنيا تضطهدهم ، والحقيقة انهم هم الذين يضطهدونها بادعاءاتهم التى لا تنتهى !.

ولا معنى لتقسيمك الشعراء الى جيل الثمانينيات وغيرها فليس لكل عشر سنوات جيل ، والامر كله عجز من بعض الشبان عن الرؤية ، ورغبة عارمة منهم فى أن يكونوا بغير حق راسا ، ولو رأس بصل ، كما تقول فى رسالتك !...

● حنان السعيد ابراهيم مكرم ـ تربية الزقازيق :
ـ عندك الروح الشاعرية ، لكن تفعيلاتك مازالت تفتقر الى الوزن ..

● محمود عبد اللطيف فايد ـ الاسكندرية :
ـ قصيدتكم « أشجان والد » هزت مشاعرنا ، ونهنئكم على حل تلك المسألة العائلية التى نظمتم فيها قصيدتكم هذه ، ونعتذر من عدم النشر لطول القصيدة ..

● محمود عبد الفتاح ابراهيم ـ طنطا :
ـ قصتك « شجرة » تدل على استعدادكم لكتابة القصة .. حاول صقل موهبتك بالدراسة والصبر الطويل ..

● رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :
ـ قصيدتك « لحن لم يتم » وقصيدتك « أحـــلام العودة » محاولتان طيبتان فى الشعر . ونرجو أن تفوز فى اخر الامر بهدفك فى مجال الشعر .

● الرفاعي عبد الحافظ حافظ ـ كليـة اللغة العربيـة بالمنصورة :
ـ لم نفهم هدفك من تعليقك على مقال البابا شنودة المنشور فى هلال أغسطس الماضى .. فهل تريد أن تشرح لنـــا أسباب الحروب الصليبية وكيف بدأت ومن الذى دعا اليها من قساوسة أوربا ؟!.. ان كان كذلك فلا جديد ، ولكنا نأخذ عليك غموض التعبير لدرجة يعجز معها القارىء عن فهم ما تريد قوله !.. ان أساس الكتابة هو الايضاح ، واسأل فى ذلك الاديب الكبير الدكتور محمد رجب البيومى عميد الكلية التى تتعلم فيها !..

● عمرو محمد عبد الحميد ـ ساقلته :
ـ قصتك « الشارب » تدل على رغبتكم فى كتابة القصة ، فاستمر حتى تجعل من هذه الرغبة عملا أدبيا ذات يوم ..

● محمود أحمد المصلى ـ شربين دقهلية :
ـ القصيدة التى أرسلتموها الينا تتحدث باسم رجل لبنانى عن وطنه وما يدور فيه من مآسى الحروب ، وقد توقفنا عن نشرها لاننا لم نفهم علاقتك بهذا الامر ، ونخشى أن تكون القصيدة لشاعر لبنانى ومدسوسة عليك !..

● ايهاب النجدى ـ جامعة القاهرة :
ـ لو بينت لنا الكلية التى أنت من طلابها لكان أفضل ، والمهم أن قصيدتك « ضاع العنوان » تختلط فيها التفعيلات الموزونة والاخرى غير الموزونة ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال . بسيونى زغلول الصفاه ـ ص . ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤.

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٨٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


٩٤
رحلة أسبوعيا
الى ١٨ مدينة
بالشرقين
الأقصى والأوسط
ودول الخليج
العربي
٢٠
رحلة أسبوعيا
الى ٩ مدن
افريقية
٦٧
رحلة أسبوعيا
الى ١٨ مدينة
في أوروبا وأمريكا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..


كتاب الهلال
يقدم :
التاريخ الذى أحمله على ظهرى (٣)
الثمار
بقلم : الدكتور سيد عويس
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم :
أماديوس
تأليف : بيتر شافر
ترجمة : شوقى فهيم
تصدر فى
١٥ نوفمبر ١٩٨٧


ديسمبر ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرش
الهلال
مصطفى النحاس
وربع قرن من
تاريخ مصر
الشرقاوى
”الفلاح“
صاحب ”الأرض“
أزمة
اليونسكو



من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامي تحمل عنوان "المراة والحكمة" ماخوذة عن إحدى حكايات الشاهنامة ، ويعود تاريخ رسمها الى القرن السادس عشر . وهي تصور ان المراة يمكنها ان تستمد حكمتها من استشارة الآخرين . ومن جمال الطبيعة التي حولها ..

وتكشف اللوحة مدى شغف الفنان بتعدد الالوان وتحطيمه للمناظير التشكيلية المتعارف عليها واستخدامه للعديد من الالوان الفضفاضة في نفس اللوحة ..

الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جرجي زيدان عام ١٨٩١ ـ
اول ديسمبر ١٩٨٧ ـ
١٠ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفني
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب



الغلاف : تصميم : الفنان
حلمى التونى

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● علوم ●

● قصص وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الابواب الثابته ●

عزيز الفاري

مذكرات مؤرخ الأندلس

الأستاذ محمد عبدالله عنان ـ كان ـ من أعظم حملة الأقلام فى مصر والبلاد العربية فى القرن العشرين ، ولكنه عاش عمره الخصيب المديد فى ظلال التواضع وإنكار الذات ورهبانية العلم ، حتى أوشك بعض المثقفين المصريين والعرب أن يجهلوا عنه أكثر مما يعلمون ، وفوجىء بعضهم بوفاته فى العام الماضى ، فقد كانوا يظنون أنه لحق بالرفيق الأعلى منذ زمن طويل !..

عاش محمد عبد الله عنان ٩٠ عاما .. ولد سنة ١٨٩٦ فى بلدة بشلا بمركز ميت غمر ـ محافظة الدقهلية ـ وتوفى سنة ١٩٨٦ واشتغل بالمحاماة والصحافة والتحق بالوظائف حينا ، وكتب فى الأدب والسياسة والتاريخ ، وترجم قصصا ومقالات عن الفرنسية والانجليزية والالمانية والأسبانية ، وأصدر فى الثامنة والعشرين من عمره أول كتبه التاريخية وهو "تاريخ العرب فى اسبانيا" .. فكان بداية مسيرته الطويلة الرائعة فى شعاب التاريخ العربى الأندلسى ، بعد طموس ـ معالمه ، وضياع أخباره ، وعفاء آثاره !

وكان كتابه هذا الذى بدأ يؤلفه وهو طالب فى الحقوق سنة ١٩١٥ ، يبشر بنجاح عمله الدءوب فى جمع تاريخ الأندلس من مصادره ووثائقه ، وقد استمر هذا العمل سبعين عاما ، طاف الأستاذ عنان خلالها اسبانيا وإيطاليا والبرتغال وفرنسا والمانيا والمغرب ، وبحث فى مكتبات مصر وأوربا وأمريكا حتى استكمل موسوعته الأندلسية فى سبعة مجلدات تضم خمسة الاف صفحة .

وخلال هذا العمل الكبير المتواصل ، أصدر كتبا غير مسبوقة فى مادتها ومنهجها عن الشعب العربى الذى عاش فى الاندلس ثمانمائة سنة .. وتعتبر كتبه الكثيرة الغزيرة هذه ، بجانب موسوعته ، أوثق وأهم ما كتب المؤرخون قديما وحديثا عن الاندلس ، وهى مرجع كل باحث فى التاريخ الاندلسى .

لقد كانت صفة الباحث العالم المحقق هى الصفة الأساسية للأستاذ عنان رحمه الله ، فلم يمد عينيه إلى ما وراء البحث والتحقيق العلمى ، ولم يتطلع إلى منصب أو مال أو جاه ، ولا اقام حول انتمه ما اقامه الكثيرون حول أسمائهم من ضجيج !..

كانت متعته الكبرى هى التجوال فى الاندلس . من طليطلة إلى قرطبة إلى شبيليه . وخص غرناطة ـ آخر ارض عربية اندلسية ـ باهتمام خاص . وعاطفة مشبوبة . فزار مدنها .. من رندة إلى الجزيرة وبسطة والمرية وطريف وجبل طارق . وسار متأملا فوق ضفاف نهر غرناطة المشهور "شنيل" وصعد فى جبال سييرانفادا . ووقف بقصور الحمراء . وقضى الأيام والليالى فى مكتبة الاسكوريال ومكتبات مدريد وبرشلونة وبلنسية وغرناطة . ثم مكتبة الفاتيكان وكاتدرائية سرقسطة . وتعلم اللغة الاسبانية لكى يفهم الوثائق القشتالية "الإسبانية" .. حتى اجتمع له تاريخ الأندلس كله . من بدايته الظافرة التى شهدت عبور جيوش طارق بن زياد . إلى نهايته الآسيفة التى شهدها بهو قصر الحمراء الكبير حينما جمع الأمير أو السلطان ابو عبد الله ـ آخر حكام العرب الاندلسيين ـ فقهاء سلطنته وأعيانها ليتبادلوا البكاء والعويل ويرددوا مع السلطان المهزوم هتافهم المأساوى الأخير : "الله أكبر . ولا راد لقضاء الله" .. ثم يوقعوا صك التسليم الذليل لفرديناند ملك قشتالة . وزوجته إيزابيلا ملكة أراجون . ليحمله إليهما كبير امناء الملك ممهوراً بتوقيع السلطان ابى عبد الله !..

وقد تخفف الأستاذ عنان فى أخريات ايامه من التأليف فى التاريخ . وتفرغ لكتابة مذكراته الشخصية . كأنه يكتب لنفسه سيرة ذاتية . او تاريخاً خاصا يشمل قصة حياته وكفاحه العلمى والأدبى من البداية إلى آخر المطاف ..

وأوصى ـ رحمه الله ـ بتسليم هذه المذكرات إلى "كتاب الهلال" لإصدارها ضمن سلسلته . وقد رحبنا بها بحرارة . وقررنا إصدارها فى كتاب الهلال فى يناير القادم إن شاء الله ..

وينشر "الهلال" من هذه المذكرات مقالتين . إحداهما فى هذا العدد الذى بين يديك . والأخرى فى العدد القادم .

إن محمد عبد الله عنان الذى عاش مستقل الفكر . ميالا إلى المذاهب الأحرارية بعد أن مال فى شبابه بعض الوقت إلى الاشتراكية . قد اصطدم استقلاله الفكرى بثورة ٢٣ يوليو المصرية العربية . فاشتد . أو اشتط فى الحديث عنها فى مذكراته . على أنه أنجز أعظم مؤلفاته فى عهدها . ولم تتداخل فى عمله ولم تعرقله . ولكنها أيضا لم تساعده . ولعل السبب أنه كان دائما منطويا منزويا منهمكا فى عمله بعيدا عن الناس ..

ولا ينقص من مذكرات الأستاذ عنان وأهميتها الكبيرة . ما يتخللها من المناقشة الحادة لثورة ٢٣ يوليو . فإن عصرنا هو عصر المناقشات الصريحة الساخنة لكل ما صنعه أهل اليسار وما صنعه أهل اليمين فى كل مكان فى العالم .

وياعزيزى القارىء .. إننا ندعوك إلى اللقاء مع هذا المؤرخ العظيم فى مذكرات حياته . من خلال ما ينشره الهلال . ثم فى كتابه كاملا فى يناير القادم ان شاء الله ..

عبد الله عنان فى مذكراته :

كيف يعمل الصحفى المستقل فى صحيفة حزبية؟ كيف أفقدت البلشفية روسيا امتيازاتها فى مصر؟

بقلم : محمد عبد الله عنان

يقدم الهلال ، هذا الجزء من تاريخ الثقافة والصحافة ودور النشر والمنتديات الأدبية فى مصر فى مطلع هذا القرن ، يكتبها المؤرخ الكبير الاستاذ عبدالله عنان ، وهى صورة قلمية من تجربته الشخصية ، يرصد خلالها بداية قيام الأحزاب السياسية فى مصر وصدور صحفها الخاصة ، والتى تنشر لأول مرة .

وينقل تجربته ككاتب عمل فى جريدة يصدرها حزب لاينتمى اليه



عبدالله عنان

في سنة ١٩٢٤ كان اتصالي بجريدة « السياسة » ، وكانت تصدر يومئذ باعتبارها لسان حال حزب الأحرار الدستوريين . وكان صدورها قبل ذلك بعامين حادثا مدويا في عالم الصحافة المصرية ، وذلك لما احتشد في تحريرها من أكابر كتاب العصر ، ولما كانت تبتكره من أبواب جديدة في الفن الصحفي . وكان رئيس تحريرها يومئذ المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، وقد لبث في هذه الرياسة أعواما طوالا ، حتى تطورت الأحوال السياسية واحتجبت السياسة . وكان يعاونه في تحريرها يومئذ رهط من أعلام الكتاب والصحفيين ، أمثال الدكتور طه حسين ، والأستاذ توفيق دياب ، والأستاذ محمود عزمي بعد ذلك بقليل ، والأستاذ عبدالحميد حمدي ، وغيرهم . ويشترك في تحريرها من الخارج أصدقاء أعلام مثل المرحومين الشيخ مصطفى عبدالرازق ، وأخيه علي عبدالرازق ، والشيخ عبد العزيز البشري ، والدكتور محمد ولي ، والدكتور محمد صبري السوربوني ، والأستاذ المازني ، وغيرهم . وقد كان من حظي أن التحق بهذا الحشد اللامع من رجال الفكر والقلم ، وذلك في ظروف لم تكن تخطر ببالي . وكان الفضل في ذلك يرجع الى صديقي وبلديّ ، المرحوم الدكتور سيد بك شكري ، وكان يومئذ مديرا لمستشفى زفتى الأميري ، وكان يسكن في الضفة الأخرى بميت غمر ، وكنا نجتمع كل مساء مع عدد مختار من الأصدقاء ، من محامين وأطباء ورجال أعمال ، وموظفين في مقهى ميت غمر الكبير الفاخر المسمى بمقهى « بابا » ، وأحب بهذه المناسبة أن أنوه بما كانت عليه مدينة ميت غمر من الجمال ، وروعة موقعها وكورنيشها على النيل ، مقابل قرينتها مدينة زفتى ، وبفخامة صروحها ومبانيها ومنتدياتها ، وجمال تخطيطها ونظافتها . وقد كان ذلك يرجع أولا الى غنى ميت غمر ورخائها ، وكثرة رجال المال والأعمال من أعيانها ، وثانيا الى أنه كانت بها جالية يونانية كبيرة نشيطة ، أنشأت بها كثيرا من المحال والمنتديات الجميلة من مقاه ومطاعم وفنادق ، ومنها مقهى بابا الفخم الكبير . وكنت أقول دائما أن بلدتي ميت غمر هي أجمل مراكز القطر المصري ، وأن مدينة المنصورة بندر مديريتي الدقهلية ، هي أجمل بنادر القطر المصري

وقد كان جمال المنصورة فى ذلك العهد يرجع الى وجود المحاكم المختلطة بها ، وهى تضم جالية اجنبية مختارة من القضاة والمحامين والموظفين القضائيين ، هذا الى جالية أخرى يونانية كبيرة نشطة على منوال جالية ميت غمر ، ثم الى وجود عدد كبير من البيوتات العريقة والارستقراطية ، ولكن من شديد الأسف أن تغيرت الظروف ، وتطورت الأحوال فى معظم المدن المصرية فى العهد الأخير ، وفقدت كثيرا من جمالها السابق وفخامتها القديمة . وذلك لاختلاف موازينها الاجتماعية ، نتيجة ما وقع من تغييرات طبقية مفتعلة بقوة التشريع ، وكانت خسارة المنصورة وميت غمر فى ذلك كبيرة ، أولا ، لانتهاء عهد المحاكم المختلطة ، ونزوح الجاليات الأجنبية عنها نظرا لما وقع من مطاردتها دون تفريق بين العناصر النشطة الشريفة ، والعناصر السيئة ، وثالثا لسوء الأحوال الاقتصادية ، وزحف الفقر الى معظم الطبقات ، وانخفاض المعايير ، والتدهور الأدبى والمعنوى الذى أصاب المجتمع المصرى فى العهد الأخير .

● [illegible]

وأعود بعد ذلك الى موضوعى الأصلى ، وهو اتصالى بجريدة السياسة ، وفضل صديقى المرحوم الدكتور سيد بك شكرى فى عقد هذا الاتصال . وكانت تربط الدكتور صداقة متينة العرى بالمرحوم الدكتور حافظ عفيفى (باشا) زميله فى الدراسة بمصر وأوربا ، وكان يومئذ من اقطاب الاحرار الدستوريين ، ويتولى ادارة جريدة السياسة العليا . وكانت السياسة تصدر يومئذ عن دارها الأولى فى شارع المبتديان ، فقدمنى اليه الدكتور شكرى ، واطنب فيما كنت أتمتع به من معارف ومزايا لغوية وتحريرية . ووافق الدكتور عفيفى فى الحال على أن يضمنى الى تحرير السياسة . وكان ذلك فى أواسط سنة ١٩٢٤ . وكانت هذه الصلة الأولى بينى وبين الدكتور عفيفى ، بداية لما أصبح فيما بعد صداقة العمر بينى وبينه . وسرعان ما شعرت بما تنطوى عليه هذه الشخصية المصرية الفذة ـ شخصية حافظ عفيفى ـ من صفات ممتازة ، واخلاق رفيعة ، ومواهب أدبية وفنية لامعة .

وكان الدكتور هيكل قد عهد الى بان اقوم بتحرير عمود الصفحة الأولى من السياسة الذى يحمل عنوان « اخبار خارجية » . وكانت تربطنى به الصفة المهنية ، صفة المحامى ، وكان قد اشتغل بالمحاماة وقتا ثم اعتزلها ، ثم ظهر بمقالاته التى كانت تنشرها جريدة الاهرام حول الأحداث المصرية ، والتطورات السياسية التى كانت تتوالى فى ذلك الوقت . وكنت أشعر أن هذه الرابطة الأدبية مما يقوى صلاتنا الصحفية . هذا الى ما كان يمتاز به الدكتور هيكل من رقة وادب جم ، وحديث ممتع ومعارف واسعة . وكان صدور جريدة « السياسة » فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، حادثا صحفيا عظيما ، لا لانها كانت فقط لسانا لحزب قوى يضم طائفة من اقطاب السياسة المصرية ، ولكن لانها كانت بالأخص منذ صدورها ، حسبما اسلفنا مسرحا لأقلام جمهرة من اعلام الكتاب

والصحفيين ، الذين كان لهم اثر كبير فى سير النهضة الادبية والصحفية .. وكانت فضلا عن كونها صحيفة راى ، وصحيفة كفاح حزبى ، فتحا جديدا فى الفن الصحفى ذاته . وقد اشتهرت بصحفها الادبية والعلمية والفنية والاقتصادية والزراعية التى كان يحررها اكابر الاخصائيين ، كما اشتهرت بمقالاتها السياسية ، القوية وأسلوبها الادبى الرفيع . وكان لمقالها السياسى الرئيسى ، حديث اليوم » ، وهو الذى كان يحرره على الأغلب الدكتور هيكل دائما وقع ملحوظ فى الدوائر السياسية ، نظرا صفته الحزبية ، ولما كان يمتاز به من قوة الحجة وبلاغة الأسلوب وكان من وراء السياسة بعض أقطاب الحزب الممتازين يوجهونها ويغذونها بآرائهم ومعلوماتهم .

وكان فى مقدمة هؤلاء الدكتور حافظ عفيفى بك ، فقد كان له أعظم أثر فى توجيه جريدة السياسة ، وتنسيقها واختيار موضوعاتها ، وتزويدها بكثير من الآراء والمعلومات القيمة . واشتهرت السياسة أيضا بمحاضرها البرلمانية الشهيرة التى كان يحررها الأستاذ محمود عزمى أيام وزارة سعد باشا ، والتى كان من أثر تصويرها اللاذع أن منعت السياسة من شهود جلسات البرلمان . وفى وزارة سعد باشا أيضا صودرت السياسة وأغلقت مطبعتها أياما وقدم رئيس تحريرها وصاحب امتيازها الى محكمة الجنايات فى يونية سنة ١٩٢٤ لحملتها على البرلمان الوفدى فى مقالات رنانة عنوانها « حزب الستماتة » . ولكن حكم القضاء بالافراج عن مطبعتها ، وقضى على رئيس تحريرها بالغرامة . واستأنفت السياسة صدورها أشد ما تكون عزما على النضال . وبلغت يومئذ ذروة الانتشار ، اذ كانت تطبع نحو أربعين الف نسخة ، وهو رقم لم تبلغه اية جريدة مصرية أخرى من قبل .

● [illegible]

وهكذا بدأت عملى فى السياسة بتحرير باب « الأخبار الخارجية » ، وكنت أستعين على تحريره بقراءة الصحف الانجليزية والفرنسية ، واختيار ما أستطيع منها من النبذ الاخبارية الطريفة . وكان الدكتور عفيفى من جانبه يقدم الىّ من آن لآخر ، بعض اعداد من الصحف الفرنسية التى قرأها ، ووقع فيها على بعض الأخبار والنبذ الشائقة ولاسيما جريدتى « الجورنال » و « الكوتيديان » . وكان هذا التعاون بيننا يقوى ويتوثق مع الزمن ، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أنشر فى صحف السياسة الخاصة (الثانية أو الثالثة) بعض البحوث التاريخية مما كنت قد أعددته من قبل ، أو وقع اختيارى عليه ، وأذكر من ذلك فصلا عن « العقاب والتعذيب فى العصور الوسطى » وبحثا عن ابن خلدون عنوانه « ابن خلدون مؤرخ الحضارة فى القرن الرابع عشر » بقلم المستشرق « فون فيسندنك » ترجمته عن مجلة « دويتشه روتشاود » الألمانية ، وغيرهما . وهكذا ألفيت الميدان أمامى فسيحا للتحرير والنشر ، فى جريدة محترمة ، وفى وسط رفيع من أكابر كتاب العصر ، والى جانب نخبة من رجالات مصر ، الذين كانت تحفل بهم دار السياسة باستمرار . وأود أن أنوه هنا

بحقيقة بارزة ، هى اننى بالرغم من مساهمتى فى تحرير جريدة السياسة ، لسان حزب الأحرار الدستوريين واتصالى بكثير من أقطاب هذا الحزب ، فانه لم يخطر ببالى مطلقا ، أن أتجه الى هذه الناحية الحزبية ، أو اتسم بها بأية حال . بل ولقد حرصت أشد الحرص على ألا أغمس قلمى فى أى موضوع سياسى محلى أو حزبى ، لاننى كنت ألتزم اشد الالتزام بصفتى المصرية ، ولا ابغى نزوعا عنها لأية ناحية حزبية . ولقد كان المشرفون على تحرير السياسة ، وفى مقدمتهم الدكتور هيكل ، والدكتور حافظ عفيفى ، يشعرون منى بهذا الالتزام ، وهذا العزوف المطلق عن الاتجاهات الحزبية ، ويحترمون عزلتى وشعورى ، ويوقنون انى أدين بمبدأ مخلص لا تشوبه اية شائبة ، ولقد كنت حينما توالت بى الأعوام فى تحرير السياسة ، واضحى من واجبى ان أساهم فى تحرير افتتاحيات الجريدة ، التزم الكتابة فى السياسة الدولية ، أو الشئون الدستورية ، وشئون الامتيازات الأجنبية ، والقضاء المختلط وكان لى بالأخص فى شئون الامتيازات الأجنبية والقضاء المختلط حملات شديدة ، كان لها تأثيرها العملى . واذكر من ذلك اننى عقب وفاة المسيو ستولوف القاضى الروسى بالمحكمة المختلطة (سنة ١٩٢٧) ، ومحاولة اختيار قاض أجنبى مكانه ، اننى نشرت فى السياسة مقالا شديد اللهجة ، بينت فيه أن روسيا السوفييتية ، لم تعد لها اى امتيازات اجنبية ، وان مصر لم تعترف بها ، وان مكان القاضى المتوفى يجب ان يخرج عن سلطان القضاء المختلط ، الى نطاق السيادة المصرية وانه من حق مصر أن تعين قاضيا مصريا فى هذا المنصب القضائى الذى آل اليها بفقدان روسيا البلشفية لامتيازاتها القديمة ، وقد كان لهذا المقال اثر عميق فى الاوساط القضائية ، وكان من اثره أن تراجعت محكمة الاستئناف المختلطة عن محاولتها ، وعينت الحكومة المصرية قاضيا مصريا مكان القاضى المتوفى ، هو المرحوم الدكتور عبدالسلام ذهنى .

وكان من آثار وجودى فى تحرير السياسة ، أن اتصلت فيمن اتصلت بهم ، بآل عبدالرازق : مصطفى عبدالرازق ، وعلى عبدالرازق ، ومحمود عبدالرازق ، وكان مصطفى وعلى يكتبان فى السياسة من آن لآخر . وكان أخوهما محمود باشا من قادة حزب الأحرار الدستوريين ، بل قائده الأول ، وكنت أتردد من آن لآخر مع الدكتور هيكل على منزل آل عبدالرازق الواقع خلف سراى عابدين ، وسرعان ما ادركت ما كانت عليه هذه الأسرة من العراقة والنبل ، وما كان عليه أولئك الاخوة الثلاثة من رفيع الخلال ، بل استطيع ان أقول إننى لم اشهد بين الأسر المصرية العريقة أسرة تضارع آل عبدالرازق ، فى رقة الخلال ، وفى الكرم ، والأدب ، والتواضع ورحابة الصدر . اذكر انى كنت مع الدكتور هيكل ذات يوم فى حديقة منزل آل عبدالرازق ، وجاء السفرجى يقول : « تفضلوا ، الاكل جاهز » ، فقمت استأذن الدكتور هيكل فى الانصراف ، فقال لى

.. ى اين ؟ » . فقلت : انى لم ادع الى الغداء . فقال : « وأنا كذلك لم أدع ، ولكن تقليد آل عبدالرازق ان يشترك دائما فى السفرة من وجد من الأصدقاء والزوار ، أكانوا من المدعويين أم لا » . ولقد توثقت علاقتى على مر الأيام بالأستاذين الكبيرين مصطفى عبدالرازق وعلى عبدالرازق . وكان الأستاذ على فى أواسط العشرينيات يشرف على اصدار مجلة شهرية ، تسمى بمجلة الرابطة الشرقية تعنى بشئون الأمم الاسلامية الشرقية ، فدعانى الى المساهمة فى تحريرها ، فاستجبت مغتبطا ، وكانت تطبع فى مطبعة احمد باشا شفيق الخاصة التى يقوم بطبع « حولياته السياسية » فيها فتعرفت به . وازدادت هذه الصلة فيما بعد الى أن طلب منى شفيق باشا مساعدته على تنظيم مذكراته . وكان يقيم فى شبرا فى فيللته المطلة على النيل . وكنت فيما بعد أسكن فى شبرا قريبا منه ، فكان هذا القرب مما سهل على تحقيق رغبته فى تنظيم هذه المذكرات المهمة ، التى نشرت فيما بعد تحت عنوان « مذكراتى فى نصف قرن » ، وكان لما ورد فيها دوى شديد فى قصر عابدين ، ودعى شفيق باشا للتحقيق معه فى بعض ما ورد فيها ، وسحبت نسخها من المكتبات . واذكر بهذه المناسبة اننى التقيت لدى شفيق باشا لأول مرة بالآنسة مى زيادة ، ابنة الصحفى المعروف الأستاذ الياس زيادة ، صاحب جريدة « المحروسة » ، وكانت يومئذ قد ذاعت شهرتها الأدبية . وكانت فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها فتاة متوسطة القوام تميل الى السمرة ، ولكن السحر كان ينفث من عينيها ومن حركاتها والفاظها ، وقد التقيت بها فيما بعد فى احدى حفلات نادى القلم ، ثم توطدت بيننا أواصر مودة اشير اليها فيما بعد .

وهنا اقف قليلا ، لأعطف على ذكر حادثين وقعا وقت أوائل عملى فى السياسة ، وكان لهما اثر عظيم فى حياتى الأدبية . أولهما صدور كتابى « تاريخ العرب فى اسبانيا » (سنة ١٩٢٤) وقد كان مجهودا متواضعا ، ولكنه حسن التنسيق ، غنى المادة ، ويشتمل على موجز فى تاريخ الأندلس منذ الفتح ، حتى عصر الناصر لدين الله (فى نحو مائتى صفحة) ، وكنت قد بدأت فى كتابته منذ أيام دراستى فى الحقوق ، وقرأت من أجله عددا من المصادر العربية الجامعة ، وبعض المصادر الأوربية مثل دوزى ولاين بول ، وقد كانت هذه الفاتحة الأولى فى البحوث الأندلسية رغم ضآلتها أساس مجهوداتى الكثيفة الواسعة النطاق فيما بعد ، فى ميدان الدراسات الأندلسية ، ودليلا اتبعته فى تنظيم مراحل التاريخ الأندلسى فى موسوعتى الأندلسية ، التى اشتغلت من أجلها فيما بعد زهاء عشرين عاما فى مدريد والاسكوريال وغرناطة والمغرب وغيرها ، والتى تبلغ سبعة مجلدات كبيرة ، تشغل نحو خمسة آلاف صفحة

والحادث الثانى هو انضمامى الى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى أسست فى سنة ١٩١٤ ، وكنت قد سمعت عن تنظيمها ونشاطها الأدبى من زميلى المرحوم الأستاذ يوسف الجندى المحامى ، وقت عملى بعيت عمر ، وكان عضوا بها ، فسعيت الى الالتحاق بها ، وقابلت من أجل

ذلك رئيسها صديقى المرحوم العلامة الكبير الأستاذ أحمد أمين ، وكان يومئذ قاضيا شرعيا بمحكمة السبتية ، وعرضت عليه رغبتى ، فرحب بها ، والتحقت عضوا باللجنة ، وقمت بشراء الأسهم المقررة لعضويتها ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٢ ، ومازلت عضوا بها حتى كتابة هذه السطور ، وذلك بالرغم مما آلت اليه جهودها من الضعف والاضمحلال ، وما رزئت به من وفاة معظم أعضائها العاملين على التوالى

وقد كانت هذ اللجنة الأدبية الجليلة ، أيام ازدهارها تضم رهطا كبيرا من أعلام رجال التربية والعلماء والكتاب والأدباء والشعراء المعاصرين أذكر منهم على سبيل المثال ، عدا رئيسها الأستاذ أحمد أمين : أحمد لطفى السيد ، أحمد نجيب هاشم ، الدكتور طه حسين ، الدكتور عبدالرازق السنهورى ، الأستاذ أحمد حسن الزيات ، الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، الأستاذ اسماعيل القبانى ، الدكتور حسين حسنى ، الأستاذ محمد بدران ، الدكتور أحمد زكى ، الدكتور محمد عوض محمد ، الدكتور عبدالسلام الكردانى ، الأستاذ الدمرداش محمد ، الدكتور سيد باشه ، الأستاذ مختار رسمى ، الأستاذ حسن جلال ، الأستاذ عبدالحميد العبادى ، الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ، الأستاذ يوسف الجندى ، الأستاذ صبرى أبو علم ، الأستاذ مرسى قنديل ، الأستاذ رائد رسم ، الاستاذ

عوض لطفى ، الدكتور محمود القوصى وغيرهم وغيرهم . وقد لقى معظم هؤلاء الأعضاء الأجلاء ، ربهم تباعا ، ولم يبق من الأعضاء الأحياء العاملين سوى قلة ، فرحم الله من توفى منهم ، ومد الله فى عمر من بقى منهم . وقد لبث أعضاء لجنة التأليف والترجمة ومعظمهم من أكابر رجال التربية دهرا يسهرون على تربية الأجيال المتعاقبة من الشباب ، وكان جلهم من خريجى مدرسة المعلمين العليا ، وقد تولى وزارة التربية والتعليم منهم عدة ، وتولى البعض وزارة الشئون الاجتماعية ، والله يجزيهم خير الجزاء على ما قدموا لوطنهم من جليل الخدمات .

وقد تولت اللجنة نشر بعض كتبى : مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، المترجم عن الألمانية ، ولكنى لم أتابع نشر كتبى بها ، لما آنسته من ضعف جهودها فى الطبع والتوزيع .

وقد قامت اللجنة ، خلال حياتها الطويلة ، بنشر عشرات من الكتب العلمية والادبية ، وكتب التراث . وقامت بالأخص بنشر كثير من الكتب الدراسية التى تتعلق بالتعليمين الابتدائى والثانوى من تأليف أعضائها ، وجلهم كما أسلفنا من أعلام رجال التربية . وكان معظمها تقرره وزارة التربية لتلاميذ المدارس ، وكانت أثمان هذه الكتب الدراسية ، تكون موردا من أهم موارد اللجنة المالية .

وكان للجنة أثرها البارز فى سير الحركة العلمية والأدبية فى نصف القرن

الماضى ، بما كانت تنشره من الكتب والمجموعات الأدبية والفنية ، وبما كانت تعقده من ندواتها الأدبية . وكانت هذه الندوات تعقد بانتظام فى مساء كل خميس ويجتمع فيها رهط من العلماء والأدباء من اعضاء اللجنة وغيرهم من الزملاء والاصدقاء ، وضيوف مصر من أدباء البلاد العربية ، ويجرى تبادل الأفكار والأحاديث الأدبية من كل لون . واذا كان من حظ الندوة ، أن يحضرها المرحوم الشيخ عبدالعزيز البشرى ، وقد كان صديقا حميما لنا جميعا ، فقد كانت نكاته النادرة الأخاذة ، تبعث فينا جميعا من الضحك والبشر ما ترتاح اليه النفوس وتنتعش القلوب .

وكانت ندوات اللجنة تشغل فى البداية بالاخبار والمناقشات الادبية ، وكان المرحوم الأستاذ كامل كيلانى يحاول دائما أن يجعل من ابن الرومى وأخباره وأشعاره موضع النقاش ، ويحاول أن يستغرق فى ذلك معظم الوقت لولا أن كنا نوقفه عند حده .

ويتحفنا المرحوم الأستاذ أحمد الزين بانشاد مالم ينشر من أشعاره ، وفيها الكثير من الجيد والطريف ، ويثير كل منا ما يرد على خاطره من الأخبار والطرائف الادبية والتاريخية . فلما وقعت «ثورة ٢٣ يوليه» وقام النظام العسكرى الجديد . كانت الأوضاع والأحوال الجديدة ، تشغل حيزا كبيرا من مناقشات الندوة . وكان التفاؤل بالعهد الجديد واحواله ، يغلب على معظم الاخوان من اعضاء اللجنة ، ولاسيما فى الأعوام الاولى . وكنت وحدى اخالف هذه النزعة ، وابدى تشاؤمى وتخوفى من تطور الاحوال الجديدة والأخوان جميعا يقابلون تشاؤمى بالاعتراض واللوم . فلما مضت الأعوام ، أخذ معظم الأخوان يغير رأيه ويبدون موافقتهم لموقفى وارائى ، ويقولون "عنان كان عنده حق فى تشاؤمه» ، عنان كان ابعد منا نظرا .. » الخ . ثم اخذت هذه المناقشات السياسية بطبيعتها تتضاءل ، ويعدل عنها لما كانت تثيره عندئذ من حدة المناقشات وعنفها ، وأخذت مناقشات الندوة طابعها الأدبى المعتاد .

وكان للجنة دار خاصة ، وبها مطبعة كبيرة تقوم على طبع كتبها وغيرها من الكتب العلمية ، وكانت تسير بخطوات ناجحة ، لولا ماتوالى فى أواخر عهدها من مشاكل العمال التى اثارتها التشريعات العمالية المفرقة ، والتى ذهبت فى التحيز للعمال والاغداق عليهم الى حدود غير معقولة ، والتى كادت أخيرا أن تشل كل شىء فى نشاط اللجنة ، وتستنزف كل مواردها . ومن ثم فقد اضطرت اللجنة إلى أن تتصرف فى دارها وفى مطبعتها بالبيع البخس ، تخلصا من هذه المشاكل . وهى مازالت تعمل حتى اليوم ، بالرغم من ضعف مواردها على نشر كتبها القديمة ، ونشر القليل من الكتب الجديدة . ويجرى فى اتجاه البقية الباقية من أعضائها الى تصفيتها تصفية نهائية ، والله يعمل مافيه الخير .

مصطفى النحاس ١٨٨٤ - ١٩٦٥ وربع قرن من تاريخ مصر

بقلم : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

ومصر تحتفل بعيد الجهاد ، نطل على إحدى الشخصيات المهمة التى لعبت دورا بارزا فى تاريخ مصر الحديث .

هو أحد الزعامات الرئيسية فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ـ فقد رأس حزب الوفد ، حزب الأغلبية البرلمانية ، طيلة ربع قرن من الزمان امتد فيما بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٥٢ تولى خلاله رئاسة الوزارة أربع مرات وأقيل فى كل مرة . ولقد ظل طيلة حياته السياسية مخلصا للتوجهات التى سار عليها الحزب منذ أيام سعد زغلول : السعى إلى تحقيق استقلال مصر التام والدفاع عن الديمقراطية فى مواجهة أوتوقراطية القصر ودسائس الإنجليز ودعم الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط . ولكن مشكلة النحاس لدى توليه زعامة الحزب تكمن فى أنه ، رغم إفادته من الشعبية التى أحاطت بالحزب وزعيمه الأول لم تكن له الشخصية الطاغية والمهابة اللتان كانتا من سمات سعد زغلول مما ساعد على الانشقاقات التى حدثت فى صفوف الحزب خلال الأعوام ١٩٣٢ و ١٩٣٧ و ١٩٤٢ ولو انه كان يعالج هذه الانشقاقات بضم اعضاء جدد .

ولقد وصف السير مايلز لامبسون (المندوب السامى ثم السفير البريطانى فى مصر) النحاس عقب أول لقاء جرى بينهما بأنه أغرب شخص فى مصر وما لبث بعد ذلك أن وصفه بأنه عصبى وغير متوازن ويفتقد المقدرة الإدارية والخبرة وبأنه مختال سيىء السلوك وبأنه هزلى كرجل دولة وإن يكن بطلا شعبيا باعتباره مؤيدا متعصبا للزغلولية على طول الخط . ورغم ذلك فقد اشتهر النحاس بطيبة قلبه وبنزاهته ووطنيته التى لا تتزحزح . كما كان خطيبا عاطفيا بليغا له من الصفات ما يجذب إليه الجماهير والأفراد دون مشقة ـ هذا إلى ورعه واستقامة سلوكه .

وقد انتمى النحاس إلى الطبقة

لوسطى الدنيا التي شكلت الشريحة الأساسية لقواعد حزب الوفد . وبعد أن أتم دراسته الحقوقية التحق بسلك القضاء ومال إلى مبادىء الحزب الوطني (حزب مصطفى كامل ومحمد فريد) بعض الوقت . وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى كان أحد أعضاء الوفد الذي تشكل للمطالبة باستقلال مصر عن بريطانيا والتوجه من أجل ذلك إلى العاصمة الفرنسية حيث انعقد مؤتمر الصلح ، وبعد رفض بريطانيا السماح لأعضاء الوفد بالسفر وقبضها على سعد زغلول ورفاقه اندلعت ثورة ١٩١٩ التي اشترك فيها النحاس وما لبث أن أصبح من أبرز أنصار سعد وبخاصه فيما يتعلق بتنظيم الطلبة للقيام بالعمل السياسي . وفي عام ١٩٢١ نفي مع سعد إلى سيشل ثم عاد إلى مصر في عام ١٩٢٣ بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي منح مصر استقلالا مشروطا . وحين أجريت الانتخابات البرلمانية طبقا لدستور ١٩٢٣ رشح النحاس نفسه عن دائرة سمنود - مسقط رأسه - وفاز في الانتخابات ثم تولى وزارة المواصلات في وزارة الشعب التي رأسها سعد زغلول (يناير - نوفمبر ١٩٢٤) كما فاز من جديد في الانتخابات التي أجريت في عام ١٩٢٦ . ورغم أن حزب الوفد كان يرغب في أن يمثله النحاس في الوزارة

● في اجتماع الوفد المصري بسراي لطف الله يونيو ١٩٣٨ النحاس باشا .. ألقى خطبة!



● النحاس ومكرم عبيد



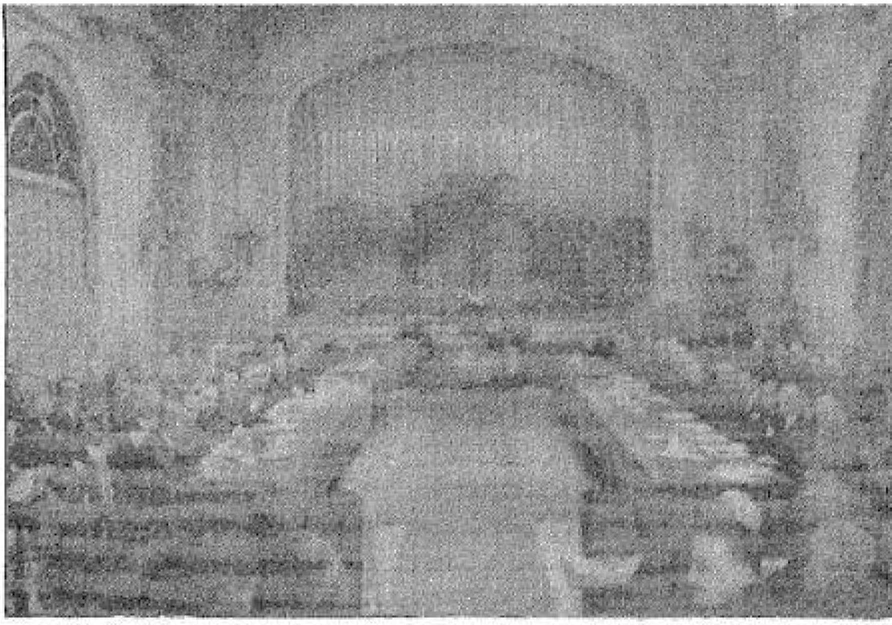
الائتلافية التى تشكلت فى يونية ١٩٢٦ فإن المندوب السامى البريطانى اعترض على تعيينه ، فانتخب نائبا لرئيس مجلس النواب سعد زغلول الذى اعترض المندوب السامى على تعيينه رئيسا للوزراء على زعم مسئوليته عن مقتل السردار فى عام ١٩٢٤ .

انتخب النحاس بعد وفاة سعد زغلول فى أغسطس ١٩٢٧ زعيما لحزب الوفد بعد أن جرت منافسة بينه وبين فتح الله بركات قريب سعد على الفوز بهذا المنصب . ومن المحتمل انه كان لمحمود فهمى النقراشى وصفية زغلول - أرملة سعد - دور فى هذا الاختيار : فقد نظم النقراشى تظاهرة أمام المكان الذى جرى فيه الاقتراع وأيد اختيار النحاس ، فى حين أن من المحتمل أن صفية قد انحازت إلى النحاس الذى سمح لها بأن يكون لها رأى فى شئون الحزب وهو مالم يكن فتح الله بركات على استعداد للتسليم به . وعلى اى حال فقد كان النحاس هو الشخص الثانى فى الوفد بعد سعد زغلول وكان قد اكتسب شهرة بسبب نزاهته ونظافة يده . ورغم انه كان على صلة وثيقة بعدد من اكثر الوفديين تطرفا فليس معنى هذا انه كان العوبة فى ايديهم .

تولى النحاس فى مارس ١٩٢٨ رئاسة الوزارة لفترة قصيرة ما لبث الملك فؤاد ان اقاله بعدها . وخلال حكومة محمد محمود "الحديدية" أمكن للنحاس ان يحافظ على ولاء حزب الوفد برغم مناوأة الجناح المعتدل له . وفى اوائل عام ١٩٣٠ تولى رئاسة الوزارة من جديد وأجرى مفاوضات مع الانجليز ما لبثت أن فشلت على صخرة السودان - وحينئذ قال النحاس قولته المشهورة : خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز ! ثم اقيل النحاس للمرة الثانية ليفسح المجال لوزارة إسماعيل صدقى التى ألغت دستور ١٩٢٣ ، وحينئذ اشترك الوفد مع حزب الأحرار الدستوريين فى التصدى لوزارة صدقى بكل الوسائل المتاحة إلى أن أختفى صدقى عن المسرح فى عام ١٩٣٣ ، وحينئذ نشط النحاس وحزبه فى المطالبة بإعادة دستور ١٩٢٣ وهو ما تم فى أواخر عام ١٩٣٥ . وفى العام التالى حصل الوفد على أغلبية كبيرة فى الانتخابات وتراس النحاس الجبهة الوطنية التى ضمت كل الأحزاب وتفاوضت مع بريطانيا حول عقد معاهدة بين الطرفين تنص على الاستقلال وتحدد علاقة مصر ببريطانيا .

معاهدة ٣٦

فقد أجريت المفاوضات فى الوقت الذى لاحت فيه بوادر الحرب العالمية الثانية وبرز التهديد الفاشى لحدود مصر الغربية وللسودان بعد اعتداء موسولينى على الحبشة . وبالفعل تم التوقيع على معاهدة ١٩٣٦ التى كرست الاحتلال وسجلت نقطة انتقال حاسمة فى تاريخ مصر : فقد أقنع الزعماء الوفديون الشعب بأنهم حصلوا على "الشرف والاستقلال" مما ادى إلى انحسار المد الوطنى حين توهم المصريون أنهم قد حصلوا على الاستقلال فانصرفوا وصرفتهم الأحزاب إلى الصراع المرتبط بتقلبات الحكم فى حين قنعت السلطات البريطانية بالتدخل



خطاب توقيع المعاهدة ١٩٣٦

من وراء ستار مما أدى إلى احترام النضال السياسي بين الوفد والقصر الذى كان يود أن يملك وأن يحكم .

حادث ٤ فبراير

ويذكر كيلرن أن النحاس وزملاءه قد انشغلوا بعد المعاهدة إلى حد كبير بالأحاديث والمناسبات الاجتماعية وأنه كرس الوقت القليل الذى أمكنه قضاءه فى مكتبه لإرضاء مطامع أتباعه الذين عينهم فى كثير من المناصب الرئيسية مما أتاح للملك فاروق فرصة لإقالة الوزارة ، وظل النحاس وحزبه فى صفوف المعارضة حتى اقتراب القوات الألمانية من الاسكندرية فى أوائل عام ١٩٤٢ ، وكانت ايطاليا قد انحازت إلى ألمانيا بعد سقوط فرنسا وسمحت لها بنقل بعض قواتها إلى ليبيا التى كانت حينئذ مستعمرة إيطالية .

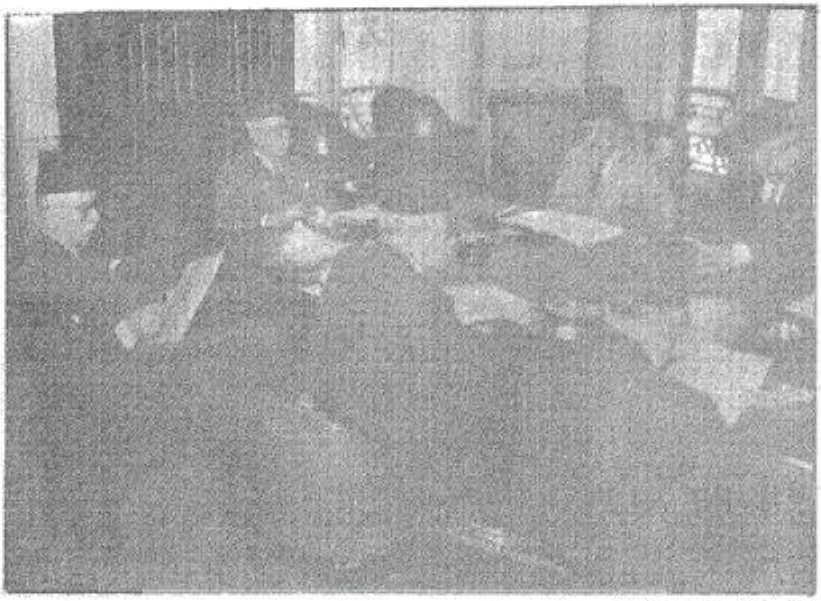
وقد أدت هذه التطورات إلى نشوب أزمة سياسية فى مصر كانت من مقدمات حادثة ٤ فبراير الشهيرة . فإزاء الخطر الذى كان يحيط ببريطانيا وامبراطوريتها نتيجة للانتصارات التى أحرزتها ألمانيا منذ نشوب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ، أصرت الدوائر البريطانية على أن يتولى النحاس ـ زعيم الجبهة التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ ـ رئاسة الوزارة ، على اعتبار أن بإمكانه أن يواجه القصر ـ الذى كانت له صلة بالقوى الفاشية ـ ويمسك بزمام الحكومة والبرلمان ويرضي الجماهير ويحشدها لتأييد المعاهدة وجهود الحلفاء الحربية . ولمواجهة الضغط البريطانى الهادف إلى تولى النحاس للحكم على كره من الملك فاروق سعت دوائر القصر إلى تشكيل وزارة ائتلافية يرأسها النحاس

يعلم علم اليقين مدى كره النحاس لهذا النوع من الوزارات . وحين رفض النحاس عروض القصر بهذا الصدد حوصر قصر عابدين بالدبابات البريطانية وخير الملك ما بين قبول النحاس رئيسا للوزارة وبين تنازله عن العرش . ورضخ الملك فاروق أمام التهديدات البريطانية تكلف النحاس بتشكيل الوزارة . ولقد أدى قبول النحاس للحكم بهذا الشكل وفى مثل هذه الظروف إلى تعرضه لكثير من الاتهامات . بل لقد اعتبر بعض الضباط هذه الحادثة مساسا بكرامة البلاد وسيادتها مما استتبع ارهاصات التشكيلات السياسية داخل الجيش . ولا يزال تقويم حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ مثارا للجدل حتى الوقت الحاضر : فالمتعاطفون مع الوفد يعتبرون قبول النحاس للحكم فى ذلك الوقت انحيازا للديمقراطية ضد الفاشية وإنقاذا للبلاد من فرض السيطرة البريطانية المباشرة عليها . فى حين اعتبره خصومه تآمرا على استقلال البلاد واستسلاما للمستعمر .

٧

ولكي تأخذ دوائر القصر ثأرها من الإذلال الذى وجه إلى شخص الملك فإنها عملت على استقطاب مكرم عبيد الرجل الثانى فى الوفد أملا فى أن يؤدى ذلك إلى تصدع حزب الأغلبية . وكان مكرم قد انتخب سكرتيرا عاما للوفد فى عام ١٩٢٧ فشغل المكان الذى سبق للنحاس أن شغله . وكان مكرم والنحاس وثيقى الصلة بحيث كان كل منهما يكمل الآخر . فلقد كان مكرم رفيق النحاس ومستشاره الدائم ـ فقد كانا ينتميان إلى جيل واحد ويشتغلان بالمحاماة ، كما اشتركا فى المنفى وفى وجهات النظر بحيث شكلا معا جبهة سياسية قوية . وكان مكرم قد استغل نواحى القصور فى شخصية النحاس لكى يعزز مكانته هو خاصة أنه كان خطيبا بارعا بإمكانه التأثير فى الجماهير ، بالاضافة الى مهارته كمفاوض يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية إجادته لاصطناع المنطق السياسى الأوربى نتيجة لدراساته فى انجلترا وفرنسا وزياراته لعاصمتيهما فى مهمات سياسية وإعلامية . وفى المقابل كان النحاس بسيطا صريحا وطيب القلب ولم يكن مفاوضا ماهرا بإمكانه التعامل مع العقلية الأوربية . وبمرور الزمن فرض مكرم نفسه على النحاس وأصبح المهندس الحقيقى لقرارات الوفد . وليس معنى هذا أننا نجارى من يذهبون إلى أن مكرم كان يسيطر على النحاس ، إذ لو كان النحاس ضعيف الشخصية لما أحرز ثقة سعد زغلول وتدرج فى سلم حزب الوفد ـ ولو أن هذا التفسير وحده لا يكفى ، إذ أن كثيرا من الشخصيات المتسلطة لا تحتمل وجود شخصيات قوية بجوارها بل تفضل أن يكون حولها إمعات .

وإلى جانب مؤامرات القصر لفصل قطبى الوفد كل منهما عن الآخر دخلت إلى الساحة السيدة زينب الوكيل حرم النحاس التى يقال أن لمكرم يدا فى زواجها . ولما كان فارق السن كبيرا بين زعيم الوفد وزوجته الطموح (فقد تزوجها قبل يومين



● عقد المفاوضة عام ١٩٤٦ برئاسة صدقي باشا

● النحاس باشا مع ايدن بعد التوقيع



ن عيد ميلاده الخمسين فى الوقت الذى كان فيه عمرها ٢٢ سنة) فإنها شاءت أن تستغل فرصة وصول زوجها إلى الحكم لكى تثرى وتثرى أقاربها ـ فقيل انها كانت تتدخل بصورة مباشرة لدى الوزراء لتعيين أو ترقية أقربائها الذين رفض مكرم منحهم لامتيازات والاستثناءات فى أذونات لاستيراد والتصدير فى الوقت الذى أقر يه النحاس ووزراؤه الترقيات الاستثنائية لوفديين الذين بقوا خارج الحكم منذ عام ١٩٣٦ بعد أن رفضها مكرم الذى يبدو انه ترر الانفصال عن الوفد وسحب أكبر عدد ن الأعضاء معه ، إن لم يكن قد داعبه الأمل فى تولى رئاسة الوزارة بعد أن يزعزع مركز النحاس مستعينا فى خطته بما لمسه من فساد الوزارة . واعتبر النحاس نشاط مكرم تهديدا لسلطته فى الحزب ، خاصة وقد كان لمكرم اتباع كثيرون خارج وداخل الحزب ، فقد كان يستند إلى تأييد العمال وشباب الحزب . ولما كان يعتقد أن النحاس لا يمكنه الاستغناء عنه ، فقد مضى فى خصومته إلى آخر الشوط مما استتبع طرده من الوزارة فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ ثم فصله من الحزب بعد وقت قصير . ثم رفع مكرم شعار "نزاهة الحكم" ضد فساد الوفد وألف "الكتاب الأسود" الذى روى فيه أخبار فضائح الاستثناءات والمحسوبية لصالح اقارب النحاس وأقارب وزرائه . ورد النحاس على ذلك بطرد مكرم وأنصاره من عضوية مجلس النواب . وحينئذ أثبت مكرم أن قوة خصومته لا تقل عن قوة صداقته فمضى فى تحديه لصديقه السابق وبخاصة بعد إنشائه جريدة "الكتلة" وحزب "الكتلة الوفدية" وكيله الاتهامات للنحاس وحزبه بصورة تكاد تكون يومية . ولكنه مضى فى خصومته إلى الحد غير المعقول وهو لا يدرى أنه أصبح ألعوبة فى يد القصر . وما لبث أن ندم بعد ذلك وحاول بشتى الطرق أن يسترجع مكانته السابقة ولو أن النحاس لم يصفح عنه ابدا .

وبعد أن خفت القيود المفروضة على مصر نتيجة للحرب العالمية وذلك بعد أن تحولت مجريات الحرب بصفة أكيدة الى جانب الحلفاء وسمح الإنجليز للملك فاروق بإقالة النحاس وذلك فى أكتوبر ١٩٤٤ . وعاد الوفد إلى المعارضة من جديد مصرا فى خلال المفاوضات التى جرت بين مصر وبريطانيا فى أعقاب الحرب على أن يكون هو على رأس المفاوضين ، وحين قدم النقراشى شكوى مصر الى مجلس الأمن فى عام ١٩٤٧ أبرق النحاس إلى المنظمة الدولية ليفيدها بأن النقراشى لا يمثل الشعب المصرى ـ بل لقد قيل فيما بعد إن المفاوضات التى أجراها النحاس من أجل إنشاء الجامعة العربية قبيل إقالته كانت تستهدف سحب البساط من تحت أقدام الملك فاروق الذى كان يتطلع إلى الخلافة وزعامة العالمين العربى والإسلامى .

وسعى فاروق فى تلك الأثناء إلى استبعاد الوفد عن الحكم إلى أجل غير مسمى ، فساند الحكومات الائتلافية التى شكلتها "أحزاب الأقلية" ، بل لقد فكر فى أعقاب هزيمة ١٩٤٨ أن يقيم دكتاتورية

عسكرية يترأسها هو شخصيا بحيث يسهل عليه أن يتوصل إلى عقد اتفاقية مع بريطانيا والدول الغربية الأخرى التى أسلمت قيادتها للولايات المتحدة الأمريكية بالصورة التى ترضى الرأى العام المصرى وتعزز مكانته . ولكن الدوائر البريطانية لم تسلم بخطط الملك واصرت على أن تجرى المفاوضات فى هذه المرة مع حكومة ذات قاعدة شعبية تستطيع أن تقنع الشعب بما يمكن التوصل إليه . وهكذا جاء الوفد إلى الحكم للمرة الأخيرة فى يناير ١٩٥٠ وسعى دون إبطاء إلى التوصل إلى حل للقضية المصرية مهددا بريطانيا بأنه سيقدم على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ إذا استحال التوصل إلى حل مرض ، وهو ماتم فى ١٥ اكتوبر حين ألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦ من طرف واحد . ولكى تحرج مركز البريطانيين فإنها أمرت العمال المصريين العاملين فى الثكنات البريطانية بترك أعمالهم وسمحت للفدائيين بالنشاط فى المناطق التى تقوم فيها المعسكرات البريطانية . ولما كانت الحكومة البريطانية قد عولت على أن تتخذ موقفا صلبا فإنها واجهت الفدائيين وأمرت قوة البوليس المصرية فى الإسماعيلية بتسليم سلاحها وإلا تعرضت للقصف (٢٥ يناير ١٩٥٢) . واستشهد كثير من الجنود المصريين الذين أصدرت إليهم الوزارة أوامرها بالصمود إلى آخر طلقة رغم أن أسلحتهم كانت لا تمكنهم من مواجهة القوات البريطانية .

● حريق القاهرة

وكان حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢ فى القاهرة نتيجة لمجزرة الإسماعيلية ـ وقد استغله الملك فاروق فى الإطاحة بحكومة الوفد للمرة الأخيرة بعد أن حدا بها الارتجال إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ دون اتخاذ أى استعدادات لمواجهة الموقف وإصدار الأوامر إلى قوة البوليس العاملة فى الإسماعيلية إلى المقاومة إلى آخر طلقة . فمثل هذه الأعمال الارتجالية لم تكن تستهدف سوى استعادة شعبية حزب الوفد التى تزعزعت منذ عام ١٩٤٢ بوجه خاص نتيجة لما أثاره حادث ٤ فبراير من ردود فعل قوية .

ودفع النحاس وحزبه ثمن هذا الارتجال ـ فقد كانت أحداث أواخر عام ١٩٥١ وأوائل ١٩٥٢ بداية النهاية بالنسبة إلى "العهد القديم" الذى بدا كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة . وحين قامت ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وخلعت الملك فاروق كان النحاس يستشفى فى فرنسا ، فبادر بالعودة إلى القاهرة وهو يمنى النفس

باستلام الحكم بصفته صاحب الأغلبية النيابية فى البرلمان المعطل منذ حريق القاهرة ، إلا أن "الضباط الأحرار" لم يمكنوه من تحقيق حلمه ، بل قاموا بإلغاء الأحزاب جميعا وإلغاء دستور ١٩٢٣ ، منددين بفساد الحياة النيابية فى البلاد ومعولين على الاستمرار فى تحمل مسئوليات الحكم . وظل النحاس منعزلا عن الحياة العامة ، ولو أنه يسجل له موقفه الوطنى خلال عدوان ١٩٥٦ الثلاثى حين رشحته الدوائر البريطانية لتولى الحكم فى حالة القضاء على النظام الجديد فى مصر . وحين توفى فى أغسطس عام ١٩٦٥ خرجت جماهير القاهرة لتودعه الوداع الأخير برغم القيود التى كانت

مصطفى النحاس "١٨٨٤-١٩٦٥"



صورة كاريكاتورية شهيرة رسمها الفنان صاروخان

مفروضة انذاك على التجمعات العامه

* * *

وقبل ان نختتم هذا المقال تجدر الإشارة إلى ان النحاس لم يتول الحكم سوى فترات قصيرة برغم نجاح حزبه فى كل انتخابات حرة يخوضها ، مما جعله فى أواخر الخمسينيات اميل إلى مهادنة القصر ولو ان ذلك قد احدث رد فعل شديد من جانب القوى الصاعدة فى الحزب التى عرفت باسم "شباب الوفد" . على اننا لابد أن نضع نصب اعيننا انه لم يكن من السهل ان تستقيم الحياة النيابية فى مصر وبريطانيا تستبقى قواتها على اراضيها وتنفذ مصالها بتطبيق سياسة "فرق تسد" فهى طورا مع حزب الاغلبية وطورا إلى جانب القصر ، مما أصاب الحياة السياسية فى مصر بالشلل . ورغم ما سجلناه من مآخذ على النحاس وممارسته الحكم فإنه وفر للبلاد زعامة كان لها وزنها فى سياسة البلاد ، وبالتالى فلابد ان يحتل المكانة اللائقة به فى سجل الزعماء الوطنيين الذين كافحوا فى سبيل الاستقلال والديمقراطية . ولكن ليس معنى ذلك اننا نغض الطرف عن اخطائه ـ إذ ليس الزعماء معصومين كما انهم ليسوا فوق مستوى المحاسبة من جانب الكتاب والمؤرخين الذين يتوخون الموضوعية بالإشارة إلى كل من السلبيات والإيجابيات ولا يقبلون بالنظرة الواحدة إلى الاشياء بالاشخاص ، بل يصنعون الحد الشامل على الأحداث ومن شاركوا فيها من نظرة مسبقة ناتجة عن الالتزام الضيق . فالشعوب الناضجة تنتقد زعماءها فى حياتهم وفى مماتهم فى الوقت الذى تسجل فيه مآثرهم وذلك دون انزلاق إلى مستوى عبادة الأصنام وتاليه البشر الذين كتب عليهم الفناء . وساكرر هذه المقولة حتى يجيء الوقت الذى تعم فيه النظرة الإنسانية والعقلانية أحكامنا التاريخية دون ان نحسب على الكاتب رايا لا يخالف راينا او نلتقط له فلتة قلم او زلة لسان فنبنى عليها مواقف قد لا تستند إلى أساس .

أقوال معاصرة


د . لويس عوض

● « الشعب الذى لا يعرف كيف يدافع عن حقه فى التعليم المجانى ، لا يلومن الا نفسه » .

الدكتور لويس عوض

● « على الرئيس ريجان الا يتعجل ، فشخصية « رامبو » لا توجد سوى فى الافلام » .

أورتيجا
رئيس نيكاراجوا

● « الرقابة تعتبر الفن جنحة » !!

نجيب محفوظ


نجيب محفوظ

● « اذا سقطنا ، فسنسقط ونحن نحارب » .

كورلوجوس
مستشار الرئيس الامريكى

● « السينما اهم اختراع فى القرن العشرين لانها الاداة الوحيدة التى تمس العقول والقلوب » .

الممثلة ليليا جيش

● الاحتلال هو الاحتلال حتى لو زينوه بوهم العودة التلمودى (عودة شعب بلا أرض الى ارض بلا شعب) » .

الشاعر محمود درويش


الشاعر محمود درويش

● « العديد من القضـــايا التى تشغلنا وتفرق بيننا هى فى حقيقتها قضايا غير ذات موضوع » .

المفكر محمد عابد الجابرى

● « الشعب يستحق معــاملة افضل ، يستحق الحصول على الحقيقة بامانة » .

روبرت سولو
المغنى الامريكى

القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

عن الديمقراطية

أخشى ما أخشاه على الديموقراطية أن تتحول إلى شعار يلحق بما سبقه من شعارات .

ليس مصدر هذا الخوف أنى أشك فى دلالة الخطوات التى سرناها على طريق الديموقراطية ، وإنما مصدره ـ مرة أخرى ـ سوء معاملتنا للكلمات . فطالما رددنا كلمات مثل «الاشتراكية» ، «الانطلاق العظيم » ، « الطبقات الشعبية » ، « القومية العربية » ، دون أن نفكر فى معناها ، ومن ثم تحولت إلى ما يشبه الهتافات ، كل من أراد السير فى الزفة رددها بأعلى صوته ، حتى امتلأت الساحة بالمنافقين .

تعالوا نفكر قليلا فى معنى الديموقراطية ، على الأقل بالنسبة إلى بلد كبلدنا ، فـ « حكم الشعب بالشعب للشعب » ، هذا التعريف الذى أعطاه ابراهام لنكولن للديموقراطية منذ أكثر من مائة سنة ، واسع جدا بحيث يغفل الظروف الخاصة بكل بلد ، مطلق جدا بحيث يحتاج إلى تعيينه بالممارسات العملية .

وفى ظروفنا المحلية والتاريخية ، يمكننا أن نقول إن الديموقراطية تعنى نوعا خاصا من العلاقة بين الحكومة والشعب . هذا التعريف المقترح ـ وهو كما ترى مبهم جدا ولابد له من تخصيص وتوضيح ـ لا يتناقض مع تعريف لنكولن ، وليس من المفروض أن يتناقض ، ما دمنا نقول إن تعريف لنكولن واسع ومطلق . ولكن الجديد فى تعريفنا هو أنه يسلم ابتداء بأن الحكومة شىء والشعب شىء آخر ؛ وأظن أن هذا وصف واقعي يصور بأمانة

اساليب الحكم التى عرفناها على مدى تاريخنا البعيد والقريب .

كانت العلاقة بين الحكومة والشعب أشبه بالعلاقة بين الرجل والمرأة فى عصر الحريم .

الحكومة - الرجل تملك الشعب - المرأة . الشعب المرأة عند قدمى الحكومة الرجل . تطبخ له طعامه وتخيط ثيابه وتغزل وتنسج وتبيع غزلها ونسيجها فى السوق . تشبع شهواته وتستجيب لجميع نزواته ، وان كان ديوثا فهى تبيع جسدها أيضا وهو يقبض الثمن . وعندما يقضى تصرخ . وهم يحملون جثمانه خارجين من الدار : « ياجملى » ، أما إن طفح بها الكيل فهى تدس له السم فى الطعام .

الحمد لله ، تغير هذا الحال . دخلنا فى عصر آخر : عصر الزواج المتكافىء ، ولكننا لا نزال فى أوله .

فى الزواج المتكافىء لا سيد ولا مسود لا قائد ولا مقود . الشعب والحكومة كالساقين للانسان ، يسعى بهما المجتمع فى حركة منسجمة ، تخطو اليمنى مرة وتليها اليسرى ثم اليمنى مرة أخرى وهكذا دواليك أيهما تقود وأيهما تتبع ؟ لا أحد يمكنه أن يقول .

عندما يصل الشعب والحكومة إلى هذه الدرجة من التوافق ، يمكننا أن نقول ونحن صادقون : الآن بدأ الانطلاق العظيم .

● [illegible]

لم يعد عقد الزواج بين الحكومة والشعب عقد أذعان واستيلاء ، او بيع وشراء . أصبح فى مقدور الشعب أن يقول « لا » حين يسأل . نعم إن بعضنا لديه تحفظات على شروط العقد ، أو اعتراضات على بعض الاجراءات ، ولكن المبادىء الاساسية ، والشكل العام للتنفيذ ، معترف بهما لدى كل من يعنيهم الأمر . إنما الباقى - والأهم - هو كيف تسير الحياة بالزوجين : الشعب والحكومة . ولكى نترك لغة التشبيه الى لغة الواقع ، نقول إن العلاقة المتكافئة بين هذين الطرفين ، ككل علاقة متكافئة ، تقوم على الثقة والاحترام . والثقة والاحترام لايضمنهما العقد القانونى وحده ، بل إن العقد القانونى يمكن ان يصبح حبرا على ورق ، إذا لم تؤكده الممارسة اليومية ، التى لا تلبث ان تصبح اسلوب حياة ، أعم من القانون ، وأخف محملا من القانون ، ولكنه أيضا - وياللعجب ! - أقوى من القانون ، لأنه يخلو من الثغرات التى يتفنن فى اكتشافها من يحترفون اللعب بالقوانين

لعل أهم ما يدعم الثقة والاحترام بين الشعب والحكومة أن يكاشف كلا الطرفين صاحبه بأفكاره عن الحياة التى يحاولان بناءها معا . ولا شك أننا حققنا هذا الشرط الأساسى بنجاح تغبطنا عليه شعوب كثيرة . بل إننا بلغنا فى المصارحة بالعيوب - من الطرفين - مبلغا يدل على تمكن الثقة ، وقد يخشى البعض إن تمادينا بلا ضابط من أنفسنا ، أو مراعاة « للحساسيات » القديمة ، أن يؤدى الافراط فى المصارحة إلى تكدر العلاقة . ولكننا واثقون أن إصرار الطرفين على انجاح العلاقة الجديدة سوف يمنع هذا الخطر .

القفز على

الأشواك

على أن المكاشفة لاتعنى حرية لتعبير عن الأفكار فقط . فالأفكار التى تستحق التعبير عنها هى الأفكار المبنية على وقائع ، لا على أوهام او تخمينات . الأفكار المبنية على وقائع هى دليل العمل ، أما الأفكار المبنية على أوهام أو تخمينات فلا تخرج عن احد امرين . أما ان تبقى « افكارا » لاصلة لها بالعمل ، ثرثرة تستهلك نفسها ، تتبخر فيها الحماسة ويتبلد الذهن وتخمد الارادة . وإما أن تدفع الى مغامرة طائشة إن نجحت لم تفض إلى نتيجة بعدها ، لأن الباعث مضطرب والهدف غامض . إن الوصول الى المعلومات الدقيقة عن اى شىء تعنى امكان السيطرة عليه بالفكر اولا ثم بالعمل ثانيا . هذه حقيقة تنطبق على الممارسة الديموقراطية كما تنطبق على التجسسين الداخلى والخارجى . والعلاقة واضحة بين الاثنين ، وهى علاقة ضدية . فحيث توجد الديموقراطية يوجد الانتقال الحر للمعلومات بين الأطراف . ويوجد التعاون بينها لتحقيق هدف مشترك . وحيث تفتقد الديموقراطية يسعى كل طرف لسرقة المعلومات من الطرف الآخر ، كى يستخدمها فى الايقاع به .

لهذا نؤمن بان العمل السرى سوف يختفى ـ من تلقاء نفسه ـ حين تصبح الديموقراطية ـ بالفعل ـ أسلوب حياة ، ولن تبقى إلا الحلقات التى تعمل فى خدمة قوى أجنبية (طالما اننا لم نعرف ـ بعد ـ نظاما عالميا « ديموقراطيا » يحكم العلاقات بين الدول والشعوب) . كذلك نؤمن بأن نجاح المشروعات القومية الكبرى متوقف على تدعيم الديموقراطية كاسلوب حياة .

ولعل هذا الاتجاه موروث عن عهود سابقة كان « الاعلام » فيها مرادفا للدعاية . وللدعاية شقان : تضخيم وتعتيم . وكلاهما مناقض لما سميناه الانتقال الحر للمعلومات . ولاشك أن حرية النشر التى تمتعت بها الصحافة فى السنوات الأخيرة الى حد كبير قد سمحت لها بأن تسعى بنفسها ـ ولا تستثنى الصحافة القومية من ذلك ـ للحصول على المعلومات معتمدة على مصادرها الخاصة .ومع ذلك فإن بعض المعلومات البالغة

ولابد من الاعتراف بان حرية انتقال المعلومات لا تزال محدودة . وطبيعى ان ذلك راجع إلى الحكومة ، باعتبار انها هى التى تملك المعلومات ، كما تملك معظم وسائل إذاعتها . نعم ، إن هناك « إعلاما » نشيطا عن طريق الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، ولكنه يقتصر غالبا على النواحى الايجابية ، ويغفل الصعوبات والمشكلات ، وهى التى يجب ابرازها لكى يعمل الجميع ـ حكومة وشعبا ـ على تذليلها وحلها .

الاهمية لا تزال تعتبر سرية

● اسرار لاتذاع !

هل هناك ما هو أهم من الميزانية والخطة الخمسية وتقارير المتابعة ؟ إنها لا تنشر أبدا بصورة مفصلة . وحتى الكتاب المتخصصون فى الصحف القومية لايمكنون من الاطلاع عليها . أى أن هذه المعلومات التى يقوم عليها بناء الحاضر

والمستقبل ، والتى يجب أن تشرح وتناقش على جميع المستويات ، ضمانا لتكتيل الجهود فى سبيل تحقيق الأهداف الوطنية التى جمعت من أجلها ، لاتزال تعد ، لدى من يملكونها من رجال الحكومة ، إسرارا لاينبغى أن تباح للشعب .

لعل هؤلاء الرجال يشعرون فى قرارة أنفسهم بأن الحالة الاقتصادية بالذات لا تدعو الى كثير من التفاؤل (وهذا خطأ بغير شك) ، ولهذا يخافون ، من ناحية ، أن يشعر الشعب بالاحباط إذا اطلع على مثل تلك المعلومات (وهذا أشد خطأ) ، ومن ناحية أخرى أن تؤدى إذاعتها إلى تردد الدول التى تقدم القروض والمعونات (وهذا هو الخطأ الأكبر ، لأن تلك الدول لاتعدم الوسائل للحصول على المعلومات التى تريدها ، ولأن إخفاء مثل هذه المعلومات عنهم يعنى الشعور بالذنب ، وهو ما يجعلهم أشد تجبرا وتعنتا) .

لعل رجال الحكومة يرون أيضا أنهم وحدهم أهل الخبرة وأهل الثقة ، أو يحبون أن يتصرفوا على هذا الأساس . فالذين هم خارج الحكومة لايعدون فى نظرهم إما أن يكونوا حاقدين موتورين طامعين ، وإما أن يكونوا جهالا لايطلب منهم إلا إطاعة الأوامر . وهذا رسيس الداء القديم ، داء استعلاء الحكومة على الشعب . فالحقيقة هى أن الحكومة وإن ضمت عددا وافرا من الخبراء فى كل ميدان ، فالذين هم خارجها من هؤلاء الخبراء اوفر عددا ، وربما كانوا اوفر علما . وحتى إذا ضممنا إلى الجهاز التنفيذى سائر الأجهزة من تشريعية واستشارية (وكلها داخلة ضمن العقد القانونى الذى يضع أساس الديموقراطية ، دون أن يضمن وجودها) فسيبقى خارج هذه الأجهزة كلها كثيرون من ذوى الرأى .

ومن طريف ما يلاحظ أن معظم الناس لهم صفتان . صفة رسمية محكومة بموقعه فى جهاز الدولة ، وصفة شعبية لايحكمها إلا علمه وشخصيته . وكسر الحواجز بين الحكومة والشعب وإحلال الثقة والاحترام بينهما محل الشك والتهمة يتيح لكل فرد أن يخدم وطنه بالصفتين معا ، فلا تعوق إحداهما الاخرى أو تهدمها . إذ الديموقراطية تعنى ، ضمن ما تعنى ، أن يكون الرئيس رئيسا ، والمرءوس مرءوسا ، فى حدود عملهما فقط ، وحتى فى هذه الحدود ينبغى أن يكون فى قدرة المرءوس أن يخاصم رئيسه إن كان موضوع الخصام مصلحة عامة . ولن يكون الحكم بينهما فى هذه الحالة إلا الرأى العام المستنير ، وكيف يمكن أن يوجد مثل هذا الرأى العام المستنير إن حجبت عنه المعلومات ؟

نعم ، لابد أن يبقى جانب من المعلومات التى تملكها الدولة محجوبا عن الجمهور ، بل محصورا فى دائرة العاملين فيه مباشرة . ولا يبعد أن يقوم خلاف بين

الأشواك

الحين والحين ، فى أى نظام ديموقراطى ، حول حق الدولة ، أو دوائر معينة منها ، فى الاحتفاظ بسرية اجراءات معينة ، وحق الشعب فى أن يعلم ، ولكن هذه الاجراءات المختلف على سريتها لا تتجاوز العلاقات الخارجية مع الدول أو المنظمات أو الجماعات الأخرى . وهذا يرجع الى ما سبقت الاشارة اليه من أن الدول مازالت تتعامل فيما بينها على قواعد غير ديموقراطية . اما فى الداخل فان التعاون بين الشريكين ـ الشعب والحكومة ـ لايمكن ان ينجح بدون حرية التعبير وحرية المعرفة .

● المؤسسات الشعبية

والنظر فى كيفيات هذا التعاون ـ وهو الهدف الأخير من حرية التعبير وحرية المعرفة ـ يفضى بنا الى محاولة تصنيف الأعمال المشتركة . إن معظم هذه الأعمال يقوم بها الشعب والحكومة معا ، كجهاز سيبرناطيقى واحد ، بالغ الكفاءة والتعقيد ، يتلقى المعلومات وينظمها ويصدر الاوامر وينفذها دون أى تنافر بين أجزائه . وكل خلل فى هذا النظام يجب أن يعالج توا . إن ما قلناه عن تكامل الصفة الشعبية والصفة الرسمية لكل فرد يضمن الا تتعطل قنوات الاتصال داخل هذا الجهاز الكبير دفعة واحدة ، وبذلك تكون هناك دائما فرصة لاصلاح الخلل . على أنه لا جدال فى أن الحكومة تمثل المركز أو ـ كما كان يقال قديما ـ العقل المدبر فى هذا الجهاز المركب ، ولا يمكن أن يكون الحال غير ذلك فى جميع المشروعات الكبرى فى الحرب والسلم .

ولكن إذا كان للحكومة أن تحتفظ لنفسها بحق الانفراد بالعمل فى أمور بعينها ، بل وأن تحيط هذه الأعمال بستار من السرية ، فان الشعب فى نظام ديموقراطى يتحرك حركة واسعة فى كل اتجاه ، مطمئنا الى ثقة الحكومة واحترامها لإرادته . إن التعليم ، والصحة ، والثقافة ، وقسما كبيرا أو حتى القسم الأكبر من الانتاج الزراعي والصناعي ـ كل هذه الجوانب ـ من حياة المجتمع يمكن ان تنهض بها مؤسسات شعبية بكفاءة اكبر مما لو تولاها الجهاز ببنائه الكبير المعقد . وليس من الضرورى فى تطورنا الديموقراطى أن ننقل عن غيرنا حرفا بحرف . إن دور المؤسسات الشعبية فى تاريخنا الحضارى عظيم جدا ، فعلى الرغم من السلطان المطلق الذى تمتع به الحاكم فقد كان لمجالس العلم ، وطوائف الحرف ، والطرق الصوفية حضور قوى فى جميع الأوقات ولاسيما اوقات الازمات . لقد بقى التكافل الاجتماعي سمة مميزة لهذه الحضارة ، ولا يبعد ان يفرز مؤسسات من نوع خاص ، إلى جانب المؤسسات الحديثة المعروفة من نقابات واحزاب وجمعيات ، أو فى داخل هذه المؤسسات .

ولا ينبغى أن ننسى أن « التعددية ،

مقوم أساسي من مقومات الديموقراطية . والمهم الا يحدث تعدد الأصوات ضجة كضجة السوق ، بل ثراء كثراء الموسيقى الأوركسترالية . وليس في الديموقراطية « مايسترو » يضبط حركة كل فرد في الجوقة بعصاه ، ولكن ذلك التفاهم الضمني ، والاحترام المتبادل ، والقواعد المستقرة في النفوس لما ينبغي أن يكون عليه السلوك الديموقراطي .

أما الأحزاب ـ التي استكملت وضعها القانوني بالاعتراف بالمعارضة كجزء من النظام ـ فلن تكتمل حقيقتها الديمقراطية الا حين تصبح بالممارسة كيانات مستقلة عن الحكومة . إن « الحزب الحاكم » لا يساوي « الحكومة » . فالحزب الحاكم يمكن أن ينتقل الى المعارضة وتنتقل المعارضة الى الحكم وتبقى « الحكومة » محتفظة بنوع من الاستمرارية . ولاشك أن هذه مسألة تحتمل اجتهادات مختلفة بين النظم الديموقراطية ، انهم قد يتحدثون عن « حكومة المحافظين » و « حكومة العمال » أو « حكومة المحافظين » و « حكومة الديموقراطيين » ، ولكن هذا لايعني أن مجيء المعارضة الى الحكم ، في نظام ديموقراطي ، يشكل انقلابا أو ثورة . إن هناك نوعا من القواعد يحكم تبادل الأدوار في الديموقراطيات الغربية ، وله جذوره في التاريخ والحضارة والتركيب الطبقي للمجتمع ، ولا يلزم ـ بداهة ـ أن تسلك ديموقراطيتنا ذلك النهج نفسه ، أو تعمل بذلك الأسلوب نفسه ، يكفي أن تحتفظ بالمبدأين الأساسيين للحكومة الديموقراطية : التعدد ، وإمكانية التغيير السلمي ، وكلاهما يقتضي أن تكون الأحزاب مؤسسات شعبية مستقلة عن الحكومة : مؤسسات يمكن ـ بهذه الصفة ـ أن يكون لها حضورها في المؤسسات الشعبية الأخرى من نقابية واقتصادية وثقافية وتعليمية الخ ، ولكن وظيفتها الأساسية هي أنها منتديات للفكر يطرح منها للبحث كل ما يهم الصالح العام ، وتغربل فيها وبينها الآراء ، ويعرف فيها الشباب معنى الانتماء لفكرة أو مبدأ ، ويتدرب على العمل في جماعة لتحقيق مصلحة الجماعة .

هذا كله ـ وهو دم الحياة للديموقراطية ـ لايمكن أن يتم في اطار الحكومة ، ولا أن يتم بصورة كافية في اطار المؤسسات الشعبية الأخرى ولذلك يتحتم أن يحظى العمل الحزبي بالاحترام والثقة ، وأن يتسع مجاله كي يؤدي دوره كاملا ، سواء أكان الحزب في الحكومة أم في المعارضة ، بل سواء مثل الحزب في الجمعية المنتخبة أم لم يمثل ، قويت احتمالاته في الوصول يوما الى الحكم أم ضعفت أم انعدمت .

ولا يستطيع أحد أن يرسم طريق الديموقراطية سلفا ، ولكننا نستطيع ـ بل يجب علينا ـ أن نتمثل معناها وغايتها .

في بداية الطور العربى الإسلامى - الذى بدأ بظهور الإسلام - لحضارة هذه الأمة ، وعندما كانت الحياة الفكرية بسيطة بساطة مجتمع شبه الجزيرة العربية ، كان مثقفو الأمة هم "القراء" - قراء القرآن الكريم وحفظته - .. ومع نشأة العلوم والفنون ، وتعقد الحياة الفكرية بتعقد المشكلات وتشابك القضايا المستجدة وثراء المواريث الفكرية فى البلاد التى فتحها العرب المسلمون ، عرفت الحياة الفكرية : "الفقهاء" ، و"المتكلمين" و"المحدّثين" و"المفسرين" ، و"المؤرخين" و"علماء الطبيعة" وظواهرها ، و"الفلاسفة" مع مبدعى الفنون ، شعرا ، ونثرا ، وموسيقى .. الخ .. الخ .. وكانت الموسوعية هى طابع العصر ، فكان القلم الواحد يجمع العديد من هذه العلوم والفنون .. وكانت علوم الشريعة فى المقدمة ، لشرفها النابع من جمعها بين شئون الدين والدنيا .. ولذلك كان "الفقهاء" هم أبرز "مثقفى" الأمة فى ذلك التاريخ ..

بقلم: د. محمد عمارة

الفقهاء والسلاطين

وقبل عسكرة الدولة والمجتمع - عندما سيطر الترك المماليك ، فى العصر العباسى الثانى - كانت استقلالية الفقهاء عن التبعية للدولة أمرا بارزا وملحوظا .. وقصة العلاقة بين الامام مالك [٩٣ - ١٧٩ هـ ٧١٢ - ٧٩٥ م] والامام أبى حنيفة [٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧ م] والأمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م] وبين الدولة العباسية نموذج ومثل لهذه السمة التى ميزت مواقف الأغلبية الساحقة من فقهاء الأمة بالشموخ المتواضع ، والاستقلالية الأبية النبيلة عن التبعية للخلفاء والولاة .. ناهيك عن نماذج الحسن البصرى [٢١ - ١١٠ هـ ٦٤٢ - ٧٢٨ م] وواصل بن عطاء [٨٠ - ١٣١ هـ ٧٠٠ - ٧٤٨ م] وعمرو بن عبيد [٨٠ - ١٤٤ هـ ٦٩٩ - ٧٦١ م] وجعفر الصادق [٨٠ - ١٤٨ هـ

٦٩٩ ـ ٧٦٥ م] وزيد بن على [٧٦ ـ ١٢٣ هـ ٦٩٨ ـ ٧٤٠ م] من الفقهاء والرواة والمتكلمين الزاهدين المجاهدين الثوار !..

تلك سمة غلبت على الحياة الفكرية للأمة ـ سمة استقلالية الفكر والمفكر ـ وهى قد لعبت دورها العظيم فى تنمية ملكات الخلق والابداع ، ونمت هى أيضا ، عندما ارتوت من نبع هذا الخلق والإبداع .. فالحرية تثرى الفكر ، والفكر الحر يزيد عود الحرية قوة وعزما !..

لكن عسكرة الدولة والمجتمع ، وقد اصابت الابداع الفكرى فى الصميم ، نراها قد قللت من شأن العلم والفكر ، ومن ثم من شأن المفكرين والعلماء .. فلم تعد "الإمامة" لمن بلغ فى العلم مرتبة الاجتهاد ، وانما غدت "السلطنة" لمن غلب ؟!!.. وعندما مالت الكفة لحساب "القوة" على حساب "العقل" تبدلت مؤهلات "الصفوة" ، فغدت الفروسية والمكر والدهاء وقهر الخصوم هى سبل الوصول الى السلطة والدولة ، وهى الموازين التى تزن بها الدولة من تقريبهم من الرجال !..

● التبعية للدولة

وحدث أن اهتم العسكر الترك ـ كعادتهم ـ بشكل التدين أكثر من اهتمامهم بجوهره ، فهم لا يستطيعون غيره .. وهو أكثر جلبا لرضا العامة ؟!.. ففى الوقت الذى عزلوا فيه الشريعة عن أن تكون قانون "الدولة" وحكامها ، نراهم يستبدلون الفخامة المترفة بالبساطة فى اقامة المساجد وما ألحق بها من المدارس .. فتحول المسجد الى مؤسسة ضخمة لاقبل للفقراء بإقامتها مستقلين ، اقامتها الدولة ، بواسطة السلاطين والأمراء ، وأوقفت عليها الأوقاف الدارّة ، بعد ان اسرعت ارضا من ملاكها وفلاحيها .. وغدا الفقهاء الذين يعلمون تلاميذهم ، فى هذه المؤسسات التى اقامتها وتنفق عليها الدولة ، غدوا "موظفين" لدى دولة العسكر المماليك .. فغلبت سمة التبعية للدولة على كثير من الفقهاء ، للمرة الأولى فى تاريخ امتنا الحضارى .. وكان ذلك تحولا سلبيا اصاب حياتنا الفكرية والسياسية فى الصميم !..

ففريق من الفقهاء ربطتهم التبعية الاقتصادية بالدولة ، فغضوا الطرف عن تجاوزاتها ، ووقفوا ازاء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند أضعف الإيمان ؟! ..

وفريق قادته هذه التبعية الاقتصادية الى "التبرير" .. تبرير التجاوزات التى تقترفها الدولة ضد الرعية .. ورحم الله من قال : « من يأكل عيش الكافر يحارب بسيفه » ؟! .. فما بالك اذا كان صاحب "العيش" "سلطانا" ممن « يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » ؟! ..

بل لقد الجأت المخاطر الخارجية المحدقة بالوطن والأمة والحضارة .. الجأت بعضا من الفقهاء المجتهدين المجاهدين الى أن يغضوا الطرف عن تجاوزات الدولة وانحرافات الأمراء السلاطين ، ايمانا منهم بان الخطر الخارجى هو الأعظم ، وان مجاهدة الدولة ـ مع ظلمها ـ لن يفيد ـ فى ذلك الظرف العصيب ـ سوى العدو الخارجى الذى يهدد الأمة والحضارة بالفناء .. فرأينا مجتهدا مجاهدا مثل ابن تيمية [٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م] ، لبصيرته السياسية والحضارية العبقرية يقف مع الدولة المملوكية ، ينصرها ويناصرها ، ويجمع لنصرتها الأعوان ، والامكانات ، بل ويطوع الأحاديث النبوية ـ بالتفسير المتعسف ـ كى تشهد بان المماليك هم الفئة المنصورة التى تنبأ بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ... كل

ذلك ايمانا من ابن تيمية بأن بقاء الاسلام وحضارته رهن بقوة هذه الدولة وانتصارها على التتار .. فلقد كانت الأمة فى "حالة حرب ضروس" .. ولن يفل حديد التتار الهمج المتوحشين الا حديد فرسان المماليك .. والضرورات تبيح المحظورات ، بل قد توجبها !.. وعلماء الأمة ، من أهل السنة والجماعة ، قد أجازوا إمامة المفضول دينيا اذا كان افضل سياسيا وأقدر على مواجهة التحديات المحدقة بالأمة .. و« إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر » ــ كما جاء فى المأثورات ؟!.. ثم انه ــ ابن تيمية ــ على مذهب شيخه الإمام أحمد بن حنبل ، الداعى الى طاعة الدولة ، والبيعة لمن غلب ، والناهى عن الخروج والثورة وتجريد السيف ضد الحكام ، حتى ولو جاروا وظلموا .. فعنده ان « السيف الباطل ، ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية ، وأن الامام قد يكون عادلا ، ويكون غير عادل ، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقا .. » !(١)

فسيرا على هذا النهج ، نهى ابن تيمية عن مناهضة الدولة المملوكية ــ مع تسليمه بظلمها ــ ، وقال : إن « المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الائمة وقتالهم بالسيف ، وإن كان فيهم ظلم .. لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فيدفع أعظم الفاسدين بالتزام الادنى .. » !(٢)

وهو ــ كما نرى ــ موقف من مواقف "السياسة" الاسلامية ، أشبه مايكون بما نسميه فى اصطلاحاتنا المعاصرة : « تقديم التناقضات الرئيسية على التناقضات الثانوية » .. فتناقض الأمة ودولتها الظالمة مع الخطر الخارجى كان الرئيسى والحاكم ، لأنه هو "التناقض العدائى" على نحو جذرى ، أما تناقض الأمة مع دولتها الظالمة ، فلقد كان ــ فى ظل التناقض مع التتار ، وبالقياس عليه ــ تناقضا ثانويا ، من الواجب تأجيله .. أو استخدام الأساليب غير العنيفة فى مواجهة مظالمه وانحرافاته ، دون السيف ــ أى الثورة والقتال ــ .. ولهذا وجدنا ابن تيمية يقف ، مع فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، عند درجة الانكار باللسان .. فانتقد الواقع وانحرافاته ، ونصح للحكام .. حتى لقد مات الرجل فى سجن المماليك ؟!.. لكنه لم يدع الى الثورة والتغيير للمنكر بالعنف والثورة والقتال ، لا لجبن منه أو تقصير فلقد كان مجاهدا ، حمل السلاح وقاتل ، ولكن ضد العدو الرئيسى والخطر الأكبر : جحافل التتار !..

فى ضوء هذه الرؤية السياسية والحضارية يجب أن يفهم موقف ابن تيمية من دولة العسكر المماليك ، ويجب أن تقرأ كلماته التى تحلل الموقف السياسى والعسكرى والحضارى تحليلا عبقريا ، عندما يقول :

« .. إن سكان اليمن ، فى هذا الوقت ، ضعاف عاجزون عن الجهاد ، أو مضيعون له ، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد ، حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء [التتار] !.. وأما سكان الحجاز ، فأكثرهم ، أو كثير منهم خارجون عن الشريعة ، وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه الا الله ، وأهل الايمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون . وإنما تكون القوة والعزة ، فى هذا الوقت ، لغير أهل الاسلام بهذه البلاد !.. وأما بلاد إفريقيا ــ [تونس] ــ فأعرابها غالبون عليها ، وهم من شر الخلق ، وهم مستحقون للجهاد والغزو !... وأما المغرب الاقصى ، فمع استيلاء الافرنج على أكثر بلادهم ، لا يقومون بجهاد النصارى الذين هناك ، بل فى عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم !. ولو استولى التتار على هذه البلاد

لكان أهل المغرب معهم من أذل الناس ، لاسيما والنصارى تدخل مع التتار ، فيصيرون حزبا على أهل المغرب ! ....

فهذا وغيره ، مما يبين أن هذه العصابة ـ [عسكر المماليك] ـ ، التي بالشام ومصر ، في هذا الوقت ، هم كتيبة الاسلام ، وعزهم عز الاسلام ، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للاسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها اهل الأرض تقاتل عنه .. فهم ـ [المماليك] ـ من أحق الناس دخولا في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله في الأحاديث المستفيضة عنه : « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » [3] ... وثبت عنه في الصحيح ، انه قال : « لا يزال اهل الغرب ظاهرين ».[4] .. والنبي تكلم بهذا الكلام وهو بالمدينة النبوية ، فما يغرب عنها فهو غرب ، كالشام ومصر ... » ؟![5]

لكن هذا الموقف العبقري ، والمفهوم ، الذي اتخذه ابن تيمية ـ ومن رأى رأيه ـ من دولة العسكر المماليك ، والذي ناصر الدولة في جهادها للخطر الأعظم .. وانتقدها ، بالوسائل السلمية ، على مظالمها وتجاوزاتها .. هذا الموقف المفهوم ، قد استفاد منه "تيار التبرير" و"المسايرة" و"ايثار السلامة" ، عندما وقفوا عند رفضه للثورة على الدولة الظالمة ونهيه عن قتال الحكام الجائرين ، دون إبراز للملابسات التي أملت هذا الموقف .. تلك التي أوضحها ابن تيمية عندما قال لنا : لقد كان هناك تحالف "تترى ـ صليبي" ضد عالم الاسلام .. وكان هناك عجز عن مواجهة هذا التحدى المدمر في أغلب بلاد الاسلام .. اليمن .. والحجاز .. وإفريقيا .. والمغرب الأقصى .. ولم يكن هناك سوى فرسان المماليك ودولتهم من يعلق الاسلام والمسلمون عليهم الآمال في مواجهة هذا التحدى "التترى ـ الصليبي" .. فلذلك وجبت نصرة المماليك في ضوء هذه الظروف والملابسات ..

لقد أغفل "أهل التبرير" الملابسات التي حكمت رأى ابن تيمية في الدولة المملوكية ... فاستمر "التبرير" بإطلاق .. بل وغدا السمة الغالبة والنغمة السائدة حتى بعد انحسار الخطر التترى وانهيار آخر الحصون والقلاع الصليبية [٦٩٠ هـ ١٢٩١ م] .. عندما لم يبق من دولة العسكر المماليك سوى السلبيات التي أصابت بها حضارتنا العربية الاسلامية .. وعندما زالت الدواعي القاهرة التي تبرر للأمة إسلام الزمام والقياد والمقدرات لسلطة جائرة متغلبة على البلاد والعباد .. فكان أن فقدت الأمة سلاحا من أمضى أسلحة مواجهة الظلم ومحاربته .. سلاح : استقلال "الفقهاء" متلقى ذلك التاريخ ؟!

هوامش

(١) الأشعرى [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين] جـ٢ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ . طبعة استامبول ١٩٢٩ م .

(٢) [منهاج السنة] جـ٢ ص ٨٧ . طبعة القاهرة ـ الأولى ـ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة والدارمى والامام أحمد .

(٤) رواه مسلم .

(٥) [الفتاوى الكبرى] جـ٤ ص ٢٤٦ ـ ٢٥٨ . طبعة القاهرة ١٩٦٥ م .

اليونسكو

أصوات متعددة وعالم واحد

بقلم : مصطفى نبيل

مازالت الأزمة تحاصر منظمة الثقافة والتربية والعلوم « اليونسكو » . بعد ان شهدت آخر فصولها مع اختيار المدير العام الجديد ، ويدور الصراع داخل المنظمة التي تعنى بالفكر والثقافة والحضارة في العالم . حول الأمل لأولئك الحالمين بعالم يسوده العدل والتقدم ...

وازمة اليونسكو نموذج حى لأزمة النظام الدولى الراهن ، الذى مازال البعض لايرى فيه سوى أداة للسيطرة ، وساحة لفرض افكاره ومعتقداته على العالم ، وعندما تعوزه الوسيلة ينفض يديه من اللعبة كلها ..

وتتمتع « اليونسكو » فى مصر والوطن العربى بمكانة عالية ، بعد ان قدمت جانبا مشرقا من جوانب العمل الدولى ، وساهمت فى إنقاذ التراث الانسانى فى مصر ، بمساهمتها فى إنقاذ معبد « أبوسمبل » ، ومعبد فيله وآثار النوبة ، من الغرق بعد إقامة السد العالى ، واقامت مركز سرس الليان فى ريف مصر ، وتساهم حاليا فى إقامة متحف النوبة فى اسوان ، ومتحف الحضارات فى القاهرة .

كما قامت بالعديد من المشروعات فى البلدان العربية ، منها إعادة تنظيم معظم وزارات التربية والتعليم ، وساهمت فى بناء جامعة قطر ، وجامعة الامارات ، وجامعة عمان ، ومركز علوم البحار فى البصرة ، ومركز علوم البحار فى عدن ، ومتحف طرابلس الغرب .

ولنبدأ بالفصل الأخير الذى عاشته « اليونسكو » عند انتخاب مديرها العام الجديد ، والذى لعب « المقعد الخالى » الدور الحاسم فى اختياره وتركزت انظار العالم على هذا الانتخاب مدة عشرة ايام حافلة بالضغوط والمناورات ، اما هذا « المقعد الخالى » فهو مقعد الولايات المتحدة التى سبق أن انسحبت من اليونسكو احتجاجا على سوء افعالها !.

وبدأت الجولة باثنى عشر مرشحا ،


احمد مختار امبو


فدريكو مايور

ابرزهم هو احمد مختار إمبو مديرها السابق ، الذى استمر فى الصدارة خلال اربع جولات انتخابية ، على أثرها أعلن انسحابه ليتم اختيار المرشح الأسبانى فردريكو مايور ساراجوزا ..

وشدت باريس انظار العالم ، فالمدير العام لليونسكو يتمتع بأهمية كبيرة ، وشهرته تفوق بعض رؤساء الدول ، ولأن اليونسكو تعيش منذ فترة طويلة ساحة صراع ساخن بين اتجاهات متباينة ، تدور حول نظرة العالم الصناعي ونظرة العالم الثالث إلى الثقافة والتربية والعلوم ، وقد حققت دول العالم الثالث فى ظل إدارة مختار إمبو عددا من الانجازات المهمة ، وهذه الانجازات هى التى وضعت اليونسكو ومستقبلها وانشطتها أمام مستقبل مجهول ، وهى التى ابرزت أزمة التعاون الدولى فى عالم متغير ..

وقد احتل مختار إمبو منصبه منذ اختياره عام ١٩٧٤ مديرا عاما ، واستمر ثلاثة عشر عاما مفعمة بالنشاط والحيوية والحوار ، وهو سنغالى مسلم ، درس فى جامعة السوربون فى باريس ، وأول من يصل من أفريقيا لهذا المنصب الثقافى الرفيع ، وينتمى إلى ذلك الجيل الذى حقق الاستقلال ، وتشغله قضية حوار الثقافات وخصوصية ثقافة الشعوب المختلفة ، وهو تعبير عن ذلك المزيج الحى بين الأصالة والعالمية ، وله مؤلفات تضم خلاصة تجربته منها « تابع المستقبل » و« زمان الشعوب » ..

وقد دفعه للترشيح لدورة ثالثة كينيث كاوندا رئيس زامبيا والرئيس الحالى لمنظمة الوحدة الافريقية . ووقفت تؤيده كافة الدول الأفريقية واغلب الدول العربية ..

وعلى الجانب الآخر أيد مايور المدير العام الجديد ، وهو الوزير الأسبانى السابق ، والعالم فى الكيمياء الحيوية ، جميع الدول الأوربية ـ عدا فرنسا ـ التى بها مقر المنظمة والتى تراعى الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية ، وكل دول أمريكا اللاتينية واليابان كما ايدته أخيرا الدول الاشتراكية ..

أما الضغوط التى تعرض لها مختار إمبو وادت إلى انسحابه ، فيمكن تلمسها من خلال التصريحات التى صدرت ، والمقالات التى كتبت ، ومنها

اليونسكو

ماصرح به الناطق الرسمى لليونسكو بقوله .. « إن عددا من الدول هددت بالانسحاب من المنظمة إذا اعيد انتخاب مختار إمبو ، ومن هذه الدول المانيا الغربية وسويسرا وبلجيكا وهولندا بالاضافة إلى اليابان صاحبة اكبر حصة فى ميزانية اليونسكو ... » ! !

وما ألمحت إليه صحيفة الهيرالد تربيون الامريكية .. « من أن غياب مختار إمبو قد يكون سببا لحل مشكلة اليونسكو ، واقناع الولايات المتحدة بالعدول عن قرارها بالانسحاب من اليونسكو .. » !

ولعل فوز مايور والتأييد الذى حصل عليه يعود إلى الخلاف الذى كان قائما بينه وبين مختار إمبو خلال عمله مدة أربع سنوات مساعدا له ، ثم عمله بعد ذلك مستشارا فى اليونسكو لمدة عامين .

● حصون السلام

واهمية الأزمة التى تواجهها اليونسكو ، أنها تدور حول عقل العالم وثقافته ، وأنها تعكس فشل آليات النظام الدولى ، وعجزه عن حسم مايواجهه من صعاب ، والعاصفة التى هزت اليونسكو ، تواجه مثلها منظمات التعاون الدولية الأخرى .

« ففى عقول البشر تبنى حصون السلام » ، شعار المنظمة التى تعنى بشئون الفكر والثقافة ، وعلى ارضيتها تتحاور الأفكار وتظهر الاتجاهات العالمية الجديدة ، وماشهدته اليونسكو هو الجزء الظاهر من جبل الثلج ، والذى يجب على المفكرين العناية به ومناقشته .

فالمهدد هو مستقبل التعاون الدولى متعدد الأطراف ، الذى يقوم على أساس « المشاركة » و« المسئولية » عن أمن العالم وتقدمه .

وهذه الأزمة فى احد جوانبها تعكس إصرارا من جانب الدول الصناعية على أن تتحكم فى عقول وأفكار دول العالم الثالث ، وتكشف الخلل القائم بين دول الشمال والجنوب ، وتنامى الفجوة بينهما ، وفشل الشعار الذى رفع منذ عقد من الزمان والذى يدعو إلى الحوار بدلا من المواجهة ..

فإنكار الواقع لن يمحوه ، تقول الحقائق ، انه بعد الحرب العالمية الثانية قامت الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ فى ظل سيطرة كاملة للحلفاء ، وفى ظل شعارات عالم افضل ، يقدس الحريات الأربع ، وبدأت اليونسكو بثمان وعشرين دولة ، أصبحت الآن تضم مائة واحدى وستين دولة ، وزادت أعداد الدول المستقلة ، وظهرت اغلبية تلقائية للدول الصغيرة حديثة الاستقلال ، فالنظام الدولى يقوم على أساس صوت واحد لكل دولة ، فهل تسلم الدول الصناعية بذلك ؟ ! . وماذا إذا اختلفت النظرة والرؤية بين دول الشمال ودول الجنوب ، وكيف تتصرف الدول الكبرى عندما تعجز عن تحقيق غاياتها وفرض أسلوبها على التجمعات الدولية ... ؟ !

وأمام هذه المعضلة تغيرت وجهة نظر الذين أسسوا الأمم المتحدة وأقاموا وكالاتها المتخصصة ، عندما أصبحت هذه المنظمات محدودة الجدوى بالنسبة لأهدافهم .

وسقطت اليونسكو ضحية هذه القضية ، فالفجوة واسعة بين احتياجات

دول العالم الثالث التى تعانى الأمية ، واحتياجات الولايات المتحدة مثلا التى تهدف إلى نشر نموذج الحياة الأمريكية ، وأصبحت الأغلبية التلقائية التى تتمتع بها دول العالم الثالث عقبة رئيسية أمامها ، واهتزت فكرة ديمقراطية الثقافة ، وجرى صراع بين ليهما صاحب القرار ... من له أغلبية الأصوات أم من يملك أكبر حصة فى ميزانية اليونسكو ؟ ! فتدفع الدول الأعضاء فى اليونسكو انصبتها على أساس حجم الثروة الوطنية لكل منها ، وحصة الولايات المتحدة وحدها تصل إلى ربع ميزانية اليونسكو ، وتبلغ مساهمات الدول الغربية ٧٠٪ من الميزانية ، والدول الاشتراكية ١٨٪ من الميزانية وبقية كل دول العالم الثالث ١٢٪ ..

وارتفعت أصوات تطالب بعدم المساواة بين الدول ، وتستنكر فكرة صوت واحد لكل دولة ، وتطالب بتقسيم الأصوات وفقا للمساهمة المالية للدول الأعضاء ، مثل مايجرى به العمل فى البنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى ! .

وتكاد الأمم المتحدة ذاتها تواجه مشكلة الإفلاس ، ولم تدفع الولايات المتحدة نصيبها ، وابدى دى كويلر الأمين العام أخيرا مخاوفه من عجز المنظمة عن دفع رواتب العاملين فيها ، و لذى يصل عددهم إلى تسعة الاف وخمسمائة موظف ! .

فإذا كانت الولايات المتحدة تتمتع بالفيتو فى مجلس الأمن ، فهى لاتتمتع بذات النفوذ فى الجمعية العامة ! .

● تصدع ضمير العالم !

ولنقترب أكثر من أزمة اليونسكو ونتنقل من الكل إلى الجزء ، ومن الأمم المتحدة إلى اليونسكو ، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على التوالى انسحابهما من اليونسكو ، واصاب هذا الانسحاب المنظمة الثقافية بصدع كبير ، وانتقص من عالميتها وحدّ من نشاطها ، وحجب ٣٠٪ من ميزانيتها ، ووجه رسالة شفرية للمنظمات الدولية الأخرى بما ينتظرها إذا قاومت ، وهى ترى علامات الاستفهام قائمة حول مستقبل اليونسكو .

واعتمد الذين دافعوا عن اليونسكو ، والذين خذلوها وتخلوا عنها على ميثاقها التأسيسى ، وجاء المدير العام الجديد مايور شاهرا الميثاق فوق الأشهاد ، وكأنه يقول بينى وبينكم هذا الميثاق ، وهو كأية وثيقة يقرأ بعيون مختلفة ..

يقول الميثاق : « إن حكومات الدول الأطراف فى هذا الميثاق ، تعلن بإسم شعوبها انه لما كانت الحروب توجد فى عقول البشر ، ففى عقولهم يجب ان تبنى حصون السلام » .

ويقول : « لما كان جهل الشعوب بعضها ببعض مصدر الريبة والشك بين الأمم على مر التاريخ ، وسبب تحول خلافاتها إلى حروب فى العديد من الأوقات ... ولما كانت الحرب العظمى المروعة التى انتهت ، قد نشبت بسبب التنكر للمثل العليا الديمقراطية التى تنادى بالكرامة والمساواة والاحترام للذات الانسانية ، وبسبب العزم على احلال مذهب عدم المساواة بين الأجناس كل هذه المثل العليا عن طريق استغلال الجهل والانحياز ..

« ولما كانت كرامة الانسان تقتضى نشر الثقافة ، وتنشئة الناس جميعا على مبادىء العدالة والحرية والسلام ، كان هذا العمل بالنسبة لجميع الأمم واجبا مقدسا ، ينبغى القيام به فى روح من التعاون المتبادل » ...

اليونسكو

فما الذى آلت إليه هذه المبادىء السامية ؟ ... وماهى الحجج التى قدمتها الولايات المتحدة لانسحابها ؟ وماهى الأسباب المعلنة والمستورة وراء قرار الانسحاب ؟ كانت الحجج التى اعلنتها الولايات المتحدة تتلخص فى التالى :

● **إضفاء الصفة السياسية على كل الموضوعات الثقافية التى تتناولها اليونسكو .**

● **العداء الأصيل تجاه المؤسسات التى يقوم عليها العالم الحر ، اقتصاديات السوق ، والصحافة الحرة المستقلة .**

● **التبذير** وسوء الادارة .

وصرح وقتها جريجورى ويل مساعد وزير الخارجية لشئون المنظمات الدولية قائلا :

« جاء قرار الانسحاب من اليونسكو بعد مراجعة متأنية استمرت ستة شهور ، تأكد فيها للخبراء أن اليونسكو لن تغير موقفها وسياستها من القضايا المهمة التى كانت محل خلاف دائم بين الولايات المتحدة واليونسكو » ..

وتركز هجوم الولايات المتحدة على ما أعلن عن « نظام إعلامى جديد » ، وعن الفارق الجوهرى بين حقوق الانسان ، وبين حقوق الجماعات .

● النموذج الأمريكى ●

ولما كان المجتمع الأمريكى مجتمعا مفتوحا ، أمكن معرفة كيف تم اتخاذ قرار الانسحاب ، والقوى الأمريكية التى ساندته ونجحت فى إصداره ..

بدأ الموقف الأمريكى من اليونسكو مع إدارة الرئيس الامريكى ريجان ، التى رأت ان التعاون الثنائى أجدى وأفيد للمصالح الأمريكية ، من التعامل من خلال اليونسكو ، بعد أن حالت الأغلبية التلقائية لدول الجنوب ، من سيادة المفهوم الثقافى الأمريكى ، الذى يدمج الثقافة والإعلام ، ومع رفض دول العالم الثالث لفكرة محاكاة النموذج الأمريكى ، وبعد أن تحولت اليونسكو إلى ساحة للصراع الأيديولوجى والسياسى .

ولم يرقها ماشهدته من تنامى فكرة الشخصية الذاتية والهوية الخاصة للشعوب المختلفة ، والتى رأت فيها دول العالم الثالث الملاذ من محاولات الاستيعاب والسيطرة الفكرية ..

وقد عبرت بوضوح عن تفكير الإدارة الأمريكية مؤسسة « هيراتتج » ، التى تصاعد نفوذها فى ظل الإدارة الأمريكية الحالية ، كمعبرة عن اليمين الامريكى ، والتى اصبحت المستودع الفكرى والعقل المدبر وراء إدارة الرئيس ريجان ، وقامت بإعداد دراسات وبحوث حول العديد من القضايا ، تحولت أغلبها إلى سياسات فعلية ..

وتناولت إحدى دراساتها الموقف الأمريكى من اليونسكو ، وأكدت أن عضوية الولايات المتحدة فى اليونسكو تهدم وتشوه وجهات نظر وقيم ومصالح الولايات المتحدة ، وقد برهنت التجربة على عجز السياسة الأمريكية عن تغيير اليونسكو من الداخل ، ولايجوز أن تمول الولايات المتحدة أنشطة ضد مصالحها ، كما أن انسحابها يقوى مركز الولايات المتحدة فى منظمات الأمم المتحدة الأخرى ، ولم يعد أمام الادارة الأمريكية سوى أن تخير دول العالم بين قبول طريق

الحياة الأمريكية أو أن تقوم بهذا الدور منفردة .. !

وأوصت « هيراتنج » الادارة الأمريكية بضرورة الالتزام بخمسة أهداف ، تكون دليلا لتعامل الولايات المتحدة مع المنظمات الدولية ، وهذه الأهداف هي :

● ضرورة استرداد النفوذ الأمريكي على قرارات المنظمات الدولية .

● ضرورة سيادة القيم والأفكار التي يقوم عليها العالم الحر ، حتى تسترد أمريكا مكانتها الدولية ..

● وقف تناقص أعداد الأمريكيين العاملين في المنظمات الدولية ، والذي بدأ في التناقص منذ ٢٠ عاما .

● معارضة زيادة ميزانية المنظمات الدولية ، وتشجيع هذه المنظمات على الاستخدام الأمثل لميزانيتها .

● تخفيض عدد المؤتمرات الدولية التي بلغت في عام واحد ١٠ آلاف مؤتمر ، وتقليل مدة انعقاد هذه المؤتمرات .

وتعالت صيحات تطالب بإنشاء منظمة جديدة للثقافة والعلوم تقتصر على الدول الصناعية ، بعد عجز دول الجنوب على تغيير مجرى عمل اليونسكو منذ بداية الستينيات ، وخططت الولايات المتحدة وقفها من اليونسكو كوسيلة لحمل المنظمة على القبول بصيغة من صيغ حق الاعتراض (الفيتو) في مواجهة دول العالم الثالث .

ويعيش الغرب في المنظمات الدولية بجهين من الصراع ، أحدهما بين الشمال والجنوب ، والآخر بين الشرق والغرب ، ويغلب أحدهما الآخر بناء على حركة أطراف الصراع ، وقد استخدمت الولايات المتحدة عند انسحابها حجة أن اليونسكو أصبحت أداة في يد الدول الاشتراكية ضد الغرب ، وأن مختار إمبو حولها إلى ساحة قتال بين الشرق والغرب ، وقد إنتقد سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هذه النظرة لدول العالم الثالث ، وقال انها تتجاهل الأماني الوطنية والطموحات والخصوصيات المحلية .

ومن جانب آخر تستغل الدول الغربية فكرة التنسيق لكي تحبط فعالية هذه المنظمات في القضايا الحيوية .

● **النظام الإعلامي الجديد**

ومن أكثر المسائل التي رفضتها الولايات المتحدة ، وأثارت حوله جدلاً واسعاً ، هو مشروع اليونسكو نحو « نظام إعلامي جديد » ، وتشبه الحملة التي أثيرت القول ... « أن أسوأ أنواع الذم هو الذي يتظاهر بالمدح ، وأشد ضروب الكراهية هي التي تتخفى وراء قناع الود » ..

فعندما سعت دول الجنوب ، إلى إدارة حوار متكافىء بين الثقافات والحضارات ، ووجدت أنه من الضروري إقامة نظام للاعلام والاتصال متوازن ، ينقل المعلومات في اتجاهين وليس اتجاه واحد ، لكي تنتقل دول الجنوب من مجرد التلقي إلى التبادل الفعال ، وكان من الضروري أن تلاحظ أن أربع وكالات أنباء عالمية غربية تتحكم في ٨٠٪ من الأنباء ، وأن دولا أفريقية تعرف أنباء جيرانها من خلال واشنطن ولندن وباريس ، وبحثت عن طريق لعلاج عدم التوازن والتحريف في نشر الأنباء ، وماهي المبادىء التي يمكن اعتمادها لخلق نظام عادل للاتصال والإعلام .

ومع قيام عصر ثورة المعلومات ، سعت دول الجنوب إلى اللحاق بهذه الثورة ،

وامتلاك أدواتها ، وتوظيفها كقوة تعيد التوازن إلى العلاقات الدولية ، بعد أن أصبح مجموع المعرفة البشرية يتضاعف كل ثمان سنوات .

ويدور مشروع اليونسكو على إقامة البنية الأساسية للاتصال بين دول العالم الثالث ، ووضع برامج تدريب الإعلاميين ، وإقامة شبكات إتصال عن طريق الأقمار الصناعية ، وتقديم المساعدة الفنية للمنظمات الاقليمية ، وادخال الكمبيوتر فى حفظ المعلومات واسترجاعها .

فهل مست اليونسكو بهذا المشروع احد المحرمات فى العلاقات الدولية ؟ ! ..

فتبادل الأفكار والثقافات والمعلومات مسألة حيوية ، من خلالها تصاغ العقول ، وتتحدد الأفكار ، ويلف أو يتم تغلغل التأثير او السيطرة ، وهاهو مشروع يقوم لأول مرة على أساس متوازن ، فوقفت لهذا المشروع الدول الغربية بالمرصاد .

وكان مدخل الهجوم على هذا المشروع حصيفا ذكيا ، وجاء الهجوم ، من أن مجرد مناقشة هذه القضايا بواسطة مؤتمر يضم ممثلين عن الحكومات ، اعتداء صارخ على حرية الإعلام والاتصال والصحافة ، وأن العديد من دول العالم الثالث تخضع شعوبها لنظم استبدادية ، مما سيوضع هذا النظام الجديد فى خدمتها ! .

ويكشف مختار إمبو فى رده على هذه الحملة ، ماتتضمنه من نفاق ، عندما يؤكد ، إلغاء نص كان له مكانته الخاصة فى تأكيد حرية اليونسكو ، وهو أن أعضاء المجلس التنفيذى يمارسون السلطات التى اوكلها لهم المؤتمر العام ليس بوصفهم ممثلين لحكوماتهم ، وتغير هذا النص عام ١٩٥٤ بناء على طلب الولايات المتحدة ، فأصبح كل عضو من أعضاء المجلس التنفيذى ممثلا لحكومته ! .

وبذلك فقد المجلس ـ الذى كان يتكون من شخصيات مستقلة فى عالم الفكر استقلالهم ، وتواجه ذات المشكلة كافة منظمات الأمم المتحدة التى تضم ممثلى الحكومات المختلفة ، مما يجعل الحديث عن دور المؤسسات الفردية بعيدا عن الواقع ، وزعما لايستند إلى أساس ..

ويعكس هذا الهجوم من جانب آخر الفجوة فى النظرة بين دول الشمال والجنوب ..

فالدول حديثة الاستقلال تلعب الحكومة فيها دورا بارزا ، مهما اختلف نظامها الاجتماعى ، وإذا كان المتعارف عليه أن مبدأ تدخل الدولة هو جزء من الفكر الاشتراكى ، الذى يأخذ بفكرة التخطيط الشامل ، وأن الفكر الراسمالى ينادى بأن تكون الثقافة نشاطا حرا ، إلا أنه بالنسبة للثقافة والاعلام أمر آخر ، فالثقافة دعوة للاستقلال وتبادل المعرفة ودعوة للتفكير ، تقود إلى النظرة النقدية ، ولاينبغى أن يكون موقف المجتمع منها انعكاسا مباشرا لمواقفه فى ميادين الاقتصاد والسياسة .

وشهدت بعض دول العالم الثالث اختلاط مبدأ تدخل الدولة مع ضمان قدر كبير من حرية الفكر ، ومشروع اليونسكو هو خطوة فى هذا الاتجاه عندما ينهض بالجانب الفنى فى وسائل الاتصال ، اما من يملك السيطرة ، الدولة أم المؤسسات الخاصة ، فهو أمر

بعيد عن مسئولية اليونسكو ، والتقدم الفنى محايد لايمس ايديولوجية اية دولة .

وربما كان موقف دول الجنوب من اليونسكو يشابه أحد المواقف التاريخية فى التاريخ المصرى ، عندما فرض الغرب على مصر والشرق عام ١٨٤٠ سياسة الباب المفتوح ، بعد هزيمة جيش محمد على فى موقعة نافارين ، واكتملت هذه السياسة فى عهد سعيد وإسماعيل ، ولم تستهدف مجرد الهيمنة السياسية والاقتصادية بل والثقافية والفكرية أيضا ! .

ومرة أخرى تظهر الفجوة الواسعة بين نظرة أهل الشمال وأهل الجنوب ، وذلك عندما يتخذ التصور الأمريكى للحرية طابعا فرديا ، تعدديا ، ولايتصورون الحرية على أنها صفة يكتسبها المجتمع بطريقة جماعية ، بل هى عندهم صفة يكتسبها كل فرد بنفسه ، وتؤدى إلى تعدد الاتجاهات وتباينها ، بدلا من أن تؤدى ـ كما تطرح اليونسكو ـ إلى حركة المجتمع نحو تحقيق أهدافه ، كما ترتبط الحرية فى أذهانهم بتعدد الاتجاهات واختلافات الرأى .

وما اعتبرته دول الجنوب ، والحالمون بعالم يسوده العدل ، حسنات لليونسكو ، اعتبرته الدول الصناعية سيئات توجب العقاب ! .

● الجنوح إلى السياسة

إن العلامات الفارقة بين السياسة والثقافة يصعب تحديدها ..

وجاءت هذه القضية لتفتح بابا واسعا للهجوم على اليونسكو ، ومن دوافعها موقف اليونسكو ، دفاعا عن التراث العربى والاسلامى فى مدينة القدس وفى المؤسسات التعليمية العربية ، وقد تفجر الغضب الأمريكى على اليونسكو عندما اتخذت قرارا عام ١٩٧٤ بطرد اسرائيل من عضوية مجموعاتها الخمس التى تتألف منها المنظمة ، وأدانتها بتدمير التراثين الفكرى والحضارى للشعب الفلسطينى ، وطمس وتدمير المعالم الأثرية الاسلامية فى فلسطين ، وأليست هذه القضية من صميم عمل اليونسكو ؟ ..

وعندما أصدر الكونجرس الأمريكى قرارا بوقف تسديد نصيب الولايات المتحدة فى ميزانية اليونسكو ، واستمر القرار حتى عام ١٩٧٧ ، حتى تراجعت اليونسكو وقبلت اسرائيل ضمن المجموعة الأوربية .. والحقيقة .. أن مايهم الولايات المتحدة هو الجانب السياسى ، رغم انها تتهم اليونسكو بالتورط فى الأمور السياسية ...

لقد عارض قرار انسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو العديد من الأصوات الشريفة ، ومن أصحاب الرأى الحر فى الولايات المتحدة ذاتها ، ولم توافق أغلبية اللجنة الوطنية الأمريكية لليونسكو المؤلفة من أكثر من ٥٠ عالما ومفكرا على قرار الانسحاب من اليونسكو ..

فهل حان الوقت ليتغير الموقف الأمريكى من اليونسكو ؟ ..

وهل تعود الولايات المتحدة وبريطانيا إلى احتلال مقعديهما من جديد ؟ .. بعد وصول مرشحها إلى منصب المدير العام ..

هذا ماستجيب عنه الأيام القادمة ، وماسيسفر عنه الصراع على عقل وضمير العالم .

بورصات العالم

تحتفل بثورة أكتوبر!

بقلم : عبدالرحمن شاكر

اعجبنى قول الدكتور عبدالمنعم راضى ، عميد كلية تجارة عين شمس ، فى التليفزيون المصرى تعقيبا على انهيار الأسعار فى بورصة نيويورك ، وما عداها فى بورصات العالم ، خلال شهرى اكتوبر ونوفمبر الماضيين ، إن مثل هذه الأزمات هى من عيوب النظام الراسمالى ، رغم انه من المعروف عن الدكتور راضى انه من انصار الاقتصاد الحر ! ولكنى اتوقف عند قوله ـ فى الحديث ذاته ـ إن مثل هذا الأزمات امر شبيه بالكوارث الطبيعية ، مثل الزلازل والأعاصير وهلم جرا . فالاقتصاد فى النهاية ـ حتى ولو كانت له قوانين تشبه فى عملها قوانين الطبيعة ـ هو امر من صنع البشر ، ولابد ان تكون لديهم الإرادة للتحكم فى هذه القوانين والتخفيف من آثارها الضارة على الأقل ، إن لم يكن فى المقدور استبعادها كلية .



● لينين



● ريجان



● جورباتشوف

لقد نشأ علم الاقتصاد مع العصر الصناعي ، واعتبر علماؤه الأوائل أن أوضاع هذا العصر ، هى الأوضاع « الطبيعية » ، حيث يمثل حافز الربح الفردى المحرك الرئيسى للنشاط الاقتصادى ، بغض النظر عما يترتب على هذا الحافز من تضارب فى مصالح مختلف المنتجين ، والبائعين والمشترين ، والتنافس على الأسواق ، فلابد من ربح هنا وخسارة هناك ، وكل وشطارته ، فى صناعته أو تجارته ، كل ذلك وضع « طبيعي » ، يحكمه قانون رئيسى ، هو قانون العرض والطلب ، الذى ينبغى ألا تفرض قيود تحول دون تحكمه فى عملية الانتاج وتبادل السلع .

فى مواجهة تلك المدرسة التقليدية ، نشأت مدرسة أو مدارس أخرى ، تنطلق من فكرة أن الهدف من الانتاج والتبادل فى النهاية هو إشباع الحاجات الانسانية ، وأن الاقتصاد الطبيعى هو ما يستهدف اشباع تلك الحاجات ، وعليه فإن للجماعة الانسانية ، أو عليها ، أن تتدخل لتوجيه الحركة الاقتصادية فى اتجاه المصلحة العامة للمجتمع ، تلك هى المدرسة « الاجتماعية » ، التى اصطلحنا على تسميتها فى لغتنا العربية ، بالاشتراكية .

لقد نشأت هذه المدرسة الاجتماعية و الاشتراكية ، فى حضن النظام الصناعى الرأسمالى فى غرب أوربا ، بسبب ما كان يجتاحه من أزمات دورية يبدو فيها المجتمع وكأنه قد أفرط فى انتاج مالا يستطيع تصريفه من سلع ، وبناء عليه تغلق المصانع أبوابها وتقذف بعمالها الى الشوارع ، وتعم

البطالة . وتزداد الازمة حدة بذلك ، حيث يعجز العمال المتعطلون عن شراء ما يلزمهم من سلع ، ويسود صفوفهم وصفوف أسرهم الجوع والعوز ، فى الوقت الذى لايجد فيه الراسماليون من يشترى انتاجهم الكثير ، فتتكدس السلع فى مخازن أصحابها من الرأسماليين ويتكدس الحرمان فى احياء « منتجيها » من العمال ، ويستمر الكساد فترة تطول او تقصر ، حتى يتم نتخلص من السلع المكدسة بنحو او اخر ، بما فى ذلك تدميرها احيانا ، حتى تعود عملية الانتاج من جديد ، وفى اثناء ذلك يموت من العمال أو أسرهم من الجوع أو المرض من يموت ، ويفلس من أصحاب المصانع الصغيرة أو الكبيرة من يفلس ، وينتحر منهم من تسوّد الدنيا فى عينيه بعدما اصابه من خسارة او إفلاس ، وهلم جرا !

كان الحل عند هؤلاء الاجتماعيين او الاشتراكيين ، هو أن يتملك المجتمع عن طريق الدولة المصانع ، الكبيرة منها على الاقل ، وينتج فيها ما يحتاجه افراد المجتمع ، ويعطيهم من الاجور مايكفى لاستهلاكها ، وكحل وسط اقترحه بعض الاقتصاديين الراسماليين لتجنب هذا الاجراء ، زيادة ما يدفع من أجور للعمال بدرجة معينة تتيح لهم أن يحققوا للانتاج الراسمالى ، ما اطلقوا عليه اسم « الطلب الفعال » ، تجنبا للأزمات الدورية من ناحية ، وللحل الاشتراكى « الراديكالى » من ناحية اخرى .

● ظاهرة الاستعمار

غير أن أهم حل كانت تجنده الراسمالية فى دول الغرب الصناعية ، والذى ساعدها تاريخيا على البقاء كان هو الأسواق الخارجية لتصريف منتجاتها ، بل ولإعادة استثمار رءوس اموالها فى مجتمعات جديدة ، وظاهرة الاستعمار التى شهدتها القرون الاخيرة إنما كانت لهذا الغرض ، بما فيه جلب مواد خام اولية لأغراضها الصناعية بأسعار زهيدة ، وإعادة تصدير المنتجات الصناعية بأسعار باهظة ، ولو اقتضى الأمر - وعادة ما كان يقتضى - تدمير هياكل الانتاج والاستهلاك الأساسية فى المجتمعات المتخلفة او التابعة وإعادة تشكيلها لكى تنتج ما يحتاجه « السيد » الاستعمارى أو شراء ما ينتجه هو ! ومن اجل الاستحواذ على تلك الأسواق ، لم تكن الدول الرأسمالية تتردد فى خوض الحروب الطويلة فيما بينها لاقتسام او إعادة اقتسام المستعمرات ، والحربان العالميتان اللتان شهدهما العالم خلال هذا القرن ، فى أوائله ومنتصفه ، إنما كانتا جزءا من هذه الظاهرة ، وفى خلال ذلك نشأت وتطورت صناعة عظيمة هائلة ، عادت وتعود على اصحابها بالمكاسب الطائلة ، هى صناعة الأسلحة الحديثة

الفتاكة ، بما فى ذلك أسلحة الدمار الشامل ، التى تستطيع القضاء على مجتمعات بأسرها ، وإفناء الحياة على الأرض برمتها !

● اشتراكية المتخلفين

انحدرت الاشتراكية فى غرب أوربا ـ ممثلة فى أحزاب الدولية الثانية الاشتراكية الديموقراطية ، بعد أن فشلت فى منع عمالها من قتل بعضهم بعضا فى الحرب العالمية الأولى دفاعا عن أوطانهم « البرجوازية » والمصالح الرأسمالية المسيطرة عليها فى اقتسام المستعمرات ، ولكن تلك الاشتراكية ذاتها وجدت لها ملجأ فى روسيا ، البلد نصف الأوربى نصف الآسيوى ، التى انسحبت من الحرب تحت وطأة جراحها وعجزها عن الاستمرار فيها ، فكانت ثورة اكتوبر ـ نوفمبر الاشتراكية عام ١٩١٧ . ولقد توهم قادة الثورة أنذاك أمثال لنين وتروتسكى أن عمال غرب أوربا سرعان ما يلحقون بها ، ولكن ذلك لم يتحقق ، ووجدت الثورة الاشتراكية فى روسيا نفسها وحيدة محاصرة ، وكان عليها أن تشرع لنفسها طريقا جديدا ليس بالرأسمالى ولا الاشتراكى على الطريقة التقليدية التى بشر بها فلاسفة الماركسية فى الغرب المتقدم . كان عليها أن تختط لنفسها طريق بناء الاشتراكية فى بلد متخلف صناعيا حيث تقوم الاشتراكية بالدور الذى عجزت الرأسمالية فى روسيا عن القيام به وكان الطغيان الذى شهدته تلك البلاد فى عهد ستالين هو الثمن الذى دفعته لبناء قاعدتها الصناعية ودفع شبح المجاعة وصناعة السلاح لمواجهة محاولات الدول الرأسمالية القضاء عليها وخاصة محاولة هتلر فى الحرب العالمية الثانية .

وبعد الحرب تحولت الى ذات الطريق السوفييتى فى بناء الاشتراكية مجموعة الدول المتخلفة فى شرق أوربا (باستثناء تشيكوسلوفاكيا المتقدمة صناعيا بعض الشيء) والدول الآسيوية وفى مقدمتها الصين . كما تأثرت بنفس الطريق فى بناء الصناعة مجموعة من بلدان العالم الثالث فيما عرف باسم « الطريق غير الرأسمالى » فى مصر والهند واندونيسيا وغيرها ، أما فى بلدان الغرب الصناعية المتقدمة ، فقد نجحت بعض الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، فى إدخال اصلاحات على الأوضاع الاقتصادية الرأسمالية فيها ، عن طريق زيادة أجور العمال والتوسع فى الخدمات التى تقدمها الدولة فى مجالى التأمين الاجتماعى والصحى وما الى ذلك ، مع تأميم بعض الصناعات أو الشركات الكبرى ، وإن كان هذا الاجراء قد ظل عرضة للتغيير ، كما حدث أخيرا فى انجلترا على يد المسزتاتشر .

وقد أدى انقسام العالم الى معسكرين أحدهما رأسمالى والآخر اشتراكى إلى ما يعرف باسم الحرب الباردة ، وسباق التسلح الرهيب ما بين المعسكرين ، وقد وجدت الدوائر الرأسمالية فى الغرب وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى صناعة السلاح الضخمة فى ظل هذا السباق مجالا كبيرا لزيادة أرباحها ومكاسبها على حساب دافع الضرائب الامريكى حيث إن الدولة التى تجبى الضرائب هى ذاتها التى تشترى السلاح ، فى الوقت الذى كان فيه

بورصات العالم

تحتفل بثورة أكتوبر!



المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفييتي يرى في اعباء التسلح معوقا كبيرا لتقدمه الاقتصادي ، وعقبة تحول دون رفع مستوى معيشة الجماهير وإظهار مزايا النظام الاشتراكي فيه .

● انتصار المهزومين



في الوقت الذي اتجهت فيه الولايات المتحدة الأمريكية الى التوسع في صناعة الأسلحة ، بما في ذلك برنامج حرب الكواكب ، كانت الدولتان الصناعيتان المهزومتان في الحرب العالمية الثانية وهما المانيا واليابان تتجهان الى إعادة بناء قوتهما الصناعية متحررتين من اسر الصناعة العسكرية ، بحكم معاهدات الصلح التي فرضت عليهما حدودا معينة لتقدم هذه الصناعة الأخيرة فيهما . وترتب على ذلك ان اصبحت اليابان والمانيا اقدر على تصدير سلعهما الصناعية من الولايات المتحدة الأمريكية ، والاستحواذ على الأسواق بما في ذلك السوق الأمريكية ذاتها . وأصبح النصر الاقتصادي في المنافسة الصناعية بمثابة تعويض تاريخي لهاتين الدولتين عن الهزيمة العسكرية في الحرب العالمية الثانية .



تلك هي احدى الحقائق التي تقف وراء انهيار أسعار الأسهم والسندات في بورصة نيويورك وماتلاها في البورصات

العالية . فقد ترتب على اسراف الولايات المتحدة الأمريكية في صنع السلاح عجز هائل فى كل الميزانية الاتحادية بها وميزانها التجارى ، فقد كانت الدولة الامريكية تستدين لكى تشترى السلاح من الشركات التى تنتجه ولا تكفيها فى ذلك مواردها من الضرائب التى تفرضها . وتركت لدافع الضرائب أن يستورد كما يشاء من بلدان العالم بما فى ذلك السلع الصناعية التى تنتجها دول أخرى فى مقدمتها ألمانيا واليابان ، فكان لذلك اثره فى زيادة عجز ميزانها التجارى .

وبعد الانفراج الذى حدث فى العلاقات الدولية ما بين المعسكرين وخاصة القوتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ، وقرب اتفاقهما على نزع السلاح النووى فى أوربا ، المنتظر إقراره فى اللقاء المرتقب خلال هذا الشهر (ديسمبر ١٩٨٧) ما بين ريجان وجورباتشوف ، فان طريق صناعة السلاح المتطور يبدو مظلما ومسدودا ، لأن الأسلحة الفتاكة التى تكلفت ألوف الملايين سوف تبقى فى مخازنها ، وربما يتم تدمير بعضها أو الكثير منها ، لأن معنى استخدامها هو - ببساطة - القضاء على الحياة الانسانية برمتها ، فهى إذن خسارة محققة للدولة والمجتمع الأمريكى برمته .

وهكذا ، فإذا كان النظام الراسمالى فى الغرب ، قد استطاع أن يطيل أمد وجوده بفضل صناعة السلاح والحروب الاستعمارية الكبرى ، فقد وصل هذا التطور الى منعطف تاريخي ينبغى التوقف عنده ، واليأس منه حتى فى اكبر دولة راسمالية ومنتجة للسلاح عرفها التاريخ وهي الولايات المتحدة الأمريكية . واذا كان الاتحاد السوفييتى والصين ومعظم دول المعسكر الاشتراكى تعترف حاليا بتخلف اقتصادها في النواحي السلمية والاستهلاكية اساسا ، ولا ترى بأسا فى أن تعيد بعض أوضاع الاقتصاد الحر الى بلادها ، في السماح ببعض المشروعات الفردية ، الاعتماد على حافز الربح وآليات السوق لرفع مستواها الانتاجى ، ومحاولة اللحاق بركب التطور التكنولوجى الذى حدث فى الغرب ، فقد أصبح أيضا من الواجب على المجتمعات الراسمالية وخاصة فى الولايات المتحدة أن تعترف هى الأخرى بأن عليها إدخال تعديلات مقابلة فى نظامها الرأسمالى الخالص ، ولا بأس فى ذلك بأن تستفيد بالنقد الاشتراكى لها .

إن التوقف عن صناعة السلاح ، أو التقليل منها سوف يعود بلا شك بالفائدة على الاقتصاد السوفييتى ويتيح له الفرصة لتعويض الكثير مما فاته من تقدم . ولكن مجرد شبح التوقف عن صناعة السلاح أو بعضه فى الولايات المتحدة الامريكية يقف وراء الازمة الحالية التى تمثلت فى انهيار أسعار الأسهم والسندات فى البورصات العالمية فدافع الضرائب الأمريكى لن يكون قادرا على تعويض العجز فى ميزانية الاتحاد فى وقت قريب ، حيث لن تستطيع الحكومة الامريكية من خلال التشريعات الجديدة أن تمتص منه أكثر من حوالى عشرين مليارا من الدولارات بينما يبلغ العجز فى

بورصات العالم
تحتفل بثورة أكتوبر!

الميزانية عشرة أمثال هذا المبلغ . أما العجز التجارى فيستلزم إدخال هياكل جديدة فى الانتاج السلعى الامريكى ويحتاج الى وقت طويل لتعديله ليكون قادرا على مواجهة المنافسة اليابانية والالمانية .

وحتى تعيد الراسمالية الأمريكية النظر فى مواقعها فى ظل المتغيرات الجديدة ، أو حتى يعيد المجتمع الأمريكى النظر فى أوضاعه التى تمثلت فى الخضوع المطلق للراسمالية بأنانيتها ، وضيق أفقها ، وسعيها المجنون وراء الربح بغض النظر عن الأهداف الاجتماعية للانتاج ، فإن الانهيار الذى حدث فى اكتوبر فى البورصات العالمية ، كان بمثابة تصفيق حاد متواصل للذكرى السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية التى أدخلت الى العالم مفهوم الديموقراطية الاقتصادية وتوجيه الانتاج للأغراض الاجتماعية . وفى ذات الوقت لم يتردد قادتها المعاصرون فى الاعتراف بحافز الربح فى التنمية الاقتصادية فى بعض جوانبها ، دون أن يصبح هذا الحافز هو الدافع الوحيد للانتاج ايا ما كان نوعه ووجهته .

إنه ـ بديلا عن صنع أسلحة الدمار الشامل ـ توجد عشرات ، بل مئات المشاكل التى ينبغى أن تتوجه اليها طاقات الانتاج الكبرى فى العالم ، وما تحت يد الجماعة الانسانية من معلومات وفيرة ووسائل تكنولوجية متطورة أبدعها العلم ، وفى مقدمة تلك المشاكل ما أصبح يعرف باسم تلوث البيئة الناجم عن التطور الصناعى العشوائى ، والانفجار السكانى فى العالم ، الذى يكاد يجعل من الجنس البشرى الوباء الأكبر على سطح الكرة الارضية ومشاكل الفقر والجوع فى دول العالم الثالث ، التى استطاعت الراسمالية العالمية وخاصة الامريكية إعادة إخضاعها من جديد عن طريق التحكم الاقتصادى ، بعد أن ظفرت معظمها بالاستقلال عن الاستعمار التقليدى للدول الأوربية ، وقد أصبحت مواردها على وشك النضوب بحيث تعجز معظمها عن سداد ديونها الخارجية ، وقد كانت هذه الديون بمثابة تجارة رابحة للدول الصناعية المتقدمة ، تقرضها بفوائد باهظة يزيد مردودها سنويا على مقدار ما تحصل عليه تلك الدول النامية من قروض جديدة ، وقد بارت هذه التجارة بدورها بعجز الدول النامية عن السداد ، بحيث تزيد من ازمة الراسمالية العالمية التى تمثلت فى الانهيار الذى شهدته البورصات وأسواق المال فيها .

إن التحول الاجتماعى أو الاشتراكى للانتاج ، لم يعد ضرورة على المستوى الداخلى للمجتمعات الراسمالية الكبرى فحسب ، بل اصبح ضرورة ايضا على المستوى العالمى ، وأن لتلك المجتمعات أن تستمع الى صرخات شعوب العالم الثالث ومطالبتها بنظام اقتصادى عالمى جديد !

هواك الشمس!

شعر : سالم حقي



وهل يُمكنُ أن انسى ؟!
وهـل يمكـن أن تنسـى ؟!
وفـي أعمـاق قلبينا ..
هـوى قد شارف القدسا
زرعنـاه .. بصـدرينـا
تطاب على المدى غرسا
وأزهـر [illegible] حديقتنا
[illegible]
وهـل يمكـن أن انسـى
إذا أمكـن تنسـى ؟
وقـد كنـت الصبا والنور
والأحـلام والأنسـا
وكنـت الظـلّ والمـأوى
وكنـت الشعـر والهمسـا
وقلبـي .. انـت دنيـاه
إذ أصبـح أو أمسـى
هـواك الشمـس ، هـل يمكـن
أنا نُطفـئ الشمسـا ؟!
وفـي حبُـك .. صـدقـاً
انـا لا أعـرف اليـأسـا

قضايا ومواقف

التعليم وحقوق الإنسان المصرى

بقلم : د. شبل بدران

كان التعليم قديما يعد نوعا من انواع الترف الإنسانى ، ولذلك كان مقصورا على فئة اجتماعية معينة دون غيرها ، وهى الفئة التى كانت تملك الثروة والسلطة والاصل الإجتماعى المرتبطة بالنخبة السياسية والاجتماعية الحاكمة . ومع بداية الثورة الصناعية فى انجلترا والثورة الإجتماعية فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ، تغير مفهوم التعليم ومحتواه واهدافه ، وتجاوز تلك الفئة الاجتماعية التى ظلت لقرون طويلة تحتكر العلم والمعرفة دون غيرها من طبقات المجتمع .

لقد كانت البورجوازية ـ الرأسمالية ـ الغربية فى امس الحاجة الى عمال مهرة وفنيين وتقنيين يقومون بأدوارهم فى العملية الانتاجية الصناعية التى تحول المجتمع إليها بعد القضاء على مرحلة الزراعة الاقطاعية .

فلم يكن أبناء الصفوة راغبين البتة فى الانخراط فى العمل المهنى واليدوى .. واقتصر دورهم على تحصيل العلم والمعرفة النظرية كامتياز طبقى واجتماعى وبذلك تم تقسيم العمل وتقسيم البشر ، ومن هنا نشأت الحاجة الى تعليم ابناء

★ استاذ اصول التربية المساعد بكلية التربية جامعة طنطا . ومعار حاليا للعمل بالسعودية

الفئات الاجتماعية الاخرى ، ليس بغرض تثقيفهم وتوعيتهم ، ولكن بغرض قيامهم بادوار مهنية فى العملية الانتاجية لزيادة العائد الاقتصادى الذى يعود بدوره على تلك الفئة صاحبة الامتياز الطبقى والمعرفى .

● تحقيق مصالح الاستعمار

إذن فكرة توسيع نطاق التعليم وانتشاره بين ابناء فئات المجتمع ، لم تكن فكرة بريئة ومن أجل سواد عيون الفقراء ، بل كانت تلبية لاحتياجات التطور الاجتماعى والصناعى والمعرفى الذى ساد اوربا فى القرن الثامن عشر . ومع انتشار الاستعمار بشكله المباشر فى البلدان المتخلفة صناعيا ، ظل هذا الفهم سائدا لدى القوى الاستعمارية ، وهو توفير التعليم للفقراء بالقدر الذى يحقق مصالح الاستعمار ومصالح من يتعاونون معه ..

وبذلك ظل التعليم مجالا للصراع الاجتماعى والسياسى والثقافى بين القوى الوطنية فى البلاد المتخلفة ، وبين قوى الاستعمارين الخارجى والداخلى على السواء . ولقد شهدت مصر هذا الصراع الطويل ، بداية من مطلع القرن التاسع عشر ، وحتى الخمسينيات من القرن العشرين .

ومع تدنى احوال ابناء الطبقات الفقيرة فى العالمين المتخلف والمتقدم على السواء ، حاولت المنظمات الدولية ان تهتم بحقوق الانسان المقهور فى العالم فظهر الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ والذى تضمن حقوقا عديدة للانسان فى الحياة الكريمة والسكن وحرية الفكر والاعتقاد والتعبير والصحة والتعليم ، على اعتبار أنه حق أصيل للانسان على الدولة ان توفره له دون عائق اجتماعى أو مادى أو ثقافى أو بيئى يحول دون تحصيل الانسان للعلم والمعرفة ـ التعليم ـ .

وتوالت بعد ذلك جهود المجتمع الدولى نحو تدعيم حقوق الإنسان وكفالة احترام حريته وكرامته وآدميته . ومن هذه الجهود المعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (ديسمبر عام ١٩٦٦) والاتفاقيات الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وبرنامج عمل أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة (نوفمبر عام ١٩٧٣) لمكافحة العنصرية والتمييز العنصرى لمدة عشر سنوات واتفاقية مناهضة التعذيب والعقوبة القاسية واللاإنسانية (ديسمبر عام ١٩٧٠) والقواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء وقواعد سلوك الموظفين المكلفين بتنفيذ القوانين (١٩٧٥) .

وبرزت منظمة العفو الدولية (١٩٦١) كإحدى المنظمات التى تدافع عن حقوق الإنسان فى جميع انحاء العالم ، والمحافظة على تطبيق الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى أقر فى ديسمبر ١٩٤٨ . وترتب على ذلك أن أخذت بعض جمعيات حقوق الإنسان تظهر إلى الوجود لتمارس شرعيتها فى الدفاع عن حقوق الانسان . ففى مصر ظهرت جمعية أنصار حقوق الانسان بالاسكندرية عام ١٩٧٩ وهى جمعية غير رسمية وجمعية حقوق الانسان بالقاهرة (١٩٨٠) ثم أخيرا المنظمة العربية لحقوق الانسان بالقاهرة (١٩٨٥) ثم أخذت الهيئات العلمية

والبحثية تنظم المؤتمرات والندوات التى تدافع عن حقوق الانسان . ففى العام الحالى ١٩٨٧ انعقدت ثلاثة مؤتمرات دارت كلها حول التعليم كحق أصيل للانسان المصرى والعربى وهى :

● المؤتمر الاول (٧ ـ ٩ مايو ١٩٨٧) ونظمته اليونسكو مع اتحاد المحامين العرب والمنظمة العربية لحقوق الإنسان ، وتركزت ابحاثه ومناقشاته حول قضية التعليم والاعلام والتوثيق فى قضايا حقوق الانسان . جزء منها اهتم بالتعليم الجامعى وماقبل الجامعى فى علاقته بارساء قيم ومبادىء احترام الكرامة الانسانية والجزء الاخر اتجه نحو المواطن فى محاولة إيقاظ وعيه بقضايا حقوق الانسان .

● المؤتمر الثانى ، مؤتمر (الحق فى حرية الحياة الخاصة) والذى نظمته كلية الحقوق جامعة الاسكندرية (٣ ـ ٦ يونيو ١٩٨٧) وقد ركز هذا المؤتمر على الجانب الخاص فى حقوق الانسان ، أى حق الإنسان فى الحياة الخاصة وحرماتها .

● المؤتمر الثالث الذى نظمته كلية الحقوق جامعة القاهرة (٩ ـ ١١ يونيو ١٩٨٧) وقد ركز فى موضوعه الاساسى على : تعليم حقوق الانسان . وقد جاء هذا المؤتمر ليعمق من اهمية الدور الذى يلعبه النظام التعليمى والتربوى فى إرساء القيم والإتجاهات والسلوكيات التى تتفق وحقوق الإنسان . وقد اتجهت بعض البحوث والمناقشات إلى مرحلة التعليم العام ، واتجه البعض الآخر إلى مرحلة التعليم الجامعى بوجه عام والتعليم داخل كليات الحقوق بوجه خاص .

● مطلب وطنى

وهذه المظاهر وغيرها ما هى إلا تعبير حى على بروز حقوق الإنسان فى التعليم كمحور مهم يجب الاتفاق حوله فحقوق الإنسان ليست ميثاقا فقط ، وليست مهمة الدولة ، بقدر ما هى مهمة المنظمات الشعبية والوطنية التى يجب أن تراقب إهدار تلك الحقوق سواء من قبل الدول او غيرها ..

وإذا كانت هذه المؤتمرات الثلاثة قد عقدت فى عام ١٩٨٧ ، فهل حق الإنسان فى التعليم الجيد القادر على زيادة وعيه وتثقيفه ، لكى يكون مواطنا نشطا ، وفعالا وذا أهلية للمشاركة فى صنع القرار السياسى وتسيير شئون الوطن . يصبح مطلبا وقضية وطنية يجب الاهتمام بها فى عامينا الحالى والقادم ؟!

نحن نزعم ان الغالبية من المواطنين يعيشون حياة قاسية للغاية ولاينالون القسط الضرورى من التعليميين الرسمى والنظامى ، كما ان غالبية المواطنين ـ الفقراء ـ يكادون يحرمون من ابسط احتياجاتهم الضرورية من الغذاء الضرورى للحفاظ على حياتهم والاستمرار فيها .. فحسب بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء لعام ١٩٨٧ نجد :

● ان خمس الاسر المصرية تستحوذ على نصف كعكة الدخل القومى ـ ٤٨ ٪ على وجه التحديد ـ بينما يتصارع باقى الشعب على ٥٢ ٪ من الدخل القومى ، وهو مايعنى ان ٨٠ ٪ من افراد الشعب المصرى يعانون من موجات الغلاء التى اصبحت تمثل حلقة جهنمية مفرغة تبتلع اية زيادة حقيقية فى الأجور والمرتبات . وتؤكد الدراسة ايضا ان موجات الغلاء قد اضطرت الاسرة المصرية إلى ان تنفق مابين ٥٥ ٪ و٩٠ ٪ من دخلها على بند الغذاء وحده فهل هناك مايتبقى للتعليم فى ابسط صوره ؟! ونحن نعلم أن تكلفة التعليم الآن اصبحت مرتفعة وليست فى متناول أيدى الأسر الفقيرة ، نظرا لتدهور الأوضاع الاقتصادية وإختلال الموازين خلال حقبة السبعينيات .

● كما تؤكد دراسة الجهاز المركزى ، أن هناك حوالى ٥٠٠ أسرة يزيد متوسط دخلها السنوى على ١٠ ملايين جنيه ، بينما هناك ٢٤٠ ألف أسرة يزيد متوسط دخلها السنوى على المليون جنيه ، وفى المقابل يقبع مليون و ٧٠٠ الف أسرة لا يتجاوز متوسط دخلها السنوى ٢٢٠ جنيها ؟" وأن الفرق بين أعلى متوسط دخل شهرى وأقل متوسط دخل شهرى يصل إلى حوالى ٨٢٣ الفا و ٢٢٢ جنيها ، وتشير الدراسة أيضا إلى أن هناك ٤ أسر من بين ٥ أسر مصرية تعيش تحت وطأة الغلاء وقسوة الحياة . وتوجه الاسر المصرية ٥٥ ٪ من دخلها فى المتوسط إلى الغذاء ويرتفع هذا المعدل إلى حوالى ٦١ ٪ فى الريف وحوالى ٩١ ٪ بين الاسر المحدودة الدخل ، وتؤكد الدراسة أن نسبة ماتنفقه الأسرة المصرية من دخلها على بند الغذاء تعادل ثلاثة امثالها فى الولايات المتحدة الأمريكية وضعف هذه النسبة فى انجلترا !!!

وتبرز خطورة هذا الوضع إذا علمنا أن حوالى ٨٠ ٪ من الأسر المصرية التى تقبع فى قاع سلم الدخول والأجور والمرتبات فى مصر لا تحصل على اكثر من ٥٨ ٪ فقط من الدخل القومى بينما تستحوذ نسبة ٢٠ ٪ على ٤٢ ٪ من الدخل القومى .

● حرمان من حقوق التعليم

ولا شك ان مثل هذا الوضع ينعكس بدوره على مجال التعليم ، ونحن هنا نقصر الحديث عن التعليم وليس التربية على إعتبار أن التربية أعم وأشمل وتتم بواسطة النظام التعليمى وغيره من الانظمة المجتمعية الرسمية والشعبية . أما التعليم فهو مايتم داخل جدران المدارس والمعاهد والجامعات ، وماتقدمه الدولة من خلال النظام التعليمى من معلومات ومعارف وقيم وانماط سلوك بهدف خلق مواطن اكثر تكيفا وتلاؤما مع بنية النظام السياسى . ولو نظرنا الى الوضع التعليمى سوف نجد أن كثيرا من الاطفال والشباب يحرمون من ابسط حقوقهم ، وهى تعليم القراءة ، والكتابة والحساب واكتساب المهارات الأساسية التى تعين الفرد على إيجاد عمل محترم يحقق من خلاله وجوده الاجتماعى فى المجتمع .

وتشير الاحصائيات الرسمية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم لعام ١٩٨٢ وعام ١٩٨٦ الى الحقائق التالية :

● بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الابتدائي لعام ١٩٨٢ حوالى ٥ر١٨١٦١١ كما بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الاعدادى حوالى ١ر٨٤١٠٨٥ طالب ، وبلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الثانوى بجميع أنواعه ودور المعلمين حوالى ١ر٣٣٩٠٦٩ . كما بلغ عدد الطلاب المقيدين بالجامعات والمعاهد العليا حوالى ٠ر٦٦٦٦٠٠ وبلغ مجموع الطلاب المقيدين بجميع مراحل وأنواع التعليم الجامعى وماقبل الجامعى حوالى ٩ر٠٢٨٣٦٥ تسعة ملايين وذلك فى حين ان الاطفال الذين يقعون فى فئة العمر مابين ٦ ـ ٢٢ سنة وهى شريحة العمر التعليمى حوالى ١٤ر٢٧٥٠٠٠ اربعة عشر مليونا وربع مليون .

يتضح لنا من ذلك ان هناك حوالى خمسة ملايين طفل مصرى خارج جدران المدارس ومعاهد العلم والمعرفة الاساسية ويحرمون من التعليم أو لا تتاح لهم فرصة لكى يدخلوا النظام التعليمى ولو حسبنا إلى جانب ذلك نسبة التسرب من التعليم وهى تتعلق بالظروف الاقتصادية القاسية للاسر وهى بمعدل ٢٠ ـ ٢٥ ٪ فى المرحلة الابتدائية لقفز الرقم إلى ستة ملايين بدلا من خمسة ولاشك ان هذه النسبة مرتفعة للغاية .

● وفى عام ١٩٨٦ نجد الصورة على ماهى عليه تقريبا ، اى أن جهود خمسة سنوات لم تحقق الهدف المنشود من إتاحة الفرصة لمن لهم حق الالتحاق بالنظام التعليمى . حيث بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الابتدائى حوالى ٦ر٣٥٩٩٤٢ . وبلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الاعدادى حوالى ٢ر٢٧٠٣٥٥ وبلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الثانوى بانواعه ودور المعلمين حوالى ١ر٠٥٩١١٣٤٠ كما بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الجامعى والمعاهد العليا حوالى ٠ر٦٦٦٦٠٠ وبلغ مجموع الطلاب المقيدين بالنظام التعليمى من اوله إلى منتهاه حوالى ١٠ر٨٨٨٢٣٧ وفى المقابل بلغت نسبة الاطفال الذين يقعون فى فئة العمر مابين ٦ ـ ٢٢ سنة وهى مرحلة التعليم حوالى ١٦ر٣٢٩٠٠٠ .

معنى ذلك انه فى عام ١٩٨٦ زاد عدد الطلاب المقيدين بمراحل التعليم عن عام ١٩٨٢ ، حيث بلغوا حوالى عشرة ملايين وثمانمائة الف فى حين بلغ عدد الطلاب فى فئة العمر من ٦ ـ ٢٢ سنة حوالى ١٦ر٣٢٩٠٠٠ . اى انه يوجد خارج جدران معاهد العلم والمعرفة الاساسية نحو خمسة ملايين ونصف مليون طفل مصرى يحرمون من ابسط حقوقهم فى تحصيل العلم والمعرفة التى يجب على الدولة ان توفرها لهم ، لكى يكونوا مواطنين قادرين على خدمة قضايا الوطن والمساهمة والمشاركة فى

عملية صنع القرار وتدعيم البنية الاقتصادية .

معنى ذلك بوضوح وصراحة ان هناك نسبة مرتفعة للغاية من الاطفال تحرم من حق التعليم .. ونحن نناقش التعليم وليس التربية ، على اعتبار ان الاخيرة اشمل واعم ، العبء فيها لايقع على عاتق نظام التعليم فقط ، بل يتجاوزه الى انظمة المجتمع الاخرى ، كما اننا لم نناقش محتوى المعرفة والعلم المقدم للطلاب ، وهل هى معرفة حيادية ام منحازة ؟ والى اى الفئات تنحاز وتدعم اى مصالح ؟ لم نناقش ذلك ، ولكن حاولنا ان نعرض صورة عن حرمان المواطن من ضروريات الحياة الاساسية المتمثلة فى الغذاء كذلك ضروريات الوجود الاجتماعى المتمثل فى التعليم .. فهل تلك المؤتمرات والمنظمات بقادرة على إيجاد سبيل للخروج من تلك المعضلة ؟ وهل يتحقق العدل الاجتماعى حينما ينخرط جزء من الاطفال ـ وغالبا من القادرين ماليا ـ فى نظام التعليم ويستبعد الجزء الاخر لاسباب تتعلق بالسن والمكانة الاجتماعية والقدرة الاقتصادية عن مواصلة التعليم او الالتحاق بالمدارس الخاصة ؟ الا يعنى ذلك أن الفقراء وحدهم هم الذين يدفعون ضرائبهم من المنبع وبشكل منتظم ويحرمون من ابسط حقوقهم لاسباب خارجة عن إرادتهم وقدرتهم المالية . اليست هذه القضية فى ذاتها بحاجة إلى أبحاث ومؤتمرات وندوات : كيف يحصل المواطن على حقه فى التعليم دون اعتبار إلى لونه أو جنسه أو دينه أو معتقده او مكانته .. الخ .

ان اخفاق المؤتمر القومى للتعليم الذى عقد ايضا فى شهر اغسطس الماضى فى إيجاد مخرج لتلك المشكلة ، يدعم ضرورة تجديد الدعوة للدفاع عن هذا الحق .. ويستبعد من دائرة الحوار الوطنى أصحاب مقولة إلغاء مجانية التعليم او ترشيدها .. لانه كيف يتسنى لنا الالغاء والترشيد وهناك خمسة ملايين طفل يحرمون من ابسط حقوقهم الانسانية والاجتماعية فى تحصيل العلم والمعرفة اللازمين لهم وللمجتمع ايضا ؟!

الهوى

قال العلماء : « الهوى أنواع ، أوله العلاقة ، وهو الشىء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ، ثم ينمو فيقوى فيصير محبة ، والحب اسم مشترك يجمع ضروبا من ميل النفس كحب الولد والمال ، ثم الهوى ، ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله ، والهيام ، والتتيم ، وهو أرفع درجات الحب لأنه التعبد » .

حول كتاب :

رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا

الجانب الآخر من القضية

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

يقول ابن حيان مؤرخ الاندلس العظيم، المتوفى ٤٢٢ هـ : ١٠٣١ م ، عن مواطنه ومعاصره العالم الجليل أبو محمد علي ابن حزم :

« كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب ، وما يتعلق بأذيال الادب ، مع المشاركة فى كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة..

« وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه ، على استرسال فى طباعه ، ومذل (أى قلق) بأسراره ، واستناد الى العهد الذى أخذه الله على عباده، ليبيننه ولا يكتمونه ، فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يزفه بتدريج ، بل يصك به معارضة صك الجندل ، وينشقه متلقيه انشاق الخردل، فينفر عنه القلوب ، ويوقع بها الندوب، حتى استهدف الى فقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه ، وردوا قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى أن انتهوا به الى منقطع أثره ، بتربة بلده ، من بادية لبلة .. وهو فى ذلك غير مرتدع ولا راجع الى ما أرادوا به ، يبث علمه فى من ينتابه ببادية تلك ، من عامة المقتبسين منه، من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة ، يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ولا يدع المثابرة على العلم ، والمواظبة على التأليف والاكثار من التصنيف.».

الذخيرة لابن بسام ١ / ١٦٦

ما قرأت هذا النص الا خلت الرجل يتحدث عن محمود محمد شاكر ، ومع أنى لا أوافقه فى بعض ما تحيف ابن حزم ، وبالتالى أبرىء عالمنا المصرى منه ، فان الصورة فى مجملها دقيقة.

وبعد ابن حيان بقرن واحد من الزمان تقريبا أبدى أبو العباس بن العريف الصوفى الزاهد ، وهو أندلسي من المرية ، رأيه فى جملة قصيرة مفيدة تغنى عن صفحات : « سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان » .

ترانى أستطيع أن أستعير قولته . أو أعدلها ، وأن أضم الى ابن حزم أبا فهر محمود محمد شاكر .

أحسب أننى ان فعلت لا أتجاوز وجه الصواب !

والحق أننى منذ زمن بعيد ، مقيما فى وطنى مصر ، أو راحلا الى وطنى الذى كان ، أعنى الاندلس ، ويتقاسمان مشاعرى حبا وعرفانا على السوية ، الاول فيما يعطى، والثانى فيما أعطى،





ما عرض لي ابن حزم الا ذكرت ابافهر، وما قرأت لا بي فهر الا واقسح في خاطري ابن حزم ، فبينهما من وجوه الشبه والتلاقي كثير ، فيما نقبله منهما عارفين فضلهما ، او نستأذنهما في رده شاكرين ، وكل ما هو غير قرآن او حديث يؤخذ منه ويترك ، ويقبل منه ويرد عليه ، فيما يقول السلف من شيوخنا ! ٠

اترى المقدمة طالت ؟ ٠

أظن كذلك ، ولكن الحديث عن « رسالة في الطريق الى ثقافتنا » لاستاذنا محمود محمد شاكر ، وكتبها كلمات قلائل صدر بها كتابه الخالد « المتنبي » ، ونشرتها الهلال في كتابها الثقافي مستقلة ، تتطلب مثلها وزيادة لو اتسع المكان ٠

فقد أجمل فيها عالمنا الكبير ثلاث قضايا جد خطيرة في لغة رصينة ، وأسلوب بليغ ، وصراحة عالية ،وعمق لا وراء بعده لمستزيد ، وهي : الاستشراق والتبشير والاستعمار،وبين هذه المحاور الثلاثة ، وقبلها او بعدها تناثرت آراء أخرى ، مقصودة أو تأتي عرضا ، عن المنهج والتذوق الادبي ، والثقافة والعلم والنحو، وفساد الحياة الادبية ، والصدام المروع بين الاصلا

والكاثوليكية ، أو المسيحية الغربية ان شئت ، وهي حرب لما تتوقف ، وان اختلفت الاسلحة وتنوعت وتلونت . وأعدت لكل معركة أسلحتها ،وذكريات عزيزة على صاحبها ، ومضيئة لنا ، وكلها افكار لا تذهب بددا ، أو يجب ان تكون كذلك ، وانما تثير عند من يقرأ ويفهم ويفكر كوامن وشجونا ، وتزلزل سواكن العقول ٠

ورغم ارتفاع النبرة ، فان الكاتب لا يغلو ، ولا يجاوز حد الاعتدال ، ولا يتخفف في التعبير ، ولا يوارب او يداهن ، وانما يتحدث الى قومه في لغة واضحة لا تحتاج الى تفسير او تأويل، ولا تحتمل لفا او دورانا ، كما تقول في لغتنا الدارجة ٠

● حرب دينية ماكرة

نحن معه في كل ما قال عن الحروب الصليبية ، ونراها حربا دينية من الفها الى يائها على غير ما يلقنون ابناءنا في المدارس ، ويحشون أدمغتهم في الجامعات ، ويملأون أسماعهم في الاذاعة والتليفزيون ، من انها كانت حربا سياسية لبست رداء الدين ٠

ونعرف اكيدا أنها حرب أعلنها البابا أوربان الثاني ، في خطبته التي ألقاها في مون كلير ، ذات يوم من خريف عام

١٠٩٥ م ، من فوق منصة عالية ، في عمقها صليبان كبيران ، يحملهما رجلان أبيضان ، حتى القفازات التي في أيديهما كانت بيضاء ، وحينئذ ظهر بين الصليبيين رجل أبيض أيضا ، طويل القامة ، أشقر اللحية ، يرتدي ملابس بيضاء ، ووشاحا في لون لحيته ، يتدلى من كتفيه ، وتتناثر من فوقه صلبان كثيرة ، وتقدم البابا خطوات على المنصة ، بين صخب عنيف من الجماهير ، وأحدثت كلماته الاولى في صوت رنان صمتا مطبقا ، وبدأ يتحدث بالرومانثية ، اى اللغة العامية ، وليس باللاتينية الجاسية :

« أتحدث الى كل هؤلاء الذين أمامي ، وأعلن به كل الغائبين ، متبعا أوامر المسيح ..

:

اذهبوا دفاعا عن المسيح ، أنتم يا من في كفاح متواصل ، حاربوا الكفار . أيها اللصوص كونوا جنودا ، وقاتلوا من أجل غاية حقة ، اعملوا من أجل ثواب خالد يا من تخدمون بأجر تافه ..

:

« تحركوا نحو القبر المقدس ، انتزعوا تلك الارض من سلطان الجنس الملعون ، واحتفظوا بها لأنفسكم ، وفي تلك الارض يفيض اللبن والعسل ، فأورشليم أرض الله من أخصب الاراضي ، هناك مات المسيح من أجلنا ، وفيها دفن ، وفيها قبره لا يزال يواصل معجزاته السنوية ..

« لا تخافوا ، سنحفظ لكم ثرواتكم ، وسوف تنتزعون من عدوكم ثروات أعظم وأضخم ، لا تخافوا أن تموتوا فقد مات الاله من أجلكم ، وإذا مات أحدكم عبر الطريق ، أو في كفاحه ضد الوثنيين فسوف تغفر له خطاياه . أعلمكم بهذا ، وذلك بفضل السلطة التي منحنيها الله » .

وتقدم الكاردينال اديمر أسقف بوى وطلب أن ينضم الى قيادة الجيش .

وقال الناس انهم كانوا يرون في السماء صورة بيت المقدس حين كان البابا يلقي خطابه .

واستطاع هذا البابا أن يوحد شعوب الغرب الاوربي نحو غاية واحدة ، رغم اختلاف هذه الشعوب جنسا ولغة وعادات واهتمامات ، جمعهم تحت راية الصليب .

يا له من بابا يا شيخنا العظيم ، انهم يسمونه في تاريخهم البابا الذهبي ، وهو لقب جدير به ، شخصية وثقافة وحزما وتكوينا .

هل في لغتنا العربية شيء عنه ؟ .

لا أعرف على كثرة ما قرأت . يرد اسمه على استحياء احيانا ، متواريا بين أسطر حين يتحدث مؤرخونا عن الحرب ، ولكن أحدا ، أعني المسلمين ، لم يدرسه أو يؤرخ له ، ومن ثم فنحن نجهله ، لا شخصا ، فأهمية هذا قد تكون محدودة ، ولكن اتجاها وسياسة وتخطيطا ، وهي أشياء ربما تطورت قليلا مع الزمن ، لتواجه ظروفا متغيرة ، ولكنها لم تتبدل في جوهرها .

ولست أعرف الخطبة مترجمة نصا في لغتنا العربية ، وانما شذرات منها نجدها في هذا الكتاب او ذاك ، كما يقدمها لنا الاوربيون انفسهم ، أو الكاثوليك ان شئت ، لأنها لا ترد كاملة في أغلب المصادر الأوربية ، فهم يعبثون بها عند الضرورة ، يحذفون فقرات منها يرونها غير مناسبة ، وهم يختلفون في نصها ، ربما لأن البابا

القاها ارتجالا باللهجة العامية،فسجلها من أراد من الحاضرين حسب ما فهم.

ولم تنس أوربا الحديثة هذه الحرب، ولكنها لا تخطب بها، ولا ترفعها شعارا وانما تدرسها جيدا وفي عمق ،لتأخذ منها العبرة والعظة والدرس المفيد ، في سياستها الانية والقابلة ، ولذلك أنفقت مؤسسة فورد الامريكية أموالا طائلة ، لجمع المصادر الاصلية للحروب الصليبية ، ونشرها كاملة كل مصدر في لغته الاصلية ، عربية أو لاتينية ، أو سريانية،أو رومانثية ، أو جرمانية، ولغات أخرى محدودة الانتشار ، وفي ظني ، ولست على يقين لأننا في مصر لا نملك منها شيئا ، أنها تبلغ ستة وعشرين مجلدا ضخما .

وقبل خطبة البابا أوربان بأكثر من ثلاثين عاما ، أو بالدقة في سنة ١٠٦٢ م ، منح البابا أسكندر الثاني المحاربين الكاثوليك الذين يقاتلون مسلمي الاندلس غفرانا ، وأعفاهم من التوبة ، واعتبر قتالهم المسلمين تكفيرا عن خطاياهم ، وفي خطاب منه موجه الى أسقف مدينة نربون في جنوب فرنسا استثنى ذبح المسلمين من التحريم الكنسي العام للقتل ، وفي خطاب منه الى رجال الكنيسة في فولتورنو في ايطاليا يحث أولئكم الذين قرروا الذهاب الى اسبانيا لقتال المسلمين أن يركزوا كل انتباههم في انجاز مهمتهم.. وأنه يعفيهم من التوبة، ويغفر لهم خطاياهم ..

***

● يأتي التبشير الوجه الاخر لخطبة البابا ، فقد تجدى الكلمة الحلوة حيث لا ينفع السيف، وليس أدعى الى العرفان والامتنان من أن يجد المحتاج ، ومن في ضائقة ، يدا تمتد اليه ، تسنده أو تدعمه أو تعالجه ، أو تعطيه خبزا،أو تيسر له سقفا ، وكلها تفتح القلوب المقفلة ، وتذيب الصخور المعوقة ، ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا .

● بدايات الاستشراق

وبعد قرنين من خطبة البابا أوربان بدأ الاستشراق رسميا ، وعلى نحو منظم ، في معهد تنفق عليه الدولة ،في مدينة مرسية ، ورايات الاسلام لما تزل خفاقة على جانب من الاندلس ، حين أنشأ الملك الفونسو العاشر(١٢٥٢ ـ ١٢٨٤) ، ويلقبه قومه الحكيم لكثرة ما اهتم بالعلم ، مدرسة في مرسية ، عهد بها الى عالم مسلم ، لا نعرف عنه شيئا ، أو نذرا قليلا لا يغني ،هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الرقوطي (في كل طبعات نفح الطيب الذي أورد خبره ، بما فيها طبعة احسان عباس القرموطي وهو خطأ) ، نسبة الى رقوطة ، وهي قرية صغيرة تقع شمال غرب مرسية ، على نهر شقورة ، وكان بحسب تعبير المقرى : « من أعرف أهل الاندلس بالعلوم القديمة : المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفا طبيبا ماهرا ، آية الله في المعرفة بالاندلس، يقرىء الامم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها. ولما تغلب طاغية الروم (أي الفونسو) على مرسية عرف له حقه ، فبنى له مدرسة يقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود .

ويبدو أن الملك لم يتوقف في الضغط عليه ، لأنه ترك مرسية ، واستقر في غرناطة ، وأرسى فيها قواعد أول جامعة اسلامية عصرية في الغرب الاسلامي .

وانتقلت الجامعة النصرانية من مرسية الى اشبيلية ، لأن الاولى كانت لما تزل تتنسم أريجا اسلاميا ، على حين أن الثانية ذات تاريخ نصراني عريق ، وعلى أية حال فان عملية الترجمة على نطاق واسع من العربية

رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

الى اللاتينية ، او القشتالية (أى الاسبانية القديمة) استقرت فى طليطلة حيث الجميع يعرفون العربيه ، الى جانب اللاتينية ، نصارى ومسلمين ، ودخلت التاريخ تحت اسم مدرسة المترجمين فى طليطلة ٠

وفى القرن نفسه سوف نلتقى برايموندلل (١٢٣٥ ـ ١٣١٥) ، فيلسوف نصرانى من الجانب المسيحى فى الاندلس ، وربما أعظم فلاسفتهم فى هذا القرن ، يجيد العربية ، ويكتب بها بعض مؤلفاته قبل أن يترجمها الى اللاتينية أو القطلونية لغته القوميه ، وهى التى يتكلمها شمال شرقى أسبانيا وتاثر كثيرا فىفلسفته زاهدا ومتصوفا وداعية بابن عربى المرسى ، وبذل جهدا كبيرا فى دعوة البابا أن ينبذ الحرب ، وأن يتبنى التبشير بالكلمة والود ، ودعا الى تعليم اللغة العربية، وحمل الرهبان على معرفتها والوعظ بها ٠

وكانت هذه البداية التى اتسعت وامتدت حتى بلغت كل الجامعات الأوربية ، والدوافع واحدة ، وأن ارتدت فى كل جامعة ثوبا مغايرا

وكانمنامر الاستعمار مما لا يحتاج منى الى فضل بيان ٠

كل ما عرضنا له ، واكثر منه ، حق لا شك فيه - ولكن هل هم المسئولون عن تخلفنا واختلافنا ، وفقرنا وجهلنا ؟

هنا يا أستاذنا الجليل سوف تفترق بنا الطريق !

● طريق النجاح

بدءا اقرر انه ما من مبعوث على قدر من الذكاء والفهم ارسلناه الى أوربا ولم ينبهر، ابتداء من رفاعة الطهطاوى، وحتى آخر مبعوث سوف يسافر هذا العام ، أو ما يتلوه من سنوات ٠

ولكن ، ما الذى بهرنا هناك ؟٠

صدقنى اننا لم نكن من السذاجة بحيث لا نعرف ما نريد ، وماذا يراد بنا ولنا ٠ وعندما سالنى احد تلاميذى النجباء ، مسلم صادق وذكى نابه ، وكانت وجهته فرنسا مبعوثا : ما الشىء الاهم الذى يجب أن يوليه كل اهتمامه هناك ؟

كان ردى : أن يتامل كثيرا وطويلا ، وعميقا كيف بنوا حضارتهم ، وما الشىء الذى جعلهم يبلغون هذا القدر من القوة والتقدم والغنى ، فاذا عرفت هذا السر تكون البعثة قد حققت غايتها ، وطريقك اليه أن تتمكن من لغتهم تماما ، لكى تنفذ الى ما وراء ظاهرهم ، فقبلها سوف تتعثر خطواتك ، وقد تضل طريقك ، وما عدا هذا السر واللغة وسيلة كشفه ، فامره هين وسهل وميسور ٠

ولست اكتمك ان هذه مرحلة لم يبلغها الا القليلون ، فكثيرون عادوا ولا يعرفون من لغة البلد الذى اوفدناهم اليه شيئا ، الا ما يقع فى الكلام العادى التافه ، كان يرد تحية ، أو يسال عن طريق ، أو يطلب كوبا من الشاى فى مقهى ٠

جاءت هذه فاصلة ضرورية بين سؤال وجهته فى البدء : ما الذى بهرنا فى العالم الاوربى الذى ذهبنا اليه ؟٠

بهرنا فى المقام الاول احترام الانسان ، فما دام الفرد مستقيما لم يخرج عن جادة الصواب ، لا أحد يستطيع أن يناله بسوء ، حتى ولو من بعيد ، فهو لا يؤخذ بالظنة ، ولا يؤذى بشبهة ، ولا تمس مقدساته أو حرماته٠ وحين يتهم يظل يتمتع بكل هذا الاحترام حتى يقول القضاء كلمته ، اذا برأ ساحته خرج مرفوع الرأس كريما ، واذا

أدانه أدى العقوبة دون تزيد ، ودون أن يتجاوزه العقاب الى غيره من أهله وبنيه ·

وأن هناك حدا اقتصاديا أدنى لحياة المواطنين ، فى العيش والسكن والتعليم والصحة ، وأن الفرد وهو يكافح فى الحياة لن يكون وحيدا اذا كبا أو مرض أو تعثر أو أقعدته جوائح الحياة ·

● نهاية مؤسفة

ومع التأمل والمعاودة والتعمق فى تاريخنا وجدنا الدولة الاسلامية فقدت مقوماتها الاساسية ، وانتهت الى العجز الذى نعيشه ، حين انهار فيها هذان العنصران : احترام كرامة الانسان ، والاكتفاء الاقتصادى ·

كان فيها طغاة على امتداد أرضها وعمق تاريخها ، يقتلون من يشاءون حيث يشاءون ، وحين كان هناك من يقف فى وجوههم، ويردهم عن طغيانهم، كان الامل يزهر ، والدولة تنتعش ، وحين كثر عددهم ، وضعفت المواجهة أو انعدمت ، ساء حالنا ، وانتهى الى ما نحن فيه ·

حين كانت الدولة غنية ، والارزاق موفورة ، والفقر معدوما أو نادرا والتكافل شاملا ، عاشت قوية مهابة، وحين جفت مواردها ، وفقدت ثراءها، تخطفها الطامعون · وكان سقوط مصر تحت جحافل الغزو العثمانى نتيجة حتمية لتدهورها الاقتصادى ، حين شاع الاغتصاب والنهب والسلب واشتد القحط وعم الوباء ، وتعدد الجفاف واكتشف بحار برتغالى طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧ ، فأتى على ما كانت تجنيه مصر من ضرائب ومكوس على التجارة الذاهبة من أوربا الى الهند ، أو من هذه الى تلك ، فأتى على بقية الرخاء ، وجعل مصر تعيش حالة من البؤس والسوء شغلتها عن المقاومة، واستسلم الجيش المملوكى بعد لقاء واحد ، وبعدها أخذت طريقها نحو السفح مهرولة ·

وبهرتنا الاغلبية من رجال الدين هناك ·

فهم دعاة بحق ، لا يعيشون فى الاحياء الراقية وحدها ، ولا يقبضون على عملهم أجورا عالية ، وانما يعيشون حياة مريحة ، فى بساطة بهجة ، وتقشف جميل ، وكثرتهم تشارك الفقراء حياتهم فى القرى ، وتجاور العمال مصانعهم فى المدن ، وترعى أولادهم ، وتحنو على كهولهم ، أما التبشير بالدين عندهم فيتجه الى مجاهل افريقيا ، وأطارف آسيا ، والى بلاد المسلمين نفسها أخيرا ، وكلها بلاد العمل فيها ـ كما ترى ـ تضحية بكل طيبات الحياة ·

ويقع فى الخاطر أننا لا نذهب الى هذه البلاد الا موظفين يقبضون ، وأن الذين يتصدرون الدعوة الاسلامية ويحملون أرفع ألقابها لم يذهبوا الى هذه البلاد أبدا ، وانما يذهبون الى أوربا الغربية والولايات المتحدة وكندا، يشاهدون مباهجها ، ويعالجون أمراضهم ، ويتسوقون من انتاجها · وكل ذلك لا بأس به ، ولكن ما هو باطل كله أن يذهبوا الى هناك وهم يرفعون راية تفقيه المسلمين فيها ووعظهم ، وربما هداية غيرهم ، وهو غطاء يستترون به أن يدفع لهم الغير اقاماتهم فى الفنادق الفخيمة ، أو علاجهم فى المستشفيات الغالية ، أو أجور الطائرات العالية ، وفى الدرجة الاولى طبعا !

أرأيت !·

ثم ، وهنا الطامة ، جعلنا لخطبة الجمعة تسعيرة ، اذا ألقاها خطيب يحمل الثانوية وما فى مستواها تلقى مكافأة عليها عشرة جنيهات كاملة ، أما اذا كان يحمل شهادة جامعية فسوف ترتفع الى خمسة عشر ، فاذا كان

رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

صاحبها يحمل الماجستير بلغت عشرين ، اما حامل الدكتوراه ، ولو من جامعة مبشرين ومستشرقين ، فسوف يقبض خمسة وعشرين جنيها ، معفاة مـــن التامين والضرائب ·

ومن هنا بدأ كبار الدكاترة يتسابقون عليها ، والامر في ظاهره سهل ميسور ، أن تفسر آية من القرآن ، أو تشرح حديثا نبويا ، والصعب خفي هين لا يعـــرفه احد ·

***

وفي مجال البحث والعـــلم بهرنا المستشرقون بمنـاهجهم واخلاصـــهم لقضاياهم وبلادهم ، وبالتقاليد العلمية العالية التي تحكم جامعاتهم، وبالخدمات العديدة التي تقدم للباحثين ، وما اكثر المكتبات التي تفتح أبوابها مع التاسـعة صباحا وتبقى مفتوحـــة حتى العاشرة مساء ، وبداخلها المطعم الذي يقدم لك وجبة الطعام مدعمة ، والمقصف الذي يقدم لك الشراب باردا أو ســاخنا ، والخدمة العاجلة المهذبة فيما تطلب من كتب ، أو الاعتذار منها حين لا توجد ، والتوجيه النافع فيما تبحث عنه، وأين تجده ·

● **اغنى المكتبات في العـــالم ··**

هل أحدثك قليلا عن مكتبة الازهر ؟

انها أغنى المكتبات بنوادر المخطوطات واكاد اقول في العــــالم كله ، وان لم يفهرس الجانب الاكبر منها ، لان عددا كبيرا من العلماء الصالحين اوقفــوا مكتباتهم قديما وحديثا على طلابه ، وتحتل ركنا متواضعا في مدخل الجامع الازهر نفسه على يسار الداخل فيـه ، وقاعة المطالعة بها ضيقة المساحة للغاية، متواضعة البناء والارض والمقاعد، تضم منضدة كبيرة واحدة ، تتسع لعشـرة طلاب متلاصقين ، وحولها ثلاثة مكاتب خالية دائما ·

وذات يوم قريب ، دخلها عالم باحث، وجد منضدة القراءة مزدحمة بالطـلاب، وعلى مكتب بجوارها جلس طالب يقرأ، والمكتبان الاخران خاليان ، فاخذ مكانه على استحياء بجانب الطالب ، ولم يشأ أن يشغل مثله مكتبا آخر ·

وفجأة أهل زعرور من داخل المكتبة ، وما أن رآهما على هـــذه الحال حتى صاح : الجالسون على المكتب يتركونه!

ولم يعره العالم أو الطالب سمعا ·

فعاد يصرخ مهددا : قلت اتركـــوا المكتب والا تبقى وقعتكم سودة !

أما الطالب فجمع أوراقه وخرج ، وأما العالم فنادى الموظف ، وحــاول أن يعرفه بشخصه ، وانه جاء يراجـــع معلوماته عن مخطوطة لدقائق معدودة·

فاصر الموظف : ولو ، تخـــرج ، وعندما يشغر مكان تعود ·

وقال العالم في عـــزم : ولكني لـــن اقوم ·

وانسحب الزعرور ، وعاد ومعـــه زعارير آخرون ، وأصروا اما أن يخرج العالم واما أن يتولوا تاديبه بأيديهم ، وحدث هرج شديد ، وتدخل الطـــلبة القارئون يعرضون عليه أن يتخلوا لـه عن أمكنتهم وقد عرفوا شخصه ، ولكنـه رفض ·

وجاء المدير ، رجل تجاوز الستين من عمره في صوته ومظهره طراوة بادية ، وعرف الامر ، وبدأ يعتذر للعالم : ماذا أصنع ، هؤلاء يحملون شهادة التجارة المتوسطة ، أرسلتهم لي القوى العاملة، وليس عندي غيرهم ، وهم شرسون، ولا حيلة لي فيهم ·

وعز الامر على موظف صعيدي شهم،

صغير السن والدرجة ، فعرض على الباحث أن يصحبه الى مكتبه انقاذا للامر، واستجاب العالم، ولكن الزعارير قرروا علانية انهم لن يقدموا له شيئا مما يطلب ، ولو جاءهم شيخ الازهر نفسه ، وانفذوا كلمتهم !

وبعد هذه الوقعة احتاج هذا العالم بعينه الى مجلة أجنبية ، عرف أنها توجد فى مكتبة دير الآباء الدومينكان ، فى أطراف صحراء العباسية ، فاتصل بهم تليفونيا عما اذا كان ممكنا أن يقوم بتصوير هذا المقال ليعود اليه حين يريد .

وذهب اليهم ، ومع أول خطوة أحس انه عاد الى أوربا ثانية ، الهدوء شديد، والامور منتظمة ، ووجد ما طلب مصورا ، ودفع تكاليفه فى دقائق، وعاد الى بيته راضيا مغتبطا .

ان فساد الحياة الادبية يا عالمنا الجليل ، وهى فاسدة حتى النخاع ، يعود الى أسباب كثيرة ، ليس من بينها التبشير أو الاستعمار أو الاستشراق وانما تعود فى اساسها الى أن حياتنا نفسها فاسدة ، والادب صدى لها ولا يستقيم الظل والعود أعوج ، ومحال أن يمشى كل شيء فى حياتنا، في غير طريقه الصالح ، ثم نتطلب هذ في الحياة الادبية ، رغم كل ما يقال عن الطليعة الموجهة، والصفوة المختارة، وهراء كثير يصم الاذان !

وفى النفس حاجات ، وفيك فطانة .
سكوتى سؤال عندها وجواب !

لغويات

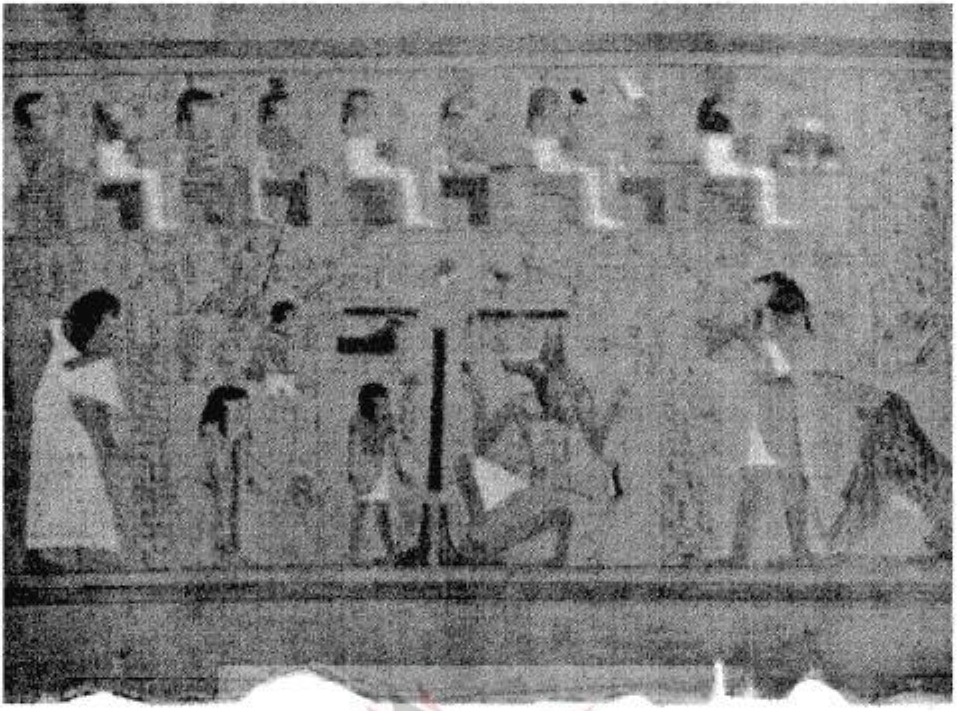
● يقال اذنتك بالأمر ـ بمد الألف في اذنتك مدا ظاهرا ـ اى اسمعته لأذنيك . ومعنى "الأذان" بهمزة قطع مخطوفة خطفا فوق الألف الأولى ، هو الإعلام بالشيء . والمئذنة هى الموضع الذى يتم من فوقه هذا الإعلام .. ويخطئون في الإذاعة والتليفزيون فيمدون الألف الأولى فى كلمة " اذان " عندما يقدمون أذان الصلوات ، فيقول المذيع او المذيعة مثلا : " حان الآن وقت أذان الظهر" .. بمد طويل للألف الأولى ، وهو خطأ فاحش ، لأن "الآذان" بهذا المد جمع أُذن ، والمثنى أُذنان ، وهما اللتان يسمع بهما الإنسان ، وشتان بين " اذان " يسمع بها الناس ، و "اذان" يسمعه الناس فيقومون للصلاة !.

● يقال الآن فى الأهاجي السياسية : إن فلانا قد انحدر إلى الحضيض !.. والحضيض هو القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، فمعنى كلامهم هو ان فلانا هذا قد انحدر من قمة الجبل إلى ما يلى سفحه من الأرض المنخفضة !..

● " اللحظة " هي الوقت القصير جدا ، واصلها لحظة العين ، اى النظرة السريعة بمؤخرة العين . واللحاظ هي العيون ، والمفرد : لحظ .

● وزارة الرِّى ، تختلف في نطقها إذاعات الأقطار العربية ، فبعضها ينطق حرف الراء في " الري " بكسر وتشديد . والإذاعة المصرية تنطق الراء بفتح وتشديد ، اتباعا للنطق السائد فى مصر ، وهو الأصح في رأينا ، لأن " الرِّى " بالكسر هو الشبع بالماء ، أما بالفتح فهو اجتلاب الماء او نقله او استقاؤه من النهر او العين او البئر ، وهذا هو عمل وزارة "الرَّى" ، بفتح الراء وتشديدها .

● زعموا ان كلمة "المنبر" سريانية الأصل او فارسية لأن السريان والفرس عرفوا المنابر قبل العرب ، وهذا زعم باطل جملة وتفصيلا ، فهى كلمة عربية ، اصلها " نبرت الشيء " .. اى رفعته عاليا .. ومن هذا الفعل جاءت نبرة الصوت ، اى رفع الصوت ، وسمى المنبرُ منبراً ، لأنه الموضع الذى ترتفع فوقه نبرات أصوات المتكلمين ..



البعث ومحكمة الآخرة
فى كتاب الموتى ورسالة التوحيد

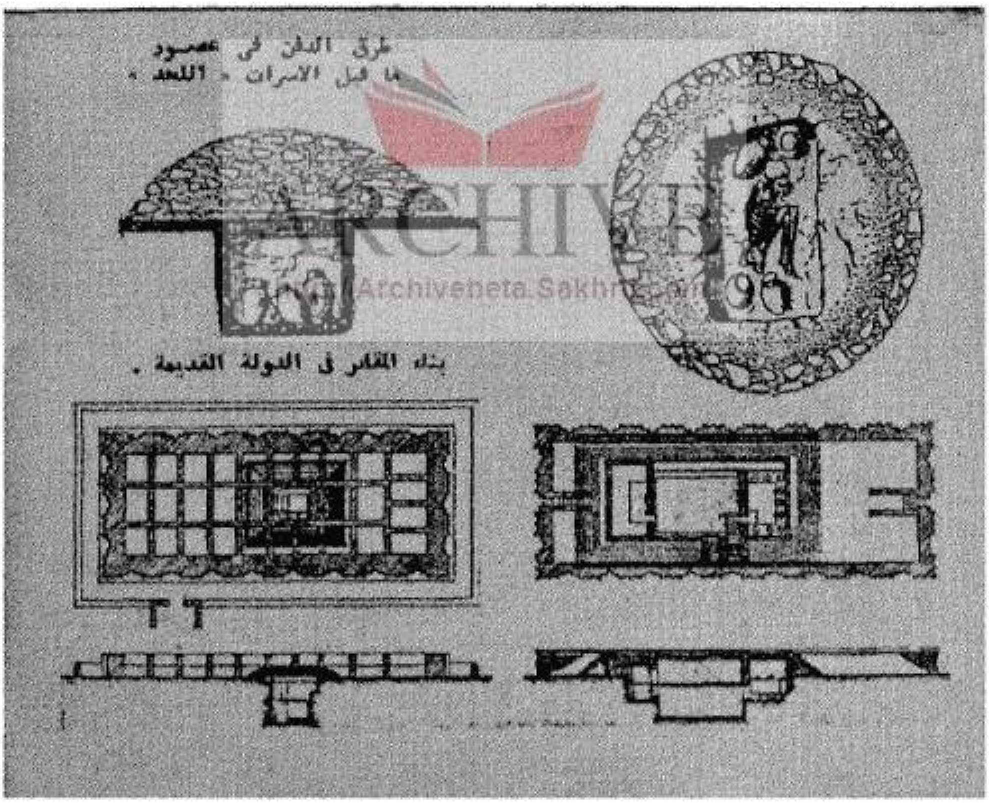
بقلم : د. سيد كريم

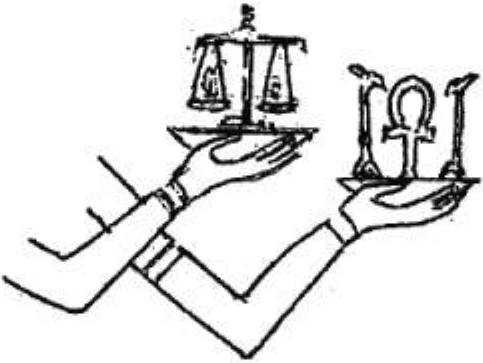
●● إن الإيمان يجرى فى عروقهم كما يجرى النيل فى ارضهم لقد اهتدوا إلى الدين والإيمان قبل أن يبدأ التاريخ . آمنوا بالحياة الآخرى عندما آمنوا بالاله الواحد وملكوت السماء . وبالتوحيد آمنوا ، آمنوا بالبعث والحساب ومحكمة الآخرة والجنة والنار - قبل أن تأتى بها اديان السماء لذلك عندما بلغتهم رسالات الأنبياء والمرسلين استقبلوها بقلوب مفتوحة . فآمنوا بها ورعوها فالتوراة خرجت من مصر . والمسيحية رعتها وحفظتها مصر . والاسلام تبنته مصر . ومعظم الانبياء آوتهم مصر - لأن الرسالات جميعها آمنت بالتوحيد والبعث والحياة الآخرة التى نادت بها مصر ●●

● الاعتقاد فى البعث أمل وايمان ، آمن الفراعنة بالبعث مع الايمان بتوحيد الاله الذى حمل رسالته اليهم . اوزوريس احد ملائكة العرش الثمانية . نزل بها على ارض مصر التى اطلق عليها اسم (جب بتاه) ارض الاله قبل تاريخ عصر الاسرات بسبعة آلاف سنة . وهو الاسم الذى مازالت تحتفظ به مصر الى الآن . وقد بدأت الرسالة بتعليم المصريين القراءة والكتابة ليقرأوا تعاليم السماء والزراعة ولبس المخيط لتأمين حياتهم .

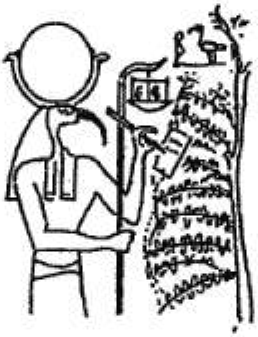
وعن طريق الايمان بالاله الخالق والتطلع الى اسرار الوجود كشفت لهم السماء ـ على حد وصف كهنتهم ـ ابواب المعرفة المقدسة من فلك وعلوم ورياضيات وطب وفنون وآداب ان ايمان المصريين بعقيدة التوحيد وتمسكهم بكل ماهو منزل من السماء من تعاليم وشرائع كان له الفضل الأول فى نشأة الحضارة الخالدة واستمرارها لأكثر من سبعة آلاف سنة .

لقد آمنوا بالبعث كما صورته لهم برديات متون العقيدة برؤية معالمه مجسمة وممثلة فى بعث الحياة ، وفى فيضان النيل الذى تغمر مياهه الارض الميتة لتحييها ثم ينحسر عنها فيميتها ثم يبعث من جديد ليحييها ثانية . ويتحول النبات بعد موته الى حبة تدفن فى الارض ثم تبعث فيها الحياة مع فيضان النيل ثانية





يدان تحملان القرابين فى قدس الاقداس .. تحمل احداهما رمز التعمر .. وتحمل الاخرى الميزان ..



المعبود تحوت امام شجرة الحياة حاملا باحدى يدية لوحا للقدر المكتوب للروح ، وبالاخرى ميزان القضاء للنفس .

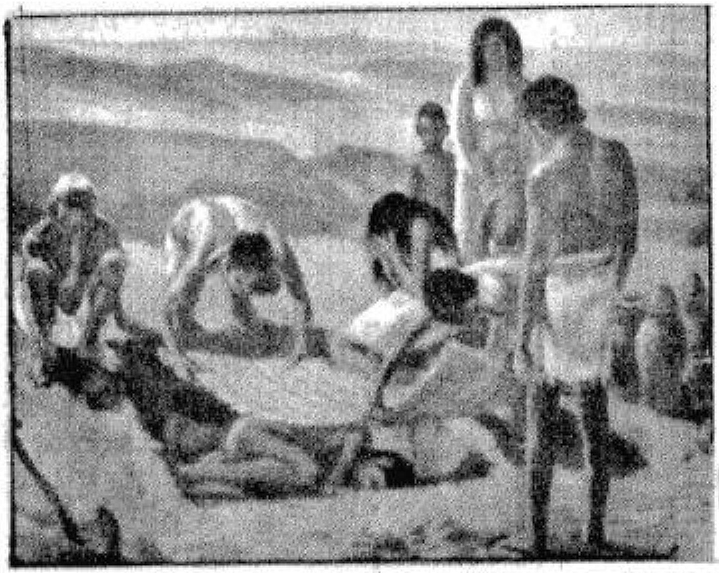
فيخرج النبات الحى من الحبة الميتة . رأوا البعث ممثلا فى دورة الشمس عندما تولد فى افق الشروق وتدور دورة الحياة لتغرب فى عالم الاموات ثم تبعث لتشرق ثانية فتحيى الارض والكائنات بنورها وتموت فى ظلامها لتبعث ثانية فى شروقها او بعثها . نظروا الى القمر كيف يولد وكيف ينمو ليصبح بدرا ثم يضمحل وينتهى بالموت ثم يبعث من جديد

لقد جسدت ارض مصر المقدسة ونيلها وسماؤها فكرة البعث امام المصرى القديم .

« ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير » (فصلت ٣٩)

● اهتمام بالغ بالبعث

ان اهتمام المصريين بحقيقة البعث من عصور ما قبل التاريخ كان الدافع الرئيسى لاهتمامهم بدفن موتاهم والحفاظ على قدسيتهم كما حظى دفن الموتى باحترام واهتمام نادرين لايمانهم بما وصفته كتب الموتى - بان الموت ليس نهاية الحياة والبعث هو استمرارها وباب القبر يغلق على حياة التجربة فى الارض ليفتح على مرفأ سفينة الروح التى تنقلها الى محكمة الاخرة لتستكمل مسيرتها الى عالم الخلود والانتقال الى الحياة الابدية .

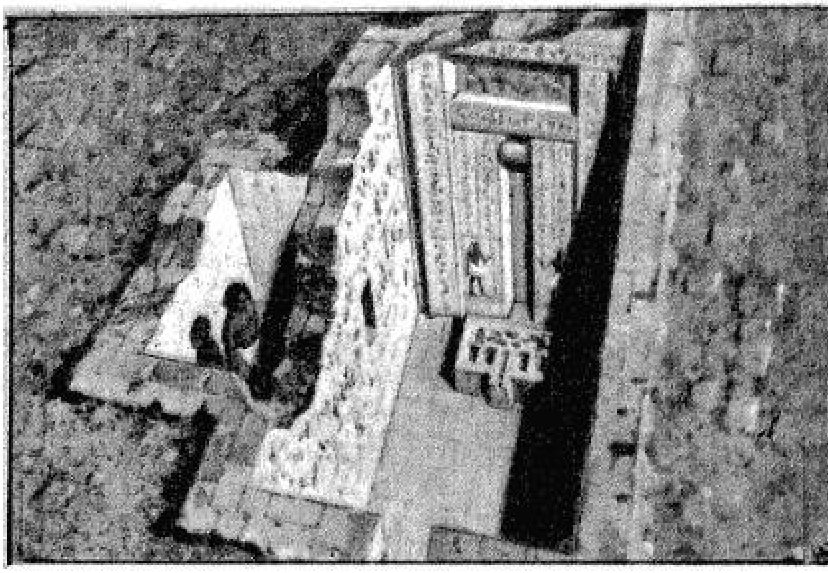


طرق الدفن في عصورها قبل الأسرات
وتغطية الجثة بحصير من زعف النخيل

أن الايمان بالبعث والاعتقاد فى العالم الاخر ظهرت آثارهما فى طريقة دفن الموتى لاعدادهم لمسيرة البعث ورحلة الانتقال الى محكمة الاخرة وعالم الخلود ، حين بدأ الاهتمام بدفن الموتى وما ارتبط بعملية الدفن من طقوس وتقاليد بدائية فى العصر النيوليتي والتى كشفت عنها حفريات المقابر التى عاصر تاريخها نزول عقيدة التوحيد الاولى وانتقلت منها الى حضارة ناسا القديمة قبل عصر الاسرات .

عبرت طرق الدفن التى انتقلت اليهم من متون العقيدة ـ بوضع الميت فى حفرة القبر فى بطن الارض التى خرج منها على طريقة وضع الجنين فى بطن الام عند خروجه للحياة الاولى تعبيراً عن ميلاده الثانى او بعثه فى العالم الاخر ، وضعوا الميت راقداً على جانبه الايسر جانب القلب أو القرين الذى سيلازمه فى العالم الاخر واتجهوا بوجهه نحو الغرب حيث تغرب الشمس فى طريقها الى العالم الاخر الذى سيتوجه اليه تحمله مراكب الشمس او سفينة الروح . مع وضع حاجياته الاولية من ادوات للزينة والمأكل والمشرب وبعض حاجياته المنزلية مع بعض صفحات من كتب الموتى ونصوص التلقين والدعاء .

وهى التقاليد التى اتبعت فى مختلف العصور الفرعونية فى ازدهارها واضمحلالها . وتشير كتب الموتى الى أن الميت لن يأخذ شيئاً معه الى العالم الاخر سوى اعماله فى الدنيا . فلن يحمل معه ممتلكات ومتعلقات عند خروجه من الدنيا سوى ما دخل به اليها يوم مولده .



باب القبر : البعث هو استمرار الحياة حيث يغلق باب القبر ليفتح على مرفأ سفينة الروح التى تنقلها عبر السموات السبع .

وما كان يوضع فى المقابر من ادوات او طعام لم يكن القصد منه كما وصفه بعض المؤرخين ما يحتاج اليه الميت فى القبر او فى رحلة المصير الى العالم الاخر والذى وصل فى العصور الذهبية من اوج الحضارة بزخرفة المقابر وتزويدها بادوات الزينة والمصاغ والاثاث والزهور والماكولات لكنه كما ورد وصفه فى بعض نصوص برديات العقيدة انها تعبر عن ذكريات الميت فى حياته الاولى ويقدم بعضها بصفة قرابين ونذور للالهة لذا فقد استعيض عنها فى كثير من مقابر الدولة الوسطى بزخرفة حوائط المقبرة بالرسوم والنقوش التى تعبر عن الحياة العامة والخاصة التى عاشها وعاصرها صاحب المقبرة بالاضافة الى ما قام به من اعمال فى حياته لخدمة المجتمع وما قام به من اعمال لآخرته تمهد له طريق النور الى عالم الخلود . والكنوز الفنية التى احتفظت بها مقابر المصريين القدماء من تماثيل وتحف وادوات تملأ غرف المقابر والصور والنقوش التى تزين حوائطها ، عبرت اصدق تعبير عن الحياة الاجتماعية العامة والخاصة فى المكان والزمان بجانب النقوش والنصوص الدينية التى تغطى اسقف غرف الدفن وجدران النواويس واغطية التوابيت ـ كانت المرجع الاساسى الذى استمد منه المؤرخون والباحثون فى تاريخ الحضارة المصرية ما ساعدهم على كشف اسرار الحضارة وتسجيل تاريخها فى مختلف نواحيها الاجتماعية والعلمية والسياسية والدينية ـ لقد عبرت الكثير من المقابر عن وجهى الحياة التى عاشها المصرى

القديم . وجه الحياة الدنيوية التى عمل فيها لدنياه ، ووجه الحياة الابدية التى اعد نفسه لها .

وهو ما عبر عنه المؤرخ ايرمان فى تاريخ الحضارات بقوله :

إن احتضان المصرى القديم للموت مهد له معرفة سر الحياة . فعمل فى حياته بالقيم والمعرفة التى استمدها من تشاريع العقيدة والايمان بالبعث فادى رسالته فى الحياة على انها ليست فانية ، وعمل لاخرته ايمانا بانها هدف خلود الوجود . فبنى باعماله حضارة مصر الخالدة .

عمل لدنياه كأنه يعيش ابدا .. وعمل لاخرته كأنه يموت غدا

● عندما امن المصرى القديم بوجود الخالق ومعجزة البعث وطريق النور الى محكمة الاخرة . بدأ تطلعه الى معرفة سر وجوده . والتساؤل عن معنى الحياة والموت فوجد الجواب فى برديات كهنة المعرفة المقدسة واقوال الحكماء فى تفسير كتب الموتى منه قول ابيرور

● « ليس هناك موت ان لم تكن هناك حياة . وليست هناك حياة ان لم يكن هناك موت . فالموت هو طريق البعث »

● الموت انتقال من حياة جسدية فانية ـ الى حياة ابدية خالدة (أنى)

● الحياة رحلة فى النور بين الخروج من ظلمة رحم الام الى الدخول فى ظلمة رحم الارض فى القبر (خيتى)

● باب القبر يغلق على حياة التجربة فى الارض ليفتح على مرفأ سفينة الروح التى تنقلها عبر السماوات السبع الى قاعة الميزان . فالجسد يبقى فى الارض ليفنى والروح تصاحب النفس الى محكمة اوزوريس وتكمل مسيرتها الى عالم الخلود واستمرار الحياة (حتوفر)

● طهروا ارواحكم وحصنوا انفسكم بتعاويذ كتاب الطريقين قبل الدخول من باب القبر (أنى)

تشرح بردية تلقين الميت عند دخوله القبر . رحلة البعث بعد خروج الروح من القبر الى دخولها محكمة الاخرة كما وردت فى كتاب الموتى بقولها :



« ايها الراحل انك لم تمت بل دخلت بامر الله الى القبر لتخرج من بابه الاخر لتلقى اوزوريس فى محكمة الآخرة ـ لن تحمل معك الا اعمالك التى تضعها فى الميزان لتتلقى حكم الاله الاعظم خالق الكون والكائنات ليتحدد مكانك باعادة مولدك فى عالم الخلود . ان قلبك قرين حياتك وهو الظل الذى يلازمك حتى تقف بين يدى الاله عندما تسال وتجيب على اسئلة القضاة فهو القرين الذى لازمك فى الحياة الاولى وشاهد على اعمالك فلا تحاول ان تكذب فالخطيئة تضاعف اذا انكرتها . فلاذا اخطات قل انى مذنب وقد اخطات لانى بشر فاغفر لى يارب والرب يغفر ذنوب المؤمن جميعها اذا اعترف بها وطلب العفو ولا تنس ان ملكى الحسنات والسيئات يقفان الى جوارك وانت تدلى بالشهادة »

● محكمة العالم الآخر

ان الحلقة الاخيرة من كتاب الموتى او نهاية رحلة البعث هى الوصول الى محكمة العالم الاخر ـ عالم الخلود ـ وتصور مختلف كتب الموتى ولوحات بردياته بنقوشها الفنية التصوير والاخراج قاعة المحكمة التى يتصدرها "اوزوريس" رئيس محكمة العالم الاخر ـ وهو جالس على عرشه وامامه مائدة القرابين والنذور التى كانت تقدم اليه فى المعابد اعترافا بالبعث والانتقال الى محكمته فى اليوم الاخر .

وتقف على جانبى اوزوريس كل من "ايزيس ونفتيس" ملكتا الحسنات والسيئات ، تحمل كل منهما الكتاب الذى سجلت فيه ما قام به المتوفى من اعمال فى حياته الدنيا ـ حياة التجربة والامتحان .

ويصطف على جانبى القاعة (تاسوع عين شمس) الاله الاعظم رب الارباب اتون (الذى يصور على شكل حورس حامل قرص الشمس) يخلفه المحلفون ملائكة الابواب الاثنى عشر (ابواب البروج السماوية) التى نزلت منها روح المتوفى فى ميلاده الاول بالارض .

على الجانب الاخر من القاعة يجلس هيئة القضاة الاثنين والأربعين وعلى رءوسهم ريشة "ماعت" علامة العدل والحق .

وفى وسط القاعة يظهر الميزان محور المحاكمة . يشرف على الميزان المعبود "انوبيس" (راس ابن آوى) حارس ارواح الموتى فى القبور يقف خلفه "تحوت" كاتب الالهة الذى يحمل لوحا يسجل عليه نتيجة الوزن ويتحقق منه .

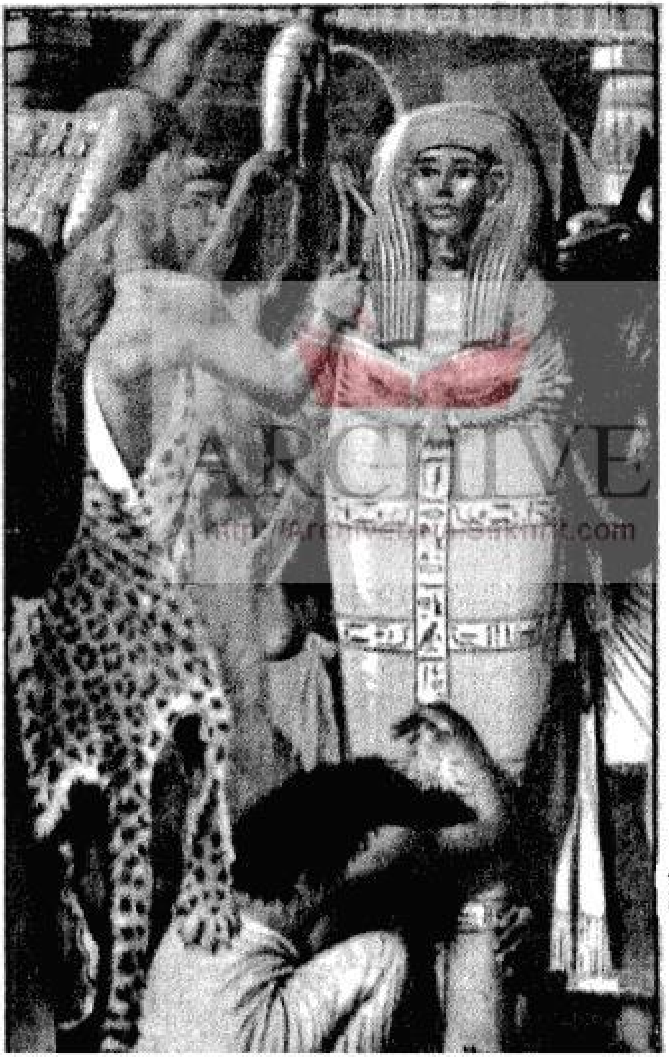
يقف خلف تحوت حيوان بشع يسمى الملتهمة ـ احد زبانية الجحيم (رأس تمساح وجسد اسد ومؤخرة فرس النهر) يتحفز لالتهام النفس اذا وجدت ظالمة .

ويقف المعبود "حورس" (قائد الموتى الى المحكمة) وهو يقود المتوفى الى الميزان . ويجلس على شاهين الميزان فوق قمته القرد (هرمس) للتاكد من سلامة شعرة الميزان . كما تقف على جانبى الميزان الملكتان « رننوت » و

« مسخت » تمثل الاولى ملكة الولادة فى الحياة الاولى ـ والثانية ملكة الولادة الجديدة فى عالم الخلود .

وتبدأ المحاكمة بدخول المتوفى يقوده حورس سائق الارواح الى المحكمة وبعدما يلقى بعض التعاويذ التى تلقنها فى القبر والتى وردت نصوصها فى كتاب الموتى يبدأها بالشهادة بإيمانه بالاله الاعظم والتعاليم التى حملها اوزوريس فى رسالته الى البشر والتمسك بشرائعه وما ورد فى كتابه ثم يتقدم نحو الميزان فينتزع حورس قلبه قرين حياته والشاهد على اعماله ويضعه فى احدى كفتى الميزان ويضع فى الكفة الاخرى ريشة ماعت رمز الحق والصدق والعدالة .

● « اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . مايلفظ من قول الا



تلقين الميت بعد تحنيط الجثة عند دخوله الى القبر وبدء الحياة

لديه رقيب عتيد . ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » (سورة ق ١٧ - ٢١)

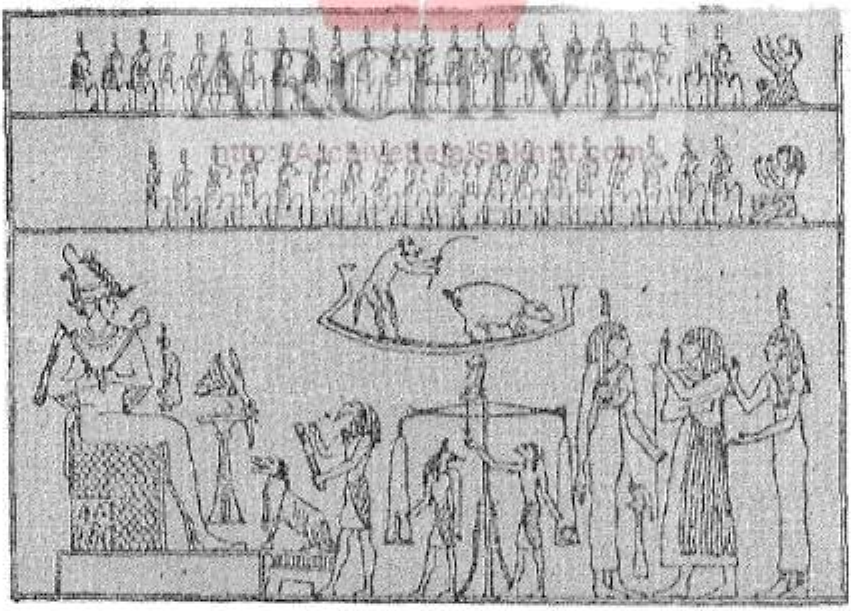
● « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » (سورة الانبياء ٤٧)

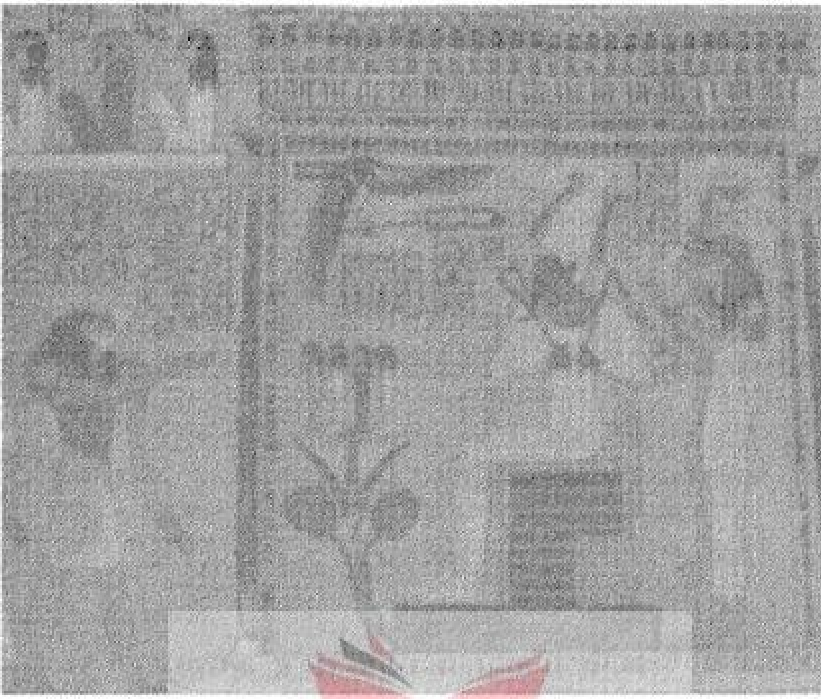
وبنهاية الميزان وتقييم الاعمال التى يسجلها "تحوت" فى لوحاته تبدأ المحاكمة باسئلة القضاة الاثنين والاربعين - يسأل كل واحد منهم سؤالا محددا يجيب عليه المتوفى ويقوم تحوت بتسجيل الاجابة ويقارنها بوزنها الحقيقى فى الميزان . بعد الانتهاء من اسئلة القضاة يرفع تحوت (رسول الملائكة) نتيجة المحاكمة الى المحلفين الذين يرفعونها بدورهم الى الاله الأعظم . الذى يصدر حكمه بمولده الجديد فى جنة الخلد ودخوله فى أحد ابواب طبقاتها السبع - أو تحمله الزبانية الى ابواب طبقات الجحيم حتى يتم تطهيره من ذنوبه أو الحكم بفنائه .

● « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون » . (سورة الأعراف ٨ - ٩)

● لقد احتل الميزان اكثر من موضع فى متون العقيدة ونصوصها وبرديات كتب الموتى وملازمته للانسان فى الحياة الأولى إلى أن يلتقى معه فى محكمة العالم الآخر مما تأكد فى قولهم :

محكمة الاخرة والقضاة الاثنان والاربعون .



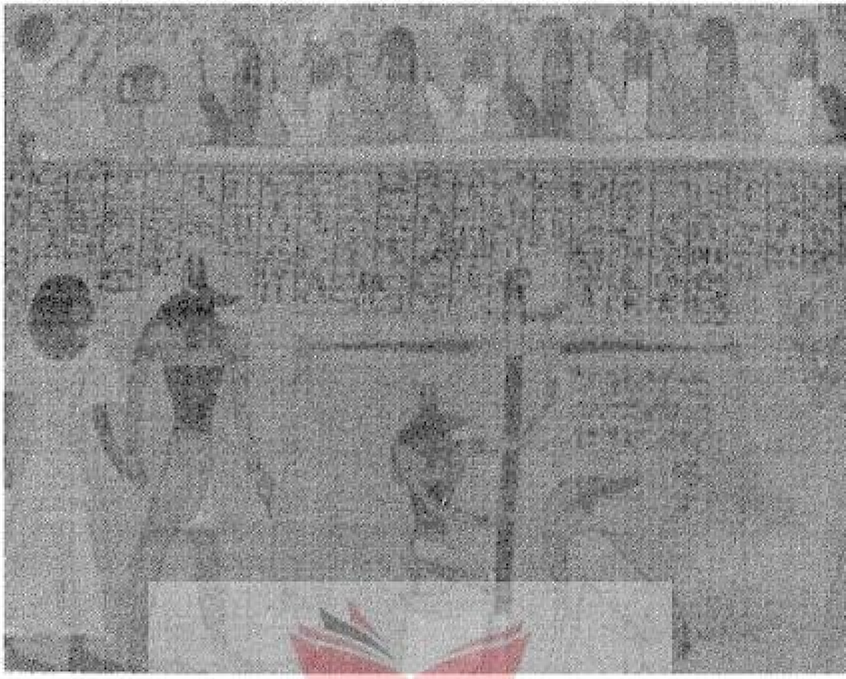


● صورة محاكمة العالم الاخرى (مأخوذة عن بردية خانوفر

● خلق الاله كل شيء فى الكون بالميزان . وخلق الانسان بميزان العدل والحكمة وزوده بتشاريع السماء ليزن بها أعماله فى الحياة الأولى حياة الامتحان . فاعمال الانسان فى الحياة هى التى تحرك كفتى الميزان فى الصعود والهبوط بثقل الموازين وخفتها وتقوم « رننوت » ملكة الولادة فى الحياة الأولى بتسجيلها فى كتاب الحساب الذى يحمله معه الى محكمة الاخرة حيث يعاد وزن الأعمال فى محكمة الاخرة بميزان المصير » أنى .

« زن اعمالك فى الحياة قبل ان يعاد وزنها فى ميزان الاخرة حتى تقابل الاله بنفس مطمئنة وروح راضية » . كاجمنى

● قلبك هو قرينك ودليلك الى الميزان . فلتكن روحك مضيئة ونفسك راضية عن اعمالك حتى تطمئن الى قلبك الذى سيشهد عليك عند وضعه فى الميزان ، سنب حتب



« ان ميزان الآخرة قد وضعه الاله بين يديك عند نزولك الى الحياة الأولي لتزن به اعمالك وتحاسب نفسك حتي لاتفاجأ باختلال الأثقال فى كفتى الميزان عند اعادة وزنها فى محكمة البعث » .

« عندما تموت لن يسألك الاله عما ملكت فى الدنيا لانك لن تأخذ شيئا منها معك . ولكن سيسألك كيف ملكت ؟

وهو مايحرك كفتى الميزان لتحاسب عليه » . (ايبيور)

● ان اجراءات الميزان تبدأ بوقوف المتوفى امام القضاة الاثنين والاربعين حيث يلقى كل واحد منهم بسؤال واحد محدد بعد وضع قلبه فى إحدى كفتى الميزان وتوضع فى الكفة الأخرى « ريشة ماعت » رمز الحق والعدالة . وكلما اجاب على سؤال من الاسئلة تحركت كفتا الميزان وكلما ثقلت الموازين خفت القضايا .

عبد الرحمن الشرقاوى

الإنسان .. الصديق .. الراحل

بقلم: فاروق خورشيد

ستحيا ابنتى فى ظلال السلام
.. وتنعم باللعب الوافرة
تمارس كل حقوق الحياة حقوق طفولتها الزاهرة
ستحيا انطلاقاتها كلها واحلامها الحلوة الشاعرة
واقسم ان لن تصير ابنتى غدا طفلة لشهيد قضى
اتسمعنى ايها الهمجى . ستحيا ابنتى فى ظلالى انا
كاسعد ماتنعاطى الحياة
أتسمعنى ايهذا الاله ؟
ستحيا ابنتى فى ظلال السلام
وتصبح انت مع التابعين هواجس
من ذكريات الظلام

بهذه الابيات المليئة بالصدق والمرارة ، بالاصرار والاحساس بالطحن ، بالثورة والامل ، ينهى عبد الرحمن الشرقاوى قصيدته الرائعة « رسالة من أب مصرى الى الرئيس ترومان » التى نشرها عام ١٩٥١ فكانت أحسن استهلال لحياة رائعة فى دنيا الكلمة والفكر ، وكانت تلخيصا موجزا للرؤية والفكر اللذين سيظل يدور فى فلكهما حتى النهاية عام ١٩٨٧ ، تلك الحياة التى بدأت عام ١٩٢٠ فى قرية الدلاتون بالمنوفية والتى دارت أساسا حول حب الاسرة ، وحب الوطن ، وحب القومية ، ثم حب السلام للانسان ، والعدالة للانسان ، والحرية للانسان ، فى كل مكان وفى كل زمان .. ذلك الحب الذى يدفع القوة بالتضحية بالذات ، ويدفع العسف بالاصرار ، ويدفع الطغيان بالطاقات كلها ، طاقة (أيامنا الباقية وتاريخ أجيالنا الآتية) .. ويكشف لنا الشاعر ابراهيم عبد الحليم فى مقدمة طبعة هذه القصيدة ، العوامل الاولى التى كانت تمور بصدر الشرقاوى فى مستهل الفترة فيقول عنها : (فى ذلك الوقت ـ عام ١٩٥١ ـ كان الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى فى باريس ، وكتب قصيدته هناك وهو يعبر البحر الواسع بأحاسيسه ومشاعره ، ويتطلع وقلبه يهتز بالحب والامل والثقة الى وطنه وزوجته وابنته الصغيرة عزة ـ وكان شاعرنا المصرى يلتهم فى باريس تراث فرنسا الادبى والثورى ـ كان من

هناك يسجل أحاسيس جديدة لم يأبه لها ولم يرها آباؤنا الذين تخصصوا فى وصف المواخير والغانيات ـ وكتب شـــاعرنا عن مارتان وريمون ديان و ١٤ يوليو ، وكانت رسائله للكاتب تهز آلاف الاباء والامهات فى مصر وتربطهم بمعركة السلام · ومن خلال هذه الرسائل أحست مصر ، وأحس الاحرار فى مصر ، بميلاد فنان جديد، فنان لا يتخذ الادب حرفة للكسب ، بل يعتبره رسالة ، ويشهر قلمـــه كسلاح من أجــل وطنه ومعـــركة الانسانية ، من أجل الحياة والثقافة والحرية وكرامة الانسان) ·· ومن كلمات ابراهيم عبد الحليم نحس هذا الجوهر الذى يستشرف الثقافة فى باريس ، وحركة الانسان الحر فى كل مكان من أجل زوجته وابنته ومصره وقومه ومن أجل الإنسان ، ومن أجل



عبد الرحمن الشرقاوى

رفقة الطريق الاصدقاء يعمل الشرقاوى لبناء ثقافة جديدة فى مواجهة الطغيان والطوفان ، يقول مخاطبا مفجر أول قنبلة ذرية مبيدة فى التاريخ ـ ترومان ـ قائلا :

« ولـكن انا
انا وابنتى
وفتاتى التى أجن بشوقى اليها هنا (اى زوجتى)
وهذا الصديق ، وذاك الرفيق ، وكل الرفاق بناةالغد
انملك نحن سوى التضحية ؟
الا ننحنى لك يا سيدى

● حب الوطن

الزوجة والابنة والرفاق والاصدقاء هم الدرع ، وهم أيضا الهم الدائم لانهم الوطن ، ولانهم بناة الغد وأمله ، ومن الاعماق يأتى حبه لجـــذوره وتراثه ووطنه ودينه · ويكشف الشرقاوى عن هذه الارتباطات الريفيـــة الأصلية فى عمق تكوينه فى اهدائه لكتابه الرائع (محمد رسول الحرية) فيقول : (الى أبى ·· الذى غرس فى قلبى ـ منذ الطفولة ـ حب محمد)·· فالاب هنا رمز الحنان والحب حقا ، ولكنه ايضا رمز التربية والاصـــالة ، فليس الاب مجرد والد ، وانما هو الذى غرس فى القلب حب محمد ، وما حب محمد ؟·· حب محمد هو عمق الايمان بالاســلام ورسالته ، رســـالة النور والسلام ·· حب محمد هو صادق الالتفات الى معنى النبوة فيه ، والى معنى الانسان البطل الذى يقود امته من الظلام الى النور ، ومن الظلم الى العدل · ومن الخوف الى الامن ، ومن الذلة والعمالة الى الكرامة

عبد الرحمن الشرقاوي

الإنسان .. الصديق .. الراحل

والاستقلال ·· ان كتاب محمد رسول الحرية ، او قصة محمد رسول الحرية كما أحب أن يسميه اذ فضل المنهج الروائى فى كتابته ، يقدم نفسه الى القراء (·· عسى ان يجدوا فيه قصة انسان رائع البطولة ، ناضل ـ على الرغم من كل الظروف ـ ضد القوى الغاشمة المفترسة ، من اجل الاخاء البشرى ، ومن اجل العدالة والحرية وكبرياء القلب المعذب ، ومن اجل الحب والرحمة ، ومستقبل افضل للناس جميعا بلا استثناء : الـــذين يؤمنون بنبوته والذين لا يؤمنون بها على السواء ·· انه ميراثهم جميعا لا ميراث الذين يؤمنون به فحسب ··) ·· لقد امتزج عند عبد الرحمن الشرقاوى معنى الدين بمعنى الانسان · فالدين يعيش فى قلب الانسان ، والدين يريد للانسان الحياة الافضل ، الحياة الاكرم ، الحياة الاعدل ·· ومن اجل أن يصلح الانسان لمواجهة رسالته على الارض ، كان لابد أن يهتدى الى حقيقة علاقته مع السماء ، كان لابد لمعنى السلام ان يبدأ بين الانسان وربه ، قبل أن يجاهد لتحقيق السلام بينه وبين البشر كافة ، وفى البشر كافة · ثم ما كان يستطيع أن يحقق هذا السلام الخلاق المبدع فى اكتشاف عظمة الله فى كونه ، وتسخير كل الطاقات التى أعدها الله لخلقه الا بمجموعة من المثل والمبادىء تقيم له الخطو ، وتيسر له الطريق ، وتهديه الى السواء ·· فيكون انسانا عابدا مؤمنا ، ثم يكون انسانا مناضلا ضد كل ما هو عدو للانسان والعدل والحرية والاخاء ·· فانســـان القلب المظلم لا يقيم مشعل نور ، وانسان القوة الظالمة لا يحقق عالم حب وسلام ·

وفهم عبد الرحمن الشرقاوى هذا للدين كان منهجه فى كل ما كتب عنه فى كتابه (قراءات فى الفكر الاسلامى) الذى نشره عام ١٩٧٢ · وفى محاولاته لرسم شخصيات أبطال النور والاخاء والعدل والبسالة فى حياة الاسلام ، (على امام المتقين) و (عمر بن عبد العزيز) و (الفاروق عمر بن الخطاب) و (الصديق ابو بكر) و (ابن تيمية الفقيه المعذب) و (أئمة الفقه التسعة) ·

● اعجاب بالحسين

واذا كان الاب يمثل فى حياة انساننا الايمـان القوى ، الانســـان الشادى الى المعرفة والعدل ، انسان المعركة الدائمة لقصر الكفر والظلم والاستبداد ، فان الام تمثل نوعا آخر من الايمان ، انه ايمـــان الحب ، وايمان التضحية ، وايمان الحزن الشجى والامل الهادىء · ومن هنـــا قـدمٌ عبد الرحمن الشرقاوى مسرحيتيه (ثار الله) : (الحسين ثائرا) (والحسين شهيدا) الى أمه ، التى يجتمع فيها معنى التضحية مع معنى الوفاء والذكرى أبدا ·

واختيـــــار على والحســـين لم يات عفوا ، فالاب هو رمـــز النبـــالة رمز الفروســـية والشهامة والخـلق الذى هو خلاصة الفتوة العربيـــة كلها ، ثم هـو صـاحب المبدأ الذى يدافع عنـــه بســـــلاحه

هو الشريف الكريم ، لا بسلاح الاخرين الختال المخادع ، حتى لو كان فى الامر مزيمة ، لان الهزيمة على الشرف بقاء ، ولان الانتصار مع الخسة عار لا يمحوه زهو الانتصار ·· فان الحسين يمثل الشهادة الكريمةوالفداء لامته ولبادئه وللمعنى الانسانى الكريم فى أن يظل الانسان انسانا لايتراجع عن معنى ، ولا يذل أمام اغراء، أو سلام شخصى ، كما يظل يمثل الثار الدائم للايمان من الفسق ، وللكرامة من الاتضـــــاع والوصولية والنفعية المجردة ، وللانسان من معانى دماره وضياعه ، واختفاء قيمة النبل من حياته ، واذا كان عبد الرحمن الشرقاوى قد أهدى مسرحيته عن الحسين لامه فقد أهدى كتابه (على امام المتقين) الى أخيه ، وقد بلغ الفـارس أشده ، وكثرت جولاته وصولاته ، وكثرت جراحاته ، وأثخنت فيه الاحقاد أن يتراجع أو يترك السلاح ، ولكنه لا يحيد حتى الموت ، ولكنه ايضا يحتاج الى من يفهم معنى معاناته ، ومعنى ما يلقى فى سبيل ما ارتضاه لنفسه من تعب وهموم ·· ومن غير الاخ الناضـــج يفهم ، وترق الدموع التى لا تسيل ، ويقطب الجراح حتى تندمل ·· يقول عبد الرحمن الشرقاوى فى اهدائه لكتابه (على امام المتقين) : (الى اخى الدكتور عبد الغفار ·· كنت تشفق على ونحن صغار من أن يصرفنى الأدب عن طلب العلم ، فلمـا انهيت دراستى بكلية الحقوق ، خفت أن يصرفنى الادب عن الاشـتغال بالقانون ، كما كان يريد أبونا رحمه الله ·· فلما ادركتنى حرفة الادب ، عانيت انت ما جرته على الحرفة من سخط وكيد ·· ثم تعودت أن تلومنى لانى رفضت كثيرا من المناصب الكبرى والرياسية لكى أتفرغ للادب وحده، بما يتطلبه من انشغال البال بالقراءة والتفكير والتأمل وهموم التعبير ·· ولكم شق عليك هذا ···) ·· ليس الاخ ايضا مجرد الشقيق فى الدم والرحم ، وانما هو الاخ الذى يشارك فى تحمل العبء ، ويتحمل عن أخيه ومعه ما يلقى من هموم ، فالعلاقات ليست وحدها علاقات الصدفة بالميلاد ، وانما هى علاقات ينميها التعـاطف والفهم ، وتتغلغل معـانى النبل فيهـا ، وكذلك الدين ليس هو الايمان العفوى الذى يأتى بالتوارث الاسرى ، وانما هو الايمان الممزوج بالعقل الفاهم ، والادراك السليم لمعنى الدين كسـياج يصون من الزلل ، وكدافع الى التحلى بمعنى الجليل من الخلق ، وكأمر الهى بأن يلعب الانسان دوره فى ثبت الشرف والكرامة والصدق والسلام· وكذا معنى البطولة فى أبطال الاسلام هؤلاء الذين اختار أن يكتب عنهم عنده فهو يقول عن كتابه عن على : (وبعد ، فأرجو أن أكون قد وفقت فى رسم صورة مضيئة للاسلام ، ولقدرته على مواجهة مشكلات العصر ، من خلال تصويرى للامام على بطلا خارقا ، ومفكرا ، وحكيما ، وعالمـا ، وزاهدا ، وانسانا عظيما ·· ويالهذا البطل المثالى الذى كان يواجه بنبالة الفروسية ، وبعظمة الزهد ، وبسمو الفكر ، كل ما طالعتـه به الحيـاة الجديدة من أطماع ، وجحود ، ودسائس ، وحيل ، وأباطيل !) ·· وهو يقول على السنة أبطال الحسين حين قرر الخروج لمواجهة الفتنة وعهد يزيد فى آخر المشهد السابع من (الحسين ثائرا) ··

« زينب : آه لو تدفع عنه الكيد آلاف القلوب الضارعة

سعيد : انما تدفع عنه القدر آلاف السيوف القائمة

ابن جعفر (مختنقا) : يا الهى انهم لن يتركوه

عبد الرحمن الشرقاوي
الإنسان .. الصديق .. الراحل

لن يكفوا عنه حتى يقتلوه
الحسين (جليلا) : ليست العبرة فى قتل الحسين
انما العبرة فيمن قتلوه ·· ولماذا قتلوه !
ابن جعفر (فى يأس هائل) : سيظلون ملوكا
يتوالون على عرش مكين مطمئنين ·
الحسين (مستمرا فى جلاله) : انما العبرة فى ثأر الحسين
أنا ثأر الله ان مت شهيدا فاطلبوه
فاطلبوا الثامن السفاح أيا ما يكون ·

اننا نرى أن المسألة ليست ترديدا لكلام الاسى للبركة ، وحسن التأسى ربما ·· ولكن المسألة استدلاء المعنى الجديد ، وادخال درس الماضى فى هموم الحاضر ، واسقاط مشكلات الحاضر على استدعاءات التراث الاسلامى المجيد ، فالهدف هو أن يكون الاسلام عدلا (بقدرته على مواجهة مشكلات العصر) ·· وفى عصرنا أستشهد الحق على أيدى الباطل ، وهزمت النبالة أمام السفالة ، وضاع الحق وسط انكسار أصحابه وقعودهم ·· وفى عصرنا ضاع الحق فينا فضاع حقنا ، ومن أروع صور هذا الاسقاط الفنى الماهر قوله فى نشيد الحسين الأخير ، نشيد الشهادة فى (الحسين شهيدا) ، والمشهد يدور فى صحراء محرقة هى صورة للصحراء التى أستشهد فيها الحسين بكربلاء ، وهو من المشاهد المسرحية الرامزة ، والتى ترفع العمل كله الى مرحلة الملحمة ·· يقول الحسين :

« الحسين :
فلتذكرونى عندما تغدو الحقيقة وحدها
صيرى حزينة
فاذا بأسوار المدينة لا تصون حمى المدينة
لكنها تحمى الامير وأهله والتابعينه
فلتذكرونى عندما تجد الفضائل نفسها
أضحت غريبة
واذا الرذائل أصبحت هى وحدها الفضلى الحبيبة »

فالمدينة بلا أسوار ، والفضائل بلا انتهاء ، والرذائل القانون والقاعدة والمقياس ··

« الحسين :
فلتذكرونى فى حين تختلط الشجاعة بالحماقة
واذا المنافع والمكاسب صرن نيران الصداقة
واذا غدا النبل الأبى هو البلاهة
وبلاغة الفصحاء تقهرها الفهاهة
والحق فى الاسمال مشلول الخطى حذر السيوف »

وما الشجاعة وما النبل ، وما الفصاحة ، ما الحق ·· الكل أسرى

انحلاط القيم ، وتردى العصر ، والكل يسأل فى حيرة أين مكانه فى القلوب وفى الافهام وفى الضمائر ، والكل يعرف أنه يتردى حذر السيوف ، وضد الفهاهة والبلاهة ·· ونحن نذكر الحسين مع هذه الكلمات :

« الحسين :

فلتذكرونى حين يختلط المزيف بالشريف
فلتذكرونى حين تشتبه الحقيقة بالخيال
واذا غدا جبن الخنوع علامة الرجل الحصيف
واذا غدا البهتان والتزييف والكذب المجلجل هى آيات النجاح
فلتذكرونى حين يستقوى الوضيع
فلتذكرونى حين تغشى الدين صيحات البطون
واذا تحكم فاسقوكم فى مصير المؤمنين »

بهذه الصيحات فى الحسين تحولت المسرحية الى وثيقة احتجاج ادبية على عصر شاهده يعرضه ويتمزق بأوضاعه المقلوبة وقيمه الجائرة· ويتحول التاريخ الى واقع ، ويتحول الاستلهام الى اسـقاط ! ويتحول الاديب الى داعية ثورة ويقظة وتمرد · وقد كانت ـ وستظل ـ هذه هى رسالة الادب فى كل زمان وجد فيه الظلم وضاع فيه الحق ·· عبد الرحمن الشرقاوى بهذا يرفع عن جيله تهمة الصمت والمداراة ، هو قال بوضوح ، وقال فى العلن ، ولكنه قال كأديب فنان ، قال من خلال الشخوص والرموز المستوحاة من ماض عرف مثل ما عرفنا ولكنه تمرد على ما صمتنا نحن عنـــه ·

وتكتمل الدائرة حين نلاحظ أن أول كتاب له وهو (رسالة من أب مصرى الى الرئيس ترومان) أهداه الى ابنته الطفلة أيامها (عزة) ، ثم يأتى كتاب صدره باهداء وهو (خامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز) فيهديه الى جميع ابنائه وقد اكتمل شملهم (عزة واحمد وشريف وأيمن) فمـا نعرف أنه صدر بعدها كتابا باهداء · فالفاروق عمر صدر بلا اهداء ، والصديق أبو بكر لم يصدر فى حياته ككتاب · ويقول فى هذا الاهـداء الذى وجهه لابنائه اسما اسما : (أهدى هذا الكتاب الذى حاولت ان أرسم فيه صورة قلمية لامام عادل ، ضحى بثروته وعافيته ، وبكل شىء حتى حياته لينشر قيم الاسلام الفاضلة ، وليدافع عن الحقيقة والعدل والاخاء وحقوق الانسان ، متحديا الخطر والمؤامرة ، والسم والخنجر ··) انه يقدم هنا نموذجا لشهيد آخر خرج من نفس العباءة ، وعاش لنفس المبادىء الحسين حمل السيف واستشهد ، أما عمـــر بن عبد العزيز فقـــد حمل المسئولية وحمل العدل وحارب بهما الظلم والفسق واستشهد ، ومات مسـموماً على فراشه ، فمنذ بدأ وهو يتأسى بعلى بن أبى طالب وعمـــر ابن الخطاب ، نموذجين اسلاميين مشرفين ، أحدهما حاد فى مبادئه ، والاخر حاد فى عدله · فتعلم من الاول الاستشهاد من أجل المبدأ ، وتعلم من الثانى الاستشهاد من أجل العدل ·· حين تولى خامس الخلفاء السلطة خرج من ثوب السلاطين الى ثوب الزهاد فعرف حقيقة عصره ، وحقيقة الفساد فيه ، فسار فى هذا العصر وفى أهل السلطة ومراكز النفوذ فيـه سير العدل والزهد معا ، وعاد رجال المسلمين الى العمل الصالح البناء فى ثقة بالسلطة وفى أمن منها ومن غدر أصحاب النفوذ من رجالهـا ،

عبد الرحمن الشرقاوى

الإنسان .. الصديق .. الراحل

وعاد مال المسلمين الى أصحابه ٠

ان النموذج هنا ليس صاحب مبدأ ينادى به ، فان فاز بالحكم لايعرف كيف سيتصرف ولا اين ستذهب مبادؤه ، النموذج هنا لواحد دخل حيز التنفيذ الحقيقى لمبادئه ، وعرف كيف يبعد الذئاب عن القطيع ، وكيف يحمى القطيع من هجمات الذئاب ووحشيتها ، ليرفع مشعل النور بيد ثابتة ، ويؤكد وجود العدل وامكان تحقيقه ، حتى لفترة من زمن ٠ ولكن الذئاب تتربص دائما ، وتنس المال فى يد العبد ، ويدس العبد السم فى طعام سيده ، ويستشهد عمر بن عبد العزيز ويقول الشرقاوى معلنا ان سقوط العلم من يد لا يعنى الا أن يدا أخرى ستنقذه بالحتم وترفعه من جديد ، أو تكافح النفوس الحرة ، والضمائر الامينة من أجل هذا : (وذات صباح ، عادت الذئاب تشرع الانياب ، وتشهر الاظفار ، وشكا الرعاة فى أعلى رءوس الجبال البعيدة ، وفى الوديان الفسيحة سطوة الذئاب ، فقد انقضت على الشياه تفترسها بلا رحمة وبعد أن ظلت نحو عامين ونصف وما من ذئب يفتك بشاة ٠٠ فعلموا أن العبد الصالح الامام العادل فارق دنياهم ٠٠ واستنفر الرعاة بعضهم بعضا فى أقطار الارض ٠

عبد الرحمن الشرقاوى كتب للغد ولابناء الغد ، ابنائه وأبناء الاخرين ، ويقول لهم جميعا فى اهدائه لكتابه عمر بن عبد العزيز الجهم : (٠٠٠ عسى أن تجدوا يا أبنائى أنتم وجيلكم فى هذا الكتاب ما يحبب اليكم تراثكم العظيم ، فتجدوا فيه الاسوة ، والقيمة ، وما يعينكم على حل مشاكل عصركم ٠٠) ٠ كما انه يوجه الحديث باستمرار الى الانسان ، الانسان بعامة ، الانسان المسلم بخاصة ، والانسان العربى بصفة أخص ، والانسان المصرى فى أخص الخصوص ، يعرف واجبه تجاههم فيتبنى الامهم ، وينشر امامهم صور القوة فى السلوك والكفاح والشهادة ٠ ولعله أيضا كان يوجه كلامه الى الحكام فى عصره وفى كل عصر حين يرسم لهم طريق الخلود فى تاريخ أمتهم ، فهو يوجههم وينقد واقعهم من خلال السطور وما بين السطور

وانتماء الشرقاوى الواضح لاسرته الصغيرة وأسرته الكبيرة على السواء ، ولم يخفت أبدا من جانب انتمائه الى الاصدقاء والرفاق ، فما عرفنا واحدا كالشرقاوى يجمع فى صداقاته بين كل المتناقضات : يصادق أهل اليسار ٠ ويصادق أهل النفوذ والسلطة ، كما يصادق من هم بلا نفوذ أو سلطة ٠٠ ويصادق من يبدون له الصدود والعداوة ، كما يصادق من يمدون له حبال الود والمحبة٠٠هذا القلب الكبير كنت تعرف معناه فى مشهد جنازته المهيب ، وفى سرادق العزاء المرحب ، الذى اتسع لممثلى السلطة وممثلى المعارضة ، وللشباب والشيوخ ، ولرجال الدين ولرجال الماركسية ، وللمسلمين وغير المسلمين ، ولرجال الاقتصاد والفكر والابداع والاعلام والفن والطب والعلوم ٠٠ هذا الحشد هو عقد منظوم استكن فى قلب الشرقاوى ، فلما سكن نبضه وانفرط العقد أباح بسر حياته التى لا يحصيها عدد ، والتى لا يجمعها الا قلب انسان يحب ، ويعرف الحب ،

ويدعو الى الحب ، ويعيش الحب نفسه ٠

وكما ترك لصديقه ابراهيم عبد الحليم أن يقدم (خطاب مفتوح من ٦١ مصرى الى الرئيس ترومان) اظهارا لاعزازه له ولمكانته من نفسه ، ترك لصديقه الاذاعى الكبير سعد لبيب أن يقدم كتابه (أرض المعركة) هو الحب والصداقة اذن والوفاء أيضا ٠ وقد اشتهرت صداقة عبد الرحمن الشرقاوى ويوسف السباعى وأحمد حمروش واحسان عبد القدوس وكامل الشناوى وصلاح حافظ كما اشتهرت صداقته هو وحسن فؤاد وزهدى وطوغان وجمال كامل وأحمد كامل مرسى وأنور المشرى وكامل التلمساني وسعد لبيب وعباس أحمد ٠٠واشتهرت أيضا صداقته هو وعبد العزيز عبد الله وصلاح الدين حافظ والدكتور النجار والدكتور النمر وفتحى عبد الفتاح ومحمد الرميحى ويوسف العاني وسليمان مظهر وميخائيل رومان وبدر الدين وصلاح عبد الصبور وعبد القادر القط وثروت أباظة وعبد الرحمن فهمى ٠

ان ضايقه أحدهم ابتسم لانه صديق ، وان وشى انسان بأحدهم عنده ، ضحك وقال صديق ، وان غاب أحدهم سأل عنه فهو الصديق ٠

في الستينيات كنا نلتقي مع عبد الرحمن الشرقاوى كل اسبوع اما في الكارلتون او في الصالة الخلفية من بور فؤاد ، وتدور أحاديثنا ومناقشاتنا الهادئة حينا ، العصبية حينا ، ولكن صوت الشرقاوى الهادىء كان هو القاسم المشترك في كل نقاش وفي كل قضية ٠٠ ومنذ السبعينيات ونحن نلتقى فى مكتبى بين الحين والاخر ، هو الذى يحدد اللقاء ، وهو الذى ينتقى الصحاب ٠ وقبل سفره كان يتصل بى يوميا أو مرتين فى اليوم ليطمئن على تقدم مراحل الشفاء من الجلطة التى أصابتنى ، وحين رددت عليه بعد أن أمكننى الحديث كان صوته يرقص طربا فى التليفون ، وعلاه العقل وكأنه لا يصدق أن صديقه قد كتبت له صفحة حياة جديدة ، وقال : (أسافر وأعود لتعود للقاءاتنا ، فقد أوحشتني والله جلستنا ، أخبر عبد العزيز عبد الله وصلاح الدين حافظ ، والدكتور القط ، وقل له يحضر ديوانه ليقرأ لنا من شعره ٠٠ولا تنس فتحى عبد الفتاح وسعد لبيب) ٠

من يومها لم أسمع صوته ومضى شهيدا حرا ٠٠ ومن لحظتها وستوحش الجلسة من غيره ، وان جلس الصحاب فانما ليتذكروه ويذكروا صحبته الاصيلة وصداقته الرائعة الحميمة ٠٠ وليقولوا مع غسان فى (وطنى عكا) حين استشهد صاحباه ماجد ومقبل مخاطبا أرض وطنه ، فى شعر الشرقاوى العذب الصادق الجميل :

غسان : سيظل دم الشهداء هنا فى أرضك يا وطنى علما
(مقبل مات) ٠٠
يخفق فى ليل الاحزان ينبض قلب المستقبل ٠٠
كيف اصدق ٠٠
سيظل يؤج هنا بالنور ، ويصبغ وجه الفجر دما
أجنون ذلك ام حكمة ، سيظل يضىء هنا كالمشعل
تظلم ارضي وسمائي بعدك يا (مقبل) فوا أسفي ٠٠
سأعود اليوم بلا (ماجد) واقاوم دونك يا (مقبل) ٠٠

عدنا اليوم بلا عبد الرحمن ٠٠ وسنقاوم دونك يا (شرقاوى) ٠٠ واظلمت من بعدك أرضى وسمائى ٠٠ ولكنك ستظل مضيئا فى قلبى كالمشعل٠

ثم رحل "الفلاح" صاحب "الأرض"



بقلم : د. سيد حامد النساج

يشاء القدر ان يكون يوم رحيل الاديب عبد الرحمن الشرقاوى هو نفس اليوم الذى شهد مولده • فقد ولد في العاشر من نوفمبر ١٩٢٠ ، بقرية الدلاتون محافظة المنوفية • تلك القرية التى أنبتت صديقه الاديب الراحل الفنان سعد مكاوى • وفي فترة ما بين التاريخين استطاع عبدالرحمن الشرقاوى أن يقدم لوطنه وامته وابناء الفقراء في مجتمعه ، نتاجا ادبيا وفكريا وانسانيا ، لا يقل بحال من الاحوال عما قدمه رواد النهضة الفكرية والادبية فى عصرنا الحديث وان أضاف الى ذلك نضالا شريفا ومعارك ضارية ، ضد التخلف الفكري ، والقهرالانسانى مستهدفا تحقيق الديمقراطية والحرية والعدل والتقدم •

ولم يكن عبد الرحمن الشرقاوى وحده • ولكنه كان واحدا من ابناء جيل كامل • شغلته قضايا مجتمعه • وهصرته آلام شعبه • وكتم انفاسه محتل اثيم • وحاصرته حكومات ديكتاتورية مستغلة • وكان ابناء هذا الجيل اكثر انحيازا للفقراء • واكثر انتماء للفكر الذى يسعى الى تحرير المجتمع والفرد ، وتحقيق العدل • وكانوا في الاغلب الاعم من أبناء الفلاحين • وممن اطلعوا على الفكر الاشتراكي الذى شاع بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد نجاح بعض الثورات الاجتماعية على المستوى العالمى •

ومن هنا نستطيع تفسير وتحليل كتابات عبد الرحمن الشرقاوى فى

القصة القصيرة، وفي الرواية الطويلة، وفي المسرح ، بل انه نفذ الى دراسة شخصيات اسلامية رائدة من خلال هذه الرؤية . وكذلك كتاباته السياسية ومقالاته الوطنية الاجتماعية، واسهاماته النقدية الباكرة . انه ينطلق من خلال رؤية شمولية ، وبوعي كامل ، ونظرة عميقة الى الحياة والتاريخ والمجتمع والحاضر والمستقبل ، على هذا النحو يمكن تلمس أبعاد عبد الرحمن الشرقاوي الوطنية ، القومية ، السياسية ، الاجتماعية ، الاسلامية .

وما التزم به عبد الرحمن الشرقاوي في كتاباته الاولى ، ظل محتفظا بمنهجه ، وخطه ، وفكره ، حتى كتاباته الاخيرة بدءا بقصيدته المعروفة « من أب مصرى الى الرئيس ترومان» ١٩٥٣ ، مرورا بمجموعاته القصصية: «أرض المعركة» ١٩٥٢ و«احلام صغيرة» ١٩٥٤ . ورواياته « قلوب خالية » و « الارض » و « الفلاح » و« الشوارع الخلفية » . ومسرحياته الشعرية : « مأساة جميلة » و « الفتى مهران » و « وطنى عكا » و « الحسين ثائرا » و « الحسين شهيدا » و « النسر الأحمر» و« عرابى زعيم الفلاحين » ثم ابداعاته في تقديم الشخصيات الدينية ، بدءا بكتابه العظيم « محمد رسول الحرية » و « ابن تيمية » و « ائمة الفقه التسعة » و « على امام المتقين » و« الفاروق عمر بن الخطاب» و«الصديق أول الخلفاء » و « عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء » . وهذه الكتابات لا تقل عما قدمه العقاد وطه حسين وهيكل وتوفيق الحكيم في هذا الجانب. حيث اقتحم هذا اليسارى التقى عالما كان حكرا على جماعات بعينها ، تذود عنه ، وتدفع الآخرين بعيدا حتى لا يدخلوه . لكنه بفكر واع ، ونظرة ثاقبة ، وايمان عميق، وحس شاعرى، ودوافع انسانية ، استطاع أن يقدم جديدا من خلال تناوله هذه الشخصيات

● تفاؤل بلا حدود

انه منذ البدايات الاولى في « المصرى» و « الفجر الجديد» و«الاديب المصرى » و « التطور » و « الغد » ، يؤمن ايمانا راسخا بقدرة الانسان على التطور والابداع ، وبأنه كائن كريم في عنصره ، ينزع دائما إلى الحياة الحرة الكريمة ، ويعمل من أجلها ، وله المقدرة على بلوغ مايريد، انه سيد نفسه في نطاق من العلاقات الاجتماعية ، تجعل هذه السيادة غنية بكل ما يسعده ويبهجه . وهو لذلك متفائل الى ابعد الحدود . يرى من خلال ظلام الواقع والاسى والدموع التى يصنعها الانسان لأخيه الانسان بشائر مقبلة سعيدة . فثبات الانسان في وجه المصاعب . وجهاده اليومى المضنى . والوعى المتعاظم بمشاكل الحياة . والنقمة المتفاقمة على الاوضاع المزرية. والحب والامل والاصرار ، كلها بشائر تلك الحياة المرتقبة المقبلة .

هذه كانت رؤيته ودعوته . ولذلك كان ايمانه بالغد : يقول في «المصرى» ١٩٥٣/٢/٥ (ان أدباء الغد يدركون أن الادب هو تعبير عن الحياة الانسانية في تفاعلاتها المتشابكة . ان موضوع العمل الفنى هو حياة الانسان أو موقف من حياة الانسان في اطاره الاجتماعى وصلاته ومفهوماته وحركته ليسيطر على قوى الطبيعة . هو اللحظة الراهنة التى هي حركة وأثر وجزء نابض من كفاح الانسان في سبيل حياة أفضل . كفاحه ضد قوى القدر ، وضد العجز، والضعف البشرى الذى صنعته أوضاع بالذات) .

ثم يستمر في تحديد الادب الذى يحتاجه المجتمع قائلا : (هو ذلك الذى يؤمن بالانسان ويفتح أمامه طريقا الى

المستقبل • يربط انسان الغد بانسان اليوم • ويؤمن أن انسان اليوم البطل ليس انسانا بلا نسب • وينبع من ادراك عميق للتاريخ ، وفهم دقيق لكل القوى التى صنعت التاريخ ، يقاوم الاخطار التى تهدد حياة الانسان ، ويصون شرف الثقافة من الامتهان • ولا يزيف الحياة والواقع • يؤمن بأن المغامرات السابحات الفاتنات ، وعزيزتى انتونيا ليست هى القيم العليا التى أثرت فى الآداب العالمية وليست هى المعجزة التى ستنقذ الادب المصرى من اللهو واللعب) •

ومن أجل تحقيق ما يؤمن به ، وبسبيل تقديم نتاج واقعى صادق ، أخذ عبد الرحمن الشرقاوى فى الارتباط بالنبع الثر الغزير ، بالارض والفلاح ، لأنه لا ينفصل عنهما ، نشأة وحاضرا ومصيرا ، ولانهما ظلا بعيدين عن أن يكونا موضوعا لأعمال أدبية وفنية لكنه – ليس بحثا عن الجديد – ذهب اليهما مسلحا بمجموعة من القيم •

أولها : اخلاص شديد للأرض ، من حيث هى مصدر الخير للغالبية العظمى من السكان فى بلد كان يستند الى الزراعة مصدرا للثروة • وانتماء قوى اليها كانتماء الابن لأمه • وهو انتماء لا تزعزعه شكليات من أى نوع ، ولا يحد منه شيء من الابتعاد عنها لظروف طارئة أو قاهرة •

ثانيها : ايمان قوى بالفلاح ، على اعتبار انه القوة الفاعلة الوحيدة التى تحرص على أن تظل الارض مصدر انتاج متزايد ، لتكون بالفعل منبع الخير والسعادة والرفاهية للجميع • ثم على أساس انه يمثل قيمة كبرى وكيانا ماديا ضخما لا سبيل الى تجاهله أو انكار وجوده • فهو يقدم للمجتمع عملا منتجا حيويا وفعالا ، وبالتالى فان قيمته كانسان عامل ينبغى أن تكون واضحة ومجسدة •

ثالثها : التزام واع بقضايا كل من الارض والفلاح ، التزاما يستهدف الانتصار لهما ، ومعرفة مشكلاتهما ، والعمل على ضرورة حلها بايجابية : ضمانا لبقاء الام طاهرة نقية غير مستغلة ، وأملا فى أن يظل الفلاح عاملا فعالا فى جو ملائم ومناخ معتدل ، لا يعكر صفوه شيء من استعلاء الآخرين ، أو استغلال المستغلين ، أو اضطهاد من قبل السلطة ، أو تناقض طبقى مدمر •

رابعها : الدعوة الصادقة المخلصة لتصوير حياة الطبقة الكادحة ، الارض تصويرا واقعيا ديناميا ورفض أى شكل من أشكال التصوير غير الواقعى الذى يحاول التشويه والتمويه وتزييف الحقائق • هذه الصور التى تصدر من الطبقة التى تجد مصلحتها فى أن يبقى الوضع – وضع الارض والفلاح – على ما هو عليه • لان كشف الحقائق ، وابراز التناقض ، وتجسيد المساوىء ، ليس من مصلحتها فى بقدر ما فيه قضاء عليها ان آجلا أو عاجلا ••

وكان عبد الرحمن الشرقاوى واعيا ومدركا وقارئا كل الكتابات التى تعرضت للقرية وللفلاح • ابتداء من ١٩٠٣ ، ١٩٠٥ عند محمود خيرت فى « الفتى الريفى » و « الفتاة الريفية » و « عذراء دنشواى » ١٩٠٦ لمحمود طاهر حقى • و « زينب » ١٩١٢ لهيكل • و « الايام » ١٩٢٩ لطه حسين • و « ابراهيم الكاتب » ١٩٣١ للمازنى

و « عودة الروح » ١٩٣٤ للحكيم . و « يوميات نائب فى الارياف » ١٩٣٧، و « حمار الحكيم » ١٩٤٠ له أيضا . ثم « دعاء الكروان» ١٩٤١ لطهحسين. و « سيد العزبة » ١٩٤٤لبنت الشاطىء و «رجل المعجزات» ١٩٤٨ لمحمد أمين حسونة . و « بعد الغروب » لمحمد عبد الحليم عبد الله ١٩٤٩ . وقد أشار الى بعضها فى مقدمة روايته « الارض » .

لكن القارىء لكل هذه الاعمال لا يظفر فيها بالرؤية الاشتراكية، التي تنبع من ايمان عميق بحق الانسان فى الحياة الحرة الكريمة . والتى تكشف كشفا شاملا عن آلام الأرض والفلاح. والتى تخطط للشخصيات الفلاحية تخطيطا يضفى عليها من الواقعية والصدق بعدا لا يستهان به ، بمثل ما نجد فى « الارض » ١٩٥٣ . وهكذا ظلت الارض ، وبقى الفلاح فى انتظار الابن المخلص البار ، الذى يشعر بارتباط قوى لا ينفصم بأرضه وترابه. والذى يؤمن ايمانا قويا راسخا بأهله الفلاحين الكادحين. والذىيشغله تمثل واضح لقضايا كل منهما ، ويؤرقه ما يستشعره من آلامهما ، ومن الصراع الطبقى الذى يدمر حياتهما ، حتى يأتى فى عام ١٩٥٣ عبد الرحمن الشرقاوى، الفنان الفلاح الذى كان قد حدد موقفه الصريح من هموم ومشاكل وتناقضات « الارض » و « الفلاح » فى ريفنا المصرى .

وتدل كتاباته فيما قبل نشره«الارض» مسلسلة بصحيفة «المصرى » على التزام واع بقضايا مجتمعه . كما تتميز رؤيته بالصدق ، والعمق ، والشمول ، والاتساع ، والتكامل. كما يؤمن بأن الواقع فى ديناميه وحركة وتطور . ويدرك أثر الزمن على تطور الاحداث وصورة البشر. ولا ينظر الى قضايا « الارض » و « الفلاح »منفصلة عن قضايا المجتمع ككل، وقضاياالعالم بأسره .

وهناك قصة قصيرةبعنوان «الخادم» نشرها الشرقاوى فى « المصرى » العدد ٥٢٦٢ صبيحة الثورة ١٩٥٢/٧/٢٣ تصور ثورة الفلاحين بزعامة«هنداوى» ابن الريف المخلص الذى عاد من المدينة ليلتصق بأهله الفلاحين . ويتزعمثورة عارمة ضد العمدة ، وجبروته ، وسيطرته ، وعنجهيته ، وظلمه ، وتسخيره الفلاحين الفقراء . واذا بالقرية تصحو ، والارض تنبض بالحركة ، والفلاحين لا ينامون . وبصرف النظر عن أن قصة «الخادم » كتبت قبل أو ليلة الثورة ، فانها بكل تأكيد ساهمت مع غيرها فى الارهاص للثورة التى خدمت الفلاحين . وهم القطاع الذى شغل فكر عبد الرحمن الشرقاوى وقلبه ، لأنه فلاح ابن فلاح.

● التأثر بسعد مكاوى

هنا تلزم الاشارة الى صدق عبد الرحمن الشرقاوى وأمانته . فانه لم يكن من الأدعياء المزيفين الذين يدعون الريادة والبطولة والفروسية . وينكرون على الناس حقوقهم . وهذه سمة من سمات الفنان الصادق . فقد صرح لي فى حديث معه يوم الاحد الموافق ١٢ من مارس ١٩٦٧ بأن سعد مكاوى هو رائده الحقيقى الذى قاد خطاه الى هذا الاتجاه. وأنه فى رواياته وقصصه القصيرة ومسرحياته الشعريه كان يسير على نسق سعد مكاوى (كنت متأثرا فى بدء حياتى تأثرا معينا بالاستاذ سعد مكاوى ، وتأثرت به جدا جدا ، وكنت أنشر على نسقه، وهو الذى قادنى الى تشيخوف وجوركى وماياكوفسكى) . وقد ساعد على هذا

ثم رحل الفلاح عن الأرض

الالتقاء بين الكاتبين فكريا وعقديا وفنيا انهما نشأ فى بيئة ريفية واحدة ، وفى قرية « الدلاتون » محافظة المنوفية التى اشرنا اليها ، وعاشا فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية مشتركة ، وانضما الى الفكر والاراء والدعوات التى طالبت بالثورة، وتحطيم القيم ، والضرب بعنف على ايدى الرجعيين والانتهازيين والرأسماليين والاقطاعيين ، وانتصرت للشعب العامل الكادح .

ويبدو تأثير هذه النشأة وتلك الظروف لو اننا امعنا النظر فى قصص كل منهما . فالنماذج التى كتب عنها عبد الرحمن الشرقاوى فى « الارض » هى نفسها النماذج التى صورها سعد مكاوى فى « الماء العكر » .

والقضايا الاجتماعية التى تعرض لها سعد مكاوى فى قصصه القصيرة نجد مثيلا لها عند عبد الرحمن الشرقاوى . وشخصية « حسان » فى قصة « العقرب » عند عبد الرحمن الشرقاوى هى شخصية « هارون » فى قصه « ابن أنيسة » عند سعد مكاوى. فى ثورته ، فى سخريته من الاوضاع، فى احساسه بالظلم ، فى تأدهللتناقض الطبقى ، غير أن نهايته هنا مأساوية غير متفائلة . وثورة اهل الدلاتون الفلاحين عند سعد مكاوى فى « الماء العكر » يثورونها فى « الخاتم » عند عبد الرحمن الشرقاوى .

واذا كانت الثورة قد هيأت المناخ الصحى لاتجاه جديد فى الرواية المصرية،لكتاب لم يسبق لهم ان خاضوا غمار الكتابة الروائية قبل الثورة ،فان عبد الرحمن الشرقاوى يقف فى مقدمتهم جميعا . ثم يأتى بعده يوسف ادريس وصلاح حافظ فى « المتمردون » و « القطار » . وابراهيم عبد الحليم فى « أيام الطفولة » ، « وأيام الربيع » و « أرض الوطن » . وعباس أحمد « البلد » وفتحى الرملى « الخطر » . ولطيفة الزيات « الباب المفتوح » . والدكتور شريف حتاتة فى « العين ذات الجفن المعدنية » و« جناحان للريح » . ومحمد مفيد الشوباشى وفتحى غانم ومحمد صدقى وصنع الله ابراهيم وغيرهم ممن التزموا بالواقع الجديد. وناصروا القوى الفاعلة فيه. وانحازوا الى الطبقات المطحونة ضد المقهورين فغلبت على كتابا تهم الروائية رؤية واقعية اشتراكية .

وكانت « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوى أول رواية مصرية تحمل هذه الرؤية . كما انها كانت أول رواية معاصرة تجعل « الارض » عنوانا لها ، وتقع فى اكثر من خمسمائة صفحة لم يختر الكاتب اسم « وصيفة » او « عبد الهادى» او « محمد ابو سويلم» لكى يكون عنوانا لروايته، وانما كانت « الارض » بكل ثقلها .

وفى هذه الرواية تتكشف ابعاد عبد الرحمن الشرقاوى : الفلاح،الفنان، الشاعر ، الكاتب التقدمى ، المفكر الاسلامى . فيها وعى الفلاح المتصل بأرضه ومشكلات أهله . وفيها حس الفنان المرهف الذى يلتقط من جزئيات

الواقع ما يرقى بـه الى حيث القيمـة الجمالية . وفيها صـفحات كاملة لا يكتبها الا شاعر رومانسي. كما أنها حافلة برؤية واقعية نقدية تقدميـة وموقف عبد الرحمن الشرقاوي مـن رجال الدين فى القرية ، هو المـوقف الذى نجده مجسدا بعدئذ فى دراساته الاسلامية والدينية التى أحدثت دويـا وصدى .

وتعالج روايته « قلوب خاليـة » الحرمان الجنسي الذى يعاني منهشباب القرية . وما يتركه ذلك من انطباعات فى أخيلتهم . وما يعكسـه على تصرفاتهم من اضطراب وشذوذ . كما تكشف عن الآثار التى أحدثتها الحرب العالمية الثانية فيحياة القرية المصرية. ونلاحظ أن الجو الـذى هيمن عـلى « الارض » هو نفس الجو المهيمن على « قلوب خالية » . فانت تشم عطـر تراب القرية بتفاصيلها وملامحهـا الانسانية وحياة الناس فيها . حتى الشخصيات فى « قلوب خالية » تحمل ملامح شخصيات كثيرة فى « الارض» فغانم يحمل ملامح عبـد الهادى . ورضوان أفندى يقابل محمد افندى وفتح الله أفندى يشبه الشيخ حسونة وهكذا .

بيد أن روايته الثالثة « الفـلاح » تحمل موقفا جريئا ، فتح به عبـد الرحمن الشرقاوى بابا كـان لزاما أن يفتح فى الحياة الادبية فى مصر . اذ نراه يصور مجتمع ما بعـد الثورة من منطلق الناصر لا الحاقد . الملتزم لا السلبي . التقدمى لا الرجعي . أراد أن يقول رأيه فى مجتمع الارض بعـد تطبيق القوانين الاشتراكية والاصـلاح الزراعى ، وقد تنبهت الرواية الى أن أعداء الاشتراكية تتسللوا الىمناصب قيادية فى القرية ، وهم يعذبون الفلاح كما كان يفعل أجدادهم . بل نهـم يستغلون الفلاح، ويحجـرون عـلى حريته ، ويحرمونه حقوقه التى خولها له القانون . ان معنى خطر نسـ... الثورة من الداخل هو السـائد فى الرواية من الصفحة الاولى حتىالاخيرة منذ قدم « عبد العظيم » الى القاهـرة ليطلع المسئولين على ما يجـرى انى تحذير « القرماوى » من الخطر .

ورغم أن هذه الرواية لا تصل الى حد الكمال فى بنائها الفنى ، فـان عبد الرحمن الشرقاوى اعتمد حركـة صادقة فى تنشيط شخوصه ، وتكثيف رؤاهم . فهم ليسوا معنيين باهتمامات ساذجة،بل بمسألة أكثر عمقا رأسالة انها قضية حياتهم ، والمعـوقات التى تحول دون استمرار هذه الحياة ،ومع أن الكاتب تخلى عن جزئيات التصـوير التى تستهدف الايهام بالواقع ، فانـه كان صادقا فى عرض ما يحدث فعلا فى القرية ، وللقرية. وبتكثيف واضح، وادارة للحوار متمكنة ، وقد وفق عبد الرحمن الشرقاوى فى طرح قضـية استمرارية الصراع . فلم يجسـده فى حدود معينة . بمثل ما طرح مشـكلة الثورة ، التى ستظل قائمة فى النضال البشرى ، حيث يبقى الخطر قائمـا ويظل النضال ضده هو الطريق الى تحقيق العدل والحرية والمسـاواة للجماهير . وهى القيـم التى كان عبد الرحمن الشرقاوى يؤمن بها،والتى تسللت الى كل كلمة خطها يراعـه ، ونبضت بها شرايين الحروف ،ونطقت بها شخصيات رواياته وقصصهالقصيرة ومسرحياته وقصائده الشعرية الحميمة!

قصة قصيرة

حان وقت الموت

بقلم : يوسف أبوريّة

ريشة : عادل ثابت

ترك حسين الطاحونة بعد اذان المغرب بقليل، واتجه الى داره ، ليغير خلعة العمل ويزيل اثار الدقيق عن وجهه وشعره وقفاه ، ورمى فى جوفه بقايا طبيخ الغداء . وخرج مرة اخرى الى الشارع ، ولكن هذه المرة ، كان يرتدى الجلباب الصوفى الفخيم ، و « البلغة » اللامعة ، والطاقية البيضاء المكوية ، كان ذاهبا الى هذا الحى الذى انشىء حديثا ، على اطراف البلد بين الكوبانية « والبنك » . هناك كانت الشوارع الجديدة تتقاطع بانتظام تقام عليها عمائر من عدة طوابق ، تطل شرفاتها على شوارع رحبة ، تسمح لهذا الهواء المنطلق باللهو بالاوراق الكثيرة المتناثرة .

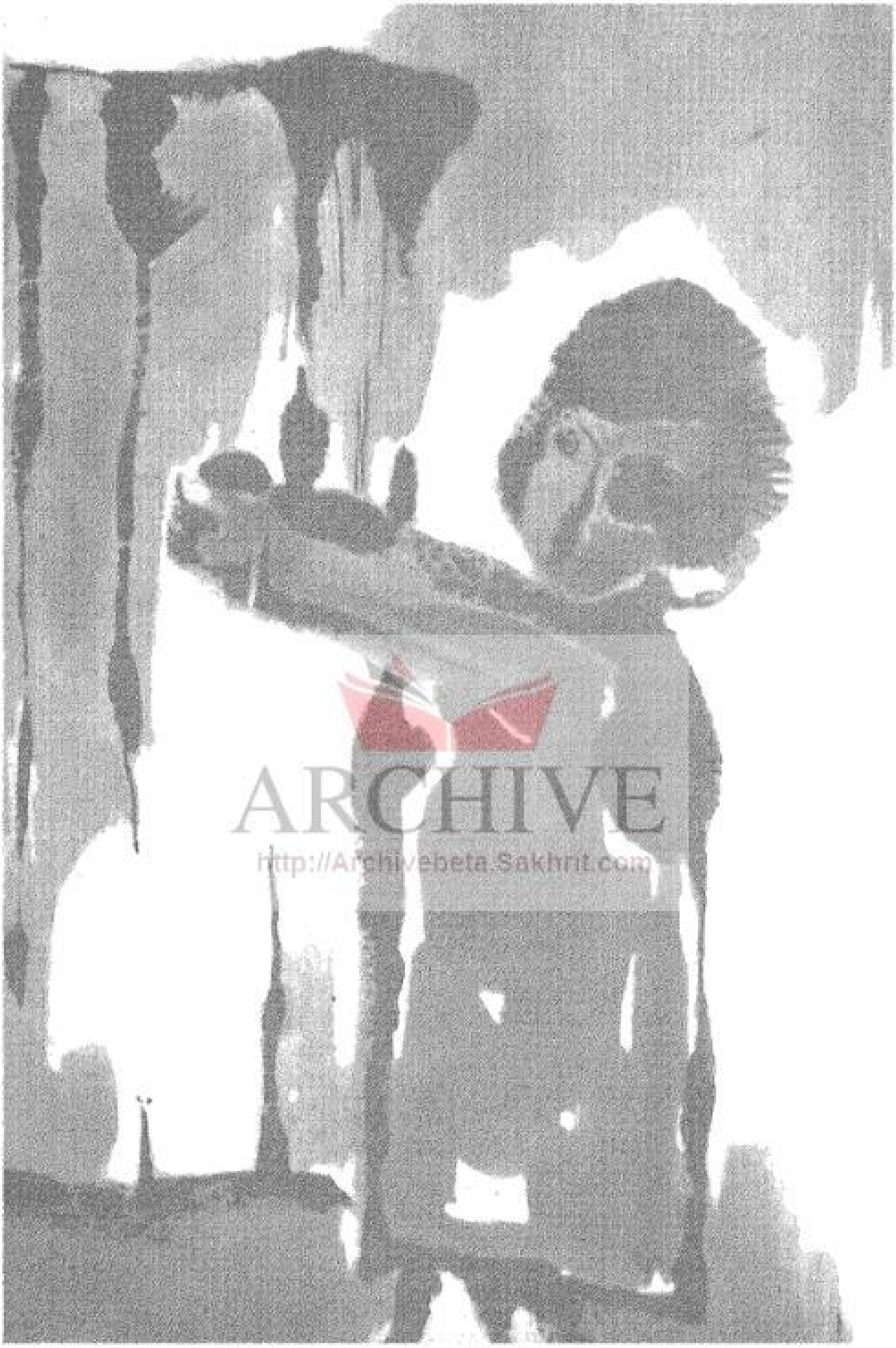
انتظر طويلا على ناصية الشارع الفارغ الذى اغلقت ابوابه ، وانطلقت من نوافذه اصوات التليفزيون ،ثم مل الوقوف ، وقال لنفسه ،ربما سبقنى الى هناك .

وطرق « حسين »على الباب الخشبى القصير المفتوح بوسط حائط منخفض بسور الحديقة الصغيرة فى مقدمة البيت ، وتتوزع على حوافه قطع الزجاج ، وتنام على ظهره اغصان خضراء ارتفعت من الداخل وانتبه «حسين» الى الجرس المدقوق على جانب الباب،وضغط على الزر بسبابته،فسمع الصوت الواهن ينادى عليه « ادخل » فدفع الباب بحذر ، وسار فى الممشى قليلا حتى راى النور ينبثق من فرجة باب لحجرة القيمت وحدها فى المساحة الفارغة امام « الفراندة تتسلق اعمدتها اغصان الليف واللبلاب وراى صلعة « عبده داود » تحت نور المصباح .

– مساء الخير يا عم « عبده » .

– اهلا .. مساء النور .

٩٢



حان وقت الموت

وقام « عبده داود » عن مكتبه يضبط معطفه الكالح الذى لا يرفعه عن جسده ابدا ويعيد الطاقية الى مقدم راسه العارى .

– تفضل .

– لا مؤاخذة عاوزك فى موضوع بسيط .

– تحت امرك .. تفضل .

وانفرد « حسين » على كرسى « الانتريه » الواطىء ، وعاد «عبده داود » ليقعد على « الشلت » الكثيرة التى ترفعه الى اعلى الكرسى فتسمح لطوله بالامتداد بعرض المكتب ، وتجعله يرى الزبون قريبا اليه، وهو يطل بطرف من راسه ، ويكون جسمه كله غاطسا فى الكرسى المنخفض . ورات عين حسين» حين استدارت اليه الشريطة الساحية الكبيرة المعلقة خلف « عبده » . ورات فوقها صورة المسيح طفلا ترفعه العذراء علىذراع بضة بيضاء ، وعلى راس كل منهما هالة من النور . واعاد « عبده» للطاقية الى الخلف فبرقت الصلعة مرة اخرى ، وعقد ذراعيه وجهه ، وبدا ينصت الى « حسين » .

– انت تعرف ان عمى « ابراهيم » لم يترك وريثا غير ولد وبنت .

– الله يرحمه .. كان حبيبى .

– البنت عادت من الاسكندرية بعد ان غدر بها زوجها . وهى الان قعيدة الفراش ، واياما على الدنيا معدودة ، وتريد كتابة كل ما تملك لاخيها الوحيد ، لتفرد على زوجها الصاع صاعين .

– عندها حق .. لكن لايجوز الوصية الا فى الثلث .

– تريد كتابة املاكها بيع وشراء .

– فى هذه الحالة لابد وان يعجل اخوها بتسجيل هذه الاملاك ، لان حضورها واجب .

– بالتاكيد .. وعلى كل سوف تعرف الموضوع بالتفصيل .

– قبل كل شىء تشرب قهوة ؟

– لا داعى لهذا .. تحيتك مردوده .

وظهر « يسرى » فجاة فى نور الحجرة ، ولم يكونا قد انتبها لصوت اقدامه تطأ الورق الجاف فى الممشى سلم على « عبده »وقال لـ « حسين » : سمعت صوتك من الخارج .

وقال له « حسين » معاتبا : انتظرتك طويلا، ولكنك تاخرت .

– كنت ابحث عن العقود فهى مدفوسة من زمان بين اوراق كثيرة .

ووقف « عبده» ليدخل راسه فى النافذةالصغيرة المطلة على الحديقة : بت يا « تريزة » يا « تريزة » .

وسمعا صوتا انثويا نحيلا يرد من بعيد : نعم يا بابا .

– اعملى قهوة يا بنت .

- كم فنجان يا بابا؟

- اعملى ثلاثة .

واستدار اليها ليلعن التليفزيون الذى هرش ادمغة الصبايا اللاتى صرن يتركن ما بأيديهن ليفرغن للفرجة على المسلسلات .

واجابه « حسين » :

- كل البيوت هكذا .

وقال « يسرى » :

- الشوارع الآن خالية، الكل يتفرج .

وجمع « عبده » اطراف معطفه ، وقال ساخطا : اخر زمن .

والتفت « حسين» الى « يسرى » الذى يجلس على الكرسى المقابل ليخرج العقود حتى يطالعها الكاتب ، وفرد « يسرى » الاوراق على المكتب ، وراح «عبده» يرفعها الى عينيه مستعينا بالنظارة التى وضعها على اطراف انفه وقال: يعنى البيع سيكون فى الدار والطاحونة .. ارض الاصلاح الزراعي لا يجوز بيعها رسميا .

وقال « حسين » :



سنكتب بها تنازل حتى اذا وزعت الحكومة عقود الملكية تصير من نصيب « يسرى » .

- لا ادرى ان كان هذا ينفع ام لا ؟

- سنكتبها من باب الحرص ... لا غير .

- الحكومة كل يوم فى حال ، مرة تقول اراضى الاصلاح ستوزع وفقا للتوريث الشرعى ومرة تقرر انها ستكون للافراد المذكورين فى البحث .

وقال « يسرى » :

« حسين » باع من قبل، وانا بعت نصيبى منها بعقد ابتدائى ، والحيازة مازالت باسمى ، فمقدار ما سنتنازل عنه «زبيدة» ١٦ قيراطا فقط .

وقال « حسين » :لاتحاول ان تفهم عمك « عبده » هو يحفظها بالمتر .

وابتسم « عبده » وقال مفاخرا : كم مرة قستها بالقصبة أيام المرحوم .

وصمت « عبده » قليلا ، وبدأ يزحزح الطاقية الى الوراء ، ويمرر اصابعه الطويلة على الشعر الخفيف ، واستغرقه النظر فى الورقة التى ترتعش أمام عينيه ، ثم سألها: اظن يا « يسرى » ان نصيبك فى الطاحونة مؤجر لعمك الحاج ؟

- انا لا احصل على شىء منه .

وقال « حسين » حرام عليك لا تظلم الرجل .. الم تحصل على ثلاثين جنيها اخر الشهر ؟

- هو يأكلها من جذورها ، انت على نياتك ، ولا تعرف شيئا عن الايراد .

- يا سيدى منه لله ، لن يأخذ شيئا معه الى قبره .

حان وقت السكوت

وركن « عبده » الورقة على جنب ، ورفع الاخرى امام عينيه ، وقال : انا اتذكر انى كتبت لك عقد بيع وشراء لاختك فى هذه الدار من قبل .

- ستعيد الى ما اشترت وفقا لعقد جديد

- انت لا تملك من الدار غير نصيبك من تركة امك ؟

- بالضبط .. فسجل الامتار التى ستذكر فى العقد الجديد ۱۱۰ امتار نصيب « زبيدة » من ابيها وامها وما اشترته منى .

وبدأ « عبده » يفرد اوراقا بيضاء امامه ، وامسك بالقلم ، وطفق يخط به ناظرا بين الحين والاخر الى العقود المنشورة امامه ، او رافعا رأسه ليسأل «يسرى» عن شيء غمض عليه ، حتى دخلت البنت الصغيرة ترفع صينية القهوة بين يديها كانت ترتدى الجلباب المربوط بحزام الى الوراء ، وتدلت من رأسها ضفيرتان رفيعتان من تحت اشارب اصفر، عمق شحوبة وجهها النحيل،وضعت الصينية على الترابيزة القصيرة، وقالت : عاوز حاجة يا بابا ؟

ولم يرد عليها ابوها الذى انحنى رأسه بشدة على الاوراق ، وتجهمت سحنة وجهه المزموم الفم ، واتخذ ملمح الوقار ، وكانما ذهب الى عالم اخر ، فرض على الحضور قسية الصمت ، وعادت البنت بظهرها الى الخارج ، ولم تكرر سؤالها .

ومد « حسين » يده الى الفنجان ، واشار بعينه الى « يسرى » ليرفع فنجانه ، ورشف « يسرى » الوش بصوت مسموع ، وزغر له « حسين» لائما ، والرجل سقط منهما تماما ونسى وجودهما وظلا على كرسيهما مدة طويلة . يتحرك الكلام بصدريهما، ولا يقدران على التلفظ به على الالسنة ،ويبردت القهوة فىفنجان «عبده»

ومنع « يسرى » نفسه اكثر من مرة ، كانت رغبته لتنبيهه الىالقهوة قوية جدا ، واخيرا غامر بالقول : قهوتك بردت يا عم « عبده » .

فبحلق اليه الرجل من تحت عويناته ، وعاد من الكتابة ، فوجه الحديث الى الرجلين : بص يا سيدى .. العقد جاهز على التوقيع،طبعا كتبت عقدا اجماليا .

وقال « يسرى » : كنت اريد عقدا لكل شيء على حده .

وقال « عبده مكشرا: لا فرق .. المهم توقيعها على ماكتبت ثم الاسراع بالتسجيل .

وتدخل « حسين » لينبه الكاتب بالطلب الاخر : لو تكرمت تكتب لنا اقرارا بانه لا يجوز لـ « يسرى » التصرف فى هذه الاشياء الا بعد وفاة اخته .

وقال « يسرى » مؤيدا : طبعا لازم تضمن حقها ، اشرب قهوتك الاول .

ورفع الفنجان الى

الرجل الذى اخـــرج منديله الكبير من جيب المعطف ، وراح يمسح به حبـات العرق التى تجمعت على الصـلعة المضيئة ، دفع « عبده » الفنجان الى فمه مـرة واحدة ، وسـحب ورقة اخرى ، واستعاد حالته الاولى ، وساد الصمت فترة طويلة ، حتى عاد « عبده » من استغراقه، ورفع الورقة الى عينيه ليقول: بص يا سيدى·· انا تركت فراغـا على « يسرى » ان يمـلاه وفقا لبيانات بطاقتـه العائلية ·

طلب « حسين » ان يقرأ عليهما الرجـل صيغة الاقرار ، فرجـع « عبده » بظهـره الى الوراء ، ونشق الهواء بطاقتى انفه ، وسـكت مدة يتأمل الورقة ، ثم قال : بص يا سيدى ··

وراح يقرأ الجمـــل باستمتاع ، يتخــلل القراءة وقفات لينشق من الهواء نشقة طويلة، ثم يعاود القراءة ناظرا اليهما من فوق الورقـة ليتأمل وجهيهما ويقاطعه « حسين » ليقول : الله ينور عليك ·

ولما اختتم القــراءة قال له « يســـرى » : تسلم يدك ·

ومد يده خفيــة الى « حسين » ليعطيه حـق الرجل ·

وسأل « حسين » : كم يا عم « عبده » ؟

ــ من غير حاجة ·

ــ خيرك سابق ·

ومد يده بالفـلوس المطوية ، فردها «عبده» بين اصابعه ، ثم القاها باستنكار جهة «حسين»: والمسيح الحى لا ينفع، ناس غيركم اخذ منهم فوق المائة جنيه ·

ــ انت واخــد على عقود الطاحونة مــع اخوتى نفس المبلغ ·

ــ كل يـوم الدنيـا فى حال ·

وطلب « حسين » من « يسرى » ان يضـيف خمسة جنيهات اخرى ·

وقاطعه « عبده » وهو يدفــع الفلوس بيده المتوترة جهته : ورحمة ابيك الغالى لا ينفـع · اريد على هذه الفـلوس ثلاثين جنيها اخرى ·

وقام « حسين » ،وقام « يسرى » معه ، وقال « عبده » : خذوا الورق والفـــلوس واعتبروها خدمة

ــ كثر الف خيرك ·· هات يا « يســـرى » عشرة جنيهات، ولاتطلب اكثر من هذا ·

ــ الامر لله ·

ودفس المبلغ فى جيب معطفه ، وقام ليسـلم عليهما ، ومال برأسـه على « يسرى » هامسا: اجعلها تمشى هنـا فى هذه الفـراغات ، ومن الصبح تطلع على الشهر العقارى،لانك لو تأخرت ويحصل القــدر كانك يا « ابو زيد ما غزيت »

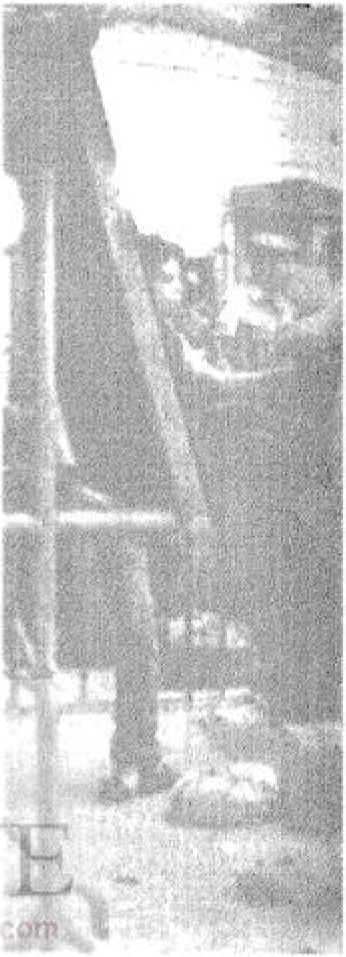
ــ شــكرا يا عــم « عبده »

وغادرا نور الحجرة، وسبقهما ظلهمـــا فى مستطيل النور الساقط على ممشى الحـديقة ، ولفهما ظلام المســاحة الفارغة المواجهة لمدخل البيت ، وخرجـا الى الشارع النائم يسيران تحت مصابيحه القليلـة التى توزع بقعا باهتة من الضوء ·



الحالة الفكرية والعلمية بعد السكك الحديدية

بقلم: محمد سيد كيلانى



لما ارتبطت مدن القطر بالسكك الحديدية ، امكن وصول المطبوعات إليها من صحف يومية ومجلات اسبوعية وكتب فاخذت الاذهان تتفتح على عوالم جديدة لم تكن معروفة عند اهل البلاد .. واصبح في مقدور الناس ان يلموا بما يجرى في العاصمة من اخبار وما يشغل الاذهان من موضوعات ، بل اصبح في امكانهم ان يلموا بانباء العالم الخارجى فاتسعت المدارك وارتقت الافهام ونما الوعى الوطنى والاجتماعى .. كما ان اهل العاصمة اصبح في مقدورهم ان يلموا بما يجرى في الاقاليم من احداث سارة او محزنة ..

واخذوا يتساءلون عن سبب تاخرهم فوجدوا ان عقائدهم الدينية قد تسربت اليها ضلالات كثيرة نتيجة لجهل بعض رجال الدين او جمودهم فحولت الدين عن محرابه الإلهى : فبعد أن كانت ثمرته على الاخذين به في الرقى السريع والنظام الكافل لارقى اشكال المدنيات .. اصبح عبئا شديد الوطاة على عاتق الاخذين به ، قعد بهم عن لحاق من كان دونهم من الامم الجاهلة فحملهم هذا النظر الصادق على العمل على إزالة تلك الضلالات من دينهم الطاهر فتالفت جمعية شمس الاسلام سنة ١٨٩٩ ، وشرع الشيخ محمد رشيد رضا يطوف في البلاد ويخطب في المساجد منبها العقول إلى الخرافات التى علقت بالدين وكانت سببا في تاخر المسلمين .. فالقى في ملوى خطبة كان لها تاثير قوى في نفوس الحاضرين ـ كما ذكر مراسل المؤيد ، ومما جاء فيها : ايها الناس ، إنى لست ذاكرا فضائل رجب او شعبان ، ولا متعرضا لصحة الاحاديث الواردة او بطلانها ، إنما اذكر حالة الاسلام الآن ، وما طرا عليه من الانحطاط والتقهقر وما هى اسبابهما . ثم اخذ يبين الداء ويصف الدواء بادلة قاطعة مما جعل عوام الناس فضلا على علمائهم يقولون : حبذا لو كانت خطب الجمعة كلها على هذا النمط ، فإنه انفع لحالنا في هذه الظروف من ضياع الزمن في بيان فضائل الشهور والايام ..

وقد انشأت جمعية « شمس الاسلام » فروعا فى الاقاليم وفى المدن والقرى ، وكانت تعقد الاجتماعات وتلقى الخطب محرضة على اجتناب ما يخالف الشرع الشريف واتباع ما امر الله به فى كتابه العزيز وقال مراسل المؤيد فى « ديروط » وإني اقول اليوم إننا من عهد تاسيس جمعية « شمس الاسلام » فى بلدنا والناس يواظبون على اداء الصلاة في اوقاتها ويعاملون بعضهم بعضا بالمعروف ، معرضين عن كل ما يخالف الكتاب والسنة » ..

وكان طلبة الأزهر حين يعودون لقضاء الأجازة الصيفية فى بلادهم وبين ذويهم ، يحملون معهم مبادىء إصلاح المجتمع التى سمعوها من الشيخ محمد عبده وغيره من دعاة الاصلاح : ومن بين ما دعوا إليه إبطال زيارة الأضرحة او إقامة الموالد لأصحابها . او طلب الشفاء من الأمراض او التوسل بالأولياء لقضاء الحاجات فحدث صدام شديد وجدال عنيف بين بعض الناس وبعضهم الآخر .. فمنهم من انتصر لكرامات الأولياء ومنهم من ينكر ذلك .. ومازال الناس يحملون النذور إلى أصحاب الأضرحة ..

وكان فقهاء الكتاتيب يخوفون الناس من المدارس ويذكرون انها تعلم الجغرافيا . وهذه تؤدى إلى الكفر ..

وفى سنة ١٨٩٨ ظهر العدد الأول من مجلة « المنار » لصاحبها محمد رشيد رضا ، وقد ذكر ان خطته « هى خدمة الدولة والملة وإيقاظ الشرقى من السبات العميق الذى انغمس فيه حتى صار فى غاية الضعف ونهاية الانحطاط مع ما صار اليه أخوه الغربى .. من التقدم والارتقاء بسبب جده وكده ونشاطه ودأبه على العمل حتى الان له الحديد ، وسخر الجبال وجعل كل شيء آلة لتغلبه وفوزه على غيره » ..

وقد انتشر السخط على الحاضر والتغنى بمفاخر الماضى عند الشرقيين اجمعين ، وكان هذا نتيجة من نتائج احتكاك الغرب بالشرق ، فتفتحت أعين الشرقيين فرأوا فى الغرب دولا قوية ذات حضارة ومدنية ، ثم وازنوا بين حالهم وحال هذه الدول فتولد عندهم الشعور بالنقص فبدأوا يسخطون على حاضرهم ويعزون تخلفهم إلى اهمال ابناء جيلهم ويوجهون اللوم الشديد والنقد العنيف لمعاصريهم من ابناء وطنهم ملقين على عواتق الوطنيين تبعة تأخر البلاد واختلال احوالها ..

سكة حديد الحجاز

وما كاد مشروع سكة حديد الحجاز يظهر إلى الوجود سنة ١٩٠٣ حتى تألفت اللجان فى جميع جهات القطر لجمع التبرعات .. وتألفت لجنة فى مدينة الاقصر برياسة أيوب بك صبرى .. وقد ربطت هذه السكة بين مصر

وفلسطين . وكان من المتوقع أن يستطيع المصرى أن يسافر من القاهرة إلى دمشق ثم إلى الاستانة واوربا عن طريق السكة الحديدية ولكن الدسائس الاستعمارية أولا ، ثم قيام إسرائيل ثانيا قضى على هذا الحلم .

وقد اشتدت الغارة على الاسلام والمسلمين ، فالفت كتب كثيرة طعنا في الاسلام ، وسيرت الجيوش لاحتلال بلاد المسلمين .. واخذت دسائس المستعمرين تعمل عملها في الايقاع بين العرب والترك وتلفق الأخبار عن قرب قيام خلافة عربية ..

واشتد الجدل على صفحات الجرائد بين انصار التمثيل وخصومه .. ومن ذلك قول احد الخصوم « إن الروايات فى أوربا تعرض على الرقابة لاجازتها بينما الروايات فى مصر لا تعرض على أية جهة .. وفى أوربا يؤلف الروايات كبار الكتاب بينما فى مصر مطرودو المدارس الذين لم ينالوا الشهادة الابتدائية . والروايات عندنا على كثرة عددها ليس فيها إلا القليل الذى الفه ادباء معروفون ، ولذلك تكثر فيها السفاسف ، وكثيرا ما تحتوى التمثيلية على مايخالف الآداب العامة .. وعلى ذلك فلا يصح أن نقول إن التمثيل عندنا ينهض بالأخلاق مادامت هذه حاله .. ويتخلل فترة الاستراحة من الاستباحة لضروب الرذائل والوقاحة ولا نجاوز الواقع إذا طالبنا بإبادة هذا العار » ..

وقال آخر إن اكثر رواياتنا منقول عن الاجانب ، مشتملة على ما يوافقنا ومالا يوافقنا من عاداتهم واحوالهم واخلاقهم ..

ولكن الحقيقة إن هناك مسرحيات عُربت عن الفرنسية والانجليزية وقام ببطولتها جورج أبيض وغيره وحازت نجاحا عظيما .. وشرعت بعض الفرق تنتقل إلى الأقاليم وتعرض مسرحياتها على الجمهور ، وبذلك شاركت بعض الأقاليم سكان العاصمة فى التمتع بهذا اللون الجديد من الادب . ورأينا


علي مبارك


اللورد كرومر


محمد [illegible]

موظفين هناك مثل ابراهيم زكي الموظف بمديرية الدقهلية يترجم دراما لشكسبير سنة ١٨٩٨ ..

ومثلت رواية عايدة فى صحراء الهرم يوم ٣ مارس سنة ١٩١٢ لترغيب السياح فى المجيء إلى مصر .. وسار خلال التمثيل موكب النصر مؤلفا من الف شخص ، و ١٥٠ حصانا ، و ١٠٠ جمل ، و ١٠ ثيران .. وعساكر وأسرى فكان الموكب من اكبر المواكب التى شوهدت فى هذه الرواية ..

وفى (٢ - ٧ - ١٩١١) صدرت لائحة التياترات ، ومن بنودها « يخصص مكان لضابط البوليس المنوط بالمراقبة وقت التمثيل » ..

وتالفت فرق مدرسية للتمثيل فى كثير من المدارس والمعاهد ..

× × ×

وصدر قانون المطبوعات فى ٢٩ - ٤ - ١٩١٠ ، وهو يقيد حرية الصحافة والخطابة ، وقد تالف وفد من اعضاء مجلس الشورى من :

محمد شواربي باشا ومحمد شعراوى باشا واسماعيل اباظة باشا وطلبة سعودى باشا وتوجهوا إلى الوكالة البريطانية لمخاطبة غورست وطلبوا تخفيف شدة المادة (٤٧) من قانون العقوبات المختصة بمعاقبة المتفقين على الجرائم ، ولم يوافق غورست على طلب الوفد ، واصر على ابقاء المادة المذكورة كما هي ..

ومن الجدير بالذكر ان هذا القانون الذى وضعه الانجليز مازال معمولا به إلى الآن .. وقد نص القانون السالف الذكر على ان الجرائم التى تقع بواسطة الصحف او غيرها من طرق النشر تحكم فيها محاكم الجنايات ويكون حكمها غير قابل للاستئناف . وهو ما يجري به العمل حتى وقتنا هذا ..

وقد علقت صحيفة المقطم على هذا القانون بمقال جاء فيه :

« والذى يجعل هذا القانون مكروها بنوع خاص انه ميز بين صحافتين فى بلد واحد ، فهو يكم افواه الصحافة الوطنية ولكنه يترك الصحافة الأجنبية حرة تقول ما تشاء .. ولولا ذلك لما راينا الصحف الأجنبية لاتكاد تعلم أن جريدة مصرية انذرت حتى تبادر إلى نشر المقالة التى اوجبت الانذار فيقبل الناس على قراءتها ولعلهم لولا ذلك لم يكونوا يشعرون بها .. فلا عجب بعد ذلك إذا راينا الصحف الوطنية تعين رجالا من الأجانب لرياسة تحريرها .. فكانت تختار سباكا أو ترزيا او بائعا جائلا وتضع اسمه كرئيس للتحرير ولا غرابة إذا وجدنا بعض المصريين يرتاحون لوجود الامتيازات الأجنبية ويتمنون لها البقاء ..

الحركة العلمية

وبعد ظهور القطار وفد على العاصمة عدد كبير من شباب القرى



وجمعت محطات القطار فوق ارصفتها نماذج متشابهة من مصر

والتحقوا بالأزهر .. وقد انشأ الخديو عباس الرواق العباسي سنة ١٨٩٨ وافتتحه باحتفال رسمي وحضر الاحتفال عدد من تلاميذ احدى المدارس وانشدوا بصوت عذب ..

بشرى لنا تم المرام ∴ فى ظل من ساد الكرام
هذا رواق باهر ∴ انشاه عباس الهمام

وقد اراد الشيخ محمد عبده أن ينهض بمستوى التعليم ليتمشى مع روح العصر فاقترح فى سنة ١٨٩٨ أن تدرس الشروح دون الحواشي .. ومن ذلك انه كان يقرأ كتابا فى التوحيد فرأى رأيا لا يقبله باقى العلماء فشكا هؤلاء لشيخ الأزهر وحذروه عاقبة الدوام على هذه الحال .. وبعد أن اجتمع الشيخ محمد عبده مع باقى العلماء لم ينحل وجه الخلاف واصر العلماء على أن يقراوا كتبهم العلمية وحواشيها والا يقبلوا فى ذلك منازعة ولا مراجعة وإلا دفعوا القوة بالقوة ..

على انه كان لابد وأن يخضع الأزهر لسنة التطور .. جاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٨٩٧ ما نصه « إن مديرى الجامع الأزهر طلبوا فى السنة الماضية ثلاثة عشر استاذا من اساتذة المدارس الاميرية ، وادخلوا طرقا جديدة للتعليم من انفسهم .. أما الدروس التى يدرسها أولئك الاساتذة فهى الرياضيات والجغرافيا ورسم الخرط .. واذا نظرنا الى ازدحام التلاميذ عفوا واختيارا عليهم لتلقى العلم منهم حكمنا أن تدريس تلك العلوم فى مدرسة اشتهرت باقتصارها على العلوم الدينية فقط يعد نجاحا عظيما » ..

كثرت الاضطرابات وانتشرت الفوضى فى هذا المعهد نظرا لكثرة أعداد الوافدين عليه .. كتب الشيخ محمود ناجى الحنفى الأزهرى فى المؤيد (٢٣ - ٣ - ١٩٠٨) مقالا جاء فيه :

انك لو دخلت الأزهر لوجدت :

اولا : طبقات سافلة منهمكة فى اللعب والضحك حال جلوس المعلم لقراءة الدرس .. ومنهم من استولى عليه النوم ، والبعض يتشاجر مع غيره ويشوش على الشيخ ، وحينئذ يرتبك فينزل الله عليه سحائب الذهول والغفلة عنهم فلا يمكنه زجرهم ولا القراءة لهم ..

ثانيا : وهناك تنعقد مجتمعات متعددة لانتقاد بعضهم بعضا والاخذ على علمائهم وانتخاب القوى منهم وجعله فتوة الدرس ، وبه يستعينون على ضرب من شاءوا ولو شيخهم كما شاهدت ذلك منهم ..

ثالثا : يظهر للرائى ايضا انهم عندما يريدون ضرب من اقتضت إرادتهم ضربه ان يبعثوا له شابا صغير السن يعاكسه وينتظرون من المعاكس أن يكلم هذا الشاب المرسل من قبلهم او يلتفت إليه فإذا فعل ذلك هموا بضربه الضرب الشديد المؤلم فتارة بمراكيبهم واحذيتهم و آونة بالكرابيج والعصى وطورا بالسلاح ..

× × ×

وكان من رأى بعض المصريين ان الأمة فى حاجة ماسة إلى الاكثار من المدارس الأولية أو الكتاتيب بداية ذلك العصر .. وفى ذلك يقول سعد باشا زغلول ناظر المعارف فى خطبة القاها فى حفلة توزيع الأعانات على الفقهاء :

« وجهت الحكومة عنايتها من عدة سنين إلى تعميم الكتاتيب وإصلاح شئونها لأنها رات فيها خير وسيلة لتربية اخلاق العامة وتهذيب نفوسهم وتقليل الشرور الناتجة عن جهلهم مبادىء الدين الصحيحة وقواعده الشريفة ، ولأن المواد التى تعلم فيها هى عبارة عما لايصح لانسان ان يستغنى عن معرفته بصفته إنسانا .. فأسست مدارس لتخريج معلميها ورتبت دروسا خصوصية لارشاد فقهائها الحاليين ، وابلحت ارضها لكل من يريد بناء كتاب عليها ، ورتبت مفتشين لها وانشات إدارة خاصة بها ، وقررت مساعدات مالية للكتاتيب التى تستوفى الشرائط التى وضعتها لحسن سيرها ، واستنهضت الامة لمساعدتها فنهضت واسس بعض سراتها كثيرا من المعاهد وستتبينون مقدار هذه النهضة مما سيتلوه على حضراتكم


محمد رشيد


سعد زغلول


السلطان عبد الحميد


(ترجمة اللعبة المسماة باسم)
عايدة
متوزعة على ثلاثة فصول وسبعة مناظر
بأمر سعادة خديو مصر
لقصد تصويرها في تياترو الأوبيره
بمصر القاهرة
تعريب
العبد الفقير أبي السعود أفندي
محرر جريدة وادي النيل


تذكرة
رخصة من ديوان الدائرة البلدية بمصر عن سنة ٧٨ ثمانية
وسبعين عن حمار ركوب
ليمر بدون مانع على مراكز الداخلية وشوارع المحروسة
وارد العوايد في تاريخ

حضرة مدير الكتاتيب ، غير ان ما تم إلى الآن فى شأنها من انتشار وتقدم وإن كان عظيما بالنسبة للحالة الماضية فإنه قليل بالنسبة لما تحتاج إليه الأمة فإن نسبة المشتغلين بالتعليم إلى من هم فى سنه ولا يشتغلون به هى إثنا عشر في المائة فقط ، وهى حالة غير مرضية يجب السعى على قدر الامكان فى تخفيفها .. والأمل وطيد في ان تتحقق هذه الأمنية تحت رعاية جناب الخديو الأكرم وحسن اجتهاد حكومته ومساعدة رعاياه المخلصين ..

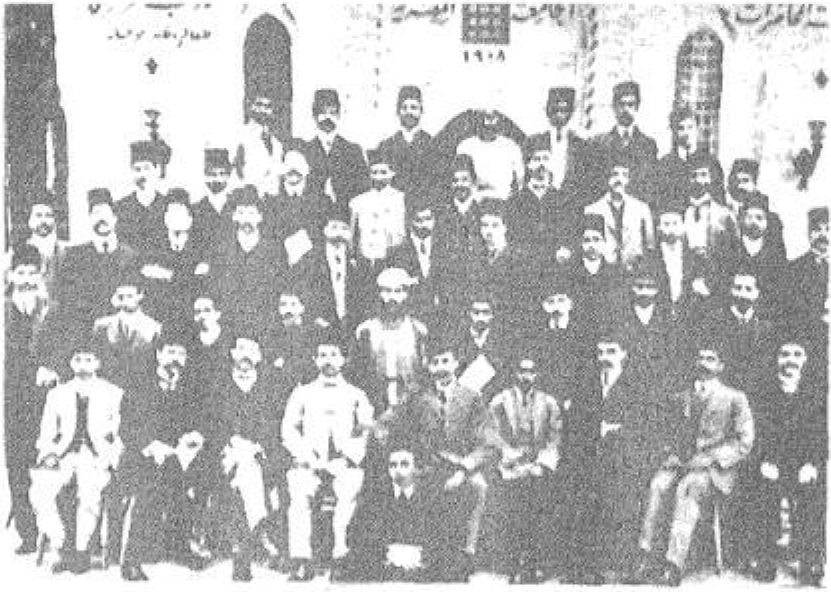
محاربة الكتاتيب

ولقد توهم قوم منا ان انتشار الكتاتيب بيننا مضر بالزراعة ، لأن الولد يأنف ـ بعد خروجه منها ـ العمل فى غيط ابيه ، وعنفوا الحكومة تعنيفا شديدا على مساعدتها لهذا المشروع ، وافرغوا ما عندهم من وسائل القول والعمل في تعطيله .. ومن ذلك إرجافهم .. بان فى إصلاحها عن الحالة الأصلية اخلالا بتعليم القرآن الشريف ..

وإذا صح هذا التوهم فى الماضى عندما كان التعليم نادرا ، والمتعلمون قليلين ، والقدر القليل من المعلومات كافيا لكسب العيش فلا يصح فى الحاضر وقد انتشر التعليم نوعا وكثر المتعلمون ، واصبحت المعلومات الأولية غير كافية لان يتعيش الشخص من استعمالها ..

على ان تضرر الأمة بجهل السواد الاعظم منها اشد بكثير من تضررها بقلة الأيدى العاملة فى الزراعة والصناعة .. ومن حسن الحظ ان اصحاب هذا الرأى يقلون يوما فيوما .. وقد اجتهدت نظارة المعارف بواسطة مفتشيها ومساعديهم والمنشورات التي ترسلها تباعا إليهم فى إزالة ما علق بالأذهان من ذلك الإرجاف وساعدها على ذلك كثرة انتشار الكتاتيب ووقوف كثير من العقلاء على ما تقوم به من التعليم الصحيح للقرآن الشريف على الوجه الشرعى وبث مبادىء الدين القويم فى الأذهان . وإنى ادعو كل من لم يقتنع بهذه الحقيقة لغاية الآن ان يزور ما يختاره من الكتاتيب السائرة على النظام الجديد ، ويقابل بينها وبين كتاتيب العهد القديم فإنه يرى بين النوعين فرقا عظيما ..

وليت الذين ينتقدون على المعارف مشروعاتها وقراراتها يتأنون في الحكم عليها حتى يقفوا على الحقيقة من مصدرها فإن ذلك يكفيهم شر الخطا



● حمل القطار كل هؤلاء المتعلمين من قراهم المصرية البعيدة الى القاهرة ليتعلموا فى الجامعة

● وغدت دواوين القطارات وما يحدث فيها مصدر الهام للشاعر



فى النقد ويضمن لهم الصواب فى الراى ويحمل نظارة المعارف على أن تسمع اقوالهم وتتبع احسنها وتصل بمجموع ذلك إلى تحقيق مقاصد الجناب العالي - حفظه الله - من تعميم التربية وتهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، ادام الله لنا علاه ، وحقق لنا برعايته ما نتمناه » ..

× × ×

القطار .. فى الأدب العربي الحديث

هز القطار مشاعر العديد من الادباء المصريين المعاصرين ، فكان ميدانا خصبا لاحداث روايات ، ومسرحيات ، وقصائد ابدعها الادباء . ومن ابرز ما جاء فى هذا المضمار ما ردده عامل التذاكر فى مسرحية « مسافر ليل » لصلاح عبد الصبور وهو يتحدث إلى الراكب قائلا :

أولا تدرك من ثوبى ما اطلب
اطلب تذكرتك
هذا عملى .. عمل مرهق
ينزعنى من فرشى فى بطن الليل
يحرمنى من نومى .. اشهى خبز فى مائدة الله
أحيانا لا تحوى القاطرة سوى حفنة ركاب
ينتشرون كأجولة ملقاة فى مخزن قطن مهجور
بل أحيانا لا تحوى الا رجلا أو رجلين
تبدو مظلمة باردة خافتة الانفاس
كبطن الحوت الميت ..
اعرف ذلك حين تقعقع فوق رصيف البلدة
انوار مطفأة ، وزجاج لا تلمع خلف غشاوته رأس
لكن اتفقد كل العربات
هذا واجب !
أتحسس جلد مقاعدها وأحدق فى الظلمة .
احيانا اقلب ظهر المقعد
بل اني احيانا أتعنى كى انظر ما تحت المقعد
بل اني احيانا أستخرج مطواتي ، واشق المقعد
ماذا ؟ لا اغفر ان يركب أحد دون تذاكر
ماذا ؟ هل هدأت نفسك !
تذكرتك



● الشيخ محمد عبده



● اسماعيل اباظة

فمن هذه الخطبة نرى أن من المصريين من كانوا يعارضون التوسع فى إنشاء المدارس الأولية بحجة أن التلاميذ إذا خرجوا منها انفوا من العمل فى الحقول فتصاب الزراعة بضرر كبير .. ومن الخير فى رايهم ان تظل الأمية متفشية فى البلاد ..

ومنهم من كان يرى أن إنشاء هذه الكتاتيب لا يغنى عن انشاء جامعة وشبه الكتاتيب بالمصابيح ذات الضوء المحدود ، والجامعة بالكوكب الذى يغمر ضوءه البلاد . قال حافظ ابراهيم :

فانشئوا الف كتاب وقد علموا ان المصابيح لا تغنى عن الشهب

× × ×

وبعد ظهور القطار اقبل عدد كبير من الرهبان الجزويت والفرير ورجال الطائفة الإنجيلية وفتحوا المدارس للبنين والبنات فى كثير من مدن القطر ..

وكان للطائفة الإنجيلية ١٣٣ مدرسة للصبيان ، و ٣٥ مدرسة للبنات وعدد تلامذتها ١١٠١٤ منهم ٢٢٨٠ من المسلمين ..

وكان لليونان مدارس للبنين والبنات فى العاصمة وفى الاسكندرية .. كما كان للأرمن مثل ذلك

وقد احدث وجود المدارس الأجنبية واقبال المصريين عليها رد فعل عند المسلمين وعند الاقباط الأرثوذكس .. فنشأت الجمعيات الخيرية الاسلامية والقبطية وفتحت المدارس للبنين والبنات .. وانشأت الطائفة اليهودية مدارس خاصة لابنائها ..

سوانح وطرائف في القديم والجديد

صناجة الأثير شاعر مصر الرسمي

بقلم: كمال النجمي

● صدر أخيرا ديوان الشاعر الجهير على الجارم - رحمه الله - فمرحبا بهذا الديوان الجزل وإن لم تستقبله أقلام الأدباء في الصحف بما يستحق من عناية، أو بما دون الطفيف من العناية، مع أن أدباء الصحف في الزمن الأخير يكثرون الكلام فيما يستحق وما لايستحق من إنتاج الأدباء والشعراء، صغارا كبارا .. وكبارا صغارا .. وكل من ادعى دعوى في الشعر والنثر!.

ماذا يمكن أن يقال عن الشاعر الجارم الآن بعد ثمان وثلاثين سنة من رحيله عن الدنيا ؟! .. ●

كان الجارم صاحب صوت جهوري رنان، وإلقاء مرنم للشعر الموزون المقفى، فكان أمير الشعراء أحمد شوقي ينتدبه أحيانا لإلقاء قصائده في المحافل التي كان الشعر مادة أساسية فيها قبل خمسين عاما ..

وبعد رحيل شوقي، دارت الأيام حتى صار صاحب الصوت الرنان، هو شاعر مصر الرسمي في محافل القاهرة والعواصم العربية .. فملأ الدنيا وشغل الناس! .. لكن اسم الجارم مر في ذكراه هذا العام، كما مر اسم ديوانه الذي صدر



على الجارم

-ون أن يومىء إليه إلا الأقلون بالتحية والسلام ، فإن عارفى الجارم وذاكريه قد ذهبوا إلا أفرادا هنا وهناك ، وامتلأت الساحة بالشعراء والنقاد والقراء الذين لايعرف أكثرهم إلا أسماء بعض زملائهم فى الشعر والنقد والقراءة .. فإذا اضطر أحدهم اضطرارا إلى شىء من الاهتمام بشعراء الجيل الماضى ، فليس يعدو اهتمامه الفاتر أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ، وربما تطرق إلى اسماعيل صبرى باشا ومحمود سامى البارودى ، وقد يسمع كلمات متناثرة عن أحمد محرم وخليل مطران وقد يتخيل ثم يخال شيئا عن هذا الشاعر أو ذاك ! ..

أما الشعراء الفحول الآخرون من ذلك الجيل الرائع ، فإنهم منسيون بل مجهولون .. لاتعرفهم أجهزة الاعلام ، وإن كانت تقيم لذكرى فريد الأطرش أسبوعا كاملا من الاحتفالات كل عام ! ..

ولارغبة للجيل الجديد فى التعرف إليهم ، فقد انقطع التواصل الوجدانى والفكرى والفنى بين شعراء العربية ، إلا عند أفراد متفرقين ، وقليل من الطلبة الباحثين تضطرهم الرسائل الجامعية ، إلى السؤال عن بعض شعراء ذلك الجيل ، ويرون فى ذلك عملا مرهقا وواجبا ثقيلا .. إلا مَنْ خَفَّ على قلبه وروحه طلبُ العلم .. وأين الآن مثل هذا بين أولئك الأبناء ؟! ..

وعلى الجارم لم ينقطع عن قول الشعر طوال خمسين عاما ، لكنه لم « ينبغ » فيه إلا فى السنوات العشر الأخيرة من حياته ! .. ويضم ديوانه الجديد القديم شعره كله تقريبا ، إلا أن أخصب هذا الشعر مانظمه فى السنوات العشر الأخيرة من عمره ، من أواخر الثلاثينيات إلى أواخر الأربعينيات ..

كان الجارم فى شبابه وإلى مشارف كهولته ، يرسل الشعر مدائح أو مراثى فى

صناجة الأثير شاعر منبر الرسمي

الملوك والأمراء والكبراء .. أو مقطعات في النسيب والمناسبات ، وقد جمع من قصائده في مرحلته هذه التي استغرقت معظم حياته التي لم تكن طويلة ، ديوانا طبعته وزارة المعارف المصرية قبل أربعين عاما - وكان كبيرا لمفتشي اللغة العربية في مدارسها - وقويل هذا الديوان في وقته بحفاوة مدرسي اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية ودار العلوم ، كما قوبل من الشعراء بالمجاملة أو الترحاب .. إلا أنه لم يترك أثرا ! ..

● براعة نادرة

وفي العشرينيات كان الجارم ابرع من يلقي الشعر في المحافل الحفيلة التي تضم الألوف من المستمعين بلا « ميكروفون » فتغمر أسماعهم نبرات صوته الجهوري الرنان ، وتقطيعه للأوزان الشعرية تقطيعا مطربا ينقل عدوى الطرب إلى المستمعين ولو لم يكونوا من جمهور الشعر ! .. فكان لهذه الميزة النادرة مقربا إلى شوقي امير الشعراء ، ينتدبه أحيانا لالقاء قصائده في المحافل ، إذ كان شوقي على جلالة قدره في الشعر ، ضعيف الصوت ، مبهم النطق ، فاتر الأداء ! ..

وكان شوقي يتعمد انتداب الجارم - دون سواه - لالقاء الشوقيات في المحافل التي يشارك فيها حافظ ابراهيم شاعر النيل المشهور بروعة الالقاء - على تواضع شعره - فقد كان حافظ يختلب اسماع الجماهير بطريقته البالغة القوة في إلقاء شعره وإن كان شعره ضعيفا .. حتى لينصرف كثير من الناس بعد الحفل وهم يفضلون شعر حافظ - لجودة إلقائه - على شعر شوقي ، إذا كان من القاه اضعف موهبة في الالقاء من حافظ ! ..

كان الجارم ندا لحافظ في الالقاء وإن لم يكن ندا له في الشهرة أيامئذ .. ولم يكن ليعرفه احد لولا أن غنت ام كلثوم في أواخر العشرينيات قصيدته التي مطلعها :

مالي فُتِنْتُ بلحظِكِ الفتَّاكِ
وسَلوتُ كُلَّ مليحةٍ إلَّاكِ

فاشار إليه الكثيرون عندئذ بالبنان ، فإن هذه القصيدة لم تكن اقل شأنا من شعر الغزل الذي غنته أم كلثوم في بداية أمرها من تلحين الدكتور صبري النجريدي الملحن الطبيب ، صديق علي الجارم ! ..

وقد لبث الجارم زمنا يفخر بأنه ألحق الهزيمة بحافظ ابراهيم في معارك كثيرة للالقاء .. ولما توفي سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٧ كان الجارم أول من فكر فيه شوقي لالقاء قصيدته الرائعة في رثاء سعد ومطلعها :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها
وانحنى الشرق عليها فبكاها

وقد ذهب من ذاكرتي الآن - وأنا استملي الذاكرة وحدها - خبر هذا الحفل الذي أقيم في سرادق ضخم لرثاء سعد .. ولم أجد من الوقت متسعا للبحث عمن ألقى قصيدة شوقي الرائعة التي واجهها حافظ إبراهيم بقصيدته التي مطلعها :

إيه ياليل هل شهدت المصابا
كيف ينصب في النفوس انصبابا



● محمود حسن اسماعيل



● بشارة الخوري

وهذه القصيدة ليست من أحاسن شعر حافظ ، وله أحسن منها فى رثاء باشوات وبكوات عاديين لايرتقى احدهم إلى عتبات سعد زغلول .. وقد سقط حافظ فى قصيدته هذه سقطة تدل على طفولته السياسية التى صحبته طول حياته وجعلته شديد الاكبار للانجليز .. إذ امتدح جريدة « التيمس » لأنها كتبت كلمة عن وفاة سعد ، فاعتبرها حافظ شهادة من الجريدة البريطانية المهيبة لسعد زغلول بالمجد والعظمة ! ..

والقى الكاتب الكبير عباس محمود العقاد قصيدة مسهبة فى الحفل كان اولها :

أمَضتْ بعْدَ الرئيسِ الاربعونْ
عجباً .. كيف إذنْ تمضى السنونْ ؟!

فكانت هذه القصيدة من أقرب شعره كله إلى أسلوب الشعر العربى وطريقة الشعراء ذوى الديباجة وخلت تقريبا من الصياغات النثرية والمعاظلات الفكرية التى قلما يخلو منها شعر العقاد ، ولهذا أعجبت هذه القصيدة من سمعوها ، ونسخت عندهم قصيدة حافظ ، برغم فخامة إلقاء حافظ وضعف إلقاء العقاد .. فكان العقاد فى سرادق سعد خيرا من حافظ ! ..

ولقد تغيظ حافظ لذلك ، فذهب إلى صديق له فى إحدى الصحف يستعديه على العقاد ، فكتب الرجل مقالا ضد العقاد يتساءل فيه ساخرا : « من هذا الغراب الذى قام يتعق بين بلبلين ؟! » .. يقصد بالبلبلين شوقى وحافظا ، وبالغراب العقاد ! ..

ويعلم الله أن حافظا لم يكن بلبلا فى قصيدته تلك الطويلة فى غير طائل ، ولم يكن العقاد غرابا ، بل كان فى حالة من حالات سجع الطيور ! ..

● شاعر الحكومة

سرعان ماتقضّت الأيام ! .. مات حافظ وشوقى ، وخلا ميدان الشعر فى مصر من رنين شعرهما الذى تتجاوب به دنيا العرب ، وارتفعت للشعر رايات فى الشام والعراق ، ولم يبق من شعراء مصر فى ذلك العصر من هو أشهر من الجارم ..

صناجة الأثير
شاعر مصر الرسمي

نعم .. كان في مصر أحمد محرم من المخضرمين الفحول .. ثم علي محمود طه من الرومانسيين المطبوعين المتصرفين في فنون الشعر .. وأخرون تفرقوا بين الكلاسيكية الحديثة والرومانسية على طريقة القرن التاسع عشر في أوربا .. يكلهم - على قلتهم - مجيد بارع .. ولكن الجارم كان « شاعر الحكومة » - إن صح التعبير - أو « شاعر وزارة المعارف » بتعبير أصح .. وكانت صفته الرسمية هذه تجعل صوته أعلى من أصوات جميع الشعراء ، وفيهم أصحاب منزلة رسمية وجاه عريض كالشيخ عبدالله عفيفي شاعر الملك فؤاد ، ثم شاعر الملك فاروق ، و « المحرر العربي في ديوان جلالة الملك » !

وارتفع شأن الجارم واتسعت شهرته منذ أنشئت الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية سنة ١٩٣٤ فقد كثر إلقاؤه لأشعاره في ميكروفون الاذاعة ، وكانت الاذاعة في أول أمرها قبل خمسين عاما عجبا من العجب ، وفتنة للأسماع ، فعرف اسمه مئات الألوف من المستمعين ، وصار عندهم صناجة أمواج الأثير غير مدافع ! ..

أما عبدالله عفيفي - على منزلته الملوكية - فلم يكن له إلا قصيدة أو قصيدتان كل عام تنشران في جريدة البلاغ ، وربما في الأهرام أيضا أو في غيرها من الصحف اليومية .. وما أقل عدد القراء الذين يصبرون على قراءة قصائد المديح الطوال ولو كانت محلاة بعلامات التشكيل ، منمقة محفوفة بإطار يميزها ويلفت إليها الأنظار ..

قفز اسم الجارم بفضل الاذاعة إلى مقدمة أسماء الشعراء ، وقد كان للاذاعة أثر كبير في تقديم بعض شعراء الثلاثينيات والأربعينيات إلى الجمهور ، وكان أعلاهم صوتا بعد الجارم ، الشاعر الشاب - حينذاك - محمود حسن اسماعيل الذي كانت بداية شهرته الحقيقية من ميكروفون الاذاعة لا من ديوانه الأول « أغاني الكوخ » الذي اعتاد بعضهم أن يغالي بأهميته وينسب إليه شهرة هذا الشاعر .. وكان الجارم ومحمود حسن اسماعيل على طرفي نقيض في المذهب الشعري ، ولكنهما كانا زميلين على أمواج الأثير ..

● بحتري الكنانة

اختلف شعر الجارم في الاذاعة عن شعره في ديوانه القديم .. ترك الجرى على رسوم الأولين في اختيار الألفاظ الوعرة ، وكف عن تعاطي الغريب البدوي والشاذ والوحشي ولم يعد يقف بقارعة الطريق للأعراب الأقحاح يسألهم ويطلب لغاتهم وقوافيهم ! ..

وخلال بضعة عشر عاما عاشها الجارم على أمواج الأثير ، بنى لنفسه منزلة عالية حتى عده الكثيرون « شاعر مصر » .. وصار بعض فضلاء العراقيين والشاميين يلقبونه « بحتري الكنانة » تشبيها له بالبحتري الشاعر العظيم المشهور ..

والحقيقة أن الجارم بعد أن كان في أولياته يلوذ بأمثال رؤبة والعجاج والفرزدق وتأبط شرا في طلب الشعر الوعر لفظا وديباجة ، صار في أخرياته يأنس إلى



ام كلثوم

أمثال البحترى فى جريانه بالشعر فى غير تكلف ولانحت فى الصخور ! ..

ولم تتوثق صلتى بشعر الجارم إلا فى أواسط الأربعينيات حين اقتصر نشره على جريدة الأهرام فى عهد رئيس تحريرها الأديب الكبير أنطون الجميل باشا ، فى نفس الموضع الذى كانت الأهرام تنشر فيه شعر شوقى فوق صدرها فيما سلف من الأيام ، فكنت أعجب لهذا الشاعر الذى نبغ فى كهولته كأنه النابغة الذبيانى ، وتغيرت ديباجته الوعرة البدوية ، إلى ديباجة عباسية خسروانية ! ..

ولم ألتق به - رحمه الله - إلا قبل رحيله عن الدنيا بعامين أو أكثر قليلا .. زرته فى بيته مرة واحدة سنة ١٩٤٧ ، وكان بيته - إذا صدقتنى الذاكرة - فى جزيرة الروضة وهى يومئذ حقول وحدائق وباحات خالية ، وأراض مقسمة للبناء بدون مبان ، وبيوت متناثرة تعد على الأصابع ، وكان عائدا لتوه من لبنان وقد ألقى قصيدة فى حفل رسمى هناك ، يقول فى بدايتها متغزلا :

ألقيت للغيد الملاح سلاحى
ورجعت أغسل بالدموع جراحى
ولمحت ريحان الصبا فرأيته
ذبلت نضارته على الأقداح
كان الشباب طماح لاعجة الهوى
فاليوم يرفع ساعديه طماحى
قد كان للذات أسرع ناصح
فغدا على الشبهات أول لاحى

تحدثنا عن هذه القصيدة التى جرى فى غزلها على طريقة القدماء ، ثم جرى على طريقة شوقى فى التغزل بجمال لبنان وامتداح فضائل أهله فى طلب العيش والثراء فى مهاجرهم البعيدة ، كما نظر إلى بعض المعانى التى جاءت فى قصائد حافظ عن لبنان واللبنانيين ..

وقال لى الجارم - ولم يكن قليل الاعتداد بنفسه - إنه يبذل غاية جهده فى قصائده التى يلقيها فى لبنان أو سوريا أو فلسطين أو العراق ، لأن أبناء هذه الأقطار الشقيقة اعتادوا سماع شعر شوقى فى جزالته وعذوبته وعلو طبقته ، ولم ينس اللبنانيون رائعة شوقى التى مطلعها :

السحر من سود العيون لقيتُهُ
والبابليُّ بلحظهن سُقيتُهُ

ومنها قوله البديع الذى سار كالأمثال لأنه أوجز فيه وجمع أوصافا كثيرة فى كلمات يسيرة :

لبنانُ والخلدُ اختراعُ الله لم
يُوسَمْ بأزينَ منهما ملكوتُهُ

صناجة الأثير..
شاعر مصر الرسمى

تفتقت شاعرية الجارم كالزهرة فى شوطها الأخير، وقويت روحه المعنوية بذيوع اسمه واحتفال كبريات الصحف بنشر شعره، ومضى ينسج على منوال يراه قريبا من منوال شوقى على فرق مابينهما بطبيعة الحال، وصار يسمى قصائده «الجارميات» كما كانت قصائد شوقى تسمى «الشوقيات»! ..

كان الجارم يغار - وهذا طبيعى - ممن يعتبرهم منافسيه ولو كانوا من غير مصر، وأذكر أنه حدثنى عن الشاعر اللبنانى الكبير بشارة عبدالله الخورى المسمى «الأخطل الصغير» فقال - وأنا أنقل هنا كلماته بتصرف مما سبق لى نشره قبل ثلاثين عاما من هذا الحديث :

- لقد أبدى بشارة الخورى إعجابا شديدا بالقصيدة.. وبخاصة هذا البيت ..

ثم صمت وسألنى :

- أفتدرى ماهو؟! .. هذه نسخة القصيدة فاستخرج منها البيت الذى تظن أنه نال إعجاب الخورى ..

قلت له :

- هل تؤمن بتذوق القصائد بيتا بيتا ؟! ..

- نعم .. خير الشعر ما استقل كل بيت فيه بمعناه، وهذه ميزة للشعر العربى يظنها أعداؤه مغمزا فيه ..

- زميلك العقاد فى المجمع اللغوى يقول غير ذلك ! ..

ضحك الجارم وقال :

- مازال العقاد منذ عرفناه كاتبا كبيرا ..

نظرت فى القصيدة أبحث عن البيت الذى نال إعجاب بشارة الخورى ثم قلت :

- أظنه هذا البيت :

ولمحت ريحان الصبا فرأيته
ذبلت نضارته على الأقداح

فهو بيت جيدُ النسج، جديد المعنى فى جمعه بين ذبول الصبا وذبول الريحان على أقداح الشراب فى مجلس الأنس والطرب المفتعل فى أيام الشيخوخة .. ويكاد هذا البيت يكون اختراعا .. و .. و .. و ..

ضحك الجارم فى سعادة وقال :

- إنك وصاحبنا الخورى تصدران عن ذوق واحد، على بعد مابينكما من فارق السن والفوارق الأخرى ..

بعد شهور من هذا اللقاء قرأت فى صدر الأهرام قصيدة لبشارة الخورى يمدح بها شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية حينذاك بادئا بالغزل كالقدماء ولكن فى غير لغتهم :

فتَنُ الجمالِ وثورةُ الأقداح
صَبَغَتْ أساطيرَ الهوىَ بجراحى

وكانت قصيدة بارعة من بحر وقافية قصيدة الجارم التى تكلمنا عنها، كأنما كان الأخطل الصغير يقول للجارم : ها أنذا ألقاك فى بحر «الكامل» وعلى قافية «الحاء» .. فإن كنت أنت البحترى - كما يقول أصحابك - فأنا أبو نواس كما قال أحمد شوقى عن نفسه قديما فى إحدى مساجلاته لصديقه اسماعيل صبرى باشا حين مدحا معا الخديو عباس حلمى من بحر واحد وقافية واحدة، فقال شوقى يشير إلي ذلك :

وتعارضت فيك القوافي وانبرى
لأبي نواس البحترىّ المُفلقُ

جعل شوقي نفسه البحتري . وجعل صديقه أبا نواس ! ..

● أخر المطاف

قابلت الجارم عرضا بعد نشر قصيدة الأخطل الصغير فكان مما قاله تعليقا على القصيدة :

ـ بشارة الخوري قصير النفس لايتجاوز الأربعين بيتا أو الخمسين ، واكثر شعره مقطعات ! ..

قلت في حدة الشباب وقلة تجربته :

ـ وماذا ترون في المتنبي ؟! .. إنه وهوشيخ الشعراء لم يزد في أجود قصائده على هذا القدر من الأبيات .. وكان ابن الرومي حين يطيل قصائده يقع في التعبير النثري مما كاد يسقطه عند معاصريه ..

ولولا جهل الشباب وقلة تجربته لكنت خليقا أن أساير في الرأي شيخا كبيرا مشهورا قد بلغ في أيامه منزلة شاعر مصر الرسمي الذى تنتدبه الحكومة إلى محافل البلاد العربية فيهز الأسماع بشعره ويذكرهم بشوقي ويحيى عندهم امل الوحدة العربية كما كانوا يتصورونها في تلك الأيام ! ..

إن احدا من شعراء مصر لم يتح له ان يمثل مصر رسميا كما اتيح للجارم الذى انتزع قصب السبق في جميع المحافل العربية بشهادة اصحابها .. وليقل من شاء ماشاء في شعر الجارم ، فحسبه شعره الوطني والعروبي في اخريات ايامه .. وكان ذلك خاتمة شعره ..

وفى آخر مطاف الجارم بالدنيا كان ـ رحمه الله ـ يستشف ماوراءها بخيال الشاعر ، فيطالع قراء شعره بنظراته الشعرية القريبة من نظرات المتصوفة في أشعارهم ، وكانت قصيدته في رثاء صديقه انطون الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام في أوائل سنة ١٩٤٨ حافلة بهذه النظرات التصوفية ، مع أنه لم يكن متصوفا ، وكأنه كان ينعى نفسه في هذه القصيدة فقد مات سنة ١٩٤٩ .

لعل الجارم في نظراته التصوفية العابرة كان يتشبه بالمتنبي الذى كانت تقع له في تأملاته تعبيرات عجيبة كأنها من كلام الصوفية وهو والصوفية لايلتقيان حتى قال الصاحب الوزير ابن عباد الناقد البصير بالكلام : لو وقعت أقوال المتنبي هذه في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعتها الصوفية دهرا بعيدا ..

كان الجارم كأنما يرى الدنيا توشك أن تنطوى تحت قدميه مؤذنة بالزوال ، مع أنه لم يكن قد طعن في السن إلا انه كان مريضا .. وماأسرع ماانطوت دنياه في منظر يبعث الأسى ! ..

كان قد نظم قصيدة ـ هي آخر قصائده ـ في رثاء صديقه محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزراء .. وجلس في حفل التأبين وقد عاقه المرض عن إلقاء قصيدته فقام نجله يلقيها نيابة عنه ..

ولفظ الشاعر انفاسه جالسا ونجله يلقى قصيدته في حفلة تأبين رئيس الوزراء الذى اغتاله المتطرفون الدينيون ! ..

● نظرة نقدية عادلة

وبعد فقد كان الجارم كغيره من شعراء

صناجة الأثير شاعر مصر الرسمى

جيله ضحية فورة أو انتفاضة فى الشعر العربى المعاصر ، فلم يكد يفارق الدنيا حتى نجمت الدعوة النظرية إلى شعر التفعيلة ، بوصفه شعر التقدم الذى لابد لقيامه من هدم شعر الأوزان والقوافى .. وكان فى هذه الدعوة الكثير من الأوهام ، وذهب أصحابها بعيدا فى تجاهل واقع أمتهم وتاريخها ووجدانها وذوقها ، وثرثر بعضهم فى حق الشعر العربى ثرثرة غثة كأنه يردد كلام المبشرين الاستعماريين أو الصهيونيين ..

ولامجال هنا لغير هذه الاشارة الخاطفة التى أردنا بها أن نستكمل كلمتنا هذه عن الجارم الذى لم يكن وحده ضحية السذاجة الطفولية فى النقد خلال الخمسينيات والدعوة الشعراء إلى هدم الشعر العربى الموزون المقفى ، ومنع نظمه ، ومحاربة نشره كأنه رجس من عمل شياطين الرجعية ! ..

لقد انطلق الدعاة الجدد وقد ثملوا بدعوتهم الطفولية هذه ، فأطبقوا على أعناق جميع شعراء العربية فى جميع العصور ، وبخاصة شعراء عصرنا ، من شوقى إلى حافظ إلى الجارم .. إلى الآخرين جميعا ، وقذفوا بهم فى ربطة واحدة إلى الجحيم ، وهم يتصايحون بتوجيهات نظرية متسرعة أثبت الزمان خواءها ، مع أن بعض أصحابها كانت تدفعهم النيات الحسنة إلى ماعملوا ، فكانوا أشبه بجماعة المتهوسين الذين قفزوا بعد ثورة أكتوبر الروسية سنة ١٩١٧ يخلعون السكك الحديدية التى بنيت فى عهد القيصر ، لكى يبنوا بدلا منها سكك حديد اشتراكية ! .. فكانوا جديرين بلقب « سكان الكهوف » الذى أطلقه عليهم زملاؤهم الذين يعرفون تماما أن سكك حديد القيصر تستطيع أن تخدم الاشتراكيين كما خدمت القيصريين ! ..

وقد خدمت الأوزان والقوافى عصورا متعاقبة ، وأفكارا متنوعة رجعية وثورية وفوضوية ودينية ولادينية .. ولم يكتشف الطابع الرجعى للقوافى والأوزان إلا سكان كهوف النقد فى بلادنا ! ..

إن الحق ليقتضى « تقييم » شعراء مرحلة الجارم بعد أن أعادت الحياة فى مصر والعالم كله تقييم كل شىء فى الأدب والعلم والسياسة والاقتصاد ، وتخطت حقائق الحياة كثيرا من التوجيهات النظرية ، والأوهام الفكرية ، وشطحات سكان الكهوف ! ..

ورحم الله صناجة الأثير ، بحترى الكنانة ، الذى كان شاعر المحافل العربية الرسمية فى عصر التطلع العربى الساذج إلى الأحلام الذهبية فى الحرية والاستقلال وتضامن الأشقاء العرب فى سبيل الوحدة العربية ..

وتحية لديوانه الجديد القديم الذى نرجو أن يتاح لنا العود إليه ذات يوم بالتفصيل ! ..

بيت على شامة

شعر : محمد محمد السنباطي



في صفحة خدك يا وطني لي شامة
قطعة أرض أخضر من كف
يرمقها النيل بعين ساجدة ومسلمة
يعلوها بيت من طابق
كالعاشق رتب هندامه
أصغر من بيت الشعر
وأجمل من بيت الشعر
وفي حجم يمامة
سبل القمح تميس به
والأشجار [illegible]
الشامخة [illegible]
تنحني قدامه
منذ [illegible]
منحنية ترمق [illegible] الى الغيطان
الأخضر في كل مكان
والأشجار في الليل وفي الأفق الصافي
والبقرة مازالت تجتر طعام الأمس
يهتز الرأس كطفل يتذكر شيئا فجأة
والبوابة
مازالت أحلى المخلوقات بعين الشاعر
تحمل بيتها وتسافر
في رأسي
ما أجمل هذا الحجر الساحر

جولـة المعـارض

بقلم: محمود بقشيش

مفاجأتـان.. فى القاهـرة

من بين المعارض الفردية التى اقيمت بالقاهرة استوقفنى ـ كما استوقف عشاق الفن التشكيلى ـ معرضان اجنبيان . أحدهما للفنان النمساوى [جيرهارد جترف] والآخر للفنان المجرى [مارتون باراباش] . وشكرت سراً من تسبب فى استقدام هذين الفنانين ، وهاأنذا اعاود الشكر علناً ، راجياً الاستزادة من الاحتكاك الثقافى بين الفنانين المصريين ونظرائهم فى الخارج . ولقد اشترك المعرضان فى إثارة مانحن فى أشد الحاجة إليه .. ليس فى مجال الفن وحده بل فى كل جوانب حياتنا ـ اعنى [الاتقان والبراعة] . وكنت اتوقع من المركز القومى أن يستكمل خدمته الثقافية بإضافة دراسة مضيئة عن كل من الفنانين بدلا من الاكتفاء بتقديم بيانات سريعة . لهذا يجد الباحث صعوبة .. خاصة من تعدى منهجه حدود تفسير حرفية الفنان وموقعها من القواعد . ولست اعرف على وجه اليقين ـ موقع كل منهما فى خارطة سياقه الثقافى ، وموطنه .. فلم يظهر اسمهما فى أى من القواميس العالمية . وقد علمت ـ بالمصادفة البحتة ـ من سيدة مجرية دارسة للفن وتاريخه أن « مارتون باراباش » قليل الشهرة فى المجر . إذن ليس امامنا غير اللوحات نغوص فيها ونستخلص منها ما نقدر على استخلاصه !

جيرهارد جترف واستلهام التراث الكلاسيكى

● ولد فى النمسا عام ١٩٤٤ .

● تخرج فى أكاديمية « فيينا » للفنون الجميلة واستكمل فى « روما » دراسته فى « التصوير والتصميم » .

● عُيّن رئيسا لقسم الرسم بالاكاديمية الصيفية الدولية فى سالزبورج .

● حصل على العديد من الجوائز الأولى منها : جائزة فيينا «للفنون فى ثلاث

سنوات متلاحقة : ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ كما حصل على جائزة اتحاد الفنانين عام ١٩٦٨ .

● اقام ، واشترك في العديد من المعارض النوعية منها : معرض اقيم بالمعهد النمساوي بروما عام ١٩٧١ .. يدور حول موضوع واحد هو [رسم الآلات]

وأقام معرضا في « فيينا » عام ١٩٧٥ في [الجواهر والصور المعدنية] ، ومعرضا في الحرف اليدوية عام ١٩٨١ ، كما أقام معرضا عام ١٩٨٧ تحت عنوان [منّوعات صغيرة لكبار الفنانين] .

أقيم معرضه بقاعة إخناتون رقم [١] بمجمع الفنون بالزمالك ، ضم منتخبات من مراحل مختلفة .. تكشف في مجملها عن فنان يحرص على البحث المنهجي الرصين . ويتجه ببحثه - تارة - الى إنجازات كبار الفنانين .. يتناولها بالتحليل والنقد أو الاستنساخ الذى لايخلو من إضافة ، ويتجه - تارة أخرى - إلى الحياة الاجتماعية .. فيختار منها مايدل على انتمائه الى عصر الصناعة والعلم ؛ وهو في استلهامه تراث فن التصوير الغربي ، واستلهامه الحياة الاجتماعية المعاصرة يتسلح بوعى ناضج بانجازات فن التصوير ؛ قديمه وحديثه ، وببراعة في الرسم والتلوين ، وتمكن من أدوات ووسائل التعبير المختلفة .

ولقد ساعدت الطريقة التى أخرج بها المعرض على التعرف على عالمه .. نتواجه في الداخل من القاعة مستنسخة للوحة الشهيرة المسماة (فى المرسم) للفنان العالمى « فيرمير » .. وما تكاد تقترب منها حتى تكتشف الاضافة التى اضافها ، والايحاء الذى اراد إيصاله لنا .. ففي موضع اللوحة المحمولة (داخل اللوحة المستنسخة) وضع لوحة تكعيبية ، الاسلوب ، وتتناقض - اسلوبيا - مع بقية عناصر اللوحة ، وإن حافظ على نفس الدرجات الضوئية واللونية للوحة الأصلية .. وربما أراد أن يذكرنا بهذا التباين بمبدأ : المسرح داخل المسرح .. كما في مسرحية « هملت » - على سبيل المثال - لتأكيد واقعية المرسم الاضاءة واختلافها الحتمى عن واقعية الفن . ومن الأرجح أن اختياره عرْض هذه اللوحة بالذات كان للاعلان عن أن « الجديد » ، و « المختلف » .. الذى رسمه .. ليس مقطوع الصلة بانجازات المبدعين في الماضى . يتجه اسلوبه الى « التوفيق » بين شتات من العناصر ، بين التكعيبية التركيبية - المبسّطة » و « المفردات اللونية الكلاسيكية » .. المطعّمة بلمسات صريحة لاتخلو من الحذر .. لهذا يتسم عالمه بالاعتدال ، والوقار ، والتأمل الهادىء .. وحتى لاتسقط رسومه وتصميماته الأنيقة في برودة الحياد « الكلاسيكى » .

كان يستنجد - أحيانا - بطوق التحريف الكاريكاتيرى .. خاصة في الدراسات التى أجراها على لوحةُ "فيلاسكيز" المسماة (فى المرسم) . لقد كانت مستنسخة "فيرمير" (المعدّلة) مفتاحاً للمصالحة بين القديم والحديث ، فأدخل

جولة المعارض

اليها فى حذر الأصفر الصريح ، والأزرق الصريح ، وبعض التحليل التكعيبى .. لكن فى أضيق الحدود . وعندما انصرف الى لوحاته "المؤلفة" تعقبته الآثار الكلاسيكية : نلمحها فى المساحات الهندسية الأنيقة ، والمتقنة ، والخالية من مناوشة الفرشاة : نراها فى الرسوم الخطية المؤطرة لشكل ما .. وإن "حاول" الاجتراء فى تصميماته ، التى لم تخرج ـ فى جوهرها ـ عن اسس التصميم فى عصر النهضة .

اختار "المنضدة" مفردة أساسية فى عالم المعرض ، ومن ثم كان عليه أن يركّب عليها وبها علاقات بنائية من موضوع "الطبيعة الصامتة" . واستفاد من ظاهرة الحاح كثير من الفنانين المعاصرين على موضوع أو فكرة محددة ، لا يهدءون قبل أن يكونوا قد استخلصوا منها اقصى إمكاناتها التعبيرية والجمالية .. لهذا يقوم "جيرهارد جترف" بدراسات متنوعة بالرصاص ، والحبر الصينى ، والالوان المائية على موضوع "المائدة" او "حمامة السلام" قبل أن يستقر على تنفيذها بالألوان الزيتية .. وقد اجرى بعض الدراسات التحليلية والنقدية على لوحة "فيلا سكيز" ـ المشار اليها من قبل ـ وهنا ظهرت بعض الحرارة ، والطرافة فى تحريف شخوص اللوحة ، كما تأكدت براعته فى التلوين بالألوان المائية ، والتحليل التكعيبى ، وان افتقد تحليل اللوحة الى الطابع الانتقادى اللاذع ، والحرية او (الشقاوة !) التى ميزت تحليل "بيكاسو" لهذه اللوحة وغيرها من لوحات "فيلا سكيز" .

اما لوحاته فى المنظر الطبيعى فقد اتسمت بدرجة عالية من الاختزال ، ودقة التحليل ، واحترام مسطح الورق الابيض .. الذى لم يعد مجرد مسطح صامت ، بل درجة ساطعة من الضوء .. تنتشر وتتخلل درجات اللون المتراكبة ، والمتجاورة . لمساته محكمة .. تنبذ ثرثرة "التعبيريين" .. لهذا تقف بعض لوحاته فى المنظر الطبيعى على مشارف التجريدية .

من لوحاته ذات الرمز متعدد الظلال .. لوحة بعنوان (حمامة السلام) . وهو يواجهنا منذ البداية بانقلاب الحمامة . المسالمة .. الى طائرة منقضة على هدف ما . محتلة بؤرة اللوحة ، ومتسيدة بجناحيها مجمل فراغاتها .. غير أنه لا يتركنا جامدين عند مفارقة (الحمامة ـ قاذفة القنابل) .. فما نكاد نقبل على تأملها حتى نكتشف اننا امام طائرة ورقية . مزخرفة ... جميلة !... وربما اراد لنا الفنان ألا ننسى اننا امام لوحة لا واقع ، وان اللوحة ـ من وجهة نظره ـ يجب أن تتحلى "بالوقار" الكلاسيكى ، وبعض "المناوشات" المعاصرة !

حمامة السلام للفنان النمساوى جير هارد جترف



جولة المعارض

● مارتون باراباش .. والتمرد على اللوحة المؤطرة

● فنان مجرى . ولد عام ١٩٥٢ .
● تخرج فى اكاديمية الفنون بالمجر عام ١٩٧٧ .
● عُرف كفنان من خلال المعارض الجماعية التى نظمها "استوديو الفنانين الشباب" داخل وخارج المجر .
● اشترك فى البينالى السابع والتاسع للفنون الصغيرة [التطبيقية] فى بيس .
● ابتدأ حياته الفنية باقامة معرض بقاعة احدى دور العرض ببودابست عام ١٩٧٦ (أى قبل تخرجه بعام)
● له أعمال معروضة فى الأماكن العامة ـ منها بعض المتاحف الاقليمية .

اقيم معرض الفنان المجرى "مارتون باراباش" بقاعة اخناتون رقم ٣ ، بمجمع الفنون . فكان على موعد مع الفنان النمساوى لتقديم جرعة فنية جديرة بالتامل والمناقشة . ويشارك زميله فى البراعة فى الرسم ، والدقة فى التنفيذ ، ويختلف عنه فى الرؤية . ان الانطباع الأول الذى تلقيته هو تمرد الفنان على الشكل المألوف للّوحة : المستطيل او المربع ، واتخذ بدلاً منه اشكال الات موسيقية شعبية ، وأخرى عالمية ، وبعضها مبتكر . اتخذها مساحة للرسم ، مع اضافة ، ولصق .. أصابع "بيانو" ، أو خيوط تُذكّر بالأوتار ، وكما يمكن ان تُعلّق تلك اللوحات على الحوائط ـ على النحو الذى شاهدناه ـ يمكن أيضاً ان تصير اغطية جميلة لتلك الالات الموسيقية وغيرها من صور الفن التطبيقى .. لهذا اختار طريقاً وسطاً بين [النافع] و [الجميل] قاده الى موضوعات ، ومعالجات ، تنصرف نهائياً عن منطقة التحريض ـ أو بمعنى آخر دراما الواقع الاجتماعى ـ الى منطقة الطرافة ، والخيال (المحكوم بالصنعة) .

ضم معرضه منتخبات من الرسوم الخطية ، والرسوم الظلّية : أراد أن يستعرض بها قدراته في الرسم الاكاديمى ، اما بقية المعرض فمكرس للجمع بين المسطح المرسوم ، والمشغول بالمجسمات المضافة . واستطاع أن يوظف قدراته الفائقة فى الاستنساخ فى دراسة منحوتات اغريقية : آلهة ، وأبطال ، وحيوانات ، وأعمدة ، ويقدر احتفاله بالتجسيم والتفاصيل ، يقتصد فى اللون : فهو يتحرك داخل مساحة اللون الواحد صعوداً وهبوطاً . فى لوحة من سلسلة لوحات بعنوان : [محراب برجامون] ـ على سبيل المثال ـ يغطس كل العناصر الرئيسية؛ الانسانية والحيوانية .. فى شرائح من درجات الأزرق والأسود ، بينما وضع ـ فى المستوى السفلى للوحة ـ ستة مصابيح منيرة بالالوان الساخنة (الصفراء والبرتقالية والحمراء) .. للتاكيد ـ عن طريق التفاوت الحاد بين درجات الساخن والبارد ـ على التفاوت بين درجات البعد والقرب . ولقد قامت المساحة الثابتة . المنضبطة . بين المصابيح .. بالايحاء بالزمن . بالحركة . بالايقاع . وتقوم المصابيح . المرسومة .

المتألقة بالألوان الساخنة .. فوق مساحة ناعمة من درجات تقترب من الأسود .. "بالحوار" مع الأصابع . المجسمة . المحرومة من تألق الساخن من الألوان .. غير ان تلك الأصابع السوداء والبيضاء تكتسب من درجات الأزرق مايمنحها بعداً او عمقاً فى الفراغ . وتشكل فى موضعها رأس مثلث وهمى ، متساوى الأضلاع ، مع قاعدة المصابيح ، ويؤطر هذا المثلث الوهمى عناصر المنحوتة المختارة . لقد الغى فى لوحاته تلك ، بل قل فى كل اللوحات .. "المنظور الثابت" دون ان يتنازل عن الايحاء بالعمق فى الفراغ . وتتكرر المصابيح المنيرة ، والمنتظمة لتقوم بنفس الدور تقريباً - فى لوحات أخرى ، وان اختص مجموعة لوحات [محراب برجامون] بدور اضافى . نتكهنه دون أن نتيقن منه كل اليقين .. ذلك اننا نظن انه اضاف - بمصابيحه - الى ايحاء الزمن "المتحرك" فوق مسطح اللوحة ، ايحاء مجازياً بالزمن التاريخى بين الموروث القديم والانجاز المعاصر . وكما تحرر من "المنظور الثابت" دون ان يضحى بـ "المدى" ، فقد تحرر ، ايضا من التبرير الواقعى لملاقات الأشكال ، فيقتطع من الاشكال - واقعياً - أجزاء دون أن يضحى - نفسياً - بإيحاء استمراريتها ، وحركتها ، وترابطها . ويقاوم المسطحات اللونية . الصريحة بمناوشات صغيرة . ملونة .. من لمسات تبدو للوهلة الأولى عشوائية ، وعند الاقتراب منها تجدها مرسومة بعناية !.. وتتكرر تلك المناوشات الصغيرة الأنيقة .. فى معظم لوحاته .. كما يتكرر - على درجة اكثر اهمية - استلهاما منحوتات ينتمى بعضها الى المدرسةُ البرجامونية ، المعروفة بحيويتها وحسيتها ، ومن ثم كانت مناسبة اذا صوحبت بأنغام الآلة الموسيقية المتنوعة !. واذا كان "باراباش" قد كرم ابطال "برجامون" فى عديد من لوحاته ، فقد كرّم ، ايضاً ، الفنان "دى كريكو" الذى تُعد اعماله مقدمة للاسلوب السيريالى ، ولا تخلو لوحات "باراباش" من مغازلة للسيريالية دون ان ينحاز لمنهجها انحيازاً صريحاً ، وتبدو لوحاته التى (يقترب) بها من عالم السيريالية اقرب الى التشبيهات الدارجة .. كتشبيه "الزرافة" "بالعمود" طولاً ... وفى احدى اعماله التى كرّم فيها "دى كريكو" جعل "الزرافة الكبيرة" تتوج عمودا كبيرا ، والغزالة الصغيرة تتوج عمودا صغيرا .. او يستعير عجينة ساعة "سيلفادور دالى" يطرّى بها أحد أعمدته ، ويحيله الى كيان معباثى !

إن هذين المعرضين - مهما كان الرأى فيهما - كانا بحق - مفاجأة سعيدة لعشاق الفن التشكيلى ، ويكفى أن

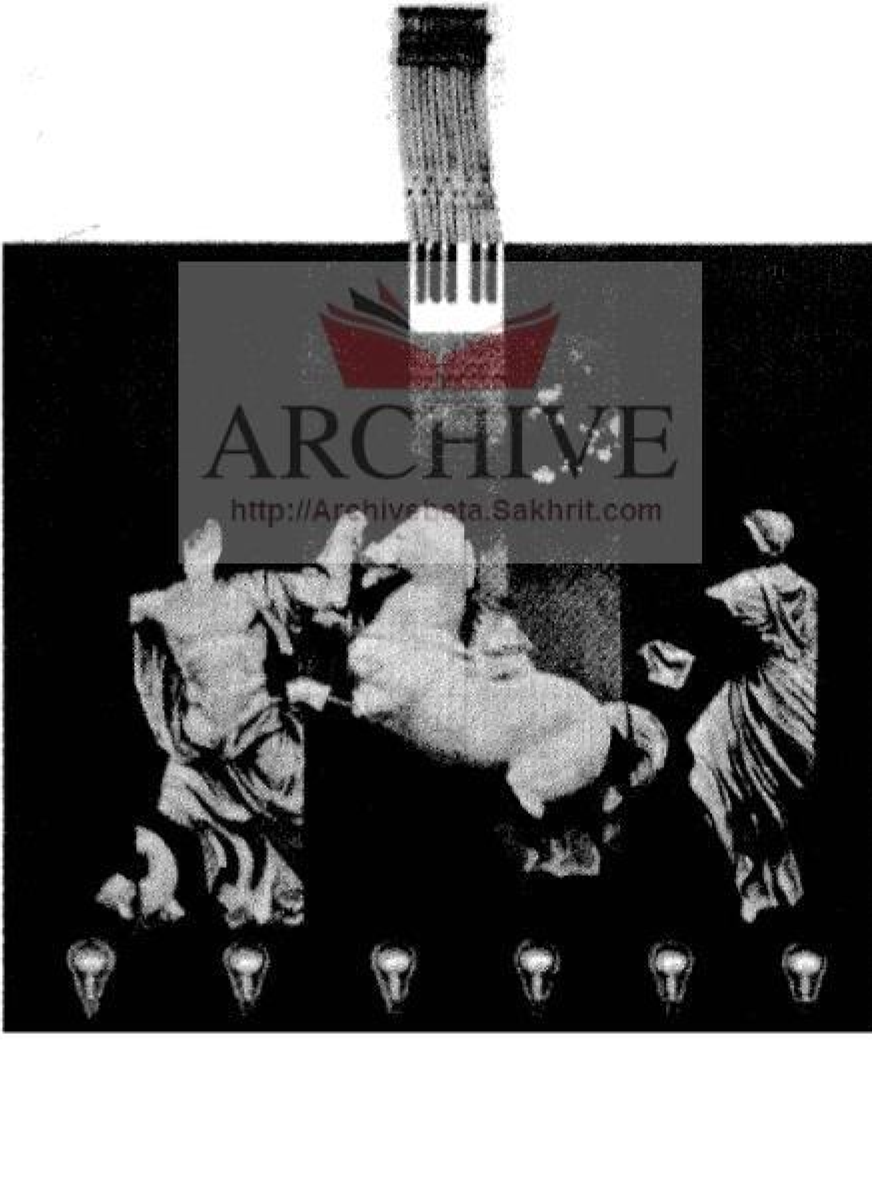
الفنان المجرى مارتون باراباش



جولة المعارض

نستخلص منهما شعارا ، لو صار مبدا كبيرة إلى الأمام هذا الشعار هو جوهريا فى "حياتنا" لقفزت قفزات الاتقان . الاتقان . الاتقان !!

مطلوب أرشيف برحامون للفنان المجري ماركوس ماراباش



● صلاح عسكر وقناع الفن الشعبي



أم كلثوم للفنان صلاح عسكر

● ولد في أسيوط عام ١٩٣٩

● تخرج في كلية الفنون الجميلة عام ١٩٦٠ (قسم التصوير)

● يعمل حاليا أستاذا مساعدا في كلية الفنون الجميلة

● عمل مستشارا للبنك الدولي بواشنطن عام ١٩٧٩

بعد فترة إنقطاع - ليست قصيرة - عن المشاركة في الحركة التشكيلية المصرية .. عاد الفنان « صلاح عسكر » ليثبت وجوده بإقامة معرض فردي ، يضم إنتاجه في التصوير في الفترة من ١٩٧٩ حتى ١٩٨٢ والمعرض في مجمله يشكل عودة إلى عالمه ، ومفرداته الحميمة ، التي كان يطالعنا بها - على فترات متباعدة - في بعض المعارض العامة ، وهي مفردات رمزية مستخرجة من الفن الشعبي .. كالعروسة ، والحصان « الحلاوة » ، والتمساح .. غير أنه يعيد بناءها ، ويشكل بها علاقات تستعير طرافة الفكاهة ، والحكاية الشعبية ، وربما ظننا للوهلة الأولى أنه ينوي الانتقاد ، بحشد تلك

الكائنات فى مفارقات عجيبة ؟ فها هو يعقد قرانا بين « شامبانزى » أو « سمكه » ـ لا أدرى ـ وعروس فاتنة ، أو يضع تمساحا موضع أبى زيد الهلالى ، فوق حصان من الحلاوة .. بينما تقف فى انتظاره « عروس » تجمع بين شكلها الحلاوة ، والانسان ، وتظهر الطيور والأسماك فى هيئة عازفين .. وهكذا ، غير أن نوايا الفنان تتكشف سريعا عندما نجد أنفسنا نبتسم .. كما نكتشف أن الفنان أراد لطرافة « الحكاية » الشعبية أن تسود عالم لوحاته ، وأن تلك الأشكال التى حسبناها رموزا ليست أكثر من تشبيهات دارجة .. فما أكثر الناس الذين يشبهون طيورا ، وحيوانات ، وأسماك ! .. وربما كانت الفترة الطويلة التى أمضاها رسلما للأطفال قد أثرت على رؤيته ، فقد جعل من الكائنات الشريرة ـ فى الواقع ـ طريفة .. محبوبة .. فى اللوحات ! .. ظهر « التمساح » عازفا ، وعاشقا ، وفارسا ! ..

سألته : لماذا تريد لنا أن نحب هذا الكائن الشرير .. التمساح ؟ !

قال : ليس شريرا إطلاقا . إنه حارس أمين .. ولقد ارتبط فى طفولتى بتلك الصفة الطيبة .. فلم أغير موقفى منه حتى الآن !

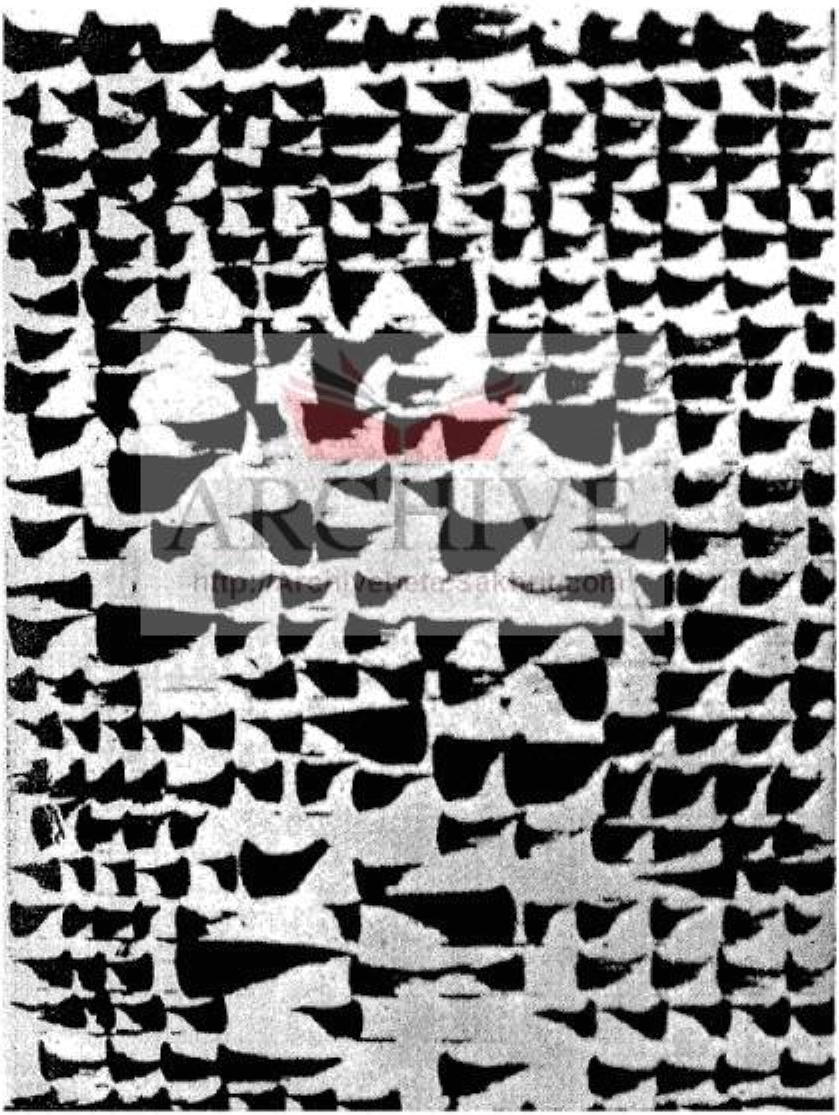
ضم المعرض لوحات من مراحل مختلفة .. كُرست لارضاء المشاهد .. مرسومة ، وملونة بالألوان « الزيتية » و « الاكليريك » ، كما ضم المعرض رسوما تحضيرية بألوان « الفلوماستر » ـ اضطر اليها الفنان أثناء تنقلاته فى الخارج ـ وهى ـ أى الرسوم التحضيرية ـ لا تختلف (جوهريا) فى الأداء مع اللوحات الكبيرة .. المنفذة بخامتى « الزيت والاكليريك » . فطابع (اللهوجة) هو الطابع العام ، وإن كشفت تلك السرعة عن مهارات تحسب للفنان ، فلمساته حية .. متمكنة .. وقدرته على الرسم مؤكدة ، خاصة فى الأطار الخارجى لشخوصه ، وكائناته الحيوانية ، وعلى الرغم من حيوية اللمسة ـ التى استعرضها الفنان بأقصى ما يستطيع ـ فإن ألوانه تتسم بالبساطة ، والتوازن الشديدين بين البارد ، والساخن ، فلا صدام حاد ـ كما هو متوقع ـ بل تعايش ، وانسجام ... فيخفض من درجات اللون البرتقالى ، ويهدىء من الدرجات الباردة ، ويشفف المستويات اللونية .. لتخفيف الكتلة ، والاكتفاء فقط بالايحاء بها .. وكان المتوقع أيضا ـ مع تلك اللمسات الحاذقة ـ أن نرى الجديد ، والجرىء فى « تصميمات » اللوحات .. غير أنه فضل « سكة السلامة » فلجأ فى معظم لوحاته الناجحة ـ تصميميا ـ إلى تصميمات تقليدية ، وإن (استعار) فى إحدى لوحاته ـ وعنوانها الوصفى هو (زواج الرجل السمكة والفتاة الجميلة) ـ حلا جميلا وإنسانيا ابتكره الفنان الفرعونى ، فلكى يجعلنا نغفل عيب القزم الخلقى وهو جالس القرفصاء إلى جوار زوجته الجميلة فقد وضع الفنان القديم

طفليه موضع ساقيه المفترضتين ، فظهر ، طبيعيا ، بهما .. كذلك فعل ، عسكر ، مع العريس السمكة أو القرد ـ القزم ! ..

فأصعد إلى ساقية حارس البيت .. التمساح .. ليكمله طولا ، ويقلل من الفارق الشاسع بينه وبين معشوقته ! ..

● عبد الخالق حسين .. وإنقلاب يدعو إلى الدهشة

لوحة للفنان عبدالخالق حسين



● عبد الخالق حسين
● تخرج فى كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٧٢
● يعمل حاليا مدرسا مساعدا بكلية الفنون التطبيقية (قسم التصوير الجدارى)

ينضم الفنان (عبد الخالق حسين) بمعرضه الأخير إلى منظومة الحروفيين العرب ، الذين ينقسمون بدورهم قسمين ، ويتوجهون «بالحرف العربى» وجهتين متصادمتين ، فأما القسم الأول فقد أخذ على عاتقه اكتشاف إمكانات التعبير ـ بل قل « التحريض » فى الحرف ، والكلمة العربية ، وأبرز ممثلى هذا التيار الفنان المصرى الراحل ، « حامد عبد الله » .. الذى تحدى الهيبة المتخفية للحرف العربى ، وجسد الكلمات أشكالا يتحد معناها ومبناها فى كيان عضوى واحد ، أما القسم الآخر فقد اتجه إلى التجميل .. والتزيين دون اعتبار لأى هدف آخر .. ويميل معرض « عبد الخالق حسين » إلى القسم الثانى دون أن يغفل ـ بصورة كاملة ـ القسم الأول .. فمنذ اللحظة الأولى يكشف الفنان « صراحة » عن أهداف المعرض ، فيواجهك بمجموعة من البلاط الخزفى مرسوم ، ومحفور عليه إيحاءات « مجردة » من الحروف العربية .. يحيطه من كل جانب حشد هائل من نماذج من رسوم بالحبر الصينى .. تجعل المتلقى لايرى فيها غير المتكررات ، وربما اضطرته قاعات اخناتون رقم (٢) المتسعة إلى ملء كل المسطحات بأية



عبدالخالق حسين

طريقة ! غير أن العرض يستقر فى القاعات الداخلية ، ويتبدى التنوع فى اللوحات ومنها ما هو مستقل تماما عن أى بعد تطبيقى ـ واحتلت الحروف والكلمات الواضحة ـ أحيانا ـ موقعها فى اللوحات ، واندغمت ، وتجردت فى لوحات أخرى ، وترتفع قدرات الفنان فى استخدام القلم (البوص) العريض فى حروف مستلهمة من الخط الكوفى على مساحات من الورق الأبيض يبقى شىء يدعو إلى الحيرة .. فقد ظل « عبد الخالق حسين » لسنوات مستغرقا فى « المنظر الطبيعى » ، مستلهما إياه من جوانب من البيئة المصرية ، وإذا به ينقلب تجريديا ، متعلقا بإيحاءات الحروف ، والتراكيب الزخرفية الاسلامية .. وعلى الرغم من اننى لست ضد اختياره الجديد فإننى اتساءل مع الآخرين : لماذا ، وكيف تم هذا الانقلاب ؟ !

حصاد سينما ١٩٨٧

بقلم :
مصطفى درويش

لم يبق من العام إلا بضعة ايام ، ونودعه الوداع الأول والأخير ..

ومن عجائبه وغرائبه ، وما اكثرها ، انه ما ان بدا حتى احتفلوا بانقضاء مائة عام على ميلاد قرية صغيرة اسمها هوليوود ..

وشيئا فشيئاإذا بهذه القرية المنسية تتحول إلى اكبر مصنع للأحلام ، وإذا بها مع كرّ الايام تصبح اهم واغنى واشهر قرية فى العالم ، بفضل متشرد خالد « شابلن » ومعبودة جماهير وزوجها « ماري بيكفورد وفيربانكس » ومعشوق نساء « فالنتينو » وغيرهم كثير ..

وما ان اوشك العام على الانتهاء حتى احتفلنا فى منتصف ربعه الرابع (١٦ /١١) بميلاد السينما العربية على أرض مصر بفضل « ليلى » .. ذلك الفيلم الذى انتجته ومثلته الرائدة « عزيزة أمير » ..

ورغم هذه الاعياد والاحتفالات ، فحصاد الافلام سواء فى هوليوود او فى مصر ، لايبعث على التفاؤل بحسن المصير .

● القاعدة و الاستثناء

وعلى كل : فاذا ما بدانا بالسينما عندنا فى مصر ، ووقفنا وقفة قصيرة عند احسن افلامها عبر العام الذى هو على وشك الرحيل لوجدناها قليلة جدا ، ربما لا تزيد على أصابع اليدين ، وباستثناء افلام ثلاثةهى « قاهر الزمن » وهو فيلم من نوع الخيال العلمى ابدعه المخرج الكبير « كمال الشيخ » و « الهروب من الخانكة » وهو فيلم سياسى لصاحبه المخرج « محمد راضى » ظل معطلا زهاء ثلاثة اعوام بسبب القبض على نجمته الاولى « ماجدة الخطيب » و « التعويذة » وهو فيلم



● صاحب العمارة الشرير جلال الشرقاوى ومحسنة توفيق

للمخرج « محمد شبل » يخلط عالم الجن والأشباح والأرواح بالسياسة على وجه يتسم بسذاجة منقطعة النظير ..

وكذلك باستثناء ما كان منها من النوع الكوميدى مثل فيلم « رأفت الميهى » الأخير « السادة الرجال » ..

● المناحة

لا يبقى امامنا سوى نمط من أفلام المناحة يؤكد ان الميلودراما التى استفزت سعيد عبده منذ ستين عاما ، فجعلته يضغط إلى حد السخف فى حجم مسرحية لمحمود كامل اسمها « الوحش » على الوجه الآتى :

« ابطال هذه الرواية سبعة يموت احدهم بصورة طبيعية ، ويموت الثانى خنقا . والثالث يقضى عليه بالموت فى المستشفى ، والرابع يموت منتحرا ، والخامسة امرأة هى أم امين افندى وهذه تموت بمرض القلب . وهناك رجل مريض بالزهرى . والطبيب الذى يعالجه قد مات مختنقا ..

وعندنا فى الطب ان الزهرى المزمن مع عدم العلاج يساوى الموت المؤكد .. مضافا اليه التشويه والآلام » ..

هذا اللون من الميلودراما المعوجّة ، لايزال متحكما متسلطا على مصائر السينما عندنا ، لايزال من الثوابت التى تحصرها فى اقفاص ..

ونظرة طائرة على ما تبقى من احسن الأفلام ، وهى اربعة فقط لاغير ، صبت جميعها فى قالب ميلودرامى فاقع ، قائم على تراكم وتزاحم الفواجع ..

● خيبة الأمل

هذه النظرة تؤكد ان الميلودراما فى ابشع صورها لاتزال متسلطة على المخرجين الشبان المعلقة عليهم الآمال . وذلك لان الأفلام الأربعة وهى « ابناء وقتلة » و « البدروم » و « ضربة معلم » و

• زوجة رجل مهم » (الاخير عرض على النقاد فى مدينتى باريس وكان ، فضلا عن الاشتراك به فى مهرجانات « موسكو » ، و « فالينسيا » و « دمشق ») ، ثلاثة منها صاحبها المخرج « عاطف الطيب » ..

اما رابعهم فصاحبه المخرج « محمد خان »

واول ما يلفت النظر هو ان « عاطف الطيب » ـ وهو مخرج واعد ـ يخرج ثلاثة افلام خلال موسم واحد ..

ومن هنا تدهور مستواها الفنى .

فلو عقدت مقارنة بينها وبين « البرىء » السابق ـ مباشرة ـ عليها ، لجاءت النتيجة فى غير صالح افلامه الثلاثة ، ولظهرت اعمالا سينمائية مجدبة ، لا قيمة كبيرة لها ..

وثانى ما يلفت النظر هو ان « محمد خان » ، وهو من اكثر مخرجى السينما فى مصر معرفة بلغة الفن السابع ، والماما بما يقوم من اصول وقواعد ، قد خيب هو الآخر الظن بفيلمه الاخير ..

وهذه الانتكاسة بالنسبة للمخرجين الشابين لها اسباب ، لعل اهمها ، فيما اعتقد ، هو استسلامهما فى الأفلام الأربعة الى ميلودراما عتيقة ، انتهت بها جميعا الى ختام سخيف ، لا لون له ، مما زاد الأمور افتعالا ..

فضلا عن انهما لم يضعا فيها لا عصارة القلب ، ولا الفكر ..

واول هذه الأفلام « ابناء وقتلة » حدوتة طويلة معقدة ، تكاد تتحول به الى جزاين او بمعنى اصح الى فيلمين لا يمت احدهما للآخر إلا بصلة واهية ..

● فن لم ممجنة

واحداث الجزء الأول تتصاعد حتى تصل الى مقتل « دلال » (نبيلة عبيد) بيد مجرم محترف استأجره مطلقها « شيخون » (محمود عبد العزيز) للاجهاز عليها ثأرا لشرفه السليب ، وسعيا لضم ولديه التوامين منها ، فضلا عن الاستيلاء على اموالها ، بحكم ولايته على الولدين وما قد يرثانه من تركتها ، وهو كثير ..

ولا تكاد تختفى « دلال » بمقتلها على قارعة الطريق ، حتى تتكاثر الاحداث وتتداخل على نحو مغرق فى تفاصيله ، غير مقنع فى مبالغته ، مما افقد الفيلم كل منطق وتماسك

فالأب القاتل يغدو تاجر سلاح واسع الثراء ..

والولدان كما « هابيل » و « قابيل » يتركز فى احدهما الشر (احمد سلامة) ويتركز فى الآخر الخير (شريف منير) ، فاذا بنا نراه معيدا ملتحيا فى الجامعة ، يخفق قلبه بحب طالبة محجبة (ناهد رشدى) ..

ولكن القدر كان له بالمرصاد ، فسرعان ما يتكشف لنا ان هذه الطالبة الشريفة الطاهرة ، انما هى ابنة ضابط الشرطة الفاسد (مجدى وهبه) الذى عمل على الزج بابيه « شيخون » فى غيابات السجون ابتغاء الانفراد بامه دلال مما كان سببا فى مقتلها ..

وكان يمكن ان ينتهى الفيلم عند هذا ، ويكون محشوا بكل توابل الاثارة

ويق بما يكفيه هو ومعظم افلام
غير ان كاتب السيناريو اراد لنا ان
ـن العرض وقد اصابنا دوار من
امرّ امامنا من اهوال . فكان ان هيأ
مشهدا يجتمع فيه كل الابطال ..
فهو ذا الاب فى هذا المشهد يطلق
اص من غدّارته على غريمه ضابط
قة ، فاذا بها تخطىء الهدف ،
ر فى صدر ابنه المعيد القالح ،
يأخذ فى الاحتضار امام الجمع
ول ، ثم لا يلبث ان يموت ..

● الشرف الغالى

فى الأفلام « البدروم » عن قصة
ريو وحوار « عبد الحى اديب » تدور
« حول اسرة فقيرة نزحت من
يد الى القاهرة حيث عمل عائلها بوابا
ى العمارات السكنية ..

والفيلم يبدأ به ـ وقبل العناوين ـ جثة هامدة فى بئر المصعد اثر سقوطه من شاهق .

وتتولى زوجته « ام الخير » (سناء جميل) العمل كبوابة بدلا منه ، فضلا عن تربية اولادها الثلاثة « رقية » (سهير رمزى) ، « عائشة » (ليلى علوى) ، « يوسف » (ممدوح عبد العليم) المصاب بشلل الأطفال ..

والصراع فى « البدروم » يدور بين هذه الاسرة الصغيرة الفقيرة رمزا « للناس اللى تحت » وبين صاحب العمارة الرجل الثرى « الدندراوى » (جلال الشرقاوى) واسرته رمزا « للناس اللى فوق » ..

وكعادة فى الميلودراما يتركز الخير صافيا فى اسرة البواب التى تكافح من اجل البقاء ، ويتركز الشر صارخا فى اسرة صاحب العمارة الذى يسلب

التعويذة .. سحر وشعوذة وسذاجة



سينما ١٩٨٧ حصاد مُر

« رقية » اعز ما تملك بنات حواء ..

ولن اعرض شيئا من تفاصيل الفيلم ، وانما اكتفى هنا بالقول بانه ينتهى فى لقطات الختام باحداث تجعله متجانسا مع نسيج الميلودراما السائدة ، ذلك النسيج المجدب الذى لا ينفع الناس ..

فها هى « رقية » طريحة الفراش فى احدى العيادات ، مجهضة مما حملت فى الحرام ..

وفى خط متواز مع هذا الحدث ، هاهى امها على سلم دار القضاء العالى تطعن « الدندراوى » طعنات قاتلة فى لحظات ثأر وانتقام ..

● الشرطة والاهالى

اما ثالث افلامه - وهو احسنها - فماخوذ عن سيناريو لبشير الديك ..

وعلى طريقة « سعيد عبده » نستطيع ان نضغط فى حجمه الى حد القول بان الابن يقتل عشيق امه ، الاب يدخل زوجته الخائنة مستشفى للامراض العقلية حتى يسقط شهادتها ضد ابنها ، ويحيل الضباط الكبار الى التقاعد ، يشترى رجال العدالة (الشىء الوحيد الجديد فى الفيلم هو القول بان فى مصر قضاة مرتشين !)

ولا يواجه هذا الطوفان سوى ضابط صغير شجاع ، تقف وراءه تشد ازره مخطوبة تحجبت اثناء جريان الفيلم (بالمناسبة) ..

واغلب الظن اننا لو امعنا النظر فى « ضربة معلم » لوجدناه منطويا على عاملين ضفر احدهما فى الآخر ، احد صغار الشرطة فى خدمة الشعب ، وال المجاهدون فى خدمة العدالة ..

● الحسنات والسيئات

فاذا ما انتقلنا الى « زوجة رجل مـ - وهو افضل الافلام الاربعة لو انفسنا امام فيلم مهدى من كاتب الق والسيناريو « رءوف توفيق » الى ـ وزمن عبد الحليم حافظ ، رامزا بذلك عصر عبد الناصر ..

وحكاية الفيلم بسيطة كل البسا تقول فيما تقول ان فتاة مفرطة الرومانسية « منى » (ميرفت امه تعيش فى زمن ما بعد العبور مع اسر المتوسطة فى « المنيا » حيث تدرس وتعشق اغانى العندليب الاسمر ، يقع غرامها ضابط مباحث شاب « الم هشام » « احمد زكى » ..

فيتقدم لخطبتها ، ويعقد قرانه علي ثم يصطحبها الى القاهرة حيث تكتش انه رجل انتهازى ، متسلق ، لا يتورع تلفيق التهم للابرياء إرضاء للرؤساء

ويدب بينها وبينه خلاف ، سرعان يتفاقم ، فيتحول بعش الزوجية جحيم ، عندما تعلم انه فصل من الخ عقابا له على اتهام الابرياء بالباطل

ومهما يكن من امر مصداقية وقوع هذا الفصل للسبب الذى يقول به الفيل ودون الغوص فى تفاصيل المنغص اليومية التى عكرت صفو حياة « مـ حتى جعلتها عذابا متصلا كحبها للسد العالى ..

فالاكيد ان المشهد الاخير من الفيلم جاء مفاجئا بلا تمهيد لا من الواقـ من رسم شخصية المقدم « هشام »



ينادى حى ، اهم الافلام ١٩٨٧

البداية شخص عادى يؤدى
الوظيفية كضابط مباحث على خير
فهو مثلا ليس مرتشيا ..
يؤدى واجباته الزوجية على نحو
انحراف عن السلوكيات السائدة
أزواج الشرائح المتوسطة من

فى « متى » فى هذا المشهد الشاذ
ذوذ تستنجد بوالدها الذى يجىء
من الصعيد كى ينقذها من براثن

مقدمات يطلق المقدم « هشام »
على حماه كما فى الغرب
فيرديه قتيلا ، ثم يصوب فوهة
الى نفسه فى مقتل ثم يشد
فيسقط جثة هامدة فى بحر من

وهكذا ينتهى فيلم « محمد خان » على
وجه يؤكد ان الميلودراما لاتزال الفن
الراسخ عندنا رسوخ الجبال ..
وهكذا تطغى سيئات الميلودراما على
حسنات الأفلام فتمحوها ..

● قانون الغابة

والآن إذا قفلنا معا راجعين من ازمة
السينما فى مصر الى ازمتها فى هوليوود ،
وجدنا ان السينما فيها ـ بعد رحلة طويلة
مراحلها اكثر من ان تحصى ، وأعقد من
ان تبسط ـ قد شاخت ومواضع العلة فيها
انما تكمن اولا فى ارتفاع نفقات الانتاج
حتى وصلت إلى حوالى خمسة عشر مليون
دولار بالنسبة للفيلم العادى ، وثانيا فى
العجز عن التجديد فنيا فى حقل السرد
الفيلمى منذ مجىء الصوت فى السادس
من اكتوبر لعام ١٩٢٧ كما قال بحق

سينما ١٩٨٧ حصاد مر

« ستانلى كوبريك » المخرج الأمريكى الذى يعيش فى بريطانيا منذ عشرين عاما الا قليلا ، يخرج افلامه فيها بعيدا عن هوليوود حيث « يسأل الناس عن حالك مع فيلمك وانت تعرف انهم يأملون ان يسمعوا منك ، انك قد تجاوزت الميعاد المحدد للانتهاء من اخراج الفيلم او ان ثمة متاعب بينك وبين النجم » ..

وفى الحق فليس محض صدفة ان الفيلم الأمريكى الوحيد الذى له قيمة فنية تستحق الذكر وهو « رصاصات حية » لصاحبه « كوبريك » ـ هذا الفيلم جرى انتاجه فى المهجر على ارض غير امريكية ..

وان الفيلم الذى راهنت عليه هوليوود ، وهى تحتفل بعيدها المئوى واعياد اخرى ترمز ، ولاشك الى استمرار الانتع هذا الفيلم قد راعت ـ وهى تنتجه ان يك عن عالم الاجرام الكبير ، وان يكون كم فى كل شيء مثل « الاب الروحى » .. موضوعه بحيث يكون من إبداع كا سيناريو وحوار يشار إليه بالبنان .

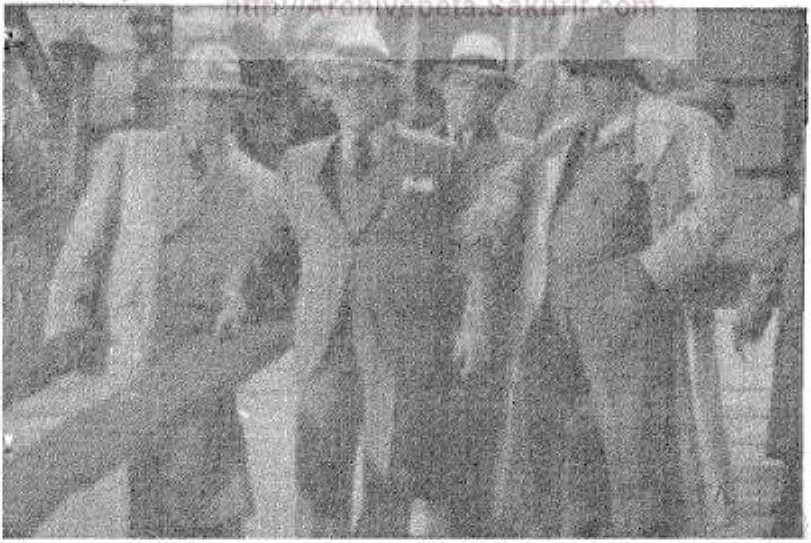
وفى نجومه المختارين لاداء اد الأخيار والأشرار ما صغر منها وما كبر

وفى مخرجه الذى عليه بث الروح كل هذا ، حتى يبعثه أطيافا ع الشاشة ، وكأنها حية تسعى ..

وفى فنانية الآخرين سواء اكا مصممى ازياء او مصففى شعور مهندسى ديكور او مختارى اما التصوير الخارجى او مؤلفين او واضـ الموسيقى التصويرية ـ الى آخر ذلك المهن الاخرى اللازمة لصناعة الفيلم

واخيرا فيما صرف على انتاجه من ، وصل ، وباللسفه ، الى خمسة وعشر مليون دولار ، اى خمسة وستين ملي جنيه مصرى ، لا اقل ، ولا اكثر ..

الاشرار ضد الا



هو هذا الفيلم المسخ المهول ؟
« الاطهار » للمخرج الدموى
دى بالما » الذى بدا حياته
ثية مقلدا « الفريد هيتشكوك »
هر افلامه « الوجه المشوه » اعادة
ويها لفيلم بنفس الاسم انتجته
فى بداية الثلاثينيات ..

قصيات « الاطهار » على عكس
الروحى » ليست من صنع الخيال
وانما كما يقال مستوحاة من وقائع
بالفعل ابان عقد الثلاثينيات فى
شيكاغو ، وقت ان كانت تعتبر بحق
الاجرام ..

اريو الفيلم كما كتبه « دافيد ما
ه اصطنع دراما من حرب شنها
الايام « اليوت نسى » (كيفين
) مندوب الحكومة الاتحادية فى
.. ومعه مغاوير ثلاثة اختارهم من
شيكاغو » ، لما ساد امورها من
بامع واستبداد شامل ..

ء المغاوير الاطهار عبارة عن
مريكى منحدر من اصل ايطالى
ضعيف البصر (شارلز مارتين
وشرطى متقاعد « جيمى
(شين كونرى المشهور بجيمس
ملى) .

الاشرار المعلنة ضدهم تلك
لضروس ، فهم عبارة عن عصابة
ى المال بالتهديد والوعيد تحت
ال كابونى » (روبرت دى نيرو)
ع شرطة وساسة المدينة البدينة
سترته ، ثم اخذ يدير شئونها كما
ستندا الى « فرانك نيتى » (بيلى
المجنون بحب البندقية ..
دا جسارته من تعطش هذا الفتى



بريان دى بالما .. مخرج دموى

الشاذ إلى اطلاق الاعيرة النارية ، فلا يصيب بها الا فى مقتل ..

وطبعا كما فى افلام الغرب الامريكى التى ابدعها المخرج الراحل « جون فورد » فى سالف الزمان ، ينتهى « الأطهار » بانتصار الأخيار على الأشرار ..

ذلك هو الفيلم الذى انتجته هوليوود احتفالا بعيدها ، محققة به إيرادات تجاوزت فى الولايات المتحدة وحدها رقم التسعة وثمانين مليون دولار خلال الثلاثة اسابيع الأولى لعرضه على الناس ..

وواضح ان موضوعه لا يعدو ان يكون تكرارا لافلام انتجتها هوليوود بالمئات عن المجرمين وعالمهم .. عبر ثمانين عاما او مايزيد من عمر الزمن ..

بل ان مشهد عربة الطفل مع امه على سلالم محطة السكك الحديدية بشيكاغو وسط وابل الرصاص المنطلق من غدارات الاشرار والأطهار ، وهو المشهد الوحيد فى الفيلم الذى يبدو حسب الظاهر انه جديد ، ان هو الا محاكاة مفتعلة لمشهد سلالم أوديسا فى « المدرعة بوتيمكين » رائعة المخرج السوفييتى سيرجى ايزنشتين (١٩٢٥) ..

وهذا افلاس فى الابداع ما بعده افلاس ..

عصرية "بلتزار" العجيبة

بقلم : جبرييل جارثيا ماركيز

ترجمة : محمود على مراد

فرغ « بلتزار » من صنع القفص فعلقه فى السقف الامامى بحكم العادة . وحين انتهى من تناول غدائه كان الناس حوله من كل صوب يقولون ان هذا القفص اجمل قفص فى العالم . وجاء الناس زرافات ووحدانا ، لمشاهدته فكون منهم جمهور غفير امام البيت .. فما كان من بلتزار الا ان نزع القفص من مكانه واغلق محل تجارته .

وقالت له امراته « اورسولا » :

ـ ذقنك بحاجة للحلاقة وقد اصبح شكلك كشكل القرود .

فرد عليها :

ـ الحلاقة بعد الغداء لا تجوز .

كان قد مضى عليه اسبوعان دون ان يحلق ذقنه . وكان شعر راسه قصيرا وخشنا وهائشا كصوف البغلة . وكان شكله العام اشبه بشكل الطفل المذعور ، وان كانت حقيقته تختلف عن ذلك . لقد بلغ الثلاثين فى شهر فبراير وكانت « اورسولا » تعيش معه منذ اربعة اعوام تقريبا دون ان يربطهما زواج ودون ان ينجبا اولادا . وكانت اسباب الحرص لديه كثيرة ولكن لم يكن لديه سبب واحد يدعوه للخوف . ثم انه لم يكن يدرى ان بعض الناس يعتبرون القفص الذى انتهى لتوه من صنعه اجمل قفص فى العالم .

والفرق الوحيد بين هذا القفص وغيره ، بالنسبة لشخص مثله تعود ان يصنع الاقفاص منذ طفولته ، كان لا يعدو ان هذا القفص كلفه من الجهد اكثر بقليل مما كلفته سائر الاقفاص التى صنعها .

قالت المراة :

ـ استرح قليلا اذن .

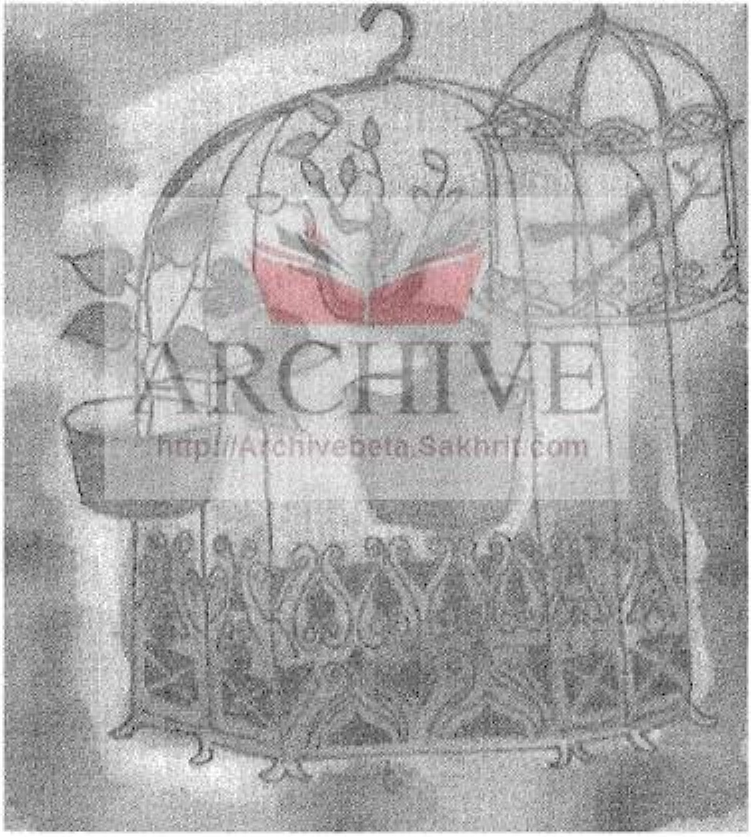
لا يليق برجل بمثل
الذقن ان يظهر في
مكان .

وبينما كان يست
اضطر عدة مرات
ترك فراشه المع
(الهمك) ليرى ال
للجيران .. ولم
«اورسولا» تعير ال
حتى ذلك الوقت
التفات . كانت ما
المزاج لان زوجها
صنعته كلجار و
تماما لصنع القف
ولانه ، طوال اسبو
لم ياخذ كفاي
النوم ، وكان يه
ويروح كالمجا
ويقول كلاما لي
معنى ، وينسى ان
ذقنه . ولكن امته
انقشع امام منظرا
بعد ان تم صه
وحين افاق « بلتا
من قيلولته كانت ،
كوت له بنطلونا و
ووضعتهما على
قريب من فراشه
ووضعت القفص

الطعام وجعلت
له فى صمت ..
ت « بلتزار » بهذا
ل :
بكم ستبيعه ؟
ماب الرجل :
لا أدرى . ساطلب
لاثين « بيزو (١) »
ى احصل على

قالت « اورسولا » :
ـ بل اطلب خمسين.
لقد سهرت عليه ليالى
كثيرة خلال الاسبوعين
الماضيين . كذلك فهو
قفص كبير لا اذكر انى
رايت اكبر منه فى
حياتى .
وبدا « بلتزار متحلق
ذقنه . وسال :

ـ الثلاثين انهم
سيدفعون لى خمسين
« بيزو » ؟
قالت « اورسولا » :
ـ هذا مبلغ تافه
بالنسبة لرجل مثل
« شبيبى مونتييل »
والقفص يساوى هذا
المبلغ . أطلب ستين .
كان البيت غارقا فى



عصرية "بلتزار" العجيبة

ظل يزهق الانفاس . وكان هذا هو الاسبوع الاول من شهر ابريل . وحين انتهى « بلتزار » من ارتداء ملابسه فتح « الحوش » لتهوية البيت فاندفعت ثلة من الاطفال الى غرفة المائدة .

كان الخبر قد ذاع . وكان الدكتور « اوكتافيو جيرالدو » ، وهو طبيب عجوز راض عن الحياة رغم ان التعب قد نال منه في ممارسة مهنته ، يفكر في قفص بلتزار وهو يتناول غداءه مع زوجته المقعدة . وكانت في الشرفة الداخلية التي كانوا يضعون فيها المائدة ايام الحر ، اصص زهور كثيرة وقفصان فيهما بعض طيور « الكناريا » .

كانت زوجته تحب الطيور لدرجة جعلتها تكره القطط لان القطط تفترسها . وذهب الدكتور « جيرالدو » ، وهو يفكر في زوجته ، ليعود احد المرضى ، وعرج في طريق عودته على بيت « بلتزار » ليشاهد القفص .

كانت غرفة المائدة غاصة بالناس . وكان القفص ، الذي يشبه قبة ضخمة من السلك ، معروضا على المائدة . وكان يتكون من ثلاثة طوابق داخلية دكان فيه ممرات وغرفةخاصة لنوم الطيور واخرى لاكلها ، كما كان في فضائه المخصص لنزهة الطيور مرجيحة تقف عليها . وكان يبدو كنموذج مصغر لمصنع ثلج ضخم . وتامل الطبيب القفص بعناية دون أن يلمسه وخيل اليه انه بالفعل اعظم من شهرته واروع بكثير من ذلك الذى تمنى في اى وقت من الاوقات ان يهديه لزوجته .

وبحث الطبيب عن « بلتزار » وسط الزحمة وقال له حين وجده :

ـ هذا القفص مغامرة من مغامرات الخيال .

ثم اضاف وهويرمقه بنظراته التى تشع حنانا كحنان الامهات :

ـ خسارتك . كان من الممكن ان تكون مهندسا معماريا فذا .

واحمر وجه « بلتزا
خجلا وهو يقول :

ـ شكرا .

قال الطبيب :

ـ هذه هى الحقيقة

كان الطبيب بدي
وكانت بدانته لطيفةناع
كبدانة امراة حسن
تقدم بها العمر . وكا
يداه رقيقتين . و
صوته اشبه بصو
قسيس يتحدث باللاتين

وقال الطبيب وهو
القفص امام الناس
بائع يعرض بضاعته :

ـ قفص كهذا ،
محتاجا الى طيور . يـ
انيضعهالمرء بينالاش
لكى يغرد وحده كما
الطيور .

ثم اعاد القفص
مكانه على المائدة . و
لحظة وهو يتفحصه
قال :

ـ لقد اتخذت قرار
ساخذه .

قالت « اورسولا » :

ـ ولكننا بعناه ،

وقال « بلتزار » :

ـ والمشترى هو
« دون شيبى مونتيل

ثم اضاف :

ـ وكان قد كل
خصيصا بصنعه .

وبدا الاحترام عـ
هيئة الطبيب وقال :

(★) دون بالاسبانية لقب يعنى « السيد » ، وهو يطلق على يعتبرون من عليه القوم .

- هــل أعطـــاه المواصفات ؟

واجاب « بلتزار » :

- لا . بل قال انـه يريد قفصا كبيرا مثل هذا لزوج من طيور «السراب»

ونظـر الطبيـب الى القفص وقال :

- ولكن هــذا القفص لا ينفع لطيـر السراب .

فقال بلتزار :

- بـلى يا سـيدى الدكتور .

واقترب « بلتزار » من المائدة والصبية من حوله وقال :

- مقاســات القفص محسوبة بدقة .

وجعل يشير بسبابتـه الى اجزاء القفص المختلفة ثم نقر قبته بظهر اصابعه فامتـلأ القفص بـرنين عميق .

واضاف « بلتزار » :

- ليس هنـاك سلك مقاومته اقوى مـن هـذا السلك . وقد لحمت كـل وصلة من الوصلات مـن الداخل ومن الخارج .

وتدخل احد الاطفـــال فجاة في الحديث :

- انه يصـــلح حتى لببغاء .

وقال « بلتزار» مؤمنا :

- فعلا .

وهـز الطبيب رأسـه وقال :

- ان « دون شـــيبى مونتييل » لم يعطه بيـانا بالمواصفات ولم يكلفـه بشيء محدد وكل ما طلبه ان يكون قفصا كبيرا لزوج من طـير « السراب » . أليس كذلك ؟

قال « بلتزار » :

- هو كذلك .

قال الطبيب :

- بسـيطة : القفص الكبير الذي يصلح لطـير « السراب » شيء وهـذا القفص شيء آخر . ليس هناك ما يثبت أن هـذا القفص هو ذلك الـذى كلفت بصنعه .

وقال « بلتـزار » في ثقة :

- بل هو نفســه وما صنعته الا لهذا الغرض .

وصدرت مـن الطبيب حركة ضـيق وقالـت « أورسولا » وهى تنظـر الى زوجها :

- باستطاعتك أن تصنع غيره .

ثم قالت للطبيب :

- انت لست في عجلة .

قال الطبيب :

- لقد وعدت زوجـتى باحضاره لها عصر اليوم .

قال « بلتزار » :

- آسف جداً ، سـيدى الدكتور ، ولكن ليس في الامكان ان يباع شيء سبق بيعه .

وهز الطبيـب كتفيـه وجعل يجفف العرق مـن عنقه بمنديله ويتطلع الى القفص في صمت دون ان يحيد نظره عـن نقطة بعينها غير محددة كما لو كان ينظر الى قارب يبتعد .

- كم سيعطونك ثمنـا له ؟

ونظـر « بلتزار » الى «أورسولا » دون ان يجيب فقالت :

- ستين « بيزو » .

ولم يحول الطبيب نظره عـن القفص وقال وهـو يتنهـد :

- قفص آيـة في الجمال . لا يمكن ان يكون هناك قفص اجمل منه .

ثم اتجه الى البـاب واخذ يهوى لنفسه بشدة وهـو يبتسم ، وانمحت ذكرى هذه الواقعة مـن ذاكرته الى الابد ، وقال :

- « مونتييله رجل واسع الثراء » .

وواقع الامر أن «خوزيه مونتييل» لم يكن بالثراء الذي كانت تبدو عليـه مظاهره ، ولكنه كان على استعداد لعمل اى شيء ليقتني . وعلى مسـافة قريبة من بيت بلتزار كان « مونتييل » يقيم في بيت مليء بكل ما يباع . بيت لا يشم فيه أحد رائحـة لشيء ليس في الامـكان بيعه . وقد سمع (مونتييل) بنبـأ القفص ولكنـه لم يكترث له . وكان وسواس المـوت يقض مضـجع زوجته ويجعلها توصد

الابواب والنوافذ بعد الغداء وتستلقي ساعتين، مغمضة العينين في ظلام الكرنكو «خوزيه مونتييل» مستغرق في نومة القيلولة · وفوجئت الزوجة وهي في هذه الحالة بصخب اصوات كثيرة ففتحت باب الصالة واذا بجمع من الناس امام البيت يتوسطهم « بلتزار » وهو يحمل القفص وقد ارتدى بدلة بيضاء وحلق ذقنه وبدت عليه تلك البراءة المهذبة التي تبدو على وجوه الفقراء حين يصلون الى بيت من بيوت الاغنياء ·

واشرق وجه زوجة « خوزيه مونتييل » وهي تقود « بلتزار » الى داخل البيت وصاحت :

ـ ما اروع هذا القفص ·· عيني لم تقع على مثله في حياتي ·

وضاقت زوجة « مونتييل »بزحمة الناس المتجمهرين امام البيت فاضافت :

ـ هاته الى الداخل لئلا تتحول الصالة الى حلبة لصراع الديوك ·

لم يكن « بلتزار » غريبا في بيت « خوزيه مونتييل » فكثيرا ما كان يستدعى اليه ليقوم باعمال تجارية بسيطة لما عرف عنه من كفاءة واتقان لعمله · ولكنه لم يكن يشعر بالارتياح قط بين الاغنياء · كان يفكر فيهم وفي زوجاتهم القبيحات المتاكفات وفي عملياتهم الجراحية المخيفة ويخالجه حيالهم دائما شعور بالرثاء· وكان حين يدخل بيوتهم يجد صعوبة في التحرك دون ان يجر قدميه · وسأل :

ـ هل « بيبو » هنا ؟

وكان قد وضع القفص على مائدة غرفة الطعام·

وقالت زوجة « خوزيه مونتييل » :

ـ هو في المدرسة ولكنه سيحضر بعد قليل ·

ثم اضافت :

ـ « مونتييل » في الحمام·

والواقع ان « خوزيه مونتييل » لضيق الوقت لم يستحم ، بل اكتفى بدعك نفسه بسرعة بالكحول المعطر برائحة الكافور وخرج ليرى ما الخبر · وكان « خوزيه مونتييل » رجلا حذرا وكان ينام دون مروحة كهربائية ليتمكن خلال نومه من مراقبة اصوات البيت · وصاحت زوجته:

ـ تعال لتشف هذا القفص البديع ·

واطل « خوزيه مونتييل» بجثته الضخمة من نافذة غرفة النوم وقد الصق فوطة الحمام بعنقه وسأل :

ـ ما هذا ؟

واجابه « بلتزار » :

ـ قفص « بيبو » ·

ونظرت اليه المراة بارتباك وسألت :

ـ قفص من ؟

فقال« بلتزار »مؤكدا:

ـ قفص « بيبو » ·

ثم تحول الى « خوزيه مونتييل » قائلا :

ـ « بيبو » طلب مني ان اصنعه ·

لم يحدث في هذه اللحظة شيء · ولكن بلتزار احس كما لو كانوا قد فتحوا له بوابة السجن ·· وخرج « خوزيه مونتييل » بسرواله من غرفة النوم وصاح :

ـ « بيبو » !

وهنا ظهر « بيبو » على عتبة الباب · غلام في حوالي الثانية عشرة من عمره له رموش امه المعقوفة وهدؤها المثير للعطف ·

وأمره « خوزيه مونتييل » :

ـ تعال هنا ·· انت طلبت منه ان يصنع هذا القفص ؟

وطاطا الصبي راسه فامسكه ابوه من شعره

ليرغمه على النظر اليه وجها لوجه ·

– انطق !

وعض الطفل شفته دون أن يجيب · وتمتمت الزوجة :

– « مونتييل » !

فترك زوجها الغلام واستدار الى « بلتزار » منفعلا وقال :

– آسف جدا يا « بلتزار » · كان الواجب أن ترجع الى قبل أن تبدأ في صنع هذا القفص · كيف تتعاقد مع قاصر · انت الوحيد الذى يفعل ذلك :

وبينما كان يتحدث استعاد وجهه تعبيره الهادىء · ورفع القفص من مكانه دون أن ينظر اليه وناوله لبلتزار قائلا:

– خذه وحاول ان تبيعه لشخص آخر · وارجوك رجاء خاصا الا تجادلنى في هذا الموضوع ·

وربت على كتف بلتزار واستطرد على سبيل الشرح :

– ·· فقد حرج على الطبيب أن استسلم للغضب ·

هذا والطفل في مكانه لا يتحرك ولا يطرف له جفن · وتجهه بلتزار محرجا والقفص في يده· عندها صدرت من حنجرة الطفل زمجرة كزمجرة الكلب الغاضب ثم ارتمى على الارض وهو يصرخ·

ونظر اليه « خوزيه مونتييل » دون ان يحركه ساكنا · وحاولت الام ان تسترضى ابنها ولكن زوجها نهرها :

– لا ترفعيه · اتركيه يخبط رأسه في الارض حتى يكسرها ثم الق له بملح وليمون لكى يكون لغضبه طعم ·

كان الصبى في هذه اللحظة ينهج دون دموع ·· وامسكته امه من قبضتى يديه لينهض فقال لها « خوزيه مونتييل » بلهجة قاطعة :

– قلت دعيه !

ونظر « بلتزار » الى الطفل نظرته الى حيوان يحتضر من مرض معد ·· كانت الساعة الرابعة عصرا · وكانت «اورسولا» في نفس اللحظة في البيت تغنى اغنية قديمة جدا وهي تخرط بصلة :

قال بلتزار :

– « بيبو » !

واقترب من الصبى وهو يبتسم وقدم له القفص · وهب الصبى واقفا في قفزة واحتوى القفص ، الذى كان في مثل طوله ، بذراعيه ، وظل ينظر الى « بلتزار » من خلال أسلاكه المعدنية وهو عاجز عن التعبير · ولم تذرف عيناه دمعة·

قال «مونتييل» بهدوء:

– « بلتزار » · قلت لك خذ القفص ·

وقالت المرأة للصبى بنظرة آمرة :

– رده اليه ·

ولكن بلتزار قال :

– احتفظ به ·

ثم بسرعة لخوزيه مونتييل :

– انا في الحقيقة ما صنعته الا من اجله ·

وخرج « بلتزار » وتبعه « خوزيه مونتييل» حتى بلغ الصالة ثم قال له وهو يسد عليه الطريق :

– لا تكن احمق يا « بلتزار » · خذ قفصك معك الى البيت وكفى بلاهة · انا لن ادفع لك فيه « سنتافو » واحدا ·

ورد « بلتزار » :

– لا يهم · لقد صنعته خصيصا لأهديه لبيبى ، ولم اكن انتظر ثمنا له ·

وحين شق بلتزار طريقه وسط من جعلهم الفضول يسدون الباب كان « خوزيه مونتييل » يرغى ويزبد في الصالة وقد امتقع لونه وبدأ الاحمرار يتسرب الى عينيه · وصاح في ابنه :

– مغفل ! خذ قفصك ·· ما كان ينقصنا الا ان تعطى حشرة مثلك اوامر في بيتى ، عليك اللعنة !

ولما وصل « بلتزار » الى صالون « البلياردو » قابله كل من فيه بالتصفيق ·· لقد كان حتى هذه

اللحظة يظن انه صنع قفصا أحسن من باقي الاقفاص التي صنعها وانه اصر على اهدائه لابن « خوزيه مونتييل » لكي يكف عن البكاء ، وان شيئا من هذا لا يستحق الذكر ، فاذا به يكتشف ان هذا حدث من الاهمية بمكان لدى كثير من الناس. وخامره شعور كالنشوة .

وقال قائل :

ـ يبدو انهم اعطوه خمسين « بيزو » ثمنا للقفص .

فرد « بلتزار » :

ـ بل ستين !

وقال احدهم :

ـ ما من شخص غيرك استطاع ان ينتزع مبلغا كهذا من « دون شيبي مونتييل » . هذا حدث جدير بالتسجيل يجب أن نحتفل به .

وقدموا له كوبا من « البيرة » . ورد لهم بلتزار المجاملة بان طلب على حسابه شرابا للجميع .

كانت هذه هي المرة الاولى التي يشرب فيها . وعند الفجر كانت الخمر قد لعبت براسه تماما فجعل يتحدث عن مشروع ضخم لصنع الف قفص يبيع الواحد منها بستين « بيزو » ثم لصنع مليون قفص يجني من ورائها ستين مليون « بيزو » .

وقال وقد اعماه السكر :

ـ اشياء كثيرة لابد من صنعها وبيعها للاغنياء قبل ان يدركهم الموت. انهم جميعا مرضى يوشكون على الهلاك . ولانهم في حال سيىء فمن المحظور عليهم حتى أن يستسلموا للغضب .

وظل « الفوتوغراف » الاتوماتيكي ، على مدى ساعتين يعزف بلاانقطاع .. وشرب الجميع نخب « بلتزار » وتمنوا له الصحة والحظ والثروة ، كما تمنوا الموت لكل الاغنياء . على انهم حين حانت ساعة العشاء تركوه وحده في الصالون

وانتظرته « اورسولا » حتى الثامنة وكانت قد اعدت له طبقا من اللحم البارد المغطى بشرائح من البصل. وقال لها بعضهم ان زوجها في صالون « البلياردو » ، وان السعادة قد ذهبت بعقله وانه طلب بيرة لجميع الحاضرين . ولم تصدق لان « بلتزار » لم يسبق له ان سكر . وحين آوت الى الفراش قرب منتصف الليل كان « بلتزار » يجلس في الصالون الذي اضيئت انواره ورصت فيه موائد حول كل منها اربعة المقاعد ، امام حلبة رقص في الهواء الطلق كانت تمر من فوقها طيور الكروان .

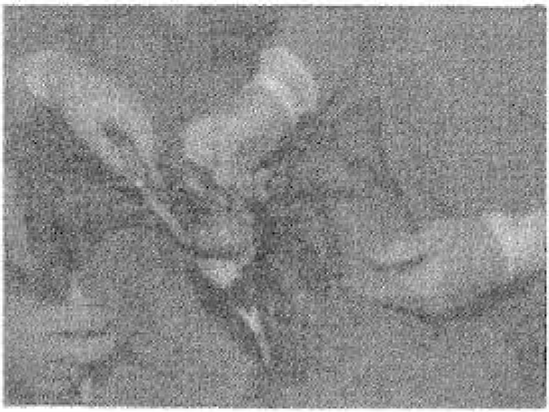
كان وجه « بلتزار » ملطخا بأحمر شفاه . وقد حاول ان يمشي ولكنه لم يتمكن من السير خطوة واحدة . وقال لنفسه:آه لو استطعت أن ارقد في فراش واحد مع امرأتين. لقد انفق في الصالون مبلغا كبيرا واضطر لترك ساعته كرهن مع تعهد بدفع الباقي في اليوم التالي .

وبعدها بلحظات تنبه، وقد وقع في الشارع وارتمى على الارض مباعدا ما بين رجليه ، الى انهم يخلعون حذاءه. ولكنه لم يرد ان يفيق من حلم كان اسعد حلم في حياته .

ولم تجرؤ النسوة اللواتي مررن في الصباح في طريقهن الى الكنيسة لحضور قداس الساعة الخامسة ، على النظر اليه ، فقد اعتقدن انه في عداد الاموات .

بنوك الأعضاء البشرية

بين الحقيقة والخيال!!



بقلم:
د. أحمد التاجى

استحدثت بنوك الدم منذ فترة طويلة ، وكان لها دورها الانسانى فى انقاذ حياة المرضى والمصابين ، ممن كانوا فى امس الحاجة الى قطرات من الدم ، تعيد الى قلوبهم واجسادهم الحياة .

وكان النجاح فى هذا المضمار مشجعا على ان تطلع العلم الى ماهو اكثر واعقد ، حتى خيل له انه يستطيع ان يوفر كل قطع الغيار البشرية دون ادنى مشقة ! فظهرت بنوك اللبن لتمد الاطفال المحرومين من الرضاعة الطبيعية بالغذاء والحنان واجريت عمليات نقل القلوب والكلى وغيرها من الاعضاء والعظام والاوصال البشرية ، ثم استحدثت بنوك المنى والاجنة ، كما بدانا نشهد الان عمليات مايسمى بالرحم المؤجر وغيرها من القضايا التى تتعارض مع الشرائع السماوية ، وتؤدى بعض الحالات الى اختلاط الانساب ،واختلال الوراثة فالى اين يسير بنا العلم والى اين تتجه ؟

بنوك الأعضاء البشرية

من أطرف التقاليع التى انتشرت حديثا .. البنوك المهتمة بحفظ أعضاء الجسم البشرى حتى تكون تحت الطلب لاى محتاج أو مريض ، وهى فكرة بدأت منذ فترة طويلة ببنوك الدم المعروفة ، ثم تطورت لتشمل معظم أعضاء وانسجة جسم الانسان . أيضا مثل بنوك لبن الام . وبنوك الحيوانات المنوية وبنوك البويضات ، بل وحتى بنوك للاجنة البشرية نفسها .

● بنوك الدم

وبنوك الدم هي اقدم الانواع واكثرها رسوخا وانتشارا فى معظم أنحاء العالم لما تقدمه للطب من خدمات جليلة . فهى السبب فى انقاذ حياة كثير من المرضى والمصابين فى الحوادث أو أثناء العمليات الجراحية أو حالات النزيف بعد الولادة وغيرها .

وبالرغم من ذلك فهناك بعض الطوائف اليهودية التى تحرم عملية نقل الدم حتى لو دفع المريض أو المصاب حياته ثمنا لهذا التحريم .

وهناك بعض الشرائع السماوية التى تكره عمليات نقل الدم ولكن تتعامل معها من منطلق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات كما فى الاسلام وهناك من لا يمثل لهم نقل الدم اية مشاكل عقيدية .

وبنوك الدم لا تختلف كثيرا عن البنوك العادية فكما أن هناك خزائن لحفظ الاموال فى البنوك المصرفية هناك أيضا خزائن أو على الاصح ثلاجات لحفظ الدم ، وكما يحتفظ الانسان بالفائض من نقوده فى البنوك بغرض الادخار لوقت الحاجة او الاستثمار ، فهنا أيضا فى "بنوك الدم تحفظ الدماء المتبرع بها من قبل بعض الافراد حتى يمكن استعمالها وقت الحاجة ولكن غالبا لا يكون الشخص نفسه هو المحتاج ولكن مصاب او مريض اخر قد يكون فى أشد الحاجة لقطرات الدم هذه لانقاذ حياته ، وبالتالى يستفيد شخص اخر من الادخار فى هذه البنوك وقد قل الا يتعامل شخص أو أفراد أسرته مع هذه البنوك الحيوية ومن هنا فهى نوع من التكافل والتأمين والادخار بل والاستثمار الانسانى فى نفس الوقت .

والصورة ليست وردية هكذا فى كل الاحوال ، بل أصبح الدم سلعة تباع وتشترى بالمال ، وهذا هو الوجه المظلم والمؤسف من العملة . وفى كثير من الدول المتقدمة مثل أمريكا منع الاتجار فى الدم بتاتا سواء شراء أو بيعا واستمرت بنوك الدم تعتمد على المتطوعين فقط وعلى درجة وعيهم بأهمية وفوائد التطوع بالدم . فقد يصبح المتطوع فى أى وقت من أكثر المحتاجين لرصيد هذه البنوك .

● بنوك القلب والكلى

وهناك انواع أخرى من البنوك البشرية التى بدأت فى الانتشار خاصة فى الدول الغربية مثل بنوك القلب والكلى وفى هذه البنوك لاتوجد خزائن او ثلاجات لحفظ هذه الاعضاء الحيوية ولكنها بنوك على الورق فقط أو بالاحرى بنوك داخل الكمبيوتر . فالكمبيوتر يحتفظ بقائمة تضم أسماء العملاء المتبرعين بالكلى على سبيل المثال ويحتفظ فى ذاكرته بكل خصائص هؤلاء الافراد من حيث فصيلة الدم والانسجة وكل البيانات المهمة اللازمة لنجاح عملية نقل الاعضاء البشرية . ويحتفظ الكمبيوتر أيضا فى المقابل ببيان كامل عن المحتاجين لهذه الاعضاء وخصائصهم . فاذا

توفى الشخص المتبرع بجزء من جسمه يقوم الكمبيوتر بارسال اشارة عاجلة لفريق طبى متكامل للاسراع الى مكان الوفاة والقيام بعملية نقل العضو المتبرع به قبل أن يصاب بأى نوع من التلف . ومرة اخرى دخلت التجارة بل والاستغلال فى هذا المجال فاصبحت الاعضاء البشرية تعرض على صفحات الجرائد للبيع وللشراء بأبهظ الاثمان علما بأن كل القوانين والشرائع تمنع وتحرم ذلك . ولكن فى غياب الوعى الصحيح تنتشر هذه التجارة وتزدهر على حساب المبادىء والعدالة الغائبة

● بنوك لبن الام

ونجد نوعا آخر من البنوك البشرية بدأ ينتشر بسرعة فى الغرب وهو بنوك لبن الام . فقد تنبه الجميع أخيرا لاهمية الرضاعة الطبيعية للطفل والام والمجتمع ككل ومن أجل الاطفال المحرومين من نعمة الرضاعة الطبيعية بسبب أو لآخر وحتى لاتتغذى الام وليدها باللبن الصناعى بمخاطره ومشاكله انشئت بنوك لتجميع الفائض من لبن الامهات وتوزيعه على الاسر المحتاجة ويتم هذا بنظام بديع فى كثير من الولايات الامريكية قوامه التبرع من قبل الامهات باللبن وتطوع الاشخاص القائمين بتوزيعه كل صباح للمحتاجين دون أى مقابل مادى ويثور الجدل حول شرعية تطبيق مثل هذا النظام فى الدول الاسلامية اذ أن الشريعة الاسلامية تحرم مثل هذه البنوك لشبهة الزواج من الاخوات فى الرضاعة بعد ذلك . وان كانت هناك آراء أخرى تبيح عمل مثل هذه البنوك فى حالة حدوث خلط بين الالبان المختلفة قبل الرضاعة . وهناك آراء أخرى تطالب بانشاء نظام خاص تعرف فيه الام المتبرعة باللبن لطفل معين لتفادى حدوث أى شبهة زواج بين اخوة واخوات الرضاعة .

* * *

بنوك أخرى كثيرة بدأت تنتشر ايضا فى العالم الغربى وهى بنوك الحيوانات المنوية وبنوك البويضات وبنوك الاجنة ... ولكن مثل هذه البنوك تثير الكثير من الجدل الطبى والقانونى والدينى بل والاجتماعى حتى فى اكثر المجتمعات تحررا .

وليحدثنا رجال الاقتصاد عن الجدوى الاقتصادية لهذه العمليات وهل عائدها يناسب تكاليفها الباهظة فى معظم الاحيان وعن جدوى ادخالها للعالم النامى وهل نحن حقا فى حاجة الى مثل هذه العمليات .

كما نرجو أن يحدثنا رجال الدين عن رأيهم فى مثل هذه العمليات بصراحة وبوضوح حتى لا يتركوا مجالا للشك أو البلبلة .

وكذلك يحدثنا رجال القانون عن مدى قانونية التبرع بالاعضاء اثناء الحياة وبعد الوفاة ومدى قانونية حالات بيع الاعضاء التى انتشرت مع الاسف فى الاونة الاخيرة . وليحدثونا بالطبع عن المشاكل القانونية التى ظهرت امام المحاكم بخصوص نقل الاعضاء خاصة فى حالات بنوك السائل المنوى والبويضات والاجنة .

كما اطلب من رجال الاجتماع وعلم النفس أن يحدثونا عن آثار هذه العملية سواء الاجتماعية او النفسية او الانسانية .

انها دعوة حارة لفتح باب مناقشة جادة ومثمرة فى موضوع نقل الاعضاء ككل خاصة انه بدأ يغزو عالمنا العربى بسرعة بالرغم من أن اثاره تثير بلبلة لدى الكثيرين .

شهريات

رأى فى الثقافة

الكتاب المصرى كان غائبا فى معرض المغرب

● اقامت المغرب فى الفترة ما بين ٣٠ اكتوبر الى ٨ نوفمبر الماضى معرضها الدولى الاول للكتاب فى مدينة الدار البيضاء ، وبصرف النظر عن غلبة الكتب الفرنسية على الكتب العربية بشكل عام ، فانه يمكن القول ـ بناء على ما شاهدته بعينى ـ ان المعرض كان حاشدا وحافلا ، كان اشبه بمعرض القاهرة الدولى للكتاب ، فقد رأيت الأيدى تتخاطف الكتب ، والناشرون يكادون يضجون من زحام المشترين .

لكن المدهش والمحزن اننى تجولت فى المعرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا باحثا عن دور النشر المصرية فلم أجد لها اثرا الا من رواق صغير غير لائق علقت عليه لافتة « دار الاهرام » ، لكنه ، وللاسف ، وحتى اليوم الأخير للمعرض لم يكن به سوى أربع نسخ ، قيل لى انها للعرض فقط ، من كتاب محمد حسنين هيكل « ملفات السويس » قابعة خلف المندوب الذى توجهت اليه بالسؤال عن الامر فذكر حججا عن عدم وصول الكتب يخجل المرء من ذكرها ، بل هى تؤكد الاهمال والتقصير والعجز اكثر من اى شىء آخـر .

وحتى ابحث عن الاسباب الحقيقية ذهبت الى ادارة المعرض سائلا فعرضوا على خطابات الدعوات التى وجهوها الى اغلب دور النشر المصرية، العامة والخاصة ، فكانت ردودهم من ذلك النوع « الغائب » !

هل كف المغاربة ، مثلا عن طلب الثقافة المصرية ؟ .

هذا غير صحيح ، لاننى وجدت لهفة لدى كل الذين التقيت بهم فى المعرض وخارج المعرض على الكتاب المصرى ، مثل لهفتهم على الثقافة المصرية وفى زيارتى لاربع جامعات مغربية وجدت الثقافة المصرية بمكانتها الرائدة فى عقول ووجدان الطلبة والاساتذة والمثقفين المغاربة ، لكن ، هل نقول للاسف ؟ من خلال دور النشر اللبنانية ، التى علينا ان نعترف لها بهذا الفضل على الرغم مما تعانيه .

كيف ؟ ولماذا ؟ ولم ؟ يغيب الكتاب المصرى عن مثل هـذا المعرض الحاشد ؟ هذه اسئلة على السادة المتربعين على قمم دور النشر والتوزيع المصرية ان يجيبوا عليها ، لا فقط من اجل حضور الثقافة المصرية ، اغلى والثمن ما نملك ، بل من اجل انفسهم ، حتي لا يتباكون مرة اخـرى على قلة توزيع الكتب ، وان يبكوا على حالهم ·

عبده جبير

رسالة المغرب

● ندوة الرواية العربية في المغـــــرب

● اقام اتحـاد كتاب المغرب فى الفترة ما بين ٣٠ اكتوبر الى الاول من نوفمبر الماضى ، وبالتعاون مع الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب مؤتمرا حاشدا تحت شعار « اسئلة الرواية العربية » حضره عدد كبير من الروائيين والنقـاد العرب على راسهم احمد اليبورى (رئيس اتحاد المغرب » ومحمد براده ومبارك ربيع وادريس الناقـورى ، وابراهـيم الخطيب ، واحمد بوحسن ، وبشير القمرى ، ومحمد عز الدين التازى ، والميلودى شغموم ، وعبد الفتـاح كيلطو ، وغيرهم وغيرهم من النقاد والروائيين المغاربة ، كما حضـره الروائيان السوريان مطاع صفدى ، وخلدون الشمعة والناقـد الروائي الفلسطيني نواف ابو الهيجاء ، ومن العراق شارك كل من فريال غزول ، وسامي مهدى وفؤاد التكرلي ومحمد الجزائرى ، اما من مصر فقد حضر كل من الناقد صبرى حافظ والروائيان ابراهيم اصلان وعبده جبير ·

وغاية القول باختصار انه على الرغم من غياب عدد كبير من المبدعين الذين دعوا اليهـا (اميل حبيب ، ومحمد شـكرى ، وحيدر حيدر ، وعبد الرحمن منيف ، وجبرا ابراهيم والطاهر وطـــار ورشيد بو جودة) الا انها اتسـمت بروح عـالية من الجدية والجدة ، كما كان الصراع فيها على اشـده بين بعض الممثلين لتيار الرواية التقليدية وتيار الرواية الجـديدة ، ويمكن القول ان اغلب النقـاد والدارسين المغـاربة ابدوا تحـيزهم للتيار التجديدى ، وقـد انعكس ذلك من خلال ما قدموه من دراسات عنه ·

وعلى الرغـم من غياب اسـماء روائية ونقـدية بارزة من مصر ، سبق لاغلبهم حضور ندوات سـابقة فى المغرب ، فان اسماء صنع الله ابراهيم ويحيى الطاهر عبد الله ، وادوار الخراط وجمـال الغيطاني وعبد الحكيم قاسم ، وغيرهم ترددت كثيرا فى الدراسات التى نوقشـت بشـكل لافت ، مما يؤكـد على المساحة العريضة التى باتت الروايا المصرية الجديدة تحتلهـا فى ساحا الرواية العربية ·

على اية حال لقد اتسمت جلسات الندوة بجـدية المناقشـات ، به وبحدتها فى بعض الاحيان ، كما كا لها ردود فعل واسعة فى اجهـز الاعلام المغربية ان يكن فى الصحـ المغربية بمختلف اتجاهاتها ، او عـ التليفزيون والاذاعة · الامر الذ ان دل على شىء فانما يدل على حيو الحياة الثقافية فى المغـرب ، وعل الدور الكبير والحيوى الذى يقوم اتحاد الكتاب المغاربة ·

تبقى بعـــد ذلك ملاحظة رددهـا لكثيرون هي غياب العنصر النسائي ى الندوة ان يكـن من المبدعات او لناقدات ، فلم يشارك سوى الروائية لغــربية خناثة بنونة بشــهادة عن لجربتها الروائية ، والناقدة العراقية الاصـــل المقيمة فى القاهرة فريال نزول بدراسة لها عن ادوار الخراط

وعلى الرغم من ان اتحــاد كتاب لغرب هو هيئة اهلية مستقلة الا انه م يفت وزير الثقافة المغربى محمــد ن عيسى دعوة المشاركين فى الندوة ى حفل عشاء اقامه فى أحد الفنادق فاخرة فى الدار البيضاء ، واعلن ــلاله ، وبمناسبة النــدوة ، عن بائزتين ســتمنحهما كل عام وزارة ثقافة المغــربية احداهما للرواية مربية والاخرى للقصة المغربية ٠

مسرح

« احلام الفرسان »
ودراما المناســبات

« احلام الفرسان » هو اسم العرض ماد من الموسم الماضى ، وقد قــدم ى مسرح السلام لمدة اسبوع ناسبة احتفالات اكتوبر ٠٠

ومثلما اخفقت السينما فى التعبير حقيقى عن انتصــارات اكتـــوبر ٠ اءت الافلام التى تلفعت بعبـــاءة نبور اعمالا ملفقة وغير ناضجة بل سطحية ، ومثلها كانت المعــروض سرحية التى تناولت هذه الانتصارات، خرها كان عرض « احلام الفرسان » ى ، يفتقد اى قيمة فنية او فكرية، يمكن ان نعتبره دراما حقيقيـــة ، نما هو مجرد حواريات نسجت من ارات انشائية مسجوعة « ســيقت قسرا على لسان شخصيات هلاميــة سماها المؤلف ، ووزع على كل منها مهنة مختلفة ، ثم اكملها بعدة نصــــائح سلوكية متناقضة ، لكى تندفع كلهـــا تتحدث بطريقة مباشـــرة وعلى نفس السياق فى ترنيمات لا معنى لها ،غير ان الكلمات تجلب الكلمات والتهويمات تخرج من تداعيات الهرطقه الحماسية، وما على المخرج الا ان يوزعها هنـــا وهناك ويضيف الموسيقى الصــــاخبة والرقصات التعبيرية الجامدة والمستهلكة، ثم قليلا من الاغانى الزائفة والحركات المفتعلة ، يحيـــــط كل ذلك بممثلين لا يهمهم ما يقولون ٠

وقد يكون من الاجدى الا نضـيع وقت القارىء فى مناقشة هذا العرض الذى انصرف عنه المتفرجون تماما ٠٠ ولكنه يثير قضية مهمة حول دراما المناسبات التى تقدم من اجل تمجيد بطولة او اعلاء شأن حدث ، وكثيـرا ما كتب نقادنا حـــول تخلف هـــذه الدراما عن مواكبة الاحداث والتعبير عنها ، ولكن اعمال المناسبات تترى ، ووقوعها فى نفس الكليشيهات مستمر، وكأن الزمن لا يتحرك ولا يتقـــدم ، ولا احد يريد ان يتعلم ٠

فهكذا كان يكتب كتبة المناســبات ويتقدم المخرجون الجــاهزون دائما ، وتحشد الطاقات وتتوفر الميزانيات ، والنتيجة : حصاد كهشـــيم تذروه الرياح ، فلا قيمة تعطى ولا هـــــدف يراد من كل هذا ٠

انهـــم بما يفعلون يفقـــدون فن المسرح اهم خاصية له فى معــــاركة الواقع والصدام الحى معه ، انهـــم يريدون ان يظل مسرح الدولة محصورا فى عروض ميتة ، فاذا ارادوا الابتهاج بمناسبة قومية اناروا المســــارح بعروضهم المظلمه ٠

والسؤال الذى قد يتبادر الى الذهن : لماذا هذا الاصرار على تقديم هذه الاعمال الضحلة ، الجواب عندى: ان القيادات المسرحية فى مسرح الدولة صارت تكره المسرح وتكره جمهوره !

● المسرح العربى فى مصر

ضمن احتفالات محافظة السويس بعيدها القومى قدمت فرقة المسرح الوطنى التونسى من اخراج المنصف السويسى عرضا باسم «مدينة المقنعين» التى كتبها شوقى خميس ، وقدمت فرقة عراقية مسرحية « ليلة من الف ليلة » اخرجها سامى عبد الحميد عن نص لفلاح شاكر محمود ، وقد اعيد العرضان لجمهور القاهرة على مسرح السلام .

ومسرحية « مدينة المقنعين » سبق ان قدمها المخرج احمد زكى عام ٧١ على مسرح الطليعة ، والنص كان قد كتبه صاحبه عام ٦١ وقد تناول فيه رحلة معاصرة للسندباد بحثا عن قيم ومطلقات عليا ، عن الحرية والعدل والحقيقة ، وذلك فى شكل مسرحى اقرب للقصيد النثرى ، والذى تحايل المنصف السويسى على تقديمه باسلوب جذاب وشائق ، اذ استخدم مفردات المسرح العارى الذى لا يعتمد على ديكورات قدر اعتماده على اكسسوارات وادوات خاصة بالممثل لان الممثل هو اداته الاهم ، ينفرد به فى حركة انسيابية تعبيرية توحى بالجو وبالمنظر ، ومن خلال التكوينات التى يعتمد فيها الممثل على عصى ووشاح ، يشكل مع مجموعة الزملاء اقصى ما يستطيع من ابداع فنى لاتعطية العروض التقليدية .

وقد جذب التعبير الادبى المخرج فاستغرق طويلا فى ثرثرات مملة ، وحركات متكررة تفتقد بالتتابع جمالها وبكارتها ، ولم يكن طاقمه الفنى بقادر على الخروج من ذلك اذ اتسم الاداء بروح تقليدية لا تناسب رؤية العرض التجريبية ، فنزح معظمهم للتعبير الميلودرامى والصراخ .

ولكن على كل حال عرض جميل استقبله جمهور المسرح بلهفة وتشوق

محمد الشربينى

تليفزيون

المثقف المستتر
اسامة انور عكاشة

لقد تزايد شعورى خلال السنوات العشرين الاخيرة بأن المثقف فى بلادنا يخشى ان تظهر عليه علامات تفوقه ان يلتقط الناس ثمار الجهد الذى بذله ليلم بجوانب الثقافة العامة ، التى تعد من البديهيات فى بلد يتمتع بالمكانة التى لاتزال مصر تحتلها بين بلاد العالم .. برغم ...

وكثيرا ما تردد ان التغيير الاجتماعى يكون اسرع بكثير من التغيرين الثقافى والاخلاقى..واخذنا ننقب عن شتى التبريرات لما يحدث فى بلادنا .. لكن الحقيقة اننا نتمادى تيار يدفعنا الى محاولة تسفيه ما هو رفيع وجميل فى اصرار وثبات على المبدأ يدعو احيانا الى .. هل نستطيع أن نقول الاعجاب ؟!

فالبساط باختصار يجذب من تحت اقدام المثقفين فيسقطون بيسر واستسلام يدعوان للعجب . ويتوارى بعضهم .. اما البعض الاخر فيحاول ان يبقى فى صورة « عصرية » ولكن ، لحظة العسير يكشف بسهولة وقد قال احدهم على سبيل المثل

لكاتب سيناريو ان اسلوبه فى عرض موضوعه وكلمات حواره يفضح مستوى عال من الثقافة ! ويبلل العرق جبين الكاتب المسكين وقال مدافعا عن مستقبله فى خجل انه حاول ان يصل الى « الناس » .. حاول ان يكون بسيطا وان ينسى وهو يعد العمل كل ما قرأه .. قال وهو يكاد يبكى ان الله خلقه يحب الاطلاع والعلم ! .. حاول أن يخفف من حكم الاعدام .. ان يدافع عن سمعته فى لسوق .. لكن الاحكام فى هذا المجال لاتعدل ولا تخفف بل انها تنتشر تضع صاحب السوابق فى حب لعرفة فى قائمة المرفوضين .. ويظل لسكين يلعن اليوم الذى مده فيه بوه او معلمه بكتاب لعين ..

ومن الكتاب الذين يحاولون قبر مكاناتهم اخفاء حصيلتهم من الثقافة لادبية والتاريخية واطلاعه الواضح على الاساطير والاداب الشعبية .. سامة انور عكاشة .

— واتمنى الا تأتى تحية الاعجاب ذه بنتائج عكسية فيفقد شعبيته عند ن يقرأ تلك السطور — وقد اذهل هذا كاتب الموهوب فيما مضى حشدا من المثقفين » بمسلسل « الشربية » يث ناقش مشكلة الفن للفن الابدية .. ل يعمل الفنان من اجل الناس من جل توصيل فكره اليهم أم انه يشبع غبة فى التعبير تنبع من ذاته لا تخص احدا غيره فينعزل عن الناس يغوص فى ايقانه بأنه مختلف عنهم يحتاجهم ويرفض حاجتهم اليه ؟ لذ اختفى اسامة عكاشة عقابا له عن ذا العمل المتفوق .. سال عنه البعض همسات خافتة تركوه يكافح وحده تى ظهر فى بعض اعمال لفتت نظار الهادئة .. الى أن اجبر يتاجر على اطلاق صرخة اعجاب عالية وانضمت فى توليفة عبقرية كل الاصوات الغليظة والناعمة من جميع الانواق ومختلف العقليات للترحيب بمسلسل « الشهد والدموع » .. فحقق اسامة عكاشة ربما بدون ان يدرى الرباط القومى فى أرجاء البلاد . والتوت الاعناق ناحيته فى انتظار الجديد ، ولم يتخلف الكاتب الفنان فاخذ يضيف فى كل مرة اسبابا للانبهار بقدراته الابداعية وتأثره بما تلقاه من تحصيل مفرق .

ففى مسلسل « رحلة أبو العلا البشرى » جاءت الصورة الاولى فى مقدمة المسلسل لدون كيشوت ليتبيننا منذ الوهلة الاولى بسيمات الشخصية التى يقدمها لنا تلك النفس الانسانية الرقيقة الحالمة التى تهرع لانقاذه من حولها والتصدى للباطل فى اندفاع لا تكسر من حدته ما تلاقيه من احباطات .. لا تلوثها قسوة الظروف ومظاهر الشر من حولها . ثم عاد السيناريست الموهوب بنفس هدوئه الى الشاشة الصغيرة بمسلسل « وادرك شهريار الصباح » عن مسرحية ترويض النمرة « لشكسبير » كما ذكر فى العناوين .. بالرغم من اختلاف كل التفصيلات وان جمعت بين العملين فكرة وسيلة الوصول الى قلب المرأة مهما بلغت من توحش فالرجل فى تصور شكسبير كفيل بأن يجد الوسيلة التى يخفض بها انفها ويعيدها الى حظيرته .. أما اسامة عكاشة فقد لفت نظر مؤسس الدراما « الحديثة » فى رقة بالغة الى انه يتجنى على المرأة كما تجنى عليها فى معظم مسرحياته حيث كانت الدافع للرذيلة وللجريمة . وربما كان هذا الانصاف للمرأة هو السبب الوحيد الذى دفع كاتب السيناريو الى التنازل عن حقه فى تأليف القصة .

وبمسلسل « عصفور النار » عاد الفنان الكبير ليثبت تنوع مصادر ثقافته ، فأوحى من خلال تناوله لموضوعه الى روح مسرحية (انتيجون) من خلال الديكور بالبنايات والاعمدة الخرسانية الضخمة كما بدت .. وكذلك الجمع الصامت من الفلاحين المتشحين الذى كان يحيط بالعمدة والذى اخذ يذكر بالجوقة فى المسرح الكلاسيكى القديم .. والراوى الذى يندفع الى مسرح الاحداث ليتنبىء بما لا نراه خارج الساحة .

وقد أضفى طابع المسلسل الكلاسيكى وهذا الاختيار الصعب بين الحب والواجب وانتصار الاخير بدون تردد أو تراجع .. جوا من القوة والجمال الى الروح المصرية الخالصة والحوار المنتقى الذى يتميز به اسامة عكاشة .

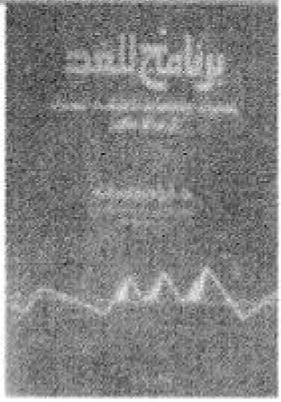
ليالى الحلمية

وقد فاجأ الفنان جمهوره فى هذا المسلسل بتنازله عن الرموز والكلاسيكية والفلسفة وأخذ يتعرض لتاريخنا الحديث الذىلم يعشه او يعايشه جيلان من رجالنا مما اعطى الفرصة لمن انتهزها فى ان يصور السنوات التى سبقت الثورة على انها عصر الرقى والجاه والسعادة وأخذ يتحسر على تلك الايام ويؤثر فيمن اكتوى بالام الحاضر .. فيضع لهم الفنان الصورة واضحة لما كان يحدث من فجور بكل معانيه ، ومن تكالب على الالقاب ومحاولة الانتماء الى الطبقة المتميزة . واستعداد الفنان لتقديم جزء ثان للموضوع ربما يعود بنا الى أمجاد «الشهد والدموع» ولكن بمعان ربما اكثر عمقا لانها تصور حياتنا السياسية فىحقبة مهمة من تاريخنا .

وهذه السطور ليست محاولة منا لعرض نقد لاعمال اسامة انور عكاشة ولكنها مجرد نبذة تعبر عن احساس بفنه وانطباع قد يختلف معه الاخرون ، وهى ايضا دعوة من القلب لان يستمر عطاؤه .. وان يدرك من يستطيع ان يتمعن ان الجدية وحدها تبقى .. أما النجاح السريع الذى لا يرتكز على قاعدة فما هو الا ومضة تبهر العين للحظات .

هدى الشوباشى

● مكتبة الهلال ●



الكتاب : برنامج الغد
تأليف : د. ابراهيم شحاته
الناشر : دار الشروق
١٠٠ ص ، ٣٠٠ ق م

يضم هذا الكتاب بين دفتيه المحاضرة التى القاها الدكتور ابراهيم شحاته نائب رئيس البنك الدولى ومستشاره العام فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، ويؤكد فى البداية انه وجدها فرصة لكى يشرح

تصوراته العامة حول ما يواجهه الاقتصاد المصرى ، بل والمجتمع المصرى ، من تحديات وتطلعات وهو يستعد لمواجهة القرن الحادى والعشرين ، كما ينفى ان يكون كلامه هنا معبرا عن وجهة نظر البنك الدولى او اية مؤسسة اخرى • بل « جاءت الى هنا للتحدث بصفة شخصية بحتة ، بوصفى مواطنا مصريا اتيحت له فرصة التجول فى العالم كله والعمل عبر السنين فى ثلاث مؤسسات للتنمية الدولية » •

ويرى الدكتور شحاته ان لب المشكلة ، ليس فى مصر فقط ، بل فى العالم العربى كله تكمن فى ان المجتمع يستعد لمواجهة القرن الحادى والعشرين بعقلية القرون الماضية ، ويدعو الى ضرورة مسايرة العصر باللجوء الى البحث العلمى قبل اى شىء ، ويعرض لذلك خطة عملية تتعقب عدة مراحل اولاها : مراجعة احوال مراكز البحوث القائمة، وثانيها انشاء جامعة عربية للتكنولوجيا ، وثالثها هى الافادة بشكل اكبر من المراكز الدولية للبحوث ، بالاضافة الى ان يضع الجميع فى اعتبارهم ان البيئة الاساسية التى يجرى تنميتها هنا ، هى بيئة صحراوية ، ويرى ان برنامجه المقترح للعمل هو من الشمول والعمق بحيث يقتضى تخطيطا استراتيجيا للاقتصاد ، بل وللمجتمع يحدد الاهداف والاولويات بصورة واضحة ويعبىء الجهود لتحقيقها ويتصف بالمرونة التى تشجع على التجديد •



الكتاب : قصيدة وصورة

ترجمة وتقديم : د . عبد الغفار مكاوى

الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت

٣٢٠ ص ، جنيه مصرى

يكاد يكون هذا الكتاب موسوعة جديدة اضافها الدكتور عبد الغفار مكاوى للمكتبة العربية ضمن ما اضاف من اعمال متميزة سابقة ، موسوعة جمع فيها ما كتبه عدد كبير من شعراء العالم من قصائد متاثرين فيها بلوحات فنية او تماثيل ، بعضها اوحت به الاساطير وبعضها الاخر نحته او رسمه فنانون محدثون وقدامى •

وهو قد اثبت فى هذا الكتاب القيم نصوص القصائد مع صور للاعمال الفنية معرفا بالشاعر والفنان مبينا قيمة القصيدة والعمل الفنى مما يجعل هذا الكتاب فريدا فى مكتبتنا العربية ولعله يكون بداية ودافعا للمؤلف وغيره من الباحثين ليجمعوا لنا القصائد العربية التى كتبت من وحى الصور والرسوم والتماثيل وهو عمل على الرغم من صعوبته فانه يستحق الجهد وبذل العطاء ،

الكتاب : زهر الليمون

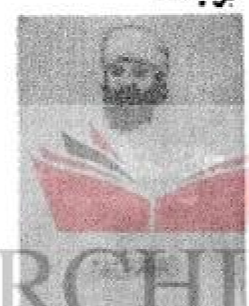
رواية : علاء الديب

الناشر : مختارات فصول ، هيئة الكتاب ١٦٠ ص ، ٥٠ ق م



« عبد الخالق المسيري » هذه الشخصية الروائية التي رسمتها يدي علاء الديب بدقة وبراعة ونظرته الحزينة لكن المتطلعة الى الضوء الخفيف الذي ترتعش به الحياة ، من بعيد، لكن في جوهرها وأساسها ، هذه الشخصية تكاد تكون اول شخصية ترسمها يدي روائي عربي لتكون شاهدا على زماننا القائم ، الممتد ما بين الستينيات وحتى الثمانينيات دون مباشرة فجة ، بل بفنية عالية تجعل القارىء يكاد ينفجر غيظا من القناع الكاتب ، الذي يدلل هنا على قوة ونفاذ بصيرة وتمكن من ادوات القص الروائي ».

عبد الخالق المسيري هو زهر الليمون ، يتساقط على الارض وتدوسه الاقدام ، فيختلط بتراب الارض ليزهر من جديد ، نراه وهو ينفعل وينشج لكن دون افتعال ، حتى لا يبدو الانفعال ظاهرا لكنه نافذ ومؤثر ، انها كتابة تعكس قوة البصر والنظر ، كتابة من نوع جديد ، تكشف عن بطل من زماننا ولد حيا و.. دخل التاريخ من اوسع ابوابه .



الكتاب : جمال الدين الافغاني بين دارسين
تالف : د . على شلش
الناشر : دار الشروق
٢٤٤ ص ، ٣٠ ج م

عن جمال الدين الافغاني كتب على شلش من قبل ثلاثة كتب هي « جمال الدين الافغاني » و « الافغاني وتلاميذه : وثائق مجهولة » و « والافغاني ومحمد عبده » ، ويبدو انه وجد جديدا في الوثائق والكتابات التي دفعه الى اكتشافها

يقول الكاتب : قادتني البحث الى الصحف التي ساهم الافغاني في الكتابة لها بباريس ولندن ، وعندئذ قادتني هذه الصحف ، وما نشر عنها من دراسات غير عربية الى الوثائق الجديدة ، ثم قادتني هذه الوثائق نفسها الى ما اقيم حولها من دراسات ، وبهذا تكاملت امامي صورة واضحة الى حد كبير عن الافغاني

هو اذن يساهم بهذه الدراسة الجديدة عن جديد الوثائق التي وجدها وفيرة بين يديه، ناعيا على الباحثين العرب عدم كشفهم عن الحقائق التي تكشفت منها قائلا : « حتى الدراسة الوحيدة التي نشرها الدكتور لويس عوض لم تات بجديد لانه اعتمد فيها على مصدر واحد اساسي هو دراسة قامت بها باحثة امريكية اعتمدت بدورها على مصدر واحد اساسي هو الوثائق الانجليزية، وهذه مليئة بالمغالطات والتحيز الطبيعي ضد الافغاني والتقليل من شانه » .

حتى العلماء

يُزوّرون النتائج!

● سيريل بيرت : صاحب أبحاث الذكاء يخونه ذكاؤه فى دراساته حول العلاقة بين الوراثة والذكاء..

بقلم : د. أحمد أبو زيد

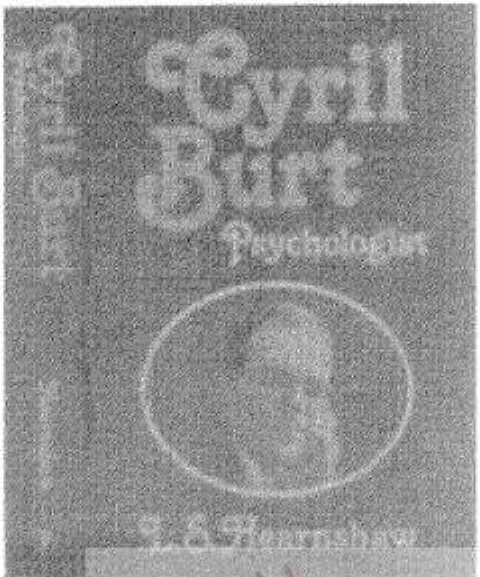
توفى عالم النفس الشهير سيريل بيرت فى يوم ١٠ اكتوبر عام ١٩٧١ عن ثمانية وثمانين عاما..

وفى يوم ١٦ اكتوبر عام ١٩٧٦ نشرت جريدة التايمز اللندنية إعلانا يقول :

« السير سيريل بيرت .

المرجو من مارجريت هاوارد وجى كونواى اللتين عملتا مساعدتين للسير سيريل فى ابحاثه عن ذكاء التوائم . او اى شخص آخر له معرفة بهما الاتصال باوليفر جيللى ، تليفون رقم ٤٨٥٨٩٥٣ - ١ »

وفى يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٧٦ نشرت جريدة الصنداى تايمز الاسبوعية وفى صفحتها الاولى مقالا تحت عنوان مثير هو : « عالم نفسانى بارز يزيف معلومات اساسية فى دراساته » . وإلى جانب العنوان ظهرت صورة سيريل بيرت . وكان المقال بتوقيع الدكتور اوليفر جيللى نفسه الذى ظهر انه مراسل الصنداى تايمز الطبى ..



أحدث كتاب صدر
عن سيريل بيرت
بشأن الفضيحة

● وأثار المقال ضجة كبرى في الأوساط العلمية في انجلترا ، إذ لم يكن سيريل بيرت عالما عاديا وإنما كان يعتبر أثناء حياته أبا لعلم النفس في بريطانيا وواحدا من أشهر و أبرز ستة علماء للنفس في العالم في القرن العشرين ، وقد ترك بصماته واضحة على كثير من فروع علم النفس التطبيقي ، كما كانت له إسهاماته في علم النفس التطبيقي وفي قياس الذكاء ورد متوسط أو نسبة الذكاء إلى أسباب وعوامل وراثية معارضا في ذلك المدرسة التي تربط الذكاء بالبيئة ، وقد أسهمت كل هذه البحوث والدراسات في تطوير فلسفة ومناهج التعليم في بريطانيا وأتخذت نتائج بحوثه في الذكاء أساسا لاختيار التلاميذ ، وكان له بطبيعة الحال معارضون ونقاد و أعداء من بين زملاء المهنة ولكنه كان يتغلب عليهم دائما ، إلى أن جاء ذلك اليوم من أكتوبر عام ١٩٧٦ وتفجرت تلك الفضيحة العلمية حول اتهامه بتزوير وتزييف نتائج بحوثه .. وأصبحت (قضية بيرت) كما عرفت في ذلك الحين من أهم القضايا التي شغلت الرأى العام المثقف في بريطانيا والعالم ولاتزال حتى الآن تثير كثيرا من الجدل عما إذا كان بيرت قد تعمد تزييف النتائج أو أن المسألة لا تخرج عن أن تكون مجرد أخطاء غير متعمدة ناجمة عن الاهمال بسبب تقدمه في السن ..

وقد وجه الدكتور أوليفر جيللي إلى بيرت أربعة اتهامات وهي أن بيرت كثيرا ما كان (يخمن) درجة ذكاء الوالدين



حتى العلماء يزورون النتائج

ويعتبر هذه التخمينات حقائق علمية .. قاطعة وثابتة ، وانه ليس هناك ما يدل بشكل قاطع على وجود مارجريت هاوارد وجى كونواى اللتين يذكر بيرت دائما انهما كانتا تساعدانه فى إجراء كل بحوثه الميدانية عن التوائم ، وأن علاقة التلازم بين ذكاء الآباء والأبناء لا يمكن أن تصل ابدا إلى كل هذه الدرجة من الدقة مهما اختلفت حجم العينة المدروسة إلا إذا كان ذلك عن طريق التلفيق لكى تتفق الملاحظة مع النتائج المطلوبة ، وأن بيرت كان يزيف أو (يفبرك) المعلومات ويخترعها اختراعا لكى تتلاءم مع افكاره وآرائه ووجهة نظره الخاصة عن العلاقة بين الذكاء والوراثة ..

● الوراثة والذكاء

ولكن المسألة كانت فى الحقيقة اكبر واخطر من أن تعتبر مجرد عملية تزييف أو تلفيق نتائج بعض البحوث العملية ، رغم خطورة ذلك العمل فى مجتمع يعرف أصول البحث العلمى ويدرك معنى الأمانة العلمية التى يجب أن يتحلى بها العلماء والباحثون ، ولذا فلم يكن غريبا ان تظهر جريدة التايمز فى اليوم التالى لذلك مباشرة (يوم ٢٥ اكتوبر) وتعلن صراحة أن النتيجة الطبيعية لما قام به بيرت هى أن نظريته عن العلاقة بين الوراثة والذكاء لم تعد تصلح أساسا للسياسة التعليمية واختيار الطلاب ، بل إنه ليس ثمة ما يدعو بعد الآن إلى التمسك بأعماله وبحوثه الأخرى او الاعتداد بها والاطمئنان اليها وانه من الضرورى إعادة النظر فيها كلها للتأكد من سلامة خطوات البحث وصحة النتائج ..

والواقع ان الشكوك كانت تراود اذهان كثير من العلماء حول اعمال بيرت والنتائج التى كان يعلنها فى كتبه ومقالاته الكثيرة التى كادت تقترب من اربعمائة مقال وتعليق ، ولكن احدا من هؤلاء العلماء لم يوجه إليه ابدا تهمة الخداع والتزييف والتزوير ، بل ان ذلك لم يكن يخطر لأحد منهم على الاطلاق ، ومع ذلك فإن الغموض الذى كان يحيط بالباحثتين المساعدتين هاوارد وكونواى كان يقلق البعض منذ عام ١٩٧٥ وذلك حين اخفقوا فى التوصل اليهما او الاستدلال عليهما من أجل الحصول منهما مباشرة على بعض التفصيلات المتعلقة بالبحوث المبكرة التى قام بها بيرت والطريقة التى تم بها إجراء هذه البحوث والدور الذى قامتا به اثناء ذلك .. واصبحت هاتان الباحثتان المساعدتان تعرفان من ذلك الحين باسم « المراتين المفقودتين » .

ولكن حتى قبل ذلك التاريخ كان أحد اساتذة علم النفس بجامعة برنستون ، وهو الأستاذ ليون كامين ، قد بدأ منذ عام ١٩٧٢ يعبر فى محاضراته وندواته عن ارتيابه فى صحة النتائج التى توصل إليها بيرت عن ذكاء التوائم وعدم سلامة الأسس الامبيريقية التى تقوم عليها تلك النتائج ، وقد قام فى عام ١٩٧٣ بتوزيع نسخ من تلك المحاضرات على نطاق واسع جدا فى كل الجامعات الأمريكية ثم قام

عام ١٩٧٤ بنشر كتاب بعنوان : « العلم والسياسة في بحوث قياس الذكاء » تعرض فيه بالنقد للدراسات والبحوث التى تستند إلى نظرية وراثة الذكاء وحاول أن يبين أنه ليس هناك ما يدعو إلى رفض أو إنكار نظرية العلاقة بين الذكاء والبيئة .

وكان معظم النقد والتجريح من نصيب بيرت بحيث أساء الكتاب إلى سمعته إساءة بالغة ، ولكن ذلك النقد والتجريح كانا يستندان إلى مبررات قوية ..

وقد لاحظ الأستاذ كامين أن دراسات بيرت عن التوائم تفتقر إلى المعلومات التفصيلية الدقيقة عن المنهج الذى اتبعه فى جمع المعلومات والذى كان يمكن أن نتعرف منه على وقت إجراء تلك البحوث ونوع الأفراد الذين خضعوا للدراسة كما أن كتاباته كانت تحتوى على أحكام وآراء متضاربة بل ومتناقضة عن نفس الأفراد الذين درسهم إلى جانب وجود كثير من الأخطاء التى قد تكون ناجمة عن الاهمال . والأخطر من هذا كله أن دراساته المختلفة تكشف عن درجة لا يمكن تصديقها من الاطراد فى معاملات الارتباط فى كل العينات على الرغم من كل ما بينها من اختلافات الحجم .. وكان ظهور كتاب الأستاذ كامين وانتشاره الواسع وما أثير حوله من جدل بين أنصار بيرت وأعدائه هو الخيط الذى أمسك به الدكتور أوليفر جيللى الذى نقل « القضية » إلى الرأى العام .. وتحولت القضية العلمية إلى فضيحة . وأصبحت المسألة أقرب إلى الرواية البوليسية المثيرة وفيها قام بعض العلماء والباحثين بدور المخبر السرى الذى يتتبع خيوط الحادثة لحل طلاسمها وأسرارها وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على مدى حرص العلماء فى الخارج على معرفة الحقيقة والدفاع عن الأمانة العلمية وعن سمعة العلم والعلماء حتى ولو كان فى ذلك تضحية بواحد من أكبر العلماء الثقات ، وظهرت بذلك عن « قضية بيرت » كثير من المقالات والكتب التى تتبع حياته وأعماله وعلاقاته ومراسلاته ومذكراته للحكم عليه بالادانة أو البراءة ..

• لعب بالحقائق

وقد اختلفت الآراء حول هذه « القضية » لدرجة أن البعض ذهب إلى أنها لا تعدو أن تكون مشكلة أثارها بعض اليساريين من أنصار مذهب البيئة وأعداء نظرية الوراثة واستغلوها من أجل بعض المكاسب السياسية عن طريق اللعب بالحقائق والوقائع العلمية وإثارة مشاعر الفئات الفقيرة والطبقات الدنيا فى المجتمع ، وظهر على الجانب الآخر من يدافع عن بيرت لدرجة أنه يذكر أنه قابل الآنسة مارجريت هاوارد بالفعل قبل أربعين سنة كاملة ولم ينسى أن يذكر بعض التفاصيل عن شخصيتها وابتساماتها وعيونها العسلية وشعرها الكستنائى المصفف ونظارتها الملونة بلون خفيف خاتم ، ولكن تذكر هذه التفاصيل بعد أربعين سنة أمر يثير الشك فى صدق أقوال صاحبها وجديته وهكذا ..

ومما يؤسف له أن أوراق بيرت كانت قد أحرقت بعد موته ، ومعظمها عبارة عن مذكرات وجداول وأرقام وكشوف إحصائيات واستمارات المقابلات التى كان يجريها من الأشخاص الذين يدرسهم وقد تولت إحراق هذه الأوراق التى كانت تملأ بضعة صناديق مديرة بيته أو على

حتى العلماء يزورون النتائج



الأصح الشقة التى كان يسكنها بمفرده فى لندن ، لأنها رأت أن تلك الأوراق لم يعد لها أية فائدة بعد موت صاحبها ولأن معظم المادة العلمية التى تحتوى عليها سبق نشرها بالفعل ، وهكذا أصبح من العسير إن لم يكن من المستحيل معرفة أسماء الأشخاص الذين قام بيرت بدراستهم أو أعمارهم ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من المعلومات التى تساعد على معرفة مدى صحة النتائج وسلامة المنهج .

ولكن من الناحية الأخرى لم يكن هناك ما يدل على أن تلك الصناديق التى أحرقت كانت تضم أوراقا بها بيانات عن دراسته للتوائم وهى المشكلة التى اثارت عاصفة الشك فى أعماله كلها . ثم إنه كان هناك قدر كبير من المراسلات والمذكرات منذ عام ١٩٥٥ حتى وفاته بالاضافة إلى يومياته الخاصة منذ عام ١٩٥٢ ولكنها لم تكن تحتوى على أية معلومات تكفى للاجابة على التساؤلات التى كان يثيرها العلماء او تبدد من شكوك المتشككين . بل الاكثر من ذلك أن هذه المذكرات تكشف عن أن بيرت لم يقم بأى بحوث عملية بعد عام ١٩٥٥ وان كل المقالات التى نشرها منذ ذلك التاريخ كانت تعتمد على بيانات جمعها فى الحقيقة قبل عام ١٩٥٠ ـ وهو العام الذى تقاعد فيه من جامعة لندن ـ بل إن جانبا كبيرا جدا من هذه البيانات يرجع إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية وإن كان بيرت يعطى فى مقالاته الانطباع انه قام بجمعها فى وقت قريب من تاريخ النشر .. كذلك ليس هناك فى تلك المذكرات ما يشير إلى أنه كان على اتصال بأى واحد من معاونيه السابقين كما لم يكن لديه اى مصدر لتمويل اى بحوث جديدة بل ولم يحاول الحصول على تمويل من أية مؤسسة من المؤسسات التى تهتم بالبحث العلمى فى مجال تخصصه مما يدل على انه لم يكن راغبا فى الحقيقة فى إجراء أى بحوث ميدانية جديدة بعد تقاعده من العمل الجامعى ..

ثم كان هناك تلك التناقضات الصارخة فى روايته هو نفسه عن بحوثه على التوائم ، فهو تارة يذكر انه كثيرا ما كان يقوم حتى بعد التقاعد برحلات طويلة لمقابلة إحدى الحالات ثم يعهد بعد ذلك إلى إحدى الآنستين هاوارد او كونواى بمتابعة الدراسة ، وتارة اخرى يذكر (حين يطالبه بعض الباحثين بعناوين الحالات التى درسها) انه كان يكتفى بقياس ذكاء الاطفال اثناء فترة العمل اليومى (قبل تقاعده) ولذا فإنه لم يذهب إلى البيوت ولذا فإنه لم يحتفظ بالعناوين ، وهذا التضارب فى الروايات كان من اهم الأسباب التى جعلت الكثيرين يتشككون فى أنه قام ببعض تلك البحوث على الإطلاق او انه على الأقل لم يكن امينا فى المعلومات والبيانات التى يملأ بها مقالاته وأنه كان يزيف هذه المعلومات إن لم يكن يخترعها اختراعا ..

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا يلجأ إلى مثل هذه الأساليب من الغش والخداع والتزوير رجل له كل تلك المكانة العالية والسمعة العلمية المرموقة مثل بيرت الذي ظل طيلة حياته وحتى بعد تقاعده من العمل الرسمي في جامعة لندن محل تكريم وإجلال واحترام سواء في الأوساط العلمية أو المحافل السياسية والدولية بحيث منحته ملكة بريطانيا لقب (سير) تعظيما لشأنه واعترافا (بخدماته) وانهالت عليه الدرجات العلمية الشرفية لتكريمه ، كما كان له تلاميذ ومريدون في كل أنحاء العالم المتقدم ؟

يذهب الاستاذ هرنشو الذى كتب كتابا عن تاريخ حياة سيريل بيرت إلى ان الوحدة القاتلة التى كان يشعر بها بعد إحالته إلى المعاش وامتناعه ـ او على الأصح منعه ـ من الذهاب إلى قسم علم النفس بالجامعة هما السبب ـ أو على الأقل من الاسباب الرئيسية ـ وراء كثير من مظاهر هذا السلوك الغريب ، وأن المسألة لا تعدو فى جوهرها أن تكون نوعا من خداع النفس أكثر منها خداعا للآخرين .. فقد كان بيرت (يريد) أن يخدع نفسه بأنه لايزال يعيش ويعمل وقد أحاط به تلاميذه ومساعدوه مثلما كانت عليه الحال أيام رئاسته لقسم علم النفس بجامعة لندن ، وأنه لايزال محور مدرسة كاملة ونشيطة من المساعدين والباحثين ، ولذا كثيرا ما كان بيرت يكتب فى مقالاته يقول : « لقد قمت أنا وزملائى فى البحث بعمل كذا أو كذا ، بينما الواقع أنه كان يعيش فى شبه عزلة لايكاد يزوره بعد تقاعده من زملائه وتلاميذه ومساعديه بصفة مستمرة سوى باحثة وزميلة واحدة فقط هى الدكتورة شارلوت بانكس التى كانت تحرص على زيارته مرة كل اسبوع لتناول الشاى معه . وكان بيرت ينتظر زيارتها الأسبوعية بفارغ الصبر بحيث كان يسجل فى مذكراته الخاصة غيابها حين يمنعها مانع من الحضور . وكان بيرت يحاول التغلب على شدة وطأة الوحدة بكتابة الخطابات . وكثرة رسائله إلى أخته وإلى إحدى السيدات الصديقات وهى السيدة بياتريس وارد تلفت النظر وكان يعالج فيها موضوعات كثيرة ومتنوعة تتراوح من الفن إلى الموسيقى إلى التاريخ إلى العلم .. وكانت بياتريس وارد تكتب إليه كل يوم رسالة واحدة على الأقل واستمرت . هذه المراسلات بينهما سنين طوالا .. ويقال ان بيرت كان يكتب ما لا يقل عن ١٥٠٠ رسالة كل سنة اى بواقع اربع أو خمس رسائل فى اليوم الواحد ، وهى فى الأغلب رسائل مطولة كثيرا ما كانت تصل الواحدة إلى عشرين صفحة ..

فهؤلاء المساعدون والتلاميذ الوهميون كانوا إذن نوعا من التعويض عن غياب تلاميذه ومساعديه (الحقيقيين) بل ان الامر وصل به إلى حد انه كان ينشر فى المجلة التى كان يشرف على تحريرها دراسات ورسائل يكتبها هو بنفسه وينسبها إلى مؤلفين ومراسلين وهميين وكانت هذه وسيلة أخرى يمكنه بها من ناحية توكيد آرائه ونظرياته حتى ولو جاء ذلك تحت اسماء لا وجود لاصحابها ، كما كانت طريقة لجذب اهتمام الناس بإنجازاته وأعماله ، وقد نشر فى المجلة اثناء رئاسته لتحريرها مقالات او رسائل لأربعين كاتبا ولكن من بين هذه الاسماء

الأربعين لم يمكن الاستدلال على أكثر من نصفها ، والأغلب أنها أسماء لأشخاص وهميين أيضا وأنه وضع هذه الأسماء الوهمية على مقالات ومذكرات ورسائل قام هو نفسه بتأليفها .. ويبدو أن هذا كان هو الحال بالنسبة للآنستين هاوارد وكونواى ، والظاهر أنه كان مضطرا لذلك حتى يمكنه الصمود أمام أعدائه من أنصار مدرسة علاقة البيئة بالذكاء ، ولذا كان يشير فى الستينيات إلى بحوث كونواى التى لم تظهر نتائجها بعد ..

وزاد من إحساسه بالوحدة تلك العزلة التى فرضت عليه بإبعاده من قسم علم النفس الذى أسهم إسهاما كبيرا فى تطويره منذ أن تولى رئاسته عام ١٩٣٢ بعد تقاعد عالم النفس الشهير سبيرمان وقد عمل بيرت على تعميق التقاليد السامية التى وضعها الأساتذة العظام الذين سبقوه والتى تقوم على إرساء قواعد البحث العلمى فى مجال القدرات البشرية وملامح الشخصية باستخدام طرق القياس النفسى والتحليل المعملى ، وكان ذلك القسم يعتبر اول مدرسة جادة وناجحة فى البحث السيكولوجى فى بريطانيا ، وقد استمرت رئاسة بيرت لذلك القسم المهم حتى تقاعده عام ١٩٥٠ ، وقد استمر البحث عمن يخلفه فى رئاسة القسم فترة طويلة إذ لم يكن من السهل العثور على شخص يستطيع ان يملأ الكرسى الذى شغله أساتذة من أمثال بيرت وسبيرمان وماكدوجال وغيرهم .. وحين وقع الاختيار فى آخر الامر على استاذ أمريكى ليشغل الكرسى وقع الخلاف بين الاثنين .. فقد استمر بيرت أستاذا متفرغا بالقسم وأراد الرئيس الجديد أن يدخل تعديلات جوهرية تتعارض مع التقاليد التى وضعها الاساتذة السابقون فيما يتعلق بالدراسة والتدريس والبحوث وكان لابد من الصدام بين الاستاذ وخليفته فى الرياسة والإدارة .. وكان لابد أيضا من ان يخرج الأستاذ ويترك الامر لمن بيده السلطة الفعلية حتى وإن لم تكن له نفس المكانة العلمية ، ولم يكن بيرت من الاشخاص الذين يتقبلون حقائق الحياة المريرة بسهولة أو ينظرون إلى الواقع نظرة فلسفية تخفف من هذه المرارة .. وقد كتب بيرت فى إحدى رسائله الى بياتريس وارد بعد ذلك بسنوات طوال (يوم ١٠ يوليو ١٩٥٩)

يقول : « إن الاستاذ الامريكى الذى خلفنى فى كلية الجامعة كان واحدا من الاساتذة الذين يعتقدون ان الدراسة الصحيحة للانسان تكون عن طريق دراسة الفئران ولذا فإن معظم العمل فى مجال علم نفس الفرد الانسانى انتقل إلى معهد التربية » .. وشعر بيرت أن القسم قد فقد وزنه وأهميته ومكانته وحين استقال الاستاذ الامريكى عام ١٩٥٧ وعاد إلى وطنه كان بيرت يأمل فى ان يعود القسم إلى سابق عهده وأن يسترجع هو نفسه مكانته المفقودة . ولكن الزمن كان قد تغير

وانساق بيرت وراء أوهامه وتخيلاته عن البحوث الجديدة التى يقوم بها عن التلاميذ والمساعدين الذين يحيطون به حتى يثبت لنفسه وللناس أنه لايزال يملك ناصية الزمن ..

● تناقض غريب :

ومهما يكن من شيء فلقد كان بيرت كما يقول عنه أحد العلماء الذين عرفوه وكتبوا عن حياته وانجازاته يجمع فى شخصيته بين القوة المثالية والضعف المتناهى وأنه كان يبعث فى الآخرين الاعجاب والاحترام والشك وعدم الثقة فى وقت واحد ، فكان البعض يرفعون من شأنه ويعظمونه ويرهبونه كما لو كان إلها على حد قول أحد تلاميذه السابقين ، بينما كان البعض الآخر يرونه إحدى قوى الشر المدمرة وقد يكون من الصعب التوفيق بين كل هذه المتناقضات إلا عن طريق التغلغل فى أعماق تكوينه النفسى وإخضاع عالمه النفسى للتحليل النفسى . ولكن الذى يهمنا هنا هو ذلك الدرس الذى يجب أن نخرج نحن به من هذه القصة ونحن نناقش الآن على نطاق واسع فلسفة وسياسة التعليم الجامعى فى مصر ومستقبل هذا التعليم والدور الذى يقوم به علماؤنا فى حياة المجتمع وإسهاماتهم فى البحث العلمى والإنجازات الحقيقية التى أنجزوها بالفعل فى مجال البحوث ، فالتزييف والتزوير والخداع والتلفيق فى البحوث العلمية أمور تحدث فى كل مكان ، وتاريخ العلم مليء بمثل هذه الحالات .. ولكنهم فى الخارج لايتركون هذه الحالات تمر بغير فحص ودراسة ومتابعة ومساءلة حتى يحفظوا للعلم كرامته وللعلماء هيبتهم ..

ولكن ماذا يكون الشأن ياترى لو أننا أخذنا انفسنا بمثل هذه الجدية التى يأخذ الناس انفسهم بها فى الخارج وأخضعنا حياة علمائنا - أو بعضهم على الأقل - وأعمالهم وبحوثهم وكتاباتهم للفحص فى ضوء معايير الأمانة العلمية والقواعد المنهجية الدقيقة ؟ قد تكون النتيجة قاسية .. وقد تسقط بعض الأسماء اللامعة وتتأثر مكانة بعض الاساتذة والعلماء الذين يحظون بالاحترام الزائف ممن لايعرفون حقيقة الأمور . ولكن هذه المواجهة خطوة مهمة وأساسية لاصلاح مسار البحث العلمى والسير فى الطريق الصحيح ..

الهوى

قال العلماء : الهوى أنواع : أوله العلاقة ، وهو الشيء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ، ثم يقوى فيصير محبة ، والحب اسم مشترك يجمع ضروبا من ميل النفس كحب الولد والمال ، ثم الهوى ، ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله ، والهيام ، والتتيم ، وهو أرفع درجات الحب لأنه [illegible]

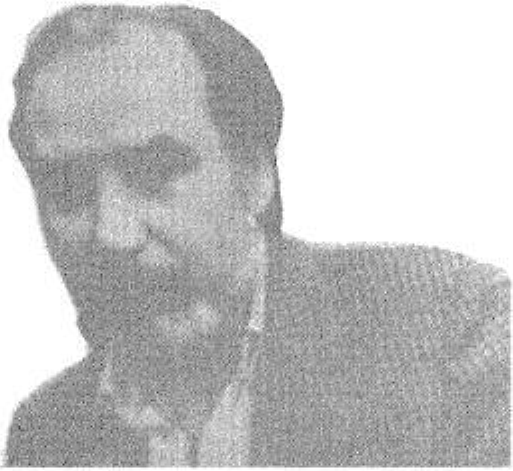
العالم في سطور

مراكش

● البنت احمد .. تفوز بجائزة جونكور ١٩٨٧ ●

لا شك أن رواية « ابن الرمل » للكاتب المغربى المعروف الطاهر بن جلون هى أفضل أعماله على الاطلاق .. بل هى احدى الروايات العربية البالغة الاهمية التى ظهرت فى السنوات الاخيرة . فى هذه الرواية تغلغل الكاتب داخل بيئته التى رضع منها منخلال حكايته احمد ابن التقاليد العربية التى تفضل الولد على البنات .. فبعد سبع بنات قرر ابوه أن يكون الوليد القادم غلاما حتى لو

● الطاهر بن جلون



جاء فتاة . وولدت الفتاة . وكان على الجميع أن يعاملها كولد وأن تسلك حياة الرجال .. وأن ينادونها باسمها الذى عرفت به وهو « أحمد » .. وقد صاغ الطاهر بن جلون هذه الروايه فى أسلوب ملحمى رقيق وكان من المفروض أن ينال عنهـا جائزة جونكور عام ١٩٨٥ لولا انحياز الاوساط الادبية الفرنسية لروايات أخرى .

يبدو أن تأثير « أحمد » وتجربته الغريبة على الكاتب كانا قويين . فلم يؤثر بن جلون أن يترك هذه التجربة الخصبة دون اعادة كتابتها فى صياغة جديدة . وهى أن تقوم الفتاة « أحمد » بالحديث بنفسها عن هذه التجربة وذلك فى روايته الجديدة « الليلة المقدسة » التى حازت فى الاسبوع الماضى على جائزة جونكور أهم جائزة أدبية فى أوربا حيث تعرف مدى المعاناة التى عاشتها هذه الشخصية من خلالها قيامها بقص الوقائع التى عاشتها منذ أن ولدت مزدوجة الشخصية . أنا طفلة مقنعة حسب ارادة أبى الذى كان يشعر بالعار والخزى لانه لم ينجب ولدا كما تعلمون فأنا هو الغلام الذى طالما حلم به .. أما الباقى فلعلكم تعرفونه .

ومثلما حظت روايته السابقة على اعجاب النقاد والقراء . فان « الليلة المقدسة » تحقق الان نفس الصدى . لدرجة أن أحد النقاد اعتبرها أهم الروايات العالمية منذ رواية « أورلاندو » للكاتبة الانجليزية فرجينيا وولف .

باريس

● مرجريت : عود على بدء .

اديبة شابة فى الثالثة والسبعين من العمر .

هذا هو حال الكاتبة المعروفة مرجريت دوراس ، ليس فقط منذ ان حصلت على جائزة جونكور فى عام ١٩٨٥ عن روايتها « العاشق » التى وزعت عشرة ملايين نسخة ، ولكن لانها تجدد نفسها مع كل عمل جديد سواء كان رواية تقوم بتاليفها او مسرحية او فيلما تكتب موضوعه وتخرجه .

هذه الظاهرة يمكن ملاحظتها بسهولة مع روايتها الاخيرة « اميلى ل » التى قيل انها محاولة للعودة الى البدايات التى شهدها ادب الكاتبة فى اوائل الستينيات مع روايات من طراز « هيروشيما حبى » و « موديرا ستو كانتبيل » .وهى اعمال مزجت بين السرد التقليدى وتجريبية الرواية الجديدة . ففى روايتها الجديدة تتحدث الكاتبة حول مدينة كيليبوف الواقعة على نهر السين والتى تصلح أن تكون ميناء بتروليا . بل وكما تقول الكاتبة مدينة للحج الادبى .. ومن خلال هذه المدينة ترصد مرجريت فى روايتها القصيرة - نسبيا - وقائع الحياة اليومية التى يعيشها الناس ليلا ونهارا . الوحدة واللقاءات الحميمة . والحنين واللقاء . وكشأن كل ميناء . فان المدينة تصبح رصيفا يلتقى فيه العابرون والغرباء القادمون من كل فج عميق . البحارة . وعمال النقل . وبنات الليل . فهناك مثلا لمرأة تنظم قصيدة عاطفية وهى



● مرجريت دوراس

جالسة فى احدى حدائق المدينة . وبحار انجليزى اعتاد الحضور الى المدينة . وبحارة اسيويون اعتادوا رؤية المياه المالحة لكثرة رحيلهم فى الليل .

والمدينة عند مرجريت دورا اشبه بديكور المسرح الذى يجمع داخله مجموعة من الاشخاص لا يمكنهم الحركة الا فى اطاره . لكنه مع ذلك هش يمكن تغييره دائما بين الفصول .

فينيسيا

● الهستريا .. والطبيعة .. والمسرح ..

جاءت مدينة فينسيا بأبهتها وحضارتها وتاريخها الى باريس من خلال مهرجان الخريف المسرحى . حيث عرضت مجموعة من المسرحيات التى تتناول مظاهر الحياة فى مدينة الجندول . من هذه المسرحيات « الخادمة العاشقة » للمؤلف المعروف كارلو جولدونى وهو احدى المسرحيات

القليلة للكاتب التي ندر أن عرضت في ايطاليا نفسها · حيث تتشابه احداثها مع مسرحية « مريض بالوهم » لموليير · وفي هذه المسرحية يتحدث الكاتب عن الجو الاجتماعي لفينسيا من خلال ما يدور في قاعة مليئة بالاثاث المتراكم · والعلاقات الاجتماعية المتضاربة بين أسرتين يحدث بينهما شجار دائم بسبب تعصب افراد كل منها للمفاهيم الاجتماعية التي تعتنقها في مدينة يغلب عليها الطابع المادي مما يبرز انانية الافراد وسيادة مصلحة الفرد ·· مما يزيد من حدة الضجيج وتداخل الحوار وتراكم الاثاث ·

من المهم ان نشير الى أن جولدوني قد امن بالمذهب الطبيعي الذي ينادي بتقليد الطبيعة في كل اشكالها التي تمزج الهستريا السوداوية المضحكة كاشفا عن رغبة الافراد في حب التملك · والميل الى النزاع هربا من الوحدة والفقر ·

اما المسرحية الفينسية الثانية فهي مسرحية « مدينة البندقية » التي اخرجها المخرج لوقا رونكوني بعد غياب عن خشبة المسرح استمر اثني عشر عاما ومن أهم مسرحياته « حديقة الورد » عام ١٩٧٥ · ومسرحية « شكسبير » التي اخرجها بالمشاركة مع الممثل المعروف فيتوريو جاسمان ·

ويعتمد رونكوني على احداث الاضحاك في ادخال شخصياته المختلفة الى عالم الاقدار الغامض وشلهم عن كل تفكير سليم وعن كل تصرف حكيم مدروس · مما يؤدي الى تحجر المشاعر · ولوكا هو أحد المخرجين الذين لا يقرأون النصوص للاستمتاع بالحبكة وانما لملاحظة احتمالات تلاعب الالفاظ الغير صحيحة التي يمكن للممثل ان يحرف بها الكلمة ·

الفاتيكان

● امرأة فاتنة ·· في القرن السادس عشر

استطاعت « المعبودة » أن تعيد الكاتب المعروف روبير ميرل الى حظيرة التاريخ مرة أخرى من خلال حكايات متعددة تدور في الفاتيكان في القرن السادس عشر ·· بعضها حول المناورات الكبرى· لاختيار بابا جديد ·· والبعض الاخر عن نساء يتمتعن بحس قوي عشن في هذه الحقبة من التاريخ · وخاصة معبودة الرجال فيتوريا كورامبوني التي كم دعتها الزوجات أن تترك ازواجهن في احوالهم · وسميت بالشيطانة البيضاء · لقد أصبحت هذه المرأة دوقة وقور على الكثير من رجال المجتمع أن يحني هامته أمامها · والمرأة ليس لها ذنب في كل ما يقترف من اثام فيما حولها · فهي بالغة الحس مثيرة للفتنة · وكم تمنى الرجال مشاركتها سريرها بعيدا عن الزواج ومن هنا تولدت المشاكل وتدفقت المتاعب ·

· روبير ميرل هو احد الكتاب المعاصرين (٨١ عاما) الذين جربوا



● روبرت ميرل

الكتابه فى العديد من الانواع الادبية .. وقد عرف أكثر من خلال رواياته التى تنتمى الى كل من أدب الخيال العلمى . وأدب الخيال السياسى .. ففى روايته « يوم الدلفين » يتحدث عن استخدام حيوان الدلفين فى الاغراض السياسية لوكالة الاستخبارات الامريكية . أما روايته « مالفيل » فيتحدث فيها عن الصراع بين مجموعتين من البشر بقيتا على قيد الحياة عقب انفجار ذرى . فكررتا نفس أشكال الصراع الانسانى الذى كان بين البشر قبل هذا الانفجار .

كما سبق لميرل ايضا كتابة كل من الرواية التاريخية والواقعية .وظهرت العديد من رواياته فى السينما الامريكية والفرنسية .

هوليوود ـ برلين

● ١٩٨٧ .. تساقط أوراق الشجر

ترى ما هى اهم ملامح الثقافة العالمية التى عرفت خلال عام ١٩٨٧ الذى ينصرم بين أناملنا خلال أيام ؟

لا يمكن رصد كل هذه الملامح فى سطور قليلة . لكن لو بدأنا بالسينما مثلا فان ادانة التورط الامريكى فى حرب فيتنام كانت أهم سمات سينما ١٩٨٧ من خلال فيلمين نال أحدهما اكبر عدد من جوائز الاوسكار هذا العام وتم عرضه على مدى اسبوعين فى القاهرة وهو « بلاتون » لاوليفر ستون . أما الثانى فهو « السترة المعدنيه » الذى عاد به ستانلى كيوبريك الى السينما بعد انقطاع دام ثمانيه أعوام .

فى الفن التشكيلى كانت الفضيحة التى التصقت بالفنان الاسبانى جويا كفيلة باعادة كشف حسابات الفن التشكيلى كله على مدى عصوره..فقد اكتشف أحد الباحثين أن العديد من لوحات جويا ليست من ابداعه .. وانها لا تحمل سوى توقيعه .

أما ابرز الكتب فهو رواية « حكاية الاميرة الميتة » للاميرة التركية كنيزة مراد والتى تتصدر المبيعات ـ انظر الهلال أغسطس ١٩٨٧ ـ منذ أربعة اشهر فى كل دول اوروبا وهناك أيضا رواية « الفأرة » للكاتب الالمانى جونتر جراس التى ترجمت فور صدورها الى عشرات اللغات . ولا شك ان جراس هو أديب هذا العام ـ بعيدا عن برودسكى وجائزة نوبل المشبوهة .

لم يكن عام ١٩٨٧ هو عام المسرح فى العالم . رغم كثرة العروض التى عرضت فوق خشبات المسرح . وذلك لعدم وجود نص جيد جديد او كاتب موهوب له نفس العطاء لكتاب موهوبين تتساقط أوراق شجرتهم الواحد تلو الآخر ..

وبمناسبة تساقط أوراق الشجرة فان الاوراق التى تساقطت عام ١٩٨٧ من الفنانين كانت اكثر من تلك التى تساقطت فى كل الاعوام السابقة .

الطفل ومخاطر التخدير الالكترونى



بقلم : محمد فتحى

رغم محاولات عديدة ومكثفة للاهتمام بالطفل العربى ، تظل احوال هذا الطفل ابعد ما يكون عن الصورة المأمولة ..

ولان الطفولة تعدم المقومات التى تتيح لها مكان بين جماعات الضغط التى تستطيع ان تفرض احتياجاتها ظل الطفل مجرد مناسبة سنوية على خريطة اهتمام المجتمع .. ورغم مأساوية مثل هذا الامر ، لان الحديث يدور عن مستقبل الامة الذى يجب ان يكون شاغلنا فى كل لحظة ، لاباس من انتهاز الفرصة للتذكرة ببعض المخاطر التى تعوق نمو هذا الطفل فى عصر الاتصال الالكترونى .

يعيش الطفل اليوم فى أسرة ربها غارق فى العمل وربتها هالكة فى « صنع الفطائر » بينما يقف على رأس اهتمامات مربيها (وكيل وزارة التربية والتعليم فى التعامل مع الطفل) أمور أبعد ماتكون عن التربية والتعليم . وناهيك عن أن ذلك يضطر الاطفال الى « الاعتماد على انفسهم » بشكل متزايد قبل أن يمتلكوا أدنى مقومات يحتاجها هذا الاعتماد، فانه يعزز من قبضة التلفاز الجبارة على مجمل وجودهم ، بعد أن صار صاحب « أرخص ليال » فى عصر الاتصال الالكترونى ..

لقد بات من مسلمات العصر أن يقضى الطفل أمام التلفاز وقتا يزيد

على الوقت الذى يقضيه فى اللعب او المدرسة ، بل وحتى مع والديه • ومع تنوع البرامج والقنوات ، وامتداد فترات الارسال ، وانتشار رفاق التلفاز الموقرين (الفيديو والاتارى و •••) فان المتوقع هو تزايد وقت والصحبة، باطراد ، بالذات بعد أن دخل الامر فى عمومه مرحلة الادمان ••

وحتى ندرك ابعاد وجذور هذا الادمان ما علينا الا ان نقرأ قول بعض الدارسين المتخصصين بان الحركة واللون على الشاشة باتا يجذبان الطفل الرضيع اكثر مما يجذبه وجه امه !!

● المخدرات الالكترونية

وليت الامر يكون ادمانا لمتعة راقية كما قد يلوح للبعض لكن الدراسات العلمية أكدت ، بما لا يقبل الشك ، تاثيرات سلبية عديدة لمثل هذه المتعة الموهومة ••

لقد تبين أن مجرد متابعة ما يجرى فى التلفاز ، بصرف النظر عن مضمون هذا الذى يجرى ، يؤثر على كيفية عمل دماغ الانسان ، ويدخله طورا من أطوار البلادة والكسل (أمر يقاس بتسجيل تموجات وذبذبات نشاط الدماغ) • وتؤثر هذه الحالة على حاسة الانسان الانتقائية ، ان كانت مثل هذه الحاسة قد تشكلت لديه اصلا، وتجعل راحته فى مواصلة قبول ما يجرى أمامه دون تمحيص ، وبصرف النظر عن ردود الفعل الضارة المرجاة، التى ربما حار الانسان فى أسبابها حال ظهورها •

وان كانت هذه حال انسان كبير ناضج فللقارىء ان يتصور حال طفل أخضر العود فى طور التكوين ••

ولا يهمنا هنا التفصيل بصدد الاسباب الفيزيائية والفسيولوجية لمثل هذه الحالة بقدر مايهمنا التأكيد على ما أثبتته الدراسات من تاثير «مخدر» بكل معنى الكلمة ، ينتج عن ادمان الانسان للتعامل مع هذه الوسيلة الاتصالية ••

واذا تخطينا هذا التاثير العام المغيب لوجدنا فى الابحاث العلمية تأكيدات متكررة على مايسببه الادمان التلفازى من تدهور فى أداء العين ، وعلى التاثيرات الضارة للاشعاعات الصادرة عن الجهاز العجيب • وناهيك عن التاثيرات المرجاة التى لا تحصى للتثبت بما لا يقبل الشك أن الادمان يورث الكثيرين الصداع والارهاق والأرق ناهيك عن القلق والاثارة العصبية ••

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الدارسين يرجعون ظاهرة تسارع النمو، التى يشهدها أطفال العالم اليوم ، الى تزايد مثل هذه الاشعاعات•• وتسارع النمو البدنى أمر يختلف عن تحسين النمو ذلك أن اكبر وابكر لا تعني الافضل الا بقدر ما تكون تغلبا على ظروف تعوق النمو الطبيعي، لكنها تعد تطورا سلبيا ان جاءت نتيجة لمثيرات زائدة عن الحد •• وقد بينت التجارب التى أجريت على نمو النباتات امام شاشة التلفاز تسارع نمو هذه النباتات ، بمعدلات ناهزت ٢٥٠٪ (!) من معدلات نمو مثيلاتها فى الظروف العادية •

ولا يمكن أن نتجاوز ، ونحن نتحدث عن التاثيرات السلبية لادمان الجلوس امام التلفاز ، أن ذلك يحرم الطفل من الحركة واللعب اللذين يحتاجهما نموه البدنى أيما حاجة ، وذلك بالاضافة الى حرمانه من استخدام يديه وأجزاء جسده الاخرى ، الامر الذى أكدت الدراسات على تاثيره الكبير على تنامي مداركه ، كما يحرمه الصحبة الخلاقة مع أترابه ، وهى من الاحتياجات الماسة لنمو الطفل نموا سويا •• علاوة على حرمان الطفل من الجو والتوجيه

الطفل ومخاطر التخدير الالكتروني

الاسرى ، لغرق كبار الاسرة فى مسلسلات التلفاز ولياليه الملاح ‥ وذلك ناهيك عن اضرار عاطفية جمة تصيب الطفل ، ولا تلبث أن تؤثر على قدراته الذهنية ، ذلك أن الادمان التليفزيونى يقود الى تضييق دائرة العلاقات العامة (الجيرة مثلا) بل والعلاقات العائلية للأسر المختلفة، مما يصعب كثيرا على الطفل التعامل مع الغرباء والاندماج فى تجمعاتهم ·

● اغتيال عالم الطفولة

والتطرق الى تاثير مضامين الاعمال التليفزيونية يمكن أن يفتح الباب لحديث بلا نهاية لهذا لا بأس من الاقتصار على بعض الخطوط الاساسية والاشارات ذات الدلالة ‥

ان الاهتمام بالطفل على النحو الواجب مهمة يستحيل انجازها الا فى مجتمع متحضر بكل معنى الكلمة ، قادر على ادراك مسئولياته غير الآنية وغير الملحة ، وعلى التضحية فى سبيل الوفاء بها · ذلك أن الاطفال يفتقدون الى أى مقومات تتيح لهم مكانا بين جماعات الضغط التى تفرض احتياجاتها، علاوة على أن هذه الاحتياجات مهمة الكبار وهى مهمة ليست بالسهلة ‥ ويساهم ذلك كله فى الدنو باحتياجات الاطفال الحقيقية الى آخر بنود قائمة اولويات المجتمعات المأزومة ‥

والنتاج الفنى المخصص للاطفال ليس استثناء من هذا الوضع العام ، واذا أخذنا بعين الاعتبار ما يحتاجه من دراسة مسهبة لعالم الطفل النفسى والعقلى وبكل ما تتطلبه من تكاليف ، لادركنا درجة التردى التى يرزح فيها هذا النتاج ، وحتى حين يلجأ الى الاستفادة من وسائل تثقيف وتسلية الطفل فى الخارج ، يساعد المناخ العام، على أن يتركز الاهتمام على أسوأ ما فى هذا النتاج الاجنبى ·

ويساهم ذلك كله فى تقليص عمر البراءة واغتياله ، ويجد الطفل نفسه غارقا ، من خلال التلفاز والادمان على المشاهدة لساعات طوال ، فى عالم الكبار ومشاكلهم ، وان كان ذلك فى حد ذاته تشويها لنمو الطفل فان طبيعة ما يقدم الى عالم الكبار يزيد من جرعة التشويه ، بالذات اذا أخذنا بعين الاعتبار مما يهدد احساس الطفل بالامان وما فيه من سلوك عدوانى وعنف ودغدغة للغرائز ، ومع مراعاة أن الطفل يدرك العالم بطريقة مختلفة تماما عن عالم الكبار ، تضيع فيها الحدود بين ما هو عام وما هو خاص وبين الواقع والخيال و ···

هذا ولا يمكن هنا اغفال تاثير عالم الاعلانات شكلا ومضمونا ، بكل ما يكرس فيه من وسائل الجذب والابهار، الذى نال اصلا حظا لم يلقه بحال آخر من الدراسة « العلمية » ‥ لا يمكن اغفال تاثير هذا العالم على الطفل الاعزل ، وبالذات مع اكتشاف المعلنون قيمة الطفل كوسيلة الى جيب الاسرة·

ولا اعتقد أنى فى حاجة الى تفصيل فى القول حول رفاق التلفاز الجدد مثل الفيديو والاتارى و ··· فهم فى الاغلب متصلين به ، ناهيك عن انه من بينهم ادوات (كالفيديو) توسع دائرة المسموح به فتدخل الى عالم الطفل جرعات اكبر واكثر فحشا من مضامين العنف والجنس والمخدرات ‥ لكن توجد مجموعتان من الاعتبارات يحسن الا نتخطى الاشارة لهما ‥

الاولى أنه اذا كان من المقطوع به

ان العاب « الاتارى » والكمبيوتر تعود الطفل على مهارات صارت من ثوابت العصر ، وتحث فيه قدرات التركيز والتحكم ، وربما سرعة البديهة والتصرف فانه من المقطوع به ايضا أن ادمانها يورث الكسل ويضر بالبصر ويضيع وقت الطفل دون أن يفيده بدنيا أو ذهنيا ..

والثانية تخص تأثيرات التوسع فى جرعات العنف والجنس وتناول المخدر .. وعلى الرغم من أنى لست منأنصار ابراز وبروزة الجرائم الغربية التى راحت تطرق باب المجتمع المصرى أخيرا فان اغفال نصيب الحث « التلفازى » فى ذلك ناهيك عن دلالاتها والآفاق التى تفتحها أمام مجتمعنا ، بالذات مع ما ثبت من أن شخصية الطفل « تتحلل » مثلا مع كل مرة يشاهد فيها حادث عنف ليصبح اكثر تصالحا وتقبلا للعنف ..

● الاطفال العباقرة

ان ادمان التعامل مع الصناديق الالكترونية يمكن أن يؤدى الى تمادى قطاعات من الاهالى فى تصورات حول تفرد قدرات اطفالهم ، ومن ثم دفعهم بل والالحاح على مطالبتهم بانجازات تتجاوز القدرات الحقيقية للطفل ،ذلك مع العلم أن واقع الاباء المحبط يشجع على هذا ، وهنا تكمن خطورة رأينا الا ننهى موضوعنا دون التطرق اليها .

ولا يسعنى هنا الا ان أستعين برأى عالم له باع طولى فى الاهتمام بشئون الطفل هو الطبيب الامريكى بنيامين سبوك حول خطورة ذلك . يقول سبوك: « ان التأكيد على المباراة الشرسة فى سبيل التفوق يضر كثيرا بقيم مثل التعاون والتكافل والتعاطف والتحاب والوئام .. وهذه كلها قيم يحتاجها الانسان اكثر من المباراة .. وأنا مستاء على سبيل المثال من الطريقة التى يجرى بها تدريب الاطفال فى مجال الرياضة ، ويثير دهشتى بدرجة أكبر ما يبديه الآباء من اهتمام بالقدرات « العبقرية » التى يكتشفونها فى أطفالهم .. فهناك آباء ما أن يسمعوا أن أطفالا يقرأون وهم فى الثانية حتى يصيحوا: يا الهى ان علينا الاستعانة بالوسائل التى تتيح لاطفالنا القراءة فى هذه السن أيضا . وذلك دون أن يطرحوا على انفسهم اسئلة اكثر أهمية : عما اذا كان هذا التبكير يجعل من الطفل قارئا افضل ؟ وعما اذا كانت هناك اية ميزة لتعلم الطفل القراءة فى الثانية بدلا من السادسة ؟.. ان ذلك يخفى ضروبا من التوتر والاجهاد الضارين بالنسبة للطفل ..

وغنى عن القول الدلالة البالغة لأن تأتى مثل هذه الدعوة من المجتمع الأمريكى بما يتسم به من ايمان وتكريس للمباراة ، وأن تجىء مع دعوات بضرورة أن يربى الطفل على الاحساس بوجود مشاكل كثيرة لدى جيرانه ، وضرورة المساعدة فى حل هذه المشاكل ..

وان كان من الصحيح أن الطفل بما يتسم به من مرونة قادر على تحمل جرعات أكبر من الاجهاد ، فان الدراسات العلمية اكدت أيضا ان طفلا من هذا النوع يكون اكثر عصبية وأكثر خشونة وأكثر عدوانية بل وشرها ..

وذلك كله لا ينفى بالطبع ان التلفاز ورفاقه (الفيديو والأتارى ..) من سمات العصر وأن الاستيعاب السليم لعالمهم ـ بل وتقبل بعض مضارهما كضريبة ـ ضرورى ومفيد . لكن المهم ان نفعل ذلك فى اطار تصور صحيح ، وبفهم وادراك وعن معرفة لا كمجرد غرق فى موضات او صرعات ، وفى جو من التباهى المريض .

العالم غدا

● مصر تنتج السلاح

شهدت القاهرة خلال الفترة من ٩ الى ١٣ نوفمبر معرض القاهرة الثانى لمعدات الدفاع .

ولم تعكس المعروضات المصرية « كم » الاسلحة التى تقــوم مصر بتصنيعها بنفسها او بالاشتراك مع الغــير فقط وانما بينت أيضا « الكيف » والمستوى التكنولوجى الذى وصلت اليه ، بعد أن جارت الوجهة العالمية فى تصنيع السلاح وترسخت فلسفة تصميم «نظم الاسلحة» وبما يتماشى مع العقائد القتالية للجيوش العربية ، والظروف الجغرافية والمناخية لمنطقة الشرق الاوســط وافريقيا ، الى جانب تطــوير القــاعدة التكنولوجية للصناعات الحربية ..



الصناعة السلكية واللاسلكية ، احدى ثمار التصنيع الحربى .

وتقوم مصر وفق ما انعكس فى هــذا العرض بانتاج جميع انــواع الذخــائر والاسلحة الخفيفة والمدافع والهاوتزرات المجرورة أو ذاتية الحركة ، وصــواريخ الميدان ومنها الصاروخ المضاد للدبابات « سوينغ فــاير » ، والعربات المدرعة وعربات الجيب ونظم الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وبعض معدات الحــرب الالكترونية والحاسبات ، وذلك بالاضافة الى صاروخ « عين الصــقر » المضــاد للطائرات ، ونظامى الصواريخ «سيناء» و « النيل » للدفاع الجوى ، وأجهــزة رادارات الدفاع الجوى ثنائية الابعاد، ولنشات صواريخ اكتوبر ، والطــائرة الهليكوبتر « جازيل » ، وطائرة التدريب « توكانو » والطائرة « الالفاجيت » ، علاوة على الطــائرات الموجهة بــدون طيــار ..

وتقود انتاج السلاح المصرى الهيئــة القومية للانتاج الحربى والهيئة العربية للتصنيع معتمدة على قاعدة واسعة من الصناعات الثقيلة مثل صناعة الحــديد والصــلب والدرفلة .. ، ناهيك عــن الصناعات الاستراتيجية ..

● الرجال يلدون اطفالا

منذ سنوات وقضية ولادة الرجــال للاطفال مطروحة على الاوساط العلمية .. لكن القضية دخلت منعطفا جــديدا

أخيرا مع اعلان قصير فى مجلة أمريكية جاء فيه : « مؤسسة علمية أمريكية تبحث عن رجل يتسم بالمسئولية ، مفعم بمشاعر الامومة .. يفضل أن يكون ضخم البطن .. مع العلم بأن المؤسسة ستدفع لمن يقع عليه الاختيار تعويضا مجزيا عن امومته ... نرجو ارسال عنوانك وصورتك الى ص.ب رقم ... »

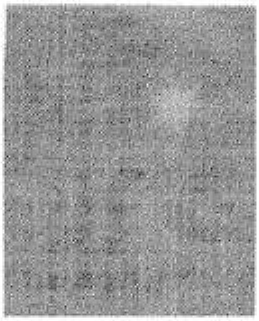
وقد بدأت حكاية التفكير فى حمل الرجل اثر عملية ولادة غريبة تمت عام ١٩٧٩ فى نيوزيلنده حيث وضعت سيدة ، كان قد استئصل رحمها ، طفلة طبيعية ، مما جعل الجدل يحتدم حول أهمية الرحم فى عملية الولادة ، بالذات وقد أمكن حصر ما يزيد على عشرين حالة حمل خارج الرحم ..

وأسفرت دراسات العلماء عن أن الجنين كائن مستقل يستطيع أن ينسج ما يحيط به من الاغشية التى تمده باحتياجاته وذلك فى أى موضع ثرى بالغذاء والدماء ، ودون اعتماد على ما يفرزه مبيض المرأة من هورمونات..

وعند هذا الحد رات بعض الاوساط العلمية ان الظروف والضمانات اللازمة لاتمام الحمل فى البطن ، بصرف النظر عن كون الحامل رجلا او امرأة قد اكتملت . وان كانت حالات الحمل خارج الرحم جاءت نتيجة لقاءات طبيعية فان حمل الرجل لن يتم الا على يد الطبيب من خلال عملية جراحية ..

ويرى عدد من الاطباء عبث هذه المحاولة فوجود الرحم ليس عبثا ، والحمل فيه من سنن الحياة التى لا يمكن تجاوزها وابسط دليل على ذلك زيادة احتمال حدوث النزيف القاتل للحامل عند فصل غشاء الجنين عن الامعاء ، عند الوضع ، ناهيك عن احتمال حدوث النزيف خلال فترة الحمل فوزن الطفل والاغشية التى تحيط به تتجاوز العشرة كيلو جرامات.. وبالطبع فان الاتجاهات التى تعارض مثل هذه الخطوة انطلاقا من الاعتبارات الاخلاقية والاجتماعية أكبر بما لا يقاس ..

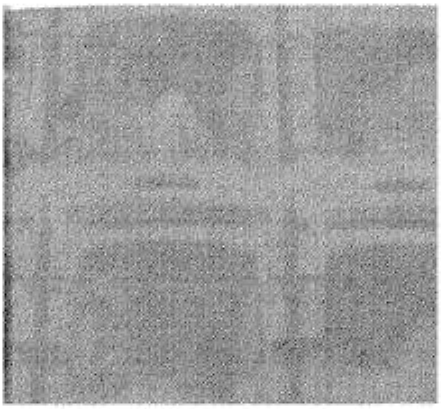
● اوربا وانتاج الدماغ البشرى



كلفت لجنة التقنية التابعة للسوق الاوربية المشتركة ، فيما يعرف بمشروع « براين » ، عددا من المتخصصين فى الحاسبات الالكترونية ومعالجة المعلومات بوضع برنامج خاص لانتاج « سوبر كمبيوتر » قادر على الاطلاع ، والفهم ، واصدار الاحكام ، واتخاذ القرارات .. اى على أن ينوب تماما عن الدماغ البشرى . وتجىء هذه الخطوة الاوربية كرد فعل للمشروع اليابانى الكبير الخاص بانتاج ما يعرف بالجيل الخامس من الحاسبات الالكترونية او « الذكاء الصناعى » .

والحاسب الذى يسعى اليه الاوربيون وراء اليابانيين ليس ضربا من الخيال فهناك حاليا حاسبات تتمتع بهذه القدرة او تلك من قدرات العقل البشرى اذ توجد الحاسبات التى تسعى الى التفوق على الانسان فى العاب فكرية مثل الشطرنج، كما أن هناك انواعا منها قادرة على الافادة من تجاربها السابقة (أى

العالم غدا



التعلم) بحيث تعدل من برامجها (فى لعب الشطرنج) على ضوء النتائج التى تحققها. هذا كما أن هناك حاسبات قادرة على الرؤية بل والتعرف على الحروف المكتوبة وخط الانسان والكلام المنطوق وذلك كله بالاضافة الى الانظمة الخبيرة التي تهتم بهذا الحقل أو ذاك من حقول النشاط البشرى ويمكنها أن تصل الى الاستنتاجات الخاصة بتشخيص مرض أو تحديد نتيجة لاعمال التنقيب عن الثروات الطبيعية ..

وكل هذه انجازات تقرب من انجاز المهمة المطروحة وتبين عدم استحالتها وهكذا لن تمضى سنوات الا وستظهر فى الاسواق العقول الالكترونية الذكية بعد الحاسبات الماهرة ..

● السكن فى كبسولات

مع الاقبال العالمى المتزايد على شراء مكاتب فى مدينة طوكيو ، احدى اغنى عواصم العالم واكبرها ، والى جانب انخفاض نسبة المبانى الجديدة ، صار من المتعذر أن يجد المرء منزلا أو حتى شقة سكنية فى ربوعها ولهذا انتشر أخيرا نمط مستحدث من المسكن وهو كبسولات يقل طولها عن سبعة اقدام ولا يتجاوز عرضها وارتفاعها خمسة أقدام . وعلى ضيقها تزود هذه الكبسولات بجهاز لتكييف الهواء وجهاز تليفزيون ومذياع ومنبه ..

وعلى الرغم من أن هذه الكبسولات مجهزة للبيع كوحدات منفصلة فقد تم اقامة فنادق كاملة منها . والصورة المرفقة من جناح السيدات لفندق من هذا النوع فى حى أوساكا يؤجر الكبسولة لقاء ١٥ دولارا فى الليلة الواحدة (مقابل ٢٥ دولارا للحجرة فى أرخص وأردأ الفنادق ..

ويقول مصممو هذه الكبسولات انها مصممة بحيث تهيىء لمستخدمها أقصى حد من الراحة والاستمتاع والخلوة الى النفس ! ويرون انها مناسبة للاستخدام فى مواقع الانشاء والمبانى المزدحمة ناهيك عن المستوطنات الجديدة والفنادق ..

● عمليات الانقاذ بالاقمار الصناعيه

قبل ٢٠ سنة فكر علماء فضاء عديدون فى استخدام الاقمار الصناعية للعون فى العثور على الافراد الذين حاقت بهم المتاعب والطائرات التى

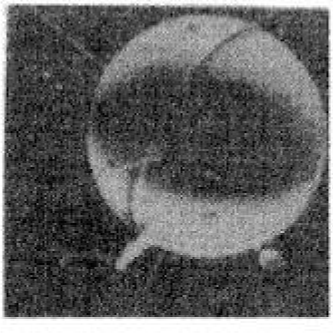
اضطرت للهبوط فى أماكن غير معروفة والسفن التى تتركها المتاعب فى أعالى البحار وذلك بأن يوجه المستغيث اشارة لاسلكية الى قمر صناعى فى الفضاء حال وقوعه فى مأزق لكى ينقل القمر اشارته الى مركز ارضى يخف الى انقاذ المستغيث .

وفى عام ١٩٧٦ بدأت كندا والولايات المتحدة وفرنسا فى بحث امكان وضع برنامج دولى لتنفيذ هذه الفكرة . وكان الاتحاد السوفييتي يسعى من جانبه الى تنفيذ برنامج مماثل وظهرت مزايا واضحة للتعاون بين البرنامجين فظهرت فكرة البرنامج المشترك « كومباس - ستارسات » الذى يعتمد على شبكة من الاقمار الصناعية تغطى العالم كله .

وبالفعل اقيم نظام دولى ساهمت فيه الدول السابقة الذكر ونصت اتفاقية البرنامج على تقسيم للعمل ياخذ فى الاعتبار القدرات الفنية والاهتمامات الامنية للدول على أن توفر الولايات المتحدة نيابة عن الدول الغربية الاقمار الصناعية بينما توفر كندا وفرنسا المعدات التى تحملها هذه الاقمار لاكتشاف نداء الاستغاثة واعداد البيانات ، كما يوفر الاتحاد السوفييتي اقمار الشق الخاص به بما تحتويه من معدات ..

ولم تلبث الدول الاخرى أن شرعت فى المشاركة بهذه المنظومة عن طريق بناء المحطات الارضية التى تلتقط اشارات الاستغاثة ، المنقولة عبر الاقمار الصناعية لتنقلها بدورها الى مركز تنسيق الاغاثة الذى يقوم بارسال طائرات الهليوكبتر او السفن أو القوارب .. الى المستغيث .

وبحلول الذكرى الخامسة على تأسيس هذه المنظومة الفضائية كانت قد ساهمت فى انقاذ حياة ما يقرب من الف شخص فى مختلف انحاء العالم ..



● ملامح رمسيس بالكمبيوتر

● تدرس هيئة الآثار المصرية مع الجمعية الجغرافية الوطنية الامريكية امكانية استخدام الاساليب الالكترونية فى ترميم واكمال الاجزاء الناقصة من تمثال رمسيس الثانى (طوله ١٧ مترا ويزن الف طن) الموجود حاليا امام معبد الرمسيوم فى أسوان .

● بعد أن ثبت نجاح الانترفيرون فى علاج بعض أنواع السرطان ، وبعد توصية «المؤتمر الاوربى لعلاج السرطان» الذى عقد أخيرا باستخدامه - الانترفيرون - لفعاليته الاكيدة بدأ مركز علاج الاورام والطب النووى بكلية طب القصر العينى فى علاج عدد من الحالات باستخدام الانترفيرون .

● اختارت منظمة الصحة العالمية يوم ١١ ابريل ١٩٨٨ كيوم عالمى لمحاربة عادة التدخين تحت شعار « التدخين أو الصحة » ، وذلك بعد ان ثبت أن التدخين هو السبب فى ٨٥٪ من الوفيات الناتجة عن سرطان الرئة ، ٧٥٪ من وفيات الالتهابات الرئوية ، ٢٥٪ من وفيات أمراض القلب .. وبالمناسبة تشير الاحصائيات الى نجاح معظم البلدان الصناعية فى خفض نسبة المدخنين ، بينما تواصل هذه النسبة الارتفاع فى بلدان العالم الثالث .

دراسة الهلال

ديون مصر الخارجية
الماضي والمستقبل

بقلم: د. جلال أمين

فى ١٩٨٦ تعرض الاقتصاد المصرى لصدمة عنيفة اظهرت بجلاء جوانب الضعف في بنيان مصر الاقتصادى برمته ، والقت مزيدا من الضوء على أخطاء تراكمت اكثر من عقد كامل ، وكان مصر قد طولبت فجاة بان تسدد حسابا دأبت على تاجيل دفعه عاما بعد عام .

هذه الصدمة كانت بالطبع هى الانخفاض الحاد فى أسعار البترول ، وكان العجز المزمن فى ميزان المعاملات الجارية قد أخذ فى التزايد بسرعة منذ بداية سنوات الخطة (١٩٨٣/٨٢) ، ولكن مع الهبوط الشديد فى أسعار البترول فى أوائل ١٩٨٦ أصبح من المؤكد أن هذا العجز خلال السنة الأخيرة من الخطة (١٩٨٧/٨٦) سوف يصل الى ابعاد خطيرة من شأنها ان تفرض أعباء اقتصادية لم تواجهها مصر منذ عشرة أعوام على الأقل ، منذ أن أعيد فتح قناة السويس وبدأ تدفق إيرادات البترول ، وينتكس معها معدل النمو أيا كانت السياسة الاقتصادية التى يمكن أن تتبع.(١) فقد أصبح من المؤكد أن إيرادات البترول سوف تنخفض بما لا يقل عن ٥٠ ٪ خلال العام ، وأن تحويلات المصريين العاملين بالخارج سوف تنخفض بدورها نتيجة الانخفاض الشديد فى ايرادات دول البترول المضيفة ، وأن الاتجاه الذى كان قد بدأ بالفعل لعودة أعداد لا يستهان بها من المصريين العاملين فى هذه الدول سوف يزداد قوة ، الأمر الذى يخلق تهديدا جديدا لسوق العمالة فى مصر التى كانت عاجزة ، حتى قبل ذلك ، عن توفير فرص العمالة بالمعدل المطلوب . أما المصدران المهمان الاخران للنقد الأجنبى ، وهما قناة السويس والسياحة ، فقد أصابهما الضعف بدورهما ، الأول بسبب كساد سوق البترول نفسها ، والثانية بسبب ما

اقترنت به ١٩٨٦ والسنة السابقة عليها من أحداث سياسية عنيفة ، أثرت على معدل تدفق السياحة فى مصر .

زاد الطين بلة أن سنة ١٩٨٦/٨٥ اقترنت أيضا بحلول موعد سداد بعض الأقساط لديون سابقة ، زادت بشدة من عبء خدمة الدين فى تلك السنة عن السنوات السابقة عليها . فطبقا لتقدير لصندوق النقد الدولى ، كان المستحق على مصر دفعه فى تلك السنة لخدمة الديون لا أقل من ٥ر٥ بليون دولار (٩ر٢ بليون سدادا لأصل الدين ، ٦ر٢ بليون فوائد)(٣) وهو مالا يقل كثيرا عن ضعفى خدمة الديون فى ١٩٨١ ، ويمثل اكثر من ٥٠ ٪ من كل ايرادات مصر من العملات الأجنبية من صادرات السلع والخدمات فى تلك السنة ، اى انه يلتهم وحده كل ايرادات مصر من البترول وقناة السويس والسياحة جميعا بالاضافة الى نحو ثلث تحويلات المصريين العاملين بالخارج ، بينما كان ما على مصر دفعه فى تلك السنة من الفوائد وحدها يفوق كل ما تلقته خلالها من الولايات المتحدة من قروض ومنح ، مدنية وعسكرية .

● التوقف عن الدفع

لم تكن مصر قادرة بالطبع على الوفاء بهذا المبلغ . كانت مصر قد توقفت بالفعل منذ عدة سنوات عن الوفاء ببعض التزاماتها لدائنيها . ففى أعقاب مؤتمر بغداد فى مارس ١٩٧٩ ، أصدرت الحكومة المصرية قرارا بالتوقف عن خدمة ديونها المستحقة للدول المشاركة فى ذلك المؤتمر ، وكان هذا القرار يتعلق بديون قيمتها نحو أربعة بلايين دولار ، وترتب عليه أن توقفت مصر منذ ذلك الوقت عن خدمة ديونها للبلاد العربية بما في ذلك ديونها لما سمي ، بهيئة الخليج لتنمية مصر ، التى تكونت فى ١٩٧٦ . كذلك توقفت مصر عن خدمة ديونها العسكرية للاتحاد السوفييتى فى ١٩٨٠ . ولا تقوم بخدمة ديونها المستحقة لإيران بالإضافة الى ذلك بدأت مصر فى التأخر فى خدمة ديونها لعدد من الدول الغربية حتى بلغ حجم المتأخرات فى السداد اكثر من بليون دولار فى ١٩٨٥/٨٤ ويقدر البعض أن هذه المتأخرات قد وصلت الى بليونين فى ١٩٨٦/٨٥(٣) .

● تركة السادات الثقيلة :

من الممكن النظر الى حالة المديونية الخارجية لمصر كما بدت فى ١٩٨٦ ، وما آل إليه الوضع الاقتصادى بوجه عام فى ذلك الوقت ، من اكثر من زاوية ، كلها صحيح .

فمن الممكن القول ، من ناحية ، بأن التركة الثقيلة التى خلفها السادات للاقتصاد المصرى فى ١٩٨١ ، وتتمثل اساسا فى اعباء ثقيلة من الديون مع بنيان اقتصادى شديد الاختلال بدرجة يعجز معها عن خدمتها ، لم يكن من الممكن التخفيف منها خلال السنوات الخمس الاولى من عهد الرئيس مبارك بسبب تضافر مجموعة من العوامل الخارجية غير المواتية وانقضاء الرواج الذى اتسمت به سنوات السادات الاخيرة ، وذلك حتى لو كانت الادارة الاقتصادية قد ادخلت إصلاحات جذرية على السياسة الاقتصادية

المتبعة ، إذ أن هذه الإصلاحات ، حتى لو كانت قد طبقت بالفعل ، ما كانت لتحدث أثرها بسرعة ، ومن ثم ما كانت لتنقذ مصر مما تواجهه فى عام ١٩٨٦

أخطاء السياسة الاقتصادية

ومن الممكن القول ، من ناحية أخرى ، بأن الوضع الذى آل إليه الاقتصاد المصرى فى ١٩٨٦ ، كان فى الأساس نتيجة لفشل وأخطاء السياسة الاقتصادية المطبقة منذ ١٩٧٤ ، والتى استمرت ملامحها الرئيسية كما هى حتى ١٩٨٦ . إن من الممكن إطلاق وصف « الانفتاح الاقتصادى » للدلالة على الملامح الرئيسية لهذه السياسة ، ولكن هذا وحده لايكفى للدلالة على كل أوجه القصور التى اتسمت بها وترتبت عليه الأزمة الاقتصادية الراهنة .

إن من المؤكد فى رأينا ، أن سياسة الحرية الاقتصادية التى دشنت فى ١٩٧٤ ، بما عنته من إطلاق حرية الاستيراد ، وفتح الباب أمام الاستثمارات الأجنبية الخاصة دون تمييز كاف بينها حسب مدى مساهمتها فى زيادة الصادرات ، وأمام فروع البنوك الأجنبية دون رقابة كافية على ما تقوم به من تحويل مدخرات المصريين إلى الخارج ، من المؤكد أن هذا وحده كان كفيلا بزيادة عجز ميزان المدفوعات وزيادة المديونية الخارجية . ولكن الذى زاد الأمر سوءا أن سياسة الانفتاح ، كما طبقت بالفعل ، كانت تتسم ، بالإضافة إلى ذلك ، بدرجة عالية من التخبط وعدم الاتساق فحرمت الاقتصاد المصرى حتى من بعض المزايا التى كان يمكن أن تترتب على إطلاق الحرية لقوى السوق وتشجيع الحافز الفردى .

إن المعنى الذى نريد أن نؤكده هنا هو أنه ، حتى إذا طرحنا الاعتبارات الاجتماعية والايديولوجية جانبا ، وافترضنا أن سياسة الحرية الاقتصادية كانت هى السياسة الأفضل فى ظروف مصر فى السبعينيات والثمانينيات من حيث رفع معدل النمو وتصحيح الاختلال فى البنيان الاقتصادى ، وتجاهلنا أثرها على توزيع الدخل على افتراض أنه سوف يصحح تلقائيا مع استمرار معدل النمو فى الارتفاع ، حتى إذا افترضنا كل ذلك (مع أننا لانميل إلى قبوله) فإن هذه السياسة ما كان من المحتمل أن تصادف النجاح المفترض إلا إذا كان قد توفر لها حد أدنى من الاتساق والانسجام من عناصرها الأساسية . فليس هناك أسوأ ، فيما يبدو لنا ، من سياسة اقتصادية تحاول أن تحقق أهدافا اقتصادية متعارضة فى آن واحد ، كالتى تحاول توزيعا أفضل للدخل مع اجتذاب أكبر حجم ممكن من الاستثمارات الخاصة ، أو التى تحاول أن تحمى القطاع العام فى نفس الوقت الذى تحاول فيه تشجيع الاستثمارات الأجنبية ، أو التى تحاول توفير الضرورات الغذائية بأسعار متدنية فى نفس الوقت الذى تريد فيه تشجيع الصادرات الزراعية ... الخ .

والواقع أن نجاح تجربة التنمية فى مصر فى الفترة (٥٦ ـ ١٩٦٥) ، التى حقق الاقتصاد المصرى خلالها معدلا

عاليا للنمو وتغييرا ملحوظا ، في نفس الوقت ، في الهيكل الاقتصادي ، مع تحقيق مستوى معقول من الاكتفاء الذاتي في الغذاء ، ودون أن تتحمل البلاد عبئا ثقيلا من المديونية الخارجية . هذا النجاح يرجع الى حد كبير الى ما اتسمت به السياسة الاقتصادية في تلك الفترة من درجة عالية من الاتساق والانسجام بين مختلف أدوات السياسة الاقتصادية ، حيث تدخلت الحكومة في أدق تفاصيل النشاط الاقتصادي ، وطبق نظام التخطيط بدرجة من الجدية لم تعرف مصر مثلها قبل تلك الفترة أو بعدها ، وخضعت الاسعار للسيطرة الادارية ، وخفض الاستثمار الأجنبي الخاص الى الحد الادنى ، وكاد يقتصر الاستثمار الوطني بأكمله على القطاع العام .

على العكس من ذلك اتسمت سياسة الانفتاح الاقتصادي منذ ١٩٧٤ ، وحتى ١٩٨٦ ، بدرجة عالية من التردد وعدم الاتساق في تطبيق مبدأ الحرية الاقتصادية ، ، وكانت كما يقول التعبير الشعبي « كمن رقص على منتصف السلم » ، أو كمن سقط بين مقعدين ، فلاهي طبقت سياسة الحرية الاقتصادية بحذافيرها ، ولا هي تبنت سياسة التدخل الحكومي الصارم ، بمختلف متطلباتها ، ومن ثم لم تحرز مزايا هذه ولا تلك ، بل عانت من نقائص كليهما . مثال ذلك ميل عجز الموازنة العامة الى التزايد عاما بعد آخر ، إذ في الوقت الذي استمرت فيه الدولة في سياسة دعم السلع الضرورية (بل وبعض السلع الكمالية ايضا) وفي الالتزام بتعيين المتخرجين ، بما يخلقه كلاهما من عبء في جانب الانفاق الحكومي ، لم تلجأ الدولة الى تعويض ذلك بزيادة الايرادات الضريبية ومكافحة التهرب الضريبي . وقل مثل ذلك عن اثر تضارب أدوات السياسة الاقتصادية على توزيع الاستثمارات ، إذ بينما استمرت سياسة التحديد الاداري لأسعار بعض المنتجات الزراعية والصناعية ، على نفس النمط الذي كان سائدا قبل الانفتاح ، الأمر الذي لم يكن من شأنه تشجيع الاستثمار الخاص على ولوج بعض أوجه الاستثمار في هذين القطاعين ، تراخى معدل الاستثمار العام في كل منهما ولم تستخدم وسائل التدخل الاداري لكبح جماح الاستثمار الخاص في القطاعات قليلة الانتاجية .

ويذكر الدكتور عبدالجليل العمري مثالا أخر مهما لنفس الخطأ في مجال التعليم إذ يقول :

« كيف نعلل قرار الحكومة بالتزامها بإيجاد عمل لكل من ليس له عمل ، وهو المتبع في البلاد الإشتراكية ، وفي نفس الوقت لا تتبع السياسة التي يستلزمها هذا (الالتزام بالتعيين) من حيث مراقبة توجيه وتحديد من يدخل المدارس الثانوية العامة وعدد من يدخل المدارس الفنية ، وبالتالي نحد من الالتحاق بالجامعات وكلياتها بحيث لاتخرج الا الاعداد المطلوبة من متخرجي الجامعات ، وهو النظام المتبع بدقة في البلاد الاشتراكية » . (٤)

على أن الذي يهمنا بوجه خاص فيما يتعلق بمشكلة المديونية ، أثر هذا التضارب وعدم الاتساق على معدل الزيادة في الواردات بالمقارنة بالصادرات

فهنا أيضا نجد أن الاعتماد على قوى السوق في تخفيض معدل النمو فى الواردات وتشجيع الصادرات ، كتخفيض سعر الصرف ، كان دائما جزئيا وناقصا ، إذ ظلت الفجوة واسعة دائما بين سعر الصرف الرسمي وسعره في السوق الحرة ، ولم يقترن هذا بسياسات أخرى يتطلبها منطق الحرية الاقتصادية نفسه ، كالتخفيف من القيود الادارية على الصادرات وتبسيط إجراءات التصدير ، فى الوقت الذى أحجمت فيه الدولة عن التدخل الجدى فى حرية الاستيراد ، واذا بالاستيراد لايكبح جماحه لا قوى السوق الحرة ولا التدخل الحكومى المباشر ، فيزداد ميزان المعاملات الجارية عجزا وتزداد الحاجة الى الاقتراض .

● الضغوط الخارجية

ولكن هناك زاوية ثالثة يمكن النظر منها الى ما آل اليه الاقتصاد المصرى والمديونية الخارجية فى ١٩٨٦ ، حيث تظهر أزمة الاقتصاد المصرى كانعكاس لطبيعة العلاقات الاقتصادية الدولية . ذلك أن من الممكن النظر الى أخطاء السياسة الاقتصادية منذ أوائل السبعينيات ، وما اتسمت به من تحول غير مبرر فى توجهها العام ، ومن مظاهر التضارب وعدم الاتساق بين عناصرها المختلفة ، على أنها كانت فى الأساس استجابة لضغوط خارجية لم يكن من السهل مقاومتها . لقد سبق أن أشرنا الى أن التورط غير المبرر فى الديون فى النصف الأول من السبعينيات كان جزئيا على الأقل استجابة لتوفر السيولة فى أيدى المصارف الغربية ومؤسسات التمويل التى كانت تبحث عن فرص للاستثمار المجزى خارج حدودها ، وان ازمة السيولة التى عانت منها مصر فى منتصف السبعينيات كانت من الوسائل التى استخدمت لفرض تسوية مع اسرائيل لعل مصر ما كانت لتقبلها فى ظروف اقتصادية مختلفة . كذلك فان من الممكن النظر الى الامعان فى التورط فى الديون فى السنوات الخمس الأخيرة من عهد السادات ، رغم كل ماتدفق على مصر خلالها من نقد أجنبى ، على انه كان بدوره ، ولو جزئيا أيضا ، استجابة لضغوط وإغراءات الدول والمؤسسات المقرضة التى كانت تحقق نفعا محققا من الإقراض ، يتمثل فى تصريف سلع وخدمات يصعب تصريفها بغير ذلك ، وكوسيلة اكيدة تمكن الدول المقرضة من فرض إرادتها السياسية فى أيام مقبلة . من الممكن ايضا أن ننظر الى السنوات الخمس التى أعقبت مقتل السادات من نفس المنظور .

ليس المقصود بذلك ان نعفى احدا من المسئولية ، وان نتعلل بمسئولية العوامل الخارجية إراحة لضمائرنا . فكما سبق ان قلنا : إن التورط فى الديون يحتاج الى طرفين لايمكن ان يعفى احد منهما من المسئولية عنه . وإنما المقصود ان نشير الى ان من الخطا المبالغة فى القدر المتاح من

حرية التصرف امام صانع القرار الاقتصادى فى مصر . وان تجنب الخطا فى اتخاذ القرارات الاقتصادية لا يتطلب فقط حدا أدنى من المعرفة والحكمة ، وانما يتطلب أيضا حدا أدنى من حرية الارادة واصرارا على استخدام القدر المتاح منها . وقد كانت مصر دائما ، وبدرجة أكبر من دول كثيرة أخرى ، معرضة لفقدان هذه الحرية ، ولكن هذا لاينفى ايضا ان الرجال ليسوا سواء فى مدى استعدادهم لتولى المسئولية فى ظل ظروف لا يمارسون فيها حريتهم فى التصرف ، كما انهم ليسوا سواء فى حرصهم على استخدام القدر المتاح من هذه الحرية لأبعد مدى ممكن .

● هل يعيد التاريخ نفسه ؟

يهمنا هنا ايضا ان نلاحظ اوجه شبه اخرى بين تجربة مصر فى المديونية الخارجية فى السبعينيات والثمانينيات من هذا القرن ، وما مرت به فى السبعينيات من القرن الماضى والعقود الثلاثة التى تلت الاحتلال الانجليزى لمصر ، فى محاولة لاستشراف مايمكن أن تسفر عنه السنوات القادمة للاقتصاد المصرى .

لقد سبق أن راينا كيف أن تورط مصر فى الديون فى عهد الخديو اسماعيل اقترن بفترة من الرخاء سال لها لعاب المقرضين والمرابين الاوربيين ، وانه ما ان وصلت الديون حدا لم تعد موارد مصر تسمح معه بخدمة ديونها ، حتى انقض الدائنون عليها مطالبين بالسداد ، وفرضوا على مصر السياسات التى تهيىء لهم استرداد اموالهم وفوائدها ، متسلحين بما وفرته لهم قوات الاحتلال الانجليزى من سيطرة . وقد ترتب على ذلك أن انفقت مصر العقود الثلاثة التالية للاحتلال تنمى مواردها الزراعية لتستخدم الفائض الناجم عنها فى خدمة ديونها . ولكننا نلاحظ ايضا انه فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، التى فرضت خلالها الأزمة الاقتصادية العالمية على مصر أعباء اقتصادية لاحد لها . استمرت مصر فى خدمة ديونها الى ان سددتها جميعا وهى اقل ما تكون قدرة على تحمل أعبائها واشد ما تكون حاجة الى الاقتراض بدلا من تسديد الديون القديمة . ولكن الازمة العالمية لم تكن شرا محضا على مصر (إذ ان قليلا من الأمور هو شر محض) . فقد اضطرت مصر خلالها الى تطوير هيكلها الاقتصادى ، حيث قامت الصناعات الوطنية الناشئة لتلبى حاجات كانت مصر تلبيها من قبل عن طريق الاستيراد ثم امتنع عليها ذلك بسبب ضآلة مواردها من النقد الاجنبى . وكان استحكام الأزمة نفسه فى عقد الثلاثينيات ، هو الذى فرض على مصر تنويع جهازها الانتاجى ، حينما عجزت مواردها الزراعية وحدها عن القيام بعبء خدمة الديون وتلبية حاجات الاستهلاك فى نفس الوقت .

لايسعنا الآن (١٩٨٧) ، ونحن فى قمة أزمة المديونية الخارجية وفى ظل تدهور مواردنا من العملات الأجنبية ، إلا أن نتساءل عما إذا كانت تجربتنا التاريخية الماضية يمكن ان تلقى بعض الضوء على احتمالات المستقبل . فالواقع أن حلول أزمة ٨٦/١٩٨٧ ، بعد

نحو عشر سنوات من الرواج النسبى ، شكلت فرصة ذهبية لممارسة الضغط الخارجى على مصر لفرض سياسة اقتصادية جديدة ، تتمثل فى التبنى الكامل لسياسة الحرية الاقتصادية ، التى ظلت مصر طوال اكثر من عشر سنوات تمارسها بتردد وعلى استحياء ، فضلا عما يمكن أن تطالب به كبرى الدول الدائنة ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، من بعض التنازلات السياسية . فى هذا الضوء علينا ان نلاحظ الدور البالغ النشاط الذى يلعبه صندوق النقد الدولى منذ صدمة أسعار النفط فى مطلع ١٩٨٦ ، فنراه يلعب دورا يشبه الى حد كبير ما لعبته مختلف لجان التحقيق وتقصى الحقائق التى ارسلتها الدول الدائنة الى مصر فى النصف الثانى من السبعينيات من القرن الماضى ، ونراه يحقق نجاحا فى الحصول على ما يطلبه من تعديلات فى السياسة الاقتصادية يشبه ما حققه الدائنون منذ مائة عام ، ويجعل إعادة جدولة الديون المصرية مشروطة بتعهد الحكومة المصرية باجراء هذه التعديلات ، وهو ما تحقق له بالفعل فى مايو ١٩٨٧ .

● مرة اخرى شيلوك يقتضى رطل اللحم

نحن إذن ، فيما يبدو لى ، مقبلون على فترة سوف تتسم بمزيج من اهم سمات العقود الثلاثة التالية للاحتلال الانجليزى وفترة ما بين الحربين . فاصرار الدائنين على استيفاء رطل اللحم كاملا ، أصله وفوائده ، سوف يوجه السياسة الاقتصادية فى السنوات القادمة نحو استكشاف كل السبل الكفيلة بزيادة موارد مصر من العملات الاجنبية ، كما وجهت الادارة البريطانية للاقتصاد المصرى جل طاقتها فى العقود الثلاثة (١٨٨٢ - ١٩١٤) لزيادة صادرات مصر من القطن استيفاء لحقوق الدائنين . ولكن إذ تقترن الظروف الاقتصادية الراهنة لمصر بعوامل خارجية غير مواتية ، فان ضغط الاستهلاك يصبح الآن ضروريا بدرجة لم تكن متحققة فى أعقاب الاحتلال الانجليزى ، حيث كان القطن المصرى يصادف رواجا ، وكان لايزال امام مصر مجال واسع لزيادة رقعتها الزراعية ومساحتها المحصولية بمعدل مرتفع .

كذلك فإنه اذ تحل الازمة الاقتصادية الراهنة فى أعقاب فترة رواج ومعدل للنمو بالغة الارتفاع ، وشيوع انماط للاستهلاك لم تكن مألوفة من قبل فاصبحت تعتبر من قبيل الضروريات ، فإنه لم يعد هناك مفر امام السياسة الاقتصادية من تنويع الهيكل الانتاجى بحيث يتزايد بسرعة نصيب السلع الصناعية المنتجة محليا لتحل محل الواردات ، حتى وان اقترن ذلك بمعدل للنمو اقل بكثير مما اتسمت به السنوات العشر الماضية . والامر هنا يشبه تجربة مصر فى الثلاثينيات ، إذ اقترن

الانخفاض الكبير فى معدل النمو بسبب الأزمة العالمية ، بتزايد معدل نمو الصناعة ولارتفاع نسبة الاكتفاء الذاتي فى العديد من السلع الصناعية . ان العودة الى شعارات تشجيع الانتاج الوطني واستهلاك ما « صنع في مصر » ليست نتيجة اختيار حر بمقدار ما هي نتيجة لظروف الأزمة التى فرضها على مصر تضاؤل مواردها من العملات الاجنبية وأعباء المديونية الخارجية .

على اننا لايجب بالطبع أن نبالغ فى المدى الذى تذهب اليه فى اسقاط تجارب الماضى على الحاضر والمستقبل ، فالتاريخ ، حتى إذا كان يعيد نفسه ، لايمكن أن يعيد نفسه بالضبط . نعم : فى كلا التجربتين يتورط الاقتصاد فى الديون ثم يوجه لخدمة الدائنين ، وفى كلا التجربتين يخضع الاقتصاد التابع لما تفرضه عليه متطلبات التقسيم الدولى للعمل ، أى توزيع الأدوار (السلع) التى تقوم بها كل دولة طبقا لمصلحة الدول المسيطرة اقتصاديا وسياسيا . ولكن نمط التقسيم الدولى للعمل لايبقى ثابتا الى الأبد ، إذ أن مصالح الدول المسيطرة دائمة التغير .. فإذا كانت خدمة الدائنين قد تطلبت منذ مائة عام تحويل مصر الى مزرعة للقطن ، فهى قد تتطلب الآن تنمية صناعات للتصدير وللاحلال محل الواردات

وإذا كان المستفيد من نمو ثروة القطن منذ مائة عام هم الأجانب من ملاك الأراضى والتجار وأصحاب الرهونات وحفنة ضئيلة للغاية من ملاك الأراضى الكبار من المصريين ، فإن نمو الصناعات الجديدة سوف يفيد منها بالضرورة شرائح أوسع من الطبقة المتوسطة المصرية .

هوامش الدراسة :

(١) فى بحث قريب العهد لمدير ادارة العمليات بالبنك الدولى ، قدر أن معدل النمو السنوى للناتج المحلى الاجمالي فى مصر انخفض من ٩٫٤ ٪ فى الفترة (٧٣ ـ ١٩٨٠) الى ٥٫٢ ٪ فى الفترة (٨٠ ـ ١٩٨٥) الى ٣ ٪ فى ١٩٨٦/٨٥ . انظر :

Hasan, P. : «Structural Adjustment in Selected Arab Countries » ,

المقدم للندوة التى نظمها صندوق النقد الدولى وصندوق النقد العربى فى "ابوظبى" فى ١٦ ـ ١٨ فبراير ١٩٨٧ تحت عنوان :

« Adjustment Policies and Development Strategies in the Arab World »

(٢) تقرير السفارة الامريكية بالقاهرة عن الاقتصاد المصرى ، ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٢٥

(٣) من مذكرة امريكية رسمية غير منشورة .

(٤) د . عبدالجليل العمرى : ذكريات اقتصادية واصلاح المسار الاقتصادى . دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .

أنت.. والهلال

● مائة كتاب من التراث العربى ●

● جاءتنا من الكاتب الكبير الاستاذ حسين احمد امين الرسالة التالية :

ـ على اثر نشر مقالى « حول ازمة تعاملنا مع التراث العربى » فى عدد مارس ١٩٨٧ من « الهلال » وصلتنى مجموعة كبيرة من الرسائل ، يسالنى اصحابها أن امدهم بقائمة باسماء اهم المؤلفات فى التراث العربى · وقد رأيت أن يكون ردى على صفحات الهلال ، تعميما للفائدة ، وتوفيرا للوقت والجهد ·

والقائمة المرفقة التى اسميتها « الروائع المائة من التراث العربى » هى اختيار شخصى محض وثمرة أكثر من اربعين عاما قضيتها فى قراءة كتب التراث · وبالتالى فقد يكون اختيارى لكتاب ، أو اغفالى لكتاب ، محل جدل أو سخرية أو غضب · غير أن الارجح أن يحظى نحو ثلاثة ارباع الكتب الواردة فى القائمة باجماع المتبصرين فى التراث ·

واكرر هنا ما سبق أن دعوت اليه فى المقال المشار اليه ، وهو أن تتبنى احدى حكومات دول النفط مشروعا كذلك الذى تبنته دائرة المعارف البريطانية منذ سنوات ، وهو مجموعة « اعظم كتب العالم الغربى » من هوميروس الى فرويد فى اربعة وخمسين مجلدا ، فتشكل لجنة من عشرة أو عشرين من العلماء المتبحرين فى التراث العربى ، المدركين مع ذلك لطبيعة ذوق شباب أمتنا المعاصر ، وتنتقى هذه اللجنة بعد النقاش والفرز وتمحيص الاراء المختلفة اعظم مائة كتاب مثلا من المؤلفات العربية منذ امرىء القيس الى الجبرتى ، مستبعدة من هذه الكتب المائة الغث الكثير الذى تحفل به كتب عظيمة كاغانى أبى الفرج أو السلوك للمقريزى ، ومبقية على بعضها الاخر بصورته الكاملة كمقدمة ابن خلدون وحى بن يقظان لابن طفيل وفصل المقال لابن رشد ، ثم تنشرها فى خمسين أو ستين مجلدا أنيقا بسعر فى متناول العائلة متوسطة الحال ، بحيث تصبح جزءا من اثاث دارها ، وفى متناول يد أبنائها وتحت نظرهم فى كل يوم ، فتسدى بهذا الصنع خدمة جليلة لابناء جيلنا والاجيال التالية ، اذ تصل بينهم وبين ماضيهم :

١ ــ المعلقات العشر . ٢ ــ كليلة ودمنة . ٣ ــ السيرة النبوية لابن هشام ، ٤ ــ ديوان بشار ، ٥ ــ ديوان ابي نواس ، ٦ ــ الرسالة للشافعي . ٧ ــ المغازي للواقدي ، ٨ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد ٩ ــ ديوان الحماسة ، اختيار ابى تمام . ١٠ ــ رسائل الجاحظ ١١ ــ الحيوان للجاحظ . ١٢ ــ صحيح البخارى ، ١٣ ــ عيون الاخبار لابن قتيبة . ١٤ ــ فتوح البلدان للبلاذرى ، ١٥ ــ انساب الاشراف للبلاذرى ١٦ ــ الاخبار الطول للدينورى ، ١٧ ديوان ابن الرومى ، ١٨ ــ ديوان البحترى ، ١٩ ــ الكامل للمبرد ، ٢٠ ــ طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ٢١ ــ تفسير الطبرى ، ٢٢ ــ تاريخ الطبرى . ٢٣ ــ مقالات الاسلاميين للاشعرى ، ٢٤ ــ العقد الفريد ، ٢٥ ــ الوزراء والكتاب للجهشيارى ، ٢٦ ــ نقد الشعر لقدامة ، ٢٧ ــ مروج الذهب ، ٢٨ ــ ديوان المتنبى ، ٢٩ ــ كتاب الاغانى ، ٣٠ ــ الامالى للقالى . ٣١ ــ ديوان ابى فراس ، ٣٢ ــ رسائل اخوان الصفا . ٣٣ ــ الموشح للمرزبانى ، ٣٤ ــ الفرج بعد الشدة للتنوخى ، ٣٥ ــ الفهرست لابن النديم ، ٣٦ ــ احسن التقاسيم للمقدسى ، ٣٧ ــ الخصائص لابن جنى ، ٣٨ ــ مقامات الهمذانى ، ٣٩ ــ طبقات الصوفية للسلمى ، ٤٠ ــ الامتاع والمؤانسة للتوحيدى، ٤١ ــ المقابسات للتوحيدى ، ٤٢ ــ تجارب الامم لمسكويه ، ٤٣ ــ القانون فى الطب لابن سينا ، ٤٤ ــ حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى ، ٤٥ ــ يتيمة الدهر للثعالبى ، ٤٦ ــ تحقيق ما للهند للبيرونى ، ٤٧ ــ اللزوميات للمعرى ، ٤٨ ــ رسالة الغفران ، ٤٩ ــ الاحكام السلطانية للماوردى ، ٥٠ ــ المحلى لابن حزم ، ٥١ ــ طوق الحمامة ، ٥٢ ــ الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ، ٥٣ ــ العمدة لابن رشيق ، ٥٤ ــ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ٥٥ ــ الرسالة للقشيرى ، ٥٦ ــ المقتبس من أبناء أهل الاندلس لابن حيان ، ٥٧ ــ أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، ٥٨ ــ سيرة المؤيد فى الدين بقلمه ، ٥٩ ــ شرح كتاب السير الكبير للسرخسى ، ٦٠ ــ احياء علوم الدين للغزالى ، ٦١ ــ المنقذ من الضلال ، ٦٢ ــ مقامات الحريرى ، ٦٣ ــ أمثال الميدانى ، ٦٤ ــ اساس البلاغة للزمخشرى ، ٦٥ ــ الذخيرة لابن بسام ، ٦٦ ــ الملل والنحل للشهرستانى ، ٦٧ ــ تاريخ دمشق لابن عساكر ، ٦٨ ــ حى بن يقظان لابن طفيل ، ٦٩ ــ كتاب الاعتبار لابن منقذ ، ٧٠ ــ تهافت التهافت لابن رشد ، ٧١ ــ فصل المقال لابن رشد ، ٧٢ ــ المنتظم لابن الجوزى ، ٧٣ ــ تلبيس ابليس لابن الجوزى ، ٧٤ ــ رحلة ابن جبير ، ٧٥ ــ معجم البلدان لياقوت ، ٧٦ ــ معجم الادباء ، ٧٧ ــ الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، ٧٨ ــ سيرة صلاح الدين لابن شداد ، ٧٩ ــ الفتوحات المكية لابن عربى ،

٨٠ ـ مقدمة ابن الصـــلاح فى علوم الحديث ، ٨١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، ٨٢ ـ طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة ، ٨٣ ـ وفيات الاعيان لابن خلكـــان ، ٨٤ ـ تنقيح الابحاث للملل الثــلاث لابن كمونة ، ٨٥ ـ الرسالة الكامليـــة لابن النفيس ، ٨٦ ـ لسان العـــرب لابن منظور ، ٨٧ ـ رســـائل ابن تيمية ، ٨٨ ـ نهاية الأرب للنويرى ، ٨٩ ـ تاريخ الاســلام للذهبى ، ٩٠ ـ رحلة ابن بطوطة ، ٩١ ـ الاحاطة فى أخبـــار غرناطة ، ٩٢ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميرى ، ٩٣ ـ مقدمة ابن خلدون ، ٩٤ ـ صبح الاعشى ، ٩٥ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ، ٩٦ ـ خطط المقريزى ، ٩٧ ـ المزهر للسيوطى ، ٩٨ ـ نفح الطيب للمقرى ، ٩٩ ـ ألف ليلة وليلة ، ١٠٠ ـ عجائب الآثار للجبرتى ·

● صورة الامبراطورة أوجينى ●

● لفت نظرى فى عدد « أغسطس » من الهلال أن مقـــال « نابليون بونابرت والتاريخ العباسى » تضمن صورة للامبراطورة أوجينى زوجة الامبراطور نابليون الثالث (ابن شقيق نابليون بونابرت) ·

وقد بحثت فى المقال عن العلاقة بين هذه الصورة وبين أى جزء من مضمونه دون جدوى · كل ما فى الأمر أنه جاء بالمقــال أن نابليون بونابرت كتب فى مطلع حياته ـ ضمن ما كتب ـ قصة بعنوان « كليون وأوجينى » · وفضلا عن أن هذه قصة تخيل الكاتب أحداثها ، فلا يمكن مطلقا أن يكون المقصود بهـــا الامبراطورة أوجينى · فهذه الامبراطورة ولدت عام ١٨٢٦ ، بعد أن كان نابليون بونابرت قد توفى بخمس سنوات !

أحمد حسين الصاوى

● رسالة من طهران ●

● يطيب لى ولباقى زملائى فى قسم اللغة العربية ـ جامعة طهران ـ أن نحييكم ونبعث لكم هذه الرسالة الودية ، لنعرب عن خالص تقديرنا لما تبذلونه من مجهود عظيم وما تقدمه مجلتكم العريقة من ثروة فكرية وأدبية وثقافية ، وإتحافها القراء العرب

بأرقى المقالات والدراسات . وقد وصلتنا أعداد الهلال خلال الاشهر الماضية ، وسررنا بها بالغ السرور وعادت الينا ذكريات أيام زمان عندما كنا ندرس فى البلاد العربية ونقرأ المجلة دائمـا . ولكن للاسف لم تتم فرحتنا طويلا وانقطعت عنا المجلة مرة أخرى ، لذلك نتوجه برسالتنا اليكم راجين تلطفكم علينا باعداد « الهلال » ، املين أن تنال رسالتنا اهتمامكم الخاص ورعايتكم الكريمة .. ولكم منا ألف شكر وتحية .. والسلام ..

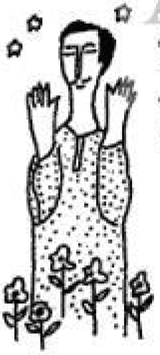
محمد الشاده ـ جامعة طهران

● تعليـق :

ـ نحن نرسل أعداد « الهلال » الى كل مكان ، ولكن بعض الجهات تصادرها وتمنع دخولها الى البلاد التى نرسلها اليهـا ، فنرجو أن تسالوا عندكم : اين ذهبت اعداد « الهلال » ، ولماذا لم تصل اليها بيك وأيدى زملائك ؟!

● عملية جراحية كبرى ●

● أجريت جراحة فى القاهرة بمستشفى المعلمين لاستئصال « لحمية » من أحد الحبال الصوتية وقد اثبت التحليل أن المرض حميد وهذا لطف بالغ من الله تعالى لا نستطيع القيام بشكره عليه ، فكانت هذه الابيات ، نظمتها فى القاهرة وأرسلها من قنا ، وتفرض على الطبيب صياما عن الكلام مدة أسبوع فعدت الى قنا صائما ، ولعل من المفيد أن أذكر أن الذى أجرى لى الجراحة طبيب شاب ممتاز يعمل أستاذا مساعدا للانف والاذن والحنجرة بطب قصر العينى :



حمـــدا وشـكرا لربى
قـــد فرج الله كـــربى
قـــد كنت جــد مريض
والهم يمـــلأ قـلبى
ســالت ربى لطفـــا
من ذا ســواه يلبى ؟..
لى فجـــاد وأربى
فوق الذى كـــان حسبى
ســبحان ربى يتلــى
عليـــه قلـبي وسربى
يا رب أحسن ختـــامى
بجـــاه حبه ... حبى
بجاه « أحمـــد » واغفر
أن جئت ـ عفـــوا ـ بذنب

أحمد قاسم أحمد ـ قنا

● ذكرى كامل الكيلانى ●

● اما وانه كان ما كان من امر رسالتى السابقة . فانى غدوت اقص الاثر . وأتوخى الحذر . فيما أرسل به اليكم . وما اقدم به عليكم . ولا أرى فى ذلك أى عيب . ولا شك فى هذا ولا ريب .

وقد ثنت عزمى هذه الرسالة الاخيرة ، عن التفكير فى اى حيلة لكتابة الشعر ، والعدول عنه الى النثر . ولست اعنى أنى لن اكتب شعرا . ولن أحدث أمرا ، ولكن سأترك كتابته بهذه الطريقة المعقدة .

واعدل لكتابته بطريقة سهلة ميسرة ، شأن الشعر الحديث . الذى دب الينا بسير حثيث . فالاعتراف بالحق فضيلة . والعدول عنه « رزيلة » .. شأن شعر هذا الزمان . الخالى من القوافى والاوزان . وليس فى الامكان أجمل مما كان . فاغفر « ذلة » القلم . وقد خاب من ظلم . ولا تؤاخذنى بما زل به لسانى . وعثر به بيانى .. واليك هذه القصيدة ، على الطريقة الجديدة ، بمناسبة ذكرى الاستاذ كامل الكيلانى .



رحم الله كاملا ..
لا كان ذكره خاملا ..
« حاذه » آجلا وعاجلا ..
والى روضه غداة كان الروض قاحلا ..
فرعاه وجمل شكله ..
بأدب لازال ماثلا ..

جمال محمد جمال طلحة
ابشواى ـ الفربية

● تعليق :

ـ رسالتكم المسجوعة هذه تنم على مقدرتكم فى النثر على اية حال ، برغم اغلاط املائية وضعناها بين اقواس ، كقولكم « رزيلة » بالزاى ، وصحتها بالذال ، وكقولكم « ذلة » بالذال ، وصحتها بالزاى ، لأن « الذلة » بالذال هى الذل وقاك الله منه . وفى شعرك تقوح « حاذه » بالذال وصحتها بالزاى ، اى : ملكه ، ويبدو ان قلمك يتعثر بين الذال والزاى ، وهذا خطبه يسير ، وتستطيع اصلاحه . اما شعرك التفعيلى فلا يقل سوء حظا عن شعرك العمودى ، فابتعد ايضا عن الشعر التفعيلى لانه ليس مجرد بتر تفعيلات هنا وهناك . وليس بالشعر وحده يحيا الانسان ..

● قصيدة عن فلسطين ●

● أرجو اعطائى رايك فى هذه القصيدة من الناحية الفنية والموضوعية وبيان الاخطاء لكي يتسنى لى تجنبها فى قصائدى التالية .. وقصيدتى هذه عن فلسطين :



يا فلسطين الكليمـا
ايقظى الأرواح فينا
نادى الأحرار نادى
فى طقوسك مغرميـا
كم راى الاباء هولا
بين قتلى وسجينا

احمد فهمي غنيم على
شبراخيت

● تعليق :

ـ ليس لنا راى فى هذه « القصيدة » لانها عبارة عن مجموعة من الاخطاء النحوية واللغوية والعروضية !.. يا عزيزى .. دع عنك قول الشعر ، ولا تضيع وقتك فيما لا جدوى منه لك !..

● يا .. من ●

هبات النسمة .. كلماتك
وعيون الفتنة .. قسماتك
واريج الوردة .. بسماتك
كيف يصورك الرائى ؟!

يس محمد ضوى

● حبيبتى .. وكفى ●

حبيبتى وكفى ... اسـطورتى وكفى
ما سرت نحـو الهوى الا لاعترفا
مالى اذا احتبست انفـاس زنبقـة
اهتز فى ربيع الروح وارتجفـا ..
ورحت ابتـاع للاشواق منتجعـا
بين الرياح .. فوقت العشق قد ازفا
وان ان البس الاحـلام ذاكـرة
واكتم الليل ـ عن صحوى ـ اذا انتصفا



عينـــاك نافذة للحـــرف قــد فتحت
نظرت منهمـــا الى الأشـــعار مرتجفـــا
فتشت فيك عن النيـــــران فارتعشت
كل البحار بقلبى والنـــــدى اعتكفا
فرحت اصـــيغ نور الحـــب من قلقى
وارسل الشـــعر من عينيك مغتـــرفا
ابيعـــك الحرف .. هل تشرين عالمه
ونبضه ؟ فصداه اليوم قد وقفـــــا
فسافرى فى النـــدى واستوطنى لغتى
وعلمينى لحن العشـــــب ان عزفـــا

عبد الله السعطى
المطرية ـ القاهرة

● مع الاصدقاء ●

● عبد الرحمن عبد المحسن البطة ـ المنصورة :
ـ نشكركم على حسن ظنكم وأدبكم . أما قصيدتكم التى جعلتم عنوانها « صديق » فهى صحيحة الاوزان ، وليس فيها أخطاء نحوية ولا لغوية ، فتهنئكم .

● هشام محمد عبد الوهاب ـ ثانوية عامة ـ شبين القناطر :
ـ اهتمامكم بالادب والشعر فى هذه السن الصغيرة ، يستحق التقدير ، أما شعركم فان فى الوقت متسعا له حتى ينضج ان شاء الله .

● احمد اسماعيل بدوى ـ شبراخيت :
ـ نشكركم ، وأما شعركم فلا غبار على أوزانه ولغته ، ونرحب برسائلكم .

● يوسف ابو القاسم ـ جزيرة شندويل ـ سوهاج :
ـ شعركم التفعيلى صحيح التفعيلات .

● محمد امين الجندى ـ خربتا :
ـ قصيدتكم عن محنة الجنيه المصرى ، ظريفة وواقعية ، ولكن المحنة الان تشمل جميع العملات تقريبا ، وعلى راسها الدولار .

● محمد عبد الله الهادي ـ فاقوس :
ـ مشكلتك ومشكلة زمـــلائك الذين يفوزون بجوائز قصور الثقافة والجماعات الادبية مثل جمـاعة رفاعة الطهطاوى ، انكم تتصورون أن ذلك يدل على بلوغكم قمة الادب وأن على جميع الصحف أن تنشر انتاجكم ، وهذا غير صحيح ، وقد تنال هذه القصة أو تلك جائزة من الجوائز ، ولا تكون في الوقت نفسه قد بلغت مســتوى النشر ، أما اشارتك الى أنك مجرد فلاح ، فلا معنى لهـــا ، وان « الهلال » لترحب كل الترحيب بكل انتاج ادبى من فـلاح او غيـر فلاح ، مادام هذا الانتاج صالحا .

● جابر محمود محمد ـ الضرائب العقارية بطنطا :
ـ قصيدتكم غير صالحة للنشر بسبب كثرة اغلاطها العروضية والنحوية واللغوية والاملائية ، ومعذرة ! ..

● حسن على محمد جابر ـ الازاريطة ـ الاسكندرية :
ـ شعركم لا بأس به وزنا ونحوا وصرفا ، نرجو لكم التقدم الدائم ، واكتبوا الينا .

● صلاح محمد أحمد ـ سوهاج :
ـ أنت كما تصف نفسك « كاتب واديب وباحث ادبى واسلامى ومدرس اللغة العربية بسوهاج » .. وقد أسعدنا أن تكتب الينا قصة ومقالة ، وفهمنا من رسالتك أنك تكتب القصة الاجتماعية ، وأن لك مجموعتين منها ، عدا الروايات .. فنهنئك حقا بكل هذا النشاط ، ونرحب بك .

● محمد عبد اللطيف فايد ـ الاسكندرية :
ـ قصيدتكم فى فوائد « المشى » للصحة ، وبمناسبة لذوى الكروش ، أسعدتنا بطرافتها ، وان فى المشى لفوائد مؤكدة لــذوى الكروش ولغيرهم من النحفاء الذين لا تتحرك دورتهم الدموية الا بالمشى ، ونحن من هؤلاء !!

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :
ـ نحن نرد على جميع الرسائل ، وأما الانتاج الادبى الذى نتلقاه فانه لا يرد لصاحبه سواء نشر أو لم ينشر ، وهذا تقليد معـروف فى الصحافة من قديم ، وفيما يخصك فنحن نتذكر أننا نشرنا لك ، وردننا على رسائلك ..

● ونشكر أعزاءنا السادة : عبد الفتاح حسان الحسانى .. عاصم فريد البرقوقى .. د. عبد المنعم الميلادى .. رضا ابراهيم عبد المعطى .. صلاح عبد الحميد عثمان .. عبد حميدة .. كريمة احمد عبد المجيد .. الحسين محمود خضيرى .. اشرف محمـــد ابو العز .. رفعت محمد بربرى .. محمود مغربى محمد .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى.

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيوني زغلول الصفاه - ص.ب ٢١٨٣٣ - 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

أسعار البيع للعدد الواحد خارج مصر

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٨٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


٢٠
رحلة أسبوعيًا
الى ٩ مدن
افريقية
٩٤
رحلة أسبوعيًا
الى ١٨ مدينة
بالشرقين
الأدنى والأوسط
ودول الخليج
العربي
٦٧
رحلة أسبوعيًا
الى ١٨ مدينة
في أوروبا وأمريكا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبًا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائمًا في خدمتكم ..